الوعي الاسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

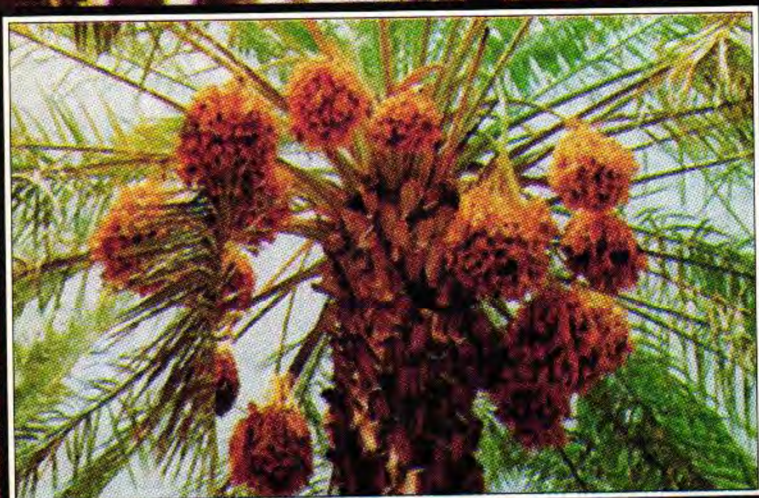
اسلامية شهرية جامعة

العدد ٣٤١ - السنة الحادية والثلاثون - المحرم ١٤١٥هـ/ يونيو (حزيران) ١٩٩٤م

■ الطفل الكويتي بين الثابت والمتغير

■ الجزر الافريقية تسترد هويتها الاسلامية

الهجرة.. نقلة حضارية



■ التمور غذاء و دواء

■ الفكر الاسلامي المعاصر بين المد والجزر

■ التطرف فى المجتمع المسلم المعاصر

أهدافنا



التعريف بالاسلام لغير المسلمين



رعاية المسلمين غير الناطقين باللغة العربية



تعليم لغة القرآن الكريم لغير الناطقين بها



الإهتمام بالمهتدين الجدد





ص. ب : ١٦١٣ الصفـــاة 13017 الكويت

هـــاتف : ٢٤٤٧٥٢٦ فاكس : ٢٤٠٠٠٥٧



الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

AL- WA E I AL- ISLA MI

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٤١ - السنة الحادية والثلاثون - المحرم ١٤١٥هـ / يونيو (حزيران) ١٩٩٤م

رئيس التحرير

CHIEF EDITOR

بدر سليمان القصار

BADER AL-QASSAR

مدير التحرير

MANAGING EDITOR

صلاح الدين أرقه دان

S.S. ARKADAN

الاخراج الفني

ART DESIGNER

صالح محمد صالح

S.M.SALEH

هاتف:

بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)

داخلي(١٠٠٥)

فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

كلمة العدد

الموقف المبدئي والثابت للكويت الذي يدعو إلى علاج المشكلات بمنطق المصلحة الوطنية وعن طريق الحوار الأخوي بعيدا عن أسلوب القوة؛ حيث أن أسلوب القوة واستخدام السلاح سيزيد من الخلافات، وسيعمل على تعقيد المشكلات وتعميق الجراح، وهدر القوى، وزرع الدمار؛ نقول إن هذا الموقف الأصيل هو ما عبر سمو أمير البلاد لدى استقباله أبو بكر العطاس ممثل أمين عام الحزب الاشتراكي اليمني (علي سالم البيض) حين خاطبه قائلاً:

(إن النزاع اليمني ستكون له انعكاسات سيئة على مجمل الوضع العربي، وهذا أمر يؤرق الكويت، ويؤرق جميع قادة وشعوب الأمة العربية والاسلامية التي تعاني في ايامنا هذه من فرقة وتشتت، وهي بحاجة ماسة للم الشمل وتوحيد الكلمة لتستعيد مكانتها وهيبتها وفاعليتها). •

ترى؛ هل يدرك المتناحرون والمتخاصمون في اليمن وأفغانستان والصومال، وغيرها من ديار المسلمين، حقيقة الاسلام الناصعة في ضرورة حقن الدماء والاحتكام إلى الشرع والالتزام بقواعد الحكمة، والنزول عند قوله تعالى واصفاً العلاقة بين أبناء الأمة الإسلامية بالرحمة والتعاطف والتعاون: ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾، أم نسي المتخاصمون كل هذا فانزلقوا إلى حمى الجاهلية النتنة العمياء يستبيحون دماء الأبرياء بلا ذنب ولا جريرة؟

وهل أصبحت المبادىء الإسلامية السامية في سجل التاريخ، أم انها لا زالت راسخة في عقلنا الباطن تحتاج من يزيل عنها أدران الأيام، خاصة ونحن نعيش هذه الأيام ذكرى الهجرة النبوية الشريفة بمعانيها الواسعة ومدلولاتها، ومنها معنى المؤاخاة الذي أقام أمة موحّدة عرفت كيف تتغلب على أسباب التنازع والأحقاد ■

المراسلات:

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت

كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097 KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT.: 1005 - FAX: 965-2431740

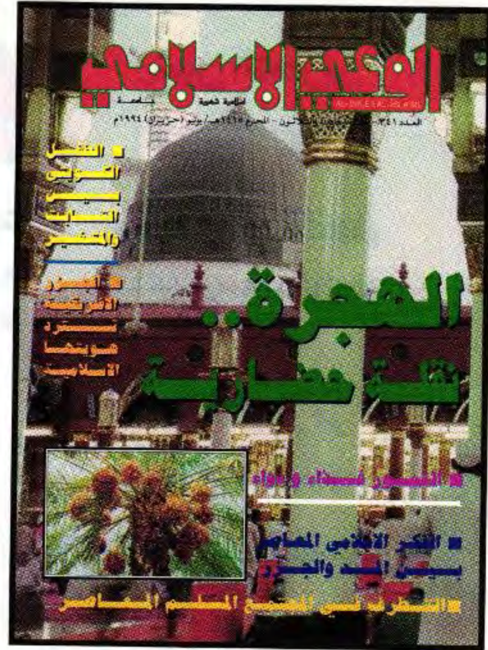
الاشتراكات

الاشتراكات: داخل الكويت: للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ الدول العربية: للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها) ـ للموسسات ١٢ دينار أكويتياً (أو مايعادلها) ـ بقية دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتاً (أو مايعادلها) * ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي ـ الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية) وكيل التوزيع: الشركة السعودية للتوزيع * الكويت: ص.ب: ٢٩١٢٦ ـ الصفاة (١٣١٥٠) هاتف: ٤٧٢٤٧٧٧ ـ فاكس: ٤٧٢٤٥٥٥ * الإدارة العامة، المملكة العربية السعودية، ص.ب: ١٣١٩٥ ـ الرمز البريدي، جدة ٢١٤٩٣ هاتف: ٦٥٣٠٩٠٩ (١٢خط) ـ فاكس: ٦٥٣٣١٩١

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع ٥٠ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما.

أقرأ في العدد



الهجرة النبوية الشريفة علامة تاريخية ودعوية ذات دلالة خاصة، فهي تتجاوز تعانق الزمان والمكان لتخرج إلى رحاب العالم الحي المتحرك، ولترسم للبشرية صراطاً ومنهاجاً في العدل والحرية والبناء الحضاري، والمطلوب إحياء معانيها في واقع الممارسة لا في طيات الكتب

الثقافة الإسلامية جزء من الحضارات الأفريقية

أجرى تمام أحمد في هذا العدد حوارا مع الداعية (أبوبكر عثمان عيان سي) مدير تعليم اللغة العربية في السنغال في فترة الستينيات.. وكان قد شغل بعدها عدة مناصب دبلوماسية في الجزائر ومصر وليبيا والكويت، ويشغل حاليا رئيس مؤسسة (النور على النور) السنغالية في مدينة سان لوي.. وكانت جولة حول هموم المسلمين في السنغال وأفريقيا



التمر

خصّ الله سبحانه وتعالى بعض أنواع الفاكهة بالذكر في كتابه الكريم، وذلك لعلمه عز وجل، وهو العليم بما فيها من فوائد عظيمة، ومن أنواع الفاكهة التي خصها الله سبحانه وتعالى بالذكر في كتابه الكريم، فاكهة التمر فقد جاء بشأنها العديد من الآيات في القرآن الكريم وذكر النخيل في أكثر من موضع، وذلك لفضلها على غيرها من الفاكهة



اقرأ في الأعداد القادمة

- استغلال الادب وحرب الاسلام / احمد محمود ابو زيد
- المساجد الثلاث الاولى في الاسلام / د. ابراهيم سليمان عيسى
- الخط العربي تراث اسلامي اصيل / محمود حسن بيومي
- التربية الاخلاقية في الاسلام / راغب محمد السعيد
- ثلاث دعوات مجابات / د. محمد محمد الشرقاوي
- المسلمون وعلم المعادن / محمد عبد القادر الفقي
- حوار: محمود السيد دغيم / مسلمو يوغسلافيا مواطنون لا دخلاء
- خطبة الوداع، دروس ومباديء / صفاء الدين محمد احمد



الانسانية دين ام منهج؟

كثرت المناداة بالإنسانية في كثير من الصحف العربية والأجنبية والمطالبة باللجوء إليها بعد أن عجزت الأديان عن حل المشكلات والأزمات التي تعصف بالمجتمعات الإنسانية في هذا، أو بالأحرى بعد أن أدت الأديان دورها ولم تعد صالحة لمواكبة تطور هذا العصر، أو بالأحرى والأكثر دقة بعد أن ثبت أن الأديان هى التي تدفع إلى تعقيد هذه المشكلات وهذه الأزمات. تابع مقال الدكتور احمد محمد.



الفكر الاسلامي المعاصر بين المد والجزر

لم تتعرض حضارة من الحضارات مثل ما تعرضت الحضارة الإسلامية من تحديات وافتراءات، سواء على أيدي الأعداء أو على أيدي أبناء المسلمين الذين تربوا في أحضان مدارس العدو. ولئن استطاع الفكر الإسلامي المعاصر أن يرد على جملة هذه التحديات ويدحض هذه الأفتراءات، فإن هذه الردود لم ترتق إلى مستوى مشروع حضاري متكامل بإمكانه أن يخرس ألسنة الأعداء. عن الفكر الاسلامي بين المد والجزر اقرأ مقال الأستاذ محمد الصالح بن عزيز.





الطفل الكويتي بين الثابت والمتغير

أحدث زلزال الخليج – وتوابعه – في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م هزة في المجتمع العربي والدولي، وأفرز مساوىء عديدة، من أبرزها تلك التي أصابت القيم الثابتة التي سادت المجتمع الكويتي قبل الغزو، ومازالت تسوده إلى الآن، عن آثار الغزو وانعكاساته على الطفل الكويتي كتب د. محمود صالح العالي



استراتيجية الأمن في الشريعة الإسلامية

الأمن الحربي للمجتمع الإسلامي من أهم انواع الامن الضرورية للمجتمع اذ يتصل بقدرة المجتمع على حماية نفسه واستعداده للدفاع عن أرضه وماله وثرواته ضد اي اعتداء خارجي. وهذا النوع من الأمن تتوقف عليه حياة الأمم والشعوب فالدول الضعيفة التي لاتملك جيشا قويا تعيش مهددة في أمنها واستقرارها وتصبح مطمعا ومغنما لغيرها من الدول القوية. وعن هذا كله يكتب احمد محمود ابو زيد



الفهرس

الإسلام والحريات العامة

(الحرية) من الألفاظ البراقة ذات التأثير السحري على الانسان، قضى من أجلها ملايين البشر، وتمت تحت شعارها تغيرات تاريخية تعتبر بحق مفاصل مهمة في مسيرة الإنسان، وازداد الاهتمام بميدان (الحريات) مع تقدّم المجتمعات البشرية وسعيها إلى الحفاظ على مكتسباتها في ميدان السياسة والقانون، مما شكل أهمية خاصة لمبحث (الحريات العامة) ضمن مباحث (القانون الدستوري) الذي يُعد بدوره على رأس قائمة المباحث القانونية ذات البعد الحقوقي والانساني..

ولا نستطيع الادعاء أن كل ما تم تحت شعار الحرية كان يؤدي بالضرورة إلى تحقيقها في حياة الناس، فتجربة الاتحاد السوفياتي السابق وسواه من تجارب اتخذت طابع السعي على الانسان والحرص على تحقيق مصالحه على مستوى الشعار، وأغفلت الوفاء بالتزاماتها في واقع الأمر، أو اصطدمت نظرياتها بعقبات التطبيق، أو تعارضت مصالح الفئة الحاكمة مع مصالح الفئة الكادحة، يدفعنا إلى التريث في تأييد كثير من الشعارات المرفوعة، ويجعل السؤال عن (الضمانات) أمراً مسوغا ومقبولا..

ومع ازدياد مظاهر الصحوة الاسلامية، وكثرة العاملين من أجل مجتمع اسلامي نموذجي، وإحياء معالم الخلافة الراشدة التي كانت على منهج النبوّة، وتعدد الحركات السياسية، ووصول بعضها إلى المجالس التمثيلية أو التنفيذية، وازدياد الوعي العالمي بطروحات الإسلام الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، وتعرّض الكتّاب - من مختلف الاتجاهات - للطروحات الإسلامية، كثر السؤال عن موقع الحريات العامة في الحياة الإسلامية..

والناس في ذلك مواقف متباينة ما بين متفائل ومتشائم ومتذبذب بينهما، فمنهم من يركّز على الجانب المشرق في تاريخ المسلمين وعصورهم الذهبية ورقي تعاملهم مع أنفسهم ومع الآخرين، ومنهم من يحصر موقفه فيما يرشح من تصريحات متشدد؛ إما لتشدد منطلقات أصحابها أو للظروف المحيطة بهم؛ وفي كلا الأمرين يحتاج الموضوع إلى وقفة جادة وصادقة وضرورية من أصحاب الطرح الإسلامي أولاً ومن دوائر العمل على استكمال تطبيق الشريعة الاسلامية حيثما كانت، لتبين للناس موقع الحريات العامة في المنهج الاسلامي، دفعاً لسوء الفهم من جهة، وتبياناً للحق من جهة أخرى..

وإن كنا نرى أن البحث في موضوع (الحريات العامة) ابتداء يعني التسليم بشمولية نظام الاسلام للحياة، وتناسق دوائر العقيدة والتشريع والعبادة والاخلاق والاقتصاد والثقافة والمقاصد؛ على نحو يرفض التجزئة والاقتصار على جانب دون آخر..

كما يقتضي ذلك إدراك أن الإسلام اكتفى - في تنظيمه لمختلف جوانب الحياة العامة والخاصة - بتقعيد جملة من القواعد العامة، تاركاً التفصيل لاجتهاد الناس واحتياجاتهم، منضبطين ضمن القواعد الأصولية، عاملين على توفير أكبر قدر ممكن من فرص الالتزام بمقاصد الشرع، وعندما فصّل القرآن أو السنّة في مسألة من المسائل إنّما انحصر الأمر في أضيق مجال، كما هو الأمر في مسائل الإرث والدَّيْن..

وينطلق الإسلام في جانبه التشريعي العام من قاعدة إقامة العدل ومنع الظلم، وفي ذلك يقول ابن القيم: (السياسة الشرعية مدارها العدل، ولو لم ينص عليه وحي، ذلك أن الله أرسل رسله، وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض، فإذا ظهرت أمارات الحق، وأسفر وجهه بأي طريق كان، فثمّ شرع الله ودينه)، ويتوسع في مسألة العدل ليقول عن السياسة الشرعية أنها (ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول ﷺ، ولا نزل به وحي، فأي طريق استخرج بها العدل فهي من الدين)..

وفي عصر اليوم ونحن نعيش مصطلحات قانونية محدّدة، وقد انتشر الوعي بالحقوق والواجبات، والناس تهتم بأمور دنياها وترغب في تحسين أوضاعها المالية والاجتماعية بالإضافة إلى التزامها الديني، وفي زمن بات لمفهوم المعارضة وحمايتها والإفساح لها للتعبير عن الرأي والمشاركة في صنع

القرار، وفي وقت تـواجه فيـه حركـة الاسلام الثقـافي والفكري والدعـوي موجـة من الأسئلة والتسـاؤلات عن الأقليات والمرأة والمخالفين، وحقوقهم وواجباتهم وموقعهم في المجتمع المسلم في حال تطبيـق أحكام الشريعة الإسـلامية، يبقى من الـواجب على أهل العلم والدعوة والفكر والتـوجيه والقرار أن تتضح الصورة لديهم ليقوموا بدورهم بإيضاحها للآخرين..

فلا يصح أن تبقى المسألـة ضمن دائرة الخطوط العـريضة بعيداً عن التفصيل، ولا يصح أن يبقى الجواب مبهماً عاماً غائماً إلى حد ما، ونحن في زمن التخصص وعصر التحديات المعلوماتية والتقنينية، والنـاس في سعيها لتحقيق الأفضل تحرص على أدق الأمور، وتتسـاءل عن مفهوم حقوق الانسـان في الاسلام، وعن مدى تـلازمه مع المفهوم المعـاصر، وما هي أوجـه الاختلاف أو الاتفاق بين الشـورى والديمقراطية، وهل مـؤداهما واحد أم أن الشـورى عنـوان لميدان وأداء مختلف عمّا يعـرفـونـه عن الديمقراطيـة، وما هي ضمانات العدالـة والحرية ونبذ الجور في المجتمع المسلم الموعود..

أسئلة كثيرة تتردد وتحتاج اجـابة مدويّة، يـراها البعض في تحقيق نمـوذج عملي ناجح في الـواقع، ويراهـا آخرون خيـالية التحقيق في عصر يتقاتل فيه أبناء الصف الواحد ويتقاذفون فيه أبشع التهم وأشد عبارات اللـوم والخصومة، ولا يرون الجانب الفكري ضمانة كافيـة لوضع القوانين والنظم والأسس موضع التنظيم، وتبقى الأغلبية الساحقة مؤمنة بأهلية الإسلام للحاضر والمستقبل كما كـان مؤهـلا في عصر النبوّة والخلافـة الراشـدة والعصور الـذهبية، ولكنها تفتقـد تقنين ذلك بما يواكب حـركة العصر، وهي مهمّة العلماء المختصين من الفقهاء والقانونيين..

ويحوم سؤال ملح فـوق هذا كله، عن مدى جـواز استفادة المسلمين من التجربة الانسانيـة لشعوب وأمم أخرى استطاعت أن تحقق – وإلى حـد بعيـد – كثيرا من الحريـات والحقـوق لأفرادها؟ هل يجوز الأخذ بهذه التجربة بشطرها الانساني دون أن يشكّل ذلك خروجـاً على قواعد الاسلام وأصـوله؟ ودون أن يكون احتكـاماً إلى غير ما أنـزل الله؟ وهل يقتصر الأمـر على ما كان فيه سابقـة تاريخية، كمسألـة (الدواوين)، أم يتسع الأمر ليشمل دائرة أوسع من دائرة السابقة التاريخية؟

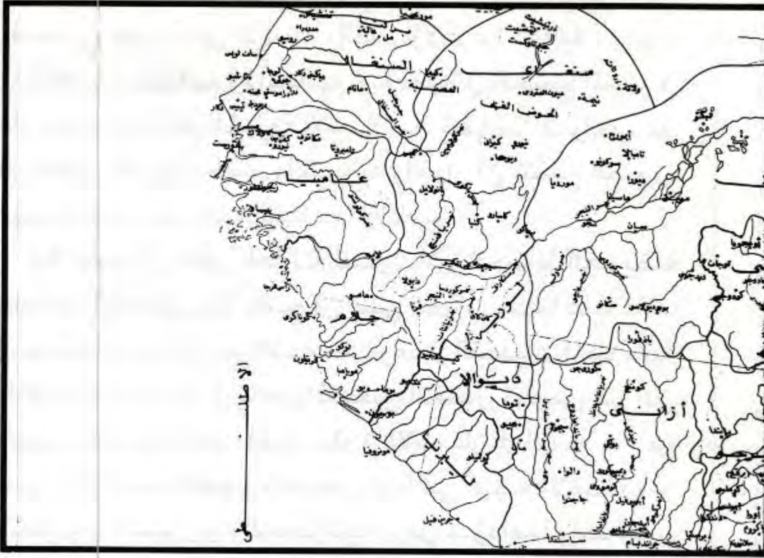
يقـال ذلك ونحن ندرك أن الإسـلام جعل (الحكمة) ضـالّة المؤمن، والقرآن الكـريم يحثّ على البحث والنظر والأخـذ بما هو أفضل مما يحقق المصلحة ولا يتعارض مع مـا أنزل الله تعـالى: ﴿ الذين يستمعون القولَ فيتّبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب ﴾ [الزمر:١٨] وفي تفسيرها يقول القـرطبي: [إن أحسن القول على من جعل الآيـة فيمن وحّد اللـه قبل الاسلام «لا إله إلا الله». وقال عبد الرحمن بن زيد: نزلت في زيـد بن عمـرو بـن نفيل وأبي ذرّ الغفـاري وسلمان الفـارسي، اجتنبوا الطـاغوت أن يعبدوهـا في جاهليتهم واتّبعـوا أحسن ما صار من القول إليهم]..

ولئن كان الإسلام قد كرّم الإنسـان في أكثر من موقع، وكان النبـــي ﷺ في سنته العملية قد أنزل المخالفين من اليهود والنصارى منازلهم، وأحسن إليهم مـا أحسنوا إليه، ولم يُنزل بأيهم عقوبـة أو قصاصـا إلا إذا تجاوز القانـون وشكّل خطراً على الاسلام وعلى المجتمع الإسـلامي نفسه، فما هـو حكم من بقي منهم الآن بين ظهـرانينـا، وهل يجوز حـرمـانهم من حق التعبير والتجمّع والمساهمة في بنـاء المجتمع نزولاً عنـد فتاوى متشدّدة تراهم لا يستحقـون التمتع بما يتمتع به المسلمون في ميادين السياسة والثقافة والصحة والاقتصاد؟

فقـد عاهـد النبي ﷺ اليهودَ وآمنهم على كُنُسهم وأموالهم وأنفسهم ولم يحل بينهم وبين أحكام دينهم في حدود المصلحة العامّة، وما جرى من إنزال عقوبات بهم أو إعلان الحرب عليهم أو فسخ معـاهـدة معهـم إنما كـان نتيجـة تصرف مخلّ منهم اقتضى تلك العقـوبـة أو الموقف ولم يكن نتيجـة الاقتصـاص منهم لكونهم أقلية أو مخالفين لدين الدولة، ومثل ذلك حدث في معاهدات الخلفاء الراشدين ونصارى الشام وأقباط مصر، وما زال في بلاد الشـام ومصر – إلى اليوم – من الكنـائس والمذاهب الدينية تحت رعاية وحمايـة المسلمين ما يدحض ادعاء القائلين بأن الإسـلام يرفض وجـود المخالفين ويسعى للقضـاء عليهم وسحق هويتهم الثقافية والدينية..

والإسـلام بكل قوانينـه يقـوم على أصل ثابت هـو صريح الكتاب وصحيـح السنّة، وكلاهما مصـدر وحي لا يرقـى إليه شك، ولا ينازعـه مصدر آخـر، ويبقى الهامش الواسع في دائرة الاجتهاد المبني على قـواعد أصولية معروفـة لدى العلماء وأهل البحث والاختصـاص، ويهدف الشرع – من خـلال مصـادر التشريع – إلى تحقيق استخلاف اللـه تعالى للإنسان، وبـالتالي يعمل في نطاق تهيئـة الإنسان نفسـه، وتنمية مهاراتـه، وتوفير جميع الفرص الكفيلة بأن يحقق هذه الغاية.. فتعميم المعرفة، وتحقيق الكـرامة الإنسـانية، والارتقاء بـالفرد والجماعـة عن الدنـايا، كل ذلك من الأهـداف والوسائل التـي تتكامل فتحقق الهدف المنشـود.. وبالعودة إلى الأحكام المتعلّقة بالرقّ يمكننا إدراك حجم سعي الإسلام لتحقيق إنسـانية الإنسان إلى أن تم تحرير العبيـد والإماء وإطلاقهـم، فهل يعقل أن التشريع الذي سعى إلى تحقيق واقع قانوني يحرر العبيد بالرغم مما يشكّلونه من قوّة اقتصـادية – في ذلك الـوقت – أن يضع الانسان تحت عبودية قانونية – ظاهرة أو مقنّعة – من نمط آخر؟

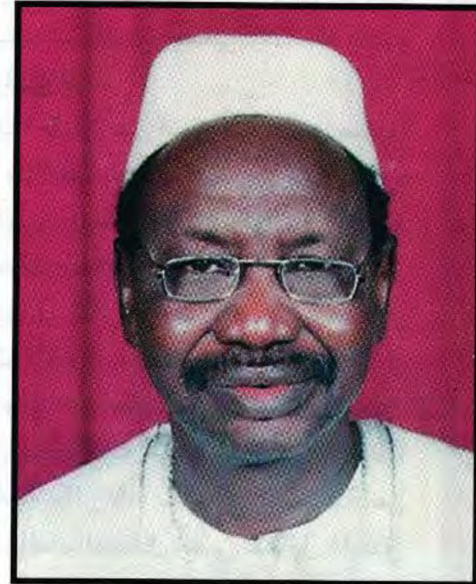
إن التعايش مع بعض الأفكـار الجاهزة والاعتيـاد عليها لا يعطيهـا سلطة قـانونيـة ولا يجعلهـا ثابتـاً لا يقبل الجدل ولا الحوار ولا الاجتهـاد، وينبغي الاعتراف أن كثيراً من الأفكـار والشعارات الجاهزة التي اعتدنا على تكرارها عقوداً من الزمن – تحت ضغط العاطفة أو ردة الفعـل أو الجهل – نحتاج أن نعيد النظر فيهـا على ضوء النصوص الصريحة الصحيحـة القطعية الثبـوت والـدلالـة كي لا نظلم أنفسنـا ولا نظلم الآخـرين ولا نتجاوز أحكام الشرع نفسه ■



بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية زار الكويت مؤخرا الداعية (أبوبكر عثمان عيان سي) مدير تعليم اللغة العربية في السنغال في فترة الستينيات.. شغل بعدها عدة مناصب دبلوماسية في الجزائر ومصر وليبيا كما أسس سفارة السنغال في الكويت عام ١٩٧٥م وعين قائما بالأعمال فيها، يشغل حاليا رئيس مؤسسة النور على النور السنغالية في مدينة سان لوي.. مجلة الوعي الإسلامي التقت به وكان هذا الحوار حول هموم المسلمين في السنغال وفي أفريقيا عامة.

الداعية أبو بكر عثمان عيان سي:

الثقافة الإسلامية جزء من الحضارات الأفريقية



● الداعية أبو بكر عثمان سي

السنغال بلد منفتح على العالم وأي تغيير عالمي لابد أن تلمس آثاره فيه

أجرى الحوار: تمام أحمد

دخول الاسلام غرب أفريقيا

■ الداعية أبو بكر؛ هل لكم أن تعطونا نبذة عن تاريخ دخول الإسلام إلى غرب أفريقيا؟

■■ بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد؛ فإن الإسلام قد دخل إلى أفريقيا بوجه عام في القرن الأول الهجري حين قاد عقبة بن نافع الجيش الإسلامي متوجها إلى شمال أفريقيا حيث أسس القيروان ومنها بدأ إرسال الجيوش إلي كل الجهات ولما كانت السنغال تجاور شمال أفريقيا وكانت الصمام القوي لتوثيق الرابطة بين أفريقيا السوداء وشمال أفريقيا لذا كان دخول القوافل من هذه الزاوية المهمة من غرب أفريقيا حيث دخل التجار القادمون من البلاد العربية وبدأ انتشار الإسلام وتكونت الإمبراطورية الإسلامية الأولى في غرب أفريقيا بفضل حركة المرابطين عام ١٠٤٠م على يد الشيخ إبراهيم الجدالي في منطقة فوتا السنغالية ثم بدأت الإمبراطورية بالتوسع داخل القارة وتشكلت امبراطوريات إسلامية أخرى كامبراطورية مالي وامبراطورية غانا.

المستقبل للإسلام

■ كيف ترون مستقبل الإسلام في السنغال وهل هناك تيارات تقف في وجه انتشاره؟

■■ السنغال ولله الحمد من الدول الإسلامية الأفريقية المتمسكة بالمبادىء الإسلامية عقيدة وخلقا وذلك لانسجام القيم الإسلامية من الكتاب والسنة

والفضائل الإنسانية وقد استعمر السنغال تقريبا ثلاثة قرون وشاءت الحكمة ألا يضمحل الإنسان المسلم الأفريقي السنغالي لتمكن القرآن في قلوب الناس من الطفولة إلى الكهولة لهذا ساير السنغال التيارات المعاصرة مع محافظته على الصبغة الإسلامية ومستقبل الإسلام في السنغال مستقبل مبشر بالخير حيث تعمل الأجيال المثقفة باللغة العربية والفرنسية كل جهدها للحفاظ على هوية الأمة باعتبار أن الإسلام ولغة القرآن العربية جزء من حضارتها وثقافتها.

السنغال والنظام الدولي الجديد

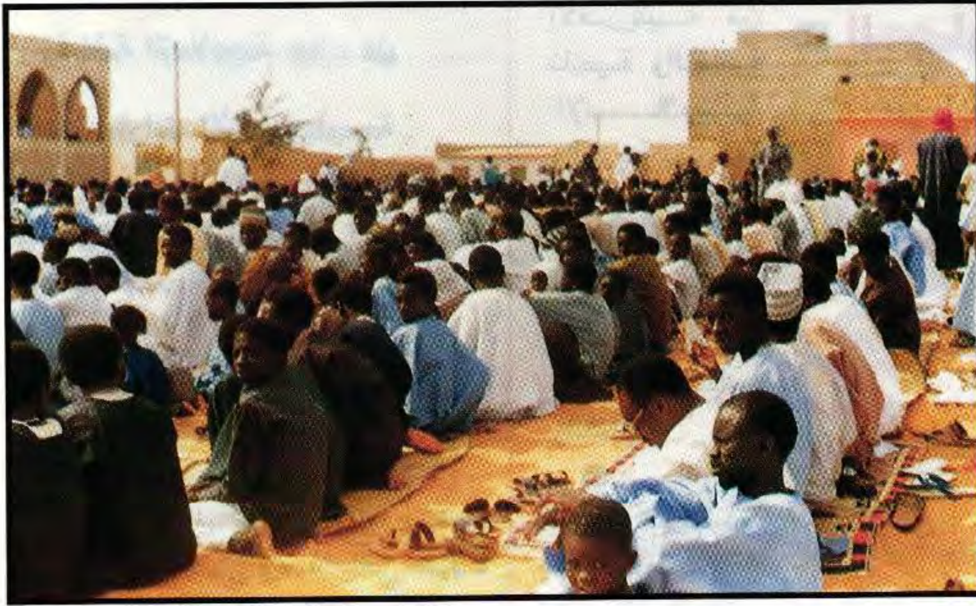
■ ما هي المتغيرات في السنغال في ظل النظام العالمي الجديد؟

■■ السنغال بلد منفتح على العالم وأي تغيير عالمي لابد أن نلمس آثاره فيه لانه أي السنغال يدرك التغيرات والتقلبات باعتباره دولة قديمة وعريقة في مبادىء الحرية والديمقراطية منذ أكثر من مائة عام وتعتبر السنغال اليوم في الطليعة في السياسة الديمقراطية، التي تتبناها جبرا أو اختيارا شبيهاتها ونظيراتها في أفريقيا بعد موجات الاستقلال ودكار اليوم عاصمة اللقاءات والاجتماعات الدولية بحكم استطاعتها استضافة مايجري في العالم بصفة عامة وفي أفريقيا بصفة خاصة.

للكويت أياد بيضاء لا تنسى

■ العمل الخيري الكويتي هل له آثار ملموسة في السنغال؟ وما هي الأولويات التي يحتاج إليها الشعب السنغالي في مسيرته المعاصرة؟

■■ ترتبط السنغال بالكويت بعلاقات القمة أعني صداقة بين الأمير والرئيس عبده ضيوف، وكما قيل: الناس على دين ملوكهم، وأعمال الخير الكويتية واضحة للعيان في كل مكان لهذا وانطلاقا من هذه الصداقة الطيبة فالعلاقات السياسية والثقافية لها طابع أخوي ممتاز ونأمل أن تتطور هذه العلاقات لما فيه مصلحة البلدين وخدمة الأمة الإسلامية.



● الصلاة جامعة

دخول المستعمرين ترك أثرا ثقافيا هو انجلو فوني وفرانكفوني وصار بذلك لغة الإدارة والعلاقات على حساب الثقافة الأفريقية والثقافة الإسلامية

على طريق سداد الديون

■ يقول البعض إن أفريقيا الغارقة بمليارات الدولارات من الديون لا يمكن أن تقوم لها قائمة ولا يمكن أن تتطور ما رأيكم بهذه المقولة؟

■■ الديون الأفريقية حقيقة قائمة لا يمكن أن ينكرها أحد وهذه الديون تثقل اليوم كاهل أكثر دول العالم الثالث وفي كل القارات وأسباب هذه الديون معروفة للقاصي والداني لكن أفريقيا اليوم تسري بها يقظة جديدة وفيها وعي والإنسان الأفريقي يعرف اليوم أن خيراته الطبيعية التي وهبها الله له مطرا كان أو زرعا أو معادن لم تستغل الاستغلال الكافي وستكون باذن الله حافزا اقتصاديا لسداد الديون والانتقال نحو الأفضل لتكون في طليعة الأمم والشعوب والحضارة هي الإنسان وقيمة الإنسان أعظم من الاقتصاد الذي هو صانعه لهذا أقول: إن تقدير الإنسان الأفريقي ورفع مستواه الإنساني أهم من الالتزامات المادية.

الدعوة الاسلامية وهداية الوثنيين

■ الوثنية لازالت منتشرة في أفريقيا عامة لكن باعتباركم تمارسون مهام الدعوة إلى الله كيف تستطيع الدعوة الإسلامية الدخول إلى قلوب الوثنيين؟

■■ لا توجد أمة من الأمم إلا دمرت بالوثنية ولم يزل التاريخ شاهدا على ذلك وجاء الإسلام خاتم الأديان السماوية ودخل فيه من دخل وتأخر من تأخر لحكمة يريدها الله والرب غير مستعجل والعالم لم ينته والهادي هو الله ونسأل الله الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم أن يرشد من هم في الطريق وهو الذي قال في محكم كتابه: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾

الثقافة الإسلامية جزء من الحضـــارات الأفـــريقيـــة

ومازال القائمون بالدعوة إلى الله في جهاد واجتهاد لإعلاء كلمة الله.

المؤتمر الاسلامي وتبعات المسؤولية

■ السنغال ترأس حاليا منظمة المؤتمر الإسلامي وهذا يلقي عليها تبعات وأعباء.. كيف تثمنون الدور السنغال ضمن المجموعة الإسلامية؟

■■ الرئيس عبده ضيوف رئيس منظمة المؤتمر الإسلامي يسعى بالحنكة والحكمة إلى حل المشاكل ومعالجة القضايا الإسلامية بالتنسيق مع إخوانه زعماء الدول الإسلامية والسنغال قادرة – باذن الله – على تحمل التبعات والأعباء التي تقتضيها المسؤولية الدينية الواجبة وقد قامت بالفعل بادوار إيجابية داخل القمة حتى قبل أن تتولى هذه المسؤولية.

الفرنكفونية استعمار ثقافي

■ كيف تقيمون مستقبل الصراع الإسلامي – الفرانكفوني في السنغال؟

■■ لا اعتقد أن هناك صراعا بمفهوم الصراع وانما يوجد تنفس ثقافي يستدعي فرض الوجود الذاتي والظاهر أن الثقافة الإسلامية العربية عريقة وقديمة وجزء من الحضارات الأفريقية أما أن تكون اسلامفوني أو قرآن فوني أو عرب فوني أو أفريقيا فوني، وكل ذلك يتعلق بالإنسان والبيئة والمكاسب ودخول المستعمرين ترك أثرا ثقافيا هو انجلو فوني وفرانكفوني وصار بذلك لغة الإدارة والعلاقات على حساب الثقافة الأفريقية من ناحية والثقافة الإسلامية والعربية من جهة أخرى وكان حقا على المثقفين بلغة القرآن أن ينشئوا هيئة مماثلة بطابعها السياسي والثقافي.

■ ما دور الطرق الصوفية في السنغال في عصرنا الحاضر علما بأنها لعبت دورا في مقاومة المستعمر في فترة النضال والكفاح؟

■■ الطرق الصوفية كما ذكرتم لعبت ولا تزال تلعب دورا هاما في نشر الدعوة الإسلامية في أفريقيا كلا شمالا وجنوبا والصوفية هي العقل الذي عقل القلوب على ثبات الإيمان بالله وحده وما جاء في القرآن أمرا ونهيا.. إن العرب المسلمين من عهد عقبة بن نافع ناشر الإسلام في أفريقيا دخلوا أفريقيا سلما في أغلب الأحيان وأكثرهم من التجار وتركوا القرآن والمساجد وقام الأفارقة بايصال الرسالةإلى قلوب المؤمنين بحفظ القرآن والتربي على أخلاقه وانسجاما بقيم البيئة بصفة سلمية وكان ذلك سدا منيعا للمؤمن الأفريقي الذي تربى على يد العلماء الربانيين ولولا فضل الله ولولا الصوفية لاندثرت معالم الإسلام والصوفية لا تعني الشعوذة والدروشة بل حملة الصوفية هم من أهل الحق العارفين بالله وبالسلف الصالح.. الصوفية هي لغة الإيمان في انعكاس باطني ذوقي ومن قوتها أنها وقفت كالطود الشامخ في وجه المبشرين وأعداء الإسلام.

■ **الحضارة هي الإنسان وقيمة الإنسان أعظم من الاقتصاد**

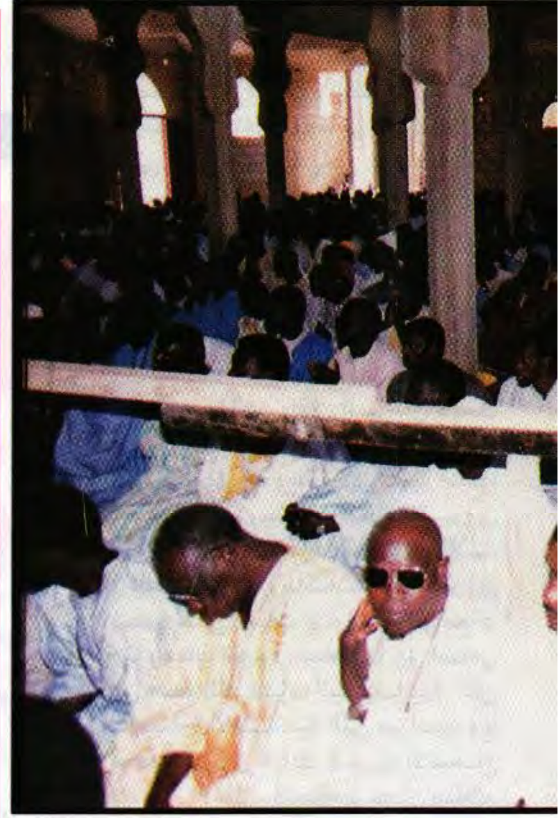


● مسجد جامع حديث البناء

الشيخ عمر الفوتي

■ من هو الشيخ عمر الفوتي وما دوره في تأسيس امبراطورية إسلامية في غرب أفريقيا؟

■■ الشيخ عمر الفوتي مجاهد إسلامي فذ ظهر في القرن التاسع عشر في منطقة فوتا واستطاع بثبات تأسيس امبراطورية إسلامية في غرب أفريقيا بدلا من الامبراطوريات الإسلامية المندثرة في المنطقة وقد ربطت هذه الامبراطورية بين السودان وغرب أفريقيا.. أعلن الشيخ عمر الجهاد وأسس المراكز العلمية والمكتبات الإسلامية في غينيا ومالي والسنغال وهذا المجاهد من أهم العناصر التي قوت ورفعت الكيان الإسلامي في غرب أفريقيا وفي السنغال بصفة خاصة لهذا لا عجب أن تم مؤخرا استرجاع مكتبة الشيخ (عمر الفوتي) المغتصبة خلال الاحتلال الفرنسي للعاصمة الإسلامية (سيجو) في مالي من المكتبة الوطنية الفرنسية إلى السنغال (داكار) بواسطة الخليفة العام الشيخ (منتقي أحمد



تال) وتضم هذه المكتبة ٥١٨ كتابا ووثيقة مدونة في مائتي ألف صحيفة.

أثر القرآن والثقافة الاسلامية

■ كيف حصل التمازج بين الثقافة الإسلامية قرآنيا وعربيا والبيئة الأفريقية؟

■■ الدور الأفريقي في نشر الإسلام في نهوض سريع منذ الاستقلال والقائمون على عملية الدعوة جلهم من العلماء والشيوخ المحافظين على خلق الإسلام أو من أبناء الجيل الجديد الذين تخرجوا من الجامعات والمعاهد في الدول العربية والإسلامية وأنا شاهد على ذلك بصفتي كنت مديرا لتعليم اللغة العربية في السنغال وسافرت كثيرا للدول الأفريقية في جولات استطلاعية لأحوال المسلمين وهذا ما يؤكد أن ابناء أفريقيا عندما اعتنقوا الإسلام وتثقفوا بثقافته امتزجوا كلية به وحملوا لواءه فيمابعد وأصبحوا من أشد المدافعين عنه ومعظم الحضارات الأفريقية تشتم منها رائحة العرب والإسلام ■

محطة

مطلوب تأسيس جامعة إسلامية

الحاجة ملحة إلى وجود جامعة إسلامية تحمل روح علوم

بقلم أ. د: حاتم محمد أبوالعباس

الإسلام في ثناياها وتعبر عن جوهره في وجه علمنة التعليم والأخلاق، فما تخرجه لنا هذه الجامعة من أهداف ومنها ربط العقلية المسلمة بحضارتها السالفة ومنتجات هذه الحضارة من تقدم تطرق إلى جميع العلوم والمخترعات البشرية.

وفتح باب الاجتهاد للدارسين في تحديد كيفية الخروج من الأزمة الحالية وهي تقوقع الأفكار المختصة بكيفية نهضة الأمة والتعبير عن إسلامها الحقيقي في صوره القائمة على احترام منجزات العقل البشري وإبداعاته داخل إطار الإسلام وألا تكون ذات ثورية على الموروثات الإسلامية من قيم ومبادىء تعطي لأول وهلة فكر تنظيمي لعلائق الاتصال بين الإنسان وربه داخل وخارج دور العبادة، ومنظومة حضارية فكرية لمفهوم العلاقة بين الإسلام وغير المسلمين داخل الإطار الإقليمي والعالمي.

تأسيس الجامعة على أسس علمية يقوم بتأسيس أنشطتها متخصصون يحملون روح الانتماء للإسلام الحقيقي في جوهره ومضامينه وكذلك لحضارته الغابرة والتي تمثل الآن في عودتها مرة أخرى إلى هذا العالم المتخبط قارب النجاة في مشكلاته المعقدة وإنسانه الضائع بين طغيان الفكر المادي، وتكوينه للشخصية العالمية القائمة على عدم احترام الآخر ووضع نفسه على قمة هذا النظام المادي الرأسمالي باستغلاليته للشعوب النامية والمتخلفة من وجهة تقدم النظام المادي الرأسمالي، لأن هذا النظام يحمله معايير ومقاييس للتقدم تختلف جذريا عن النظام الإسلامي القائم على احترام آدمية الإنسان والمحافظة على حريته وإبداعاته وتوقير أفكاره.

فهذا الاحترام يحفظ له مكانه في تكوين صرح البناء القائم على بناء النظرة العالمية للإسلام وتوثيق عرى الإسلام بكل ما أوتى من طاقات بشرية، لأن الإسلام أعطاه حرية في أن يكون إنسانا خيرا نافعا لمجتمعه وعالمه الصغير والكبير بل كذلك لنصرة دينه الذي يعد دين الله في الكون كله جميعا ■

الإنسانية دين أو منهج ؟

بقلم: د. أحمد حمد



■ يرى البعض إفلاس الأديان فينادي بالإنسانية بديلاً!!

■ تقض المطالبة بالحريات العامة مضاجع البشرية في كل مكان



كثرت المناداة بالإنسانية في كثير من الصحف العربية والأجنبية والمطالبة باللجوء إليها بعد أن عجزت الأديان عن حل المشكلات والأزمات التي تعصف بالمجتمعات الإنسانية في هذا، أو بالأحرى بعد أن أدت الأديان دورها ولم تعد صالحة لمواكبة تطور هذا العصر، أو بالأحرى والأكثر دقة بعد أن ثبت أن الأديان هى التي تدفع إلى تعقيد هذه المشكلات وهذه الأزمات.

ما الإنسانية؟

وكعادتنا في تناول أي موضوع نبدأ بتوضيح المعنى الذي تبادر إلى الذهن عنداستعماله أو التلفظ به، فنتساءل في إطار هذا التوضيح: هل الإنسانية دين من الأديان المنزلة أو دين من وضع البشر؟ هل للإنسانية وجود مادي مقدس تقدم له القرابين ويحج إليه المقربون؟ أم انه معنى مجرد يصعب فهمه إلا اذا تجسد في سلوكيات لاتخرج عن نطاق اخلاقي مرسوم؟ هل الإنسانية منهج متكامل لتهذيب سلوكيات الفرد وتنظيم علاقات الناس، أم انها هدف من أهداف هذا المنهج المتكامل؟ وإذا كانت الإنسانية دينا أو منهجا فأين تعاليم هذا الدين وتفاصيل هذا المنهج؟ وهل سبق وضع تعاليم هذا الدين وتفاصيل هذا المنهج؟ ومتى؟ ولماذا انصرف الناس عنها حتى كثرت وتكررت الدعوة اليها في هذا العصر؟

وإذا لم تكن الإنسانية دينا ولامنهجا فهل المراد بها النزعة العاطفية التي تهدف إلى الاهتمام بالإنسان مهما كان عنصره وأين كان موطنه؟ أو هل المراد بها الاتجاه الفكري للتذكير بقيمة الإنسان ومدى الحقوق التي يكتسبها للحفاظ على هذه القيمة؟ أو هل المرادبها التحايل لصرف الناس عن الأديان وخاصة دين الإسلام؟

ولفظة الإنسانية في الصناعة اللغوية تستعمل مصدرا صناعيا، وهذا المصدر يأتي نتيجة إضافة الياء والتاء إلى اسم من الاسماء كالاجتماعية والاقتصادية والسياسية والجبرية والاختيارية الخ؛ وقد لاينظر إلى الوصفية في استعماله، ككلية الإنسانيات مثلا؛ وقد ينظر إلى الوصفية في استعماله، كالأعمال الإنسانية والتصرفات الإنسانية والأوضاع الإنسانية والمعاملات الإنسانية.

ولا يعدو الاستعمال هذا النطاق، فليست اتجاها له أفكاره ولا مذهبا له أنصاره.

الإنسانية في عقول الغربيين

لكن هذه اللفظة في عقول الغربيين ذات ظلال بعيدة المدى: انها تعني المذهب الذي يهتم انصاره بالرجوع الي اللغات والآداب القديمة: جاء في قاموس لاورس أي أن الإنسانية مذهب ينادي بالرجوع إلى الاهتمام بالمعارف والثقافات المتصلة باللغات والاداب القديمة. واللغات والآداب القديمة – كما هو راسخ وشائع بين هؤلاء – تتصل بنسب لما كان سائدا في بلاد اليونان قديما من ثقافات وفلسفات.

التركيبة الثقافية الأوروبية

فإن أساس البناء الثقافي في اوروبا هو هذه الفلسفات، حيث تكونت عناصر ثقافتها حول هذا الاساس وقامت عليه، واصطبغ فكرها بهذه الصبغة فلم تعد تستطيع أن تغير فيها أو تنفك عنها، حتى ان الدين المسيحي عندما دخل اليها اصابه ماأصابه من تحريف وتبديل ليتوافق مع مايسود في افكارهم من هذه الفلسفات؛ومع ذلك ارتبط هذا الدين في أفكارهم بالجمود والتخلف والمعاداة لكل جديد وتعويق أي تطور، وفي القرون التى اصبح لسدنة هذا الدين فيها السيادة والسلطان كانت أوروبا تسير من سيىء إلى اسوأ، وحكم التاريخ على هذه القرون بأنها أسوأ عصور أوروبا – وهى القرون الوسطى – فإنها كانت أحلكها ظلاما، وأظلمها جهلاء وماكادت هذه القرون تنتهي حتى نشأت في أواخرها جامعات هنا وهناك تقوم في مناهجها على اساس من هذه الثقافات اليونانية. لكن الحضارة الاسلامية التي تزامنت مع هذه القرون كانت قوية الاشعاع منداحة الانوار، فاخترقت جدار الظلام الحالك في أوروبا، وبددت غشاوة الجهل الكثيفة التى لفتها طوال هذه القرون، وهيأت لظهور النهضة وبعث اليقظة في أرجائها.

أوروبا والدين

والعقدة التي سيطرت على نفسية الاوروبيين من هذا الدين – أي دينهم – مع سلوكات سدنته لتعويق نهضتهم واخماد يقظتهم، وخلو هذا الدين اصلا من القواعد التي ترسم للإنسان سبيل الانطلاق في هذا الكون لارتياد آفاقه واكتشاف اسراره، كل ذلك قد جعل الأوروبيين في مغالبة مع الدين إلى أن تمكنوا من عزله عن الحياة وحبسه بين جدران الكنيسة.

وأصبحت العلمانية – وهى ترجمة غير أمينة للفظة Laicisme بالفرنسية أو Secularizme بالإنجليزية هى البديل الذي يرجع اليه في تنظيم أي مجال من مجالات الحياة ماعدا الصلة بين الإنسان وربه.

وكان الاقرب إلى صحة الترجمة أو دقتها أن يقال: الدنيوية أو اللادينية، لا العلمانية.

الإنسان والعلمانية

ويبدو أن الظلال التي تحيط بالعلمانية تعتبر في عيون المتمسكين بالدين ظلالا سوداء، ولايمكن من أجل

ذلك أن تكون هناك مصالحة أو توافق بين المتمسكين بالعلمانية والمتمسكين بالدين إلا اذا كان هناك امل في الجمع بين النقيضين.

ومادام الأمر كذلك فلماذا لاتختار لفظة اخرى للاستعمال في هذا المجال بحيث يكون لها ظلالها المبشرة لاالمنفرة والجامعة لاالمانعة والموحية بالتلاقي والتجمع لا الموحية بالتفريق والتنازع، وكانت لفظة الإنسانية هي اللفظة الصالحة التي تتجاوب مع هذه المواصفات. لكن معنى هذه اللفظة أو مدلولها في عقل الأوروبي والتفسيرات التي يلصقها بها الكتاب تجعل هذه اللفظة مرادفة للعلمانية فالمعنى واحد واللفظ مختلف. والمعنى في عقل الأوروبي - كما سبق أن اشرنا - هو الرجوع إلى اللغات والاداب القديمة قبل ظهور الدين المسيحي. اما تفسيرات الكتاب فتدور حول ماجرته الأديان على البشرية من فرقة وتنازع ومافي الاتجاه إلى الإنسانية من نبذ لهذه التفرقة وقضاء على هذا التنازع

طموحات الإنسان في هذا العصر

ولاشك أن هذه الاتجاهات الدنيوية تركز على الجانب المادي في حياة الإنسان، وتحاول جادة لإشباع ميوله وتحقيق طموحاته في هذا الجانب، ولكنها لاتستطيع بحال أن تشبع ميوله وتحقق طموحاته في الجانب الروحي.

ان إنسان هذا العصر يشعر بخواء قاتل في نفسه ويطمح إلى أن يملأ هذا الخواء بما يضمن لنفسه سلامتها واستقرارها. انه خالي الوفاض من المعارف ذات الحقائق الثابتة التي تحقق طموحاته في التمكن من اكتشاف اسرار هذا الخلق وكيفية الاستدلال على عظمة خالقه، واسرار هذه الحياة وماذا كان قبلها وماذا سيكون بعدها وكيف تكون الصلة بين الخالق والمخلوق.

انه صار بتحقيق طموحاته المادية اشبه بوحوش الغاب، وفقد بفقدان طموحاته الروحية الطريق إلى التشبه بملائكة السماء مع توفر امكاناته وقدراته لتحقيق مايصبوا اليه.

الأديان ضرورة

والأديان قد واكبت مسيرة الإنسان منذ وجوده لتوازن بين هذه الطموحات، فقد كان هدفها ضبط عواطفه وضبط أفكاره وضبط علاقاته وضبط معاملاته وضبط شهواته وضبط سلوكياته.

وهذه الضوابط ضرورة لإعطاء الحياة الإنسانية صورتها الحقيقية وتبصير الناس بمواقع أقدامهم وهم يتحركون في هذه الحياة دون أن تعصف بهم فرقة طاحنة تقضي عليهم إذا ماكان لأصحاب الشهوات والأهواء سيطرة أوسلطان: ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أحينا إليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا ال[دين ولاتتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب. وماتفرقوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيابينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب. فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولاتتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴾ [الشورى:١٣-١٥].

لفظة الإنسانية كلفظة البشرية

ولفظة الإنسانية لاتخرج في معناها عن لفظة البشرية، فكل منهما يستعمل في الدلالة على كل المخلوقات من بني آدم. والذي يدعو إلى الإنسانية أو البشرية - إذا لم يقصد العلمانية - انما يقصد أحد أمرين:إما أن يقصد أن يردد كلاما أجوف لامعنى له إلا المعنى الذي يقصده الذي ينادي بالذهاب إلى الصحراء لانها الواحة الفيحاء، أو الذي ينادي بالذهاب إلى الكهوف فان فيها إكسير الحياة أو الذي ينادي بالإكثار من قراءة الصفحات البيضاء - أي الخالية من أي سطور - فإن فيها الفائدة المضاعفة والعلم الغزير والحقائق التي توضح معالم الهدى وطريق الرشاد. واما أن يقصد الحث على الاهتمام بهذه الإنسانية أو هذه البشرية والبحث في جدية عن المنهج الحكيم الذي يحقق لها طموحاتها وينظم في حكمة أمرها ويعرف في إجلال قدرها.

الإنسانية والإسلام

فما هي أجمل الخطوط وأشمل الموضوعات التي تملأ هذه الصفحات البيضاء؟ وماهي الأنهار الجارية والحدائق الغناء التي تعمر بها الصحراء الجرداء؟ وماهو إكسير الحياة الذي يبعث في الهواء الراكد حركة الحياة؟

لن نجد اشمل الموضوعات إلا في الاسلام، ولن نجد اغنى الحدائق إلا في الإسلام، ولن نجد اصفى إكسير للحياة إلا في الإسلام.

لقد جنب الإسلام الإنسانية مزالق الفتنة عندماقرر حرية الاعتقاد عند عرض أي عقيدة على أي فرد حتى لو كانت عقيدة الحق: ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فيكفر ﴾ أي يستمر على كفره [الكهف:٢٩] ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ [البقرة:٢٥٦] لقد جنب الإسلام الإنسانية مزالق الفتنة عندما قرر عدالة الحكم فلامحاباة ولا محسوبية لصاحب أو قريب ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولاتكن للخائنين خصيما ﴾ [النساء:١٠٥] «والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» [حديث متفق عليه].

لقد جنب الإسلام الإنسانية مزالق الفتنة عندما قرر حق كل فرد في مواد الحياة الأساسية: «الناس شركاء في ثلاثة: الماء والكلأ والنار» وفي رواية: «والملح»[رواه ابو داود] ﴿ الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقالكم وسخرلكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار. وسخرلكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ﴾ [إبراهيم:٣١و٣٢].

وقضية حرية العقيدة وقضية عدالة الحكم وقضية الحقوق الأساسية لكل إنسان - وهى نماذج لمنهج الإسلام في الحفاظ على كيان الإنسانية عند قيادته لها - هى التي تقض مضاجع البشرية الآن في كل مكان.

ولكن البشرية أو الإنسانية قد سعدت بها زمنا يعيه التاريخ تمام الوعي ويضعه في أبرز مكان من ذاكرته. ومازلنا نوجه نظر الإنسانية إلى هذا المنهج الرباني الذي هو مصدر النور والسلامة والاستقامة: ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ [المائدة:١٥و١٦] ■



■ تعني لفظة (الانسانية) عند الغربيين المذهب الذي يهتم انصاره بالرجوع الى اللغات والآداب القديمة



الوعي الإسلامي
AL-WAEI AL-ISLAMI

ثلاثة عقود مع الكلمة الهادفة

معا.. عزيزي القارى نحتفل بمرور ثلاثين عاما على صدور مجلتك.. مجلة الوعي الإسلامي..
ثلاثون عاما لم يتوقف خلالها العطاء إلا أثناء العدوان العراقي الغاشم على دولة الكويت.
تواصلت الكلمات، وتعانقت المواقف مع السطور في ملحمة إسلامية تشهد لها أعداد المجلة الـ ٣٤٠ الماضية في محاولة لتوحيد الآراء بين المسلمين ورأب الصدع الحادث في الصفوف.
ومعا.. عزيزي القارىء سنواصل المسيرة إن شاء الله.
وإذا كانت المجلة في حاضرها ومستقبلها تخضع لتقييم القارىء وحده فإننا بهذه المناسبة السعيدة سنصحبك معنا إلى الماضي القريب لنرد الجميل لرجال تركوا بصماتهم الواضحة في تاريخ المجلة، ونستمتع معهم بلحظات الميلاد، وربما آلام المخاض□

خالد الجسار (وزير الأوقاف الأسبق):
صوت يسمع في الحق

كتب سامح هلال:

* معالي الوزير؛ شهد عهدكم في الوزارة ولادة مجلة (الوعي الإسلامي)، فهل من نبذة تاريخية عن ذلك؟

** بعد تعييني وزيرا للأوقاف كانت تشغل ذهني إصدار مجلة إسلامية تمثل الوجه الحقيقي لنشاط وزارة الأوقاف، وتصبح صوتها الذي يسمع في الحق، فطرحت هذه الرغبة أمام مجلس الوزراء في ذلك الوقت وحصلت منه على التأييد، وصدرت الموافقة باستثنائها من القرار الصادر بتاريخ ١٩٦٤/٢/١٠ بايقاف المجلات التي تصدرها الجهات الحكومية، فكانت مجلة (الوعي الإسلامي) الوجه المشرق في الداخل والخارج لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت.

* ما هي أهم الأهداف التي سعت الوزارة إليها من خلال هذا الإصدار؟

** أصدرنا المجلة لتحقيق العديد من الأهداف منها: نشر الوعي والثقافة الإسلامية بين المسلمين، وإبداء الآراء الصائبة في كل ما يتعلق بأمور الدين، إضافة إلى أنها تعبر عن أنشطة الوزارة وتلقي الضوء على أعمالها.

* هل كانت ضمن أولويات عمل الوزارة ونشاطاتها؟

** لا يوجد شيء عندي اسمه أولويات فكل عمل ناجح له أهمية وضرورة، ولا استطيع القول أن المجلة كانت على قائمة أولوياتي أثناء وجودي في الوزارة، وأن قسم الوعظ والإرشاد، أو قسم الترجمة والنشر، أو غيرها من الأقسام والإدارات تأتي في المرتبة الثانية أو الثالثة مثلا، فهذه الأشياء متكاملة وتعمل في موقع واحد، وان كانت تبدو متفرقة، فدور كل منها مكمل للآخر ولا يمكن الاستغناء عنه.

* بعد ثلاثين سنة من الصدور، هل ترى الوعي الإسلامي قد أدت المطلوب منها؟

** اعتقد.. بل اجزم ان مجلة الوعي الإسلامي أدت رسالتها خلال الثلاثين عاما الماضية، وتضاعفت أعدادها لتطوف الآفاق وتتلقفها الأيدي في كل قطر عربي وإسلامي، يجد القارىء ما بين أسطرها مواضيع شيقة وبحوثا مختلفة متجردة، وبهذا أدت هدفها المنشود الذي وجدت من أجله، ويرجع الفضل إلى القائمين على إدارتها وإلى كتابها المتفانين في بذل العطاء لها.

* رغم الكم الهائل من المجلات والإصدارات الإسلامية، ما زلنا نرى ثغرات كثيرة في عالمنا، فهل يعود التقصير إلى الإعلام نفسه، وأنه لم يبلغ غايته بعد؟

** أهم شيء في الدعوة الإسلامية هو الدعوة إلى الله قولا وعملا، ولو حدث ذلك في



● خالد الجسار

العالم الإسلامي لاستقام أمر المسلمين، فالمهم ليس القراءة، ولكن المهم أن نقرأ ونعمل بما نقرأ، ومن هنا فدور المجلات والصحف الإسلامية ينحصر في تصحيح المفاهيم الخاطئة، وشرح ما خفي على المسلمين، إضافة إلى تذكيرهم بأمور دينهم.

أيضا يقع على الصحافة المحلية دور مهم يتمثل في التوجيه والإرشاد، والنصح، ولذلك فأنا اعتقد أن العيب ليس في الصحافة الإسلامية انما العيب في المتلقي، فالصحافة الإسلامية تؤدي دورها على خير وجه ودون ادنى تقصير.

* ما زلنا نطمح لدور أكبر تقوم به الصحافة الإسلامية، فما قولكم؟

** إذا كنا نريد من الصحافة الإسلامية أدوارا أكثر تأثيرا وفعالية، يجب الاقتراب من مشاكل المسلمين والتعبير عنها بصدق، كما يجب على تلك الصحف ان تبين الداء وتذكر معه الدواء، لأن عرض المشكلة دون إيجاد البديل قد يأتي بنتائج سلبية فالدور المنوط بالصحافة الإسلامية أراه متكاملا، يبين، ثم ينصح ويرشد، ومن هنا نستطيع القول إن المحصلة النهائية ليست بالكم، انما هي في الكيف والمضمون، وعندما تصل الصحافة الإسلامية لهذه المرحلة فسوف يبحث عنها القارىء، ويفتش، ويسعى إليها.

* على مشارف العقد الجديد من عمر المجلة، ما هي أمنيتك لها؟

** كل ما اتمناه لمجلة الوعي الإسلامي الاستمرارية الدائمة في تقدمها وازدهارها حاملة لواء الإسلام في بعث الوعي الفكري النير المحفوف بتوجيهات الإسلام، وهديه للنفوس البشرية وللطباع الإنسانية، وان تقوم بدورها ليس في داخل الكويت فحسب، انما في كافة انحاء العالم الإسلامي، كما اتمنى ان يعمل القائمون عليها بتقديم المزيد من البحوث والافكار والموضوعات الجديدة ذات الصلة بالقارىء، والحقيقة ان المجلة لا تدخر جهدا في هذا المجال، ولكن الطموح يجعلني اتمنى لها الا تكتفي بهذا النجاح، والا تقف عند مرحلة واحدة، بل تطمح نحو مزيد من النجاح والانتشار ■

راشد الفرحان (وزير الأوقاف الأسبق):
طوق نجاة في بحر من الظلمات

راشد الفرحان
(وزير الأوقاف الأسبق):
طوق نجاة في بحر من الظلمات

* عن تاريخ صدور المجلة تكرم سيادته بقوله:

** ظهرت مجلة الوعي الإسلامي في وقت كان المناخ الإسلامي في أمس الحاجة لظهورها، خاصة وسط الشباب الذي وجد نفسه محاصرا بين إيدولوجيات وتوجيهات أقرب إلى الضلال من الصواب وتحاول طمس هويته الإسلامية بشتى الأساليب والطرق.

ظهرت المجلة وسط هذا المناخ كطوق نجاة في بحر من الظلمات، واستطاعت أن ترسم لنفسها طريقا وسطا محدد المعالم والأهداف حتى لا تتوه وسط موجة من الاتجاهات المنتشرة في ذلك الوقت.

لقد كان صدور الوعي الإسلامي ضرورة عقائدية وحياتية للأمة، كما كان رد فعل لنشاط القوى المضادة للفكر الأسلامي الأصيل، وقد تفردت منذ ظهورها ومازالت بالتعبير عن كل الاتجاهات، والاقتراب من جذور المشكلة في طريق الوصول للحلول الصحيحة والنهائية، وكان لها هذا التفرد في الوقت الذي كانت أغلب الصحف والمجلات الإسلامية – إن لم يكن كلها – تعبر عن طائفة ما أو اتجاه غير محدد المعالم، وكانت النتيجة بانوراما من الاتجاهات والآراء المتباينة والمتصارعة في نفس الوقت.

* وعن استقلالية المجلة وحرية الكلمة أجاب:

** الحقيقة أن مجلة الوعي رغم تبعيتها لجهة حكومية – وزارة الأوقاف – إلا أن هذه الجهة لم يكن لها ادنى تأثير عليها من ناحية الاستقلالية، فلم تتورط الوعي في مهاترات سياسية أو مذهبية، ولعل ذلك هو ما جعل القارىء يثق لها، ويقبل عليها، ويطمئن إلى سلامة ماينشر فيها، فقد أدرك الجميع انها مجلة جادة لا تزج بكتابها في صراعات لا خير فيها، وظلت محافظة على تقدمها، في ظل أهدافها الواضحة، وقد اتاح لها ذلك أن تسلك طريقها إلى عقل وقلب كل قارىء، وأن يكون لما يكتب فيها تقديره وتأثيره.

* أما الأولويات فرآها كالتالي:

** عندما كنت وزيرا للأوقاف كنت أضع أولوية قصوى للمجلة، سواء من ناحية الدعم المادي والمعنوي، أو من ناحية الاهتمام والمتابعة، ذلك لإيماني المطلق بالدور الذي يمكن ان تلعبه الصحافة الإسلامية على الصعيدين الإسلامي والعربي، سواء داخل أو خارج الكويت، إضافة لكونها لسان حال الوزارة، وأحد أنشط أساليبها في مجال الدعوة إلى الله والتصدي لأصحاب الادعاءات



● راشد الفرحان

الباطلة، واعتقد – بل أؤكد – الاهتمام بالمجلة تعاقب مع الوزراء، ووكلاء الوزارة السابقين، والحاليين. فالكل يعرف ذلك الدور الهام الذي تلعبه.

* وهل أدت المجلة رسالتها كما رسمت لها، أجاب:

** نعم.. لقد أدت المجلة رسالتها.. ومازالت – على خير وجه، ويمكن القول انها تسير إلى الأمام وتعمل على تطوير نفسها مع تطور فنون الصحافة في العالم، وقد لمسنا

ذلك من خلال كم هائل من التحقيقات، والحوارات، والاستطلاعات الصحفية المصورة، إلى جانب الكلمة البناءة، إضافة الى بحوث ومقالات في علوم القرآن الكريم وتفسيره، وعلوم الحديث النبوي الشريف، والمقالات العلمية والطبية والاجتماعية، والسياسية، والأدبية، وغيرها.

فلست مجاملا إن قلت أنها كانت - ولا تزال - منبرا دعويا ناشطا، ومدرسة إسلامية فكرية جامعة، والدليل على ذلك أن كثيرا من ناشئة الأمس - كتاب الكتاب والمفكرين اليوم قد تتلمذوا على هذه المجلة العريقة وتأثروا بها إيما تأثير.

* ومن منطلق النصح والمحبة وجه الكلمة التالية:

** همسة عتاب أقولها للمسؤولين عن المجلة، فأنا أرى ثمة تقصير في تناول القضايا المحلية الكويتية، وان كنت أرى أن اهتمامهم بقضايا المسلمين في شتى انحاء المعمورة لا يمنع إطلاقا من التوغل في القضايا المحلية، خاصة مع افتقاد الكويت للآراء الصائبة كتلك التي تعرضها مجلة الوعي الاسلامي بكل صراحة وعمق ووضوح ■



عبدالرحمن المجحم (وكيل وزارة الأوقاف الأسبق):

مرحلة النضج الفكري والثقافي

* عن انطلاقة الوعي الاسلامي، يجيب سيادته:

** كانت مجلة الوعي الإسلامي التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية هاجس المسؤولين من الوزراء الذين تعاقبوا على الوزارة وكانت الوزارة وقتها تحمل اسم الأوقاف فقط، وكان من أهدافنا استحداث لجنة الفتوى، واصدار مجلة الوعي الإسلامي، وتغيير مسمى الوزارة إلى: (الأوقاف والشؤون الإسلامية)، ووافق مجلس الوزراء على تغيير المسمى ثم شرعنا في إنشاء مجلة الوعي الإسلامي، وكانت والحمدلله طفرة جيدة حملت اسم وزارة الأوقاف، كما كانت بحق وحقيق سفير الكويت في العالم الإسلامي.

* وعن فريق العمل وبرنامجه، قال:

** قام مجموعة من الزملاء العاملين بالوزارة ومن بينهم المرحوم عبدالمنعم النمر، والمرحوم رضوان البيلي بالإعداد للمجلة ووضع تصور شامل لها، وصدر العدد الأول وكان موفقا والحمد لله، مما أثلج صدر العاملين بالوزارة، ثم توالت الأعداد حتى يومنا هذا بنجاح باهر.

* أما اهتمام المسؤولين وحرصهم على نجاحها فيقول فيه:

** لا شك أن الوزارة عملت على تذليل كافة العقبات التي تعترض انطلاقة المجلة، كما كان الاهتمام بها كبيرا منذ أعدادها الأولى، حيث رصدت لها مبالغ كبيرة، ثم أصبح الاهتمام بها منقطع النظير في السنوات التالية.

* صوت الكويت في العالم الإسلامي، كيف قامت بدورها:

** دائما كانت مجلة الوعي الإسلامي سباقة - في حدود إمكاناتها البشرية والمادية - في معالجة ما يحدث في العالم الإسلامي، مع الالتزام بالخط والمنهج الإسلامي الصحيح - لا تحزب، لا تكتل، ولا التفاف على القرارات الإسلامية الصادرة من رب العباد.

* وعن الأهداف الاستراتيجية، يقول:

** الحقيقة أن أهداف المجلة تنحصر في اسمها «الوعي الإسلامي» فإذا كان هناك إسلام فهناك وعي، وإذا لم يكن هناك إسلام لن يكون هناك وعي.

* وعن صراعات العالم الإسلامي، ودور الإعلام الإسلامي في معالجتها يقول:

** بالنسبة للصراع الحادث في العالم الإسلامي، التحزب في العالم الإسلامي، التطرف في العالم الإسلامي، لا استطيع القول ان الصحافة الإسلامية - وحدها - قادرة على فك هذا الصراع والقضاء عليه، فهي كالفارس الشجاع الذي يقف وحده وسط المعركة، ولن تستطيع دون مساعدة كافة المؤسسات والهيئات الإسلامية الانتصار على اعداء الإسلام، ومع ذلك يبقى دورها في تصحيح المفاهيم الخاطئة والحفاظ على هوية المسلمين شامخا أبد الدهر.

* كيف يرى الوعي الإسلامي بعد ثلاثين سنة من صدورها:

** لا شك أن مجلة الوعي الإسلامي قفزت قفزات هائلة خلال الآونة الأخيرة، فليس من الانصاف تجاهل هذه الحقيقة، واستطيع القول انها بشكلها الجديد، وأسلوبها الجديد، وايقاعها الجديد قد جددت شبابها بعد ٣٠ عاما، لتصل في ثوبها الجديد الى مرحلة النضج الفكري والثقافي.

* وعن تمنياته للوعي الإسلامي في عامها الجديد يقول:

** أحمل العديد من الأماني للمجلة، اتمنى لها ان تصبح اسبوعية أو نصف شهرية، اتمنى ان تولد من رحمها مزيد من المجلات الإسلامية الأخرى، مجلات على نفس مستوى براعم الإيمان التي أعلنت عن نجاحها منذ أول عدد لها، وأخيرا اتمنى ان تخصص لها ميزانية ضخمة تتفق وطبيعة المهام المنوطة بها، وأنا كمواطن اناشد مجلس الأمة عندما تطرح وزارة الأوقاف ميزانيتها أن يوافق على تخصيص مبلغ ملائم لاستمرارها وتواصل عطائها بما فيه مصلحة العالم الإسلامي.

* وفي كلمة ختامية يقول:

** أشكر القائمين على المجلة، وأشكر كل من يعمل في حقل الدعوة، فهؤلاء اعتبرهم في جهاد مقدس ■

في الحفل الختامي للمسابقة الثقافية

د. الزميع : نسعى لتعريف النشىء بأمور دينهم والنهوض بهم إلى عالم الحقائق والمكرمات

كتب سامح هلال:

أوضح الدكتور علي الزميع وزير الأوقاف والشئون الإسلامية ان النشىء هم ثمار القلوب، وعماد الظهور، وهم بسمة الحياة في الحاضر، وأمل القلوب في المستقبل، مشيرا إلى أن الرجاء فيهم كبير في أن يكونوا بمشيئة الله جنود الوطن، وحمله لوائه، ومعقد رجائه، والذائدين عن حياضه، العاملين على نهضته، والحاملين للأمانة في المستقبل.وقال د. الزميع



● خالد الزير



● وكيل الوزارة يكرم أحد الأساتذة

في كلمة ألقاها نيابة عنه خالد الزير وكيل الوزارة في برنامج الحفل الختامي للبرنامج الثقافي في المدارس ان الاهتمام بالنشىء ورعايتهم، والمحافظة عليهم أمر يجب أن يشغل الباحثين والمفكرين، والعاملين في حقول التربية والأخلاق والاجتماع لأنها مسؤولية الجميع، مشيرا إلى انه من أجل ذلك الهدف، وتلك المسؤلية قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالتعاون والتنسيق مع وزارة التربية للمساهمة في توجيه الشباب ومساعدته في تخطي العقبات التي تعترضه والنهوض به إلى عالم الحقائق والمكرمات، موضحا أن وزارة التربية تقوم بجهود مشكورة تتمثل في الأنشطة والبرامج الجادة التي تساهم في توجيه الشباب وتربيتهم والأخذ بأيديهم إلى ماينفعهم في دينهم ودنياهم ويحفظهم من عوامل الضياع والسقوط.

وأكد على ضرورة تعريف النشىء بأمور دينهم، وغرس القيم الإسلامية في نفوسهم، ومعالجة المفاهيم الدخيلة عليهم، وتدعيم الروابط القوية بين وزارتي الأوقاف والتربية للتعاون على إقامة المزيد من هذه المسابقات الثقافية النافعة المثمرة.

ثم القى الأستاذ عماد الهاجري كلمة نظار المدارس أكد فيها على ضرورة تعاون جميع الجهات سواء الحكومية منها أو الأهلية في سبيل تربية وتنشئة جيل صالح يمكن الاعتماد عليه مستقبلا في بناء الأمة واعلاء شأنها جيل يعي الأمور من حوله ويزنها بميزان الإسلام والعقل، جيل سريع الاستجابة لكل خير، مشيرا إلى أن وزارة الأوقاف متمثلة في إدارة الثقافة الإسلامية هي أول الجهات استجابة لتحقيق ذلك الحلم وجعله حقيقة مشاهدة.

ونيابة عن الطلاب القى الطالب محمد عبدالعزيز الفارسي كلمة أشاد فيها بدور وزارة الأوقاف ونشاطها الدءوب في ميزان حفظ وتلاوة القرآن الكريم والمسابقات الدينية في الفقه الإسلامي، مشيرا إلى ان المسلم المعاصر لم يعد قاصرا على المفاهيم الدينية، بل تعددت مناحيه ومواهبه، ولعل ذلك هو ما دعا المسؤولين بتنظيم الأنشطة في المجالات الرياضية، والثقافية، والاجتماعية.

ثم قام خالد الزير بتوزيع الجوائز على بعض المدارس تكريما لجهودها في هذا المجال وهي مدرسة معن بن زائدة المتوسطة ومدرسة الفيحاء المتوسطة، ومدرسة الشويخ المتوسطة، ومدرسة سيف الدولة المتوسطة، ومدرسة ابن الاثير المتوسطة، ومدرسة أبو أيوب الانصاري المتوسطة، ومدرسة اليرموك المتوسطة، ومدرسة محمد ناهض العتيبي المتوسطة، ومدرسة مشعان خضير الخالد المتوسطة، ومدرسة المنصورية المشتركة للبنات.

اعقبت ذلك توزيع الجوائز على الطلبة الفائزين في المسابقة الثقافية الختامية وعددهم ٦٧ طالبا، إضافة إلى تكريم بعض الأساتذة المكلفين بالمشاركة في إدارة النشاط ■



● أثناء توزيع الجوائز

زلزال الخليج

الطفل الكويتي بين الثابت والمتغير

وأثره على قيم المجتمع الكويتي

بقلم الدكتور: محمود صالح العادلي*

تحكم كل مجتمع مجموعة من القواعد السلوكية Conduct Norms، أي مجموعة من المبادىء التي استقرت عليها ثقافة هذه الجماعة لتوجيه أوجه نشاط وتصرفات أعضائها في الظروف والمواقف المختلفة.

وتستهدف هذه المبادىء: حماية ما رسخ بين أفرادها من قيم. وعليه فإن مخالفة هذه المبادىء ينتج عنها رد فعل معين من قبل أفراد الجماعة.

ولا يشذ المجتمع الكويتي عما تقدم إذ إنه كان قبل الغزو العراقي - ومازال - تسوده مجموعة من القيم الخلقية والدينية. وأبرز هذه القيم تلك المستمدة من الدين الإسلامي الحنيف. مثل قيم: العدل والمساواة والحرية بكافة صورها، كالحرية الدينية والفكرية والشخصية، والمحافظة على كرامة الإنسان، واحترام ملكية الآخرين، واحترام الأخوة الإنسانية، والأخوة الإسلامية.. إلخ.

والأخوة الإنسانية أشار إليها قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [النساء:١]. أما الأخوة الإسلامية، فنجد إشارة لها في قوله تبارك وتعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلّكم تُرحمون ﴾ [الحجرات:١٠].

غير أن هذه القيم شهدت هزة

عنيفة، أحدثها زلزال الخليج - وتوابعه - الحادث في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م. فالغزو الغاشم (العراقي) للكويت أفرز مساوىء عديدة، من أبرزها تلك التي أصابت القيم الثابتة التي سادت المجتمع الكويتي قبل الغزو، ومازالت تسوده.

فالغزو العراقي للكويت وماتلاه من ظروف صعبة، أمر أسفر عنه اختلال حاد ومفاجىء في الحياة اليومية للشعب الكويتي. كما أدى إلى خلق ضغوط نفسية حادة كأثر للخوف على أفراد الأسرة، وللأرهاب الشرس ووحشية العسكر الغزاة. مما نتج عنه افتقاد الكويتيين الاحساس بالأمان، الذي حل محله الاكتئاب والكبت والتوتر والخوف والرهبة (١).

الصراع بين الثابت والمتغير

كل ذلك دفع إلى الحياة الكويتية بانماط سلوكية غريبة على القيم والتقاليد الثابتة في المجتمع الكويتي. فنشأ صراع بين القيم الإيجابية الثابتة، والقيم السلبية الجديدة، التي دخلت الحياة النفسية للشعب الكويتي كإفراز للغزو الغاشم للكويت.

ولما كان الأطفال يمرون بمرحلة سنية وعقلية بسيطة، يتم خلالها تغذيتهم بالقيم والتقاليد الاجتماعية السائدة في المجتمع، عن طريق: الملاحظة والمشاهدة، أو التقليد والتعليم.

لذا، فإن الأطفال الكويتيين كانوا هم أكثر - المراحل السنية - قابلية للتأثر بمساوىء الغزو النفسية والعقلية. الأمر الذي حول جانبا كبيرا من الأطفال الكويتيين إلى نوع استثنائي من الأطفال يطلق عليهم: الأطفال المعرضون للخطر Children at Risk، بل بعضهم وصل إلى مستوى طائفة الأطفال المعرضين للخطر الهائل High Risk Children. نظرا لأن الغزو العراقي للكويت، ألحق بهم صدمتين الأولى هي صدمة ذويهم بكل انعكاساتها المؤلمة، والثانية هي صدمتهم هم تجاه ما عاشوه من مآسٍ وشاهدوه (٢) من قرصنة عسكرية للنظام العراقي، الذي كان يسعى إلى «خطف» الكويت، بما فيها من خيرات ونعم حباها بها الله سبحانه وتعالى. كما وقعت أعين - أو بالأقل سمع - هؤلاء الأطفال عن تلك (المهازل الأخلاقية) التي كان يرتكبها عسكر النظام العراقي، ولا سيما الاعتداءات على الأعراض.

وانعكس ذلك كله على نفسية وعقلية بعض الأطفال الكويتيين، فتعرض عدد كبير منهم لمرض «عصاب الطفولة»، أو مرض «ذهان الطفولة» ودخل عالم الطفولة منطقة الإعاقة السلوكية والإعاقة العاطفية. وتخلف عن ذلك صيرورة جانب كبير من الأطفال مثل الشيوخ والمحاربين القدماء بحاجة إلى (إعادة تأهيل) (٣).

وعليه، لم يكن غريبا أن تظهر في المجتمع الكويتي بعض الأمراض الاجتماعية، كتلك التي يشير إليها مؤشر الجرائم المرتكبة من الأحداث الكويتيين، وخصوصا جريمتي: الخطف، والاغتصاب.

إذ أن هذه «الأمراض الاجتماعية» نشأت عن الصراع بين (الثابت) من القيم الإيجابية، التي كانت - ومازالت - تسود المجتمع الكويتي، وتلك التي أفرزها الاعتداء الغاشم الذي قام به النظام العراقي.

يؤيد هذا ويؤكده ما ذهب إليه العالمان الأمريكيان أدوين هـ. سازلاند ودونالد ر. كريسي Edwin H.Sutherland et Donald R.Cressy في مؤلفهما حول «مبادىء علم الإجرام»، إذ عرضا لنظريتهما الاجتماعية الشائعة في تفسير الظاهرة الإجرامية، ألا وهي: نظرية «الصراع بين الثقافات». حيث يذهب المؤلفان إلى أن الصراع الثقافي إما أن يكون داخليا، وإما أن يكون خارجيا. وبالنسبة للصراع الخارجي - وهو الذي يهمنا في هذا المقام - رده المؤلفان إلى تداخل اتجاهات ثقافية متابينة تداخلا ينتج عنه صراع مستمر بين أساليب السلوك المختلفة، الناتجة عن أساليب السلوك الداخلية المرتبطة بثقافتها الخاصة، وبين أساليب السلوك الدخيلة الوافدة من الخارج عن عدة طرق من بينها: الغزو الخارجي الذي قد يحاول أن يفرض بعض أساليب خاصة من الثقافة على المناطق التي يصل إليها (٤).

انعدام الوزن القيمي

فهذا الصراع الذي شهدته نفسية وعقلية الأطفال الكويتيين، هو الذي دفع بهم إلى حالة «انعدام الوزن القيمي» - إن صح التعبير، وإن لم يصح فإني عنه أعتذر - التي جرفتهم إلى الوقوع في براثن الجريمة. وهذا ما يفسر اتجاههم - على وجه الخصوص - إلى ارتكاب جرائم «الخطف والاغتصاب»، إذ أن هذه الجرائم هي أقرب إلى ذهن هؤلاء (الأحداث)، حيث عاشوا جريمة (خطف) الكويت، وجرائم الاغتصاب التي اقترفها عسكر الغزو. فكل ذلك ترسب في (اللا شعور) لدى أطفال الكويت، وحرك لدى بعضهم (الاستعداد للسلوك الإجرامي). الذي يمكن أن يؤدي إلى الوقوع في منحدر الجريمة، متى توفرت ظروف بيئية واجتماعية معينة، كتفكك الأسرة وانعدام الرقابة على سلوك الأطفال، من قبل الأسرة والمدرسة.

ومما يزيد من خطورة القيم المتغيرة الوافدة مع الغزو العراقي للكويت، أن الأمر لا يقف عند وقوع بعض الأطفال في منزلق الجريمة، وإنما يتجاوز إلى وقوع ضحايا جرائم الاغتصاب في مستنقع الجريمة. إذ قد يؤدي (رد الفعل) لديهم إلى اقتراف (عين) السلوك المنحرف مع الآخرين. وذلك نتيجة لوقوع هؤلاء الضحايا في غياهب عدة انفعالات متناقضة من بينها: الخوف الشديد والقلق الزائد، والاكتئاب، وفقدان الثقة في النفس، وفي المحيطين بهم، الأمر الذي قد يدفع هؤلاء إلى أن يتحولوا إلى «شخصية عدوانية»، تسعى للانتقام لنفسها، وبذات السلوك المنحرف الذي ارتكب ضدها، الا وهو «جريمة (الاغتصاب).

ما يضاعف من خطورة هذه (القيم المتغيرة الوافدة) مع العدوان العراقي الغاشم، أن الشباب الكويتي الذي سطر أروع البطولات في أثناء غزو الكويت، كان ينتظر أن يساهم في إعادة بناء «كويت ما بعد التحرير». ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، إذ لم تتح لهذا الشباب - لاعتبارات متعددة - الفرصة الكاملة لذلك، الأمر الذي أوجد لدى هؤلاء الشباب شعورا بالإحباط والأسى، امتصه بعض الشباب، غير أن البعض الآخر وقع في تيار الممارسات الإجرامية، مستخدما القوة من الضحايا الضعفاء، حتى يستنفذ

ما بداخله من غضب.

ليس بالعقاب وحده نصلح ما أفسده الدهر

لكل ذلك نرى أنه ليس بالعقاب وحده نصلح شأن من وقع من الأحداث الكويتيين في مستنقع الجريمة، وإنما الأمر بحاجة إلى إصلاح ما أفسده الدهر والغزو في نفوس هؤلاء الأحداث والشباب، حتى يعودوا مرة أخرى الى قيمهم الإسلامية والعربية الثابتة والراسخة في المجتمع الكويتي، ويلفظوا - من ثم - تلك القيم السلبية التي نشرها الغزو العراقي في ربوع الكويت، ويلفظوا تلك السموم التي نفثها النظام العراقي في سماء الكويت الحبيب. ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

خلاصة القول

إذا كان وقوع (الأطفال والشباب) في مستنقع الجريمة، يطالبنا بإصلاح نفوسهم واستبعاد عقابهم، فإن جرائم (صغار الحكام) تدفعنا إلى المطالبة بالحجر عليهم لفداحة وخطورة نتائج جرائمهم البشعة□

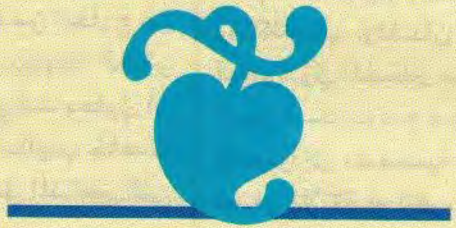


هوامش

(١) و(٢) و(٣) ومعنا في ذلك: د. محمد الرميحي: من صمت الحملان إلي سحق الإنسان، تأملات في أغوار كارثة الغزو - مقالة تحت باب (حديث الشهر) - مجلة (العربي) الكويتية - العدد ٤١٧ - أغسطس ١٩٩٣م/ صفر ١٤١٤هـ - ص ٢٠.

(٤) راجع: Edwin Sutherland et Donald Cressey : Cressey : principes De C : Trad. Fr. Paris 1966, P.67 et s.

* مدرّس القانون الجنائي بكلية الشريعة والقانون (جامعة الأزهر - طنطا)



تكفين العبارة



شعر: حسين كتّاب العتيبي*

شعوبنا سريعة الإثارة..
فعقلها موسوعة..!
وكذبها شطاره..!



لا تستحي من نفسها..
فالظلم منها جداره..!
فكل شيء عندنا..
محفوظة أخباره!!
مرصودة آثاره!!



لا يستقيم أمرنا..
الا بتكفين العبارة!!



شعوبنا سليطة اللسان..
لا تستحق منقبة..
بل تستحق مقصلة..



لان فيها يدان..!
شعورنا مكبوتة..
دموعنا مسكوبة..
قلوبنا نيران..



هذا زعيق المفرزة..!
والشاطين الجسام..!



*من أسرة (الوعي الاسلامي)

الجــار ولـو جـار

بقلم الأستاذ: عبدالرحمن قره حمود

■ لا خير فيمن لا يـألـف ولا يـؤلف

هناك كثير من الأمثال التي يتناقلها الناس دون أن ينتبهوا إلى أهدافها الشريرة، وآثارها الخبيثة، ونتائجها الهدامة. ومن أخطر هذه الأمثال مثل درج على ألسنة الناس، يدعو إلى الفردية والعزلة وعدم الإلفة، ألا وهو قولهم؟ (يا جاري أنت بحالك وأنا بحالي) أي لك شأنك، ولي شأني، ولا دخل لأحدنا بالآخر.

لماذا يا ترى؟ ألأنك – أيها القائل – بلغت منزلة جعلتك غنيا عن الناس؟ إنها منزلة لا يبلغها إلا مؤمن وقر في قلبه أنه لا ينفع ولا يضر إلا الله. وهذا المؤمن هو أبعد المخلوقات عن الفردية والعزلة، لأن الله سبحانه يأمر على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام بقوله: «المؤمن الف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف» رواه أحمد. ويأمر بالمحبة بقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» متفق عليه.

وأهم من ذلك كله يأمر بالدعوة إليه وبنشر تعاليمه بقوله جل شأنه: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ [آل عمران:١٨٧] وهذا لا يتم إلا إذا خالط الناس وعايشهم، وكان في حياته ومعاملتهم – والدين المعاملة – كأنه قرآن يمشي.

ومن توصية الرسول عليه الصلاة والسلام قوله: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» [متفق عليه]، وقوله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قالوا: من يا رسول الله؟ قال: من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم به» [رواه الحاكم] وقوله: «حسن الخلق وحسن الجوار يزيدان في الرزق، ويطيلان الأعمار» [رواه أحمد]. هذا لكل جار، ولو كان كافرا.

■ إن ما تزرعه عند جارك تحصده في دارك

أما الجار المسلم فيزيد على ذلك لقوله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» [متفق عليه]، وقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»

■ ينبغي الحذر من الأمثال الهدّامة

[متفق عليه]. وعلى ذلك فالجار المسلم له حقان: حق الجوار وحق الإسلام. وإذا كان من ذوي القربى فله حق ثالث هو حق القرابة.

يروى أنه كان لأبي حنيفة جار يهودي دأب على إيذائه بسكره وعربدته، وصياحه ليعكر عليه صفو لياليه حيث كان يدرس ويتهجد، ويفتقد أبوحنيفة يوما هذا الجار لأنه خلافا للعادة لم يسمع له صوتا فيطرق باب بيته ليعلم حاله، فيقال له إنه في الحبس. ويذهب أبوحنيفة إلى الحبس فيتلقاه المسؤول مرحبا ومستغربا قدومه، وهو الحري أن يذهب إليه.

ولما سأله أبوحنيفة عن جاره قال: أطلقوا جار أبي حنيفة. ثم أضاف: وأطلقوا كل من في الحبس من أجل أبي جنيفة. ويستغرب اليهودي هذا التصرف ممن كان يعتقد أنه سيفرح بحبسه لارتياحه منه ومن إزعاجه. فيسأله: ما حملك على ما صنعت يا أبا حنيفة؟ فيقول أبوحنيفة: ديني. فيقول اليهودي: أدينك يأمرك أن تحسن إلى من أساء إليك؟ فيجيبه: نعم. فيقول اليهودي: إن دينا هذا شأنه أحق أن يتبع، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.

هذا حال المؤمن، أما غير المؤمن فإنه إلى الناس أحوج هذا بالإضافة إلى أن ما تزرعه عند جارك تحصده في دارك بسبب المعاملة بالمثل إن لم يكن ثمة تنافس. إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره. ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها.

وأخيرا ليس حسن الجوار أن تحسن إلى الجار، وإنما هو أن تتحمل أذاه، فالجار ولو جار ■

الفكر الإسلامي المعاصر بين المد والجزر

لم تتعرض حضارة من الحضارات مثل ما تعرضت الحضارة الإسلامية من تحديات وافتراءات

بقلم: محمد الصالح بن عزيّز

لم تتعرض حضارة من الحضارات مثـل ما تعرضت الحضـارة الإسلامية من تحديـات وافتراءات، سواء على أيدي الأعداء أو على أيدي أبناء المسلمين الذين تربـوا في أحضـان مدارس العدو. ولئن استطاع الفكر الإسلامي المعاصر أن يرد على جملة هذه التحديات ويدحض هـذه الأفتراءات، فإن هذه الردود لم تـرتق إلى مستوى مشروع حضاري متكامل بإمكانه أن يخرس ألسنة الأعداء الذين ما انفكـوا يرددون في كـل فرصـة تتاح لهم، عبر وسـائل الإعلام الوطنيـة والأجنبية، أن الفكـر الإسلامـي طوبـاوي، وأن الحركة الإسلاميـة لا تمتلك برامـج وبدائل، وهي مكتفيـة بالعمـوميات وبالخطاب السيـاسي والأخلاقي الذي لا يحلل الواقـع ولايدرسه ولا يخرج بالبلاد من مشكلة التخلف والتبعية.

إشارات الشيخ الغزالي إلى الخلل

وقد أشار الشيخ محمد الغزالي في كتـابه (فقه الدعوة ومشكلة الـدعاة) إلي هـذا الخلل فقـال: (هناك تخلـف في سياسـة الحكم وسياسـة المال، فلا مصـادر الكسب وضعنا لها مصـافي تحجب الحرام وتتيح مـرور الحلال، ولاطـرق الإنفـاق وضعنـا عليهـا رقابات قانونية تمنع التبذير الجنوني وتمنع السفه في إراقة المال في غير مـوضعه. ولم تـوضع أنظمـة لقرار الحرب، وثمـة خمس وعشرون كبيرة من الكبائر لاعقوبة لها، الربا، الغصب، الفرار من الزحف، أكـل مال اليتيم، الغش، إلخ. والتعـزيرات يجب ألا تترك دون ضابط، ودون رصد بقوانين محكمـة، وكذلك وضع ضوابط للمحـافظـة على الأسرة، ثم قوانين العمل والعمال لاتـزال صفـرا عندنـا ونستوردهـا من الخارج، والقـوانين المتعلقة في إصـابات العمل وحقوق العمال والقـوانين الإدارية ماتزال مجلوبـة كذلك) (١).

ردود فعل انفعالية

ولعل ذلك راجع إلي أنها؛ أي الـردود؛ صـــدرت من مـوقف رد الفعل الانفعـــالي أمـام مـا تعــرض لـه الفكـر الإســـلامي من استفزازات، ومن موقف الالتزام بالفكر الدفاعي أمام قوة الهجمة الشرسة التي قادها الاستعمار على كل الأصعـدة للاحتماء بآخر الحصون الدفاعية والمحافظـة على ما تبقى من المكونات الذاتية، علنـا نتجاوز هـذه الكبوة مثلما تجاوزنـا قبلها كبـوات عديـدة وشديدة.

ولئن كـان كل من هـذين الموقفين ضروريـا في مرحلـة معينـة بـالقـدر وبالحجم المعينين ضمـن إرادة الأمة واختيـارهـا حتى تستعيد؛ الأمـة؛ أنفاسها وتـرتب أفكارهـا، فإن الاستمرار فيهما والاعتماد عليهما لمواجهـة التحـديات أمـر لن يبلغ بنـا مـرحلـة الـرشـد، ونبقى دون مرحلـة التحكم في طـاقـاتنـا وترشيـدهـا وتحقيقها للغايات المنوطة بها.

١- سلبيات الموقـف الانفعالى: ذلك أن الأحكام والأفكـار التي يفـرزها الموقف الانفعـالي تكون متشنجـة تنقصها القـدرة على التحليل والنظر إلى الأشياء نظرة شمولية متبصرة لتكون الحلول والمقترحات صائبة، ولعل أخطر ماجنته هذه المواقف الانفعالية.

٢- قـراءة الإسـلام والتراث والتـاريخ ومختلف ظواهـر النمط المجتمعي الحضـاري الإســـلامي ضمن المنهج الغـــربي للنقـد والتحليل، متجـاهلين موقـع الإسلام في حيـاة الأمـة الإسلاميـة وتحديد السمات التي تحكمت بحركتها الداخلية وبصراعاتها مع الخارج، مما أدى إلى عدم رؤية الأشيـاء كما هي، وعدم الوصول

إلى الحقيقة واكتشافها كما هي في الواقع التاريخي، فساد الاعتقاد أن ماجاءت به الحضارة الأوروبية هو الحق المطلق والمقياس الثابت الذي لايتسرب إليه الخلل، الصالح لكل الأمم في كل الأمكنة.

■ إن العزلة بين الحضارات والثقافات أصبحت أمرا مستحيلا على إثر الثورة العظيمة في وسائل الاتصال

عندما تقولب مفاهيم الإسلام

(وبدأت قولبة الإسلام وصبه في القوالب الحضارية الأوروبية، حتى أدى الأمر إلى التعسف في تفسير بعض آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، واخضاعها لمعان مسبقة. فـ(الطير الأبابيل) مثلا هي جراثيم الحمى، و(الشيطان) جرثومة تنمو في الإناء المثلوم، و(الشورى) هي الديمقراطية التي جاء بها الغرب، و(النبوة) عبقرية.
وأدى الأمركذلك إلي تمييع الإسلام بحجة صلاحيته لكل زمان ومكان، واستبداله بتشريعات تحت عنوان: «فأينما وُجِدت المصلحة فثم شرع الله»، وأخذت المؤلفات لونا من التدجين لمبادىء الإسلام، وقياس واقع العالم الإسلامي ليس على الأصول الإسلامية، بل على أصول حضارة غريبة عنه) (٢).

أثر الانهزامية في النفوس

ولا غرابة بعدها أن يظهر كتاب علي عبد الرازق (أصول الحكم في الإسلام) وكتاب خالد محمد خالد (من هنا نبدأ) وهما من شيوخ الأزهر، حيث أكدا أن الإسلام دين لادولة، وأنه ليس في حاجة إلى أن يكون دولة، بل ويذهب خالد محمد خالد - الذي تراجع في السنوات الأخيرة عن أقواله في كتابه المذكور واعتبرها ضلالات - إلي القول: (إن الدين حين يتحول إلى حكومة، فإن الحكومة الدينية تتحول إلي عبء لايطاق) و(إنها في تسع وتسعين بالمائة، حالاتها جحيم وفوضى، وإنها إحدى المؤسسات التاريخية التي استنفدت أغراضها ولم يعد لها في التاريخ الحديث دورتؤديه)، و(إن الرسول هاد وبشير وليس رئيس حكومة ولاجبارا في الأرض) وأنه ﷺ (لم يكن حريصا على ان يمثل شخصية الحاكم لأن مقام الرسول أرفع مقام).
ولاعجب كذلك أن نرى أحد رواد فكر اليسار الإسلامي - هكذا يسمون أنفسهم - الدكتور حسن حنفي، يعيب على أبناء أمته اتهام الغرب بالإباحية، ويعتبره عملية (إسقاط من عقلية تشعر بالنقص والضعف أمام هذا النموذج الفريد، تود أن تتمتع بالحياة فتفعل في السر دون العلن، وفي صورة ضامرة لا على أوسع نطاق، وتفعله وهى متلصصة متخفية، لا كحق أو كشعور طبيعي، تسرق الحياة التي سلبت منها وهي حقها ونصيبها. لقد اعتبرنا حياة الأوربيين إباحية، والحقيقة أننا نحسدهم على حياتهم، ونتمنى أن نحيا مثلهم، واعتبرنا سلوكهم رذيلة، ونحن نشمئز من فضائلنا ونتستر بها على الرذائل، وأصبحت الإباحية لدينا إلى الداخل لا إلى الخارج، وبذلك كنا أقرب إلى الفساد الباطني منا إلى الفضيلة الظاهرة) (٣).

تأثر المستغربين بالحضارة الأوروبية

وهو أيضا- حسن حنفي - الذي استنكف عن استعمال مصطلحات القرآن ليستبدلها بألفاظ يقبلها الآخرون، كما يستنكف عن العودة إلي النصوص (القرآن والسنة) لأن الآخرين من غير المسلمين لايرتضونها، فيقول: (فألفاظ الجن والملائكة والشياطين، بل والخلق والبعث والقيامة، ألفاظ تجاوز الحس والمشاهدة، ولايمكن استعمالها لأنها لاتشير إلى واقع ولايقبلها كل الناس، ولاتؤدي دور الإيصال) (٤).
وفي موضع آخر يتهجم حسن حنفي بجرأة كبيرة على العقيدة الأشعرية ويعتبرها سببا في تخلفنا فيقول: (وقد تكون هذه السيادة - سيادة المذهب الأشعري - هي إحدى معوقات العصر، لأنها تعطي الأولوية لله في الفعل وفي العلم وفي الحكم وفي التقييم، في حين أن وجداننا المعاصر يعاني من أخذ زمام المبادرة منه باسم الله مرة، وباسم الشيطان مرة أخرى) (٥).
ومثل حسن حنفي، رضا محرم الذي كتب يقول في مجلة (المسلم المعاصر) العدد ١٥ وضمن كلام طويل: (فإن جمع المسلم المعاصر بين صفتي (المسلم) و(اليساري) تصبح ظاهرة طبيعية، بل تصبح ظاهرة لابد منها حتى لاتصيبه حالة فصام حضاري نتيجة عجزه عن التوفيق بين عقيدته الذاتية التي يعتز بها، وبين إدراكه اليومي لسلامة المعطيات اليسارية ومقدرتها على إخراجه من المأزق الاجتماعي والاقتصادي الذي يتردّى فيه).

■ إن الأحكام والأفكار التي يفرزها الموقف الانفعالي تكون متشنجة تنقصها القدرة على التحليل والنظر إلى الأشياء نظرة شمولية متبصرة

ومثلهما الدكتور محمد عمارة الذي يقول في كتابه (الإسلام والسلطة الدينية): (إذا كانت العلمانية في أوروبا موقفا ضد دينهم كما فسرته الكنيسة، فهي عندنا الحقيقة المعبرة عن نقاء الموقف الإسلامي في هذا الموضوع، ومن ثم فإن مصطلح العلمانية لايمثل عدوانا على ديننا، بل على العكس يمثل العودة بديننا الحنيف إلى موقفه الأصيل). هكذا قالوا؛ وغيرهم كثير؛ وهم يظنون أنهم يدافعون عن الاسلام ويدفعون عنه التحدي.

الفكر الإسلامي المعـــاصر بين المد والجزر

نظرة تحتاج إلى رؤية واضحة

٣- بروز تيار يـرى في الإسلام الكفـايـة والغـايـة، ويـرفض أي اقتباس لأي وضع أو نظام جزئي من خارج دائرة الإسلام، بدعوى ان النظام الإسلامي متكامل في مجموعـه، ومن هنا كان (تصميمهم - أي أصحاب هـذا التيار- على وضع الإسلام في قلعة بلا أبـواب ولا نوافذ تطل على الخارج، ولا حتى فتحات تطل على السماء؛ وعلى الـدفاع (كليا) عن التراث دون تمييز بين التعليم القرآني والشوائب والـرواسب التي غالبا ما أغـرقته تحت مجلوبـات المجتمعات المختلفـة التي دخل إليها) (٦) مهملين بذلك أهم ميزة يتميز بها الإسلام وهي قدرته - منذ نشأته حتى بلوغه - على استيعاب التعابير الإيمانية الكبرى التي سبقته وأفضل الثقـافات الأخـرى، فأبدع منهـا ثقافـة مستجدة رفعها عاليا.

معتبرين كل مـايرد إلينا من بـلاد الآخرين - حتى وإن كـانت سلعتنا ردت إلينا - كفرا يحرم قبوله والاستفادة منه، متجاهلين أن العزلة بين الحضارات والثقـافات أصبحت أمرا مستحيلا على إثر الثورة العظيمة في وسـائل الاتصال، (فلا الماضي يمكن فصله عن الحاضر، ولاشعوب الشرق يمكن فصلهـا عن شعوب الغرب، ولا دار الإسلام يمكن عزلها وعزل أهلها عن تيار الحياة الواسع) (٧).

متنـاسين أن التمسك بالشريعـة والـدين لا يمنع المسلمين من الاستفادة بما توصل اليه غيرهم من علوم مادية وتطبيقية وتقنية ومن أساليب حديثة في الحكم وفي إدارة المجتمع ليكـونوا في مركز الأقـوى دائما، وهو مـا قصده سيد قطب؛ رحمه الله؛ بقوله: (إن الإسلام لا يحرم الانتفـاع بتجـارب البشر في تحديد الحاجيات المتجـددة وضبطها بوسـائل البحث المتجـددة، ولا حرج في الانتفـاع بتلك التجارب في وسـائل تنفيذ المباديء الإسلامية، إن مباديء الإســلام ثابتـة لا تتغير، أمـا تحقيق هذه المباديء فمتجددة، ومن ثم تملك الانتفاع بتجارب البشر في هذا المجال، وذاك على ألا تصطـدم؛ ســواء في تحديــد الحاجــات الاجتماعيــة وضبطهـا؛ أو في وسـائل تلبيتهـا وتحقيقها؛ بمبدأ ثابت في الإسلام ولا باتجاه أساسي من اتجاهاته الخالدة) (٨).

■ إن الفكر الإســـلامي مطالب بالعمل على صيـاغـة الإسلام صياغة حضـاريـة تمكنـه من الولوج في كل ميادين الحياة

هذا الموقف الرافض حوّل الإسلام إلي (حدث) خارج التاريخ الإنساني، فإذا هـو منهج طـوبـاوي مغـرق في مثاليتـه وفي تجريده ويتجاهل وقـائع التاريخ، ويحوّل المسلمين إلي (صنف يختلف تماما عن سـائرالناس، مقطوع الصلـة بتيار الحياة الـذي يخوض فيه جميع الآخـرين من النـاس والشعوب) (٩).

سلبيات الفكر الدفاعي

هذا عـن إفرازات الموقف الانفعالي المحكـوم برد الفعل، أمـا عن الموقف الذي التزم بالفكر الـدفاعي، فلعل ذلك أقصى ما يحلم به الأعداء الذين هالتهم استفاقة الجسم الإسلامي الذي بدأ يتحرك من جـديد بعد هـذا السبات الطـويل، وبدأ يخرج عن وصـايتهم ويهدد مصـالحهم، فراحوا يطرحـون إلينا بجملة من (الشعارات والمفاهيم التي باتت تشكل الأوثان الجديدة للمجتمعات المعاصرة كمفاهيـم الحرية، والـديمقراطية، والعـدالة، والعقـد الاجتماعي، وحقوق المرأة، والعلمانيـة، وفصل الدين عن الدولـة، التي كانت سببـا في النهضة الأوروبيـة وتخليصهـا من سلطان الكنيسـة، والتي اعتبرت من المسلّمات التي يجب أن تقـاس بها كل نهضـة، وتسلكهـا كل أمـة لتتخلص من واقعهـا المتخلف، وقـذف بها إلى عالم المسلمين حيث زعم أنه يعيش في فراغ) (١٠).

فكان أن شمر فريق من الإســلاميين للدفاع ورد التهم الموجهة إلى الإسلام الذي أدخل قفص الاتهام، حتى إذا حـاولوا الانتصار في مـوقع فتح العدو عليهم المعـركة في مـوقع آخر ليصرفهم إليـه ويحنط جهودهم في المكان الذي يحدده مسبقا. فتعددت المؤلفات تنفي الفصل بين السيـاسـة والدين، وتنفي عـن الإسلام صفـة النظـام الثيـوقـراطي لأن الحاكم في النظـام الثيـوقـراطي يتلقى سلطته فيه إما من رجال الدين وإما من الحق الإلهي بوصفه ظل الله في الأرض.

وظهرت مؤلفات تنفي أن يكون الإسلام سبب تخلف المسلمين وانحطاطهم، مؤكدة أن الإسلام صـالح لكل زمان ومكان، ومن ثم فهو صالح لهذا العصر الذي هو أشد مايكون حاجة إلى الإسلام.

وظهـرت مؤلفـات كثيرة العدد تـدافع عن موقف الإســلام من موضــوع المرأة وتعدد الزوجـات، وتبين مكانـة المرأة في الشريعة الإسلامية واحترامها لإنسانيتها وما تتمتع به من حقوق وكرامة ومساواة مع الرجل في كثير من المجـالات، وما يقيمه الإسلام من ضوابـط للتعدد، وكان مـوضوع المرأة في الإســلام من المواضيع التي أسهم في تناولها أغلب العلماء والمفكرين الإسلاميين.

وظهـرت كذلك مـؤلفات تـرد على اتهام الإســلام بتأييد نظـام العبودية والجواري والإقطاع، وتؤكد أن الإسلام عمل على تصفية العبودية والرق، كما لا يمكن وصفه بالنظام الإقطاعي وهو الذي أرسى نظـام إرث يفتت الملكيـات الكبيرة، كما لاي سمح نظـامـه السياسي والاقتصادي بمثل هذا النظام؛ الإقطاع.

وهكذا تطـول القائمة في ذكر المؤلفـات التي كتبت للرد على كل تهمة تـوجه لـلإسلام، ولمواجهـة مشكلات وقضـايا مـوهومـة لاوجود لها حقيقة، وإنما هى قضايـا ومشكلات مصنوعة قذف بها إلينـا الأعداء حتي يحتجـزوا نشاطنـا ويستوعبـوا فاعليتنـا

ويستهلكوا جهدنا ويتحكموا بمساراتنا العقلية ونشاطاتنا الثقافية، ويتحكموا بعطائنا مسبقا. ولئن استطاع أصحاب هذ التيار الانتصار لعقيدة الإسلام وشريعته وشعائره، وتخليص أبناء الأمة مما ترسب في نفوسهم من عقد النقص نتيجة للهزائم الداخلية وسط المناخ الذي خلقه افتتان المغلوب المتخلف بغالبه المتقدم، فإن أفكارهم لم تبلغ مرحلة الرشد المطلوب (ذلك أن الذي يواجه من مواقع الدفاع قد لا تتاح له الفرصة الكاملة لاختبار وسائل دفاعه ومعرفة أرض المعركة ليحسن التعامل معها) (١١). ولعل من أهم مايؤاخذ به فكر هذا التيار:

الفكر الإسلامي المعاصر في حالة مخاض واعد، وتدفق لم ينضب، ويعج داخله بالإلحاح الشديد من أجل التعميق والتأصيل والتجديد

النظرة الجزئية عند بعض المفكرين

١- هذه النظرة التجزيئية للإسلام في الرد على ما طرح من تحديات، غير مدركين أن (كل جزء إذا نوقش على حدة خارج الإطار الإسلامي الكلي يفقد كثيرا من معناه ولايصبح جزءا منطقيا أوصحيحا، فلو نوقش؛ على سبيل المثال؛ حق الملكية الفردية على حدة فسيصبح ما بين أيدينا رأسمالية لا إسلاما، وإذا نوقشت مسألة العبادة على حدة فسيصبح مابين أيدينا مسيحية لا إسلاما، واذا نوقشت مسألة تعدد الزوجات أو الإرث على حدة فسيصبح ما بين أيدينا نوعا من الجاهلية أو نمطا ساد في عصور متخلفة ولايحمل منطقا، أي لا يبقى مابين أيدينا إسلاما (...) ذلك أن الإسلام يشكل منظومة متكاملة تتماسك أجزاؤها وتتفاعل فيما بينها لتشكل وحدة عضوية متحركة حيوية لاتجعل من الممكن أن يفهم أى جزء على حدة، وإنما ضمن وضعه في الإطار العام، أو من خلال علاقته بالوحدة الكلية، أي بالأجزاء الأخرى مجتمعة وفي آن واحد) (١٢).

وقد فسر الأستاذ محسن الميلي هذه الظاهرة بعدم القدرة على الفصل بين عمليتي التحليل والتركيب فيقول: (إن التجزئة دون ترتيب عبارة عن شتات من الأقسام غير المنتظمة، وعن تفتيت للكل المتكامل، والاكتفاء بهذ ه العملية التجزيئية هو وقوف في بداية الطريق، وهو قصور، إنه وقوف عند ﴿ فويلٌ للمصلين ﴾ إنه موقف يؤدي إلى التشويه والتحريف، ولا نعجب بعد ذلك من إنسان يرى بعين واحدة أن تكون نظرته قاصرة، أو يمشي على رجل واحدة ألا تسقتيم مشيته (...) تجنبا لهذه الأغاليط والمغالطات كان على الدارس النزيه ألا يقف في بداية الطريق فينزلق في مناقشته كل جزء على حدة بدعوى التحليل أو الدفاع أو الهجوم، فالعمل العلمي بناء وليس تكديسا، تنظيم وليس تفتيتا) (١٣).

٢- سيطرة الخطاب العاطفي علي أغلب مؤلفات هذا التيار، وما يزال مسيطرا حتى الآن، بل لعل أخطر مشكلة يعاني منها جيل الصحوة الإسلامية (أنه لايزال يعيش مرحلة الخطب والشعارات الحماسية، أو مايمكن أن نسميه (زعامة الخطبة) التي تشحنه بالعواطف والاندفاعات دون القدرة على الأخذ بيده إلى الطريق الصحيح، ووضع الأوعية الشرعية لضبط حركته، الأمر الذي يؤدي به إلي ممارسات مغلوطة) (١٤).

ذلك ان العواطف والأنفعالات بمفردها لا تساعد على التخطيط العقلاني، كل ما تستطيعه هو مزيد من الرغبة أو مزيد من الخوف، وصراع الرغبة والخوف لا يمكن أن ينتهي إلا إلى شيء واحد هو الهروب إما إلي وراء وإما إلي أمام، إما إلي أقصى التشدد وإما إلي أقصي التسامح.

٣- ظلت كتابات هذا التيار - في كثير منها - عاجزة عن إقناع تيار الحركة الجديدة بواقعية المذهبية الإسلامية العامة ذات السمات الخالدة، وذلك لبقائها في إطار تعميمات ثقافية إسلامية عامة أهملت دراسة طبيعة العصر وثقافته، وتجدد الفكر والحياة فيه، الأمر الذي أبقى الفكر الإسلامي - إلي حد ما - مشلولا من الناحية الواقعية بلا منهج محدد مرحلي للحياة المدروسة المتفق على تفاصيلها بكل دقة، وإن كان لذلك أسبابه الموضوعية ليس هنا محل تفصيلها.

ومضات مضيئة في الطريق

وقولنا هذا لا ينفي في شيء المجهود الجبار الذي قام به بعض نوابغ الفكر الإسلامي الحديث، ومن هذا التيار أو من ذاك، رغم الظروف الصعبة التي عاشتها الصحوة الإسلامية، إذا علمنا أن الفكر لا يمكن أن ينتج ويبدع إلا في أجواء من الحرية والاستقرار والأمن، وأن الأفكار والمشاريع لا يمكن أن نحكم لها أو عليها إلا إذا سنحت لها الفرصة لتتعامل مع الواقع، وذلك ما لم يتوفر بعد للفكر الإسلامي المعاصر في ظل الأنظمة العلمانية، وهو أمر لا يعني معارضة عرض أسس النظام الإسلامي أو الإسهام في مايسمى (تطوير الفقه الإسلامي) أو حتى التقدم ببرامج سياسية واقتصادية واجتماعية شاملة لنظام حكم إسلامي مقترح، حتى إذا آمن الناس بالإسلام وبحاكمية الله، كان من اليسير تقديم نظام الإسلام وتشريع الإسلام عندما يقوم مجتمع الإسلام.

وإن كان هناك من لا يوافق على هذا الرأى، ومنهم سيد قطب؛ رحمه الله؛ حين عارض انشغال الطليعة الإسلامية بوضع الدساتير أو البرامج المستقبلية التفصيلية والدخول في جزئيات التشريعات قبل قيام المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي فيقول: (إن التصور الإسلامي يكره - بطبيعته - أن يتمثل في مجرد تصور ذهني معرفي، لأن هذا يخالف طبيعته وغايته، ويجب أن يتمثل في أناسي، وفي تنظيم حي، وفي حركة واقعية. وطريقته في التكون أن ينمو من خلال الأناسي

الفكر الإسلامي المعـــاصر بين المد والجزر

والتنظيم الحي والحركـــة الواقعية حتى يكتمل نظريا في نفس الوقت الذي يكتمل فيه واقعيا (...) وكل نمو نظري يسبق النمو الحركي الواقعي، ولايتمثل من خلاله، هو خطأ وخطر كذلك بالقياس إلي طبيعة هذا الدين وغايته وطريقة تركيبته الذاتية) (١٥). وهو القول الذي استغله أعداء الفكر الإسلامي للتشهير به. ووصفه بالطوباوية واللاواقعية.

ورغم الظروف الصعبة، فقد استطاع فكر الصحوة في فترات متقطعة أن يستعيد وعيه لذاته ووعيه بالآخر مما جعل الانبهار بالغرب يتقلص والاعتزاز بالشخصية الإسلامية ينمو، والتفكير في أن حاجة الغرب إلى الإسلام لا تقل عن حاجة المسلمين للغرب، يفرض نفسه شيئا فشيئا، وأن ينتقل – الفكر الإسلامي – من مرحلتي الانفعال والدفاع هاتين إلى مرحلة التحدي، ليخرج الإسلام منتصرا، فيبعث الأمل في قلوب المسلمين على إمكانية إعادة تحكيم الإسلام، وتدخل الحضارة الأوروبية المادية قفص الاتهام حيث بدأ سقوطها وظهر زيفها، وباتت عاجزة عن تحقيق إنسانية الإنسان.

بوادر النظرة الشاملة

وظهرت مؤلفات قيمة بذل فيها أصحابها مجهودات مضنية ومتعددة (للوصول إلى تحليل دقيق لأسباب انحطاط الأمة ولفهم الغرب ولمواجهة التحديات الناجمة عن الحضارة الغربية المعاصرة، سواء أكان ذلك في مجال القوة السياسية والجيش، أم في مجال الفكر وأنظمة الحكم، أم في مجال التربية والأخلاق والسلوك وأنماط الحياة، أم في مجال العلوم والتقنيات والعمران) (١٦). واذا أردنا أن نعدد المؤلفات من هذا الصنف، فإن القائمة تطول، ولكن حسبنا أن نذكر بعضا منها يحق للمكتبة الإسلامية أن تفخر بها، مثل: (الله جل جلاله) لسعيد حوي، و (عقيدة المسلم) للشيخ محمد الغزالي و(رسالة العقائد) للشهيد حسن البنا في موضوع العقيدة. و(التشريع الجنائي الإسلامي) لعبد القادر عودة، و(فقه السنة) للشيخ سيد سابق، و(هدي الإسلام: فتاوى معاصرة) للشيخ يوسف القرضاوي في موضوع الفقه. و(الاقتصاد في ضوء الشريعة الإسلامية) للدكتور محمود محمد بابلي، و(التأمين في الشريعة والقانون) للدكتور شوكت عليان، و(تطور الأعمال المصرفية بما يتفق والشريعة الإسلامية) للدكتور سامي حسن أحمد محمود، و(اقتصادنا) لمحمد باقر الصدر في موضوع الاقتصاد. هذا بالإضافة إلى عشرات المؤلفات التي تناولت مواضيع إسلامية عامة، مثل (خصائص التصور الإسلامي ومقوماته) لسيد قطب، و(فلسفتنا) لمحمد باقر الصدر، و(ماذا يعني انتمائي للإسلام) لفتحي يكن، و(تهافت العلمانية) لعمادالدين خليل، و(العدالة الاجتماعية في الإسلام) لسيد قطب، و(الإسلام في معركة الحضارة) لمنير شفيق، وغيرها من المؤلفات الهامة.

نقائص لابد من تجاوزها

ولكي يبقى – الفكر الإسلامي المعاصر – مطالبا (بأن يكون أكثر جرأة في طرح بعض القضايا وإثارة بعض التساؤلات، فلم تعد العموميات تكفي، ولم تعد تغطية المشكلات سبيلا إلى حلها أو التخفيف من حدتها، والتأجيل المتواصل في التفكير في هذه القضايا (القضية الاجتماعية، مسألة الحريات السياسية، العلاقة مع التراث ومع الغرب، ليس حلًا لها بل هو تعميق لها وابتعاد عن الحل يوما بعد يوم) (١٧).

وإذا كان لهذا التردد أو هذا التأجيل مايبرره في الماضي، فقد آن الأوان اليوم لتجاوزه، لأن في تواصله مدعاة إلي الشك في قدرة الفكر الإسلامي على إعطاء إجابات إسلامية لمشاكل العصر، ويجعل العديد يتحرجون في حياتهم الفكرية والعملية، ويلجيء البعض منهم إلى الاستيراد والتلفيق والتسرع في الأخذ والرفض.

إن الفكر الإسلامي مطالب بالعمل على صياغة الإسلام صياغة حضارية تمكنه من الولوج في كل ميادين الحياة، وصياغة حياة إسلامية وثقافة إسلامية أي حضارة إسلامية، وهو أمر يستدعي التركيز على الإنسان والقضية الاجتماعية، ما دام إحساس الإنسان بهذه القضية إحساسا عميقا وانشغاله بها كبيرا، وهو عمل سيؤهّل الإسلام إلى أن يكون مشروعا حضاريا إنسانيا كما أراده الله، لا مجرد أفكار وسلوكات منعزلة عن تيار الحياة.

■ لا يمنع التمسك بالشريعة والدين المسلمين من الاستفادة بما توصل اليه غيرهم من علوم مادية وتطبيقية وتقنية

وهو مطلب أيضا – الفكر الإسلامي – بالعمل على تحليل الواقع تحليلا علميا واقعيا لا تحليلا أدبيا صحفيا، إذا علمنا أن أغلب مكونات ثقافتنا مأخوذة من الإعلام، أي من التعاليق والتحاليل المبسطة والمواقف الدعائية، وهو تكوين لا يساعد المسلمين على فهم واقعهم ولا على فهم إسلامهم وطريقة تطبيقه (ولذلك فإن الاهتمام بالعلوم الإنسانية أساسا أمر أكثر من ضروري، فالأساليب الخطابية لا

تفهم الــواقع ولا تغيره، وإن غيرتـه فإنها لا تغير جــوهـره وعـلاقـاته وتكتفي بتحـويل انشغـالات النـاس واهتمامهم) (١٨).

الفكر الإسلامي وقدرته على الإبداع

الفكر الإسلامي مطـالب أن يكون مستنيرا، أي يستفيد من الآخر ومن بقية المناهج بعـد أن يفهمها ويدرك عوامل ضعفها وقوتها وأسـاليب تحليلها، ليبـدع نماذجه ومناهجـه بنفسه، ويتجنب مـا سقط فيـه الفكر التلفيقي الـذي أراد الاستنـارة بوضـع نظارات الآخر على عينيه، فكان أقصى ما وصل إليه هو التردد والحيرة وعدم الوقوف على أرض فكـرية وعقائد صلبة.

وهـومطالب - أخيرا وليس آخـرا - أن يعيد طـرح علاقتنـا بـالغـرب بعيـدا عن مـواقــع ردود الفعل ومـركبـات النقص والغرور، يحدوه الأمل للمسـاهمة في وضـع مشروع حضـاري يستعيد بـه المسلمون موقفهم كقـوة كبرى في العالم تهدي إلي الحق والخير والحرية، وتنقـذ مكاسب الإنسانيـة من الضياع والدمار، حتى لايغدو حديثنا عن الأزمات الحادة التي تعيشها حضارة الغـرب، والتي يبـدو أنه لا أمل في شفـائها، مـروحة صيف في يوم قـائظ تغري الأمة بـالنعاس من جـديد، ذلك أن انهيار الغرب وامتداداته في العالم الإسلامي لايعني بالضرورة أن أوضاعنا جيـدة، وأننا سنكون الوارثين، فـإنما يقود العالم أصلح من فيه أي أقدره على حل مشكلاته (١٩).

وإنه ليحق لنـا أن نؤكد في ثقـة تامة أن الفكـر الإسلامي لم يستنفد حتى الآن كـل ما عنده، أو كل طـاقاتـه وامكانـاته في تناول هـذه التحديات، فهـو في حالة مخاض واعـد، وتدفق لم ينضب، ويعج داخلــه بـالإلحاح الشـديــد من أجل التعميق والتأصيل والتجـديد. ولكن الـذي نخشاه كثيرا والـذي يمثل مشكلـة ذات أهميــة، أن تنجح الـدوائر الاستعماريـــة؛ التي أصبحت لها مـراكز متخصصــة لصنـاعـة الاهتمامات عنـد الشعوب وجعلت لعملية التحكم الثقافي مؤسساتها ومختبراتها ودراســاتها ووسائلهــا التي لاتقل أهمية عن عمليـات التحكم العسكري والتفوق الاستراتيجي والتخطيط لمعارك هنا وهناك؛ نخشى أن تنجح هذه الـدوائر الاستعمارية في إرجاع المسلمين إلى موقع الفكر الدفاعي والفكر الانفعالي.

والمشكلة الأكثـر خطورة كما أشار اليهـا عمر عبيـد حسنة (القابلية النفسية عنـد بعض المسلمين للتراجع إلى مواقع الفكر الـدفـاعي، ذلك أن مـراكـز صناعـات الاهتمامـات في العـالم مستمرة في عملهـا، والتحذيـر من الصحوة الإســلامية أصبح ظـاهـرة ملفتـة للنظـر، وأن طـرح المشكـلات ووضـع بعض التصرفات الشاذة تحت المجهر أصبح واضحـا لكل ذي عينين، وذلك لإعادة المسلمين إلى مواقع الفكر الدفاعي) لتشل حركتهم وتشكك بوسائلهم وتتحكم في مســاراتهم العقلية ونشاطاتهم الثقافية، وتخيف الناس من دعوتهم.

إنها محاولـة استنـــزاف مستمـرة للطــاقـات الفكــريـة والاستهلاك الـدائم للنشاطـات الذهنيـة لمجموع الأمـة حتى لايترك لها الوقت الكافي للنظـر في مشكلاتها الحقيقية، والقدرة على تصنيفها لمعالجتها والتفرغ لها، حتى إذا حاولت الانتصار في مشكلـة؛ أو كادت؛ قـذف إليها بغيرهـا لتبـدأ من جديـد في مواجهـة الخروق الجديدة التــي قد تكـون - كما أسلفنا - في كثير من الأحيان موهومة، لإبقائها على الساحة الفكرية نفسها تروح فيها ولاتستطيع تجاوزها.. فلنحذر ■

هوامش

(١) نقلا عـن (الفكر الإسلامــي المعاصر والتحـديات) لمنير شفيق.

(٢) (نظرات في مسيرة العمل الإسلامي) لعمر عبيد حسنة.

(٣) (قضايـا معاصرة في فكـرنا المعـاصر) للدكتـور حسن حنفي.

(٤) (التراث والتجديد) للدكتور حسن حنفي.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) (مبشرات الإســلام) لرجـاء جـارودي، تعريب مهـدي زغيب.

(٧) مجلة (المستقبل العربي) جانفي ١٩٨٥م.

(٨) (نحو مجتمع إسلامي) لسيد قطب.

(٩) مجلة (المستقبل العربي) جانفي ١٩٨٥م.

(١٠) (نظـرات في مسيرة العمل الإســلامــي) لعمـر عبيـد حسنة.

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) (الإسلام في معركة الحضارة) لمنير شفيق.

(١٣) (ظاهرة اليسار الإسلامي) محسن الميلي.

(١٤) من مقـدمـة (مشكـلات الشباب) للـدكتـور عبـاس محجوب.

(١٥) (معالم في الطريق) لسيد قطب.

(١٦) (الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات) لمنير شفيق.

(١٧) (ظاهرة اليسار الإسلام) لمحسن الميلي.

(١٨) المصدر نفسه.

(١٩) انظر مقـال (نحن والغرب) لـراشد الغنوشي، المعـرفة عدد٩، السنة ٤.

بعد خمسة قرون

الجزر الأفريقية تسترد هويتها الإسلامية

جـزر الـرأس الأخضر أرض خصبة للإسلام

من أبرز علامات المد الإسلامي المعاصر في القارة الأفريقية عودة الإسلام إلى الجزر الأفريقية الواقعة في المحيط الأطلنطي، وذلك بعد انقضاء خمسة قرون على انتهاء الوجود الإسلامي من هذه الجزر، مثل جزر الرأس الأخضر و(سان تومي) ولقد كانت هذه الجزر الأفريقية جزرا إسلامية، ولكن المستعمر البرتغالي قد بدأ منذ عام ١٤٦٢م أكبر حملة لاقتلاع جذور الإسلام منها وأحالها إلى أكبر مستودع لتجارة الرقيق الذين تاجرت بهم ونقلتهم إلى الأمريكتين في سفن لا تليق بنقل البشر.

وترصد (الوعي الإسلامي) أحوال المسلمين في هذه الجزر وتسلط دوائر الضوء على تاريخها الإسلامي المشرق.

بقلم: محمود بيومي

جزر الرأس الأخضر

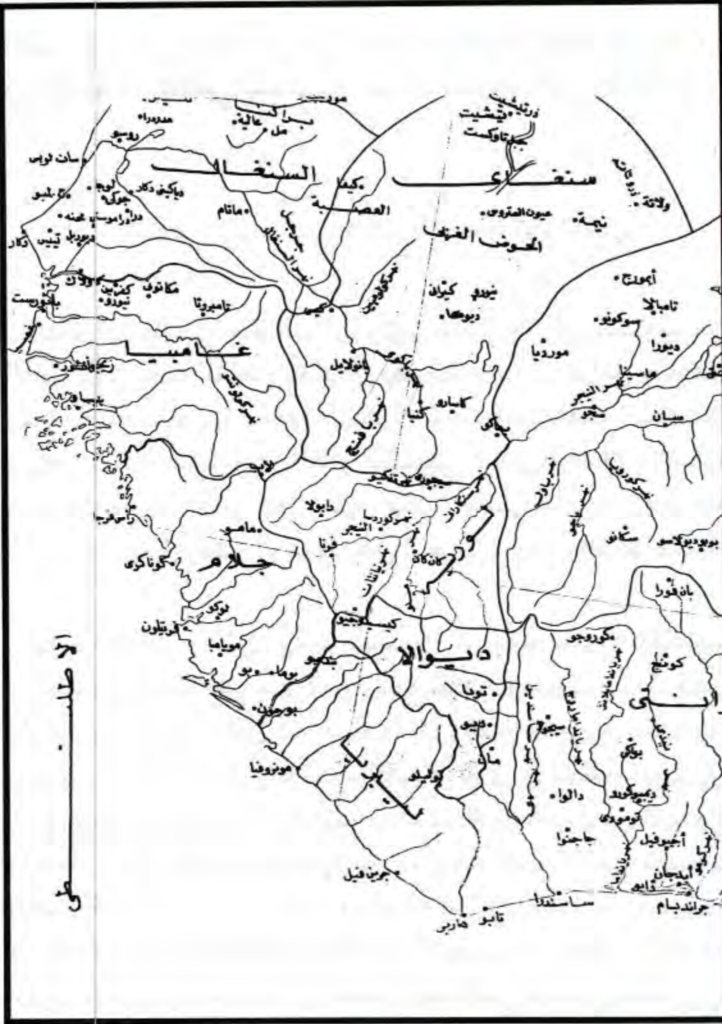
وجزر الرأس الأخضر، جمهورية أفريقية تقع في مياه المحيط الأطلنطي وتبعد عن السنغال و(غينيا بساو) بحوالي ٥٠٠ كيلو مترا لذا فهي إحدى دول غرب القارة الأفريقية، ويبلغ عدد سكانها ٣٨٥ ألف نسمة، بينما بلغ عدد الجزر التي تتكون منها هذه الجمهورية ١٠ جزر، وعاصمتها هي مدينة (برايا) التي توجد في جزيرة (سانت دياجو) واللغة البرتغالية هي اللغة الرسمية، حيث استعمرتها البرتغال لمدة تزيد عن خمسة قرون من عام ١٤٦٢م، حتى حصلت على استقلالها منذ عام ١٩٧٥م، وتبلغ مساحة أراضي هذه الجمهورية ٤٠٣٣ كيلو مترا مربعا، وقد انضمت بعد استقلالها إلى الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية.

الجزر والناس

ومن أكبر الجزر التي تتكون منها جمهورية جزر الرأس الأخضر، جزر (سانت لويزا) و(سانت نيكولو) و(سال) و(فوجو) و(برافا) و(مايو) و(سانت دياجو) التي توجد بها العاصمة (برايا) ويعيش في العاصمة أكثر من ٥٠ ألف نسمة.

وسكان هذه الجزر مجموعة من القبائل الأفريقية التي هاجرت إليها من غرب أفريقيا وخاصة من السنغال وجامبيا وغينيا بساو وسيراليون.

وقد عرفت جزر الرأس الأخضر في التاريخ الأفريقي بأنها جزر استراحة العبيد، وقد أطلق عليها هذا الاسم بعد أن قامت البرتغال بتحويلها إلى أكبر مركز لتجميع الأفارقة تمهيدا



لنقلهم إلى العالم الجديد في الأمريكتين في سفن لا تليق بالبشر.

وقد شهدت هذه الجزر العديد من المآسي التي تعرض لها الأفارقة، الذين وقعوا في براثن الرق البرتغالي، حيث كان الأفارقة يباعون بثمن بخس للغاية، فالأفريقي كان يباع مقابل قطعة من القماش أو قطعة من الحديد، ولما انتعشت تجاة الرقيق باعت البرتغال الرجل الأفريقي بـ ١٣ سيخا من الحديد، بينما كان ثمن المرأة تسعة أسياخ، أما الصبية فقد تراوحت أثمانهم بين خمسة وسبعة أسياخ من الحديد، حيث كانت هذه الأسياخ تستخدم في صناعة الحراب والسهام، وهي من أهم الأسلحة التي كانت سائدة في أفريقيا في هذا الوقت.

الرحلة إلى العالم الجديد

واعتبرت جزر الرأس الأخضر من أهم مستودعات جمع الرقيق الأفريقي ومن أهم الأسواق العالمية في هذا الوقت. وكانت رحلة نقل الأفارقة إلى العالم الجديد في الأمريكتين رحلة شاقة تستغرق ثمانية أسابيع، دون أن يعطي الأفارقة حقهم في الراحة أو الطعام أو الشراب، ودون الحد الأدنى من الرعاية الطبية، لذا تراوحت أعداد الضحايا ما بين ٣٥ إلى ٤٥٪ من إجمالي حمولة السفن التي حملتهم إلى الأمريكتين، أما الذين تعرضوا للمرض خلال هذه الرحلة الشاقة، فكان قراصنة السفن يرمون بهم أحياء في مياه المحيط الأطلنطي.

٨٢ مليون أفريقي

وتضم الدول الأمريكية اليوم

■ خمسة قرون من الاحتلال محت الوجود الإسلامي

أكثر من ٨٢ مليون أسود، هم من سلالة الأفارقة الذين تم نقلهم إلى هناك من غرب أفريقيا، فيوجد في البرازيل ٣٠ مليون زنجي، وفي الولايات المتحدة الأمريكية نحو ٢٦ مليون أفريقي ومثلهم في دول البحر الكاريبي، وفي هايتي وحدها نحو ٨ ملايين أفريقي.

وبالرغم من هذه الحقائق التاريخية، فقد نسب الغرب – زورا – إلى العرب المسلمين اتجارهم بالرقيق الأفريقي، وقد أكد علماء الإسلام في أفريقيا، أن الرق صناعة غربية وأن الإسلام هو دين الحرية والعدالة الاجتماعية الذي صان حقوق الإنسانية.

وكانت جزر الرأس الأخضر قبل وقوعها في براثن المستعمر البرتغالي، تضم عناصر بشرية أفريقية مسلمة، وكان الإسلام هو أول دين سماوي في هذه الجزر كما كان غالبية سكانها من المسلمين.

وقد أسس المسلمون في هذه الجزر العديد من المساجد والمدارس القرآنية، ولكن المستعمر البرتغالي قضى على كل أثر إسلامي هناك وعمل على تفريغ الجزر من الوجود الإسلامي، فكان عدد السكان في القرن الخامس عشر الميلادي ٨٠٠ ألف نسمة من الأفارقة، نقل أغلبهم إلى الأمريكتين لزراعة الأراضي، بدلا من الهنود الحمر.

عودة الإسلام

وقد تكوّن في جزر الرأس الأخضر وفي (غينيا بساو) حزب سياسي واحد سعى لاستقلال البلاد، فحصلت بساو على استقلالها في عام ١٩٧٤م، ثم حصلت الرأس الأخضر على استقلالها في العام التالي، وأصبحت جزر الرأس الأخضر جمهورية منذ عام ١٩٧٥م، ولكنها طبقت النظام الشيوعي لمدة ١٥ عاما، ولم يسمح بالعمل الإسلامي في الجزر خلال هذه الفترة.

ومع انتهاء الحكم الشيوعي هناك في عام ١٩٩٠م، فتحت جمهورية جزر الرأس الأخضر صدرها لقبول دعوة الإسلام، وإقامة العلاقات مع الدول الإسلامية والعربية، فقامت سفارة السنغال بانشاء مسجد في العاصمة (برايا)، ورحبت جزر الرأس الأخضر بقوافل الدعاة الذين وفدوا إليها من دول غرب أفريقيا للتعريف بحقائق الدين الإسلامي الحنيف.

وقد وافقت السلطات على إنشاء أول مركز إسلامي في

■ الرق صناعة غربية والإسلام هو دين تحرر الإنسانية

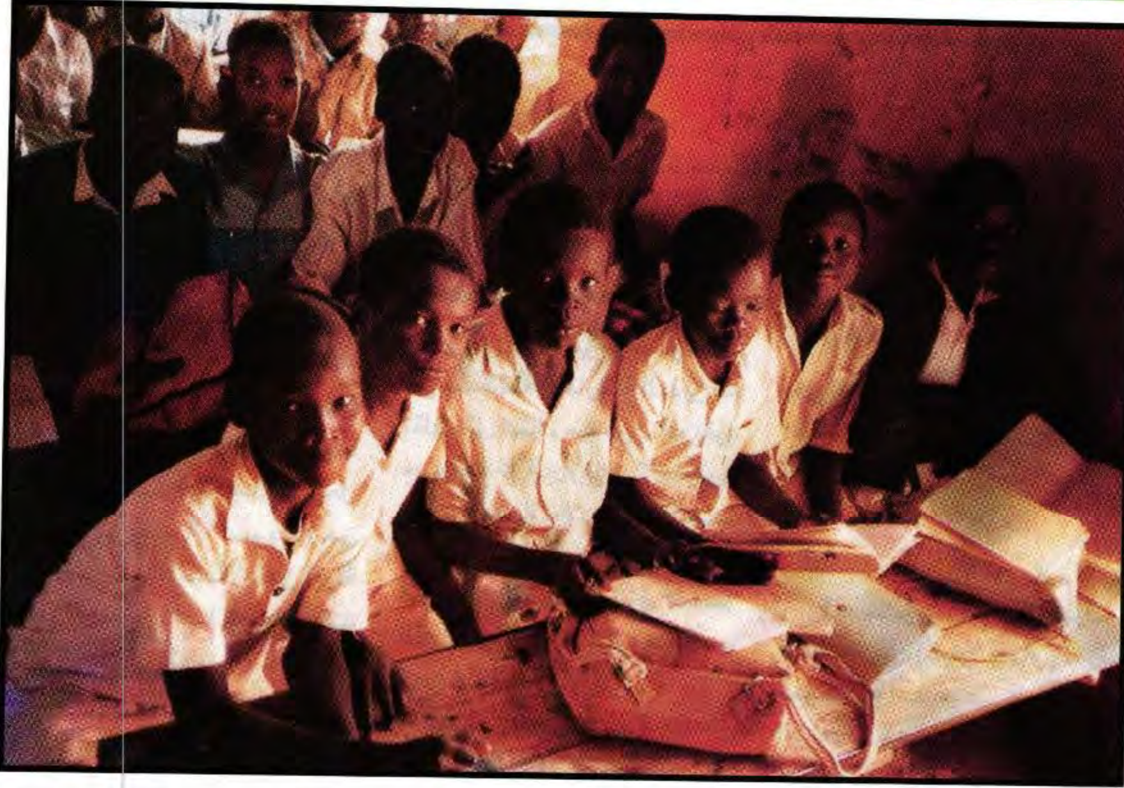
العاصمة، يضم مسجدا جامعا ومدرسة إسلامية، كما طالبت المؤسسات الإسلامية العالمية بافتتاح المساجد في جميع الجزر، وقد أدى ذلك إلى وجود أول مجتمع إسلامي معاصر، بعد غيبة الإسلام لمدة تزيد على خمسة قرون، ولم يصدر حتى الآن إحصاء رسمي بعدد المسلمين، إلاّ أنهم أقلية تعد بالمئات، وقد أشارت التقارير الواردة من (برايا) أن الدعوة الإسلامية كي تنهض في هذه الجزر، تحتاج إلى دعاة ممن يجيدون التحدث باللغة البرتغالية ووجود ترجمات لمعاني القرآن الكريم ومكتبات دينية بهذه اللغة، مما يؤكد أن جزر الرأس الأخضر أرض خصبة للإسلام.

سان تومي

والجمهورية الأفريقية الثانية التي تقع في مياه المحيط الأطلنطي، هي جمهورية (سان تومي) وهي عبارة عن جزيرتين، الأولى هي (جزيرة برنسيب) وتقع في مواجهة غينيا الإستوائية، والثانية هي جزيرة (سان تومي) وتقع في مواجهة الجابون، وتوجد الجزيرتان في خليج غينيا وتقعان شمال خط الاستواء، وتعرف منذ عام ١٩٧٥م بجمهورية (سان تومي وبرنسيب)، وقد حصلت على استقلالها بعد قرون طويلة من الاستعمار البرتغالي – مثل جزر الرأس الأخضر – وقد انضمت إلى الأمم المتحدة في ١٢ يوليو عام ١٩٧٥م.

(وسان تومي) من أصغر الجمهوريات الأفريقية، اذ تبلغ مساحة أراضيها ٩٦٤ كيلو مترا مربعا، وبلغ عدد سكانها ١٢٠ ألف نسمة من بينهم أكثر من

الجزر الأفريقية



٣٠ ألف نسمة من المسلمين، يمثلون ربع عدد السكان هناك، واللغة البرتغالية هي اللغة الرسمية في البلاد، كما توجد هناك لهجات أفريقية يتحدث بها سكان البلاد من الأفارقة، والعملة المتداولة هناك اسمها (أسكودو) والعاصمة هي مدينة (سان تومي) وينص دستور هذه الجمهورية الأفريقية على حرية العقيدة.

الجذور الإسلامية

وقد عرفت (سان تومي) الإسلام منذ القرن الثالث الهجري، حيث وصلتها بعثات إسلامية من المغرب العربي ونشروا الإسلام بين سكانها وكانوا على وثنيتهم، فاعتنق السكان الإسلام طواعية لسهولة تعاليمه الربانية ولمزاياه التشريعية.

وقد هاجر إلى (سان تومي وبرنسيب) عدد من مسلمي الدول الأفريقية التي تقع في غرب أفريقيا ووسطها منذ القرن الرابع الهجري - مثل نيجيريا والكاميرون والكونغو والجابون - وأسسوا في الجزيرتين حضارة إسلامية ونشروا دعوة التوحيد وأقاموا العديد من مؤسسات الدعوة والتعليم، فانتعشت حركة المد الإسلامي في البلاد.

ونشط الذين اعتنقوا الإسلام من قبائل (الفانج) و(البانتو) و(البوبي) و(البربر) في نشر دعوة الإسلام في الجزيرتين، حتى أن الشريعة الإسلامية كانت مطبقة في البلاد، واستقدموا القضاة الشرعيين من المغرب العربي في عام ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩م، إلا أن الرحالة البرتغالي (دي جو كام) وصلها في بداية القرن الخامس عشر الميلادي وأسس هناك مركزا لتجارة الرقيق، حيث تم شحن نصف مليون أفريقي من (سان تومي) إلى الأمريكتين.

وأد الحضارة الإسلامية

وقد عهد المستعمر البرتغالي إلى محاربة انتشار الإسلام في البلاد فتم إلغاء القضاء الشرعي وإغلاق المساجد والمدارس الإسلامية ومصادرة المصاحف والكتب الدينية، وأحال البلاد إلى سوق للرقيق وكانت سياسته معادية للإسلام والمسلمين، حتى لم يبق في الجزيرتين من يجاهر بإسلامه، وهكذا قضى على الإسلام والمسلمين في سان تومي وبرنسيب، كما فرض المستعمر لغته وقانونه وثقافته على السكان، بعد أن ضرب كل مرتكزات العمل الدعوي والتعليمي، فنشأت الأجيال وهي لا تعرف شيئا عن الإسلام.

الانفراج النسبي

ومن عام ١٩٧٠م حدث انفراج نسبى للاتصال بالأفارقة، فحدثت هجرات نسبية أيضا تمثلت في هجرة بعض مسلمي غرب أفريقيا إلى (سان تومي)، فتأسست من جديد جالية إسلامية، حتى انتعشت مؤسسات الدعوة بعد حصول سان تومي على استقلالها في عام ١٩٧٥م، فحدثت هجرات إسلامية أفريقية معاصرة ركزت جهودها في إبلاغ دعوة الإسلام، وهكذا عاد الإسلام من جديد إلى سان تومي.

٢٥٪ مسلمون

وبلغ عدد المسلمين في سان تومي ١٥٠ أسرة مسلمة يمثلون ٢٥٪ من إجمالي عدد السكان، وهذه الأسر ذات جذور إسلامية لذا فإن جميع أفراد الأسرة الواحدة يشهرون إسلامهم دفعة واحدة، ولا يوجد اختلاف عقائدي داخل هذه الأسر.

وقد تأسست في سان تومي أول جمعية إسلامية لتنظيم شؤون المسلمين، وقد حصلت على ترخيص من السلطات بانشاء بعض المدارس القرآنية وبعض الكتاتيب وبعض المساجد، كما وافقت السلطات على إنشاء أول مركز إسلامي في العاصمة (سان تومي)، وتم تخصيص الأرض اللازمة لإقامة هذا المشروع الإسلامي.

وغادر سان تومي وفد إسلامي برئاسة الشيخ محمد ليما رئيس الجمعية الإسلامية، في جولة ببعض الدول العربية للتعريف بأحوال المسلمين في بلاده، والحصول على الدعم العربي لإقامة المركز الإسلامي باعتباره البداية الصحيحة للعمل الإسلامي الجاد، وحتى تسترد (سان تومي) هويتها الإسلامية□

ماهوا لونج
مجاهد من الصين

بقلم: محمد مروان جميل مراد

ماهوا لونج؛ هل سمعتم بهذا الاسم قبلا؟

ربما بضعة، وحسب، ممن يتتبعون أخبار الصحوة الإسلامية في أركان العالم، قد وصل الاسم إلى مسامعهم، في حين يبقى مجهولا لدى مجموع المسلمين، مثل أسماء كثيرة لمجاهدين أعلام، نذروا نفوسهم لخدمة العقيدة، وجندوا سواعدهم للدفاع عنها، وسطّروا صفحات رائعة في سجل الجهاد، لم يصلنا منها - مع الأسف - حتى النذر اليسير، في حين تسلط الأضواء على أدعياء الفن والفكر، وتفرد لأخبارهم الصفحات العريضة.

من هو لونج؟

الزمان: أواخر القرن التاسع عشر، كانت الصين تحت حكم أسرة (تشينج) التي طبع عهدها بالإرهاب والفساد، وسارت سياستها على القضاء على الأقليات، ومنع المسلمين من ممارسة شعائر عقيدتهم، وقتل الأئمة المسلمين وتهديم مساجدهم.

ولد ماهوا لونج لأسرة مسلمة، إذ كان جده وأبوه من أبرز المناضلين لخدمة الإسلام، وتلقى التعليم الإسلامي في المسجد، منذ حداثته، ونشأ في بيئة مسلمة خالصة، فما لبث أن أصبح في شبابه مرشدا مرموقا، وحظي باحترام المسلمين في البلاد، وخاصة حين تصدى لقيادة المقاومة في منطقته: (جنجيبو)، بمقاطعة (نينغشا).

قيادة مبكرة وبلاء حسن

التف مسلمو المقاطعة، حول الإمام (ماهوا لونج) واختاروه قائدا لمنطقة ما بين النهرين في الشمال الغربي، فأخذ يحض أنصاره على التمسك بتعاليم القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وسرعان ما انتشرت دعوته في مناطق المسلمين، الأمر الذي أقض مضاجع المسؤولين في حكومة (تشينج)، ودفعهم إلى توجيه حملة ضخمة قوامها مليون جندي لمحاصرة المسلمين، الذين لم يتجاوز عددهم عشرات الآلاف..

وكانت المعارك تتواصل بين الثوار المسلمين وجيوش السلطة، والمسلمون يدافعون عن دينهم بكل شجاعة، ويبلون في كفاحهم أحسن البلاء، واستطاعت السلطة شراء بعض العملاء المحليين الذين قاموا تحت التهديد والإغراء، بإرشاد العدو إلى بلدة (جنجيبو) المعقل السري للثوار.. فلما حاصرت قوات السلطة المدينة..

انقض المسلمون عليهم بكل بسالتهم، وكانت النساء المسلمات يندفعن إلى الخطوط الأمامية لتشجيع أزواجهن على القتال وإضرام حماستهم، وراح الشباب والمسنون يقاتلون جنبا إلى جنب في سبيل الله، ويستشهدون دفاعا عن العقيدة الطاهرة.

أدرك العدو أنه أمام مجاهدين يسترخصون الحياة ويندفعون للشهادة، فلجأ إلى الحصار والتجويع حتى نفدت الحبوب والأغذية لدى المسلمين، واضطروا لأكل قشور الأشجار والأعشاب، وأشرف أكثر من ٢٠ ألف من السكان على الموت جوعا. فما كان من الإمام (ماهوا لونج) إلا أن اتجه مع أفراد عائلته إلى معسكر السلطة، مستسلما كي ينقذ الثوار من المصير المحتم.

حوار مشهود

وكانت وقفة مشهودة، وحوارا بالغ الروعة بين قائد الجيش والإمام:

- بعد أن أقتلك، وكل أفراد أسرتك.. من سيكون خلفك؟

رفع الإمام رأسه، أجاب: كل من يقرأ القرآن سيكون خلفا لي..

- ومن سيأخذ بثارك؟

- لن يطول الأمر كثيرا، وستشهد الأمة من يأخذ بثأري قريبا.

وكأنما كان الإمام يقرأ في كتاب مفتوح.. إذ لم تمض غير سنوات قليلة حتى اشتعلت ثورة ١٩١١، فأطاحت بحكم أسرة (تشينج)، وكان الثأر للإمام مشهودا.

سيرة عطرة

لقد قتل الإمام وأسرته جميعا، وحمل الجنود رأسه يطوفون بها في المناطق الإسلامية ليكون عبرة لكل من يفكر بالثورة على السلطة الفاسدة.. وخلال عشر سنوات لم يترك الجنود مدينة ولا قرية إلا وأنذروا أهلها بنفس مصير الإمام، وحين بلغوا قرية (لانتشو) مركز تجمع المسلمين، وقف مجاهدان من أنصار الإمام وهما: (ليو) و(تو) وقد بلغ الألم منهما حدا كبيرا، ودار بينهما حوار حول كيفية استرداد الرأس لدفنه، وتوصلا إلى قرار: أن يقدم المجاهد (ليو) رأسه، بدلا عن رأس الإمام بالنظر للتشابه الكبير بين ملامحه وملامح الإمام الشهيد، وهكذا هدأ أخيرا في مثواه في التراب ذات يوم من مايو ١٨٨٠.

ومن ذلك اليوم، صارت سيرة (ماهوا لونج) وشجاعته وفضائله، سيرة تتناقلها الأجيال، وصفحة مضيئة في تاريخ كفاح مسلمي الصين ضد الظلم والاضطهاد.

رواية (الإمام العظيم)

وفي العام الماضي فقط، نشرت في الصين رواية (الإمام العظيم) فلقيت تقديرا عاطرا في كل البلاد، ثم نشرت طبعتها الإنجليزية، فتركت صدى واسعا في العالم وانهالت الرسائل على مؤلفها: سابق تانج ينج تشاو، مدير مكتب الثقافة الإسلامية في بكين، مثنية على عمله المرموق.

واليوم تجري ترجمة الرواية إلى الهندية والفارسية والروسية. وفي الوقت نفسه، يتطلع ملايين المسلمين إلى الطبعة العربية من الرواية القيّمة.

فهل يطول الوقت حتى تكون هذه الطبعة العربية بين أيدينا، ليتعرف المسلمون إلى سيرة ذلك الرجل المكافح.. أم تظل السيرة مخبوءة خلف ستائر الإهمال واللا مبالاة؟!□

المسلمون في الصين

■ يبلغ عدد المسلمين في الصين حوالي ٩٣ مليون مسلم (١٠٪ من مجموع السكان) ويعيشون في المقاطعات التالية:

١) سينكيانج (تركستان الشرقية) ١٢ مليون مسلم (٩٦٪ من مجموع السكان) وأكبر مدنها كاشغر.

٢) المناطق الداخلية: (١٤ ولاية) ٥٣ مليون مسلم، أهمها ولاية (كانسوا) وفيها عشرة ملايين مسلم من المغول.

٣) المناطق الساحلية: (١٣ ولاية): ٢٨ مليون مسلم: أهمها: بكين العاصمة، وفيها ٧٥٠ ألف مسلم.



■ من المؤلم أن تقف أمتنا مكتوفة اليدين أمام المآسي الموجعة التي نزلت في ساحتها

كلما دهمت المسلمين مصيبة، وكلما نزل بهم خطر، وحل بساحتهم رزء، تبدت لعين المرء الهوة السحيقة التي ارتكست فيها أمتنا، والدرك الأسفل الذي هوت إليه، فأضحت لا حول لها ولا طول، وبدا الفرق الشاسع المذهل بين ما كانت عليه من عزة وإباء ومنعة وشموخ، وما آل إليه أمرها من ذل وضعف وخنوع، بسبب تفرقها، وتخلفها عن ركب الأمم المتقدمة، وتبديد ما حباها الله من قوة روحية ومادية وبشرية واستراتيجية.

إنها مأساة أمة فقدت وحدتها وعزتها

بقلم الدكتور: محمد علي الهاشمي*

إنها لتقف مكتوفة اليدين أمام المآسي الموجعة التي نزلت في كل من البوسنة والهرسك وطاجكستان وكشمير والصومال وغيرها، لا تملك حولا ولا طولا أمام هجمات الحقد الصليبي، والمكر اليهودي، والتواطؤ الاستعماري، وترضى صاغرة بالحلول التي تفرضها الدول القوية عليها، مع أن عديدها يزيد على مليار نسمة ولا تنقصها الإمكانات المادية، ولا الطاقات البشرية، ولا الروح المعنوية.

وها هي ذي اليوم تقف وقفة الذل والصغار والهوان، فترضى مكرهة مرغمة بجزء يسير جدا من أرض المقدسات في فلسطين، وتسمع إعلان رابين أن القدس عاصمة أبدية لإسرائيل، فترضخ إلى الأمر الواقع ويسمي كثير من وسائل الإعلام هذا الذل (عزة)، وهذا الاستسلام (نصرا) وهذا الخزي (شجاعة).

أي ذل وأي صغار وأي خنوع وصلنا إليه حتى تبدلت في كثير من وسائل إعلامنا المفاهيم والتصورات والمعتقدات فبتنا نسمع أن قضية فلسطين تخص شعب فلسطين، وليس قضية العروبة والإسلام؟!

وما أبعد الفرق بين موقف العزة الشامخ الذي كنا فيه بالأمس يوم وقف الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، يكتب عهده لأهل إيلياء (أهل بيت المقدس) وبين ما صرنا إليه اليوم، من موقف المذلة والصغار والخنوع الذي وقفه رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، معترفا بحق اليهود في فلسطين.

لقد ناط الله بأمة الإسلام حماية المقدسات في فلسطين، يوم كانت كما أراد الله لها أن تكون، خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله.

وسلب منها هذا الشرف العظيم بالمعروف يوم رضيت لنفسها التمزق والتبعية والشرود عن هدي الله عز وجل، فباءت بالضعف والصغار والذل، ورحم الله الشاعر عمر أبوريشة الذي شخّص حال أمتنا بالمزري سنة ١٩٤٨م، يوم أضاعت فلسطين إذ قال:

أمتي هل لك بين الأمم
منبر للسيف أو للقلم
أتلقّاك وطرفي مطرق
خجلا من أمسك المنصرم
الإسرائيل تعلو راية
في حمى المهد وظل الحرم؟

*أستاذ الدراسات العليا في كلية الآداب للبنات – الرياض



كيف أغضيت على الـــذل ولم
تنفضي عنك غبــــار التهـم
أو مــاكنت إذا البغي اعتــدى
مـــوجـــة من لهب أو من دم؟!
رب وامعتصماه انطلقـــــت
ملء أفـــواه البنـــات اليتّم
لامسـت أسماعَهم لكنهــــا
لم تـــلامسْ نخـــوة المعتصم

لقد مرت خمس وأربعـون سنة على نكبة فلسطين، حفلت بالمآسي الداميات والمزايدات والمتاجرات بهذه القضية، ولم تزدد أمتنا إلا فرقة وتخلفا وضعفا وفقرا، في حين لم يزدد عدونا إلا تماسكا وتقدما وقوة وغنى. وبدلا من أن تفيء أمتنـا إلى رشدهـا، وتأخـذ من مـاضيهـا البعيد والقـريب العظـة والعبرة، فتعتصم بحبل اللـه المتين، وتعـود كما أراد لها ربها صفـا واحدا كـالبنيان المرصـوص يشد بعضه بعضـا، فتأخـذ بأسباب التطور والتقـدم والمنعـة، وتعد للعـدو القـوة التي ترهبه، وتفرض احترامهـا عليه. بدلا من هذا كله ازدادت تشرذما وفرقـة وتخلفا وضعفا، ووصلت إلى درك الفرقة والضعف والشقاق حين طمع طـاغية العراق بجـارته الكـويت، وكانت حـرب الخليج التي عصفت بـالبقية البــاقيـة من تقــارب الــدول العـربيـــة والإسلامية، وكـان من سوء الحظ أن يفتح ملف القضيـة الفلسطينية، والأمـة في الدرك الأسفل من الشقـاق والتنــابـذ والضعف، والبعد عن سبيل الله، إلا من رحمة الله.

إنها مأســاة أمـة ارتكست في مهــاوي الضعف والفـرقة والتخلف، وقفت تطـالب بحقها من عـدو قوي، تظاهره قـوى عاتية متكبرة في الأرض. فهـل مـــن عجـب إن لم تظفـــر إلا بقـدر يسير من حقهـــا المستلب الضائع؟

إنها سنـة اللـه الماضيـــة الحتميـة التي يستـوي أمـامها المؤمن والكـافـر، وهي أن النصر والغلبـة لـلأقـــوى، واللـه لا ينصر المؤمنين المتخاذلين المتخلفين الشـاردين عن هدى اللـه على أعدائهـم المتقدمين الأقـوياء، ولو كانوا من الكفار المكذبين بيوم الدين.

هـذه حقيقـة ينبغي أن تفهمهـا الأجيـال الصاعدة، وهي أن أمـة الإسلام لا يمكن أن تنتصر على أعـدائهـا إلا إذا اعتصمت بحبل الله المتين، وطبقـت منهجه القويـم، وعادت كالبنيـان المرصوص، يشـد بعضه بعضـا، وبذلك تصبح قوة قادرة على إثبات وجودها العـزيز، وانتـزاع حقهـا المغتصب في معترك الـوجـود الصـاخب، وفي دنيـــا الحقـوق المتضــاربـــة التي لا تعترف بـــالحق إلا للأقوياء.

وليس أدل على صحـة ما نقول مـن الأثر الكبير الـذي أحدثتـه الانتفـاضة في حيـاة الإسرائيليين اليهـود في الأرض المحتلـة، قـد ملأت حياتهم فزعـا وقلقا واضطرابا، حتى إن حكومة إسرائيل فكـرت بالتخلي عن غزة قبل الاتفـاق الأخير. ولـو قيض لهذا البطل المجـاهـد في الأرض المحتلـــة الـدعم المادي المناسب لحجم المعـركة، وفُتح بـاب الجهاد في فلسطين لانهالت المسـاعدات والجمـوع الغفيرة من الشباب المسلم المستعـد للجهاد في سبيل اللـــه مـن جميع أنحـــاء العـــالم الإسلامي، ولأيقنـت إسرائيل أن لا مُقام لها في أرض النبـوات والمقدســات، ولن ينفعهـا حينئذ حلفـاؤهـا ولـو كـان بعضهم لبعض ظهيرا. ولكن حيل بين الجماهير المسلمـــة وبين الجهـاد في سبيل اللـه لتحـريـر بيت المقـدس، وهـذا مــا جعل إسرائيل تستعلي وتستكبر وتفرض الحل الذليل علينا.

وينبغي أن تعلم الأجيـال الصاعـدة أيضا أن فلسطين جـــزء من ديـار الإســـلام، وأن حماية المقـدسات الإسلاميـة وغيرها في تلك المنطقة منـوطة بالمسلمين منـذ كتب عمر بن الخطاب عهـده إلى أهل بيت المقدس، وبـذلك أصبحت رعاية تلك المقدســات أمانة في أعناق المسلمين، لا يجوز أن يتخلوا عنهـا ويفرّطـوا فيهـا، وبيت المقدس فيـه المسجـد الأقصى، أولى القبلتين، وثــــالث الحرمين الشريفين، ومسرى محمد ﷺ ، فهو من المقدسات التي يجب أن ينفـر المسلمـــون خفـافـــا وثقـالا لتحريره، فلا يضعوا السلاح، ولا يقعدوا عن الجهـــاد، حتى يعـــود إلى كنف الإســـلام والمسلمين طاهرا نقيا محررا.

لقد أصـدر علماء المسلمين من شتى أنحاء العالم الإسلامي أكثر من اثنتي عشرة فتوى منـذ عام ١٩٣٥ حتى اليـوم، حـرموا فيهـا الصلح مع اليهود، وحذروا من الاعتراف لهم بشبر من أرض فلسطين، وبينـوا أن الجهـاد هـو السبيل الوحيـد لتحريـرها، وأنـه ليس لشخص أو جهـة أن تقـر اليهـود على أرض فلسطين، أو تتنازل لهم عن أي جزء منها، أو تعترف لهم بأي حق فيــــها، وأكــــدوا أن الاعـــتراف بدولــــة إسرائيل خيـانـــة للـه ولـلـــرســـــول ﷺ وللأمانة التي وُكِل إلى المسلمين المحافظـة عليها. ولـذلك كان الحاج أمين الحسيني رائد المجاهـدين الفلسطينيين يقول في أواخـر أيام حياتـه: (إياكم والصلح مع اليهود)، عليكم أعباء الجهاد، وطالت أيام المحن والشدائد).

وإذا كانت الظروف الـدولية الصعبة التي تعيشـها أمتنا قد أدت بنا إلى هذا الحل الخانع الـذليل، فينبغي أن يبقى محفـورا في ذاكـرة الأجيال المسلمة: أنه حل ذليل باطل مرفوض، لا يمكن أن تقبله الأجيال المسلمـة الصاعدة، ولابد أن يأتي اليوم الـذي تنشق فيه الأرض المسلمة عن (صلاح الـدين) يلم شعث الأمة، ويـرص صفها، ويحيي أمـر دينها، ويـرفع رايتها الأصيلة: راية (لا إلـه إلا الله)، ويدفع بها بنيانا متراصا يحرر به بيت المقدس، كما حرره من قبل من الصليبيين.

أمــا المطبلـون والمزمّـــرون لمشروع الـذل المخـزي، فما أجـد وصفـا يليق بهم أبلغ من قول الشـاعر:

من يهن يسـهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام ■

[١/٢]

التأمين التجاري في ميزان الفقه المعاصر

من القضايا الاقتصادية المعاصرة التي تناولها الفقهاء بالبحث والدرس، التأمين التجاري، وقد اختلفت الآراء حول مشروعية هذا التأمين، فمنها ما يذهب إلى أنه لا بأس به شرعا، وأن في تراثنا الفقهي صورا من المعاملات المالية يمكن الاستئناس بها في الحكم عليه، فضلا عما تفرضه ظروف العصر من جواز إباحة هذا التأمين، على الرغم مما قد يشوبه من الغرر والمخاطرة.

ومن تلك الآراء ما يذهب إلى أن التأمين التجاري غير جائز شرعا، وأنه في جوهره لا يختلف عن المغامرة، وأن الذين قالوا بغير ذلك لا تسلم أدلتهم من النقض، وإن حجة الضرورة لا سبيل إلى الأخذ بها، لأنه لا توجد ضرورة تبيح الأعضاء عما يخالط عقد هذا التأمين من شبهات وتقضي عليه بالحرمة.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات والأبحاث التي كتبت في هذا الموضوع لم يصل أهل الذكر إلى رأي حاسم وقول فصل فيه.

وهذه دراسة موجزة في موضوع التأمين تعرض له من الناحية القانونية والشرعية في إجمال، وتحاول أن تقدم تصورا لنظام تأميني يحقق رسالة التأمين، دون الوقوع في شبهات أو محرمات..

بقلم: أ. د. محمد الدسوقي*

يعد التأمين بقوانينه وأنواعه المعروفة الآن من المعاملات التي ذاعت في المجتمعات الرأسمالية في العصر الحديث، ولكن نظرية التأمين في نظر فقهائه والداعين إليه، وهي حماية الشخص من الخسائر المالية التي قد يتعرض لها بسبب حدوث خطر ما - لها جذور تمتد إلى الماضي البعيد، وقد نمت هذه النظرية وتطورت على مر السنين حتى وصلت بالتأمين إلى ما وصلت إليه في الوقت الحاضر (١).

وحماية الشخص من الآثار المالية للأخطار والأضرار التي يتعرض لها تكون - كما يذهب فقهاء التأمين - بتوزيع تلك الآثار على مجموعة من الأفراد بدلا من أن يترك من حلت به كارثة ما، يتحمل وحده نتائجها، والوسيلة إلى ذلك هي إيجاد رصيد مشترك يساهم فيه من يتعرض لخطر معين، ومن هذا الرصيد المشترك يعوض من تحقق الخطر بالنسبة له.

أنواع التأمين

ويرى فقهاء التأمين أن تلك النظرية يمكن أن تطبق بواحد من طريقين:

الأول: تعاوني، والثاني: تجاري.

ويتمثل الأول في جماعة إنشاء شركة تعاونية للتأمين يجمع كل عضو فيها بين صفة المؤمن والمستأمن، ويدفع كل مشترك مبلغا من المال كل عام، يختلف من عام إلى آخر، طوعا لحاجة الشركة إلى الأموال التي تلزم لتعويض الخطر طول العام، ولا يسعى أي شريك من الشركاء إلى جر مغنم من اشتراكه.

وأما الثاني فهو الذي تقوم به الشركات التجارية المساهمة، ويختلف عن التأمين التعاوني في أنه لا وجود فيه للغرض الاجتماعي وأن المستأمن ليس شريكا في هذا النوع من التأمين، وإنما الشركاء هم المساهمون الذين يقتسمون ما تحققه الشركة من أرباح، والمستأمن ليس سوى عاقد ملزم بدفع قسط ثابت في ميعاد محدد، في مقابل قيام الشركة بدفع مبلغ التأمين المنصوص عليه في العقد عند وقوع الخطر المؤمن منه (٢).

والجدير بالإشارة إليه أن كلا من هذين النوعين من التأمين بمفهومهما القانوني الوضعي أجنبي النشأة وأن النظام التعاوني أقدم من النظام التجاري، وذلك أن نظرية التأمين كما أومأت إلى هذا آنفا، لها جذور تمتد إلى الماضي البعيد، والتأمين من حيث نظريته ضرب من التكافل بين الناس، ومن ثم عرف التأمين التعاوني قبل التأمين التجاري بمئات السنين.

وأقدم أنواع التأمين التجاري - وهو التأمين البحري - لم يظهر إلا في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، ولم توضع له تشريعات وقوانين إلا بعد الثلث الأول من القرن الخامس عشر، ثم جدت بعد ذلك أنواع شتى من التأمين التجاري، أحدثها تأمين الطيران.

وقد شهد القرن الماضي زحف التأمين التجاري إلى العالم الإسلامي، تحركه بواعث السيطرة والاستغلال، وتمكن له ولغيره من الشركات التجارية قوى الاستعمار والاحتلال، وعملت الدعاية الرأسمالية اليهودية عن طريق النشر والتأليف على صبغ التأمين التجاري بصبغة العمل التعاوني الإسلامي، وعلى الحيلولة دون ظهور التأمين التعاوني بمفهومه القانوني في المجتمع

* أستاذ الفقه والأصول بكلية الشريعة - جامعة قطر

الإسلامي، فذلك التأمين يحقق ما لا يحققه التأمين التعاوني في مجال الحياة الاجتماعية والاقتصادية في رأي فقهاء التأمين.

التأمين التعاوني جائز

ولا خلاف في جواز التأمين شرعا إذا كان عملا تعاونيا خالصا، فهو في هذه الحالة يكون تكافلا بين الناس، والشريعة الغراء لا تضيق بأي لون من ألوان التكافل المشروع بين أفراد المجتمع، بل هي قد جعلت هذا التكافل أمرا مفروضا، وأكدت أن الفردية أو السلبية، ليست من خلال المؤمنين، فالمؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

ولكن الخلاف في جواز التأمين التجاري شرعا، فقد تباينت آراء الفقهاء المحدثين والمعاصرين في هذا اللون من التأمين، ويجدر قبل ذكر طرف من هذه الآراء أن أعرض بشيء من التفصيل للحديث عن هذا التأمين كما جاء في كتب القانون.

التأمين التجاري

لم يتفق فقهاء التأمين (٣) على تعريف للتأمين التجاري، بحجة أنه نظام غير مستقر، وأن أي تعريف له لن يكون جامعا مانعا، بيد أنهم يذهبون إلى أن هذا التأمين يسمى فن التضامن أو التعاون، لأن الفكرة الأساسية فيه كما يرى هؤلاء الفقهاء هي التعاون بين المستأمنين، وليست وظيفة المؤمن أو الشركة إلا الإشراف على هذا التعاون وتنظيمه عن طريق المقاصة بين المخاطر، وتوزيع نتائجها على أكبر عدد من الأشخاص، مع الاستعانة في ذلك بحساب الاحتمالات وفن الإحصاء، ومن ثم يؤكدون بأن التأمين التجاري إذا كان مجرد علاقة بين المؤمن والمستأمن، فإنه لا يكون تأمينا بالمعنى الفني ويكون أشبه برهان أو مقامرة.

ويذكر فقهاء التأمين لعقد التأمين التجاري عدة خصائص منها أنه عقد احتمالي أو عقد من عقود الغرر لأنه ينبني على احتمال وقوع الخطر المؤمن منه، وبذلك يتحقق احتمال المكسب والخسارة بالنسبة للطرفين، فإذا وقع الحادث المؤمن منه، ولم يكن المستأمن قد دفع إلا عددا قليلا من الأقساط فإنه يربح حيث يخسر المؤمن وإذا حصل العكس، وتخلف الحادث المؤمن منه فإن المستأمن يكون قد وفى بالأقساط كلها دون الحصول على مقابل لما دفعه، وبهذا يطرد مركز المؤمن إطرادا عكسيا مع مركز المستأمن فيخسر الأول حيث يربح الأخير والعكس بالعكس (٤).

فالمصادفة إذن لها أثر واضح في التزام كل من المستأمن والمؤمن، لأن وقوع الخطر أو تاريخ وقوعه أمر مجهول لكليهما، ولذا كان عقد التأمين التجاري عقدا احتماليا، أو عقدا من عقود الغرر.

ولما كان التأمين التجاري عقدا احتماليا، والعقود الاحتمالية كلها من عقود المعاوضات سواء أتحقق الخطر أم لم يتحقق، فعقد هذا التأمين يعد دائما من عقود المعارضة (٥)، إذ ليس لنية التبرع نصيب فيه.

ولا خلاف في أن عقد التأمين التجاري عقد إذعان (٦) وعقد الإذعان هو العقد الذي يكون فيه أحد المتعاقدين مضطرا إلى أن يقبل الشروط التي وضعها الطرف الآخر دون مناقشة أو تعديل، وإنما كان هذا العقد عقد إذعان وبخاصة من جانب المستأمن، لأن شركات التأمين تتمتع بمركز اقتصادي قوي، وفي وسعها أن تفرض على جمهور المستأمنين من الشروط ما تراه محققا لمصالحها.

ونظرا لهذا تدخل الشارع في مختلف الدول، حماية للمستأمن، بنصوص آمرة تنظم عقد التأمين على نحو يحقق بين طرفيه المساواة التي أدت ظروفها الاقتصادية إلى اختلالها (٧).

وفضلا عن خصيصة الإذعان والغرر في عقد التأمين التجاري فإن من خصائصه أيضا أنه عقد من عقود حسن النية، بمعنى أن كلا من طرفي التعاقد يجب ألا يخفي على الطرف الآخر أي بيانات جوهرية، وأن على المستأمن خاصة أن يكون صادقا فيما يدلي به من معلومات عن الخطر، وأن يحافظ على الشيء المؤمن عليه، كما لو كان غير مؤمن عليه (٨).

ومن خصائص هذا العقد أيضا أنه ملزم للطرفين أو عقد تبادلي، فالمستأمن ملزم بدفع القسط، والمؤمن ملزم بدفع مبلغ التأمين، أو بتعويض الضرر عند تحقق الخطر، فعقد التأمين طوعا لهذا ينشىء التزامات متقابلة في ذمة كل من المتعاقدين، ويعد عقدا ملزما للجانبين.

ولأن نظام التأمين التجاري تقوم به شركات مساهمة بقصد الربح، كان عقد هذا التأمين عقدا تجاريا، ولذلك تحمل شركات التأمين القسط الذي يدفعه المستأمن أعباء مختلفة كمصاريف الإدارة وأجور السماسرة، وكل ما يتصل بسير أمور الشركة، ويحقق لها أكبر عائد من الربح، ولعل هذا يفسر سبب إقبال أصحاب رءوس الأموال على تثمير أموالهم في ميدان التأمين لما يدره من ربح وفير.

أقوال الفقهاء في التأمين التجاري

هذه أهم خصائص عقد التأمين التجاري، وتلك أصوله الفنية، كما وردت في كتب فقهائه، فما موقف الرأي الفقهي من هذا التأمين؟

إن العالم الإسلامي لم يعرف التأمين إلا في القرن الماضي، فضلا عن أن أقدم أنواعه كما أومأت إلى هذا فيما سبق لم يعرف إلا في منتصف القرن الرابع عشر، ومعنى هذا أن التأمين التجاري لم يدرك في صورته الأولى عهد التشريع الإسلامي، ولا عصور الأئمة من الفقهاء، بل لم يكن قريبا من هذه العصور.

ويعد الإمام ابن عابدين (٩) أقدم فقيه تحدث عن التأمين، ولم يتحدث إلا عن التأمين البحري، لأنه كان أول نوع من أنواع التأمين ظهر في البلاد الإسلامية، وقد تحدث عنه في الجزء الثالث (١٠) من حاشيته، كما أشار إليه في رسالته وأجوبة محققة عن أسئلة مفرقة (١١).

وقد انتهى ابن عابدين إلى حرمة التأمين البحري لأنه التزام ما لا يلزم، ولأنه ليس صورة من صور الكفالة الجائزة شرعا، وهو من ثم عقد فاسد لا يجوز الإقدام عليه في دار الإسلام.

ونسبت إلى الإمام محمد عبده (١٢) فتوى جوز فيها التأمين على الحياة، لأنه - كما يرى - من قبيل شركة المضاربة، وهي جائزة شرعا وهذه الفتوى صادرة بتاريخ ٩ صفر سنة ١٣١٩هـ (١٢)

وكثرت بعد ذلك آراء الفقهاء والباحثين في

التأمين التجاري

التأمين، وبخاصة في العقود الثلاثة الأخيرة، فقد صدرت عنه مؤلفات وبحوث ومقالات، كما عرض له الباحثون بالدراسة من الناحية الشرعية في أكثر من ندوة أو مؤتمر.

ولكن على الرغم من كثرة تلك الآراء التي قال بها الفقهاء في التأمين، لم يصل هؤلاء الفقهاء إلى رأي حاسم في هذا الموضوع، فقد تفاوتت آراؤهم تفاوتا واضحا، حيث ذهب بعضها إلى جواز التأمين شرعا، على حين ذهب بعضها الآخر إلى أن التأمين التجاري غير جائز شرعا، ولا سبيل لعرض كل هذه الآراء ومناقشتها، وسأذكر فيما يلي أهم الأدلة التي عول عليها من ذهبوا إلى القول بجواز التأمين شرعا، ثم أتناولها في إيجاز بالتحليل والمناقشة.

وأما هذه الأدلة فهي في إجمال:

١ – التأمين التجاري نظام تعاوني إنساني.

٢ – الغرر في عقد التأمين لا يفسد العقد.

٣ – يشبه التأمين بعض صور المعاملات المشروعة.

٤ – مصلحة المجتمع وحاجة الناس.

إذا كان فقهاء التأمين يرون أن أهم العناصر الفنية للتأمين هو أنه نظام تعاوني، فإن بعض فقهاء الشريعة يرون أيضا أن هذا التأمين نظام تعاوني وأن التعاون في الشريعة الإسلامية أمر مطلوب ومرغوب، ومن ثم فإن التأمين التجاري يكون بقيامه على التعاون جائزا شرعا، فهل حقيقة يعد هذا التأمين نظاما تعاونيا، وهل وظيفة شركات التأمين تنحصر في تنظيم التعاون بين المستأمنين؟ وأنها من أجل ذلك تحصل على جزء من الأرباح التي تأتي عن طريق استثمار أموال من يؤمنون على أنفسهم أو أموالهم.

يقول فقهاء التأمين إن عقد التأمين التجاري عقد ملزم للطرفين وأن القسط الذي يدفعه المستأمن يقوم مقام الأجرة في الإجارة، فهو ثمن الأمان، وعقد التأمين تبعا لذلك عقد تبادلي وإذعان، كما أنه أيضا عقد معاوضة وعقد احتمالي (١٤) فأين مجال التعاون في هذه العملية، إن قالوا: إن تجمع عدد كبير من المستأمنين لدى الشركة يؤدي إلى التعاون عن طريق المقاصة بين الأخطار وإن لم يشعر بهذا المستأمنون أنفسهم ولم يعرف بعضهم بعضا، ولم يكن في نية أحدهم أن يتبرع بما يدفعه، رد عليهم بأن الشركة إذا اجتمع لديها عدد كبير من المستأمنين كان ذلك في صالحها وحقق لها أرباحا طائلة، ولكن ذلك لا يعني أن وظيفة المؤمن منحصرة في تنظيم التعاون بين المستأمنين، لأن ما يدفعه المستأمن يصبح ملكا للشركة تتصرف فيه بما يعود عليها بالمصلحة، وأيضا لأن خصائص عقد التأمين كما تحدث عنها فقهاؤه توضح بجلاء أن هذا العقد لا مجال للتعاون فيه فهم في الواقع يناقضون أنفسهم، لأنهم يرون أن هذا العقد إن حقق ربحا للمستأمن حقق خسارة للمؤمن والعكس بالعكس (١٥).

ويقولون كذلك إن هذا العقد عقد معاوضة يقوم فيه القسط مقام الأجرة في الإجارة أو الثمن في البيع ثم بعد هذا يذهبون إلى أنه نظام تعاوني إنساني، ولا أدري كيف يدور هذا العقد بين الربح والخسارة بالنسبة للطرفين ويصدق عليه في الوقت نفسه أنه عقد تعاوني؟ ثم إن تدخل المشرع في بعض الدول لحماية الطرف المذعن الذي يوقع على عقد مطبوع – وهو المستأمن – من الطرف القوي وهو المؤمن دليل على أن هذا العقد لا يدخله التعاون وعلى أن علاقة المؤمن بالمستأمن هي علاقة تاجر بعميل وليست علاقة منظمة للتعاون بفرد من أفراد الجماعة المتعاونة كما يذهب فقهاء التأمين.

يقول أحد علماء الاقتصاد (١٦) المعاصرين في أمريكا: «فشركة التأمين ليست مشروعا تعاونيا، لأن الشركات المساهمة في التأمين تعمل على كسب فوائد لحملة أسهمها، ولأن شركات التأمين المساهمة ليست ملكا لمن يديرون سياستها» والتأمين التجاري تبعا لهذا الرأي لا يصدق عليه أنه نظام تعاوني، فالمساهمون يقبلون عليه لتثمير أموالهم وهم يسيطرون على شركات التأمين ويديرونها بما يحقق لهم الربح الوفير والمستأمنون لا علاقة لهم بإدارة الشركة ولا يملكون سهما من أسهمها وعليهم دفع الأقساط في مواعيد محددة في مقابل دفع مبلغ التأمين إذا تحقق الخطر المؤمن منه طوعا لقواعد ومبادىء فرضتها الشركة وهي في صالحها بوجه عام.

ولو كان الأمر كما يذهب هؤلاء الفقهاء من أن التأمين التجاري قائم على التعاون ما دعا المفكرون وعلماء (١٧) الاقتصاد في أوروبا وأمريكا إلى الأخذ بالتأمين التعاوني دون التأمين التجاري وما ذلك إلا لإيمانهم بأن التأمين له وظيفته الاجتماعية، ورسالته الإنسانية، فلا يصح أن يكون مصدرا من مصادر الكسب والعيش لطائفة من الناس فضلا عن أن هذا اللون من التأمين يمثل خطرا اقتصاديا على الدولة، لأن شركاته تسيطر على مدخرات وفيرة فإذا تركت هذه المدخرات لفئة لا يحركها غير الربح والمصلحة الفردية فإنها تستثمرها بما تراه محققا لمصالحها دون تقدير لظروف المجتمع وحاجته، ومن هنا تؤمم شركات التأمين في الدول التي تحرص على اقتصادها وتحقيق عدالة اجتماعية بين أفرادها، وبخاصة إذا كانت هذه الدول متخلفة اقتصاديا (١٨).

على أن في القول بأن التأمين التجاري قائم على التعاون وأن التأمين التعاوني لم يحقق نجاحا في المجالات الاقتصادية – تناقضا لأنه ما دام التعاون هو القاسم المشترك بين النظامين، فلماذا لزم التأمين التعاوني الاخفاق – كما يقولون – دون التأمين التجاري، أم أن الرغبة في إعطاء هذا صبغة العمل الاجتماعي الإنساني هي التي أوحت باضفاء صفة التعاون عليه ونفي صلاحية التأمين التعاوني في مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية؟!

إن من المعروف تاريخيا أن التأمين بدأ تعاونيا، ثم تحول على أيدي اليهود وتجار

■ لم يصل أهل الذكر إلى رأي حاسم في التأمين، على الرغم من كثرة الدراسات والأبحاث التي كتبت فيه

■ أقدم أنواع التأمين التجاري - وهو التأمين البحري - لم يظهر إلا في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي

النقود إلى نظام تجاري، وليس ببعيد أن تكون الدعايات اليهودية والرأسمالية قد سعت عن طريق النشر والتأليف إلى صبغ التأمين التجاري بصبغة العمل التعاوني الإنساني، وبمرور الزمن ثبتت هذه الفكرة في الأذهان وروج لها كثير من رجال القانون، ومع هذا أكد علماء الاقتصاد في دولة رأسمالية كأمريكا (١٩) أن التأمين التجاري لا يقوم على التعاون، وأنه يعرض الحياة الاقتصادية لخطر شديد، وأن التأمين التعاوني على خلاف ما يذهب فقهاء التأمين التجاري، لأنه يحقق في الحياة الاقتصادية منع الاحتكار المالي، ويحمي أموال الناس من أن تستغلها فئة خاصة، وهو بالإضافة إلى هذا يحقق فكرة التأمين على أحسن وجه وأشرف غاية.

لا يقوم التأمين التجاري إذن على التعاون كما يذهب فقهاء التأمين وبعض فقهاء الشريعة، فهل الغرر في عقد هذا التأمين لا يفسد العقد لأنه غرر يسير يمكن التجاوز عنه؟

إن عقد التأمين لما كان عقدا احتماليا ولا يستطيع فيه كل من المتعاقدين أو أحدهما وقت العقد معرفة مدى ما يعطي أو يأخذ، وفقا لأمر غير محقق الحصول أصلا، أو معروف وقت حصوله، إن حصل، ولما كانت العقود الاحتمالية كلها من عقود المعاوضات فإن عقد التأمين عقد معاوضة مالية صرفة لا تبرع فيه ولاهبة يضاف إلى هذا أن الحادث في التأمين إذا تخلف ضاع على المستأمن ما دفعه من أقساط اللهم إلا في بعض ألوان التأمين على الحياة وأنه قد يحدث العكس فيقع الحادث ولما يسدد المستأمن إلا قسطا أو قسطين مثلا فيحصل على مبلغ التأمين (ألف دينار أو أكثر أحيانا) على حين لم يدفع إلا نحو عشرة دنانير فقط، وهكذا يطرد مركز المؤمن اطرادا عكسيا مع مركز المستأمن فيخسر الأول حيث يربح الأخير والعكس بالعكس.لهذا كله كان عقد التأمين عقد غرر، وكان الغرر فيه منهيا عنه، لأنه غرر كثير حيث تلعب المصادفة دورا في التزام كل من المؤمن والمستأمن، فوقوع الخطر أو تاريخ وقوعه أمران مجهولان لهما فكلاهما إذن معرض للربح والخسارة على أساس احتمالي وعلى غير نسبة معقولة ومن هنا كان الغرر في التأمين فاحشا يفسد العقد.

وإذا كان بعض الباحثين (٢٠) قد ذهب إلى أن التأمين التجاري أصبح اليوم ضرورة اجتماعية واقتصادية هامة، وأن الإمام مالكا قد قال بجواز الغرر في العقد (٢١) - وإن كثر - إذا دعت إليه ضرورة وكان معاوضة مالية ومادام التأمين التجاري عقد معاوضة مالية، وهو ضرورة يجوز أن يدخله الغرر كثيرا كان أو قليلا أخذا برأي الإمام مالك، إذا كان بعض الباحثين قد ذهب إلى هذا الرأي فإن التأمين التجاري ليس ضرورة لا سبيل إلا إليها، وإذا لم تأخذ به المجتمعات الآن نجم عن ذلك ضرر جسيم للحياة الاجتماعية والاقتصادية فقد اسلفت أن الدول الرأسمالية - وهي الدول التي ينتشر فيها التأمين التجاري - قد ألفت أن هذا النظام ليس أمراً ضروريا يجب الحفاظ عليه والتمسك به بل على العكس نزعت إلى الأخذ بالنظام التعاوني ومحاربة ذلك النظام، واعتباره مصدر خطر على اقتصاد الأمة. □

يتبع

الهوامش:

١) انظر: التأمين على الحياة، للدكتور عبدالودود يحيى، ص ٣ ط. القاهرة.

٢) انظر: شرح القانون المدني المصري الجديد في التأمين للدكتور/ محمد علي عرفة، ص ١٢، ط. جامعة القاهرة.

٣) انظر: التأمين في القانون المصري للدكتور/ عبدالمنعم البدراوي ص ١٣، ط. القاهرة، ومن هذه التعريفات: التأمين عقد يلتزم المؤمن بمقتضاه أن يؤدي إلى المؤمن له أو إلى المستفيد الذي اشترط التأمين لصالحه مبلغا من المال أو إيراداً مرتبا أو أي عوض مالي آخر في حالة وقوع الحادث أو تحقق الخطر المبين بالعقد، وذلك في نظير قسط أو أي دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له للمؤمن.

٤) انظر: شرح القانون المدني الجديد في التأمين للدكتور/ محمد علي عرفة، ص ١٠٠، ط. القاهرة

٥) انظر: التأمين في القانون المصري، ص ١٠٩.

٦) انظر: عقود الإذعان في القانون المصري للدكتور/ عبدالمنعم الصدة، ص ٢١٤ ط. القاهرة.

٧) انظر: دروس في التأمين للدكتور/ جمال زكي، ص٦٦، ط. القاهرة.

٨) مذكرات في التأمين للدكتور/ مقبل جميعي، ص ٦٣ ط. آلة كاتبة.

٩) هو محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز عابدين الدمشقي، ولد سنة ١١٩٨هـ = ١٧٨٤م، وتوفى سنة ١٢٥٢هـ = ١٨٣٦م، كان فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره، له آثار علمية كثيرة، من أهمها رد المحتار المعروف بحاشية ابن عابدين في خمسة مجلدات ورسائل ابن عابدين (الإعلام للزركلي).

١٠) ص ٢٧٣.

١١) جـ٢ ص ١٦٦.

١٢) هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله ولد سنة ١٢٦٦هـ = ١٨٤٩م، في إحدى قرى محافظة الغربية بمصر، وتوفي بالاسكندرية سنة ١٣٢٣هـ = ١٩٠٥م، يعد من كبار رجال الإصلاح والتجديد في العصر الحديث، ومن مؤلفاته (رسالة التوحيد) و (الإسلام والنصرانية) و (تفسير جزء عم) (الإمام محمد عبده لعباس محمود العقاد).

١٣) نشرت هذه الفترى في مجلة المحاماة، السنة الخامسة، رقم ٤٦٠ ص ٥٦٣. كما نشرت في العدد التاسع من المجلد الأول من مجلة نور الإسلام، وهي المجلة التي كانت تصدرها مشيخة الأزهر، وكانت تسمى في أول صدورها بهذا الاسم، ثم أطلق عليها بعد ذلك (مجلة الأزهر).

١٤) التأمين في القانون المصري، ص١١٣.

١٥) انظر: شرح القانون المدني الجديد في التأمين، ص٩٩.

١٦) هو (جيري فورهيس) في كتابه (فلسفة النظام التعاوني في المجتمعات الحديثة)، ترجمة عمر القباني، ص ٣٠ ط. القاهرة.

١٧) انظر: فلسفة النظام التعاوني، ص ١٧٥.

١٨) النظرية العامة لكينز للدكتور جمال الدين سعيد، ص ٥٠٤، ط. لجنة البيان العربي.

١٩) انظر فلسفة النظام التعاوني، ص ٣٠.

٢٠) انظر: الوسيط في شرح القانون المدني الدكتور/ عبدالرزاق السنهوري، جـ ٧ ص ١٠٨٩.

٢١) انظر بداية المجتهد للإمام ابن رشد، جـ ٢ ص ١٣٠.

﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ [الانفال:٣٠].

يكشف الرجل عن طبيعته بنوع اختياره؛ فإذا عرض عليه: هل تريد حملا خفيفا أم تريد ظهرا قويا؟ فإذا اختار الظهر القوي، كنت أمام همة ترمي بصاحبها إلى بعيد، إلى ما وراء النجوم. وقد يتغامز من حوله التافهون، ساخرين من رجل يختار المركب الصعب، وكان في إمكانه أن يسلك الطريق الممهود. ويستخف الرأي الفطين الجماهير المخدوعة، فإذا هم كما وصفهم ربهم: ﴿إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين. وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون﴾ [المطففين:٣٢].

وإن تعجب فعجب أن يسخر المجرمون ممن؟ من المؤمنين، والضالون من المهتدين!! فيسخرون منهم، سخر الله منهم.

ومن أبرز مواطن السخرية من المجرمين، الضالين، حادث الهجرة.. عندما بلغ أملهم في الإجهاز على الدعوة منتهاه، وفي نفس اللحظة ضاع الأمل، وحبط العمل: ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ [المطففين:٣٤].

الهجرة بين الأمل والعمل

بقلم: د. محمود محمد عمارة

والآية الكريمة التي نحن بصدد فهمها ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ مسبوقة مباشرة بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾ [الانفال:٢٩].

فهذا وعد من الحق تعالى بنصر أوليائه، نفسيا: برؤية الحق حقا، والباطل باطلا، ثم بتكفير السيئات وغفران الذنوب، من لدن صاحب الفضل العظيم سبحانه وتعالى، والذي يعدهم بهذا الفضل للفوز في كل المعارك.

ثم جاءت آية اليوم كمعرض من معارض الفضل العظيم، من واهبه سبحانه: عندما أحبط مكر الماكرين، خير الماكرين.

فكيف تم ذلك؟

تقول كتب السيرة، سيرة ابن هشام: اجتمع الملأ من قريش في دار الندوة لاتخاذ قرار حاسم بشأن محمد ﷺ. وإذا هم بشيخ جليل لدى الباب. فسألوه من أنت: قال: شيخ من نجد . سمعت بما اتعدتم عليه. فحضرت لأسمع ما تقولون. وعسى ألا تعدموا مني رأيا ونصحا.

وعلى مرأى ومسمع من الشيخ قال بعضهم بشأن محمد ﷺ: أحسبوه في الحديد. وأغلقوا عليه بابا. ثم تربصوا به ريب المنون كإخوة له من قبل. وهنا قال الشيخ الضيف وهو أبليس الملعون: لا والله. ما هذا لكم برأي. وعلل رفضه بما يعلمه من شعبيته ﷺ التي سوف تعلن عن نفسها من خلال رجاله الذين سوف يحطمون القيود، وينتزعونه منكم، فانظروا غير هذا الرأي.

فقال آخرون: نخرجه من ديارنا، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين خرج. فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم بالرأي، ألم تروا حسن حديثه. وحلاوة منطقة. وغلبته على عقول الرجال بما يأتي به؟. دبروا فيه أمرا غير هذا. وتولى أبوجهل – فرعون هذه الأمة – كبر اقتراح قتله، الذي راق أبليس، فصفق للفكرة التي جاء من أجلها، لكنه لم يفصح عنها حتى لا ينكشف أمره. وفعلا قرروا قتله.

ولكن الحق تعالى أعلمه بما دبر القوم، فقرر الهجرة. وأمر المسلمين بها، وبينما (برلمان أبليس) مايزال مجتمعا، وفي الوقت الذي فشل فيه المجلس في اتخاذ القرار مرتين، فطال، وطال، كان محمد ﷺ قد خرج من داره فعلا، وخيب الله تعالى مسعاهم، وانتصر المكر الخير على المكر السيء.

وعلى هذا الانتصار مزيد من سخرية لاذعة، تمثلت في حسبانهم عليا النائم على الفراش حسبانهم أنه الرسول ﷺ. ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾.

عصا الجبان

لابد من وقفة نكشف بها عن خبيئة القوم، القوم الذين ظنوا أنهم في أقوى قوتهم والحق في أضعف ضعفه، يمسكون بالمنشار، والمسلم لعبة في أيديهم، ولقد كانوا واهمين:

إذ إنهم عندئذ كانوا من الضعف، بل من الهوان في القاع: إنهم لم يقترحوا فكرة القتل أولا، فلم يكن للجبان أن تطيعه نفسه بمنازلة من يعتقد في قرارة نفسه أنه أقوى منه.

وحتى لما طرحت فكرة القتل، لم يجرؤ فرعون هذه الأمة أن يتحمل كبرها وحده، أو يسلط من شاء لينفذ الخطة، وإنما كانت فكرة الجبان الذي يحاول أن يجمع أطراف شجاعته المهلهلة (ليضرب ضربة واحدة لا يقدر على غيرها، يضرب بها في ظلمة الليل فيكون فيها نجاته أو مماته) لقد اقترح اشتراك القبائل كلها في قتل رجل واحد فقط، هو محمد صلى الله عليه وسلم وهو إذن في حس أبي جهل أكبر من هذه القبائل جميعا، فضلا عن هؤلاء المجتمعين في برلمان أبليس، والذي اجتمعت فيه الأنس والجن، ولم يتمكنوا من تنفيذ الخطة المدبرة.

لم يفعلوا ولن يفعلوا

ولك أن تتصور المتآمرين خمسين، مثلا إذن، فكل واحد منهم يعتقد أن محمدا أقوى منه، فلم يكونوا عندئذ خمسين إزاء واحد، بل كانت نفوسهم تقف جندا لحساب الرسول، فكان هو الخمسين وكانوا هم الأصفار، الذين تدارك علمهم في الآخرة، واليوم تدارك منهم الإرادة، فلا تقدر على أن تتخذ القرار.

ألم تر إلى مغزى هذه الاقتراحات كلها؟ لم يكن فيها اقتراح واحد، يتحمله مقاتل شريف يواجه مباشرة من يتخذه عدوا، وإنما هي المناورة، ومن بعيد، إنه الجبان، الذي يحارب كما يقولون، بالعصا الطويلة، فنفسه الهالعة الجازعة تفرض عليه أن يكون من عدوه بعيدا، لتنوب عنه عصاه في مناوشته، وهو في مأمن منه، حتى إذا حانت لحظة الهرب كانت هناك مسافة تمكنه من الفرار قبل أن تطول يد عدوه.

ولكن الشجاع يقاتل. ولو بالعصا القصيرة، بالسيف القصير، حتى إذا واجه عدوه، أطال سيفه بخطوة يتقدم بها نحوه، أي أن الشجاعة هو الذي ينوب عن سيفه في منازلة عدوه، الذي سوف يفر من أمام رجل حريص على الموت فتوهب له الحياة، بينما الجبان يموت في جلده قبل أن يموت فعلا!

سقوط حكومة الظل

لم تطل فرحة أبي جهل، فقد اغتالت المفاجأة هذه الفرحة، وطعن في لية عرسه. وأما أبليس فقد مكر، ومكر الله تعالى، والله خير الماكرين، مكر أبليس حين حبك الخطة تماما، فقد استعار وقار الشيوخ لعله بالوقار المزيف أن يحقق مأربه، ثم رشح الاستعارة بسيماء رجل عربي، من نجد، فلعل الجنس أن يميل إلى جنسه، فتنجح الخطة، ومع أنه جاء بحمل فكرة القتل ابتداء، إلا أنه لم يطرحها، حتى لا يثير الظنون، كما أسلفنا.



■يكشف الرجل عن طبيعته بنوع اختياره، ولا يحمل الأمانة إلا رجل المهمات



وهكذا يختفي الإعلام المعادي، خلف القناع المزيف، ومن ورائه يحرك خيوط العرائس، على خشبة المسرح، وقد يحقق نجاحا، في مجتمع من جنسه وعلى مذهبه، أما محمد ﷺ والذين آمنوا معه فالأمر على ما قال سبحانه وتعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر:٤٢].

أجل قد يتناجى المجرمون بالأثم والعدوان وقتل الرسول، وقد يحققون يوما، نصرا وقتيا، تتطاير فيه الرءوس.

ولكن تبقى من المؤمنين النفوس، تتحطم منهم العظام، ويبقى الإيمان شاهدا على قدرة المؤمن وفي لحظة ضعفه - أن يهزم عدوه بينما هو في أوج انبهاره.

يا من رأى عمرا تكسوه بردته
والزيت أدم له والكوخ مأواه
يهتز كسرى على كرسيه فرقا
من بأسه وملوك الروم تخشاه

الموقف على الجبهة الإسلامية

عندما قال الله تعالى ﴿ويمكرون..﴾ لم يقل فيمكر الله، بالفاء، وإنما قال سبحانه ﴿ويمكر الله﴾ بالواو. وهذا يعني: أنهم، وفي ذات اللحظة التي يمكرون فيها كانوا في قبضة القوة الأعلى: يمكرون حالة مكر الله تعالى بهم.

فهم واقعون تحت سلطانه، وإذا بدا لهم أنهم يتصرفون بحرية، فإنما هي حرية الصخرة التي يسوقها السيل أمامه من قمة الجبل، تظن أنها تقوده بينما هو الذي يدحرجها؟.

وهذا هو الذي حدث بالفعل: فبينما الاجتماع مايزال منعقدا، ومداد الاتفاقية لم يجف، إذا بمحمد ﷺ يضربهم بحفنة من التراب تعميهم، فيقضي على أوهام النجاح الكاذب قبل أن يلعب برءوس الواهمين.

ولئن سعد الظالمون يوما برؤية المعذبين في قبضتهم، فإن المؤمنين سيسعدون اليوم، وإلى الأبد.

حلاوة الانتصار بعد مرارة الاصطبار

أجل كانت سعادة الرسول ﷺ بالنجاة - والمؤمنين معه - تحس، ولا توصف: وهل بقي للظالم من حياته اليوم شيء يبكي عليه؟ لقد كان بينه وبين المظلوم ثلاثة أيام، أمس، وقد مضى، وغدا، ولم يأت بعد.. واليوم .. اليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون..

موكب النصر

ونستمع إلى صوت الأدب الإسلامي يصف لنا موكب النصر: من مقال للشيخ علي الطنطاوي:

أرى موكب محمد:
لا تمشي وراءه الجند..
ولا ترفرف عليه الأعلام..
ولا تدق له الطبول..
ولا يحف به القواد..
ولا يلمع على رأسه التاج.. ولكن:
يضيء على جبينه نور القرآن..

الهجرة
بين الأمل والعمل

وتحف به ملائكة الرحمن..
وتصفق له قلوب الناس..
وتنزل عليه من ربه الرحمات..

وتمشي وراءه القرون: تهتدي بهديه، وتقتبس من نوره.

لقد طلع البدر من ثنيات الوداع، لا عليكن وحولكن يا ولائد المدينة، بل على الدنيا كلها. فبدد عنها غياهب الجهل. وأزاح عنها ظلام الظلم. وأسبغ عليها ثوب الأمن والعدل والخير.

أسباب النصر

لم يأت ذلك النصر المبين من فراغ، وإنما كان: بالأمل والعمل، بالأمل الوثيق في نصر الله والفتح، ثم بالعمل الذي يجعل من هذا الأمل واقعا ملموسا.

العمل الذي يفرض عليك تجاهل نداء غريزة حب الوطن في كيانك، ثم تختار وطن هذه العقيدة: فلا أنساب ولا ألقاب، وكل ما فوق التراب تراب.

الأمل في نصر الله

يقولون: إن ذرة واحدة من الفحم، تجذب أربعا من الإيدروجين، وسوف تظل النسبة ثابتة لا تختل، مهما كثر العدد. وإذا وضعت عشرة من المعادن في مكان، ثم وضعت عليها الزئبق، فسوف تجد الزئبق يعانق الذهب دائما.

ونقول نحن باسم الإيمان: إن هذا اليقين بصدق هذه الظواهر الكونية أعمق منه يقينا قول الله تعالى: (والله خير الماكرين﴾.

وأن سنة الله تعالى: (﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ [فاطر:٤٣]. ثم: ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ومايمكرون إلا بأنفسهم ومايشعرون﴾ [الأنعام:١٢٣]. وعلى أنقاض هؤلاء الماكرين سوف يسحق بناء الحق، وترفرف أعلام الإسلام: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾ [الصافات: ١٧١ -١٧٣]. ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم:٤٧].

ومعنى ذلك: أن ثقة المؤمن بالنصر. في باب اليقين أعمق وأعرق من كل سنن الكون الظاهرة. وفي ضوء هذا اليقين يظل ثابتا مصطبرا، يظل هو البطل الإنسان: الذي ينحني للنسيم، ولكن لا تكسره العاصفة. يؤثر الصدق حيث يضره، على الكذب حيث ينفعه في ظل شعوره هذا العميق بسنة الله تعالى: ﴿والعاقبة للتقوى﴾ [القصص:٨٣].

القائد يبث الأمل في قلوب جنوده

نام علي رضي الله عنه في فراش الرسول ﷺ وهو يعلم أنه قد يدفع حياته ثمنا لهذا التكليف، وعلي رضي الله عنه: بشر، وشاب، فهو إذن يحب الحياة، ولقد أدرك الرسول ﷺ ذلك فبشره بأنهم لن يخلصوا إليه بما يكره. ثم بشر المؤمنين لحظة تكليفهم بالهجرة بأن الله تعالى جاعل لهم فرجا ومخرجا.

وعلى حداء الأمل سار الموكب الميمون، ومع هذا وفوق هذا، ينزل الوحي الأعلى يربط على قلبه ﷺ والمؤمنون معه - ليظل نهر الأمل دافقا بالعطاء. وذلك قوله تعالى: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا﴾ [الاسراء:٨٠].

(وهذا بشارة أخرى أن الله تعالى أذن لرسوله بالهجرة من تلقاء نفسه. لا بإخراج قومه وهو كاره فقال له: قل في دعائك: رب: أدخلني المدينة. دار هجرتي ﴿مدخل صدق﴾ بحيث لا أرى فيها مكروها، وأخرجني من مكة يوم تخرجني ﴿مخرج صدق﴾ غير ملتفت إليها بقلبي شوقا وحنينا إليها، ﴿واجعل لي من لدنك سلطان نصيرا﴾ أي وسلني أن أجعل لك من لدنى سلطانا نصيرا لك على من أرادك بسوء. وكادك بمكر وخديعة. وحاول منعك من إقامة دينك) [تفسير الجزائري].

ولاحظ أن الحق تعالى هو الذي يخاطبه في هذا من الايناس، وبسط النفس مافيه، وأن الذي يخاطبه هو القاهر فوق عباده القادر على تحقيق الأمل، وفيه من الثقة بالنصر مافيه.

تأملات في الآية الكريمة

يلاحظ المفسرون أن الله تعالى قدم الدخول على الخروج في الآية الكريمة ﴿رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق﴾، أولا: تحديا للمشركين بأن تمكينه من الخروج مفروغ منه، ولا يدخل في دائرة الجدل. وثانيا: تلطفا به ﷺ، وتمكينا للأمل في نصر الله والفتح. وثالثا: أن ذلك إعلان مسبق بنجاح الهجرة، وقبل أن تتم، لأن ضمان الدخول يتضمن سلامة الخروج طبعا.

العمل بعد الأمل

كان العمل لإنجاح الهجرة صنو الأمل، لقد فعل المهاجرون والأنصار - كلاهما - أفضل مايليق بهم، ترك المهاجرون أوطانهم وأموالهم، ولم يكن أجمل من المهاجرين في تضحياتهم إلا الأنصار في إيثارهم، والذين جعلوا لهم قلوبهم وطنا، وأموالهم قسمة. وذلك قوله تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون. والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾. ولك أن تأخذ للتضحية مثالا فذا هو: صهيب الرومي كرمز من رموز المهاجرين، ثم تأخذ على الإيثار موقفا واحدا من الأنصار هو: سعيد بن الربيع: لقد لحق المعتدون بصهيب فلما اقترح عليهم أن يترك لهم ماله، قبلوا الاقتراح، وفرحوا بما أوتوا، وكان فرح «صهيب» أعمق وأوسع، لقد فاز بالمبادىء، بينما رجع التافهون بالمبالغ!! وياللهمة، ترمى بصاحبها إلى بعيد، ثم يعلن سعد بن الربيع عن تنازله عن ماله؟ هذا ممكن، عن داره، هذا محتمل؟ لكن الذي لا يتحمل أن يقترح تطليق زوجته لتكون زوجا لصاحبه لو

■ أفلست (دار الندوة) وأغلقت أبوابها

، واتسعت (دار الأرقم) وظهر طلابها

للمهاجرين والأنصار دور علينا الاقتداء به في كل حال مشابه

أراد! وهكذا كم يكلف الإيمان أهله، وانهم لراضون، بل سعداء بما يدفعون.

الذين جاءوا من بعدهم

بعد الحديث عن المهاجرين والأنصار في الآيتين الثانية والتاسعة السابقتين من سورة الحشر جاءت الآية التالية مباشرة: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا أنك رءوف رحيم﴾ [الحشر: ١٠]. لقد أدى المهاجرون دورهم فهاجروا، وقام الأنصار بواجبهم فآثروا. وبقي علينا، على الذين جاءوا من بعدهم أن يسيروا على نفس الدرب: وفاء.. ودعاء .. وحباً لهم..

ومن أنبل صور الحب: أن نحب مبادئهم، وأن يظل عملهم العظيم حياً في ضمائرنا، دروسا يصلح بها الله تعالى ما أبلت الأيام من عزائمنا، ومن هذه الدروس ما أشارت اليه الآية الكريمة:

١ – فالتعبير عن المكر بالفعل المضارع ﴿يمكرون﴾ يفيد استمرار هذا المكر، فسوف يمكرون ولايفترون، فلنواكب مكرهم بما يحبطه، كإخوة لنا من قبل:

٢ – ثم أن الله تعالى يقول: ﴿وإذ يمكر بك﴾ بك، لا بهم، وهذا يعني خطة المجرمين لضرب الإسلام، حين يسركزون على القيادة لتؤتي الدعوة من خلالهم حتى إذا سقطت القيادة، كانت الفوضى: (ولا يصلح الناس فوضى لأسراة لهم). ومن ثم، يعبث الذئاب في حقل، نام صاحبه.

٣ – وإذا كان الحق تعالى هو الذي تكفل باحباط كيد الأعداء، فالقضية إذن في يد القادر على حسمها سبحانه. وإذن، فما على الدعاة إلا أن يقوموا بدورهم والنتيجة على الله، أما الانفعال والتشنج، فلن يغنيا عن الحق شيئا، ذلك بأنه تعجل يحاول قطف الثمار قبل نضوجها.

إن الرسول ﷺ لم يدخل المدينة إلا بعد أن هيأ الظروف المناسبة للدعوة. لقد أرسل القراء والمعلمين بين يديه، فلما فتحوا القلوب، غزاها النور فأضاءت. وقبل ذلك كانت حياة العربي سفرا دائما، وهجرة مستمرة، ولكن من أجل معدته، ثم إذا به اليوم ولأول مرة يهاجر لا من أجل معدته بل من أجل عقيدته.

٤ – لما أطاع الرسول ﷺ الأمر الشرعي بالصبر على تكاليف العقيدة والمؤمنون معه – لما أطاعوا، كان الكون في خدمتهم، وهذه حفنة من التراب تحبط مسعاهم، وشبر من الأرض يمكس بغرس سراقة. فإذا أردنا استعادة هذا التكريم فلابد أن ندفع ثمنه التزاما بسنته ﷺ في الأخاء والتسامح والصبر.

٥ – ثم بسنة الذين صابروا فهاجروا وآثروا، المهاجرون الذين تسلحوا بالعزة، فلم يعيشوا متسولين، ولا كلا على غيرهم، بل عملوا، وكسروا الحصار الاقتصادي الذي ضربه اليهود على المدينة فتاجروا وربحوا، فحملوا السلاح بيد يحبها الله ورسوله. والأنصار الذين انفقوا احتسابا وتحت راية الأخوة الجامعة ولم ينفقوا منا أو أذى.

٦ – إن هذا لمكر الله تعالى لنا، لحسابنا، فماذا فعلنا لنستحق هذا الشرف العظيم؟ لا بد من الأمل ومن العمل، نبني كما أوائلنا يبنون – ونفعل مثلما فعلوا، وماذا فعلوا؟ فعلوا كما قيل بحق:

(لقد علموا أهل الأرض أن في الوجود شيئا أقوى من الحديد وأمضي من السيف وأحمى من النار وأنكى من القنبلة الذرية، هو الإيمان.. الذين أفاضوا على الحرب الحق والرفق فجعلوها مقدسة مشروعة، وأثاروها لله لا للكسب، وللخير لا للشر، فاستولدوها الحياة والحضارة والسلام، وما كانت تلد إلا الموت والخراب والانتقام. لم يكونوا نعاما، تحسن الفر بل كانوا أسودا تحسن الكر) بسلاح من صنع أيديه، سلاح كانوا يصقلونه: يشحذونه.. ولم يكونوا يشحذونه لم يكونوا يستجدونه!!

ويبقى الأمل متوهجاً

ويبقى الأمل في قلوب أمتنا بالإيمان قويا وعميقا، وسوف يصير هذا الأمر أقوى، وأعمق كلما نظرت اليوم إلى مكة المكرمة. فرأيت كيف كانت، وإلي أي مجد صارت، وذلك ما يصوره الشيخ الطنطاوي في قوله: (كانت مكة قرية صغيرة. متوارية بين الأخشبين: لم تدر بها، روما، ولم تحفل بها «القسطنطينية» فلما دوى فيها صوت محمد ﷺ ينادي: لا إله إلا الله ولا رب سواه، لا كسرى ولا قيصر، ولا اللات ولا العزى. وأنها خابت وخسرت الأصنام كلها: أصنام الحجارة. وأصنام القبور. وأصنام اللحوم والدم. وأن الفضل بالتقوى. وان العاقبة للمتقين.

وقعت معجزة المعجزات

كبرت هذه القرية حتى أكلت مدن الباطل. ثم كبرت حتى ولدت مدن الخير والحق. ثم كبرت حتى صارت أم الأرض كلها، وخرج أبوبكر وعمر وكل إمام عادل حقق في الأرض أحلام المصلحين. وكل قائد شق بسيفه الطريق إلى المدنية العادلة).

ونضيف نحن: لقد أعلنت مدرسة «دار الندوة» إفلاسها وأغلقت أبوابها وذهب تلاميذها المشاكسون بددا، والذين جمعتهم الدنيا مزقتهم الدنيا وإذا الأحباب كل في طريق:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس ولم يسهر بمكة سامر

وبينما الذين ضحكوا قليلا يكون اليوم كثيرا إذا بمدرسة «دار الأرقم» بمكة المكرمة تصير جامعة. وصار خريجوها تسيح في الأرض تحت راية التوحيد تعلم الحياة فن الحياة: تنير العقول بالعلم. وتعمر القلوب بالحب. وتشد الإرادة بالعزم.

وغدا؛ وفي روضات الجنات سيتذاكرون أجمل الذكريات، ذكريات النجاح بعد مرارة الكفاح ﴿ فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون. على الأرائك ينظرون. هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾ [آخر المطففين]□

ابتداء التقويم الإسلامي بيوم الهجرة تقرر في السنوات الأولى من تثبيت دعائم الإسلام وإشهار دولته في مهاده الأولى. والذي عليه المعوّل من الأقوال التي وردت في هذا الموضوع أن عمر بن الخطاب؛ رضي الله عنه؛ ثاني الخلفاء الراشدين، جمع جلة الصحابة وأعيان المسلمين، وفي جملتهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب؛ رضي الله عنهما؛ وأقبل عليهم يشاورهم في أمر التاريخ الذي يحسن بالأمة الإسلامية أن تعتمده في توقيت معاملاتها وتحديد زمان أحداثها وأعمالها.

الهجرة نقلة حضارية

آراء الصحابة في التاريخ

وسأل عمر من حضره رأيهم في أي المناسبات التي يرون التأريخ بها، لكيلا يكونوا عالة في هذا الشأن على من كان قبلهم من الأمم، مثل الفرس المجوس، والعبرانيين اليهود، والروم النصارى، وذلك للتعبير عن استقلال الشخصية الإسلامية بكيانها ومنطلقاتها وسائر معطياتها. فقال بعض الحاضرين: نؤرخ بمبعث النبي ﷺ، أي في الوقت الذي صدع النبي ﷺ فيه بأمر ربه معلنا أنه رسول الله وطلب من قومه أن يبادروا للإيمان برسالته السماوية القائمة على عبادة الله وحده، ونبذ ما كانوا يعبدونه من دونه من الأصنام والأوثان والكواكب. وقال آخرون: بل نؤرخ بمولده يوم تشرفت الحياة الإنسانية بوجوده الشريف. وقال غيرهم: بل نؤرخ بوفاته وانتقال روحه المباركة إلى جوار ربه أكرم الأكرمين. وبعد تداول الرأي وتقليبه على مختلف الوجوه استصوب بعض الموجودين أن يكون بدء التاريخ الإسلامي يوم هجرته عليه الصلاة والسلام من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة معللين ذلك بأن الهجرة هي أول ظهور الإسلام وبداية انطلاقه في دروب القوة والنماء والإزهار. وجد هذا الرأي الأخير عند عمر بن الخطاب؛ رضي الله عنه؛ القبول والتحبيذ فأصدر أمره باعتماده وأخذ الناس به واجتمعت الأمة عليه.

تحديد الشهر الاول من السنة

ولما أراد عمر؛ رضي الله عنه؛ أن يحدد الشهر واليوم والابتداء بالتاريخ على أساس الهجرة. عاد فبسط الموضوع من جديد للشورى بين أهل الحل والعقد من المسلمين في أيامه. وكانت الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وقد مضى من شهور السنة وأيامها: المحرم وصفر وأيام من الربيعين ربيع الأول، فابتدر عمر القوم قائلا: بأي شهر نبدأ تاريخنا فنصيره أول السنة.

قال بعضهم: نبدأ بشهر رجب فإن أهل الجاهلية كانوا يعظمونه.

وقال آخرون: بل نبدأ بشهر رمضان فإن القرآن جعله شهرا معظما.

وقال غيرهم: بل نبدأ بشهر ذي الحجة فإن فيه الحج إلى بيت الله الحرام.

وقالت طائفة: بل نبدأ بالشهر الذي خرج فيه النبي ﷺ من مكة المكرمة لحماية دينه بالذين نصروه في المدينة المنورة.

واقترح قائل ان يبدأ التاريخ في الشهر الذي قدم النبي ﷺ فيه إلى المدينة المنورة حيث وجد القوة والمنعة.

ولما سئل عثمان بن عفان؛ رضي الله عنه؛ عن وجهة نظره في هذا الموضوع أجاب: أرخوا من المحرم، فهو أول السنة عند العرب وهو شهر الله الحرام، وأول الشهور في العدة - أي في التقويم السنوي المعمول به آنذاك - وهو منصَرَف الناس عن الحج. وبالفعل، كان لرأي عثمان؛ رضي الله عنه؛ القول الفصل. فلما وضع عمر؛ رضي الله عنه؛ التاريخ الهجري رده لليوم الأول من المحرم، بمعنى أنه ابتدأ حساب التاريخ الإسلامي، لا من اليوم الذي استقر فيه القرار على وضعه. بل من مستهل شهر المحرم الواقع في عام الوضع مع اعتبار المدة التي مضت قبل ذلك من يوم الهجرة إلى غرّة المحرم على الوضع. وهكذا يكون التقويم الهجري قد بدىء به عند المسلمين الأولين في أيام عمر بن الخطاب؛ رضي الله عنه؛ ثاني الخلفاء الراشدين. وهذا سعيد بن المسيب، من

بقلم الشيخ: طـه الـولي*

أفاضل التابعين الموثوقين في أخبارهم زوج بنت ابي هريرة عبدالرحمن بن صخر الصحابي الجليل؛ رضي الله عنه؛ وقد توفي سعيد على القول الراجح سنة ٩٣ هـ (٧١١م) وهي السنة التي أطلق عليها اسم (سنة الفقهاء) لكثرة من توفي فيها منهم. فقد نسب إلى هذا التابعي الكريم قوله: (أول من كتب التاريخ عمر رضوان الله تعالى عليه، لسنتين ونصف السنة من خلافته).

وقال المسعودي في كتابه (التنبيه والإشراف): (وكان ذلك في السنة ١٧ أو ١٨ للهجرة، يتنازع الناس في ذلك)، أي يختلفون في اعتماد أي من السنتين المذكورتين.

التاريخ الهجري أمر اتفاقي

بعد هذا الذي قدمناه حول اجتماع عمر بن الخطاب؛ رضي الله عنه؛ بأهل الشورى من جلة الصحابة، وأهل الحل والعقد من المسلمين لتقرير التقويم الإسلامي، يمكن القول بأن اختيار الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة موعدا لبدء التقويم الإسلامي، نتيجة لحوار شخصي بين الصحابة؛ رضوان الله تعالى عليهم؛ أدى إلى الاتفاق على ما اتفقوا عليه، والتزم المسلمون بهذا التقويم منذ ذلك الحين حتى اليوم، وإلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا.

الشخصية الإسلامية المميزة

وهل يقبل منطق بناء الأمة وتنظيمها أن يكون هذا البناء والتنظيم من وحي المصادفات العابرة؟ إن هذا التساؤل أصبح واردا ونحن على أبواب القرن الخامس عشر. وإنه مما لا شك فيه أن الاحتفالات التي شهدتها أمتنا استقبالاً لهذا القرن الجديد أمر وثيق الاتصال بقصة اختيار التاريخ الهجري من حيث دلالتها المعنوية على الأثر المباشر الذي ترتب عليها، وهو: قيام الشخصية الإسلامية على الأسس الدولية التي أصبحت اليوم قانونا عالميا بحسب الأعراف السياسية السائدة في حياة الأمم المعاصرة. وهذه الأسس التي ارتبطت بالهجرة النبوية هي: الأرض، والشعب والحكومة. هذه العناصر الثلاثة التي يتمثل في وجودها المادي المفهوم القانوني والدستوري لوجود الدولة. وبالتالي الشخصية الاعتبارية للأمة. وإن أي نقص في هذه العناصر المذكورة يجعل الكلام عن وجود الدولة والشخصية الاعتبارية للأمة ضربا من اللغو العاطفي الذي لا سند له من الواقع المادي. ومن خلال هذا المفهوم القانوني والدستوري لقيام الدولة وكيان الأمة فإن الهجرة النبوية قد أعطت الحركة الإسلامية التي حمل لواءها النبي ﷺ بوحي من ربه عز وجل، الإطار الذي أفرز لها حيزا مستقلا ومتميزا في قلب الجزيرة العربية، وخولها بالتالي حق محاورة الآخرين في داخل الجزيرة وخارجها، وذلك من منطق الجماعة التي تتمتع في كيانها الخاص بالعناصر الأساسية اللازمة لوجودها كدولة قائمة بذاتها، ويخولها الانطلاق على قاعدة التناظر المتقابل مع الكيانات الدولية الأخرى، كيفما كانت هذه الكيانات وأينما كانت.

عناصر الأمة الإسلامية

وهذا ما أقدم عليه النبي ﷺ بالفعل فور استقراره بالمدينة المنورة، وانتظام شؤونه فيها حين أرسى قواعد حركته الدينية على العناصر الثلاثة التي بيناها وهي:

أ) المهاجرون والأنصار، بوصفهم الشعب الإسلامي.

ب) المدينة المنورة، بوصفها الأرض التي يعيش فيها هذا الشعب.

ج) وأخيرا التشريع الإسلامي الذي يعكس القرآن الكريم بوصفه القانون والدستور اللذان يطبقان على الشعب وعلى الأرض في آن واحد.فلقد بادر النبي ﷺ، آنذاك؛ إلى ممارسة الاتصالات المباشرة مع القبائل العربية عن طريق الرسائل التي طلب فيها من هذه القبائل اعتباره طرفا مستقلا في العلاقات القائمة بينه وبينها على أساس مبادىء واضحة وشرائط محددة، كما بادر، وفي نفس الوقت، إلى توجيه مندوبين يمثلونه لدى رؤساء الدول المجاورة، وحمّل هؤلاء المندوبين رسائل رسمية تتضمن مطالبة اولئك الرؤساء بالاعتراف بنظامه الجديد القائم على الشريعة الإسلامية. كما طلب إليهم في هذه الرسائل الاعتراف به شخصيا كرئيس أعلى لهذا النظام، وهذا ما يسمى بلغة العصر الديبلوماسية الوثائق السياسية المتبادلة بين الدول عبر رؤسائها الشرعيين لتيار الاعتراف القانوني فيما بينهم.

وإذا عدنا إلى الوقائع التي توالت على المدينة المنورة فور هجرة النبي ﷺ إليها؛ وخلال السنوات الأولى بعد هذه الهجرة؛ فإننا نلاحظ كيف أن المجتمع الإسلامي الذي شكله النبي ﷺ من المكيين الذين رافقوه ومن المدنيين الذين أووه ونصروه، سرعان ما تحول إلى وحدة شعبية تلتصق بوطنها القومي الجديد والتفت حول عهدها النبوي تحت لواء الدعوة الإسلامية، الأمر الذي أعطى النبي ﷺ القدرة على اهتبال هذه الفرصة، ليتصرف دون أي إبطاء في الاتجاه الذي يترجم انطلاقته الدينية إلى كيان سياسي، بكل ما في هذه الكلمة من معنى على المستوى الدولي المعروف اليوم.

إذن فإن هجرة النبي ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، كانت في الواقع نهاية وبداية، في آن واحد، أما النهاية: فإنها كانت لمرحلة اعلان الدعوة الدينية، وأما البداية: فإنها كانت لمرحلة إعلان الدولة الإسلامية ■

*كاتب وباحث لبناني

في خيمة أم معبد

اعداد: فاطمة محمد البغدادي

في ليلة الاثنين، لأربع ليال خلون من شهر ربيع الاول، وبعد ثلاثة أيام عصيبة قضاها رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق رضي الله عنه في وحشة وظلمة غار ثور، خرج الرفيقان ليج٥دا في انتظارهما عامر بن فهيرة (مولي الصديق) الذي سيقوم على خدمتهما، وعبد الله بن أريقط (استأجره رسول الله ﷺ ليكون دليلا لقافلة الهجرة)..

وامتطى رسول الله ﷺ راحلته، وتبعه الصديق، وانطلقت القافلة، ومع ظهيرة يوم الثلاثاء وصلت الى مكان يقال له (قديد)، فعرض لها أشهر متقفي الاثر في مكة سراقة ابن مالك، طامعا في المائة ناقة التي جعلها صناديد الشرك جائزة لمن يعثر على محمد، فماذا حدث؟! لقد دعا رسول الله ﷺ على سراقة، فاخترقت دعواه السموات السبع واستجاب لها رب العزة سبحانه وتعالى، وما ان اقترب حصان سراقة من القافلة حتى ساخت قوائمه في الرمال فقال: يا محمد ادع الله أن يطلق حصاني وأرجع عنك وأرد من ورائي، ففعل. وانطلق سراقة راجعا فوجد جماعات الشرك تتلمس طريقه فقال: ارجعوا، لقد بحثت وجهدت فلم أجده، وأنتم تعرفون بعدي بالاثر، فرجعوا جميعا عنه.

وواصلت قافلة الهجرة المسير سالكة طرقا وعرة لاتعرفها قوافل قريش، واقتربت من خيمة أم معبد الواقعة في زمام منازل خزاعة، كانت البطون خالية، والظمأ قد أنهك الجميع.

عنزة أم معبد

نزل رسول الله ﷺ من فوق راحلته، وسأل أم معبد، وهي عاتكة بنت خالد الخزاعية، عن لحم وخبز ولبن ليشتريه منها، فلم يصب عندها شيئا، حيث كانت في جدب وفاقة، وخاطبته قائلة: لو كان عندي شيء ما أعوزكم القرى.

وبينما يدير ظهره استعدادا لمواصلة المسيرة سمع صوت عنزة صغيرة، كانت تقف وراء الخيمة، وكأنما هذه العنزة تلفت النظر الى وجودها، فسأل أم معبد عن عنزتها فقالت: انهاضعيفة لم تستطع الخروج الى المرعى مع باقي العنزات التي ساقها زوجي لترعى العشب الأخضر على مسافة بعيدة عن مضارب الخيام. فسألها رسول الله ﷺ: هل بها لبن؟ فقالت له، وقد ارتسمت على وجهها علامات الدهشة: من أين تأتي به، وهى هزيلة جائعة. ويرتفع صوت العنزة، فيستأذن الرسول ﷺ في ان يحلبها. فلم تمانع، رغم ثقتها في أن ضرعها لن ينزل منه شيء من لبن.

اللهم بارك في عنزتها

واقترب الحبيب المصطفى ﷺ من العنزة، ووضع يده الشريفة على ضرعها، وأخذ يمسحه برفق، وذكر اسم الله تعالى وحدثت المعجزة، فدرت العنزة واجترت، ودعا بإناء فجلبته أم معبد وهى لا تكاد تصدق ما تراه بأم عينيها، وملأ الرسول ﷺ الإناء، وأخذته أم معبد وشربت حتى شبعت. ثم أعطاه لجنود القافلة، وشرب الجميع حتى ارتووا ثم شرب ﷺ.

وحلب العنزة مرة ثانية وترك الاناء مملوءا باللبن، وودع أم معبد، وواصلت القافلة الرحيل باتجاه المدينة، وقبل مغيب شمس ذلك اليوم، عاد أبو معبد متعبا يسوق أمامه عنزاته بعد أن التهمت ما تيسر لها من العشب الأخضر، فنظر الى خيمته، فوجد زوجته جالسة على بابها، متطلعة الى السماء، وعلامات التعجب تخيم على ملامح وجهها، ورأى بجوارها العنزة الهزيلة، وقد امتلأ ضرعها باللبن، ورأى أيضا اناء مملوءا عن آخره باللبن، فتعجب من الامر، وخاطب أم معبد قائلا: من أين لكم هذا؟ إن العنزة عازب ولا حلوب في البيت!! قالت: لا والله إلا انه مر بنا رجل طيب مبارك، كان حديثه أن طلب العنزة، ودعا، فدرت واجترت. فقال: والله اني لأراه صاحب قريش الذي يطلب.

وصف المصطفى

ثم قال: صفيه يا أم معبد. فقالت: (رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، منبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة، ولم تزره صعلة، وسيم قسيم، في عينه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، أحور أكحل أزج أقرن، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع، وفي لحيته كثافة. اذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدون، حلو المنطق، فصل لانزر ولا هذر، أجهر الناس وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، غصن بين غصنين، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، واذا أمر تبادوا الى أمره).

استقبال حافل

وعلى أبواب المدينة، كانت الجموع في انتظار قافلة الهجرة، لقد خرج الناس جميعا، صغيرهم وكبيرهم، رجالهم ونساؤهم، الكل يتسابق لكي يشهد هذا الحدث التاريخي العظيم، ويؤكد غير واحد ممن أرخوا لهذا الحدث، أن أهل مكة، التي تبعد بمئات الكيلومترات، سمعوا تهليل أهل المدينة وتكبيرهم، عندما علموا بمعجزة الحبيب المصطفى ﷺ في خيمة أم معبد، وسمعوا من ينشد:

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم تروحا

شكاية إلى الصديق

شعر / رفعت عبدالوهاب محمد المرصفي

ياصاحب الغار والدّيات نعتذر(١) إسلامُنا اليومَ للأخطار ينحدرُ
فالقدس في فورة الطوفان قد نُسِيَت والنزف من جسد الإخوان ينهمر
والغرب أشواكه تُدمي جوانبنا والشرق أغرى بنا الأقزام فانتشروا
مسرى البشير يئن من صهاينة فبنوا النضير على محرابه اقتدروا
هذي جراح المدى إليك أكشفها فالبوح يطفيء ما بالقلب يستعرا
ورغم جرحي النزاف من جسدي القدس ألمحه ا بالنصر تزدهر
هذي طفولتها تهب في شمم تستعذب الموت والأغراب قد بهروا
هذي حجارتها تموج من لهب تُهمي وبالا فلا تبقى ولا تذر
فالليل مهما بنا أرخى ستائره سيبزغ الفجر والأضواء تنتشر

(١) نسبة إلى أبي بكر الصديق الذي كان يقوم على الديات في قريش قبل الإسلام





استراتيجية الأمن في الشريعة الإسلامية

■ الأمن الحربي ضرورة عظمى لبقاء الدول واستمرارها

بقلم: احمد محمود أبو زيد

الأمن الحربي للمجتمع الإسلامي من أهم انواع الامن الضرورية للمجتمع اذ يتصل بقدرة المجتمع على حماية نفسه واستعداده للدفاع عن أرضه وماله وثرواته ضد اي اعتداء خارجي.

وهذا النوع من الأمن تتوقف عليه حياة الأمم والشعوب فالدول الضعيفة التي لاتملك جيشا قويا تعيش مهددة في أمنها واستقرارها وتصبح مطمعا ومغنما لغيرها من الدول القوية.

ولقد شاهدنا على طول التاريخ العالمي والإسلامي والعربي نشوء دول ثم موتها واختفاءها لعدم قدرتها على حماية نفسها وارضها والحفاظ على بقائها، ثم جاء العصر الحديث فشهد مرحلة الاستعمار ومافعله في الدول العربية والإسلامية حيث احتل ارضها وسيطر على ثرواتها ومقدراتها. واستطاع تقويض امنها الحربي بل القضاء عليه تماما، وظلت هذه الدول تحت سيطرته عقودا عدة حتى ثارت لنفسها وكرامتها وسعت لتحرير أرضها واستعادة حريتها. فالأمن الحربي

ضرورة عظمى لبقاء الدول واستمرارها وتمتعها بحريتها وخيراتها دون ادنى تهديد من الخارج.

منهج الاسلام الشامل

ولو نظرنا إلى الإسلام ومنهجه الشامل نجده يحرص كل الحرص على تحقيق هذا النوع من الأمن للمجتمع الإسلامي حتى لاتجرؤ أي قوة خارجية على تهديد هذا المجتمع والنيل من استقراره وامنه. فالرسول ﷺ بعد أن كون الدولة الإسلامية بالمدينة عقب الهجرة حرص على انشاء جيش إسلامي قوي لحماية هذه الدولة كما حرص على توفير المعدات المطلوبة لهذا الجيش من سيوف وسهام ونبال ورماح وخيول. فكان ﷺ يشجع المسلمين على صناعة هذه المعدات الحربية ويحضهم على تعلم الرماية والفروسية حتى وجدنا المسلمين القلة الذين خرجوا من مكة سرا خوفا من بطش قريش وأذاها يعودون بعد عام واحد من الهجرة في قوةإسلامية لتهديد قافلة قريش التجارية بقيادة ابي سفيان وتنتصر هذه القوة على جحافل الكفر في أول معركة في الإسلام بين الحق والباطل وهى غزوة بدر .

ولم يغتر المسلمون بقوتهم يوم بدر ويقفون عند هذا الحد من إعداد القوة وتجهيز المعدات العسكرية بل شرعوا بعد نصرهم في زيادة قوتهم ومد جيشهم المسلم بدماء جديدة وزيادة حجم المعدات فكانت كل غزوة جديدة تشهد زيادة جيش المسلمين وقوته حتي وصل هذا الجيش يوم فتح مكة إلى عشرة آلاف مقاتل ،وقد ألقى هذا الجيش الجرار الرعب والفزع في قلوب كفار مكة ومايجاورها من قبائل فدخل المسلمون مكة دون قتال وحطموا ماحول الكعبة من أصنام.

وبعد رسول الله ﷺ لم يكتف الخلفاء الراشدون ببقاء الجيش الإسلامي على حاله من حيث العدد والقوة بل سعوا لزيادة عدده وعدته بكل الطرق والوسائل حتى تمكن هذا الجيش من حماية المسلمين والدعوة الإسلامية وفتح الامصار ونشر دين الله وهيمنته على حياة البشر، وكان الخلفاء الراشدون اشد مايكونون حرصا على رعاية الجيش الإسلامي وتنظيمه وتدريب الجنود والقادة.

الاستراتيجية العسكرية الإسلامية

ولو نظرنا إلى الشريعة الإسلامية نجدها تحقق الامن الحربي للمجتمع الإسلامي من خلال الاستراتيجية العسكرية الإسلامية التي كانت اساسا للنصرو الظفر في الغزوات والمعارك الإسلامية التي خاضها المسلمون منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

فرغم أن الإسلام قد هذب فكرة الحرب ووضع لها أسبابا محددة وآدابا واحكاما تسمو بها، ونهى عن الاعتداء وجعلها حربا دفاعية عن النفس والمال والعرض والدين والارض إلا انه لايأمن من جانب الاعداء الذين قد يغيرون على الدولة الإسلامية في اي وقت طمعا في السيطرة والجاه أو المال والثروات، ولذلك وضع الاستراتيجية العسكرية الإسلامية لتحقيق الامن الحربي للأمة وللدولة الإسلامية وهى تقوم على مجموعة من الأسس والقواعد هى: إعداد القوة المادية ومايتصل بها من عتاد وسلاح وجند « الجيش الإسلامي»، واستغلال هذه القوة في تحقيق أمن المجتمع داخليا وخارجيا، وفرض الجهاد على الامة الإسلامية والحث عليه والترغيب فيه، والإحاطة الكاملة بأعداء الأمة لكشف مخططاتهم وتوقع غدرهم وأمن شرهم.

أنشأ الرسول ﷺ جيشا قويا بعد هجرته إلى المدينة لحماية الدولة الوليدة من المتربصين بها

اعداد القوة المادية

فأما اعداد القوة المادية أو العسكرية المتمثلة في الجيش الإسلامي فهو أهم اسس الاستراتيجية العسكرية الإسلامية وقد ورد الأمر بإعداد القوة صريحا في قوله تعالى: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ [الأنفال:٦٠].

والقوة المقصود بها في هذه الآية تشمل القوة المادية من عتاد وسلاح والقوة البشرية من قادة وجنود مدربين أقوياء كما تشمل كل مايحتاجه الجيش الإسلامي من امكانيات ومتطلبات. وسبب اعداد هذه القوة إرهاب الاعداء وهذا لايتحقق إلا اذا تفوقت الأمة عسكريا على أعداء الله جميعا.

والأمة الإسلامية يفترض عليها تحصيل اكبر قوة في العالم بحيث ترهب اعداءها وهذا لن يتم إلا اذا صنعنا قوتنا بأيدينا اما اذا كنا نشتري هذه القوة من غيرنا فسوف يصبح أمننا الحربي مهددا، فالآية الكريمة (واعدوا لهم...) فرضت بمفهومها ومنطوقها على المسلمين مايلي:

١) التفوق العسكري في السلاح والعتاد والآليات قدر الإمكان

٢) أن تكون لدينا المصانع التي تؤمن هذا التفوق.

٣) أن توجه طاقات الأمةكلها نحو هذا الأمر.

وفي الآية معان أخرى منها: انها ذكرت نظرية القوة من أجل السلام من الآخرين وهذا واقع وقد أشارت اليه الآية في قوله تعالى: ﴿ ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾.

تحقيق أمن المجتمع داخليا وخارجيا

واذا ماتكونت القوة العسكرية الإسلامية متمثلة في الجيش بأسلحته ومعداته ورجاله فلابد من المحافظة على هذه القوة وحسن استغلالها بحيث لاتستخدم في ظلم أو تخريب أو تدمير. وانما تستخدم في الدفاع عن الدين والنفس والعرض والارض والوطن وتحقيق امن المجمتع داخليا وخارجيا.

فاذا كانت هذه القوة قد تكونت بأمر من الله سبحانه في قوله تعالى: ﴿ وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ﴾ [الأنفال:٦٠] فلا يجوز أن تستخدم الا حيث يأذن الله

سبحانه أي في سبيله وقد حددت لنا الشريعة الإسلامية المجالات التي تستخدم فيها هذه القوة وهي:

١) القضاء على الحروب الداخلية بين المسلمين لقوله تعالى: ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ [الحجرات:٩]

٢) حرب الخوارج: والخوارج هم الخارجون على طاعة الإمام الحق بغير حق فهؤلاء يجب ردعهم واستخدام القوة في ذلك.

٣) حرب المرتدين عن الإسلام حيث أن حكم المرتد القتل وقد حارب ابو بكر الصديق رضي الله عنه المرتدين الذين امتنعوا عن دفع الزكاة وأرغمهم على دفعها.

٤) حرب قطاع الطرق العصابات التي تهدد الأمن وهم الذين نزل فيهم حد الحرابة في قوله تعالى: ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ﴾ [المائدة:٣٣] ٥) حرب المعاهدين اذا نقضوا عدهم مع المسلمين.

٦) الحرب الدفاعية: وهي الحرب التي تهدف رد الاعتداء والعدوان على أي شبرمن ارض الإسلام وتكون هذه الحرب بقدرمايكفي لصد الهجرم واجلاء العدو.

فرض الجهاد والحث عليه

وبعد تكوين القوة العسكرية الإسلامية المتمثلة في الجيش الإسلامي برجاله وأسلحته ومعداته وتحديد مجالات استخدام هذه القوة كان لابد من وجود دافع قوي يحارب المسلم من اجله ويجعله يقبل على الموت اكثر من اقباله على الحياة ومن هنا جاء فرض الجهاد على الأمة الإسلامية إعلاء لكلمة الله سبحانه وحماية لدينه ودعوته وتحقيقا لعزة المسلمين.

وقد فرض الجهاد على المسلمين وأصبح واجب الأداء على كل مسلم حماية للدعوة الإسلامية وردا للمعتدين وصونا لحياة المسلمين ولم يكن الجهاد للاكراه على أمر أو للاجبار على سلوك أو للانتقام من مخالف أو معارض أو لتحقيق مغنم مادي أو مطمع شخصي



- فرض الجهاد على الأمة إعلاء لكلمة الله وحماية لدينه ودعوته وتحقيقا لعزة المسلمين

وجاء الأمر بالجهاد في آيات كثيرة فقال تعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ [الصف:١٠و١١]، ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ [البقرة:١٩٣].

وأثنى الله سبحانه على المجاهدين ووعدهم الجنة في كثير من الآيات فقال تعالى: ﴿ ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران:١٦٩]، وقال تعالى: ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ [الصف:٤].

وعلى الجانب الآخر فان التقصير في الجهاد فوق أنه إخلال بواجب ديني فهو مستوجب لغضب الله وسخطه.

الإحاطة بأعداء الأمة

- ويأتي الأساس الرابع والاخير للاستراتيجية العسكرية الإسلامية وهو الإحاطة الكاملة بأعداء الأمة وكشف مخططاتهم وهذا أمر ضروري لتحقيق الأمن الحربي للأمة ذلك انه لن يتحقق هذا الأمن اذا ماجهل المسلمون اعداءهم وغاب عنهم حجم هؤلاء الاعداء وامكاناتهم ومخططاتهم وموقفهم من الإسلام ودعوته.

ومن هنا فان الواجب على الأمة الإسلامية أن تعي هذا الامر تماما وتسعى دائما للتعرف على اعدائها المتربصين بها لتكون على حذر دائم من مكرهم وغدرهم، واذا مانشب بينها وبينهم حرب تستطع بماديها من معلومات عن تخطيط هذه الحرب وتنظيمها بحيث يكون النصر حليفها ■

المراجع:

١) نظم الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية، المستشار عمر شريف.
٢) الاستراتيجية العسكرية الإسلامية، محمد فرج.
٣) الإسلام، سعيد حوى.

مواقف فاصلة بين الآباء والأبناء

لم تتوان المرأة المسلمة أن تقدم المثل في الإخلاص لله ورسوله

اهتم الإسلام برعاية الأطفال وأوجب ذلك على الآباء والأمهات، كما أوجب حسن تربيتهم وتعليمهم، ولمزيد من فضل الأب والأم أوجب الإحسان إليهما، وجعل ذلك الأمر مقترنا بعبادته تعالى: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ﴾ [الاسراء:٢٣].

وعرفنا من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أن أحق الناس بالرعاية وحسن الصحبة الأم أولا والأب بعدها لما قاسته في حملها ورضاعتها وحضانتها للطفل. ونعرض فيما يلي لمواقف فاصلة بين الآباء والأبناء في الإسلام تصل إلى حد القطيعة بينهم وإن لم تمنع الرحمة بحسن المعاملة عملا بقوله تعالى: ﴿ وصاحبهما في الدنيا معروفا ﴾ [لقمان:١٥]. ولكن لذلك حدود فاصلة فلا تكون على حساب العقيدة، وسنعرض لتلك المواقف مع مناسباتها والتعريف بشخصيتها.

سعد ابن أبي وقاص وأمه

وأول هذه المواقف التي سجلها القرآن الكريم ما كان من إسلام سعد بن أبي وقاص وموقف أمه منه وقد نزلت في قصتها أربع آيات، آيتان في سورة العنكبوت قال تعالى: ﴿

بقلم: عبدالحفيظ نصار

ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون. والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ﴾ [العنكبوت:٨ و٩]، وقوله: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير. وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [لقمان:١٤و١٥].

وقد أسلم سعد بن أبي وقاص وهو في السابعة عشر من عمره وقيل إنه ثالث من أسلم من الشباب بعد علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة، وقد جاء في سبب إسلامه عن سعد بن أبي وقاص أنه كان نائما فرأى نفسه وسط ظلام شديد كأنه في بحر للظلمات يصارع أمواجه وصدره في ضيق شديد من هذا الظلام الذي يضغط عليه ولا يجد خلاصا منه.

وإذا بنور يهل من قمر يمر وإذا به ينظر إلى القمر وقد عادت إلى نفسه راحتها، فيشاهد على ذلك القمر أبا بكر وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة، ويشيرون إليه أن يتبعهم، وهو يسألهم متى انتهيتم إلى هناك، قالوا: الساعة. عند ذلك استيقظ من نومه وقد جافاه واستمر في تفكير وحيرة من أثر ذلك الحلم، حتى أشرقت الشمس وذهب إلى عمله حيث يجيد صنع النبال وإعداد الأقواس لمن يرغب فيها للصيد أو استعدادا للقتال، وبينما هو في عمله إذ جاء أبو بكر رضي الله عنه وقد حياه وجلس يتحدث إليه عن الإسلام، وما يدعو إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك عبادة الأوثان، وما يدعو إليه من بر وتراحم وتحريم للفواحش والمنكرات والتخلق بجميل الصفات، فمالت نفسه إلي حديثه، وقد تذكر حلمه، فسأله عن مكان رسول الله ﷺ، فقال له: إنه يعبد الله مستخفيا في شعب إجياد، فذهب إليه وجلس حتى انتهى من صلاته ﷺ فرحب بهما وأعلن سعد إسلامه بالشهادتين، وعاد إلى بيته فاغتسل وصلى؛ وكانت أمه المحبة له تعد له طعاما؛ فإذا به – وقد أتت إليه به – تجده في صلاة ما عرفتها، وإن سمعت عنها فأنكرت ذلك عليه.

وأم سعد من بني أمية المتعصبين للجاهلية وعبادتها، ولهم زعامتهم في قريش، وسعد من بني زهرة التي منها السيدة آمنة بنت وهب، فهو من أخوال النبي ﷺ كما أنهما يجتمعان في الجد كلاب بن مرة فأقسمت أمه بآلهتها بألا تذوق طعاما أو شرابا حتى يعود إلى دين آبائه وأجداده، وقالت له: ألا يزعم محمد أن

دينه يدعو إلى صلة الرحم فلتدعن دينك هذا أولا آكل أو أشرب حتى أموت لتعيّر بي، فيقال لك يا قاتل أمك.

ومكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب، وقضت يوما ثانيا في امتناعها عن الشراب حتى مرضت وضعفت، وسعد يحاول ويحاول معه أخوه عامر، وكان أصغر سنا لم يسلم بعد، وإن أسلم بعد ذلك وفعلت أمه مافعلت مع سعد بدون جدوى، وحسن إسلامه وهو صغير السن، وقد حاولا أن يدخلا الطعام في فمها بعود بالقوة وسعد يقول لها: أنت تعلمين يا أمي حبي لك ولكن ديني أحب إليّ منك، انه لو كان لك مائة نفس تخرج نفسا نفسا ما تركت دين محمد ﷺ، فكلي إن شئت أو لا تأكلي.

فلما رأت إصراره عادت فأكلت، ولكنها تغيرت وحقدت عليه حتى أنها وقد رأته يصلي أمامها صرخت مستنجدة بمن يعينها من أهله أو أهلها ليحبس حتى يموت أو يرجع عن دينه، ولكن سعدا ترك لها البيت هاجرا له ولها، نازلا في ضيافة أصحابه وأهله، فوجدت أمه في تلك الاستضافة عارا عليها وراحت ترجوه أن يعود إلى بيته. وهكذا نجد الإسلام يأمر بالبر بالوالدين على ألا يكون في طاعتها شرك أو محرم.

وسعد بن أبي وقاص له تاريخ حافل في الإسلام مع رسول الله ﷺ ودفاعه عنه في أُحُد في وقت شدة الخطر عليه من المشركين، حينما انهزم المسلمون في أُحُد فوقف سعد في جانبه يدافع عنه ورسول الله ﷺ يناوله النبل ويقول: «ارم سعد فداك أبي وأمي».. «ارم أيها الغلام الحزور» (أي القوي) فجعل سعد يرمي السهام حتى يقال إنه رمى في ذلك اليوم ألف سهم ، وكان بارعا في الرماية. وسعد هو القائد البطل الذي فتح بلاد فارس وأرسل تاج كسرى لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وقصة جهاده تحتاج إلى حديث آخر.

أبو جندل

من المواقف الفاصلة بين الآباء والأبناء في الإسلام، ما حدث أثناء المفاوضات بين رسول الله ﷺ وقريش في صلح الحديبية وقد اشتد الموقف ومنعت قريش رسول الله ﷺ من دخول مكة لأداء العمرة، وكان ذلك في سنة ست من الهجرة وقد اشتد الموقف على المسلمين خاصة لحاجتهم إلى الماء، وقد أسعفتهم معجزة لرسول الله ﷺ، بأن نبع الماء من بين أصابعه، فشرب الجيش الذي يبلغ ألفا وأربعمائة أو ألفا وخمسمائة على قول آخر.

وقد أرسل رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى قريش لمفاوضتها وقد تأخرت على المسلمين عودته فظنوا شرا قد وقع له من قريش، فتحلق المسلمون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعونه على طاعته وقتال قريش إن رأي ذلك ونزلت الآية الكريمة ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما ﴾ [الفتح:١٠].

وكان المسلمون قد أتوا لا يبغون قتالا، وقد جاءوا قاصدين المسجد الحرام في سلام



■ أوجب الاسلام على الآباء والأمهات حسن تربية أبنائهم وتعليمهم



ولكن نذر الخطر قد أحدقت بهم فلا خيرة لهم، وقد فشلت المفاوضات أولا، فكانت بيعة المسلمين لرسول الله ﷺ تحت الشجرة وقد أخبره الله تعالى عن رضاه عن المؤمنين بقوله: ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ﴾ [الفتح:١٨]، وعاد عثمان إلى المسلمين سالما يخبر رسول الله بأنهم لا يريدون دخول المسلمين مكة، حتى لا يتحدث العرب بأنهم هزموا أمام محمد وأصحابه.

واتصلت المفاوضات، وأرسلت قريش سهيل بن عمرو واشترطت عليه في مفاوضته لمحمد ﷺ أن يرجع ولا يدخل في عامه هذا، وأن يأخذ لهم عهدا بينهم وبينه وسارت المفاوضات واتفاق صلح الحديبية على عودة المسلمين وعدم دخولهم عامهم هذا وأن يعودوا في العام المقبل ويقيموا بمكة ثلاثة أيام، وأن من جاء قريشا من رجال محمد لا يردوهم عليه، ومن جاء محمدا من رجال قريش يردهم إلى قريش، وأن يستمر العهد عشر سنوات، وقيل يستمر عامين، وأن من أراد أن يدخل في محالفة مع محمد دخل معه، ومن أراد أن يدخل مع قريش في عهدها دخل معها، وسارعت قبيلة خزاعة فانضمت إلى حلف المسلمين، وسارعت قبيلة بني بكر فدخلت في حلف قريش.

وكان صلح الحديبية ظاهره بخس لحق المسلمين مما أثار بعضهم؛ ومنهم عمر بن الخطاب الذي قال لأبي بكر: ألسنا على حق وهم على باطل، فلم نعطي الدنية في ديننا؟ فقال له أبوبكر رضي الله عنه: الزم رحلك يا عمر، فإني أشهد أن محمدا رسول الله ﷺ فقال عمر: وأنا أشهد أن محمدا رسول الله.

وذهب عمر إلى رسول الله ﷺ وحدثه بذلك الحديث ولكن رسول الله ﷺ قال له: «أنا عبدالله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني». وما كاد المؤذن يؤذن بالرحيل والعودة إلى المدينة حتى ظهرت أولى مشكلات التنفيذ، فإن أبا جندل بن سهيل ابن عمرو المفاوض باسم قريش، أقبل مسرعا يريد العودة مع المسلمين، فقد أسلم ولم يستطع الهجرة، ويريد أن ينضم إلى المسلمين فقد رأى في وجودهم نجدة له من أبيه وبطشه، وحيث يريد أن يأمن على نفسه ودينه، ولا يبغي العيش مع أبيه وأهله.

فلما رأى سهيل – وهو من وجوه قريش – ذلك الموقف من ابنه أقبل عليه وضربه على وجهه، وسحبه من ردائه في قوة وعنف ناهرا له، واشتد الموقف على المسلمين وعبروا عن ألمهم وعدم رضاهم عن ذلك العهد الذي يرد مسلما عن اللحاق بإخوانه المسلمين ويرجعه إلى عشيرته من الكافرين. ولكن رسول الله ﷺ ما كان لينقض عهده وهو لا يفعل إلا بوحي من ربه، فوجه كلامه لابي جندل بن سهيل بن عمرو قائلا: «يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجا»، وقد تحقق ذلك بأن جعل الله صلح الحديبية بداية نصر سلمي للمسلمين بدخول العرب في دين الله أفواجا، وتنقض قريش عهدها وتفتح مكة بعدها وقد أنزل تعالى مطلع سورة الفتح ﴿ إنا فتحنا لك

مواقف فاصلة بين الآباء والأبناء

فتحا مبينا ﴾ على رسول الله ﷺ في صلح الحديبية.

مهاجرة إلى الله ورسوله

من المسلمات المهاجرات من قطعت صلتها بأهلها، وهاجرت فارة بدينها مثل أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أحد زعماء قريش، وقد كان من أشدهم عداوة للمسلمين كما كان ولداه عمارة والوليد من الكافرين وقد جاءا إلى المدينة يطلبان من رسول الله ﷺ ردها إلى أهلها بحكم صلح الحديبية، ولكن رسول الله ﷺ بحكمته وبوحي من ربه رأى أن هذا العهد لا ينطبق على النساء، وأنهن إذا استجرن وجبت إجارتهن أكثر من اللجوء السياسي لأنه لجوء إلى الله ورسوله، كما أنهن لا يحل زواجهن من المشركين بل يجب التفريق بين الزوجة المسلمة والزوج المشرك.

ورفض ردها إلى أهلها ونزلت الآية الكريمة بذلك الحكم، قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر .. ﴾ [الممتحنة:١٠].

اب منافق وابن مؤمن

في المدينة وكان رأس المنافقين فيها عبدالله بن أبي بن سلول وكانت إحدى مخازيه بدايتها في نهاية غزوة بني المصطلق، إذ لحق برسول الله ﷺ وأصحابه بها واتفق أن تشاجر أجير لعمر بن الخطاب اسمه جهجاه بن سعيد الفزاري، تشاجر مع سنان بن يزيد من الانصار، فإذا بسنان يستغيث: (يا للأنصار) واستغاث جهجاه: (يا للمهاجرين).

فلما سمع ذلك عبدالله بن أبي في مجلسه وكان عنده زيد بن أرقم وبعض الأنصار، هب غاضبا قائلا: (قد ضربونا في أرضنا، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل). ثم أقبل على من عنده من الأنصار: (أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها).

وقد سمع ذلك زيد بن أرقم وكان غلاما صغيرا فأسرع فأخبر رسول الله ﷺ، وقد كان عنده عمر ابن الخطاب الذي غضب وقال لرسول الله ﷺ: مر عباد بن بشر فليضرب عنقه. وقال ﷺ: «فكيف إذا تحدث الناس يا عمر أن محمدا يقتل أصحابه؛ لا. ولكن ناد يا عمر بالرحيل».

فلما بلغ ذلك عبدالله بن أبيّ ذهب إلى النبي ﷺ وحلف بالله ما قال، وقد كذب الغلام ولكن الله صدقه ونزلت الآية الكريمة: ﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ [المنافقين:٨].

فلما بلغ عبدالله ابن عبدالله بن أبي بن سلول؛ وكان شابا قوي الإيمان والعزم؛ فأتى رسول الله ﷺ، وقال له: (بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلا فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالد مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي انظر الى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في الناس فأقتله.. فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار). فقال ﷺ: «بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا» [رواه في السيرة محمد بن إسحاق].

ولما عاد المسلمون إلى المدينة وقف عبدالله بن عبدالله بن أبي على باب المدينة شاهرا سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء أبوه قال له ابنه: (وراءك). فقال: (مالك ويلك؟) فقال: (والله لا تجز - أي تمر من هنا - حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، فانه العزيز وأنت الذليل). فشكا عبدالله بن أبي ابنه لرسول الله ﷺ فقال ابنه: (لن يدخلها حتى تأذن له) فأذن له رسول الله ﷺ وفي رواية الحامدي في مسنده قال عبدالله بن أبي لابيه: (والله لا تدخل المدينة أبدا حتى تقول: رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل) [عن تفسير ابن كثير].

أم حبيبة وأبو سفيان

عرفنا أن خزاعة قد دخلت في حلف رسول الله ﷺ وأن بني بكر قد دخلت في حلف مع قريش. وحدث أن بني بكر بتحريض ومساعدة من قريش بالأسلحة هاجموا خزاعة وقتلوا منهم بينما كانوا على ماء لهم.. فنقضت بذلك قريش عهد الحديبية وجاء رسل من خزاعة إلى المدينة يستنصرون رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «نصرتم». وقد رأى ألا رد على نقض قريش لعهدها إلا بفتح مكة، فأرسل إلى المسلمين في أنحاء الجزيرة العربية بأن يستعدوا للقتال مع رسول الله ﷺ دون أن يعرّف بوجهته. وقد أحس زعماء قريش بالخطر عليهم من نقض عهد الحيبية.. فأرسلوا أبا سفيان إلى المدينة ليثبت العهد ويزيل الشك من قبل المسلمين، ولعلهم اختاروا أبا سفيان فضلا عن زعامته لأنه صهر رسول الله ﷺ، فابنته أم حبيبة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ. فاتجه أبو سفيان إلى بيتها فاستقبلته في عجب لمجيئه لأنها تعلم عداوته لله وللرسول وللمسلمين. . وقد أراد أن يجلس على فراش مبسوط ولكنها طوته في سرعة رافضة أن يجلس على ذلك الفراش، وقد سألها لم فعلت ذلك، فقالت: (هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس فلا أحب أن تجلس عليه).

فلما لم يجد منها ترحيبا بل وجد إنكارا ورفضا.. وقال لها: لقد أصابك يا بنية من بعدي شرا.. وخرج من عندها غاضبا واتجه إلى أبي بكر رضي الله عنه ليكلم له النبي ﷺ فأبى فخرج من عنده واتجه إلى عمر رضي الله عنه فكان أشد منه رفضا، فقصد علي بن أبي طالب وزوجته السيدة فاطمة فرفضا وعلم منهما أن رسول الله ﷺ ما كان تاركا أمرا عزم عليه.. ولما لم يجد من يقبل شفاعته عند رسول الله ﷺ ذهب إلى المسجد بنصيحة من علي بن أبي طالب يطلب من المسلمين أن يجيروه حتى يعود إلى مكة.. ومن ثم أخذ راحلته وعاد حزينا لما لقى من مذلة على يد ابنته، وعلى يد من كانوا يبجلونه ويخشونه ويطلبون رضاه قبل الإسلام، وقد تغير الحال. ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ ■

بين عدل الاسلام وظلم المثل الشعبي

المرأة

في المجتمع العربي قبل الاسلام كان الذكور اصحاب المراكز الممتازة في الأسرة أو القبيلة فهم قوام القبيلة والمسؤولون عن كافة شؤونها، وهم المكلفون بالحرب والمطالبة بالثار وكانت القبيلة تهنأ في ثلاث حالات: فرس تنتج (تلد)، او شاعر ينبغ، أو ذكر يولد (١) أما الأنثى فكانت موضع ازدراء وتحقير فاقدة حقوقها وفي مقدمتها حق الحياة، ففي الجاهلية كان للاب في بعض القبائل ان يئد ابنته أنفة واستكبارا، كما كان له أن يقتلها خشية إملاق وكانت الأنثى محرومة من كافة حقوقها الاجتماعية الاخرى (٢).

■ للمثال الشعبي آثار سلبية وإيجابية بحسب اقترابه أو ابتعاده عن الشرع والواقع

المرأة في الجاهلية

فلم يكن للأنثى حق الميراث، حيث اقتصر هذا الحق على الذكور القادرين على حمل السلاح والدفاع عن العشيرة.

ولم يكن للأنثى حق إبداء الرأي فيما يتعلق بشؤون الاسرة، لان الرجل يملك عليها سلطة واسعة غاشمة تبعدها عن المستوى الإنساني المحترم.

ولم يكن للأنثي حق التخلص من عقد النكاح مهما كانت قسوة الرجل وجبروته واساءته معاملاتها.

ولم يكن لها حق الاعتراض على استخدام الرجل لها كألعوبة، فهو الذي يملك سلطة الطلاق في أوسع حدودها، وكان يستخدم هذه السلطة بأسلوب غير إنساني في تعذيب المرأة وإيذائها والتنكيل بها.

كما ان ظروف العصر الجاهلي جعلت المرأة في وضع اجتماعي سيئ، وجعلت الرجل ينظر الى المرأة وكأنها عالة عليه، من ذلك مثلا كثرة الحروب والاقتتال ومايترتب عليها من سبي وهتك أعراض وتخلف اقتصادي واجتماعي، فأصبح الرجل يخاف ويكتئب ويظل وجهه مسودا وهو كظيم كلما رزق بأنثى لانه اي الرجل يرى انها تستهلك ولاتنتج ومعرضة للسبي والاسترقاق والاعتداء على عفافها بصورة غير مشروعة. هذا قليل من كثير يوضح الدرك الاسفل الذي وصلت إليه مكانة المرأة في العصر الجاهلي، وفي وسط هذا الظلام الكثيف بزغ نور من عند الله هو نور الإسلام الذي أنزله الله على سيدنا محمد ﷺ لينقذ المرأة وينتشلها من غياهب الظلم والجبروت، فيبدل حياتها أمنا بعد خوف، وحرية بعد استعباد، وعدلا بعد ظلم ،ونصرا بعد هزيمة. جاء الإسلام بثورة إصلاحية هائلة استهدفت انقاذ الافراد من كل مايتعارض مع الاوضاع الانسانية السليمة بما في ذلك إنقاذ المرأة من هذا الوضع المتناقض مع آدميتها وحقوقها الطبيعية والانسانية.

المرأة في صدر الاسلام

ساوى الاسلام بين المرأة والرجل في التكاليف الدينية والثواب والعقاب مراعيا طبيعة

بقلم الدكتور: بركات عبدالعزيز محمد

كل منهما، وحرم تفضيل الذكور عل الإناث كما حرم وأد البنات بشكل قاطع، واعطى للمرأة حقها في الاهتمام والرعاية وحسن التربية، كما أعطاها الحق في الارث والتملك والعمل والكسب بما يحفظ لها إنسانيتها وكرامتها وكذلك أعطاها الحق في اختيار شريك حياتها وان يعاشرها بالمعروف وغير ذلك من الأسس والقواعد التي أرساها الإسلام بما يضمن حقوق المرأة وواجباتها بدون لبس او غموض. غير ان المرأة المسلمة فقدت كثيرا من المزايا التي كفلها الإسلام ابتداء من العصر العباسي الثاني، وبلغ التدهور الاجتماعي للمرأة قمته في العصر العثماني نتيجة سوء فهم الشريعة الإسلامية، حيث كتب على المرأة ان تعيش حبيسة التفكير في عالم حريمي مغلق خال من الأمور العامة خارج نطاق عملها المنزلي ودنياها الإنسانية التي كانت تخضع بالكامل لسيطرة الرجل سواء أكان زوجا أم أبا أم أخا، وإلا فليكن ابنا (٣).

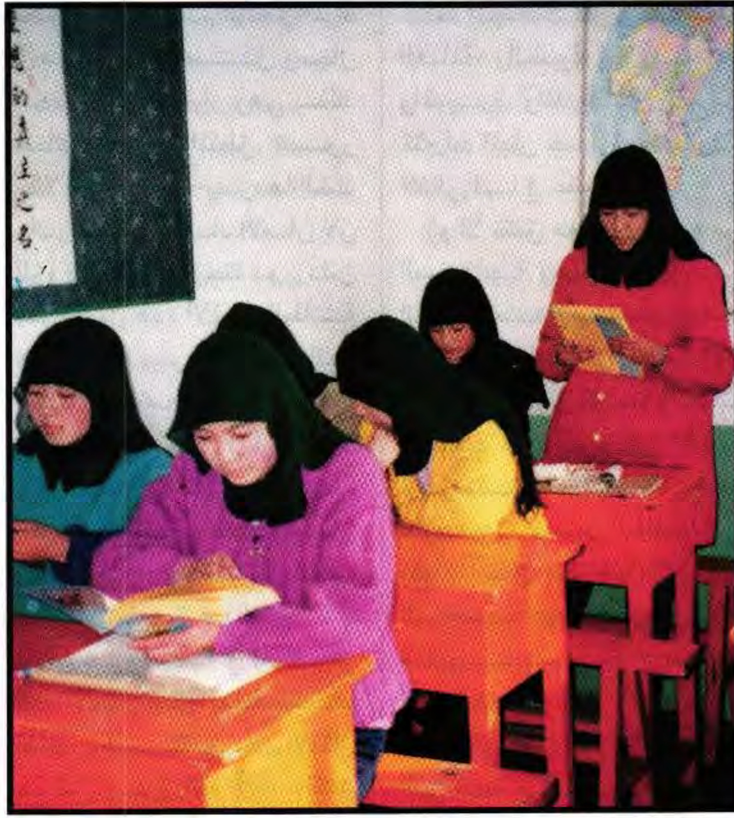
تراثنا والمثَل الشعبي

وقد ظلت الدعوات التي تطالب بحقوق المرأة تتوالى منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى الآن ولم تستطع اي من هذ ه الدعوات أو مايسمى (بالحركات النسائية وماشابهها) ان تصل بالمرأة إلى تلك المكانة السامية التي

كفلهـا الإسلام. وفي نفس الـوقت وجـدنـا العـديـد من الكتابـات التي توضـح حقوق وواجبـات المرأة في الإسـلام، وكيف ان حصـولها على هـذه الحقـوق والالتـزام بهذه الواجبـات يضمن كـرامة المرأة وصالـح المجتمع بصفة عـامة، غير ان مـايسميـه علماء الاجتماع بـالإرث الثقـافي ومـاانبثق عنه مـن ممارسـات حالية كـان العقبة الكؤود التي حـالـت ولم تـزل تحول دون حصول المرأة على حقوقها التي كفلها الإسلام.

واذا كنا نعتـزبتراثنا الثقـافي القائم على الاسلام والعـروبة، فـان من اهم مظـاهـر هـذا الاعتـزاز تنقيـة هـذا التراث ممايشوبه مـن مكونات تعوق تقـدم المجتمع وتعطـي فكـرة خـاطئة عنـه لدى المجتمعـات الاخـرى، وفي الـوقت نفسـه تجعله مجالا للطعن والتشكيك والنقـد من جـانب الأعـداء والمغرضين.

وهذا يتطلـب نوعا ممـا يمكن تسميته (بـالغربلة الإسـلامية) لثقـافة المجتمع العـربي، بمعنى وزن عناصر هذه الثقافة بميزان إسـلامي، اي الاحتكـام إلى الإسلام لتحديد الصالح والطالح من هـذه العنـاصر، وفي نفس الـوقت الاحتكـام الى القيم التي تتماشى مع الـذوق الإنسـاني النبيل ذي الفطـرة السليمـة وسـوف نجـد في النهـايـة انـه لاتعـارض بين الاسـلام وهـذه القيم لان الإسـلام دين الفطـرة، كما انه دين عالمي أنـزله الله عز وجل على نبيه محمـد ﷺ ليكون بشيرا ونذيـرا للناس كـافة، وفي مقدمة مكـونات الثقافة العـربية التي يتعين اخضاعها فورا لميزان الإسـلام مـانسميه «بـالأمثـال الشعبية»، وخاصـة تلك الأمثال المتعلقة بالمرأة.



والمثل الشعبي هـو الأسلـوب البلاغي القصير الذائع بـالرواية الشفاهية المبين لقاعدة الذوق أو السلوك أو الـرأي الشعبي (٤)، وينشأ المثـل نتيجـة تجارب إنسانيـة فرديـة او جماعية قـد تكـون عميقـة الجذور في شعب معين، وقد تنتقل اليـه مع شعب آخر مـع ماينتقل إليه مـن تراث فكري، وقـد يكون المثل حـديث التكـوين ولكنـه انتشر بسرعـة وسهـولة لانـه يمس جانبـا من شعـور سامعيـه او يضرب على وتر حسـاس في نفوسهـم، وثمة خصـائص أربع تجتمع في المثل وهي: ايجاز اللفظ، إصـابـة المعنى، حسن التشبيـه، جـودة الكتابة.

ومـا أحسن قـول ابن المقفع: (اذا جعل الكلام مثلا كان أوضع للمنطـق، وآنق للسمـع وأوسـع لشعـوب الحديـث). ويمكن التعـرف على طبيعـة أي شعب من خلال امثالـه، فهي تدل على عقليـة وحيـاة الشعب، كما انها دليل اخـلاقه ومـراتب ثقافيـة لأنها تمثل نوعا مـن أدب العامة (الادب الشعبي) (٥).

كما ان الامثـال تمثـل فلسفـة الجماهير وسلاحها القوى الذي تشهره كي تحـافـظ على عاداتها وتقـاليدهـا وقـوانيتها، ولـذلك تعتبر الأمثال من المصادر الهامة للتـاريخ الاجتماعي لأي أمـة، ويرجع تأثير الأمثال الى انها اكثر المرددات الشعبيـة انتشـارا بين النـاس، ويلجـؤون إليهـا للاستشهـاد في مجال الانتصار لـرأي معين في مـواجهـة رأي معارض، والمثل هنا يعتبر وسيلة لإفحام الخصوم، وكأنـه الدليل والبرهان الـذي لايعلوه اي دليل او برهان آخـر، ولقد كانت المرأة محل اهتمام واضح من جـانب الأمثال الشعبية، فمن بين ١٤٧٢ مثلا تمكنت إحدى الدراسات من إحصـائهـا متـداولـة في مصر وحـدهـا تبين انها تتضمن ٤٨٩ مثـلا تـدور حـول المرأة اي مـايعادل ٢و٣٣٪ تقـريبـا (٦) وهذه الأمثال تتضمن مايسيء الى المرأة وتناقض الإسلام ، كما انها تكرس النظرة المختلفـة والوضع الدوني لهذا القطـاع الجماهيري الهائل في المجتمع، الأمـر الـذي يتحمل تبعـاتـه المجتمع كلـه ،وليس المرأة وحـدهـا وفيما يلي توضيح لهذه الفكرة:

المرأة في الأمثال الشعبية

أ - تتعـدد الأمثـال الشعبيـة التي تـؤكد فكـرة عدم مشـورة النساءمـن هذه الأمثـال: شاور المرة (المرأة) واخلف شـورها - شـورة المرة بخـراب سنـة - شورة المرة تأخـر ميت سنة ورا - الـراجل ابن الـراجل عمـره مايشاور مرة.. وهكذا.

هـذه الأمثـال وماشـابهها لاتتـفق مع مبدأ الـشورى الـذي امـر بـه الاسـلام، قـال تعـالى: ﴿ وأمرهم شورى بينهـم ﴾ [الشورى:٣٨]، وقال تعالى: ﴿ وشاورهم في الأمر فاذا عـزمت فتوكـل على الله إن اللـه يحب المتـوكلين ﴾ [آل عمـران:١٥٩] معنـى ذلك ان الأمثال الشعبية التي تحض على عدم المشـورة فيما هو حق ومع اهل المشـورة - تتعـارض بصراحة مع منهج الإسلام.

كما انها - اي هذه الأمثـال - تؤكـد الاستبداد في الـرأي وهذا لايليـق بخلـق المسلـم، كما ان السيـاق النفسي والاجتماعي واللغـوي الخاص بـالأمثـال الشعبية السـابقة، يحتـوي على معاني التكبر والافتخار بالنفس واحتقـار الآخرين، ويتنـافى مع التـواضع وحسـن الخلق (٧) ومن جهـة أخـرى، فإن الاخـذ بمثل هـذه الامثـال في الحيـاة الزوجية يؤدي الى تكدير صفو العلاقـة بين الزوجين وبـالتالي يفـرغ هـذه العـلاقـة من مضمـونها القـائم على المودة والرحمة والعشرة بالمعروف.

ب - ومن الأمثلـة الشعبيـة

شرأة بين عدل الاسلام وظلم المثل الشعبي

مـايحض على كـراهيـة الأنثى والقسـوة في التعـامل معهـا، بل ويحض على تجريدهـا من الحق في الحياة مثل: يـا مخلفة البنات، ياعـايشة في الهم حتى الممات - اكسر للبنت ضلع يطلع لها اثنين - موت البنات سترة..

وهذه الأمثـال تتعارض كليـا مع مـاأقره الإسـلام، فها هـو القـرآن الكـريم يحذرنـــا مـن كراهيـــة البنـــات ويـــبين انها مخـالـفة للـشرع قـال تعـالى: ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهـــه مســودا وهـــو كظيم ، يتـــوارى من القـوم من ســـوء مابشربـه ايمسكه على هـون ام يـــدســـه في التراب الا ســـاء مـــايحكمـــون ﴾ [النحل:٥٨ و٥٩].

كما ان المثل الشعبي القـــائل بأن موت البنات سترة هو ترديد أعمى، واحيـــاء ممقـــوت لعمل جاهلي غـاشم هـو (وأد البنات) وهـذاحـرمـه الإسـلام تحريما قـــاطعـا - كما ان القســوة في معاملـة البنت، والتي يـوضحها المثل الشعبي القائل: اكسر للبنت ضلع يطلع لها اثنين، يمثل نوعا من القسوة وفظـاظة القلب التي نهى عنهـــا الإســـلام من واقع القرآن الكريـم والسنة الشريفة، فالإسلام دين الرحمة والشفقة، وقد شن حربـا لاهوادة فيها على المتجبرين والقاسية قلوبهم.

ج - وهنـــاك من الامثلـــة الشعبية مـايظهر عـدم الثقة في المرأة وألا تؤتمن على السر. مثال ذلك: لاتأمن للمـرأة إذا صلت، ولاللشمس إذا ولت - من أعطى سره لامـرأتـه يـاطـول عـذابـه وشتـاتــه - عمر المرة مـاتـربي طور (ثور) وينفع..

مثل هذه الأمثـال تؤكـد فكرة خاطئة مفادها عدم الثقة في المرأة في مجال أداء العمـــــــل ومجال الحفاظ على الاسرار وهي بـذلك تخالف الشرع والمنطق، تصـور مثلا حياة زوجية يسودها الشك والـريبـة وافتقـــاد الأمـان لان الزوج لايثق في زوجته دون دليل سوى مثل هذه الأقوال الطائشة هل نتـوقع وجود اسرة صـالحة وبالتالي مجتمع صالح؟

ثم ألا تتفق معي في ان الاخـذ بمثل هـذه الامثال يـدعم سـوء الظن الـــذي نهى عنـه القـــرآن الكـــريم: ﴿ وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ﴾ [الفتح:١٢]، ثم ان عـدم الثقـــة في المرأة وفق هذه الأمثال يمثل إهانة مابعدها إهانة، وكيف تتفـق هذه الأمثال مع قول رسول الله ﷺ : «اكمل المؤمنين إيمانـا أحسنهم خلقـا، وخيـاركم خيـــاركم لنســائهم» [رواه أبو داود وأحمد].

يتضح مـن ذلك ان الأمثلـــة الشعبيـــــــة تخالـف الشرع الإسلامي صراحة عنـدما تدعو الي عـدم ائتمان المرأة على سر أو عمل، كما أنها تخالف الـــواقع والمنطق، فالتاريخ العربي يحفل بنساء فـاضلات كـان لدورهن أعمق الأثـــــر في الحضـــــارة الإنسانية بكافة مجالاتها.

كما ان الـواقع الـذي نعيشـه يحفل بـالعـديـد والعـديـد من النســـاء الـلاتي تـــرتكـــز على جهـــودهن التنميـــة والتقـــدم والاستقرار، ويكفي ان ننظر الى كـافة المجـالات لنرى بأنفسنـا: العـالمة، والطبيبة، والمهنـدسـة، والمديـــرة، والمدرســـة، وغيرهن كثيرات اثبتن جـدارة وتفـــوقـا لانظير لهما في عالم الرجال..

ثم ألا تتفق معـي في انـــه من الســـذاجـة وضيـق الافق دمغ النساء وحـدهن بصفـات سلبية مثل إفشـــاء الأسرارأوالفشل في العمل؟ ألم يقابل كل منا في حياته العـديـد من (الـرجـال) الـذين لايـؤتمنــــون على سر ولايعتمـد عليهـــم في عمــــل؟، فلماذا اذن يفوتنـا تذكر مثل هـذه الحقائق الـواضحـة عندمـا نسمع مثـلا شعبيـــا يـــــدمغ المرأة بهذه الصفات؟

د - امـا عن الأمثال الشعبيـة التي تحط مـن قيمـــة المرأة في علاقتها بالرجل فحدث ولاحرج، فهذه الامثال في جملتها تحط من قـدر المرأة وتجعلهـا طـــرفـا في علاقـة ظالمة وغير ذلك من الكثير الـذي يعف عن ذكـره اللســان، مثل: جنهم جـــوزى ولاجنـــة ابويا..

مثل هذه الامثـال التي صيغت بأسلـوب استهزائي ساخـر من المرأة - التي تبغي الـود وحسن المعـــاشرة - بعيـــدة عـن خلق الإســـلام، وتعبر عن تهاون في العهد الذي بين الـزوج والزوجة والذي سمى (بالميثاق الغليظ) في القرآن الكريم ، ثم ان تأمل الأول (جهنم جـوزي ولاجنـة أبويـا) يدعو المرأة الى الذلـة والاستكانة والتهاون في حقوقهـا حتى ولو كان زوجها قـد حول حياتها الى جحيم ، ألا يتنـــاقض مع منطق الإسلام الخاص بعدم الرضوخ للظلم والظالمين؟ ثـم ألا يتناقض ذلك مع مـاامر اللـه به الأزواج، من ان يحسنـــــوا معـــــاشرة أزواجهن.

كما ان الشطر الثاني من المثل (ولاجنة أبـويا) يغفل مأأمـر به الشرع الحكيم من ان يبر الأبنـاء آباءهم بالطاعة والاحسان اليهم، لا لكون الآباء سبب وجود الأبناء فحسب، بل لان اللـــه عـــزوجل أوجب ذلك حتى قـرنه بعبـادته وحده دون غيره.. قـــال تـعالى: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إيـاه وبالـوالدين إحسـانا إمـا يبلغن عنـــدك الكبر أحـــدهما أوكـــلاهما فـــلاتقل لهما أف ولاتنهـــرهما وقـل لهما قـــولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الـــرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيـــــــاني صغيرا ﴾ [الأسراء:٢٣و٢٤].

إن الشطـــر الثـــاني من المثل المشـــار اليه، يحوي من النفـور والبغض للآبـاء والمعيشة معهم وان كـــانـت جنـــة، في حين ان شطـره الأول يحوى الخضـــوع والاستكـانـة للـزوج حتى ولـو كـانت الحياة معـه قاسيـة مثل جهنم. هل هذا معقول؟ صحيح ان الإسـلام امـر المرأة ان تطيع زوجهـا وتذعن لأمـره وتـرضى عن معيشتهـا معه الي آخـر هذه المعـاني الـرائعـة التي قـررهـا الإسـلام ولكن طـاعة الـزوجـة لزوجها تكون في حدود مايتوافق مع الـدين، وهـــذا لايمكن بأيـة حـــال مـن الأحـــوال ان يحول الحياة الى جهنم كما يقول المثل، فكل مايجعل الحياة قاسية بهذه الصورة التي لايطيقها بشر لابد وان يكـون خـارجـا عن حـدود الشرع. فالله تعـالى اعلم بعباده،

عـــــاب الإســـــلام على الجاهليين احتقـــارهـم للمـــرأة وكـــرههم لـــلإنـــاث ووأدهـــنّ



● أطلق الإسلام المرأة من عقال الجهل وحصّنا بالعلم

كما انـــــه بهم رءوف رحيـم، ويعرف طـاقتهم او قدرتهم على التحمل، وعندما يقضي بأن تطيع الزوجـة زوجها فإن الأمـر الذي لايقبل الجدل او المناقشة هو ان المرأة بإمكانها ان تطيـع زوجها بما يسعد حيـاتها الزوجيـة، قد يقول قائل ان المقصود بهذا المثل هـو ان تـرضى الـزوجـة عن المعيشة مع زوجها وتقول له ان اسلـوب المثل - جهنـم جـوزي ولاجنة ابـويا - يزيـد الأمر عن حـــده فيقلبـه الى ضـــده، حين يفـــرض على المرأة الحيـــاة مع زوجها حتى ولو كان سيء الطبع ضيق الخلق يــرتكب المعــاصي ويمارس الظلم، ولاطاعة لمخلوق في معصيـة الخالـق، والإســلام يـــرفض الظلم ويحثنـــا على مقاومته بكل مـاأوتينا من قوة.. وفي نفس الــوقـت. فــان المثل الســابق ينفر المرأة مـن والدهـا بشكل صـارخ وهـذا يـرفضـه الإسلام شكلا ومضمونا.

■يحفل الواقع بالعديد والعديد من النساء اللاتي ترتكز على جهـــودهن التنميـــة والتقـــدم والاستقــرار

خطورة المثل الشعبي

هـــذه الأمثـال الشعبيـــة من شأنها ان تفضي الى تخلـف المرأة والمجتمع العربي عمومـا، وتدعم التمييـــز الجاهل بين الـذكــور والانـاث، وتهضم أو تقيـد حق المرأة في التربيـة والتعليم والعمل والمشــاركـة في تنميـــة المجتمع حسب هـــدى الإســلام، هـــذه الامثال تسيء الى امهاتنـا وبناتنا واخـواتنـا وزوجـاتنـا وغيرهن ووجـــودهـــا في الإذاعـــة والتليفزيون والسينما.الخ يجعل الناس يرددونها متصورين انها صحيحة، في الـوقت الذي ليست فيه هـذه الامثال مـن القرآن او السنة، بل انها تنـاقضها تماما. بنت اليـــوم هـي ام المستقبل ووجودهـا في جو اجتماعـي عام به مثل هذا الرذاذ الفاسد يحول دون ان تكـون (الأم) المسؤولـة عن إعداد النـشء إعدادا سليما، ولله در القائل:

الأم مـدرســة إذا أعـددتها
أعددت شعبـا طيب الأعراق

الهوامش:

(١) عبدالله شحاته، الدعوة الإسلامية والإعلام الديني، ط٢، القاهـرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص١٢٧.

(٢) زيدان عبدالباقي، المرأة بين الـدين والمجتمع (القاهـرة: مطبعــة السعـــادة، ١٩٧٧، ص١٩٠-١٩٣.

(٣) المرجـع الســـابـق، ص١٩٩.

(٤) إبراهيـم أحمد شملان، الشعب المصري في أمثـــالـــه العـاميـة، القـاهـرة، الهيئـة المصريـة العـامـة للكتـاب، ١٩٧٢، ص١٦-١٩.

(٥) محمـد قنـديل البقلي، الأمثــال الشعبيـة، سلسلـــة (كتابك)، رقم٤٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨، ص ٩-١١.

(٦) عـاطف عـدلي العبـد، المرأة الريفية، سلسلـة (اقرأ)، رقم ٤٨٤ (القـــاهـــرة : دار المعارف ١٩٨٧) ص ٦٩.

(٧) محمـــد كـــامل عبدالصمـد، أمثال شعبيـة في قفص الاتهام (القـاهـرة : دار الاعتصـــام، ١٩٨٩، ص

لقد فرضت قضية التطرف نفسها على الساحة العالمية، وامتدت براثنها إلى داخل مجتمعاتنا العربية والإسلامية في محاولة لبث سموم الفرقة والعداء بين صفوف المسلمين متخفية بعباءة الدين تارة والسياسة تارة أخرى: ﴿ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾ [يونس:٨٢] فما هي حقيقة التطرف، وكيف نشأ، وماهو موقف الإسلام منه؟

التطرف

في المجتمع الإسلامي المعاصر

بقلم: أحمد السيد عثمان الجندي

ماهية التطرف

ظهرت عبارة التطرف منذ صاغ الفلاسفة اليونانيون عبارتهم الشهيرة (الفضيلة وسط بين طرفين، إفراط وتفريط، فالشجاعة وسط بين التهور والجبن، والكرم وسط بين البخل والتبذير).

والتطرف في اللغة: هو مجاوزة حد الاعتدال، وقد استخدم مصطلح التطرف في الأدبيات السياسية والاجتماعية في المجتمعات الغربية أولا، ثم شاع استخدامه في العالم العربي وخاصة في الآونة الأخيرة، وهو في السياسة يستخدم لوصف سلوك وأفكار جماعات أو أفراد يرفضون الحوار مع مخالفيهم، أو مع مجتمعاتهم ويتمسكون بفكرة أو مجموعة أفكار صماء يخترعونها أو يستعيرونها على أسس بعيدة عن الإدراك الواقعي. ويرتبط التطرف عادة بمحاولة أقلية جامدة فكريا فرض رؤيتها وأسلوبها في التفكير على الأغلبية، حيث يعتقد الشخص المتطرف أنه وحده هو الذي ينفرد بامتلاك الحقيقة، ومن ثم فإن من حقه أن يفرض آراءه ومعتقداته على الآخرين.

بين التطرف والإرهاب

لا يقتصر مفهوم التطرف على الدين فقط، بل يتعداه ليشمل السياسة أيضا ويكمن جوهر التطرف السياسي في رفض الشخص المتطرف لواقع المجتمع القائم وسعيه إلى تغيير هذا الواقع مما يؤدي إلى العزلة، وقيام علاقة عدائية مع المجتمع وإلى العنف الذي يستثير عادة عنفا مضادا من قبل النظام السياسي، وعندما يتحول التطرف من مجرد موقف فكري إلى فعل عنيف فإنه يتجسد فيما اصطلح عليه (بالإرهاب) الذي يقصد به الاستخدام المستمر للعنف الدموي بهدف الوصول إلى نتائج سياسية لصالح جماعات منعزلة أو محيطة، أو تجمعها حالة فصام نفسي مصحوب بالثبات عند رأي جزئي أو متعنت، والإرهاب كما يقول عالم الاجتماع السياسي البريطاني (ويلكسون) ليس فلسفة ولا حركة، وإنما هو أسلوب أو مجرد طريقة لفرض موقف، أو لتحقيق طموح سياسي معين لجماعة منعزلة ومحيطة، والتي تدرك ألا أمل لها في الوصول إلى ما تريده إلا عن طريق تخويف الأغلبية ومؤسساتها أو شلها عن طريق إشاعة الرعب أو التضليل (١).

التطرف في التراث الإسلامي

لا يستخدم التراث الإسلامي كلمة (تطرف) وإنما يتسخدم بدلا منها كلمة (تشدد) أو (غلو).. ويطلق عادة على بعض الأفراد الذين يلجأون في فقههم إلى التشديد على الناس في أمور دينهم إلى حد العسرة، والتشدد والغلو (ليس جديدا على الساحة الإسلامية فلقد تمثلت بذوره الأولى في جماعات الخوارج والمعتزلة، والمرجئة، والروافض، والسليمانية، والجارودية، والزيدية، والإمامية وغيرها من الجماعات التي اتسمت بالتعصب الفكري، وكانت قضية (التكفير) في الفكر الإسلامي هي لب التطرف والغلو، فالخوارج يجمعون على تكفير علي وعثمان رضى الله عنهما، وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضى بالتحكيم، ومن الروافض من يكفرون من ترك الائتمام بعلي بعد الرسول ﷺ وكل من حاربه، والسليمانية والزيدية

يكفرون عثمان رضي الله عنه، والسليمانية والابترية يكفرون الجارودية لتكفيرهم (أبو بكر وعمر) رضي الله عنهما ومن تابعهما، والزيدية والإمامية يكفر بعضهم بعضا، ولقد وصل التطرف عند بعضهم إلى حد الخوض في حرب ضروس مع مخالفيهم، وهذا يتنافى مع مايدعو إليه الإسلام من الوسطية، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

الرؤية الإسلامية لظاهرة التطرف

لقد نهى الإسلام عن الغلو والتشدد في الدين، فكان الرسول ﷺ يدعو إلى التيسير على الناس والرفق بهم، والله سبحانه وتعالى ﴿ لا يكلف نفسا إلا وسعها ﴾ إذ قد يضيق البعض على الناس فيحرمون ما أحل الله، ويخرجون عن مبدأ الإسلام الحق الذي هو نهج وسط يتجلى فيه التوازن والاعتدال، بعيدا عن طرفي الغلو والتفريط. وهذا المبدأ وضعه الله سبحانه وتعالى لأمته بقوله في كتابه الكريم: ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ [البقرة:١٤٣].

ولقد روى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين) (٢)، وما نهى الرسول ﷺ عن هذا الفعل إلا لأنه يدفع إلى التشديد في الأمور الصغيرة، ولذا نجده يحذر أتباعه من كثرة الأسئلة التي تنتهي بهم إلى هذه المرحلة وذلك حين قال: «إن أعظم المسلمين جرما رجل سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته»، وقال ﷺ: «ذروني ماتركتكم.. فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم» [رواه البخاري].

وما خير رسول الله بين أمرين إلا واختار أيسرهما، فيروي عنه ﷺ أنه قال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» [رواه الدارقطني وغيره، وهو حديث حسن]. وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها». وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» [رواه البخاري ومسلم].

والإسلام؛ كما هو معروف؛ صفته الأولى، سعة الصدر مع الخصوم، يقول الله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾ [التوبة:٦]. والإسلام دين اقتناع وإقناع، لا دين إكراه وقوة، "وشعاره": ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة:١١١].

والمسلم إنسان متوازن، معتدل في فعله، ومعتقده، وليس عنيفا، ولا معسرا على نفسه ولا على الآخرين.

عوامل بروز ظاهرة التطرف في العصر الحديث

١ - الحكم بغير ما أنزل الله:

لقد أدى تهاون الدول، في تطبيق الشريعة الإسلامية في بعض شؤونها أو كلها إلى ظهور علامات رفض من قبل بعض الأفراد، من منطلق أن الدولة مادامت تتخذ الإسلام دينا لها، وأساسا لتشريعاتها فإنه يكون لزاما عليها تطبيق هذه الشريعة كاملة دون تدخل بشرى أو وضعي، ولقد تجلى هذا الرفض في ظهور ما يسمى (بالجماعات الإسلامية) والتي قال عنها الشيخ محمد متولي الشعراوي عند سؤاله عما إذا كان وجودها في الدولة ظاهرة صحية أو مرضية.. أنها من الممكن أن نعتبرها ظاهرة طيبة من ناحية، وظاهرة مرضية من ناحية أخرى، صحية في يقظة الأفراد والتفافهم حول دينهم، ومرضية في الدولة التي نشأت فيها الجماعات الإسلامية - ثم يتساءل - لماذا استطاعت كل دولة أن تحافظ على النظام الذي ارتضته نظاما أو منهجا للحكم ولو كان نظاما بشريا، ولا تسمح لواحد أن يشذ على هذا النظام؟!.. إذن عندها القدرة على أن تلزم الناس على النظام وأي نظام.. فما الذي لا يعجبها في نظام الله حتى لاتلتزم الناس به؟! - ويستطرد محملا الدولة مسؤولية وجود هذه الظاهرة - إن خروج الدولة عن هذا المعنى هو الذي أوجد البيئة والمناخ لوجود هذه الجماعات لعدم وجود دولة تتجه إلى المعنى العام، المهم هو القدوة، فهذه الجماعات لا تجد ما يقولون به باطلا كله ولا حقا كله، فهم إذا اتهموا الدولة بأنها لا تسير على نظام الإسلام هل تقول لهم: لا، الدولة تطبق نظام الإسلام؟!.. لكن إذا تطرق ما يقولون به إلى أنواع أخرى نقول لهم أنتم متعصبون للإسلام، فهمتم أشياء وغابت عنكم أشياء وأدخلتم أنفسكم في متاهة.. فلو خضعت الدولة للدين كنظام ما جرؤ أحد أن يخرج

■ ليس من الاسلام التشدد والغلو والتشديد على الناس في أمور دينهم إلى حد العسرة

على هذا النظام (٣).

٢ - سوء الحالة الاقتصادية:

لقد ساهم تدهور الحالة الاقتصادية، وحدة الغلاء، والبطالة المنتشرة بين قطاعات عريضة من الشباب - في بعض الدول العربية الإسلامية - في إيجاد مناخ غير سوي، يسوده الإحساس بالظلم والإحباط نظرا لغياب العدالة الاجتماعية مما يساعد على انتشار موجات التمرد والرفض وبالتالي التطرف.

٣ - فقد الانتماء:

إذا مال ميزان العدالة، وغاب شعور الفرد بالأمان، وأهدرت حقوقه في الحرية والمساواة، والتكافؤ في الفرص مع غيره من الأفراد وبصفة عامة أستلت إنسانيته، وحقه في الحياة الكريمة، فُقد الانتماء، ومع تراكم السلبيات وعدم اتخاذ الدولة الإجراءات اللازمة للإصلاح يتلاشى ارتباط المواطن بوطنه، وعندئذ يصبح فريسة سهلة لدعاة التطرف.

٤ - المتغيرات الدولية:

يرجع البعض ظاهرة التطرف إلى عوامل خارجية، وتأثيرات أجنبية غربية سواء أكانت فكرية أم عقيدية، وغيرها من المؤامرات التي يقصد بها زعزعة استقرار العالم الإسلامي وأمنه، وهي وإن اختلفت أساليبها وسائلها فإنها اجتمعت على هدف واحد هو محاولة (تدمير الإسلام) ولو بيد أهله وشبابه.

■ التطرف مشكلة عالمية امتدت إلى ساحتنا الإسلامية من غير ترحيب ولا تشجيع

٥ - الخوف من فقد الهوية:

أدى تغلغل الثقافات الغربية لقلب المجتمع الإسلامي وغزوه ثقافيا إلى اتخاذ البعض موقفا رافضا للغزو من جهة، ومواجها للدولة - بمؤسساتها وأجهزتها المختلفة من جهة أخرى - باعتبارها المسؤول الأول، والمنفذ الفعال لتسريب هذا التغريب - من خلال وسائلها الرسمية - داخل الوطن، وبالتالي المساهمة في خلق البلبلة الفكرية والعقلية للشخصية العربية الإسلامية، ومسخ هوية المجتمع.

وأيا كان الأمر، وأيا كانت الأسباب فإن منشأ التطرف - كما يرى الكاتب الإسلامي خالد محمد خالد - لن يخرج عن تلك الأسباب الأربعة: من فراغ في النفس، أو التياث في الفكر، أو رد فعل لتطرف آخر ينتقص من نفوذ الإسلام، أو ائتمار خبيث تقوده قوى غامضة لتقويض الدين وهدمه) (٤).

وسائل مواجهة التطرف

١ - مواجهة الفكر بالفكر الصحيح، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال الاعتماد على علماء متخصصين في شتى مناحي الفكر الإسلامي، وزيادة عدد الدعاة من ذوي الكفاءة، وانتقائهم وفق معايير فقهية وعلمية تؤهلهم لدور القيادة. وخدمة أهداف الدعوة.

٢ - تطبيق الشريعة الإسلامية باعتبارها منهاج حياة، صالحة لكل زمان ومكان، وذلك في إطار فعالية الإسلام ومرونته، ويسره وواقعيته.

٣ - تطبيق مبدأ العدالة الاجتماعية، وإصلاح السياسة الاقتصادية بحيث تضع في تخطيطها، استثمار كافة العناصر البشرية الشابة.

٤ - التوعية الدينية ومحاولة إثراء المجتمع بالثقافات الإسلامية التي تخلق الكيان الإنساني الواعي لمتغيرات العصر بما فيه من محاولات استعمارية لطمس الهوية الإسلامية فكريا وتكنولوجيا.

٥ - تصحيح السياسة الإعلامية بحيث تخدم القضية الإسلامية، فتبتعد عن تشويه صورة رجال الدين في موادها الفنية، بالإضافة إلى حماية الذاتية الثقافية من الغزو الفكري الأجنبي، ووقايتها من مخاطر التيارات الثقافية التي تشوه طبيعتها الإسلامية وتضر بمستقبل أبنائها □

■ يعتقد الشخص المتطرف أنه وحده الذي ينفرد بامتلاك الحقيقة

■ المسلم إنسان متوازن معتدل في فعله ومعتقده

الهوامش:

(١) انظر: د. عبدالعظيم شعبان، التربية والتطرف.

(٢) التربية والتطرف، مرجع سابق.

(٣) إبراهيم مصبح، ١٠٠ سؤال وجواب، الشيخ الشعراوي، سلسلة (اقرأ) ع٤٧٧، القاهرة، دار المعارف، ص١٥ و١٦.

(٤) نخبة من المفكرين الإسلاميين، المسلمون والعصر، كتاب العربي، ع١٤، الكويت مطبعة الحكومة،

دهر عسل

بقلم: محمد رشيد العويد*

في المثل الشائع (أعزب دهر ولا أرمل شهر). وأكثر المتزوجين، إن لم يكن جميعهم، يدرك صدق هذا المثل، ويشعر بما يعنيه، ويعيش حقيقته، حين يترك زوجته فترة من الزمان، لسفر أو غيره، فتراه يستعجل لقاءها، ويتشوق إلى عودته إليها.. وعودتها إليه.

ومن هنا: لو قلنا إن الجنة للمؤمنين دون أزواجهم، المؤمن وحده والمؤمنة وحدها، لأصاب الحزن نفوسهم، وتصوروا الوحشة التي ستصيبهم دون أزواجهم.

لكن القرآن الكريم: يبشر المؤمنين بأنهم يدخلون الجنة من أزواجهم إن كانوا مؤمنين صالحين، ويرسم صورا بهيجة للأزواج وهم يجلسون على الأرائك في ظلال الجنة، والسرور يطل من عيونهم، والنعيم يسري في أبدانهم، والفرح يملأ قلوبهم.

يقول تعالى: ﴿ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ﴾ [الزخرف:٧٠]، ﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون، هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ﴾ [يس:٥٦].

يقول القرطبي في تفسير الآية الأولى: (أي يقال لهم ادخلوا الجنة، أو يا عبادي الذين آمنوا ادخلوا الجنة، أو ياعبادي الذين آمنوا ادخلوا الجنة، أنت وأزواجكم المسلمات في الدنيا. وقيل: قرناؤكم من المؤمنين. وقيل: زوجاتكم من الحور العين. ﴿ تُحبَرون ﴾ تكرمون. قاله ابن عباس. والكرامة في المنزلة. وقال الحسن: تفرحون، والفرح في القلب، وقال قتادة: تنعمون، والنعيم في البدن. وقال مجاهد: تسرون، والسرور في العين. وقال ابن أبي نجيح: تعجبون، والعجب هاهنا درك مايستطرف. وقال يحيى بن أبي كثير: هو التلذذ بالسماع) (١).

وقال المرحوم سيد قطب في الظلال: (أي تسرون سرورا يشيع في أعطافكم وقسماتكم فيبدو عليكم الحبور) (٢).

وفي الكشاف: (تحبرون: تسرون سروراً يظهر حباره: أي أثره على وجوهكم. كقوله تعالى: ﴿ تعرف في وجوههم نضرة النعيم ﴾. وقال الزجاج: تكرمون إكراما يبالغ فيه. والحبرة: المبالغة فيما وصف بجميل) (٣).

وعند الرازي: تسرون بكل المسرة. وقال ﴿ تحبرون ﴾ بصيغة الفعل ولم يقل (محبورون)، لأن الفعل ينبيء عن التجدد والاسم لا يدل عليه: فقولة ﴿ تحبرون ﴾ يعني يأتيهم كل ساعة أمر يسرون به (٤).

وترسم آية (سورة يس) صورة بهيجة للأزواج في الجنة وهم في شغل عن كل هم وحزن، فاكهون فرحون بما هم فيه، في جلسة تنبيء عن ارتياحهم واسترخائهم باتكائهم على الأرائك تحت الظلال ﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون، هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ﴾ [يس:٥٦].

(والشغل هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه: لكونه أهم عنده من الكل: إما لإيجابه كامل المسرة، أو كمال المساءة، والمراد ها هنا الأول. وتنكيره (أي شغل) للتعظيم: كأنه شغل لا يدرك كنهه، والمراد به ما هم فيه من النعيم الذي شغلهم عن كل مايخطر بالبال. وعن الحسن: نعيم شغلهم عما فيه أهل النار من العذاب. وعن الكلبي: شغلهم عن أهاليهم من أهل النار.. لا يذكرونهم لئلا يتنغصوا، ولعل التعميم أولى.

والمراد بفاكهون على ما أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس: فرحون وأخرجوا عن مجاهد أن المعنى: يتعجبون بما هم فيه. وقال أبوزيد: الفاكه: الطيب النفس الضحوك وقال أبو مسلم: إنه مأخوذ من الفاكهة بالضم.. وهي التحدث بما يسر، وقيل: التمتع والتلذذ.

والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الإسمية، قبل تحققها، لتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للإيذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها. وقوله تعالى: ﴿ هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ﴾ استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم: وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة أزواجهم. والظاهر أن المراد بالأزواج أزواجهم المؤمنات اللاتي كن لهم في الدنيا، وقيل أزواجهم اللاتي زوجهم الله تعالى إياهن من الحور العين، ويجوز – فيما يظهر – أن يراد الأعم من الصنفين ومن المؤمنات اللاتي متن ولم يتزوجن في الدنيا: فزوجهن الله تعالى من شاء من عباده (٥).

وهكذا تصور هاتان الآيتان الكريمتان، مشهدا من مشاهد حياة الأزواج السعداء في الجنة، الفرحين بما آتاهم الله تعالى، المكرمين المنعمين، الذين يرون ما يسر عيونهم، ويسمعون مايلذ آذانهم، لا يشغلهم عن نعيمهم شاغل، ولا يصرفهم عما هم فيه من متع ولذائذ صارف. فإذا كان أهل الدنيا: يطلقون على الشهر الأول من حياة الأزواج (شهر عسل). على الرغم من كل النقائص التي فيه، أفلا يحق لنا أن نطلق على حياة الأزواج السعيدة سعادة أبدية في الجنة (دهر عسل)! بل (خلود عسل)!

هوامش:

١) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ١١١.
٢) في ظلال القرآن، المجلد ٧، ص ٣٥١.
٣) الكشاف، ج ٣، ص ٤٩٥.
٤) التفسير الكبير، ج ٢٥، ص ١٠٣.
٥) روح المعاني، ج٢١، ص٣٦ و٣٧.

*مدير تحرير مجلة (النور) الكويتية

يعة الله والتى وافت البشريـة، بعد تقطع الأواصر، واحتدام الفتن، واستعال الأهواء. فكان طوق النجـاة، وكلمة الفصل في حياة عابثة تموج بالمنكر، وتعـج بالفساد. ولقد كـان دور الإسلام أولاً في بناء النفـوس وصقلهـا، وطرد الـزيف من داخلهـا، حتى يعـود إليهـا جلاؤهـا وصفاؤها، فتبدو كما بـرأها الخالق العـظيم، وعـاء طيبـا، وتربـة خصـبة، تنفح الحيـاة بـالخير، وتـمدها بالرشد.

الفطرة المعتدلة السوية

وتلك هى الصيـاغة الأولى للنفـس البشرية، أعني الفطرة المعتدلـة السوية، التي تحدث عنها رسـول الله ﷺ ، فقال: «كل مولود يولـد على الفطرة» [البخاري ومسلم]. ومنذ ان تبوأ الأنسـان مكانة الخلافة في الارض وبـدأ التلاحم المثير بينـه وبين عناصر الكـون المسخـرة له، في مـوكب زاحف جليل، لصنع الحياة وفق منهج اللـه، وتربيتها بـالسلوك الراشد، واثراء جوانبها بالتقدم الموموق.

الطريق الحق للمنهج الحضاري

الحضارة الإسلامية فريدة بين الحضارات

والانسان في مسيرته الحضارية مع الزمن كان له رواد، يأخذ عنهم، ويـواكب هديهم، حتى لاتميـد به الأرض، ولاتعمى عليـه الطـريق، فيخبط في أمـوره خبط العشـواء، ويسير في حيـاتـه على غير السـواء. وأعنى بهؤلاء الـرواد أنبياء اللـه ورسله الأكـرمين، الـذين كـانـوا يمثلـون في دعـواتهم أرفع المقـاييس الحضارية. التـي تعلو بالإنسانية الى حيـث الدرجة التـي وضـعـها اللـه فيها، والتي تحـدث عنهـا رب العـزة فقـال: ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملنـاهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ [الاسراء:٧٠].

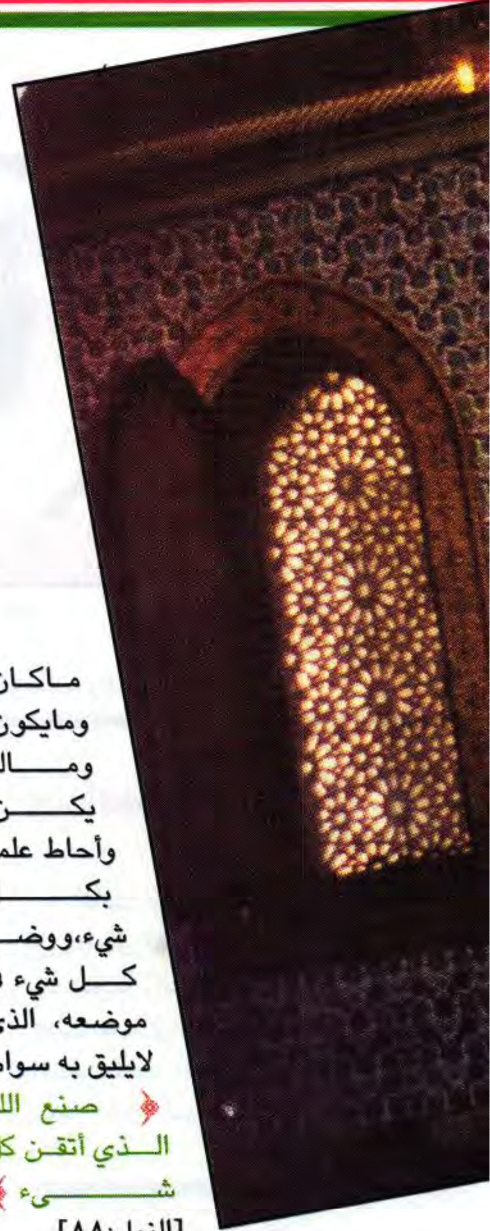
ولقد خط الأنبياء والمرسلين جميعا، دعوة الناس الى عبـادة الله، والتـوجه إليـه وحده بـالتقـديس والإجلال، وتحطيم العبـوديـة لغيره، أيا كان، وتلك ناحية فذة لها مالها، في تحريك طـاقـة الإنسـان، وإثـارة الحوافـز الكامنة فيه، لأنها ستجعلـه يندفع في طريق البناء، والله جل جلاله غايته، فيكون الوازع لـه في شوط حيـاتـه منبعثا من داخلـه، من صلته بـربه، من إحساسه بأن سلطـة عليا تراقبـه من فوق، وان هذه السلطة القـاهرة لايند عنهـا شيء، مهما دق أو عظم ﴿ ولقد

بقلم: د. عبد الفتاح محمد سلامة*

خلقنا الإنسـان ونعلم ماتوسوس بـه نفسه ونحن أقرب الـيه من حبـل الوريد ﴾ [ق:١٦].

وعنـدما ينبعث هـذا الروح المرتبط بـالملأ الأعلى، في نفس الإنسـان، وتـؤازره قـوة الأخـلاق والعلم، والقوة المادية، والبصيرة الفاعلة. فان البشرية سوف تسعد بحضارة وارفة الظلال، يرقى فيهـا الفكر، ويعز فيها النـاس، وتـزكـو فيهـا العـواطف والأحسـاسيس، لانها حضـارة موصـولـة الأسباب بوحي السماء.

ومن ثم؛ فإننـا نجـزم بأن هنـاك طريقـا واحـدا، للحضارة البشريـة الـراقية، يـدفع التقـدم الإنسـاني، ويحرسـه من الهوى والانزلاق، ويرسم له الصورة المثالية في دنيا الـواقع، لا في عـالم الخرافـات والأسـاطير. ونحن نعني بهذا الطريق طـريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والمرسلين، لانـه نظام رباني متكـامل، جاءت أحكـامه مـن خارج النطاق الأرضي، وانبثقت قوانينـه من خارج المحيط البشري، لإسعـاد العالـم كله، دنيـا واخـرى. وحسب هـذا النظـام شمـوخا: انـه من عند اللـه، الـذي يعلم



ماكان، ومايكون، ومالم يكن، وأحاط علمه بكل شيء،ووضع كل شيء في موضعه، الذي لايليق به سواه: ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾ [النمل:٨٨].

مقياس الحضارة الأصيل

إن اعز مقياس؛ فاخرت به حضارة الإسلام غيرها؛ أن كانت (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) قاعدة عريضة، ومنطلقا لاحبا، استوعب منهج الحياة، بكل مايحويه من شعائر تعبدية، وشرائع قانونية، وتصورات اعتقادية، وقيم اخلاقية، وعلاقات انسانية.

ولعل هذا سر التحول الخطير، الذي غزا كيان المسلم، في مجتمع لم يكن الحكم فيه إلا لله، فبعد ان تحرر المسلم من ربقة العبودية لغير الله، اصبح مالكا لزمام نفسه، فلا سلطان لأحد عليه، وبذلك رحل من المخلوقات الى الخالق، ومن الأكوان الي المكون، دون ان تقف هذه أو تلك في طريقه الى الله. شعاره الذي يختلج به صدره، ويعمر به فؤاده: ﴿ وان الى ربك المنتهى ﴾ [النجم:٤٢].

وهذا القياس التربوي الحضاري، الذي يتمثل في الخضوع المطلق لله تعالى، والإنابة اليه وحده. سيعتق الإنسان من كل السلبيات، ويخلصه من بواعث الانهزام، ويطرح من طريقه كل معوقات التقدم والبناء. لأنه سيتحرر من الخوف على الرزق، لان الرزق بيد الله، وسيتحرر من الخوف على المركز والمكانة، لان مالك الملك هو الله، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، وسيتحرر من الخوف حتى على الحياة، لأنه ماكان لنفس أن تموت إلا باذن الله، وسيتحرر من التبعية البغيضة، والعادات الموروثة، ليكون التلقي كله عن الله، وسيرفض الهوان في الأرض، لانه رفيع القدر بانتسابه الى السماء. ولعل تلكم المعاني: بعض من إشارات نلمحها من قول الحق جل وعلا: ﴿ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لايقدر على شيء ومن رزقناه منارزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون ﴾ [النحل:٧٥].

فشتان بين رجل مكبل بقيود الأهواء، أسير النزعات بكثافتها وقتامتها، وآخر يتحرك من منطلق الإحساس بالعزة، والشعور بالحرية، والانعتاق من كل عبودية إلا الله وحده.

وهذه الناحية التي تتصل بالعقيدة: لايغني عنها غيرها، في تقييم المنهج الحضاري، وتسديد خطاه على الدرب القاصد السليم، فلا نخوة الوطنية، ولا رابطة القومية، ولا الأعراف والقوانين، ولا المصالح المادية، كل هذه الشعارات لا تنهض بديلا، عن عقيدة في الله ثابتة، ترعى مسيرة الإنسانية، وتقود زحفها الى ما أعدلها من سعادة في الدنيا والآخرة.

ضرورة الإبداع المادي

والإبداع المادي بكل ضروبه وأشكاله، لابد منه، لنهضة دينية سوية، وارتقاء عمراني، يتفاعل مع الحياة، ويوجه نواميسها الزاخرة، ويربطها بمنهج الله في الكون: تأثيرا وعطاء.

والإسلام؛ شريعة الحياة والبناء؛ لا يمقت المادة، ولا يزدريها، بل إنه يمجدها، ويعلي من قدرها، لأنها نعمة من الله؛ قال تعالى: ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ [الحديد:٢٥]. ولقد سمى الله المال خيرا؛ قال تعالى: ﴿ إن الإنسان لربه لكنود. وإنه على ذلك لشهيد. وانه لحب الخير لشديد ﴾ [العاديات:٦-٨].

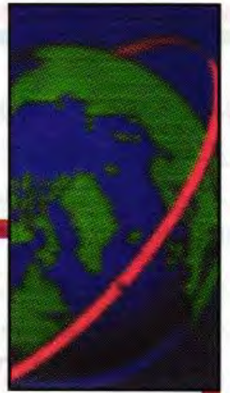
لكن الإسلام وهو يقدر المادة، ويعترف بحركتها الفاعلة، وأنها النواة الكبرى، لتحقيق الرفاهية والرخاء، في جنبات الأرض، لايريدها أن تكون مصدر تعاسة وشقاء، أو وسيلة للتسلط والتجبر، أو ذريعة للبغي والإذلال. وإلا أصبحت مطية للشياطين، يعيثون بها في الأرض فسادا. والقرآن الكريم يحكي لنا عن حضارات مادية، أفلست من القيم، وسرت فيها روح الغطرسة والتعالى، فكان الهلاك مآلها، والعذاب الصارم نهايتها. قال تعالى: ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون. واذا بطشتم بطشتم جبارين. فاتقوا الله وأطيعون. واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون. أمدكم بأنعام وبنين. وجنات وعيون. إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ [الشعراء/١٢٨-١٣٥].

إن المادة هنا مخربة مدمرة، ولذا فإن الإسلام يدين أصحابها بها، لأنهم تنكبوا بها عن الغاية الأصيلة، وانحرفوا بها عما خلقت له. والإسلام وهو يزكي الإبداع المادي ويباركه، يرى فيه مرآة صادقة، تعكس رفاهية المجتمع، وتبرز تقدمه المتوثب، في حياة قوية ماجدة. وهذا الفهم لدور المادة في المجتمع: كانت تتحرك به نفوس الأغنياء من المسلمين الأوائل، فتسابقوا في بذلها مرضاة لله ورسوله ﷺ !! وهل أتاك نبأ سعد بن معاذ؛ لقد قال لرسول الله ﷺ قبل غزوة بدر: (إنني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم. فخذ من أموالنا ماشئت، وأعطنا ما شئت، وماأخذت منا، كان أحب إلينا مماتركت).

هذه هى الحضارة المثالية التي وقفت فيها المادة تساند العقيدة، وتدعم دورها في إرساء قيم الحق والخير، والجمال، في عالم كان يتخبط في دياجير الفوضى، ويتهالك على نفسه في تمزق وشتات. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ■

*كلية التربية للبنات - جدة





نافذة على العالم

ما هو الإسلام؟

أقامت إدارة الشؤون العامة بالمسجد الكبير في الكويت محاضرة إسلامية باللغة الإنجليزية لغير المسلمين بعنوان (ما هو الإسلام) في قاعة المحاضرات بالمسجد، وقد قام بإلقائها أمين عام لجنة التعريف بالإسلام الشيخ/ صلاح الراشد، وخلال المحاضرة تحدث الراشد عن التعريف العام بحقيقة الإسلام وسماحته، وماذا تعني كلمة الإسلام مع تعريف بأركان الإيمان وأن الإسلام خاتم الديانات وانه يتميز بالشمولية ويغطي كافة جوانب الحياة وتكلم أيضا عن مكانة السنة في الإسلام وان عيسى عليه السلام سوف يتبع سنة الرسول ﷺ حين ينزل آخر الزمان. كما تطرق الشيخ/ صلاح الراشد إلى إمارات نبوة الرسول ﷺ التي تحقق منها الكثير وبقى منها العديد وكذلك إثبات نبوة الرسول ﷺ من الإنجيل بالإضافة إلى مكانة المرأة في الإسلام والحجاب الإسلامي.



● الشيخ / صلاح الراشد.

أعمال خير كويتية في كمبوديا

قام مستشار الملك الكمبودي وعضو البرلمان الكمبودي ورئيس الجمعية الإسلامية في كمبوديا محمد بن علي بن عبد الرحمن بزيارة لجنة جنوب آسيا بجمعية إحياء التراث الإسلامي، حيث أطلع على أعمال اللجنة وأنشطتها المختلفة في جميع أنحاء جنوب شرق آسيا.

ورافق المستشار في جولته بأقسام اللجنة مدير عام اللجنة جمال الحداد حيث شرح له كيفية إرسال المساعدات وطريقة تنظيم العمل الخيري في اللجنة.

وقال محمد بن علي بن عبدالرحمن أنه يتم حاليا الاستعداد لبناء دار للأيتام تقدر مساحتها بـ ٢ هكتار وذلك بالتعاون مع لجنة شرق آسيا، وقدر عدد أيتام كمبوديا بحوالي ١٢٠٠ يتيم كفلت لجنة جنوب شرق آسيا مايقارب ٢٠٠ يتيم منهم.

وأكد مستشار الملك الكمبودي بأن أوضاع المسلمين في كمبوديا باتت سيئة للغاية حيث انهكتها حرب دامية استمرت طيلة عشرين عاما حصدت خلالها كل مظاهر الحياة الإسلامية.

في غضون ذلك أفادت التقارير الواردة إلي مشروع تفريغ الدعاة التابع للجمعية أن ١٨٥ شخصا في الفلبين قد دخلوا في الإسلام على أيدي دعاة الجمعية هناك.



مساعدات بيت الزكاة

أفادت مصادر بيت الزكاة الكويتي أن إجمالي المساعدات الشهرية والمقطوعة والقرض الحسن التي قدمها البيت خلال شهر أبريل (نيسان) الماضي بلغت ٣٣٢١٣٠ دينارا استفادت منها ١٥٥٠ أسرة تضم ٨٣٤٩ فردا.

ذكرى فتح استنبول

جرت في تركيا يوم ٢٩ مايو (ايار) الماضي احتفالات ضخمة بذكرى فتح استنبول على يد السلطان محمد الفاتح عام ١٤٥٣م وقال منظمو الاحتفال أن الهدف من وراء هذه الاحتفالات هو استلهام الدروس من جهاد الأجداد الذين قدموا أرواحهم من أجل إعلاء كلمة الحق وتبليغ الرسالة المحمدية إلى كافة الأمم وقال نوازات لالي الرئيس العام لوقف الشباب الوطني في تركيا: إن الاحتفال بذكرى فتح استنبول هو الرد العملي والمباشر على المحاولات الرامية لتحويل العاصمة الإسلامية إلى مركز للأورثوذكس وسنؤكد للعالم كله أن أحفاد محمد الفاتح لن يرضخوا للضغوط الأجنبية.

كـالجسـد الـواحـد

أشاد الرئيس التشادي (إدريس ديبي) بالمساعدات التي قدمتها الكويت لبلاده التي تعاني وضعا اقتصاديا خانقا.

ونقل أمين عام لجنة مسلمي أفريقيا الدكتور عبدالرحمن حمود السميط عن الرئيس التشادي شكره للكويت حكومة وشعبا على مساعداتها وماتقدمه اللجنة من خدمات عبر مكتبها في العاصمة (نجامينا) وفروعها منذ أكثر من عشرة أعوام.



● الدكتور عبدالرحمن حمود السميط

وقال بيان صحافي للجنة أن الرئيس ديبي قد استقبل الدكتور السميط عشية وصول الدفعة الأولى من المساعدات التي أمر بالتبرع بها صاحب السمو أمير البلاد مؤخرا.

ويذكر أن جمهورية تشاد تعاني من أزمة كبيرة في الوقت الحالي بسبب الوضع الاقتصادي الخانق ولجوء العديد من سكان شمال الكاميرون إلى تشاد والحصار المضروب عليها من الجهات المانحة.

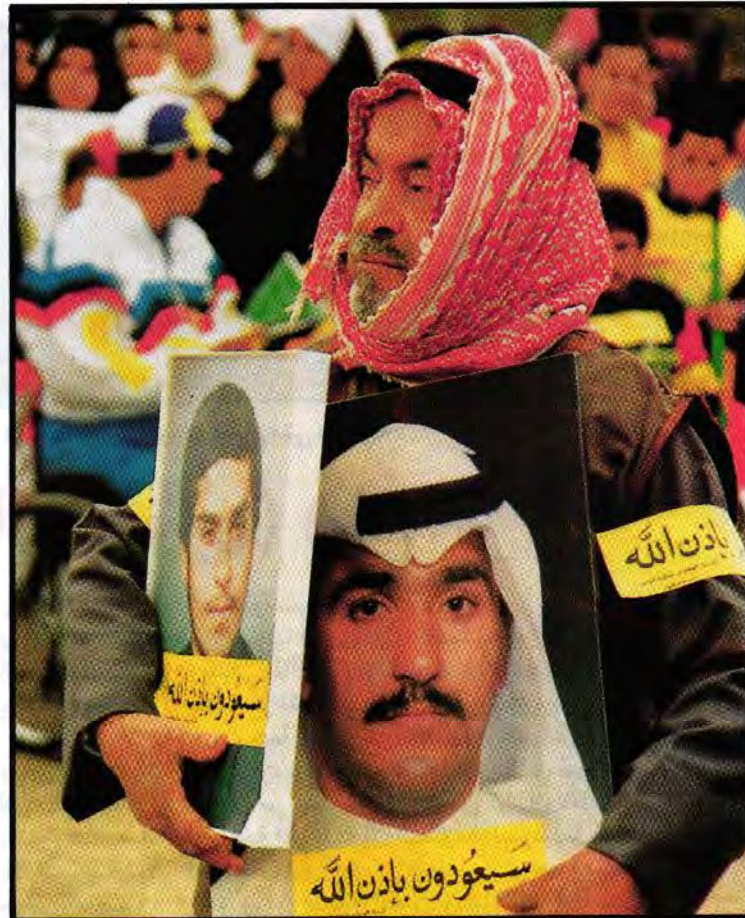
من جهة أخرى صرح أمين عام لجنة مسلمي أفريقيا الذي عاد مؤخرا من تشاد: أن المخيم الطبي العام قد اختتم أعماله بعد أن عالج أكثر من ٤٠٠٠ مريض في خمسة تخصصات هي: العيون والباطنية والجراحة والأطفال والعظام.

وأثنى على لجنة الطبيب المسلم في الندوة العالمية للشباب الإسلامي وعلى المتطوعين من الأطباء السعوديين الذين بذلوا جهودا كبيرة لعلاج أكبر عدد من المرضى وتحملوا الكثير من المشقة في ظروف صعبة. وطالب المسؤولون في الحكومة التشادية ورؤساء الجمعيات والعلماء فيها تكرار مثل هذا المخيم. ويذكر أن لجنة مسلمي أفريقيا أقامت ثمانية مخيمات للعيون ومخيمين طبيين في أماكن مختلفة من أفريقيا.

دورة شرعية للمحامين الباكستانيين

انتهت بنجاح الدورة الشرعية السنوية الرابعة للمحامين الباكستانيين التي أقامتها أكاديمية الشريعة التابعة للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد وقد شارك في الدورة ٢٦ محاميا اختارتهم المحكمة العليا في باكستان من مناطق مختلفة من أجل التزود بتعاليم الشريعة الإسلامية التي هي ضرورية لكل محام مسلم خاصة وأن أكثر المحامين في باكستان يستقون تعليمهم من الجامعات الباكستانية التي تدرس القانوني الوضعي.

الحجاج دعوا لفك الأسرى الكويتيين



ضمن سلسلة الأعمال التي يقوم بها صندوق التكافل لرعاية أسر الشهداء والأسرى لنشر قضية الأسرى والمرتهنين، أعد صندوق التكافل إعلانا ضخما حسب نظام (اليونيبول) حمل عبارة (اللهم فك قيد أسرانا) بعدة لغات (عربية - إنجليزية - فرنسية - أوردو) ووضع الإعلان في طريق جدة - مكة.

هذا وقد صرح السيد عصام عبداللطيف الفليج نائب رئيس صندوق التكافل بأن الإعلان قد وضع منذ العام الماضي في شهر ذو القعدة ١٤١٣هـ واستمر الإعلان للعام الثاني على التوالي (١٤١٤هـ)، ويقع الإعلان على الخط السريع الواصل بين مدينتي جدة ومكة المكرمة ليطلع عليه الآلاف من زوار بيت الله الحرام من المعتمرين والحجاج، ويهدف اختيار هذا الموقع بالذات إلى أن المتجهين إلى مكة المكرمة تكون قلوبهم متجهة إلى الله عز وجل، وبمرورهم على هذا الإعلان وهم بلباس الإحرام سيدعون لهؤلاء الأسرى (اللهم فك قيد أسرانا)، ولعل دعوة حاج أو معتمر تصيبها ساعة إجابة فيعجل الله عز وجل بتحرير الأسرى والمرتهنين ويهيء الأسباب لذلك.

المديونية العربية ١٩٤ مليار دولار!

حذر تقرير من أن المديونية العربية أخذت منعطفا خطرا حيث وصلت في نهاية العام الماضي ١٩٤ مليار دولار تمثل ١١ في المائة من إجمالي ديون الدول النامية.

وجاء هذا التحذير في تقرير أعدته الأمانة العامة (للمؤتمر القومي العربي) الذي انعقد لبحث الوضع العربي خلال العام الماضي ونوقش التقرير خلال اللقاء الذي ضم أكثر من ١٠٠ سياسي عربي مستقل من أعضاء المؤتمر القومي العربي الذي يضم شخصيات عربية.

وقال التقرير الذي أعدته شخصيات سياسية واقتصادية عربية: (أخذت المديونية العربية منعطفا خطرا حيث وصلت إلى ١٩٤ مليار دولار في نهاية عام ١٩٩٣م، وتقدر خدمتها بحوالي ١٨ مليار دولار تمثل ١١ في المائة من إجمالي ديون الدول النامية).

وأشار التقرير إلى أن الديون العربية تمثل ٧٥ في المائة من إجمالي الناتج المحلي العربي ومثلي قيمة الصادرات وتصل خدمتها إلى ٣٠ في المائة من إجمالي حجم الصادرات.

وقال التقرير إن الاستثمار العربي في الخارج وصل إلى ٦٧٠ مليار دولار مقابل استثمار أوروبي في المنطقة العربية لا يتجاوز أربعة مليارات دولار ومقابل استثمار عربي داخل المنطقة العربية لا يتعدى ١٢ مليار دولار.

ولاحظ التقرير أن هناك حاجة إلى التسويق الإقليمي والعربي في مجالات المياه والغذاء (ولقد أصبح نصيب الفرد من المياه في أغلب الأقطار العربية أقل من ١٠٠٠ متر مكعب).

ومضى التقرير يقول: إن فاتورة الغذاء سوف ترتفع في العالم العربي بعد رفع الدعم التدريجي عن الحبوب في الدول الصناعية وهي الفاتورة التي قال التقرير انها تكلف حاليا ٣٠ مليار دولار سنويا في الوطن العربي.

أما على صعيد الإنسان العربي فقال التقرير ان نسبة مشاركته الحقيقية في النشاط الاقتصادي (قد لا تتعدى ٢٣ في المائة في الوطن العربي). وقال التقرير ان الأمية تعوق جهود التنمية في ١١ قطرا عربيا على الأقل وأن معدلات البطالة وصلت إلى ٢٠ في المائة من اليد العاملة في بعض الأقطار. لكن التقرير لم يذكر تلك الأقطار بالاسم.

أمريكا والتعليم المختلط

بدأت مؤخرا بعض المدارس الأمريكية (الحكومية بتطبيق تجربة تقوم على فصل الطلبة حسب الجنس في التعليم العام ويقف عدد من المسؤولين التربويين خلف هذه الفكرة في عدة ولايات أمريكية من بينها (فرجينيا) و(بنسلفانيا) و(ميتشيجن) و(فلوريدا) و(ميرلاند) وقد أظهرت النتائج الأولية للتطبيق أن فصل الطالبات عن الطلبة ساعد الطالبات على استيعاب المواد وولد شعورا بالثقة في كفاءتهن.



● الدكتور بطرس غالي



VICTIMS
A trail of blood winds through a hospital, victims of the market attack wait for help

● البوسنة و الهرسك صراع متى ينتهي؟

مسعى لإقالة (غالي) و (أكاشي)

قال بوب دول زعيم الأقلية الجمهورية في مجلس الشيوخ الأمريكي أنه يطالب بإقالة الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالي والممثل الخاص للأمم المتحدة في يوغوسلافيا السابقة ياسوشي أكاشي (بسبب موقفهما المحابي للصرب).

وقال دول في حديث إلى شبكة التلفزيون الأمريكية (سي. ان. ان) أن غالي واكاشي (ظلا يمثلان عقبة كبرى أمام عمليات حلف شمال الأطلسي (الناتو) عندما عارضا في أواخر أبريل الماضي الضربات الجوية ثم سمحا أخيرا بمرور دبابات صربية إلى منطقة العاصمة البوسنية سراييفو).

وأضاف دول قوله: انهما يبديان في نظري انحيازا وينبغي أقالتهما)، وأشار إلى أن الحلف الأطلسي يجب الا يطلب موافقة الأمم المتحدة للقيام بضربات جوية.

من جهة أخرى عبر سناتور كنساس عن تفاؤله إزاء التصويت على مشروع القانون الذي قدمه حول رفع الحظر من جانب واحد أي من قبل الولايات المتحدة عن الأسلحة المرسلة إلى الحكومة البوسنية ذات الغالبية المسلمة، وقال أيضا: (علينا أن نواجه معارضة الإدارة والمسؤولين الديمقراطيين، ولكن اعتقد اننا سنربح).

الشيوعية تعود للمجر!!

حقق الحزب الاشتراكي المجري (الشيوعيون الاصلاحيون سابقا) في أوائل مايو الماضي فوزا كاسحا في الدورة الأولى للانتخابات التشريعية بحصوله على ٣٢,٤ في المائة من أصوات الناخبين بحسب النتائج الرسمية النهائية.

وبلغت نسبة المشاركة ٦٩ في المائة أي ٤ في المائة أكثر من النسبة التي سجلت قبل أربع سنوات أثناء أول انتخابات تشريعية تنظم في المجر بعد أربعين سنة من النظام الشيوعي.

وجاء تحالف الديمقوقراطيات الحرة (ليبيراليون في المرتبة الثانية مع ١٩,٤ في المائة من الأصوات فيما احتل المنتدى الديموقراطي الذي يتزعمه رئيس الوزراء بيتر بوروس في المرتبة الثالثة مع ١٢ في المائة من الأصوات.

والجدير بالذكر أن الشيوعية تحاول الآن تجميع صفوفها من جديد في أعقاب الفراغ السياسي والفكري الذي حصل بعد سقوطها في كافة الدول الشيوعية.

المحافظة على التفوق العسكري لإسرائيل؟

قال كريستوفر وزير الخارجية الأميركي: إن الولايات المتحدة سوف تتأكد من استمرار حصول إسرائيل على ميزة أكبر من المساعدات العسكرية الأميركية.

وقال في كلمة ألقاها أمام اللجنة الأميركية اليهودية: (كما قال الرئيس كلينتون أن من واجب الولايات المتحدة تقليل الأخطار التي تتعرض لها إسرائيل.. وفي سبيل تحقيق ذلك الغرض علينا أن نواصل تأكيد وتعزيز التميز العسكري النوعي لإسرائيل).



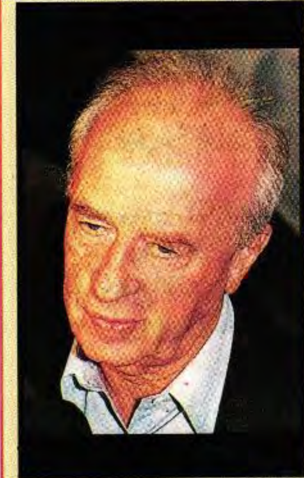
اقبال بريطاني على الاسلام

أكد برنامج تليفزيوني بريطاني أن (الإسلام) هو أكثر الأديان جاذبية في بريطانيا. وجاء في برنامج (كل إنسان) الذي خصص حلقته الأخيرة لـ(البحث عن الله في إنجلترا) ان (الإسلام هو أكثر الأديان نموا في المملكة المتحدة)، وان (معدل ثلاثة أشخاص في الأسبوع من غير المسلمين يتحولون إلى الإسلام في لندن).

تعاون هندي - صهيوني!!

عرضت دولة الكيان الصهيوني تقديم خبراتها لإغلاق الحدود التي تفصل بين كشمير المحتلة وبين باكستان على غرار ما يفعله الصهاينة في الأرض المحتلة وقالت مصادر دفاعية رفيعة المستوى أن من المحتمل صدور قرار نهائي بشأن هذا الاقتراح الصهيوني بعد عودة ناراسيمهاراو رئيس الوزراء الهندي من زيارته للولايات المتحدة في حين أكب خبراء دفاعيون هنود على بحث المقترح الصهيوني.

رابين: القدس عاصمتنا الموحدة!!



احتفلت دولة الكيان الصهيوني يوم ٩/٥/١٩٩٤ بالذكرى السابعة والعشرين لاحتلال القدس الشرقية وضمها في يونيو (حزيران) ١٩٦٧م، وقد أكد رئيس وزراء العدو أن القدس ستبقى موحدة تحت السيادة الإسرائيلية عاصمة لإسرائيل حتى في إطار الاتفاق النهائي مع الفلسطينيين.



التلفاز وتنشئة الطفل الاجتماعية

أطفالنا هم ثمار قلوبنا وعماد مستقبلنا، لذا يجب أن نوليهم عناية فائقة من الأسرة والمدرسة وأجهزة الإعلام، التي أصبحت تستهوي الكثير منهم، خصوصا التلفاز لما يقدمه من صور ورسوم متحركة يتفوق بها على ما سواه من وسائل، نظرا لارتباط الصوت بالصورة وعدم الحاجة لاتقان القراءة والكتابة. بالإضافة إلى سهولة التعرض له ومشاهدته – غالبا – في جو أسري ومع كل ذلك فالأطفال الذين يجلسون أمامه يكونون على استعداد للتقبل. فقد أفادت بعض التقارير أن الأطفال في أوروبا وأمريكا يقضون من الوقت في مشاهدة التلفاز أكثر مما يقضون في المدرسة، وأكثر مما يقضون في التحدث مع والديهم وأفراد عائلاتهم. وفي القديم كانت قاعدة التربية ثلاثية الزوايا البيت والمدرسة والمسجد، والآن احتل التلفاز الركن الأشد فعالية والأعمق أثرا والأوسع انتشارا والأسهل تناولا (١).

والتنشئة الاجتماعية تشير في علم النفس الاجتماعي إلى العملية التي يتعلم عن طريقها الفرد كيف يتكيف مع الجماعة عند اكتسابه للسلوك الاجتماعي الذي توافق عليه (٢). وهذه العملية ضرورية لتكوين (ذات) الطفل، وتطوير مفهومه عن ذاته كشخص وخاصة من خلال سلوك الآخرين واتجاهاتهم نحوه، وكذلك عن طريق كيفية أداء الأدوار الاجتماعية المختلفة الذي يؤدي بدوره إلى ظهور الذات المتميزة بالنمو السليم (٣).

والطفل يتأثر بما حوله ويتشرب ما يملي عليه من أفكار وقيم، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش عليه ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له (٤).

سلطان التلفاز

شهدت السنوات القليلة الماضية قفزة كبيرة في صناعة الاتصال، وزادت ساعات الإرسال مع تقدم وسائل الانتاج وزيادة القنوات ودخول القنوات الاجنبية، كل هذا وغيره جعل للتليفزيون انتشارا وسلطانا قد تصعب مقاومته.

بقلم: عاطف شحاتة زهران

وأهم ما يميز التلفزيون عن غيره من وسائل، هو اعتماده على حاسة البصر بالدرجة الأولى إلى جانب حاسة السمع.

وعن طريق حاسة البصر يكتسب الإنسان ثمانية أعشار معلوماته كما أن استيعاب المرء للمعلومات يزداد بنسبة ٣٥٪ عند استخدام الصورة والصوت في وقت واحد ،كما تطول مدة الاحتفاظ بهذه المعلومات عندئذ بنسبة ٥٥٪.ومن ثم يسعى التلفاز جاهدا لكسب قاعدة عريضة من الجماهير ،مستغلا هذه الطاقات وإذا كانت الأسرة تؤدي دورا بالغ الأهمية في تنشئة الطفل، فإن للمدرسة أيضا دورها، فهي تنقل الطفل إلى آفاق أوسع من المعرفة وتنقل إليه ثقافة المجتمع ككل، ولكن تأثير وسائل الإعلام يفوق كل ذلك فهي تنقل إليه العالم الخارجي، وتزيد من قدرته على التحرك النفسي وتخيل لهم أنفسهم في مواقف لم يجربوها بعد، كما تعود أذهانهم علي تصور تجارب أوسع من تجاربهم المباشرة المحددة وعلى تخيل مناطق لم يشاهدوها (٥).

تضاؤل دور الأسرة

إن الآباء إذا شغلوا عن الأبناء في سنوات التنشئة، يكونون قد قصروا في حق بنيهم ومجتمعهم. فالتلفزيون يبث السمين مع الغث، ويخلط عملا صالحا بأعمال سيئة، وهذا يعيد للأسرة دورها في التقويم والمراقبة حتى لا يقع أبناؤنا ضحية البث التلفزيوني بقيمه وأفكاره التي قد تسيء قبل أن تحسن، وتفسد أضعاف ما تصلح فالمسؤولية تبقى ثقيلة على الآباء لمواجهة هذه التحديات ،وعليهم أن يعلموا أبناءهم ما يحل وما لا يحل ويشيدوا بناءهم على تقوى الله سبحانه قبل أن يفوت الأوان.

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت
ولا يلين إذا قومته الخشب
قد ينفع الأدب الأطفال في صغر
وليس ينفع عند الشيبة الأدب

فالأب يأخذ ولده بمجامع الآداب،ليأنس بها وينشأ عليها، فيسهل عليه قبولها عند الكبر لاستئناسه بمبادئها عند الصغر لأن نشأة الصغير على الشيء تجعله منطبقا عليه ومن أغفل في الصغر كان تأديبه عند الكبر عسيرا (٦).

إن الأسرة حين تتخلى عن مهمتها في التنشئة ستسأل أمام الله عن تقصيرها، ونحن نعلم أن الله سائل كل راع عما استرعى حفظ أم ضيع؟

وعلينا أن نحصن أبناءنا من اليوم

استعداد لمواجهة تحديات المرحلة المقبلة، والتي قد تستهدف عقيدتهم وأخلاقهم.
إننا نشاهد برامج عديدة أعدت للأطفال خاصة ولكننا – مع العقبات التي تواجه هذه البرامج – نتجاهل أنهم لا يقتصرون فقط على ما أعد لهم فهم يجلسون مع أسرهم فيرون ما يرونه من مشاهد عنف وعرى وإعلانات خادعة تساق في كلمات يسيرة الحفظ فيرددونها تلقائيا لكثرة ما سمعوها.

ماذا أعددنا لأطفالنا؟

لا يجهل المربون والقائمون على أجهزة التلفاز في أوطاننا ما لهذا الجهاز من تأثير عل الأطفال، وهم أكثر الناس إدراكا لذلك. ويبقى السؤال حارا وعريضا. ماذا أعددنا لأطفالنا من مواد تمكنهم من الصمود في المواجهة والتصدي للأفكار الغريبة التي ستعرض عليهم؟ولكن المراقب لبرامج الأطفال في الوطن العربي ينتابه الألم للوضع المزري الذي تعانيه هذه البرامج وهذه بعض الحقائق.
أولا: في أربع دول عربية لا تزيد برامج الأطفال التلفزيونية عن برنامج واحد أو اثنين أسبوعيا وفي ثلاث دول تتراوح هذه البرامج بين (٣، ٦) أسبوعيا ويعني هذا أن أكثر من نصف العينة لا تغطي برامج الأطفال أيام الأسبوع، في حين أن خمس دول تقدم أكثر من ١٦ برنامجا أسبوعيا.
ثانيا: تعاني برامج الأطفال التلفازية من عدد من المعوقات عدم كفاية الميزانيات المخصصة لها، عدم توفر الكتاب والمؤلفين والمخرجين الأكفاء، عدم توفر الاستديوهات الكافية والمجهزة بالمعدات اللازمة، القصور في القوى البشرية الخبيرة المدربة القادرة على تقديم وإخراج برامج جديدة، ضعف الإنتاج المحلي أو انعدامه تماما في مجالات الرسوم المتحركة – مسلسلات الأطفال – أفلام الأطفال والعرائس وأغاني الأطفال، حيث يؤدي ذلك الى استيراد معظم البرامج التي تغطي هذه المجالات من الخارج وكثيرا ما تقدم هذه البرامج بلغاتها الأجنبية وتعتمد بعض الدول العربية اعتمادا كاملا على الاستيراد لأنها لا تنتج أي برامج تلفازية (٧).
بهذه البضاعة السقيمة والفقر المدقع، لن نفلح في مقاومة الخطر القادم، ونخشى أن يقع أطفالنا في المأزق الذي يعد لهم بأيد أجنبية، لا تدبر لهم خيرا ولا تريد لهم مصلحة، وقد سمعنا صيحات تنذر بالخطر وتهيب بأولى الرأي أن يأخذوا حذرهم، ويعملوا قدر طاقتهم على إعداد الخطط والبرامج المخلصة لانقاذ أطفالنا من البث الأجنبي الذي سيعمل على اجتثاث كل ما هو جميل ونبيل من أخلاقنا وثقافتنا.

يقضي الأطفال في الغرب أمام أجهزة التلفاز أكثر مما يقضون على مقاعد الدراسة

مناظر مرفوضة

هذه مناظر عرضت على المشاهدين في بعض بلداننا، يرفضها العقل السليم الحريص على بناء جيل قوي يصمد لما سيواجهه ويتجاوز كيد الأعداء.
أولا: خطر المادة الأجنبية:
المادة الأجنبية أعدت لأهلها فيها قيم مقبولة، وأخرى مرفوضة، وفيها كثير مما لا يتناسب مع أهلينا صحيح أنها تخضع لعمليات مراقبة واختيار وتنقية، ولكن يبقى الأصل الذي لم يراع أبدا أحوالنا أو معتقداتنا.
وقد تبين من دراسة تحليلية على المضمون الأجنبي المذاع في التلفاز المصري أن القيم السلبية تشكل ٤٦,٧٪ من مجموع القيم التي عكسها هذا المضمون، حيث يركز على دور الفرد بصفة أساسية دون النظر إلى المجموع وتستخدم القوة والعنف كوسيلة لحل الصراع وتزداد خطورة هذا المضمون على المشاهدين خاصة الأطفال، حيث يركز على جوانب العنف والجريمة ويروج لجوانب الانحلال الخلقي ويبرز ضعف الروابط الأسرية وانفصال الآباء عن الأبناء (٨).
ثانيا: فإذا ما تجاوزنا ذلك قليلا لنعايش ما يبث لنا من مواد انتجت بلهجاتنا لرأينا العجب العجاب الذي يحير الألباب فعلا!!
فذاك حوار دار بين ممثلتين إحداهما تعمل راقصة وتبرر لذلك تبريرا غريبا وعجيبا محاولة دفع التهمة والانتقاص عنها قائلة:
– الرقص مش عيب!
– قالوا من رقص نقص.
– أنا أصوم وأصلي وعارفة ديني العيب هو الابتذال.
وقد سمع ملايين المشاهدين ذلك. وكم غرس فيهم هذا الكلام من معان تتنافى مع الدين والأخلاق!؟
ثالثا: في إحدى القنوات التلفزيونية العديدة، أعد برنامج غريب اللون والرائحة عن (كذبة ابريل) وسعدت لما تصورت أن يهدف لمقاومة هذه الخرافة التي شاعت بيننا وتلقيناها راضين ونشرناها في أحيان كثيرة، ولكن مقدم البرنامج اهتم بهذه المسألة ورسخها. ونسمعه يسأل ضيوفه هذه الأسئلة:هل كذبت كذبة ابريل؟ وهل كذب عليك أحد كذبة ابريل؟ ونسمع من يسميها كذبة بيضاء؟ إلى غير ذلك من الأسئلة وبعد ذلك نترك أطفالنا أمانة لدى التلفزيون. ليتربوا على هذه الأفكار الخبيثة والمشبوهة.

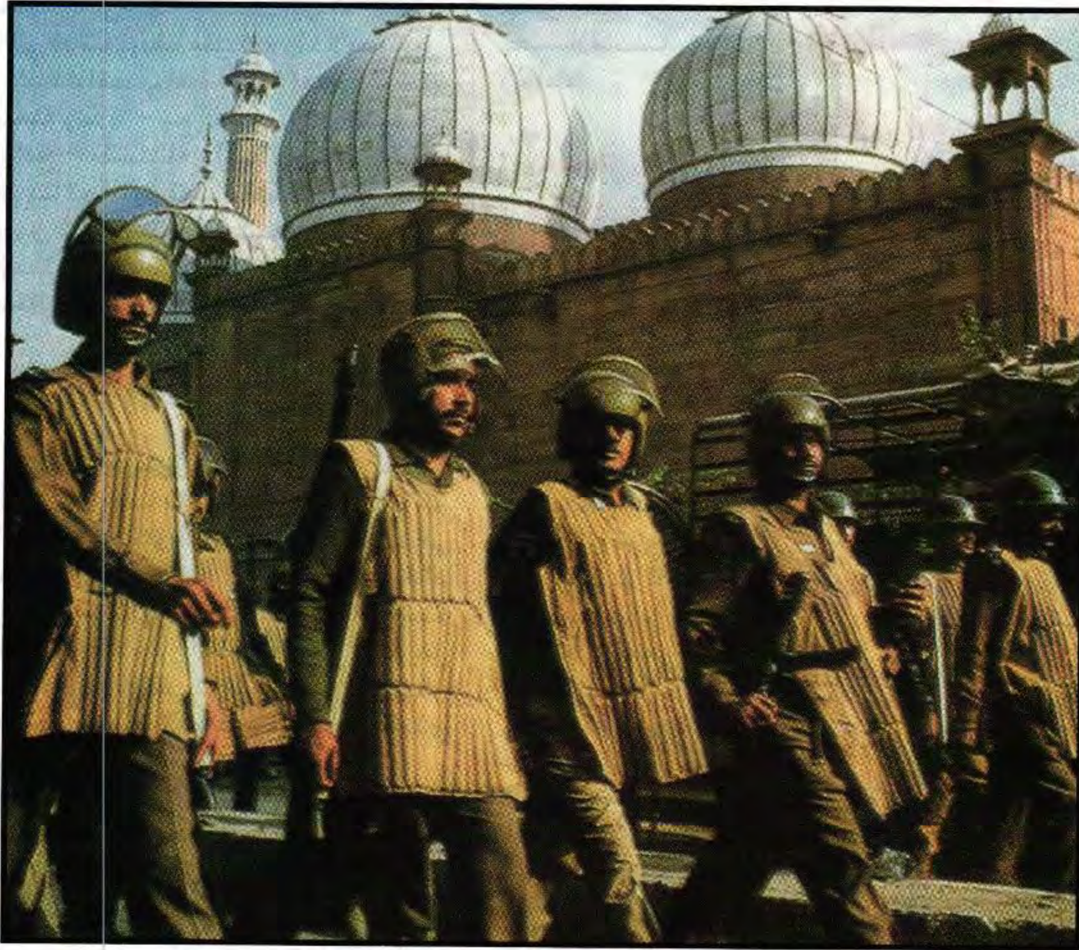
المطلوب: صحوة جادة مخلصة

إننا نأمل في صحوة جادة مخلصة لتنقية إعلامنا من كل شائبة تخل بالبناء. لابد من دور متكامل لتتم عملية التنشئة سليمة معافاة من كل شر ويبقى للآباء دورهم في هذه العملية قبل التلفاز فهم الذين يضعون أسس البناء ويرسخون لديهم عقيدة خالصة ويستمر دورهم الإرشادي حين يلتف أبناؤهم حول التلفاز ليتحكموا فيما يشاهدونه وليوضحوا لهم ما غم عليهم ليستفيدوا بما فيه من خير، ويتحاشوا ما فيه من سلبيات إن صدقنا في إصلاح أبنائنا.
وأضع أمام أعينكم جميعا أمر الله لكم ووصيته الخالدة: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ [التحريم:٦] ■

المصادر:

(١) محمد السماك، إعادة تنظيم الإعلام اللبناني، مجلة الدراسات الإعلامية، يوليو١٩٩٣، ص٤٦.
(٢) د. سامية أحمد علي، نماذج القدوة في برامج التلفزيون، ص٩.
(٣) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، ص٤٥٠.
(٤) أبو حامد الغزالي، احياء علوم الدين، حـ١، ص٧٢.
(٥) نماذج القدوة، مصدر سابق، ص٢٦.
(٦) الحسن البصري، أدب الدنيا والدين، ص٤٢٣.
(٧) د. فرج الشناوي، واقع الطفل العربي، مجلة الدراسات الإعلامية، ابريل١٩٩٠م، ص١١٣.
(٨) عدلي سيد رضا، تدفق البرامج من الخارج عبر تليفزيون مصر، ماجستير غير منشور، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ص٢٠٥.

يتمرد القلم، ويستعصي الكلم، وتهتف القلوب المؤمنة: يارب؛ هذه حالنا لاتخفى عليك. ويصرخ داعي الجهاد بحثا عن خالد بن الوليد، والمعتصم، وطارق بن زياد، وقطز، وبيبرس، وصلاح الدين، وعن رجال ﴿صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾، وتنهمر الدموع دما على رفات الأندلس، وقرطبة، والحبشة، والقدس، و... و... وربوع كانت دررا في تاج العالم الاسلامي صارت أثرا بعد عين، والآن يسير النعش برفات سراييفو، وأرتيريا، وكشمير، و... و... وجفت الأقلام فلنكتب بالدم فصول المأساة، ولتنطلق وإسلاماه إلى الآفاق تفتش عن أذن وقلب وروح!



● قوات القمع الهندية

..وكشمير تصرخ: وإسلاماه!

بقلم: سعيد كامل معوض



● الشهادة: الخبز اليومي في كشمير

أصل الحكاية

يقول التاريخ ان العهد الإسلامي بدأ في ولاية كشمير في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي حين أسلم ملكها البوذي (رينجن شا) الذي تسمى باسم (صدر الدين) وأسلم معه عدد من رجالات الدولة والمجتمع وعدد كبير من سكان الولاية، واستمر الحكم الإسلامي فيها الى عام ١٨١٩م حيث استولى عليها السيخ، وفي عام ١٩٤٦م سيطر عليها الاستعمار البريطاني،ثم باعها وسكانها بموجب اتفاقية (أمرتسر) إلى طائفة (الدوجرة) وهي قبيلة هندوسية، ومنذ ذلك الوقت لعب الدوجرة والسيخ دورا من أقذر الأدوار في تاريخ الأخلاق، حيث انتشرت عمليات القتل بكافة صورها، والاغتصاب، والإجهاض، وإحراق القرى والمدن والمساكن والمتاجر والمساجد، وفي ظل تلك الأوضاع البشعة نشأت حركات التحرير الإسلامية التي تستهدف استنقاذ الولاية من براثن حكم الذئاب الهندوسية الوثنية، وضمها إلى دولة باكستان الإسلامية.

الموقع الجغرافي

● وتقع ولاية كشمير في منطقة استراتيجية هامة، حيث يجاورها من الجنوب الشرقي الهند، ومن الجنوب الغربي جمهورية باكستان الإسلامية، ومن الشمال الشرقي الصين، ومن الشمال الغربي اتحاد دول الكمنولث (الاتحاد السوفيتي سابقا)، وتمتد حدود هذه الولاية الى اكثر من سبعمائة كيلو مترا مع باكستان، وحوالى ثلاثمائة كيلو مترا مع الهند.

● وتعتبر ولاية كشمير من أجمل بقاع العالم ويطلق عليها (جنة الله في الارض) لما فيها من حدائق وبساتين وغابات وبحيرات، وتقع فيها أعلى القمم الجبلية التي من أهمها جبل (سياشين غليشير) الاستراتيجي، ويمر بها طريق الحرير الرابط بين باكستان والصين، وكذلك تنبع منها الأنهار التي تعتمد عليها الزراعة والصناعة في باكستان، ولذلك كان السيد محمد على جناح مؤسس دولة باكستان يعتبرها الوريد الرئيسي للجسد الباكستاني.

● ويتجاوز عدد سكان هذه الولاية ١٢ مليون نسمة اكثر من ٨٥٪ منهم يدينون بالإسلام، وقد انجبت هذه الولاية العديد من القادة البارزين والمفكرين الأفذاذ من أشهرهم المفكر والشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال.

■ قرر الهنود الإستيلاء على كشمير لكونها الوريد المائي الرئيسي لجسد باكستان

قرار التقسيم

ويقول التاريخ: انه في عام ١٩٧٤م قد تم تقسيم شبه قارة جنوب آسيا الى دولتيّن مستقلتين، جمهورية باكستان الاسلامية، وجمهورية الهند، وتم الاتفاق بين الدولتين على أن المناطق ذات الأغلبية المسلمة ستنضم الى باكستان، والمناطق ذات الأغلبية غير المسلمة ستنظم الى الهند، وقد وافق قادة الهند على ذلك في الظاهر ولكنهم أضمروا شيئا آخر، ولعل تصريحات (جواهر لال نهرو) - رئيس وزراء الهند آنذاك، خلال حديثه مع أحد الساسة الانجليز عام ١٩٤٦م تنبيء بذلك فقد قال: (نحن سنقوم بالموافقة على مطالبة السيد محمد على جناح لإقامة باكستان المستقلة، ولكن سنقوم فيما بعد بايجاد السبل التى ستجعل قادة هذه الدولة يأتون إلينا ويطالبون بالإنضمام إلى الهند)!

■ زوّرت الهند استفتاء كشمير عام ٤٧م، وتمنع أي استفتاء حر نزيه لتحديد المصير

وهكذا قرر الهنود الاستيلاء على كشمير لكونها الوريد الرئيسي لجسد باكستان، وبدأت ممارسات القوات الهندية البشعة ضد مسلمي الولاية والتى تتنافى مع كافة المواثيق والأعراف الدولية والإنسانية، والتي لا تجد إلا الشجب والإدانة!! مجرد صيحات لا تتجاوز حدود الأفواه، ومجرد حبر على ورق!! وما دام الأمر كذلك فليس من الغريب ان يخالف القول الفعل، ففي ١٩٤٧/١٠/٢٧م أرسل (جواهر لال نهرو) خطاباً الى السيد ليقات على خان، رئيس وزراء باكستان آنذاك، قال فيه: (إنني أرى من الضروري أن أصرح بكل الوضوح بأن قرارنا لمساعدة الشعب الكشميري في هذه الأوضاع القاسية لايعني قط بأننا سنقوم بإجبار هذه الولاية على الانضمام إلى الهند، فإننا أعلنا عدة مرات بأن انضمام أية ولاية إلى إحدى الدولتين يكون وفقا لرغبة الشعب، وهذا ما نتعهد به في مسألة انضمام كشمير إلى إحدى الدولتين)!

وفي ١٩٤٧/١٠/٣١م أرسل نهرو خطابا آخر الى علي خان قال فيه: (اننا تعهدنا أن نسحب قواتنا العسكرية من كشمير بعد عودة السلام إليها على الفور، ان نترك مواطنيها ليمارسوا حقهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم، وهذا التعهد لا نعلنه أمام حكومتكم فحسب، بل نعلنه امام أهالي كشمير وأمام العالم كله)!

وفي ١٩٥٢/٦/٢٦م قال نهرو في بيانه أمام البرلمان الهندي: (وإذا قرر الشعب الكشميري خلال إجراء الاستفتاء ضم الولاية إلى باكستان، فنحن ملتزمون بالموافقة عليه، رغم أن هذا سيكون صعبا جدا علينا، وسنقوم بالتعديلات في دستورنا لأجل ذلك إذا لزم الأمر)!

هكذا كان القول فكيف كان الفعل؟!

الدماء على جبين الشمس

أعلنت الحكومة الهندية ان الراغبين في الهجرة الى باكستان سيتم مساعدتهم بتسهيل سفرهم وتزويدهم بالسيارات الحكومية، وحددت الحكومة مكانا وزمانا لتجمع هؤلاء الراغبين، فلما التأم الجمع؛ ماذا



● مظاهرة نسائية ضد الاحتلال

فعلت قوات الحكومة الهندية؟ قامت بإطلاق النار على المجتمعين فاستشهد أكثر من نصف مليون مسلم! وقبل إطلاق النار قام الجنود الهندوس بهتك أعراض النساء، وكانت إحداهن ابنة القائد (شودري غلام عباس) مؤسس (حركة تحرير كشمير)، وتتواصل الأعمال الإجرامية البشعة التي يعجز الشيطان نفسه عن ارتكابها، ولا أحد يتحرك تحركا إيجابيا لوقف تلك المجازر التي ترتكب على مرأى ومسمع من العالم، ولقد عمدت القوات الهندوسية المهيمنة على الولاية إلى استراتيجية خاصة لتجريد مسلمي الولاية من هويتهم الإسلامية، فقد تم إرسال وفد من الخبراء إلى أسبانيا برئاسة (دي .بي.دهر) الخبير الهندوسي الكبير، الذي أصبح فيما بعد سفيرا للهند في الإتحاد السوفيتي، وقدم دراسة تفصيلية لأساليب السوفيت لقمع الإسلام والمسلمين في البلدان الإسلامية السوفيتية، وتم إرسال الوفد لدراسة المخططات التي اتبعها الإسبان للقضاء على الإسلام في الأندلس، وحسب تقارير هؤلاء الخبراء تم وضع الأسس الجوهرية لاستراتيجية التعامل مع أبناء كشمير على النحو التالي:

يطمح بعض الساسة الهنود ان يتحول المحيط الهندي؛ من سنغافورة الى السويس؛ الى خليج يخضع لنفوذهم

أولا: إلغاء المنهج التعليمي الإسلامي وإحلال المنهج التعليمي الهندوسي محله (الذي يشتمل على المعتقدات الهندوسية الوثنية وأساطير التاريخ الوثني القديم من ناحية، وفلسفة وحدة الأديان ونظرية القومية الهندية المتحدة من ناحية أخرى، والفلسفات الداعية الى هدم الإسلام من ناحية ثالثة).

ثانيا: تحويل المدارس والمعاهد العلمية الى أوكار لنشر الرذيلة والإباحية والترويج للتعليم المختلط، وفرض المناهج الدراسية اللا أخلاقية الداعية إلى الفساد والإنحلال تحت دعاوى الحرية والتطوير والتنوير.

ثالثا: تشجيع الزواج بين المسلمين والهندوس لإيجاد جيل مفرغ من عقيدته الإسلامية، متخما الواقع الوثني والعقائد الهندوسية الفاسدة.

رابعا: إباحة الخمور وترويجها بالمجان على نفقة الدولة للقضاء على همم الشباب المسلم، وخلق جيل من الشاب الزائف الخليع المستبيح لكل شيء البعيد عن النهج الإسلامي القويم والأسلوب الحياتي المستقيم.

خامسا: تجريد اللغة الأردية والكشميرية من الألفاظ العربية للقضاء على الصلة بين التراث الإسلامي العربي والأجيال الباحثة عن جزورها الإسلامية.

سادسا: طمس معالم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية وفرض التاريخ المزور الذي يشوه صورة الإسلام والمسلمين.

سابعا: بث الخلافات الطائفية والقبلية واللسانية بين المسلمين والتفنن في نشر وسائل الفرقة والشتات بينهم.

ثامنا: الترويج لتحديد النسل بين المسلمين، بالترغيب حينا، والقمع والإرهاب في أغلب الأحيان، وذلك لجعل الأغلبية

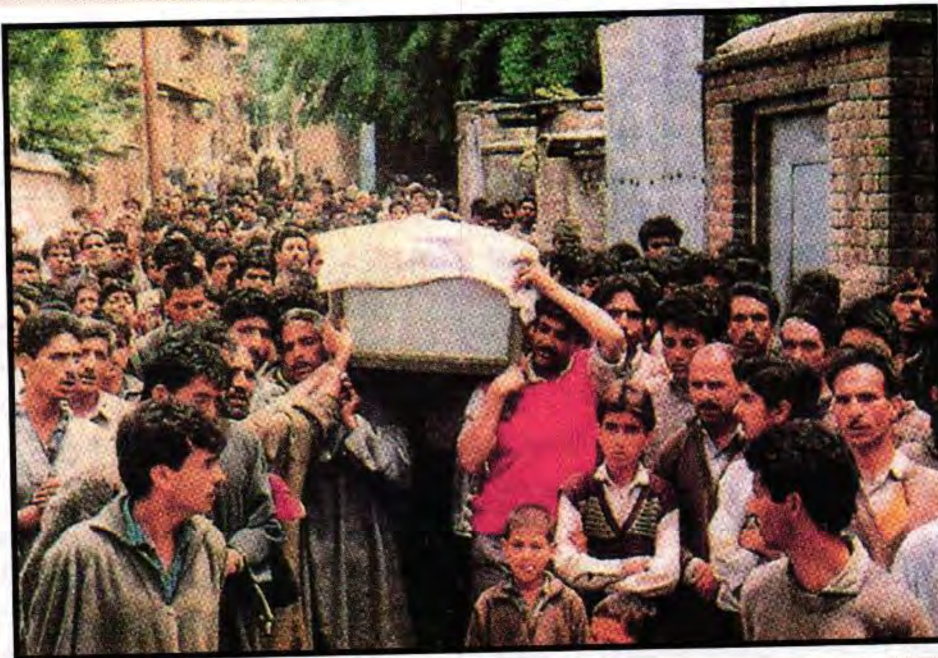
للهندوس بدلا من المسلمين.
تاسعا: إستغلال وسائل الإعلام المختلفة (صحافة - اذاعة - تلفزيون) لنشر الإباحية والفاحشة من ناحية، والدعوة إلى وحدة الأديان والقومية الهندية المتحدة من ناحية أخرى وذلك لخلع مسلمي الولاية من هويتهم الإسلامية وإثارة البلبلة والتشويش في عقول الشباب المسلم.
عاشرا: إنشاء قيادة مصطنعة عملية تكون أداة لتنفيذ المخططات الهندوسية من ناحية، وللقضاء على الجهود الإسلامية الرامية الى تحرير الولاية من ناحية أخرى.
هذه هي الخطوط العامة للإستراتيجية الشيطانية التي يتبعها الهندوس في سياسة مسلمي كشمير، وهي تسير جنبا الى جنب مع إستراتيجية التصفية الجسدية والإبادة الجماعية.

صور من المأساة

وتقول الأرقام ان المصلحة التي حصلها المجرمون في فترة زمنية قصيرة (من يناير/ كانون الثاني ١٩٩٠م حتى أبريل/ نيسان ١٩٩١ م) كانت فوق حدود التصور، فقد بلغ عدد الشهداء من مختلف الأعمار ٢١,٥٠٠ شهيدا، وبلغ عدد الجرحى ٢٣,٠٠٠ جريحا، وبلغ عدد المعتقلين والمسجونين في المعتقلات ومراكز التفتيش ٦٧,٠٠٠ معتقلا وسجينا، وبلغ عدد البيوت والمتاجر والمدارس والمستشفيات المساجد التى أحرقت ٢٠,٥٠٠ بيت ومتجر ومدرسة ومستشفى ومسجد، وبلغ عدد الذين أحرقوا أحياء في منازلهم ٤١٨٠ مسلما، وبلغ عدد المسلمات اللاتي هتكت أعراضهن ١١,٠٠٠ مسلمة، وبلغ عدد المسلمات اللاتي استشهدن بسبب عمليات الاغتصاب ٣٠٤ فتاة، وبلغ عدد المسلمات اللاتي أُجهضن ٥٣٠ مسلمة، وبلغ عدد الأطفال الذين ماتوا أثناء الولادة أو بسبب عدم وجود أغذية أو علاج ١٢٢٥ طفلا، ويستمر سيناريو التخريب والإبادة، ومثلما اصطبغ نهر (فوتشا) في البوسنة بلون الدم نتيجة لجثث المسلمين التى ألقيت فيه، يصطبغ نهر (جلهم) في كشمير بلون الدم نتيجة لجثث المسلمات المغتصبات التي ألقيت فيه.
وتتواصل المأساة، والمبررات جاهزة عند قادة الهند، وهى مبررات تكشف الوجة الحقيقي للهند، وتسقط القناع الزائف، وتفضح النوايا، ومن بين هذه المبررات الواهية التي تلبس الباطل ثوب الحق:
أولا: ان قضية كشمير هي قضية إقليم داخلي من أقاليم الهند، ولهذا لا ينبغي للدول الأخرى أن تتدخل في شئونها الداخلية!
ثانيا: ان ولاية كشمير جزء لا يتجزأ من الهند، ولو وافقت الحكومة الهندية على المطالبة باستقلال الولاية، أو إجراء استفتاء فيها لاستطلاع رأي شعبها في الإنضمام الى باكستان فهذا الأمر سيؤدي إلى انقسام الهند الى مزيد من الأجزاء!
ثالثا: ان انضمام الولاية إلى الهند في عام ١٩٧٤م، أمر قد وافقت عليه الجمعية التأسيسية للولاية في عام ١٩٥٧م، وبالتالي فليست هناك حاجة لإجراء استفتاء لتقرير مصير الولاية. رابعا: إن الهند دولة علمانية تضم بين ربوعها مختلف الديانات والعقائد، وفيها اكثر من ٢٠٠ مليون مسلم، ولو وافقت الحكومة الهندية على انفصال هذه الولاية عن الهند لكونها ذات أغلبية مسلمة، فهذا سيؤدي إلى كثير من المشاكل للمسلمين داخل الهند.
خامسا :إن حركات التمرد ضد الهند في الولاية (يقصدون حركات الجهاد الإسلامية) تقوم بتمويلها وتدريبها إيران، ولهذا وجب على الدول العربية والإسلامية ان تكون على حذر منها، وان تعمل على مساعدة الهند لفرض الاستقرار في ربوعها المختلفة. وليس لنا تعليق، فالحقيقة سافرة ودماء المسلمين في كشمير تغطي جبين الشمس.

وامعتصماه

يقول التاريخ ان معركة (عمورية) بين المسلمين بقيادة المعتصم الخليفة العباسي وبين الروم بقيادة قيصرهم (تيوفيل) سنة ٢٢٣هـ قد وقعت بسبب امرأة عربية استباحها الجنود الرومان في بلدة زبطرة، فاستغاثت المرأة: (وامعتصماه)، فجرّد المعتصم جيشا جرارا اشتبك مع الروم في معركة شرسة انتصر فيها المسلمون انتصار حاسما، فرد للعربية شرفها السليب، وتم تلقين الذئاب درسا قاسيا، واليوم تتالى صرخات نساء سراييفو وكشيمر فأين النخوة الإسلامية؟ أين المعتصم؟
ويقول شهود العيان أن القرى والمدن الكشميرية تشهد في كل لحظة عمليات الاغتصاب وهتك الأعراض، فكان ذلك قد صار من مهمات الجيش الرسمية في المدنيات الحديثة، ففي حي (لال بازار) في مدينة (سرنيجر) عاصمة الولاية، سيقت الفتيات إلى ثكنات الجيش حيث استمر الجنود في اغتصابهن لعدة أيام متتالية، وفي مدينة (كبوارة) السياحية والتي تبعد ٩٠ كيلو مترا عن سرينجر، تم إخلاء المدينة من الرجال واعتقالهم ومداهمة المنازل، واغتصاب



● على درب ذات الشوكة

النسوة حتى العجائز منهن والأطفال.

وفي قرية (تركام) التابعة لمحافظة كبوراة قام الجنود بمحاصرة القرية ثم اقتحموا البيوت وقاموا بهتك أعراض النساء وتقطع أثدائهن وأجزاء أخرى من أجسادهن، مما اضطر الأهالي إلى هجر القرية فرارا من تلك الوحشية، وفي قرية (ليدروا) علقت فتاة عمرها ١٨ عاما بشجوة ورأسها إلى أسفل ونالت صدمات كهربائية حتى فقدت وعيها ولم تعد إليه ثانية، وفي قرية (شوكي بل) قبض الجنود على رجل وزوجته ثم اغتصبوا الزوجة جماعيا أمام زوجها وفي قرية (بالي بورة) رتب الجنود النساء في صفوف ثم تبادلوا اغتصابهن أمام أهلهن، وفي قرية (ودوان) بمحافظة (بدكام) وصلت قافلة من الجنود مكوّنة من ١٠٠ سيارة، واقتحم الجنود المنازل وأمروا الرجال بمغادرتها والتجمع في المسجد، ثم قاموا باغتصاب النساء جماعيا، وفي نهر (جلهم) ألقيت جثث ٢٠٠ سيدة قتلن بعد اغتصابهن، هذا قليل من كثير، ويضيق الحصر، ويعجز الوصف، وتتواصل المأساة. فتفرض قوات الأمن الهندية حظر التجول، وتقوم بإغلاق أكثر من ٤٠٠ معهد إسلامي، وتمنع قيام الأحزاب السياسية الإسلامية، وتقوم بإغلاق محطة التلفزيون المحلية ومصادرة العديد من الصحف والمجالات.

وعندما حاول مندوبو وسائل الاعلام والصحافة العالمية نقل الصورة البشعة لما يجري في كشمير قامت قوات الأمن الهندية بطردهم، والاعتداء عليهم، ولم يتحرك أحد، فالأمم المتحدة أذن من طين وأخرى من عجين، ومجلس الأمن لا يعنيه الأمر، والعالم الإسلامي يغط في سبات عميق، ولكن لماذا كل هذا الحقد؟

سؤال ساذج يفرض نفسه بقوة كلما طفا الخبث الي السطح، والاجابة في هذا المقام جد يسيرة، فجموع الباطل تتحالف ضد الإسلام الذي تراه حجر العثرة أمام زحفها الرجيم لاجتياح العالم وفرض عقائدهم الجوفاء.. والهند إلى جانب رفض وثنيتها للإسلام فإن لها مآرب أخرى يعرفها الباحث المدقق، فالمتفحص لتاريخ الهند يرى ان لها مطامع لا تقف عند حد، وفي هذا يقول مؤلف كتاب (السياسة الخارجية للهند):

(إن المؤثرات الجغرافية لها الحكم النهائي في الموضوع، ومن أجل ذلك فإن مصالح الهند الخارجية تتركز على المناطق القريبة منها، ولهذا فإن نيبال وباكستان وأفغانستان وبورما ومالايو وأندونيسيا مهمة جدا لتحقيق مصالح الهند). ثم يقول في موضع آخر: (ومن الضروري جدا بالنسبة للهند ان تسيطر على سنغافورة والسويس اللتين هما للهند بمثابة الباب الرئيسي، وإذا تغلبت عليها قوة معادية فستتعرض الهند واستقلالها للتهديد والاهتزاز) ويواصل الرجل حديثه فيقول: (وهكذا بقيت أفغانستان لمدة طويلة جزء من الهند، وان إيران مهمة جدا للهند نظرا لحاجتها الى البترول في الوقت الحاضر، ولهذا فان مصالح الهند تقتضي الاهتمام بهذه المناطق، وكذلك حاجة الهند الى البترول توجب عليها الإهتمام بالدول العربية ايضا) ثم يختتم الرجل حديثه فيقول: (يسود فراغ سياسي هائل في المنطقة بعد رحيل الإنجليز، ويجب شغل هذا الفراغ (!) كما انه من الضروري للهند لكونها قوة بحرية عظيمة ان يتحول المحيط الهندي من سنغافورة الى السويس الى خليج تملكه الهند). هذه بعض المطامع الهندية، فهل من لبيب؟

والإسلاماه

كيف الخلاص؟ هذا هو السؤال! والجواب يحوي ثلاثة عناصر: الرجوع الى الله، والجهاد في سبيله، ونصرة والإسلاماه.

أضلاع مثلث واحد إذا رسمناها في أفعالنا وأقوالنا نجونا وعلونا، فأما الرجوع إلى الله فيتمثل في الإلتزام بكتاب الله وسنة نبيه، والاعتماد على الخالق وحده، والتوكل عليه في كل الأمور الحياتية والحذر من مكائد الشيطان.

وأما الجهاد في سبيل الله فواجب غفلنا عنه فتداعت علينا الأمم كما تتداعي الأكله الى قصعتها، وأصبحت حالنا كما نراها من ذلة وهوان واستكانة وتبعية وانقياد. فإذا أحيينا أرض الجهاد الموات وأجبنا داعي الله عادت إلينا العزة والرفعة والسيادة.

وأما نصرة والإسلاماه فتتمثل في إيقاظ الهمم وإثارة النخوة، وتحفيز الكرامة: ﴿ ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾ [النساء:٧٥].

وأخيرا نردد مع الشاعر زفرته (٢):

أعندكم نبأ من أهل أندلس ... فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث صناديد الرجال وهم ... قتلى وأسرى فما يهتز إنسان
الا نفوس أبيات لها همم ... اما على الخير أنصار وأعوان؟
يامن لذلة قوم بعد عزهم ... أحال حالهم جور وطغيان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم ... عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم ... لهالك الأسر واستهوتك احزان
يارب أم وطفل حيل بينهما ... كما تفرق أرواح وأبدان
لمثل هذا يذوب من كمد ... إن كان في القلب إسلام وإيمان

هذا: ﴿ ولله جنود السموات والأرض، وكان الله عزيزاً حكيما ﴾ [الفتح:٧] ■

■ انجبت كشمير العديد من القادة البارزين والمفكرين الأفذاذ من أشهرهم المفكر والشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال

الهوامش

١) مؤلف كتاب (السياسة الخارجية للهند) هو الدكتور إس. أر. باتيل، كان واحدا من أكبر الخبراء السياسين في وزارة الخارجية الهندية.

٢) الأبيات من قصيدة (رثاء الأندلس) للشاعر أبي البقاء صالح بن شريف الرندي من شعراء القرن السابع الهجري في الأندلس.

■ يطلق على ثمر النخل
في مصر (بلح)،
وفي عُمان (سح)،
وفي مراكش بالمغرب (آبلوح)

لقد أنعم الله على عباده بأن أحل لهم الطيبات من الرزق مما فيه نفعهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿يا أيّها الناس كلوا مما في الأرض حالا طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدو مبين﴾ [البقرة:١٦٨]. وتعد الفاكهة باختلاف أنواعها وأشكالها من أكثر أنواع الطعام فائدة للإنسان، وقد جمع الله فيها بين الغذاء والدواء، بما فيها من عناصر غذائية متنوعة وعديدة. ولقد خصّ الله سبحانه وتعالى بعض أنواع الفاكهة بالذكر في كتابه الكريم، وذلك لعلمه عز وجل، وهو العليم بما فيها من فوائد عظيمة، ومن أنواع الفاكهة التي خصها الله سبحانه وتعالى بالذكر في كتابة الكريم، فاكهة التمر فقد جاء بشأنها العديد من الآيات في القرآن الكريم وذكر النخيل في أكثر من موضع، وذلك لفضلها على غيرها من الفاكهة.

بقلم: محمد فتحي العزالي*

التمور
غذاء و دواء

وقـد ذكـر النخيل على سبيل المثـال لا الحصر في سـورة الرحمن عنـدمـا عدد اللـه سبحـانـه وتعـالى النعم التي أنعم بها على عباده فكان النخيل احـدى هذه النعم، وذلك في قـولـه تعـالى: ﴿ فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ﴾ [الرحمن:١١]. وذكر النخيل في قولـه تعالى للسيدة مريم وهي تلـد نبي الله عيسى عليـه السـلام: ﴿ وهزّي اليك بجذع النخلـة تسـاقط عليك رطبـا جنيـا، فكلي واشربي وقرّي عينـا ﴾ [مريم:٢٥و٢٦]. وكذلك قـوله تعـالى في سورة [ق: ١٠و١١]: ﴿ والنخل باسقات لها طلع نضيد. رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ﴾. وبالنظر في كتاب الله نجد أن النخيل قد ذكر في العـديد مـن السور وهـذا إن دل على شيء فإنما يـد ل على فضل التمـر على غيره من انواع الفاكهة الأخرى.

شجر النخيل

وأشجـار النخيل من النبـاتـات أحـاديـة الفلقـة، وهـي من فـواكـه المنطقـة التحت استـوائيـة، والموطن الاصلي لها هـو الخليج العربي بصفـة خاصـة، وبلاد العـرب كلها بصفـة عـامـة، وكـان النخيل مـوجـودا في جمهورية مصر العـربية منذ عهد الفـراعنة، ويدل على ذلك النقوش الموجودة في معابدهم. والجزء الاقتصـادي في شجـرة النخيل هـو الثمرة وهـو الجزء الذي يـؤكل، وتمر الثمرة في النخيل بعدة اطـوار من النمو حتى تصل إلى الطور النهائي، ويطلق على الثمـرة عندما تبلغ هذا الطور كلمة (تمر) وهو مسمى يكاد يكـون عامـا في معظم البـلاد العربيـة التي تـزرع النخيل، الا انـه في جمهـوريـة مصر العـربيـة يطلق عليهـا (بلح)، وفي مسقط بعمان تسمى (سح)، وفي مـراكش بالمغـرب تسمى (آبلوح) [نشرة كلية الـزراعة، جامعة أسيوط، ص١٥٩].

وشجرة النخيل شجرة معطاءة، فكل اجزء النخلـة يمكن استغلالها اقتصـاديا، وتقـوم عليهـا عـدة صنـاعـات يـدويـة، فأوراق النخيل(السعف) تستخدم في عمل (الاسبته) والسـلال وليف النخيل يستخـدم في عمل الحبـال المتينـة، وأفـرع النخيل (الجريـد) تستخـدم في عمل الأقفاص وأسقف المنـازل في الريف وبالاستعانة بجذوع النخيل.

ويعـد النخيل مخزونا هـائلا من الغـذاء، ويعد خط دفاع من خطوط دفـاعنا الغذائية، والتي اقامهـا لنا الاجداد، لـذلك يعد النخيل الاحتيـاطي الاستراتيجي لمواجهـة ايـام المجاعات وأيـام الحصار والحروب والصراع العالمي على الغذاء.

وقد عـرف شعبنا العـربي في الجماهيرية العربيـة الليبية ذلك ايـام مقاومته البـاسلة ضد الاحتلال الإيطالي، وخاض حـربا طويلة غير متكـافئة كـان الخيل فيها هـو الحصن، والتمـر هـو الغـذاء، والايمان هـو السـلاح وسجل فيهـا الشعب الليبي اروع صـور الجهاد بقيادة المجاهد الشهيد(عمر المختار).

النخيل والعلم الحديث

وجاء العلم الحديث ليـؤكد للنخيل أهميته، وتكشف الابحـاث المتتـاليـة عن الفـوائد العظيمة للتمر، ويؤكد العلماء أن التمر يعد في مقدمة الوجبات الغذائية الغنية بالفيتامينات والمعادن والسكريات، بـل وتؤكد الابحاث أن الانسان يمكنه العيش على التمر فقط ولفترة طـويلـة دون أن تظهر عليـه اعـراض سـوء التغـذيـة، ذلك لأن التمـر يحتـوي على المواد الغذائيـة الرئيسيـة بصورة مـركزة سهلـة الهضم. واتجه العـالم بعـد اكتشاف القيمـة الغـذائيـة الكبيرة لثمـر النخيل إلى الاهتمام بالنخيل وقد نشر بجريدة (الاخبار القاهرية) تحت عنـوان (عمتنا النخلـة في امريكـا) خبر مفاده أن امـريكا قـامت باستيراد (١١٨٠) نخلـة من العراق وتـونس والجزائر وايـران وأنشأت أول مزرعة للنخيل بولاية (اريزونا) الامريكية عام ١٩١٢ ثم نقلت الدفعة الثانية من فسـائل النخيـل من مصر عـام ١٩١٥، وتـوالى استيراد امـريكـا للنخيل بعـد ذلك باعداد كبيرة، وانشأت في ولاية (كاليفورنيا) اكبر محطة علمية للنخيـل في العالم [الاخبار القاهرية:٢٧/ ١٠/ ١٩٩١].

وهذا الخبر يثير في النفس الأسى والغضب في وقت واحد، إذا انـه في الوقت الذي بـدأ فيه العـالم الاهتمام بـالنخيل؛ وذلك لأثـر ثمـرة النخيل الايجابية على الصحـة العامـة، نقوم نحن بنصب المشـانق للنخيل، ونقوم بـذبح كنـوز الغـذاء التي فـوق رؤوسنـا لنصنع جـوعنا بأيـدينـا ونعـدم مخزونا هـائلا من الغـذاء يحمينـا من سـؤال اللئيم، ونهدم حصـونـا منيعـة لا تحاصر ولاتخترق على جبهة الأمن الغذائي العربي.

القيمة الغذائية للتمر

لقـد اثبتت الدراسـات العلمية والفحـوص المعملية والتحاليل الكيماويـة أن للتمر قيمة غذائية تماثل قيمة اللحوم، بل وتتفوق عليها في انه ليس له شيء من اضرارها، وانه افضل الفواكـه من هذه الناحية لان التمـر يحتوي على العنـاصر الغـذائيـة الـلازمـة لجسم الانسان من بروتينات وكربوهيدرات واملاح وفيتامنيات.. الخ

والجدول التـالي يـوضح بـالتحليل الكيماوي للتمـر مـايحويـه من عنـاصر غذائية:ـ نشرة جامعة أسيوط

ويوجـد بالاضافـة إلى المكونات السـابقة نسب معقـولة من فيتـامين أو فيتامين ب١، ب٢ أمـا السعـرات الحراريـة فتصل إلى (٣٥٣) سعـرا حراريـا لكل مائة جـرام من

العنصر	ملجم لكل ١٠٠ جرام
بوتاسيوم	٧٨ ملجرام
فوسفور	٧٢ ملجرام
كالسيوم	٦٥ ملجرام
كبريت	٦٥ ملجرام
ماغنسيوم	٦٥ ملجرام
حديد	٥،١ ملجرام
بروتين	٢،٢ ملجرام
الياف	٢،٤ ملجرام
صوديوم	١ ملجرام

التمر بما يحتـوي عليه التمـر من سكـريات سهلة الاحتراق تبلغ نسبتها حوالى ٧٥٪.

ضد جميع الأمراض

وبما أن التمر يحتوي على هذا الكم الهائل من المواد الغذائيـة والتي لاغنى عنها لجسم الانسان وفي صـورة مركـزة سهلة الهضم، لذلك فـان التمر غذاء ودواء لأن قيمـة التمر الغـذائيـة العالية تسـاعـد في الوقـايـة من الاصابة بالعديـد من الأمراض ويكون ايضا علاجا ناجحا لعدد آخر منها.

وقـد لـوحظ أن المنـاطق التي يمثل فيهـا التمر عادة غذائية يومية يقل فيها المصابون بضعف البصر ونـادرا ماتجد احـد المقيمين بمناطق انتاج التمر وهـو يرتدي نظارة طبية ويحصلون عادة على اعلى الدرجات في كشف النظر هـذا يـرجع إلى وجـود فيتـامين أ، وفيتامين ب١، ب٢ في التمر.

ولـوحظ أيضـا أن التمـر يفيـد في عـلاج الأنيميا، فقد وجد بمحـافظة الفيوم وهى من مناطق انتـاج التر بجمهورية مصر العـربية أن الأنيميا منخفضة والفتـوة تكاد تنفجر في وجوه الفتيـة والفتيات (ملحوظات مجمـوعة من الأطباء).

وتكشف الأبحاث العلمية إن مـداومة أكل التمـر يحمي جسم الإنسـان من مـرض

■ أنعم الله على عباده بأن أحل لهم الطيبـات وحـرّم عليهم الخبـائث

السرطـــان الخبيث وذلك لـــوجـــود مـــادة الفوسفور والتي تقي من السرطان بالتمر.

ولأن التمر يحتوي على مقدار مناسب من حمض النيكوتينيك لذلك فهو يقي من مرض البـلاجـرا كما يحتوي التمـر على مـواد من شأنها خفض ضغـط الـــدم المرتفع ويحمي مريض ضغـط الدم المرتفع من المضـاعفات الخطيرة للمرض مثل الضجر والصداع.

كذلك يحتوي التمـر على مادة تساعد على زيادة حركة الأمعـاء فيساعد ذلك على تفريغ الأمعـاء مما بـه من فضلات فيمنع حـدوث الامساك، وهـذا مايستعمل حـديثاً بـإجراء الحقنـة الشرجية. كما أن التمـر يساعـد على إدرار البـــول فهـــو بـذلك يفيـــد مـــرض الحصوات. كما أن التمر يمنع حدوث مرض البـواسير ويقي التمـر جلـــد الانســان من الإصابة بالأمراض الجلدية.

و في مجال الصحـة النفسيـــة أثبت العلم الحديث أن التمـر يهدىء الأعصـاب القلقـة المضطربة لأنه يحد من نشاط الغدة الدرقية، وهذا يفسر سبـب امر اللـه سبحانـه وتعالى للسيدة مريم بتناول التمر وهي في حالة قلق واضطراب بسبب الولادة، وهي وحيدة وذلك في قـوله تعـالى: ﴿ وهزّي إليك بجذع النخلة تســاقط عليك رطبـا جنيــا. فكلي واشربي وقري عينا ﴾.

ولكن لماذا التمر بالذات للسيدة مريم؟

وبعد اربعة عشر قرنـا من ظهور الإسلام ينشط الباحثـون والعلماء ليحاولوا معـرفة السر وراء ذكر التمـر بالذات للسيـدة مريم وقت ولادتها، عليها وعلى وليدها السلام؟

ويرشدهم الله عـز وجل وهو خير الراشدين إلى أن العبرة في ذلك انـه بجـــانب أن التمـر يحتـوى على المواد الغـذائيـة الـرئيسيـة في صورة مـركزة سهلة الهضم، وانه ينـاسبها ايضا كطعـام في وقت النفاس، فأنـه يحتوي في الـوقت نفسه على مـواد من شأنها خفض ضغط الـــدم المرتفع ذي الأثـــر الخطير على الحامل وعلى الطفل ايضـا، خاصـة في الأشهر الأخيرة من الحمل.

فقد اكد الاطبـاء [مجلة منبر الاسلام] أن ارتفاع ضغط الدم اذا كـان مصحوبا بتورم في الارجل (اوديما) مع وجـود زلال في البول ينتج عنه مايعـرف (بتسمم الحمل)، وتزيد هـذه الحالـة خطورة اذا كـانت مصحـوبـة بغيبـوبة مع تشنجـات قـد تؤدي إلى وفـاة الحامل اذا لم يدخل الطبيب لانزال الحمل.

ولعلاج ذلك المرض المزمن يستخدم حديثا مخفضـات ضغط الدم المرتفـع والجلوكـوز والكـالسيوم وفيتـامين ب المركب وكل هـذه المركبات توجد في التمر.



ومن ناحية اخـرى نجد أن الطب الحديث يستخـدم ادويـــة منهـا مـــايستخلص من الأرجـــوت وهـــو مـــايسمى(ميثـــرجين)، ويستعمل هـذا العقار كمنشط لانقبـاضات الرحم بعد تمام الولادة ونزول المشيمة، فهو يقوّي ويزيد من فترة الانقبـاضات الرحمية ويمنع حدث النزيف بعدالولادة، ويساعد في رجوع الـرحم إلى حجمه الطبيعـي [المصدر السابق].

ويستعمل ايضـــا كمنقبضـــات للـــرحم مـــايستخـــرج من الفـص الخلفي للغـــدة النخامية، فهو يقوي انقباضات الرحم، وهو اسرع من عقار الارجـوت ولكن تأثيره لوقت قصير [المصـدر السـابق] إلا أن المركبـات السـابقة قـد تؤدي إلى حـدوث مضاعفـات خطيرة. فقد يـؤدي مستخلص الارجوت الي حدوث غرغرينـة نتيجة لنقص الدم الواصل لـلاطـراف. وقـد يـؤدي الهرمـون الـذي يستخرج من الغدة النخامية إلى الحساسية.

وبفضل الله وهدايته لنا توصلت الابحاث العلمية اخيرا إلى أن التمـر به مـادة تساعـد على الانقباضـات الرحميـة في الاشهر الأولى من الحمل واثنـاء فترة النفـاس وبـدون أي مضاعفـات من تلك التي تسببهـا العقارات الاخرى. فقـد قر العلـم أن بالتمـر هرمـونا اسمه (البيتوسين).

يقـوى العضـــلات الـرحميـــة ويقـوى انقبـاضات الـرحم وينظمهـا وينظم الطلق ويجعله متوازنـا، كما وجد أن لهذا الهرمون خاصيـة منع النزيف عقب الـولادة، كما انه يقي من أمـراض الولادة وعلى رأسهـا حمى النفاس [القـرآن شفاء ودواء، لعبـد الرازق نوفل].

ممـا سبق نـرى السر وراء ذكر اللـه عـز وجل مريم؛ عليها وعلى وليدها السلام؛ وهي في حـالة الـوضع وذلك بجوار النخيل وانـه سبحانه وتعالى أرشدها إلى أن تأكل من تلك الثمـرة المبـاركـة وذلك لعلمـه وهـو العليم القديـر بما فيها من فـوائد جمة لها وهى في حالـة الوضع وذلـك ليبسر لها ولادة رسول من رسله، وهي في وحدتها ليس بجانبها أحد من البشر يساعده على تحمل آلام ومصاعب الولادة.

وأخيراً

فلنكـرم النخلة التي ولـدت تحتها مـريم بنت عمـران رسـولاً من رسل اللـه فلنكـرم النخلـة التي حنّ جـذعهـا لـرسـول اللـه المصطفى ﷺ ، فلنكرم النخلة والنخيل حتى لايسقط آخر خطوط دفاعنا الغذائية ونسقط في دوامة الصراع على الغذاء وخطر المجاعات. فلنكرم النخلة لنقدم تمرها لاطفالنا بدلا من الحلوى الممـزوجة بالألوان السـامة، وكيف لانكرم النخله والنخيل والرسول ﷺ يحثنا على التمسك بها لآخر لحظـة في حياتنا: «إن قـامت السـاعة وبيـد أحـدكم فسيلـة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها» [رواه احمد] وكيف لانغرس النخيـل وغرس النخيل صـدقة جاريـة لا ينقطع أجـرها أو ثوابها عن صـاحبها سواء في حياتـه أو بعد ممـاتـه. فلنغرس النخيل مـا اسطعنـا حتى تتحول بـلادنا إلى واحـة خضراء وقطعة من النماء والغذاء والاعتماد على الذات في كـرتنا الأرضية ■

*مهندس زراعي وخبير بيئة - ج.م.ع.

بلا شك تنطبع مذاهب التفلسف والاعتقاد، على نحو واضح، بطابع مناهجها المعرفية التي تعتمدها وسائل للبحث وإنتاج الفكرة وصياغة الموقف. ومن ثم إذا كانت المنطلقات المعرفية خاطئة أو قاصرة، فإن هذا القصور سينعكس بدوره على النتائج المتوصل إليها استنادا على تلك المنطلقات المذهبية.

المنهج المعرفي في المذهبية الإسلامية

بقلم الأستاذ: الطيب بوعزة*

واتجاهات التفكير الفلسفي (المثالي) حين بالغت في الاعتبار بالعقل وجعلته بموازناته المنطقية الذهنية وسيلة وحيدة للمعرفة، سقطت في مزالق فكرية خطيرة، وبنت أنساقا فلسفية ضخمة لكنها قصور على رمال لا تثبت أمام أبسط استفهام أو نقد. لأنها بنيت مع إفقارها للرؤية التجريبية الحسية، وما تتيحه من تعامل إيجابي مع الواقع. ولعل أفضل مثال على ما سبق: الفلسفة اليونانية – خاصة في اتجاهها الافلوطيني – التي استمت بالطابع التجريدي العقلي المفصول عن الواقع والتجربة، حتى غدت الكواكب والنجوم في السماء (عقولا) وكائنات نورانية غير مادية فاضت عن العقل الأول (الإله)!

إن مآزق الاتجاه العقلي تتجلى في إفقار نفسه بنفسه من المعطى الحسي التجريبي، وانغلاقه الساذج على العقل وتحصيله فوق ما يحتمل من متطلبات التفكير واتجاهات التفكير المادي التجريبي، فهي كذلك أفقرت نفسها بانغلاقها السالب في دائرة الواقع المحسوس، فأصبحت ذات (وعي حجري) لا يؤمن إلا بما هو منظور أو محسوس فأبعدت من أنساقها الثقافية كل الأبعاد الدينية والمقومات المعنوية الروحية التي لا غنى عنها في حياة الإنسان. وأكبر مثال على هذا الإفلاس العقائدي الذي يحتل جوهر التفكير المادي ما آلت إليه المنظومة الايديولوجية الماركسية في سياق تجريبها واقعيا من تصادم خطير مع فطرة الإنسان ونفسيته.

هكذا – إذن – يتجلى التفكير الغربي: يستغني بإصرار عن إمكانات معرفية متاحة، ويسجن نفسه في حدود إمكانية وحيدة، والانكي من ذلك أنه يتنطع من خلالها إلى إلغاء كل الأبعاد والمقومات التي لا تصلها إمكانيته الضيقة التي اعتمد عليها. فالتفكير المثالي المفرط ألغى المادة والواقع المحسوس، لأنها بكل بساطة لا تنسجم مع مفاهيم العقلية المجردة. والتفكير المادي التجريبي ألغى بدوره الأبعاد المجردة والمقومات الدينية من حياة الإنسان، لأنها مقومات مستندة على مفاهيم وكائنات غير محسوسة بإمكانيات الحس البشري!

* أستاذ فلسفة – المغرب

أجل لقد حاولت بعض المدارس المعرفية الغربية – مثلما نجد عند الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار – المزاوجة بين العقل والتجربة، لكن هذه المزاوجة رغم أهميتها في عملية بناء المعرفة البشرية، وضرورة حضورها فإنها تظل انطلاقا من الرؤية الإسلامية مزاوجة قاصرة لا تزال مفتقدة إلى مكون آخر على درجة بالغة من الأهمية وهو مكون الوحي.

مصادر المعرفة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي

إن مصدر المعرفة في التفكير الإسلامي ليس هو العقل أو التجربة وحدهما بل مصدرها ثلاثي الأبعاد: ١ – وحي ٢– وعقل ٣– وتجربة. بينما ساد التصور الغربي – كما سلفت الإشارة – اختزال ضيق لمصدر المعرفة والتفكير، إذ يختصر المصدر في العقل وحده – مع المرحلة اليونانية خاصة – مع حضور محتشم للتجربة نتيجة الطابع التجريدي المفرط الذي ميز الفكر الإغريقي. وفي هذه المرحلة شكل غياب الوحي السماوي نقصا كبيرا كان له أثره الجلي على المنهج المعرفي، تبين في بناء أنساق فلسفية ميتافزيقية تقترب تصوراتها المتهافتة اقترابا شديدا من الخرافة والأسطورة.

وفي المرحلة الأرسطية، بعد تمكن الدين المسيحي المحرف من واقع الغرب وتشكيله للحضارة الغربية، شهد التفكير أحادية جديدة لمصدر المعرفة تجلت في تصورات دينية مزيفة متصادمة مع العقل، وقدمت كحقائق مطلقة لا تقبل المراجعة، بل لا تقبل حتى التفكير فيها وتفسيرها إلا لطبقة الكهنوت هذا مع إبطال العقل واستثناء فعاليته من مساحة الفكر المشروع والمقبول في الاجتماع الغربي المسيحي، بل إن استعمال العقل وإشغاله لم يكن يسلم من بطش الكنيسة وسلطتها المستبدة. وتواقت هذا الوضع الديني الشاذ مع تجربة الدين الإسلامي في الشرق، حيث كان يعمل على تحفيز العقل البشري نحو التفكير وبناء الحضارة، بل كان تعطيل فعالية العقل في عرف الثقافة الإسلامية، تنافيا مع أوامر الله عز وجل والحكمة من خلقه للإنسان، وإعطائه فاعلية التفكير.

بينما نلاحظ في الدين المسيحي، تأكيدا على وقف التفكير العقلي ومحاصرته: يقول القديس أنسلم: (.. ليس الإيمان في حاجة إلى نظر عقل..) (١) في حين نرى القرآن الكريم يعرض لآراء المشركين مفندا إياها داعيا إلى النظر العقلي في الوجود لإدراك الخالق. ولقد استعمل (العقل) و(التعقل) وما يرادفهما ٢٦٧ مرة في القرآن الكريم (٢) وذم الإسلام

تعطيل العقل وانكماشه، أو تجاوزه لحدوده ومجاله إلى مجال التكفير الميتافزيقي، وبذلك حفظ التفكير الإسلامي من الانزلاق في ماسقطت فيه الفلسفات الغربية التي مجدت العقل إلى درجة عبادته.

يقول الله عز وجل: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (٣) في هذه الآية يتضح تميز منهج المعرفة في الإسلام عن المناهج المثالية التي جعلت العقل حاملا لمعارف قبلية فطرية جاهزة لا تحتاج إلا إلى التأمل فيها لاستخراجها مثلما قال بذلك الفيلسوف اليوناني سقراط، ضمنيا في منهجه التوليدي القائم على حوار العقل مع ذاته من خلال التساؤل والاستنتاج. أو مثلما ذهبت إليه فلسفة أفلاطون في زعمها أن النفس (العقل) قد عاشت في (عالم المثل) قبل نزولها إلى عالم الفناء (الدنيا)، وأنها تحمل بداخلها معارف كاملة مطلقة. أو كما أكدت على ذلك فلسفة ديكارت في القرن السابع عشر الميلادي. بقولها إن العقل البشري يحمل بداخله معارف فطرية بدهية مؤكدة ثابتة.

إن الإسلام يؤكد على أن المعرفة نتاج مكتسب، وأن الإنسان يولد من بطن أمه لا يعلم شيئا، وإن كان محملا بجهاز عقلي قادر على تنظيم الوقائع وتأطيرها من أجل معرفتها. ولكن الإسلام يؤكد في ذات الوقت على ضرورة التجربة الواقعية، والتقاط ظواهر الواقع من خلال أدوات المعرفة الحسية: السمع والبصر..).

وحين نتأمل الآية السابقة نلاحظ أن القرآن الكريم حدد بدقة مراحل تفتح الإدراك المعرفي لدى الإنسان، فالطفل يستخدم أولا قدرة السمع ثم ينتقل إلى الإبصار والملاحظة، ثم بعد ذلك يرتقي إلى مرحلة الفؤاد أو العقل. بمعنى أن ثمة مرحلتين أساسيتين في الإدارك المعرفي الإنساني:

أ - المرحلة الحسية: وهي التي يرتبط فيها الإنسان بالعالم الواقعي ليستمد منها باحساساته الموضوعات الملاحظة لينقلها إلى العقل. حيث تبتديء:

ب - المرحلة الثانية وهي المرحلة العقلية التي تتميز بتنظيم المدركات الحسية والاستنتاج منها. والإسلام بتقريره لأدوات المعرفة الحسية يؤكد على افتراق منهجه المعرفي عن مناهج المعرفة المثالية الرافضة للحس والمادة. والعقل في الإسلام، أداة من أدوات المعرفة، وهو إن كان له موقع أرفع وأرقى من غيره بحكم طبيعته، فإن رقيه ذاك لا يعني نفى الملاحظة والتجريب والإدراك الحسي. ثم إن التأكيد على المرحلة الحسية، يعتبر دلالة على إرجاع العقل إليها، وضرورة استناده على عالم الحس والمادة، ورفض كل تجاوز لهذا العالم إلى عالم الماورائيات (الميتافزيقا) والخوض فيه بقدرات العقل وحدها.

جدل العقل والنقل

وإذا كانت الحضارة الغربية في اتجاهها العام قد فصلت بين العقل والدين. وجعلت العقل وعلومه خارج مجال العلوم الدينية، والدين مفصولا عن علوم الطبيعة والمجتمع، فإن الحضارة الإسلامية لم تشهد في تاريخها الثقافي والسياسي، مثل هذا الفصل الاعتسافي، بل جعلت للعقل حضوره، وللدين أيضا على نحو من التكامل والتوافق جد فريد.

فعلا شهد تاريخ الثقافة الإسلامية جدلا بين الاتجاهات النقلية والاتجاهات العقلية، تماما كما شهد محاولات جمع وتركيب مثلما نجد عند الإمام ابن تيمية وابن خلدون والرازي وغيرهم. لكن ذلك الجدل أو (الصراع) الفكري بين (النقل) والعقل لم يحدث في التاريخ الإسلامي شرخا بين الجانبين أو فاصلا جذريا بينهما، بل بالعكس في مزاوجتهما والتركيب بين مقولاتهما: فالاتجاهات النقلية حين ناقشتها للاتجاهات العقلية، لم تعتمد على النقل فحسب، بل استندت أيضا إلى قياسات العقل في الرد والنقض، سواء كان هذا الاستناد صريحا جليا أو مضمرا مستترا. إنما الأكيد هو حضور العقل فيها. كما أن الاتجاهات العقلية هي كذلك ارتكزت على (المنقول في إثبات شرعيتها أولا، والرد على مخالفيها ثانيا. ومن ثم يكون المنقول الديني محورا مشتركا بين مختلف الاقطاب الفكرية في تاريخنا مثلما كان الأمر مع المعقول. ودرجة الاختلاف ليست في استخدام العقل أو عدم استخدامه، بل كان الاختلاف حاصلا في ترتيب الأولويات: هل يكون النقل أولا أم العقل؟ بينما نلاحظ في تاريخ الثقافة الغربية إبان العصور الوسطى غيابا لفعالية العقل. ثم في المرحلة الحديثة كانت ردة الفعل على نفس الصيغة من التطرف والأحادية، إذ أبعد المنقول الديني إبعادا تاما، وتم التشبث بالعقل، والانتقال به من مستوى أداة تستخدم إلى صنم يوثن ويعبد، وانعكس هذا أيضا على الاتجاهات الأخرى القائلة بالتجربة والمادة، متخذة هي أيضا الحس وسيلة وحيدة للمعرفة ومعيارا للحكم على الكون والإنسان.

■ تنطبع مذاهب التفلسف والاعتقاد بطابع مناهجها المعرفية

الصحوة والمنهجية

إن المعرفة البشرية بناء منهجي بالضرورة، بمعنى انه ينهض على رؤية مذهبية تحدده وتشكل طبيعته وأبعاده، لذا فالاهتمام بالمنهج مسألة هامة، والصحوة الاسلامية تحتاج اليوم الى إعادة صياغة للمنهج الذي تعتمده في بناء أفكارها ومواقفها الثقافية والسياسية. وإذا كانت الصحوة المباركة لها فضيلة استحضار بُعد الوحي والالتزام به والدعوة إلى تجسيده في الاجتماع المعاصر، في زمن التغريب والاستلاب، فإن بعض فصائلها - للأسف الشديد - ظلت في منهجها الفكري أحادية البعد، ولم تعمل بما يأمرها به الوحي السماوي من إشغال العقل والاعتبار التجريبي، بل أغفلت بُعدي العقل والواقع (التجربة) مما أدى إلى القصور حتى في استحضارها لبعد الوحي نفسه لأنها - بسبب من ضعف إشغال العقل وانفصام الارتباط بالواقع - تفصل الوحي عن واقع العصر، وتتشبث به تشبثا بالألفاظ والأشكال، ولا تنشغل بمقاصد الوحي ومضامينه، ودراسة واقع العصر حتى تتمكن من تجسيد الوحي فيه (٤). ولعل أكثر مشكلات الصحوة حاليا، راجع إلى ضعف رؤيتها المنهجية، وافتقارها إلى العقل المتزن، والارتباط الايجابي بالواقع وفقهه وإدراك شروطه وسننه، ومن ثم فمعالجة كيان الصحوة لن تتحقق بدون معالجة منهج تفكيرها بتوسيع مساحته ليستوعب أبعاد المنهج الصحيح المتمثلة في الوحي والعقل والتجربة ■

الهوامش

١) نقلا عن محمد عبده؛ الأعمال الكاملة؛ ج٢ ص ٦٦٢.
ط بيروت ١٩٧٢ . ذكره محمد عمارة في: (الغزو الفكري وهم أم حقيقة) ط ٣ يونيو ١٩٩٠م؛ ص ٥٣.
٢) انظر: محمد عمارة (الغزو الفكري وهم أم حقيقة) نفس المعطيات السابقة.
٣) النحل:٧٨.
٤) لايضاح فكرتنا هاته راجع: الطيب بوعزة (فكر الصحوة الإسلامية: ملاحظات نقدية) في مجلة (رسالة الجهاد) عدد ٩٠.

إننا أمام هجمة شرسة من كافة الأعداء تجمعوا لهدف واحد هو النيل من الإسلام والتأثير في هوية المسلمين بمختلف الطرق وشتى الوسائل الممكنة.. ولعل من أهم وأخطر هذه الوسائل قضية التغريب في التعليم والتي تسللت لبعض بلاد المسلمين في غفلة من أهلها وتصل إلى مختلف مراحل التعليم ابتداءً من التعليم الابتدائي ومرورا بالتعليم المتوسط والثانوي.. واستقرارا في التعليم الجامعي والعالي.. ولكن كيف حدث ذلك..؟!هذه هي القضية التي يطرحها هذا الكتاب الذي نحاول أن نلقي عليه الضوء - الآن - لمؤلفه سعادة الدكتور/ محمد عبدالعليم مرسي، الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.



كتاب الشهر

التغريب في التعليم في العالم الإسلامي

يقول (المؤلف) إنه ليس هناك تعريف محدد لمصطلح أو معنى (التغريب) يصفه وصفا قاطعا مانعا، ولكن يمكن القول إن الغزو الفكري الذي ينتج عن التغريب هو أن تتخذ أمة من الأمم مناهج التربية والتعليم لدولة من الدول الكبيرة، فتطبقها على أبنائها وأجيالها، فتشوه بذلك فكرهم وتمسخ عقولهم وتخرج بهم إلى الحياة وقد أجادوا بتطبيق هذه المناهج عليهم شيئا واحدا هو تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج الغازية.

كذلك فإن الغزو الفكري هو أن يحول العدو بين أمة من الأمم - وبخاصة الأمة الإسلامية - وبين تاريخها وماضيها وسير الصالحين من أسلافها، ليحل محل ذلك تاريخ تلك الدولة الكبيرة الغازية وسير أعلامها وقادتها، فيشب المثقف من أبناء تلك الأمة المقهورة، وليس في نفسه مثل إلا ما يقرأ عنه في تاريخ الدولة الغازية.. فينهل عن تاريخه وسير الصالحين من أسلافه، ويذهل عن حاضره ومستقبله ويضل عن معالم طريقه..

ومن ناحية أخرى يتحدث (المؤلف) عن التغريب فيقول:

انه قرين للتغيير الاجتماعي، حيث

> جذور التغريب ترجع إلى دخول الفرنسيين إلى مصر

أصبح هذا التغيير الاجتماعي بديلا عن تنصير الأمة إذ يؤدي إلى إبعاد المسلمين عن دينهم، وهو بديل عن ردتهم الدينية.. أي أن هذا التغيير الاجتماعي، بصورة أو بأخرى هو نوع من (التبشير) الذي كانت بدايته مع نهاية الحروب الصليبية..

إذن فالهدف هو إبعاد المسلمين عن الإسلام، باعتبار الخطر الكامن في ذلك الإسلام - كما يتصور الغرب أو يتوهم - وقد كانت الإشارة إلى هذا الهدف تحت اصطلاحات أكثر تهذيبا مثل (التغريب) أو (التغيير الاجتماعي).

التغريب .. تاريخيا

وهنا يقول (المؤلف) لا يمكن تحديد فترة زمنية بعينها كي نقول إن التغريب بدأ فيها، خاصة وأن الاستعمار الغربي الذي ابتليت به مجتمعاتنا الإسلامية، تفاوتت بدايات استعماره لها، وإن كان يمكن القول بأن القرن التاسع عشر - بصفة عامة - كان هو الفترة الحرجة بالنسبة لها.. فمع بداية القرن التاسع عشر ظهرت دول أوروبا بوجه آخر، غير

الـوجـه الـذي ودعهـا بـه المسلمـون في الحروب الصليبية (الأولى)، فأوروبا التي خرجت مهزومة ذليلـة مقهورة مـن بلاد العـالم الإسـلامي، تعلمت درس الحياة حيث نقلت منهـا علـوم العرب وخبرتهم وتقـدمهم، وعكفت عليهـا بحثا ودراسـة وحينما جاءت (الصليبيـة الثانيـة) كانت مـدججـة بـالسـلاح والعلم والمطـابع، وانفجـرت مع الطلقـة الأولى، ذكـريـات وتـاريخ الحروب الصليبيـة بين الغـرب والشرق، لذلك هبت الجماهير - الإسلامية - تدافع عن وجودهـا.. عن تاريخها.. عن دينهـا ومقدسـاتها، خـوفـا أن يدنسهـا الصليبيون الجدد..

ويقول (المؤلف):

ويمكننا أن نلاحظ ونحـن ندرس عملية التفـاعل بين المجتمع العـربي والفكـر الغـربي على مـدى القرنين الأخيرين أن جذور التغريب غرست خلال هذه المراحل والتي بدأت بـالحملة الفـرنسية على مصر ثم بـلاد الشـام.. ثـم تـوالت غـزوات الاستعمار الغـربي الحديث في ثـلاث مـوجات بـدأت أولاها بـالجزائر ١٨٣٠م وشملت عـدن ثم سـاحل الخليج، وتلتهـا الثـانيـة ١٨٨١م وشملت تـونس فمصر والسـودان فليبيـا والمغـرب، ثم جـاءت الثـالثة عـام ١٩٢٤ وشملت بلاد الشـام والعراق.. وقد عرفت أجزاء الوطن العربي كل أنواع الاستعمار.. استعمار استغلالي، استعمار تمديني، استعمار استيطاني.

وكـان الهدف الأسـاسي لكل أنـواع الاستعمار هـو تخريب الإنسان العربي المسلم عن طريق تغريبه وإبعاده عن دينه وعقيـدتـه.. بـالإضـافـة إلى نهب خيرات المنطقة.

العلاقة بين التبشير والتغريب والاستعمار

وأوضح (المؤلف) هنـا أن الأوروبيين بعدما شربوا هزيمـة ساحقة في حربهم الصليبيـة الأولى، وتركـوا وراءهم آلاف

الكتاب: التغريب في التعليم في العالم الاسلامي
المؤلف: د. محمد عبد العليم مرسي
قراءة: محمد عبد الشافي القوصي

القتلى في الشرق المسلم، لأنهم واجهـوا شعبا مسلما جذوره ممتـدة إلى أجداده المجـاهـديـن الأوائل.. رأي مفكـروهم وقسـاوستهم أنـه ينبغي أن يسبق معركتهم الصليبية المقبلة - أو التالية - شيء من الدراسة ومـن الإعداد، كما أنه لا ينبغي أن يرفع الصليب على رأس كل حملة عسكـرية غـازية للشرق المسلم، حتـى لا يستثيروا غيرة المسلمين على دينهم.

وجـاءت أولى الدراسـات عن الشرق، وأولى جهود القساوسة على شكل إنشاء مـدارس التبشير التي درس فيهـا الإسلام والمسلمـون وأوضاعهم، ومن خلال هذه الدراسة بدأوا يدسون أمورا في الإسـلام تشكك ضعاف النفـوس في كثير من يقينهم وبـدأ التفكير الجدي في

● بعد هزيمة الصليبيين في حروبهم قرروا أن يبدأو بالغزو الفكري قبل الغزو العسكري

عمليـة (الغـزو الفكـري) قبل (الغـزو العسكـري)، إذ ان ذلك يمهـد الطـريق أمامهم، ويبعثـر جهود عدوهم، فيـوفر عليهم الكثير من المعارك قبل أن يدخلوا الحرب.. من أجل ذلـك أصبح الغــزو الفكري للإسـلام والمسلمين يستهدف الجذور لا القشـور، ومن هنـا تـركـز الغزو الفكري ضد أمرين خطيرين هما: القرآن الكريم أصـل الشريعة، واللغـة العربية لغة القرآن والإسلام.

ويستطرد (المؤلف) بقوله:

إن الغــربيين أجمعــوا على أن سر نهضتنـا إنما يكمـن وراء ديننـا وأن الإسـلام هـو مبعث وحـدتنا وقـوتنـا وانطلاقنا في الحيـاة، ثم أجمعوا أمرهم ودبروا كيـدهم، وقـالوا: تعـالوا نهدم بنيـانهم بهدم إسلامهـم، فنحاربـه في نفوسهم، ونضعفه في قلوبهم، وننفرهم منه، ونبعدهم عنه، ونشغلهم بمبادىء أخــرى.. إذن فتأسيس المدارس التبشيرية في الوطن العـربي قد بدأ قبل الغزو الاستعماري الأوروبي، بل ومهد لـه بفـاعليـة، كما أن (التغـريب) كـان رسالة أساسية من رسائل هذه المدارس التبشيرية.

ويشيد (المؤلف) إلى قرار مجمع فيينا الكنسي عـام ١٣١٢م والـذي وافق على تدريس اللغة العربية في خمس جامعات أوروبيـة هي: بـاريس، أكسفـورد، بولونيا، سلامنكا بـالإضافة إلى جامعة المدينة البـابويـة.. وجاء ذلـك في أعقاب الهزيمـة القـاسيـة التـي مني بها الصليبيون في الشرق المسلم الذي ردت عنه مدحـورة آخر حملاتهم.. علما بأن هنـاك علاقـة وطيدة بين مجمع فيينـا الكنسي وبين الجامعـات الأوروبيــة.. فـالجانب الأول يقرر والجانب الثـاني ينفذ.. وكل هذا يـوضح أن الهدف لدى الجميع واحـد، وواضح، وهـو دراسـة الشرق المسلم، لفهم عقليــة المسلمين بقصـد العـودة إليهم لإخضـاعهم وإذلالهم..

التغريب في التعليم في العالم الإسلامي

العملاء من أبناء جلدتنا

ويؤكد (المؤلف) على أن الأمر لم يقتصر على المستعمرين الأجانب والمستشرقين فحسب، وإنما قامت في العالم الإسلامي مجموعة من أبنائه غير الواعين وما هم إلا مجموعة من العملاء الذين ساعدوا المستعمر الأجنبي على إضعاف روح الأمة الإسلامية، وعلى توهين عزائم أفرادها، عن طريق الأنماط الغربية في التعامل والتي حاولوا فرضها أو إدخالها على حياتهم، فكانوا بذلك معاول الهدم التي أخذت تصدع في البناء الكبير، وكانوا بذلك هم الذين مهدوا للغزو الفعلي لأوطانهم، ويكفي مثلاً عليهم، مصطفى كمال أتاتورك، ذلك الذي حقق حلم جميع الدول الأوروبية بإلغاء الخلافة الإسلامية..إلخ.

التغريب والتعليم

ويذهب (المؤلف) إلى أن التعليم عنصر أساسي من عناصر التغيير التي تلجأ إليها المجتمعات والجماعات المختلفة لصب ما تريده في عقول أفرادها، وبالتالي في تشكيل شخصياتهم، وبمدى التأثير والتغيير الذي يحدث في شخصياتهم يكون التأثير في مستقبل المجتمع ذاته، وفي مسيرته عبر التاريخ، وكم من مجتمعات تغيرت مسيرتها وتحولت بسبب ما أدخل على تربية أفرادها، وما وضع في برامج تربيتهم وتعليمهم.

المعلمون

ويؤكد (المؤلف) على أن إعداد المعلمين الذين يتولون التدريس لهم مكون أساسي من مكونات العملية التعليمية، فمعروف لدى التربويين أن المعلم هو حجر الزاوية في أي عملية تعليمية، وبدونه.. وبدون الإعداد الجيد له، قد تفشل، أنجح البرامج التعليمية مهما وفر لها من عناصر النجاح.. وهذا ما جعل علماء التربية يصفون مهنة التعليم بأنها المهنة الأم، وذلك لأنها تسبق جميع المهن الأخرى في التأثير على شخصيات الأفراد.

إن عظماء العالم، وكبار الساسة فيه، وصناع القرارات الخطيرة.. كل هؤلاء جميعا قد مروا من خلال عمليات تربوية طويلة ومعقدة، شارك فيها أساتذة ومعلمون، وضع كل منهم بصماته على ناحية معينة من نواحي تفكيرهم، أو على جانب من جوانب شخصياتهم.

ويستطرد (المؤلف) قائلا:

لقد وعي الغربيون هذا البعد الخطير في حياة الأمة، وبالتالي اهتموا بصب ما يريدون في عقول أعداد لا بأس بها من أبناء الأمة الإسلامية الذين امتهنوا التدريس، سواء على مستوى الجامعة، أو في مستويات التدريس المختلفة، حيث يسروا لهم سبل الابتعاث للخارج، أو التدريب في جامعاتهم ومراكزهم، بحيث يعودون إلى مجتمعاتهم ليمارسوا التأثير الذي يرتضيه الداعون إلى التغريب في مجتمعاتنا.. وهذا يحدث في كثير من بلاد العالم الإسلامي، وفي التعليم العسكري والمدني على السواء..

● التغريب كان رسالة أساسية من رسائل المدارس التبشيرية

خطورة الابتعاث للخارج

إن خطورة الابتعاث للخارج – على حد قول المؤلف – لا تكمن فقط فيما يحدث لكثيرين من أبنائنا في الخارج ولكن فيما يعودون به من أفكار تفعل فعلها في عقول طلابهم، بل وفيما ينشرونه ويكتبونه في صحفنا ومجلاتنا ممتدحين ثقافة الغرب وتحلله بدعوى الحرية في التعبير والكتابة.. إن هذا كله مرجعه إلى خطط محكمة وضعت لإفساد العالم الإسلامي وتحطيمه.

بل – كما يقول المؤلف – إن البعثات التي نرسلها للغرب، وكذا طرق تأهيل أعضاء هيئات التدريس في جامعاتنا، تجعل جامعاتنا وكأنها امتداد للجامعات الأوروبية والأمريكية، فهي بذلك منقطعة الصلة بالتقاليد العربية والإسلامية في التعليم العالي، كما أن الجامعات العربية تتفاعل مع الجامعات الأجنبية ثقافيا وعلميا أكثر مما تتفاعل مع بعضها.. فهل هناك دليل على تغريب التعليم العالي أكثر من هذا..؟؟

● البعثات التي نرسلها للغرب تجعل جامعاتنا وكأنها امتداد للجامعات الأوروبية

وانقلب الأمر رأسا على عقب

ويشير (المؤلف) إلى مقولة المفكر الإسلامي أبو الأعلى المودودي عن موضوع الابتعاث الذي يقول فيه:

(لقد مر على المسيحيين في أوروبا حين من الدهر كانوا فيه يشدون الرحال إلى الأندلس ليتعلموا كتابهم المقدس – التوراة – من علماء المسلمين .. أما الآن فقد انقلب الأمر رأسا على عقب حيث أصبح المسلمون – وا أسفاه – يرجعون إلى أهل الغرب (أوروبا وأمريكا) يسألونهم: ما هو الإسلام وماهو تاريخه وما هي حضارته؟ ليس هذا فقط، بل قد أصبحوا يتعلمون اللغة العربية منهم..!!)

قمة المأساة

وينتهي (المؤلف) بقوله: وتأتي قمة المأساة وبشاعتها حين يتعرض أبناء

هؤلاء المهاجرين من العلماء المسلمين لكارثة التحول عن دينهم الإسلامي الحنيف بفعل المؤثرات التي تزخر بها المجتمعات الغربية هناك، والتي تنهار أمامها مقاومة هؤلاء الأبناء والبنات، خاصة وقد ابتعدوا عن منابع دينهم الحنيف، وجميع بلاد العالم الإسلامي تعاني من هذه الظاهرة الخطيرة..

لغة التدريس

ويوضح (المؤلف) - من نافلة القول - ان اللغة هي وعاء الثقافة، وهي وسيلة المجتمع للتعبير عن ذاته، وللمحافظة على تراثه وأصالته، وفي حالتنا نحن المسلمين فإن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وهي التي ترك كثير من الشعوب لغاتهم الأصلية كي يتخذوها لغة لهم، بعد أن اعتنقوا الإسلام طائعين مختارين.. واثبتوا للعالم أجمع أن اللغة العربية هي لغة الأدب والثقافة الرفيعة كما أنها لغة العلوم المتنوعة، بل إن الأوروبيين المستنيرين، في خلال عصور الظلام التي عاشتها أوروبا، كانوا يتباهون بأنهم يعرفون العربية، لغة العلم والتقدم.. آنذاك.

هؤلاء لم يتركوا لغتهم: لماذا؟!

ويمضي (المؤلف) بقوله: ما من أمة تركت لغتها وهجرتها إلى غيرها إلا ذلت واستعمرت، وأصبحت تابعة لغيرها، وابتعد أبناؤها عن العلم والتقدم والإبداع.. ومثال (اليابان) التي رفضت أي تعديل في لغتها من جانب الأمريكيين، بعد ضربها بالقنابل الذرية، على الرغم من خضوعها لكل الشروط التي فرضت عليها، ولكنها فيما يتعلق باللغة رفضت.. وأصرت على الرفض لأنها لو كانت قد وافقت إذاً لكانت شخصيتها كأمة قد محيت من الوجود، بينما هي اليوم.. مايعلم الجميع تقدما وانجازا.

وإذا انتقلنا من اليابان إلى فرنسا وجدنا أنه قد قامت فيها ضجة اجتمعت لها بعض المجالس النيابية واشتركت فيها الصحافة.. لأن كلمات أوروبية غير فرنسية قد تسربت إلى اللغة الفرنسية، فخاف الفرنسيون من ذلك على لغتهم أولا وعلى أمتهم الفرنسية ثانيا..

وفي (ألمانيا) - في عهد النازيين - أصر الألمان على أن يضعوا كلمات ألمانية موضع بعض الكلمات اللاتينية اليونانية التي كانت مستعملة - آنذاك..

●أكذوبة كبرى اسمها المدارس الأجنبية

غارة خطيرة على لغتنا العربية

ويقول: أما بالنسبة لنا في العالم الإسلامي فلقد حدثت غارة خطيرة استهدفت لغة القرآن الكريم، بقصد إضعاف روح الأمة، وتفتيت وحدتها الفكرية والثقافية وبالتالي تغريبها، وإبعادها عن أهم مصادر عزتها وقوتها، ومما يؤسف أن هذه الهجمة لم تأت من المستعمر فحسب، وإنما عاونه عليها بعض من انتسبوا لهذه الأمة الإسلامية العظيمة التي أصبحت مبتلاة حتى من بعض بنيها.. إذا جاز تسميتهم هكذا.

المدارس الأجنبية

ويرى (المؤلف) أن هذه - المدارس الأجنبية - من أخطر المؤسسات التي عملت، ولازالت تعمل، على تغريب الأجيال من أبناء الأمة الإسلامية، هذا والمجتمع الذي يسمح بافتتاح هذه المدارس على أرضه، يعطي القائمين عليها سلاحا من أخطر ما يمكن - حيث يتمكنون من خلال برامجها ومناهجها من تشكيل عقول الناشئة وتوجيههم الوجهة التي يريدون، حتى وإن كانت - وهي بالفعل كذلك - ضد صالح مجتمعهم وضد عقيدته وأهدافه..

وعلى حد قول - الشيخ علي يوسف - (أنه ما طمعت الدول الأوروبية إلى الاستيلاء على بلد أو إقليم من الشرق عموما إلا وسبقت إليها بافتتاح المدارس بمرسليها الدينيين، ومن تخلق بأخلاقهم ليمهدوا لها طريق الاستعمار).

نبذة عن السياسة التعليمية للاستعمار

ويقول سعادة (المؤلف) في ختام هذه الدراسة، أنه بحلول المستعمر أرض المسلمين، نتيجة لضعفهم وتمزقهم، بدأت أنماط جديدة للحياة تدخل إلى بلاد الإسلام، وتغزو المسلمين في عقر دارهم، بل وفي أعز ماليديهم.. في قيمهم ومعتقداتهم. فجاءت بدعة الاختلاط بين الفتيان والفتيات في مراحل التعليم المختلفة، باعتبار أن ذلك صيحة حضارية جاءت إلينا من بلاد الغرب.. المتقدم!!

وبهذا السلوك المنحرف في مدارسنا نزعنا جانب الرجولة الذي اشتهر به المسلمون الأوائل في سلوكهم وتعاملهم، وأحللنا بدلا منه أنواعا من السلوك المنحل والهابط. وضمن السياسة التعليمية الجديدة التي حلت بالتعليم الإسلامي جاءت مشكلة فصل علوم الدين، عن علوم الحياة..وجاء الجانب التطبيقي لهذا الفكر الشرير حين ضيق الخناق على أولئك الذين اتجهوا للتعليم الديني، فلقد ضيقت أمامهم فرص العيش والحياة، بينما انفتحت تلك الفرص أمام زملائهم الذين ابتعدوا عن الدين وعلومه.. وكانت النتيجة أن وجد الخلاف والشقاق بين أبناء الأمة الواحدة، وظهر منهما جيلان مختلفان .. ثقافة.. وفكرا.. واتجاها..

والنتيجة التي يقدرها واضعو الخطة هي انتصار علوم الدنيا، وانتصار ما درس فيها، وهزيمة علوم الدين بكل مافيها من حق وخير ومجد عظيم للناس□

عداوة الشيطـان للإنسـان قديمة قـدم الأزل، دائمة دوام الـوجود، مبعثها الحسـد ودافعها الكـراهية والبغضاء. لقـد ساء إبليس تكريم الله تعـالى - لآدم عليه السلام - حينما أمـر ملائكته بالسجـود له. فاعترض وأبى ان يكون مع الساجدين ﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ [ص:٧٦]، والطين لايسمو سمو النار.

فكان عاقبته اللعنة والطرد من رحمة الله عز وجل ﴿ قال فاخرج منها فإنك رجيم. وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين ﴾ [ص:٧٧و٧٨].

ولحكمة سبقت في علم الله تعـالى أجاب سبحانه طلب إبليس بالإنظـار إلى يوم البعث والنشور ﴿ قال فانظرني الى يوم يبعثون. قال فانك من المنظرين. إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ [ص ٧٩ -٨١].

مصائـــد الشيطـــان

بقلـم: محمـــد الجاهـــوش

بداية المعركة

كـان هذا الإنظـار الـذي نالـه إبليس منطلق الصراع مع آدم وذريتـه فقـد أقسم اللعين ان ينصب نفسـه، وان يسخـر جنـوده وأعـوانـه لاغواء بني آدم وإضلالهم، وصرفهم عن طريق الهداية والـرشاد ﴿قـال فبعـزتك لأغـوينهم أجمعين. إلا عبـادك منهم المخلصين﴾ [ص :٨٢و٨٣].

وانطلق ينصب حبـائلـه ومصـائده على كل طريق، متـوعدا ان يأخذ على أعـدائه مسالكهم وأن يقعـد لهم بكل صراط يعـدهم ويمنيهم ﴿قال لأقعدن لهم صراطك المستقيم. ثم لآتينهم من بين أيـديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثـرهم شـاكـرين﴾ [الأعراف:١٦و١٧] وتنوعت وسـائله وتعددت فخاخه وأحابيله، ولم يدخر شيئا يقدر عليه إلا تعاطـاه، ولامدخـلا من مداخـل الغواية أمكنه الولوج منه إلا ولجه، وحـرص ان يستغله لينفذ الي قلب ابن آدم فيضله أو يفسـده. لقد استغل فكره، واستفز فرائسـه بصوته، وأجلب عليهم بخيلـه ورجله، وجهـد أن يشاركهم في الأمـوال والأولاد. وعـدهم ومنـاهم، أمـرهم بـالكفـر والفسـوق والعصيـان وكـره اليهم الإيمان والطـاعات، وسبل الـرشـاد. وزين لهم أعمال السوء وافعال الضلال، فوقعوا صرعى الأهواء، وعاشـوا في حمأة الرذائل، تلعب بهم شياطين الإنس والجن، وتتقاذفهم أمواج الشهوات.

قناعة الشيطان

إنه منذ يئس ان يعبد في أرض الإسلام فقد رضى ان يطـاع فيما سوى ذلـك، ممايحقـر المؤمنون من الأعمال والذنوب.

نعم، لقد قنع بذلك وسعـد به، وجرد جميع أسلحتـه لتحقيـق المزيـد من انتشـار هـذه المحقـرات، لأن اتسـاع رقعتهـا يقتضي - بـالضرورة - انحسـار الفضيلـة وضعف تأثيرهـا ولان زيادة مقترفيهـا والراضين بها يفـرز - حتما - جيـلا منسلخـا من تعـاليم دينه، مستهترا بقيمه وأخـلاقه، سقيم الفكر، عـاجـز الـرأي، مخلـد إلى الارض،يعيش على هامش الحيـاة، باحثا عـن نزواته، قـانعا بما يسايـر ملذاتـه، متمتعا بعـاجل وطـره. وما الدنيـا - عنده - إلا تبعـا لذلك! وهل ثمـة ما يسعد الشيطان ويقر عينه أكثر من هذا!

تربة خصبة

ان مثل هـذه البيئـة من أمـاني الشيطـان وأهدافـه. فيها يستـوطن وفي ربوعهـا يبيض ويفـرخ، ويـؤسس دولتـه، وينشر أعـلامـه، ليأوى اليهـا الـزائغـون الحائرون، ممن طمست أبصـارهم، وعميت بصـائرهم فغدوا لا يستطيعون حيلة، ولايهتدون سبيلاً.

المؤمن ينظر بنور الله

لقد سبقت كلمة الله تعالى بحفظ فريق من المؤمنين من غواية الشيطان وإضلاله ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين﴾ [سبأ:٢٠].

هـذا الفـريق هم أهل محبتـه ورضـوانـه، حفظهم ورعـاهم، وربـاهـم على عينـه، واستعملهم بطاعته، وأنـار قلوبهم بمعرفته، وجعل بينهم وبين الشيطـان حاجـزا وحجراً محجورا.

فهم في منعـة الإيمان، وحصن المعـرفـة، مـااقترب منهم الشيطان إلا رصـدته بـوارق اليقين، ورجمته شهب التقوى، فانكفأ خاسئا مـدحـورا ﴿إن عبـادي ليس لك عليهم سلطـان﴾ [الحجـر:٤٢]. وهـذا الصنف هم الفئـة القائمـة على الحق في كل زمان ومكـان وهم في الصـدر الأول أكثـر، وبمـداخل الشيطـان أدرى وأبصر. لقـد حفظ عنهم من المواقف مـابقى دليـلا للسـالكين على امتـداد القـرون، فـاستمع إلى الصحـابي الجليل النعمان بن بشير رضي اللـه عنـه وهـو يبين مكـائد الشيطـان ومصـائده إن للشيطـان مصائد وفخوخا، وان من مصائده:

١- البطر: بأنعم الله.
٢- الفخر: بعطاء الله.
٣- الكبر: على عباد الله.
٤- اتباع الهوى في غير ذات الله إهـ.

مصـايد مـاوقعت أمـة في واحدة منهـا إلا كـانت سبب هـلاكهـا، ودمـارهـا فكيف بها مجتمعة!

مصيدة البطر

نعم الإلـه على العبـاد كثيرة، ولاشيء يصـونها إلا شكـرنعمهـا، واستعمالها بطـاعته ومـرضـاتـه وإرجاع الفضل اليـه سبحـانـه في كل مـايحقق الإنسـان من مكـاسب اجتماعيـة ومـاديـة أمـا الـذين يأشرون ويبطـرون، ويستغلون أنعم اللـه تعـالى في معصيتـه، وإذلال عبـاده، فأولئك قـوم يسعـون في تـدمير أنفسـهم، وضيـاع أمتهم، وزوال نعمتهم، فليس غريبا ان يحل بهم ماحل بمن بطر من أسلافهم ممن حكى الله حـالهم، في كتابـه الكريم ﴿وكـم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعـدهم إلا قليـلا وكنـا نحن الوارثين] ٥٨/ القصص.

ويوم وقعت قريـش في مصيدة الشيطان فخـرجت بطـرا ورئاء النـاس، لتحـاد اللـه وروسوله يـوم بدر دمرها بطـرها، وأحاط بها كيدهـا، وخسرت مكانتهـا وسمعتها بين العـرب، وعادت خـائبة وقـد أودعت القليب رؤوس أبطـالها وصناديـدها وأهل الـرأي والمشورة فيها.

مصيدة الفخر

وقل مثل هذا فيمن وقع في مصيدة الفخر، نسب كل مكسب إلى حسن تدبيره، وسداد تفكيره، وتعدد مواهبه وإمكاناته. فاستطال في الارض بغير الحق، وفاخر الأقران، ولم يرد الفضل لواهبه عز وجل ولا النعمة إلى مسديها وقال: ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾ وغاب عنه ﴿أن الله قد أهلك من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا﴾، فما أغنى عنهم جمعهم وماكانوا يستكثرون،ولا رد عنهم عوادي الحدثان كثرة الخدم والحشم، ولاوفرة الأعوان والأتباع. وأني لمن ضاد نواميس الكون وصدف عن فطرة الله ان تكون له فئة ينصرونه؟ وأني له ان يكون من المنتصرين؟ أني له ذلك وقد اختار العيش في دائرة المقت والبغض ﴿إن الله لايحب كل مختال فخور﴾ [لقمان:١٨].

مصيدة الكبر

أما مصيدة الكبر فتلك التي تقصم الظهور، وتحل أهلها دار البوار وتسلكهم مسلك الأشرار، ولايزال الشيطان ينفخ في أوداجهم وأسحارهم حتى يحلهم أضيافا في جهنم وبئس القرار.

ذلك ان التكبر لاينفك واقعا في حالة من ثلاث:

١- إما أنه متكبر على الله عز وجل يأنف ان يخضع لشرعه وينقاد لأمره ونهيه، فذلك الذي زلت به القدم وطبع الله على قلبه، وختم على سمعه وبصره ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ [غافر:٣٥] وهذا الصنف ممن تسعر بهم النار جزاء كبرهم وإعراضهم ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر:٦٠] انه الكفر بعينه

٢- وصنف يتكبر على رسول الله ﷺ فلايعتقد عصمته،ولا يروقه هديه، ولايرى صلاحية رسالته للحياة المعاصرة، وأنه لاخير في تطبيقها.

فهذا والذي قبله من معدن واحد. كلاهما رد على الله تعالى مأمر به ﴿فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين﴾ [الحشر:١٧].

٣- وقسم خدعه الشيطان عن نفسه، فصده عن سبيل الله، وزين له سوء عمله، فمشى في الأرض مرحا مختالا، متوهما أنه يخترق الارض ويطاول الجبال، فهو يزهو بوهم، لايرى لغيره حسنة ولامنقبة.

ومادرى - المسكين - أنه دون ما توهم، وأدنى مما يظن، وفاته ان الشوكة تؤذيه، والبرد يرديه، ولايطيق للحر احتمالا ففيم التعالي؟ وعلام الكبرياء ومافخر من خلق من التراب، والى التراب يعود؟

هب ان الدنيا مضت علي وفق ماتحب، فكيف يغيب عنك أنها ليست سوى مرحلة فتنة وابتلاء؟ وأن العباد معروضون على الله عز وجل فسابق مجلى ارتقى به عمله ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ [النساء:٦٩]. ومقصر مسبوق، قعدت به همته، وشغله النظر في عطفيه فضاع عمره دون أن يقدم مايفيده بعدما تذهب الدنيا ويفنى متاعها. وهب أن العفو شامل، فأين خجل العتاب، وذل الحساب، وتأخر المنزلة؟ ألم يأتك النذير بأن (شر عباد الله الفظ المستكبر) وأن (من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبركبه الله على وجهه في النار؟)

ألا وإن اشد المتكبرين عذابا أولئك الذين يحتقرون المؤمنين، ويحاربونهم في دينهم ورزقهم، وذريتهم، ويرصدون زبانيتهم في كل طريق يؤذونهم بغير ما اكتسبوا، وينسبون إليهم مالم يفعلوا ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير مااكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ [الاحزاب:٥٨].

مصيدة الهوى

قمة سعادة المرء ان ينضبط هواه بأحكام الشرع ويحمل نفسه على طريق القصد والاستقامة. واذا ما انحرف الهوي قاد النفس الى الهلاك واودى بصاحبه في مهاوي الضلال.

واذا ماعلمنا ان الإسلام معناه الانقياد والاستسلام لأمر الله عز وجل تبين لنا أنه بهذا المعنى مضاد لاتباع هوى النفس، ومجاراتها فيما ترغب وتشتهي. وقد حارب الإسلام اتباع الأهواء، وبين مضارها في حياة الأفراد والأمم، وانها من طباع المعاندين الذين حادوا الله ورسوله، وأعرضوا عن سماع الحق، فضلا عن اتباعه، واتباع الهوي يجلب على أهله اضرارا كثيرة، ويوقعهم في شتى الرذائل، والتي تصل أحيانا إلى الكفر والضلال، فهو:

١- مدعاة للاستكبار والاعراض عن اتباع الحق: وبذلك ضلت اليهود والنصارى حيث قادهم الهوى إلى التكذيب والكفران، تمثل ذلك في أبشع صوره عندما أقدموا على قتل الأنبياء واستباحة حرماتهم. وقد نعى القرآن عليهم موقفهم هذا وبين للمؤمنين عاقبة أمرهم، ليعتبروا فقال تعالى ﴿أفكلما جاءكم رسول بمالاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾ [البقرة :٨٧] فيا له من ضلال. قاد إليه الهوى فأوردهم جهنم وبئس المصير.

٢- ظلم الناس والاعتداء عليهم، ذو الهوى لايراعي إلا مصلحته، ولايبالي في أي واد هلك الناس، اذا ماتحقق هواه وقد ذم الله تعالى هذا الصنف من الناس، وأنذرهم سوء المصير قال تعالى ﴿فلا تتبعو الهوى ان تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ [النساء:١٣٥].

فلو اتصفوا لارتفعوا بأفكارهم ولما قادهم هواهم إلى هذه الدركات من الظلم والضلال عن سبيل الله: يعتبر الهوى من مضلات الفتن وان أقوى مقاتل الإنسان وأوجعها: اعجابة برأيه، وانقياده لأهواء نفسه.

وقد شخص القرآن الكريم نتيجة اتباع الهوى ومايترتب عليها من آثار قال تعالى ﴿ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ [ص:٢٦].

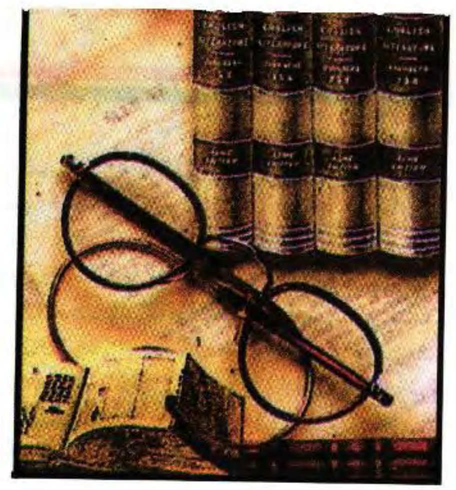
وماصرف أهل الضلال عن الاستجابة لدعوات الرسل إلا اتباع الأهواء قال تعالى ﴿فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لايهدي القوم الظالمين﴾ [القصص:٥٠].

أشد أنواع الضلال

ان كان الضلال أنواعا فاشدها وأشنعها انقياد المرء لهواه، وهو يعلم خطأ فعله، وضلال سعيه. وأن الرشد والصواب فيما أعرض عنه. فالهوى يغطي على القلب، ويعشي البصر وصاحبه مخذول ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾ [الجاثية:٢٣].

سُد مسالكَ الشيطان تسلمْ

فحري بالمؤمن - حتى لاتطول حسرته - ان يسد مسالك الشيطان، ويعتصم - منه - بعرى الإيمان ويتيقظ لكيده ومكره، فلا يقع في مصايده ولا شيء يعين على ذلك مثل سلامة العقيدة وحسن التوكل على الله عز وجل ﴿انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾. سدد الله الخطى ووفق الجميع، والحمدلله رب العالمين ■



ثمـــرات المطـــابع

• الغـــرور القـــاتل (أخطـــاء الاشتراكيــة)

○ تأليف: فردريك فون هايك ○ تقديم: د. حازم الببلاوي

○ ترجمة: محمد مصطفى غنيم ○ نشر: دار الشروق

وضع هـذا الكتـاب دفـاعـاً عن الفكـر الاقتصـادي الـرأسمالي، الفيلسـوف النمسـاوي الحائز على جـائزة نـوبل في الاقتصـاد، ف. هايك، وهـو يعد واحـداً من كبـار اقتصاديي القـرن العشرين الغـربيين وأشـدهـم على النظـريـة الماركسيـة. ومن خصائص الترجمة العربية دقتها؛ بالرغم من صعـوبـة بعـض المصطلحـات؛ وتضمنهـا فصلا للـدكتور حازم الببـلاوي عن الكاتب وأفكـاره واتجاهـاتـه ومقـارنتهـا بغيرهـا، وتأثيره على عـدد من زعماء العالم المعـاصر مثل الـرئيس الأمـريكـي الأسبق، رونـالـد ريغـان، ورئيسـة الحكـومـة البريطـانيـة السابقة، مارجريت ثاتشر..

ونواة الكتـاب حجج كان المؤلف قد أعـدّها لمناظرة بين ممثلين عن المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي، لم يكتب لها النـور، لاسيما وقد انهار الاتحاد السـوفيـاتي وانتهى دوره على السـاحة الـدولية، ممـا اعتبر نكسة للفكـرة الماركسية نفسها..

وتتلخص نظرية هـايك في انه لا يمكن لأية سلطة مركزية مهما أوتيت من قدرة وعلم أن تتمكن من معرفة كاملة للموارد الاقتصادية، ولا يمكن لها ان تنتج وتستخـدم تلك الموارد بمثل كفاءة وسرعة وسهـولة نظام الاقتصاد الحر..

الكتـاب إضافـة إلى المكتبـة الاقتصاديـة تعني المهتمين بـالـدراسـات الاقتصـاديـة المقـارنـة، وتثير أهميـة قيـام دراسـات اقتصادية مقارنة تخدم النظـرية الاسلامية في الاقتصاد، الأمر الذي يقـدّم خدمة عظيمة للأفراد والمؤسسات على حـدّ سواء، ويبلور للصحـوة خطوات وطيـدة في هـذا السبيل..

• إلـــيك مـــن الحيـــاة

○ تأليف:

ابتهال قدّور

○ نشر:

دار حواء – الكويت، ودار ابن حزم – بيروت

قليلة هي الأقـلام النسائية الاسلامية المتميـزة، فالمرأة التي كرّمهـا الإسلام تكاد لا تجد موقعها في مجتمعنا المعاصر إلا ضمن إطار محدود، أين منه رحابة ما قرّره لها الله ورسـولـه ﷺ، وتفهّم الرعيل الأوّل من المسلمين.. وتكاد الأقلام النسائية تنكفيء في أكثر من ميـدان، وعلى الأغلب لأن الفرصة محصـورة في عالَم الرجل؛ نزولاً عنـد أفكار جاهزة وتصوّرات جامدة..

والكاتبـة ابتهال قدّور تحاول في (إليكِ مـن الحياة) أن تخاطب ابنة جنسهـا معتذرة منذ الصفحة الأولى عن هذا التخصيص، فهي في الأصل لا تـرى كتابة مواضيع للمرأة وأخرى للرجل، وليست من الداعيات إلى توجيه اهتمام المرأة لناحية حياتية دون أخرى، ذلك لاعتقادها أن المرأة طرف مشارك في كل نواحي الحياة، أو هكذا ينبغي أن تكون..

وفي سياق تفسيرها لظـاهرة تعامل الكتّاب مع المرأة بخصوصية تقليـدية، واقتصار المكتبة النسائيـة الاسلامية على الحقوق والـواجبات وأحكام الطهارة والعبـادات، ترى الكـاتبة (أن النهج الـذي ارتضتـه المرأة المسلمة لنفسهـا هـو الذي يـدفع المؤلفين إلى حصرها في هذه الدائرة، والمستوى الذي أقنعت نفسها بالوقوف عنده هو مشجعهم على الاستمرار في طرْق مثل هذه المواضيع)..

وتقول أنها أرادت ألا تكون مواضيعها من صنف المواضيع المغلقة التي تُقرأ وتُؤخذ، فهي تريدها محرّضة على التفكير والتأمّل والنقـاش وإبداء وجهات النظر، وفتح أبواب الحوار البنّاء، لا بهدف فتح ثغـرات جدليـة فارغـة، وإنما بهدف تحريك الفكر حتى لا يضمر مثله مثل أي شيء توقّف عن الحركة فماتت فيه معاني الحياة..

فهل نجحت في إيصـال رسالتهـا من خـلال مواضيع كتـابها؟ هـذا ما نترك حكمـه للقاريء الكريم، لأن طبيعة الحوار والنقاش والتحـريض على المشاركة لا تتم بالأحكام المسبقة

● جواسيس العرب (صراع المخابرات الأجنبية)

○ تأليف: رياض نجيب الريس

○ نشر: رياض الريس للكتب والنشر – لندن

بدأت قصة الكتاب مع بدء تطواف المؤلف في مجموعة من الكتب الانكليزية خلال السنوات القليلة الماضية، وعدد من الوثائق البريطانية التي أفرج عنها وأصبح من المتاح الاطلاع عليها، وتروي حكاية مجموعة من الأشخاص الذين جاوؤا إلى بلادنا الإسلامية في مطلع هذا القرن، ولعبوا فيه أدواراً مازالت آثارها ماثلة للعيان، وما زلنا نقطف ثمرتها المرّة إلى حينه..

جمع المؤلف – مع مرور الأيام – من هذه الكتب والوثائق المتاحة، حكاية بعض هؤلاء من إنكليز وفرنسيين وألمان ونمساويين وروس وغيرهم، جاؤوا إلى بلاد الشام (سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن) والعراق والجزيرة العربية ليقوم كل منهم بدور مرسوم له، في الوقت نفسه يروي هؤلاء الأشخاص قصة صراع الدول الأوروبية الكبرى للسيطرة على العالم العربي عند بداية هذا القرن، والقصة هذه تناقض في أحيان كثيرة – ما نعرفه نحن عن تاريخ هذه الفترة، وتقلب معطيات التاريخ ومسلّماته كما تعلمناها وافترضناها..

ولئن كان من الممكن التعامل مع قصة هؤلاء الأشخاص التاريخيين كالتعامل مع الرواية البوليسية غير أن الفارق البسيط هو أن كل ما فيها حقائق تاريخية ممحصّة ومثبتة، وهي في الأصل حكاية صراع المخابرات السياسية والعسكرية للدول الأوروبية الكبرى في منطقتنا منذ ١٨٩٨م حتى ١٩٢٦م، فكل أبطالها جاؤوا للقيام بالتجسس على عالمنا العربي، أشخاصاً وحكاماً وزعماء وجغرافية وتاريخاً، وكان التجسس يومها خليطاً من الاكتشاف الجغرافي، والتفاوض السياسي، والتخابر الأمني، مما أضفى على مهمة البعض مسحة من الجدية بقدر ما أعطاها من شغف المغامرة..

الكتاب؛ بعد قراءته؛ يفسّر لنا كثيراً من أحداث الواقع على ضوء حقائق التاريخ، ويصحح كثيراً من المعلومات التي قرأناها على مقاعد الدراسة أو خارجها مما كنا نعتبره أمراً لا جدل فيه ولا نقاش.

● أروع ما قيل في الهجاء

○ إعداد: راجي الأسمر

○ نشر: دار النفائس – بيروت

الهجاء فنٌ من فنون الأدب العربي العريقة، وإلى جانب قيمته التاريخية والأدبية والثقافية، له قيم أخرى، منها ما يتعلق بفنون الصور الخيالية واللوحات الإبداعية التي يرسمها الشاعر بلغته وتطويعها لأغراضه، ومنها ما يتعلق بالترفيه عن النفس لكثرة الصور تظرفا وتفكها وسخرية ودعابة ونكتة ولطائف.. وقد تتبع الأستاذ راجي الأسمر في كتابه هذا صور الهجاء منذ العصر الجاهلي وحتى اليوم، متوقفا عند بعض أعلامه المبرزين، مثبتا ما وجد أنه أحلى الصور الهجائية، مبتعداً كل الابتعاد عما يخدش الحياء، أو يثير النفور، أو يبعث إلى الاشمئزاز، مما يمجّه الذوق السليم وتأنف منه النفس الأبية، وأضاف إلى ذلك بعض القصائد الطريفة في المعارضات الشعرية وفي بعض نواحي القول، مما يتضمن طرفة مضحكة، أو أدباً ساخراً، أو نادرة ممتعة..

● اتجاهات التفسير في العصر الراهن

○ تأليف: الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب

○ نشر: دار البيارق – عمّان

يرى المؤلف كثرة المفسرين في عصرنا الراهن، ففي كل عام يخرج تفسير للقرآن الكريم ينحو نحواً معيناً، والمسلم يقرأ في هذا التفسير أو ذاك، ولا يكاد يتمثل صورة واضحة لاتجاهات التفسير، إلا إذا كان القارىء مستنيراً، ولهذا وجد الحاجة ماسة إلى رصد اتجاهات التفسير المعاصرة دراسة عميقة مستنيرة، ومعرفة الأصيل منهاوالتنبيه إلى الانحراف الذي طرأ على بعضها..

واختار لتحقيق ذلك دراسة ثلاثة تفاسير مشهورة تمثل الاتجاه السلفي تمثيلاً يقرب من الدقّة، خصّص لها الفصل الأول، وهي: (محاسن التأويل) للقاسمي، و(التفسير الحديث) لمحمّد عزّة دروزة، و(التفسير القرآني للقرآن) لعبد الكريم الخطيب.

وأفرد الفصل الثاني كاملاً لدراسة اتجاه الشيخ محمد عبده، وهو اتجاه عقلي توفيقي يوفق بين الاسلام وبين الحضارة الغربية، وتناول بالحديث أولئك الذين ترسّموا خطوات الشيخ محمد عبده ومنهم: الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ محمد مصطفى المراغي، وعبد العزيز الجاويش، وعبد الكريم الخطيب، ومحمد المبارك عبد الله (شيخ علماء السودان). كما أشار إلى الذين تأثّروا باتجاه الشيخ محمد عبده في غير ميدان التفسير، كالفكر والبحوث الأدبية والإسلامية..

وخصص الفصل الثالث لدراسة الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم، وقدّم صورة واضحة عن موقف القدماء ثم المحدَثين لتكون الدراسة شاملة مستوعبة.

موعـــد مـــع الـفـجـر

بقلم: محمـــــد عمـــــر شـــــوبك

هنـالك عنـد تخوم المدينـة تساقـط الأحرار وكـذا الطلبة غير وجلين – صرعـــــى – مخضبين بدمائهم الواحد تلو الآخر، كان الـرصاص ينهمر عليهم كـالسيـل، بينما كـان الأخطبوط الــ (كي جي بي) يسعى كالجراد المنتشر يتلقف الأنباء كله آذان صاغية، يرقب مــواكب الحيـــاة وهي تحث الخطى كيما يزج بها في أعماق أعماق الظلام الحالك، لتتجرع كؤوس الحنظل دامية في عذاب مقيم، فتتمنـى الموت كـأس الـردى عزيـزا – تصطـرخ – ولا تظفر بـه.. هيهات.. أما من سبق عليه الرصاص فقد ناله من قبل أن يـرى الهول الذي تقشعر منه الأبدان.

ورغم سطـوة الطـــاغـوت وجور المطـارق، كان الغضب سـاطعا يبـدي مـا في الأنفس والصدور، يتردد على الشفاه:

– هذا أول الزلزال..

– صــدى الثــورة سيبلغ الآفاق..

وفي بقعـة نـائيـة في مكـان سحيق لا تجرؤ الأشبـاح على الاقتراب منه، تنـادي الأربعة إلى جنـــة الخلـــد بين يـــدي الدكتور بافلوف (خالد):

– غـــاري (عـدنـــان): إلى الملتقى...

– أناتولي (بشير): وداعا... هاهو ذا دمي أسفحه قربانا..

– الكسنـدر (نصري): هي الأقلام الكـواكب أشـد مضاء عليهم من الحسام المهند..

– ميخائيل (نادر): انظر... انظــر خـالـــد إلى عــرشهم يتداعى..

اغرورقت عينا خالد بالدمع مشوقـا، واختنقت العبرات في صدره... اكفهـر وجه الصنم الأحمر، يجأر: لا ضير، هأنذا أتيح لك فـرصـة لم يحظ بها غيرك آملا أن تـذكر – أبـدا – هذا المشهد أمامك... هي كلمة أخيرة؟

لا تغامر وقد غامر هؤلاء، لا تطمع وقـد طمع هـؤلاء، هـذا جزاؤهم.. جـزاؤك... (يومىء إلى الأجساد الهامدة).

وربت على كتفـه، بقوة: إنها أمنيـة عـزيـــزة وهبتهـا لك.. الحذر الحذر.. لقد بلغ السيل الزبى..

– خالد: لم أتقـدم بها بداية وأنا أنشدها نهاية حسنى..

يرمقه الضـــابط شزرا وهو يتوعد: الويل والثبور لك...

استدار خالد وقد ولاه ظهره مشرئبا عنقـه كأن لم يسمع.. وحلق النسر طـــائرا يأبى أن يخفيها حقائق ساطعة دامغة، يعلنها على الملأ سافرة لا يقف دونها حجاب، يميط اللثام عن الوجوه، لا يزدجر..

لبث الـدكتـور مأمـون غير بعيد يصغي إليـه، يقلب كفيه يود لو ألقاه من عل؟ لقد أغلق خـالد دونـه المنـافـذ يرهقـه بالسؤال تـارة ويثير حفيظته تـارة أخـرى، فيعيـا مأمـون ويسقط في يده..

ومـا إن دنـا منه صـاح بـه خـالد: دونك قف.. مـا خطبك أنت القادم من الشرق الساحر الـذي انبثق منـــه النـــور أول مرة، وهدى العـالمين إلى سواء النـار في الهشيم – يــدغـدغ المشاعر اليائسة – واهتزت له الأرضـون، وعـزفت وكـالات الإعـلام قاطبـة المرئيـة وغير المرئية على أوتار القلوب: إلينا إلينـــا.. لقـد غـــدا المستحيل بأيدينـا ممكنا! سيقلب الطب الأمور رأسا على عقب، فيجعل الولدان شيبا والشيب ولدانا، بل الـذكـور إنـاثـا والإنـاث ذكورا؟ ذلك مايكل جاكسون

– خالد: ولن يتقوقع الملاك على ذاتـــه (الأنثى) ملـومـــا مخذولا، وسيقصر بغــــي الإنسـان فلا يـرفع ويخفض يشير بـــإصبــــع الاتهام في وجهـه: انظروا إلى العـاقـر... العاقر!

– مأمون: هل في ذلك ضرر قطب الشيوعية الأكبر؟

– خـــالـد: بئس اللقب مـــا وصفت أيها الصعلوك، لقـد طـرحتـــه ومـزقت رداءه شر ممزق..

– مأمـــون: لا تـــرفعن السبيل؟! إنكم لتخرجون من دين الله أفواجـا لندخله نحن أفواجا أفواجا..

– مأمون: لقـد أصبت مني مقتلا وأدميت قلبي بها طعنة نجلاء.. أرجـوك، إنه السـؤال الآخر أسألك إياه لم يخف منه غليلي بعد، وهو مـا برح يمور في صدري دونما طائل: ما هي حقيقة طفـل الأنبوب ومـاكنه الغمـوض الذي يكتنفـه؟ هيـا أدركنيهـا أثارة علم من لـدنك أنا بشوف غامر للإحاطة بها؟

– خالد: حتـام هذا الخداع؟ (يبتسم بخبث)

– مأمون: صفحا صفحا..

– خالـد: أقبل طفل الأنبوب الأول بسـامـــا ضاحكا في ربوع مدينـة الأشباح في بريطانيا، ولا بدع فقد افتتنت أيما افتتـــــان بتقديم الممتاز.. وسرى النبـــأ (الفتـح الطبـي العظيم) سريان

– الجرد – هل رأيتم صورته
ذاتك ثـدياه تـدليا في مشهـ
فاضح يبدي بعض أمنيته..
– مأمـــون: أمنيـة.. أيـ
أمنية!؟

– خـالـــد: سيفلح الطـ
ويخطـر مـــايكل على الأرضـ
صلفـا – أنثـى حقيقيـة

ويومئذ سيغمر الحبور فؤاد
الصغير، ويغتبط المولعون
(العشـاق) يتقـدمـون إليـ
وفودا وفودا مهنئين، يرفعو
أسمى كلمات الحب مشفوع
بالغد الباسم، بالرفاه والبنـ
في ظلال الهوى، وربما نظمـ
فيـه قصيـــدا عبقــــريـ
وأخجلتـاه.. سيثور الأطبـ
حينـــذاك ويخبطـــون خبـ
عشواء لأن تلك الوفود نبذتـ
وراءهـا ظهريـا، وسينـزو
مجتمع الحيوان يــذروفهـ
مـــوعـــا حــرى يتطلع لنـ
نصيبه – عـدلا – يصرخ غـ
مسمع وقـد أسمع لـو نـاد
بشرا سويا..

– مأمـــون: هـذه إحـــد
البشـائر التي تثلج قلب المر
وتقر بها عينها!

صوتك.. الحذر يؤتى من مأمنه. الطيور السوداء تحلق في أجواء الفضاء لا تغفل عنا لحيظة..

— خالد: لم أزل أرقب الشهادة أختال جذلان فرحا، قد بسطت جناحي لملك الموت، مناي أن أعانقه، هتاف أن: مني.. إليّ فالشوق يفري كبدي!

— مأمون: ما كان الأمر فلن تذهب المكيدة بالحفيظة.. بشراك.. طوبى لك وأنت ترد حياض الموت..

يعترض الدكتور خالد، ثائرا: أتراك نسيت طفل الأنبوب تلك الحقيقة، دعني ريثما أضع تيك النقاط على تيك الحروف؟

وظيفة المرأة اليوم أن تلد، حسبها أن تلد سواء هي والحيوانات التي أخضعت لأنماط البحث التجريبية المريعة.. ولو أيقنت معي وأبصرت الذي أبصرت لما دهمك ريب بأن الأطباء لا يبتغون الطب عينه في ظلمة تلك المختبرات! ترى... هل وعيت الأخطار التي تفتك بجسد المرأة، ومدى تأثير الهرمونات والمضاعفات التي تتمخض عنها، فضلا عن أطوار النفس وتقلبها وما يعتريها أي المرأة وهي بين تأمل ملفات الإحصاء، رقما نسبته ثمانون بالمئة لإناث لم يكتب لهن الحظ والأمل يراودهن أن يفزن بطفل، فرددن خاسئات يسحبن ذيول الإخفاق.. وانظر إلى أجنحة الإعلام الطائرة تروي على شفاهنا مالم نقله، بينما أولئك الأطباء ماوهنوا يسعون إليهن مائلات جميلات، إلى جيل خال من أي مورث صار ينطلق في رحاب الحياة! ألاليت أرنست هنغواي حيا ليرى رأي العين كم كان غبيا عندما حقق رغبتهم إذ جاءوه ينشدون نابغة خشية أن يفرط عقد الإبداع فتذبل زهرة الأدب!

يتململ مأمون في جلسته.. يردف خالد، محتدا: ثمة إضافة يجدر بك أن ترعاها حق رعايتها وهي: أنك إذا عزمت وتوكلت على لينين وكان زوجك عاقرا، فإني أرجو أن ترصد نفسك لماء الحياة حذر أن تمتد إليه يد لعوب فيبدل أو يبتاع! إنه وقف للطالب والمطلوب، من يطرح الثمن الباهظ في سلعة تلقى رواجا في سوف الحضارة الجديد.. هاك الصور؟

— مأمون: معذرة، لقد انتهى الوقت المنظور.. إلى اللقاء..

— خالد: بل وداعا وداعا!

***

وغاب.. غاب طيف خالد إلى الأبد، فقد أخمد ذلك الفليق أنفاسه تحت جنح الظلام..

لم يطل المقام بمأمون في بؤرة الإشراك.. كان شبح خالد يطارده أني توجه ينذره بالوعد والوعيد يقض مضجعه يؤرقه، وسرعان ما دفع كتابا إلى اللاهوتي كبير الفلاسفة: بوكوف راغبا عن كرسي الشرف..

قفل عائدا حيث مسقط رأسه.. وفي أول محاضرة له بعد احتفال مهيب وتقبيله ثري الأرض التي أنبتته، شرع مأمون أول ماشرع يقدم — بادىء ذي بدء — محاضرات الكفران على الطلاب ليخرجهم من النور إلى الظلمات، قد غره الغرور يزين له زخرف القول...

انبرى له مفلح مفندا آراءه وماتوهمه، ناقدا: أنا لك.. بينما كنت جالسا أديم النظر إلى الطابعة أرقب حركتها، فغرالفاه مني دهشة؟ كانت الحروف تسارع تتطاير ذات اليمين وذات الشمال، كذا من تلقاء نفسها حتى تراصت على بعضها؟ لم أكد أصدق أخاطب نفسي: كيف انتظمت حروف هذا القصيد الأجمل بل هذه القوافي! رحت أقرأ أبياته بشغف وعواطفي تلتهب: أنى هذه البلاغة والجمال البديع؟

ثنى مصعب: أرأيت أيها الأستاذ الدكتور عندما تنتحب وينوء كاهلك بنوائب الزمن وتتخطفك الطير..؟ كيف ترتعد فرقا ثم لا تلبث أن ترفع يديك تلقاء السماء، يتغلغل في أعماقك صوت اليقين يهزك هزا.. أرأيت؟!

هأنذا الثالث (جلجل صوت نذير): هل قرأت فلاديمير إيلتش لينين.. صدقا؟ هل قلبت صفحات التأريخ وقرأت عنه هذا البيان: كيف كان يهرع إلى الله يثني عليه لحظة تعصف به رياح الغدر، يهرع إليه بين يدي الشعب الثائر يغريهم يستقطبهم إلى حظيرته..!! كذلك الطاغية إذا انتهى الأمر إليه، صرخ: أأنا قلت هذا!؟.

— مأمون: (يتثاءب) من إلهكم؟

— الأول: سكت دهرا ونطق كفرا.

— الثاني: ربيب لينين.

— الثالث: ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ [الحج: ٤٦].

— مفلح: إنه واحد أحد وكل ما في الكون يدل دلالة لاشية فيها بأنه المبدع البارىء المصور..

— مأمون: هل يستطيع إلهك أن يأتي بمثله؟

— مفلح: تعني أن يخلق مثله؟

— مأمون: أحسنت أيها الألمعي (يتهكم)

— مفلح: هذا السؤال خطأ خطأ إذ يلقى بهذه الصيغة، بل هو ضرب من الخبل؟ لأن العقل ينبذ ما صرحت به آنفا، وعلة ذلك — لو كنت لبيبا — أن الله قديم قديم، وأي حادث يخلقه لا يصير قديما بداية ونهاية، أعني أن الحادث (المخلوق) لا يكون إلها.. وجدلا لتقريب السؤال الجواب إلى ذهنك، أقول: لو أوجد الله إلها مثله لبطل أن يكون إلها، لأنه — لا مناص — سينازعه في ملك الألوهية أيضا، وبذلك لا يصح القول — أبدا — أن نطلق عليه هذه الصفة حقا.. إنه أس الإشكال الذي أنت عليه أيها الدكتور الببغاء ومن يردد القول مثلك..

لم يكد ينصرم اليوم حتى طوى الثلاثة ومثلهم معهم في غيابات الجب، وختمت الأفواه بالشمع الأحمر، وساد الصمت رهيبا رهيبا..

***

وكما أحاط به الكفر أمدا بعيدا أحاط به الإيمان، فأسلم مأمون لله رب العالمين.. لقد ذاق برد النجوى وأحس بالطمأنينة وهو يناجي مولاه في سويعات الإشراق الأولى من الفجر، فسجد قلبه قبل أن تسجد عيناه..

على ركبتيه جثا بين يدي الشيخ يؤمن على حديثه، يوقن به يقينا لا مرية فيه..

— أنا الدكتور مأمون، أنا.. (يبكي) لقد فرطت في جنب الله، وأتبعت نفسي هواها... رغيب رغيب بأن أكفر عن خطيئاتي.. (يتعاظم بكاؤه)

— الشيخ: كن داعية، كن داعية..

— مأمون: أجل أجل... أواه.. لشد ما أشعر بالظمأ لما أرتوي! أشرقت الأرض بنور ربها وتألقت شمس الضحى زهراء... لقد استشهد الدكتور مأمون؟ اغتالته يد أثيم بعد أن أفرغت في رأسه إحدى عشرة طلقة! أكد ذلك الطبيب الشرعي الذي أمر بتقييد الحادثة ضد مجهول..

رفع جثمان الشهيد على الأكف يكاد يطير...

— هونا هونا أيها الأخلاء

— قف يا أخي، حذار أن تقع..

— رويدا رويدا..

انتهت

الجاليات والمهتدون الجدد

إعداد: جاسم محمد العوضي*

شهدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية خلال عام ١٩٩٣ ولادة قسم الجاليات الإسلامية والمهتدين الجدد الذي يعنى بشؤون الجاليات الوافدة إلى الكويت من شتى بلدان العالم وتهدف الوزارة من إنشاء القسم إلى الرقي بمستوى الجاليات الإسلامية المتواجدة على أرض الكويت نحو فهم صحيح للإسلام وتأصيل للقيم والمبادىء الإسلامية التي أمر الله ورسوله بها وقد قام القسم بإعداد خطة تتمشى مع هذا الهدف تضمنت ما يلي:

١ – إحياء المناسبات الدينية بين الجاليات الإسلامية وتنظيم الندوات والمحاضرات لهم.

٢ – إصدار بعض المطبوعات والكتب الإسلامية والتسجيلات بعدة لغات.

٣ – الرد على الشبه والتجاوزات التي تنشر من مقالات أو كتب وغيرها والتي تطعن بالدين الإسلامي. ٤ – اتخاذ التدابير المناسبة للاتصال بالجاليات غير الإسلامية في البلاد وتعريفهم بمبادىء الإسلام وشرحها لهم.

٥ – تقديم أوجه الرعاية الفكرية والدينية المناسبة للمهتدين الجدد لتعميق إيمانهم ومعالجة ما يصادفهم من مشاكل بسبب اعتناقهم للإسلام.

٦ – تنظيم أنشطة دينية تجمع المهتدين الجدد بالجاليات الإسلامية لتوثيق العلاقات وتعويدهم على السلوك الإسلامي في المواقف المختلفة. ٧ – تنظيم رحلات الحج والعمرة للمهتدين الجدد والجاليات الإسلامية.

٨ – التعاون مع الجمعيات الإسلامية التي تعمل في مجال الدعوة الإسلامية في مجال رعاية المهتدين الجدد.

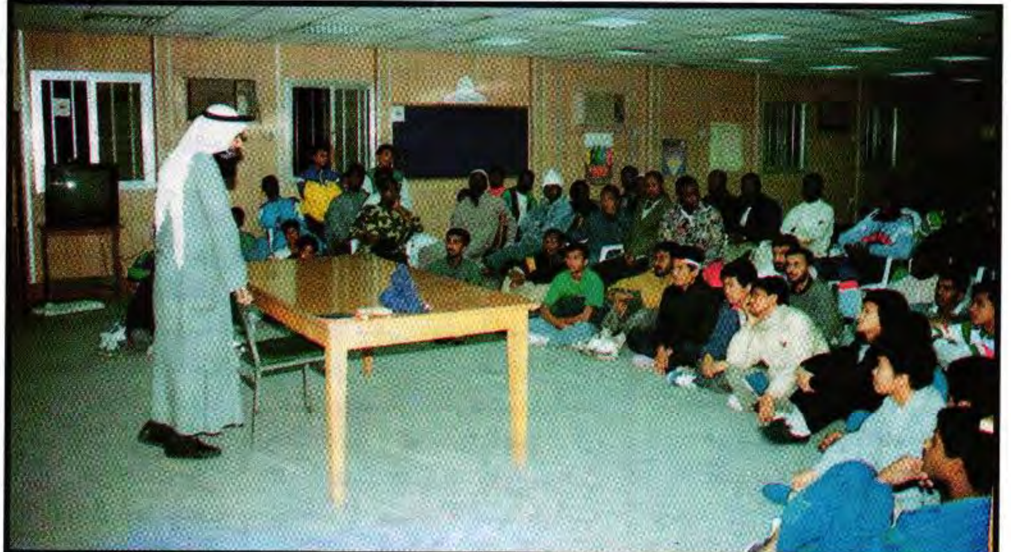
وتنفيذا لهذه الخطة قام القسم بعدة أنشطة خلال عام ١٩٩٣ كان أبرزها مايلي:

١ – قام القسم بالتعاون مع إدارة المساجد بتخصيص عدة مساجد في مناطق متفرقة من أنحاء الكويت لإقامة الدروس الدينية وخطب الجمعة بلغة عدة جاليات والمساجد موزعة حسب الجدول:

وتعتبر هذه المساجد مركزا لإقامة الاحتفالات بالمناسبات الإسلامية (الهجرة النبوية الشريفة – المولد النبوي – الإسراء والمعراج).

٢ – قام القسم بإعداد دورة تأهيلية لملاحظي المساجد الذين ينتمي معظمهم للجالية البنغالية وعددهم ١٤٠٠ ملاحظ موزعين حسب محافظات الكويت – استمرت الدورة أربعة أشهر خلال الفترة الصباحية طيلة أيام الأسبوع عدا يومي الخميس والجمعة تعرف الملاحظون من خلال الدورة على أهم مبادىء وأركان الدين الإسلامي إضافة إلى تعلمهم شيئا من مبادىء اللغة العربية لتساعدهم على قراءة وفهم القرآن الكريم.

● سعادة سفير الفلبين



● مهتدون جدد يصغون إلى محاضرة إسلامية



● روّحوا القلوب ساعة فساعة سعادة سفير الفل

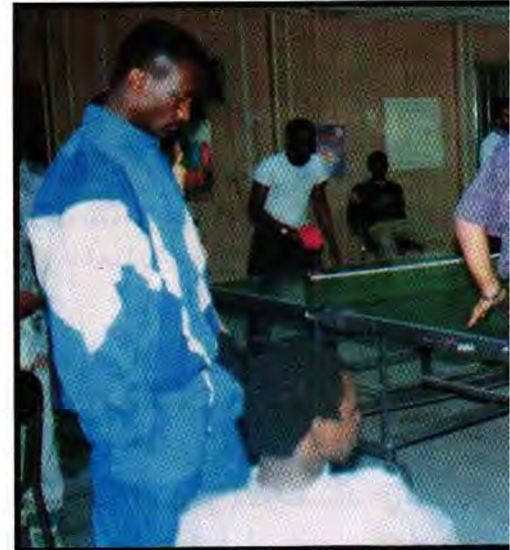
٣ – قام القسم بتوزيع ١٢٥ ألف كتيب يتحدث عن مبادىء الإسلام بلغات متعددة على الجاليات المسلمة وغير المسلمة.

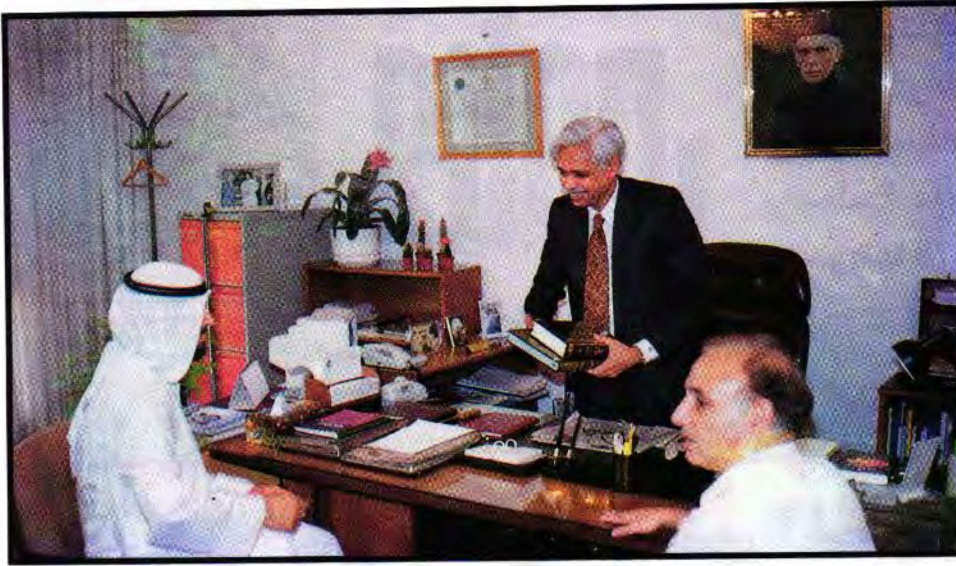
٤ – لم تقتصر أنشطة القسم على الجاليات الإسلامية بل مارست نشاطا كبيرا في وسط الجاليات غير المسلمة مما أسفر عن إسلام ٦٤٧ شخصا من جنسيات متفرقة خلال الستة شهور الأولى من بدء أنشطة القسم وقد أشهروا إسلامهم في قسم المهتدين الجدد بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ومازال القسم يولي اهتماما كبيرا بالمهتدين الجدد حيث يوفر لهم ما استطاع من احتياجات مادية وثقافية تعينهم على التمسك بدينهم والثبات على عقيدتهم.

٥ – قام القسم بالتنسيق مع وزارة التربية والتعليم بإعداد رحلة عمرة لطلبة المنح والبعوث ضمت ١٨٠ طالبا وطالبة من ٣٥ جنسية متفرقة وقد تكفلت وزارة الأوقاف بالتعاون مع وزارة التربية وجمعية عبدالله النوري الخيرية بكافة نفقات الرحلة وقد تركت الرحلة أثرا كبيرا في نفوس الطلبة وخصوصا أن كثيرا منهم لم يؤد العمرة من قبل.

٦ – أقام القسم خلال شهر رمضان المبارك الماضي مسابقته الأولى في حفظ القرآن الكريم شارك فيها ما يقارب من ٢٥٠ طالبا وطالبة وقد وزعت الجوائز على الخمسين الأوائل من الفائزين بالمسابقة.

٧ – تحت شعار حقيبة طالب العلم (قام القسم بتجهيز ٥٠٠ حقيبة شملت بداخلها على كتب في التفسير والفقه والعقيدة وسير الأنبياء وكتب في الفقه والعربية إضافة إلى مصحف وكتب في مواضيع متفرقة بلغت تكلفة ثمن الحقيبة الواحدة (١٢) دينارا كويتيا وقد قام السيد الوكيل المساعد





● زيارة قسم الجاليات لسعادة سفير باكستان

بتوزيعها على طلبة البعوث خلال الاحتفال الذي أقامته الوزارة بمناسبة ذكرى الاسراء والمعراج.

٨ – قام القسم بالتعاون مع إدارة الجامعة بإعداد مسابقة ثقافية لطالبات البعوث في سكن الجامعة البالغ عددهم ١٣٠ طالبة وقد وزعت الجوائز على الفائزات في حفل تكريم الطالبات الخريجات الذي أقيم في سكن الجامعة.

٩ – ضمن حرص القسم على بث الوعي بين طلبة البعوث وحثهم على طلب العلم قام القسم بالتعاون مع بيت الزكاة بتأسيس ٧ مكتبات جامعة في مساكن طلبة وطالبات البعوث.

١٠ – ضمن اهتمام القسم بالجاليات الإسلامية والمهتدين الجدد قام القسم بثلاث رحلات برية إلى منطقتي الصليبية والفنطاس، وضمت الرحلات عددا كبيرا من الجاليات والمهتدين الجدد.

١١ – استضاف القسم عددا من أهل العلم البارزين من خارج الكويت.

فقد استضاف القسم فضيلة الشيخ / دلاوار حسين سعيدي رئيس الجامعة الإسلامية في بنغلاديش وعضو رابطة العالم الإسلامي وقد نظم القسم برنامجا خاصا له لإلقاء المحاضرات والدروس للجالية البنغالية المتواجدة على أرض الكويت.

كما استضاف القسم فضيلة الشيخ أبي بكر بن أحمد الأمين العام لجمعية علماء وأهل السنة والجماعة بالهند وقد التقى فضيلة الشيخ مع أبناء الجالية الهندية المتواجدة على أرض الكويت عدة لقاءات نظمها قسم الجاليات.

هذه هي أبرز أنشطة القسم خلال عام ١٩٩٣ ويأمل القسم أن تنمو أنشطته وتتضاعف حتى يصل صوت الدعوة الإسلامية إلى أذن كل مسلم متواجد على هذه

م	اللغة	المسجد	المنطقة
١	بنغالية	خارجة بن زيد	جليب الشيوخ
٢	بنغالية	عبدالله بن طارق	عباسية
٣	أردوية	الشراح	السالمية
٤	أردوية	مصلى راشد الفرحان	العباسية
٥	أردوية	مزيد العتيبي	الفحاحيل
٦	أردوية	الشايع	المرقاب
٧	أردوية	شيان الغانم	خيطان
٨	التركية	مسجد الديرس	القبلة
٩	الكيرلاويه	مسجد العدواني	جليب الشيوخ
١٠	الكيرلاويه	مسجد البلدية	الفحاحيل
١١	الكيرلاويه	مسجد المطران	مدينة الكويت

الأرض الطيبة متأسيا بقول النبي ﷺ : «نضر الله وجه امرىء مسلم سمع مقالتي فوعاها فبلغها فرب مبلغ أوعى من سامع» [رواه الترمذي]. إن العمل الذي يقوم به القسم تتخطى آثاره أرض الكويت لأن المسلم الذي يتعلم ويتفقه أمور دينه على أرض الكويت سوف يعود إلى بلاده. داعية إسلامية ينشر الوعي والفكر الإسلامي في بلاده والقسم في بداية عام ٩٤ يتوجه إلى كل مسلم أن يسأل الله له الثبات والاستقرار وأن يتقبل من القائمين والمشرفين عليه صالح أعمالهم: ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ [التوبة: ١٠٥] ■

*رئيس قسم الجاليات الإسلامية والمهتدين الجدد – إدارة الثقافة الإسلامية



فتاوى

منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

صرف الزكاة على المشاريع الخيرية

■ فإن لجنة مسلمي آسيا وهي إحدى لجان (الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية) بصدد القيام بتنفيذ مشروع (التواصل الحضاري في الجمهوريات الإسلامية الستة) المستقلة عن الاتحاد السوفيتي، وجمهوريات الحكم الذاتي في جمهورية روسيا الاتحادية، ومساعدتهم على التعرف على دينهم وتعلم أحكامه.

ويعتبر هذا المشروع ضرورة ملحة نظرا لما تركه النظام الشيوعي السابق من آثار سلبية على الانتماء الثقافي لهذه الشعوب، فقد حاول جاهدا طمس شخصيتهم الإسلامية بإحلال الثقافة العلمانية الشيوعية بديلا عن الثقافة الإسلامية، وقد تسبب استقلال هذه الجمهوريات عن الاتحاد السوفيتي في إيجاد نوع من الحرية الفكرية جعل بعض الاتجاهات غير الإسلامية تبادر في استغلال المناخ الجديد بالسعي للهيمنة على وسائل الثقافة والتعليم والإعلام في محاولة لنشر مبادئها المخالفة للإسلام.

ويعتمد مشروع (التواصل الحضاري) على الوسائل التالية في تحقيق هدفه:

١ – ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الروسية.
٢ – إقامة مؤتمرات وندوات ثقافية.
٣ – ترجمة الكتب الإسلامية وطباعتها.
٤ – تعليم اللغة العربية.
٥ – حلقات تليفزيونية تثقيفية وأفلام وثائقية.
٦ – اصدار المجلات.
٧ – كفالة طلاب العلم.
٨ – اصدار كتب باللغة العربية.
٩ – مساعدة المعاهد الاستراتيجية والتدريب.
١٠ – إجراء الدراسات والبحوث.
١١ – اقامة مشروع أحفاد الإمام البخاري.

فنرجو إفادتنا عن مدى جواز الاستفادة من أموال الزكاة في الانفاق على هذا المشروع. وماهو المصرف الذي يمكن أن يشمل الوسائل المشار إليها آنفا.

● الأصل في جواز صرف الزكاة في الأغراض المبينة في السؤال أن يكون المسلمون في هذه المناطق في البلاد غير الإسلامية، أو في البلاد التي يستضعف فيها المسلمون ويخشى على دينهم ويحتاجون إلى تثبيت عقيدتهم، وتفقيههم في دينهم وتمكينهم من الدعوة إليه ليكون المصرف الذي تخرج منه الزكاة مصرفا في سبيل الله.

والأصل كذلك انه لا يجوز بيع ما يستخدم فيه أموال الزكاة كالكتب والمسجلات السمعية والبصرية أو نحو ذلك، كما لا يجوز استخدام أموال الزكاة على شبه وقفية محددة كما ورد في شرح المحور الأول لتنفيذ المشروع، ويراعى ذلك بالنسبة لما أقرته اللجنة من الوسائل الإحدى عشرة الواردة في السؤال.

ثم رأت اللجنة أن تكون أجابتها مفصلة عن كل بند من بنود المذكرة على حدة ليأخذ حكما خاصا به. وكان التفصيل كالتالي:

● الوسيلة الأولى: (ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الروسية).

ترى اللجنة جواز صرف الزكاة في هذه الوسيلة لما لها من أثر مباشر في تثبيت العقيدة ودفع الشبهات عنها والتعريف بالإسلام.

التصرف بتركات الموتى

■ أود أن أطرح قضية تشغلني وهي كيف التصرف في أشياء وحاجيات الأموات بعد موتهم. أريد أن ترشدوني إلى الرأي الأسلم.

● إن كل مايخلفه المتوفى من مال يعد تركة، يجهز منها الميت أولا، ثم توفى منها ديونه إن وجدت، ثم الوصايا في حدود الثلث؛ إلا أن يأذن الورثة العاقلون البالغون بإخراجها فتخرج مطلقا، ثم يوزع الباقي على الورثة بحسب فروضهم وأنصبتهم الشرعية، والله أعلم.

● الوسيلة الثانية : (إقامة المؤتمرات والندوات) حسب التفسير الوارد في المذكرة المرفقة.

ترى اللجنة عدم جواز صرف الزكاة في هذه الوسيلة لأنها لا مدخل لها في التعريف بالإسلام في وسط من يحتاجون إلى التعريف به، ولعدم جدواها في التعليم.

● الوسيلة الثالثة : (ترجمة الكتب الإسلامية وطباعتها).

ترى اللجنة جواز صرف الزكاة في هذه الوسيلة لما لها من أثر مباشر في تثبيت العقيدة ودفع الشبهات عنها، والتعريف بالإسلام.

● الوسيلة الرابعة : (تعليم اللغة العربية).

ترى اللجنة جواز صرف الزكاة في هذه الوسيلة إن تعينت وسيلة للتعريف بالإسلام ونشر العقيدة.

● الوسيلة الخامسة : (حلقات تلفزيونية تثقيفية وأفلام وثائقية).

ترى اللجنة جواز صرف الزكاة في هذه الوسيلة إذا تعينت لتكون وسائل إيضاح يستفاد منها في تعلم العبادات وتوضيح العقيدة الإسلامية ودفع الشبهات عنها.

● الوسيلة السادسة : (اصدار المجلات).

ترى اللجنة جواز صرف الزكاة في هذه الوسيلة إذا توفر الشرط المتقدم في الوسيلة الخامسة. أما ماعدا ذلك فلا يجوز لأنها لا مدخل لها في التعريف بالإسلام وتثبيت العقيدة كما ورد في المذكرة الإيضاحية.

● الوسيلة السابعة (كفالة طلاب العلم).

يجوز صرف الزكاة في هذه الوسيلة إذا احتاج المسلمون لايفاد الطلاب لتعلم احكام الدين للقيام بالدعوة في مجتمعاتهم.

● الوسيلة الثامنة : (اصدار كتب باللغة العربية).

يجوز الصرف من الزكاة في هذه الوسيلة إذا توفر الشرط المتقدم في الوسيلة الخامسة. وما عدا ذلك لا يجوز؛ لأنها لا مدخل لها في التعريف بالإسلام وتثبيت العقيدة كما ورد في المذكرة الإيضاحية.

● الوسيلة التاسعة : (المعاهد الاستراتيجية والتدريب).

لا يجوز الصرف من الزكاة في هذه الوسيلة لأنه لا مدخل لها في التعريف بالإسلام وتثبيت العقيدة.

● الوسيلة العاشرة : (إجراء الدراسات والبحوث)

لا يجوز الصرف من الزكاة في هذه الوسيلة، لأنه لا مدخل لها في التعريف بالإسلام وتثبيت العقيدة.

● الوسيلة الحادية عشرة: (اقامة مشروع أحفاد الإمام البخاري).

يجوز صرف الزكاة في هذه الوسيلة بالشرط المتقدم في الوسيلة السابعة. والله أعلم.

تأمين عقود الإيجار

■ صاحب عمارة سكنية يأخذ تأمينا من المستأجرين لديه ويضع هذه الأموال في البنك وقد يترتب عليها فوائد ويسأل عن حكم هذه الفوائد؛ هل هي من حقه حيث إنه صاحب العمارة؟ أم هي من حق المستأجرين لديه؟

● هذا التأمين أمانة من المستأجر عند المؤجر، وبناء على ذلك فلا يجوز للمؤجر استعماله أو استثماره، فإن استثمره ضمنه، وكان ربحه له، ثم إن كان الاستثمار في وجه من الوجوه الحلال بإذن من مالكه حل له، وإلا حرم عليه، وكان طريقه التخلص منه في الإنفاق على الجوائح ووجوه البر العام عدا المساجد وطبع المصاحف، فإذا اتفق المؤجر مع المستأجر على استثمار هذا المال والربح بينهما جاز، وكان مضاربة بشروطها.

التبرع المشروط في العقد يفسده

■ ورد إلينا عروض لشركات استثمار (مطاعم) لدى إحدى الجمعيات التعاونية، وقد تقدموا بطلبات إيجار كالتالي:

١ - عرض إيجار شهري بمبلغ (٧٥٠) ديناراً.

٢ - عرض إيجار شهري بمبلغ (٦٥٠) ديناراً.

وتبرع الأول بمبلغ (١٤٠٠٠) فقط أربعة عشر ألف دينار، والآخر بمبلغ وقدره (١١٠٠٠) فقط إحدى عشر ألف دينار. دون طلب الجمعية ذلك منهم، بمعنى أنهم تبرعوا بالمبلغ كمساعدة للجمعية.

لذا يرجى التكرم بإبداء الرأي والفتوى وبأخذ مثل هذه المبالغ كمساعدة للجمعية، هل يجوز أم لا؟

● إذا كان التبرع مشروطا في العقد أو ملحوظا فيه فلا يصح قبوله على أنه تبرع محض، وإنما يجوز قبوله إذا اعتبر مقدم أجرة يخصم من الإيجار الذي يتم الاتفاق عليه، أما إذا كان التبرع غير مشروط في العقد، وغير ملحوظ فيه، ولم يتم الاتفاق عليه، فيجوز للجمعية قبوله على أنه هبة مستقلة.

سفر المرأة وحدها للدراسة

■ أرجو التكرم بإبداء الحكم الشرعي في سفري بدون محرم مع رفقة مأمونة من النساء لغرض الدراسة، علما بأنه يتعذر على أحد من محارمي مصاحبتي للخارج، كذلك إبداء الحكم بصورة عامة نظرا لوجود كثير من الفتيات الراغبات في إكمال دراستهن بالخارج.

● لا يجوز للمرأة أن تسافر أو تقيم في بلد لا تأمن فيه على نفسها أو دينها إلا أن يكون معها محرم، وذلك لعموم حديث النبي ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرا يكون ثلاثة أيام فصاعدا إلا ومعها أبوها أو ابنها أو زوجها أو أخوها أو ذو محرم منها» [رواه مسلم] ولا يستثنى من ذلك إلا حالات الضرورة كالأسيرة والمريضة ولا تعتبر الحالة الواردة في السؤال من حالات الضرورة. والله أعلم□



حديقة الوعي

اعداد: محمد ياسر القضماني

فاحمد الله حيث لم يكسر رأسك

عن أبي حفص البسكندي؛ وكان من علماء سمرقند؛ أنه أتاه رجل فقال: إن ابني ضربني وأوجعني.

قال: سبحان الله ! الابن يضرب أباه؟!

قال: نعم ضربني وأوجعني.

فقال: هل علمته الأدب والعلم؟

قال: لا.

قال: فهل علمته القرآن؟

قال: لا.

قال: فأي عمل يعمل؟

قال: الزراعة.

قال: هل علمت لأي شيء ضربك؟

قال: لا.

قال: فلعله حين أصبح، وتوجه إلى الزرع، وهو راكب على الحمار والثيران بين يديه، والكلب خلفه، وتعرضت له في ذلك فظن أنك بقرة. فاحمدالله حيث لم يكسر رأسك!

* أقول: هذه حدّة العالم تكون أحيانا ليوبخ المقصرين على تهاونهم بواجباتهم، فلا يستنكر مثل هذا الصنيع من الأولاد إذا لم يكن لهم راع ناصح غيور!

التفاؤل

قالوا: مرّ المسيح بن مريم؛ عليه الصلاة والسلام؛ مع الحواريين بجيفة كلب، فقال بعضهم: ما أشد نتن ريحه! قال: فهلا قلت: ما أشد بياض أسنانه.

* أقول: أرأيت يا أخي المسلم كيف يدعو الأنبياء إلى التفاؤل ويكرهون ألا يرى الإنسان في الشيء إلا المساويء، فلماذا لا ننقب على المحاسن ونذكرها!

التصابي للصغير

عن جبلة بن سحيم، قال: دخلت على معاوية بن أبي سفيان، وهو في خلافته؛ وفي عنقه حبل؛ وصبي يقوده، فقلت له: يا أمير المؤمنين! أتفعل هذا؟

قال: يالكع اسكت، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان له صبي فليتصاب له».

أمك

ذكروا أن أعرابيا حمل أمه على ظهره، وراح يطوف بها حول البيت، وهو يقول:

إني لها مطيــــة لا أذعــــر
إذا الــركـاب نفــرت لا أنفــر
مــــا حملت وأرضعتني أكثــر
اللــــــه ربي ذو الجلال أكبر

ثم التفت إلى ابن عباس، وقال: أتراني قضيت حقها؟ قال: لا والله؛ ولا طلقة من طلقاتها.



زبد

قال أحد الصالحين: ربما اتبع الكاذب، وهجر الصادق، وكثرت طقطقة النعال حول المغرورين، وتباعد الناس عن المتروكين، فلا تعجب من ذلك، فإن حال النفس: تحت القبة المزينة، والقبر المنقوش، والرواق الوسيع، وتألّق الشيخ الكبير العمامة، الوسيع الكم، الكثير الحشمة!

فسير همة القلب لا همة النفس لكشف هذه الحجب، وقل لنفسك: لو رأيت رسول الله ﷺ على حصيرة وقد أثرت في جنبه الشريف ورأيت أهل بيته - رضوان الله وسلامه عليهم - لا طعام لهم ولا حشم، ثم رأيت كسرى العجم على سريره المرصع بالجواهر واليواقيت، وأهل بيته مستغرقين بالترف والنعيم، محاطين بالخدم والحشم، أين تكونين؟ ومع أي صنف تنصرفين؟ فلا بد إن وفقها الله، أن تحب معية رسول الله ﷺ وأهل بيته، فَقُدْ بهذا الشأن همة القلب إلى أهل الحال المحمدي تحسب في حزب الله: ألا إن حزب الله هم المفلحون!

قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

العيد بين يديك يا ابن محمد
نثر السعود حُلىً على الآفاق
وأتى يقبل راحتيك، ويرتجي
أن لا يفوتكما الزمان تلاق
قابلته بسعود وجهك والسنا
فازداد من يمن، ومن إشراق
فاهنا بطالعه السعيد، يزينه
عيد الفقير، وليلة الأرزاق
يتنزل الأجران* في صبحيهما
جزلين عن صوم وعن إنفاق
إني أجل عن القتال سرائري
إلا قتال البؤس والإملاق
وأرى سموم العالمين كثيرة
وأرى التعاون أنجع الترياق
قسمت بينهما واستبدت فوقهم
دنيا تعق لئيمة الميثاق

* مثنى أجر: أجر زكاة الفطر، والصوم.



شك الأصمعي في لفظ استخذى، بمعنى خضع، وأحب أن يتثبت أهي مهموزة أم غير مهموزة. قال: فقلت لأعرابي: أتقول: استخذيت بالياء أم استخذأت بالهمزة؟

فقال له الأعرابي: لا أقولهما! (أي لا يقول هذه الكلمة لا بالياء ولا بالهمزة).

فسأله الأصمعي: لماذا؟ فقال له: لأن العرب لاتستخذي!

أقول: رحم الله حالنا وحال المسلمين، فماذا عسى الأصمعي أن يقول إذا رأى حالنا؟!

مثل لطيف

يقول العرب: بعد القلوب على قرب المزار، أشد من بعد الديار من الديار وقد أخذ الشعراء هذا المعنى فضمّنوه أشعارهم.

قال أحدهم:

ألا إن قرب الدار ليس بنافع
وقلب الذي تهواه منك بعيد

وقال آخر:

وليس غريبا من تناءت دياره
ومن يغترب والإلف راع لعهده
ولكن مع يجفي فذا غريب
وإن جاوز السدين فهو قريب

أرتج على الخطيب

قال أحد أمراء العباسيين وكان قد صعد المنبر يخطب فأرتج عليه: فقال؛ يعلل سكوته وصمته:

أما بعد؛ فقد يجد المعسر ويعسر الموسر، وإنما الكلام بعد الإفحام، كالإشراق بعد الإظلام، وإنما اللسان مضغة من الإنسان يفتر بفتوره إذا نكل، ويثوب بانبساطه إذا ارتجل.

ألا وإنا لا ننطق بطراً، ولا نسكت حصرا، بل نسكت معتبرين وننطق مرشدين ونحن بعد أمراء الكلام، فينا وشجت عروقه، وعلينا غشيت أغصانه، ومن بعد مقامنا مقام.. وبعد أيامنا أيام، يصرف فيها فضل البيان، وفصل الخطاب، والله أفضل مستعان.

أقول: سبحان الله نطق بهذه الحروف التي هي كالجمان جمالا ورونقا وقد أرتج عليه فكيف به لو جادت قريحته، وخطب؟!

عمر ابن عبد العزيز

كتب عامل حمص إلى عمر بن عبدالعزيز؛ رحمة الله عليه؛ يخبر أنها احتاجت إلى حصن فوقع: (حصنها بالعدل والسلام - عمر بن عبدالعزيز).

* أقول: نعم لعمري هو الحصن، وماذا تغني الأسوار المتعددة عن قوم إذا فسدت أخلاقهم وفشت المظالم بينهم، وأمنوا مكر الله؟!



اللفتات النابهة ٥

العيش مع الحدث مدعاة للكتابة والتوجيه

للشيخ: جاسم المهلل ياسين

إن الكتابة الصادقة في أي فن، هي نتيجة لمعاناة صاحبها، ولذلك تأتي الكلمة مؤثرة وبانية ويتكون على أثرها جيل، ولهذا لا يحسن الكتابة عن الصبر إلا من عاش معاناته، وإلا فهي كلمات وعبارات توضع بعضها مع بعض ليبعث بها إلى آلات الطباعة لتأتي بعد ذلك باردة لا روح فيها، فالكلمة قد تولد على الورقة البيضاء ميتة لا حراك فيها، وقد تخرج من بين الصفحة البيضاء وريشة الكتابة لتنطلق عبر مجاميع الناس، وعلى ألسنة الناس، فتغير سلوكا، وتوصل للمجاميع منهجا، وقد تكون في أولها ثقيلة على صاحبها وعلى سامعها ولكنها بعد ذلك درس يتم البحث والتشاور والتدارس فيه، ولننظر معا إلى أحمد بن يوسف بن يعقوب الطيبي شمس الدين كاتب الإنشاء بطرابلس، الذي ولد في ذي الحجة سنة ٦٤٩. قال جمال الدين بن رزق الله إنهم كانوا مع الطيبي هذا، وجماعة في نزهة فتذاكروا وقعة (شقحب) فقالوا له: لو نظمت في نصر المسلمين شيئا؟ فتناول الدواة وكتب قصيدة نحو تسعين بيتا، أولها: (برق الصوارم للأبصار يختطف). ثم قاموا إلى النوم فلما استيقظوا ذكروها له فأنكرها وأخذ يحلف أنه لا يستحضر أنه نظم شيئا، فأروه إياها فتعجب (١).

نعم إنها قريحة شاعر جال في ذكره وسرح في خياله بمعركة انتصر فيها المسلمون، وأعزهم الله، فامتلأت نفسه بنشوة الانتساب لهذا الدين العظيم وانتصاراته المشرقة، فقامه من معه ففجر هذا المخزون، فانطلق اللسان يقذف من داخل النفس صدقا واعتزازا. هكذا بالأمس وكذلك اليوم نجد صاحب الدعوة مستلقيا على فراشه أو في عمله الذي يتكسب منه، وإذا بالأفكار الدعوية والمشاريع الإسلامية تتداعي عليه، فإن أمسك القلم وقيد ذلك، فقد اصطاد ما ينتفع منه، وإلا فعند خروج نفسه من معاناتها فسيبحث عما جال في نفسه فلا يجد منه إلا القليل! وهذا العيش مع الدعوة والعلم، يجعل هناك ألفة ومحبة بين الطرفين، وكأنهما جزء واحد.

فهذا شافع بن علي بن عباس الكناني العسقلاني ثم المصري، ولد في ذي الحجة سنة ٦٤٩هـ، ومات في شعبان سنة ٧٣٠هـ أصابه سهم في وقعة حمص في صدغه سنة ٦٨٠هـ فكان سبب عماه فألزمه بيته، كان يحب جمع الكتب حتى إنه لما مات ترك نحو العشرين خزانة، ملأى بالكتاب النفيسة، وكان من حبه للكتب إذا لمس الكتاب يقول هذا الكتاب الفلاني ملكته في الوقت الفلاني، وإذا طلب منه أي مجلد قام إلى الخزانة فتناوله وكأنه كما وضعه فيها قبل لحظة (٢)، وكان ذلك بعد فقدانه لبصره وبقاء بصيرته، وحبه الذي جعل هناك هاديا بينه وبين الكتب، عشقها فأحبته فنادته إلى مكانها، وهكذا العالم مع علمه وطلبته، والداعية مع حركته وأجياله، إنها ألفة لا تنقطع ما دام هناك صدق ووفاء.

وطلب العلم والاستمرارية فيه، والبحث عن الجديد النافع دائما، هي صفة العلماء والكبراء، فهذا أحمد بن عبدالقادر بن أحمد بن مكتوم بن سليم بن محمد القيسي تاج الدين أبو محمد الحنفي النحوي، ولد سنة ٦٧٢هـ طلب العلوم الكثيرة وبرع فيها، وأقبل على طلب الحديث في آخر عمره، فتكلم بعض الناس عليه فأنكر عليهم بأبيات جميلة، قال فيها:

وعاب سماعي للأحاديث - بعدما كبرت - أناس هم إلى العيب أقرب

■ **الكتابة الصادقة في أي فن، هي نتيجة لمعاناة صاحبها**

■ **يُعَد عظيمَ الناس من كان عاقلًا**

وقالوا : إمام في علوم كثيرة
يروح ويغدو سامعا يتطلب
فقلت مجيبا عن مقالتهم وقد
غدوت لجهل منهم أتعجب
إذا استدرك الإنسان ما فات من علا
فللحزم يعزي لا إلى الجهل ينسب (٣)

دقـة العلم معين على التخلص عنـد اشتداد الأمر

العـالم الداعيـة إلى الله، يخالط النـاس ويتحـرك في أوساطهم، ويظـل في مقدمـة الخلق عند وجود الشـدائد، وهو أمر لازم له، لأن الكبار تحكمهم جبهاتهم وقدوتهم بين الناس، فمن قال في وقت الرخاء، لزمه الأمر في وقت الشـدة، وهل قتل المتنبي إلا قوله في وقت الرخاء:

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم.

والعـالم كما يتصـدى، يحسن بـه أن يتخلص من المهـالك، لأن في بقـائه نفعـا للخلق، ودمه لـه حرمة عند اللـه أشد من حرمـة البيت الحرام، وبحياتـه تحيا أمم، ويمنع الفساد عن خلق كثير، فحفاظه على حياته ليس لذاته فقط، بل لخلق جعله الله قـدرا من أقداره في تعليمهم وتـوجيههم، وهذا مثال حي مـن قصة محمد بن أحمد بن أبي بكـر الـرقــوطي، قـال عنـه ابن الخطيب :

(كان عـارفا بـالفنون القـديمة كلهـا، وكـان من أهل مرسيـة التي تغلب عليهـا الروم، وقـد تعجب ملك الروم مـن علمه، فأدنى مجلســه، ونوه بـه، وعرض عليـه التنصير، فقال الإمام محمد متخلصا مما هو فيـه: أنا أعبد واحدا، وقـد عجزت عما يجب لـه عليّ من الحق، فكيف حـالي لـو عبـدت ثلاثـة! وهكـذا تخلص من المأزق الذي كان فيه، ولم يـؤذ الملك في سلطانه، وحـافظ على حياتـه، لينقذه بعـد ذلك من الملـوك من بني نصر، ليـأخـذ عنـه الجم الغفير من الناس).

وحرص طـالب العلم على الخير وتوخي الصـواب والصدق في التعلـم، يوافقـه في الغالب توفيق من الله سبحانه، وإنني هنا

■ طلـــب العلـــم والاستمــراريــة فيـــه، والبحـث عن الجديـــد النــافع دائما، هــي صفــة العلمـــاء والكـــبراء

أتـذكر حـادثـة قبل عشرين عـاما، عنـد انتهـائي من الثـانـوية العـامـة، والبـدء بالنشاط الدعـوي الصيفي، كان معنا أخ حبيب توفاه اللـه بعد أداء فريضة الحج، أسأل الله أن يتغمده بـواسع رحمته، وأن يكرم ولـده وأهله من بعـده، فكان رحمه الله مع حسن أدبه ودمـاثة خلقه، يهوى آلـة الطـرب (العـود) وكـان شراؤه لها حديثا، وتعلمه عليها وإتقـانه قبل تعرفنا عليها، وبعد التقائه معنا وذهابه إلى حلق العلم وأنشطة الـدعوة، أحسست أنـه بدأ يراجع نفسه في استخدامه (للعود)، فقلت لـه بعـد رجـوعنـا من حلقـة للعلم وفي السيارة: يـا أخي لعلك تملك آلـة للطرب، ولعلك تـريـد التخلص منهـا، وكأني بك تبتعـــد عن خلطتك لإخـــوانـك بسبب وجودها معك في البيت! فقال: نعم، فقلت:

■ العـالم الـداعيـة إلى اللـــه، يخالط النـــاس ويتحرك في أوسـاطهم، ويظل في مقـدمـة الخلق عنـد وجـود الشـدائد

ما رأيك يا أخي لو وجدت لك من يشتريها منك، وتتخلص منها وتتـوب إلى الله منها توبة صادقـة. فوافقني على ذلك، وأخذت (العـود) منه، وأعطيتـه مصروفي الخاص الذي أستفيد منه طوال شهري، ثم دخلت إلى البيت فكسرتـه، وسألت الله أن يطهـر قلوبنـا من حب اللهو، وأن يعـوضني عن مصروفي خيرا في الدنيا والآخرة.

وتمر الأيـام واحتسب عملي عنـد اللـه، ولكن يظـل الأمـــر في نفسي هل تصرفي صحيح أم كان الأولى أن أدفعه لأن يكسر هو هـذه الآله؟ واستشير بعـض الشيوخ عندنـا في ذاك الوقت وتختلف إجـاباتهم، وتطوى الصفحة وتمر السنـون وأقرأ في سير العلماء فإذا بالشيخ على بن الحسن بن عبداللـه بـن الجابي يقـول عنـه بن الجزري: كـان صـاحبـي وكـان يعـرف الكيميـا معرفـة تامـة وحصل فيها كتبـا كثيرة جـدا ولما مات تـوجـه الشيخ تقي الـدين بن تيميـة فـاشتري منهـا جملـة وغسلهـا في الحال، وقال رضي اللـه عنـه: هـذه الكتب كـان النـاس يضلـون بها، وتضيع أموالهم، فافتـديتهم بما بذلته في ثمنها (٤).

وهكـذا أجد أني كنت في وقت؛ مـا كنت أعرف سنن الوضوء من فروضه، ووفقني اللـه أن أسلك طريقـا اكتشف أنـه مسلك شيخ الإسـلام ابن تيميـة، فللـه الفضل والمنة على توفيقه وإحسانه.

وحقا :

يعد عظيم الناس من كان عاقلا
وإن لم يكن في قومه بحسيب
وإن حل أرضا عاش فيها بعقله
وما عاقلٌ في بلدة بغريب (٥) □

الهوامش:

١) الدرر الكامنة ت: ٣٦٣/١,٧٥٠.
٢) الدرر الكامنة ت: ١٨٦/١ ،٤٥١.
٣) الدرر الكامنة ت: ١٨٦/١,٤٥١.
٤) الدرر الكامنة ت: ١٠٨/٣ ،٢٧١٦.
٥) جامع بيان العلم وفضله ٥٧/١.



بريد القراء

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين ولحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

شمولية الاسلام

الدين الاسلامي دين شامل، فهو دين حياة وممات، يذهب بالمسلم في الحياة الى الطريق الكريم السعيد، ويذهب به بعد وفاته الى حياة النعيم والخلد. والمسلم الحق هو الذي يعي تمام الوعي ان الامر كله لله، ويقتدي بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، في كل الاحوال.

وبداية صلاح المجتمع صلاح الاسرة، وبما ان الزواج بداية تكون الاسرة، واول خطوة في الزواج هو اختيار الشريك المناسب ولذلك يجب ان يكون الاختيار طبقا لسنة المعلم الاول صلى الله عليه وسلم الذي قرّر في حديثه: «تنكح المرأة لأربع لمالها لحسبها وجمالها ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»، فهو يرشد الأزواج ان يكون اختيار الزوجة على أساس الأخلاق الحميدة والسلوك القويم، لانها اذا كانت ضعيفة الدين ضعيفة الصلة بالله عز وجل، لم يتحقق للحياة الزوجية والاجتماعية ما يصبو اليه المسلم في المجتمع السليم.

وفي الحديث: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دسّاس»، وأصالة الأسرة لا يرتبط بالمال أو الحسب أو الجاه، فهناك الكثير من العائلات الفقيرة الأصيلة الطيبة، وينبغي ان تكون الزوجة حسنة الخلق ودودة مهذبة الطبع، وذلك لأن حسن الخلق منزلة عالية في الاسلام طبقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلّم: «إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً».

وإذا كان الاسلام يوجه الرجل الى اختيار الزوجة الصالحة ذات الدين، فهو يوجه في الوقت نفسه أولياء المرأة للاستيثاق من صفات طالب الزواج، فلابد أن يكون اختيار الفتاة المسلمة للزوج الصالح ذي الدين والخلق الكريم، والقدرة على الكسب الحلال الذي يفي بمطالب الاسرة دون افراط ولا تفريط، وفي ذلك ورد قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه». وصلى الله على سيدنا محمد علم الهدى، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه.

صابر بنديدي احمد – الاسماعيلية، ج.م.ع.

نحن والمهتدون الجدد

تعتبر عملية الدخول في الاسلام واحدة من الوسائل المهمة التي يحفظ الله بها هذا الدين، لأنها تمثل دماً جديداً يجري في اوصال الامة. كما ان مسألة الاهتداء إلى الإسلام ليست مسألة حديثة أو مستجدة، بل هي عملية مستمرة بدأت منذ اليوم للدعوة، ولنذكر كيف كانت الدعوة الاسلامية في بداياتها مقتصرة على أشخاص معدودين من الصحابة التفوا حول الداعية الأول محمد صلى الله عليه وسلم، ثم بدأ الانتشار ولا يزال مستمراً حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وما دمنا قد تحدثنا في هذا الموضوع فإن هناك سؤالاً يطرح نفسه وهو: ما هو موقفنا تجاه المهتدين الجدد الذين يقبلون على هذا الدين من خلال منافذ وبوابات كثيرة ومتعددة. وقبل أن أجيب على هذا التساؤل أرى أنه من الأفضل معرفة المداخل الرئيسية والمنافذ التي يدخل منها هؤلاء إلى دين الله، وهي في اعتقادي تتلخص فيما يلي:

١) القناعة الذاتية، والتي تبدأ بالاهتمام من ناحية الشخص الجديد بالقراءة عن الإسلام، إما من خلال حادثة معينة أو تجربة محددة، أو عن طريق التعرف على داعية مسلم. ومهما كان الأمر فإن المسألة تبدأ بعدد من الأسئلة تثور في نفس الشخص الجديد، فيبدأ في البحث عن إجابة مقنعة لها، إلى أن يتوصّل إلى قناعة ذاتية تامة، وعندها يتخذ قرار الدخول في الاسلام.

والطريف في الامر ان هذا يحدث احيانا في مواقف تقوم فيها جهات معادية للاسلام بمهاجمته وتشويه صورته والتنفير منه، فما يكون من الشخص الجديد الخالي الذهن إلا أن تثور لديه رغبة في حب الاستطلاع فيبدأ عملية الاستفسار الى أن يستقر في دار الإسلام.

٢) القدوة الحسنة، حيث يبرز المثال الطيب الذي يضربه المسلم أمام الآخرين فيتأثرون بخلقه وسلوكه وامانته، ويعلمون ان كل ذلك راجع الى تمسكه بالاسلام فيسلمون.

٣) الزواج من مسلمة، فيحدث ان يتعرف شخص غير مسلم على فتاة مسلمة وفي اطار

هذا التعارف تبدأ لديه الرغبة في الزواج منها. وكما نعلم لا يصح زواج المسلمة من غير المسلم، فيبدأ في التعرف على دينها، وقد يسلم – إذا اقتنع – ويتم الزواج.

٤) حسن عرض الإسلام، وهذا أيضاً له دور فعّال في استقطاب المهتدين الجدد، وإن كان المسلمون اليوم مقصّرين فيه، إذ لا يحسن عرض الإسلام على غير المسلمين إلا قلة محدودة جداً من الدعاة، كما أنه لا تكاد توجد خطة منظّمة لدى الدعاة المسلمين لنشر الإسلام بهذه الطريقة، اللهم إلا جهود فردية يقوم بها بعض الأفراد وتقوم بها بعض المنظمات. هذه في نظري أهم الأسباب التي يدخل خلالها الإسلام أناسٌ جدد.

وننتقل بعد هذه العجالة السريعة إلى السؤال المهم: ما هو واجبنا نحو المهتدين الجدد؟

هل يقتصر هذا الواجب على التعريف بالإسلام وتقديمه لهم من خلال الكتاب أو المحاضرة أو النشرة، فإذا اهتدى أحدهم إلى الإسلام تركناه وركزنا على شخص آخر غيره؟ أم أن هناك واجبات علينا وحقوقاً للمهتدي الجديد لابد من أدائها؟

اعتقد أن هناك واجبات كثيرة يجب علينا القيام بها تجاه هؤلاء المهتدين، وكما يتراءى لي أوجزها فيما يلي:

– أولا: يجب علينا أن نشرح لهؤلاء المهتدين الاسلام شرحاً صحيحاً بحيث نتأكد من اهتدائهم إليه عن قناعة وحسن اختيار. – يجب علينا ألا نبالغ في تقديرهم في غمرة فرحنا بإسلامهم، وألا نتمادى في لعنهم وتجريحهم في غمرة اكتشافنا لبعض هنّاتهم ونقاط الضعف فيهم.

– أن نقوم برعايتهم رعاية اسلامية يشعرون من خلالها انهم انضمّوا الى إخوة عالمية يعتزون بها، وتهتم بأمرهم وتسعى إلى حل مشكلاتهم ما أمكنهم ذلك.

– ألا نلفّق الأخبار الكاذبة وننشرها في أجهزة الإعلام عن إسلام أحد من المشاهير مهما كان، بل نتحرّى الصدق في ذلك، لأن هذه الأساليب الكاذبة لا تخدم الدعوة إلى الإسلام بقدر ما تضرّها.

– أن نرتفع إلى مستوى ما يدعو إليه الإسلام من أخلاق وسلوك بحيث يجد المهتدون فينا قدوة حسنة لا فتنة تدعوهم إلى ترك هذا الدين. لأن المهتدي الجديد حين يسلم يتصوّر أن المسلمين هم في مستوى الإسلام من حيث الكمال، لكنه حين يخالطهم يكتشف خللاً كبيراً في واقع حياتهم بحيث يؤدي ذلك إلى انتكاسة لديه. وإذا لم يثبّته الله يرتد عن الإسلام بسبب الصدمة التي يلقاها من بعض المسلمين. هذه أهم واجبات المسلم نحو المهتدي الجديد – كما أراها – أمل أن تهتم بها مجلاتنا وصحفنا وتتحدث عنها قبل أن تزف أخبار المهدين الجدد أنفسهم.

حلمي حبيب الغندور – دقهلية، ج.م.ع.

ظاهرة مرَضيّة تحتاج علاجاً

تنشرت بعض مجلاتنا القومية صوراً لا تتناسب مع ما ينبغي ان تتميز به من وقار؟ ووجود صور عارية داخل مجلة من المجلات او على غلافها الخارجي، يوقع الحرج ويسبب الارباك لكل اب امام ابنائه الشباب من الجنسين، حيث توقعه الصور والرسوم هذه في «حيص بيص» فلا يستطيع جواباً، وليس أمامه اي تبرير اذا امتدت الايدي بفعل غريزة الاستطلاع الى تقليب الصفحات وتصفح العناوين والنظر في الموضوعات لمعرفة المحتويات، أو يضطر لتمزيق الصورة او تشويه الصفحة او الغلاف.

ويدفعني حرصي على وقار صحفنا ومجلاتنا العربية إلى هذه الوقفة معها وتقديم النصيحة لها، أملاً في أن يراجع المسؤولون عنها موقفهم من (الفن العاري) سواء في ذلك صور التماثيل المنحوتة، أو المعدنية، أو الرسوم المنقولة عن (كبار) الفنانين الغربيين.

وأمر الفنانين الذين يتعاطون مثل هذه المواضيع أدهى وأمرّ، وبلواهم أشد، ووزرهم مضاعف، فبعضهم يستأجر (النموذج البشري) لتقف أمامه أو تستلقي، لساعات طويلة أو أياماً وأسابيع متوالية، بحجة إبراز (الجمال)، وبعض (النماذج) تتطوع لذلك حباً في الشهرة والظهور داخل إطار لوحة تحمل توقيع فنان مشهور، ضاربة بالحياء وقيمتها الانسانية عرض الحائط.

وإذا كانت الكلمات التي تخدش الحياء، والألفاظ المكشوفة تثور في وجهها العواصف، فكيف الحال مع التماثيل والصور والرسوم العارية او شبه العارية؟ وهل من الوقار ان تستجدي صحفنا ومجلاتنا الرواج بين القراء بهذا الأسلوب؟ أم هم لا يذكرون المثل العربي المشهور: (تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها)؟

ولئن كانت بعض وسائل الإعلام لا تتقيّد بقواعد الحلال والحرام، وتخرج عن التزام الأعراف العامة كلها، فما هو مبرر الصحف والمجلات الملتزمة ذات الرسالة الهادفة في نشر مثل هذه الامور؟ ومن ذلك بعض الصحف والمجلات القومية ذات الخط الوطني، فهل يتطلب العمل الوطني الخروج عن قواعد اللياقة والادب والعرف الاجتماعي العام؟ ونلاحظ أن ذلك يتكرر منها مما يدلّ على أن ذلك خط اختطته لنفسها وليس كبوة جواد او نبوة سيف أو هفوة عابرة أو خطأ سطحياً، يتم استدراكه عند إدراكه.

ويخطر في بالي سؤال: كيف أجاز الرقيب مثل هذه الصور، ومقصه معروف بالدقة، وعينه بقوّة الملاحظة، وكيف يصلح المجتمع وتتم حماية الناس إن كان الرقيب غائباً متهاوناً في عمله، وغير حاسم فيما ينبغي القيام به لحماية الرأي العام والاجيال من الناحية الاخلاقية والتربوية، ومفاهيم العري غريبة عن مجتمعنا، تشكو منها المجتمعات المبتلاة بها، فهل رأيت عاقلاً يسعى إلى حتفه أو يمدّ يده إلى ما فيه هلاكه؟

فياحبذا لو بذلت صحفنا ومجلاتنا الجهد فيما يثمر، ويعود بالفائدة على الناس، والكلمة الطيبة أجدى وأجدر بأن تنشر، لأن ثمراتها تعود بالنفع والفائدة على قائلها وسامعها وناقلها ومبلغها للناس، وكلمة الشر تصيب بآثارها وابتلائها كل من حولها. وكل ما أردته من وراء كلامي هذا النصح، لأن البلاء إذا عمّ لا يقف عند حدود المبتلين به، والله عز وجل يقول: (واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة) وهي نصيحة خالصة، أسأله تعالى أن تجد طريقها إلى المحررين والمسؤولين، والله ولي التوفيق.

عبد الرحمن أحمد شادي – المنصورة، ج.م.ع.

هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

موقف أبلغ من الكلمات

يُتم الحاج مناسكه، ويعود إلى دياره كيوم ولدته أمه، فالحج الخالص الذي لا رفث فيه ولا فسوق ولا جدال جزاؤه الجنّة، وهو كفّارة لما سبق من الاثام عدا الكبائر المتعلقة بحدود الله وحقوق عباده. ويوم عرفة قمة النسك، وقطب الرحى، يذكر فيه الحجيج يوم الحشر، والكل في أثواب متشابهة متماثلة اللون والنوع لا تمايز فيها ولا تفضيل لا في المستوى الاجتماعي ولا الاقتصادي، فالناس سواسية من حيث المظهر ويبقى التنافس في الطاعة وفعل الخير..

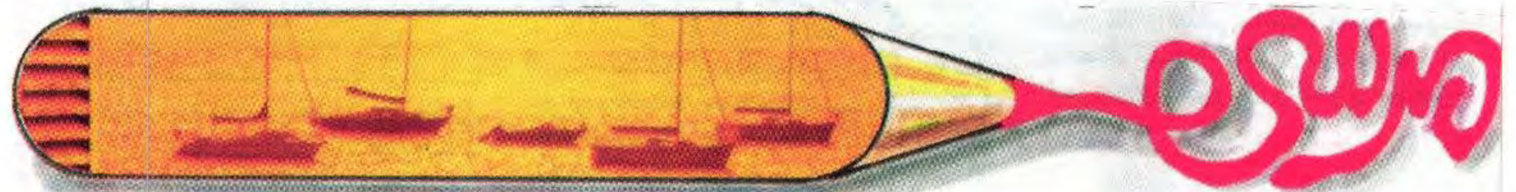
وقصة الفداء توحي بكل المعاني المرتبطة بسمو الإنسان عن الدنيا وانعتاقه من أسر الطين الذي خلق منه ليحلق في أجواء البذل والعطاء والترفع عن الدنايا، والاستعداد للامتثال مهما كان الأمر الرباني وحيث وقع.. ويوم النحر إحياء ليوم الفداء الذي تمثّل بطاعة إبراهيم وإسماعيل لله، واستعدادهما لتنفيذ أمر من أثقل الأمور على نفس الوالد والولد، إلا انه التوحيد الخالص، والعبادة التي لا تشوبها شائبة، والالتزام الكامل بالأمر الإلهي..

وفي الوقوف بالمشاعر تحليق للناظر والمتفكّر من ضيق الانتماء القومي والعرقي والاقليمي إلى رحابة العالم الإسلامي، وانخلاع من الالتصاق (بالقوم) إلى الالتحاق بركب (الأمّة)، وبالتالي خروج من دائرة الخوف من القلة والتخطّف إلى دائرة الطمأنينة والقوّة والمنعة..

في أعمال المشاعر تحرر للفرد وللجماعة من ركود الحياة اليومية المرتبطة ببرنامج طاحن مستهلِك، إلى سمو روحي واستعلاء إيماني يدرك أن أمة تسعى بهذا الاجتهاد إلى حرم الله وحرم رسوله، تهوى إلى واد غير ذي زرع، تحيي بمواقفها رسالة التوحيد الممتدة امتداد حياة البشر، أمة لا تُغلب من قلّة ولا تُقهَر من حاجة..

دروس الحج أكبر من أن تلخَّص في عجالة أو كلمة عابرة، وأعمق من أن تبقى حبيسة الكتب والمقالات، وهي دروس تحتاجها الأمة اليوم كما لم تحتج إليها من قبل، وظروفها تكاد تكون خانقة، تتطلب من أفرادها وجماعاتها وذوي السلطان فيها وقفة تأمل عميقة، والتزام أعمق، وعزيمة على التضحية لا تضاهيها إلا عزيمة إبراهيم عليه السلام واستعداده للتضحية بأعز ما يملك، عندما آمن أن ذلك هو الواجب الشرعي. فهل تنتقل دروس الحج إلى ممارستنا اليومية؟ أم تبقى مواعظ تلقى من الشفاه فتحرك الرؤوس دون القلوب؟

بقلم: صلاح الدين أرقه دان



زكاة
أموالكم
2.5%



الزكاة

للاستفسار
٥٦٢٢٢٢٤

بالزكاة والخيرات نحقق الكثير

بيت الزكاة

الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

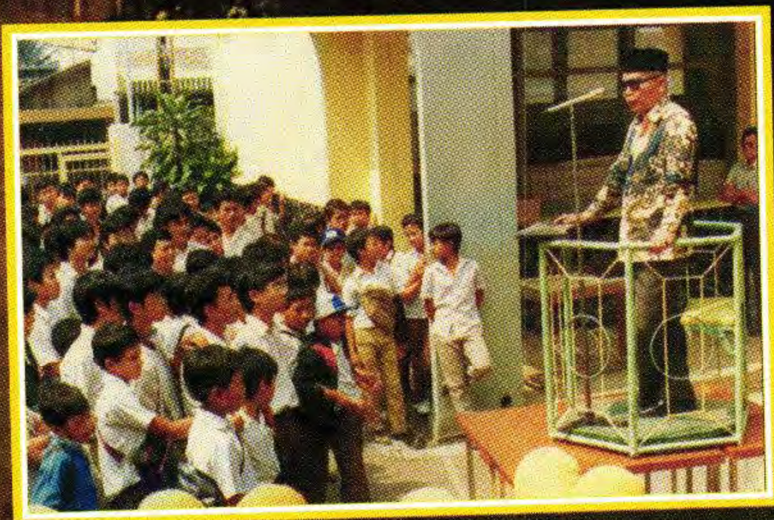
اسلامية شهرية جامعة

العدد ٣[illegible] - السنة الحادية والثـ[illegible] - صفر ١٤١٥هـ/ يوليو (تموز) ١٩٩٤م

المسلمون وعلم المعادن

الموريسكيون عرب مسلمون نسيهم التاريخ

استراتيجية حديثة للدعوة في نيجيريا



مفهوم الإبداع في الحضارة الإسلامية



تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٤٢ – السنة الحادية والثلاثون
صفر ١٤١٥ هـ / يوليو (تموز) ١٩٩٤م

هاتف:
بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

كلمة العدد

لمصلحة من النزيف المستمر؟

ذكرت الدوائر المطلعة أن حجم الخسائر المادية التي تكبدتها اليمن بسبب الحرب المدمرة الدائرة هناك، بلغت حتى الآن أكثر من عشرة مليارات دولار عدا الخسائر غير المنظورة الناجمة عن تدمير المنشآت الاقتصادية والصناعية والعقارية والبنية الأساسية التحتية من جراء القصف الصاروخي المتبادل بين شطري اليمن. وإذا اضفنا لهذه الخسائر المادية الخسائر البشرية الفادحة، والتي بلغت آلاف الضحايا الأبرياء، أدركنا حجم الكارثة وهول النزيف في إمكانات الأمة وثرواتها من جراء هذا الاقتتال الداخلي غير المبرر والذي لايستفيد منه إلا أعداء الأمة ممن يتربصون بها الدوائر.

ترى ألم يكف الأمة ما أصابها من خسائر من جراء الغزو العراقي الغاشم للكويت؟ ألم يكف الأمة الإسلامية ما أصابها من خسائر في أفغانستان؟ الأمة كلها مدينة اليوم بمئات المليارات للدول الأجنبية وقد وقعت بعضها في فلك التبعية من جراء ذلك بينما تهدر الملايين في نزاعات داخلية ظالمة لا مبرر لها.. فهل نعي هذه الحقائق من أجل تغيير هذا الواقع الدامي وهل يتحرك علماء الأمة ومفكروها للتحذير والتنبيه من مغبة ما نحن فيه.. هذا ما نأمله والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

الوعي الإسلامي

المراسلات :
مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097 KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT.: 1005 - FAX: 965-2431740

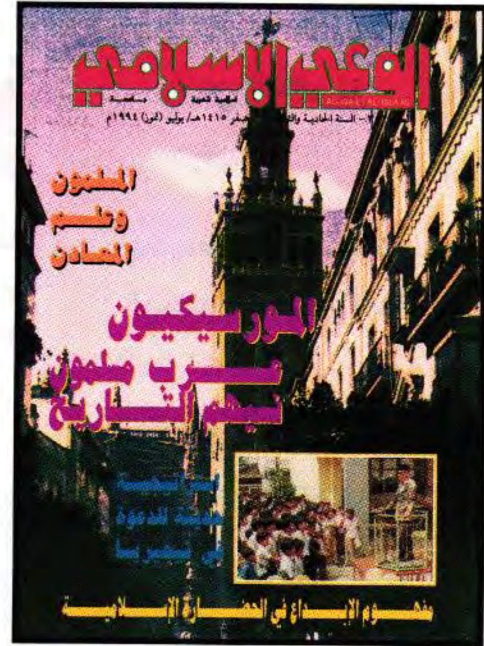
الاشتراكات

الاشتراكات: ــ داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها) ــ للموسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ بقية دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ــ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتاً (او مايعادلها) * ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة بأسم مجلة الوعي الاسلامي –الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية) وكيل التوزيع: الشركة السعودية للتوزيع * الكويت : ص.ب : ٢٩١٢٦ ـ الصفاة (١٣١٥٠) هاتف:٤٧٢٤٧٧٧ ـ فاكس: ٤٧٢٤٥٥٥ * الإدارة العامة، المملكة العربية السعودية، ص.ب : ١٣١٩٥ ــ الرمز البريدي، جدة ٢١٤٩٣ هاتف: ٦٥٣٠٩٠٩(١٢خط) ـ فاكس: ٦٥٣٣١٩١

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠فلس ـ ج.م.ع ٥٠ قرشا ــ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ــ الجزائر ٥ دنانير ــ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ــ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ــ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما.

أقرأ في العدد



هل يعيد التاريخ نفسه فيما يجري على أرض البوسنة والهرسك، فنشهد محاكم تفتيش معاصرة؟ فالمورسكيون، والموديخار، والمدجنون، هي أسماء وصفات أطلقها الأوروبيون على من بقي من المسلمين في الأندلس قبل طردهم. ويظهر أن (الفعل) (ورد الفعل) لما جرى للمورسكيين يتكرر بصورة أو بأخرى هذه الأيام، وقد نسينا أن التناحر والتمزق وراء استهانة الصليبية والصهيونية بالمسلمين.

الخط العربي تراث اسلامي اصيل

الخط العربي معلم بارز من أهم معالم الإبداع الفني عند المسلمين، فله خاصية حضارية ينفرد بها عن سائر الخطوط، وينفرد بها المسلمون عن سائر الشعوب، فالخط العربي إلى جانب تعبيره ودلالاته عن القيم الفنية، ينقل إلينا من خلال الكلمة مضمونها ومعناها فتلتقي جمال الكلمة مع جوهر المعنى، كما تمتزج الثقافة بالفن ليصبحا معا وسيلة من أرقى وسائل إيصال المعرفة إلى الإنسان. عن هذا كله يكتب محمود بيومي.



استراتيجية حديثة للدعوة في نيجيريا



تشهد الساحة النيجيرية هذه الأيام صحوة إسلامية مباركة يوجهها عدد من علماء المسلمين المخلصين هناك.. ولمزيد من الأضواء على هذه الصحوة التقت (الوعي الإسلامي) الشيخ (أحمد ليمو) رئيس جمعية الوقف الاسلامي للتربية والارشاد في نيجيريا للكويت وأجرت معه هذا الحوار الهادف.



اقرأ في الأعداد القادمة

- خصائص الاخلاق في الاسلام وغاياتها، لعبد العظيم سيد طنطاوي
- الادب الاسلامي، بداية اسلامية أم بداية أوروبية؟ للدكتور محمد عادل الهاشمي
- التكيف السليم اساسه الاخلاق والدين، لرجاء حنفي عبد المتجلي
- المدارس في الحضارة الاسلامية، لخالد محمد عزب
- من اساليب النفاق اليهودي، لصفاء الدين محمد أحمد
- الاسلام كلٌ لا يتجزأ، لمشعل الجمران
- صور من جهاد الرسول، لبدرت نوال محمد بدير
- البروتستناتية واصولها الاسلامية، لمحمد ابو قاسم
- التكنولوجيا فريضة شرعية، لممدوح الشيخ

مفهوم الابداع في الحضارة الاسلامية

الدكتور محمد علي وهبة، يحدثنا عن الابداع في الحضارة الاسلامية، ويرى أن علماء الغرب برغم ما بلغوه من التطور الحضاري المادي المذهل، الذي نقلوا أسسه وأصوله ومناهجه العلمية عن علماء المسلمين، فإنهم لم يتوصلوا بعد إلى صياغة متعمقة، متسعة ومحكمة الإبداع كما هو معروف في الحضارة الإسلامية.



المرأة والإسلام

الكاتبة/ نبال نخّال؛ قامت بجولة ميدانية والتقت فتيات ونساء من مختلف الميادين أجبن عما يرونه في أنفسهن تجاه الإسلام وكيف يهمنه، وقد أرادت أن تلقي الضوء على جانب من جوانب التفكير النسوي وما يترتب عليه من غشاوة أو وضوح إلمام بأمور الدين وفهمها أو جهلها لمجرد الهروب منها.







واقع تعليم العربية في اندونيسيا

يحدثنا الدكتور عبد الكريم عوض هيازع عما تشهده السنوات الأخيرة من ازدياد الإقبال على تعلم اللغة العربية في أندونيسيا وفي البلاد الإسلامية، ولكن الظاهرة التي لا يخطىء أي شخص أو متأمل في ملاحظتها أن هذا المجال لا يزال يفتقد الكثير من البحوث والدراسات العلمية التي تشخص المشكلات والصعوبات والعقبات التي يواجهها الدارسون والمدرسون غير العرب وتساعده في تطويره إلى المستوى الذي يصل إليه مجال تعليم اللغات الأجنبية الأخرى.





المسلمون وعلم المعادن

يحدثنا المهندس/ عبد القادر الفقي عن موضوع لم ينل حظه من الاهتمام والبحث حديثاً، وهو إسهامات المسلمين في مجال علم المعادن، ويرى أن معظم المعنيين بالفكر الإسلامي والتراث الحضاري العربي من غير المتخصصين في العلوم المادية غالبا. وهو أمر يؤدي إلى إحجام الكثيرين منهم عن الخوض في مثل هذا النوع من الدراسات، لا سيما وأن المصطلحات المستعملة في علم – مثل علم المعادن – تتصف بصعوبة فهمها من قبل هؤلاء الباحثين.



الفهرس

الافتتاحية

مهما حاول الغرب بأجهزته ومؤسساته و إمكاناته الهائلة وتقدمه العلمي والتكنولوجي في كافة الميادين أن يجعل من النظام والأسلوب الذي ينتهجه في الحياة النظام القدوة والمثل الأعلى لكافة بني البشر باعتباره (في نظرهم) نظام التقدم والمدنية ونظاماً يوصل الإنسان إلي القمم السامقة..

نقول مهما حاول الغرب أن يفعل ذلك سواء أكان مقتنعاً بذلك أم مرائيا فإنه يكون كالنعامة التي تدخل رأسها في الرمال حتى لا يراها أحد، فالحقائق الصارخة والنداءات والاستغاثات الصادرة عن التربويين والمسؤولين والمصلحين الاجتماعيين ومسؤولي الأمن في ديار الغرب كلها تؤكد عكس ذلك تماماً وتظهر الوجه الآخر لحضارة الغرب المعاصرة حضارة العري والتكشف والسعار الجنسي والبهيمية... حضارة التفكك الأسري والعائلي.. حضارة القتل والجريمة والاغتصاب والإيدز... حضارة تآكل القيم الخلقية وما يرافقها من قلق متصل وضياع كبير.. حضارة العقلية الفوقية الاستبدادية للإنسان الأبيض على باقي الأجناس البشرية..

نحن لا ننكر إنجازات هذه الحضارة في جوانبها المادية وماقدمته في هذا الجانب للإنسان لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل ساهمت هذه الإنجازات في إسعاد البشرية والقضاء على الفوارق الطبقية وإشاعة قيم العدل والتكافل والرحمة بين بني الإنسان كما فعلت الحضارة الإسلامية في عصورها الزاهرة حين ربطت بين المادة والروح – وهو ما اغفلته الحضارة الغربية – فكانت النتيجة رخاء وسلاما وعدلاً وأمناً عَمّ ربوع البشرية في جزئها الأكبر من شواطىء الأطلسي غربا إلى ربوع الصين شرقا في الوقت الذي تعج هذه المنطقة اليوم بعشرات المشاكل والقضايا في ظل الحضارة المعاصرة وإفرازاتها السلبية.

الوجه الآخر لحضارة الغرب!!

الوجه الآخر لحضارة الغرب كما يتحدث عنه أبناء الغرب أنفسهم – على مستوى الأفراد والقيادات والمؤسسات – نقدم بعضا من سماته العامة دون النظر إلى الحالات الفردية فهذه قد توجد في كل المجتمعات لعل الغيورين من أبناء أمتنا يأخذون العظة والعبرة والدرس ويجنبون أمتهم سلبيات هذه الحضارة فيأخذون فقط جوانبها المشرقة وعطاءاتها الإيجابية وينبذون كل ما يخالف الفطرة الإنسانية والمبادىء الخلقية الرفيعة.

* أظهر التقرير السنوي لمكتب إحصاء ودراسات السكان في بريطانيا أن نحو طفل بين

كل ثلاثة أطفال بريطانيين يولدون الآن لامرأة غير متزوجة وأن نسبة هؤلاء المواليد ارتفع إلى ٣١٪ عام ١٩٩٢م مقارنة بـ ١٤٪ في عام ١٩٨٢م

* يواصل الرئيس الأمريكي كلينتون اهتماماته بنسبة الجريمة المتزايدة في الولايات المتحدة الأمريكية حيث أكدت الدراسات أن نسبتها ازدادت العام الماضي ١٩٩٣م ٣٪ عما كانت عليه العام الذي سبقه حيث سجل مكتب التحقيق الفدرالي خلال عام ١٩٩٣م (٢٤) ألف جريمة قتل وهذا انعكس على نزلاء السجون الأمريكية حيث يوجد فيها ١,٤ مليون سجين وهذا الرقم أكثر مما هو موجود حاليا في سجون الصين مع أن تعداد سكانها أربعة أضعاف تعداد سكان الولايات المتحدة، مما يؤكد الجانب الإرهابي في المجتمع الأمريكي المعاصر الذي يحاول الرئيس الأمريكي انتشاله وانقاذه قبل فوات الأوان.

* أفاد التقرير الفصلي للمركز الإداري لمراقبة الانتشار الوبائي بالإيدز في أوروبا أن (١١٦٠٧٧) حالة إصابة بالإيدز قد سجلت حتى ٣١ مارس عام ١٩٩٤م وتوقع المركز الكائن في باريس ان يصل عدد الحالات المعلن عنها بعد تعديل المعطيات الجديدة إلى حوالي (١٢٧) ألف حالة هذا في أوروبا أما في أمريكا فتوقعت دراسة نشرها مركز مراقبة الأمراض في أتلانتا (جورجيا) أن (٣٣٠) ألف مصاب بالإيدز سيموتون ضحية المرض حتى عام ١٩٩٥م وجاء في تقرير آخر لعدد من الخبراء عرض على لجنة تابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي أن كلفة علاج مرضى الإيدز في الولايات المتحدة قد تزداد بنسبة ٤٨٪ بين أعوام ١٩٩٢ - ١٩٩٥م. لترتفع من ١٠,٣ مليار دولار إلى ١٥,٢ مليار دولار. وعن القلق الذي يساور الإنسان الغربي كشف استطلاع للرأي أجرته مجلة يو. اس. نيوز في ٢٥/١/١٩٩٣م أن ٣٦٪ من الأمريكيين متخوفون من أن يكونوا ضحايا الجرائم و٣٤٪ أعربوا عن تخوفهم من خسارة الضمان الصحي و٣٩٪ أعربوا عن تخوفهم من خسارة أعمالهم أو وظائفهم.

* هذه نماذج وضعناها بين يديك أخي القارىء.. أختي القارئة - وهي لبعض الحالات التي تسيطر على عدد من المجتمعات الغربية وقد تزيد هذه الحالات أو تنقص من مجتمع غربي إلى آخر لكن تبقى السمة الرئيسية لهذه المجتمعات واحدة وهي السقوط الحضاري في ميدان القيم والمبادىء والأخلاق الأمر الذي أدى إلى تلك الإفرازات المرضية الخطيرة التي دعت المسؤولين هناك لدق جرس الإنذار.

إننا نأمل من الذين سقطوا في شباك هذه الحضارة - على مستوى الأفراد وغيرهم في ديارنا الإسلامية - أن يتنبهوا ويستيقظوا من سباتهم ويكفوا عن دعوتهم للاحتذاء بالنموذج الغربي كما ندعوهم للاستنارة بكتاب الله وهدي نبيه محمد ﷺ حيث سماحة الإسلام ونظافته ودعوته الصريحة لاحترام إنسانية الإنسان وسد كل الطرق الموصلة إلى الحرام فالإسلام لا يشدد في العقوبات قبل تحقيق الضمانات الوقائية وهذا ما فشل الغرب في تحقيقه حيث يسعى الآن لمكافحة الجريمة والفساد والإرهاب فيما كل الوسائل المساعدة على الولوغ في الجريمة متوفرة ومتاحة وبأقل التكاليف وهنا مكمن التناقض الفاضح في السلوك وهو ما سيؤدي حتما إلى تفاقم الجريمة وزيادة أرقام وإحصائيات الجيل الضائع الممزق والتي لا يدخل فيها ملايين الضائعين الساخرين بكل العلوم والمثل والقيم الإنسانية.

ويبقى عندها المشروع الحضاري الإسلامي هو الأمل ليس للشعوب الإسلامية فقط وإنما لكل شعوب العالم شرقيها وغربيها للتخلص من كافة الأمراض التي جرتها الحضارة الغربية المادية المعاصرة ■

الشيخ أحمد ليمو رئيس جمعية الوقف الإسلامي للتربية والارشاد في نيجيريا:



تشهد الساحة النيجيرية هذه الأيام صحوة إسلامية مباركة يوجهها عدد من علماء المسلمين المخلصين هناك.. بدايات هذه الصحوة تعود للفترة التي أعقبت الانقلاب العسكري (١٩٦٦) حيث اطيح بعدد من القادة المسلمين في القوات المسلحة وفي الحكومة وفي أوساط الدعاة العاملين وعلى رأسهم الشهيد (أحمدو بللو) مما دفع مسلمي نيجيريا للتمسك بهويتهم للتصدي للزحف النصراني المدعوم من قبل جهات داخل نيجيريا وخارجها. مجلة الوعي الإسلامي اغتنمت فرصة زيارة الشيخ (أحمد ليمو) رئيس جمعية الوقف الاسلامي للتربية والارشاد في نيجيريا للكويت وأجرت معه هذا الحوار لمعرفة أبعاد هذه الصحوة والاستراتيجية الدعوية الحديثة في نيجيريا.

الوثنيون يحبون المسلمين أكثر من النصارى لكن ضعف الدعوة الاسلامية مكنت النصارى من جلب الوثنيين إلى جانبهم

* **فضيلة الشيخ أحمد نود في البداية اعطاءنا نبذة مختصرة عن المسلمين في نيجيريا؟**

ـ الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: كما تعلمون فإن نيجيريا أكبر بلد اسلامي افريقي من حيث عدد السكان حيث يبلغ تعداد السكان العام لنيجيريا حوالي مائة مليون نسمة اكثر من ٦٠٪ منهم مسلمون والباقي نصارى و٢٠٪ وثنيون وغير ذلك والمسلمون في نيجيريا رغم الضغوط الكبيرة التي يتعرضون لها متمسكون ولله الحمد بهويتهم الإسلامية تشهد على ذلك الصحوة الاسلامية التي تعم المسلمين هناك والمتمثلة في اقبال الشباب والشابات على تعلم مباديء الدين الإسلامي الحنيف وتعلم اصول الدعوة والحوار.

* **نيجيريا رغم انها دولة اسلامية كبيرة إلا أن الصوت الإسلامي يبدو ضعيفا فما السبب في ذلك؟**

ـ لا شك أنكم سمعتم أو تسمعون بين الحين والآخر عن حوادث تجري بين المسلمين والنصارى في نيجيريا ومحاولات الاعلام وضع اللائمة على المسلمين في محاولة لاسكات الصوت الاسلامي مع ان المسلمين كانوا يمسكون بزمام الأمور منذ فجر الاستقلال عام ١٩٦٠م إلى أن فاجأهم النصارى بالثورة العسكرية الأولى سنة ١٩٦٦م وقتلوا العديد من القادة المسلمين في القوات المسلحة ومن الحكومة والدعاة وعلى رأسهم الشهيد أحمد بيلو رحمه الله وبهذا أمسك النصارى بالمناصب الهامة في الدولة وخططوا بدقة وسرية لإضعاف وإسكات الصوت الاسلامي مستخدمين في ذلك كل نفوذهم وبالاخص وسائل الاعلام التي يسيطرون عليها بينما وسائل الاعلام التي يديرها المسلمون ضعيفة للغاية.

* **التعليم في نيجيريا هل يسيطر عليه النصارى أيضا؟**

ـ نعم فبالاضافة الى سيطرتهم على الاعلام والاقتصاد والسياسة يسيطرون على التعليم وخاصة التعليم الجامعي بدليل أن نسبة عدد الخريجين من الطلبة المسلمين سنويا لا يتجاوز ٢٠٪ من عدد الخريجين العام بينما نسبة المسلمين كما قلت سابقا ٦٠٪ وهذا يبين بوضوح مدى الظلم والاجحاف الذي يلحق بالمسلمين.

* **نيجيريا دولة نفطية لكن مظاهر الفقر بادية في كل مكان فما السبب في ذلك؟**

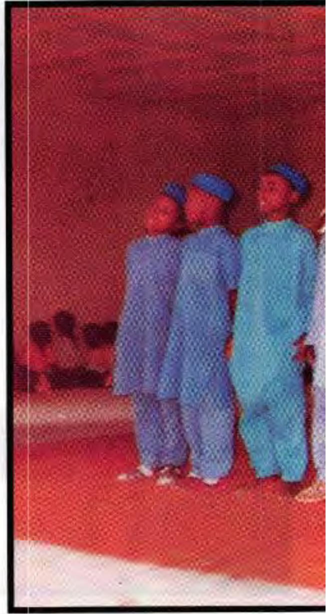
ـ كانت نيجيريا فيما مضى من الدول الغنية لكن مظاهر الفقر بدت منذ تسلم العسكر السلطة وهذه الظاهرة موجودة في كل دول العالم الثالث.. العسكر لا يهمهم تقدم البلد بقدر ما تهمهم مصالحهم لذلك فإن ثروات نيجيريا الزراعية المعدنية بددت بطرق ملتوية وكان الخاسر الوحيد هو الشعب.

* **هل تعتقدون أن هناك اطرافا خارجية تمد النصارى لضرب المسلمين؟**

ـ الصهيونية العالمية ورؤساء الكنائس في الغرب يقدمون الدعم المستمر والخبرة الاستعمارية العالمية للنصارى وهذا بلا شك أعطى النصارى جرأة لضرب المسلمين وشن الهجمات المتكررة عليهم بل وذبحهم في المساجد خاصة في مناطق الأقليات.

* **ترى أليس للمسلمين من رابطة أو مجلس أو مؤسسة توحد كلمتهم؟**

ــ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية يمثل كافة المسلمين في نيجيريا ويرأسه حاليا السلطان ابراهيم دسوقي وهناك أيضا مجلس تنسيق الدعوة النيجيري وتنضوي تحت لوائه كل المنظمات الإسلامية الدولية العاملة في نيجيريا مثل (رابطة العالم الاسلامي، الندوة العالمية للشباب الاسلامي،



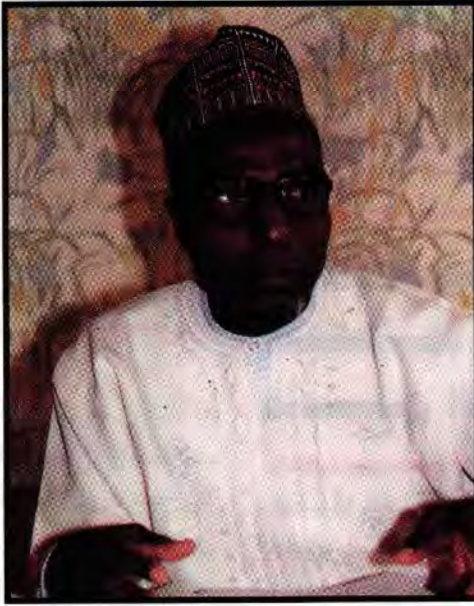
استراتيجية حديثة للدعوة في نيجيريا

أجرى الحوار: تمام أحمد

الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية وغيرها) وكلمة المجلس الأعلى كلمة مسموعة لدى المسلمين وله فروع في كل الأقاليم.

*** هل لديكم استراتيجية لنشر الدعوة الإسلامية في نيجيريا؟**

ـ نحن قمنا بعمل البحوث اللازمة وصولا لأفضل السبل لنشل الدعوة وارتأينا أن نقوم أولا بنشر الدعوة في صفوف الوثنيين لأنهم أساس قوة النصارى مع أنهم يحبون المسلمين أكثر من النصارى إلا أن المسلمين مقصرون في مجال الدعوة في صفوفهم فلذلك تجد النصارى يكثرون من دعمهم وتقديم الخدمات لهم حتى يكسبوهم الي جانبهم ضد المسلمين والذين تنصروا من الوثنيين باتوا أشد عداوة للمسلمين من النصارى أنفسهم فلذلك بعد البحث في شؤونهم اتفقنا على عمل استراتيجية خاصة لنشر الوعي الاسلامي في صفوفهم وتلك الاستراتيجية حققت نجاحا طيبا. هذا من جهة ومن جهة أخرى بدأنا الدعوة والحوار في صفوف النصارى وطبعنا كتيبات ونشرات تشرح الاسلام وتكشف زيف عقائد النصارى وأعطت نتائج ملموسة. في نفس الوقت قمنا بتحصين الشباب بالعلم الاسلامي عن طريق اقامة دورات للشباب المسلم في الجامعات وكليات فوق الثانوي لتدريبهم حتى يكونوا دعاة متسلحين بالعلم الكامل في علوم المقارنة بين الاسلام والمسيحية وفي طريقة الدعوة والحوار والأمر الآن يسير على مايرام ويحقق نجاحا يفوق ما توقعناه في بداية الدورات كما أننا نقيم دورات في العلوم الشرعية لتبصير المسلمين أنفسهم بمبادىء دينهم اضافة للوعظ والارشاد في المساجد وفي الاذاعة والتلفزيون حيث نحجز ساعات للبث لقاء رسوم محددة وبعضها مجاني وهذا ليس لنا فقط وانما للنصارى أيضا.



● الشيخ أحمد ليمو

*** باعتباركم ترئسون جمعية الوقف الإسلامي هل بالامكان تقديم فكرة عن هذه الجمعية وأهدافها وأنشطتها؟**

ـ الجمعية منظمة وطنية قامت لنشر رسالة الإسلام في نيجيريا وفقا لتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وقد انشئت في نوفمبر ١٩٦٩م في مدينة سوكوتو بشمال غرب نيجيريا واصبح لها فروع في نيجيريا وغونفولا ولاغوس وتهدف جمعيتنا الى بث الفكر الاسلامي في نفوس الشباب بعد أن أُهمل هذا الفكر في اطار نظام التعليم الغربي السائد في المدارس الحكومية ومدارس الارساليات النصرانية كما تهدف الجمعية الى بث الوعي الاسلامي في صفوف جماهير المسلمين العريضة حتى لا تصبح صيدا سهلا بيد المنصرين المدربين.

*** نيجيريا دولة ذات اغلبية مسلمة ومن حق المسلمين فيها أن يطالبوا بتطبيق الشريعة الاسلامية.. ترى ما دور جمعيتكم في هذا المجال؟**

ـ نحن نسعى بكل إمكاناتنا المتاحة من اجل تطبيق الشريعة الاسلامية ومن أجل هذا نقيم المؤتمرات والندوات عن الشريعة وننشر مقالات في الصحف النيجيرية كما نقيم محاضرات عامة ونقوم بتوزيع وترجمة ونشر كتيب الشريعة الاسلامية كما نخصص منح ومساعدات دراسية بكلية الجامعة والدراسات العليا للمؤهلين لدراسة الشريعة الإسلامية ونجري الاتصال والتعاون مع المدارس ومعاهد الدراسات العليا القانونية الاسلامية لتحسين مستويات دراسة مادة الشريعة.

*** اللغة الانكليزية هي السائدة في نيجيريا بسبب ظروف الاستعمار البغيض لنيجيريا فترة طويلة والسؤال الذي نريد أن نستفسر به منكم عن مكانة اللغة العربية وقوة انتشارها باعتبارها لغة القرآن الكريم؟**

ـ الجمعية عندنا تسعى لاقامة علاقات قوية مع المدارس ووزارة التعليم والمنظمات الاسلامية من أجل تطوير وتعليم الدراسات الإسلامية واللغة العربية كما أن هناك تعاونا مع الاتحاد النيجيري لمعلمي اللغة

استراتيجية حديثة للدعوة في نيجيريا

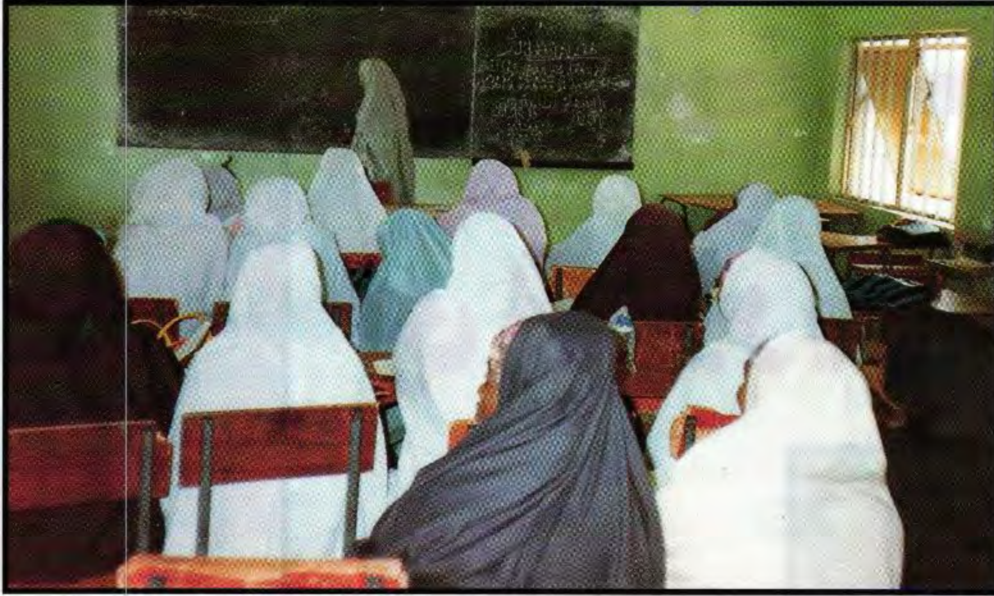
العربية والدراسات الاسلامية ونحن من جانبنا نسعى دائما لتنظيم الندوات والمؤتمرات لتحسين مستوى الائمة ومعلمي المدارس الإسلامية في نيجيريا ونشر دروس تجويد القرآن الكريم والأمر ليس بالسهل ومن واجب المنظمات الإسلامية العالمية أن تضع استراتيجية عامة لنشر العربية ليس في نيجيريا وحدها بل في شتى ارجاء القارة الافريقية التي رضخت للاستعمار فترة طويلة ابعدت خلالها عن دينها وقطعت روابطها مع العالمين العربي والاسلامي وترسيخ العربية بلا شك سيساهم في سرعة انتشار الدعوة الاسلامية.

* **هل من كلمة اخيرة توجهونها عبر صفحات «الوعي الاسلامي» للاخوة المسلمين في شتى ارجاء العالم؟**

ــ ارجو من الاخوة المسلمين ومن كافة الحكومات والهيئات والمؤسسات والمنظمات الاسلامية أن توجه اهتماما اكبر لنيجيريا باعتبارها مستهدفة وفيها تركيز على المسلمين من أجل صرفهم عن دينهم وعندما تضرب القوة الكبيرة يسهل القضاء على التجمعات الصغرى لهذا أحث اخواني النيجيريين الأثرياء على تقديم الدعم والعون والمساهمة بشكل أكبر في مشاريع الدعوة الاسلامية والوعي الاسلامي وكل ما يتعلق بمصالح الاسلام والمسلمين في نيجيريا وهم يعرفون أكثر من غيرهم مدى الدعم الذي يتلقاه النصارى من داخل وخارج نيجيريا كما ارجو من اخواني المسلمين في شتى ارجاء العالم الا يبخلوا علينا بما أفاء الله عليهم من فضله حتى نستطيع أن نتم المشاريع الدعوية التي بدأناها والتي تنتظر المحسنين من أهل الخير والرسول صلى الله عليه وسلم يقول:

«المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا».

* الوعي الاسلامي: شكرا لفضيلة الشيخ أحمد ليمو على هذا اللقاء الطيب المبارك وندعو الله أن يأخذ بيده ويد اخوانه المخلصين في نيجيريا الى كل ما فيه خير ومصلحة للاسلام والمسلمين كما نأمل من إخواننا المسلمين في شتى ارجاء المعمورة أن يسددوا خطى اخوانهم في نيجيريا ويقدموا لهم الدعم المعنوي والمادي حتى يتمكنوا من صد الهجمة التنصيرية الشرسة وينقذوا أكبر قلعة اسلامية في القارة الافريقية من السقوط في أيدي المنصرين والله من وراء القصد. ■

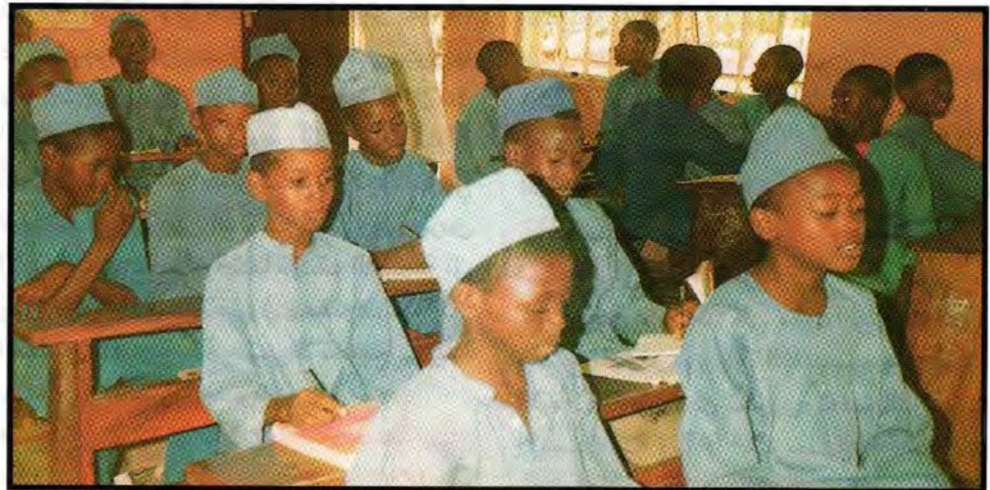


● فصل دراسي للبنات

■■ الخريجون الجامعيون من المسلمين لا تتجاوز نسبتهم ٢٠٪ بينما يشكل المسلمون ٦٠٪ من التعداد العام للسكان!! ■■

الشيخ أحمد ليمو في سطور

* رئيس جمعية الوقف الإسلامي للتربية والارشاد في منا ـ نيجيريا ـ وعضو مؤسس فيها.
* عضو مجلس العلماء والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في نيجيريا
* عضو المجلس العالمي للدعوة والإغاثة في القاهرة.
* عضو مؤسس في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية وعضو مجلس الادارة فيها.
* يحمل شهادة التاريخ من جامعة لندن ويحمل شهادة في اللغة العربية والشريعة من جامعة كانو في نيجيريا.
* عمل في سلك التعليم مدرسا وعميدا في مدرسة العلوم العربية في كانو وسوكوتو.
* عمل في سلك القضاء قاضيا في المحكمة الشرعية الاستئنافية في ولاية نيجا ثم رئيسا للقضاء الشرعي فيها.



وزير الأوقاف يزور جمعية إحياء التراث الإسلامي



قام معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور علي الزميع بزيارة مقر (جمعية إحياء التراث الإسلامي) اجتمع خلالها مع رئيس وأعضاء مجلس إدارتها، وبحث قضايا تهم العمل الإسلامي والخيري في الكويت .

كلمة الجمعية

وقد رحب الشيخ/ خالد سلطان بن عيسى (رئيس مجلس إدارة الجمعية) بمعالي الوزير، وقال في كلمة له: إن زيارتكم بادرة تنم عن حرصكم على مد جسور التعاون بين النشاط الحكومي والشعبي، ومن الواجب أن يكون هناك تعاون أكبر لوزارة الأوقاف مع الجهات الشعبية كأساس يبنى عليه النشاط الخيري. وأضاف: نحن كجمعية بنشاطها الداخلي، والخارجي حريصون على كل ما فيه المصلحة العامة، وهذا أمر يعكسه نشاطنا في الداخل، والخارج في الدعوة للكتاب والسنة، وهذه جادتنا، وطريقنا الذي نحرص على السير عليه، وهو في الواقع مؤشر ودليل لنشاطنا، وتعاوننا مع الجهات الأخرى.

كلمة الوزير

وبعد شكر معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية أعضاء الجمعية على استقبالهم وحفاوتهم، قال:

إن علاقة وزارة الأوقاف بكل المؤسسات الإسلامية التي تعمل خارج وداخل الكويت علاقة قوية ووثيقة، ويجب أن يكون هناك ترابط وتعاون وتنسيق ودعم متبادل في قضية النشاط، والدعوة الإسلامية .

وأكد أن العمل الإسلامي بحاجة دائمة إلى مزيد من التنسيق والدعم ليتجه نحو آفاق، ومبادرات، وإبداع، ويحقق أكثر مما هو موجود على الساحة، قائلاً:

وليس هناك شك بأن الساحة الإسلامية في الكويت تتميز عن غيرها بفضل من الله – عز وجل – بجو الحريات الموجود فيها، والدعم الشعبي والرسمي للعمل الإسلامي والخيري أصبح نموذجا فريدا على مستوى العالم الإسلامي، واعتقد رغم كل ما يطرح على الساحة هذه الأيام من وجهات نظر حول طبيعة العمل الإسلامي، وحول وجهات النظر المتباينة حول بعض السلبيات، والإيجابيات أننا مازلنا – ولله الحمد – نقدم النموذج الجيد على مستوى العالم الإسلامي . وأما تعدد وجهات النظر فاعتقد أنها أمر طبيعي ومن يعمل على الساحة لا بد أن يجتهد، فيخطىء ويصيب، والخطأ المرفوض أن نغلق آذاننا وأبصارنا عن عملية التطوير، والاستفادة من تجاربنا الماضية نحو آفاق أكثر إيجابية.

قضية فهم الإسلام

وعن قضية فهم الإسلام قال السيد الوزير: اعتقد أن الإسلام كدين سماوي خاتم للرسالات يتميز بالإبداع والتجديد حسب الظروف التي تحيط به، ولما كان العمل الإسلامي في الكويت –بفضل الله– ملتصقا بجوهر الدين، لهذا نجد عنده هذا التميز، وهذا الإبداع. وتابع الدكتور الزميع قائلا:

شخصيا أعتقد أن بعض وجهات النظر التي تطرح حول العمل الإسلامي قد يكون سلبيا، ولكن الذي نرفضه أن لا تأتي تلك الملاحظات عن نية صادقة أو عن مبادرات تهدف تطوير العمل، وأن يكون هدفها التشكيك، ونحن نرجو من كل من يتعامل بالعمل الإسلامي الدعم، والتركيز على السلبيات لمعالجتها، كما نطلب من الطرف الذي يمثل وجهات نظر أن يكون حسن النية في طرحه . ونقول للعمل الإسلامي ومؤسسات العمل الإسلامي: عليكم أن تقبلوا النقد، ويجب أن يكون الحوار هو أداتنا في التعامل والتعاون.

شجاعة الحوار والمعالجة

وأقول كرجل مسؤول رسمي عن العمل الإسلامي في الدولة؛ يجب أن أملك الجرأة في القول: فعلا هناك لغط كبير، وللأسف إن هذا اللغط والشبهات إذا ازدادت لن تمس المؤسسات الإسلامية فقط بل ستمس فكر وأصول هذا الدين، وقد تسعى إلى تشويهه بحسن أو سوء نية، ولذلك نحن في مرحلة مهمة يجب أن نقف عندها، ونقيم أعمالنا، ونقيم أنشطتنا، ومؤسساتنا، ونستمع لمن يقول لنا هذا فعل إيجابي، أو هذا فعل سلبي، ثم إذا اقتنعنا بشيء نعالجه متوكلين على الله متعاونين على ما فيه الخير والمصلحة الإسلامية .

تعاون وتكامل وارتقاء

وأشاد السيد الوزير بجمعية إحياء التراث فقال: يشرفني أن أزور جمعيتكم وهي جمعية لها وجود تاريخي على الساحة الإسلامية داخل الكويت، وكذلك لها نشاط مشرف، وإيجابي خارج الكويت، وتحمل رسالة الإسلام، وأيضا بفضل الله – عز وجل – تحمل الصورة الإيجابية عن الكويت كدولة، وكمجتمع وكإنسان، ولها ماض يستوجب شكر الاخوان القائمين عليها، والإخوان العاملين فيها، واعتقد أن وزارة الأوقاف من واجبها أن تتعاون مع كل المؤسسات الإسلامية ليتحقق ارتقاء هذه الأعمال على المستوى الداخلي والخارجي. وإذا كان القطاع الخاص، والرسمي متوجها نحو ما يسمى بالخصخصة في الجانب الاقتصادي والخدمات، فانني أعتقد – ومن باب الأولى – أن يكون للنشاط الأهلي، وخاصة النشاط الديني، مساهمات ومبادرات شعبية، يقوم بها العاملون في القطاع الأهلي لتبني بعض المشاريع التي تخدم البلد داخليا وخارجياً . إني متفائل جدا بالعمل الإسلامي الموجود على الساحة الكويتية، وقد قام – بفضل الله عز وجل – بدوره إبان الغزو العراقي للكويت سواء داخل الكويت، أو خارجها، وهي شهادة نعتز بها. وأكرر إن كان هناك بعض الأطروحات، فأقول إننا نحن كمسؤولين على المستوى الرسمي، وكإسلاميين على المستوى الشعبي، يجب أن تكون لدينا الشجاعة لنجتمع ونتناقش ونطرح البديل الأفضل، إن شاء الله.

فاتحة تعاون مشترك

واختتم الدكتور الزميع حديثه قائلا: وزيارتي هذه ستكون فاتحة تعاون مشترك فيما يرضي الله – عز وجل – ومصلحة المجتمع سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، ما دمنا نلتقي على مرضاة الله – عز وجل – وعلى أصول هذا الدين من الكتاب والسنة. وأكرر شكري على هذا اللقاء الطيب، وعلى كل عمل إيجابي تقوم به جمعية إحياء التراث الإسلامي، أو غيرها من زميلاتها من المؤسسات، والجمعيات الأهلية. هذا وقد قام الوزير بعد ذلك بجولة تفقد فيها أركان الجمعية، واطلع على النشاط في أقسامها المختلفة مبديا إعجابه، وتقديره بكل ما تنفذه من مشاريع وأعمال ■



انعقـــــــاد الــــــدورة ٣٨ لمجلس صنـــدوق التضــــامن الإســـلامي

تغطيـــة: ســـــامح هـــــلال

د. الزميع: استثمار رؤوس الأموال يخدم أهداف الدعوة الاسلامية

ويضمن لمؤسساتنا الخيرية استمرارية الأنشطة التي نقوم بها

عقد المجلس الدائم لصندوق التضامن الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي دورته الثامنة والثلاثين برعاية معالي الدكتور علي فهد الزميع وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

اكتسبت دورة المجلس هذه أهمية خاصة لكونها تعقد لأول مرة في دولة الكويت التي تعتبر من أكبر الدول الداعمة للصندوق، ولمرور عشرين عاما منذ تأسيس الصندوق، والاضطلاع بدوره الهام والمؤثر لتقديم الإغاثة العاجلة للمنكوبين في الدول الإسلامية وبلدان الأقليات المسلمة، ودعم الجامعات والمراكز والمدارس الإسلامية، وخدمة القضايا الإسلامية التي تتبناها منظمة المؤتمر الإسلامي.

ناقش أعضاء المجلس خلال جلسات هذه الدورة التي استمرت يومين تقريرا مفصلا عن الخطوات التي اتخذت لتنفيذ قرارات الدورة السابقة للمجلس، كما ناقشوا الحلول المطروحة لانقاذ الوضع المالي المتردي للصندوق، إضافة إلى مناقشة نشاطات الصندوق في مختلف البلدان والقارات خلال السنوات الماضية، والأساليب المتبعة لإدارة ومتابعة هذه المشاريع، وتقديم المساعدات والدعم.

وكان الدكتور علي فهد الزميع وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية قد استهل أعمال المجلس بكلمة ألقاها في حفل الافتتاح أكد خلالها على ضرورة التصدي للتحديات الكبيرة التي تواجه الأمة الإسلامية في المرحلة الراهنة، مشيرا إلى عملية إعادة ترتيب الأولويات التي دخلها العالم مؤخرا، والتي نتج عنها وجود إصرار دولي على التصدي للمشكلات التي تواجه الفئات المحرومة في المجتمعات المختلفة، وفي مقدمة هذه المشكلات انخفاض مستوى المعيشة وتدني إنتاجية الأفراد المنتمين لهذه الفئات.

وقال د. الزميع: إن هذا الاتجاه العالمي نحن أولى بتبنيه في محيط عالمنا الإسلامي، مؤكدا على ضرورة الإسراع بعمل تقييم موضوعي لأداء مؤسساتنا المتخصصة في هذا المجال – ومن بينها صندوق التضامن الإسلامي – لكي تتمكن من تحمل مسؤولياتها المستقبلية.

وأضاف أن إحدى القضايا الهامة التي تتعرض لها مؤسسات العمل الإسلامي عامة هي أننا جميعا قد وقعنا في الماضي في خطأ منهجي في إدارة مالية مثل هذه المؤسسات، مشيرا إلى أن هذا الخطأ المنهجي يتركز في أن جميع الأجهزة كانت دوما تركز على برامج الإنفاق وأساليبه دون توجيه قدر مماثل من الاهتمام لبرامج تنمية أموال هذه المؤسسات والصناديق، وأوضح أن ظروف المرحلة الراهنة تستوجب أن تخضع أموال هذه المؤسسات إلى إدارة استثمارية محترفة، تراعي المعايير الشرعية، وتعمل على إدارة أكبر العوائد، ورفع معدلات تراكم رؤوس الأموال وحمايتها من المخاطر، وبالتالي تتحول من أموال تستنفذ في برامج الإنفاق إلى رؤوس أموال تدر عوائد متنامية تضمن لهذه المؤسسات استمرارية الأنشطة التي تضطلع بها، وعدم التأثر بدرجة كبيرة بأية أزمات مالية عالمية أو إقليمية.

حدد الدكتور الزميع المحاور الرئيسية التي

تستوجب البحث في ثلاث نقاط أساسية هي:

– النقطة الأولى: وتستدعي دراسة معطيات المرحلة الراهنة واستشراف طبيعة المرحلة القادمة وما تحمله من تحديات للأمة الإسلامية وشعوبها، وإعادة ترتيب أولويات العمل بما يتناسب مع هذه الظروف والتحديات.

– النقطة الثانية: وتتركز في كيفية تطوير أداء مؤسساتنا المتخصصة بحيث ينطلق عملها من نظرة استراتيجية للأولويات، ويتم تكييف مشاريعها وميزانياتها بما يضمن استمراريتها وإحداثها الأثر المطلوب في الأجلين القريب والبعيد.

– النقطة الثالثة: تتخلص في البحث في تطوير أجهزة الصندوق وآلية العمل بها بما يتناسب مع هذه المهام الجديدة وطبيعة المشروعات المستقبلية، الأمر الذي يوفر الطاقة المناسبة للإبداع في الأساليب، ويؤدي في النهاية إلى إعادة تأهيل كامل لهذه الأجهزة. ومن ناحيته أكد الدكتور حامد الغابد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي أن الوضع الراهن يفرض على الأمة الإسلامية مواجهة العديد من التحديات، بعضها من الأعداء، وبعضها ناتج من تناقضات في صلب صفوفنا، مما يستوجب العمل الدؤوب من أجل توحيد الصفوف والالتزام بتعاليم ديننا الحنيف، مشيرا إلى أن المأساة الخطيرة التي يعيشها اخواننا المسلمون في البوسنة والهرسك بسبب العدوان الصربي المستمر، جديرة ان تشحذ الهمم لتجنيد كافة طاقات الأمة الإسلامية، وتعزيز آلية العمل الإسلامي المشترك، وبخاصة عبر صندوق التضامن الإسلامي.

وقال: لقد بات من الواضح للجميع أن قوات الصرب الغاشمة تهدف إلى استئصال كل وجود إسلامي من أرض هذا البلد الذي يقع في قلب أوروبا، ولا يأبه المعتدي الغاشم في سبيل تحقيق أطماعه الدنيئة بأية أعراف أو قوانين إنسانية أو دولية، بل إنه قد تمادى في أعمال القتل الجماعي وحرق وتدمير المدن الإسلامية وأعمال النهب والسلب والاغتصاب.

أضاف الغابد أن الحديث يطول عن حجم التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وعن المواقف التي تستصرخ ضمائرنا، سواء تعلق الأمر بالبوسنة والهرسك، أو بالصومال، أو أفغانستان، فإن كل هذه المواقف تستدعي بذل المزيد من الجهود، وانني لعلى يقين من أن العالم الإسلامي قادر – بعون الله تعالى – على توفير الإمكانات اللازمة للتصدي لكافة التحديات التي تواجهه.

وأوضح أن الآمال معقودة على المجلس لدفع أعمال صندوق التضامن قدماً لخدمة القضايا العادلة لأمتنا الإسلامية، مشيرا إلى أن الصندوق حقق إنجازات هائلة، وأن الفضل في ذلك يرجع – بعد الله سبحانه وتعالى – إلى الدعم المادي السخي الذي قدّمته الدول الأعضاء لميزانية الصندوق، وللجهود الكبيرة المبذولة، حتى أصبح الصندوق محط آمال المسلمين في مختلف بقاع الأرض.

اختتم الحفل الشيخ ناصر بن عبدالله بن حمدان الزعابي – رئيس المجلس الدائم لصندوق التضامن الإسلامي – بكلمة أشار فيها إلى أن صندوق التضامن الإسلامي هو أحد إنجازات المؤتمر الإسلامي، وهو يعمل على تحقيق كافة أنشطة المنظمة في المجالات الثقافية والاجتماعية والدينية، من خلال شخصية اعتبارية مستقلة، بهدف رفع مستوى المسلمين في جميع المجالات.

ودعا الزعابي الأمة الإسلامية، دولا وشعوبا، مؤسسات وأفرادا، أن يبادروا بتقديم الدعم المناسب للصندوق – كل حسب قدرته واستطاعته حتى يتحقق أمل إسلامي مبارك في تقوية التضامن الإسلامي، يخلق لدى أمتنا الإسلامية القدرة الحقيقية في أن يكون لها شأنها المؤثر على مجريات الأحداث في هذا العقد.

من المعروف أن المجلس الدائم يتكون من ممثلي ثلاث عشرة دولة عضوا في منظمة المؤتمر الإسلامي، ومعالي الأمين العام للمنظمة، ويتم انتخاب أعضاء المجلس لمدة سنتين، من قبل المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية ويضم المجلس الحالي كلا من المملكة العربية السعودية، ودولة الكويت، ودولة الإمارات العربية المتحدة، وجمهورية مصر العربية، والمملكة المغربية، وجمهورية باكستان الإسلامية، وجمهورية الصومال، والجماهيرية العربية الليبية، وجمهورية النيجر، والجمهورية التونسية، والجمهورية التركية، وجمهورية بنغلاديش، وجمهورية العراق، ويتولى سعادة السفير ناصر عبدالله بن حمدان ممثل دولة الإمارات رئاسة المجلس الحالي، كما يتولى سعادة السفير محمد الفائز الشريف ممثل المملكة العربية السعودية نائبا للرئيس.

يذكر أن صندوق التضامن الإسلامي أنشيء بقرار من مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد في لاهور بجمهورية باكستان، ويوافق انعقاد الدورة الثامنة والثلاثين للمجلس الدائم الذكرى العشرين لتأسيس الصندوق. وقد قدم الصندوق خلال مسيرته أكثر من ١٢٩ مليون دولار أمريكي دعما لمئات المشاريع الإسلامية في جميع أنحاء العالم على النحو التالي:

– ٤٥١ مشروعا لمساجد ومدارس ومستشفيات.
– ٥٦٤ مراكز وجميعات إسلامية.
– ٥٩ جامعة ومعهداً إسلامياً.
– ٤٤ حلقة دراسية، ومخيمات للشباب المسلم ■

■ د. الغابد: مطلوب توحيد الصفوف في مواجهة التحديات الراهنة ■ الزعابي: نسعى لرفع مستوى المسلمين في جميع المجالات



التوصيات

أوصى المؤتمر بالعديد من التوصيات، منها:

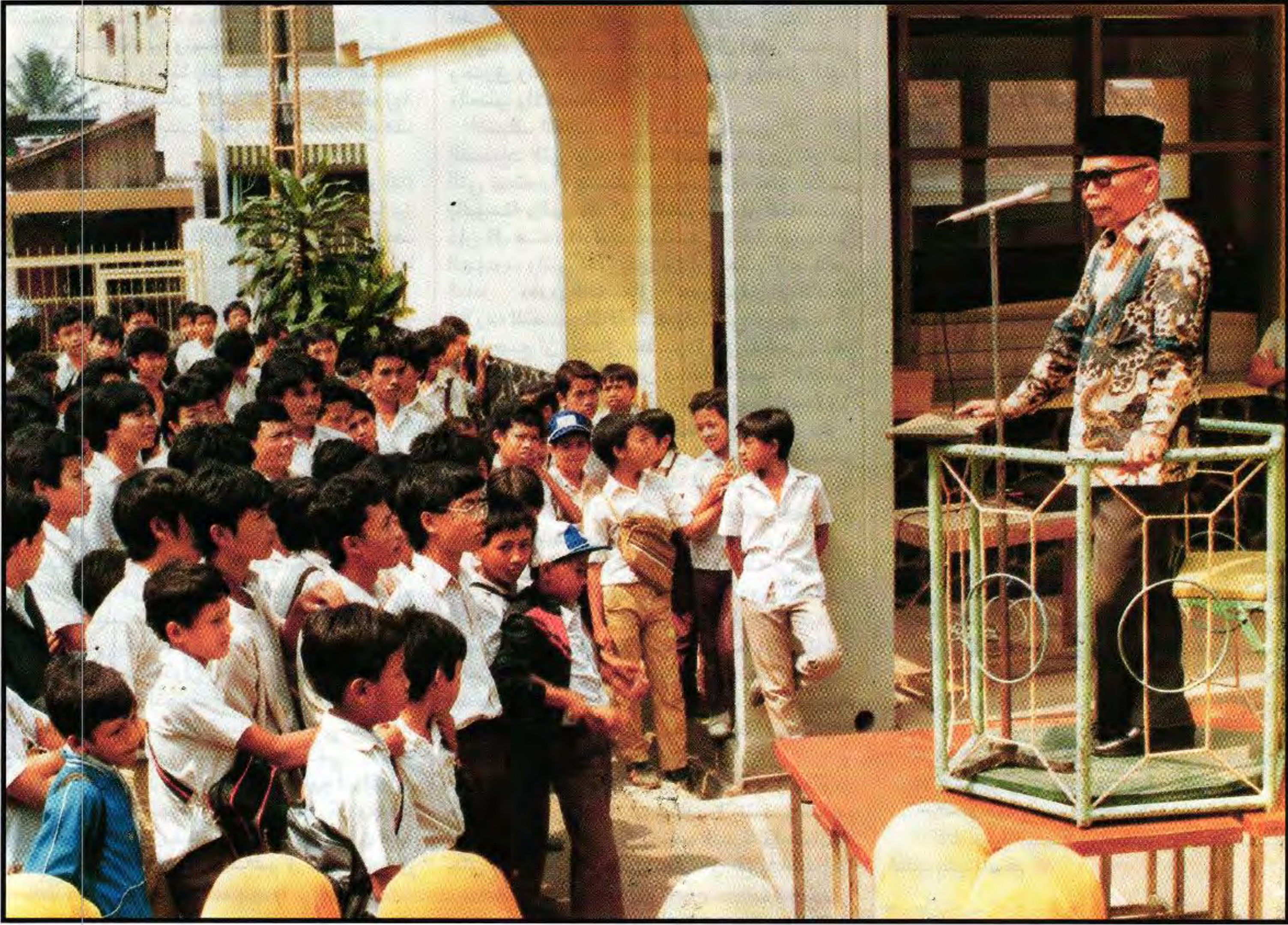
– إعطاء توجه جديد للاستثمار عن طريق المؤسسات الاستثمارية الإسلامية، بحيث يعطي المزيد من المردود المالي الذي يؤدي إلى الاستفادة منه في تمويل البرامج التي يتبناها الصندوق.

– تشكيل لجنة من الخبراء المتخصصين بالاستثمار المالي لإعطاء تصور حول كيفية استثمار الأموال الوقفية دون تحمل مصاريف كبيرة تثقل كاهل الصندوق.

– دعم المراكز والجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي، وتلقي طلبات سنوية من جميع الدول الإسلامية ودراستها وتمحيصها تمهيدا لتحديد المبالغ اللازمة، إضافة إلى مشاريع جديدة يقوم الصندوف بدعمها حسب اهميتها.

– إقامة مراكز إسلامية – وإنشاء مستشفيات ومستوصفات ودور لتدريب المعاقين واللاجئين.

– المشاركة في تخفيف آثار الكوارث الطبيعية، والاهتمام بالتعليم بمراحله المختلفة وبخاصة المرحلة الجامعية، حيث يتبنى الصندوق عدة جامعات كالجامعة الإسلامية باوغندا، والجامعة الإسلامية بالنيجر، وغيرها من مراكز التعليم العالي في العالم الإسلامي.



● طلاب أندونيسيون يستمعون الى كلمة توجيهية صباحية

واقع مناهج تعليم اللغـة العـربيـة وأهميـة نشـرهـا ومشكـلات تـدريسهـا في أنـدونيسيـا

بقلم الدكتور: عبدالكريم عوض هيازع

تشهد السنوات الأخيرة ازدياد الإقبال على تعلم اللغة العربية في أندونيسيا وفي البلاد الإسلامية، ولكن الظاهرة التي لا يخطىء أي شخص أو متأمل في ملاحظتها أن هذا المجال لا يزال يفتقد الكثير من البحوث والدراسات العلمية التي تشخص المشكلات والصعوبات والعقبات التي يواجهها الدارسون والمدرسون غير العرب وتساعده في تطويره إلى المستوى الذي يصل إليه مجال تعليم اللغات الأجنبية الأخرى.

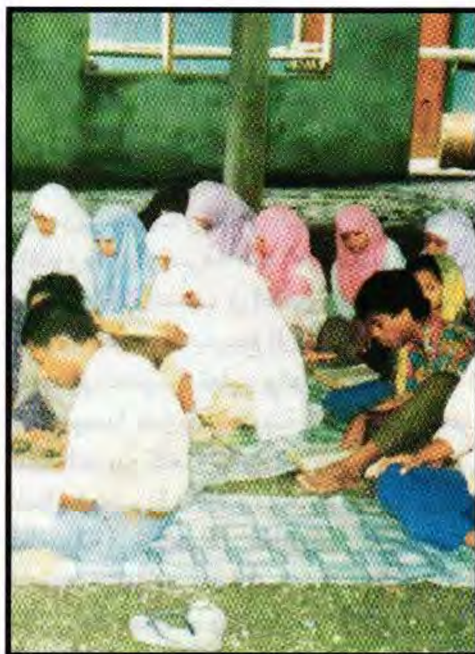
ولم نجد طريقة مدروسة على أسس علمية مسجلة أو منشورة وكل ما ظهر حديثا في هذا المجال كتب دراسية تطبيقية تهدف إلى التمرين بالاستماع إلى تسجيلات صوتية أو كتب تعتمد على الترجمة وأكثرها إن لم تكن كلها ترمي إلى أن يتعلم الدارس منها بعض الألفاظ العربية بنفسه، أو أن يتعلم بها فك الرموز العربية ومحاكاتها بالكتابة لم تلق بالا إلى خطة الدراسة أو الطريقة العلمية التي يسير عليها المعلم والمتعلم، أو المنهج الذي يجب أن ينفذ في وقت محدد أو تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة أو محددة.

ولم نلتفت كذلك إلى أعداد معلمين متخصصين ومؤهلين تأهيلا علميا ومهنيا ومدرسين تدريسا حديثا على طرائق تدريس العربية كلغة ثانية أو أجنبية أو تزويدهم بالمعينات والوسائل التعليمية الحديثة ولم تكن هناك تجارب وأبحاث سجلت نتائجها وأعدت للمعلم والمتعلم.

إقبال وجهود

ولكن هناك جهودا مشكورة في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها قام بها معهد العلوم الإسلامية والعربية التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وقد انشىء بمدينة جاكرتا عاصمة الجمهورية الاندونيسية عام ١٤٠٠هـ الموافق ١٩٨٠م. فإن تلك الجهود والانجازات التي حققها المعهد هي من ضمن نشاطات مشكورة في مجال نشر اللغة العربية في اندونيسيا. وكل ذلك جهد يذكر ويشكر ولكل من أسهم فيه وعمل على نشره. وعلى الرغم من الجهود التي بذلت في مجال نشر اللغة العربية في أندونيسيا، إلا أن هذا المجال مازال يعاني الكثير من المشكلات والقصور التي وضحت آثارها في ضعف مستويات الدارسين والمدرسين، مما دفع الباحث الاسهام بالكتابة للمجلة. فإن موضوع تدريس اللغة العربية وأهمية نشرها في اندونيسيا في حاجة إلى مزيد من انتباه الخبراء والمسؤولين بوزارة الشؤون الدينية بالجمهورية الأندونيسية بصفة خاصة والدول العربية عامة، وإلى المساندة الفعالة من قبل المنظمات والمؤسسات التعليمية العربية المعنية به من أجل أحياء لغة القرآن الكريم.

والمسلمون في اندونيسيا في شوق شديد إلى تعلم لغة القرآن الكريم، والمؤسسات



■ الاقبال المشهود على تعلم العربية في أندونسيا وغيرها يتطلب استراتيجية هادفة ليعطي الثمرة المرجوّة

التعليمية في حاجة ماسة إلى معلمين متخصصين ومؤهلين تأهيلا علميا ومهنيا، وكان من حق المسلمين غير العرب في أندونيسيا وفي شرق جنوب آسيا، أن يعلمهم العرب تلك اللغة الجميلة وهي لغة القرآن الكريم، ولكن التقصير من العرب فلم تلب هذه الحاجة أو تقدم الدول العربية العون الكافي في ذلك - على ما نعتقد - ولم تضع البرامج التي تتناسب مع مكانة اللغة العربية كلغة القرآن والعلوم والثقافة والمبادرات المفتقرة إلى الأساس العلمي بإرسال الكتب والمقررات الدراسية وتخصيص منح دراسية لمعلمي اللغة العربية في مجالات الدراسات الجامعية والدراسات العليا كما قدمت دول أوروبا وأمريكا لدول جنوب شرق آسيا.

ارتباط حضاري وثقافي

وهذا الأمر يتطلب منا سعيا جادا لأجل دفعة حضارية عربية إسلامية في مجال تعليم اللغة العربية. فاللغة العربية من أقوى وسائل الترابط بين العرب ومسلمي أندونيسيا الذين يتكلمونها أو يفهمونها وهي في الحقيقة أقوى من رابطة النسب والدم لأنها أساس العلاقات الدينية والحضارية والثقافية والاجتماعية بين العرب والمسلمين.

وإن ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، جعل مسلمي أندونيسيا يتمسكون لها بالفصاحة كما تمسك العلماء وجعل كثيرا من مجالات الدراسة وميادينها تتسع وتتشعب حول هذه اللغة الجميلة خدمة لعنوانها المقدس - «القرآن الكريم» فيها نقرؤه حق القراءة وبها نفهمه حق الفهم وبها نفسره حق التفسير وبها تدور حوله دراسات ودراسات.

مناهج تعليم العربية

إذا ما تتبعنا تاريخ طرق تدريس اللغة العربية في أندونيسيا، وجدنا أن أول الطرق التي اتبعت كانت - طريقة القواعد والترجمة - ولاتزال سائدة حتى الآن. وهي التي تعتمد على تعليم حروف الهجاء بالطريقة التقليدية ثم تعليم الكتابة والقراءة وبعد ذلك يقوم المتعلم بحفظ المفردات أو المحفوظات أي كلمات من اللغة مع معانيها بلغته الأم (الوطنية) ويكون التدريب بالترجمة في غالب الأحيان وهي طريقة عقيمة تتطلب وقتا طويلا ولا تؤدي في أكثر نتائجها إلى اتقان النطق أو القدرة على التعبير الشفهي أو التحريري. فإن هذه الطريقة تعتمد اللغة المكتوبة أساسا لها، وتهمل لغة الحديث الشفوي. وبذلك زاد ابتعادا عن الاستخدام الفعلي للغة الحديث، وفرضت على الدارس استخدامات قديمة لا علاقة بها ولغته اليومية الفعلية.

ولهذا فقد كان التركيز عند توصيفهم للغة كثيرا ما ينصب على الصرف والنحو. فكانوا يفردون الصفحات الطوال لتعريف الأسماء في الحالات التعريبية المختلفة ويفرطون (يفرطون) في تصريف الأفعال في أشكالها المختلفة. ولذلك كان هم دارس اللغة العربية يتركز على استظهار التعريفات للأشكال اللغوية بحيث أصبح ذلك هو الغاية القصوى ورحم الله العلامة ابن خلدون حين أشار إلى أن كثيرا من علماء اللغة انفسهم لا يستطيعون التعبير اللغوي السليم، رغم معرفتهم التامة بقواعد اللغة.

فطريقة القواعد والترجمة تنظر إلى الكتابة أو اللغة المكتوبة على أنها مادة التدريس وعلى

ذلك يكون الاحتكاك بالموقف اللغوي من خلال نصوص مكتوبة. وطبقا لهذه الطريقة فإنه لا يتوقع من الطلاب أن يتكلموا أو يتفكروا باللغة الأجنبية (العربية) ثم يترجمونها إلى اللغة الأم. أما الأنشطة اللغوية التي ركزت عليها طريقة القواعد والترجمة فهي قواعد اللغة وحفظ تصريفات أفعالها، والعناية بالهجاء والأملاء. وغالبية المدرسين الذين يلجأون إلى استخدام هذه الطريقة في التدريس لديهم سيطرة ضعيفة على اللغة الهدف (العربية) وخاصة التحدث بها.

فواقع مناهج تعليم اللغة العربية في أندونيسيا تكاد تخلو من التشجيع والترغيب وشحذ الفكر وهي تعتمد على عملية التلقين التي يقوم بها المدرس. فيفقد الطالب عملية التواصل والاتصال والتفاعل مع المدرس في التعليم، ذلك التواصل أو الاندماج الذي يمكن أن يشجع الطالب على استخدام اللغة للتعبير عن نفسه ورغبته. فالادعاء أن اللغة العربية لغة صعبة ادعاء غير صحيح. فما اللغة إلا مهارة من المهارات أو عادة تكتسب بالاستماع والتكرار والترديد. فتعليم اللغة هو تعليم مجموعة من المهارات اللغوية المعروفة. فهو إذن ليس كتعليم علوم الفيزياء والهندسة والرياضيات وغيرها. فليست عملية تعلم معرفة من المعارف هي نفس العملية التي تتم عند تعلم أو اكتساب لغة من اللغات ويؤكد ذلك العالم اللغوي ايس بيت كوردر في كتابه عملية تعليم وتعلم اللغة.

سلبيات تحتاج علاجا

ولعل هذه الطريقة العقيمة في تعليم اللغة العربية في اندونيسيا هي سبب الحكم على اللغة العربية بأنها لغة صعبة التناول، عسيرة على من يتعلمها وبالتالي أدت إلى ملل الطالب ونفوره، بل وكرهه أحيانا للغة العربية وقواعدها. والسبب في إصدار الحكم أن اللغة العربية صعبة يرجع إلى أن الطريقة التي اتبعت في عملية تعليم وتعلم العربية في أندونيسيا طريقة سلبية ولا تصلح لتعليم اللغة العربية كلغة ثانية أو أجنبية وهي التي تتمثل في طريقة القواعد والترجمة. فهذه الطريقة فرضت على الطالب دورا سلبيا لا تشجعه على المساهمة أو المشاركة الفعالة في النشاط التعليم والابتكار والتعبير الحر، فاغرقته في حفظ العديد من القواعد وقوائم المفردات والتصريفات والنصوص الأدبية مما يجعله ينفر من تعلم اللغة العربية.

والهدف من تعليم اللغة العربية في المعاهد والجامعات الإسلامية في أندونيسيا هو كوسيلة لفهم الكتب والتراث والثقافة الإسلامية وسبيل معرفة الدين الإسلامي. وإذا نظرنا إلى الهدف من تعليم العربية وإلى طرق التدريس لجميع المراحل التعليمية باختيار طريقة القواعد والترجمة وطريقة القراءة أو الخليط منهما في اندونيسيا لوجدناها لا تتفق مع ما تدعو إليه الاتجاهات الحديثة في التربية عامة في تعليم اللغات الأجنبية بصفة خاصة، والسبب في ذلك يعود إلى تخلف برامج التدريس والإشراف على المدرسين.

وهذه الطريقة هي لا شك من أقدم الطرق التي استخدمت في تعليم اللغات الأجنبية التي تجهد المتعلم بصعوباتها ومشقاتها، وكثيرا ما تثنيه عن عزمه وتقف به عن متابعة الدراسة. ولذلك فإن الجهد الذي يبذل في البحث عن طريقة ميسرة تسهل تعلمها وتطوير مناهج تعليمها في أندونيسيا جهد مطلوب ومشكور.

نظام التعليم في اندونيسيا

يتضمن نظام التعليم في اندونيسيا ثلاثة أنواع كما يلي:

١ – التعليم الحكومي : يتكون من المعاهد والمدارس والجامعات التي تشرف عليها وزارة التربية والتعليم والثقافة، وتقدم في هذا التعليم مقررات دراسية يغلب عليها الطابع الأكاديمي وتعتبر اللغة العربية مادة اختيارية.

٢ – التعليم الإسلامي : يتكون من المعاهد والمدارس والجامعات التي تشرف عليها وزارة الشؤون الدينية، وتقدم في هذا التعليم مقررات دراسية يغلب عليها الطابع الإسلامي والأدبي. كما تحتل اللغة العربية مكانة خاصة بين المقررات الدراسية فهي مادة أساسية طوال السنوات العشر التي يقضيها الطالب بدءا من المرحلة الإبتدائية حتى نهاية التعليم الثانوي.

٣ – التعليم الأهلي : يتكون من المعاهد والمدارس والجامعات التي قامت بجهود ذاتية أو المؤسسات التعليمية الخيرية ويشرف على هذا التعليم أما وزارة الشؤون الدينية أو وزارة التربية والثقافة وبالتالي فإن مناهج تعليم اللغة العربية في هذه المدارس تابعة لبرنامج تعليم اللغة العربية الصادر عن الوزارة التي تشرف عليها.

المشكلات التي تعرض تعليم العربية في اندونيسيا

وفي ضوء ما سبق ذكره يمكن أن نلخص بان المشكلات والصعوبات التي تعترض تعليم اللغة العربية في اندونيسيا هي كما يلي:

١ – إن واقع مناهج تعليم اللغة العربية في اندونيسيا لا تؤكد على تدريس جميع المهارات اللغوية الأربع المعروفة وهي



● من معاهد اندونيسيا

الاستماع والحديث والقراءة والكتابة، في حين تؤكد على مهارتي القراءة والكتابة لارتباطهما بالهدف المعلن من تعليم اللغة العربية وهو قراءة كتب التراث الإسلامي وهذا بالطبع لا يتفق مع الأسس الحديثة لتعليم اللغات الأجنبية.

٢ – تخلف طريقة التدريس المستخدمة في تعليم اللغة العربي، فهذه الطرق يغلب عليها الطابع التقليدي المتمثل في إغراق الدراسية في حفظ العديد من القواعد وقوائم المفردات والمحفوظات والتعريفات والنصوص الأدبية.

٣ – قدرة المعلمين المتخصصين في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. فمعظمهم تخرجوا في جامعات غير متخصصة في مجال إعداد معلمي العربية وهذا بالطبع يرجع إلى عدم وجود المدرسين الأكفاء والمؤهلين في تدريس العربية ونتيجة لذلك فإن عددا كبيرا – ان لم يكن جميعهم – من معلمي اللغة العربية فيها تنقصه الكفاءة. اللغوية وخاصة في التكلم بها، كما تنقصه الخبرات التدريسية مما يكون له الأثر السلبي على العلمية التربوية.

٤ – عدم توافر الوسائل التعليمية بأنواعها المختلفة والمعلمين المتخصصين والمؤهلين تأهيلا علميا ومهنيا في تعليم اللغة العربية والمدرسين تدريسا حديثا على طرائق تدريس العربية.

٥ – إن الكتب المقررة لا تراعي في تأليفها الأسس الحديثة لتعليم اللغات الأجنبية وان بعضها عبارة عن كتب التراث القديم التي يصعب تدريسها حتى لابناء العرب أنفسهم ولا تفرق بين كتب العربية المقررة للناطقين بها من أبناء العرب وللناطقين بغيرها من أبناء الدول الإسلامية.

أهمية تعليم العربية ونشرها في اندونيسيا

أما أهمية تعليم اللغة العربية ونشرها في اندونيسيا خاصة وفي جنوب شرق آسيا عامة فيمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

١ – إن هناك خطة خفية لنشر الفرقة بين المسلمين بانتزاع حبل اللغة العربية الذي يعتصمون به جميعا من أيديهم. فحينئذ يسهل تشويه تعاليم الإسلام بين من لا يعرفون اللغة العربية، عن طريق كتب ومنشورات ومطبوعات عن الإسلام بغير اللغة العربية يراد بها القضاء على الإسلام معنويا وفكريا بتشويه تعاليمه وبث السموم بين أتباعه. ولا يخفي أن مسلمي اندونيسيا يواجهون مخططات تبشيرية عالمية عن طريق تقديم منح دراسية لمستوى الدراسات العليا في مجال الدراسات الإسلامية واللغة العربية في أمريكا وأوروبا بشكل مكثف من خلال مؤسساتها العديدة والمنتشرة في اندونيسيا بهدف طمس شخصيتهم وتنصيرهم.

ب – إن اللغة العربية تحتل مكانة كبيرة في جميع مراحل التعليم في اندونيسيا خاصة في معاهدها وجامعاتها المنتشرة في جزر يبلغ عددها ألف وثمانين جزيرة على اختلاف لهجاتها ولغاتها وتقاليدها. فتعلمها إجباري في كل المراحل التعليمية من منطلق انها لغة القرآن وبها يتعرف الفرد على تعاليم الإسلام.

جـ – إن للغة العربية فضلا كبيرا في نشر حضارة الفكر العربي الإسلامي وتقدم العلوم والثقافات والفنون والآداب المختلفة. فهي اللغة العالمية للفكر والعلم والثقافة في العصر الحديث كما كانت في العصر الوسيط.

د – إن اللغة العربية تسهم بدور فعال وهام في مواجهة التحديات المعاصرة لأن انتشارها بين المسلمين يساعدهم على تفهم دينهم وتمسكهم بطاقتهم الروحية.

هـ – إن اللغة العربية هي وعاء القرآن الكريم ومركز الانطلاق إلى مدرسة القرآن والمنبع الأصلي للعلوم الإسلامية كلها، كما أنها تساعد على توطيد ركن التعارف وتوثيق التفاهم بين أبناء العالم العربي وأبناء البلدان الإسلامية الناطقين بغير العربية.

و – إن اللغة العربية ليست لغة خاصة بالعرب، وانما هي لغة المسلمين جميعا، لأنها لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة والتراث الإسلامي الخالد.



● طالبات في طابور الصباح

خاتمة

يعد هذا العرض السريع الموجز المتواضع لواقع مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في اندونيسيا والمشكلات والصعوبات التي تعترض تعليم اللغة العربية وأهمية تعليمها ونشرها في اندونيسيا، مؤكد بضرورة تطوير مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها والإفادة من العلوم اللغوية الحديثة والنظريات المتطورة في تدريس اللغات ومدى ملائمتها للغة العربية في جنوب شرق آسيا.

آمل أن يساهم هذا البحث المتواضع في إلقاء بعض الضوء على مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في اندونيسيا، وانه لا بد لنا من وقفة قصيرة لنتفحص فيها الأمر ونناقش فيها المشكلة ونتدارس فيها سبيل الحل وطرائق العلاج قبل أن تصبح لغة القرآن غريبة بين أبناء المسلمين.

ندعو الله القدير أن يمدنا بالعون والرشد حتى نستطيع أن نعيد لهذه اللغة مجدها ونسترجع عزها وازدهارها وان يجعل هذا الجهد المتواضع خالصا لوجهه الكريم وهو نعم المولي ونعم النصير ■

مفهوم الإبداع في الحضارة الإسلامية

بقلم الأستاذ: محمد علي وهبه

لا يسع أي دارس لتاريخ الحضارات سوى أن يشيد بالأصل الإسلامي للإبداع، بوصفه من أهم العوامل التي تقود مسيرة التطور الحضاري للبشرية في صورته الأكثر رقيا وتطورا.

ولا يعني ذلك أن الإبداع لم يكن موجودا قبل الحضارة الإسلامية، بل كان موجودا، لكنه لم يصل من حيث المفهوم والممارسة العملية المتقدمة إلى ما وصل إليه عند المسلمين، بل إن علماء الغرب برغم ما بلغوه من التطور الحضاري المادي المذهل، الذي نقلوا أسسه وأصوله ومناهجه العلمية عن علماء المسلمين، فإنهم لم يتوصلوا بعد إلى صياغة متعمقة، متسعة ومحكمة الإبداع كما هو معروف في الحضارة الإسلامية.

الابداع في اللغة

الإبداع في اللغة هو: (إيجاد أو اختراع لشيء غير مسبوق أو بلا مثال مسبوق).. ويقال (أبدع الشاعر) أي جاء بالبديع الذي بلا مثيل. والله بديع السموات والأرض، أي مبدعهما. والبديع هو المبتدع، والمبتدع أيضا. (والبِدْع) هو البديع أو المبتدع، ومنه قوله تعالى: ﴿ قل ما كنت بدعا من الرسل ﴾ [الاحقاف:٩].

كما أن هناك فرقا بين (الإبداع) و(البدعة)، فالبدعة هي (الحدث في الدين بعد الإكمال) (١). في حين أن الإبداع هو: (إيجاد لشيء غير مسبوق بمادة ولا زمان)، كما سيأتي بيان ذلك.

الإبداع في الحضارات القديمة

كان يتم تعريف الإبداع قديما، وبالنظر إلى مصدره، بأنه طاقة، أو قدرة غامضة تأتي من خارج الكيان الإنساني، وليس من داخله. وكان ذلك بالأخص لدى فلاسفة الإغريق، حيث كان التصور الشائع لديهم أن العبقرية



الفنية ما هي إلا ترجمة لحالة غريبة تتلبس الإنسان فيها روح شيطانية هي التي تسبب الإلهام.

فالمبدع عند المفسرين القدامى: (إنسان لا يستطيع أن يعرف ما يفعله، وكيف يفعله، لأنه مدفوع بقوة خارقة للطبيعة، وبعيدة تماما عن مجال الحس) (٣).

الإبداع في الحضارة الإسلامية

إن كان تفسير الإبداع لدى الإغريق مشوبا بالشطط، بما يجعل العملية الإبداعية لديهم ضربا من الخيال، أو الافتراض النظري المحاط بالغموض والغيبة، والذي لا يؤيده الدليل الملموس، ولا غرابة في ذلك، حيث اشتهر الإغريق بإشاعة الأفكار الفلسفية النظرية، والإغراق في الخيال، إلا أن الوضع يختلف عند علماء المسلمين إبان الحضارة الإسلامية الزاهرة، حيث تناول علماء المسلمين الإبداع نظريا وعمليا، وفقا للمنهاج العلمي الإسلامي المتقدم، وبمفهوم يتفوق كثيرا على ما توصل إليه علماء النفس المحدثون.

ومن ذلك على سبيل المثال ما جاء في التعريفات للشريف الجرجاني، في تعريفه للإبداع بمقارنته بالخلق والإحداث، أن الإبداع: إيجاد الشيء من لا شيء، والخلق: إيجاد شيء من شيء. قال تعالى: ﴿ بديع السموات والأرض ﴾ [البقرة:١١٧]. وقال جل شأنه: ﴿ خلق الإنسان ﴾ [الرحمن:٣] ولم يقل: (بديع الإنسان).

ويوضح الجرجاني الفرق بين الإبداع والخلق، ثم ينتقل إلى تعريف الإبداع بمقارنته بالتكوين والإحداث، فيقول: (الإبداع: إيجاد شيء غير مسبوق بمادة ولا زمان، وهو يقابل التكوين لكونه مسبوقا بالمادة، والإحداث لكونه مسبوقا بالزمان، والتقابل بينهما تقابل التضاد. فيكون الإبداع عبارة عن الخلو من المسبوقية بمادة، والتكوين عبارة عن المسبوقية بمادة) (٣).

والإبداع بمعناه السابق في التراث الإسلامي لا ينصرف إلى الإبداع الأدبي، أو النظري فقط، بل تتسع دائرته ليشمل الإبداع الأدبي والفني والعلمي. فكما نجد في التراث الحضاري الإسلامي الكثير من الإبداعات الأدبية والفنية، متمثلة في القصيدة والخاطرة والحكاية والمقامة والقصة والخبر، والطرفة، وغيرها من الأشكال الإبداعية الأدبية والفنية، نجد في نفس الوقت ما لا يندرج تحت حصر من الإبداعات العلمية والتجريبية، متمثلة في صياغة النظريات والقوانين العلمية التي لم تكن موجودة من قبل كنظريات ابن الهيثم والفارسي وغيرهما في الضوء، والنظرية الذرية

عند العلاف وابن حيان وغيرهما، وقوانين الجاذبية عند الحسن بن أحمد الهمداني وغيره، وقوانين الحركة (الميكانيكا) عند ابن ملكا البغدادي وابن سينا وغيرهما، وغير ذلك من النظريات والقوانين العلمية في مختلف العلوم الكونية، بل إن علماء المسلمين قد تميزوا بابتكار علوم جديدة كاملة، لم تكن موجودة من قبل، كعلم الجبر الذي ظهر على يد محمد بن موسى الخوارزمي وعمر الخيام وغيرهما.

وكذلك علم الكيمياء، الذي ظهر على يد كوكبة كبيرة من علماء المسلمين، منهم الإمام جعفر الصادق وجابر بن حيان والرازي وغيرهم، وعلم المعادن وطبقات الأرض (الجيولوجيا) عند نصر الدينوري والكندي والبيروني وغيرهم، وغير ذلك من الإبداعات العلمية، كالأجهزة الآلية والأدوات والمعدات المختلفة، التي كانت تستخدم في عصر الحضارة الإسلامية، والتي كانت وفقا للحقائق التاريخية تشكل النماذج الإرشادية لموجات الإبداع التي تفجرت ومازالت تتفجر في الغرب بعد أن نقلها الغربيون عن المسلمين، وأقاموا على أساسها ما يشهده العالم اليوم من مظاهر الحضارة الحديثة.

ويؤكد ذلك الكثيرون من علماء ومفكري الغرب ومستشرقيه، ومنهم الكاتب الفرنسي (رينيه ميليه) في كتابه: (الإسلام والحضارة الحديثة)، حيث قال: (هذا وإن كانت هناك حقيقة يجب أن نبينها، فهي أنه في الفترة التي تعارف فيها المسلمون والمسيحيون منذ انتهاء الحروب الصليبية إلى فتح القسطنطينية، كان الإسلام هو العنصر المؤثر، والعالم الأوروبي هو العنصر المتأثر. ومن جهة العلوم والآداب، فإن أوروبا لبثت ثلاثمائة سنة تقتبسها من المسلمين، وكانت أوروبا تجني ثمارها اليانعة) (٤)

والذي يجب الالتفات إليه في هذا المقام هو أن علماء الحضارة الإسلامية قد وضعوا تعريفا علميا متقدما للإبداع، ومارسوه بشكل علمي متقدم، ليس بوصفه طاقة غيبية كما كان لدى الإغريق، وإنما بوصفه نوعا من القدرات الإنسانية الفكرية والسلوكية والروحية والوجدانية، القابلة للنمو والتطور من خلال إعمال العقل والدراسة المتعمقة للعلوم المختلفة، ومن خلال الفكر والتأمل، والممارسة العملية الدائبة للعملية الإبداعية ذاتها.

■ الأصل الإسلامي للإبداع من أهم العوامل التي تقود مسيرة التطور الحضاري للبشرية

ولا غرابة في ذلك، حيث القرآن الكريم يحض على إعمال العقل، ويحض كذلك على الأخذ بالعلوم، والأخذ بالتفكر، أي التأمل العميق، الذي يساعد كثيرا في تنمية القدرات الإبداعية، كما يحض كذلك على الانفتاح على الشعوب الأخرى لتحقيق التواصل الارتقائي معها، كما في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾ [الحجرات:١٣].

ولفظ التعارف في الآية الكريمة يرتبط بمعنى المعرفة على إطلاقها، التي ترتبط بالحكمة وهي جماع العلوم والثقافات، حيث من خلال التعارف بالشعوب، والذي يتحقق من خلاله التلاقي والتواصل بين العلوم والثقافات والمعاوف المتباينة، ويتم التلاقح في نفس الوقت فيما بينها، ومع إعمال العقل والتفكر، أي التأمل في المتوافق والمتجاذب من هذا التلاقح الثقافي والمعرفي يمكن أن يولد الإبداع، الذي هو مفتاح الارتقاء الحضاري في كل زمان ومكان.

الإبداع في الحضارة الحديثة

يقترب علماء النفس المحدثون إلى حد كبير في تحديدهم لمعنى الإبداع من ذلك المعنى

■ يرتبط لفظ (التعارف) في القرآن الكريم بمعنى المعرفة على إطلاقها

الفذ، الذي حدده له علماء الحضارة الإسلامية. ففي دراسة علمية حديثة للإبداع، خلاصتها أن المبدع هو إنسان لا يختلف كثيرا عن الآخرين كما كانت التصورات الفلسفية القديمة تعتقد خطأ في ذلك، بل أنه شخص يختلف في مقدار الخصائص والقدرات الدالة على الابتكار والتجديد.(٥).

ووفقا لذلك، يمكن تعريف الإبداع بأنه: (مجموعة من القدرات العقلية العامة تمنح الشخص القدرة على البحث عن الجديد وإنتاجه) (٦).

وفي قواميس اللغة الإنجليزية الحديثة، وضعت عدة تعريفات للإبداع. من ذلك: أن الإبداع (Creation) هو الإيجاد (Finding)، والاختراع (Device) والابتكار (Invention)، والخلق (Cyeation). مع ملاحظة أن كلمة الخلق (Creation) في قواميس اللغة الإنجليزية تحمل أكثر من معنى، حيث تعني: (الخلق والتكوين والإحداث والإبتداع).

ووفقا للتعريف الأكثر تطورا للإبداع عند المسلمين، فإن هناك بوناشاسعا بين الإبداع والخلق من ناحية وبين الإبداع والتكوين والإحداث من ناحية أخرى، كما سبق الإشارة إلى ذلك ■

الهوامش:

١) مختار الصحاح، للشيخ الإمام أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ترتيب السيد محمود خاطر، دار النهضة، القاهرة.

٢) الإنسان وعلم النفس، تأليف د، عبدالستار إبراهيم، عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جمادى الأولى ١٤٠٥هـ، فبراير ١٩٨٥م.

٤) الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية، د،فاطمة محجوب، جـ ١١، دار الغد العربي للنشر، القاهرة ١٩٩٣م، عن التعريفات للشريف الجرجاني، تحقيق وتعليق د، عبدالرحمن عميرة.

٥) آراء فلاسفة وعباقرة الغرب في الإسلام، زكريا هاشم، المكتبة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

٦) الإنسان وعلم النفس، مرجع سابق.

٧) المرجع السابق.

عَبَرت المرأة مـراحل التـاريـخ منـذ بـدء الخليقـة على الأرض، وواجهت في رحلتهـا الطـويلة، الكثير من التقلبـات والتغييرات المفـروضـة عليها، ولم تحظ من العنـايـة والتكريم وسمو المكانة بالقدر الذي كرمها بـه الإسلام ورفع من شأنها عنـد الله عـز وجل إن هي صلحت وأنابت.

تحقيـق: نبـــال نخّـــال

في القرآن الكريم عدد من الآيات الكريمة تبين المنزلة التي خص بها الله المرأة

المرأة والإسلام

وقد صحح القرآن الكريم النظرة والتصور عن البنات، والتي كانت ومازالت ذائعة الصيت في المجتمعات الجاهلة، فوجه العقول إلى تصحيح هذه النظرة واعتبرها المخلوقة المكملة للرجل والمتساوية معه في الحقوق والواجبات، والثواب والعقاب، كقول الله عز وجل: ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [التوبة:٧١].

وإذا ما قرأنا القرآن الكريم وجدنا عدداً كبيراً من الآيات الكريمة التي تبين المنزلة التي خص بها الله سبحانه وتعالى المرأة، ونحن بدورنا ارتأينا أن نقف عند بعض الفتيات ومفهومهن لهذا الدين الحنيف ولسنا هنا بصدد التعميم، ولإلقاء ضوء على جانب صغير من جوانب التفكير النسوي وما يترتب عليه من غشاوة أو وضوح إلمام بأمور الدين وفهمها أو جهلها لمجرد الهروب منها!

الإسلام هو الحياة

(الإسلام هو حياة متكاملة، وكما أن للحياة حيويتها ونشاطها، أيضا للإسلام هالته وطاقاته، فهو ليس مجرد صوم وصلاة وزكاة وما يتبع ذلك، بل هو إحساس بنعم الله عز وجل وتقدير للحياة البشرية حيث يصقلها ويهيئها لإتمام ما يرضي الله بالدرجة الأولى، ومن ثم المجتمع).

هذا ما بدأت به حديثها الآنسة (نجوى. ب) حيث عرفت الإسلام بمفهومها الخاص، ثم تعرضت لعدة جوانب للحياة الإسلامية بادئة بإبراز طاقاتها الشخصية:

بين الحجاب والنقاب

** أنا طالبة سنة ثانية طب بجامعة

الكويت، من عائلة مسلمة ومحافظة جدا، ارتديت الحجاب منذ ٦ سنوات بمطلق إرادتي ودون أية ضغوطات عائلية. واعتبر أن أهمية الحجاب تكمن في الالتزام به، أي الابتعاد عن كل ما حرّمه الإسلام.

* كيف يمكنك تطوير حجابك، بمعنى هل أنت مقتنعة به هكذا أم أنك تشعرين بنقص ما؟

** الحقيقة أن عندي رغبة قوية في ارتداء النقاب، لأنه بنظري أن العين تزني والفم يزني وكل شيء في وجه المرأة أيضا يوحي بالإغراء. وأرى بأن النقاب سوف يمنع كل هذه المساويء، إلا أنني واقعة الآن أمام مشكلة وهي ما مدى التزامي بروابط النقاب خوفا من الإساءة إليه. فالنقاب سيحد من سلوكياتي حيث يتحتم عليّ خفض الصوت، وغض البصر، وغيرها من الأمور التي يمكن أن تظهر نقابي على شكل موضة أو بلا معنى.

* لكن الا تغضين الطرف، وتخفضين الصوت وتمتنعين عن الضحك بصوت عال وأنت هكذا بالحجاب من غير نقاب؟

** بلى لا أنكر ذلك لكن النقاب سيمنعني بشكل أقصى، وأنا بصفتي طالبة في جامعة مختلطة فسوف اتحرّج كثيرا للتقيد التام بالنقاب، وهنا تكمن الصعوبة في الموضوع.

الاختلاط في أضيق الحدود

* بما أنك تطرقت إلى موضوع الاختلاط فما هو رأيك فيه؟

** في هذه الأيام نراه شيئا عاديا جدا مع أنه مغالط لمفاهيم الإسلام.

* وكيف ذلك؟

** يعني ترين الفتيات والشبان يجلسون معا ويتحدثون بشتى الأمور، عن حياتهم الخاصة، عن برامج التلفزيون وآخر صرعات الموضة، أما بالنسبة لي فلا أرى ضرورة للتحدث مع



● المرأة تشارك في دراسة الاوضاع في العالم الإسلامي

أي شاب إلا في حال عجزي عن حل مسألة ضمن الدراسة، فإنني أسأل الزميلات وإذا لم أوفق حينها انتقل إلى زميل للاستفسار لكن لا أخرج عن النطاق الأكاديمي أبدا.

* لكن ماذا عن المستقبل والاختلاط مع المرضى من الجنسين؟

** سوف تكون كلها ضمن العمل إن شاء الله.

واقع العالم الإسلامي

* كيف تقفين على حال المسلمين في العالم؟

** المسلمون مستهدفون اليوم من قبل المشركين واليهود وهناك سياسة عالمية للقضاء على الدين الإسلامي من خلال دس الأفكار الصهيونية عبر وسائل الإعلام، وتصدير كل ما يشوش تفكير المسلمين، هذا فضلا عن المجازر التي ترتكب بحقهم في بقاع عديدة من العالم مثل البوسنة والهرسك، فلسطين، الهند.. وغيرها.

* هل أنت مع تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية؟

** طبعا، ولكن بشكل يسير، لأن الصراحة صعبة خصوصا في عصرنا الحالي، لذلك يمكن البدء بتطبيقها خطوة خطوة، على الأقل حتى يعم الرادع الديني وينال كل ذي حق حقه. فالإسلام هذه الأيام صلاة في مسجد، صدقات وزكاة، حج وصوم، والمسلمون بعيدون عن منهج الوعي الإسلامي المتكامل إذا ما قسناه مع زحف الأفكار الغربية وبالتالي تأثيرها على النشء المسلم.

* أين تكمن مظاهر البعد عن الإسلام برأيك؟

** كوني كويتية، فإنه يمكنني التحدث ضمن إطار المجتمع الكويتي والذي لا يخلو من تلك المظاهر، فمثلا نسمع هذه الأيام (بالواسطات) أو (الرشاوى)، و(المخزي) بهذه القضية هو اقتناع الناس بها واعتبارها وسيلة لقضاء حاجاتهم، وهذا أمر لا يرضي الله سبحانه وتعالى حيث لا عدل في تقسيم المراكز والأرزاق. وهناك مسألة أخرى تتعلق

المرأة و الإسلام

بـالـزواج، حيث نرى بعضـا من عـادات الجاهليـة مازالـت تنتشر بين عدة قبـائل وعشـائر خليجية، حيث مـازال تـزويج الفتاة أمرا قصريا، مع أن الإسلام قد منح الفتـاة حريـة القبول أو الـرفض، ونحن نـرى أنه إذا تقـدم شاب مسلم ومتـدين يرفضه الأهل لمجرد انـه غير كويتي مثلا أو من عشيرة لا تنـــاسـب عشيرة أهل الفتاة حتى لو كانت هي تريده.

وتضيف الآنسـة نجـوى قـولها: هـذا فضلا عن غلاء المهور.. وعن تهور بعض الشبـاب، ولا يخفى على أحـد مـا يفعلـه الشبان؛ خـاصة خـلال فترة سفرهم إلى الخارج؛ من أشيـاء لا تـرضى اللـه ولا العباد.

تربية الفتاة المسلمة

* كيف تقيمين تربية الفتاة المسلمة في عصرنا الحالي؟

** لقد حث الإسلام المرأة على طاعة الرجل وحفظ عرضه وماله، وستر أسراره، وما إلى ذلك من أمور تعزز أواصر الزواج، لكننـا لـلأسف نخطيء في تربيـة الفتـاة حيث اعتادت على الدلال وحيـاة الرفاهية منذ الصغـر، حتى سلمت أمرهـا كله إلى الخادمة والسـائق والطباخ، وكلهـا أمور من شأنها أن (تكبر رأس المرأة)، وهنـــا تبـدأ المشاكل منـذ الأيام الأولى للـزواج، لذلك؛ والعياذ بالله؛ نرى كثيرا من حالات الطلاق المبكر.

مسؤولية الجو الأسري

أمـا الآنسـة (سندس القبندي) فترى أن الجو الأسري هـــو المســؤول الأول والأخير عن تربيـة الفتاة تربية إســلامية صـالحة، لأن المدارس أصبحت منفتحـة وفيهـا كل ما يخطـر على البال من أفكـار جيدة ورديئة وعادات دخيلة على الإسلام، بالإضـافة إلى تأثير التلفاز والـراديو على العقل. فإذا استطاع الأهل الإمساك بزمام الأمـور مع تهيئة أولادهـم إسلاميـا فإن ثمار عملهم تأتي كما يرضى الله تعالى.

* وما هو تعريفك للحجاب؟

** إنه من الأمور المسلمة، بل فرض على كل مسلمـة، فإذا كـانت الفتاة تقـوم بكل فرائض دينهـا فلماذا لا تتحجب، مع أنه زينتهـا التي تميزها عن غيرهـا كفتاة مسلمـة شرط أن يكـون بـالصـورة التي أرادها الله سبحانـه وتعالى، وبالنسبة لي فقد كـان أمر تحجبي ميسرا والحمـدلله، ولم أشعر يوما أنه يشكل عبئا أو ثقلا، بل هو فخري وأطلب من رب العالمين أن يثبته عليّ بـالستر والسـلامـة. وبـالنسبـة إلى النقـــاب فإنني أراه غير عملي خـــاصـــة للطالبة والعاملة.

وتضيف: إننا نكشف الوجه والكفين في الحرم الشريف وعند الصـلاة، وهل هناك أفضل من الوقوف بين يدي الله.

الاختلاط والإحراج

وعن رؤيتهـا للديـن الإسلامي في هـذا الوقت تقول:

** لم يعد الإسلام يطبق كالسابق، حيث اصبحت المنوعـات (مسموحات)، كـالاختلاط، وبـالنسبة لي فإنني أشعـر بالإحـراج داخل قاعة المحاضرات خـاصة عنـدما يعلق الشبـاب على أمور محرجـة بالنسبـة للفتيات، هـذا بالإضـافة إلى أن المرأة بقيت تطالب بمساواتها مع الرجل، حتى وصل الأمـر بـالـرجل للمطـالبـة بمساواته معها، وهذا أمر لم يعهده أباؤنا وأجـدادنـا، فيجـب أن يكـون لكل جنس حدوده التي منحه إياها الإسلام.

مسؤولية الاعلام الاسلامي

وعن وضعيـة العالم الإسـلامي اليـوم تعلق سندس:

** من يطلع على تاريخ الفتوحات الإسـلامية والحضـارة التي تبعتهـا من نهضات علمية وثقافية ساهمت في وضع الأسس لكثير من الاختراعات التي تبناها الغرب، يأسـف لحال المسلمين لما تشهده هـذه الأمـة من هـزائم يعـود سببهـا إلى الاضطهـــاد والمذابـح اليـــوميـــة التي تـــرتكب بحق المسلمين في شتى انحاء العالم.

والغريب بالأمر أننا لا نسمع أن بلدا ما فيـه هذه النسبـة الكبيرة من المسلمين إلا بعـد أن تحدث فيهـا مـذابح بحقهم، كما حصل في البـوسنـة والهرسـك وألبـانيـا وغيرها مـن البلدان، ويقع اللـوم هنا على الإعــلام الإسـلامي لتقصيره في إبــراز أخبار المسلمين وديموغرافيتهم في العالم.

الحجاب: خطوة خطوة

أما الطالبـة منال خالد (طـب مساعد/ عـلاج طبيعي)، تعترف بـأنها تفكـر ٢٤ ساعة بوضـع الحجاب، إلا أن هذه الخطوة مازالت صعبة بالنسبـة إليها حيث تقول إنها تضعـه في المنزل للتجـربـة، ومن ثم تنـزعـه عنـدما تفكـر أنها سترتـديـه في الخارج أمام عيون النـاس. وتتحدث عن نفسها قائلة:

** أنا فتاة طبيعية لا اتبرج، وشعري طبيعي لا أصبغـــه، ثيـابي محتشمـــة، وحركاتي منضبطـة، بينما بصراحة أرى الكثيرات مـن المحجبـــــات يسئـن إلى حجـــابهن عن طـريـق ارتـداء الثيـــاب

■ صحح القرآن الكريم

النظــــرة والتصــــور

الجاهلي عــــن المرأة

الضيقة، وإبراز خصلات من الشعر من تحت الحجاب، فضلا عن المغالاة في التبرج، وأنا بصراحة لا أفعل هذه الأمور مع أنني غير متحجبة.

وتضيف: والأسوأ من ذلك أن هناك فئة من المحجبات تشكل لنفسها حزبا حيث يبتعدن عن أمثالي وينظرن إلينا نظرة دونية مع أننا لا نقوم بأشياء تغضب الله، فأنا والحمدلله أصلي وأصوم واشترك في كفالة يتيم.

* لا يمكنك الجزم بهذا الموضوع، بل تعرفي على المحجبات الصالحات وهن كثر واحذي حذوهن.

** لا انكر وجود المحجبات الصالحات، ولا انكر انني أغبطهن لأن الله هداهن، وادعوه عز وجل أن يهديني إلى الصراط المستقيم.

الاعتدال ثمّ الاعتدال

* كيف تحددين مفهومك للدين الإسلامي؟

** الاعتدال ثم الاعتدال، والسير على هدى الرسول ﷺ فطول اللحية أو تقصير الدشداشة ليس مقياسا للباس التقوى، المهم البعد عن الرياء، كأن لا يقول الذي يصلي أنا أصلي، أو أزكي، أو يرمز إلى أشياء تبين تعمقه بالدين.

* لكنك ذكرت أكثر من مرة أنك تصلين وتصومين وتزكين، فماذا تفسرين ذلك؟

** إنني لا أقول ذلك لأبين لك أنني متدينة بل لأبرز رأيي وهو أن الحجاب ليس مقياسا أوليا للتدين بل هناك أمور أخرى تسبقه.

* وماذا عن النقاب؟

** إنني لا أراه فرضا من فرائض الإسلام، لكن يمكن للمرأة أن تضعه في حال ما إذا كانت فائقة الجمال لدرجة أنها تبهر الذي يراها.

* هل تطالعين الكتب الدينية؟

** حسب الظروف، فأحيانا تريني أواظب على المطالعة، وأحيانا اتكاسل، وأحب قصص الصحابة بالدرجة الأولى.

الاسلام حياة متكاملة تجمع بين خيري الدنيا والآخرة

احذروا الآفات الاجتماعية

* ما هي برأيك الآفة الاجتماعية التي تسيء إلى سمعة الإسلام والمسلمين؟

** على رأسها آفة التناقض، والغيبة، وعدم الشعور بالغيرة على الدين وعلى المسلمين، وقطع الأرحام والعياذ بالله، والتزوج من المشركات، أو المشركين، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، وغيرها من الأمور التي يتخبط بها المجتمع ككل.

رحلة الانتقال من السفور إلى الحجاب

وابتدأت الآنسة (رباب. ع) حديثها بقولها:

قال الله تعالى: ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ [النور:٣١].

وتضيف: لقد انتقلت من مرحلة السفور إلى مرحلة النقاب مباشرة وذلك باقتناع تام والحمدلله، ومن غير ضغوطات أو تأثيرات من جماعة دينية، فقط توقفت عند هذه الآية الكريمة وقلت هذا هو الإسلام للمرأة وهذا هو الحجاب الذي يأمرنا به الله عز وجل.

* إلا تواجهين صعوبات بشكل عام؟

** طبعا وفي كل خطوة أقوم بها، والسبب يعود إلى اعتبار النقاب شيئا رجعيا لا يواكب عصرنا الحالي وأكثر مايزعجني نظرة الغير لي، مثلا في أثناء قيادتي للسيارة أرى المارين أو السائقين على جانبي الطريق يرمقوني بنظرات الاستغراب، وأحيانا السخرية.

أيضا اضطر أحيانا للذهاب إلى المطعم، فتجدين الناس مذهولين من طريقتي في تناول الطعام حيث أرفع النقاب قليلا وأدخل يدي إلى فمي.

* وما رأيك بغير المنقبات؟

** لا أجد اختلافا كبيرا بين المنقبات وغير المنقبات، لكن النقاب أضمن وأستر، لكني أعذر غير المنقبات، لأن النقاب يحتاج إلى مجهود كبير فهو جهاد وخاصة في أيامنا هذه حيث المرأة تعمل وتدرس وتخرج من المنزل وتتعامل مع الرجال في الأسواق.. وادعو الله عز وجل أن يهديهن إلى الأفضل.

* أراك منقبة على الأصول لا تبرج ولا عطور فماذا عن اللواتي يغالين في تبرجهن مع وجود النقاب؟

** إنهن يسئن للحجاب بشكل عام، وكلنا يعلم أن إخفاء الوجه مع إظهار عينين متبرجتين شيء مغر ويزيد من الجمال.

اكتفيت من الأخوات بهذا القدر، ومازال في جعبتي وجعبتهن الكثير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ■

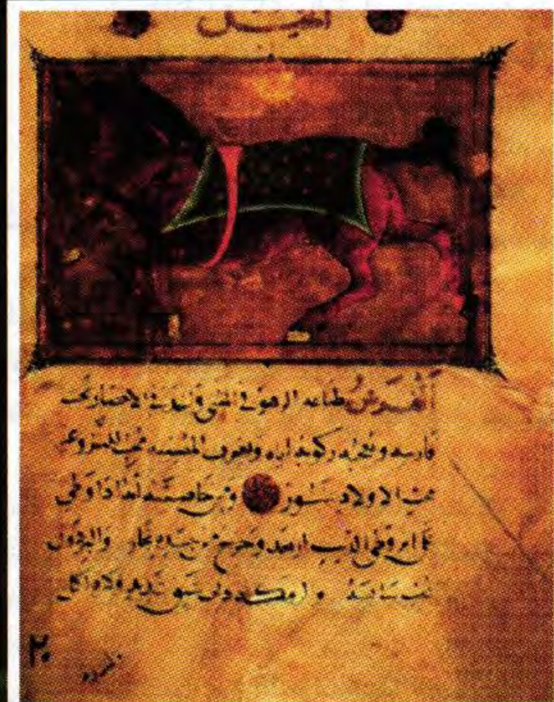
□ هل يعيد التاريخ نفسه فنشهد محاكم تفتيش معاصرة ؟

بقلـــم : بهـــيج بهـجـــت سكيك

الموريسكيون

مسلمون عرب نسيهم التاريخ

● المسجد الجامع في أشبيلية وقد انقلب كنيسة



● مخطـــوط عـن الخيل بمكتبة الأسكوريال بمدريد

بثت كل وسائل الإعلام المرئية والمسموعة أخباراً عن رصد الأقمار الصناعية الروسية لتحركات القوات المسلمة في البوسنة وتقديمها للصرب، وعن إمدادات بالعتاد والرجال إلى هؤلاء الصرب من رومانيا وبلغاريا. وعن عجز منظمة الأمم المتحدة، وتقاعس المجموعة الأوروبية لوقف هذه المجزرة. لم يستح رئيس الصرب حين أعلن عن رفض (قيام دولة إسلامية) في أوروبا بل تكرر هذا التصريح من أكثر من مسؤول في القارة الأوروبية، ولم تخف روسيا تأييدها لجورجيا.. ضد اذربيجان.. ولا وقوفها إلى جانب الهند ضد باكستان في مسألة كشمير.

كما فتحت المجموعة الأوروبية أحدث ملف لطاجيكستان المسلمة إلى جانب ملفات الصومال - اريتريا - جنوب السودان - أفغانستان - جنوب الفلبين والملف الدائم لفلسطين.

التاريخ يعيد نفسه

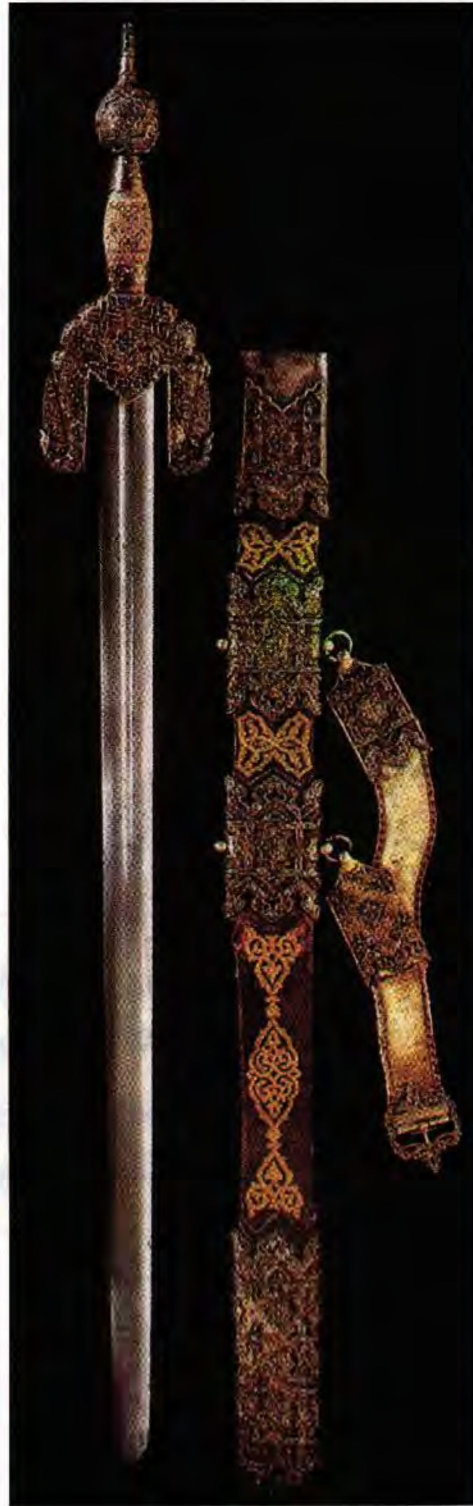
ما يحدث اليوم في البوسنة والهرسك حدث بالأمس مثله (للمورسكيين) عرب أسبانيا ومسلميها.. ما نكتبه اليوم تذكرة.. لعل الذكرى تنفع المؤمنين.

الأندلسيون الموراكة - المورسكيون - هم العرب الذين بقوا في الأندلس في ممالك قشتالة وغرناطة وارغون وبلنسية، بعد سقوط مملكة (غرناطة) بأيدي المسيحيين الفرنجة في الثاني من ربيع الأول سنة ٧٩٧هـ (٢ يناير - كانون الثاني - سنة ١٤٩٢م) والذين أجبروا على التنصير سنة ١٥٠٢م. وفي بلنسية حيث نصرهم الرعاع بالقوة ١٥٢١م.

وكلمة (مواركه) أو (مورسكيين) تعريب لكلمة "Moriscos" القشتالية وهي تعني (النصارى الجدد) أو (النصارى الصغار) وقد يظن بعضهم أن المورسكيين شعب لا يمت إلى العرب بصلة.. إنهم من أصول عربية صميمة.

بداية المأساة

بدأت مأساة هؤلاء العرب المسلمين حين انطلقت من أبراج قصر الحمراء ثلاث طلقات مدفعية وهي الإشارة المتفق عليها لتكون



● سيف آخر ملوك الأندلس (أبو عبد الله)

بداية انطلاق العسكر الأسبانية من حصن شنتفي (سانتافي) الذي يبعد عن مدينة غر ناطة ١٢ كيلو مترا وزحفت صوب المدينة المنكودة الحظ التي لم تجد من بنيها وذويها من يقوى على حمايتها.

سبق تسليم آخر معاقل المسلمين في الأندلس مفاوضات شاقة بين آخر ملوك بني نصر في الأندلس (أبوعبدالله محمد بن علي) والملك فرناندو وزوجته إيزابيلا ملكي قشتالة وارغون. وكان يفاوض عن الملك ابى عبدالله وزيره يوسف بن كماشة الحضرمي، وحاكم المدينة في غرناطة الوزير أبوالقاسم بن عبدالملك المليخ، أما فرناندو وإيزابيلا فكان مفاوضيهما هما سكرتيرهما (فرناندو دي ثافرا) وقائدهما العسكري (غونثالو دي كوردوبا).. وقد أسفرت المفاوضات عن اشتراط سبعة وستين شرطا.. كما جاء في نفح الطيب للمقري.. وستة وخمسين شرطا فقط كما ذكر الدكتور عنان، ويرى فريق ثالث أنها كانت ستة وخمسين شرطا ضمن معاهدة سرية سابقة في ٢٥ نوفمبر سنة ١٤٩١م ثم زيدت الشروط في أثناء المفاوضات الأخيرة.

شروط التسليم

ومن هذه الشروط: تأمين الصغير والكبير في النفس والأهل والمال، وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم، وإقامة شريعتهم على ما كانت. ولا يحكم على أحد منهم إلا بشريعتهم، وأن تبقى المساجد كما كانت، والا يدخل النصرانى دار مسلم ولا يغصبوا أحدا ماله، غير أن ملكي غرناطة الجديدين - فرناندو وإيزابيلا) لم يوفيا بأي شرط من تلك الشروط.

استسلام مهين

وفي يوم التسليم أقام فرناندو في مسجد حوّله إلى كنيسة تعرف الآن باسم كنيسة القديس (سباستيان) وتقع جنوب غرناطة وانتظر قدوم الملك العربي ومعه حاشيته وحوالي ٥٠ فارسا. وتذكر المصادر الأجنبية أن الملك المخلوع قال للملك الظافر: (أيها الملك المعظم خذ مفاتيح هذه المدينة، بل المملكة، بل الجنة، لأن القدرة الآلهية شاءت ذلك، وإننا لواثقون في جودك وكرمك وعطفك وحنوك) فعانقه الملك فرناندو ووعده بصداقته.

وعندها خلع الملك العربي خاتمه الذهبي الذي يمثل طابعه الرسمي ودفعه إلى الحاكم العسكري الجديد لغرناطة قائلا: لقد حكمت أنا غرناطة بهذا الخاتم فخذه أنت واحكمها الآن، وليمن الله عليك بالتوفيق أكثر مني.

عبر الملك أبوعبدالله الصغير (شانيل) في طريقه إلى جبل البشارة (سييرا نيفادا) حيث

اقامتـه الجديدة وتوقف عنـد نقطة تطل على غرناطة والتفت إلى مملكته السابقة لآخر مرة وبكي فنهـرته أمـه عـائشة وقـالت لـه بيت الشعر الذي صار شهيرا:

ابك مثل النساء ملكا مضاعا
لم تحافظ عليه مثل الرجال

عنـد هذا المكـان يقف السواح الآن ليطلـوا على (وادي الحسرات) وهو المكان الذي أطلق منه المغربي آخـر حسراته، "EL- Ultimo Suspiro de Moro".

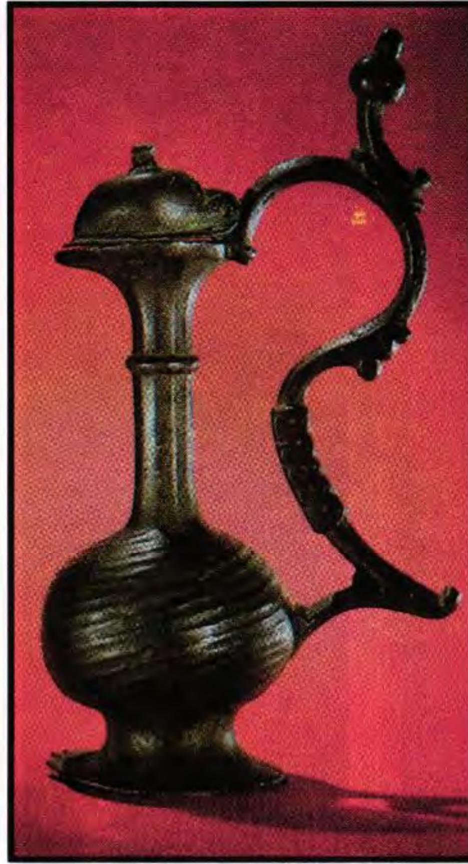
لم تطل إقـامـة الملـك العـربي في جبل البشارة، فقد باعت الملكـة ايزابيلا ما أقطعته للملك من أراض وهـو مـايزال يعيش فيهـا، وأشعرتـه بأن وجوده غير مـرغوب فيـه بعد الآن – فعبر العدوة إلى مليلة واستقر في مدينة فاس بالمغرب إلى حين وفاته سنة ١٥١٨م.

لغة الأرقام

قـــدر عـــدد السكان في ممالك أسبانيا وإماراتها حـــــوالي ٨,٣٥٠,٠٠٠ نسمـــة حسب إحصاء جـرى في قشتالـة وارغون ونـافـار سنـة ١٤٨٢م كـان الهدف منه جبـايـة الضرائب منهم ٦,٦ مليـون نسمة في مملكـة قشتالـة وحدها، و١,٤ مليون نسمة في ارغون و١٣٥ ألف نسمـة في جزر البليـار شرقي الأنـدلس (ميـورقة، ومنـورقـه، ويابسـة)، ٨٠٪ من هـؤلاء السكـان كانـوا يعيشـون في الـريف و١٢٪ في المدن والبـاقي تجار وكـان عـدد سكان مدينة قرطبة وحدها ٢٥,٠٠٠ نسمة. أكثر من مدينة لندن في ذلك الحين.

أمـا عن عـدد الأنـدلسيين المسلمين في تلك البـلاد فقـدر بحـوالي ١,٨ مليـون نسمـة موزعين على قشتـالة (٧٠٠,٠٠٠) ومملكـة غـرنـاطـة (٥٠٠,٠٠٠٠) نسمـة و(٢٣٥,٠٠٠) في مملكة أرغون.

اختار ٣٠,٠٠٠ أندلسي مسلم (مورسكي) الرحيل إلى عدوة المغرب، بعد صدور مرسوم تنصير الأندلسيين سنة ١٥٠٢م وبعد إخماد الثورة الأنـدلسية الأولى، وبعـد أقل من عشر سنـوات على سقوط مملكـة غـرنـاطة سنـة ١٤٩٢ آخر معقل للمسلمين.


● ابريق أندلسي من (البرونز) لحفظ الزيت

■ **المورسكيون، المدوديخار، المدجنون، هي أسماء وصفات أطلقها الأوروبيون على من بقي من المسلمين في الأندلس قبل**

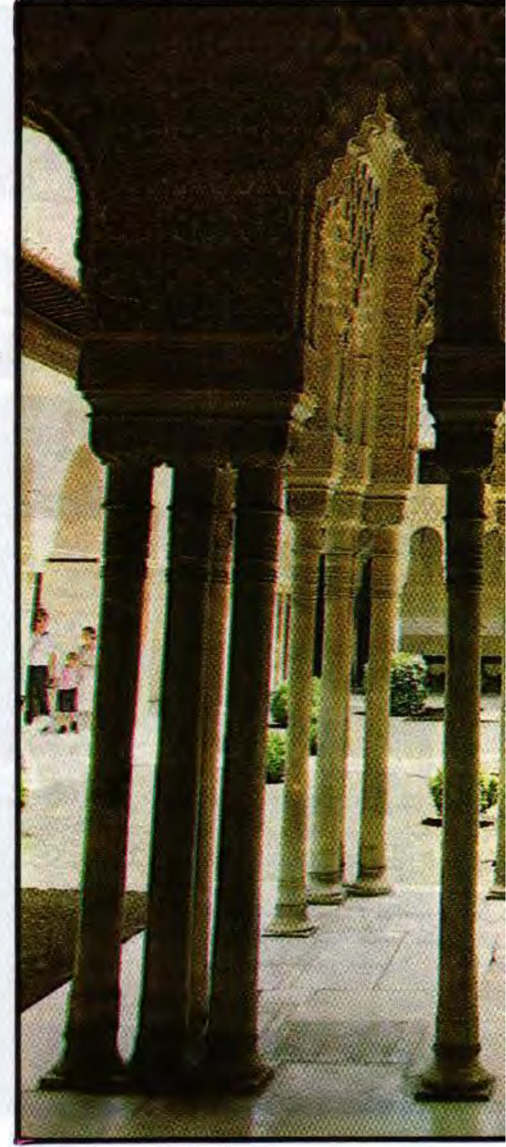
وهنا بـدأت المعاناة الحقيقية لـلأندلسيين (المورسكيين) فقد عهد فرناندو وإيزابيلا إلى ثلاثـة من كبار رجـال دولتهم بالإشراف على إعادة توزيع السكان في قرطبة – وهؤلاء هم: فرنـاندو دي زفـره، والكونت تنـدله الحاكم العسكري لغرناطة والثـالث هرناندو طلبيره أول رئيس لأساقفة غرناطة – والثلاثة كانوا على معرفة بلغة وثقافة العرب هناك.

اضطهاد الأندلسيين

منـذ اليـوم الأول لسقـوط غـرنـاطـة تحولت المساجد إلى كنائس، ومنع الآذان والوضـوء علنا، واستـولى نبلاء قشتـالة النصـــــارى على قسـم كبير من أراضي مملكـة غرنـاطة، وفصلت الأنـدلس عن العـدوة بالمغـرب لأول مـرة منذ ثمانيـة قرون. وبدأت المزاحمة على لقمة العيش، وأخيرا انتـزاعهم من دينهـم وتـاريخهم وحضـارتهم. كان أهل غرناطة أفضل من اتقنوا كتـابة المخطوطـات وتجليد الكتب في كل أوروبا خـلال تلك الفترة. ويشهد على ذلك مئات بل آلاف المخطـوطات التي مازالت محفـوظة بمكتبة الاسكـوريال، وهي مـــاتبقى من مئـــات الآلاف من المخطـوطـات التي أحــرقت في ميـادين قرطبة بعد جمعها من بيوت المسلمين..

كان بطل هذا التعصب الأعمـى هو الكاهن (زمنيـز) أو (خمنيث) الـذي شـارك طلبيرة وتنـدلـة نفوذهما في السيطـرة على قـرطبـة وبدعم من الملكة إيزابيلا وقد استفحل خطره


● ذهب الأندلسيون وبقيت آثارهم شاهدة عليهم



لدرجة أنه كان يجمع نسخ القرآن الكريم ويقوم بحرقها.. مما أدى إلى اشتباك أهالي حي (البيازين) الأبطال بعمال (زمنيز) وقتل اثنين منهم مما مهد للثورة الأندلسية الأولى.

الثورة الأندلسية الأولى

أصرت الملكة إيزابيلا وهي تقيم في أشبيلية على أن يقبل الأندلسيون بالتنصير، أو يجري ترحيلهم إلى العدوة بالمغرب، وقامت ثورة عارمة في جبال البشارة (سييرانيفادا) سنة ١٤٩٩، وقاوم سكان الجبال مقاومة عنيفة فقتل عدد كبير من جنود الصليبيين، إلا أن القائد غونثا القرطبي ضرب حصارا علي المدينة بعد أن وصلته الامدادات ثم قاد الملك فرناندو بنفسه جيوشه سنة ١٥٠٠م،وحاصر المدن الأندلسية، واستمرت عملية إخضاع جبل البشارة عاما كاملا، وبقي الملك فرناندو في غرناطة طوال هذه الفترة ليشرف على تنفيذ أوامره فيما يختص بتنصير الأندلسيين، وجمع الأسلحة منهم. ثم قامت ثورة في الجبل الأحمر، أسند الملك إلى (الونثو دي خيلار). الأخ الأكبر لغونثالو القرطبي مسؤولية إخمادها، ولكنه قتل عقب معارك حامية أبلى فيها المسلمون المورسكيون أشد البلاء واستمرت هذه الثورة أكثر من عامين، وكانت حقبة زاهرة في تاريخ نضال الأندلسيين لم يكتب عنها الكثير.

وبعد توقف العمليات العسكرية وجمع السلاح، كان الطريق ممهدا لكي تضفي ايزابيلا الصفة الرسمية على الرأي الذي استقرت عنده منذ اجتماعها (بزمنيز) قبل ثلاث سنوات فأصدرت مرسومها الشهير في فبراير (شباط) سنة ١٥٠٢م والذي خير الأندلسيين بين التنصر أوالرحيل. وبنهاية المدة التي حددها المرسوم رحل عن الأندلس حوالي ٣٠٠,٠٠٠ شخص منهم من توجه إلى المغرب، ومنهم من رحل إلى مصر والشام.. ولعل حي المهاجرين من احياء دمشق اكتسب اسمه من هؤلاء المهاجرين الذين وفدوا من الأندلس.

وينقل د. عادل بشتاوي في كتابه (الأندلسيون المواركه) عن شهاب الدين أحمد المقري في كتابه (أزهار الرياض في أخبار عياض) أن الملك الطاغية فرناندو حين رأى عزم الأندلسيين على البقاء نقض الشروط التي اشترط عليها المسلمون أو مرة. ولم يزل ينقضها فصلا فصلا إلى أن نقضها جميعا.

(وزالت حرمة المسلمين، وادركهم الهوان والذلة، واستطال عليهم النصارى وفرضت عليهم المغارم الثقيلة، وقطع عنهم الأذان في الصوامع، وأمرهم بالخروج من غرناطة إلى الأرباض والقرى، فخرجوا أذلة صاغرين، ثم بعد ذلك دعاهم إلى التنصر وأكرههم عليه، فدخلوا فيه كرها.. وصارت الأندلس كلها ديار كفر).

الثورة الأندلسية الكبرى

استمرت الضغوط على الأندلسيين المواركه من دون هوادة، بل إن ملوك قشتالة وأرغون نقلوا الحرب مع العرب إلى شواطىء المغرب، وعدوا ذلك امتدادا للحملات الصليبية في المشرق على المسلمين وانتقاما من استيلاء المسلمين على القسطنطينية سنة ١٤٥٣م، وزوال الدولة البيزنطية.. فهاجموا مدن سلا، ومليلة، ووهران.

وفي ١٥/٤/١٥٦٨م اندلعت الشرارة الأولى للثورة في جبل البشارة - سييرانيفادا - معقل المسلمين وأخمدت بسرعة.. فأعاد الثوار تنظيم وتدريب قواتهم ودعموها بشبان من غرناطة لتشتعل من جديد في ٢٤/١٢/١٥٦٨م وتحولت مدن وقرى الجبل إلى قلعة حقيقية ضد فيليب الثاني.. واستمرت الثورة بين مد وجزر، وحدثت مذابح للمسلمين في مدن (جبيل) و(لوره)، وقام دون خوان النمساوي بترحيل أهل غرناطة ليضمن انقطاع أي مدد يمكن ان يحصل عليه الثوار.

ثم قاد حملة مكونة من أربعة جيوش اصطدمت بمقاومة باسلة من قبل المسلمين، وتم نفي الأندلسيين الذين قدر عددهم إبان الثورة نصف مليون في مملكة أرغون، ونصف مليون في قشتالة و ١٥٠,٠٠٠ في مملكة غرناطة في الوقت الذي كان فيه عدد سكان مدينة لندن لا يتجاوز ٥٠,٠٠٠ شخص.

■ (محاكم التفتيش) تنشط هذه الأيام وفي بلاد إسلامية

■ التناحر والتمزق وراء استهانة الصليبية والصهيونية بالمسلمين

ثم صدر مرسوم جديد بطرد الأندلسيين المواركه، ليتم تجميعهم في ثمانية مراكز هي: بلنسيه، أرغون، قشتاله، أندلوسيا، مرسيه، برغش، غرناطة وقطالونيا.. وتسفيرهم

عبر ١٢ نقطة وميناء على الساحل.

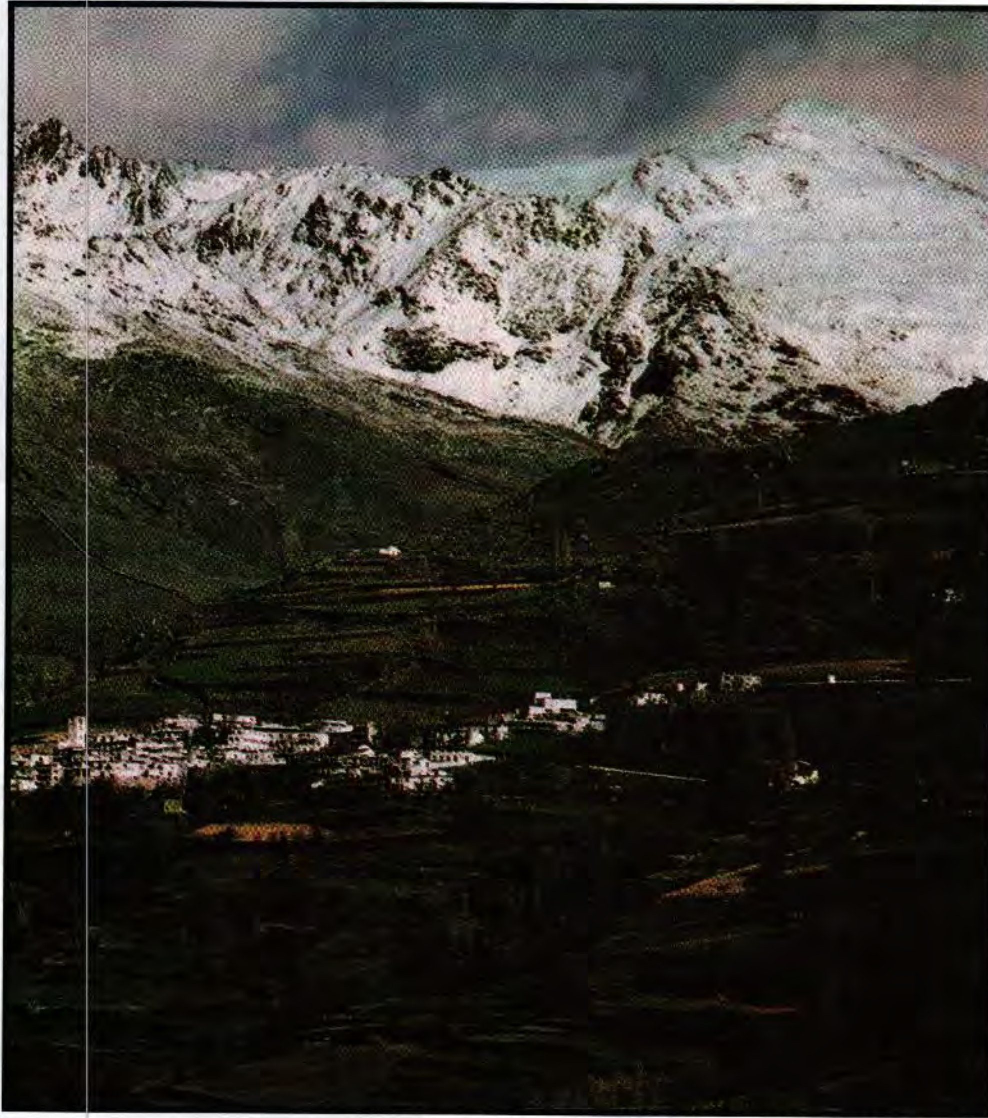
الموريسكيون بعد النفي

بين سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م ورحيل آخر المنفيين الأندلسيين ١٢٣ سنة، قدر عدد الأندلسيين الذين انتقلوا خلالها الى العدوة بحوالي ثلاثة ملايين شخص وما خسرته أسبانيا وممالكها بسبب تعصب حكامها وضيق افقهم كسبته العدوة المغربية.. فقامت فيها مدن جديدة.. وساهم المنفيون في بناء حضارة زاهرة مازالت تحمل الطابع الأندلسي في مختلف مظاهرها المادية والثقافية. في فن العمارة والبناء، وأساليب الزراعة والري، وبعض الصناعات التي ازدهرت هناك ودور (الطراز) التي اشتهرت بحياكة أثواب الخلفاء ورجال دولتهم كل بزي خاص على وفق وظيفته ودرجته.. كما جلبوا معهم المخطوطات العربية التي احتوت على علوم الدين والتفسير والفلسفة والطب وغيرها.

إلا أن النفي لم يكن نهاية الصلة مع الأندلس الأسبانية، فقد شكلت مجموعات من المنفيين فرق إغارة خاصة وأقامت قواعد بحرية في سلا قرب الرباط، إلا أن معظم من بقي منهم انتهى إلى التذويب في محيط لم يتغير طوال قرون عديدة ومع مرور الزمن تخلى الأندلسيون الموارِكة عن ملابسهم التقليدية، وسموا بأسماء نصرانية، وتزاوج بعضهم من قشتاليات وحين حرمتهم السلطات من كتبهم كثرت الأخطاء في لغتهم العربية واضطروا للتخاطب باللغة القشتالية، وانتشر المرض بينهم حين حرمتهم السلطة من المرافق العامة التي تعودوها. ولم يكن وضعهم الاقتصادي بأفضل من وضعهم الاجتماعي.

محاكم التفتيش

لا يمكن الكتابة عن الموارِكة – الموريسكيين – أو – المودیخار – أي العرب المدجنين من دون ذكر – دواوين التفتيش – وهي دواوين اتخذت صفة المحاكم لملاحقة المسلمين والتي بدأت بعد سقوط غرناطة مباشرة.. فحين أصدرت إيزابيلا مرسومها الشهير سنة ١٥٠٢م الذي يخير الأندلسيين بين الرحيل



● آخر قلاع المسلمين (الموارِكه) في جبل بشارة، جنوب شرق اسبانيا

أو التنصر، كان وراء هذا الأمر الكاردينال – زمنيز – أو خمنيث – والذي أصبح هو نفسه المفتش العام لحاكم التفتيش سنة ١٥٠٧م بعد وفاة إيزابيلا بثلاث سنوات، وهو نفسه أيضا الذي قاد هجوما على وهران سنة ١٥٠٩م في الجزائر، أسفر عن مقتل الآلاف من المسلمين.

وإذا كانت عملية اضطهاد – الموريسكيين – تتم في بداية الأمر بصورة جماعية وبناء على مراسيم التنصير والترحيل وحرق الكتب وأدوات الثقافة الإسلامية، فإن دواوين التحقيق – محاكم التفتيش – أعطت العملية صفة نظامية من خلال لوائح أعدتها وأصدرتها، احتوت على بنود عدت أي واحد منها يكفي لادانة أي أندلسي موريسكي، على أن أول من نظم أحكام وعقوبة دواوين التحقيق ضد الموريسكيين كان المفتش العام الخامس (دون الفونسو مانريك) اسقف أشبيلية، والذي أصبح فيما بعد كردينال الكنيسة الرومانية.

ومن القرائن التي حددتها الدواوين لادانة الأندلسي الموريسكي مايلي: إذا قال إن الدين المحمدي هو الأحسن، وانه لا يوجد غيره للوصول إلى الجنة، وإذا قال إن المسيح نبي وليس إلهاً، وأن والدته لم تكن عذراء، وإذا ذبح الدواجن والحيوانات بسكين من عنقها وقال باسم الله.. وإذا رفض أكل الدواجن والحيوانات غير المذبوحة أو التي ذبحتها النساء، إذا ختنوا أولادهم أو سموهم بأسماء عربية، إذا غسلوا سواعدهم وأيديهم حتى المناكب والوجه والفم والأذنين والساقين والأعضاء الجنسية فإن ذلك يعني الوضوء استعدادا للصلاة، إذا وضعوا على أولادهم تمائم هي كف بها خمس أصابع تعني احترامهم لأركان الإسلام الخمسة، إذا غسلوا موتاهم ولفوهم في كفن من قماش أبيض ودفنوهم في أرض بكر وفي قبر عميق، قائمة طويلة آخرها.. إذا قالوا أو فعلوا أي شيء

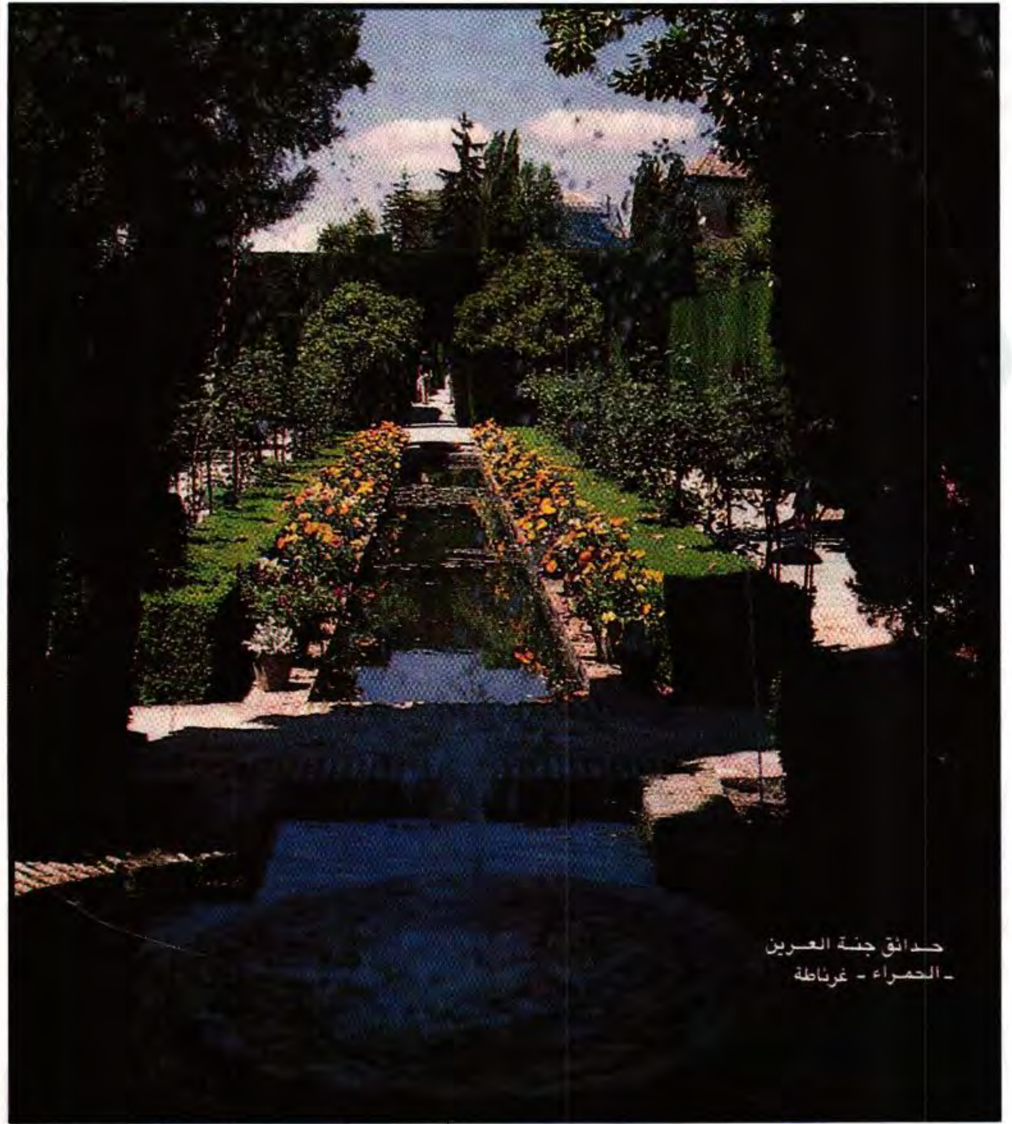
التفتيش - قد شكلت بهدف تعذيب واضطهاد المسلمين فإنها وسعت اختصاصها ليشمل اليهود واللوثريين من المسيحيين البروتستانت ووضعت لوائح لإدانة اليهود، ونالهم من التعذيب مالا يقل عن المسلمين..كما أنها وسعت مجالها الجغرافي لتخرج من الأندلس، فقد شكلت محاكم جديدة في وهران سنة ١٥١٥م. ومحاكم أخرى في العالم الجديد - الأمريكتين - بالرغم من أن الملك فرناندو قد حرص منذ البداية على انه (لاحق لأي عربي أو يهودي ولا لأبنائهم ممن اعتنقوا حديثا ديننا الكاثوليكي المقدس أن يلتحق بالهند من دون ان يتحصلوا على إذن مستعجل منا) وذلك خوفا من نشر الدين الإسلامي بين السكان الأصليين للبلاد.

فقد كانوا يعلمون تماما أن المورسكي - العربي الذي تنصر - مازال يحمل في قلبه تعاليم الإسلام، (وحتى لا يوجد أي مجال لنشر الدين المحمدي) وقد حوكم اثنان من هؤلاء العرب في محكمة تفتيش ليما بأمريكا الجنوبية، ومثلهم حوكم في مدينة المكسيك، وتوجد سجلات موثقة بأسماء وتهم الذين حاكمتهم محاكم التفتيش ودواوين التحقيق في العالم الجديد.

هل من معتبر؟

إن التمزق الداخلي والتناحر بين أمراء وحكام الأندلس واستعانتهم بالممالك المسيحية على بعضهم، كان من عوامل سقوط الأندلس، إضافة إلى انهيار دولة بنى مرين في المغرب، التي كانت تقدم العون لملكة غرناطة، وكذلك الصراع بين أقوى دولتين إسلاميتين في ذلك الوقت (مماليك مصر) و(الدولة العثمانية) وكان بإمكان أي واحدة منهما المساعدة لتبقى الأندلس عربية إلى اليوم..

بقي الأندلسيون المورسكيون يأملون في استرداد حقوقهم - واستخدموا لغة خاصة بهم - الالجمايدو - أي الأعجمية وهي مزيج من العربية والقشتالية، ولعبوا دورا في الحرب الأهلية الأسبانية ١٩٣٣ - ١٩٣٩م وطالبوا باستعادة ممتلكاتهم التي صادرتها الكنيسة الكاثوليكية.. ثم طويت صفحة مشرقة من صفحات كفاح شعب مسلم له حضارة متميزة□


حدائق جنة العرين - الحمراء - غرناطة

مرتبط بالدين المحمدي.

رافق محاكم التفتيش هذه مراسيم للتنكيل بالاندلسيين منها: فيليب الثاني يصدر مرسوما سنة ١٥٦٧ يحظر على الأندلسيين التكلم بالعربية أو مزاولة عادات إسلامية، وفي سنة ١٥٧٠ أربعة جيوش منطلقة لإبادة الثوار وملاحقة تجمعاتهم في معاقل الثورة ومرسوم يخول الجنود قتل الأندلسيين وسبى نسائهم ونفيهم من الجنوب، وفي سنة ١٧٢٨ إحراق ٤٥ أندلسيا اتهموا بالهرطقة وبعدها بسنة أخرى أحرق ٢٨ آخرون، واستمر هذا المسلسل حتى عام ١٨٣٤م، حين الغيت محاكم التفتيش بسبب تدخل الفرنسيين ومعارضتهم.

شهادة تاريخية

يصف صاحب مخطوط (أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر) ما آل إليه حال المسلمين في الأندلس بمايلي:

(صارت الأندلس كلها نصرانية.. لم يبق من يقول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) إلا من يقولها في قلبه وفي خفية من الناس، وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الأذان، وفي مساجدها الصور والصلبان بعد ذكر الله وتلاوة القرآن، فكم فيها من عين باكية وقلب حزين، وكم فيها من الضعفاء والمعذورين، لم يقدروا على الهجرة واللحوق بإخوانهم المسلمين، ينظرون أولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للأوثان، يأكلون الخنزير والميتات، ويشربون الخمر التي هي أم الخبائث والمنكرات، فلا يقدرون على منعهم ولا على نهيهم ولا على زجرهم..إلخ.

عموم الظلم والابتلاء

وإذا كانت دواوين التحقيق - محاكم

التأمين التجاري

[٢/٢]

قدّم أ. د. محمد الدسوقي في القسم الأول من دراسته عن التأمين المعاصر وأنواعه، وابتدأ بالتأمين التعاوني ثم أسهب في الكلام على التأمين التجاري وأقوال العلماء فيه.. وفي هذا الجزء الثاني والأخير من دراسته عن التأمين خلاصة رأيه في التأمين التجاري، ومقترحاته في موضوع التأمين نفسه.

في ميزان الفقه المعاصر

بقلم: أ. د. محمد الدسوقي*

الخلاصة في التأمين التجاري

والخلاصة أن عقد التأمين عقد احتمالي وأن عنصر الغرر ملازم لهذا العقد، ومن الخصائص التي يتميز بها وأنه لا توجد ضرورة تجوز الغرر فيه، وهذا كله يجعل الغرر في التأمين مفسدا للعقد ومنهيا عنه.

وذهب الذين أجازوا التأمين التجاري شرعا إلى أن هذا التأمين يشبه بعض المعاملات الفقهية مثل المضاربة والسلم وعقد ولاء الموالاة ونظام العواقل والوعد الملزم عند المالكية إلى غير ذلك من صور المعاملات التي تحدث عنها الفقهاء (١).

ولكن لا علاقة بين التأمين كما تحدث عنه فقهاؤه وبين تلك المعاملات الفقهية فهذه المعاملات من جهة تقع بين فردين والتأمين إذا نظر إليه على أنه علاقة بين فردين كان رهانا أو مقامرة، ومن جهة أخرى تدل طبيعة عقد التأمين على أنه ليس مضاربة أو سلما أو وعدا ملزما أو حتى نظام العواقل في الإسلام، فعقد التأمين بخصائصه وقواعده شيء والمعاملات الفقهية شيء آخر، ولهذا كان الحكم على التأمين بالجواز شرعا، لأنه يشبه بعض المعاملات الفقهية المعروفة غير مسلم، لتباين حقيقة التأمين عنها.

ويرى بعض الباحثين أن التأمين التجاري يشبه نظام المعاشات (٢) الحكومي الذي يبيحه جمهور الفقهاء ولكن هذا غير صحيح لأن ما تأخذه الدولة من الموظفين أو من أرباب الأعمال ليس قسط تأمين بالمعنى المتحقق في التأمين التجاري ولكنه أشبه شيء بالضريبة التي تفرضها الدولة على مختلف الأموال لتكون عونا لها في القيام بأداء رسالتها نحو المجتمع.

إن القسط في التأمين التجاري يمثل الأجرة في الإجارة أو الثمن في البيع وتحمله شركات التأمين نفقات كثيرة حرصا على مكاسبها المادية ولكن ما يؤخذ من الموظفين هو في الواقع ضرب من التكافل بينهم وبين الدولة حتى تتمكن من أداء واجبها نحو هؤلاء العاملين وأسرهم بعد انتهاء مدة خدمتهم.

إن هناك بونا واضحا بين عمل تعاوني اجتماعي تفرضه الدولة وتشرف عليه وتقوم بتحمل العبء الأكبر فيه تقديرا لخدمات العاملين فيها واعترافا بفضلهم وأداء لواجبها نحوهم، وعمل تزاوله شركات تجارية لا رغبة في أداء رسالة اجتماعية ولكن رغبة في المال، فضلا عن خضوعه لمبادىء وقواعد تجعله في أحسن حالاته لا يخلو من شبه كثيرة محرمة.

وأما المصلحة التي يحققها التأمين – لدى من قالوا بجوازه شرعا فإن طبيعة الأخطار في العصر (٣) الحاضر تحتم قيام نظام يحمي الثروات ويكفل الأمان ويساعد بذلك على دفع عجلة النمو الاقتصادي إلى الأمام فيزداد الدخل القومي، وينعم الناس بحياة رخية سعيدة.

ولما كان التأمين التجاري نظاما حديثا مؤسسا على أصول وقواعد فنية دقيقة من أجل المحافظة على أموال الناس سواء أكان ذلك بتوزيع النتائج والأضرار على مجموعة من الأفراد أم كان بالتوجيه الفني للأخذ بالوسائل العصرية في الوقاية من الأخطار فإنه يحقق مصلحة من العبث أن تهمل، وحيث توجد المصلحة فثم شرع الله.

ولا مراء في أن عصرنا الحديث قد كثرت أخطاره، وأن العمل على حماية الناس من هذه الأخطار واجب تفرضه الشريعة الغراء التي راعت مصالح العباد في المعاش والمعاد، ولكن الخلاف في أن يقوم التأمين التجاري برسالة الحماية والوقاية ومراعاة مصالح الناس وتلبية حاجتهم في حفظ ممتلكاتهم وتحقيق الاطمئنان لهم على الوجه الذي تقبله الشريعة وتدعو إليه.

إن هذا التأمين تزاوله شركات تجارية لا رغبة في أداء رسالة اجتماعية، ولكن سعيا وراء الربح والثروة، ولذا يخضع عقد هذا التأمين لمبادىء لا تحقق المساواة الكاملة بين المؤمن والمستأمن، وتحمل الشركات قسط التأمين مصاريف مختلفة من أجل ضمان أرباح وفيرة، كما أنها تحاول عدم الوفاء بدفع مبلغ التأمين في حالة تحقق الخطر، لأوهي الأسباب وأدني العلل.

ولذلك دعا المصلحون في دولة رأسمالية كأمريكا إلى الأخذ بالتأمين التعاوني دون

* أستاذ الفقه والأصول بكلية الشريعة – جامعة قطر

التأمين التجاري، لأن هـذا لا يحقق مصلحة للمجتمع كما يحقق ذلك التأمين، ولأن نظرية التأمين تفرض أن يكون هـذا النظام تعاونيا صرفـا لا يعـرف التجــارة أو جـر مغنم من الاشتراك فيه.

بالإضـافة إلى هذا أكـد علماء الاقتصاد أن التأمين التجـاري يمثل خطرا اقتصــاديا على الدولـة كما أشرت إلى هذا فيما سلف، كـذلك دلت حــوادث الطيران في أوروبـــا على أن التأمين التجاري كان السبب في احتراق بعض الطـائرات رغبـة في حصــول المستفيـد من التأمين على حياة بعض ركـاب تلك الطائرات على مبلغ التأمين دون نظـر إلى أي شيء آخر، ولذلك كان من يـؤمن على حياة شخص دون إذنه متهما بمحاولة قتله في عرف الناس.

فما يــراه بعض فقهـاء الشريعـــة من أن التأمين التجـاري يحقق مصـــالح مختلفـة لـلأفـراد والجماعـــات غير مسلَّم، لأن هـذا التـأمين – كما أثبــت ذلـك علماء الاجتماع والاقتصــاد – مصدر خطـر وضرر لا سبيل أمان واطمئنان.

إن فقهاء التأمين يـرددون في كتبهم فوائد جمة للتأمين التجاري، وقد أخذ بعض فقهاء الشريعـة بـوجهـة نظـر فقهـاء التأمين فيما يحققــه من مصـــالـح، ولكن الـــدراســـة الموضوعيـة تبرز في جلاء أن الحديث عن تلك المصــالح لا ينهض على أساس مقبـول، وأن هذا التأمين سلاح يهدد وليس سلاحا يحمي ويدفع الأذى والحرج.

والـذي لا جدال فيـه أن الحياة في عصرنـا الحديث قد تضاعفـت مخاطرها وأن التأمين من حيث فكرتــه ضروري لكل فرد مهما تكن ثروته ومكـانته، وإذا كانت القـاعدة الفقهية تؤكد أن الضرورات تبيح المحظورات، ومادام التأمين ضرورة اجتماعيـة واقتصاديـة، ولم يـرد بشأنـه نص في الشريعـة الإسـلاميـة، ومـادام الأصل في العقـود الإبــاحـة مـا لم تخالف نصا أو قاعدة شرعية، فلماذا لا يكون التأمين التجاري جائزا شرعا؟

التأمين وقاعدة (الضرورة)

حقيقـة أن الضرورات تبيـح المحظـورات، وأن الشريعة الغـراء يسر لا عسر وأنها جاءت لمصلحة الناس جميعا في الدنيا والآخرة، وأن مبـادئهـا لا تتعــارض مع أي نظـام يحقق للناس الأمـن والسلامـة والخير والاستقرار، ولكن هل يحتاج المسلمـون إلى هذا اللون من التأمين بحيث إذا أهملـوا الأخـذ به وقعـوا في عنت وحــرج وتعرضوا لخطـر وضرر لا قبل لهم بدفعه أو تحمل آثاره؟

لقد كررت فيما سلف أن الـدول التي ظهر فيها التأمين التجاري لم تعـده أمرا ضروريا يجب الحفاظ عليه ودعت إلى الأخـذ بالتأمين التعاوني دون التأمين التجاري، فلماذا ندعو نحن إلى نظام لا يخلو – في أحســن حالاته – من شبهــة، ولا ضرورة لازمة تفـرض الأخذ به، لأننا يمكننــا أن نأخذ بغيره، وإذا لم يكن قائما أقمناه وعممناه.

إن الضرورة الشرعيـة (٥) يجب أن تقـدر بقدرها ولا ينبغي اللجوء إلى أمر تحوم حوله الشبهات إلا إذا تعين ولم يوجد سبيل سواه، وأن الأخذ به في هذه الحالة لا يكون دائما، بل يكـون مقيــدا بمقتضى تلك الضرورة التي فـرضتــه بحيث إذا انتهت الضرورة أصبح ذلك الأمر محرما، وأصبح الإقدام عليه إثما.

وجملة القول أن التأمين التجاري لا يقوم على التعـاون وأن الغـرر في عقــده فــاحش يفسده، وليست هناك ضرورة تدعو إلى قبول هذا الغرر، كما أن هذا التأمين لا يشبه بعض صور المعاملات الفقهية المعروفة وهو إلى هذا يمثل خطرا اقتصاديـا على الدولة، ولا يحقق من المصالح مـا يحمل على الأخذ به والـدعوة إليـه فضلا عما يـلابسه من شبهـات القمار والـربا، ومـا تسير عليه شركـات التأمين من قوانين هي في صالحها غالبا، وبذلك لا يمكن موافقة من ذهبـوا إلى جواز التأمين شرعا لأن الأدلـة التي اعتمــدوا عليهـا في حكمهم غير مسلمة لما أسلفته عنها.

والنتيجة أن التـأمين التجاري – فيما أرى – غير جائز شرعا.

شركات التأمين

وقد يعترض بأن شركـات التأمين في بعض البـلاد الإسـلامية أصبحـت ملكا للـدولـة، وأصبح مـا تحققه تلـك الشركات من أربـاح يعــود نفعــه إلى المجتمع كلــه، لكن هـــذا الاعتراض – وإن بدا مقبولا من حيث الشكل – ينقضه ويرد عليه – أن التأمين وإن أمم في بعض البـــلاد – مـــازال يسير على النظم والقوانين التجارية التي كان يسير عليها قبل التأميم، فمازال جوهـر النظام كما هو، ولهذا ينسحب عليـه الحكم الســابق – فيما أرى – وسيظل ما بقيت أسبابه.

إن تغير الجهــة التي تسيطـر على شركـات التأمين ليس كافيا في جوازه شرعا ولكن المهم هو القــواعد والقــوانين التي تسير عليها تلك الشركات ومدى موافقتهـا لنصوص الشريعة وقواعدها العامة.

التأمين التعاوني ومقاصد الشريعة

وإذا كان التأمين التجاري غير جائز شرعا فإن التأمين التعـاوني أمــر مشروع، وهـو يحقق في مجال الاقتصــــاد والخدمــــة الاجتماعية ما لا يحققـه ذلك التأمين بيد أني أود الإشــارة إلى أن مفهـوم التعـاون (٥) في القوانين الـوضعية يقـوم على تبادل المنـافع المادية بين أفراد المجتمع دون أن يكون هناك استغـلال من شخص لآخـر أو من جماعـة لأخـرى، ولكن مفهـوم التعاون في الإسـلام أشمل وأكـرم من هـذا المفهـوم لأن الفـرد في المجتمع الإسلامي لا تربطـه بأخيه المصلحة الماديـة فحسـب، ولكن تـربطــه أولا صلـة العقيـدة التي هي أسمى وأقوى من وشـائج القـربى والنسـب، ولهذا لم يقف التعـاون في الإسلام عنـد تبادل المنـافع الماديـة، كما أنه كان في الغـالب ومـايزال اعطـاء دون انتظار لأخذ.

إن المجتمع الإســلامي مجتمـع يـؤمن كل أفـراده بـأنهم خلفـاء على مـا بأيــديهم من ثـروات فــلا يعـرفـون الشـح والأثـرة ولا يكنزون الذهب والفضة، ولكنهم ينفقون مما استخلفهم اللـه فيـه كما أمــرهم اللـه، إنــه

■ كثيراً مـا يتســاءل البعض: هل تحتم طبيعــة الأخطــار المعــاصرة قيــام نظــام يحمي الثــروات ويكفل الأمــان؟

التأمين التجاري [٢/٢]

مجتمع شعاره الإخاء والتكافل والتعاون ولهذا كان كالجسد الواحد، أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

وفضلا عن ذلك تؤمن الشريعة الإسلامية كل فرد على ماله وعلى نفسه وعلى مستوى كريم من العيش له، فمثلا من أصابته جائحة فأتلفت ماله أو حلت به فاقة فرقت حاله كان الحاكم مسؤولا عنه يدفع إليه من مال الزكاة أو من بيت المال ما يذهب آثار ما حل به، وكذلك من كان عليه دين وعنده مال ولكن الدين محيط به يجب أن يقضي الحاكم عنه دينه حتى لا يذهب الدين بكل ثروته، ومن تحمل دية للإصلاح يعد غارما ولو كان غنيا، فيدفع إليه من سهم الغارمين حتى لا تكون مروءته سببا في إملاقه وحتى يظل في مستوى كريم من العيش، إن حماية الإنسان وتحقيق مستوى كريم من العيش له . مبدأ إسلامي وأصل من أصول شريعتنا الغراء.

وقد دعا هذا بعض رجال الاقتصاد (٦) الإسلامي إلى القول بأن نظام التأمين التجاري يجب أن تقوم به سلطة حكومية وعلى نطاق ضيق، وهو النطاق الذي يقره الإسلام والذي يشمل من انقطعت بهم سبل الرزق بسبب عجز طبيعي فيهم،ويرى أن مؤسسات التأمين ستبقى فترة قصيرة ريثما تدور عجلات الإنتاج، وتزداد الأجور، وتطبق القوانين الإسلامية في جميع مرافق الحياة.

وهذا الرأي، مع التسليم بصحته وبأن تطبيق المبادىء الإسلامية تطبيقا كاملا في جميع مرافق الحياة سيخلق المجتمع المسلم المتكافل المتعاون الذي لا يحتاج إلى شركة تجارية أو غير تجارية تزاول مهنة التأمين، فإنه لا يحول دون إنشاء مؤسسات تأمينية على أسس جديدة ومنهج إسلامي، لأن هذه المؤسسات ستكون من وسائل تحقيق التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي ولأن ظروف الحياة المعاصرة تحتم قيام هذه المؤسسات.

وأول ما يجب عمله من هذه المؤسسات هو إنشاء شركة تأمين حكومية تكون مهمتها جمع الزكاة وانفاقها في مصارفها المشروعة، فالزكاة فريضة تكافل بين القادرين والعاجزين في المجتمع الإسلامي، وهي ليست إحسانا من المعطى وليس شحاذة من الآخذ فما قام النظام الاجتماعي في الإسلام على التسول ولن يقوم، ولكنها حق معلوم له وظيفة اجتماعية محددة، والدولة مسؤولة عن جمعها وتوزيعها، حتى تؤدي رسالتها على أكمل وجه نحو من تجب عليهم ومن يستحقونها.

وإذا كانت بعض الدول الأجنبية تفخر في هذا العصر، لأنها دعت إلى الضمان الاجتماعي فإننا مع تقدير كل عمل يحفظ للإنسان إنسانيته، وكرامته، نلاحظ أن لجوء هذه الدول إلى الأخذ بالضمان الاجتماعي لم يكن خالصا من الدوافع السياسية والرغبات الذاتية وتملّق الطوائف التي يخشى ثورتها وعصيانها فمثلا عندما قامت الحرب العالمية الثانية، رأت بريطانيا وأمريكا ضرورة كسب ولاء الشعوب وبخاصة طبقاتها الفقيرة المساقة إلى ميادين القتال بشيء ملموس ذي أثر فعال، لذلك أعلنتا ميثاق الأطلسي الذي بينت مادته (الخامسة) رغبة الدولتين في التعاون الاقتصادي الوثيق بين الأمم لكي يتحقق للجميع خير الظروف للعمل والتقدم والرفاهية والضمان الاجتماعي، وكذلك اتهم بعض المسؤولين الأمريكيين الرئيس (روزفلت) بأنه نادى بمشروع الضمان الاجتماعي لكسب أصوات الناخبين في المعركة الانتخابية (٧).

أما الشريعة الإسلامية فإنها نادت بالضمان الاجتماعي منذ أربعة عشر قرنا على أسس وطيدة من المبادى الإنسانية الخالدة والتكافل الاجتماعي الشامل الذي يرعى كل فرد يعيش في المجتمع الإسلامي دون نظر إلى عقيدته أو جنسيته والشواهد التاريخية أشهر من أن تذكر (٨).

الزكاة والتكافل الاجتماعي

والزكاة ليست غير فرع من فروع التكافل الاجتماعي في الإسلام، وهي نظام يحقق غايات التأمين التعاوني لمن هم في أمس الحاجة إليه، ولكنهم لا يقدرون على الإسهام فيه، ومن هنا فإن إنشاء شركة تأمين حكومية تكون مهمتها جمع الزكاة وانفاقها في وجوهها المشروعة، فضلا عن أنه واجب الدولة في الإسلام هو خطوة على الطريق السديد للوصول بالمجتمع الإسلامي إلى ما يجب أن يكون عليه من التعاون الكامل والترابط الوثيق والأخاء الصادق والإيثار الكريم.

وتجدر الإشارة إلى أن فريضة الزكاة لا تغني عنها ضريبة أخرى (٩) من الضرائب التي يفرضها ولي الأمر، عن طريق الشورى، رعاية للمصالح العامة لأن لها وظيفة اجتماعية لا سبيل إلى القيام بها إلا عن طريق أداء الزكاة، وهي كما أشرت آنفا ليست استجداء، فهي حق وفريضة تكافل بين القادرين والعاجزين في الأمة.

على أن انشاء تلك الشركة التي تتولى جمع الزكاة وإنفاقها إذا كان يحقق الضمان والأمان لمن هم في أمس الحاجة إلى الرعاية والمعاونة ولكنهم لا يقدرون على الإسهام في التأمين التعاوني، فإن الذين يقدرون على الإسهام في هذا النظام يمكن تقسيمهم من حيث نوعية العمل، وتقوم كل جماعة يضمها عمل مشترك مثل أساتذة الجامعات والقضاة والمدرسين والأطباء والعمال على اختلاف أنواعهم بانشاء جمعية تعاونية للتأمين يدفع كل فرد فيها نسبة معينة من راتبه الشهري ثم تستثمر هذه الأموال بالطرق المشروعة وترصد لسد حاجات أفراد هذه الجماعة سواء في حالات انتهاء الخدمة أو الحوادث أو العجز أو الوفاة أو تزويج الأولاد، طوعا لقواعد تفصيلية يمكن وضعها وفقا لحاجة الجماعة وظروفها الخاصة،

■إن عقد التأمين التجاري عقد احتمالي، وعنصر الغرر ملازم له

يخطيء من أن التأمين التجاري يشبه نظام المعاشات الحكومي الذي يبيحه جمهور الفقهاء

تجربة وزارة الأوقاف المصرية

وكانت وزارة الأوقاف في مصر (١٠) تؤمن على عقاراتها السكنية، وهي كثيرة، لدى الشركات التجارية للتأمين، وبعد مرور عدة أعوام أدركت الوزارة أن أموالها ضاعت هباء وأن شركات التأمين قد ابتزت منها أموالا ضخمة ثم لم ترزأ إلا بمبلغ تافه، ودفعها هذا إلى إنشاء صندوق اعتباري في الوزارة للتأمين؛ تدفع إليه الأقساط التي كانت تدفع إلى شركات التأمين، وتقوم هيئة مسؤولة بالإشراف على أعمال هذا الصندوق واستثمار أمواله، وترصد هذه الأموال لتعويض الخسائر التي تتعرض لها تلك العقارات من إصلاح أو تجديد أو غير ذلك.

والطريقة التي أخذت بها هذه الوزارة يمكن أن تأخذ بها كل المؤسسات الحكومية على أن تقوم هيئة للتأمين التعاوني على عقارات الدولة بمهمة الصندوق الذي أنشأته وزارة الأوقاف.

أما العقارات الخاصة فإنها تقسم من حيث تبعيتها لأقسام الشرطة أو المدن ويدفع كل مالك سنويا قسطا معينا، وتتولى هيئة للتأمين التعاوني على العقارات الخاصة جمع الأقساط واستثمارها وتعويض الخسائر التي تتعرض لها هذه العقارات.

مقترحات متممة

وبعد ما تقدم يمكن عرض هذا الاقتراح الذي يتمشى مع روح الشريعة ومبادئها ولا تحوم حوله الشبهات، وهو مع ذلك يحقق معنى التعاون الكامل في المجتمع الإسلامي:

أولا: أن تنشأ مؤسسة عامة للزكاة لها فرع في كل إقليم، ويقوم كل فرع بجمع الزكاة وإعطائها إلى من تجب لهم، وتكون مهمة المؤسسة الإشراف على التحصيل والانفاق، واستثمار ما يفيض عن الحاجة وادخاره لوقت الضرورة، وهذا يؤدي إلى تأمين حياة من هم في حاجة إلى التأمين ولكنهم لا يقدرون على دفع أقساطه.

ثانيا: أن تنشأ مؤسسة عامة للتأمين التعاوني تكون رسالتها الإشراف على الجمعيات التعاونية التي تكونها كل جماعة يجمعها عمل مشترك.

ثالثا: أن تنشأ مؤسسة عامة للتأمين على العقارات الحكومية وغيرها تقوم بتحصيل الأقساط ورصدها لترميم آثار الأخطار التي تتعرض لها تلك العقارات.

وهذا الاقتراح ليس سوى فكرة مجملة أما التفاصيل فيمكن وضعها بعد ذلك.

وختاماً

وفي ختام هذه الدراسة الموجزة عن التأمين التجاري في ميزان الرأي الفقهي المعاصر، والتي أرجو أن تسهم في الوصول إلى رأي حاسم في مشكلة التأمين، أود الإشارة إلى أمرين:

أولا: إن دراسة جميع المشكلات المعاصرة وكل ما يجد من مشكلات، وبخاصة ما يتصل منها بالحياة الاقتصادية، يجب أن تقوم على أساس النظرة الكلية للشريعة الإسلامية بمعنى أن كل قضية تجد يجب ألا تدرس منفصلة عن مبادىء الشريعة العامة، وعن القيم والمقومات التي يتميز بها المجتمع المسلم، فقد يجد أمر ويرى بعض الفقهاء والعلماء أنه جائز شرعا بحجة أن المجتمع لا غنى له عنه، وأنه يحقق مصلحة مهمة للفرد والجماعة على السواء، ولكن إذا نظر إلى هذا الأمر من خلال الإطار العام لأحكام الشريعة وتعاليمها فقد يبدو غير جائز، لأن فيما جاءت به هذه الشريعة ما يغني عنه دون الوقوع فيما حرمته أو حذرت منه.

ولا يفهمن أحد أن الشريعة تعادي كل جديد، وأن المجتمع المسلم لا يستفيد من خبرات غير المسلمين، فالحكمة ضالة المؤمن أني وجدها أخذها، وعند من رآها طلبها، بيد أن ما أرمي إليه هو أن الحكم على كل أمر مستحدث لا ينبغي أن يكون بمعزل عن مبادىء الشريعة العامة سدا للذريعة المفضية إلى التحلل من أوامر ديننا الحنيف وشعائره شيئا فشيئا.

ثانيا: إن الشريعة الإسلامية التي ارتضاها الله تبارك وتعالى للناس كافة إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها قوة لا تقهر، ولكن الحق لم يستغن قط، على قوته وظهوره، عن الدفاع عنه وتجليته للناس، ومن هنا كانت الشريعة الغراء في حاجة إلي قوة ودولة تذود عنها وترعاها وتعمل علي التمكين لتعاليمها حتى لا يساء إليها أو يفرط فيها، فقد صرنا إلى زمن يزع الله فيه بالسلطان ما لا يزع بالقرآن□

الهوامش:

١) انظر في هذا (التأمين وموقف الشريعة الإسلامية منه)، للدكتور/ محمد الدسوقي، ص٧٤ ومابعدها، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بالقاهرة.

٢) انظر: مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٥٥)، وكتاب أسبوع الفقه الإسلامي، ومهرجان الإمام ابن تيمية، ص ٤١٠، ط، المجلس الأعلى للآداب والفنون) القاهرة.

٣) انظر: المعاملات الحديثة وأحكامها للأستاذ عبدالرحمن عيسى، ص٩١.

٤) انظر: أصول التشريع الإسلامي، لأستاذنا الأستاذ/ علي حسب الله، ص ٢٦٣ط٢-دار المعارف بالقاهرة.

٥) انظر: التعاون من الناحيتين المذهبية والتشريعية للدكتور/ محمد حلمي مراد، ص١٢، ط. القاهرة.

٦) انظر بحث الدكتور/ زكي محمود شبانه (معالم رئيسية اقتصادية إسلامية لمعالجة المشكلات الاقتصادية المعاصرة)، مجلة المسلمون، السنة الثالثة، الأعداد من ٢ إلى ٦.

٧) انظر: مقدمة كتاب الضمان الاجتماعي للدكتور/ مهدي السعيد، ط بغداد.

٨) انظر: من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي ط دمشق.

٩) انظر: فقه الزكاة للدكتور يوسف القرضاوي ص ١١٠٦ ط مؤسسة الرسالة.

١٠) انظر: مجلة الأزهر المجلد السادس والعشرين العدد ٥و٦.

الصراع بين الحق والباطل دائم ومستمر منذ خلق الله الأرض ومن عليها وإلى أن تقوم الساعة وهذا الصراع تختلف صوره وأشكاله من عصر إلى آخر ولأن الحق واضح وظاهر فقد تفنن الباطل وجنوده في محاربته بشتى الطرق والوسائل إلى أن وصل الحد إلى استخدام الأدب والفن كوسيلة لمحاربة الحق وتشويه صورته.

استغلال الأدب في حرب الإسلام

بقلم: أحمد محمود أبوزيد *

وموجة استغلال الأدب في محاربة الإسلام بدأت منذ عهد الرسول ﷺ على يد شعراء الكفر الذين استغلوا موهبتهم الشعرية في نظم قصائد هجوا بها رسول الله ﷺ وتطاولوا بها على الإسلام وشريعته.

وقد اتسعت هذه الموجة في العصر الحديث عندما سقطت أساليب الغرب في محاربة الإسلام أمام موائد البحث العلمي، ولم يبق من هذه الأساليب سوى الأسلوب الأدبي، فالقصة أو المسرحية تعطي لأصحاب المطابخ هناك فسحة بعيدة عن البحث العلمي الجاد، وهذا الأسلوب نجح إلى حد ما في تشويه الإسلام حيث تم تدوين القصص المليئة بالهزل والسخرية والتي لها مفعول أكيد في موات القلوب وطمس روح الإيمان.

الكهنوت البابوي والافتراء

والقصة والمسرحية هي لعبة الغرب أمس واليوم وغدا، ولنسمع ما قاله توفيق الحكيم عن مسرحية (محمد) التي كتبها (فولتير) حيث قال: (قرأت لسنوات خلت قصة فولتير التمثيلية (محمد) فخجلت أن يكون كاتبها معدودا من أصحاب الفكر الحر، فقد سب فيها النبي ﷺ سبا قبيحا عجبت له وما أدركت له علة لكن عجبي لم يطل فقد رأيته يهديها إلى (البابا بنوا الرابع عشر) بهذه العبارات: (فلتستغفر قداستك لعبد خاضع من أشد الناس إعجابا بالفضيلة إذا تجرأ فقدم إلى رئيس الديانة ما كتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية، وإلى من غير وكيل رب السلام، فلتأذن لي قداستك في أن أضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه، وأن أجرؤ على سؤالك الحماية والبركة، واني مع الاجلال العميق أجثو وأقبل قدميك القدسيتين، فولتير ١٧ أغسطس ١٧٤٥م).

ويقول توفيق الحكيم بعد ذلك: (لقد قرأت فيما بعد رد البابا على فولتير فألقيته ردا رقيقا كيسا لا يشير بكلمة واحدة إلى الدين وكله حديث في الأدب.

وعلمت في ذلك الوقت أن (روسو) كان يتناول بالنقد أعمال (فولتير) التمثيلية فاطلعت على ما قاله في قصة (محمد) علني أجد مايرد الحق إلى نصابه فلم أر هذا المفكر الحر أيضا يدافع عن النبي ﷺ ما ألصق به كذبا وكأن الأمر لا يعنيه، وكأن ما قيل عن النبي ﷺ لا غبار عليه ولا حرج فيه).

حياة ذي البدع

وإذا كان (فولتير) قد قبّل الأقدام عام ١٧٤٥م فان (بريدو) الإنجليزي قد قبّل الأقدام عام ١٧٣٣م وقدم كتابه (حياة ذي البدع) وفيه أشبع الإسلام سبا. وقبل هذا وذاك قام (اسكندر دوين) بتقبيل الأقدام عام ١٢٥٨م وكتب عن نبي الإسلام كتابا يتضمن الكثير من الأضاليل. وهكذا اتجه أعداء الإسلام إلى أساليب متعددة لمحاربة الإسلام والحط من شأنه.

آيات شيطانية

وإذا كنا نتحدث عن استغلال الأدب بأشكاله المختلفة في محاربة الإسلام فإن (آيات شيطانية) التي كتبها سلمان رشدي، (وأولاد حارتنا) التي كتبها نجيب محفوظ من قبل، تأتي كل منها في مقدمة الروايات التي كتبت خصيصا للهجوم على الإسلام وعلى نبيه بل والتطاول على الحق سبحانه، وعلى الغيب وعلى أنبياء الله ورسله. ولقد ظهرت (الآيات الشيطانية) وكأنها لم تكتب إلا لهذا التطاول المسف الخالي من أي فكرة وعرض - على حد قول الدكتور محمد يحيى أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة القاهرة - وكأن الهدف الحقيقي من وراء هذا العمل كان استغلال سيطرة (سلمان رشدي) على حرفة الصنعة الروائية في أشكالها الحديثة للخروج بضربة دعائية أخرى توجه للإسلام في الغرب.

والحقيقة أن هذا الأسلوب يعمم الآن على نطاق واسع في العديد من الأعمال الأدبية، وهو استخدام عناصر أدبية وفنية مؤثرة ارتبطت في أذهان القراء بقيم التسلية والفكاهة والمغامرة والترويح، وتوظيفها في الهجوم على الإسلام بصورة أو بأخرى، وهنا فإن هذا الهجوم يتخذ شكل التطاول على شخصية الرسول ﷺ وأهل بيته وتشويه طبيعة الإيمان الديني.

فالضجة المضادة لرواية (الآيات الشيطانية) كانت مبررة ومفهومة ولا تمثل تعصبا خطيرا أو همجية جديدة كما حاولت



● سلمان رشدي: أحد رموز الافتراء المعاصر

■ **الآيات الشيطانية كتبت خصيصا للهجوم على الإسلام والتطاول على نبيه**

الدوائر العلمانية وغير العلمانية في الغرب والبلاد الإسلامية أن تصورها فليس الأمر مجرد رد فعل أهوج على بضع صفحات وردت هنا أو هناك في عمل فني تهاجم الإسلام ببذاءة واسفاف وإنما هناك شعور باستغلال الفن والأدب في شكل خداعي بغيض وهو استغلال أصبح الآن مطروحا على الساحة بطريقة مبرمجة ومخططة، فهذه الأعمال وان لبست ثوب الأدب الخارجي إلا أنها خرجت من نطاق الفن الأصيل إلى نطاق أساليب الدعاية والتأثير التي تهرب من المواجهة الفكرية الصريحة لتتستر وراء ادعاءات الفن وتطلب حصانته.

وهذا في الحقيقة خداع وغش فني يقدم للناس أعمالا دعائية غير مكتملة فنيا على أنها أعمال فنية جادة.

الأدب التنصيري

وتأكيدا لمدى استغلال الأدب في محاربة الإسلام والدعاية المضادة له نبين للقارىء المسلم كيف أن التنصير ودعاته قد استغلوا مجال الثقافة والأدب كوسيلة لنشر أفكارهم الضالة وبث سمومهم بين الناس، فلم ينته الأمر بهذا المخطط الآثم إلى الاعتماد على التعليم ووسائل الإعلام والخدمات الاجتماعية والطبية كوسائل لتنصير الناس وزعزعة العقيدة في نفوسهم بل سعى لاستغلال الأدب والثقافة حتى تتسع دائرة نشاطه ويصل إلى أكبر عدد ممكن من المسلمين وغير المسلمين. فقد قام زعماء التنصير بتأليف الكتب والقصص والروايات التي تدعم نشاطهم حتى اشتهر في عالم الأدب ما عرف بـ (الأدب التنصيري) وهو كما يقول الدكتور نجيب الكيلاني يتمثل في ألوان الأدب المختلفة من قصة ومسرحية وقصيدة ومقالة ونصوص سينمائية وخاطرة والتي تحمل في طياتها الدعوة إلى اعتناق النصرانية والتنفير من الإسلام وغيره من الأديان الأخرى. ولم يكن الأدب التنصيري يسير وحده فقد نسق مع جهات أخرى كثيرة تشترك معه في المصلحة والهدف وركز على منهج التربية والتعليم في البلدان التي وقعت مستسلمة تحت سيطرة الغزاة سياسيا وعسكريا وفكريا.

ولم يقع الأدب التنصيري في السذاجة والسطحية بل استخدم الإمكانات الفنية المتاحة له والمجربة في بلاده بدهاء وحنكة بالغين فمزجت فنونه السم بالدسم - كما يقال - ولجأت إلى التلميح بدلا من التصريح واستخدمت الرمز وألوان الإشارة والتشويق، ونأت بجانبها عن السرد الأجوف والتعبير المباشر الممل ووظفت الإيحاءات توظيفا ماكرا ورسمت حركة الحياة والأفراد وانماط السلوك رسما يتفق ومعتقداتها ويبعد بها عن النماذج الإسلامية العريقة. والواقع أن القصة كانت المجال الخصب للدعوات التنصيرية في كل مكان حتى في روايات (دراكولا) - مصاص الدماء - نجد في احداها الضحية في آخر الفيلم وهو يدفن في حفرته نراه بعد أن أهيل عليه التراب يرفع يده بالصليب.

وهذه الروايات التنصيرية في عمومها تتخذ منهجا خاصا يمكن أن نوجزه في الآتي:

أولا: مكان الحادثة يبدو لأول وهلة مكانا متميزا غريبا يشد الانتباه ويقبل عليه الصغار والكبار والنساء والرجال على حد سواء، وقد يكون هذا المكان في غابات أفريقيا حيث الوحوش المختلفة والطيور ذات الألوان الغريبة والقبائل ذات التقاليد والأعراف التي تلزمك بالإصغاء والانتباه.

ثانيا: تصوير القساوسة والرهبان ورجال الدين بصورة ملائكية فريدة فهم يخوضون الأخطار دون خوف ويقتحمون المشكلات في حلم وروية

■ (فولتير) و(بريدو) و(اسكندر دوين) كتبوا قصصا أشبعوا الإسلام فيها سبا

ويتسمون بجمال الملامح ورقة المشاعر وجلال المظهر وتألق الثياب.

ثالثا: يتصف (رجل الله) كما تصوره القصص بالصبر والحلم وتقديم التضحيات - دون مقابل كما يقال - ولا تيئسه الهزائم أو تنال من عزمه النكبات.

رابعا: يحرص أبطال القصة الدينيون على تلمس مشكلات المجتمع والاحتياجات الملحة للناس ويقومون بسد النقص وتقديم الخدمات فترى في العمل الأدبي كيف ينشئون المدارس الصغيرة ويقيمون المستوصفات المبسطة للرعاية الصحية ويعقدون الاجتماعات الدينية للدروس والعبادة.

خامسا: تقديم المنح والمساعدات الدراسية لمن يلتحق بركبهم وإبرازه في صورة الإنسان المتحضر الواعي والذي تغيرت حياته تغيرا جذريا لسبب رئيسي واحد ألا وهو اعتناقه للنصرانية.

سادسا: يعمد الكتاب التنصيريون أساسا إلى البساطة في الأسلوب مهما كان المعنى عميقا وتجنب التعقيد والغموض.

سابعا: النيل بطريقة غير مباشرة من مختلف العقائد والديانات المنافسة وإظهارها بمظهر الانحراف والخمود والدجل وتقديم نماذج قصصية أو مسرحية تبلور هذا التصور بطريقة حية مؤثرة.

ثامنا: التغني بالقيم العليا التي يحلم بها المستعبدون والذين انهكهم الخوف والفقر والجهل والإهمال ونقصد بها قيم العدالة والحب والخير والإخاء بين بني البشر.

ويحرص الأدب التنصيري على الحفاظ الشديد والتمسك الكبير بالقيم الجمالية للشكل الفني لأنه بدون ذلك لا يمكن أن يتحقق الهدف وينجح المخطط الموضوع. والحركة التنصيرية كحركة معادية للإسلام - وكما يقول الدكتور الكيلاني - تضع الأدب وفنونه في المكان الصحيح فهي تخطط له وترصد له الإمكانات المادية الكافية وتهتم بترجمته إلى عديد من اللغات حتى يؤتي أكله في كثير من مناطق العالم وتتكفل بحملات إعلان عنه وتوعز إلى النقاد بتناوله بالتقييم والتقديم وترصد له الجوائز العالمية الكبيرة، وتجعل منه مصدرا لأعمال سينمائية وتليفزيونية ومسرحية، وتستنهض همم كبار الكتاب للمشاركة فيه وتنعم عليهم بأرفع الأوسمة، وتعرضه بأسعار رمزية وبشتى الوسائل.

الأهداف الحقيقية

والأدب التنصيري الغربي ليس في الحقيقة مجرد تبيان لمحاسن وأخلاق الرجال المنصرين وذلك بسبب انتمائهم العقيدي فحسب ولكن هناك ما هو أخطر من هذا التصور إذ يهدف هذا الأدب إلى:

١ - توهين عرى الالتقاء بين المسلم وتراثه العقيدي والسلوكي.

٢ - التمهيد لمفاهيم غربية أشد التصاقا بالاتجاه الديني النصراني.

ولعل هذا يفسر شيوع السلوك الغربي المنافي لعقيدتنا في السهرات والاختلاط وحفلات الرقص وتجاهل القيام بالفرائض والتخلي عن السنن والآداب الإسلامية وتقبيل أيدي النساء والاختلاط غير المشروع بهن والاستهانة بالحلال والحرام والسخرية من الطهارة والعفة والالتزام الديني ■

المراجع:

١) سلمان رشدي: الرجل المارق، سعيد أيوب، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٩م.

٢) الآيات الشيطانية: الظاهرة والتفسير، د. محمد يحيى، دار المختار الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٩م.

٣) مجلة الأمة، شوال ١٤٠٤ هـ، مقال عن الأدب التنصيري للدكتور نجيب الكيلاني.

* صحفي مصري

فن تجميل الكتـــــابـــة

من معالم الإبـداع عنـد المسلمين

الخط العربي معلم بارز من أهم معالم الإبداع الفني عند المسلمين، فله خاصية حضارية ينفرد بها عن سـائر الخطوط، وينفرد بها المسلمـون عن سائر الشعـوب، فالخط العـربي إلى جانب تعبيره ودلالاتـه عن القيم الفنيـة، ينقل إلينـا من خـلال الكلمة مضمـونها ومعناها فتلتقي جمال الكلمة مـع جوهر المعنى، كما تمتزج الثقافة بالفـن ليصبحا معا وسيلة من أرقى وسائل إيصال المعرفة إلى الإنسان.

وقديما قال أحد الحكماء: (إن الكلمات الجميلـة المكتوبة بخط أنيق هي بهجة للعين وانشراح للقلب وعطر للنفس). فالخط العـربي فن هام في مجال الثقافة الإسـلامية، وقد أوردت دائرة المعارف البريطـانية – بـريتانيكا – تعـريفا لفن الخط فأكـدت ان الخط الأنيق يجذب الأنظار ويبهج العين ويجعلنا نقر بالجمال الذي ينتج عن التناسب المحكم لأجزاء الحرف، الذي يشكل (كلا) وبالأجزاء الصغيرة لهذا (الكل) الذي يشكل كلمة.

فن تجميل الكتابة

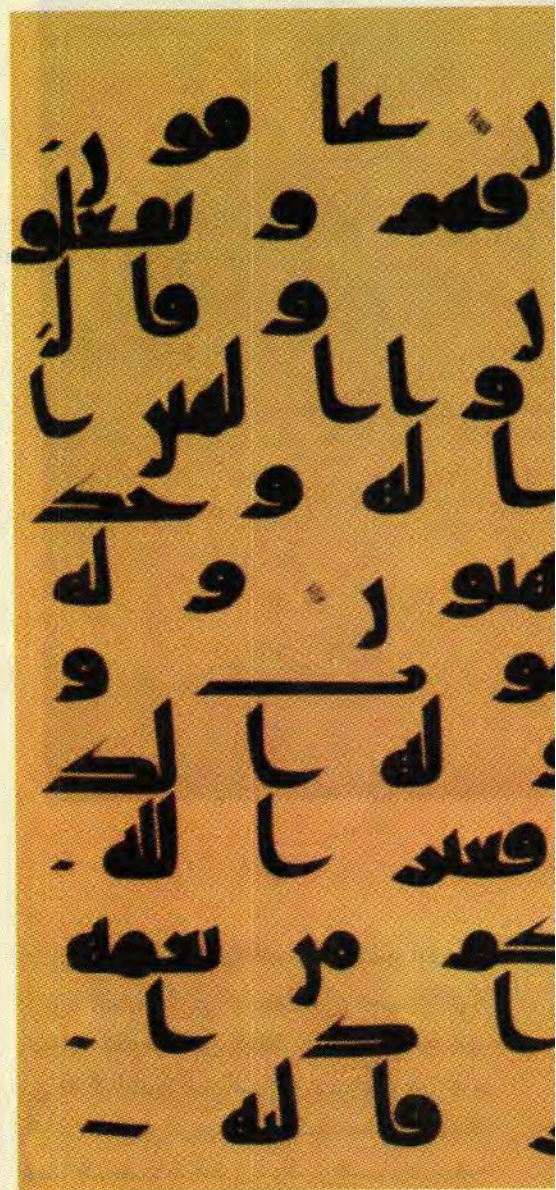
والثابت تـاريخيا أن المسلمين اهتموا بفن الخط عن طـريق تجميل كتاباتهم، وأن الـرسول صلى الله عليـه وسلم قد شجع صحـابته على الاهتمام بهذا الفن، كما أن القرآن الكريم يستحسن فن الخط، وأحسن مثال عل ذلك قول الله تعالى: ﴿ والقلم ومايسطرون ﴾ [القلم/١] وأهم الكتابات المستعملة في فن الخط العربي هي:

* الخط الكوفي: الذي يتميز بحروف ذات زوايا قائمة، وهو الخط الذي استعمله رسـول الله صلى ا لله عليه وسلم، في كتابـة رسائله أو كتبه التي أرسلهـا إلى العديد من الملوك والقيـاصرة في عهده الشريف، يدعوهم فيها إلى اعتناق الإسلام.

* خط النسخ أو الكتابة المستديرة، وهي التي عوضت الخط الكـوفي الـذي أصبح لا يتماشى وحـاجيات الحيـاة العلميـة، ويعتبر أبوعلي محمـد – ابن مقلة – هو الـذي ابتكر خط النسخ، وهـو أشهر خطاط في الفترة العباسية، كما ابتكر خطـوطا أخرى كالريحاني وخط الثلث وخط الترقيع والخط المحقق. وما إلى ذلك من الكتابات التي كان مبتكرها أو ساهم في تحسينها.

بقلـم: محمـــــود بيـــــومي

الخط العربي
تراث إسلامي أصيل



* خط الثلث الجلي.
* خط الثلث العادي.
* التعليق الجلي، أو خط النستعليق الجلي.
* خط التعليق أو (النستعليق)، وهو خط صعب القراءة بسبب تداخل حروفه، ظهر في القرن الحادي عشر وطوره الخطاطون الفرس.
* الخط الديواني الجلي.
* الخط المحقق.
* الخط الريحاني.
* خط الاجازة.
* خط الرقعة.
* الخط المغربي.
* خط التعليق الرقيق.

هوية الخط العربي

وقد اهتم مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطنبول - التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي - منذ تأسيسه في عام ١٩٨٠م، بالخط العربي اهتماما خاصا، وجعل له حيزا كبيرا ضمن برامجه وأعماله، فبادر إلى إعداد شريط وثائقي وألبوم شامل لروائع هذا الفن بشتى أنواعه ومدارسه، اعتبارا من القرن الهجري الأول وحتى يومنا هذا، كما أقام العديد من المعارض والندوات حول فن الخط العربي، كما أعد أول مسابقة دولة في فن الخط، من خلال الندوة العالمية التي نظمها حول الفنون الإسلامية في اسطنبول في شهر إبريل (نيسان) عام ١٩٨٣م، لأن إجراء هذه المسابقات حول فن الخط العربي، تستهدف الحفاظ على قيم وأساليب فن الخط، وإحياء هذا الفن الجليل عن طريق تشجيع خطاطي الجيل المعاصر والأجيال المقبلة، وفتح السبل أمامهم للحفاظ على المفاهيم التي رسخها أعلام هذا الفن على مر القرون، بعيدا عن التأثيرات الدخيلة التي تتناق مع المفهوم الأصيل لفن الخط العربي الإسلامي، ولدى تشكيل اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري الإسلامي ومباشرة مهامها، قامت بتبني هذا المشروع فأدرجته في برامج أعمالها، لإجراء مسابقة دولية لفن الخط الإسلامي بشكل دوري مرة كل ثلاث سنوات.

> أمـــريكي اعتنق الإسلام بسبب حبه للخط العربي

المسابقات الدولية

وقد نظم مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطنبول، المسابقة الدولية الأولى لفن الخط العربي في عام ١٩٨٥م، باسم الخطاط الراحل (حامد الآمدي)، وذلك من خمسة أنواع من الخطوط التقليدية وهي: الثلث مع النسخ - جلي الثلث - التعليق أو جلي التعليق - الديواني أو جلي الديواني، وأي نوع من الخطوط أو محاكاة أحد أعمال الخطاط حامد الآمدي، وقد شارك في هذه المسابقة - التي أعلنت نتائجها في شهر ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩٨٦م - ٣٥٢ متسابقا من ٣٢ دولة في العالم، تقدموا بـ ١٢٧٠ لوحة فازت منها ٦٢ لوحة لـ ٤٣ متسابق من ١٨ دولة، كما أصدر المركز كتالوجا خاصا باللوحات الفائزة في المسابقة الدولية الأولى لفن الخط، تم توزيعه على الهيئات المهتمة بهذا الفن في مختلف أنحاء العالم.

الخطاط حامد الآمدي

والخطاط حامد الآمدي هو أحد عمالقة فن الخط العربي، وقد ولد في تركيا في عام ١٨٩١م في بلدة (آمد)، واسمه (موسى عزمي) وبدأ اهتمامه بفن الخط منذ صغره، فذهب إلى مدينة (اسطنبول) والتحق بمدرسة القضاة ومدرسة الفنون الجميلة، وعمل مدرسا لفن الخط وفي مطبعة للرسومات، وذهب إلى ألمانيا لدراسة فن رسم الخرائط، وعاد إلى اسطنبول ليباشر أعماله وهوايته باسم مستعار هو (حامد)، كما عمل مصمما للكتب وكتابة (المانشيتات) والعناوين الكبيرة في الصحف والمجلات.

وتتلخص أهم أعماله في كتابة مصحفين شريفين، وكتابة بعض الآيات القرآنية على قباب مسجد (قوجاتبه) في أنقرة ومسجد (أبي أيوب الأنصاري) في اسطنبول، وكذلك بعض النقوش على مداخل جوامع بعض المدن التركية، كما انجز كتابة كراسي حروف الهجاء والأربعين حديثا للرسول صلى الله عليه وسلم، وحياة وآثار جلال الدين الرومي وضرب الأنوار وحلية السعادة وبعض أعمال الشعراء في زمنه، كما قام بتدريس فن الخط العربي لعدد

كبير من الفنانين من بلدان العالم العربي والإسلامي.

وقد توفى الخطاط التركي حامد الآمدي في اسطنبول يوم ١٨/٥/١٩٨٢م، وقد أعد مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطنبول، شريطا وثائقيا مدته ثلاثون دقيقة عن حياة الخطاط الراحل حامد الآمدي.

جامعة تركية تمنح أول دكتوراه في فن الخط العربي

الخط تراث إسلامي

وأعدت اللجنة الدولة للحفاظ على التراث الحضاري الإسلامي، المسابقة الدولية الثانية لفن الخط في ذكرى الخطاط ياقوت المستعصمي، حيث رأت أن ربط المسابقات بأسماء كبار الخطاطين المبدعين، فيه حث للمتسابقين على اقتفاء آثارهم وتخليد ذكراهم، لذا فقد أجرت المسابقة الثانية باسم الخطاط ياقوت المستعصمي (ت ٦٩٨ هجرية/ ١٢٩٨م)، وذلك في إطار الاحتفال بعام التراث الإسلامي الذي أقيم في عام ١٤١٠ هجرية (٨٩/ ١٩٩٠م)، وقد شارك في هذه المسابقة ٤٥٠ خطاطا من ٣٠ دولة إسلامية وعالمية، ساهموا به ١٧٨٠ لوحة خطية في كافة أنواع الخطوط المعروفة في العالم الإسلامي، وهي: الثلث الجلي – الثلث – النسخ – التعليق الجلي – التعليق – الديواني – الجلي – الديواني – الكوفي – المحقق – الريحاني – الاجازة – الرقعة – المغربي وغيرها، وقد أعلنت نتائج هذه المسابقة في ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩٨٩م، ووزعت ٥٠ جائزة فاز بها ٣١ متسابقا من ١١ دولة كما وزعت مكافأة تشجيعية على خطاطين ناشئين من ١٠ بلدان، أخذ يزدهر بها هذا الفن حديثا، كما أصدرت اللجنة كتالوجا بالأعمال الفائزة في هذه المسابقة.

الإسلام يشجع على تجويد الخط وتحسينه

الخطاط ياقوت المستعصمي

والخطاط ياقوت المستعصمي هو أبو الدر جمال الدين ياقوت بن عبد الله المستعصمي، وقد قام بتحويل الخط إلى فن من فنون الإسلام الأصيلة، وكان من رجال الخليفة العباسي المستعصم بالله، وقد نشأ منذ صباه في بلاط هذا الخليفة، وقد أتقن اللغة العربية والأدب ونهل من مختلف العلوم والمعارف التي ساهمت في تنمية مواهبه الفنية، وعلى الرغم من اختلاف الروايات حول اسم الأستاذ الذي تعلم ياقوت الخط على يديه، إلا أن أغلب الروايات تشير إلى صفي الدين الأرموي (ت ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م) كما أنه استفاد من خطوط الذين سبقوه مثل ابن مقلة (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) وابن البواب (ت ٤١٣هـ/ ١٠٣٢م) بوجه خاص.

وكانت الأقلام الستة (الثلث – النسخ – المحقق – الريحان – التواقيع والرقاع)، قد بلغت حدا من التطور قبله فجوّدها وحسّنها ووصل بها إلى الوضع الذي كانت عليه قبل العهد العثماني، إذ اتخذ القلم المائل بدلا من القلم المستوي في كتابة الخطوط، فأضفى بذلك على خطوطه جمالا، حتى بلغ بهذه الأنواع الخطية حدا كبيرا من الجودة، بينما استمرت طرق الكتابة الأخرى في مناطق متعددة من بلدان العالم الإسلامي.

وقد ألف ياقوت المستعصمي بعض الكتب وكتب الشعر، غير أن تفوقه الحقيقي قد تجلى في الخط، وقد ترك لنا أعمالا خطية كثيرة على رأسها المصاحف الشريفة وعدد من المجموعات الخطية.



تراث حضاري

كما أعدت اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري الإسلامي، مسابقتها الدولية الثالثة لفن الخط باسم الخطاط علي بن هلال المعروف بابن البواب وذلك من عام ١٩٩٢م، في ذكرى مرور ألف عام على وفاة هذا الخطاط الكبير، وقد شارك فيها خطاطون من ٤٠ دولة من العالم، مما أشار إلى تزايد الاهتمام بهذه المسابقة، التي أصبحت من المواسم الثقافية المرتقبة من بلدان العالم.

وابن البواب، هو أبوالحسن علاء الدين على بن هلال، كان أبوه يعمل بوابا ولهذا عرف بابن البواب أو ابن الستري، وكان يعمل في بداية أمره بنقش الدور وزخرفتها، ثم تعلم فن الخط على يدي محمد بن أسد ومحمد السمسماني، وقام بتدقيق خطوط ابن مقلة، وكان ابن البواب حافظا للقرآن الكريم فقيها وشاعرا وأديبا، عمل فترة رئيسا للمكتبة التي أنشأها بهاء الدين البويهي في شيراز (ت ٤١٣ هـ/ ١٠٢٢م)، ويقال أن قبره إلى جانب قبر الإمام أحمد بن حنبل، وله قصيدة مشهورة في فن الخط.

ويروي أن ابن البواب كتب ٦٤ مصحفا شريفا وقد فرغ من كتابتها عام ٣٩١



هجرية/١٠٠٠م، منها نسخة في إحدى مكتبات دبلن بأيرلندا، وقد ذكرت المصادر الغربية أن السور كتبت بخط النسخ وأن رؤوس السور كتبت بالخط الثلث.

وقد بلغ عدد الجوائز التي وزعت على المتسابقين في مسابقة الخط بمناسبة مرور ألف عام على وفاة الخطاط ابن البواب، ٢١ جائزة و٦٣ مكافأة و٢١ جائزة رمزية.

معارض الخط العربي

وقد نظمت دولة الكويت في ٢١/٤/١٩٩٢م، المعرض الأول للخط العربي لفناني دول مجلس التعاون الخليجي، وقد شارك في هذا المعرض ثلاثة خطاطين من دولة الإمارات العربية المتحدة بـ ١٤ لوحة خطية، وأربعة خطاطين من سلطنة عمان اشتركوا بـ ١٨ عملا فنيا، وأربعة خطاطين من البحرين قدموا ١٤ عملا، كما شارك من المملكة العربية السعودية خمسة خطاطين قدموا ٢١ عملا، أما الكويت فقدمت ١٨ عملا للخطاطين على عبدالرحمن البداح ووليد الفرهود.

وقد جاء هذا المعرض تلبية للطموحات والآمال الثقافية التي تجمع دول المجلس، حيث وافق وزراء الثقافة على إقامة الدورة الأولى لبينالي الخط العربي من الكويت، مع قيام دول مجلس التعاون يتناوب إقامة البينالي كل سنتين في كل دولة على حدة، وكان هذا المعرض فرصة جيدة للاحتكاك بين الفنانين الخليجيين، لتبادل الخبرات والتعرف على أغلب الاتجاهات الفنية في مجال فن الخط العربي، وجاء المعرض في مجمله خطوة حضارية على طريق التواصل الثقافي لدول المنطقة.

امتزاج الثقافة بالفن من أرقى وسائل ابلاغ المعرفة

كما قام مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطنبول، بتنظيم معارض لفني الخط والزخرفة في دول الخليج العربي، فكانت الجولة الأولى لهذه المعارض في مسقط ودبي والشارقة وأبوظبي، وذلك في الفترة من ٢/٢ - ٤/٣/١٩٩٢م، كما نظم المركز جولة ثانية لهذه المعارض شملت كلا من الدوحة والكويت، فأقيم في الدوحة في الفترة من ١٥ - ٢٢/١١/١٩٩٢م.

وقد انتقل المعرض إلى الكويت، وذلك في إطار التعاون مع دار الآثار الإسلامية التي ترأسها الشيخة حصة الصباح السالم الصباح وقد افتتح المعرض في ٢٨/١١/١٩٩٢م، وضم المعرض جناحا لأعمال الخطاطين الكويتيين، عبدالله عثمان وعلي عبدالرحمن البداح ووليد الفرهود، واستمر المعرض في الكويت حتى ٤ ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩٩٢م.

دكتوراه في الخط

وتقديرا لدور فن الخط العربي، فقد منحت جامعة سلجوق في قونيه بتركيا، شهادة الدكتوراه الفخرية في فن الخط إلى الخطاط التركي حسين أوكسوز المعروف بلقب (القنوي) والحائز على العديد من الجوائز في المسابقات الدولية لفن الخط، والخطاط التركي تخرج في كلية الصيدلة بجامعة اسطنبول عام ١٩٧١م، وقد تعلم الخط على يد عدد من الخطاطين منهم الخطاط حامد الآمدي، وقد أعد كتابات مايقرب من ٦٠ مسجد ومبنى.

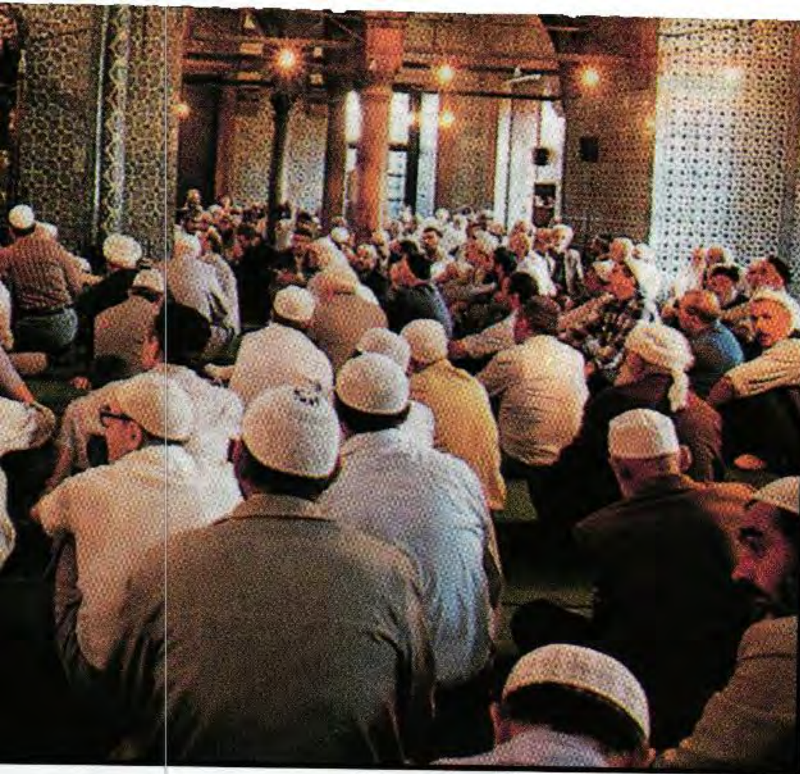
ويذكر أن جامعة هارفارد الأمريكية أقامت معرضا لفن الخط.. لأعمال الخطاطة أمنية أحمد أهوجه، وقد سبق لها أن أقامت معارض خطية في الأردن وإنجلترا واليابان وأمريكا الجنوبية وروسيا.

وقد منح مركز الأبحاث التركي (إجازة) للخطاط الأمريكي المسلم محمد زكريا في خطي الثلث والنسخ، وقد وقع على الإجازة الخطاط حسن جلبي ومصطفى بكر، وقد ولد محمد زكريا في ولاية كاليفورنيا واعتنق الإسلام ويبلغ عمره الآن ٥٠ عاما، وله عدة مؤلفات عن فن الخط العربي، والإجازة التي حصل عليها الخطاط المسلم الأمريكي بمثابة شهادة تعارف عليها الخطاطون منذ القرن الخامس عشر الميلادي.

وبعد

إذا كان الفن الإسلامي هو الهدية العظيمة التي قدمتها الحضارة الإسلامية للثقافة الإنسانية، فإن الخط العربي هو الترجمة الحقيقية لأحد جوانب هذه الحضارة، ومنهجا جماليا للتعبير عنها، إن الخط العربي ثراء معطاء لايزال يؤثر إلى الآن وبشكل فعال في معطيات الفن الإسلامي على مرّ القرون، ويظل فن الخط العربي مصدرا هاما من مصادر الإبداع الإسلامي، وواجبنا أن نهتم بإحياء هذا التراث المعطاء ■

كيف نصون هوية الخط العربي ونحميه من الاندثار؟



● إرث النبوّة: حلقات العلم في المسجد

الحديث عن دور المسجد التربوي في المجتمع الإسلامي يقتضينا تناول الكلام في موضوع المسجد من خلال المفهوم التأسيسي لهذه المنشأة التي تميز بها النبي ﷺ منذ اللحظة الأولى التي امتزجت بها مسيرة هجرته الانتقالية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة. فلقد توافق مؤرخو السيرة النبوية على أن النبي ﷺ عندما دخل المدينة المنورة لثمان خلون من ربيع الأول مكث بقباء ثلاث ليال ثم ركب يوم الجمعة فمر على بني سالم فجمع بهم. فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة. ثم ركب من بني سالم، فجعل كلما مر على دار من دور الأنصار يدعونه إلى المقام عندهم يقولون: يا رسول الله هلم إلى القوة والمنعة، فيقول خلوا سبيلها - أي الناقة مطيته - فإنها مأمورة. وقد أرخى زمامها، وما يحركها، وهي تنظر يمينا وشمالا، حتى إذا أتت إلى باب ابني رافع وعمرو بن مالك بن عباد بن ثعلبة ابن غنم بن مالك بن النجار. ثم ثارت وهو عليها حتى بركت على باب أبي أيوب الأنصاري، ثم ثارت منه وبركت في مبركها الأول، وألقت جرانها بالأرض وأرزمت (١)، فنزل عنها رسول الله ﷺ وقال: «هذا المنزل إن شاء الله تعالى» واحتمل أبو أيوب رحله - أي متاع النبي ﷺ - وأدخله بيته، فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع رحله» فمضت مثلا. وهكذا يكون النبي ﷺ أرسى قواعد أول مسجد في الإسلام عندما ألقى عصا الترحال واستقر به النوى في البلدة التي اختارها دارا لهجرته ومن ثم مثوى لجثمانه الطاهر بعد وفاته. وهي التي دخلت في التاريخ تحت اسمها الإسلامي (المدينة المنورة) متخلية عن اسمها الجاهلي (يثرب).

دور المسجد التربوي

بقلم الشيخ: طه الولي*

المسجد أول منشأة في المدينة بعد الهجرة

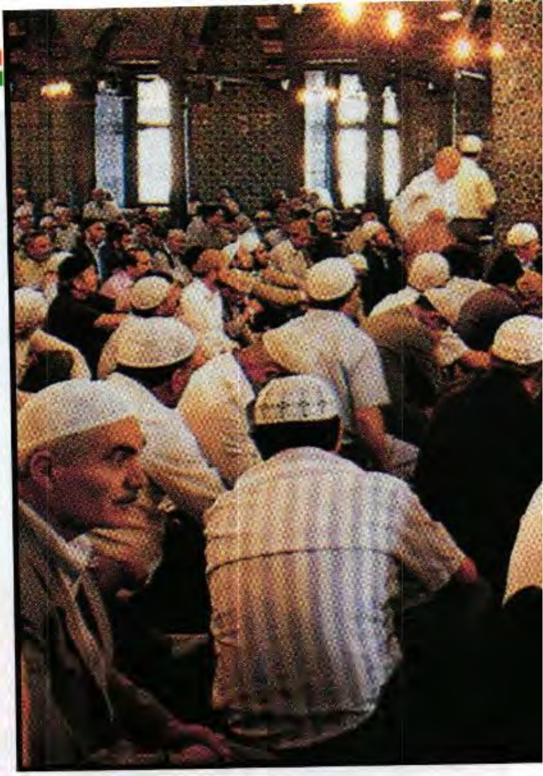
ولعلنا لا نحتاج إلى كبير عناء للوصول إلى إدراك الحكمة الكامنة في مبادرة النبي ﷺ إلى أن يكون المسجد أول منشأة يؤسسها بعد وصوله إلى دار هجرته واطمئنانه إلى وجوده بين أنصاره الذين بايعوه من قبل على الإيمان بدعوته وشد أزره تحت لواء رسالته والوقوف إلى جانبه.

ويمكن القول بأن الحكمة في هذه المبادرة هي رغبة النبي ﷺ في إشعار صحابته المهاجرين منهم والانصار ثم سائر المسلمين الذين تبعوهم من حين لاح فجر الإسلام في أمسه إلى حين يومه الذين نحن فيه، بأن المسجد هو بالنسبة لهم في دينهم موئل العبادة كما هو في نفس الوقت لما يجب أن يكونوا عليه سحابة دنياهم منهل الإفادة والريادة.

وبعبارة أدق في المعنى وأ وفي بالقصد ان النبي ﷺ بدأ باستهلال وجوده في المدينة المنورة ببناء المسجد لكي يؤكد للمسلمين بالعمل المادي المحسوس والواقع الفعلي الملموس بأن هذا البناء يتجاوز ما تقع عليه العين من الحيز الذي يشغله في أديم الأرض ويبلغ في آثاره الإعدادية والتنظيمية أعماق المجتمع الإسلامي العتيد وينفذ بهذه الآثار إلى كل فرد مسلم في عملية تغيير جذرية تتناول هذا الفرد بحيث يستحيل مع الإسلام إلى إنسان جديد ليس فيه من رواسب جهالة الجاهلية ما يشده إلى ضلاله القديم من قريب أو بعيد.

وهكذا يكون النبي ﷺ قد اتخذ من المسجد المحور الذي يستقطب المعطيات المستجدة في انطلاقة الدين الإسلامي عبر دروب حضارة تأخذ نصيبها من الحياة الدنيا بقدر ما يؤمن لهذه الحياة الازدهار والتطور والتقدم كما تأخذ هذه الحضارة نفسها بما للدار الآخرة على الناس من الواجبات والحقوق في يوم لا ينفع فيه مال

* كاتب لبناني



■ كان المسجد أول منشأة في المدينة بعد الهجرة

■ المسجد موئل العبادة وهو في نفس الوقت منهل الإفادة والريادة

■ جعل النبي ﷺ من المسجد مركزا تربوياً بالإضافة إلى وظائفه الأخرى

ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

إذن المسجد هو نقطة البداية التي أرادها النبي ﷺ لتكون مركزا للقاء الذي يجد فيه المسلم ما يحقق له توقه إلى ما يؤمن فرص نجاحه في دنياه كما يحقق له كذلك مايرجوه عند ربه من حسن الثواب في أخراه، وبذلك يكون هذا المسجد المكان الصحيح الذي يعيش فيه الدين الإسلامي متجسدا في المعطيات المتمثلة في هذا الدين على اختلاف صورها وعناوينها ذلك أن هذه الصور والعناوين ما هي في واقع الأمر وحقيقته إلا نوافذ يطل منها المسلم إلى عبادة ربه، أي ترجمة سلوكه الديني بأعمال وأشكال وأقوال تتعدد وسائلها وتتباين مظاهرها في حين أنها تؤول جميعها إلى مفهوم واحد لا يتعدد ولا يتباين ألا وهو مفهوم العبادة.

أجل إن مفهوم العبادة في الإسلام، خلافا لسائر الأديان الأخرى، تتصل اتصالا وثيقا وأكيدا بكل صغيرة وكبيرة في حياة المسلم بحيث يمكن القول بأن الإسلام نهج تربوي على المسلم أن يلتزمه في سائر حركاته وسكناته، سواء بينه وبين ذاته أو بينه وبين غيره أو بينه وبين ربه. وعلى هذا . فإن ما يردده بعض الكتاب من أن الإسلام دين ودولة أو أنه عبادة وريادة أو أنه طاعة وقيادة، شعارات تحكمت في صياغتها أساليب البلاغة الإنشائية التي تسيغ الأذن سماعها وترتاح العين لقراءتها، ولو أن الذين يطلقون مثل هذه الشعارات ويعملون على ترويجها عادوا إلى التمعن في أبعاد الدين الإسلامي النظرية والتطبيقية لواجهتهم الحقيقية التالية وهي أن الإسلام كله دين وأنه ليس هناك من فاصل بين مفهوم العبادة فيه وبين أي شأن من الشؤون التي يتعاطاها أو يتعامل معها أو يمارسها الإنسان المسلم في حياته الخاصة والعامة على حد سواء.

من هذا المنطلق يجب علينا أن نقبل على دراسة الدور التربوي للمسجد في الإسلام. وإذا نحن فعلنا ذلك، تبين لنا بما لا لبس فيه ولا غموض، أن هذا المسجد هو البيئة التي يجد فيها المسلم المناخ التربوي المتكامل حين يريد أن يأخذ نفسه بالنهج الإسلامي الصحيح كما قرره الله عز وجل في كتابه الكريم وبينه النبي ﷺ في حديثه الشريف.

الحض على بناء المساجد

وإذ كان للمسجد هذا الدور الهام في الإعداد التربوي للمسلمين فإننا نجد النبي ﷺ لم يأل جهدا في الحض على بناء المساجد وحث المسلمين على ارتيادها لأداء صلاتهم فيها مجتمعين غير منفردين بحيث يهيء لهم اجتماعهم فرصة المذاكرة في العلم والإفادة من التوجيهات النبوية التي تتخذ طابع السلوك الأخلاقي والإرشادات الاجتماعية. فلقد روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص؛ رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين في مسجده، أحد المجلسين يدعو الله ويرغب فيما عنده، والآخر يتعلمون فيه الفقه ويعلمونه، فقال رسول الله ﷺ: «كلا المجلسين خير وأحدهما أفضل من الآخر. أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه، إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل، وإنما بعثت معلما» ثم أقبل فجلس معهم.

بل إن النبي ﷺ كان حريصا على أن يجعل حواره التربوي مع أصحابه وسائر الناس في داخل المسجد بالذات، وهو يهدف بذلك تأكيد الدور التربوي لهذه المنشأة الإسلامية بالإضافة إلى ما كانت تشهده من ألوان الممارسات الدينية الأخرى، فقد أخرج الطبراني عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: إن الله عز وجل لما أراد هداية زيد بن سعنة، قال زيد بن سُعنة: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلما.

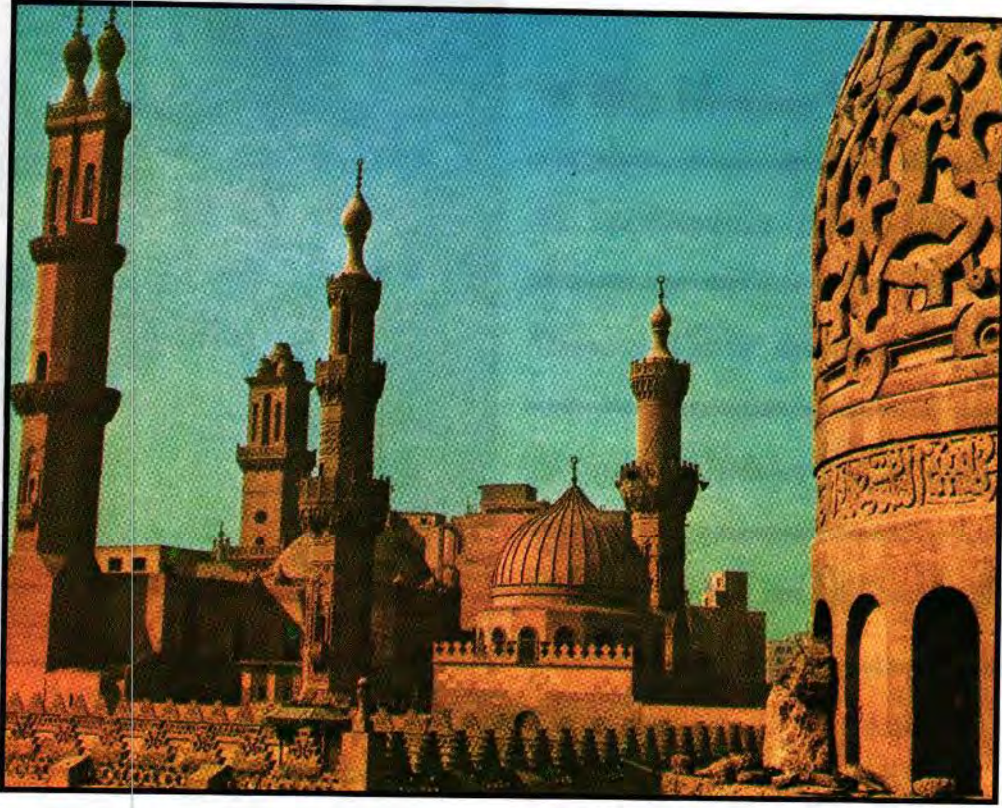
قال زيد بن سعنة: فخرج رسول الله ﷺ يوما من الحجرات (٢) ومعه عليّ بن أبي طالب فأتاه رجل على راحلته، كالبدوي، فقال: (يا رسول الله لي نغر في قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام. وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم

دور المسجد التربوي

الرزق رغدا (أي واسعا) وقد اصابتهم سنة (أي جدب) وشدة وقحط من الغيث. فأنا أخشى؛ يارسول الله؛ أن يخرجوا من الإسلام طمعا كما دخلوه طمعا، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تغيثهم به فعلت). فنظر رجل إلى جانبه؛ أراه عليا؛ فقال: (يا رسول الله؛ ما بقي منه شيء)، قال زيد بن سعنة: فدنوت إليه. فقلت: (يا محمد؛ هل لك أن تبيعني تمرا معلوما في حائط (أي بستان) فلان إلى أجل معلوم، إلى أجل كذا وكذا)، قال: «لا تسم حائط بني فلان» (أي طلب الرسول ﷺ من زيد أن لا يسمي بستانا معينا) قلت: (نعم). فبايعني، فأطلقت همياني (٣) فأعطيته ثمانين مثقالا من ذهب في تمر معلوم، إلى أجل كذا وكذا فأعطاه الرجل وقال: «اعدل عليهم وأغثهم».

قال زيد بن سعنة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة، خرج رسول الله ﷺ ومعه أبوبكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في نفر من أصحابه، فلما صلى على الجنازة ودنا إلى الجدار ليجلس إليه أتيته، فأخذته بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ، وقلت له: (يا محمد ألا تقضيني حقي، فوالله ما علمتم بني عبدالمطلب إلا مطلا، ولقد كان لي بمخالطتكم علم). ونظرت إلى عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير (٤) ثم رماني ببصره فقال: (يا عبدالله؛ أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتصنع به ما أرى؟ فوالذي نفسي بيده، لولا ما أحاذر فوته (٥) لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ينظر الي في سكون وتؤدة، فقال: «ياعمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا: أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن اتباعه. اذهب ياعمر. فأعطه حقه وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما رعته».

قال زيد: فذهب بي عمر فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعا من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة ياعمر؟ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رعتك، قال: قلت: وتعرفني ياعمر؟ قال: لا.



● من بنى لله بيتاً بنى له بيتاً في الجنة

■ نشر العلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أهم أسس المجتمع المسلم

قلت: أنا زيد بن سُعْنة. قال: ما الخبر: قلت الخبر. قال: فما دعاك إلى أن فعلت برسول الله مافعلت، وقلت له ما قلت؟ قلت: ياعمر، لم يكن من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفت في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين. لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما. وقد اختبرتهما، فأشهدك - ياعمر - أني قد رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وأشهدك أن شطر مالي - فإني أكثرها مالا - صدقة على أمة محمد ﷺ. قال عمر: أو على بعضهم فإنك لا تسعهم: قلت: أو على بعضهم.

فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ، فقال زيد: (أشهد أن لا إله إلا الله. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله). وآمن به وصدقه وبايعه. وشهد منه مشاهد كثيرة.

[رواه الطبراني ورجاله ثقات، وروى ابن ماجة منه طرفا] (إهـ).

أثر المسجد في التربية

هذه بارقة من بوارق الدور التربوي للمسجد وقعت أحداثها في قلب مسجد النبي ﷺ وانتهت بأن أشهر زيد بن سعنة إسلامه، وكان من أحبار اليهود، متأثرا بالدرس الأخلاقي الذي تلقاه في رحاب المسجد المذكور على يد صاحب الرسالة النبي محمد ﷺ الذي احتوى بحلمه وسعة صدره رعونة ذلك الحبر اليهودي، وحال بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبين الاندفاع في انفعاله، وحمله على التحلي بالصبر والروية وضبط أعصابه، وكل ذلك كانت ساحته رحاب المسجد.

وحديث التوجيه الخلقي في المسجد يقودنا بطبيعة الحال إلى الكلام على واقعة أخرى حدثت تفاصيلها في نفس المكان، أي في مسجد الرسول الأعظم ﷺ بالمدينة المنورة، فقد نقل الشيخ محمد يوسف الكاند هلوي في كتابه (حياة الصحابة) عن الدولابي في الكنى (١/ ٣١) عن أبي راشد ابن عبدالرحمن رضي الله عنه قال: (قدمت على النبي ﷺ في مائة رجل من قومي، فلما دنونا من النبي ﷺ وقفنا، وقالوا لي: تقدم أنت يا أبا معاوية، فإن رأيت ما تحب رجعت إلينا حتى نتقدم إليه، وإن لم تر شيئا انصرفت إلينا حتى ننصرف. فأتيت النبي ﷺ، وكنت أصغر القوم فقلت: أنعم صباحا يامحمد. فقال النبي ﷺ: «ليس هذا بسلام المسلمين بعضهم على بعض» فقلت له: وكيف يارسول الله؟ فقال: «إذا أتيت قوما من المسلمين قلت: السلام عليكم ورحمة الله» قلت: السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته، قال: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته»، فقال لي النبي ﷺ: «ما اسمك ومن أنت؟» فقلت: أنا أبومعاوية بن عبد اللات والعزى، فقال لي رسول الله ﷺ: «بل أنت أبوراشد بن عبدالرحمن» وأكرمني وأجلسني إلى جانبه، وكساني وأعطاني حداه (٦) ودفع إليّ عصاه وأسلمت، فقال للنبي من جلسائه: يارسول الله، إنا نراك قد أكرمت هذا الرجل فقال رسول الله ﷺ: «هذا شريف قومه، فإذا أتاكم شريف قومه فأكرموه» (إهـ).

ووقائع هذه القصة حدثت في رحاب المسجد النبوي الشريف الذي شهد كيف أن النبي ﷺ انتهز فرصة وجود وفد يريد مقابلته في محاولة للتعرف على أخلاقه قبل الإقدام على الإيمان بدعوته والأخذ بدينه وتصرف ﷺ بالأسلوب النبوي الذي زينه الله تعالى به، ومن هذا التصرف الحكيم علمنا حسن اختيار أسمائنا ونبهنا إلى أن اللياقة الاجتماعية تقتضينا أن نحفظ للأشراف والكرام من الناس ماء وجوههم فنكرمهم ونعاملهم بما يليق بأمثالهم من الاحترام والتوقير والمجاملة.

وفي المسجد كان المسلمون الأولون يلتقون بالنبي ﷺ ويشدون إليه أسماعهم وأبصارهم ويفتحون لنصائحه أذهانهم وقلوبهم، وما كان النبي ﷺ ليحبس عنهم ما فيه رشادهم وخيرهم وفلاحهم. فقد أخرج البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ خطب ذات يوم فأثنى عل طوائف من المسلمين خيرا ثم قال:

«ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم، ولا يفطنونهم، ولا يأمرونهم ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم، ولا يتفقهون ولا يتفطنون؟ والله ليعلمن أقوام جيرانهم ويعظونهم ويفقهونهم ويأمرونهم وينهونهم. وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفطنون ويتفقهون، أو لأعاجلنهم بالعقوبة في دار الدنيا».

ثم نزل فدخل بيته، فقال قوم: من تراه عنى بهؤلاء؟ فقالوا: نراه عنى الأشعريين، هم قوم فقهاء ولهم جيران جفاة، من أهل المياه والأعراب. فبلغ ذلك الأشعريين فأتوا رسول الله ﷺ. فقالوا: يارسول الله، ذكرت قوما بخير، وذكرتنا بشر، فما بالنا؟ فقال: «ليعلمن قوم جيرانهم وليفقهنهم وليفطننهم وليأمرنهم ولينهينهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم، يتفقهون ويتفطنون، أو لأعاجلنهم بالعقوبة في دار الدنيا». قالوا: يا رسول الله؛ أنفطن غيرنا؟ فأعاد قوله عليهم، وأعادوا قولهم: أنفطن غيرنا؟ فقال ذلك أيضا، قالوا: فأمهلنا سنة. فأمهلهم سنة ليفقهوهم ويعلموهم ويفطنوهم.

ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ لُعِن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ [المائدة:٧٨و٧٩] (إهـ).

هذه الواقعة تحمل في طيات أحداثها كيف أن النبي ﷺ اتخذ من مسجده الشريف منبرا يدعو منه أبناء أمته إلى أن يجعلوا من المساجد مراكز تربوية بحيث يقبل بعضهم على بعض معلمين ومتعلمين دون أن يجد كل من الطرفين غضاضة في عمله. ودون أن يرى أحد من الناس أن المسجد يتجاوز حدود ما انشىء له حين تترد في جنباته دعوات الداعين إلى إشاعة المعرفة على اختلاف مراتبها وألوانها، ولا بدع فإن لنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في هذا المجال إذ إنه عليه الصلاة والسلام قد حدد لنا منذ أن أسس مسجده الأول أن المساجد في الإسلام ذات دور تربوي.

وفي آخر مطاف العلم عبر هذه العجالة أراني لا أجد خاتمة لما قدمت من نهج الإسلام في التربية المسجدية خيرا من التذكير بالكلمات النورانية الرائدة التي ودع بها الصديق أبو بكر رضي الله عنه قواد العسكر الإسلامي (يزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة) إذ انطلقوا غزاة لتخليص بلاد الشام من ربقة الاروام. وانها لكلمات جديرة بأن تلهج بها ألسنة المؤرخين على ملء الزمان في كل مكان على أنها من الآيات البينات في الدور التربوي للمسجد في الإسلام، لما فيها من توجيه السلاح العربي الإسلامي في الحدود التي يرتضيها الشرف العسكري، وتقتضيها الشهامة الإنسانية، ويلتزمها الخلق الذي يشع بضوء كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فلقد أخرج البيهقي عن سعيد بن المسيب أن أبا بكر، رضي الله عنه، لما بعث الجنود نحو الشام، أمّر يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة، ولما ركبوا مشى أبوبكر مع أمراء جنوده يودعهم حتى بلغ ثنية الوداع، فقالوا: يا خليفة رسول الله؛ تمشي ونحن ركبان! فقال: إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله. ثم جعل يوصيهم فقال:

(أوصيكم بتقوى الله، اغزوا في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله. فإن الله ناصر دينه، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تجبنوا، ولا تفسدوا في الأرض، ولا تعصوا ما تؤمرون، فإذا لقيتم العدو من المشركين – إن شاء الله – فادعوهم إلى ثلاث، فإن هم أجابوكم، فاقبلوا منهم وكفوا عنهم. ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن هم فعلوا، فأخبروهم أن لهم مثل ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، وإن هم دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم على دار المهاجرين، فأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي فرض على المؤمنين،

دور المسجد التربوي

وليس لهم في الفيء والغنائم شيء حتى يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبوا أن يدخلوا في الإسلام، فادعوهم إلى الجزية، فإن هم فعلوا، فاقبلوا منهم وكفوا عنهم. وإن هم أبوا فاستعينوا بالله عليهم، فقاتلوهم إن شاء الله. ولا تَصْرمُنّ نخلا، ولا تحرقنها ولا تعقروا البهيمة ولا شجرة مثمرة، ولا تهدموا بيعة، ولا تقتلوا الولدان، ولا الشيوخ، ولا النساء. وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له. وستجدون آخرين اتخذوا للشيطان في أوساط رءوسهم أمخاصا، فإذا وجدتم أولئك فاضربوا أعناقهم إن شاء الله).

وهاكم الصفحة التالية من الأثر التربوي للمسجد في الإسلام وفيها مقالة سيف الله المسلول خالد بن الوليد لواحد من قادة الروم بعد أن تصاف الجيش الإسلامي والجيش الرومي للمناجزة والقتال يوم اليرموك.

فقد ذكر ابن الأثير في البداية (١٢/٧) عن الواقدي وغيره أن جرجة (جرجي) أحد كبار الأمراء الروم خرج من الصف واستدعى خالد بن الوليد. فجاء إليه حتى اختلفت عنقا فرسيهما، فقال جرجة: ياخالد، أخبرني فاصدقني ولا تكذبني، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه، فلا تسله على أحد إلا هزمتهم؟

قال: لا.

قال: فبم سميت (سيف الله)؟

قال: إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعا، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا كذبه وباعده، فكنت فيمن كذبه وباعده، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه، فقال لي «أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين».

فقال جرجة: يا خالد، إلام تدعون؟

قال خالد: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، والإقرار بما جاء من عند الله عز وجل.

قال: فمن لم يجبكم؟

قال: فالجزية ونمنعهم.

قال: فإن لم يعطها؟

قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله.

قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟

قال منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا، وأولنا وآخرنا.

قال جرجة: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟

قال: نعم، وأفضل.

قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟

فقال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر عنوة، وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء، يخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات. وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا من العجائب والحجج أن يسلم ويبايع، وأنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا.

فقال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟

قال خالد: تالله لقد صدقتك، وإن الله وليّ ما سألت عنه.

فعندئذ قلب جرجة الترس ومال مع خالد وقال: علمني الإسلام. فمال به خالد إلى فسطاطه فشن (أي صب) عليه قربة من ماء ثم صلى به ركعتين.. وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا والرومَ بالسيوف، فضرب خالد فيهم ومعه جرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب، وصلى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماء وأصيب جرجة – رحمه الله – ولم يصل لله إلا تلك الركعتين مع خالد، رضي الله عنهم.

وهكذا كان المسجد المدرسة التي تربى المسلمين فأحسنت تربيتهم ومن رحابه النبوية تخرج الأبطال يتلوهم الأبطال، وأعطوا للرجولة ما شاء الله لها من أمثال الصديق ابي بكر والفاروق عمر بن الخطاب وسيف الله المسلول خالد بن الوليد، وغيرهم وغيرهم ممن تنافست سطور المجد تحت أسمائهم: ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾.

وبعد

إنني في هذه العجالة قدمت نظرة سريعة عما هديت إليه من رأي حول مفهوم الدور التربوي للمسجد في الإسلام، واخترت بين يدي هذا الموضوع قبسات من المواقف النبوية الهادية الرائدة التي وصلت إلينا عن طريق كتب السنن ومدونات الحديث ومصادر التاريخ، وهي على أي حال قبسات فيها إشراقة البيان الواضح لذوي الألباب وأهل الحجى وأصحاب النهي، في موضوع الدور التربوي للمسجد في الإسلام ورسالته الراشدة القائمة على نور القرآن الكريم وهدي الرسول الأعظم عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم.

وجدير بالذكر، أني قصرت الكلام فيما يتصل بهذا الموضوع على أثر المسجد في المسلمين خلال عهد النبي ﷺ إبان فجر الإسلام، لأن هذا العهد كان هو البداية المشرقة التي انطلق منها المسجد في دروبه التربوية من أجل مجتمع إنساني أفضل يقوم على الإيمان بالحق والخير والجمال في ظلال الشعار الخالد: (لا إله إلا الله محمد رسول الله). والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل ■

الهوامش:

(١) الجران باطن العنق، وأرزمت الناقة صوتت من غير أن تفتح فاها.

(٢) وهي غرف زوجات النبي ﷺ وكانت بجانب المسجد النبوي في المدينة.

(٣) الكيس الخاص بالنقود الذي يشد على الوسط.

(٤) الفلك هو القسم المستدير من المغزل الذي يدور بسرعة.

(٥) لعل عمر يقصد محاذرة عدم إيمان زيد بالرسول ﷺ.

(٦) لعله يريد نطاق النبي ﷺ أو نعله.

الخليفة الزاهد العادل الورع التقي عمر بن عبد العزيز، لقد كان؛ رضى الله عنه؛ مضربا للمثل في عدله وإيثاره للآخرة، ولا أجد تعبيرا دقيقا يصور لنا معالم شخصيته أصدق من قول التابعي عمر بن ذر رضى الله عنه حيث يقول فيه: (ما رأيت أحدا كان أخوف لله عز وجل من عمر بن عبدالعزيز). وتصفه زوجته فاطمة بنت عبد الملك فتقول فيه: (إني أعلم أنه قد يكون من الناس من هو أكثر صلاة وصوما من عمر، فأما أن أكون رأيت رجلا أشد فرقا من ربه؛ عز وجل؛ من عمر فإني لم أره) ثم تستطرد فتصف لنا شيئا من معالم هذا الخوف من الله فتقول: (كان إذا صلى العشاء أبقى نفسه في مسجده فيدعو ويبكى حتى تغلبه عينه ثم ينتبه فيدعو ويبكى حتى تغلبه عينه، فهو كذلك حتى يصبح).

لقد ضرب لنا – رضي الله عنه – بل وللدنيا بأمرها المثل الأعظم في تطبيق منهج الإسلام وعدالته وحرصه في المحافظة على دماء المسلمين وزجر وردع المتصدى الذى يفكر في سفكها جورا وظلما، بل لمجرد مخالفة الرأى والإنكار للظلم. وفي ذلك يقول ابن شوذب: (كتب صالح بن عبدالعزيز وصاحب له قد ولّاهما على العراق عمر فكتبا إليه يعرضان عليه: إن الناس لا يصلحهم إلا السيف. فكتب عمر يقول: خبيثين من الخبث ودنيئين من الرديء، تعرضان إلى بدماء المسلمين! والله ما من أحد من الناس إلا ودمكما أهون عليّ من دمه، كذبتما؛ إنما يصلح الناس العدل والحق، فابسط ذلك فيهم، واعلم ان الله لا يصلح عمل المفسدين).

عمر بن عبدالعزيز
الخليفة العادل

بقلم: أحمد مصطفى أحمد قاسم

الشعور بالمسؤولية

لقد شغل هذا الخليفة الزاهد بأمر المسلمين وتدبير شؤونهم حتى على حساب نفسه وحياته الخاصة، فكان بعد أن تولى هذه المهمة الشاقة لا يجد من الوقت ما يجعله يفى بذلك، وهذا ما يقصه علينا أحد التابعين (هشام بن حسان) حيث يقول: (بعثت فاطمة بنت عبدالملك إلى رجاء بن حيوة فقالت: إن أمير المؤمنين يضع شيئا ما أراه يسعه في دينه. قال: ما هو؟ قالت: ما كان من سبيل – تقصد المعاشرة الزوجية – منذ ولي. فدخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين إنك تضع شيئا ما أراه يسعك في دينك. قال: ففزع عمر لذلك وقال: ويحك يا رجاء؛ وما هو؟ قال: يا أمير المؤمنين إن لأهلك عليك حقا. فأرسل عينيه يبكي، فقال: يا رجاء؛ وكيف ينشط من حل في عنقه أمر المسلمين والمجاهدي،ن يسأله الله عنهم يوم القيامة؟).

عظمة التواضع لله

ولقد توفرت فيه؛ رضي الله عنه؛ سمة ومقوم من مقومات الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، ألا وهو التواضع وإنكار الذات خشية لله، فمع ما كان تحت يده من مقاليد الحكم لبقاع مترامية الأطراف لم يكن كل ذلك العرض من الدنيا سببا في تكبر أو زهو أو استعلاء في الأرض، وهذا ما تعبر عنه هذه الحادثة التي يقول فيها المختار بن فلفل: ضربت لعمر بن عبدالعزيز فلوسا، فكتب عليها (أمر عمر بالوفاء والعدل) فقال: اكسروها واكتبوا (أمر الله بالوفاء والعدل). وتصوره لنا هذه الرواية عندما جاء إليه رجل ورأى ما فيه من العدل والتقى وخدمة الرعية قال له: جزاك الله؛ يا عمر؛ عن الإسلام خيرا. فقال عمر: (بل قل: جزى الله الإسلام عنى خيرا، فإنى لولا فضل الله عليّ لا تبعت هواي وكنت كغيرى).

البر وحفظ الحقوق وأدائها

ولقد كان؛ رضي الله عنه؛ مثلا في بره برعايته وقيامه على مصالح المسلمين ورد حقوقهم المأخوذة منهم ظلما وعدوانا وذلك فيما رواه سليمان بن موسى قال: (بلغ عمر بن عبدالعزيز أن قوما من الأعراب خاصموا إلى عمر بن عبد العزيز قوماً من بنى مروان – وهم تربطهم قرابة لعمر بن عبد العزيز – في أرض كانت لهم أحيوها، فأخذها الوليد بن عبدالملك فأعطاها بعض أهله فقال عمر: البلاد بلاد الله، والعباد عباد الله، من أحيا أرضا ميتة فهي له، فردها على الأعراب). ولقد كان يشفق رضي الله عنه من عبء هذه المهمة العظيمة وذلك فيما يحكيه لنا مولى عمر وذلك بعد رجوعه من جنازة الخليفة السابق؛ سليمان بن عبدالملك؛ فقال له: (ما لي أراك مغتما؟ فقال: لمثل ما أنا فيه يغتم، ليس من أحد من أمة محمد ﷺ في مشرق الأرض ولا مغربها إلا وأنا أريد أن أؤدي إليه حقه غير كاتب إلى فيه ولا طالبه مني).

أثر المسؤولية على الشخصية

لقد كان لتولى أمر المسلمين وخلافتهم على عمر أثر كبير في تغيير حياته بصورة شاملة. فقد كان يعيش قبل الخلافة حياة ناعمة مترفة، ثم تبدل كل ذلك بعد أن تولى الخلافة، وهذا ما يحكيه لنا التابعي الجليل محمد بن كعب القرظى حيث يقول: (لما استخلف عمر جعلت أنظر إليه نظراً لا أصرف بصرى عنه متعجبا. فقال: يا ابن كعب: إنك لتنظر إليّ نظراً ما كنت تنظره! قال: قلت: متعجبا. قال: ما أعجبك؟ قلت: ما حال من لونك، ونحل من جسمك، ونفى من شعرك. فقال: كيف لو رأيتني بعد ثلاثة أيام؛ وقد دليت في حفرتي، وسالت حدقتي على وجنتي، وتحول منخري صديدا ودودا، كنت لى أشد نكرة). رضي الله عنه ما كان أذكره لله وأخوفه منه. فما أجدر بالمسلمين عامة وحكامهم خاصة أن يسلكوا سبيل السلف الصالح حتى يصلح الله أمرنا وينصرنا على أعدائنا ■

الهوامش:

١) الزهد للإمام أحمد بن حنبل، ص٢٧٦ إلى ٢٨٧.

٢) سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز لأبى الفرج ابن الجوزى، ص٥، ٢٦٦، ٣٩٩.

٣) مسند عمر بن عبدالعزيز لأبى بكر الواسطي، المقدمة، ص: ١٠، ١١، ٨٠.

ثلاث دعوات مجابات

بقلم الدكتور: محمد محمد الشرقاوي

التوجه إلى الله تعالى بالدعاء في أوقات الشدة والرخاء، والنعماء والبأساء، فمن أقرب القربات، وألزم العبادات التي تعبد الله بها عباده، إظهار الربوبية، وقياما بواجب الذل والطاعة أمام عزته وكبريائه، وقد جعل جزاء ذلك الإجابة لمضمون الدعوات، ومطلوب الضراعات، واعتبر من استنكف واستكبر، واستغنى عن دعاء ربه وسؤاله، ورفع الأكف إليه في سرائه وضرائه، من المتكبرين عن العبادة، وفيهم يقول الله تعالى: ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ [المؤمن:٦٠]، وقوله تعالى: ﴿ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ [الأنعام:٤٣] ومعنى ﴿ لولا ﴾ هنا الحث والحضّ على اللجوء إلى الله تعالى في أوقات المحنة والبأس.

الدعاء وفورية الاجابة

وليس من لازم الدعاء فورية الإجابة، لأنها مرهونة بمشيئة الله تعالى، على وفق الحكمة البالغة، فقد يكون من الخير استبدالها بما هو خير منها، أو تأخيرها إلى أنسب الأوقات، أو تأجيلها لما وراء الحياة، أو إنجازها في حينها، وإذا صدرت الدعوات من الأنبياء والمرسلين كان لها مزية على سائر الدعوات على قدر من صدرت منه الدعوة، وهذه المزية تتمثل في استجابتها وعدم ردها حسبما تقتضيه المشيئة، ولذلك لم يدع النبي ﷺ على أهل الطائف حين أساءوا وفادته، وردوا دعوته، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم وقال له الملَك: (لو شئت لأطبقت عليهم الأخشبين)، (لجبلين بمكة). ولكنه قال: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»، وفي القرآن الكريم ثلاث دعوات يرجى قبولها وعدم ردها أو استبدالها، لأنها جاءت ممن لا ترد دعوتهم عند الله تعالى:

الأولى: دعوة الملأ الأعلى للمؤمنين

وهي قوله سبحانه: ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحونه بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم. ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم. وقهم السيئات، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ﴾ [المؤمن:٧–٩]. وقد فسر السبيل في هذه الآية بالإسلام (الجلالين)، وفي الكشاف [جـ٢:٣٠٩] أن الملائكة تستغفر لمن هم في مثل حالهم من المؤمنين والمؤمنات.

فالإيمان بالله، واتباع سبيله الذي أنزله على رسله، والمبادرة إلى التوبة والإنابة، هي المبررات لهذه الدعوة الملائكية التي لا ترد – إن شاء الله تعالى – لأن الاشتراك في الإيمان بين الأجناس المتخالفة، والطبائع المتباينة، يؤثر في تناصحها، وطلب الخير فيما بينها، إذ ان رابطة الإيمان، تذيب الفوارق الجنسية، وتؤدي إلى التجانس الكلي، والتناسب الحقيقي بين كل المؤمنين، حتى استغفر حملة العرش ومن حولهم من الملائكة لمن هم فوق الأرض، كما قال تعالى: ﴿ ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ مع وجود الفرق الشاسع الهائل بين الملأ العلوي من الملائكة، والملأ السفلي من

البشر «المصدر السابق».

وقوله سبحانه: ﴿ إنك أنت العزيز الحكيم ﴾، أي الملك الذي لا يغلب، ولا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا إلا بمقتضى الحكمة البالغة، ومن موجبات هذه الحكمة أن تفي بوعدك لمن وعدتهم من أهل الإيمان بدخول جنات عديدة، ومعهم من صلح من أقاربهم الأعلين والأدنين، وأن تدرأ عنهم ما يسوؤهم، من عقوبات على ما ارتكبوه من كبائر أو صغائر، ومع أن إيمان المؤمنين وتوبتهم، واتباعهم صراط الله المستقيم كفيلة وحدها بفضل الله تعالى بنيل الثواب، واتقاء العقاب، إلا أن دعوة الملائكة، وهم العباد المكرمون، تزيد في البشرى، وتؤكد مستقبل السلام، وتضاعف الأمل والرجاء في الأمن وحسن اللقاء بعد الموت لكل المؤمنين والمؤمنات .

الثانية: دعوة إبراهيم

وهي دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام بالمغفرة والعفو عن كل المؤمنين والمؤمنات: ﴿ رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ [إبراهيم:٤١] فهذه دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي اتخذه ربه خليلا، والذي كان أمة قانتا لله حنيفا، والذي كان حليما أواها منيبا، والذي أوحى الله تعالى إلى نبيه محمد ﷺ بأن يتبع ملته، فهي من الدعوات التي يرجى قبولها، ويؤمل في استيعابها لكل من آمن بالله تعالى، ودعوة إبراهيم لوالده الكافر، إنما كانت قبل أن يتبين له أنه عدو لله قبل أسلمت أمه فلما تبين له ذلك بموت أبيه على الكفر جاءت براءته منه، كما في قوله: ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴾ [التوبة:١١٥].

قال في الجلالين: كان إبراهيم يرجو أن يسلم أبوه ولكن بعد أن مات أبوه على الكفر تبين له أنه عدو لله فتبرأ منه بترك

■ليس من لازم الدعاء فورية الإجابة، فذلك مرهون بحكمة الله ومشيئته

الاستغفار له.

وقوله: ﴿ قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا ﴾ [مريم:٤٧] أي مجيبا لدعائي، باراً بي، وقد وفى إبراهيم بوعده لأبيه، فطلب له المغفرة قبل موته كما في قوله: ﴿ واغفر لأبي إنه كان من الضالين ﴾ [الشعراء:٨٦] ولم يخف على إبراهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز، لأنه كان يرجو منه الإيمان مادام حيا، فلما أدركه الموت يئس إبراهيم من إيمانه، فلم يدع له بالمغفرة بعد ذلك، ليقينه بعداوة أبيه لربه، وبقيت دعوته بالمغفرة لكل المؤمنين بلا حدود.

الثالثة: دعاء نوح للمؤمنين

ونوح هو أبو البشر الثاني، وقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى وحدانية الله، ليلا ونهارا، وجهارا وإسرارا، وقد دعا على قومه حين أعياه أمرهم فقال: ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ﴾ [نوح:٢٦]،

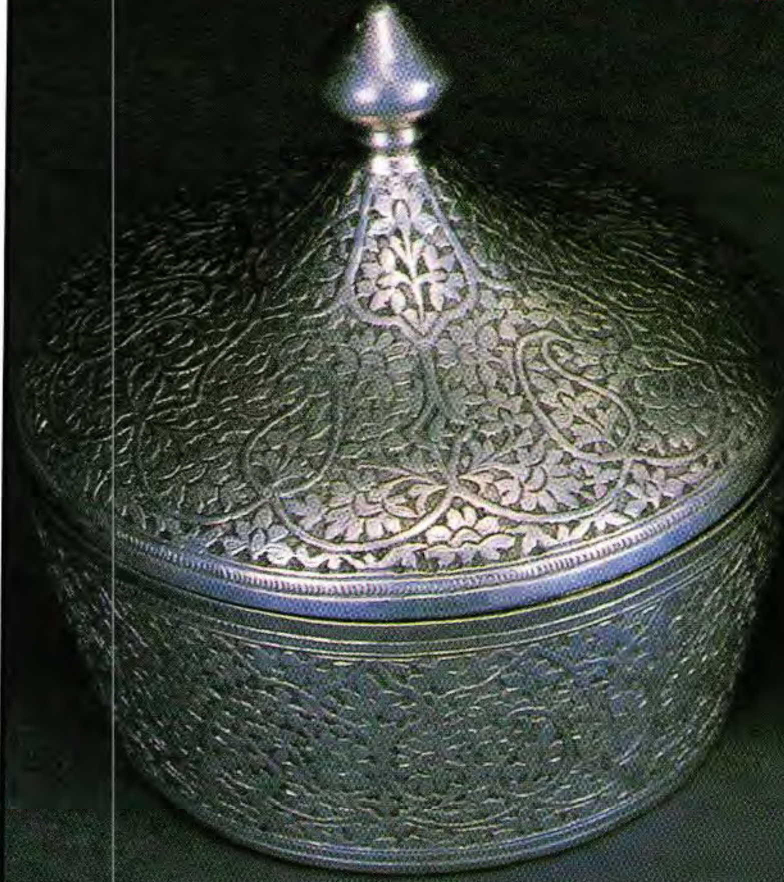
■الدعاء من أقرب القربات وهو مخ العبادة

فاستجيبت دعوته، ونجا هو ومن آمن معه، وأغرق الله قومه أجمعين، فكما استجيبت دعوته بإفناء الكافرين، تستجاب بإذن الله تعالى دعوته في الغفران للمؤمنين. وقوله: ﴿ رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا ﴾ [نوح:٢٨].

وفي الجلالين: دعا نوح لوالديه بالمغفرة لأنهما كانا مؤمنين، ودعا بصفة عامة لكل المؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة، بعد أن دعا بالمغفرة لمن دخل بيته مؤمنا، فهي دعوة للحاضر والغائب والحال والمستقبل، تشمل كل الأجيال سواء منهم من عايشه ومن لم يعايشه، ذلك لأن الإيمان الصادق، والاستقامة على الجادة، واتباع الرسل بلا فرق بين رسول ورسول، ونبي ونبي، هو القاسم المشترك بين الجميع، ولا أثر في هذا لاختلاف الزمان، أو تباعد المكان، أو تباين الأقران، لأن الله تعالى لا ينظر إلى صور الخلق أو أجسادهم وأشكالهم وألوانهم، وإنما ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم.

والقلوب هي محل الإيمان، والأعمال الصالحة هي صبغة الجوارح، فمتى وقر الإيمان في القلب، وصدقه العمل، فلا اعتبار بما زاد على ذلك من مال وبنين، وجاه وسلطان، وزخرف وزينة، فإذا دعت الملائكة للمؤمنين، أو دعا الأنبياء للمؤمنين، فالدعوة واحدة، والمدعو لهم لا يحصون عددا، وإنا لنرجو أن تصيب هذه الدعوات المجابات بإذن الله تعالى كل من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره، ومع هذا الإيمان تتبع رسل الله فيما جاءوا به من شرائع وعقائد، وهو ما يسمى بالإسلام، ومع الإيمان والإسلام تستجاب الدعوات الثلاث بإذن الله تعالى ■

عطارد بن محمد الحسيب (القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي) مؤلف (الجواهر والأحجار) أول كتاب عربي في علم المعادن




أوعية فضية من إبداع الفنان المسلم

المسلمون وعلم المعادن

بقلم المهندس: محمد عبدالقادر الفقي

لم ينل موضوع إسهامات المسلمين في مجال علم المعادن حظه من الاهتمام والبحث من جانب المهتمين بدراسة الحضارة الإسلامية، وقليلة جدا هي الدراسات التي عنيت بهذا الموضوع، وليس هذا بأمر غريب، ذلك أن معظم المعنيين بالفكر الإسلامي والتراث الحضاري العربي من غير المتخصصين في العلوم المادية غالبا. وهو أمر يؤدي إلى إحجام الكثيرين منهم عن الخوض في مثل هذا النوع من الدراسات، لا سيما وأن المصطلحات المستعملة في علم - مثل علم المعادن - تتصف بصعوبة فهمها من قبل هؤلاء الباحثين. كما أن الأسس العلمية التي قامت عليها العلوم المادية القديمة تختلف - إلى حد كبير - عن الأسس العلمية لهذه العلوم نفسها، التي تعرف في زماننا الحاضر.

ولا أدعي أنني سأوفي هذا الموضوع حقه في مقال كهذا. فالموضوع خصب، ومجالات البحث والدراسة فيه متشعبة ومتعددة الجوانب. ولذلك، سوف اكتفي هنا بإعطاء نبذة عامة عن دور المسلمين في مجال تطوير هذا العلم، وأهم إسهاماتهم في هذا المجال.

ما هو علم المعادن؟

يعد علم المعادن أحد العلوم القديمة التي تطورت تطورا ملحوظا خلال القرنين الأخيرين. وهو ما يعرف بأنه (العلم الذي يختص بدراسة المعادن الموجودة في الأرض أو على الكواكب والتوابع الأخرى دراسة علمية) وهو يتناول بالبحث تكوين هذه المعادن وتركيبها وخصائصها الكيميائية والطبيعية وتصنيفها وأحوال وجودها في الطبيعة وفوائدها.

ويعتمد علم المعادن على كثير من العلوم أهمها: الفيزياء والكيمياء. والمعادن هي المركبات الطبيعية التي تكون الأجزاء الصلبة من الأرض أو غيرها من الكواكب. ويمكن تعريف المعدن Mineral بأنه: (جسم صلب متجانس، يحدث طبيعيا بعمليات غير عضوية، ويتميز بتركيب كيميائي محدد، وبنية بلورية مميزة).

والمعادن هي الوحدات التي تتكون منها الصخور المختلفة المكونة للأرض. وكل صخر مكون من معدنين أو أكثر، فعلى سبيل المثال، يعد صخر الجرانيت - الشائع استخدامه كأحد أحجار الزينة - مكونا من ثلاثة معادن على الأقل هي: الكوارتز والفلسبار والميكا. وقد يتكون الصخر من معدن واحد فقط مثل الملح الصخري الذي يستعمله الإنسان في أغراض الطبخ وحفظ المواد الغذائية.

وتندرج الأحجار الكريمة - كالألماس والياقوت والفيروز والعقيق والزبرجد - تحت بند المعادن. وقد كان لبريق هذه الأحجار أثر كبير في لفت نظر الأقدمين إليها، واهتمامهم بالبحث عن أماكن وجودها، والكتابة عنها. ويعتبر ثيوفراستوس الإغريقي (٣٧٢ - ٢٢٨ ق.م) مؤلف أقدم كتاب يوناني عن المعادن والأحجار. وقد تضمن هذا الكتاب معلومات مختلفة عن خصائص المعادن وفوائدها واستخداماتها. وهو مزيج من الأفكار العلمية والخرافات والأساطير القديمة. ومن المؤلفات القديمة أيضا كتاب (التاريخ الطبيعي) الذي وضعه (بليني) (٢٣ - ٧٩ بعد الميلاد) كموسوعة علمية شاملة في الفلك والفيزياء والطب والجغرافيا والتاريخ وعلم المعادن والصخور. وقد تطرق (بليني) في هذا الكتاب إلى وصف المعادن حسب خصائصها وفوائدها واستعمالاتها، وضمنه معلومات كثيرة لا تمت إلى العلم بصلة. ولهذا، يمكن القول بأن المؤلفات القديمة في علم المعادن - التي سبقت ظهور الإسلام - ليست بذات بال، كما أن المعلومات التي تضمنتها هذه المؤلفات كانت تفتقر إلى الاستنتاجات النظرية، وهو أمر يحط من قيمتها العلمية بقدر كبير.



● إبريق يحوي نقوشاً وزخارف إسلامية

اشارات القرآن الكريم إلى المعادن والصخور

نزل القرآن الكريم على محمد - صلى الله عليه وسلم - من لدن خبير عليم. وقد حفل هذا الكتاب المعجز بإشارات علمية دقيقة حول المعادن والصخور. ولقد سبق أن نشرنا على صفحات هذه المجلة الغراء بحثا في هذا المجال تحت عنوان (القرآن والمعادن)، فيرجع إليه من يريد الاستزادة.

ومن بين الآيات الكريمة التي وردت في القرآن الكريم والتي تتعلق بالمعادن والصخور قوله تعالى: ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ [الرعد:١٧] ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها، وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ﴾ [هود:٨٢]. ﴿ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ﴾ [النحل:١٤]. ﴿ يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ﴾ [لقمان:١٦].

علماء المسلمين ودراسة المعادن

يعتقد جورج سارطون - في كتابه (تاريخ العلم) أن عطارد بن محمد الحسيب، الذي عاش في القرن الثالث الهجري (التاسع

الميلادي) هو مؤلف أول كتاب عربي في علم المعادن، إذ يشتمل كتابه (الجواهر والأحجار) على دراسة علمية لخصائص الأحجار الكريمة.

ومن بين أعلام المسلمين الذين ألفوا في علم المعادن الطبيب الشهير أبو بكر محمد بن زكريا الرازي. فقد وضع في هذا العلم مؤلفين هما (الخواص) و(علل المعادن)، وتعرض فيهما إلى دراسة خصائص الأحجار الكريمة ومكوناتها الطبيعية. وقد قسم المعادن إلى عدة أقسام، من بينها: الأحجار والزاجات والأملاح والبوارق. كما كتب يحيى بن ماسويه كتابا في غاية الأهمية هو (الجواهر وصفاتها)، حيث اعتمد عليه الكندي اعتمادا كبيرا عندما ألف كتابه (الجواهر والأشباه).

ورغم أن كتاب (الكندي) - الذي أشرنا إليه - قد فقد ، إلا أن الفقرات المطولة التي اقتبسها منه البيروني في كتاب (الجماهر في معرفة الجواهر) تدلنا على مدى تضلع الكندي وخبرته في علم المعادن. فقد غطى جوانب مهمة من خصائص المعادن ومناطق وجودها وطرق معالجتها، ودرس تأثير النار والخل والأحماض على المعادن. وكان الكندي بارعا في معالجة عيوب الأحجار الكريمة وقد اهتم بدراسة أنواع الترسبات المعدنية، وطرق البحث عنها، وكتب عن الصخور المرافقة لبعض المعادن وكيفية استعمالها كدليل للتحري عن هذه المعادن.

ويذكر الدكتور حمودي ان أن كتاب الكندي كان المرجع الأساسي الذي اعتمده البيروني عند تصنيفه الألوان الجواهر. ويمكن القول بأنه وضع أساس المقياس اللوني لتصنيف المعادن. وقد ابتدع الكندي ألوانا قياسية من مزج مواد مختلفة، واعتمد هذه الألوان لتحديد لون ودرجة نقاء الأحجار الكريمة. وكان يميز بين المعادن ذات الألوان المتشابهة بوساطة النار، فقد اكتشف هذا (العلامة) أن بعض المعادن يفقد لونه عند تسخينه، في حين يحافظ البعض الآخر على لونه. واستطاع الكندي أن يضع الدرجات الأولى في سلم الصلادة، المعروف اليوم في علم المعادن باسم مقياس موهز Mohs Scale حيث ترتب المعادن حسب صلادتها النسبية.

ويمكننا أن نعد الكندي الرائد الحقيقي



● صناعة السلاح تتطلب اتقاناً ودراية

لعلم المعادن. فقد نبذ الخرافات والأساطير التي ذكرها علماء الإغريق عن المعادن. واعتمد بالأساس على تجاربه الشخصية، بالإضافة إلى استقصاء الحقائق عن الحالات التي سمع عنها. ولذلك ، نجد عبارات كثيرة في النصوص التي نقلها عنه البيروني مثل: (وجربته)، (واختبرته)، و(رأيت ذلك) ، و(عالجته بالنار حتى..) و(لم أتحقق منه).

والجدير بالذكر أيضا أن الكندي رفض فكرة تحويل المعادن الخسيسة إلى الذهب، تلك الفكرة التي سيطرت على أذهان كثير من العلماء الأقدمين والمحدثين، بما فيهم إسحاق نيوتن وروبرت بويل. وقد ألف الكندي في هذا الموضوع رسالة خاصة.

ومن العلماء المسلمين الذين أسهموا إسهاما طيبا في علم المعادن العالم الكبير أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الذي يعد كتابه (الجماهر في معرفة الجواهر) من أوسع وأعمق ما وصلنا من المؤلفات العربية الإسلامية في علم المعادن. وقد اعتمد البيروني على كتابات الكندي وغيره، لكنه زاد عليهم بدقة بحثه ونقده للأفكار والآراء غير الموضوعية. وقد استطاع البيروني إيجاد الثقل النوعي Specific Weight بدقة لثمانية عشر حجرا كريما ومعدنا وفلزا، بحيث لا تكاد تختلف قيمته عن قيمة الأوزان المستخرجة بأدق الأجهزة الحديثة.

وفي منتصف القرن السابع الهجري، ألف شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي كتابه (أزهار الأفكار في جواهر الأحجار)، الذي يمثل مع كتاب البيروني قمة ما وصل إليه العلماء المسلمون في علم المعادن. وقد سار التيفاشي في هذا الكتاب على منهاج منظم في وصف خمسة وعشرين نوعا من المعادن والأحجار الكريمة، وشمل وصفه ما يلي: علة تكوين الحجر من معدنه، والمعدن الذي يتكون فيه، وجيد الحجر ورديئه، وخصائصه، وقيمة الحجر وثمنه.

وإلى جانب من ذكرنا ، هناك عدد كبير من أعلام المسلمين الذين كتبوا في علم المعادن، سواء في دراسات مستقلة أم ضمن مؤلفاتهم ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الإمام جعفر الصادق، وجابر بن حيان، وابن الجزار، والمسعودي، وإخوان الصفا وخلان

■ عني المسلمون بالصناعات المعدنية. واشتهرت دمشق - على سبيل المثال - بصناعة نوع معين من الفولاذ الذي استعمل في صناعة السيوف

الـوفا، وابن سينـا، والقـزويني، والخازني، ومحمد بن أبي طالب الـدمشقي، والجلدكي، وابن الأكفاني.

اسهامات المسلمين في علم المعادن

اهتم علماء المسلمين بـدراســة خـامـات المعادن والصخـور ذات القيمة الاقتصـادية والأحجـار الكريمـة. وكـانت لهم معـرفـة بأشكـال المعـادن وصفــاتها وبخـواصهـا الطبيعية والكيميـائية، وبأمـاكن وجـودها، وكيفيـات استخـراجهـا، وطـرائق قطعهـا وصقلها وتشكيلهـا أو تصنيعها، وأسـاليب التمييـز بين جيـدهــا ورديئهـا، والطبيعي والمصنع منهــا، وأوجــه استعمالاتها، كما حــاولـــوا وضع الضـــوابط لتصنيعهـــا، والنظريات اللازمـة لتفسير أصولها وطرائق تكوينها.

وقـد أفـاض أبو بكـر الـرازي في عـرض الخصائص الطبيعية والكيميائيـة - في كتابه (سر الأسرار) لعــــدد من المعـــادن مثل الـلازورد، والـدهنج، والفيروز، والشـاذنج والطلق، والنطـــرون، وأشــــار إلى أمــاكن وجـودها في الطبيعـة وابتكر جهـازا خاصـا لتعيين الثقل النـــوعي لهذه المعـــادن أسماه الميزان الطبيعي.

كـذلك تحدث (إخـوان الصفـا) عن تعـدد المعادن واختـلاف خصـائصهـا، وأنها عبارة عن مركبات مؤلفة بنسب مخصوصة. ورغم عـلامـات الاستفهـــام التي تحيط بجماعـة إخوان الصفا، والتي تتعلق بمـوقف أفرادها من الإســلام والـدولــة الإسـلاميـة، إلا أن الإسـهـامات العلميـة لهذه الجماعـة لا يمكن غض البصر عنهـا. ولم يكن إخـوان الصفـا ليصلوا إلى ما وصلوا إليـه من مكانة في العلم المادي لولا توافر مناهل العلم لهم في المجتمع الإسلامي، ولولا شيوع مناخ الحرية العلمية في أركان العالم الإسلامي.

وتتضمن رســائل إخـوان الصفا رســالـة خاصــة في بيان تكـوين المعادن، جـاء فيها: (اعلم يا أخي أن الجواهر المعدنية مختلفة في طباعهـا وطعومهـا وألوانها وروائحهـا، كل ذلك بحسب اختلاف بقاع معـادنها ومياهها وتغييرات أهـويتهـــا، وذلك أن كـرة الأرض بجملتها وجميع أجـزائها، عمقهـا وظاهـرها

■ معظم المعنيين بالفكر الإسلامي والتراث الحضاري العربي من غير المتخصصين في العلوم المادية غالبا



■ تتضمن رسائل إخوان الصفا رسالة خاصة فيبيان تكوين المعادن

وباطنها، طبقات، ساف فوق ساف، متبلدة، منعقـدة، مختلفـة التركيب والخلقـة فمنهـا صخـور وجبـال صلبة، وأحجـار وجلاميـد صلـدة، وحصيات ملس، ورمـال جريشـة، وطين رخـــو، وتـراب لين، وسبـــاخ وسروج بعضهـا مختلط ببعـض ، أو متجـاورة كما وصفها الله تعالى بقوله: ﴿ وفي الأرض قطع متجـــــاورات ﴾. وهي مختلفة الألوان والطعـوم والـروائح. فمـن تـرابها وطينهـا وأحجارها حمر وبيض وسود وخضر وزرق وصفر، كما ذكر اللـه تعالى : ﴿ ومن الجبال جـدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغـرابيب ســـود ﴾. ومن ترابها وطينها ما هو عذب مـذاقه، أو مـر طعمه، أو مـالح أو عفص أو حامض أو حلو).

وتؤكد هذه الفقرة حقيقة علمية هامة، هي أن المعـادن نتــاج الأرض وجـزء مـن هـذه الأرض، تتألف مـن ميــاههــا وتـــربتهــا وصخورها. وأشارت الفقرة إلى عدم تجانس الأرض في تـــركيبهـا الصخــري وبنيتهـــا الداخليـة، فمنها التركيب الطبقي، ومنهـا ما يتصف بـالتركيـب غير الطبقي، والصخـور تختلف بتركيبها ولونها وطعمهـا وصلابتها وتماسكهـا، والأرض تختلف أيضـا بنوعيـة المياه التي تحتوي عليهـا. وما دامت المعادن هي نتـاج الأرض، فبــالضرورة أن تتكـون معادن مختلفة بخواصها وأنواعها.

وقد أشار إخوان الصفا أيضا إلى اختلاف تـوزيع المعـــادن في القشرة الأرضيـة حسب نوعية الصخور. وقد جاء في رسائلهم:

(وهكذا أيضا حكم الجواهـر المعدنية، لكل نوع منها بقعة مخصوصـة، وتربة معروفة، لا تتكون إلا هنـاك كالذهب ، فإنـه لا يتكون إلا في البراري الـرملية، والجبـال والأحجـار الرخوة. والفضة والنحاس والحديد وأمثالها لا تتكـون إلا في جـوف الجبـــال والأحجـار المختلطة بـالتربة اللينـة. والكبريت لا يتكون إلا في الأراضي النـــديـــة، والتربـــة اللينـــة، والرطوبات الدهنية).

وقـد أثبت علم الجيـولـوجيـا الحديث أن المناطق التي يتكـون فيها الكبريت لا تتكون فيها خـامات الذهب والفضة، وصـدق بذلك رأي إخوان الصفـا الذي يبدو أنهم تـوصلوا إليه من واقع الخبرة العملية.

وإضــافة إلى ذلك ، عـرف علماء المسلمين

الكثير من الخصائص الطبيعية للمعادن ووصفوها وصفا دقيقا، وبخاصة اللون والبريق والمخدش Streak والشفافية Transparency وتشتت الضوء والصلادة والانفصام والهيئة البلورية والشوائب والمكتنفات Impuritiesl In-clusions وكمثال على ذلك، نجد البيروني يقول في وصف الماس:

(ومن خواص الماس أن جميعه ذو زوايا قائمة، ست زوايا وثماني زوايا، وأكثر من ذلك .. وإذا كسر فلا ينكسر إلا مثلثا على أقل الأجزاء). وتعني هذه العبارة بلغة علم المعادن الحديث أن الماس ينكسر حسب أسطح الانفصام الطبيعية فيه.

استعدان الأحجار الكريمة والفلزات

استغل المسلمون مناجم الذهب والفضة والنحاس والزئبق والأحجار الكريمة التي كانت تنتشر في شتى بقاع العالم الإسلامي. وكانت أكبر مناجم الذهب - التي استعدنوها هي مناجم (مهد الذهب) في شبه الجزيرة العربية، ومناجم الصحراء الشرقية في مصر، ومناجم السودان وبلاد سجستان. أما أكبر مناجم الفضة فكانت تقع في جبال هندكوش بالقرب من بلخ، وفي أصفهان، وأفغانستان، وفي كل من شبه الجزيرة العربية ومصر والمغرب وتونس والجزائر.

وقد حفلت كتب التراث العربي الإسلامي. بإشارت إلى طرق استعدان الفلزات والأحجار الكريمة. ومن أطرف ما ورد في استعدان الياقوت ما ذكره أحمد بن يوسف التيفاشي (٥٨٠ - ٦٥١هـ) في كتابه (أزهار الأفكار في جواهر الأحجار)، حيث يقول:

(الياقوت يؤتي به من معدن - أي المكان الذي يوجد فيه هذا الحجر الكريم - يقال له سحران من جزيرة خلف سرنديب... وفيها - أي الجزيرة - جبل عظيم يقال له: جبل الراهون، تحدر منه الرياح والسيول الياقوت فيلقط...

ويقال إن الشمس إذا أشرقت على هذا الجبل انبثت منه شعاعات كثيرة لوقوع الشمس على حصى الياقوت، فيسمى ذلك برق الراهون).

ويتضمن قول التيفاشي السابق أول إشارة علمية - في تاريخ علم المعادن - إلى نظرية تكوين رواسب البرقة - التي تعرف في اللغة الإنجليزية باسم Placer De-posit Theory وذلك حين قال إن الرياح والسيول تحدر من جبل الراهون الياقوت. فمن المعروف حاليا - وفقا لهذه النظرية - أن الرياح والسيول تنقل معها بعض حبيبات الصخور وبعض الحصباء، ثم تبدأ في ترسيب الثقيل منها، وتحمل معها ما تستطيع حمله ونقله إلى مسافات بعيدة. ولما كان الياقوت من المعادن التي تتميز بكثافتها العالية ووزنها الثقيل، لذلك، لا تستطيع الرياح أو السيول نقلها إلا لمسافات بسيطة، ومن ثم فإنها ترسب الياقوت في سفح الجبل.

وقد اهتم المسلمون بفلز الحديد واستخدامه في صناعاتهم العسكرية والمدنية. وقد برعوا في تعدينه واستخلاصه من خاماته وصهره وتشكيله للأغراض المختلفة. وكان هذا الفلز أحد عناصر القوة التي حثهم الإسلام على إعدادها للدفاع عن الدين ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ [الأنفال:٦٠]، ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ [الحديد:٢٥].

وقد عني المسلمون بالصناعات المعدنية. واشتهرت دمشق - على سبيل المثال - بصناعة نوع معين من الفولاذ الذي استعمل في صناعة السيوف. ورغم أن صناعة الصلب تنسب إلى (بسمر)، إلا أننا نجد أن المسلمين قد سبقوا الأوروبيين في هذه الصناعة بخمسة قرون على الأقل. ولعل أدق وصف لصناعة الصلب (الفولاذ) عند المسلمين والعرب ما ورد في مخطوطة (الجلدكي) المتوفي عام ١٣٦٠م المعروفة باسم (البرهان في علم الميزان).

يقول الجلدكي:

(فصل: اعلم أن أصحابك - أيها الأخ - هم الذين يسبكون الحديد في المسابك المعمولة برسمه، بعد أن يستخرجوه من معدنه ترابا أصفر (الأهرة) يخالطه عروق الحديد التي لا تكاد أن تظهر، فيحملونه في



حظيت صناعة الحليّ باهتمام خاص في الحضارة الإسلامية

وجسده من ذلك التراب، ثم يستقطرونه من أنجاس (بأدوات) كالمصافي في تلك الأكوار، فيتخلص ذلك الحديد المذاب، ويصيرونه قضبانا من ذلك التراب، ويحملونه إلى الآفاق والبلدان ، ويستعمله الناس فيما يحتاجون إليه من منافع الإنسان.

وأما أصحاب الفولاذ فإنهم يأخذون قضبان الحديد ويجعلونها في مسابك لهم، مناسبة لما يقصدونه في معامل الفولاذ، ويركبون عليه الأكوار، ويطيلون عليه النفخ بالنار، حتى يصير كالماء الخرار، ويطعمونه بالزجاج وبالزيت والقلي حتى يظهر منه النور في النار ويتخلص من سواده بقوة السبك مدى الليل والنهار. ولا يزالون يرتقبونه في دوراته حتى يتبين لهم صلاحه، ويضيء منها مصباحه، فيصبونه في مجار حتى يخرج كأنه الماء الجاري، فيجمدونه كالقضبان أو في حفر من طين مخدوم كالبواطق الكبار، ويخرجون منه الفولاذ المصفى كبيوض النعام، ويصنعون منه السيوف والخوذ وأسنة الرماح وسائر العدد. وبالجملة، اعلم أن الفولاذ أصفى من الحديد وأصلب).

ووصف الجلدكي هذا في منتهى الأهمية التاريخية، لأنه يشرح بوضوح عملية صهر خامات الحديد (الأهرة) وكذلك طريقة إنتاج الفولاذ. وهو يدل على السبق التاريخي للمسلمين والعرب في مجال استعدان خامات الحديد وفي صناعة الفولاذ من هذه الخامات المعدنية ■

أهم المراجع:

١) القرآن الكريم

٢) د. زغلول راغب النجار ود.علي عبدالله الدفاع، إسهام علماء المسلمين الأوائل في تطور علوم الأرض، ١٤٠٩هـ.

٣) د. حمودي عدنان، رحلة مع الجماهر إلى أسرار الجواهر، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد ٢١، ١٤٠٧هـ.

٤) د. أحمد عبدالقادر المهندس، جهود المسلمين العرب في مجال علم المعادن، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد ٢٠، ١٤٠٧هـ.

٥) د. حمودي عدنان، تكوين المعادن عند إخوان الصفا، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد ١٥، ١٤٠٥هـ.

صينية معدنية، لاحظ ما بها من زخارف إسلامية

■ رفض الكندي فكرة تحويل المعادن الخسيسة إلى الذهب، تلك الفكرة التي سيطرت على أذهان كثير من العلماء الأقدمين والمحدثين، بما فيهم إسحاق نيوتن وروبرت بويل

المسابك المعدة لإذابته، ويركبون عليها المنافخ القوية من سائر جهاتها بعد أن يأتوا تلك الأتربة الحديدية بشيء من الزيت والقلي (أي النطرون، وهو كربونات الصوديوم) ، ويوقدون عليه بالحجر والأحطاب، وينفخون عليه حتى يجدوه قد ذاب وتخلص جسمه

يعتبر المؤرخ السوري محمود السيد دغيم أبرز من تناول تاريخ المسلمين وحضارتهم والمشاكل التي تواجههم في منطقة البلقان. وعلى هامش زيارته للقاهرة مؤخرا للمشاركة في ندوة اتحاد المؤرخين العرب قابلته (الوعي الاسلامي) وحاورته حول المشاكل التي يواجهها المسلمون في منطقة البلقان.

المؤرخ محمود السيد دغيم:

مسلمو يوغوسلافيا مواطنون لا دخلاء

* وبدأت بسؤاله كيف بدأت علاقتك بمنطقة البلقان؟

- بدأت علاقتي بهذه المنطقة عندما ذهبت من تركيا لزيارة ما كان يسمى بجمهورية يوغوسلافيا الفيدرالية الاشتراكية سنة ١٩٨٧م، وأعطوني تأشيرة إقامة لمدة ٣ شهور من مطار بلغراد، على اعتبار أن السوري كان مسموحا له أن يدخل بكل حرية ليوغوسلافيا، وأقمت في بلغراد لمدة أسبوع، شاهدت خلاله جامع بلغراد المعروف بجامع بيرقلي، وتعرفت على المفتي حمدي سيلهوفتش (الفارس)، وهو خريج الأزهر، وحافظ للقرآن، وفقيه حنفي، وزوجته مصرية خريجة كلية الدعوة وأصول الدين، والمفتي في نفس الوقت صربي، هذه نقطة مهمة جدا لأنه بالتالي ليس كل مسلمي يوغوسلافيا سابقا من البوسنيين أو الألبان بل من الصرب أيضا.

محاكم تفتيش صربية

* إذن كان يوجد في بلغراد مسلمون صرب ومساجد؟

- نعم كانت بلغراد مدينة إسلامية وعندما خرج العثمانيون، بقي في المدينة جامع واحد هو بيرقلي من أصل ٢٥٠ جامعا عثمانيا حيث تم تدمير ٢٤٩ جامعا عام ١٨٧٨م بعد خروج القوات العثمانية من بلغراد وبناء على اتفاقية برلين المبرمة سنة ١٨٧٨م بقيادة بسمارك، وأبقى على جامع واحد من أجل الدعاية، كما أبقوا على عدد من الآثار العثمانية منها قلعة بلغراد، وقبر الشهيد علي باشا كقبة أثرية، والآن هذه القلعة بها المتحف الحربي ببلغراد وتقع على شبه جزيرة في نهر الدانوب. وكان لها دور تاريخي في صد الهجمات البحرية الأوروبية عن طريق نهر الدانوب، وشكل سقوط هذه القلعة نقطة ضعف كبيرة في هذه الجبهة. بعد ١٨٧٨م تم تهجير المسلمين الأتراك وغير الأتراك إلى خارج صربيا، وتمت عمليات ضغط من خلال القتل والاغتصاب والتنصير، حيث تمت عمليات التنصير على نمط محاكم التفتيش في الأندلس، حتى أن قسما من المسلمين أعلن تنصره ظاهرا. وهذا هو الجيل الثاني الذي بقي من المسلمين اليوم في صربيا، وأعلن إسلامه مرة ثانية بعد انتهاء القمع. وفقدت بلغراد بذلك هويتها الإسلامية.



● أفقدت الحرب الإنسان إنسانيته، فهل يستعيدها بالسلام؟

■ كانت بلغراد مدينة إسلامية في العصر العثماني، دمرت مساجدها بعد سقوطها

حاوره: خالد عزب

الحقد يصيب معالم الحضارة الاسلامية

* وماهي الأماكن الأخرى التي زرتها وتناولتها بالدراسة

والتحليل فيما كان يعرف بيوغوسلافيا؟

- انتقلت بعد زيارتي لبلغراد إلى مدينة أسكوبيا، وهي عاصمة مقدونيا، وهي مدينة إسلامية، دمر زلزال ١٩٦٣م عددا كبيرا من مقدونيا، وبقي بعد الزلزال ١٣ جامعا صالحا للصلاة ومنها جامع عيسى بابا، وجامع يحيى أغا، وجامع محمد بيك ، إلخ .

وهذه الجوامع كان بها صدوع في جدرانها نتيجة الزلزال، وكان الترميم ممنوعا حيث إن القوانين اليوغوسلافية تمنع ترميم أو إعادة بناء أي أثر إسلامي بشكل مقصود. وشاهدت في أسكوبيا كنائس تقام للمرة الأولى، وحوّل الحمام العثماني بالمدينة إلى جاليري أي مرسم للرسوم العارية كنوع من الإذلال للحضارة العثمانية، وجعلوا خان المدينة العثماني فندقا. وفي أسكوبيا جالية يونانية أرثوذكسية؛ قليلة العدد؛ ويشكل المسلمون الأتراك ربع سكان المدينة وربعهم الثاني من الألبان المسلمين، وباقي سكانها من المقدون وهؤلاء منهم من هو مسلم ومن هو مسيحي. ولا يقتصر وجود المسلمين على مدينة أسكوبيا فقط وإنما يوجد مسلمون مقدون في جبال مقدونيا.

وفي وسط أسكوبيا سوق تركي أعطته الدولة اليوغوسلافية طابعا سيئا حيث سمحت بتحويله إلى حانات خمر وموسيقى وبذاءة، والغاية من ذلك تدنيس حرمات المساجد الإسلامية بقلب المدينة. وستتعرض مقدونيا في وقت لاحق للتصفية على أيدي اليونان والصرب. فاليونان تعارض اعتراف أوروبا بجمهورية مقدونيا، والخلاف بينها وبين الصرب ليس من أجل المسلمين بل من أجل اقتسام أراضي المسلمين. مع العلم أن اليونان تحتل مايسمى بمقدونيا الجنوبية وسكانها مسلمون يعيشون في ظروف صعبة في ظل مضايقات الكنيسة اليونانية التي تقوم بالتبشير بطريق الترغيب والترهيب بغية تنصير المسلمين في تلك المناطق.

وعملية تدمير الآثار الإسلامية في شمال اليونان تتم وفق خطة مدروسة تبدأ بالإغلاق فالإهمال وعدم الترميم، ثم الهدم أو الهدم المباشر بحجة شق طرق جديدة أو إقامة حدائق. إذن اليونان تقوم بتصفية المسلمين الموجودين في أراضيها والذين يشكلون الأكثرية في مقدونيا الجنوبية. ووضع المسلمين في مقدونيا يماثل وضع المسلمين في البوسنة والهرسك، والمسألة مسألة وقت ليس إلا. وقد حافظ المسلمون على هويتهم هناك بالرغم من ظروفهم القاسية وأنشأوا (الجمعية الإسلامية) التي تضم مكتبتها مخطوطات نادرة.

الكوسوفو والملف المجهول

* وماذا عن مسلمي كوسوفو؟

- كوسوفو منطقة جبلية فقيرة في مواردها الطبيعية، وهي تقع إلى الغرب من مقدونيا، وتتبع صربيا، علما أن أكثر من ٩٠٪ من سكان كوسوفو ألبان مسلمون والباقي صرب وكروات مسيحيون، وهؤلاء يشكلون مجموعة ذات امتيازات خاصة حيث يشكلون جهازا من أجهزة المراقبة والتنصت على المسلمين، وهم مخبرون موثقون من قبل أجهزة الأمن الصربية، ويتعرض المسلمون في كوسوفو لعمليات ضغط تهدف إلى تهجيرهم أو تنصيرهم. ويتم ذلك عن طريق حرمانهم من أية مساعدات مركزية.

وبينما تستغل الدولة خيرات كوسوفو لا تقدم أي مساعدة من الخزينة الصربية مما أدى إلى التخلف الاجتماعي والاقتصادي. ومع ذلك فقد ظل سكان كوسوفو يشعرون بالانتماء القومي الألباني والانتماء الديني الإسلامي.

* ولكن ماهو سبب تمسك الصرب الشديد بكوسوفو؟

- تعتبر الحكومة الصربية كوسوفو رمزا من الرموز القومية الصربية للمقاومة. حيث وقعت في سهل كوسوفو المعركة الفاصلة التي انتصر فيها الجيش العثماني على الصرب سنة ١٣٨٩م بقيادة السلطان مراد الأول. وبعد تحقيق هذا النصر الحاسم واستسلام الصرب، قام أحد جنود الصرب باغتيال السلطان أثناد تفقده الجرحى في ميدان المعركة مما أدى إلى استشهاد السلطان مراد. ومنذ ذلك الوقت واقليم كوسوفو من الأقاليم الإسلامية وحتي الآن.

وبسبب هذه الحادثة يتردد اسم كوسوفو في الأغاني الصربية كرمز من رموز المقاومة الصربية ضد الأتراك المسلمين، وهذا ما يعبر عنه القادة الصربيون الحاليون بقولهم إن معارك التصفية في البوسنة والهرسك هي الرد الطبيعي على معركة كوسوفو. وفي الوقت الراهن تنفذ الحكومة الصربية والجيش الصربي عمليات مراقبة وتصفية جسدية بوضع سري ضد مسلمي كوسوفو. لا سيما بعد أن أعلن برلمان كوسوفو الاستقلال عن صربيا من جانب واحد. مما حدا بالحكومة المركزية في بلغراد إلي إعلان حالة الطوارىء في اقليم كوسوفو وتعطيل الدستور، وبذلك أصبح اقليم كوسوفو يعيش تحت الحراب الصربية التي يرفعها الجيش الاتحادي المتمركز في كوسوفو، إضافة إلى الميليشيات المسيحية المسلحة التي تنفذ عمليات الاغتيال جهارا نهارا ضد المسلمين دون عقاب، لأن الدستور معلق.

* ولكن هل الوضع هناك متأزم إلى درجة تماثل الوضع في البوسنة والهرسك ومقدونيا؟

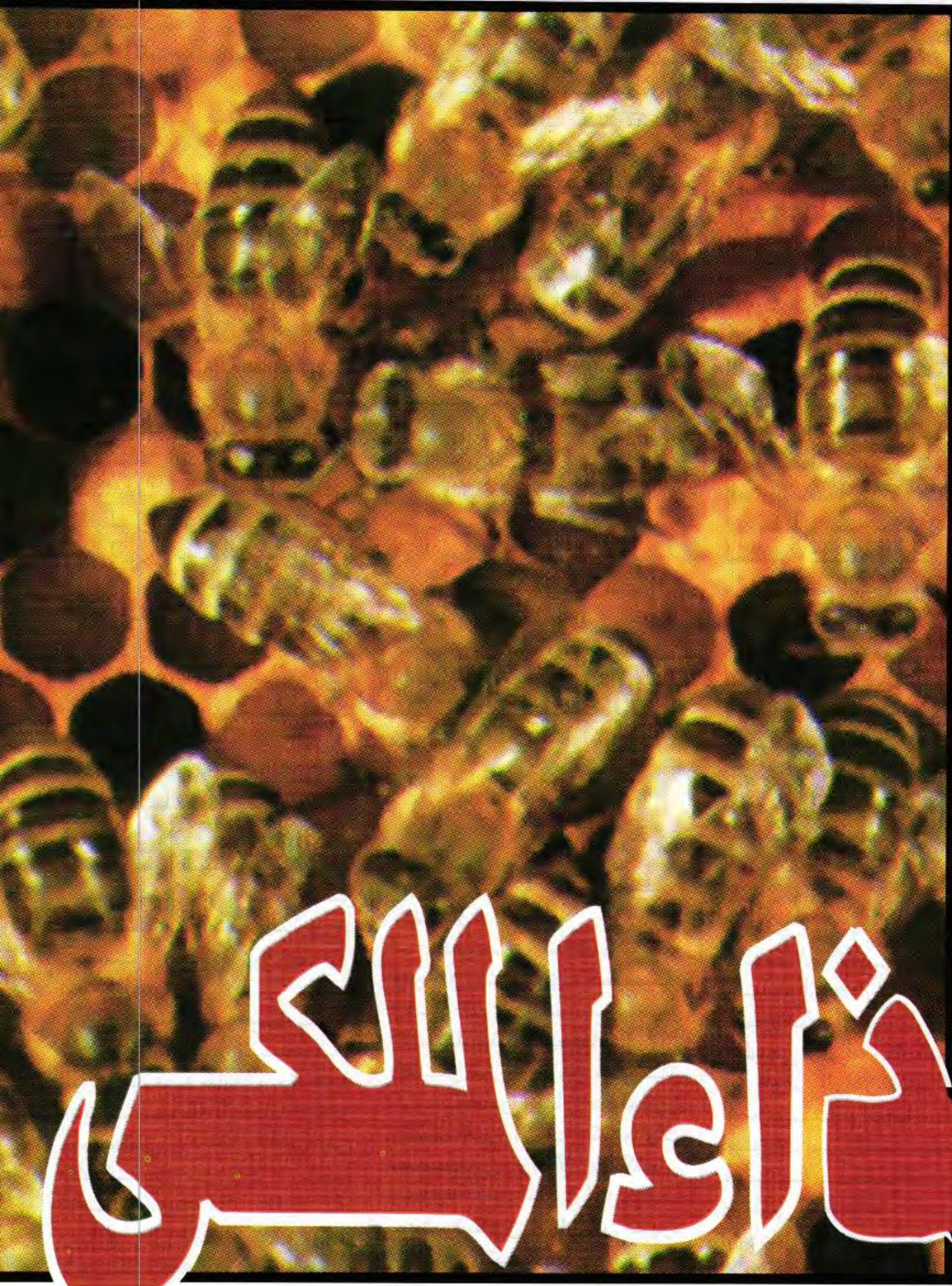
- الوضع هناك صعب للغاية فقد أطلق رئيس برلمان كوسوفو صرخاته لمنظمة المؤتمر الإسلامي ومجلس الأمن نظرا للمجازر المتوقعة هناك والتي تستهدف تصفية وإلغاء الوجود الإسلامي. والدلائل على ذلك تنفيذ عمليات الاغتيال بشكل منظم، ورسائل وتقارير المراسلين الأجانب المرسلة من هناك، وحتى الآن لم تقدم لكوسوفو أي مساعدات، سواء عسكرية أو غذائية أو أموال، وطريق تقديم هذه المساعدات أسهل من البوسنة، لأن كوسوفو على حدود ألبانيا. وألبانيا عندما تكون دولة قوية ستتوقف المؤامرة الصربية خوفا منها. بينما الآن الدول الإسلامية لا تقدم أي مساعدات فعالة لألبانيا التي هي امتداد طبيعي لكوسوفو. وحتى في ألبانيا تنفذ سياسة التنصير بواسطة جمعيات التبشير الأمريكية. التي سلمت ملاجيء الأطفال الألبان لها.

الجبل الأسود والمأساة المتكررة

* وماذا عن مسلمي الجبل الأسود؟

- يتعرض المسلمون في الجبل الأسود للتصفية بشكل مستمر منذ استقلالها بموجب اتفاقية برلين التي منحتها الاستقلال عام ١٨٧٨، ورغم أن الاتفاقية تتضمن بنودا خاصة تقر حرية الأديان، وحفظها فإن هذه الحرية على صعيد الواقع مصانة للجميع ما عدا المسلمين حيث تم تصفية قسم منهم ورحل قسم آخر إلى مدينة تيتوجراد؛ العاصمة؛ هربا من التصفية الجسدية، وهاجر الباقي إلى كوسوفو والسنجق وتركيا. ولكن بالرغم من هذا مازال في الجبل الأسود عدد كبير من المسلمين لا يعلم بهم أحد لأن السلطات الصربية هي المسيطرة هناك ولا تسمح بدخول أحد حاليا؛ بحجة أنها مناطق عسكرية ■

■ وضع المسلمين في مقدونيا يماثل وضعهم في البوسنة، والمسألة مسألة وقت ليس إلا



كثر الإقبال في هذه الأيام على الغذاء الملكي، وقد يسمى (لبن النحل) نظرا لخواصه العلاجية الغذائية العالية، وسوف أتناول في هذا المقال القاء بعض من الضوء على افراز شغالات نحل العسل لهذه المادة وانتاجها وفوائدها الغذائية واثرها في شفاء الكثير من الامراض وتحليلها لبيان مكوناتها من الفيتامينات والعناصر الغذائية المختلفة ولقد وصف القرآن الكريم جميع ما يخرج من بطون النحل بأنه ﴿ شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ﴾ (١) الغذاء الملكي أحد المنتجات الهامة بجانب العسل والشمع وغير ذلك من منتجات المناحل المختلفة، وفي كل يوم تظهر الفوائد الكبيرة ويتحقق شفاء الناس نتيجة استعمالهم للغذاء الملكي أو لبن النحل، وقد يطلق عليه الفالوذج الملكي.

الغذاء الملكي

إفرازه ومواصفاته وفوائده العلاجيّة وما جاء في القرآن عنه



بقلم الدكتور: إبراهيم سليمان عيسى

تعريف الغذاء الملكي

هو إفراز غدي تقوم بإفرازه شغالات النحل الصغيرة السن التي يتراوح عمرها ما بين ٥ إلى ١٥ يوما وذلك بواسطة زوجين من الغدد يطلق عليها الغدد تحت البلعومية توجد في مقدمة رأس تلك الشغالات، مذاقه لاذع (حامض) طعمه يشبه الجبن وتتغذى عليه يرقة النحل الحديثة السن من الشغالات والملكات والذكور حتى اليوم الثالث من عمر تلك اليرقات، ثم تستمر يرقات الملكات فقط في التغذية عليه، وإنما أحيانا يسمى «لبن النحل» تشبيها له باللبن المفرز من غدد الحيوانات الثديية لإرضاع صغارها، وهو هلامي القوام لونه أبيض وقد يكون مائلا للصفرة وله رائحة خاصة.

محتويات الغذاء الملكي

قام مجموعة من العلماء بتحليل الغذاء الملكي ومعرفة محتوياته من المواد والمركبات الغذائية المختلفة والفيتامينات، منهم ميلامبي وجونز سنة ١٩٣٩م وهيداك سنة ١٩٤٣م وفيفينو سنة ١٩٥٠م وقد توصلوا إلى النتائج التالية:

أولا: يحتوي الغذاءالملكي على المركبات والمواد التالية بصفة عامة:

١- ماء (رطوبة) بنسبة ٦٦٪

٢- بروتينات بنسبة ١٢,٣٤٪

٣- دهون بنسبة ٥٪.

٤- كربوهيدرات بنسبة ١٥٪

٥- رماد(معادن) بنسبة ١٪.

٦- مواد أخرى غير مقدره بنسبة ٣٪.

كما يحتوي الغذاء الملكي على آثار من معادن مختلفة وعناصر نادرة كالحديد والمنجنيز والنيكل والكوبلت والسليكون وغيرها كثير.

ثانيا: يحتوي الغذاء الملكي على مجموعة من الفيتامينات وخاصة فيتامين (ب) ويعتبر الغذاء الملكي من أغنى المصادر الطبيعية لحامض البانتوثنيك كذلك يحتوي على:

١- فيتامين (ب١) بنسبة تتراوح بين ١,٢ إلى ٤، ٧ مجم/ ١٠٠.

٢- نياسين ٦٠ إلى ١٥٠ مجم/ ١٠٠.

٣- ريبوفلافين (ب٢) ٥,٢ - ١٠ مجم/ ١٠.

٤- حامض الاسكروبيك ١٢ مجم/ ١٢.

بالاضافة إلى كميات قليلة من فيتامينات اخرى مختلفة، ومن الجدير بالذكر ان نسب الفيتامينات سالفة الذكر مقدرة على اساس ميكروجرام في كل جرام، كما ان الغذاء الملكي يفتقر إلى فيتامينات د، ه- وغيرهما.

ثالثا: ظهر ايضا من تحليل الغذاء الملكي احتواؤه على عشرين حامضا من الاحماض الامينية منها الانين وارجينين وسستين وجليسين وهيستدين وايسوليسين وليسين وميثونين وسيرين وثيريونين وتيروسين وفالين وغيرها، والاحماض الامينية العشرون هي:

Alanine, Arginine, Aspartic acid, Gystine, Glutamic Acid, Glutamine, Glycine, Histidine, Isoleucine or Leucine, Lysine, Methicnine, Valine, Phenylalanine, Proline, Serine, Taurine, Threonine, Tryptohan, Tyrosin.

كما يحتوي على حامض عضوي عرف باسم ١٠ hy-droxy , decenoic كذلك مادة الاسيتيل كولين Ac-etylcholine (Ach)

رابعا: قام بعض العلماء في كندا بعمل تحليل مفصل للغذاء الملكي مأخوذ من بيوت يرقات عمرها يتراوح مابين ٢ إلى ٣ أيام وقد قسم العلماء الغذاء المجموع من هذه البيوت إلى أربعة أقسام، ونتائج تحليل الأقسام الأربعة كانت كما يلي:

الجزء الأول: وهو الذي يذوب في الأثير ويمثل ١٠ - ١٥٪ من الوزن الجاف للغذاء الملكي ويحتوي على:

(أ) ٤ - ١٠٪ فينول.

(ب) ٨٠ - ٨٥٪ احماض

الغذاء الملكي

عضوية غير معروفة.
(جــــــ) ٥ – ٦ سيترولات وجلسريدات.
(د) ٥ – ٦٪ شموع.
(هـــــــ) ٠,٤ – ٠,٨٪ فوسفوليبيدات.

الجزءالثاني: وهو الذي يذوب في الماء ويمثل ٥٥٪ من الــوزن الجاف للغـذاء الملكي ويحتـوي على:
(أ) ١,٢٪ أزوت.
(ب) ٣,٤٪ رماد.
(جـ) ٥٠٪ سكريات مختزلة، وتشمل تلك السكـريات: (٢٦٪ فـركتوز+ ٢١٪جلـوكـوز+ ٣٪ سكريات غير قابلة للتخمر).
(د) ٢٠٪ أحماض عضـويــة غير معروفة.

الجزء الثالث: وهو الذي يذوب في الماء ولايقبل الانتشـار ويمثل ١٥ – ٢٠٪ من الــوزن الجاف للغذاء الملكي ويحتوي على:
(أ) ٥٪ رمـــــــاد (ب) ٣,٠٪ فوسفور.
(جـــــــ) ١٤,٩٪ أزوت (د) ٠,٨٩ كبريت.

الجزء الـــــــرابـع: ويمثـل البروتينات الغذائية في الماء وتمثل ١٥٪ من الــوزن الجاف لغـذاء الملكي، ويحتوي على:
(أ) ١٣,٤٪ أزوت (ب) ٠,١٦٪ فوسفـور بالإضـافة إلى آثار من الكبريت.

وقد دلّت تجارب هؤلاء العلماء على أن الجزء الأول من الغــــذاء الملكي (الــذي يـذوب في الأثير) يحتوي على هـرمونـات جنسية منشطـة، وقـد لـوحظ بتغـذيـة فئـران التجـاوب بكميـات منـه تتـرواح من ٦٠ – ٧٠٠ مجم نموا مبكرا في الجهاز التناسلي للأنثى يتناسب طرديـا مع كمية الغذاء الملكي.

ولعل الملاحظـة التـي أثـارت العلماء في هـــذه التجــــارب ان يرقـات شغالات النحـل تتغذي من اليوم الثـالث لها بخليط من العسل وحبــوب اللقـــاح بينما يرقات الملكات تستمر في تغذيتها بكيمات وافـرة من هـذا الغـذاء الملكي حتى اليوم الخامس حيث تتحول بعـده إلى طور العـذراء، ومـا يتبع ذلك مـن اختـلافـات كثيرة فسيولوجية ووظائفية بين الملكة والشغالة.

وقد لاحظ Haydak أن يرقـة الشغالـة تتعرض لبعض الجوع بعد اليوم الثاني بالنسبة ليرقـة الملكـة التي تبـدأ في هـذا العمر بعض التحـولات الداخلية بها فينشط نمـو المبيض ويقف نمـو الغدد تحت البلعـوميـة ثم تحدث بعض التغيرات الاخـرى في طـــور العـــذراء واستنتج ان التغـذيـة الـوافـرة لليرقـة التي سينتج عنها ملكة يتبعها نشاط هرموني كبير من المبـايض يؤثر على الصفات الجنسية الثـانوية الاخرى للملكـة، كما ينتج عنها الاختـلاف الكبير بــالحجم بين النحلـة الشغالـة والملكة كـذلك الاختـلاف في الحيـاة الجنسيـة للحشرة الكاملة ثم الاختلاف في العمر حيث يصل عمر الملكة من ٥ – ٦ سنوات في المتوسط بينما لا يزيد عمر النحلـة الشغالة عن ٣ – ٤ شهـور، هذا عـلاوة على قيـام الملكة في مـوسم النشـاط بـــوضع مـا يعــادل وزنها من البيض يوميا مع استمرار النحل بتغـذيتها بـالغذاء الملكي، وقـد لـوحظ أيضا اختـلاف التركيب الكيماوي لغذاء كل مـن اليرقات الملكية ويرقات الشغـالة خاصة في نسبة المواد الدهنية وفي درجة الحمـوضة، ولقـد حـاول بعض العلماء تركيب مادة تتشـابه مع الغذاء الملكي، وعنـد تجربتها لم يجدوا أي تأثير على اليرقــــات المختلفة مما يـوضح أهمية الاثر الهرموني الجنسي للغذاء الملكي.

■ وصف القـــرآن الكـــريم جميع ما يخرج من بطون النحل بأنه شراب مختلف ألوانه فيـــه شفـــاء للنـــاس

الغـذاء الملكي والتأثير القـاتل للبكتريا المرضية

بالرغم ممـا يظهر من التحليل الكيماوي للغـذاء الملكي من أنـه غــذاء غني يمكن النمـو عليــه بسهولـة إلا أنه لا يفسـد داخل الخليـة رغـم ان درجـة الحرارة تصل إلى ٣٥م ونسبـة الرطـوبة عالية وهى ظـروف تسمح بنمو الكـائنات الـدقيقة، لـذلك اختبر بعض العلماء مقدرة بعض انواع من البكتريا المرضيـة ومن بينها ميكـروب التيفود فـلاحظـوا ان وجود الغذاء الملكي في البيئة التي تنمو فيها البكتريـا بنسبة حجم واحــــد لكل حجم من البيئـــة يتسبب في موت الميكـروبات بعد دقيقـة واحدة – وعنـدما كـانت نسبـة الغذاء الملكي حجم واحـد لكل عشرة احجـام من البيئـة لم يتمكـن أي ميكـــــروب مـن الاستمـرار عند النمـو اكثـر من ثـلاثين دقيقـة، وبـذلك ثبت ان للغذاء الملكي تأثير قـاتل ومميت لبعض انـواع البكتيريا المرضيـة وبدأ دراسة أثر استعماله في قتل البكتريا التي تصيب الانسان.

وقـد استطـاع بعض العمـلاء فصل المادة الفعـالـــة في الغـذاء الملكي كما لاحظ علماد آخـــرون في كولـومبيا ان معـاملة الغـذاء الملكي بــــالتسخين إلى درجـــة ١٠٠م تقـــريبـــا تحت ضغط منخفض تسبب في زيــادة قـوة التأثير القـاتل للبكتريـا بدرجـة تعـادل خمسين ضعفـــا للتأثير الاصلى.

الفيتامنات في الغذاء الملكـــي وأثرهـــا في إطالة عمر الملكات

سبق الاشـــارة إلى متـــوسط تـركيـز الفيتـامينـات المختلفـة بالغذاء الملكي وقد أثبتت تجارب بعض العلماء ان غـــذاء يـرقـــة الشغـالـة من اليـوم الثـالث إلى اليـــوم الخامس من عمـــرهـــا يحتــوي كميـــة من حــامض البنتـوثينك اقل ممـــا في الغـذاء الملكي كثيرا اذ ينخفض تـركيزه بمقـدار ٨٦٪ وكذلـك بالنسبـة للثيـــامين اذ ينخفـض بنسبـــة ٤٨٪.

واعتبر حامض البنتـوثينك ذو دخل في طـــول العمـــر ويعتبر الغـذاء الملكي أغني مصـــدر على الاطـلاق من مصـــادر حـامض

البنتوثينك فهو يحوي اكثر من ستة أضعاف الكمية الموجودة في الكبد، وقد يفسر طول عمر الملكة بما تناله من كميات كبيرة من هذا الفيتامين، كما يفسر انخفاض تركيزه في غذاء الشغالة (بعد اليوم الثاني من عمرها) قصر عمر الشغالة فلا يزيد عن بضعة أسابيع في حين يصل عمر الملكة إلى بضع سنوات - كما سبق - وهذه الملاحظة وجهت بعض العلماء إلى دراسة التأثير الايجابي للغذاء الملكي على طول العمر بين أفراد الطائفة المختلفة.

استعمالات الغذاء الملكي وفوائده الطبية والعلاجية

نظراً لخواص التحليل الكيماوي للغذاء الملكي واحتوائه على الكثير من المركبات والاحماض الامينية والفيتامينات فقد قامت بعض الهيئات الطبية بدراسة اثر استعماله كعلاج لكثيرمن الامراض التي تصيب الانسان، واشتد الاهتمام بدراسة الغذاء الملكي وعمل الابحاث والدراسات التي توضح السر الكامن وراء هذه المادة الطبيعية التي تفرزها هذه الكائنات الصغيرة (اليرقات والشغالات الحديثة السن) وتتسابق الكثير من الهيئات في اجراء هذه الدراسات لما عرف بالدليل القاطع ان للغذاء الملكي خصائص ترتبط ارتباطا قويا بالحيوية وقتل الميكروبات المرضية بالاضافة إلى تأثيره الهرموني، ومع استعمالات الغذاء الملكي في كثير من الحالات ووجود التقارير التي تثبت اثره العلاجي والذي سوف أتناول



■ ظهر من تحليل الغذاء الملكي احتواؤه على عشرين حامضا من الأحماض الأمينية

■ أشار بعض العلماء إلى فائدة الغذاء الملكي في علاج أمراض الجلد مثل حالات الأكزيما

بعضا منها فان بعض الهيئات تناولت موضوع الغذاء الملكي واستعمالاته بالنسبة للإنسان بشيء من التحفظ وطالبت بالمزيد من الأبحاث العلمية والأدلة القاطعة في هذا المجال.

وتتعدد حالات استعمال الغذاء الملكي في شفاء الكثير من الأمراض وفي كل البلاد المتقدمة تقريبا، وقد قامت معامل الأدوية بتعبئة الغذاء الملكي في صور مختلفة تمنع تطرق الفساد اليه أو فقد فاعليته وقيمته الحيوية وأمكن اعداده على هيئة مستحضر للحقن تحت الجلد أو معبأ في أمبولات يمكن تناولها كشراب عن طريق الفم كذلك أمكن تحويله إلى مسحوق لعملية التجفيد، ثم يعبأ في كبسولات يسهل تناولها، كذلك استعمل الغذاء الملكي في مستحضرات التجميل (الكريمات) لتنشيط خلايا البشرة واعادة الحيوية اليها وازالة التجاعيد بها، وكانت النتائج مشجعة في العديد من الحالات، وهذه بعض الامثلة لاستخدامه كمادة علاجية.

أ- الغذاء الملكي وأمراض الاطفال

وجد العالمان Malosso and Gandi سنة ١٩٥٦م في إيطاليا ان للغذاء الملكي أثر علاجي لأمراض الأطفال المختلفة وتم تجريب ذلك بطرق ومعدلات مختلفة وإعطائه للأطفال في صورة كبسولات بمعدل ٥٠ مللجرام

الغذاء الملكي

بطـرق ومعـدلات مختلفـة وإعطائه لـلأطفال في صـورة كبسولات بمعدل ٥٠ مللجرام في الكبسولة الواحدة من الغذاء الملكي المجفف تحت تبريـد أو في صـورة كبسـولات بمعـدل ١٠ مللجرام في الكبسـولة أوفي صـورة حبوب جـافة بمعـدل ١٠٠ مللجـــرام في الحبـــة الواحدة، وكـانت ملاحظاتهم على الاطفال المعالجين كما يلي:

١- أنـه يسـاعـد على تنشيط شهية الطفل في أغلب الحالات.

٢- تبـــدأ ظهــور نتـــائج محســوسـة للعـلاج بعـد ٢٠ يوما من بدايته.

٣- العـــــلاج على فترات متقـاربـة (٢٠يـوم) بين كل دفعـة وأخـرى مـدة كـافيـة للحصول على نتائج إيجابية.

٤- تأثيره مفيـد لـلأطفـال الذي يعانون من التقلصات في الامعاء وكـذلك الذي يعـانون من كثرة الافرازات العرقية.

٥- يـؤثـر في زيـــادة عـدد كرات الدم الحمراء كما يساعد على التـوازن بين عـدد كـرات الدم المختلفة في حـالة الانيميا المزمنة.

٦- يساعد على زيادة معدل استفادة الجسم بالبروتينات.

٧- لــــه تأثير خـــاص ديناميكي ومنشط للانسان.

وقـد حصل بعض العلماء على نتائج مشجعـة باستعمال الغـذاء الملكي في علاج تسعـة اطفال كانت حالاتهم الضعف الشـديد نتيجـة ولادتهم بعـد حمل ٧ شهــور فقط وكـــان العــلاج بمعــدل ١٦ - ٥٠ مللجرامـا ولمدة ٢٠ يومـا ولم يكن لاستعمال الغـــذاء الملكي أي تأثير ضـار على المعـدة أو معـدل الهضم لـدى الاطفـال المعالجين به.

(ب) الغذاد الملكي وأمراض الشيخوخة

ثبت ان الغــــذاء الملكي يسبب تحسنـا ملحـوظا في الحيـويـة لحالات من الشيخوخة فقد عالج أحد العلماء ١٣٤ مـريضا سنهم يتراوح بين ٧٠ و٧٥ سنة وكلهم يعـانـون من النحـافـة والقـوة المنهكة وذلك بـالحقن في العضل يومـا بعد آخـر بمعدل ٢٠ مجم غـذاء ملكي في الحقنـة الواحـدة وكانت النتائج ايجابية ابتداء من الحقنـة السـادسـة حين بـدأت العودة للشهيـة ثم تبعهـا الوزن الطبيعي للمريض.

كما لاحظ زيادة في ضغط الدم المنخفض مع عـدم التأثير الضار في حـــالات الضغط المرتفع، ومن بين الامثلة الواضحه ذكره لاربع حالات وهي:

١- سيـدة ٨٤ سنـــة نشطـة ولكنها تعـاني من بعض النقص العقلي والعصبي كما تعـاني من انخفـاض في ضغط الدم نتيجـة لاصـابتها بـانفلـوانـزا شديـدة وطويلة، فقد تحسن الضغط كما تحسنت الحالة العصبيـة بعد ٦ حقن فقط وتركت سريـرها وبدأ وزنها في الـزيادة واستمـر تأثير الحقن المفيد ثمانيـة أشهر بدون الحاجة لاعادة العلاج.

٢- رجل ٦٨ سنـة يعـاني من نقص في التغذيـة وحالـة عصبية ودوخـة وضغط عـام ولكن بعـد أربعـة حقن بدأ التحسن، وبعـد ١٢ حقنة أصبح شخصا طبيعيا.

٣- سيدة ٥٠ سنة مرت بمرحلة سن اليـأس منـذ ٥ سنـوات وتعـاني من النـرفزه والصـداع المستمـر وآلام في الحنجرة وقلـة في النـوم وآلام في الظهر ودوخـة مما بدأ معه الميل للانتحار ولكن بعد العلاج تحسنت حـالتها بعد الحقنـة السـادسـة ونسيت أفكارها الانتحارية وانتظم النمو وحـالتهـا الجنسيـة أصبحت عادية بالنسبة لسنها.

٤- سيدة ٦٢ سنة تعاني من انخفـاض زائد وضعف شـديـد ونرفزة بسبب اصـابتها بأورام لم ينفع في عـلاجهـا استعمال المضادات الحيوية المختلفة وبعد بضعـة حقن بـدأت في التحسن وزاد وزنها اكثـر من ثـلاثـة أرطـال، وبعـد أربعـة اشهـر واخذهـا دفعة ثالثـة من العلاج اختفت الاصـابـة البكتيريـة وشعرت بتحسن عام.

(جـ) الغذاء الملكي وعلاج بعض الأورام النفسية والعصبية

لاحظ بعض العلماء بايطـاليا ان هـــؤلاد المرضى يمكـن معالجتهم بتناول ٥٠مجم غذاء ملكي مخلوط في كمية من العسل يـوميـا خـلال ٢٠ - ٣٠ يـوم وكانت النتيجة بعد اتمام العلاج اصبح المرضـى قـــادرين على العمل بدون اضطـراب، ولوحظ تحسن القدرة على التركيزالعقلي، كما لـوحظ زيـادة في الشهيـة وبـالتـالي تحسن في الحالـة المرضيـة، وكما لـوحظ ايضـا احتـواء الغذاء الملكي على عـامل مهديء للأعصـاب ويعزي ذلك لـوجـود مـادة استيل كـودلين (إحـدى مشتقـات الأرجـوت) ويستعمل في الطب في عـلاج تقلصـات الأمعـاء، كما أن لـه أهمية كبرى في حالة ضغط الدم، ووجـود الاستيـل كـولين يفسر سبب تخفيفـه لحالات الإمساك المزمن، وتقدر الكميـة الموجودة منـه بمقدار ١,٢ ملليجـرام من الغذاء الملكي.

(د) الغذاء الملكي عـلاج قرحة الاثنى عشر

أجـرى بعض العلماء تجارب على عـــدد قليل مـن المرضى (لثلاث حالات فقط) أعطت كلها نتائج مدهشة إذ اختفت القرحة بعد علاج لمدة ٢٠ يـوما بالحقن مـرة واحدة يـوميا في الصبـاح ومـازالت تجري دراســات عن امكان نجاح هذا العلاج.

(هـ) الغذاء الملكي علاج أمراض الجلد

أشار بعـض العلماء إلى فائدة الغـذاء الملكي في عـلاج أمـراض الجلد مثل حـالات الأكزيما وقد لوحظ إن العلاج بـالغذاء الملكي داخليا أفضل بكثير مـن العلاج الموضعي بـاستعماله مع كـريم الجلـد، ولـو أن الأخير أعطى نتائج لا بأس بها.

(و) الغذاء الملكي وتأثيره على الغدد فوق الكلية (الكظرية)

لاحظ Ardry في فرنسا ان للغـذاء الملكي تـأثيرا منشطـا

■ للغذاء الملكي تأثير قاتل لبعض انواع البكتيريا المرضية التي تصيب الانسان

للغـدة الكظـرية (فـوق الكليـة) وبالتـالي له تأثير عـام مفيد على التمثيل الغذائي للجسـم، والغدة فـوق الكلية هي زوج من الغـدد طولها حـوالى ٥ سم ولونها يميل للصفـرة وتستقـر على الجزء العلوي لكل من الكليتين بـالقرب من العمـود الفقـري، هي غـدة صماء يخرج افرازهـا في مجرى الدم مباشرة وتفرز هـذه الغدة هـرمـونات متعـددة من أهمهـا مـايفـرزه الجزء الخارجي وهـو القشرة من هرمـون الكورتيزون الـذي يـرتبـط افـرازه بنشـاط عمليـات التمثيل الغـذائي للكربوهيدرات في الجسم وكذلك بـالنشـاط الجنسي، أمـا الجزء الـداخلي فيفـرز هـرمـون الادرينـالين لموازنـة النـاتج من الانفعـالات ومـايترب عليـه من خوف وغضب وزيادة في ضربات القلب وحرق السكـر المخزون في الكبد، ويعـالج هـذا الهرمون في حالـة عدم نشاط الغـدة بالحقن تحت الجلـد في حـالات النـزيف الشديد والصدمات والازمات.

ومن ذلك يتضح أهميـة بقـاء غدة فـوق الكليةفي حالـة نشاط لتنظيم حـالـة الجسم الصحيـة ومن هنـا يتضح أيضـا أهميـة الغـذاء الملكي لما ثبـت من أن لـه تأثيرا منشطا على هذه الغدد.

اذن فتأثير الغـذاء الملكي تأثير هرموني بيـولوجي اي ان تأثيره فسيولـوجي منشط ولاينتج عن استعماله تكوين اجسام مضادة داخل الجسم بالمرة، وقـد لوحظ انه وان كان غير سهل الذوبان في الماء ولكنه يذوب بسهولة لو عدل الاس الايـدروجيني (PH) للمحلـول من الجانب الحامضي إلى الجانب القلوي.

(ز) الغذاء الملكي علاج لأمراض الأنيميا

■ ثبت ان الغـــذاء الملكي يسبب تحسنـــا ملحوظـا في الحيويـة لحالات من الشيخـوخة

وفـــقر الــــدم

ومن ناحية أخرى وجد بعض العلماء بإيطاليـا ان الغذاء الملكي يحتـــوي على v.b١٢ بمعدل(٠,١٤٨٥ ملليجـرام لكل ١٠٠ جم وزن جـاف) وهـو الفيتامين الـذي اكتشف وجوده في الكبد عام ١٩٤٨م، ويعتقد ان له اهمية كبرى في عـلاج الأنيميا وخاصة الأنيميـا الخبيثة ووجد أن التأثير المفيد الناتج عن الحقن بـالغـذاء الملكي لايحدث حتى عنـدمـا يستبـدل بـالحقن بـالفيتامينـات المختلفة بمعـدل ١٠٠٠ ضعف التركيـز الموجـود في الغذاء الملكي.

وأثبـت بعـض العلماء منهـم (ميـلامبي) ان للغـذاء الملكي خاصية عالية في قتل الميكروبات تـزيـد حتى على حمض الفنيك، وهذا يفسر لنا لماذا يعيش الغذاء الملكي المجفف مـدة طويلـة دون ان يفسد.

وفي عـام ١٩٣٩م وجـد فيـه هنـري ل.ديبل هرمـونـا ينشط الغـدد الجنسيـة قـد اظهـرت التجـارب على انه يمضي خمسـة أيام على تلقي حقنـة تحت الجلد من خـلاصـة الغـذاء الملكي زاد وزن المبـايض في انـاث الفئـران وزاد نشاطها، كما ثبت ايضا ان الاثـر المنشط للغـذاء الملكي يتناسب طرديا مع كميته، وكانت النتائج المشجعة في التجارب على الحشرات (الذبـاب) و (الطيور) «الـدجاج» وحيـوانات التجـارب (الفئـران والفئـران البيضـاء) بعثت الحماس لـدي الاطباء على استغـلالـه في عـلاج امـراض خـاصـة، وكـانت خـواصـه العلاجيـة الممتازة ممـا استرعى انتباه كثير من الباحثين والاطباء في أوروبـا والـولايـات المتحـدة وكنـدا والمكسيك وغيرهـا من البلاد، والغذاء الملكي يدرس الآن ويجرب في كثيرمن المستشفيات والمعاهد الطبية الفـرنسية، وقد أقرت وزارة الصحـة الفرنسيـة اختبارات المستحضرات السائلة من الغـذاء الملكي في أمبـولات للحقـن في العضـل مـع الماء الملحي، وقد استمـرت التجارب عامين بمستشفى نيكر بباريس، وفي كثير مـن الحالات أدت إلى الشفـاء، وبعـد ذلـك أعطى تصريح بـانتـاج مستحضر (ابيسيرم) وهـو مستحضر من الغذاء الملكي.

وفي عـام ١٩٥٥ أصـدر ر.ويلسـون تقريـرا عن نتـائج تجاربـه في استعمال الغـذاء الملكي على اعـادة بناء الاعضـاء الضعيفة وفي الامراض العصبية في ضعف الجهـاز الـدوري وفي بعض امراض غيرهـا، وفي معهد فلـوريدا للسرطـان يدرس أثـر الفالـوذج الملكي (الغذاء الملكي) على نمو الزوائد الخبيثة.

ويقول مورو الطبيب الفرنسي الـذي صنـع مستحضرا من الغـذاء الملكي وعسـل النحل وحبوب اللقـاح أن للغذاء الملكي خواصا وقائية عالية وأن له اثرا خاصا في منع الشيخوخة.

وبـالاضـافة إلى هـذه المزايـا العـلاجيـة فـالغـذاء الملكي من مستحضرات التجميل الممتـازة لانه يحتـوي على كثير من المواد التي تؤثر على الجلـد تأثيرا طبيا كما سبق.

(خ) تناول الغذاء الملكي ونصيحة لمن يستعمله

يخلط الغـذاء الملكي عـادة بمعـدل ١جـم لكل نصف كجم من العسل والجرام يحصل عليه من ٥ - ١٠ بيـوت ملكيـة حيث ان كميـة العسـل المستعملـة في حفظ الجرام غذاء ملكـي تعادل تقـريبا ٢٠ ملعقـة كبيرة، وعلى ذلك فـان كل ملعقـة من العسل تحتـوي على مـايعـادل ٥٠ ملليجرام من الغـذاءالملكي وهي الكميـة التي ينصـح الاطبـاء باستعمالها في كـل دفعة يـوميا وتؤخـذ ملعقة العسـل المخلوط بالغذاء الملكي قبـل الاكل اما مر ة واحدة في الصباح والأخرى في المسـاء كعـلاج للحـالات التي ينصـح بها الطبيـب، إلا أن الإسراف في استعمالـه قـد يأتي بنتـائج غير مـرغـوب فيهـا كأمـراض زيـادة نسبـة الفيتـامينـات في الجسم التي تؤدي إلى التسمم، فمـن المعلوم جيـدا ان الجرعة الصغيرة جـدا من فيتـامين (د) قـد تـؤدي إلى التسمم وكـذلك ينطبق هـذا على الهرمـونـات، ولهذا كـان من الضروري أن يكـون العـلاج بـالغـذاء الملكي تحت إشراف أطبـاء مهـرة لهم خبرة دقيقـة بجسم المريض.

ومع ذلك فما زالـت دراسـة الخواص العـلاجية والـوقائيـة للغـذاء الملكي في المراحل الأولى وأن التجارب المقبلة والملاحظات الاكلينيكيـة ستعين على إظهـار أسرار هـذا الـدواء القـوي كما تعين الأطباء على الاستفـادة منه لصالح صحة البشر.

وعنـد خلط الغـذاء الملكي

التجانس التام في المخلوط مع تحاشي استعمال المواد المعدنية في أثناء الخلط وعدم التجانس له الاضرار التي سبق وان اشير اليها في حالة الاسراف في استعمال الغذاء الملكي، نظرا لوجود وفرة من الفتيامينات به ولطبيعته الهرمونية.

كيفية الحصول على الغذاء الملكي وانتاجه وجمعه وحفظه

كما أشرنا سابقا زاد الاهتمام في السنوات الأخيرة بالغذاء الملكي في كثير من البلاد وخاصة في فرنسا وايطاليا وامريكا وروسيا وأجريت عدة دراسات وأبحاث عن مدى أهميته بالنسبة للانسان، كما درس تركيبه والعوامل التي يعزي اليها التأثير المفيد خصوصا في بعض الحالات المرضية، واهتمت مؤتمرات النحل الدولية بمناقشة الكثير من الابحاث التي قدمت اليها، ففي مؤتمر النحل السابع عشر الذي عقد في روما عام ١٩٦٠م تضمن جدول أعماله على اثنى عشر بحثا عن الغذاء الملكي وانتاجه وفوائده الصحية على الاطفال والكبار كما تضمنت المراجع العلمية العديد من الأبحاث عن أهميته على الصحة العامة.

واهتمت وحدات البحوث ببعض الجامعات العربية في إجراء أبحاث عن الغذاء الملكي وطرق انتاجه وحفظه وتأثيره على الإنسان في مختلف أطوار حياته.

وظهر وعي جديد لدى كثير من الناس عن فوائد الغذاء الملكي وبدأ كثيرمن الأطباء يصفونه لبعض المرضى وخاصة عند علاج نقص الحيوية عن طريق استعمال الأدوية الأجنبية المستوردة من فرنسا وأمريكا والتي تعتبر الغذاء الملكي المادة الفعالة فيها أويدخل الغذاء الملكي كجزء رئيسي منها، ونظراً لنقص هذه الأدوية في السوق نصح الأطباء باستعمال الغذاء الملكي المحضر من طوائف النحل على أن يكون محفوظا بطريقة لاتفسد خواصه، ومن هنا بدأ مربو النحل في تلقي طلبات شراء الغذاء الملكي، وفي اعتقادي انه لن يمر وقت طويل الا وقد تخصصت بعض المناحل في انتاجه كما هو الحال في الوقت الحاضر من تخصص بعضها في انتاج الملكات والبعض الآخر في انتاج طرود النحل او انتاج العسل.

ويجب النظر إلى حقيقة هامة وأساسية وهي ان الغذاء الملكي لا يعتبر حتى الآن دواء محدد الصفات والتركيب بل هو مادة غذائية ذات فوائد صحية.

انتاج الغذاء الملكي للاستعمال الشخصي

يستطيع النحال العادي ان يجمع كمية من الغذاء الملكي اللازمة للاستعمال الشخصي، وذلك باختيار طائفة قوية أو أكثر، ويفضل ان تكون من المعروفة بميلها للتطريد، وبالتالي قدرتها على عمل بيوت الملكات بكثرة، وبعد هذا الاختيار يتولى النحال تغذيتها بصفة متسمرة حتى تصبح صالحة لتربية الملكات او بمعنى آخر معدة للحصول منها على الغذاء الملكي وعند ازدحام هذه الطوائف يمكن عزل ملكة كل طائفة مع قرصين او ثلاثة اقراص في صندوق سفر وبمجرد شعور نحل الطوائف باليتم (فقد الملكة) يبدأ في بناء عدد من البيوت الملكية ثم ترفع اليرقات من هذه البيوت بعد حوالي ثلاثة أيام من عزل الملكة ويجمع الغذاء الملكي ثم تضم ملكة الطائفة إليها ثانية، ثم تترك هذه الطائفة لمدة اسبوعين او ثلاثة لتستعيد قوتها مرة ثانية، وتتكررهذه العملية وقد يلزم الأمر اضافة أقراص حضنه على وشك الفقس من وقت إلى آخر لاكثار عدد الشغالات الحديثة السن، ويعبأ الغذاء الملكي في زجاجات معقمة أشبه بزجاجات البنسلين، وتقفل هذه الزجاجات باحكام وتحفظ في ثلاجة على درجة الصفر المئوية ويفضل ان تكون الزجاجات معتمة اللون.

أنسب الأوقات لانتاج الغذاء الملكي

من الطبيعي انه لا يمكن انتاج الغذاء الملكي على مدار السنة وأنسب تلك الاوقات هي الفترة التي تربي فيها الملكات وذلك خلال شهور مارس - يولية، واكثر الشهور ملاءمة لهذه العملية هى شهري مارس وابريل.

أما في مواسم الصيف فقد ينشط النحل في ملء الاطارات والاقراص بالرحيق لدرجة لاتجد الملكة مكانا للبيض حتى في الغرفة السفلية وان لم يتنبه المربي فقد يتجه النحل للتطريد نتيجة للازدحام الواجب توافره في الطوائف القوية والتي يتم فيها عملية تربية الملكات لجمع الغذاء الملكي.

انتاج الغذاء الملكي على نطاق تجاري

ان اكثر النحالين قدرة على انتاج الغذاء الملكي على نطاق واسع هم الذين لديهم خبرة في تربية الملكات بطريقة الكؤوس فهناك تشابه كبير في الخطوات اللازمة لانتاج الغذاء الملكي وتلك اللازمة لانتاج الملكات.

وفيما يلي أهم الخطوات المتبعة في انتاج الغذاء الملكي على نطاق تجاري:

١- يقوم المنتج باعداد طوائف خاصة لتخدم احتياجاته في بناء البيوت الملكية وهذه الطوائف يجب ان تكون قوية جدا مع توافر أقراص العسل وحبوب اللقاح ومورد الماء وهذه كلها ضرورية للطوائف التي ستربي فيها الملكات كما يجب ان تخصص طوائف اخرى لتزويد طوائف التربية بأقراص أخرى بها يرقات وحضنة على وشك الفقس وتحولها إلى يرقات.

٢- ترفع الملكات من الطوائف القوية او تحجز في الغرفة السفلية ويفصل عن الغرفة العلوية بحاجز الملكات على ان تعد الغرفة العلوية لعملية تربية الملكات.

٣- تجهز الغرفة المخصصة للتربية كالآتي:

أ- توضع أربعة أقراص بها حضنة مفتوحة وليست مقفولة في وسط الغرفة، يحيط

اهتمت وحدات البحوث ببعض الجامعات العربية في إجراء أبحاث عن الغذاء الملكي وطرق انتاجه

لا يمكن انتاج الغذاء الملكي على مدار السنة وأنسب تلك الاوقات هي الفترة التي تربي فيها الملكات

بهذه الأقراص قرصان بهما حضنة مقفولة، وأخيراً على الجوانب ثلاثة أقراص من العسل وحبوب لقاح.

ب - يوضع اطار تربية الملكات بعد اعداده بالكؤوس الشمعية المزودة باليرقات صغيرة السن في وسط غرفة التربية يحيط به من كل جانب قرصان من أقراص الحضنة المفتوحة (يرقات).

ج - يوضع إطار التربية في اليوم التالي لإعداد غرفة التربية حيث تكون الطائفة أكثر استعداداً لإعداد البيوت الملكية.

٤- في اليوم الرابع يرفع إطار تربية الملكات لجمع الغذاء الموجود في البيوت ويوضع مكانه اطار تربية آخر ويمكن استعمال نفس الإطار السابق بعد أخذ الغذاء الملكي منه وإعداده مرة أخرى باليرقات صغيرة السن، هذا مع ملاحظة أن أقراص الحضنه المفتوحة التي اضيفت في اليوم الاول قد تم نقلها حيث تحولت اليرقات إلى عذارى لذلك يجب رفع هذه الاقراص ووضع اقراص بديلة بها حضنة مفتوحة (يرقات).

ومن المهم ان يستمر اعداد الطائفة او الطوائف - التي تربي فيها الملكات - بالغذاء اللازم وبالنحل الحاضن (النحل صغير السن)، وهذا يستدعي تخصيص عدد من الطوائف في المنحل لتكون مصدراً لأقراص اليرقات واقراص الحضنة التي على وشك الفقس والتي تزود بها طوائف التربية باستمرار.

ويتوقف نجاح النحال في انتاج الغذاء الملكي على مالديه من خبرة للتغلب على الصعوبات التي تقابله لأنها عملية ليست سهلة كما يبدو لأول وهلة وهذا يقتضي بعض الوقت والاطلاع على المؤلفات المتخصصة في هذا الشأن للوصول إلى هذه الميزة.

جمع الغذاء الملكي وحفظه

يستطيع النحال العادي أن يجمع من ١٠٠ - ٢٠٠ ملليجرام (الجرام = ١٠٠٠ ملليجرام) من كل كأس كل ثلاثة أيام، ويستخدم في جمع الغذاء الملكي ابرة التطعيم أو ملعقة رفيعة معدنية أو خشبية وتفضل الاخيرة، ويبدأ النحال برفع اليرقات من البيوت الملكية بطرف الملعقة الكبيرة ثم يسحب الغذاء الملكي بالطرف الآخر للملعقة أوباستعمال شفاطة او محقن خاص، وأداة الجمع تختلف باختلاف كمية الإنتاج، وفي حالة الإنتاج التجاري يجمع الغذاء الملكي بالسحب بأنبوبة زجاجية متصلة بجهاز تفريغ ويتروح قطر الأنبوبة ما بين ثلاثة أرباع بوصة إلى بوصة كاملة وطولها حوالى من ٦ إلى ٨ بوصات، وفي الانتاج الكبير يعبأ الغذاء الملكي في أوعية نظيفة من البلاستيك، ويحكم قفل هذه الأوعية ثم تحفظ مباشرة تحت درجة الصفر المئوية أو أقل نظراً لسرعة فساده وفقده لخواصه الطبيعية حيث تشير الأبحاث إلى أنه لو ترك الغذاء الملكي في درجة الحرارة العادية يتحلل ما به من بروتين ويتغير لونه ورائحته.

وإن كانت هناك أبحاث أخرى تشير بإمكانية حفظ الغذاء الملكي على درجة الحرارة العادية على أساس أن ظروف انتاجه في الخلية تكون على درجة حرارة مرتفعة ورطوبة مرتفعة ومع ذلك فإنّه لا يتلف داخل هذه الخلايا، هذا بالاظافة إلى ماسبق انه به مادة فاعلة ضد الميكروبات، وقد تحفظ الغذاء الملكي بالعسل الذي يعتبر مادة حافظة له تقيه من الفساد والتلف، وعلى العموم فان هذا يعطي أمانا في حالة ما اذا كان المنحل بعيدا عن المدينة ولاتتوفر الثلاجة اللازمة للحفظ مباشرة، فيمكن نقله خلال ست ساعات من وقت جمعه من الخلية (الطائفة) لحين وضعه في «الفريزر» دون أدنى خوف من أن يتطرق اليه التلف والفساد، ويحسن تصفية الغذاء الملكي من آثار الشمع باستعمال مصفاة من التل (أو قماش خفيف) قبل تعبئته وحفظه.

وأخيرا فإن الأمل معقود على اهتمام الهيئات الطبية والصيدلية - في البلاد العربية وجامعاتها ومراكز البحث فيها - بالغذاء الملكي وإجراء المزيد من الدراسات والأبحاث الهادفة إلى اماطة اللثام وكشف أسرار وخواص هذه المادة وفوائدها الحية علاجية كانت أم غذائية، كما نأمل ان تشمل الدراسة الطرق المثلى لجمع الغذاء الملكي وحفظه وتدواله أسوة بكثير من بلدان العالم ودوله الأوروبية وغيرها خاصة بعد أن أشار القرآن الكريم إلى تلك الفوائد المتعددة في سورة مسماة باسم هذه الحشرة التي كرمها الله سبحانه وتعالى وهى سورة (النحل) ولايسعني إلا أن أشير في نهاية هذا المقال إلى قدرة الله سبحانه وتعالى في تسخيره هذه الحشرة الصغيرة لكي تقدم للناس الغذاء والدواء ليس الغذاء الملكي وحده ولكن العسل والشمع وحتى سم النحل أصبح الآن سماً وترياقاً يقول الله تعالى: ﴿ وأوحى ربّك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبيل ربك ذُلُلاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إنّ في ذلك لآية لقوم يتفكّرون ﴾ [النحل:٦٨و٦٩] ■

الهوامش

(١) العلاج بعسل النحل (مترجم)، دار المعارف، القاهرة.
(٢) نحل العسل ومنتجاته: د. محمد علي البنبي، دار المعارف، القاهرة.
(٣) تربية النحل، د. صلاح الدين رشاد.
(٤) تربية النحل وإدارة المناحل، د. أحمد لطفي عبد السلام، دار المعارف، القاهرة. (٥) مملكة النحل، د. محمد حسن حسانين ود. فاروق خليل، الانجلو المصرية، القاهرة.
(٦) الكثير من المذكرات والمقالات والأبحاث لكاتب المقال وغيره.
(٧) نحل العسل دراسة عن السلوك والانتاج ورعاية المناحل، د. إبراهيم سليمان عيسى.

الاستعفاف منهج قرآني

النظام الاجتماعي الإسلامي يصدر عن منهج إلهي سام إلا أنه في الوقت نفسه يراعى التكوين البشري ويعبر عن طموحات الإنسان ويعمل على إشباع أشواقه داخل الإطار الاجتماعي بما يحقق في النهاية التواؤم بين السعي الإنساني وحركة المجتمع وقوانين السماء. والإنسان في حياته تحكمه مجموعة من النزعات والرغبات التي قد يقاومها أو يهذبها أو يسعى إلى الاستجابة لها، ويتحدد موقف الإنسان من هذه النزعات والرغبات من خلال ثقافته التي يتشربها من مجتمعه. وأبرز هذه النزعات: الشهوة الحسية، وشهوة جمع المال، لذلك نرى النظام الاجتماعي الإسلامي يركز بقوة على هذين الجانبين، ويظهر ذلك في القرآن بوضوح، كما يظهر في السنة المطهرة أيضا، وحول هذين الجانبين تدور جمهرة كبيرة من تشريعات الإسلام وتوجيهاته للفرد والمجتمع والحكومة الإسلامية.

بقلم: محمود محمود النجيري

وأمام هذه الشهوات التي ركبت في الطبيعة البشرية يتحدد مطلب القرآن في كلمة واحدة: (الاستعفاف)، فقد وردت في القرآن الكريم في غير موضع، وفي غير حالة، قال تعالى: ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ [النور:٣٣]، وقال عز اسمه: ﴿ والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن ﴾ [النور:٦٠]، وقال جل شأنه: ﴿ ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعرف ﴾ [النساء: ٦].

إن كلمة (يستعفف) الواردة في الآيات تختلف عن (يعف أو يتعفف)، فهي تدل على أن الأمر يتطلب جهادا طويلا للنفس، وصراعا عظيما متصلا لتذليل شهواتها والارتفاع على مطالبها ويمكن أن نقول إن (الاستعفاف) مصطلح قرآني يعبر عن ركن أساسي في المنهج الإسلامي للاجتماع، وذلك من خلال تنوع الخطاب القرآني بها: للشباب أو من لا يستطيعون الزواج وللنساء عنصر الفتنة الأساسي في المجتمع، وللولاة على الأموال كذلك.

إن الفطرة التي فطر الله الناس عليها: الجسد والروح، العقل والشهوة، وما أودع في الطبائع من الهدى والضلال، وما ألهم الطبيعة البشرية من التقى والفجور، كل ذلك يصهره الإسلام في صورة متوحدة ترقى إلى المثل الأعلى في الإيمان والخلق السوي، فأعلى مقاصد الإسلام أن يخلق الإنسان العفيف الطاهر المتسامي الذي يرتفع على غرائزه، ولا ينساق في إثر شهواته، يقول تعالى: ﴿ قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دسّاها ﴾ [الشمس:٩و١٠].

وفي الآية الأولى يتوجه الخطاب القرآني بالاستعفاف لمن لا يجدون زواجا تحت ضغط أي ظرف من الظروف، ويقصد بالاستعفاف هنا: الإعلاء من شأن الغريزة الجنسية والتسامي بالإحساسات الشهوية، وتهذيب الميول الجسدية.

ولم يأت هذا الأمر بالاستعفاف للأعازب في سورة النور إلا في إطار من التشريعات القرآنية المتصلة به، فقد وضع الحكيم الخبير للمستضعفين الطريق المستقيمة من خلال القواعد التي تحافظ على طهارة المجتمع ونظافته من المثيرات والأسباب المفضية إلى الفواحش، ومن ذلك أمره بغض الأبصار وحفظ الفروج للرجال والنساء: ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن. ﴾ [النور: ٣٠ و٣١]، ثم تلا ذلك فرض الحجاب وستر المفاتن وحجب المحاسن، وعدم الاختلاط قطعا لدابر الغواية والفتنة بين الرجال والنساء، وتجنب المغريات الظاهرة والخفية.

ومع ما سبق يتوجه الخطاب القرآني إلى الجماعة المسلمة بقضية أراد لها أن تكون عامة وأن يوليها المجتمع عنايته، وهي تزويج من لا زوج له من الرجال والنساء في المجتمع الإسلامي، فليس من الخير لمسلم أن يظل بلا زواج، وليس الفقر مانعا، فإن الزواج سبب للرزق والغنى من فضل الله، وعلى من لم يتيسر له الزواج أن يستعفف بمجاهدة غرائزه واجتناب المغريات التي تعرض له إلى أن يغنيه الله من فضله بتمكينه من الزواج.

وبالإضافة لذلك يحظر القرآن على من يتولى أمر فتاة أن يدفعها إلى البغاء رغبة في عرض الدنيا، ولا يكتفي القرآن بهذا التحريم للتكسب بالأعراض، ولكنه يضع الحدود الصارمة التي تجعل الزنا جريمة تجلب العقاب الشديد لمرتكبها في الدنيا والآخرة. وفي الآية الثانية يحض القرآن النساء اللاتي قعدن عن الزواج ولم يعد لهن إليه مطمع أن يستعففن فلا يتبرجن بزينة، ولا يكشفن من أجسادهن ما قد يكون سببا للإثارة في المجتمع، ومع أنه لم يبح لهن التخفف من الثياب إلا أنه يعود فيقرر أن

غير ذلك أولى، فسلامة المجتمع وعفته مطلب عظيم يجب أن تحشد له كل موجباته، وتنفي كل السلبيات، وإن اقتضي ذلك ترك بعض المباحات وما لا بأس به، خوفا من الوقوع فيما به بأس.

لقد شاعت الفواحش والمنكرات في المجتمعات التي ساد فيها تبرج النساء حيث ترك للمرأة الحبل على الغارب، تأتي من الأعمال ما تريد، وتختلط بالرجال بلا حياء ولا استحياء، وتتصدر الحياة العامة متعرضة لما ينافي أنوثتها ويثير حولها الشبهات. وفي الآية الثالثة يقول تعالى: ﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ﴾ [النساء:٦]. يطلب القرآن الاستعفاف هنا عن أموال الغير وأبرزها مال اليتيم، فمن تولى أمر يتيم عليه أن يدفع نفسه عن الأكل من ماله ما دام غنيا، فالاستعفاف أولى به، ومن كان محتاجا فليأخذ بقدر وليكن في عون اليتيم في تنمية ماله مقابل ذلك، وهذا التشريع عام في أموال المسلمين، فلا يباح لمسلم أن يأكل مال أخيه، بل يجب أن يستعفف عنه، فإن كان فقيرا محتاجا فعليه أن يؤدي من الخدمات بقدر ما يأكل من هذا المال. قال تعالى: ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة:١٨٨].وفي هذا الإطار التشريعي تأتي وصية الرسول ﷺ : «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه» [رواه مسلم].

الطريق إلى الاستعفاف

وبناء على هذا يمكن أن نقول إن الاستعفاف سمة بارزة في الاجتماع الإسلامي، ومعلم أساسي يميز أي مجتمع يسير على نهج الإسلام، والإسلام لا تأتي دعوته للاستعفاف ذات صفة عامة، ولكنها تتحدد من خلال سلوكيات ينص عليها وأخلاق يصبغها على أتباعه ولذلك تتوحد أخلاقيات وسلوكيات الملتزمين بالإسلام مهما تباعدت بهم الدار أو اختلف الزمان.

فالمستعف عن الأعراض يبعد عن كل مايثير غرائزه، ويتخذ الإجراءات الكفيلة بكسر حدة شهوته، فالاستعفاف يعني بداية اجتناب الزنا والفجور والتولّه في العشق، هذا فضلا عن الطرق الشاذة لتصريف الشهوة، وهي التي تتفنن فيها المجتمعات الغربية اليوم بصورة مخجلة بشعة تنافي كرامة الإنسان وتصدم الذوق والفطرة السليمة.

كما يعني الاستعفاف غض البصر والتسلح بالتقوى والإرادة الصلبة في الحياة الطاهرة، فالمسلم الحقيقي لا يتطلع إلى أعراض الآخرين، ولا ينتهز الفرص التي قد تسنح له، فضلا عن أن يسعى إليها، فهو يحفظ العورات ويستر السوءات، كما عبر شاعرنا:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي
حتى يوارى جارتي مأواها

ويعين المسلم على الاستعفاف الصوم - فرضا ونفلا - يقول النبي ﷺ : «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» [رواه البخاري]، كما يعينه الاشتغال المستمر بذكر الله وطاعته، وعدم الاستسلام للفراغ أو لقرناء السوء.. وعلى المسلم بعد ذلك أن يتجنب مظان الفتنة، ومثار النزوات سواء أكان ذلك في فيلم أو مسرحية أو أغنية أو كتاب أو غير ذلك.

إن نظام حياة المسلم في اليوم والليلة يساعد على الاستعفاف، فالعبادة المتصلة ليل نهار، والوضوء خمس مرات يوميا، والتوجيهات الإسلامية في الطعام والشراب والنوم كلها تبعد عن المثيرات الحسية.

وكذلك نظام الفصل بين الجنسين وهو ما اصطلح عليه بالحجاب، يمثل قاعدة عظيمة في حياة الاستعفاف، وإذا كان بعض دعاة الفجور يدعون أن الاختلاط يهذب الغرائز ويلطف الشهوات ويصعد الرغبات، ويجعل رؤية كل من الجنسين للآخر شيئا مألوفا لا تثير في أي منهما الرغبات الحسية، فإن هذا الادعاء لا يخفي زيفه لذي فطرة سليمة، وكيف يكون الاختلاط كذلك وهو أول الدركات التي أودت بالمجتمعات الغربية إلى ما هي عليه من تهتك ومجون؟! وكيف يكون ذلك وقد زود الله كل جنس بما يجذب الآخر ويستثيره ويفتنه؟!، وصدق رسول الله ﷺ : «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» [رواه البخاري].

وربما يكون الاستعفاف في المال أيسر منه في الأعراض لأن المال لا يصادف هوى في النفس الإنسانية يعادل قوة الشهوة الحسية، وقد يستعف كثير من الناس عن المال الحرام، ولكنهم لا يملكون أنفسهم فيما يتعلق بشهواتهم الحسية، وعموما فالاستعفاف عن أموال الأغيار جزء من إطار الاستعفاف كمنهج قرآني، ولذلك مدح القرآن فريقا بقوله: ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ﴾ [البقرة:٢٧٣].

نظرة إلي واقعنا الاجتماعي

وأمام هذا التنظيم الاجتماعي الإسلامي يتضح ما في مجتمعات المسلمين اليوم من عقبات تقف حجر عثرة أمام إرادة الشباب المسلم في حياة الاستعفاف وسلوك سبيل الفضيلة، بل إنها تأخذ بتلابيبه إلى الفواحش والرذائل الاجتماعية المقيتة.

وتمثل هذه العقبات ظواهر غريبة تفشت في مجتمعنا فشكلت أمراضا اجتماعية لم تكن معروفة من قبل، وأول هذه العقبات الاختلاط بين الجنسين حيث خرجت المرأة من موئلها وحصنها المكين إلى حياة المهانة

■ **يقصد بالاستعفاف التسامي بالإحساسات الشهوية، وتهذيب الميول الجسدية**

الاستعفاف: منهج قرآني

والشقاء حاملة معها دواعي الفتنة والبلاء.

إن الخطر الأكبر للاختلاط هو انتشار الفساد والخلاعة والمجون بين الشباب والشابات، ونشأة جيل يرى في قواعد الأخلاق قيودا على حريته في الانطلاق، مما يوقعه في نهاية الأمر فريسة الصراع المستمر والكبت الدائم المضني.

ومن المؤسف أن المجتمعات التي فرض عليها ستر العورات وعدم إبداء الزينة – حفظا للأخلاق ودعما للعفاف – قد وصلت مؤخرا إلى حالة مؤسفة من التبرج والعُرى، وإذا كان الأمر قد بدأ بالسفور (أي كشف الوجه)، فإن هذا التكشف قد بلغ اليوم حد العورات المغلظة، وصارت الملابس تبدي أكثر مما تستر وتفتن بدل أن تحجب.

وشكل الأدب المكشوف والأفلام والمسرحيات الهابطة والصور العارية والموسيقى والغناء والرقص حلقات متصلة في إبعاد المجتمع عن حياة العفاف، والضحية في النهاية الشباب المسلم الذي يواجه بهذا السيل العاتي من الإباحية الجنسية والفوضى الخلقية التي تهد قواه البدنية والنفسية والعقلية وتصدع التنظيم الاجتماعي.

عوداً إلى حياة الاستعفاف

ولعله من الواضح أن تقصير المسلمين اليوم في الأخذ بمبدأ الاستعفاف الذي يمثل جوهر الحياة الإسلامية، راجع إلى اتباعهم للمنهج الغربي الذي غزاهم على يد فئة من المستغربين الذين رباهم زاد الغرب وغذاهم وعاشوا بنظامه الاجتماعي وله، فعلينا أن ننفض عن عقولنا وقلوبنا وحياتنا ماعلق بها من أوضار الغرب كي نكون أهلا لحمل منهج الإسلام.

إن الإسلام يهدف إلى تربية المسلم على العفاف والأمانة، ولايكون ذلك ومن حوله

■ تحكم الإنسان نوازع ورغبات ينبغي عليه ضبطها

طوفان من المهيجات والمثيرات والفتن المصطنعة، فليس ذلك من الحكمة في شيء، وتقتضي حكمة النظام الإسلامي هنا أمرين؟

أحدهما: نفى كل ما يثير في الإنسان نزعات السوء ويدعوه إلى الرذائل، ويشعل في نفسه نار الشهوة، وتنزيه المجتمع عن كل المغريات والأسباب المفضية الى الفحشاء، فلا نعود نرى أدبا وضيعا أو فنا خليعا أو عريا مريعا أو رقصا شنيعا أو فيلما رقيعا، كما لا نعود نرى التبرج والاختلاط والغناء المفحش ومواخير الفساد!والأمر الآخر: الذي اقتضته حكمة الإسلام لوقاية المجتمع من غائلة الانحلال والتصدع هو فرض الحجاب ووضع آداب الاستئذان وحظر الخلوة، وتحريم الزنا، فهذه مجموعة قواعد تحكم علاقة الرجال بالنساء داخل المجتمع الإسلامي، وتبرز كموانع للانحراف، وعقبات لمن أراد سلوك غير الجادة.

شبابنا وأزمة الاستعفاف

وإذا كان الإسلام قد راعى الجوانب الفطرية في الإنسان، واعترف بما ركب فيه من شهوات ونزعات إلا أنه قد نظم تصريف هذه الشهوات والنزعات ووضع لها الضوابط التشريعية التي تلائم فطرته وتواقع صلاح المجتمع والمدنية.

■ يصدر النظام الاجتماعي الاسلامي عن منهج إلهي سام

■ الاستعفاف سمة بارزة تميز المجتمع المسلم

فليس في منهج الإسلام لأحد – ذكر أو أنثى – أن يستجيب لطبعه الشهوي كيفما اتفق، بل شرع الإسلام طريقين أحدهما موصل للآخر ومتمم له:

فالأول: الاستعفاف والاستمساك بالفضيلة والسمو على نزعات النفس وشهواتها.

والثاني: هو الزواج فليس إلا الزواج إطار مرض – في قانون الإسلام – لتصريف الشهوة والتقاء الجنسين، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ أي الاستعفاف حتى يغنى الله بالتمكين من الزواج.

أما الاستعفاف فطريق مأمونة يسلكها العزب والعزبة حتى يتيسر النكاح، فالاستعفاف هو الوسيلة الصحيحة للسيطرة على نزعات النفس ونزغات الشيطان، والصمود أمام المغريات المتعددة التي يغص بها العصر، وإن الاستعفاف خير ما يسمو بالروح والخلق ويحفظ الصحة والجسم، ولكن نود أن نسأل هنا: إلى متى يستطيع الشاب أن يستمر على حال الاستعفاف؟، وإلى متى يتمكن من مدافعة قوى الغريزة وهي تثور في أعماقه؟

إن المرء مهما أوتي من قوة في دينه وسمو في تفكيره وعلو في خلقه، فلن يستطيع في النهاية أن يميت فطرته أو يخالف سنن الطبيعة وناموس الحياة، ولن يستطيع الاستمساك بحبل الاستعفاف أكثر من عشر سنوات، فماذا يفعل شبابنا اليوم ويبلغ الواحد منهم خمسة وعشرين عاما وليس له من قدرة على النكاح.

إن تيسير الزواج الباكر هو الحل الوسط الذي ندعوا إلى التعاون عليه والدعوة إليه حتى يسود حياتنا، فهو ضمان العفة النفسية والجسدية لأجيالنا المسلمة، وهو السبيل الأمثل لوقف تيار الإباحية الجنسية والقضاء على العلاقات غير المشروعة وحسر موجة الأمراض النفسية والعقلية التي تهدد شبابنا المسلم، كما أنه حصان البيت المسلم ورابط المجتمع بأوثق العرى ■

أبا البراء

إلى روح صاحب القافية الإسلامية المتألقة عمر الأميري يرحمه الله

شعر: محمود مفلح

ما مر ذكْرُك إلا أشعل الحرقا
وما ذكرتك إلا صوتي اختنقا
خمسون عاما وهذا الحرف ملتزم
ما فارق الهمَّ والأخلاصَ والأرقا
خمسون عاما وللأحزان وطأتها
وأنت ترقب يوما مشمسا ألقا!
حملت أمتك الغراء وانطلقت
بك الدروب، وخير الشعر ما انطلقا
وحرت في أمرها فالخلف أو هنها
فكيف تجمع هذي الأمة المزقا؟
تخرق الثوب حتى لا غناء به
وأنت وحدك من داوي ومن رتقا
نقشت فوق صخور الصبر رائعة
من القصائد لازلفي ولا ملقا
وكان غيرك بالحانات ملتزما
وصاحب الكأس في أيامنا سبقا!
يناضلون على إيقاع راقصة
ويهرفون كلاما.. كيفما اتفقا
بنوا من المجد أبراجا مزيفة
تطايرت إثر ريح عاصف.. ورقا

○ ○ ○

كم ذا وضعت يمينا فوق جانحة
وصحت.. إن شراع الأهل قد غرقا!!
كم ذا تألمت من ضيم ألم بهم
كأن قلبك للأوجاع قد خلقا
وللقصائد أعمار مؤقتة
إلا قصائد من عانى ومن صدقا
لو أن للصخر قلبا حين أنشده
«أبو البراء» لأن الصخر وانفلقا
وبعضهم قد غدا بالشعر مضطهدا
وبعضهم قد غدا بالشعر مرتزقا
وأنت أول من راد الطريق لنا
وكان حرفك مثل الشمس مؤتلقا
وأنت أول من صحت روايته
في الشعر لما جعلت الدين منطلقا
وأنت أول من صاغت أنامله
لنا اللآلِيء حتى طوق العنقا
وصحت ياحلب الشهباء يابلدي
متى أعود فإن الروح قد زهقا؟؟
عشرون عاما ولم ترجع إلى حلب
ولا عرفت لها دورا ولا طرقا
وكلما ذكروا الشهباء عاوده
ذكرك الحبيبة والأحباب فاختنقا
هناك منبر شعر كان يعشقه
فكيف ينسنى أمير الحرف ماعشقا

○ ○ ○

أبا البراء ملايين الغراس نمت
فنم هنيئا ، فإن الفجر قد صدقا

لقد أولى الإسلام الأخلاق عناية فائقة، لما لها من أطيب الآثار على الفرد والمجتمع والأمة، فجاء مفهوم الأخلاق الإســلاميــة أوســع من المفــاهيم التي جــاءت بها الأديان الأخرى والفلسفات الـوضعيـة المختلفـة، حيث يـدخل في نطــاق الأخــلاق الإســلاميـة كل العــلاقـات الانسـانيـة، حتى عــلاقـة الإنسان بغيره من الكائنات الحية الأخرى.

ومظاهـر السلوك الإنســاني، ســواء فيما يتعلـق بحيــاة الانســان الخاصــة، أو فيما يتعلق بحيـــاتـــه مع غيره، ولاعجب كـذلك ان تحمل تلك المبــادىء الأخـلاقيــة قيما مختلفـة، فنجـد هنـاك قيما اجتماعية وعلميـة وانسانيـة وسياسية واقتصادية، وما الى ذلـك. وتلـك القيـم ليســت نسبيــة، وانما هى ثــابتــة لاتتغير، لان الحقائق ثـابتة في ذاتها، وكذلك قيمها ثابتة.

التربية الأخلاقية في الإسلام



للتربية الاخلاقية الاسلامية أهداف تتعلق بالفرد والجماعة

مفهومها ووسائلها وخصائصها وغاياتها

مباديء الأخلاق في الاسلام

ومن نــافلـة القــول، ان السلـوك الأخــلاقي في نظـر الإسلام هـو (كل سلوك خير يقوم به الإنسان بإرادة خيرة ولغـايـة خيرة، وان الانســان الأخلاقي هـو الانسان الخير في حياتـه الظاهرة والبـاطنة، لنفســـه ولغيره على حــــد سواء).

ومن ثـم، فـــلا عجب ان تشمل المبـادىء الأخــلاقيـة الإســلاميــة جميع صـــور

بقلم: راغب محمـد السعيـد*

المفهوم والوسائل

يقصد التربية الأخـلاقية في الإســلام تنشئــة الطفل على المباديء الأخلاقيـة، وتكوينه بها تكوينـا كامـلا من جميع النـــواحي، وذلك بتكـــوين استعداد اخلاقي لـلالتزام به في كل مكـان، وإشباع روحـه بروح الأخلاق. وذلك بتكوين عـاطفـة وبصيرة أخـلاقيـة، حتى يصبح مفتاحا لكل خير ومغـلاقا لكل شر، أينما كـان وحثيما وجد، باندفاع ذاتي الى هذا وذاك، عن إيمان واقتناع، وعن عـاطفـة وبصيرة، وذلك بـاستخـــدام جميع الأسس والطرق والوسائل والأساليب التي تســاعـــد على تحقيق وتكـــوين ذلـك الإنســـــان الأخلاقي الخير.

ويمكن القـــول ان الطفل هو محور الاهتمام الاساسي للتربيـــة الاخـــلاقيـــة الإسلامية، حيث تسعـى الى تعويده على جملة من الآداب والقيم والعــــادات، التي تستهـدف الحفـــاظ على سريرته نقيـة، وحمايته من تسرب الـرذائل الى نفســـه، وبـالتالي تكـوين استعـداد أخلاقي من البداية، وتنمية هـــذا الاستعـــداد للتحلي بـــالفضــائل، والـــرقي في درجات التكـامل أو الكمال. بيـد أنه لايمكن ، بحـال من الاحـوال تـربيـة الطفل على ذلك النحـو، وتكـــوين ذلك الاستعـداد، وتلك العنـاصر الأخلاقيـة في نفس المتربي، بحــــيث لا يتشـــبع بها عقـــلـــه وروحـــه الا عن طـريق استــــخدام كل الطرق والوسـائل الخاصة بكـل جـــــانـب من تلـك

الجوانب التربوية.

خصائص التربية الأخلاقية الإسلامية

في الواقع، ان للتربية الأخلاقية في الإسلام عددا من الخصائص والقسمات والمقومات التي تتميز بها عن غيرها، وفيما يلي أهمها:

١) التربية الأخلاقية الإسلامية أكثر عمقا من أية نظرية أخلاقية وضعية، وأكثر شمولا منها؛ إنها لاتقتصر على وجهة نظر أحد المربين أو علماء التربية، كما أنها لاتقابل وجهة نظر فلسفية معينة.

٢) التربية الأخلاقية الإسلامية متكاملة، حيث تتناول جميع الجوانب الاجابية. ومن ثم، فليس غريبا ان يجد الإنسان منا ان كل العناصر التي أدخلها الإسلام في طبيعة التربية الأخلاقية ضرورية لاغنى عنها، لكي تكتمل هذه التربية، ولكي يكتمل المتربي أخلاقيا، واذا نقص أي عنصر فيها أدى الأمر الى النقص في هذه التربية. وصدق رسولنا الكريم ﷺ حيث قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

٣) تستخدم التربية الأخلاقية الإسلامية كل الطرق والوسائل والأساليب التربوية على حسب تأثيرها ومقدارها اللازم في كل مرحلة من مراحل تلك التربية الأخلاقية. وليس بخاف ان الاكتفاء بطريقة واحدة او وسيلة واحدة أو أسلوب واحد، على امتداد مراحل التربية، او التركيز على بعضها دون البعض، أقل مما ينبغي أو أكثر مما ينبغي، يكون له أثر سلبي في التربية، وينتفي أي مردود ايجابي على شخصية المتربي الأخلاقية.

٤) ان للتربية الأخلاقية الإسلامية طبيعتها الخاصة والمستقلة، التي ترفض التبعية لأية نظرية أو رؤية فلسفية، شرقية أو غربية، وطبيعتها المستقلة هذه ترفض التأويل، والمزاوجة أو التوليف بينها وبين أية مبادىء أو قواعد أخلاقية أخرى ذات أصول غير إسلامية.

٥) وضوح وتحديد المبادىء والقواعد والقيم التي تركز عليها التربية الأخلاقية في الإسلام، اذ انه لما كانت هذه التربية الأخلاقية تستهدف تنشئة وبناء المجتمع والحضارة الإنسانية، فان الغموض يعد أمرا غير وارد فيها على الإطلاق.

غايات التربية الأخلاقية الإسلامية

ذكرنا فيما سبق ان التربية الأخلاقية الإسلامية متكاملة، وبالتالي فهي تهدف الى بناء الفرد والمجتمع، بل الى بناء الحضارة الإنسانية أيضا.

وثمة سؤال يثور في هذا المجال، وهو: مادور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الجوانب الثلاثة السابقة؟

وسنحاول فيما يلي تقديم الإجابة على هذا السؤال، بادئين ببناء الفرد، ثم بناء المجتمع، قبل ان نصل الى بناء الحضارة الإنسانية، وهي الأهداف العامة للتربية الأخلاقية في المنظور الإسلامي.

بناء الفرد المسلم

أولا - بناء الفرد: مما لاشك فيه أن بناء الفرد أخلاقيا ليس ضروريا لنجاحه في حياته الخاصة فقط، ولكنه ضروري أيضا لبناء المجتمع، ولبناء الحضارة الإنسانية الراقية؛ ذلك أن الأفراد بمثابة لبنات يتكون منها البناء الاجتماعي، وأنه إذا أردنا تكوين مجتمع خير، فلابد من تكوين أفراد أخيار قبل ذلك.

وتتمثل العناصر الأساسية لبناء الفرد الخير، الذي هو أساس المجتمع الخير، فميا يلي:

١) تكوين روح الخير في الفرد، بحيث يلتزم السلوك الخير، ويسعى لتحقيق الخير للناس ماستطاع الي ذلك سبيلا، كما يلتزم بتجنب سلوك الشر، والعمل على الحيلولة دون وقوعه من أحد على أحد. كل ذلك في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢) تكوين روح الأخوة الإنسانية، بحيث يغرس في نفس الطفل منذ صغره أن الناس جميعا متساوون فى الحقوق والواجبات، دون فرق بين جنس ولون، فلافضل لأحد على آخر إلا بالتقوى. يقول الله تعالى: ﴿ يأايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عن الله أتقاكم ﴾ [الحجرات:١٣].

٣) تكوين الوعي بوحدة الحياة الاجتماعية، بحيث يتربى الأطفال على ارتباط حياةالأفراد بعضهم ببعض، من حيث التأثير والتأثر، في الخير والشر معا.

ولقد ضرب الرسول الكريم ﷺ مثلا رائعا ليعي الناس مدى ارتباط حياة أفراد المجتمع ارتباطا وثيقا، عندما شبه حياة المجتمع بحياة جماعة في سفينة في بحر. فقال: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وان اخذوا على أيديهم نجوا جميعا» [رواه البخاري].

٤) تكوين روح الخضوع للنظام الأخلاقي، وذلك بتعويد الأفراد على ضبط النفس، والتحكم فيها، والسيطرة على مختلف نوازعها الطبيعية في مختلف الأحوال والمواقف بانتظام، يبدأ أولا بالانتظام أو الانضباط النفسي، ويشمل تدريب الإرادة على ممارسة أعمال الضبط في ظروف الثورة والهياج النفسي، ومقاومة الرغبات الشهوية.

وقد حدد الله تعالى في كتابه الكريم بعض معالم الانضباط

النفسي؛ فشجع على التحكم في نوازع الشح والبخل عند الضيق والحاجة، وعلى نوازع الانتقام عند القوة والانتصار فقال تعالى: ﴿ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ [آل عمران:١٣٤].

ودعا الله تعالى الى التغلب على هذه النزعة الانتقامية بالإحسان الى من أساء اليه ، فقال: ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة ﴾ [المؤمنون:٩٦]. وعن كبح جماح الشهوة، قال تعالى: ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. فإن الجنة هى المأوى ﴾ [النازعات:٤٠ و٤١].

ودعانا رسولنا الكريم ﷺ الى التروي وعدم الاندفاع وخاصة عند الغضب، فقال: «ليس الشديد بالصرعة، انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» [رواه البخاري ومسلم].

٥) تكوين روح التعلق بالمجتمع، حيث دعا الإسلام الى التعلق بالجماعة والاهتمام بها والعمل لمصلحتها، فقال الرسول ﷺ : «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فان الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة فيلزم الجماعة» [رواه الترمذي]. ولقد دعانا الله تعالى الى ان يهتم كل فرد بسلامة المجتمع ووحدته من التفكك والانهيار، وذلك بعدم اثارة التفرقة والفتن، فقال تعالى: ﴿ ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ [آل عمران:١٠٥].

وفيما يتعلق بالسعي لخير الجماعة، والتضحية من أجلها، وإيثارها على الفرد، فيما يتعلق بالمصلحة، فقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [الحشر:٩].

٦) تكوين شخصية قوية متحدة الذات؛ عن طريق توحيد إيمان الفرد بإله واحد، وتوحيد وجهته، وتوحيد طريقه، وتوحيد ميوله. ومن ثم، فلس بمستغرب أن يكون الغرض الأساسي للتربية الأخلاقية هو تكوين شخصيات قوية متماسكة.

بناء المجتمع المسلم

ثانيا - بناء المجتمع: يمكن القول بلا أدنى مبالغة ان خصائص المجتمع الخير الذي تستهدفه التربية الأخلاقية الاسلامية هى ذات الخصائص التي يتمع بها ذلك الفرد الخير، الذي أراد الإسلام بناءه أخلاقياً، والذي يتكون من أمثاله المجتمع كله. وبالتالي، فإن الفرد يمثل المجتمع في خصائصه، كما أن المجتمع يمثل أفراده في أخلاقهم. ومن ثم ، فإنه إذا تم بناء الأفراد وتنشئتهم، في ضوء التربية الأخلاقية الإسلامية، فإن ذلك يشكل - بلاريب - أساسا صالحا لبناء المجتمع الصالح والمتماسك والقوي، الذي تسوده روح الخير، وروح الأخوة الانسانية، كما تسوده الوحدة والقوة، والوعي الكامل بوحدته من حيث ترابط المصالح المادية والمعنوية والاجتماعية والانسانية، وتسوده كذلك روح الخضوع للنظام، ويسود أفراده روح التعلق بالمجتمع، بالإضافة الى الروح التقدمية في المجالات المختلفة التى تسود ذلك المجتمع الإسلامي الذي تتغياه التربية الأخلاقية الإسلامية.

بناء الحضارة الانسانية

ثالثا - بناء الحضارة الإنسانية: تتميز الحضارة الإسلامية بكونها حضارة أخلاقية أساسا، وذلك بالمفهوم الأخلاقي الذي جاء به الإسلام، وبالغاية الأخلاقية التي جاء الإسلام من أجل تحقيقها، كما ورد عن رسول الله ﷺ ، حيث قال: «انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» [رواه أحمد في مسنده]. وإذا كانت الحضارة الإسلامية تتكون من عناصر معنوية (تشمل العناصر الروحية والأخلاقية والعلمية) وعناصر مادية (تشمل التقدم الزراعى والصناعي والعمراني والفني)، وعناصر تربط بين الجانبين السابقين(وهى التنظيمية أو التشريعية) التي تنظم حياة المجتمع مرتبطا بجميع جوانب الحضارة، إلا أننا نلاحظ سيادة العناصر المعنوية والروح الأخلاقية الخيرة بخاصة على جميع جوانب الحضارة، وخضوع الحضارة كلها للروح الأخلاقية من حيث الأساس ومن حيث الغاية. ومن المؤكد أن تكوين الفرد الخير والمجتمع الخير معا يقودان الى بناء حضارة إنسانية خيرة كذلك؛ لأن الحضارة إنما تقوم على أكتاف الأفراد أو المجتمع بصفة عامة. وهذا لايمكن أن يتحقق إلا بسيادة التربية الأخلاقية أولا على جميع أفراد المجتمع. ويقتضي ذلك تكوين مربين متخصصين في التربية الأخلاقية، لجميع المراحل والمستويات التعليمية.

رؤية ختامية

لما كان الإسلام يمتلك نظرية متكاملة في التربية الأخلاقية تستهدف بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، فإنه من الأهمية بمكان إدخال هذه التربية في المناهج التربوية والتعليمية، ثم تعميمها لكل الأفراد في المجتمع، مع ضرورة الاستعانة بالوسائل العلمية والاعلامية الحديثة في نشر وتعميم التربية الأخلاقية في كل أوساط المجتمع ■

* باحث بمجلس الشعب المصري

خطبة الوداع: دروس ومبادىء

بقلم: صفاء الدين محمد أحمد *

حج رسول الله ﷺ سنة عشر، وهي الحجة التي يعرفها الناس بحجة الوداع، وكان المسلمون يسمونها (حجة الإسلام). وفي هذه الحجة خطب ﷺ الخطبة المشهورة في التاريخ باسم (خطبة الوداع)، وقد اشتملت هذه الخطبة الجامعة على المبادىء الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الصالح القوي في الإسلام، ومن هذه المبادىء:

الأخوّة الدينية

يقول الرسول ﷺ: «تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، فلا تظلمن أنفسكم» [رواه البيهقي].

فالمسلم أخ للمسلم وإن اختلفا نسبا أو مالا أو جاها، وهذا الإخاء يفرض على كل مسلم أن يهتم بأمر أخيه: عناية بشأنه، ودفاعا عنه، وعملا على راحته، وبعدا عن إيلامه، كما يفرض عليه ألا يأخذ شيئا منه إلا ما أعطاه عن طيب نفس.

والإخاء يقتضي الشعور بالمساواة، فلا يتعالى مسلم على مسلم، لأن هذا التعالي يمزق الروابط النفسية بين الناس، ويجعل كل فرد يشعر أنه سيد لغيره، وكل جماعة تستعبد من هي أقل منها.

صيانة الدماء والأموال

يقول رسول الله ﷺ: «أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم».

ولقد جعل الإسلام، على لسان رسول الله ﷺ، حرمة دم الإنسان وماله مرتبطة بحياة الناس على وجه الأرض.

فلا اعتداء على حياة إنسان بأي وجه من وجوه الاعتداء، ولا اعتداء على ماله، بالاختلاس والسرقة والاغتصاب، والغش وإنقاص الأجر والرشوة والتزوير. وكل ذلك لكي يشعر الناس بأمن النفس، وراحة البال، فيعمل كل فرد مطمئنا لا يقلقه شيء، وبذلك يقوى المجتمع ويرتفع شأنه.

تحريم الربا

ويتفرع على حرمة المال حرمة الربا، والربا زيادة في المال لتأخير الدين، وتطرد الزيادة حتى تصير المائة آلافا مؤلفة. والربا متاجرة بالمال بغير عمل يفيد المجتمع، واستغلال لحاجة المحتاجين في مواقف توجب الرحمة والتعاون لا القسوة والاستغلال.

وإن هذه الآفة تظهر آثارها واضحة في الشر الذي يخيم على نفوس المرابين ويجعلهم يستغلون قوى غيرهم وإنتاجه في كسب يعود عليهم من غير جهد ولا عمل، ومن غير أن يتعرض لخسارة.

ولذلك جاء التحريم لهذا الربا قاطعا في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون. واتقوا النار التي أعدت للكافرين. وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ [آل عمران: ١٣٠-١٣٢].

كما جاء التحريم قاطعا في قول رسول الله ﷺ: «وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله أنه لا رِباً» [رواه البيهقي].

إحسان معاملة المرأة

كانت المرأة قبل الإسلام بلا قيمة، ولم يكن لكيانها وزن، وكان أبوها أو وليها هو صاحب الكلمة النافذة في حياتها، وإذا تزوجت انتقلت السلطة المطلقة من الولي إلى الزوج.

وجاء الإسلام ليجعل لها من الحقوق مثل ما عليها من الواجبات، ومع ما قرره الإسلام للمرأة من حقوق، أوصى بها الرسول ﷺ خيرا في كثير من الأحاديث، ومن ذلك في خطبة الوداع: «واستوصوا بالنساء خيرا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله» [رواه البيهقي].

وبذلك ارتقت منزلة المرأة في الإسلام بالحق المصون، والكرامة المرعية، لتكو ن أما وأختا وبنتا وزوجة، لا فرق بينها وبين الأب والابن والزوج فتنهض الأسر، ويقوم المجتمع على المودة والرحمة لا على التشاحن والبغضاء.

المسؤولية الفردية وأداء الأمانة

كل إنسان مسؤول عن عمله ومحاسب عليه ، وذلك تمام العدل، وإذا عرف الإنسان أنه مسؤول عن عمله ومحاسب عليه دفعه ذلك إلى الإكثار من الخير، والابتعاد عن الشر، فيسلم، ويسلم المجتمع الذي هو عضو فيه.

كذلك فإن كل من احتمل أمانة فعلية أن يرعاها، ويؤديها إلى من ائتمنه عليها، لأنه سيحاسب على الإخلال بها، أو الإنكار لها، يقول رسول الله ﷺ: «وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها» ولقد وردت كلمة «أمانة» نكرة لتشمل كل أمانة، فالسر أمانة يؤدى بكتمانه، والعمل أمانة يؤدى بإتقانه، والحكم أمانة يؤدى بالعدل فيه، والعبادة أمانة تؤدى بالإخلاص فيها، والمواظبة عليها، والعقل أمانة توجب أن يزود بالعلم، ويباعد بينه وبين ما يخل بقدراته، والجسد أمانة توجب المحافظة عليها بالاعتدال، والابتعاد بها عما يتلفها من مخدرات ومعسكرات، وغير ذلك مما حرمه الله عز وجل، حفاظا على الفرد، وحماية للجماعة.

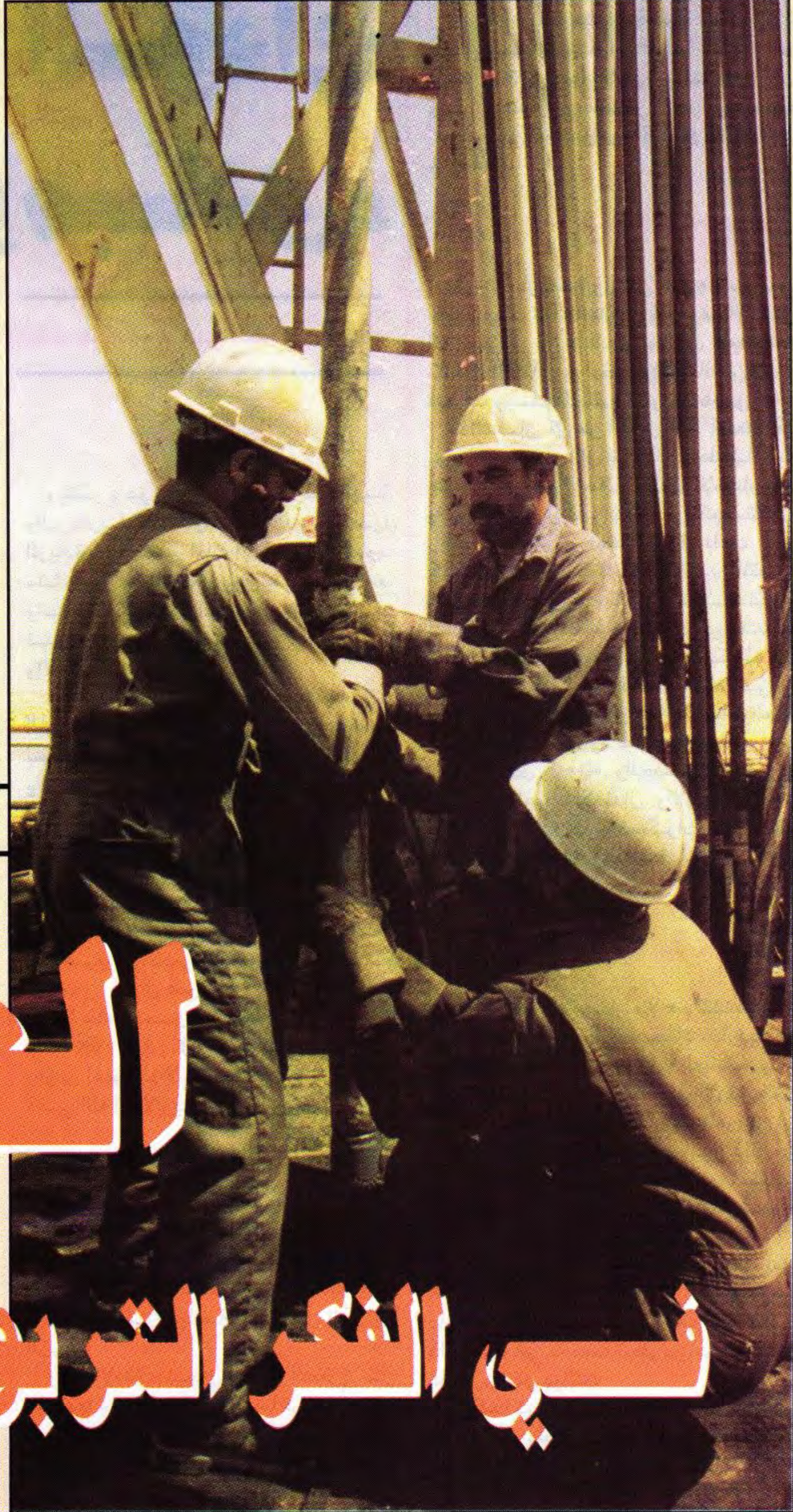
الحذر من غواية الشيطان

منذ أن خلق الإنسان ولا هم للشيطان إلا أن يباعد بينه وبين الله سبحانه، بأن يدفعه إلى ارتكاب المعاصي، لينزل به العقاب. ولقد يئس الشيطان من أن يعبد في الأرض التي استقر عليها الإسلام، لكنه لم ييأس من أن يدفع الناس إلى ارتكاب مادون ذلك من المعاصي، لكن المعاصي، مهما صغرت تتجمع وتمتد لتصير كبائر، و تتجمع الكبائر لتطوح بالإنسان بعيدا عن دائرة الإيمان.

ولذلك يقول الرسول ﷺ: «أما بعد. أيها الناس: فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم».

وهكذا تجمعت في خطبة الوداع الأسس التي يقوم عليها المجتمع القوي الصالح في الإسلام ■

* أستاذ بالأزهر الشريف - الشرقية



العمل في الفكر التربوي الإسلامي

إن العمل غاية إنسانية وواجب اجتماعي، ووسيلة لتحقيق الرخاء البشري وتلبية حاجات الناس. وهو في الإسلام من القيم الدينية التي ترقى إلى مستوى العبادة، لأنه يحقق الحكمة من خلق الإنسان ووجوده على الأرض.

والتربية الإسلامية عملية إعداد للإنسان بتثقيفه ورعايته وإصلاح شأنه وتعهده، ليكون شخصية إسلامية مهتدية قادرة على القيام بمسؤولية الاستخلاف على الأراض بالالتزام بالمسؤوليات والواجبات التي حددها الله تبارك وتعالى.

بقلم: الزبير مهداد

وهي وسيلة لتفتيح شخصية الإنسان وتهذيبها وصياغتها بما يتفق وما جاءت بـه العقيدة الإسلامية من تشريعات وآداب. وقد اجتهد المربون المسلمون في إعداد خطط تربوية، تهدف إلى تربية المسلم المؤمن العامل الذي يسعى دوما لاستثمار الطبيعة التي سخرها الله له، حتى يحقق اليسر المادي وينمو الإنتاج، فيستمتع بنعم العمل وثماره ونتائجه. هذه التربية تنشىء المسلم السوي، وتحرص على تحقيق التوازن في علاقته بنفسه وبمحيطه، في عمله لدينه وتعميره لدنياه. مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ [قصص:٧٧].

التربية الإسلامية والعمل

يحتل الشاطبي مكانة متميزة في تاريخ الفكر التربوي الإسلامي، ففي كتابه (الموافقات) شرح أفكاره، وعرف بآرائه التربوية، بشكل يدل على فكره الثاقب وإدراكه الواعي لحقيقة التربية والتعليم، ودورهما الاجتماعي وأهدافهما.

يرى الشاطبي أن كل مسألة لا ينبني عليها عمل، فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي، ويعني بالعمل عمل القلب وعمل الجوارح من حيث هو مطلوب شرعا (١).

وبين عدم الاستحسان من أوجه متعددة، منها أنه شغل عما يعني من أمر التكليف الذي طوقه المكلف بما لا يعني. إذ لا ينبني على ذلك فائدة لا في الدنيا ولا في الآخرة، فأما في الآخرة فإنه يسأل عما أمر به أو نهي عنه، وأما في الدنيا فإن علمه بما علم من ذلك لا يزيده في تدبير رزقه ولا ينقصه، وإن فرض أن فيه فائدة في الدنيا فمن شرط كونها فائدة شهادة الشرع لها بذلك، لأن الشرع قد جاء ببيان ما تصلح به أحوال العبد في الدنيا والآخرة، على أتم الوجوه وأكملها (٢).

وبلغة المربي الخبير بدور التربية الاجتماعي، بين في كتابه المذكور كيف أن الله هيأ الناس للحياة الاجتماعية، وجعل فيهم استعدادا للعمل المنتج الذي يثري واقع الحياة الدنيا، فبعض الناس مهيأون للعمل الفكري، وآخرون للعمل العسكري، وغيرهم للتجارة والحرف الأخرى. ودور التربية والتعليم هو الكشف عن هذه الاستعدادات الفطرية وتنميتها يقول الشاطبي (فيتعين على الناظرين فيهم الالتفات إلى تلك الجهات فيراعونهم حسبها، ويراعونها إلى أن

■العمل غاية إنسانية وواجب اجتماعي ووسيلة لتحقيق الرخاء البشري

تخرج في أيديهم على الصراط المستقيم، ويعينونهم على القيام بها، ويعرضونهم على الدوام فيها، حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه ومال إليه من تلك الخطط) ثم يدفع الصبي إلى الانخراط في صف الصناعة التي هيىء لها حتى يكون عضوا منتجا (ثم يخلي بينهم وبين أهلها فيعاملونهم بما يليق ليكونوا من أهلها إذا صارت لهم كالأوصاف الفطرية والمدركات الضرورية، فعند ذلك يحصل الانتفاع وتظهر نتيجة تلك التربية) (٣).

كما التفت المربون المسلمون إلى ظاهرة الاتجاه نحو الدراسات الدينية والأدبية، والتخصص في الوظائف الفكرية، والنفور من الحرف اليدوية. هذه الظاهرة القديمة عرفها المجتمع العربي كغيره من المجتمعات، وهي ناتجة عن نظام تربوي خاطىء، يؤدي إلى نشأة نخبة مسيطرة، تقدم النوع الخاطىء من القيادة الرافضة للعمل اليدوي. فتزيد من البطالة وتقلل الإنتاج. وكان الآباء يرغبون أبناءهم في هذه الدراسات وتوجيههم نحوها، وعدم تشجيعهم على العمل الحرفي دون مراعاة قدرات الأطفال أو كفاءتهم أو رغباتهم. المربون المسلمون أدركوا واجبهم ودورهم الاجتماعي الذي أناطته بهم الشريعة التي استوعبوها، والتي يدافعون عنها، فتحملوا مسؤوليتهم الاجتماعية، وقاموا بواجبهم الذي أملاه عليهم دورهم وموقعهم، فحرصوا على الإسهام في التخطيط لاستخدام الثروة البشرية، ولم ينكمشوا بعلمهم في صوامعهم وزواياهم، بل تصدوا لهذا النظام التربوي السيء ببيان مساوئه الاجتماعية والاقتصادية، وشرحوا ما في إرغام الصبي على متابعة تعليم يتعارض مع رغباته وقدراته من آثار سيئة على توافقه النفسي وعلى المجتمع قاطبة.

فابن القيم (ت٧٥١هـ) يوضح أن (سبيل الفلاح للصبي هو تمكينه مما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها، فيعلم أنه مخلوق له فلا يحمله على غيره مما كان مأذونا فيه شرعا فإنه إن حمل على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه وفاته ما هو مهيأ له) ويضيف (فإذا رآه - المربي - حسن الفهم صحيح الإدراك جيد الحفظ واعيا فهذه علامات قبوله وتهيئته للعلم. وإن رآه بخلاف ذلك ورأى عينه مفتحة إلى صنعة من الصنائع مستعدا لها قابلا لها وهي صناعة مباحة نافعة للناس فليمكنه منها) (٤).

التكوين المهني

إن الحكمة من خلق الإنسان واستخلافه على الأرض وتسخير الكون له، أدركها المسلمون وفسرها العلماء.

لهذا تعامل المسلم مع بيئته بطرق متطورة، وحرص على استغلال المحيط الذي سخره الله بالعلم والوعي، فكان التغيير الذي عرفه المجتمع الإسلامي تم بوتيرة سريعة أذهلت العالم. أمة انطلقت من صحراء قاحلة جرداء استطاعت في ظرف وجيز أن تسيطر على بيئتها، وتتحكم فيها بتقنيات وطرق ووسائل مبتكرة واستغلت الموارد الطبيعية والبشرية لخدمة التنمية الشاملة.

وقد ساهم التعليم المهني في إعداد الناشئة الإسلامية للنشاط الاقتصادي الإنتاجي فظهرت في المجتمع الإسلامي طبقات من الصناع والحرفيين المهرة المتعلمين يعملون لدينهم ودنياهم، يحافظون على الشرع، فيأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه، فيزيدون الإنتاجية ويطورون الصناعة ويرفعون مستوى المعيشة.

فالتعليم الإسلامي لم يكن أبدا جانبا في الاقتصاد فقط، بل كان الوسيلة لانشاء الفرد المسلم المستوعب للقيم الدينية المتشبع بها. فاعتبر المسلمون التكوين المهني جزءا من عمل المؤسسة التعليمية الإسلا مية، التي من أهدافها تربية الناشئة تربية شاملة، تحقق الكمال الإنساني الديني والعقلي والبدني.

يقرر ابن سينا (ت ٤٢٩) أن توجيه الطفل نحو التكوين المهني يجب أن يتم بعد انتهاء الطفل من تعلم القرآن ومعرفة الدين الإسلامي وحفظ أصول اللغة العربية. بعد ذلك ينظر إلى ما يراد أن تكون صناعته فيوجه لطريقه(٥). يقول ابن القيم (إن ذلك ميسر على كل أحد لتقوم حجة الله على العبد، فإنه له على عباده الحجة البالغة) (٦).

ويشترط ابن سينا لمؤدب الطفل إذا أراد توجيهه نحو صناعة ما، أن يزن طبعه ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه، وعلى ضوء نتائج هذه الفحوص والاختبارات يختار له الصناعة الملائمة. فليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية، لكن ما شابه طبعه وناسبه. وتوجيه الطفل نحو التعليم المهني بعد إجراء الاختبارات النفسية اللازمة يساعد على تفادي الفشل وتلافي الهدر في إمكانات الصبي وقدراته، ويساعده على تحقيق النجاح (فإن ذلك أحزم في التدبير وأبعد من أن تذهب أيام الصبي فيما لا تواتيه ضياعا) (٧).

وبعد أن يستكمل الصبي التكوين المهني المناسب، يستحسن أن يباشر بنفسه العمل، ويمنح الفرصة لتطبيق خبرته النظرية، والكسب من صناعته وبذلك تتحقق منفعتان الأولى: السعي إلى اتقان عمله والرقي بصناعته، بعد أن يذوق حلاوة الكسب ويستمتع بثمار نشاطه.

■ التربية الإسلامية عملية إعداد للإنسان بتثقيفه ورعايته وإصلاح شأنه وتعهده

والمنفعة الثانية: أن يتعود على طلب المعيشة والمثابرة عليها، وينخرط في الحياة الاجتماعية والاقتصادية بصفته فردا عاملا منتجا فعالا (٨).

ويوصي البلدي (ت٣٦٨هـ) بالعناية بتكوين الصبي المراد توجيهه نحو الصناعة تكوينا عمليا نظريا وتكوينا بدنيا صحيا، مع الحرص على أن تكون مناهج التكوين ومواده متناسبة مع طبيعة الصناعة المرغوبة، مع التقليل ما أمكن من التعليم الأدبي الذي يكون قاصرا عن بلوغ الغاية. وإلى جانب العناية بالتكوين المهني الخاص السليم والشامل، يجب توجيه الاهتمام إلى صحة الطفل النفسية، لضمان سلامة نموه العقلي والنفسي، وتحقيق تكيف ذاتي واجتماعي متوازن، لأن السبيل نحو سلامة المجتمع يمر حتما عبر سلامة الأفراد(٩).

إن التربية الإسلامية أنشأت أجيالا تحمل وعيا اجتماعيا متميزا، محافظة على الشرع فعالة منتجة وعلى خلق تنظر إلى مصلحتها الخاصة في إطار مصلحة المجتمع لاخارجها ولا على حسابها.

وقد حرص المربون المسلمون على تربية هذه الأجيال على أساس ديني: قائم على العقيدة والأخلاق الإسلامية. ثم تزويدها بالعلم النافع الذي يثمر العمل الصالح. فنشأت مفتحة الذهن لاستيعاب العلوم واتقان المهن، وحريصة على الاستزادة من المعرفة متطلعة دوما إلى الأمور والتقدم نحو الأفضل والأكمل. فما أحوجنا إلى تربية تسير على هدي ديننا الحنيف ■

الهوامش والمراجع

(١) الشاطبي أبو إسحق، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة بيروت، مجلد١، ص٤٦.

(٢) الشاطبي، نفس المرجع، ص٥٠.

(٣) الشاطبي، نفس المرجع، ص١٧٩.

(٤) عبدالناصر عيسوي آراء ابن القيم في التربية، منار الإسلام (أبوظبي)، عدد ١١، سنة٤٠٢، ص٧٦.

(٥) ابن سينا، كتاب السياسة نشره هشام نشابة ضمن (التراث التربوي الإسلامي) دار العلم للملايين بيروت، ط١٩٨٨، ص٤١.

(٦) عيسوي، نفس المرجع السابق، ص٧٦.

(٧) ابن سينا، نفس المرجع السابق، ص٤٢.

(٨) ابن سينا، نفس المرجع السابق.

(٩) ابن البلدي، كتاب تدبير الحبالى والأطفال، حققه محمود الحاج قاسم، دار الرشيد للنشر بغداد، ط١٩٨٠، ص٢٢٠ و٢٢١.

الفكر بين الحرية والفوضى

بقلم
الدكتور: محمود صالح العادلي

الحرية هي أثمن شيء في الحياة. ومن أسمى صور الحرية: حرية الفكر. ويقصد بحرية الفكر: أن يمارس الإنسان حقه في التفكير باستقلال. ويتصل بحرية الفكر أمران: الأول يتصل بموضوع التفكير، والثاني يتصل بـ(كيفية) التفكير. فالتفكير ينصرف – من ناحية موضوعه – إلى كل ما يصادف الإنسان في الحياة. أما الصور التي يمارس بها الإنسان حر يته في التفكير، فهي تشمل كل وسيلة تمكنه من التعبير عن فكره، بما في ذلك: الجدال أو المناقشة أو تبادل الآراء.

يحض الاسلام الانسان على التفكير

ولقد ناضلت الإنسانية كثيرا، حتى توصلت إلى صياغة مقبولة لحق الإنسان في التفكير، وحرصت على تسجيل هذا الحق هيئة الأمم المتحدة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨م. حيث نصت المادة ١٩ منه على حرية الرأي والتعبير بما يشمل حرية اعتناق الآراء، دون تدخل، وتلقى الأنباء والأفكار واذاعتها بأي وسيلة دون تقيد بالحدود الجغرافية.

في حين أن الإسلام سجل إقراره لحق الإنسان في التفكير منذ أربعة عشر قرنا. والآيات القرآنية التي تدعو الإنسان إلى ممارسة حقه في التفكير عديدة، نقتطف منها – لضيق المقام – قوله عز وجل، مايلي: ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ [البقرة:٢٥٦]. ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادي ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾ [سبأ:٤٦]. ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ﴾ [الأعراف:١٧٩].

الحرية المثمرة

ولكن؛ ليس معنى ما تقدم أن حرية الفكر تتحرر من كل ضابط. صحيح أن حرية الفكر – كأي حرية – تعني التحرر من القيود، بيد أن ذلك لا يعني عدم وجود ضوابط تمنع من يمارس الحرية من الاعتداء على حقوق الآخرين وحرياتهم. وتمنع اختلاط الحرية بالفوضى، وتجعل من الحرية: (حرية مسؤولة). ومن هنا صح القول بأن ضوابط ممارسة الحرية هي سياج تمنع الإنسان من الانتقال من (منطقة) الحرية، إلى (رحاب) الفوضى. ومن أمثلة هذه الضوابط فيما يتعلق بحرية الفكر، في الأمور ذات الصبغة الدينية، تلك القاعدة الفقهية القائلة: (لا اجتهاد مع النص). فحيث يوجد نص صريح قاطع الدلالة، لا يجوز أن نهمله، ونلجأ إلى الاجتهاد بالرأي. كما أن الاجتهاد نفسه مقيد بأن يكون الإنسان الذي يمارسه، قد ارتقى الى مصاف (المجتهدين)، وهو لا يكون كذلك، إلا إذا توفرت له القدرة على فهم مقاصد الشريعة على أصولها السليمة والعلم التام بها، فضلا عن تمكنه من الاستنباط واستخراج القواعد الشرعية. أما في الأمور الدنيوية – التي ليست لها صبغة شرعية – فتتسع منطقة (حرية الرأي) إلى أوسع مدى. فالشريعة الإسلامية لم تضع قيودا أو نظريات معينة في مجال العلوم الطبيعية. فكل ما هنالك أن الشريعة الغراء حثت الإنسان على التأمل والنظر في الظواهر الطبيعية والفلكية، واستنباط القوانين العامة بشأنها إذ يقول الله تعالى: ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ [الأعراف:١٨٥] ﴿ ويتفكرون في خلق السموات والأرض ﴾ [آل عمران:١٩١].

وتجدر الإشارة إلى أن الشريعة الإسلامية وضعت ضابطا هاما يهيمن على حرية الفكر – أيا كان مجاله، أي سواء أكان في الأمور الدينية، أم في الأمور الدنيوية – ألا وهو : ضرورة التزام الموضوعية طبقا للأصول المنهجية والأخلاقية الواجبة، حال ممارسة حرية القول وحرية المناقشة والجدال. إذ يقول الله تعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾. [النحل:١٢٥]. ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ﴾ [الأنعام:١٠٨]. ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ﴾ [النساء:١٤٨] ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صلحا ﴾ [فصلت:٣٣].

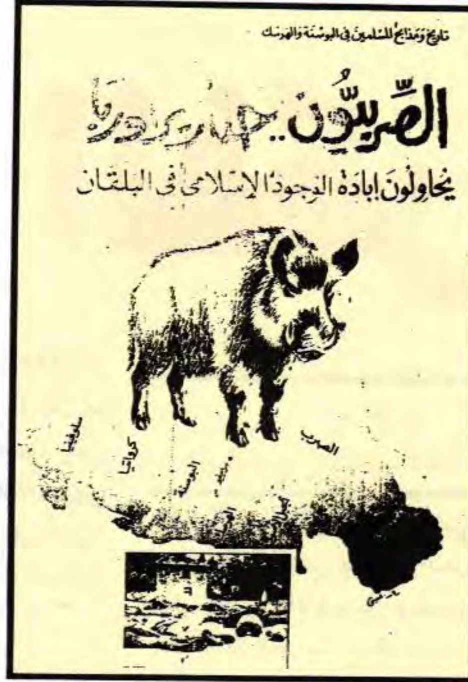
بين الخضوع والفوضى

إذا كانت تلكم هي حرية الفكر كما أقرتها الشريعة الإسلامية الغراء، وتلكم هي ضوابطها، فإن تجاوز هذه الضوابط تحت ستار الادعاء بأن الحرية تعني الاطلاق وعدم التقييد، وأن حرية البحث العلمي – في الأمور الدينية – تقتضي التحرر من كل ضابط، أمر مردود عليه، لخلطه بين حرية الفكر في الأمور الدينية، وحريته في العلوم التطبيقية، ففي الثاني يسمح بهذه الحرية دون أن يفرض الدين أفكارا أو نظريات معينة، أما في الأولى – أي حرية الفكر في الأمور الشرعية أو الأمور المتصلة بالدين بشكل، أو بآخر – فالفكر لا يعمل من فراغ بل ينطلق من ثوابت محددة، يتم إعمال الفكر بشأنها في ظل ضوابط متعارف عليها، على النحو السالف بيانه. وملاك القول فيما تقدم، بين الحرية والفوضى خيط رفيع. يراه الملتزم بضوابط الحرية، ولا يتجاوزه، بينما يتخطاه الفوضوي، بلا مبالاة أو اكتراث، اعتقادا منه أن طريق الحرية، لا نهاية له.

وإذا كانت الحدود الدنيا للحرية تتلامس مع القهر والخضوع، فإن الحدود العليا لها تتلامس مع الفوضى واللا معقول، فعندما تنعدم الحرية يكون الخضوع، وعندما تنتهي الحرية تبدأ الفوضى ■

الصرب.. يحاولون إبادة الوجود الاسلامي في البلقان

الكـــاتـب: د. عبـــد الحي الفـــرمـــاوي
النـــاشر: دار الاعتصـــام - القـــاهـــرة
عـــرض: أحمد رمضـان محمـد حمودة



بعد انهيار الامبراطورية الوهم (الاتحاد السوفيتي) وتفتتها الى دول..بدأ الصراع المحموم لتثبت كل دولة هويتها، وبدأت الاطماع السيـاسيـة، وطفحت الجذور العـرقيـة مـن قبل الصرب والكروات ضـد شعب البـوسنة والهرسك الـذي يحمـل الهويـة الاسـلاميـة، والـذي أعلن عن دولتـه الاسلامية بعد استفتـاء شعبي، واعترف المجتمع الـدولي بهذه الـدولـة المسلمـة ولكن الصرب ومعهم الكـروات راعهم قيـام دولـة اسـلاميـة، وهـذا مايـؤكده التاريخ الطـويل لبلاد البلقان، فهاهم الصرب يحاولون بشتى الطـرق والاسـاليب ان يمنعوا نـداء (الله أكبر) ليدوي في الآذان . فدمروا المساجد ونسي هؤلاء ان الحق سبحـانه وتعـالى جعل أي بقعـة من بقـاع الأرض للانسـان المسلم مسجـدا يؤدي فيـه الفريضـة. انهم يحاولـون إبادة شعب البوسنة والهرسك أو قل يبيدون الشعب المسلم وهذه المحـاولـة ليست هى الأولى بشهـادة التاريـخ. فقد سبقتهـا محاولات عديدة.

والـدكتـور(عبـد الحي الفرماوي) استاذ التفسير وعلوم القرآن بجـامعة الأزهـر، يلج بنا عبر التاريخ لنتعـرف على مذابح المسلمين في البوسنـة والهرسك.. ومحاولات الصرب لإبـادة شعب مسلـم، لا لشيء ولكن لأنهم مـن خير أمة أخرجت للناس ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بـالمعروف وتنهـون عن المنكـر وتـؤمنـون اللـه ﴾ [آل عمران ١١٠]

ولكن الفجـرة يـزعجهم أن تكـون الأمة المحمدية خير أمـة فتآمروا عليها ومازالوا، محاولين النيل منها واضعافها وتفكيكها، ونجحوا بطرق عـديدة ووسائل كثيرة حين اصبح المسلمـون كغثاء السيل كما أخبرنا الرسول الكـريم صلى اللـه عليـه وسلم، فـالمسلم مضطهـد في كل مكـان يموت جوعـا في الصومال، تهدم مسـاجـده، ويطـارد في الهنـد، محاصر في كل مكان وأصـبحت (لأصولية) تهمة توجه للمسلم، ان الغرب يحـاول بشتـى الطرق ضرب الإسـلام لانـه يهدد حضـارتهم الدنيـويـة الزائفـة، ويمـد يـده لكـل من يفعل ذلك. ومعا نقلب أوراق التـاريخ ونقرأ كتـاب الدكتـور الفرمـاوي عن حرب الابادة في البلقان.

بـلاد البلقـان شبـه جـزيـرة كبيرة، تقع في الجنـوب الشرقي من أوروبا وتضم : ألبانيا، وصلب بـلاد اليـونـان وجنـوب شرق رومـانيـا، وتـركيـا الأوروبيـة، ومعظم يـوغسـلافيـا. وكـانت يـوغـوسلافيـا تتكـون من ست جمهوريات وعاصمتها: بلجراد، وهذه الجمهوريـات هى: صربيا، كـرواتيـا، البـوسنـة والهرسك، سلـوفينـا، مقـدونيـا، الجبل الأسود.

ومسـاحة يوغوسـلافيـا (السابقة) الاجمالية ٩٨,٧٥٩كم.

وجمهورية البوسنة والهرسك والتـي تضم أكبر عـدد مـن المسلمين تقع في غـرب ووسط يـوغـوسلافيـا، ويشتغل أهلهـا بالتجـارة، وأهلها من البشـانقة والصرب والكـروات، وقـد خضعت للحكم العثماني من عام ٨٦٧هـ ــ ١٤٦٣م حتى عـام ١٢٩٥هـ ــ ١٨٧٨م، ثم ضمها مـؤتمر بـرلين لادرا ة النمسـا والمجـر مع بقاء السيـادة لحكم تركيا وضمت بعد ذلك الى النمسا والمجر في عام ١٣٣٦هـ، وفي عام ١٣٤٨ هـ عـرفت بـاسم يوغوسلافيا، ثم أصبحت احدى الجمهـوريـات التأسيسيـة لـلاتحاد اليـوغسـلافي عـام ١٣٦٥هـ، الا أنها أعلنت الاستقـلال التـام وأصبحت جمهـوريـة في ٢٦ شعبـان ١٤١٢هـ ويشكـل المسلمـون أغلبية السكان اذ تصل نسبتهم ٤٥٪، والصرب ٣١٪ والكـروات ١٧٪ والبـاقي جنسيات اخـرى مختلفة.

تاريخ الاسلام في شبه جزيرة البلقان

اختلفت الـروايات عن كيفيـة ومتى دخل الاسـلام جـزيـرة البلقان، يـرى البعض انـه ظهر بطـريقـة ملفتـة علي يـد الـوالي الأنـاضـولي عـام ٧٥٥هـ والبعض يـرى أن ظهـوره قبل

ذلك.. ولكن المؤكد انه بعد فتح القسطنطينية صارت جميع بلاد البلقان مسلمة.

ويسجل الدارسون ان الاسلام دخل بلاد البوسنة والهرسك وقد اعتنق أهل هذه البلاد الاسلام عن طيب خاطر بعد معاناة من تعنت سلطة الكنيسة، وقد عاني المسلمون في يوغوسلافيا - خلال الحرب العالمية الثانية، وبعدها- أشد المعاناة من تشريد وتجهيل، وبالحكم الشيوعي فقد المسلمون حريتهم الدينية فاغلق الكثيرمن مساجدهم.

المسلمون في البوسنة والهرسك

أصل شعب البوسنة والهرسك من الصقالبة وهم قوم حمر اللون، وكانوا يسكنون آسيا ولما هجمت القبائل المغيرة استقروا في البوسنة والهرسك و(البشناق سابقا) واعتنقوا الاسلام. ويتحدث مسلمو البوسنة والهرسك (الاسلافية) كجيرانهم من أبناء جنسهم (الصرب والكروات)، وهم يكتبون بالحروف اللاتينية، وكتابة اخرى مأخوذة من الحروف اللاتينية القديمة، وهم من أهل السنة والجماعة. وعدد البوسنة والهرسك حسب آخر احصاء عام ١٩٩٢م (٣,٦٥٠,٠٠٠) نسمة.

وعدد المسلمين قبل حرب الابادة الاخيرة تجاوز ٩٠٠,٠٠٠، نسمة والآثار الاسلامية في البوسنة والهرسك كثيرة، ففي البوسنة: كان يوجد أكثر من ألف مسجد ، من هذه المساجد مايرجع تاريخه الي العصر العثماني. وهذه الاعداد الكبيرة من المساجد تدل على تمسكهم بالاسلام.

مسلسل المجازر التاريخي

كل الدلائل والبراهين والمشاهدات والاحداث الحالية والفائتة تؤكد ان الاسلام في بلاد البلقان يعد كالشوكة في حلقوم من لايدينون بالاسلام في هذه البلاد، وان هذه المجازرتمارس حتى لاتظهر جمهورية اسلامية في هذه البلاد، على حد تعبير صحيفة (الصنداي تليغراف)، ومايقوم به الصرب من تدريس مواد للاطفال ضد العقيدة الاسلامية خير شاهد، من هذه ملحمة شعرية باسم (اكليل الجبل) تقول:

(سلك المسلمون طريق الشيطان ونسوا الأرض - ملئوها رجسا - فلتعد للأرض خصوبتها - ولنطهرها من تلك الأوساخ - ولنبصق على القرآن ولنطأ رأس كل من يؤمن بدين الكلاب ويتبع محمدا - فليذهب غير مأسوف عليه).

بل إن البرنامج القومي للصرب الذي تم اعلانه عام ١٢٦٠هـ تجدد أخيرا في برلمان صربيا، حيث صدر مرسوم يدعو الى تطهير (سنجاق) و(كوسوفو) والبوسنة والهرسك من المسلمين.

ويؤكد ذلك زعيم حزب التجديد الصربي الذي يصرح في ١٩٩٠/٩/٩م قائلا لأهل (سنجق) وهو اقليم تابع لصربيا (أما أنتم أيها المسلمون: فسوف نمهد لكم الطريق للرحيل الى مكة، والمدينة المنورة، وايران ،وتركيا ، اذ لايمكن لكم أن تعيشوا هنا، فهذه ليست أرضا اسلامية) ان المسلمين يعانون من اضطهاد نصارى هذه البلاد كلما سنحت لهم الفرصة، ويعدون العدة دائما لإبادة الشعب المسلم.

المجازر النمساوية

على مدى أربعين عاما من ١٨٧٨م الى ١٩١٨م تعرض المسلمون خلالها الى مجازر ومذابح فظيعة على أيدي الجيوش النمساوية، حتى هاجر كثير من المسلمين الى الأناضول فرارا بدينهم

المجازر الصربية الأولى

وبعد الحرب العالمية الأولى عاشت البلاد تحت حكم صربيا (١٩١٨ - ١٩٤١م) وخلال هذه الفترة منع المسلمون من ارتقاء الوظائف الحساسة، وسلبت أرضهم الزراعية، يذكر (محمد فيليوفيتشي) رئيس منظمة حقوق الانسان: انه بدءا من العام ١٩٢١م تم سلب المسلمين في البوسنة والهرسك الأراضي الزراعية التي كانوا يفلحونها منذ مئات السنين، حيث عملت السلطات يومها بنصيحة (ستويان بروتينشي) وهى : لاتقتلوا المسلمين، ولاتطردوهم ولكن يجب ان يبادوا جميعا من دون ان نخسر عليهم الذخيرة والرصاص.. اقتلوهم بالخشب على حافة الطرقات ونفذت أوامره.

المجازر الصربية الثانية

وكانت المجازر الصربية الثانية في أثناء الحرب العالمية الثانية، حيث نشبت الحرب الأهلية، وكانت حادثة (الفوجا) الشهيرة في سبتمبر عام ١٩٤١م وحين كان الرجال في الحرب، قامت الميلشيات الصربية بجمع ٩ آلاف من النساء والشيوخ من القرى والمدن، ثم حشدوهم في سهل الفوجا وأطلقوا عليهم جميعا النار وقتلوا جميعا - وفي ديسمبر من نفس العام كرروا المذبحة وقتلوا أكثر من ١٣٠ ألف مسلم.

مجازر تيتو الشيوعية

وفي الفترة من ١٩٤٥ الى ١٩٩١م عاشت البلاد تحت الحكم الشيوعي، بدأت بتيتو الذي حرم على المسلمين دخول المساجد، ومنع تدريس الدين الإسلامي، ومنع النساء من ارتداء الحجاب، وأثناء العهد الشيوعي أبيد ٢٤ ألف مسلم.

المجازر الصربية الثالثة

ثم كانت ومازالت المجازر الصربية الثالثة على يد جزار الصرب(سلوبودان ميلوسيفتش) وذلك بعد انهيار الاتحاد السوفيتي واعلان استقلال جمهورية البوسنة والهرسك والتى أعلنت هويتها الاسلامية، ومن هنا بدأت مجازر المسلمين على أيدي الجيش الصربي الذي راعه ظهور دولة أسلامية تتمسك بكتاب الله وترفع رايته في قلب الغرب.

وكان ماكان من مذابح وأعمال وحشية واغتصاب وتمثيل بالجثث.. الخ هذه الاحداث التي فرضت نفسها على الرأى العام العالمي ولانستطيع ملاحقتها.. إنها أكبر حرب إبادة عرفها هذا الشعب الذي لم يرتكب اي جرم في حق جاره الصربي أو الكرواتي، ولكن كيف يعيش الطهر وسط الرجس؟ وكيف يعيش الايمان وسط الفجور والمجانة؟ ■

نافذة على العالم

تطوير المناهج بدور القرآن

أكد الدكتور عادل عبدالله الفلاح الوكيل المساعد للعلاقات الخارجية والدراسات الإسلامية بوزارة الأوقاف على أهمية الدور الكبير الذي تقوم به مراكز دور القرآن الكريم في توعية المجتمع دينيا وأخلاقيا وسلوكيا، ودعا للارتقاء بمستوى الدور لتواكب كل ما هو جديد ومفيد، جاء ذلك في كلمة للدكتور الفلاح افتتح بها الاجتماع الأول للجنة تطوير المناهج بدور القرآن الكريم الذي حضره مدير إدارة الدراسات الإسلامية عبدالله الناجم ومراقب الإدارة عباس الفيلكاوي والمراقب الفني عبدالله الزويد بالإضافة إلى أعضاء لجان التطوير.

وأشار إلى أن الأقبال على دور القرآن الكريم أخذ في النمو والزيادة حيث بلغت نسبة الزيادة لهذا العام ١٠٪ وهذا ما دعانا لافتتاح مركز في منطقة الصباحية هذا العام، وسيتم افتتاح مركزين في منطقة الأندلس والعارضية في بداية العام الدراسي المقبل وفق الخطة الجديدة.

وطالب د. الفلاح اللجان أن يضعوا في الاعتبار عظم الأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي من غزو فكري وإعلامي



الدكتور عادل عبدالله الفلاح

وتحلل خلقي نتج عنه زيادة نسبة الأمراض الجنسية وانتشار المصحات النفسية وبيان أساليب التوعية وطرق الوقاية والعلاج التي وضعها الإسلام في كل ذلك لتكون المناهج على مستوى العصر الذي نعيشه بكل مشاكله وأزماته. بعد ذلك ألقى مدير إدارة الدراسات الإسلامية عبدالله الناجم كلمة بين فيها أن هذه الخطوة في تطوير المناهج هي الثانية منذ إنشاء دور القرآن الكريم قبل ما يقرب من عشرين عاما.

ومن المعروف أن عدد دور القرآن الكريم بلغ حتى الآن سبعة عشر مركزا ستة منها للرجال وأحد عشر للنساء، وفي خطة الوزارة افتتاح مراكز جديدة في العام المقبل إن شاء



د. سيد طنطاوي

مركز إسلامي بالجيزة

افتتح د. سيد طنطاوي مفتي الديار المصرية ود.عبدالرحيم شحاته محافظ الجيزة في حضور سفير الكويت بالقاهرة عبدالحميد البعيجان المركز الإسلامي بمنيل شيحة جنوب شرق محافظة الجيزة. يضم المركز مسجدا ودار مناسبات وعيادة طبية ومدرسة لتحفيظ القرآن. ساهم في إقامة المركز شركة عقارات الكويت. ورجل الأعمال الكويتي خالد المرزوق وأشقاؤه. بلغت تكاليفه ٢ مليون جنيه مصري واستغرق انشاؤه ٨ أشهر. والقى مفتي الديار المصرية خطبة الجمعة ايذانا بافتتاح المركز.

وقال عبدالرحيم شحاته محافظ الجيزة أن هناك ثلاثة مشروعات خيرية أخرى يساهم في انشائها بيت الزكاة الكويتي وعدد من المواطنين العرب والكويتيين.

الوزير الدخيل يشيد بعمل لجنة تطبيق الشريعة

استقبل الدكتور/ خالد المذكور - رئيس اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بمكتبه معالي وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء وزير التخطيط عبد العزيز الدخيل.

وبعد الاطلاع على آخر إنجازات اللجنة وماتم التوصل إليه دار حوار عام عن عمل اللجنة خلال الفترة الماضية. وقد أشاد الوزير الدخيل بعمل اللجنة وسيرها العلمي المتأني والجاد فيما يتعلق بالبحوث والدراسات. ثم قام الضيف برفقة الأعضاء بجولة في مركز البحوث والمعلومات واطلع على مايحتويه المركز من مراجع ضخمة في سائر مجالات العلوم والمعرفة.



الدكتور/ خالد المذكور

الـــدعـــوة الإســـلاميـــة في الخارج

أوضح وزير الشـؤون الإسلاميـة والأوقاف والـدعوة والإرشـاد السعودي د. عبـدالله بن عبـدالمحسن التركي أن الدعـوة إلى الله من أهم الـواجبـات في هذا الـدين، فهي مهمة الأنبيـاء والمرسلين والعلماء، وهي من أعظم مهمات هذه الدولـة المباركة التي قامت على الـدين منذ عهد الإمامين محمد بن سعود ومحمد بن عبدالوهاب - يرحمهما الله. واستعرض جوانب من عناية السعوديـة بالدعوة التي تعتبرهـا رسالة، مشيرا إلى أن الـدعوة تتم من خلال هيئات تـدعمها الدولة كرابطة العالم الإسلامي ومنظمة العالم الإسلامي، والجامعات الإسلامية وغيرها.

وبين د. التركي في افتتاحه لاجتماع مـديري الدعوة في الخارج أن وسائل الـدعوة تكون بكل إعانة للمسلمين.

وأوضح الـوزير التركي أن الهدف من الاجتماع هـو التعـارف ودراسة مشـاكل الدعـوة في الخارج ومحاولـة التعرف على سبل مـواجهتهـا، مشيرا إلى أن الوزارة قـد شكلت فـريق عمل يدرس الـدعوة في الخارج ومشكـلاتها ووضع برامج للـدعوة ومـراعاة الإمكانـات التي يمكن استغلالها بالتعاون مع السفارات السعودية والملحقيات الثقافية في الخارج.



د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

الحـــرم الإبراهيمـــي مازال مغلـــقا



أصـدرت الهيئـة الإســلاميـة العليـا قي القدس بيانـا استنكرت فيه مواصلـة إغلاق الحرم الإبـراهيمي في الخليل منـذ أكثـر من مائة يوم تخللتها أيام جمع وأعياد إسلامية.

وطـالبت في بيانها إعـادة الحق إلى أربابـه وأن يترك لأصحـابه المسلمين، وأعـربت عن أملها في ان يستجاب لطلبها العادل وناشدت الهيئات والمنظمات الدولية وبخاصة الهيئات والمنظمات - التي تـدعـو لحرية العبـادة - المساعدة في تحقيق هذا المطلب.

تهويـــد القـــدس

ذكر قـادمون من القـدس المحتلة أن البلـديـة قـررت هـدم ألفي منـزل من المنازل العربيـة في القدس، ثم هدم اثنى عشر منها بالفعل بحجة عدم الحصول على تـراخيص، وكـانت الجمعيـات الصهيونية قد تملكت عشرات البيوت في القدس الشرقيـة وبأموال وتبرعـات من يهود في الخارج لإسكـان المهـاجـرين اليهود.

نســاء النيجــر يتمسكن بــالأحكــام الشرعيــة

رفضت منظمات نسـائيـة إسـلاميـة بـالنيجـر مشروع قانـــون للأحـــوال الشـخصـية طرحته الحكومة باسم (قانون الأسرة). وقالت أن ٦٠٣ مواد من مواده البالغ مجمـوعهـا ٩٠٦ مـواد تنتهك المبـادىء المنصوص عليهـا في القرآن.

وتحظـر مسودة القـانـون تطليق الزوج لزوجتـه بارادته المنفردة، كما لا تعترف بقوانين الميراث الإسـلاميـة، ويسمح للزوجة بطلب الطـلاق في حالة اقتران زوجها بأخرى.

وقالت نسوة ينتمين إلى ست منظمات إسلامية في بيان لهن: أن جميع هذه القضـايا نظمها الـــدين الإســـلامي تنظيما واضحا، ولا ينبغي تعـريضـها لتدخل الإنسان.

أول بورصة إسلامية في ماليزيا

أفاد مصدر رسمي انه تم ابتداء من يوليو الجاري تأسيس شركة بورصة إسلامية من شأنها أن تجذب رساميل مستثمرين من مسلمين من الخارج، وقال رئيس مجلس إدارة هذه الشركة عبدالحليم إسماعيل أنها (تعمل كشركات البورصة التقليدية لكن العمليات التي ستتم عبرها ستكون متطابقة لأحكام الشريعة والفقه الإسلامي)، وأوضح إسماعيل أن هذه الشركة لن تتعامل مع شركات (مرتبطة بنسب الفائدة والمقامرة والكحول ونشاطات أخرى يحظرها الإسلام).

ومن الجدير بالذكر أن بورصة ماليزيا تحتل المرتبة الرابعة آسيويا بعد طوكيو وأوساكا وهونغ كونغ.

مهتدون جدد

أفادت التقارير الواردة إلى مشروع تفريغ الدعاة التابع (لجمعية إحياء التراث الإسلامي) أن (١٨٥) شخصا في الفلبين قد دخلوا الإسلام هناك. وكان أغلبهم من الوثنيين، يعيشون حياة مملوءة بالتخلف والضياع، وربما لا يجدون ما يسترون به عوراتهم وبالرغم مما تعانيه الأمة الإسلامية من الضعف وقلة إمكانات الدعوة، وصعوبة المواصلات في الفلبين، وقلة عدد العاملين في مجال الدعوة فإننا نجد أن الناس يدخلون في الإسلام أفواجا مختارين الدين عن قناعة ورضى به غير مكرهين.

والجدير بالذكر أن عدد دعاة إحياء التراث في الفلبين (١١٢) داعية ينشرون مفاهيم الدين الإسلامي السمحة بالقرى والمدن.

الموت يحصد أطفال أفريقيا



أعلن المدير التنفيذي لصندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (يونيسف) في ابيدجان أن من أصل ١٣ مليون طفل يموتون سنويا في العالم ٤,٥ مليون طفل أفريقي.

وقال جيمس غرانت الذي رأس في أبيدجان اجتماعا لجميع مسؤولي اليونيسف في أفريقيا الصحراوية أن هذه المنطقة التي تعتبر (تحديا لليونيسف تحتل مركز الصدارة في اهتماماتنا ونخصص لها ٣٨ في المئة من موازنة برامجنا).

وقبل قمة منظمة الوحدة الأفريقية التي انعقدت أعمالها في الثالث عشر من يونيو الماضي في تونس أعرب غرانت عن ارتياحه إلى التقدم الذي أحرز منذ خمس سنوات في القارة الأفريقية في مجال حقوق الطفل. وقال: إن جميع الدول الأفريقية تقريبا صدقت على معاهدة حقوق الطفل.

لكنه أعرب عن أسفه لـ (تجميد المساعدة الدولية). وقال : إن بعض الدول المانحة تفضل أن تخصص مساعداتها للعمليات العسكرية التي تكلف مبالغ طائلة بدل تخصيصها للعمليات الإنسانية. إننا نريد إعادة التوازن بين الجوانب العسكرية والإنسانية للمساعدة الدولية).

الإيدز في أفريقيا

أكدت الدكتورة دوروتي بلاك مديرة التنسيق والتحسيس لبرنامج الايدز لدى منظمة الصحة العالمية على أن عدد المصابين بالايدز في أفريقيا قد وصل إلى ٩ ملايين أي ما يقارب ٦٦ في المائة من مجموع المصابين في العالم البالغ عددهم ١٥ مليون مصاب.

وقالت الدكتورة دوروتي بلاك أنه يجب أن نعتبر أن الايدز كداء فتاك محل اهتمام كبير على الصعيد الأفريقي بالخصوص نظرا لكونه عاملا مدمرا للمجتمعات في غياب التلقيح والمعالجة.

وأوضحت الدكتورة دوروتي بلاك أنه بعد إجراء دراسة شملت خمسة بلدان أفريقية اتضح أن السبب الرئيسي للإصابة بهذا المرض هو الاتصال الجنسي.



التهـــــاب مفـــــاصل دولي

قـال المعهـد الـدولي للدراسـات الاستراتيجيـة أن الغـرب عـانى من (التهاب مفاصل) استراتيجي خـلال العام المنصرم بسبب انتهـاج الـولايات المتحـدة وغيرها من القـوى الكبرى أسلـوب يتسم بالحرص على تجنب المخـاطرة ممـا أدى إلى فشلها في معـالجة مشاكل العـالم الكبرى.

وقال المعهـد ان تعثر سياسة واشنطن وحلفـائها في البوسنـة والصومال وكوريـا الشمالية وهايتي يظهر ان التحـول من الحرب الباردة إلى نظام عالمي جديد سيستغـرق من الوقت أكثر مما كان متوقعا.

وقـال المعهد الـذي يتخـذ من لندن مقـرا في تقـريره السنـوي (مسح استراتيجي ١٩٩٣/ ١٩٩٤) انـه (كان عـاما بـدا فيـه أن القوى في الغـرب... تعاني مـن نوبـة حادة من التهـاب المفاصل).

وقال إن (هذه البلوى أثرت فيما يبدو على كل القـوى العالمية فيما عدا اشدها خطرا وتهورا. الأمر الـذي أدى إلى الابتعاد عن المخـاطرة أو الالتزام من أجل معـالجة القضايـا الاستراتيجية

اشـــادة بـــوسنيـــة بـــالـــدعم الكـــويتي

أشاد الـزعيم الديني لمسلمي البوسنة والهرسك مصطفى سيريش بالدعم السياسي والمادي الذي تقدمه دولة الكويت والمملكة العربيـة السعودية للشعب البوسني المسلم متمنيا قيام بقية المسلمين بواجب دعم إخوانهم في البوسنة في هذه الظروف الحرجة.

وطالـب سيريش في حديث بمنـاسبة حلـول عيد الأضحى المبـارك الدول الإسلاميـة بتبنى القضية البوسنيـة على جميع مستوياتها السياسية والاقتصاديـة وممارسة الضغط على الأمم المتحدة لتطبيق القرارات الدولية بشأن البوسنة.

كما طـالب بوضـع (استراتيجيـة إسلاميـة) لحل القضيـة البوسنيـة والقضايـا الرئيسيـة الأخرى.

وقال سيريش الذي يسمى رسميا في البوسنة (رئيس العلماء) ان هناك توجها أميركيا لرفع حظر تـوريد السلاح عن مسلمي البـوسنة مشيرا إلى وجوب استقلال هـذا التوجه وممـارسة ضغط سياسي واقتصادي على الدول الأخرى في مجلس الأمن الدولي.

وحول رفض المشاركـة في لقاء الزعماء الروحيين للكنيسة الأرثوذكسيـة الروسية والصربية والكاثـوليكية الكرواتيـة في مطار سراييفو أكـد سيريش أن الرفض جاء بسبب مشـاركة زعيم الكنيسـة الصربية البطـريـرك باقلي الـذي لم يعلن خـلال العـامين الماضيين ادانته للجـرائم الوحشية التي ارتكبها الجيش الصربي.

منع التجول ضد الشباب في أمـــريكـــا!!

اعترض اتحاد الحريات المدنية الأمريكي على النظـام المفروض على الشبـاب بحظـر تجولهم بعـد الحاديـة عشرة ليـلا في أيـام الأسبوع وبعد منتصف الليل في عطلة نهاية الأسبـوع، ويعلل الاتحاد اعتراضـه بأن الحظر يحد من حرية الشبان في التعبير عن آرائهم.

وبـدأت المدن الأميركيـة واحـدة تلـو الأخرى تحذو حذو مـدينة دالاس في فرض منع تجول الشبان منذ أن أصدرت المحكمة العليا في الولايات المتحدة قرار المنع، ويجهد عمدة المدينـة وإداريوهـا في اقناع الشبـاب والشابات بالبقاء في منازلهم أثناء الليل.

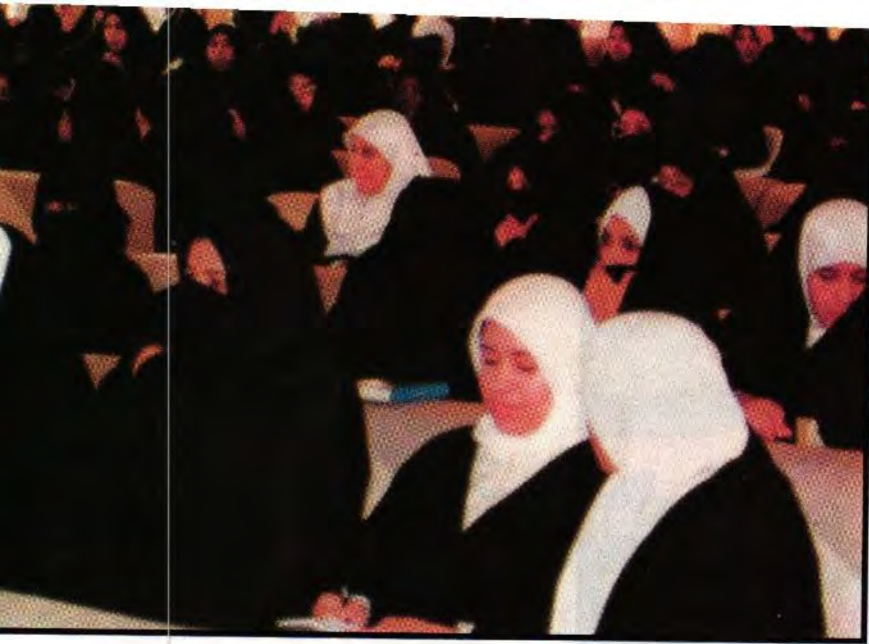
ووفق القـانـون الصـادر، يمنع تجول الأطفـال والشبـان مـا دون العشرين من العمـر بعـد الحاديـة عشرة ليـلا في أيـام الأسبـوع وبعـد منتصف الليل في نهايـة الأسبـوع، ويستمـر حظـر التجـول حتى السادسة صباحـا وذلك في خطوة للحد من ازديـاد جـرائم العنـف بين الشبـان حيث ارتفعت بنسبـة ٥٧٪ في السنـوات العشر الماضية.

غير أنه في العديد من المدن اعترض اتحاد الحريات المدنيـة الأميركي على هـذا الحظر، معللا انه يحد من حـرية الشباب في التعبير عن آرائهم والتجمع، أي بمعنى آخـر يعامل هـذا القـانـون فئـة معينـة مـن النـاس كمجـرمين، وتتم معـاقبة المخـالفين بـدفع ٥٠٠ دولار أحيانا.

قـــوائم الانتظـــار الإنجليـــزيـــة

بلغ عـدد المرضى المسجلين في قـوائم الانتظار بالمستشفيات الحكومية في إنجلترا - نهايـة مـارس الماضي - رقما قيـاسيـا تجاوز المليون لأول مـرة في تاريـخ العلاج الطبي هناك.

وجـاء في إحصـاء رسمي أن من بين مليون و ٦٥ ألف و ٣٤٩ مريضا مسجلين في هذه القوائم هناك ٦٤ ألفـا ينتظرون منذ فترة تتراوح بين سنة وسنتين. وكانت وزارة الصحة قـد اعتمدت في شهـر فبراير الماضي ١٢ مليون جنيه استرليني لسرعة علاج من طالت فترة انتظارهم عن سنتين. ووصفت بعض مصـادر حـزب العمال البريطـاني المعارض هـذا الوضع بـأنه مأسـاة صحيـة وفضيحـة سيـاسيـة واجتماعيـة في بلـد صناعي ومتحضر، وطالبوا بإجراء تغييرات جذرية في نظام العلاج الحكومي لوضع حد لهذه الزيادة المخيفة في قوائم الانتظار التي تضم مصـابين بأمـراض خطيرة وقـاتلـة تحتاج إلى إجراء سريع.



تأسس قسم الواعظات بفضل من الله تعالى أولا ثم بجهود المسؤولين في وزارة الأوقاف عام ١٤١١هـ يناير ١٩٩١م بعد التحرير. ويعتبر القسم رافدا من روافد الدعوة إلى الله تعالى في هذا البلد الطيب وبدأ العمل بقليل من الواعظات ثم ازداد العدد فيما بعد مع تطور القسم.

أهداف وطبيعة عمل القسم

لما كانت المرأة المثقفة ثقافة إسلامية أقدر من غيرها على إيصال الاحكام الشرعية والآداب الإسلامية إلى مثيلاتها من النساء وبخاصة تلك الأمور التي تختص بالمرأة فقد رأت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ممثلة في (إدارة الدراسات الإسلامية) إنشاء قسم الواعظات وجعلت من أهدافه:

١) نشر الوعي الإسلامي في الوسط النسائي لتفهم المرأة في

تجربة نسائية رائدة في ميدان الدعوة إلى الله

مجتمعنا دورها الصحيح كزوجة وأم وموظفة.

٢) ربط المرأة بكتاب الله تعالى تلاوة وفهما إلى جانب دراسة العلوم الشرعية من خلال دورات تخصصية.

٣) إحياء دور المساجد في المجتمع بحيث لا يقتصر دورها على إقامة الشعائر والعبادة إنما يتعداها إلى إقامة حلقات الذكر ودراسة كتاب الله.

٤) معالجة القضايا الاجتماعية والمشاكل المختلفة التي تخص المرأة والنشء، والدعوة إلى نبذ كل ما هو دخيل على مجتمعنا من سلوكيات وتصرفات تنافي مبادىء ديننا الحنيف.

من أنشطة قسم الواعظات

يحرص القسم في خطة عمله على ربط المرأة الكويتية بكتاب الله تعالى وبتعاليم إسلامنا الحنيف وقد تنوعت أنشطة القسم وتعددت واتسعت لتشمل نواحٍ عدة في المجتمع فمن أنشطته:

١) إقامة الدورات الشرعية التثقيفية الصباحية: وتكون هذه الدورات في الفترة الصباحية ومخصصة لربات البيوت اللاتي يرغبن في زيادة حصيلتهن من العلم الشرعي وتشمل هذه الدورات تدريس المواد التالية: القرآن وتفسيره والتجويد والفقه والحديث والسيرة الطاهرة.

وتقام هذه الدورات في مساجد متعددة منتشرة في جميع محافظات الكويت.

ولقد كان إقبال النساء كبيرا على هذه الدورات، كما كانت الطلبات متزايدة من ربات البيوت على القسم لفتح مساجد أخرى من المناطق القريبة من مناطقهن والتي لم يتم افتتاح مساجد فيها.

ولم يقتصر عمل القسم على المساجد فقط بل تعداها إلى إقامة محاضرات دينية متنوعة في صالات الأفراح كقاعة شيخان الفارسي في السرة، ومراكز خدمة وتنمية المجتمع كمركز بيان ومركز العارضية، وقاعة الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالرقة، والمركز الاجتماعي الترفيهي لطلبة حلقات تحفيظ القرآن في غرب الفنطاس. وقد كان إقبال النساء على هذه المحاضرات والدروس كبيرا وبلغ عدد الحضور في بعض المراكز ثلاثمائة سيدة.

٢) ونظرا لاهتمام القسم بالجانب التربوي والاجتماعي والإصلاحي في المجتمع، فقد كان من خطة عمله القيام بزيارات لمدارس البنات في مراحلها المتعددة.

وقد تم التنسيق بالفعل مع إدارة النشاط المدرسي بوزارة التربية التي قامت مشكورة بتسهيل زيارة الواعظات للمدارس لإلقاء محاضرات وندوات تتناول الموضوعات التي تهم الطالبات وتتناسب مع المرحلة العمرية التي تمر بها الطالبة وتركز المحاضرات في عمومها على الجانب الأخلاقي والمشاكل التي تعاني منها الفتيات، لا سيما في مرحلة المراهقة التي تعيشها فتياتنا في المرحلة المتوسطة، وتمتد بهن إلى المرحلة الثانوية، ومن ثم تضع الحلول والعلاجات المستمدة من نبع الإسلام الفياض. ولقد كان التجاوب كبيرا من قبل الطالبات، كما أن أكثر ناظرات المدارس التي تمت زيارتها من قبل واعظات القسم قد أبدين ارتياحهن من النتائج التي ترتبت على تلك الزيارات.

٣) كما أن القسم تلقى دعوات متكررة من لجان الطالبات في (الاتحاد الوطني لطلبة الكويت) و(الجمعيات العلمية في الجامعة) وقد لبى القسم هذه الدعوات، وقامت الواعظات بالقاء الدروس والمحاضرات المتنوعة في كليات الجامعة المتعددة.

٤) وقد اتسع مجال العمل في القسم مع تطوره ليشمل التعاون الوثيق بين القسم وبعض جمعيات النفع العام واللجان الخيرية، (كلجنة التعريف بالإسلام) ولجنة (ساعد أخاك المسلم) و(لجان التكافل لأسر الشهداء والأسر والمفقودين)، و(جمعية المعلمين الكويتية) و(اللجنة النسائية بجمعية الإصلاح الاجتماعي) و(بيت الزكاة).

٥) كما أن هناك أنشطة متنوعة وكثيرة للقسم يهتم الأخوات بتطويرها والارتقاء بها كزيارة المريضات في المستشفيات، وزيارة دور الرعاية الاجتماعية وإلقاء الدروس في مجالس العزاء في البيوت الكويتية المختلفة بناء على دعوة أهل العزاء. وغيرها من الأنشطة.

أنشطة ميدانية

هذا وبالرغم من حداثة قسم الواعظات والعمل به إلا أن طموحات القائمين عليه كبيرة وأنشطته المتعددة وانتشاره الملحوظ في المجتمع وأثره الملموس لدى النساء خير ما ينبىء عن مستقبله الزاهر بإذن الله. فقد تم ألقاء محاضرة (كيف نستقبل رمضان؟) في جمعية المعلمين الكويتية استقبالا لشهر رمضان المبارك بتاريخ ١٦/٢/١٩٩٤. ألقتها الأختان: مي البدر وهيفاء عبدالجادر، وكان الحضور كثيفا.

وتمت الدورة الإيمانية الصباحية المشتملة على دروس التفسير والدروس الإيمانية المتنوعة والمقامة في صالة شيخان الفارسي بتاريخ ١٥/٢/١٩٩٤ بحضور ما يقارب الثلاثمائة دارسة.

وأقيمت محاضرات متنوعة في بيت الزكاة - قسم كافل اليتيم - واللجنة النسائية بجمعية الإصلاح الاجتماعي، وكليات الجامعة المختلفة، أعدتها وألقتها مجموعة مختارة من الواعظات.

وتمت زيارات وعظ ميدانية لعشرين مدرسة في مختلف مراحل التعليم: رياض أطفال وابتدائي ومتوسط وثانوي، وقد لمست الاخوات التجاوب والتفاعل خلال هذه الجولة مع الجسم التعليمي والطالبات على حد سواء ■

رضوان الله

بقلم: محمد رشيد العويد*

لعلك تذكر تلك السعادة الغامرة التي ملأت جوانحك، حين عبر رئيسك في العمل عن رضاه عن عملك، وما أتبع رضاه من علاوة في مرتبك، ومكافأة مقطوعة، وشهادة تقدير...

وقد لا تنسى مشاعر الغبطة الجميلة التي شاعت في حنايا نفسك: حين سمعت زوجتك، تعبر عن شكرها وامتنانها لك، لما تقدمه لها ولأطفالها من اهتمام ورعاية ونفقة. وكذلك أنت يا أختي، قد لا تنسين هذه المشاعر حين عبر زوجك عن رضاه على رعايتك له، وحفظك لبيتك، وحسن تربيتك أولادكما.

إن رضى الآخرين عنا يبعث في أنفسنا مشاعر فرح وأحاسيس ارتياح، وتزيد هذه المشاعر وتتضاعف حين يطلب الآخرون منا أن نكون راضين عنهم أيضا. فلو أن الرئيس في العمل - كما في المثال الأول - قد عبر عن رضاه عن عمل موظفه، وكافأه بما كافأه به، ساله أخيرا: هل أنت راض عني؟ فإنه سيبلغ قمة الارتياح والشعور بالرضا: رئيسي يسألني إن كنت راضيا عنه!

هذا بين البشر أنفسهم، فكيف يكون الحال إذا كان الرضا من الله تعالى جل شأنه وقد أعلم عباده في الجنة أنه راض عنهم.. ويسألهم إن كانوا قد رضوا بما أعطاهم من نعيم، وشملهم من رحمة، وتفضل عليهم به من فضل، وأثابهم من الجزاء الحسن؟!

لقد تأكد هذا المعنى في أربع من آيات القرآن الكريم وهي قوله تعالى:

﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴾ [المائدة:١١٩].

وقوله: ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقوله: ﴿ لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ [المجادلة:٢٢].

وقوله: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ﴾ [البينة:٧و٨].

إن قوله تعالى: ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ يرسم ملامح تكريم عظيم للمؤمنين وقد شملهم الله سبحانه برضوانه العظيم، وأعطاهم من العطاء ما جعلهم في غاية الرضا ومنتهاه. وهل بعد رضوان الله غاية؟ عن أنس مرفوعا قال: قال رسول الله ﷺ: «ثم يتجلى لهم الرب جل جلاله فيقول: سلوني أعطكم. قال: فيسألونه الرضا. فيقول: رضاي أحلكم داري، وأنالكم كرامتي.. فسلوني أعطكم. فيسألونه الرضا. قال: فيشهدهم أنه قد رضي عنهم سبحانه وتعالى» (١).

وفي تفسير النسفي: (رضي الله عنهم بالسعي المشكور، ورضوا عنه بالجزاء الموفور) (٢).

ويقول القرطبي: (ثم بيّن تعالى ثوابهم وأنه راض عنهم رضا لا يغضب بعده أبدا. ورضوا عنه: أي عن الجزاء الذي أثابهم به) (٣).

أما الألوسي فيقول: (رضي الله عنهم: بيان لكونه تعالى أفاض عليهم غير ما ذكر، وهو رضوانه عز وجل الذي لا غاية وراءه، كما ينبيء عن قوله «ورضوا عنه» إذ لا شيء أعز منه حتى تمد إليه أعناق الآمال) (٤).

وعند الرازي: (وأما عند أصحاب الأرواح المشرقة بأنوار جلال الله تعالى: فتحت قوله ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ أسرار عجيبة لا تسمح الأقلام بمثلها، جعلنا الله من أهلها. وقوله (ذلك الفوز العظيم): الجمهور على أن قوله ﴿ ذلك ﴾ عائد إلى جملة ما تقدم من قوله ﴿ لهم جنات تجري ﴾ إلى قوله: ﴿ ورضوا عنه ﴾ وعندي أنه يحتمل أن يكون ذلك مختصا بقوله ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ فإنه ثبت عند أرباب الألباب: أن جملة الجنة، بما فيها، بالنسبة إلى رضوان الله: كالعدم بالنسبة إلى الوجود، وكيف والجنة مرغوب الشهوة، والرضوان صفة الحق.. وأي مناسبة بينهما) (٥).

وفي تفسيره لآية سورة «البينة» يقول رحمه الله: (أعلم أن الله تعالى لما وصف الجنة: أتبعه بما هو أفضل من الجنة، وهو الخلود أولا والرضا ثانيا، وروي أنه ﷺ قال: «إن الخلود في الجنة خير من الجنة، ورضا الله خير من الجنة».

أما الصفة الأولى، وهي الخلود، فاعلم أن الله وصف الجنة مرة بجنات عدن، ومرة بجنات النعيم، ومرة بدار السلام، وهذه الأوصاف الثلاثة إنما حصلت لأنك ركبت إيمانك من أمور ثلاثة: اعتقاد وقول وعمل.

وأما الصفة الثانية، وهي الرضا، فاعلم أن العبد مخلوق من جسد وروح، فجنة الجسد هي الجنة الموصوفة، وجنة الروح هي رضا الرب، والإنسان مبتدأ أمره من عالم الجسد ومنتهى أمره من عالم العقل والروح، فلا جرم ابتدأ بالجنة.. وجعل المنتهى هو رضا الله. ثم إنه قدم رضى الله عنهم على قوله ﴿ ورضوا عنه ﴾ لأن الأزلي هو المؤثر في المحدث، والمحدث لا يؤثر في الأزلي.

وإنما قال ﴿ رضي الله عنهم ﴾ ولم يقل (رضي الرب عنهم)، ولا سائر الأسماء، لأن أشد الأسماء هيبة وجلالة لفظ الله، لأنه هو الاسم الدال على الذات والصفات بأسرها. أعني صفات الجلال وصفات الإكرام، فلو قال رضي الرب عنهم: لم يشعر ذلك بكمال طاعة العبد.. لأن المربي قد يكتفي بالقليل، أما لفظ (الله) فيفيد غاية الجلالة والهيبة، وفي مثل هذه الحضرة لا يحصل الرضا إلا بالفعل الكامل والخدمة التامة، فقوله ﴿ رضي الله عنهم ﴾ يفيد تطرية (من الإطراء والمديح) فعل العبد من هذه الجهة. أما قوله ﴿ ورضوا عنه ﴾ فالمراد: رضوا بما جازاهم من النعيم والثواب(٦)، ورضي الله عنهم هو الرضى الذي تتبعه المثوبة، وهو في ذاته أعلى وأكرم مثوبة: ورضاهم عن الله هو الاطمئنان إليه سبحانه، والثقة بقدره، وحسن الظن بقضائه، والشكر على نعمائه، والصبر على ابتلائه.. ولكن التعبير بالرضى هنا وهناك يشيع جو الرضى الشامل الغامر، المتبادل الوافر، الوارد الصادر، بين الله سبحانه وهذه الصفوة المختارة من عباده، ويرفع من شأن هذه الصفوة - من البشر - حتى ليبادلون ربهم الرضا: وهو ربهم الأعلى، وهم عبيده المخلوقون.. وهو حال وشأن وجو لا تملك الألفاظ البشرية أن تعبر عنه: ولكن يتنسم ويستشرف ويستجلى من خلال النص القرآني.. بالروح المتطلع، والقلب المتفتح، والحس الموصول!

ذلك حالهم الدائم مع ربهم: ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾. وهناك تنتظرهم بعد هذا الرضى: ﴿ وأعد له جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ﴾... ﴿ ذلك الفوز العظيم ﴾ .. وأي فوز بعد هذا وذلك.. عظيم) (٧).

إن لحظة اتصال بالله. لحظة شهود لجلاله. لحظة انطلاق من حبسة هذه الأمشاج، ومن ثقلة هذه الأرض وهمومها القريبة، لحظة تنبثق فيها في أعماق القلب البشري شعاعة من ذلك النور الذي لا تدركه الأبصار. لحظة إشراق تنير فيها حنايا الروح بقبس من روح الله... إن لحظة واحدة من هذه اللحظات التي تتفق للندرة القليلة من البشر في ومضة صفاء، ليتضاءل إلى جوارها كل متاع، وكل رجاء... فكيف برضوان من الله يغمر هذه الأرواح، وتستشعره بدون انقطاع؟ ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ (٨)

الهوامش:

١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
٢) تفسير النسفي ٢١١/١.
٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٨٠/٦.
٤) روح المعاني ٧٢/٧.
٥) التفسير الكبير، الجزء ١٢، ص ١٣٨ و ١٣٩.
٦) التفسير الكبير، الجزء ٣٢، ص ٥٥ و ٥٦.
٧) في ظلال القرآن، الجزء ١١، ص ١٧٠٥ و١٧٠٦.
٨) في ظلال القرآن، الجزء ١٠، ص ١٦٧٦.

*مدير تحرير مجلة (النور) الكويتية

اللفتات النابهة ٦

الألفة بين الداعية والمجتمع

جاء في الحديث الشريف: «المؤمن ألف وألوف كالجمل الأنف إذا أنيخ استناخ» [الحديث]

اللقاء طريق المحبة والقطيعة طريق الوحشة

قال تعالى: ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ﴾ [الاسراء:٥٣] فقول الأحسن: طريق المحبة وإزالة الجفوة، والقول الحسن لا يتم إلا باللقاء والمجالسة التي تتم فيها المشافهة والتعرف على قسمات الوجه ونبرات الصوت وزفرات النفس، وهذا أمر لايعرفه إلا من عاشه، فهذا أحمد بن محمد بن مري البغلي الحنبلي كان منحرفا عن ابن تيمية ثم اجتمع به فأحبه وتتلمذ له وكتب مصنفاته (١).

واللقاء يحتاج الى اسلوب من الخطاب، واختيار للكلمة، وحسن العبارة، وهذا مما يحبب الخلق بالانسان، وهذا ابن هشام عبدالله بن يوسف جمال الدين أبو محمد النحوي المولود في ذي القعدة سنة ٧٠٨هـ تفرد بالتحقيق البالغ، والاطلاع المفرط، والاقتدار على التصرف في الكلام، والملكة التي كان يتمكن لها من التعبير عن مقصوده بما يريد، مسهبا وموجزاً، مع التواضع والبر والفقه، ودماثة الخلق ورقة القلب (٢).

مواصفات يحبها الناس للعامل في المجتمع

قال بعض البلغاء: (صلاح الشيم بمعاشرة الكرام، وفسادها بمخالطة اللئام، وهي كلمة

للشيخ: جاسم المهلل ياسين

لقمان: من خير حظ المرء قرين صالح، فقارن أهل الخير تكن منهم، وباين أهل الشر تبن عنهم، وبها قال ابن المقفع: ان الخصال الصالحة من البر لاتحيا ولاتنمي إلا بالموافقين والمهذبين والمؤيدين).

وعلى هذا لابد من الاتصال مع الناس ونحن نحمل كما كبيرا من مواصفات الخير ليحسن نفعنا للآخرين فمهمة الدعاة من المهام التي تحتاج الى مواصفات خاصة تضاف الى أخلاق العامة التي يلزم المسلم ان يتخلق بها، وتعدادنا لها لن يكون بصيغة مجردة مثالية بعيدة عن الواقع، بل سيكون من خلال الاطلاع على سيرة علم من أئمة الهدى.

القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف البرزالي علم الدين بن بهاء الدين الدمشقي الحافظ الذي ولد في جمادي الأول سنة ٦٦٥هـ، كان دقيقا رحمه الله في كل شيء، حتى قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: نقل البرزالي نقش في حجر، من مواصفاته التي حببته الى الناس، كماذكرها البدر النابلسي: حسن الوجه واللباس، كثير التواضع، كريم النفس ، كثير الحلم، ضحوك السن، يحتمل الأذى ويغضي عمن يغض منه، وقال عنه الذهبي: كان رأسا في صدق اللهجة

والأمانة، صاحب سنة واتباع ولزوم الفرائض (٣).

والدقة يقابلها ضبط يدفع الى الاحترام. فهذا احمد بن محمد بن ابي بكر بن جماعة الزهري أبو العباس القوصي كان رحمه الله يرغب إليه، لضبطه وأمانته وسكونه، ولهذه الصفات كان وصولا لذوي رحمه، مواظبا على حضور الجماعة (٤) والابتسامة محببة، والتجهم مبغوض، وملاعبة الناس لاتكسر الهيبة، ولاتخدش العلم، فهذا ابن سيد الناس الشافعي الحافظ العلامة الأديب المشهور المولود في ذي القعدة سنة ٦٧١هـ كان طيب الأخلاق بساما صاحب دعابة ولعب (٥)، وجمال الثوب والمظهر مدعاة لدخول قلوب الناس، فهذا محمد بن على بن الزملكاني كمال الدين أبو المعالى، ولد في شوال سنة ٦٦٧هـ، كان يضرب بذكائه المثل، أفتى وله نيف وعشرون سنة، وتخرج عليه غالب علماء العصر، ولم يروا مثل كرم نفسه، وعلو همته، وتجمله في مأكله وملبسه (٦).

والسعي في حاجة الناس ملك لقلوبهم، كما كان محمد بن الخضر تاج الدين بن الزين خضر؛كان مشكور السيرة متواضعا محبا لاهل الخير، يحب قضاء حوائج الناس ولاينظر الى البذل (٧). نعم، فقائد الخير عندما يبذل ماله وجاهه للخلق، لاينتظر منهم جزاء ولاشكوراً ﴿ انما نطعمكم لوجه الله ﴾ [الانسان:٩] فهو يبذل سجية من غير تكلف

ولاتعسف،ق دوتـه في ذلك حبر هـذه الأمـة عبدالله بن عبـاس رضي الله عنهما حين قال: «لإن أمشي في حـاجـة اخي خير لي من ان أعتكف في مسجد رسول اللـه صلى الله عليه وسلم أربعين يوما».

ترك الغيبة طريق لمحبة الخلق

ان من أفسد السموم التي تدمر المجتمعات تلك التي تسمى بأمـراض القلـوب؛ كالغيبـة والنميمة والحسـد، فهذه مفسدة لـلألفة أي مفسـدة، وقد جـاء التحذيـر منها في القرآن والسنـة: ﴿ ولايغتب بعضكم بعضا ﴾ [الحجـرات:١٢]، ﴿ ولاتلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجـرات:١١]، ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ [الهمزة:١].

وكـان لهذه التوجيهـات أثـر في بناء الأمـة ورجـالاتها، فخرج جيل لايغتـاب ولايسمح للغيبـة ان تـدار في مجلسـه، كما لايسمح لكـؤوس الخمـر ان تدور في مجلسـه، فهـذا محمـد بن عبـد الحق بن عيسى الخضري، وقيل الجعفـري مات في شهـر شعبان سنـة ٧٤٧هـ، وصف رحمه الله بأنه كان جدا كله لاهزل فيه، ولا يمكن أحدا ان يذكر عنده أحدا بسـوء (٨) وهكذا كان السيف القاطع، والمحـارب الذي على ثغـرة، لايمكن احـدا من الاقتراب من محارم اللـه، بانتهـاش أعراض النـاس، وهو بـذلك يحمي نفسـه من الاثم، ويحفظ مجلسه نقيا طاهـرا، ويربي من معه على ضبط النفس ، واشغالها بالنافع وتركها للضار.

وللأسف الشديـد أصبح من النادر اليوم، ان نجد مجلسا إلا وتدار فيه الغيبة، كما يدار كأس الماء على العطشى، بل الأدهـى من ذلك ان مجالس الـدعاة أصبحت تتعاطـى الغيبة، وتعمل على ايجاد التخـريج الشرعي لها، بأن هذه الغيبـة لله وللنصح لدينه، والغيبـة هذه تقويـم لمسار الدعـوة، والحبل على الجرار في إضفـاء الشرعيـة على الفعل الـذميم. الـذي لاتقتات عليـه الطفيليات من المخلوقـات، أما أهل العبـادة والصلة باللـه سبحانـه، فأثقل المجـالس عندهـم الذي تـذكـر فيه أعـراض النـاس، وهم يـدربون أنفسهم على تـركهـا، فهـذا محمد بن سليمان بن أحمد بن الفخـر تـاج الـدين، كـان متعبـدا متجنبـا للغيبـة وسماعها (٩) .

■مهمـة الـدعـاة تحتـــاج الى مواصفات خـاصـة تضـاف الى الأخـلاق المطلوبة من العامـة

وقد وصل بهم الأمر الي التحرز من الغيبة كالتحرز من النجاسـة الحسية وأكثر، فهذا سعيد بن محمـد بن سعيد المليـاني المغربي المالكي كـان شيخا فـاضـلا في العربيـة من أعيـان المالكيـة، خيرا متحـرزا من سماع الغيبة، لايمكن احدا يستغيث، فإن لم يسمع نهيه من في المجلس خرج من المجلس، ومات على ذلك رحمه اللـه في السـادس من شـوال سنة ٧٧١هـ (١٠).

وقمة ضبط النفس في عـدم الغيبة عنـدما يكون للانسان في ذكـرها مصلحة شخصية او حـزبيـة، فمنـذ القـديم والآن في الحديث يصل ضعـاف النفـوس الى سدة التـوجيـه ومـركـز المال، على جثـث الأخـوة وقطيعـة الـرحم، وزج الطيبين الغـافلين في متـاهـات الحياة وتعقيداتها ،اما رجال القرآن فهم أبعد ما يكونون عن ذلك، فهذا محمد بن أحمد بن محمـد التلمساني الأصل نـزيل سبتة، ولـد سنة ٦٧٩هـ كان قـائما على حفظ كتاب الله طيب النغمة بـه، لم يؤثر عنه في أحـد وقيعة مع اتصاله بالسلطان (١١).

يا الله؛ اي قوة هذه التي عنده، التي جعلته

■الغيبة والنميمة والحســـد، من أفســد السمـــوم التي تـــدمــر المجتمعــــات

طـوال مجالستـه للسلطـان لايتكلم ولا يشي بأحد، مع قدرتـه على ذلك؟ ومع مانعرف من حب اصحـاب الأمـر لسماع أخبـار النـاس وتوجهـاتهم، وان كثرة الاخبار والمعلـومات، هى التي تـدني الرجل من مجلس السلطـان، وهى المادة - وللأسف الشديد - المستخدمة في إثبـات الـولاء والصـدق، وهـذا ليس في مجالس سلطان الدنيا، بل قد زحف الأمر إلى مجالس سلاطين الدعوة، ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم.

لقـد صـدق البـاقـر المرتضى سليل الإمـام عليـه السـلام بما قـال في بعض الفـاظـه سـلاح اللئـام قبيح الكـلام

نعم كما قال بعض الحكماء: (الملك كالبحر تستمد منه الأنهار فاذا كان عذبا عذبت، وان كان مـالحا ملحت). وقـد روي موقـوفا على سفيان الثوري: «صنفـان إذا صلحا صلحت الأمـة وإذا فسـدا فسـدت الأمـة: السلطـان والعلماء» (١٢).

والنفع متبـادل بين العلماء والأمراء وبهذا قال بعض الحكماء: (لـوكانت الملـوك تعرف مقدار حاجتهم الي ذوي الرأي من الناس مثل الـذي يعـرف أهل الـرأي من حـاجتهم الى الملوك، لم أرعجبا ان تـرى مواكب الملوك على أبواب العلماء ، كما تـرى مواكب العلماء على أبواب الملوك) (١٣) ■

الهوامش

١) الدرر الكامنة ت:١,٧٦٨/٣٢٣.
٢) الدرر الكامنةت:٢,٢٢٤٨/٤١٦.
٣) الدرر الكامنة ت:٣٢٢٩و٣/٣٢٣.
٤) الدرر الكامنة ت: ١,٧٥٣/٣١٩.
٥) الدرر الكامنة ت:٤,٤٤٣٧/٣٣١.
٦) الدرر الكامنة ت:٤,٤٠٧٤/١٩٣.
٧) الدرر الكامنة ت:٤,٣٦٨/٥٣.
٨) الدرر الكامنةت: ٤,٣٨٤٢/١١٣.
٩) الدرر الكامنة ت: ٤,٣٧٢١/٦٧.
١٠) الدرر الكامنة ت:١٨١٨، ٢/٢٣٢.
١١) الدرر الكامنة ت:٣,٣٤٨٦/٤٥٧.
١٢) الدرر الكامنة ت:٣٤,١١٣٤/٤٦١.
١٣) تسهيل النظر وتعجيل الظفر ص ٢٥.



فتاوى

منتقاة ممـا تصدره إدارة الأفتاء والبحـوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلـة على استعـداد لتلقي الأسئلـة مبـاشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

سفر المرأة للحج والعمرة والسياحة والعلاج

● ما حكم سفر المرأة للحج أو العمرة بدون محرم برفقة نساء صالحات لأول مرة أو لثاني مرة. وما حكم سفر المرأة لغير الحج أو العمرة، ولكن لغرض السياحة أو العلاج أو غير ذلك؟

■ لا يحل للمرأة السفر بدون رفقة زوج أو محرم لقولـه صلى اللـه عليـه وسلم: «لا يحل لامـرأة تؤمن بـالله واليوم الآخـر أن تسافـر مسيرة يـوم وليلة إلا مـع ذي محرم»، ولقولـه صلى الله عليـه وسلم: «لا تسافـر المرأة إلا مع ذي محرم ولا يـدخل عليهـا رجل إلا ومعهـا محرم» [رواه البخاري].

وهذا حرص من الشريعـة على صيانة المرأة، ودرء الفتنـة عنها، ولضمان عـدم تعرضهـا لما يخدش عـرضها أو يمتهـن كرامتهـا، واشتراط المحـرم يشمل جميع أغراض السفـر، كالسفـر للسيـاحة، والترفيـه، والسفر للتعلم، والسفـر للحج والعمرة.

ويكتفى عند فقد الـزوج أو المحرم في السفر لحج الفـرض وعمرتـه بـالـرفقـة المأمونـة من النساء، ويلحق بحج الفرض وعمـرته كل سفر وجب على المرأة. ويستثنى من اشتراط المحـرم ومن الكتفاء بـالرفقـة المأمونة حـالات الحاجة والضرورة، كـالمرأة الأسيرة، والمهـاجـرة، أو المريضة التي لا تجد علاجا في محل إقامتها، أو المرأة التي تـوفي عنهـا زوجهـا أو محرمهـا في السفـر، فيجوز في هـذه الحالات السفر بـدون محرم، ودون الحاجة إلى رفقة مأمونة.

ولا يشترط أن يرافق الـزوج أو المحرم المرأة في إقـامتهـا في غير بلـدهـا إذا كـانت تأمن على نفسهـا ودينهـا، وإلا وجب عليه مصـاحبتهـا طيلة مدة إقامتها فيه.

الخروف الاسترالي والأضحية

● هل يجوز التضحية بالخروف الاسترالي في عيد الأضحى المبارك خاصة في حال كون هذا الخروف كاملا ولم يتم استئصال أي جزء منه وغير مصاب بأي مـرض. وما هو عمر الخروف المنصوص عليه شرعا بالنسبة للأضحيـة. وهل يجوز الاعتداد بالخروف الاسترالي كأضحية لعيد الأضحى المبـارك في حال كون هذا الخروف مستأصل منـه الذيل فقط أو جزء من الذيل؟

■ يجوز التضحية بالخروف الاسترالي إذا كان كغيره سليم البدن، وكـامل الأعضاء. وقـد اختلف الفقهـاء في سن الأجزاء في الأضحيـة إذا كانت من الضأن والذي ترجحه اللجنة: القول بأن سن الأجزاء هو سنة قمرية كـاملة، لأنه الاحوط، والأدنى والأقرب إلى القبول والمثـوبة، والله تعـالى يقـول: ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران:٩٢]. ولا تجزيء التضحية بالخروف الاسترالي الذي استؤصل ذيله، أو جزء من ذيله.

البيع أثناء صلاة الجمعة

● ما هو حكم بيع وقود السيارات في محطات البنزيـن التابعة لشركـة البترول الوطنيـة في وقت صـلاة الجمعة.. مع العلم أنـه يمنع على الموظفين إيقـاف الخدمة وقت صـلاة الجمعـة ومنعهم من الذهاب لأداء صلاة الجمعة مع محاسبة المخالف.

وإذا كـان الجواب بعـدم جـواز البيع يـرجى تحديـد وقت إقفال المحطـة هل يكـون مع الأذان الأول أو مع الأذان الثاني؟

■ إن تلبية النداء للمشاركة بصلاة الجمعة واجب على كل مسلم تلـزمـه الجمعـة، وان كل تخلف عنهـا من قبلهم أو اشتغـال بغيرهـا منهم كالبيع وغيره بـدون عذر حرام عنـد الجمهور إذا تم بعد النداء الثاني، لقول تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نـودي للصلاة من يوم الجمعة فـاسعوا إلى ذكـر اللـه وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغـوا من فضل اللـه واذكروا اللـه كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ [الجمعة:٩و١٠].

وترى اللجنة أن على الشركة أو صاحب المحطة أن يـؤمن العمل فيهـا خلال صـلاة الجمعـة عن طـريق من لا تجب عليهـم هـذه الصـلاة، فإن لم تجد فلتغلق المحطة.

كما ترى أن على العامل الذي تجب عليه صلاة الجمعـة أن يتوقف عـن العمل ويسارع إلى تلبيـة النداء الأول فور الأذان الثاني حتى نهاية الصلاة ما لم يمنعه من ذلك ضرورة مثل صرفه من العمل بسبب ذلك إذا لم يتيسر له عمل آخر.

حكم إسقاط الجنين

● رجل أكره زوجته على إسقاط جنينها بعد أربعة أشهر من الحمل. فما الحكم الشرعي الواجب على الزوج والزوجة؟ وإن وجبت الغرة فمن يدفعها وكيف تقسم؟

■ يحرم شرعا اسقاط الجنين إذا أتم الشهر الرابع (١٢٠) يوما، ما لم يتعين الإجهاض سببا لإنقاذ حياة الأم من خطر محقق من الحمل، سواء أكان الإسقاط برضا الزوجين أو بإكراه وإجبار، ويأثم الزوج بإكراه زوجته على إسقاط الجنين بعد الشهر الرابع من الحمل، ويجب على الزوجة الامتناع، ولا يجوز لها طاعة الزوج فيما أمرها به لأنه معصية.

وبالنسبة للحالة المسؤول عنها فإنه تجب الغرة على الأم التي أجهضت نفسها، وعلى الأب أيضا إذا أكرهها على ذلك إكراها ملجئا، كما تجب على من باشر الإجهاض، ويكونون جميعا مشتركين فيها، فإذا كان إكراه الأب على الإجهاض غير ملجيء لم يلزمه شيء من الغرة.

والغرة هي دية الجنين، وتقدر بنصف عشر دية الرجل وهي خمس من الإبل أو خمسون دينار (والدينار هو مثقال من الذهب يعادل ٤,٥ جراما تقريبا) ولا تختلف الغرة بذكورة الجنين أو أنوثته، هذا إذا خرج من أمه ميتا نتيجة للجناية، أما إذا خرج حيا حياة مستقرة ثم مات نتيجة للجناية فتجب فيه دية كاملة، لأنه قتل إنسان حي، ويحرم الأب المكره إكراها ملجئا والأم من الميراث لأنهما اشتركا في الإجهاض، وينتقل الميراث إلى من بعدهما.

حول السحر

● كثير من الناس يسأل عن السحر وحكمه، وهل السحر له اتصال بالجن، وهل يجوز تصديق السحرة؟

■ حتى لا يتأثر المسلمون بضرر السحر أو منافعه، قاوم الإسلام السحر والسحرة، وقال الله تعالى فيمن يتعلمون السحر: ﴿ ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ﴾، والرسول ﷺ اعتبر السحر من كبائر الذنوب التي تهلك الأمم والأفراد، جاء في حديث متفق عليه قوله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هي؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

ومن هنا اعتبر بعض الفقهاء السحر كفرا أو مؤديا إلى الكفر، وذهب بعضهم إلى وجوب قتل الساحر تطهيراً للمجتمع من شره، والظاهر أن السحر معصية من كبائر الإثم، وأن الساحر لا يقتل بسحره إلا إذا اعتقد أن السحر حلال، فيكون مرتدا، لا بسحره ولكن باستحلال ما حرم الله. وتجب الاستعاذة من شر أرباب السحر، قال تعالى: ﴿ ومن شر النفاثات في العقد ﴾، وفي الحديث: «ومن نفث في عقدة فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك».

ومن يقوم بعملية السحر إذا اعتقد أن الشياطين ينفعون ويضرون ويفعلون له ما يشاء فقد كفر، وإن اعتقد أنه تخيلٌ لا حقيقة له، لم يكفر. كما يرى ذلك المتقدمون من الأحناف. فلا يجوز مزاولة هذه المهنة، واللعب بعقول الناس لأكل أموالهم بالباطل كما يفعل بعض الدجالين والمشعوذين الذين راجت سوقهم في أوساط العوام، كما لا يجوز الذهاب إليهم وتصديقهم والاعتقاد بأن لهم قدرة على حل المشكلات، وعلاج بعض الأمراض، أو معرفة أماكن المفقودات. فقد توعّد رسول الله ﷺ من يؤمن بالسحر بقوله: «لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم». فالحرمة تشمل الساحر ومن يؤمن بسحره أو يشجعه ويصدقه، وتشتد الحرمة إذا كان السحر للضرر والتفريق بين المرء وزوجه، يجب الابتعاد عن هذا الميدان المحرم، ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾.

أفضلية الأضحية

● سائل يسأل عن الأفضلية في الأضحية، هل تكون في ارتفاع سعر الأضحية مع قلة عددها، أم تكون في كثرة عددها وقلة سعرها؟

■ وأجابت اللجنة بأن الأفضلية في الأضحية ما كان أطيبها لحما، وإذا تساوت القيمة في الأنواع تكون الأفضلية للأكثر لحما لما فيه من التوسعة على المضحي وأهل بيته وعلى الفقراء وسد حاجتهم.

مظنة الإفطار في رمضان

● أنا فتاة عندي مشكلة، لا أدري إن كانت وهما أم حقيقة أم شكا، والمسألة تتلخص في أنني يوما ما وأنا أدرس بالجامعة جاءتني فكرة أنني - وأنا صائمة في شهر رمضان - أكلت حلوى وأنا لا أدري، وأردت بعد ذلك أن أصوم شهرين متتابعين، ولكن العائلة منعتني من ذلك وخصوصا الأب الذي هددني بالطرد إذا صمت، وهذا حرصا على سلامتي لأنني أزن فقط ٤٠ كلغ وسني يبلغ ٢٥ سنة، وأنا دائمة التفكير في هذه المسألة وأخاف أن تؤثر على مستقبلي، وإذا لم أصم ربما أفقد عقلي رغم أنني قمت بصدقة ولكنها لم تشبع ستين مسكينا، فما هو الحل في نظركم وأجركم على الله، والسلام.

■ إن السائلة مادامت لم تجزم ولم يغلب على ظنها أنها أكلت فإنها على صومها، ولا شيء عليها، ولا بأس أن تقضي يوما بدل ذلك اليوم احتياطا، إذ انها لا كفارة عليها لدى كثير من الفقهاء، ولو تعمدت الإفطار بالأكل والشرب عليها قضاء ما تفطره.



بريد القراء

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين ولحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

اعلامنا ماذا يريد؟

من قديم وهذا الدين يتعرض حملات إعلامية مكثفة، تحديداً منذ أن هبط الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وأبتدأ حديث الناس عنه وعن الرسالة التي جاء بها، لكن كيف كانت تنظم تلك الحملات الإعلامية في هذه البيئة البسيطة، ولم تكن أخترعت هذه الأجهزة المعقدة الكثيرة التي يقوم عليها أي كيان إعلامي؟ إنه برغم هذه البساطة، وعدم الإمكانات المادية المتمثلة في الأجهزة التي يعتمد عليها الإعلام من تلفاز وإذاعة وجرائد يومية ومجلات دورية وغيرها، إلا انهم كانوا يفلحون في نشر الأخبار وأفشائها وترويجها بالسبل المتاحة لديهم ولكل عصر أدواته.

تشويه حقائق الدين لماذا؟

فقديما كان رؤساء وقادة قريش يجتمعون في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب، ولا يقضون أمرا إلا فيها، فيتفقون على ماسيذيعونه بين الناس من إشاعات مغرضة لإيقاف زحف الإسلام، والحيلولة دون وصول حقائقه نقية صافية، حتى لا يحدث لقاء بين الدين الحق والفطرة التي فطر الله الناس عليها، فيفرض هذا الدين نفسه على العقول، ويدخل الناس في دين الله أفواجا، وتسقط الطواغيت، وتتداعي الأنظمة القائمة عليها.لقد كانوا يقومون بنشر ما اتفقوا عليه من أحاديث الافك في منتديات الرجال والنساء على حد سواء وكانت أم جميل زوجة أبي لهب تمشي لمنتديات النساء فتفشي الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتعرضون لطرق الناس ينشرون تلك الأقاويل لصدهم عن هذا الدين، وإذا جاء الناس لموسم الحج جلسوا بينهم لإشاعة خبر ذلك الذي يدعى النبوة والاتصال بالسماء من دون الناس ثم إذ اقفل الناس عائدين إلى بلادهم حملوا معهم تلك الشائعات المختلفة على النبي صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن قوافل التجارة في ذهابها وإيابها كانت تحمل معها تلك الأخبار المثيرة، يؤنسون بها وحشتهم في أسفارهم الطويلة وهم يقطعون الفيافي والقفار، فانتشر ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الآفاق.

هكذا كانت تلك الحملات الإعلامية – إن جاز تسميتها بذلك – منظمة، فهناك خطة وبرنامج إعلامي، ثم أساليب لنشر الأخبار المراد إفشائها بين الناس، سواء على الصعيد المحلي أو الدولي

موقف مشركي مكة من الدعوة

وأسوق مثالا واحدا لما كانت تقوم به قريش من تعبئة إعلامية ضد النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته. يروي ابن هشام في سيرته أن المغيرة بن شعبة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: يامعشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيا واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا. قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقول به. قال: بل أنتم قولوا أسمع. قالوا: نقول كاهن. قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهّان فما هو بزمزمة الكاهن ولاسجعه. قالوا: نقول مجنون. قال: ماهو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه. قالوا: فنقول شاعر. قال: ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله. فما هو بالشعر. قالوا: فنقول ساحر. قال: ماهو بالسحر، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم، ولا يمر بهم أحد ألا حذروه أياه، وذكروا لهم أمره.

ولا شك أن هذه التدابير آتت أكلها، وأثرت في كل من أتى إليهم، حتى أضحى النبي صلى الله عليه وسلم حديث الناس في الجزيرة العربية. قال ابن إسحاق: وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام، فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها فبرغم عدم وجود تلك الأجهزة الدقيقة لنقل الأخبار عبر الأثير، كما نرى ذلك في إعلام العصر الحديث، إلا أن تلك الطرق البسيطة في نقل الأخبار، وأشاعتها عند العرب قديما كانت قوية ومؤثرة، حتى جعلت من النبي صلى الله عليه وسلم حديث الناس في أرض الجزيرة على اتساعها.

للإعلام الحديث نصيب من الكذب والافتراء

إن الإعلام الغربي الآن يقوم بنفس المهمة من الإساءة والتشويه لحقائق هذا الدين ويتبعه المتغربون من العرب، الذين تفرز أقلامهم وأفكارهم السموم في أجهزة الإعلام المختلفة، حتى إنه ليصل الأمر إلى التطاول الصريح على علماء المسلمين لاسيما القدامى منهم مثل: البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل والشافعي والطبري، فقد وصفهم أحد الكتاب

بأنهم علماء سلطة.. يفتون لقاء فتات الأموال من السلاطين! وآخر يتحدث عن سوءات التاريخ الإسلامي، فيصور للناس تاريخا مشوها، ومن ثم يتطاول على مسلمي تلك العصور، كان تاريخ أمتنا ليس فيه إلا الفتن وسفك الدماء.لم تتوقف الحملات الإعلامية على مقالات تنشر في جرائد أو مجلات أو برامج ثقافية تناقش قضايا الفكر على الساحة. بل يصل الأمر إلى ماهو أبعد من ذلك، لقد استغل الإعلام المسلسلات والأفلام لمواجهة الفكر المتطرف والأرهاب! ويالسوء ومايتحدث به عن التطرف.. إنه يصور مرة أحد الشباب المتدين والمتطرف، وهو ينقض كالوحش الكاسر على عربة لأحد الباعة المساكين يبيع عليها – خيار – ويبين للناس أنه فعل ذلك لأن الخيار حرام؟! ولا شك أن ذلك أدعاء كاذب ومحاولة للأساءة لشباب الصحوة الإسلامية، وتصورهم بأنهم على جهل كبير بهذا الدين، وأنهم متشددون إلى هذا الحد الذي يحرمون فيه الخيار. اذكر انه لما قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله للدعوة إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع والخرافات والالتزام بالسنة، قال بعض المنافقين إن هذا الشيخ يحرم الملوخية!، ولا شك أن هذه أمور أرادوا من ورائها الأساءة والتشويه لا غير، وإلا فمن أفتى من فقهائنا يوما بحرمة الخيار أو الملوخية؟ لكن الإعلام يروج للأباطيل، ويضخم السلبيات إن وجدت، كأن التوسط والاعتدال غير موجود في واقعنا. كنت يوما أعيب على الإعلام الهندي وهو يصور في أفلامه كل الجرائم يرتكبها المسلمون؟ ويكون السؤال عندما يسقطون في قبضة العدالة.. كيف تكون مسلما وتفعل ذلك؟ كأنه لا يوجد أحد يرتكب الجرائم على ظهر الكرة الأرضية إلا المسلمون. ألا وقد فعل ذلك بنو جلدتنا فلا أعيب على أعدائنا أن يفعلوا بنا ذلك.

الإعلام و الموضوعية

وعجبت لموقف إعلامنا عندما تطرأ التغيرات على مجتمعنا.. فعندما كان شبابنا يتدارسون الفكر الماركسي والشيوعي في معسكرات خاصة أقيمت لذلك، وتأثروا بذلك إلى حد كبير، في الوقت الذي كانوا فيه أجهل الناس بحقائق دينهم ودنياهم. كان إعلامنا يصف ذلك بأنه اتصال ثقافي وفكري وأنه ظاهرة صحية طرأت على المجتمع. ولما دبت اليقظة في قلوب أمتنا خاصة الشباب، وأحسوا بحنين لدينهم والتزموا الطاعة في ظلال هذا الدين، وجدنا إعلامنا يوجه أقلامه وأجهزته بألسنة حداد جزاء فعلتهم الشنعاء!

ويشتد التعجب من موقف إعلامنا تجاه أهل الفن العائدين إلى الله، فلما كانوا في غيهم يتساقطون، كان إعلامنا يتحدث عنهم على أنهم صورة مشرقة للفكر والثقافة والمظاهر الحضارية في عالمنا العربي. وكانوا يومئذ قادة الفكر وسادة المجتمع، يلقون بآرائهن في أي قضية تمس المجتمع سواء لهم فيها نصيب من العلم أم لا. فلما تابوا إلى الله، أنزلهم الإعلام من السماء فخسف بهم الأرض.. وأخذوا يختلقون الأكاذيب عليهم، لتنفير الناس منهم ومما عملوه! فمرة يصفهم بالعمالة لجهات أجنبية تمولهم ليعتزلوا الفن! وأخرى بأن منابع الموهبة قد جفت فآثروا العزلة، أو يهمل ذكرهم جملة وتفصيلا، أو يقوم بنشر أعمالهم الهابطة، كأنهم يتحدون من يترك طريق الفن ويعود إلى الله تائبا متطهرا. فهل هكذا يناقش إعلامنا المتطرف؟ وهل بذلك سيسهم في إعادة الشباب المتطرف للوسطية والاعتدال؟ أم أنها حرب شعواء على كل ماهو إسلامي سواء كان معتدلا أم متطرفا. لو أراد إعلامنا حقا القيام بدوره الصحيح من الإصلاح والتوجيه لا التمس الطرق السليمة المؤدية لذلك. وأشرف لهم أن يكونوا في خدمة الحق بدلا من أن يكونوا أداة لمواجهته والإساءة إليه وتقييمه، وأن يظهروا الحقائق للناس لا أن يزينوا الباطل وسوء العمل ليراه الناس حسنا ■

مجدي محمد حسن فتح الباب

ج.م.ع

معركة الشعر في سبيل الدعوة

كان دور الشعر ومكانته في سبيل الرسالة الإسلامية قد بلغ الذروة في الجهاد والنضال، من أجل رفع وإعلاء كلمة الحق. ولقد كان لهذا الدور مكانته الرفيعة العالية التي حققت الكثير من النصر للإسلام، والكثير من الدفاع ومن النضال في سبيله. ولقد أدركت قريش قيمة الكلمة المسموعة والمقالة المتداولة فاعتبروها وسيلة من وسائل الحرب وسببا من أسباب الظفر والنصر.. ولذلك صرفوا الكثير من الجهد والكد في الاهتمام بها. واستغلالها وتوجيهها. فعملوا على تحريض كثير من الشعراء ضد سيدنا رسول الله ﷺ ، وضد دينه الجديد بالنظر إلى ضراوة المعركة وشدة العداوة التي اعتملت في نفوسهم نحو هذا الدين ونحو رسول الله ﷺ ومن معه من الرجال الأفذاذ الصادقين في طاعتهم.

وهذا حسان بن ثابت مؤيد الدعوة الإسلامية وشاعرها يتمتع بمكانة عالية لدى سيدنا رسول الله ﷺ ، ولهذا فقد كان المشركون يتمنون لو كان حسان بن ثابت هذا في صفوفهم أو بين شعرائهم. وأخذ المشركون يشحذون هممهم للصد عن الدين الجديد بوساطة شعراء ينفرون الناس ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. كما نجد المسلمين أنفسهم من الصحابة يتمنون لو كان لهم إلى جانب حسان بن ثابت شاعر يماثله قوة وبلاغة وبيانا فتطمح أنظارهم إلى أمية بن الصلت ولكنه بعيدٌ عنهم فهو في الطائف. في قبيلة ثقيف تلك القبيلة التي تحالفت مع قريش مكة ضد سيدنا رسول الله ﷺ ودينه الجديد وهذا مالك بن زهير أيضا من فحول الشعراء تتجه إليه الأنظار أيضا ليكون أحد مؤيدي الدعوة الإسلامية.

لقد نشبت معركة شديدة الضراوة بين أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ وأعدائهم في سبيل الحصول على حيازة الشعراء إلى جانب فريق دون فريق.

وبذل الطرفان جهودا متواصلة في هذا الصدد وبفضل الله استجاب بعض الشعراء إلى الدين الجديد. بدافع الرغبة الصادقة.. واستطاعت قريش الإغراء بالمال وما سواه من الوسائل الدنيوية أن تحجب الحقيقة عن أعين شعراء آخرين حتى لا يميلوا إلى كفة الدين الجديد..

وفي هذه التيارات الجامحة هيأ الله لهم سيفا من سيوفه هو حسان بن ثابت الذي أيده الله عز وجل بروح من عنده وظل ينفح عن دين الإسلام ملهما من العزيز القدير في ركاب سيدنا رسول الله ﷺ وتأييد دعوته حتى انتصر الإسلام وانخذل أعداؤه في مهب الريح ■

ليلى أحمد حسنين حمامة –

ج.م.ع

بقلم: عمـــر فتـــال

الشجرة

– إذن اكتمـــل العدد..

بهذه العبـــارة نطق، وهـــو يطـوف بعينيــه بين زملائه، فـرك يديـه مبتسما ثم تقـدم نحو الباب. اقترب أكثـر.. توقف لحظـة قبل أن ينقر نقـرات فيها مـزيج من فـرحة كبيرة وحيـاء جلي.. التفت نحو رفقـائه، فإذا هم يبتسمـــون، وحينما سمعت حـــركـــة في الداخل، دنوا منه كما يدنو النحل من الزهر المتفتح! أرهفـوا السمع، وعلقوا أبصـارهم بـالباب، تـواصلت الحركـة فترة قصيرة، عندما بلغهم الصوت هادئا:

– من الطارق؟!

خفقت قلـوب الصغـــار في تتـابع، وهم يردون كما لو كانوا على اتفاق مسبق:

– ها نحن قـد حضرنا جميعـا ياسيـدنا الشيخ!

– حسنا انتظروني لحظة من فضلكم..

– سمعا وطاعة ياسيدنا..

ابتعـدوا خطـوات عن الباب، والفـرحـة تدغـدغ قلوبهم، تماما كما اعتـادوا منذ أن حل بالقرية فقد أحبوه من أعماق أعماقهم، وارتـاحـوا لمعـاملتـه معهم، واستأنسـوا بطـريقـة تدريسـه، لـذلك حينما طـالبهم بالمجـيء قبل سفور الصبح لم يتـوان أحد منهم في تلبيـــة الـدعـــوة، فمنهم من ركب صهوة الشجاعة، وقطع الطريق وحده دون مؤنس، وآخر صاحبه قريب من أقاربه إلى منتصف الطريق، وثـالث انضم إلى رفقائه وهم في طـريقهم إلى الكتـاب... استطالـوا لحظـة خـروجـه من بيتـه، فـاقتربـوا من بعضهم البعض، وبدوا كأنهم سرب انتهت به الرحلة إلي وكره المنشود.

وفي الوقت الذي فتح الباب، تقدموا نحوه مسرعين، لثمـوا يده اليمنـى واحدا واحـدا، وقـد ســارع كبيرهم إلى القـول نــاولني ياسيدني مفتاح باب الكتاب، إلا أن الشيخ بصوت رخيم وقور رد عليه:

– لا داعي إلى فتح البـــاب يـامصطفى، فأنا اليوم أريدكم في شيء آخر لهذا دعوتكم في هـذا الـوقت وسنعـــود بحـول اللـه إلى دروسنا فور انهائنا لعملنا..

تسمرت أقدام الصغـار وتابعت أعينهم الشيخ، وهو يخرج كيسامن بيته. ساد الصمت ليفسح المجال أمـام أصوات الصراصير المـــــزوجـــــة بنقيق الضفـادع، ونعيب الغربـان. سعل الشيخ، مرر يده على لحيته، وجال بنظـره بين الصغـــار، ومـا فتىء أن نادى في أدب:

– أين أنت يازكرياء؟!

– ها أنا ذا يا سيدي!

– ستحمل هـذا الكيس، وعندمـا تشعر بالتعب ناوله صديقا لك وهكذا.

تبـــادل الصغـــار النظـــرات، وهم يستسلمـــون لجحـافل من عـــلامـــات الاستفهام! أوصد الشيخ باب بيته قائلا:

– والآن أيكـــم أدري بأقـــرب طــــريق إلى الشجرة؟! رد أحدهم:

– أي شجرة تقصد ياسيدي؟!

– بـــالطبع الشجـــرة التي يسمـــونها الشجـرة العتيقة! وهل هنـاك من شجـرة غيرها؟!

اقترب منه زكرياء ضاحكا:

– تعني الشجرة التي على الربوة.

– نعم هي بـــالـــذات... أراد الشيخ أن يواصل كلامه حينما قاطعه مصطفى:

– أنا ياسيدي أعـرف الطريق إليها، فكم من مرة صــاحبت أمي، وجدتي إلى هناك؟!

– ولكن نريد أقرب طريق إليها، وبالطبع أسهلهـا، فكما تعلم فـأنـا ضعيف البصر، وضوء القمر الساعي إلى المغيب، شاحب..

– لا عليك يا سيدي!

– إذن تقـــــدم يــــا مصطفـى، وأنتم ياصغاري هيا بنا في نظام، وانتظام.

تحرك الجمع، وعـــادت معـه جيـــوش عـلامـات الاستفهـــام تـزحف إلى أعماق الأطفال، ومع مضي الوقت ، عبرت ذواتهم، لتخرج في شكل همسات متبادلة:

– قل لي ياعبد الكريم، لماذا هو ذاهب بنا إلى الشجرة العتيقة في هذا الوقت؟!

– لست أدري؟!..

– أنـا أعـرف مـاذا يريـد منـا سيـدنـا الشيخ؟!

– قل لي بالله عليك؟!

– إنـه يـريـد أن نتلقى بعض الـدروس هناك، فـالجو بجانب الشجـرة جميل كما يقولون؟!

– لا أظن، لو كان الأمر كذلك لذهبنا إليها بعد الزوال، وليس في الصبـاح الباكر.. إنه يـريد منـا أن نقضي النهـار بكـامله فـوق الربوة!..

– وأين هي الألواح والكتب والأقلام؟!!..

– إنها في الكيس الذي أمر زكرياء بحمله أولا!..

– وهل الألـــواح والكتـب تـــوضع في الأكياس؟!

– أجبني، لماذا سكت إذن؟!

– أنا أظن يا صالح أننـا سنقوم بزيارة للشجــرة ونفسي تحدثنـي بأن في الكيس أكلًا، لقـد حملته منـذ لحظات فهـو ثقيل بعض الشيء؟!

تـراجعت فلـول علامـات الاستفهـام، وعـادت الأنفـس تحلم بـزيـارة جميلـة للشجرة العتيقـة، لذلك عندمـا ولجوا باب السـور المحيط بها، صـاح أحـدهم في غبطة:

– ها هي ذي أخيراً..

وكاد البعض منهم أن يجري صـوبها، لكن الشيخ أوقفهم.. طالب بإحضار الكيس.. تناوله.. فتحه وفي الحال أخـرج مجموعـة فـؤوس، خفقت قلـوب الصغـار، وجحظت عيونهم لحظـة من الزمن.. دعا مصطفى فهرول صوبه.. أمره قائلا:

– وزّع هاته على زملائك..

استلم معظمهم مـا قدم لـه، وهم من جـديـد فـريسـة لجملـة تسـاؤلات. سـاد الصمت برهة قبل أن يقول الشيخ:

– أرأيتم يوم أمس، كيف كان الجو حارا داخل الكتاب في فترة مـا بعد الزوال، فعـرقل ذلك فهم درسنا، فلهـذا ارتأيت أن ندرس في الـذي يأتي من الأيام – بـالطبع خـلال الفترة المسـائيـة – في السـاحـة التي تقـع أمـام الكُتّـاب، فهناك الظل، لكن يجب علينـا أن نضـع لها سياجا، وبعـد تفكير، وجدت أننا في حاجة إلى أغصان الشجرة العتيقة، فهي كما ترون عاريـة من الأوراق، وصلبة بما فيها الكفاية، فلنبدأ عملنا باسم الله.. فأين أنت يـا مصطفى؟ تسلـق، وابـدأ بقطع الفروع وبعدها الأغصان لكي يسهل علينا الأمر عندما نريد قطع الجذع..

أحكم مصطفى قبضته على الفأس، أراد أن يتقـدم لكنه تـوقف حينما تجسدت لـه صـورة أمه وجـدتـه إلى جانب الشجـرة، فخفق قلبه، وجف ريقه.

– ماذا دهاك يا مصطفى؟!

– لا شيء، لا شيء!

من جـديـد أحكم قبضتـه على الفأس، حاول أن يتقـدم لكنه رأى أمـه تحذره من الاقتراب، وجـدتـه تـدعـوه إلى الابتعـاد، وأغصان الشجـرة أمامه تتحـول إلى أفواه وحـوش ضاريـة؟! حرك رأسـه.. أغمض عينيه.. تراجع إلى الـوراء، وما لبث أن قال في هلع:

– لا .. لا ياسيدي..

اقترب منه الشيخ، ربت على كتفه:

– تسلق بهدوء، وســوف لن تجد أدنى صعوبة.. فأغصانها..

– أنا خائف. خـائف لأنها ستعاقبني إذا أنا اقتربت منها، فهذا ما كانت تقوله لي أمي وجدتي أثناء زيارتي لها بصحبتهما!

ضحك الشيخ، وما عتم أن قال للصغار:

– أسمعتم كبيركم مـاذا قـال؟! قال إنـه خـائف ومن مـاذا؟ مـن شجـرة عـاريـة الأغصان، جافة الجذع؟!

تبـادل بعض الصغـار الضحك، قبل أن يصيح أصغرهم سنا:

– دعني يا سيدي أتسلـق، وسوف ترى ماذا سأفعل بهاتيك الفروع والأغصان!

دعا له الشيخ بالعافية، ثم أردف يقول:

– أسمعت يامصطفى ماذا قـال عزيزي سعيد، رغم أنه يصغرك بخمس سنوات.

نفذت العبارة إلى أعماق مصطفى، فحرك رأسـه تماما كما لـو أنه استيقظ من نـوم عميق، أحكم قبضته على فأسـه، فتلاشت صورة أمه وجدته، وبدت له الشجرة عارية الأغصان والفروع، حينها لم يدر كيف كبر بصـوت مجلجل.. تسلق في خفـة، فكبر الصغــار.. وفي الحال ردد الصـدى الضربات، وراحت الأرض تستقبل الفروع، وفي آثـرهـا الأغصـان.. فتشكلت الحزم واستسلم الجذع لهجمات الحديـد وأزيح التراب عن الجذور. فظهـر السور الطـويل المحيط بالـربوة التي كانت عليهـا الشجرة كعقـد ثمين ضاعت واسطتـه، وما كـادت الشمس تبـدأ مسيرهـا نحو كبـد السماء

حتى كـانت آخر الأغصان قـد اصطفت في ساحة الكتّاب.. تنفس الصغار الصعداء.

دعـا لهم الشيخ بالخير العميم.. أمـرهم بالالتحـاق بمنازلهم ضاربا لهم مـوعدا في حصة المساء.. تفرق الأطفال.. أدام الشيخ النظـر في الحزم التي أمـامـــه.. ابتسم.. أغمض عينيه ثم قال في شبه همس:

– الآن فليرتـح ضميرك يا عبـدالسلام.. فها هي الشجـرة التي طالما أرقتك، أمـامك في شكل حطب لا تنقصـه إلا النـــار عنـد حلـول فصل الشتاء.. فـلا قلق بعد اليـوم ولا توتر وأنت تراهم يقدمون لها الذبائح، ويقيمون حولها الـولائم، ويرفعون الأكف إلى أغصان عـارية لا تقـوى على مواجهـة هبات الـرياح القويـة، بالأحـرى أن تقاوم الشرور!! نعم يـا عبدالسـلام، لا أرق بعد اليوم، ولا خوف على دروسك بعد اليوم..

– ولكن.. مـاذا لو أن الصغـار اكتشفوا الحقيقة؟! ألا يعتبرون ذلك كذبا، ويا كثرة ما حذرتهم من خطر الكذب؟!

– لا عليك فأنا أعرف جيداً كيف أقنعهم، فيكفي أنهم أزالــوا مصـدر هـــذا الشرك الاكـ...

هم الشيخ بمـــواصلـة مهمتـــه، لكن أصواتـا تناهت إلى أذنيـه، وحركة غـريبة شملت الحارة بكـاملها.. ألقى نظـرة، فإذا جماعـة تنضـم إلى أخـرى، ولم تمض إلا دقـائق حتى كـــان جمع غفير من النســاء والـرجـال يقف عنــد أغصـــان الشجـرة المقطـوعة. الـزبد يعلـو الشفاه، والعيـون تقدح نارا، والألسن تجود بعبارات السخط العارم:

– ألم أقل لكم يـوم الـزيارة السنـويـة للشجـرة، إن وراء انعـزالـــه، ونظـراتـه، وحركاته، نية مبيتة؟!

– مـا هذا الـذي جنيتـه على نفسك وعلى القرية يا شيخ السوء؟!

– ياليتك قمت بهذا العمل الشنيع وحدك ولم يقم به صغارنا؟!

– أهذا الذي أثنيتم على أخلاقه، وعلمه.. أهـذا الـذي أوكلتم إليه أمـر تعليم فلـذات أكبادكم؟!

– أرأيتم غدره؟! الحمدلله أن الأمر وقف عند الشجرة، ومن يـدري فإنه كان يخطط لتحقيق مـآرب أخـرى وبمســاعـدة من؟ بمساعدة صغارنا؟!

تعـاقبت العبـارات الغـاضبـة في وتيرة متصـاعـدة، قبل أن تخفت رويـدا رويـدا لتفسح المجال أمامه:

– اتقـوا الله يـاعبـاد الله، فمتى كـانت شجـرة عاريـة الأغصان تحظى بكل هـذا التقدير؟! إن عملكم هذا هو الشــ...

من غير أن يكمل كـلامـه تلقفته عجـوز كانت تقف مستندة على عصا:

– احتفظ بكلامك فلسنـا في حاجـة إليه، واعلـم أنـك جنيـت على نفسـك، ولم يجن عليها أحد، فكثيرهم الذيـن ذكروها بسوء فقط، ولم يقطعـوهـــا كما فعلت يـا شيخ السوء، فلم يدر عليهم الحول..

قاطعها في هدوء:

– اتق الله يـا (أم الخير) إن ما تقـولينه يغضب الله سبــ...

من جديـد لم يكمل كلامه عندمـا قاطعه عجوز واقف إلى جوار (أم الخير):

– كـان لهذا الكـلام آذان تسمعـــه أمـا اليوم، فلم يعد يهمنـا أن نسمع مثله منك، فما قمت به غدر، غدر بنا وبأبنائنا وآبائنا وقبلهم أجـدادنا الـذين كـانوا على الـدوام حماة للشجرة العتيقة!!

– لا ينبغي أن يترك غـدره هـــذا بـدون عقاب.

– العقاب قادم لا محالة، أنسيتم ما حل بأم عبدالله، وعزوز وقبلهما مروان، عندما أساءوا التصرف في حق الشجرة العتيقة..

– هذا الشيخ خطر عليكم، وعلى أبنائكم.

– اطـردوه من القـريـة قبل أن يحل بها غضب الشجرة.

– ولم يحل بها وقـد أقـــدم على فعلتـه بنفسه؟!

– أنسيتم أن صغـاركم ساهموا في هـذا العمل القبيح؟!

– الـذنب ذنبـــه، فهل سبق لمعظمهم أن مس الشجرة بسوء؟!

حـــــاول الشيخ أن يتـــــدخل غير أن الاحتجاجات توالت من غير توقف..

– والآن لماذا هذا الـوقوف بـدون طائل، هيا ادعوه إلى مغادرة القرية.

– لا أشبعوه ضربا لكـي يعرف أن أبناء القرية لا يرضـون أن يساء إلى شجرتهم، ويتركون الأمر يمر هكذا بدون عقاب؟!

هدأت موجة الغضب لتستبد (أم الخير) بالكلمة، التفتت نحـو الجماعة، ثم قالت في هدوء جلي هذه المرة:

– لا عليكم فالعقاب نازل به لا محالة إن عاجلا أم آجلا..

– إذا كـان كـذلك ، فلينـزل بـه خـارج قريتنا، فلتطردوه إذن..

– ليس من شيمتنا طرد غريب استجار بنا..

– لكننا كلفناه بتعليم صغارنا..

– أرأيتم إذن ماذا علمهم؟!

– من اليوم امنعوا أبناءكم من الالتحاق بكتاب هذا الشيخ اللعين؟! وليبحث له عن وظيفة أخرى.

تصايح الجميع: عين الصواب..

خفق قلب الشيخ بقـــوة، وهـــو يسمع الجماعـة توافق على هـذا الرأي فقفـز من مكانه صائحا:

– اتقوا الله في أبنائكم، اتقوا الله يا ناس! إنكم بتصرفكم هذا تجنون عليهم..

أعاد عباراتـه مرات لكنه لم يحظ بأدنى التفاتة منهم، فقد سارت (أم الخير) صوب الحارة وفي أثـرهـا ســار الجميع، وبقي الشيخ إلى جـانب حزم الحطب الموضـوعة وسط السـاحـة، وكأنـه طـائر تخلف عن السرب.. كرت الأصبـاح في أثر الأصبـاح، وتوالت الأماسي في أثر الأماسي، كان الشيخ خـلالها يفتح بـــاب الكتـاب في الصبـاح، ويوصده في المساء دون أن يدخله أحد من الصغـار الـذين كـان يـراهم أو يسمعهم يملأون الحارة لعبا ومرحـا، فتدمع عيناه، وكثيرا مـا كـان يختلي بنفسـه بعيـدا عن الحارة، فيجد نفسه نهبـا لجملة تساؤلات تشكل في أعماقه:

– إلى متى ستظل هكذا يـا عبدالسلام؟! أليس من اللبـاقة أن تعتـذر لأهل القريـة جميعا على فعلتك الشنيعة هاته؟!

– لا. لا. ليست شنيعة؟!

– ولماذا لا ترحل إذن عن القرية؟!

– ولكن إلى أين؟!

– أرض اللـــه واسعـة! لا. لا. كفـــاني

تـرحالا، فصحتي لم تعـد تساعـدني على ركوب المجهول؟!

– وها هو بصري قد عشي؟!

– وإلى متى ستظل هكـذا عـالـة عليهم، فهاهم لا يكلمونك، والذين يأتونك بالطعام يقدمونه لك صـامتين من غير تحية! ولولا حبهم للكـرم، وإعـانـة المحتـاج لقضيت نحبك جوعا منذ شهر ويزيد؟! لا يعقل أن تستمر على هذا الحال.. ارحل، فأرض الله واسعة..

– ولكنهم سيعتبرون رحيلي تشتيتـا لشملي، وعقابا عاقبتني إياه الشجرة؟!

– لا لن أرحل، لا لن أرحل.. وماذا جنيت من بقـائك هـذا فهـا هم لازالـوا على إخلاصهم للشجرة المقطوعة، وربما أكثر من السابق..

– ألا يكـون قطعك لها قـد أتى بنتيجـة عكسيـة؟!.. فعلى الأقل اتصل بهم.. ادعهم إلى نسيانها..

– ولكنهم لا يكلمـونـني.. إذن أرحل فلماذا الرضى بكل هذا الهوان والذل؟!

– أي هوان هذا الـذي تتحدث عنه؟! ألم يكفك أنك تعيـش على هـامش الحارة، لا مـؤنس، ولا متحـدث، لا بل ولا عمل، فأي ذل يعدل هذا الذل؟

هكـذا كان يقضي جل أوقـاته. وفي أحـد الأيام، وبعـد عودتـه من خلوة استغـرقت معظم النهار، خفق قلبه بشـدة، وهو يرى أحجارا مختلفة الأحجـام، وأكوام تراب إلى القـرب من الكتّـاب، ولما دخل بيتـه آنست وحدته جملة افتراضات طيلة تلك الليلة:

– آن الأوان يـا عبـدالسـلام لترحل عن القريـة، فهاهم يقولـونها لك مباشرة، وإلا بماذا يمكن أن تفسر وجود هـاته الأحجار وأكـوام التراب؟ أم تـراك تصر على البقـاء حتى بعـد أن يتحـول الكتـاب إلى منـزل يقطنـه أحـدهم.. فإلى متـى ستخضع لسطوة تحديك الأعمى هذا؟! ارحل قبل أن تبدأ أشغـال البناء.. ارحل معززا مكـرما.. ولكنهم سيعدون رحيلي فرارا.. عقـابا من الشجـرة.. تشتيتا لشملي، وربما نسجـوا الحكايات حول هروبي، أو ادعوا موتي في مكـان الشجـرة، وتنـاقل ذلك الـركبـان، وعادت الـدرجة العليا للشجرة المقطـوعة، ولـلأرض التي كـانت عليهـا.. لا.. لا.. لن أرحل.. ومـا العمل إذا شرعـوا في البنـاء، وطالبوك، لا. بل أرغمـوك على الرحيل؟! قل لي ماذا ستفعل؟!

زفرزفـرة عميقة قبل أن يستسلـم لنوم متقطع. وفي الصباح بدون تردد يذكر شرع يجمع كتبه وحاجيـاته، وقد عزم على حمل عصا الترحال من جديـد! وبينما هو كذلك، فوجـىء بأربعة أطفـال يلجون بـاب بيته، عقدت الدهشة لسانـه، وهو يراهم يلثمون يده اليمنى في حرارة، تلعثم أحدهم قليلا ثم قال:

– لقد سئمنا يا شيخنا اللعب المتواصل؟!

تلقفه آخر:

– لقـد اشتقنـا إلى الكتّـاب والـدروس!!

وقال ثالث بصوت باك:

– نريد أن ندرس..

– ومـاذنبي أنـا ؟ الـذنب ذنب ذويكم، ولتعلمـوا أنهم لـو رأوكم هنـا فإنهم سيعاقبونكم.. فلتعـودوا إلى منازلكم، لأنه يؤلمني كثيرا أن أتسبب لكم في عقاب لا قدر الله.

– لا تخف ياسيدي إنهم منشغلون.

– إنهم يذهبـون كل يوم إلي حيث كـانت الشجرة العتيقة. وقبل لحظات رآني أبي في الطـريق إلى الكتّـاب، ومع ذلك لم يأمـرني بالعودة إلى المنزل..

حـدث الشيخ نفسه: مـاذا يدور حـولك يـاعبـدالسـلام؟! إن الأمـر لا يـدعـو إلى الارتياح؟! هـا هم عادوا إلى مكـان الشجرة وأنت بينهم.. ماذا يارب، أهي عودة مظفرة لـلأرق وأوجـاع الـرأس؟! ألم أقل لك إن قطعك لها لن يزيـدهم إلا حبا لها وإصرارا على تبجيلهـا! قطـع عليـه أحـد الصغـار شروده قائلا:

– سيأتي أبناء عمي بعد لحظات..

– وكذلك الشأن بالنسبة لأبناء خالتي.

عندما أشرقت شمـس اليوم التالي التحق أغلب الأطفـال بالكتـاب، فـدرسهم الشيخ تـدريس الخائف المترقب لشر.. تـرادفت الأيام، فبدأ روعه يهدأ طيلة فترتي الدراسة بعدمـا أخذت الأمور داخل الكتّـاب شكلها العـادي، لكنه في أحـد الأماسي، وبينما هـو يلقي أحـد دروسه، فـوجىء بجماعـة من سكان القـرية تتقـدم نحو الكتـاب.. خفق قلبـه بشدة، واقترب الصغـار من بعضهم البعض، وتعلقت أعينهـم بأعين شيخهم.. تمتم بكلام غير مفهـوم. وصل الجمع حيا الشيخ والصغـار قبـل أن يقـول أحـد القادمين مبتسما:

– يبـدو أننـا يا شيخنـا تصرفنـا نفس التصرف الـذي تصرفت قبل ثـلاثة أشهـر خلت.

ملأ الاستغراب قلب الشيخ، فاقتصر على النظر إليهم وهم يتحدثون واحدا واحدا:

– إذا كنت قـد قطعـت الشجـرة في أول الصباح، فنحن أزلنـا السور طيلـة النهار. وإذا كنت قد نقلت الأغصان والجذع في أقل من يـوم فنحن نقلنـا أحجار السـورمـدة يومين كاملين.

– وإذا كنت قـد عزمـت على بناء سيـاج لساحة الكتاب بأغصان الشجرة فقد بنينا بالأحجار بيوتـا لضعفائنا. وسنبني سورا لهاتـه السـاحـة، فـالأحجـار أقـوى من الأخشاب أليس كذلك يا شيخنا العزيز؟!

– واليوم فقط أنهينـا حرث الأرض التي كانت عليها الشجرة العتيقة.

– يبقى أن تسمح لنـا على كل إسـاءة صدرت منا في حقك، فقد بين لنا صبرك على المكروه، وحبك لصغارنا، وللكتّاب، وغيرتك علينـا، ورغبتك الصـادقة في إبعـادنـا عن الشرك الأكبر الذي كنا غارقين فيه، كل ذلك بين لنا أننا أخطأنا في حقـك.. فاسمع لنا يا شيخنا الوقور!!

ابتسم عبـدالسلام، وقـد ذرفت عينـاه الدمـوع، وما عتم أن عانق محدثيـه واحدا واحـدا، فيما تبـادل الصغـار ضحكـات بريئة.. انصرم الخريف، لحقه الشتاء، وفي أثره الربيع. وحينما لاحت تباشير الصيف، اعتاد الشيخ أن يخرج الصغـار إلى ساحة الكتّاب، فيتحلقون حوله، ويشرع يدرسهم بجد وإخلاص، إلا أنـه في ذلك اليوم كانت السـاحـة غاصـة لا بالصغار وحـدهم، بل بعـدد من رجـال ونسـاء الحارة.. الشيخ يشرح، ويفسر، ويعطي الأمثلـة، وعيـون الحاضرين تدمع بما فيها عينا العجوز (أم الخير).. وعند الأفق الشرقي القريب تظهر الربـوة التي كانت عليها الشجـرة العتيقة، وقد تسربلت بسربال قشيب في لون الذهب الصافي ■

ثمـــــرات المطـــــابع



● الإعلام والتنمية في الوطن العربي

○ تأليف: الزبير سيف الإسلام
○ نشر: المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر

يشهد وطننا العربي نهضة إنمائية في شتى المجالات العمرانية والاقتصادية والثقافية والعلمية، وحول هذه المواضيع وغيرها تعقد ندوات فكرية، وحلقات بحث دراسية، وملتقيات فكرية لرواد الفكر والقلم.. فما يمر شهر إلا ويعقد لقاء في مكان من الوطن العربي، وكيفما كان نوع اللقاء فإن موضوع الاعلام والتنمية يفرض نفسه على المشاركين فرضا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. وهكذا فقد تجاوزت هذه اللقاءات المئة بكثير، خلال العشر سنوات الماضية، ولو أرّخنا لأعمالها، وجمعنا توصياتها لأمكن لنا أن نجمع عشرات المجلدات.. ويتضمن الكتاب بعض المحاضرات التي ساهم بها الكاتب في دورات للصحفيين العرب، أو ندوات لأساتذة الفكر الاعلامي والتنمية في الوطن العربي.. وتتضمن أفكارا وآراء حول وسائل الاعلام الجماهيري والقضايا السكانية والانمائية، وعلاقة هذه بتلك، ودور وسائل الاعلام في عملية التنمية الشاملة في الوطن العربي..

وتضمن الكتاب الفصول التالية: لمحة عن تاريخ الصحافة في العالم، والمسألة السكانية، والإعلام والتنمية في الجزائر، والإعلام والتنمية في الوطن العربي، وحوار حول الإعلام والتنمية، والتكتلات الاقتصادية والأمن الغذائي.

● تسييس المنظمات الدولية المختصّة

○ تأليف: د. مصطفى سلامة حسين
○ نشر: الدار الجامعية - القاهرة

تلعب المنظمات الدولية المتخصصة دورا هاما في تحقيق التعاون الدولي في جوانبه غير السياسية، والذي يشمل المسائل الاقتصادية والاجتماعية والصحية والثقافية والتعليمية..

وتكتسب نشاطات المنظمات الدولية المتخصصة؛ من سلوكية متمثلة في الاتفاقات والقرارات، وعملية متمثلة في المساعدات المختلفة؛ أهميتها في شمولها وتغطيتها كل الدول، وكافة أوجه الاهتمامات الدولية والوطنية، فيفترض لعمل هذه المنظمات، وبحكم انها متخصصة؛ أي ذات طبيعة فنية؛ إبعاد الاعتبارات السياسية عنها، سواء فيما يتعلّق بأهدافها أو عضويتها أو نشاطاتها..

إن متابعة متأنية ومتعمّقة للمنظمات الدولية المتخصصة تبين خضوعها لظاهرة تعتريها وتعرقل من حركتها تتمثّل فيما يطلق عليه التسييس، ويقصد بالتسييس إدخال اعتبارات سياسية خارجية على النشاطات المتخصصة للمنظمات المذكورة..

والكاتب وهو أستاذ القانون الدولي العام المساعد بجامعتي الاسكندرية وبيروت العربية يسعى إلى التعرف على ظاهرة التسييس في المنظمات الدولية المتخصصة من أجل تلمّس آفاق المستقبل المتاح أمام هذه المنظمات في المرحلة الجديدة من مراحل العلاقات الدولية..

ويركّز في بحثه على الجوانب القانونية للتسييس ذات الصلة الوثيقة بالمنظمات الدولية المتخصصة. ومن أجل دراسة ظاهرة التسييس تعرّض الكتاب في مباحثه الأربعة: لمظاهر التسييس، وأسبابه، وحقيقته، وآثاره.

● كنت ابنا لصدام

○ تأليف: كارل فينديل، ١٩٩٤م

كتاب جديد للصحفي النمساوي (كارل فينديل) يتحدث فيه عن الأساليب القمعية والجرائم التي ارتكبها عديّ صدام حسين، مستعرضاً قضية العراقي الكردي (لطيف يحيى) الذي قام خلال ٤ سنوات (ما بين ١٩٨٧ وحتى أواخر ١٩٩١) بمهمة (الشبيه والبديل الفدائي) لعديّ..

وقد أكد المؤلف انه قام بتحريات وتحقيقات لدى المخابرات النمساوية، ودوائر كردية، والسفارةالأمريكية في فيينا تبين له من خلالها صحة كلام (لطيف يحيى)..

يبدأ الكتاب باستعراض الظروف التي تعرّف فيها صاحب القصة على عديّ صدام حسين، وكيفية تجنيده في المخابرات العراقية للقيام بدور البديل والفدائي لعدي بعد التعرض لبعض عمليات التجميل البسيطة في أنفه وفكه ليكون الشبه كاملاً. كما يتطرق الكتاب وبالأسماء إلى الجرائم العديدة التي ارتكبها عديّ خلال فترة استخدامه (لطيف يحيى) بديلاً له، وخاصّة جرائم اختطاف البنات من الجامعات والشوارع واغتصابهنّ قبل قتلهن، وأن النساء المتزوجات لم تسلمن من تلك الجرائم.

● الكشاف الموضوعي لأحاديث صحيح البخاري

○ إعداد: محيي الدين عطية
○ نشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٢م

لقد ظهرت في المكتبة الاسلامية؛ في العقدين الاخيرين؛ محاولات جادة لفهرسة كتب السنة النبوية، طبقا لأوائل الأحاديث، او طبقا لجذور الكلمات الدالة الواردة في المتون، وقد قدمت هذه الفهارس خدمة كبيرة للباحثين، إلا أنها اقتصرت على من يحفظ في ذاكرته شيئا من الحديث، في أوله أو في وسطه. ولم تقدم كثيرا للذين يبحثون عن أحاديث لا يعرفونها، لتخدم موضوعا يدرسونه ويجمعون ما قيل حوله من قريب أو بعيد، ويحاولون أن يربطوا بينه وبين مصادر الإسلام الأساسية لمعرفة ما قد يكون من علاقة دلالية بينها كخطوة أولية نحو بناء العقل المسلم القادر على استنباط المعرفة الاجتماعية والانسانية من مصادرنا الاسلامية.
وهنا يأتي دور (الكشاف الموضوعي)، حيث يدل الباحث على مواطن الأحاديث التي تدور حول موضوعه، سواء كان يحفظ منها شيئا أو ليس له من الحفظ نصيب.. والكتاب الذي بين أيدينا محاولة مسح شامل لأحاديث صحيح البخاري، قام معدّه بتصنيف الأحاديث على رؤوس الموضوعات التي استقاها من النصوص نفسها، ثم رتب هذه الرؤوس في كشاف هجائي ميسّر، وبيّن رقم الحديث المسلسل في (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، كما بيّن موطن الحديث في الكتاب والباب الذي ضمه في الصحيح، مع بيان أطرافه ومكرراته المختلفة.

● الجيوبوليتيكا المعاصرة (مناطق الصدام)

○ تأليف: شارل زورغبيب
○ تعريب: عاطف علبي
○ نشر: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق – بيروت، ١٩٩٣م

تكمن أهمية هذا الكتاب في البرهنة على استمرارية ضرورة الأخذ بالجيوبوليتيكا في ظروف العالم المستجدة، ولذلك أصاب المؤلف في تسميته (الجيوبوليتيكا المعاصرة) وإضافة (مناطق الصدام) إلى التسمية، فأعطاه البعد العلمي في الشمولية الجغرافية، كما أن المؤلف طرح الموضوع في منتهى البراعة بشموليته الكونية، وبربط الجغرافيا بالتاريخ، ولو بشكل غير مرئي تقريباً..
وقد طرح الكتاب عشر قضايا، مشاكل حامية لم يحصل الحل النهائي لمعظمها بعد، ولا تزال مادة حية للتاريخ الحديث، وبالتالي لا يزال الكتاب يمثل مرجعا لا غنى عنه للسياسي والعسكري، لرجل الدولة ورجل الاستراتيجيا في آن معاً.

● الانتقال إلى الحكم الذاتي الفلسطيني

○ إعداد: مجموعة باحثين
○ المؤلفة الرئيسية: أن موسلي ليش
○ ترجمة: نهلة الخطيب
○ مراجعة: أحمد خليفة
○ نشر: مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت، ١٩٩٣م

تقرير أعدته مجموعة دراسية تتألف من باحثين فلسطينيين وإسرائيليين وأمريكيين، يبحث في قضية السلام بين العرب واليهود، ويقترح حلولا تختلف باختلاف موقع واضعيه ووجهات نظرهم، .وهو يتناول – بصورة خاصة – الحكم الذاتي الفلسطيني من منظور عملي يهدف إلى تحديد ما يسميه (القضايا الصعبة) التي تعترض تطبيق الحكم الذاتي، والتي تندرج تحت عناوين: المؤسسات المدنية والسياسية، والأمن الخارجي والداخلي، والمسائل الاقتصادية والموارد.

● سنن الأوزاعي (أحاديث وآثار وفتاوى)

○ تصنيف: مروان محمد الشعّار
○ نشر: دار النفائس – بيروت، ١٩٩٣م

للإمام الأوزاعي في ذمة اهل العلم ديْن أراد المؤلف إيفاءه حقه بالكتابة عنه حيث ضاعت كتبه وكتب مريديه، ولم يبق من أقواله إلا ما ذكرته مصادر العلماء الأخرى ككتاب (الأم) للشافعي و(اختلاف الفقهاء) للطبري. فأفرد؛ تحقيقاً لذلك؛ كتاباً سماه (الأوزاعي إمام السلف) ثم تتبع أقوال الأوزاعي وجمع معظم ما يتعلق بترجمته وما رواه من أحاديث وآثار أو أفتى فيه أو أبداه من رأي، ورتب القسم الأخير على كتب الفقه في هذا الكتاب الذي سمّاه (سنن الأوزاعي) عازياً إياها إلى مصادرها، وألحق بها فهارس مساعدة..
ومن أبوابه: كتاب الخلق، كتاب بدء الوحي، كتاب الإيمان، كتاب العلم، كتاب الطهارة، كتاب الحيض والاستحاضة، كتاب الغسل، كتاب الوضوء إلخ..
والكتاب إضافة مهمّة إلى المكتبة الفقهية الإسلامية، وإحياء لعالم أهل الشام المجتهد الذي بز أقرانه وكان له مواقف في الدين والسياسة يشهد لها التاريخ.



حديقة الوعي

اعـــداد : حســـــين العتيـــــبي

أعرابي أبكى عمر!

قيل إن أعرابيا وقف على عمر بن الخطاب فقال:

ياعمر الخير جزيت الجنة
اكس بنياتي وأمّهنه
وكن لنا في ذات الزمان جنة
اقسم بالله لتفعلنه

فقال عمر: وان لم أفعل يكون ماذا؟
قال: إذا أبا حفص لأمضيه.

فقال: فإن مضيت يكون ماذا؟

قال:
والله عنهمن لتسألنه
يوم تكون الأعطيات منه
وموقف المسؤول بينهنه
أما إلى نار واما جنة

فبكى عمر حتى اخضلت لحيته، ثم قال لغلامه: يا غلام، أعطه قميصي هذا لذلك اليوم الرهيب لا لشعره. والله لا أملك غيره.

مشاورة

شاور سواك إذا نابتك نائبة
يوما وأن كنت من أهل المشورات
فالعين تبصر مادنا منها ونأى
ولا ترى نفسها إلا بمرآة

مفاهيم وحقائق

وما بعض الاقامة في ديار
يهان بها الفتى إلا بلاء
وبعض خلائق الأقوام داء
كدا البطن ليس له دواء
يريد المرء أن يعطي مناه
ويأبى الله إلا ما يشاء
وكل شديدة نزلت بقوم
سيأتي بعد شدتها رخاء
ولا يعطي الحريص غنى لحرص
وقد يمنى على الجود الثراء
وليس بنافع ذا البخل مال
ولا مزر بصاحب السخاء
وبعض الداء ملتمس شفاه
وداء النّوْك (١) ليس له شفا

(١) النوْك: الحمق.

ألف حازم

قيل لرجل من قبيلة عبس: ما أكثر صوابكم؟
قال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد، فنحن نشاوره، فكأنا ألف حازم.

أمثال وحكم

* لسان النصيح فصيح.
* ليكن قرينك من يزينك.
* من قصر أمله، ظهر عمله.
* حد العفاف، الرضى بالكفاف.
* من أكثر اسقط.

انتبه

إلى متى تتمادى في الغفلة كأنك قد أمنت عواقب المهلة، عمر اللهو مضى وعمر الشبيبة انقضى، وما حصلت من ربك على ثقة بالرضا، وقد انتهى بك الأمر إلى سن التخاذل وزمن التكاسل، وما حظيت بطائل.

اتــــــــــق الظلـــــــــم

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال:
ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا. ياعبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. ياعبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. ياعبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم. ياعبادي أنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم. ياعبادي انكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئا. ياعبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منك ما نقص ذلك من ملكي شيئا. ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل في البحر. ياعبادي إنما هي أعمالكم احصيها لكم ثم أوفيتم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله عز وجل.. ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

أدرك قــومك

يقال: انه أقبل رجل على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال: ما أسمك؟ فقال الرجل: شهاب من حرقة. قال: ممن؟ قال: من أهل حرة النار. قال: وأين مسكنك؟ قال: بذات لظى. فقال له (رضى الله عنه): أدرك قومك فقد احترقوا، فكان كما قال.

من حكم لقمان

– ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواضع: الشجاع عند الحرب والحليم عند الغضب وأخوك عند حاجتك إليه.
– ثلاثة ليس فيهم حيلة: فقر يخالطة الكسل، وعداوة يداخلها حسد ومرض يمازجه هرم.
– لا ينبغي للاصاغر أن يتقدموا الأكابر إلا في ثلاث مواطن إذا ساروا ليلا، أو خاضوا سيلا، أو واجهوا خيرا.

حكم وخصال

قال الحسن بن سهل:
– ثلاثة أشياء تذهب ضياعا: علم بلا عمل، وقدرة بلا فعل، ومال بلا بذل.
– لا ينبغي للعاقل أن يسكن بقعة ليس فيها وواهل من خمسة: سلطان حازم، طبيب عالم، قاض عادل، نهر جار، سوق قائم.
– من كرم المرء خمس خصال: ملكته للسانه، وإقباله على شأنه، وحنينه إلى أوطانه، وحفظه لقديم اخوانه.

من تجارب الحياة

* حسبك من شر سماعه.
* حيلة من لا حيلة له الصبر.
* الدال على الخير كفاعله.
* لم يهلك من مالك ما وعظك.
* لا جماعة لمن اختلف عليه.
* رضا الناس غاية لا تبلغ.
* الصمت حكمة وقليل فاعلة.

الاصــــلاح

ليست صفة الإصلاح في ان تقول للمخطىء إياك والخطأ، ولكن المهارة أن تهيء له مجتمعا، وترسم له طريقا يعينه فعلا على الإصلاح.

نفسك أولا

ياواعظ الناس قد أصبحت متهما
إذا عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهن بالوعظ مجتهدا
والموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها
وأنت أكثر الناس رغبة فيها

الحقيقة

الحقيقة كشعلة اللهب مهما ضربت على رأسها لا تنحني هامتها من شدة الضرب بل تأبى الا الارتفاع في تحد وكبرياء لكل الأدعياء.

هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

الإسلام هو الأمل

ظاهرتان خطيرتان تجتاحان العالم هذه الايام، والناس إمّا لاهٍ وإما غير مكترث مع أن أخطارهما ستصيب كل الأمم في عصر الاتصالات التي قرّبت البعيد وجعلت من العالم قرية صغيرة..

فقد كشفت مؤخرا (منظمة العمل الدولية) التي تتخذ من (جنيف) مقراً لها؛ عن أخطر أزمة بطالة على النطاق العالمي الشامل لم يسبق لها مثيل منذ الثلاثينات، وأورد التقرير حقائق تؤكد تجاوز الرقم الرسمي للبطالة على مستوى العالم بنسبة ٣٠٪ للمرة الأولى منذ بضعة عقود، هذه هي الظاهرة الأولى؛ وأما الثانية فقد أعلن (مدير برنامج الأيدز العالمي) أن مرضى الأيدز تجاوز عددهم اليوم ١٥ مليون رجل وامرأة وطفل موزعين على مختلف دول العالم، ومن المنتظر أن يتراوح الرقم ما بين ٣٠ - ٤٠ مليون عام ٢٠٠٠م، مؤكداً أن المرض سيواصل انتشاره خلال العقدين القادمين من القرن المقبل دون أن تلوح في الأفق المنظور أية بارقة أمل في التوصل إلى علاج له..

فالعالم يئن ويتوجع ويتألم، والعاصفة قد لا تبقي ولا تذر، وقد تأكل الأخضر واليابس، والخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات يسري في كل مكان سريان النار في الهشيم، والدواء الشافي لهذه العلل والأمراض موجود عندنا، نحن المسلمين، ألم يقل سبحانه وتعالى: ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾..

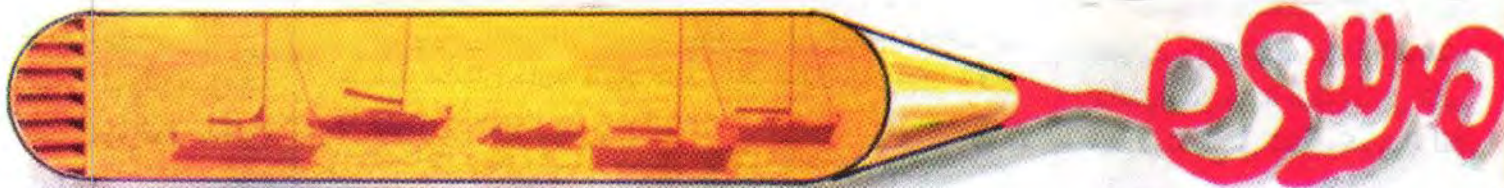
وكلمة (الإصلاح) ههنا تشمل الأخوة الانسانية، وتعني الكرامة، ومحاربة الجوع والذل والبطالة الضياع والانحراف إلى آخر قائمة المصطلحات الاسلامية الراقية.. والإسلام يصوغ هذه المصطلحات في قوانين ضابطة لأحوال الأمم..

ونحن هنا لا نلوم الغرب أو الشرق لأنه لم يأخذ بهذا الحل، وإنما نلوم أنفسنا نحن المسلمين، لأننا فشلنا في إيصال ما نريد للآخرين.. لقد وضع الله للعالم نظاماً جيداً يكفل له سعادته في الدنا والآخرة: ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾..

أبعد هذا؛ هل يجوز لنا أن نشكو ونتألم إذا حصدنا المر من آثامنا وشرودنا عن الصراط القويم؟ ولم يخاف الغرب من الأيدز أليست صحف الجنس تملأ الشوارع والمكتبات؟ أليست أفلام الخلاعة تعرض علناً في دور السينما: ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾، ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ﴾..

إن ضعاف النفوس ممن لم يرسخ الايمان في قلوبهم يبكون ويتشاءمون من الحالة التي وصل اليها العالم اليوم اما كبار النفوس - ولن يخلو منهم عصر من العصور - فسيظل الأمل يراود نفوسهم، لأن الاسلام الذي لا يعرف الحدود الضيقة هو العلاج الشافعي والميراث الحضاري والرسالة العالمية الانسانية ■

بقلم: تمام أحمد





وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية
ادارة الافتاء والبحوث الشرعية
سلسلة الرسائل التراثية ٧

قرة العين
ببيان أن التبرع لا يبطله الدين

لابن حجر الهيتمي
٩٠٩ - ٩٧٤هـ

تحقيق
الشيخ عز الدين محمد توفي
باحث علمي بادارة الافتاء والبحوث الشرعية



وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
الإدارة العامة للافتاء والبحوث الشرعية

أعمال موسوعية مساعدة
(الفهارس والمعاجم الفقهية)
(٩)

فهرس
منار السبيل
في
شرح الدليل

للشيخ إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان الحنبلي

فهرس تحليلي لكتاب
منار السبيل في شرح دليل الطالب لنيل المطالب

صدر حديثا

- فهرس نيل المآرب بشرح دليل الطالب
- فهرس منار الدليل في شرح السبيل
- قرة العين ببيان ان التبرع لا يبطله الدين

وزارة الاوقاف الشؤون الإسلامية
الإدارة العامة للإفتاء والبحوث الشرعية

أعمال موسوعية مساعدة
(الفهارس والمعاجم الفقهية)
(١٠)

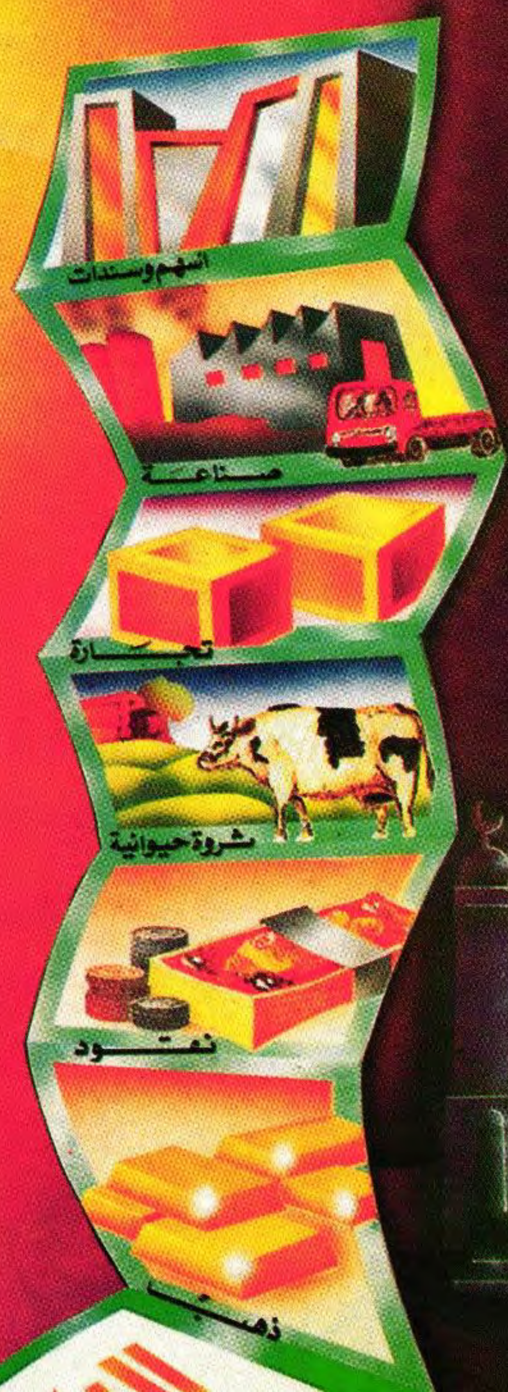
فهرس
نيل المآرب
بشرح
دليل الطالب

للشيخ عبد القادر بن عمر الشيباني المشهور بابن أبي تغلب الحنبلي

فهرس تحليلي لكتاب
نيل المآرب بشرح دليل الطالب

زكاة أموالكم

2.5%







بالزكاة والخيرات نحقق الكثير

بيت الزكاة



هديتك مع العدد
براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

ALWEI AL-ISLAMI

اسلامية شهرية جامعة

العدد٣٤٣، السنة الثلاثون، ربيع الاول ١٤١٥هـ - اغسطس (آب) ١٩٩٤م

ميلاد أمة ورسالة في ميلاد رسول

العلامة الإسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالي:
المسلمون في أسوأ أيامهم ولكن:يوم الإسلام .. قادم!

مقدار الزكاة

لِمَالِكَ وَحُلِيِّكَ

%2.5



إذا حال عليها الحول
سنة قمرية

للإستفسار : ٥٦٢٢٢٢٤

بالزكاة والخيرات  نحقق الكثير

الوعي الإسلامي

AIWEI AL-ISLAMI

اسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

الوعي الاسلامي- العدد ٣٤٣ - السنة الحادية و الثلاثون - ربيع الاول - ١٤١٥ هـ / اغسطس - آب- ١٩٩٤م

هاتف:

بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)

داخلي(١٠٠٥)

فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

كلمة العدد

الذكرى الرابعة للغزو العراقي الغاشم

مرت منذ أيام على الكويت الذكرى الرابعة للغزو العراقي الغاشم، واثار هذه الأزمة وإفرازتها على أمتنا المسلمة لازالت قائمة تخيم عليها سحب داكنة، بل إن هذه السحب ازدادت سواداً واتسع الخرق على الراتق بتمزق الأمة من جديد وفي أكثر من موضع من أرجاء عالمنا الإسلامي الكبير، ففي الصومال وأفغانستان واليمن حروب ونزاعات دامية حصدت الأخضر واليابس وزادت من آلام الأمة وتفككها والأمل الذي كان يراود الكثيرين بتجاوز أزمة الخليج ذهب سراباً كأن الظمآن يحسبه ماء، فأسباب التوتر لازالت قائمة، والمئات من أبناء الكويت لازالوا مرتهنين في سجون بغداد، وحمى العصبية والأهواء والمصالح الذاتية لازالت تعلو فوق مصالح الأمة العامة، ولغة الحوار والتفاهم معطلة حلت محلها لغة السلاح والقنبلة والصاروخ والمدفع

ما أحرانا في ذكرى نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – أن نؤوب إلى رشدنا نستلهم من كتاب ربنا وسنة نبينا طريق الخلاص من هذا الواقع، كي نعيد مجدا تهدم، ونرد عدواً توغل، وعندها يفرح المؤمنون بنصر الله ويستظلون برحمته وعدله ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ الحج/ ٤٠

الوعي الإسلامي

المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت

كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097 KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT.: 1005 - FAX: 965-2431740

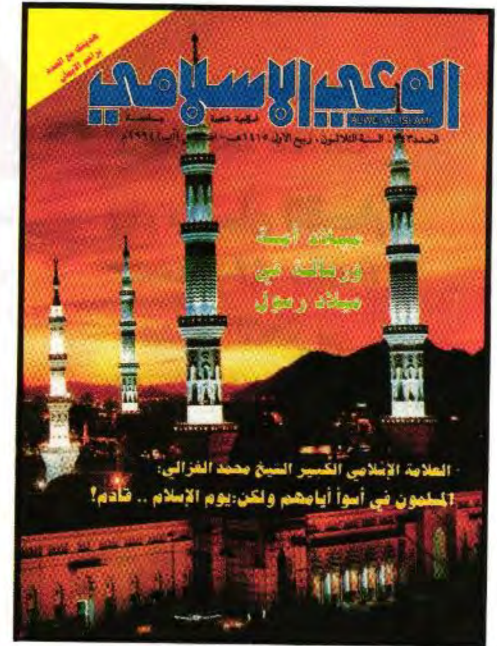
الاشتراكات

الاشتراكات: ــ داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها) ــ للموسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ بقية دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ــ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتاً(أو مايعادلها) * ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي –الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية) وكيل التوزيع: الشركة السعودية للتوزيع * الكويت : ص.ب : ٢٩١٢٦ ـ الصفاة (١٣١٥٠) هاتف:٤٧٢٤٧٧٧ ـ فاكس: ٤٧٢٤٥٥٥ * الإدارة العامة، المملكة العربية السعودية، ص.ب : ١٣١٩٥ ــ الرمز البريدي، جدة ٢١٤٩٣ هاتف: ٦٥٣٠٩٠٩(١٢خط) ـ فاكس: ٦٥٣٣١٩١

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠فلس ـ ج.م.ع ٥٠ قرشا ــ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ــ الجزائر ٥ دنانير ــ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ــ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ــ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما.

أقرأ في العدد



ملف المولد النبوي الشريف

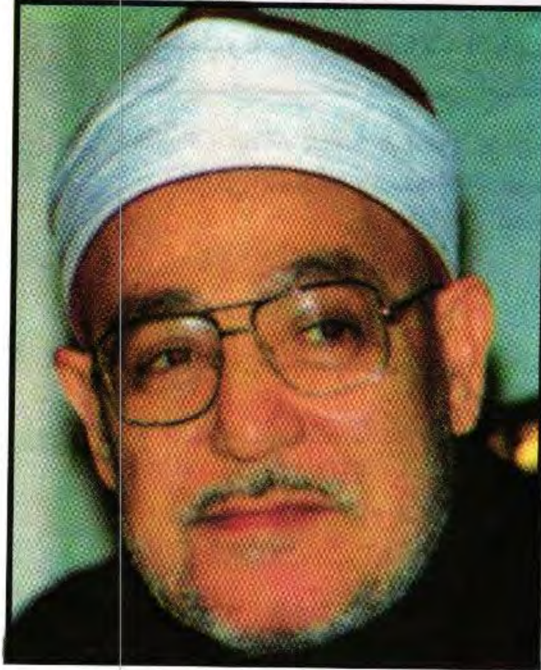
* بمناسبة ذكرى مولد الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ننشر في هذا العدد مواضيع متنوعة تتناول جوانب مختلفة من حياته صلى الله عليه وسلم بعضها تربوى والآخر جهادى وبعضها ردود على شبهات أثارها المستشرقون وأعداء الإسلام..

القرآن الكريم واللغات الأفريقية

* يبلغ عدد اللغات التي يتحدث بها الأفارقة أكثر من ٨٠٠ لغة.. علماء اللغات أرجعوا جذور هذه اللغات إلى ست مجموعات رئيسية. ترى ما تأثير اللغة القرآنية الكريمة على هذه اللغات؟


٧٥

الشيخ الغزالي وواقع الأمة



* تشخيص الواقع الإسلامي المعاصر وموقف الأمة الإسلامية من الأحداث والتطورات الخطيرة وما انجع السبل للخروج من هذا الواقع كل هذا نقرؤه من خلال الحوار الشيق مع الشيخ الداعية محمد الغزالي الذي يتمتع برؤية ثاقبة وفكر نيّر أثرى به المكتبة الإسلامية خلال تاريخه الدعوي الطويل..


١٠

اقرأ في الأعداد القادمة

●● أهداف التعليم الجامعي

بقلم أ.د : مصطفى رجب

●● رسالة الإسلام بين العقيدة والشريعة

بقلم : أسماء أبوبكر محمد

●● النوم ولماذا ؟

بقلم الأستاذ : البدر محمد الهادي مطاوع

●● التراجع الحضاري وطريق التغلب عليه

للدكتور علي عبدالحليم محمود

●● مع العارفين وهب بن منبه (١)

بقلم الدكتور توفيق يوسف الواعي

المسلمون ومشكلات التخلف

* التخطيط السياسي الاقتصادي في الوطن الإسلامي لازال قاصرا عن الاستجابة لطموحات الشعوب المسلمة وعاجزا عن تلبية حاجيات العصر الضرورية ،ما المشكلات التي تقف حجر عثرة في طريق النمو الاقتصادي و ما السبيل للقضاء عليها لتحقيق التنمية والتطور.

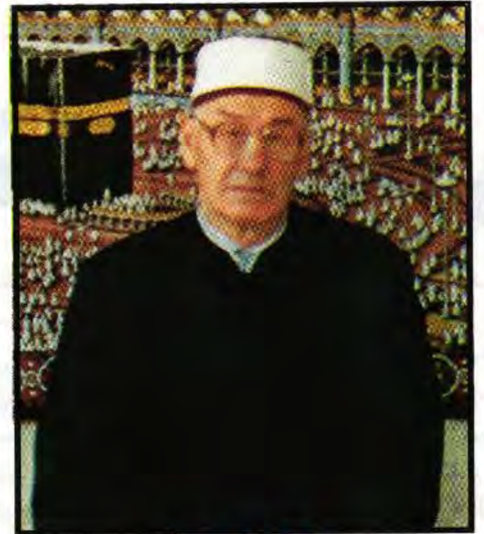
٥٦

الإسلام والتكنولوجيا

* التكنولوجيا من أهم ضمانات الحفاظ على السيادة الوطنية والاستقلال فضلا عن الرخاء الاقتصادي وقد أصبحت الثروة الحقيقية لكل أمة، ثروتها من التكنولوجيا وقدرتها على الاستعانة بها في خوض معاركها الاقتصادية والسياسية والعسكرية .

ماهو التصور الإسلامي لهذا السلاح؟

٣٧



المسلمون في بولندا

أقلية لايتجاوز عددها ثلاثة آلاف مسلم.. ومع ذلك فإن المتاحف البولندية تزخر بالعديد من الآثار الثقافية الإسلامية مما يؤكد التفاعل الحضاري لهذا الوجود المسلم

٦٨

بروتوكول تعاون مصري - كويتي

* العلاقات الكويتية – المصرية علاقات تاريخية متميزة في كل جوانبها الاقتصادية والثقافية والفكرية والدينية وتدعيما لهذه العلاقات وقعت الكويت ومصر مؤخراً بروتوكولا للتعاون المشترك في مجالات الدعوة والشؤون الإسلامية اقرأ تفاصيل هذا



الفهرس

الافتتاحية

ميلاد أمة ورسالة في ميلاد رسول

في مثل هذا الشهر لسنة ثلاث وخمسين قبل الهجرة أعلن الله رسالته من جديد في استهلال هذا العربي الوليد، فكان مولده مولد أمة، وميلاده ميلاد رسالة، وظهوره ظهور هداية ومقدمه مقدم رحمة للعالمين، لأن قافلة الحياة يومئذ كانت حائرة السبيل جائرة الدليل خائرة العزيمة، والعالم الإنساني من شرقه إلى غربه غارق في الخرافة سادر في الوثنية موغل في العبودية، وكانت الولاية على الدنيا في ذلك الحين لأعقاب من الروم شفهم الفسوق والترف والعصيان، وأخلاف من الفرس هدهم الغلول والطمع والطغيان، والناس بين هذا وذاك أوزاع وهمج، وغوغاء ورعاع، لا هادي من شرود، ولا عاصم من ضلال، ولا حاجز من تدن، فالاجساد متاع موروث، والأرواح موات محبوس، والدماء طوفان مسكوب، وقد صور شوقي هذه الحقبة التي سبقت الرسالة فقال:

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
إلا على صنم قد هام في صنم
والأرض مملوءة جورا مسخرة
لكل طاغية في الخلق محتكم
مسيطر الفرس يبغي في رعيته
وقيصر الروم من كبر أصم عم
يعذبان عباد الله في شبه
ويذبحان كما ضحيت بالغنم
والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم
كالليث بالبهم أو كالحوت بالبلم

وكانت العرب حين ظهر الرسول ﷺ اشتاتا من غير جامع، وهملا من غير رابط، وأحياء من غير غرض، فاضت في نفوسهم الحياة من غير غاية، وزخرت في عزائمهم القوة من غير هدف، فصرفوا هذا النشاط العجيب إلى نزاع لا ينقطع، وصراع لا يفتر، وغارات لا تهدأ، وأكل القوي فيهم الضعيف، وصارت الحياة مذأبة، وتحولت الديار إلى غابة وانقلب البشر إلى وحوش، فكان لابد أن تتدارك البشر عناية الله، وأن تغاث الأرض بنفحات السماء، فشاءت إرادة الله أن يظهر محمد ﷺ في هذا الظلام الدامس ليكون النور الإلهي الكاشف لهذا الظلام ويكون الغيث العميم لهذا القفر اليائس، فتصدعت لهيبته العروش، واندكت لطلعته الصروح وهتف بالعالمين هاتف: اليوم ينتهي تاريخ ويبتديء تاريخ آخر، ويزول عهد ويبزغ عهد سواه، فليس بعد اليوم كاهن ولا طاغية، ولا أصنام ولا أزلام، ولا عبيد لبشر، ولا خضوع لوثن، وإنما العبادة لله، والقيادة للرسول، والسيادة للدين والاحتكام إلى الحق والمعروف، والحياة للجميع بدون قهر ولا خوف ولا استعباد. وانبثق النور القدسي في معالم البدو والحضر كما يبتسم الأمل في بحور اليأس، وتومض النار في ظلام المحيط، فظهرت الوحدانية على الوثنية، والإنسانية على العصبية، والإسلامية على الجاهلية، وصار محمد ﷺ القائد الروحي والفكري لمواكب الأحياء ما بقى الليل والنهار، والمثل الحي والنموذج الإنساني الصحيح لكل سائر على هدى في هذه المعمورة إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكان حقيق أن تبشر به الأنبياء وأن يستشرف إليه الزمن ويرقبه التاريخ وتكون معه الإنسانية على قدر، فتنبه إليه الرسل وتحمل ذكره الكتب وصفته الصحائف وصدق الله ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ الأعراف/١٥٧ ولننظر إلى عيسى ابن مريم يبشر به بني إسرائيل ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ الصف/٦

كما ذكرت الكتب صفته وصفات أصحابه الذين حملوا الدعوة بصدق وإيمان ورجوله واحتساب فقال تعالى: ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على

سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ الفتح/ ٢٩.

كما أخذ الله ميثاق الأنبياء والمرسلين بعهد مؤكد واقرار موثق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه، وهو أعلم سبحانه أن محمدا سيبعث بعدهم بزمن ولكن ليكون هذا تنبيها مؤكدا لأممهم وبلاغا موجها إلى شعوبهم وإشعارا قاطعا إلى أتباعهم باتباع محمد دون توان، ونصرته دون تردد، والعمل بتعاليمه دون مواربة قال تعالى: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ آل عمران/ ٨١ وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مابعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتبعنه».

ومحمد ﷺ وان كان عربي المولد واللسان، ولكنه عالمي الرسالة والكفاح والغاية، جعله الله علم هداية ورمز إيمان وقدوة بشرية منيرة للعالمين، وصدق الله ﴿ ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ﴾ الأحزاب/ ٤٠ فكما أن الشمس ليست ملكا لجنس معين والحياة جمعاء تنتفع بضوئها ودفئها، فكذلك محمد ﷺ وتراثه ودعوته وإن مضى عليها أربعة عشر قرنا أو يزيد ولكنها محفوظة باقية ساطعة تعمل عملها وتفعل فعلها في الهداية، وستظل إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأنها فطرية وليست زمنية تخاطب فطرة الإنسان لازمانه فحسب، وتواكب زمانه وحوادثه، ونوازله المتجددة من حيث طبيعته ومن خلال ملكاته ونوازعه وشهواته التي عالجها الله في كتابه وهو أعلم بها وقومها في شرعه وهو خالقها، فواكبت الرسالة علم الله وارادته وتقديره لما كان وما سيكون، وليس هذا البشر كائنا من كان، وإنما لا يكون هذا إلا لله القادر على ذلك، كقدرته على جعل كثير من العوالم والآلاء باقية بطبيعتها من يوم ان خلقت إلى يوم القيامة صالحة بدون تغيير ولا تبديل ولا تدخل من بشر، فالهواء الذي نشمه صالح للحياة إلى يوم القيامة بدون تغيير أو تبديل أو خضوع لزمن، وكذلك الشمس وكذلك الغذاء الجسدي الذي يأكله الإنسان فأراد الله أن يكون الغذاء الروحي الذي مع محمد ﷺ صالح للحياة فاعل معها معالج لعللها إلى يوم القيامة، وصدق الله ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون ﴾ يس/ ٨٢و٨٣ ولهذا تكفل الله بحفظ الرسالة من أهواء البشر ومن تداخلاتهم حتى تظل كما أرادها الله فاعلة مشعة فقال تعالى: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ الحجر/ ٩

فما من أحد يتلو القرآن اليوم، إلا خيل إليه أن الوحي نزل به الآن، وأن صاحبه يبلغه للناس الساعة، لأن آياته متجاوبة مع حقائق الكون ومقررات العلم، وأدلته مستقيمة مع منطق العقل، ومطالبه متلاقية مع مطالب الفطرة، ولا عجب فالكل من صنع الله. والواقع الحالي موجود، إن مر الزمان لم يشعر أحداأبدا أن القرآن تخلف عن عصره أو أن محمدا قد أصبح تراثا فات أوانه، أو ذكرى اندثرت معالمها، لأنه جاء بالفكرة الإنسانية المجردة من كل تعصب أو تحزب أو أضغان أو أحقاد أو أمراض فهو القائل: «إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا

في ذكرى ميلاد المصطفى

صلى الله عليه وسلم

يبغي أحد على أحد»، وخطب فقال: «يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وان أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، ان أكرمكم عند الله اتقاكم، ألا هل بلغت» قالوا: يا رسول الله بلى! قال: «فليبلغ الشاهد الغائب!!»

وسأله رجل: يارسول الله، أي الناس أحب إلى الله؟ فقال: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله عز وجل، سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليّ من أن اعتكف في هذا المسجد شهرا ومن كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها ثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام».

إن العالم من أزله إلى أبده لم يعرف بشرا مصفى المعدن زكي السيرة بهي الخلق، صلب الجهاد، صبارا على الشدائد فانيا في ربه دائم الذكر له مثل محمد النبي العربي.

إنه لا يعرف طرفا من عظمة هذا الرسول إلا رجل درس فلاسفة الأخلاق والاجتماع وسادة الشعوب والجيوش ومؤسسي الحضارات والدول.

لقد أسس محمد ﷺ دولة بين أعتى الجاهليات وأقام أمة من تفاريق الشتات وتعامل مع صنوف الأهواء والشهوات والانحرافات وأخرج منها خير أمة أخرجت للناس، وأقام حضارة عقمت الإنسانية أن تأتي بمثلها وأغلى العلم والعلماء، وأشاد بالنظر والبحث والتدبر واستعمال العقل واستكناه أسرار الكون واستثمار آلائه واكتشاف أسراره، وتطويعها في خدمة الإنسان لا في إهلاكه، وفي نفعه لا في ضره وفي شفائه لا في سقمه، وحارب الظلم والبغي، وحرر الإنسان من عبودية نفسه وغيره، وأمر بالشورى وجعلها من الواجبات، وأرسى العدل وجعله من الضرورات، وحرم الخبائث وجعلها من الموبقات وطهر الإنسانية من أوضارها وأرجاسها وهداها الصراط المستقيم والطريق القويم.

فلينظر اليوم شعب محمد وأتباع محمد ماذا في نفوسهم من دينه، وماذا في أخلاقهم من خلقه، وماذا في أيديهم من تراثه؟ فإن وجدوا أن دينهم أصبح رسما محيلا في نفوس الخاصة، وأثرا مشوها ضئيلا في نفوس العامة، وأن أخلاقهم وقوتهم فقدوها يوم فقدوا الحرية، وأضاعوها يوم أضاعوا العزة، وأن تراثهم أصبح نهبا مقسما بين شذاذ الشعوب وذؤبان الأمم فليفيقوا من النوم، وليخففوا عن القدر اللوم، فإن الله لا يظلم مثقال ذرة، ومن عاند طبيعة الحياة فقتل في نفسه الطموح، وفي فكره التجدد وفي عمله الابتكار ورضى أن يكون في الدنيا هملا، وفي الحياة كالأثر في المتحف، يدل على ملك باد وشعب انقرض، كان يسيرا عليه أن يدع دينه للمبشرين وقياده للمستعمرين ثم يقعد مقعد الخوالف يتحسر على المجد المفقود ويتعلل بالأماني الكذاب، فهل تكون ذكرى المولد ذكرى انطلاقة وقوة عمل ومراجعة وتأس فتخشع لجلالها النفوس، وتهب لعظمة الرسالة العزائم ويفرح المؤمنون بنصر الله نسأل الله ذلك ■



الكويت ومصر وقعتا بروتوكول تعاون في مجالات الدعوة والشؤون الإسلامية

قام مؤخرا وزير الأوقاف في جمهورية مصر العربية الدكتور محمد علي محجوب بزيارة للكويت استقبله خلالها أمير البلاد وسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء وقد تم خلال الزيارة التوقيع على اتفاقية للتعاون المشترك بين مصر والكويت في مجالات الدعوة والشؤون الإسلامية بغية استثمار أموال الأوقاف في مشروعات استثمارية تخدم الدعوة الإسلامية، ووقع البروتوكول عن الجانب الكويتي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د. علي الزميع. وعن الجانب المصري وزير الأوقاف د.أحمد علي محجوب. وحضر حفل التوقيع إمام المصري وكيل وزارة الأوقاف المصرية ومصطفى أبوشنيف سفير جمهورية مصر لدى دولة الكويت وجمع من كبار مسؤولي وزارة الأوقاف.

وكان حفل التوقيع الذي جرى يوم ٢٥ محرم ١٤١٥ هـ الموافق ٤/٧/١٩٩٤م قد بدىء بكلمة لوزير الأوقاف د. علي الزميع.

استهله د. الزميع بالترحيب بنظيره المصري والوفد المرافق.

وأشار إلى أن العلاقات بين البلدين علاقات تاريخية ومتميزة بدأت من خلال منظور إسلامي عبر التعاون الإسلامي الثقافي مع الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف المصرية منذ الأربعينات. وقال إن البلدين كانا يلتقيان خلال فترات المحن والأزمات مما استدعى بلورة هذه العلاقة المشتركة في بروتوكول يضاف إليه ملحق تنفيذي لبعض المشاريع المتفق عليها تجسيدا لهذه العلاقة.

وأوضح أن البروتوكول غطى كل جوانب العلاقات الكويتية - المصرية في النواحي الثقافية والاستثمارية الوقفية إضافة إلى العمل الإسلامي الدعوي والخيري في الداخل والخارج.

وأشار إلى لقاءات الوزير محجوب بجميع رؤساء الجمعيات واللجان الخيرية في البلاد مؤكدا إيجابية تلك اللقاءات والخروج بتصورات مشتركة لتطوير وتنظيم العمل الخيري المشترك متوقعا اتخاذ خطوات وإجراءات في هذا الإطار

خلال الأيــام القليلة المقبلة.

الاتفاقية نموذج طيب للتعاون المشترك

من ناحيته تحدث الوزير محجوب موجها الشكر بـاسم مصر حكومة وشعبـا للكويت وعلى رأسهـا سمـو أمير البـلاد وسمـو ولي عهده الأمين مؤكدا عمـق العلاقات وتجذرها عبر التـاريخ خصوصـا خلال حـروب ٥٦، ٦٧، ٧٣ حيث امتزج الدم المصري والكويتي في مـواجهــة العـدوان مشيرا إلى بطـولات المقـاتلين الكـويتيين والمصريين في الخنـدق الواحد.

وأشــار محجـوب إلى مــوقف مصر من الاحتلال العراقي الغاشم انطلاقا من أواصر التعاون المشترك مشيرا إلى العلاقات الأخوية التي تـربط الـرئيس محمـد حسني مبـارك بسمـو أمير البـلاد، ومـؤكـدا أن عـلاقـات البلـدين نــابعــة مـن التراث والتــاريخ المشتركين.

وذكر د. محجــوب أن المرحلـة المقبلــة ستشهـد تطـورا في العـلاقــة الإسـلاميـة والدينية والأوقاف وتعتبر نموذجا للعلاقات في هذا الجانب.

وبين د. محجـوب أن أهم مــا تضمنــه البروتوكول المشترك صدق النية والعزم على تطبيق مــاجـاء في بنـوده وبخـاصــة في البروتوكـول السابق، مشيرا إلى أن مـا يميز البروتوكـول الجديد هـو البرنامـج التنفيذي لأسلوب العمل بوضـع لجنة مشتركة لحصر الموضـوعــات المشتركـة من حيث الأمـوال واستثمارهـا في العمل الإســلامي لصــالح البلدين الشقيقين، بالإضـافـة إلى تنقية الفكر الإسلامي ممـا شابـه من بعض الأفكار غير السوية والبعيدة عن سماحة الإسلام ،والتي أساءت في مضمـونها وجوهرهـا إلى الإسلام والتي حـاولت ان تظهـر الإسـلام دين عنف وإرهـاب وغضـب وكـراهيــة وجمود ممـا يستــدعي التعــاون وإقــامــة المؤتمرات الإســلاميــة في جميـع الــدول وبإشراف الوزارتين تمويلا وفكرا وزمانا ومكانا لطرح الفكر الإسلامي المعتدل حتى نبرىء الإسلام ممـا حـاول البعض أن يلصقــه بـه. وذكـر محجـوب أنه تم الاتفـاق على إقـامـة ثلاثـة مؤتمرات بهذا الشأن

الأول :في الاسكندرية والثاني: بالكويت والثــالث: بـالقـاهـرة ويشـارك في كل هــذه المؤتمرات حوالي ست وعشرين دولة إسلامية تحت عنـوان «الأمـة الإسـلاميـة حـاضرهـا ومستقبلها». وأضاف أن البروتوكول يهدف أيضـا إلى تبادل الخبرات وإقـامة المشـاريع الخيريـة الكـويتيـة التي يشرف عليهـا بيت الـزكاة والجمعيـات والمؤسسات الأخـرى في مصر، مشيرا إلى أن الأيـام المقبلـة ستشهـد افتتاح كثير من المشروعات الـدينية الكويتية في مصر.

■ د. محجوب: المرحلة المقبلة ستشهد تطورا في العلاقة الإسلامية والدينية والأوقاف وتعتبر نموذجا للعلاقات في هذا الجانب

■ العلاقات بين البلدين علاقات تاريخية ومتميزة بدأت من خلال منظور إسلامي عبر التعاون الإسلامي الثقافي مع الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف المصرية منذ الأربعينات

بنود الاتفاقية

هذا وقد تضمنت الاتفاقية مايلي:

أولا : التأكيد على مواصلة العمل وفقا لاتفاقية التعاون.

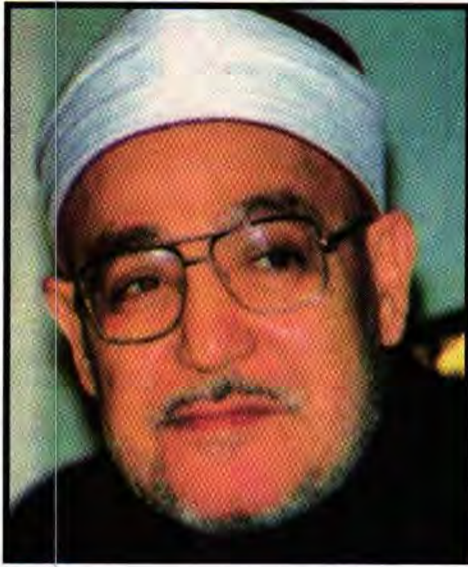
ثـانيـا : برنامج التعاون في مجال العمل الخيري والاجتماعي، تتبنـى الــوزارتـــان مجمـوعـة من المشاريـع الخيرية المتكـاملـة والتي يتم التركيز فيهـا على البعد الاجتماعي التنموي.

اعتماد مكتب بيت الزكاة الكويتي في مصر ليكون هو القناة المنظمة للمجهودات الخيرية الكـويتيـة والأداة المنفـذة للمشـاريع المتفق عليها.

ثالثـا : برنامج التعاون في مجال الأوقاف – تشكل لجنـة فـرعيـة للتعـاون في مجال تطـوير الأوقـاف وتنميـة مـواردها لـوضع تفــاصيل خطـوات العمل المشترك في هــذا المجال والإشراف على تنفيذها.

رابعــا : برنامج التعاون في المجال الثقافي والفكـري، تبادل مشـاركة علماء البلـدين في أنشطة المواسم الـدينية التي تنظم في كل من البلــدين، تبــادل الخبرات في مجال التعليم الإســلامي غير النظـامي، التعـاون في مجال العمل الإســلامي في الدول الإسـلامية وبين الجاليات الإسلاميـة في مختلف دول العالم، تبـادل الخبرات في مجال إحياء دور المسجـد كمـؤسســة اجتماعية رائدة، تطـويـر النمط المعماري للمراكز الإسـلامية بما يجعلها من الناحية المعمارية تحافظ على سمات العمارة الإسلامية ومن الناحيـة الوظيفية مستوعبة لأنشطة دينيـة وثقافية واجتماعيـة متعددة الأغـراض.وفي نهايـة المؤتمر شكر الـوزيـر محجوب الكويت حكومة وشعبا وعلى رأسها سمو أمير البـلاد وسمو ولي عهـده والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ومساعديه على الحفاوة وكرم الضيـافة متمنيا للكويت دوام التقدم والازدهار ■

العلامة الإسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالي:



القدس قضية المسلمين جميعاً

الدعوة الإسلامية تحتاج لأناس من طـراز خـاص!

للشيخ محمد الغزالي العلامة الإسلامي الكبير فيما يدور حول الحضارة الإسلامية وموقف الأمة الإسلامية من الأحداث والتطورات الخطيرة وتشخيص الدواء الشافي لعالمنا الإسلامي المعاصر وأنجح السبل والوسائل - رأي خاص - من أجل الخروج به من أزمته والعمل على إعادته إلى طريق الحق والصواب الذي هو الطريق المستقيم لهذه الأمة التي كافحت كثيراً من أجل التقدم والازدهار الذي نبغيه ونتمناه جميعا في شتى اقطار العالم الإسلامي شرقها وغربها شمالها وجنوبها.. وللشيخ الغزالي أيضا تاريخ طويل في الدعوة الإسلامية، وقد تولى التدريس في العديد من جامعات العالم الإسلامي واثرى المكتبة العامة التي تميزت بتقدير كبير وقد أجرينا مع فضيلته هذا الحوار لنعرف رأيه في كل هذه القضايا التي تشغل بال الأمة.

حوار من القاهرة
- عاصم الخولي

*** ما رأى فضيلتكم - فيما يتردد الآن على الساحة من أقوال حول ضعف المسلمين وهل هذا هو واقعهم الفعلي؟**

*** إن حاضر العرب والمسلمين، مستقبلهم مظلم موحش. وكيف لا يكون ذلك وهم يسبحون في بحار الفقر والجهل والمرض.. والغريب أن الفجور في الخصومة، والعبث بالعقود والعهود والاستهانة بالكلمة والإضاعة للامانات كلها تكاد تكون عادات مألوفة عند العرب، لأن المسلمين لم يتلزموا بما ورثوا من دين في ميادين الأخلاق العامة إلا من عصم الله.. على حين نجد أتباع ملل أخرى يتحرون في معاملاتهم ومسالكهم مكارم الأخلاق ويترفعون عن الفوضى والإسفاف والتسيب إنني عندما اسمع وأرى ما يحدث الآن في العالم الإسلامي، - والكلام لعالمنا الشيخ الغزالي - أصاب بخيبة أمل فيما نحن فيه، أننا أمة تنتحر، وقع زمامها في أيدي الشياطين في أنحاء العالم يقيدونها كيفما شاءوا وفيما شاءوا.. في حين نجد اليهود يد واحدة تضربنا بقوة.. عبيد البقر يد واحدة تزهق أرواحنا بالمئات في المساجد.. الناس في شرق أوروبا وغربها يتجمعون ونحن أحزاب نتفرق، ماذا نحن فاعلون بديننا ودنيانا في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم يتحدث العرب عن أنفسهم أنهم لو حملوا أمانات الوحي لكانوا أدعى لها وأبر بالناس ممن سبقوهم في هذا الميدان ولكنهم لا يدركون ذلك التكريم من الله.

المسجد الأقصى

*** ما رأيكم فيما يحدث الآن**



بالمسجد الأقصى والمساجد الأخرى في فلسطين من منع للصلاة فيها والحراسة اليهودية عليها؟

** أجاب القرآن الكريم على هذا التساؤل فقال ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ﴾ البقرة/ ١١٤ وأعمال اليهود في المسجد الأقصى شديدة الخطورة ومصيره مظلم للعرب والمسلمين لأن اليهود لا يمنعون الصلاة فحسب بل يعدون العدة لهدم المسجد وبناء هيكل سليمان «المزعوم» وهم يصرحون بذلك دون حياء وقد تمت عدة محاولات لتنفيذ هذه الجريمة.. لكن الأقدار التي تحرس حرمات الله حالت دون إنفاذها والغريب أن في العهد القديم في سفر «حذقيال» إيحاء ببناء الهيكل على نحو معين استغرق الوصف فيه قرابة صفحتين!! وإذا أمكن لليهود ما يؤملون فسوف يكونون سادة العالم أجمع وسيكونون الاداة التي يستغلها ساكن الهيكل في سياسة المشرق والمغرب.

الحضارة الإسلامية

* ماذا ترون في مسيرة الحضارة الإسلامية المعاصرة وعلى أي جناح تعمتد الكم أم الكيف؟

** العالم – الآن الا حضارة الغرب – منهمك في جميع شؤونه الحياتية، أما حضارة الإسلام فهي في خبر كان، ربما كانت ذكريات أُهيل عليها التراب وربما حاول غير أولي الغيرة أن يبرزوها للناس في حكايات أو أحلام ، ولا استطيع القول انه توجد حضارة إسلامية كالتي سادت العالم قرابة ألف سنة، كان المسلمون فيها هم العالم الأول المتقدم. وكانت الدنيا تنقاد لهم وتنتشر حضارتهم بتقدمهم العلمي والعملي، بيد أن المسلمين لما انهزموا عسكرياً أمام التتار ظلت حضارتهم قائمة، ولذلك دخل هؤلاء التتار الإسلام.. وكانت الأمة المنهزمة – آنذاك – أرقى حضارة وأكثر ثقافة من الأمة المُسيطر عليها، ولذلك ذابت فيها. أما اليوم فقد تخلف المسلمون وتخاذلوا وتقهقروا إلى الوراء كثيراً مما يجعلنا نجزم بألا توجد حضارة حالية وان كانت وجدت مواريث فقد ضرب عليها العنكبوت نسيجاً يذكرنا بقول الشاعر

لخولة أطلال ببرقة ثهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

لكنني لست يائسا فإن امتنا تمرض ولكن لا تموت، وقد تسقط على الطريق فتطول كبوتها، ثم تتحامل على نفسها مرات ومرات ثم تتابع المسيرة مرة أخرى، والمستقبل إن شاء الله للإسلام، وكثيرا ما كنت أقول يوم الإسلام قادم فارتقبوه.

الدعوة الإسلامية

* ما رأي فضيلتكم في مسار الدعوة الإسلامية الآن ما لها وماعليها؟

** الدعوة الإسلامية متعثرة في هذا العصر لأن القوى التي تواجهها أعتى منها وأدهى، وهي داخل المسلمين مختفية وكذلك وراء الحدود تعمل بنشاط لضرب الإسلام في صميمه.. بل انها وضعت برامج محددة وسنوات معدودة، لكي يذوي شأن الإسلام في أفريقيا ويختفي في اندونيسيا إلى غير ذلك مما تزينه الشياطين لأعداء الإسلام والغزو الثقافي يحيط بالدعاة المسلمين من نواح شتى ولذلك فإن الدعوة تحتاج إلى يقظة وروح جديدة ومواجهة صريحة لكل الأزمات الروحية التي تتعرض لها الأمة الإسلامية، ولا أقول بأن الأمة تسير سيرا حسنا لأن بعض المساجد لا تزال مفتوحة للقاصدين، فهذا لون من الجهل، لا يجوز أن يتحدث به عاقل أبداً، والدعوة بحاجة إلى مفكرين ودارسين وخطباء من طراز غير الطراز الذي نألفه وإلى كتب ورسائل بالعربية وغيرها من اللغات وهي بحاجة أيضا إلى مقيمين وظاعنين وسائحين يتقنون اللغات الأجنبية ويعيشون بين ظهر الأمة الإسلامية حيناً وينقلون إلى أوروبا حيناً آخر.. أي أن جهاز الدعوة المطلوب الآن لكي ينجح لا بد أن يكون جهازا شاملا مستوعباً لكل الحقائق والمفاهيم وهذا الجهاز المتكامل لاوجود له الآن وقد توجد جهود مشكورة لأقسام الدعوة في الأزهر وبعض الهيئات العالمية في السعودية والكويت وغيرها ولكن هذه

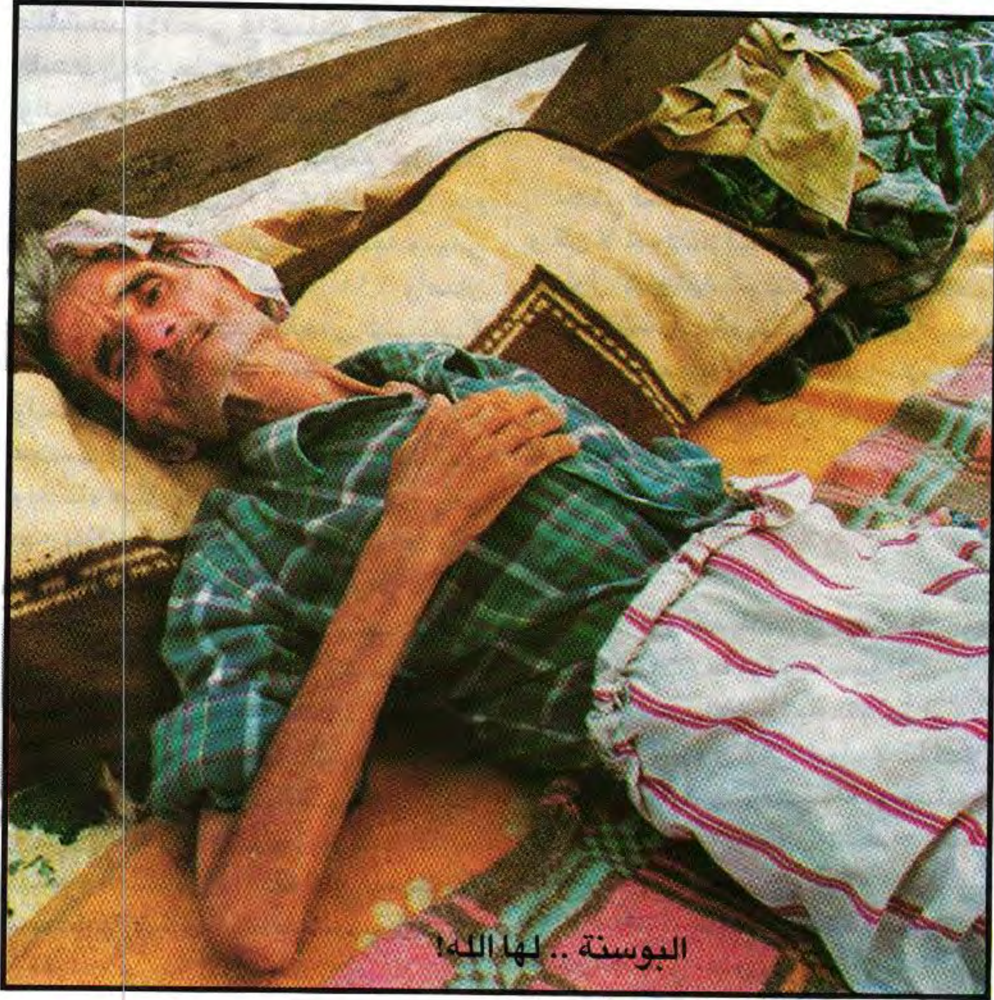
القدس قضية المسلمين جميعاً

الجهـود تشبــه بعض الترع التي تكلف بري الصحراء الكبرى.

* **هل تعتبر قضية المسجد الأقصى قضية عربية أم إسلامية؟**

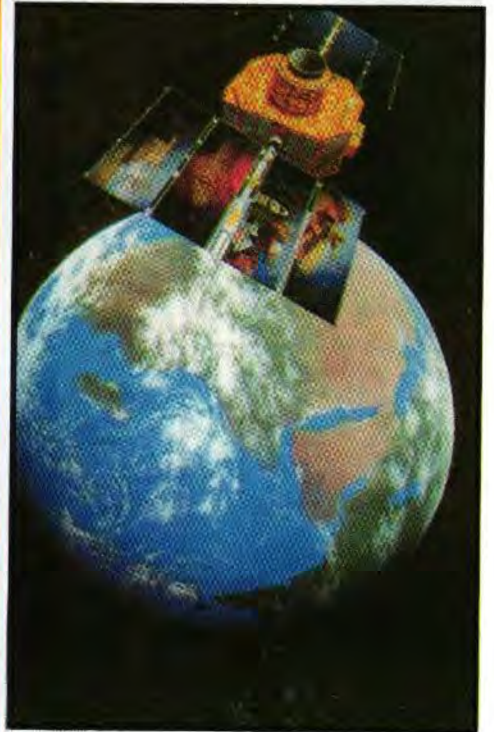
** إن قضية فلسطين منذ بداية التاريخ قضية دينيـة، فكون سكان بيت المقدس أكـرادا أو هنودا فـإن القضية لا تتغير، فـالقضيـة التـي يحكي التـاريخ أطـوارهــا منـذ بـدء إنشــاء أورشليم و«شليم» هـو سليـم كما ينطق اليهـود اسم موسى «مـوشى» وظل بيت المقدس يتداول بين اليهود والفاتحين عدة قرون ثم آل إلى العـرب منذ (١٥) قرناً إلى هذا اليوم وربما استطاع الفرنجة أن يستولوا عليـه ٩٠ عامـا تمكن المسلمون بقيـادة صـلاح الديـن الأيوبي أن يستردوهـا في معركة حطين التاريخية المشهورة.

والحرب الصليبيـة لم تنتـه حتى الآن وأن زعم المارشـال «اللنبي» كـاذبـا انها انتهت بسيطـرة الإنجليـز على فلسطين وفقدان المسـلمين لحكـم بيـت المقدس ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ آل عمران/ ١٤٠ فالقضية عـربية إسلامية تخص كل المسلمين.



البوسنة .. لها الله!

المسلمون في أسوأ أيامهم ولكن: يــوم الإســلام .. قـــادم!



التكنولوجيا الحديثة

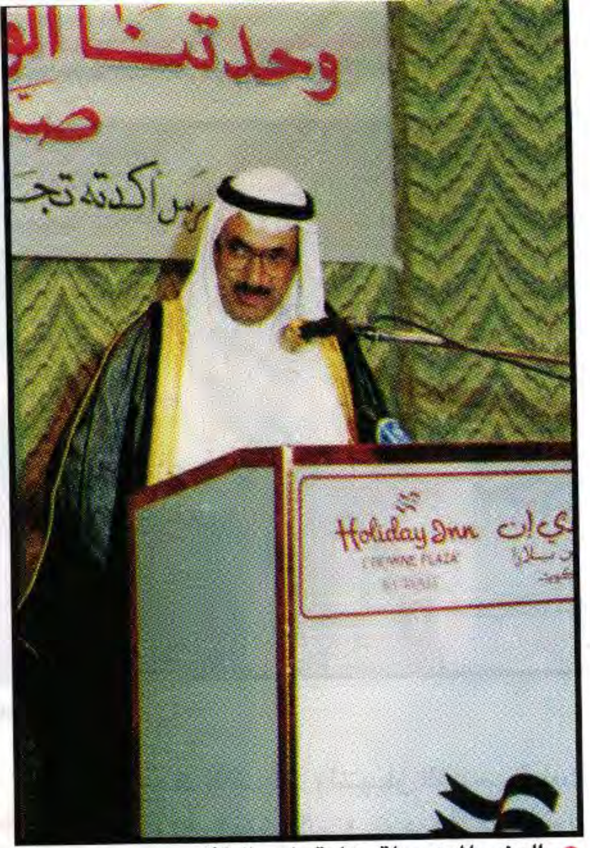
* **إلى أي مدى تتعارض أو تتفق التكنـولوجيـا المعاصرة مع مبـادىء الإسلام؟**

** التكنولوجيا لا تختلف أبداً مع الإسـلام فهـا هو الرسول الأعظم سيـدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم يقـول «انتم أعلم بشـؤون دنياكـم» فلتكن في الدنيـا سيارات وقطارات ومخترعات ولتكتشف الطـائرات والأقمار الصنـاعيـة وليعبروا البحار والأجــواء فهذا كله لا صلـة له بـالأديان جمـيعا من ناحيـة أنه تقـدم بشرى وهو وسيلـة قد تخدم الخير وقـد تخدم الشر.. المصيبة أن يكون هذا التقدم في يـد اليهـود وليـس في يـد العـرب والمسلمين!

انقاذ المسلمين

* **بماذا يكون دعاؤكم لانقاذ المسلمين في البـوسنـة وغيرهــا من دولنا الإسلامية؟**

** نحن نشخص المرض ونفتح العيـون على الدواء، فإذا كـان هنــاك تخـلف أخلاقـي أو غباء في المعرفة أو قصور في وسـائل الإنتاج فنحن نشرح هذا الواقع وننبه إلى أخطاره وليس على الداعية أن يستصرخ الهمم لكي لا ينفر من وضع لا يحــسد عليـــه.. أمـــا البوسـنة فلها الله الـذي بيده النصـر والتمكين. ■



● الوزير المدعج يلقي كلمة راعي الحفل



● النائب الدويلة أثناء القاء محاضرته



الاتحاد الوطني لطلبة الكويت يعقد ملتقي طلابياً بمناسبة الذكرى الرابعة للغزو العراقي الغاشم تحت عنوان:

في حب الكويت.. أغسطس ملحمة الصمود

■ ولي العهد يرعى المؤتمرات الطلابية منذ أكثر من أربعة عشر عاما

الملاحم التي سطرها أبناء الكويت ومقاومتهم الباسلة للطغيان، وتلاحمهم وتكاتفهم في بوتقة واحدة للدفاع عن الشرعية الكويتية والوطن خلال فترة الاحتلال أو بعد التحرير نال أعجاب العالم أجمع، جاء هذا في كلمة وزير النفط وزير التربية والتعليم العالي بالنيابة الدكتور عبدالمحسن المدعج نيابة عن راعي الحفل سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح، الذي شمل برعايته ملتقى الهيئة التنفيذية للاتحاد الوطني لطلبة الكويت الذي أقيم في «فندق هوليداي ان» خلال الفترة من ٢٤ – ٢٧ يوليو الماضي تحت شعار «في حب الكويت – أغسطس ملحمة الصمود».



حضور مكثف في الملتقى



جانب من الملتقى

كلمة راعي الحفل

استهل الحفل بكلمة راعي الحفل ممثل ولي العهد الدكتور عبدالمحسن المدعج عرج فيها على أحداث الذكرى الأليمة وحمدالله سبحانه وتعالى على نعمة التحرير وعودة الحياة الطبيعية إلى ربوع الكويت، على الرغم من الألم والغصة لفراق اخوة وأخوات مازالوا يعانون من الأسر في غياهب المعتقلات العراقية بعيدين عن الأهل والأحباب ودعا الله تعالى لهم بالفرج القريب حتى تكتمل الفرحة بأعياد النصر والتحرير وخاطب الدكتور المدعج جمهور الحاضرين قائلا:

إنكم تتذكرون جيدا تلك الأشهر الحالكة والأيام السوداء، التي كانت فيها الكويت ترزح تحت وطأة الاحتلال والممارسات اللا إنسانية البشعة، التي قام بها جلاوزة النظام العراقي في حق وطننا ومواطنينا ومنشآتنا الاقتصادية والحيوية في طول البلاد وعرضها، كماأنكم تتذكرون جيدا الملاحم التي سطرها أبناء الكويت بمقاومتهم الباسلة للطغيان وتلاحمهم وتكاتفهم وانصهارهم جميعاً في بوتقة واحدة، دفاعا عن الشرعية الكويتية وذودا عن حياض الوطن وأضاف:

لقد كان لجميع فئات الشعب الكويتي بمختلف قطاعاته أدوار بارزة ومنجزات رائعة أثناء فترة الاحتلال وبعد التحرير

* كتب : تمام أحمد

كانت مثار اعجاب العالم أجمع، لقد عمل الكل حسب طاقاته وإمكاناته في خدمة قضية الكويت وساهم الجميع في تحقيق النصر، و كان للاتحاد الوطني لطلبة الكويت مساهمات فاعلة ونشاطات إعلامية بارزة لبيان حقيقة الغزو واستنكاره ومقاومته وإبراز حق الكويت..

اعتزاز وتقدير

وأشاد الدكتور المدعج في كلمته بالدور القيادي والبارز والنشاط الدبلوماسي غير المسبوق والجهود المخلصة التي بذلتها القيادة الحكيمة وعلى رأسها حضرة صاحب السمو أمير البلاد وسمو ولي العهد والحكومة الرشيدة، والتي استطاعت بحنكتها وتصميمها أن تكسب تأييد العالم أجمع وأن تجمع تحت مظلة الأمم المتحدة نيفا وثلاثين بلدا مشكلين تحالفا لا مثيل له في التاريخ، استطاع ان يقف في وجه الطغيان والعدوان وأن يتوج ذلك بالنصر المبين وطالب في كلمته بمزيد من التكاتف والتلاحم والتعاضد وترسيخ الوحدة الوطنية لأن العدو مازال يتربص بالكويت الدوائر محاولا شق الصفوف وإيجاد الثغرات وانتهاز الفرصة لبث سمومه واختتم كلمته بتوجيه الشكر لدول مجلس التعاون الخليجي والأشقاء العرب ودول الحلفاء الذين كانوا سندا للكويت في قضيتها العادلة وساهموا في تحريرها ودعا الله تعالى أن يتغمد الشهداء برحمته ويسكنهم فسيح جناته ويعجل في فك قيد الأسرى وتفريج كربتهم انه سميع مجيب الدعاء

كلمة الاتحاد

ثم ألقى رئيس الهيئة التنفيذية للاتحاد الوطني لطلبة الكويت عبداللطيف العبيد كلمة الاتحاد، بين فيها الهدف من الملتقى والمتمثل في طرح أسلوب جديد لمعالجة ذكرى الغزو يبتعد عن مسلسل البكائيات وعن الشطط الفكري ويقدم معالجة جديدة وجدية تتميز بالصراحة وتبتعد عن الدبلوماسية المعهودة من أجل تحديد الداء وتوظيف الدواء المناسب له وأضاف: لقد كانت الرعاية الكريمة لسمو ولي العهد أبلغ ردٍّ على قبول توجهنا ورؤانا لأسلوب المعالجة الجديد القائم على العقلانية والجدية والصراحة.

معالم المعالجة

وحدد السيد العبيد أطر ومعالم المعالجة

في حب الكويت..
أغسطس ملحمة الصمود

لأزمة الغزو بقوله: نريد معالجة تكسبنا احترام العالم قبل عطفه وعقله قبل قلبه، نريد معالجة تفجر فينا مكامن القوة كشعب عاش تجربة من أصعب تجارب المنطقة، نريد معالجة تجمع ولا تفرق تبني ولا تهدم، نريد معالجة تبنى على أساس أن يوم الثاني من أغسطس هو تاريخ اكتشاف الذات الكويتية من جديد من هنا فإنه لا يليق بذكرى هذا أساسها أن تتشح بثوب الحزن والسواد وأن تجعل النحيب والعويل وظيفة اجتماعية تمارس كل سنة عند اقتراب موعد الذكرى، وطالب العبيد في ختام كلمته أن يكون هذا الطرح الجديد في المعالجة توجها مستقبليا لدى كافة الجهات الشعبية في كيفية استثمار هذه الذكرى ودعا الله تعالى للكويت بالعز والفخار وللشهداء بالرحمة والمغفرة وللأسرى بالفرج والحرية.

فعاليات الندوة الأولى

هذا وقد شارك في الندوة الأولى للملتقى التي عقدت بعد حفل الافتتاح كل من النائب مبارك فهد الدويلة والأمين العام للجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية د. أيوب الأيوب..

النائب الدويلة تناول أسباب وقوع كارثة الغزو حتى لا تتكرر المأساة.

وأكد على ضرورة الاستفادة من تجاربنا السياسية والتعرف على كيفية التعامل مع الآخرين وتوظيف مسلكنا السياسي توظيفا جيدا مشيراً بهذا الصدد إلى دعم الكويت لليمن في الستينيات

■ د. عبدالمحسن المدعج:

العدو مازال يتربص بالكويت الدوائر محاولا شق الصفوف وايجاد الثغرات



■ النائب مبارك الدويلة :

لا بد من الاستفادة من تجاربنا السياسية والتعرف على كيفية التعامل مع الآخرين



وحتى الغزو العراقي الغاشم بأكثر من ٨٠٠ مليون دولار في حين ادعى اليمن أثناء الاحتلال أنه تلقى خمسين مليون دولاراً فقط!! وألقى الضوء على فترة ما قبل الغزو بقليل وكيف ظن العدو العراقي بأن المجتمع الكويتي كان متفككاً وأن تلك الفترة كانت مناسبة لاحتلال الكويت!

الأمن الاجتماعي في الكويت

أما الأمين العام للجنة الاستشارية العليا د.أيوب الأيوب فتحدث عن الأمن الاجتماعي في الكويت وأكد الحاجة الماسة إلى ترجمة عملية لمفهوم الوحدة الوطنية والأسرة الواحدة مشيراً إلى أن مبادىء الترابط والتكافل والتواصل التي كانت واضحة خلال الغزو قد اختفت الآن بعد التحرير ودعا إلى تغيير المسار وإعادة ترتيب أوراق البيت الكويتي من الداخل موضحا أن الأمن الاجتماعي إذا تحقق في الكويت فإنه سينعكس على علاقاتها في الخارج والقى الضوء على مشكلة عدم تنفيذ القوانين والقرارات وطالب بايجاد الحلول عند طرح أي مشكلة وشدد على ضرورة المحافظة على المجتمع الكويتي كمجتمع له تقاليده وعاداته مع العمل من





● م. ابراهيم ماجد الشاهين يحاضر في الملتقى



● جانب من الحضور

خلاله نحـو الأفضل مبيناً أن حب الكويت مسـؤولية جماعية وأن التنفيذ يتجسد بالعمل الصادق وأوضـح الأيوب أن هناك نماذج من السلـوك غـريبة قـد ظهـرت في مجتمعنـا ولم تكن معـروفـة مشيراً إلى دراسـة مجلس التخطيط حـول الظواهـر السلـوكية المستجـدة في المجتمع الكـويتي قبل الاحتلال.

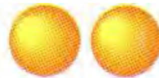
ودعـا الأيـوب إلى مـراجعـة بعض التشريعات التي تعـاني من خلل ومخالفة للشريعـة الإسـلامية وقـال: إن لجنـة استكمال الشريعـة تقـوم حـاليـا بإعـداد دراسة مشابهة لـدراسة مجلس التخطيط ولكن خـلال فترة مـا بعد الغـزو وأكـد في نهاية حديثه أن إنشاء اللجنة الاستشارية العليـا للعمل على استكمال تطبيق أحكـام الشريعـة هو احـدى الخطوات الصحيحـة لتحقيق الأمـن الاجتماعي المتكـامل في الكويت.

فعاليات الندوة الثانية

وضمن فعـاليات اليـوم الثـاني للملتقى حاضر الـدكتور إبـراهيم ماجـد الشاهين نـائب رئيس اللجنـة الـوطنيـة لشـؤون الأسرى حول مـوضـوع «أسرانـا إلى أين؟» فبين أن قضيـة الأسرى قضية حسـاسـة جدا وتحتاج إلى أسلوب معين للتعامل معها

وأكد حـرص اللجنة الـوطنية منـذ بدايـة عملها على أن تطبق الأسلـوب الذي يحقق جانبين مهمين: أولهما إبراز قضية الأسرى بشكل دائم وفعال في كل المحافل والهيئات العربيـة والإسلامية والعـالمية حتى تظل هـذه القضيـة تحت الأضـواء دائما ولا

■ رئيس الهيئـة التنفيـذيـة لـلاتحاد عبداللطيف العبيد: المطلوب معالجة الأزمة معالجة تفجر فينـا مكامن القوة



■ د. أيوب الأيوب: الحاجة ماسة إلى ترجمة عمليـة لمفهوم الـوحـدة الوطنيـة والأسرة الواحدة



تـدخل دائرة النسيـان في خضم المشـاكل والمآسي والحروب وثانيهما فتـح أكبر عدد من القنوات أمام النظام العراقي لكي يقوم بخطـوات عمليـة في سبيل الإفـراج عن الأسرى الكـويتيين حسب الملفـات التي تقدمت بها الكويت رسميـا وقال بأن هذه القنـوات هي الأمم المتحـدة والجامعـة العربية ومنظمـة المؤتمر الإسلامي ودول عدم الانحياز والفاتيكان بالإضافة للعديد من المنظمات والهيئـات الشعبية في العـالم وأوضـح الدكتـور الشاهين بـالتفصيل ما دار في اجتماع جنيف الأخير الـذي كـان بـرئاسة اللجنـة الدوليـة للصليب الأحمر وبحضـور ممثلين عن دول التحـالف وكذلك ممثل عن العـراق وهي للمرة الأولى منذ عـدة سنوات. وطـالب بـالاستمرار في التركيز على الجانبين وهما الضغـط الدولي وفتح القنـوات مع الاستعـداد لكل الاحتمالات بالإضافة إلى التكيف والتركيز على ربط قرارات مجلس الأمن مع الحصار الاقتصـادي وقضيـة الأسـرى وخـتم د. الشاهين محاضرته قائلا:

يجب اقنـاع العـراق عن طـريـق عـدة محاور بضرورة التجاوب مع هذه القضية الإنسانيـة والتأكيد على عـدم القبول بأن تكون مجالا للمساومة السياسية في نفس الوقت الذي يجب أن يستمـر فيه التكاتف والتلاحم الكويتي، والتحـدث بلغة واحدة

في حب الكويت..
أغسطس ملحمة الصمود

لكي نخلص أبناءنا الأسرى من ظلم النظام الباغي في العراق.

للكويت نشدو

هذا وقد شهد الملتقى في يومه الثالث سمفونية رائعة طرحت خلالها الكلمة الأصيلة واللحن المعبر والأداء الرجولي والصوت الشجي والروح الوطنية واجتمعت كلها في بوتقة واحدة وفي ملحمة وطنية جسدت معاني التعاون والتلاحم والتكافل التي كانت سائدة أيام الاحتلال الباغي فالكل غنى «للكويت نشدو» فمن أجلها نعمل وفي سبيلها نضحي ونبذل الغالي والنفيس حتى تبقى حرة عزيزة شامخة لا تهزها المحن ولا تثنيها الأعاصير الهوجاء عن متابعة مسيرتها بكل ثقة وأمان واطمئنان..

كلمة شكر لا بد منها

وبعد انتهاء حفل الأناشيد وقف السيد عبداللطيف العبيد رئيس الهيئة التنفيذية للاتحاد الوطني لطلبة الكويت وألقى كلمة ختامية توجه فيها بعظيم الشكر والامتنان لسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الموقر لرعايته الكريمة لهذا الملتقى، كما توجه بالشكر الجزيل لبيت الزكاة الكويتي لدعمه المادي للملتقى ولكل الأساتذة الأفاضل الذين أثروا الملتقى بالطرح المتميز البناء الذي وضع نقطة البداية وخط الطريق أمام الآخرين حتى يجعلوه سبيلا لتناول هذه الذكرى مستقبلاً.

على هامش الملتقى

مجلة الوعي الإسلامي أثناء تواجدها في الملتقى توجهت بمجموعة من الأسئلة للسيد عبداللطيف العبيد رئيس الهيئة التنفيذية

■ د. إبراهيم ماجد الشاهين: نعمل في محورين للإفراج عن الأسرى: الضغط الدولي وفتح القنوات باستمرار



للاتحاد لمعرفة رأيه وتقييمه لفعاليات الملتقى ومدى تحقيقه للأهداف التي عقد من أجلها إضافة لموضوعات أخرى تتعلق بأنشطة الاتحاد العامة والعقبات التي تعترض مسيرته.

* هل تعتقدون أن الملتقى نجح فعلا في تحقيق أهدافه التي عقد من أجلها؟

– حقيقة أهداف الملتقى أهداف كبيرة جدا وهي كما قلنا أهدافا تكمن في أساليب ومعالجة أسباب وإفرازات (٢) أغسطس .. أردنا أن نطرح معالجة جديدة تخرجنا من اعتبار ٢/٨ عقدة نفسية نريد تحويلها إلى حافز معنوي يدفع بصاحبه إلى العمل والتضحية بدلا من الانكفاء على النفس، ونحن لا نقول إن أهدافنا قد تحققت كلها مائة بالمائة ولكننا نقول وبكل فخر إن اتحاد الطلبة كان له شرف المحاولة في وضع نقطة البداية آملين أن تكون هذه التجربة مثالا يحتذى لباقي النقابات واللجان الشعبية.

* ما الغاية من ادخال بند الأناشيد ضمن فعاليات الملتقى؟

– هذا التساؤل طرحه غيركم لأن الناس تعودوا على الخط الجدي الفكري والسياسي الذي اختطه الاتحاد في ملتقياته وندواته السابقة لهذا رغبة منا في تغيير الوسائل لإيصال أفكارنا ومن خلالها طرحنا أساليب جديدة في التعامل مع هذه الذكرى ومنها حفل الأناشيد حيث أبرزنا فيه أهم المفاهيم والقيم التي عاشتها الكويت أثناء الأزمة (التكافل، التراحم التعاضد، الوحدة الوطنية..) من خلال الكلمة الصادقة والمعبرة واللحن الشجي والأداء الجميل الذي قام به مجموعة من المنشدين الكويتيين وعند استقرائنا لرأي الجماهير التي حضرت الحفل وجدنا منهم كل تشجيع لهذه الخطوة وطالبونا بتكرارها باعتبارها وسيلة مشوقة لترسيخ مفاهيم جديدة في المعالجة ولكن بأسلوب متطور.

* باعتباركم على رأس الهيئة التنفيذية للاتحاد ما العقبات التي تعترض مسيرة الاتحاد؟

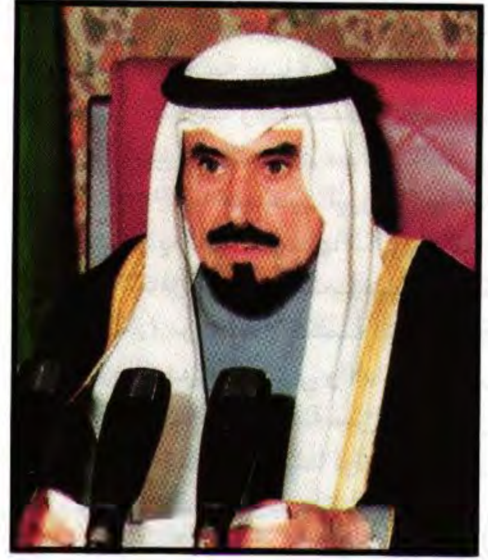
– عمل الاتحاد عمل متفاعل مع قضايا المجتمع وكل عمل لابد أن تواجهه عقبات وإذا تركنا جانبا العقبات والمشكلات الناتجة عن العمل وطبيعته وتوجهنا للعقبات التي تواجه الاتحاد كمؤسسة نرى أن أهم عقبة هي قضية اشهار الاتحاد كمؤسسة نقابية كمؤسسة نقابية لهذا نسعى بكل طاقاتنا إلى وضع الصيغة القانونية النهائية لاشهار الاتحاد حتى يتمكن من تحديد خطوط العلاقة مع المؤسسات الرسمية في بلدنا وحتى يتمكن من أداء الدور المناط به بالشكل المطلوب.

* ألا تعتبر الندوات والملتقيات التي تعقدونها باستمرار وتحت رعاية كبار المسؤولين في الدولة دليل اشهار للاتحاد واعتراف بأنشطته المتميزة؟

– لا تكفي هذه المؤتمرات لتكون دليل اشهار فالاتحاد أخذ قضية الاشهار علنياً ولم يأخذها رسميا وذلك نتيجة للدور الفاعل الذي يقوم به من ناحية ونتيجة لتفهم المسؤولين لهذا الدور الفاعل من ناحية أخرى وعلى رأس هؤلاء المسؤولين سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الذي ما انفك يرعى مؤتمراتنا الطلابية لمدة تجاوزت الأربعة عشر عاما الماضية. ■



■ عمل الاتحاد الوطني لطلبة الكويت عمل متفاعل مع كل قضايا المجتمع



صاحب السمو امير البلاد

أمير البلاد يصدر توجيهاته بتعديل القانون المدني بما يتفق وأحكام الشريعة

أصدر سمو الأمير توجيهاته السامية بإحالة تقرير اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية والخاص بتعديل القانون المدني بما يتفق مع أحكام شريعتنا الغراء إلى مجلس الوزراء للسير في إجراءات استصدارها.

وأكد وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء وزير التخطيط عبدالعزيز الدخيل في تصريح صحفي له حرص سموه على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في البلاد في أقرب وقت ممكن ووجوب اسراع الخطى في تطوير التشريعات المطبقة في مجتمعنا بما يحقق الالتزام بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

وأضاف : إن اللجنة قد حرصت - في سبيل أداء مهمتها الجليلة - على دراسة القوانين السارية واقتراح ما تراه بشأنها لضمان توافقها مع أحكام الشريعة الإسلامية مستهلة في ذلك بالقانون المدني باعتباره أصل كل فروع القانون الذي يحكم المعاملات المالية ويحتوي على مايقارب الألف والمائة مادة، وقد انتهت اللجنة بالفعل من مراجعة القانون المدني وتعديله لتكون أحكامه متفقة مع ما تقضي به شريعتنا الإسلامية الغراء.

وأوضح الوزير الدخيل أنه إذا كان له أن يشير إلى بعض ما تضمنه مشروع التعديل فإنه يخص بالذكر نص المادة الأولى من القانون المدني حيث قدمت أحكام الفقه الإسلامي الأكثر اتفاقا مع واقع البلاد ومصالحها على العرف، وذلك حتى تصبح أحكام الفقه الإسلامي مصدرا أساسيا يرجع إليه القاضي إذا لم يجد نصا تشريعياً، كما عدلت أحكام المسؤولية المدنية بجعل أساسها هو الضرر وليس الخطأ، وأضيفت مواد جديدة إلى القانون المدني لتنظيم أحكام البيع مؤجل التسليم بثمن معجل وهو المعروف في الفقه الإسلامي ببيع «السلم» وهو نوع من البيوع يشغل موضوعاً مهما في الفقه الإسلامي ويستجيب لحاجة التعامل على نطاق واسع في الوقت الحاضر سواء مع المصارف أو الشركات أو الأفراد، كما تضمن المشروع كذلك الالتزام بنظريات الفقه الإسلامي في سائر نصوص القانون المدني.

وأشار وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء وزير التخطيط في تصريحه إلى أن المشروع سيعرض على مجلس الوزراء تمهيداً لاحالته إلى مجلس الأمة، مؤكدا ان استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية من خلال إعداد مشروعات القوانين المستمدة من أحكام الشريعة بعد دراسة وافية مستفيضة من جهات الاختصاص وفي مقدمتها اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، إنما يعد الأسلوب الأمثل لاستكمال التطبيق الكامل للشريعة. وأعرب الوزير الدخيل في ختام تصريحه عن أنه لا يسعه إلا أن ينوه بكل التقدير بهذا الجهد المتميز الذي بذلته وتبذله اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وعلى ما حققته من إنجازات ضخمة متمنيا للجنة المزيد من التوفيق في خطواتها اللاحقة في تعديل باقي التشريعات وبما يتفق وأحكام الشريعة الإسلامية.



هذا وكان لهذه التوجيهات التي أصدرها سمو أمير البلاد صدى إيجابياً واسعاً في كافة الأوساط الشعبية التي أبدت ارتياحها وسرورها وتمنياتها بالإسراع في تشريع القوانين الإسلامية التي ستجلب الخير والنفع والفائدة على هذا الشعب الطيب المعطاء المتطلع للعيش في ظلال الشريعة الإسلامية السمحة، كما أن أعضاء السلطة التشريعية أبدوا أيضا ارتياحهم وأجمعوا على مباركة هذه الخطوة وطالبوا بتعاون السلطتين التشريعية والتنفيذية لتنفيذ هذه الرغبة الأميرية، وقالوا: بأن هذه الخطوة ليست مستغربة من سمو الأمير وهو الرجل المعروف بصلاحه وتدينه وأنه وعد وأوفى. ■



صلى الله عليه وسلم

في ذكرى مولد خاتم المرسلين

شعر : محسن عبدالمعطي محمد عبد ربه

ما بال (مكة) نوّرتْ أرجاؤها ... واستبشرتْ بك أرضُها وسماؤها؟
أشرقت يا شمس الهدى بشعابها ... فتزينتْ وتعطرتْ أنحاؤها
من نُورِ وجهك قد كسوتَ رحابها ... بِشْر الحَيَا فاخضوضرت بيداؤها

قد كانت الدنيا ظلاما حالكا ... يلهو بخفةِ وزنها جهلاؤها
فيها العبيد معذبون على المدى ... يبكي لشدّة نحسه ضعفاؤها
لم يرع حقا للضعيف قويُها ... سقطت لظلم هالها عذراؤها
هو ذلك الشرك البغيضُ بطبعه ... أزرى بها فتنوعتْ أرزاؤها
والليلُ من سهرٍ يضجُّ بدورها ... حتى اشتكت بدجى الحياة نساؤها
والخمر في الحانات أجّج شهوةً ... همجية غاب الغداةَ حياؤها
والناس كل الناس في دوامة ... تسري بهم وتشعبتْ أهواؤها
ما بالُهم فقدوا الطريق بغيّهم ... فتملكتْهم باللظى هيجاؤها؟

وولدت يا خير الأنام منوّرا ... ساح الحياة وفي يديك دواؤها
والأم آمنةُ الكريمةُ فاخرتْ ... بوليدها وقد أزدهتْ علياؤها
في يوم الاثنين المبارك أنجبتْ ... خير الأنام فأقبلت بُشْراؤها
وحليمة السعدية انطلقت به ... والسعد حالفها وزال شقاؤها

ياسيدي ماذا تقول قريحتي ... فيمن هداها فانجلتْ ظلماؤها؟
وتغلغل النور البهي بصحنها ... واستبشرت بربيعها سمراؤها
خضّرت ساحتها فنوّر قلبُها ... نفسي وهلّل بالمديح وفاؤها
في يوم مولدكم تسير مع الهدى ... ويجول بين العالمين نداؤها

ذكراك خاتمَ رسْلِ ربِّي دعوة ... يهدي الخلائق في الظلام ضياؤها
صلى عليك الله يا خيرَ الورى ... مادام بين العالمين عطاؤها





بقلم: بدرت نوال محمد بدير

صور من جهاد الرسول

تاريخ الإسلام والمسلمين حافل بالعظات، مزدحم بالدروس، لم يخل في فترة من فتراته من عبرة بالغة، ومثل يحتذى، وأثر على الزمان يتحدث الناس عنه جيلا بعد جيل فيستمدون منه القوة ويعيشون من ذكره والتغني به على آمال عريضة تتفتح لها أبواب الحياة، وتمتلىء بها قلوبهم غبطة وسعادة، وتحس نفوسهم الأمن والراحة، ولعل أول هذه العظات والدروس تلك الألوان من العنت التي تعرض لها المسلمون السابقون، وتلك الصنوف من المحن التي أصباتهم في نفوسهم وفي أجسادهم، وفي أموالهم وفي أسرهم.

جهاد وصبر المسلمين الأوائل

ولعل أول هذه العظات والدروس ذلك الجهاد الذي بذله أولئك المسلمون الأولون، وذلك الصبر الذي أخذوا أنفسهم به حتى ضربوا للعالم كله أروع الأمثلة في ضبط النفس، وقوة العزيمة، ورحابة الصدر، ودماثة الخلق ولين الجانب مع الثبات على الرأى والشدة في الإيمان.

لقد جاهد المسلمون الأولون في سبيل عقيدتهم الدينية جهادا عنيفا، ولايزال خلفاؤهم حتى اليوم يجاهدون ذلك الجهاد الذي لن تخمد له نار على طول الزمن،

■ لم تخل فترة من فترات تاريخنا الإسلامي من عبرة بالغة أو مثل يحتذى به

فمنذ اليوم الأول الذي أعلن فيه الرسول الكريم ﷺ رسالته ودعا فيه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام التي لاتضر ولاتنفع والتى لاتعي ولاتسمع، ومنذ ذلك اليوم الأول الذي نادى فيه محمد صلوات الله وسلامه عليه بأنه نبى هذه الأمة أرسله ربه هاديا للناس ومبشرا ونذيرا، وأنه جاء بالحق والخير، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، منذ ذلك اليوم والمسلمون يجاهدون في سبيل الدين، ومن أجل الحق، ومنذ ذلك اليوم وهم يذودون عن عقيدتهم وبلادهم وحرياتهم بكل ماوسعهم من قوة، ومن جهد، لم يبخلوا في هذا السبيل بكل ما يملكون، حتى الدماء بذلوها رخيصة والأرواح جادوا بها في عزة.

ألوان العذاب والعنت

وقد اختلفت ألوان العنت الذي تعرض له المسلمون، كما أختلفت ألوان الجهاد الذي بذلوه، ومرجع ذلك إلى أختلاف المناطق التي تم فيها هذا العنت، واختلاف النفوس التى حرضت عليه، فهو مرة عنت خفيف كاد أن

يكون في الاشارة أو اللفظ، ومرة شديد بالغ الشدة وصل إلى حد القذف بالحجارة والى حد القتل وإلى حد الحرب الجماعية، وكذلك اختلفت ألوان الجهاد، فهو تارة خفيف هين كاد أن يكون بالغض عن الاساءة، وتارة عنيف قوى وصل إلى حد التنازل عن المتاع والمال والولد، بل وإلى حد استعذاب الموت، بل واشتهائه رغبة في دخول الجنة التي وعد الله بها المتقين من عباده المدافعين عن دينه، وكذلك لم يخل عصر من العصور من قليل أو كثير من هذه الألوان.. فالرسول نفسه ﷺ كان أول من أصابه العنت وأول من تعرض للأذى، ثم كان امام المجاهدين المثل الأعلى في الصبر على المكاره والعنوان الخالد على التضحية في سبيل العقيدة، فمنذ الساعة التي تنزل عليه فيها جبريل عليه السلام يطلب إليه أن يصدع لأمر الله، ويلقى إليه ذلك التوجيه الالهى: ﴿ يايها المدثر، قم فانذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر، ولاتمنن تستكثر، ولربك فاصبر ﴾ [المدثر: ١-٧] كان صلوات الله وسلامة عليه يدرك عظم المسؤولية، فلم يكن الطريق أمامه سهلاميسرا، ولم تكن دعوته لتنفذ إلى القلوب التي كأنها صبت من الحجارة.

■ الاقتداء بالمصطفى ﷺ خير ما يعين على الخروج من المأزق التي تمر فيه الأمة

طه حسين وجهاد النبي ﷺ

ولقد أحس النبي ﷺ من أول الأمر، ومنذ أن أمر هذا الأمر الواضح الصريح، أن المهة التي ألقيت على عاتقه مهمة خطيرة، تحتاج إلى كثير من الجهد، والى كثير من الصبر والجلد، وتحتاج إلى أن يوطد النفس على احتمال ماقد يعرض له من العنت والمشقة والأذي، وتحتاج إلى أن يؤدى ماكلف به بقوة وحزم، وهو قد كلف بأمرين لكل منهما شأنه وخطره، وفيهما يقول الدكتور طه حسين:

«فأما أولهما: فهو أن يجاهد نفسه ويأخذها راضية أو كارهة بما سيدعو الناس اليه من تكبير الله بالقلوب والألسنة، ومن التطهير من كل دنس ظاهر أو خفي، ومن هجر الرجز واجتناب المن واستكثار مايأتى من طاعة الله والاجتهاد في ذاته، ومن الصبر لربه على مايبلوه من ألوان البلاء وعلى مايكلفه حمله من ثقال الأعباء.

وأما ثانيهما: فهو أن ينذر الناس بأن حياتهم التي يحيونها ليست كما يظنون لهوا





صلى الله عليه وسلم

صور من جهاد الرسول

ولعبا واستمتاعا بمايتاح لهم من اللذات، واحتمالا لما يعرض لهم من الآلام والمحن والخطوب، انما هي شيء وراء أشياء ولـه مابعده، فليس لهم بد اذن من أن يحتاطوا لما وراء حياتهم من الأمر، ومن أن يأخذوا لـه أهبتهم ويتزودوا بما ينبغي من الزاد».

نصيحة ورقة بن نوفل

ولقد حوربت الدعوة بكل قوة وصلابة، وقال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ يوم أن لقيه يطوف بالكعبة يوما: «والذي نفسي بيده، انك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكذبن، ولتؤذين، ولتخرجن، ولتقاتلن، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه».

وتحققت نبوءة ورقة بن نوفل، فكذب رسول الله ﷺ، وهو الذي لم يعرف عنه الكذب أبدا، والذي عرف بالأمانة والصدق في القول والعمل، فقد كان يدعو الناس إلى الحق وحده، لكي تطهر قلوبهم، وتسمو أوراحهم، وترتفع نفوسهم فتتصل بالذي خلقهم، وخلق آباءهم من قبل، وليعبدوه مخلصين له الدين بهذه القلوب الطاهرة، والأوراح السامية، والنفوس الرفيعة البعيدة عن كل رجس الزاهدة في كل لهو أو فسوق، الممتنعة من أكل الربا ومال اليتيم.

لقد كان يدعو إلى هذا كله، على الرغم من هذه الدعوة التي استوحاها من رب السموات والأرض،وعلى الرغم من أنه عرف بين قومه بالصادق الأمين، وعلى الرغم من تقدير الناس لشخصه واحترامهم له، فقد كذب بعنف، وحاجته قريش فيما يدعيه بقوة، وحاولت بكل جهدها أن تشكك العرب في دعوته بما تذيعه من ترهات وأباطيل، فهو مرةكاهن، ومرة مجنون، ومرة ساحر، وماكان محمدﷺ شيئا من هذا كله، ولكنه النبي المصطفى ﷺ الذي أنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

وأوذي رسول الله ﷺ حيث أغرى به الشعراء يهجونه، ويقارعونه، كما أغرى به غير الشعراء يطالبونه أن يأتي بالمعجزة بعد المعجزة، كما فعل من سبقه من الأنبياء والرسل، ولكنه كان يقابل هذا كله بنفس مطمئنة، وقلب كبير وروح سمحة، ولم يكن يرد عليهم بأكثر مما أنزل عليه من قوله سبحانه: ﴿ قل لاأملك لنفس نفعا ولاضرا إلا ماشاء الله، ولوكنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما من السوء، ان أنا الانذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ [الاعراف:١٨٨].

وأتمرت به قريش حتى لقد حاول رجل قتله عند الكعبة، وكان يلقى عليه التراب، ويقذف بالحجارة، ويرجم منزله، وكان يغرى به السفهاء يلتفون حوله يسبونه ويصيحون به كما فعل أهل الطائف حين خرج اليهم يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه، لقد جاهد محمد ﷺ في ذلك اليوم آلام نفسه، ولم يستطع أن يفعل شيئا إلا أن يشكو أمره إلى الله.

دسائس يهود المدينة

وماكادت الأيام تمضي بالرسول ﷺ في المدينة حتى دخل في جدل مع اليهود، كان أشد حرارة من ذلك الجدل الذي لقيه في مكة ومن قريش، وليس من الغريب أن يقف اليهود من محمد ﷺ هذا الموقف، فان ما طبعت عليه نفوسهم من الغدر والخيانة كان أقوى من أن يحول بينهم وبين ايذاء النبي ﷺ، والتعرض له، والخروج على ماتعاهدوا عليه، ولم يكتف اليهود بما أقدموا عليه من الخازي ومأأظهروه من الغل والكره، وماتطاولوا به على سيد الخلق.

> **حوربت الدعوة بكل قوة وصلابة، و بفضل الله تمكن الرسول من ابلاغ الرسالة**

ولكنهم حينما دخلوا مع سيدنا محمد ﷺ في هذه المعارك، أقاموا تحالفا تعاونت فيه الدسيسة مع النفاق، فأخذوا يدسون له ويوقعون به وبأصحابه، ويثيرون بينهم الفتنة بعد الفتنة ويظهرون غير مايبطنون مكرا وخداعا حتى لقد حاولوا فتنة محمد ﷺ نفسه يوم أن جاءه أحبارهم وأشرافهم وطلبوا أن يحتكموا اليه وأن يقضي لهم ونزل قوله سبحانه: ﴿ وان احكم بينهم بما انزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إ ليك فإن تولوا فأعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ [المائدة:٤٩و٥٠].

وأمام كل هذه الألوان من الأذى والفتن كان على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أن يجاهد ان مهمته الأولى هى تبليغ رسالة ربه، والدعوة إلى هذه الرسالة والعمل على أقناع الناس بما احتوته من خير الدنيا والآخرة، غير أن ماقوبل به من هذه الألوان من الأذى والفتن والتحدي جعلته يفكر في حماية العقيدة بطريقة عملية توقف المشركين عند حدهم، وترهب المنافقين والمخادعين فيمتنع الأذى عن المسلمين، ويمتنع التصدى لمن تفتحت قلوبهم للأسلام، وتأخذ الدعوة سيرها الطبيعي المحتوم، فالله ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ [التوبة:٣٣].

الجهاد لردّ الظلم والعدوان

وأُذِن للمسلمين أن يقاتلوا في سبيل عقيدتهم، وأن يحاربوا من ظلموهم وساقوهم العذاب أشكالا، وأخرجوهم من

جاهد المسلمون الأولون في سبيل عقيدتهم الدينية جهادا عظيماً

ديارهم، وذلك في قول الله تعالى ﴿ أُذن للذين يقاتلوا بأنهم ظلموا. وان الله على نصرهم لقدير ﴾ [الحج:٣٩٩].

وهكذا كان الإسلام إذن في حاجة إلى أن يدفع عنه أهله، وأن يحموه من أذى أعدائه، وأن يعملوا على عرضه للناس في جو من الحرية والأمن والطمائنينة، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليفكر، ومن أجل هذا أذن الله للمؤمنين في القتال لأنه الوسيلة الوحيدة لحماية العقيدة وتأمين المؤمنين بها، حين لاتجدي وسائل السلم.

ليس من شك بعد هذا كله، أن محمدا عليه الصلاة والسلام لم يكن طامعا في مال، أو راغبا في جاه، أو ساعيا وراء سلطان، فقد كان هذا كله ميسرا له لو أراد ودون أن يبذل مابذل من تضحيات وجهاد، ولكنه كان رسولا نبيا ﷺ تنزل عليه الوحي ليأخذ نفسه بالدعوة إلى الإسلام الذي ارتضاه الله دينا للناس كافة، وكان مبلغا لرسالة ربه داعيا لها، وليس من شك كذلك أنه أدرك أن هذه الرسالة هى الباقية على الزمن، وأن ما آمن به واعتنقه هو العقيدة الخالدة، ولذلك تحمل الأذى، وجاهد نفسه على الصبر والأحتمال، وأخذها بالجهاد والتضحية من أجل الخلود، خلود الدعوة، وخلود العقيدة.

إن المسلمين اليوم في حاجة إلى أن يطالعوا هذه السيرة العطرة وفي حاجة إلى أن يمعنوا النظر في كل كبيرة وصغيرة مما حوته هذه السيرة من أعمال وأفعال، ومن خصال وصفات،ومن تحمل للأذى وصبر على المكاره، ومن دفاع لم يعرف اليأس ونضال لم يتطرق اليه وهن، وقوة في الحق لم يتسرب إليها ضعف.

التأسّي والاقتداء

إن المسلمين في هذه الأيام أحوج ما يكونون إلى التأسى بنبيهم المصطفى ﷺ، وانتهاج نهجه في خصاله وفعاله والتزود من دروس حياته وكفاحه وبلائه بما بعينهم على أحتمال الأذى ويقوى نفوسهم على مجابهه الضلال، ويشد من عزائمهم للصمود أمام المكاره التي تحيط بهم من كل ناحية، والدفاع عن عقيدتهم وعن بلادهم وعن حرياتهم التى يريد الأعداء أن ينقضوا عليها انقضاض الصاعقة.

فما أعظمك يارسول الله في شخصك حيث اختارك الله من بين عباده أجمعين لتبليغ رسالته والسهر على دينه، وما أعظمك يارسول الله في خلقك حيث أدبك ربك فأحسن تأديبك، وجعلك على خلق عظيم، وما أعظمك يارسول الله في معاملتك، وماأعظمك يارسول الله في جهادك حيث كنت تقول لأبي طالب: «والله ياعم، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يسارى على أن أرجع عن هذا الأمر مارجعت». وبعد؛ فهذه سيرة جهادك يارسول الله عطرة حية في القلوب، ندعو الله أن يجعلها نورا يضىء لنا الطريق، ويهدى القوم إلى مايرضيك ويعيد للإسلام مجده، وللمسلمين العزة والكرامة ■



الجانب التربوي في حياة الرسول

لقد حدد رسول الله ﷺ، مهمته الأساسية بقوله: «وإنما بعثت معلما» [رواه ابن ماجه] والقرآن الكريم ذكر هذه المهمة الأساسية لرسول الله ﷺ بصراحة فقال الله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ [الجمعة:٢].
فقد أحصت هذه الآية من مهمات الرسول: التعليم والتربية.. تعلم الكتاب والحكمة، وتربية الأنفس عليها. وقد كان الحيز الأعظم من حياة رسول الله ﷺ مستغرقا لهذا الجانب، إذ أنه جانب ينبع عنه كل خير، ولا تستقيم الحياة؛ سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو عسكريا أو حتى أخلاقيا؛ إلا به، ولا يؤتى الإنسان ولا تؤتى أمة، ولا تؤتى الإنسانية كلها، إلا من التفريط في العلم الصحيح، والانحراف عنه، إما إلى الجهل، أو إلى مايضر علمه ولا ينفع.

أهمية العلم في بناء المجتمع

فالأمة بلا علم يوضح لها جوانب سلوكها، وبلا تربية يعرف كل فرد من أفرادها واجبه، تصبح أمة فوضوية، تصرفاتها غير موفقة، وغير منضبطة، وتجد أن لكل فرد من أفرادها سلوكا يخالف سلوك الآخر، وعادات، وتصورات، تختلف فلا تكاد أمة تفلح بهذا ولا فرد. والظاهرة التي نجدها في تاريخ الرسول ﷺ أنه بدأ تشكيل أمة جديدة لها كل مقوماتها الفكرية والسلوكية والأخلاقية والتشريعية والدستورية واللسانية، بحيث ينبت الفرد فيها عن صلته بأي عالم غير عالم هذه الأمة، من حيث العقيدة والسلوك فصهر أفراد هذه الأمة انصهاراً تاما، ثم أطلق هذه الأمة في اتجاه وحيد حدد فيه كل فرد مهمته، ورباه على أدائها، وحدد للجميع المهمة الكبرى، ورسم لهم الطريق، موضحا لهم كل شيء في كل جانب، وقادهم في هذا الطريق فترة ثم تركهم ماضيا إلى ربه، فانطلقوا بعده،

بقلم: أشرف فؤاد موسى

ولم يبدلوا فكان ما كان، ولازال مما نشاهده من آثار المسلم العظيم الذي كلما تعثر أخذت بيده تعاليم محمد رسول الله وتربيته فأنقذته وحركته إلى الأمام.
وكان السلوك أهم ما يربي به الناس، خذ مثلا حسن الخلق لا يؤسس في المجتمع بالتعاليم وحدها أو الأوامر والنواهي المجردة، إذ لا يكفي في طبع النفوس على الفضائل، أن يقول المعلم لغيره: أعمل كذا، أو لا تفعل كذا؟ فالتأديب المستمر يحتاج

■ حدد النبي ﷺ مهمته الأساسية في قوله: «إنما بعثت معلما»

إلى تربية طويلة، ويتطلب تعهدا مستمرا، ويتأثر بالقدوة الصالحة، ولن تصلح تربية إلا إذاً اعتمدت على الأسوة الحسنة، فالرجل السيىء لا يترك في نفوس من حوله أثرا طيبا.
وإنما يتوقع الأثر الطيب ممن تمتد العيون إلى شخصه فيتملكها أدبه، ويسبيها نبله، وتقتبس – بالأعجاب المحض – من خلاله، وتمشي بالمحبة الخاصة في آثاره. بل لابد – ليحصل التابع على قدر كبير من الفضل – أن يكون في متبوعه قدر كبير، وقسط أجل وأعظم.
وقد كان رسول الإسلام بين أصحابه مثلا أعلى للخلق الذي يدعو إليه، فهو يغرس بين أصحابه هذا الخلق السامي، بسيرته العطرة، قبل أن يغرسه بما يقول من حكم ومواعظ. روى مسلم في صحيحه أن معاوية بن الحكم السلمي حدث يوما فقال: بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه! ما شأنكم تنظرون إليّ، فجعلوا

يضربــون بأيـديهم على أفخــاذهم، فلما رأيتهم يصمتـــونني سكت. فلما صلى رسـول اللــه ﷺ – بأبي هو وأمي – ما رأيت معلما قبلـه ولا بعـده أحسن تعليما منـه، فـواللــه مـانهرني ولا ضربني، ولا شتمني.. إنما قـال: «إن هـذه الصـلاة لا يصح فيهـا شيء من كلام النـاس، إنما هو التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن».

صفات كمال المربي

ويظهر كمال المربى بأمور ثلاثة..

١) بمقـدار مـا يستطيـع أن ينقل نفس الإنسان وعقلـه من حالة دنيا إلى حـالة أعلى وكلما رقى بالإنســان أكثر كلما دل ذلك على كماله أكثر.

٢) في سعة دائرة البشر الـذين استطاع أن ينقلهم إلى كمالهم الإنســاني، فكلما كــانت الدائرة أوسع، كلما كان أدل على الكمال.

٣) في صـلاحيـة هذه التعـاليم والتربيـة، وحاجـة الناس جميعـا لها، واستمرار ايتـاء هـذه التعـاليم آثـارها على مـدى العصـور، بحيث لايستغنى البشر عنها.

شهادات موضوعية

وبشهــادة العــدو والصــديق والمؤمن والكافـر، ما بلغ أحـد في تاريخ البشريـة، ما بلغـه محمـد رسول الإنسانية عليـه الصلاة والسـلام، في تلك الجوانب كلهـا، حتى قـال موير: (لم يكن الإصلاح أعسر، ولا أبعد منالا منـه وقت ظهـور محمد، ولا نعلم نجـاحـا، وإصـلاحاً، تم كـالذي تـركه عنـد وفاتـه). وقـالت دائرة المعـارف البريطـانيـة: (لقـد صادف محمد النجاح الذي لم ينل مثله نبي، ولا مصلح دينـي، في زمن من الأزمنـــة). ويقول بوزورث اسمث: (إن محمدا بلا نزاع أعظم المصلحين على الإطلاق).

تلك كانت شهادة الدارسين ممن لم يؤمنوا بمحمـــد ﷺ وقد أعماهم حقد صليبي موروث، فشهدوا ولم يؤمنوا.. وما أغنانا عن شهـادتهم، وشهادة الـواقع أمامنـا على كل جـانب من تلك الجوانب الثـلاث السابقـة.. ونذكر على سبيل المثال – لا الحصر – بعض آثار تربيته ﷺ.

التفريط في العلم الصحيح مهلك للفرد وللجماعة

الصحابة.. نماذج واقعية

أصحـــاب الــرســـول ﷺ الذين شرفوا برؤيتـه والإيمان به، إذا أجرينا مقـارنة بين حياة هؤلاء قبل تلمـذتهم على يد محمد صلى اللـه عليـه وسلم، وبين حيـاتهم بعـده، بين واقعهم قبل ذلك، وبين واقعهم بعـده، لرأينـا النقلة البعيدة الكبيرة الواسعة التي نقل إليها رســول اللـــه ﷺ هؤلاء من طور إلى طور، ومن حضيض إلى سمو لا يدانيه سمو آخر.

خـذ مثـلا شخصية الفـاروق – عمـر بن الخطـاب – رضى اللـه عنـه، في الجاهليـة.. تجده رجلا متبلـد الفكر والطبيعة والعـاطفة والتصـور، محدود الإدراك، همه في الحيـــاة السكر، واللهو، والبطالـة مع أصدقائه. ولولا رسول الله لعاش عمر ومات عمر وما أحس بـه أحـد. ولكنه – رضـى الله عنـه – مـا إن يـرتـوى بكأس الإيمان من يد رسـول اللـه الشريفة، ورمز العدل الـذي لا يكون إلا معه الحزم والرحمة، وسعة الأفق وصدق الإدراك، وحسن الفراسة. عمر الذي أصبح ملء الدنيا سمعها وبصرهـا، ما كان ليكون شيئـا، لولا أنه تربى في حجـر رسول الله ﷺ فأخذ منه العلم والحكمة والتربية.

عبدالله بن مسعـود، راعي الإبل، المحتقر، المهـان في قريش، الـذي ما كـان ليعرفـه إلا

■ شهــــد بعض علماء الغرب بموضوعية تـامة بنجـاح النبي ﷺ فـــي مهمتــــه التربويـة الرسـاليـة

سيـده ومن يستخدمـه، هذا الـرجل النحيل، القصير، الحمش السـاقين، ماذا هـو يصبح بعد أن ربتـه يد النبـوة يصبح الرجـل الذي يعتبر مـؤسسـة أكبر مـدرسـة في الفقـه الإسـلامي، والتي ينتسب إليهـا أبو حنيفـة النعمان، يصبح الرجل الذي يقـول فيه عمر لأهل الكوفة: لقد آثرتكم بعبد الله على نفسي.

المرأة في التربية النبوية

هـذا مع الرجل ، فماذا عن المرأة في التربيـة النبوية والتعاليم السماوية؟!

خرج النسائي عن عائشة رضى الله عنها، أن فتاة، قالت للنبي ﷺ : إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيستـه، وأنا كـارهة. فأرسل النبي ﷺ إلى أبيها فجاء فجعل الأمر إليهـا.. فقـالت: يـارسول اللـه: إني أجـزت ماصنع أبي، ولكـن أردت أن أعلم النساء، أن ليس للآباء من الأمر شيء.

من ثم نـرى كيـف ارتفعت نفسيـة المرأة، حتى أصبحت تعرف حقها، وتريد أن تعرف الأخـريات عليـه. بل تشكو إذا هضم حقهـا، وتجد من يسمع لها. هل كـان يتم ذلك، لـولا تربية الرسول الكريم وتعليمه لهذه الأمة؟!

القرآن الكريم أداة التربية

و كــان القـرآن، حفظــا، وفهما، تطبيقــا، وسلـوكـا، هـو أداة هــذه التربيـة العظيمـة، والـرســول ﷺ كان همه أن يستوعب الناس هذا القرآن حفظـا، وفهما، وتطبيقا، إذ على قدر مـا يستوعبـه أفراد الأمـة على قـدر ما تـرتفع رؤوسهـا، ويسمو تفكيرها، وتتفتح آفاق الحياة أمامهـا، ولذلك جعـل مقياس الخيريـة القرآن، فقـــال ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» [رواه البخاري]. ونحسـب أننا بما ذكرنـا من جـوانب تربيـة الرسـول ﷺ لهذه الأمة كاف للاقناع بـأن العالم ماشهد، ولن يشهـد مربيا كمحمـد ﷺ فعل ما فعل بامكاناته المحدودة ماديـا، وخذ التـاريخ كله، وسلـه، هل استطاع مــرب، أو زعيم أن ينقل أمـــة في هـــذه الفترة المحدودة والإمكـانات غير المتوفرة من النـاحية النفسيـة والأخلاقيـة والفكريـة والحضاريـة والعسكريـة والسياسيـة، إلى عشر معشار مـا نقل إليـه رســول اللــه ﷺ أمته في سنوات معدودات؟ اللهم.. لا.. ■



اتخذ أعداء الإسـلام من تعدد زوجات الـرسول ﷺ ذريعة وتكأة للطعن والتشكيك والقدح في شخصه الكريم، ينتحلـون الأكاذيب والأبـاطيل ليشككوا المؤمنين في دينهم ويبعـدوا الناس عن الإيمان بـرسالتـه ﷺ ودعوته المباركة ودينه القويم. ولا عجب أن نسمع مثل هذا البهتان والافتراء فتلك سنة الله في خلقه، ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾، فهم يقـولون إن محمدا ﷺ رجل شهواني، لا يملك زمام شهوته يحب المتعة الجسدية والميل إلى النساء فهو لم يكتف بزوجة واحـدة أو بأربع كما أوجب على أتباعه، بل عدد الزوجات فتـزوج عشر نسوة أو يزيد سيرا مع الشهوة وميلا مع الهوى، وقـالوا أيضا أن محمدا ﷺ كان يحب النظر إلى نساء الغير ويقصدون بذلك زواجه من السيـدة زينب بنت جحش رضي اللـه عنهما التي كانت زوجـا لمولاه زيـد بن حـارثة ويعتمـدون في ذلك على روايات كاذبة، تجني بها التـاريخ على رسول الله ﷺ . وقالوا فرق كبير وعظيم بين عيسى وبين محمد فرق بين من يغالب هواه، ويجاهد نفسه كعيسى وبين من يسير مع هواه، ويجري وراء شهواته كمحمد.

شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول

بقلـم: أحمد رمضــــــان محمـــــد حمودة المحــــامي

يقول الدكتـور مصطفى السباعي رحمه الله:

حين كنت في دبلن بإيـرلندا عـام ١٩٥٦ زرت مـؤسسـة الآبـاء اليسـوعيين فيهـا، وجرى حديث طـويل بيني وبين الأب المدير لها، وكـان مما قلتـه له: لماذا تحملـون على الإسلام ونبيه وبخاصة في كتبكم المدرسية بما لا يصلح أن يقـال في مثل هـذا العصر، الـذي تعـارفت فيــه الشعــوب والتقت الثقـافــات. فأجـابني: نحـن الغـربيين لا نستطيع أن نحترم رجلا تزوج تسع نساء. قلت لـه: هل تحترم بني اللـه داود، ونبيـه سليمان؟ قال: نعـم وهما عندنا مـن أنبياء التوراة.

قلت: إن النبي داود كانت لـه مائة زوجة كما هو معلوم، ونبي اللـه سليمان كانت له كما جـاء في التـــوراة سبعمائة زوجــة من الحرائر، وثـــلاثمائة مــن الجواري، وكن أجمل أهل زمــانهن، فلم يستحق احترامكم من تزوج ألف إمرأة ولا يستحق من يتزوج تسعـــا؟ ثمانيـة منهن ثيبـــات وبعضهن عجائز، والتاسعة هي الفتاة البكر الوحيدة التي تزوجها طيلة عمره؟

فسكت قليـلا وقال: لقـد أخطأت التعبير أنـا أقصد أننـا نحن الغـربيين لا نستسيغ الزواج بأكثـر من امرأة، ويبـدو لنا أن من يعـدد الزوجـات غـريب الأطوار، أو عــارم الشهــوة. قلت: فما تقـــولـــون في داود وسليمان عليهما السلام وبقيـة أنبياء بني إسرائيل الـذين كـانــوا جميعـا معـددين للـزوجات بـدءا من جـدهم إبراهيم عليـه السلام، فسكت ولم يحر جوابا (١).

سنن الأنبياء

إنهم يريدون أن يشـوهوا نبي الإسلام، فما كـان عليـه الصــلاة والســلام رجـلا شـهوانيـا وإنما كان رسولا إنسانيـا تزوج كما يتزوج البشر ليكون قدوة لهم في سلوك الطريـق السوي وليس هو إلها ولا ابـن إله كما يعتقد النصارى في نبيهم، إنما هو بشر مثلهم فضله الله عليهم بالـوحي والرسالة ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ﴾ [الكهف:١١]. وهذه الفرية قديمة منذ عهد الرسول ﷺ نفسه، فقد سبق إليها بعض اليهود في المدينة ونزل القـرآن الكريم بالرد عليهم في قـولـه عـز وجل: ﴿ ولقد أرسلنا

رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ﴾ [الرعد:٣٨].

فمحمد ﷺ كغيره من إخوانه الأنبياء والرسل السابقين الذين تعددت زوجاتهم وكانت لهم ذرية أيضا، ولم يكن ﷺ بدعا من الرسل حتى يخالف سنتهم أو ينقض طريقتهم، ومعنى ذلك أن تعدد زوجات الأنبياء أمر لا يخالف أو لا يتعارض مع واجبات النبوة وأهدافها، بل قد يعين على تحقيقها كما موضحة فيما بعد، إن الرسول ﷺ جاء قوما يعددون، فهو حين عدد لم كن بدعا بينهم في هذا التعدد، لأن هذه المسألة إن سبقه فيها رسول لم يتزوج فقد سبقه فيها رسل كثيرون تزوجوا أعدادا متعددة (٢).

متى وقع التعدد في حياة الرسول ﷺ ؟

يمكن تقسيم حياة النبي ﷺ الأسرية إلى أربع أقسام، كان أعزب حتى الخامسة والعشرين، وعاش مع زوجة واحدة من الخامسة والعشرين حتى الثالثة والخمسين وتزوج عدة زوجات بين الثالثة والخمسين والستين، ولم يتزوج من الستين إلى لحق بالرفيق الأعلى. فلو كان ﷺ شهوانيا كما زعم أعداء الإسلام لأكثر من نسائه خاصة وهو الشاب الوسيم الجميل النضير، فقد عاش شبابه ملء الأعين مهابة وجلالا وملء الآذان طهرا وعفة. وملء القلوب حبا واحتراما وإعزازا. وكانت كل فتاة في ذلك الوقت تتمنى أن تكون زوجة لهذا الفتى القريشي الوضاء الأمين. أما تعدد زوجاته في طور الشيخوخة فهذا أمر لا يحتمل تأويلا (٣).

حكمة تعدد زوجات النبي ﷺ

لقد كان زواج النبي ﷺ أمرا ضروريا للغاية تقتضيه الدعوة الإسلامية والتشريع الجديد آنذاك، وخاصة في هذه الفترة الحرجة من سنى عمره الأخيرة، التي عمل فيها على جمع ربوع العرب، وتوحيد صفوفهم وتألف قلوبهم حيث تنطلق الدعوة إلى كل بقعة من بقاع الأرض، وزواجه ﷺ في هذه الفترة كانت له حكمة وأهدافه السامية التي تعينه على نشر تشريع الله وإعلاء كلمته، هذه الحكم نجملها في النقاط التالية مع بعض التعليقات السريعة عليها حتى تظهر الحكمة، ويتضح الهدف، وحتى ندحض مفتريات أعداء الله ورسوله، ونرد كيدهم مذمومين مدحورين (٤).

الحكمة التعليمية

لقد كانت الغاية الأساسية من تعدد زوجات الرسول ﷺ هي تخريج بعض معلمات للنساء، يعلمنهن الأحكام الشرعية، فالنساء نصف المجتمع، وقد فرض عليهن من التكاليف ما فرض على الرجال، وقد كان الكثيرات منهن يستحيين من سؤال النبي ﷺ عن بعض الأمور الشرعية، وخاصة المتعلقة بهن كأحكام الحيض والنفاس، والجنابة والأمور الزوجية وغيرها من الأحكام، وقد كانت المرأة تغالب حياءها حينما تريد أن تسأل الرسول الكريم عن بعض هذه المسائل، كما كان من خلق الرسول ﷺ الحياء الكامل.

تروي السيدة عائشة رضى الله عنها أن إمرأة من الأنصار، سألت النبي ﷺ : عن غسلها من المحيض، فعلمها ﷺ كيف تغتسل، ثم قال لها خذي فرسة ممسكة أي قطعة من القطن بها أثر الطيب فتطهري بها. قالت: كيف أتطهر بها؟ قال تطهري بها، قالت: كيف يا رسول الله أتطهر بها؟ فقال لها، سبحان الله تطهري بها. قالت السيدة عائشة: فاجتذبتها من يدها، فقلت ضعيها في مكان كذا وكذا، وتتبعي بها أثر الدم، وصرحت لها بالمكان الذي تضعها فيه فكان صلوات الله عليه يستحي من مثل هذا التصريح وهكذا كان القليل أيضا من النساء من تستطيع أن تتغلب على نفسها، وعلى حيائها فتجاهر النبي ﷺ بالسؤال عما يقع لها. وهكذا مثل هذه الأسئلة المحرجة، كان يتولى الجواب عنها فيما بعد زوجاته الطاهرات.

ولا شك أن لزوجاته الطاهرات رضوان الله عليهن أكبر الفضل في نقل جميع أحواله وأطواره، وأفعاله المنزلية عليه أفضل الصلاة والتسليم ولقد أصبح من هؤلاء الزوجات معلمات ومحدثات نقلن هديه عليه السلام، واشتهرن بقوة الحفظ والنبوغ والذكاء.

الحكمة التشريعية

التي هي جزء من حكمة تعدد زوجات الرسول ﷺ وهذه الحكمة ظاهرة تدرك بكل بساطة، وهي أنها كانت من أجل إبطال بعض العادات الجاهلية المستنكرة ونضرب مثلا بدعة التبني التي كان يفعلها العرب قبل الإسلامي، فقد كانت دينا متوارثا عندهم يتبنى أحدهم ولدا ليس من صلبه، ويجعله في حكم الولد الصلبي، ويتخذه ابنا حقيقيا له حكم الأبناء من النسب في جميع الأحوال في الميراث والطلاق والزواج ومحرمات المصاهرة ومحرمات النكاح إلى غير ما هنالك مما تعارفوا عليه وكان دينا تقليديا متبعا في الجاهلية، كان الواحد منهم يتبنى ولد غيره فيقول له: «أنت ابني أرثك وترثني»، وما كان الإسلام ليقرهم على باطل، ولا ليتركهم يتخبطون في ظلمات الجهالة، فمهد لذلك بأن ألهم رسوله عليه السلام أن يتبنى أحد الأبناء وكان ذلك قبل البعثة النبوية فتبنى عليه الصلاة والسلام «زيد بن حارثة» على عادة العرب قبل الإسلام.

وفي سبب تبنيه قصة من أروع القصص وحكمة من أروع الحكم ذكرها المفسرون وأهل السير لا يمكننا الآن ذكرها لعدم اتساع المجال، وهكذا تبنى النبي الكريم

■ كان لتعدد زوجات النبي ﷺ حكم تشريعية وسياسية ودعوية



شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول

«زيد بن حارثة» وأصبح الناس يدعونه بعد ذلك اليوم «زيد بن محمد». روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال: إن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ «ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن» ﴿ أدعوهم لابائهم هو أقسط عند الله ﴾ [الأحزاب:٥].

فقال النبي ﷺ : أنت زيد بن حارثة بن شراحيل، وقد زوجه عليه السلام بابنة عمته «زينب بنت جحش الأسدية. وقد عاشت معه مدة من الزمن ولكنها لم تطل فقد ساءت العلاقات بينهما فكانت تغلظ له القول وترى أنها أشرف منه، لأنه كان عبدا مملوكا قبل أن يتبناه الرسول، وهي ذات حسب ونسب، ولحكمة يريدها الله طلق زيد زينب فأمر الله رسوله أن يتزوجها ليبطل بدعة التبني ويقيم أسس الإسلام ويأتي على الجاهلية من قواعدها، ولكنه عليه السلام كان يخشى من ألسنة المنافقين والفجار، أن يتكلموا فيه ويقولون تزوج محمد امرأة إبنه، فكان يتباطأ حتى نزل العتاب الشديد لرسول الله عليه السلام في قوله جلا وعلا: ﴿ وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ﴾ [الأحزاب:٣٧]. وهكذا انتهى حكم التبني وبطلت تلك العادات التي كانت متبعة في الجاهلية، وكانت دينا تقليديا لا محيد عنه، وترك قوله تعالى مؤكدا هذا التشريع الإلهي الجديد: ﴿ وما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ﴾ [الأحزاب:٤٠].

■ من المستهجن أن يقبل الغربيون زواج أنبياء بني إسرائيل من مائة امرأة أو يزيد، ويطعنون في نبي الإسلام وحده لتعدد زوجاته 

وقد كان هذا الزواج بأمر من الله تعالى ولم يكن بدافع الهوى والشهوة وكما يقول بعض الأفاكين المرجفين من أعداء الله وكان لغرض نبيل وغاية شريفة هي أبطال عادات الجاهلية وقد صرح الله عز وجل بغرض هذا الزواج بقوله ﴿ لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ﴾ [الأحزاب:٣٧].

الحكمة الاجتماعية

أما الحكمة الثالثة فهي الحكمة الاجتماعية وهذه تظهر بوضوح في زواج النبي ﷺ «بابنة الصديق الأكبر أبى بكر رضى الله عنه وزيره الأول ثم بإبنة وزيره الثاني الفاروق عمر رضى الله عنه وأرضاه. ثم باتصاله عليه السلام بقريش اتصال مصاهرة ونسب، وتزوجه العديد منهن، مما ربط بين هذه البطون والقبائل برباط وثيق وجعل القلوب تلتف حوله وتلتقي حول دعوته في إيمان وإكبار وإجلال.

الحكمة السياسية

لقد تزوج النبي ﷺ ببعض النسوة من أجل تأليف القلوب عليه وجمع القبائل حوله فمن المعلوم أن الإنسان إذا تزوج من قبيلة أو عشيرة، يصبح بينه وبينهم قرابة ومصاهرة وذلك بطبيعته يدعوهم إلى نصرته وحمايته. ونضرب مثالا على ذلك لتتضح لنا الحكمة التي هدف إليها الرسول الكريم من وراء هذا الزواج.

تزوج صلوات الله عليه بالسيدة جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق كانت قد أسرت مع قومها وعشيرتها، ثم بعد أن وقعت تحت الأسر، أرادت أن تفتدي نفسها فجاءت إلى رسول الله ﷺ تستعينه بشيء من المال، فعرض عليها الرسول الكريم أن يدفع عنها الفداء وأن يتزوج بها فقبلت ذلك فتزوجها فقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ تحت أيدينا؟ أي أنهم في الأسر فاعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم، فلما رأى بنو المصطلق هذا النبل والسمو، وهذه الشهامة والمرؤة أسلموا جميعا ودخلوا في دين الله وأصبحوا من المؤمنين وكان زواجه ﷺ بها بركة عليها وعلى قومها وعشيرتها، لأنه كان سببا لإسلامهم وعتقهم، وكانت جويرية أيمن امرأة على قومها.(٥) فما أكرمها من سياسة، وما أجلها من حكمة.

وصدق من قال:

يا ناطح الجبل العالي ليكلمه
أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل ■

الهوامش:

(١) المرأة بين الفقه والقانون، الدكتور مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ص٩٦.
(٢) نظام تعدد الزوجات في الإسلام، الدكتورة كوثر كامل، دار الاعتصام، القاهرة، ص١١٥.
(٣) المجلة العربية، السعودية، العدد ١٧٥، السنة ١٦، ص٨٩.
(٤) القول الجلي في أسباب تعدد زوجات النبي، السيد أبوالحسن القضابي، ص٢٨ بتصرف يسير.
(٥) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول، الشيخ محمد علي الصابوني، دار الصابوني، ص:١٣-٣٢.



خير وافد

بقلم: يحيى بشير حجاج يحيى

قضى ضمام بن ثعلبة ليلته، وهو يستعد للسفر. وفي الصباح الباكر كانت ناقته تشق الطريق باتجاه المدينة المنورة.

كان ضمام وهو في طريقه إلى المدينة يفكر بما جاء به ذلك الرجل القرشي، ويتساءل: لماذا أخرجه قومه؟ لماذا كذبوه؟ وقد لقبوه من قبل بالصادق الأمين؟

كان ضمام كلما ألحت عليه هذه التساؤلات يقول في نفسه: لأسألنك - يامحمد - ولأشددن في السؤال، حتى أعرف الحقيقة.

ووصل ضمام، ودخل المسجد وسأل عن رسول الله ﷺ وقال: أأنت محمد؟

قال الرسول ﷺ نعم!

قال ضمام: يابن عبد المطلب ! إني سائلك، ومغلظ عليك في المسألة، فلاتجدن في نفسك

قال: لاأجد في نفسي، فسل عما بدالك

قال ضمام: إني أستحلفك بربك، ورب من كان قبلك، ورب من كان بعدك، هل أرسلك الله إلينا رسولاً؟

قال النبي ﷺ : اللهم، نعم !

قال ضمام: أنشدك الله، إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، هل أمرك الله أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟

فأجابه النبي ﷺ : اللهم، نعم!

فقال ضمام: وأمرك أيضاً أن نصوم رمضان، ونحج إلى البيت العتيق، وأن يدفع أغنياؤنا الزكاة إلى فقرائنا؟!

وكان جواب النبي ﷺ عن كل سؤال من أسئلة ضمام: اللهم، نعم.. اللهم، نعم..

أحس ضمام بانشراح في صدره، وبفرح كبير يغمر قلبه.

فقال: آمنت بما جئت به، فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. وسأؤدي هذه الفرائض، لاأزيد عليها ولا أنقص، وإن قومي قد أرسلوني إليك لأعرف لهم خبرك، وخبر هذا الدين الذي تدعو إليه..

فالحمد الله الذي هداني للإسلام..

ثم خرج مودعاً الرسول وأصحابه. فقال الرسول ﷺ : إن صدق دخل الجنة.

وعاد ضمام إلى قومه، فاجتمعوا إليه، وقبل أن يقول لهم أي شيء عن الدين الجديد قال: بئست اللات والعزى (مشيراً إلى أن الأصنام التي يعبدونها هي أحقر شيء وأبخسه، وأنه لايقدسها ولايعبدها).

فصاح بعضهم: لا تتعجل - ياضمام - إننا نخاف عليك منها.

ولكنه لم يمهلهم، وقال: إنها - والله - لاتضر ولاتنفع إنكم كنتم واهمين، فاتركوا عبادتها، إن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه من الضلال. كان القوم صامتين، وكان صوت ضمام يدوي، فيهز قلوبهم هزاً.

قال أحدهم: هل تأكدت - ياضمام - من صحة هذا الدين وهل يرضيك ويقنعك حقاً؟

قال ضمام: ياقوم إن الخير كل الخير عند هذا النبي وإني أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.. وقد جئتكم من عنده بما أمركم به، ونهاكم عنه.

انتشر الخبر، وتحدث الناس بما يقوله ضمام، ولم يأت المساء حتى أسلم كل من في القبيلة من رجال ونساء فكان ضمام خير وافد يرسله قومه، وكان قومه من خير من يستجيب لدعوة الإسلام ■





صلى الله عليه وسلم

البشارة..

ما من نبي إلا وبشر بمحمد خاتم النبيين ﷺ

بقلم: سعيد كامل معوض

تناقلت مكة خبر مخاض آمنة بنت وهب عقيلة عبدالله بن عبدالمطلب ذبيح بني هاشم، ثم تناقلت مكة خبر إنجاب آمنة لوليد بهي سيجدد ذكرى أبيه الذي رحل عن الدنيا قبل أن تكتحل عيناه بمرآه.

ولم تكن مكة تدري أن آمنة عندما تمخضت لتلد هذا الوليد، إنما كانت تتمخض لتهب الإنسانية شعلة النور التي خبت بعد أن رفع الله عيسى عليه السلام إلى جواره، وقبض إليه حوارييه وأتباعه ممن عاشت دعوته في قلوبهم فسلكوا سلوكه وتخلقوا بأخلاقه، ولم يبق بعد هؤلاء وأولئك غير نفر من الحنفاء الذين امتدت إليهم دعوة الإسلام من إبراهيم الخليل إلى المسيح عيسى بن مريم عبر قرون الزمان ورغم اختلاف المكان.

وضعت آمنة وليدها في يوم مشهود من عام مشهود، ذلك العام الذي زحف فيه أبرهة بجحافله ليهدم الكعبة بيت الله الحرام، ليصرف الحجيج إلى كنيسة القليس التي بناها لتكون مثابة للعرب يحجون إليها بدلا من الكعبة، لكن الله رد كيد أبرهة إلى نحره، ونصر الكعبة - ظله على الأرض - بالطير الأبابيل، فكان العام عام الفيل، وكان الوليد محمداً، هدية السماء إلى الأرض ﷺ.

ولد محمد ﷺ في جوار البيت الحرام، وكانت علاماته وأوصافه مدونة في كل الكتب السماوية، وعلمها أهل التوراة والإنجيل علم اليقين.. لكن السواد الأعظم منهم عاندوا وكابروا وأنكروا ما أثبته الله، والقليل القليل هم الذين اعترفوا وأقروا وصدقوا.. وباتوا ينتظرون على شوق كأنه الجمر إدراك هذا النبي الخاتم ﷺ، وفي قصة إيمان تبع الأول بالمصطفى قبل ظهوره بمئات السنين ما يؤكد قولنا هذا!

في مكة

كان تبع الأول من ملوك اليمن العظام المعدودين، وكان من هواة الفتوح والغزوات، وقد حقق من الانتصارات ما جعله يسجل اسمه في سجل الملوك الخالدين الذين ملكوا الدنيا، وكتبوا أسماءهم في صفحات التاريخ بحروف من نور.

مر يوما بمكة - وهو يقود جيشه في طريقه إلى الهند - فوجدها جاثمة بين جبال ووهاد، يقيم أهلها في بيوت متهالكة حقيرة، وجوههم تنطق بالفقر المدقع وتدعو إلى الرثاء والاشفاق، وتوقف تبع بجيشه عندهم ليتفقدهم، فلم يحفل به المكيون، ولم يهتموا بمسيره إليهم، ولم يرهبهم جيشه اللجب وصيته الذائع، فجن جنون تبع الأول كيف يلقاه المكيون بهذا الجفاء وذلك الإنكار وهو من هو!، وسأل وزيره عن سر ذلك!، فقال الوزير في إكبار: إعلم يا مولاى ان هؤلاء الناس عرب مثلنا لكنهم يمتازون عنا بأنهم جيران الله وسكان حرمه وسدنة بيته الذي بناه إبراهيم وابنه إسماعيل بأمر من الله عز وجل، وإلى هذا البيت يأتي الحجيج من كل صوب وحدب ليؤدوا شعائر الله، وليشهدوا منافع لهم..

وهنا استبد بتبع الغيظ فقال: وهل هذا ما يجعلهم يستخفون بي ولا يقيمون لي وزنا؟! أنا تبع اليماني فاتح الفتوح، ملك المشارق والمغارب، سيد السادة، ينكرني مثل هؤلاء الرعاع؟! ما عشت إذا لم أجعلهم عبيدا لعبيدي!، ماعشت إذا لم أحول هذا البيت الذي يتطاولون به إلى خربة لا ذكر لها ولا أثر!! هكذا استقر عزم تبع على هدم الكعبة، وقتل سكان الحرم، وتحويل مكة إلى كومة من التراب، ونام الملك الغطريف ليلته في حالة لا توصف من الهم والكمد.

داء ودواء

وأصبح الصباح فإذا بالصداع يكاد يفتك بالملك، وإذا برائحة كريهة تنبعث من فمه ولا يجد لها سببا، وإذا الهرج والمرج يسريان بين صفوف الحشود اليمنية نتيجة لهذا المرض المفاجىء الذي ألم بمليكهم المغوار، واستدعي تبع وزيره وأمره أن يحضر الأطباء والحكماء فقد يجدون له مخرجا مما هو فيه، وأتى أساطين الطب والحكمة وأخرجوا كل ما في جعبتهم من مهارة وعلم، إلا أن المرض أخذ يشتد والداء بات يستفحل، فلا علاج نافع ولا دواء ناجع!

وعلم حبر من الأحبار بمرض الملك، وبعجز الأطباء والحكماء عن معالجته، فذهب سرا إلى الوزير وأخبره أن عنده شفاء الملك! وأسرع الوزير يخبر الملك بما دار بينه وبين الحبر، فأمر الملك باحضاره على الفور ليمثل بين يديه، وجاء الحبر فرأي سوء حالة تبع فقال: مولاى، أصدقني القول لكي تحظى بالشفاء العاجل.. هل نويت شرا بهذا البيت؟ فنظر إليه الملك شزرا ثم قال في ذهول: نعم.. لقد انتويت تخريبه، وهدمه حجرا حجرا، فقد أنكرني أهله وأساءوا استقبالي!

قال الحبر وقد ارتسم على محياه طيف ابتسامة: اعلم يا مولاى ان هذا البيت بناه إبراهيم بأمر السماء فأصبح ظل الله في الأرض، وقبلته التي يتوجه إليها العباد في الصلاة، فيه آيات بينات: مقام إبراهيم وحجر إسماعيل وبئر زمزم التي فجرها الله تحت قدمي إسماعيل وهو وليد، فيه الصفا والمروة وهما من شعائر الله وحولهما وحول الكعبة يكون طواف الحجيج، واعلم يا مولاى ان الله حافظ هذا البيت ولا يستطيع كائن من يكون المساس به أو تخريبه، فإن أردت الشفاء ياmولاى فابتعد عن هذا البيت، واعف عن أهله، واحفظ لهم الإجلال والتقدير، وقل آمنت بالله رب العالمين!

نظر الملك إلى الحبر مأخوذا وقد ملك كلامه عليه سمعه وعقله ثم قال في خضوع واستسلام: آمنت بالله رب العالمين، وصدقت برسله، وعفوت عن القاطنين بأرض الحرم، والله لأحترمن هذا البيت وأقدسه، ولأكسون الكعبة بالحرير والديباج ولأرصعن بابها بالذهب ابتغاء مرضاة الله.

وصدق تبع الأول في وعوده، فشفاه الله، وبدا عليه النشاط، فأسرع بكسوة الكعبة

بالحرير والديباج المرصع بالذهب، وطعم بابها بالياقوت والزبرجد، وأغدق عطاياه على أهل الحرم، فكان بذلك أول من كسا الكعبة، وأول من وزع الهدايا على القائمين عند المسجد الحرام، وأول من منح السدنة المنح والهبات.

الفراق

في صباح اليوم التالي جمع الملك المكين وأوصاهم خيرا بالبيت العتيق، ثم ودعهم وداعا حارا تعانقت فيه كل مشاعر الحب والإعزاز والتقدير، ثم أمر قواده فنادوا في الجنود بالمسير، فساروا حتى أتوا يثرب - وهي يومئذ بقعة موحشة كل ما فيها عين ماء - فنزل الجمع على رأس العين فأقاموا عندها ما شاءوا، ثم نادى منادي الملك بالرحيل، فهب الجميع إلا العلماء والأحبار أبوا مغادرة يثرب! ضاق صدر الملك بما قرره العلماء والأحبار وأحضروا إلى خيمته ليسألهم ما الذي حملهم على الزهد في صحبته والإعراض عن مرافقته في رحلته! فقال كبير الأحبار: مولانا الملك؛ معاذ الله أن نعصيك أو نجفو صحبتك أو نتخلف عن ركبك، وأنت الملك المغوار الذي هابته الدنيا، وسجل التاريخ مفاخره، وثق يا مولانا أننا ما أردنا إلا الحسنى لأنفسنا وللأجيال القادمة من بعدنا، وما أقعدنا إلا أمر جلل وحدث بالغ الخطورة!، نظر تبع إلى البحر مليا يستوضحه المغزى الذي يرمي إليه من وراء كلامه، فواصل كبير الأحبار حديثه قائلا: تعلم يا مولانا أننا الآن في ثرب، وهي بقعة مباركة ولها شرف عظيم، وسيهاجر إليها نبي هو خاتم الأنبياء ﷺ، يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا، وسيرسله الله رحمة للعالمين!

قال تبع مقاطعا وقد أخذ بكلام الحبر: وما اسم هذا النبي؟! قال كبير الأحبار: اسمه محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب من قريش ومن هامتها وابن سيدها، وسيولد في مكة، ويرسل إلى الناس كافة، فيعترض عليه قومه ويصدون عن دينه، ويضيقون عليه الخناق، فيهاجر إلى يثرب فيرحب به أهلها وينصرونه ويؤوونه، ونحن - الأحبار - نأمل أن نكون هؤلاء الأنصار لنؤيد دعوته وننشد أزره، ونصدق بما جاء به من عند الله، فإن لم يسعدنا الحظ ولم ندرك ظهور هذا النبي، فأولادنا وأحفادنا من بعدنا سوف يدركون دعوته، ويباركون هجرته ويكونون له أنصارا! قال تبع: وهل سينتصر محمد؟!

قال كبير الأحبار: نعم سينتصر، وسينطلق نصره من يثرب، وستكون يثرب هذه مهبط الوحي، وقاعدة الدعوة، وملتقى الوفود، وعاصمة الدنيا التي تنطلق منها كلمة التوحيد إلى كل بقاع الأرض!، وسأل تبع في اندهاش: ومن أعلمكم بكل هذه الأنباء وهي مازالت في ظهر الغيب؟! قال كبير الأحبار: كل الكتب السماوية تبشر بهذا النبي، وكل الأنبياء والرسل بشروا به، كل الكتب تقول إنه سيهاجر إلى يثرب، ثم يجند الفيالق، ويجيش الجيوش، فيدك معاقل الكفر، ويدك حصون الشرك، وينصره الله نصرا مبينا! قال تبع وقد ملك الحديث عليه لبه: فاقرأوا لي شيئا من أخبار هذا النبي!

وآمن تُبّع

قال كبير الأحبار: جاء في التوراة: (أحمد عبدي المختار، لافظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، أمته الحمادون، يحمدون الله على كل حال، ومؤذنهم ينادي في جو السماء، صفتهم في الصلاة سواء، رهبان بالليل، أسد بالنهار، لهم بالليل دوي كدوي النحل، يصلون الصلاة حيثما أدركتهم من الأرض، مولده مكة، ومهاجره طابه، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الأمة العوجاء...)، وجاء في التوراة: (أحمد بين كتفيه خاتم النبوة، ليس بالقصير ولا بالطويل، يلبس الشملة، ويجتزيء بالبغلة، ويركب الحمار، ويمشي في الأسواق، معه صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان، أمي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، تكون له وقعات بيثرب، منها له، ومنها عليه، ثم له العاقبة، وصاحبه من الملائكة جبريل، يرعب عدوه منه مسيرة شهر، لا شرطة معه ولا حرس، الله يحرسه).

وورد في الزبور: (اللهم اجعل جاعل السنة يحيا، يعلم الناس انه بشر)، وقال خيقوق الكاهن: (جاء الله من اليمن، وظهر القدس على جبال فاران، وامتلأت الأرض من تحميد أحمد، وملك بيمينه رقاب الأمم، وأضاءت الأرض بنوره، وحملت خيله في البحر).

وواصل الأحبار مطالعاتهم وأحاديثهم عن النبي الخاتم ﷺ، وواصل تبع استماعه فلما انتهوا قال: لقد ملأتم قلبي إعجابا بهذا النبي وشوقا إليه وحبا له، وأشهد الله وأشهدكم أنني آمنت بالرسول محمد ﷺ وصدقت بما أنزل عليه قبل أن أراه، فأقيموا في يثرب كما تحبون، ولا تثريب عليكم في الإقامة، ولولا مقاليد الحكم، ومشاغل الملك لأقمت معكم في يثرب، على أنني سأحملكم كتابا تؤدونه إلى رسول الله ﷺ إن أدركتموه، فإن لم تدركوه فليحمله أبناؤكم من بعدكم، وليعطه السابق منهم للاحق، فمن يدركه فليبلغ الكتاب، وليؤد الذي اؤتمن عليه!

وجاء محمد ﷺ

ورحل تبع الأول عن الدنيا، ورحل الأحبار، وتتابعت الأجيال حتى ظهر محمد ﷺ، وظهرت دعوته، وسمع أهل يثرب ببعثته، فآمن به فريق منهم قبل أن يهاجر إليهم، فكانوا هم الأنصار، هؤلاء الذين صدقوا النبي ﷺ حين كذبه قومه، ونصروه حين خذله أهله، وتذاكر الأنصار يوما كتاب تبع الأول، وتذاكروا وصايا آبائهم المشددة بتسليمه، فأجمعوا على أن يحمله رجل منهم إلى النبي ﷺ، فحمله رجل يقال له أبوليلى، فقام به إلى مكة، فلما بلغها وجد الرسول ﷺ عند قبيلة بني سليم، فذهب إليه، فعرفه النبي ﷺ بمجرد أن رآه وقال له: «أنت أبوليلى؟» قال: نعم، قال: «معك كتاب تبع الأول» قال: نعم.. قال ﷺ: «هات الكتاب»، قال أبوليلى: أأنت كاهن؟! قال النبي ﷺ: «بل أنا محمد رسول الله»، فأعطاه أبوليلى الكتاب، فأخذه النبي ﷺ ودفعه إلى علي بن أبي طالب ليقرأه فقرأ فيه:

(إلى محمد بن عبدالله نبي الله ورسوله، وخاتم النبيين ورسول رب العالمين ﷺ، من تبع الأول حمير بن وردع، أما بعد: فإني آمنت بك، وبكتابك الذي أنزل عليك، وأنا على دينك وسنتك، وآمنت بربك ورب كل شيء، وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الإيمان والإسلام، فإن أدركتك فبها ونعمت، وإن لم أدركك فاشفع لي، ولا تنسني يوم القيامة، فإني من أمتك الأولين، وقد بايعتك قبل مجيئك، وأنا على ملتك وملة أبيك إبراهيم عليه السلام). وختم الكتاب ونقش عليه: لله الأمر من قبل ومن بعد!، فلما فرغ علي من القراءة قال ﷺ: مرحبا بالأخ الصالح (يقصد تبع الأول) قالها ثلاثا، ثم أمر أبا ليلى بالرجوع إلى يثرب، فرجع أبو ليلى وأخبر الأنصار بما لاقاه من النبي ﷺ من حفاوة وتكريم، وحدثهم عما رآه من معجزاته، فأخذ أهل يثرب يدخلون في دين الله أفواجا.

وهكذا توالت البشارات بقدوم محمد كنبي لا نبي بعده ﷺ، منذ آدم عليه السلام وحتى المسيح عليه السلام: ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ [الصف:٦].

وجاء محمد ﷺ بالحق ودين الهدى، لكن فريقا من أهل الكتاب عاند وكابر وصد عن سبيل الله وأنكر ما لديه من دلائل: ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ [البقرة:١٤٦].

وتمر القرون، وتعلو كلمة الحق، ويع الإسلام، وترتفع راية التوحيد، ويتسامى نداء الله من فوق المآذن في كل البقاع والأرجاء، وينصر الله دينه، وتظل قصة إيمان تبع الأول عبرة وعظة، ودليل صدق، وبرهان حق على أن محمدا ﷺ رسول الله ولو كره الكافرون، ولو جحد الجاحدون ■



بيت الله الحرام بمكة المكرمة

المساجد الثلاثة الأول في الإسلام

بقلم: د. إبـــراهيم سليمان عيسى*

كما فضلت بعض الأزمنة على بعضها الآخر، كذلك فضلت بعض الأماكن على بعضها الآخر وأفضل المساجد هي المساجد الثلاثة الأول في الإسلام. فقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قول رسول الله ﷺ: «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى» [رواه مسلم في كتاب الحج. كما رواه الإمام أحمد].

ومعنى شد الرحال إلى هذه المساجد: القصد في الانتقال إليها لزيارتها وأداء الصلاة فيها. والإسلام يحتاط كثيرا في ربط العبادة بالأماكن، خشية أن تتحول العبادة من التوجه بها إلى الله إلى الأماكن نفسها، ومن ثم يعود الشرك بالله من جديد، ولكنه يربط مناسك الحج بأماكن معينة في مكة وما حولها: لإحياء ذكريات تاريخية خاصة.. أو استهداف غايات دينية معينة، وعلى ذلك كان ربط عبادة الحج بأماكن معينة وجواز الانتقال إليها لأداء هذه العبادة.. كذلك يجيز الانتقال إلى هذه المساجد الثلاث وأداء عبادة الصلاة فيها، لأهداف أخرى تستهدف من زيارتها بجانب أداء الصلاة فيها والمساجد الثلاثة هي:



● الروضة النبوية في مسجد المدينة المنورة

■فضّل الله الحرم المكي والحرم المدني والحرم القدسي على ما سواها من المساجد

المسجد الحرام بمكة

زيارته وأداء الصلاة فيه يذكران المؤمن برسالة الرسول ﷺ بعودة الرسالة الإلهية إلى صفائها، وإلى ما كانت عليه، على عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فالكعبة أول بيت لله: ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين. فيه آيات بينات مقام إبراهيم ﴾ [آل عمران:٩٦و٩٧]. وأقامه إبراهيم وإسماعيل: ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة:١٣٧]. وقصدا من إقامته الدعاء والصلاة فيه وأن يجعلهما مسلمين ويخلق منهما أمة مسلمة: ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ [البقرة:١٢٨].

وعهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل بجانب الدعوة إلى الإسلام؛ إزالة آثار الشرك والوثنية المادية في محيط بيته، حتى تكون عبادة الناس فيه خالصة لله، أي أن تكون العبادة له وحده: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا (أي آمنوا) فإن الله بما يعملون بصير. وإن تولوا (أي أعرضوا عن الإيمان) فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير ﴾ [الأنفال:٣٩ و٤٠].

وفي تأكيد ولاية الله للمؤمنين ومساندته لهم في قتالهم ضد الماديين، ووعده بنصرهم عليهم.. ما يوضح خطورة أصحاب الاتجاه المادي في الحياة، ومبلغ عبثهم وفسادهم، ومنتهى سخريتهم بالقيم العليا التي تتمثل تامة كاملة في صفات المولى سبحانه.

وقد أتم الرسول ﷺ في حياته بفتح مكة: تحقيق الأهداف الثلاثة التي ارتبطت ببيت الله بمكة: فحقق مقاومة المادية، وطهر الكعبة من مظاهر هذه المادية التي تمثلت في أحط صورة لها، وهي صورة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، وبذلك حافظ على أن يبقى بيت الله .. لله وحده، لا شريك له، وأعاد لرسالة إبراهيم وإسماعيل، نصاعتها، وهي رسالة الإسلام، وتكوين أمة مسلمة خالصة لوجه الله.

فزيارة المسجد الحرام بمكة، وشد الرحال إليه ليس لأنه مكان عبادة، ولكن لأنه يذكر كل مؤمن قادم إليه بالمهمة التي أنجزها رسول الله ﷺ في حياته بتكليف من ربه، وهي مهمة مقاومة المادية، التي هي ليست ممثلة فحسب في الأصنام، ولكن قبل ذلك: ممثلة في عدم الإيمان بالله واليوم الآخر، وعدم تحريم ما حرم الله ورسوله ﷺ، على أي عهد وفي أي عصر. وبالانتصار على المادية ينتهي الشرك بالله، ويصان بيت الله، لله وحده، وقد جاء قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾.. تعبيرا عما يجب أن يكون لدى المؤمنين من إصرار علي مقاومة

المادية مقاومة مستمرة، إذ لو تركت وشأنها ربما تطغي وتقتحم من جديد كل مكان يعلو فيه صوت المؤمن بـ: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله).

والمادية إذن ليست المادة.. وليست الاستمتاع بها، ولكنها اتجاه مخرب في الحياة للقيم الإنسانية، وللروابط السليمة في المجتمعات البشرية.

المسجد الأقصى

وزيارة بيت المقدس - أو المسجد الأقصى - وأداء الصلاة فيه يذكران المؤمن برسالة الرسول ﷺ بما طلب إليه في كتاب الله من إعلان تصحيح رسالة موسى وعيسى وإبعاد ما لحقهما من تحريف على يد بني إسرائيل: ﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ [النمل:٧٦].

وقد جاء تحريفهم على نحو ما يحكيه قوله تعالى: ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس (والحديث هنا عن الماديين المشركين بمكة) تجعلونه (والخطاب الآن إلى بني إسرائيل) قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ﴾ [الأنعام:٩١].

أي أنهم قسموا كتاب موسى إلى صحف وأجزاء: أبدوا البعض.. وأخفوا الكثير منها، وهذا كناية عن أن التوراة لم تعد صالحة الآن، لأن تكون نورا وهدى للناس، كما جاءت أول الأمر، ولذا كان هناك فراغ في هداية البشرية نزل القرآن ليملأه. كما أشير بعد في هذه السورة في قوله: ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ﴾ (يعني التوراة).

وإسراء الله بعبده محمد ﷺ إلى بيت المقدس هو بمثابة زيارة له من الرسول ﷺ، فإذا ضم إلى هذه الزيارة أداؤه - عليه الصلاة والسلام - الصلاة فيه - كما يروي في الحديث الصحيح - وإمامته في هذه الصلاة لأنبياء بني إسرائيل ومن بينهم: موسى وعيسى.. عد ذلك توجيها من الله بمهمته مع أهل الكتاب، وهي مهمة التوجيه.. وهي مهمة الكشف عن التصحيف وإعلان الباطل الذي باشره المستكبرون من الزعماء في بني إسرائيل في استغلال الرسالة الإلهية التي تصورها التوراة في عهديها القديم والجديد.

وشد الرحال من اتباع الرسول ﷺ بعده إلى اليوم إلى بيت المقدس وأداء الصلاة هناك.. تذكير بحادث الاسراء.. وبالتالي تذكير بما كان لزيارته - عليه الصلاة والسلام - من ارتباط بوجوب إعلان الحق في رسالة الله إزاء أهل الكتاب، مما تآمر على إخفائه المتآمرون من بني إسرائيل، لمصالح دنيوية يرجونها من وراء ما يخفون من الهداية الإلهية.

والقرآن الكريم يفصل بين آياته دعوة أهل الكتاب إلى الرجوع إلى الحق، فيقول في بعضها: ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾ كما كان النمط الأخير: (هو شأن المستضعفين من المستكبرين في مجتمع بني إسرائيل): ﴿ فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون. يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ﴾ [آل عمران: ٦٤و٦٥].

ولم يرق لزعماء بني إسرائيل أن يعلن القرآن الحق الذي أخفوه بصورة ما في رسالة الله لموسى، لأن إعلانه سيفوت عليهم مصالحهم الدنيوية، وأصروا على أن ما أبدوه من كتاب موسى يمثل وحده الحق، وأن ما عداه مما جاء بتصحيحه القرآن: كذب واختلاق ويقص القرآن في هذا الشأن قول الله تعالى: ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية (أي إذا أنزل الله في القرآن حكما على خلاف ما في التوراة) والله أعلم بما ينزل قالوا (أي لرسول ﷺ) إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون. قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل:١٠١و١٠٢].

وبيت المقدس من أجل المهمة التي نيطت برسول الله ﷺ في دعوته في مواجهة أهل الكتاب.. لا يقل أهمية إطلاقا في حياة المسلمين وفي دعوة القرآن، عن أهمية بيت الله في مكة، فكل منهما يتصل اتصالا وثيقا برسالة الله التي أوحى بها إلى رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ فقد طالب القرآن - ويطالب المؤمنين به إلى يوم البعث - بمواجهة الماديين الذين تمركز نشاطهم إذ ذاك في الكعبة بضلالهم.. كما طالب، ويطالب المؤمنين به أيضا إلى يوم البعث، بمواجهة أهل الكتاب - الذين اتخذوا من بيت المقدس قبل الإسلام مقر نشاطهم بتزييفهم في رسالة الله، وبوجوب عودتهم إلى دين الله.

■ بيت الله الحرام في مكة أول بيت وضع لعبادة الله تعالى

كما يعبر عنه القرآن ويعبر عنه دين إبراهيم: جد أجدادهم وآبائهم، وكل من بيت المقدس، وبيت الله بمكة إذن: مشعر أي تعبير مجسم لجانب من جوانب الدعوة الإسلامية، وفقد المسلمين لأي منهما - في أي وقت - هو فقد للعوامل التاريخية التي تذكى روح النشاط للدعوة إلى الإسلام، والتي تعود بصلة الرسالة للرسول ﷺ إلى إبراهيم، والتي تلقي الضوء الواضح على حق هذه الرسالة في مواجهة ضلال الماديين، وتصحيف المستكبرين من أهل الكتاب والتي تضع أمام البشرية إلى يوم البعث: هداية الله للمستوى الفاضل من الإنسانية.

المسجد النبوي

مسجد الرسول بالمدينة النبوية، وأداء الصلاة فيه، يذكران المؤمن برسالة الرسول ﷺ: انه المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، كما يذكرانه ببناء المجتمع الإسلامي وتطوره في هذا البناء الذي ارتبط به.. إلى أن انتهى الوحي بقوله تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة:٣]، فشأن المجتمع الإسلامي: في



قبة الصخرة المشرّفة في القدس

علاقة أفراده بعضهم ببعض.. وفي سياسة حكمه.. وفي صلاته بـالآخرين في المجتمعات الأخرى.. تحدّدَ في هذا المسجد بما كان يتلوه فيه رسـول اللـه ﷺ: من وحي ينزل عليه، لمعـالجة مشاكل المؤمنين وقضـايـاهم التي كانت تحدث لهم، وتتجدد من حين إلى آخر.

والقرآن الكريم – بما جاء في السور المدنية منـه – يوفـر للمؤمنين دستـور هذا البنـاء، ونظـام حكم مجتمعهم: إن في العـلاقـات الاجتماعيـة.. أو في المعامـلات الاقتصاديـة والماليـة.. أو في شـؤون الأسرة.. أو شـؤون الحرب والسلم.. أو في شـؤون السيـاسـة الدولية.

وهكـذا: اقترن بيت اللـه بمكـة بمقـاومـة الإلحاد واتجاه المادية في الدعـوة الإسلاميـة للقضـاء عليهما.. واقترن بيت المقـدس والمسجـد الأقصى هنـاك بريـادة الدعـوة الإسلاميـة في تصحيح انحرافات أهل الكتاب.. ومسجد المدينـة يقترن بقيام مجتمـع إنساني معافى من وبـاء المادية، ومـرض الاختـلاف والتصحيف في الرسالة الإلهية من أصحاب النفعية ممن وقعوا تحت تأثير إغـراء الدنيا، وجاه الحياة المادية من أهل الكتاب.

والقـرآن في دعـوتـه مـوزع على هـذه الاتجاهات الثلاثة:

١ – توضيح عـاقبة الماديـة وشرورها على البشرية في حديثه عن الشرك والمشركين..

٢ – وتـوضيح التحـريـف في الـرسـالـة الإلهيـة: في كـلامـه عن أهـل الكتـاب ومعارضتهم لدعوة الرسول ﷺ.

٣ – وتـوضيح الصراط السـوي للمجتمع الإنسـاني المهـذب: في تنـاولـه للمؤمنين ولآثار الإيمان في الحياة الإنسانية.

■ زيـارة المساجد الثلاثة تـذكّـر المسلم برسالة نبيه ﷺ ومراحل دعوته

وشـد الرحـال إلى هـذه المساجد الثلاثـة له دلالته القوية إذا، ولـه كذلك آثاره على المؤمن في اعتـزازه بانتسـابه إلى أمـة القرآن، لأنها الأمـة التـي تقيم مجتمعهـا على أسـاس من التقـوى.. على أسـاس من تجنب مفاسـد الماديـة، وتجنب استغلال دين الله في سبيل مصالح دنيوية.

وطـالما كانـت الفرصـة أمـام المسلمين متـاحـة لـزيـارة هـذه المساجد الثلاثة.. فسبيل الاعتـزاز والفخر بالانتماء إلى الأمـة الإسـلاميـة مفتـوح لكل مسلم، لم يغلـق بعد.

ومن هنا كانت صيـانـة هـذه المساجد الثـلاثة وبقـاؤهـا تحت إمـرة المسلمين: واجبـا دينيـا وتاريخيا وإنسانيا في عنق المسلمين وحدهم.

■ إلى متى تبقى قبلتنا الأولى رهينة الاحتلال الاسرائيلي؟

بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى

بيت المقـدس قبلـة المسلمين الأولى حتى قبيل غـزوة بـدر الكبرى، وحتى نزل قـولـه تعـالى: ﴿قـد نـرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلـة ترضـاها فـول وجهك شطر المسجـد الحرام وحيث مـا كنتم فـولـوا وجوهكم شطره﴾ [البقرة: ١٤٤].

وحينئذ حول ﷺ قبلته في الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبـة (بيت اللـه الحرام). وهو أحد المساجد الثلاثـة التي تشد إليها الرحال، هـو والبيت الحرام، ومسجـد النبي ﷺ بالمدينة، والمسجد الأقصى مسرى النبي ﷺ ومنه عرج إلى السماء، وفي رحابه صلى النبي ﷺ بالأنبياء، وكان لهم إماما، وهو الأرض المقدسـة، وبه مسجد أبي الأنبيـاء (إبراهيم عليه الصـلاة السلام) وهي أرض المسيح – على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام التي يقدسهـا النصاري، ويحجـون إليها، وهـذا المسجد هو المسجد الأقصـى الذي بارك الله حـوله، وأنـزل فيه قـوله تعـالى: ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آيـاتنـا إنـه هـو السميع البصير ﴾ [الإسراء:١].

وسمى بـالمسجـد الأقصى ، لبعـده عن مسجد مكة مسـافة أو زمنا، ولا يستقيم أن نقصد الزيارة بالراحلة إلا إلي ثلاثة مساجد:

«المسجد الحرام، والمسجد النبـوي، والمسجد الأقصى» وما عـداها من المساجد متسـاوية الأقـدار: وخص الثـلاثـة بـالشرف والفضل لأنها أبنية الأنبيـاء، ومتعبداتهم، ولأن الأول إليـه الحج والقبلـة، والثـاني: أسس على التقـوى. والثـالث: قبلـة الأمم الماضيـة. ومعـروف أن بقيـة المساجـد متسـاويـة في الفضل والشرف.

القدس مدينة إسلامية عربية

إن القـدس «أو» بيت المقـدس كنعانيـة عـربية أسسهـا أصحابها قبل أول عهـد لليهود بها، بأكثر من ألفي سنة، «واسمها العــربي» أورسليم «أي بيـت الســلام» [النهـاية لابن الأثير جـ١] وان إبـراهيم عليــه الســـلام، وإسحق ويعقــوب (إسرائيل) ومـوسى لم يملكـوهـا، بل إن سيـدنا إبـراهيم (عليه السـلام) لم يملك لنفسه مقدار قبر يدفـن فيه زوجته سارة فـالتجأ إلى بعض العـرب، واشترى منهم مغارة ليتخذها مقبرة لها، وكذلك ابن ابنه: يعقـــوب (إسرائيل) اشترى مـن العـــرب قطعـة الحقل التي نصـب فيهـا خيمتـه، اشتراها من يد (بنى حمور).

وأول اتصال للإسرائيليين ببيت المقدس كـــان حين فتحهـــا داود، وظل العـــرب حينذاك يعيشون في مـدينتهم القدس ولم تنقطـــع صلتهـــم بها حتـــى العصر الإسلامي.

يقول الشيخ عبدالعـزيز الخياط وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية بالأردن. إنني أؤكد أنه ليـس لليهود أي أثر ووجـود قديم أو حتى مجرد دليل على وجـــودهم في المسجـــد الأقصى بجميع مسـاحـاتـه، ولم يكن لسيـدنـا داود أو سليمان عليهما الســـــلام، ولا لأي من اليهود أي وجود تـاريخي في هذه المنطقة بالذات.

وقد حاول اليهود إثبات ذلك عن طريق الحفــريــات حـــول المسجـــد الأقصى، والتلمس في الأدلـــة التـــاريخيـــة فلم يستطيعوا أن يـأتوا بدليل واحـد وجميع التسميات التي تطلق على أمـاكن المسجد الأقصى هي تسميـات إسـلامية حـاول اليهود تزويرها بتسميتها إلى أشخاص أو وقائع يهوديـة قديمة، وقـد تحديناهم أن يأتوا بأي أثر يدل على وجودهم التاريخي فلم يستطيعوا إثبات ذلك.

القدس مدينة مقدسة

القدس مدينة مقـدسة في نظر المسلمين بحكم عقيـــدتهم الـدينيـــة التي تتضمن التصـديق بكل الـــرســالات السماويـة، وبجميع أنبيــائه ورسلـــه وبسبب ذلك حـافظـوا عليهـا وعلى جميع مقـدسـاتها الموسويـة والمسيحية، والإسلاميـة بعدل تـام، سجلـه التـــاريخ، وظلت على مــدى تاريخ المسلمين مـوضـع رعايتهم العـادلة التي اعترف بها ورضى عنهـــا العـــالم أجمع.

إن هذه المدينـة تحوي مقدسـات دينية يهودية ومسيحية وإسـلامية، ويجب أن يكون الإشراف عليها لمن يؤمن باحترام ما أنزل الله من رسـالات؟ متعددة ومختلفة كالمسلمين.

والإســــلام كما هـــو معـــروف يجعل الإيمان بهذه الرسالات جـزءا لا يتجزأ من العقيـدة الإسـلاميـــة، وبـذلك لا ضمان لجميع هـذه المقـدسـات إلا في ظل الحكم الإسلامي العربي.

وقـد دل التـاريخ في مـدى أربعـة عشر قرنـا على قيام الحكم الإسـلامي العربي بهذه الـــرعـايـــة، مهما اختلفت الـــدول الإسلامية التي يمثلها هذا الحكم.

ويروي التـاريخ أنه في فترة من الـزمن خـرج بيت المقدس مـن سلطان الإسـلام وأهله وبعد الحكم الإسـلامي من القدس، فنـزلت المظـــالم بنصـارى الشرق، حتى أعـانـوا الجيـــوش الإســلاميـة على رده لسلطـــان المسلمين، ليعـــود إليهم أمنهم الـذي فقـــدوه. إن بيت المقدس أرض من أرض الإسـلام اغتصبت منـا اغتصابـا، واغتصبت مع اغتصابها حريتنـا الدينية، وحريـة النصارى أيضا وكان حقـا علينا بمقتضى العهد الذي قـدمه الإمام عمر أن نسترد من المغتصبين مـا اغتصبـوه، وأن ندافع عن الأرض التي هي أرض الإسلام. وإن عهد عمـر لازال في رقاب المسلمين إلى اليـوم. إن الشعب العـــربي ، في القـدس، ينتظـــر من كـل الشعـــوب العــــربيـــة والإسلاميـة أن تسانده، ولـو تم له ذلك، فإنـه سينتصر بإذن الله، وتعـود القدس بصخـرتها المشرفـة، ومسجدهـا المبـارك إسلاميـة عربية وتظل على مـدى التاريخ مـــدينـــة النــــور والسلام، ان القدس تستغيث، ومسجـدهـا الشريف، بنـاؤه وصخرته الطاهرة تنتحب، وتراثها الديني كله يتألم وتهدده الأخطار، وكـل أثر فيها ينـاشـــد المسلمين عـامـة في كـل مكـان والشعـوب العـربيـة خـاصـة، بل وكل الأحـرار في العالم أن ينقـذوه، ويخلصـوا القدس من نير الاستعباد والاستعمار.

تدويل القدس مرفوض

إن ما يشاع في الأوسـاط، على أي مستوى من المستـويـات عن تـــدويل القـدس أمـر يرفضه الإسلام والمسلمون لأن ذلك يخرج المدينة المقـدسة عن وضعهـا الطبيعي وفيه افتئات وتجرؤ على حقوق العرب والمسلمين، إذ إن ذلك ينقص حقـــوقهم في بلادهم التي أثبت التاريخ حسن قيامهم على حكمها.

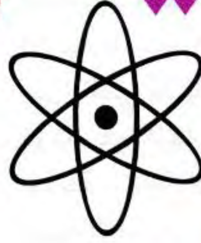
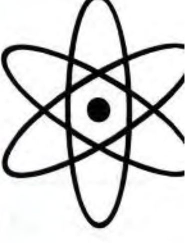
إن الأمل في اللـه سبحـانه وتعـالى قـائم، ونصره أكيد لمن اتبعه وآمن بهداه قال تعالى: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصـــــالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الـــذين من قبلهـم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبـدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾ سوة [النور:٥٥].

فاتقـوا الله – أيها المسلمـون – واخشوه يكن النصر لكـم، واللـــه معكم ولـن يتركم أعمالكم. عن جابـر بن عبد اللـه رضى الله عنـه أن عمـر بن الخطـاب: (أتى النبي ﷺ بكتاب أصـابه من بعض أهل الكتـاب فقرأه على النبـي ﷺ فغضب، وقال: «اتتهولون (يعني اتتحيرون فيها) يـا بن الخطاب» ثم قال آخر الحديث: «والـذي نفسي بيده لو أن مـوسى كان حيـا ما وسعـه إلا أن يتبعني» [رواه الإمـــام أحمد]. إن المسلمين أحفظ الناس لقدسية هذه المدينة.

وفق الله المسلمين للحفاظ على مقدسـاتهم واسترداد ما اغتصب منهم، وهو نعم المولى ونعم النصير ■

* أستاذ بجامعة الأزهر

التكنولوجيا فريضة شرعية

بقلم: ممـــــدوح الشيـخ

يكاد تاريخ البشرية يكون سلسلة متصلة من الصراعات بين الحضارات الكبرى على سيادة هذا الكوكب، فالانسان وقد جعله الله خليفة في الأرض انشغل بهذه الصراعات الدامية عن غايات خلقه الله من أجلها ووضحها له أوضح البيان.

■ لم يحظ أي سلاح بأهمية تجاري أهمية سلاح التكنولوجيا ماضياً وحاضراً

صراع وأسلحة

فمن حروب الفراعنة مع الهكسوس والحيثيين إلى حروب الاسكندر إلى الصراعات بين خلفائه إلى حروب اليونان والرومان إلى غارات الفايكنج إلى غارات التتار والمغول إلى حروب الصليبية إلى الحروب الدينية المسيحية إلى مجازر الجنس الابيض التي ارتكبها في سبيل احتلال العالم الجديد واقتسام العالم القديم إلى الحربين الكونيتين، وما تخلل هذه الجولات من حروب أخرى أقل شهرة خاضها الانسان في بحار من الدم استهدفت سيطرة جنس أو عرق أو حضارة بعينها على الاجناس والحضارات الأخرى وبتطور حياة الإنسان تطورت وسائل الصراع ومرت بتغيرات عظيمة، استفاد المتصارعون خلالها من كل المعارف البشرية المتاحة – وسعوا إلى زيادتها – من أجل الوصول إلى وضع الأقوى في هذا الصراع المرير.

سلاح التكنولوجيا والمستقبل

ولا أظن سلاحا حظى بما حظيت به التكنولوجيا من مكانة في حسم الصراعات في هذا العصر، حتى صارت المعارك تحسم – أحيانا – قبل أن تبدأ وبمجرد علم أحد أطرافها بامتلاك الآخر لسلاح معين يضمن له حسم المعركة لصالحه وهو ما يعرف بعنصر الردع. وهكذا انتهى عصر التفوق الكمي ليبدأ عصر التفوق الكيفي وتراجعت أمم كثيرة كانت في موقع الصدارة بما تملك من كثرة وأحرزت أمم أخرى موقع الصدارة بما تملك من تكنولوجيا فائقة القدرة. ومما لا شك فيه أن التكنولوجيا أصبحت من أهم ضمانات الحفاظ على السيادة الوطنية والاستقلال فضلا عن الرخاء الاقتصادي، وأصبحت الثروة الحقيقية لكل أمة هي ثروتها من التكنولوجيا وقدرتها على الاستعانة بها في خوض معاركها الاقتصادية والسياسية والعسكرية بالطبع! ويبدو مستقبل العالم الإسلامي في العقود المقبلة مرهونا

بقدرته على إحراز هذا السلاح والايمان بدوره وتوظيفه التوظيف الصحيح، فمقومات التقدم الاقتصادي تكاد تكون موجودة بالكامل - وبوفره - في عالمنا الإسلامي ولا ينقصنا سوى الاستعانة بالتكنولوجيا لبناء أمة قوية غنية قادرة على دخول التحدي أمام خصم شرس مدجج بأقوى الأسلحة وأكثرها تقدما حتى لانكون في لحظة في مواجهة هذا الخصم ونحن نعيش خارج الزمن.

الأوليات والأولويات و(الأوجبيات)

من أوليات التصور الإسلامي لما يتسلح به الحق في صراعه مع الباطل ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ [الانفال:٦٠]، والمتأمل في هذه الآية يلمح أمرا قرآنيا صريحا بامتلاك كل انواع القوة الممكنة ﴿ ما استطعتم ﴾ ثم تأتي كلمة ﴿ قوة ﴾ غير معرفة لتتسع للدلالة على كل أنواع القوة والنص صريح في التفرقة بين القوة العسكرية ﴿ رباط الخيل ﴾ وبين قوى أخرى يعدها معسكر الإيمان قبل أن يخوض صراعه المقدس مع الباطل. والتعبير في الآية بقوله تعالى ﴿ وأعدوا ﴾ لايترك مفرا أمام جنود معسكر الايمان من الترتيب والتنسيق لإحراز اكبر قدر ممكن من القوة لا الاندفاع العشوائي المرتكز على العاطفة فقط، ولا شك أن لكل عصر قوى تميز صراعاته وتهيء لمحرزها سبيل المجد والنصر، وتلك سنة كونية: ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ [الفتح:٢٣]،

وأما إرهاب أعداء الله فهو عنصر الردع الذي أصبح حاسما في صراعات الأمم ربما بشكل غير مسبوق، والذي يعتمد بشكل أساسي على امتلاك تكنولوجيا قادرة على حسم الصراع وربما قبل أن يبدأ، ولا أظن الأمة الإسلامية في حاجة إلى استيراد مفهوم الردع من علماء الاستراتيجية المعاصرين، وهو موجود بين دفتي كتاب الله منذ أربعة عشر قرنا، غير أنها - للأسف الشديد - في حاجة ماسة إلى استيراد ما يحقق لها هذا العنصر من عدو لن يمكنها من ذلك، وهي تخوض أخطر معاركها في أسوأ أحوالها.

على أبواب قرن جديد

ولما كان إدراك الأوليات يسبق ترتيب الأولويات، ولما كانت قضيتنا من أوليات التصور الإسلامي في قضية الصراع بين الحق والباطل، فإن التكنولوجيا تصبح من (الأوجبيات)

■تحديات القرن المقبل



التي تتجاوز ما يمكن الخلاف حوله. والصحوة الإسلامية التي تبدو مظاهرها في كل دول العالم الإسلامي تقريبا في حاجة ماسة إلى وضع هذه القضية على جدول أولوياتها للأسباب الآتية:

أولاً - استهداف العالم الاسلامي:

أن العالم الإسلامي مستهدف وسيادته مهددة بشكل دائم وكل ما يحفظ للعالم الإسلامي هذه السيادة يصبح واجبا شرعيا تأثم الامة بتركه - فضلا عما خسرته وتخسره وما يمكن أن تخسره في مستقبلها - بل ربما أصبح وجودها نفسه مهددا.

ثانياً - الصراع العقدي:

أن قضية فلسطين وهى قضية المسلمين الأولى ليست فقط صراعا عقائديا - وإن كانت دوافعه عقائدية محضة - وإنما أخذ أشكالا متعددة وستشارك في حسمه عوامل متعددة منها ما أحرزه العالم الإسلامي من تقدم تكنولوجي يدعم موقفه العسكري في أي صراع قادم.

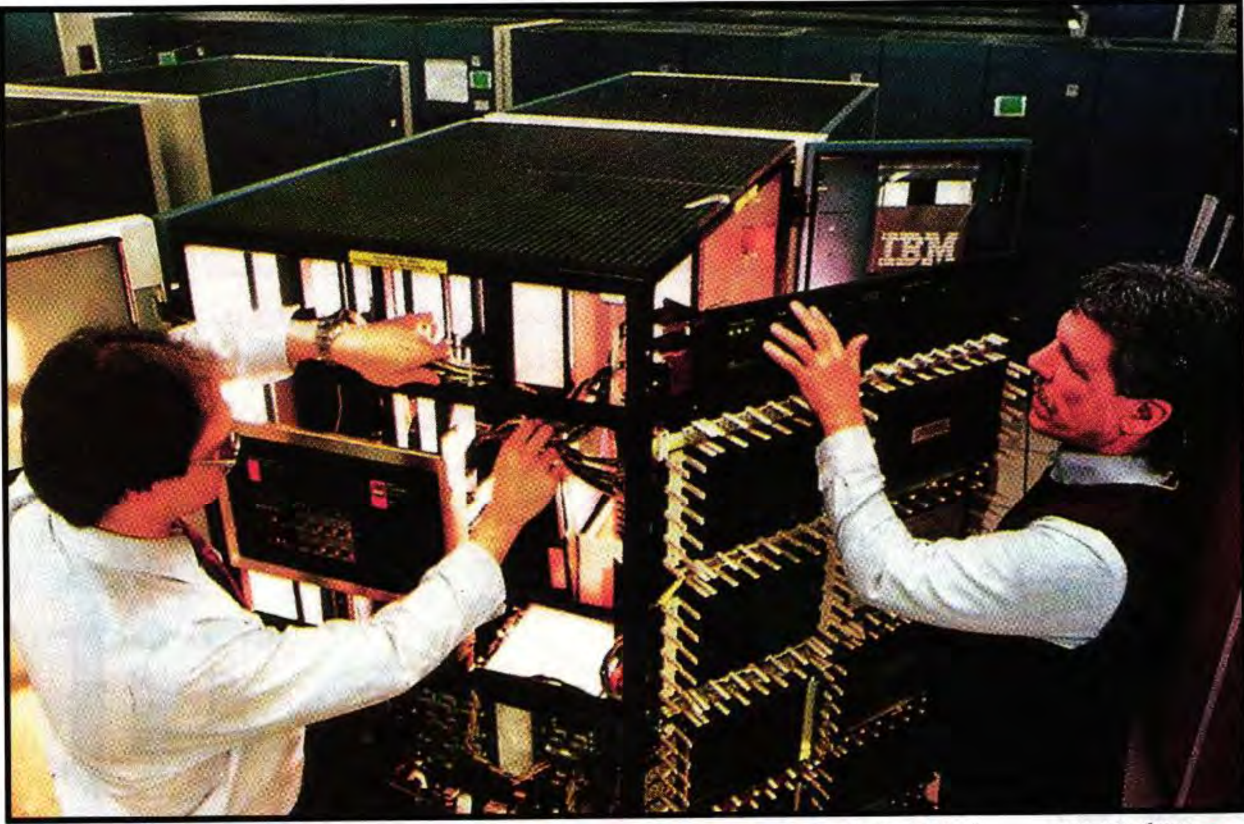
ثالثاً - اليسر الاقتصادي:

أن التكنولوجيا أصبحت مفتاح الرفاهية الاقتصادية في عصرنا الحاضر وأن العالم الإسلامي لن يتجاوز أزمة الفقر والجوع والتخلف التي تكاد تخنقه إلا بالاستعانة بالتكنولوجيا في عصر تتطور فيه المعارف وتطبيقاتها بسرعة مذهلة.

رابعاً - تطوير الوسائل والأساليب:

أن التيار الإسلامي وقد قطع

■ نحتاج ونحن نواجه تحديات حضارية كبيرة أن نعيد ترتيب الأولويات والأوجبيات



● للتقدّم التكنولوجي موقع الأولوية في دول العالم الصناعية

مسافة لابأس بها في طريق جمع شعوب العالم الإسلامي حول رموزه وبرامجه أصبح في حاجة ماسة لتطوير العمل الإسلامي وتكوين قاعدة عريضة من العاملين بالنشاط المجتمعي البعيد عن العمل السياسي والدعوى حتى يتسع الصف ربما لإضعاف من يوجدون فيه الآن ممن لاطاقة لهم على الانخراط في عملية تغيير سياسي – سلما أوحربا – ولاتؤهلهم مواهبهم لارتقاء منابر الدعوة، وبعضهم لايقل اخلاصا لدينه عمن أعلنوا انتماءهم وتحملوا في سبيل ذلك ما تحملوا فكل ميسر لما خلق له.

خامساً – الدور الاجتماعي:

أن التكنولوجيا تحتاج إلى تهيئة اجتماعية تنبت في تربة العالم الإسلامي الذي يرزح تحت ركام الأمية التعليمية – فضلا عن الأمية الثقافية والعلمية – وإذا لم تجد هذه القضية مكانا لها بين اهتمامات القائمين على العمل الاجتماعي فإن الطريق يصبح طويلا جداً وشاقا جدا على الحكومات إن أرادت قطعه بمفردها، فنسبة كبيرة جداً من حكومات العالم الإسلامي تعاني من أجل توفير الحد الأدنى من المعيشة لشعوبها مما يعيقها عن السير في هذا الطريق بخطوات واسعة بينما الآخرون يقفزون قفزات واسعة متتالية.

سادساً – غناك قبل فقرك:

أن بعض أقطار العالم الإسلامي تمر بفترة من الثراء قد لا تستمر طويلا، ولذا فمن الحكمة، استغلال هذه الفترة لتكوين البنية الأساسية للمؤسسات التكنولوجية التي تضمن لها نفس مستوى المعيشة عندما تنضب ثرواتها الطبيعية بدل أن تأتي السنوات العجاف ولم ندخر لها شيئاً.

سابعاً – المياه والحياة:

أن عددا من دول العالم الإسلامي توشك أن تواجه أزمة مياه حادة لايعلم نتائجها إلا الله وإذا لم تتحرك فورا لإيجاد بدائل لمواردها الحالية من المياه تسد حاجاتها فستكون في مواجهة أخطر كارثة يمكن أن تحيق بمستقبلها القريب، ولا أظن وسيلة يمكن أن تعين على حل هذه الأزمة غير التكنولوجيا.

ثامناً – تجارب ناجحة:

أن السنوات القليلة الماضية شهدت تجارب إسلامية ناجحة لمؤسسات خيرية تعمل في مجالات الدعوة والإغاثة، وتجارب أخرى في مجال الأقتصاد اللاربوي، وقد يكون من الضروري أن تتحول هذه الفكرة هى الأخرى إلى مؤسسات خيرية وأخرى تجارية تشارك في سد النقص الحاد الذي يواجه العالم الإسلامي في سلعة تعتبر سلعة العصر.

إنها دعوة لاستدراك ما فات ونحن على أعتاب قرن جديد ينذر – وقبل أن يبدأ – بتحديات جسام تواجه العالم الإسلامي ولا مهرب منها. والله من وراء القصد ■

كان الإسلام، ومازال، وسيبقى، دين العقيدة الصافية، والتوحيد الخالص، في ماضي الحياة، ومستقبلها. والدين الذي يقود الدنيا، لا يمكن أن يصطدم مع حقائق الحياة، لأنه دين الصلاح ودين الإصلاح، والرنو إلى الآخرة بنعيمها وفلاحها. إن الإسلام ليس دين فئة خاصة، ولا دين مصلحة خاصة، وانما هو دين العالمين، وتحقيق مصالح الناس أجمعين: إنه دين قيادة الحياة بالكتاب والسنة، لا دين الانقياد للحياة وتصورات البشر القاصرة، إنه دين إصلاح الأحوال، لا دين استثمار الأقوال، إنه دين الله القيم، الذي يجب أن يسعى الجن والإنس للإفادة من كمالاته لا أن يسعى هو لأحد ويتنازل عن حقائقه وغاياته. إنه دين إضاءة السبل المعتمة، وبعث النور في القلوب الظالمة المظلمة، دين يتسع لمسيرة البشرية فيحقق آمالها، من خلال سماحة مطلقة، ويقين ثابت، ومنهج لا يصطدم أبدا مع مفردات الحياة، وهذا جانب من جوانب إعجازه كدين خاتم، يحل كل المشكلات، ويتعامل مع الحقائق لامع الشكليات، من خلال وجوده الحقيقي الكامل.

أنتم الفقراء إلى الله

بقلم: د. محمد شتا أبو سعد

■ كرّم الله الانسان بالعقل، وهداه به إلى طريق الخير ليسلكه، والشرّ ليجتنبه

■ تقوم عمارة الأرض على ركنين اثنين: الإيمان الخالص والعمل الجاد

■ إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده

لقد كان الإسلام، ولازال، وسيبقى، دين الوجود الحقيقي، لا مجرد الوجود الشكلي فإما أن يكون هناك إسلام بكل معنى الكلمة، وإما ألا يكون هناك إسلام على الإطلاق، تلك حقيقة ينبغي الوقوف عندها، قبل أي حقيقة، فحقيقة الإسلام فوق كل حقائق الأنام، وليس هناك حل وسط في هذا الصدد، فإما الحق مسيدا دائما ومتسنما ذراه، وإما الباطل ولاحول ولا قوة إلا بالله: ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال فانى تصرفون؟ ﴾ [يونس:٣٢].

وبهذا تتحدد الأمور وتتكشف الحقائق، وأولها حقيقة الإنسان، فهو المؤمن الورع، وهو المكابر العنيد، ولكنه في ميزان الإسلام، ذلك العاقل الرشيد، الذي يعي أن الله، سبحانه وتعالى، وإن كان قد خلقه مزيجا فريدا من النورانية والحيوانية، إلا أنه كرمه بالعقل الذي يهتدي به إلى الحق فيتمسك به، ويعلم من خلاله الباطل فينأى عنه، لا يتردى فيه، ولقد علم الله سبحانه وتعالى، أن الخير في الإنسان هو المنتصر، وأن الباطل لن تقوم له قائمة، مع وجود الخير في هذا الخليفة العاقل ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [البقرة:٣٠].

وفي إطار ذلك، يجب النظر الى الدعاوى التي تريد للاسلام أن يكون مجرد شعار براق خال من أي مضمون أو جوهر، إنها دعاوي إفراغ الإسلام من العقيدة، سواء بالدعوة صراحة الى عدم صلاحية منهج الإسلام أو بالإلحاح على

التشكيك فيه، والنيل منه بطريقة غير مباشرة. وإلى هؤلاء وأولئك ينطق الحق، بأن النعمة لها حق، وهو عدم تحويلها إلى نقمة، فكم من أناس لايدركون أن عقل الإنسان وهو النعمة يمكن أن يضل، بل إنه يضل، عندما يحاول إدراك ما فوق طاقته، ويتصور أنه قادر على فهم كنهه وحقيقته، والاستدراك على خالقه بمشيئته، فما خلق الله الإنسان إلا لتحقيق هدف أسمى، هو إخلاص عبادته: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات: ٥٦].

إن أخص خصائص الإسلام أنه دين سلطان الله المطلق، لأنه لا يكل الإنسان إلى الإنسان، بل يكل كل الخلق إلى منهج الملك الديان، الذي يهتدي إليه الإنسان بفطرته، قبل أن يقبل عليه بمحض إرادته، وملء حريته، موقنا بأن التسليم فيه هو الفلاح، والطاعة معه هي النجاح، والانقياد لأوامره هو الفلاح، ولذا فهو الدين الوحيد المقبول، الذي نسخ ماسبقه من أديان، وبقى وحده يغالب الأشخاص والأزمان، فلايستطيع انسان تبديل أحكامه، ولايمكن للأزمان أن تفك عقدة إحكامه، وكيف لا، وهو بهذا الإحكام في تلك الأحكام، أساس الوصول، ومناط القبول ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ [آل عمران:٨٥].

سيادة أحكام الإسلام

والوجود الحقيقي للاسلام يعني سيادة أحكام الإسلام سيادة كاملة لا تنازعها في ذلك أي سيادة أخرى، سواء ادعاها فرد، أو تمسكت بها دولة فلا سيادة لا الأحكام الإسلام، سواء كانت أحكاما اعتقادية إلهية متعلقة بذات الله وصفاته، أو بأنبيائه ورسله أو باليوم الآخر ومافيه من بعث وحساب والتصديق الكامل بوجود الجن والملائكة، أو كانت تلك الأحكام عملية تتعلق بأفعال المكلفين من حيث وجوبها أو إباحتها أو حرمتها أو صحتها أو بطلانها إلى غير ذلك من الأحكام.

أو كانت أحكاما خلقية تتعلق بالفضائل والحث عليها أو الكشف عن الرذائل والتنفير منها، فبالامتثال لكل أحكام الإسلام تتحقق مصالح العباد في الدين والدنيا، لأن مبنى الشريعة الإسلامية وأساس أحكام الإسلام، كما يقول ابن القيم هو رعاية «مصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها..» فنحن أحوج مانكون إلى تمثل كل أحكام الإسلام في هذا الوقت الذي شغلتنا فيه الدنيا عن الآخرة. نعم! لقد شغلتنا دنيانا عن أخرنا، فكادت تحجبنا عن الفوز بالنجاة، رغم أننا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ.

وإذا بحثنا عن أهم أسباب انشغالنا عن الآخر، لوجدنا أنها تكمن في التعلق بأهداب الدنيا، لذا ينبغي أن يخلو كل منا بنفسه، ويسألها عن سبب غفلتها، وتفريطها في جنب الله، ونأيها عن منهج الحق المبين، فما أضيع الإنسان إذا لم يتدبر دائما قول الله تعالى: ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ﴾ [فاطر:١٥].

ولكي يبتعد الإنسان قليلا عن الدنيا، ويقترب كثيرا من نعيم الآخرة، أسوق هذه الكلمات عساها تدخل قلبه، فتطرد الخوف من الفقر من أعماقه، وتقبل غني الله، والغني بالله، بديلا عن كل عرض زائل، فهيا يا أخي المسلم، تدبر معي هذه الكلمات واستنقذ نفسك من براثن الحياة الدنيا، وعد إلى سبيل الله المستقيم، متجردا من كل خوف، فوالله ما الفقر يخشي علينا رسول الله ﷺ.

ما الفقر أخشى عليكم

قال رسول الله ﷺ: «والله ماالفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم» [حديث متفق عليه].

وفي هذا الحديث الشريف حل لكل مشكلات الإنسان المادية ودعوة المسلم ليتأمل الحكمة من خلقه.

فقد خلق الله الإنسان لعمارة الكون، لا لإهلاك نفسه.

وعمارة الكون لا تحتاج إلا لأمرين اثنين: أولهما عبادة الله القائمة على مطلق تقواه، ولمثل هذا خلق الله تعالي الإنس والجن. وثانيا العمل الجاد.

والمسلم العاقل يعلم يقينا أنه يستطيع أن يؤدي هذه الرسالة، بغير ما حاجة إلى المال، أفلا يرضى المسلم أن تكون الدنيا لغير المسلمين ولا تكون الآخرة إلا للمسلمين!! اللهم إنا نرضى!!

الفقر ليس عيبا فالعيب ألا تعمل

إن المال بالنسبة للمسلم هو ثمرة من ثمار العمل المخلص، فإذا جاء المال فقد بدأ الهدي النبوي الشريف، المتمثل في الخشية على المسلمين. إنه لا خوف على المسلمين من الفقر: ولذا فالذين يتهمون الإسلام الآن بالتخلف، والمسلمين بالفقر، انطلاقا من أن معظم المسلمين فقراء، يحاولون لفت الناس عن العقيدة التي يتهمونها ظلما وعدوانا بالتسبب في التخلف، والمسلم الواعي لا يقبل مثل هذه الاتهامات، فالمسلم قوي بعقيدته بل إنها هي السر الوحيد لقوته، فإن توقف الإنسان عن العمل والتقدم فالعيب فيه هو، وليس في عقيدته، فالعيب ألا تعمل.

الخوف من إقبال الدنيا

أما إن عمل الانسان المسلم واغتنى فهنا يبدأ الخوف عليه، فالدنيا إذا أقبلت على الناس بالمال، بسطت عليهم ملذاتها، وأغفلتهم عن عبادتهم، فيحق عليهم الهلاك، بل إنهم يقدمون أنفسهم وقودا لهذا الهلاك الشامل.

الغنى خير وقد يصبح شرا

إن الغنى في حد ذاته خير عظيم، ولكنه قد يصبح شرا كبيرا، فإذا فعل المال في الإنسان المسلم، مثلما فعل مع غيره من قبل، فقد ظهرت بوادر الهلاك، حيث يبدأ الناس في التنافس، لا في العبادة، وإنما في التنعم غير المحمود. فمن مسكن شرعي، إلى مسكن مظهري، ومن سيارة مناسبة، الى سيارة فارهة لتنم بذاتها عن عظم مكانة صاحبها، ومن ملبس مناسب إلى مظهرية قاتلة ثم تتابع عملية المنافسة من مباهاة بكثرة الأموال والأرصدة في البنوك، إلى مباهاة بكثرة السيارات في البيت الواحد، وتعدد الخدم في البيت الواحد، وما إلى ذلك مما هو معروف لكل ذي بصر ومعلوم لكل ذي بصيرة.

أخطار التنافس على الدنيا

ولكن التنافس على الدنيا تترتب عليه

مخاطر لا تحصي، عندما تصبح الدنيا هي أكبرهم الإنسان الذي يستجمع كثيرا من الخصال المردية، وهذه الخصال واردة في ثنايا هدي حديث نبوي آخر، ولا بأس من التذكير بها.

خصال من أصبحت الدنيا أكبر همهم

انظر إلى أخيك المسلم فإن وجدت هذه الخصال فيه، فاعلم أن الدنيا قد أصبحت أكبر همه وقد حذر رسول الله ﷺ من هذه الخصال وهي :

* الهم الذي لا ينقطع أبدا:

فمن جعل الدنيا كل همه، ابتعد عن الآخرة التي لم تعد شاغله الأول، أو هاجسه الأساسي، ومن ابتعد عن الآخرة، فقد ابتعد عن طريق الحق، وأصبح وهو ليس من الله في شيء، لأن حب الله يقتضي التجرد في عبادته، وحب الدنيا يمنع من هذا التجرد، إن الأصل أن يكون الإنسان في الدنيا كالغريب أو عابر السبيل، فإن غير هذا الأصل، فإنه يبتعد عن طريق الله، وتتسع زاوية هذا البعد كلما ازداد إقبال الإنسان على الدنيا.

* الشغل الذي لا يتفرغ منه الإنسان أبدا:

وهنا يبدأ الإنسان في جمع المال، ثم يعدده، وينشغل باله به حتى يكاد يفقد ذاته معه، فيبدأ الصفقة من حيث ينتهي من سابقتها، أو يدخل هذه مع تلك، وتبدأ حسابات الأرباح المادية، ولا يقام أي وزن للخسارة الكبرى، وهي الخسارة العقدية والاخلاقية.

وفي غمرة الإنشغال يتنازل الانسان عن الخلق القويم والسلوك المستقيم، وهدي الدين، فالرشوة تسمى هدية، ومخالفة الضمير تسمى تمشية الحال، وإغفال حقوق الفقراء في مال الأغنياء يسمى دعوة لهؤلاء للعمل والكسب، وهكذا تسمي كل الأشياء بغير أسمائها، وتلبس الحقائق حلل الزيف، ويطغي البهتان، ويستشري الظلم، ولا يصبح لكيان الإنسان

قيمة، يعدك الواحد ويوما ليخلف وعده بعد ساعة، ويسمي هذه الأمور «شطارة» ولا يعلم انها إحدى سمات المنافقين.

وهكذا تطبق الدنيا على الناس، فينشغلون بها انشغالاً لا يتفرغون عنه أبدا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* الفقر الذي لا يبلغ غناه أبدا:

وهنا تحدث المفارقة العجيبة: الفقر في أعظم لحظات الغنى المادي، ويا له من فقر عجيب، فقر روحي، بل وفقر مادي، فمن ملك المال ونسي المآل فهو من أفقر خلق الله، ومن ملك المال من غير طريق الحلال فهو أيضا من أفقر خلق الله.

ولذا فأن هذه السمة، تقتضي تفكر المسلم كثيرا قبل أن تذهب الدنيا بمن شغلتهم فتسحقهم سحقا عظيما، وتقضي عليهم قضاء مبرما، فما أتعس الغني الفقير، وما أشد تعاسة الغني الذي لا يبلغ درجة الغني الحقيقي أبدا.

* الأمل الذي لا يبلغ منتهاه أبدا:

نعم فإن من أحب الدنيا، تذهب به الآمال كل مذهب فهو لا يفيق من حلم بمال، إلا ليحلم بمال آخر، وهكذا تذوي العبادة من القلوب، وتذهب الخشية، من الضمائر، ويتوارى الإخلاص من السرائر، فما أتعس الانسان اذا صار كل أمله أن يأمل فيما لا يبلغ منتهاه أبدا.

وياليت الإنسان سأل نفسه، ماذا سيكون إن ملك نصف ثروة الأرض هل سيكون له الخلد؟ كلا. هل سيكون أسعد الناس؟ كلا. هل سيكون أغنى الناس؟ كلا. فقد رأينا أن أغنى خلق الله من حيث المادة، قد يكون أفقر الناس في أمور الدين والعقيدة.

فما أصدق قول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه الطبراني في الأوسط: «من أصبح والدنيا أكبر همه، فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال: هما لا ينقطع عنه أبدا. وشغلا لا يتفرغ منه أبدا. وفقرا لا يبلغ غناه أبدا.. وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا».

حقائق لا يجوز إغفالها

ولانستطيع ترك هذا المجال دون تحرير بعض الأمور وثيقة الصلة به، وحتى لا يقع مسلم في شك، ولا يصبح رهينة ريب، فالإسلام دين اليقين، الذي يجلي للمسلم كل الحقائق، ومن الحقائق التي ينبغي أن يعيها كل مسلم:

أ – إن الخصال الأربع المتقدمة، هي خصال تتعلق بالقلب: لاحظ قوله ﷺ: «وألزم الله قلبه أربع خصال» وهذا يعني أنها أمور مرضية خفية، لا يقدر على تطبيبها سوى مطبب القلوب، فلا شفاء لمن أحب الدنيا سوى أن يعود إلى الله، يلتمس عفوه ورضاه، وبدون ذلك لن تقوم له قائمة، ولن يتحقق له أمل، ولن يصح له رجاء.

ب – إن هذه الخصال إذا دخلت القلب أخرجت منه خشية الله: فإنها لا تجتمع مع خشية الله أبدا، على صعيد واحد.

جـ – إن ترياق آثام الأنام يكمن في الزهد وحده ولا شيء سواه: وكثير من الناس يتصور الزهد على أنه إعراض تام عن زينة الحياة الدنيا، وهذا خطأ جسيم، فالإسلام دين الوسطية الذي يراعي حاجات الأنام ومصالحهم، طالما لم يؤد ذلك إلى الإخلال بحقوق الله، والعاصم في كل ذلك هو أخذ جرعة الزهد التي تحول دون تمكن الخصال الأربع المتقدمة أو واحد منها، من قلب المسلم.

حقيقة الزهد

وأما إن كان قلب الإنسان عامرا بالإيمان بحيث ظل واثقا أنه لولا عطاء الله ما استمر له غناه، فمثل هذا يصلحه الزهد أكثر وأكثر، فمهما كان غنيا، ومهما كانت لديه من ثروة، فذلك لا ينقص أبدا من إيمانه، لأنه يظهر دائما الافتقار إلى الله، ومثله يزيده الزهد إيمانا وتثبيتا.

سئل الإمام احمد بن حنبل، هل يكون المرء زاهدا ومعه ألف دينار؟ قال : نعم. قيل: وماآية ذلك؟ قال: (آيته أنه إذا زاد لا يفرح وإذا نقص لا يحزن). وكيف يفرح الزاهد بزيادة المال وهو يطلب المزيد من عفو الله ليكون أكثر فرحا. وكيف يحزن من ينقص ماله، وهو الذي كلما نقص المال عنده قل انشغال قلبه به، فامتلأ قلبه – بدلا من ذلك – بحب الله أكثر وأكثر، إن الزهد بالمعنى المتقدم لا يستلزم أبدا تحريم الطيبات. وهذا أمر ثابت في كتاب الله. قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ [المائدة: ٨٧].

ولكن الأمر يقتضي الاعتدال، وعدم التنافس في المظاهر الكاذبة، لأن المظهر لا

يمكن أبدا أن يكون معيار تقدير البشر في ميزان التقوى، بل للتقدير معايير إيمانية: قال رسول الله ﷺ، فيما رواه الترمذي «رب أشعث أغبر، ذي طمرين، لو أقسم على الله لأبره». ولقد حذر الإسلام من طيش المظهرية الفارغة ودلالاتها الكاذبة، روى ابن ماجة أن رسول الله ﷺ قال: «من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، وألهب فيه نارا».

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فعن أبي بريدة قال: «دخلت على عائشة رضي الله عنها فأخرجت إلينا كساء ملبدا (أي مرقعا) وإزارا مما يصنع في اليمن، وأقسمت بالله: لقد قبض رسول الله ﷺ في هذين الثوبين» [رواه البخاري].

ولم يكن حال فاطمة بنت رسول الله ﷺ بأكثر من حال الزهاد الحقيقيين فقد روى عن جابر قال: «حضرنا عرس علي وفاطمة، فما رأينا عرسا كان أحسن منه. حشونا الفراش – يعني من الليف – وأتينا بتمر وزبيب وأكلنا، وكان فراشها ليلة عرسها إهاب كبش».

فماذا لو تمثل الشباب ذلك، وأقدم على الزواج، دون مظهرية كاذبة، وساعدهم أهل العقول الراجحة في الحد من المغالاة في المهور، إذ يكفي وجود الشباب المتدين، القادر على موالاة الفرائض والعبادة والعمل الذي يسبب له به رزق يومه، إذن لصلح حالنا، ولاستقام أمرنا، أما الشاب مدعي التدين الذي لا يعمل فلا أمل فيه ولا أمان له بل هو كالحرباء التي تمتص الدماء.

إن من أتاه الله مالا، وامتلأ قلبه بحب الله وخشيته، ولم يتسع لو احد أو أكثر من الأمراض القلبية الأربعة التي أشرنا اليها، لا يضيره أن يظهر أثر نعمة الله عليه، في الحدود التي لا تثير الغير ولاتنطوي على شبهة المفاخرة والمباهاة، وقد يجد المسلم في الهدي النبوي الشريف، ما يساعده على عدم الخوف من إظهار آثار نعمة الله، في مسكنه الهنيء ومركبه الوطيء، فقد قال رسول الله ﷺ، فيما رواه أبو داود: «ما على أحدكم إن وجد سعة، أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبي مهنته».

وقال رسول الله ﷺ، فيما رواه النسائي: «فإذا أتاك الله مالا، فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته» ■

محطة

بين الديمقراطية والشورى

بقلم الدكتور: محمود صالح العادلي

(الديمقراطية) كلمة براقة لها جاذبية خاصة، لدى الشعوب المتعطشة للحرية، فهي تعني حكم الشعب بالشعب ولصالح الشعب، فالشعب مصدر السلطة وصاحب السيا دة، والحكم يسند إلى صاحب الأغلبية.

ويحاول بعض المفكرين التقريب بين (فكرة الديمقراطية) التي أفرزها الفكر الإنساني بعد معاناة طويلة قاست خلالها الإنسانية الكثير من الانتهاكات اللا إنسانية لحقوق الشعوب، وبين (نظرية الشورى) التي أقرتها الشريعة الإسلامية الغراء منذ اللبنات الأولى لهذه الشريعة. بل إن بعض الآراء تعتبر (الديمقرطية) تتفوق على (الشورى)، وتعلو عليها.

ولست بحاجة إلى إيضاح مدى سقامة هذا الرأي أو ذاك. فالصحيح – في نظرنا – أن الشورى تشمل – في طياتها – معنى الديمقراطية، كما يشمل الأمر العام الأمر الخاص. حسبما أن كليهما – أي الشورى والديمقراطية – يسمح للأفراد بالمشاركة في الفكر والرأي في: القرار الملزم الصادر من الجماعة، وفيما خلا هذه الصلة – بين الشورى والديمقراطية – نجد البون شاسعا بينهما.

فالشورى تدور في (فلك) الشريعة الإسلامية، وتلتزم بنصوصها القطعية ومبادئها ومقاصدها الكلية في حين أن الديمقراطية طليقة من كل قيد، فهي تسمح للحكام بولوج طريق الاستبداد بالرأي تحت ستار (حكم الأغلبية)، تلك الأغلبية التي تكون – في كثير من صورها – أغلبية (وهمية أو صورية)، نظرا لاعتبارات عديدة منها: (مبدأ الالتزام الحزبي) الذي يقف حائلا دون مخالفة أعضاء الحزب للرأي المستقر عليه من قبل قياداته. الأمر الذي يسمح – في النهاية – بسيطرة عدد محدود من البشر في مصائر الشعوب.

أضف إلى ذلك، أن عدم خضوع الديمقراطية لضوابط (إلهية) – كتلك التي تحكم الشورى – قد يدفع – وكثيرا ما يحدث ذلك – إلى وقوع المجتمع في براثن ومتاهات الأهواء والمطامع الإنسانية والتنازع بين العصبيات والطوائف والطبقات.

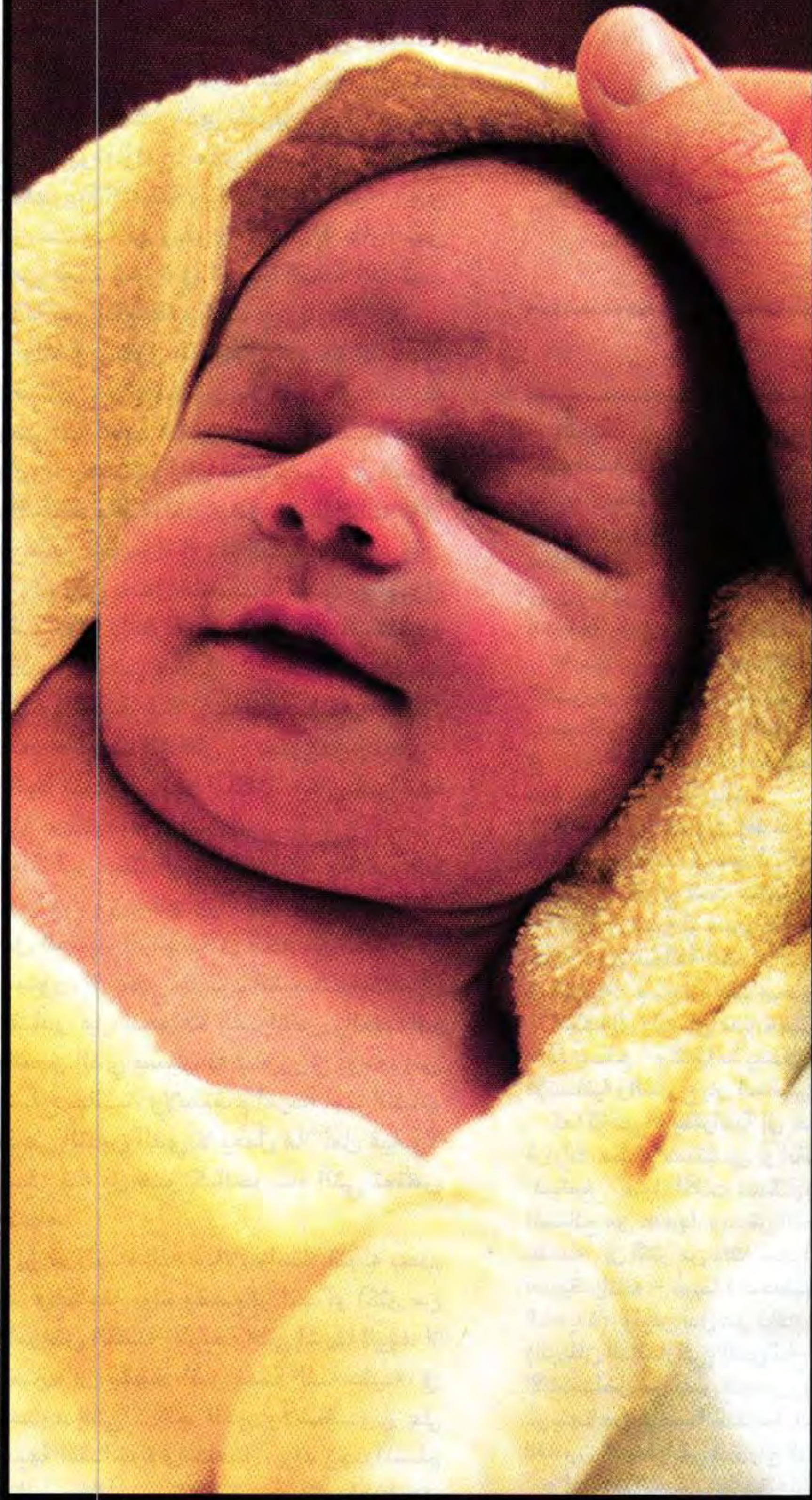
كما تؤدي الديمقراطية إلى حكم (الشعب) بواسطة قوانين تخضع في تغييرها وإلغائها إلى قرارات حكام مستبدين أو انقلابات المغتصبين للسلطة، أو لمصالح القوى المسيطرة على المجتمع – سواء أكانت عسكرية أم اقتصادية أم سياسية إلخ – بقطع النظر عن عدالة هذه المصالح من عدمها، وبغض النظر عن مساس هذه المصالح بالحقوق الأساسية للإنسان من عدمه. بل أكثر من ذلك، نجد أن عدم خضوع الديمقراطية لضوابط (إلهية) جعلها – أي الديمقراطية – ثوبا فضفاضا يمكن أن يرتديه أي نظام حتى ولو كان يخالف (الأخلاق الحميدة). وليس أدل على ذلك، من القانون الصادر في يوليو ١٩٨٩م من أحد برلمانات العالم (البرلمان الدانماركي) الذي أباح – بكل بجاحة – الزواج المدني بين الشواذ جنسيا، أي زواج الأشخاص من نفس الجنس. [للمزيد: راجع مجلة أكتوبر المصرية، عن مراسلها في كوبنهاجن عاصمة الدانمارك، العدد ٦٦٦، الصادر بتاريخ ١٩٨٩/٧/٣٠م، بخصوص القانون الديمقراطي في زواج الرجال بالرجال].

وإذا كان البعض يتشدق بأن (الديمقراطية) تتفق ومفهوم (الحرية)، فإنهم ينسون – أو يتناسون – أنها حرية مهددة وقاصرة: فهي حرية مهدد لأن وجودها من عدمه يتوقف على وجود حاكم عادل أو طاغ، إذ يمكن للحكام الطغاة – عن طريق القوانين الوضعية – حرمان الأفراد والجماعات والشعوب من حقوقهم وحرياتهم، بحجج واهية – وما أكثرها – نظرا لأن هؤلاء الحكام لا يعترفون بأية قيود عقدية أو حدود أخلاقية، تمنعهم من هذا الحرمان. وهي حرية قاصرة، لأن مثل هؤلاء الحكام يستطيعون – بواسطة القوانين الوضعية – منحها للبعض وحجبها عن البعض الآخر. خلاصة القول: أن الشورى نظام قائم بذاته يختلف في جوهره وفحواه ونتائجه عن الديمقراطية وإذا كانت هناك ثمة صلة بين (الديمقراطية) و(الشورى)، فهي أشبه بالصلة بين الصورة المشوّهة والناقصة والأصل الكامل ■

جعلها الإسلام جوهر العقيدة

عاطفة سامية

بقلم : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي



إن الدوافع للسلوك لا تظلّ عادة بصورها الفطرية، ولكنها تنتظم وتتعدل، وينتج عنها ما يسمى بـ(العواطف)، فالذي يدفع الفرد لسلوك خاص مع والده مثلا هو عاطفة تكونت ومركزها الوالد، والذي يدفع الفرد لمحاربة الرذيلة هو عاطفة كراهية الرذيلة، وتتكون هذه العواطف نتيجة الخبرات المتكررة بموضوعات هذه العواطف.

والعواطف عبارة عن نوع هام من الدوافع المكتسبة للسلوك، ويترتب على تكوينها تعديل السلوك، وتنظيم الدوافع الفطرية وتوجيهها وجهات معينة، بقيم تحددها عناصر البيئة المحيطة، ويعتبر تكوينها من أهم أنواع ملاءمة عقل الفرد للبيئة التي تحيط به.

والعواطف تكسب الفرد قسطا وافرا من الثبات، والاستقرار، ووحدة الاتجاه، وتجعلنا قادرين على التنبؤ بسلوكه، لأن الفرد بعد أن كان قابلا للاتجاه في أية وجهة مرتبطة بما يستثير غرائزه، أصبحت غرائزه لا تستثار إلا مرتبطة بموضوعات معينة تجذب انتباهه، وتستحوذ على مشاعره، وتمتلك وجدانه.

والعواطف الرئيسة هي عواطف: الحب، والكراهية، فالموضوع الذي بتكراره يرتبط بخبرات سارة في مجموعها تتكون حوله عاطفة حب، والموضوع الذي بتكراره يرتبط بخبرات مؤلمة في مجموعها تتكون حوله عاطفة كراهية.

ومن العواطف المألوفة والمعتادة في حياتنا على سبيل المثال: عواطف الاحترام، وعواطف الإعجاب، وعواطف الصداقة، وعواطف الاحتقار، وكل عاطفة يتمركز فيها موضوع محدد.

والعواطف على وجه العموم مادية ومعنوية، فالمادية تتمركز فيها المحسوسات كالأفراد والأشياء، وأما المعنوية فتتمركز فيها المعنويات، ومن هذه : حب الجمال، وحب الصدق، وحب الشرف. وغير ذلك. وهذه العواطف تتطور مع نمو الفرد، ونمو خبراته، فباتساع دائرة خبرات الفرد تتسع دائرة عواطفه أو ميوله، ولهذا التطور في عواطف الفرد أثر كبير في إنماء شخصيته، وتوسيع مجالاتها.

الحاجة إلى الحب

إن الحاجة إلى الحب ذات جذور عميقة في حياة الأفراد، فإذا قارنا بين الفرد وبين غيره من الكائنات الحية لوجدنا أن الوليد البشري يولد عاجزا عن التكيف بنفسه مع البيئة الاجتماعية، والبيئة الطبيعية المحيطة به، بعكس الوليد في المستويات التطورية الحيوانية الأخرى، فالكثير من صغار الحيوانات لا تكاد تمضي على ولادتها أيام، بل ساعات حتى تستطيع أن تقف على قدميها، وتستقل بذاتها، بينما الوليد البشري يظل مدة طويلة وهو محتاج إلى من يرعاه، ومن يقدم له الطعام المناسب، ومن يبدل له ملابسه، ومن يعلمه اللغة والمشي. وما إلى ذلك من العادات المهمة التي لا يستطيع أن يعيش كإنسان بدونها.

ونتيجة لهذا العجز ينشأ الفرد معتمدا على الآخرين، لدرجة أن ذلك يولد فيه الحاجة إلى الرفيق، وتتشبع هذه الحاجة خلال ارتباطه مع أعضاء الأسرة، ثم تتسع دائرة إشباعها عند ارتباط الفرد بأفراد آخرين من خارج الأسرة، يسهمون في إشباع مختلف حاجاته. ومما لا شك فيه أن الوليد البشري طوال مدة طفولته التي يحتاج فيها إلى رعاية الآخرين والاعتماد عليهم، هي التي تولد فيه الحاجة إلى انتباه الآخرين، وتقديرهم له، وحبهم إياه. والأم هي أول من يحرص الطفل على الحصول على انتباهه، وتقديره، وحبه، لأنها أول إنسان يتعرف عليه، ويلتصق به، فهي التي تشبع له الحاجة إلى الطعام، عن طريق إرضاعه أو طعامه، وتشبع له الحاجة إلى تجنب الألم، عن طريق تبديل ملابسه، وبالتدريج يصبح وجه الأم مقترنا بإشباع هذه الحاجات الأولية المهمة، التي لابد من إشباعها للطفل، لدرجة أن الطفل يرغب بعد ذلك في وجود والدته لذاتها. ومن الملاحظ أن الطفل الذي يبكي في غياب والدته يمتنع عن البكاء تماما بمجرد أن تحضر وتحمله، وكذلك يتعلم الطفل أن يفرق بين وجه والدته وبين وجه غيرها من النساء، وذلك لاقتران وجه والدته بالإشباع، ويتعلم الطفل – أيضا – أن والدته لا تشبع له الحاجة إلى الطعام وغيره من الحاجات الأخرى إلا حينما تكون منتبهة إليه. وبتكرار هذه الخبرات يتعلم الطفل أن الحصول على انتباه الآخرين وحبهم له شيء مهم وضروري لإشباع حاجاته المختلفة، لأن الانتباه والحب والتقدير انما يعني أن الآخرين مستعدون لأن يشبعوا للطفل حاجاته الأساسية.

■ من الملاحظ ان الطفل الذي يبكي في غياب والدته يمتنع عن البكاء

الحب في الطفولة أول الحاجات

هناك الكثير من الأسر لا توفر الحب والحنان لأطفالها، وذلك لجهل الوالدين، وعدم معرفتهم بهذه الحقيقة المهمة، وللظروف السيئة التي يعيشون فيها، الأمر الذي يؤدي الى تحطيم نفسية الأطفال، بسبب عدم إشباع الحاجة إلى الحب، فعلاقة الطفل بوالدته خلال السنوات الأولى عامل أساسي لصحته النفسية.

والحاجة إلى الحب هي أولى الحاجات التي يحتاج الطفل إلى إشباعها، فهو محتاج على الدوام إلى أن يشعر بأن هناك من يدفئه.

ويعد الحرمان من حنان الأم وعطفها من أشد العوامل خطرا على حياة الطفل النفسية، وأبسط ما يؤدي إليه هذا الحرمان من الحب هو القلق، وغيره من أنواع الاضطراب النفسي، كزيادة المخاوف، والاضطراب في النوم، وفقدان الشهية، وضعف الثقة بالنفس، والإحساس بالتعاسة، بيد أن هذا لا يعني أنه يجب أن تقضي للطفل كل حاجاته، دون أن يقوم هو ببذل الجهد للحصول على الإشباع.

والحب الكثير مثله في ذلك مثل الحرمان من الحب، كلاهما ضار، كالطعام مثلا، الإكثار منه ضار، والحرمان منه ضار، وكذلك التدليل، فهو يعد من أخطر الأشياء على الصحة النفسية للطفل، ويكون سببا في تعطيل نموه، وذلك للأسباب الآتية:

١) عدم اتاحته الفرصة للطفل للاستقلال بذاته.

٢) عدم تنمية الطفل لذاته المستقلة والمنفصلة عن الآخرين. ٣) فقدان الطفل لثقته بنفسه.

الحبّ عاطفة سامية جعلها الإسلام جوهر العقيدة

٤) شعور الطفل بالعجز بشكل قوي وحاد، وذلك عندما يقارن الطفل بينه وبين غيره من الأطفال، ممن هم في مثل سنه، أو حين يخرج إلى الحياة الاجتماعية الفسيحة، التي تغفر له عجزه عن إشباع حاجاته، وأداء دوره في الحياة الاجتماعية.

وأن الكثير من الأمهات ينهين أطفالهن بشكل يشعرهم بالعجز، وذلك عن طريق عبارات تترك للطفل شيئا يصنعه بنفسه.

ومثل هذه العبارات من شأنها أن تحيط الطفل بأسلاك شائكة من الحب، وهذا يجعله يركز تركيزا شديدا على نفسه، ويكبر في نفسه دون أن ينضج.

وكذلك الإسراف في الحب، فإنه ينمي في الطفل صفات الأنانية بشتى أشكالها، فهو يجعله على الدوام داخل ذاته متصورا نفسه مركز الحياة، وعندما يشب وينمو ويصبح رجلا، ويخرج إلى الحياة، ولا يجد نفس الاهتمام الذي كان يجده وهو طفل صغير، يشعر أن الدنيا لا تقدره، وعندئذ يصبح شعوره نحو العالم متخذا أحد شكلين:

١ – شكل عدواني.

٢ – شكل انسحابي، أو انعزالي عن الحياة.

وبذلك يختل توازنه النفسي مع الآخرين، لأن العدوان، والانسحاب أو الانعزال مضران بالصحة النفسية، ومخلان بالتوافق، وهذان الشكلان ينشآن إما عن الحرمان من الحب، أو من الإسراف فيه، وتدليل الأطفال.

ومن هنا تتضح الجذور العميقة للحاجة إلى الحب، التي تمتد في طبيعة الإنسان منذ الطفولة، وكذلك يتضح مدى أهمية هذه الحاجة للطفل لعيش ويحيا حياة سوية، ويشعر بالأمن والأمان والطمأنينة، وينمو محبا لنفسه وللناس.

ويتفق علماء النفس على أن حب الفرد للآخرين نابع من حبه لنفسه، وحبه لنفسه نابع من حب الناس له، فالعلاقة بين حب الناس وحب النفس علاقة تأثير متبادل، فمن يحب نفسه يقدر على حب الناس، ومن يحب الناس يحبه الناس، ومن يحب الناس يحب نفسه.. وهكذا.

وحب الفرد لنفسه ينقسم إلى قسمين:

أ – حب مرضي : وهو الحب الملىء بالأنانية، والنرجسية، والغرور، والتكبر، والعجب، وهذا الحب مصدر فساد وشقاء، لأنه حب مبالغ فيه. وقد يكون رد فعل عكسي لمشاعر النقص، وعدم الكفاءة،

عدم توفير الحب للأطفال يؤدي إلى تحطيم نفسياتهم

فيصبح حيلة نفسية دفاعية، تخفي مشاعر الذنب، والقلق، والعداوة تجاه الذات، ويكون دليلا على ضعف الصحة النفسية.

ب – حب صحي : وهو الحب الملىء بالرضا عن الذات، والتقبل لها، والثقة فيها، وهذا من شأنه أن يدفع إلى تنمية الذات وتزكيتها وحمايتها، ويدل على الصحة النفسية السليمة لأنه مصدر الحب، ومنبع كل ثقة وتقبل.

ويعد حب الفرد للآخرين أسمى من حب الفرد لنفسه، لما فيه من: إيثار، وعطاء، وتضحية، وغيرية.

وهذا الحب الصحي عبارة عن نوعين:

النوع الأول : الحب الطبيعي : وهو عملية نفسية لا دخل للإرادة فيها، وفي هذا الحب إشباع لدوافع وميول فطرية، تدفع الفرد نحو من يحب ويهوى، وذلك مثل حب الآباء للأبناء، وحب الأديب للأدب، والشاعر للشعر، وحب الحق والخير والجمال، وغير ذلك.

النوع الثاني : الحب التطبعي: وهو عملية نفسية إرادية، يتم فيها ترضية النفس بالناس، وتنمية ثقتها فيهم، وتقبلها لهم، حتى تحبهم، وذلك مثل حب الصديق لصديقه، وحب الأهل والجيران، وحب الزملاء في العمل، وحب الناس جميعا، وأعلى من كل ذلك حب الإنسان لخالقه سبحانه تبارك وتعالى، لأنه منبع كل حب، ومصدر كل عطاء.

ولقد ذهب علماء المناعة النفسية إلى أن مشاعر المودة والمحبة تنشط أجهزة المناعة النفسية والجسدية، وتنمي القدرة على مواجهة الأزمات، ومقاومة الأمراض والعلل.

الحب من وجهة نظر الإسلام

إن للحب في الإسلام قاعدة إيمانية عريضة، يرتكز عليها البناء الإسلامي كله، بما فيه من مودة وتراحم، وتكافل اجتماعي، فالحب في الإسلام يبدأ من القمة، يبدأ بمحبة المولى سبحانه تبارك وتعالى، ورسوله صلوات الله وسلامه عليه، يقول ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» [رواه أحمد عن أنس].

ويقول الحق سبحانه عز وجل وهو يجعل من هذا الحب سلوكا إيمانيا: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ [آل عمران: ٣١].

هذه هي البداية، حيث يولد الحب في النفس إيمانا صادقا، فيرتبط به السلوك البشري كله، وتتحرك به النفس على الدوام، ويتفاعل الوجدان بهذه العاطفة السامية.

ثم تتسع دائرة الحب لتشمل الوالدين والأسرة، يقول الحق سبحانه تبارك وتعالى: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما

جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ [الإسراء:٢٣و٢٤].

إن حب الوالدين والإحسان إليهما عبادة تحافظ على الروابط الإنسانية، فلا ينتهي الآباء إلي المصحات، أو إلي دور المسنين وبيوت الرعاية إلا للظروف الاضطرارية الصعبة، يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة» [رواه مسلم].

فإذا كان الآباء على غير دين أبنائهم، فإن العقيدة في هذه الحالة تلتزم ولا تحيد عن قانون أبدا، يقول الحق سبحانه وهو أصدق القائلين: ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ﴾ [لقمان:١٥].

ويقول رسول الله ﷺ لأسماء بنت أبي بكر الصديق؛ رضى الله تعالى عنهما؛ عندما سألته هل تصل أمها بعد أن قدمت عليها من (مكة) وهي مازالت مشركة: «نعم؛ صل أمك» [متفق عليه].

ثم تمتد جذور الحب لتصل إلى الأقارب وأولي الأرحام، ليأخذوا حقهم وحظهم منه، فالتشريع الإسلامي يعتبرهم أصحاب حقوق واجبة، وصلتهم طاعة للحق سبحانه تبارك وتعالى، بل هي عبادة خالصة له سبحانه عز وجل، ورب العزة سبحانه جل وعلا يوصي بالأرحام فيقول: ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ [محمد:٢٢و٢٣].

إن صلة الأرحام ليست نوعا من المجاملة أو الترف الاجتماعي، والفرد له مطلق الحرية في الوفاء بحقها، وله في ذلك رأي واختيار، لأنه سيحاسب إذا ترك صلة أهله وأرحامه، وهو مأجور إذا وصلهم وجاملهم، وخفض لهم جناح الذل من الرحمة، يقول رسول الله ﷺ : (من أحب أن يبسط له في رزقه ويُنْسأ له في أثره، فليصل رحمه) متفق عليه

ويظل الحبّ أصلا من أصول الإيمان، فيحافظ على الروابط الإنسانية بين الفرد وجاره، يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه) رواه مسلم

ويقول ﷺ : «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» [رواه الترمذي].

ثم يمتد الحبّ ويتسع ليشمل الناس جميعا، فلا إيمان يستقر في النفس إلا بهذه المبادىء الإيمانية السامية، يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [متفق عليه].

وسلوك الحبّ في الإسلام له درجة عالية من درجات العبادة، وأمره إلى الحق سبحانه تبارك وتعالى، فهو الذي يعلم أسرار الحب في النفوس، ودرجته، وصدقه، وهو الذي يحاسب عليه، فإذا افتقد المسلم في نفسه عناصر الحب، فلم يتحرك به وجدانه، فإن عقيدته تنصحه بألا يتجاوز بمشاعره حدود الحب في اتجاهه العكسي، فلا يعبر بمشاعره جسور البغض والكراهية، فيصل بها إلى ضغينة أو حقد، فهذا كله يرفضه الإسلام، ولا يسمح للمسلم أن يتجاوز هذه الحدود.

■ تتطور العواطف مع نمو الفرد وخبراته مما يترك أثراً كبيراً في تكوين شخصيته

إن الحب الصادق في شريعة الإسلام هو الربط الحقيقي الذي يترابط به البشر، وتتماسك به علاقاتهم الاجتماعية، وهو يبدأ عبادة، ويستمر عقيدة، ويمتد طاعة، ولا تتوقف له مسيرة، فالحب بين الناس لا ينتهي بانتهاء حياتهم، بل هو ممتد بآثارهم، فالأبناء يحملون رسالته بعد رحيل آبائهم، وهذه هي حقيقة شمول الحب وإحاطته.

هذا هو الحب على اتساعه في الإسلام، فالحب في حقيقته جوهر لكل السلوكيات الاجتماعية، فكل فضيلة إذا ابتعد عنها الحب انتهت إلى رذيلة، فالصدق والأمانة حب، والإيثار والتضحية حب، والولاء والانتماء حب، والمروءة والشهامة حب، وأعمال الخير والبر كلها حب، ولا يمكن أن تتواجد هذه القيم في النفوس إلا إذا كانت مليئة بالحب، ومن هنا كان الحب جوهر العقيدة، بل جوهر الديانات السماوية على الإطلاق.

وبعد

فإن الحب قوة علاجية جبارة للكثير من المشكلات، وهو يفسح الطريق الطبيعي السمح أمام مسار النمو النفسي السوي، وهو يضفي على الحياة بهجة، ويدعو دائما الى التفاؤل ويشعر الفرد بقيمته، ويشعره الحب بالقبول والتقبل.

ولقد دلت الدراسات على أن إشباع الحاجة إلى الحب شرط أساسي لصحة الفرد النفسية، والسبيل الهام إلى توافقه، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من أن نحرص على إشباع هذه الحاجة، حتى ينشأ الأفراد أصحاء في نفوسهم، أسوياء في سلوكهم.

إن الحياة بلا حب صحراء قاحلة، أو بيداء متخمة بالشوك، وأما الحب فهو بلسم الجراح، وعطر الحياة، بيد أن هذا الحب إذا ترك بلا حدود فهو جامح وكاسح، ومن أجل هذا جعل الإسلام أمنه المحظور والمباح في كل ينابيعه وجداوله□

مرت سنتان على رحيل العالم النمساوي المسلم (محمد أسد) رحمه الله، وهو أحد الأعلام البارزين في كوكبة المفكرين المهتدين الذين اعتنقوا الاسلام وأخلصوا في الجهاد في سبيله ونصرة قضاياه في بلاد الغرب. لقد كانت حياته شهادة حق على أصالة هذا الدين وخلوده، وقدرته على أن يكون على الدوام ملاذا للباحثين عن النور وملجأً للساعين إلى الحق واليقين.

وهذا المقال يقدم إضاءة عن حياته، وقراءة أولية في معلم فكره، وفاءً وتحية لروحه الطاهرة، واعترافاً وتقديرا لجهوده المباركة في خدمة الاسلام والثقافة الاسلامية.

من المشاهد أنه ما تعمق باحث في دراسة الاسلام عقيدة وحضارة، ونفذ إلى جوهره، وأدرك أهدافه ومعانيه، إلا وازداد إيمانا بعدله وشموله، واشتد تعلقه بتشريعاته وتمسكه بفضائله.

محمد أسد والهدف السامي للحياة

بقلم: محمد حسن بدر الدين

مزايا الاسلام والإقبال عليه

إن المزايا في دين الاسلام تفسر لنا بدون شك التزايد المستمر في إقبال العلماء والمفكرين على اعتناقه وتبنيه، ذلك لأنهم فئة من الناس مستنيرة جعلت من حياتها هدفا للبحث عن الحق فتوصلت إليه بتوفيق من الله تعالى وبفضل صدقهم ونزاهتهم، أما معظم الناس فبحكم انشغالهم بقضايا العيش وخضوعهم لسيطرة العادات والمفاهيم الجاهزة، لن يقدروا ابدا على الوصول إلى اي لون من ألوان الاستكشاف، وهذا مايفسر لنا ايضا لماذا أصبح الاسلام غريبا لدى كثير من المسلمين الذين لايعرفون منه غير الاسم والمظاهر الخارجية التي تدل عليه، أما جوهر احكامه واسرار بنائه التام فلا يعلمها إلا القليلون، الذين منحوا نفسا تواقة، ومتطلعة إلى الحقائق وجواهر الأمور، وبذلك يصح القول بأن الاسلام هو دين المفكرين والباحثين والأذكياء من الناس.

ولأنه نور من الله فإنه يتطلب قدرا معتبرا من السمو والتعالي والبحث والمكابدة في سبيل اسكتشافه. ولأنه سلعة الله الغالية فإن هذا الاستكشاف يؤتي ثماره في ألوان السعادة العظمى التي يحصل عليها المؤمن بهذا الدين، فيعيش في رحابه مطمئنا راجيا رحمة ربه، وذلك هو الفوز العظيم الذي يميز من جد في سبيل هذا الحق وبين من تلقاه بالوراثة والتقليد والذ ي - رغم صحة تدينه - لا يشعر بلذة هذا الاستكشاف وتذوق ثمار أنواره الخالدة.

من الإيمان إلى صدق الولاء في العمل

إن المتتبع لمواقف المفكرين والعلماء الذين اعتنقوا الاسلام بعد تفكير وتمحيص، يلاحظ انهم لم يقتصروا على

■ تفسر لنا مزايا الدين الحنيف التزايد المستمر في إقبال العلماء والمفكرين على اعتناقه وتبنيه

مجرد الانتفاع الشخصي بهداية هذا الدين والعيش في رحابه في طمأنينة وسلام بل كرسوا حياتهم من أجل التعريف به والدعوة إليه، والدفاع عنه، ونصرة قضاياه بكل ما أوتوا من جهد وقوة في أروع صور التفاني والإخلاص رغم العراقيل والضغوط التي واجهتهم في ظل مجتمعات تحمل صورا مشوهة عن الاسلام وتناصبه العداء، ومن يدرس حياة المهتدين في الغرب أو في الشرق - من أمثال الأمريكية مريم جميلة، والمجري عبد الكريم جرمانوس، والنمساوي محمد أسد، والانجليزي يوسف اسلام - يدرك بلا ريب مدى العناء الكبير الذي لاقوه في سبيل النضال من أجل الاسلام، ومدى التضحية والولاء لهذا الدين الذي بحكم طبيعته يدفع إلى مثل هذا النضال والتضحية بكل ثمين ابتغاء مرضاة الله تعالى والفوز بنعيمه. كما ان المتتبع لأعمال هؤلاء المهتدين يلاحظ ان جهودهم الفكرية انصبت على قضيتين أساسيتين هما:

١ـ الدفاع عن الاسلام الذي اعتنقوه عن علم ودراية، والرد على معارضيه من خلال الكشف عن حقائقه وإزالة الشبهات والصور المشوهة المنفرة السائدة في بلاد الغرب والتي تروج لها وسائل الاعلام بدوافع الحقد والتعصب والكراهية.

٢ـ البحث في إعداد مشروع فكري حضاري يزود المسلمين بإمكانات التقدم والعيش العزيز ويدفع عنهم صنوف التحدي والسيطرة.

شهادة الحق في مسيرة هذا الدين

يعتبر «البروفسور» محمد أسد من أبرز المفكرين المهتدين الذين تصدوا لمعالجة قضايا الاسلام على ضوء تحولات العلوم والأفكار الحديثة، فقد كتب في معظم المسائل الحياتية التي تهم المسلمين، محاولا إبراز معالم العطاء الاسلامي في ميادين العلوم والتربية والسياسة، وقدرة هذا العطاء على رفع التحديات وتأسيس مشروع حضاري متقدم.

ولد محمد أسد عام ١٩٠٠ في ليفاو بالنمسا، وبعد مرحلة التحصيل العلمي ترك بلاده عام ١٩٢٢ ليعمل كمراسل لبعض الصحف الأوروبية الكبيرة مثل «فرانكفورت زيتونج» الألمانية، وتنقل بين معظم دول افريقيا وآسيا، مما هيأ له فرص الاحتكاك بالاسلام والمسلمين، وفتح له نوافذ جديدة في المعرفة ونمط الحياة.

ورغم ان واقع الحياة الاسلامية كان بعيدا عن روح الاسلام وتعاليمه السمحة، إلا ان روحه التواقة للبحث والتطلع قادته إلى التعمق في دراسة الاسلام، فانكب على البحث عدة سنوات توصل في نهايتها إلى الاقتناع الكامل بعبقرية الاسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، واعتنق الاسلام رسميا سنة ١٩٢٦ وتخلى عن اسمه القديم (ليوبولد فايس).

وبعد تأسيس دولة الباكستان انتقل اليها ليعمل في مركز البحوث الاسلامية في غرب البنجاب، ثم استدعى ليشارك في اعداد الدستور الاسلامي للبلاد، وتقديرا

■ لفت محمد اسد النظر الى خطورة تقليد الغرب

لجهوده العلمية والسياسية تم اختياره مندوبا لدولة الباكستان لدى الأمم المتحدة. وقد ظل متفرغا للبحث والتأليف إلى ان وافته المنية عام ١٩٩٢، وهو عاكف على إعداد ترجمة شاملة لمعاني القرآن الكريم باللغة الانجليزية صدرها بقوله تعالى: ﴿ لقوم يتفكرون ﴾.

ومن أبرز الأعمال التي تركها محمد أسد؛ رحمه الله؛ والتي ترجمت إلى اللغة العربية نذكر كتابه القيم (الاسلام على مفترق الطرق) والذي نقله إلى العربية الدكتور عمر فروخ وطبعته دار العلم للملايين ببيروت، وهذا الكتاب رغم صغر حجمه يمثل بناء تام الصنعة في وصف أحوال المسلمين وشروط استعادة مجدهم، وهو يلخص هذه الشروط في جملة واحدة هى: (رجوع المسلمين إلى التمسك بحقيقة دينهم) ولكنه يحذر في معظم مباحث الكتاب من عائق خطير يعتبره أهم حائل يمنع المسلمين من تحقيق التمكين الاسلامي المنشود ألا وهو تقليد الغرب، ويقول: (ما دام المسلمون مصرين على النظر إلى المدنية الغربية على انها القوة الوحيدة لإحياء الحضارة الاسلامية الراكدة، فإنهم يدخلون الضعف على ثقتهم بأنفسهم ويدعمون بطريقة غير مباشرة ذلك الزعم الغربي القائل بأن الاسلام جهد ضائع).

أما الكتاب الثاني الذي خلفه المرحوم محمد أسد فهو بحثه الدقيق عن (نظام الحكم في الاسلام) ويعتبر فتحا مبينا في هذا الميدان الذي لم يسبقه فيه أحد من وجهة اسلامية خالصة، وقد تناول فيه بالتحليل أصول الدولة الاسلامية وقواعد الدستور الإسلامي ومقومات نظام الحكم مثل العدل والشورى، بأسلوب علمي أبان فيه أصالة المنهج وتميزه وتفوقه على كل النظم التي عرفها الانسان في تاريخه الطويل.

اما كتابه الثالث (رحلة إلى مكة) وكما يوحي عنوانه فهو تعريف ووصف شيق

محمد أسد والهدف السامي للحياة

لمعالم رحلته إلى الأرض المقدسة، ويحتوى تعليقات ومواقف تزكي روح الاسلام وسمو تعاليمه القائمة على الحق والمساواة، والعالمية.

المشروع الحضاري الاسلامي وأولويات البناء

لقد كان محمد أسد؛ رحمه الله؛ يتطلع طوال حياته الاسلامية المباركة إلى بعث الاسلام وتقديم رسالته الخالدة كمشروع حضاري يبشر بالخير ويهدي إلى الحق ويساهم في قيام حياة مستقيمة ويصلح مسيرة الحياة الانسانية والفكر السائد.

يقول؛ ملخصا أبعاد رحلته الاسلامية وتطلعاته السامية: (لقد سعيت منذ أسلمت ان اتعلم كل مايمكنني تعلمه عن الاسلام، فدرست القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ودرست لغة القرآن وتاريخها، واطلعت بتعمق على كل ما كتب عنها أو ما قيل ضدها، وقضيت أغلب وقتي في المدينة المنورة كي أعايش البيئة الأصلية للديانة التي بشر بها الرسول العربي صلى الله عليه وسلم. ولأن الحجاز ملتقى المسلمين من كافة أرجاء المعمورة، تمكنت هناك من عقد مقارنة بين وجهات النظر الدينية والاجتماعية المختلفة السائدة في العالم الاسلامي وقتها، وقد أوجدت الدراسات والمقارنات بداخلي اعتقادا راسخا بأن الاسلام كظاهرة روحانية واجتماعية، مازال – بالرغم من كل العوائق التي سببها قصور المسلمين – أعظم قوة إيمانية محركة عهدتها البشرية في تاريخها. وأصبح اهتمامي منذ ذلك الحين منصبا على قضية بعث هذا الدين وإحياء رسالته الخالدة).

ومع أن هذا التطلع الاسلامي المشروع نحو بعث الإسلام دينا وحضارة قد أرق كثيرا من المفكرين المسلمين قبل محمد أسد إلا أنه كما لاحظ الفيلسوف المهتدي رجاء الجارودي لم يعد يطرح في الساحة الثقافية الاسلامية بشكل جلي بسبب الانكسارات التي اصابت الأمة الاسلامية في السنوات الأخيرة، بل لقد أصبح هذا التطلع من قبيل التفاؤل المبالغ فيه، وصار الاكتفاء بمجرد البحث في المحافظة على الموجود أو الدفاع عنه هو غاية مايطلب في الفكر الاسلامي الراهن أمام موجات السيطرة الغربية المطلقة على ميادين الفكر والإعلام والعلوم. لقد كانت جهود أمثال الطهطاوي ومحمد عبده وإقبال والكواكبي منصبة على محاولة التوفيق بين التقنية الغربية ومباديء الاسلام، وإبراز حاجة المجتمع الاسلامي الناشيء إلى امتلاك العلوم والتقنية دون التخلي عن روح الشريعة وأحكام الدين.

ولكن جهود أولئك المصلحين رغم صدقها لم تكن موفقة في فهم طبيعة التحولات التي ستصيب المجتمعات الاسلامية بعد خروجها من الاستعمار وتلهفها في مسايرة النموذج الغربي المتفوق، ولا في فهم حقيقة الحضارة الغربية نفسها القائمة على احتكار العلوم والتقنيات واستخدامها لتحقيق السيادة والسيطرة على المجتمعات الاسلامية الناهضة من سبات عميق.

إن هذا التحليل يقودنا إلى اكتشاف حقيقة مهمة في مسار أعمال المفكرين المهتدين إلى الاسلام، وهى انهم ركزوا جهودهم على الميدان الثقافي وأعطوه الاولوية ولم ينخرطوا في أعمال سياسية بارزة كطريق مهم للتحول الاسلامي، ليس لأنهم يعيشون في مجتمعات غريبة عن الاسلام يصعب فيها التعبير عن التطلع الاسلامي عبر القنوات المتاحة، وإنما ادراكا منهم بأن طبيعة العصر تفرض هذاالتوجه، وان الغلبة في النهاية ستكون للإسلام إذا أحسنا تقديمه إلى شعوب الارض بالأساليب العلمية التي أتاحها الله تعالى للعقل البشري.

ولكن السعي في سبيل التعريف بدين الاسلام وعرض ملامح رسالته الثقافية والحضارية لتكون محور بحث ونماء في مسيرة الفكر المعاصر وصراع الأفكار المتباينة يحتاج بدوره مساهمة معتبرة من قبل المسلمين للنهوض بهذا المشروع الكبير، ولكن مظاهر الانحلال الاجتماعي والثقافي السائدة بين المسلمين اليوم، لا تخول لهم جدارة القيام بهذا العمل الرائد لأنهم هم أنفسهم في حاجة إلى اكتشاف السلام وبعثه من جديد في حياتهم الروحية والاجتماعية.

يقول محمد أسد محللا أبعاد هذه المسألة: (إن العنصر الذي صنع قوة العالم الاسلامي من قبل هو المسؤول الآن عن ضعف المسلمين، لأن المجتمع الاسلامي بني منذ أوله على أسس دينية، وضعف هذا الأساس قاد بالضرورة إلى ضعف البناء الثقافي العام).

يستند المؤلف رحمه الله في فكرته هذه على توجيهات القرآن الكريم في شرح عوامل الانحلال التي تصيب الأمم

■ من اعتنق الاسلام طواعية واقتناعا يلمس لذة لا يعرفها من كان مسلما تقليدا ووراثة ■ بنى المسلمون حضارة رائدة قامت على جميع ركائز العزة والعلم والإيمان والعمل النافع

■ مــا زالت القـــوّة الكــامنــــة في الإســـلام قـــادرة على بنـــــاء الحضـــــارة كما كـــانت من قبل، والمطلـــــوب مسلمـــون ملتــزمــــون

والمجتمعات وعلى قانون الاصلاح والتغيير الـذي يشير إلى أهمية العوامل النفسية والعقدية المسببة لهذا الانحلال في مثل قوله تعالى: ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [الرعد:١١].

فكما أن عوامل الانحلال والفساد والتردي ترجع إلى أسباب نفسية، كذلك القوة والنصر والتمكين تخضع لنفس العوامل، والله تبارك وتعالى لايصلح أحوال الناس إلا إذا سعوا بأنفسهم إلى مطالب التزكية والرشاد والخير، وبادروا بإصلاح نفوسهم وتوجيهها نحو تلك القيم، ومعنى ذلك أن مسيرة التاريخ الانساني ليست حيادية بل هى خاضعة لمواقف البشر وأعمالهم، وأن التخلي عن قيم الدين له ضريبة فادحة تظهر آثارها في صنوف الظلم والتردي والتعطيل التي تصيب مظاهر الحياة الانسانية كلها بالتوتر والشقاء تماشيا مع قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الـذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ [الروم ٤١].

على أننا نجد في مقابل الأسباب النفسية التي ترجع إلى اختيارات الانسان قوانين طبيعية قاهرة تسري على الكائنات الحية ودورة الحياة نفسها فتنقلها من مراحل النشوء والنمو إلى الازدهار والنضوج ثم إلى الهلاك المحتوم، ويجب ان نلاحظ ان هذه الدورة تتعلق بالحياة العضوية والمادية ولاتنطبق على الأفكار والقيم، فالانسان خاضع لقوانين النمو والفناء ولكن الأفكار والقيم والحقائق التي تطابق فطرته وعقله تظل ثابتة على الدوام.

والقرآن الكريم يشير إلى هذا الأمر في عدة مواضع من الكتاب المبين، مثل قوله تعالى: ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ [الروم:٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾ [الاحزاب:٣٨].

موقع الثقافة الاسلامية وآفاق العمل وأولوياته

إن هذه المفاهيم الاسلامية حول الثبات والتحول تقود إلى طرح سؤال جوهري في الوقت الراهن وهو: ما موقع الاسلام والثقافة الاسلامية في حياتنا وفي حياة الآخرين، وماهى آفاق العمل وأولوياته تجاه الاسلام وتجاه أنفسنا؟

ذكر محمد أسد؛ رحمه الله؛ ملاحظات دقيقة جدا في هذا الموضوع، فقد بين أننا لانستطيع أبدا ان نقول بأن الثقافة الاسلامية كسائر الثقافات خاضعة لمرور الزمن ومقيدة بقوانين الحياة العضوية، لان مايظهر انحلالا في الاسلام ليس في الحقيقة إلا موتا وفراغا يحلان في النفوس التي بلغ من خمولها وعجزها أنها لاتستمع إلى الصوت الأزلي، فنحن لانحتاج إلى فرض إصلاح على الاسلام كما يظن بعض المسلمين، لأن الاسلام كامل بنفسه وإنما الذي نحتاج إليه فعلا هو اصلاح موقفنا من الدين بمعالجة كسلنا وعجزنا وقصر نظرنا، وبكلمة واحدة: معالجة مساوئنا نحن لا المساويء المزعومة في الاسلام.

وهو يلتقي في هذا الطرح القيم مع آراء الفكر المسلم مالك بن نبي؛ رحمه الله؛ الـذي خصص جهدا كبيرا للبحث في خصائص المشروع الحضاري الاسلامي وإمكانات النهضة حيث ألف سلسلة طويلة من الأعمال الفكرية سماها (مشكلات الحضارة) حاول من خلالها بحث خصائص المجتمعات الاسلامية وشروط النهضة، ولقد توصل إلى نتائج مهمة منها: أن العوائق التي تحول دون تحقيق نهضة حقيقية هي عوائق نفسية وداخلية ترجع إلى القابلية للاستعمار، ومنها الخطأ في فهم مدلول الحضارة التي لا تبنى بتكديس الأشياء بل باستغلال ثلاث مقومات هي أساس كل حضارة وهي الانسان والزمن والارض، والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ والعصر. إن الانسان لفي خسر. إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات. تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ فالزمن والانسان والعمل الصالح هى العناصر اللازمة لبناء الحضارة.

ولاشك فإن المسلمين الأوائل قد فهموا أبعاد هذه الآيات، فقد كانوا يتلونها باستمرار ويعملون بأحكامها، فبنوا حضارة رائدة قامت على جميع ركائز العزة والعلم والإيمان والعمل النافع.

وهذا يدعونا بلاريب إلى ضرورة الاقتداء بهذا المنهج، ويرشدنا إلى أوكد ألويات العمل الراهن التي يجب ان تقوم على مباديء إعادة الثقة في الاسلام فهما وتطبيقا، وإصلاح النفوس وبنائها من أجل أن تحقق لنفسها سعادة الدنيا والآخرة، وتفسح الطريق أمام قوى الخير والإصلاح كي تنطلق في حركية دائبة لإزالة العوائق، والنهوض بالمجتمع وبقضايا الاسلام المنشودة في البناء والتمكين□

راعى الأسلوب النبوي مختلف المستويات وقدرات استيعـــــابهم، فكـــــان ﷺ بحق المعلّم الأوّل

هـذا حديث وشهـادات نريـد أن نـزين بها جبين رجل يعتبر القلب النابض في العملية التربـويـة، ويعتبر العنصر المحـرك لكل فعـاليـــاتها، والـذي بـدونــه تبقى كل الأدوات والبرامج، والوسـائل والمساعدات، أشيـاء جامدة هامـدة مهما تفنننا في صنعها وابـداعها، ومهما أطلنا البحث عنها وجبنا الدروب، وركبنا الأهوال من أجل الحصول عليها.

المعلـــم همس السماء في مسمع الوجود



بقلم: عبد العزيز بغداد

فمن هو ياتـرى هذا الرجل الـذي يصـــدق فيــه ذلك، وتنسحب عليه هـذه الصفات الخالـدة، ويستحق منـا هـذه الـوقفـة التأملية ويجمل أن نثني عليـه وتذكـره ونذكـره بهذه الأفضـــال الإنسـانيـة الكبيرة؟

إنـــه المعلم الـــذي يعتبر صــاحب رسـالـة من أضخم الرسالات واعرقها في الوجود. ولقد احس شوقي حينما قال:

قم للمعلم وفّه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

وبحق لنـا أن نتساءل مـرة أخرى: لماذا يستحق المعلم هذا التكـريم؟ ولماذا يجب تجديـد الاعتبار لهذه القـوة المعنويـة الفـذة التي يـرن صـداهـا في اغوار النفس ويهمس صوتها بين ثنايا القلب؟ اننا نعتقد أن في شخصيـــة المعلـم يكمن جوهر الأجواء واصل انبثاقها فهـو الذي يعـوض - بتأثيره الذاتي - ما ينقص المتربين من أجـواء ومـــؤثـرات يتعـــذر تحقيقهـا بـدونه وفي غيـابـه وغيـاب اشعـاعـــه الفكـري والأدبي والروحي.

ومن هنـا ندرك أهميـة هذا الموضــوع، وفي هـــذا الـوقت بـالذات، وقـد تعقدت الحيـاة وران على النفـوس مـــا كـدر صفاءها وغيـم عليها الأجواء وجـوع منها الـروح، فظمئت إلى القوى الانسانيـة الزاخرة المضمنـة في التربيـة في المعلم، والفـاعلـة في صميم المجتمع، وتطلعت تتـــوق إلى الاســـاة الـــذين يعـــالجون الـــروح ويغـذون الفكـر والـوجـدان وكأنها تنشـــــد مـع أحمد شوقي:

أســـاة جسمـك شتى حين تطلبهم
فمن روحـك بــــالنطس المداوين؟

ولسنـا نريـد بهذا الحديث الـوقوف عنـد حـد المجاملـة والتنويه والتهيئة ولكننا نريد أن يكون حديثا تربويا يغوص في اعماق هذه المسـألة ويخدم اغراضـا تربـوية تتعلق بهذا الموضـوع وتـــرسل اشعاعهـا نحــــو الآفـــاق المستقبليـــة فكيـف يستطيع المعلم - في زحمة الظـروف - أن يدفع الأجيـال للاستفادة من مختلف الاجـواء. وكيف يثير الـرواد ليعيشوا الحيـاة بـــالحيـــاة. وكيف ينبغي أن يـرقى إلى مستـوى تطلعـات العصر؟

هـــذه تســـاؤلات تـــزاحم الصدور وتصعـد إلى الشفاه وتترجم الـرجاء الـذي تحمله المجتمعـات إلى المعلـم الـذي تأتمنه على الصغـار وتتوسم فيه المعاني الانسانية الرائعة المنضرة على الـــدهـــر . لقـــد استطـــــاع المعلم - في ادوار تاريخيـة عديـدة - أن يكون أكثر اضطـلاعا بهذه الآمـال وأشد استجـابة لهذا الـرجاء وهـــذه المطـــالب، وذلك بما يتفجـــر في ذاتـــه من آثـــار الشعور برسالته التي تتحقق بـــدقـة ثقـــافـــة تنشأ - في مظــاهـرهـــا العـــامـة - من مبادىء سـامية تنبثـق عنها أضـــواء تنير السبيل وتجدد

المعالم التي يختار منها ما يلائمه ويلائم الأجيال التي تأخذ عنه وتقتبس منه حتى تنسجم مع المجتمع الذي تتهيأ للعمل فيه وتساهم في تكوينه وتطويره.

المحبة ضرورية في العمل التربوي

إن هذه المعاني التي أشرنا اليها والتي تحمل في ذاتها شتى القيم والاهداف النبيلة، لايمكن أن تتحقق بدون شرط أساسي تحدث عنه المربون منذ فجر تاريخ التربية وما زالوا يعتبرونه شرطا أساسيا، ونعتقد أنه سيظل مطلبا لا محيد عنه في كل عمل تربوي شفاف ينتج العواطف النبيلة ويخلق التوافق والانسجام بين مختلف الطبقات، وإذا كان هناك من تشك أو عزوف أو ضحالة، فبعض أسبابها يرجع إلى فقدان هذا الشرط. فما هو هذا الشرط؟ إنه محبة المتربين والرغبة في فهمهم والاقتراب من همومهم واهتمامهم والتفاني في الاخلاص اليهم والوفاء لهم مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يعد الرجل صبيه ثم لايفي، بل ينجز له» [سنن ابن ماجة، الحديث رقم ٤٦].

وهذا يعني أن يجد المعلم اللذة والحبور لوجوده بين الاطفال ويسر للاسهام في تحريك عفويتهم ومشاطرتهم مرحهم والاختلاط بألعابهم عند الاقتضاء، وهذا لايتحقق إلا إذا توافر في المعلم الاستعداد لفهم وإدراك طريقة تعليمية في تصور الاشياء والكائنات الأخرى والقدرة على الهبوط إلى مستواهم والتحدث بلغتهم وجعل الأفكار البسيطة التي نريد نقلها إليهم يسيرة قريبة من تناولهم، إن محبة الاطفال تعني مجموع السعادة التي يحملونها في نفوسهم وتعنى الشفقة للقيمة الانسانية التي تمثلها بكل ما فيها من لطف وطراوة وحبور، ولهذه الميزة الكبيرة في المعلم ولهذه القيمة العالية ولهذه الرحابة الإنسانية السامية أحب رسول الإنسانية محمد ﷺ أن يحصر بعثته في كونه معلما، وذلك في حديثه المروى في صحيح البخاري والذي يقول فيه: «وإنما بعثت معلما».

فحينما نرجع إلى سنته وإلى مواقفه التربوية المشرقة، نجده حقا ذلك المعلم الأعظم ونجد تلاميذه أولئك الصحابة الكرام، لقد شهدت حلقات دروسه مفاخر دوت في سمع الزمان وكانت نبراسا في سجل تاريخ التربية، فكثيرة هذه الأحاديث التي علمتنا كيف نتناول العمل التعليمي، وكثيرة هي الاحاديث التي اعلت من قيمة الحوار التربوي، تلكم التي كان يفتتحها بنوع من الاسئلة التي تهيىء الذهن لتقبل الجواب والتحفز لدخول جوه ومحيطه من مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «أتدرون؟» «ألا انبئكم»، «فحدثوني»..

مرعاة عقليات المخاطبين

وهناك مبدأ تربوي كبير تجسد في تعليم المعلم الأعظم عليه الصلاة والسلام ألا وهو مراعاة عقليات المخاطبين، إذ كانت رسالته موجهة إلى أناس متعددي المعتقدات ومتنوعي الثقافات ومختلفي البيئات. وتبعا لذلك فقد كان يكيف الخطاب الموحي اليه به بحسب نوعية المخاطب، وكتب السيرة والحديث مليئة بهذه المحاولات التكييفية. وهذه عملية تربوية شفافة، إذ ليس من الحكمة أن يخاطب أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ومعاذ وأبو ذر الغفاري..بنفس الخطاب الذي يوجه به الكلام إلى بدوي اعرابي آت وسيفه في يده.

ففي النمط الأول: تكفي الاشارة واللمحة لفهم المقصود،إذ هناك معرفة خلفية مشتركة بين الرسول وبين هؤلاء الصحابة، فإن لم تكن مشتركة بصفة كلية فإن كثيرا من عناصرها مشترك فيه.

وفي النمط الثاني: كان الرسول ﷺ مضطرا لأن يفصل ويوضح ويضرب الأمثلة المستقاة من البيئة. ولقد أدرك الفلاسفة والمربون القدماء سر عظمة المعلم في الحياة فأطلقوا هذه الكلمة على أولئك المنتجين للأفكار الموقظين للهمم الذين يخلعون على أنفسهم وسام الهداة المصلحين بغض النظر عن عقائدهم ونحلهم، وهكذا سمى ارسطو المعلم الأول وسمى الفارابي المعلم الثاني على اعتبار أن ارسطو هو المعلم الاول وأن الفارابي هو المعلم الثاني لأن هذا الأخير تتلمذ على كتب ارسطو وشرحها وقربها من القراء في مختلف العصور.

وقد سئل الفارابي مرة هذا السؤال: من أعلم؟ انت أو ارسطو؟ فقال: (لو ادركته لكنت أكبر تلاميذه). ومنذ أزمان غابرة اهتم المربون بالمعلم ورصدوا له الامكانات والفرص المادية والمعنوية لتكوينه وبعث احساسه بهذه المهمة السامية وصوروها له بحجمها المناسب، وحينما نطل على ما كتب بهذا الشأن نلقي أنفسنا أمام زخم النصائح والمعارف والأهداف المنبثقة عن وعى بهذه القضية. ففي مطلع القرن الأول الميلادي كتب كونتليان – وهو من أهل القرن الأول الميلادي – كتابا سماه (حول تعليم الخطيب) ما تزال نصائحه وشروحه وتعليقاته تمثل الحقيقة ويستفاد منها في العصر الحاضر لأنها تمس جوهر الانسان وتخاطب القوة الكامنة فيه.

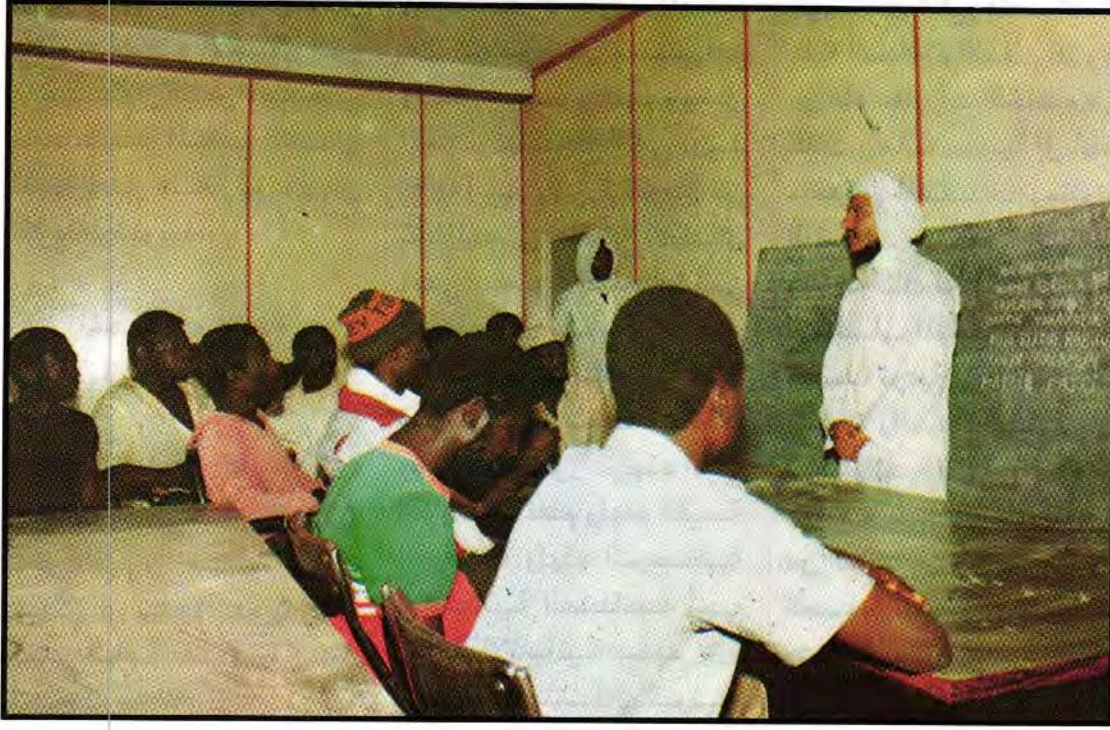
ويمكن أن نستشف ذلك من خلال هذا النص الذي اخترناه من كتابه سالف الذكر: يقول: (ينبغي على المدرس – أولا وقبل كل شيء – أن يكن لتلاميذه كل المشاعر الأبوية، وأن يعتبر نفسه في منزلة من عهدوا إليه بتربية أطفالهم).

الوسطية خير سبيل

لا ينبغي أن يكون متناهيا في القسوة، ولا رقيقا كل الرقة خشية أن يكرهه تلاميذه لقسوته الزائدة، أو يمتهنونه

لرقته المفرطة، وليتحدث من حين لآخر عن كل ما هو شريف نبيل، فبقدر ما يكثر من تقديم النصائح الحسية لتلاميذه، بقدر ما تقل - مرات - معاقبته لهم، ينبغي الا يكون حاد الطبع، ولكن لاينبغي أن يغض الطرف عن تصحيح ما ينبغي تصحيحه، ينبغي أن يكون بسيطا في شرحه لدروسه، قادرا على تحمل مشقة العمل، يجب أن يكون مستعدا لأن يجيب كل من يسأله، ويسأل كل من يجلس صامتا. عند ثنائه على تمرينات تلاميذه يجب ألا يكون شحيحا ولا مفرطا. في الحالة الأولى سيكرهون العمل، وفي الحالة الثانية سيملؤهم الغرور، وعند تصحيحه لأخطائهم يجب ألا يكون فظا، وأهم من هذا الا يسخر منهم، فإن بعض المدرسين ينتقدون تلاميذهم بطريقة يبدو منها وكأنهم يكرهونهم، وهذا يعوق كثيرا من التلاميذ عن السير في خطة الدراسة المقررة.

وأخيرا يجب أن يقول لتلاميذه كل يوم شيئا يحملونه معهم، فبالرغم من أنه في أثناء دروس المطالعة ربما يشير إلى كثير من النماذج المثالية الجديرة بالمحاكاة إلا أن الصوت الحي يمد العقل بالغذاء الأكمل وخاصة صوت المدرس الذي يحبه ويحترمه تلاميذه الذين أحسن تهذيبهم فنحن على استعداد دائما لنحاكى من نحب. [عن مقال في موسوعة تراث الإنسانية المجلد الرابع كتبه الدكتور ابراهيم سكر محللا كتاب كونتليان: حول تعليم الخطيب].



على المدرّس أن يكنّ لتلاميذ مشاعر الأبوّة فيفتح أمامهم أبواب التلقي والمحاكاة على مصراعيها

التعلم بالاقتداء

إنها صورة رائعة للمعلم المثالي الجديد بلقب معلم، وكم يستوقفنا في نهاية هذا النص قوله: (خاصة صوت المدرس الذي يحبه ويحترمه تلاميذه الذين أحسن تهذيبهم، فنحن على استعداد دائما لنحاكي من نحب) إنها - حقا - صورة رائعة تبين إلى حد بعيد أنه مهما كثرت الوسائل والامكانات المادية ومهما استفدنا من التقنيات الحديثة المعدة خصيصا للتربية والتعليم، فإنها ستبقى وسائل مساعدة ومعينة ومنشطة، ولن تنوب البتة عن المعلم فحضوره وعمله ومواقفه شيء آخر يتصل بالايحاء والوجدان وحديثه حديث الروح للأرواح أو على حد قول الشاعر:

تبسم لهم عن غبطة

وتوسم
ففي مقلة التلميذ روح المعلم

إن كثيرا من المعلمين الذين ملأت اسماؤهم صفحات التاريخ ادركوا حقيقة امرهم ودقة عملهم وضخامته، فكان شعارهم هو شعار التعليم المستمر الذي يتيح المواجهة ويمكن من الاداء الاكمل على مختلف الواجهات والجبهات. وذلك أن تاريخ البشر كله - بأمجاده ومثالبه، بجرائمه وروائعه - لن يفهم أفضل فهم الا اذا نظرنا اليه على أنه تيار تعلم مستمر وكلما كان مسير هذا التيار إلى الامام كان دائما ادنى الى الاعجاب. ودراسة التاريخ على أنه أحاديث الصراع من أجل الكسب والتفوق لايجدى كبير نفع، ولكن التاريخ الحقيقي الأصيل هو تاريخ التعلم والتعليم على أنه ينبغي القول: ان الجميل حقا في عمل المعلم هو الايقاف طموحه عند نقل المعارف وترسيخ المعلومات وتزويد المتعلمين بالخبرات

اكتشاف العقول والمواهب

ولكن يجب ان يرتفع إلى مستوى اكتشاف العقول والمواهب وتشجيعها وذلك بوسيلتين اثنتين:

١- أن يضع اصحابها - دائما - أمام، ما يتحداهم ويحفزهم، وأن يعرض عليهم المشكلات ويعرضهم

للمصاعب لأن المتعلمين بهم حاجة للتفكير، فيواجههم بأشياء يفكرون فيها ويحرص على نقدهم في كل مرحلة من مراحل هذا التفكير، وليثق أن في تلاميذه نزوعا إلى الاختراع والابتكار، ومن ثم يظل يقترح عليهم تجارب يجربونها ويدربهم على أساليبهم ويطلب منهم ان يكتشفوا الخفي والمستور، ويعلمهم كيف يعلمون انفسهم بأنفسهم ارتباطا بمبدأ الاعداد للحياة وللتوقعات.

٢- الامر الثاني هو عقد الصلة بين هؤلاء التلاميذ وبين أصحاب العقول الممتازة، فمهما يكن المتعلم ذكيا، فلن تكفيه هذه الصفة، إذ لابد من الاجتماع بذوى الامتياز الحق اي الاتصال بالخالدين إما مباشرة وإما بشكل غير مباشر، وهذا هو ما تتيحه السياحة في قراءة ذوي الابداع والعطاء السخي واصحاب العبقريات الفذة، فلقد مات افلاطون منذ قرون عديدة ولايزال يتحدث ويفكر في كتبه وفي آثاره الجميلة.

من أغرب ما وقع ويقع لبعض المعلمين في مدرسة قروية صغيرة نائية يدرس فيها سنة بعد سنة، وبواسطة منهاج قد لايتغير لأبناء أسر لاتتبدل، من أغرب ما يقع أن هذا المعلم قد يكتشف ذات يوم بين تلاميذه القليلين - احيانا - فتى مهندسا موهوبا أو كاتبا مسرحيا مطبوعا أو عالما جهبذا، شيء عجيب يصعد من مهمة المعلم ويسمو بها نحو آفاق الاكتشاف وتفسير الهواجس والتطلعات والمساعدة على تحقيق الاحلام والامال وهنا أقف لأتساءل: كيف يستطيع المعلم، وفي مثل هذه الحال أن يشجع دون أن يتعاظم، ودون أن يساوره شيء من الحسد؟

إن تاريخ المعرفة وتاريخ التربية حافل بحوادث وقعت لمعلمين تبينوا مواهب بارزة في تلميذ ما فراحو يتيحون أمامه كل الفرص وكل ما يحتاج إليه من عون في طريقه إلى القمة، ولا عجب في ذلك فوراء كل عظيم يقوم والد طيب أو معلم طيب. وهذا يفضى إلى القول بأن حياة كل معلم هى في بعضها وقف على أن يستكشف ويشجع هذه العقول التي تطبع المستقبل بطابعها وسر التربية هو ألا ينسى المعلم أبدا أن العظمة خليقة أن تكون كامنة في أحد تلاميذه، كثير من المعلمين لم يكونوا صنائع زمانهم ومكانهم بل كانوا شواذ يهملون عصرهم ويمثلون طلائع عصر جديد، كانوا عصاميين حتى صاروا لعصرهم ألسنة تفصح ومصلحين يصلحون، وحسب المرء أن يطالع سير بعضهم ليجدد إيمانه بالانسانية وبما تستطيع أن تفعله في دنيا الناس من بر وخير.

إن التنقل الحر بين العقول الشامخة في بعض العصور العظيمة كالعصر الذي أنجب أمثال الغزالي واخوان الصفا ومسكويه والماوردي وشيشرون وفرجيل وهوارس، وانجب في العصر الحديث أمثال الشيخ محمد عبده ومحمد اقبال والمختار السوسي وعبد الله كنون وغيرهم ممن اثروا في الفكر الانساني وامدوا العقول والنفوس بالزاد الابقي. إن التنقل الحر بين هذه العقول ليبعث على عجب لاينقضى لما في عقل الانسان من اغوار لا تسبر، وتنويع لا يحد على حد قول الشاعر الاغريقي صفو قليس: (ما اكثر العجائب، ولكنك لن تجد بينها عجيبة اعجب من الانسان).

وينبغي أن نتفق على أن عمل المعلم فيه كثير من معاني المكتشف فكل من تذوق جمال وروعة العمل التربوي، يتبين جلال الاكتشاف الذي يستشعره المعلم حين يهيم في أحلامه حتى إنه ليستوى في نشوته هذه مع عباقرة الفنون والابداع في تيسير وسائل الراحة والاطمئنان والتمتع يحققها كل من الفنان المبدع والمعلم الرائع.

طلب المعرفة جهاد دائم

ومن هنا فإن طلب المعرفة عند المعلم - كطلب الحرية - جهاد مستمر وليس له حد يقف عنده، وليست الدراسة في الجامعة مهما تبلغ من النجاح أو التفوق سوى تمهيد ،وان المعرفة التي يتلقاها الطالب خليقة أن ينسى دقائق بعضها، وان الظفر بالشهادة لا يعدو أن يكون مرحلة أولى في هذا الجهاد المتطور المتجدد كل يوم.

ومن ثم فإن الشعار الكبير الذي يمتلىء به من يرشح نفسه لحمل رسالة معلم هو التكوين المستمر، هو أن يكون عقله مشوقا إلى الحقيقة كادحا في طلبها، لأنه يعتبرها الزاد الفكرى الابقى. وقد عرف العصر الحديث موجة عارمة في هذا الاتجاه وأصبح البحث جادا في أساليب التكوين المستمر وتجديد التكوين لتظل علاقة المدرسة بالرواد علاقة حية تقبض على عنان العلم محضا ومطبقا من أجل الفهم والقدرة والانشاء.

إن المعلم هو الذي ينجب العلماء ويمهد الطريق أمام الباحثين ويكتشف الحقائق الجديدة، ومن بواعث الالهام أن نطالع أسماء كثير من المعلمين على مساحات زمنية عريضة، فاحدها يلقي من ضيائه على الآخر، ويتلقى ضياء من غيره. وإنه لدين في أعماقنا أن نكرم المعلم، ومن حقه علينا أن ننيله ما يتم عليه الرضى النفسي من وسائل الطمأنينة الكاملة وأن نفسح له الحرية العلمية للانطلاق وراء ما يحفزه اليه حافز الشوق، وما يمهد له دليل الذهن المهيأ والعقل المتمرس باساليب البحث لمسايرة كل جديد والتأثير فيه، وان نعوضه من شهرة المخترع تقديرا خاصا ونرصع هامته باكاليل الفخر والاعزاز. وإذا كانت لنا أيام نشيد فيها ببعض الاسماء ونفخر ونبتهج (كيوم الام ويوم الطفل ويوم الارض ويوم الشجرة) فمن الجميل والرائع أن يكون لنا أيضا يوم آخر نسميه يوم المعلم.

نشد فيه بحرارة على يديه ونكرمه ونحتفل به ونخلق من جديد في ذهنه الصورة المثالية عن هذه المهمة الغالية والرسالة النبيلة، فهو همس السماء في مسمع الوجود ■

■ إن تقدم الأمم لا يقاس بما لديها من مواد أولية أو ثروات مالية ومعادن ثمينة، بل يقاس بقدرتها على الابتكار ووضع الاكتشافات العلمية موضع التطبيق



• الصناعة الحديثة من مظاهر التقدم العلمي المعاصر

مشكلات التخلف في الوطن الإسلامي

بقلم: محمد الصالح بن عزيز

تتوفر للدول الإسلامية عموما ثروات اقتصادية هائلة وتراث حضارى عظيم وعقيدة ربانية سليمة كان من المفروض أن ترشحها لقيادة العالم وريادة الحضارة الإنسانية في جميع الميادين، خاصة وقد أصبحت مستقلة الإرادة - نسبيا - في مجموعها، لها مقومات الدول، ولها مؤسساتها التربوية والاعلامية وغيرها. لكن الذي حصل ونراه اليوم هو عكس ذلك تماما: تبعية مطلقة للغرب الاستعماري فكرا واقتصادا وسياسة، ، وفجوة عميقة بينها وبين العالم المتقدم في مجال العلم والتقنية تزداد اتساعا يوما بعد يوم، الأمر الذي بات معه بعض المسلمين يعتقدون بأنه من المستحيل علينا اللحاق بالركب العلمي والتقني الذي وصل إليه الغرب (١).

بل الأخطر من ذلك أن التقدم الحضاري والتقني الهائل الذي حققته دول الغرب قد أصبح - فعلا - وبعد انهيار المعسكر الاشتراكي، يهدد المجتمعات المتخلفة الإسلامية منها بالخصوص - بالانهيار والدمار والفناء إن لم تتوصل هذه المجتمعات إلى صيغ تتيح لها فرصة التعايش مع انماط الحياة الجديدة.

أسئلة ملحة وإجابة مطلوبة

ماالذي حدث للعقل المسلم فعاقه عن العطاء وشله عن الإبداع؟ وماالذي حدث لأمة الإسلام فعطلها عن مسايرة ركب الحضارة الإنسانية في جميع الميادينو وان بدا تخلفها في الميدان الصناعي والتكنولوجي أوضح؟

عوامل عديدة ومتشعبة شاركت في تخلف الأمة الإسلامية لايمكن حصرها في باب واحد لانها تتبادل التأثير بشكل لا يسمح بعزل أي منها على حدة. كما لا يمكن أن نأتي عليها في مثل هذا المقال. وسأقتصر على ذكر أهمها راجيا من الله التوفيق.

سوء السياسة الاقتصادية

لاتزال السياسة أو التخطيط السياسي الاقتصادي في الوطن الإسلامي قاصراً عن الاستجابة لطموحات الشعوب وعن تلبية حاجيات العصر الضرورية. ولعل أبرز ظاهرة لذلك إهمالها شبه المطلق لسياسة التصنيع في الوطن الإسلامي. فالشيء المتفق عليه اليوم أن تقدم الأمم لا يقاس بما لديها من مواد أولية أو ثروات مالية ومعادن ثمينة، بل يقاس بقدرتها على الابتكار ووضع الاكتشافات العلمية موضع التطبيق، وبما لديها من طاقات بشرية قادرة على التعامل بشكل (خلّاق) مع المعطيات العلمية، ولعل اليابان التى اصبحت اكبر منافس يهدد اقتصاديات الولايات المتحدة الأمريكية ومجموعة الدول الاوروبية؛ بالرغم من انعدام الثروات الباطنية والمواد الأولية في

أراضيها؛ لأصدق دليل على مانقول.

هذه الحقيقة غابت عن وعي منظري السياسة الاقتصادية في الوطن الإسلامي، كما غاب عنهم أن التصنيع ضرورة حضارية لا سبيل للاستغناء عنها إذا اردنا مسايرة العصر واللحاق بركب البلدان المصنعة، والخروج من ربقة الاعتماد على الغير في سد احتياجاتنا من كل ما هو مصنع. بل للتصنيع دور كبير في تحقيق التنمية الاجتماعية المرجوة، وفي الاسراع بعملية التغيير الاجتماعي وفي توجيه هذا التغيير بما يتمشى مع متطلباته، وهو كذلك عامل اساسي من عوامل التنمية الاقتصادية حيث يساعد بلادنا على استثمار مدخراتها ومواردها العديدة لزيادة الانتاج والانتفاع بها محليا بدل بيعها إلى الغير بأثمان بخسة لترد لنا مصنعة باثمان غالية، وهو - أي التصنيع - احد الركائز الهامة للاستقلال السياسي، وتحقيق القوة السياسية، اذ توفر لنا الاستغناء عن الدول الأخرى في شراء الأسلحة والصناعات الهامة التي تستعملها الدول الغربية وسيلة من وسائل الضغط السياسي، ووسيلة من وسائل استغلالها لثرواتنا.

ولانستطيع أن ننكر أن غياب التصنيع في البلاد الإسلامية حتى هذه اللحظة اوجد مشاكل اجتماعية عديدة اهمها: ازدياد البطالة وما تمارسه من اثار سلبية على الجوانب الحياتية، وقلة الوعي التقني والصناعي، وفقدان الأيدي التي تمتلك المهارة والخبرة الصناعية، وقلة انتشار الاتجاهات النفسية التي يتطلبها المجتمع الصناعي، مثل احترام العمل وتقديس الوقت وتقدير الواجب واحترام النظام (٢).

ولست ادرى لم أهمل عنصر التصنيع في سياستنا الاقتصادية بالرغم من امتلاكنا لأهم عناصر إنجازه ونجاحه في الوطن الإسلامي، فنحن نمتلك توافر رأس المال لبعث المشاريع الهامة ونمتلك توفر المواد الخام وتوفر الوسائل المساعدة على التصنيع كالطاقة وسوق التوزيع وتوفير الكفايات الفنية الإدارية القادرة على التخطيط والتصميم والتى يوجد معظمها - للأسف الشديد - في بلاد الغرب.

ولئن انتبهت بعض دول العالم الثالث إلى أهمية هذا الجانب فأدمجت التصنيع ضمن برامجها التنموية وسياستها الاقتصادية (البرازيل مثلا، التي أصبحت تصدر طائراتها ودباباتها إلى الوطن العربي، وكذلك سنغافورة التى أغرقت أسواقنا بمنتجاتها الصناعية) فإن البلدان الإسلامية لا تزال تنظر إلى التصنيع نظرة ثانوية فيها كثير من اللامبالاة، في حين اننا نقدر على الدخول إلى ميدان التصنيع والنجاح فيه بتفوق، متسلحين بمبادىء ديننا وتعاليمه وبقيمنا الأصيلة وتراثنا العظيم.

ولايغرنك ما نرى في كثير من البلدان الإسلامية من انتشار لأنماط التصنيع الخفيف، فذلك لا يعدو أن يكون وسيلة لتوفير بدائل للواردات من السلع التى يستهلكها الأفراد مباشرة، انما الذي نعنيه بالتصنيع هو التصنيع الثقيل الذي يمكن من استخدام الاساليب الحديثة في الانتاج التي يترتب عليها ارتفاع جوهري في مستوى انتاجية العامل وكفاءة الصناعة ككل.

قصور السياسة التربوية

إذا آمنا بأن الإنسان هو الأداة والهدف لأي جهد حضاري فإن جوهر التخلف التي تعيشه المجتمعات المسلمة، والعقبات التى تعوقها على اللحاق بركب الحضارة المعاصرة على جميع مستوياتها، يكمن في توجه ذهنية الفرد المسلم، وهو ما عجزت البنية الثقافية في أوطاننا عن تجاوزه بسلام لبناء الفرد المسلم الذي خرج من معركته مع المستعمر خائر القوى مهدود الكيان محطم الشخصية. فاذا نجح الاستعمار في زعزعة الثقة بالنفس لدى الفرد المسلم وإخفاء روح المبادرة لديه وتعطيل طاقات التساؤل والخيال والإبداع، وطمس روح الاستقلالية، إذا نجح الاستعمار في مخططه، فإن مخططاتنا التربوية فشلت في إيجاد بديل للسياسة التربوية الاستعمارية التي بلدت الذهن وجمدت الفكر، لقد كان فشلها على مستويات ومبادىء مختلفة:

■ الأمة الجاهلة أسلس قيادة للاستعمار من الأمة المتعلمة


● تقدم الطبابة الغربية لم يحل دون التخلف في ميادين حضارية أخرى

أ- في الميدان السياسي الاجتماعي

عجزت السياسة التربوية عن تحقيق حلم ظل يراود أبناء الوطن الإسلامي طيلة عقود من الزمن. عجزت عن تحقيق محو الأمية التي تنخر السواد الأعظم من شعوب أمتنا، فمما لاشك فيه أن محو الأمية أداة جوهرية لإحداث التغييرات الاجتماعية على كل المستويات، إذ هي المجال لإثارة الوعي، ولأن يصبح الإنسان قادرا على تفهم المواقف المحيطة به، وقادرا على تحرير نفسه وتغيير واقعه، بل انه من المستحيل تغيير المجتمع إذا كان معظم افراده لايلقون نظرة نافذة على الحقائق الاجتماعية وظواهر السيطرة، واذا لم يكونوا على وعي بأنفسهم وبتاريخهم، واذا لم يحسوا بالرغبة في اقامة مستقبل افضل والاضطلاع بالمسؤولية من اجل مصيرهم الخاص.

وإذا كان للمستعمر عذره الخاص في ابقاء الحالة كما هي، لأنه لا يهمه محو الأمية عن الشعوب المستضعفة التي يتسلط عليها، ما دامت هذه العملية قد تفتح الباب امام الجماهير للمطالبة بالاستقلال أو للمشاركة الايجابية في صنع القرارات الوطنية، ولأن الأمة الجاهلة أسلس قيادة من الأمة المتعلمة. ذلك أن الأميين في المجتمع كمثل الجماد الأصم المجرد من الحياة والفكر والإرادة لا حول لهم ولا قوة. فإنه ليس لنا اليوم أي عذر، خاصة إذا عرفنا أن محو الأمية لا يعني تعلم الكبار القراءة والكتابة والحساب فحسب، إنما يعنى تحرير الإنسان واكتمال وعيه بكل ما يحيط به من حقائق مما يمكنه من المشاركة الفعالة في اتخاذ القرارات التي تهم وطنه من قريب أو من بعيد، لا أن يكون مجرد أداة طيعة في هذا النظام أو ذاك (٣).

وفي كلمة، فان محو الأمية هو عملية إعادة تربية لهؤلاء الأميين بحيث ترتفع عنهم الأمية السياسة والأمية الاقتصادية والأمية الاجتماعية. ولا يخفى على أحد ما سببه تأخر عملية محو الأمية في أوطاننا، لقد تسببت في العجز عن إحداث تغييرات جوهرية في بناء القيم والاتجاهات التي تحكم

مشكلات التخلف في الوطن الإسلامي

ذهنية الفرد المسلم والمؤسسات الاجتماعية كالانفتاح نحو التجديد والتغيير، والميل نحو الابتكار، والميل الديمقراطي المبني على احترام كرامة الآخرين والثقة فيهم، والثقة في قدرة الإنسان على التحكم في بيئته، والثقة في العلم والتقنية، كما تسبب في إبقاء التفكير الخرافي الذي لا زال يسود المجتمع الإسلامي، كالاعتقاد بالعفاريت، واستخدام الأحجبة، واللجوء إلى قراءة الكف، والاستنجاد بالأولياء والمشعوذين. وتسبب في العجز عن تنقية بنيتنا الثقافية التى لا تزال تعج بالتصورات والاتجاهات الخاطئة المحسوبة على الدين، وعلى إيجاد مواءمة بين المنقولات العلمية وجوهر الدين الذي لم يقف قط في وجه التطور العلمي، أو التطور الحضاري عموما.

تسبب تأخر محو الأمية في كل ذلك فعجزت سياستنا التربوية الثقافية بالتالي عن تكوين الإنسان الواعي بذاته الواثق من نفسه المعتز بتاريخه، القادرعلى التفاعل مع ماضيه وحاضره ومستقبله، القادر على الأخذ بوسائل العلم الصحيح مع الاحتفاظ بقيمه وتعاليم دينه القويم.

وفي كلمة، عجزت عن تكوين الإنسان المتحضر، ممايدعو المعنيين في الوطن الإسلامي بوضع البرامج والخطط الشاملة لمحو الأمية حتى تصبح الجماهير المسلمة قادرة على التماس كل الطرق للتغلب على المصاعب التي تقف عقبة في سبيل تقدمها. وليدرك الجميع اننا إذا لم نقف جميعا بحماس وراء هذه العملية فان الجهود المبذولة للخروج من التخلف ستصطدم بالفشل الذريع.

ب – في الميدان التعليمي

فشلت السياسة التربوية في تغيير النظام الاستعماري في التعليم، الذي وضع ليعمل على تزييف الطابع الإسلامي وعلى طمس تراث الوطن الإسلامي وتقاليده وعاداته، بحيث تصبح العملية التربوية نفسها عملية تبشيرية تمجد آثار المستعمر وثقافته وتقدم لجهازها الاستعماري الرجال القادرين على القيام بمهمته الاستعمارية في المجالات السياسية والاقتصادية إذا اضطر في يوم من الأيام إلى مغادرة البلاد.

يقول الاستاذ محمد قطب: (ولكن السياسة التي رسمها «دنلوب» لم تكن تهدف إلى تخريج متعلمين، وإنما تهدف إلى تخريج عدد من العبيد يؤمرون فيطيعون ويشار إليهم فينفذون) (٤). لقد فشلت سياستنا التربوية في تغيير هذا النظام، ولم تستطع أن تقتلعه من جذوره لتحل محله سياسة تعليمية مؤسسة على نظريات تربوية نابعة من واقع الوطن الإسلامي، مستلهمة في ذلك كل التراث الإنساني في التربية والذي لا يحمل في ثناياه ملامح استعمارية.

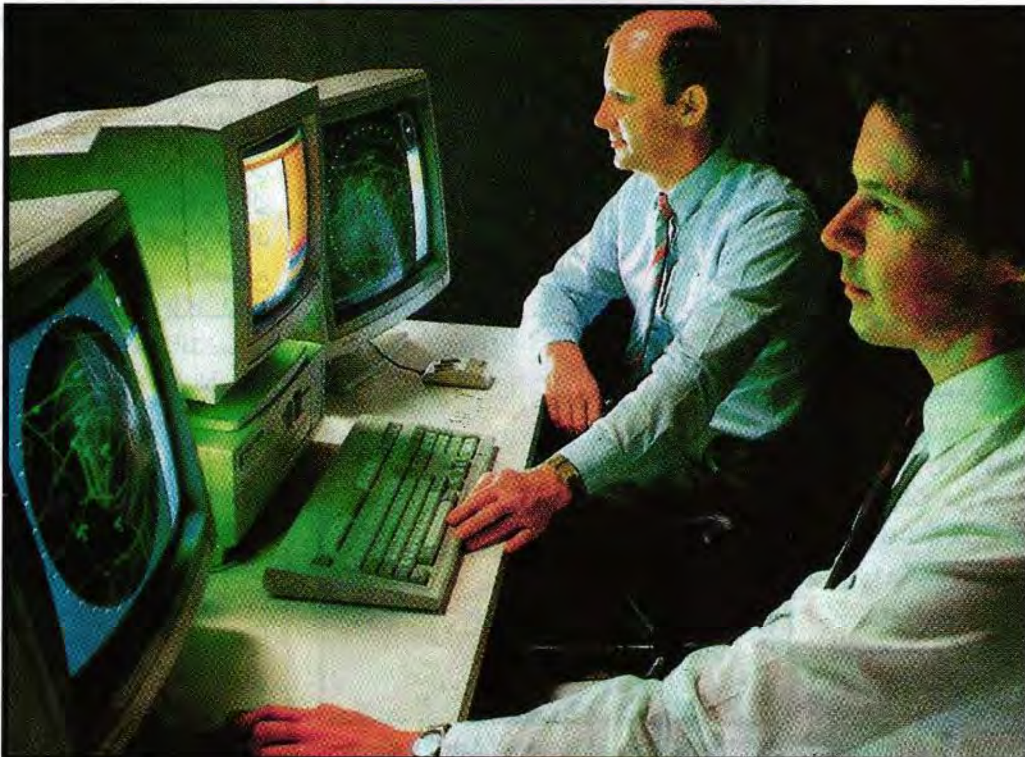
■ ما زالت كثير من المجتمعات المسلمة تنظر إلى المرأة نظرة الجاهلية التي حاربها الإسلام

ج – تغيير نظرة الرجل إلى المرأة

عجزت السياسة التربوية في الوطن الإسلامي عن تغيير نظرة الرجل إلى المرأة، والتي لاتزال تحمل سمات النظرة الجاهلية التي جاء الإسلام ليبني على أنقاضها نظرة جديدة تتسم بالواقعية وبالإنسانية، فمما لاشك فيه أن المرأة نصف المجتمع، وأي تعطيل لدورها انما هو تعطيل للنصف الحيوي منه (أي المجتمع) وكلما تقلص دورها، تقلص دور الجماهير واستقر الاستبداد، يقول (فورييه): (تتم التطورات الاجتماعية وتبدلات الزمن وفقا لتقدم النساء نحو الحرية. ان اتساع امتيازات النساء يشكل الأساس العام لجميع التطورات الاجتماعية.) اما (براسيل) فكان يرى في النساء ليس فقط خميرة أي تقدم إنساني، بل القوة التى تفجر تحديدات المبدأ الديمقراطي. بل إن الإسلام يذهب إلى ابعد من ذلك اذ يربط بين صلاح المجتمعات بالدور النضالي لكل أفراده في إزهاق الظلم وإحقاق الحق عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل الوسائل المتاحة، ويجعل دور النساء في ذلك لا ينفصل عن دور الرجال. فهن «شقائق الرجال» (٥). مع بيان هذه الحقيقة نرى المرأة الإسلامية لا تزال مبعدة عن المشاركة في بناء المجتمع، غير موثوق بقدرتها على الابداع، مما يسبب خرقا في البناء الحضاري مهما كانت قوته ومهما كان تكامله.

د – غياب الكفاءة الإدارية

من الأمور التي اصبح مسلما بها في العالم المعاصر أن الإدارة الحديثة عماد التقدم الاقتصادي والاجتماعي والحضاري (ولم يعد العقل الإنساني في عالم اليوم يقبل الجدل أو النقاش حول ماهية الإدارة وأهميتها وضرورة الأخذ بمفاهيمها وأساليبها المتطورة كأسلوب لتنظيم



● هل التقدم التقني يكفي وحده؟

النشاطات الإنسانية في مختلف مجالات الحياة (٦). لكن الذي نراه في البلاد الإسلامية – والذي نرده إلى فشل السياسة التربوية – هو تعدد مظاهر الفشل الاداري أو التخلف الاداري. ولعل ذلك راجع بصورة كبيرة إلى غياب الكفاءة الادارية، أي القدرة على أداء الاعمال الصحيحة والتوصل إلى تحقيق النتائج المطلوبة في حدود التكلفة المناسبة وفي الوقت المناسب، وغياب (القدر الأكبر من الحرية والمرونة للإدارة وتأمين استقرارها وصولا إلى تهيئة المناخ الأمثل المساعد على اتخاذ انسب القرارات ورسم السياسات المثلى وإعداد الخطط والبرامج الهادفة جميعا إلى تحقيق الأهداف الإنسانية والاجتماعية المنشودة) (٧).

فالملاحظ في البلاد الإسلامية انه ليست الكفاءة هي المعيار للترقية والتشجيع والرعاية إنما الانتماء إلى الحزب الحاكم بالدرجة الأولى. وهو أمر لايدعو إلا إلى التخاذل في العمل والانتاج وإهدار الأموال الطائلة التي يضن بها على بحوث علمية ذات قيمة.

و– غياب أثر المباديء والقيم

وأخيرا – وليس آخرا – عجزت السياسة التربوية في أوطاننا على تنشئة المواطن الذي يعيش لقيمه ويضحي في سبيل مبادئه بالنفيس. ولعل ذلك اهم ما يميز الإنسان المتحضر عن الإنسان المتخلف، ذلك أن اصحاب المباديء هم صفوة الجنس البشري وهم المصابيح التي تنير الدروب إذا اختلطت الأمور وعم الظلام (٨).

تأزم الوضع الداخلي وكبت الحريات

إن اسوأ ما تصاب به الأمم غياب الحرية، حرية التفكير وحرية التعبير. ذلك أن حرية الرأي وفتح الباب لتعدد الفكر هو المخرج، وهو المخلص، وهو صمام الأمان لكل أمة وكل شعب وكل مجتمع. فلا يمكن أن يتحقق أي تقدم في الميدان العلمي أو الثقافي أو الحضاري إلا في ظل حرية الكلمة وحرية الحوار. فلا تقدم بدون حرية. وأي بحث لا يمكن أن يحقق نتائجه المرجوة في غياب الحرية. ذلك أن انعدام الحرية لا يستطيع أن يحقق مناخا يبث الاهتمامات لدى الافراد، ولا يستطيع أن يعطي كل عضو في المجتمع حقه في المشاركة في التجريب، وحقه في تغذية إحساسه بذاته حتي تحفزه للمشاركة، وإحساسه بالمسؤولية. فالحجر والوصاية لن تولد سوى الخوف والصمت والسلبية واللامبالاة (٩).

والارهاب الفكري يولد لدى الفرد شكا في نوايا الآخرين، وافتراض سوء النية لديهم، وتحقير جهودهم وانجازاتهم. وفي كل ذلك تعطيل لعملية التقدم الاجتماعي؛ وبالتالي الحضاري. فقد أثبت التاريخ أن الاستبداد أدّى إلى انكماش الفرد، ونمى لديه نزوعا إلى الهروب داخل تجمعات يحتمي بها، وهو ما يكون عائقا في وجه التطور. كما أثبت التاريخ أن ضيق الأفق والتعصب اللذين ينشآن في ظل الاستبداد السياسي مما يسبب انتفاء إمكانية حوار ديمقراطي متكافيء واستعداد الفرد لقمع محاوره إذا عجز عن اقناعه بالحجة والبرهان، فيستحيل في ظل ذلك قيام أي تقدم من أي نوع.

أثر الاستبداد السلبي على الفرد والمجتمع

كتب عبد الرحمن الكواكبي عن الاستبداد فقال: (الاستبداد يتصرف في أكثر الأحوال الطبيعية والأخلاق الحسنة فيضعفها أو يفسدها أو يمحوها، ويجعل المرء حاقدا على قومه لأنهم عون الاستبداد عليه، ويفقد حب وطنه لأنه غير آمن على الاستقرار فيه، ويود لو انتقل منه. أسير الاستبداد لا يملك شيئا ليحرص عليه لأنه لا يملك مالاً غير معرض للسلب، ولا شرفا غير معرض للإهانة. الاستبداد يسلب الراحة الفكرية فيضني الأجسام فوق ضناها بالشقاء فتمرض العقول ويختل الشعور على درجات متفاوتة في الناس. الاستبداد يضطر الناس إلى استباحة الكذب والتحيل والخداع والنفاق والتذلل ومراغمة الحس وإماتة النفس إلى آخره. وينتج عن ذلك انه يربي الناس على هذه الخصال. بناء عليه يرى الآباء أن تعبهم في تربية الأبناء التربية الأولى لابد أن يذهب عبثا تحت أرجل تربية الاستبداد، وفي الحقيقة ان الاولاد في عهد الاستبداد سلاسل من حديد يرتبط بها الآباء على أوتاد الظلم والهوان والخوف والتضييق) (١٠).

لعل في هذا مايكفي للتدليل على أن كابوس الإرهاب السياسي الذي ترزح تحته معظم البلاد الإسلامية سيقف حجر عثرة في سبيل كل المحاولات وكل المخططات التي توضع لمحاولة الخروج من التخلف.

■ لم يقف الدين الاسلامي قط في وجه التطور العلمي ، أو التطور الحضاري عموما

معاول الهدم الخارجي

إن التقدم بالنسبة للعالم النامي، ومعظمه من الوطن الإسلامي، يعني الموت لصناعة الغرب في الدرجة الأولى. وهو أمر لا ترضاه الدول الاستعمارية، وستعمل على إحباطه – أي التقدم – مهما كلفها ذلك من أتعاب، لتبقي البلاد المستعمرة كعادتها مصدرا تمدها بالمواد الخام اللازمة لصناعتها، وموردا للمواد الغذائية، وسوقا يستوعب فائض انتاجها الصناعي. ومن هنا حافظت كثير من البلدان الإسلامية على دورها في إنتاج وتصدير المواد الأولية واستيراد الكثير من السلع الصناعية، معتمدة على ثرواتها النفطية، ناسية أن النفط مهما بلغت أهميته هو مجرد مورد طبيعي لابد أن يتغيب بعد فرة تطول أو تقصر، وأن الجهود متواصلة في الغرب للبحث عن مصادر جديدة للطاقة بديلة للنفط بأقل تكاليف تماما كما وقع لبعض المواد الأولية الأخرى (١١).

وبذلك ساهمت هذه الدول الإسلامية في نجاح مخطط الغرب الاستعماري على إبقائها في طابور الدول المستهلكة المعتمدة كليا على صناعة الغرب التي هى محجرة علينا نحن ابناء العالم الثالث بإرادتنا وبإرادة غيرنا ■

الهوامش:

(١) انظر: مجلة الأمة، العدد ٤١.

(٢) د. عمر التومي الشيباني، كيف يمكن للمجتمع الإسلامي أن يتفادى آفات التصنيع، مجلة الثقافة العربية.

(٣) محسن الخياط، الأمية خطر يهدد الوطن العربي، مجلة الشورى، ربيع الأول ١٣٩٧هـ.

(٤) محمد قطب، هل نحن مسلمون؟

(٥) معاذ الصابر، القضية الفلسطينية في مفترق طريقين.

(٦) د. على السلمي، الكفاية الادارية، مجلة العربي: ١٩٥.

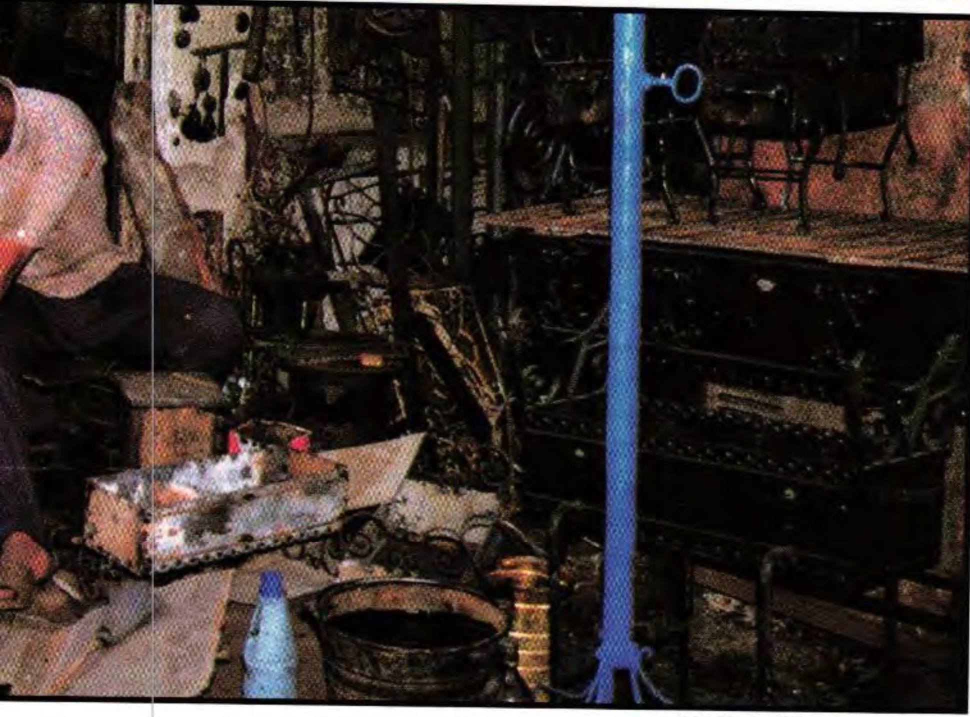
(٧) المصدر نفسه.

(٨) انظر: طريقنا إلى الحضارة، راشد الغنوشي.

(٩) د. محمد محمد المفتي، العلم والتقنية ومستقبل الوطن العربي، الثقافة العربية، ذو القعدة ١٣٩٦هـ.

(١٠) عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد.

■ يتخبط العالم التابع بأجمعه اليوم في الفقر، وفي أزمة تخلف اجتماعية اقتصادية، لم تفلح كل التوقعات في أن تحد من خطورتها إن لم تزدها اتساعا



● محل حدادة تقليدي في المغرب

هل يفي الطرح الإقتصادي الاسلامي بوعوده ؟

يتخبط العالم بأجمعه اليوم – عدا بعض الدول الرأسمالية التي اغتنت بسرقة ثروات الشعوب المستضعفة – في الفقر، وفي أزمة تخلف اجتماعية اقتصادية، لم تفلح كل التوقعات في أن تحد من خطورتها إن لم تزدها اتساعا، الأمر الذي دعا الكثيرين من علماء الاقتصاد إلى دراسة النظام الاقتصادي الإسلامي، وخرجوا مقتنعين – في أكثر الأحيان – بأن البديل الإسلامي هو القادر على انتشال الإنسانية من الهاوية التي تردت فيها..

ومما وقع بين يدي في هذا الشأن الرسالة الجامعية للباحث الأفغاني الدكتور (سيد جان بيان) حول (مشكلة الفقر وعلاجها في القرآن الكريم) التي قدمتها مجلة الأمة في أحد أعدادها [العدد٥٩] وجاء فيها ما يلي: (فرغم أن الفقر مشكلة قديمة كانت؛ ولاتزال؛ الشغل الشاغل للبشرية، ورغم جهود المصلحين والمفكرين لإيجاد حل لها إلا أن المشكلة لاتزال قائمة، والسبب في ذلك يرجع إلى عدم الالتزام بالتشريع الإسلامي والرجوع إليه في هذا الشأن). ويصل الباحث في النهاية إلى أن (مشكلة الفقر قد أصبحت قضية الشعوب في أنحاء الأرض، وأعمل فيها الباحثون والمفكرون عقولهم).

الحل الإسلامي الشامل

(هذه المشكلة لا علاج لها في الواقع ولغيرها من مشكلات الحياة إلا الإسلام. فكل ماقدمه المفكرون والمصلحون من حلول لمشكلة الفقر لا يعدو أن يكون مسكنات موضعية أو إسعافات وقتية). ولهذا ينصح الباحث هؤلاء المفكرين كما ينصح



[redacted]

الحكومات في كل مكان (بالرجوع إلى الإسلام لحل مشكلات العالم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فالإسلام هو الشفاء لكل داء، وهو النور في ظلمات الحيرة). فهل هذا صحيح؟

لو حاولنا إبدال النظام الاقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية – التي سجل فيها أكثر من ثلاثة ملايين مواطن يعيشون تحت مستوى الفقر – أو النظام الاقتصادي في الصين بنظام اقتصادي إسلامي، هل تراه يعطي ماننتظره من نتائج باهرة؟ لو حاولنا تطبيق وسائل العلاج التي اقترحها الإسلام وذكرها الباحث في رسالته والتي هي كالتالى:

وسائل وقائية

تحريم الربا، تحريم القمار، والاحتكار والغش، تحريم الترف والإسراف والاكتناز، الحجر على السفهاء، إعفاء الفقراء من الأعباء المالية.

وسائل علاجية

بغض الفقر والتعوذ منه، الحث على العمل، كفالة الموسرين من الأقارب للمعوزين، فرض الزكاة، كفالة الخزانة الإسلامية للفقراء، صدقة الفطر والأضحية والكفارات والفدية.

تري لو طبقنا كل هذه الوسائل في الهند أو في نيكاراجوا أو في أثيوبيا أو غيرها، هل تستطيع أن تحل المعضلة الاقتصادية وتقضي على جيوب الفقر هناك؟ الجواب قطعا: لا. وذلك لما يلي:

١– لأن الدين الإسلامي مترابط الأحكام في جميع المجالات ترابطا متينا، ولأن النظام الاقتصادي الإسلامي جزء من كلٍّ متناسق هو الإسلام فكرا وعقيدة وتشريعا، وهو عبارة عن الصورة المتكاملة المتشابهة التي تقررها الشريعة للحياة الإنسانية، فلا يصح أن نقطع أجزاءها ونجعل كل جزء منها مستقلا عن غيره ثم نطلب منه أن يفي بوعوده، كما أنه ليس لنا أن نقول، إذا أقمنا بعض أجزائه، أننا قد أقمنا نصف الإسلام أوسدسه، ولانحسب؛ اذا ربطنا جزءا منه أوبعض أجزائه في نظم آخر للحياة؛ أننا قد أدخلنا فيه الإسلام بقدر هذا الجزء أو الأجزاء، أن كل جزء من هذه الصورة للإسلام مرتبط بسائر أجزائها، ولا يستطيع أن يعمل عملا أو يأتي بشيء من النفع إلا معها، أو بمعنى أوضح لا تستطيع الحلول الإسلامية لمعالجة الفقر أن تؤتى نتائجها إلا في ظل نظام إسلامي كامل: سياسة تربوية واجتماعية وثقافية ترتكز إلى الإسلام (١).

٢– لأن أي نظام اقتصادي ليس اقتصاديا بحتا، وانما تؤثر فيه عوامل أخرى غير اقتصادية. فلا يوجد في الحياة العملية ولا في عالم الأفكار والنظريات نظام اقتصادى منفرد بذاته مستقل عن سائر العلوم الاجتماعية التي تخضع جميعها لمباديء عامة تحددها مثالية أو مذهبية، فالاقتصاد والسياسة والقانون والأخلاق وغير ذلك من العلوم الإنسانية تنبع كلها من معين المذهبية (أو المثالية) لتصب فيه، وينِد عن منطق الواقع ومحجة الصواب من يحاول أن يعالج الاقتصاد الإسلامي بعيدا عن المثالية التي يدين بها مجتمع انسانى معين (٢).

بمعني أوضح إن السلوك الاقتصادي للانسان وما عدا ه من السلوك كذلك يتأثر من بين أشياء أخري بنظرته للحياة ومعتقداته ومعاييره الاخلاقية، ولذلك فان كل مايؤثر على تلك المتغيرات يجب أن تترتب عليه بالضرورة نتائج اقتصادية بعيدة المدى (٣).

المنهاج يتبع المثالية

لقد أصبح من الجلي أن المنهاج يتبع نوع المذهبية، فمنهاج الفكر الرأسمالى يختلف تماما عن منهاج الفكر الشيوعي، ويختلف الاثنان عن منهاج الفكر الإسلامي، وذلك أمر طبيعى ومنطقي، إذ تختلف المقدمات والغايات، و بالتالى تختلف الطرائق الموصلة إلى الأهداف، ولو اتبع اصحاب هذه المذاهب منهاج المذهب الآخر لاضطرب أشد الاضطراب في منطقه واختل في مسيره، ولما وصل إلى أدني غاية (٤).

إن نظرة الغرب للحياة ومعتقداته ومعاييره الأخلاقية، التي تقوم كلها على أساس أن لا علاقة بين إرادة الله وحياة البشر، وتقوم على أن الفرد غير مقيد بعهد من الله، وغير ملتزم باتباع أوامره أفرزت هذه النظرة، بطبيعتها الفلسفة الاقتصادية الماركسية التي تتمثل في أفكار تتمحور حول صراع الطبقات وتناقضها، وينبع من ذلك الصراع والتناقض جميع المبادىء والقواعد الخاصة بالثورة البروليتارية والدكتاتورية البروليتارية؛ والصراع الطبقي والتناقض يعدان بدورهما تجليا لفلسفة الصراع التي تمثل الآلهة المتعددة لليونأن في إرادتهم ورغباتهم المتعارضة، والإله النزاع إلى الانتقام..

وأفرزت – أي نظرة الغرب للحياة ومعقتداتهم – الفلسفة الاقتصادية

هل يفي الطرح الإقتصادي الاسلامي بوعوده

الرأسمالية التي تتمثل في حرية العمل اليد الخفية التي ترفض أن تكون هناك أية قيود أو حد من سعي الانسان لتحقيق مصلحته الذاتية، والتي تؤمن أنه اذا تركت الحرية للناس ليفعلوا مايشاءون فسوف يكون ثمة انسجام بين مصالح الأفراد..

وهكذا فإن الفلسفة الاقتصادية الرأسمالية تقوم على أساس وجود إله منعزل قام بالخلق والتنظيم ثم توجه إلى عزلته وتقاعد، وهو لا يقوم بأي توجيه ولايتدخل في أعمال العباد (٥).

إن مجتمعا يتبني هذا الفهم للحياة وهذه الفلسفة لوجوده، لايستطيع أن يتقبل الحلول الإسلامية التي تقوم على فهم وفلسفة مغايرين للحياة وللوجود، إلا أن تفرض عليه – هذه الحلول – فرضا، وعندها يولد الصراع النفسي المدمر الذي لن يأتي بخير للفرد ولا للمجتمع.

بمعني أن الحلول الإسلامية لمعالجة الفقر لاتستطيع أن تقوم بدورها إلا إذا تنزلت في قوم يتبنون فلسفة الإسلام ومذهبيته التي تقرر أن الانسان مخلوق لله تعالى، وهو يتمتع بحمل الأمانة وبالتكريم، وأنه يعيش ليعبد الله في إطار قوانينه الأزلية، وأنه يعمل تحفزه غرائز مادية ومعنوية، وأنه يسعد ماداوم الدأب على العبادة وإشباع الغرائز بشقيها.

الإيمان والالتزام قبل الحل

إنه لن يكون هناك اقتصاد اسلامي نظريا وعمليا، ولن تعطي حلوله الوقائية والعلاجية نتائجها مالم يوجد المجتمع البشري المسلم الذي يدين بالمذهبية الإسلامية التي تقوم على التوحيد الخالص ويدأب على تحقيق أهدافها، وحينئذ فقط تخرج الخطوط الرئيسية للاقتصاد الإسلامي من حيزالتصور الفكري إلى حيز التطبيق، ويوفي بالغاية المرجوة – بإذن الله – ولا يتصور قيام هذا المجتمع دون وحدة في المذهبية، اذ المقرر أن تتضمن المذهبية – أوالمثالية – شعورا عقديا عميقا يكون في ذاته طاقة متجددة تبعث في نفوس الأفراد معاني الإخلاص والولاء لمايدينون به، وترسي فيهم قيم الوفاء والتضحية والإيثار حينما يعرض لهم أمر يتعلق بمذهبيتهم، ثم تشيع فيهم غرائز الحب والانتماء واستكمال الشخصية، وما عداها من الغرائز المعنوية (٦).

■ النظام الاقتصادي الإسلامي جزء من كلٍّ متناسق هو الإسلام فكرا وعقيدة وتشريعا، وليس أمراً مفصولاً عنه

ولاسبيل لإقرار هذه المذهبية في نفوس البشر إلا عن طريق المحاولة الدائبة للاتصال بالقوة الإلهية الواحدة الخالقة، فان وجدت هذه الصلة؛ حتى في أوهى صورها؛ سمت بالمرء عقيدته وأوصلته إلى مراقي استقصاء الحق والوفاء، وإقامة العدل والتعرف إلى الكمال والجمال وشأو النعم، والمحافظة على المعاني جميعا باعتبارها غايات، كلما شارفها ارتفعت إلى غايات أبعد تقربه من الله زلفى.

وهوموقف كما نرى لم يتوفر في الشعوب التي لا تعتنق الإسلام عقيدة أولا، ومنهاجا للحياة ثانيا، وبالتالى فلا سبيل لأن نقترح عليها الحلول الإسلامية لأن مثل ذلك يكون عبثا وعملا مغايرا لطبيعة الأشياء وحقائقها. ولا يعني قولنا هذا دعوة إلى



● الأمن الغذائي على قمة اهتمامات الدول الواعية

التوقف عن دراسة النظرية الاقتصادية الإسلامية وزيادة التعمق في إعداد البديل الإسلامي حتي يقوم المجتمع المسلم، فذلك قول قد تجاوزته الأحداث، ودارت حوله مجادلات فكرية طويلة ليس هذا مجال الحديث عنها. ولايعني اننا ننصح الشعوب التي لا تتبني المذهبية الإسلامية بالتخلي عن تجربة الحلول الإسلامية، فهي أدرى بأمورها، ولكن الذي نطالب به أن لا يحمل الإسلام فشل تجربتها. ٣- هذا العنصر شديد الارتباط بالذي قبله إن لم يكن جزءا منه - لأن للإسلام ميزة خاصة ليست موجودة في الأنظمة المقارنة كالرأسمالية والماركسية؛ مثلا، وهي مصدر تفوقه وقوته وخلوده، وهذه الميزة تتمثل في كون الإسلام ليس مثل الأنظمة الأخري مجرد قوانين جافة مسلطة على المكلفين دون مراعاة طبيعتهم كبشر، وموكول للحكام تطبيقها وتسليط العقاب على مخالفيها. فالإسلام في جانب من جوانبه قوانين مضبوطة يجب احترامها ويعاقب متجاوزها دنيويا، وفي جانب آخر؛ وقبل ان يكون قوانين بين الناس؛ يمثل الإسلام تربية روحية وثقة في الله لا تتزعزع، واستعدادا لتنفيذ أوامر الله بكل امتثال ورغبة وطواعية، وذلك حتى يحصل الانسان على رضى ربه فيفوز في الآخرة بالجنة والنعيم.

دور الإيمان في حياة البشر السوية

إن الجانب الغيبي في الإسلام هو سر خلوده ونجاحه، لأن العقيدة الحقة إذا تغلغلت بقلب إنسان أحدثت فيه ثورة، وجعلته هو الرقيب على نفسه قبل أن يراقبه غيره من البشر، لأنه يعلم أن الله يراقبه على كل حال (٧).

ولأن الإيمان بيوم الحساب - وهو ركن من أركان العقيدة - يؤثر تاثيرا هاما على السلوك الاقتصادي - أو غيره من السلوك - لأنه يوسع الأفق الزمني لأي مجموعة من الأعمال أو اي اختيار للسلوك، وذلك يعني ان الشخص يقارن بين الفوائد والتكاليف لأي اختيار يقوم به، ويقوم باختيار القيمة التي تؤدي إلى تحقيق نتيجة في المستقبل، وتتكون تلك النتيجة ليس فقط مما يأتي قبل الموت، ولكن مما يأتي في الآخرة أيضا. وفي هذا الإطار نفهم تصرف الخليفة عثمان بن عفان عندما انقطعت موارد المسلمين في أيام أبي بكر ووقعوا في ضائقة اقتصادية قاسية، ولما جاءت قافلة عثمان؛ رضي الله عنه؛ محملة ببضائع جمة كان قد استوردها من الشام، أسرع إليه تجار المدينة وتقدموا إليه بعروضهم السخية، لكنه رفض وأعلن لهم انه قد تركها خالصة لفقراء المسلمين يرد بها عنهم غائلة الجوع. ومن هنا يتبين ان السلوك الاقتصادي للفرد والمجتمع يعد جزءا من سلطان الدين: ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ [الأنعام:١٦٢و١٦٣].

الاقتصاد والأخلاق

وتبدو واضحة ودقيقة مطالب الممارسة الأخلاقية في العمل الاقتصادي إلى الحد الذي لايترك فيه مجال للمسلم لأن يظن (ان العمل عمل، وان الدين دين) إذ ليس هناك حاجز يعزل بين ماهو دنيوي عما هو روحي: ﴿ رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ [النور:٣٧].

فالعمل الاقتصادي في المجتمع المسلم إنما يشاد على آداب الدين السامية التي يؤمن بها الفرد المسلم ويعتنقها عن طواعية، فيشعر بالإجلال والشكر، سواء كان هو المنتج أو المستهلك، ويميل إلى الاعتراف بحق الله في وضع الحدود الملائمة بالنسبة له للتمتع بالثروة واستخدامها، وايضا بحق الله في تعيين اشخاص آخرين، أو تعيين المجتمع ليكون المطالب الشرعي بنصيب في تلك الثروة.

وإذا فقدت هذه الميزة في أي مجتمع؛ حتى وإن كان يطبق الحلول الإسلامية؛ تحول نظامه الاقتصاد ي - كغيره من الأنظمة الأخرى (سياسية أو اجتماعية أو تربوية) إلى علمانية تفتقر إلى فلسفة قائمة على اساس اخلاقى تعمل على استتباب العدالة الاجتماعية والاقتصادية وتحقيق الرخاء العام، ولغلبت على الانسان - كما هو واقع - نزعاته الطبيعية وعادت إلى حالتها البدائية التي عبر عنها القرآن في العديد من آياته: ﴿ إن الانسان خلق هلوعا. إذا مسه الشر جزوعا .وإذا مسه الخير منوعا ﴾ [المعارج:١٩-٢١]. ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ [العاديات]. ﴿ زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ [آل عمران:١٤].

حدود تدخل الدولة

٤ - لأن الاقتصاد الإسلامي يقوم في خطوطه العريضة وفي منهاج سيره على قاعدة خضوعه لمراقبة الدولة، التي تسهر على جمع الزكاة وإنفاقها في مسالكها المحددة شرعا، وتتدخل كلما دعت الحاجة لتمنع الضرر مثل الاحتكار وارتفاع الأسعار والغش، والتي تضع الخطوط التفصيلية للمنهاج الاقتصادي تبعا لمقتضيات الزمان والمكان ولاتخرج بخطوطها التفصيلية عن الخطوط العريضة التي جاءت بها الشريعة.

لذلك لا بد، حتى تحقق الحلول الإسلامية جدواها كاملة - بعد توفر الذي ذكرنا - من وجود الحكومة المؤمنة التي تتقي الله في رعيتها. وقد تنبه القاضي أبو يوسف في كتابه (الخراج) الذي كتبه بطلب من هارون الرشيد، إلى دور الحكومة المؤمنة في تحقيق العدالة

هل يفي الطرح الإقتصادي الاسلامي بوعوده

الاجتماعية وتوفير الرفاه لرعيتها، فكتب موجها الخطاب إلى أمير المؤمنين:

(أصبحت وأمسيت وأنت تبني لخلق كثير قد استرعاكهم الله، وائتمنك عليهم، وابتلاك بهم، وولاك امرهم، وليس يلبث البنيان – إذا أسس على غير تقوى الله – أن ياتيه الله من القواعد فيهدمه على من بناه وأعان عليه، فلا تضيعن ماقلدك الله من أمر هذه الأمة والرعية، فإن القوة في العمل بإذن الله (....) فأقم الحق فيما ولّاك الله، واجعل الناس عندك في أمر الله سواء، القريب والبعيد. وإني أوصيك يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله، ورعاية ما استرعاك الله، وألا تنظر في ذلك إلا إليه، فإنك ان لا تفعل تتوعر عليك سهولة الهدى وتعمى في عينيك وتنعفي رسومه ويضيق عليك رحبه).

إن الحكومة المؤمنة هى التي ستحافظ على حرية الفرد وكرامته حتى يشعر بالأمن النفسي والاجتماعي، فيستطيع ان

■ الإسلام ليس مثل الأنظمة الأخرى، مجرد قوانين جافة مسلّطة على المكلفين دون مراعاة طبيعتهم كبشر

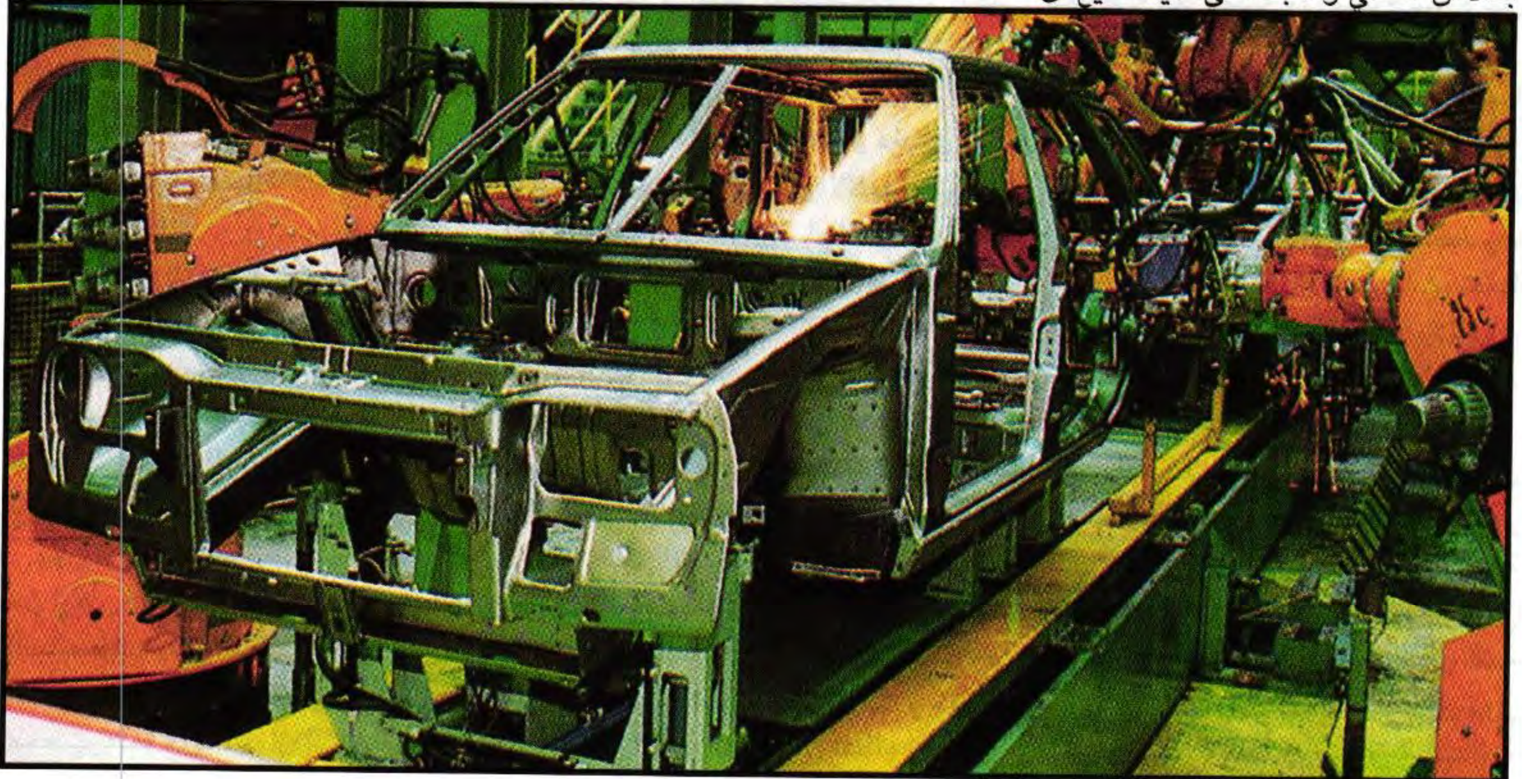
يستفيد من طاقاته كلها، لأن الإنسان الذي يساق قهرا وقسرا في المجتمع وتهدر كرامته وإنسانيته وتطمس معالم شخصيته هو إنسان معطل القوى مزعزع الشخصية قلق وخائف ولن يستطيع أن يشترك بقوة وأمان في بناء مجتمع الإنسان، ولأن قوة الدولة مستمدة من قوة أفرادها، ولا خير في دولة قوية أفرادها مظلومون مستذلون، ولعل ذلك أهم سبب وراء سقوط المعسكر الاشتراكي وفشل نظامه الاقتصادي في تحقيق الجنة الموعودة بالرغم مما يحمل من شعارات براقة تدعو إلي العدالة الاجتماعية في أبهى صورها.

وقد أشار ابن تيمية رحمه الله في كتابه: (نظام الحسبة في الإسلام) إلى هذه المسألة فقال: (وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة ولايقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولاتدوم مع الظلم والإسلام).

وهو نفس المعني الذي قاله ابن خلدون بتعبيرآخر (العدل اساس العمران، والحكومة المؤمنة هي التي ستحرص على ان يكون المال الذي يأتي خزينة الدولة مالا حلالا ليس فيه ظلم لمسلم، وتعطي كل ذي حق حقه من مال الله).

(والذي لا إله إلا هو، ما أحد إلا وله في هذا المال حق أعطيه أو منعه، وما من أحد أحق به من أحد).

ولا تبذر– أي الحكومة المؤمنة – ثروات البلاد في ما لا يعني من الأمور، ولا تثقل كاهل الأفراد بالضرائب التي ان إصابت مجتمعا حل به الكساد والخمول ولقد



تنبه العلّامة ابـن خلدون إلى هذه الحقيقة فقال في مقدمته: (إذا جاء الملك العضوض والحضارة الداعية إلى الكيس وتخلق اهل الـدولة حينئـذ بخلق التحذلق، وتكثـرت عوائدهـم وحوائجهم بسبب مـا انغمسوا فيـه من النعيم والترف، يـزيـدون في كل وظيفة ووزيعـة مقدارا عظيماً لتكثـر لهم الجباية، ويضعون المكوس على المبايعات.. ثم تتدرج الزيادات فيها بمقدار بعد مقدار لتـدرج عـوائد الـدولـة في الترف وكثـرة الحاجـات والإنفـاق بسببـه، حتى تثقل المغارم على الرعايـا.. ثم تزيد إلى الخروج عن حد الاعتدال، فتذهب غبطـة الرعايا في الاعتمار لذهـاب الأمل من نفوسهـم بقلة النفع، فتنقبـض كثير من الأيـــدي عن الاعتمار جملة).

وهــذه الحكـومــة المؤمنــة هي التي ستحرص على استشارة أهل الاختصاص في كل ما تتخذ من قرارات وما تخطط من مشاريـع، كما فعل هارون الـرشيد حين طلب من أبي يـوسف - كما راينـا - ان يصنف له كتابا يعمل به في جباية الخراج والعشـور والجوالي وغير ذلـك ممـا يجب النظـر والعمل به في الجانب الاقتصـادي للدولة.

وقد علق الأستاذ رفعـت السيد العوضي في (تحليلـه الاقتصـادي لكتـاب الخراج) على الموقف بقـوله: (تذكـرنا مـواقف ابي يـوسف المعلنة والقـويـة بمواقفنـا نحن الاقتصاديين في العالم الإسلامي في عالمنا الإسلامي، نطلب نحن الاقتصـاديين بعد ان يقرر السيـاسيون ما يـرون من امور الاقتصـــاد، ونجيء نحن لنكيـل المديح والثناء على العبقـرية وغيرهـا من صفات التبجيل، ثم يفشل مـا قـرر اقتصـاديـا، ونجيء نحن الاقتصاديين هذه المرة لنبرر ونختلق المعاذير) (٨).

وهـذه الحكومـة المؤمنة - آخـرا وليس أخيرا - هي التي لـن تـدخـــر جهـــدا في مواســاة رعايـاها ومشـاركتهم همومهم ومـآسيهم ومتـــاعبهم، ولاتبيح لنفسهـا أكثـر ممـا تبيحـه لأي فـرد من عـامـة المسلمين ولا تري لنفسها حقا يزيد على ما للمسلمين من حقوق في المال.

فهذا عمـر بن الخطاب؛ رضي اللـه عنه؛ حين جـاء عام المجـاعـة وأصاب المنطقـة قحط شـديد، أقسم ألا يـذوق السمن ولا يأكل اللحم حتي يفتح اللـه على المسلمين، وبقى على هـذا الحال - عـام الرمـادة - يطعم رعيتـه ويحرم نفســه، والمسلمـون يرون حـاله فيشفقـون عليه مـن الجهد الـذي يبـذلـه، حتى بسر وجهـه من أكل الزيت مع قلة الطعام الذي يأكله ورداءته، حتى ذكر أحد الصحابة فقال: (كنا نقول لو لم يدفع الله عام الرمادة لظننا ان عمر سيمـوت هما بأمـر المسلمين) ويـرجـوه أصحابه أن يرأف بنفسه، ويشفقون عليه من الجهد الذي يبذله، يحبون له عن طيب خـاطـر منهم أن يأخـذ من بيت المال مـا يصلح بـه شأنـه، ولكنه يـرفض قـائلا: (وكيف يعنيني أمر الـرعية إذا لم يمسني ما يمسهم؟) (٩).

ونختم فنـؤكد ان الحلـول الإسلاميـة لمعالجة الفقر وتحقيق الـرفاه الاجتماعي، لن تحقق نتائجها إلا في ظل مجتمع مسلم اعتنق أبنـاؤه عقيـدة الإسلام وتشبعـوا بقيمـه وتعاليمـه السـامية، ولايمكن لنـا اليوم إحياء الحضارة الإسـلامية المشرقة وإنقـاذ البشرية من الضـلال والجور إلا بقلوب حية مشرقة بالإيمان والثقة في الله، دائمة التفكير فيه، مشفقـة من أليم عقابه راغبة في وافـر جزائه، متحررة من الـدنيا ومتاع الغـرور فيها، عاملـة بكل الأسباب اللازمة التي يسّرها الله لعباده، مسلمة في النهايـة بالنتـائج إلى الله، وهـي واثقة في عونه ونصره.

■ إن الجانـب الغيبـي في الإسلام هو سر خلوده ونجاحه، لأن العقيدة الحقـة إذا تغلغلت بقلب إنسان أحدثت فيه ثورة وجعلته هو الرقيب على نفسه

نعم - والكـلام مـوجه لأبنـاء المسلمين أولا - إن الإسلام اليوم وإن كـان يحتاج لتحقيق نهضة الشعوب إلى أسباب مادية هائلة، وإلى سيطرة علميـة وبلورة فكرية وثقافيـة، إلا أن احتياجه لأنـاس ربانيين تفيض قلـوبهم نـوراً وإيمانا أكبر وآكـد (١٠) وغير ذلك لن يكون سوى ترقيعات لن تستطيع أن تصمـــد طـويــلا أمـام انحـرافـات النفـس البشريـة وميلهـا إلى الطغيان والجبروت ■

الهوامش

(١) نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانـون والدستور، أبو الأعلى المودودي.

(٢) المذهبية الإسلامية، مجلة المسلم المعاصر، العدد٩، السنة ١٩٧٧.

(٣) صياغة إسلامية لجوانب من العدالة الاجتماعية، مجلة المسلم المعاصر، العدد١٥، السنة ١٩٧٨.

(٤) الاقتصاد في المذهبية الإسلامية، مجلـة المسلم المعـاصر، العـدد٤، السنـة ١٩٧٥.

(٥) النظام الاقتصادي الإسلامي؛ نظـرة عــامـة، مجلـة المسلـم المعـاصر، العدد٢٠، السنة ١٩٧٩.

(٦) المذهبية الإسلامية، مجلة المسلم المعاصر، العدد٩، السنة ١٩٧٧.

(٧) نظرية القيمة، للدكتور صالح كركر.

(٨) مجلة الأمة، العدد٣٦، السنة ١٩٨٣.

(٩) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج٣.

(١٠) نظرية القيمة، للدكتور صالح كركر.

مؤتمرات البوسنة إلى أين

بقلم الدكتور:
محمد هيثم عيّاش
صحفي عربي مقيم في ألمانيا

اجتهد الغرب المسيحي منذ منتصف القرن الماضي في العمل على الفتك بالعالم الإسلامي ووقف المد الإسلامي، وذلك منذ الثورة الصناعية التي اجتاحته، واستعمره من أقصاه إلى أقصاه، وفرض عليه اتفاقيات ثقافية لا يزال أثرها السلبيفي لغتنا ولهجاتنا وتعاملنا مع بعضنا بعضا

. وقد أوعز هذا الغرب لمصطفى كمال أتاتورك بإلغاء الخلافة حتى لا يكون للمسلمين ولي يعمل على رعايتهم، وحماية بيضة الإسلام، وأمسى المسلمون ضحية الغدر والبطش، وأضحت بلادهم عرضة للجذر والتقطيع فأصبحت منذ إلغاء الخلافة وخلو العالم الإسلامي من خليفة مثل قول الحارث ابن مضاض الجرهمي:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس، ولم يسمر بمكة سامر

فاقتطع الاستعمار الغربي فلسطين وأعطاها لليهود، ومنذ أن بدأت مشكلة فلسطين إلى وقتنا هذا لا تزال المؤتمرات تعقد لحلها إلى أن اعترف العرب بيهود وبفلسطين دولة لهم.

ومنذ انهيار الشيوعية في أوروبا الشرقية وظهور النعرات القومية وتفكك الاتحاد السوفياتي تفككت تشيكوسلوفاكيا فتبعتها يوغوسلافيا. التي تشكل قلب أوروبا، وهي بمثابة الجسر الواصل بين العالمين الإسلامي والمسيحي . والبوسنة هي القلب الذي يصل شرايينه جميع المناطق التي يقطنها المسلمون في أوروبا ليمدها بدم الحياة.

اندلعت الحرب واستقلت سلوفينيا وكرواتيا، واعترف الجميع بهما ومشت البوسنة على غرار جاراتها، ولكن دماء الحرية نزفت، إذ أبى المجرمون أن يروا أن في أوروبا دولة إسلامية، وقد قال الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران: (اننا لن نسمح بأن نرى في قلب أوروبا دولة إسلامية) . هذا الرجل الذي مدحه المسلمون قبل المسيحيين بزيارته البطولية لسراييفو، والتي لم يجرؤ إلى الآن أي زعيم آخر على زيارتها ولو لساعة من نهار.

ومنذ أن بدأت حرب البوسنة عقد المسلمون المؤتمرات تلو المؤترات، ولم نر منها – حتى الآن – أي حل إيجابي، أو نصر حقيقي لشعب البوسنة.

ومن المعلوم أن أي دولة تريد الاستيلاء على دولة ما بالقوة تعمل على اتباع تفريغ الأرض من سكانها كما فعل اليهود في فلسطين، أو سياسة الأرض المحروقة كما فعل صدام حسين بالكويت لما اضطر للخروج منها.

فتفريغ البوسنة من أهلها تصب في نفس السياسة المذكورة، وقد أثير الموضوع مع أيوب غانيتش (نائب الرئيس البوسنوي) في بون في أبريل (نيسان) ١٩٩٣م في مؤتمر (حزب الرفاه الإسلامي) لنصرة البوسنة.

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٣م عقد (البرلمان الإسلامي في بريطانيا) ندوة عن مشكلة البوسنة شارك فيها نخبة من رجال ونساء لهم نشاط جهادي مرموق في العالم الإسلامي لبحث هذه المأساة، ولكن لم يحصل أي تقدم إيجابي للنتائج التي خرج منها المؤتمرون.

ولقد زرت القاهرة في يناير (كانون الثاني) وأثلج الأطباء والمهندسون المتطوعون صدري لما يعملونه من أجل البوسنة ونصرة المسلمين فيها.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح: أين السلاح؟ وأين النصرة الحقيقية؟ لقد ساعد المسلمون من عرب وعجم المجاهدين في أفغانستان لما استنصروهم بالدين، ووقف إلى جانبهم حكومات وشعوب حتى عاد الحق إلى نصابه، كما وقف العالم مع الكويت وشعبها ضد الاحتلال العراقي الغاشم إلى أن رفعت الغمة عنه، وأنقذها الله من الطاغية.

أفلا تستحق البوسنة وقفة نصرة كالتي ذكرناها وهي تواجه حرب تصفية عرقية شرسة تستهدف الوجود البشري والحضاري للمسلمين في قلب أوروبا؟ أم كتب عليها أن تقف وحيدة تدفع ضريبة الضعف والتردد؟!

وظيفة المحتسب

ماضيا وحاضراً

بقلم: مولاي الطاهر الإدريسي*

ومما كتبه عدد من العلماء في العالم الإسلامي وسجلوه لهذه الوظيفة الشريفة التي تهم المجتمع الإسلامي ومما جاء في كتاب معالم الحضارة الإسلامية لمؤلفه الدكتور مصطفى الشكعة حيث قال: (ولعل أدق تعريف للحسبة هو الذي قال به الإمام ابن تيمية: له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما ليس من خصائص الولاة والقضاة وأهل الديوان ونحوهم).

والحسبة في هذا النطاق تصدر من منطلق إسلامي ممثل في الآية الكريمة: ﴿ المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ [التوبة:٧١].

وكما أن القائم على شئون القضاء سمي قاضيا فإن القائم على الحسبة سمي محتسبا. ووظيفة المحتسب تقع من حيث تقييمها بين وظيفة القاضي ووظيفة صاحب المظالم. ذلك أن وظيفة القاضي الحكم في المنازعات حكما مستمدا من الشرع دائما. أما وظيفة المحتسب فهي النظر فيما يتعلق بالنظام العام معتمدا على أحكام الدين والعرف وغالبا ما تكون الأمور التي يفصل فيها تحتاج إلي السرعة والبت.

وأما وظيفة قاضي المظالم فهو البت في الأحكام التي استعصى البت فيها على كل من القاضي والمحتسب.

ولعل الخليفة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من باشر وظيفة المحتسب بنفسه، فقد أتلف لبنا شابه شيء من الغش وهو معد للبيع. وكما ورد في الأخبار أنه ضرب جمّالا وقال له: (حملت جملك ما لا يطيق). وان كان لقب المحتسب لم يعرف إلا على العهد العباسي.

■ **عمر بن الخطاب أوّل من باشر وظيفة المحتسب بنفسه**

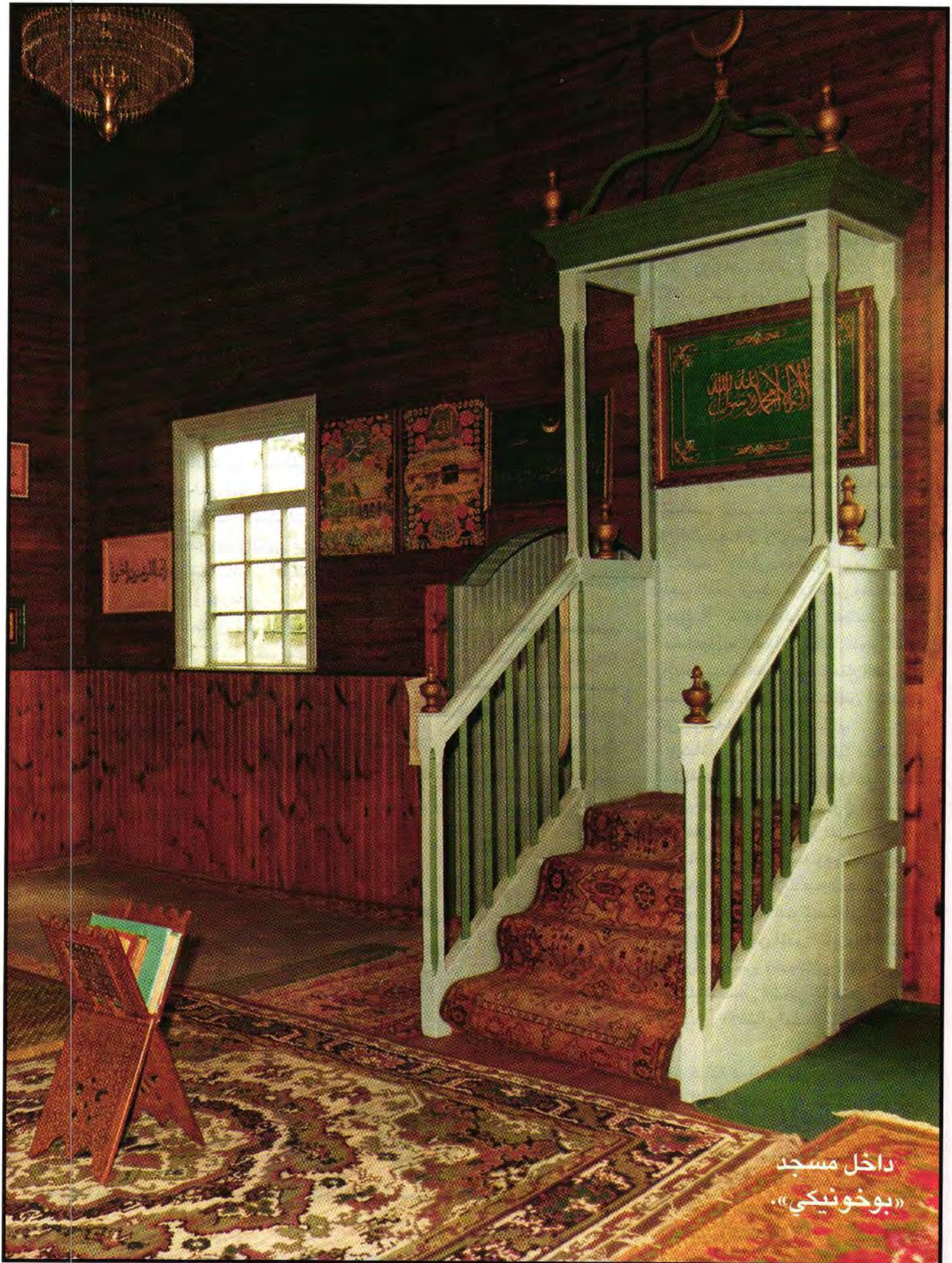
ويقول ابن تيمية: (إن المحتسب يأمر بالجمعة والجماعات، ويصدق الحديث وأداء الآمانات وينهي عن المنكرات من الكذب والخيانة وما يدخل في ذلك من تطفيف المكيال والميزان والغش في الصناعات والمبيعات والمداينات ونحو ذلك، ويراقب الغش في البضائع المباعة بكتمان عيوبها والتدليس في السلع، ويراقب صناعة الطعام من خبز وطبخ وعدس شواء وغيرها).

ويقوم المحتسب على إتلاف المغشوش من الطعام، وإحراق المغشوش من الثياب، ويجوز له إذا استراب بموازين السوقة أو مكاييلهم أن يراقبها ويختبرها ويعايرها حماية للناس. كما يتدخل المحتسب لضبط الأسعار، ومنع التجار من الاستغلال والغلو في جني الأرباح وتدليس الأثمان، ويقوم على منع الربا ولعب الميسر ومطاردة من يمتهنون العرافة. وتأخذ وظيفة المحتسب شكلا اجتماعيا إصلاحيا في حفظ حقوق الناس والحفاظ عليهم ومنع الغير من مضايقتهم. وأن اختصاص المحتسب كان موسعا في صدر الإسلام.

وكانت هذه الوظيفة لها مكانة في المملكة المغربية، وازدهرت في عهد الدولة العلوية وكان الناس يقولون للمحتسب (الفقيه) نظرا لنزاهته وصدقه، والاحترام المتبادل بينه وبين الناس، غير أن الحماية في المغرب قد أخذت تقلص اختصاص هذه الوظيفة إلى أن قضى عليها إلا في بعض المدن الكبرى كالرباط وفاس ومكناس ومراكش والبيضاء، إلا أن الملك الحسن الثاني قد أمر – حفظه الله – برد الاعتبار لهذه الوظيفة الشريفة.

وهكذا عين عددا من المحتسبين في شتى أنحاء المملكة وفي عدد كبير من المدن المغربية الكبرى، وأملنا وطيد بان تعمم هذه الوظيفة في جميع البلديات بالمملكة، ليرجع لتلك الوظيفة اعتبارها الإسلامي والديني لحماية المجتمع من الغش والتدليس والتطفيف ■

* وكيل شرعي بالمحاكم – المغرب



داخل مسجد «بوخونيكي».

المسلمون في بولندا

يعيش في بولندا اليوم حوالي ثلاثة آلاف مسلم، أكثرهم من أصل تتاري. وعدد المواطنين البولنديين الذين يعترفون بأن جذورهم تعود إلى أصل مسلم يزيد علي عشرين ألف شخص. جذور هؤلاء جميعا تعود إلى أسر تتارية أو تركية أو فارسية، أوحتى إلى أسر عربية قديمة.

دخل الدين الإسلامي بولندا مع التتار الذين استقروا هنا في أواخر القرن الرابع عشر بعد الميلاد. وكان هؤلاء من الجنود الذين ساعدوا القوات البولندية واللثوانية المشتركة في حروبها ضد الفرسان التوتونيين، ثم ضد الغزوات السويدية.

بعد ذلك لجأ عدد لا بأس به من الأسر التتارية إلى بولندا هربا من التفرقة والاضطهاد الديني الذي كان يمارس في حقهم على أيدي سلطات روسيا القيصرية. وفي القرن السابع عشر كان يقطن ضمن الحدود البولندية أكثر من مائة ألف مسلم . وبعد ذلك حضرت مجموعات إسلامية تتارية إلى بولندا من الشرق هربا من السلطات السوفياتية عقب الحرب العالمية الأولى هؤلاء حضروا وأكثرهم من القرم والقفقاز.

ولقد تأقلم التتار المسلمون في بولندا بسرعة لأن السلطات منحتهم الحرية الكاملة في ممارسة شعائرهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم، وكان من بينهم عدد كبير من النبلاء الذين تمتعوا بنفس الحقوق والامتيازات كنبلاء بولندا ولثوانيا تماما – وكان بينهم قادة بارزون في القوات البولندية آنذاك.

المسلمون في بولندا



بيت العبادة في مدينة «بياويستوك».



) ثلاثة سيوف وخنجران / يؤكد على أنها من صناعة تركية / وتنحدر من القرانين الثامن عشر والتاسع عشر – موجودة في متحف كراكوف الوطني.

درع الشاه سليمان – بـ
الفرس – القرن السابع عشـ
ويوجد حاليا ضمن مجموعـ
المتحف الوطني في «كراكوفـ



المسلمون في بولندا

ومسلمو بولندا سنة، ويطبقون في أوساطهم الخاصة الشريعة وتعاليم القرآن الكريم. وهم فخورون بدينهم وتقاليدهم، ويمارسون شعائرهم دائما بكل حرية، ولا سيما في الأعياد الدينية، عندما يجتمعون من كل انحاء بولندا في قريتي «بوخونيكي» و«كروشينياني» شرق البلاد، حيث يوجد مسجدان قديمان أثريان تقام فيهما الصلاة باستمرار.

ونحن في الفترة الأخيرة نلمس ما يشبه الانتعاش والنهضة بين مسلمي بولندا، فعددهم يزداد باستمرار. وفي السنوات الأخيرة انهى عدد من الشباب الإسلامي الدراسة في الفروع اللغوية. العربية والإسلامية في جامعات بغداد وطرابلس والأزهر وسارابيفو، وعادوا إلى مجتمعاتهم لينقلوا التعاليم إليها. وإضافة إلى المسجدين المذكورين شيد جامع حديث في مدينة «غدانست» على سواحل بحر البلطيق، ويخطط لبناء جامع ومركز إسلامي في العاصمة وارسو، وربما في مدينة بياويستوك أيضا. وأما تراث الثقافات الإسلامية فيمكن مشاهدتها بكميات كبيرة في أكثر المتاحف البولندية - وهي دائما تثير الاهتمام والفخر والاحترام وسط المجتمع البولندي.



سجد «كروشينياني» شيد في القرن السابع عشر - وهو مسجد خشبي كليا، ويعليه برجان ومئذنه صغيرة.



عصا (بلطة) كان يستخدمها الدراويش في احتفالاتهم الخاصة - من بلاد فارس - القرن السابع عشر. موجود في المتحف الوطني في مدينة «كراكوف».

كشكول الدراويش - ينحدر من بلاد الفرس - القرن السابع عشر - ويوجد حاليا ضمن مجموعات المتحف الوطني في «كراكوف».



أشرس كلب في قريتنا كلب الخالة نـاعسة.. ضخم متين البنيان. رأسه مرتفع في كبرياء. نظـرته نارية جريئـة لاتعرف الخوف. عيناه لاتخفت حـدتهما. يؤكـد الفلاحون أن أبـاه ذئب. لكن العم حمزة قاريء القبور. والمسحراتي في شهر رمضـان. يقسم بأغلظ الأيمان. أن كلب الخالة ناعسة ذئب حقيقي. حتى ان إمـام المسجد قـال لـه في احدى المرات: يـاحمزة. اتق اللـه فأنت تقـرأ القرآن ﴿ولاتجعلـوا اللـه عرضـة لأيمانكم﴾ [البقرة:٢٢٤] فغض الرجل بصره في حياء.

وكلب الخالة ناعسـة حديث قريتنا والقـرى المجاورة. حين يجري في الأراضي الممتدة الخضراء تحت ضوء الشمس وفضية النهار. يبدو مهيبا بوثباته الرشيقة ورقبته الشامخة. ولونه الرمادي الذي ينتثر وئيدا على جسمه.ويثقل ويصبح داكنـا حول العنق. وهو يشرئب بأذنيه لأقل همسـة، وحين يقف جامدا يبدو في جمال مثالي. وحين اطلقوا عليه النار. كان يثب في دربة متفاديا الطلقات. وبقفزة هائلة جثم فوق قاتله. يغرس فيه مخالبـه وأسنانه ويمزق لحمه. ولولا الخالة ناعسة لأجهـز عليه. وكان يقفز عليه في كل مرة يراه فيها على الطريق، فالرجل من سكان القرية: فلم يجد مفرا من ترك البلد والعيش بعيدا.

كلب الخالة ناعسة

بقلم: فتحي فضل

وحكايـة طلقات النار.. حكـاية تتندر بها القـرية. فالخالة نـاعسة طويلة القامـة. قوية الجسم. تكشف وجههاوكفيها. لكن وجهها جميل بدري ابيض مشرب بحمرة وردية. ولا أحد يستطيع ان يحدد عمرها. فهى تبـدو صغيرة. رغم ان عجائز القـريـة يؤكـدون انها تعدت الخمسين. وهى أرملة. تودد إليها العمدة طالبا يدهـا. فهو بطبعـه رجل مزواج وفـوق ذلك يطمع في الأفدنـة التي تركها القـاضي. لكنها رفضت. فأراد ان ينكبهـا في كلبهـا. لكن الكلب نجـا من شره والقـريـة تعرف ذلك، وتتمنى لـو كان ضارب النار هـو العمدة ذاته. ليصبـح مصيره مصير عطية أبـو حمزة. الذي ترك الكفر بلاعودة.

كانت الخالـة ناعسة قيمـة راسخة في القـرية فهى ثـريـة لكن لم تكن تتعالى على الفقـراء. تـرى في الليل والنهار بجلبـابها الأسمر تسعى بالخير. وتمد يـدها لكل محتـاج لكن في سرية فأحبتهـا القريـة. ومنحتها الـود والاحترام بسخـاء. والخالـة نـاعسـة تعيش بمفردها مع خادم عجـوز - أم فرج - كانت تخدمها في حياة زوجها القاضي. وبعد مماته. ولم تتركها لحظة واحدة وكان القاضي يخطب احيـانا في صلاة الجمعة. فيترك في الناس أثرا بليغا.. وكان يقول جهراً:

- إلى متي يظل نابليون يحكم علاقات الناس؟

كـان يتكلم في جمع من الفـلاحين.في صالـون أبي اليزيد المزين. فقال له أبو اليزيد:

- ومن هو نابليون ياسيدنا القاضي؟

- رجل فـرنسي حـول الأزهـر الشريف، اصطبـلا لخيوله.. فارتفعت امتعاضة الفلاحين:

- أستغفر الله..

قال واحـد من القرويين وقـد بدت سمـرته تختلط بحمرة الغضب:

- لكن مادخلنا بقانون هذا الكافر؟

ابتسم القاضي في أسى وتمتم:

- نحن نحكم بقانونه.

شرد أبـو اليزيـد والموس في يـده. وران الأسى على الوجـوه المحيطة وفي يـوم قبع القاضي في داره. انقطع مجيء الحنطور الذي كان يذهب به إلى محكمة البندر وبـدأ يـزرع أرضه بنفسـه. كـان يقف على الطـريق يتحدث مع القرويين العائدين من الحقول.

- ما أجمل ان تكون حرا.

كان يضحك وقد ارتدى جلبابه. وعلى رأسه طاقية. وعصـاه غصن شجـرة. كـان يستشير العجـائز في فلاحـة الأرض ويتجاوب مع نكـات الظرفـاء. فترتفع قهقهته حتى تـدمع عيناه. وكانوا يرونـه على الطريق يرتقى حماره. ويلقي السلام على السائرين.

ينام تحت شجـرة الجميز في العصـاري ويجلس مع الفلاحين يلعب «السيجة»..

- بحق اني احسدكم على هـذه الحياة. التي خلت تمامـا من الهمـوم. انكم واللـه مثل هـذه الطيـور. تشقشق لنور الصبح وحمرة الغروب..

لكن كانت هناك همسات. ولغط وأقاويل تتضارب وتتخبط. قيل ان الـرجل طرد من وظيفتـه. وقيل انه يتعـاطى الـرشـا. وقيل انه تـرك القضـاء طمعـا في الترقية. والترقية ليست من حقه وقيل أشياء اخرى..

امتعض ناظر المدرسه وغمغم:

- ما رأينـا فيه غير دمـاثة الخلق والعفـة وحسن المعاشرة وفي احدى خطب الجمعـة.قال الإمام محتدا: ايها الناس كثـرت النميمة في قريتنـا وسوء الظن من الكبائر. ان هناك انـاسا خلقهم الله للـوقوف في وجه المنكر. حتي ولو فقدوا مناصبهم.

بدأ الهمس يتراخى وتتبدد دكنـة الظنون. خاصة حين زاره زميل له في القضـاء. ساعتهـا كانت قـاعة منزله ممتلئة بالقرويين. قال الزائر في صوت واضح النبرات:

- أرجـو ان يأتي اليوم الـذي يتحقق فيـه حلمك. ويكون لنا قانوننا الاسلامى..

فانتبه الجالسون إلى المتحدث الذي أردف:

- ويعز علينا ان تفقد منصبك من أجل رأيك.

تضرج وجه القاضي بحمرة الاصرار:

- ﴿ومن لم يحكم بما أنـزل اللـه فـأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة:٤٤] هـذه هى القضية.. ارتفعت أصوات الجالسين بنبرات الشوق والوجد.

- الله.. الله اكبر..

وقال القاضي في خطبة الجمعة:

- ان تقدم المسلمين لن يكون الا بقانون الاسلام. لأنه يصون المجتمع والاخلاق. أما القانون الأوروبي فإن أوهى حلقة فيـه هى الأخلاق. يبيح الزنـا مادام برضـا الطرفين. ويضخم الحريـة الشخصية. حتى يبيح معـاشرة الـرجل للـرجل. والأدهـى ان تبـارك الكنيسـة هذا اللـواط، انظـروا إلى السجون المكتظـة باللصـوص والمجرمين. مـا فائدة استضـافة اللص وإطعامه من مال المحسنين؟ ليخرج بعد قضاء مدته أستاذا في الاجرام..

وفي ليلة نفضت القرية نعاسهـا. ثمة جلبة مريبة. عربات خافتة الضوء وعسكر وبنادق. كان القرويون يطلون خلسـة من النوافـذ الواطئـة ومن وراء أكوام القش على اسطح المنـازل. مـوكب يتسم بـالـرهبـة والخوف. والأقدام ثقيلـة على أرض القريـة. والعمدة في المواجهة، تتساقط من فيه كلمات الاذعان.

- حاضر. حاضر يابيه..

لكن الخفير أبو المعاطي تجرأ ورفع صوته:

- من هناك؟

ارتفع لغط في الظلمة ذاب صوت أبي المعاطي وسقط في الموات. همهمت أصـوات خافتة آمـرة. كوكبـة من العسكر ومعاطف داكنة الصفرة تشق الليل والقاضي وسطها.

كل شيء يتم في سريـه لكن القمر سطع فجأة بـدا القاضي مهيبا بطوله الفارع. وخطوته الوئيدة المتزنة اخيرا ذهبـوا بـه غـابت السيـارات في جـوف الليل. وطالت غيبة الرجل.

ذات نهار خرجت الزوجة من خبـائها رأت القرية سيـدة تـرتـدي ثوبـا أسمـر على وجههـا النقـاب. شاهدوها تركب الحنطـور وتتجه ناحية البندر، قيل يومها ان السيدة ذهبت لزيارة زوجها السجين.. وفي نسمة العصاري ذات يوم بعيد. بدأ الهمس الحزين. تخضبت الوجوه بالانكسار وتكوم أبو اليزيد المزين أمام دكانه ينتحب. تناثرت كلماته من خلال النحيب:

- ماذا فعل الرجل الطيب غير كلمة حق؟

ضرب إمام المسجد كفاعلي كف:

- إنا لله وإنا اليه راجعون.

فـوجئت القريـة ان الجثمان دفن في جـوف الليل. أحست بالمذلـة ارتفع النحيب في بيت القاضي. وتلقى إمام المسجد العـزاء. وفدت على القرية وجـوه غريبة ورؤوس منكسـة.. احـذيـة ثقيلـة تضرب الطـريق المتعرج. وبعض المعـاطف المزدانة بالنجـوم. انحدر الفلاحـون من الكفور المجاورة حملت نسوة القـرية صواني العشاء وقف إمام المسجد ليلتها وقال بملء فيه:

- الساكت عن الحق شيطان اخرس..

رفع المصحف بين يديه وأردف:

- مـوت القـاضي شهادة. فما كـان الفقيـد يبغي منصبا، أو مـالا أو جاهـا. بل كان يبغي إعـلاء كلمة الله ﴿ فلاوربك لايؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حـرجـا ممـا قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [النساء:٦٥].

ولم يفتر لسانه عن ذكـره حتى تقوس ظهره فإذا ذكره كان يؤكد:

- يـرحمه الله مـات شهيـد فكره. القـاضي درس القـانـون في بلد القـانـون؛ كما يـزعمون فـرنسـا؛ كالعادة. ومارس مهنته. كان من الممكن ان ينال أعلى الدرجات. لكنه القى بالدنيا خلف ظهره.

وقال فقيه الكتاب في ليلة شتوية:

- هانحن نتخبط والسبب البعد عن كتاب الله.

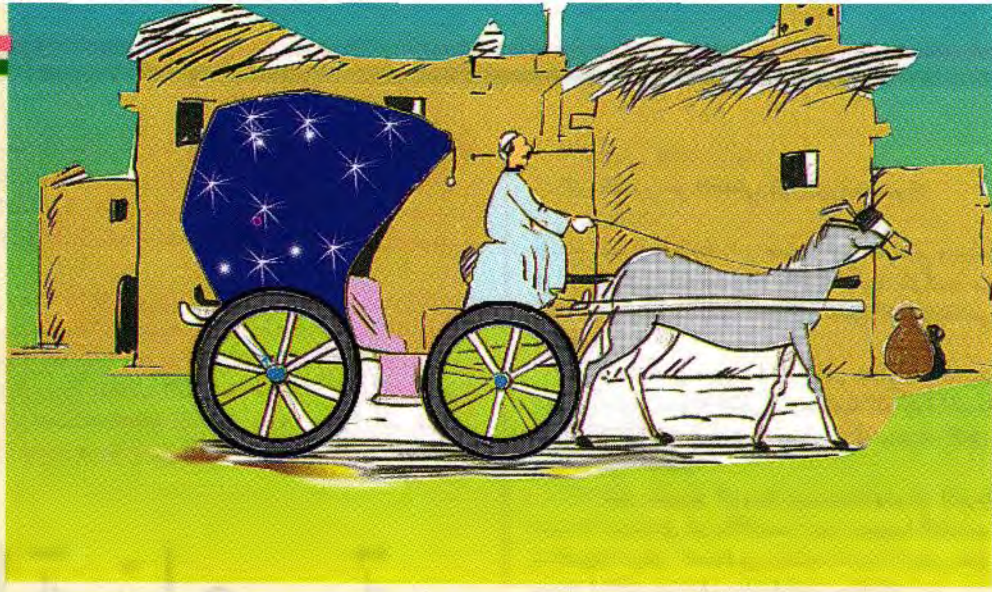
همهم العريف وهو يصطلي بالنار:

- حسبنا اننا نعيش في مذلة الخوف.

لم تر القريـة الخالة ناعسة في حيـاة القاضي. لكن النسـوة كن يصفن جمالها على عتبـات البيـوت. نهضت في عمق الليل وبكت. تحول الـدمع إلى نحيب ارتعش جسـدهـا من الحزن. اخـذتها ام فـرج على صـدرهـا واحتضنتها. رددت: اسم اللـه اسم اللـه. هـدأت جففت دمـوعهـا. همست من وسط النشيج: سـامحنـي يـاربي الفـراق صعب. سـامحني على دمـوعي. فقـد بكى من قبلي الأنبيـاء. ثم نهضت ووقفت خاشعة على سجادة الصلاة.

لاأحد يستطيـع ان يحدد. من قال الكلمـة؟ لاأحد يدري. ربما جرت بعشوائية على لسان واحد من أهل القرية. أو واحد من العابرين على الطريق أو فلاح من الكفـور المجـاورة أو صبي تمدد في القيلـولـة تحت شجرة الجميز لكنها تـرددت أحست القلوب العامرة بالحب، بغرس الوفاء. فبدأت الكلمة تنتشر.

أخيرا أصبحت من الثوابت. تغيرت القـرية وضاع الاسم القديم. أصبحت «قرية القاضي»



ظهر الكلب وظهرت الخالة ناعسة سافرة الوجه. انخرطت في حياة القرية، بدأت تزرع أرضها بنفسها. الشيء القديم الذي ظل كما هو. الخادم العجوز – أم فرج – لم تبرح الدار مطلقا. رغم ان ولدها اصبح مهندسا زراعيا.

صاح في وجهها ذات نهار:

– لاأريدك ان تخدمي.

أربد وجه المرأة وتخلت عن حنانها المعتاد:

– اخرس. لن أترك الست أبدا لاتنس أنها هي التي ربتك. لولاها ماكنت مهندسا زراعيا.

قالت له الخالة ناعسة في احدى زياراته:

– يافرج امك اختي.. ثم ابتسمت قائلة: آن زواجك يا ولدي.

كانت الخالة ناعسة تذهب إلى المسجد في صلاة الفجر. ومعها أم فرج. والكلب خلفها يتبعها كالظل. وفي صلاة العشاء ايضا. كان الكلب يقيم على باب المسجد.. ساكنا دافنا رأسه بين ذراعيه..

قال لها الامام ذات مرة:

– يابنت الأصول المسجد اصبح آيلا للسقوط ويد الخير شحيحة والناس تنادي الآن بملء فيها: يادنيا..

– لا تحمل هما يا مولانا ليس هناك ما أهتم به سوى الخير.

أعادت بناء المسجد.. ذهب اليها العمدة. رشق على ثغره بسمة وقور. وخضب وجهه بحياء مصطنع:

– يابنت الاصول ذهب الزوج. الآن هو في رحاب الله ينعم بجنته، طوبي له فهو مع الشهداء.. تنهد في حزن ثم واصل حديثه: وأنت ياست الكفرأصبحت وحيدة. لازوج ولاأهل. يلزمك من يحميك ويؤنس وحدتك. وها أنا أكرر طلبي ولن تجدي رجلا مثل العمدة حولا وقوة فما قولك؟

اكتسى وجهها بحمرة الغضب واقتحمته بنظرة:

– ياعمدة. انني فوق الخمسين.

– مازلت مرغوبة ياست ناعسة..

والتمعت عيناه ببريق.. تنهدت واهتز ثغرها ببسمة خابية:

– ياعمدة ليس هذا زمنك ولازمني.

اعتدل في جلسته وسعل. بانت الجدية على قسمات الوجه. ذاب وقار البسمة وسقط الحياء المصطنع قال في جفاء.

– كثرت الأقاويل ياست ناعسة.

ثقبها بنظرة تحمل اتهاما. نهضت وجسدها يرتعد اشتد وجيب القلب ارتعشت الكلمات على الثغر.

– اوصليه إلى الباب يا أم فرج.

تندت جبهته بحبات العرق. التهبت عروقه احس انه تقوض. مرق من الباب وفي صدره انكسار، في الحديقة تعثر في خطواته، أحس بصوت اجش خافت يتواصل في نذير. فانتبه. التفت إلى مصدر الصوت. كان الكلب يتكون كقطعة صخر.ملتفا بالظلمة الخفيفة

جاءت امرأة تواري وجهها خلف غلالة سمراء كان ذلك في ليل مبتور النسمة.اشرأب الكلب بعنقه قدح عينيه وزام بصوته. أرجعته الخالة ناعسة بإشارة من يدها. عاد وديعا كما كان. مالت المرأة على الخالة ناعسة وتركت همسة. ثم مضت.

تدثرت الخالة بعباءتها القاتمة اخفت وجهها بلثام شقت القرية في سواد الليل فالقمر لم يكن في السماء. لكن النجوم كانت تلمع كقطع الماس. توارت خلف شجرة. كانت عيدان القمح ترقد في سلام. والسنابل تنتظر الدراس.

أصدر الكلب صوتا خافتا كأنه سكين يشحذ، قفز مع ومضة النار فانطفأت في التو. جثم على صدر الرجل وراح يمزق لحمه. ارتفعت من الآخر صرخة مرعبة:

– في عرضك ياست الكفر.

– من حرضك؟

توقف الكلب وبدأ القمر يظهر في السماء.وشي بالدماء على وجه الرجل وثيابه.

قال وهو يسترد انفاسه.

– العمدة.

– ماصنعتك؟

– ليس لي صنعة سوى أذية الخلق.

– مارأيك ان تخفر لي هذا الحقل؟

انحنى وقبل يدها:

– ما أكرمك.

هز الكلب ذيله. تنقل بنظرته بين الرجل وسيدته. استقر على وجه السيدة.

بدأ يتنقل بنظرته في كل الجهات. سارت متجهة إلى القرية والكلب يلف حولها في شبه دائرة توقف حين اقترب من القرية واخذ ينبح ابتعدت كل الكلاب عن طريقه. راح يتبع السيدة في هدوء. ويشق معها الدروب الضيقة.

اندهشت القرية حين رأت العربة تقف امام بيت القاضي نزل منها طبيب في يده حقيبة منتفخة. في الدروب الضيقة بدأ الهمس كالعادة. سرعان ماوصل إلى الحقول لكن وضح الامر، الكلب مريض..

انبرى ظرفاء القرية وتوالت النكات علت الضحكات وتلاقت الأكف بالأكف.. قالت زوجة العمدة:

– عشنا وشفنا.

ابتسمت الخالة ناعسة في رحابة صدر. لكنها قالت في جدية:

– دخلت امرأة النار من أجل هرة. ودخل رجل الجنة من أجل كلب سقاه في يوم قائظ.

قالت أم فرج:

– هل أغضبوك ياست ناعسة؟

تعلق بصرها بالأفق وابتسمت:

– أبدا متى نصل إلى الرحمة؟ الرحمة بأنفسنا وبكل شيء حتى الجماد..

قالت لامام المسجد:

– حلم حياتي ان اوسع المسجد واجعل فيه مدرسة.

تبسم العجوز قائلا:

– نبع العلم من المساجد.

استرسلت:

– ويكون فيه عيادة طبية مجهزة بالآلات والأطباء.

– فعلت الكثير لقريتك جزاك الله خيرا.

– أرى زوجي كثيرا في المنام. يبدو ان الأجل اقترب.

– أطال الله في عمرك.

– سأوقف فداديني للمسجد فما رأيك؟

– الرأي رأيك.

قبض على عصاه. أعطاها يده الاخرى لينهض. تقوس الظهر اصبحت اللحية في لون الحليب. قالت:

– ادع لي يامولانا.

– أي دعوة تريدينها؟

تنهدت:

– ان يتقبلني الله بقبول حسن.

قلت رؤية الخالة ناعسة في دروب القرية. في الغيطان تحت أشعة الشمس الفضية.

وعلى طريق العودة في حمرة الغروب. والكلب هو الآخر تلاشى نباحه. اتجهت النسوة تستفسر. خرجن من دار القاضي حزانى.. الست مريضة وعودها يذوي،لكنها تحاملت على نفسها ذات فجر. والكلب في اعقابها. حين انقضت الصلاة التقت بالإمام حدق فيها بعينيه الكليلتين:

– حمدا لسلامتك.

افترثغرها عن بسمة متعبة:

– انما هو وهج المصباح في نهايته واشتياق لصلاة الفجر.

– شدة وانقضت.

تنهدت..

– قلبي يحدثني انها الخاتمة.

– لاتقولي هذا.

زادت اشراقة الثغر.

– وهل هناك أجمل من لقاء الله..

تساقطت دموع العجوز وهمس:

– اللهم تقبلنا بقبول حسن.

– كل شيء تجده جاهزا عند المحامي. ولأم فرج مايصون حياتها

في الطريق احست بتدفق الشباب تعجبت. تأملت أرضها الممتدة الخضراء. احست باشتياق لاحتضان الأرض. ربتت على رأس الكلب. مسحت على عنقه بكفها. انحنى يتدلل. حدجها بنظرة طويلة. وأصدر صوتا غريبا مثل آهة طفل.

قالت لها أم فرج وهي تعد لها الافطار:

– ماأجملك انظري في المرآة اي شباب هذا؟!

ابتسمت وهي ترى وجهها كالبدر احست ان وجهها يكاد يضيء. نكست رأسها في حياء. قضت النهار في الصلاة. وراحت ترتل القرآن في المساءقالت:

– ما أجمل ما أراه.

أحست بدوار. ساعدتها أم فرج فتمددت في الفراش. سكن فيها كل شيء. رددت العجوز اسمها عدة مرات. لكن لم تتلق إجابة. صرخت بصوتها الواهن.

وقف الكلب فوق السطح وعوى عواء مرعبا. قفز في الحديقة. ارتقى السور بقفزة جنونية. اخذ يعوي ناظرا إلى القمر. لكن القمر توارى في دكنة السحب. اندفع الكلب بكل قوته يشق ظلام الليل. ابتعد في الخلاء الممتد. وابتعد ايضا نحيبه. ثم غاص في الظلمة وأطبق عليه الصمت ■



المعروف أن تعدد اللغات الأفريقية جعل قارة أفريقيا من أكثر مناطق العالم تعقيدا في المجال اللغوي.. فعدد اللغات التي يتحدث بها الأفارقة قد بلغ أكثر من ٨٠٠ لغة.. وكثير من سكان هذه القارة لا يفهمون غير لغتهم المحلية.. وقد اهتم علماء اللغات بإرجاع جذور اللغات الأفريقية المتعددة إلى ست مجموعات لغوية رئيسية.. كما اهتمت جامعات أوروبا بتدريس هذه اللغات الأفريقية في جامعاتها.. في حين نجد قصورا واضحا في تدريس هذه اللغات في الجامعات العربية والإسلامية.

والثابت تاريخيا أن القارة الأفريقية.. هي أول قارة في العالم تعرفت على الإسلام في العهد النبوي الشريف.. حيث استقرت بالأرض الأفريقية أول جالية إسلامية.. هاجرت من مكة المكرمة إلى أرض الحبشة بشرق أفريقيا في عام ٦١٥م – الذي يوافق العام الخامس للبعثة النبوية الشريفة – أي أن الوجود الإسلامي في القارة الأفريقية

بقلم: محمود بيومي

تعود جذوره التاريخية إلى حوالي أربعة عشر قرنا من الزمان.. والمؤكد أن المسلمين الأول قاموا بالتعريف بالإسلام في أفريقيا.. وعملوا على إرساء معالم الحياة العلمية الإسلامية في شرق أفريقيا.. حيث أسس جعفر بن ابي طالب – رضى الله عنه – العديد من كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم فهو أول من أقام المدارس القرآنية في القارة الأفريقية.

أمثلة عن التأثير القرآني

وقد تأثرت اللغات الأفريقية – رغم تعددها – باللغة القرآنية الكريمة.. حيث أثبت علماء اللغات الأفريقية أن نصف مفردات لغات: «الهوسا» و«الفولاني» و«الكاتوري» تقريبا.. تحتوي على ألفاظ وكلمات عربية خالصة.. وأن ٢٠٪ من لغة «الوولوف» تضم مفردات لغوية عربية.. وأن ١٠٪ على الأقل من لغة «اليوربا» عربية.. كما أورد بعض الباحثين في اللغات الأفريقية.. العديد من الكلمات العربية التي أصبحت جزءا من هذه اللغات.. فتوجد ثلاثة آلاف كلمة عربية في لغة «الهوسا» وأكثر من ألف كلمة مستعارة من اللغة العربية في لغة «الفولاني» وغيرها من اللغات الأفريقية.

أصول اللغات الأفريقية

ولا تتقيد اللغات واللهجات الأفريقية بالفواصل الجغرافية أو الحدود السياسية.. فالحدود الثقافية واللغوية متداخلة تداخل الشعوب الأفريقية ذاتها.. ومن أشهر هذه اللغات.

* اللغة الفولانية: ويعرف المتحدثون بها باسم «الفولاني» أو «فلاته» أو «فولفدي».. أما اللغة ذاتها فلها العديد من المسميات مثل: «فولا» و«بولار» ويطلق

عليها الفرنسيون اسم «بول» أو «بولا» ويعرفها الانجليز باسم «فولاني» ويتحدث بها سكان السنغال وجامبيا وسيراليون وموريتانيا ومالي وغيرها من الدول الأفريقية.

* اللغة الماندكية: وهي لغة تداول في مالي وغينيا وكوت دي فوار والسنغال وسيراليون وليبيريا وجامبيا وبساو.

* اللغة الوولوفية: ويتحدث بها سكان السنغال وجامبيا وموريتانيا وتنتشر بنسبة ٧٥٪ من سكان هذه الدول الأفريقية.

* لغة الهوسا: وتستعمل في النيجر والكاميرون ونيجيريا.. وهي لغة التعليم والقضاء في بعض هذه الدول.. وتنتشر هذه اللغة في شمال نيجيريا بينما تعتبر لغة ثانية أو ثالثة إلى جانب اللغات الأجنبية الرسمية في بعض المناطق.

* اللغة السواحلية: وهي لغة متداولة في شرق ووسط أفريقيا.. ويعتبرها علماء اللغات نتيجة تلاقح اللغة العربية واللغات الأفريقية في شرق أفريقيا.. وهي لغة التجارة والإعلام في بعض هذه الدول.. بينما هي لغة ثانية من بعض الدول الأفريقية الأخرى.

* لغة اليوربا: وتستخدم في بنين وتوجو وجنوب نيجيريا وتضم هذه اللغة ١٦ لهجة أفريقية محلية.. كما أنها لغة التعليم في بعض المناطق بهذه الدول.

وقد اهتم علماء اللغات بإرجاع جذور هذه اللغات الأفريقية إلى ست مجموعات لغوية رئيسية هي اللغات السامية والحامية والبانتو والهوتنتوب والسودانية والبوشمن ولغات النبرات الصوتية.

نحن واللغات الأفريقية

إن التواصل الإسلامي بهذه اللغات الأفريقية بدأ منذ معرفة أفريقيا بالإسلام.. وقد حمل الأفارقة عبء نشر الدعوة الإسلامية بهذه اللغات.. حتى أصبحت هذه اللغات بالضرورة نقطة

■ يتجاوز عدد اللغات التي يتحدث بها الأفارقة ٨٠٠ لغة

ارتكاز لابلاغ دعوة الإسلام ومسيرة المد الإسلامي في كافة انحاء القارة الأفريقية.. و كما لم يسلب انتشار الإسلام السلطة من الأفارقة.. فإن انتشار لغة القرآن الكريم لم تسلب من الأفارقة لغاتهم – باستثناء الشمال الأفريقي الذي تعرب بفضل الإسلام والقرآن الكريم –ولكن المستعمر الأوروبي هو الذي عطل معطيات هذه اللغات الأفريقية في ميدان العمل الإسلامي.. وضرب في ذات الوقت اللغة العربية باعتبارها لغة الإسلام والمسلمين.. فكانت الفترة الاستعمارية نكبة على اللغات الأفريقية والعربية في آن واحد.. حيث حوربت اللغة العربية وفرض المستعمر لغاته الأوروبية.. وبالرغم من ذلك فقد ظلت الكتاتيب القرآنية من أهم مرتكزات العمل الإسلامي والحفاظ على اللغة العربية في هذه القارة.

وبينما نلمس القصور واضحا في اهتمام الجامعات العربية والإسلامية.. بأمر تدريس اللغات الأفريقية في جامعاتها.. نجد جامعات أوروبا وقد اهتمت بتدريس هذه اللغات.. فاللغات الست التي سبق ذكرها تدرس في أوروبا.. فاللغة السواحلية تدرس الآن في ١٢ جامعة أوروبية منها ٣

■ أثبتت الدراسات والاحصاءات تأثر اللغات الأفريقية - رغم تعددها - بلغة القرآن الكريم

في ألمانيا.. وجامعتين في كل من بريطانيا وبولندا وفرنسا وفي جامعة واحدة في كل من هولندا ورومانيا والسويد وسويسرا.. أما لغة الهوسا فتدرس في عشر مؤسسات جامعية في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وهولندا وبولندا ورومانيا وسويسرا.. أما اللغة الفولانية فتدرس في ٣ جامعات هي «هامبورج» بألمانيا وباريس ولندن ورومانيا وسويسرا.. بينما نراها تدرس في جامعة داكار بالسنغال. أما اللغة الماندكية فتدرس بجامعتين في فرنسا.. وتدرس لغة الوولوف في بعض الجامعات الأوروبية.. وتوجد في جامعات السنغال دراسات حول هذه اللغة.

المشروع الأزهري

ونحن ندرك أن عدد الجامعات بالعالم الإسلامي كله لا يزيد عن ٢٤٤ جامعة إلى جانب ٩٠٠ مركز من مراكز البحث العلمي.. وعدد الجامعات لا يتوازن مع عدد المسلمين في العالم الذي يزيد عن مليار و٨٦٠ مليون نسمة.. والأمر يتطلب زيادة عدد الجامعات الإسلامية في القارة الأفريقية بصفة خاصة.. كما نلاحظ أن عدد الدول العربية التي تهتم بالدراسات الأفريقية عامة واللغوية خاصة محدود للغاية.. ففي مصر نجد أن السواحلية والهوسا تدرسان بمعهد الدراسات الأفريقية بالقاهرة.. كما نجد دراسات مماثلة في معهد الخرطوم الدولي التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.. كما انشيء معهد اللغات الوطنية في موريتانيا منذ ديسمبر عام ١٩٧٩ ميلادية لدراسة بعض اللغات الأفريقية من بينها لغة الوولوف.

وقد أعدت جامعة الأزهر مشروعا لتدريس بعض اللغات الأفريقية – الهوسا واليوربا والفولاني – في كليات الدعوة الإسلامية في القاهرة والمحافظات المصرية.. بهدف تخريج دعاة يتم إيفادهم للعمل في المجتمعات الأفريقية المسلمة

المتحدثة بهذه اللغات.. لكن هذا المشروع لم ير النور حتى كتابة هذه السطور.

كنوز المعارف الإسلامية

ونظرا لأن القارة الأفريقية تضم كنوز الثقافة الإسلامية التي دونت باللغات الأفريقية المختلفة.. فقد تم انشاء العديد من مراكز البحوث الأفريقية التي تستهدف الحفاظ على التراث الثقافي الإسلامي.. من ذلك مركز البحوث الأفريقية للحفاظ على التراث الإسلامي «تراث» في كمبالا عاصمة أوغندا.. وقد تأسس هذا المركز في فبراير عام ١٩٨٩ ميلادية.. لوضع الضوابط اللازمة لصيانة المخطوطات الإسلامية المدونة باللغات الأفريقية.. وقد قام هذا المركز رغم حداثة عهده.. بانجاز العديد من الترجمات لكتب التراث الأفريقي إلى اللغالت المختلفة.. وقد ساهم هذا المركز في بيان دور الحضارة الإسلامية - العربية في النهوض بالمجتمع الأفريقي.. وبيان التأثير العربي - الإسلامي على لغات وثقافات أفريقيا.. ويهتم المركز بتوضيح مؤثرات اللغة العربية على اللغة السواحلية وكتابة هذه اللغة بالأبجدية العربية. وفي مدينة «تمبكتو» التي تعتبر من أشهر المدن الإسلامية في جمهورية «مالي».. والتي عرف عن علمائها وضع المؤلفات الإسلامية - باللغات العربية والأفريقية - التي أثرت المكتبة الإسلامية بالعديد من العطاءات.. وكان علماؤها على صلة بعلماء الإسلام في الأزهر في القاهرة.. والمؤسسات العلمية والثقافية في فاس بالمغرب والقيروان بتونس وقرطبة بالأندلس.. كما كان لهم صلات ثقافية مع الأوروبيين في القرن السادس عشر الميلادي.. كما دعم علماء هذه المدينة صلاتهم بالعالم المصري جلال الدين السيوطي ونقلوا أغلب مؤلفاته إلى تمبكتو.. حتى أصبحت هذه المدينة سوقا رائجة للكتب والمؤلفات الإسلامية..

■ أول من أقام المدارس القرآنية في القارة الأفريقية جعفر بن أبي طالب لتحفيظ القرآن الكريم

اجتمع في هذه المدينة الإسلامية الأفريقية في عام ١٩٦٧ ميلادية.. خبراء الثقافة الإسلامية الأفريقية.. وأوصوا بانشاء مركز إسلامي يهتم بالمخطوطات العربية والإسلامية المدونة باللغات الأفريقية.. وحصرها وتحقيقها ونشرها وترجمتها إلى اللغات العالمية.. فتم انشاء مركز أحمد أبابا للتوثيق والبحث في مدينة تمبكتو منذ عام ١٩٧٠ ميلادية.

وفي مدنية «كانو» بنيجيريا تأسس مركز مماثل منذ عام ١٩٨٧ ميلادية.. وهو مركز التاريخ والثقافة الإسلامية.. وقد تمكن هذا المركز من إعداد مكتبة تضم ٥٤٤٧ مجلدا ومخطوطا إسلاميا.. ومازال المركز يواصل جهوده لضم مئات المخطوطات الإسلامية النادرة المدونة باللغات الأفريقية والتي عثر عليها مؤخرا في منطقة هضاب دالا.. كما يستعد المركز لإصدار أول موسوعة ثقافية تضم أسماء وعناوين المؤلفات الإسلامية باللغات الأفريقية.

الدعوة واللغات الأفريقية

لا جدال أن الدعوة الإسلامية المعاصرة في القارة الأفريقية.. تعوقها العديد من المعوقات وأولها تعدد اللغات الأفريقية.. والدعوة بلسان القوم أمر بديهي في هذه المرحلة.. لذا نجد الأفارقة أنفسهم وقد بدأوا حملات تعريب اللسان الأفريقي..

كما قامت الجامعات العربية والإسلامية برصد العديد من المنح الدراسية لأبناء المسلمين من أفريقيا لدراسة علوم الإسلام واللغة العربية.. حتى يعود هؤلاء الطلاب لتولي زمام أمر الدعوة الإسلامية في بلدانهم وإبلاغ دعوة الدين الإسلامي الحنيف لشعوبهم الأفريقية بلغاتهم ولهجاتهم.. إلى جانب قيامهم بدور مهم في نشر اللغة العربية بينهم.. وقد بلغ عدد المنح الدراسية التي رصدها الأزهر لطلاب أفريقيا لدراسة الإسلام واللغة العربية بالكليات الأزهرية المختلفة ٢٠٧٣ منحة دراسية.

القرآن ولغات أفريقيا

لقد أثرت اللغة القرآنية اللغات الأفريقية.. وقد تجلى ذلك في استعارة اللغات الأفريقية للأبجدية العربية.. فتم تدوين العديد من هذه اللغات الشفوية باللغة القرآنية.. فالهوسا التي يتحدث بها أكبر شعوب غرب أفريقيا.. والفولاني والماندي والصنفاي والوولوف والكاتوري وغيرها تأثرت باللغة العربية وكتبت بحروفها واستعارت منها ألفاظها.. فتحولت أكثر اللغات الأفريقية المنطوقة إلى لغات مكتوبة.. ومازالت اللغة القرآنية بكل مؤثراتها حية في الكيان الأفريقي المسلم صاحب الأغلبية العددية في القارة الأفريقية.

والمطلوب.. هو دعم الصحوة الإسلامية والتعريبية التي تعم كافة انحاء هذه القارة التي كانت أول قارة في العالم تتعرف على الإسلام منذ العهد النبوي الشريف ■





بقلم الأستاذ : محمد ياسر القمضاني



مناظرة

حكي أن أحمد – رحمه الله – ناظر الشافعي – رحمه الله – في تارك الصلاة، فقاله له الشافعي يا أحمد، اتقول إنه يكفر؟

قال : نعم

قال : إذا كان كافرا فبم يسلم؟

قال : يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الشافعي : فالرجل مستديم لهذا القول لم يتركه

قال أحمد : يسلم بأن يصلي

قال : صلاة الكافر لا تصح، ولا يحكم بالإسلام بها.

فانقطع أحمد وسكت!

هوّن عليك

من شعر أحمد بن عاصم الأنطاكي:

هوّن عليك فكل الأمر ينقطع
وخل عنك ضباب الهم يندفع
فكل هم له من بعده فرج
وكل كرب إذا ما ضاق يتسع
إن البلاء و إن طال الزمان به
الموت يقطعه أو سوف ينقطع



ذوق القضاة



روى الزبير بن بكار:

أن امرأة أتت عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقالت:

يا أمير المؤمنين، إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه، وهو يعمل بطاعة الله.

فقال لها : نعم الزوج زوجك.

فجعلت تكرر عليه القول، وهو يكرر عليها الجواب.

فقال له كعب بن سوار الأسدي: يا أمير المؤمنين، هذه امرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه.

فقال له عمر – رضي الله عنه – كما فهمت كلامها، فاقض بينهما

فقال كعب : عليّ بزوجها. فأتي به.

فقال : إن امرأتك تشكوك.

فقال : أفي طعام أو شراب؟

قال : لا في واحد منهما

فقالت المرأة من الرجز:

يا أيها القاضي الحكيم رشده
ألهى خليلي عن فراشي مسجده
زهده في مضجعي تعبده
نهاره وليله ما يرقده
فلست في أمر النساء أحمده
فاقض القضا ياكعب لا تردده

فقال الزوج من الرجز:

زهدني في فرشها وفي الحجل
أني امرؤا أزهلني ما قد نزل
في سورة النحل وفي السبع الطول
وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب من الرجز:

إن لها حقا عليك يا رجل
نصيبها في أربع لمن عقل
فأعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال له : إن الله قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك، ولها يوم وليلة.

فقال عمر لكعب رضي الله عنهما: والله ما أدري من أي أمريك أعجب أمن فهمك أمرهما أم من حكمك بينهما؟! أذهب فقد وليتك قضاء البصرة.

الدنيا

قال المأمون:

لو سئلت الدنيا عن نفسها ما أحسنت أن تصف نفسها صفة أبي نواس في هذا البيت:

إذا اختبر الدنيا لبيب
تكشفت له عن
عدو في ثياب
صديق

[أحسن شيء]

قال يحيى بن معاذ الرازي – رحمه الله –

الكلام الحسن حسن، وأحسن من الحسن معناه، وأحسن من معناه استعماله، وأحسن من استعماله ثوابه، وأحسن من ثوابه رضى من يعمل له.

وقال واعظا:

عمل كالسراب وقلب من التقوى خراب، وذنوب بعدد الرمل والتراب، ثم تطمع في الكواعب الأتراب؟ هيهات، أنت سكران بغير شراب، ماأكملك لو بادرت أملك ما أجلك لو بادرت أجلك، ما أقواك لو خالفت هواك.

«الحـــــق»

قال حكيم :
إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه، فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقا.

«مناجاة»

إلهي ! كيف يرجى سواك، وأنت ما قطعت الإحسان؟ وكيف يطلب من غيرك وأنت مابدلت عادة الامتنان؟



من العجب إلحاحك



قال أحد الحكماء:
من العجب إلحاحك في طلب أغراضك وكلما زاد تعويقها زاد إلحاحك
وتنسى أنها قد تمتنع لأحد أمرين، إما لمصلحتك فربما معّجل أذى، وإما لذنوبك فإن صاحب الذنوب بعيد من الإجابة.
فنظِّف طرق الإجابة من أوساخ المعاصي.
وانظر فيما تطلبه هل هو لإصلاح دينك أو لمجرد هواك؟
فإن كان للهوى المجرد. فاعلم أن من اللطف بك والرحمة لك تعويقه وأنت في إلحاحك بمثابة الطفل يطلب ما يؤذيه فيمنع رفقا له.
وإن كان لصلاح دينك فربما كانت المصلحة تأخيره، أو كان صلاح الدين بعدمه.
وفي الجملة تدبير الحق عز وجل لك خير من تدبيرك، وقد يمنعك ماتهوى ابتلاء ليبلو صبرك فأره الصبر الجميل تر عن قرب ما يسر.
ومتى نظفت طرق الإجابة من أدران الذنوب، وصبرت على مايقضيه لك. فكل ما يجري أصلح لك، عطاء كان أو منعا.



أعظم المعاقبة



قال ابن الجوزي – رحمه الله – :
أعظم المعاقبة أن لا يحس المعاقب بالعقوبة، وأشد من ذلك أن يقع السرور بما هو عقوبة، كالفرح بالمال الحرام، والتمكن من الذنوب.
ومن هذه حاله، لا يفوز بطاعة.
وإني تدبرت أحوال أكثر العلماء والمتزهدين فرأيتهم في عقوبات لا يحسون بها، ومعظمها من قبل طلبهم للرياسة.
فالعالم منهم، يغضب إن رُدَّ عليه خطؤه، والواعظ متصنع بوعظه، والمتزهد منافق أو مراء.
فأول عقوباتهم إعراضهم عن الحق شغلا بالخلق.
ومن خفي عقوباتهم، سلب حلاوة المناجاة، ولذة التعبد، إلا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات، يحفظ الله بهم الأرض، بواطنهم كظواهرهم، بل أجلى وسرائرهم كعلانيتهم، بل أحلى، وهممهم عند الثريا، بل أعلى.
إن عرفوا تنكروا، وإن رئيت لهم كرامة، أنكروا.
فالناس في غفلاتهم، وهم في قطع فلاتهم، تحبهم بقاع الأرض، وتفرح بهم ملائكة السماء.
نسأل الله عز وجل التوفيق لاتباعهم، وأن يجعلنا من أتباعهم.

الحطب على كتفيه

أخـرج الطبراني بإسنـــاد حسن، عن عبدالله بن سلم – رضي الله عنه – أنه مر في السوق وعليه حزمة من حطب، فقيل له:
مايحملك على هذا، وقد أغناك الله عن هذا؟
قال : أردت أن أرفع الكبر، سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يـدخل الجنة مـن في قلبه خردلة من كبر».
رواه الأصبهاني إلا أنه قال:
«مثقال ذرة من كبر»

قال أحد الصالحين [أي لذة؟!]

لقد غفل طلاب الدنيا عن اللذة فيها، وما اللذة فيها إلا شرف القلم وزهرة العفة وأنفة الحمية، وعز القناعة، وحلاوة الإفضال على الخلق.
فأما الالتذاذ بالمطعم والمنكح فشغل جاهل باللذة، لأن ذلك لا يراد لنفسه بل لإقامة العوض في البدن والولد.
وأي لذة في النكاح وهي قبل المباشرة لا تحصل.
وفي حال المباشرة قلق لا يثبت.
وعند انقضائها كأن لم تكن ثم تثر الضعف في البدن.
وأي لذة في جمع المال فضلا عن الحاجة فإنه مستبعد للخازن يبيت حذرا عليه، ويدعوه قليله إلى كثيره.
وأي لذة في المطعم وعند الجوع يستوي خشنه وحسنه. فإن ازداد الأكل خاطر بنفسه.
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : بنيت الفتنة على ثلاث، النساء وهن فخ أبليس المنصوب. والشراب وهو سيفه المرهف، والدينار والدرهم وهما سهماه المسمومان.
فمن مال إلى النساء لم يصف له عيش، ومن أحب الشراب لم يمتع بعقله ومن أحب الدينار والدرهم كان عبدا لهما ما عاش.

رسالة الشافعي وتنظيم الاجتهاد الفقهي

■ لم يقف علماؤنا السابقون عند حدود التقليد، فهل يصح لنا الجمود بدعوى الاتباع

من أمـراض العقل العـربي المعـاصر انسياقـه بـدون وعي وراء كل محدث وجديد، واستهجانه للعودة الى التراث بحثا فيه واستفادة منه. ولذا اختزل هذا العقل المستلب عملية النهوض بالأمة في الانقطاع عن تـراثها الحضـاري واتبـاع النمـوذج الغربي، فيفهم ان العـودة الى الماضي ماهى إلا ارتداد الى الوراء يبقـي حالتنا الحاضرة على ماهي عليه، ويتناسى ان الحاضر نتاج للماضي، وان المستقبل نتاجهما معا، وانه لايمكن صناعة الغد بمعطيات اليوم فقط، لان هذا ضرب من البدء من الصفر، بل لابد من تـراكم إيجابي نقـدي لعطـاء الأمس واليوم.

بين الانتماء والاستلاب

ومن بين أهم اسهـامـات الـوعي المسلم الحديث تأكيـده على ضرورة الانتماء على مـاضينا الثقـافي والنهل منـه في زمن طغى فيـه الاستلاب والتغـريب. ولهذا النـزوع نحو الماضي مسـوغاتـه، فلا يجادل دارس حضـارات نـزيـه في غنى الحضـارة الاسلامية وثراء عطائها في مختلف حقول المعـرفة والتفكير، ولانقصـد بالتـذكير بهذا الغنى والثـراء دغدغـة الـوجدان واشعـال

بقلم: الطيب بوعزة *

جـذوة الاعتـزاز بالـذات، فهـذه ليست إلا نرجسيـة حضـاريـة عمياء فـاقدة كـل أثر إيجابي في بناء كيـاننا الحضـاري الراهن، بل ان الاشارة الى غنى تراثنا هـو حافز لنا لدرسه نقديا والوعي به، والحذو على مثاله في الاجتهاد والعطاء، والحرص على ضرورة الاضـافـة إليـه لااستنسـاخـه كما هـو والجمـــود علـــيه. وبهذا الهاجـــس نلتـقى بالامـــام الـــشافعـــي وكـــتابه الأشـــهر (الرسالة).

زمن الشافعي والحاجة الى المنهج

عـاصر الشافعي الخليل بن أحمد مبـدع قانـون الشعر (علم العروض) وسيبويه واضع قـانون النحـو العربي، إذن فـزمن الشـافعي اتسم من النـاحيـة الثقـافيـة بمحاولات جمع واستيعاب، ثم استخلاص و(تقعيـد) جمع واستيعـاب لمتنـوع الآراء والافكار المتداولة، واستخـلاص خطوطها الـرئيسية ومنطقهـا الاستـدلالي، لتشكيل قواعد منهجية تؤسس إطارا معرفيا محدد الخصائص والثوابت.

ومثل هـذه الأزمنة الثقـافية التي تفـرز أمثال هذه العقليـات المنهجية النيرة تتميز عادة بكثرة الآراء وتعددها يصل أحيانا الى درجـة الفـوضى والصراع الجدلي، فيكـون الاحتياج الثقافي الى عقل منظـم يفقه واقعه الثقـافي، ويستخلص من ركـامـه المعـرفي المشتت ملامح مشتركـة ويصوغها ضمن إطارات منهجية محددة، احتياجا ملحا، لان ذلك هـو الضمان الـوحيـد لتنظيم عملية التفكير، ولقـد كان زمن الشـافعي يشهـد ثراء معرفيا كبيرا، ومنـاظرات ومسامرات ثقافية (حادة) وصراعا فكريا بارزا للسطح بين اتجاه أهل الـــراى وبين اتجاه أهل الحديث، خاصة على المستوى الفقهي (١).

تكوينه المعرفي

وبالفعل كان الشافعي مستـوعبا لثقافة عصره، عالما بواقعه معايشا له متفاعلا معه الى درجة تبديل آرائه بمجـرد تبديل الموقع الجغـرافي الـــذي يبـاشره، وهكـذا يميز المؤرخون في فقه الشافعي مابين فقه قديم عندما كان ببغداد – وفقه جديد عند ماحل بمصر. أجل تنقل الشـافعـي مـابين مكـة واليمن والعـراق ومصر دارسا لثقـافـة كل منطقـة مستفيـدا من مـلاحظـة عـاداتها الاجتماعيـة وعطـائهـا المعـرفي، إذ لم يكن حافز هذا التنقل الجغرافي هو السياحة، بل كـان الحافـــز طلب العلم والحرص على التزود من ينابيعه.

فقـد تتلمذ في صباه على علماء مكـة، ثم خـرج الى بـاديتهـا لتعلم اللغـة العـربيـة الفصيحـة في مظانها الأصيلـة سليمـة من لحن الحـواضر و (المدن) التي تتسم باختلاط الشعوب، ومـايرافقه من اختلاط ألسنها اللغويـة، وامتداد التأثير الى أسلوب اللغة فيفقد أصالته وفصـاحته، لذا حرص الشافعي على ملازمة قبيلة هذيل وهى من أشهر قبـائل العرب فصاحـة، فحفظ فيها الشعر وأنساب العرب.

والى هذه المرحلة من حياته يعود الفضل في تمكن الشـــافعي مـن فن الشعـــر والنثـر البليغ، ووصـولـه الى درجـة الاستاذية في فنـون الأدب يقصده الطلاب والمريدون، وكـان من بينهم روايـة الشعر

* أستاذ فلسفة – المغرب

وناقده الكبير الأصمعي الذي صحح على الشافعي شعر الشنفرى.

ثم رجع الى مكة واتجه تفكيره نحو التعمق في علوم الدين. وحفظ الموطأ ودرسه ثم رحل الى المدينة ولازم الامام مالك حتى وفاته عام ١٧٩هـ، ودرس عليه طريقته في الاجتهاد المتميزة بالاعتماد على المصالح المرسلة. بعد ذلك رحل الى اليمن فولاه واليها عملا بنجران (٢) ولكن نزاهته في مباشرة عمله أثارت ضغائن الحساد فدسوا له عند الخليفة هارون الرشيد، فأمر بالاتيان به الى بغداد، لكن لما مثل بين يديه أعجب به الرشيد فقربه منه.

وفي بغداد انكب الشافعي على دراسة مختلف أنماط الثقافة الإسلامية ومايتصل بمختلف المذاهب، فجالس محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة، والامام بن حنبل، ودرس آراء عصره مركزا على نحو خاص على بحث (الادلة) المعتمدة من طرف كل مذهب. ثم رحل الى مكة وقد استوعب ثقافة عصره بكل شموليتها: سواء آراء أهل الحديث او افكار أهل الرأي. لكنه رجع الى بغداد من جديد عام ١٩٥هـ وقد اكتمل في ذهنه مذهب فقهي جديد، فكتب (الحجة) ناقدا فيها مذهب أهل الرأي، وكتاب (الرسالة) الذي وضع فيه قواعد الاجتهاد الفقهي فكانت هذه أول محاولة لصياغة منهجية أصول الفقه.

فما هي الخطوط الرئيسية لهذا الكتاب المذهبي النيّر؟

الرسالة ومنهجية البحث الاصولي

يبتدىء الشافعي(رسالته) بتحديد مفهوم (البيان) قائلا: (البيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول متشعبة الفروع. فأقل مافي تلك المعاني المجتمعة المتشعبة: (أنها بيان لمن خوطب بها ممن نزل القرآن بلسانه مقاربة الاستواء عنده، وان كان بعضها أشد تأكيد بيان من بعض) (٣).

لكن لم يبتدىء الشافعي بحثا في علم أصول الفقه بالحديث المستفيض عن البيان وأنواعه؟

السبب في ذلك راجع الى كون معجزة الاسلام هي كتاب (القرآن) أي خطاب إلهي في قالب لغوي عربي. والقرآن - كخطاب إلهي الى البشر - يحتاج ولابد الى تفهيمه وتبيينه للناس. لكن هذا الفهم يحتاج الى معرفة أولية باللغة العربية واتساع معانيها ومجازاتها واستعاراتها وكناياتها وغيرها من أنماطها البلاغية.

والقرآن كما وصفه الله عز وجل هو ﴿ بيان للناس وهدى ﴾ [آل عمران:١٣٨]، ونجد في عشرات الآيات يتكرر دائما وصف القرآن بالبيان مثل: ﴿ حم. والكتاب المبين.إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ [الدخان:١-٣]، ﴿ حم. والكتاب المبين. إنا جلعناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ [الزخرف:١-٣]، ﴿ طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴾ [النمل:١]، إذن فالمقصود بالبيان في (الرسالة) هو القرآن الكريم. والسؤال الذي وجه تفكير الشافعي في بداية (رسالته) هو: (كيف البيان؟) أي ماهي طرائق وأنواع البيان القرآني؟

البيان عند الشافعي

يجيب الشافعي بأنها خمسة أنواع من البيان:

الأول: ما أبانه الله بنص صريح لايحتاج الى تأويل.

والثاني: ماأبان الله بعضه وبقى بعضه الآخر مجملا يحتاج الى تبيين فقامت السنة بتكملة هذا البيان.

■ استوعب الشافعي علوم عصره وعايشها ولم يجمد أو يقعد فأبدع وابتكر وترك علوماً تشهد له حتى اليوم

والثالث: ماأجمل الله بيانه كلية، فجاءت السنة لتبيينه وتفصيله.

والرابع: ماسكت عنه القرآن فأبانت عنه السنة وهذا ايضا من الواجب اتباعه لأن الله أمر في كتابه المسلمين باتباع الرسول ﷺ وطاعته.

والخامس: هو مالم يبينه لا القرآن ولا السنة، وهو (بيان للمجتهد) وهو الذي يحصل من طرف المجتهد المسلم بعد استفراغ جهده.

من أنواع البيان الخمسة السابقة يستخلص الشافعي أصول الفقه: الكتاب والسنة، والقياس مضيفا إليها في المرتبة الثالثة قبل أصل القياس: الاجماع، مستدلا بأحاديث تلزم المسلم بالنزول عند رأي عامة المسلمين. والشافعي بأصوله الأربعة هذه يجمع في توليف منسجم بين أهل الرأي وأهل الحديث.

الشافعي وفعالية القياس

وعندما اختزل الشافعي الاجتهاد في فعالية القياس. فانه بذلك يرفض الأصل الاجتهادي الحنفي (الاستحسان) كما يرفض الأصل الاجتهادي المالكي المتمثل في (المصلحة المرسلة) حيث يراهما منهجيتين تخلص الى ابتداع أقوال محدثة على غير مثال شرعي سابق. يقول الشافعي في (الرسالة): (ولا يقول احد بما استحسن، فان القول بما استحسن شيء يحدثه لاعلى مثال) (٤) وقال ايضا: (من استحسن فقد شرع) وبنفس الدليل يعارض الشافعي ايضا الاستدلال بالمصلحة المرسلة.

وعود الى كتاب (الرسالة) فبعد تحديده لانواع البيان، وحديثه عن السنة كبيان مكمل للقرآن، تحدث عن علاقة القرآن الكريم بالسنة من حيث مسألة النسخ، فقال برأي جديد متميز في كون القرآن لاينسخه إلا القرآن والسنة لاتنسخها إلا سنة. ثم تحدث عن المجمل والمبين والمخصص.. مقدما أمثلة فقهية متعددة

على ذلك.

وفجأة يتبدل أسلوب الخطاب في كتاب (الرسالة) من أسلوب مطرد الى أسلوب جدلي يفترض الاعتراض ثم يرد عليه كتأكيد برهاني على آرائه السابقة، ثم يجادل على صحة رأيه حول خبر الآحاد وحجية الإجماع والقياس، وكل ذلك في أسلوب جدلي استدلالي بارع.

العلم حلقات متكاملة

وحين نقول بأن الشافعي أول من حدد أصول التفكير الفقهي، فلا ننسى التنبيه الى وجود بعض النصوص التراثية القائلة بعكس ذلك، كنص الجاحظ الذي يرجع صياغة هذه الأحوال الى مؤسس المذهب الاعتزالي واصل بن عطاء في القرن الثاني الهجري، او نصوص ترجع ذلك الى أبي حنيفة. وليس من المستغرب ان يكون الاستدلال بهذه الأصول الاربعة، او حتى ذكرها كمصادر قد كان قبل الشافعي، لأن هذا شأن مختلف المحاولات المنهجية، فمنطق أرسطو وقياساته كانت مستعملة من قبل، لكن فضل صياغتها وتنظيمها، ونقلها من مجال الاستعمال الى مجال الوعي باستعمالها والتفكير فيها، راجع إلى ارسطو. وكذلك الشأن مع أصول الفقه بالنسبة للشافعي ولذا يقول الفخر الرازي:

واعلم ان نسبة الشافعي الي علم الأصول كنسبة أرسطاطاليس الى علم المنطق، وكنسبة الخليل بن أحمد إلى علم العروض، ذلك ان الناس كانوا قبل أرسطاطاليس يستدلون ويعترفون بمجرد طباعهم السليمة، لكن ماكان عندهم قانون مخلص في كيفية ترتيب الحدود والبراهين، فلاجرم كانت كلماتهم مشوشة ومضطربة، فان مجرد الطبع إذا لم يستعن بالقانون الكلي قلما أفلح، فلما رأى أرسطاطاليس ذلك (...) استخرج علم المنطق (...) وكذلك الشعراء كانوا قبل الخليل بن أحمد ينظمون أشعارا وكان

■ حرية البحث وتعدد الآراء تؤدي إلى تشكيل قواعد منهجية تؤسس إطارا معرفيا محدد الخصائص والثوابت

اعتمادهم على مجرد الطبع، فاستخرج الخليل علم العروض فكان ذلك قانونا كليا في معرفة مصالح الشعر ومفاسده.

فكذلك هاهنا الناس كانوا قبل الامام الشافعي رضي الله عنه يتكلمون في مسائل أصول الفقه ويستدلون ويعترفون، ولكن ماكان لهم قانون كلي يرجعون إليه في معرفة دلائل الشريعة وفي كيفية معارضتها وترجيحاتها فاستنبط الشافعي رحمة الله عليه أصول الفقه ووضع للخلق قانونا كليا يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع فثبت أن نسبة الشافعي على علم الشرع كنسبة أرسطو الى علم العقل (٥).

نعم للاجتهاد، لا للجمود

إن محاولة الامام الشافعي هى رائدة المحاولات المنهجية التراثية في تأصيل أصول الاجتهاد الفقهي وقد امتدت بتأثيرها الى الاجتهاد الفكري الاسلامي بمختلف تجلياته. ولذا فلها من ريادتها فضل السبق، ولها ايضا خاصية المحدودية اذ هى ككل المحاولات الريادية تحتاج الى التكملة و الاضافة. ولذا سنكون قاصرين لو اتخذنا هذه الأصول الأربعة فقط مصادر الاجتهاد، ذلك لأن حجم مستجدات الواقع المجتمعي الراهنة كبير جدا، ونحتاج الى توسعة أصول الاجتهاد باستيعاب المصالح المرسلة، والاستحسان، وسد الذرائع وفتحها، والافادة من منهجيات العلوم الانسانية وأسلمتها لدراسة النفس والاجتماع البشريين (دراسة موضوعية) كي نكون عارفين بواقعنا، ومايصلح له من معالجات.

وإذا كانت محاولة الشافعي قد ابتدأت بفعل (لغوي) (كيف البيان) فإننا احوج مانكون الى ابتداء محاولاتنا الفقهية والفكرية بفعل في علوم المجتمع، لاننا في مسيس الحاجة الى معرفة هذا الواقع الذي نعيشه لنعرف مانأخذه من تراثنا الذي عشناه.

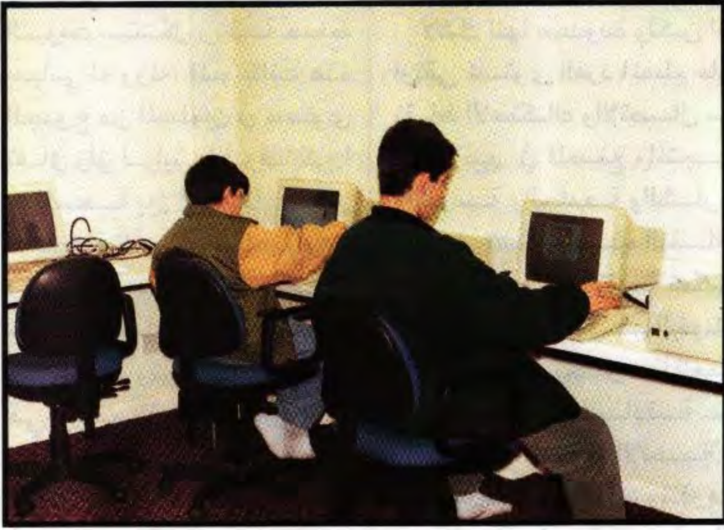
ونحن محتاجون ايضا الى الهاجس الفكري اليقظ الذي ميز الشافعي، وانشغاله بواقعه وإدراكه لأهميته، إذ سلف ان أشرنا من قبل إلى ان فقه الشافعي الجديد ناتج من تفاعله مع واقع جديد غير واقع بغداد الذي اتصل به سابقا، واذا كان نزول الشافعي الى مصر واختلاطه بأهلها ونخبتها المثقفة، وقضاياها الاجتماعية أثر على تفكيره واجتهاده، وخلص به الى تبديل بعض فتاواه التي كان قد أفتى بها من قبل، وذلك جلي في كتابه (الأم) الذي كان عبارة عن تنقيح لكتبه العراقية وخاصة كتابه (المبسوط) فكيف بنا ونحن نرحل من زمن الشافعي وواقعه الى زمن جديد وواقع متبدل أن نبقى على نفس الاسهام المعرفي، جامدين عليه لانريم!

لابد من استخدام العقل المجتهد، ليكون في مثل عطاء عقول أسلافنا، وإلا فلن نكون جديرين بأن نكون أخلافا لهم ■

الهوامش:

(١) محمد أبو زهرة، أبو حنيفة: حياته وعصره، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٦.
(٢) المرجع السابق، ص٢٠.
(٣) محمد الشافعي، الرسالة، دار الفكر ١٣٠٩هـ، تحقيق احمد محمد شاكر، ص٢١.
(٤) الشافعي، الرسالة، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٥) الرازي، مناقب الشافعي، ص ١٠٠ ومابعدها. مذكور في الجابري (تكوين العقل العربي) ط٣ ديسمبر ١٩٨٧ بيروت، ص ١١٣و١١٤.



● التدريب على الكومبيوتر مواكبة لمتطلبات العصر



● درس تلاوة لاستقامة العقول واللسان

□تهدف المراكـــز والنـــوادي الشبابية في الغرب إقـامة أنموذج حـــضـــاري إسلامـي واقـعـــي

في حديثنـا عن دور المراكز والنـوادي الشبابيـة في الحفاظ على النـاشئـة المسلمة في ديـار الغـرب، يجب ان نضع أمـام أعيننا هدفا أساسيا، هو القصد النهائي من إنشاء هذه المراكز ألا وهو (أن تنتج هذه المراكز الانموذج الحضاري الإسلامي البـديل وتقـدمـه للمجتمعات الغـربيـة) ذلك أن الانمـوذج الحضـاري الأوروبي أخـذ في الانهيـار والسقـوط. ولن نستطيع الوصول الى هذا الهدف النهائي إلا اذا عملنا كل ما في وسعنا على الارتقاء بمستوى الفرد المسلم (الاجيال الناشئة) على كل الأصعـدة الجسمية والفكريـة والنفسية والعلميـة والـروحيـة. ومن هنـاتأتي أهميـة دور المحضن (المركـز الشبابي) الذي يقدم الرعـاية الشاملة للجيل المسلم الناشيء حتى تتهيأ لنا شخصية اسلامية متكاملة ليس فيها غلو ولا افراط ولاتفـريط. وهذه العمليـة بجملتها تحتاج الى مـركز تتم فيه وتأخذ مداها من خلاله. ولاشك ان لها متطلبات لابد من توفرها حتى يكتب لها النجـاح وهذا ماسنحاول التطرق اليه في هذا البحث. غير انه لابـد من الاشارة الى ان هذا البحث منطلق من تجربة عملية واقعية وليس بحثا أكاديميا عماده الكتاب ومصادره المعلومات الاخرى.

بقلم الدكتور: محمود الخاني

دور المراكز والنوادي الشبابية في حفظ الناشئة في الغرب

إن تجـربة مـركز الـناشـئة في (دار الرعاية الاسلامية) تجربة تستحق التوقـف عندها، بحثا ودراسـة لكي نقف عنـدها على النقـاط الايجابيـة وننميهـا، وان نقف على الصعـاب فنذللهـا حتى نغني التجربة ونعممها على بقية الأقطـار. لو سألنـا أنفسنا لماذا نصر ونـؤكـد علي عمليـة التحصين والبناء للفرد المسلم في ديار الغرب؟

أحسب أن هذا السؤال لابد من طرحـه بين يدي الموضـوع حتي نحدد مسبقـا الهدف من العملية التربويـة المتكاملـة للجيل المسلم النـاشيء. وللجـواب على هـذا السـؤال لا بـد ان نـاخـذ بعض النقاط بعين الاعتبار:

أولا: ان الدعـوة الى الله بشكل عام أمر تعبدي فالقيام بها كانت مهمة الأنبيـاء والمرسلين جميعا، وكـذلـك من أتى بعـــدهم من الخلفاء والعلماء والمصلحين على مر العصور الإسلامية، فالقرآن الكريم يحدثنـا فيقول: ﴿ ومن أحـسن قـــولا ممن دعـا الى الــله وعمل صـالحا وقـال إننـــي مـــن المسلمين ﴾ [فصلت:٣٣] والـرسـول ﷺ يقـول: «بلغـوا عنـي ولـو آيـة» [رواه البخـــــاري واحمد والترمذي] فتبقى هـذه الخصلة، الدعوة الى الله من أهم خصائص المسلم التـي يطـالـب بها في كل وقت وحين، وهى حق الصغـــار على الكبـــــار، والجاهلين على المتعلمين.. وهكذا.

ثانيا: الجاليات المسلمة تشكل الـدعـائم الأســاسيـة للتجمع الاسـلامي المحـدود الآن ضمن نطـاق وأعـداد معينـة ولكن في المستقبل غير البعيـد سيكـون تجمعـا واسعا كبيرا لأن نسبـة التوالـد عند المسلمين أعلى بكثير من تلك التي عند الغربيين، وهذا مـــاسيشكل فيهـــا العلماء والاختصـاصيـون في كل مجال طاقـة بشرية هـائلة، وستكـون هـذه الطاقـة المسلمة ذات بعـد

اجتماعي عميق، كما أنها في ذات الـوقت ستشكل ورقـة ضغط سياسي له وزنه، فلـو كانت هذه الجموع من المسلمين في مستوى ثقـافي راق لـرأينـا فـرقـا كبيرا وواضحـا بين أوضـاعهم غير المشجعـة الآن وأوضـاعهم وهم في مـركـز محترم ومـرمـوق. وأجيـال المسلمين التي نشأت في ديار الغرب وترعرعت على أرضه هي المرشح الأقـوى ضمن هـذه المعادلـة ليقودوا دفـة العمل بعد الجيل السـابق الـذي لم يحظ بنفس التجربة التي تمر بها هذه الأجيال الناشئـة ومن هنا ندرك أهميـة الحديث عن الاهتمام بالاجيال الناشئة.

ثـالثـا: المسلمـون في الغـرب يشكلـون أنمـوذجا حضـاريـا متميزا، فقد جـاءوا الى الغرب من أركـان المعمـورة الأربعـة ففيهم الهندي والعـربي والصيني و المالـيـزي والأوروبي.. الـخ وبالـرغم من اختـلاف الأجناس والأشكال واللغات، فـان العقيدة الاسـلاميـة تجمـع بينهم والإسـلام يـؤلف بين قلـوبهم، فلكي يعطي هـذا التجمع ثماره ولايؤدي الى الضيـاع والتناحـر والتبـاغض لابـد من الارتقـاء بمستوى الفهم والثقافة والتفكير لـدى الفـرد المسلم، والشبـاب منهم على وجه الخصـوص حتى يكـون عنصرا فعـالا في عمليـة البناء والمحـافظة عليـه. لأنه من المفـروض أن يكـون الشبـاب المسلم النـاشيء بعيـدا عن حسـاسيات البـلاد الإسلاميـة الاصلية ومفارقاتها.

رابعـا: ان هـذه الجمـوع من المسلمين تشكل نقـاط اتصـال يـومي مـع غير المسلمين فلـو فرضنا ان مركزا ثقافيا اسلاميا اخذ على عـاتقه نقـل الإسلام الى الأوربيين فكم هي فـرصتـه في الاتصـال والاحتكاك ومخاطبـة جماهيرهم؟

لاشك انها محدودة ولكـن اذا ارتقى مستوى الفرد المسلم فان نقـاط الاحتكـاك والاتصـال مع الغـربيين في المصنع والمتجـر والمدرسـة والجامعـة والشـارع والجوار تشكل هـذه النقـاط منطلقات دعويـة متقدمة تعكس صـورة الحضـارة، فـالخيـار خيارنا امـا ان نحسن هذا العمل فنعطي صـورة صـادقـة عن الإسـلام فنحبب الإسـلام للغربيين، أو على العكس ننفرهم من الإسـلام ففي الغـرب أعمال المسلمين وسلوكهم هـو المقياس الأول لصحة الاسلام أو خطئه. وهـذا بحـد ذاتـه يقتضي نظـرة مستقبلية بعيـدة لإنشاء اجيـال المسلمين تنشئة صحيحة.

خامسـا: المسلمون في الغـرب بخبراتهم وطـاقـاتهم ربما يشكلـون ولو على المدى البعيـد البديل الحضاري، ونحن نشهد سقوط الحضـارة الغربيـة التي جـرت عليهـا سنـة اللـه في الحضـارات والأمم، فـلابـد ان يحمل المـوروث الحضـاري التقني قوم مـا، وأرجو أن يكون الشبـاب المسلم النـاشيء هـو المرشح لـذلك فيقـدم للبشريـة التقنيـة مع العلـم والاخـلاق الفاضلة.

احتياجات الفرد المسلم

اذا أدركنـا هذا كلـه فلابـد ان ندرك كـذلك ان نقطـة الانطلاق انما تكون مـن هذه المراكـز، لذا لابد لهذه المراكـز ان تحتوي على الاحتيـاجـات الأسـاسيـة التي يحتـاجهـا الشبـاب المسلم للارتقاء بأنفسهم ثقافيا وفكريا ودينيـا وحضـاريـا، ومن هـذه الاحتياجـات التي يجب توفـرها في كل مـركز شبـابي اسـلامي الأمور التالية (الـدراسة منبثقة من تجربة مركـز الناشئة في دار الرعاية الأسلامية بلندن)

١- المدرسة الاسلامية

لابـد أن يحتـوي المركـز الاسـلامي على مـدرسـة لتعليم أبنـاء المسلمين دينهم ويبين لهم طريقهم في هذه الحيـاة الشائكة الـدروب، وغالبـا مـاتقوم هـذه المدرسة بالتدريس المسائي أو في عطلـة نهايـة الأسبـوع، وهـذا النوع من المدارس يجب أن تكون أهـدافـه واضحـة حتى لايقع اللبس في فهـم الغـرض من إنشائها، وكثيرا مانتوقع من هذه المدارس ان تخرج لنـا أئمـة أو دعاة أو علماء في العربيـة، فدوام يوم واحد في الأسبوع لايمكن ان يحقق ذلك، ولكن أهـداف هـذه المدارس تنحصر في الأهـداف التالية:

أ) الفهم الصحيح لعقيدة الإسـلام وتصحيح المفـاهيم المغلوطة لديهم بعد تلقيهم طوال ايام الأسبوع في المدارس الغربية التعليم والتـوجيه الـذي يخالف مفاهيمنا.

ب) تعليمهم الحد الأدنى من العلوم الاسـلامية التـي لايعذر المسلم اذا جهلهـا، من أحكـام الصلاة ومباديء التلاوة...الخ.

ج) التركيز على أهمية السلوك الاسلامي الصحيح من خـلال برامج تـربويـة محددة، ومعـدة بشكل مـدروس عملي وعلمي، وتنفذ هذه البرامج تحت إشراف الأستاذ المربي والخبير.

٢- قاعة الرياضة

المجهـزة بالأدو ات والأجهـزة الريـاضية التـي تقدم للنـاشئة البديل عما هـو متوفـر لديهم في مـدارسهم ونـواديهم، بحيث يـؤدي الشباب المسلـم نشاطـه الـريـاضي تماما كما يـؤديـه في المؤسسات الغربيـة ولكن في جو اسـلامي ومن ذلـك السبـاحـة وألعـاب الكرة وألعـاب الخفـة.. الخ.

٣- مكتبة المطالعة

التي تحتـوي على الكتـاب الإسلامـي وخاصة بلغـات أهل البلاد كالانجليزيـة والفرنسية.. وغيرهما وكذلك المكتبة السمعية والبصريـة، كما يجب تـوفـر الصحيفـة والمجلـة التي تصل مـابين المسلم في الغـرب وعـالمه الاسلامي البعيد عنه.

٤- المسجد

الـذي تقـام فيـه الصلـوات اليومية وصلاة الجمعة والأعياد وتعقد فيـه الحلقات الاسـلامية والـدروس العـامـة وكـذلك المناسبـات الاجتماعية والـزواج والعقيقة بحيث يصبح المركز مع مسجـده مـركـزا اجتماعيـا للتعـارف والاستجمام وقضـاء المصالح وحل المشكلات.

٥- مركز الكومبيوتر

اذ اصبح الكـومبيـوتـر أداة العصر العلميـة والاداريـة والترفيهية فـوجود الكومبيـوتر في المركز الاسلامي تحت تصرف أبناء المسلمين يعتبر عاملا مهما في جذب هذه الأجيـال الى المراكز الاسلامية لسماع الكلمة الطيبة، وعدم وجوده يترك فـراغا يملؤه غيره.

٦- المكتبة الاسلامية

التي تقـدم الكتـاب والمادة

دور المراكز والنوادي الشبابية في حفظ الناشئة في الغرب

الاسلامية كالشريط وغيره بأسعار معقولة حتى تتوسع دائرة انتشار الكتاب الاسلامي وحتى لايفتقد المسلم المادة الاسلامية اللازمة لبناء شخصيته وفكره. الأقسام التي يجب توفرها في المراكز الاسلامية:

احتياجات المراكز الشبابية الاسلامية

لكي يستطيع العاملون في أي مركز اسلامي من خدمة الشباب المسلم وتحصينهم والمحافظة عليهم ومتابعة أمورهم لابد من توفر الأقسام الرئيسية التالية:

١) أنشطة الذكور (ونعني بالذكور الشباب اليافع والأولاد والصغار):

فيكون للشباب برامج وقد تشمل جميع أوجه النشاط الرياضي والفكري والعلمي والروحي وتكون أنشطة قسم الشباب تحت اشراف مرب واع وخبير.

٢) أنشطة الاناث (ونعني بالاناث الفتيات الشابات والبنات الصغيرات):

والفتاة من العناصر الاساسية في عملية التوعية ونقل الثقافة والحضارة، ولكنها اذا فسدت كان الشرمستطيرا. لذا، لابد من التركيز والعناية، فما لم تقم الفتاة بدورها في هذا المجال فان العملية التوجيهية ستبقى ناقصة ولن يكتب لها النجاح، ولابد أن يكون للفتاة برنامجها الخاص بها اضافة الى مشاركتها في برامج الدعوة والتثقيف العامة. وتتولى الفتيات اليافعات الاشراف والتوجيه للبنات الصغيرات، وهكذا عملية اخذ وعطاء.

قسم الدعوة بين غير المسلمين

وهذا القسم على أهميته من الأمور المهملة في العمل الاسلامي مما جعل كثيرا من شبابنا ودعاتنا لايفهمون لغة الخطاب مع غير المسلمين، نتيجة عدم فهم الطريقة والأسلوب الذي يفكر فيه هؤلاء القوم، لابد من التفكير الجاد بهذه المسألة الخطيرة، فنهيء الطاقات البشرية اللازمة للقيام بهذا العمل مع تزويدها بالاحتياجات المطلوبة مثل الكتاب المترجم والشريط والنشرة واعداد المحاضرات وإقامة الندوات والمناسبات، حتى ينطلق شبابنا من غير تهيب ولا وجل في هذا الطريق.

قسم الاعلام

بحيث يكون المركز الاسلامي مرجعا للمسلمين وغير المسلمين فيما يحتاجون اليه من معلومات عن الاسلام، وعن المؤسسات المحلية والعالمية، وعن موضوعات أخرى كثيرة في حياتهم اليومية سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين مقيمين ام زائرين. وأرى ان يعهد للشباب خاصة القيام بهذا الأمر مع الأشراف والمتابعة.

قسم الدراسات والبحوث

وعلى رأس هذه الدراسات أوضاع الجاليات المسلمة، وتقديم الدراسات العلمية عن ظروف هجرتها وأحوال مسيرتها وأوضاعها الراهنة، والصعوبات التي تعترض طريقها وكيفية معالجتها، ونظرة الى المستقبل والتركيز على وجودها في الغرب كجزء من المجتمع الذي نعيش فيه، وليست منقطعة ولا خارجة عنه وعلاقتها بأهل البلاد.. وهكذا مما يوسع رؤية الانسان المسلم ويجعله غير محدود بحدود المشكلات المستوردة، وانما تجعله يشعر أنه جزء من هذا المجتمع الذي له عليه واجبات يؤديها اليه. ومن المفروض ان يكون الشباب المسلم أقدر على القيام بهذه الدراسات لأن معظهم يدرسون في المعاهد العلمية، ومراكز البحوث والتخصصات العليا من جهة، ومن جهة ثانية المتوقع أن يعالجوا هذه القضايا بروح علمية لاإقليمية أو عنصرية.

قسم العلاقات العامة

للتنسيق بين جهود التجمعات الشبابية الاسلامية المنتشرة في كل قطروتحسين الأجواء بينها والعمل على ايجاد برامج مشتركة بين طاقاتها الاسلامية بحيث تهدف الى التطوير واستكمال البناء..وهكذا.

معوقات العمل

عملية تحصين الأجيال المسلمة التي تحدثنا عنها آنفا لها معوقات لابد ان تؤخذ بعين الاعتبار حتى نتمكن من جعل الأمور تسير في وضعها الصحيح فمن هذه المعوقات:

١) نوعية الدعاة أنفسهم والمسؤولين عن المراكز الإسلامية يجب ان تكون بالمستوى اللائق حتى لاتعطي العملية بجملتها نتائج سلبية يصبح من العسير تصحيحها في المستقبل.

٢) التبعات المادية المطلوبة مع عدم وجود مصادر دخل ثابتة ومحددة مما يجعل كثيرا من المشروعات تتوقف في منتصف الطريق عندما تنفذ الأموال المخصصة لها.

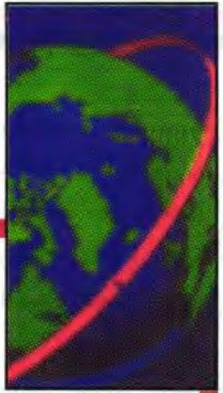
٣) تقديم الاسلام بالاسلوب الشرقي البعيد عن متطلبات البيئة الغربية، وخاصة أن أبناءنا في الغرب أصبحت طريقة معالجتهم للأمور متأثرة الى حد كبير بالاسلوب الغربي.

٤) عدم توفر المادة الاسلامية بالشكل الكافي، وخاصة المصادر الاعلامية والثقافية للكتاب الاسلامي والشريط الاسلامي والاذاعة والتلفزيون، والصحيفة الاسلامية، كل ذلك يجعل البيئة غريبة على المسلم فيعيش ازدواجية في حياته المدرسية أو العامة وحياته العائلية أو في اثناء وجوده في المركز أو المسجد

وأخيراً

لابد من النظر الى الأمور بمنظار مستقبلي بعيد جدا، مستفيدين من أخطاء الماضي ومعطيات الحاضر وتوقعات المستقبل فتحدد برامج العمل بناء على ذلك آخذين بعين الاعتبار الظروف البيئية المحيطة حتى لانقدم الاسلام بأسلوب لايتناسب مع الأرض التي ندعو فيها الى الاسلام.

والتركيز على موضوع الشباب الناشيء يجب ان يكون على رأس قائمة الأولويات بعد ان نكون رتبنا هذه الأولويات ■

نافذة على العالم

اعتداءات على المساجد بقبرص

استنكر نائب رئيس البرلمان القبرصي التركي «أولجون باسالار» اعتداءات اليونانيين في جنوب قبرص على المساجد التي أصبحت هدفا للاعتداءات اليونانية المخططة والمتعمدة، فبعد حرق مسجد بيرقدار في الجانب اليوناني من نيقوسيا اعتدي بالقنابل علي مسجد عربلار، ومن ناحيته أكد وزير خارجية قبرص التركي عطا أحمد رشيد: أنه يجب علي القبارصة اليونانيين احترام أماكن عبادة المسلمين وتراثهم التاريخي في جزيرة قبرص وهذا الأمر أساس الوصول إلى حل للمشكلة القبرصية، وقد اثار الاعتداء على المساجد السخط الشديد لدى المسلمين في قبرص.

وزير الأوقاف : استراتيجية جديدة لبيت الزكاة



● أحمد محمد صالح العدساني
● ضاحي العجيل

عقد مؤخراً مجلس إدارة بيت الزكاة الجديد اجتماعه الأول برئاسة د.علي فهد الزميع وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ورئيس مجلس إدارة بيت الزكاة الذي رحب بأعضاء مجلس الإدارة الجدد وشكرهم على قبول مشاركتهم بالمجلس كما سجل شكره للأعضاء السابقين على ما بذلوه من جهود طيبة للارتقاء والنهوض بمسيرة بيت الزكاة.

وأوضح وزير الأوقاف أهمية هذه المرحلة وماتحتاجه من تعاون وتكاتف الجميع لانطلاقة جديدة نحو المستقبل،واستعرض في حديثه ملامح مشروع الاستراتيجية الجديدة لبيت الزكاة وأكد على ضرورة انجاز بعض الدراسات التي تمثل أهم ملامح الاستراتيجية كمعالجة قضية الفقر في المجتمع الكويتي ،وانشاء الصندوق الوقفي لبيت الزكاة، ومشروع قانون الزكاة وتنظيم العمل الخيري داخل الكويت، وانشاء فروع لبيت الزكاة في مختلف مناطق الكويت.

كما أكد أن التنسيق والتعاون وتضافر الجهود بين بيت الزكاة والأمانة العامة للوقف ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في مجال الشؤون الإسلامية سوف يحقق الأهداف المشتركة لهذه الهيئات.

ثم تم اختيار السيد: أحمد محمد صالح العدساني (وزير الكهرباء والماء السابق) نائبا لرئيس مجلس الإدارة. وقد استمع الحضور إلى شرح مدير عام بيت الزكاة عبدالقادر ضاحي العجيل وإلى تقرير حول انجازات البيت خلال اثني عشر عاما منذ انشاء البيت في ١٩٨٢ وحتى نهاية عام ١٩٩٣ حيث اثنى الحضور على الإنجازات الطيبة التي حققها البيت طيلة هذه الفترة.

وأكد الأعضاء على ضرورة التركيز على معالجة المشكلات الاجتماعية في المجتمع المحلي قبل الانطلاقة للمجتمع الخارجي.

الايـــــدز يهدد بلـــــدان آسيـــــا

أعلنت منظمة الصحة العالمية أن عدد حالات الايدز في العالم ارتفع بمعدل ٦٠ في المائة خلال الأشهر الاثنى عشر الماضية مع ازدياد انتشار المرض في آسيا حيث توقعت ان يصل عدد المصابين بفيروس الايدز في عام ألفين إلى عشرة ملايين شخص.

وقالت المنظمة إن حوالي ٤ ملايين شخص في العالم باتوا الآن مصابين بالايدز في مقابل ٢,٥ مليـون في تموز (يوليو) ١٩٩٣ (أي بزيادة ٦٠ في المائة) مؤكدة أن هذه الأرقام لا تشكل سوى القسم المنظور من الوباء لأن هناك في المتوسط عشر سنوات بين الإصابة بالفيروس وبين ظهور المرض. وأضافت أن هذه الأرقام تدل في الواقع على مدى انتشار الفيروس قبل عشر سنوات تقريباً.

وتفوق هذه الأرقام بشكل ملحوظ الأرقام التي يقدمها كل بلد على حدة إلي منظمة الصحة العالمية. ومنذ العام ١٩٧٩ قدمت الدول المختلفة رسميا إحصاءات تشمل حوالي مليون حالة.

وتقدر المنظمة أن عدد مرضى الايدز في آسيا تضاعف ثماني مرات خلال الأشهر الاثنى عشر الماضية لينتقل من ٣٠ ألفا إلى ٢٥٠ ألفا. وقال خبراء المنظمة إن عشرة ملايين آسيوي سيحملون الفيروس في عام ألفين. وقال المسؤول عن برنامج مكافحة الايدز في المنظمة مايكل ميرسون: ان عدد الإصابات السنوية ستصبح أعلى لدى الآسيويين منه لدى الأفارقة.

● فيروس الايدز

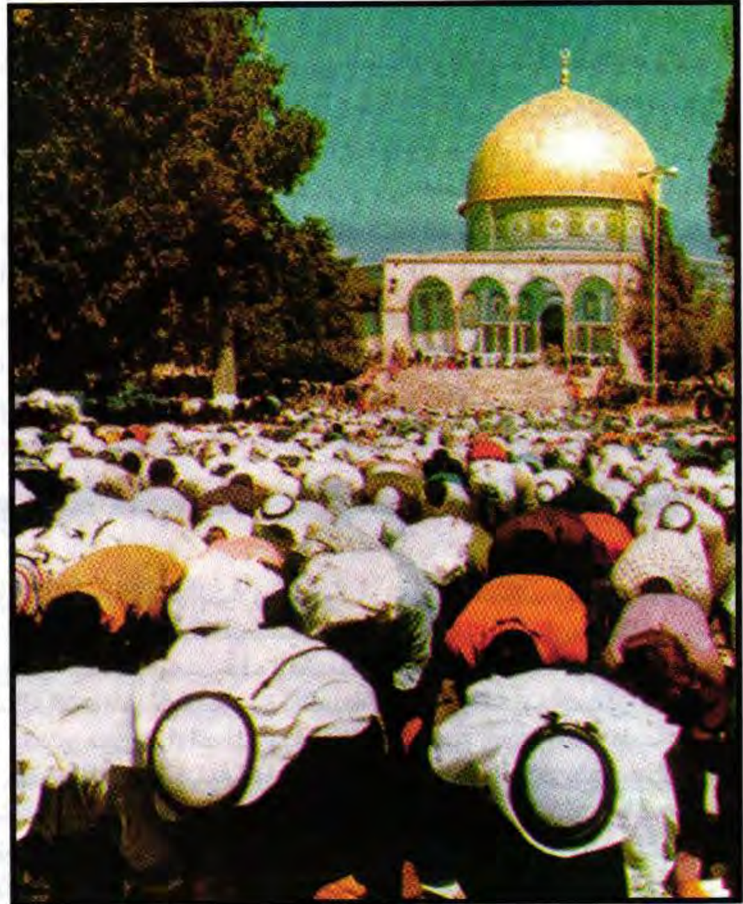
الايـــدز يهـــدد بكارثـة سكانية

ذكر تقرير لمركز الأبحاث الدولية في أمريكا أن معدلات النمو السكاني ستتراجع في عدد كبير من الدول التي تكثر فيها الإصابة بالايدز. من بين هذه الدول أمريكا، والبرازيل، وهايتي، وأوغندا، وزامبيا، وتايلاند.

ويؤكد التقرير أنه إذا استمر انتشار الايـدز بنفس المعدلات الحاليـة فإن كارثة ستحل بهذه الدول، ففي بلد مثل تايلاند مثلا من بين كل ألف طفل يوجد أكثر من مائة منهم مصابون بهذا المرض الفتاك.وذكرت جريدة «نيويورك تايمز» في تقرير نشرته أن مرض الايدز سيضاعف نسبة الوفاة بين الناس ما بين عامي ١٩٩٥ - ٢٠١٠ خاصة بين الأعمار الوسطى، مما يؤدي إلى قصر متوسط حياة الإنسان عن المعدل الحالي ٥٩ سنة في بلد مثل هايتي إلى ٣٢ سنة في عام ٢٠١٠م، لأنه إذا لم يتم اكتشاف علاج وتحصين ضد الايدز فإنه سيكون كارثة تهدد كثيرا من الشعوب والدول.

مصرف إســلامي في القــدس المحتلــة

* قالت مصادر صحفية إن مصرفا إسلاميا سيتم تأسيسه في مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني برأسمال قدره ٢٠ مليون دولار، وأوضحت تلك المصادر أن المصرف سيتولى كافة أنواع العمل المصرفي وفقا لمبادىء الشريعة الإسلامية. وعزت الصحيفة إنشاء المصرف لسد الفراغ الناشيء عن عدم وجود مؤسسات متخصصة في الإقراض الإسلامي في الضفة الغربية وقطاع غزة. وسيتاح المجال للفلسطينيين من خارج الأراضي المحتلة للمساهمة بنسبة ٥٠٪ من رأس المال، وستخصص نسبة أخرى لمساهمي الأراضي المحتلة بحد أدنى ٢٠٠ ألف دولار لكل مساهم.



الرئيس الباكستاني يدعو لمنع إعلانات السجائر

دعا الرئيس الباكستاني فاروق ليجاري الحكومة إلى بحث منع إعلانات السجائر في التليفزيون الباكستاني.وقال في كلمته أمام ندوة اقيمت بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة تعاطي المخدرات: ان السجائر ثبت انها مصدر لأمراض السرطان والقلب ومع ذلك فإن التليفزيون الباكستاني للأسف مليء بإعلانات السجائر.

شر البلية!!

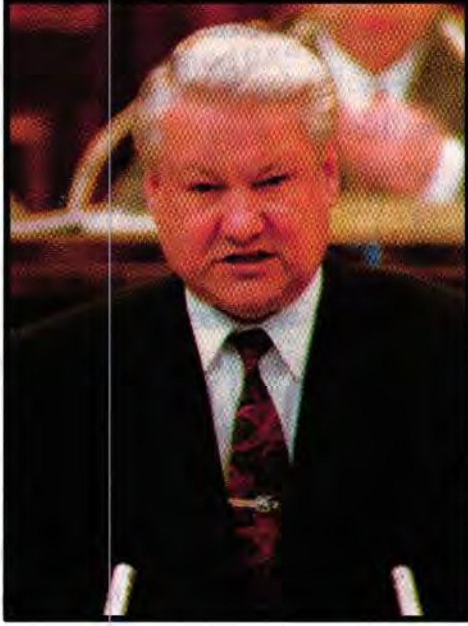
سار مئات آلاف من اللواطيين والسحاقيات يوم ٦/٢٧ في شوارع مانهاتن بنيويورك للاحتفال بالذكرى الـ ٢٥ «لثورة مثليي الجنس» في أكبر تظاهرة تشهدها مدينة ناطحات السحاب منذ عشر سنوات. وقد سار المتظاهرون وهم يُشَتبكُون الأيدي منطلقين من مبنى الأمم المتحدة إلى سنترال بارك يرافقهم رئيس بلدية نيويورك الجمهوري رودولف جيولياني تحت مراقبة أكثر من ستة آلاف شرطي. واحتجوا على انتهاكات حقوق مثليي الجنس في العالم. وهذه أهم تظاهرة تشهدها مدينة ناطحات السحاب منذ عشر سنين اذ فاق عدد المشاركين فيها الجمهور الذي شارك في احتفالات الذكرى المئوية لتمثال الحرية في عام ١٩٨٦ بحسب السلطات.

دار للقرآن في ماليزيا

* قررت الحكومة الماليزية بناء دار كبرى للقرآن الكريم في وسط العاصمة كوالالمبور. صرح بذلك الوزير الماليزي الداتو محمد يوسف نور وقال: إن الدار التي رصد لها مبلغ ١٣ مليون «رنجيت» ماليزي ستتسع لمئات من الدارسين الراغبين في تعلم أصول الحفظ والتجويد والتلاوة والتفسير بشكل سليم. أضاف: أنه سيتم إلحاق قاعة للاجتماعات الكبرى وأخرى للمحاضرات. كما سيتم بناء مبنى ملاصق كسكن للطلاب القادمين للدراسة من مناطق بعيدة.

موسكو تستقطب تجار المخدرات

تعكف دوائر الأمن في موسكو على دراسة خبرة تتارستان في مكافحة الجريمة بعد صدور مرسوم الرئيس بوريس يلتسين بشأن وضع حد لتنامي الجريمة. ومعروف أن تتارستان اتخذت تدابير مشددة للغاية أدت إلى انحسار موجة الجريمة في قازان التي كادت تحتل المرتبة الأولى في روسيا الاتحادية في عدد الجرائم المرتكبة يوميا وانتشار تجارة المخدرات فيها. معروف أن موسكو تعتبر الآن الميدان الرئيسي لنشاط تجار المخدرات، حيث صادرت دوائر الأمن فقط حوالي ثلاثة أطنان من المخدرات منذ بداية العام. وتباع في السوق السوداء بصورة أساسية مشتقات الأفيون. وتسيطر عليها العصابات الاذربيجانية المتمركزة في العاصمة الروسية. وتزداد أسعار المخدرات بوتائر متسارعة. فيبلغ سعر القدم من عشب الخشخاش حتى ٢٥ ألف روبل، وجوزة الماريجوانا حتى ١٠ آلاف روبل، وأمبولة التريميتيلفينتيل حتى ٢٥ ألف روبل ومكعب البوبرينورفين حتى ٥ آلاف روبل.



● يلتسن

ائتلاف للإشراف على تحديد النسل

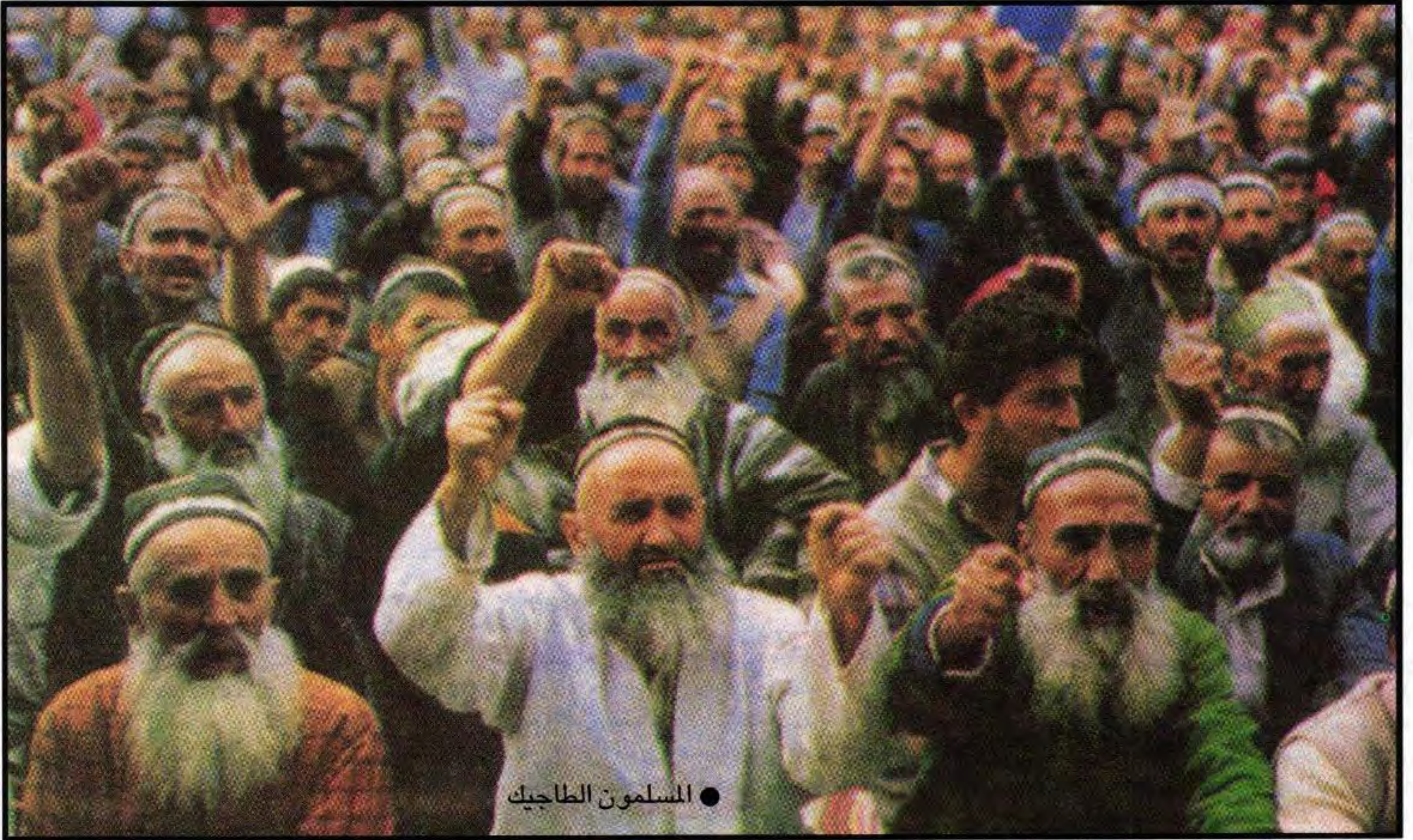
* تم حديثا تشكيل ما سمي «الائتلاف غير الحكومي للهيئات والاتحادات الدولية» والذي يضم من أمريكا مؤسسة «جيمي كارتر» ومؤسسة «تيرتيرنر C.N.N» ومن فرنسا جمعية «جان كوستو» للإشراف على حملات تحديد النسل في الدول الإسلامية.

تم رصد ٢٢٧ مليون دولار تبرعت بها مؤسسة «كارتر» وجامعة «جورجيا» ومؤسسة «تيرتيرنر» لهذا الغرض. يحدث هذا في الوقت الذي حذر فيه بابا الفاتيكان من سياسة تحديد النسل وأكد معارضته للأمم المتحدة بشأن المؤتمر العالمي للسكان ورفضه استباحة الإجهاض. كما وجه الأساقفة الايطاليون في أوائل يونيو الماضي نداء إلى العائلات الإيطالية يناشدونها انجاب طفل ثالث، كما اطلقت وزارة شؤون الأسرة في إيطاليا تحذيرا للنساء بالابتعاد عن برامج تنظيم الأسرة وكذلك تفعل فرنسا ومعظم الدول الأوروبية.

مؤتمر كنسي يطالب بالسماح بتعدد الزوجات

بحث كبار الكرادلة في الكنيسة الكاثوليكية بالفاتيكان حديثا مطالب بعض الكنائس الأفريقية، السماح بتعدد الزوجات في الديانة المسيحية. وطالب عدد من القساوسة بذلك خوفا من دخول بعض المسيحيين في الإسلام بسبب هذه القضية.

ووصف القساوسة مسألة التعدد بأنها ضرورة بالنسبة لكثير من المجتمعات على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، وتعتبر من العادات المتأصلة لدى كثير من القبائل الأفريقية. وقد بحث الاجتماع العديد من القضايا أهمها كيفية مواجهة الإسلام في القارة الأفريقية حيث تبين أنه بالرغم من الجهود التنصيرية المكثفة، فإن معظم المتأثرين بالتنصير لا يقتنعون بالمسيحية كدين عقائدي بقدر ما يطمعون في بعض المكاسب والمصالح، وبالتالي فإن فاعليتهم المسيحية لا تكاد تذكر عكس الإسلام الذي ينتشر ويتواءم مع ظروف كل المجتمعات في أفريقيا وغيرها.



● المسلمون الطاجيك

لجنة الدعوة : ١٢٠ ألف دولار إغاثة عاجلة للمهجرين الطاجيك

ذكر مدير مكتب كشمير وطاجيكستان ومدير مشروع طالب العلم بلجنة الدعوة الإسلامية: أحمد الدبوس أنه التقى مؤخرا بمدينة بيشاور بباكستان بمسؤول المهاجرين الطاجيك الشيخ : محمد شريف الذي أشاد بما قدمته اللجنة من مساعدات إنسانية وما نفذته من مشاريع خيرية لصالح المهاجرين الطاجيك، حيث كان لها الفضل من بعد الله عز وجل في إنقاذ الكثير من الأرواح وزرع الأمل من جديد في نفوس الشعب الطاجيكي المسلم، وعبّر أثناء اللقاء عن مدى امتنان الشعب الطاجيكي للمشاريع الخيرية التي نفذتها لجنة الدعوة الإسلامية والتي تعكس مدى حرص شعب الكويت المسلم على مساعدة اخوانه المسلمين أينما كانوا.

هذا وقد قامت اللجنة بمشروع تمهيد الطريق المؤدي من مخيم باغ شركات إلى ولاية قندز لتسهيل عملية نقل مواد البناء ومواد لاغاثة، وأنشأت اللجنة كذلك مشروع المخبز الخيري الذي يموله بيت الزكاة الكويتي تلك الهيئة الرائدة في دعم المشاريع الخيرية، هذا ويوفر المخبز الخيري «٢٠٠٠» رغيف في اليوم أما على المستوى التعليمي والتربوي فقد قام مشروع طالب العلم باللجنة بكفالة «١١٠» طلاب يدرسون في جامعات مختلف بالإضافة إلى «٧٠» طالبا يدرسون في المرحلة الابتدائية. وأضاف الشيخ الدبوس بأن اللجنة قامت بتقديم «١٢٠ ألف» دولار لشراء ألف طن من القمح كاغاثة مستعجلة لسد حاجة المهاجرين الطاجيك لمدة «٣» أشهر قادمة.

٨٠٠ مليار دولار حجم الاستثمارات العربية

أكد د. كمال الجنزوري نائب رئيس الوزراء ووزير التخطيط المصري أن حجم الاستثمارات العربية في العالم بلغ ٨٠٠ مليار دولار. منها ١٥٪ فقط على الأرض العربية. وقال الجنزوري أمام مجلس الشعب المصري إن معدل النمو الذي تحقق بمصر عام ٩٣/٩٤ يبلغ ٢,٩٪ والمستهدف في العام القادم ٤,٥٪ وأعلن أن إصلاح البنية الأساسية وقواعد الإنتاج كلف مصر ١٢٢ مليار جنيه خلال ١١ عاما مما أدى إلى تأخر الإصلاح الاقتصادي المنتج.

كما اعترف بوجود عجز في الميزان التجاري يبلغ ٧ مليارات دولار، مشيرا إلى أن المستهدف خفض هذا العجز بمعدل مليار دولار سنويا.

السعيد : أوضاع مسلمي سريلانكا سيئة جدا

صرح رئيس لجنة القارة الهندية بجمعية إحياء التراث الإسلامي مشعل السعيد أن التقارير الواردة إلى اللجنة تفيد أن أوضاع المسلمين داخل سريلانكا سيئة جدا بالنسبة للمهاجرين الذين هاجروا من مناطقهم في شمال البلاد هربا من التقتيل الجماعي الذي كان يقوم به التاميل على القرى المسلمة، حيث وصل عدد المهاجرين إلى (٤٠) ألف مهاجر. وحول ما يتعرض له المسلمون في القارة الهندية من أخطار بشكل عام قال السعيد إن أهم الأخطار التي يتعرض لها المسلمون في دول القارة الهندية تتمثل في الفقر الشديد خصوصا بالنسبة للمسلمين في هذه الدول، أما الخطر الثاني وهو الأخطار العقائدية حيث يوجد عدد كبير من الفرق في هذه البلاد، ويمكن أن يصل عددها إلى المئات

اللفتات النابهة



السعي في حاجة الناس وتحس معاناتهم

للشيخ: جاسم المهلل ياسين

إن التحسس لمعاناة الناس، والسعي معهم من الطاعات التي قصرت عنها أيامنا هذه، التي ماأصبح المرء يلتفت إلى أخيه وجاره، إلا وهو يرتجي المقابل، حيث أصبحت (الأنا) غالبة على طبائع البشر، إلا من رحم الله. ويأتي هذا الخلق السيء، في وقت ضعف النظر فيما عند الله من الأجر والمثوبة لمن سعى في حاجة اخيه: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة» (١). ومن رحمة الله بالإنسان أنه لايكلفه مالا يطيق: ﴿ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ [البقرة:٢٨٦] والقاعدة تقول: (لا تكليف إلا بمقدور) فالداعية عليه ان يسعى في حدود الضوابط الشرعية، والقدرة البشرية، وأن يحسن ويتقي في سعيه مااستطاع، فالنحت في المستحيل ضرب من العبث، قال شرف الدين الرومي:

ومن يقصد الأمر الذي ليس ممكنا
ويطمع ان يمسي به وهو ظافر
كناحت صخر يبتغي فيه حاجة
أنامله تدمي وتحفي الأظافر (٢)

وفي ديوان أبي الحسن التهامي:

وإذا رجوت المتسحيل، فإنما
تبني الرجاء على شفير هار (٣)

ضرب باب السلطان لتخفيف المعاناة عن الناس

كان من المستقر في أدبيات الدعاة والعلماء، ترك السعي لحاجة الناس إن كانت الحاجة عند ذي سلطان، لان في ذلك خرقا لهيبة العالم، وامتهانا للدين، وأخذ هذا الأمر على إطلاقه، فضاعت مصالح كبيرة، ووجدت الجفوة بين السلطان والعلماء والدعاة، استغل ذلك أصحاب النفوس الضعيفة، وتجار الدعوة أصحاب الوجوه الكثيرة، وغاب عن ساحة النصح أصحاب الصدق والإخلاص، ولله در شيخ الاسلام ابن تيمية، وعمق فهمه، ودقة معرفته لفقه الموازنات، وهذا بين في سيرته رضي الله عنه، حتى إنه دخل على قطلوبك المصري الكبير من مماليك المنصور (٤)، مع تاجر له، يشفع له في قضاء حقه.

فقال له قطلوبك: إذا رأيت الأمير بباب الفقير، فنعم الأمير ونعم الفقير، وإذا رأيت الفقير بباب الأمير فبئس الأمير وبئس الفقير. فقال له ابن تيمية: كان فرعون أنجس منك، وموسى خيرا مني، وكان يأتي إلى بابه كل يوم يأمره بالإيمان وأنا آمرك أن تدفع لهذا حقه، فلم يسعه إلا امتثال أمره، ووفى الرجل حقه (٥). ومن قصة البكري فقه عجيب، نسوقها بكاملها، لنأخذ العبر ونستفيد من الدروس.

وهكذا صفحات الحياة، ينظر منها حتى لا يتكرر الخطأ وليستفاد من التجربة، ينظر إلى التاريخ للاعتبار، وحقا ما أكثر العبر وأقل من يعتبر ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ [ق:٣٧]. وللأسف الشديد، نحن ننظر في سير السالفين لنأخذ منهم ما يوافق مانقول، لالننظر في تاريخهم، فنعرف ما نقول، فقد اتخذناهم متكأ ولم نأخذهم مدرسة ومعلما ومنارة، وإليكم السيرة بكاملها.

عالم وسلطان

على بن يعقوب بن جبريل البكري نور الدين أبو الحسن المصري الشافعي الفقيه ولد سنة ٦٧٣هـ واشتغل بالفقه والأصول، وقرأ بنفسه مسند الشافعي على ستة وزراء لما قدم القاهرة، وجرت له محنة بسبب القبط، فتعصبوا عليه، وأغروا به السلطان، وكان هو قد بسط لسانه في الإنكار، فأمر بقطع لسانه، فبلغ ذلك الشيخ صدر الدين بن الوكيل وكان بالقاهرة، فطلع إلى القلعة، وشفع فيه، فقبل السلطان شفاعته بعد جهد، وشرط أن يخرج من مصر، فخرج إلى دهروط.

وكان سبب ذلك أنه كان في النصف من المحرم سنة ٧١٤هـ بلغه ان النصارى قد استعاروا من قناديل جامع عمرو بن العاص بمصر، شيئا وعلقوه في مجمع كان بالكنيسة المغلقة، فأخذ معه طائفة كبيرة من الناس، وهجم على الكنيسة والنصارى في المجتمع، ونكل بهم، فبلغ منه مبلغا عظيما، وعاد إلى الجامع، وأهان قومته، وأكثر من الوقيعة في خطيبه، فبلغ ذلك الفخر ناظر الجيش، فاتفق دخول البكري إلى أرغون النائب، فشنع القول على كريم الدين الصغير ناظر النظار، وعلى كريم الدين ناظر الخاص، وأن ذلك جرى بأمره، فبلغ السلطان، فأمر بإحضار القضاة، وفيهم ابن الوكيل، وأحضر البكري فتكلم ووعظ، وذكر آيات من القرآن وأحاديث، واتفق أنه أغلظ في عبارته، وواجه السلطان بقول «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر».

فقال له السلطان وقد اشتد غضبه: (أنا جائر)؟ قال: (نعم، أنت سلطت الأقباط على المسلمين وقويت دينهم). فلم يتمالك السلطان نفسه أن أخذ السيف، وهم بالقيام ليضربه، فبادره أميرطغاي وأمسكه بيده، فالتفت إلى ابن مخلوف وقال: (يا قاضي يتجرأ عليّ هذا! ما الذي يجب عليه)؟ قال: (لم يقل شيئا يوجب عقوبة)، فصاح السلطان بالبكري: (اخرج عني)، فقام وخرج، فقال ابن الوكيل: (ما كان ينبغي أن يغلظ ويتكلم برفق)، فأعجب السلطان، فقال ابن جماعة: (قد تجرأ ومابقى إلا من مراحم السلطان)، فانزعج أيضا وقال: (اقطعوا لسانه). فبادر طغاي الدويدار ليفعل، فحضر البكري وارتعد وصاح واستغاث بالأمراء، فرقوا له وألحوا على السلطان في السؤال في أمره، حتى رقّ وأمر بنفيه.

دروس وفوائد

ودخل ابن الوكيل وهو يبكي وينتحب، فظن السلطان أنه أصابه شيء، فقال له: (خير.. خير)، قال البكري: (عالم صالح لكنه ناشف الدماغ)، قال: (صدقت) وسكن غضبه وأمر بإخراجه.

وكان نور الدين المذكور جوادا، مقلا فقيها، فاضلا، مناظرا، وهو ممن كان يشدد على ابن تيمية لما امتحن بالقاهرة، وذكر الكمال جعفر الأدفوي، ان ابن الرفعة أوصاه أن يكمل شرح الوسيط. ولنور الدين كتاب تفسير الفاتحة، وكتاب في البيان، وغير ذلك، قال الذهبي: كان دينا

متعففا مطرحا للتجمل، نهاء عن المنكر، وكان وثب مرة على ابن تيمية ونال منه، وأكثر القلاقل، ومات في شهر ربيع الآخر ٧٢٤هـ (٦).

هـذه سيرة رجل من القـرن الثـامن لنـا منهـا استفادة:

أولا: سعي العلماء عنـد السلطــان لفكهم من المصـاب الذي وقع بهم، كما سعى الشيخ صـدر الدين بن الوكيل لتخليص البكري.

ثانيا: إن السلطان يرق ويستفيد من النصيحة المصـاغـة بـالعبارة الجميلـة، والمؤديـة للغـرض المنشـود، كما أنه يستشيط، وقـد يرتكب حماقـة (السلطان) عن استخدام العبارة الغليظة ﴿ فقولا له قـولا لينا لعله يتـذكر أو يخشى ﴾ [طه:٤٤]. فالهدف من النصيحة هو التذكير، وليس التشهير والانتقام. لـذلك كـان على الذي يتحـرك في عملية الدعوة، ان يحدد الرسالة التي يريدها ويعمل على تحقيقها، وهـذا أمر في علم (الاستراتيجيات) له أهميتـه، بل أصبح تحديد رسـالـة أي مؤسسـة، يحتاج إلى فترة طويلـة ذات مراحل علمية محددة، لتصل الهيئـة أو الحركـة إلى تحديـد رسـالتهـا بصيغة بعيدة عن الهلامية، التي لا يمكن لأحد أن يقول: هـذا خطأ، وذاك صواب، وفـق ميزان عملي محدد، بل أصبح الصـواب و الخطـأ مـرهـونين بقائله ومـراكز القوة التي يملكها، وعنـدما تتضح الـرسـالـة عنـد صـاحبها، يسهـل عليه أن يقـوم بأدائها، فعنـدما ارتعد البكري وصـاح واستغاث لتخليصه من حكم السلطـان، مااستطـاع أحد أن يفعل لـه شيئا، إلى أن كان التصرف الحكيـم الذي عملـه ابن الـوكيل، فجعله اللـه سببـا في تخليص البكري من محنته.

ثالثـا: على من يجالس السلطان أن يقـول كلمة الحق، وإن كانت على غير هوى السلطـان، فعندما قـام السلطان لقتل البكـري أراد حكما قضائيـا، فالتفت إلى ابن مخلوف يـريد حكما، فكان الجواب على حكم الشرع لاحكم على هوى السلطان، فقال: لم يقل شيئا يوجب عقوبة !! فكان العلماء رحمهم الله، أداة حفظ للسلطان من أن يقع في الخطيئة، أو أن يرتكـب حماقـة تـؤدي إلى فساد ملكـه وشعبه.

رابعا: إنصاف العلماء بعضهم بعضـا،فهذا الإمام الذهبي ينصف البكرى في الثناء عليه، مع انه ممن تهجم على شيخ الإسلام ابن تيمية.

خدمة الناس

النصيحة للآخـرين لاتعني تقريعهم، بل تعني الأخـذ بـأيـديهم ومساعـدتهم، لكي يبتعـدوا عن مواطن الخطـأ، والسعي معهم في ذلك، فهذا محمد بن محمد البكري أبو عبد الله بن الحاج الغرناطي، قال عنه ابن الخطيب كـان صـالحا شديدا على أهل الدنيـا، لا تأخذه في اللـه لومـة لائم، كثير النصح للناس، ساعيا في مصـالحهم؛ مات سـنـة ٧١٥هـ (٧).

فنصيحة الناس وقوة اللسان والجرأة فيه، هبة من الله سبحانـه تستخـدم لخير الآخرين، فإن لم تستخـدم لـذلك فـلا أقل من أن تحجب عن الشر، وهـذه هي وصيـة العلماء بعضهم لبعض، فهـذا محمد بن محمد ابن عيسـى بن معتوق الشيبابي القـوصي الشـاعر، يقـول عن نفسـه لما دخلت إلى منطقـة قوص، قـال لي ابن دقيق العيـد: أنت رجل فاضل، والسعيد من تموت سيئـاته معه، فلاتهج أحدا. قال فلم أهج أحـدا. فمات رحمه الله بقوص سنة ٧٠٧هـ (٨).

كلمـة من ذهـب (السعيد من تموت سيئاته معه) لو استطاع الناس اليوم أن يجعلوها عنوانا لحياتهم، في وقت تفـرخ وسـائل الإعـلام، وتزداد نسبة مبيعاتها في كل سيئـة يقومون على نشرها، بل يحثون عن عورات الناس، في بيوتهم وأسرهم، ليجعلوها عناوين لصفحـاتهم. رحم الله علماءنا، تركنا توجيهاتهم وأخذنا بنزعات نفوسنا.

والعـالم إن استطـاع أن ينفق من مـالـه، وإلا استخـدم وجاهتـه في ذلك، للتخفيف من معانـاة الناس، وانفـاق الوجاهـة كإنفاق المال، يزيـد عند صـاحبه إن استعمل في طـاعة اللـه تعالى، وهـذا محمد بن عمـر بن مكي بن عبد الصمـد بن عطية بن أحمد الأمـوي، صدر الـدين ابن الوكيل، كـان أعجـوبة في الـذكـاء، حفظ المفصل في مائة يـوم، وحفظ ديـوان المتنبي في جمعـة، والمقامـات في كل يوم مقامـة، وكان لا يمر بشاهـد للعرب إلا حفظ القصيدة كلها، وكان نظارا مستحضرا، أفتى وهو ابن عشرين سنة، وكان لا يقوم بمناظرة ابن تيمية أحد سواه، ومن شدة علمه وذكائه حسده أقرانه، ومن يعرف سيرتـه يركم تعـرض للمهالك بسبب الوشاة، قـال عنه العسجدي: كنت معـه ليلة عيد، فوقـف له فقير فقال: شيء للـه، فالتفـت إلى وقال مـامعك؟ قلت مـائتـا درهم. قـال ادفعهـا إليـه، فدفعتهـا اليه، ثـم قلت له: يـاسيدي غـدا العيد، وليس عنـدي شيء. فقال: امض إلى القاضي كـريم الـدين فقل لــه الشيخ يهنئك بهذا العيـد. ففعلت فقـال: كأن الشيخ يعـوز نفقة، ادفعـوا لـه ألفي درهم فـرجعت بها إليه. فقـال لي: الحسنة بعشرة أمثالها (٩). فكما المال لم ينقص من العسجدي، فكذلك الجاه لم ينقص من ابن الـوكيل، بل يزداد الحسنة بعشرة أمثالها.

وخدمة الناس من العلماء والـدعاة، لاتؤثر على ضبطهم ودقتهم في فتـاويهم؛ فهـذا محمـد بن الحسن بن محمـد الحارثي جمال الدين أبـو عبد الله الفقيه الشافعـي، ولد في جمادى الآخرة سنة ٦٨٨هـ كان ابن الفركـاح شيخه يثني على فهمه وعلى فتاويـه المحررة، ويقال: انـه لم يضبط عليه فتوى أخطأ فيها. وكان كثير المروءة مقبول القول عنـد الأكابـر، كثير التـواضـع، معـروفا بقضـاء حوائج الناس (١٠) ووصفه أنه معروف بقضاء حوائج الناس يدل على كثرة فعله وتحركه في ذلك، ومع ذلك لم يضبط أنه أخطأ في فتوى حررها.

وهـذا محمد بن يـوسف بن عبد اللـه الجزري شمس الـدين الخطيب، مـات في ذي القعدة سنـة ٧١١هـ كـان عالما بالفنون، من الفقـه والأصول والنحـو والمنطق والأدب والـريـاضيـات، وشرح منهاج البيضاوي، ومع ذلك كـان كريم الأخلاق، يسعى في قضاء حوائج النـاس، ويبذل جاهه لمن يقصـده (١١) فعلمه – رحمه الله – الذي حازه وجاهـه الـذي تحصل عليه بشرف العلـوم، لم يختـزنه لنفسـه، بل بـذله لخلق اللـه والسعي في حـوائجهم. والأئمـة الكبـار يعلمون هـذا الامـر، ويسعـون لخدمـة الخلق بدون ضجيج، نعم في كل خير.

ولكن أين الإمـام من المؤذن، وهذا التفريـق هو الـذي نـوه اليـه محمـد بن أحمد المعـروف بالمنفلوطي، لما سئل أيهما افضل الإمام أم المؤذن؟ فقال: ليس المنادي كالمناجي، ومات سنة ٧٧٤هـ (١٢) والعالم مع سعيه وعمله يستشعر بالتقصير دائما.

فهـذا أحمد بن محمـد عـلاء الـدين السيرامي الحنفي، قـال عنه عزالـدين بن جماعة: إنـه تلقف منـه أشياء لم يجدهـا مع نفاستهـا في الكتب، ولم يـزل على حالتـه مـوصوفـا بـالـديانـة، والخير، والتـواضـع وكثـرة الأسف على نفسـه، والاعتراف بتقصيره في حق ربه، مـات في ثالث جمادي الأولى سنة ٧٩٠ هـ رحمه الله (١٣).

الإنصاف حتى مع المخالفة

وهـذا اقل ما نجـده اليـوم عند عـامة النـاس، وحرى بأهـل العلم والفضل أن يدربـوا أنفسـهم على الإنصـاف، لأثره في إشاعـة المحبـة، وإزالـة الفرقة ﴿ ولا يجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ [المائدة:٨]، وما أجمل سلفنـا في امتثـالهم لهذا الخلق، فهـذا علي بن إسماعيل بن يوسف القـونوي عـلاء الـدين الفقيه الشافعي كان يقول عن نفسه:

عـرفـت الشر لا للشر
لكـن لتـوقيـه
ومـن لا يعـرف الشر
من الخير يقـع فيـه

وقـد رد على أهل الاتحاد من الصـوفيـة في تصـانيفـه، ولكن ظل هنـاك ميل عنـده إلى محي الـدين بن عـربي، ومع ذلك قال الإمـام الـذهبي: حدثني ابن كثير: أنه حضر مع المزي عند القونوي فجري ذكر الفصوص لابن عربي، فقال القونوي: لا ريب أن الكلام الذي فيه كفر وضلال. فقال له بعض أصحابه: أفلا يتأولـه مولانا. فقال: لا، إنما يتاول كلام المعصوم.

وكان يعظم شيخ الإسلام تقـي الدين بن تيمية ويذب عنه، مـع مخالفته له وتخطيئه لـه، وعندما تكلم ابن حجلة على ابن تيمية رد الشيخ القونوي، وقـال: هذا مـا يفهم من كلام الشيخ تقي الـدين. ولهذا قـال عنـه الإمام الإسنـوي: كـان صـالحا ضابطا متثبتا كثير الإنصاف، مثابرا على تحصيل الفائدة، طـاهر اللسان، مهيبا وقـورا، مات رحمه الله سنة ٧٢٩هـ (١٤).

الهوامش:

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم:٦٥٨٢.
(٢) الدرر الكامنة، ت:١٩٥١-٢/٢٩٥.
(٣) تسهيل النظر وتعجيل الظفر، ص٧٨.
(٤) انظر ترجمته في الدرر الكامنة، ت:٣،٣٢٦٤/٣٣٧، كان ظالما متعديا لا يدفع لأحد ثمن مايشتريه منه إلا بعسر وحيل.

(٥) الدرر الكامنة، ت:٣/٣٣٦ و٣٣٧.
(٦) الدرر الكامنة، ت:٢٩٤١، ٣/٢١٤ و٢١٥.
(٧) الدرر الكامنة، ت: ٤،٤٤٨٣/٣٥٤.
(٨) الدرر الكامنة، ت:٤،٤٤٣٢/٣٢٩.
(٩) الدرر الكامنة، ت:٤،٤١٨٢/٢٣٤-٢٣٨.
(١٠) الدرر الكامنة، ت:٤،٦٣٤٧/٤٤.
(١١) الدرر الكامنة، ت:٥،٤٦٩١/٦٧.
(١٢) الدرر الكامنة، ت: ٣،٣٣٤١/٢٩٥.
(١٣) الدرر الكامنة، ت:١،٧٨٣/٣٢٩.



فتاوى

منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقى الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

شركة مضاربة

● والدتي تستثمر مبلغ ١٥,٠٠٠ خمسة عشر ألف جنيه مصري مع أحد أصحاب مصانع تصنيع مصارين الأغنام منذ سنتين، وتتقاضى عنها أرباحا، ولكنها لا تعلم هي نسبتها، وصاحب المصنع هو الذي يحدد الربح والخسارة حسب درايته بالسوق وليس لديه حسابات دقيقة، وطلبنا منه معرفة هذه النسبة، فقال: ده حاجة بتحسب على البركة حسب - بمعنى أنه لو قدر أن اشترى بضاعة وعرضت عليها أن يبيعها بسعر مرتفع لأحد التجار باعها أو بعد تصنيعها، وهنا هو يحدد الربح بعد خصم كل المصاريف والأجور بمصنعه.. احتاج صاحب المصنع مبلغ عشرة آلاف جنيه أخرى قبل عيد الأضحى من أجل أن يشتري المصارين من الجزارين خلال فترة الموسم. عرضت عليّ الوالدة أن أعطيه المبلغ المطلوب لكي يستثمره خلال فترة هذا الموسم قبلت ذلك ودفعت للرجل المبلغ بنفسي عشرة آلاف جنيه وأضيف على حساب والدتي ليصبح حسابا واحدا أي ٢٥,٠٠٠ خمسة وعشرون ألف جنيه - حدد الرجل موعد تسليم المبلغ كله أي ٢٥,٠٠٠ خمسة وعشرون ألف جنيه بعد العيد بشهر بالإضافة إلى عشرة آلاف جنيه أرباح عن المبلغ كله إن شاء الله، قالت الوالدة سوف تعطيني مبلغ ألفان جنيه ٢,٠٠٠ جم من أصل الربح وهي تأخذ الثمانية آلاف نظير أرباح مبلغها - لم أحدد أنا أي مبلغ ولا أي نسبة للربح، ولم أعترض على هذه النسبة ما حكم الشرع في تلك النسبة - والطريقة في هذا الاستثمار؟

ملحوظة: طلب مني أحد العلماء الأفاضل أن أعرف من صاحب المصنع كيف يحدد نسبة الربح وحاولت الاتصال تليفونيا بالرجل وكانت الإجابة كما ذكرت في أول الاستفتاء «يصعب عليه تحديد هذه النسبة».



■ وأجابت اللجنة بما يلي:

ترى اللجنة أن الطريقة التي تم بها الاستثمار هي من قبيل شركة المضاربة، ولكن تخلف فيها شرط من شروطها وهو أن تكون نسبة ربح كل من الشريكين معلومة عند الدخول فيها. وبما أنه لم تحدد النسبة في عقد المضاربة (الاتفاق بين المستثمرة وبين صاحب المصنع) فإن هذه المضاربة فاسدة شرعا ويحرم الاستمرار فيها.. وأما حكم ما مضى فإن هذا الاتفاق يعتبر من قبيل عقد الأجارة بأجر المثل وعليه تستحق المستثمرة جميع الربح الناتج عن استثمار أموالها، ويستحق صاحب المصنع أجرا يوازي عمله. ويرجع في تقدير هذا الأجر إلى أهل الخبرة في هذا المجال، وإذا تراضى الطرفان على قدر ذلك الأجر جاز وإذا أرادت المستثمرة الاستمرار فعليها أن تتفق مع صاحب المصنع على نسبة معلومة من الربح لكل منهما كالثلث أو الربع أو نحو ذلك لا على مبلغ مقطوع ولا على نسبة من أصل رأس المال..

الحلف بلفظ مختلف عن النية

● منذ شهرين طلبت مني زوجتي ألا ألعب الدومنة فحلفت أنه إذا لعبت الدومنة مرة ثانية فتكونين طالقا، وقد لعبت بعد ذلك، وقصدت من الحلف أن أمنع نفسي من اللعب ولم أقصد أني إذا لعبت تكون امرأتي طالقا ولم أحلف قبل ذلك أي يمين بالطلاق.

■ إن هذا الطلاق معلق وقد حنث فيه الحالف فعليه كفارة يمين إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم وتبقى معه زوجته على ثلاث طلقات.

الحلف على غير طاعة مشروعة

● أنها نذرت أن تصوم خمسة عشر يوما، وتقيم فرحا أن مات أبنها وهي على قيد الحياة وذلك لشدة عقوقه. وأن ابنها مات فعلا. وهي على قيد الحياة فماذا يلزمها؟

■ فأفتتها اللجنة بأن الصوم يلزمها، وإما إقامة الفرح بمناسبة موته فهو ليس بطاعة فلا يلزمها الوفاء به.

شركة استثمار

● شخص أعطى لشخص مبلغا من المال لاستثماره قدره عشرة آلاف دينار كويتي واتفقا على أن يأخذ صاحب المال ٣٥٪ من صافي الأرباح والرجل الذي أخذ المبلغ ٦٥٪ ثم اشترط الأول على الثاني أن يأخذ عليه شيكا بمبلغ عشرة آلاف دينار ضمانا للمبلغ. ونص على هذا الشيك في العقد، ثم اشترط الطرف الأول أيضا أن يأخذ كل شهر ٢٠٠ دينار - على سبيل السلفة التي تستقطع من حساب الأرباح في نهاية كل عام ولقد بلغ مجموع هذه السلفة ٥٤٠٠ دينار كويتي وحين يطالب الطرف الثاني الطرف الأول بالحساب آخر العام يتهرب ويصر على تناول مبلغ الـ ٢٠٠ دينار كل شهر.

والآن هو يطلب رد المبلغ الأصلي كاملا وقدره عشرة آلاف دينار دون التسوية حسب العقد بينهما. ولما كان هذا المبلغ للاستثمار معمول حسابه لمدة عام قابل للتجديد مما يترتب عليه ارتباك الطرف الثاني إذا أعطاه المبلغ كله ودون نظر إلى ما وصله وقدره ٥٤٠٠ دينار.

لذلك نرجو التكرم بإصدار رأي الشرع الشريف في هذا الموضوع.

وقد طلبت الهيئة حضور السائلين وحضرا إلى الهيئة وأفاد الشريك عند استفسار اللجنة منه مايلي:

س: لماذا أخذت الشيك؟

ج - أخذته وسيلة للضمان إذا حصل سوء تصرف. ولم أصرف الشيك رغم انه حان وقت استحقاقه.

س: لماذا لم تجر المحاسبة طيلة هذه المدة؟

ج - بسبب قيام الشركة ووجود السجلات والقيودات وإمكانية المحاسبة في أي وقت.

س: ماهو سبب الرجوع إلى الهيئة؟

ج - نظرا إلى رغبتنا الآن في إنهاء الشركة ومعرفة حق كل واحد منا.



■ ورأت اللجنة أن هذا العقد في أصله عقد شركة مضاربة لأن المال من طرف والعمل من طرف آخر وقد حددت نسبة الأرباح بين الطرفين مع الاتفاق على تقديم مبلغ (٢٠٠) مائتي دينار شهريا يعطى لرب المال سلفة على حساب ما سيوجد من الأرباح. وقد أفاد رب المال بأن الشيك الذي أخذه هو إجراء احتياطي لضمان حقوقه في حالة التعدي أو التقصير وأنه مسؤول بتحمل الخسارة التي تتحقق دون تعد أو تقصير وتخصم من رأس المال.

وعليه يكون هذا العقد شركة مضاربة صحيحة ويعتبر البند السابع من عقد الاتفاق لغوا غير معتبر شرعا ونص البند المذكور كما يلي (إذا أخل الطرف الأول بالتزاماته المنوه عنها في هذا العقد يكون من حق الطرف الثاني فسخ العقد وبتعويض قدره ألفا دينار كويتي وذلك دون الرجوع إلى الطرف الأول أو القضاء بالإضافة إلى استرجاع مبلغه المستثمر فورا).

وبما أن الشريكين يريدان الآن انهاء الشركة فإن عليهما إجراء المحاسبة عن جميع المدة السابقة وتخصيص أرباح كل منهما حسب النسبة المحددة في العقد وخصم مبلغ السلفة من نصيب صاحب المال هذا ان وجدت أرباح أما أن كانت خسارة فيتحمل رب المال جميع الخسارة التي تخص المال الذي قدمه وهو عشرة آلاف دينار وتحتسب السلفة التي أخذها مما بقي من رأس المال بعد الخسارة.

حلف الغضبان

● يقول فيه إنه أوصل زوجته إلى سكن صديقاتها للزيارة وطلب منها ألا تتأخر عليه. إلا أنها تأخرت في الخروج فغضب الزوج عليها فقال لها. والله العظيم إنك لن تأتي إلى هذا السكن مرة أخرى وبعد مرور عدة أيام علم الزوج أنها ذهبت لنفس السكن دون علمه. فهل عليه شيء؟

■ ورأت اللجنة ان عليه كفارة اليمين وهي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم.

نذر الصوم

● يقول إنه نذر إن يسر الله له عملا أن يصوم يوم الخميس من كل أسبوع. وقد يسر الله له العمل. وبدأ يصوم منذ ستة أشهر تقريبا. ويقول إن ظروف الجو الآن في الصيف ومشقة العمل تجعل الصيام صعبا عليه. فهل يجوز له أن يؤجل الصيام إلى وقت آخر.

■ ورأت اللجنة أن الصيام إذا كان يضره ضررا بالغا جاز له. أن يؤجله ويقضي هذه الأيام في وقت آخر. وإن لم يكن الضرر بالغا فلا يجوز له الإخلال بنذره. فإن أخل وأفطر ارتكب اثما عليه أن يتوب منه وعليه القضاء أيضا.

الحلف بالطلاق

● لقد حلفت بطلقة واحدة للوالدة بأني سوف أسمي ولدي الذكر المولود حديثا باسم والدي المرحوم ولكن أريد أن أسميه اسما آخر لأني لم اسمه بشهادة الميلاد بعد وأنتظر فتواكم فما رأي الشرع بذلك، مع العلم بأن هذه هي أول مرة أنطق بذلك؟

وسألته اللجنة عما يريد الاستفسار عنه فقال: لقد رزقني الله بمولد ذكر، فقالت لي والدتي: سمه حبيب على اسم والدك رحمه الله، فقلت ان شاء الله، وحصل أن سمعت والدتي من بعض النسوة من أنني لن أسميه على اسم والدي، فزعلت علي والدتي وبكت وأردت أن أراضيها فقالت لي: احلف بالحرام إنك لن تسميه إلا باسم والدك فقلت: علي الحرام ما أسميه إلا حبيب، وحصل بعد ذلك أن أقنعت والدتي بأن أسميه كما شئت فوافقت والدتي على ذلك، وحتى الآن لم اسمه في الشهادة الميلادية فماذا أفعل بشأن الحلف؟

وسألته اللجنة عن قصده من هذا الحلف فقال قصدت بذلك أرضاء والدتي.



■ فأجابت اللجنة بانه إذا سمى ابنه حبيبا فقد بر في يمينه ولا كفارة عليه، وإذا سماه اسما آخر فقد حنث في يمينه وعليه كفارة يمين وهي إطعام عشرة مساكين.

ثمـــرات المطـــابع

رَيّ الغليـــل مـــن محـــاسن التأويـــل

○ تأليف: صلاح الدين أرقه دان
○ تقديم: أحمد راتب عرموش
○ نشر: دار النفائس - بيروت
○ الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م

الكتاب اختصـار لتفسير علاّمـة الشام الشيـخ محمد جمال الـدين القـاسمي (ت ١٣٣٢هـ) «محاسن التأويل»، قال فيه مختصره: (علَمٌ لا يُشقّ له غبار، نشأ في بيت دين وعلم وأدب، واجتهد في التحصيل حتى بزّ أقرانه، وبات من القلة التي يشار إليها بالبنان، وانفتح على مفاهيم السلف في وقت مبكر، دون أن ينغلق على تيارات التجديد، ولا مدارس التقليد، فجمع في علمه وأدائه بين المدارس الإسلامية ليشكل بنفسه مدرسةً متميّزة تسعى إلى الأفضل ولا تنكر لأهل الفضل فضلهم، فلا تقع عينك في كتبه - على كثرتها - على كلمة جارحة في حق من خالفه، ولا تسمع فيها وحشياً ولا مستغلقاً).. ولم يكتف القاسمي بنقل آراء غيره، بل يرجح بينها، ويختار منها، وربما خالفها كلها وذكر رأيَه بلا لَبس أو غموض.. ويتميّز هذا المختصر بإيراد رأي القاسمي أو الرأي الذي رجّحه، وكان لموسوعية علمه يذكر آراء كثير من المفسرين ويستطرد أحيانا ويتوسع في الأحكام، ويورد أقوال الفقهاء في المسألة على اختلافها.. ويبتعد المختصر عن الإسرائيليات لا سيما عند إيراد أسباب النزول.. ولقد جاء تفسير كل صفحة من صفحات المصحف على هوامشها ذاتها، مما يسّر للقارىء المتابعة دون أي جهد اضافي.. وتم اعتماد الكتابة الإملائية في التفسير تسهيلاً على القارىء الذي اعتاد الاملاء، فيتعلم بذلك كتابة القرآن التوفيقية وقراءته بملاحظة الفارق بين كتابة بعض الكلمات في التفسير وفي النص الشريف الذي بين يديه.



المنطقة العربية في ملف المخابرات الصهيونية

● المؤلف: د. صالح زهر الدين
● تقديم: رجا سري الدين
● نشر: المركز العربي للأبحاث والتوثيق - بيروت

كانت المنطقة العربية عبر التاريخ، موضع اهتمام بالغ بالنسبة للقوى الاستعمارية العظمى، نظراً لمركزها الاستراتيجي المتميز، وقد أمّن لها البحر الأبيض المتوسط اتصالاً مستمراً عبر الأجيال بالقارة الأوروبية، ويشرف الوطن العربي على البحر الأحمر من خلال قناة السويس ومضيق باب المندب، وهذا الوضع الجغرافي جعل الدول الطامعة تعمل بكل طاقاتها لتعميم حالة التشرذم والانقسام والتخلف داخل الوطن العربي لمنع تحقيق ما يؤدي إلى نهاية امبراطوريات النهب والقهر والتسلط والاستغلال والعبودية..

ولم تكن المخابرات الصهيونية بعيدة عن إدراك أهمية المنطقة الكبرى، خصوصاً وهي التي تستند إلى تاريخ موغل في المكر والخداع والخبث، ولابد أن تجيّر هذا التاريخ المخابراتي لخدمة أهداف الصهيونية أولاً والقوى الاستعمارية ثانياً..

ولقد أدركت الحركة الصهيونية أهمية وجود جهاز استخباري يمثل خط الدفاع الأوّل لأمنها، كما يمثّل خطاً هجومياً ضد كل القوى التي تراها الحركة الصهيونية عقبة في طريق مخططاتها..

والدكتور صالح زهر الدين في كتابه يسلّط الضوء على مسألة من أهم وأخطر المسائل التي تواجه الوطن العربي، منطلقاً من نشأة الحركة الصهيونية وفكرها وممارساتها، مروراً بالتنسيق الصهيوني - البريطاني، وانتهاء بالتنسيق الصهيوني - الأمريكي، دون إغفال التحالفات الأخرى مع أجهزة المخابرات الغربية. ويزيد من أهمية الكتاب تضمّنه وثائق لم تكن معروفة من قبل.

الثورة لحظة ثم الكارثة

○ المؤلف: علي صالح الهزاع
○ نشر: المؤلف – الكويت

يسعى المؤلف في كتابه هذا، وبأسلوب الحوار، الى كشف صفحات من تاريخ الشيوعية في الجزيرة والخليج، ورأيه في الأحزاب العربية وفلسفتها لا يخفيه منذ المقدمة التي يهديها إلى أصحاب الألسن والأقلام المُشرعة كالسيوف في وجه الأعداء الحقيقيين للشريعة والدعوة الإسلامية، فهي – برأيه – [نصرانية المنبت، علمانية الهدف، صليبية الرواد والاساتذة، ميكافيلية الاساليب والوسائل]..

غير أنه ومن منطلق البرهان على ما ذهب إليه ولكون لكل قول حقيقة يتطوع [لحمل أمانة الكشف عن هذه الحقيقة، متحملا وعورة البحث ومشقة الطريق وعداوة القريب والبعيد] لا يعنيه من ذلك إلا تأدية الأمانة بشكل صحيح..

اليهود في القرآن والسنة

○ المؤلف: د. محمد أديب الصالح
○ نشر: دار الهدى للنشر والتوزيع – الرياض

هذا الكتاب هو القسم الثالث من دراسة نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة لاستلهام العبر والدروس فيما يعني أخلاق اليهود وأعمالهم، وأبرزها جرأتهم الظالمة على الحق، والشناعة في قلة الأدب مع الله، ناهيك عن الاستهانة بالعلم والمعرفة..

ويرى الكاتب أن ما عند اليهود من حقد على المسلمين تغلي به صدورهم، وحسد يملأ نفوسهم، ويطبع تصرفاتهم، كان من دوافع انتصارهم للباطل على الحق، فيقولون لعبدة اللات والعزى المتخذين من دون الله أنداداً: أنتم على الهدى ومحمد وأصحابه على طريق الضلال!!

موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها (مجلدان)

● إعداد: شاكر مصطفى
● نشر: دار العلم للملايين – بيروت، ١٩٩٣م

كتاب حوى التاريخ الإسلامي كله، وكان الدافع الحقيقي لتأليفه عزم الكاتب على الخروج من التاريخ الاسلامي من اطاره الزماني الذي لا يجاوز القرن او القرنين في اذهان الناس ليكون اربعة عشر قرنا متصلة، والخروج به من اطاره المكاني الذي لا يجاوز رقعة محدودة من الأرض ليكون تاريخ ما بين أقصى المشرق وأقصى المغرب، وما بينهما من أرض الترك والصين وأفريقيا..

والكتابة عن الوجه الحضاري للتاريخ الاسلامي، ذلك الذي امتاز بمحيط هائل من البناة والفقهاء والمفكرين والشعراء والعلماء والفنانين وسواهم، ومع ذلك لا يراه مؤلفه (على ضخامته، أكثر من نظرة إجمال شديدة التكثيف للتاريخ الاسلامي، أو هو الهياكل العظمية لهذا التاريخ مجموعة موضونة في نسق متكامل نظيم لتكون دليلا قيد التناول فيه، أو مدخلا من المداخل إليه)..

والجهد واضح فيما جمعه المؤلف من الجداول والأسماء والتواريخ، وتنظيمها بشكل يسهّل على الباحث العودة إليها معرفة مبتغاها أو شفاء سؤاله في واقعة تاريخية معينة، فهو عدّة كتب في كتاب واحد يستفيد منه المختص والقارىء العادي على حد سواء.

سياسة (إسرائيل) تجاه الأوقاف الإسلامية في فلسطين

● المؤلف: مايكل دمبر
● نشر: مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت، ١٩٩٢م

نال الباحث البريطاني (مايكل دمبر) شهادة الدكتوراة في دراسته العلمية عن اوضاع الاوقاف الاسلامية في فلسطين، ابتداء من العهد العثماني ومروراً بالانتداب البريطاني ووصولا إلى الاحتلال الاسرائيلي، ويركز على المساعي الاسرائيلية الدؤوبة منذ سنة ١٩٤٨م الرامية إلى الاستيلاء على جميع أراضي وممتلكات الأوقاف الإسلامية في فلسطين، وخصوصاً في القدس، بشتى الطرق والأساليب التي يعرضها المؤلف في دراسته بالتفصيل، وبالاستناد إلى المصادر الأولية والدراسات الميدانية، وذلك في سياق الاعتداءات الاسرائيلية المتواصلة على الممتلكات والحقوق العربية في فلسطين، وبهدف نزع هويتها وطمس معالمها التاريخية والحضارية الأصلية.



بريد القراء

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين ولحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

السعادة والشقاء

الفكر الصالح نور من الله يقذفه في قلوب أحبابه الذين لا يغفلون عن ذكره، فيسطع الوجدان فينقي خواطر السوء كما ينقي الكير خبث الحديد. والعلم النافع هو الذي يورد الإنسان مواردَ الحكمة من كتب السماء وهدي العلماء، فتصفو به النفسُ من أدرانها وشهواتها، وتستعين في سلوكها على اكتساب كل إرادة طيبة، وتخشع لما أنزل تعالى من الحق.

والفكر السيء غرام بالشهوات، وولوغ في الدنءات، يؤدي إلى خور نورالعلم، ويخضع العبدُ لوساوس الشيطان في ظلام التقليد الأعمى فلا يخطر بوجدانه إلا خواطر السوء، ولا تهتف بقلبه إلا إرادات السوء، وتضعف ذاته أمام سلطان الضلال حتى يبوء بالخذلان والظلم وسوء الجزاء.

طريق الإيمان يملأ القلب، ويسيطر على الشعور، ويأخذ على الإنسان جميع مسالكه فلا يفكّر إلا في مرضاة الله ولا يسعى لغير طريق الاستقامة الذي لا يعرف المظهر الخادع.

أخي المسلم؛ الناس بحسب العاقبة إما أهل (سعادة) وإما أهل (شقاء)، والله تعالى يقول: ﴿ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه، فمنهم شقيٌّ وسعيد ﴾ [هود:١٠٥]، فأهل السعادة هم المتقون، ومنهم المقرّبون وأصحاب اليمين. أما أهل (الشقاء) فهم الكافرون (أهل الشمال) قال تعالى: ﴿ وكنتم ازواجا ثلاثة، فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة، والسابقون السابقون، أولئك هم المقرّبون في جنّات النّعيم، ثلّة من الأوّلين وقليل من الآخرين ﴾ [الواقعة:٧ – ٤١].

أخي المسلم؛ إن الفريق الأول من أهل الشقاء هم الكافرون الذين هم أهل القهر الإلهي، لا ينجح فيهم الإنذار ولا سبيل إلى خلاصهم من النار، أولئك حقّت عليهم كلمة ربك رنهم لا يؤمنون: ﴿ وكذلك حقّت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار ﴾ [غافر:٦]. سدّت أمامهم الطرق، وأغلقت عليهم الأبواب، فلا سبيل لهم في الباطن إلى العلم الذوقي الكشفي، ولا في الظاهر إلى التعلّم الكسبي، فحبسوا في سجون الظلمات، والعياذ بالله تعالى.

ومن أهل الشقاء المنافقون الذين قال الله فيهم: ﴿ ومن الناس من يقول: أمنّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين، يخادعون اللهَ والذين أمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ [البقرة:٨ – ٩]. والمخادعة هي استعمال الخدع من الجانبين، وهو إظهار الخير واستبطان الشر، ومخادعة الله مخادعة لرسوله. وقيل: إن الضالين هم المنافقون، لأنه تعالى بدأ بذكر المؤمنين والثناء عليهم في خمس آيات من أوائل البقرة، ثم أتبعه بذكر الكفّار وهو قوله تعالى: ﴿ إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ الآية.

زكريا احمد محمد نور – واعظ بالأزهر الشريف

قضايانا تبحث عن حلول

هموم وقضايا المسلمين المصيرية، عديدة ومتشابكة. وقد خرج بعضها من أيديهم كقضية فلسطين والبوسنة والهرسك وكشمير وأذربيجان، منها ما ارتبط باتفاقات دولية كقضية فلسطين، التي يحاول الجانب الاسرائيلي الاستفادة منها اكبر قدر ممكن بعد اتفاق غزة – أريحا الأخير وتراوغ في تنفيذه، وتعطل كثيراً من بنوده، وترفض الخضوع للإشراف الدولي على ترسانتها النووية والعسكرية.

ولا يشعر المسلم بالسلام معها، وهي تعلن القدس الموحدة عاصمة أبدية لها، بلا تهاون ولا تفريط، والقدس هي مفتاح السلام في المنطقة، وهي القضية الكبرى، وما لم تحل حلاً عادلاً فإن كل الجهود المبذولة سعياً وراء السلام لن تجدي شيئاً.

وتشهد قضية البوسنة والهرسك تنفيذ أكبر مذبحة عرفتها أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، تستهدف القضاء على الجمهورية الوليدة، وتضع المسلمين هناك أمام خيارين لا ثالث لهما إما الاستسلام وإما الاستشهاد. ولقد عبّر الشاعر محمد أحمد الحساني فقال:

سراييفو.. سراييفو..
نداء كله خذلان
وصوت ضائع الأصداء..
وقال الله: ﴿ ولا تهنوا ﴾
فادبرنا ولينا أمام الزحف..
وقد صرنا غثاء السيل
وغطانا ظلام الذل..
فنمنا نوم موهون
تخرج قلبه بالخوف..
وداعاً يا سراييفو
فليس لديك معتصم..
يجيبك أو صلاح الدين

وتعاني قضية كشمير المسلمة تعتيم الاعلام العالمي وقد أغلق الهندوس كافة منافذها وعزلوها عن العالم الخارجي بشكل محكم، وكشمير البلد المسلم حباها الله تعالى موقعاً استراتيجياً بالإضافة إلى الثروة المائية والزراعية التي تتمتع بها، والمناظر الخلابة الجاذبة لحركة السياحة الدولية. والاستعمار الهندوسي لا يختلف في طبيعته ولا في ممارسته عما عرفناه من بشاعة الاستعمار وسبل إذلاله للشعوب المسلمة وإهداره كرامتها، حتى قيل: إن الهند وإسرائيل وجهان لعملة واحدة.

فكلتا القضيتين وقعت تحت نير الاستعمار البريطاني، والهندوس هدموا المسجد البابري، والصهاينة ينون هدم الأقصى، واليهود يصرون على الاحتفاظ بالقدس، والهندوس يصرون على الاحتفاظ بكشمير، بالإضافة إلى أوجه تشابه كثيرة في المسلك والممارسة.

إن هذه القضايا الثلاث بين لنا رخص الدم المسلم، مع أن المسلمين هم الذين أبدعوا في التاريخ وفي الحضارة وحفظوا للشعوب المفتوحة ثقافتها وهويتها وكرامتها الإنسانية، والكنائس والأديرة والمعابد شواهد على موضوع التسامح والرحمة التي تميّز بها المسلمون خلال تاريخهم الطويل.

يحتاج المسلمون إلى الاتحاد، ولن تقوم لهم قائمة إلا به، ويحتاج المسلمون إلى القوّة العادلة الموجّهة ضمن صراط مستقيم يبتغي رضوان الله ويتقي غضبه. كما كانوا طوال تاريخهم الناصع.

ويحتاجون إلى إحياء مشروعهم الحضاري ليعودوا إلى دورهم بعدما أقصوا أنفسهم وتم إقصاؤهم عنه. ولا يضيرهم ما يخطط له الآخرون، لأن من اعتصم بحبل الله كفاه وكان حسبه، وفي تاريخهم أدلة وشواهد تاريخهم تدل أن القوّة ليست في الكثرة، وليست في الإماكنات وحدها، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

يحيى سيد النجار
– دمياط – مصر

هل يتحول الغرب إلى الإسلام؟

ظهر الإسـلام بعد مضي ستة قرون تقـريباً على ميلاد السيد المسيح عليـه السلام، وبدأت الدعوة الإسلاميـة في مكة، وواجهت صعوبات جمّة، لكنها سرعان مـا انتشرت شمالاً وجنوباً بسرعة هائلة، حتى وصلت إلى ما وراء أصفهان في بلاد فـارس شرقاً، بحلول عام ٧٣٠م كانت الدولة الاسلامية تمتـد من الأندلس (اسبانيا) وجنوب فرنس إلى حـدود الصين والهند، دولة اتسمت بالسماحة بينما كـانت أوروبا تغط في دياجير العصور.

ويرى البعض في معركـة (تور – بواتيه) أو معـركـة (بـلاط الشهـداء) التي وقعت عـام ١١٤هـ (٧٣٢م) بين المسمين بقيـادة عبـد الرحمن لخافقي وبين تشارك مـارتيل الفرنسي في ضـواحي بـاريس سبباً في تـوقف الـزحف الإسـلامي، وأسلمـة أوروبا كلهـا. ولـو نجح العثمانيـون في دخـول فينـا بـالنمسـا (عـام ١٥٢٦م و١٦٨٣م) لكان ذلك كفيـلاً بأن يعمّ الإسلام بنوره أوروبـا كلها ولكن قضت إرادة الله تعالى بغير ذلك.

ولقـد نعى الفيلسوف الألماني (نيتشـه) على بني قومه هذا الجحـود لمبادىء الإسلام فقال: (لقـد حرمتنـا المسيحيـة من ميراث العبقريـة القديمة [يقصد فلسفة لإغريق] ثم حرمتنا بعد ذلك من شريعة الإسـلام. لقد ديست بـالأقدام تلك المدنيـة العظيمـة في الأنـدلس ولماذا؟ لأنها نشأت من أصـول رفيعة ومن غـرائز شريفة، نعم من غـرائز رجال الإسلام. إن تلـك المدنية الإسلاميـة لم تتنكر للحيـاة بل تجاوبت معها وفتحت لها صدرها. ولقد قاتل الصليبيون تلك المدنية،وكان الأولى بهم أن يسجدوا على التراب شكـراً لله، ويأخـذوا بها. وما مـدنيتنا في هـذا القـرن إلا متخلفة بجـانب مـدنية الإسـلام) [أنظر للتوسع كتاب: ظلام من للغرب للشيخ الغزالي].

ولقد خصصت صحيفة (التيمـز) اللندنية صفحتين كـاملتين في يـومي ٩ و١٠ نـوفمبر (تشرين الثـاني) ١٩٩٣م للحـديث حـول ظاهرة اعتناق اكثـر من عشرين الف بريطاني الاسلام في السنوات القليلة الأخيرة، معلقة في افتتـاحيتهـا بتـاريخ ١٠/١١/٩٣م تحت عنوان (اختيار الإسـلام): (في الحرب الدائرة بين الإسلام وبين الغرب يتم تجاهل المتحولين إلى الإسلام، ففي بـريطانيـا وحدهـا بلغ عدد الـذين دخلـوا الاسـلام اخيراً حـوالي عشرين ألف، معظمهم من النسـاء. والـوضع الأكثـر إثـارة في أمـريكـا حيـث تبلغ نسبـة النسـاء المعتنقات الإسلام إلى الرجال نسبة ٤:١).

ولعل في ذلك أبلغ ردّ على الـذين يتهمـون الاسـلام بـانتقـاص حقـوق المرأة وتقييـد حريتها، وينسون أن الحضـارة الغربية التي يباهى بها البعض هـي التي تظلم المرأة وتقيد حـريتهـا، وفي الاحصـاديـات المنشـورة عن اضطهاد النساء في أمريكا أرقام مذهلة، فأكثر من ستة مـلايين امرأة يتعرضن لـلإيذاء من خلانهنّ وأزواجهنّ في كل سنة بينهن ألفين إلى أربعة ألاف امرأة يضربن حتـى الموت سنوياً. وأضف إلى ذلك حوادث الاغتصاب. وفي تقرير وكالـة التحقيقات الفيدراليـة عام ١٩٧٩م ان ٤٠٪ من النسـاء يُقتلن بـواسطـة أزواجهن وخلانهن، و١٠٪ من الرجال تقتلهم نساؤهم. [انظر مقـال: الوجه الآخـر لأمريكا لـلاستاذ حسين المحسن بمجلـة منـار الاسلام، عـدد ربيع الآخر ١٤٠٥هـ].

تقول المسلمة البريطانيـة الجديدة (نوفان) لصحيفـة (تـايمـز) اللنـدنيـة بتـاريخ ٩/١١/٩٣م: (كـدت أفقـد نفسي، وأفقـد مستقبلي بعـد تحولي للمخدرات والكحـول في أعقاب أزمة أسرية واجتماعية. غير أني وجدت نفسي مرة أخرى بعد اعتنـاقي الاسلام ، ولقد تمكنت من الحصـــول على درجـة الماجستير بفضل التزامي بمبادىء الإسلام).

ونـذكر أنفسنـا بقـوله تعـالى: ﴿ يريدون ليطفؤوا نـور الله بأفواههم والله متـم نوره ولو كـره الكافرون، هـو الذي أرسل رسـوله بالهدى ودين الحق ليظهره عى الدين كله ولو كره المشركون ﴾ [الصف: ٨و٩].

كمال يونس

لغة القرآن بين الصيانة و النسيان

لغتنا العـربية جـزء من كياننا الـديني، بل هي كيـاننـا كله لأنها لغـة القـرآن الكـريم، وكم أدت البلاغة القـرآنية العربية الى تحول عقيـدة العرب من الشرك إلى الإسـلام، والقرآن عجـزة الرسـول صلى الله عليـه وسلم التي تحدى بها أهل عصره وهم المعروفون بالبلاغـة والفصاحة فعجزوا عن ذلك.

وقـد تشرفت العربيـة دون غيرها من اللغـات بنـزول القـرآن بها لما تتمتع بـه من خصـائص وسمات، فالله سبحانه وتعالى ضمِن للغته الخلود إلى أن يـرث الأرض ومن عليهـا، ومن هنـا بقيت لغتنا شـامخة بالقرآن، محفـوظة بـه من الضياع والاندثار.

ومن ثمـرات سعة اللغة العـربية ان النـاظم او النـاثـر، كما يقول (ابـن سنان) إذا خطـر عليـه موضع ايراد لفظة او ضاقت عليه الألفاظ، وكانت العـربية التي ينسـج منها ذات ألفـاظ كثيرة تقع مـوقع تلك اللفظـة في المعنـى، أخـذ مـا يليق بـالموضـوع من غير عنت ولا مشقـة، وهـذا غير ممكن لـولا السعـة في كثـرة الأسماء للمسمى الواحد.

وتنتشر في أيـامنـا دعاوى المزج بين العـاميـة والفصحى، وهذا بمثابة معول هدم للغة، والمتأمل فيما يستعملـه كتـاب هـذا العصر من أسـاليب يلاحظ أن كثيراً منها قد خرج على معانيه ودلالاته التي كانت لـه في القديم، والتي لا تزال مـدوّنة في المعاجـم والقواميس اللغـوية. وهـذا الخروج هو لون مـن التطور المشروع الذي يضيـف إلى اللغة ويوسع في مقتنايتها وكنوزها وثروتها الهائلة من المفردات والدلالات والتعابير.

وكثيراً ما قرأنـا لبعض علماء اللغة الحريصين على ثباتها واستقـرارها، وعدم تغيرهـا انتقادات واحامـا بالجهل او المروق والـرغبة في الهدم على من حـاولوا تـوسيع عـالم دلالاتها اللامتنـاهي بالمزيد من الظلال في مستويات المعاني مما جعل عـددا كبيرا من علماء اللغـة ومن المجمعيين يصدون لما اعتبره النقاد انحرافاً لغوياً ويعكفون على فحصه ودراسته من حيث السلامة والصحة اللغوية والملائمة لمقتضيـات التطور، وقيام اللغة بعبيء التعبير عن العصر ومستحـدثـاتـه، والنهوض بمسوولية الإبـداع فيه، مجيزين منها مـا لا يخرج عن ضـوابط العـربيـة ونهجهـا المعروف.

وإذا قطعت الصلـة بين الأمـة ولغتهـا فقـد اصبحت امة بلا هوية ولا تاريخ، وتعيش في التيه من غير انتماء ولا هـوية، فقـد حاول الاستعمار الفرنسي وغيره الحيلـولة التامة بين الامـة ولغتها العربيـة وبذل كل ما يستطيع بذلـه لتحقيق هذا الغـرض، إلا أنه فشل في ذلـك فشلاً ذريعـاً، كما وقع في الجزائر التي تصـدى علماؤها وأحـرارها لهذه المحاولات الآثمة.

ولا ننسى أن الحضارة الغربية تشرّبت بالكثير من المؤثرات العـربية، وقد نقل العـرب إلى الغرب ثروات ثقافية رائعة لـولاها لما عرف الغرب كيف ينتقل من العصر الـوسيط إلى عصر النهضـة كما يقرر البرفسور الفرنسي (أندريه ميكل).

فهل نسعى إلى الحفـاظ على لغتنـا وتحقيق نهضتها؟ أم سنضيعها فتضيع هـويتنا وهيبتنا ونحن خير أمة أخرجت للناس؟

محمود عبد العال حفني

– طهطا – سوهاج

هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القاريء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

ومضة إيمانية

كنت أؤدى صلاة المغرب - في جماعة - بمسجد الملا صالح بشارع فهد السالم، وهذا المسجد المبارك مؤسسة إسلامية يرعى شؤون المسلمين قولا وفعلا، وبعد أداء الفريضة وقف إمام المسجد وهو شاب دون الأربعين ليعلن على الملأ إشهار رجل انجليزي اسلامه ودخوله دين الحق.

كان صوت الإمام غير واضح من خلال مكبرات الصوت (الميكرفون) وكن الأبصار شاخصة،الأفئدة مترقبة والوجوه تعلوها الرضا والطمائنينة.

لقن الإمام الشاب الورع الضيف الانجليزي نطق الشهادتين ومراسم الاشهار، كان أخانا الانجليزي ينطق الشهادتين في لغة تشوبها اللكنة الانجليزية لكن نبرات صوته كانت في ثقة وبهجة ورهبة الموقف والدموع تترقرق من بعض المساقي والقلوب ترجف فرحا ورهبة وإيمانا.

بعد ان نطق اخانا المسلم الانجليزي الشهادتين ودخل الإسلام عن طوع واختيار توافد المصلون من جنيات مختلفة لتهنئته بعد ان كان منذ ثوان معدودة غريب الوجه واليد واللسان، أصبح أخا لهؤلاء المسلمين في بقاع الأرض، فعلا البشر محياه وزالت الوحشة وكبر المصلون ثلاثا قبل ان يتوافدواعليه للتهنئة.

كان اخانا الإنجليزي المسلم في بذته الأنيقية وابتسامة الرضا يتلقى القبلات على وجنتيه الحمراوين. ووجهه القاني ويتلقى القبلات على كتفيه وصدرة كأنه عريس. بالفعل كنا في زفاف إيماني وفرح روحي.

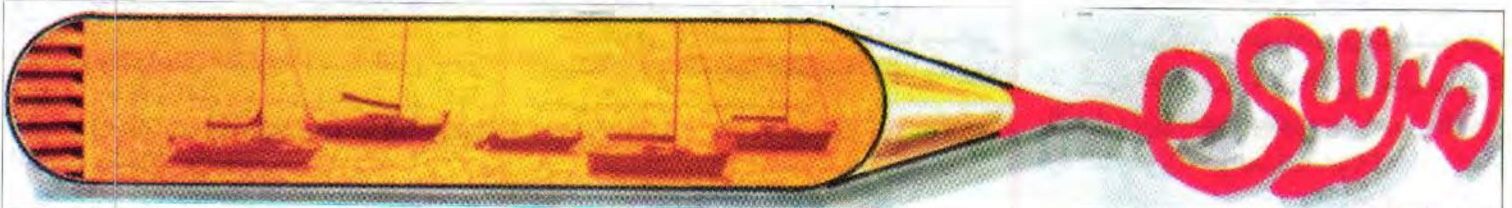
ياترى هل وجد هذه المشاعر الفياضة والاحساسيس الصادقة يوم زفافه؟!

مؤكد ان باقات الزهور كانت تملأ الغرف وتسد مدخل الباب، ولكنه الان يتلقى المحبة السامية والأخوة المجردة والصداقة الحقة، أهلا بك بين أخوانك في الله وجعلك الله عزو جل من عباده الصالحين المهتدين في الدارين.

منذ اثنى عشر عاما كنت أؤودي فريضة المغرب في زاوية صغيرة بجنوب سيناء بمصر ورأيت بجواري شابا فارع الطول شديد الحمرة نظيف الثياب وظننته من أول وهلة من أبناء الدلتا. وانتظرته عند مدخل الزاوية فعلمت انه الماني أشهر اسلامه في جنوب سيناء وأجريت معه حديثا صحفيا ريبورتاج للصحيفة التي كنت أعمل بها،قال ان مادفعني للدخول في الاسلام هو سماحة الإسلام وتكافل المسلمين(الخواء الروحي للغرب).

لكنها المرة الأولى التي أرى واسمع وأشاهد أجنبيا. وهو يشهر إسلامه، هزتني مواقف كثيرة وأبكتني ومضات إيمانية ولكني لن أنسى هذه الومضة الحية وهذا التوهج الذي بداخلي منذ ان خطفت الومضة أبصاري. قال تعالى:﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ [النور:٣٥]

بقلم: عبدالرحمن عوض





وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية
ادارة الافتاء والبحوث الشرعية
سلسلة الرسائل التراثية ٧

قرة العين
ببيان أن التبرع لا يبطله الدين

لابن حجر الهيتمي
٩٠٩ - ٩٧٤ هـ

تحقيق
الشيخ عز الدين محمد توفي
باحث علمي بادارة الافتاء والبحوث الشرعية



وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية
الإدارة العامة للافتاء والبحوث الشرعية

أعمال موسوعية مساعدة
(الفهارس والمعاجم الفقهية)
(٩)

فهرس
منار السبيل في شرح الدليل

للشيخ إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان الحنبلي

فهرس تحليلي لكتاب

منار السبيل في شرح دليل الطالب لنيل المطالب

صدر حديثاً

● فهرس نيل المآرب بشرح دليل الطالب

● فهرس منار الدليل في شرح السبيل

● قرة العين ببيان ان التبرع لا يبطله الدين

وزارة الاوقاف الشؤون الإسلامية
الإدارة العامة للإفتاء والبحوث الشرعية

اعمال موسوعية مساعدة
(الفهارس والمعاجم الفقهية)
(١٠)

فهرس
نيل المآرب
بشرح
دليل الطالب

للشيخ عبد القادر بن عمر الشيباني المشهور بابن أبي تغلب الحنبلي

فهرس تحليلي لكتاب
نيل المآرب بشرح دليل الطالب

هديتك مع الع
براعم الايمان

الوعي الإسلامي

ALWEI AL-ISLAMI

اسلامية شهرية جامعة

العدد ٣٤٤، السنة الحادية والثلاثون، ربيع الآ[illegible]١٤١[illegible]هـ - سبتمبر (ايلول) ١٩٩٤م

أطفالنا بين مخاطر الاغتراب الثقافي وإدمان مشاهدة التلفاز

تحقيق التوازن في التربية الإسلامية

مسلمو روسيا ومرحلة البحث عن الهوية!!

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تعلن عن: المسابقة الثقافية الثانية للبحث والقصة القصيرة والشعر ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م

أعلنت مؤخراً وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عن مسابقتها الثقافية الثانية للبحث والقصة القصيرة لعام ١٤١٥هـ/١٩٩٤م وقد حددت الوزارة في إعلانها شروط المسابقة والشروط الواجب توافرها في البحث أو القصة أو الشعر كما حدد الإعلان مقدار الجوائز التي ستقدم للاخوة الفائزين وآخر موعد لاستلام الأعمال الثقافية المشاركة.

شروط المسابقة

١ – كتابة بيانات المتسابق:
(الاسم – الرقم المدني – العمر – العنوان).
٢ – ان يكون المتسابق من المقيمين بالكويت.
٣ – ألا يكون البحث أو الشعر أو القصة قد نشر أو قدم لأي جهة.
٤ – لغة البحث والشعر والقصة هي اللغة العربية الفصحى.
٥ – ان تكون (القصة أو البحث) مطبوعة على الآلة الكاتبة أو مكتوبة بخط واضح مع ترقيم كل صفحة.
٦ – سوف يتم تقسيم مستوى عمر المشارك بين فئتين فئة (أ) ١٤ – ٢١ سنة فئة (ب) ٢١ فما فوق.

أولا : البحث

١ – أن يكون البحث في أحد المحاور التالية:
(أ) السير الذاتية لأحد علماء الإسلام أو أحد علماء الكويت الأفاضل.
(ب) النشاط الخيري في الكويت قديما وحديثا.
(ج) أخلاق الفتاة المسلمة:
(الحياء – الحجاب – العفة – البعد عن الذنوب)
(د) الأسرة المسلمة في ضوء الكتاب والسنة.
٢ – ألا يقل البحث عن :
(١٠ صفحات فلوسكاب من الحجم الطبيعي).

جوائز البحث

الأول	٤٠٠	الثاني	٣٥٠
الثالث	٣٠٠	الرابع	٢٥٠
الخامس	٢٠٠	السادس	١٠٠
		حتى العاشر	

ثانيا : القصة القصيرة

١ – أن تعالج القصة قضية اجتماعية من منظور إسلامي.
٢ – ان تسترشد القصة في حوادثها وسلوك أبطالها بالآداب والقيم التي يدعو إليها الدين الحنيف.
٣ – ألا تزيد القصة على ثلاثة صفحات فلوسكاب من الحجم الطبيعي.

جوائز القصة القصيرة

الأول	٤٠٠	الثاني	٣٥٠
الثالث	٣٠٠	الرابع	٢٥٠
الخامس	٢٠٠	السادس	١٠٠
		حتى العاشر	

ثالثا : الشعر

١ – أن يكون الشعر في أحد المحاور التالية :
أ – مدح النبي صلى الله عليه وسلم أو أهل بيته أو أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين.
(ب) معالجة القضايا المعاصرة للإسلام والمسلمين.
(ج) مدح الفضائل الإسلامية.. (الشجاعة – الكرم – إغاثة الملهوف – فضل الحياء والعفاف والحجاب).
٢ – ألا يقل الشعر عن عشرة أبيات.
٣ – ان يكون الشعر من نظم المشارك.

جوائز الشعر

الأول	٤٠٠	الثاني	٣٥٠
الثالث	٣٠٠	الرابع	٢٥٠
الخامس	٢٠٠	السادس	١٠٠
		حتى العاشر	

اخر موعد لتسليم الأعمال الثقافية الأربعاء ٢٩ ربيع ثان ١٤١٥ هـ الموافق ٥ أكتوبر ١٩٩٤م

للاستفسار يرجى الاتصال على الهواتف التالية
ادارة الثقافة الاسلامية / تليفون: ٢٤١٢٨١٤ – ٢٤١٣٧٠١ – ٢٤٤٠٤٦٥



الوعي الإسلامي

AIWEI AL-ISLAMI

جامعة اسلامية شهرية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

الوعي الاسلامي- العدد ٣٤٤ - السنة الحادية و الثلاثون - ربيع الآخر - ١٤١٥ هـ / سبتمبر -ايلول - ١٩٩٤م

هـاتف:

بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

مطابع السياسة ـ الكويت

كلمة العدد

اقتناء التحديات

تحديات متعددة الأشكال والألوان تتعرض لها أمتنا اليوم على كل صعيد فمن غزو إعلامي فضائي إلى غزو اقتصادي وسياسي وفكري ومما يلفت النظر إن هذه التحديات تختلف اختلافا جذرياً عن التحديات القديمة كونها مخططة مبرمجة بعيدة عن الارتجال والعاطفة تحددها استراتيجيات زمنية محددة ويشرف على المتابعة والتنفيذ أفراد أو هيئات أو مؤسسات أو حكومات تملك مؤهلات عالية من حيث الخبرة والتدريب مستخدمة أحدث تكنولوجيا العصر.. في المقابل لازالت مؤسساتنا وهيئاتنا ونخبة الأمة في موقف الدفاع السلبي انهم مقصرون كونهم لم يقدموا للآن للجماهير المسلمة البديل الإسلامي الصحيح والمتكامل .. ردهم على التحديات لازال جزئيا مرتجلا لا تحكمه استراتيجيات ولا برامج. من هنا فإن المطلوب من أهل العلم والاختصاص والتجربة وضع استراتيجية إسلامية شاملة ومرنة لأبطال مفعول التحديات الوافدة وبدون ذلك سنظل ندور في حلقة مفرغة تتقاذفنا من خلالها الأمواج والأنواء كي تقتلعنا من جذورنا وهويتنا الإسلامية الغراء فهل نحن فاعلون؟!

الوعي الإسلامي

المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097 KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT.: 1005 - FAX: 965-2431740

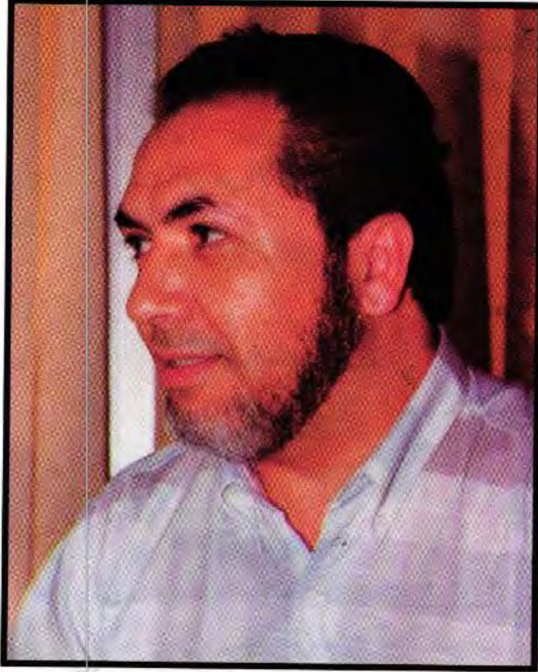
الاشتراكات

الاشتراكات: ـــ داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها) ـــ للموسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ بقية دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـــ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتاً(أو مايعادلها) * ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي -الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية) وكيل التوزيع: الشركة السعودية للتوزيع * الكويت : ص.ب : ٢٩١٢٦ ـ الصفاة (١٣١٥٠) هاتف:٤٧٢٤٧٧٧ ـ فاكس: ٤٧٢٤٥٥٥ * الإدارة العامة، المملكة العربية السعودية، ص.ب : ١٣١٩٥ ـــ الرمز البريدي، جدة ٢١٤٩٣ هاتف: ٦٥٣٠٩٠٩(١٢خط) ـ فاكس: ٦٥٣٣١٩١

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠فلس ـ ج.م.ع ٥٠ قرشا ـــ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـــ الجزائر ٥ دنانير ـــ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـــ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـــ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما.

اقــــرأ في العــــدد

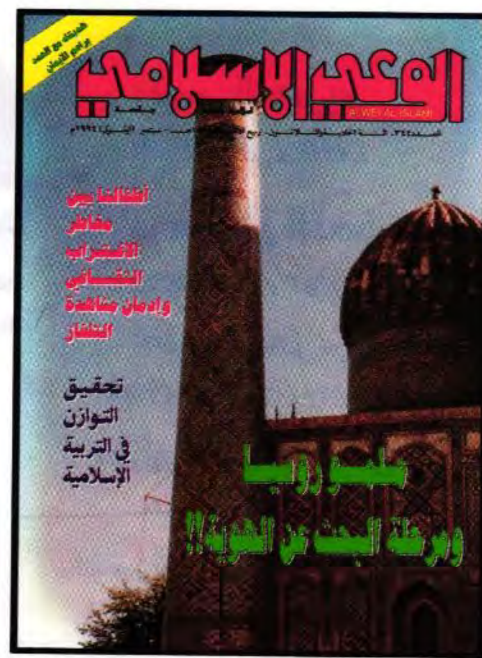




حوار مع الدكتور محمد سعيد الرشد

* البحث عن الهوية والذات هو الشغل الشاغل لمسلمي روسيا الاتحادية وجمهوريات آسيا الوسطى حول هذا الموضوع وموضوعات أخرى كان الحوار مع الدكتور محمد سعيد الرشد نائب المدير العام للمركز الإسلامي الثقافي بموسكو..







بالإضافة إلى تسليط الضوء على هموم المسلمين وتطلعاتهم في روسيا الاتحادية وجمهوريات آسيا الوسطى ضم هذا العدد بين دفتيه العديد من الموضوعات التربوية التي تستهدف بناء وتربية الإنسان المسلم والارتقاء بمستواه على كافة الأصعدة الجسمية والفكرية والنفسية والعلمية والروحية حتى تتكامل شخصيته الإسلامية دونما غلو أو إفراط أوتفريط وبذلك يكون عضوا فاعلا في مجتمعه...



تحقيق التوازن في التربية الإسلامية

* أرقام كبيرة لمدارس وطلاب وجامعات ولكن هل القضية قضية كم أم كيف؟! ترى ما هي أهداف التعليم الجامعي وماهي وظائفه المتكاملة ؟



اقرأ في الأعداد القادمة

العنف عند الحاخاميين
................................/ حسني عبدالحافظ

لابد من تربية أطفالنا تربية إسلامية
................................/ أحمد عطية

داروين والإنسانية
................................/ عماد عبدالعال

فن المعمار الإسلامي
................................/ السيد محمد الطنطاوي

عمر الأرض في مزاد علني
................................/ ماهر خليل

الإجماع وموقعه في الاجتهاد المعاصر
................................/ د. فاروق حمادة

المنهج الاقتصادي في التخطيط
................................/ د. مصطفى رجب

الترامي بالكفر .. لماذا؟
................................/د. محمد محمود متولي

أطفالنا بين مخاطر الاغتراب والادمــــان على التلفزيــون

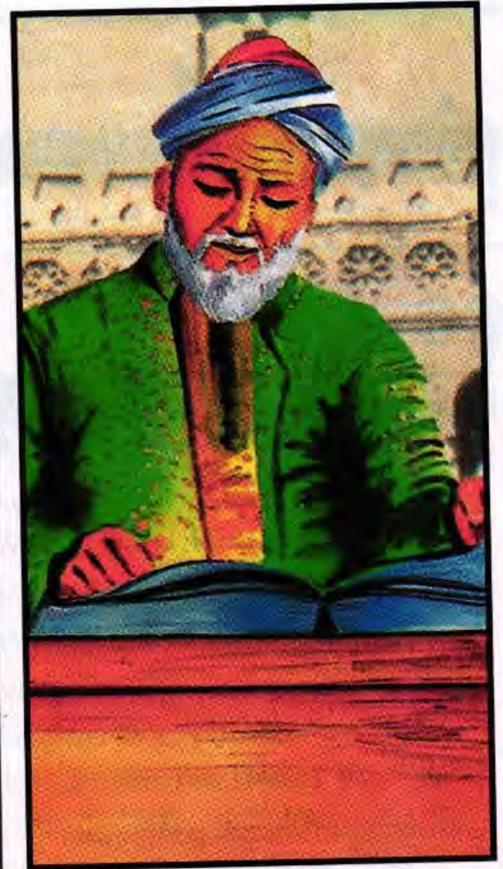
* تصاعدت الصيحات في السنوات العشر الماضية من مخاطر ما يعرف بالاغتراب الثقافي حيث يشاهد الأطفال برامج ومواد تلفازية تتضمن العديد من الأفكار والقيم والسلوكيات .. اقرأ مخاطر هذا الاغتراب

٣٠

القرآن والواقع المعاصر

* ظاهرة استمرار النص القرآني المعجز أعمق من حيث شروطها وأبعادها من مجرد تصديق الكشوفات العلمية المعاصرة.. ولا بد من الاستثمار المجتمعي للنص القرآني

٤٩



الاعـتــــداء عـلى التراث بدعوى التحقيق

* تحقيق التراث عمل عظيم لأن الحاضر امتداد للماضي فلا انفصام بينهما ولا خصام لكن المؤسف هو الاعتداء على هذا التراث تحت دعوى التحقيق

٧٦



* جولة الخير قام بها وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وافتتح خلالها عددا من مشاريع الخير الكويتية في مناطق مختلفة من جمهورية مصر العربية

٨

الفهـــــرس

الافتتاحية

نحن وعالم اليوم !!

تفرض نفسها علينا نحن المسلمين ونحن نعيش أياما حالكة السواد تتقاذفنا فيها الأنواء من كل جانب.. لك أن تنظر إلى قضايانا على المستوى السياسي والاقتصادي أو العسكري.. لك أن تنظر إلى الحرب والسلاح والتخريب وتمزيق الأوطان وحروب الجيران.. لك أن تنظر إلى كل جانب من جوانب حياتنا وتقارنه بالأمم الأخرى التي اتجهت إلى الإبداع العلمي والتقني وتسابقت ومازالت تتسابق في تشييد افاق التعاون والتنافس الحر..

«تقول دراسة نشرت في أبوظبي في أواخر اغسطس الماضي أن البلدان العربية أنفقت ما يقارب ألف مليار دولار على المؤسسات العسكرية مابين ١٩٧٠ - ١٩٩٠م وذلك بسبب النزاعات المسلحة بين بعض البلدان العربية ولم تشمل الدراسة أوطاننا العربية والإسلامية. مع اننا نتمتع بكل المقومات الأساسية لبناء نهضة اقتصادية قائمة على أسس متينة وقاعدة صلبة؟

ما الذي يمنعنا من إقامة تكتل اقتصادي ضخم يمكننا من الصمود والبقاء والنماء في مواجهة التكتلات الاقتصادية الكبرى القائمة في عالم اليوم؟!

ما الذي يمنعنا من قيام تجمع اقتصادي إسلامي يصهر الأيدي والكفاءات الصناعية والزراعية والتجارية ويوحد القوى والإمكانات المادية، ويوفر الأسواق الكبيرة لتصريف المنتجات ويحميها من المنافسات الأخرى... تساؤلات كثيرة

التحديات

والتكتلات الاقتصادية الكبرى تسود عالم اليوم والدول على اختلاف قومياتها ولغاتها ومذاهبها ورؤاها، بل تسعى وتلهث لتشكيل مثل هذه التكتلات من أجل إثبات وجودها، ومن أجل تحقيق مستوى أفضل في النمو والتقدم وبذلك تحمي نفسها من الضياع في زحمة المنافسات الدولية.. هذا هو المنطق وهذه هي القاعدة المتبعة اليوم.. دول أوروبا الصناعية... أمريكا.. اليابان سارت على هذا النهج منذ فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية فماذا كانت النتائج؟

النتائج طبعا معروفة فأوروبا الغربية ومعها أمريكا واليابان تتحكم في مفاصل الاقتصاد العالمي ،وتضع تحت رحمتها كافة دول العالم بلا استثناء.. دول شرق آسيا استطاعت ولو متأخرة في الفترة ما بين ١٩٦٥ - ١٩٩٠م أن تحقق معدلات نمو مرتفعة. بالمقارنة مع باقي دول العالم مما أذهل المراقبين في بعض أنحاء العالم، فقد جاء في تقرير للبنك الدولي صدر حديثا أن ٢٣ دولة في منطقة شرق آسيا تتمتع بارتفاع معدلات النمو الاقتصادي بطريقة متسارعة أكثر من جميع الدول الأخرى. ويرجع هذا الإنجاز إلى النمو الإعجازي الذي حققته ثماني دول فقط هي اليابان وسميت بالنمور الأربعة (هونغ كونغ، سنغافورة، تايوان، كوريا) بالإضافة إلى الدول الصناعية الحديثة الثلاث وهي أندونيسيا وماليزيا وتايلاند.

والسؤال الذي يطرح نفسه باستغراب هو: إذا كان هذا النمو قد حصل في منطقة جنوب شرق آسيا على الرغم من عدم تجانس المنطقة القومي والفكري وفي ظل عدم توافر مقومات الوحدة بين شعوب المنطقة فلماذا لم يحصل مثل هذا النمو في

نفقات الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠ – ١٩٨٨م وحرب الخليج وحسب مؤسسات رسمية في الخليج فإن استعادة الكويت بعد سبعة أشهر من الاحتلال العراقي الغاشم كلفت أكثر من ٦٥٠ مليار دولار بينما بلغت خسائر العراق أكثر من ٢٠٠ مليار دولار».

إن الإعداد والاستعداد لحماية الثغور من العدو الخارجي أمر مطلوب حسب قاعدة (وأعدوا) لكن صرف الأموال من أجل الاقتتال بين الأخوة المسلمين أمر مرفوض لا يقره شرع ولا دين ولا منطق.

إسلامنا لفت أنظارنا وفي أكثر من موضع إلى آفاق التعاون المطلوب فيما بيننا من أجل ولوج مدارج الرقي والتقدم وبناء جسور جديدة ومنهج جديد يجمع بين العلم والمعرفة والاعتدال بلا تعصب أو هوى فقال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان﴾ وقال أيضا: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾. ثم قال: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾.

إن الخروج من دائرة الركود والترهل إلى دائرة العمل المنتج المثمر تقع مسؤوليته على عاتق الفرد والمجتمع، فالفرد عليه أن يشعر بمسؤوليته تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه الذي يعيش فيه والأمة التي هو مدين لها. وكلما عظم إيمان الإنسان بدين أو فكرة صالحة كان أكثر شعورا بالمسؤولية وأسرع عملا من أجلها وأكبر نشاطا في سبيل أداء الأمانة التي حملها.

ولهذا كان للعمل الجيد في الإسلام قيمة ومن ثم حث عليه ودعا إليه فالقرآن الكريم يأمر كل فرد بأن يكون عضوا عاملا منتجا في المجموعة التي يعيش فيها وينهاه عن السلبية البغيضة والعجز المقعد عن السعي وراء لقمة العيش قال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾. والمجتمع المتمثل بالمسؤولين عليهم ألا يقفوا أمام الحضارة الغربية الغازية موقف الانبهار والاستسلام والتقليد بل عليهم أن يقفوا موقف الاختيار ثم الابتكار.. اليابانيون بدءوا مقلدين ثم أصبحوا مجتهدين مبدعين مبتكرين.. عليهم في ضوء هذه الحقيقة أن يضعوا كل إمكانات الأمة التي حباها الله لنا في إطار من التكامل الاقتصادي المثمر، عليهم إيجاد بيئة ملائمة... عليهم تدريب الكوادر الفنية على درجة عالية من الكفاءة والأمانة عليهم الانفتاح على التكنولوجيا الحديثة ينتقون منها ما يناسب قيمنا وتقاليدنا ويرفضون الغثاء منها (الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها).

لقد أخذت امتنا في عصر ازدهارها من المعارف الفارسية والأفريقية والهندية وكان أولو الأمر يكافئون المترجم بوزن ما يترجم ذهبا واخذوا من الثقافات الأجنبية وأعطوها محتفظين في الآخذ والعطاء بشخصيتهم الإسلامية المتميزة فأخرجوا منه شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس وأصبح المسلمون أساتذة العالم ولمع من بينهم علماء أفذاذ سجل التاريخ لهم علومهم وأبحاثهم ومخترعاتهم فصارت مصدر خير ونور قدموها للإنسانية جمعاء وجعلوها حقا مشاعا لجميع الناس حتى شملت العالم كله.

إن الحضارات لا تبنى بالخمول والكسل والتقليد الببغاوي ولا باللامبالاة المميتة للعزائم والهمم وإنما بالعمل الواعي المبرمج المدروس والكفاح الدائم ولهذا أعلن الإسلام الحرب على العاطلين الخاملين المستمرئين المسألة مما في ايدي الناس..

إن الخلل الحقيقي لأوضاعنا الحالية يكمن فينا نحن المسلمين أما أن نعلق أخطاءنا على مشجب الآخرين فهذا أمر مرفوض. ومالم نبادر لوضع استراتيجية إسلامية متكاملة في مجالات بناء الفكر والاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع فإن عملية الإصلاح المنشودة ستظل تدور في حلقة مفرغة وستظل ثغرات الفتن العمياء تهدد أمتنا في عيشها وأمنها وسنظل متخلفين عن ركب الحضارة الإنسانية أشواطا بعيدة وصدق الشاعر المسلم إذ يستثير في أمته العزائم فيقول:

يا أمة القرآن لا تترددي
هبي فمثلك لم تفقدي
بيديك مفتاح الحياة وسرها
فخذي الأمور بحكمة وتأكدي
ردي الشباب الناهضين إلى العلى
وبعزمهم عهد الرسالة جددي

وزير الأوقاف الكويتي افتتح مشروعات خيرية كويتية في مصر

تنفيذا لبروتوكول التعاون الموقع بين وزارتي الأوقاف الكويتية والمصرية قبل ثلاث سنوات تقريبا والذي جدد أثناء زيارة وزير الأوقاف المصري الدكتور محمد علي محجوب الأخيرة للكويت. قام مؤخراً وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د.علي فهد الزميع بزيارة إلى مصر. افتتح عددا من المشاريع الخيرية ووضع حجر الأساس لمشاريع أخرى تبرع بها أهل الخير بالكويت في محافظتين مصريتين وقد بلغت التكلفة الإجمالية لهذه المشاريع مليوناً و٥٧٥ ألف جنيه مصري أشرف بيت الزكاة الكويتي من خلال مكتبه بالقاهرة على تنفيذها.



● سمو أمير الكويت

فقد افتتح الوزير معهد المرحوم عبدالله العوضي ووضع حجر الأساس لمجمع «كويت الخير» بضاحية حلوان بمحافظة القاهرة كما افتتح مجمع راشد عبدالله العازمي بمحافظة الجيزة.

واحتوى المشروعان الثاني والثالث على مسجد ومستوصف خيري ودار للمناسبات الإسلامية ودار لتحفيظ القرآن الكريم بينما تضمن المشروع الأول فصولا دراسية ومسجدا وغرفا للإدارة ويتوقع الانتهاء منه في غضون سبعة أشهر.

ومن جهة أخرى وضع الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر حجر الأساس لمجمع «كويت الخير» بمدينة حلوان جنوب القاهرة بتكلفة ٦٠٠ ألف جنيه تبرع بها عدد من المواطنين الكويتيين.

كما قام الشيخ جاد الحق بافتتاح معهد المرحوم عبدالله محمد هادي الديني بنفس المنطقة والبالغة تكلفته نصف مليون جنيه وهو من أموال المرحوم الكويتي الجنسية وأسرته. وشارك وزير الأوقاف المصري في افتتاح مجمع إسلامي بمدينة الجيزة باسم المواطن الكويتي راشد عبدالله الحجاج الذي تبلغ تكلفته ٥٠٠ ألف جنيه مصري.

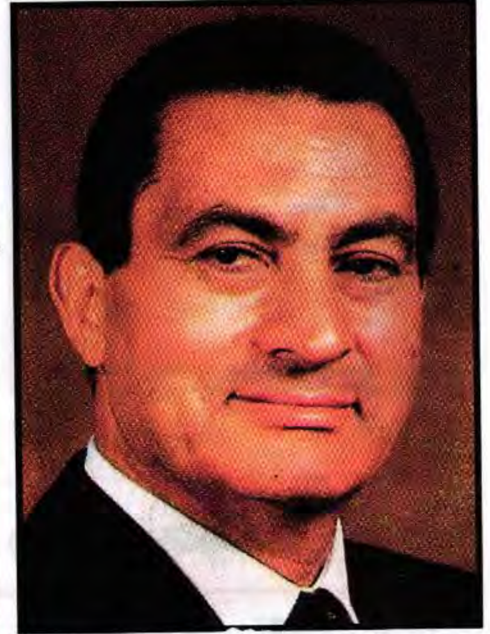
الوزير : الأقطار الإسلامية تواجه ضغوطات كبيرة

هذا وقد قام السيد الوزير الدكتور الزميع والوفد المرافق له خلال وجوده في مصر بالمشاركة بالمؤتمر العام السادس للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي عقد في الأسكندرية وشارك فيه عدد من الوزراء خلال الفترة ما بين ١٠ - ١٣ ربيع الأول ١٤١٥ هـ الموافق ١٧ - ٢٠ أغسطس ١٩٩٤م وناقش عدة محاور من بينها الجوانب الثقافية والحضارية ومدى تأثرها بثقافات وحضارات المجتمع الإنساني والجوانب الاجتماعية في الإسلام والمتغيرات الدولية والاقتصاد الإسلامي والتطورات الاقتصادية المعاصرة ودور الأمة الإسلامية في التوجهات العالمية الجديدة وآفاق التعاون بين العالم الإسلامي والمجتمعات الأخرى وقد افتتح المؤتمر الدكتور عاطف صدقي نيابة عن الرئيس حسني مبارك بكلمة أعرب فيها عن سعادته لتوجه المؤتمر لمعالجة القضايا الهامة التي تواجه الأمة الإسلامية والذي يبشر بالخير وبالتوصل إلى عمل مثمر. وأكد أن الأمة الإسلامية تواجه تحديات جسيمة أبرزها النزاعات الإقليمية واختلاط الأمور لدى الكثيرين مما أدى إلى تقديم الإسلام كأنه مذهبا للتعصب وانتشار صور جائرة بحقه. ودعا إلى توحيد الجهود لإقامة حياة قائمة على العلم الذي يكشف سنن الله عز وجل بالكون والارتفاع فوق دواعي الأنانية وأوهام العزلة إلى جانب تصحيح الصورة التي رسمها البعض للإسلام والتواصل مع شعوب وأمم العالم.

من جانبه أشار الدكتور علي فهد الزميع وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في كلمته في حفل افتتاح المؤتمر نيابة عن الوفود المشاركة إلى الصعاب التي أدت إلى تصاعد موجات العنف والتطرف السياسي والفكري والاجتماعي على جميع الأصعدة وانخفاض معدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وارتفاع معدلات الفقر والبطالة.

وقال إن هذه كلها عوامل تؤدي إلى تعميق الأزمة التي تعيشها بلدان العالم الإسلامي

المرحلة تقتضي أن يكون هناك تكاتف وتوعية كاملة لتصحيح صورة الإسلام على مستوى العالم


●الرئيس المصري

والتي تهدد أمنها واستقرارها وسلامها الاجتماعي وتزيد من الفجوة التي تفصلها عن الواقع الحضاري للعصر الذي ننتسب إليه.

لابد من المواءمة مع العصر

وأعرب الدكتور الزميع عن أسفه لعدم توصل كل الاجتهادات التي تمت إلى الآن إلى الطريق الصحيح لحل كيفية المواءمة بين التفاعل الإيجابي مع العصر الذي نعيش فيه مع الحفاظ على هويتنا الإسلامية في الوقت ذاته.

وأضاف أن أغلب هذه الاجتهادات تركزت في طرحين أساسيين قسما الأمة بين داعين للعودة إلى صورة المجتمع الإسلامي كما كان منذ أربعة عشر قرنا خلت كسبيل وحيد للحفاظ على الهوية والمطالبة بضرورة استيعاب الحضارة العالمية السائدة والذوبان فيها دون اكتراث بأي تميز ذاتي للهوية الإسلامية. وأكد الدكتور الزميع في كلمته ضرورة أن ينطلق النموذج الحضاري المرشح للنجاح من معطيات الواقع الراهن بكل ما يعيشه العصر من تعقيدات ومستجدات وما يشهده من ثورة في الاتصالات والمعلومات والتكنولوجيا وما يجري في مجتمعاتنا من تغييرات وتطور في الاحتياجات.

وقال إنه من المستحيل أن يكون الحل في إغفال ما يعيشه العصر من تحولات واللجوء إلى نقل الصور والصيغ الحضارية التي كانت مناسبة منذ أربعة عشر قرنا من الزمان. وأضاف ان الصيغة الحضارية التي شهدها المجتمع الإسلامي الأول لم تكن مبتورة عن معطيات العصر بل مزجت بوعي واستنارة بين هذه المعطيات والأصول الشرعية. وحذر من مغبة عدم حل هذه المسألة حتى لا نعاني في حاضرنا من أعراض الأزدواجية الحضارية في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية باعتبارها أخطر الأزمات التي يمكن أن تتعرض لها الأمة الإسلامية.

ودعا الوزير الزميع في هذا الصدد إلى الخروج بنموذج حضاري إسلامي معاصر يعالج المسألة الحضارية من مختلف جوانبها الرئيسية وهي الجانب الفكري العقائدي والجانب السياسي الذي يجب فيه أن نعتاد التعايش بروح الشورى والحرية والجانب الاجتماعي والثقافي.

على هامش المؤتمر

هذا وقد عقد السيد الدكتور الزميع لقاءات جانبية مع السيد وزير الحج السعودي الدكتور محمود بن محمد سفر ثمن من خلالها عاليا الدور الرائد الذي تضطلع به المملكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في خدمة الإسلام والمسلمين ورعاية مقدساتهم في مجال العمل الإسلامي.

من جانبه أشاد وزير الحج السعودي بالعلاقات التي تربط بين المملكة والكويت ونقل الراديو عنه القول إن تلك العلاقات تزداد رسوخا يوما بعد يوم وبتوجيه من خادم الحرمين الشريفين وسمو أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح.

مبارك علاقتنا مع الكويت علاقة مصير

وكان الرئيس المصري محمد حسني مبارك قد استقبل السيد وزير الأوقاف ووفد الجمعيات الخيرية الكويتية المرافق له والمكون من رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية يوسف الحجي ورئيس جمعية النجاة الخيرية أحمد سعد الجاسر ونائب رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي حمود حمد الرومي ورئيس جمعية إحياء التراث الإسلامي خالد سلطان العيسى وأمين عام لجنة مسلمي أفريقيا الدكتور عبدالرحمن حمود السميط ووصف الدكتور الزميع لقاءه مع الرئيس مبارك بأنه كان مفيدا وإيجابيا.

وقال وزير الأوقاف في تصريح له عقب اللقاء انه نقل للرئيس مبارك تحيات سمو الأمير الشيخ جابر الأحمد الصباح وأطلع على مجالات التعاون الإسلامي المشترك بين مصر والكويت. وأضاف أنه تم على هامش اللقاء استعراض أنشطة الجمعيات الخيرية الكويتية والتي تحظى بدعم الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف المصرية، مشيرا إلى أن هناك بروتوكولات عديدة نسقت هذا التعاون مع الأنشطة المحلية والخارجية، مؤكدا أن الرئيس مبارك بارك مثل هذا النشاط وأمدنا بتوجيهاته التي كانت مفيدة لنا في كيفية التعامل مع معطيات الواقع الجديد.

وقال الدكتور الزميع إنه وجه الشكر للرئيس مبارك على كلمته الإيجابية التي تم طرحها في المؤتمر العام للدعوة الإسلامية



● أحد المشاريع الخيرية الكويتية بالقاهرة



● د. علي فهد الزميع

ينطلق النموذج الحضاري المرشح للنجاح من معطيات الواقع الراهن بكل ما يعيشه العصر من تعقيدات ومستجدات

وأضاف «اننا استفدنا أيضا من توضيحاته في مجال نشر الدعوة الإسلامية في الخارج ووجهنا له شكر المسؤولين والجهات الشعبية الكويتية على دعمه المتواصل للعلاقات المصرية الكويتية.

وردا على سؤال بشأن توجيهات الرئيس مبارك حول دعم التعاون بين الجمعيات الخيرية في البلدين قال الوزير الزميع أنه تم التنسيق على أن تكون الحصص الخيرية متركزة على المجالات التنموية من خلال دعم الأنشطة الثقافية والرعاية الاجتماعية، وكذلك القضايا التعليمية سواء على القضايا الجزئية في هذا النشاط وأضاف أن الرئيس مبارك أصدر توجيهاته بأن يكون العمل الشعبي المصري الكويتي المشترك من خلال القنوات والأطر الرسمية منعا للأزدواجيات والتكرار.

وأوضح أن هذه الملاحظات كانت مفيدة ووعد رؤساء الجمعيات الخيرية الكويتية بأخذها بعين الاعتبار وبحيث تكون محور نشاطها.

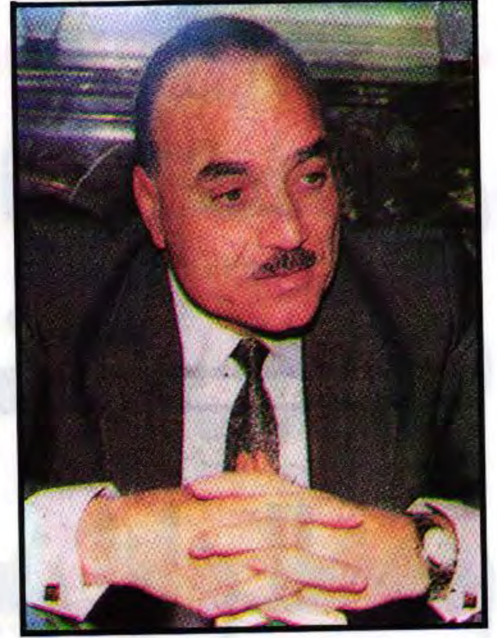
من جهته صرح الدكتور محمد علي محجوب وزير الأوقاف المصري عقب استقبال الرئيس مبارك لوزير الأوقاف والوفد المرافق له بأن الرئيس مبارك شرح خلال هذا اللقاء الذي استمر أكثر من ساعة ونصف الساعة الأوضاع العالمية التي تمر بها الأمة الإسلامية وصورة المسلمين في العالم الآن. وأوضح الرئيس أن المرحلة تقتضي أن يكون هناك تكاتف وتوعية كاملة لتصحيح صورة الإسلام على مستوى العالم وأن أمن مصر وأمن



● وزير الحج السعودي الدكتور محمود بن محمد سفر



● يوسف الحجي



● محمد علي محجوب



● جانب من المساهمات الكويتية بمصر

■ تم التنسيق على أن تكون الحصص الخيرية متركزة على المجالات التنموية من خلال دعم الأنشطة الثقافية والرعاية الاجتماعية

الكويت وأمن الأمة الإسلامية يجب أن يكون في المقام الأول لأن أي خلل في أية دولة قد يؤدي إلى مساويء لا حصر لها.

وقال إن الرئيس مبارك أكد للوفد الكويتي اننا حريصون كل الحرص على أن تكون صورة الإسلام في العالم صورة كريمة كما شرح ما تقوم به مصر من جهود في مجال الدعوة الإسلامية.

وأكد الرئيس مبارك أن مصر لا تواجه المتدينين وإنما تواجه الإرهاب لصالح المتدينين وأن مصر تتمسك بالقيم الدينية الإسلامية المعتدلة وأن واجب العرب والمسلمين في هذه المرحلة أن يتكاتفوا معا من أجل إبراز الصورة السمحة للفكر الإسلامي المعتدل.

وقال الدكتور محجوب إنه تم الاتفاق على أن تكون جميع المشروعات التي تقام على أرض مصر في كافة المجالات الثقافية والاجتماعية والدينية والتربوية في إطار العمل الرسمي، مشيرا إلى أن هناك بروتوكولا تم توقيعه أثناء زيارته للكويت يتم بمقتضاه تنظيم هذا العمل.

وأضاف أن الرئيس مبارك أعطانا توجيهات بتنفيذ هذا البروتوكول وأن يكون هناك تعاون مستمر وذكر أن الرئيس اثنى على جهود الكويت وجهود سمو الأمير وسمو ولي العهد مؤكدا أن العلاقة بين مصر والكويت ليست علاقة سياسية وإنما هي علاقة أشقاء لا أوصياء وأنها علاقة مصير وقدر ووجود لصالح الأمة الإسلامية والعربية .□



●الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر



● خالد سلطان العيسى

أجـرى اللقـاء: تمام أحمد

الدكتور محمد سعيد الرشد نائب المدير العام للمركز الإسلامي الثقافي بموسكو للوعي الإسلامي

إلغاء الحرف العربي مصيبة كبرى ألمت بالمسلمين أيام الحكم الشيوعي



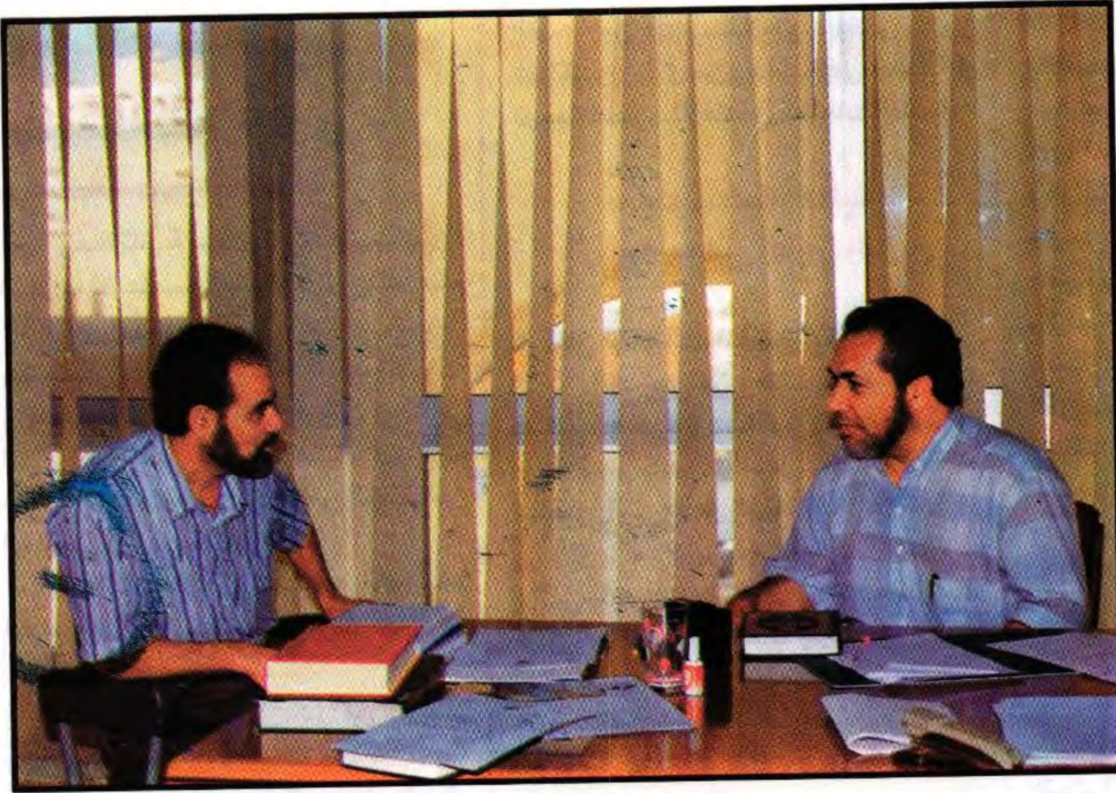
■ المسلم الروسي بحاجة إلى الفكر أولا قبل المساعدة المادية

المسلمون في روسيا الاتحادية يبحثون عن ذاتهم وهويتهم وانتمائهم الحضاري لأمتهم المسلمة بعد عشرات السنين من الكبت والقهر والظلم في ظل النظام الشيوعي المقبور .. إنهم يريدون أن يطووا تلك السنين العجاف التي مرت بهم وأبعدتهم عن ركب الحضارة الإسلامية.. مجلة الوعي الإسلامي اغتنمت فرصة زيارة الدكتور محمد سعيد الرشد نائب المدير العام للمركز الإسلامي الثقافي بموسكو ومدير الشؤون الإسلامية في المركز والمشرف الأول ورئيس فريق تحقيق وتدقيق ترجمة معاني القرآن الكريم للروسية وأجرت معه هذا اللقاء الطيب الذي سلط الضوء من خلاله على أوضاع المسلمين الروس وما يعانونه من مشكلات..

*** في البداية حبذا لو تقدموا لنا نبذة مختصرة عن تاريخ تأسيس المركز الثقافي الذي تعملون فيه؟**

– المركز الثقافي الإسلامي بموسكو تأسس في خريف عام ١٩٩٠م وهو يعتبر أول منظمة ثقافية إسلامية اجتماعية في جمهورية روسيا الاتحادية البالغ عدد سكانها (١٥٠) مليون نسمة فيما يبلغ عدد المسلمين فيها حوالي عشرين مليون نسمة لقد سجل المركز رسميا في ١٧ أبريل عام ١٩٩١م تحت رقم ٥٧ في إدارة العدل التابعة لبلدية موسكو وفي السادس من يونيو من العام ذاته أقيم حفل افتتاح وإشهار المركز للدوائر الرسمية والاجتماعية بروسيا ومن خلال التلفاز المركزي الروسي تم عرض فيلم عن تاريخ تأسيس المركز تحت عنوان «عودة الإسلام» وفي ٢٣ فبراير ١٩٩٣م سجل المركز في وزارة العدل لروسيا الاتحادية كمنظمة فاعلة على مستوى جميع مناطق روسيا الاتحادية ومنذ ذلك التاريخ افتتح المركز أكثر من ستين فرعا في معظم المدن الهامة حيث يقيم المسلمون من

■ الملحـــون الـــروس بأمسّ الحاجـــة إلى مجلة أو جـريدة تقـــدم المادة الإسلامية بثوب قشيـــــب



القـوميات المختلفـة كما افتتح فروعـاً في كل الجمهوريات الإســلامية ذات الحكم الذاتي الداخلة في جمهورية روسيـا والبالغة حوالي ١٢ جمهورية يغلب على سكانها الإسلام.

* هل هناك أهداف محددة للمـركز يعمل على تحقيقها وفق استراتيجية عامة؟

– الأهداف الرئيسيـة للمركز تشتمل على التعريف بالتراث الإســلامي والثقافي وحفظه ونشره والقيام بالـدعوة الإسلامية وإقـامة العـلاقـات المتعـددة الأطـراف مع مسلمي روسيـا والبلدان الأخـرى وتشجيع الحوار بين القوميـات والديـانات المختلفـة وتكوين هيئـــة المنظمات الإســـلاميـــة في روسيـــا والتعاون مع جميع المؤسســات الساعية إلى الخير من أجل النهضـة الـوطنية لـروسيـا ونهضة مسلميها.

أنشطة المركز

* مـا الأنشطة التــي قام بها المركـز في هذه الفترة القصيرة من عمره؟

– في الحقيقـة قـام المركز منـذ تأسيسـه وحتى الآن بأنشطـة عـديـدة عن طـريق أقسامه العشرة ولجنتيه، ونظراً إلى أن المركز يقر العلاقـات الثابتة للدولـة، ولا يتدخل في الشـؤون السيـاسيـــة في عملـه، لهذا فقد خصصت حكومة موسكو مساحة هكتارين من الأرض في القطاع الجنوبي للعـاصمة من أجل بناء المركز الذي سيكون بعون الله أكبر المراكز ليس في روسيـا فقط ولكن في أوروبا الشرقية كلها، وسيتكـون المركز المذكور من مجموعـة ابنية من بينها الجامعـة والمدرسة الدينيـة والمركز الإعلامي وقـاعة المؤتمرات والمكتبة وقاعة العرض والفندق ومركز ثقافة القـوميـات ومركـز تأهيل الأحـداث وسكن الطلبـة والمركـز التجـاري والمطبعـة، ولقـد اقيمت بالمدرسة الدينيـة بالمركز دورة تعليم اللغة العربية وأصـول الدين الإسلامي، كما قام المركـز بعدد من الـرحلات الدعـوية إلى المنـاطق المختلفـة لـروسيـا وزعت خـلالها الترجمة المنقحـة لمعـــاني القـرآن الكـــريم بـالـروسيـة كما قـام المركـز بعقـد المؤتمر الإسلامـي بموسكـو في مايـو عام ١٩٩٢م باشتراك عدد كبير من الضيـوف من روسيا ورابطة الدول المستقلة، وكذلك إقامة المؤتمر الدولي الإسلامي الأول تحت عنوان «التعليم في الدول الإسلامية وبلدان أوروبا الشرقية» والـذي قـام المركـز بعقـده بـالاشتراك مع جامعـة الإمام محمد بن سعود الإسـلامية، كما نظم المركـز المؤتمر الـدولي الإسـلامي الثـاني تحت عنـوان «الإعجـاز العلمي في القـرآن والسنـة» في شهـر سبتمبر عـام ١٩٩٣م بـالاشتراك مع رابطـة العـالم الإســلامـي، وفي ١٨/٧/١٩٩٤م انعقـد المؤتمر الدولي الإسلامي الثالث تحت عنوان «الإسـلام في روسيا وآسيـا الوسطى دعـوة وثقافـة». وفي الوقت الحاضر ينفـذ مركـزنا البرنـامـج الكبير الخاص ببنـاء المســاجـد والمدارس الدينية والمراكز الثقـافية الإقليمية على سـاحة روسيـا كلها وخـارج حدودهـا كذلك ومن البرامج المميزة برنامج بناء المركز في ســاحـة جمهـوريـة بـاشكـرتستـان الإسلامية، ويبذل المركز جهوداً بالغة بهدف إرسـال طلبـة العلم إلى البلدان الإسـلاميـة للـدراسـة، ويخطط المركـز لإقامـة مـؤتمر إسـلامي للمسلمين الجدد من القـوميـات السـلافـانيـة (الصقـالبـة) تحت عنـوان «الإسلام والثقافة السلافانية» لتثبيت إيمان من دخل الإسلام من الروس والاوكران.

مشروع ترجمة معاني القرآن الكريم

* بـالنسبـة لترجمة معـاني القـرآن الكـريم للروسيـة هل اكتمل المشروع من كل جوانبه؟

– قمنا أولا بطباعة مجموعة أولى تضمنت عشرة أجـزاء وذلك عام ١٩٩١م، ثم طبعنـا

إلغاء الحرف العربي مصيبـــــة كبرى

مجموعة ثانية احتوت على عشرة أجزاء أخرى، إضافة للعشرة الأولى وذلك عام ١٩٩٣م وأصبح المطبوع عشرين جزءا، وطبعنا من كل مجموعة ٣٠ ألف نسخة وزعت مجانا على المسلمين الروس ومسلمي آسيا الوسطى، ومعظم هذه النسخ تم شراؤها من قبل دول مجلس التعاون الخليجي ووزعت مجانا هناك.

*** هناك لغط يدور في بعض الأوساط العلمية بأن الترجمة غير دقيقة فما ردكم على ذلك؟**

– أحمد الله تعالى أن كل من ادعى أن هناك نقصا أو أخطاء في الترجمة طلبنا منه الدليل وطلبنا منه أن يبين الصفحة والسطر والكلمة لكنه تلعثم ولم يجب وهناك شائعات لاأصل لها فمن يتقن الروسية يقول: هذا شعر نقول له: أنت تقيم الشكل أو الأسلوب؟ أعطنا رأيك في المضمون فيدعي أنه لا يعلم بالمضمون مع كونه يعرف العربية والروسية ويستطيع أن يرجع إلى أي تفسير ليتأكد هل ما كتبناه مطابقا لما جاء به المفسرون كالطبري والقرطبي وابن كثير أو لا؟ كذلك بعض الجهات التي قالت: إن هناك نقادا لترجمتنا طلبنا منهم أن يجمعونا بهؤلاء النقاد فاعتذر النقاد عن اللقاء، واما اتهام الترجمة بالشعر فهي أولا مدح وليس ذما كما قال الشيخ الدكتور عبدالله المصلح رئيس هيئة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة في رابطة العالم الإسلامي لأن أسلوب القرآن فوق الشعر وقال عدد كبير من المفسرين ومنهم سيد قطب رحمه الله: «ان في اللغة العربية أساليب عديدة أعلاها الأسلوب القرآني فهو فوق الشعر ثم يليها الشعر العربي ثم يليه النثر حسب بلاغته ثم قول العامة».

كذلك باعتراف أكاديمية العلوم الروسية أن الأسلوب الذي نترجم ليس شعراً موزونا وانما هو شعر ابيض غالبا مانكسر وزنه لضرورة المعنى، كما أن التزكيات التي نحملها ومنها تزكية الأزهر وتزكية العديد من علماء روسيا تدحض ما يدعيه نقاد الترجمة من عدم سلامتها، ونحن نكون شاكرين لكل من يدلنا على خطيئة في ترجمتنا حتى نتلافاها في الطبعات القادمة.

مطلوب هيئة عالمية لترجمة معاني القرآن الكريم

في قطر هناك أحد المهتمين بترجمة معاني القرآن الكريم ممن يطالب بإنشاء هيئة عالمية لذلك وهذا الرجل هو الشيخ الدكتور حسن المعايرجي فما رأيكم بالفكرة التي يدعو إليها المعايرجي؟

– اؤيد الدكتور المعايرجي في مشروعه واثني عليه وغالبا ما تحدثت معه بالهاتف لأنني لم ألتق به شخصيا وأرسلت له نسخا مما ترجمناه ولكنني لاحظت على مشروعه انه يعترض على ان يسمى ترجمة المعاني

■ أؤيد فكرة قيام هيئة عالمية لترجمة معاني القرآن الكريم لكل اللغات العالمية على ايدي متخصصين

وانما يقترح تسميته شرحاً أو تفسيرا والحقيقة مثل هذه التسمية نتركها لإجماع العلماء وأؤيده في نقطة هامة وهي إلزام المسلم غير الكفؤ سواء في تفسيره إلى اللغة العربية أو ترجمته إلى لغات أخرى بعدم الإقدام على مشروع تفسير القرآن أو ترجمته وأن نساعد الأكفاء في مشاريعهم سواء في التفسير أم الترجمة.

*** عملية الترجمة لمعاني القرآن تحتاج إلى مراجعة دقيقة وإلى هيئة شرعية تقوم بمراجعتها فهل عرضتم الترجمة على مثل هذه اللجنة؟**

– فتشت عن مثل هذه اللجنة في كل المعاهد الإسلامية في الوطن العربي والإسلامي فلم أجد لها كيانا وذلك لأن العاملين في الحقل الإسلامي كانوا بعيدين عن اللغة الروسية، ولكن كيف الحل والله تعالى يقول: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ القمر/١٧ والرسول يقول: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» متفق عليه ولا يمكننا أن نعلم الشعوب الروسية العربية ولابد لمن يتصدى لترجمة معاني القرآن الكريم أن تتوفر فيه الشروط التالية:

اتقان العربية، اتقان الروسية، اتقان العلوم الشرعية والشرطان الأولان متوفران ولله الحمد أما العلوم الشرعية والإلمام بها كلية فنقوم بأخذها من كتب التفسير القديم منها والحديث ونستعين بكل أمات كتب التفسير، وهناك شرط مهم لمن يتقن الروسية أن يكون ذا أسلوب بليغ وهذا والحمدلله متوفر في زوجتي الأديبة الروسية عضو اتحاد الأدباء الروس والمشهود لها ببلاغة الأسلوب وجزالته، وتقوم بصياغة الترجمة على طريقة النثر الموزون أو الشعر الأبيض مما جعله محبباً إلى قلوب القراء بالروسية كما أننا عرضنا ونعرض كل ما ترجمنا ونترجمه على الإدارة الدينية في روسيا وآسيا الوسطى وعلى الشخصيات الإسلامية التي تتقن العربية والروسية ضمن ما كان يعرف سابقا بالاتحاد السوفياتي واستفدنا في بداية الترجمة من ملاحظاتهم وما ابدوه من اقتراحات استدركناها في الطبعة الثانية وفي المرحلة الحالية من الترجمة، وإنني أشكر الله الذي يسر ذلك وأتوجه بالشكر الجزيل إلى العلماء الأفاضل في الإدارة الدينية في جمهورية روسيا الاتحادية وآسيا الوسطى، كما انه يوجد في الأزهر، عالم متخصص في اللغات من روسيا ومتخصص في أصول علوم الدين راجع الترجمة وأثنى عليها، وهو يلح علينا كي ننهي الترجمة حتى يقوم بتزكيتها واعتمادها رسميا من قبل الأزهر لكننا لفراغ المكتبة الروسية من ترجمة سليمة نقوم بطباعة الأجزاء المنتهية قبل اكتمال المشروع.

الاستفادة من وسائل الإعلام

*** جمهوريات آسيا الوسطى وجمهوريات الحكم الذاتي في روسيا**



■ المنصرون جاءوا بكل قواهم بعد سقوط الشيوعية لنشر أفكارهم في أرجاء الاتحاد السوفياتي المنهار

الاتحادية ورثت تركة إعلامية لا تمت للإسلام بصلة وهناك فقر كبير في البرامج الدينية.. في اعتقادكم كيف نرفع من مستوى هذه البرامج لصالح المشروع الإسلامي؟

– كانت الشيوعية تعتمد اعتمادا كبيرا على وسائل الإعلام في نشر الفكر الشيوعي وفي محاربة الأديان والدين الإسلامي بشكل خاص وعلى تشويه صورة المجتمع العربي وتحتل فترة مشاهدة التلفاز في روسيا المرتبة الثالثة بعد العمل والنوم وهناك محطات كثيرة منها المركزية التي تصل إلى عموم ما يسمي الاتحاد السوفياتي ومنها المحلية علي مستوى الجمهورية، أو المدينة، والآن تقدم بالإضافة إلى الثقافة الغربية الماجنة الكثير من البرامج المعادية لأمتنا وعقيدتنا، فلابد من دبلجة الكثير من البرامج الإسلامية والمسلسلات التاريخية الموجودة في الإعلام العربي والإسلامي وبثها في القنوات التلفازية المحلية لاستعداد هذه القنوات بعرض البرامج مجانا، وشراء ساعات في القنوات المركزية ليستفيد منها كل مشاهدي التلفاز فيما كان يدعى سابقا الاتحاد السوفياتي، وكذلك شراء أوقات معينة لإلقاء محاضرات عن الإسلام إما مدبلجة أو من قبل الجالية العربية التي تتقن الروسية في روسيا، وهؤلاء موجودون ولايحتاجون إلا لرعاية وعناية..

*** مامدى حاجة المسلمين في روسيا إلى وسائل إعلامية غير التلفزة؟**

– المسلمون الروس في أمس الحاجة إلى مجلة أو جريدة أسبوعية أو يومية على مستوى جيد تقدم المادة الإسلامية بثوب قشيب وبأسلوب علمي تقبله العقلية الروسية، ولدى مركزنا الثقافي الكوادر الفنية التي تستطيع القيام بهذا العمل، ولكننا نفتقد التغطية المادية وما يوجد على الساحة الروسية من جرائد شبه دورية من أعمال فردية وضيعة المستوى لا تخدم الفكر الإسلامي الخدمة المطلوبة ولا تحقق الهدف المرتجي في هذه المرحلة.

*** كل الجهات والتيارات تعمل اليوم في روسيا وجمهوريات آسيا الوسطى لتكوين فكر مؤيد لها ما تقييمكم للعمل الإسلامي الإعلامي في تلك الد يار؟**

– بعد انهيار الشيوعية في روسيا انصبت جحافل المنصرين من أوروبا الغربية، حيث وجدوا أن الأسوار الحديدية قد كسرت وأن هناك تعطشاً كبيراً للأفكار الدينية، فجاءوا بأموالهم وبرامجهم التلفازية والإذاعية وبالمنصرين الذين يتقنون الروسية وبمظاهرهم المدنية فكسبوا الكثير من الشارع الروسي وامتد تأثيرهم للشباب المسلم في روسيا وآسيا الوسطى حتى إن تركيز المبشرين على آسيا الوسطى كان مكثفا ونحن كمسلمين أمرنا الرسول الكريم بأن نخاطب الناس على قدر عقولهم وعلى الطريقة التي اعتادوا عليها، فقد تعودوا على المطالعة ومشاهدة التلفاز وحضور المحاضرات التي كانت تلقي فيها مبادىء الاتحاد وطرق التشهير بالأديان فمن واجب الدعاة إلي الله أن يسلكوا في طريق دعوتهم البرامج التلفازية والإذاعية وإلقاء المحاضرات في القاعات الكبيرة المنتشرة في كل القرى والمدن الروسية، كما ان تقديم الكتاب الإسلامي لابد أن يكون على مستوى عال من البلاغة ومن غزارة المعلومات واستخدام الأسلوب العلمي والمنصف في تسلسلها، والطريقة التي اتبعناها في مركزنا هي مخاطبة العقل بالحجة والدليل العلمي لاثبات شرع الله، ومخاطبته جميع الناس، لأن ما كان يعلق في أذهان الروس أن الإسلام مقتصر على العرب وعلى الشعوب التي دخلت فيه في صدر الإسلام ،كما أن عدم وجود ترجمة صحيحة وبليغة لمعاني كتاب الله أوجب علينا التصدي لهذه المهمة الصعبة والشاقة لنقوم بأداء فرض الكفاية حتى لا يكون كل المسلمين آثمين، حيث ان

إلغاء الحرف العربي مصيبــــة كبرى

التراجم الموجودة في اللغة الروسية منفذة من قبل مستشرقين معادين للإسلام ومن قبل رجال الكنيسة الذين أرادوا أن يظهروا أن القرآن هو نسخة مشوهة أو معدلة عن الإنجيل، وأهم المصائب التي ألمت بالمسلمين في روسيا وآسيا الوسطى هي إلغاء الحرف العربي الذي كان مستعملا حتى عام ١٩١٧م وكان المقصود من ذلك هو الإسلام بفكره لأن الحكومة الشيوعية ابقت الحروف للشعب الأرمني رغم قلة عدده كشعب، وكذلك الشعب الجورجي غير المسلم كما مسخت اللغات المحلية للشعوب المسلمة بإدخال كلمات ومصطلحات روسية جديدة، والغت كثيرا من المصطلحات وخرج جيل من هذه الشعوب لا يعرف إلا الروسية لغة للعلم ولا يستعمل لغته الخاصة إلا بالتخاطب اليومي.

*** مامدى التنسيق بين مركزكم وباقي المراكز الإسلامية الأخرى في روسيا؟**

– نحن نشارك باقي المراكز فيما تقوم به من نشاط وفي اجتماعات مجلس الشورى لمركزنا ندعو كل العاملين في الحقل الإسلامي للمشاركة وابداء الرأي ونسعى إلى توحيد هذه المراكز في اتحاد يضم كافة المراكز والمنظمات الإسلامية وهذا أمر ضروري حتى لا تتكرر الجهود وحتى يتم التنسيق طالما أننا كلنا يعمل لغاية واحدة هي هداية الناس مسلمهم وغيره والتخفيف من هموم ومعاناة الشعوب التي تعيش ضمن روسيا الاتحادية.

تمويل ذاتي للأنشطة

*** انشطتكم تحتاج إلى دعم وتمويل، فمن أين تحصلون على الدعم، وهل تقدم لكم الحكومة الروسية دعما ماديا؟**

– نظرا لفقر الحكومة الروسية فهي لا تقدم لنا أي دعم وإنما قدمت لنا المركز الحالي وهو عبارة عن شقتين سكنيتين بأجر رمزي مخفض كما قدمت لنا قطعتي أرض في مواقع جيدة من موسكو لبناء مجمع إسلامي ومسجد ونحن ننتظر المساعدات من الدول الإسلامية لإقامة هذين الصرحين الإسلاميين، وبشكل عام تمويل المركز يعتمد حاليا على المساعدات غير الدورية التي تقدمها بعض السفارات العربية وعلى النشاط التجاري الذي تقوم به إدارة المركز «بيع مطبوعات. استقبال بعض الضيوف وتقديم الخدمات لهم» ولكن هذا النشاط التجاري يحد من نشاطنا بالعمل الإسلامي، فنحن نناشد الحكومات الإسلامية وخاصة الكويت الشقيقة التي عودت المسلمين على مد يد العون والمساعدة أن تقدم لنا مساعدة مع حقها في الإشراف على برامجنا، وخاصة لدينا برنامج لتثقيف المسلمين في الجيش الروسي، وهداية السجناء المسلمين ولدينا عقد موقع مع وزارة الداخلية وقسم الثقافة في الجيش الروسي ولا يفوتني هنا إلا أن أشيد بدور الكويت ووزارة الأوقاف فيها، واللجان الخيرية التي قامت مشكورة بالإشراف على بعض المشاريع الإسلامية كمشاريع الأضاحي وبناء بعض المساجد في أماكن عديدة من روسيا ومركزنا على استعداد تام للتعاون والتنسيق مع جهود وزارة الأوقاف في الكويت لتنظيم وتنسيق عملنا.

> ■ الشيوعية كانت تعتمد اعتماداً كبيراً على وسائل الإعلام لنشر فكرها وإيديولوجيتها!

*** ما الأولويات التي يحتاج إليها مسلمو روسيا في الوقت الحاضر؟**

– اعتقد أن ما يحتاجه المسلم في روسيا هو الدعم الفكري لاننا إذا دخلنا في مساعدة المسلمين ماديا يصعب علينا أن نساعد عشرين مليونا من الفقراء ولكن اذا نظرنا إلى المسلمين بالمقارنة مع بقية الشعوب نجد أن المسلمين ليسوا أفقر من الروس والسبب يعود إلى الأمور الآتية:

١ – نسبة المدنيين من المسلمين أقل بكثير من الروس.

٢ – الأسرة الروسية المسلمة متماسكة أكثر من الأسرة الروسية غير المسلمة.

٣ – المسلمون يعملون في الزراعة ويعتمدون على المهن الحرفية وهؤلاء ارتفعت أجورهم مباشرة واصبحت عالية حسب سعر السوق وكثير منهم ترك الوظائف الحكومية.

٤ – فتوة المسلمين الروس وكفاءتهم البدنية.

٥ – الاحترام المتوارث لكبار السن يخفف كثيرا من نسبة العاجزين والمتقاعدين.

التدرج في تقديم المعلومات

*** هل يمكن أن توضحوا لنا نوعية الدعم الفكري الذي يحتاجه المسلم الروسي؟**

– ان اعتزاز المسلم بالقرآن الكريم ونظرا لعدم معرفته بأية لغة أخرى غير الروسية وجدنا آلاف الطلبات وكلها تطالب بترجمة معاني القرآن ترجمة بليغة وسليمة كما وجدنا عتبا ولوما من مسلمي روسيا، ولماذا لم يقدم لهم العالم الإسلامي حتى اليوم ترجمة كاملة للقرآن وكما قال بعضهم: كيف تتركون كتاب الله للمستشرقين كي يترجموه لنا حسب اهوائهم، كذلك هناك إلحاح كبير للتعرف على سيرة الرسول بعيدة عن التحريف أو الأقوال الضعيفة ولهذا قام مركزنا والحمدلله بترجمة سيرة الرسول للعالم الهندي السيد سليمان الندوي وهي جاهزة قيد الطباعة تحتاج إلى من يمول طباعتها كما أنني أدعو الجهات الإسلامية إلى اختيار مائة أو مائتي حديث تتناسب مع عقلية مسلمي روسيا لترجمتها مع التفسير الميسر ليسهل فهمها، ولا انصح بترجمة كتب الأحاديث الموجودة في اللغة العربية كما هي مصنفة للقارىء العربي المسلم، لأن علينا أن نتدرج في تقديم المعلومات الإسلامية لمسلمي روسيا وغيرهم.

*** ايهما أفضل وأجدى إرسال الدعاة إلى روسيا أم إرسال الطلبة الروس إلى**

الجامعات الإسلامية ثم عودتهم إلى بلدهم دعاة قادرين على القيام بمهمة الدعوة إلى الله؟

– الأفضل أن يتم العمل بالتوازي بإرسال دعاة إلى روسيا وباستقطاب الطلبة الروس إلى الجامعات الإسلامية كما انصح بإقامة معهد أو معاهد إسلامية في المدن الكبرى الروسية أو إقامة معهد أو جامعة للعلوم الإسلامية في بلد إسلامي قريب من روسيا يبتعث إليه الطلبة الروس □

بطاقة شخصية

* الدكتور محمد سعيد الرشد من مواليد دمشق عام ١٩٤٦م

* والده من علماء دمشق الذين درسوا في الأزهر ١٩٣٧ وكان يدرس العلوم الشرعية ويقوم بالخطابة في مساجد دمشق

* عمل بالتعليم مابين أعوام ١٩٦٦ – ١٩٧٠ م في سوريا والجزائر.

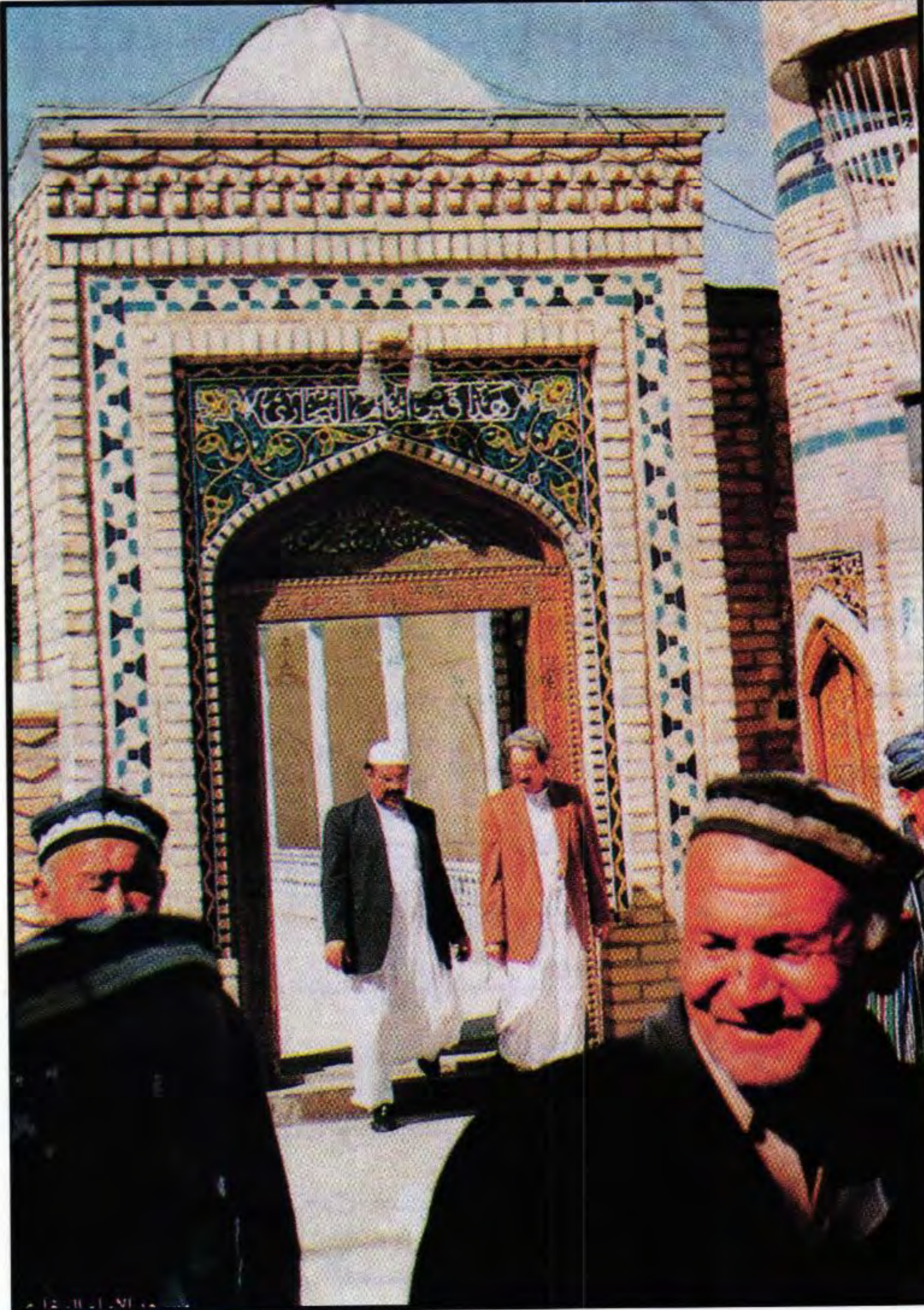
* سافر إلى روسيا عام ١٩٧٠م لدراسة الهندسة حيث ظهرت اهتماماته بأحوال المسلمين الروس وكل ما كتب عن الإسلام بالروسية وحضر كل المؤتمرات الدينية سواء قبل الشيوعية أو بعدها.

* متزوج من أديبة روسية أسلمت وحسن إسلامها.

* أعدَّ د. محمد سعيد نفسه وزوجته لترجمة معاني القرآن الكريم للروسية بين أعوام ١٩٧٥ – ١٩٨٥م

* انجز منذ عام ١٩٨٥ م ٢٥ جزءاً ومن المتوقع الانتهاء من المشروع كاملا في نهاية عام ١٩٩٥م

■ في روسيا الاتحادية ١٢ جمهورية إسلامية تتمتع بالحكم الذاتي يغلب على أهلها الإسلام



مطلوب إرسال دعاة إلى روسيا واستقطاب الطلبة الروس إلى الجامعات الإسلامية

هديتي إلى شباب الإسلام

شعر الدكتور جابر قميحة

لقد فاضت الآفاق نورا وبهجة ... بذكرى رسول الله ، أنعمْ بها ذكرى!
وعندي من الشعر الكريم حديقةٌ ... زرعْتُ بها الريحانَ والوردَ والزهْرا
وروَّيتُها من عطر «طه» وبالضحى ... و«بالنور» و«الإخلاص» و«الفجرِ» والإسرا
لذلك أهديكم غوالي مشاعري ... وقد صُغتها من ماء قلبي لكم شعرا

بُنيَّ - رعاك اللهُ - هاك هديتي ... تمسَّكْ بأهداب الشريعة كي تَثْرَي
فإن نخاع الدين سيفٌ.. ومصحفٌ ... وعلمٌ وعزمٌ لاهبٌ يقهرُ القهْرا..
فإما تمسكنا به كان نصرنا ... وإما هجرناه غدوْنا ولا صِفرا..
ويا فخرَنَا أن كان فينا محمدٌ.. ... وأنعم به عزًا، وأنعم به فَخْرا
فما حقق النصرَ الأبيّ تواكلا ... ولكن بعزم شامخ يسحقُ الصخرا
فكان بصدرِ الجيش تحت عُقابه ... فتهوي رءوسُ الكفر من رعبها حسرى
فما منهمُ إلا صريعُ هزيمةٍ.. ... وناج رعيش القلب يجتنب الأسرا
هو الأسوةُ الشماءُ، أَنعم بأسوةٍ ... هي البلسمُ الشافي وأنعم به طُهرا
هو القدوةُ العظمَى لأصحابه الأُلَى ... مضوا ينصرون الدين والأنجمَ الزُّهرَا
مشاعلُ حق قد أضاءت بها الدنَى ... وحرَّقت الطغيانَ والذل والكفرا
ألم ترَ سعدا والمثنى.. وخالدا ... وحمزةَ والمقداد، والفتية الغرا
لهم رايةٌ صيغت من المجد والتقَى ... وما نُسجتْ قزاً، وما صُبغَت تبرْا
مضوا يمخُرون الصخر والبحر والمدى ... فأصبح ما قد كان عُسْرا بهم يُسرا
ونصرُهُمُ حقٌّ على الله في الوغى ... ولم يعرفوا إلا لربهمُ.. فرَّا
فدكوا حصون البغي والظلم والهوى ... وصاغوا كتاب العدل سطرا تلا سطرا
فما عادَ فوق الأرض للروم رايةٌ ... وما عاد للفرس الجبابر من ذكرى

ومــا عـــاد فيهــا قيصرُ الظلم والهوى   ولا رسْتُمُ الجبــارُ فيهـــا ولا كسْرى..

وفي عَــالم اليـــوم الكئيب مِبـــادئٌ   كمثل ضـــواري الغـــابِ، بل إنها أضرى
تُخرِّبُ في الأرواح كـلَّ نبيلــــــــة   وتــــزرعُ فيهـــا الإفـكَ والإثمَ والشرّا
وتـــزعم أنــا لـــو رجعنــا لشرعنــا   لكنـــا لظلمات التخلف كـــالأسر ى
فيـــا عجبــا لـــلإفك.. إذ ينسجـونـــه   خيـوط ضـــلالٍ تـورث الجهـلَ والكفـرا
وتُخْمـــدُ نـــورَ القلـبِ والطهْـــرِ والنُّهى   وتجعل خِصب الأرض من سمِّهــا قَفْـرا

فمن ذا الـــذي ســـاق الهدايـــة للـــدنى   وأخـــرجهـا للنـــور من ظلمــة حَـــرَّى؟
ومن ذا الـــذي راعـــى الهدايـــةَ منهجـــا   وروحَ الإخــــاء الحق والسلم والخيرا؟
ومن ذا الـــذي قـــد علّم الغـربَ بعـــدما   قضى في ظـلام الجهل من ضيعةٍ دهــرا؟
هُمُ – يــا بني – المسلمــونَ، وقـــد سَعَـــوْا   يجيبــونَ داعي اللهِ «بـــاقرأ» فيــا بُشرى!
فسل عنهــم الكيميـــــاءَ والطبَّ ولْتَسَــلْ   علـــوم الأراضي والحســـابـــاتِ والجبرا

فلما تـــراخينـــا ونمنـــا تسلّلـــوا..   وَلَصُّـوا حضــارتَنــا، وبــاهُـوا بها الغَيْرا
ومـــا العلمُ إلا علمُنــــا غيّروا اسمـــه   ولكنّنـــا نمنـــا وهُـم واصلـــوا السيرا
فلما صحـــوْنـــا من كَـــرَى طـــالَ ليلُـــه   تكشِّف أنَّ اللـصَ قـــد غـــادَر القصرا
يـــردُّ علينـــا من بضـــاعتنـــا التي   تَنَهَّبَهَـــا ليـــلا، فنـزجى لـــه الشكـــرا..
ولكنــــه أبْقَـى لـــــه مـــن لُبـــابهـا..   جــواهـرَهـا العظمى، وأعطى لنـا القشرا

بُنيَّ : وفي ذكـــرى الـرســـول ونـــورهـــا   ذكـــرتُك. فلتُخْلص وَفــــاءك للـــذكـــرى
وإنـــا – وقـــد شبنـــا ولانت عظـــامُنـــا   عقـــدنـــا بك الآمـالَ، والنظـــرةَ البكـــرا
بـأن تبعثَ الأمجادَ بـــــالعلم والتُّقـى   وبـالفكـــر والإبـــداع تـدني لنـــا الفَجْــرا
لكي نستعيـــدَ اليـــومَ مجدَ جـــدودنـــا   ونبني على القـــرآن دولتَنـــا الكبرى

أطفالنا بين مخاطر الاغتراب الثقافي وإدمان مشاهدة التلفاز



*** التلفاز لا يخلو من مواد وبرنامج يمكن أن تحدث آثارا تراكمية تعزز الاغتراب الثقافي**

بقلم الدكتور / بركات عبدالعزيز محمد

قد يكون من قبيل تحصيل الحاصل إذا قلنا إن التلفاز يأتي في مقدمة وسائل الاتصال شديدة التأثير في حياة الطفل بوجه عام، وبجانب الخصائص الذاتية للتلفاز فإن انتشاره يتزايد على المستوى العالمي مما وسع نطاق تأثيره على الصغار والكبار فبعد أن كان عدد أجهزة الاستقبال التلفازي عام ١٩٧٠ حوالي ٢٩٨ مليون جهاز بواقع ٨١ جهازا لكل ألف شخص من السكان، وجدنا هذا العدد يقفز إلى ٧٩٧ مليون جهاز بواقع ١٥٥ جهازا لكل ألف من السكان عام ١٩٨٩(١)، وعلى الرغم من أن التلفاز وسيلة رئيسية للترفيه والإعلام والتثقيف والتعليم، إلا أن الدراسات العلمية الحديثة اثبتت أن له آثارا سلبية وبخاصة على الأطفال لأنهم أكثر تأثرا بالتلفاز واندماجا معه، وقد تصاعدت الصيحات في السنوات العشر الماضية من مخاطر ما يعرف «بالاغتراب الثقافي» حيث يشاهد الأطفال برامج ومواد تلفازية تتضمن العديد من الأفكار والقيم والسلوكيات التي تتنافى مع الذاتية الثقافية لمجتمعهم، سواء من خلال المادة الدرامية المستوردة من الخارج، أو من خلال ما ينتج محليا متأثرا بهذه المادة دون الانتباه لمقتضيات الحفاظ على الهوية والذاتية الثقافية.

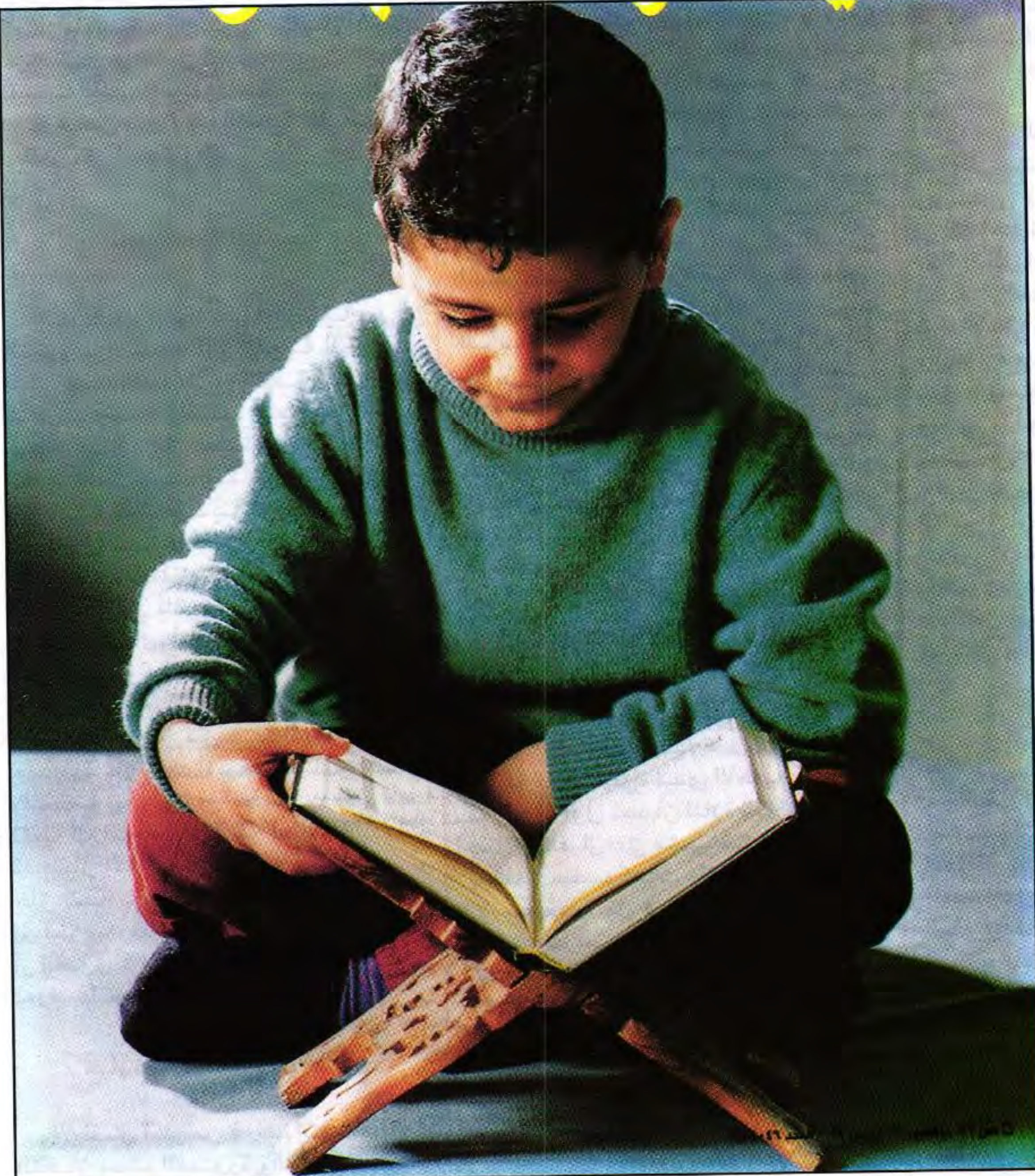
ربما تكون هذه الفكرة من أهم الأفكار الجديرة بالطرح على ساحة الاهتمام في العالم العربي والإسلامي على الأقل بالنسبة للأطفال، خاصة وأن التلفاز لا يخلو من المواد والبرامج التي يمكن أن تحدث آثارا تراكمية تعزز الاغتراب الثقافي، سواء كانت هذه المواد محلية أم مستوردة، وعندما نتحدث عن «الاغتراب الثقافي» يتعين أولا تجزئة هذا المفهوم حتى ندرك دلالته على وجه الدقة في وضعه المركب، أي أن تحديد معنى «الاغتراب الثقافي» يتطلب تحديد ما نقصده بالاغتراب "AIJENATION" وكذلك ما نقصده بالثقافة "CULTURE" فيما يتعلق بالاغتراب، هناك عدد هائل من الدراسات المتخصصة التي أفاضت في شرحه سواء من حيث الجذور والدلالة اللغوية أو من حيث معناه في المجالات النفسية والسياسية والاجتماعية والفلسفية وغيرها(٢)، ولكننا هنا سنكتفي بما يخدم موضوع هذه الدراسة، وهو أن الاغتراب يتمثل في شعور الفرد بعدم الارتياح وعدم الاستقرار بما يعبر عن الانسلاخ عن المجتمع والابتعاد عن المشاركة الاجتماعية والثقافية، وكذلك بما يعبر عن عدم الانتماء والشعور بالقلق وعدم الترحاب من الآخرين(٣) .كما أن الاغتراب حالة يعجز فيها الإنسان عن ممارسة السلوك السوي العادي ويعجز عن الاسهامات العادية في حياة الجماعة مما يجعله غريبا عن نفسه وعن الجماعة وفي حاجة إلى رعايتها، من هنا فإن جوهر الاغتراب يتمثل في عدة مظاهر هي: فقدان علاقة خاصة عندما تكون هذه العلاقة متوقعة، وظهور المواقف والاشخاص المألوفة للفرد على أنها غريبة عنه، وشعوره بأن ذاته غير حقيقية، ثم افتقاد الفرد الوعي بالعمليات النفسية الداخلية(٤).

وإذا كان هذا التوضيح فيما يخص

مصطلح «الاغتراب»، فإن مصطلح الثقافة – رغم شيوع استخدامه – كان ولم يزل محل جدل وتناقض في تحديد معناه، ويكفي أن كروبير وكلوهان عالمي الأنثربولوجيا الأمريكيين قد صنفا قبل ربع قرن ما لا يقل عن ١٦٠ تعريفا للثقافة، ووضعا تعريفا للثقافة مفاده أنها تتألف من أنماط السلوك المكتسب والمنقول من خلال الرموز، سواء كانت هذه الأنماط ظاهرة أم مستترة، وتتضمن الثقافة أيضا الانجازات المتميزة للجماعات التكوينية والأشياء المصنوعة، ويتكون جوهر الثقافة من الأفكار السائدة ومايتصل بها من قيم، والنماذج الثقافية ماهي إلا نتاج السلوك وضرورة من ضروراته(٥)، والثقافة بالمعنى الاثنوجرافي الواسع هي ذلك المكون المعقد الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والمادة وكافة المقومات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع، وربما يكون تعريف بعض علماء الاجتماع لمصطلح «الثقافة» هو الأكثر وضوحا ودلالة لموضوع دراستنا هذه، فالثقافة حسبما يرى هؤلاء البعض عبارة عن مركب من أساليب الشعور والفكر والسلوك الذي يميز مجموعة من الناس ويتوارثونه جيلا بعد جيل، وترتبط تلك العناصر مع بعضها بعلاقات تفاعل وتأثير متبادل، ويؤدي كل عنصر فيها وظيفته الخاصة في إطار الثقافة الكلية للمجتمع(٦). فالثقافة بهذا المعنى الشامل ليست مجرد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الظاهرة، وانما تشمل في الوقت نفسه ما يتجمع في العقل من معارف، وما يكمن في الوجدان من انطباعات وما يترسب فيه من عادات وتقاليد، وما يستقر في الضمير من عقائد. وتتسم الثقافة بأنها تتوارث جيلا بعد جيل، كما أن عناصرها عرضة للتغير بصورة تختلف عمقا أو سطحية، سرعة أو بطأ وفق عوامل ومؤثرات عديدة. وفق المعنى المذكور لمصطلح الاغتراب، وكذلك لمصطلح الثقافة يمكن تعريف «الاغتراب الثقافي» بأنه اتباع الفرد أساليب وأنماطا ثقافية خاطئة لا تتوافق مع الذاتية الثقافية للنظام الاجتماعي الذي ينتمي إليه، كما تتناقض مع مقومات هذا النظام ومتطلبات ازدهاره وتطوره، سواء كانت هذه الأساليب والأنماط تتعلق بالإدراك أو الشعور أو التفكير أو السلوك وتزداد خطورة الاغتراب الثقافي إذا ما اكتسب المعنى المشار إليه بعدا اجتماعيا سواء بفعل

*** مصطلح الثقافة رغم شيوع استخدامه كان ولم يزل محل جدل وتناقض في تحديد معناه**

*** أخطر أنواع الاغتراب اغتراب الأطفال المسلمين ثقافيا!!**



الكثرة الكمية للذين يتبنون مظاهره، أو بفعل تكوينهم النوعي كأن يكونوا من ذوي النفـــوذ والتأثير في المجتمع، والاغتراب الثقافي بالمعنى المذكور يصبح أمرا خطيرا جدا، أما ما وقع في المجتمع الإسلامي لأنه بمثابة محو للذاتية الثقافية الإسلامية، وتصبح المسألة أشد ضررا وأعظم خطرا إذا اغترب الأطفال المسلمون ثقافيا لأن المجتمع يكون في حالة من التآكل السريع في الحاضر والتدهـــور الحتمي في المستقبل، كما أن الاغتراب الثقافي لدى الأطفال يكون بمثابة دليل دامغ على عجز مؤسسات التربية والتنشئة بل والمجتمع ككل عن القيام بأهم المسؤوليات الاجتماعية والتربوية، وترجع الدراسات الحديثة مسألة اغتراب الأطفال إلى التنشئة الاجتماعية غير الملائمة(٧) .بالإضافة إلى التغيرات التي تحدث في بناء الأسرة، والفقر، ونقص رعاية الأم، وانعزال الطفل والأسرة عن الآخرين، وفصل الأطفال عن الكبار في مجال العمل(٨)، وفي الوقت نفسه خلصت بعض الدراسات إلى أن الاغتراب من بين الآثار السلبية التي يحدثها التلفاز على الأطفال(٩).

الدراسات العلمية

وقد دلت الدراسات العلمية على أن الظروف الأسرية والمجتمعية للطفل هي التي تحدد اتجاه تأثير التلفـــاز على شخصيته سواء بالسلب أو بالإيجاب، ومن جهة أخرى، فإن هذا التأثير (أيا كان اتجاهه)، لا يتحدد بما يعرف بالبرامج الثقافية فقط، أو بأية نوعية برامجية بعينها، وإنما يتحدد بكل ما يشاهده الطفل، فكل برامج التلفاز يمكن أن يكون لها أثر في التكوين الثقافي للفرد والمجتمع، سواء كانت برامج الأطفال، أو العائلة، أو كانت برامج سينمائية أو دراما عربية أو أجنبية، أو أخبارا أو برامج الأحداث الجارية أو البرامج الترفيهية، بل إن مثل هذه البرامج الأخيرة جديرة بأن تترك أثرها الثقافي في الفرد والمجتمع بطريق غير مباشر - أكثر مما تفعله البرامج الجادة والدراسات والندوات، قد يتمثل الأثر بمجرد إضافة معلومات، أو خلق اتجاه جديد أو التحول من وجهة نظر إلى أخرى، وقد يتمثل في تعديل سلوك قائم أو العدول عنه إلى سلوك جديد، وهذا كله ما يعرف باتجاهات التأثير(١٠).

جاذبية التلفاز للأطفال

والأطفال أكثر من غيرهم انجذابا نحو التلفاز بحكم الصورة واللون والحركة والضـوء ومـا ينتج عن ذلك من خليط يخطف أبصار الصغار ويجذب انتباههم، ولهذا فإن الأطفال أكثر تأثرا بالتلفاز وتقبلا لمضمونه وأفكاره لأن شخصيتهم لم تتشكل بعد، ولم تترسخ في نفوسهم عوامل المقاومة أو الحصانة ضد ما يرد في الرسالة التلفازية من أفكار وإيحاءات ورموز، ويتحدد الأثر الثقافي للتلفاز على الطفل بكل ما يشاهده من برامج ومواد، والطفل عادة يشاهد أكثر تلك المواد والبرامج التي تشاهدها الأسرة، وليس المواد والبرامج التي قد تحددها له الأسرة ليشاهدها. وفي دراسة على الأطفال ٣، ٥، ٧ سنوات حول عادات وانماط مشاهدة التلفاز، استمرت عامين، تبين أن الأسر وأطفالهم يشاهدون معا برامج الكبار ثلاثة أضعاف مشاهدتهم لبرامج الأطفال، كما بينت الدراسة أن أغلبية مشاهدة الأطفال لبرامج الكبار كانت بمصاحبة أسرهم، وأن الاشتراك مع الأسرة في المشاهدة يقل مع تزايد السن، وأيضا أظهرت الدراسة أن اختيار الأسرة لما تشاهده هو المحدد الأكبر لما يشاهده الأطفال(١١)، وقد أظهرت احدى الدراسات التي أجريت على الأطفال في جمهورية مصر العربية أن ٧٧,٨١٪ من الأطفال يشاهدون الإعلانات و ٧٤,١٥٪ منهم يشاهدون المسلسلات العربية و٦٦,٥٨٪ يشاهدون الأفلام العربية، يلي ذلك المباريات الرياضية بنسبة ٦٦,٣٢٪، فالأغاني ٥٨,٢٤٪، فالأخبار ٥٣٪ وأخيرا النشرة الجوية ٥٠,٩١٪(١٢)، ويتضح من ذلك فكرة أساسية وهي أن الطفل عادة يشاهد تلك البرامج والمواد التي تشاهدها الأسرة وبالتالي، فإن الاحتمالات الأكبر لتأثير التلفاز على الطفل يمكن أن تتحدد بما تشاهده الأسرة.

مسارات «الاغتراب الثقافي»

كما تفصح دراسات أخرى عن نتائج يمكن على أساسها تحديد مسارات «الاغتراب الثقافي» لدى الأطفال المسلمين فمن جهة أولى نجد أن المادة الدرامية، والتي يقبل الأطفال على مشاهدتها، كثيرا ما تتضمن سلوكيات وأفكارا بعيدة عن الإسلام، وتمثل في الوقت نفسه انماطا ثقافية غريبة على المجتمع الإسلامي مثل الفردية، القسوة والعنف، التعصب، العدوانية، الخيانة، السرقة والاختطاف، الخداع، الخوف من المستقبل، عدم تحمل المسؤولية، سوء الظن والغش والجبن، الانتهازية والتسلط، الغاية تبرر الوسيلة، عدم احترام النظام، البخل، الهمجية، الكسل، الكذب، ازدواجية السلوك، التواكل، الميل إلى الحرب والشر، عدم تقدير قيمة الوقت(١٣)، وإذا كان هذا بالنسبة للمادة الدرامية، فإن هناك بعض الدراسات التي بينت أن البرامج المعدة خصيصا للأطفال تتضمن في بعض الأحيان معاني غريبة عن الذاتية الثقافية الإسلامية، مثل الكذب، والكسل، والقسوة والطمع(١٤)، هكذا يتضح أن الاغتراب الثقافي لدى الطفل المسلم توجد مدعماته في المضمون التلفازي نفسه.

علاقة الطفل بالتلفاز

ومن جهة أخرى فإن علاقة الطفل بالتلفاز - خاصة إذا وصلت هذه العلاقة إلى درجة الإدمان - تتضمن ما من شأنه أن يفضي إلى الاغتراب الثقافي للطفل المسلم، إذا ما كانت الظروف المحيطة بالطفل غير سليمة، ويمكن مناقشة هذه الفكرة من زاويتين:

الأولى : الخلط بين الحقيقة والخيال، فالطفل يشاهد مادة تلفازية خيالية ويستغرق في مشاهدتها ويدركها متوهما أن الشاشة تنقل إليه الحقيقة والواقع، خذ مثلا الطفل الذي يتابع سباق سيارات على الشاشة الصغيرة، انه متأكد من رؤية كل شيء كاملا، فالنقل مباشر والتعليق مباشر والكلام مع الصورة واضح ومتكامل، ولا حيل سينمائية كالتي تهيؤها السينما وتقدمها لجمهور كبير. هناك سباق بين السيارات: السرعة واضحة، السائقون حقيقيون، يحدث الاصطدام بأطراف الطرق أو بين السيارات، الطفل يرى الحريق وقد شب، والدماء تناثرت والقطع المعدنية تبعثرت والجمهور يصرخ وبعضه يتراكض وآخرون يهبون للمساعدة، فأين الخدعة أو الحلم؟

بين الحقيقة والواقع

والطفل الذي يتابع حلقة درامية لا يستطيع أن يتصـور أنـه في غير حقل الحقيقة والواقع، انه يعرف الممثلين ويرى المأساة على وجوههم، ويشاهد كل تفاصيل الحب والغضب واليأس والقتل ومعالم الهدم والدمار، كل شيء يتلاحق أمام ناظريه في سياق طبيعي، فلم لا يعتبر أن ما يراه حقيقة علما بأن الناس في حياتهم العادية (الحقيقية) طالما يرددون أخبار هذه الحالات الإنسانية العادية أو الكارثة ويؤكدونها بالأدلة الدامغة. الواقع في عرف الطفل أن شاشة التلفاز هي مرآة تنعكس

عليهـا مـــا تلتقطـه الكــاميرات والأدوات الالكترونيـة والتلفازيـة الأخـرى والمرآة لا تكذب. هذا هو منطق الطفل منطقه البسيط الخالي من أي عقـد أو تـلاعب في المعـادلات وخلفيـات المفـردات والتعـابير(١٥)، فإذا كانت المادة التي يشـاهدهـا الطفل وادركها على انها الحقيقة - تتضمن عناصر وأنماطا ثقافية خاطئـة وتختلف عن ذاتيته الثقافية التي ينتمي إليهـا - هنـا تكـون الفـرصـة مواتية لأن يقع هذا الطفل في براثن الاغتراب الثقافي.

أما الزاويـة الثانية : والتـي تتعلـق بامكانية أن تكون عـلاقة الطفل بالتلفاز مصـــدرا لـلاغتراب الثقــافي، فتتمثل في التقليد المرضي أو غير المرغوب لسلوكيات وأفكار شـاهدها على الشاشـة، في الوقت الذي تكون فيه تلك الأفكار والسلوكيات خاطئة ومرفـوضة من قبل المجتمع الذي ينتمي إليـــه، ومع استمــرار تقليـــد السلوكيـات والأفكار المرفـوضة يصبح الطفل، ويشـب غير قـــادر على التكيف والتفاعل الاجتماعي السليم، وحينئذ يقع في بـراثن اغتراب ثقـافي ونفسي لـه آثـار مدمـرة للشخصية، وقـد تبين من نتائج دراسة ميـدانية على عينـة عشوائيـة من تـلاميذ المدارس المتوسطة بـالكويت، قـــوامهـــا (١٠٠٥) مفــردة، وتتراوح أعمارهـم بين ١٠ و ١٤ سنـــــــة، ان ٦٧,١٪منهم يميل إلى تقليـد البطل الذي يشـاهـدونـــه في الأفـلام والمسلسـلات التلفـازيـة، وتـرتفع نسبـة التقليـد بين الذكور ٧٥٪ عـن الاناث (٥٩,٨٪) وقد أجـــاب (٧٥,٧٪) من الأطفـــال انهم يريدون أن يكونوا مثل هذا البطل وترتفع هـذه الـرغبة بين الـذكـور ٨٧/٣٪ عن الإناث ٦٥٪، هذه النتائج تبرزأن الأطفال لا يميلـــون فقط إلى تقليـــد البطل وانما يـرغبون في أن يتصفـوا بالصفـات التي يتصف بها، الأمر الذي يعكس ما تتركه بـرامج التلفـاز على شخصيـة الطفل في مـرحلـة النمو(١٦) كما تـذكـر احـدى الـدراســـات أن بعض الأطفـال في مصر

التلفاز تسبب في أن الطفل لا يستطيع التفرقة بين الحقيقة والواقع



عـلاقــة الطفل بالتلفـاز وصلت إلى درجـــــــة الإدمـان

دفع التلفـاز الطفل لتقليـد أعمى قـد يكـون مـرفـوض من قبل المجتمع الـذي ينتمي إليــه

والعالم العربي ظلوا يقلدون أبطال مسرحية «مدرسة المشاغبين» لفترات ليست بالقصيرة(١٧)، مع ما تنطوي عليه هذه المسرحية من تمرد على النظام التعليمي، وعدم احترام المدرس، بل إن ابن ناظر المدرسة نفسه – كما تظهره لنا هذه المسرحية – يقدم أسوأ المثل في علاقته بأبيه ومدرسيه وهنا تتجسد أنماط سلوكية غريبة عن الثقافة الإسلامية، تلك الثقافة التي تتضمن قيمة احترام الأب، واحترام المعلم والوقوف له احتراما لمكانته وتبجيلا لدوره ورسالته الإنسانية ومنزلته الرفيعة التي كادت أن تصل إلى مرتبة الرسل حسبما عبرت عن هذا المعنى احدى القصائد الرائعة لأمير الشعراء أحمد شوقي، لا شك أن احترام المدرس، واحترام الوالدين والبر بهما يمثل عنصرا أصيلا من عناصر ذاتيتنا الثقافية الإسلامية العربية، وبالتالي فإن أي سلوك يناقض هذا الاحترام – يصبح بمثابة مظهر من مظاهر الاغتراب الثقافي، وعندما يشاهد الأطفال بعض السلوكيات المرفوضة ويقلدونها بناء على هذه المشاهدة يصبح هؤلاء الأطفال مغتربين عن بعض عناصر الذاتية الثقافية الإسلامية، وتزداد خطورة الاغتراب الثقافي إذا تحول من حالة عرضية إلى سمة مستديمة، كما تزداد خطورته أيضا بازدياد العناصر الثقافية التي يشملها مع زيادة الإطار البشري أي زيادة المغتربين ثقافيا.

الاثارالإيجابية

وعلى الرغم من أن «الاغتراب الثقافي» ينظر إليه كأحد المخاطر المحتملة للتلفاز وغيره من وسائل الإعلام حسبما ورد في تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال(١٨)، إلا أن هذا لا يمنع من أن للتلفاز آثارا إيجابية على الطفل بوجه عام، ويمكن للمجتمعات الإسلامية استخدام التلفاز بما يعزز الولاء والانتماء الإسلامي للأطفال، وذلك من خلال وجود أسري صحيح يهتم بالطفل ويشعره بالأمن والطمأنينة، ويحيطه بالرعاية والحنان والاهتمام ويلبي حاجاته ويربيه على المثل والقيم الإسلامية، وفي إطار كل ذلك يرشد استخدامه للتلفاز بأسلوب تربوي مناسب، وعندئذ يصبح الطفل المسلم بمنأى عن الاغتراب الثقافي، ويصبح دور المدرسة والمسجد وغيرهما من مؤسسات التنشئة أشد فعالية وإيجابية في غرس وتدعيم الذاتية الثقافية الإسلامية في نفوس الناشئة منذ نعومة أظفارهم□

*** الاحتمالات الأكبر لتأثير التلفاز على الطفل يمكن أن تتحدد بما تشاهده الأسرة!!**

الهوامش

(١) Unesco, Unesc o Statistical Year Book 1991, tab. 6/20.

(٢) من أهم هذه الدراسات على سبيل المثال:

– ريتشارد شاخت، الاغتراب، ترجمة كامل يوسف حسين (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠).

– مجموعة أبحاث المؤتمر السابع لعلم النفس في مصر، والذي نظمته الجمعية المصرية للدراسات النفسية وكلية التربية جامعة عين شمس (القاهرة، سبتمبر ١٩٩١).

(٣) Jan Hajda, Alienation and integration of Students Intellectual, American Sociological Review, Vol. 26. pp. 756 - 777

*** الاغتراب الثقافي لدى الطفل المسلم توجد مدعماته في المضمون التلفزيوني نفسه**

(٤) أحمد أحمد متولي عمر، دراسة مقارنة لبعض أبعاد الشعور بالاغتراب لدى متعاطي الكحوليات وغير المتعاطين من طلبة الجامعة، رسالة ماجستير (كلية التربية – جامعة طنطا، ١٩٨٩) ص ١٣.

(٥) Phillipe Beneto, Culture Contibution: A Critical Review of Concepts and Difintions, Papers of P.M.A, Vol. 47, 1973, pp187.

(٦) محمد الجوهري، علم الاجتماع وقضايا التنمية في العالم الثالث، ط ٣ (القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٢) ص ٩٧.

(٧) Laport & Thomas, Alienation in the Contemporary Soceity (New York: Praeger, 1976) p.21.

(٨) U. Bronf. Enbrenner, Orgins Of Alienation, Scientific American Vol. 231, No.2 Aug. 1974 pp. 53 - 61

(٩) R.T Eisler & D. Loye, Childhood and the Chosen future, Journal of Clinical Child Psychology, Vol. 9, No.2, Summer 1980, pp. 102 - 106.

(١٠) سعد لبيب، التخطيط التلفازي في دول الخليج (الرياض : جهاز تلفاز الخليج، ١٩٨٥) ص ٢١.

(١١) Michelle Peters ' Et. al. , Television and Families : What do Young Children Watch With Their Parents (Berhesda : National Ins. of Mental Health, 1988 p. 23

(١٢) عاطف عدلي العبد، كيف يستفيد طفلك من التلفاز (القاهرة : مكتبة المحبة، ١٩٨٩) ص ٦٣.

(١٣) عدلي سيد رضا، تدفق البرامج من الخارج في تلفاز جمهورية مصر العربية، رسالة ماجستير (كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٧٩) ص ٤٠.

(١٤) فوزية عبدالله العلي، برامج الأطفال في دولة الإمارات العربية المتحدة، رسالة دكتوراة (كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٨٨) ص ٢٤١.

(١٥) جان جبران كرم، التلفاز والأطفال، ط١ (بيروت : دار الجيل، ١٩٨٨) ص ٤٠ و ٤١.

(١٦) مجلة الإذاعات العربية، العدد ٦٣ (القاهرة: اتحاد إذاعات الدول العربية، ديسمبر ١٩٧٤) ص ٥٧ – ٦٦.

(١٧) يحيى بسيوني، عادل الصيرفي، التلفاز الإسلامي ودوره في التنمية (القاهرة : عالم الكتب، ١٩٨٥) ص ٢٤٦.

(١٨) اليونسكو، أصوات متعددة وعالم واحد (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١) ص٣٣٨.



إســـــلام عبــــدالله حكيم كــويك

بقلم د. : عـــرفـــات العشي

عبدالله حكيم كويك رجل لم يبلغ الأربعين من عمره إلا أنه أب لثمانية أطفال، وهو واحد من أفضل الداعين إلى الإسلام في تورنتو، ولانزكي على الله أحدا بل من أحسن من عرفت في كندا توفيقا في حسن عرض الإسلام لا على المسلمين فحسب بل على الكنديين غير المسلمين. كان عبدالله حكيم إماما للمسجد الجامع في تورنتو، وكان له جمهوره ومحبوه الذين يتابعون محاضراته ودروسه، ثم ترك المسجد الجامع وأنشأ لنفسه مؤسسة خيرية اجتماعية سماها مؤسسة «إسرا». وهو من أنشط العاملين في تثقيف المهتدين الجدد إلى هذا الدين.

كان عبدالله حكيم نصرانياً من طائفة الكنيسة الأبيسكوبيه وهي تشبه طائفة الإنجليكانية في أن كلا منهما كنيسة بروتستانيه. نشأ في مدينة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية في أسرة (أفرو أمريكية) مؤلفة من أب وأم وثلاثة أبناء.

يقول حكيم: كنت متدينا وأنا صبي صغير، ولكن عندما التحقت بالجامعة لم أعد مقتنعا بالنصرانية التي تصور عيسى إلهاً أو ابن الله كما رفضت فكرة الاتحاد مع عيسى عن طريق العشاء المقدس كما يدعي النصارى، واستنكرت التمييز بين الناس في الكنيسة على أساس الطبقات. لذلك كله تركت الكنيسة. لكنني ظللت أردد صلاة الرب المعروفة في الإنجيل وهي عبارة عن دعاء لا شرك فيه.

قلت لحكيم كويك: وماذا عن تعليمك فقال: بعد إتمام دراستي الثانوية في بلادي التحقت بالجامعة ودرست التاريخ، وبخاصة تاريخ شمال أفريقيا وغربها وأعجبني تاريخ صلاح الدين الأيوبي، ومن خلال ذلك أحببت الإسلام واتصلت بالمسلمين السود وزعيمهم أنذاك المدعو إليجا محمد، فلم تعجبني تعاليمه. ثم هاجرت إلى كندا وحصلت على نسخة من القرآن مترجمة معانيها إلى اللغة الإنجليزية، فقرأتها. عند ذلك وجدت الأجوبة لكافة التساؤلات التي كانت تدور في خاطري. لقد أسلمت قبيل حلول شهر رمضان من عام ١٩٧٠م. وصمت الشهر المبارك كله في ذلك العام. وقد كان إسلامي في المسجد الجامع الذي كان كنيسة كبرى من قبل واشتراها المسلمون في السبعينات وحولوها إلى مسجد كبير.

وبمناسبة ذكر المسجد الجامع الذي كان كنيسة ولا يزال شكله وبناؤه يوحي بذلك قلت لحكيم الذي كان لسنوات عديدة إماماً للمسجد الجامع. ماقصة هذا المسجد؟

فقال: لقد كان هذا المسجد كنيسة برزبيتارية حتى عام ١٩٦٧م حين اشتراه إخوة مسلمون من غويانا وترنداد ويوغسلافيا وألبانيا، واتخذوا منه مركزاً لنشاط إسلامي محدود وكان في تلك الفترة أقرب إلى النادي الاجتماعي منه إلى المسجد الإسلامي. وفي مطلع السبعينات تدفقت أعداد من المسلمين إلى كندا وإلى مدينة تورنتو بالذات من شبه القارة الهندية (الهند وباكستان) ومن مصر، وأراد القادمون الجدد إقامة الشعائر اليومية في المسجد الذي ربما كان المسجد الوحيد في المدينة، أو واحدا من المساجد القليلة بها ومع ذلك لم تكن تقام فيه الصلوات الخمس اليومية من قبل.

سألت حكيم: وماذا حدث عند ذلك؟ فقال: نشب نزاع بين الطرفين: بين الذين اشتروا المسجد وكانوا يستخدمونه كنادٍ وملتقى اجتماعي يمارسون فيه هواياتهم وبين القادمين الجدد الذين أرادوا أن يجعلوه مسجدا بكل ما تحمل كلمة مسجد من معنى، وتفاقم الصراع بين الطرفين وانتهى باللجوء إلى المحاكم، ولسوء الحظ صدر حكم المحكمة لصالح الفريق الأول على اعتبار أنه مالك المبنى.

وفي عام ١٩٧٣م قام المسؤولون عن المسجد الجامع ببيعه لرجل صيني، فجن جنون المسلمين الذين كانوا يرقبون ذلك. والتفوا حول اتحاد الطلبة المسلمين وكان أنشط منظمة إسلامية في تورنتو في ذلك الحين، فقام الاتحاد بالاتصال بالملك فيصل رحمه الله لتأمين تغطية المبلغ المطلوب، فهب لمساعدتهم ودفع القسط الأكبر من ثمن المبنى. وهكذا عاد المسجد إلى يد المسلمين، لكنه أصبح يفتح طوال الوقت وتقام فيه الصلوات اليومية والنشاطات الإسلامية المختلفة.

والجدير بالذكر أن أحد الخيرين في كندا كان على صلة بالملك فيصل هو الذي أمّن المبلغ من الملك، ومنذ ذلك الحين يعرف المسجد الجامع باسم مسجد الملك فيصل رحمه الله. وبعد أن قام الاتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية (إسنا) تسلم الإشراف على المسجد وشكل لجنة تنفيذية للقيام عليه. ولا يزال المسجد الجامع أو مسجد الملك فيصل تقام فيه مختلف النشاطات الإسلامية، وهو بمثابة خلية نحل طوال العام.

قلت لعبدالله حكيم: وهل قمت بدراسة شرعية خاصة فقال: نعم، فقد التحقت بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة حيث درست اللغة العربية والدراسات الإسلامية في كلية الدعوة وأصول الدين وتخرجت منها، ثم عملت اماما لعدة سنوات للمسجد الجامع، ثم تركته وأصبحت أخطب الجمعة وألقي الدروس والمحاضرات الإسلامية في مختلف المساجد والكنائس وغيرها، كما التحقت بقسم التاريخ بجامعة تورنتو حيث حصلت على درجة الماجستير في التاريخ الأفريقي، وأنا على وشك الانتهاء الآن من رسالة الدكتوراه من نفس الجامعة وعنوان أطروحتي هو عملية الأسلمة بين الهاوسا من عام (١٤٠٠ - ١٩٠٠م).

والحق أن عبدالله حكيم له مؤسسة اجتماعية سماها «مؤسسة إسرا» تفصل في قضايا الزواج والطلاق وغيرها بين المسلمين وتقدم النصح لهم في شؤونهم، كما أنه يعقد فصلا أسبوعيا للمهتدين إلى الإسلام يعرفهم فيه شؤون دينهم الجديد. كذلك يقوم بجولات للدعوة إلى الإسلام في مختلف الأقطار الإسلامية وغيرها. وقد تمكن من جمع مخطوطات نادرة عن العالم والقائد الأفريقي المسلم عثمان دان فوديو الذي أنشأ امبراطورية إسلامية كبرى في وسط أفريقيا امتدت من شرقها إلى غربها. والأخ عبدالله حكيم من القائلين بأن الإسلام جاء إلى أمريكا قبل أن يكتشفها كريستوفر كولومبوس وله كتاباته في ذلك.

وقد سألت عبدالله حكيم عن أسرته ووالديه فقال بأنه أب لثمانية أطفال وقد أسلمت والدته قبل أن يتوفاها الله. وبهذا نأتي إلى ختام هذا اللقاء مع واحد من أنشط الدعاه إلى الإسلام في تورنتو. والله الموفق لكل خير□

أهداف التعليم الجامعي



بقلم أ.د. : مصطفى رجب *

هناك علاقة متبادلة بين المجتمع، والتربية التي يستطيع أن يقدمها هذا المجتمع لافراده. وإذا كان هذا صحيحا فإن مجتمعا سيئا لا يمكن أن تنمو فيه جامعة جيدة. ومسلمة أخرى وهي أن مجتمعنا يحاول النمو ليلحق بركب الحضارة المتقدمة، فهو يحاول «محو الأمية» مثلا. وبعد نصف قرن من المحاولات، مازالت الأمية تنتشر إلى حد يصل إلى أكثر من ٧٠٪ وهو أمر مذهل حقا، واسبابه عديدة: تقوم الرغبة أحيانا على محو الأمية ولكنها تفتقر إلى الجدية، وإذا توفرت الجدية أحيانا قصرت الإمكانات المادية، فإذا ما توفرت صار نكوص المتعلمين وهروبهم. والأمر الهام أنه بعد نصف قرن من المحاولات، مازالت الأمية نقطة عار مؤلة ومخجلة نغطيها أحيانا أو ندور حولها بالحديث عن أرقام كبيرة لمدارس وطلاب وجامعات. فإذا ما امتد الحديث إلى «الكيف» في التعليم تلفتنا إلى بعضنا وبحثنا عن «مشاجب» مختلفة نعلق عليها فشلنا في هذا المجال.

مسلمة أخرى – مع التخلخل الواضح في مرحلة التعليم الأولى، فإن هناك أعدادا متزايدة تطرق أبواب الجامعات والمعاهد العليا، ويزداد الأمر سوءا لضعف الكفاية التعليمية فيما يسمى «جامعات الأعداد الكبيرة».

مسلمة ثالثة قوامها أن المجتمعات الصناعية التي نحاول اللحاق بها، هي نفسها تمر بثورات متلاحقة تقفز بها قفزات إلى الأمام. أربع ثورات على الأقل يمكن تمييزها في الأربعين سنة الأخيرة: اكتشاف الطاقة الذرية، غزو الفضاء، الأوتوماتيكية، ثم عصر العقول الالكترونية «الكومبيوتر».

مسلمة أخيرة، أن التغير الحادث اليوم تغير متسارع أي يتزايد في سرعته، وفي كل دقيقة تمر على البشرية يسجل أكثر من اختراع جديد. لذلك فإن المحاولات التي تبذل بإخلاص لكشف أستار المستقبل لإعداد أبنائها تربويا، قد لا تستطيع أن تعطينا الصورة الصحيحة الكاملة. ولكنه على أي حال مستقبل يرتكز على الحاضر، كما يتركز الحاضر على الماضي.

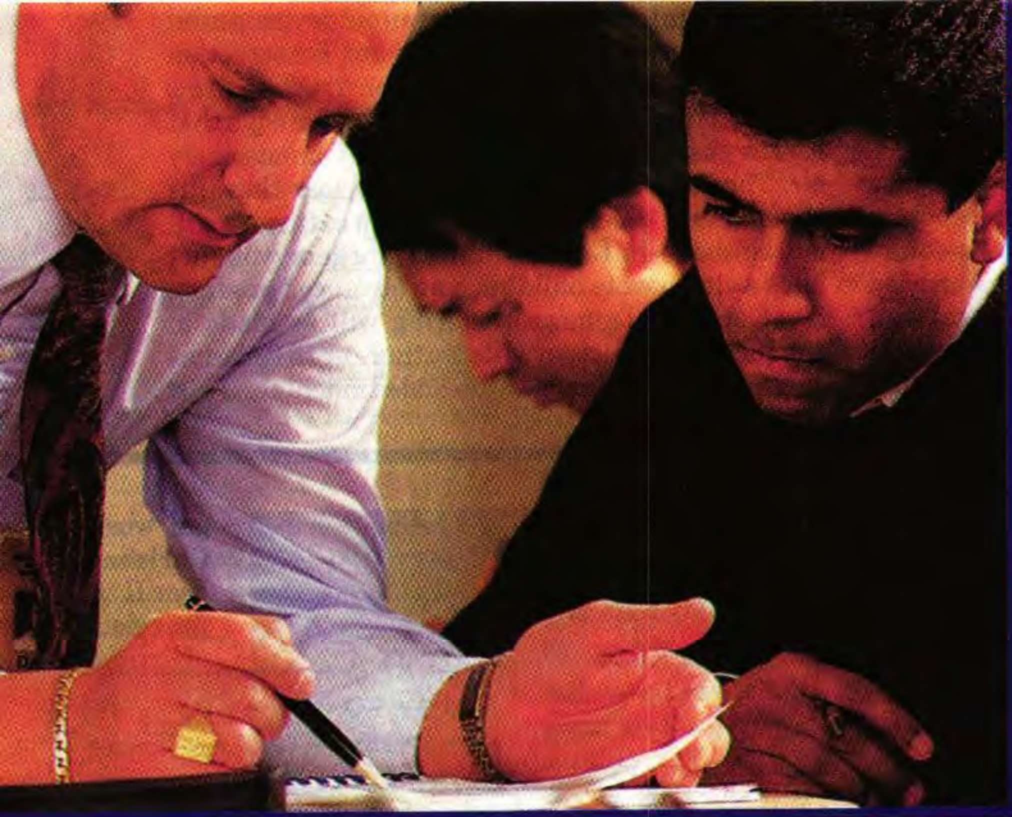
الماضي :

في أعماق التاريخ وعبر القرون التي مرت على البشرية كان تعليم، وكان تعليم عال ازدهر في مراحل تاريخية مختلفة.

في مصر القديمة أخضع الكهنة لنفوذهم الفنون والحرف والعلوم ومختلف المناشط الفنية العليا في الدولة، وكانت دراسة الرسم والنحت والفنون المعمارية والقانون والطب والهندسة وفقا لتقاليد وضعها الكهنة أنفسهم بهدف الإبقاء على المجتمع، وما على الدارسين في معاهد مصر الفرعونية إلا اتباع الأوامر والحفاظ على التقاليد، ثم التخصص في مهنة. فالهدف هنا واضح ثقافي، ومهني.

وفي الصين القديمة كان الغرض من التربية هو خدمة نظام الدولة وإعداد الموظفين الصالحين الذين كان تعيينهم يتم وفقا لنتائج امتحانات غاية في الصعوبة، وهي أنواع: امتحانات تعقد في المراكز في أوقات معينة يتقدم إليها من يشاء من الذكور في سن معينة ويؤهل النجاح فيها إلى احدى الوظائف في المقاطعات أو يصبح عضوا في طبقة الأدباء، وامتحان آخر أرقى وأصعب يعقد مرة كل ثلاث سنوات للتعيين في وظائف الحكومة الصغرى، وامتحان

* أستاذ ووكيل كلية التربية بسوهاج . جامعة أسيوط . مصر



نهائي في بكين ذاتها في أغرب قاعة امتحان - كما يحدثنا التاريخ - وتتكون من عشرة آلاف حجرة لكل طالب حجرة يأخذ إليها غذاءه وشرابه حيث يستمر الامتحان ثلاثة عشر يوما ويعطى اسئلة غريبة وصعبة يحاول الإجابة عليها في حجرة رديئة التهوية محتملا البرد والشظف ليكتب عن كونفو شيوس والأدب والأخلاق والفلسفة. وكان الناجحون وهم قلة يعينون في وظائف الدولة الكبرى. وواضح أن هذه الامتحانات فتحت الطريق أمام أفراد الشعب لتولي أعلى مناصب الدولة.

وفي الهند القديمة كان من حق الهندي عندما يبلغ السادسة عشرة أن يلتحق بإحدى الجامعات الكبرى وقد كان ذلك قاصرا على أبناء الكهنة ثم عمم بعد ذلك. وقد قامت الجامعات الهندية بتدريس العلم والفلسفة والقانون والطب والشعر إلى جانب التعاليم والنصوص الدينية البوذية، كما هدفت التربية عندهم إلى التحكم في العقل والإرادة والجسم.

وفي أثينا تصارع السفسطائيون وأنصارهم والذين نادوا بالتفكير في إطار من احتياجات الأفراد وقالوا إن الإنسان هو مقياس الأشياء ثائرين على التقاليد القديمة، تصارعوا مع المحافظين والذين أكدوا أن معيار الفضيلة يحدده أشراف القوم بما يسلكونه. وفي هذا الصراع بين الارستقراطية والديموقراطية ظهر سقراط (٤٦٩ - ٣٣٩ق م) والذي نادى بأن عقل الإنسان يجب أن يبحث في الأشياء باستقلال وحرية كاملة، وأن يحكم في كل ما هو موروث فلا قيمة للأفكار والعقائد من حيث هي قديمة أو حديثة لكن تتأتى قيمتها من حيث انها تعبر تعبيرا صحيحا عن حقيقة الأشياء.

أما أفلاطون (٤٢٩ -٣٤٧ ق م) فلم يتحول مناقشا كما فعل أستاذه سقراط بل اختار له ملعبا في شمال شرقي أثينا كان يسمى باسم أحد الأبطال (أكاديموس) وكان منطقة ذات أشجار على شاطىء نهر وأطلق على الملعب اسم «الاكاديمية» وقد علم أفلاطون ومن معه مثل أرسطو في الأكاديمية سنوات طويلة. كتب فيها ما يهم الناس من تحسين النسل والشيوع والاشتراكية ومساواة المرأة بالرجل في الحقوق جميعا والحريات في القول والرأي والعلاقات الجنسية وتأميم الثروة وغيرها. ثم وضع أفلاطون في أكاديميته منهاجا يدرسه الشباب حتى يتمكنوا من إدارة أمور الدولة إدارة صحيحة بل كان يأمل أن يقيم هؤلاء الشباب صرح «الجمهورية» التي تصورها حتى تستقيم الأمور ويسود العدل والإخاء والحق على حد زعمه.

وكان أفلاطون يهيم في الخيال، بينما عاش تلميذه أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ق م) على الأرض يبحث عن الواقع، ويدرس في المدرسة التي أنشأها وأسماها «الليسيه» نسبة إلى المكان الذي نشأت فيه.

وفي رأى أرسطو أن التربية يجب أن تخدم النظام السياسي القائم وأن تتفق مع طبيعة المتعلمين والتربية من مهام الدولة. وتنتهي عند سن الحادية والعشرين. والسنوات الثلاث الأخيرة هي دراسات عالية تتم في مرحلة أسماها أرسطو «النفس المنطقية» يتعلم فيها المتعلمون دراسات ذات طابع عقلي مثل العلوم والفلسفة والأدب والعلوم السياسية التي يرى أنها سيدة الدراسات كلها ويدخل فيها علم النفس. ويرى أرسطو أن ملكات الفرد تنمو في ثنايا هذه الدراسات.

وقد أثّرت أراء أرسطو في المدارس الكاتدرائية في الغرب في القرنين الثاني والثالث عشر وقد درس فيها القانون الروماني وفلسفة أرسطو والطب إلى جانب الدراسات الأكاديمية أو الفنون العقلية الحرة السبعة (وتنقسم إلى الثلاثية : النمو والمنطق والبيان، والرباعية: الحساب والهندسة والفلك والموسيقى) وكان الطلبة يذهبون إلى مدرسة معينة تبعا لشهرة أستاذ فيها وقد تكونت مجموعات من الطلبة وأساتذتهم ما يشبه النقابة وأطلقوا عليها اسم Universitas كما انتظم الطلبة الغرباء فيما سمي Stadium enerale.

ومن أشهر جامعات العصور الوسطى في أوروبا جامعة أكسفورد (القرن الثاني عشر) وكامبردج في (القرن الثاني عشر) وجامعة روما (القرن الرابع عشر) كما ازدهرت جامعات في أسبانيا وفرنسا وألمانيا وتميزت هذه الجامعات في بداية ظهورها بتلقائية الصلة بين الطلبة وأساتذتهم. ولم تتضح الوظيفة الحقيقية لهذه الجامعات الأوروبية فقد خضعت لتأثيرات سياسية ودينية عنيفة تخرج منها من عمل ليعيش، ومن أحب الثقافة للثقافة.

وفي عام ٩٧٢ أنشىء الجامع الأزهر في مصر ليكون مسجدا رسميا للدولة الفاطمية في حاضرتها الجديدة ومنبرا للدعوة الدينية ورمزا لسيادتها الروحية، ولكن سرعان ما تحول إلى التعليم أيضا ففي عام ٩٨٨ استأذن الوزير يعقوب بن كلس الخليفة الفاطمي العزيز بالله في أن يعد بالأزهر جامعة من الفقهاء للقراءة والدرس ويعقدون مجالسهم كل جمعة بعد الصلاة حتى العصر وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيها ولهم رئيس ينظم حلقتهم ومعظم أحاديثهم في الفقه وما إليه.

هذا هو الأزهر في الماضي، وقد تغير الموقف تماما في الحاضر.

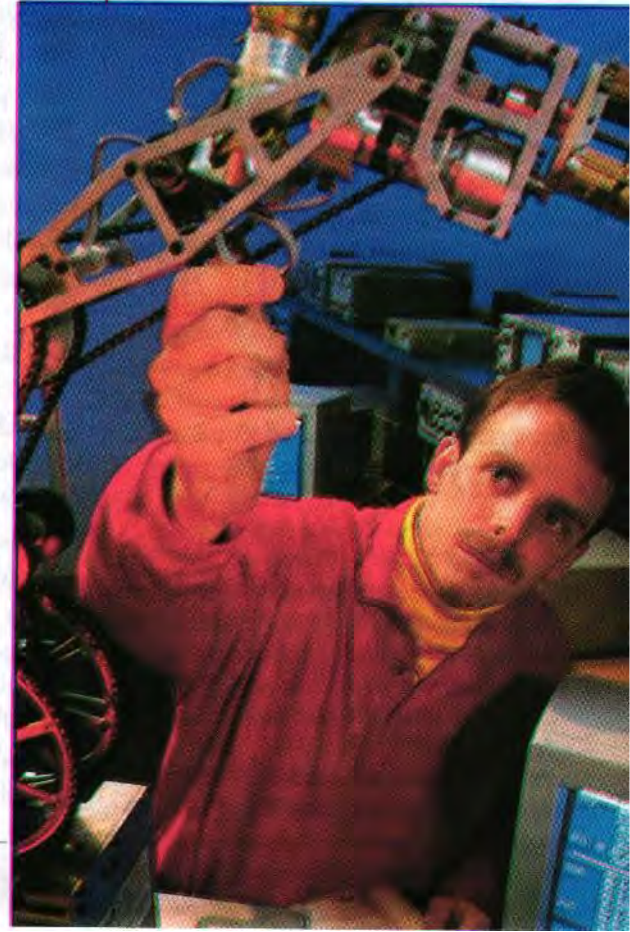
الحاضر:

تختلف الأهداف والمحتويات والمناهج اليوم عن الأمس وهي حريّة أن تختلف في الغد لأن طبيعة المجتمع التغير. على أن

للنمط الأساسي للتعليم العام عامة – والجامعي بصفته الخاصة – أربعة وظائف متكاملة: الثقافة العامة، التكوين المهني، الدراسات العليا والبحوث، ثم الخدمة العامة.

١ – عندما نتحدث عن الثقافة العامة نقصد حالة عقلية معينة إلى جانب كونها حصيلة من المعرفة فهي ترمي إلى تحرير الفرد المتعلم من الخزعبلات والجهل، وفي نفس الوقت تمنحه الإمكانات والقيم التي يتفاعل معها في محاولة لأن يبدأ بلعب دور في المجتمع بصورة إيجابية، لا أتوقع من الجامعة أن تطرح مقررا يدرسه الطلبة ليتعلموا منه الحكمة، لا أشك أنهم سيحفظون – وفي أحسن الظروف سيفهمون – ما عُرض عليهم. ولكن هذا لن يجعل منهم حكماء ليس خيرا مطلقا أن تخرّج الجامعة فردا ممتازا في الهندسة أو الطب ولكنه جاهل ثقافيا يعيش متقوقعا في شرنقة يسميها العمل أو المكتب، ولكنا نريده كائنا حيا حرا متفاعلا مع الأشياء والأحياء وعلى مستويات مختلفة.

لقد رغب الآلاف من الطلبة في المعرفة كمصدر للقوة، ولكنهم لم يرغبوها لذاتها والمعرفة كقوة يجب أن تواكب في توازن المعرفة التي تسعى إلى الحق والخير والجمال، وأن تدعم هذه القوة بالقيم التي تطور مقدراتنا وتحقق آمالنا. والتزاوج إذن بين قدر كاف من الثقافة العامة والتخصص هو ما يفرضه الوضع الراهن.



أما مصادر هذه الثقافة فهي في قاعات المحاضرات وحجرات المناقشة والمناشط الفنية والساحات الرياضية والرحلات والندوات ومايتنجه الطلبة والطالبات. قد لا يستطيع طالب العزف على آلة موسيقية، ولكن يمكنه أن يكون مستمعا جيدا لما تخرجه من ألحان المهم أن يشارك في نشاط جماعي قائدا أو تابعا. المهم أن يكون هناك، بعض الوقت، ووقت آخر للدراسة.

٢ – الوظيفة الثانية للجامعة هي مد المجتمع بالأفراد المتخصصين في شتى المجالات والمناشط، أفراد قادرون بعد دراستهم الجامعية أن يعاونوا في تسيير دفة الأمور في المجتمع لخدمة أفراده فلن تشق طرق بدون مهندسين، ولن يجد المرضى من يصف لهم الدواء بدون أطباء بل لن يجدوا مستشفى مالم يُبْنَ ولن يجدوا الدواء بغير خريجي كليات الصيدلة ولن يجد التلاميذ من يعلمهم إلا إذا وجد المدرسون والأمثلة لا تكاد تنتهي.

هؤلاء الخريجون يتفرقون تقريبا في كل دروب المجتمع، وبالقدر الذي تكون كفاءتهم، وإيمانهم بما يعملون، وحبهم لعملهم بقدر ما يسير المجتمع نحو التقدم. وهذه قيم يجب أن تتكون في الجامعة.

وفي الماضي كان يمكن الاكتفاء بالتلمذة المهنية أو ما يرثه عن أبيه من «أسرار المهنة» ولكن بعد أن تراكمت الخبرة تقوم الجامعة اليوم بإعطاء الأرضية النظرية، علمية أو فلسفية والتي تبرر وتشرح الأسباب وراء هذه الأنشطة والتي تمد المهني بالبصيرة النظرية التي تساعده على أن يعدّل ويطور وينمو كلما دعت الحاجة لذلك.

٣ – الدراسات العليا والبحوث:

الدراسات العليا والبحوث تسعى باستمرار لتوسيع آفاق المعرفة البشرية والإنسان بطبعه محب للاستطلاع ويتميز العالم بروح وثّابة إلى الكشف عن الغامض والتعرف على المجهول، وهو لا يريد أن يعرف لنفسه بل للبشرية جمعاء. ويمكن تقسيم البحث العلمي في الجامعة إلى ثلاثة مستويات:

أ – المستوى الأول: يدور في مرحلة ما قبل حصول الطالب على الشهادة الجامعية الأولى، والمقصود هنا إلمام الطالب بأدوات وأساليب البحث العلمي السليم، وكيفية التفكير السليم والإجراء العلمي الدقيق، ينفعه هذا كفرد يعيش في أسرة وفي مجتمع، وينفعه في عمله. ويجب على الطالب أن يدرب على هذا في سني دراسته الجامعية.

ب – المستوى الثاني: وهو حادث في مرحلة الدراسات العليا لمن يدرسون للحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه. والبحث العلمي هنا أعمق وأدق وأكثر إثمارا وفائدة، والمفروض أن يتم تحت إشراف علمي دقيق، وأن يستشعر الباحث فيه المعاناة العلمية ويجابه المشاكل الكثيرة التي تعوده الصبر والتأني وتغيّر من بعض اتجاهاته وتثبت له أن الأمور لا تؤخذ بالعفويات، وإنما هناك علم له أصول وقوانين يجب أن تتبع. والمفروض أن هذه المعاناة تعلِم الطالب خلقا يجب أن يتحلى به طالب الدراسات العليا والذي يمكن أن يكون عضوا في هيئة التدريس بالجامعة.

ج – المستوى الثالث: وهو يتم بعد حصول الطالب على الدكتوراه، وهو هنا قد سيطر على أدوات البحث وأساليبه وعليه أن يستمر في أبحاثه فمدرسو الجامعة وأساتذتها ليسوا فقط الواقفين أمام الطلبة يحاضرون أو يناقشون وإنما عليهم أن يضيفوا باستمرار إلى الرصيد البشري. إن الازدياد الهائل الذي يحدث اليوم في المعرفة، والاختراعات التي تظهر كل يوم في محاولة لتيسير حياة الإنسان على هذه الأرض إنما هي نتاج لهذه الأبحاث التي يجريها العلماء في كل مكان.

٤ – الخدمة العامة:

لم تعد جامعات اليوم تلك الأبراج العاجية حيث ارستقراطية المعرفة، ويشهد العالم اليوم جامعات الأعداد الكبيرة والتي تفتتح أبوابها لكل فئات الشعب والدراسة في بعضها بالمجان والعبرة بالقدرة على التحصيل وبذل الجهد.

كما أصبحت الجامعة مركزا للمعلومات ومدت أذرعها في مراكز بعيدة تعلِم كما تتعلم مسهمة في الإثراء العلمي للأفراد والجماعات. صار إذن تزاوج بين الفكر والعمل لتحقيق أهداف المجتمع ككل.

وتقدم الجامعات – اليوم – خدمات عامة على مستويات شتى لترضي رغبات عديدة عند المواطنين، وهي بذلك لا تنافس أحدا، بل تتعاون مع الجميع، وهي لا تفضل مؤسسة على أخرى ولكنها تدلي بدلوها في ميادين يحتاج إليها مجتمعنا كل الاحتياج. أن نعلم لغة أجنبية لقاء أجر رمزي أمر يتعامل مع أسمى مبادىء ديموقراطية التعليم.

الأبواب إذن مفتوحة للجميع – قدر المستطاع – ليتخيروا ما يريدونه ويرغبونه،

ويحدث بهذه الطريقة تعلم مفيد مبني على الرغبة والدافع نحو المعرفة، ولا يقف السن أو الجنس حاجزا بل قد يكون مثيرا، وجميل أن يحب الإنسان ما يفعل وأن يتعلم ما يحب فكرة التعلم المستمر، والتعلم مدى الحياة والتعلم من المهد إلى اللحد ليست شعارات تقال ولكنها واقع ملموس في عالم اليوم، بل إن إيجابياته كثيرة ومثيرة وهذه انطلاقة من جامعات الثلث الأخير للقرن العشرين هذا إلى جانب جامعات الهواء والجامعات بدون أسوار.. وكم هو عجيب ومثير هذا المستقبل.

اتجاهات المستقبل

اتجاهات المستقبل عديدة متباينة ففي أمريكا ينادي البعض بأن تكون الجامعة مرحلة وسطى يمر فيها الطالب من حياة الأسرة إلى حياة المجتمع الكبير في المستقبل عن طريق الحياة بين أساتذته وزملائه.

ويرى البعض أن وظيفة الجامعة هي أن تقدم للطالب فهما عريضا عن العالم ويرون أن الطلبة سيلتحقون بالجامعة لسببين رئيسيين:

١ – الحصول على وظيفة محترمة في المجتمع.

٢ – معرفة كيف سيتعاملون مع الدنيا بما فيها ومن فيها.

والواقع أن أساتذة الجامعة الحاليين لا يستطيعون تحقيق الهدف الثاني لسبب بسيط هو أنهم لا يعرفون، فالكثير منهم لم يكونوا في الدنيا من بداية العشرينات من عمرهم واشتعلت رؤوسهم شيبا ومازالوا يبحثون في تخصصاتهم.

إن الحديث عن المستقبل والتنبؤ به أمر محفوف بالمخاطر والاحتمالات العديدة ولكن من أبرز الاتجاهات التي يحتمل أن يتسم بها التعليم الجامعي هي:

أولا : مزيد من التعلم الذاتي لا سيما في الجوانب النظرية.

ثانيا : مزيد من التدريب الميداني (ما كان يعرف بالتلمذة الصناعية).

ثالثا : مزيد من التخصص في فروع أدق من فروع العلم لا سيما في الجوانب التطبيقية.

رابعا : برامج لإعادة التدريب كل بضع سنوات فلا يبق الحاصل على درجة علمية مؤهلا طوال العمر ما لم يلحق بالجديد في مجاله.

خامسا : مزيد من البرامج المفتوحة حيث يدرّس مقرر أو أكثر يؤهل لعمل معين أو يكمل في تخصص معين.

اللفتات النابهة

الحب و البغض بين التعصب و الإنصاف



للشيخ: جاسم بن مهلهل الياسين

الاتزان وصف خاص بالعقلاء، والطيش مما يوصف به الجهلاء، ومن تصدر للناس فعليه أن يلبس ثوب القضاء، ويقلب الأمور مع حضور الذهن، وسرعة البديهة، فلا تجره الحوادث عن هدفه، ولا يعيش بعيداً عن واقعه، فهو حاضر مع الأحداث، ثابت مع الأهداف، يتصل مع الجميع، ويعطي لكل ذي حق حقه، من غير زيادة ولا نقصان، إطاره العام حب الصالحين، ومعرفة أفضالهم، والغض عن زلاتهم، مع إخلاص النصح في النصيحة لهم، فهذا كيمي بن إسماعيل بن محمد بن عبدالله محمد بن نصر القيسراني المخزومي مات سنة ٧٥٣ قال عنه الصفدي: صحبته أكثر من عشرين سنة، وما رأيت منه سوءا قط، وكان يتودد للصالحين، ويكثر الصوم والعبادة، ويصبر على الأذى، ولا يعامل صديقه وعدوه إلا بالخير وطلاقة الوجه(١)، وهذا أمر لا يستطيعه إلا من ضبط لسانه وأمسك بزمام نفسه، كما وصف ابن السكاكري، وكان قوي النفس يتقي لسانه(٢).

الداعية وطالب العلم يسعى لطلب الحقيقة من الجميع:

العلم ليس حكرا على أحد، والعلماء الكبار كالسحابة، ينزلون الغيث على جميع الأراضي، وهم أشجار مثمرة، تتدلى منها أرزاق الله، ليتحصل المجدُ على مافيها من خير، فيطعم نفسه ويعطي غيره، ومما تم البلاء به هذه الأيام ومن قبلها، عصر التعصب المذهبي، أن طالب العلم يتلقى توجيها أن استمع إلى هذا واترك هذا، واقرأ هنا، واترك هنا، وأصبح عقل الإنسان كالشريط الذي يتحكم صاحبه بالمادة التي فيه، ومن ثم يموت الإبداع وتتكرر القوالب الفكرية والمذهبية، وتحرم الساحة الإسلامية من تلاقح الأفكار والإنتاج الجديد الذي يبقي الجيد ويطرد الضعيف، وأصبح أصحاب العقول المتقدة في المذاهب أو الحركات المنغلقة، إما أن ينفجر في مجموعته، ويخرج عنها وقد أصابه الإعياء، لا هو الذي استفاد من قوته، ولا أفاد الآخرين، وقد يلجأ إلى منتدى بعيد عن الأنظار يمارس فيه حرية تفكيره، وفي هذا الطريق كذلك خطر على حركته وعليه، وحري بنا نحن اليوم، وفي زمن تقارب فيه العلم بوسائل الاتصال المختلفة، حتى أصبح كالبلد الواحد الصغير، أن ننفتح على كل ما هو خير، وأن نؤسس الفهم عندنا على قواعد الكتاب والسنة، وأفهام سلفنا رضوان الله عليهم، ثم نترك طالب العلم يجلس في حلقات العلم المختلفة، سواء أكانوا من مجموعتنا أم لا، ويتعود أن يعرف الصحيح من الخطأ بالحوار، والعرض على الكتاب والسنة من غير أن نرضعه ما نعتقد في نظرنا أنه هو الصواب، وبهذا الطريق والله أعلم يمكننا أن نضيق من الفجوة التي بين طلبة العلم، وبين الحركات بعضها مع بعض، ويتربى شباب الدعوة على قاعدة التسامح عند سلفنا رضوان الله عليهم: «كلامنا صواب يحتمل الخطأ، وكلام غيرنا خطأ يحتمل الصواب» هذه قواعدهم، وكذلك حياتهم، فهذا أحمد بن إبراهيم بن عبدالغني الحنفي شمس الدين أبوالعباس السروجي القاضي ولد سنة ٦٣٧، وتفقه أولاً حنبلياً، وحفظ المقنع، ثم تحول حنفياً، وحفظ الهداية، وأقبل على الاشتغال إلى أن مهر واشتهر صيته، وشرع في شرح الهداية شرحا حافلا، مع انتقاله من المذهب الحنبلي إلى الحنفية وعندما أراد أن يرد على شيخ الحنابلة ابن تيمية كان متأدبا، قال الإمام الذهبي عن السروجي: كان نبيلا وقورا كثير المحاسن، وما أظنه روى شيئا من الحديث، وله رد على ابن تيمية بأدب وسكينة وصحة ذهن، ورد ابن تيمية على رده(٣). وطالب العلم يجب أن يتثبت من معلوماته، وخصوصا إذا كانت تتعلق بالعلماء وأهل الرأي والجاه والزعامة، لأن هؤلاء محسودون من أقرانهم، ولأن الطعن فيهم هدم لصرح قائم ينتفع منه المسلمون، ولننظر إلى سير سلفنا وتثبتهم.محمد بن عبدالعظيم بن علي بن سالم جمال الدين السقطي يكني أبا بكر ولد سنة ٦٣٢ وسمع من ابن الصابوني وغيره، وأجاز له ابن باقا وتفقه وتعانى الشروط، فدربها، وناب في الحكم بالديار المصرية مدة أربعين سنة، وكان صارما مهيبا كثير التثبت، شهد عنده جماعة في قضية، فتوقف فيها، ثم ركب إلى القرافه فقرأ تاريخ الوفاة على قبر المشهود عليه، فظهر له فسادها. وله في إخراج التزوير قضايا كثيرة، كان لا يقبل من الشهود إلا النادر، حتى أن رجلا شهد عنده فقال له: أحضر من يعرف بك، فأحضر الشيخ علاء الدين الباجي، فقام له وبجّله وأجلّه وأجلسه فوقه، فقال الرجل سيدي علاء الدين يعرف بي. فقال له القاضي: سيدي علاء الدين أجلّ من هذا وأكبر، امض فات بمن يعرف بك(٤). ومعرفة القواعد الصحيحة، تحفظ طلبة العلم من الزيغ والوقوع في حبال المفسدين، وإن جالسوهم في حلقاتهم، بل قد يكونون أشد عودا ممن لازم كهفا واحدا، فهذا عُرضة لأن يقع عند أول ريح تهب عليه عند خروجه، وخروجه أمر محتم، ولو لبث ثلاثمائة سنة وازداد تسعا!!.

المغالاة في الحب طريق التهور وعدم الاتزان

علاقة الحب من العلاقات التي ندعو إليها،

والتي تبنى عليها الأسر والمجتمعات، وبالحب نستطيع أن ننهي الكثير من المشاكل، ومن الأمور المتبادلة بين العبد وخالقه وعن الحب يقول تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ المائدة/٥٤. والمغالاة في الحب أو التقصير، طريق للانحراف، وهل بداية النصارى في انحرافهم وضلالهم، إلا الحب والمغالاة فيه، وهل بداية الفجوة بين الجماعات الإسلامية بعضها مع بعض إلا من مغالاة كل جماعة في حبها لقادتها وأقوالهم وكتاباتهم، ولو أن كل جماعة أنصفت محبيها، وجعلتهم في صفوف البشر الذين يصيبون ويخطئون، لاختصرت الجماعة مسافة الالتقاء مع الجهات الأخرى العاملة للإسلام، ولننظر جميعا إلى الخفة التي حدثت للشيخ محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبدالملك القضاعي القالوسي، قال ابن الخطيب: كان إماما في العربية والعروض، وكان شديد التعصب لسيبويه، حدثني شيخنا أبو الحسن بن الحباب، قال: ورد أبوبكر القالوسي على القاضي أبي عمرو، وكان شديد المهابة فتكلم في مسألة في العربية نقلها عن سيبويه، فقال له القاضي: أخطأ سيبويه، فكاد يجن، ولم يقدر على جوابه لمكان منصبه، فجعل يدور في المسجد ودموعه تنحدر، وهو يقول: أخطأ من خطأه. ولا يزيد عليها(٥). إمام فقد اتزانه على غير عادته، وما دفعه إلى هذا التصرف إلا غلوه في سيبويه، وهو الذي دفع أبا حيان لأن يختلف على شيخ الإسلام ابن تيمية بعد محبته له حيث كان يقول فيه قبل اختلافه معه: ما رأت عيناي مثل هذا الرجل ثم مدحه بأبيات ذكر أنه نظمها بديهة

لما أتانا تقي الدين لاح لنا
داع إلى الله فرد ماله وزر
على محياه من سيما الأولى صحبوا
خير البرية بدر دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبراً
بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا
مقام سيد تيم إذ عصت مضر
وأظهر الحق إذ آثاره اندرست
وأخمد الشر إذ طارت له شرر
كنا نحدث عن حبر يجيء بها
أنت الإمام الذي قد كان ينتظر

ثم دار بينهما كلام فجرى ذكر سيبويه فأغلظ ابن تيمية القول في سيبويه فنافره أبوحيان وقطعه بسببه. ويقال إن ابن تيمية قال له ما كان سيبويه نبي النحو ولا كان معصوما بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعا ما تفهمها أنت، فكان ذلك سبب مقاطعته إياه، وذكره في تفسيره البحر بكل سوء، وكذلك في مختصره النهر(٦). والصور هذه تتكرر لدرجة الوقوع بالمخالفة الشرعية في ارتكاب محظور نص الشارع عليه، بل إن أمر المغالاة يراه صاحبه ويتعجب منه، فيخبر به تعجبا من نفسه، فهذا سليمان بن يوسف بن مفلح ابن أبي الوفاء الياسوفي صدر الدين الشافعي، ولد سنة ٧٣٩ تقريبا، ونقله أبوه إلى مدرسة أبي عمر بالصالحية، فقرأ بها القرآن، وحفظ التنبيه، ومختصر ابن الحاجب، وأقبل على التفقه، وأخذ عن العماد الحسباني والموجودين من أعلام الشافعية، وتمهر حتى كان يقول، كنت إذا سمعت شخصا يقول أخطأ النووي اعتقد أنه كفر(٧).

ولا طريق للقضاء على هذا التعصب، إلا السير في طريق الإنصاف، وتعويد النفس على قول كلمة الحق، وإن كان فيها عدم الرضى من الأطراف، فالحق أحق أن يتبع، وهذا أمر لا يستطيعه إلا الفحول من العلماء. ولننظر إلى الإمام الذهبي عندما يتحدث عن الإمام ابن تيمية مع حبه له، إلا أن منهج الإنصاف واضح بيّن. قال الإمام الذهبي ما ملخصه: كان يقضي منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجّح، وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه. وما رأيت أسرع انتزاعا للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه. ولا أشد استحضارا للمتون وعزوها منه، كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه، بعبارة رشيقة، وعين مفتوحة، وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه، وأما أصول الديانة ومعرفة أقوال المخالفين فكان لا يشق غباره فيه - هذا مع ما كان عليه من الكرم والشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس، ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلثمائة مجلد، بل أكثر، وكان قوّالا بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، قال: ومن خالطه وعرفه فقد ينسبني إلى التقصير فيه، ومن نابذه وخالفه قد ينسبني إلى التغالي فيه، وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه وأضداده، وكان أبيض أسود الرأس واللحية، قليل الشيب شعره إلى شحمة أذنيه، وكأن عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت فصيحا، سريع القراءة، تعتريه حدة، لكن يقهرها بالحلم، قال ولم أر مثله في ابتهاله واستغاثته وكثرة توجهه، وأنا لا اعتقد فيه عصمة، بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية، فإنه كان مع سعة علمه وفرط شجاعته، وسيلان ذهنه، وتعظيمه لحرمات الدين، بشراً من البشر، تعتريه حدة في البحث، وغضب وشظف للخصم، تزرع له عداوة في النفوس، وإلا لو لاطف خصومه، لكان كلمة إجماع، فإن كبارهم خاضعون لعلومه، معترفون بشنوفه، مقرون بندور خطئه، وأنه بحر لا ساحل له، وكنز لا نظير له، ولكن ينقمون عليه أخلاقا وأفعالا، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك. قال: وكان محافظا على الصلاة والصوم، معظما للشرائع ظاهراً وباطنا، لا يؤتى من سوء فهم، فإن له الذكاء المفرط، ولا من قلة علم، فإنه بحر زخار، ولا كان متلاعبا بالدين، ولا ينفرد بمسائل بالتشهي، ولا يطلق لسانه بما اتفق، بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس، ويبرهن ويناظر أسوة بمن تقدمه من الأئمة، فله أجر على أخطائه، وأجران على إصابته. إلى أن قال: تمرض أياما بالقلعة بمرض جد. إلى أن مات ليلة الإثنين العشرين من ذي القعدة وصلى عليه بجامع دمشق، وصار يضرب بكثرة من حضر جنازته المثل، وأقل ما قيل في عددهم: إنهم خمسون ألفا(٨).

وهذا أستاذ في الإنصاف، إبراهيم بن داود بن عبدالله الآمدي، برهان الدين نزيل القاهرة، يقول عنه ابن حجر: كان ممتحنا بحب ابن تيمية، ونسخ غالب تصانيفه بخطه، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، برياضة وتؤدة، ويناظر في مسائل ابن تيمية من غير مماراة(٩)، والآمدي كما اتصف بحبه لابن تيمية، أنصف نفسه عندما قال له ابن حجر وهو يقرأ عليه أجزاء: أخبركم رضى الله عنكم وعن الديكم. نظر إليه الآمدي منكرا وقال ما كان على الإسلام!!(١٠) يقصد بذلك لا تترض على والدي وقد كانا على النصرانية، حيث مات أبوه على النصرانية وهو صغير، فحمله وصية الشيخ عبدالله الدمشقي إلى مجلس ابن تيمية رحمه الله، وأسلم عليه.

والإنسان لا بد أن ينتمي لشيوخه وجماعته، ونحن لا ندعو إلى انتزاع ذاته، ولا إلى التنكر لأهل الفضل، بل كما قال الإمام الشافعي: «الحر من راعى وداد لحظة، وانتمى لمن أفاده لفظة» فهذا أمر لا يمكن إخفاؤه، بل المرء يتشرف بالانتماء إلى أهل الصلاح والخير، سواء أكانوا علماء أم حركات إسلامية صحيحة، فطالب العلم معروف بشيوخه وأساتذته. وإليك هذه اللفتة نختم بها ورقتنا هذه بعلم من الأعلام:

إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، أحضر على أيوب الكحال وغيره وسمع من جماعة : كابن الشحنة ومن بعده، واشتهر وتقدم وأفتى ودرس، وذكره الذهبي في المعجم المختص فقال: تفقه بأبيه وشارك في العربية، وسمع وقرأ، واشتغل بالعلم، ومن نوادره أنه وقع بينه وبين عماد الدين ابن كثير منازعة في تدريس، فقال له ابن كثير أنت تكرهني لأني أشعري فقال له: لو كان من رأسك إلى قدمك شعر ما صدقك الناس في قولك: أنك أشعري، وشيخك ابن تيمية، وقال ابن رافع: شرح الفية ابن مالك، وقال ابن كثير كان فاضلا في النحو والفقه على طريقة أبيه، ودرس بأماكن وكانت وفاته في صفر سنة ٧٦٧(١١).

تحقيق التوازن في التربية الإسلامية



بقلم الاستاذ: الدكتور محمد الزحيلي*

تتفق النظريات التربوية قديما وحديثا على ان محور العملية التربوية والتعليمية هو الانسان، وانه الغاية الرئيسية، والهدف المركزي للتربية.

والانسان افضل مخلوقات الله تعالى في الكون، ولكنه مخلوق عجيب في تركيبه ومواده الاساسية، ويتكون من اعضاء دقيقة، واجزاء حساسة، واجهزة مختلفة، وغرائز متفاوتة، وميول متباينة، وعواطف متقابلة، واعضاء كبيرة وصغيرة ودقيقة، وله سمات ظاهرة للعيان، واغوار عميقة، وهو روح وجسد، وعقل وفكر، ودم وقلب، يقف على الارض، ويتطلع الى السماء، يعيش حاضره وواقعه، ويرنو الى ما حوله، ويختزن ماضيه، ويحلم بمستقبله، ويتمتع بالدنيا، ويطمع في الآخرة، يسمو الى الاعلى حتى ينافس الملائكة في طهارتها وبراءتها وشفافيتها، ويهوي في المادية حتى يلتصق بالتراب والحيوانية، ويجنح الى الفساد والضلال والشر والاجرام حتى يتدنى الى البهيمية، وقد تنقلب طباعه فيصبح ذئبا على اخيه الانسان، ويانس بنو جنسه بالوحوش عند اختلاط الاصوات، وقد يصبح اشد همجية من السباع المفترسة، في حين يغرق في الروحانية حتى يصير قديسا ووليا، ويغرق في التفكير والعقلانية فيصبح فيلسوفا وحكيما، ويكدح في الذهن والبحث حتى يخترع الاعاجيب، ويحقق ما يعتبر مستحيلا.

وكثيرا ما تتجه النظريات التربوية الوضعية الى احد جوانب الانسان، وتوليها الاهتمام، وتركز عليها في العناية، وتفضلها على غيرها، وتغفل عن بقية الجوانب، او على الأقل تضع هذه الصورة المتكاملة للانسان، وعند الدراسة والبحث، والافتراض والتجربة والتطبيق والتحصيل تنحاز الى احد الجوانب، وتقدمه على غيره، فتعجز عن التنسيق والانسجام، وتفقد الاعتدال والتوازن، فتضطرب النتائج، ويغيب الهدف المنشود.

وهنا تتجه الانظار الى التربية الاسلامية، بمعناها الكامل والشامل والعام والصحيح، ذات المنشأ السماوي، والمصدر الإلهي، التي تدرك حقيقة الانسان، وتحرص فيه على العموم والشمول والإحاطة والكلية، وتسعى به نحو الكمال، وتنقذه من الردى، وتحقق فيه خلافة الله على الارض، فترعاه من كل جانب، وتأخذ بيده في كل السبل، وتحيطه بجميع اجزائه بالتربية والتوجيه والتهذيب، وتقيم التوازن النظري والعملي، في الوسائل والغايات معا.

ويتمثل تحقيق التوازن في التربية الاسلامية في أجلى صورها في التربية النبوية

*وكيل كلية الشريعة للشؤون العلمية بجامعة دمشق.

اولا، وفي سيرة الصحابة ثانيا، وفي سائر الافراد المسلمة والمجتمعات الاسلامية ثالثا، وهو الأمل المنشود للمسلم الصادق اليوم وفي المستقبل، وهو ما ندعو اليه، ونريد بيانه.

تهدف التربية الاسلامية الى إقامة التوازن الكامل والدقيق بين جميع الامور التي تتعلق بالانسان عامة، والتربية خاصة، وذلك ان مصدر التربية فيها هو الله جل جلاله، وان واضع المنهج التربوي الاسلامي في اساسه، هو رب العالمين، الذي خلق الانسان في احسن تقويم، وصوره فأحسن صورته، وهو الذي خلق المخلوقات كلها، ويعلم تركيبها، وما يناسب كلا منها، وما يصلح بنيانها، فيعلم كل شيء في الانسان والكون والحياة وما وراء الحياة والطبيعة، قال تعالى ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ المجادلة/ ٧، ﴿ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ المائدة٩٧، ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ ق/١٦، ﴿فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ يس/٧٦، ثم يأتي الاستفهام التقريري العام في القرآن الكريم: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ الملك/ ١٤.

طرفا التوازن التربوي الإسلامي

الله سبحانه وتعالى كشف لرسوله هذا الخباء، فأنزل عليه الآيات البينات في القرآن العظيم، ووصف له التشخيص الكامل للانسان، وبيّن له العلاج المناسب، والغذاء المفيد، وحقق رسول الله صلى الله عليه وسلم في سلوكه وحياته وسيرته ووعظه وارشاده وتربيته هذا التوازن الكامل، فقامت التربية الاسلامية على اساس متوازن ودقيق، وطبق الصحابة وسائر المسلمين الصادقين هذا التوازن من طرفيه: رعاية شؤون الانسان بشكل متوازن من جميع الجهات، وتحديد المنهج التربوي الاسلامي في التوازن بين جميع الجوانب.

فمن ذلك التوازن بيّن امور الدين في العقيدة والعبادة،وبيّن شؤون الدنيا بجميع أنحائها وأرجائها، في المتع والملذات، والغرائز والشهوات، والبناء والاعمار، والعمل والكسب والاجتماع والدولة ، والافراح والاحزان.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحقق هذا التوازن بشكل عملي واقعي، منهجي تطبيقي، وهو نبي مرسل، ومعلم ومرب، ورئيس دولة، وزعيم سياسة، يحسن سياسة الاصحاب، كما يحسن معاملة الخصوم والأعداء، يجيد تصريف شؤون الدولة الداخلية، كما يبدع في تحديد علاقة الدولة الاسلامية مع الدول الاخرى، الحليفة منها والمعادية، في اوقات السلم، وفي اوقات الحرب على حد سواء، وهو المثل الاعلى للمسلمين، والاسوة والقدوة، وقد تركهم على بيضاء نقية لا يزيغ عنها الا هالك، وقال ـ فيما رواه البيهقي: «تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض».

وكل ذلك لا يشغل الرسول صلى الله عليه وسلم، والمسلم من بعده، عن واجباته الزوجية، وصلاته الاجتماعية، وقيامه بشؤون نفسه وبيته، ورعايته لأولاده، وسائر المسلمين، ولا ينقص من صلته بالله تعالى بالعبادة والذكر، وتلاوة القرآن الكريم، وقيام الليل، فكان عليه الصلاة والسلام اتقى الناس لربه، واكثرهم له تقوى، وأحرصهم عليه طاعة وعبادة، واشدهم حرصا على مناجاته وشكره، يقوم الليل لله تعالى، ويكدح في النهار لأمته ودولته ومجتمعه واهله واسرته، ويكفي في الاستدلال لذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه الشريفتان، كما قالت زوجته عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها، وروى البخاري ومسلم واحمد عن المغيرة بن شعبة قال: «ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه او ساقاه، فقيل له أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا».

وترم: أي تنتفخ.

توازن بين الدين والدنيا

ومن ذلك التوازن بين الدنيا والآخرة، وهذا فرع عن القسم الاول، وهو التوازن بين الدين والدنيا، وجاء القرآن الكريم لإقامة هذا التوازن الدقيق والكامل بين شؤون الدنيا واحوال الآخرة، فقال تعالى:﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين﴾ القصص/ ٧٧، وهذا المبدأ الواضح الصريح، أحد المعالم الرئيسية للتربية الاسلامية، وتحقيق التوازن فيها.

وأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم التطبيق الصحيح والدقيق لهذا المنهج القرآني في إقامة التوازن بين الدنيا والآخرة، واتجهت التربية النبوية الى تحقيق هذا التوازن في صفوف الصحابة خاصة، والمسلمين عامة، بشكل عملي ونظري، فقال عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه الديلمي وابن عساكر ـ «ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه، حتى يصيب منهما جميعا، فإن الدنيا بلاغ الى الاخرة، ولا تكونوا كلا على الناس» وحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتمال ترجيح الآخرة على الدنيا بحسن ظن وتقرب الى الله تعالى، وحذر ان يتسرب ذلك الى نفوس المتدينين وسلوكهم وعباداتهم، فحرم الانقطاع عن الحياة الدنيا، وانكر التبتل والامتناع عن الزواج، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا رهبانية في الإسلام» وهذا الحديث لم يرد بهذا اللفظ، ولكن ورد بألفاظ قريبة في احاديث رواها البيهقي والدرامي والامام احمد، والرهبانية: هي التفرغ للطاعة والعبادة، والانعزال عن الناس والحياة، والعزوف عن الدنيا والمال، والتخلي عن الطيبات والملذات، وحرمان النفس من المباحات، وقمع الشهوات والغرائز باسم الدين، وبحجة التقرب الى الله تعالى، وهو غير صحيح، ولا مشروع، ولا يتفق مع الفطرة البشرية، والواقع العملي، والتربية القويمة.

وادرك صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا، والمسلمون ثانيا، هذا القصد من التوازن بين الدنيا والآخرة، فكانوا رهبانا بالليل، فرسانا بالنهار، لا يفتر لسانهم عن ذكر الله تعالى، ولاتقف ايديهم عن اعمار الكون، ونفع الناس، فكانوا عبّادا لله تعالى، مخلصين له واتقياء، وفي نفس الوقت يصرِّفون امور الدنيا من رئاسة الدولة حتى كسب القوت للعيال، وايقنوا ان الدنيا مزرعة للآخرة، وترجموا التربية الاسلامية الى حياتهم وعملهم، وعبروا عنها باقوالهم وافعالهم، فمن ذلك قول علي رضي الله عنه: «اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا»،وتقرب المسلمون الى ربهم بالعمل والزراعة واتقان الصناعة والتجارة والجهاد والدعوة والتبليغ والتربية والعلم والحضارة، وحسن التعامل، وكمال الاخلاق، وفي ذلك يقول رسول الله، في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: «إن من أحبكم اليّ احسنكم أخلاقا» وفي رواية الترمذي: «إن من احبكم اليّ، واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احسنكم اخلاقا».

مادية قاتلة

ومن ذلك التوازن بين الروح والجسد والعقل، وهي العناصر الرئيسة التي يتكون منها الانسان، جاءت التربية الاسلامية ترعى كل واحد منها، ولكن الاهم من ذلك هو تحقيق التوازن بين هذه العناصر، وخاصة ان الخلل في رعاية احد هذه العناصر دون بقيتها او تقديمه عليها، ادى الى شطط كبير في تاريخ التربية من القديم حتى وقتنا الحاضر، من زهد روحي عنيف ، قتل عند الانسان جسمه، والغى عقله، وجمَّد فكره، وخدَّر حياته، وشلَّ نشاطه، ابتداء من الزهد الهندي القديم والحديث، الى المذاهب الروحية المفرطة المعاصرة، وبالمقابل نرى المادية القاتلة في تربية الغرائز الجامحة، والانكباب على المادة والحياة الفانية، والتغذية الجسدية التي اضحت مشابهة لتربية الابقار، او تسمين العجول، او علف الماشية، وادت الى انحطاط خلقي، وفساد اجتماعي، وشقاء نفسي، واضطراب ذاتي، فبعثت اليأس في القلوب، والاندفاع نحو الانتحار والانغماس في الشهوات التي لا حد لها، والتكالب على المادة ، وارتكاب أشنع الجرائم في سبيلها، واهتم فريق ثالث بالعقل، حتى حمله فوق ما يطيق، وجعل منه إلها كاذبا ووثنا مقدسا، وسار فيه وراء الخيال والوهم، وشغل الناس

بفلسفات خيالية، وافكار نظرية خادعة ميتة، لا حياة فيها.

وجاءت التربية الاسلامية ـ منذ نزولها ـ ترعى الروح والجسم والعقل، قولا وعملا وتطبيقا، وتقيم التوازن بينها، فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مناجاة الروح، وتهذيبها، ومخاطبة العقل وتغذيته وإقناعه، وقضى على الخرافة والجهل والتقليد الاعمى، وانكر الكهانة والعرافة، وحرّم السحر والعبث الفكري والروحي، وطلب الاعتناء بالجسم، وقوة البدن، والمعافاة من الامراض، ووازن بين مصلحة الانسان وارضائه لخالقه عز وجل، وجمع بين التزام العقيدة وحرية الانسان في تصرفاته، من غير اكراه على الدخول في الدين، ونعى على الافراط في جانب، والتفريط في آخر، ولو كان في مسائل الدين والعبادة، فقال عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه مسلم واحمد ـ : «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا،والمتنطعون هم المبالغون في الامور المتشددون في الاعمال، وروى البخاري ومسلم واصحاب السنن واحمد والدارمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فاعط كل ذي حق حقه».

توازن بين الفرد والمجتمع

ودعا الاسلام الى التوسط في الامور، والاقتصاد في الاعتقاد، والسماحة في المعاملات، ورهّب من الافراط حتى في العقيدة والعبادة والاخلاق ومنع التشدد في الاحكام والتصرفات وبيّن ان الافراط في اركان الايمان والعقيدة بالله تعالى واسمائه وصفاته، وفي الانبياء وصفاتهم يؤدي في الغالب الى الكفر والشرك، كما حصل مع الامم السابقة، وان الافراط في العبادة والنسك يخرج الانسان عن وظيفته الاساسية في الحياة والكون، ويقضي على التوازن الذي انتهجه الاسلام ، وسعى الى تحقيقه، كما ان التفريط في الاحكام، وعدم القيام بها، والالتزام فيها يؤدي الى الفوضى والميوعة والضياع والخراب والفساد.

ومن فروع هذه السمة: التوازن بين الفرد والمجتمع، لأن التربية الاسلامية تتجه الى بناء الانسان، والاهتمام به كهدف قائم بذاته، والنظرة الانسانية تدرك ان الانسان ليس فردا قائما بذاته فحسب، ولم يخلق من أجل ان يحيا لنفسه، ولا تقبل ان يسعى لتحقيق مصالحه الذاتية فحسب، فالانسان يعيش في جماعة، وهو اجتماعي بطبعه، لذلك اتجهت التربية الاسلامية لمراعاة الجانب الاجتماعي في تربية الفرد وحرصت على بناء الانسان باعتباره كائنا حيا مستقلا قائما بذاته من جهة وباعتباره عضوا قائما في جماعة من جهة اخرى، فالفرد يؤثر في المجتمع ويكسب من المجتمع ،و المجتمع يبنى ويقوم على الافراد، ويمنحهم الكثير الكثير، وكما تتوقف الحياة الاجتماعية على العناصر البشرية الفردية، وعلى صحة الفرد وسلامته ووجوده وحياته، فان الفرد يتوقف نماؤه الكامل، وسلوكه السوي، ونشاطه الفعال، على أثر المجتمع فيه، ورعايته له، وقوة بنائه ومؤسساته.

والتربية الاسلامية اهتمت بكلا الطرفين، واتجهت الى تربية الفرد، والى إقامة المجتمع الانساني، واقامة اركانه وقواعده، ولم تقف التربية الاسلامية عند هذه المرحلة ، بل استطاعت ان تقيم التوازن الكامل والعادل بين الفرد والمجتمع، فلا يطغى الفرد على حقوق الجماعة، فيستغل خيراتها ويحتكر قوتها، ويستعلي عليها، ويبتز مواردها، فيسيء الى مجتمعه وامته ، ثم يعود عليه الويل والدمار ، كما لايجوز أن تطغى الجماعة على الفرد، فتسلخه من انسانيته، وتجعله آلة للانتاج والعمل، وتحصر حياته بتأمين الغذاء والقوت كالحيوان، وتقضي على ميوله وعواطفه، وتحاول ان تجتث منه غرائزه وفكره وعقله، فتحجّم كيانه، وتحد من نشاطه، وتغفل انسانيته، وتفتت وجوده، فتسيء اليه اولا، ويكون ذلك بالتالي معول هدم للمجتمع ذاته.

ونجحت التربية الاسلامية في تحقيق هذا التوازن الحساس بين الفرد والمجتمع، بينما اخفقت مناهج التربية الاخرى قديما وحديثا، وبخاصة في عصرنا الحاضر الذي تطغى فيه الفردية والانانية في شطر الكرة الارضية، وتسود التربية الجماعية المفرطة في الشطرالآخر.

إخفاق المناهج التربوية الوضعية.

وفي هذا الخصوص، فقد تكون التربية عامة وشاملة لكل نواحي الانسان، ولكنها لا تحقق التوازن الكافي بين عناصره واجزائه، وما يتعلق بالانسان او يتصل به، فيقع الخلل، وينتج الاضطراب.

وقد تسعى التربية في تحقيق التوازن في متطلبات الانسان ، ولكنها تجهل بعض الجوانب الانسانية او الفطرية او العضوية او النفسية فيه، فتقع التربية ــ حتما ولا محالة ــ في الخلل والاضطراب. ويظهر الشذوذ، وينتج الانحراف، ويفقد الاتزان، وكلما تقدمت البشرية تعلن انها اكتشفت جديدا في الانسان، فتعدل من نظريات التربية لتوائم امورها مع المستجدات.

وقد يكشف العلم تركيب الانسان، ولكنه لا يدرك النسبة الصحيحة بين اجزائه وعناصره الأولية، فتقع التربية نتيجة هذا الجهل، او الخطأ في التشخيص، في العجز والنقص، او الاضطراب والانحراف، وهذا مايشير اليه الدكتور الكسيس كاريل، ويحذر من مغبته، فيقول في كتابه «الانسان ذلك المجهول» : «فنحن لا ندرك غير جوانب من الانسان، واجزاء منه، بل ان هذه الأجزاء ليست سوى نتاج طرائقنا في البحث ،

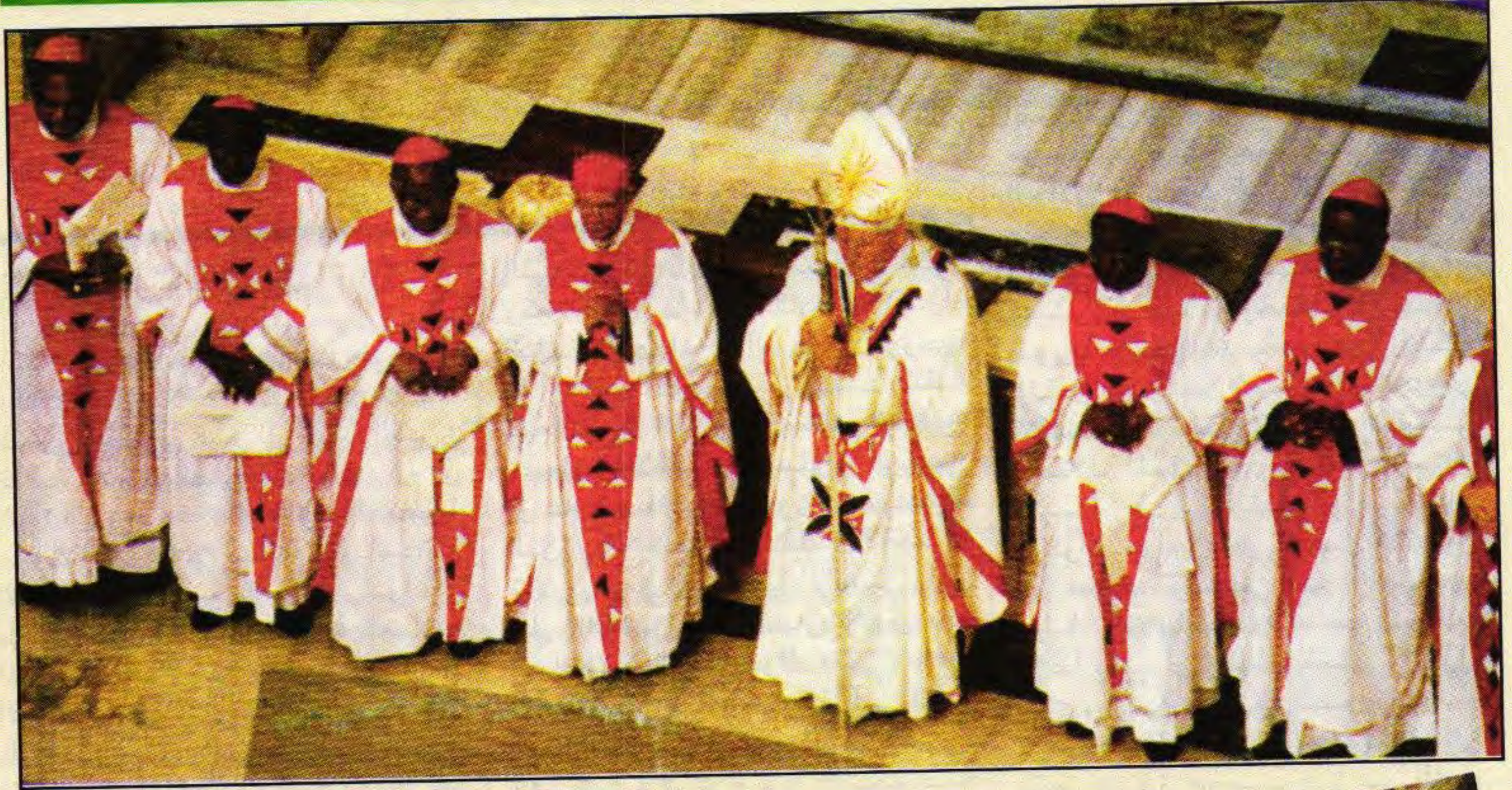
ليس كل منا غير موكب من الاشباه تسير وسطها الحقيقة التي لا يمكن معرفتها، فالواقع ان جهلنا مطبق» ثم يقول: «نحن بعيدون عن معرفة العلاقات التي توحّد بين نمو الهيكل العظمي والعضلات والاعضاء، وبين نمو النشاط العقلي والروحي، كذلك نحن لا نعرف ما الذي يسبب توازن الجهاز العصبي، ومقاومة التعب والمرض ونحن نجهل كذلك كيف نرقى بالحس الخلقي والحكم والجرأة، ما هي الاهمية النسبية لأوجه النشاط الفكري والخلقي والفني والديني».

نقاء التربية الاسلامية

وهذه العوارض او النواقص، او الآفات والاخطاء، مفقودة في التربية الاسلامية، لأن المسلم ــ وان جهل علميا التركيب الصحيح والكافي والكامل للانسان، ـ يتلقى الدواء الشافي، والاسلوب السليم لاستعماله من رب العالمين، الخالق لهذا الانسان الذي ابدعه وفطره، انه الخالق العليم الحكيم ﴿خلق الانسان. علمه البيان﴾ الرحمن/ ٣و٤،﴿وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾ الفرقان، ٢ فالله الخالق المصور لهذا الانسان يعلم تركيبه التام، وحاجاته الكاملة،و انزل المنهج الإلهي الربّاني في التربية لتغطية كل جانب فيه، بما يكفيه، دون زيادة اونقصان، وبالنسبة التي يحتاجها، وهذا المنهج التربوي الاسلامي المنزل يشبه اجهزة التحكم النظامية في الوسائل الحديثة، ويشبه الاعضاء التي خلقها الله تعالى وابدعها في جسم الانسان ذاته، للتحكم في نظامه غذائيا وعضويا، وتعرف بالغدد، ﴿فتبارك الله احسن الخالقين﴾ المؤمنون/ ١٤ وهذا الخالق المبدع المنظم هو نفسه وذاته المشرّع المنزل لمنهج التربية الاسلامية واسسها واهدافها ووسائلها.

وهذا المنهج التربوي يشبه الى حدّ ما الأدوية التي تتركب من مواد مختلفة، وبنسب محددة، وكميات مقدرة، وكل خلل في تركيب الدواء، او الزيادة في نسبة المواد المركب منها يؤدي الى افساده، وربما إلى قلبه الى مادة ضارة او سامة او معدومة النفع.

ومن هنا تظهر اهمية التربية الاسلامية عامة، وفي تحقيق التوازان الذي قصدته في تربية الانسان خاصة، منهجا وسلوكا، نظاما وتطبيقا، ليردد المسلم الشعار الاسلامي الخالد: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ البقرة / ٢٠١، ويرفع يديه الى السماء بقلب خاشع ولسان صادق ليقول: ﴿رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والديّ وان اعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ النمل / ١٩ والله ولي التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين□





البروتستانتية وأصولها الإسلامية

بقلم: محمد أبو قاسم - مراكش

عندما أطلق لفظ البروتيستانتية أطلقت الكلمة اطلاقا عاما ويشمل الحركة الإصلاحية قبل لوثر وبعده، نظرا لاتحاد المسار وتتابع الخطى وخلال قراءة في تاريخ الاديان يلحظ المتتبع ان المذهب البروتيستانتي يختص بمميزات تجعله ظاهرة متفردة في مجال الدين المسيحي، وباستقطاب مجمل الآراء الإصلاحية ابتداء من (وكلف) الى (كلفن CALCVIN) نكتشف توفر ارادة تنطلق من فكر واع بذاته ويحاول الانسجام مع هويته في خضم تيار جارف من برجماتية متطرفة خاصة ويريد أن يؤكد عبودية الخلق للخالق ويمحو من الأذهان قدرة غير الرحمن على رحمة العباد وغفران ذنوبهم.

ان الاتجاه البروتيستانتي، وبنظرة أفقية لمبادئه، يبرهن عن استمداده لكثير من المباديء الإسلامية، ويعلن رفضه لكثير من المباديء والتشريعات الكنسية التي حكمت العصور الدينية قبله، والمثيرللانتباه ان زعماء حركة الاصلاح الديني يؤمنون بمباديء هي من صميم المباديء الإسلامية، وهو إيمان لم يأت عفوا، ولم ينبت في فضاء ميتافيزيقي، وانما تشربت المجتمعات المسيحية تلك المباديء بفضل الاحتكاك والاتصال المباشر وغيره، ولتوضيح طريق التسرب والتشرب يلزم الالماح الى عاملين أساسيين: الحروب الصليبية والجامعات الإسلامية.

يشمل لفظ (بروتستانتية) الحركة الاصلاحية قبل لوثر وبعده

الحروب الصليبية

ان الظروف التي عاشتها أوروبا والعالم الاسلامي ابتداء من نهاية القرن الحادي عشر الى نهاية القرن الثالث عشر وبالضبط من ١٠٩٦م الى ١٢٩١م وهي فترة الحروب الصليبية جعلت الاوروبيين يحتكون بالمجتمع الاسلامي ومن خلالها تعرفوا على طرق الحياة ولمسوا نوعية العلاقة الموجودة بين الفرد والدولة، رأوا ان الاسلام لايفرق بحدة بين ابنائه طبقات دينية واجتماعية، ولا يسمح بتوا جد وسائط بين العبد وربه، كما انهم شاهدوا المسلم مرتبط الصلة بكتابه الروحي يقرؤه ويحفظه، وعلم المتنورون منهم أن الاسلام يجعل كتابه المقدس مصدر المعرفة الدينية، ومصدر ا لأحكام القانونية، وسمعوا من كثير من المسلمين قوله تعالى: ﴿ إن اكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ [الحجرات:١٣] وقوله جل شأنه: ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾ [آل عمران:١٣٥] الى غير ذلك مما يفرزه الاحتكاك الاجتماعي والاقتصادي تسربت هذه المباديء الى العقل الباطن لدى الطبقات الشعبية، وترسبت في لاشعورها، وبدأت مع مرور الزمن تثير الكثير من التساؤلات، وتضع أكثر من علامة استفهام أمام تفكير الكثير من المتنورين وخصوصا في فترات تحكم بابوات على شاكلة البابا (إنوسنت الثالث ENNOCENT ١١٩٨/١٢١٦م) صاحب المقولة الشهيرة: (لا خلاص لانسان في العالم مالم يخضع للبابا، فأنا قيصر وانا الامبراطور الحقيقي صاحب السيادة على جميع أمراء الارض).

مثل هذا كان له رد فعل لدى الخاصة والعامة، وفسح المجال للمقارنة، وأوضح لذي لب مدى التفاوت بين الحياة الدينية في المجتمع الإسلامي ومثيلتها في المجتمع المسيحي، وتذكر الناس نوعية الحياة التي شاهدوها هناك فحنوا الى مثلها، وكبر الحنين فأحدث شرخا في مرآة الذات وانفصاما في الساحة الروحية في المجتمع الأوروبي، وغدت الثقة منعدمة بين الناس وزعمائهم الدينيين وجعل العلاقة على المستوى الرسمي أو غيره علاقة مهزوزة، ضبابية الرؤية، يشوبها الشك في القصد، والارتياب في المصداقية، وافضل دليل علي ذلك قول (ريتشارد الاول ملك انجلترا) مخاطبا (فولك دينى) داعي الدعاة للحملة الصليبية التي قرر البابا إنوسنت توجيهها نحو الشرق؛ وقال له في شيء من السخرية والاستهزاء: (تنصحني بالاقلاع عن خلالي الثلاث: الكبرياء- الشراهة- الشهوانية هأنذا أهبها الى أعظم الناس استحقاقا لها فالكبرياء لهيئة الفرسان الداوية، والشراهة لرهبان سيتو (١) والشهوانية لكبار الكنيسة (٢).

هذا على المستوى الرسمي أما على المستوى الشعبي فعندما وقع الالتجاء الى جمهورية البندقية لتكون نقطة انطلاق الصليبيين نحو الشرق قابل البنادقة الفكرة ببرود وعدم حماس، وكان الاعتقاد السائد أن سكان الشرق الموجه اليهم الحملة أحسن حالا من الذين يوجهونها، ورأوا ان ما بينهم وبين المسلمين افضل مما بينهم وبين قادتهم الدينيين والدنيويين بل رأوا ان الحملة التي تكون ذات نفع كبير هي حملة ضد الامبراطور البيزنطي اليكسوس الثالث وامبراطوريته (٣).

ومع مرور الزمن بدأ الاحساس ببعد الكنيسة عن حقيقة الدين يقوى، وبدأ المترسب في اللاشعور يطفو على الساحة وبدأت الثورات تتوالي، واشتد البحث عن بديل لما قدمه رجال الدين من تعسف وتحكم، وانحراف عن الجادة، فظهرت تيارات معادية متطلعة نحو الأفضل، وعمت التيارات الكثير من المناطق عد منها المؤرخ (فيشر) في ميلانو وحدها ١٧ مذهبا ثوريا ضد الكنيسة، واحس رجال الفكر بالرغبة العارمة في تحرير الانسان المسيحي من قيد الكنيسة وإحلاله المحل الذي يعتليه الانسان المتدين في غير دينهم، واحبوا ان يزيلوا الحواجز التي تفصل الانسان عن خالقه، وبدهي أنهم لن يخلقوا دينا، ولن يشرعوا حسب هواهم، وإنما يجب ان يبحثوا ضمن ما أنزل الله من دين، و ان يدرسوا تعاليمه ويطرحوها للبحث والتمحيص حتي يتبين صدق مصدرها عن الله، فياخذوا منها مايطمئن القلوب ويريح الضمائر ويعطي البديل لما يطرحه رجال الكنيسة وأباطرتها.

وكان المنبع الذي استقى منه رجال الفكر معرفتهم هو الثقافة الاسلامية، التي امتد اشعاعها الى وسط أوربا عبر الاندلس وصقلية، يقول غوستاف لوبون: (لم تكن الحروب الصليبية سببا في إدخال العلوم الى أوروبا كما يردد على العموم، وأنما دخلت العلوم أوربا من أسبانيا وصقلية وايطاليا وذلك ان مكتبا للمترجمين في صقلية بدأ منذ سنة ١١٣٠م ينقل أهم كتب العرب الى اللغة اللاتينية تحت رعاية رئيس الاساقفة(ريمون) (٤). ويقول: (كان ابن رشد الحجة البالغة للفلسفة في جامعاتنا منذ أوائل القرن الثالث عشر) (٥).

لقد عملت الجامعات على استقطاب الكثير من الطلبة الأوروبيين وتعلموا فيها بالدراسة الحقائق العلمية والفكر الديني، وبالملاحظة أسلوب

أدّى تقييد الكهنة من رجال الكنيسة للعلم ومخالفة أحكامهم لحقائقه إلى تمرّد العامّة عليهم ورفض سلطاتهم

البروتستانتية وأصولها الإسلامية

الحياة الدينية والدنيوية، ورجعوا الى أوطانهم يحملون اشعاعا جديدا فتح أعين من حولهم فاحتاروا والحيرة تولد التساؤل، فتتابعت نقاط الاستفهام وبدأ الجدل يحوم حول الكنيسة ودورها وتساءل الناس فرادى وتساءلوا جماعات، تساءلت جماعة (الفراتسلي) (٦) هل أصبحت الكنيسة البابوية بابل الكبرى؟ وهل أضحى البابا هو (المسيخ الدجال؟) (٧).

وكثرت الانتقادات من جماعة الكاثريين في كورسيكا و الشمال الايطالى وجماعة الفودوا في شمال اسبانيا وجنوب فرنسا (٨) ورأت هذه الجماعات ان ماتدعيه الكنيسة من سلطة إلهية ادعاء باطل، وظهر للوجود في هذه الفترة بالذات أشخاص آلوا على انفسهم تطهير الدين مما علق به، وبدأت أول شعلة من ذلك في جامعة (اكسفورد) التي كانت وقتذاك أعظم الجامعات الاوروبية وحمل الشعلة (حنا وكلف) (١٣٢٤/ ١٣٨٤م) دعا الى الرجوع الى الكتاب المقدس وحده وإلغاء مايدعيه رجال الكنيسة لانفسهم، ووجه الناس الى قراءة الكتاب المقدس مع الحث على ترجمته الى اللغة القومية، واتهم الاساقفة بأنهم أتباع القيصر لا أتباع الله كما أنه رأى ان حياة الرهبنة (غدت عديمة الفائدة، بله بغيضة ممقوتة) (٩).

ولم ينس صكوك الغفران فقال عنها بأنها من أعظم الاساءات الى الدين، والف رسالة فند فيها العقيدة الكنسية سماها: (أصول السلطات الدينية) أكد فيها ان البابا جدير بمكانته مادلت سكناته وحركاته على تمسكه بالله، ورفض أفضلية رجال الدين وانتقد العشاء الرباني وقال بأنه عقيدة غير سليمة، وبصفة اجمالية فقد أنكر البابا ورفض الاساقفة والمطارنة.

جاء بعده (حنا هس) (١٣٣٩/١٤١٦م) ضحية الفكر المتحرر، دعا الى الرجوع إلى الكتاب المقدس واعتباره المرجع النهائي للعقائد كما اشار الى ان طاعة البابا تلزم مادام يسير وفق الكتاب كما آمن (هس) بالقضاء والقدر، وانكر صكوك الغفران.

وجاءت فترة اللوثريين فواجهت الكنيسة ثورة عارمة تزعمها مارتن لوثر (١٤٨٣/١٥٤٦م) انتقد البابوية وصكوكها، وترجم الانجيل الى اللغة الالمانية ليقرأه عموم الناس (١٠) وأكد دعوة لوثر كل من زونجلي (١٤٨٤/ ١٥٣١م) من مبادئه الاعتماد على الكتاب المقدس. رفض الصكوك. انتقد منع الرهبان من الزواج، وبعده طالب (كلفن ١٥٠٩/ ١٥٦٤م) بإدماج السلطة الدينية في الدنيوية ودعا الى الايمان بالقضاء والقدر وأكد أن نجاة العبد برحمة الله لابغفران مخلوق لايملك ذلك الغفران، ودعا الى تخويل الشعب حق اختيار حكامه.

أهم مباديء البروتستانتية

إن اهم المباديء التي دعت اليها حركة الاصلاح البورتستانتي هي:

إعادة النظر في مصادر التشريع، والعلاقة بين الدين والدولة، ومصدر السلطة العليا، والاعتماد الكلي على الكتاب المقدس واعتباره مصدرالتشريع، جعل الكتاب بيد العامة والخاصة، الايمان بالقضاء والقدر، الله هو مصدر الرحمة والغفران، رفض الرهبنة لما فيها من انطوائية ومعاكسة للطبيعة البشرية، منع اتخاذ التماثيل والصور في الكنائس وتحريم السجود لها (١١).

لا ينكر احد ان هذه المباديء لم تكن شائعة في الوسط المسيحي، ولاكانت من طقوسه، ولاينكر أحد ايضا أن هذه المباديء مستقاة من الدين الحنيف، دين الامة الوسط التي لاتؤمن بمن يقرب الى الله زلفي، ولايقر دينها واسطة بين العبد وربه، وتجعل مصدر تشريعها كتابها المقدس، وتبتغي في ما آتاها الله الدار الآخرة في الوقت الذي لاتنسى فيه نصيبها من الدنيا، الامة التي حرم دينها الاوثان وجعل السجود لله وحده، أمة الاسلام: ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ [آل عمران:٨٥] ■

الهوامش:

(١) سيتو، ديرفي فرنسا عمّه الكثير من الانحلال الخلقي في العصور الوسطى.

(٢) تاريخ أوربا لفيشر صفحة ٢٤٤.

(٣) نفس المرجع ٢٤٥.

(٤) حضارة العرب لغوستاف لوبون، ص:٥٦٨.

(٥) المرجع السابق، ص:٥٩٦.

(٦) جماعة مسيحية رفضت الاعتراف بسلطة الكنيسة وانتقدت بعد رجالها عن الدين.

(٧) فيشر، ص:٢٣٢.

(٨) نفس المرجع.

(٩) المرجع السابق، ص:٣٦٦.

(١٠) اللوثريون: هم أول من سمى بالبروتستانت والكلمة ماخوذة من PROTESTER بمعنى احتج واعترض ويعني لفظ PRO-TESTANTISEME معنى المعترضين أو المحتجين، ويرجع تاريخ التسمية الى سنة ١٥٢٩م وبالضبط عندما ألغيت مقررات المجمع الالماني الذي عقد في مدينة (اسبيرو) على الرين سنة ١٥٢٦م تلك القرارات التى نصت على حرية الامراء في اختيار المذهب الديني الذي يريدون مما أعطى اللوثريين مكانة في المجتمع، لكن المجمع الالماني عاد سنة ١٥٢٩م فرفض القرارات السابقة وأكد مقررات (وروس) ضد اللوثريين فاحتج هؤلاء على هذا التراجع فحملوا الاسم منذ ذلك التاريخ.

(١١) مقارنة الأديان: المسيحية، الدكتور أحمد شلبي، ص: ٢١٤.

التقويم الهجري والقمري

بقلم: فــاروق حســان

التقويم في اللغة هو: حساب السنين والشهور والأيام. وقديما عرفت شعوب الأرض التقويم وكان لكل أمة التقويم الخاص بها.

وفي الجاهلية: ابتدع العرب التقويم الخاص بهم، وكان يعتمد على حركة القمر، كما جعلوا شهور السنة اثنى عشر شهرا، ووضعوا لها أسماء هي:

صفر أول - صفر ثان - ربيع أول - ربيع ثان - جمادى أول - جمادى ثان - رجب - شعبان - رمضان - شوال - ذو القعدة - ذو الحجة.

وفي الإسلام، حل المحرم محل شهر صفر أول.

إن أيام الشهر في الجاهلية كانت مقسمة إلى عشرة أقسام، كل منها ثلاثة أيام وكان ذلك التقسيم يحسب اعتبارا من ظهور الهلال

ويقول الدكتور سعيد أبو دية(١)، إن العرب أطلقوا على الشهور القمرية أسماء مناسبات كانت معروفة لهم، فمثلا:

المحرم: سمي بذلك لأن العرب حرمت القتال فيه.

صفر: جاء من تسمية أهل اليمن للأسواق بالصفرية، وهناك رواية أخرى بأن (الصفر) جاءت من خلو البلاد من أهلها ساعة الحرب.

ربيع أول وثان: سميا بذلك لأن الوقت كان ربيعا عند تسميتها.

جمادي أول وثان: سميا بذلك لأن الماء تجمد فيهما، ويبدو أن الشهرين جاءا في فصل الشتاء. وقد تكون كلمة جماد جاءت من الأرض التي لم يصلها المطر.

رجب: كانت العرب تخاف هذا الشهر، حيث أن: رجبت الشي أى خفته.

شعبان: جاء من تشعب الناس فيه طلبا للرزق أو من أجل الغارات والغزوات.

شوال: سمى بذلك مصادفة لأن الابل أخذت (تشول) بأذنابها، وهو من الشهور التي تشاءمت منها العرب وكانت تكره الزواج فيه.

ذو القعدة: جاء من القعود وعدم الخروج فيه.

ذو الحجة: جاء من الحج الذي كان يتم فيه.

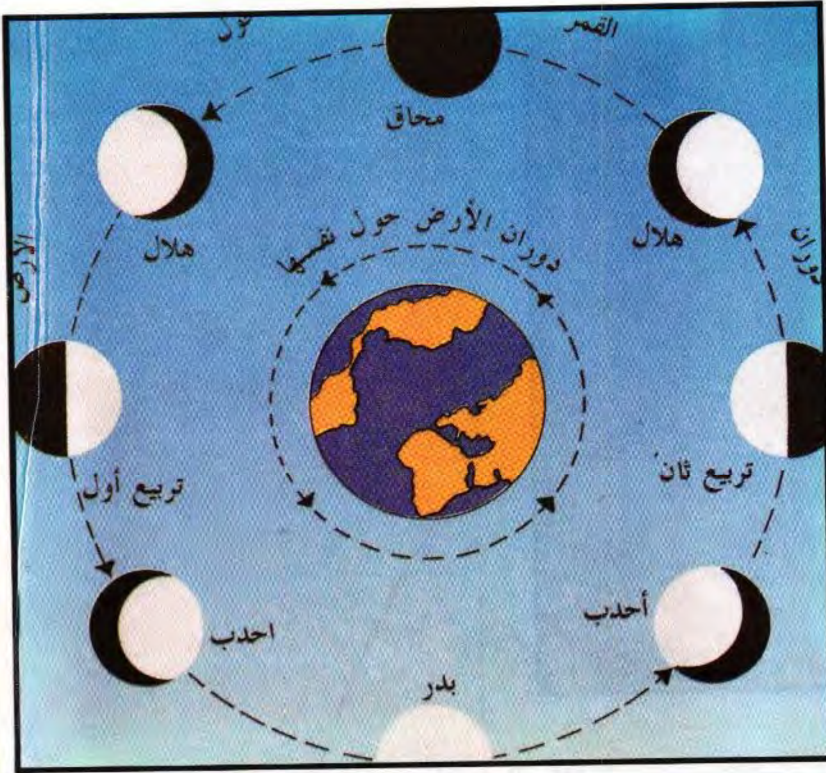
وعرف عرب الجاهلية أيضا أيام الأسبوع وكانت سبعة، وقيل إنهم أخذوها من البابليين، وكانت أسماؤها:

أول - أهون - جبار - دبار - مؤنس - عروبة - شبار.

ويقول البيروني(٢):

إن أيام الشهر في الجاهلية كانت مقسمة إلى عشرة أقسام، كل منها ثلاثة أيام وكان ذلك التقسيم يحسب اعتبارا من ظهور الهلال، وكان لكل ثلاثة أيام اسم هو:

الغرر - النقل - العشر - البيض - الدرع - الظلم - الحنادس - الدآدي - المحاق.



تفشي الضلالة والجهالة في الجاهليـــة عصفت بالمظهر الوحيد الصحيح الباقي من شعائر الحج، ونعني بـــه مــوعــده والسبـب:هــو الفرق بين السنــة الشمسيـة والقمــــريـــة

ورغم وجود تقويم للشهور ولأيام الأسبوع، الا أن عرب الجاهلية لم تعرف حساب السنين،وانما كانت هناك تواريخ تعارف عليها العرب خلفا عن سلف، ارتبطت بحادث شهير كل عام كعام الفيل مثلا، أو أيام مشهورة بوقائع معروفة مثل أيام الفجار وغيرها.

النسيء

من المعروف أن السنة الشمسية ٣٦٥ يوما وخمس ساعات وثمان وأربعون دقيقة، أما السنة القمرية فهي ٣٥٤ يوما وثماني ساعات واربعون دقيقة.

ولإزالة الكسور من السنة الشمسية جعلت كل ثلاث سنوات متتالية سنوات بسيطة أي ٣٦٥ يوما، وجعلت السنة الرابعة كبيسة أي ٣٦٦ يوما. أما السنة القمرية فتم التعامل معها بأسلوب الكبس، أي جعل الشهر ٢٩ يوماو٣٠ يوما على التوالي.

وفي الجاهلية كانوا يحرمون القتال في الأشهر الحرم: رجب ــ ذي القعدة ـ ذي الحجة ـ صفر أول ـ(المحرم).

ولأن عرب الجاهلية كانوا أهل حروب وغارات، فقد كان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متتالية(ذي القعدة وذي الحجة وصفر أول) دون قتال،وكانوا يقولون: لئن توالت علينا ثلاثة أشهر دون أن نصيب فيها ـ أي لانغنم فيها من خلال الحروب ـ لنهلكن.

ومن هنا بدأ النسيء(٣)،وبدأ التلاعب في الأشهر الحرم،.فكانوا اذا احتاجوا للحرب في صفر أول المحرم ـ أجلوا التحريم إلى شهر صفر ثان. وكان لهم (مفتي)يدعي القلمس (٤) يذهبون اليه قائلين:أنسئنا شهرا، أي أخر عنا حرمة هذا الشهر الى شهر آخر. وعلى الفور يجيبهم(المفتي) الى طلبهم.

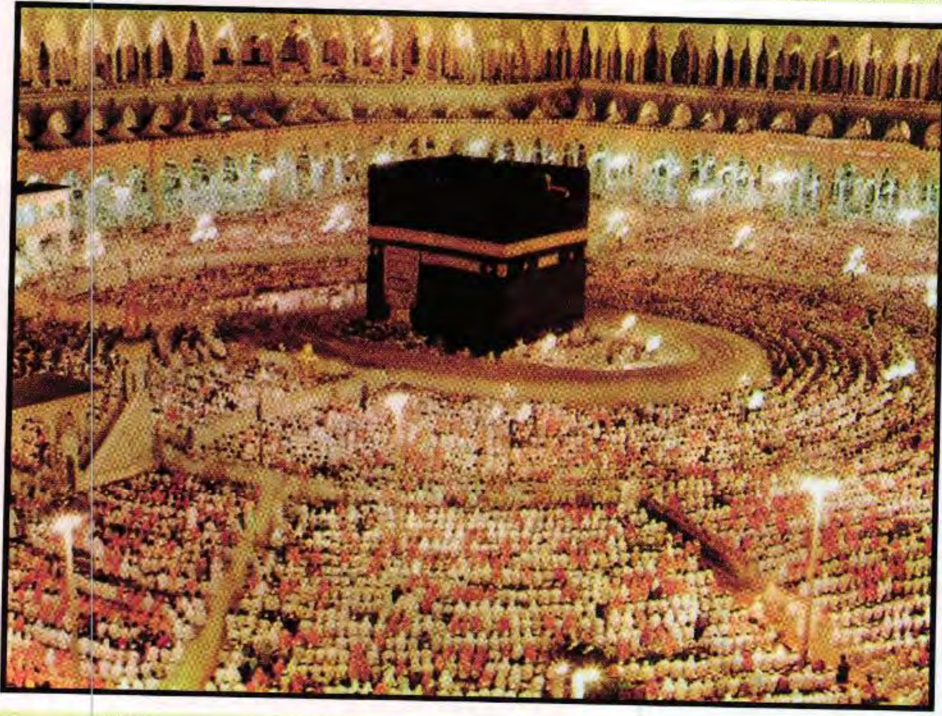
وفي ذلك يقول الكميت:

ألسنا الناسئين على معد
شهور الحل نجعلها حراما

حتى موعد الحج لم يسلم من النسيء.

وقد تعارف عرب الجاهلية على أن موعد الحج هو شهر ذي الحجة، الا أن تفشي الضلالة والجهالة عصفت بالمظهر الوحيد الصحيح الباقي من شعائر الحج، ونعني به موعده، والسبب:هو الفرق بين السنة الشمسية والقمرية ـ أحد عشر يوما ـ والتي جعلت موعد الحج يختلف من عام لآخر. فتارة يقع في الصيف وتارة في الخريف وثالثة في الربيع ورابعة في الشتاء. ومن منطلق المصالح الخاصة وحدها، أراد عرب الجاهلية أن يقع حجهم في زمان واحد لايتغير بتغير الشهور، على أن يكون ذلك وقت اعتدال الجو وفي موسم جنى البلح والغلال، ليسهل عليهم السفر من ناحية، وليتجروا بما معهم من تمور وغلال من ناحية اخرى وبالطبع،فان من طوع الأشهر الحرم لن يعجزه تطويع موعد الحج، لكن كيف؟؟

بأن يتم تكرار شهر واحد كل عام، وبالتالي جعل السنة القمرية ثلاثة عشر شهرا. ففي العام الأول مثلا تم تكرار شهر شعبان مرتين، وفي العام



ويقع كثير منا في الخطأ عندما يعتقد أن يوم هجرة الرسول ﷺ من مكة اتخذ بداية لحساب السنين في الاسلام، حتى ولايوم وصوله ﷺ الى يثرب.

التالي تكرار شهر رمضان مرتين.وهكذا.دار النسيء على جميع الشهور القمرية، وهكذا أيضا ـ وكما يقول اياس بن معاوية ـ كان الحج في رمضان مرة وفي ذي القعدة مرة ثانية، وفي كل الشهور بحكم استدارة الزمان.

ويقول مجاهد(٥).

كان المشركون يحجون في كل شهر عامين، فحجوا في ذي القعدة عامين وفي صفر عامين، وهكذا الشهور كلها.

ولاينبئنا التاريخ تحديدا بأسم أول من نسأ، فقال ابن عباس وقتادة والضحاك إن أول من فعلها بنو مالك من كنانة،ويروي جويبر عن ابن عباس أن أول من فعل ذلك عمرو بن لحي،وقال الكلبي ان رجلا من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة هو أول فاعل لها وكان بعده رجل يقال له جنادة بن عوف (٦)

الاسلام يمحق الضلالات:

وجاء الاسلام ليقضى على كل تلك الضلالات التي كانت سائدة في الجاهلية،وليعيد الأمور إلى ما كانت عليه وقت بعثة أبي الأنبياء ابراهيم عليه السلام.وذلك يؤكد أن الاسلام لم يأت من فراغ وانما هو امتداد وتكملة وختم لكل الرسالات السابقة.

وفي ذلك يقول الحق تبارك تعالى:﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ﴾(الشورى/١٣)

كما نص القرآن الكريم صراحة على أن القمر هو مقياس الزمان في قوله تعالى:﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾(يونس/٥).

ويقول الامام القرطبي (٧)

قال ابن عباس وقتادة إن قوما سألوا النبي ﷺ عن الهلال وسبب محاقه وكماله مخالفة للشمس، وهنا نزلت الآية الكريمة: ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾(البقرة/١٨٩).

ويستطرد القرطبي:

ولفظة (الأهلة) في الآية الكريمة لاتعني أكثر من هلال،لكن الجمع حدث لأن المقصود شهورها ـ فالهلال في شهر غيره في شهر آخر،وذلك لحكمة إلهية حتى يتعرف الناس على المواقيت ومنها الحج.

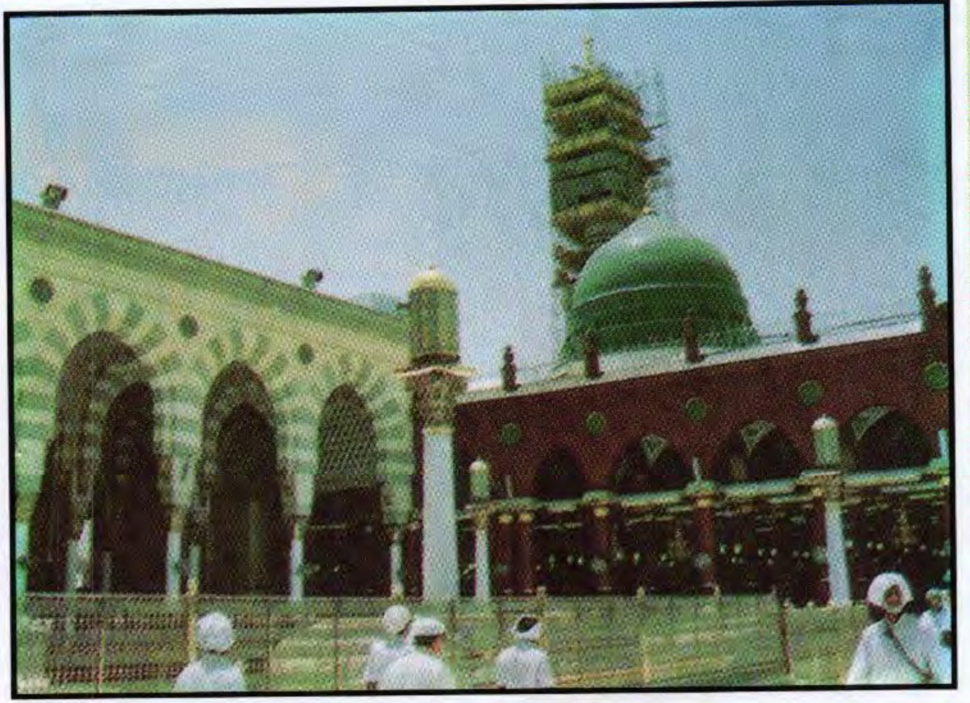
وبعد الإسلام، استبدلت أيام الأسبوع بأيام أخر مشتقة من مجرد الترتيب العددي وذلك بالنسبة للأيام من الأحد الى الخميس، أما اجتماع المسلمين للصلاة فسمى الجمعة وهو مشتق من الاجتماع، أما السبت فيعني(السكون)،ويبدو أنه كان يوم الراحة الأسبوعية.

وكان الأسبوع يبدأ من يوم الأحد/ الواحد.

التقويم الهجري

ولما كانت الهجرة، اتخذ عام الهجرة كمبدأ للتقويم الجديد، والذي لم يكن تقويما بالمعنى الدقيق للكلمة، لأنه جاء في حدود الحساب القديم. بمعنى ارتباط العام بحادث مشهور وقع فيه، فمثلا:سمى العام الأول للهجرة بعام الاذن بالرحيل، أي

تنبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقضية التقويم فجمع مستشاريه و استقر الرأي على التقويم الهجري لكونه معروفاً و لم يختلف عليه أحد



الهجرة،وسمى العام الثاني للهجرة بعام الأمر، أي الأمر بالقتال.

وقد استمر الحال هكذا في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ولعل قصر ولايته وإتخامها بالأحداث مثل حرب القبائل وغيرها، والتي تعد من أخطر ماواجه الاسلام كعقيدة ونظام في مطلع الخلافة، كذلك فتح العراق والشام وغزو فارس، كانت السبب في عدم التفاته الى قضية التقويم.

وربما كان استقرار نفس التقويم في عهد الرسول ﷺ ،وعدم التفكير في وضع أسس دقيقة له، جعلته يستقر كعرف سائد،ومن ثم عدم التفكير في تغييره، أو ادخال أي تعديل عليه.

وجاءت ولاية عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

وكان هاجسه الأول تنظيم الدولة في كل المناحي، كي تقوم بدورها خاصة في ظل الفتوحات التي حدثت في عهده، وكما حدث في ولاية أبي بكر، فقد استمر العمل بالتقويم السائد في ولاية عمر ولمدة خمس سنوات، حتى كان اليوم الذي أرسل له أبو موسى الأشعري كتابا قال فيه: يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لاندري على أيها نعمل، فقد قرأنا صكا محله شعبان، فما ندري أي الشعابين ؟؟ أهو الماضي أم القابل؟؟

ولأول مرة يتنبه عمر رضي الله عنه إلى قضية التقويم فجمع مستشاريه وعرض عليهم الأمر. وتباينت الآراء، فمنهم من اقترح العمل بتقويم العجم، ومنهم من اقترح العمل بتقويم الفرس، ومنهم من اقترح تقاويم أخرى، الا أن عمر رفضها كلها.

وأخيرا. استقر الرأي على التقويم الهجري، أي جعل تاريخ دولة الاسلام بداية من عام هجرة الرسول ﷺ ،وهو تاريخ كان معروفا للكافة ولم يختلف عليه أحد.

وهكذا بدأ العمل بالتقويم الهجري، وكان ذلك في العام الثامن عشر للهجرة.

ويقع كثير منا في الخطأ عندما يعتقد أن يوم هجرة الرسول ﷺ من مكة اتخذ بداية لحساب السنين في الاسلام، حتى ولايوم وصوله ﷺ الى يثرب.

فالمؤكدعند غالبية المؤرخين أن وصوله ﷺ الى يثرب كان يوم الخميس الثامن من ربيع الأول، فيما يتخذ المحرم بداية لهذا الحساب، نظرا لأن المحرم هو بداية العام، ولو اتخذ ربيع الأول بداية للتاريخ الهجري لأحدث من المشاكل والتضارب مالاحصر له ■

الهوامش

١ - مجلة المنهل - السعودية - العدد ٤٩١.

٢ - دائرة المعارف الإسلامية - دار المعرفة - بيروت - بدون تاريخ.

٣ - النسيء في اللغة: من نسأ فأنسأه أي أخره.

٤ - هو حذيفة بن عيد بن فقسيم بن عدي بن عامر، سمي بالقلمس لكرمه اذ أن الاسم من أسماء المحيط.

٥ - هو مجاهد بن جبير، شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس وله كتاب في التفسير، قيل إنه توفي وهو ساجد عام ١٠٤هـ.

٦ - الجامع لأحكام القرآن.

٧ - الجامع لأحكام القرآن - مرجع سابق.

المدارس في الحضارة الإسلامية

بقلم: خالد محمد عزب

● المسجد الازهر - القاهرة

كانت المساجد هي المعاهد الأولى للتعليم عند المسلمين، فيها يتلقون مبادىء الإسلام وأصول الدين الحنيف. وقد حث الإسلام على التعلم وشجع المؤمنين على السعي في طلب العلم. وكان ذلك مظهرا أوليا لنشاة حركة التعليم. حيث تبع ذلك تدريجيا ظهور حلقات العلم والأدب التي كانت تعقد في المساجد أو في بيوت الخلفاء والحكام، وأصبحت المساجد في القرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة خير أماكن التعليم، وأبرز تلك المساجد المسجد النبوي بالمدينة المنورة، والمسجد الحرام بمكة المكرمة، ومسجد عمرو بن العاص بالفسطاط، والمسجد الأقصى بالقدس، والجامع الأموي بدمشق، ومسجد القيروان في تونس.

وإلى جانب ذلك ظهرت بوادر إحساس بالحاجة إلى أماكن للتعليم غير المساجد وعدم الاكتفاء بها فاتخذت بعض بيوت العلماء لتدريس علوم الدين واللغة(١) ونشات خزانة الكتب وبيوت الحكمة ودور العلم لتيسير سبل التعليم ودراسة مختلف العلوم(٢). وجاء القرن الرابع الهجري ليشهد تبلور فكرة «المدرسة» بظهور دور مخصصة للتدريس فيها مساكن للغرباء وأوقفت لها الأوقاف وجعلت فيها خزانات للكتب ودرست فيها علوم مختلفة. وهكذا كانت المدارس مرحلة متقدمة في سلسلة التطورات التي مرت بها حركة التعليم. ونضوجا لفكرة راودت أصحابها ظهرت إلى الوجود بعد توفر الظروف المساعدة لها.

نظام التعليم في القرن الخامس الهجري

ويعتبر القرن الخامس الهجري فاتحة عصر جديد بالنسبة لنظام التعليم والمدارس في الإسلام، عندما أخذت الدولة باحتضان فكرة «المدرسة» واتخاذها مركزا لنشر الفكر الإسلامي بعيدا عن التيارات المعادية والأفكار المضادة، فهيأت الدولة الأبنية لذلك وصرفت الأجور للمدرسين والطلاب وجعلت لها الأوقاف الكافية للصرف عليها وضمان دوامها. وهكذا بنيت المدرسة النظامية في سنة ٤٥٩هـ من قبل نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ألب أرسلان ووزير ابنه ملكشاه.

أما بالنسبة للنظام التخطيطي والمعماري للمدرسة فيمكننا القول بأنه مستمد من نظام المسجد الجامع الذي تطورت عمارته وتخطيطه تطورا منطقيا بحكم الضرورة ووفق متطلبات المدرسة من إقامة بيوت لسكن فريق من الأساتذة والطلاب وتوفير سبل البحث والدراسة والمعيشة لهم(٣) وأبرز الخصائص التي تميزت بها أبنية المدارس عند نشأتها هي:

١ - تخطيط المدرسة هو مستطيل أو مربع تتوسطه ساحة مكشوفة «صحن» تحيطها مرافق المدرسة وتحتل هذه الساحة أكبر قدر ممكن من المخطط العام للبناية.

٢ - وجود أواوين على الساحة الوسطية، فبعض المدارس ذات إيوان واحد، وبعضها فيها إيوانان، وهناك مدارس ذات أربعة أواوين.

٣ - إقامة بيت الصلاة في الجهة القبلية بحيث يوفر ذلك إمكانية الاستفادة من الساحة في أداء الصلاة عند عدم كفاية بيت الصلاة ووجود عدد كبير من المصلين.

٤ - وجود حجرات وغرف للسكن مع قاعات كبيرة للتدريس.

أقيمت هذه المدارس على مساحات شاسعة من الأراضي، ولكن ظلت العواصم القديمة في تزايد مستمر وتكدس سكاني، ولهذا فإن مباني العصر المملوكي في القاهرة مثلا لم تكن عمائر جديدة كما كان الحال في العواصم الأولى، بل كان ولابد من هدم عقار قديم لإقامة المباني الجديدة

■ لم تكن رسالة المسجد محصورة بالشعائر فقط، وإنما المسجد خلية حية بحلقات العلم وغيرها مما يفيد المجتمع المسلم



■ ظهر بناء المدارس المتخصصة في القرن الخامس الهجري، وطار صيت البعض وكان مقصداً للعلماء وطلابهم

المدارس في الحضارة الإسلامية

عليها. وهذا نتج عنه صغر مساحات المباني المملوكية التي أظهر فيها العمار براعة فنية وهندسية مذهلة وأدت هذه المساحات الصغيرة عددا أكبر من الوظائف الموكولة إليها وأدمج فيها عناصر معمارية جديدة.

وضع لهذه المدارس نظام دقيق للعمل، حيث تم تحديد عدد المدرسين والطلاب وقراء القرآن الكريم والحديث النبوي. وعين لكل مدرسة ناظر ومشرف وخازن للكتب ومناول وكاتب إلى جانب المعماريين والفراشين والطباخين وغيرهم. وقد أوردت لنا المصادر ذلك بالتفصيل، كما بينت أن الالتحاق بهذه المدارس عادة بعد انتهاء الطلاب من دراستهم في الكتاب أو المكتب. ويبقون في المدارس عدة سنوات فالدراسة في المدرسة التنكزية في القدس كانت أربع سنوات.. وربما كانت هذه هي مدة الدراسة الشائعة (٤).

صور من نظم التعليم في عهد المستنصر بالله

على أنه يمكننا أن ندرس أحد هذه الأنظمة كمثال ومن أكثر هذه الأنظمة دقة النظام الذي وضعه الخليفة المستنصر بالله لمدرسته ويمكننا تلخيصه في النقاط التالية:

١ – يكون عدد الفقهاء (طلاب الفقه) ٢٤٨ متفقها، من كل طائفة (مذهب) منهم ٦٢ فقيها لهم المشاهرة والجراية واللحم والمطبخ والحلوى والفواكه والفرش والصابون والمسرجة وأبريق النحاس مع راتب شهري قدره ديناران يضاعف في شهر رمضان. وماسبق نوع من التكافل الاجتماعي الذي قل في عصرنا وهذا التكافل هو الذي أخرج لنا صفوة علماء هذه الأمة.

٢ – يعين لكل طائفة (مذهب) مدرس وأربعة معيدين ومرتب ينظم أمور الطلاب ويسهر على راحتهم وطعامهم ويراقبهم ليلا ونهارا. وهذا يفيد في حرص أهل ذلك العصر على متابعة هؤلاء الطلاب وتربيتهم تربية جيدة من خلال المتابعة المستمرة.

٣ – يكون في دار القرآن ثلاثون صبيا أيتاما لكل منهم الخبز والطبيخ مع راتب شهري.

٤ – يعين في دار القرآن شيخ مقرىء صالح لتلقين القرآن الكريم له في كل يوم الخبز والطبيخ مع راتب شهري قدره ثلاثة دنانير. ويعين مع الشيخ المذكور معيد يحفظ القرآن الكريم للصبيان له الخبز والطبيخ وراتب شهري.

٥ – يكون في دار الحديث شيخ عالي الاسناد يشتغل بعلم الحديث له في كل يوم الخبز واللحم مع راتب شهري قدره ثلاثة دنانير.

٦ – يساعد الشيخ المذكور قارئان للحديث لكل منهما الخبز والطبيخ مع راتب شهري.

٧ – يكون في دار الحديث عشرة أشخاص لكل منهم الخبز والطبيخ مع راتب شهري.

٨ – يعين في المدرسة طبيب حاذق مسلم له نصيب من الخبز واللحم مع راتب شهري.

٩ – يكون مع الطبيب عشرة أشخاص من المسلمين يشتغلون عليه بعلم الطب لهم الجرايات مثل طلاب الحديث.

١٠ – يقوم الطبيب بمعالجة من يعرض له مرض من أرباب المدرسة.

١١ – يعطي المريض مجانا مايوصف له من الأدوية والأشربة والأطعمة وغير ذلك.

١٢ – اشترط الخليفة أن يكون في المدرسة من يشتغل بعلم الفرائض والحساب.

١٣ – جعل الخليفة للمدرسة أوقافا كثيرة كان المسؤول عنها يسمى «صدر الوقوف» وقيل عن تلك الأوقاف أنها بلغت ماقيمته ألف ألف دينار، وأن وارداتها في العام نيف وسبعون ألف مثقال ذهبا.

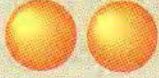
نظام ومواعيد الدراسة

وحددت مواعيد الدراسة بهذه المدارس حتى أصبحت تقليدا معمولا به، فكان اليوم الدراسي ممتدا من طلوع الشمس إلى أذان العصر، وكان على المدرس أن يختار الوقت المناسب حسب إمكانيات المكان وظروفه، خلال اليوم الدراسي، على أن تقتصر فترة الدراسة الفعلية على مايقرب من ثلاث ساعات.

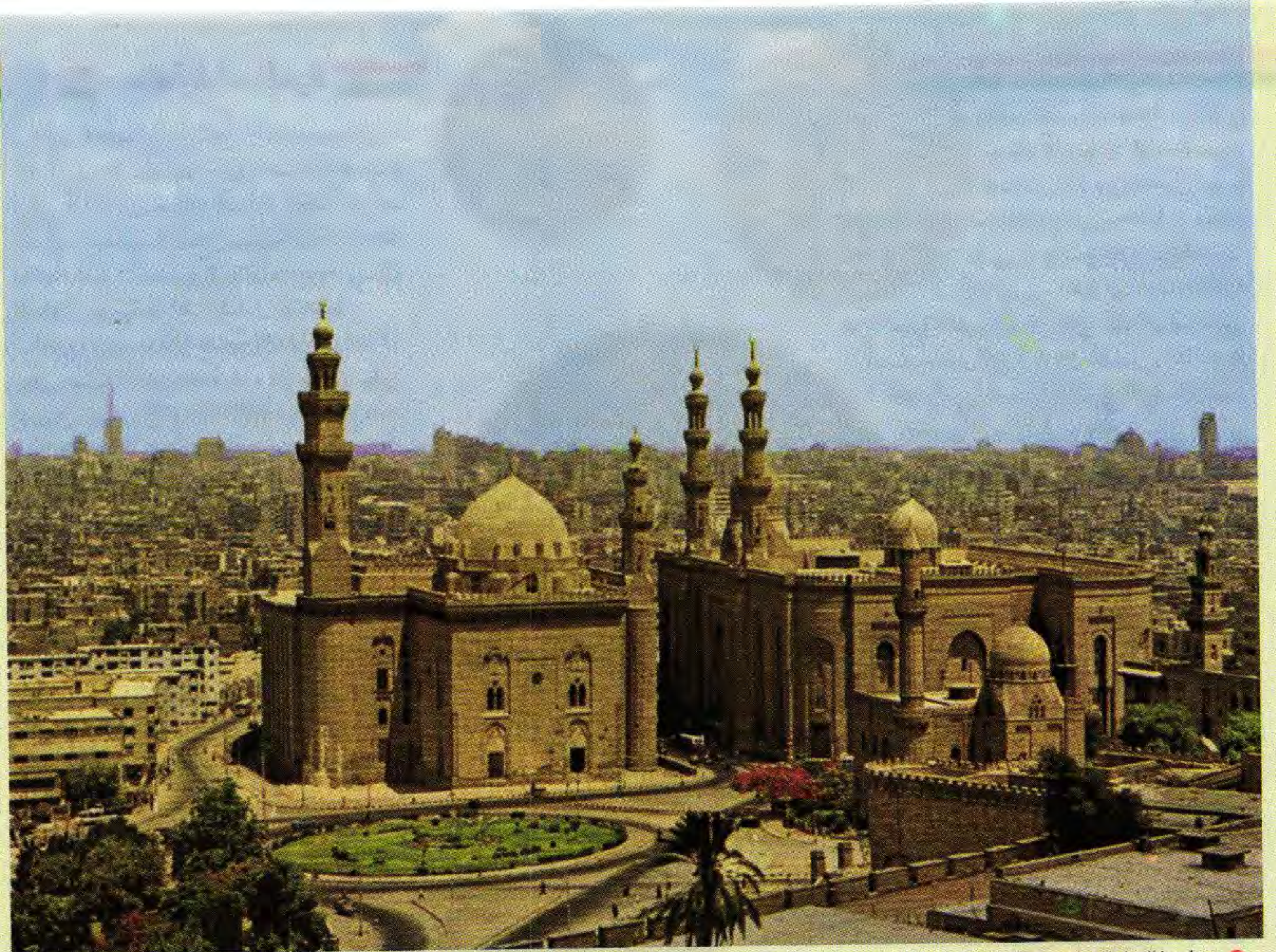
أما الأجازات السنوية فكانت شهر رجب وشعبان ورمضان والعشرين من شوال من كل سنة فإنهم يتركون حضور الدرس ويحضرون في الحادي والعشرين من شوال إلى نهاية ذي القعدة ويتركون الدرس من مستهل ذي الحجة إلى آخر الخامس عشر منه ثم يحضرون للدرس في سادس عشر من ذي الحجة.

ونلاحظ من هذا أن الأجازات السنوية تتفق والمناسبات الدينية التي تقام فيها شعائر دينية معينة سواء كانت فرضا أم سنة، كما نلاحظ أيضا أن غالبية وثائق الوقف قد نصت على السماح لأرباب الوظائف بتأدية فريضة الحج على أن يحصلوا على مرتباتهم إذا كان الحج لتأدية الفريضة، أما إذا كان الحج تطوعا فيلزم

▪سبقت المدارس الإسلامية الجامعات الغربية بوظيفة (المعيد) لمساعدة الطالب على الفهم والأداء



▪أكثر هذه الأنظمة دقة النظام الذي وضعه الخليفة المستنصر بالله لمدرسته



● جامعا السلطان حسن والرفاعي – القاهرة

الموظف بأن يستنيب عنه، أو تقطع مخصصاته حتى عودته (٥).

واشترط في المدرس شروطا أصبحت على مر السنين تقليدا معمولا به، حتى ولو لم ينص على ذلك، كما يتضح لنا أن المدرس في ذلك العصر هو أستاذ المادة، وارتبطت مكانة المدرسة بمكانة المدرس القائم بالتدريس فيها، فسمعة المدرس هي التي تضفي على المدرسة السمعة الحسنة، وسمعة المدرس هي التي تجذب إليه الطلبة من مختلف الأنحاء، ولذلك حرص الواقفون على أن يكون المدرس على درجة عالية من الثقافة والتخصص في مادته.

ولا يمكن أن نغفل شروط الواقفين في المدرس من أن يكون حسن الهيئة، لما لهيئة المدرس من تأثير كبير على شخصيته في نظر طلابه، وهو ما تعنى به التنظيمات الحديثة، فتنص على إجراء كشف هيئة للمتقدمين لبعض الوظائف، والتي يجب أن يكون منها وظائف التدريس.

ولما كان وقت المدرس لا يتسع لإعادة شرح بعض الدروس لمن يحتاج إلى ذلك من الطلبة، فقد حرص الواقفون على ترتيب معيد أو أكثر بالمدرسة، ووظيفة المعيد في العصر المملوكي تشبه إلى حد كبير وظيفة المعيد في الكليات الجامعية في العصر الحديث، فلم يكن المعيد سوى طالب علم متقدم، أو مساعد مدرس، فكان عليه أن يساعد المدرس الذي يتبعه في المذهب ومادة التخصص في أعماله، ويحضر الدروس التي يكلفه بها المدرس ليقرأها في أثناء الدرس «فكل معيد يقرأ درسا واحدا من كتاب يعينه له المدرس..

والطلبة يسمعون ذلك»، (٦)، كما كان على المعيد أن يجلس مع الطلبة قبل الدرس أو بعده، لمساعدتهم على استيعاب دروسهم (٧) وتخصصت بعض المدارس في علوم معينة كدار الحديث الكاملية بالقاهرة ودار الحديث بالقدس والتي ترجع للقرن ٧هـ/ ١٣م،

وكذلك البيمارستان القلاووني الذي كان يدرس به الطب ■

الهوامش :

١) ابن الجوزي ، صفة الصفوة، جـ١، ص ٣١٩، حيدر آباد ١٣٥٥هـ. ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٨، ص ٣٠١، القاهرة ١٣٥٨هـ

٢) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جـ١، ص٤٥٨، جـ ٢ ص ٣٤٢.

٣) د. أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها جـ٢، ص ١٥٤-١٩٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م.

٤) د. كامل جميل العسلي، مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس، ص ١٠٠.

٥) د. محمد محمد أمين، الأوقاف ونظام التعليم في العالم العربي والإسلامي، ص ١٦١.

٦) د. عبداللطيف إبراهيم، نشر ودراسة وثيقة الأمير صرغتمش ٣١٩٥ أوقاف ، ص٢٧.

٧) د. محمد أمين، مرجع سابق، ص١٥٧.

النقود الإسلامية

كانت التجارة أو البيع والشراء يجريان – قبل أن تعرف النقود – على نظام المقايضة وهي عبارة عن تبادل السلع، ولكنها لم تعد تصلح مع تقدم الإنسان وحضارته، مما حدا بالجماعات المتحضرة إلى اتخاذ النقود وسيلة للتبادل وعملية المبادلة تتناول قسميها:

البيع: وهو مبادلة سلعة بالنقود، والشراء: وهو مبادلة نقود بسلعة، وقد حدث تطور أدى إلى تدخل النقود كأداة للمعاملات مرت بمراحل:

المرحلة الأولى: وهو العصر الذي لم تستخدم فيه المعادن، فقد كانت الشعوب القديمة تستخدم السلع الكثيرة الاستعمال في الحياة العادية كنقود مثل الأسماك والجلود والفراء في البلاد التي يشتغل أهلها بالصيد، والقمح والذرة في البلاد التي يشتغل أهلها بالزراعة، والزجاج والملح في بعض جهات أفريقية، وأقراص الشاي في التبت، والسكر والتبغ في ماريلاند، والأرز في اليابان، وأخيرا استعملت المواشي كنقود.

على أن هذا الدور قد اندثر تماما اللهم إلا عند بعض قبائل أفريقية، ويعاب على هذا العصر أن النقود كانت غير قابلة للتجزئة وكانت صعبة الحمل.

أما المرحلة الثانية: فهو عصر ظهور المعادن، فقد استعمل الناس في أول الأمر الحديد ثم النحاس والبرونز وأخيرا الذهب والفضة، وفي هذا العهد كانت النقود تستعمل بشكل سبائك، وكانت توزن عند كل عملية مبادلة، وقد ورد في مبادىء القانون الروماني القديم أن النقود الناقلة للملكية تشترط وزن السبائك بحضور شهود.أما المرحلة الأخيرة: بالنسبة للنقود فهو عصر النقود المسكوكة، وكان هذا الدور خطوة أكيدة لتسهيل عملية المبادلات، إذ أن الدولة هي التي تصدر النقود، وتضمن مقدار الذهب والفضة الذي تحتوي عليه كل قطعة.

إعداد: بدرت نوال محمد بدير

أول من سك النقود

ويقال إن أول من سك النقود هم الليريون من أهل آسيا الصغرى في القرن السابع قبل الميلاد ثم امتد سك النقود إلى البلاد اليونانية المجاورة لها على ساحل بحر الأرخبيل، وحذا الرومان حذو اليونان إذ لم تكن لهم نقود خاصة بهم في القرون الأربعة الأولى من تاريخهم. فكانوا يتعاملون بقطع البرونز وزنا، وقد ضرب الرومان أول نقود فضية وذهبية في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد ولكنها لم تنتشر على نطاق واسع إلا منذ عام ٤٥ ق.م في عهد الإمبراطور يوليوس قيصر، وقد نقش على العملة التي ضربت في عهد الإمبراطور أغسطس صورته على وجه منها وعلى الوجه الآخر واقعة تاريخية مشهورة، وقد اقتبست ممالك أوروبا الغربية سك النقود عن الدولة البيزنطية وبقى ذلك أمرها حتى أيام شارلمان في أوائل القرن التاسع الميلادي. أما في الشرق الأوسط: فقد اقتبس الأنباط في منطقة جنوب شرقي الأردن ضرب النقود من اليونان، وأول من ضربها الحارث الثالث فقد عثر على دينار من عهد الحارث على وجه منه صورة رأسه وعلى الوجه الآخر صورة امرأة تشير إلى النصر، ونقش وراءها اسم الحارث باليونانية. وكان للدولة التدمرية نقود مسكوكة، فقد عثر على عملات ترجع إلى عهد الملكة زنوبيا نقشت على أحد وجهيها صورة رأسها وكتفيها وحول الصورة اسمها باليونانية.

مصر والنقود

أما في مصر القديمة: فقد تطورت المبادلة فيها منذ الأسرة الخامسة والعشرين، إذ عمت النقود فيها كمقياس للقيم متأثرة في ذلك بالكلدانيين والأشوريين وقد وجد في عهد أمازيس في الأسرة السادسة والعشرين نظام نقدي قائم على المعادن الثلاثة مع وجود علاقة قانونية بين الذهب والفضة بنسبة ١٠:١ وبين الفضة والنحاس بنسبة ١٢:١، وقد كان هذا النظام معمولا به عند المقدونيين والرومان.ولما استولى الإغريق على مصر في القرن الرابع قبل الميلاد تداولت فيها النقود اليونانية واستمر الحال على ذلك طوال المدة التي خضعت فيها للحكم الروماني من سنة ٣١ ق.م إلى عام ٦٣٩ ميلادية وتداولت فيها أيضا النقود الرومانية دون أن تضرب فيها عملة.

النقود في الجزيرة العربية

أما عرب شبه الجزيرة: فقد كان المتاخمون منهم للدولة الرومانية الشرقية يتعاملون

بـالدنـانير الذهبيـة، وأما أولئك المجـاورون للدولة الساسانية فكـانوا يتداولون الدراهم الفـارسية، وظل الحال بعـد الإسلام على مـا كان عليه، فقـد ضرب المسلمون نقودهم على شكل الدراهم الفارسية والـدنانير البيزنطية، لم يغيروا فيهـا شيئـا سـواء في الكتـابـة أو النقوش، وقد ظهر هذا واضحا في العملة التي ضربها خالد بـن الوليد سنة ١٥ هـ بمدينة طبريـة وكانت على شكل الـدنـانير الروميـة تمامـا، فأبقى رسـم الصليب والتـاج والصـولجان ونقش على أحـد وجهيهـا اسم خالد بالحروف اليونـانية، وتعتبر عملة خالد بن الوليد أول عملـة ضربت في الإسلام، وإن كان هذا يتناقض مع ما قاله المقريزي من أن عمر بن الخطاب هـو أول من ضرب النقود في الإسلام.

ويعتقد بعض المؤرخين أن ضرب خـالد بن الوليـد للنقود باسمه كـان من أهم الأسباب التي دعت عمـر بن الخطـاب إلى تنحيتـه عن قيادة الجيش بعد معركة اليرموك.

الدراهم (البغلية)

وقد ضرب عمـر بن الخطاب الـدراهم على نقش الكسروية وشكلها بأعيانها، وقد عرفت هذه الدراهم باسم البغلية، وقد زاد في بعضها (الحمـدلله محمـد رسول اللـه) وفي البعض الآخر (لا إله إلا هو) وعلى جزء منها (عمر).

ولما تولى عثمان بن عفـان خلافة المسلمين ضرب دراهم نقش عليهـا (اللـه أكبر)، فلما استتب الأمـر لمعـاويـة بـن أبي سفيـان - مـؤسس الدولـة الأمويـة في دمشق - ضرب دنانير عليها تمثال متقلد سيفا.

ولما ثـار عبـدالله بـن الزبير على الـدولـة الأمويـة وأخذ لنفسـه البيعة بمكـة المكرمـة ضرب دراهم مستـديـرة، وكـانت قبل ذلك ممسوحـة، غليظة، قصيرة، فـدورها ونقش على أحد وجهي الدرهم (محمـد رسول الله) وعلى الوجه الآخر (أمر اللـه بالوفاء والعدل).

ولما أخضع عبـدالملك بن مـروان ثـورة الحجاز التي انتهت بمقتل عبـدالله ومصعب بن الـزبير اهتم بإصـلاح النقـود، ولما كـان نظام النقود مرتبطا بنظام المكاييل والموازين شكل لجنـة للمكـاييل والموازين، فضرب الدنـانير والدراهم في سنـة ست وسبعين من الهجرة وجعل وزن الـدينار اثنين وعشرين قـراريطا إلا حبـة بـالشامي، وهي زنـة المثقال في ذلك العهـد، وجعل وزن الـدرهـم خمسـة عشر قيراطـا، والقيراط أربع حبـات، ثم أمر بعدم التعـامل بالنقود البيزنطية (الرومية).

سبب مقاطعة الدراهم البيزنطية

وقد ذكـر البيهقي عن الكسائي السبب في مقاطعـة عبدالملك للنقـود البيزنطيـة وضربه لعملته الجديدة ما يأتي:

يـروي الكسـائي: (دخلت مـرة في حضرة الـرشيد، وكـان جـالسـا في الديـوان وأمامـه مبلغ كبير من نقود مـوزعة في أكياس، كل كيـس به ألف درهم، وكـان بيده درهم عليه كتابـات ذات بريق، وسـألني: هل تعـرف من الـذي أنشأ الكتابـة على الـذهب والفضة؟ فقلت: عبد الملـك بن مروان. قال: وما السبب الـذي دعاه لهذا العمل؟ فقلت لـه: لا أدري. فقـال لي: إن القـرطـاس ينتمي لـلإغـريق ومعظم المصريين مسيحيون يتبعون ديانة الإمبراطور الإغريقي وطرازه القـرطاس بالطراز الإغـريقي (الأب، الابن، الـروح القدس) وقد استمرت كذلك في أوائل العصر الإسلامي حتى عهد عبدالملك، فاستـاء من هـذه الكتابـة على الورق وهي تحمـل في الثيـاب والأواني التي تصنع بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها، وعلى ذلك فقد أمر بإرسال خطاب إلى عبدالعزيز بن مروان والي مصر وأمره بإلغاء الطـراز من علي الملابـس والـورق والستـور، وأمره أن تكـون الأختـام التي يستعملها الصناع على الورق (الله يعلم أن لا إلـه إلا الله وحده) كما أرسل إلى كل حكام الـولايات بإلغـاء الكتـابـات الإغـريقيـة ومعـاقبـة كل مـن يخالف ذلك، فانكر ذلك ملك الروم وقال: إن لم تتركـوا هـذا وإلا ذكـرنـا نبيكم في دنـانير بما تكـرهـون. فعظم ذلك على عبـدالملك واستشـار النـاس، فأشار عليه يزيد ابن خالد بضرب السكة وترك دنانيرهم).

الدراهم (السميرية)

ويقول المقريزي: (وكان الذي ضرب الدراهم رجلا يهوديا من تيماء يقـال له (سمير) نسبت إليه الـدراهم إذ ذاك وقيل لها السميرية، وبعث عبدالملك بالسكـة إلى الحجاج فسيرها الحجاج إلى الآفاق لتضرب الدراهم بها، ونقش على أحد وجهي الدرهم (قل هـو الله أحد) وعلى الـوجه الآخـر (لا إلـه إلا اللـه)، وطـوق الـدرهم على وجهيه بطـوق وكتب في الطوق الـواحد (ضرب هـذا الدرهم بمـدينـة كـذا) وفي الطوق الآخـر (محمد رسول اللـه أرسله بالهدى ودين الحق

■ حلت النقود محل المقايضة، فسهلت عملية البيع والشراء

■ ضرب السلطان سليم بعد فتح مصر قطعا من الفضة ذاع تداولها بين الناس عرفت بالمجيدي

النقود الإسلامية

ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون).

سبب تغيير الدراهم الفارسية

ويرجع السبب في تغيير الدراهم الفارسية أيضا إلى رغبته في أن يؤدي الناس فريضة الزكاة من غير بخس ولا إضرار على أن تكون الدراهم كلها من وزن واحد لأن الناس كانوا يتعاملون بدراهم مختلفة، ولم تزل النقود على هذه الحالة من بعده في خلافة الوليد إلا أنها قلت في عهد الأمير عبدالله بن عبد الملك بن مروان والي مصر سنة ٨٧ هـ. وذلك للغلاء الذي وقع بها، وكان أول غلاء من نوعه فتشاءم الناس منه واستمر الحال على ذلك في عهد سليمان بن عبد الملك ثم عمر ابن عبدالعزيز إلى أن استخلف يزيد بن عبد الملك فضرب واليه على العراق عمر بن هبيرة (الهبيرية) على عيار ستة دوانيق.

الدراهم العباسية

ولما تولى العباسيون الخلافة ضربوا نقودا جديدة، ففي عام ١٣٢ هـ ضرب الخليفة عبدالله السفاح الدراهم بالأنبار وعملها على نقش الدنانير وكتب عليها السكة العباسية وقطع منها، فأنقصها حبة ثم حبتين، فلما تولي أبوجعفر المنصور الخلافة انقصها ثلاث حبات فصارت تلك الدراهم ثلاثة أرباع قيراط، ولما جاء الخليفة المهدي محمد بن جعفر ضرب سنة ١٥٨هـ سكة مدورة فيها نقطة. وهارون الرشيد أول خليفة ترفع عن مباشرة العيار بنفسه، وكان الخلفاء من قبله هم الذين يتولون هذه العملية بأنفسهم، وبذلك بدأ يظهر على النقود الإسلامية أسماء المشرفين عليها، فكتب اسم جعفر بن يحيى البرمكي على الدراهم والدنانير التي ضربت بمدينة السلام والمحمدية.

نقش الأسماء والألقاب على الدراهم

وأول من نقش لقبه على النقود الخليفة المعتصم، وتبعه من جاء بعده من الخلفاء كما حذت حذوه الدولة الأسيوية في الأندلس والدولة الفاطمية. وكانت الألقاب تضاف إلى الأسماء، وقلما تجدها غير مضافة (كالوضحى) وهو لقب هارون الرشيد وقد نقشها على النقود التي ضربها، أما المضاف إلى الاسم فمنها (ذو الرياستين) لقب وزير المأمون، (ذو الوزارتين) لقب الخليفة المعتمد ومنها ما أضيف إلى اسم الله مثل (ظل الله) و(فضل الله) و(المعتصم بالله) ومنها ما أضيف إلى الدولة أو الدين مثل (ناصر الدولة) و(سيف الدولة) و(بدرالدين) و(بهاء الدين) وأول من اتخذ هذه الألقاب المكتفي بالله الخليفة العباسي عندما استوزر أبا الحسن الحمداني سنة ٣٣٠ هجرية. وقد وجدت مثل هذه الألقاب على نقود الأيوبيين في مصر والشام وكذلك على نقود المماليك البحرية بمصر وغيرها من الدويلات الخاضعة للدولة العباسية في المشرق والمغرب. وظلت مصر طوال العصر الأموي والعصر العباسي حتى عهد الخليفة المتوكل تستعمل السكة الأموية ثم العباسية، فلما تولى إمارتها أحمد بن طولون ضرب بمصر دنانير عرفت بالأحمدية، وقد اشتهرت هذه النقود بجودتها ونقاوتها من الغش.ولما استولى الفاطميون على مصر وصارت القاهرة دار ملكهم، ضرب قائدهم جوهر الدينار المصري ونقش على أحد وجهيه ثلاثة أسطر (دعا الإمام المعز لتوحيد الأحد الصمد) (ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة) وعلى الوجه الآخر (لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وكانت دار الضرب في الدولة الفاطمية لا يتولاها إلا قاضي القضاة تعظيما لشأنها.ولقد كانت مصر تسير على قاعدة الذهب في العصر الروماني وفي العصر الإسلامي، ويشهد بذلك أن خراجها قبل الإسلام وبعده إنما هو الذهب، كما أن نقدها وأثمان مبيعاتها وقيم أعمالها لم تكن إلا من



■ ضرب المسلمون نقودهم على شكل الدراهم الفارسية والدنانير البيزنطية أول الأمر ثم استقلوا بها

الذهب فقط إلى أن ضعفت الدولة الفاطمية بسبب الحروب الصليبية وخروج الذهب والفضة منها ولم يعد لهما وجود بها ولهج الناس بما أصابهم من ذلك الحيف لرداءة النقود المتداولة واختفاء العملة الجديدة بسبب الحروب الصليبية وما تكبدته الدولة في مقاومتها من نفقات استنفدت الجزء الأكبر من نقودها المعدنية.

دراهم شجرة الدر

ولما جاءت دولة المماليك البحرية – بعد زوال دولة بنى أيوب – ضربت سلطانة مصر (شجرة الدر) دينارا بعد وفاة زوجها الملك الصالح أيوب نقش على وجهه (الإمام المستعصم بالله أبو أحمد عبدالله أمير المؤمنين) وفي الطوق (بسم الله الرحمن الرحيم، ضرب هذا الدينار بالقاهرة سنة ثمان وأربعين وستمائة) وعلى الظهر (أميرة المؤمنين المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل) وفي الطوق (لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)، ولما تنازلت شجرة الدر عن السلطنة لزوجها عزالدين أيبك وضع اسمه على دينار الصالح نجم الدين أيوب الذي ضرب في الاسكندرية سنة ٦٣٤هـ فلما ولى السلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ضرب الدراهم الظاهرية وجعلها كل مائة درهم من سبعين درهما من الفضة الخالصة وثلاثين نحاسا.

وفي عهد دولة المماليك الجراكسة فسدت النقود المصرية بدخول الدراهم الحموية حتى كثر تعنت الناس منها، فأمر الأمير محمود بن علي استادار الملك الظاهر برقوق بضرب (الفلوس) وأبطل الدراهم فتناقصت حتى صارت عرضا ينادى عليها في الأسواق. ولما فتح سليم الأول مصر سنة ١٥١٧ ميلادية ضرب نقودا ذهبية على شكل النقود التركية (البندقي) اسماها (الزر محبوب) وضرب أجزاء من البندقي كالنصف والربع، كذلك ضرب قطعا من الفضة ذاع تداولها بين الناس تسمى بالمجيدي وهي عبارة عن نصف درهم، ومالبثت أن نقصت قيمتها بمرور الزمن.تلك هي قصة النقود الإسلامية عامة؛ وفي مصر خاصة من الفتح العربي حتى العصر العثماني ■

القرآن والواقع المعاصر

بقلم الأستاذ: الطيب بوعزة

القرآن الكريم إعجاز وتميز واستمرار.. إعجاز في تركيبه اللغوي تحدى به أرباب البلاغة والقول في عهده. وتميز في إضاءاته العقيدية والتاريخية، صححت الكثير من الاعتقادات الخاطئة، التي كانت سائدة في فهوم اليهودية والنصرانية والوثنية. واستمرار أكدته الكشوفات النفسية والعلمية حديثا.

لكن ظاهرة استمرار النص القرآني المعجز أعمق من حيث شروطها وأبعادها من مجرد تصديق الكشوفات العلمية المعاصرة. وانه لنقص فكري خطير، ذلك التفاخر الذي يسود العقل الإسلامي المعاصر في محاجاته وجداله، حيث يركن هذا العقل إلى التفاخر بأن كذا من الكشوفات الكونية التي توصل إليها العلم راهنا قد سبق تقريرها وذكرها في القرآن الكريم. بينما هذا السلوك المعرفي الناقص قد يحمل مزالق وسلبيات ليست هينة:

لأن العلم نتاج تفكير بشري، ضمن شروط مجتمعية ومعرفية نسبية محدودة، لا بد أن تتبدل مستقبلا بفعل سنة التطور والنماء، ولذا فما يقرره العلم اليوم قد يكذبه غدا، وماهو حقيقة علمية اليوم، يصبح غدا خطأ علميا متجاوزا، فلا يجب أن نسارع بنزق إلى المقارنة بين القرآن المنزل من عندالله وإبداعات العقل البشري المحدود، دون احتراز منهجي مضبوط. وسلوك كهذا، يخلص بنا – حين نبالغ في تداوله – إلى اختزال أبعاد الظاهرة القرآنية ووظيفتها الحضارية إلى مجرد حركة ترقب وتتبع للممارسة العلمية. بينما المطلوب هو الاستثمار المجتمعي للنص القرآني المستمر والمحفوظ بفضل منه سبحانه وتعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ الحجر/ ٩

وماذا نعني بالاستثمار المجتمعي للنص القرآني؟

المقصود به هو تحقيق القصد الذي من أجله نزل هذا القرآن الكريم، وهو بناء المجتمع الإنساني وفق المبادىء العقيدية والتشريعية القرآنية. فهذا القرآن لم يكن لينزله الله عز وجل من فوق سبع سماوات، ليكون آيات تلوكها الشفاه وتتغنى بها الألسن في الأعياد والمآتم، أو يكون ترقبا لتطورات التفكير العلمي البشري! بل نزل لبناء مجتمع، وتخريج أمة وتشييد حضارة.

لقد جعل الله – سبحانه وتعالى – لهذا الكتاب المعجز مهمة عالمية تتحقق بنقل المجتمعات الإنسانية – على تنوع خصائصها الذاتية – من نظمها وأنماط تفكيرها وعيشها المنحرف إلى عقيدة وشريعة الله. فكانت وظيفة هذا القرآن هي تبيين المنهج الذي على النوع الإنساني أن يترسمه في مسيرته الحضارية، ووضع القواعد المتينة لكل إنشاء ثقافي وحضاري صالح. ولكن هذا القصد لا يتحقق فقط بحضور القرآن، بل لابد من حضور الفعل الإنساني كذلك..

ذلك الفعل الذي يحركه دافع الاجتهاد الفقيه بالنص والواقع على حد سواء، ليتمكن من تنزيل الأحكام منزلتها المناسبة معها في جغرافية حياته المجتمعية.

وحين نقول بعالمية هذا المنهاج القرآني، فإن هذا ليس تجاهلا لاختلاف الإطارات الثقافية والمدنية من قوم إلى قوم. إنما نقول بعالميته على أساس وعينا بوجود قواسم مشتركة بين مختلف الأنسقة الثقافية والحضارية، وعينا بهذا يجعلنا نرى في الاختلاف تنوعا، وفي التناقض تعددا. فإذا كانت المجتمعات الإنسانية تفترق في أنماطها الحياتية ورؤاها التنظيمية، فإنها تلتقي عند وحدة الإنسان ووحدة فطرته التي تنحدر منها خصائصه. وهذا القرآن خطاب إلى هذه الفطرة، وأحكامه وتوجيهاته صيغت تماشيا مع طبيعتها التي خلقها الله سبحانه، إذن فالوحي القرآني قابل لأن يستوعب من طرف كل إنسان مهما اختلفت أطره المجتمعية التي يعيش ضمنها.

لكن لا يعني قولنا السالف بقدرة القرآن على العيش في مختلف البيئات الاجتماعية، أننا نلغي تأثيرات وشروط التنوع والتمايز المتواجد بين المجتمعات كما لا يعني إخضاع الشعوب والأمم لمنهج القرآن سقوطا في التنميط والرتابة. بل إن تنوع المجتمعات في إطاراتها الروحية والفكرية وتمايزها في إطاراتها الاجتماعية ينتج عنه بالضرورة تنوع وتميز في الفهم، وتفاوت في الاستعداد النفسي والفكري في أثناء لقائها بالقرآن. ولذا ليس نشازا أن تنظر هذه المجتمعات إلى هذا الكتاب الكريم، من مواقعها وخصائصها الاجتماعية المتميزة فتستمد منه القوام الروحي والتنظيمي الذي يناغم ظروفها الفكرية والمادية.

وهذا بالفعل ما حدث تاريخيا، حيث امتد الفتح القرآني على مساحات جغرافية شاسعة، ودخلت مجتمعات عديدة في الإسلام، واعتنقت الحقيقة القرآنية. وبرمجتها عمليا في واقعها ومعاشها دون أن تفقد الصالح من عاداتها وأعرافها، ودون افتقاد تنوعها وتميزها. لأن القرآن الكريم مدد لا ينضب، وكل مجتمع يغترف منه قدرا يطابق حجم الأداة التي يغترف بها. ونعني بتلك الأداة مجمل الإمكانيات الفكرية والحضارية التي تسوده، فإذا خرج هذا المجتمع بفهم أعظم وأوسع من فهم ذاك المجتمع، فما هذا سوى نتاج للقدرات الفكرية والحضارية التي عظمت واتسعت في هذا المجتمع، وقلت ونضبت في ذاك.

ليس القرآن سطورا جامدة بين دفات الكتب، بل سطور فاعلة بين دفات الحياة والواقع. وواقعية النص القرآني تجلت منذ البداية، إذ كان نزوله منجما يتابع تجدد الظروف والحاجات، واطراد المشاغل اليومية ومفاجآتها، فكان يضيء ماحلك من المسالك والدروب، ويفصل فيما اختلط من الرؤى والسلوكات. بل قال القرآن بالنسخ والتجاوز لبعض السابق مما قرره. وذلك تأكيدا من القرآن على أهمية إدراك شروط الواقع والالتزام بسننه.

وليس ثمة أي تمايز أو تضاد بين الالتزام بمبادىء القرآن الكريم والالتزام بسنن الواقع وقوانينه، والعمل على تناسب التوجيهات المبدئية مع السنن الواقعية، لأن كليهما من خلق الله عز وجل. فالمبادىء القرآنية وحي وتنزيل من الله، وسنن الواقع وشروطه في السكون والتطور من خلقه سبحانه، وقد أخبرنا عز وجل بأننا لن نجد لسنته تبديلا ولا تحويلا. ولذا لابد من فعالية الاجتهاد التي تبلور المبدأ وتصوغه بوعي وإدراك لشروط الواقع، حتى يتم تنزيله عليه. هذا مع اشتراط عدم المساس بأساسيات النص ومبادئه، ولكن قد يمهد لتطبيق المبدأ تطبيقا كاملا بمراحل ممهدة من التطبيق الجزئي.

هذا الفقه الواقعي هو الذي يجب أن نجعله ثابتا أساسيا في معادلة في العقلية الإسلامية المعاصرة. وهذا هو المفتقد في عقلنا الإسلامي المعاصر، إذ يحتقر الواقع ويخفض من قيمته، ويهمل إدراكه وإبصار شروطه واحتياجاته ويأخذ مبادىء النص أخذا جامدا، كأنها قوالب من فولاذ، ثم يطلب من الواقع أن يذوب ويتحول إلى سائل لينفذ منها. وكأن قراءة المبدأ من خلال احتياجات الواقع، والعمل المرحلي لتنزيله التنزيل السليم، إخلال بقدسية المبدأ الرباني. وينسى هذا العقل أنه إذا كان «النص» الموحى، من عند الله، فإن سنن الواقع وشروطه هي أيضا من عند الخالق سبحانه. لكن البعض يتخذ من أهمية الواقع وشروطه وقيمه وأسلوب الحياة السائد فيه، بمثابة ثوابت يُطلب من القرآن أن يتماشى معها، ويسوغها! فيستحيل «اجتهادهم» إلى بحث عن مسوغات تبرر الانحراف وتضمن استمراره، لا إلى تفكير واع يعمل على تغيير انحرافات الواقع ليرتقي إلى صورة النموذج الإسلامي! وهذا أخطر نماذج الاجتهاد الفكري المعاصر لأنه يفرغ الإسلام من مضمونه ويحوله إلى شعار أجوف يلصقه على الواقع حتى يكسبه الشرعية والجواز! ولا يجب أن نتدرج الاتجاهات الفكرية التي تسلك بهذا السلوك المعرفي المنحرف، في إطار التجديد الإسلامي، بل يجب كشف أبعادها وخلفياتها المغرضة لأنها انحراف وخروج عن الإسلام يتخفى بشعار التجديد، ويحتمي بمقولات التطور ومرونة الشرع□



نشاهد كثيرا ونحن نقرأ في المصحف الشريف كلمات رسمت على نهج خاص. بحيث لم تطابق قواعد الإملاء، على الرغم من ان كاتبيه هم اصحاب النبي ﷺ وقت حياته، وقد راعوا اللسان القرشي الذي على ضوئه كانت قواعد الإملاء والرسم. نعم خالفها في بعض ذلك، بل ان المتأمل ليرى اكثر من ذلك، حيث يلمح الكلمة وقد كتبت بطريقة في موضع غير ما كتبت به في موضع آخر، والأمثلة في ذلك كثيرة جدا.

من بدائع الإعجاز في الرسم المصحفي

بقلم: خالد السيد علي بلاسي*

*مدرس البلاغة والنقد المساعد بجامعة الأزهر، وعضو رابطة الادب الإسلامي العالمية

فمن النوع الأول الذي انفرد الرسم المصحفي فيه بما يخالف قواعد الإملاء، رسم لام الجر مفصولة عن الهاء من اسم الإشارة، مع ان قواعد الإملاء العربية تجيز وصلها، وقد وقع ذلك في ثلاث آيات من القرآن الكريم:

(أ) ﴿ مال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ﴾ [النساء:٧٨].

(ب) ﴿ مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾(الكهف: ٤٩).

(ج) ﴿ مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ﴾ [الفرقان:٧].

ومنه كذلك لفظة (ملئه) حيث رسمت في المصحف الشريف هكذا: ﴿ ملايه ﴾ [راجع المصحف الشريف: الأعراف:١٠٣، ويونس:٧٥، وهود:٩٧، والمؤمنون:٤٦،

والقصص:٣٢، والزخرف:٤٦] وكذا لفظة (ملئهم) فقد رسمت هكذا ايضا ﴿ ملإيهم ﴾ [راجع يونس:٨٣].

ومن النوع الثاني الذي رسمت فيه الكلمة بطريقة غير ماكتبت فيه في موضع آخر الفعل المضارع (أذبح) حيث ورد مطابقا للرسم الإملائي في قوله تعالى: ﴿ إني أرى في المنام أني أذبحك ﴾ [الصافات:١٠٢] على حين رسمت في النمل هكذا: ﴿ لأعذبنه عذابا شديدا أو لأاذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين ﴾ [النمل:٢١] وذلك حيث وردت الألف، التي لاتنطق، عقب الهمزة وذلك لسر بلاغي يصور بعض معاني الآية وما يكتنفها من لطائف واسرار.

وكذا قوله تعالى: ﴿ سأوريكم دار الفاسقين ﴾ [الأعراف:١٤٥] حيث زيدت الواو – كما ترى – لغرض بلاغي عام، ومثله قوله تعالى: ﴿ سأوريكم آياتي فلاتستعجلون ﴾ [الانبياء:٣٧] فإذا ماجئنا الى قوله تعالى في سورة غافر ﴿ قال فرعون ما أريكم إلا ما أري ﴾ [غافر:٢٩]. وجدناه غير خارج عن المألوف في الرسم العربي، حيث كتبت بغير الواو.

ومن عجائب ذلك النوع لفظة (ايد) فقد رسمت في قوله تعالى: ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ﴾ [ص:١٧] بياء واحدة كما هو متعارف بينما رسمت في الذاريات بياءين قال تعالى: ﴿ والسماء بنيناها بأييد وإنا لموسعون ﴾ [الذاريات:٤٧] ومن عجائبه كذلك لفظة (أيكم) فقد وردت خمس مرات، اربعا وافقت الرسم الإملائي المشهور وواحدة جاءت هكذا (أييكم) بياءين، وهي التي في سورة القلم: ﴿ فستبصر ويبصرون. بأييكم المفتون ﴾ [القلم:٥ و٦] وراجع التوبة: ١٢٤، وهود:٧، والنمل:٣٨، والملك:٢. ومنه ايضا الفعل (سعوا) حيث رسم بالألف الفارقة بعد واو الجماعة كما هو مشهور – في سورة الحج: ﴿ والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم ﴾ [الحج:٥١] بينما حذفت في سورة (سبأ) قال تعالى: ﴿ والذين سعو في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ﴾ [سبأ:٥].

ومثله الفعل (عتوا) فقد ورد أربع مرات وافق في ثلاثة منها الرسم الإملائي حيث كتب بالألف الفارقة بعد واو الجماعة، بينما حذفت في موضع واحد حيث قال تعالى في سورة (الفرقان): ﴿ لقد استكبروا في أنفسهم وعتو عتواً كبيرا ﴾ [الفرقان:٢١] وقارن بالمواضع الثلاثة في [الأعراف:٧٧ و١٦٦، والذاريات:٤٤] ومثل ذلك كثير جدا.

لمحة تاريخية لتدوين المصحف

ترى ما السر في ذلك؟ بداية يجب ان نعلم ان النبي ﷺ كان يأمر بعض صحابته بتسجيل ماينزل من القرآن، بغية الحفاظ عليه في السطور كما هو محفوظ في الصدور، وقد انتقى لهذه المهمة اصحابا أجلاء عرفوا بثبوت قدمهم في الاسلام ورسالته، ومن هؤلاء: الخلفاء الراشدون ومعاوية بن ابي سفيان، وابان بن سعيد، وخالد بن الوليد، وزيد بن ثابت وابي بن كعب، وثابت بن قيس.. وغيرهم.

ظل هؤلاء يكتبون جميع ما ينزل في الرقاع وقطع الأديم (الجلد) وعظام الأكتاف والأضلاع، والعسب (جريد النخل) واللخاف (الحجارة الرقيقة). كل ذلك تحت اشراف النبي ﷺ فقد ورد انه قال موجها معاوية رضي الله عنه الى طريقة الكتابة وهو من كتاب الوحي كما اسلفت: «ألق الدواة، وحرّف القلم، وانصب الباء وفرق السين، ولاتعور الميم، وحسّن الله، ومد الرحمن الرحيم، وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك»(١)..

وهكذا دون القرآن الكريم كله في حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم وتحت اشرافه، وان كان هذا المدون متناثرا بين صحابة النبي ﷺ وهنا يجيء دور ابي بكر رضي الله عنه حيث جمعه، وكان في صنيعه هذا كمن عمد الى اوراق (تأخذ أرقاما مسلسلة) حيث كان الصحابة على علم تام بل وحفظ لترتيب آياته وسوره فلم شتاتها وجمعها وربطها بخيط حتى لايضيع منها شيء.. ثم جاء عثمان رضي الله عنه فنسخ من هذا (المجموع) نسخا وزعها على الأمصار، ولحادثة الجمع عند ابي بكر وعمر قصة ليس المجال لها هنا.

نعود الى الرسم المصحفي فنقول: انه بعد ان أرسل عثمان رضي الله عنه المصاحف المنسوخة إلى أمصار المسلمين أصبحت الأساس الذي نسخت منه جميع المصاحف الى يومنا هذا وبالتالي اصبح خطها وان كان مأخوذا عما كتبه الصحابة حال حياة النبي ﷺ هو الأساس كذلك الذي لا تجوز مخالفته حتى اشتهر بالرسم العثماني، وهو ليس لعثمان، فعثمان رضوان الله عليه نسخ ماكتبه الصحابة فقط كما هو واضح وانما غلب ذلك لوقوع النسخ في زمانه.

رسم المصحف توقيفي

هذه توطئة ندلف منها الى تأكيد ان التباين في الرسم كان بتوجيه النبي ﷺ وإقراره وهذا امر اجمع عليه الصحابة والتابعون من بعده، فهو اذن ليس اعتباطا وانما لأمر يجب الاعتناء به والوقوف على سببه.. وبذا اصبح الرسم المصحفي سنة قائمة لايجوز لاحد ان يتعداها، فهو مماثبت لدى جمهور الأمة، فقد سئل الإمام مالك رحمه الله: هل تكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء؟ فقال: لا؛ إلا على الكتبة الأولى. كما قال الإمام أحمد رحمه الله: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك (٢).

ولا شك ان بين يدي كل ذلك اسرارا ولطائف هي من جنس أسرار القرآن الكريم أو قل إنها مشيرة إليه ودالة عليه، ولاعجب. فالقرآن الكريم كنز من الأسرار التي لن تنفد: ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد

■ يخالف رسم المصاحف قواعد

الاملاء المعروفة لخاصة الاعجاز القرآني

■ لم يجز جمهور العلماء تغيير إملاء المصاحف

من بدائع الاعجاز في الرسم المصحفي

البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾ [الكهف:١٠٩].

مصحف بالخط الكوفي من القرن الهجري الأول

تحليل بعض الأمثلة

ولنبدأ في تحليل بعض الأمثلة لنرى ذلك:

يقول تعالى في سورة الكهف: ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرا ولايظلم ربك أحداً ﴾ [الكهف:١٩].

ومما نلحظه ان (ما) الاستفهامية من قوله ﴿ مال هذا الكتاب ﴾ قد فصلت عن لام الجر، وليس في ذلك شيء، وانما الشاهد في فصل اللام عن الهاء من اسم الاشارة (هذا)، فالقواعد الإملائية الخاصة بالعربية تلصق اللام بالهاء في مثل هذا القول ومعلوم ان القرآن عربي وقد كتب بلسان قريش المتألق في سمائها. فلماذا وقع هذا الفصل؟ نقول والله أعلم:

انه لما كان المقام لتصوير بعض مافي يوم القيامة، وكيف أنه يوم عسير، على الكافرين غير يسير، فقد جاءت حالة المشركين ناطقة تماما بما يلاقونه من أهوال وصعاب، فها هم أولاء حين رأوا كتابهم وقد جمع كل ذرة مما صنعته أيديهم، وأيقنوا لامحالة انهم صائرون الى وضع لايحسده عليهم فيه احد. حين تملك منهم هذا الشعور اهتز كيانهم وارتعدت فرائصهم واصبحوا لا يقدرون حتى على مجرد الكلام، فها هي ذي أفواههم تتلجلج، وأنفاسهم تتهدج وصدورهم تنبسط وتنقبض.. وأفئدتهم هواء.. نراهم - وشأنهم هذا - لا يستطيعون الكلام كما كانوا يستطيعونه في الدنيا.. بل هم يتهتهون وتخرج كلماتهم متقطعة كأنفاسهم المرتعشة من أثر الصدمة، فيقولون: ﴿ ما ﴾ ولا

■ يتكامل دور الخلفاء الراشدين في خدمة كتاب الله كتابة ورسماً وحفظاً

يستطيعون التكملة بل يتوقفون هنيهة ثم يقولون ﴿ لـ ﴾ ثم تنحبس انفاسهم لحظة ثم يعاودون فيقولون ﴿ هذا ﴾ ثم يكملون ﴿ الكتاب لايغادر ﴾.. الخ؛ ولكنه العدل حيث: ﴿ وجدوا ماعملوا حاضرا ولايظلم ربك أحدا ﴾.

وهكذا صور الرسم - بهيئته هذه - موقفهم أبدع صورة وأبرع تجسيد، وهذا من الاعجاز في رسم المصحف، فسبحان من هيأ لكتابه هذا الوجه من الاعجاز.

بين (سنة) و(سنت)

يقول في سورة فاطر: ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير مازادهم إلا نفورا. استكبارا في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا ﴾ [فاطر:٤٢و٤٣].

وهذا المثال من النوع الثاني أعني الأشد عجبا وغرابة، حيث وردت (سنة) المكتوبة بالتاء المفتوحة هنا مربوطة في مواطن أخرى من الكتاب العزيز، يقول تعالى: ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ﴾ [الاسراء:٧٧]، ﴿ سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ [الفتح:٢٣].

وان كنت أبادر إلى القول بأن (سنة) قد كتبت مفتوحة في موضعين آخرين غير موضع فاطر، الاول في (الانفال) حيث يقول جل شأنه: ﴿ وإن تعودوا فقد مضت سنت الأولين ﴾ [الأنفال:٣٨]، والثاني في (غافر) حيث يقول تعالى: ﴿ سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ﴾ [غافر:٨٥] وذلك - والله اعلم - لتشابه المقام في الثلاثة دون غيرها.

اما عن رسم لفظة (سنة) بالتاء المفتوحة في آية (فاطر) موضوع شاهدنا فانه – والله اعلم – مرتبط كذلك بمقام الآية اتم ارتباط فهاهم أولاء المشركون وقد اخذ القرآن يلح عليهم ويضرب لهم الأمثال، عساهم ان يفيقوا ويعودوا الى رشدهم، فحياتهم على ماهي عليه ضرب من الوهم والعناد، والباطل والغرور..

ولكن ماذا تقول في الصلف والتكبر الذي يجعلهم يقولون: ﴿ لئن جاءنا نذير لنكونن اهدى من إحدى الأمم ﴾؟ انهم يطلبون الرسول والرسالة.. وهذا امر طبيعي. ولكن ان ياتي الرسول ومعه الرسالة الناطقة الواضحة، البينة الشافية، ثم يعودون الى غيهم فذلك امر لايقبله عقل ولا يماشيه منطق بل هو خروج عن المألوف حيث لم يزدهم إرسال الرسول إلا نفورا.. ﴿ استكبارا في الأرض ومكر السيء ﴾ ولكن وبال كل ذلك عليهم فـ ﴿ لايحيق المكر السيء إلا بأهله ﴾.. هل نسوا أو تناسوا ماحاق بالأمم السابقة رغم إنذارنا المتكرر ووعيدنا المتجدد لهم؟ ان ذلك لخروج عن الفطرة ونشاز عن المألوف. فماذا ينتظرون؟

وهكذا قابلوا الإحسان بالإساءة، إذ كيف يقابل إرسال الرسول بالنفور؟ بل كيف لم يزدهم الإرسال إلا نفورا؟ انها غاية الغرابة والخروج عن المألوف.

هنا ينسحب المقام على الرسم ايضا فيخرج هو الآخر عن المألوف فيقول وقد تملكته الدهشة والانفعال: ﴿ فهل ينظرون إلا سنت الأولين ﴾ هكذا بالتاء المفتوحة تجسيدا لهذا الموقف الشاذ الغريب، ثم يترقى ليثبت ان مافعلوه لن يقابل إلا بما قوبل به من قبلهم ﴿ فلن تجد لسنت الله تبديلا ﴾ ويترقى اكثر واكثر فيؤكد ماسبق قائلا: ﴿ ولن تجد لسنت الله تحويلا ﴾ كل ذلك بتاء مفتوحة تجسد موقفهم الغريب هذا، ورد الفعل تجاهه.. فليفعلوا مايفعلون ﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا. ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا ﴾ [فاطر:٤٤و٤٥].

أرأيت كيف تأثر الرسم بمعاني القرآن الكريم، وكيف ان الصحابة بأمر الرسول الذي لاينطق عن الهوى قد وجهوا الى كتابته بهذه الوجهة التي تحمل هذه الشحنة من المعاني، والتي لايؤديها غير الرسم، بحيث غدت التاء المفتوحة منارة منيرة بكل معاني التعجب والإنكار والسخرية والاستهزاء. ثم القوة والعزم والغلبة النابعة من تكررها على الوجه المذكور.

■ لتغيّر رسم الحرف في المصحف علاقة بالمعاني المشحونة في اللفظة أو الآية

انه الإيجاز المعجز.. وانه لكلام الله حقا، فسبحان من هذا كلامه، وتعالى من هيأ لكتابه هذا الوجه من الإعجاز.

بين (أيد) و(أييد)

ولنأت الى ثالث الأمثلة: يقول تعالى في سورة الذاريات: ﴿ والسماء بنيناها بأييد وانا لموسعون ﴾ [الذاريات:٤٧] هكذا بياءين.. وهذا من النوع الأشد غرابة – كما أشرت سابقا – حيث وردت لفظة (ايد) بياء واحدة في قوله تعالى: ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ﴾ [ص: ١٧].

والأمر فيها نابع من المقام أيضا، فقد وردت الآية تعقيبا على صنيع الله تعالى بمن آذى رسله ووقف في طريق دعوة أنبيائه انه لاشيء سوى الإهلاك والتدمير.. وما أهون ذلك على الله، وكيف لا، وهو القادر الذي بنى السماء ورفعها بلا عمد نراها.

هنا ينسحب المعنى الى الرسم ايضا فتظهر القوة والعظمة في هذا البناء الذي بناه الله ورفعه ﴿ والسماء بنيناها بأييد وانالموسعون ﴾ فـ(الأيد) بمعنى القوة من الفعل (آد يئيد) إذا قوي (٣) وليست جمعا لـ(يد) إلا انها لما كانت قوة لا تدانيها قوة وعظمة لا تدانيها عظمة، فقد زيدت الياء تجسيدا لغلبة هذه القوة وتمكنها، وسعة السماء وبساطتها ﴿ وانا لموسعون ﴾ وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وذلك امر شائع في العربية التي نزل بها القرآن وكتب بخطها. ويظهرلي كذلك؛ والله أعلم؛ ان زيادة الياء هنا للمفارقة بين قوة نبي الله داود ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد ﴾ الذي كان قويا في عبادته، حيث كان يصوم يوما ويفطر يوما، وكان يصلي نصف الليل، وكان يلين الحديد بإذن الله وتقويته إياه، وبين قوة الله تعالى التي لا تدانيها قوة. وذلك سر يضاف الى ماذكرته بشأن (الياء) في آية (الذاريات) دون آية (ص) مع ان المراد من الكلمتين القوة، اذ ليس في القرآن الكريم غيرهما، وتلك من أسرار الرسم في القرآن الكريم.

الرسم المصحفي والإعجاز

وهكذا نجد الرسم المصحفي مشحونا بأسرار هي مفاتيح أو بعض مفاتيح ما احتوته آياته من كنوز معنوية لن تنتهي معالمها الى يوم القيامة، وبالطبع فإنه لن يقف على مثل ذلك إلا من انار الله بصيرته فتهيأت لمشاهدة اضواء ذلك الاعجاز.

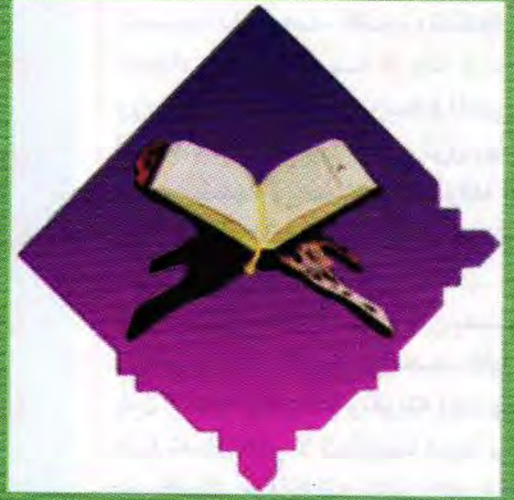
وبذلك يصبح الخط المصحفي هو الخط الوحيد الذي لم يحظ غيره بالبقاء والخلود.. وسيظل كذلك مابقى القرآن مشعا بهذه الأنوار، ومشيرا الى المزيد من تلك الأسرار، على الرغم من كل المحاولات التي تريد استبدال الطريقة الإملائية به.. ذلك انه توقيفي بوحي من الله تبارك وتعالى، وكيف لا؟ وهو مستودع مثل هذه الأسرار العظيمة.. فسبحانك اللهم الذي هيأت لكتابك إعجازا بلغ الى حد رسمه وخطه ■

الهوامش:

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني: ٣٧٧/١، طبعة عيسى الحلبي.

(٢) راجع: البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣٧٦/١ وما بعدها، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٣ دار الفكر، وكذلك مناهل العرفان: ٣٧٩/١.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (أ.ي.د).



مع العارفين

وهب بن منبه

بقلم د. توفيق يوسف الواعي

الحكيم العالم الفقيه الورع العارف، الداعية الواعظ الخاشع الزاهد، أبوعبدالله وهب بن منبه. رجل أعطاه الله الحكمة وسداد القول، وقوة البيان، وأنار بصيرته، وكشف القتامة عن قلبه وبصره وسمعه. إذا تكلم أخذ بمجامع القلوب وإذا أرشد ووجه هدى إلى الصراط المستقيم والطريق القويم. فكأنه لقمان في حكمته وبصيرته وهديه، يحدث سليمان بن أحمد فيقول: قال : وهب بن منبه: ألم يفكر ابن آدم ثم يتفهم ويعتبر ثم يبصر ثم يعقل ويتفقه حتى يعلم، فيتبين له أن لله حلما به يخلق الأحلام، وعلما به يعلم العلماء، وحكمة بها يتقي الخلق ويدبر بها أمور الدنيا والآخرة، فإن ابن آدم لن يبلغ بعلمه المقدور على الله الذي لا مقدار له، ولن يبلغ بحلمه المخلوق حلم الله الذي به خلق الخلق كله، ولن يبلغ بحكمته حكمة الله التي بها يتقن الخلق ويقدر المقادير. وكيف يشبه ابن آدم خالقه وكيف يكون المخلوق كمن خلقه؟

ثم يقول : يا ابن آدم أنه لا أقوى من خالق، ولا أضعف من مخلوق، ولا أقدر ممن طلبته في يده، ولا أضعف ممن هو في يد طالبه.

ثم يتكلم وهب بن منبه، عن الرزق، ويلفت ابن آدم إلى مقاديره وحكمة الله في عطائه ومنه كلام صاحب البصيرة العالم العارف الفطن فيقول : لا يشكن ابن آدم أن الله عز وجل قد قسم الأرزاق متفاضلة، ومختلفة، فإن استقل ابن آدم شيئا من رزقه، فليزده رغبة إلى الله عز وجل، ولا يقولن: لو أطلع الله على هذا وشعر به غيّره . فكيف لا يطلع الله على الشيء الذي خلقه وقدره؟ أولا يعتبر ابن آدم في غير ذلك مما يتفاضل فيه الناس، فإن الله فضل بينهم في الأجسام والألوان والعقول والأحلام، فلا يكبر على ابن آدم أن الله يفضل عليه في الرزق والمعيشة، ولا يكبر عليه أنه قد أفضل عليه في علمه وعقله، أولا يعلم ابن آدم أن الذي رزقه في ثلاثة أوقات من عمره لم يكن له في واحد منهن كسب ولا حيلة، أنه سوف يرزقه في الزمن الرابع، أول زمن من أزمانه حين كان في رحم أمه يخلق فيه، ويرزق من غير مال كسبه في قرار مكين، لا يؤذيه فيه حر ولا قر، ولا شيء يهمه. ثم أراد الله أن يحوله من تلك المنزلة إلى غيرها، ويحدث له في الزمن الثاني رزقا من أمه، يكفيه ويغنيه من غير حول ولا قوة، وهو اللبن في ضرع أمه، ثم أراد الله أن يعصمه من ذلك اللبن ويحوله في الزمن الثالث في رزق يحدثه له من كسب أبويه، ويجعل له الرحمة في قلوبهما حتى يؤثراه على أنفسهما بكسبهما ويحفظا روحه بما يملكاه لا يغنيهما في شيء من ذلك بكسب ولا حيلة يحتالها حتى يعقل ويحدث نفسه أن له حيلة وكسبا، فليعلم الإنسان إذن أنه لن يغنيه في الزمن الرابع إلا من أغناه ورزقه في الأزمنة الثلاثة التي قبلها، فلا مقال له ولا معذرة إلا برحمة الله، هو الذي خلقه. إن ابن آدم كثير الشك يقصر به حلمه وعقله عن علم الله، ولا يتفكر في أمره، ولو تفكر حتى يفهم، ويفهم حتى يعلم، علم أن علامة الله التي بها يعرف خلقه الذي خلق هو رزقه لما خلق.

لنرى كيف استدل وهب بن منبه على منّ الله وعطائه للإنسان كبيرا، بمنه عليه في ثلاثة أطوار قبل ذلك ما كان له فيها كسب ولا غنى بل كان عالة يرزقه الله من حيث لا يحتسب وهذا فهم جيد يعطيه الله من يحب من أصفيائه وأوليائه، ومن ذلك ما حدث به سليمان بن أحمد قال: قال وهب بن منبه: أن من حكم الله عز وجل أن خلق الخلق مختلفا خلقه ومقاديره، فمنهم من خلق يدوم ما دامت الدنيا، لا تنقصه الأيام ولا تهدمه، ومنه من خلقه تنقصه الأيام وتهدمه وتبليه وتميته، ومنه من خلق لا يطعم ولا يرزق، ومنه خلق يطعم ويرزق، خلقه الله عز وجل وخلق معه رزقه، ثم خلق الله تعالى من ذلك خلقا في البر وخلقا في البحر، ثم رزق ما خلق في البر من البر، ورزق ما خلق في البحر من البحر، ولا يصلح خلق البر في البحر، ولا خلق البحر في البر، ولا ينفع رزق دواب البحر دواب البر، ولا رزق دواب البر دواب البحر. إذا خرج ما في البحر إلى البر هلك، وإذا دخل ما في البر إلى البحر هلك. وفي ذلك من خلق الله في البر والبحر عبرة لمن قد أهمته قسمة الأرزاق والمعيشة، فليعتبر ابن آدم فيما قسم الله من الأرزاق أنه لا يكون فيها شيء إلا كما قسمه بين خلقه، ولا يستطيع أحد أن يغيرها ولا أن يخلطها. كما لا تستطيع دواب البر أن تعيش بأرزاق دواب البحر، ولو تضطر إليه ماتت كلها، ولا تستطيع دواب البحر أن تعيش بأرزاق دواب البر، ولو تضطر إليه أهلكها ذلك كله، فإذا استقرت كل دابة منها فيما رزقت أحياها ذلك وأصلحها. وكذلك ابن آدم إذا استقر وقنع بقسمته من رزق الله أحياه ذلك وأصلحه، وإذا تعاطى رزق غيره نقصه ذلك وضره.

هذا الفهم العميق لحكم الله وتقديره في خلقه، وهذا التوجيه اللطيف الذي يفيض من فم كريم هو من توفيق الله، ومن معين القلوب التي سطعت فيها أنوار التدبر في خلق الله وفي آلائه وهذا لا يأتي إلا من صدور علماء عاملين مخلصين يقبلون على الله سبحانه ويتخذونه سندا وقواما، وملجأ ومدخرا ومددا، هذا لا يخرج إلا من علم أشرقت فيه شموس الاحتساب والاعتزاز بالله سبحانه.

يحدثنا أبو بكر الأجرى عن عيسى بن سنان قال سمعت وهبا يقول لعطاء الخراساني كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم، فكانوا لا يلتفتون الى دنيا غيرهم وكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة في علمهم، فأصبح أهل العلم اليوم فينا يبذلون لأهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم، وأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعهم عندهم، فإياك وأبواب السلاطين، فإن عند أبوابهم فتنا كمبارك الإبل، لا تصيب من دنياهم شيئا إلا وأصابوا من دينك مثله، ثم قال: ياعطاء، إن كان يغنيك ما يكفيك فكل عيشك يكفيك، وأن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء يكفيك إنما بطنك بحر من البحور، وواد من الأودية لا يسعه إلا التراب.

كلمات علماء حكماء، وأقوال رجال فقهاء، ونصائح خلفاء أوفياء، طلقوا الذل والمهانة واعتزوا بعزة الله واستغنوا بغناه، فنظروا موضع أقدامهم ، وبحثوا أماكن مواردهم فظلت روائحهم ذكية، وسيرهم رضية وكانوا سلف الأمة الصالح وقادتها البررة العاملين يأكلون من عرق جبينهم ومن طيب كسبهم، لا يقبلون السحت والبهتان، ولا يركنون إلى الظلم والطغيان، ولهذا يقول عبدالصمد بن معقل: سمعت وهب بن منبه يقول: لا يكون البطال من الحكماء، ولا يرث الزناة من ملكوت السماء.

قد يعتري الإنسان حيرة لفقد الناصح وقد تأخذه العلة لعدم وجود الدواء فإذا قيض الله للإنسان الناصح، ويسر له من يدله على موطن الداء ثم يهب له الدواء، كان هذا فضل من الله ونعمة لا يقدرها قدرها إلا المخلصون العاملون. ووهب بن منبه هذا كان من أعز الناصحين ومن أمهر الأطباء، أطباء النفوس والقلوب، فكان دالا على الأدوية مشخصا لاعراض الأمراض المختلفة ومنبها على أخطارها المتعددة.

ولهذا كان رحمه الله على ثغرة كبيرة، وفي ميدان واسع، يجاهد فيه بكل طاقته، يجاهد الشياطين، ويجاهد الشهوات، ويجاهد النفوس الجامحة ثم يداوي صرعى هذه المعارك المتعددة والمتنوعة، فكان دائم المواعظ، مستمر النصح والتحذير فنسمعه يقول: الإيمان قائد والعمل سائق، والنفس بينهما حرون، فإذا قاد القائد ولم يسق السائق لم يغن ذلك شيئا ، وإذا ساق السائق ولم يقد القائد لم يغن ذلك شيئا، وإذا قاد القائد وساق السائق، اتبعته النفس طوعا وكرها وطاب العمل. ثم يقول: يا ابن آدم لا أقوى من خالق، ولا أضعف من مخلوق، ولا أقدر ممن طلبته في يده، ولا أضعف ممن هو في يد طالبه.

يا ابن آدم إنه قد ذهب منك ما لا يرجع إليك وأقام معك ما سيذهب.

يا أبن آدم أقصر عن تناول ما لا تنال وعن طلب ما لا تدرك، وعن ابتغاء مالا يوجد، واقطع الرجاء منك عما فقدت من الأشياء، واعلم أنه رب مطلوب هو شر لطالبه، يا ابن آدم ، انما الصبر عند المصيبة، وأعظم من المصيبة سوء الخلف منها. يا ابن آدم فأي الدهر ترتجي؟ أيوما يجيء في عزة، أو يوما نستأخر فيه عن أوان مجيئه؟ فانظر إلى الدهر تجده ثلاثة أيام: يوم مضى لاترتجيه، ويوم لا بد منه ، ويوم يجيء لا تأمنه. فأمس شاهد مقبول، وأمين مؤد وحكيم وارد، قد فجعك بنفسه، وخلف في يدك حكمته، واليوم صديق مودع كان طويل الغيبة وهو سريع الظعن، أتاك ولم تأته وقد مضى قبله شاهد عدل فإن كان فيه لك فاشفعه بمثله.

يا بن آدم إنما أهل هذه الدار سفر لا يحلون عقدة الرحال إلا في غيرها، وانما يتبلغون بالعوارى فما أحسن الشكر للمنعم، والتسليم للمعير ، فاعلم يا بن آدم انه لا رزية أعظم من رزية في عقل ممن ضيع اليقين.

يا بن آدم قد مضت أصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد أصله.

يا أيها الناس إنما البقاء بعد الفناء وقد خلقنا ولم نكن، سنبلى ثم نعود، ألا وإنما العوارى اليوم والهبات غدا ألا وإنه قد تقارب منا سلب فاحش أو اعطاء جزيل، فاستصحلوا ما تقدمون بما تظعنون عنه.

وعن أشرس عن وهب بن منبه قال: أوحى الله عز وجل إلى داود: يا داود هل تدري من أغفر له ذنوبه من عبيدي؟ قال : من هو يا رب؟ قال : الذي إذا ذكر ذنوبه ارتعدت فرائصه، فذلك العبد الذي آمر ملائكتي أن يمحوا عنه ذنوبه. رحمه الله كان خبيرا نافذ البصيرة يتكلم وكأنه قد جمع له كل شيء ونفذ إلى حقيقة كل شيء يحذر اللاهين لأنه يرى الخطر عليهم ويحذر المجدين لأنه يرى مزالق الطريق بهم.

قال عبدالله بن المبارك يقول وهب بن منبه: إن للعلم طغيانا كطغيان المال. وكتب وهب ابن منبه إلى مكحول يقول: إنك قد أصبت بما ظهر من علم الإسلام عند الناس محبة وشرفا، فاطلب بما بطن من علم الإسلام عند الله تعالى محبة وزلفى، واعلم أن إحدى المحبتين سوف تمنعك من الأخرى.

وكان رضى الله عنه يعلم العلماء والدعاة والمتقين أن طريق الحق محفوف بالمخاطر وأن مجالدة الباطل تحتاج إلى قوة وصبر، وأنه لا بد فيها من معارك ومن أشلاء كقوله تعالى ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ الرعد ١٧ حدث اسحاق بن إبراهيم عن وهب بن منبه أنه كان يقول : البلاء للمؤمن كالشكال للدابة، ثم قال: من أصيب بشيء من البلاء فقد سلك به طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإذا سلك بك طريق البلاء فطب نفسا فقد سلك بك طريق الأنبياء والصالحين، وإذا سلك به طريق الرخاء ، فقد أخذ بك طريق غير طريق الأنبياء والصالحين عليهم الصلاة والسلام.

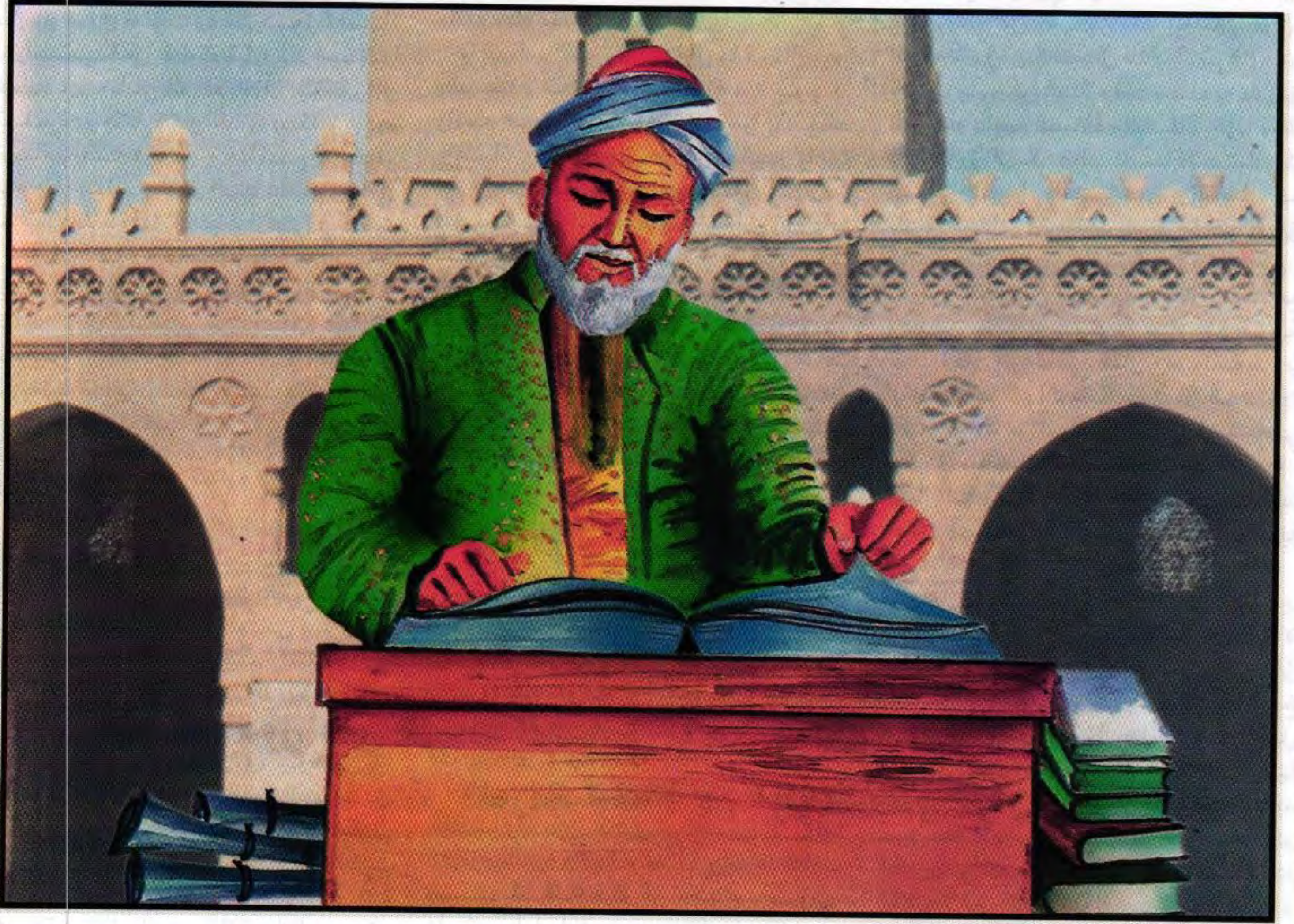
وعن عثمان بن بزدويه قال : كنت مع وهب بن منبه وسعيد بن جبير يوم عرفة تحت نخيل ابن عامر . فقال وهب لسعيد : يا أبا عبدالله كم لك منذ خفت من الحجاج؟ قال: خرجت عن امرأتي وهي حامل، فجاءني الذي في بطنها وقد خرجت له لحية وجهه . فقال له وهب: إن من كان قبلكم كان إذا أصاب أحدهم بلاء عده رخاء، وإذا أصابه رضاء عده بلاء.

وكان يقول لم تحسب الأشياء على غير وجهها وتبعاتها: إن للنبوة اثقالا ومؤنة لا يحملها الا القوي، وأن يونس بن متى كان عبدا صالحا، فلما حملت عليه النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع عن الحمل، – وهو الجمل الصغير الذي لا يستطيع الحمل – فرفضها من يده فخرج هاربا، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ اصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ وقال ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ﴾ الآية

النفوس القوية لا تكتسب تلك القوة إلا بالإيمان ثم بمقارعة الخطوب ومغالبة الصعاب ومجالدة الباطل، والعزائم لا تسمى عزائم إلا بارتقاء الصعاب في سبيل الحق وتسنم العقبات في سبيل الصواب، ولا تظهر لتلك النفوس القوية ولا لهذه العزائم الفتية أعلام أو آيات بينات ، إلا بالاختبار والابتلاء الذي يبين معادن الناس وجوهرهم، ثم إذا لم يصارع الباطل رجال الإيمان فمن يصارعه، وإذا لم تنازله فتية الإيمان فمن ينازله وإذا لم ينقذف عليه جند الرحمن فمن يدفعه وصدق الله ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾ عرف هذا العلماء العاملون من أمثال وهب بن منبه، فنبهوا الصالحين عليه، وحثوهم على الاستعداد له حتى يدخلوا في سلك المجاهدين المخلصين وصدق القائل:

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والإقدام قتال

وأصحاب الحق هم أهل لذلك كله. رحم الله وهب بن منبه رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ■



الدعاة والمغازي

للواء الركن:
محمد جمال
الدين محفوظ

بلغ عدد الغزوات التي قادها الرسول ﷺ ثمانيا وعشرين غزوة(١)، وبلغ عدد السرايا التي قادها أصحابه أكثر من خمس وأربعين سرية(٢)، وقد حث الإسلام على النظر في آثار السابقين لاستخلاص الدروس والعبر التي يسترشد بها، والتجارب التي ينتفع بها، والله تعالى يقول: ﴿ فاعتبروا ياأولي الأبصار ﴾ «الحشر٢»، ويقول: ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ (هود ١٢٠).

من أجل ذلك كانت عناية أجدادنا من المسلمين الأوائل بالمغازي والسرايا واضحة، حيث يقول زين العابدين بن الحسين بن على رضى الله عنهم: «كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ، كما نعلم السور من القرآن.»(٣) وعن اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنهم «كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول: يابني إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها».(٤). ويسمي الزهرى(٥) التاريخ الحربى« علم المغازي ويقول: « في علم المغازي خير الدنيا والآخرة» (٦)

الدعاة وتناول المغازي

ونلاحظ أن أغلب الدعاة يركزون في تناولهم للغزوات على غزوتي بدر وفتح مكة وبخاصة في شهر رمضان المعظم وهو الشهر الذي وقعتا فيه، والذي يعد مناسبة تاريخية لتناولهما، وبذلك تبقى الغزوات الأخرى دون ذكر، أو - على الأقل - دون تناول على نحو شامل.

ونلاحظ من ناحية أخرى أن أغلب الدعاة والوعاظ - عند الحديث عن الغزوات والسرايا ومعارك الإسلام عامة - يركزون على الجوانب المعنوية مثل قوة الإيمان والعقيدة والشجاعة وإرادة القتال وحب الشهادة وذكر الله في ساحة المعركة والمدد الإلهي.

لكن هناك أمورا أخرى تتعلق « بالأخذ بالأسباب من حيث التخطيط للمعركة وإدارتها وتكتيكاتها ومواجهة مواقفها واستخدام الأسلحة المختلفة فيها، لاتلقى نفس القدر من العرض أو التركيز، أو قد يرد ذكرها على نحو لايبرز دورها الكبير مع الجوانب المعنوية في إحراز النصر.

وقد يقول قائل: إن هذه الأمور تحتاج إلى متخصص في الشئون العسكرية، فهو أقدر من غيره على تحليل مواقف المعارك وإبراز جوانبها الفنية، غير أن هذا القول - مع صحته - لاينبغي أن يحتج به العلماء والمربون عامة والدعاة بخاصة في

من الضرورات الحيوية أن يتزود العلماء والمربون والدعاة « بقدر من المعرفة» بالأمور العسكرية

عدم تناولهم لتلك الجوانب وذلك لعدة أسباب:

أولا: أن للقضايا العسكرية الإسلامية جانب رائد من حضارة الاسلام، ولمبادئها وتعاليمها من الأصالة ماللدين نفسه من أصالة، ولذلك كان المسلمون الأوائل يعلمون أولادهم المغازي والسرايا كما يعلمونهم السور من القرآن كما ذكرنا، وكانوا يعدونها شرفا ينبغي المحافظة عليه.

ثانيا: أن الأصول العلمية لتناول الموضوعات تقضي بأن يكون التناول شاملا لكافة جوانبها، وأن النظرة الجزئية للأشياء لاتحقق الهدف المنشود، بل قد تضر ولاتنفع، فالتركيز - في تناول الغزوات - على الجوانب المعنوية دون الفنية، قد يوحي للناس بأنها كانت كل شيء في المعركة، أو بأنها هي الشيء الذي يستحق الدراسة، الأمر الذي يضيع معه درس من أنفع الدروس لهم في حاضرهم ومستقبلهم. الا وهو أهمية التدبير والتخطيط، واتخاذ الأسباب في تحقيق الأهداف مع الثقة في الوقت نفسه في معية الله ونصره، وأن نصر الله لايأتي للمتواكلين أو المتخاذلين الذين يدعون الأخذ بالأسباب.

ثالثا: أن الإسلام يوجه المجاهدين إلى ذكر الله في ساحة المعركة «بعد»أن يأخذوا بأسباب القوة والاستعداد للقتال، وهو بعض مايفهم من قوله الله تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾. (الانفال ٤٥)

وكما يفهم من قول النبي ﷺ: « واطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش وإقامة الصلاة ونزول الغيث.»(٧)

وماوقع للمسلمين في غزوة حنين من وقوعهم في كمين نصبه لهم المشركون دليل على إهمال إجراءات

أن الأصول العلمية لتناول الموضوعات تقضي بأن يكون التناول شاملا لكافة جوانبها

الاستطلاع التكتيكية لمواقع أعدائهم « قبل أن يقتربوا منها»، وربما كان بسبب ذلك اغترارهم بقوتهم الذي أغراهم بترك الحذر والاستهانة بالعدو حتى قال قائلهم: «لن نغلب اليوم من قلة.»(٨) ولقد أوضح الله تعالى ذلك في محكم كتابه فقال:

﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾[التوبة:٢٥].

ولنتدبر مدى عناية الإسلام بضرورة الأخذ بالأسباب، التي تتجلى في صلاة الخوف التي يؤديها المسلمون لله، ويكونون فيها بين يديه، وكيف يجسد عواقب الغفلة والأضرار البالغة التى يتعرض لها المسلمون من جرائها. ﴿ ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾(النساء ١٠٢)

ضرورة الثقافة العسكرية

من ذلك يتضح أنه من الضرورات الحيوية أن يتزود العلماء والمربون والدعاة « بقدر من المعرفة» بالأمور العسكرية على النحو الذي يمكنهم من تناول الجوانب الفنية للغزوات ومعارك الإسلام وإبراز الدروس التي تنطوي عليها وتنفع الناس،

الدعاة و المغازي

والحق أن الثقافة العامة في مختلف العلوم تحقق نفعا للداعية والناس، فالثقافة الطبية والصحية ـ على سبيل المثال ـ تمكن الداعية من دعوة الناس إلى أساليب الوقاية من الأمراض .

ثم إن طبيعة العصر الذي نعيش فيه ،تجعل من الثقافة العسكرية ضرورة حيوية لإعداد أبناء الأمة جميعا لبناء أمتهم والدفاع عنها على حد سواء، ذلك لأن طابع الحرب الحديثة هو «الحرب الشاملة»، وهى تعنى أن الشعب وقواته المسلحة« يخوضون الحرب» ويواجهون مخاطرها، ويتحملون آثارها، فقد انتهى ذلك العهد الذي كانت فيه الحرب مقصورة على تصارع الجيوش في ميادين القتال.

بل لقد تطورت استراتيجية الحرب الشاملة إلى حد اعتبار الجبهة الداخلية «الهدف الأول» الذي توجه إليه الضربات المادية والمعنوية، اعتمادا على أن الجبهة الداخلية هى القاعدة وأن القوات المسلحة هى المقدمة والطليعة، وعلى أنها هى المستودع الكبير « الذي يمد أداة القتال ـ وهى القوات المسلحة ـ بكل القوى البشرية والماديةو المعنوية التي بدونها لاتتوفر للقوات المسلحة قدرة الصمود والانتصار .

فالدعاة المزودون بالثقافة العسكرية يخلقون في الشعب درجة كبيرة من الوعي و القدرات التى تحقق النتائج التالية:

١ ـ التسلح بوعي الأمن لمواجهة حملات الدعاية والحرب النفسية التي يشنها الأعداء ــ في الحرب والسلم على حد سواء ــ بالتشكيك والبلبلة والشائعات وترويع الآمنين، والتي يكون الضعف في هذا الوعي مناخا صالحالها.

٢ ـ الاستعداد لقبول مخاطر الحرب وحقائقها على أساس من الإدارك الواعي بطبيعتها ومتطلباتها، وهو مايشكل دعما كبيرا للقوات المسلحة ويزيد من قدراتها على الصمود للحرب «الممتدة».

٣ ـ وأخيرا ـ وهو الأهم والأخطر ـ الاستعداد لاستمرار الحياة وإدارةعجلة الإنتاج وسط كوارث الحرب مع التحكم في آثارها ماديا ومعنويا حتى لاتشل أو تتعطل مرافق الدولة، أو القدرة على إمداد القوات المسلحة بإمكانات الاستمرار في القتال.

تكتيكات غزوة بدر

والدعاة عند الحديث عن غزوة بدر ــ على سبيل المثال ــ يمكنهم ذكر التكتيكات التي اتبعها الرسول ﷺ واستخلاص ماانطوت عليه من دروس، ومن هذه التكتيكات مايكشف عنها الأمر الذي أصدره الرسول ﷺ لأصحابه بعد أن نظم صفوفهم للقتال، وقد ورد في أكثر من رواية نذكر منها مايلي:

١ ـ «لاتقاتلوا حتى آذنكم، وإن اكتنفوكم فارموهم، ولاتسلوا السيوف حتى يغشوكم» (٩)

٢ ـ « إذا أكثبوكم(أي اقتربوا منكم) فارموهم، واستبقوا نبلكم« رواه البخاري»

هذا الحديث ربما يذكره الدعاة في سياق الحديث« دون تحليل» أما إذا قام الداعية بتحليله فإنه يبرز تكتيكات الرمي والقتال في المعركة الدفاعية:

١ ـ فقد حدد الرسول ﷺ «ساعة الصفر» التي يبدأ فيها الرمي بأمر منه:«لاتقاتلوا حتى آذنكم»

٢ ـ وقسم المعركة إلى مرحلتين وحدد لكل مرحلة مايفعله المسلمون، فيبدأ المسلمون أولا بقذف السهام وهى السلاح«بعيد المدى» عندما يقترب الأعداء:«إذا اكثبوكم فارموهم» ،وبعد أن يستغل المسلمون طاقات هذا السلاح إلى أقصى حد إلى أن يقترب الأعداء إلى حد الالتحام فإنهم يتحولون إلى استخدام سيوفهم وهى سلاح الالتحام: «ولاتسلوا السيوف حتى يغشوكم»

وبهذا الوضوح في تحديد «وقت وظروف» استخدام كل سلاح «طبقا لخواصه» لايحدث خلط بين السلاحين يضيع معه جانب من طاقات كل منهما هباء.

٣ ـ وشدد الرسول ﷺ على ضرورة «الاقتصاد في الزخيرة»

من ناحيتين: الأولى:« تأخير» إطلاق السهام حتى يقترب الأعداء جدا كما ذكرنا، والثانية: عدم التسرع في إطلاقها قبل التأكد من أنها «مصوبة جيدا» وهو مايفهم من قوله عليه الصلاة والسلام:«واستبقوا نبلكم» فالسهام عددها محدود أصلا لقلة عدد المسلمين، وقد تدفع حماسة المسلمين لقتال عدوهم في أول معركة حاسمة إلى التسرع في إطلاقها ، وهكذا

ثم إن طبيعة العصر الذي نعيش فيه ،تجعل من الثقافة العسكرية ضرورة حيوية لإعداد أبناء الأمة جميعا لبناء أمتهم والدفاع عنها على حد سواء

أراد عليه الصلاة والسلام ألا يطيش سهم من سهام المسلمين، وأن يكون «كل سهم برجل من المشركين».

٤ - وقد استقرت هذه التكتيكات المحكمة في عقول المسلمين الأوائل فاستخدموها في معارك الإسلام بعد ذلك، فقد ورد في شرح القسطلاني وعيون الأخبار: «إن العدو إذا زحف، أمهله رماة المسلمين حتى يكون في متناول السهام، ثم أمطروه بوابل من سهامهم وهم جاثون على ركبهم جماعات جماعات، بحيث تخرج سهامهم مجتمعة كأنها صادرة عن قوس واحد(١٠).

٥ - وقد أدى استخدام المسلمين لهذه التكتيكات في بدر إلى تكبيد العدو أكبر الخسائر في أقصر وقت، حيث انطلقت سهامهم «بأكبر حشد»وفي «لحظة واحدة»و هى ساعة الصفر ،وهذا يؤدي بغير شك إلى تساقط أعداد كبيرة من جيش العدو صرعى في أقصر وقت، ومن اليسير أن نتصور مالذلك من وقع على «توازنه النفسي» وبخاصة أنه جاء إلى المعركة مزهوا بقوته وبتفوقه الساحق الظاهر.

٦ - ثم يستطيع الداعية أن يدعم حديثه بذكر آراء الخبراء العسكريين، ومبادىء المعركة الدفاعية في فن الحرب ومن ذلك مايلي:

يجمع خبراء الحرب على أن تكبيد العدو «خسائر كبيرة في وقت قصير» يشكل ضربة مدمرة لتوازنه النفسي قد تدفعه إلى التراجع حيث يقول شار نهورست في كتابة (التكتيك):«إن عشرة رجال يسقطون معا في ميدان المعركة يجبرون فوجا(حوالى ألف جندي) على التراجع بصورة مؤكدة، وأكثر من خمسين جريحا يسقطون تدريجيا في أماكن مختلفة»

هناك قاعدة مقررة في المعركة الدفاعية تسمى« حبس النيران» أو «كبت النيران»مؤداها أن المدافعين يجب أن يحبسوا نيران بنادقهم إلى أن يصل العدو المهاجم إلى أقرب مسافة منهم



(١٠٠ متر أو أقل) حتى يضمنوا دقة الإصابة مع الاقتصاد في استهلاك الذخيرة في الوقت نفسه.

ثم يستخلص الداعية من هذا التحليل - رغم أنه تناول جانبا واحدا من النواحي الفنية التى حفلت بها بدر - درسا عظيما ونافعا للمسلمين، هو أنه إذا حكمت ظروفهم الاستراتيجية بأن يواجهوا عدوامتفوقا عليهم في القوة، فلابد أن يشحذوا كل طاقاتهم المادية والمعنوية، وأن يحسنوا استغلال مواردهم المتاحة، بحيث يفيدون مما يملكون، ومما في أيديهم إلى أقصى حد «بطريقة اقتصادية» فلا يفقدون من هذه الموارد مثقال ذرة. وإلى مقال قادم بمشيئة الله حيث نعرض لبعض الأمثلة الأخرى□

الهوامش

١ - ابن هشام: السيرة النبوية القسم الثاني(جـ٣و٤) ص ٦٠٨ وقد ذكر أن مجموع الغزوات سبع وعشرون لكنه لم يذكر غزوة بني قينقاع، كما جاء في السيرة الحلبية أن الغزوات كذلك أيضا حيث جعل حنين والطائف غزوة واحدة والأفضل الفصل بينهما(ج٢ ص ٣٤٢)

٢ - اختلف العلماء في عدد السرايا والبعوث،وقد ورد تفصيل ذلك في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ج ٦ ص ٩ و١٢

٣ - أحمد زيني دحلان: السيرة النبوية والآثار المحمدية (بهامش السيرة الحلبية) جـ١ ص ٣٦٠

٤ - نفسه

٥ - هو محمد بن مسلم الزهري ،وقد ألف كتابا في المغازي وتوفى سنة ١٢٤ هـ

٦ - أحمد زيني دحلان :المرجع السابق.

٧ - أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الكبير وعزاه إلى الإمام الشافعي، والبيهقي في المعرفة عن مكحول مرسلا

٨ - محمد بن يوسف الصالحي الشامي سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ج ٥ ص ٤٦٩

٩ - الواقدي مغازي رسول الله ص ٤٨.

١٠ - شرح القسطلاني جـ ٥ ص ٩٤+ عيون الأخبار جـ١ ص ١٠٧



ترتفع في القرن العشرين أصوات بين الحين والحين تنادي بتطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمعات الإسلامية وذلك في النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكنظام للسلوك والترابط في العلاقات بين الأفراد وبين الأمم.

وكان لهذا الصوت صداه في بعض هذه المجتمعات (١)، حتى قامت بعض هذه المجتمعات بتقنين الشريعة في جميع نظمها، وبخاصة تقنين الحدود. ولكن هل يمكن وضع هذه الحدود والتقنينات موضع التنفيذ في الوقت القريب أو في المستقبل القريب؟ أقول: نعم؛ إذا كانت هناك نية خالصة لله من المسؤولين في هذه المجتمعات الإسلامية، وإذا انتهت بعض العوائق التي خلَّفها الاستعمار بعده للمحافظة على كيانه، ويوجد هذا الأمر في الاتجاهات المتباينة في هذه المجتمعات، والتي تتمثل فيها الأنانية والمادية التي تنتمي بطريقة أو بأخرى إلى قوى من القوى الدولية الخارجية.

عوائق تطبيق الإسلام في المجتمعات المعاصرة

بقلم الأستاذ: صفاء الدين محمد أحمد محمد

إحياء النعرات والعصبيات القبلية

ويمكنني أن أحدد هذه العوائق في الأمور التالية:

١ - تقسيم الأمة الإسلامية وتفتيتها إلى دول ودويلات، وذلك في آسيا وأفريقيا (واضعاف هذه الدول إسلاميا، وذلك بنشر الأفكار الدخيلة في هذه المجتمعات، وإحياء الطائفية واللغات الأخرى غير اللغوية، كما أحيا الاستعمار عادات البوذية في الشرق الآسيوي، وبعض عادات البربر في المغرب العربي، والفرعونية في مصر، والأشورية في العراق، ونشر جو الخلافات بين المذاهب الإسلامية كالسنة والشيعة، وبعث الدرزية والنصيرية والعلوية في الشام - كما بعث القبلية العربية في شبه الجزيرة العربية) (٢).

ثم قسّم الاستعمار البلاد الإسلامية بناء على هذه العوامل إلى دول ودويلات، وإلى ممالك وجمهوريات، وإلى إمارات وسلطانات، وأخذ ينشر في هذه المجتمعات الصغيرة عوامل ضعفها كمشكلة الحدود بين الدولة وجارتها، ومشاكل الأقليات في داخل كل دولة، والطائفية بين أبناء المجتمع الواحد.

والإسلام لا يتفق مع هذا، لأن الأرض في الحقيقة لله يورثها من يشاء من عباده، والمسلمون جميعاً إخوة يربطهم رباط الأخوة، فليست هناك خصومة بين المسلم وأخيه، ولا حدود إلا حدود الحرمات في النفس والمال والعرض (٣).

يقول تعالى: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ [آل عمران:١٠٣].

والمجتمع المسلم كما بينه الرسول ﷺ كالجسد الواحد لا يقبل هذا التقسيم، ونهى عن السخرية بين أفراده، وكذا التنابز لأن أصل هذا المجتمع واحد وهو آدم وحواء، وجاء الإسلام ليساعد فيه القوي الضعيف، ولو أن ثروات المجتمع المسلم جمعت بنظام معين ووزع فائض المال على المسلمين لما كان هناك فقير واحد، ولو جمعت القوى المادية والحربية بين المجتمع المسلم لتوازنت القوى، وما حدث هناك حرب ولهابهم الاستعمار بكافة أشكاله وأساليبه، ويكون هذا إعلانا بتطبيق الشريعة الإسلامية.

التضامن يقضي على النعرات القومية

٢ - ومن العوائق في تطبيق الشريعة الإسلامية (إحياء القوميات في الأمة الإسلامية فهناك القومية العربية، والقومية الفارسية والقومية الطورانية، والقومية البربرية، وبعثت هذه القوميات وأبرزت في مواجهة بعضها بعضا بعد إلغاء الخلافة الإسلامية في تركيا في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وعلى نفس النهج اقيمت جامعة الدول العربية للمحافظة على العنصر العربي ومصالحه دون العنصر الإسلامي) (٤).

وأقرب مثل لذلك مسألة القدس حيث اعتبرتها جامعة الدول العربية مسألة عربية وفصلته عن مجموع الدول الإسلامية.. إلخ.



وعلاج الإسلام لهذه المشكلة هو التضامن الفعلي بين البلاد الإسلامية، وإقامة الأخوة الخالصة لله فيما بينهم وتجنب سوء الظن والوشايات فيما بينهم (٥). فإذا حدث ذلك كان ذلك إعلانا لإقامة تطبيق الشريعة الإسلامية.

٣ – ومن العوائق التي تحول دون تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمعات الإسلامية: العلمانية وهي تعني الفصل بين الدين والدولة – أي الفصل بين النظم في الدولة وشؤون الأفراد والحياة الاجتماعية.

ولا يعرف الإسلام هذا الفصل بين الدين والدولة في شيء من أموره، بل إن الدين الإسلامي متمثلا في منهجه القائم على الكتاب والسنة يوحد الاتجاه لله في كل أمر من أمور الدولة، أو أمور الدين، بمعنى أن الصلاة كفرض يؤخذ منها منهج موحد، فالإمام فيها واحد والصفوف مترابطة، والمنهج الذي يقرأ فيها واحد، والحركات والسكنات واحدة، فمن شذ عن إمامه أو خالف أفعاله بطلت صلاته وهكذا.

فإن الدولة الإسلامية لها قائد واحد وجميع الصفوف مترابطة، وإن الإمام مثله كمثل أي إنسان لا يختلف عنه في شيء، وهكذا لو نظر الباحث في كل أمر من أمور الإسلام ما دق منها وما عظم، لوجده نظاما متكاملا لا ينفصل جزء منه عن الآخر، وهذا من أسس تطبيق الشريعة الإسلامية.

■ تقسيم الأمة الإسلامية وتفتيتها إلى دويلات يعيق تنفيذ الشريعة كما ينبغي

من العقبات الفصل بين الدين والعلم

٤ – ومن العقبات: الفصل الخاطىء بين الدين والعلم، ونتج هذا الفصل من موقف الكنيسة كسلطة حاكمة في الدول الغربية، ومفاد هذا الفصل: أن العلم يقيني لأنه قائم على المشاهدة والملاحظة والتجربة، وأن الدين كغيب مشكوك فيه مع أصوله فضلا على أنهم يقولون إن الإسلام يعادي العلم.

مع أن رأي الإسلام في الحقيقة هو: أن العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة، وأن ما ظهر يقينا اليوم قد يصبح في الغد ظنا لاختلاف الظروف التي نشأت فيها التجربة، ولاختلاف نظرة الإنسان نفسه إليها، ولاختلاف الأجهزة التي كانت محكا في التجربة.

أما الإسلام فهو الوحي الخالص النازل من عند الله ولم يتغير فهو حقيقة ثابتة لا يخضع لظروف ولا لإنسان ولا لجهان، وأما ما يدخله الإنسان في الدين وهو ليس منه كتأليه إنسان يجمع بين اللاهوت والناسوت، أو السلطة الإلهية – فهذا كله ليس من الدين وهو يشوه حقيقته.

إذن فليس بين الدين والعلم أي عداوة لأن القرآن كتاب الله كتاب هداية، جمع الله فيه من الأدلة العلمية ما يوصل الناس لهذه الهداية والكون ككتاب منظور لله لا يختلف مع القرآن في شيء، بل يوضح ما في الكون كثيرا من آيات القرآن في شيء ، بل يوضح ما في الكون كثيرا من آيات القرآن على مر العصور والأزمان، لأن قضايا القرآن كلها يقينية ومعنى اليقين هو مطابقة العلم للواقع.

وفي المجتمعات الإسلامية نجد أن هناك كثيرا من دعاة التجديد التابعين للغرب ينشرون كلامهم في معظم المجالات الدورية والكتب بكافة أحجامها، ويغدق الأجر لهؤلاء وأمثالهم حتى يقوموا بدورهم خير قيام في معاداتهم للدين (٦).

٥ – يضاف إلى هذه العوامل: (سخرية أجهزة الإعلام بما يتصل بالدين ورجاله، وتتمثل هذه السخرية في الاستهزاء والسخرية من اللغة العربية في أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة ومحاولة محوها وإبدالها بالعامية لدى كل قطر، وأيضا في الاستهزاء من مبادىء الدين وأنه لا يصلح لهذا العصر وأيضا السخرية من رجل الدين بإبرازه في صورة مشينة في المسلسلات وغيرها) (٧).

٦ – ومن الأمور التي تعوق تطبيق الشريعة الإسلامية وضع المرأة المسلمة وتقليدها للمرأة الغربية، أو المرأة الراقية بدعوى التحرر والإباحية..

٧ – ومن العقبات في طريق تطبيق الشريعة الإسلامية حب السلطة وإرهاب أي حركة إسلامية والقضاء عليها قضاء مبرما، بعيدا عن الدين والإنسانية. وهذا الأمر يجعل الشباب في موقف الاتهام بعد تشويه صورته من الأجهزة المختلفة في المجتمعات المعاصرة.

■ نشر الأفكار الدخيلة في المجتمعات الإسلامية، وإحياء الطائفية، واللغات الميتة، من عوائق قيام نموذج إسلامي سليم

وهذا الإرهـاب من شأنه تقليل الروح الدينيـة، وتشكيك بعض الجاهلين في الإسلام بدعوى أن الإسلام دين فتنة، وأنه يجب تجنبه والبعد عنه.

بينما هـذه المجتمعات تتسـامح مع منظمات تعـادي الإسلام وتـؤيدهـا، وتمدها بـالقوى المادية والمعنويـة إرضاءً لسادة هـذه المنظمات، مع أن أتباع الإسـلام أكثـر من غيرهم، ولعل هذا مـا يخيف بعض الحكـام (ولـو اتيحت الفرصة للمسلمين لكان ذلك خيراً للحكـام ولأهل المجتمعات، ويكون هذا من أهم علامات التصريح بتطبيق الشريعة الإسلامية) (٨).

عوامل تزيل العقبات

٨ - ومن أهم الأمـور التي تؤدي إلى تطبيق الشريعـة الإسـلامية (وجـود حكومة لا تدعي العصمة لنفسها ولا السلطة الإلهية - ولكنها تحكم بما أنزل الله وتصيب وتخطىء في التطبيق، ولكنها لا تقصد الخطأ لذاته - كما لا تصر عليه أن عرفته وهي حكومة إنسانية إسلامية) (٩).

ولنا في رسـول الله ﷺ أسوة حسنة حيث كان يطبق منهج الله بالطريقة البشرية، لذلك كـان القرآن يسجل عليه العتاب أحيانـا كما جاء ذلك في سورة الأنفـال وسورة الأسراء وغيرهما، ليـدل على أن الحكومـة الإسلاميـة ليست حكومـة إلهية، وأن الكتاب والسنة دسـتـور كل فرد في كل مجال من مجالات عمله.

(لأن الفرد في الإسلام هو الأصل وعليه مسـؤولية نحو نفسه ونحو غيره) (١٠)، والإسلام دين دعوة وأن الرسول مبلغ عن ربه وأن الإسلام دين الناس جميعـا، وأن قول رسـول الله كـان يطابق فعلـه، وكان قـدوة للناس أجمعين.

(وإن الرسول كان يقوم بالجهود الدينيـة والدنيوية، فكان إماما للناس في الصـلاة، وكـان قـائدا لهم في الحرب وكـان يقضي بينهم في الخصـومـات، ويستشيرهم في الأمور العظام، وكان داعيا إلى الله) (١١).

ولهذا يجب على قادة البـلاد الإسلامية أن يكـونوا قادة وقـدوة لشعوبهم، حتى يكون الطريـق إلى تطبيق الإسلام سهلا ميسرا، إذا كانت النيـة خالصة لله. ومن العجيب أن الله يهيء للمجتمعات الإسلاميـة من يقوم فيها بالدعوة لهذا الدين، ونشر مبادئه والـدعوة إلى تطبيقه، محاولة إزالـة العقبات من هذا الطريق ■

الهوامش

١) انظر (بحث لمؤتمر علماء المسلمين بالقاهرة) في ذو القعدة ١٣٩٧هـ أكتوبر ١٩٧٧م للأستاذ الـدكتور/ محمد البهي، ونشر تحت عنوان (عقبات في طريق الإسلام في المجتمعات الإسلامية المعاصرة) ط وهبة، ص٣.

٢) المصدر السابق ص ٤.

٣) المصدر السابق ص ٥.

٤) المصدر السابق ص ٧.

٥) المصدر نفسه ص ٧و٨.

٦) المصدر السابق ص ٩:١٧ بتصرف.

٧) المصدر نفسه ص ١٧و١٨.

٨) المصدر السابق ص ١٩-٢٢ بتصرف.

٩) المصدر نفسه ص ٢٥و٢٦ بتصرف.

١٠) المصدر نفسه ص ٢٧ بتصرف.

١١) المصدر السابق ص ٢٨ بتصرف.

رؤى قرآنية

منصفو الغرب والإسلام

بقلم: محمد علي وهبه

برغم وجود فئة غير قليلـة من المتعصبين في الغرب ضد الإسلام، إلا أن هنـاك الكثيرين من قادة الفكـر والرأي في الغرب ينصفـون الإسلام، بـوصفه الـدين الأوحد الأزلي والخالـد، الـذي أنـزلـه جل شأنـه لخلاص الإنسـانيـة وهـدايتهـا إلى الحق والخير وتحقيق ارتقـائها في الـدنيـا والآخرة.

ومن هؤلاء الغربيين المؤمنين بـالإسلام والمدافعين عنه، الكاتب الإنجليـزي الشهير (توماس كارليل)، الـذي يقال عنه أنه من أفضل ما أنجبته بريطانيا من عقول بعد وليم شكسبير. يقول كارليل في كتابه (الأبطال وديانة الأبطال) عن رسـول الإسـلام محمـد ﷺ: (لا يمكن أن يكون محمـــد ﷺ كذوبا، فإنه إن كان كذلك، فلا يستطيع أن يأتي بمثل هـذا الـديـن العجيب.. والله إن كـان الـرجل الكـاذب لا يستطيع أن يبني بيتـا من اللبن، إذا لم يكن عليما بمواد البناء على اختلاف أنـواعها، فما بـالك بمواد بنـاء صرح شـامـخ البنيـان، مـدعم الأركـان مثل دين الإسلام، الذي ظل على قوته وعظمته قرونا طوالا) (١).

ومن هؤلاء كـذلك الشاعر الفرنسي (لامـارتين)، المولود سنة ١٧٩٠م، والمتـوفي سنـة ١٨٦٩م، والـذي قـال في محـــــمد ﷺ: (إن محمدا ﷺ رسـول وهاد للإنسـانيـة) (٢).

ومنهم أيضا المستشرق (بورث سميـث)، الذي قال عن الرسول الكريم ﷺ: (إن الرسول محمدا ﷺ بالرغم من أنه كان أميا، فقد أتى بكتـاب هو آية في البلاغة، ودستور للشرائع والصـلاة والـدين في آن واحـد، وهـو معجـزة محمد ﷺ) القوية (٣).

وقـائمة المؤمنين بـالإسلام، والمدافعين عنه من قـادة الفكـر والرأي في الغرب تطـول، ويحتـاج استعراضهـا لموسـوعـة علميـة ضخمـة، لإيفـائها حقهـا من البحث والتحقيق، وهو مالا يتسع له المجال هنا.

ومن أشهـر المؤمنين بالإسـلام حديثـا السفير الألماني (فلفريـد هوفمان)، سفير ألمانيـا الحالي في المغرب، الـذي اشتهـر بكتـابـه القيم (الإسـلام هـو الحل البـديل - ١٩٩٢م) الـذي يدعـو فيـه مجتمعـات الغرب قـاطبـة، والإنسـانية كلهـا للدخـول في الإسلام، بـوصفه البـديل الأوحد، الذي لا ثاني له لخلاص الإنسانية، ولإنقاذها من

مـآسيهـا التي لا تنتهي . وفي كتـابـه الأخير (يـوميات ألماني مسلم – ١٩٩٣م)، يتحـدث (هوفمان) عن السيرة النبويـة، بعقل الدارس الـواعي، المتبحـر في علـوم السيرة، وبقلب المؤمن الخاشع الذي امتلأ قلبه بأطياف نور الإيمان. وهو لا يكتفي بقراءة السيرة النبوية في مصادرهـا الأصلية بـاللغة العـربية، التي يجيدهـا، وإنما يرجع كذلك إلى مـا كتب فيها أو ترجم عنهـا باللغـات الأوروبية. فقـد قرأ كتاب سيرة الرسول ﷺ لابن إسحاق، الذي حققه ابـن هشام حـوالي عام ٢٠٠ هجـرية، وقـام بترجمته إلى الإنجليـزيـة (أ. جويـوم. أكسفـورد – ١٩٥٥م)، كما قرأ كتـابا آخـر حـديثا في السيرة النبـويـة هو (محمـد ﷺ حياته مستقاة من أقدم المصادر – نيويورك ١٩٨٣م) لمارتن لنجز.

أرفع من مستوى الكاريزما

يقـول (هــوفمان) حـول سيرة رســول الإنسانية الكريم ﷺ : (إذا تحررنا من تأثير النـزعـة إلى الحكم على المسـائل باعتبـارهـا معجـزات، وكـذلك من مقتضيــات الـولاء السياسي، فسوف يظهـر لنا محمد ﷺ من خـلال مصادر السيرة النبـويـة، كشخصيـة سياسيـة محنكة، تتمتع بكـاريزما طـاغية، وقـوة إرادة، ومهـارة تكتيكيـة (لا مثيل لها) (٤).

وإن كـان استخـدام (هـوفمان) لكلمـة (كاريزمـا) غير مناسب هنا، لـوصفه رسول اللـــــه ﷺ بأنه يتمتع بكاريزما طاغية. فبالـرجوع إلى أصل كلمة كاريـزمـا -Cha (risma في قاموس بنجوين للغة الإنجليـزية، نجـد أن معناهـا: Supre me Gift For) (Leadersip ومعناها (الموهبة الفائقة للقيادة)، وكذلك -High Artistic Gen) (ius ومعناها (العبقرية الفنية العالية). ومثل هذه المعاني تـرتبط بمعنى الشخصية الجذابة أو السـاحرة، أو تساعد في الـوصول إليها.

إلا أن شخصية رسـول الله ﷺ أرفع من مثل هذه الأوصاف بكثير.

فقد كان ﷺ يوحي إليه من ربه، ولم يكن مجرد قائد متمتع بموهبة قيادية، أو غير ذلك مما يتصل بهذا المعنى. والوحي من الله العلي القدير سبحانه إلى الرسول الكريم ﷺ ، إنما هو أرفع بكثير من معنى (الكـاريزمـا) وفقا لدلالاتها اللغوية المذكورة.

وقـد ورد لفظ الوحـي بمختلف مشتقاتـه الكثيرة من اللـه العلي القـديـر سبحـانـه الى الرسول الكريم ﷺ والأنبياء والرسل عليهم السـلام من قبلـه في آيـات كثيرة من القـرآن العظيم . ومن ذلـك ما جـاء في قولـه تعالى: ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي أنما إلهكم إلــه واحــد ﴾ (٥). وكذلك ما جاء في قوله سبحانـه: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليـه أنه لا إلـه إلا أنا فـاعبدون ﴾ (٦).

ولا شك أن مثل هذه الملاحظـة لا تقلل من شأن الجهد المخلص لــ (هوفمان) في إعلائه لشأن السيـرة النبويـة ولشخصيـة الـرسـول الكريم ﷺ.

مفاوضات الحد من التسلح في السيرة النبوية

يتطـرق (هــوفمان بعــد ذلك إلى الفترة الواقعة ما بين هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، وفتحـه السلمـي لمكة بعـد ذلك بعقـد من الزمـان. ويتحدث عن هـذه الفترة من سيرة الرسـول ﷺ بروح عصرية، وبلغة العصر، حيث يقول: (استطـاع محمد ﷺ أن يطبق بذكـاء قواعد الحـرب الاقتصاديـة والنفسية، وأن يستخـدم مفـاوضـات الحد من التسلح كأداة للسياسة الخـارجية) (٧).

وإن كان الغـربيون لم يعرفوا مفـاوضات الحد من التسلح كركيزة حضارية للسياسة الخـارجية إلا منذ بـدايات النصف الثاني من القـرن العشرين، فيكفي للتـدليل على عظمـة الإسـلام في هـذا المجـال ومن خـلال سيرة الـرســول ﷺ ، أن يعرف العالم أن رسول الإســـلام ﷺ قد وضع الأسس الحكيمة لنظـام الحد من التسلح كأداة للسيـاســة الخارجية، وطبقهـا منذ حــــوالي خمسة عشر قـرنـا بنجـاح غير مـــــسبوق أو ملحوق.

عبقرية الاختراق السلمي في السيرة النبوية

كما يتحـدث هـوفمان بلغة الـدبلـومـاسي المحنك في وصفـه للهدنـة في الحديبية قـائلاً: (وكـان قبـول رسـول اللـه ﷺ للهدنة في الحديبيـة، والـذي أثار مخاوف أصحـابـه، منـاورة دبلـومـاسيـة من الطـراز الأول، إذ سرعـان مـا أدرك أهل مكـة أنهم قـد وقعـوا بـأنفسهم على صـك استســــلامهـم مستقبلا) (٨).

أول وثيقة دستورية في التاريخ الإنساني

كما يتحدث هوفمان عن دستور وحدة المدينة، الذي يعتبر أول وثيقـة دستورية عرفتها الإنسانية، قائلا: (وبنفس البراعة أملي محمــد ﷺ دستور وحدة المدينة، ليكـون بمثابـة أول معـاهـدة فيدرالية عرفها التاريخ الإنساني) (٩).

اكتشاف المعجزة الإسلامية

وينهي (هــوفمان) حــديثـه حــول الجوانب العطـرة من سيرة الـرســول الكـــريم ﷺ ، منتهيا إلى إبراز المعجزة الإلهية في السيرة النبوية بقوله:

(وإذا مـاأخذ المرء في اعتبـاره النجـاح الــذي حققـه محمــد ﷺ في التجارة، وحكمته البالغة كقاض، ومحكم، وقدراته الخطابية وبـلاغته، غير ذلك من الخلال الإعجازية السـامية، فإن المرء سرعان ما يجد نفسه عاجزا عن تفسير كيف تسنى لهذا النبي العـربي المحـروم من التعليم، الأمي، والـذي ينتمي إلى مجتمع (لم ينل حظـا وافـرا مــن التعليم)، أن يتمتع بكل هذه الصفـات؟ هناك شيء غـريب في هذا الأمـر.. هنـاك شيء إلهي في هــذا الأمـر) (١٠) إنها المعجـزة الإلهيــة في السيرة النبوية ■

الهوامش

١) آراء فلاسفة وعباقرة الغرب في الإسلام؛ ذكريا هاشم؛ المكتبة الثقافية ٤٣٣؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٨م.

٢) المرجع السابق.

٣) المرجع السابق.

٤) يوميات ألماني مسلم؛ مراد فلفريد هوفمان؛ ترجمة د.عبـاس رشدي العماري؛ مركـز الأهرام للترجمة والنشر بـالقاهـرة – ١٩٩٣م.

٥) فصلت:٦.

٦) الأنبياء:٢٥.

٧) المرجع السابق.

٨) المرجع السابق.

٩) المرجع السابق.

١٠) المرجع السابق.

بقلم: عاطف شحاتة زهران

لا تقتلوا أولادكم

الأبناء هبة من الله ونعمة يجب أن تحفظ وتشكر، وذلك يكو ن بحسن رعايتهم وتاديبهم واعداد المناخ الطيب لهم لينشاوا نشاة صالحة وليصبحوا لبنات صلبة في صرح الأمة مستقبلا.. فمن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا. ولذا رأينا الإسلام يضع الآباء أمام مسؤوليتهم عن أبنائهم مباشرة منذ صغرهم بل قبل ذلك حين يفكر في اختيار أمهم وهي التربة التي ستاوى النطفة وتطوراتها حتى تخرج للحياة خلقا آخر، ثم تبدأ الأسرة بعد ذلك في تحمل مسؤولية التربية لهذا الوليد وتمده بالقيم النبيلة وتغذيه بالعقيدة السمحة حتى يستوي عوده. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنو قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾ [التحريم:٦]، وذلك بحسن تربيتهم، يقول القرطبي: (فنعرفهم الحلال والحرام ونجنبهم المعاصي والآثام إلى غير ذلك من الأحكام). وقد صدرت الآية بنداء لعامة المؤمنين، كان الإيمان يحتم عليهم مراعاة حقوق أبنائهم وعدم إهمالهم وصيانتهم مما يضرهم في معاشهم أو معادهم، فالتقصير في شيء من ذلك مخل بالإيمان. ونورد من السنة مما يؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.. والرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته» [متفق عليه].

ومنذ حين نشرت الصحف المصرية نبأ فتاة تبلغ من العمر ستة عشر عاما تدير شقة أمها لتعاطي المخدرات، وضبط بالشقة عدد من الفتيان والفتيات يتعاطون الهيروين وغيره وكانت أمها الممثلة قد انفصلت عن أبيها – الممثل – وسافرت خارج البلاد للمشاركة في إنتاج عمل فني وتركتها وحيدة على صغر سنها. وما أن قرأ الناس تلك القصة حتى تناقلوها فيما بينهم ورواها رائح لغاد، وحاضر لغائب وتبدو الحسرة والعجب على وجوه من سمعها أو رواها.. أما العجب فمن الأبوين الذين تخليا عنها في أحرج سنوات عمرها وأما الحسرة فعلى الفتاة وجرحها الغائر، وحين نروي القصة هنا نبغي من وراء ذلك أن نضع الآباء أمام مسؤولياتهم قبل أن يستفحل الداء ويعز الشفاء.

من المسؤول؟

وبداية نطرح تساؤلات شتى عقب هذه القصة. لماذا حدث ذلك؟ وكيف؟ ومن المسؤول؟ واعتقد أن الجواب يكمن في كلمتين هما: «غياب الآباء» أو تخليهم عن مراقبة أبنائهم وتصرفاتهم لانشغالهم بتوافه الأمور.. الغياب الذي يشعر الأبناء بأنهم كاليتامى أو دونهم إذ اليتيم قد اشتهر أمره أما هؤلاء فالناس عنهم في غفلة متعمدة وأشدهم غفلة عنهم آباؤهم!

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم الحياة وخلفاه ذليلا
ان اليتيم هو الذي تلقى له
أما تخلت أو أبا مشغولا

ومن المهم أن يشعر الأبناء دائما بحضور الأبوين فإذا مازال أحدهم أو كاد وجد من يأخذ بيده ليوجهه لما فيه الخير له ولهما ولسائر الأمة، أو يأخذ على يديه إذا ما انحرف أو ضل، ويتبع معه أسلوبا يناسب كل حال.. قد يتوعده أو يضربه أو يحبس عنه بعض المنافع أحيانا إن رأى ذلك نافعا وقد يرفق به ويعطيه ان كان ذلك أجدى من الوعيد والضرب مثلا.

يقول الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: وبين النفوس تفاوت فنفس تضرع وتخضع بالغلظة والشدة ولو استعملت معها الرفق والبر لأفسدتها، ونفس بالعكس من ذلك. ونحن نشاهد لذلك شواهد عديدة في حياتنا وبين أهلينا

ومن نعرف من الأسر.

مثال واحد

وهذه أسرة وفرت لأبنائها من رغد العيش مايفوق الوصف فقد ولد الأبناء وبأفواههم ملاعق من ذهب كما يقال. إذا كسرت أو خدشت أعطوا غيرها.. لديهم من الملابس أضعاف مايحتاجون ومن الطعام أكثر مما يشتهون ومن متطلبات العيش الكثير حتى نظر الناس إليهم حسدا بل تمنوا مكانتهم إلا انهم فقراء إلى قلب يحنو عليهم وعين تحرسهم وعقل يهديهم إلى الحق والصواب وكل ذلك لا يكون إلا في حضور الآباء يغرسون فيهم ما يحمد من أفعال وما يحسن من أخلاق، ويحاربون مافسد من خلق وما اعوج من تفكير ويحفظونهم من رفقة السوء من خلال مبادىء الإسلام وعقيدته السمحة ولكن شيئا من ذلك لم يكن لغياب الأبوين وانشغالهم بالأعمال أو الأسفار عن كل شيء.

ومثل أولئك الآباء يظنون أنهم أحسنوا إلى بنيهم صنعا لما وفروا لهم حياة يحسدون عليها، ويرون أنهم شغلوا عنهم لأجلهم ويتعلل الأب بأنه يكد ويشقى لهم لكيلا يتركهم عالة على غيرهم أما الأم فقد هيأت لهم خادمة ترعى شؤونهم ليتسع وقتهم للاستذكار والترفيه عن أنفسهم بالطريقة التي تروق لهم لأنها هي الأخرى في شغل شاغل عنهم.

وتمر الأيام وتطوي الأعوام وهي بالنسبة للأبوين سريعة لا يأبهون بها ولا يحصون لها عدا.. وهي بالنسبة للأبناء أيام وأعوام ثم يفاجأ الأبوين بما لم يكن في الحسبان.

فالأبناء قد انحرف الطريق بهم.. منهم من انقطع عن دراسته ومنهم من استسلم للمخدرات أما البنت فقد بحثت عن العاطفة التي تفتقدها والحنان الذي ترجوه وكان ماكان.. فتنبه الاثنان على تلك النهاية أو الصدمة وعضا أصابعهما ندما وحسرة على مافرطا في حق بنيهم ولكن بعد فوات الأوان.

وتبكي على لبنى وأنت قتلتها
فقد ذهبت لبنى فما أنت فاعل؟

حكى أن المنصور بعث إلى من في الحبس يسألهم عن أشد ما مر بهم في الحبس فقالوا مافقدنا من تربية أبنائنا.

■ تعريض الأبناء للمعاصي وصرفهم عن الطاعات أشد من القتل والإهلاك

الانفاق والتأديب

وحين أوجب الإسلام النفقة على الأهل لم يطلق الأمر بل لابد من عين الأب وعقله دائما فقد جاء في وصية المصطفى صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضى الله عنه: «وانفق على أهلك من طولك ولا ترفع عنهم عصاك أدبا وخفهم في الله» رواه أحمد في المسند ولكن الأهل هنا وجدوا المال بغير حساب وفقدوا العصا والتخويف من الله عز وجل لما غاب آباؤهم واستغرقتهم الدنيا بلهوها. وقد قيل: (علق سوطك حيث يراه أهلك) وقد علقوا السوط وغفلوا عنه حتى تآكل..

ورأى الأبناء السوط في مكانه لا يبرحه فعبثوا به وسخروا من تراكم التراب عليه إذ لم يجدوا صاحب السوط يعاقب به مخطئا أو يقوم معوجا فأغراهم ذلك بالانضمام إلى رفقة السوء وساعدهم المال الوفير على التبذير هنا وهناك.

روى أن رجلا شكا ولده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنه يشرب الخمر فقال له عمر: بئس الوالد أنت لا ربيته صغيرا ولا سترت عليه كبيرا..

وتلك مقولة يجب أن يعيها من الآباء من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وكم حاول المربون أو الواعظون نصح ذاك الصنف من الآباء وتعريفهم أهمية دورهم في المراحل الأولى من حياة الأولاد ولكن سرعان ما يجيب أحدهم: ماذا يريدون مني؟ وعبثا يحاولون إفهامه وأمثاله أن الأولاد في حاجة إلى القلوب التي تحب والعقول التي ترشد والعيون التي تراقب قبل حاجتهم إلى طعام وفير ولباس ناعم وأدوات كهربية ترفيهية ومساكن فاخرة تتلألأ أنوارها ليل نهار وسيارات فارهة وأرصدة في البنوك مرتفعة.. فقد يتحول ذلك كله إلى ظلمات ولعنات وأسباب تودي بهم بدل أن ترتفع.

فليس النبت ينبت في حنان
كمثل النبت ينبت في الفلاة
وهل يرجى لأطفال كمال
إذا رضعوا ثدي الناقصات؟!

ولا تلقى منهم بعد ذلك إلا السخرية مما تقول، حتى ذاقوا ثمرة ماغرسوا وغصت بها حلوقهم..

وختاما

إن الأبناء يتعرضون لمؤثرات شتى في هذا العصر وذلك يضاعف على الآباء مسؤولياتهم لتأسيس القواعد الراسخة التي ستحمل الأمانة غدا أو بعد غد فاتقوا الله معاشر الآباء فقد حذر القرآن أكثر من مرة من قتل الأبناء، والقتل قد يعني إضاعتهم بسوء تربيتهم كما يعني إزهاق أرواحهم وتدبروا تعاليم الإسلام وهديه في تأديب الأولاد وحسن رعايتهم فهم أثمن من أرصدة الدنيا كافة..

■ يتجلى شكر الله تعالى بالإحسان في كل شيء، وأي إحسان أفضل من ولد صالح يدعو لك؟

اتقوا الله في أبنائكم واتقوا الله فينا فأنتم المسؤولون عن الحالة المتردية التي وصل إليها بعض شبابنا من إدمان المخدرات واغتصاب وانحراف فالبناء إذا أسس على تقوى من الله ورضوان نجح في مواجهة الأعاصير أما إذا قام على شفاجرف هار يكاد يهوي بصاحبه في جهنم. ﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ﴾ ■



الإسلام والتمثيل .. نظرة نقديـة

بقلم: محمود محمود النجيري

كان من الطبيعي أن يرتبط التمثيل بالمسرح قبل السينما، وذلك لأن صناعة السينما جاءت متأخرة زمنيا وبعد التقدم التقني الذي شهده العصر الحديث.. ويروي التاريخ أن قدماء اليونان قد عرفوا التمثيل على مسارحهم، وألفوا المسرحيات الشعرية، ويحفظ لنا أسماء مثل أسخليوس، وسوفكليس، ويوربيدس، وأرستوفانس، كان لها باع في التأليف المسرحي قبل الميلاد، وكانت نشأة المسرحية في ظل المعابد الوثنية جزءا من الطقوس الدينية لتقديس الملوك وتأليههم.

ولكن هل عرف العرب التمثيل قبل الإسلام؟ وبمعنى آخر هل عرفوا فن المسرح في جاهليتهم؟ إن الإجابة على هذا السؤال من الأهمية بمكان.. فالإقرار بوجود مسرح عربي جاهلي من خلال وقائع تاريخية ثابتة، أو دلائل راجحة تؤدي بنا إلى البحث عن موقف الدين الإسلامي من المسرح كما وجده..

ولن يستطيع أحد القول إن البحث عن وجود مسرح عربي قديم أمر يسير، ففترة ما قبل الإسلام كاللغز المحير بالنسبة لنا في كثير من جوانبها، والأخبار الواردة عنها في بطون الكتب قليلة، والنقوش العربية القديمة عفا عليها الزمان، وأكثر من ذلك فالعرب كانت أمة أمية لا تعتمد كثيرا على الكتابة، ولكنها تتكىء على الحافظة القوية، ولعله من أجل ذلك كان الشعر هو الفن الذي وصلنا عن العرب بصورة مكتملة، وحتى في هذه الحالة فعمره التقديري يمتد قرنا ونصف القرن فقط في المساحة الزمنية قبل الإسلام..

موقف الإسلام من فنون العرب

عندما جاء الإسلام في القرن السادس الميلادي، فإنه وجد عددا من الفنون في تلك الفترة وهي: النحت والتصوير والشعر والموسيقى والغناء والرقص، فكيف كان موقف الإسلام من هذه الفنون؟

لقد اتخذ الإسلام موقفا واضحا منها: فحرم نحت التماثيل وتصوير ذوات الأرواح لأن ذلك يفضي إلى الشرك، واقترنت الدعوة إلى التوحيد بتحطيم الأصنام المعبودة، وكانت الأدلة واضحة على ذلك، ومنها ما رواه مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون».

وجاء القرآن الكريم بقوله الصريح في فن الشعر في سورة (الشعراء) من قوله

تعالى: ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون مالا يفعلون. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ﴾ [الشعراء/ ٢٢٤ - ٢٢٧]، ونرى فيها الشعراء فريقين:

١ - شعراء مؤمنون صالحون صادقون.

٢ - شعراء مضلون يهيمون في بحار الخيال والادعاء الكاذب.

وأما الغناء والموسيقى فقد استدل العلماء على تحريم الأول بقوله تعالى: ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا ﴾ [لقمان/٦] فقالوا: لهو الحديث هو الغناء. على حين استدلوا على تحريم الآخر بقوله سبحانه: ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم ومايعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ [الاسراء/ ٦٤]. فقالوا صوت الشيطان في الآية هو الموسيقى المنبعثة من المعازف. وإن كنا نجد بعد ذلك أحاديث صريحة تذكر الغناء والمعازف وتحرمها.

الموقف من الرقص والمسرح

فإذا كان الأمر كذلك في فنون النحت والتصوير والشعر والموسيقى والغناء، فإنا لا نجد نصوصا صريحة في الرقص، إلا أنه على الرغم من ذلك لا يستطيع أحد انكار تحريم الإسلام الرقص بالصورة التي كان عليها عند العرب، وهي لا تختلف عن الرقص الآن من ناحية أنه حركات جسمية إيقاعية متناغمة واهتزازات رتيبة للبدن.. ومن جانب آخر، فإنا لا نجد ذكرا للمسرح بتحريم أو غيره، فما السبب في ذلك؟

إن وجه الحق يمكن أن يتضح هنا من خلال وجهتين أولاهما: إمكان وجود مسرح بصورة ما مع تحريمه دون نقول صريحة في ذلك كما في حال الرقص..

والأخرى: عدم وجود المسرح على عهد الإسلام أو الجاهلية القريبة منه.

ويمكن الاعتراض علي الوجهة الأولى بقول قائل: إذا سلمنا بإمكان وجود مسرح جاهلي مع عدم وجود نص على ذلك، فلن نستطيع التسليم بتحريمه إلا إذا وجدنا نصا على ذلك، لأن التحريم لابد له من نص.

ونرد على هذا الاعتراض بأنه لم ينقل أن عهد الدعوة الأول شهد مسرحا، وهذا يعني عند التسليم بوجوده في الجاهلية أن الإسلام قد حرمه بصورة ما؛ مما يفسر عدم وجود مسرح في عهد النبوة؛ فالإسلام قد يحرم بعض الأشياء بنفيها عن الحياة وتركها بصورة تلقائية دون دعوة صريحة إلي ذلك لأنها تخالف في جوهرها أو في النتائج المترتبة عليها روح الإسلام ومقاصده، كما نجد ذلك في تحريم الرقص، وهذا ما يمكن أن نسميه بالتحريم السلبي، فالرقص محرم لما يصاحبه من اختلاط وشرب ومعازف ونظر محرم وعري وإثارة للفتن، أي أنه محرم لغيره.. وكذلك يمكن أن يكون التمثيل والمسرح.



ولكن هل نستطيع تأكيدا لا شك معه أن العرب عرفوا المسرح قديما؟ إنا لا نملك من النصوص مايجعلنا نفصل في هذا الأمر يقينا، والفن الشعري الذي وصلنا من تلك الفترة غنائي كله، لا نجد فيه قالبا مسرحيا واحدا، كما في شعر الإغريق، ولا نجد نصوصا مسرحية نثرية، فهل يعني ذلك عدم وجود مسرح عربي قديم؟

إن هذا لا يكفي لانكار المسرح العربي القديم، فربما كانوا يعتمدون النصوص النثرية المحفوظة أو المرتجلة، ولكنا حين نرى القرآن الكريم يغفل ذكر المسرح، والسنة النبوية لا تشير إليه من قريب أو بعيد والفقه الإسلامي لا يتناوله بالبحث رغم حديثه عن المصالح المرسلة، ونرى كذلك التراث النثري والشعري لهذه المرحلة يخلو تماما من أثارة من تمثيلية أو مسرحية، فإنا لا نملك إزاء كل هذا إلا أن نرجح أن العرب لم يعرفوا المسرح، ولم يمارسوا التمثيل قبل العصر الحديث، وإن كانت باحثة روسية تدعى (ن.أ. بوتيسيفا) قد حاولت إثبات عكس ذلك في كتابها: (المسرح العربي في ألف عام وعام) (١).

وتقدم الباحثة تفسيرا في منتهى الخطورة عن نشأة المسرح العربي يتمثل

الإســـــلام والتمثيـــــل

في اعتقادها بأن الدين والفن ظهرا في وقت واحد نتيجة الوعي الاجتماعي، على الرغم من وجود من يقـول إن الدين قـد ظهر في فترة متأخرة عن الفن وأخـذ عنه رمـزيته الفنية، وهكـذا فإن عناصر الفن الـدرامي لم تكن غريبة على العالم الإسلامي، حيث أنجب الدين فن التمثيل، تماما كما أنجبت المواكب والطقـوس في كل العصور وعنـد كل الشعـوب الأشكـال الأولى للفن، تلك الأشكال التي كانت بمثـابة المنابع الأولى للعرض المسرحي.

وتتمثل خطـورة هذا التفسير في النظـر إلى الدين كنتاج اجتماعي بشري مثل الفن تمامـا، وفي الادعـاء بأن الـدين أنجب فن التمثيل (هكـذا!!)، ثم في التســـويـة بين الــدين الإسـلامي والمواكب والطقـــوس الوثنية في كل العصور وعند كل الشعوب، وأكثر من ذلك فالبـاحثة ترى أن (الفرق الدينية أصبحت موطنا للثقافة المسرحية)، وكأني بالكاتبة تـرى أن الدين الإسلامي أتى ليعلم الناس فن الدراما!!

لماذا لم يظهر المسرح عند المسلمين؟

ويقدم (محمد عزيـزة) محاولة لوضـع نظـريـة تفسر عـدم ظهـور المسرح عنـد العـرب في الإســـلام، حيث يحدد أربعـة صراعـات تتوزع الإنســـان عمومــا داخل المجتمع وتؤدي إلى نشوء الشكل الدرامي، وهـي:

١ – الصراع العمـودي: وفيـــه يتمـرد الإنسان – حين يدافع عن حـريته – ضد النظام العلوي – إرادة الله.

٢ – الصراع الأفقي: ويعني تمرد الفرد ضد قوانين المجتمع الذي يحيط به، وضد الأخـلاق السائدة والعـادات وضد بنيـة اجتماعية من بنى الحياة، فهو صراع ضد الواقع.

٣ – الصراع الـديـنـامكي: ويظهـر من خـلال رفـض الإنسـان لـلاستسـلام للمصير المرسوم مسبقا ولحتميته وقدره، وهـــو مـا يمكن أن نسميـــه الصراع مع الزمن.

٤ – الصراع الـداخلي: ويبرز عنـــدمـا يصبح الإنسان نفســه مصدرا لتعـاسته الشخصية، فيكـون الضحية والجلاد في آن واحد، وهو ما يمكن أن نسميه الصراع مع الذات.

ويرى عزيزة أن وجـود هذه الصراعات الأربعـة داخل مجتمع مـــاهي وحـدهـا القـادرة على نشـوء الفـن المسرحي فيـه، والإنســـان المسلم ليس بإمكانـه أن يضع حريتـه وذاته في مواجهـة الإرادة الإلهية والبنيـــة الاجتماعيـــة والمنطق المجـــرد للمصير، كما أنه ليس بإمكانه أن يصل في شكـوكـه الانقسام في نفســه، وعلى هـذا الأســـاس فإن كـل شيء بــالنسبـــة إلى الإنسان المسلم يتركـز في الإله، وكل شيء من عنده مسلم به، بحيث تستسلم إرادة المسلم لإرادة الله، وتحدد شرائع الإسلام كل أركـان حياتـه الاجتماعيـة والدينيـة والسياسية والعائلية (٢).

ويقدم على أحمد باكثير رأيه في إشكالية وجـود مسرح عـربي عمـــومـا فيقـول: (ولاشك أن هذه الظاهـرة (أي عدم وجود مسرح) التي لا نعرف لها نظيرا عند الأمم الأخرى مرجعها إلى هذا الدين القيم، دين التوحيـد الذي جعل التقديس لله وحده، ولا يعترف بتقـــديس مـن ســـواه من الأشخاص، ولذلك تعذر عند العرب وجود التمثيل بمعنـاه المعروف لـدى الأمم التي تـدين بتعدد الآلهة وتقـديسها وإسنـاد صفات البشرية لها إذ كان معظم هؤلاء في الأصل من البشر ممن كانوا ملوكا عظاما لهم أو أبطـالا في تـاريخهم، فلما مـاتـوا اتخذوهم آلهة وعبدوهم).

(وإذا لم يـوجد المسرح عنـد العـرب في جاهليتهـم فأحرى ألا يـوجد لـديهم بعد الإســلام الـذي قضى على تلك الـوثنيـة العـربيـــة، وأعـاد إليهم دين التـــوحيـد كأصفى وأنقى ما يكون التوحيد) (٣).

نشأة المسرح العربي في العصر الحديث

يمكن القـول – بعـد كل مـا سبق – إن المسرح لم يكن لـه وجـود ملمـوس عنـد الجاهليين، وإن وجـدت بعض عنـاصره، فمن عناصره: الغناء والرقص والموسيقى وربما التصويـر أيضا ومجالس الشراب والمســامـــرة، وهـذه عنـــاصر رفضهـا الإسلام.

وإذا كان العالم العربي قد شهد صورا من التمثيل بوجه مـا، فإن الدارسين للفن المسرحي العـربي يتفقون أنـه لم يبدأ إلا مع النهضة الحديثة في العالم العربي منذ أواخر القرن التـاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ويتفقون كـذلك أن ظهوره أتى عقب الغزوة الأوروبية على بلـدان الوطن العربي في القـرنين الثامن عشر والتـاسع عشر الميــــــلاديين بتأثير مـن المسرح الأوروبي.

ومن هؤلاء الدارسين غنيمي هلال الذي يـرى (أن المسرحيات العـربيـة وجـدت في الآداب الغربيـة الدعـامة الحقـة لنشأتها ولنهضتهـا، وأنـــه من المقطـــوع بـه أن الإيطاليين قد أسسوا في النصف الأول من القرن التاسع عشر مسرحـا كان ذا أثر في تهيئـة أذهان المواطنين لفهم المسرحيـات الحديثة والإقبال على مشاهدتها) (٤).

وتجتمع آراء الدارسين للمسرح العربي الحديث أنه بـدأ بتجربة مـارون النقاش سنــة ١٨٤٧م، ثم تلتـه أسماء لا تنتسب لـلإسـلام مثـل: أديب إسحـاق، وسليم النقاش، ويعقوب صنـوع، وفرح أنطون، ونجيب الريحاني.. ونستطيع الآن الجزم بأن المسرح عنـدنـا اليــوم اقتبـاس من المسرح الأوروبي، وكذلك الفن السينمائي هو صناعة أوروبية انتقلت إلينا وإلى كل بـلاد العالم، وبعـد أن خضنـا التجربـة المسرحيـة والسينمائية، وسرنـا معهـا إلى مدى يمتـد عقودا، وبعد أن أنتجنـا سيلا



■ لا تعنى الفنون الجميلة بالتسلية والترفيه فقط، بل ينبغي لها تحقيق وظيفة اجتماعية وحضارية راقية

غثا من المسرحيات والأفلام التي تقوم على التمثيل، نريد أن ننظر إلى التمثيل نظرة ناقدة نتعرف أهدافه وفوائده ومخاطره.

إن التمثيل فن .. مثل كل الفنون - يحاول أن يعطى معادلا موضوعيا للحياة، فهو يرمى إلى تجسيد قطعة من الواقع مكتملة وذات مغزى وبناء حدثي وشخوص في صورة جمالية تدعو إلى الانفعال بالعمل الفني، والتمثيل - بخلاف الرواية والمسرحية - يقوم على تجسيد الأحداث من خلال قيام عدد من الأشخاص بالأدوار سواء على خشبة المسرح أو في الفيلم السينمائي.

وتقمص أشخاص من دم ولحم للأدوار المرسومة لشخوص وهمية يتصورها المؤلف مكمن القوة والحضور في الفيلم أو المسرحية ومنبع الانفعال والتأثير الكبير بين الممثل والمتفرج.

والتمثيل يرمي بذلك إلى تقديم عمل فني (جميل) له قيمة في شكل ممتع ومؤثر وموجه، فهو فن ينبغي أن يتصف بالجمال الذي يضمن له التأثير في نفس المتلقي، ووظيفته لا تقف عند التسلية أو الترفيه أو أن يكون نوعا من الزينة والزخرف، فلا بد أن يحقق وظيفة اجتماعية وحضارية، ويكون في نهاية الأمر أداة للبناء الاجتماعي والرقي الحضاري.

واقع التمثيل اليوم

إن نظرة موضوعية إلى واقع التمثيل اليوم سواء من خلال المسرح أو السينما تدل على أنه لا يمكن اعتباره وسيلة حضارية للتقدم وإصلاح حال المجتمع والمحافظة على طهارته وسلامته بل من الممكن أن نزعم أنه أضحى أداة هدم وإفساد وتخريب لا مثيل لها، سواء في ذلك نظرنا إلى مضمون الأعمال التي تمثل ومافيها من مخاطر عظيمة على شخصية المسلم ومجتمعه، بل على المجتمع البشري عامة، أو إذا نظرنا إلي حياة الممثلين الخاصة والعامة ومافيها من خروج على قيم المجتمع ودينه.

لقد أضحت أفلام السينما خاصة أداة جبارة مجنونة لمحاربة الفضيلة والعفة ولمدافعة التمسك بقيم الإسلام وتعاليمه، فالأفلام المسرحية جميعها تقريبا اختلاط

الإسلام والتمثيل

محرم وتبرج وعري وغناء مفحش وموسيقى ورقص وقصص مكشوف، وما يقع كثيرا في التمثيل بين الممثلين والممثلات مما لا يجوز إلا بين الأزواج، وكأنه يعطي دروسا في الفاحشة لم يبق معها للممثلين سوى أن يعرضوا على أنظار الناس منظر الفاحشة، وأظنهم فعلوها!!

إن أخطار الأفلام والمسرحيات يتسع ويتنوع، فهي أداة غزو ثقافي من الدول المتقدمة، وغزو اجتماعي تتصدع بتأثيره أركان المجتمع وتهدد اقتصاده سواء من خلال الوقت الطويل الذي يصرف في مشاهدتها أو الأموال الطائلة التي تنفق في إعدادها أو استيرادها.

بعض محاذير التمثيل

إن هناك عديدا من المحاذير التي يمكن أن نجدها في أي عمل تمثيلي قام حتى اليوم تقريبا إن أول هذه المحاذير هو الصد عن الحق والسقوط في الفتن، فالواجب خلو التمثيليات من أي تحريف للدين أو تشويه لحقيقته أو دعوة ظاهرة أو مستترة للخروج عليه.

ويجب ألا يكون هناك اختلاط

■ يحرم من فنون الأداء - كالرقص والمسرح - ما يصاحبه اختلاط وشرب ومعازف ونظر محرم وعري وإثارة للفتن



بين الـرجـال والنسـاء، وأن يمنع كل مـا يخدش الحياء أو يمس الأخـلاق الفاضلة فضلا عن أن يـدعو إلى فجـور وانحلال، كما يجب ألا تستخدم المعـازف المحرمـة، ولا يكون هناك غنـاء يحض على الرذيلة، ثم لا مجال على الإطلاق للرقص أو التبرج والعري.

ثم يجب ألا تمتهـن المرأة التمثيل لأنها مأمورة بالقرار في البيوت والاحتجاب عن الـرجـال وعدم إبـداء الـزينـة، ولا يمكن تمثيل الـرجـال أدوار النساء كما كـان في المسرح الإغـريقي والـروماني القـديمين والمسرح الصينـي في النصـف الأول مـن القرن العشرين، لأن الإسلام يحرم تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال.

وهناك أمـور أخرى يجب أن نحـذرها، وهـي أن دور العـــرض السينمائي والمسرحي صارت مأوى للدنس والفساد الخلقي المنكر، ومايحدث بين الممثلين من حلف بغير اللـه من أصنـام وغيرها فهـو شرك ومـايكون من زواج وطـلاق يقع لا محالة، فلا هزل في ذلك.

حكم التمثيل والمسرح

وبعد ، فقـد ذهب الباحثـون في التمثيل مذهبين: أحدهما: يـرفض التمثيل جملة، فهم ينكـرون عـرض الصور المتحـركـة ومشـاهـدتها في الأفـلام، ويستـدلـون بامتناع النبي ﷺ من دخول الكعبة حتى محى مـا فيها من صـور، وامتناعـه من دخول بيت عـائشة من أجل نمرقـة فيها تصاوير، وامتناعه من دخول بيت علي بن أبي طـالب لما رأى فيـه تصـاويـر، ويحكمـون بذلك أنـه لا يجوز مشاهـدة الصور في البيت ولا في السينما ولا دخول مكان تعرض فيه (٥).

والمذهب الآخـر يتمسك بـالتمثيل في محاولـة لبنـاء مسرح إسـلامي وفيلم إسـلامي، بل إن أنصـار هـذا المذهب يـدعـون إلى ضرورة ذلك، ويـرون أن التمثيـل في السينما والمسرح يمكـن أن يلعب دورا هـاما في الـدعـوة الإسلاميـة وبناء المجتمع الإسلامي، وتقديم البدائل العصرية للفن المستورد.

ومـا بين المذهبين تتسع المسافـة، وإن كنـا نـرى في النهـايـة ضرورة استثمار السينما والمسرح والتلفـزيون والفيـديـو والمذياع في نصرة الفكرة الإسلامية وتأكيد دعوتها في مـواجهة الفكـرة التغريبيـة في ديار المسلمين، إلا أنه لا يرجى لفن المسرح – مع ذلك – ازدهار في ظل الإسلام، فهو لا يستند إلى أصـول دينية عنـدنا، وذلك لأنـه نبت من جذور وثنيـة ثم تطـور مع الأيـام حتى استقل بنفسـه فصـار فنـا علمانيـا لا يخـضـع لـدين ولا يتـقيد بحدود ■

الهوامش:

(١) دار الفارابي، بيروت، ترجمة توفيق المؤذن.

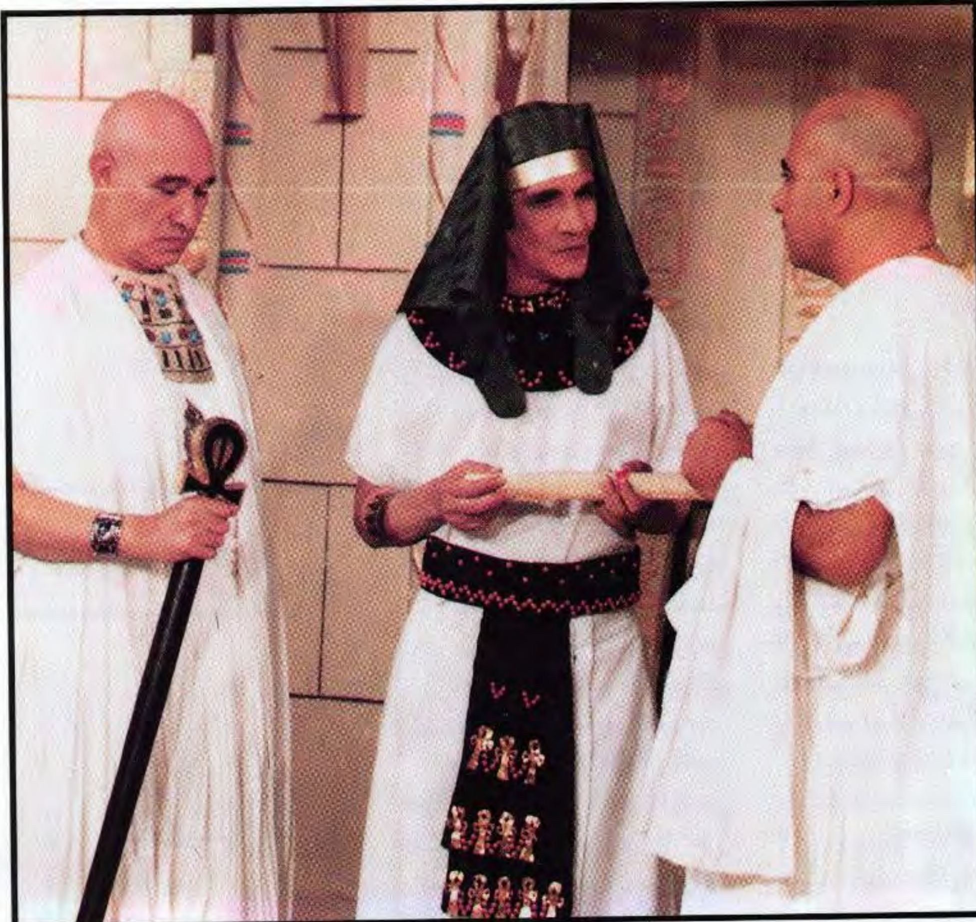
(٢) مجلة الناشر العربي، العدد الأول، يونيو ١٩٨٣، ص١٧.

(٣) المسرحية من خلال تجاربي الشخصيـة، جـامعـة الـدول العـربيـة، القاهرة، ١٩٦٤.

(٤) محمد غنيمي هلال، الأدب المقـارن، دار النهضـة مصر، القـاهـرة ، ١٩٧٧، ص١٧١.

(٥) انظر الإعلام بالرد على القـرضـاوي في كتـاب الحلال والحرام، صالح بن فوزان، ص١١١.

■ لم يحرّم الإسلام الفنـون الجميلـة لـذاتها، وإنما حـرّم منهـا مـا يفضي إلى الشرك



الأدب الإسلامي ودوره في الدعوة الإسلامية

بقلم: أبو علي حسن*

ينبع مفهوم الأدب الإسلامي من المفهوم الإسلامي للحياة، فبقدر اتساع هذا المفهوم تبلغ سعة التصورات التي يشتملها الأدب الإسلامي، بدءا من التصور الإسلامي للكون وللإنسان وللقيم، والعلاقات الاجتماعية، والوسائل والطرق للوصول الى الاهداف.

وإذا كانت الكلمة في المفهوم الإنساني منذ فترات الحياة الأولى للإنسان على الارض قد بلغت في شأنها قداسة عظمى، فكان للساحر - الذي يمتلك ان يحول الكلمة الى فعل مغير للأشياء - مكانة كبرى، بلغها من بعده الفيلسوف ثم الشاعر، لتكون الفترة التي جاء فيها الإسلام هي التي كان للشاعر فيها مكانته العليا بين أفراد القبائل، وهي الفترة التي بلغت قدسية الكلمة فيها أوجها، مماجعل الإرادة الإلهية حين تتحداهم بمعجزة، تكون معجزة مصاغة من كلمات - أعني آيات - هي القرآن الكريم. فكم تبلغ منزلة الكلمة، وقدسيتها عند المسلم؟

وإذا ادرك المسلم المعاصر هذه القدسية التي تحملها الكلمة، أصبح الأمر واضحا له، ليعرف كيف حوّلت كلمات هي [لا إله إلا الله محمد رسول الله] قوما من الاعراب الى هداة للعالم وللبشرية من بعد، ويعرف في الوقت نفسه الدور الذي يمكن ان يؤديه إحياء الإيمان في قلوب البشرية - وفي قلوب المسلمين أولا - والذي يمكن ان تتم اليوم عبر وسائل جديدة - هي ألوان الأدب والفن الإسلامي - وتكون ادوات لتوصيل فكرته، ليس فقط بديلا عن اسلحة الغزو المعاصرة، بقدر ماهي ضرورات معايشة الواقع والإخلاص في توصيل الفكرة.

والأمر - موجزا - أن الأدب الإسلامي هو تجلي المعاني القرآنية وتصوراتها للكون والحياة والناس، فهو وليد لحظات يسمو فيها المبدع على نفسه وقد اشرقت في صدره روح الإيمان [انظر :الأدب الإسلامي قضية وبناء د. سعد أبو الرضا.] فتجاوز الأهداف الدنيا الى المعاني العليا، واتصلت روحه بجوهر الكون والحياة..فكل ماحول الأديب، ومايصادفه يصلح موضوعات له، لأن الأصل في الاشياء الإباحة.. بلامصادمة لفطرة أو اعتداء على عقيدة.

بين الإسلام والأدب

ينطلق الفهم الصحيح للإسلام في التصور الإيجابي لكلمة (لاإله إلا الله) من ان هذا الدين منهج للحياة، فلاينحصر في عبادات فردية أو أذكار وقتية، بل ينطلق ليشكل مختلف جوانب الحياة للفرد والمجتمع.

وبين الإسلام والفن صلة قوية هي: الارتفاع بمستوى الإنسانية، لترقي الى مرتبة تشبه مرتبة الملائكة وذلك بعبوديتها لله، وتعبيد كل من في الارض من كائنات لله..في ضوء هذا رأينا الخصام بين الأدب - أو الفن - والاسلام خصاما مصنوعا، نتج عن فهم خاطيء لكل منهما..

وكان لمجيء الإسلام أيام مجد شعري تميز به العرب على مر السنين، أثر في إذكاء هذا المفهوم الخاطيء بتضاد الإسلام والشعر أو الفن، واستنادا لفهم جزئي وخاطيء لآية في سورة الشعراء أصبح الشائع عند قوم أن الإسلام شيء والشعر او الفن شيء آخر.

والحقيقة أن الآيات واضحة ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾الشعراء/ ٢٢٤، وماتحدثت عنه بعد ذلك في نظري لم تتحدث بذم الشعر ولا الشعراء، بقدر ماذمت أناسا خانوا أصلا أمانة الكلمة، وذموا أسمى مافي البشر من صفات تحلى بها رسول الله ﷺ وبناء على فعلتهم هذه أراهم قد خرجوا أصلا من أهل الشعر والقول الفني.. وماورد في الشعر من أحاديث مثل:

«لأن يمتلىء جوف احدكم قيحا خير من ان يمتلىء شعرا» [تفسير ابن كثير].

وغيرذلك من أحاديث لاتعطي اي مفهوم للشعر، لانها قيلت في مناسبات واحداث موقوتة بوقتها، تفهم في إطارها، ولايصح ان تفهم فهما عاما إلا لمن حرم نعمة التفكير المنظم، وإذا كان القول على الشعر هنا، فإنه ينسحب على كل شيء آخر - فيما يبدولنا - يمكن ان يستولي على كيان المرء فيمنعه عن صلاة أو ذكر لله.

وهذا الفن المسرحي - احد ألوان الأدب - قيل فيه كثير من الأباطيل التي لاتثبت أمام التحليل الدقيق، خاصة فيما يتعلق بقضية الصراع (الدراما) حيث حصروه في آلهة اليونان ومايجري بينها من صراع أو بينهاوبين البشر، والتصق ذلك بأساطير المسرح اليوناني..

وأغفلوا جوانب للدراما الرائعة عالية القيمة في حياة المسلم نفسه فقال بالخصام بين الإسلام والمسرح.. ان في قصص القرآن - كقصة يوسف عليه السلام، وكقصة السيدة مريم - أبعادا اخرى من الصراع؛ لكنه صراع إيماني بين الخير والشر، والماضي والحاضر، والزمان والمكان[انظر: القرآن والقصة القصيرة محمد كامل يوسف المحامي، القرآن ونظرية الفن: حسين محمد علي]

وغير ذلك ممايدير عملية الصراع من خلال مفهوم إيماني يولد طاقة هائلة عند الفنان أو

*ماجستير في النقد الادبي - وصحفي مصري

الأديب. والأمر في خلاصته أن للإسلام والأدب رسالة واحدة هي الارتفاع بمستوى الإنسان الى مقام عال، وتزكية جوانب الخير فيه، ووأد جوانب الشر، وقيادة الروح العامة لجمهور البشر الى الخيريقربهم من الله، ويبعدهم عن الشرو مايقربهم من النار.

بين الأدب والدعوة

إذا كان للكلمة أثرها بما تحمله من قدسية، ودلالة عبر قرون طويلة، فإن الأدب الإسلامي يحمل في مضامينه – وهو أصلا مكون من كلمات – فكرا وتوجيها يمكن ان يغيرا من حياة الأفراد.

سئل (سلاكرو) عن السبب في تشبثه بالمسرح فأجاب (أحب المسرح لانه يعطي حقيقة مرئية لما خلقه روحي، ولأنه معبر بين أفكاري وبين الأشياء التي تلمسها يداي.. وعلى الاقل أستطيع ان ارى كيف تتحول اقوالي الى انواع من السلوك، حتى ولو كان هذا السلوك لايقوم به جسمي).

[انظر ليالي الغضب ترجمة أنيس فهمي: عن (المأسورون) د. عماد الدين خليل]

وقول سلاكرو يمكن ان يشير الى شيء مما يستطيعه الأدب في حياة الفرد.

والأدب – الذي يمكن ان نطلق عليه الأدب الاسلامي – أدب هادف، بمعني انه يدعو بطبيعته الى كل قيم الإسلام وأفكاره، فإذا كان الحديث الشريف يقول: [كل مولود يولد على الفطرة،

فأبواه يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه] فإن الأبوين الحقيقيين اليوم لكل مولود هما وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة التي تتسلم المولود وتحاصره بكل ماتملك من وسائل التأثير وبث الافكار.

ومن ناحية اخرى نرى رسول الله ﷺ لم يترك سبيلا للتأثير على النفس الإنسانية إلا استعمله، فهو مع رجل يقول له: نعم فلان لو أقام الليل، ومع آخر يأمره: لاتغضب، ومن هنا تأتي أهمية استخدام الوسائل غير المباشرة في إيصال الفكرة الى الاخرين، وفي أحيان أخرى يهيىء الموقف لما يقول: «ماتظنون اني فاعل بكم» وفي مناسبة غير تلك يقول: «ياعلي اصنع لنا طعاما» استعدادا لإبلاغ قوم بدعوة الإسلام...

ويمكن في هذا الإطار ان يقوم الداعي الى الله باستخدام مختلف الألوان الفنية والأدبية لتوصيل دعوته: فإلى هذا يعطيه قصيدة، والى ذلك مسرحية، والى ثالث قصة قصيرة.

ويستطيع الأخ الأديب في هذا ايضا ان يقدم لنا علاجا لقضية إنسانية أو اجتماعية أو اقتصادية من خلال عمله الإبداعي، فلا تطغى جوانب الشر على تصرفات أفراد عمله الأدبي ولايذكي نار البغض أو العدواة بين الأفراد الذين يكونون عمله، أو يجعل بطله هائما يعيش في سراب، او يجعل بطله الحامل لقيم الخير يسقط في النهاية.. الى غير ذلك مما يستطيعه الأدب الإسلامي من تأثير في حياة قارئه، مما يساهم في مسيرة الدعوة الإسلامية الى البشرية.

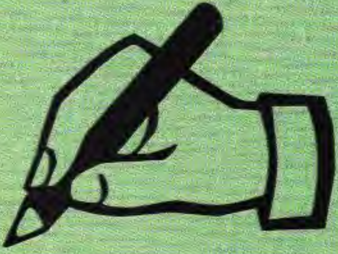
بين الأدب والمجتمع

الأديب المسلم، وهو يمارس دوره في المجتمع يدرك جيدا خطورة الأمانة التي حمل اياها، فهو (مسؤول عن بناء مجتمع نظيف، مجتمع يقوم في أساسه، وجميع مراحله على الإسلام، يأخذ المادة من الحياة، ولكنه يبنيها بالطريقة السليمة كما علمه الاسلام [انظر: في الادب الإسلامي المعاصر. محمد حسن بريغش]. وفي عصرنا الحاضر

الذي يملك فيه أعداء الإسلام قيادة التوجيه الفكري في مختلف بلاد المسلمين، فإن دور الأدب الإسلامي هو محاولة رأب الصدع الذي أحدثته الأفكار الهدامة في مجتمعات المسلمين أولا، ونعني بذلك التصدي لكل مدع للفن وللفكر، ولكن ذلك لايأتي فقط بكشف خبثهم بقدر مايعتمد على النقد الإيجابي او الابداع الصحيح في مجالات الأدب والفن، لتكون أعمال الأدباء الإسلاميين هي الرد العملي على هذه الأفكار والمعتقدات الهدامة.

ومن ناحية اخرى فإنه لاينبغي ان يقتصر دور الأدب الإسلامي، ولاالأديب المسلم على رصد الواقع ومعالجته مهما كانت خطورته وأفكاره الشيطانية، ففي هذا استنفاد للجهد في حالة الاكتفاء به، لكنه مع أهمية ذلك فإنه لابد ان يتبع بإبداع إيجابي في مختلف مجالات الفكر الإنساني؛ في القصة والمسرحية والقصيدة، وفي أشكال اخرى قد تكون غريبة من حيث المنشأ على المجتمع الاسلامي اصلا، لكن المسلم لايغلق نفسه على باب يستطيع ان يؤثر من خلاله على مجتمعه، والإنسانية جمعاء، مادام بعيدا عن الحرام، ويمكن ان ينطبق ذلك على المسرح، فهو مع وجود مقوماته وبعض مظاهره في بلاد المسلمين على مر التاريخ، فإن إبداعه قد نشأ في بلاد اليونان. إن الدور الفعال للأدب والفن الإسلامي في حياة المجتمع يمكن إدراكه ببساطة من خلال الأثر الهدام الذي يقوم به الفن والأدب الهابط في بلاد المسلمين اليوم، وإذا وعى المسلمون: أدباء وأفرادا، الى حقيقة دور الأب الإسلامي، لتعاونوا جميعا على وجوده وتشجيعه وتطويره، مما يقرب من يوم منشود يقدم فيه الأدب إرهاصات المجتمع الإسلامي: ذلك هو الأمل المطلوب□

■ يحمل الادب الاسلامي رسالة ملتزمة نافعة، بخلاف الادب الرخيص والهابط



■ ينطلق الفهم الصحيح للإسلام من التصور الإيجابي لكلمة التوحيد

■ تعتمد الثقافة الاسلامية بشكل أساسي على القرآن الكريم والسنّة الشريفة

الثقافة الإسلامية

اهميتها وخصائصها وغاياتها

بقلم الأستاذ: راغب محمد السعيد

تتعدد وتتباين التعريفات التي تناولت الثقافة بمفهومها العام إلى حد كبير، فيعرفها علماء الاجتماع بأنها عبارة عن (الأنماط الذاتية لتغيير السلوك الإنساني المكتسب)، ويعرفها علماء التربية بأنها (مجموعة الأفكار والمثل والمعتقدات والعادات، والمهارات وطرق التفكير، وأساليب الحياة، والنظام الأسري، وتراث الماضي بقصصه ورواياته، وطبيعة المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الواحد) (١).

بيد أنه يوجد تعريف شامل للثقافة بأنها (مجموعة من الخصائص والصفات المكتسبة على مر الأيام تكسب الإنسان سلوكا مميزا يتفوق به على ماعداه نتيجة تطور عضوي وعقلي واجتماعي ووجداني) (٢) ويقودنا هذا التعريف إلى محاولة تحديد مفهوم الثقافة أو ماهيتها في الإسلام.

ماهية الثقافة الإسلامية

في الواقع، لا يوجد تعريف واحد نهائي للثقافة الإسلامية، فالبعض يرى أنها (طريقة الحياة التي يحياها المسلمون في جميع مجالات حياتهم وفقا للإسلام وتصوراته) (٣) وبذلك تشمل الثقافة الإسلامية العلم والعمل والفكر والسلوك القائم على الإسلام وتعاليمه وتوجيهاته. ويرى البعض الآخر أنها (الصورة الحية للأمة الإسلامية) (٤) فهي شخصيتها وقوام وجودها، وعقيدتها التي تؤمن بها ومبادئها التي تحرص عليها ونظمها التي تعمل على التزامها، وتراثها الذي تخشى عليه من الضياع، وفكرها الذي تود له الذيوع والانتشار (٥).

في حين يرى فريق ثالث أنها (مجموعة الصفات والخصائص النفسية والعقلية والفكرية والخلقية والسلوكية التي تتميز بها الشخصية الإسلامية، المكتسبة من معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة. ومقومات الدين الإسلامي، والمستفادة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، واجتهادات العلماء والمفكرين، والمتفاعلة مع واقعنا المعاصر تأثيرا وتأثرا) (٦).

والواقع، اننا لا نسعى إلى استقصاء كل التعريفات التي تناولت تعريف أو توصيف الثقافة الإسلامية، بل إلى محاولة تحديد ماهيتها، وصولا إلى بيان خصائصها وغاياتها. ومن ثم، فإننا لن ننتصر لتعريف على آخر في هذا المقال، ولكن نكتفي بالإشارة إلى أن التعريف الذي ذكر الفريق الثالث للثقافة الإسلامية هو عبارة عن (أسلمة) للتعريف الشامل للثقافة – في مفهومها العام – الذي سبقت الإشارة إليه.

خصائص الثقافة الإسلامية

تتميز الثقافة الإسلامية عما عداها من ثقافات بعدد من الخصائص والمقومات، التي لا مجال للحديث عنها دونها، وفيما يلي أهمها:

أولا: تعتمد الثقافة الإسلامية على القرآن الكريم والسنة الشريفة، وبالتالي فإنها عامة وشاملة، تستهدف نشر العدل ومعاني الاخوة بين كافة الأجناس البشرية والفئات المختلفة. ويؤكد ذلك تأثير الجانب العقدي على مختلف جوانب الحياة في الإسلام، سواء السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو الأخلاقية، أو غيرها.

ثانيا: تتميز الثقافة الإسلامية بالواقعية، حيث توازن بين الفرد والمجتمع، فلا تركيز على الفرد، ولا إهدار لكرامته، كما أن التكافل الاجتماعي في الإسلام يقوم على أساس من الاخوة الإيمانية.

ثالثا: تقوم الثقافة الإسلامية أساسا على التوازن والموازنة والاتزان حيث تعترف بأن طبيعة الإنسان مادية وروحية، وواقعية ومثالية فليس جسدا خالصا ولا روحا خالصا (٧).

رابعا: الثقافة الإسلامية مرنة ومتطورة، وأساس ذلك أنها مستمدة من القرآن الكريم،

الصالح دائما لكل زمان، ولكل بني الإنسان في كل مكان.

خامسا: إن الثقافة الإسلامية ضرورية للمسلم المعاصر، لمحاربة الاحتلال الثقافي والغزو الفكري المتمثل في نشر المذاهب الهدامة والتصورات الباطلة، ولتقديم الفكر الإسلامي الأصيل، وإبراز تجربته الرائدة للعالم كله بوصفه فكرا قويا، وللحفاظ على ذاتية المسلم وهويته فكرا وسلوكا، وللرجوع بالمسلمين إلى تطبيق الإسلام تطبيقا واعيا كما كان في صدر الإسلام، وأخيرا - وليس آخرا - للتفاعل مع عالم اليوم الذي يحترم من يصارعه ويقف في وجهه، لا من يقلده ويحذو حذوه.

غايات الثقافة الإسلامية

ليس من قبيل التبسيط الشديد أو الإيجاز المخل، القول بأن غايات الثقافة الإسلامية إنما تتمحور أساسا حول: (الأصالة) و(المعاصرة). بمعنى الجمع بين الثبات الذي يمنحها الاستقرار، وبين المرونة التي تواجه بها سير الزمن وسنة التطور، فلا تتخلف عن ركب الحياة المعاصرة.

ومع ذلك، فإنه يمكننا أن نرصد الغايات التالية للثقافة الإسلامية (٨):

أولا: بناء التصور الإسلامي الصحيح، على نحو تتضح منه وفيه ومعه النظرة الكلية الشاملة للحياة، وكل ما يدور فيها من أنشطة مختلفة في شتى المجالات، السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والحضارية، والفكرية، وغيرها.

ثانيا: أن يكون هذا التصور من خلال تجربة الإسلام الحضارية الرائدة، مع عرض واقع المسلمين، وما أصابهم في عهود الضعف والتخلف، وواقع الاحتلال الثقافي، والغزو الفكري والسياسي والاجتماعي الذي حل بهم، مع بيان العبرة من ذلك، حتى تتم الاستفادة من تلك الخبرات السابقة بشكل كامل، وعلى نحو عميق.

ثالثا: محاولة سبر أغوار العلوم والمعارف على اختلافها، سواء العلوم التجريبية الحديثة أو العلوم الإنسانية.

رابعا: محاولة التوفيق بين حقائق الدين والعلم، والعمل على وحدتهما، وذلك من أجل غاية سامية ونبيلة، ألا وهي ترشيد العلم سعيا إلى خير ونفع وصالح البشرية جمعاء، في الدنيا والآخرة.

خامسا: إحياء الانتماء إلى الإسلام وأمته، تلك الأمة التي كانت خير أمة أخرجت للناس، وذلك من خلال تزكية روح العمل بمبادئه، وبيان دوره الأساسي والواضح والكامل، في علاج ذلك الواقع الأليم الذي آل إليه حال الأمة الإسلامية في العقود الأخيرة.

سادسا: التبشير بالإسلام، والدعوة إلى مبادئه وأسسه وتعاليمه، وغاياته، من أجل خير الفرد والأسرة والمجتمع والأمة والإنسانية بأسرها.

سابعا: التحذير من الشرك والضلال والشر، والبعد عن تعاليم الإسلام، والإفراط في المعاصي والذنوب.

ثامنا: بناء المجتمع المثالي المنظم، وصولا إلى (الدولة العالمية)، من خلال إرساء الأسس والخصائص والمقومات، النظرية والعملية، والعمل على تطبيقها، بعد التمهيد الكافي لذلك، حتى لا يكون مصيرها مثل مصير (اليوتوبيا) أو المدينة الفاضلة؟

ومن ثم، فالثقافة الإسلامية يمكن أن تقوم بدور بارز في تطوير الأساليب، والوسائل لتطبيق الأحكام الشرعية والقواعد الثابتة التي لا تختلف باختلاف العصر والمجتمع□

هوامش

(١) د. محمود شفشق وآخرون، التربية المعاصرة، ص ٣٩.

(٢) د. محفوظ عزام، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص١٧.

(٣) صالح هندي، دراسات في الثقافة الإسلامية ص١٩.

(٤) عمر الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٣.

(٥) د. حسن عيسى عبدالظاهر وآخرون، بحوث في الثقافة الإسلامية، ص ٢٠.

(٦) د. محفوظ عزام، المرجع السابق، ص٣٠.

(٧) د. حسن عيسى عبدالظاهر وآخرون، المرجع السابق، ص٢٢.

(٨) د. أحمد العسال، مادة الثقافة الإسلامية أهدافها وأبعادها، مجلة المسلم المعاصر، عدد ١٥/١٩٧٨، ص١٥٣ (بتصرف).

■ تتمحور غايات الثقافة الإسلامية حول الأصالة والمعاصرة

الاعتداء على التراث بدعوى التحقيق

بقلم الاستاذ: محمد نجيب لطفي

لشد مايؤلمني ويؤسفني ويقض مضجعي ويحزنني ذلك الاعتداء الصارخ الرهيب على تراثنا الاسلامي العظيم، وذلك بدعوى التحقيق حيث لاتحقيق إلا الدعوى ويالها من دعوى ومما لاشك فيه أننا نملك تراثا إسلاميا عظيما تحلم الأمم الأخرى.بأن يكون لها مثله، وهذا التراث ينبغي أن يكون في مكانة إنسان العين من العين، وهذا أمر بديهي لأن الحاضر عندنا امتداد للماضي، فلا انفصام بينهما ولاخصام. وفي مجال العلوم الإسلامية والفكر الإسلامي نجد اللاحق فيهما يعتمد على السابق ولذا عظم تراثنا وعظمت الحاجة إليه دائما. ومنذ فترة ليست بالقصيرة دأب الكثيرون على إخراج بعض كنوز التراث لترى النور بعد أن كانت حبيسة تنعدم فائدتها بالكلية.

وهذا العمل من أجل الأعمال وأعظمها ولكن المنزلق الخطير الذي يقع فيه بعض الأفراد، بل وبعض المؤسسات وللأسف الشديد هو ادعاء تحقيق كتب التراث دون صحة ذلك، فالتحقيق عمل علمي شاق ومثمر.. له قواعده وأصوله ومناهجه وأسسه التي يقوم عليها، وبدون ذلك فادعاء التحقيق أمر عجيب وخطير، فالمثقف المسلم حينما يذهب إلى المكتبات لشراء الكتب يجد من زعم التحقيق قد وضع اسمه في مكان بارز على صدر الكتاب وبصورة قد تخفي معها المؤلف الأصلي فإذا قلب صفحات الكتاب لم يجد شيئا ممازعمه المحقق سوى ادعائه التحقيق وكتابة اسمه بخط كبير وفي مكان بارز على صدر الكتاب، وهذا العمل فيه غش وتدليس وفيه تجن واضح على العلم والأصول والمنهجية والقواعد، والأمر بهذه الصورة يستحق الوقوف بكل قوة وحسم في وجه من تسول له نفسه ادعاء التحقيق»(١).

■ التحقيق عمل علمي شاق ومثمر له قواعده وأُصوله ومناهجه وأسسه

كيف يكون عمل المحقق في التراث الإسلامي؟

للمحقق في التراث الإسلامي أعمال ومهام لابد من القيام بها على أكمل وجه ممكن وإلا كان مازعمه تحقيقا دعوى لادليل عليها وقبل أن نذكر تلك الأعمال وهاتيك المهام نذكر أمرا وهو خاص بالكتاب المراد تحقيقه حيث ينبغي أن تكون هذه الكتب من الكتب المفيدة النافعة التي يترتب على تحقيقها ونشرها خير عظيم ونفع عميم للمسلمين، وألا تكون من الكتب التي في تحقيقها ونشرها جرم كبير وشر مستطير والتي تفسد عقائد المسلمين وتنشر بينهم البدع والخرافات وكذلك تحمل أفكارا دخيلة وعقائد غريبة.

وأما عن أعمال ومهام المحقق في التراث الإسلامي. فهي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال مايلي:-

١- التأكد من نسبة الكتاب إلى صاحبه، وإغفال ذلك قد يترتب عليه نسبة كتاب الى غير مؤلفه الأصلي و في ذلك من الظلم والغبن والإجحاف مافيه بالنسبة للمؤلف الحقيقي، ويعرف ذلك بأمور منها.

أ- أن تكون النسخة كاملة وفيها اعتراف من المؤلف نفسه يوضح ذلك .

ب - أن يشير المؤلف الى مؤلفه هذا في مؤلفات أخرى له

جـ - أن يجمع جمع غفير من العلماء الموثوق فيهم على نسبة الكتاب إلى مؤلفه

د- أن يتشابه أسلوب الكاتب ومنهجه في الكتاب المحقق مع أسلوبه ومنهجه في الكتب الأخرى التي هى من تأليفه وتصنيفه.

٢ - الاجتهاد للتعرف على نسخ الكتاب المراد تحقيقه ثم اقتنائها، ومقابلتها ببعضها للوصول الى أدق النسخ وأفضلها والاستفادة من الزيادة الصحيحة هنا وهناك والوصول بالعمل المحقق إلى أكمل صورة ممكنة.

٣- وضع مقدمة كافية في صدر الكتاب المحقق تعرف بالمؤلف وبمؤلفاته المنشور منها والمخطوط وبمنهجه في الكتابة وبالمدرسة الفكرية التي ينتمي إليها، وكذلك بالكتاب موضوع التحقيق، وتكون المقدمة الخاصة بالكتاب تعريفا عاما بالكتاب المحقق ومدخلا لقراءته وفهمه، ويوضح فيها كل ماقام المحقق بعمله حتى يكون القاريء على بينه مما فعله المحقق على أن يكون في ذلك أمينا وصادقا حتى لايدلس على القراء ولايغرربهم، والكلام في هذه النقطة واسع جدا نكتفي منه بما أجملنا.

٤ - استفراغ الجهد في تصحيح الأخطاء الواردة في المخطوط سواء الأخطاء اللفظية أو الموضوعية ويتطلب ذلك كما أسلفنا مقابلة

النسخ على بعضها والخروج منها بأصوبها كما يتطلب الاستعانة بمعاجم اللغة الى جانب المراجع الموضوعية الخاصة بموضوع الكتاب نفسه، وينبغي ألا يتهاون في ذلك مهما كلفه من عنت ومشقة وإلا فليترك الأمر لذويه وأهله.

٥- تخريج الآيات القرآنية الكريمة وضبطها وهذا من أيسر مايمكن، وعلى الرغم من ذلك تجد من يزعمون التحقيق لايقومون بذلك بالرغم أن ذلك لايكلفهم سوى النظر في المصحف لتحديد رقم الآية والسورة التي تضم تلك الآية، ويضاف الى ذلك شرح غريب الألفاظ الواردة في الآيات، وهذا العمل يسير أيضا فما أكثر الكتب التي ألفت في غريب القرآن وهى موجودة ومتداولة يستطيع المحقق أن يحصل عليها بسهولة جدا.

٦- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة وتحقيقها وضبطها، وهذا يتهاون فيه الكثير ممن يدعون التحقيق ويزعمونه، وتهاونهم هذا قد يصل الى حد رهيب فبعض الكتب التي زعم تحقيقها لاترى فيها حديثا واحدا مخرجا فضلا عن التحقيق، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة يحتاج الى جهود ضخمة وبحث واستقصاء ولذلك نرى التهاون فيه أكثر والتخريج يكون بنسبة الأحاديث النبوية الشريفة الى مخرجيها من خلال دواوين السنة المعتمدة وقد يقع بعض المحققين في أغلاط فاحشة حيث يكتفون بمجرد التخريج وعلى الرغم من أنه جهد ضخم إلا أنه لايفي بالغرض أحيانا فيحتاج الى التحقيق وهو التأكد من صحة الحديث من عدمه والتحقيق أيضا يحتاج الى جهود ضخمة لاتقل في بعض الأحايين عن جهود التخريج بل تزيد في أكثرها ، لذا فإن مايفعله بعض زاعمي التحقيق من ترك الأحاديث الواردة في الكتاب المحقق دونما تخريج وتحقيق وهذا غش وتدليس وظلم وجور.

ثم — لابد بعد ذلك — من شرح غريب الحديث وكذلك شرح مالابد منه وماتستلزمه الحاجة، وكل ذلك يحتاج الى كتب شرح الحديث عامة وشرح غريبه خاصة.

٧- تخريج الآثار إذا كان الكتاب المحقق من كتب الآثار، وذلك بنسبة هذه الآثار الى قائليها من صحابة أو تابعين أو أئمة أو علماء ليكون القاريء على بينة من قائل الأثر فلايحدث عنده خلط أو لبس

٨— التعليق على النصوص بما تستحقه وبما يجعل المراد منها غير مستغلق أومبهم، وهذا يحتاج أيضا الى جهد ضخم فإذا كان كتاب حديث احتيج إلى كتب الحديث الخاصة بموضوعه ،وإذا كان كتاب أصول احتيج إلى كتب الأصول الخاصة بموضوعه، وكذلك في الفقه والتفسير والتوحيد وكل العلوم، بل وكل موضوعات التراث .

٩- عمل فهارس شاملة للآيات والأحاديث والآثار والأعلام والمراجع وموضوعات الكتاب على ألايكون ذلك تقليديا، وهذه الفهارس تخدم القاريء وتقدم له خدمات جليلة وتوفر عليه كثيرا من الوقت والجهد.

وبعد فقد أوردنا بعضا من المهام والأعمال التي تناط بالتحقيق، والتي من الواجب على المحقق أن يأخذ بها ولايدعها، وأما ماتقذف به المطابع ودور النشر مما زعم تحقيقه دون مراعاة ماذكرنا فلايجوز بحال من الأحوال، وأما مايأخذونه من أموال نظير زعمهم التحقيق فهو حرام وسحت وأكل للأموال بالباطل.

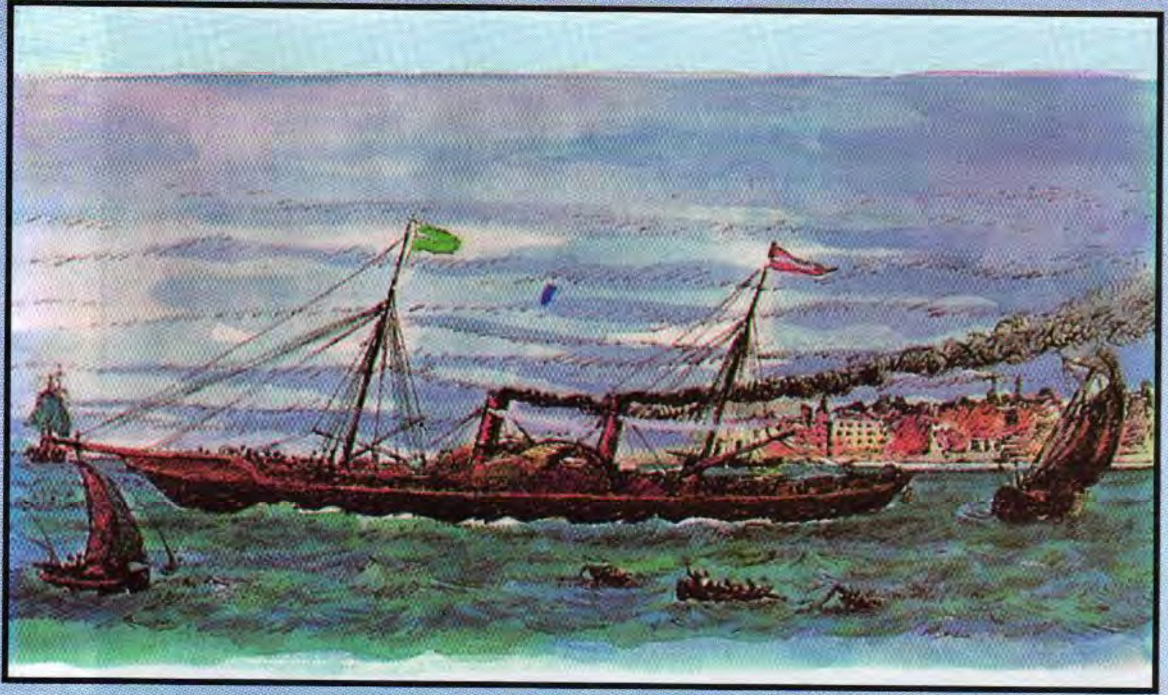
بقى ان نذكر القاريء الفطن بتحري الدقة حتى يفوت على هؤلاء الفرصة وحتى يضمن لنفسه القراءة وفق المنهج القويم السديد. وبين يدي عشرات من الكتب التي زعم اناس لاخلاق لهم تحقيقها ، والتحقيق في مذهب هؤلاء هو السطو والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل بل والعجيب عند هؤلاء زاعمي التحقيق هو وضع أسمائهم بخط كبير بارز يكاد يلتهم الغلاف ووضع اسم المؤلف المسكين بخط لايكاد يقرأ إلا بعد إمعان نظر. فهل يستحي القوم؟! وهل يرعوون؟!نسأل الله ذلك «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»□

هوامش

١— انظر مقالنا: « هل هذا تحقيق ؟!» بمجلة منار الإسلام عدد ذي الحجة ١٤٠٧هـ



■لابد من استفراغ الجهد في تصحيح الاخطاء الواردة في المخطوط سواء الاخطاء اللفظية او الموضوعية



أشهد الله أن ما أقصه عليكم واقع صرف. لا أثر فيه لخيال القاص، ولا تدخل فيه بأحكام الصنعة إلا باختيار مايفيد القصة من أحداث دون غيرها..

ظلمات البحر!

بقلم الأستاذ :
رجب سعد السيد

لم يكن ركوب البحر غريبا عليّ، فقد سبق لي أن قمت برحلات عديدة عل ظهر سفن كبيرة أو قوارب صغيرة بمحركات. كان ذلك في مياه البحر المتوسط الذي اعتدت عليه. أما الآن، فها هي ظروف العمل تضعني في أول مواجهة مع البحر الأحمر، أو بالأحرى خليج السويس. فعلينا، بعد دقائق قليلة، أن نركب قارب الأبحاث الخاص بمحطة علوم البحار بالغردقة، ونتحرك شمالا، لندرس أحوال البيئة البحرية في بعض المواقع الساحلية، وحول بعض الجزر في مدخل الخليج.. فأنا أحد أفراد فريق قدّر له أن يتحمل مسؤولية تتبع ورصد ما جنته أيدي البشر على صحة ماخلقه الله متزنا من يابس وبحر وهواء، فأوقعت به الفساد. ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ ٤١/ الروم.

لا أخفي عليكم.. كان بعض الخوف يساورني فالقارب متواضع جدا، ويدفعه محرك متهالك، وبحارته مثله، لا يوحي مظهرهم بالثقة في مهاراتهم وخبراتهم. غير أن أكبر مصدر للخوف كان البحر الأحمر ذاته، بما سمعته وقرأته عنه.. متقلب غير مستقر، وإذا ثار قسا، فلا تأخذه رحمة بالسفن الكبيرة، فما بالك بقاربنا الخشبي الذي لا يزيد طوله عن عشرة أمتار؟!

أوشك القارب أن يتحرك، وكان عليّ أن أقفز - باسم الله - من فوق رصيف المحطة، إلى القارب المهتز. وقرأت الآية الكريمة من سورة الشورى ٣٢ - ٣٥: ﴿ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام. إن يشأ يُسْكِن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور. أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير. ويعلم الذين يجادلون في آياتنا مالهم من محيص﴾. وتمتمت: اللهم أنت أعلم بحالنا، فلا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ويسر لنا أمورنا، واهدنا في ظلمات هذا البحر، وحقق لنا الأمن والبشر بين يدي رحمتك.

كان علينا أن نسير طويلا حتى نصل الى أول موقع. ولكن الأمر كان خارج كل تقدير.. فقد بدأنا الرحلة في التاسعة صباحا، ولم نتمكن من الوصول إلى الموقع إلا في الثالثة بعد الظهر، ليس لطول المسافة، أو لأننا ضللنا الطريق، ولكن لبطء القارب. أصابنا الضيق، وحاول زميل من الفريق العلمي أن يعنف رئيس البحارة، فمنعته، وقلت له إن ليس علينا إلا أن نرضى بما قسمه الله لنا، وأن نبدأ العمل حالا.

وفعلا، بدأت أجهزتنا تعمل، فتمسح القاع، وتجمع العينات والنماذج من المواد المترسبة فوقه ومن المياه ومن الكائنات الحية، ثم انتقلنا إلى موقع ثان، فثالث. وشغلنا العمل تماما، فلم نلتفت إلى موعد الطعام، كما فاتنا أن نقدر الوقت بدقة، فكانت الشمس تأفل، وكان علينا أن نتحرك في اتجاه الشاطىء، لنصله قبل الغروب، وإلا واجهنا المتاعب.

إن كلمة متاعب تقصر عن استيعاب هول ما عانيناه. لقد وصلنا إلى الشاطىء بعد أن غابت الشمس بأكثر من ساعة. وظللنا نفاوض جنود حرس السواحل ليسمحوا لنا بالنزول إلى اليابسة للمبيت. فأبوا، التزاما منهم بأوامر قادتهم التي تبيح لهم إطلاق النار فوراً على أي جسم متحرك يقترب من الشاطىء بعد الغروب، ودون التحقق منه. أظهرنا لهم مالدينا من أوراق رسمية، فاتضح انها ناقصة بعض الاعتمادات. وحتى لو كانت كاملة التوثيق، فإنهم لم يكونوا ليسمحوا لنا بالاقتراب من الشاطىء وقد تأخر بنا الوقت.

كنا مدركين لسلامة موقفهم، فهم يتمسكون بإجراء هدفه مقاومة نشاط تجار ومهربي المخدرات والسموم البيضاء، وهو هدف نبيل نُجلّه، ولم يكن تفاوضنا معهم أكثر من محاولة يائسة، البديل لها هو مواجهة المجهول في بحر متقلب، وبإمكانات هزيلة، في ليلة غاب قمرها!

وهكذا، ابتعدنا عن المخفر الذي كان جنوده كرماء معنا فلم يرمونا بالرصاص، وتركونا نرجع لنواجه الظلام في مياه تتناثر فيها الشعاب المرجانية.

اعتلى بحار ضئيل الجسم ظهر مقدمة القارب، وطلب إبطاء السرعة إلى أدنى حد ممكن، وأخذ يوجه «ماسك الدفة»، معتمدا على خبرته بممرات المياه وبقع الشعاب ذات الأطراف المدببة التي تقبع على بعد سنتيمترات قليلة تحت سطح الماء. وكان عندما يقول: «غزير!» يعني أن المسافة بين بطن القارب والشعاب كبيرة، بما يكفل المرور فوقها بأمان.

كنا نأمل في الوصول إلى جزيرة صغيرة أجمع البحارة على أننا نسير في اتجاهها. ولكننا كنا نوغل في البحر والظلام معرّضين للغرق في كل ثانية تمر. كنا لا نرى أمامنا إلا لمسافة متر واحد أو يزيد قليلا أمامنا وبالرغم من أنني أحفظ جيدا سورة الأنعام، وفيها الآية الكريمة /٦٣: ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾.. إلا أنني لم أكن أتصور معنى «ظلمات البحر» كما عشتها في تلك الليلة!

الجزيرة

وكانت الساعة تقترب من العاشرة، حين استطعنا أن نميز في ظلام البحر خطاً أسود غير بعيد عنا، كان هو الجزيرة المرجوة!

قال رئيس البحارة : لن نستطيع أن نتقدم أكثر.. سنلقى المرساة هنا.. المسافة إلى الشاطىء لا تزيد عن ثلاثين متراً، والعمق أقل من قامة الرجل..

الحمدلله الذي هدانا إلى بر آمن: ﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون﴾ ٦٣/النمل.

وبالرغم من أننا كنا لانزال غارقين في ظلام الليل، ولايزال قاربنا عائما بنا في الماء، إلا أنني أحسست بأننا خرجنا – بفضل من الله – من ظلمات البحر!

كان علينا – إذن – أن ننزل من القارب، ونخوض في المياه – على أقدامنا – إلى شاطىء الجزيرة، حاملين احتياجات ليلتنا من طعام وغطاء. تركزت حواسنا في أقدامنا التي كانت تتقدم بحذر، فلا تدوس الشعاب ذات الحواف القاطعة. وكان الماء يقترب من مستوى صدورنا، فنضطر إلى رفع ما نحمله من متاع إلى ما فوق رؤوسنا. وبالرغم من كل الحرص، فقد اختل توازن بعضنا، وفقدنا كميات كبيرة من الطعام وبعض الأغطية، سقطت في المياه السوداء.

وما ان استقرت قدماي على أرض الجزيرة حتى توجهت إلى الله في صلاة شكرا وحمدا لله أن منع عنا الضُرّ وهدانا في ظلمات البحر.

التهمنا ما نجحنا في نقله من طعام. وأشار بعضنا إلى احتمال وجود حيوانات برية في الجزيرة. ولم يكن لدينا جهد للبحث في مسألة أمن الجزيرة، ودفعنا الإرهاق دفعاً إلى التدثر بالمتاح من أغطية.

أيقظنا ضوء الشمس الوليدة، وصيحات طيور البحر!

كانت الأرض التي وفقنا الله في الوصول إليها بالأمس جزيرة مستطيلة، صغيرة بحيث يمكن للعين أن تحيط بأبعادها دون جهد، مسطحة، خالية إلا من مبنى صغير شبه مهدم.. لم يكن يسكنها سوى هذه الأسراب من الطيور البحرية التي كانت تحلق فوقنا وتكاد تنقض فوق رءوسنا.. واتضح لنا أننا وطأنا الجانب من الجزيرة الذي تنتشر فيه أعشاشها وبها صغارها.. هي، إذن، صاحبة حق في احتجاجها الشديد على اقتحامنا لأرضها. ولفض الاشتباك بيننا، انتقلنا إلى الجانب الآخر من الجزيرة، فخف نشاطها، وإن بقي بعضها يرقب تحركاتنا ويتتبعنا عن كثب... ويبدو أنها كانت خبيرة بتصرفات آدمية سابقة، علّمتها ألا تأمن لبني آدم!

لم نجد ما نفطر به .. ويبدو أن مغامرة (الإنزال) بالأمس كانت خسائرها كبيرة. طمأننا مرافقونا من رجال البحر، وغابوا عنا ساعة، ثم عادوا ومعهم محصول لا بأس به من الأسماك والأصداف ذات اللحم المستساغ. وكنا جميعا قد بلغ بنا الجوع والإجهاد مبلغهما، فأدركنا الطعام وقد تم إعداده قرب الظهيرة.. وهكذا، زالت ضائقة الجوع.

جلست ، وقد استكانت المعدة، أحمد الله، وأراجع أحداث هذه الرحلة الغريبة التي تتضاءل قيمتها العملية ونتائجها العلمية بجانب ما أسدته لي... فقد أخذت بيدي إلى مزيد من الاقتراب من نور الله!

ولا أجد – الآن – ضرورة لرواية ما حدث في طريق العودة.. فقد انتهت قصتي مع ظلمات البحر عند تلك الجزيرة الصغيرة شبه المجهولة في مدخل خليج السويس، ولكنها لم تنته في مواقع أخرى، خضت فيها ظلمات البحر، وظلمات البر، مرات عديدة، وكنت – في كل مرة – أشعر بالاطمئنان يسكن قلبي، ونور من الله لا يفارق عينيّ□

التراجع الحضاري في العالم الإسلامي وطريق التغلب عليه



تأليف : دكتور / على عبدالحليم محمود

عرض وتقديم : دكتور/ محمد السقاعيد

الكتاب الذي نتناوله هو مساهمة من الدكتور علي عبدالحليم محمود في جلاء بعض الحقائق عن التراجع الحضاري الذي وقع فيه المسلمون موضحا أسبابه وآثاره. يقدمه الكاتب إلى كل مسلم ومسلمة كل في موقعه ناصحا يبغي من وراء نصحه الخير للناس جميعا في دينهم ودنياهم.

والكتاب يحوي ٤٥٠ صفحة من القطع المتوسط من إصدار دار الوفاء للطبع والنشر والتوزيع.

وهو محاولة فردية من المؤلف استطاع خلاله أن يتناول قضية التراجع الحضاري (الانتكاس الحضاري) في العالم الإسلامي وقد وفق الكاتب في وصف الداء ووضع الدواء في محاولة منه للتغلب على هذا التراجع فرسم لذلك طريقا وبيّن معالمه وحدوده وأبعاده وبيّن أنه إذا كان المسلمون قد تراجعوا حضاريا عددا من القرون لأسباب نابعة منهم أو مفروضة عليهم من خارجهم فإنه يمكنهم استعادة الزمام وذلك ببيان ما كان للمسلمين من تقدم حضاري شهد به القاصي والداني وخاصة من غير المسلمين.

وقد دعا المؤلف أن تنضم إلى هذه المحاولة الفردية محاولات مشابهة لها أو أحسن منها لتكون في مجموعها بعد حين التحليل الدقيق لموضوع التراجع الحضاري عند المسلمين في محاولة للوصول إلى حل لهذه القضية المهمة.

والدكتور علي عبدالحليم غني عن التعريف فهو كاتب متميز تشهد له أعماله. فقد أسهم بقلمه في نواح متعددة حتى تجاوز عطاؤه العشرين كتابا بالإضافة إلى الكتب التي مازالت تحت الطبع.

ففي مجال الفكر الإسلامي وقضاياه نجد له كتبا متميزة مثل كتاب:

الغزو الفكري وأثره على المجتمع الإسلامي. وكتاب الغزو الصليبي والعالم الإسلامي.. والكتاب الذي بين أيدينا.

وفي مجال التربية الإسلامية: تربية النشء المسلم ووسائل التربية عند الاخوان المسلمين ومنهج التربية عند الاخوان المسلمين.

وفي مجال فقه الدعوة نجد له كتبا متميزة مثل فقه الدعوة إلى الله والمرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله.. إلخ.

وفي مجال الأدب والنقد

- القصة العربية في العصر الجاهلي.
- النصوص الأدبية تحليلها ونقدها..

وله تحت الطبع:

- المدخل إلى التربية الإسلامية
- المجتمع الإسلامي وكتب أخرى

جزى الله مؤلف هذا الكتاب خيرا عن الإسلام والمسلمين وجعله في ميزان حسناته وجزى - دار الوفاء للطبع والنشر التي طبعت هذا الكتاب الهام - كل خير ونرجو الله تعالى أن ينفع به الأمة الإسلامية وأن يهدي به إلى أقوم سبيل.

وبعد: فهذا الكتاب يعتبر أول إصدار لعام ١٩٩٤ فهو بذلك يعد باكورة حصاد المطابع لهذا العام ولأهمية هذا الكتاب فإنني أنصح كل مسلم غيور على دينه، مهتم بقضاياه أن يقرأه إن لم يزود به مكتبته.

والكتاب يحوي مقدمة وخاتمة وبينهما مدخل وثلاثة أبواب:

في المدخل: تحدث عن

١ - مفهوم الحضارة عموما.
٢ - مفهوم الحضارة الإسلامية.
٣ - مفهوم التراجع الحضاري

وفي الباب الأول: تحدث عن أبعاد الحضارة الإسلامية الاجتماعية والسياسية والعلمية الحضارية.

وفي الباب الثاني: تحدث عن التراجع الحضاري الذي وقع فيه المسلمون موضحا أسبابه وآثاره.

وفي الباب الثالث تحدث عن طريقة التغلب على هذا التراجع الحضاري ثم ختم الكتاب بكلمات تلخصه في سطور.

وسوف نعرض الكتاب بإيجاز لا يخل بمادته ولا يمل منه قارئه.

إن التراجع الحضاري للمسلمين هو ماوقعوا فيه من انتكاس حضاري، بعد أن كانوا بحضارتهم في مقدمة ركب الإنسانية وبخاصة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وماتلا ذلك من قرون أمتدت إلى ثمانية في مختلف أقطار الأرض التي دخلها الإسلام وأتاح لها أن تتحضر بحضارته وأن تغني بمعطياتها وتغني بها سواها من الأمم. إن هذا التراجع الحضاري من المسلمين حقيقة لا ينكرها إلا مكابر وجاهل أو متعصب لغير الحق.

إن أسباب التراجع الحضاري للمسلمين لم تكن كلها نابعة من داخل الأمة الإسلامية وإنما كان بعضها وافدا من خارجها.

وسوف نوجز أسباب التراجع الحضاري؟

١ - انحراف كثير من المسلمين عن الفهم الصحيح لعقيدة الإسلام

٢ - سوء فقه كثير من المسلمين للخلافة وضعف كفاءة الخلفاء.

وبسبب سوء فقه الخلافة وضعف الخلفاء ظهرت هذه المفتريات:

أ - فرية فصل الدين عن السياسة أو عن الحياة.

ب - فرية أن الديمقراطية بديل عن الإسلام

ج - فرية الاشتراكية.

٣ - الخروج عن منهج الإسلام في نظام الحياة.

٤ - انقسام المسلمين وتفرقهم.

٥ - موت روح الجهاد وضعف أدواته.

لقد ضيع المسلمون الجهاد فضعفوا واستكانوا!!!

لقد ضيع المسلمون الجهاد فطمع فيهم أعداؤهم!!!

لقد ضيع المسلمون الجهاد فأصبحوا تابعين أذلاء!!!

لقد ضيع المسلمون الجهاد فضاعوا!!!

وكيف لا تضيع حضارة من ضاع بين الأمم؟

٦ - الجمود والتخلي عن الاجتهاد.

٧ - الأقبال على متع الدنيا ونسيان الآخرة.

٨ - انتشار البدع والضلالات.

٩ - عجز البيت المسلم عن تربية الأبناء.

١٠ - التخلي عن التقدم العلمي.

ولقد حاولت حركات الإصلاح والتجديد الإسلامية أن تتغلب على هذا التراجع الحضاري وأن تنبه إلى خطر الأعداء وحيلهم، وأن تمهد للأخذ بزمام التقدم والرقي فنجحت حينا وفشلت أحيانا.

وهذه المحاولات هي التي أغرت أعداء الإسلام بقمع هذه الحركات الإسلامية. وهذا التراجع الحضاري وإن بلغ مداه فما ينبغي أن يوصد الباب فضلا عن ان يسد الطريق في وجه محاولة التغلب على هذا التراجع وإزالة أسبابه، سواء منها ما كان من داخل الأمة الإسلامية أو من خارجها.

إن الأمة الإسلامية اليوم تنفض عن نفسها آثار هذا التراجع، ومهما يفعل أعداء الإسلام والمسلمين من الأجانب أو من المسلمين المخدوعين من قمع رهيب للحركات الإسلامية فإنهم لن يبلغوا بفضل الله من ذلك إلا أقل القليل لأن حركة الوعي والأحياء والتقييم والتجديد أصبحت الآن كالمارد الذي خرج من قمقمه.

إن طريق التغلب على هذا التراجع الحضاري يقوم على أسس ثلاثة هذه الأسس هي:

١ - التمسك الدقيق بمنهج الإسلام في الحياة.

٢ - التعمق الجاد في مجال الدراسات الإنسانية.

٣ - التعمق الهادف في مجالات العلم والتقنية.

ونذكر هنا قول محمد إقبال

إن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار، ويساير الركب البشرى حيث اتجه وسار بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ويفرض على البشرية اتجاهه، ويملي عليها إرادته لأنه صاحب الرسالة وصاحب العلم اليقين.

ولأنه المسؤول عن هذا العالم وسيره واتجاهه. فليس مقامه مقام التقليد والاتباع، إن مقامه مقام الإمامة والقيادة ومقام الإرشاد والتوجيه ومقام الآمر الناهي.

وإذا تنكر له الزمان وعصاه المجتمع وانحرف عن الجادة لم يكن له أن يستسلم ويخضع ويطيع أوزاره ويسالم الدهر، بل عليه أن يثور عليه وينازله، ويظل في صراع معه وعراك حتى يقضي الله في أمره. إن الخضوع والاستكانة للأحوال القاسرة والأوضاع القاهرة والاعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء والأقزام.

أما المؤمن القوي فهو بنفسه قضاء الله الغالب وقدره الذي لا يرد. فهذا الكتاب يعد دراسة شاملة لهذه القضية الهامة ولسنا ندعي للمؤلف الكمال - فالكمال لله وحده - ولكنه والحق يقال قد استوفى معظم جوانب الموضوع وحلله تحليلا دقيقا نسأل الله تعالى ان ينفع به بقدر ما بذل فيه من جهد وبحث. والله سبحانه من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل□

معركة ذات الصواري البحرية



* المعركة التي حولت البحر الأبيض إلى بحيرة عربية وآذنت بنمو الروح البحرية عند العرب

بقلم الأستاذ : أمين محمد عثمان

في أول الأمر ، كان العرب لبداوتهم، غير مهتمين بثقافة البحر وركوبه، ولم يكونوا مهرة في ذلك.. أما الروم والفرنجة فلأنهم مارسوا أحوال البحر، ومرنوا عليه، وأحكموا التدريب على ثقافته، فقد ركبوه، فلما فتح الله (الشام والأردن) على عهد (عمر بن الخطاب) ألح معاوية بن أبي سفيان عليه في (غزو البحر) ويذكر (ابن خلدون) في المقدمة.. أن (عمر ابن الخطاب) كتب إلى (عمرو بن العاص) واليه (على مصر) أن يصف له البحر وركوبه قائلا: (إن نفسي تنازعني إليه وأنا اشتهي خلافها) فكتب إليه (عمرو): «يا أمير المؤمنين.. إني رأيت البحر خلقا كبيرا يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء.. إن ركد أحزن القلوب، وإن زال أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة.. هم فيه دود على عود.. ان مال غرق، وإن نجا برق». فلما جاءه كتاب (عمرو) كتب إلى (معاوية): «لا والذي بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا، وتالله لمسلم واحد أحب إليّ مما حوى الروم».

ثم لما كانت خلافة (عثمان بن عفان) غزا المسلمون البحر، وكان أول من غزاه (معاوية بن أبي سفيان) وكان معه الصحابية (أم حرام) لأن الملك قد استقر للعرب، وشمخ سلطانهم، وصارت أمم العجم خدما لهم وتحت أيديهم، وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته، وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته

وعلى ذكر (الصحابية أم حرام بنت ملحان) أورد لها (ابن سعد) في (الطبقات الكبرى) حديثا عن رسول الله ﷺ وفي هذا الحديث يتنبأ الرسول بغزو المسلمين للبحر، ويبشرها فيه بالشهادة قالت (أم حرام): قال رسول الله ﷺ.. وهو في بيتي - أي اضطجع وقت القيلولة - فاستيقظ وهو يضحك، فقلت يارسول الله مم تضحك؟ قال: ناس من أمتي يركبون هذا البحر كالملوك على الأسرة.. قالت قلت: يارسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال (أنت منهم).. ذكر (ابن الأثير) هذا الخبر، في كتابه (أسد الغابة) ورواه (أحمد) في مسنده وقال (ابن الأثير): هذه الغزوة هي غزوة (قبرس) بالسين، وهي المعروفة (بقبرص) الآن ودفنت (أم حرام) بقبرص.. وكان أمير ذلك الجيش (معاوية بن أبي سفيان) في خلافة (عثمان) رضى الله عنه سنة سبع وعشرين من الهجرة.. والصحابية الجليلة (أم حرام) هي زوجة الصحابي المعروف (عبادة بن الصامت) وقد صحبت زوجها في ركوب البحر.. ثم وقصتها دابتها فماتت!

أحلام بيزنطة

بعد أن هزمت (الروم) في معركة (اليرموك) وانحسر ظل الاستعمار البيزنطي البغيض عن وجه الأمة العربية.. وقال (هرقل) امبراطور الروم،

يندب حظه العاثر، ويودع فردوسه المفقود: (سلام عليك يا سوريا، سلام لالقاء بعده)

ظل (الروم) البيزنطيون، يراودهم الأمل، ويحدوهم الرجاء، في استرداد مستعمراتهم في الشرق وتحطيم القوة العربية النامية من جديد.. وكانوا يبنون حساباتهم وتقديراتهم على قواتهم البحرية الرهيبة، التي كانت تعتبر أقوى قوة ضاربة في البحر الأبيض المتوسط، والذي كان يسمى في ذلك الوقت (بحر الروم) في الوقت الذي لم تكن قوة المسلمين البحرية قد اكتمل نموها بعد..

وقد آثر المسلمون أن تكون عواصم بلادهم المفتوحة في عمق البلاد.. بدلا من العواصم المكشوفة على الساحل فاتخذوا من (الفسطاط) التي بناها (عمرو بن العاص) عاصمة لهم، بدلا من (الاسكندرية). وذلك إيثارا للسلامة من غارات الروم المتكررة.. بأساطيلهم على السواحل العربية.

وكانت الخطة الدفاعية للمسلمين هي استدراج المغيرين على الساحل، حتى يتوغلوا داخل البلاد ثم يوقعون بهم في معركة برية.. كما فعلوا ذلك مع حملة (مانويل) قائد الروم ،ففي عهد (عثمان بن عفان) قامت قوة بحرية، بقيادة (مانويل) بإعادة غزو (الاسكندرية) وفتحها سنة (٢٥) هـ (٦٤٥)م وتقدم القائد الرومي على رأس قوته حتى (بابليون) واستنجد والي مصر (عبدالله بن سعد بن أبي سرح) بعثمان فارسل إليه (عمرو بن العاص) الذي فتح مصر قبل ذلك فهزم الروم، وتتبعهم إلى الاسكندرية.. ثم طردهم منها.

ويذكر (المقريزي) في كتابه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) أن (خارجة بن حذافة) من كبار قواد (عمرو بن العاص) كان من رأيه، أن يبدأ المسلمون القتال على سواحل (الاسكندرية) حيث قال لعمرو:

– ناهضهم قبل أن يكثر مددهم، فلا آمن أن تنتفض مصر كلها، فقال له عمرو:

– لا ، ولكن أدعهم يسيرون إليّ، فإنهم يصيبون من مرّوابه.. فيخزي الله بعضهم ببعض.. ولما دارت الدائرة على (الروم) واسترد العرب مدينة الاسكندرية. وقتل قائد الروم (مانويل) رأى الخليفة (عثمان) أن يكون (عمرو بن العاص) على الحرب (وعبدالله بن سعد) على الخراج.. فرفض (عمرو) هذا الرأي قائلا (أنا إذاً كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها والله لا أكون ذلك) وإزاء هذه الغارات المتكررة من الروم.. اهتمت مصر بالبحرية وكان (عبدالله بن سعد) أمير البحر الثاني في الإسلام.. بعد (معاوية بن أبي سفيان) أثناء إمارته على الشام، فكان المسلمون يقومون بغاراتهم البحرية ضد الروم من الشام بقيادة (معاوية) ومن مصر (بقيادة عبدالله بن سعد) وقد استمر واليا على (مصر) خلال اثنتي عشرة سنة، زحف خلالها إلى (افريقيا) بجيش فيه (الحسن والحسين) ابنا علي رضى الله عنه.. وفيه (عبدالله بن عباس) وعقبة بن نافع، ولحق بهم بعد ذلك (عبدالله بن الزبير) فافتتح ما بين (طرابلس الغرب) ودانت له افريقيا كلها..

ولم يكن هناك بد من أن يقوم الروم بسياسة مضادة إزاء هذه القوة الناشئة وأخذوا يتحينون الفرص لملاقاة الأسطول العربي الثاني، قبل ن تستفحل قوته فيقضون عليه، ويحتفظون لأنفسهم بالغلبة في البحر.. ويعيدون إلى سمعتهم الحربية شيئا من الهيبة، بعد أن هزتها هزائمهم البرية أمام العرب في مصر والشام.. ومن ثم، كانت معركة (ذات الصواري) التي حدثت في عهد الخليفة (عثمان بن عفان) وحكم الامبراطور (قسطنطين) الثاني، وكانت هزيمة الروم في هذه المعركة الفاصلة التي تحطم فيها أسطولهم، وبذا ضاعت هيبتهم في البحر كما أضاعوها في البر..

معركة ذات الصواري البحرية

سميت (ذات الصواري) لكثرة صواري المراكب واجتماعها والرأي الراجح أن معركة (ذات الصواري) قد وقعت في سنة (٣٤) هـ وهي توافق (٦٥٥)م أما مكان المعركة فهناك اتجاهان في الرأي، يحدد كل منهما مكانا يختلف عن الآخر، فالمؤرخون الأوروبيون يقررون أنها وقعت عند (فونيكس) بالقرب من جزيرة (رودس) ويبنون رأيهم هذا على اشتراك الأسطول (السوري) بقيادة (معاوية بن أبي سفيان) مع الأسطول المصري بقيادة (عبدالله ابن سعد) في المعركة أمام سواحل (آسيا الصغرى) فالتقى الأسطولان بجوار ثغر (فونيكس)

أما المؤرخون العرب، وعلى رأسهم (المقريزي) فيقررون أن المعركة حدثت بالقرب من الاسكندرية.. حيث كان والي مصر (عبدالله بن سعد) يتوقع هجوم الروم من البحر، فأرسل إليه (معاوية) قوة بحرية انضمت إلى قوته بقيادة (بسر بن أرطاة)

ويؤيد هذا الرأي بعض المراجع الأوروبية في ذكرها أن اسم المعركة فونيكا وتنسب إلى ثغر (فونيكا) بالقرب من مدينة (مرسى مطروح) يقول (المقريزي): وكان (عبدالله ابن سعد) قد أنزل نصف جنوده إلى البحر.. ثم فوجيء بقدوم العدو وعلم من أحد المراقبين أن الروم قد أقبلوا في ألف مركب.. بقيادة (قسطنطين الثاني) امبراطور الروم نفسه.. وكانت مراكب المسلمين مائتي مركب ونيفا.. فقام (عبدالله بن سعد) وخطب الناس قائلا:

«بلغني أن (قسطنطين) أقبل عليكم في ألف مركب.. فأشيروا عليّ» فلم يكلمه رجل من المسلمين، فجلس قليلا لترجع إليهم أفئدتهم ، ثم قام ثانية فما كلمه أحد منهم.. فجلس ثم قام الثالثة فقال: إنه لم يبق شيء فأشيروا عليّ.. فقام رجل من أهل المدينة كان متطوعا فقال: أيها الأمير ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ البقرة/ ٢٤٩ فقال (عبدالله بن سعد) اركبوا .. فركبوا وإنما في كل مركب نصف شحنته، لأن النصف الآخر كان قد خرج إلى البر..

فكلام المقريزي يدل على أن (عبدالله بن سعد) قسم قوته قسمين جعل أحدهما في البر، والآخر على السفن في البحر.. حذرا منه أن تدور الدائرة في البحر فيجد بقية قوته في موازاة مكان الموقعة في البحر فيستطيع الاستمرار في قتال الروم إذا نزلوا للغزو، مما يحقق مبدأ العمق في الدفاع وهو أحد مبادىء

*** قال عنها المؤرخون الأوربيون إنها يرموك ثانية حطمت آمال الروم في استرداد أملاكهم**

(الحرب الحديثة)

ولعل الأمير (عبدالله بن سعد) أراد أن يذكي لهيب الحماس في صدور المقاتلين فاصطحب معه زوجته (بسيمة بنت حمزة) وكان الرجال يغزون بنسائهم في المراكب.

أوهام وانهيار أحلام

ويبدو من الاستعداد الهائل الذي أعده امبراطور الروم (قسطنطين بن هرقل) إذ أقبل في ستمائة مركب - كما تقول بعض الروايات، وفي ألف - كما تقول الروايات الأخرى، أنه كان يهدف إلى تدمير قوة العرب البحرية الناشئة، وإلى كسر شوكتهم التي أخذت تقوى وتعظم في البحر.. ولعله كان يطمع بعد إنزال الهزيمة بالعرب في البحر أن يعود إلى غزو البلاد التي فتحوها (كالشام ومصر) ويسترد بذلك مجدا لامبراطوريته البيزنطية الذي آذن نجمه بالأفول.!!

وبرغم قوة الأسطول البيزنطي، وضخامة حجمه، وصغر حجم الأسطول العربي - بالنسبة إليه وما عمد إليه أسطول الروم من المناورة والمداورة في بداية المعركة لاستنزاف جهد المحاربين العرب وذخيرتهم، فقد تطورت المعركة في النهاية لصالح الأسطول العربي، واستطاع أن يقضي تماما على الأسطول البيزنطي، بفضل ما عمد إليه المسلمون من ربط سفنهم بعضها ببعض ثم ربطها بسفن العدو، والتجائهم إلى القتال

*** آثر المسلمون أن تكون عواصم بلادهم المفتوحة في عمق البلاد.. بدلا من العواصم المكشوفة على الساحل**

*** كان من الممكن أن تغير معركة (ذات الصواري) مجرى التاريخ، ففيها تم القضاء على آخر عوامل قوة الروم**

بالسيوف بحيث أصبحت الموقعة كلها وكأنها موقعة برية، ظهرت فيها شجاعة العرب ومهارتهم في القتال بالسيف وجها لوجه.

أضواء على سير المعركة

التقى الجمعان ، والظلام يوشك أن يخيم، فاتفقا على الانتظار إلى اليوم التالي، وكان هذا الانتظار في صالح العرب، إذ كانت الريح على سفنهم في اليوم الأول، ومن المعروف في (تكتيك) الحرب البحرية، بالسفن الشراعية، أن السفن التي تكون عليها الريح، تكون في موقف سيىء إذ تجد صعوبة في المناورة والحركة، كما أن ما تقذف به العدو من ذخيرة، يسير في اتجاه مضاد للريح فلا يصل مرماه في معظم الأحيان، كما أن تصويبه يطيش، فينحرف عن هدفه، ومن ثم كان الانتظار لصباح اليوم التالي، وكانت الريح قد هدأت، فكانت في مصلحة العرب.

وقد حاول الأمير (عبدالله بن سعد) أن يحول الروم عن القتال في البحر، ويدفعهم إلى ملاقاته في البر فرفضوا، على نحو ما ذكر (الطبري) في تاريخه، إذ قال: ثم قلنا إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم، وان شئتم فالبحر.. فنخروا نخرة واحدة وقالوا: الماء.. الماء وكان الامبراطور (قسطنطين الثاني) موجودا بنفسه في هذه المعركة، فأمر بأن تبتعد سفنه قليلا.. لكي يتقاذف الفريقان بالقوس والحراب.. وكان هدفه من ذلك استنزاف ذخيرة العرب ودفعهم إلى القتال بأسلوب لا يجيدونه إلا في البر.. وفعلا جعل العرب يقذفون الروم بالقوس والحراب حتى نفدت مالديهم منها فاستعملوا الحجارة حتى نفدت أيضا.. يقول (المقريزي):

«فلقوهم فاقتتلوا بالحراب والنبال، وتأخر (الامبراطور) لئلا تصيبه الهزيمة فجعلت القوارب تختلف إليه بالأخبار.. ثم أتوه فقال: ماذا فعلوا، قالوا نفدت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض، يقتتلون بالسيوف فقال: (غلبت الروم)

ذلك لأن العرب، حينما رأوا نفاد ذخيرتهم، ومازال العدو بعيدا عنهم، يناورهم ويداورهم لاستنزاف جهدهم.. ويتربص للهجوم عليهم بعد ذلك، حينما ينالهم الجهد والتعب عمدوا إلى سفنهم فربطوها بعضها ببعض، ثم ألقوا المخاطيف في البحر . جذبوا بها أربطة سفن الروم فشدوها إليهم حتى تلاحمت سفن الفريقين فوثبوا يتقاتلون بالسيوف، وحينذاك أدرك (إمبراطور الروم) أن هزيمته قد دنت»

ويصف (الطبري) معركة السيوف هذه فيقول نقلا عن جندي عربي شهد المعركة: «فربطنا السفن بعضها ببعض، فقاتلنا قتالا شديدا، ووثبت الرجال على الرجال يضطربون بالسيوف على السفن ويتواجؤون بالخناجر حتى رجعت الدماء على الساحل تضربها الأمواج، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاما، وقد غلبت الروم على الماء..

فالقتال كان شديدا.. واستمات الفريقان في سبيل النصر.. وعمد (قسطنطين) إلى سفينة القيادة العربية وفيها أمير البحر (عبدالله بن سعد) فأمر بجذبها وسط السفن الرومية لتدميرها، وقتل القائد العربي، فألقى الروم خطافا علق برباط السفينة، وأخذوا يجذبونها إليهم، لولا أن ألقى (علقمة بن يزيد) بنفسه على رباط المخطاف وقطعه بسيفه.

ثم عمد العرب بعد ذلك إلى نفس الحيلة، فهاجموا سفينة الإمبراطور. وكان سير القتال قد أصبح في جانبهم، ودارت الدائرة على الروم.. فأخذوا يقتلون جنود السفينة، وكادوا يأسرون (الامبراطور) إلا أنه استطاع الهرب متنكرا في زي أحد جنوده.. ويقال: إن جراحا كثيرة قد أصابته في ذلك اليوم!

ولم يصمد الروم طويلا، بعد فرار امبراطورهم.. وقد شد المسلمون عليهم في الهجوم، وأعملوا فيهم القتل، وفي سفنهم التدمير.. وسرعان ما تحطم الأسطول البيزنطي.. وانتهت تلك القوة البحرية الضخمة التي أعدها (قسطنطين) لكسر شوكة المسلمين، فلقيت نهايتها في موقعة (ذات الصواري)

نتائج المعركة

يجمع المؤرخون الأوروبيون، على أن معركة (ذات الصواري) كانت من المعارك الحاسمة في تاريخ العالم (القديم والحديث) وأنها جعلت من البحر الأبيض المتوسط

بحيرة عربية، وأمنت حدود البلاد الإسلامية إلى زمن بعيد..

فالمؤرخ (تيوفانس) يقارن هذه المعركة بمعركة (اليرموك) البرية.. وقد أكد هذا الانتصار قوة العرب البحرية، ولكن الفتنة التي اندلعت ضد الخليفة (عثمان بن عفان) قد عوقت إفادتهم من ذلك..

يقول الدكتور (فتحي عثمان) في كتابه (الحدود الإسلامية البيزنطية)

«كان من الممكن أن تغير معركة (ذات الصواري) مجرى التاريخ، ففيها تم القضاء على آخر عوامل قوة الروم.. وكان من الممكن مباشرة مهاجمة الدولة البيزنطية نفسها، والاستيلاء على عاصمتها (القسطنطينية) ولولا قيام بعض ظروف سياسية داخلية لتم ذلك!

فقد قتل الخليفة (عثمان بن عفان) بعد هذه المعركة بقليل، عقب الفتنة المعروفة (بالفتنة الكبرى) وتعرضت الدولة من بعد موته لصراع على تولي الخلافة.. جعلت (معاوية) يتفرغ لمعالجة الأحوال الداخلية وينصرف مؤقتا عن التفكير في موقفه مع الروم.. بل إن معاوية في سبيل التفرغ لمشكلة الصراع الداخلي اضطر إلى عقد صلح مؤقت مع الروم ليأمن جانبهم في تلك الفترة الحرجة..

ويقول الأستاذ الدكتور (فتحى) إن هذه المعركة أثبتت أنها (يرموك) أخرى اذ حطمت القوى البيزنطية تحطيما تاما»

ويرى الدكتور (العدوي) في كتابه (الأساطيل العربية)

إن نتائج هذه المعركة كانت من الخطورة بمكان.. والمؤرخون يضعونها في مصاف المعارك البحرية الكبرى - القديمة والحديثة - مثل معركة (أكتيوم) التي انتهت بها دولة (البطالمة) في مصر عام (٣١) ق.م، وانتقلت السيادة البحرية في البحر الأبيض من البطالمة إلى الرومان، وأصبح البحر الأبيض بحيرة رومانية..

كذلك يعتبرها المؤرخون مثل موقعة (أبي قير البحرية) عام ١٧٩٨م التي كانت سببا حاسما من أسباب فشل (الحملة الفرنسية) على مصر، وانتهاء أطماع (نابليون) في الشرق العربي، واستمر تسلل النفوذ البريطاني في البحر الأبيض المتوسط ومنطقة الشرق الأوسط، ونستطيع أن نلخص للقارىء نتائج معركة (ذات الصواري) البحرية فيما يأتي:

(١) أنها كانت إيذانا ببدء سيادة العرب في البحر الأبيض المتوسط، مما كان له أكبر الأثر في تطور الدولة الإسلامية، وتوسعها في الفتوح، وتدعيم قوتها في البر والبحر.. فضلا عن انتهاء أمل الروم في استرجاع البلاد التي فتحها العرب يقول (ابن خلدون) في المقدمة:

وكان المسلمون بعهد الدولة الإسلامية قد غلبوا على (البحر الأبيض) من جميع جوانبه، وعظمت صولتهم وسلطانهم، فلم يكن للأمم النصرانية قِبَل بأساطيلهم، وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم.. فكانت لهم المقامات من الفتح والغنائم، وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل (ميورقة ومنورقه وسردانية وصقلية وقوصرة، ومالطة، واقريطش) وسائر ممالك الروم والافرنج..

٢ - أما النتيجة الثانية لموقعة (ذات الصواري) فهي لكونها الحلقة الأولى في سلسلة الانتصارات البحرية العربية، ولما أتاحته للعرب من الخبرة بفنون الحرب البحرية، كانت إيذانا بنمو الروح البحرية عند العرب، فزالت روح الخوف التي سادت في عهد (عمر بن الخطاب) من ركوب البحر، والمؤرخون يذكرون شجاعة أمراء البحر العرب ومهارتهم في حصار القسطنطينية بحيث لم يجرؤ ما تبقى من أسطول الروم على التعرض لهم..

وهذه الخبرة التي تولدت في موقعة (ذات الصواري) ونمت بسرعة فائقة، بفضل اهتمام (معاوية وعبدالله بن سعد) كان لها أبلغ الأثر بعد ذلك في نمو الأسطول العربي، وازدياد سطوته بحيث أصبح البحر الأبيض في فترة وجيزة (بحيرة عربية)

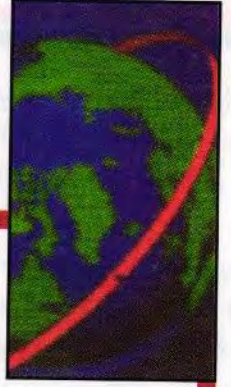
٣ - نتيجة ثالثة غير مباشرة، يذكرها الدكتور (سيد كاشف) في كتابه (مصر في عصر الولاة): وهي نشأة الصناعة البحرية وما يتصل بها من صناعات أخرى.. فقد أقيمت دور لصناعة السفن (بالروضة) في مصر (والقلزم) بالسويس، والاسكندرية، كما أقيمت في خلافة (معاوية) في (عكا).

ويمكننا القول بأن نهضة الأسطول العربي كانت من الأسباب المباشرة لانتشار الحضارة الإسلامية بمقوماتها المختلفة في (العصر الوسيط) والتي شغلت حوض البحر الأبيض المتوسط طيلة ذلك العهد.. فإن الفتوح العربية البحرية لم تقتصر على الغزو العسكري فقط، بل تضمنت أيضا الغزو الثقافي والحضاري ولا سيما بعد أن اتسعت الفتوحات الإسلامية وترامت أطراف الدولة العربية، وصار البحر الأبيض وسيلة أساسية من وسائل المواصلات التي تربط أطراف الدولة بعضها ببعض، وتربط بينها وبين الدول الأخرى.. وهذا تصديق لوعد الله سبحانه ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ النور/ ٥٥ □



* مدينة الاسكندرية





نافذة على العالم

٩ مليـــارات سكـــان العـــالم عـــام ٢٠٢٥

ذكر تقرير عن تعداد سكان العالم أن عدد البشر قد يقفز بنحو ثلاثة مليارات نسمة من العـدد الحالي الذي يبلغ ستة مليارات نسمة ليصبـح تسعة مليارات نسمة في ٣١ عاما.

وقال مكتب المرجع السكاني الذي يحتفظ بجداول عن نمو السكان ان التقدير الجديد للعالم النمساوي (وولفجانج لوتز) يزيد بمقدار ٥٠٠ مليون نسمة عن العدد الذي كان متوقعا من جانب البنك الدولي والأمم المتحدة لعام ٢٠٢٥.

وقـال المكتب وهو منظمـة خاصـة إن أبحـاث لوتـز بالمعهـد الدولي للعلـوم التطبيقية في النمسـا توقعت خصـوبة أعلى في أفريقيـا ودول ناميـة أخرى عن توقعات البنك الدولي والأمم المتحدة.

حملة في الإمارات للتبرع لمسلمي رواندا

بدأت جمعية الأعمال الخيريـة بدولة الإمارات العربية المتحـدة حملة لجمع تبرعات لمسلمي رواندا الذين قالت: إنهم يواجهون المجاعة والمرض. وقالت الجمعية في إعلان لها: إن المسلمين يشكلون نسبة ١٠ في المئـة من مجموع سكان روانـدا الذي يقدر بنحو سبعـة ملايين نسمة قبل اندلاع الحرب الأهلية في أبريل الماضي.

وقال الإعلان «تتجه أنظـار العالم اليوم إلى رواندا التي اجتاحتهـا الحروب الأهلية فدمرت البلاد وأشاعت الخراب. ولعل الكثير منـا لا يعلم أن نسبة المسلمين في رواندا تصل إلى ١٠ في المئة من تعداد هذا الشعب وأنهم مهددون كغيرهم بشبح المجاعة والأمراض.



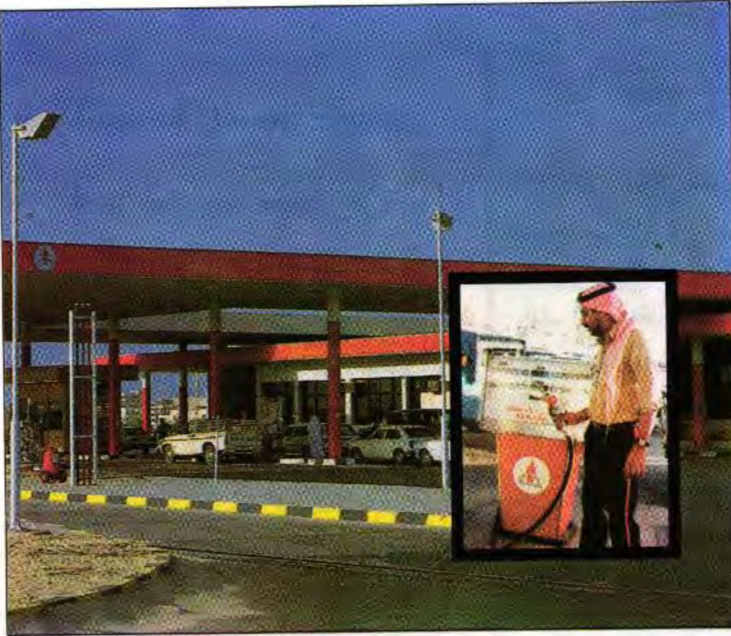
المجـــاعـــة تهدد ٣٤ مليـــون أفـــريقي

أعلنت منظمة الأغذية والزراعـة التابعة للأمم المتحدة (الفاو) أن دولا في منطقة القرن الأفريقي تواجـه مجاعة على نطـاق واسـع بينما لا يجد ما يزيـد على ٣٤ مليون شخـص في القارة مـا يسد رمقهم. ويشتد النقص في المواد الغـذائية بصور كبيرة في عدة مناطق من القـارة وبصفة أساسية في اثيوبيا واريتريا وكينيـا والسودان والصومال وانجولا. وقـال – جاك ضيـوف – المدير العـام لمنظمـة الفاو في تقـريـر صدر في نيروبي انـه في الوقت الـذي يئن فيه العـالم تحت وطأة المأساة الرواندية، يجب الا نغفل عن ذلك الدليل القاطع على تنـامي أزمـة غـذائيـة طـاحنـة في القـرن الأفريقي.

مبيعـات الأسلحـة الأمـريكيـة

أفاد التقـرير السنـوي لمكتب الأبحاث التـابع للكونغرس الأمريكي أن حصـة الولايات المتحدة من صفقات السلاح مع دول العالم الثالث بلغت ٧٨٪ في سنـة ١٩٩٣ حيث بلـغ حجمهـا ١٤,٨ مليار دولار.وأوضح التقريـر أن مبيعات السلاح لدول العالم الثـالث مستمرة في الانخفاض حيث هبطت من ٢٨,٢ مليـــار دولار سنـة ١٩٩٢ إلى ٢٠,٤ مليـار دولار سنـة ١٩٩٣، مشيرا إلى أن انتهاء الحرب الباردة وانخفاض الطلب في العديد من الدول عجّل بهبوط المبيعات في الدول النامية والتي بلغت ذروتها سنـة ١٩٨٨ فكـانت ٨١,٥ مليار دولار. ■

فتـــوى بإغـــلاق محطـــات الـــوقـــود أثنـــاء صـــلاة الجمعـــة



افتت وزارة الأوقـاف والشؤون الإسـلاميـة في الكـويت بوجـوب إغلاق محطات بيع وقـود السيارات التابعة لشركـة البترول الوطنية خلال وقت صلاة الجمعة إذا لم يتـوفر من يؤمن العمل فيها ممن لا تجب عليهم هذه الصلاة.

ورأت لجنة الأمور العامة في هيئة الفتوى بالوزارة أن «على الشركة أو مدير المحطة أن يؤمن العمل فيهـا خلال صلاة الجمعة عن طريق من لا تجب عليهم هذه الصلاة فإن لم تجد فلتغلق المحطة».

هذا وقـد أصدر وزير النفط د. عبـدالمحسن المدعج توجيهـاته إلى الجهات المختصة بشركة البترول الـوطنية بضرورة العمل على توزيع عمال تعبئة الـوقود من غير المسلمين على المحطـات لاتاحة الفـرصة للعمال المسلمين لاداء صلاة الجمعـة بالمساجد في الأوقـات الشرعية.

١٣٢ ألف دينار مساعدات من صندوق إعانة المرضى

صرح رئيس اللجنة الطبيـة بصندوق إعـانة المرضى الـــدكتـــور إبـــراهيـم العيسى بأن مســاعـــدات اللجنـــة داخل الكـــويت بلغت ١٣٢,٠٠٠ د.ك خلال الستـة أشهر الأولى من العـام الحالي ٩٤، وتصرف هـذه المسـاعـدات للحـــالات المرضيـــة فقـط، والتي تحول إلى صنـــدوق إعـــانـــة المرضى مـن مختلف المستشفيات بتقرير طبي خاص باللجنة الطبية بالصنـدوق، وتشمل هذه المسـاعدات إعـانات مقطـوعـة ودائمـة وأجهـزة تعـويضيـة مثل الكراسي المتحـركة وسماعـات الأذن والنظارات الطبية وقيمة تحليـل هرمونات وقسـاطر طبية إضـافـة إلى تـذاكـر سفـر لبعض المرضى لمساعـدتهم في اتمام علاجهم بـالخارج، وقال الدكتور إبراهيم العيسى إن صرف الإعانات لا يتم إلا بعـد الاطـلاع على الحالـة الاجتماعيـة للمـريض ومدى حـاجتـه عن طريق مـوظفي البحث الاجتماعي بـالصنـــدوق إضـافـة إلى التقـريـر الطبي المرفق معـه من المستشفى ثم يعرض على الأطبـاء باللجنة في اجتماعهـا الذي يعقـد مرة واحـدة أسبوعيـا ويقرر فيـه حجم ونوع المسـاعدة حسب نتيجة التقريـر والحالة الاجتماعية.

والجديـر بـالـذكـر أن هنـاك اتفـاقيـة بين صندوق إعانة المرضى وبيت الـزكاة منذ بداية هذا العام تنص على مساهمة بيت الزكاة في هذه المساعدات باعتبار صنـدوق إعانة المرضى هو اللجنة الطبية الوحيـدة بالكويت المتخصصة في العمل الصحي الخيري وان كـــافـــة الحالات المرضية بـالكويت والتي بحـاجة إلى مسـاعدة تحوّل إلى اللجنة الطبية بالصندوق.

١٣٤ مشروعـــا لمســـاعـــدة الصـــومـــال

قال رئيس لجنـة القارة الأفريقية في جمعيـة احياء التراث الإسلامي الشيخ جـاسم العيناتي إن الجمعية نفـذت ١٣٤ مشروعا في الصـومال منهـا ٢٤ مسجدا.. وسبع مـدارس وخلوات قـرآنية، وأربعة مـراكز إسـلامية، وحفـر بئرين ارتوازيتين، و٧٥ بئـرا سطحية، و٢٠ مـزرعة متـوسطة وصغيرة، وهناك أربعة ملاجىء تشرف عليها الجمعية التي بدأت في بناء ملجأ للأيتام في العاصمة مقديشو. وأكد أن الجمعية لا تألو جهدا في مسـاعدة الاخوة الصوماليين، وحتى اللاجئين منهم في الدول الأوروبية والغربية تراسلهم، وتبعث إليهم كتيبـات إسلامية حتى يتمسكوا بدينهم، وكذلك بالنسبـة للطلبة الصومـاليين الذين يدرسـون في كينيا أو في مصر وفي غيرهما من الدول العـربية والإسلامية تقـوم الجمعية بمساعدتهم لإكمال دراستهـم، إضافة إلى المساهمة في مقـاومة مرض الكوليرا الـذي أصاب مقديشو وبعض منـاطق الشمال، وفي منطقة أوغادين في أثيـوبيا، مشيرا إلى كتـاب شكـر وجهـه مكتب الجمعيـة في مقـديشـو لأن الأدويـة التـي أرسلت جـاءت في وقتهـا المناسب.وأوضح أن مستوصف الجمعية في مقديشو تم تزويده بالأدوية والمعدات اللازمة، مشيرا إلى بدء عملية تنظيف لمياه الشرب والتي شارك فيها بعض رؤساء القبائل.

٣,٣ مليـــار دولار ديـونـــا غير مســـدد لـــلأمم المتحـــدة

قال متحـدث باسم الأمم المتحدة : إن أعضـاء المنظمة الـدولية مدينـون لها بأكثر من ٣,٣ مليار دولار في صورة مساهمات لم تدفع في الميزانية وعمليات حفظ السلام.

وقـال: إن إجمالي دين الولايـات المتحـدة وروسيا معـا يبلغ مليـاري دولار. وتقول أحـدث الأرقام المتـاحة إن مستحقات الميزانيـة عن العام الحالي والعام السـابق تصل إلى ٨٣٥ مليون دولار، بينما يبلغ إجمالي المتأخرات عن عمليات حفظ السلام حوالي ٢,٥٤ مليار دولار.

وتزيـد المتأخرات الأمـريكية على ١,٤٨ مليـار دولار وتتضمن أكثر مـن ٥٣٠ مليون دولار متأخـرات من مسـاهمات واشنطن في الميـزانية وحـوالي ٩٥٦ مليـون دولار لعمليـات حفظ السلام.

وتبلغ جملة ديـون روسيا ما يقرب من ٦٣٠ مليـون دولار تشمل مبلغ ٢٨,٥ مليون دولار للميزانية وأكثر من ٦٠٠ مليون دولار لعمليـات حفظ السلام. ومن بين كبار المدينين الآخرين اليابان وعليها ٢٠٠ مليون دولار جميعها لعمليات حفظ السلام وأوكرانيا وعليها مايقرب من ١٧٣ مليون دولار منها ٤٥ مليون دولار تقريبا للميزانية و١٢٨ مليون دولار لحفظ السلام. وتبلغ متأخرات إيطاليا ١١١ مليون دولار جميعها لحفظ السلام.

٤٧ ألف غير مدخن يموتون بسبب التدخين

توقعت دراسة أميركية أن يفارق ٤٧ ألف شخص من غير المدخنين الحياة في الولايات المتحدة في العام ١٩٩٤ بسبب استنشاقهم دخان سجائر الآخرين من حولهم.
وجاء في الدراسة التي ركزت على أمراض القلب والشرايين أن التدخين سيسبب أكثر من ١٥٠ ألف أزمة قلبية غير مميتة لدى غير المدخنين، وستنشر الدراسة هذا الأسبوع في مجلة الكلية الأمريكية لأمراض القلب.

مساهمة الصناعة السعودية ٢٥ بالمائة بالتنمية

قال مسؤول سعودي بارز إن الصناعة السعودية كانت أهم العوامل في التنمية الشاملة في المملكة.
وأضاف وكيل وزارة الصناعة والكهرباء السعودي مبارك الخفرة أن نسبة الإنتاج الصناعي في اجمالي الناتج المحلي للقطاع الخاص تزايدت باضطراد منذ عام ١٩٨٥ وتبلغ الآن ٢٥ بالمائة من هذا الناتج.
وقال: إن الإحصائيات الأخيرة تظهر ان القطاع الصناعي في المملكة يتزايد بشكل يفوق معدل النمو الاقتصادي العام.

زيادة ٢٠٪ في صادرات الأسلحة الإسرائيلية

ذكرت صحيفة «ها آرتس» المستقلة نقلا عن مسؤولين عسكريين أمس أن الزيادة في صادرات الأسلحة الإسرائيلية بلغت ٢٠٪ في عام ١٩٩٣ وحققت ١,٨ مليار دولار.
وكانت معظم الصادرات إلى بلدان جنوب شرق آسيا وأوروبا الشرقية. وأشارت الصحيفة إلى أن هذه الزيادة في مبيعات العتاد الحربي حصلت في سوق عالمية في أوج ركودها وإسرائيل هي المصدر الوحيد الذي سجل تقدما في الأسواق الخارجية.
ولا تنشر وزارة الدفاع الإسرائيلية احصائيات رسمية عن المبالغ والبلدان التي صدرت إليها الأسلحة.

الفقر يزداد في بريطانيا

أفادت أرقام رسمية نشرت أن عدد الفقراء يزداد في بريطانيا بحيث أصبح يشكل طفلا من أصل ثلاثة تقريبا في حين أن الهوة بين الأكثر فقرا والأكثر غنى تزداد اتساعا.
فقد أبرز تحقيق أجرته وزارة الشؤون الاجتماعية أن ١٣,٩ مليون بريطاني حتى سنة ١٩٩٢ يعيشون دون عتبة الفقر أي انهم يعيشون في عائلة يقل مستوى دخلها عن ١١٤ جنيها استرلينيا (١٧٠ دولارا) في الأسبوع أي عن مستوى نصف الدخل المتوسط ولم يكن عدد هؤلاء يزيد عن خمسة ملايين في ١٩٧٩.
ويشمل هذا الوضع قرابة طفل من ثلاثة (٣٢ بالمئة) أي ٤,١ ملايين طفل في ١٩٩١ - ١٩٩٢ انضم ٤٠٠ ألف بريطاني - بينهم ٢٠٠ ألف طفل. إلى فئة الذين يعيشون دون عتبة الفقر.
وأظهر التحقيق الذي شمل عينة من ١٨ ألف شخص أن دخل العائلة المتوسطة ارتفع من ١٦٨ جنيها في ١٩٧٩ إلى ٢٢٩ جنيها في ١٩٩٢ أي بزيادة قدرها ٣٦ بالمائة.
وكشف التحقيق أن دخل العشرة بالمائة من العائلات الأكثر فقرا (يقل دخلها عن ٦١ جنيها في الأسبوع) انخفض بمعدل ١٧ بالمئة خلال هذه الفترة في حين أن دخل العشرة بالمئة من العائلات الأكثر غنى ازداد ٦٢ بالمئة.

ألمانيا تدعو لحماية نسرين!!

دعا وزير الخارجية الألماني - كلاوس كينكل - حكومة بنغلاديش إلى بذل كل ما في وسعها لحماية الكاتبة تسليمة نسرين.
وقال كينكل في بيان صادر عن وزارة الخارجية الألمانية: إن قرار نسرين الشجاع بتسليم نفسها إلى القضاء يجب الا يعرض حياتها وأمنها للخطر. اني أرجو من حكومة بنغلاديش أن تسمح لنسرين بمغادرة البلاد إذا رغبت بذلك.
ورحب كينكل بنسرين في ألمانيا «ساعة تشاء» وكانت الكاتبة نسرين «٣٢ عاما» التي صدرت مذكرة توقيف بحقها بتهمة الإدلاء بأقوال تسيء إلى القرآن الكريم سلمت نفسها إلى القضاء بعد شهرين من الاختفاء وتواجه نسرين عقوبة بالسجن سنتين.

تبرع خيري

أعلنت شركة عقارات الكويت عن تبرعها بمبلغ ٧٠ ألف دينار لصالح الجهات والجمعيات الخيرية الإسلامية في البلاد علاوة على حصة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وقدرها خمسة بالمائة.
وذكر بيان صادر عن الشركة ان الشركة تقوم بتقديم هذه التبرعات سنويا منذ تأسيسها وذلك كحق وواجب على الشركة تجاه هذه الجهات والجمعية الخيرية والإسلامية داخل البلاد.
وكانت الجمعية العامة لشركات عقارات الكويت المنعقدة بتاريخ ١٥/٥/٩٤ قد قررت الموافقة على تخصيص مبلغ ٧٠ ألف دينار تحت بند التبرعات.

٣٠ ألف يهودي يتركــون مــدينـــة القـــدس

أكـدت «ســارة هيرشكـوفيتش» رئيسـة وحدة الحساب الاستراتيجي ببلدية القدس ان معـدل هجرة اليهـود من القدس قـد زاد بشكل حاد حيث بلغ عدد المهـاجرين الذين تركـوا المدينة المقدسـة ثلاثين ألف مهـاجر معظمهم من الشباب، وأشـارت الباحثة إلى أن عـام ١٩٩٣م هو أكبر عـام هـاجر فيـه يهود من مـدينـة القـدس إلى مستعمـرات وأماكن أخـرى حيث بلغ عددهم مـا يقرب من ٢٠ ألف شخص.

ارتفــاع معــدل الجريمــة في أمــاكن العمل الأمــريكيــة

ذكرت وزارة العدل الأمريكية أن واحدة من كل ست جرائم عنف تحدث في العمل وتـؤثر على مـا يقرب من مليـون ضحية في أنحـاء الولايات المتحدة كل سنة.

وخلصت الـوزارة إلى أن ١٦ في المائة من كل الجرائم وثمانيـة في المائة من كل حالات الاغتصـاب وسبعة في المائة من السرقات تحدث في أماكن العمل، وانه لا يتم الابلاغ عن أكثر من نصفها.

وقالت الوزارة ان الضحـايا يفقدون كل سنة ١,٨ مليـون ساعة عمل ويخسرون أجــوراً تبلـغ ٥٥ مليــون دولار إجمالا بسبب الجرائم. وتم جمع الإحصاءات من دراسـة سنوية أجـرتها الوزارة عن ضحايا الجرائم في أمريكا من عام ١٩٨٧ وحتى عام ١٩٩٢.

المجـــاعـــة تهدد أكثـــر من مليـــون ونصف كيني

أفـادت منظمات إنسانيـة مختلفة في نيروبي أن أكثـر من المليـون ونصف المليـون كيني ضحـايـا مـوجـة الجفـاف مهددون بالمجاعة وهم بحـاجة إلى الحصول على مساعدات غذائية «على الأقل حتى العام ١٩٩٥» مما يؤكد حالة تتفاقم خطورتها منـذ ثلاث سنـوات. ووفقا لـلأرقام التي قـدمها برنـامج الأغذية العـالمي فإن ٨٠٠ ألف شخص استفادوا في العام ١٩٩٢ مـن توزيع المواد الغـذائية لسد نقـص الإنتاج المحلي.

الخمـر والمخـدرات أهم أسبـاب حـوادث السير في أسبـانيـا

جاء في تحقيق صحـي بأسبانيا نشرته مجلة «ترافيكو» ان الإفراط في تنـاول الخمور والمخـدرات والأدوية يعـد السبب المبـــاشر في ٥٨ في المائة مـن حـــوادث السير بأسبانيا.

وقـــــال التحقيـق إن ثمانين في المائة من بين ألـف وخمسمائة سـائق أسبـاني، اعترفوا بأنهم يتنـاولـون يوميـا أو مرات عديـدة في الأسبوع مشروبات كحـولية. وأكد ٤٣ في المائة أنهم غالبا ما يقومون بقيادة سياراتهم وهم في حالـة سكر. وقالت مجلة «تـرافيكو» إن الإفراط في تنـاول الأدويـة التي تعتمد صنـاعتهـا على مخدرات يتسبب في ثمانية في المائة من حوادث السير.

وحسب نفـس التحقيق، فإن حـــوادث السير تعتبر السبب الـرئيسي في الوفـاة بين السكـان الشباب الـذين تتراوح أعمارهم مابين ١٨ و٢٥ سنة.





إعـــــداد أحمد الجيـــــار

أبــو العتــاهيـة يعظ الــرشيــد

دخل أبـوالعتاهيـة يومـا على هارون الـرشيد أمير المؤمنين فقـال: أبوالعتاهية فرد أبو العتاهية.
قال هارون: الذي يقول الشعر؟! قال أبوالعتاهية الذي يقول الشعر
قال هارون : عظني بأبيات شعر وأوجز فأنشد:

لا تأمـن الموت في طـــرف ولا نفس
واعلم بأن سهــام الموت قــاصــدة
تـرجـو النجاة ولم تسلك مسـالكهـا
ولـــو تمنعت بـالحجــاب والحرس
لكـل مــــدَّرع منـــــا ومتَّرس
إن السفينـــــة لا تجري على اليبس

أقـــــوال الحكماء

– قيل للكذوب : أصدقت قط؟! قال : أكره أن أقول: لا. فأصدق.



– يقـال : الأذلاء أربعـــة : النمام والكـذاب والمدين والفقير.



– قـال الأحنف : اثنـان لا يجتمعـان أبـداً الكـذب والمروءة



– وقيل : من ثقل على صـديقه.. خف على عـدوه.. ومن أسرع إلى النـاس بما يكرهـون قالـوا فيه مـا لا يعلمون.



– وقيل لبعض الحكماء : متى يكون الأدب شراً من عدمه فقال : إذا اكثر الأدب ونقص العقل.

من هدى كتاب الله

قـال اللـه تعالى : ﴿إن الـذين يحبـون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنـوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾

مثـــل هنـــدي

الحق كالزيت يطفو على الدوام!

دع كلام الناس

فلا أحـد من ألسن النــاس سالم
ولـــو أنـــه ذاك النبي المطهـر
فإن كان مقداما يقولـون أهوج
وإن كان مفضالا يقـولون مبذر
وإن كـان سكيتا يقـولـون أبكم
وإن كان منطيقـاً يقولـون مهذر
وإن كان صـواما وبـالليل قائما
يقـولـون زوار يــرائي ويمكـر
فلا تكترث بالناس في الذم والثنا
ولا تـخش إلا اللـــه واللـــه أكبر

نهاية لابد منها

بنى أحـد الأغنياء قصرا فخماً وفـرشه بأحـدث الأثاث ودعـا الناس جميعـا إلى مأدبة فاخرة وأجلس على الباب رجـلا وقال له: كل من يخرج من القصر سله : هل رأيت في القصر عيبا؟ فأخـذ الرجل الجالس على الباب يسأل: فيقال لـه: ما رأينا في القصر عيباً؟ وأخيراً خـرج رجل فقال لـه: هل رأيت في القصر عيباً؟ فقـال الرجل : رأيت عيبين في القصر!! قـال : مـا هما؟ فقـال الـرجل: سيمـوت صـاحب القصر، وسيخرب القصر في يوم من الأيام!!

لا تتعجل الحكم

قال الشعبي:
كنت جـالسا عند شريـح (القاضي) إذ دخلت امـرأة تشتكي زوجها وهـو غائب وتبكي بكاء شديداً فقلت: أصلحك الله ما أراها إلا مظلومة!! قال شريح: وما علمك؟ قلت لبكائها. قـال: لا تفعل فإن اخوة يوسف (جاءوا أباهم عشـاء يبكون) وهم له ظالمون!!

أفضل الكسب وشره

الدراهم أربعة : درهم اكتسب بطاعة الله وأخرج في حق الله فذاك خير الدراهم. ودرهم اكتسب بمعصية الله وأخرج في معصية الله فذاك شر الدراهم، ودرهم اكتسب بأذى مسلم واخرج في أذى مسلم فهو كذلك، ودرهم اكتسب بمباح وانفق في شهوة مباحة فذاك لا له ولا عليه.

مواطن القلب

للقلب ستة مواطن يجول فيها لا سابع لها ثلاثة سافلة وثلاثة عالية فالسافلة دنيا تتزين له ونفس تحدثه وعدو يوسوس له فهذه مواطن الأرواح السافلة التي لا تزال تجول فيها. والثلاثة العالية: علم يتبين له وعقل يرشده وإله يعبده. والقلوب جوالة في تلك المواطن.

لا تتعجل

قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه:

إذا أتاك الخصم وقد فقئت عينه فلا تحكم له حتى يأتي خصمه، فلعله قد فقئت عيناه جميعاً!!

الحمدلله

قال عبدالله بن جعفر:

قد يرزق المرء لا من فضل حيلته — ويصرف الرزق عن ذي الحيلة الداهي
ما نالني من غنى يوما ولا عدم — إلا لقولي عليه الحمدلله

* * *

كتمان السر

رأى ابن عمر رضي الله عنهما مع أعرابي كلبا فسأله: ما هذا الذي معك؟

فقال الأعرابي : من يشكرني ويكتم سري! فقال ابن عمر:

فاحتفظ بصاحبك وقال أحدهم: رأيت مالك بن دينار ومعه كلب فقلت: ما هذا: فقال: خير من جليس السوء

أقل الناس عقلاً

أقل الناس عقلا من فرط في اكتساب الاخوان لأنهم حلية الرجل، وأقل منه عقلا من ظفر باخوان فضيعهم!!

خمس خذوهن عني

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

خمس خذوهن عني: لا يرجون عبد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحي إذا سئل عما لايعلم أن يقول: الله أعلم، واعلموا أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس في الجسد وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان.

ابن قيم الجوزية

النية هي الأساس

الإسلام لا ينظر إلى العمل بكمه، بل ينظر إلى ماوراءه من نية ويفي بما يكشف عنه من طوية، فرب إنسان يتصدق بشق تمرة مع إخلاص النية وصدق الإحساس فتكون الصدقة الهنية في نظر الناس جزاؤها العظيم عند من يطلع على القلوب ويعلم ما في الأنفس.

الثقة

شهد الأحنف مصعب بن الزبير وهو يوبخ رجلا ويقرعه ويقول:

أبلغني عنك الثقة كذا وأبلغني عنك الثقة كذا وكذا، فقال الأحنف: كلا أيها الأمير إن الثقة لا يبلغ!!

الضجر والكسل

ينسب إلى جعفر الصادق في كتب المواعظ قوله:

إياك وخصلتين : الضجر والكسل فإنك إن ضجرت لم تصبر على حق وإن كسلت لم تؤد حقا.

حكمة

قال العثمان لابنه:

يابني من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مدخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم!



فتاوى

منتقاة ممـا تصدره إدارة الأفتاء والبحـوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء..
والمجلـة على استعـداد لتلقي الأسئلـة مبـاشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقى الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية : ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

البيع والشراء خلال فترة صلاة الجمعة

* أرجو افـادتي عن الرأي الشرعي في موضوع مـزاولة البيع والشراء خلال فترة صلاة الجمعة، فكثير من التجـار لا يراعون هذا الموضوع ويستمرون في البيع في هذه الفترة مثل سوق الجمعة أو المعارض التي تقام في فترات محددة يكون خلال هذه الفترة أيام الجمع ويبرر بعض الأشخـاص هـذا العمل بأن الـرواد الأساسيين في هـذه الأسـواق أو المعارض النساء وهن لا تجب عليهن صلاة الجمعة في هذه الفترة.

فالسؤال على النحو التالي:

هل يجوز البيع والشراء في هذه الفترة أو يجب أن تغلق الأسواق؟ وهل يجوز للنسـاء البيع والشراء في هـذه الفترة حتى ولـو لم تجب عليهم صلاة الجمعة.

– ناقشت اللجنـة الموضوع، وراجعت الموسـوعة الفقهية، وعليـه فقد أجابت بالآتي: بأنه يجب على مـن سمع الآذان الثاني من يوم الجمعة السعي إلى صلاة الجمعـة، وترك البيع والشراء، فمن اشتغل بشيء من ذلك، وكان ممن تجب عليـه الجمعة، كان آثما وكان فعلـه محرَّما. مع ملاحظة أن الجمعة لا تجب على المرأة والصبي والمريض.

حكم خميرة البيرة

* نفيدكم بأنه قـد ورد إلينا منتجات غذائية تحمل بطاقتهـا بيانا عن وجود (خمير البيرة) ضمن مكـوناتها وكجـزء من تسميتها (خليط دونـات متخمـــرة بخميرة البيرة) علما بأن الخميرة المستخدمة مسمـوح بها والمنتج خالٍ من الكحول.

الرجاء الاطلاع ومـوافاتنا بأسرع وقت ممكن بما تـرونـه حـول جـواز استخـدام كلمـة (البيرة) حيث ان التسمية المنصـوص عليها في المواصفات القياسية المعتمدة هي (خميرة الخبز).

مع خالص التحية،،،

– وترى اللجنـة انه لا يحرم شرعـا تناول هـذا المنتج مـادام قـد ثبت خلـوه مـن المواد المسكـرة وينبغي حذف كلمة (بيرة) من البطاقة سدا للذريعة.

حكم العـــربـــون في البيـع

* بعت أرضا بمبلغ ٢٥٠ ألف دينار لشخص في الكويت وقد دفع لي مبلغ (١٠) عشرة آلاف دينار عربونا وأخذ مني توقيعا على المبلغ كتثبيت للبيع على أن يدفع لي باقي المبلغ خلال أسبوعين ومضت مدة أربعين يوما تقريبا، ولم يدفع المبلغ حيث إن السعر وبعد مرور شهر من دفع المبلغ نزل إلى مائة وستين ألف دينار. لذلك رفض الدفع وامتنع عن الشراء وطالبني بالعربون.

فهل يحق له أخذ العربون أم لا؟ أفيدوني جزاكم الله خيرا.

– بعد أن ناقشت اللجنة الموضوع واطلعت على ما كتب في الجزء (٩) من الموسوعة الفقهية في مصطلح (بيع) أجابت: بأنه لا حق للبائع في العربون إن لم يتم البيع، لما ثبت عند جمهور الفقهاء والمحدثين من أن النبي ﷺ نهى عن بيع العربان. رواه أحمد والنسائي ومالك. ولأن البائع إذا أخذ العربون دون أن تتم الصفقة يكون قد أخذ مال الغير دون مقابل، وأكل مال الناس بالباطل. على أنه من حق البائع إذا كان عقد البيع قد استوفى أركانه وشروط لزومه – فلا يجوز للمشتري الرجوع عنه دون أن يقيله البائع من التزامه بهذا العقد – ويمكن أن يلجأ إلى القضاء للحكم بنفاذ البيع، أو لتعويضه عن الضرر، إن رأي القضاء ذلك.

حكم الأشربـــة المصنعـــة من الكحـــول

* وردت لنا كمية من مركز شراب «الابرتن» ولكون هذه المادة تستخلص من مادة الكحول، والتي بعد التصنيع النهائي للاستهلاك الآدمي تكون خالية تماما من الكحول. لذا نرجو التكرم بأخذ رأي الشرع بمدى صلاحية ذلك؟. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

– ليس للمسلم أن يتعامل في الخمر في أي طور من أطوارها، ولكن لو كان عنده عصير فتخمر بنفسه ثم تخللت هذه الخمر من غير أن يعمل فيها عملا فإنها تطهر وتكون خلا جائز الاستعمال أما إن عمل فيها عملا حتى صارت خلا فإن عمله بها حرام ولكن الخل الناتج منها يكون طاهرا جائز الاستعمال، وهذا التفصيل بالنسبة إلى المسلم أما إذا عمل بها غير المسلم وصارت خلا فإن الخل لا شك يكون حلالا. وعلى هذا فإن هذه المادة وهي «الابرتن» إذا وصلت إلى درجة ليس فيها كحول فإنه يباح استعمالها.

حكم تأجير محلات بيع الأشرطة الماجنة

* هل يجوز تأجير محل لبيع أشرطة الفيـديو والتي تحتوي على أفلام ماجنة وهابطة
١ – من كشف للعورة ٢ – ورقص النساء
٣ – والقبلات. إضافة إلى أشرطة ثقافية.

– تأجير محل لبيع أشرطـة الفيديـو جـائز شرعا إذا كـانت المادة التي تحتـوي عليها مبـاحـة شرعا كـالمواد الدينيـة والتربـوية والعلميـة والترفيهية التي تخلو من الإغراء ومن تشـويه المبادىء الإسلامية ولا يجوز تأجير المحل لبيع أشرطة الفيديو المحرمة وعلى المالك عنـد تأجير محل لمزاولـة هـذه المهنـة أن يشترط على المستأجـر الاقتصار على مـاهو جـائز وإلا يحق له إخلاء المحل ■

حكم الشرع في اللحم والخبز المقدم في المطاعم الغربية

* هل يجوز أكل اللحم المقدم في المطاعم الأمريكية؟

– يجوز أكل اللحم المقدم في المطاعم الأمريكية وغيرها من بلاد أهل الكتاب إذا لم يكن لحم خنزير أو غيره من الحيوانات المحرّمة ولم يعلم أنه مذبوح بطريقة غير شرعية والله أعلم؟

* بعض المطاعم الأمريكية تستخدم دهن الخنزير للقلي أو في الخبز أو الكعك فهل على المسلم أن يسأل عن نوعية الدهن المستخدم في كل مطعم يدخله؟

– لا يجب على المسلم أن يسأل عن نوعية الدهن المستعمل إلا إذا وجدت قرائن قوية تثير الشبهة والله أعلم.

* بعض المنتجات كالخبز يكتب عليها في المحتويات دهن فقط دون ذكر نباتي أو حيواني فهل يستحب الاتصال بالشركات المنتجة له للاستفسار عن نوعية الدهن المستخدم؟

– يعرف جوابه من جواب السؤال الثاني. والله أعلم..

* تكثر الشكوك حول مواد معينة كالجيلاتين أو الخبز المستخدم في مطاعم معينة مثل مطاعم (مكدونالد) ويظن بأن دهن الخنزير مستخدم فيها فهل يجوز أكلها مع وجود الشك؟ وهل يستحب السؤال عنها؟

– إذا كان المراد بالشك أن يستوي عند الأكل طرفي الأمر من وجوده وعدمه فلا عبرة بالشك حينئذ شرعا حتى يغلب على الظن رجحان وجود سبب التحريم والسؤال على سبيل الورع حين الشك مستحب والله أعلم

* بعض المطاعم تشوي لحم البقر على نفس الصفيحة التي تشوي عليها لحم الخنزير فهل يجوز أكل ذلك اللحم؟ وكذلك تستخدم نفس السكين في القطع؟

– إن كانت الصفيحة التي يشوى عليها لحم الخنزير قد جفت تماما بفعل النار فيجوز أكل اللحم الحلال المشوي عليها، وأما السكين ونحوها من الأدوات فإن كانت صقيلة لاتتشرب النجاسة فإنها تطهر بالمسح الذي يزيل جميع آثار النجاسة ولو لم تغسل وإن غسلت فهو أفضل. والله أعلم..

* هل يجب قراءة قائمة المحتويات المكتوبة على الأطعمة للتأكد من عدم وجود منتجات خنزيرية أو كحولية؟

– إذا وجدت الشبهة وجب قراءة قائمة المحتويات والله أعلم.

* هل يجوز العمل في مطاعم تقدم الخمور أو لحوم الخنزير وذلك في أي من الوظائف التالية:

أ – جرسون (مقدم طعام). ب – غاسل صحون. ج – مستقبل للزبائن. د – محاسب أو مدير.– وهل يجوز الجلوس في مطاعم تقدم الخمر؟

الأصل انه لا يجوز للمسلم أن يعمل في محل يكون فيه طعام أو شراب محرّم ولا أن يستقبل الزبائن الذين يتعاطون المحرمات فالمحاسب إن كان يقبض الثمن فلا يجوز له تولي ذلك. وإن كان عمله رصد الحسابات أو – تدقيقها فيكره ولا يحرم، وأما غسل الصحون فيجوز وهذا كله مالم يكن مضطرا إلى العمل أو في حاجة شديدة إليه فيعمل إلى أن يجد عملا مباحا. ولا يحرم على المسلم أن يجلس في محل يقدم الخمور، وعليه أن يتجنب الجلوس على مائدة تقدم عليها خمرة، ولكن يجلس على مائدة أخرى ليس عليها خمر. لقول النبي ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعدن على مائدة يدار عليها الخمر) رواه أحمد والله أعلم.

* هل يجوز بيع الأطعمة التي تحتوي على مواد محتواها خنزير أو كحول حيث إنه يكثر في امريكا وجود مسلمين يملكون محلات «بقالة» تبيع البيرة ولحم الخنزير والدخان أو يعملون بها؟

– لا يجوز للمسلم بيع الأطعمة التي تحتوي على مواد مأخوذة من خنزير أو كحوليات ولا بيع البيرة المسكرة، أما بيع الدخان فمكروه ومع ذلك لا يجوز العمل في محلات البقالة التي تباع فيها بعض الأطعمة والأشربة المحرّمة على أن يلتزم العامل اجتناب مزاولة بيع المحرّم مما فيها، فإن كان ذلك يقطعه عن العمل فيباح له عند الضرورة أو للحاجة الشديدة كما تقدم في جواب السؤال السابع والله أعلم.

البيع والشراء بالدين

* هل يجوز بيع وشراء الحنطة والشعير والتمر والملح بالدين نسيئة أو يدا بيد من صاحب المحل بدون زيادة في السعر النقدي أو مع زيادة عن السعر النقدي في حال الدين.

– أجمع العلماء على جواز بيع الحنطة والشعير والتمر والملح بنقد ذهبي أو فضي أو ماقام مقامهما من العملات النقدية حالا أو مؤجلا سواء أكان المؤجل بسعر الحال أم أكثر أم أقل.

* هل يجوز بيع الطعام لمن يتناوله بالنهار في رمضان للمسلمين أو غير المسلمين؟

– لا يجوز بيع الطعام لمن يعلم أنه يتناوله في نهار رمضان من المسلمين إلا أن يكون له عذر يبيح له الفطر كأن يكون مسافرا أو مريضا، أما بيعه لغير المسلمين فجائز.



موقف الإسلام من غيرة النساء

ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان عن سائر المخلوقات بالعقل، وهداه النجدين إما شاكرا وإمـا كفـورا. أي فطـره على الخير والشر مختاراً بين المعصية والطاعـة، ولقد ميزه الله بمجموعة من المشاعر والأحاسيس، ومن هذه المشـاعـر والأحـاسيس الشعـور بـالغيرة والإحساس بها وسأتناول هـذا الشعور عند المرأة.

وسأتناول في هذا المقال الآتي من العناصر

* مفهـوم الغيرة : هي شعــور طبيعي فطري مثلـه مثل كافة الأحاسيس والمشـاعر الكامنـة داخل الإنسان وقد تكـون محمودة أحياناً ومذمومة في أحيان أخرى.

* أنواع الغيرة:

١ - الغيرة المحمودة: هي الغيرة التي تتفق مع الشرع. مثل الغيرة على محارم اللـه وعدم تجاوزها (الدكتـور محمد حسن أبويحيى في كتابه أهم قضايا المرأة المسلمة)

وقد بين الـرسول ﷺ بقولـه «المؤمن يغار والله أشد غيرة» رواه مسلم ٤/ ٢١١٥

ويقــول ابن قيم الجوزيـة : فمحب اللــه ورسولـه يغار لله ورسـوله على قـدر محبته وإجـلالـه، وإن خــلا قلبـه من الغيرة للـه ولرسـوله فهو من المحبـة أخلى وإن زعم أنه من المحبين، فكـذب من ادعى محبة محبـوب من النـاس وهـو يـرى غيره ينتهك حـرمـة محبـوبه ويستهين بحقـه ويستخف بأمـره وهو لا يغار لذلك. بل قلبه بارد.

٢ - الغيرة المذمومة: هي غيرة لا تكون لله ولا لـرسـولـه ﷺ وإنما من أجل الشيطـان وهوى النفس وتعتبر في هـذه الحالة مـرضا يفتك بصاحبه ويدفعه إلى الشك والظنون.

يقول الـدكتور أمير بقطر في مجلـة التربية الحديثة:

«الغيرة كسـائر الأمـراض النفسيـة تفتك بصـاحبها، فيختل تـوازنه ويضطـرب حبل شخصيتـه، وتضطـرب حياتـه الشخصيـة الـوجـدانية، وينبري جسمـه، وتنحط قـواه العقلية، ويقل إنتاجه».

وقد بين الرسول ﷺ هـذا النوع بقوله «إن من الغيرة ما يحب الله ومنهـا ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، وأما الغيرة التي يبغضهـا الله فالغيرة في غير الـريبـة» حـديث حسـن أخـرجـه أبـوداود (٢٦٥٩) والإمام أحمد.

ونجـد هـذا النــوع من الغيرة المذمـومـة يتفشى ويتكاثر في معظم النساء، بحيث نجد أن المرأة تغار من ملبس جـارتها أو حليها أو أثاث بيتها، وتطلب من زوجهـا مثله وتحمله مـالا يطيق وبـذلك يـدب الشجـار والنفـور والخلافات ممـا يؤدي بها إلى تفتت العـلاقة الزوجية وانهيار الأسرة المسلمة، أو يؤدي إلى اضطرار الـزوج ولجوئه إلى الحرام أوالكسب غير المشروع.

ومن أمثلـة الغيرة المذمومـة أن تغار المرأة من جمال غيرها من النسـاء ومبالغة المرأة في الغيرة على زوجها والتقليد الأعمى من النساء المسلمات لغيرهن ممن لسْـنَ على دين اللــه ومحاربة المرأة للزوجة الثانية.

* كيف عالج الإسلام غيرة المرأة

لا شك أن الإسلام دين شـامل لكل نواحي الحياة، ومهتم بكـل صغيرة وكبيرة حتى ولو كانت تخص المشـاعر والأحـاسيس كالغيرة مثلا

من عظمـة الإسـلام أنــه وقف بجـانب الحيـاة الـزوجيـة، وعـالج الأسبـاب التي تعصف بها وتصل بها إلى مفترق الطـرق، فقـد أمـر اللـه بغض البصر لتعلقـه بهوى القلب وحفظ الفــرج فقــال تعــالى: ﴿قل للمؤمنين يغضـوا من أبصارهـم ويحفظوا فـروجهم ذلـك أزكى لهم إن اللـه خبير بما يصنعون﴾ النور/ ٣٠.

ولكي لا تحدث الفتن من جانب المرأة قال تعــالى: ﴿وقل للمـؤمنــات يغضضن من أبصـارهن ويحفظن فـروجهن ولا يبـدين زينتهن إلا ما ظهر منها..﴾ النور / ٣١

وقال تعـالى في الأمر بعـدم اللين في القول والخضوع والـرقة في الحديث مع الـرجال: ﴿إن اتقيتن فـلا تخضعن بالقـول فيطمع الذي في قلبـه مرض وقلـن قولا معـروفا﴾ الأحـزاب/ ٣٢ وذلك مخاطبـاً نسـاء النبي ﷺ وآمراً سبحـانه وتعالى النساء بـالقعود في البيت وعـدم التبرج فقــال ﴿وقـرن في بيـوتكن ولا تبرجـن تبرج الجاهليـة الأولى وأقمن الصـلاة وآتين الزكـاة وأطعن اللـه ورسوله﴾ الأحزاب / ٣٣

هـذا مــا وفقني اللـه لــه واللـه من وراء القصد□

شحاتة محمد حسين عمر

أمة الإسلام تناديك

إن ما تعيشه أمتنا الإسلامية من مآسٍ اجتماعية، وسياسية، واقتصادية وأمنية يقتضي منك أيتها الفتاة المسلمة وقفة تزن الأمور بميزان العقل والدين.

وقفة زوجة تعي ظروف زوجها وترعاه في مالـه وأولاده وتحفظـه في شرفـه وعرضـه. وقفة مربية تعرف الحق والواجب وتساوي بين التلاميذ وتعاملهم دون تفريق أو تمييز.

وقفة باحثة ترصد الظواهر والمشاكل وتحللها وترصد الحلول لها في ضوء الإمكانات.

وقفة شاملة تلهب العزائم وتشد أزر الرجال وتستنهض الهمم وتخرج الطاقات الكامنة، لن أقول لك إن دورك من الخطورة بمكان، فأنت أنت تعلمين حقيقة دورك، وما عليكِ إلا أن تكوني كما شاء الله لك أن تكوني.

لن أقول لك مكانك البيت فقط. لا بل كوني في أي مكان شئت.

في المدرسة تقدمين العلم والمعرفة والحب والحنان.

وفي الجامعة تتلقين العلوم والمعارف.

وفي المستشفى تعالجين المرضى وتقومين بتمريضهم، وفي الإذاعة والتلفاز تقدمين البرامج الناهضة التي تبعث في النفس بهجة وسرورا، وتحرك العقول حركة أكيدة في سبيل الرقي والتقدم.

وفي مجال السينما تقومين بالتمثيل الصادق المعبر عن هموم الوطن والمواطن بعيدا عن الإثارات الجنسية التي تجر شبابنا إلى الانحراف أو تدفعهم إلى المغالاة والتطرف.

أمة الإسلام تناديكِ أنت الأم والزوجة والأخت والمعلمة والباحثة والإذاعية والطبيبة أنت الفنانة المبدعة. أنت القادرة على تحقيق الاستقرار لك ولأسرتك. بيدك أن تحيلي الأسرة والبيت إلى روضة متناسقة متآلفة، والمجتمع كله إلى أسرة كبيرة متحابة متعاونة. مستقبل المسلمين وحاضر الأمة بيديك أيتها الفتاة المسلمة الأبية.

لك مني ومن كل شباب المسلمين التحية والمؤازرة على درب العمل القومي والوطني في سبيل إحداث النهضة الحقيقية التي تقوم على الولاء لله، والانتماء للشرف بأصالته وقيمه العريقة□

إبراهيم أحمد عبادة

ماقيل في الزهد والزاهدين

لقد عنى القرآن الكريم عناية واضحة بإيثار الآخرة على الأولى وتفضيل ما عند الله وهو دائم لا ينفد، على ما في الدنيا فهو زائل منتهٍ فقال عز وجل.

﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى﴾الأعلى/ ١٦و١٧ وقال ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾الرعد/ ٢٦ وقال ﴿ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار﴾غافر / ٣٩ وقال ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ العنكبوت/ ٦٤.

وقد ضرب الرسول ﷺ المثل الأعلى في الزهد والإعراض عن ملذات الحياة فقال «اللهم أحيني مسكيناً وتوفني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين»رواه ابن ماجه. ولما عرض عليه ربه أن يكون غنياً سأل ربه أن يجعله في الحياة بحيث يشبع حينا فيحمده ويجوع حينا فيسأله ويرجوه، عن سهل بن سعد قال «جاء رجل إلى النبي ﷺ – فقال يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»رواه ابن ماجه وقال ﷺ «أفضل الناس مؤمن مُزهد» رواه الديلمي أي مقل. وقال ﷺ «أزهد الناس من لم ينس القبر والبلاء وترك أفضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غداً من أيامه وعدّ نفسه في الموتى» رواه البيهقي وقال ﷺ لأصحابه «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولنا في الأخرة» متفق عليه.

قال يونس بن ميسرة «ليست الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ،ولكن الزهادة في الدنيا أن يكون بما في يد الله أوثق بما في يدك، وأن تكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء وأن يكون مادحك وذامك في الحق سواء» وقال الحسن «الزاهد الذي إذا رأى أحداً قال هو أفضل مني».

وقال وهب بن ورد «الزهد في الدنيا ألا تأس على ما فات منها ولا تفرح بما أتاك منها» وقال سفيان الثوري «الزهد في الدنيا قصر الأمل. ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء» وقال أبو سليمان الدرداني «الزهد ترك ما أشغلك عن الله عز وجل»

وقال الفضل بن عياض «الزهد أصل الرضا عن الله تعالى»

وقال الحارث بن عياض «الزهد يورث الراحة»

وقال يحيى بن الفضل «الدنيا بطنك فبقدر زهدك في بطنك يكون زهدك في الدنيا»

وقال الزهوي «الزاهد من لم يغلب الحرام صبره ولم يشغل الحلال شكره»

وقال ربيعة «الزهد جمع الأشياء بحقها ووضعها في حقها».

وقال الشلبي «الزهد تحول القلب من الأشياء إلى رب الأشياء»□

عاصم عبدالستار عثمان

هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القاريء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

من أروع وصايا الإسلام: «الدين المعاملة»

لقد اتفق علماء البلاغة - في القديم والحديث - على أن تعريف الطرفين (أي طرفي الجملة الإسمية). يفيد القصر والتخصيص، والقصر من أساليب البلاغة التي تنم عن هدف المتكلم ورغبته الملحة في قصر الخبر على المبتدأ بحيث لا يتعداه إلي غيره من نظرائه، وإن كانت هذه المعلومة بدهية فإننا في حاجة إليها الآن لنتحدث من منطلقها عن الهدف الرائع الذي ينشده الحديث النبوي الشريف: (الدين المعاملة)، فالحديث - في مجال هذا الحديث - يطول، لأنه يمس حالات المسلمين اليوم، فالجملة الاسمية التي تكون منها هذا الحديث تعرف طرفاها بـ (ال) التعريفية، وأفاد ذلك قصر الدين - وهو النهج الإنساني السليم - على المعاملة الحسنة الطيبة التي تجذب وتعجب المسلم وغير المسلم، فلحكمة جليلة جاء هذا الحديث الذي يعد من جوامع الكلم - مشيرا إلي أن أنجع أسلوب في الدعوة إلى الله - وإلى نهج الله في الحياة - إنما ينحصر في المعاملة الحسنة التي تعلن عن سمو أهدافنا، ونصاعة مبادئنا، وإنسانية عملنا، ونبض قلوبنا بحب الخير لكل مسالم في الحياة كائنا من كان.

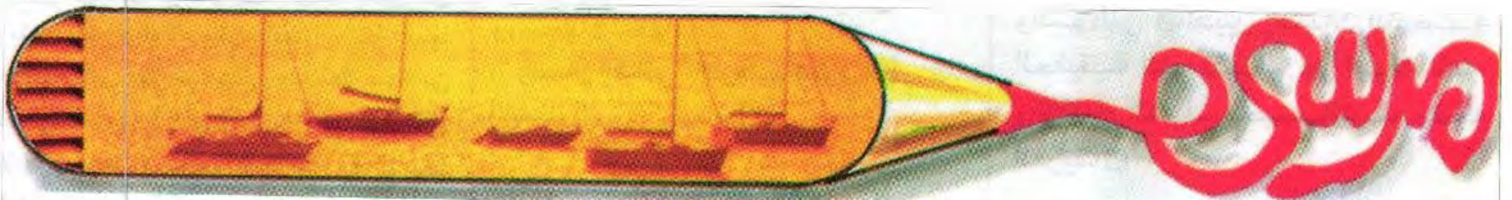
ولو قلبنا صفحات التاريخ المنصف الأمين لوجدنا أن المسلمين الأوائل قد نشروا دين الله بحسن التعامل في الحياة، تجاراً كانوا أو دعاة، لقد فتحوا القلوب قبل البلاد بسلوكهم الملائكي الرشيد، وآية ذلك دخول أهل البلاد المفتوحة في دين الله أفواجا من فور مشاهدتهم تعامل المسلمين الفاتحين لا الغزاة. فالفتح كلمة موحية بالخير والحب والعطف الإنساني، عكس الغزو الموحي بالسلب والنهب والجبروت، وآية ذلك أيضا انجذاب أهل البلاد المفتوحة للغة العربية: لغة القرآن، وانكبابهم على دراستها، ثم على تدريسها، والتأليف فيها، وذلك كله دون ضغط أو جبر أو إكراه، لأنه (لا إكراه في الدين) مبدأ سديد حمله أسلافنا كالمشعل الهادي في كل دروب الحياة.

إن الجهود الضخمة التي تبذل، والأصوات العالية التي تبح في الدعوة إلى دين الله لا تجدي فتيلا أو قطميرا إذا نأى الدعاة عن التعامل المثالي في الحياة. إن مقياس حسن المعاملة أن تنطق الألسنة بالإعجاب والشكر لصاحب التعامل، ألسنة أصدقائه وأعدائه على السواء، فالإعجاب يتبعه سؤال عن الدين الذي يترسم تعاليمه ذلك المسلم الصادق الأمين، ويتبع الإعجاب تقدير وإيمان.

وليتنا نسأل أنفسنا عن سر هذه الموجات المحمومة من العداء للإسلام والمسلمين اليوم، ولعل السؤال يسلمنا إلى أن التعامل اليوم ليس كتعامل أسلافنا أمس الذين نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ الحشر/ ٩.لقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالوفاء بعهد قطعه حذيفة بن اليمان مع المشركين الذين أرادوا منعه من الهجرة حتى لا يشترك في معركة بدر الكبرى، ولم يسمحوا له بالهجرة إلا بعد إعطائه لهم عهدا بأنه إذا هاجر لن يشترك في الغزوة، ولما هاجر وأراد أن يشترك في الحرب هو وأبوه (حسيل) ليحظيا بالشهادة وقال لهما الرسول - صلى الله عليه وسلم - في غضب «..انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم».

إننا نفخر ونفاخر بمبادئنا وسلوكنا، ومثالية تعاملنا عبر الزمن، وليتنا - مع الفخر - نترسم النهج، ونسير على الدرب، ونعي قيمة الوصية الرائدة: (الدين المعاملة) لنجنى الثمرة اليانعة ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ الحشر/ ٧■

بقلم الأستاذ : عبدالغني أحمد ناجي



هديتك مع العـ
براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

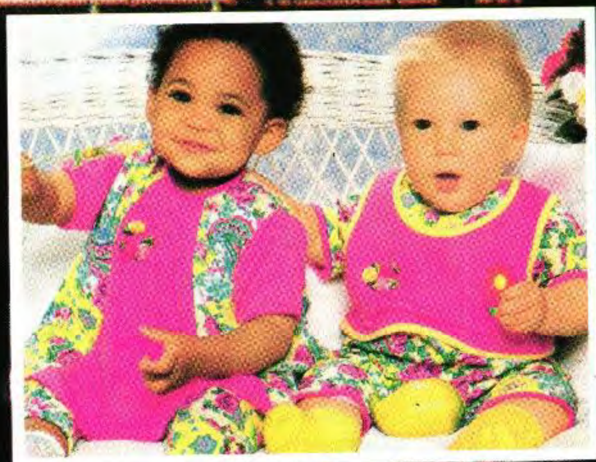
AL- WA E I AL- ISLA MI

اسلامية شهرية جامعة

العـدد ٣٤٥ - السنـة الحادية والثـلاثـون - جمادى الأولى ١٤١٥هـ/ أكتوبر (ت١) ١٩٩٤م

دعوة لإقامة سوق إسلامية مشتركة

دور المرأة في الصحوة



رعاية الطفولة في الإسلام

زكاة أموالكم

2.5%



الزكاة

للاستفسار
٥٦٢٢٢٢٤

بالزكاة والخيرات نحقق الكثير

بيت الزكاة

الوعي الاسلامي

جامعة — اسلامية شهرية — AlWEI AL-ISLAMI

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٤٥ - السنة الحادية و الثلاثون - جمادى الاولى - ١٤١٥ هـ / اكتوبر(ت١) ١٩٩٤م

هـاتف:
بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

كلمة العدد

الترفيه الاس تهلاكي

تشكل وسائل التسلية الحديثة مَعْلماً مهماً من معالم العصر، بامتداديه الشرقي والغربي، حتى نكاد لا نستثني من مناطقه مساحة جغرافية واحدة، تستهوي الصغار والكبار على حدّ سواء، وتتنوع بتنوع الذوق البشري، وإن كان القاسم المشترك بينها أسْر الانتباه وصرف المتعامل معها عن أمور ووسائل أكثر فائدة في ميدان تنمية المواهب، فوسائل الترفيه المعاصرة تنسجم مع زمن الاستهلاك الذي نعيشه ونصرف عليه من عقولنا وأموالنا وأوقاتنا..

ولئن كان الكبير قادراً على التمييز بين الغث والسمين، والمفيد والمفسد، فإنّ الصغير يقتات عليها ويتعلم منها ويتطبع بتوجهاتها البعيدة المدروسة دون أن يملك خياراً أو سلطة في تطويرها أو ترشيدها، ولذلك نخشى أن نحصد جيلاً مستقبلياً تمّ تدجينه ضمن سياسة فكرية واقتصادية محددة تنتج لنا أمّة ذات شخصية بعيدة عمّا تريده لها شريعة الله وتوجيهات نبيه ﷺ .. ولا يصح أن يبقى الأمر داخل دائرة الشكوى والتلاوم، والمطلوب خطوة عملية باتجاه منافسة ما تلفظه معامل الغرب والشرق من ألعاب الفيديو وسواها مما يثير الانتباه ويؤثر في العقول والنفوس وتفرغ الجيوب، والمطلوب بدائل حضارية تستخدم وسائل مشابهة ولكنها تسعى لنتائج إيجابية متوازية مع عقيدتنا وثقافتنا ورسالتنا الدينية المميزة..

والأمر يستحق التنفيذ، فهو واجب ديني، وفي طياته ربح اقتصادي، والمطلوب استفادة من التجربة وإخلاص في السعي، والله الموفق لكل خير ■

المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT.: 1005 - FAX: 965-2431740

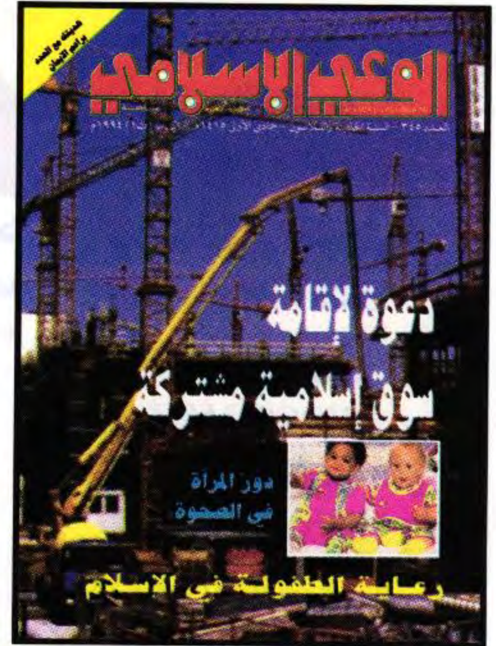
الاشتراكات

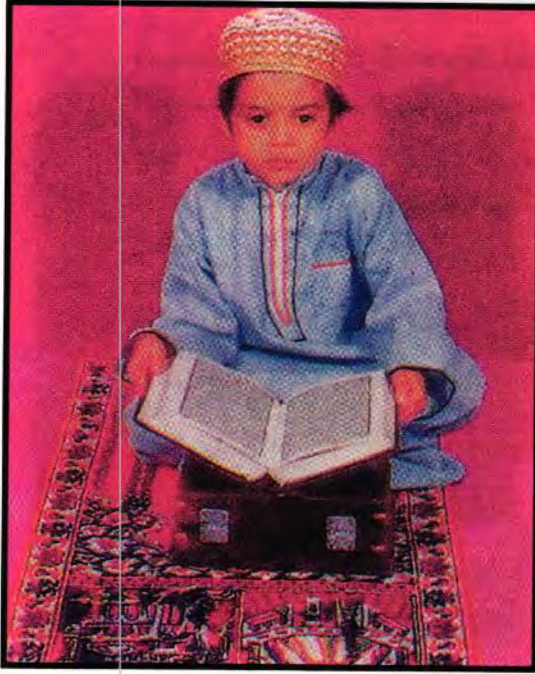
الاشتراكات: ـ داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها) ـ للموسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ بقية دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتاً(أو مايعادلها) * ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي -الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية) وكيل التوزيع: الشركة السعودية للتوزيع *الكويت : ص.ب ٢٩١٢٦ ـ الصفاة (١٣١٥٠) هاتف:٤٧٢٤٧٧٧ ـ فاكس: ٤٧٢٤٥٥٥ * الإدارة العامة، المملكة العربية السعودية، ص.ب : ١٣١٩٥ ـ الرمز البريدي، جدة ٢١٤٩٣ هاتف: ٦٥٣٠٩٠٩(١٢خط) ـ فاكس: ٦٥٣٣١٩١

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠فلس ـ ج.م.ع ٥٠ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما.

أقرأ في العدد





الرعاية الشاملة للطفولة في الاسلام

عبد الحفيظ نصار في مقاله عن رعاية الطفولة الشاملة في الاسلام في ضوء علم النفس التربوي يثير موضوعاً مهماً ذا أولوية على الساحة لاسيما ونحن نواجه كمّاً كبيراً من التفاعل الحضاري يحتاج منا مزيدا من الاهتمام بالأجيال القادمة لتبقى الرسالة قائمة والراية مرفوعة في الأيدي الأمنية.



يرتبط الاقتصاد الاسلامي بالقيم الايمانية والاخلاق السامية، وتمتلك البلاد الاسلامية كل عوامل الانتاج اللازمة لمقومات الحياة، ومع ذلك فالواقع الاقتصادي الحالي للعالم الاسلامي لا يلبي الحاجات المتزايدة لأبنائه، وفي حوار الدكتور حسين شحاتة رئيس جمعية الاقتصاد الاسلامي دعوة لإقامة سوق إسلامية مشترك، وجوانب مضيئة واقتراحات أخرى جديدة بالدراسة.

نظام الارث الاسلامي وتوزيع الثروة

لو أن الارث في الإسلام كان مقتصرا على وارث واحد، كالابن الأكبر (حسب بعض النظم الوضعية)، لتركزت التركة (الثروة) ولم تنتشر. نظام الارث في الإسلام نظام عائلي، لا نظام فردي، بمعنى أن التركة تتشعب بين أفراد العائلة، ولا تتركز لدى واحد منها، إلا إذا كانت العائلة نفسها لا تتعدى الفرد الواحد، وكان هذا الفرد الوارث وارثا قويا، كالابن أو الأب، كما سيأتي بيانه في مقال د. رفيق يونس المصري الباحث بمركز ابحاث الاقتصاد الاسلامي بجامعة الملك عبد العزيز، ففيه انارة لهذا الجانب المهم من حياتنا الاقتصادية.



اقرأ في الأعداد القادمة

- التراث العربي والاسلامي
  د. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
- مراكز افريقية للحفاظ على التراث الاسلامي
  محمود بيومي حسن
- تقديم لعلوم الاراضي من ظلال بعض آيات القرآن
  د. محمد احمد عبد المطلب
- الاعلام والصحوة الاسلامية والدور المطلوب
  حسن آيت الحاج
- التجربة والمشاهدة مبدأ أصيل عند المسلمين
  عبد الله بدران
- الاعلام الاسلامي ومشاكل البيئة
  د. بركات عبد العزيز محمد
- بعث الاشعاع الحضاري الاسلامي
  محمد علي وهبة المحامي
- تأديب الولد
  مصطفى بو هلال
- الثقافة الجمالية في الحياة الاسلامية
  محمود محمد الناكوع
- الوجود الاسلامي في جزر البحر المتوسط
  بهيج بهجت سكيك

محمد ﷺ القدوة والأسوة

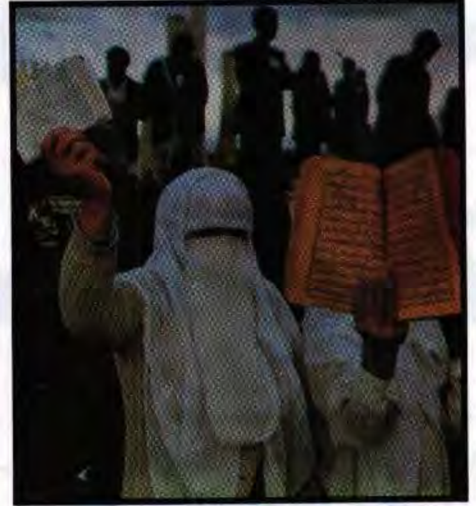
من تتبع آيات القرآن الكريم، وأمعن النظر فيها انتهى إلى رصيد ضخم وثروة لا حدود لها من الثناء والمديح الطيب، والتنويه الذي ليس قبله ولا بعده برسول الانسانية، وخاتم النبيين ﷺ . والدكتور ابراهيم علي ابو الخشب يحملنا لنرى بأم العين سيرة النبي ومكانته الشريفة.



في حركة الحضارة

يتحفنا الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي كعادته بأفكار نيّرة عن حركة الحضارة، وتجدد الحياة، ويناقش مذاهب مفسري ظاهرة حركة الحضارة المتجددة دائماً، مذكرا بالتفسير الإسلامي كما برز في فكر ابن خلدون، ويخلص إلى أن الاسلام هو طوق النجاة بالنسبة لجماهير الامة لا يحيدون عنه مهما حاول الآخرون.





دور المرأة في الصحوة الاسلامية

لم يكرم دين ولا مذهب في الحياة المرأةَ كما فعل الإسلام، وكانت أهلاً لذلك، وهي المشاركة الحقيقية لجهاد الرجل في عمله ودعوته، وقفت إلى جانب الأنبياء والرسل كما وقفت إلى جانب الصحابة والتابعين، وبرز في صفوف النساء من تفتخر بهن الأمة افتخارها بأعلام الرجال. وفي مقال الأستاذة خديجة علي شعبان المدرسة بمدارس الإيمان في لبنان إيضاح لدور المرأة المسلمة في صفوف الدعوة.





الاقلية المسلمة في بولندا

لاستطيان المسلمين بولندا قصة تاريخية لا تخلو من الطرافة، ولجهادهم في سبيل الحفاظ على هويتهم الثقافية والدينية قصة مخضبة بالدماء، ولمساهماتهم في تاريخ هذا البلد صفحات مشرقة.. عن واقع الأقلية المسلمة وانتشارها وتنظيمها اقرأ بحث الدكتور بوغدان سزاجكوسكي الاستاذ بقسم العلوم السياسية بجامعة اكستر البريطانية.



الفهرس

الافتتاحية

يعيش عالم اليوم خضمّ تحديات ومشاكل متعددة تتفاوت في درجة خطورتها على الحياة الإنسانية ومجتمعاتها بين بلد وآخر، ومنطقة وغيرها، تبعاً للظروف المتعددة المؤثرة سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وانعكاس بعض الظروف والإجراءات على مجتمع ما قد يكون أشد تأثيراً من الابتلاء المباشر، فالطوفان قد يؤدي إلى دمار مادي وخراب اقتصادي ونقص مالي كبير على ميزانية المجتمع المُبتلى، ولكنه قد يؤدي بالمقابل إلى بروز روح التعاون والتعاضد بين أبناء المجتمع الواحد، وقد يستيقظ التعاون الدولي من غفوته، ويسترد المجتمع الدولي فطرته السليمة التي ماتت أو كادت تحت ثقل آلاف حالات الاعتداء والاستهتار بالإنسان وقيمته..

تفتقد كثير من مجتمعات اليوم الشعور بالأمن الاجتماعي إضافة إلى ميادين الحياة الأخرى السياسية والاقتصادية والنفسية والعسكرية، وتكاد البسمة تختفي عن شفاه ملايين الأطفال والثكالى والمحتاجين بسبب الرياح العاصفة في مشارق الأرض ومغاربها، فهنا حرب طائفية، وهناك صراع عرقي، وهنالك تمييز عنصري، والكل يئنّ تحت وطأة المطحنة اليومية القاسية، ويبحثون عن حلّ، ويسعون أحياناً إلى ما يزيد في قلقهم ويبعدهم عن شواطيء الأمان بدل أن يقربهم منها..

وفي مثل هذه الأجواء الملبدّة يبحث الجميع عن ركن يأوون إليه، ومخرج يدلجون منه، وتنقسم الدنيا إلى محاور وتكتلات تسعى لتحقيق أعلى نسبة من المكاسب مقابل أقل كمية من البذل والتكاليف، وتعود سنّة التدافع لتلعب الدور الرئيس في الساحة الدولية، ونراوح في أماكننا بين (الشمال القادر و(الجنوب) الصابر، وبين (الصناعيين) ذوي الإمكانات، وبين الأيدي العاملة الباحثة عن لقمة العيش مغموسة بالغربة والعرق والسهر والمعاناة..

وفي ظل الإسلام لم يعد (الرأسمال) وحده قوّة الأمر والنهي، ولم تعد (المصلحة) وحدها هي الحاكم بأمره في المجتمع، ولم يعد الانتماء العرقي أو القومي أو الحزبي أو حتى الديني وحده هو الفيصل في الحكم والقضاء بين النّاس، فالناس يختلفون في عقائدهم وأجرهم على الله، وهم سواسية في الحقوق العامّة والواجبات تجاه أنفسهم وتجاه المجتمع مهما اختلفت ألوانهم وأديانهم، فرعايا الدولة المسلمة يحظون بنفس الاهتمام وتصلهم حقوقهم، ولا ننسى وقائع في عهد النبوّة والخلافة الراشدة ومن تبعهم بإحسان عن الاقتصاص لليهودي والنصراني المهضوم الحق من الظالم ولو كان مسلماً ومن أقارب الأمير أو حاشيته..

فقد شيّد الإسلام الشخصية الإنسانية السويّة أولاً، وهيأ المسلم ليكون على مستوى الرسالة الإلهية التي يحملها، ويتصدّى لنشرها بين النّاس، وبالتالي كانت الأمّة المسلمة أمة ذات مواصفات خاصة تمكّنها من القيادة والرئاسة بعيداً عن التسلط والجبروت، والفرق كبير بين أن

الاسلام والعدالة المنشودة

تكون حَكَماً وبين أن تكون متسلّطاً يستعمل سطوته وقوّته فيطغى وينسى من أي شيء خُلِق، الأمر الذي أوقع نمرود في قوله: ﴿ أنا أحيي وأميت ﴾ واستدرج فرعون حتى قال: ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾..

لم يرضَ الإسلامُ لأتباعه في أوج قوّتهم وصعود نجمهم وامتداد ملكهم ليغطي بقاع الأرض طولا وعرضاً أن يكونوا جبّارين في الأرض، يمشون بَطَراً وأشَراً، وإنما أرادهم أن يدركوا قيمة المسؤولية فيرتقوا إلى المعاني والصفات الراقية التي سمى الله تعالى بها نفسَه من الرحمة والكرم والعدل ليكون المجتمع المسلم مجتمع العدالة، فيحقق للإنسان توازناً لا مثيل له بين الروح والجسد، والعقل والعاطفة، والفردية والجماعية، والعفو والقصاص، فلا يطغى جانب على آخر ولا يتجاوز أحدٌ حده الذي ينبغي أن يقف عنده..

ذلك لأنّ صفة (الأمّة الخاتمة) يترتب عليها من التكاليف

مـا يبعدهـا عن أجـواء الترف الفكري والمادي، ويقـرّبها من الـواقع الإنساني المبني على المعاناة والتجـربـة، فـلا تبقى النصوص أسيرة الفكرة المجرّدة، ولا تنحصر الدعوة في منابر الكـلام دون منابـر التنفيـذ، ولا يفتقدك اللـه حيث يحب أن يـراك، أو يـراك حيث يكـره لك الحضـور، ومن ذاق حـلاوة الإيمان رفض مرارة الكفر، ومن أصابه سوط التضحية رفض الرقاد المميت، الذي نـراه اليوم في كثير من أوصال الأمة وهي تخبط خبط عشواء تبحث عن مخرج..

لقد حثّ الإسلام على ربط المنهجية العالية الموحى بها من السماء بالإنسان، فرداً وجماعة، وأمر بتكوين مجتمع إنساني راسخ بعيـد عن فوضى السلـوك وانحراف الأخـلاق وهبوط القيم، وبنى تشريعه بطريقة فذّة مدعاة للفخر وهو يرشّد كل أسباب السلطة والقوّة، ويهذّب كل النوازع والشهوات، وينمّي كل القابليات والطاقـات الكامنة في الإنسان، بحيث يصب كل ذلك فيما يعود على الفرد والجماعة بالخير ضمن إطار الطاعة الخالصة، والنـزاهة الكاملة، وفي ذلك أهم مميـزات الحضـارة الإسلامية..

فـالمال في الإسلام ملكيـة خاصـة، ولكن منفعتـه عامـة، والاسـلام يحث على التضـامن الاجتماعي، والتنميـة الاقتصاديـة التكافليـة، لتحقيق مصلحة الفـرد والمجتمع في وقت واحـد، دون تمييـز لتحقيـق ربح الافـراد على حسـاب الجماعة، ويحد بالتالي من الأنـانية والاندفاع الأعمى لتحقيق المصلحـة الخاصّة ولـو على حساب المصلحـة العـامة، ومـا يصدق هنا على الأفراد يصدق على المجتمعات والدول..

والإسلام يـدعو إلى السلم، بأبعـاده ومراميه وميـادينه، النفسية والفكريـة والاجتماعية والغذائية والبيئيـة والصحية والعسكرية، ولا يقصر ذلك على المجتمع المسلم وحده، بل يأمر بأن يساهم المسلمـون في تحقيق (الأمن العالمي) لأننـا جزء لا يتجزأ من الحيـاة الإنسانيـة، ولأننا الأمّـة التي لا يصح منها إغفـال حقـوق الآخرين بحجـة الاختـلاف معهم في العقيـدة والمنهجيـة، فالاختـلاف نفسـه ليس مـدعاة لهضم حقـوق الآخرين ولا طيها تحت حجة الأفضلية والرسالية والوصاية. ويكفي أن يكون الإسـلام دعوة عالميـة ونظامـاً دولياً لتنتفي عنه العنصرية ولحصر آثاره في أتباعه دون غيرهم..

ولقد أقامت الشريعة الإسلامية جميع العـلاقات البشرية على قـاعـدة السلم والأمن، لا الحروب والتصـارع، ونهت عن الغدر والخيـانة والاستعلاء القـائم على الاستهتار والتشفي، وقد جعل اللهُ تعالى معيارَ التميز بين الناس التنافسَ في الخير والارتقاءَ في البـذل والعطاء ﴿إن أكـرمكم عند اللـه أتقاكم﴾، ونهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن التمثيل بقتلى الحرب وهم من الأعداء الـذين أرادوا الكيد للإسـلام والنيل من أهله، كما نهى عن إيـذاء البيئـة بالإحـراق والقطع، وإزهـاق الحيـوان تسليةً للنفس وإشباعاً للغرور..

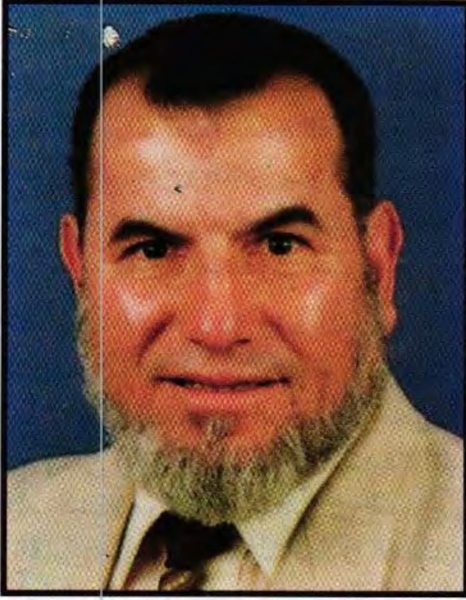
والأصل عنـد المسلمين الانفتاح على النّـاس، «فكلكم لآدم وآدم من تـراب» والتعـارف ركن مهم من أركـان العلاقـات الإنسانيـة العامّة ﴿إنـا خلقناكم من ذكـر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ وبذلك تتقلص مساحات الاختلاف وتتسع مساحات التفاهم والانسجام، فإن وقع الخلاف فلا محيص من المحـافظـة على العهـود والمواثيق، وإجـارة غير المسلم حتى يبلغ مأمنه، والتعـامل مع الآخرين إتجاراً وبيعاً وشراء، ولقـد أجـاز الإسـلام الأكل من ذبـائح أهل الكتـاب والـــزواج من نسـائهـم، فجعل بين المسلمين وبينهم روابط اجتماعيـة ومصـالح تجـاريـة، تشـد المجتمعات بعضهـا إلى بعض..

ولم يحرّم تعالى الانتفـاع مما تـوصّلت إليه البشريـة من ابتكارات وإبـداعات بسبب تجـاربها، وجعـل الحكمة ضـالةَ المؤمن أنّى وجـدهـا كـان أحق بها، وبذلك حـافظ على التراكم الحضـاري وربط بين الأجيـال والأمم، فكان اللاحق مـؤتمناً على تراث السـابق ما لم يخالف عقيـدة أو يتعارض مع نص شرعي..

إن تميّـز أمتنا بـالعقيـدة الصحيحة، والتشريع القـويم، والتمسك بحبل الله المتين في الكتاب والسنّة، والوسطية في كل ما تعمل وما تذر لا يعني انغـلاقها على نفسها ولاترفعها على المجتمع البشري بمقـدار مـا يعني التـزامهـا في حمل دعـوة التوحيـد والهداية إلى من لم يستنر بنـور الإيمان بعد، وهي مأمورة بالتبليغ بـالحكمة والموعظة الحسنة لأن الهدف فتح باب الهداية لا غلق باب التفاهـم والتواصل، فإن لم تحصل الاستجابة الكاملة فلنحرص على الحد الأدنى الذي يبقي باب الحوار مفتوحاً عسى أن يتحقق في مستقبـل الأيام ما لم يقع في ماضيها..

إن البشرية في سعيها لتحقيق الطمأنينة العالمية تحتاج إلى أكثر من القـوّة العسكرية الفـاعلة المؤثّرة، تحتـاج إلى إغلاق أبواب الفتنـة وتجفيف منابعِ الإفسـاد، وقد عـالج الإسـلام الأسباب وقدّم ذلك على مسكّنات الأمراض الظاهرة أو الآثار النـاجمة، فالأنـانية والانغـلاق والتقوقع والتخـوف من كل جديد، والنظر بعين الريبة إلى كل مستحدَث، وعدم الاطمئنان إلى كل غريب، تشكيك بقدرتنا على التفاعل والتعامل مع خلق الله وعباده من منطلقات إسلامنـا الحنيف أكثر مما هو حذر ووقاية..

إن سعي البشرية نحـو تحقيق أهداف سـامية، وعـدالة منشودة، وأمن مطلوب يستـوجب منّا حسن الالتزام وحسن العرْض، فكم من دعوة شـوّهت بسبب جهل أبنائها، وكم من بضاعـة مزجاة بارت بسبب سـوء عرضها، ويكفينـا تأدية للأمـانـة أن نبنيَ مجتمعاً ملتزماً يرى فيـه الناس ويلمسون آثـار الإسـلام على أفـراده وجماعـاتـه، وذلك أفضل من أن يسمعوا ما لا يرون، ويقرأوا ما لا يعايشون، والله غالب على أمره ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون.



الدكتور حسين شحاته الأستاذ بجامعة الأزهر ورئيس جمعية الاقتصاد الإسلامي أحد أعلام الفكر الإسلامي المعاصرين وكان له دوره في أسلمة العلوم التجارية وتدريس علم المحاسبة من منظور إسلامي كما له مؤلفات رائدة في مجال الاقتصاد الإسلامي وفي إصدار مجلة «الاقتصاد الإسلامي» من مكتبه بالقاهرة ومن أهم مؤلفاته «منهج الإسلام في الأمن والتنمية» و«التوجيه الإسلامي لعلم المحاسبة» وقد أكد في حواره معنا أن الأمة الإسلامية تعاني العديد الأمراض الاقتصادية رغم أنها تملك كل عناصر القوة الاقتصادية وكل عوامل الإنتاج، كما أن كثيرا من دول العالم الإسلامي تعاني من مشكلة الفقر.. وقد وضح في حوار معنا ملامح المنهج الإسلامي للخروج من الضعف الاقتصادي للأمة الإسلامية وفيما يلي نص الحوار:

الدكتور حسين شحاتة للوعي الإسلامي

الأمة الإسلامية تمتلك كل عناصر القوة الاقتصادية في مواجهة التحديات العالمية

أجرى الحوار: خالد محمد خلاوي

● في رأيكم ماهي أهم التحديات الاقتصادية التي تواجه العالم الإسلامي حاليا؟

●● الأمة الإسلامية يجب أن تتوحد وتتكافل وتتعاون وتتضامن ضد أعدائها، فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض لأن الكافرين والصليبيين واليهود والمجوس كلهم أولياء بعض ضد المسلمين وأنهم يخططون ليلا ونهاراً ليبعدونا عن عقيدتنا ويستولوا على خيرات أمتنا الإسلامية التي كانت في رغد العيش وتعيش في أمن واستقرار وأصبحت الآن تواجه التحديات العالمية ممثلة في التكتلات الاقتصادية المختلفة، كما أن الأمة الإسلامية تعاني العديد من المشاكل الاقتصادية نذكر من أهمها:

عدم استغلال الطاقات الطبيعية التي وهبها الله للبلاد الإسلامية.

ابتزاز أموال المسلمين واستثمارها في دول غير إسلامية، ومن أصعب المشاكل التي تقابل الأمة الإسلامية في هذه الأيام هي القدرة على إدارة وتشغيل الأموال بطريقة إسلامية تحقق الخير والرفاهية للأمة الإسلامية وتطبيق مبدأ «أموال المسلمين للمسلمين» وأيضا توجيه أموال المسلمين لاستثمارها في مجالات هدامة مثل الحروب وأيضا مشروعات اقتصادية هدامة لا تحقق تنمية اجتماعية اقتصادية مثل مشروعات السجائر والبيرة والسينما وترتب على ذلك خلل في هيكل النظام الاقتصادي وظهور مشكلات الخدمات.

ومما يزيد من حدة المشاكل الاقتصادية هو الاختلافات والصراعات والحروب المنتشرة في العالم الإسلامي.

ويضيف د. حسين: إن تشتت الأمة الإسلامية إلى فرق كفيل بأن يهدم اقتصادياتها وتصبح ضعيفة.. ويمكن للعدو أن يأكل منها ما يشاء.

● وهل تملك الأمة الإسلامية من القوة ما يمكنها من مواجهة هذه التحديات؟

●● لقد منّ الله - عز وجل - على الأمة الإسلامية بنعم كثيرة لا تحصى ولا تعد ومنها نعمة القوة الاقتصادية -

● التوجيه الإسلامي للعلوم التجارية فريضة ومن مقاصد الشريعة الإسلامية

● وضع الإسلام مجموعة متكاملة من الوسائل العلمية الجادة لمعالجة مشكلة الفقر



المادية - والبشرية، وظلت هذه القوة حتى الآن تستثير لعاب الشرق والغرب ويخطط لها من الخطط الذكية لنهبها واغتصابها، ومن عناصر هذه القوة الاقتصادية نذكر:

أولا: الإنسان المسلم التقي الخلوق المقدام الذي حول الصحراء إلى جنات وشق الأنهار وعبّد الطرق وعبر المحيطات بقيمه ومثله، وحقق الفتوحات الإسلامية ونشر الخير في كل مكان.. وعندما استشعر أعداء الإسلام بقوته حطموه بالفساد العقائدي والانحلال الأخلاقي وبالانحراف السلوكي إلا ما عصم ربي، وكان تركيزهم على فئتين أساسيتين هما: الشباب، والمرأة، لأنهما مصدر القوة الاقتصادية والاجتماعية.

ثانيا: الموارد الطبيعية : فلقد سخّر الله - عز وجل - للأمة الإسلامية ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما الأنهار والبحار والجبال المليئة بالخيرات، والصحراء الخبيئة بالمعادن والأجواء الطيبة والمواقع الممتازة فيوجد لدى الأمة الإسلامية المعادن والغازات ويوجد لديها وسائل النقل والانتقال وسبل المواصلات.. ففي السودان ومصر والعراق والشام الأرض الخصبة والمياه، وفي السعودية والكويت ودول الخليج البترول والمعادن والمال، وكذلك الحال في بقية الدول الإسلامية.

ثالثا: المال : هو عصب الحياة، وهو نعمة إذا سخر في طاعة الله وهو نقمة إذا سخر لخدمة الشيطان، ولا توجد أمة أغنى من الأمة الإسلامية مالا، وهذا بشهادة رجال المال والإحصاء في العالم.

● ذكرت من عناصر القوة الاقتصادية الإنسان المسلم فهل في هجرة القوى البشرية الفنية إلى خارج بلاد المسلمين تأثير على اقتصاد الأمة؟

●● الإنسان يعتبر رأس المال الأساسي لهذه الأمة، ولقد وهب الله سبحانه وتعالى هذه الأمة عقولا بشرية طيبة متخصصة في كافة مجالات الحياة وهي تستطيع أن تخطط وتبرمج وتنفذ المشروعات الاقتصادية التي تحقق لها السعادة.

ولكن للأسف الشديد لقد هاجرت هذه العقول إلى خارج البلاد الإسلامية واستفاد منها غير المسلمين، وربما يرجع سبب الهجرة إلى المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تعاني منها بعض الدول الإسلامية، وأيضا مغريات المدنية الغربية والإمكانات الاقتصادية الموجودة هناك.

وترتب على ذلك حرمان البلاد الإسلامية الاستفادة الطاقات العلمية للشباب والعلماء المسلمين.

● تعاني كثير من دول العالم الإسلامي من مشكلة الفقر ونقص الموارد الاقتصادية نتيجة الحروب وغيرها من الأسباب فما هو المنهج الإسلامي لمعالجة مشكلة الفقر والجوع؟

●● لقد وضع الإسلام مجموعة متكاملة من الوسائل العملية الجادة لمعالجة مشكلة الفقر على مستوى الفرد والدولة منها على سبيل المثال مايلي:

■ الاقتصاد في الإسلام مرتبط بالقيم الإيمانية والأخلاقية السامية

الأمة الإسلامية تمتلك كل عناصر القوة الاقتصادية في مواجهة التحديات العالمية



١ – العمل الجاد والضرب في الأرض ابتغاء الرزق الحلال الطيب، وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ [الجمعة/١٠]. ويقول الرسول ﷺ: «ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده».

فالعمل في الإسلام من موجبات الحصول على الرزق الحلال الطيب ولا يجوز للفرد أو الدولة أن تعيش عالة حتى لا يفقدوا حريتهم وعزتهم..

٢ – الهجرة والضرب في الأرض ابتغاء الرزق الحلال الطيب، ولقد أمرنا الله بذلك فقال تعالى: ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ﴾ [النساء/١٠٠]، ويقول الرسول ﷺ: «سافروا تستغنوا» رواه الطبراني..

ويلاحظ أن الأمة الإسلامية مليئة بالخيرات والطيبات فلماذا لا يهاجر المسلم الفقير من بلد إلى بلد للعمل وابتغاء الرزق الحلال الطيب لمعالجة فقره بدلا من أن يعيش عالة على الناس أعطوه أو منعوه.

٣ – التعاون بين الأقطار الإسلامية في الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية، ولا يجوز أن يكون هناك أنانية وتسلط من دولة إسلامية غنية على هذه الموارد وتحرم منها دول إسلامية فقيرة. وهناك أساليب عملية لمعالجة مشكلة الفقر تتحقق بالتعاون بين الأقطار الإسلامية جميعا.

٤ – كما أن نظام الصدقات والكفارات ونظام التكافل الاجتماعي من أبرز سمات المنهج الإسلامي لمعالجة الفقر علاجا كريما طيبا والذي طبق في صدر الدولة الإسلامية وحقق حد الكفاية للمسلمين.. ما أشد احتياجنا إليه في معالجة مشكلة فقرنا.

■ تمتلك البلاد الإسلامية كل عوامل الإنتاج اللازمة لإنتاج كل مقومات الحياة

● وما ملامح المنهج الإسلامي للخروج من الضعف الاقتصادي للأمة الإسلامية؟

●● المنهج الإسلامي للخروج من الضعف الاقتصادي للأمة الإسلامية يقوم على الموجبات الآتية؟

١) الفهم الصحيح للإسلام ومن أساسياته الاقتصادية العمل والجهد والاجتهاد طاعة لأمر الله تعالى الذي يقول: ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ [التوبة/١٠٥].

٢) التوازن بين الإيمان والعمل فلا يطغى أحدهما على الآخر.

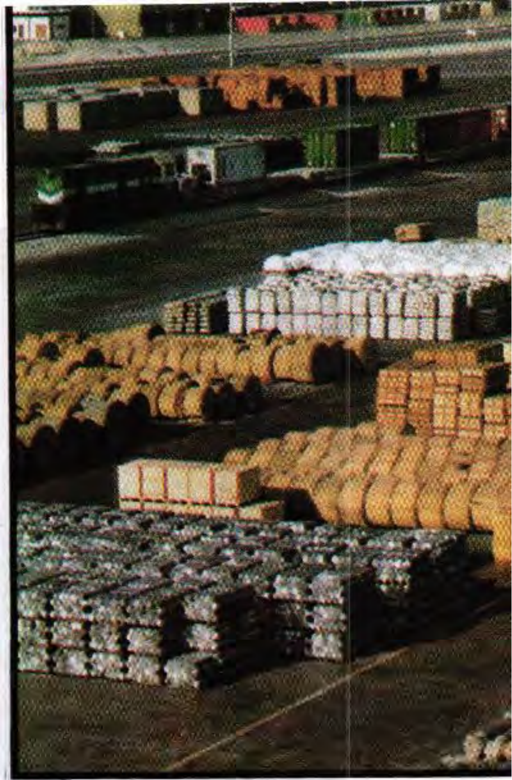
٣) التعاون والتكامل بين أفراد الأمة الإسلامية وجعله الله – عز وجل – غايتهم جميعا وهذا هو أمره الذي قال: ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ [الانبياء/٩٢] ولا نتنازع فنفشل ونضعف ويصدق علينا قول الله: ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ [الأنفال/٤٦]. وتربية الأمة على معاني التضحية والفداء.

٤) عدم الولاء لأعداء المسلمين على حساب المسلمين مصداقا لقوله عز وجل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ [المائدة/٥٢] ولكن لا يمنع ذلك أن يكون بيننا وبينهم معاملات.. ولكن تكون الدول الإسلامية هي الأولى بالرعاية والمعاملة، فاحرص يا أخي أن تضع غرسك في يد أخ مسلم.

٥) التكافل الإسلامي بين الدول الإسلامية الغنية والفقيرة.

● العالم الآن يشهد عصر التكتلات الاقتصادية فهل يمكن تواجد تكتل أو تجمع اقتصادي إسلامي؟

●● إن أفضل أمة ظهرت على وجه الأرض هي الأمة الإسلامية والتي قال عنها ربها: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران/١١٠] فهذه الأمة تتحد في وحدة العقيدة ووحدة العبادة ووحدة القبلة ووحدة الدستور ووحدة المنهج ووحدة التاريخ ووحدة المصالح ووحدة المصير



والوحدة الاقتصادية أو التضامن الاقتصادي وا جب على المسلمين جميعا وتمتلك الأمة الإسلامية كل أسباب الوحدة الاقتصادية وكل عوامل الإنتاج الأساسية التي لو استغلت استغلالا رشيدا في ضوء قواعد وأحكام الشريعة الإسلامية لحققت للمسلمين الحياة الطيبة الرغيدة في الدنيا ولأصبحت القوة الاقتصادية درعا منيعا للمحافظة على المسلمين وعلى أراضيهم.

كما أن هذه المقومات أو عوامل الإنتاج موزعة على الدول الإسلامية بحيث تحقق التكامل الاقتصادي.. والتكتل الاقتصادي الإسلامي المطروح الآن، هو السوق الإسلامية المشتركة وادعو كل الاقتصاديين الإسلاميين في العالم الإسلامي أن يؤسسوا السوق الإسلامية للأمة الإسلامية حتى تكون خيرات المسلمين للمسلمين.

السوق الإسلامية مطلب شرعي لأنه واجب، (فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، وما الحدود المصطنعة بين الدول الإسلامية إلا من صنع أعداء الإسلام.

● وماذا ترون في السوق الشرق أوسطية المطروحة الآن على الساحة؟

●● إن غاية الاقتصاد الإسلامي

■ أدعو الاقتصاديين إلى تأسيس السوق الإسلامية المشتركة في مواجهة التكتلات الاقتصادية العالمية

تعمير الأرض لتحقيق الخير للناس ليعيشوا حياة كريمة رغدة تمكنهم من عبادة الله عز وجل، فالاقتصاد في الإسلام مرتبط بالقيم الإيمانية والأخلاقية السامية، ولذلك حرّم الله عز وجل الاحتكار والغش والغرر والجهالة والتدليس والتطفيف والرشوة والربا والاستغلال والمكوس.. وكل ما يؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل ولقد نبه رسول الله ﷺ على ذلك، فقال: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» [رواه البخاري].

فإذا كانت الغاية الأساسية من السوق الشرق أوسطية ذلك وكانت أساليبها مشروعة، فلا حرج منها، وبذلك تسمى سوقا إسلامية ولكن الواقع والمتوقع أن تكون سوقا صليبية صهيونية يسيطر عليها اليهود، فمن دراسة وتحليل كل ما نشر عن مقاصد وغايات هذه السوق هو التحكم في أموال المسلمين وتكون تحت هيمنة أمريكا واليهود والغرب، وبذلك يكون هو الاستغلال الاقتصادي بعينه.

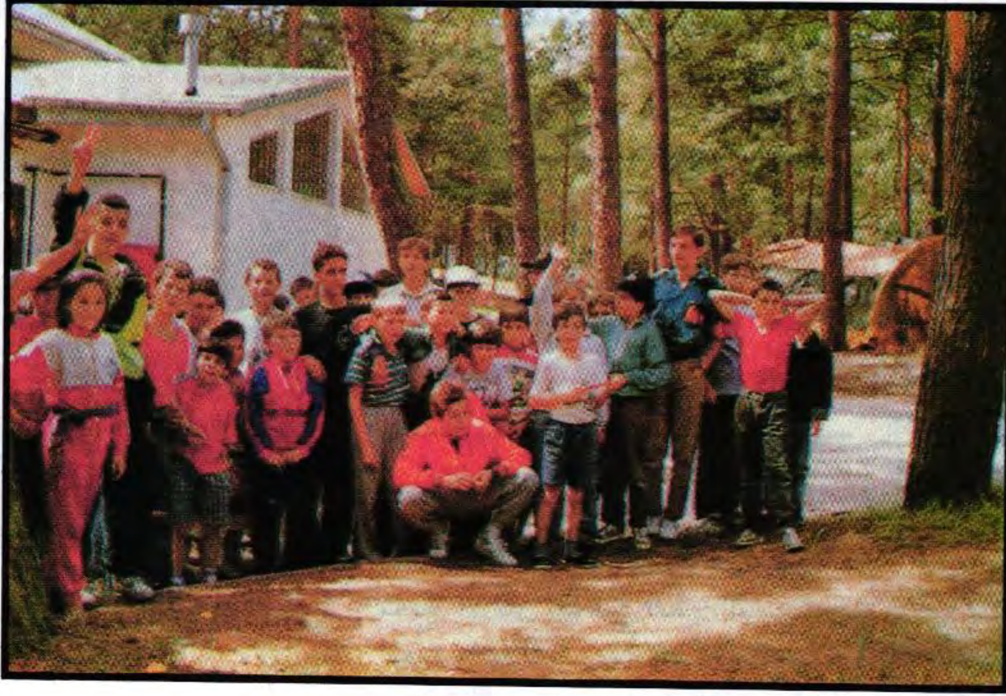
● من خلال تجربتكم في تدريس علم المحاسبة من منظور إسلامي كيف يمكن أسلمة العلوم التجارية؟

●● العلوم على اختلاف أنواعها في حاجة إلى التوجيه الإسلامي لتكون لنفع الإنسان وليس لضرره وتكون للبناء وليس للهدم، وهذا أمر فرضه الإسلام علينا فالتوجيه الإسلامي للعلوم يعتبر فريضة ومن مقاصد الشريعة وعلم المحاسبة (الحساب) ويطلق عليه في كتب الفقه الإسلامي علم كتابة الأموال، من العلوم الاجتماعية المحمودة، وكان موجودا عند العرب قبل الإسلام، وجاء الإسلام وصوره وحسّنه ووجهه توجيها إسلاميا في ضوء ماورد بمصادر الشريعة الإسلامية ونزلت أطول آية في القرآن لتضع قواعده الكلية، والتي تعتبر بمثابة الدستور الحقيقي لمهنة المحاسبة..

ومع ظهور الصحوة الإسلامية في كافة مجالات الحياة ولا سيما انتكاس المادية والعلمانية وعجزها عن الوفاء بالإشباع الروحي للإنسان، ظهرت هناك حاجة ملحة لإعادة النظر والدراسة والتقويم في العلوم جميعا سواء أكانت تجريدية أم اجتماعية إنسانية وتجري لها توجيها إسلاميا يأخذ نواحي واتجاهات متعددة، فمنها من يبحث عن أصوله في الإسلام، ومنها من نستفيد من نتائجه العلمية في إبراز عظمة الله وتقوية القيم الإيمانية عند الطلاب والمطبقين، ومنها توجيه النتائج التي توصل إليها في خدمة البشرية وتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية.

كما أن هناك ضرورة شرعية لاستقراء الجوانب التطبيقية للفكر المحاسبي الإسلامي في صدر الدولة الإسلامية وكيف انتشر في كثير من البلدان ومنها دول أوروبا عن طريق المفكرين المسلمين والتجار العرب، ولا يجب أن نبخس الحضارة الإسلامية دورها في نشر المعرفة الحميدة النافعة ليس فقط في مجال العبادات بل أيضا في مجال المعاملات ■

■ظهرت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم عام ١٨٥٨م، وقام بها (طارق بوتزاتسكي)



مخيم تربوي لأبناء المسلمين

يشكل المسلمون إحدى أقل الجماعات الدينية في بولندا، وتتكون الأقلية المسلمة من ثلاث فئات كل منها لها تاريخ مميز وعادات خاصة بها ومكانة مميزة في المجتمع البولندي، وأولى تلك الفئات هم (التتار) (وليسوا المنغوليين) أو بمعنى أدق البولنديون من أصل تتري، وتتميز تلك الفئة بأنها تمثل جزءا من التاريخ البولندي والتراث الثقافي والديني لبولندا منذ القرن الرابع عشر، أما الفئة الثانية فتمثل (القادمون الجدد من البلاد العربية)، ممن قدموا بهدف الدراسة في مستهل السبعينات، وتزوجوا في بولندا واستقروا فيها، وأما الفئة الثالثة فهم المهاجرون المسلمون الذين رحلوا إلى بولندا حديثا من (البوسنة والهرسك) بعد أن مزقتها الحروب..

الأقلية المسلمة في بولندا

بقلم: د. بوغدان سزاجكوسكي
*Dr. Bogdan Szjakoski

ترجمة: محمد عبد الرحمن السعلة

ولا يمكن الوصول لأرقام دقيقة عن تعداد الأقلية المسلمة في بولندا، حيث تختلف التقديرات التي توردها المصادر البولندية فيما بين (١٨٠٠) نسمة، إلى (٣٠٠٠) نسمة، ولكن المصادر غير البولندية تذكر أرقاما أكبر من ذلك تصل إلى (١٥٠٠٠) نسمة أو (٢٢٠٠٠) نسمة، وكل من الرقمين مبالغ فيه حتى لو أخذنا بعين الاعتبار تعداد المسلمين

*الأستاذ بقسم العلوم السياسية – جامعة أكستر (بريطانيا)

الوافدين إلى بولندا ويقيمون فيها بصفة مؤقتة، ويعكس نقص البيانات الدقيقة عن تعداد المسلمين البولنديين ضآلة المعلومات الموثقة عن الاتجاه الديني السائد في بولندا، خاصة أن الاحصائيات التي جرت خلال فترة الحكم الشيوعي لم يرد بها أي استفسار أو سؤال عن الانتماء الديني، ومن ثم فإن كافة الفئات الدينية استندت في تقدير عدد الأعضاء بناء على التخمين أو التقديرات الجزافية، ورغم ذلك فإنه بالنسبة للجماعات الصغيرة كالمسلمين يمكن الوصول إلى تقديرات معقولة ومقنعة من مشاهدة الحاضرين في المناسبات الدينية، والمسجلين كأعضاء في الهيئات الاجتماعية والدينية والثقافية..

وبناء على البيانات الحالية المتوفرة يمكن أن نستنتج أن الرقم الدقيق والأقرب للصواب لتعداد المسلمين البولنديين هو حوالي (٣٠٠٠) نسمة، وينتمي أغلبهم للمذهب السني. على أن الغالبية العظمى من المسلمين البولنديين هم من التتار، رغم وجود عدد ضئيل من البولنديين المهتدين حديثا للإسلام، عقب عودتهم إلى وطنهم بولندا بعد قضاء فترات من العمل في دول الشرق الأوسط والخليج العربي، وحيث إن المهتدين الجدد يمثلون عددا ضئيلا ولا ينتمون لأصل عرقي أو اجتماعي، فإن هذا البحث سوف يركز على جماعة التتار الذين يشكلون غالبية المسلمين البولنديين..

الجالية التتارية

وقد استقر التتار في مملكة بولندا، وليتوانيا في القرن الرابع عشر، حيث ورد أول ذكر للتتار في سرد تاريخي عام ١٣٢٤م من قبل المؤرخ (لوكاس واديجا)، وطبقا لما أورده مؤرخ بولندى آخر وهو (جان دلوجوس) في القرن الخامس عشر، عندما كان دوق ليتوانيا (ويتولد) في عام ١٣٩٧م - خلال رحلاته إلى نهر النوبي - يأسر «آلاف» التتار، وينقلهم مع عائلاتهم للاستقرار في بلاده..

وقد حارب التتار إلى جانب الجيوش البولندية والليتوانية إبان الحروب وخاصة في معركة (جرونوالد) في شرق بروسيا عام ١٤١٠م ضد النظام الجرماني، ومنذ عام ١٤١٢م قام الدوق (ويتولد) ببناء سلسلة من الحصون المنيعة على الضفة اليمنى لنهر (دنيبر) وزودها بالجنود المرتزقة من التتار، ومع توالي الأيام انضم إلي تلك الجماعات المقيمة على الحدود أعداد من الفلاحين السلاف وغيرهم من طريدي العدالة الذين عاشوا مع التتار واكتسبوا أسلوب حياتهم، وقامت تلك الحاميات بصد غارات النظام الجرماني ضد ليتوانيا..

وعلى مدى القرون الثلاثة التالية انضم الكثير من التتار لأسلافهم الأول، وأغلب تلك الجماعات كانت تأتي من القرم، ولكن توالي المجاعات والأوبئة والصراعات الداخلية دفعت أعدادا كبيرة من النبلاء التتار إلى ترك ديارهم والاستقرار في الأراضي البولندية، وخاصة حول عاصمة ليتوانيا وهي (فيلينوس)، وعلى سفوح جبال (تاترا) في جنوب بولندا، وفي منطقة (لوبلان)، ونال هؤلاء الأفراد حقوقا مساوية للمواطنين البولنديين والليتوانيين فيما عدا ممارسة الأنشطة السياسية، وقد اكتسب التتار شهرة وخبرة حربية وقتالية، ولذا فقد خدموا كوحدات خاصة إما مع القوات الملكية أو الجيوش الخاصة لحكام المقاطعات..

وكان النبلاء من التتار يتمتعون بنفس الحقوق والامتيازات التي يحظى بها النبلاء من أصل بولندي، وفي مقابل خدماتهم للتاج البولندي، حصلوا على الرتب الرفيعة والاقطاعيات الشاسعة، أما الآخرون من العامة فقد سكنوا في القرى وأقاموا في المدن الصغيرة واكتسبوا شهرة خاصة في تجارة وتربية الخيول وزراعة الحدائق والبساتين والحرف المختلفة، وفي عام ١٥٦٩م منح برلمان النبلاء تفويضا رسميا للتتار بإنشاء المساجد وبناء المدارس..

وقد بلغ تعداد التتار في عام ١٥٩١م قرابة (٦٠) إلى (٧٠) ألف نسمة ولهم حوالي (٤٠٠) مسجد، وطبقا لتعداد عام ١٦٣١م في عهد الملك (سيجموند) الثالث وصل تعداد التتار في بولندا إلى حوالي (١٠٠) ألف نسمة، وأورد المؤرخ التركي (إبراهيم باشا) الذي توفي عام ١٦٤٠م تفاصيل عن التتار منها انهم أقاموا في (٦٠) قرية أو مستوطنة..

وقد تمتع التتار بالتسامح الديني وأقاموا علاقات مع المراكز الإسلامية في الخارج، واكتسبت طبقة النبلاء البولنديين كثيرا من عادات التتار بل وأصبحت تلك العادات تمثل جزءا من تقاليد النبلاء البولنديين، خاصة ما يتعلق منها بالملابس الطويلة، وقبعات الفراء، والسيوف المعقوقة وتعود كلها لما اعتاد عليه التتار القامون من القرم..

وفي نهاية القرن السابع عشر، وجد الملك (سوبسكي) نفسه غير قادر على سداد مرتبات الضباط والجنود التتار لفترة ثلاث سنوات متتالية، ولذا قرر في عام ١٦٧٩م أن يمنح الجنود التتار تسع قرى من الأملاك التابعة للدولة عوضا لهم عن حقوقهم المتأخرة..

وخلال القرن السابع عشر، فقد التتار لغتهم الأصلية واستخدموا اللغة البولندية أو اللغة المحلية لروسيا البيضاء، ورغم إقامة التتار واستقرارهم في مناطق خاصة بهم، إلا أنهم ومن خلال التزاوج والاختلاط بالمواطنين البولنديين اكتسبوا القيم والعادات البولندية، وخاصة لتزايد الاضطهاد الديني في نهاية القرن السابع عشر وحظر بناء المساجد، ولكي يفقد التتار هويتهم الأصلية تزايد الضغط عليهم بحرمانهم من الزواج من المواطنين البولنديين حيث كانت عقوبة المخالف هي الإعدام، لكن تلك العقوبة كانت تخفف ولا تطبق لمن يتخلى عن تراثه ومعتقداته من التتار..

وفي عام ١٧٩٥، بعد تقسيم بولندا وانتهاء الدولة البولندية، انضم التتار إلى جانب البولنديين للنضال من أجل الحصول على الاستقلال، وأقسم التتار بالقرآن الكريم على الولاء لبولندا في حضور إمامهم، وكان إمام التتار حينئذ هو (ستيفان موكورسكي) الذي حثهم

الأقلية المسلمة في بولندا

على القتال لاستقلال بولندا، وأكد لهم أن التتار يتساوون في الحقوق مع البولنديين وأن من واجبهم الدفاع عن بلادهم، وفي عام ١٨٠٧م، ألغيت القيود المفروضة على التتار في دوقية وارسو (١٨٠٧ – ١٨١٥م)، وكان هذا الإلغاء بمثابة اعتراف بوطنية التتار للدفاع عن الدولة البولندية، كما قاموا بدور هام خلال حملة نابليون بونابرت إلى روسيا عام ١٨١٢م، والانتفاضات الوطنية التي قامت ضد الروس في عام ١٨٣٠م، وعام ١٨٦٣م، ولهذا كان التتار مضطهدون إبان فترة الحكم القيصري لبولندا..

وطنية أبناء الجالية ودورهم المشرف

وفي القرن الثامن عشر، لعب إمام المسلمين في بولندا دورا رئيسيا داخل وخارج صفوف الجالية، حيث كان يؤم المسلمين في المناسبات الدينية، إضافة لما كان يقوم به من مهام ومسؤوليات مدنية، وقد كان الإمام يؤم المسلمين لأداء الصلاة، ويتولى رعاية شؤون المسلمين، ويقوم بتسجيل عقود الزواج والميلاد ويصدر الشهادات اللازمة. وظهرت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم عام ١٨٥٨م، وقام بها السيد (طارق بوتزاتسكي)..

وقبل الحرب العالمية الأولى، بلغ تعداد التتار المقيمين على أراضٍ تدخل في نطاق بولندا المستقلة حديثا – وفقا لأحد المصادر – حوالي (١٥) ألف نسمة، غير أن أحد المصادر الأخرى يذكر تعداد الأعضاء المسجلين في (اتحاد التتار) الذي تأسس قبل عام ١٩١٧، ليضم في عضويته التتار في بولندا، ليتوانيا، وروسيا البيضاء حوالي (١٣) ألف نسمة، وفي عام ١٩١٧م، هاجر كثير من التتار المقيمين في ليتوانيا ومملكة بولندا – التي أصبحت في عام ١٩١٨م جزءا من بولندا – إلى القرم وأذربيجان بناء على وعود بلشفية بمنح حق تقرير المصير للأقليات العرقية..

وخلال الحرب العالمية الأولى، حارب التتار في صفوف القوات البولندية، وأظهروا وطنية وحماسا منقطع النظير، مما أذهل البولنديين وغير البولنديين الذين أقروا وطنية التتار وأعجبوا بها، وعندما حصلت بولندا على استقلالها وسيادتها في عام ١٩١٨م، كان هناك عدد قليل من المناطق التي يقيم فيها التتار في المقاطعات الشمالية الشرقية في نطاق حدود بولندا، وبلغ تعداد التتار في تلك الأقاليم حوالي (٥٤٢٥) نسمة، وفي عام ١٩٢٥م، عقد أول مؤتمر عام للمسلمين في فيلينوس وتم اختيار السيد (يعقوب زنكوتش) الذي يحمل شهادة الدكتوراه في الدراسات الشرقية لمنصب المفتي العام للمسلمين في بولندا، وجرى في نفس عام ١٩٢٥م تأسيس الاتحاد الثقافي الاجتماعي للتتار في (وارسو)، وقام هذا الاتحاد بنشر مجلة باسم (حولية التتار)، كما نشر دورية تحت عنوان (حياة التتار)وخلال الفترة بين عامي ١٩٣٦م وعام ١٩٣٩م كان الجيش البولندي يضم فرقة خاصة للفرسان التتار..



● صف مدرسي اسبوعي للناشئة

أباد النازيون في عهد احتلالهم لبولندا الطبقة المثقفة من المسلمين التتار انتقاماً من وطنيتهم وحماسهم في الدفاع عن بلدهم

وفي عام ١٩٣٦م، صدر مرسوم خاص يسمح بتأسيس (الاتحاد الديني للمسلمين) في جمهورية بولندا، وتبعا لبنود هذا المرسوم وضعت المناطق الإسلامية البالغ عددها (١٩) منقطة، والمساجد وعددها (١٠) مساجد تحت إشراف المفتي العام للمسلمين، وكان لكل منطقة إمام ومجلس خاص ومسجد ومقبرة خاصة بالمسلمين..

النازيون يبيدون المسلمين

وخلال الحرب العالمية الثانية، أباد النازيون أهل الفكر والطبقة المثقفة من التتار بسبب الكفاح المشرف لكتيبة التتار ضد الجيوش الألمانية الغازية لبولندا في سبتمبر من عام ١٩٣٩م، وبعد الحرب العالمية الثانية، لم يتبق من القرى التي سبق أن منحها الملك (سوبسكي) للتتار سوى قريتين (بوهونكي وكروزنياني)، ونتيجة لإعادة رسم الحدود البولندية وتراجعها لمسافة ٥٠٠ كم غربا، فإن معظم مناطق التتار أصبحت في نطاق الاتحاد السوفييتي السابق، ولكن عددا من التتار الذين كانوا يقيمون في المناطق السابقة استقروا في أقاليم بولندا الغربية والشمالية الغربية، وهذا يعني فقدانهم لمتلكاتهم وتراثهم الديني الثقافي ومساجدهم ومقابرهم التي خلفوها وراءهم، ولم يتبق إلا منطقة (بوهنكي) ومنطقة (كروزنياني) وكلاهما في الشمال الشرقي لبولندا اللتين احتفظتا بمساجدهما ومقابرهما، أما التتار الذين كانوا يقيمون في مناطق أخرى فقد تشتتوا في انحاء متفرقة من البلاد، ولم يعد لهم أماكن خاصة للعبادة أو هيئات تلم شملهم، وكان لهذا الوضع أثر سيىء على القيم الدينية والعرقية للتتار المسلمين..

استعادة النشاط والبناء الداخلي

وفي عام ١٩٦٩م، بدأ العمل لاتخاذ خطوات جادة لإعادة بناء الهيكل التنظيمي للمسلمين في بولندا، وسمحت الحكومة في نفس العام بعقد أول مؤتمر عام للمسلمين البولنديين لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وانبثق عن هذا المؤتمر تشكيل (الاتحاد الديني للمسلمين في بولندا)، وكان لهذا الاتحاد مجلس إدارة يتألف من خمسة أفراد من المسلمين، برئاسة واحد منهم، وكان هذا الاتحاد بمثابة (المتحدث الرسمي) للأقلية المسلمة والمشرفة في بولندا، وفي عام ١٩٧١م أنشأت الحكومة مكتب الشؤون الدينية الذي كان يشرف على النشاطات الدينية لدى المسلمين..

ومنذ ذلك التاريخ، تم صيانة وبناء المساجد في مناطق التتار القديمة وهما منطقتي (بوهنكي وكروزنياني) من المنح المقدمة من دول الخليج العربي، وفي عام ١٩٨٤م وضع حجر الأساس لإنشاء مسجد جديد في (جادانسك) وهو أول مسجد يقام في بولندا منذ قرابة ١٩٢م عاما، ويضم المبنى مكتبة ومدرسة لتعليم اللغة العربية، إضافة إلى قاعة للمناسبات الدينية، ويقع المسجد على مقربة من كنيسة تتبع إحدى الطوائف الكاثوليكية الرومانية، ولا غرو أن يختلط صوت الإمام وهو يؤذن مناديا للصلاة مع صوت أجراس الكنيسة التي تدعو المسيحيين لإقامة قداس لهم..

التواصل الحضاري مع العالم الاسلامي

وخلال عقد الثمانينات، بدأ المسلمون البولنديون إقامة علاقات أوثق مع العالم الإسلامي، ففي عام ١٩٨٤م زار مفتي لبنان السيد/ حسن خالد رحمه الله بولندا لأول مرة، وعقب تلك الزيارة قام وفد آخر من رابطة العالم الإسلامي برئاسة نائب الأمين العام الشيخ محمد ناصر العبودي بزيارة أخرى لبولندا، حيث قام الوفد بلقاء التجمعات الإسلامية، وتأثر أعضاء الوفد بالمسجد المقام في (بوهنكي)، وكان من آثار تلك الزيارة توجيه الدعوة لعدد من المسلمين البولنديين لأداء فريضة الحج وزيارة مكة المكرمة في موسم الحج من العام التالي..

كما قدمت المملكة العربية السعودية عددا من المنح الدراسية للطلبة المسلمين لاستكمال الدراسات الإسلامية، وفي عام ١٩٨٨م قام الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي د. عبد الله عمر نصيف بزيارة بولندا، إلا أن المسلمين البولنديين قابلوا محاولات المسلمين لإقامة علاقات معهم بشيء من التحفظ، ورغم وجود روابط دينية قوية مع المجلس الإسلامي في سراييفو، فإن زيارات القادة المسلمين من دول الشرق الأوسط كانت ذات معنى رمزي وكانت ذات مغزى ثقافي أيضا..

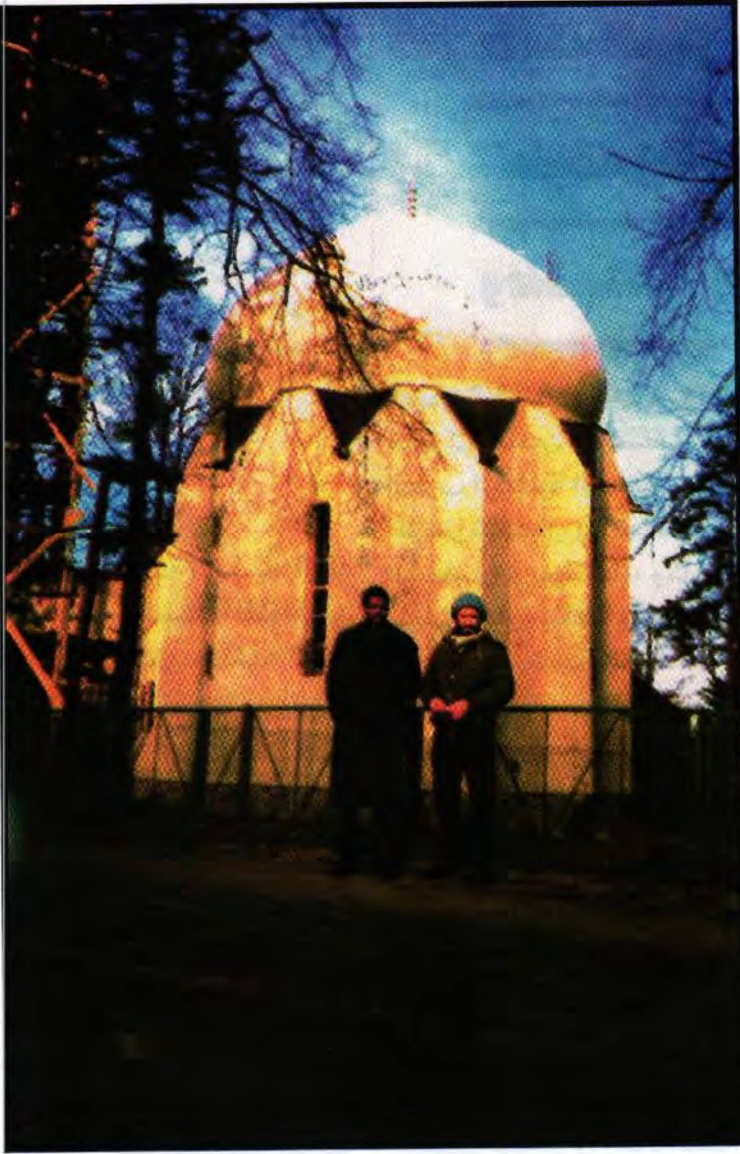
وفي عام ١٩٩٢م أعيد تأسيس (اتحاد التتار البولندي) ، وكان تأسيسيه بمثابة تأكيد للتراث الطويل للتتار في بولندا، كما يعطي انطباعا مؤثرا للتتار البولنديين وارتباطهم مع بولندا.. ووفقا لميثاق الاتحاد، فقد أعيد تأسيسه «إحياء للذكرى وتأكيدا لتواصل تاريخ الأجداد من التتار المسلمين الذين استقروا في جمهورية بولندا، منذ ستة قرون ماضية، منحتهم خلالها الأرض والسيادة. وضمنت لهم حرية العمل وكافة الحقوق المدنية الأخرى.. وأصبحت موطنا.. وللأبد سيظل التتار مخلصون لبولندا، وقد سبق لهم أن كرسوا خدماتهم لا في المجال العسكري فحسب، ولكن في كافة مجالات الحياة العامة بما فيها العلوم

الأقلية المسلمة فـي بولنـدا

والسيـاسة والـزراعـة والفنون. ووفـاء لـذكـرى الآبــاء والأجـداد، وبطـولاتهم وحبهم لهذه الأرض، نعيــــد تـأسيس (اتحاد التتار البولندي)..

مناطق الانتشار الاسلامي

ويعيش أغلب المسلمين البولنديين حاليا في ست منـــاطق، أقــدمهـا: بــوهنكي، كروزنياني، وارسو، أمـا المسلمون الذين وجـدوا أنفسهم في عام ١٩٤٥م يقيمـون في الاتحاد السـوفييتي السـابق ثم أعيـد تـرحيلهم إلى بـولنـدا، فإنهم يقيمـون في (جادانسك) وهم قـرابة (٣٠٠) فرد، وفي (سيزوكين) ومـدينة (بيـالستوك) وأكبر تجمع لهم يقيم في (بيــالستــوك) حيث يقدر عـددهم بحـوالي (٨٠٠) نسمة، وفي عـام ١٩٩٠م بـدأ العمل في بنـاء مـركـز إسلامـي في (بيالستوك) ويضـم مسجدا ومـدرسة لتحفيظ القـرآن الكـريم ودارا للضيافة وأخـرى للمسنين، أما المقيمون في (جادانسك) فيصل عـددهم إلى حو الي (٣٠٠) فرد، وفي (وارسو) قرابة (١٥٠) فردا، وهنـاك عدد مـن عائلات المسلمين تعيش في مدن أخـرى متفرقة في بـولندا.. وتضم المناطـق الإدارية الست للمسلمين أربع مقابر للمسلمين، تقع اثنتان منهم في (وارسو)، أمـا في المدن التي لا يـوجد بها مقابـر للمسلمين، فإن الجهـات المعنية في البلدية تخصص لهم أماكن خاصة للدفن في المقـابـر المحليـة. ولا تـوجـد مـدارس لتحفيظ القـــرآن الكـــريم في بـــولنـــدا، ويستخـدم المسلمـــون في أداء الشعـائر الدينيـة لهجة هي خليط من لغات بـولندا وروسيا البيضــاء مع بعض المفردات من اللغة التركية ، واللغة العربية.. وقد هاجر كثير من المسلمين وخـــاصـــة من جيل الشبـــاب الـــريف إلى المدن، إلا أنهم يحافظــون على تـراثهم وتقــاليــدهم،



مسجد مدينة جدانسك

■حافظ المسلمون البولنديـون على هويتهم الثقافية والتراثية في نفس الـوقت الذي ساهموا فيـه ببناء وطنهم والدفاع عنـه

ويقيمـــون روابط وثيقـــة مع الأقـــاليم الأصليـــة، ويعـــودون إلى قـــراهم في الاحتفالات والمناسبات الإسلامية..

الهيئات والجمعيات والفرق

ولدى المسلمين البولنـديين أربع هيئات مستقلة، أقـدم تلك الهيئـات هو (الاتحاد الـدينـي للمسلمين في بـولنـــدا)، ومقـره الرئيسي في (بيـالستوك)، وينتمي غـالبية أعضـائه للمسلمين من أصــــول التتـار، وكان هو الجهة الوحيدة التي كانت ترعى شـــؤون المسلمين إبـــان فترة الحكم الشيوعي، وبدايـة من عام ١٩٦٩م، عقد الاتحاد مؤتمرا عاما للمسلمين كل خمس سنوات، وكان يحضر المؤتمر ممثلون عن كافة الأقـاليم، وكانوا يقومـون بانتخاب المجلس الأعلى للاتحاد..

أما المهـديون الـذين ينتمون للمـذهب الشيعي، فقـد أكـدوا وجــودهم في عـام ١٩٣٦م، وفي العام التالي أسسوا (جمعية الوحدة الإسـلامية) ومقرها في (وارسو)، وتضم حـوالي (١٠٠) عضـو، بـرئاسـة إمامهم، وللجمعية معهد إسلامي خاص، وقد قامت في عـام ١٩٩٢م بنشر (الدليل الإسلامي)، كما يقوم المعهد حاليا بإعداد

ترجمة معاني القرآن الكريم، وللجمعية نشاط مكثف وبخاصة في المناسبات الدينية، كما قاموا بإجراء لقاءات مع البابا يوحنا الثاني خلال زياراته إلى بولندا..

ومنذ اندحار النظام الشيوعي، تأسست هيئات أخرى منها (الجمعية الأحمدية للمسلمين) التي تضم اتباع المذهب الأحمدي (القاديانية) ومقرها في (وارسو)، وترتبط هذه الجمعية ارتباطا وثيقا بفلسفة وتعاليم مؤسس الجماعة (غلام أحمد)، وفي عام ١٩٩٣م كانت تلك الجماعة تضم حوالي (٥٣) عضوا، بخلاف (١٠٠) من المتعاطفين معهم، ولها مركزان أحدهما في (وارسو) والآخر في (بيدجو سوز)..

أما جمهور المسلمين فيقع مقرهم في مدينة (بروزكو) بالقرب من وارسو ويرأسهم الإمام العام لبولندا..

تركيبة المجتمع البولندي المسلم

ولا يعرف إلا القليل عن التركيب المهني والاجتماعي للمسلمين البولنديين، غير أن الدراسات الأولية تشير إلى أن حوالي ٢٠٪ منهم يمتهنون الفلاحة ودباغة الجلود، وحوالي ٥٥٪ ينتمون لطبقة العمال والموظفين، وحوالي ٢٥٪ إلى طبقة المثقفين والفنانين..

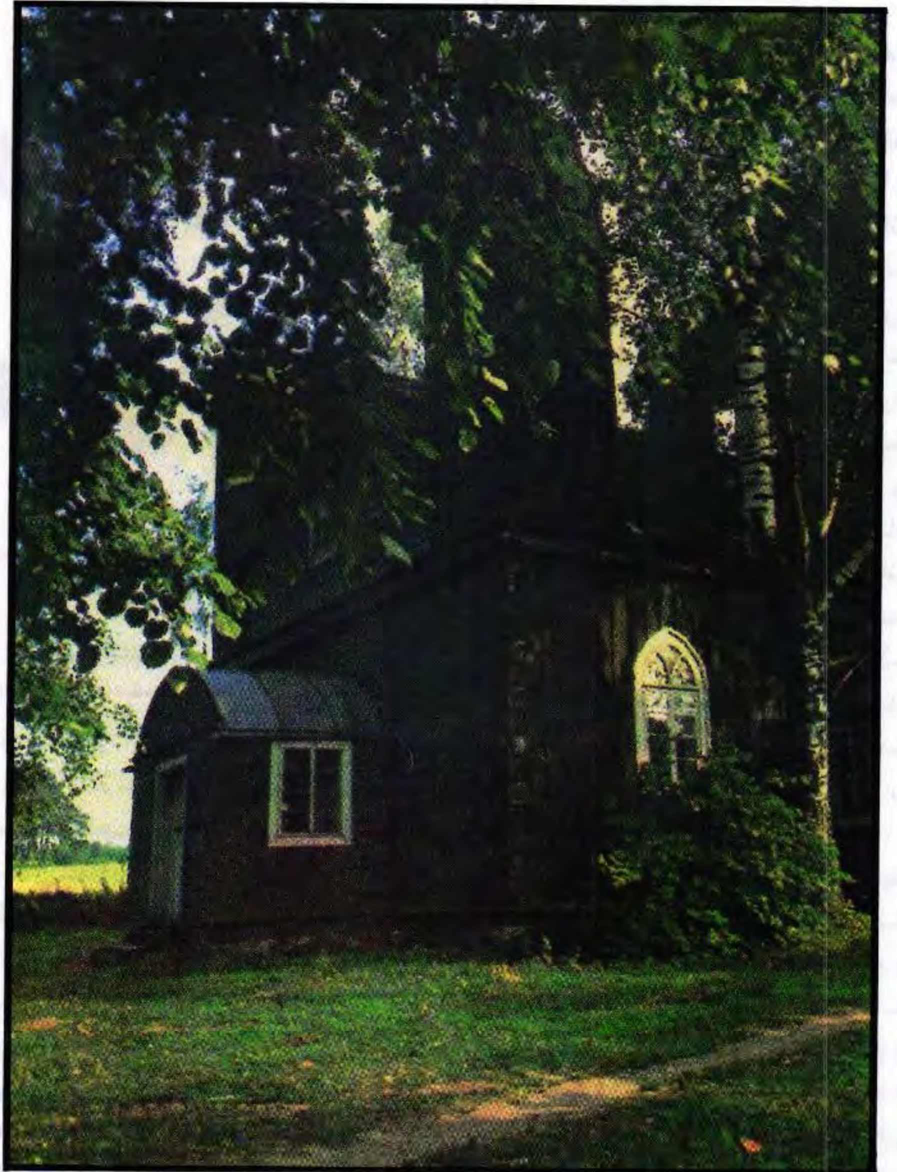
ومن العسير تمييز التتار في بولندا حاليا عن غيرهم من البولنديين، لأن التزاوج بين الجانبين ساهم إلى حد كبير في طمس المعالم المميزة للتتار، ورغم ذلك فإن تلك الأقلية المسلمة مازالت تؤكد وجودها في بلد غالبية المواطنين فيه من الرومان الكاثوليك، وحكمه لفترة تفوق أربعين عاما، نظام يقر الالحاد وينكر وجود الله..

وينظر المسلمون البولنديون نظرة خاصة لمكانتهم في نسيج الأقليات المسلمة في شرق أوروبا الوسطى، ويرون أنهم من خلال الجمع بين الثقافات الشرقية والغربية يمكن لهم الاسهام في حركة إحياء الروابط الأخلاقية بين أوروبا والإسلام، كما يأملون في القيام بدور الوسيط بين بولندا والأقطار الإسلامية، ويؤكدون أن التاريخ يثبت قيام روابط وثيقة بين بولندا وتركيا وغيرها من البلاد الإسلامية، وقد أثبت التتار أن بولندا هي «أعظم بلد أوروبي لم يلطخه الاستعمار والبلد الوحيد الذي يتمتع بتراث مجيد من التسامح الديني»..

ويشعر بعض المسلمين البولنديين أنهم مهملون، ولا يحظون برعاية الدولة، وفي هذا الصدد يقول أحد المسلمين في (بيالستوك): «ليس لنا تواجد عرقي، وإنما نحن بولنديون تصادف أننا مسلمون»..

وقد أسهم المسلمون البولنديون إسهاما بالغا في تأسيس دولة بولندا، كما قاموا بدور هائل لدعم الاستقلال، وخلال تلك الفترة احتفظوا بتراثهم الديني والثقافي المتميز، كما حافظوا على هويتهم الخاصة.. ويمثل المسلمون البولنديون نموذجا فريدا لما يمكن أن تقوم به التجمعات الإسلامية من إقامة روابط مع الجاليات الإسلامية الوطنية التي تشكل جزءا منها في نطاق أوروبا، وكيف يحافظون على ثقافاتهم وهويتهم ويساهمون بشكل إيجابي مع الجاليات الإسلامية الأخرى ■

■ حافظ المسلمون البولنديون على هويتهم الثقافية والتراثية في نفس الوقت الذي ساهموا فيه ببناء وطنهم والدفاع عنه



● مسجد ضاحية بيانو ستوك

محمد الرسول القدوة

بقلم الدكتور:
إبراهيم علي أبو الخشب

كأنما هي عنـــوان العظمـــة، والكبريـــاء والتعالي، والسمو والـرفعة، والأبهة والجلال، لا يـزاحمها في ذلك كلـه مسلط، ولا ينازعهـا جبار، ولا يشاركها صـاحب نفوذ أو سلطان، ذلك لأن الذي خلق المتكبرين وبـرأ الجبارين، أضفى عليها من جلاله ووقـاره ما تـــذوب معـه هـذه الأوصـاف، وتتهـاوى عنـده تلك النعـوت، وتتطـامن لديـه هـذه الكبريـاء، ثم تقصر عن الإحـاطـة بكمالها الكلمات، وتقف موقف العجـز عن التنويه بها الألفاظ، مهما ازرتها البـلاغـة، وأيـدهـا المنطق، واسعفهـا البيان.

ويكفي أن تمر بخاطـر الواجم، وأو تجري على لسـان الواهم، أو تملأ قلب الـواعي، وأو ضمير المتحدث، أو يقع عليهـا نظر قارىء في ثنـايا سطـور، أو في صفحة من كتـاب، حتى يجد أنه تأخذه المهابة من كل جهاته، وتصيب جسمـه القشعـريـرة التي تصيبـه في حضرة عظيم من العظماء الـذيـن تفيض من حـولهم الخشيـــة، وتفخـر أمكنتهم العظمـــة، وتملأ ســاحتهم المهـابة، وتـرفـرف عليهم أجنحـة الوقـار، من غير تكلف، لأنها صنع اللـه الذي خلـــق السماوات والأرض وجعــــل الظلمات والنور، ومن حبته عنايـة اللـه وأدركته رحمته وحفه لطفه، وشمله رضـاه، كان حظه موفورا، ومكانته متمكنة.

الــذي يتتبع القرآن الكـريم، ويتقصى آيـاتـه العظيمة، ويمعن النظر فيه، ينتهي منـه إلى رصيد ضخم وثروة لا حدود لها، والثناء الحلو، والمديح الطيب، والتنويـه الـذي ليس قبله ولا بعده، برسول هذه الإنسانيـة، وسيد هـذا الكون، حتى لكأنه بلغ قمة الثنـاء، وغاية المديح، ولا مجال وراء ذلك لزيادة أو فضل، وصارت هذه الكلمة وحدها مجردة عما يقترن بها، ويذكر معها، أو يجيء في إثرها من الأوصـاف والنعوت تشيع في الجو الـذي تحلق فيه، وتطير في سمائه، وتسبح في فضائه، معنى من السحر، وفيضا من الجلال، وشيئا من الإكبار والاحترام، لا يمكن لكائن من النـاس أن يحدده التحديد الذي يكشف عن حقيقته في تلك الموسيقى التي يرسلها، والأنغام الحلوة التي يبعثهـا، والبلاغة الأخاذة التي يطلقها، والجاه العريض الذي يسيطر على الأنحاء من حولها، أو الجوانب هنالك في مكان الحديث.

وفي التاريخ عبرة

وفي تــاريخـه ﷺ ما يدل على أن تيجان الملوك، وعروش الجبابـرة، وكبرياء من كانت الــدنيـا بأيـديهم والسيــوف بأيمانهم، والسلطـان في حوزتهم، كـانت تتسـاقط بين يديـه، فلا يجرأ قـوي أن يهدده، ولا يتطاول عظيم أن ينازله، ولا يمكن لشرير مهما كانت شراسته أن يهز كيـانه، أو يزلزل بنيـانه، أو يشوب يقينه الـذي كان عامرا بـربه، مملوءا بخـالقـه، الـذي أرسلـه بـالبينـات، وأيـده بالمعجـزات، وجعله هو في نفسـه خير عنوان لهذه الإنسـانية في أخـلاقه الكـريمة، وأدبـه وسلـوكه القـويم، وخلالـه الطيبة، وذكـائه اللماح، وعبقريته الفـذة، وعقله الكبير، وقلبه الـرحيم، وعطفـه الشـامل، وحبـه الخالص، ورغبته في البر، وحدبه على الناس، وتفانيه في الإصلاح، وارتباطه بربه، وتطلعه إلى السماء. وهكـذا لم تبلغ لفظة مـن ألفاظ الأعـلام ولا اسم دل على مسمى، ولا كلمة من الكلمات في ضخـامة جسمهـا ودوي صوتها، وحـلاوة لحنها، وشهرة ذيوعها، وإيمان الخليقة بها – بعد لفظ الجلالة – ما بلغته تلك الكلمة، التي يتيمن بها المسلم، ويعتز بها الموحد، ويفاخر بها الإنسان، ويشرف بـالانتساب إليهـا من تكامل له عقله، ونضج فيه وعيه، وصح عنده دينـه، وارتضى فيـه إدراكــه، وسما لـديـه شعـوره، وسلم له بصره وذوقـه، وترددهـا السنـة الملايين في بقاع الأرض، وأنحـاء هـذا الكون، وأرجـاء هذه الـدنيا، تلـذذا بذكـرها، وتيمنا بلفظها، وارتيـاحا لنغمتهـا، وسرورا

بخطورها على البال، ومرورها بالذهن.

ولقد عاصرت أحداث التاريخ، وصيحات المصلحين، وأصوات الزهاد والوعاظ، فكان منها الشعاع الكاشف، والضياء الهادي، والنور المبين، والنهار الذي عرفت فيه البشرية مواضع أقدامها في سبيل الخير وطريق الحق، ودروب السعادة والسداده والسلامة والنجاة، والرشاد والفلاح، واليمن والبركة، والحضارة والعلم، والتقدم والإصلاح،، وربما كان أعجب ما أحاط بهذه الكلمة من معاني الإجلال والتقدير والعظمة والإكبار، والسمو إلى مالا يصل إليه خيال الشعراء، ولا أوهام الفلاسفة، أن تحاربها الأحداث فلا تستطيع أن تنال منها، وتنازلها الخطوب فلا تنزل بها، وتطاردها الأهواء فلا تزداد إلا صلابة في الأرض وتمكينا في الحياة، وتطاولا على الأيام، وتعاليا في الوجود، ودويا في الآذان، وبقاء في فم الدهر، ودورانا على ألسنة الناس، وخلودا في التاريخ.

عطاء لا حدود له

ولا يعيننا من عنوان هذه الكلمة، أن نسترسل بك مع الحوادث، أو أن نرجع معك إلى ماعساك أن تكون قد وعيته من بطون الكتب، أو سمعته من أفواه المتحدثين، ولا أن ننتهي إلى تاريخ أنت تعرفه حق المعرفة، وإنما يعنينا أن نستشف معا ما تعطيه تلك النفس التي لا يتسع لها هذا الفضاء المحدود، ولا تلك الأرض المبسوطة، ولا هذه السماء المرفوعة، ولا ذلك الكون الفسيح، وقد حام الفلاسفة حولها بحثا ودرسا، وتحليلا وتعليلا، فما وصلوا إلى شيء وراء كونها خلاصة هذا الخلق، وسر هذا الوجود ومعنى الإنسانية في هذا الإنسان الذي أرسلها الله لتقويمه وتهذيبه، وهدايته ورشده، وتكريمه وإجلاله، وتحرره من ذل الأسر، ورق العبودية، وضراوة الإقطاع، وكابوس الظلم، وفوضى الدساتير، لتكون له السيادة في الأرض، والقيادة للدنيا، ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ [الاسراء:٧].

ولعل هذه الجوانب التي كانت فيه ﷺ خارقة للعادة، غير جارية على سنن الناس، كانت هي الباعث على دهش كثير من المؤلفين الذين كانوا يخلعون عليه من النعوت والأوصاف مايتجاوزون به حدود البشرية، وهو الذي كان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، معلنا أنه له ما لبنى آدم من مزايا وخصائص، وليس من الإنصاف أن يخرج عن طوره، ويتعدى حدوده، أو يتجاوز حقيقته، ﴿ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ﴾ [الانعام:٩].

□كان محمد ﷺ مثال الإنسان الانسان القدوة، كانت شخصيته باختصار نموذجاً فريداً بين

شخصية قيادية فريدة

وخير للذين يكتبون عنه أن يؤرخوا له من الحوادث التي اجتازها، ومرت به، وأن يجعلوا معينهم في ذلك سيرته مع أصحابه وتواضعه لقومه، وحبه لأهله، وحدبه على الضعفاء، وإيثاره لغيره، وقضاءه على الفساد في الأرض فإن هذه كلها يمكن أن تكون صدى كبيرا لهمته العظيمة، وشخصيته الضخمة، وسيرته الناصعة، وضميره النقي، ودخيلته الطاهرة، ونجدته النقية، ورغبته الخالصة من شوائب الفضول والزيف، والتمويه والكذب، والرياء والنفاق، ومثل هذا اللون لا غبار عليه في الدراسة والبحث، لأنه لا يتجاوز أن يكون جاريا على أسلوب الحلم النفسي الإنساني في تحليل السجايا والطباع، والميول والغرائز، وستظل الأجيال والعصور تدرس جوانب العظمة في رسول الله ﷺ لتأخذ منها نماذج من الخير، وشواهد من الأدب، وملامح من مكارم الأخلاق، لا تجدها الأفكار الواعية، العقول الناضجة إلا في الصفحات الناصعة من تاريخه العظيم.

□سُئلت أم المؤمنين عائشة عن خُلُقه ﷺ فقالت: كان خُلُقه القرآن

كان خُلُقه القرآن

ولعل الكلمة الجامعة المانعة في تحديد حقيقة هذه الكلمة بين حقائق الكلمات وتمييزها عن غيرها تمييزا تنفرد به عن سواها، ما تحكيه السيدة عائشة رضى الله عنها، وقد سئلت عن أخلاقه، فقالت كان خلقه القرآن، ولا يشك المسلم في أن القرآن قد احتوى الكمال الإنساني، والأدب الإلهي، والخلال الحميدة، ورسم الله به للبشرية الطريق الواضح، والمنهج السليم، والسلوك القويم، للسعادة الحقة التي يمكن أن تصل إليها الإنسانية في هذه الدنيا إذا أخذت بها، وجعلته دستورها في صحوها ونومها، ويقظتها وانتباهها، وظعنها وإقامتها، وصحتها ومرضها، وكل حال تعتريها، وهكذا كان ﷺ المذكرة التفسيرية للقرآن، يطبق دستوره، ويحقق قانونه، فلا يخرج عن هديه، ولا ينحرف عن خطوطه، ولا يتجاوز حدوده التي جعلها المولى جل جلاله معالم للخير، ومنارات للبر.

وحب محمد بعد ذلك كله أن اسمه مأخوذ من الحمد الذي هو غاية الإنسان من سعيه، وخاتمة مطافه من عمله، وقصارى جهده إذا أراد أن يعلن شكره لربه، الذي ترادفت عليه نعمه، وتوالت آلاؤه، وأحاطت به وسائل رحمته ورضوانه ■

نظام الارث وتحقيق العدالة

بقلم د: رفيق يونس المصري*

لو أن الارث في الإسلام كان مقتصرا على وارث واحد، كالابن الأكبر (حسب بعض النظم الوضعية)، لتركزت التركة (الثروة) ولم تنتشر.

نظام الارث في الإسلام نظام عائلي، لا نظام فردي، بمعنى أن التركة تتشعب بين أفراد العائلة، ولا تتركز لدى واحد منها، إلا إذا كانت العائلة نفسها لا تتعدى الفرد الواحد، وكان هذا الفرد الوارث وارثا قويا، كالابن أو الأب، كما سيأتي بيانه.

ازدياد انتشار التركة وانكماشها

ويزداد انتشار التركة كلما كبر عدد أفراد عائلة المتوفى. فإذا تعددت زوجاته، وكثر بنوه وبناته، زاد انتشار التركة. وعلى العكس، إذا اقتصر على زوجة واحدة، وقل عدد أولاده، برغبة منه أو بغير رغبة، ضاق انتشار التركة.

فالزوجات يتزاحمن على الربع، إن لم يكن له ولد، وعلى الثمن إن كان له ولد. فنصيبهن ثابت في حدود الربع (أو في حدود الثمن) زاد عددهن إلى أربع (الحد الأقصى لعدد الزوجات في الإسلام) أو نقص إلى واحدة (الحد الأدنى).

والبنت الواحدة إذا لم يكن معها ابن، تأخذ نصف التركة، فإذا بلغ عدد البنات اثنتين فأكثر تزاحمن على ثلثي التركة، فتنتشر التركة (أو بكلمة أدق: حصتهن من التركة) بينهن كلما زاد عددهن.

وكذلك الأمر بالنسبة للأخت الشقيقة (أو لأب)، إذا نفذت التركة إلى الأخوات، فلم يكن ثمة أب ولا أولاد، فينطبق عندئذ على الأخوات ما ينطبق على البنات لأن للأخت نصف التركة، وللأختين فأكثر الثلثان، لا زيادة عليهما مهما زاد عددهن.

للذكر مثل حظ الأنثيين

والباقي من التركة بعد أصحاب الفروض، إذا كان هناك أولاد، بنين وبنات، يقسم بينهم (للذكر مثل حظ الأنثيين)، فتزداد التركة انتشارا كلما زاد عدد الأولاد، وتقل انتشارا كلما نقص عدد الأولاد. وعلى هذا فإن تحديد النسل يؤدي إلى تركز التركة، وإطلاقه يؤدي إلى انتشارها.

وهذا ينطبق على الإخوة والأخوات الأشقاء (لأبوين) أو لأب، إذا نفذ الميراث إليهم، حال كونه كلالة (أي لا ولد ولا والد).

أما الاخوة والأخوات لأم، فإن الواحد منهم يأخذ سدس التركة، و يتزاحمون على الثلث إذا صار العدد اثنين فأكثر، فتنتشر التركة من جانبهم كلما زاد عددهم، ويقل انتشارها بنقصان العدد.

ويزيد انتشار التركة عند القائلين بمنع الرد على أصحاب الفروض إذا لم يكن للمتوفى عصبات. ويقل انتشارها وتميل للتمركز عند القائلين بالرد.

وبهذا ترى أن لاختلاف المذاهب في الأرث أثرا في تمركز التركة أو انتشارها.

العول في التركات

ويزيد انتشار التركة إذا وقع العول، لأن العول يعني إدخال النقص على أصحاب الفروض من أجل تزاحمهم وعدم اسقاط أي منهم من الميراث. ومعنى العول أن تزيد نسب الورثة على الواحد الصحيح. فلو كان الوارث زوجا وأختين شقيقتين، فللزوج النصف ١/٢ وللأختين الثلثان ٢/٣، فيكون مجموع النسبتين:

١/٢ + ٢/٣ = ٣/٦ + ٤/٦ = ٧/٦.

فأنت ترى أن ٧/٦ أكبر من الواحد الصحيح ٦/٦ =١. وعندئذ فإن القائلين

■ يفتت نظام الارث الاسلامي الثروة، ويمنع حصرها في عدد محدود من افراد المجتمع

*مركز أبحاث الاقتصاد الاسلامي - جامعة الملك عبد العزيز

بالعول ي قسمون التركة على ٧ بدل من ٦، لإدخال النقص على الورثة بالمحاصة، أي على كل بحسب حصته. وبعض السلف (كابن عباس ومن وافقه) أثر عنهم أنهم لا يقولون بالعول. والحق أن المذهبين قائمان على العقول، ولكن المذهب الأول يدخل النقص على جميع الورثة، والثاني على بعضهم.

الحجب في التركات

أما حجب الحرمان فيحد من انتشار التركة، لأن الحاجب تقف عنده التركة ولا تتعداه إلى الورثة المحجوبين خلفه. وأكثر ما يعمل حجب الحرمان في العصبة بالنفس (الآباء، الأبناء، الاخوة، الأعمام). لأن التركة بعد أصحاب الفروض لأولى قريب ذكر، لقوله صلى الله عليه وسلم: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فهو لأولي رجل ذكر» (صحيح البخاري، القاهرة، دار الحديث، كتاب الفرائض، باب ميراث الولد من أبيه وأمه، ٨/١٨٧، وصحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار الفكر، كتاب الفرائض، ١١/٥٢). وهذا الحكم يمكن استنباطه من القرآن. من آيات الميراث في سورة النساء، مباشرة.

المهم هنا أن هذا القريب الذكر يأخذ التركة كلها، أو الباقي منها، ويحجب من بعده. أما حجب النقصان فيؤدي إلى زيادة انتشار التركة، لأنه ينقص نصيب بعض الورثة ليفسح نصيبا لآخرين. فالولد يحجب الأم من الثلث إلى السدس، وكذلك الاخوة ولكن في حين أن الولد في الحالة الأولى هو المستفيد من النقصان (= نقصان الأم)، فإن الاخوة في الحالة الثانية لا يستفيدون من النقصان، انما المستفيد هو الأب، أي ان الحجب في الحالة الأولى هو لصالح النفس، بينما هو في الحالة الثانية لصالح الغير. والولد يحجب الزوج من النصف إلى الربع، ويحجب الزوجة من الربع الى الثمن، والمستفيد هو الولد في الحالتين. والخلاصة فإن التركة لا تتركز فرديا ولا تنتشر قوميا، انما تنتشر عائليا، قل إن شئت انها تتركز عائليا، إلا ما يذهب إلى بيت المال، عند عدم الوارث، أو عند القائلين بعدم الرد وبعدم توريث ذوي الأرحام.

(التخارج) صمّام أمان التركات

هذا إذا نظرنا إلى الورثة والأسلوب الفني لعمل نظام الارث. أما إذا نظرنا إلى أموال التركة فإننا قد نجد من بينها أموالا غير قابلة للقسمة، لأنها تتلف وتفقد منفعتها وقيمتها، أو أنها قابلة للقسمة ولكنها إذا قسمت نقصت منفعتها وقيمتها.

مثال القسم الأول: سيف فلا يقسم ويكسر قسمين أو أكثر. ومثال القسم الثاني: أرض زراعية إذا قسمت نقصت مساحتها وصارت غير اقتصادية.

وهنا نقول إن نظام الميراث قد احتوى على صمام أمان، وهو (التخارج). والتخارج أن يخرج وارث لآخر عن مال من أموال التركة، مقابل مبلغ معلوم. والتخارج نوع من البيع، ويمكن أيضا أن تحل هذه المشكلة بالقسمة، ثم الشركة أو التعاونية.

وعلى هذا تنتفي الشبهة التي يثيرها بعض أعداء الإسلام ونظامه في الميراث، من حيث إنه قد يفتت الثروة إلى حدود غير اقتصادية.

الزواج وتوزيع الثروة

■ النظام الارث في الاسلام علاقة وثيقة بوشائج المجتمع وتمتين العلاقات الأسرية

وبما أن الزوجين من الورثة، فإن الزواج إذا تم بين رجل وامرأة متكافئين في الثروة، فإن إعادة توزيع الثروة عن طريق التركة تكون قليلة الأهمية. أما إذا تم بين شخصين متفاوتين في الثروة فإن إعادة التوزيع تكون أكبر كلما كان التفاوت أكبر [انظر نظم التوزيع الإسلامية للدكتور محمد أنس الزرقاء، مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، جدة، العدد ١، المجلد ٢، صيف ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، ص٢١].

ولما كان نصيب الزوج ضعف نصيب الزوجة، فإن الميل إلى الانتشار يكون أكبر باتجاه الزوجة، وإلى التركز أكبر باتجاه الزوج، ولكن هذا التركز سرعان ما يعود إلى التفتت بسبب الأعباء المادية المفروضة على الزوج في مجال الانفاق العائلي حسب الشريعة الإسلامية.

وإذا نظرنا إلى نسب الميراث وهي:

١/٢، ١/٤، ١/٨

٢/٣، ١/٣، ١/٦

نجد أن أعلى نسبة هي النصف ١/٢ بالنسبة للوارث الواحد (فالنصف هو نصيب البنت والأخت الشقيقة أو لأب، والزوج)، أما الثلثان ٢/٣ فهما نصيب غير فردي، لأنه يخص اثنين فأكثر من الورثة (هما نصيب البنتين فأكثر، أو الأختين الشقيقتين أو لأب فأكثر).

نظام الارث وتحقيق العدالة

وأدنى نسبة هي الثمن في المجموعة الأولى من النسب، والسدس في المجموعة الثانية. وهذا يعطينا فكرة عن مدى الانتشار والتركز في التركة بواسطة نسب الميراث. وهو مدى معتدل، لا إفراط فيه ولا تفريط.

أمثلة على توزيع الارث

وأخيرا لإعطاء مثال عملي عددي، نفرض تبسيطا أن الورثة هم الأولاد، والأبوان وأحد الزوجين. وهم الذين يشكلون أسرة المتوفي، بافتراض أن هذا المتوفي هو الزوج أو الزوجة. وكلهم مذكورون في القرآن [النساء:١١و١٢]، وهم أقوى الورثة، بخلاف الكلالة، كالأخوة وسائر الورثة.

١ – إذا انفرد الابن حصل على كل التركة.

٢ – إذا انفرد الأب حصل على كل التركة.

٣ – إذا انفردت البنت حصلت على نصف التركة (والباقي لأقرب ذكر).

٤ – إذا وجدت بنتان فأكثر حصلن على ثلثي التركة (والباقي لأقرب ذكر).

٥ – إذا انفرد الأولاد، ذكورا واناثا، توزعوا التركة للذكر مثل حظ الأنثيين.

٦ – إذا انفرد الزوج فله النصف (والباقي لأقرب ذكر)، ويبقى هذا حكمه مادام ليس معه ولد.

٧ – إذا انفردت الزوجة فلها الربع (والباقي لأقرب ذكر)، ويبقي هذا حكمها مادم ليس معها ولد.

٨ – إذا انفردت الأم فلها الثلث (والباقي لأقرب ذكر)، وهو حكمها أيضا مع أحد الزوجين.

٩ – إذا انفرد الوالدان فللأم الثلث وللأب الثلثان (الثلثان هنا نصيب فردى للأب على سبيل التعصيب لا الفرض، فالثلثان في الفرض سهم الاشتراك لاسهم الانفراد).

١٠ – إذا اجتمع زوج وأولاد وأبوان:

الزوج: ١/٤ = ٣/١٢ أسهم

الأب: ١/٦ = ٢/١٢ سهمان

الأم: ١/٦ = ٢/١٢ سهمان

الأولاد: الباقي = ٥/١٢ أسهم

المجموع: ١٢

فالحظ الأوفر للأولاد، وهو ما يقرب من نصف التركة. ولو كان الأولاد ابنين وبنتا، كان للابن الواحد سهمان، وللبنت سهم واحد. غير أن مجموع حصة الأولاد أكبر من أي حصة أخرى، وهي تساوي مجموع حصة الزوج وأحد الأبوين.

١١ – إذا اجتمع زوجة وأولاد وأبوان:

الزوجة: ١/٨ = ٣/٢٤ أسهم

الأب: ١/٦ = ٤/٢٤ أسهم.

الأم: ١/٦ = ٤/٢٤ أسهم.

الأولاد: الباقي: ١٣/٢٤ سهما

المجموع: ٢٤

فالحظ الأوفر للأولاد، وهو هنا أكبر من حظهم هناك، لأن نصيب الزوجة نصف نصيب الزوج، مما زاد في نصيب الأولاد. ونصيب الأولاد هنا يزيد على نصف التركة، أي يزيد على مجموع أنصبة باقي الورثة.

ولو كان الأولاد ابنين وبنتا كان للابن الواحد نصيب يزيد على نصيب أي وارث آخر.

ملاحظة: عبارة (والباقي لأقرب ذكر) تعني هنا حسب المثال المطروح: (والباقي للأب).

■انتشار التركة في اسرة المتوفى يحقق العدالة والكفاءة

خلاصة البحث

ومما تقدم ترى أن انتشار التركة يتأثر بعدد الورثة، ودرجة القرابة، ونسب الميراث، والحجب، والعول، والرد، والتزاحم على الأنصبة الجماعية، وعدد المتزاحمين، ومدى تفاوت المركز المالي بين الزوجين، واختلاف المذاهب الفقهية في أحكام الارث.

ان التركة تنتشر في أسرة المتوفى انتشارا يحقق الكفاءة والعدالة. أما الكفاءة فتتحقق لأن تركة المتوفى تذهب إلى أسرته التي هي امتداد له، وهذا ما يحفظ على الإنسان المسلم همته وحافزه ونشاطه الإنتاجي في تكوين الدخل والثروة. وأما العدالة فتتحقق لأن تركة المتوفى تتوزع بناء على معايير القرابة والعبء العائلي. فالأقرب أولى من الأبعد، لأن مساهمته في تكوين ثروة المتوفي يفترض أنها أكبر، والذكر أوفر حظا من الأنثى، لأن أعباءه المالية أكبر، والأولاد أعلى نصيبا من الآباء، لأن الآباء يكونون في العادة أثرى من الأبناء، من حيث السنوات التي قضوها في العمل والادخار، ولأن الآباء يستدبرون الحياة، والأبناء يستقبلونها، والله أعلم بالصواب ■

نذكر قول أحد الحكماء: (الطفل أب الرجل) ومعنى ذلك ان الطفل بتربيته واستعداده وتكوينه ووراثته تمتد صفاته وخصائصه اليه بعد ان يصل الى سن الرجولة. والأمر كذلك بالنسبة للطفل الانثى فان الطفل الأنثى هى التي ستكون أما.. فنستطيع ان نعدل ذلك القول بأن الطفل أب الرجل وأمه بعد مراحل من العمر فالصفات الاجتماعية من كرم وتعاون واحترام للكبير وصدق وأمانة مثلا يمكن تكوينها في الطفولة المبكرة وبالعكس الصفات الانطوائية أو الانسحابية من المجتمع أو العدوانية أو البخل أو الخوف من الظلام أو من الناس من غير مجتمعه المحدود قد تتكون بمؤثرات من الآباء في هذه المرحلة فتنتقل بجانب الخصائص الوراثية الى المراحل التالية من العمر وتستمر وقد تشتد في الكبر مالم تجد تربية تحاول تعديل السلوك واعلاء العدوان مثلا الى تنافس محمود في الدراسة والعمل.

رعاية الاسلام الشاملة للطفولة



بقلم: عبد الحفيظ نصار

ولنتفق اولا على ان مرحلة الطفولة هى المرحلة السابقة على مرحلة المراهقة ابتداء من الولادة حتى بداية المرحلة الاعدادية. فهذه المرحلة لها أثرها الكبير في تكوين شخصية الطفل فتكون سوية او غير سوية بدرجات متفاوتة. وأهم مراحل الطفولة في السنوات الخمس الأولى فالوالدان والاخوة الأكبر سنا ومشرفات الحضانة والروضة لهم – ومن يتعامل معهم الطفل ويحتك بهم – أثرهم في تكوينه وسلوكه وفهمه للمجتمع فهم ينقلون اليه خبرات المجتمع وقيمه من سلوك وأخلاق وعادات في المأكل والمشرب واللعب والتعاون والتعرف على البيئة والتكيف معها والتعامل مع الكبار والصغار.

* أستاذ فلسفة – المغرب

ففترة الطفولة فترة نمو وتعلم وإعداد للحياة في المجتمع بصورة مبسطة تتفق مع نموه وطفولة الانسان أطول من فترة طفولة الحيوان اذ لايحتاج الحيوان لكي يتعامل مع البيئة إلا لبضعة أيام مثل القط الذي ينطلق بحثا عن طعامه بعد فترة رضاع قصيرة بينما الحياة في المجتمع الانساني تحتاج الى خبرة طويلة تتمثل بعد السنوات الخمس الأولى في الحضانة أو الروضة وفي تعليمه في المدرسة الابتدائية والاعدادية او مايسمي حاليا بالمدرسة الاساسية وبعدها المرحلة الثانوية وربما الجامعية ايضا.

ودور المعلمين او المربين هو نقل خبرات المجتمع العلمية والتطبيقية وقيمه الاخلاقية والدينية والوطنية وعاداته وتقاليده وتاريخه والتعرف على خائض مايحيط به من عوامل وكائنات ومخلوقات حسب مراحل نمو التلميذ وقد يتخصص طلبة الثانوية الفنية او بعض الكليات الجامعية أو بعض المعاهد مع الجانب النظري في النواحي التطبيقية لتلك العلوم للاستفادة منها وافادة المجتمع بها، ولكي يحقق المعلمون هذه الرسالة لابد وأن يكون على مستوى علمي وتربوي صالح لادائها وألا تقلل من شأن المرحلة الاساسية. ومرحلة الحضانة أو الروضة جزء منها وتتطلب ان يكون المعلمون والمعلمات والمشرفات بها على مستوى عال من التربية والتعليم.

تعليم آدم عليه السلام

رعـايـة الاسـلام الشاملة للطفولة

وهنا نـذكر أن آدم كان في حاجـة الى هذا التعليم قبل ان ينـزل الى الارض لضرورتـه في حياتـه وقد تـولاه ربه بهذا التعليم او بما هو أرفع منه واعظم وبـذلك رفع منزلة آدم على الملائكة، ولنقرأ قول الله تعالى: ﴿ وعلم آدم الأسماء كلهـا ثم عرضهم على الملائكة فقـال أنبئـوني بأسماء هـؤلاء إن كنتم صـادقين. قـالـوا سبحـانك لا علم لنـا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليـم الحكيم. قال ياآدم أنبئهم،بـأسمائهم فلما أنبـأهم بـأسمائهم قـال ألم أقل لكم إني أعلـم غيب السمـوات والارض وأعلم مـاتبـدون وماكنتـم تكـتمون ﴾ [البقرة:٣٠-٣٣].

العناية بالطفولة قبل الولادة وبعدها

فأهم تلك المراحل مـرحلـة الطفـولـة كما ذكرنا وقـد اهتم الاسلام بها اهتماما سبق به العصر الحديث بعلـومه، فـاهتم الاسلام بـالطفل قبل مـولـده بـاهتمامـه بـالأم اي الزوجة فجعل الحياة الـزوجية الشرعية هى أساس العمران والأبوة والأمومة الصالحين والخلف الصـالح وقـد من اللـه على عبـاده بنعمة الـزواج والانجاب للبنين والبنـات في قـوله تعـالى: ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبـات أفبالبـاطل يؤمنـون وبنعمـة اللـه هم يكفـرون ﴾ [النحل:٧٢] وقال اللـه تعالى: ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الـذي خلقكم من نفس واحـدة وخلق منهـا زوجهـا وبث منهما رجـالا كثيرا ونسـاء واتقوا اللـه الذي تساءلون بـه والارحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [النساء:١].

فالاسلام نظم العـلاقة بين الرجل والمراة فـارتفع بهما عن ان يكـونـا مثل بـاقي الحيـوانـات إذ لابـد من خطبـة اي تعـرف مبـدئي وتراض بينهما بعـد ذلك اي ايجاب وقبول منهما ومهر للزوجـة ومن شاهدين وإشهار للـزواج، فبذلك يكون الاسـلام قد وضـع الاساس السليم لبنـاء الاسرة ورعاية

■تـؤثـر التربيـة بـالمحاكـاة وبالتلقين في تكـوين شخصيـة الطفــل



الطفولة وتحمل مسـؤوليـة الاطفـال مسـؤوليـة مشتركـة فـلا تكـون العلاقـة بين الـذكـر والانثـى مجرد علاقـة جنسية قـد تـأتي من ورائها مشكلـة اجتماعية اذا لم تقـم بينهما عـلاقة زوجيـة قد يعقبها العار خـاصة للفتـاة التـي سقطـت، وقد ينجبان من وراء تلـك العـلاقـة العارضـة، وقد يكون الضيـاع والتشرد للطفـل الـذي جـاء عن طريق محرم ان قـدر لـه ان يعيش. لـذلك نحذر من اتخاذ فترة الخطـوبـة ذريعة لارتكاب المحرم اذ ليست الخطـوبـة إلا فترة وعـد بـالـزواج يحل للخـاطب ان ينظر الى ماأحل اللـه كشفـه منـهـا (الوجـه والكـفين) ﴿ ولايبدين زينتهـن إلا ماظهر منها ﴾ [النـور:٣١] ويتحدث معهـا لا ان يستحـل مالايحل الا بالزواج.

ولـلاسف فان بعض المسلمين يقعـون في ذلك الخطأ او تلـك الخطئيـة ومن أبـوابها مايسمى بالزواج العرفي الذي يجحد فيه الأب ابـوتـه للطفل ان لم تجد الام مـايثبت تلك العلاقـة بينه وبينها لان امر الـزواج فيه على السرية بخلاف العقـد الشرعي الذي يشترط الاشهـاد عليه والاعـلان عنه فضـلا عن ان العلاقة الزوجية في الإسلام مبنية على المحبة والتفاهم والرحمة بين الـزوجين حتى تكون فيض نعمة وحنان ومحبـة وتنشئة صالحة للاطفال فالسعادة الـزوجية سعادة ورعاية للاطفـال. قال تعـالى: ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مـودة ورحمة إن في ذلك لآيـات لقـوم يتفكرون ﴾ [الروم:٢١].

وتتحقق السعادة للزوجين وأطفالهما بعد ذلك بحسن اختيار الزوج لـزوجته والزوجة لزوجهـا، قال ﷺ : «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبهـا ولجمالها ولدينهـا فـاظفر بـذات الدين تربت يداك) [رواه البخاري ومسلم]، وقـال ﷺ: «إذا أتـاكم من تـرضـون دينـه فزوجوه إلا تفعوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير» [الترمـذي وأبـو داود]، وقـال ﷺ: «أربع من أصـابهن فقـد أعطى خير الـدنيـا والآخرة: قلبا شاكرا ولسانا ذاكراً وبدنا على البلاء صابرا وزوجة لاتبغيه حوبا في نفسها وماله» [الطبراني]، والاسلام يدعو الى حسن معـاملـة الزوج لـزوجتـه حتى يكـون البر والخير لأولادهما والعكس لمن يسيء اليهـا وخاصـة في اثناء حملها أو بعـد ولادتها امام اطفالها فينعكس ذلك على حيـاتهم نفسيا وصـحيا بصـفـة عامـة، قال تعـالى: ﴿ وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكـرهـوا شيئا ويجعل اللـه فيـه خيراكثيرا ﴾ [النساء:١٩].

وقال ﷺ : «استوصوا بالنساء خيرا» [رواه البخـاري ومسلـم]. وقـال ﷺ : «النساء شقائق الـرجال»، فمسـؤوليتهما كلاهما في رعـايـة الاسرة قـال ﷺ : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالامام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهلـه وهو مسؤول عن رعيتـه والمرأة راعيـة في بيت زوجهـا وهي مسـؤولـة عن رعيتهـا والخادم راع في مـال سيده، وهو مسـؤول عن رعيته والرجل راع

في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» [رواه البخاري ومسلم].

تكريم الطفل في القرآن الكريم

وقد كرم الاسلام الطفل بذكر نشأته قال تعالى: ﴿ ونقر في الأرحام مانشاء الى اجل مسمي ثم نخرجكم طفلا ﴾ [الحج:٥] وقال تعالى: ﴿ يأيها الانسان ماغرك بربك الكريم. الذي خلق فسواك فعدلك. في اي صورة ماشاء ركبك ﴾ [الانفطار:٦-٨] وقد أقسم الله تعالى بالاطفال في سورة البلد: ﴿ لاأقسم بهذاالبلد. وأنت حل بهذا البلد. ووالد وماولد. لقد خلقنا الانسان في كبد ﴾.

فالاطفال نعمة من الله علينا ان نحافظ عليها وقد دعا سيدنا ابراهيم وولده اسماعيل الله راجين نعمة الذرية الصالحة في قوله تعالي: ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ﴾ [البقرة:١٢٨] ودعا زكريا عليه السلام المولى عز وجل: ﴿ قال رب هب من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ﴾ [آل عمران:٣٨] وعباد الرحمن الصالحون يرجون الذرية الصالحة: ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ﴾ [الفرقان:٧٤].

حق الطفل في الرعاية الكاملة

دافع الاسلام عن حق الطفل في الحياة وحرم عادة كانت فاشية عند العرب في الجاهلية بوأد الأطفال خشية الفقر أو البنات خشية العار قال تعالى: ﴿ ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا ﴾ [الاسراء:٣١] وانذرهم بسوء العاقبة قال تعالى: ﴿ واذا الموءدة سئلت. بأي ذنب قتلت ﴾ [التكوير:٨و٩].

واهتم الاسلام برعاية الاطفال وحقهم في ان تستكمل مدة رضاعتهم حولين كاملين وهى المدة التي سبق بها الإسلام الطب الحديث في مدة الرضاعة اللازمة للطفل قال تعالى: ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لاتكلف نفس

■ تؤثر التربية بالمحاكاة وبالتلقين في تكوين شخصية الطفل



إلا وسعها لاتضار والدة بولدها ولامولود له بولده وعلى الوراث مثل ذلك ﴾ [البقرة:٢٣٢] فلا تتحمل الأم الضرر برعايتها للطفل ولايضار الولد بالمبالغة في النفقة بل بالمعروف قال تعالى: ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾ [الطلاق:٧].

ورعاية الطفولة في الإسلام تلزم بالنفقة عند عجز الوالد عن النفقة على اطفاله تلزم الاصول الاجداد ثم الفروع كما تلزم بهذه الرعاية اذا لم يجدوا من يرعاهم.

وفي عهد عمر بن الخطاب فرض لكل طفل راتبا فسبق بذلك الدول الغربية المتقدمة التي تشجع على النسل بجعل علاوة اجتماعية لهم. وكان رسول الله ﷺ يعطي الآهل (المتزوج) حظين (نصيبين) ويعطي (العزب حظا واحدا) [رواه البخاري]، وقد جاء في حديث عن رسول الله ﷺ: «من ترك مالا فلورثته ومن ترك ضياعا - اي ورثة هلكى لا حول لهم - او كلا - اي ذرية ضعفاء فليأتني فأنا مولاه» [البخاري].

وقد أكد ذلك ابو عبيد في كتاب (الاموال) فقد جعل ﷺ للذرية في المال (مال الدولة) حقا ضمنه لهم.

ورعاية الطفل واجب على الأهل جميعا وان يكون البر بينهم جميعا قال ﷺ: «برأمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك» [رواه البزار].

والنفقة على الاسرة يعتبرها الإسلام عبادة بل أعلى مرتبة من النفقة في سبيل الله قال ﷺ: «دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك أعظمها اجرا الذي انفقته اهلك» [رواه مسلم]. وعن ام سلمة رضي الله عنها، قالت: قلت يارسول الله هل لي اجر في بني ابي سلمة ان انفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا انما هم بني، فقال نعم لك اجر ما أنفقت عليهم» [رواه البخاري ومسلم]. وقال ﷺ: «كفى بالمرء إثما ان يضيع من يقوت» [ابو دواد] وفي رواية مسلم: «كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته».

والاسلام يرعى الطفل غير الشرعي فلا تجلد امه او ترجم ان ثبت عليها حد الزنا وهى حامل حتى تضع حملها وتتم رضاعته وترعاه الدولة بعد ذلك كما ترعى الطفل اللقيط وهى بذلك قد سبقت الدول الغربية التي لم تحرم الزنا وقد حرمه الاسلام سدا لذلك الباب قال تعالى: ﴿ ولاتقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾ [الاسراء:٣٢].

كما اهتم الاسلام برعاية اليتامي، واليتامي في عرف الاسلام من كانوا في مرحلة الطفولة وفقدوا الآباء أي لم يبلغوا ولم يصلوا لسن الرشد، قال تعالى: ﴿ وآتوا اليتامي أموالهم ولاتتبدلوا الخبيث بالطيب ولاتأكلوا اموالهم الى اموالكم إنه كان حوبا كبيرا ﴾ [النساء:٢]. وقال تعالى: ﴿ ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ [النساء:١٠] وجاء في الصحيحين: «اجتنبوا السبع الموبقات» وذكر رسول الله ﷺ منها

رعاية الاسلام الشاملة للطفولة

أكل مال اليتيم. وقال ﷺ : «انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما» [رواه البخاري].

عدم التفرقة بين الاطفال

جاء في الصحيحين من حديث سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعودني في عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت: اني قد بلغ بي من الوجع وانا ذو مال ولايرثني الا ابنة أفاتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. فقلت بالشطر؟ فقال: لا. ثم قال: «الثلث والثلث كبيرأو كثير، انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس، وانك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ماتجعل في في امرأتك» ومن هذا الحديث نأخذ رعاية الاسلام للبنت بعد وفاة الاب وتأكيدا لنفقة الزوجة.

كما ان الإسلام لايقر التفرقة بين الابناء فقد جاء في الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه انه اتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فامرتني ان اشهدك يارسول الله: «قال أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟» قال:لا. قال: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» قال: فرجع فرد عطيته.

وجوب تربية الاطفال وتعليمهم

ومن أهم سمات الاسلام المميزة له على سائر الاديان انه جعل اول أمر من الله للداعية الاول رسول الله ﷺ ولسائر المسلمين أمرا بالقراءة: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكرم. الذي علم بالقلم. علم الانسان مالم يعلم ﴾ [العلق:١-٥]، فاقترن الأمر بالقراءة بذكر القلم اداة الكتابة، كما أقسم الله تعالى بالقلم ومايسطره في قوله تعالى: ﴿ ن. والقلم وما يسطرون ﴾. أي ماتسطره الملائكة او يسطره العلماء، وعلى المعلمين ان يأخذوا



■ اهتم الاسلام بالطفل قبل الولادة؛ بحسن اختيار الأم، وبعدها؛ بالتربية والتوجيه

الاطفال بالرفق في تعليمهم. قال ﷺ: «ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرحمة مالايعطي على العنف» [رواه مسلم].

وأولى الناس بالرفق في تربيتهم وتعليمهم هم الاطفال وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا. [رواه البخاري]، والمعنى كان يتعهدنا ويراعي الاوقات في تذكيره وتعليمه لنا حتى لانمل ولايكون ذلك الا بتنظيم الوقت والمادة ومراعاة مستوى المتعلمين كما تدعو الي ذلك التربية الحديثة. قال ﷺ : «طلب العلم فريضة على كل مسلم» [رواه ابن ماجة]. اي ومسلمة لان المقصود بالمسلم الجنس الذي يعم الذكر والأنثى. وقد وردت مادة

العلم وإعلاء قدره وقدر العلماء واستخدام العقل والفكر واللب والحكمة في القرآن الكريم مئات المرات قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر:٢٨].

ومايدل على مزيد العناية بتعليم الاطفال والكبار قال تعالى: ﴿والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون﴾ [النحل:٧٨] وفي غزوة بدر كانت فدية الأسير المتعلم ان يعلم عشرة من اطفال المسلمين والفدية في ذلك الوقت كانت أربعة الاف درهم. وقال ﷺ: «ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا الى الجنة» [رواه مسلم]. وقال ﷺ :« انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم» [رواه البخاري] أي بأثره في تكوين وسلوك المتعلم.

والإسلام كان يراعي في الحرب الايذهب الاطفال إليها وقد كان رسول الله ﷺ يرد المتقدمين منهم للجهاد حتى تكمل تربيتهم وتعليمهم وتدريبهم كما كان يستبقى من المعلمين، من يقوم بتعليم الأطفال والكبار الذين لم يجندوا وحتى يتفرغ فريق من هؤلاء المعلمين للتفقه في الدين بمعناه الواسع وليفيدوا المسلمين المحاربين بعد رجوعهم بعلمهم وجعلهم كالمجاهدين.

قال تعالى: ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴾ [التوبة:١٢٢]. وعن مالك بن الحويرث قال لنا النبي ﷺ : «ارجعوا الى اهليكم فعلموهم» [رواه البخاري]. وعن صفوان المرادي قال ﷺ : «مامن خارج خرج من بيته في طلب العلم الا وضعت له الملائكة اجنحتها رضا بما يصنع» [رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم].

ومسؤولية الآباء عن تعليم اهله عامة واولاده خاصة وتبصيرهم بالاسلام وفرائضه وآدابه تذكرها الآية الكريمة: ﴿ يأيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون ﴾ [التحريم:٦] والحديث الشريف الذي مر بنا وفيه: «والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها فكلكم راع وكلكم مسؤول عن

رعيته».

ومرحلة الطفولة لاتترك للحضانة أو الروضة او المدرسة وحدها أمر التربية اذ للبيت دوره الهام في التنشئة الصالحة وتربيتهم على أداء الصلاة ومعرفة آداب الإسلام. قال تعالى: ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ [طه:١٣٢]. وقال ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها اذا بلغوا عشرا وفرقوا بينهم في المضاجع» [رواه أحمد وأبو داود والحاكم]، وقال ﷺ: «الزموا اولادكم وأحسنوا آدابهم» [الترمذي].

ومن الواجبات التي يربي عليها الاطفال معرفة حق الوالدين قال تعالى: ﴿ وقضى ربك الاتعبدوا الا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولاكريما ﴾ [الاسراء:٢٣] ونلاحظ اقتران الأمر بالعبادة بالاحسان للوالدين. ومعرفتهم حق الأم خاصة ومعرفة ماتتحمله الأم من مشقة في الحمل وفي التربية قال تعالى: ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الى المصير ﴾ [لقمان:١٤].

كما نجد رسول الله ﷺ في رده على من سأله من أحق الناس بحسن صحابتي يارسول الله؟ قال: «امك» قال:ثم من؟ قال: امك قال ثم من؟ قال: «امك». قال: ثم من؟ قال: «ثم ابوك». متفق عليه. كما ان المجتمع يفتقد كثيرا توقير الصغير للكبير ورحمة الكبير بالصغير. ومن الواجب تربية الأطفال عليها عملا بقول رسول الله ﷺ وامتثالا لتحذيره: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا» [رواه الترمذي].

وكان رسول الله ﷺ فيض حب وحنان على اولاده وأحفاده فقد روي عنه انه دخل عليه الحسن والحسين فاخذهما وقبلهما وعنده الاقرع بن حابس التميمي فقال الاقرع ان لي عشرة من الولد ماقبلت منهم احدا فنظر اليه رسول الله وقال: «من لايرْحَم لايُرْحَم» [رواه البخاري].

وفي هذا الاتجاه بالرحمة بالصغير ان عمر بن الخطاب ارسل لأحد ولاته ليتسلم كتاب توليته فيحضر اليه في مجلسه وتسلم كتابه وعند ذلك يدخل على عمر أحد اولاده الصغار فيأخذه عمر في حنان ويقبله فينكر الرجل

■يحتاج المسلمون إلى فقه (التربية) كما يحتاجون إلى فقه (العبادات)



على عمر تقبيله لابنه ويقول معبرا عن غلظته: والله ان عندي عدة اولاد ماقبلت واحدا منهم. فعند ذلك يغضب عمر وينزع كتاب توليته من يده قائلا له: لئن كنت قاسيا على أولادك فستكون أشد قسوة على المسلمين فلا ولاية لك عليهم. ومن امثلة تربية الاطفال قال ابو هريرة رضي الله عنه: أخذ الحسن ابن على رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ: «كخ كخ، ارم بها، اما علمت انا لانأكل الصدقة» [البخاري ومسلم].

والاسلام يوجب تعليم الاطفال العادات الحسنة فعن عمر بن ابي سلمة ربيب رسول الله ﷺ «كانت يدي تطيش في الصحفة فقال رسول الله ﷺ: ياغلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك فما زالت تلك طعمتي بعد» [البخاري ومسلم]: «وتطيش تدور في الصحفة» وقال ﷺ : «من ربى صغيرا حتى يقول لا اله الا الله لم يحاسبه الله» [الطبراني في الاوسط وابن عدي في الكامل]. والرسول ﷺ كان يهتم بتربية الاطفال وخاصة البنات فقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ : «من رزقة الله بثلاث بنات فأحسن تربيتهن ادخله الله الجنة. قالوا: واثنتين يارسول الله؟ قال: واثنتين. قالوا: وواحدة يارسول الله قال وواحدة».

والآداب الاسلامية لسلوك الابناء منبثة في القرآن الكريم والحديث الشريف فنذكر منها وصية لقمان لابنه: قال تعالى: ﴿ يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك ان ذلك من عزم الأمور. ولاتصعر خدك للناس ولاتمش في الارض مرحا ان الله لايحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن انكر الاصوات لصوت الحمير ﴾ [لقمان:١٧-١٩].

فاين تلك الاخلاق في تربية الأبناء على معرفة حقوق الوالدين وآداب السلوك ورعاية الآباء لحقوق الأبناء مما يعرف في الغرب من حرية الأبناء المراهقين أو البنات المراهقات الى حد ان لهم الحق في شكوى والديهم للشرطة والقضاء اذا تعرضوا لحرياتهم الشخصية أو الجنسية.. وما يعرف من تفكك العلاقات الأسرية وكثرة مشكلات الابناء غير الشرعين ونسبتهم أحيانا لغير ابائهم مع وجود الآباء وماأعظم الإسلام الذي حافظ على حقوق الأبناء، قال تعالى: ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ [الاحزاب:٥].

وأين الرعاية والحماية للطفولة والامومة في مذابح الأطفال والامهات المسلمات واغتصابهن في البوسنة والهرسك ، وغيرها، تحت نظر العالم وبصره، بل وبانغماس بعض الدول الكبرى والصغرى في الجريمة بالتشجيع أو الصمت عنها إن لم يكن بمساعدتها وحرمان المعتدى عليهم من حق الدفاع عن أنفسهم باستيراد السلاح. ولقد تجمع الشتاء بجليده، وقد يكون اشد خطرا عليهم من الاعداء، فإذا لم يمد الغرباء أيديهم اليهم لإنقاذهم او من تبقى منهم؟ افلا يجب ذلك على الأشقاء؟ وإلا فما معنى الاخوة في الإسلام؟

من المتفق عليه أن الحياة تتجـدد، والحضــارة في تحرك فإلى أين تتجه؟؟ البعض يـرى أن الحركة تسير إلى الأمـــام في خط مستقيم متصاعد، وهناك من يعكس الأمـر فيرى أن الحركــة في نكـوص إلى الوراء.
وفـريق ثالث يـؤمن بأن للحضــــــارة دورة أو دورات، يـراهــا البعض مقفلة، بينما يراها آخرون تسير بشكـــل دائري، ويــذهـب غيرهم إلى أنها تشبه صعود الجبل.
والفريق الرابع ينفي كل ذلك، ويقــول بأن الحضــــارة لا تلتـزم خطـاً معينـا، بل لكل حضــــارة مسارها وخطها الخاص بها.
وأخيرا لقد طرحت المفكرة الألمانيـة «سيغـريـد هونكـة» نظريـة جديـدة تفسر بها حـــركـــة الحضــــارة، وســوف استعـــرض الآراء الأولى بشيء من الإيجاز:



● اهتمت الحضارة الغربية بالمادة والاقتصاد ولكنها اهملت الانسان

في حركة الحضـــارة

بقلم د. نعمان عبـــدالـــرزاق*

١ – حركـة التقدم الصاعـد (١): وأقدم من قال بها بعض مفكري اليونان ثم تبناها بعـد ذلك كل من «بيكـون وديكارت» وقـد انتشرت في أواخر القـرن السابع عشر، حين احتدم الجدل بين أنصـار القديم والحديث، فقـام أنصــار الحديث بتبني الفكـرة لأنها تخدم مذهبهم.

ابتدأت الفكـرة بالأدب لكنهـا ما لبثت أن تحولت إلى السيــاســـة وعلم الاجتماع والفلسفـة والتـاريخ، وقـد مهـدت لفكـرة «التطـور» وجـاء «هيغل» فصاغ نظـريـة يفسر بها التـاريخ، وتلقفتهـا الماركسيـة وجعلتها محور نظريتها في الحضارة.

وكـــان المشجع عليهـا أولا التطـــورات العلميـة، ومـا استقـر آنـذاك من أن العلم سيحل كـافـة المشـــاكل، حتى لا يبقى في الكون سر.

وقد واجهت النظريـة نقدا بعضه يتصل بالمنهج والآخر يتعلق بالقيم وهكذا ابتدأت الفكـرة بـالأدب وبنقـــد رجـال الكنيســة وانتهت بجملة علوم ومعـارف ونقد الدين ذاته.

٢ – حركة النكوص: وهي نقيض الفكرة الأولى، فهناك مـن يرى أن الشرور غـالبة على العصر، والأخـلاق والقيم في تدهـور، وخلف هذا وفوقه الحروب المدمرة، وفقدان السـلام والطمأنينـــة، كما يبـدي البعض تـذمـره من عجز الإنسـانيـة عن التقـدم الحقيقي فهذا «جيته» يقول(٢): لقد صـار الإنسان أكثر ذكـاء ووعيا، ولكنه لم يصر أكثر سعادة أو أنبل خلقاً.

ويذكر «أدوارد كربنتر» (٣) بأن المدنية مـــرض جميع الأجنــــاس، أمـــا المؤرخ

*مـــدرس بكليـــة التربيـــة – الـــريـــاض

البريطاني «توينبي» فيصور الأمر وكأن صفقة خاسرة قد عقدت (٤) (فقد أغرت فنون الصناعة ضحايا وجعلتهم يسلمون قياد أنفسهم، وذلك ببيعها المصابيح الجديدة لهم مقابل المصابيح القديمة لقد أغوتهم فباعوها أرواحهم، وأخذوا بدلا عنها «السينما والراديو» وكانت نتيجة هذا الدمار الحضاري، الذي سببته تلك الصفقة، اقفرارا روحياً، وصفه أفلاطون بأنه مجتمع خنازير ولعل «ألبرت شفيتز» خير معبر عن الفكرة فهو يقول (٥) : (إن تقدم الحضارة «الخارجية» يجر وراءه هذه النتيجة: وهي أن الأفراد - على الرغم مما يحصلون عليه من مزايا - يضارون من نواح كثيرة، مادية وروحية، فالانجازات المادية لا تصير حضارة، إلا بمقدار ما تستطيع عقلية الشعوب المتمدنة أن توجهها وجهة «كمال الفرد والجماعة». إن تركيب العالم والحياة قد تزعزع عندنا، فلم يعد الرجل العصري يشعر بدافع إلى التفكير في المثل العليا للتقدم والسعي إليها، إنه أشد استسلاما مما يعترف، لكنه يصرخ بالتشاؤم، لأنه لم يعد يؤمن بالتقدم الروحي والأخلاقي للناس وللإنسانية، مع أن هذا التقدم الروحي والأخلاقي هو العنصر الجوهري للحضارة..).

أما كولن ولسون(٦) - الناقد البريطاني المعروف - فيرى أن حضارة اليوم يكتنفها صخب شديد، لا يدع مكاناً للدعة أو التأمل، فيفقد الإنسان السكينة الداخلية.

والمتأمل في الحضارات يجدها تتقدم في جانب وتتوقف في آخر وتتراجع في ثالث في آن واحد.

الحضارة مجموعة أمور مادية ومعنوية، يجمعها مكان وزمان، ثم تتفاعل مشكلة الحضارة، لذا فهي ليست كائناً عضويا يجب أن تتقدم كلها أو تتأخر كلها.

٣ - دورات الحضارة : يعتقد أكثر من مفسر للتاريخ ومهتم بالحضارة بوجود دورات حضارية، قد تعيد بها الحضارة نفسها بصورة أو بأخرى، دورات مغلقة - كما يراها البعض - ومفتوحة كما يراها غيرهم، ولعل أشهر المؤمنين بدورات الحضارة ابن خلدون وفيكو واشبنجلر وتوينبي وسيغريد، إلى حد ما.

■ يربط المؤرخ البريطاني توينبي بين انحلال الحضارات وانتشار الفساد في الفكر والسلوك

نظرية ابن خلدون (ت٧٣٢ هـ)

يرى ابن خلدون أن حركة الحضارة تأخذ شكلاً دائريا، تبتدىء بالبداوة ثم التحضر فالترف فالتدهور (٧).

ويرى ابن خلدون أن البداوة تتسم بالخشونة، ويظهر في أهلها الشجاعة والبسالة، إضافة للترابط والعصبية، وبفضل ذلك يتحقق تأسيس دولة يأتي بعد ذلك التحول إلى التحضر، حيث تتقدم الحضارة وتترقى الدولة، وبعد مدة يسقط الناس في «الترف» الذي لا يلبث أن يسلمهم إلى التدهور والسقوط.

ويعتقد ابن خلدون أن الحضارة هي غاية العمران، وهي من جهة أخرى نهايته، فمتى وصلت الحضارة إلى هنا، عندها تتحول مجددا إلى البداوة لتنتهي إلى التدهور والسقوط، فهي دورة كاملة تبدأ بالبداوة لتنتهي بالسقوط.

نظرية الحضارة عند فيكو

عاش فيكو في أواخر القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر، وهو يعتقد بأن التاريخ يمكن تفسيره بشكل علمي، فالمجتمعات تمر بمراحل معينة من «النمو والتطور والفناء» فهناك حلقات حضارية، حيث ينتقل الناس من البربرية إلى المدنيه بفضل «العناية الإلهية» التي تشمل الوجود كله.

ودورات الحضارة يفضي بعضها إلى بعض ثم تعود، وإن كان التاريخ لا يعيد نفسه بالضرورة، إذ ليس له عجلة تدور حول نفسها، بحيث تمكن مفسر التاريخ من التنبؤ بالمستقبل. وهو يعتقد أن الدورة تكون «لولبية» صاعدة متجددة، تشبه حركة «صاعد الجبل» الذي يدور حوله ويرتفع، حتى يصل القمة، فكل دورة تعلو على سابقتها وتزداد اتساعاً وشمولاً، وهكذا تبدأ الحضارة والمجتمع بالبربرية، وتتطور وتتقدم لتنتهي بالانحلال والبربرية، ولتبدأ من جديد دورة أخرى، تعلو سابقتها لتنتهي بالانحلال، وهكذا تتشابك الحلقات في صعود دائم، ففكرة «التقدم» أساسية لدى «فيكو» وإن كان التاريخ لايسير في خط مستقيم، وإن كان لكل حضارة طابعها الخاص، وهو يميز بين ثلاث مراحل متتابعة: اللاهوتية والبطولة والإنسانية، وكل واحدة أعلى من سابقتها(٨).

وقد نقدت هذه النظرية من أكثر من جهة، فالمراحل متداخلة، وتوجد في المجتمع الواحد، ويرى بعض النقاد أن «فيكو» استلهم نظريته من التوراة.

أدوار الحضارة عند اشبنجلر

يرى اشبنجلر أن الحضارة - ككل كائن - لها طفولتها وشبابها ونضوجها وشيخوختها، وهي تموت عندما تحقق روحها وتستنزف إمكاناتها، ثم لا تلبث أن تتخشب متحولة إلى «مدنية» ثم لا تلبث أن تنحل وتفنى (٩).

لكنه يعود ليشبه الحضارة بفصول السنة فيقول (١٠): (للحضارة ربيعها المتسم بالفاعلية الروحية، وصيفها الذي تنضج فيه، وخريفها الذي يسوده التحليل العقلي، وشتاؤها الذي تكون فيه قد استنفدت جميع إمكاناتها الداخلية، فتنصرف إلى الاهتمامات المادية وإلى الفتوح الخارجية، ويكون هذا مقدمة لانحلالها وانهيارها).

ثم يتحدث عن فاعلية الحضارة فيقسمها إلى ثلاثة أدوار:

١ - دور سابق للحضارة .

٢ - دور الحضارة الفاعلة.

٣ - دور الحضارة المستنفدة وتؤدي إلى الانحلال.

ويعتقد اشبنجلر أن حضارة الغرب قد وصلت إلى الدور الثالث، وهي سائرة للإنحلال حتماً، وعلى الغربيين أن يجابهوا هذا المصير بشجاعة ووعي (١١).

في حركة الحضارة

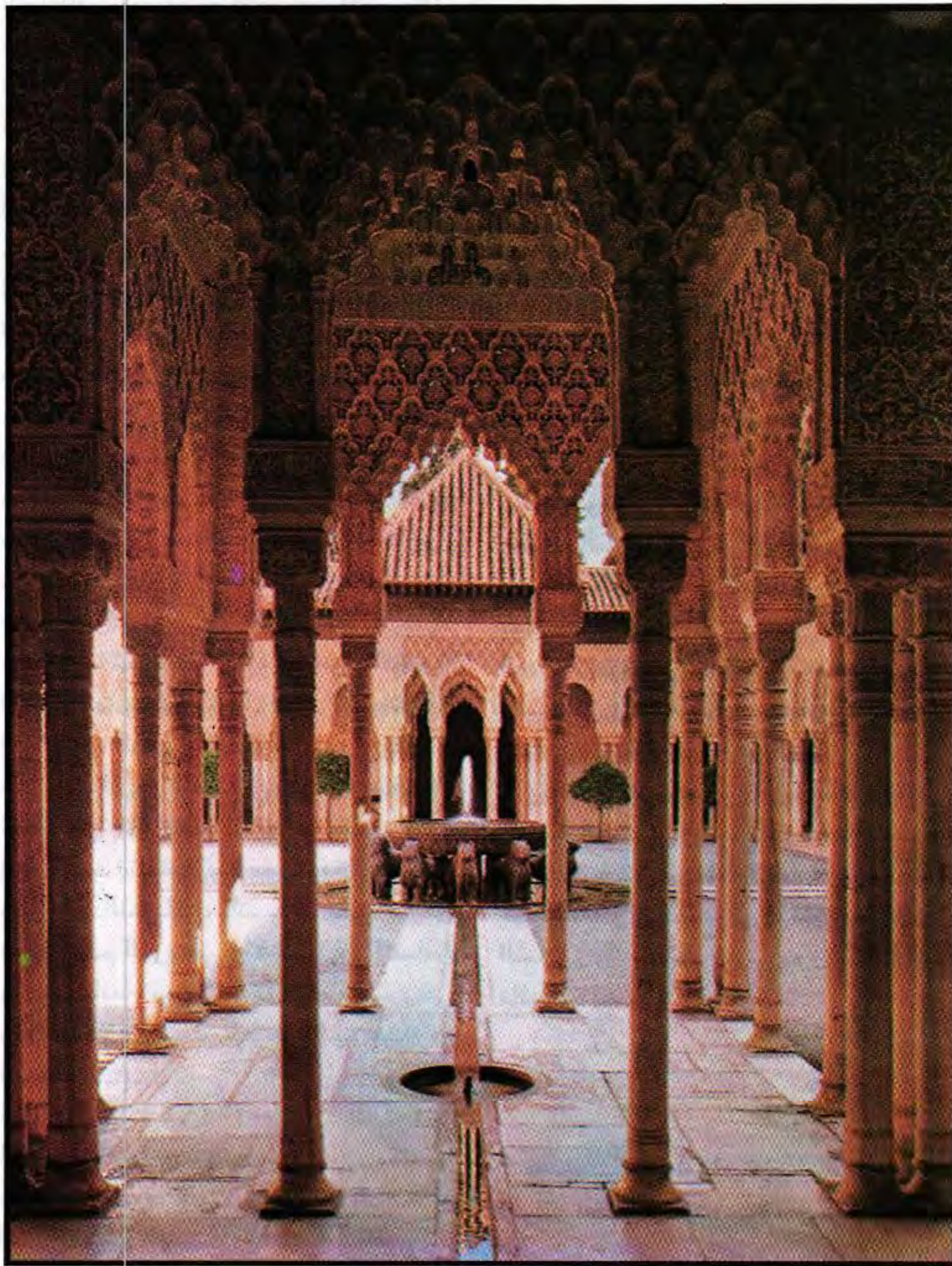
وهــذه الحتمية في النمــو والتطــور والانحــلال تتحقق في جميــع الحضــارات دون اختلاف، حتى اكتمال الإبـداع يقع في ذات الأوقات، ولكل الحضــارات، ومن هنا جـاء النقــد الشــديــد لهذه النظـريــة، وخصوصا من قبل «توينبي».

ومن جملــة مــا يـرى اشبنجلــر أن الحضــارات لا تنتهي، تقدم منهـا الكثير، ومـايزال في الطـريق مثلهـا أو أكثر، ومـا الحضــارة الغـربيـة إلا واحـدة من هـذه الحضــارات، ولكن استغرق أصحــابها في حب الــذات، فتـوهموا أنها مـركــز لكل الحضارات (١٢).

لقـد هوجمت نظـريـة اشبنجلر بقـوة، خصوصا في الغـرب، وعلى الأخص إيمانه بتدهور الحضارة الغـربية وسقوطها، كما هوجم لأخطاء تاريخية وقع فيها، وهوجم تشبيهه للحضارة بالإنسان، فالإنسان له أطوار حياتية تمتد من الجنين حتى الموت، أمــا الحضــارة فيمكن أن تجدد شبـابها، وتعالج الاخطـاء الكبرى، فلا وجـه للشبه بين الحضارة والإنسان.

نظرية توينبي

كتب المؤرخ البريطاني تـوينبي «تاريخ العالم» تم طرح نظـرية يفسر بها التاريخ وحركة الحضارة، فيشبهها بحركة العجلة التي تــدور على محور دورات متكــررة متتــابعـة، وبفضل ذلك تسير العجلــة، وهكـذا فإن للحضــارة حـركــة شــاملــة متقدمة إلى الأمام، ناتجة عن حركة دورية جزئيـة، ويشبه حركـة الحضارة بحـركة «مكوك» الحائك فهـو مستمر في الـذهاب يمينا وشمالا، وعلى وتيرة واحدة، وبفضل هذه الحركـة يتم النسج المطلـوب، وهكذا تنسج الأيــام التــاريخ من خــلال تكـرار الأحــداث، وهكذا يتصـور توينبي وجـود حركتين، حركة إلى غايـة أمامية أو خلفية، وحـركة دوران حـول النفس مثل حركـة المكوك (١٣).



من مظاهر الحضارة الاسلامية العمراني: جمالية تخدم الانسان

ومع إيمان تـوينبي بـدورة الحضــارة، لكنه يـرفض نظـرية اشبنجلـر وصيحته وقـوله بأن الحضــارة مثل الكــائن الحي، تولـد وتنمو وتشيخ وتموت، كما يـرفض نظرية ابن خلدون في دورة الحضارة.

كذلك يهاجم فكـرة أن كل حضارة لا بد أن تتقدم حتى تكمل نموهــا، فهو يرى أن بعض الحضــارات توقفت، ويعـد من ذلك البـدوية والعثمانيــة، فهي لم تستكمل كل منهما نموها، وله في نمو الحضارات أفكار جيــدة، وكـذلـك في انحــلال الحضـــارة وسقوطها، فهـو يرى «بحق» أن الإنحلال يزامنــه ويرافقه عادة فســاد كبير يدب في أرواح النــاس، وتغيير جذري في سلــوكهم ومشاعرهم، فيقوم مكان الصفات الجيدة والقـوى المبدعـة نـوع من «الثنائيـة»، في المواقف والنزعات المتنــاقضة، مما يكشف عن فــوضــويــة وفســـاد روحي، يشمل الأخلاق والعادات، وانحطاط يسود الآداب والفنون، وهكذا تسقط الحضارة وتنهار.

ولعل خير مناقش لنظرية «توينبي» هو «ســوركن» الــروسي الأصل، والأمـريكي الجنسية (١٤) ومن المعجبين بماركس.

سيغريد هونكة

كاتبـة ومفكرة ألمانية اشتهـرت بكتابها «شمس الله تسطع على الغـرب» أما كتابها

الجديد «من أفول الغرب إلى طلوع أوروبا تغير العقلية واحتمالات المستقبل» صدر عن دار النشر «هورتسونته فرلاغ» وعدد صفحاته (٣٣٥) صفحة.تطرح المفكرة فكرة ملخصها : أن حضارة الغرب صائرة إلى أفول لكن أوروبا لن تزول، وهي بهذا الطرح تخالف كلا من «نيتشه» الفيلسوف المتغطرس واشبنجلر مفسر التاريخ المتشائم.وترى أن الزائل من حضارة الغرب هو «الخاصية الغربية» فقط، كما تعتقد أن الانهيار الشامل لكافة القيم في الغرب المسيحي، شرط أساسي لكي تكتشف أوروبا هويتها الحقيقية، وتحقق نهضة فكرية. ولا تشارك سيفريد اشبنجلر آراءه بوجود قانون طبيعي قاهر، أو حتمية تسري على كافة الحضارات، من النشوء إلى السقوط، ولا الدورات الحضارية، إنما ترجع ذلك إلى أسباب بنيوية نفسية ليس إلا. وبموجب نظريتها في العوامل «النفسية والفكرية» تفسر سر تقدم الحضارات وتراجعها، فمتى تغيرت هذه العوامل خلال العمليات التاريخية، أحدثت الأثر في الحضارة.وتطرح نظريتها على الوجه التالي: إن شعبا من الشعوب متى صرف وأبعد، في زمن مبكر عن ثقافته ومعتقداته، ودينه وقيمه، وذهنيته وتصوراته، عن طريق الاحتلال أو التبشير، ثم تغلبت ثقافة أخرى على ثقافته، عندئذ يمر ذلك الشعب المغلوب، بفترة تتغير فيها القيم تغييرا كاملا، ويحدث خلل في التوازن، وتفسد الأخلاق فساداً كبيراً، ثم يحصل الانهيار، يعقب ذلك مرحلة يسودها الانسجام والتعود على الجديد، والتعامل معه، بشكل إيجابي، فتحدث نهضة ثقافية، قد توصل إلى مرحلة حضارية مزدهرة، لكن هذا الازدهار ما يلبث أن يتوقف ثم يتحول إلى ركود، يعقبه تقهقر وانهيار، وهذه الدورة تحدث لا بسبب شيخوخة الحضارة - كما يراها البعض - وإنما لأن عقلية الشعب تعارض البنية الفكرية، التي جاء بها الغالب، إذ هي بنية فكرية «غير مناسبة» تحدث مع الوقت فراغا في النفوس، فينبذها الناس آخر الأمر، ثم يعزز هذا الفراغ أزمة فكرية ونفسية خطيرة، لكنها تكون ضرورية، لأنها تمهد لظهور العقلية الأصلية من جديد، تلك العقلية التي كبتت زمنا طويلا وسجنت، فمهمة «الأزمة» أن تهيء الظروف المواتية، لنهضة ثقافية جديدة، تقوم على قاعدة «العقلية الأصلية»، وتسد الفراغ الفكري، وتطلق القوى الفكرية، وفقا لطبيعتها الذاتية، وقوانينها الخاصة.

الغزو الفكري وحركة الحضارة

وابتداء استطيع القول بأن هذه النظرية تصلح إلى حد كبير، لتفسير الأزمة التي نمر بها، فالغرب حين غزانا عسكريا، أردف ذلك بغزو ثقافي حضاري شامل، هز قيمنا ومعتقداتنا وتصوراتنا، ثم تصور الكثير منا إنه متى أخذ ثقافة الغازي وقيمه وتصوراته، فإنه سيلحق به وقد يتفوق عليه، ومع فشل التجارب الغربية، عاد الكثير منا إلى ثقافته وقيمه ومعتقداته وتصوراته الأصلية، وقد شخص المستشرق «جاك بيرك» أزمتنا أفضل تشخيص حين حاوره مندوب مجلة عربية قائلا(١٥) (تقول في كتابك «الإسلام في مواجهة التحدي» مخاطبا الحكام العرب والمسلمين: استمروا في فبركة دول تقوم بوظيفة «الدركي»، في هذه المنطقة أو تلك، وإقامة أنظمة تصنع في مختبراتكم، حاولوا تطبيق الاشتراكية المستوردة، أو الديمقراطية البرجوازية، أفرضوا أنظمة الحكم الغربية، تحت شعار «العصرية» أو الأنظمة المضادة تحت شعار «التحرير» فستجدون الأفراد والجماعات يبحثون عن حقيقتهم بعيدا عن جميع محاولاتكم، لا بل إن الإسلام لمعظم هؤلاء قريب جدا، بل هو أقرب إليهم من حبل الوريد.

فشل التبعية

جواب جاك: هذه الحقيقة هي بالفعل أهم ما توصلنا إليه، نحن المراقبين الأجانب، وربما شاركنا في ذلك عدد كبير من المراقبين في العالمين العربي والإسلامي، فكل سياسة ذات صفة «تبعية» مرتبطة بأي نظام سياسي يتجه يمينا أو يساراً، أو بينهما، قد انتهت إلى الفشل، وما نراه في العالمين العربي والإسلامي منذ سنين، هو «خيبة أمل» الجماهير الشعبية في الأنظمة ذات الصبغة اليسارية أو اليمينية أو الليبرالية، لذا عادت الجماهير إلى ماتملكه من نظام أكثر ملائمة لها، وأكثر تجذرا في نفوسها، وأعني به «الإسلام» الذي لم يزده توالي العصور إلا تألقا ورسوخاً.. فأمام «الناصرية» التي فشلت وغرقت في البيروقراطية والخراب الاقتصادي، وأمام الفشل للنظام اليميني الذي أقامه «الشاه» وغرق في الطغيان والفوضى، وأمام فشل الأنظمة اللبرالية في بعض أنحاء العالم الإسلامي، والتي لم تكن سوى أقنعة لهيمنة الاستعمار الجديدة أمام جميع هذه الحالات من الفشل، وجدت الجماهير أن «خلاصها» لن يتحقق إلا بالعودة إلى ما هو أكثر «خصوصية» بها، وهي وإن لم تذكر الخصوصية بالذات، بل ذكرت «الإسلام» كما لم تذكر القومية، لأن الإسلام أقوى تأثيراً في النفوس من القومية، لأنه أقوى خصوصية منها ومن غيرها، فالأمة نفضت يدها من جميع الأنظمة، وهي تريد الإسلام، وخلافها مع حكامها حول هذا الأمر، وكل اختراع لمعارك فرعية كاذبة لا قيمة له.. إذن هكذا فجعت الأمة بثقافة وقيم غريبه، فرضت فرضا، ومازال يروج لها في كافة الوسائل، مع ثبوت الفشل الكبير، كما صوره المستشرق جاك بيرك.

وهذا المستشرق «فيليب روندو»(١٧) يشارك زميله ذات القناعة إذ يرى فشل التيارين الغربيين الرأسمالي والاشتراكي في إحداث أي تغيير نافع في العالمين العربي والإسلامي، وما قدمته الرأسمالية هو إحداث فصل بين أقلية «متغربة» ذات امتيازات وجماهير

■ يرى ابن خلدون أن حركة الحضارة تأخذ شكلاً دائريا، تبتديء بالبداوة وتمر بالتحضر والترف وتنتهي بالتدهور

في حركة الحضارة

متروكة للفقر والتخلف.

المعطيات الدينية اكثر فاعلية

وكانت المعطيات الدينية هي الأكثر فاعلية، إذ طرحت كأساس روحي وأيديولوجي، ثم شكلت المعطيات الثقافية قاعدة مشتركة لكافة الطبقات الاجتماعية، ولكل البلدان الداخلة في «مجال الحركة الإسلامية» مانحة هذه المرحلة نوعاً من الشرعية التاريخية ومن «الأصالة الثقافية» لذا ليس من المستغرب أن يأخذ هذا التيار مدا، إلى الحد الذي نراه اليوم، وهكذا أدرك الغرب «أخيرا» أن الإسلام السياسي يمكن أن يكون انعطافا في تاريخ التحرر الوطني، بالنسبة إلى بعض البلدان الإسلامية.

فحسب نظرية سيفريد إن الشرق الإسلامي، الذي فرضت عليه قيم وتصورات ومعتقدات غريبة عنه، تجرعها حينا، ثم هو يعود إلى أصالته وقيمه، تاركا تلك القيم، متشككا كل التشكك في جدواها وفائدتها.

وهذا د.هشام شرابي الكاتب العلماني – كما يصف نفسه – يتحدث عن العلوم الإنسانية في العالم الثالث، فيرى أنها غربية الأساس والهدف والتصميم(١٨) (... إن أنظمة المعرفة وأساليب البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، هي أنظمة وأساليب غربية في أشكالها، غربية في صميمها، فالعلوم الإنسانية والاجتماعية في العالم الثالث كلها، في العصر الحديث مستمدة من الغرب، وتنتج وتعيد إنتاج المعرفة الغربية محليا، من هنا يمكننا تفهم أسباب الرفض المطلق عند «الأصوليين» وإصرارهم على العودة إلى الدين والتراث، لاستعادة الهوية الأصلية من خلال معرفة تراثية مستقلة عن كل الأطر والمفاهيم الأجنبية..) إهـ.

ويتحدث د. شرابي عن المعرفة المنقولة والمستوردة، فيرى أنها لا يمكن بحال أن تحرر فكراً، أو تطلق قوة مبدعة، أقصى ما يؤمل منها تعميق التبعية (١٩) (المعرفة المنقولة أو المستوردة والتي تفشي الوعي المنقول أو المستورد – لا يمكن أن تحرر الفكر، أو أن تطلق قوى الخلق والإبداع في الفرد أو في المجتمع، بل هي تعمل في أعمق المستويات على تعزيز علاقات التبعية الثقافية والفكرية والاجتماعية).

■ لقد صار الإنسان أكثر ذكاء ووعيا، ولكن هل صار أكثر سعادة أو أنبل خُلُقاً؟

هذه شهادة رجل هجر وطنه واستوطن الولايات المتحدة، ويعلن دون كلل عن علمانيته، ثم هو يصرح بأن التابع لا يمكن إلا أن يعيش ويموت تابعاً، وقديما قال علماؤنا : التابع تابع ولا يفرد بحكم. فهل يكف تجار «التغريب» عن المتاجرة ببضاعتهم، أم تراهم استمرؤا ذلك؟، ومن يهن يسهل الهوان عليه!!! ختاما «الحضارة تتحرك وبين العناصر الفاعلة «تدافع وتصارع» كذلك الذي أشار إليه قوله تعالى .. ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ البقرة/ ٢٥١ واليوم هناك شعور كبير في أمتنا بالقهر والاقتلاع، والدفع بنا إلى متاهات مظلمة، وإبعادنا عن ديننا وعقيدتنا ومصالحنا، وحتى أحلامنا، يقوم به الغرب محرضا ومخططاً، ويقوم به مغتربون من أبناء من جلدتنا، من هنا راحت جماهيرنا، تنكفىء على مقوماتها وهويتها وتاريخها، وكل أمة تواجه خطرا كالذي تواجهه لاتستسلم، بل تحارب بكل الوسائل الشريفة، وتعود إلى ثقافتها الأصلية – كما ترى سيفريد، وإلى أخص خصوصيتها وهو الإسلام، الذي قال عنه «جاك بيرك» بأنه أقرب لهذه الجماهير من حبل الوريد. إن الإسلام بالنسبة لجماهير الأمة هو «طوق النجاة» أحب ذلك الغرب أم كره، وغضب الأذناب أم رضوا، ﴿ والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [يوسف/ ٢١] ■

الهوامش

١) في فلسفة الحضارة الإسلامية / د. عفت الشرقاوي ص ١٧٣ الطبعة الثانية، وفي معركة الحضارة / د.قسطنطين زريق ص ١٥١ الطبعة الرابعة، وتفسير التاريخ / للكاتب ص ٤٣ الطبعة الأولى.
٢) في معركة الحضارة ص ١٥٤
٣) في فلسفة الحضارة ص ١٨٠.
٤) سقوط الحضارة / كولن ولسون ص ١٦٤ الطبعة الثانية.
٥) دولة الفكرة / د. محمد فتحي عثمان ص ٨٩ الدار الكويتية
٦) سقوط الحضارة ص ٨.
٧) في معركة الحضارة ص ١٥٨.
٨) في معركة الحضارة ص ١٨٧ والحضارة الإسلامية / د. الواعي ص ١٤٤.
٩) تدهور الحضارة اشبنجلر / ترجمة أحمد الشيباني ١/ ١٢، ١/ ٢١٨ دار الحياة.
١٠) المرجع السابق، وفي معركة الحضارة ص ٦٤.
١١) في معركة الحضارة ص ٦٥.
١٢) في فلسفة الحضارة الإسلامية ص ١٩٧.
١٣) في معركة الحضارة ص ١٦١.
١٤) التفسير الإسلامي للتاريخ / د. عماد الدين خليل ص ٨٩ الطبعة الثانية.
١٥) مجلة المجلة السعودية العدد (٥٦) عام ١٤٠١هـ.
١٦) الصحوة الإسلامية للكاتب ص ٢٧ الطبعة الأولي.
١٧) المرجع السابق.
١٨) النقد الحضاري للمجتمع العربي / د. هشام شرابي ص (٣٦) الطبعة الأولي.
١٩) المرجع السابق ص (١٥١).

هل تعيش في بيت ضيق، ازدحم فيه الأثاث، وتراكمت في زواياه الأشياء، وكادت تخرج من خزائنه الثياب؟ هل مللت من إصلاح صنابير المياه، وضقت ذرعا باستمرار انقطاع الكهرباء، وكثرت في جدران بيتك وسقوفه الشقوق؟ هل لاحقتك الإنذارات بدفع إيجارات بيتك الشهرية المتراكمة، وتمنيت لو كنت تملك بيتا يغنيك عن البيوت المؤجرة؟

مساكن طيبة

بقلم: محمد رشيد العويد *

لعلك توافقني على أن البيت الواسع، المريح، ذا المرافق الصحية الحديثة، المجهزة بمختلف وسائل الراحة، المبرد صيفا، المدفأ شتاء، هو ثلث العيش المريح في هذه الدنيا، إن لم تكن له نسبة أكبر. وتوافقني على أن الإنسان يمضي أكثر من نصف عمره في بيته، ولعل المرأة تمضي فترة أطول بكثير في البيت.

إذا لم يتحقق مرادك في مسكن مريح، واسع، جميل.. في الدنيا، فسيتحقق مرادك، إن كنت من المؤمنين الصالحين، وشملك الله برحمته، في بيت في الجنة. فكيف يكون بيت الجنة؟

يصف سبحانه مساكن الجنة بأنها طيبة: ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة:٧٢].

«ومساكن طيبة» أي حسنة البناء، طيبة القرار، فهي «قصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر مبنية بهذه الجواهر»، وهي «المساكن التي يطيب العيش فيها»، وهي «طاهرة زكية مستلذة، وهذا إشارة إلى حسنها بذاتها».

ووصف المساكن بأنها طيبة لها دلالة هامة، فلا يكفي أن تكون المساكن فاخرة البناء، فاخرة الأثاث والرياش، ليكون العيش فيها طيبا، فكم من القصور في الدنيا لا يجد فيها أصحابها العيش الطيب، ولا توفر لهم الإقامة الهانئة، المطمئنة، لأن نفوسهم غير مرتاحة وغير مطمئنة، ومن ثم فلا يطيب العيش فيها.

ويتأكد هذا المعنى في آية أخرى في سورة الصف: ﴿ ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن. ذلك الفوز العظيم ﴾ [الصف:١٠-١٢].

عن ابن عباس أنها دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قلت: يارسول الله حدثني عن الجنة ما بناؤها؟ فقال: «لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ملاطها المسك الأذفر، وترابها الزعفران، وحصباؤها الدر والياقوت، فيها النعيم بلا بؤس، والخلود بلا موت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه».

وقال ابن مسعود: جنات عدن بطنان الجنة. قال الأزهري: بطنان الجنة وسطها. وبطنان الأودية المواضع التي يستنقع فيها ماء السيل، وأحدها بطن. وقال عطاء عن ابن عباس: هي قصبة الجنة، وسقفها عرش الرحمن، وهي المدينة التي فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى، وسائر الجنات حولها، وفيها عين التسنيم، وفيها قصور الدر والياقوت والذهب، فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الأذفر. وقال عبد الله بن عمرو: إن في الجنة قصرا يقال له عدن، حوله البروج، وله خمسة آلاف باب، على كل باب خمسة آلاف حرة، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد».

ولقد جاء الحديث عن مساكن الجنة بلفظ «الغرف» و«الغرفات» كما في الآيات الكريمات التاليات: ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ﴾ [الزمر:٢٠].

في صحيح مسلم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم. كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله.. تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: «بلى.. والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

إن المرء في الدنيا يبذل الكثير لبناء مسكنه في الدنيا، وتجميله، وملئه بما استطاع من الأثاث والرياش، والأجهزة الحديثة المختلفة، لكنه مايكاد يشعر أنه اكتمل حتى يرحل عنه: بل يرحل عن الدنيا كلها.

ولقد ذكرنا سبحانه بهذه الحقيقة: حين أخبرنا عن الأقوام الذين نزل بهم العذاب والهلاك: فمضوا وبقيت مساكنهم: تحمل العبرة، وتحكي العظة، وتذكر من يأتي بعدهم بأنه لا خلود.. بل إن أعمارهم أقصر من أعمار مساكنهم: قال تعالى: ﴿ وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل. أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال ﴾ [إبراهيم:٤٤ - ٤٥].

﴿ فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم، قالوا: هذا عارض ممطرنا. بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم، تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾ [الأحقاف:٢٥].

وفي حياتنا المعاصرة، كم من الأثرياء بنوا قصورا فارهة، بذلوا لها المال الكثير، وأحضروا لها الحجر الفاخر من أصقاع الدنيا، والأجهزة الحديثة من آخر المخترعات، وفرشوها بأجمل الأثاث وأحسن الرياش، وأمضوا في ذلك كله سنوات من عمرهم، ثم لم يقيموا فيها سوى سنوات قليلة. وبعضهم عدة أيام، وبعضهم لم يمهله العمر فمات قبل اكتمالها، فلم يقم فيها حتى ساعة.

فيا أيها الراكنون إلى الدنيا، المطمئنون بها، الراضون بمساكنها دون مساكن الجنة هل صحوتم من غفلتكم، وعملتم بما يوصلكم إلى حياة الخلد في مساكن الجنة الطيبة ؟

أيها الناس

شعر :محمود مفلح

اتق اللـه أيهـا الهـمـام
وتيقّظ فـلا يضيع الـزمـامُ
اتق اللـه فـالـدنـانير صفـر
وحكـايـا «رصيدنـا» أوهـام
نحـن ظـل على الحيـاة ونمضي
مـا لظل على الحيـاة دوام
فلماذا يئـزنـا الطمـع الوغـْد
وتفـرى قلـوبنـا الأسقـام؟
ولماذا يكيـد بعضٌ لبعض
ولماذا تقطّـع الأرحـام؟
ولماذا لانستسيـغ حـلالا
وعلى الموبقـات هـذا الـزحـام؟
ولماذا ينفـي الكـرام من الأرض
وفيهـا يعـربـد الأقـزام؟
سقطت أمـة، وضـاعت شعـوب
لم يحكم مسـارهـا الإسـلام
وإذا غـابت العقيـدة يـومـا
عـن أنـاس، فإنهم أنعـام
وإذا صـارت القلـوب هـواءً
فعليهـا وحـامليهـا السـلام

أيها النـاس نحن أمـة ذكـر
ولنـا في تـراثنـا أعـلام
أمـة زفهـا الـزمـان فكـانت
كعبـة للهـدى، ومنهـا الإمـام
أمـة، زلـزلت صروح الطـواغيت
وفـرت في دربها الأصنـام
لم تغـادر مـرابع النصر حتى
غـادر الحب روضهـا والـوئام
أمـة أيقظت نجـوم المعـالي
البرايـا كـل البرايـا نيـام
ولها في ذرا الحضـارة شمس
ولها في ذرا الفتـوح حسـام
ولها منهـج مضـيء وغـايء
ولها في كتـابها أحكـام
ولها هـذه الكـواكب في العلـم
وهـذا الابـداع والالهام
هكـذا تبسط الموائد في الغـر
ـرب، ونجـزي كأننـا الأيتـام؟!

رضع النـــاس من لبـــان العـــداوا
ت ولم يـــدرك الـــرضيع الفطـــام!
لا وربي لسنـــا على الأرض بـــدعـــا
مثلما زينت لنـــــا الأفـــــلام
نحـن أدرى بأننـــــا أمـــــة الحق
وفينـــــا ستشرق الأيـــــام
الشتـــاء الثقيل ســـوف يـــولي
عن ربـــانـــا وســـوف يشـدو الحمام
خضرة الأرض نحن في زمـن العقـــ
ـــم ونحـن الأفكـــار والأقـــلام
وعيـــون الـــزمـــان ســـوف تـــرانـــا
ولـــدينـــا بعـــدالضيـــاع الـــزمـــام
أيها النـــاس كيف مـــزق شملي
وتـــداعى على هـــذا الظـــلام
كيف مـــاتت على الشفـــاه التسابيـــ
ـــح وضلت طـــريقهـــا الاقـــدام؟

وأرى النـــاس ســـادة وعبيـــدا
بعضهم قـــاعـــد وبعض قيـــام
بعضهم يـأكل الخشـــاش من الجوع
وبعـض من تخمـــة لاينـــام؟!
وأرى جـــاهـــلا يقـــود السرايـــا
وحصيفـــا يصـــد عنـــه الأنـــام
وأرى بـــاطـــلا يســـدد حقـــا
وحقـــوقـــاً كـأنها آثـــام!
وعيـيـــا يجرب القـــول فينـــا
وفصيحـــا يضيع منـــه الكـــلام

وبـــلاد الإســـلام تـــزفـــر نـــارا
حل فيهـــا الطـــاغـــون والاجـــرام
صـب فيهـــا الحقـــد الصليبي
سـوطـاً عن عـذاب، ودبـر الحـاخـام!
يـــذبح المسلمـــون في كـل أرض
كـــالمواشي ويخرس الإعـــلام!
ويغـــوص الأطفـــال في الـــدم والنـــا
ر فـــلا حيرة ولا استفهـــام ؟
يـــادمـــاء الإســـلام تسفك سفكـــا
هل لـــدينـــا من بعـــدهـــا إســـلام؟
وإذا قطـــة من الغـــرب مـــاتت
ضجت الأرض واستفـــاق النيـــام
فلماذا الاســـلام؛ يـــا أيها القـــوم
لماذا يـــا أيها الأعـــلام؟!
وحـــدنـــا وحـــدنـــا نقاسي وفينـــا
كـل يـــوم تجرب الألغـــام
هل عنـــانـــا بقـــولـــة المتبني
مـــا لجرح بميت إيـــلام)
إنها محنـــة الشراع وهـــذا
الموج من حـــولـــه وهـــذا الظـــلام

هل هناك صحوة إسلامية، وإذا كانت هناك صحوة إسلامية حقة فما دو ر المرأة المسلمة فيها، وما دور الفتاة المسلمة بصفة خاصة؟ وما دور الفتاة الجامعية بصفة أخص؟

– لا شك أننا نعيش صحوة إسلامية ولا شك أن المسلمين قد أتى حين من الدهر غفوا فيه غفوة طويلة كانت رحمة وخيرا من الله، ودخلت عليهم الدول المعادية من الشرق ومن الغرب والشمال والجنوب، وغزتهم وانتزعتهم من إسلامهم الصحيح وفرضت عليهم تشريعات غير إسلامية من أنظمة اجتماعية وسياسية واقتصادية غير إسلامية.. لقد حدث هذا كله في فترة من الفترات، وشاء الله سبحانه وتعالى – بعمل المجددين والدعاة والمربين – أن تقوم دعوات إسلامية في كل مكان وهذا أمر طبيعي يتفق مع طبيعة الأمة الإسلامية، لأنها أمة لا يمكن أن تموت كما أن الإسلام لا يقبل أن يظل أهله نياما، فالدين ينفخ في أهله الروح، ويبعث الله بين الحين والحين من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، ولا تزال طائفة من هذه الأمة يقومون على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، ولذلك انطلقت الصيحات تعمل على الإيقاظ والتجديد حتى كانت الصحوة الإسلامية التي نعيشها حاليا.



دور المرأة في الصحوة

بقلم الأستاذة: خديجة علي شعبان

آثار ملموسة للصحوة الإسلامية

تظهر هذه الآثار بوضوح في العودة إلى المساجد، فقد كنا في وقت من الأوقات لا نرى في المساجد الا كبار السن من الرجال، والآن نجد عشرات الآلاف من الشباب لدرجة أن بعض البلاد عملت بنظام القرعة نظرا للتزاحم الشديد على أداء فريضة الحج بين الشباب. ومن مفاخر هذه الصحوة عودة الفتاة المسلمة عن قناعة واختيار للحجاب والزي الشرعي الذي أمرها الله به حيث قال: ﴿ يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما ﴾ الأحزاب/ ٥٩.

– لقد كان الالتزام بالحجاب الإسلامي شاذا في نظر كثير من المسلمين إلى وقت قريب، فقد كان الإنسان يسير في بعض العواصم العربية في وقت من الأوقات لا يكاد يجد امرأة محجبة، حتى العجوز الشمطاء، تسير في الشوارع سافرة متبرجة... والآن نرى الحجاب الإسلامي قد انتشر بين الشابات المسلمات والنساء المسلمات عموما.. وليس هذا في دول الخليج فقط ولا في بلاد العرب والمسلمين. وانما خارج بلاد المسلمين كذلك، ولسنا مبالغين إذا قلنا إنها صحوة عالمية، بل إن هذا هو الواقع.

الشباب المثقف والشابات المثقفات

المعروف أن الشباب المثقف والشابات المثقفات هم العمود الفقرى للأمة، فهل لهؤلاء دور في الصحوة الإسلامية؟

نعم لم يعد التدين مقصورا على كبار السن كما قلت، بل نلاحظ أن الشباب هم الأكثر حرصا على التدين والأكثر حماسا للإسلام..

فالبنت تناقش أبويها وأهلها والولد يناقش أبويه وأهله، لأن هناك فهما «جديدا» للإسلام إنها بحق صحوة الشباب المثقف صحوة الفتى الجامعي والفتاة الجامعية، فهذه ليست صحوة الرجال فحسب، وانما للمرأة دور بارز فيها، إنها صحوة المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات والقانتين والقانتات ولن تكون إلا كذلك فالله تعالى يقول: ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرت أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ الأحزاب/ ٣٥.

والمرأة – كما نعرف – نصف المجتمع أو أكثر ولا يمكن إغفال دورها لأن هذه الصحوة ستعطيها حقها الطبيعي وستحدد ملامح شخصيتها التي تميزها عن غيرها.

عمل المرأة في ظل الصحوة المعاصرة

إن عمل المرأة متشعب الجوانب، فهناك عملها مع نفسها وهذا يتمثل في بلورة شخصيتها بما يتفق مع الإسلام من ناحية العقيدة والفكر، ومن ناحية الخُلق والسلوك فتطارد الأوهام والخرافات، خرافات الجن والشعوذة والعفاريت وضرب الرمل وفتح الكتاب وقراءة الكف والفنجان.

على المرأة المسلمة أن توثق صلتها بربها وأن تنقي فكرها من آثار الغزو الفكري، وتعرف كيف ترد على الشبهات والأباطيل التي ألصقت بالإسلام، عليها أن تفهم لماذا تأخذ نصف ما يأخذه الرجل في الميراث، ولماذا تكون شهادتها نصف شهادة الرجل أحيانا.. لا بد من فهم هذا كله، حتى يكون إسلامها نقيا.. عليها أن تقوّم خلقها بما يتفق مع الإسلام وسلوكها بما يطابق آداب الإسلام.. عليها ألا تظل أسيرة للمرأة الغربية، فالمرأة الغربية شيء والمسلمة شيء آخر، إذ أن الغربية لا تتقيد بمنهج الحلال والحرام فالعلاقات الجنسية عند الغرب أشبه بكلأ مباح.. أما عند المسلمين فهناك الحرام والحلال كما شرع الله تعالى.

شخصية المرأة المسلمة أقوى

إنني اتعجب من بعض التصرفات.. فإطالة الأظافر مثلا ما الحكمة منه؟ وما الجمال الذي يضفيه على المرأة حينما تتشبه بالسباع أوالوحوش؟ وقد كرم الله الإنسان ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ التين/ ٤

إن من سنن الفطرة تقليم الأظافر، ومطلوب من المرأة المسلمة ألا تقلد لمجرد التقليد، فتقصير الثوب مناف لمبادىء الإسلام الذي طلب من المسلمة أن تغطي جسدها لأن جسدها كله عورة ولا يحل لأحد أن ينظر إليها إلا زوجها أو ما حرّمه الله عليها من الرجال الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الأحزاب ﴿ لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولانسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله على كل شيء شهيدا ﴾ الأحزاب/ ٥٥

فالمسلم والمسلمة ليسا ذنبا للغربيين والشخصية الإسلامية مستقلة ومتميزة في سلوكها عن غيرها في مظهرها وفي مخبرها، فبمجرد رؤية المسلمة أو المسلم يكون الانطباع عن الإسلام.

– والدور المطلوب منا لخدمة الدعوة الإسلامية هو أن نتمثل تعاليم الإسلام في سلوكنا وفي كل شأن من شؤون حياتنا حتى نعطي الصورة الصحيحة والوضيئة، فإذا ما دعونا الناس إلى الإسلام خرج الكلام من القلب وانطبق على القالب وما خرج من القلب دخل إلى القلب. وخير أساليب الدعوة وأصدقها وأجدرها نفعا الدعوة بالسلوك والأعمال قبل الأقوال.

وفقني الله وإياكِ لما يحب ويرضى وألهمنا المساهمة الفعالة في ترشيد هذه الصحوة حتى تبلغ مرماها عن قريب فإنه سميع مجيب ■

نلاحظ أن الشباب هم الأكثر حرصا على التدين والأكثر حماسا للإسلام



الرحمة في الإسلام

لقد كان الدعاء بالرحمة قاسماً مشتركاً بين جميع الانبياء والرسل بل وجميع الخلق منذ بدء الخليقة. دعا بها آدم وحواء ﴿ قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف:٢٣] ودعا بها سيدنا نوح ﴿ والاتغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين ﴾ [هود:٤٧] ودعا بها سيدنا يونس ﴿ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ [يونس:٨٦] ودعا بها سيدنا موسى ﴿ انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ﴾ [الأعراف:١٥٥] ودعا بها سليمان ﴿ وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ [النمل ١٩] ودعا بهذا اصحاب الكهف ﴿ فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا ﴾ [الكهف:١٠] والدعاء بالرحمة على لسان رسولنا الكريم تكرر باساليب مختلفة قال تعالى ﴿ وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ﴾ [المؤمنون:١١٨] ومن ادعيته المأثورة(اللهم رحمتك أرجو فلاتكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا اله الا انت) [رواه ابوداود] باسناد حسن.(ياحيي ياقيوم برحمتك أستغيث) اخرجه النسائي والحاكم وصححة الطبراني باسناد صحيح وبها يدعو المؤمنون ﴿ واعف عنا واغفرلنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ [البقرة:٢٨٦] ﴿ ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذهديتنا وهب لنامن لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ [آل عمران:٨]

رحمة الله تعالى بخلقه أوسع من أن تُعد أو تُحصى

بقلم: اشرف شعبان أبو أحمد



والرحمة هى الرقة والتعطف أي رقة القلب وعطفه. ومن الرحمة يشتق الرحمن والرحيم وهما من ابرز اسماء الله الحسني واشهرها بعد لفظ الجلالة(الله) وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم في جميع فواتح السور﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ماعدا سورة التوبة التى نزلت بدون البسملة كما ذكر اسم الرحمن واسم الرحيم منفصلين في الكثير من الآيات القرآنية والمصلي يردد هذين الاسمين في صلاته المكتوبة مالايقل عن أربع وثلاثين مرة في اليوم فهو كلما أدى ركعة قرأ فاتحة الكتاب﴿ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد الله رب العالمين الرحمن الرحيم ﴾ وهي سبع عشرة ركعة في الصلوات الخمس المفروضة على المسلم في يومه فاذا أدى السنة زاد عن ذلك...(١)

والرحمن اخص من الرحيم واكثر مبالغة منه ولذلك لايسمى به غير الله تعالى ﴿ قل ادعو الله أو ادعو الرحمن ﴾ [الاسراء:١١٠]ومعناه ذو

الـرحمة لانظير لـه فيهـا وهي أبعـد من مقدورات العبـاد. قال رسـول الله ﷺ قال تعـالى«أنـاالله وأنـا الـرحمن خلقت الـرحم وشققت لـه من اسمي فمن وصلهـا وصلتـه ومن قطعها قطعته» الترمذي .

ورحمة الـرحمن تعم العـالمين مـؤمنهم وكافرهم صالحهم وطالحهم برهم وفاجرهم أي تعم الخلق جميعا. ورحمة الرحيم تخص المـؤمنين لقـولـه تعـالى ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ [الاحزاب:٤٣]. وقيل الرحمن من ستر في الـدنيا والـرحيم من غفـر في العقبى. وقال عبـد الله بن المبـارك(الرحمن) إذا سئل أعطى و(الرحيم) إذا لم يسـاءل غضب.وقال السدي(الرحمن) يكشف الكروب و(الرحيم) يغفر الذنوب..(٢)

والرحمة والتي هي قاعدة قضاء الله تعالى في خلقه وتشملهم وتحفهم في الدنيا والآخرة قد كتبها الله على نفسه قال تعالى ﴿ كتب ربكم علي نفسه الـرحمة ﴾ [الانعام :٥٤] وأخرج الشيخان عن أبي هريـرة رضي الله عنه قال. قـال رسول اللـه ﷺ «لما قضى الله الخلق - وعند مسلم - لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهـو عنـده فـوق العـرش إن رحمتي سبقت غضبي» وعنـد البخـاري في رواية اخـرى«إن رحمتي غلبت غضبي»

وانـه لفضل عظيم من الله أن يجعل رحمتـه لعبـاده مكتوبـة عليه، كتبهـا هو على نفسـه وجعلهـا عهـدا منـه لعبـاده كما أن اخبـاره لعبـاده بما كتبـه على نفسـه من رحمتـه والعناية بابـلاغهم هذه الحقيقة هي تفضل آخر من اللـه عز وجل لايقل عن ذلك التفضل الأول حيث تبعث الاطمئنـان في كـل مـايمـر بالزمن من ابتلاءات بأنها ليس تخليا من الله عـزوجل عنـه أو طرده — جل شـأنـه — من رحمتـه وإنما تختفي من ورائهـا الخير كلـه للمـؤمن. كما أن علم المؤمن بـرحمة اللـه تضفي الثقة في أن كل زلـة للمسلم سيغفرها اللـه إن شاء بـرحمته فـلاييأس أو يقنط من ذنوبـه بل يجدد توبته ويزيـد من استغفاره ليعود إلى سالف عهده.

ولبيان وتمثيل حجم الـرحمة التي كتبها الله على نفسـه فلنعلم أن جميع أشكـال وصـور الرحمة التي تعيش في كنفها جميع المخلوقات منذ بدء الخليقة أو النشأة الأولى وحتى يومنا هذا وستستمر إلى يوم القيـامة ماهي إلاجزء واحـد فقط من مائة جـزء. قـال رسول اللـه ﷺ«جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وانزل في الارض جـزءا واحدا فمن ذلك تتراحم الخلائق حتي تـرفع الدابـة حافرها عن ولدهـا خشية أن تصيبه»اخرجه الشيـخان . وأخرج مسـلم قـال رسول الله ﷺ «إن لله رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق بينهم وتسعة وتسعون ليوم القيامة» وقـال«إن اللـه تعـالى خلق في السماوات والارض مـائة رحمة كل رحمة طبـاق مـابين السماء والارض فجعل منها في الأرض رحمة واحـدة فبهـا تعطف الـوالـدة على ولـدهـا. والوحش والطير بعضهـا على بعض فإذا كان يوم القيامة اكملها الله تعالى بهذه الرحمة».

ورحمة الله بعباده لاتكون في الآخـرة وحدها بل تكون في هـذه الأرض أو في الحياة الـدنيا. قال تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الـدنيـا والآخرة لمسكم في مـاأفضتم فيـه عذاب عظيم ﴾ [النور:١٤] ورحمة الله أكبر من أن يتفهمهاالبشر مالم يحطهم الله ببيانها لهم فهذا هو سيدنا موسى نبي بني إسرائيل يتعجب ويستغـرب لأفعال قـام بها سيدنـا الخضر عنـد خرقـه للسفينـة وقتله للغـلام وإقامتـه للجدار ولكـن سيدنـا الخضر الذي قال فيه ربنـا عزوجل ﴿ آتيناه رحمة عندنا وعلمنـاه من لدنـا علما ﴾ [الكهف:٦٥] كان أعلم بها ولـذا فهو يـرد على سيـدنا مـوسى بقوله ان الذي فعلته في هـذه الاحوال الثلاثة السـابقـة إنما هى رحمـة من اللـه. قـال تعالى﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخـذ كل سفينة غصبـا، وأما الغـلام فكان أبواه مـؤمنين فخشينا أن يـرهقهما طغيانـا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقـرب رحما .وأمـا الجدار فكـان لغـلامين يتيمين في المدينة وكـان تحته كنـز لهما وكان أبوهما صـالحا فأراد ربك أن يبلغـا أشدهما ويستخـرجا كنـزهما رحمة مـن ربك ومـافعلتـه عن أمـري ذلك تأويل مـالم تسطـع عليـه صبرا ﴾[الكهف:٧٩ـ٨٢]

فهنـاك الكثير من الأمـور تجري حولنـا قـد يندهش أو ينزعج لظاهرها أي إنسان ولكنها تمثل في باطنها رحمة من الله ورحمة الله خير أي متعـة أو منفعة من متـاع أو منافع هـذه الدنيا الزائلـة. قال تعالى﴿ ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ [الزخرف:٣٢] أي أن رحمة اللـه بخلقه خير لهم ممـا بأيديهم من أمـوال ونفـائس وكنوز وبنين ونسـاء وأنعـام وأى متاع من متـاع الحياة الدنيـا ولذلك فإن خير دعاء من الأبناء للآباء علمه لنا الإسلام جزاء تـربيتهم بكل مـافيهـا من اثـرة لـلابن علي نفسيهما والسهر من أجـل راحته بل الجوع والتعريـة من أجل إشباعه وكسـوته لم يكن الـدعاء مقـابل ذلك أن يعـوضهما الله مـالا أوصحـة بل كان يطلب الـرحمة ﴿ وقل رب ارحمهما كما ربيـاني صغيرا ﴾ [الاسراء :٢٤] فرحمة اللـه أوسع ورعايـة الله أشمل وجناب الله أرحب من أى نعمة أخرى.

ورحمة اللـه سبحانـه وتعالى بجميع خلقـه أوسع وأشمل وأكبر من أن تحدد أو يحصيها عدد ولانهاية لها ويعجـز الإنسان عن مجرد ملاحقتها وتسجيلهـا.قال تعالى﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ [الأعراف:١٥٦] ورحمة الله تفيض على عباده جميعا وتسعهم جميعا وبها يقـوم وجودهم وتقـوم حيـاتهم وهي تتجلي في كل لحظـة من لحظـات الـوجـود أولحظات الحياة للكائنات فأما في حياة البشر خاصة فلا نملك أن نتـابعها في كل مواضعها ومظاهـرها ولكننـا سنذكـر منها لمحـات في مجالاتها الكبيرة.

إنها تتجلي ابتداء مـن وجود البشريـة ذاته في نشأتهم من حيث لايعلمون وفي إعطائهم هذا الـوجـود الإنسـانى الكـريم مـافيـه من خصائص يتفضل بها الانسان على كثير من العالمين.

وتتجلي في هـدايتهم إلى الايمان وبـالتـالي السعادة في الآخـرة والنظر الى وجهـه الكريم بإرسـال الرسل إليهم بـالهدى كلما نسوا أو ضلوا وأنزل معهم الكتب السماوية. فالقرآن الكـريم رحمة قـال تعـالى ﴿ ونزلنا عليك الكتـاب تبيـانـا لكل شيء وهـدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل ٨٩. وقال تعـالى ﴿ وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمـؤمنين ﴾ [الاسراء:٨٢] ففي القرآن شفـاء وفي القرآن رحمة لمن خـالطت قلـوبهم بشاشـة الإيمان فأشرقت وتفتحت لتتلقى مافي القرآن من طمأنينـة وأمان. فيه شفـاء من الـوسوسـة والقلق والحيرة فهـو يصل القلـب بـاللـه فيسكـن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن ويرضى فيسترق الـرضى من الله والامن، ويـرضي فيستروح الرضى من الله والـرضى عن الحياة والقلق مرض والحيرة نصب والوسوسة داء ومن ثم

الرحمة في الإسلام

هو رحمة للمؤمنين، وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزغات الشيطان وهي من آفات القلب تصيبه بالمرض والضعف والتعب تدفع به إلى التحطيم والبلى والانهيار، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين .وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختلة في الشعوروالتفكير فهو يعصم العقل من الشطط ويطلق له الحرية في مجالاته المثمرة ويكفه عن إنفاق طاقته فيما لايجدي ويأخذه بمنهج سليم مضبوط يجعل نشاطه منتجا ومأمونا ويعصمه من الشطط والزلل وكذلك هو في عالم الجسد ينفق طاقاته في اعتدال بلاكبت ولاشطط فيحفظه سليما معافى، ويدخر طاقاته للانتاج المثمر ومن ثم هو رحمة للمؤمنين. وفي القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنينتها فتعيش الجماعة في ظل نظامه الاجتماعي وعدالته الشاملة في سلامة وأمن وطمأنينة ومن ثم هو رحمة للمؤمنين.(٣)

كما أن الله تعالى أرسل محمدا ﷺ رحمة للعالمين قال تعالى ﴿ ومارسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[الأنبياء:١٠٧] وقال عليه الصلاة والسلام«إنما أنا رحمة مهداة» كما وصفه ربه بها فقد كانت هذه الصفة هي المهيمنه على سلوكه فقال جل شأنه﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾[التوبة:١٢٨] بل اكد رب العالمين ان فضيلة الرحمة التي برزت في سلوكه كانت وراء النجاح العظيم الذي حققه في ميدان الدعوة إذ يقول سبحانه وتعالى﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ [آل عمران:١٥٩]فهى رحمة الله التي نالته ونالتهم فجعلته عليه الصلاة والسلام رحيما بهم لينا معهم ولو كان غليظ القلب ماتآلفت حوله القلوب ولاتجمعت حوله المشاعر فالناس في حاجة الى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة والى بشاشة سمحة والى ود يسعهم وحلم لايضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة الى قلب كبير يعطيهم ولايحتاج منهم إلى عطاء يحل همومهم ولا يعنيهم بهمه ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس ماغضب لنفسه قط ولاضاق صدره بضعفهم البشري ولا احتجز لنفسه شيئا من أعراض هذه الحياة بل اعطاهم كل ملكت يداه في سماحة ندية ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم، وما من واحد منهم عاشره أورآه إلا امتلأ قلبه بحبه نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحيبة وكان هذا كله رحمة من الله به وبأمته..(٤)

فما احوجنا نحن المسلمين إلى داع وإمام يتصف بصفات رسول الله ﷺ فيستحق رحمة الله فتلين له قلوب العباد ويلتفوا حوله ليعيدوا للإسلام ازدهاره وللمسلمين مجدهم. قال تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ﴾[الاحزاب:٢١]

وتتجلي رحمته في القضاء على الفتن والفرق بين الناس والتفافهم حوله جماعة واحدة وفرقة واحدة هى الفرقة الناجية قال تعالى ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين. الا من رحم ربك ﴾[هود:١١٨و١١٩]فكثرة الاختلافات بين الناس وكثرة مذاهبهم وتعدد عقائدهم وتعصب كل فرد لرأيه يعادي به ويقاتل به كل مخالف له في الرأي، هو نذير عدم رحمة من الله وخاصة اذا كانت هذه الفرقة داخل الصف المسلم قال الرسول عليه الصلاة والسلام« ان اليهود افترقت على احدى وسبعين فرقة وإن النصارى على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة» قالوا من هم يارسول الله؟ قال«ماانا عليه واصحابي»[ابو داود]

وتعدد الآراء واختلافها تصح إن كانت جميعها تنبع من معتقد واحد ويبتغي بها وجه الله اما اذا تعددت المذاهب وخضعت الآراء للأهواء والمصالح الشخصية وأسلمت وجهها تارة للشيوعية أو الاشتراكية وتاره اخرى للرأسمالية الصليبية فانها تصبح ظاهرة مرضية يجب علاجها الذي قد يطول أو يقصر تبعا لعودتنا إلى عقيدتنا وصلابة تمسكنا بها واتخاذها منطلقا لرؤية وحل مشكالنا.

وتتجلى الرحمة الالهية في قاعدة التكليف قال تعالى﴿ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾[البقرة:٢٨٦] وهكذا يتصور المسلم رحمة ربه وعدله في التكاليف التي يفرضها الله عليه في خلافته للارض وفي ابتلائه اثناء الخلافة وفي جزائه على عمله نهاية المطاف ويطمئن الى رحمة الله وعدله في هذا كله فلايتبرم بتكاليفه ولايضيق بها صدرا ولايستثقلها كذلك، وهو يؤمن بأن الله الذي فرضها عليه اعلم بحقيقة طاقته ولو لم تكن في طاقته مافرضها عليه ومن شاء هذا التصور فضلا عما يسكبه في القلب من راحة وطمأنينة وأنس ان يتسجيس عزيمة المؤمن للنهوض بتكاليفه وهو يحس أنها داخلة في طوقه ولو لم تكن داخلة في طوقه ماكتبها الله عليه فإذا ضعف مرة أو تعب مرة او ثقل العبء عليه ادرك انه الضعف لا فداحة العبء واستجاش عزيمته ونفض الضعف عن نفسه وهم همة جديدة للوفاء مادام داخلا في مقدوره، وهو ايحاء كريم لاستنهاض الهمة كلما ضعفت على طول الطريق فهى التربية كذلك لروح المؤمن وهمته وارادته فوق تزويد تصوره بحقيقة إرادة الله في كل مايكلفه..(٥)

فهذه الآية رحمة لأنها بمثابه اطمئنان واثارة لطاقة الانسان، فمهما يقع على عاتقه من متاعب واهوال فلايضيق بها ولاينزعج ولايفل منها لانها تعد استكشافا لطاقات كامنة داخله ثم يكتشفها من قبل اذا ماآمن وايقن ان ماكلف به فهو قدر طاقته كما اخبرنا العليم الحكيم.

وتتجلي رحمة الله في النفس الناهية عن السوء التي تقف حائلا دون ارتكاب المعاصي والآثام وهو مانفتقده الآن النفس التي تمنع السارق عن السرقة والنهب وتنهي مرتكب الفواحش للاستمرار فيها وتدفع بالعاصي بعيدا عن المنكرات والمعاصي.قال تعالى ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء إلاما رحم ربي ﴾ [يوسف :٥٣] فهي تذكره بالله وعقابه في الدنيا والآخرة وتوقظه من غفلته وتدفعه جريا إلى الاستغفار والتوبة، فهذه النفس الحية التي توقظ صاحبها من الغفلة وتثبت في نفسه دائما الخوف من الله والإيمان بحسابه، وتنهي صاحبها عن السوء، هي رحمة من الله عز وجل. وتتجلى رحمته تعالى في

التجاوزعـن سيئاتنا إذا عمـل أحدنـا السوء بجهالـة ثم تاب. ومن قبل فـان الوقـاية من الـوقـوع في المعـاصي وسد أبـواب الـرذيلـة وصرف القلوب والحوار عن الآثام وتوجيهها الى اللـه فـانها من اجل مظـاهـر رحمة اللـه ،تتجلى رحمته في المجازاة عـن السيئة بمثلها ومجازاتـــه على الحسنـــة بعشر أمثـــالها والمضاعفـة عن ذلك لمن يشـاء ومحو السيئة بالحسنة وكلهـا من فضل الله وتتجلى أيضا في تأخير العقـاب إلى يـوم القـــيامة. قـال تعـــالى﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك عل ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جـاءأجلهم فإن اللـه كـان بعبـــاده بصيرا ﴾ [فاطر:٤٥] يوم القيامة لايبلغ أحـد أن يـدخـل الجنـة بعملـه إلا أن يتغمده الله برحمته حتى رسول الله كما قال عن نفسه،عن عـائشة رضي الله عنهـا قالت. قال رسـول الله ﷺ: «لايدخل أحدكم الجنة بعملـه» قـــالـوا: ولاأنت يـارســـول اللـه؟ قـال:«ولاأنا إلا أن يتغمـدني اللـه برحمتـه» أخرجه البخاري.

وتتجلى رحمة الله في النجاة من المهالك والتي لايتنجى منهـــا مهما اتخذ من الأسبـــاب إلا برحمة مـن الله. قال تعـالى إخبارا عـن نوح عليــه الســلام﴿ ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولاتكن مع الكافرين. قـال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قـال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحـم وحال بـيـنـــهما المـــــوج فـكـــــان من المـغرقيـــــن ﴾ [هود:٤٢و٤٣] لقد اتخذ ابن سيـدنـا نوح من الأسبـاب مـايظن أنها تنجيه من أمر الله فاعتقد أن الطوفان لايبلغ رؤوس الجبـال وأنه لـو تعلق في رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق، ولكن سيدنا نوحا وهو المدرك لحقيقة هذا الهول وحقيقـة هذا الأمر يخبره بألا لاجبال ولامخابـىءولاحام ولاواق ولاغيرهم من ا لأسباب تنجي من أمر الله إلا من شملتـه رحمة الله بـالعنـاية والحمايـة. ومـاأكثـر المهالك التي تحيط بنـا وتلحقنا من رأسنا حتى أخمص قـدمنا، وهاهم العبـاقرة والجهـابذة يقـدحـون زنـاد فكرهم لحلهـا وماهنـاك أدنى بصيص في ازالتهـا بحلولهم مالم تشملنـا رحمة الله، وبـرحمة الله نجي سيـدنـا هودا وصـالحا وابـراهيم وشعيبـا ويـــونس من مكـائد قـــومهم التي دبـــرت للاطاحـة بهم وأجهض كيد عدوهم، ورحمة الله وجـدهـا سيـدنا إبـراهيم عليـه السلام حيث جعلهـا اللـه بـــردا وسـلامـا عليـه، ووجدها يوسف عليه السلام في الجب، كما وجدها في السجن، كما وجدهـا يونس عليه السـلام في بطن الحوت، ووجدهـا مـوسى عليه السلام في اليم وهو طفل مجرد من كل قوة ومن كل حـراسة، كما وجـدها في قصر فرعـون وهو عـدو له متربص بـه ويبحث عنـه، ووجدهـا أصحـاب الكهف في الكهف حين افتقدوها في القصور والدور، ووجدها الرسول عليه الصلاة والسلام وصاحبه في الغـــار والقـوم يتعقبـــونهما ويقصـــون آثارهما.

وتتمثل رحمة الله في شفـائه لسيدنـا ايوب بل وتعوضـه عما فقده فقـد أصاب سيـدنا أيوب من البلاء في مالـه وولده وجسده فقد كان لـه من الـدواب والانعام والحرث شيء كثير فابتلى في ذلك كلـه وذهب عن آخره، ثم ابتلى في جســده ولم يبق احـــد من النــاس يحنو عليه سوى زوجته كـانت تقوم بامره في وفاء قلما نجد مثله في أيـامنا هذه ويقال إنها احتـاجت فصـــارت تخدم النـاس من أجلـه.قال تعـالى﴿ وأيوب إذ نادى ربه أني مسنـي الضر وأنت ارحـم الــــــراحمين. فاستجبنا له فكشفنـا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ﴾[الأنبياء:٨٣و٨٤].

وتتجلى رحمة الله في إرزاقنا بالاولاد خاصة إذا كـان هـذا الرزق لشيخ كبير ولـزوجـة عقيم، وهـو الذي نعتبره نحن البشر فـوق العادة أو غير مألـوف فسيدنـا زكريـا هذا الشيخ العجوز وزوجتـه العاقـر التي لاتلد وقد وهب الله لهما يحيى فـلاييأس عديمي الإنجاب مـن رحمة الله أبـدا مهما طال بهم العمـرولايستسلمـــوا للقـوانين البشريـــة المحدودة بل يلجأون إلى المولى عز وجل قال تعــــالى﴿ كهيعص. ذكر رحمت ربك عبده زكريا إذ نادى ربـه نداء خفيا قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الـرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وإني خفت الموالى من ورائي وكـانت امـرأتي عـاقـرا فهب لي من لـدنك وليـا يـرثني ويـرث من آل يعقـوب واجعله رب رضيا يازكريا إنا نبشرك بغلام اســمه يحـــيى لم نجـــعل لـه من قبل سميا ﴾[مريم:١ ـ ٧].

كما أن المكتشفات العلمية والمنشآت البنائية بنت كل عصر ومعجزة عصرهـا هي صورة من صـور رحمة الله وهكـذا كان بنـاء ذي القـرنين للسـد لمنع يأجـوج ومأجـوج من الفساد والتي ورد ذكرهـا في القرآن الكريم قـال تعـالى﴿ قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجـوج مفسـدون في الارض فهل نجعل لك خـرجا على أن تجعل بيننا وبينهـم سدا قال مـامكني فيه ربي خير فأعينـوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصـدفين قال انفخوا حتى إذا جعلـه نارا قـال آتوني أفـرغ عليه قطـــرا فما اسطـــاعـــوا ان يظهــــروه وماا ستطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فإذا جـاء وعد ربي جعلـه دكاء وكـان وعد ربي حقا ﴾ [الكهف:٩٤و٩٨]. ونحن الآن واعـداء الإسلام يحيطـوننا من كل جـانب لايهدا بالهم حتى يحد تواكـل وسيلة أحدث من الاخـــرى وأكفأ من ســـابقتهـــا للفتك بـالمسلمين وها نحن نقـف مكتوفي الأيـدي مشلـولي التفكير ولن ينقـذنا إلا رحمة اللـه تقدرلنا بناء تجهيـزات تحمينا من الاسلحة الـذريـة والبيـولـوجيـة والكيماويـة التي يوجهها أعداؤنا الينا.

وتتجلى رحمة اللـه في كل مـانجده حـولنـا وفوقنا وتحت أرجلنا ومـانلمسه ومانحسه بحـــواسنـا من آيـــات ونعم وهي كثيرة لا تحصى، المطـــر، الـريـاح، الليـل، النهـار، الشمس، القمر، البحـار، الأنهار، النباتات، الحيوانات، الأراضي الزراعية والصحراوية، المال، البنون ،وكل متاع من متاع الدنيا وكل ماسخره الله لنا في الأرض والسماء.

وكل هـذه المتع وكل هـــذه النعم وكل هـذه المسخرات وجودها في حـد ذاته نعمة ولكن ان لم تشملها وتحفها وتحيطهـا رحمة الله فـانها تتحـول من نعمـة إلى نقمـة. فما من نعمة يمسك الله معهـا رحمته حتى تنقلب بـذاتها نقمة، ومـا من محنة تحفهـا رحمة الله حتى تكون بذاتها نعمة.

ينام الإنسان على الشوك مع رحمة الله فإذا هو مهـاد، وينام على الحريـر وقد أمسكت عنـه فإذا هـو شوك القتـاد، ويعـالج أعسر الأمـور برحمة اللـه فإذا هو هـوادة ويسر ويعالـج أيسر الأمور وقد تخلـت عنه رحمة اللـــه فإذا هي مشقـــة وعسر ويخوض بها المخـاوف والأخطـار فإذا هي أمن وسـلام ويعبر بـدونها المناهج والمسـالك فـاذا هي

الرحمة في الإسلام

مهلكة وبوار ولاضيق مع رحمة الله إنما الضيق في إمساكها دون سواها. لاضيق ولو كان صاحبها في غياهب السجن أو في جحيم العذاب أو في شعاب الهلاك ولاوسعة مع إمساكها ولو تقلب الناس في أعطاف النعيم وفي مراتع الرخاء. فمن داخل النفس برحمة الله تنفجر ينابيع السعادة والرضا والطمأنينة ومن داخل النفس مع إمساكها تدب عقارب القلق والتعب والنصب والكد والمعاناة.

هذا الباب وحده يفتح وتغلق جميع الأبواب وتوصد جميع النوافذ وتسد جميع المسالك فلا عليك فهو الفرج والفسحة واليسر الرخاء وهذا الباب وحده يغلق جميع الأبواب والنوافذ والمسالك فما هو بنافع وهو الضيق والكرب والشدة والقلق والعناء.

هذا الفيض يفتح ثم يضيق الرزق ويضيق السكن ويضيق العيش وتخشن الحياة ويشوك المضجع فلا عليك فهو الرخاء والراحة والطمأنينة والسعادة وهذا الفيض يمسك الرزق ويقبل كل شيء فلاجدوى وإنما هو الضنك والحرج والشقاوة والبلاء.

المال والولد والصحة والقوة والجاه والسلطان تصبح مصادر قلق وتعب ونكد وجهد إذا أمسكت عنها رحمة الله فإذا فتح الله أبواب رحمته كان فيها السكن والراحة والسعادة والاطمئنان.

يبسط الله الرزق مع رحمته فاذا هو متاع طيب ورخاء واذا هو رغد في الدنيا وزاد إلى الآخرة. ويمسك رحمته فاذا هو مثار قلق وخوف واذا هو مثار حسد وبغض ويكون معه الحرمان ببخل أو مرض وقد يكون معه التلف بإفراط او استهتار ويمنح الله الذرية مع رحمته فإذا هي زينة في الحياة ومصدر فرح واستمتاع ومضاعفة الأجر في الآخرة بالخلف الصالح الذي يذكر الله ويمسك رحمته فإذا الذرية بلاء ونكد وعنت وشقاء سهر بالليل وتعب بالنهار.

ويهب الله الصحة والقوة مع رحمته فإذا هي نعمة وحياة طيبة وتلذذ بالحياة، ويمسك رحمته فإذا الصحة والقوة بلاء يسلطه الله على الصحيح القوي فينفق الصحة والقوة فيما يحطم الجسم ويفسد الروح ويدخر السوء ليوم الحساب ويعطي الله السلطان والجاه مع رحمته فإذا هي أداة إصلاح ومصدر أمن ووسيلة لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر. ويمسك الله رحمته فاذا الجاه والسلطان مصدر قلق على قوتهما ومصدر طغيان وبغي بهما ومثار حقد وموجدة على صاحبهما لايقر له معهما قرار ولايستمتع بجاه ولاسلطان ويدخر بهما للآخرةرصيدا ضخما من النار والعلم الغزير والعمرالطويل والمقام الطيب كلها تتغير وتتبدل من حال إلى حال مع الإمساك ومع الإرسال وقليل من المعرفة يثمر وينفع وقليل من العمر يبارك الله فيه وزهيد من المتاع يجعل الله فيه السعادة.

والجماعات كالآحاد والأمم كالأفراد في كل أمر وفي كل وضع وفي كل حال ولا يصعب القياس على هذه الأمثال..(٦)

هكذا تتعدد وتتباين صور رحمة الله التي يكتبها لمن يشاء ويخص بها من يشاء من عباده، ولكن هناك جملة من الصفات التي اذا اتصف بها الفرد وتحققت في نفسه وترجمتها جوارحه إلى افعال ولسانه إلى إقوال استحق بها رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة منها: الإيمان بالله ورسوله والتمسك بالقرآن والسنة والعمل بما فيهما والطاعة التامة لكل احكامهما وتقوى الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وعمل الصالحات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصلح بين الناس والصبر على المصائب وولاية المؤمنين والجهاد في سبيل الله والهجرة لله ولرسوله وسماع القرآن والانصات إليه وتدبر معانيه وكثرة الاستغفار وتجديد التوبة وعبادة الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك .

قال تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [التوبة:٧١]

﴿ ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ﴾ [البقرة:٢١٨] ﴿ ان رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ [الأعراف:٥٦] ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ﴾ الجاثية: ٣٠ ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ﴾ [الحديد:٢٨] ﴿ قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ﴾[النمل:٤٦] ﴿ وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ [البقرة:١٥٥ـ١٥٧]

﴿ واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [الاعراف:٢٠٤] ﴿ انما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ [الحجرات:١٠]وقال ﷺ «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحكم من في السماء» رواه ابو داود والترمذي.وقال «من لا يرحم الناس لايرحمه الله» رواه البخاري ومسلم واحمد« انما يرحم الله من عباده الرحماء» «ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء» وقال «من لايرحم من في الارض لايرحمه من في السماء» رواه الطبراني.

ورحمة المؤمن لاتقتصر على إخوانه المؤمنين وإن كان دافع الإيمان المشترك يجعلهم أولى الناس بها وإنما هو ينبوع يفيض بالرحمة على الناس جميعا وقد قال رسول ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم«لن تؤمنوا حتى ترحموا قالوا يارسول الله كلنا رحيم. قال انه ليس برحمة احدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة» رواه الطبراني.

وحكم عليه الصلاة والسلام على العارين من الرحمة بأنهم هم الأشقياء فقد روى الترمذى وابو داود وغيرهم عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال«لاتنزع الرحمة الا من شقي» ويمكن إجمال صفات من ليس لهم نصيب في رحمة الله بالآية الآتية قال تعالى ﴿ والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب اليم ﴾ [العنكبوت:٢٣] ﴿ ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ﴾ [الحجر/٥٦].

وهناك من البشر من يتغير حالهم اذا من الله عليهم برحمته او امسكها عنهم ابتلاء لهم ومنهم من يؤول علي غير وجهها فينسبها إلى مقدرته الشخصية قال تعالى ﴿ وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ﴾ [الروم:٣٣]

﴿ واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾ [الروم:٣٦]والآية الكريمة تنهي أن ينقط عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت فإن باب الرحمة واسع. قال تعالى ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر:٥٣]

ولم يكتف الإسلام ببيان صور الرحمة الإلهية أو بيان صفات المستحقين للرحمة وان كان هذا يكفي ليتعظ ويعتبر الانسان ويعكف على بحث سبل الاهتداء إليها بل أمر الإسلام باشاعة جو الرحمة في المجتمع قال تعالى ﴿ وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ [البلد:١٧] فالتواصي بالمرحمة أمر زائد على الرحمة إنه إشاعة الشعور بواجب التراحم في صفوف الجماعة عن طريق التواصي به والتحاض عليه واتخاذه واجبا جماعيا وفرديا، في الوقت ذاته يتعارف عليه الجميع ويتعاون من اجله الجميع..(٧).

والرحمة صفة يتصف بها المؤمنون أتباع سيدنا ونبينا محمد ﷺ والذين يسيرون على هداه ووفق سنته فهم متراحمون فيما بينهم يعطف بعضهم على بعض ويواسي كل منهم اخاه فمشاعرهم متلاقية واحاسيسهم تنبض بالتعاون والتساند والتعاطف والتآلف لامكان للقسوة بين قلوبهم ولاتظهر الشدة او الغلظة في محيطهم الامع اعدائهم من الكفار قال تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ [الفتح:٢٩] وقال عليه الصلاة والسلام (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) رواه مسلم.

والمؤمن مأمور بأن يكون له حظ ونصيب من أسماء الله الحسنى يتخلق بها في سلوكياته وحظ العبد من اسم (الرحمن)أن يرحم عباد الله الغافلين فيصرفهم عن طريق الغفلة الى الله بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف وأن ينظر الي العصاة بعين الرحمة لابعين الإيذاء وأن يرى كل معصية تجري في العالم كمعصية له في نفسه فلايدخر جهدا في إزالتها بقدر وسعه رحمة لذلك العاصي من أن يتعرض لسخط الله تعالى وحظ العبد من اسم (الرحيم) ألا يدع فاقة لمحتاج إلا ويسدها بقدر طاقته ولايترك فقيرا في جواره أو في بلده الا ويقوم بتعهده ودفع فقره إما بماله أو جاهه أو بالشفاعة إلي غيره فإن عجزعن جميع ذلك فعليه بالدعاء واظهار الحزن رقة عليه وعطفا حتى كأنه مساهم له في ضره وحاجته..(٨)

فالرحمة منهج المؤمن في حياته وقاعدة سلوكياته في يومه وليلته واذا غرست في القلب كان من ثمارها تصور رشيد وبصيرة واعية ونفس سمحة سلسة خلصت من العقد والمنعطفات السلوكية وهي في الوقت نفسه تمهد الطريق لظهور سلوكيات أعلى وأنبل ولقدجعلها الله تبارك وتعالى سنة من سنن الحياة ودعامة لاستمرارها وبدونها لن تقوم للحياة قائمة ولن يستطيع البشر النهوض بما خلقوا له من رسالة فهي سياج للأمن والأمان في المجتمع..(٩).

والرحمة من معالم الايمان وسمة من سماته، وغيابها عن سلوك الإنسان يعني فساد سعيه وضلاله وغلبة الشقاء عليه وتظل الرحمة مع المسلم في كل خطاه سمة مميزة لشخصيته لاتنفك عنها،تحكم علاقاته مع من حوله ورحمة الانسان بنفسه تكون بالوقوف بها عند ماامر الله والانتهاء عما نهى عنه فلا يوردها موارد الهلاك ولايكلفها من العمل مالايطاق وان يزكيها فلا يظلمها فمن ظلم نفسه كمن ظلم غيره على حد سواء وألا تذل رقبته إلا الله وألا يركع لأحد سواه والرحمة تأبي على صاحبها ان يعكف علي ملذاته ومراته وان يتمتع بثروته وقد علم ان بجانبه مريضا حرمه المرض لذة الحياة او جائعا حرمه الجوع لذيذ المنام، او منكوبا اصابته الايام، او يتيما يبكي أباه، أو أرملة فرق بينها وبين عائلها القدر فالحرحمة تحمل صاحبهاعلى أن يتألم لآلام الناس ويبكي لبكائهم، فإذا رأى فقيرا أحس بالآم فقره وأثقال بؤسه وإذا رأى منكوبا تأثر بوطأة نكبته، فالرحمة تحمل صاحبها على أن يخفف الويلات ويمسح العبرات ويكافح الآلام ويدفع الاحزان ويحنو على الضعفاء والمنكوبين كما تحنو الأم الحنون على أبنائها، يقول المنفلوطي:« لو تراحم الناس ماكان بينهم جائع ولا عريان ولامظلوم ولاستقرت الدموع في المدامع واطمأنت الجنوب في المضاجع ومحت الرحمة الشقاء من المجتمع كما يمحو الصبح ظلام الليل».(١٠)

وقد نبه الإسلام إلى أن هناك أقواما مخصوصين ينبغي أن يحظوا بأضعاف الرحمة والرعاية وهم الآباء والأبناء و الأقارب والأيتام والمرضى وذوي العاهات حتي الحيوان لم يسكت الإسلام عن طلب الرحمة له وقد أعلن النبي ﷺ أن الجنة فتحت أبوابها لبغي سقت كلبا فغفر الله لها وأن النار فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة حتى ماتت فلا هي اطعمتها ولاهي تركتها تأكل من خشاش الارض.

واخيرا فان الرحمة هي سر حياة هذه الأمة وبدونها تفقد مقومات قيامها والرحمة لفظ واسع المضمون يشمل كل أمر.

ويتسع لكل فعل وحض الإسلام على نشر اشعة الرحمة بين أركان المجتمع المسلم لتدفئة كل فرد من افراده والتي كلما قويت واتسع مداها شملتنا الرحمة الالهية والتي نحن في أمس الحاجة إليها فكل الصفات الطيبة الحميدة التي على المسلم أن يتحلى بها ويتصف بها في تعامله مع أخيه المسلم تجدها تنمو وتزدهر وتنتشر في جو من الرحمة والألفة والعكس بالعكس إذا وجد الجفاء والشدة في التعامل انفتح المجال للصفات غير الحميدة ■

المراجع

١- كتاب الايمان والحياة د. يوسف القرضاوي ص ٢٨٧ - ٢٨٨

٢- المختصر من معاني اسماء الله الحسنى محمود سامي ص ١٤

٣- في ظلال القرآن سيد قطب ج٤ ص ٢٢٤٨

٤- في ظلال القرآن سيد قطب ج١ ص ٥٠٠و٥٠١

٥- في ظلال القرآن سيد قطب ج١ ص ٣٤٤

٦- في ظلال القرآن سيد قطب ج٥ ص ٢٩٢١ - ٢٩٢٣

٧- في ظلال القرآن سيد قطب ج٦ ص ٣٩١٣

٨- كتاب الايمان والحياة سويسف القرضاوي ص ٢٨٨و٢٨٩

٩- (١٠) مجلة المجاهد - مصرية العدد ١٣٢ جمادى الآخر ١٤١١هـ- ديسمبر ١٩٩٠م

● الإسلام دعوة حيوية، تحث على الرجاء، ونداء مفتوح إلى الأمل

الرجاء وأثره في حياة الفرد

بقلم الأستاذ: سعد صادق محمد

الإنسان - كبشر - من طبيعته أن ينسى ومن فطرته أن يغفل، بيد أنه مهما طالت غفلته، وأحسّ بوخز الألم من أخطائه، يكاد يعصف بإنسانيته، ويقضي على روحه، وظن أنه بعيد عن ربّه، وأغلقت دونه الأبواب، وسدت أمامه السبل.. مهما حدث ذلك، وشعر وقتا ما أنه في حاجة إلى من يهديه من حيرته، وينقذه من عثرته.. فلا يجد إلا الله وحده عز وجل.. عندئذ يجد من خلال هذا الضيق القابض عليه، يدا رحيمة حانيه تمتد إليه، وتقترب منه، ولا تغيب عنه في ليل أو نهار، كما يجد وسط هذا الظلام شعاعا وهاجا لا يخبو، ولا ينطفىء، وهتافا علويا يهتف به. فعن ابي هريرة قال: قال رسول ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فاعطيه، من يستغفر فأغفر له» [متفق عليه]

الرجاء.. من الأمل، وهو نقيض اليأس، ويأتي الرجاء كذلك بمعنى التوقع وقيل: هو النظر إلى رحمة الله، كما يطلق الرجاء بمعنى الخوف، ولا يكون بهذا المعنى إلا إذا كان معه حرف نفي، كما في قول الله تعالى ﴿ مالكم لا ترجون لله وقارا ﴾ [نوح:١٣]. والمعنى: لاتخافون لله عظمة.

والرجاء ثلاثة:

١ - رجل عمل حسنة، فهو يرجو قبولها.

٢ - ورجل عمل سيئة، ثم تاب فهو يرجو المغفرة.

٣ - ورجل كاذب يتمادى في فعل الذنوب ويقول: أرجو المغفرة، ومن عرف نفسه بالإساءة، ينبغي أن يكون خوفه غالبا على رجائه (١).

من فضل الله تعالى على عباده أنه يعاملهم بما يتناسب وطباعهم التي فطروا عليها، ويتفق مع بشريتهم التي وجدوا عليها.

الله يفتح أبواب رحمته

ولما كان الإنسان بحكم تكوينه ينسى ويخطىء وبحكم بيئته وما ورثه منها من البواعث، يخالف ربه ويعصيه، ويرتكب الأوزار والذنوب حتى يؤدي ذلك إلى اليأس من رحمة الله، والقنوط من مغفرته، فإن الله الرحمن الرحيم يفتح دائما أبواب رحمته لعبده، ويمد يده له، ليبعده عن دائرة القنوط واليأس، ويفتح له أبواب الرجاء ويمهد له سبل التضرع، ويتضح هذا من الآية الكريمة ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر:٥٣].

يذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في أهل مكة، حين قالوا: يزعم محمد أن من عَبَد الأوثان، وقتل النفس، لم يغفر له، وقد عبدنا وقتلنا، فكيف نسلم؟

وقيل : نزلت هذه الآية في وحشي قاتل حمزة، لما أراد أن يسلم، وخاف ألا تقبل توبته، فلما نزلت الآية أسلم، فقيل لرسول الله ﷺ هذه له خاصة، أم للمسلمين عامة: فقال: «بل للمسلمين عامة» (٢).

وقيل أنزلت في أناس أصابوا ذنوبا عظاما في الجاهلية، فلما جاء الإسلام أشفقوا ألا تقبل توبتهم.. ويجب أن نعلم أن العبرة في عموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فنزول هذه الآيات في الواقع لا يمنع من عمومها.

ففي هذه الآية الكريمة ينادي رب العزة عباده إلى عدم القنوط، ويقربهم من رحمته ويطمئنهم أنه يقبل التوبة من عباده، فقوله: ﴿ يا عبادي ﴾ أنه يضيفهم سبحانه وتعالى إليه إضافة رحمة ورعاية وإحسان، وهي إضافة تعلو على إضافة الأبناء إلى الآباء حناناً ورحمة وإحساناً، وهؤلاء الذين يناديهم ربهم هذا النداء الرحيم، ويضافون إلى عزته إضافة إكرام وبر، هم العصاة، الخارجون على حدود الله، المعتدون على حرماته، الجاحدون لنعمه.. إنهم الذين أسرفوا على أنفسهم بما حملوا من أوزار، ووقعوا فيه من ذنوب.

وقول الله ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ معناه أنه اليد البارة الرحيمة الحانية التي يربت الله بها على هؤلاء المذنبين بمجرد أن يلتفتوا إلى هذا النداء الرحيم، ويستجيبوا له، فالله جل جلاله، دانٍ من عباده برحمته، إذا هم أقبلوا عليها، واستظلوا بظلها.

وقوله عز وجل: ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ يوحي بأن الله أعطاهم شحنة من النور تضيء الظلام لمن أسرفوا على أنفسهم، فيبدده، ويقضي على اليأس الذي يلف حياتهم، فيغفر لهم ذنوبهم، مهما كانت بشعة وشنيعة، فما أعظم مغفرة الله، وما أوسع رحمته بعباده المسيئين، ويؤكد هذا قول ربنا الرحيم: ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ [الأعراف:١٥٦].

وقوله: ﴿ إنه هو الغفور الرحيم ﴾ هنا

وصف الله نفسه بصفتين عظيمتين الأولى: «غفور»، وهو لفظ يفيد المبالغة، وهو إشارة إلى إزالة موجبات العقاب، الصفة الثانية: «الرحيم» وهو لفظ يشير إلى تحصيل الرحمة والثواب ونلاحظ هنا أن قوله تعالى: ﴿ إنه هو الغفور الرحيم ﴾ أفاد الحصر، ومعناه أنه لا غفور ولا رحيم إلا هو (٣).

والرسول ﷺ يشير في حديث له، إلى أن باب التوبة مفتوح للإنسان في كل وقت، يقول «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» [رواه أحمد ومسلم].

الإسلام يدعو إلى الرجاء وينفر من اليأس

من المعلوم أن الإسلام دعوة حيوية، تحث على الرجاء، ونداء مفتوح إلى الأمل، ولم يشجب الإسلام شيئا في حياة المسلم – كما شجب اليأس، مخافة أن يدب في نفس الإنسان، ويحيط بها ويخمد سعيها، ويوقف تقدمها، ويكون من شأن ذلك إلحاق الهزيمة بصاحب هذه النفس.. هزيمة تصيبه في شتى ميادين الحياة ودروبها، ويبرز هذا المعنى في خطاب الله تعالى للمقاتلين في غزوة بدر، بعد هزيمتهم نتيجة عدم طاعتهم لأمر قائدهم رسول الله ﷺ ، يقول الله للمؤمنين المقاتلين ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما ﴾ [النساء:١٠٤].

يطلب الله من المؤمنين في هذه الآية الا يضعفوا في طلب المشركين الذين ناصبوهم العداء، بل عليهم أن يستعدوا لقتالهم بعد الفراغ من الصلاة، مع أخذ الحذر، وحمل السلاح عند أدائها، وكان ذلك في صورة أمر بالهجوم.

وكان الهدف من الأمر بالاستعداد لقتال المشركين، أن تشتد عزائم المسلمين، وتعلو هممهم، ليواجهوا أعداءهم بقوة، فإن هم فعلوا ذلك، كتب الله لهم إحدى الحسنيين.. النصر، أو الجنة بالشهادة، ولا شك أن هذا الموقف من أصحاب رسول الله ﷺ درس للمسلمين في كل زمان ومكان.. انه نموذج يتعلم منه أصحاب العزائم القوية كيف يواجهون المحن، ويقفون في صلابة أمام الشدائد.

حسن الظن بالله

والمؤمن يجب أن يكون حسن الظن بالله، لأن هذا دليل على حسن اليقين، وتمام العبادة، والله عند حسن ظن عبده به، ورجائه فيه، وأمله منه، ولذا يدعونا رسول الله ﷺ أن نقبل على الله ونحن عند حسن ظن طيب به، وطمع في قبول رحمته، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل (أنا عند حسن ظن عبدي بي)رواه الشيخان والترمذي، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله وسلامه عليه قال: «حسن الظن من حسن العبادة» [رواه أبوداود.]، وعن جابر رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل» [رواه مسلم].

أثر الرجاء في الدنيا

حسبنا من الرجاء في الدنيا، أنه يدفع إلى العمل الصالح الذي يستعد به المؤمن للقاء الله تعالى، والذي يعود عليه، وعلى أمته بالنفع العام، والخير الشامل، لاسيما وأن الحياة إلى فناء، وأن العمر إلى نهاية، وأنه لن ينجى الإنسان من بين يدي ربه يوم القيامة إلا عمله الصالح، الذي يتفضل الله بقبوله منه، وإثابته عليه.ولا شك أن هذا الحال، هو أكبر الآثار، وأعظم النتائج التي يسوق إليها الرجاء الحق، وما لم يؤد الرجاء إلى هذا الأثر البار، والنتيجة الوافية، فلا قيمة له، ولا عبرة به، وفي هذا روى (٤) ابن ابي حاتم، عن طاووس، قال: قال رجل يا رسول الله: إني أقف المواقف أريد وجه الله، وأحب أن يرى موطني، فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئا، حتى نزل قول الله: ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف:١١٠].

أثر الرجاء في الآخرة

من كان صادق الرجاء في ربه، حسن الظن به، عظيم الأمل فيه، فإنه واجد فعلا في الآخرة أثر ذلك كله، صفقة رابحة، وثوابا مضاعفا ونعيما مقيما، ومزيدا من الفضل والمغفرة، وإلى ذلك الموقف نقرأ قول الله تبارك وتعالى ﴿ من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ﴾ [العنكبوت:٥].ويقول الأمام ابن كثير في تفسيره للآية يقول الله (من كان يرجو لقاء الله) أي في الدار الآخرة، وعمل الصالحات، ورجاء ما عند الله من الثواب الجزيل، فإن الله سيحقق له رجاءه، ويوفيه عملا كاملا موفورا، فإن ذلك كائن لا محالة لأنه سميع الدعاء، بصير بكل الكائنات، ولهذا ختمت الآية بقوله تعالى ﴿ وهو السميع العليم ﴾. ويقول المراغي في تفسيره للآية: أي من كان يطمع في ثواب الله يوم لقائه فليبادر إلى فعل ما ينفعه، وعمل ما يوصله إلى مرضاته، ويجتنب ما يوجب سخطه، فإن أجل الله الذي أجله لبعث خلقه للجزاء لآت لا محالة، والله هو السميع لأقوال عباده، العليم بعقائدهم وأعمالهم، ويجازي كلا بما هو أهل له.

اليأس ظاهرة سلبية

وإذا كان الرجاء ظاهرة إيجابية، تدعو صاحبها للتضرع إلى الله، والتعلق برحمته، والأمل فيه، ولا يرضى اللجوء الا لساحته، لنيل عطائه وغوثه.. فإن اليأس ظاهرة سلبية، يلجأ إليها ضعاف النفوس، الذين يفقدون الأمل في الرجاء، ويركنون إلى الروح اليائسة، التي تخمد عزائمهم، وتبلد مشاعرهم، وتوهن طاقاتهم، فيرضون بالجزع والفتور، فهذه الروح تورد صاحبها موارد الهلاك، ويروى أن بعض الصالحين كان يقول: «إن لي إلى الله حاجة أدعوه لها منذ أربعين عاما، وما استجاب لي، ولا يئست من دعائه».فهذا مثل حي على أن الإنسان المؤمن لا يصيبه اليأس، أو القنوط مهما طال به زمن الدعاء، والطلب. اللهم ارزقنا الصبر الجميل على محن الحياة، ونعوذ بك من أهل اليأس والقنوط ■

الهوامش

١) راجع لسان العرب لابن منظور. ح ٤ ص ٣٠٩ و٣١٠ بتصرف.
٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٧/ ٣ و ٤ بتصرف، وراجع: نشرات التوعية الدينية الصادرة من وزارة الأوقاف المصرية بعنوان «الدين والحياة» العدد ١٨٤ غرة شعبان ١٣٩٧ – ١٨ من يوليو ١٩٧٧.
٣) التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٧/ ٣ و ٤ .
٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣/ ١٠٨.



● الاقتتال الداخلي الأفغاني إلى متى؟

نداء نداء من القلب

أكد الشيخ / أحمد الدبوس (مدير مكتب الطاجيك بلجنة الدعوة الاسلامية – الكويت)، أن افغانستان في الوقت الحاضر أحوج ما تكون لوقوف الدول الإسلامية بجانبها، ومساعدة المسلمين هناك على تخطي المحنة التي يمرون بها، واجتياز واقعهم المرير، وتضميد جراحهم العميقة، مشيراً إلى أن الصورة ليست شديدة القتامة، وأن الحرب الدائرة هناك والصراع حول السلطة لا يتعدى ولاية كابول وبعض الولايات المحيطة بها، أما بقية الولايات – وعددها ٢٨ ولاية – فإن الأوضاع فيها تسير على ما يرام، وإن كانت الحرب قد أتت بآثارها الكئيبة على كثير من مجريات الحياة.

وأوضح أن المسلمين هناك بحاجة إلى من يقف بجانبهم، ويشد من أزرهم، ويواسيهم ويقوم بواجبه الشرعي تجاههم، عملا بقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ مؤكدا أن المشكلة الحقيقة التي يعاني منها المسلمون في أفغانستان هي الجهل، إضافة إلى الفقر الذي يشمل كافة نواحي الحياة، إضافة إلى وجود المؤسسات النصرانية التي تعمل وحدها على الساحة في ظل انسحاب المؤسسات الإسلامية من هناك.

وقال الشيخ احمد في حوار صحفي عقب عودته من أفغانستان ومشاركته في مؤتمر «هيرات» الشعبي:

إن المؤتمر أصدر العديد من القرارات التي تهدف إلى إنهاء الاشتباكات بين الفصائل المتصارعة وإصلاح الأوضاع المتردية إصلاحا جذريا، مشيراً إلى أن أهم تلك القرارات تتعلق بإنشاء جيش تعداده ١٠٠ ألف جندي يتم تشكيله من كافة الولايات الأفغانية ويخضع للحكومة الموحّدة، ويقوم بحفظ النظام في البلاد، إضافة إلى الحكم بعدم أهلية (دوستم) للمشاركة في المؤتمر، وضرورة إخضاعه للانصياع والاستسلام، سواء أكان ذلك باللين والود أم بالحرب والقوة، فيما وصف القائد حكمتيار أنه مسلم ويحق له المشاركة في أعمال المؤتمر بشرط موافقته المبدئية على القرارات التي أصدرها، أما إذا أصر على موقفه العدائي فلا سبيل من مواجهته عسكريا بكل حسم.

وفيما يلي نص الحوار مع الشيخ أحمد الدبوس:

*** هل لنا في التعرف على أسباب زيارتكم الأخيرة لأفغانستان؟**

** الهدف من الزيارة هو المشاركة في مؤتمر هيرات، وهو مؤتمر شعبي أقيم لبحث الأوضاع التي تمر بها أفغانستان، بمبادرة من أهل الخير هناك وعلى رأسهم صاحب الفكرة أمير هيرات محمد إسماعيل خان، وحضره ممثلو (٣٠) ولاية، إضافة إلى بعض القادة العسكريين ولفيف من القضاة وكبار العلماء، وذوي الرأي والمشورة في البلاد وعدد من المهاجرين في الخارج.

وقد تميز مؤتمر هيرات بالتفاعل الطيب بين الحضور، وابتعاده عن المشكلات والخلافات الحزبية التي طالما حدثت في المؤتمرات السابقة، واعتقد أن القرارات والتوصيات التي خرج بها المؤتمر كفيلة بإصلاح الأوضاع وفك الاشتباكات بين القبائل المتصارعة في أفغانستان.

*** هل شاركت في المؤتمر بدعوة رسمية، وكيف كان أسلوب المشاركة؟**

** نعم كانت مشاركتي بدعوة رسمية، وكانت مشاركة جزئية ليس لها علاقة باتخاذ القرار أو حسم الأمور السياسية، إنما لإبداء الرأي ونقل الصورة الحقيقية إلى المجتمع الكويتي.

*** الآن، كيف ترى المستقبل في أفغانستان؟**

** أنا متفائل جدا بقرب انتهاء الحرب في أفغانستان، لكن يجب علينا النظر إلى أفغانستان على أنها دولة مسلمة، وشعب مسلم، وألا نترك المسلمين هناك بدون تضميد لجراحهم وتخفيف معاناتهم، فيجب على المسلمين أن يؤدوا واجبهم تجاه إخوانهم هناك، وألا ينظروا إلى الأوضاع الأفغانية من منظور سياسي، إنما ينظرون إليه من المنظور الخيري والإنساني، من المنظور الذي يجب فيه على الإنسان أن يقف مع أخيه الإنسان، فأفغانستان أحوج ما تكون اليوم إلى المساعدة أكثر من أي وقت مضى، وبخاصة بعد انسحاب الجمعيات والمؤسسات الخيرية الإسلامية، وترك الساحة لتلك المؤسسات النصرانية لتعمل وحدها، ومايترتب على ذلك من أخطار جسيمة يتعرض لها المسلمون هناك..

وقد وجّه الشيخ الدبوس النداء التالي إلى المسلمين القادرين في جميع أنحاء العالم:

أدعو الأخوة والأخوات من أهل الخير والصلاح أن ينظروا إلى أهل أفغانستان نظرة أخوية إسلامية لا نظرة الحكم بالجزء على الكل قال تعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾.

وقال الرسول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

إن إخواننا في أفغانستان بحاجة ماسة أكثر مما كانوا عليه من ذي قبل حيث إن الجراحات كبيرة والمحن كثيرة فلا نتركهم ولا نتخلى عنهم، بل يجب أن نقف معهم شرعا وأخوة وإنسانيا وعاطفيا ولا نجعل المؤسسات النصرانية والتي هي أكثر من ٣٠ مؤسسة في أفغانستان تعمل معهم الآن.

صحيح أن الحرب والصراع موجودان في كابل، لكن بقية الولايات والتي عددها ٢٩ ولاية تحتاج للدعم والعمل الخيري والإنساني والاجتماعي لأن الحكم بالجزء على الكل لا يجوز شرعا. وهو ظلم وتجنٍ وجور بل من العدل والحق أن نعمل معهم في محنتهم ونسد حاجتهم لأن هذا من واجب الإخوة والإيمان والإسلام.

ولا نجعل أخواننا في أفغانستان تحت رحمة المؤسسات النصرانية التي هي أكثر من ثلاثين مؤسسة تعمل هناك باسم الإنسانية التي تخدم عقيدتها ومبادئها ومخططها فمن باب أولى أن تكون المؤسسات الإسلامية والخيرية والشعبية التي انسحبت وتركت الواجب الاخوي والشرعي هي العاملة هناك وسوف نكون محاسبين أمام الله والضمير على هذا الانسحاب والترك للمؤسسات النصرانية التي جاءت لتعمل في وسط الإخوة الأفغان.



أيها الأخوة والأخوات يا أهل الخير والإنسانية أخواننا في أفغانستان يعانون من الفقر والجراحات والمحن التي لا يعلم حالهم إلا الله، فالله الله في إخواننا في أفغانستان لا نتركهم وهم بحاجة ماسة لنا الآن وبماذا نجيب الله عن حالهم إذا سألنا؟

فالمسارعة المسارعة لنصرة إخواننا والعمل لسد حاجتهم وفقرهم ولا نتركهم فريسة لتدخلات أجنبية ■

سبق العرب لأوربا في العلوم الطبيعية

بقلم: أحمد أبو الدهب محمود*

حضارة العرب كانت اعظم حضارة شهدها العالم اجمع طوال العصور الوسطى.فلقد عم الظلام غرب أوروبا فانحطت وسادت الخرافات، وانعكس ذلك على النشاط الاقتصادي، وعلى العكس من ذلك،ففي تلك العصور نفسها ازدهرت الحضارة العربية، وزخرت المكتبات العامة والخاصة بآلاف الكتب والمخطوطات. في كل فن وعلم، وأدى ذلك إلى وفود الرحالة والسفراء الغربيين من مختلف بلاد أوربا إلى الدول العربية الإسلامية وسجلوا اعجابهم بهذه النهضة العربية العظيمة.

وموضوعنا هذا (سبق العرب لأوربا في العلوم الطبيعية) سوف يؤدي إلى كشف نواح جديدة في الحضارة العربية، ويظهر فضل الحضارةالعربية على الغرب الأوروبي.

والحقيقة ان شعوبا كثيرة لم تحقق ما تحققه العرب، برغم ما كانت تمتلك، تلك الشعوب من مقومات الحضارة ما يؤهلها لذلك. فبيزنطة مثلا وريثة الحضارتين الشرقية والاغريقية بقيت على جهالتها وفارس اقتبست من حضارات الصين والهند والاغريق وكانت أسعد حظا من بيزنطة.

كانت انجلترا الانجلوسكسونيين في القرن السابع الميلادي إلى ما بعد العاشر فقيرة، وتنتشر في أرضها الأمراض والاوبئة. وأهلها لايعرفون النظافة، وكانت الاسرة الواحدة تنام في حجرة واحدة.

وكان شرلمان، أعظم ملوك أوروبا أقرب إلى الأمية، وكانت كتب الفلسفة والعلوم المادية والادبية يتنافس فيها علماء العرب في بغداد وقرطبة، وكانت الكتب تترجم من اللغة العجمية إلى العربية.. هذا هو حال أوربا الغربية.

أما أوربا الشرقية فكان نصيبها لا يقل عن مثيلاتها. ولم تخلص روسيا من كابوس الجهل الا في القرن الثامن عشر على يد بطرس الاكبر.

الميادين وأثر العرب في حضارتها:

الكيمياء

يعد (جابر بن حيان) أكبر كيميائي في التاريخ الانساني في تلك العصور وله اثر كبير في تكوين مدرسة كيماوية ذات اثر بالغ في بلاد الغرب، وترجمت عدة مقالات له إلى اللاتينية.وألف كتابه (الاستتمام) وترجم إلى اللغة الفرنسية في سنة ١٦٧٢م.

وقد توصل العرب إلى تركيب (المواد المفرقة)، واستخدمت هذه المواد ليس في الحرب فقط ولكن في السلم ايضا وبنقل وترجمة هذه الكتب (كتب جابر بن حيان والرازي) إلى اللغات الاوربية، قام الاوروبيون بتقسيم المواد الكيماوية إلى مواد نباتية وحيوانية ومعدنية، وحتى الآن نجد ان هناك أسماء وكلمات عربية ما تزال بمعناها في القواميس الاجنبية مثل الاكسير – صودا – عطار – بنزين – الكحول.. إلخ. ويدين الطب الغربي لعلم الكيمياء العربي بأشكال من العقاقير وغيرها.

الصيدلة

بعد ان مات قسطنطين الافريقي وضع عميد كلية الطب في سالرنو كتابا على الطريقة العربية واخذ الغرب عن العرب علوم الاقرباذين، وطرق استخلاص الادوية وتحضيرها كما انتشر في البلاد الغربية العقاقير الطبية، وكذلك كتب كثيرة تعلم منها أجيال من الصيادلة الغربيين.

الرياضيات

الثابت ان الغرب لم يعرف الصفر قبل القرن الثاني عشر الميلادي، اما المسلمون – وهذا واضح من المصادر العربية – فكانوا يعرفونه من القرن الثامن، وكانوا يرسمونه حلقة، والتعبير عن الصفر موجود في مصادر اخري كثيرة منها كتاب (النقط) لابي عمرو عثمان ابن سعيد الداني.

لم يقتصر فضل العرب على علم الحساب فقط، ولكن امتد إلى علم الجبر الذي اخذه الاوربيون عن العرب، ومازال حتى الان محتفظا باسمه العربي في كافة اللغات الأوروبية، وتم وضع كتاب في هذا العلم الفه (محمد بن موسى الخوارزمي)، ونقله إلى اللاتينية (روبرت الشسترى) سنة ١١٤٥م، وعالم آخر له فضل على



الغرب في علم الجبر هو أبو بكر محمد بن حسن الكرخي) ومن مؤلفاته (الفخري في الجبر والمقابلة) وكتاب: (الكافي في الحساب).

الهندسة وعلم المثلثات

كان للعرب الفضل في ترجمة كتاب اقليدس في الهندسة، ونقلها عنهم الاوروبيون الي اللاتينية في القرن الثاني عشر وأدخل العرب المماس إلى علم حساب المثلثات وحلوا المعادلات المكعبة، كما اقاموا الجيوب مقام الاوتار وتعمقوا في أبحاث المخروطات.

واهتم العرب بعلم الميكانيكا، حتى أننا نجد (الطومس) المتوفي سنة ١٢٧٤م ترجم (الكرة المتحركة لاوطولوقس)، وليس أدل على أثر العرب في الرياضيات ان البابا سلفستروس الثاني واسمه جربرت كان يحب الأرقام التسعة التي تعلمها عن العرب، وأخذ الاوربيون عن العرب فن الحساب في السدس الاعشاري وتقسيم الدائرة إلى ستين جزاء، ونجد نظرية الفارابي ونظرية ابن سينا في الاحجام اللامتناهية الصغرة هي التي امدت العلماء الغربيين فيما بعد بنظرياتهم في الذرة.

الطب

كان قانون ابن سينا في الطب موضع اهتمام الغرب منذ القرن الثالث عشر إلى السادس عشر، واعتمدت كليات الطب في أوربا على كتب الرازي زمنا طويلا لذلك فان كتب الرازي وابن سينا كانت اساسا للتدريس في جامعة لوفان في القرن السابع عشر من الميلاد.

وعند الفرنسيين كان الطب العربي اساس علم الطب، وسبق العرب الاوربيين إلى وصف بعض الامراض، مثل الجذام ومرض الحصبة ومرض الجدري وغير ذلك. ولم يكن عالم واحد من مراكز العلم الاوربية إلا ومد يديه إلى الكتب العربية. ولم يكن هناك كتاب واحد في أوربا خلال هذه الحقبة الا ونهل من الكتب العربية، وكانت هناك كتب كثيرة لابن سينا وحنين بن اسحق والرازي وابن زهر. وأول وصف الكافور لإنعاش القلب هم الاطباء العرب، وكذلك القهوة المطحونة كعلاج لالتهاب اللوزتين وغير ذلك.



الجراحة

كتاب ابي القاسم خلف بن العباس الشهير بالزهراوي هو (التعريف بمن عجز عن التأليف) هذا الكتاب كان المصدر الاول لجميع الجراحين في القرن الرابع عشر، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية سنة ١٤٩٧م ثم طبع مرة اخرى سنة ١٨٦١م، وهذا الكتاب وضع اسس الجراحة الاوروبية.

الفلسفة

يجمع الباحثون على أن ابن رشد هو اهم فيلسوف عربي درس الفسلفة الارسطية وانتقد أرسطو كثيرا، ووضع اساس فلسفة عربية رائدة، وقد ادرك الاوروبيون قيمة هذا الفيلسوف العربي فقام (ميخائيل سكوت) سنة ١٢٣٠م بترجمة أعمال ابن رشد إلى اللاتينية.

وكان ابن رشد في القرن الخامس عشر هو المعلم الاكبر دون منازع في كلية بادوا بايطاليا، وظهرت آثار آراء ابن رشد في فلسفة القديس (توما الاكويني) (١٢٢٥ - ١٢٧٤م)، وماكتبه توما عن العقل والعقيدة وعجز المقال، عن ادراك الاسرار الالهية ليس الا مقابلا يسيرا لما كتبه ابن رشد في كتاب (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) وقد تأثر توما تأثرا بالغا بفلسفة ابن رشد لدرجة ان كتاب (الخلاصة) لتوما يحوى بعض المذاهب اسلامية الأصل.

الفلك

الاسماء العربية باقية بلفظها في المعجمات الفلكية الاوروبية، سواء من اسماء الكواكب والنجوم، او اسماء المدارات والمصطلحات، واهم هذه المؤلفات هو (كتاب الزيج الصابي) للبتاني، مما كان له اثر عظيم في تقدم العلم في أوربا في العصور الوسطى وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر، وقد امر (الفونسو العاشر) ملك قشتالة بترجمته من العربية الى الاسبانية في القرن الثالث عشر. وكان العرب في القرن السابع عشر ومابعده هم سادة البحر الأبيض المتوسط، وأعطوا الطليان والفرنسيس الألفاظ البحرية.

كما أقدموا على قياس خط نصف النهار الذي لم يوفق له علماء أوربا إلا بعد مرور ألف سنة، وقام العرب باكتشاف حركات الكواكب السيارة على شكل بيضي، وقدموا اختراعا ت أخرى تشبه المعجزات مبتكرين آلات مختلفة للمراقبة والقياسات.

وهكذا نجد ان للعرب فضلا كبيرا على الحضارة الاوروبية، وقد شهد بذلك (لبتري) عندما قال: (لو حذف العرب من التاريخ لتأخرت نهضة الآدب عدة قرون في الغرب) ولولا المعارف العربية لكان وجود الفكر الأوربي الحالي مستحيلا

*باحث مصري

النوم .. ولماذا على الجنب الأيمن ؟

إننا نذهب كل يوم إلي عالم آخر. يأخذنا في أي وقت ونحن في أي وضع وهو نعمة من الله عز وجل وحق من حقوق البدن مما قام به، ويكون أساسا لعمل فعال بعد الاستيقاظ، وهذا العالم يأخذ ثلث عمرنا تقريبا ولكي لا يكون هذا سلبيا فله وقت بل وله وضع معين كي يسعد الإنسان به كما يسعد بيقظته.

بقلم الأستاذ / البدري محمد الهادي مطاوع

* يتطهر قبل النوم - إن أحتاج - وينام على يمينه، ويذكر الله عز وجل حتى يأخذه النوم، ويدعو إذا تحار من الليل ويحمد الله إذا انتبه.

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم أضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك أمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت فإن مت مت على الفطرة فاجعلهن أخر ما تقول» البخاري

لماذا النوم على الجنب الأيمن

الجاذبية الأرضية مع القلب-الكلية اليسرى أكبر من اليمنى-الرئة اليسرى أصغر من اليمنى-الكبد أكبر أعضاء الجسم البشري

* صدقت يا سيد المرسلين وطبيب الحائرين فيما قلت فقولك الحق.

«النوم على الجنب الأيمن»

منذ ١٤ قرن تقريبا يؤكد كبار الأطباء وعلماء الطب أن النوم على الجنب الأيمن هو أفضل أوضاع النوم بل وإنه لا يجب أن نقارن بين النوم على الجنب الأيمن وأي وضع آخر وذلك لفوائده ومنافعه المتعددة عن أي وضع اخر وأكده سيد الرسلين وطبيب الحائرين حيث قال اضطجع فهو أمرٌ لنا أثناء النوم وأمر للعلماء لكي يفسروا سر النوم على الجنب الأيمن.

١ - لكي لا يضغط الكبد (أكبر غدة في الجسم البشري) بوزنه الثقيل على الأعضاء بداخل البطن.

٢ - الرئة اليسرى أصغر من الرئة اليمنى التي يقع عليها الضغط، عن الرئة اليسرى وبالتالي يتساويان في حجم الهواء بالداخل.

٣ - الكلية اليسرى أكبر من الكلية اليمنى وبالتالي تقدر الكلية اليسرى على جذب كمية من الدم تعادل الكلية اليمنى.

٤ - القلب مائل جهة اليسار وبالتالي يكون منسابا لأسفل (مع الجاذبية الأرضية) جهة اليمين التي هي أكبر من الجزء العلوي جهة اليسار.

وبالتالي يرتاح القلب عما لو نمنا على الجنب الأيسر في عدد الضربات وكمية الدفع في الضربة الواحدة ولكي لا يكون الدم في جهة اليسار أسرع منه في جهة اليمين.

حالات النوم

النوم البطيء نتيجة لنشاط قشرة المخ بينما النوم السريع نتيجة جذع المخ

تحدث حالتان غير متشابهتان ومتكررتان أثناء النوم تتمثلان في

١ - حالة (مرحلة) النوم البطيء - المنتظم : بدون أحلام، مع موجات بطيئة من نشاط الدماغ.

٢ - حالة (مرحلة) النوم السريع - غير المنتظم : مع حدوث أحلام نشاطة ومؤثرة وسرعة حركة مقلة العين، وأضطرابات شديدة للنغمة العضلية.

وتبلغ مرحلة النوم البطيء - المنتظم من ٧٥ : ٨٠٪ من زمن فترة النوم الكلية لدى الإنسان.يتخللها حالات من النوم السريع أكثر من مرة، ويعتقد أن النوع البطيء نتيجة نشاط قشرة المخ، والنوم السريع نتيجة نشاط الجزء الأسفل من جذع (ساق) المخ وكلتا المرحلتين من النوم ضرورتيين وحيويتين. وتتحكم قشرة المخ في نشاط مراكز تحت القشرة فيما يتعلق بثبات عمليتي النوم واليقظة، وكذلك تنظيم الوظائف اللا إرادية أثناء النوم، والمتصلة باستشفاء (العودة إلى الحالة الطبيعية) لمختلف الأجهزة والأعضاء.

أوقات وساعات النوم الضرورية للإنسان

الشخص البالغ يحتاج إلى ٦ - ٨ ساعات أنس أوقات النوم هو النوم ليلا.

﴿وجعلنا نومكم سباتا. وجعلنا الليل لباسا. وجعلنا النهار معاشا﴾ النبأ/ ٩ - ١١.

وأكد علماء الطب وعلم النفس أن في الليل تنشط الهورمونات وخاصة وقت الظلام

معالم على طريق الإيمان

بقلم: د. محمد شتا أبو سعد

إن الإسلام دين القلب النقي، والنية الصادقة الصافية، والإخلاص التام، في ظل التوحيد الخالص، وما على العبد بعد ذلك، إن أسعد نفسه طالما كان قلبه عامرا بتقوى الله.

ولايتصورن أحد، أن كل إنسان يستطيع كبح جماح نفسه الأمارة بالسوء التي قد تدفع صاحبها الى حب الدنيا، إلى درجة تمكنها منه، واستيلائها على كل جوارحه وقدراته، بحيث لا يتصرف إلا لتحقيق كل ما هو دنيوي.

نعم قليلون هم الذين يستطيعون التغلب على مطالب الدنيا، ونزغات الشيطان فيها، ولكن الأمر مقدور، بحول الله وقوته، إذا بدأ كل مسلم بتربية أولاده على حب الآخرة، فالتربية الروحية هي الطريق الصحيح لتحقيق الغنى الحقيقي بالآخرة على الدنيا، وهي تربية تحتاج الى مساندة إعلامية، وإلا فإن الاعلام غير الملتزم يجهض كل خطوات التربية.

فالتربية هي سبيل بناء الاجيال التي تستغني بالآخرة عن الدنيا فتتمثل سلوك السلف القويم وعقيدتهم الراسخة، من أجل تحقيق آمال المستقبل بالفهم الدقيق للدين، والإيمان العميق برب العالمين، هما سبيل الحب الوثيق للآخرة.

الإيمان حقيقة عقلية

إن الإيمان ليس فكرة عاطفية وإنما هو حقيقة عقلية، إذا صحت، تحركت الإرادة الإنسانية صوب الحق في الآخرة، متغلبة على كل صعاب الحياة الدنيا، من خلال التربية الروحية..

القلب الموصول بالله

وعماد التربية الروحية، هو القلب الحي الموصول بالله، الذي لا ينبض بحب شيء سواه، ولذا فإن خشية الله تملأ كل جنباته فلا تترك لحب الدنيا فيه مكانا أو مجالا، وهذا هو معنى القلب الموصول بالله، أما ادعاء الوصول لله فهذا تخريف صوفي وعفن فكري يهدم أصول العقيدة وينقض أركان الإسلام والايمان والاحسان.

ورحمة الله تحل بهذا القلب لا محالة، فيكون مهبط تجلياته، وكيف لا والله سبحانه وتعالى لا ينظر الى صورنا وإنما ينظر الى قلوبنا. نظرة رضي بسلوك العبد الذي جعل الآخرة غايته: ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتي الله بقلب سليم ﴾ [الشعراء ٨٨و ٨٩].

أدران المادة

إن التربية الروحية تتجه الى قلب المؤمن، تحييه فلا يتعلق بالدنيا، وتستنقذه من أدران المادة فلا يخضع لها، وتعمره بالعقيدة فلا يخربها، وترققه بالرحمة فلا يقسو، وتعلمه الوفاء العهد مع الله فلا ينقض ميثاقا أبدا، ولايكون كبني إسرائيل حيث ذمهم الله تعالى بقوله: ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾. [المائدة :١٣]

فإذا تمت تربية العبد تربية روحية، ذكر الله فاطمأن قلبه ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [الرعد:٢٨] وأناب إلى الله وخشى ربه، وتوكل عليه، وعندئذ لا يكون للفقر معنى في قاموس المؤمن، إن الصعب يسهل بين يديه، فلا المتاعب تنال منه، ولا المشاق تثني إرادته ولا العذاب الدنيوي يوقف مسيرته نحو الله.



والهدوء ولا مانع من أن يأخذ الفرد قدر ساعة بعد الغذاء إن شعر بالنوم وإن لم يشعر لا ينام.

وأكدوا كذلك أن أفضل أوقات النوم ما بين الساعة ١٠ أو ١١ مساء وحتى الساعة ٥ أو ٦ صباحا.

ساعات النوم الضرورية للإنسان

تختلف ساعات النوم من شخص لآخر وحسب العمر والشخصية والحالة النفسية والحالة البدنية.

ولذا من الطبيعي حدوث تفاوت في ساعة أو ساعتين من عدد ساعات النوم بين أبناء المرحلة الواحدة. ويحتاج الأطفال في الثلاثة أشهر الأولى من عمرهم إلى عشرين ساعة ومن ١٦ - ١٨ ساعة حين يكون عمره ستة أشهر ١٤ - ١٥ ساعة عندما يكون عمره سنة. وتقل تدريجيا ساعات النوم من ٦ - ٨ ساعات في الشخص البالغ ثم تقل بعد ذلك وتصل للكبار من ٦ - ٤ ساعات ومن المعلوم أنه كلما كانت حركة الشخص مستمرة ومتواصلة أثناء النهار كلما كانت ساعات النوم أكثر وأعمق.

التغيرات التي تحدث أثناء النوم

الأم تصحو عند سماع بكاء طفلها

النوم يعتبر الجزء المكمل لليقظة على مدى اليوم فهو ليس حالة خمود أو حالة سلبية كما يعتقد بل هناك أنشطة وتغيرات عديدة تحدث أثناء النوم. مثلا تستمر حركات الجسم وتقلباته، يزيد مجرى الدم في المخ أثناء النوم عنه أثناء اليقظة ينشط الجهاز الباراسمبثاوي في الجهاز العصبي اللا ارادي. وأحيانا يبدو عل النائم أنه غير منتبه.. إلا أن عدم الانتباه يأخذ مجرى أنتعائي. فالأم تنام نوما عميقا وحولها ضجيج الشارع أو الراديو ولكنها تصحو في الحال عند سماع بكاء طفلها. معنى ذلك أن هناك أجهزة معينة في حالة نشاط، هذه الأجهزة مخصصة لالتقاط منبهات معينة مثل صوت الطفل مثلا.كما تتغير بعض وظائف الجسم فمثلا يزداد معدل إفراز الهرومونات المسؤولة عن نمو الجسم ويزداد نشاط الغدة الدرقية، بينما تقل إفرازات الفم والأنف والزور ويحدث تقلص لعضلة العين ويقل معدل ضربات القلب كما يقل ضغط الدم وينخفض معدل العمليات الحيوية في الجسم وتنخفض درجة حرار الجسم.

المراجع

١ - أسرار النوم تأليف : الكسندر يوريلي - ترجملة د. : أحمد عبدالعزيز سلامة / سلسلة عالم المعرفة.

٢ - الصحة الشخصية في المجال الرياضي - د. على جلال الدين - جامعة الزقازيق

٣ - المجلة العربية - العدد ١٢٢ دار الأسفهان بجدة.

٤ - عذابك له علاج - د. أحمد عكاشة مؤسسة - أخبار اليوم.

٥ - مجلة العلم - العدد ١٣٢ - أكاديمية البحث العلمي بمصر.

حب الدنيا مأساة

أن التربية الروحية تحول دون تمكن حب الدنيا من قلب المؤمن، فلا تنبت شجرة الخطيئة فيه، ولا يصبح حب الشهوات هو كل غايته ومراده، ولا يصبح للبحث عن الجاه والسلطان مكان في حياته، فهو يلوذ بجاه من لا جاه قبله، ويحتمي بسلطان من لا سلطان بعده، فلاحب الشهرة يحركه، ولاشح النفس يتمكن منه، ولا هواه يسيطر عليه، ولا إعجابه بنفسه يقوده الى حتفه.

التزام الكتاب والسنة

وتقوم التربية الروحية على التزام القرآن الكريم منهجا والسنة النبوية المطهرة طريقة حياة، والتقرب إلى الله بالفرائض، وملازمة الجماعة في صلاتها وتحركاتها.

العقيدة تقهر الشهوات

وبهذا الوضوح تملأ العقيدة الصافية قلب المؤمن، فينشغل بالآمال الكبيرة عن الشهوات الصغيرة، وبحقائق الآخرة عن أوهام الدنيا، ويصحو الضمير عن موت الأفئدة، وبالتوبة عن الأسباب الموقعة في الخطأ.

طريق التوحيد

إن التربية الروحية تربط على قلوب المؤمنين في كل مكان فلايفصل بينهم زمان أو مكان، وإنما ينتظم هذه القلوب طريق واحد هو طريق التوحيد، الذي تذوب فيه الألوان والأشكال والصور والأحساب والأنساب والأعراق، ويصبح المسلم للمسلم ساعده الذي يدفع عنه الأذى، ويحب له الخير، ويحول دون استضعافه، فترتفع راية التوحيد عالية خفاقة، تأنس لها كل القلوب، العامرة بالإيمان، فتختفي آثار عصور التخلف وما أدخل على الإسلام من شوائب وبدع، وتزول آثار الغزو الفكري والاستعمار الثقافي، وتنتشر الأصول الحقيقية لهذه العقيدة الصافية من خلال توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية، فلا توجه العبادة إلا الى الله وتوحيد أسماء الله وصفاته، ويتحول كل مسلم إلى أداة بناء سبيلها الإخلاص والثبات والثقة في أن نصر الله قريب، وغايتها فعل الخير الذي هو مهمة الأمة المسلمة، ووسيلتها الحكمة والموعظة الحسنة وعدم الخوف من لومة اللائمين ولا ثورة الحاسدين، ولا عقبات الكائدين الضالين المضلين.

أثر تحقق التربية الروحية على الحقيقة الإيمانية

فإذا حققت التربية الروحية، فقد انفتحت الأبواب أمام نشر الحقيقة الإيمانية، تلك الحقيقة التي توصل إلى أعلى المراتب في الآخرة، حتى وإن لم يدرك الإنسان كل مراده في الدنيا.

وقد لا يتقبل الشباب ذلك بسهوله، ولهؤلاء نقول كلمة هادئة، الباب مفتوح أمامكم، فاختاروا السبيل الذي تريدونه، فإن اخترتم طريق الخير نلتم الرضوان، وإن اخترتم طريق الباطل فلن تجنوا سوى الخسران.

وطريق الرضوان، هو طريق مراتب الآخرة، التي يتربع على قمتها رسل الله، وهم المصطفون من عباده الذين يستحقون السلام ﴿ وسلام على المرسلين ﴾ [الصافات:١٨١]، ثم أنبياء الله، ثم ورثة الرسل وخلفاؤهم في أممهم من الصديقين وغيرهم. ثم أئمة العدل، والمجاهدون في سبيل الله، وأهل الإيثار والإحسان، ثم أهل النجاة من النار، ثم أهل التوبة النصوح، ومن يلحق بهم من أهل الأعراف.

طريق الخسران

أما طريق الخسران، فهو طريق أهل الشر والمحنة والبلية، ومن عرفوا الطاعة فعصوا، وعرفوا المعصية فاجترحوا السيئات ولم يطيعوا، ورؤساء الكفر وأئمته ومقلدوهم من الإنس والجن.

السلفية لا تضيق بالمعاصرة

وهذه الحقائق لا تزال تفرض نفسها كل يوم في عالم طغت فيه المادة حتى أعمت البصائر والأفئدة، وصار لها اتباع يقولون مالنا بماضينا، علينا بعصرنا، وهؤلاء يرددون كلاما لا يفهمونه، أو يفهمونه، ويريدون به هدم العقيدة، فالسلفية لا تتعارض أبدا مع مستلزمات الحياة العصرية، ومقتضيات العلم، وموجبات الحضارة والمدنية والتطور، ولكن أي حضارة بمنأى عن الكتاب والسنة إنما هي خسارة، وكل مدنية بمنأى عن الكتاب والسنة إنما هي زراية وبلية، وكل تطور بمنأى عن هدي السلف إنما هو تهور أحمق، يهدم ولا يبني، ومن هنا كانت العقيدة هي العاصم من القواصم، والشريعة هي سبيل الحياة المستقيمة، وحب الآخرة، هو الأساس الوحيد لسير الحياة الدنيا بانتظام وبلا تهارج أو فساد، أما ماعدا ذلك من حب الدنيا حتى تصبح هذه الدنيا أكبرهم الإنسان، فإنه سبيل الهلاك والضياع، ولانجاة من كل ذلك إلا بالتربية الروحية الواعية، والدعوة الصادقة الصافية المخلصة إلى الله، والعمل الجاد المنتج الذي لا يبتغي به العامل سوى وجه الله، الذي يقوم به، كعبادة قوامها حب الله وعباد الله أجمعين.

وآن أوان الصدقة

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بشر بن جحاش القرشي أن رسول الله ﷺ بصق يوما في كفه فوضع عليها إصبعه ثم قال: قال الله تعالى: «ياابن آدم: أني تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذ سويتك وعدلتك، مشيت بين بردين، وللأرض منك وئير، فجمعت ومنعت حتى

الإسلام دين القلب النقي والنية الصادقة الصافية والإخلاص التام

معالم على طريق الإيمان

إذا بلغت التراقي قلت: أتصــدق، وآن أوان الصدقة».

لا يجوز نسيان الله تعالى

هذا الحديث الشريف، يبين لكل ذي بصيره أن من ينسى الله في كل الأوقـات، لا يكفيه أن يتـذكره في أحلك اللحظات. فمن نسى نفسه، نسي حقيقـة فقره إلى الله، وحـاجته إلى معونته، والإنسان لا ينسى نفسه إلا إذا كان أشـد التصاقا بالـدنيا بحيث يستغني بها عن خـالقها. من أراد النجـاة فعليه أن يتذكر الله، ولن يتحقق ذلك، إلا إذا نظر إلى نفسه نظـرة عتاب وحسـاب وعقاب، فهـو يجب أن يعـاتب نفســه لأنها أبعـدتـه بالاستغنـاء عن الله عن مـرتبة العبـودية، وهـو يجب أن يحاسبها لأنها صرفتـه عن الطريق الموصلـة إلى هذه العبوديـة الحقة، ويعاقبهـا لأنها جعلته بالاستغنـاء عن الله ينأى كلية عن مـرتبة كمال العبوديـة، وما أدرك ما مرتبة كمال العبودية ؟

إنها مـرحلة الإحسـاس بحـاجة العبـد إلى المعبـود وعدم استغنـائه عنـه طرفـة عين، مهما بلغ غناه، ومهما كانت منزلته.

ولنـا في رسـول اللـه ﷺ الأسـوة الحسنة: فلقد كان يدعو الله قائلا: «أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طـرفة عين، ولا إلى أحـد من خلقك» وكان من أحب دعـائه إلى نفسـه«يـا مقلب القلـوب، ثبت قلبي على دينك» وكـان لا يقبل الإطراء لأنه بـوصف العبـودية الحقـة أحق وأولى من إطـراءات البشر التي لا وزن لها عند اللـه. فكان ﷺ يقول: «أيها النـاس، ما أحب أن تـرفعوني فوق منـزلتي إنما أنا عبد اللـه»، وكان ﷺ يقول : «لا تطـروني كما أطرت النصـارى المسيح بن مريم، إنما أنـا عبد، فقولـوا عبد الله ورسوله».

فعلى من أراد مقـام العبـوديـة الحقـة، أن يحقق في ذاتـه فقـره إلى اللـه، الـذي يجعل الصدقة تخرج من بين يديه بلا حساب ولا خـوف من الفقر المادي، لأنـه في جنب اللـه أغنى من كل عباد الله، وبعبوديته الحقة له أكثر قـربا من الله، ومن كان هـذا شأنه لا ينتظر لحظة الموت لكي يتـوب فيها، أو لكي يطلب إمهاله للتصدق خلالها فعندها يكون الأوان قد فات.

إحساس المؤمن الصادق بالفقر إلى الله

إن المؤمن الصـادق، الـذي بلـغ مـرتبـة العبوديـة الحقيقية، حتى وإن لم يصل إلى مـرتبـة كمال العبوديـة، هـو الـذي يحس ويشعر أن نفسه ليست ملكا له، وإنما هي ملك لخالقه، ولذا فإنه يشعر أن كل ما يملك هو ملك للـه الذي منحه وأعطـاه، فلم يطو بـاطنه على حب الـدنيـا، ولم يلوث نفسـه بأدران المال عندمـا يكسب دون وجه حق، بل يشعـر أنه لـو ملك وزن جبـال الأرض مالا لما تعلقت بـه نفسه، ولما كان المال أكبر همه، ولما دفعه إلى اكتنازه وحبسه عن عباد الله، ولما فعل أقل من إعطاء المحتاج.

الفقير إلى الله

الفقير إلى اللـه هو الـذي يستغني بما عنـد مــولاه المالك الحق – مـن بيــده خـزائن وملكـوت السماوات والأرض – عن كل من سواه وما سـواه. فلا يجزع لنقصان المال، ولا يهلع لقلتـه، فما المال إلا وديعة في يـده، ومـا يده المالكـة – اضـافـة – إلا مملوكـة حقيقة للملك الديان. إن شاء أغنى وإن شاء أقنى، إن شـاء منح وإن شـاء منع، إن شاء أبقى وإن شاء أذهب.

إن افتقـار العبـد إلى اللـه يحول دون طغيانه، ولا طغيـان إلا بسبب مادة تهبط على قلب خال من عبـادة الله، فتمـلأ هذا القلب بالمادة الزائلة، ولا يصبح فيه مكان للملك الأوحد، ولاحـول ولا قوة إلا بـالله، ومن دائرة جمع المال ينتقل الانســان الى دائرة المحافظة عليه، وحراسته لمن يتمتع من بعده به.

تأمل في ذلك كلـه قول اللـه تعالى: ﴿ كلا إن الانســان ليطغى. أن رآه استغنى ﴾ [العلق:٦و٧]. وتأمل قوله تعالى: ﴿ وأما من بخل واستغنى. وكـذب بـالحسنى. فسنيسره للعسرى ﴾ [الليل:٨ – ١٠].

العبد الحقيقي

العبـد الحقيقي، إذن هـو الفقير إلى اللـه، وهو في فقـره له، أغنى النـاس به، وكيف لا؛ وقـد نفض يـده من الدنيـا وزينتهـا وأسكت لسـانه عن الحديث في ملـذاتها، وشهواتها، ولم يـدع في قلبه ثغـرة واحدة ينفذ منهـا الشيطان ليذهب منها بـروعة الإيمان المتمثل في عدم اللجـوء إلا إلى الملك الديان.

ضرورة الإعراض عن الدنيا

إن الإعـراض عن الــدنيـا ضرورة من ضرورات كمال إيمان المسلم، في هــذا الـزمن الذي كثـرت فيـه الإغراءات، فـلا يطلبها – أي الدنيا – وإن سعت إليه، ولا يذمها وإن قست عليـه، ولا يمدحها وإن أقبلت عليـه، ولا يتركها وإن أسـاءت إليه بمن فيها من شياطين الإنس والجن.

المؤمن الفقير إلى ربه ينظر إلى الدنيا معبراً لنيل المآل وما أشرفه، ومرقاة للوصول إلى الحق ومـا أجلاه، وسبيـلا يجب أن تظل مشرقـة فلا تمتلىء بظـلام النفـوس، ولا ســوء الطبـاع، ولاظلمــة الهوى، وإنما يغترف من فيض الكتـاب والحكمــة مـا يجعلـه مـن أهل الاستقـامــة الــذين لا يقبلون الضلال.

إن الفقير إلى الله، هو الغني بـالتوحيد، الســاكن قلبه بـالعقيدة، الآنسة نفســه بالإيمان، الصافية روحه بالاطمئنان. إنه لا يقر بغير اللـه ربا وإلها، فمحبته قـوته

عماد التربيــة الــروحيــة، هــو القلب الحي الموصول بالله، الذي لا ينبض بحب شيء سواه

وطاعته طمأنينته، ورضاه غايته فأنى لمثل هذا أن يضيع وإن ضاع الجميع؟

فقدان الإخلاص

فأين هذا ممن فقد الإخلاص، وراء جهال الناس قبل غيرهم، وأضاع أنفاسه في غير مرضاة الله، فنام ليله كله ولم تدمع عينه فيه برهة وهو يناجي ربه، وبدل أن يحسب سيئاته ليكفر عنها، ظل نهاره يحسب أرصدته التي سيتركها، فتكون عليه، بدل أن تكون له، مشى في طريق الفقر غشا وخداعا ورياء، ويحسب أن الغنى فيه، لم يطمع في مقام أعلى، ولم يتطلع إلى منزلة صدق أبدي، خاصم الإحسان، وبارز بالمعاصي الملك الديان، تعلق بالدنيا، وقطع علاقته بالآخرة، ونسى أن الدنيا عدم، وأن الآخرة هي دار الرضوان، أخلد إلى الحضيض، ولم يصعد منه شيء الى رب العباد، من كلم طيب أو عمل صالح، ونسى قول الله تعالى: ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ [فاطر:١٠]. وكيف يفكر في الخير من لم يعرف ربه، فضاعت نفسه، وتشتت قلبه وفقد قبلته وافتقد سكينته، فتأله وتعبد لمخلوق مثله، ونسي من على العرش استوى، من له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

والله من ورائهم محيط

إن الغني الحقيقي هو من افتقر إلى الله، والفقير الحقيقي هو من استغنى عن الله، فهو ممن يسمعون آيات التقوى ولكنهم يعصون، ويتعللون بأنهم عصوا الله في شيء، لكنهم مذعنون لإرادته في كل شيء، وهؤلاء هم شر البرية، إنه لا يكفيك أن تعترف بربوبية ربك، وإنما يجب أن توحده توحيد ألوهية، وهي تستلزم ولوج العبودية الحقيقية، وتتطلب تنزيهه سبحانه وتعالى وطاعته جل شأنه أيما تنزيه وطاعة.

والافتقار إلى الله يستلزم أمورا كثيرة أهمها تقواه، وعدم عصيانه وتحكيم شرعه وعدم الانسلاخ من شريعته، والبراءة من كل دعاوي الجاهلية، ومن أمثلتها الاحتكام إلى القوانين الوضعية غير المستقاة من الشريعة الإسلامية، وامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه والاعتماد التام على الله، والاهتداء به وحده والاذعان لمشيئته، والرضا بقضائه وقدره، فهو مالك الإرادات ورب القلوب ومطببها ومصرفها كيف يشاء.

تحكيم كتاب الله

كما يستلزم الافتقار إلى الله تحكيم كتابه وسنته قبل ركون الانسان لعقله وإرادته، وعدم معاندة الفطرة، وعدم الانحراف عن الحق، أو الزيغ عن الهدى، أو الشك في الثواب والعقاب، وعدم الاستغاثة إلا به، مع الفكاك من كل يد إلا يده، وإظهار ضرورة الاحتياج إليه، والتذلل له وعدم نسبه طلاقة القدرة إلا اليه، وعدم الخروج من رفعة العبودية الى ذل الملذات الدنيوية.

خطأ الصوفية

ويخطيء الصوفية عندما يستغنون بتوحيد الربوبية عن، توحيد الألوهية أو توحيد العبادة، لأن الاعتراف بأن الله الخالق الرازق لا يكفي، والفناء الإنساني كما يقال عادة عندهم، في هذا الصدد لا يكفي، وإنما يجب أن تصرف كل العبادة الى الله دون إشراك أحد معه فيها سواه، وهذه مسألة تغيب عن معظم المتصوفين.

الاستقامة في العبادة

إن الفقر إلى الله، يعني الاستقامة في عبادته، فيقلع الغني عن كل ما سواه، فلا توسل بصالح أو نبي، ولا طلب للشفاعة في الحياة الدنيا من صالح أو نبي، ولا عبادة للقبور، ولا رفع لها لتكريم من فيها، وإلا فأين الغنى بالحق عن كل ما سواه، وهو جماع الفقر الى الله.

احاطة الله بكل شيء

إن سبب وجود تجرد العبد في عبادته وافتقاره الى الله وحده يكمن في إحاطة الملك العلام بكل ما في العالم وبكل ما في خواطر الأنام، فكل العوالم في قبضة الله وإحاطته، قال تعالى: ﴿ واذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس ﴾ [الإسراء:٦٠] وقال سبحانه: ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ [البروج:٢٠]، وقال عز من قائل: ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾ [البقرة:١٥].وإذا كان الانسان في حياته يفتقر الى قريب منه، والأولى، ولله المثل الأعلى، أن يكون افتقار الإنسان الى من هو أقرب اليه من حبل الوريد. قال تعالى: ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقال سبحانه: ﴿ إن رحمة اله قريب من المحسنين ﴾ [الأعراف:٥٦].

الافتقار الى الله أساس

الحركة الإيمانية

إن العابد المخلص لله، هو من يجعل افتقاره إليه، أساس حركته الإيمانية في الحياة، فيخلص عبادته لله في كل شيء، ويخلص معاملاته مع عباد الله في كل شيء، ويحفظ جوارحه عن المساس بمحارم الله وحقوق الآخرين، ولاياكل إلا حلالا، ولاينشد إلا حلالا، ولايقول إلا حقا وصدقا، وليست تلك مطالب مثالية، ولكن الناس حين انحرفوا عن السبيل ظنوا الواجب غير ممكن، واللازم غير ضروري، والمفروض غير ملزم، ولكن العودة إلى الطريق ميسورة بحول الله، فقط على الإنسان أن يبدأ من جديد، من نقطة التوحيد الخالص، وعندها لن يضل أبدا، لأنه بفقره الى الله، سيكون أغنى الناس به عمن سواه، وكيف لا وهو في كنف التوحيد، يعيش أعظم معاني السلام، فالإسلام دين السلام، الذي يجب أن يتمثله الفقير والغني، فالفقر لا يمنعه والغنى لا يقضي عليه ■

افتقار العبد إلى الله يحول دون طغيانه ويحفظ له إنسانيته

التكيف السليم أساسه الأخـلاق والديـن

تعد التربية الخلقية والدينية من أهم الشروط الأساسية للوصول إلى التكيف السليم، وذلك لأن التعاليم الدينية، والمبادىء الأخلاقية، والقيم الروحية، تجنب الفرد الوقوع في الزلل، وتبعده عن الخطأ، ومن هنا فهي تخفف إلى أبعد الحدود من حدة التوتر لدى الفرد، والذي ينتج عن تصارع الدوافع والاتجاهات، وما قد يترتب على ذلك من تردي الفرد في الأحساس بالذنب، واتهام الذات بالناتج عن ارتكاب الأخطاء.

ومما لا شك فيه أن الفرد يشعر بالأمان النفسي والطمأنينة الروحية، عندما يسلك طريقا معينا مقبولا، ولابد من أن يكون هذا الطريق مشتقا من قانون أخلاقي يستند إلى الدين.

بقلم: رجاء حنفي عبد المتجلي*

أولى اهتمامات رجال التربية

ولهذا فإن أهم مايجب أن يعنى به رجال التربية، ويبذلون في سبيله أقصى ما في استطاعتهم، دراسة أفضل الوسائل التي تستطيع بها الأسرة والمدرسة أن تساعد الأطفال على أن يحددوا لأنفسهم نظاما من القيم والمبادىء الخلقية، يستمدون منه موجهات سلوكهم، واتجاهاتهم الفكرية، وهذا النظام من المبادىء والتعاليم والقيم الأخلاقية الدينية يعد ركيزة أساسية، تقوم عليها عملية التكيف السليم، باعتباره المحدد للسلوك، والموجه للتفكير.

وليس السلوك سوى نشاط يقوم به الفرد، وهو يتعامل مع بيئته ويتكيف معها، والمقصود بالبيئة: مجموعة العوامل الخارجية التي يمكن أن تؤثر في نمو الكائن الحي ونشاطه، منذ تكوينه وإلى آخر حياته.

والبيئة إما مادية طبيعية، أو بيولوجية، أو اجتماعية، وتتلخص الأولى في طبيعة المكان الجغرافي الذي يعيش فيه الفرد، وفي درجات الحرارة والرطوبة، والاضاءة التي يتعرض لها، وما إلى غير ذلك، ويمكن اعتبار الدم وغيره من السوائل التي تحيط بخلايا الجسم بيئة بيولوجية لها.

أما البيئة الاجتماعية فيغذيها الجو الاجتماعي العام، ومايقوم فيه من قوانين ومعايير وقيم مختلفة، تسيطر على نواحي الحياة الإنسانية فيه، وتتفرع على هذه البيئة: البيئة الاقتصادية، والبيئة الثقافية، والبيئة العاطفية، أي: الجو العاطفي الذي يحيط بالفرد.

وبقدر ما يستند سلوك الطفل وتفكيره على نظام معين، بقدر ما يكون أقدر على التكيف النفسي السليم، ففي ضوء هذه التعاليم والمبادىء والقيم يعيش الفرد في إطار من الجو النفسي والفكري، يستمد منه على الدوام أنماطا سلوكية سليمة، وبالتالي تكيفا نفسيا صحيحا.

إن الفرد المتمسك بنظام معين من التعاليم والمبادىء والقيم

* ماجستير في العلوم والآداب – القاهرة

انما يتمسك في نفس الوقت بـ(الإطار المرجعي)، الذي يحدد أساليب سلوكه، ويجد فيه الفرد سندا قويا يلجأ إليه على الدوام، إذا ضاقت به الأمور، وحالت دونه الظروف.

واحساس الفرد بوجود (الإطار المرجعي) الذي يلجأ إليه، ويستمد منه راحته، واطمئنان نفسه، يكون بالتالي أمرا باعثا على شعور الفرد بالأمن النفسي، والصفاء الروحي.

التطبيع الاجتماعي

إن الطفل لا يولد إنسانا اجتماعيا، وعلى المجتمع أن يأخذ في صقله، وترويضه، وتعليمه، حتى تظهر إنسانيته من ثنايا طبيعته الحيوانية، وتسمى هذه العملية التي يتم بها تكيف الطفل لبيئته عملية (التطبيع الاجتماعي)، إذ إنها عملية تعلم غير مقصود، وتعليم مقصود، يقوم به الآباء والمربون، وغيرهم ممن يمثلون ثقافة المجتمع.

وعملية التطبيع هذه تستهدف تعليم الأفراد الامتثال لمطالب المجتمع، والاندماج في ثقافته، واتباع تقاليده، والخضوع لالتزاماته، ومجاراة الآخرين على وجه العموم.

والتربية الاجتماعية والخلقية التي يقوم بها كل من البيت والمدرسة، هي جوهر العملية التي تبدأ من المهد، ثم تستمر طول الحياة، عن طريق التفاعل مع الجماعات المختلفة التي ينتمي إليها الفرد.

والأسرة لها أثر كبير في تكوين شخصية الطفل، وهي سلاح قوي يستخدمه المجتمع في عملية (التطبيع الاجتماعي)، ونقل التراث الاجتماعي من جيل إلى جيل.

التعاليم الدينية والمبادىء الأخلاقية والقيم الروحية تبعد الفرد عن الوقوع في الزلل

وقد اجمعت خبرات الناس، ودلت تجارب العلماء على ما للتربية في الأسرة من أثر عميق وخطير، يتضاءل دونه أثر أي شيء آخر، في تحديد الشخصيات وتشكيلها، وذلك خلال مرحلة الطفولة المبكرة، لأسباب متعددة، منها: أن الطفل في هذه المرحلة لا يكون خاضعا لتأثير أي جماعة غير أسرته، ولأنه يكون فيها سهل التأثر، سهل التشكل، شديد القابلية للايحاء وللتعلم، قليل الخبرة، عاجزا، ضعيف الإرادة، قليل الحيلة، في حاجة دائمة إلى من يعوله، ويرعى حاجاته العضوية والنفسية المختلفة.

وتعد السنوات الأولى من حياة الطفل فترة حاسمة في تكوين شخصيته، وتتلخص خطورتها في أن مايغرس في أثنائها من عادات واتجاهات وعواطف ومعتقدات، يصعب أو يستعصي تغييره أو استئصاله فيما بعد، ومن هنا يبقى أثره ملازما للفرد في عهد الكبر.

أهم أعمال رجال التربية مساعدة الأطفال على أن يحددوا لأنفسهم نظاما من القيم والمبادىء الخلقية

مسؤولية الأم ودورها في البناء الأسري

تعد مسؤولية الأم في البناء الأسري كما في المجتمع ككل من أخطر المسؤوليات وأعظمها، فالأم هي التي تقوم بالقسط الأكبر في تربية الأبناء وتنشئتهم، والتأثير فيهم، خاصة في السنوات الأولى من حياتهم، والأسلوب الذي تستخدمه لاشك له أثر كبير في تكوين شخصياتهم.

وهذا الأسلوب يجب أن يستند إلى خلفية ثقافية ملائمة في أساليب التربية، بحيث تختلف هذه الأساليب في التعامل مع الأبناء، وفقا لحاجاتهم المتعددة، ومراحل نموهم، وسمات كل مرحلة، حتى يمكن من خلال هذه الخلفية تحقيق قدر كاف من التوافق النفسي للأبناء، فالأسرة الحسنة، والقدوة الصالحة في البيت هي خير وسيلة لتربية الأبناء تربية صحيحة.

وتعتبر حاجة الأبناء إلى عطف ومحبة وصداقة الأم على جانب كبير من الأهمية، ضمانا لسلامة نموهم النفسي والعضوي معا بطريقة سليمة، وكذلك فشعور الأبناء بالأمن والأمان والاستقرار، والمحبة والتفاهم، أمر ضروري في حياتهم، حتى يأتي نموهم طبيعيا، فالعلاقة بين الأم وأبنائها لها تأثير واضح على شخصية الأبناء، وعلى مفهومهم لمعنى الأم والأمومة، والعلاقات المتوترة بينهم لا تشبع حاجاتهم، فيفتقدون الحب والحنان، والتكيف النفسي السوي.

والمعنى الأساسي في تكيف الأبناء هو انعكاس لتكيف أكثر في العلاقات بين الأم والأبناء، لأن وظيفة الأسرة وظيفة نفسية من حيث طبيعتها، فحياة الأسرة تواجه المطالب الإنسانية الأساسية بصورة مباشرة أكثر مما يمكن أن يحدث في أى مجال آخر.

إن عمر الفرد يتكون من عدة مراحل، فإذا أخذنا في الاعتبار طبيعة كل مرحلة من هذه المراحل، وعومل الأبناء على أساسها، فلسوف يتوصل الآباء والأمهات إلى فهم أبنائهم، ويضعون أيديهم على الخيط الرفيع الذي يربط بين السيطرة وانفلات الزمام.

وهذا هو ما أوضحته الشريعة الإسلامية الغراء، فلقد جعلت لكل مرحلة من المراحل التي يمر بها الأبناء أسلوبا خاصا في التربية، ففي المرحلة الأولى: يحتاج الابن إلى المداعبة، وعدم استخدام القسوة والعنف، بل يجب استعمال الحب والحنان في تصحيح أخطائه، ويبدأ أسلوب العقاب في المرحلة الثانية: حتى يستطيع الابن التميز بين ما هو خطأ وما هو صواب.

أما في المرحلة الثالثة: وهي مرحلة المراهقة، فعلى الأم أن تهتم اهتماما جيدا بها، بحيث تجعل عيونها على أبنائها، لأنها المرحلة التي يتم فيها تشكل شخصيات أبنائها تشكيلا تماما وكاملا.

وهذه المرحلة يجب فيها استخدام العقل في التربية، حتى لا نفاجأ بتصرفات غير مبررة، ومحاولات للتمرد والتخلص من

التكيف السليم أساسه الأخـــلاق والديـــن

القيود، تلك القيود التي تعد بمثابة القواعد الأساسية للتربية، والتي من أبرز ما فيها (الطاعة)، والامتثال لأوامر الوالدين.

ولعل القاعدة التي نطلق عليها اسم (الطاعة) هي لب التربية وجوهرها، وهي - في نفس الوقت -الأمر الذي يساء فهمه وتقديره عند الآباء والأمهات، والأبناء، فالوالدان يعتقدان أن تغير سلوك أحد الأبناء خروج عن (الطاعة)، والابن يظن أن (الطاعة) ليست سوى مظهر من مظاهر الاستعباد والسيطرة، وكلاهما ممعن في الخطأ.

وحتى لا يصطدم الجيلان: جيل الوالدين، وجيل الأبناء، فلابد من وضع خطة تغيير تدريجية تساير عمر الأبناء، وبحيث لاتظهر وكأنها بمثابة تنازل من الوالدين لمشيئة الأبناء، أو الاستسلام لإرادتهم.

وفي نفس الوقت يشعر الأبناء بأنهم قد بدأوا يحتلون مكانة الكبار عند الوالدين، كأن يستشاروا في بعض الأمور العائلية، ويؤخذ برأيهم إن كان صوابا، أو مناقشتهم في حالة الاستعداد للأخذ برأيهم.

ومما يفيد في هذه المرحلة أن يتعود الآباء القيام بتكليف الأبناء ببعض الأمور التي تحرك فيهم الإحساس بالمسؤولية، والشعور بأنهم قد صار لهم رأيهم المستقل، والذي بمقدورهم أن يعبروا عنه، فإذا حدث خطأ أمكن إبداء الملاحظة عليه بالطريقة التي يبديها الوالدان لأبنائهما، لأن الأبناء في هذه المرحلة في أشد الاحتياج إلى الصديق الوفي المخلص، وليس هناك أوفى ولا أخلص من الوالد لابنه، ولا من الأم لابنتها.

ولو استطاع الآباء أن يضعوا أنفسهم مكان أبنائهم لاستطاعوا أن يروا الأمور من خلال وجهات نظرهم، وأن يدركوا أحوالهم النفسية، وأن ينفذوا إلى مشاعرهم، ويعرفوا حاجاتهم، ويشعروا بآلامهم ومتاعبهم.

إن الأسرة هي التي تخرج للحياة أو للمجتمع أفراده، الذين يتعاونون على بناء كيانه العام، بتفاعل بعضهم مع بعض، في نطاق مالهم من مبادىء وقيم، وغايات وسلوك، وباحترام ما لمجالات الآخرين من خصوصيات.

من المفيد في العملية التربوية تكليف الأبناء ببعض الأمور التي تحرك فيهم الإحساس بالمسؤولية، والشعور بأنهم قد صار لهم رأيهم المستقل، وبمقدورهم التعبير عنه

الأسس النفسية للتربية الأخلاقية في الإسلام

لقد أبدى علماء المسلمين الذين كان لهم قصب السبق في نشر الحضارة العربية الإسلامية، وجادوا بفضلهم على الدول الغربية في شتى مناحي العلوم والفنون والآداب، أبدى هؤلاء العلماء تفهما كبيرا عند تناولهم للأسس النفسية للتربية الأخلاقية وكان لهم في ذلك طريقتان:

الطريقة الأولى: الاهتمام بالوسائل الدافعة، المتمثلة في القدوة الحسنة، والبيئة الصالحة، والتشجيع، والترغيب، والملاينة.

الطريقة الثانية: الاهتمام بالوسائل المانعة، كالعقاب أو التهديد، إذا اقتضت الضرورة ذلك، حيث أن الإفراط في العقاب أو في اللوم قد يفضي بالطفل إلى حالة من اليأس، أو عدم الاكتراث، وبذلك تصبح البواعث الموجودة معطلة، وليس لها أية قوة دافعة.

ومن هنا يتضح أن التربية الإسلامية لم تتخذ من الوعظ والإرشاد سبيلا إلى التربية الخلقية، بل اتخذت من الوسائل الموضوعية كالملاحظة، والتفاعل، والانصهار، والانتقاء، والمقارنة، مايساعد الفرد على التبصر، واختيار ماينا سبه من قيم، لتصبح أساسا للسلوك في الحياة عنده، وبالتالي تحقق له لونا من التوافق والانسجام بينه وبين البيئة المادية.

وترتبط التعاليم الدينية، والقيم الروحية، والمثل الإنسانية الرفيعة، مع نمو الشعور الديني عند الأطفال بالأخلاق، والنمو الخلقي والسلوك الأخلاقي، والاحساس السليم بالقيم، ونمو الضمير، وتلعب عملية التنشئة الاجتماعية دورا هاما في هذا الصدد.

إن الطفل يحتاج إلى المساعدة في تعلم المعايير السلوكية نحو الأفراد والأشياء، ويحدد كل مجتمع هذه المعايير السلوكية للطفل، الأمر الذي يساعده في توافقه الاجتماعي.

والطفل يحتاج إلى المساعدة في تعلم حقوقه، ماله، وماعليه، ومايفعله، ومالا يفعله، ومايصح وهو بمفرده، ومايصح وهو في جماعة، ومايصح وهو في حدود الأسرة، ومايصح وهو خارج نطاقها، وما إلى غير ذلك، ويحتاج إشباع هذه الحاجة من جانب الكبار إلى كثير من الخبرة، والصبر، والثبات، والفهم.

ويعتبر الحكم الخلقي نتاجا لما تعلمه الطفل وهو في البيت والمدرسة من معايير اجتماعية خاصة بالصواب والخطأ، والحقوق والواجبات، ويتوقف ذلك على مدى تعلم الطفل السلوك المناسب للظروف المختلفة، وهنا تأتي أهمية سلوك الوالدين والمربين كنماذج يحتذيها الأطفال في سلوكهم.

التربية والعادات الخلقية

تعرف العادة في علم النفس بأنها: نوع من السلوك المكتسب، يصبح ثابتا، لا يتغير مع التكرار والخبرة، بدرجة تجعل من السهل التنبؤ بها إذا ماتهيأت الظروف التي تناسب العقل وتقتضيه، فيصبح الفرد بعد ذلك غير محتاج إلى بذل الجهد، أو توجيه الأشياء إلى العمل الذي يقوم به، وحينئذ يتم العمل بشكل آلي.

والعادات مختلفة ومتنوعة، وكذلك النواحي التي تتعلق بها مختلفة ومتنوعة، فمن العادات ما يمكن أن يطلق عليه اسم (العادات الاجتماعية)، ومنها ما يمكن أن يسمى بـ (العادات الخلقية).

والعادات لا تقتصر على النواحي الإيجابية المفيدة، التي تعمل على

تنظيم حياة الفرد، بل هناك – أيضا – العادات السيئة، ويتكون بجانب ذلك عادات سيئة ضارة.

ورسالة المشتغلين بالتربية هي العمل على التقليل بقدر الإمكان من آثار العادات السيئة، بتوجيه النشاط المضاد عند الفرد لاستئصال شأفة العادات غير المرغوب فيها، وذهابها إلى غير رجعة.

يقول إخوان الصفا: (واعلم أن العادات الجارية بالمداومة عليها تقوي الأخلاق المشكلة لها، كما أن النظر في العلوم والمداومة على البحث عنها، والدرس لها، والمذاكرة فيها، يقوي الحذق بها، والرسوخ فيها، وهكذا حكم الأخلاق والسجايا).

وهم يريدون بقولهم هذا أن يوصلوا العادات الطيبة في النفس، والتي تتحكم في سلوك الفرد، في حالة ما إذا صادف الفرد في المستقبل مواقف مشابهة، ومما تجدر الإشارة إليه أن العادات الطيبة لها أثرها الكبير، وقيمتها التربوية العظيمة في توجيه سلوك الفرد نحو الأفضل والأمثل.

ثم يضرب إخوان الصفا الأمثال لتأثير القدوة والبيئة في اكتساب العادات، فيقولون: (إن كثيرا من الصبيان إذا نشأوا مع الشجعان والفرسان وأصحاب السلاح، وتربوا معهم، طبعوا بأخلاقهم، وصاروا أمثالهم).

وهكذا – أيضا – الكثير من الصبيان إذا نشأوا مع النساء وأشباههن، وتربوا معهم، تطبعوا بأخلاقهن – ان لم يكن في الكل ففي البعض –، وعلى هذا القياس يجري حكم سائر الأخلاق والسجايا، التي ينطبع عليها الصبيان من الصغر، إما بأخلاق الآباء والأمهات، وإما بأخلاق الاخوة والأخوات، و الأقرباء والأصدقاء، والمعلمين المخلصين لهم في تصاريف أحوالهم، وعلى هذا حكم الآراء، والمذاهب، والديانات جميعا.

ثم يتابعون الحديث عن تأثير العادات الضارة، وأنها إذا تأصلت في النفس ورسخت رسوخا قويا، طبعت سلوك الفرد في كل مايقوم به من أعمال، ويتحدثون عن ارتباط آراء الناس، ومذاهبهم بأخلاقهم، وأن هذا الارتباط إذا امتدت جذوره فانه يصبح حينئذ (خلقا وسجية وعادة، يصعب اقلاعه عنها، وتركه لها).

ثم يتحدثون عن الجزاء فيقررون: (أن المجازاة عن المدح والذم، والثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، تقع على صاحبها بحسب جنس أخلاقه)، ويرون أن كل مرتكب للخطأ لابد وأن ينال عقابه، وذلك لأنه مسؤول عن فعله، وأن الجزاء اكتساب منه، وفعل له.

واخوان الصفا بآرائهم هذه يسبقون نظرية الجزاء، تلك النظرية التي دعا إليها (جان جاك روسو)، والتي تقضي بأن يكون لقانون الجزاء الطبيعي الدور الأكبر في حياة الطفل، فتكون العقوبة نتيجة للفعل الذي يرتكبه الطفل، وبذلك ينفك عنها العنصر الشخصي عند توقيعها، وهذه النظرية تعتمد على الثقة في عدالة الطبيعة عند (روسو).

أضرار العقاب

لقد شغل العقاب وما قد يحدثه من ضرر حيزا كبيرا من اهتمام العلماء والمربين المسلمين، فلم يسمحوا به كوسيلة من الوسائل المانعة لتجنب العادات السيئة إلا عند الضرورة، لأنهم رأوا في المبالغة نوعا من الانتقام والتشفي.

يقول ابن حجر: (لايجوز للمعلم ضرب الغير إلا إذا أذن له أبوه)، ثم يشترط في جوازه بالنسبة للمعلم أن يظنه زاجرا للتلميذ إذا اقتضت الضرورة، وألا يكون مبرحا، فإذا ظن المعلم أن التلميذ لا ينفعه إلا الضرب المبرح، وهو شديد الإيذاء، فلا يجوز اجماعا).

ويعلل لذلك بأن العقوبة انما جازت بالنسبة للطفل للظن بأنها تفيد في الإصلاح، فإذا كان الضرر سيأتي منها انتفت.

أثر المربي الصالح

إن التربية الإسلامية لم تهمل دور المربي الصالح وأثره في التربية بصفة عامة، والتربية الخلقية بصفة خاصة، ولقد ذكر الغزالي في رسالته (أيها الولد) الحاجة إلى المربي الذي يستطيع أن يزيل بتربيته الأخلاق السيئة من نفس تلميذه، ويجعل مكانها أخلاقا حميدة.

ووظيفة التربية تشبه إلى حد كبير مايقوم به الفلاح، حين يقلع الشوك، ويخرج النباتات الغريبة من بين المزروعات، وذلك ليحسن نباته، ويأتي بمحصول وفير.

ثم يتحدث الغزالي عن تأثير القدوة، وأنه ليس كل مرب صالحا للتأثير في تلاميذه، إذ إن المربي الفاضل هو من يستطيع أن يجعل من خلقه وسلوكه نموذجا للاهتداء به، لأنه كما يقول الغزالي: (من اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما، وخطرا جسيما، فينبغي أن يأخذ نفسه بالشفقة مع المتعلمين، وأن يجريهم مجرى بنيه).

ويحذر الغزالي من المربي الذي قال عنه عمر بن الخطاب – رضى الله تعالى عنه – وفي مثله: (ان أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم)، قالوا: وكيف يكون منافقا عليما؟..
قال: (عليم اللسان، جاهل القلب والعمل).

وبعد

فإن ما ورد في كتب علماء التربية المسلمين لا يختلف في جوهره عما تنادي به التربية الحديثة، من حيث ضرورة فهم المربي لمطالب النمو في المراحل المختلفة، وأهمية العلاقات الإنسانية، التي تقوم على الفهم المتبادل والاحترام، واللذين يؤديان إلى تكوين الشخصية ذات القيم الخلقية، والشخصية ذات الفكرة الواضحة عن نفسها.

والشخصية التي تسلك سلوكها بناء على مفهوم إيجابي عن الذات، وليس وفق خيالات وأوهام، إن مثل هذه الشخصية هي التي تعرف – بلا شك – كيف تتكيف مع نفسها، ومع محيطها الخارجي، في يسر وأمان وطمأنينة.

وإذا كان للتربية أن تحقق هدفها الأساسي، وتصل بالفرد إلى الصحة النفسية السليمة، وتسهم في نمو الفرد، وتساعده على الوصول إلى مستوى مناسب من الإنسانية الكاملة، بما تستطيع عن طريق استخدام طاقاته وإمكاناته استخداما مثمرا، فإن عليها واجبا أساسيا في تنمية وتحقيق مايحدد إنسانية الفرد ووجوده من صفات.

إن التربية لها أساليبها المتعددة، التي تستطيع عن طريقها تنمية وتحقيق تلك الصفات التي تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، فإذا ما تحققت تلك الصفات وصل الفرد إلى مستوى مناسب من الصحة النفسية السليمة ■

قـرأت في العـدد «٣٣٣» من مجلـة «الـوعي الإسـلامي» مقـالا بعنـوان « الالتـزام والحرية في الأدب الإسـلامي» بقلم الاستـاذ كمال سعد محمـد، ومع تقـديـري لجهد الكاتب وثقافته، عجبت من هذا العنوان الذي ينسب الي الأدب الإسلامي امورا غريبة عنه، وطالعت مقدمة المقال عليّ استبين حيثيات العنوان المذكور فإذا الكاتب يقدمها لنا منقولة عن أديب اوربي اشتراكي تشرح فكرة المقـال بقوله: «إن هذه المصطلحات النقدية - أي الالتزام والحرية - وليدة الفلسفـة [الأوروبية] وظهرت نتيجة التأثر بـالأيـدلـوجيـات الحديثـة في الأدب التي تعكس التغيرات الاجتماعيـة العميقـة السريعة لزمننا» «١».

وأدع مـا يمكن ان يقـال عن هـذه الحيثيـات الأوروبيـة التي لاشأن لتأصيل الأدب الإسلامي بها، لأحاور الكـاتب فيما انبثق عنها من آراء تبناهـا للأدب الإسلامي، وفي ذلك تقويم ونظر.

الأدب الإسلامي

بداية إسلامية أم بداية أوروبية؟

بقلم الدكتور: محمد عادل الهاشمي

التوفيق ين مصطلحي الالتزام والحرية

أحسب ان هـذا المقـال - فيما اعلم - هـو الأول الـذي ينهج حـديثـا طـريق التـوفيق بين مصطلحي الالتـزام والحـريـة، ويـأخـذ جـانب الـوسط منهما للأدب الإسلامي، وهي محاولة دقيقـة لايأمن صـاحبهـا من الـزلق أو الخطأ، فلنتـابع مع الكاتب محاولة التوفيق هذه.

ان الكـاتب يقـول في المقـدمـة (وهنـاك في الـوسط من يـرون الحرية انفلاتـا من القيم الفنية والجماليـة والقيم الفكـريـة. وفريق يـرى ان الالتزام ضرب من القسر والإلزام ولاينبغي ان يلتفت إليه المبدع).

حقا ان هذه القضيـة كما يقول الكـاتب قـد شغلت الأدبـاء والنقاد (الأوروبيين) في الشرق والغرب ومن سار على نهجهم، ففريق ينحـاز إلى اتجاه الحرية في الأدب (مـذهـب الفن للفن) وفريق آخـر ينحاز إلى الالتزام الاجتماعي (مـذهب الأدب للحياة).

انها قضيتهم شغلـوا بها لأنها وليـدة فلسفتهم الأوروبيـة النـابعـة من فكـرهم وأيديـولوجيتهم وبيئتهـم. اما نحن فمن يلزمنا بهذه الفلسفة الغربية واصول تفكيرها؟!

إن الأدبـاء في ديـار الغـرب - بحسب نشأتهم الثقـافيـة - يـرون في مصطلح (الالتـزام) معطـلا للإبـداع فيميلـون إلى إعطاء الأديب حريته، لأنه إذا لم يتمتع بحريته التامة - في رأيهم - لا يستطيع الإبداع.

ولعل الكاتب - وهـو يدرك هذا - حاول ان يضع خطـا وسطا بين الالتـزام والحريـة التي يصعب حـدهـا. ولكنـه في محاولتـه التوفيقيـة هـذه ظل يحوم حول فكرتين تنبعان من البيئـة الأوروبيـة وتمثـلان مصطلحين لاتجاهين أدبيين أوروبيين ولايخفى بعد هذا ما في اعتماد هـذين الاتجاهين الأوروبيين في تـأصيـل الأدب الإسلامي من متابعة وتقليد.

أصالة المنهجية الأدبية الإسلامية

ونتسـاءل بعد هـذا: في سبيل ماذا نضحي بأصـالتنا ونتابع الأدب الأوروبي في مصطلحاته

ونحن نتوصل لأدبنا الإسلامي؟ وهل تجدي هذه المصطلحات المضطربة المهتزة لتأصيله؟ نبدأ بمصطلح (الالتزام) ترى هل اتفق انصاره على مصطلحه؟ انهم لا يزالون مختلفين. فالكاتب يفرق بين نوعين من الالتزام، صارم ومرن يقول:

(وفرق كبير بين ان يأتي الالتزم من فوق لكي يضبط التجربة بقالبه الصارم ورؤيته الجادة، وبين ان يتدفق الالتزام من باطن التجربة).

كما يجد الكاتب ان التقيد بأيديولوجية معينة يسمى إلزاما وليس التزاما يقول: (والالتزام غير الإلزام. فالإلزام هو أن يلتزم الأديب بأيديولوجية معينة أو بواقع اجتماعي معين فهو على ذلك خال من الحرية ومؤثر بالسلب في روعة التعبير وصدقه الفني أو الفكري ثم يرى الكاتب ان (الالتزام في الادب الإسلامي فريد ووحيد في مجاله. يتبنى مساره بمحض إرادته).

وهنا يبدو التناقض واضحا في طروحات الكاتب: اذ كيف يتبنى الالتزام في الأدب الإسلامي - كما يرى الكاتب - مساره بمحض إرادته، وهو يتقيد - لابد - بفكرة معينة مع ملاحظة ان الكاتب يقول في الوقت نفسه بأن التزام الأديب بفكرة معينة هو إلزام يخلي الأديب من الحرية ويؤثر بالسلب في روعة التعبير.

انه بعد ان تبين لنا على المستوى الفني اضطراب مفهوم (الالتزام) وعدم انضباطه تبدو لنا ظلاله التغريبية الداكنة التي نخشى على الأدب الإسلامي منها اذا استظل بظله، فمن يصطنع لنفسه من - الدارسين - مصطلح (الالتزم) انما يبدأ في فهم الأدب الإسلامي من خلال مبادىء الأدب الأوروبي صاحب المصطلح من حيث بدأ (أرنولد) صاحب فكرة الأدب للحياة وحتى آداب الوجودية والشيوعية المعاصرتين.

(ومن ابرزها التزام (سارتر) في مسرحه الوجودي، وتعد مسرحيته (الذباب) نموذجا لمسرحه الملتزم، وقد تابعه من أدبائنا المتغربين حنا مينة في روايته (المصابيح الزرق) ويوسف ادريس في مسرحيته (اللحظة الحرجة) وفي روايته (الحرام) تحت شعار الأدب الملتزم كما يبدو اتجاه الالتزام في (الواقعية الاشتراكية) لدى الأديب السوفياتي (مكسيم جوركي) في مسرحيته (الحضيض) وقد تابعه من ادبائنا المتغربين تحت شعار (الأدب الملتزم) سعد الدين وهبة في مسرحيته (كوبري الناموس).

ومن أدب الالتزام مانراه عند الكاتب السوفياتي (أنطون تشيكوف) وتمثل اتجاهه الملتزم مسرحيته (بستان الكرز) وقد تابعه من كتاب القصة والمسرح المتغربين عندنا يوسف إدريس في مسرحيته (ملك القطن) ونعمان عاشور في مسرحيته (الناس اللي فوق) ولطفي الخولي في مسرحيته (القضية) وكلها تحت شعار (الأدب الملتزم) وهذا مايجعل تاريخ مصطلح (الالتزم) تغريبيا قاتما) (٢).

ولا أدرى إلى اي مدى يفيد قول الكاتب بأن الالتزام الذي يعنيه: (لايتعلق بأذيال الطبقة في قلب الجماعة [ماركس] ولابأذيال الفرد الوجودي) مادام الالتزام يخرج من عباءتهما.

لقد جنى مصطلح (الالتزام) التغريبي على منهج الكاتب حتى لنرى التمحل والاعتساف في استدلاله بآية الشعراء حيث فصل فيها بين فئتين من الشعراء، ملتزمة وغير ملتزمة بينما تدل الآية على فئة من الشعراء مؤمنة ذادت عن النبي ﷺ، وفئة كافرة آذته وناصبته العداد وأسباب نزول الآية معروف.

واخيرا يعترف الكاتب على لسان من يستشهد له - بقوله: (وان ضيق الالتزام حدود الإبداع فإنه لايضيق به، فهو يحقق شموخا ان فاته الشمول). وهذا القول هو ثمرة البداية الأوروبية في التعريف بالأدب الإسلامي، اذ يفرض الكاتب على الأدب الإسلامي - بإلصاق الالتزام به - ان يفوته الشمول بالالتزام، وان كان يحقق الشموخ.

الأديب المسلم والحس الإسلامي

ولعل من يطالع القول السابق لايشك في ان هذا الرأي يلحق خسارة بالأدب الإسلامي، حيث تناله جناية مصطلح (الالتزام) التغريبي المعوق دون حاجة اليه، وان الأدب الإسلامي، حين لايفرض عليه هذا المصطلح المجلوب، يحقق - بطبيعته - الشمول والشموخ معا، اضافة إلى الخصائص الكبرى الاخرى التي يتميز بها. والأدب الإسلامي لايرقب تطور(الالتزام) لكي يصل عن طريقه إلى التصور الإسلامي، حسب رأي من يستشهد له الكاتب الذي يقول: (فالالتزام بهذا المفهوم يفتح آفاقا في وعي الأديب. فيتوغل قدما في تجربته الفكرية خطوة خطوة، وموقفا موقفا، وتجربة تجربة حتى تقترب من التصور الإسلامي المجرد).

ان القول الاخير يبدو شديد الغرابة، بعيدا عن مفهوم الادب الإسلامي، كما يبدو بعيدا عن العمل الأدبي نفسه، ذلك لأن التصور الإسلامي للوجود لايأتي ثمرة لتطور الالتزام، وإنما يتخلق سابقا على التجربة في أعماق ادبائنا الإسلاميين حسا إسلاميا، وآفاقا إسلامية واسعة سعة الكون والحياة، منذ حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعلى لسان علمائنا ومفكرينا وأدبائنا عبر تراثنا الطويل.

ان التصور الإسلامي يغني التجربة الفكرية وهو الذي يكون مواد التجربة الأدبية، لذا لايرتقب وساطة الالتزام ليتكون أو يتطور في نفوس الأدباء، ولأنه - بوصفه الخلفية الأدبية للأدب الإسلامي - يكون فاعلا في التجربة ومؤطرا لها وليس نتيجة لها.

ونعرض بعد (الالتزام) إلى

التوفيق بين مصطلحي الالتزام والحرية محاولة دقيقة لايأمن صاحبها من الزلق أو الخطأ

الأدب الإسلامي بداية إسلامية أم بداية أوروبية

مصطلح (الحرية) ان الكاتب يريد ان يجعل الأدب الإسلامي وسطا بين الحرية والالتزام، في عملية توفيق يريد بها طمأنة المتخوفين من الادباء على الابداع من صرامة الالتزام، لذا يعرف الكاتب بالحرية كما هي عند النقاد الأوروبيين تتخللها بعض الضوابط، والتعريف بعيد عن التصور الإسلامي كما هو متوقع، ثم يمضي ليشيد بالحرية شبه المطلقة، على الطريقة الأوروبية، بوصفها نبع الفن، ويدعم رأيه لذلك بتعريف لأحد المتابعين للمدرسة الأوروبية في الأدب الذي يقول: (فالفنان الحر هذا الذي تربطه علائق قوية بمثله. لاتلزمه قوة في الوجود فاذا شعر الفنان لحظة واحدة انه يؤدي بفنه ضريبة، عليه ان يؤديها وجوبا، فإن الذي سيبدعه ليس فنا).

وحتى الان لاندري اين سيقف الكاتب بين الالتزام والحرية، وماذا سيهدي الأدب الإسلامي من ذلك ؟ وما المدرجات التي ستفصل بين المصطلحين؟ وماالحدود؟

وإنما الذي نعلمه انه يطاحن عبثا للتوفيق بين مصطلحين اوروبيين متضادين ليقدم ذلك إلى ادبنا الإسلامي الذي ترفض طبيعته الأصيلة المصطلحين معا اصلا وتعديلا وتوفيقا، اذن مالذي يدفع الكاتب إلى ذلك؟

ظاهرة اللجوء إلى المبادىء الأوروبية

الواقع ان ظاهرة تفسير آفاق الادب الإسلامي ببعض المبادىء الاوروبية لجأ اليها البعض محاولين الوصول والدفاع قبل ان يستقر في الساحة الأدبية استقلال الآدب الإسلامي وذاتيه، إلى جانب انهم لم يتعمقوا خصائص الأدب الإسلامي فرأوها على ضوء الآداب الاخرى. وقد اتضح ذلك عند من غلبت عليه الثقافة الأوروبية وتكوين آدابها، وترسخت في فهمه مبادىء النقد الأدبي الأوروبي ومذاهبه، فصعب عليه التجرد منهما.

في سبيل ماذا نضحي بأصالتنا ونتابع الأدب الأوروبي في مصطلحاته ونحن نؤصل لأدبنا الإسلامي؟

ولكني اعجب كثيرا، وبعد ان اتضح خط الاصالة في الأدب الإسلامي وظهر فيه كتب نقدية مختصة، لماذا يعسر على البعض ان يفهم الأدب الإسلامي مجردا من الخلفيات الأوروبية، فلقد تحرر الفكر الإسلامي المعاصر من هذه الخلفيات التغريبية، لقد تحرر الفكر الإسلامي المعاصر من مفاهيم أوروبية كثيرة منها: الإمبراطورية الاشتراكية الديمقراطية..إلخ فجدير بالدارسين ان يتحرروا منها في دراساتهم للأدب الإسلامي.

ان عملية الاستعارة والتوفيق في دراسات البعض للأدب الإسلامي ان كانت مقبولة مرحليا فيما سبق من عقود، فهي ليست مقبولة الان بعد ان ازدهرت الدراسات الجامعية النقدية في الأدب الإسلامي وأبرزت أصالته واستقلاليته وبدايته الإسلامية الخالصة، وليس هناك – في رأيي – من يفضل البداية الأوروبية على البداية الإسلامية، كما ليس هناك من يميل إلى تمييع مصطلح الأدب الإسلامي بربطه بالالتزام أو بالحرية، دون حاجة سوى القصور أو عدم الاطلاع مع العلم ان المفهوم الأدبي الإسلامي، في دقائقه وقضاياه يختلف عن المفهوم الأدبي الأوروبي، بفعل الافتراق في العقيدة والتصور لقضايا الحياة ومناشطها.

(إن الأدب الإسلامي كما تدل تسميته يعني الاستقلال الذاتي وإسلامية الأدب ويجانب هذا – بالطبع – ان يبدأ من يؤصل له بآداب الأمم الأخرى. ان الادب الإسلامي – ككل ادب – له قواعده وأصوله التي يصدر عنها، ثم يفيد من المعطيات العالمية بعد ان يصهرها بشخصيته وذاتيته، وان في إسقاط البعض مبادىء الأدب الأوروبي – التي تأدبوا في ظلها – على مفاهيم الأدب الإسلامي لأخطارا على أصالة الأدب الإسلامي. سيلصق بمفهوم الأدب الإسلامي بعض المبادىء المتغربة، ويجعل فهم الجيل للأدب الأسلامي من خلال المذاهب الأدبية الأوروبية).

الأدب الإسلامي سلس وأصيل ومستقل

ويدركنا مرة أخرى التساؤل الآتي: لم لم يستطع الكاتب ان يتحدث في مقاله عن الأدب الإسلامي إلا عن طريق المصطلح الاجنبي (الالتزام) مع انه يمكنه ان يلج دائرة الأدب الإسلامي من باب التعبير عن التصور الإسلامي صنيع حسان بن ثابت وكعب بن مالك في بداية إسلامية طليقة؟!

ولم يقسر نفسه على اصطناع هذا المصطلح التغريبي الذي يحس فيه ظل الجور والقسر فيضطر إلى طمأنة دعاة الحرية في الأدب بأن الالتزام الذي يريده ليس شديدا فهو:

(مرن، موار، عفوي، متدفق) فلاهو يرضى بقوله دعاة الحرية الذين يرون في الالتزام قيدا ولايرضى دعاة الالتزام الذين يرون فيه شرطا ملزما للأدب. والكاتب عن ذلك كله في غنى اذا تحرر من البداية الأوروبية، وانصرف عن تحكيم مبادىء الأدب الأوروبي وفلسفته في الأدب الإسلامي. وقد افصح عن هذا التحكم في مقدمة مقاله.

ولن يستطيع الكاتب الخلاص من هذه الازمة، وبلوغ الرؤية الصافية للأدب الإسلامي إلا حين يتناسى تماما تلك البداية الأوروبية ويقبل على الأدب الإسلامي في منهجه المستقل النابع من ذاته، عندئذ يجد الأدب الإسلامي سلسا سلسالا، معبرا عن اصالته واستقلاليته، سيجده في شخصيته الحضارية دون تبعية أو التزام بمنهج اوربي.

ولعل الكاتب قد وصل إلى

بعض هذا، إذ ألغى في عبارة له منهج (الالتزام) دون أن يدري وذلك حين هدى إلى ان الأديب المسلم يتبنى الأدب الإسلامي بمقتضى عقيدته وايمانه و«الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان» (٥) فما دام الأدب الإسلامي ينبثق من العقيدة الإسلامية والإيمان الكامل بالله، وهو التعبير الجميل الموحي عن وقع الإيمان والعقيدة في نفس الإنسان المسلم وسلوكه في الحياة فقد انتفى الوسيط، وانتفى المصطلح الأجنبي الدخيل: الالتزام. ولقد كتبت في الأدب الإسلامي زهاء ألفي صفحة لم استخدم فيها كلمة التزام، وما احتجت إليها في منهجي كما ان لفظة التزام لم ترد في تراثنا الأدبي والفكري بمصطلحها الأوروبي المعاصر، انما وردت بمعنى التقيد واللزوم (٦) والإلزام (٧).

ولعل من حقنا ان نقول بعد هذا: ان لنا منهجنا الذي نفهم به أدبنا الإسلامي ونقيمه وننظر له، ولنا تصورنا الإسلامي لقضايا الحياة والوجود، وهو بمثابة قاعدة الأدب الإسلامي الفكرية. يتراءى ذلك كله ساطعا كالشمس ينير قلوب الأدباء الإسلاميين ويثري مواهبهم، ويطبع في ذواتهم الحس الإسلامي في التذوق والنظر، فيصدرون عن تجاربهم عبر هذا كله صدور النور عن الشمس دون اعتساف في الربط بأدب آخر أو أصول أدب آخر.

ولو قدر لنا ان نسأل حسان بن ثابت وكعب بن مالك رائدي الأدب الإسلامي قبل ان يوجد تقنين للنقد الأدبي: كيف قدما للمجتمع الإسلامي في صدر الإسلام شعرهما الإسلامي؟

ونستوحى الإجابة من طبيعة الشعر في عصر صدر الإسلام ومفهومه فلعلهما يجيبان بأنه لم يخطر لهما علي بال ان يصطنعا طريقة الربط بين التعبير الفني الجمالي والقيم الإسلامية. لقد كانا يعيشان الإسلام في اعماق النفس والمشاعر. ويسهمان في بناء الحياة الإسلامية في المجتمع الإسلامي الاول، فعبرا عن تجاربهما من خلال ذلك كله فكان شعرهما المعبر عن التصور الإسلامي للوجود والحياة أدبا إسلاميا دون تكلف أو استدعاء لمصطلح دخيل.

ان العملية الفنية هنا جلية والتعبير عن الفطرة المؤمنة والطبع الصافي لايفتقر إلى وسيط، ولعل فيما يأتي يجلو الصورة ويزيد في الإيضاح.

إن الأديب المسلم الذي (زود بالقدرة على جمال التعبير. يعيش المفاهيم الإسلامية بالفعل، وينفعل بالأشياء والاشخاص والاحداث من خلال هذه المفاهيم. ثم يقص علينا تجربته الخاصة التي عاناها في صورة جميلة موحية. دون جهد مبذول منه ولا افتعال، بل دون قصد واع منه إلى هذا الانفعال) (٩).

وهو عند ذاك لايفتقر في تجربته أو نتاجه الفني إلى رابط أو وسيط شأن الطريق الأوروبي الذي يقسم النفس الإنسانية ويجزيء النشاط البشري.

■ الأدب الإسلامي لايرقب تطور (الالتزام) لكي يصل عن طريقه إلى التصور الإسلامي

ليس لدينا في التصور الإسلامي انفصام في النفس الانسانية، شأن التصورات الأوروبية ومن تابعها من العلمانيين في ديارنا حتى نستدعي لأدبنا الوسيط والرابط ومن خارج كياننا الروحى والثقافي. ولسنا في أدبنا بحاجة إلى هذا الرابط التغريبي المسمى بالالتزام، والذي يخشى الكاتب عبئه ويخاف شططه فيعادله بالحرية، ويشفق من انفلات الحرية في الأدب على الطريقة الأوروبية فيعادلها بمصطلح أوروبي آخر هو الالتزام. وهو بين هذا وذاك يحوم حول

تمتلىء نفس الأديب أو الشاعر بالمعطيات المتنوعة، وتكظها الانفعالات وسوانح الفكر والخيال، ثم يأتي دور التجربة التي تفرغ الشحنة الانفعالية الفائضة في نفس الأديب إلى نتاج شعري أو نثري، فالأديب لايستريح إلا حينما يستنفد هذه المشاعر المضطرمة بين جوانحه، وذلك بالتعبير عنها في صورة ملهمة موحية (٨) فأين فكرة الالتزام هنا؟

ولعل رائدي الأدب الإسلامي قد صدرا عن تجاربهما الإيمانية هكذا كالنبع المنبجس الرقراق، لان الإسلام اضحى منهما - وقد تلقياه من مصدره الأول - كالفطرة والطبع.

الخلفيات الأوروبية في مصطلحاته ومفاهيمه، وهذا مايتنافى مع منهج الأصالة وهو شرط فيمن يتحدث عن الأدب الإسلامي أو يؤصل له.

وغني عن القول ان ننوه في الختام بأننا حين ننفي التبعية عن الأدب الإسلامي، لايعني ذلك عدم إفادة الأدب الإسلامي من الآداب الاخرى بعد استكمال اصوله ورسوخ منهجه ولكنها إفادة الأدب الأصيل ذي المنهج المستقل والأصول المتميزة والمصطلح المتفرد.

انه يفيد من المعطيات العالمية عندئذ بما يوسع رقعة رؤيته، ولكن بعد ان يذيبها في بوتقة منهجه وتصوره وفنه، ويظل بذلك ذا شخصية حضارية متميزة□

هوامش:

(١) الأدب الملتزم، ص٤، ماكث اديرس.

(٢) في الأدب الإسلامي لصاحب المقال.

(٣) قضايا وحوار لصاحب المقال.

(٤) قضايا وحوار لصاحب المقال.

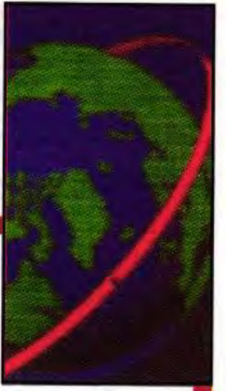
(٥) رواه ابن ماجه.

(٦) من ذلك ما أطلقه أبو العلاء على ديوانه (لزوم ما لايلزم).

(٧) في قوله تعالى ﴿ انلزمكموها وانتم لها كارهون ﴾.

(٨) النقد الأدبي واصوله لسيد قطب.





نافذة على العالم

خمسون مليون عملية إجهاض سنويا

يعتبر الإجهاض الذي أثار جدلا واسعا في مؤتمر الأمم المتحدة للسكان والتنمية الذي انعقد مؤخراً في القاهرة ممارسة شائعة في العالم.

وتجري سنويا في انحاء العالم (٥٠) مليون عملية إجهاض، على الرغم من الحظر التام للإجهاض في (١٦) دولة، وعدم السماح بإجرائه في الدول الأخرى إلا في الحالات الاستثنائية التي تكون فيها حياة الأم مهددة.. وبصورة إجمالية تسمح (١٧٣) دولة من أصل (١٩٠) دولة (نسبة «٩٢» في المائة) بوقف الحمل عندما يشكل خطرا على الأم، وتسمح به (١١٩) دولة (٩٣ في المائة) أيضا لأسباب تتعلق بالصحة الجسدية و(٩٥) دولة (٥٠ في المائة) لأسباب تتعلق بالصحة العقلية. ولا توافق سوى (٨١) دولة على أخذ الاغتصاب بعين الاعتبار لأسباب تتعلق بالبؤس الاجتماعي.

أعضاء بالكونغرس الأميركي ضد إباحة الإجهاض

طالبت رسالة أمريكية موقعة من ثمانية أعضاء بالكونغرس، الحكومات التي شاركت في مؤتمر السكان رفض أي اقتراح أو نص في وثيقة المؤتمر النهائية قد يدعو لإضعاف أو إزالة القوانين المانعة للاجهاض، وقالت الرسالة: ليس هناك أدنى شك، أنه عندما تتبع دولة ما سياسة محبذة للاجهاض، يزداد العدد الحقيقي للإجهاضات بسرعة، حتى إن دراسة مؤسسة علمية تسمى «آلان خوتماخ» – نشرت الشهر الماضي – توصلت إلى أنه عند إجازة الإجهاض ترتفع نسبته بسرعة لسنين عديدة قبل أن تستقر، كما يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقالت الرسالة التي وجهت لرؤساء الحكومات – وفوجيء بها الوفد الأمريكي – كان للإجهاض غير المشروط تأثير مدمر علينا وعلى بلدنا، فأمريكا تشهد سنويا ١٥ مليون حالة قتل لأجنة تحت دعوى الإجهاض وحماية الأم.

وذكرت الرسالة أن الملايين من الأمريكيين لن يثنوا عن الكفاح لاسترجاع أكثر حقوق الإنسان أهمية وهو الحق في الحياة، لأن استطلاعات الرأي تشير إلى أن ٨٠٪ من الأمريكيين يعارضون حاليا الإجهاض كطريقة لضبط النسل، وفيما يتزايد التأييد لصالح الحياة هنا في أمريكا، ستكون مأساة كبيرة إذا رضخت البلدان التي سادتها الآداب والقيم الحامية للأطفال طوال هذه السنين، وأجبرت على تنفيذ سياسة عكس سياساتها المؤيدة للحياة. وأشارت الرسالة إلى أنه في مؤتمر الأمم المتحدة للسكان الذي عقد بالمكسيك في عام ١٩٨٤، أظهر المجتمع الدولي الكثير من الاهتمام عندما وافق المندوبون على النص الذي قال «يجب عدم الحث إطلاقا على استعمال الإجهاض كطريقة لتنظيم الأسرة».

منع الحجاب في المدارس الفرنسية

قال وزير التعليم الفرنسي فرانسوا بيرو: إن الحجاب سيحظر من الآن فصاعدا في النظام المدرسي الفرنسي العلماني وأضاف: «تعليماتي إلى نظار المدارس ستكون واضحة للغاية. سنستمر في قبول سمات دينية منفردة كما كان الحال دائما. إلا أننا لا نستطيع قبول علامات ظاهرية تقسم شبابنا».

وسئل عما إذا كانت تعليماته تشمل الحجاب الذي ترتديه بعض فتيات المدارس المسلمات والذي أثار نزاعات بين المدرسين وأسر إسلامية. قال بيرو: «نعم». وأعلن «يجب أن نحترم ثقافة المسلمين وعقيدتهم إلا أن تاريخ شعبنا وإرادته كانت بناء مجتمع علماني موحد وهو ما تعنى به المدارس على وجه التحديد. فلا يجب تجاهل الإرادة الوطنية».

وقال بيرو إن هناك حوالي خمسة ملايين مسلم بين سكان فرنسا البالغ عددهم ٥٦ مليون نسمة. ومعظم المسلمين الفرنسيين قدموا من شمال أفريقيا منذ الخمسينات. وقالت مجلة لوبوان: إن حوالى ٧٠٠ فتاة مسلمة ترتدي الحجاب في المدارس الفرنسية حاليا مقارنة بعشرين فتاة عام ١٩٨٩.

استنكار إسلامي لتقسيم (الإبراهيمي)

استنكرت (رابطة العالم الإسلامي) بمكة المكرمة بشدة الإجراء الإسرائيلي بتقسيم الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل الفلسطينية المحتلة إلى قسمين وتخصيص أحدهما للمستوطنين اليهود.

وحذرت الرابطة من العواقب الوخيمة التي سيجرها مثل هذا الإجراء الآثم بما قد يؤدي إلى سفك المزيد من دماء المسلمين على أيدي المستوطنين.



مشاريع لتهويد القدس!!

تقريران متطابقـان صدرا الشهر الماضي أحدهما: عن جامعة الـدول العربية والآخر: عن دائرة الشؤون الفلسطينية، وقد أجمع التقريران على أن هنـاك محاولات مستمرة لتهويد مـدينة القدس قبل الوصـول إلى بحث هذه القضية خلال العـام القادم وتتمثل هذه المحـاولات في تنفيذ العديد من المخططـات الاستيطانية والاستيـلاء على المزيد من المنازل والأراضي العربية في الجزء الشرقي من المدينة.

كما تشهد القدس حاليا ظاهرة جديـدة تتمثل في بناء المعابد اليهودية الضخمة، فكل طائفة يهودية في القـدس تجمع الأموال الكثيرة بهدف بناء الهيكل الضخم الخاص بها، وقد استهل هذا النشاط بالمركز العـالمي «بلعاز» على مساحة ١٤ ألف متر مربع شمال القدس ليكون أكبر كنيس في العالم.

المعمّـرون اليابانيون

ذكرت وزارة الصحة اليابانيـة أمس أن عدد اليابانيين البالغين ١٠٠ عـام أو أكثر هـذا العام بلغ ٥٥٩٣ شخصـا وذلك بزيـادة ٧٩١ شخصا على العـام الماضي. وقال مسـؤولو الـوزارة أن عدد المعمرين اليابانيين كان ١٥٣ شخصا فقط عام ١٩٦٣ وبذلك زاد العدد ٣٧ ضعفا خلال ٣١ عاما مما يشير إلى أن المجتمع الياباني يسير نحو الشيخوخة بسرعة.

وذكـر أن الأرقـام أعلنت قبيل الاحتفال بيـوم احترام الكهـول السنوي الذي صـادف ١٥ سبتمبر الماضي. وأشار المسؤولون إلى أن أكبر المعمرات اليابانيات تبلغ ١١٥ عاما وأكبر الرجال المعمرين ١٠٩ سنـوات.وتشكل النسـاء نسبة ٨٠,٥ بـالمائة من مجمـوع المعمرين أي ٤٥٠٠ امرأة فيما يبلغ عدد الرجال المعمرين ٢٤٩٤ رجلا أي ١٩,٥ بالمائة من المجموع.

بطالة جديدة في الجزائر

يمكن أن تقـوم السلطات الجزائريـة، خـلال الأشهر المقبلـة، بتسريح حـوالي ٢٥٨ ألف شخص يعملـون في شركـات القطاع العام والـدوائر الحكومية، وذلك في إطار خطـة واسعة النطـاق لتحسين الأوضـاع المالية للشركـات التي تنـوي تخصيصهـا، حسب مـا أعلنه وزيـر الصناعة مراد بن اشنهو. والذي أضاف أن حوالي ٧٠ ألفا من هـؤلاء سيحالون إلى «التقاعد المسبق» بينما سيتم تسريح الآخريـن وتحويلهم إلى سوق البطـالة. وأشار ابن اشنهو إلى أن ثلث العـاملين في شركـات القطـاع العـام، ليس لهم مناصب عمل فعليّة في شركاتهم.

بروتوكول إسلامي للتعاون

تم التوقيع على بروتوكول للتعاون بين المنظمـة الإسـلاميـة للتربية والعلـوم والثقافة، وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية التي يوجد مقرها بجدة.

وقد نص بـروتوكـول التعاون على أن يتعاون الطرفان في إعداد وطبع الدراسات والمقررات والمناهج الخاصـة بمحو الأمية والتربية الإسـلامية واللغة العـربية، وفي تـوفير المنح للطـلاب لتلقي الـدراسـات الثانـوية والجامعيـة وما بعـد الجامعية، وفي تنظيم الندوات ذات الاهتمام المشترك تتناول مـوضوعـات تتعلق بالصنـاعات التقليـدية والـزكاة والتكـافل الاجتماعي وأثر الأوقاف في العمل الخيري.

كما يشمل التعاون بين الطرفين، إنتاج الأفـلام والكتب وغيرهـــا من المواد الإعلامية التي تتفق والأهـداف الإنسانية والتربوية للمنظمتين.

وقد وقع عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقـافة المدير العام الـدكتور: عبدالعـزيز ابن عثمان التـويجري، وعن هيئة الإغاثة الإسـلاميـة العالمية الدكتور: فريد ياسين قرشي المشرف العام للهيئة.

من جهـة أخرى قرر البنك الإسـلامي للتنميـة المساهمة في دعم مشروع إنشـاء المركـز الإقليمي لـلإنتـاج والتكـوين في المجـال السمعي والبصري الـذي أعدتـه المنظمـة الإسـلاميـة للتربيـة والعلـوم والثقافة.

كفالة كويتية لـ ١٢٠٠ يتيم كمبودي

صرح رئيس لجنة جنوب شرق آسيا بجمعية إحياء التراث الإسلامي عن عزم اللجنة كفالة «١٢٠٠ يتيم» كمبودي على مدى الثلاث سنوات القادمة مع تربيتهم وإعدادهم للدراسة العلمية والشرعية.

ويعلل رئيس لجنة جنوب شرق آسيا جمال الحداد كفالة هذا العدد إلى انتشار الأيتام في كمبوديا بشكل ملحوظ جدا وأصبح أبناء المسلمين يعيشون على قارعة الطريق بانتظار مستقبل مجهول يتربص بهم، يلتقطون قشاش الأرض إذا لم يجدوا ما يسد جوعهم، حيث يصل عدد الأيتام في كمبوديا إلى «٣ آلاف يتيم» لا يجدون من يكفلهم، في حين وصل عدد الأيتام الذين تكفلهم لجنة جنوب شرق آسيا إلى «٣٥٢ يتيما» فقط وذلك لعدم وجود هيئات أو جميعات لها نشاط في كمبوديا سوى لجنة جنوب شرق آسيا حيث يكمن نشاطها في إنشاء المشاريع الخيرية وكفالة الأيتام والدعاة.

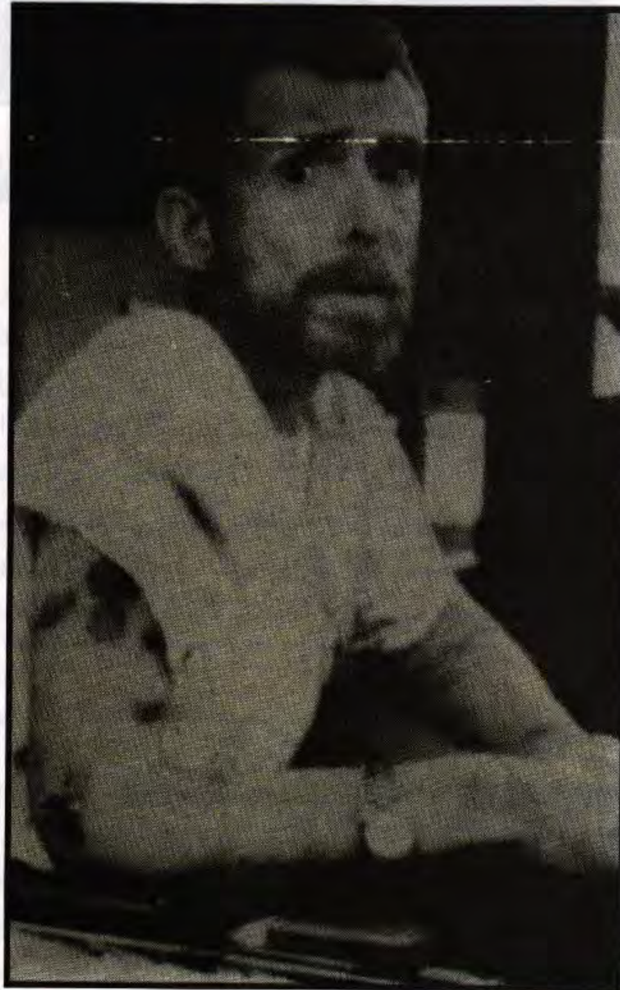
وأكد الحداد ان اللجنة ترغب في تطبيق خطة لكفالة «٥٠٠ يتيم» بداية من عام «١٩٩٥م» لكل عام، وأما بالنسبة للدعاة فقد وصل عددهم إلى مايزيد على «١١٢ داعية» ونحرص على وزيادة عددهم إلى «٢٠٠ داعية ومدرس» خلال الثلاث سنوات المقبلة.

وأوضح الحداد ان اللجنة بصدد إنشاء أفرع لمتابعة الأيتام والدعاة والمدرسين والمشاريع الخيرية إلى جانب متابعة الدورات التدريبية والتعليمية في أربع محافظات هي كمفونغ سام وكمفونغ جهنانج وكمبوط وبدم بونغ.

خسائر نفطية نيجيرية

قال وزير النفط دون اتيبيت أن نيجيريا ضاع عليها ١٥٠ مليون دولاراً بسبب انخفاض صادرات النفط اثر اضراب عمال النفط الذي انتهى مؤخرا، ونقلت وكالة الأنباء النيجيرية عن اتيبيت قوله: «انخفضت صادراتنا ما بين ٤٠٠ ألف و٥٠٠ ألف برميل يوميا أثناء فترة الإضراب». وأضاف يقول: إن فرع شركة شل في نيجيريا كان الأكثر تضررا حيث سجل انخفاضا بلغ في المتوسط ٤٠٠ برميل يوميا.

وقد علق الإضراب – الذي دام شهرين – مطالبه بإطلاق سراح الزعيم المعارض «مسعود أبيولا» بعد أن عزلت الحكومة زعماء نقابات عمال النفط وأمرت أعضاءها بالعودة إلى العمل.



ضحايا الأيدزفي فرنسا

قالت وزارة الصحة الفرنسية إن نحو ١٢٢٧ شخصا توفوا بسبب مرض الايدز في فرنسا خلال النصف الأول من هذا العام وهو ما يعادل أقل من نصف عدد وفيات الايدز في العام الماضي ككل والذي بلغ ٣٤٢٤ حالة.

وقالت الوزارة إن هذا يعني ارتفاع إجمالي الوفيات التي تسبب فيها الايدز حتى الآن إلى ١٨١٩٧ شخصا. وكانت فرنسا التي يوجد بها أكبر عدد من الاصابات بالايدز في أوروبا قد بدأت حملة مكثفة لمحاربة انتشار المرض القاتل.

قتلى الحرب الأهلية اللبنانية

بلغ عدد قتلى الحرب الأهلية اللبنانية طيلة ١٧ عاما (١٩٧٥ – ١٩٩١) عددا تراوح مابين ١٥٠ ألفا و٢٠٠ ألف فيما بلغ عدد الجرحى نحو ثلاثمائة ألف لبناني.

وقدرت وزارة الشؤون الاجتماعية في تقرير أصدرته أمس عدد المهاجرين من لبنان إلى الخارج بنحو تسعمائة ألف مواطن لبناني.

توصيات مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية

شهدت مدينة إسلام آباد في باكستان خلال الفترة ما بين ٧ – ٩ سبتمبر الماضي اجتماع وزراء خارجية الدول الإسلامية وقد ناقش المؤتمر مختلف القضايا الإسلامية واتخذ بشأنها القرارات والتوصيات التالية:

* الشرق الأوسط – أعربت المنظمة عن دعمها لاتفاقات السلام التي تم التوصل إليها مؤخرا في إطار عملية السلام وعن دعمها لمنظمة التحرير الفلسطينية مع تكرار تأكيدها بأن «السلام العادل والشامل» لا يمكن أن يتحقق إلا «بانسحاب إسرائيل الكامل وغير المشروط» من جميع الأراضي المحتلة بما فيها القدس. واستنكر الخطط الإسرائيلية الهادفة إلى «الاستيلاء» على القسم الأكبر من الحرم الإبراهيمي في الخليل «وتهويده».

* ليبيا – وفيما يتعلق بالنزاع القائم بين ليبيا من جهة والولايات المتحدة وبريطانيا من جهة أخرى أعلنت المنظمة دعمها لقرار اتخذته الجامعة العربية في آذار – مارس ١٩٩٤ يطالب بأن يحاكم المتهمان الليبيان في اعتداء لوكيربي «١٩٨٨» أمام قضاة اسكوتلنديين ووفقا للقوانين الاسكتلندية في محكمة العدل الدولية في لاهاي.

* البوسنة – أوصت المنظمة برفع الحظر عن شحن الأسلحة إلى مسلمي البوسنة واعتبرت أنه في حال عدم حصول ذلك فإن بإمكان أعضائها الـ ٥١ تزويدهم منفردين أو مجتمعين «بالوسائل الضرورية للدفاع عن النفس». وطالبت بقطع جميع العلاقات الاقتصادية بين أعضائها وصربيا ومونتينيغرو. ورأت أن احتمال تخفيف العقوبات الدولية المفروضة على صربيا الذي يقترحه بعض أعضاء لجنة الاتصال «الولايات المتحدة وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وروسيا» هو عمل «غير مقبول».

* كشمير – أدانت منظمة المؤتمر الإسلامي «الانتهاكات الكثيرة لحقوق الإنسان» في كشمير، وكررت التأكيد على حق شعب كشمير في تقرير مصيره. وقررت – وفي إطار الأمم المتحدة – إنشاء «مجموعة اتصال» تكون مهمتها «تنسيق» جهود الدول الأعضاء حول كشمير.

* أفغانستان – أشارت المنظمة إلى «الحاجة الملحة لقيام توافق سياسي بين الأطراف الأفغانية» ودعت إلى «احترام سيادة ووحدة أراضي» أفغانستان.

* أذربيجان – أدانت المنظمة «العدوان الأرمني» على أذربيجان مشيرة إلى ما يمثله من تهديد للسلام.

الدول الصناعية والإضرار بالبيئة

حملت وكالة الأمم المتحدة للبيئة، الأقلية الغنية في شمال العالم المسؤولية عن معظم المشكلات البيئية على الأرض. وقالت اليزابيث بودسويل المدير التنفيذي لبرنامج البيئة التابع للأمم المتحدة: أن دولا آسيوية تعقد من المشكلة بتقليدها الغرب.

وصرّحت أمام المؤتمر الدولي للسكان والتنمية بقولها: «ما يقلقنا ليس عدد سكان كوكب الأرض وحسب، وانما الكيفية التي يتصرفون بها أيضا». وقالت: «عدد قليل نسبيا من العالم الغني يتصرف بتلك الطريقة التي تجعل ضررهم على البيئة يمثل مايقرب من ثلثي الدمار البيئي العالمي مقاسا باستخدام الطاقة». وقالت: إن التأثير الاستهلاكي على البيئة للطفل الذي يولد في الولايات المتحدة على سبيل المثال يبلغ ٣٠ مرة مثل تأثير مثيله ممن يولد في الهند.

وأضافت: إن متوسط استهلاك الأمريكي من الطاقة يبلغ ثلاثة أمثال الياباني وستة أمثال المكسيكي و١٢ مثل الصيني و٢٨١ مثل التنزاني و٤٢٢ مثل الأثيوبي. وقالت: «يجب أن يوضع في الاعتبار أن أنماط الاستهلاك في الجنوب تباري وعلى جناح السرعة أنماط الاستهلاك في الشمال. فالأخطاء التي ترتكب في الاقتصاديات الآسيوية تحاكي بالفعل أخطاء العالم الصناعي». وانتقدت بودسويل دعم المنتجات الزراعية وأسعار الطاقة التي لا تراعي الكلفة البيئية باعتبار انهما عاملان يحرضان الأسواق على تشجيع الاستهلاك المفرط.



الحمد لله رب العالمين القائل في محكم كتابه الكريم: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [النساء/١]. والصلاة والسلام على رسوله الأمين سيدنا محمد القائل في سنته المطهرة: «خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائه، ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم» [رواه ابن ماجه وأبو يعلى وغيرهم]. ورضي الله تعالى عن آل نبينا الأبرار وأصحابه الأخيار، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين..

حقوق الأسرة في ظل التشريع الإسلامي

بقلم أ.د: أحمد الحجي الكردي*

أما بعد؛ فإن موضوع حقوق الإنسان هو موضوع العصر، بل موضوع الساعة، ولا يعني ذلك أنه موضوع جديد أو طارىء، بل إنه موضوع قديم قدم التاريخ، إلا أن بروزه في السنوات الأخيرة على بساط البحث كان بروزا متميزا عن غيره من الموضوعات الهامة، وبخاصة بعد انتهاء الحرب الباردة بين الشرق والغرب، فقد تميزت موضوعات حقوق الإنسان والديمقراطية عن سائر الموضوعات الهامة الأخرى، وذلك نتيجة لبروز صراعات جديدة بين بني البشر في شتى أنحاء الأرض، أهين فيها الإنسان واستُذل وعُذب وشُرد تحت لواء الديمقراطية وحقوق الإنسان، وتحت بصر وسمع الأمم المتحدة نفسها والعالم أجمع، كما هو الحال في البوسنة والهرسك، والصومال، وفيتنام، والهند، وكشمير، وفلسطين وغيرها من أنحاء الأرض، والأمم المتحدة والعالم كله ينظر ويراقب، وكأن الأمر لا يعنيه ولا يهمه في شيء..

أين لوائح حقوق الإنسان التي أصدرتها ووقعت عليها كل أمم الأرض، انها حبرٌ على ورق، لأنها نصوص مرنة مطاطة من جهة، ولأنها لا تجد القلوب المؤمنة بها التي تحملها وتحميها، وفي هذا المجال لا بد لنا أن نتساءل ونقول: أليس للإسلام مكان في شرعة حقوق الإنسان، يعلنها ويحميها، أم هو غافل عنها كغفلة غيره من النظم والشرائع التي تكتفي بإعلان نصوص مرنة براقة ثم تترك أمر تطبيقها لأهواء لم تؤمن بها من أعماقها، ولم تحملها بين جوانحها، وتضحي في سبيل تحقيقها بالغالي والرخيص..

والجواب أن للإسلام السبق من حيث التاريخ، والسبق من حيث جدية التطبيق على سائر أنظمة الأرض في هذا المجال، وماخطبة حجة الوداع التي تقدم بها نبي الإنسانية كلها محمد بن عبدالله ﷺ إلا إعلان لحقوق الإنسان، وعته القلوب، وحملته النفوس وطبقته كأحسن ما يكون التطبيق على بساط الواقع: «فإن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا» [الترمذي/٢٥٩]..

وقد خص الإسلام الأسرة بمزيد من العناية في هذا المجال، لأهميتها العظمى في بناء المجتمع، فبيّن حقوق كل فرد من أفرادها قبل الأفراد الآخرين بيانا مفصلا قائما على الموضوعية المطلقة والعدالة التامة، فبيّن حقوق كل من الزوجين قبَلَ الزوج الآخر. من الناحيتين المادية والمعنوية، كما بيّن حقوق الأولاد قبَلَ الأبوين، وحقوق الأبوين قبل الأولاد، ثم حقوق الإخوة بعضهم قبَل الأبوين، وحقوق الأبوين قبَل الأولاد، ثم حقوق الإخوة بعضهم قبَل بعض، وأخيرا حقوق الأعمام والأخوال ومن وراءهم من أفراد الأسرة الكبيرة (العشيرة).. وذلك على النحو التالي:

١ - حق اختيار الزوج لزوجه والزوجة لزوجها:

* استاذ بكلية الشريعة بدمشق، وخبير في الموسوعة الفقهية بالكويت

لقد أعطى الشارع الإسلامي لكل من الرجل والمرأة العاقلين البالغين الراشدين حق اختيار شريك حياته بملء إرادته واختياره دون أي ضغوط أو عوائق في ذلك من أي من الناس، وذلك على خلاف عادات العرب في الجاهلية وعادات كثير من المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية إلى يومنا هذا، حيث يزوج الرجل بمن لا يرغب بها وتكره المرأة على الزواج ممن لارغبة لها فيه أيضا، كابن العم وابن الخال وغير ذلك..

فقد روت السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله تعالى عنها - فقالت: جاءت فتاة إلى النبي ﷺ تشكوه أباها، فقالت: يا رسول الله: إن أبي يريد أن يزوجني من ابن أخيه ليرفع بي خساسته، فأرسل النبي ﷺ إلى أبيها، فلما جاءه واستوثق منه لصحة قولها قال للفتاة: «أمرك إليك». فقالت الفتاة: أجزت ما فعل أبي، فقال النبي ﷺ لها: «ففيم إذن»؟ قالت: ليعلم البنات بعدي أن ليس لآبائهن من أمورهن شيء» [أخرجه النسائي]..

هذا إذا كانت الفتاة والفتى كاملي الأهلية، فإن كانا قاصرين كان لابد من موافقة ولديهما على زواجهما كسائر تصرفاتهما الأخرى. إلا أن للولي بعض الحق في أمر زواج الفتاة البالغة الراشدة إذا مس هذا الزواج مصالح الأسرة، كأن تتزوج الفتاة ممن دونها في الكفاءة، فإنه في هذه الحال له أن يتدخل ويمنع هذا الزواج، بل يفسخه إن عُقدَ؛ ما لم يحصل بعده حمل أو ولادة؛ وذلك حماية لمصالح الأسرة وسمعتها..

إلا أن التشريع الإسلامي أحاط هذا الحق في اختيار كل من الزوجين لشريك حياته بسياج من النصح والإرشاد ضمانا للسعادة واستمراراً للحياة، فأوصى الشاب بحسن الاختيار، كما أوصى الشابة بحسن الاختيار أيضا، فقال النبي ﷺ للشباب: «تخيروا لنطفكم، وانحوا الأكفاء وأنكحوا اليهم» [رواه ابن ماجه وغيره]. كما قال لهم: «تنكح المرأة لأربع: لمالها وجمالها وحسبها ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» [متفق عليه]. وقال عليه الصلاة والسلام للفتيات وأوليائهن: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» [رواه الترمذي]..

٢ - حق الإنجاب والنسل:

لقد جعل الشارع الإسلامي الإنجاب حقا لكل من الزوجين قبل الآخر فلا يمنع منه بغير رضاه، بل إن الإنجاب هو الغاية الأولى من الزواج، قال تعالى: ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ [الكهف/٤٦]. وقال ﷺ: «تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة»، وفي رواية: «تزوجوا الودود الولود اني مكاثر الأنبياء يوم القيامة» [رواه أحمد وابن حبان]..

إلا أن الإسلام لم ينس تلك الحالات الخاصة التي قد تحدوا بالإنسان إلى عدم الإنجاب - تحديد النسل - كالمرض مثلا، فقدرها حق قدرها مراعاة لها، فقد ثبت ان الصحابة سألوا النبي ﷺ عن العزل - وهو أحد طرق منع الحمل - وقالوا له: ان اليهود يقولون أن العزل هو الموؤدة الصغرى، فقال: كذبت يهود، لو أراد الله ان يخلقه ما استطعت أن تصرفه» [رواه أبو داود]. ومثل العزل سائر وسائل منع الحمل، إذا لم يكن فيها ضرر صحي أو اجتماعي، إلا أن ذلك استثناء من القاعدة منوط بالمصالح والحالات الخاصة، والقاعدة الأساس اطلاق النسل مع التأكيد على حسن التربية والأعداد..

٣ - حق المهر:

جعل التشريع الإسلامي المهر حقا للزوجة على زوجها يثبت لها بمجرد العقد الصحيح، ويتأكد بالدخول أو الخلوة الصحيحة، قال تعالى: ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلةً فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ﴾ [النساء/٤]..

والمهر هدية إلزامية تجب على الزوج لزوجه تكريما لها واهتماما بها، وهو من النظام العام الذي لا يسقط بإسقاط أحد، حتى الزوجة نفسها إذا أسقطته في عقد الزواج عن الزوج لا يسقط، ولها المطالبة به بعد ذلك. فإذا ذكر في العقد تسمية صحيحة للمهر لزم المسمى، والالزم مهر المثل. وكذلك حق الزوجة في قبضه، فإنه حقها وحدها ولا يقبضه أحد عنها بغير إذنها، فإذا قبضه وكيلها أو وليها مع منعها له من ذلك لم تبرأ ذمة الزوج عنه بهذا القبض، وذلك على خلاف. فبعض العادات الفاسدة في بعض المجتمعات ممن جعل المهر حقا للولي يقبضه ويصرفه في مصاحله ظلما وهضما للحقوق.. والمهر لا حَدّ لأقله ولا لأكثره عند أكثر الفقهاء، وإن كان المرغّب فيه هو التخفيف والتبشير..

٤ - حق النفقة:

جعل التشريع الإسلامي نفقة الأسرة «الزوجة والأولاد والوالدين» واجبة على الزوج وحده في ظل توزيع عادل لمسؤوليات الأسرة وأعبائها بين الزوج والزوجة، حيث جعل الإنفاق واجبا على الزوج، وجعل الحضانة والإرضاع واجبين على الزوجة. والنفقة الواجبة هنا هي نفقة الكفاية، وهي الطعام والكساء والمسكن والدواء والخدمة بما يناسب حال الزوج ثراء وفقرا. قال تعالى ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ﴾ [البقرة/٢٣٣]، وقال جل من قائل: ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدر عليه رزقه، فلينفقْ مما آتاه الله لا يكلِّف الله نفساً إلا ما آتاها ﴾ [الطلاق/٧]..

٥ - حق الحضانة:

أثبت التشريع الإسلامي للأم حق الحضانة لأطفالها ما داموا بحاجة ماسة إلى تلك الحضانة، وجعلها واجبا عليها إلى جانب أنها حقها، إلا أنها واجب ديني لا قضائي فإذا امتنعت عنها لغير سبب أثمت عند الله تعالى ولم تجبر عليها قضاء ما لم تتعرض مصلحة القاصر للضرر الشديد، وفي ذلك منتهى التكريم من التشريع الإسلامي للمرأة بعامة وللأم بخاصة، مراعاة منه لظروف طارئة قد تنتاب الأم فتمنعها من حضانة أطفالها في وقت لا تستطيع معه اثبات هذا الظرف قضاء..

والحضانة شرعاً حق الأم لا تنزع منها مادامت صالحة لها سواء في أثناء حياتها الزوجية أو بعد انفكاكها بالطلاق أو الموت، وهي من النظام العام، فلا تسقط بأسقاط أحد، حتى الأم إذا اسقطت حضانتها وامتنعت عن العناية بأطفالها مدة لسبب أو بغير سبب ثم عادت وطالبت بهذا الحق أجيبت إليه ما دامت مهيأة لها..

والحضانة حق الأم حتى يشب الأولاد ويستغنوا بأنفسهم عن خدماتها الذاتية، ثم يكونون في رعاية أبيهم تلبية لحق الولاية عليهم، ومراعاة لمصلحتهم بعد أن كبروا واحتاجوا إلى رعاية الرجال..

إلا أن الأم لا تمنع من الإشراف على أولادها بعد سن الحضانة، كما لا يمنع الأب عن الإشراف على أولاده في أثناء الحضانة، وينتظم ذلك عند التنافي بمعرفة القضاء وهو ما يسمى (بحق الاراءة)..

٦ - حق النسب:

حقوق الأسرة في ظل التشريع الإسلامي

النسب هو الانتماء للأبوين، وقد جعله التشريع الإسلامي حقا لكل طفل على أبويه الذين تولد من مائهما، فأما الأم فإثبات النسب منها يكون بإثبات الولادة، وهي واقعة مادية قابلة للإثبات بالطرق العادية، ولا يسأل إن كان وُلد منها بسبب مشروع أو غير مشروع، وأما الأب فإن إثبات النسب منه لا يعتمد على الطرق العادية لاستحالتها، ولذلك استعيض عنه بالطرق الشرعية وهي ثلاثة: الفراش، والقرار، والبينة..

فأما الفراش فإنه العقد الشرعي المستوفي لشروطه، ومثله العقد الفاسد إذا تبعه دخول، أو الوطء بشبهة معبرة، وذلك إذا لم يقم مانع من التقاء الزوجين مع بعضهما. قال تعالى: ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ﴾ [البقرة/٢٣٣]، وعلى ذلك فأيما امرأة أنجبت وبينها وبين رجل عقد زواج صحيح أو عقد فاسد تبعه دخول؛ أو وطء بشبهة معتبرة؛ نسب ولدها إليه حكما دون حاجة إلى دعوى أو اجراء، فإن وجد مانع عقلي أو عادي من التقائهما كان ولدت لأقل من ستة أشهر من تاريخ العقد، أو كان بينها وبين زوجها ما يمنع اللقاء بينهما، كبعد المسافة أو السجن، لم ينسب إليه بالفراش، ولكن إن أقرّ به أو شهدت بيّنة على أن ابنه نسب إليه، وإلا فلا..

وأما الأقرار فهو الاعتراف ببنوته منه، فإذا تم الاعتراف بشروطه الشرعية نسب إليه ولم يسأل إن كان ذلك بسبب مشروع أو غير مشروع. قال تعالى: ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴾ [القيامة/١٤]..

وأما البينة فهي شهادة رجلين أو رجل وامرأتين من العدول على أنه ابنه، ويكفي في ذلك الشهادة على التسامع. قال تعالى: ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ﴾ [البقرة/٢٨٢]..

ثم ان النسب إذا ثبت للطفل من أبويه أو حدهما لم يسقط مجال من الأحوال بغير اللعان، واللعان نافذة ضيقة جدا لاسقاط النسب بعد ثبوته بالفراش لأنه محفوف بشروط قاسية يصعب تحقيقها غالبا.. وإذا ثبت النسب تعلقت به جميع أحكامه، من النفقة، والمحرمية والإرث والحضانة وغيرها..

ولا يصح التبني في شريعة الإسلام طريقا لإثبات النسب، وقد نص الله تعالى على ذلك في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ [الأحزاب/٤] كما لا يصح الالتقاط طريقا لإثبات النسب، لأنه ضرب من التبني..

٧ - حق الرضاع:

أوجب التشريع الإسلامي على الأم إرضاع طفلها حتى يستغني عن ذلك، وقد حدد الإسلام نهاية مدة الرضاع المتوجب على الأم في الأحوال الطبيعية بسنتين. قال تعالى: ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ [البقرة/٢٣٣]، وقال سبحانه: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ﴾ [لقمان/١٤]. فإذا لم يستغن الولد عن الرضاعة بعد هذين العامين لأسباب مرضية أو غيرها وجب أرضاعه حتى يستغني..

إلا أن هذا الحق مربوط باستطاعة الأم وقدرتها على الإرضاع وتوفر الحليب في ثدييها، وإلا كان تكليفا بما لا يطاق، وهو ممنوع شرعا لقوله تعالى: ﴿ وماجعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج/٧٨]. ولما كان ذلك الحرج منوطا بالأم وحدها ولا يعرف إلا من قبلها، وهو غير قابل للإثبات بالطرق العادية، جعل الوجوب على الأم ديانيا، فإذا امتنعت منه لغير سبب ظاهر أثمت عند الله تعالى ولم تجبر عليه قضاء، ووجب على الأب تأمين إرضاعه على نفقته بالوسائل الأخرى..

٨ - حق الطلاق:

جعل التشريع الإسلامي الفراق وإنهاء الحياة الزوجية حقا لكل من الزوجين مجتمعين ومفترقين كما الزواج، كما جعله حقا للقاضي ينفرد به ويفرضه على الزوجين، إذا قامت أسباب تدعو إلى ذلك..

إلا أن لممارسة هذا الحق من كل من الزوج والزوجة والقاضي شروطا وأحوالا تختلف في كل منهم عن الآخر. قال تعالى: ﴿ الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان، ولا يحل لكم أن تأخذوا مما اتيتموهن شيئا إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون. فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ﴾ [البقرة/٢٢٩و٢٣٠]، وقال تعالى: ﴿ وان يتفرقا يُغْنِ الله كلاً من سعته وكان الله واسعا حكيما ﴾ [النساء/١٣٠]..

وذلك كله بعد بذل الجهد الكامل من قبل كل من الزوجين قبل الآخر على الصبر والاحتمال والاحتساب ابتغاء الأجر والمثوبة، قال تعالى: ﴿ وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ [النساء/١٩]..

ثم بذل الجهد عن طريق وساطة الأقرباء من الحكماء من كلا الجانبين لرأب الصدع وجمع الشمل وإعادة الألفة. قال تعالى: ﴿ فإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما كلا أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً ﴾ [النساء/٣٥]..

ذلك ان آخر دواء الضرس القلع، وآخر دواء العضو البتر، وإلا كان فيه فساد الجسد كله..

٩ - حق الأرث:

جعل التشريع الإسلامي التوارث حقا محصورا بالأسرة وهو حق للرجال والنساء على سواء. قال تعالى: ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ﴾ [النساء/٧]، وذلك على

■ تكريم المرأة في الإسلام جزء لا يتجزأ من تكريمه للإنسان وتفضيله على كثير من العالمين

خلاف ما كان عليه الأمر في الجاهلية ولدى الكثيرين من أمم الأرض، حيث يكون الإرث محصورا في الرجال دون النساء، بل في بعض الرجال فقط دون غيرهم، وهم الأشداء الأقوياء دون الضعفاء والأولاد. فقد ثبت أن سعد بن الربيع استشهد في معركة أحد مع النبي ﷺ فجاءت زوجته وبنتاه إلى النبي ﷺ يشكون إليه أخاهم الذي استقل بالتركة كلها دونهن، فأرسل إليه فسأله فقال: ألست أنا الذي أحمي الحوزة وأدافع عن العشيرة؟! فقال له النبي ﷺ: «للبنتين الثلثان، وللزوجة الثلث ولك الباقي». [رواه الخمسة إلا النسائي]..

رتّب الدين الإسلامي على رباط النسب حقوقاً وواجبات تحقق حياة اجتماعية راقية ومتميزة

وإلإسلام جعل القاعدة الأساس في توزيع الإرث من الورثة المساواة بين الرجال والنساء الكبار والصغار، وربما فاضل بينهم لمعان خاصة، فأعطى النساء أكثر من الرجال أو الرجال أكثر من النساء، وربما أعطى النساء وصرح الرجال، أو أعطى الرجال وحرم النساء. وكل ذلك لأمور خاصة خارجة عن طبيعة الرجولة والأنوثة، خلافا لما يظنه البعض من الناس، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ﴾ [النساء/١١]. فإنه دليل قاطع على أن الأصل في الإرث أن للذكر مثل ما للأنثى إذا تجرد الأمر عن ظروف أخرى، ومثله الأخوة والأخوات لأم، فإن ذكرهم وأنثاهم سواء في الإرث. قال تعالى: ﴿ وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ﴾ [النساء/١٢]. وقد اجمع الفقهاء هنا على ذلك من غير خلاف..

١٠ – حق الولاية:

شرع الإسلام الولاية للأب على أولاده، ومن بعده لأبيه ومن وراءه من العصبات بالنفس، وجعل ذلك حقا وواجبا رعاية لمعنى الأبوة، وحماية لمعنى الطفولة، والولاية تثبت على الأولاد منذ تاريخ ولادتهم، وتستمر معهم حتى يبلغوا الرشد وهي رعاية شاملة تتضمن الحماية والمساعدة على تنشئة كريمة فاضلة، جسديا وفكريا وعقديا. فمن واجب الولي أن يقدم النفقة وأن يعنى بأمور التربية والسلوك، وأمور العلم والتوجيه إلى مهنة، ثم التطبيب والعلاج عند الحاجة؛ وما إلى ذلك، وقبل ذلك كله أمور العقيدة والدين، ثم أمور التزويج وبناء الأسرة، سواء أكان الولد ذكراً أم أنثى..

فإذا عجز الولي عن القيام بهذه المهمة أو ظن فيه العجز عزل ونقلت الولاية عنه إلى من بعده في الدرجة بحسب ما تقدم. وذلك حماية لشخص الولد وحسن رعايته وتنشئته، لأن الطفل بحق هو إنسان المستقبل، بل هو المستقبل كله، وبقدر ما يقدم له من الرعاية بقدر ما يكون له من الكفاءة في بناء الغد..

١١ – تعدد الزوجات:

لقد شرع الإسلام للرجل تعدد الزوجات حتى أربعة بعد أن كان في الجاهلية مباحاً بغير حدود، وذلك تلبية لحاجة اجتماعية إنسانية ضرورية لا حل لها إلا بذلك وهي كثرة عدد النساء في سن الزواج في كثير من الأحوال بالنسبة لعدد الرجال المؤهلين للزواج المستعدين لتحمل أعبائه ومسؤولياته، وفي هذه الأحوال لا مندوحة من إباحة التعدد أو اللجوء إلى المخاللة في الزوايا المعتمة، ولا أظن إنسانا عاملا يفضل الحل الثاني على الحل الأول ما دام لا ثالث بينهما..

وقد ضبط الشارع الإسلامي إباحة التعدد هذا بضوابط تكفل التخفيف من مثالبة، والنزول بها إلى الحد الأدنى مما يجعل المصالح المترتبة عليه أكبر منها، وهو كافٍ للإباحة في عرف التشريع، وأهم هذه الضوابط مايلي:

أ – جعل الحد الأعلى للتعدد أربعة، وكل تسديد بعد ذلك باطل.

ب – اشترط العزم على العدل بين الزوجات وعدم الخوف من الجوربينهن. قال تعالى: ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ﴾ [النساء/٣].

جـ – أباح تعزير الزوج إذا أضر بإحدى الزوجات أو أخل بمبدأ العدل بينهن في المسكن أو النفقة أوالمبيت.

د – جعل الإخلال بالعدل بين الزوجات من الضرر الذي يجوز طلب التفريق بسببه.

١٢ – حق الدية على العاقلة في القتل الخطأ:

لقد شرع الإسلام أنواعا من التعاون والتناحر بين المواطنين على أساس الجوار، والصداقة، ووحدة المهنة، ووحدة الثقافة، والقرابة. قال تعالى: ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وماملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ﴾ [النساء/٣٦]، وقال ﷺ: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» قيل: كيف أنصره ظالما؟ قال: «تحجزه عن الظلم فإن في ذلك نصره» [أخرجه البخاري وأحمد والترمذي]..

ومن هذه الأنواع من التناصر حق الدية على العاقلة في القتل الخطأ، فإذا قتل إنسان آخر خطأ كان عليه الكفارة وعلى عاقلته دية القتيل، والعاقلة هم الأسرة والعشيرة التي يتم بها التناصر في العرف، ولا يكلف القاتل من الدية إلا مثل ما يكلفه أي فرد من أفراد الأسرة والعشيرة، وذلك على خلاف القتل العمد، فإنه فيه القصاص على القاتل، فإن قبل أولياء القتيل منه المال بدلا من القصاص، فإنه واجب على القاتل وحده ولا يكلف به أحد من أفراد أسرته إلا أن يتبرعوا له طوعا، وذلك لوجود القصد الجرمي في الحالة الثانية دون الأولى، فكان الواجب التعاون فيها. والله تعالى أعلم ■

سبق الإسلامُ الشرائعَ المعاصرة في ميدان حقوق الإنسان وحفظ كرامته وتحقيق سعادته

أقر هذا النوع من العقوبة عـــــدد كبير مـن الأمم في مختلـف العصــــــور، وبخاصة اليهود واليونان والـرومــان والفـرس في العصور القـديمة، والأمم الأوربيــةالمسيحيـــة في العصـــور الـــوسطى والحديثـة. وسنلقي فيما يلي نظـرة على اوضاع هـذ النظام الغـريب في شرائع هذه الأمم وموقف الاسلام حياله.

بقلم: بدرت نوال محمد بدير

عقوبة الحيوان والجماد عما يتسببان في إحداثه

اقرت أسفار اليهـود المقدسة مسؤولية الحيوان وعقـابه في حالتين تتعلق احـداهما بتسبب الحيـوان في موت الانســان وتتعلق ثـانيتهما بالاتصال الجنسي بين انسان وبهيمة.

أما الحالة الأولى : فقـد نص عليها سفر الخروج وهـو احد الاسفار التي يـزعمون انها التـوراة إذ يقـول: «إذا نطح ثـور رجلا او امـرأة، وأفضي ذلك الى مـوت النطيح، وجب رجـم الثـور وحـرم أكل لحمـه، ولاتبعة على مـالكه إذا لم يكن الثـور معتادا النطح، فـان كان ذلك من عادتـه وأنذر الناس صاحبـه فلم يعبأ بانذارهم، وأهمل رقـابته حتى تسبب في هلاك رجل أو امرأة كـان جزاء الثور الرجم وجـزاء صاحبه الاعدام.» «فقرتي ٢٨ و٢٩ من الاصحاح ٢١ من سفر الخروج».

وهذه النصـــوص صريحة في اعتبار الثور في هاتين الصـــورتين اهلا لاحتمال المسؤولية الجنائية، وفي اعتبار رجمه عقوبة بالمعنى القانوني الدقيق لكلمة العقـوبة، وقد تولـدت مسؤوليته هذه من جـرم أحدثه، ووقعت تبعته ونتائجها عليـه وحده في الصورة الأولى، ولكنها شملت كذلك صاحبه في الصورة الثانية لمظنة إهماله.

وأما الحالة الثانية: فقد نص عليهـا سفر اللاويين» وهو كذلك احد الاسفار التي يـزعمون انها التـوراه..»إذ يقول «إن قـرب رجل بهيمة حكم على كليهما بـالموت، وان قـربت امـرأة حيـوانـا وجب قتل المرأة والحيوان».

القانون اليوناني ومسؤولية الحيوان الجزائية

ولاتقل هـذه النصوص صراحـة عن النصوص الســابقة في اعتبـار الحيـوان في هـاتين الصـورتين أهلا لاحتمال المسـؤوليـة الجنـائيـة ومايترتب عليها من عقوبة وخـاصـة لما يقرره كتاب «المشناة» (الذي يتألف منـــه ومن شرحـــه المسمى الجمارا أسفـار التلمـــود) من ان المقصود بكلمتي «القتل» و«الموت» الواردتين في النصوص السابقة هو الرجم، وذلك ان تنفيـذ الاعدام على هذا الوجـه لم يعهد إلا في الحدود

الشرعية التي تفترض أهلية الكائن لاحتمال المسؤولية والجزاء، وقد تولدت هذه المسؤولية في الصورة الأولى لمجرد عمل لابس الحيوان بدون ان يكون له دخل في احداثه، وفي الصورة الثانية لعمل لابسه وكان له دخل ما في احداثه، ووقعت تبعتها ونتائجها في الصورتين على الحيوان والانسان الذي اقترف الجرم.

■ أقرت الشريعة اليهودية واليونانية والرومانية عقوبات محددة للحيوانات على ما تتسبب به من أضرار

وقد حرص قدماء اليونان على عقاب الحيوانات والجمادات المتسببة في هلاك الانسان حتى لقد انشأوا لذلك محكمة مستقلة كان يطلق عليها اسم « البريتانيون» وهو اسم المكان الذي كانت تعقد جلساتها فيه.

وقد اشار ديموستين من اشهر خطباء اليونان في القرن الرابع ق.م ٣٨٤ - ٣٢٣ق.م. الى هذه المحكمة في عبارة تدل على انها كانت لاتزال قائمة في عصره وذلك اذ يقول: إذا سقطت صخرة او قطعة حديد او خشب على شخص فأهلكته وجب ان تقام عليها الدعوى امام محكمة «البريتانيون».

ويفهم مما كتبه كبير فلاسفتهم أرسطو «٣٨٤ - ٣٢٢ق.م» في هذا الصدد انه كان يحاكم امامها كذلك الحيوانات المتسببة في موت الآدميين، ويظهر انه كان يحكم على الجماد بالتحطيم وعلى الحيوان بالاعدام، وان كليهما كان يقذف به عقب ذلك في خارج حدود البلاد.

وهذه عقوبة اضافية تشبه عقوبة النفي التي توقع في بعض الجرائم على الآدميين. وقد اقر افلاطون «٤٢٩ - ٣٤٧ق.م» هذا المبدأ في كتابه «القوانين» اذ يقول: «اذا قتل حيوان انسانا كان لأسرة القتيل الحق في اقامة الدعوى عليه « على الحيوان » امام القضاء ويختار أولياء الدم القضاة من المزارعين، ولهم ان يختاروا منهم اي عدد يشاءون، وفي حالة ثبوت الجريمة على الحيوان يجب قتله قصاصا والقاء جثته في خارج حدود البلاد»، ويستثنى من ذلك القتل الناشيء عن مبارزة بين الانسان والحيوان في مسرح الألعاب العمومية«السيرك» فان هذا لايترتب عليه اي اجراء قضائي، وإذاسقط جماد على انسان فأهلكه، سواء أكان سقوطه ناشئا عن عامل طبيعي ام عن عمل انسان ،اختار أقرب الناس الي القتيل قاضيا من جيرانه ليحكم على الجماد ان ينبذ خارج حدود البلاد ويستثنى من ذلك الاشياء التي تقذف بها السماء كالنيازك والصواعق وماإليها فإذا تسببت هذه الاشياء في موت انسان لايترتب على عملها اي اجراء قضائي.

ومن المعروف ان معظم الشرائع التي ذكرها أفلاطون في كتابه «القوانين» قد استمد أصولها من نظم كانت متبعة بالفعل في بلاد اليونان.

عقوبة الحيوان في التشريع الروماني

وأقرت الشرائع الرومانية القديمة مسؤولية الحيوان في أحوال كثيرة، فالتشريع المنسوب الى نوما بومبيليوس «ثاني ملوك الرمان في عصورهم السابقة للتاريخ ٧١٤ - ٦٧١ق.م» يتضمن مادة تقضي بعقوبة الاعدام على الثور وصاحبه اللذين يتسببان في اثناء عملية الحرث في نقل الحد الفاصل بين الحقل المحروث والحقل المجاورله.

وقد أقرت شريعة الألواح الاثنى عشر نفسها وهي أساس شرائع الرومان في عصورهم التاريخية.

«حررت هذه الألواح سنة ٣٠٣ من تاريخ روما، وتاريخ روما يبدأمن نشأة روما سنة ٧٥٣ق.م، فيكون تحرير هذه الالواح حوالي سنة ٤٥٠ق.م اي في منتصف القرن الخامس ق.م» مسؤولية الحيوان في حالتين: احداهما: اذا تسبب في اتلاف أو ضرر. وثانيتهما: اذا رعي عشبا غير مملوك لصاحبه، فقد أوجبت في كلتا الحالتين على صاحب الحيوان ان يسلمه الى المجني عليه او يدفع الغرم المقرر ان اراد الاحتفاظ بحيوانه، ولم يقصد المشرع من تسليم الحيوان الى المجني عليه تحقيق عوض مالي له، وانما قصد تمكينه من المتسبب في ضرره ليتخذ حياله مايشاء، او يثار لنفسه منه على الوجه الذي يراه، ولذلك لم يقم القانون في حالة تسليم الحيوان اي وزن لقيمته المالية ونسبتها الى الضرر الذي احدثه، فمجرد تسليمه يعتبر مسقطا للخصومة، سواء أكانت قيمته مساوية لما احدثه ام كانت زائدة عليه قليلا أو كثيرا، ام كانت أقل منه أم لم تكن شيئا مذكورا بجانبه، ولذلك ايضا يقرر هذا القانون ان ملكية الحيوان اذا انتقلت بعد ارتكاب الحادث بالبيع او غيره من يد مالكه الأول فان الدعوى تقام على مالكه الاخير لاعلى المالك الذي اقترف الجرم في اثناء ملكيته له، ففي هذا دليل على ان المسؤولية تتجه اولا وبالذات الى الحيوان نفسه وتتعقبه حيثما يكون.

عقوبة الكلب في الزرادشتية

وورد في أسفار الابستاق (أو الأفستا وهي مجموعة الأسفار المقدسة المنسوبة لزرادشت التي تقوم عليها الديانة الزرادشتية التي كان يعتنقها الايرانيون في عصورهم القديمة وصدر عصورهم المتوسطة قبل اعتناقهم الإسلام) ان الكلب المصاب بمرض الكلب إذا عض خروفا فقتله أو انسانا فجرحه قطعت أذنه اليمنى، فان تكرر منه ذلك قطعت أذنه اليسرى، وفي المرة الثالثة تقطع رجله اليمنى وفي الرابعة رجله اليسرى وفي الخامسة يستأصل ذنبه، ويعاقب صاحبه كذلك ان كان قد أهمل في اتخاذ ماينبغي اتخاذه حيال كلبه من احتياط ورقابة، ولايخفيماينطوي عليه هذا القانون، وتنطوي عليه العقوبات التي يقررها في صورة مراعًى فيها سوابق الجاني من تسليم بأهلية الحيوان لاحتمال المسؤولية الجنائية ومايترتب عليها من جزاء.

■ ظلت قوانين الامم الاوروبية حتى صدر العصور الحديثة تعتبر الحيوان مسؤولا عن جناياته وتعاقبه عليها

عقوبة الحيوان والجماد

الشرائع الأوروبية في العصور الوسطى

وقد اتخذت شرائع الأمم الأوروبية المسيحيـة في العصور الوسطى حيال جريمة الاتصال الجنسي بين انسان وحيوان موقفا يشبه موقف الشريعة اليهودية بل يبدو أنه مقتبس منها، فكانت هذه الشرائع تحكم بالاعـدام حرقا في الغـالب على البهيمة التي يقربها انسـان، كما كانت تحكم بـذلك على الإنسـان نفسـه الـذي ارتكب هـذا الجرم، وكـانت الكنائس نفسها تشرف على تنفيذ هذه العقوبة.

وظلت شرائع الأمم الأوروبيـة المسيحيـة أمـدا طـويـلا في صـدر العصـور الحديثة نفسهـا تعتبر الحيـوان أهـلا لاحتمال المسؤوليـة الجنائية ومايترتب عليها من عقوبة.

وكانت فـرنسا أول أمة أوروبيـة مسيحية أخذت في هـذه العصور بمبـدأ مسؤوليـة الحيـوان ومعاقبتـه بجـرمـه أمام محاكم منظمـة وبالطرق القانـونية نفسها المتبعة في مقاضاة الانسـان، وقد ظهر هذا النظام لديها في أوائل القرن الثـالث عشر الميلادي، ثم ظهر في سردينيا في أواخر القرن الرابع عشر، وفي بلجيكا في أواخر القرن الخامس عشر وفي هـولندا وألمانيـا وايطاليـا والسويـد في منتصف القرن السـادس عشر.

وفي انجلترا في القـرن الثامن عشر، وظل العمل بـه قائما عنـد بعض شعوب الصقالبة حتى القرن التاسـع عشر الميلادي، ويؤخذ مما كتبه مؤرخـو القانـون في هذا الصـدد ان التسبب في قتل انسان كـان أهم جريمة يقدم من أجلها الحيـوان إلى ساحة القضاء، وأن المدعي كان في الغـالب النائب العمـومي نفسه وأحيـانـا المجني عليه، وان صـاحب الحيـوان كـان في امكانـه في بعض الأحـوال ان يـوقف الاستمـرار في القضية اذا تخلى للمـوتورين عن حيـوانه وان الاجـراءات التي كانت تتخذ حيال الحيـوان لم تكن لتختلف في شيء عن الإجراءات التي تتخذ حيال المجـرمين من الآدميين حتى لقد كان يحكم أحيانـا على الحيوان بالحبس الاحتيـاطي عند الحاجة الى ذلك، وأنـه في حالة ثبـوت الادانة كان يحكم على الحيوان بالإعدام وينفذ الحكم على مشهد من الجمهور وبالطريقة نفسها التـي ينفذ بها على الآدميين، وأن الاعدام كان يتخذ صورا كثيرة، ففـي الغالب كان يحكـم بشنق الحيوان وأحيانـا يحكم برجمه أو بقطع رأسـه او بحرقه ومااِلى ذلك، وفي بعض الأحـوال كان يقطع بعض أعضـائه قبل تنفيـذ عقـوبة الإعـدام في صـورة تمثل في جملتها مافعله المجني عليه.

■ حصرت الشريعـة الاسلاميـة المسؤولية الجنـائية وما يترتب عليهـا من جـزاء بـالإنسـان البـالغ العـاقل دون غـيـره

وان أسبـاب الأحكام التـي كانت تصـدرهـا المحاكـم حينئذ ضـد الحيوانات والنصوص الواردة في البحوث القانونية في ذلك العهد لتدل أقطع دلالة على جـدية هـذه القضايا، فكثيرا مـاتردد هـذه الاسباب وهـذه النصوص عبـارات لاتختلف في شيء عن العبارات التي كـانت تستخدم في جـرائم بني الانسان، وكثيرا مايـرد فيها« يحكم بـاعدام الحيوان تحقيقا للعـدالة» او «يقضي عليه بالشنق جـزاء ماارتكبه من جـرم وحشي شنيع» ومـا الى ذلـك من العبـارات الصريحة فيما نحن بصدد تقريره.

المسؤولية الجنائية في الإسلام

هـذا وقـد قضـت الشريعـة الإسـلاميـة الغـراء على جميع هـذه الانحرافات في نظم العقوبة، وقررت ان المسؤولية الجنائية ومايترتب عليها من جزاء لايقعان إلا على انسان بالغ عاقل، وان كل ماينجم عن عمل الحيـوان أو حركـة الجماد فهـو هدر ان لم يصحبـه اهمال من المالك ولاتعمد، فـان صحبه شيء من ذلك قضى على المالـك بتعويض مـالي للمجني عليه في بعض الأحـوال على مـاهو مبين في كتب الفقـه الإسلامي.

غير ان بعض فقهاء المسلمين قد ذهب في صدد البهيمة التي يقربها آدمي مذهبا يظهر في بادىء الرأي أنه ينطوي على اعتبار الحيوان أهلا لتحمل المسـؤوليـة الجنـائيـة والجزاء، ومن هـؤلاء فقهـاء المذهب الشافعي الـذين يرون في هذه الحالـة وجوب قتل البهيمـة بدون ذبح شرعي واحراق جثتها، ومنهم كذلك فقهاء المذهب الحنبلي الذين يرون وجـوب قتل البهيمة ويحرمـون أكل لحمهـا، ويـوقعون على الفـاعل عقوبـة التعزيـر وهى عقوبـة يقدرهـا القاضي في صـورة تتلاءم مع خطورة الجرم وحـالة المجـرم على ألا تصل في شـدتها الى درجة الحد المقرر في جريمـة الزنا، ويلزمـونه دفع قيمة البهيمة لمالكهـا ان كانت ملكـا لغيره، [انظر كتـاب «نبل المآرب بشرح دليل الطالب» في مـذهب الإمام أحمد بن حنبل ص ٢٢٣].

ومن هـؤلاء كـذلك فقهاء الشيعـة الامـامية وهـم الاثنا عشريـة أو الجعفرية الذين يتألف معظمهم من شيعة العراق وايران الذين يرون أن البهيمة في هذه الحالـة يجب ذبحها وحرقها ويغـرم الفاعل قيمتها لصاحبها ويحرم لحمهـا ولحم نسلها الذي جاء بعـد الوطء ان كانت مأكولـة اللحم، ويجب بيعها في بلـد آخر وهذا الإجـراء يشبه عقـوبة النفي التي تـوقع أحيانـا على بعض المجرمين من الآدمين، ويتصـدق بثمنها ويغرم لصاحبها قيمتها ان كانت غير مأكولة اللحم، وانه إذالم يقم دليل قـاطع على تعيين البهيمـة التي لابسهـا هـذا الجرم ضربت القرعة على البهـائم المشتبه فيها، فما أصابتها القـرعة من بينها تعتبر البهيمة المقصـودة وتتخذ حيالهاهـذه الاجراءات. [انظـر كتاب أصل الشيعة وأصـولها، للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطـاء، الطبعة الثانية ص ١٥٨].

غير ان من ذهبـوا هـــذا المذهب من فقهـاء المسلمين يقــررون هم أنفسهم أن الغرض من هـذه الاجراءات هو مجرد القضـاء على ذكرى الفاحشــة ومحو أثرها من النفـوس واتقاء مايجره بقـاء البهيمة على مرتكب الجرم من سخرية الناس وازدرائهم به وتعييرهم اياه ■

الأدب الإسلامي.. مفهومه وخصائصه والحاجة إليه

من أجل تأصيل الأدب الإسلامي في مجتمعاتنا المعاصرة ومن أجل مواجهة النظريات والمذاهب الأدبية العالمية التي لا تتفق مع مبادىء الإسلام تم الإعلان عن قيام (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) بتاريخ ٢/٣/١٤٠٥هـ الموافق ٢٤/١١/١٩٨٤م، وبعد عام تقريبا وفي شهر ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ الموافق يناير (ك٢) ١٩٨٦م انعقد المؤتمر العام الأول للرابطة في رحاب جامعة (ندوة العلماء) بلكنئو في الهند حيث تم وضع النظام الأساسي للرابطة وانتخب مجلس الأمناء، وانتخب سماحة الشيخ ابى الحسن الندوي رئيسا للرابطة.

ولا شك أن الأدب الإسلامي طريق مهم من طرق بناء الإنسان الصالح والمجتمع الصالح وإداة من أدوات الدعوة إلى الله والدفاع عن الشخصية الإسلامية وهو مسؤول عن الإسهام في إنقاذ الأمة الإسلامية لأنه أدب الشعوب الإسلامية على اختلاف أجناسها ولغاتها وخصائصه هي الخصائص الفنية المشتركة بين أداب الشعوب الإسلامية كلها وهو يقدم التصور الإسلامي للإنسان والحياة والكون، وصولا لنظرية متكاملة في الأدب والنقد.

وملامح هذه النظرية موجودة في النتاج الأدبي الإسلامي الممتد عبر القرون المتوالية لأنه حقيقة قائمة قديما وحديثا يبدأ من القرآن الكريم والحديث النبوي ومعركة شعراء الرسول ﷺ مع كفار قريش ويمتد إلى عصرنا الحاضر ليسهم في الدعوة إلى الله ومحاربة أعداء الإسلام والمنحرفين عنه فهو يرفض (أي الأدب الإسلامي) المذاهب الأدبية التي تخالف التصور الإسلامي والأدب العربي المزور والنقد الأدبي المبني على المجاملة المشبوهة أو الحقد الشخصي كما يرفض لغة النقد التي يشوهها الغموض وتفشو فيها المصطلحات الدخيلة والرموز



● الصورة: الشيخ الندوي متوسطا المنصة الرئيسية

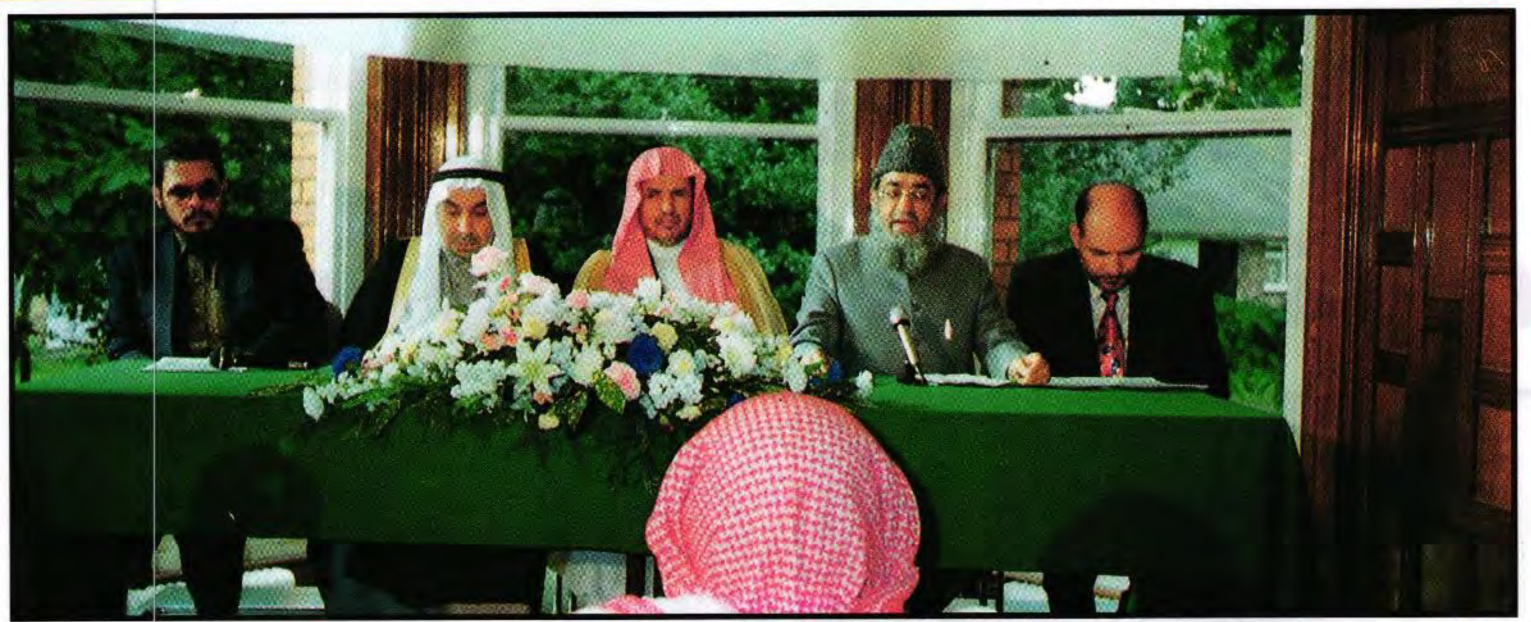
بقلم الدكتور: محمد عادل الهاشمي

المشبوهة ويدعو إلى نقد واضح وبناء.

ومن أجل ترسيخ هذه القيم والمبادىء عقدت الرابطة العديد من الندوات والمؤتمرات والأنشطة كان آخرها الندوة التي أقامتها بالتعاون مع (مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية) في بريطانيا، في شهر أغسطس (آب) الماضي برعاية الشيخ أبى الحسن الندوي رئيس الرابطة ورئيس مجلس أمناء المركز تحت عنوان (الأدب الإسلامي: مفهومه وخصائصه والحاجة إليه) وخلال جلسات الندوة الثلاث تم التعريف بأهمية الأدب الإسلامي، وأهداف الرابطة وظروف نشأتها وتطورها، والأهداف التي تسعى إليها..

كما قدمت العديد من الأبحاث الأدبية منها: (مفهوم الأدب الإسلامي وخصائصه) للدكتور عبدالباسط بدر، و(المنهج الإسلامي والالتزام عند باكثير) للدكتور محمد أمين توفيق، و(الصورة الإسلامية في شعر عدنان النحوي)، و(الحاجة إلى الرؤية الإسلامية في الأدب الانجليزي) للدكتور أنس الشيخ علي، و(حاجتنا للأدب الإسلامي) للأستاذ محمد رياض الندوي..

وقد اختتمت الندوة بإلقاء العديد من القصائد الشعرية الإسلامية المعاصرة ألقاها كل من: د. عبدالقدوس أبوصالح، ود. أحمد بسام الساعي، ومحمد هاشم رشيد، ومحمود الدغيم.. كانت الندوة فرصة طيبة للقاء عدد متميز من الفعاليات الإسلامية والعاملين في حقل الأدب والنقد الأدبي بالإضافة إلى العلماء والدعاة، أثروا جلساتها بنقاشات عن مفهوم (الأدب الإسلامي) و(الأدب الإسلامي الغربي)، وتعتبر نموذجاً طيباً على تعاون المؤسسات الإسلامية الهادفة ■



لقطة من حفل الافتتاح

افتتاح المدرسة الإسلامية في مانشستر - بريطانيا

مدينة مانشستر احدى كبريات المدن البريطانية وتقطنها جالية إسلامية تعدادها أكثر من ٨٠ ألف نسمة، وإلى فترة قريبة لم يكن هناك أية مدرسة إسلامية تخدم أبنائها، ولكن بتوفيق الله ثم بمساندة الخيرين من المسلمين داخل وخارج بريطانيا وخاصة من الكويت والمملكة العربية السعودية، أسست هيأة لتحقيق قيام مدارس إسلامية في مانشستر، وكانت نقطة البداية: الثانوية الإسلامية للبنات، ودار حضانة للأطفال سرعان ما توسعت في سبتمبر (أيلول) عام ١٩٩٣م لتصبح (المدرسة الابتدائية الإسلامية).

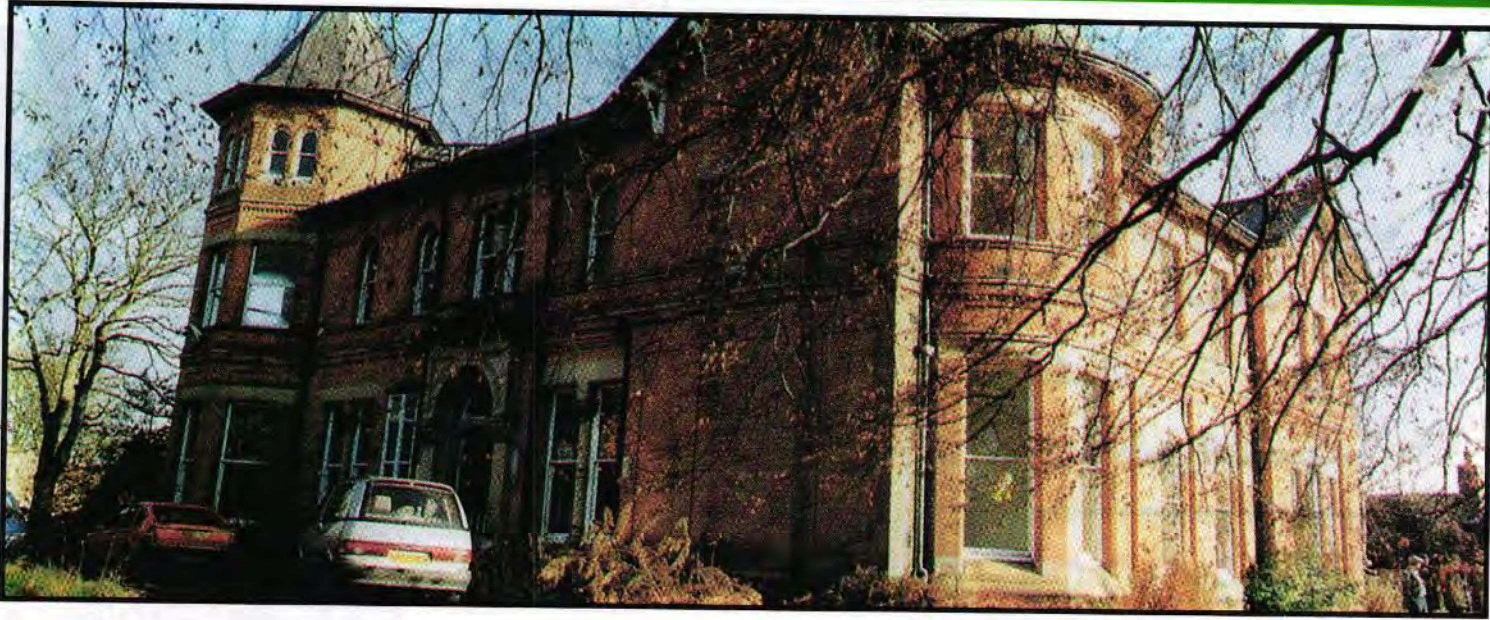
ويهدف مشروع المدارس هذا تهيئة الجو الإسلامي الذي يساعد على تكوين وبناء الشخصية الإسلامية للطالبات والطلاب. ورفع المستوى التعليمي إلى مستوى يضاهي أفضل المدارس البريطانية إن شاء الله. وخدمة الجالية الإسلامية ومحاولة تقريب الصلة بينها من خلال النشاطات الاجتماعية والإسلامية للمدرسة.

وتتبع المدارس نفس المنهج الدراسي المقرر من قبل وزارة المعارف البريطانية مع بعض التعديل حسب ما تقتضيه الحاجة بحيث تخدم الأهداف التي من أجلها قام هذا المشروع التربوي الطموح.. وأبرز مواد التدريس بالإضافة إلى المواد التقليدية: التصميم والتقنية، والثقافة الإسلامية، والقرآن الكريم، ونظرا لتنوع ثقافات الجالية فقد شمل البرنامج التعليمي بالإضافة إلى اللغة الإنكليزية: العربية، والأوردو، والفرنسية.

ويهدف المنهج بالنسبة للطالبات التهيئة لدخول امتحان الدراسة الثانوية المعروف باسم (G.C.S.E)، وتحرص المدارس على النشاطات الاجتماعية المختلفة كزيارة المساجد والمتاحف وكذلك تنظيم مخيمات خاصة للطالبات. كما تشجع المدرسة الطالبات على ممارسة الخطابة والمناظرة وتجويد القرآن وقراءة الشعر الإسلامي.

افتتاح المبنى الجديد للمدرسة الابتدائية

هذا وقد تم يوم ٢٧ أغسطس (آب) الماضي افتتاح المبنى الجديد للمدرسة الابتدائية حيث أقام مجلس أمناء المدارس الإسلامية في مانشستر حفلا كبيرا حضرته وفود إسلامية من داخل وخارج بريطانيا، تقدّمهم الدكتور خالد المذكور رئيس اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال أحكام الشريعة الإسلامية بالكويت، والدكتور صالح



المبنى الجديد للمدرسة الابتدائية الإسلامية

بن غانم السدلان المدرس بجامعة الامام محمد بن سعود بالرياض، والدكتور حمد بن عبد العزيز الخيري القاضي بالمحكمة العليا بالمدينة المنورة، وعدد من وجوه الجالية الإسلامية في بريطانيا..

أهمية التعليم في ديار الغرب

وصرّح الدكتور سعود الغديان (رئيس أمناء المدارس الإسلامية في مانشستر) صرح على هامش حفل الافتتاح قائلا:

(يجب أن يتنبه أبناء المجتمعات الإسلامية إلي أهمية التعليم والتربية الإسلامية في ديار الغرب حيث تخرج الأجيال المسلمة إلى المجتمع المتحلل من كل القيم فلا تجد من يوجهها وحيث يضطر الأهالي المسلمون إلى إرسال ابنائهم إلى مدارس بريطانية تدمر لغتهم وتقتل عقيدتهم وتنحرف بهم عن جادة الطريق الذي أراده لهم دينهم الإسلامي القديم وذلك لعدم وجود البديل التربوي ولهذا قام المركز الثقافي الإسلامي في لندن بالمبادرة في إقامة مشروع المدارس الإسلامية في مانشستر).

ومن الجدير بالذكر أن هذه المدارس تعاني من امتناع الحكومة البريطانية من دعمها ماديا كما تفعل مع غيرها من المدارس النصرانية اليهودية ويؤثر هذا على ارتفاع أقساطها مقارنة بسواها من المدارس، مع انها لا تهدف إلى تحقيق أي أرباح مالية، فهدفها الأساسي هو حفظ الجيل المسلم والعناية به ثقافيا وتربويا ونفسيا ودينيا.



د. خالد المذكور يفتتح المدرسة الابتدائية الجديدة



● استخدام العنف في الطقوس اليهودية

□ شخصية رجل الدين التوراتي - التلمودي تقوم على الحقد والكبت والأمراض النفسية

بقلم: حسني عبد الحافظ

العنف عند الحاخامات

بكل المقاييس .. فإن ما حدث في حرم «أبو الأنبياء وخليل الرحمن عليه السلام»، جريمة بشعة لا يمكن أن تغتفر، ووصمة عار على جبين (الإنسانية) قاطبة.. فكيف يقوم شخص يقال عنه أنه يحمل شهادة الطب، على حد ما صرحت به وكالات الأنباء صبيحة المجزرة، باقتحام المدينة الآمنة، حاملا سلاحه القذر.. في ساعة مباركة، تجمع فيها الناس ليقفوا بين يدي الله.. ويوم طيب جعله الله عيدا أسبوعيا للمسلمين.. شهر فيه ليلة خير من ألف شهر.. ثم .. يطلق النار على مئات المصلين، وهم ساجدون.. فيتساقطون.. وقد جرت دماؤهم أنهارا في أركان المسجد.. ثم .. يفر هذا الشيطان الانسي، أو بالأحرى الانسي الشيطان.. ثم .. لا شيء.. اجتماعات.. احتجاجات.. إدانات.. آذان من طين وأخرى من عجين.. وعفاء على القيم والأخلاق الإنسانية.. وكان الله في عون المستضعفين في الأرض.

وإذا سألت عن أي (تهمة) اقترفها هؤلاء الذين (ذبحوا) على طريقة (ذبح الماشية) في الغرب..!! فلن تجد جوابا سوى: لأنهم مسلمون، يوحدون الله ولا يشركوا به أحدا.. فما أعظمها من (تهمة).. وحسبي الله ونعم الوكيل، فهو وحده القادر على نصرة المظلوم وقهر الظالم.. هو وحده الذي يمهل ولا يهمل.

بتلك الكلمة الأولية التي كان لا مناص منها.. نفتتح هذه الدراسة التي تتركز على ظاهرة القسوة والعنف عند الحاخامات..

فالذي نفذ هذه العملية الحقيرة هو واحد من أتباعهم الذين يطبقون تعاليمهم بكل حذافيرها.. فتعالوا بنا لنعرف كيف يفكر حاخامات إسرائيل في ظل الاستراتيجية الصهيونية.

صفات متأصلة

إن شخصية رجل الدين اليهودي.. شخصية معقدة ومتناقضة الصفات، ومن أوضح صفاتها المتأصلة:

* الأنانية.. فهي تطالب بالقضاء على أي شيء في سبيل تحقيق أحلامها وأطماعها.

* الشعور بالدونية والوضاعة.. نتيجة عقد نفسية متوارثة.

* التشكك في كل شيء.

* اللا مبالاة.. والانعزالية، ويعترف الحاخام «أفراييم تسميل» بهذه الصفة، ويرى أن سبب العزلة التي يعيشها اليهود، إنما هو تحقيق للعنة بلعام في سفر العدد (إصحاح ٢٣ - فقرة ٩): «ألا إن هذا الشعب سيعيش وحيدا، ولن يحسب ضمن الشعوب».

ومن الصفات المتأصلة في الحاخامات أيضا.. الإحساس بالفشل الدائم.. والكآبة.. والإفراط في التشاؤم.. والحساسية الزائدة للنقد.. والبرود العاطفي.. وهي شخصية تشعر دوما بالحاجة إلى المديح والإطراء.

منابع القسوة والعنف

وتأتي صفة (القسوة والعنف) في طليعة هذه الصفات المتأصلة.. وهذه الصفة مرجعها الرئيسي، هو كتبهم المحرفة وعقائدهم الباطلة.

والملهم الأول للتقاليد العسكرية، والمنظم لقوانين القسوة والعنف في نظرهم، إنما هو يشوع بن نون.. ويرى الحاخامات أن ما يمارس الآن من قبل الجيش والكتل والمنظمات الدينية، هو واجب ديني بالدرجة الأولى.. ومن يطالع رواية العهد القديم يرى أن يشوع هو القائد العسكري (الفذ) الذي نفذ عملية غزو أرض كنعان، والبطل (المثالي) الذي حقق عشرات المعجزات بوحشيته وأساليبه القاسية في التعامل مع غير اليهود.. فقد احتل المدن الفلسطينية، ولم يكن احتلاله لها عن طريق حروب ومواجهات شريفة.. حيث دخلها وأباد سكانها من بشر وماشية.. !! فانظر كيف تصور التوراة تعامله مع سكان احدى المدن التي احتلها «اقتلوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وشيخ حتى البقر والغنم بحد السيف».

لقد كان يشوع أول من نفذ وصية حمل (تابوت العهد).. ومازال الجيش الإسرائيلي متبعا لها، في جميع وحداته وفصائله، حيث يقوم نفر من الجند بحمل تابوت بداخله كتاب العهد القديم، وقد نقش عليه (انهض بالله ودع أعداءك يتشتتوا واجعل الذين يكرهونك يهربون أمامك».

وتوصي التوراة، المزيفة طبعا، بنت صهيون بوصايا تدل على مدى الحقد والكراهية والعنف للغير .. فانظروا إلى هذه الوصية:«قومي ودوسي يا بنت صهيون لأني أجعل قرنك حديدا، وأظلافك أجعلها نحاسا، فتسحقين شعوبا كثيرة، غنيمتهم للرب، وثروتهم لسيد كل الأرض».

ونظرا لضيق المجال هنا.. فإننا نحيل قارئنا العزيز إلى الاصحاحات الآتية، لكي يرى بنفسه.. كيف تدعو كتب اليهود التي وضعها حاخاماتهم بأيديهم وقالوا هي من عند الله وماهي من عند الله، للتعامل بقسوة وعنف مع سكان وحيوانات القرى والمدن التي يدخلونها ويستولون عليها:

* الإصحاح العشرون.
* الاصحاح الحادي والعشرون (من ١٠ - ١٤).
* الاصحاح الثالث والعشرون (من ١٠ - ١٦).
* الاصحاح الرابع والعشرون (الفقرة الخامسة).

انهم يدرسون العنف الحاخامي

والعنف والقسوة والوحشية على الطريقة الحاخامية أمور مباحة ومصرح بتدريسها رسميا في جميع المراحل الدراسية باسرائيل.. ويقول د. رشا الشامي: «إن النصوص التوراتية هي التي تغذي الوجدان الإسرائيلي بمبررات العنف والقسوة والوحشية الحيوانية التي تدرس في المدارس الإسرائيلية دون أن تحظى بأي معالجة نقدية تذكر».

وفي عددها الصادر بتاريخ ١٩٦٦/١٢/٢٩م نشرت صحيفة جروسالم بوست اليهودية خبرا مفاده : أن «ثلاثة آلاف من الطلبة الثانويين في إسرائيل قد انضموا إلى حلقات خاصة لدراسة تاريخ حرب ١٩٤٨ تحت اشراف قسم التربية الاجتماعية بوزارة التربية والتعليم، ويلتقي هؤلاء الطلاب في هذه الحلقات بعد ساعات الدراسة العادية، حيث ينقسمون إلى مجموعات حسب مناطق السكن، ويقوم القادة العسكريون السابقون للمناطق، كل حسب منطقته،



● مزيد من المهاجرين ومزيد من طرد الفلسطينيين

العنف عند الحاخامات

بشرح تفاصيل المعارك التي دارت في المناطق»، ولا يخفى على أحد أن هذه (الحرب الفاسدة) التي تدرّس بتفاصيلها على الطلبة في إسرائيل، ما قامت إلا بتحريض من الحاخامات، وأن الدماء العربية التي اريقت خلالها كان نصيب النساء والأطفال أكثر بكثير من نصيب الشباب، فما يسمونه بـ (حرب التحرير)!! لم يكن سوى مذابح وحشية ارتكبت بحق شعب أعزل حرمه العالم من الدفاع عن نفسه.

وفي دراسة ميدانية أكاديمية قام بها الباحث السيكولوجي جورج تامارين، من جامعة تل أبيب، وشارك فيها ١٠٦٦ طالبا من الصفوف ما بين الرابع والثامن (أي أعمارهم تتراوح ما بين ٩ - ١٤ سنة)، وكانت حول ردود الفعل المتعلقة بتعاليم يشوع بن نون، وما ارتكبه من مجازر في المدن الفلسطينية التي استولى عليها، وما يرتكب من فظائع في حق العرب الآن.. تبين أن ٦٠٪ أكدوا أن تعاليم يشوع هي النبراس لهم!! وأن ما فعله كان منطقيا جدا.. !! وطالبوا بالفناء الكلي للسكان العرب المدنيين المقيمين في (دولتهم)! في حالة إذا ما نشب صراع مسلح مع العرب، أو طردهم وتشتيتهم إذا ما لم ينشب مثل هذا الصراع.. أي عقلية تلك .. وأي تفكير هذا؟! إن وزارة التعليم في إسرائيل تدرّس العنف والقسوة حتى منذ مراحل التعليم الأساسي، وهي تعلق على جدران الفصول الدراسية خرائط تبين الحدود (الحقيقية) لدولة إسرائيل..!!.

الحاخامية والنازية

إن كافة رجال الدين اليهودي، سواء أرثوذوكس أو محافظون أو اصلاحيون، منقسمون على أنفسهم، بشأن تفسير



التوراة والبندقية يدا بيد

المسار التاريخي المعاصر وكذا الأحداثيات المتوقعة مستقبلا، وإن كان أنقسامهم هذا لا يمنعهم من الاتفاق بشدة على ممارسة الكراهية والقسوة والعنف ضد غير اليهود.. ويقول «وليم ذوكرمان»، في بحث مطول نشر في نيويورك، بعنوان (حول الكراهية في الحياة اليهودية): «انهم الحاخامات الذين يقودون الاستعراض المخزي من عدم التسامح والتعصب والكراهية، انهم يستعملون لغة الحقد».

ومما لا شك فيه أن ماعرف باسم (عقدة النازي) كان له تأثير كبير في ظهور حركات صهيونية أكثر وحشية ودموية من النازية الهتلرية.. ومنها حركة كاخ التي أسسها الحاخام الارهابي كاهانا، وشعار هذه الحركة عبارة عن (قبضة مرفوعة في الهواء تعبيرا عن القوة والقسوة).. وهو شعار يشبه إلى حد كبير شعار النازية في ألمانيا الهتلرية.. وثمة أسس وقواعد نازية الأصل اقتبسها كاهانا وغيره من حاخامات إسرائيل.. فالحاخامات يطالبون بالآتي:

- إقامة مصايف خاصة لليهود، وأن يعاقب بالسجن مدة ستة أشهر كل من تواجد في نطاقها من غير اليهود.
- انه لا يحق لغير اليهودي أن يتولى منصبا كبيرا في دولة إسرائيل.
- انه يجب على غير اليهودي دفع ضرائب والخضوع للعبودية، وإلا سيكون مصيره الطرد بالقوة.
- انه ليس من حق أي شخص غير يهودي السكن ضمن حدود القدس.
- انه يجب تهويد جميع المؤسسات التعليمية في أرض إسرائيل.

إن حركة كاخ الصهيونية، التي هي أسوء من النازية، والتي نفذ أحد أفرادها مجزرة الحرم الإبراهيمي الشريف، إنما هي صوت معبر عن الفكر الإسرائيلي الأصيل والرسمي.. فإذا كان قادة إسرائيل يخفون حقيقة مشاعرهم من مبادىء وأهداف هذه الحركة وراء ستار من دخان السياسة الكاذبة والدبلوماسية المزيفة، فإن زعماء هذه الحركة يعملون في العلن.. وكان الكاتب

النازية والصهيونية، وجهان لعملة التمييز العنصري

الإسرائيلي الليبرالي «يوري افنيري» قد كشف عن نوايا هؤلاء القادة من خلال تصرفاتهم، فقال بلفظه: «إنني أعرف أن الكهانية لا تتكلم باسمها فحسب، وإنما باسم أولئك الذين يجلسون على قمة أحزاب العمل والليكود وهتحياه والمفدال، أولئك الذين يؤيديون ويدعمون كهانا في جميع تصرفاته وتصريحاته، فلقد بحثوا عن شخص يقوم عنهم بهذه الأعمال القذرة، فوجدوا ذلك في شخص كهانا».

السلام .. من الكبائر!!

يقول الحاخام مائير كاهانا: «لن يكون هناك سلام أبدا بين اليهود والعرب.. وان العنصري هو اليهودي الذي ينادي بأن للعرب نفس الحقوق المتساوية مع اليهود في دولتهم.. وان الديمقراطية والصهيونية تقفان على طرفي نقيض، وأنا أقول بوضوح إنني أقف إلى جانب الصهيونية، وانني أريد دولة يهودية وليس برتغالا ناطقة بالعبرية»، ويضيف «إن أرض إسرائيل الحقيقية تمتد من الفرات إلى النيل، وسنحررها بالتأكيد، وان الإسرائيليين ليسوا محتلين لأرض فلسطين، فلمدة أربعة آلاف سنة كانت هذه الأرض يهودية».إن السلام مع العرب، من وجهة النظر الحاخامية يعد كبيرة من الكبائر، فهم «يصرون على أن أرض إسرائيل بجميع حدودها المنصوص عليها يستند إلى الاعتقاد بأن إله إسرائيل قطع على نفسه عهدا بإعطائها كلها لأبناء إسرائيل، وهذا الصك الإلهي الذي يثبت الملكية يقطع الطريق على أية مطالب أخرى تجاه احدى الضفتين الشرقية والغربية من جانب غير اليهود».

ويرى أنصار كتلة غوش ايمونيم، ومعناها (كتلة الإيمان)، ان خير وسيلة لقهر العرب وإذلالهم هو زرع (الشوك) في ظهورهم، بإقامة المزيد من المستوطنات، فهي وحدها القادرة على عدم اقتراف رذيلة (السلام) مع العرب..!! ولهذا فقد استولى حاخامات هذه الكتلة على أرض يمتلكها عرب الخليل وبني نعيم وحلحول، وأقاموا عليها أولى مستوطناتهم الكبرى (كريات أربع) التي انشئت في أبريل (نيسان) ١٩٦٨م، وحظيت بالدعم الكبير من قبل الحكومة الإسرائيلية، وهذه المستوطنة التي يسكنها أشد المتطرفين تطرفا، تعد بمثابة قلعة حصينة، أو بالأحرى دويلة، فهي ذات حكم شبه ذاتي وأراضيها محاطة بالأسوار العالية، وعليها أبراج المراقبة، ولها قواتها الخاصة، ويحكمها حاخام.. وبعد (كريات أربع) انتشرت

■ ما شهده الحرم الإبراهيمي في الخليل غيض من فيض الحقد التلمودي المكبوت

الأشواك (المستوطنات) في الضفة والقطاع والجولان السورية.. ولا يخفي على أحد أن هذه المستوطنات تشكل خطورة كبيرة على أمن وحياة المدنيين العرب العزل.

ويرى حاخامات إسرائيل أن العمل السياسي ضرورة ملحة «لابد منها لدفع عملية الخلاص التي لا يمكن الحكم عليها بغير هذا المقياس، ومن بين الأنشطة المشروعة بموجب هذا الموقف، إذكاء الشعور العدواني ضد الفلسطينيين».

ويؤكد الحاخام هس، الملحق بجامعة بارايلان، أن الصراع بين اليهود والعرب، ليس مجرد صراع دولي عادي، ولكن حرب مقدسة، والواجب على اليهود أن يبيدوا العرب «تماما كما أمر الله يشوع أن يبيد أعداءه من العمالقة Amalekites في أيام الكتاب المقدس».

لا تترددوا في إطلاق النار

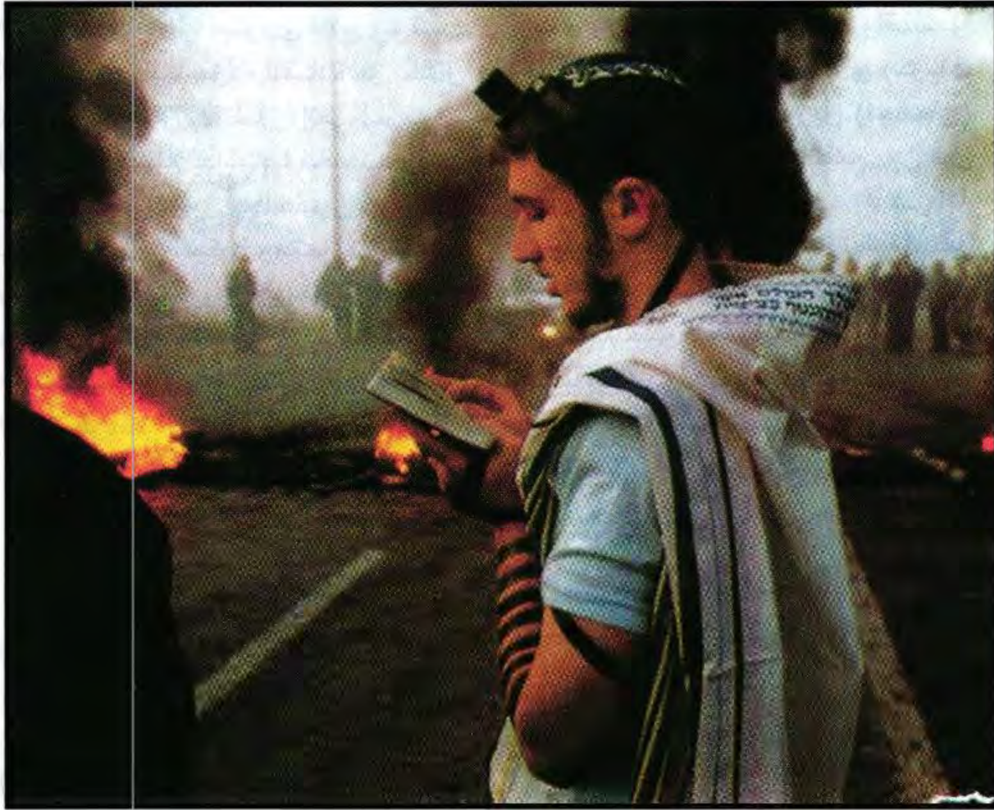
وفي محاضرة، أو بالأحرى (محرضة)، ألقاها أحد الحاخامات في جامعة تل أبيب، قال بلفظه: «أنه يجب طرد العرب من إسرائيل..»، ولما استنكر نفر من الطلاب العرب كانوا متواجدين، صرخ فيهم الحاخام «مازالت حتى الآن هذه دولتنا وليست دولتكم، وباللين أو بالقوة سوف نطردكم من هنا»!!

والخوف الحاخامي دائما هو الدافع لمزيد من القسوة والعنف.. ولكن الخوف ممن؟!! يقول كاهانا «انهم يتكاثرون كالأرانب، وبمعدل نموهم هذا سيسيطرون على الكنيست في غضون ربع قرن»، ويرى حاخام آخر «أن العرب يشكلون قنبلة موقوتة في إسرائيل، ويجب طردهم إلى الدول العربية أو إلى الغرب».

والسكان العرب في الضفة والقطاع مستهدفون من قبل الأنظمة الحاخامية التي تلاقي تشجيعا كبيرا، القليل منه في العلن والكثير في السر والخفاء، فهذا موشيه أرنز، يخاطب أعضاء كتلة غوش إيمونيم، بعد توليه منصب وزير الحرب، فيقول بلفظه: «لا تترددوا في إطلاق النار على الفلسطينيين إذا تعرضتم للخطر»، ويطالب الحاخام ليفنغر الجيش الإسرائيلي بتصعيد حملاته العدوانية واستخدام كافة مبتكراته الإرهابية ضد المواطنين العرب العزل في الضفة والقطاع، واقترح أن تطول فترة الاعتقال الكيفي، وأن تفرض مزيد من الغرامات لأتفه الأسباب.. وليفنغر هذا من أشد الخائفين من (القنبلة السكانية) لذا فهو يطالب اليهود بأن يكونوا كالأرانب، وقد طبق ذلك على نفسه حيث إن لديه من الأولاد الذكور أحد عشر..!! ومن أقواله الدالة على القسوة والعنف في مدينة الخليل بالذات «إن كل من يرفض الانصياع للسيادة الإسرائيلية ويحرض ضد اليهود ويعارض عودتهم إلى مدينة الخليل، لا مكان له على أرض إسرائيل، وهناك عدة دول عربية حولنا»!!

ويقدم كاهانا اقتراحا (وجيها)!! بأن

العنف عند الحاخامات



وتستمر المحاولات الدنيئة .. وبعد كل محاولة .. نشجب.. وندين.. «وأذن من طين وأخرى من عجين».. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بالله عليكم انقذوا هذا المسجد الأسير.. انقذوا مقدساتكم التي تدنس كل يوم.. انظروا ماذا يقول عنا وعن مقدساتنا أحد حاخامات اليهود: «إن العرب مجرد حشرات يجب قتلها وإطعامها للوحوش، وإن إزالة المسجد الأقصى وقبة الصخرة واجب يقتضيه الدين اليهودي، وأن المعركة دينية ولكل شعب إله يحميه(!!) وإذا استطاع الله(!!) أن يحمي مساجده فليفعل في مواجهة التصميم اليهودي على إعادة بناء هيكل سليمان محل المساجد الإسلامية»!!

مجازر على الطريقة الحاخامية

ومن الحقائق الثابتة، التي تؤكدها شواهد التاريخ .. ان كل ما ارتكبه اليهود من مجازر وحشية إنما هو بتحريض من حاخاماتهم الذين أباحوا الحرمات ودنسوا المقدسات.. ومجازرهم البشعة من الصعب حصرها في مثل هذه العجالة.. ولكن لا بأس أن يكون ختامنا بالإشارة إلى بعضها..

في قرية الدوايمة، الواقعة في قضاء الخليل، نفذت عصابة صهيونية يتزعمها موشيه ديان، مجزرة بشعة، فقد ذبحت النساء والأطفال.. وليس بمستغرب أن يقوم (مهندس) المجزرة بحفر خندق كبير ودفن الجثث.. وتظل المجزرة في طي الكتمان عدة شهور.

ومن الدوايمة إلى غيرها.. وغيرها.. ويكفي القول بأنهم في شهرين فقط، من عام ١٩٤٨، نفذوا مذابح في أكثر من عشرين قرية، أكثرها وحشية ما كان في : بيت دارس، وسعسع، وبيت الخوري، ووادي عرابة، والكرمل، وناصر الدين، والقبو، والزيتون.. ودير ياسين، الذي كتب عنها جاك دي رينيه، كبير مندوبي الصليب الأحمر الدولي، بعد مشاهداته لبعض فصول مأساتها: «لقد ذبح ثلاثمائة شخص دون أي مبرر عسكري أو استفزاز من أي نوع كان، وكانوا رجالا متقدمين في السن ونساء وأطفالا ورضعا اغتيلوا بوحشية بالقنابل اليدوية وبأيدي قوات أرجون اليهودية تحت الإشراف والتوجيه الكاملين لرؤسائها».

وتتوالى المذابح المنظمة.. فمن دير ياسين.. إلى قيبية ثم قلقيلية.. ويمضي قطار الدم الصهيوني البشع ليصل إلى كفر قاسم التي طحنت فيها اللحوم والعظام لشيوخ وأطفال ونساء، ليس لهم أي ذنب.. ومن كفر قاسم إلى صبرا وشاتيلا، حيث المجزرة التي اقشعرت لها الأبدان، ولنترك لورين جنكيز مراسل صحيفة (واشنطن بوست) ليحدثنا عن بعض مشاهداته: «لقد شاهدت جثتين لامرأتين مكومتين وسط الأنقاض، لقد برز قرب الجثتين رأس طفل غشى الموت عينيه الصغيرتين، وقرب جثة هذا الطفل برزت جثة طفل آخر لايزيد عمره عن سنة واحدة وقد قطع رأسه بسكين حادة، ولف جسده بالأقماط الكتانية.. وعند مدخل مخيم صبرا الجنوبي، شاهدت حفرة قطرها عشرة أمتار، وقد تحولت إلى مقبرة جماعية..».

ومن طريف ما يذكر أن الصهاينة بعد الضغوط الدولية والاستنكارات والشجب تعطفوا وأرادوا أن (يرضوا) العالم (المتحضر)، فأمروا بتشكيل لجنة تحقيق أسموها (لجنة كاهان)، واسمها هذا يخبرنا مسبقا بما ستقدمه من نتائج..!! لقد كان أهم ما أنجزته اللجنة التوصية بإصلاح شبكات الاتصال بين القيادات العسكرية والسياسية، بعد أن استمعوا إلى مهندس المذبحة (شارون) الذي قال لهم: لما علمت بالأمر في اليوم التالي لحدوثه(!!) حاولت الاتصال برئيس الوزراء، فلم أعثر عليه، وقد تبين لي فيما بعد أنه كان يصلي..(!؟).

وتتوالى المآسي والمجازر.. ليصل قطار الدم الصهيوني إلى الحرم الإبراهيمي الشريف.. ويحصد عشرات الرؤوس، ويصيب المئات، وهم ساجدون بين يدي الله ويظل نداؤنا قائما.. يا مسلمو العالم أفيقوا من غفلتكم.. فماذا تنتظرون بعد؟! ألا هل بلغت اللهم فاشهد ■



خطـــوة فـــذة على طـــريق أسلمـــة العلـــوم الحديثـــة

المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله

تأليف : د. نواف بن صالح الحليسي

عـرض : أ.د. مـصطفى رجـب

لقد تناول علماء الإسلام الأجلاء كثيرا من القصص القرآني، وبخاصة قصة يوسف عليه السلام من زوايا متعددة، ربما كان أهمها الجوانب الدينية والأخلاقية، وهذا ما يظهر جليا في كتابات علماء الإسلام والتفاسير المختلفة، وربما كانت قصة يوسف - عليه السلام - من أكثر القصص تناولا من جانب العلماء، وذلك لما تنطوي عليه من دلالات خاصة تتعلق بالجوانب الفنية لعمليات السرد القصصي، أو تتعلق بالأيديولوجيات الذهنية المختلفة في إطار الصراع الجنسي بين يوسف وامرأة العزيز، ولكونها منهجا قرآنيا يوضح المعالم الرئيسية لعلاقة الرجل بالمرأة من ناحية، ومن ناحية أخرى لكونها نموذجا جيدا للترتيب الإلهي الذي يخاطب العقل والعاطفة معا.

وجاء هذا الكتاب الذي نحن بصدده الآن، ويقع في حوالي ٥٣٤ صفحة من القطع المتوسط ليلقي الضوء على جانب هام في قصة يوسف - عليه السلام -، وهو الجانب الاقتصادي للدولة من خلال التخطيط اليوسفي إن جاز التعبير، ومن خلال تحليل متعمق استطاع هذا الكتاب أن يحدد المفاهيم الأساسية والسمات الرئيسية في الاقتصاد الإسلامي، وعمليات التخطيط المختلفة، والعمليات الإدارية التي تتبع التخطيط الاقتصادي، هذا بالإضافة إلى الحماية الأمنية والاقتصادية للدولة.

١ - يحتوي هذا الكتاب على سبعة مباحث رئيسية، يتناول المبحث الأول فيها دراسة هامة وعميقة لعلم التاريخ الاقتصادي من خلال منهج قصص القرآن الكريم وأبعاد علوم التخطيط المختلفة، وقد ربط المؤلف بين الوصف الإلهي لقصة يوسف بأنها أحسن القصص، وبين حكمة يوسف عليه السلام في دلالات التخطيط، وتطبيق المفاهيم الاقتصادية.

٢ - والمبحث الثاني تناول فيه المؤلف شرحا مفصلا لعلم التخطيط الفردي وأهدافه الاقتصادية، وخطورة التخطيط الفردي العلمية، ثم في لفتة ذكية أشار المؤلف إلى المحظورات والسمات الأخلاقية في التخطيط الفردي، واتبع ذلك بتحليل عميق لتخطيط الفرد في القرآن الكريم.

٣ - وأما المبحث الثالث، فقد اقتصر على ماهية التعليم الإلهي ليوسف عليه السلام عُلّمَ تأويل الأحاديث، وعلم أنباء الغيب، واعتبر المؤلف أن هذه العلوم هي المدخل الحقيقي أو القناة الشرعية التي تمر فيها الرسالة السماوية وهي الخلفية النظرية للتخطيط الاقتصادي، فقد كان يوسف هو المسؤول الأول عن مصر من الناحية الاقتصادية، ولذلك اتخذ خطوات عملية نحو تشييد المستودعات والاستعداد من كل ناحية لسنين القحط القادمة، لإنقاذ شعب مصر.

٤ - أما المبحث الرابع، فقد أبرز فيه المؤلف الأبعاد الجوهرية لعلم التخطيط للدولة، والذي يعتبر من أهم العلوم الاقتصادية التي أكدتها قصة يوسف عليه السلام ومنهجه - على حد تعبير المؤلف

- والذي وضع على ضوء تفسير يوسف عليه السلام لرؤيا ملك مصر، وقد اشتمل هذا التخطيط الخطة العامة للدولة في مدى زمني قدره أربعة عشر عاما، والخطة السبعية الأولى لمواجهة القحط، والخطة السبعية الثانية لإنقاذ شعب مصر والشعوب المجاورة والخطة السنوية العامة للدولة، كما تضمن هذا المبحث السمات التخطيطية في الإسلام للحياة الاقتصادية العلمية، وعلوم التخطيط والمسؤولية المتنوعة، ثم تناول المؤلف منهج تحليل علوم الدولة من القرآن الكريم.

٥ - والمبحث الخامس يبرز منهج يوسف عليه السلام في التخطيط الحكومي والإداري الذي تضمن خطة الدولة المستقبلية بعيدة المدى، وذلك يبدو واضحا في قوله تعالى: ﴿ يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ﴾ [يوسف/٤٧]. ثم يبرز الخطة السبعية الأولى والخطة السبعية الثانية، وخطة الدولة الثانية. وجاء ذلك التحليل مقرونا بالآيات الدالة عليه، كل آية على حدة، وأتبعها بأقوال بعض المفسرين، ثم أتبع المؤلف كل خطة بالجوانب الاقتصادية والتخطيطية لها، تمثلت هذه الجوانب في:

تعريف الخطة - معرفة المشكلة وتحديد الخطة - صفة ونوع الخطة - أهداف ومضمون الخطة - وضع الهيكل العام للخطة - تحديد احتياجات الخطة - وعي الشعوب بالتخطيط، ثم أتبع المؤلف هذه الجوانب بالأنشطة الاقتصادية للخطة المستقبلية للدول والتي تتمثل في بناء الصوامع لتخزين الغلال خلال السبع سنوات، والذي يترتب عليه تشغيل القوى البشرية وتنشيط الحركة الاقتصادية في الجهاز الإداري والتخطيطي للدولة.. هذا بالإضافة إلى السمات الإسلامية للخطة المستقبلية مثل الرزق، التوكل على الله، العمل الصالح، المسؤولية، التعاون، الصدق، الوفاء، وغير ذلك.

ولقد نجح المؤلف في أن يربط ذلك بالتحليل المستقبلي للخطة الاقتصادية الدولية في الآيات القرآنية، ثم المراحل العملية الأولى للخطة العامة للدولة ثم أشار بعد ذلك إلى نتيجة الخطة المستقبلية للدولة، والملامح الإسلامية في علوم التخطيط الاقتصادية والنتائج المترتبة على ذلك.

٦ - وقد اقتصر الحديث في المبحث السادس على السمات التخطيطية في العلاقات الإنسانية مع الشعوب والقبائل المجاورة، وذلك من خلال عمليات التبادل التجاري والتعاون الاقتصادي، ويظهر ذلك بين قوافل التجارة وبين الشعوب. ومن المفاهيم التي أوردها المؤلف في سياق الحديث، والمستفادة من قصة يوسف عليه السلام، علم الأسعار، وعلم الموازين والمكاييل وذلك في قوله تعالى ﴿ فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يـأبانا مُنع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون ﴾ [يوسف/٦٤]، وكذلك في قوله: ﴿ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير ﴾ [يوسف/٦٦]، وفي قوله: ﴿ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين ﴾ [يوسف/٨٩].

وعلم الموازين والمكاييل من العلوم الاقتصادية العامة في تحديد العلاقة بين البائع والمشتري، وهما يحققان العدالة ويثبتان القيم الاقتصادية.

٧ - وقد شرح المؤلف في المبحث السابع والأخير التخطيط العام لحماية الدولة، والحماية الأمنية في الداخل والخارج، والحماية الاقتصادية، وكيف تم وضع التخطيط العام على أسس أمنية لحماية مستودعات القمح من الثعابين واللصوص، فوضع أنظمة محكمة لتوزيع الغلال والقمح ومراقبة الأسواق التجارية من الغش والتلاعب، ومنع بيع البضائع في السوق السوداء حتى تعم الطمأنينة وتتحقق العدالة بين كافة أفراد الشعب.

ومن أهم ما يميز هذا العمل المهم أن المؤلف استطاع أن يضع تخطيطا مركزا وهاما لمنهج التخطيط في قصة يوسف عليه السلام، مطبّقا ذلك على الآيات القرآنية الواردة في سورة يوسف، وقسم هذا التخطيط إلى ما يأتي:

(أ) التخطيط الفردي، ويظهر هذا التخطيط في الآيات من ٧ - ١٨ من سورة يوسف، هذه الآيات التي تشير إلى أن إخوة يوسف قد تجمعت لديهم بعض المعلومات والبيانات التي تفيد استئثار يوسف بحب أبيه، وهذا الحب الذي يلحق بهم ضررا ماديا، ومن ثم كان لابد من وضع خطة محكمة للتخلص من يوسف. وعلى ضوء ذلك يمكن:

١ - تعريف التخطيط الفردي «كمصطلح» بأنه ذلك التخطيط الذي يضع خطته فرد واحد، أو مجموعة من الأفراد، لتحقيق كسب مادي أو معنوي.

٢ - هذا التخطيط الفردي له هدف واحد مثل الحصول على مال أو مشاريع عامة أو أشياء معنوية ككسب عطف أو حب أو نفوذ أو سلطة.

٣ - المسؤولية في هذا التخطيط تقع على المشرّع أو المخطط سواء كان فردا واحدا أو مجموعة من الأفراد.

(ب) الخطة المستقبلية البعيدة المدى للدولة والمحددة بأربعة عشر عاما وتظهر هذه الخطة في الآية ٤٦ من سورة يوسف، وقد كان الإطار المرجعي لهذه الخطة هو حجم المشكلة التي تحدثت عنها هذه الآية، ومن ثم كان مع يوسف أن يتبع مايلي:

١ - تحديد المشكلة التي تواجه البلد وهي سنوات القحط ثم عمل الدراسات اللازمة لتحديد المدة التي تحتاجها الخطة للتنفيذ والتطبيق وهي مقسمة وفق جدول زمني معين.

٢ - الخطة المستقبلية لها خواصها ومميزاتها سواء: الزراعية أو الصناعية منها والتعدينية، ونشر دين الله في الأرض، وغير ذلك، واختيار تلك المشروعات التي لها أولوية من حيث الأهمية وفق جدول زمني مستقبلي.

٣ - التخطيط المستقبلي

بتنفيذ المشاريع المختلفة لخدمة الأفراد، ورفع مستواهم الثقافي والاجتماعي، والمسؤولية التخطيطية يتحملها الجهاز التخطيطي مع بقية الأجهزة والوزارات الحكومية الأخرى.

(ج) الخطة السبعية الأولى : الآية (٤٧) وتشير إلى:

١ - القسم الأول من الخطة المستقبلية للدولة وحددت بسبع سنين وهو تخطيط للبناء والتجهيز.

٢ - وضع وتنفيذ الخطة العامة للدولة، وكانت خطة يوسف عليه السلام لإنقاذ دولة مصر من المجاعة خطة زراعية، وقد استلزم تنفيذ خطة الدولة الزراعية بناء المستودعات والتقسيم الإداري والمحاسبي للسنين القادمة.

٣ - تخزين الدولة للحبوب في وقت الرخاء سنويا وفقا لاحتياطها العام، وذلك من خلال تطبيق الخطة المستقبلية للمرحلة الأولى.

٤ - وضع خطة أمنية للدولة لاستتباب الأمن في فترة السنين السبع العجاف القادمة.

(د) الخطة السبعية الثانية للدولة (الآية ٤٨) وهي القسم الثاني من الخطة المستقبلية للدولة وحددت السبع سنين وهي خطة تطبيقية ميدانية حسب الجدول الزمني للخطة العامة للدولة.

٢ - بين لنا يوسف عليه السلام خطته السبعية الثانية وفق تطبيق خطة تقسيم وتوزيع الحبوب على السنين السبع الثانية العجاف للدولة وفق جدول إداري تقنيني زمني دقيق.

٣ - وضع خطة التقنين والمحاسبة لتوزيع الحبوب على السنين السبع القادمة وفق منهجه للتعاون الإنساني مع تلك الشعوب والقبائل المجاورة.

٤ - وضعت خطة أمنية لحماية الدولة من الداخل من العابثين على الحدود لحماية اقتصادها ومخزونها من القمح من النهب والسرقة.

(هـ) الخطة السنوية العامة للدولة (الآية ٤٩):

١ - بين يوسف عليه السلام منهج الخطة السنوية وهي من التخطيطات الإدارية السنوية، وتوضع في الظروف والأزمنة الطبيعية التي تسير عليها الأمور من خطة سنوية وفق واردات واحتياجات البلاد وإمكانيات الموارد العامة للدولة.

(د) وضع منهجا تخطيطيا للميزانية السنوية العامة أوضع فيه مدى احتياجات الدولة.

٢ - عمل برنامجا تخطيطيا للدولة لرفع الكفاية الإنتاجية ولتأمين سبل التعايش للشعب.

٣ - الأخذ في الاعتبار - عند التخطيط - عمل التوفيرات الإنتاجية للدولة والتخزين للاحتياطي العام في وقت الأزمات غير المنظورة أو الطبيعية للدولة وذلك حسب الإمكانات المتاحة لمصلحة الدولة.

(و) التخطيط في العلاقات الإنسانية (من آية ٥٨ - ٦٥، ٨٨، ٩٠)

١ - تضمن تخطيط يوسف عليه السلام حين خطط يوسف للسنين السبع العجاف وجود احتياطي من القمح المخزون العام، وذلك للعلاقات الإنسانية والتجارية مع الأمم والشعوب المجاورة لمصر، والتي كانت تعاني من القحط.

٢ - من أول مراحل الخطة السبعية الثانية كان يوسف عليه السلام يقايض تلك الشعوب والقبائل بالقمح مقابل سلع ومشغولات معدنية ذات قيمة أو عملات نقدية.

٣ - بين يوسف عليه السلام عن العلاقات الإنسانية ومساعدة تلك الشعوب والقبائل من السنين الأخيرة للخطة السبعية الثانية بعد أن ندرت مواردهم ومساعدتهم، وتغاضيه عن القيمة الحقيقية للمقايضة بالقمح.

(ز) التخطيط الأمني لحماية الدولة (في الآيات من ٦٧ - ٧٧):

هذه الآيات وإن قال المفسرون أنها تتحدث عن خوف يعقوب على أولاده من الحسد - على حد تعبير المؤلف - إلا أن فيها تلميحا بأن مصر كانت ذات أسوار وأبواب لدوافع أمنية، وبالتالي يمكن القول بأنه:

١ - عندما عَمّ القحط والجفاف أرض مصر والمنطقة كلها في السنين السبع العجاف ومع وجود مخزون كبير من القمح الذي يعتبر أهم وسائل الحياة في المرحلة القادمة.

٢ - فإنه من الطبيعي وضع خطة أمنية لحماية البلاد من الطامعين في السرقة، وإن حدث خلل في الأمن في تلك الفترة التاريخية فإن شعب مصر ستقع عليه الكارثة، ولكن نجحت خطة يوسف عليه السلام.

٣ - ولهذا فقد وضعت خطة أمنية لحماية دولة مصر من اللصوص والعابثين من ضعاف النفوس حتى لا تتعرض مستودعات القمح للنهب أو السلب أو السرقة في تلك السنوات السبع العجاف.

٤ - وضعت خطة سبعية أمنية عسكرية مشددة للحماية الأمنية على الحدود وعلى مداخل وموانىء أرض مصر للقادمين إليها من قوافل تجارية وغير ذلك.

٥ - أما عن الحماية الأمنية بالداخل فقد وضعت خطة للحماية من السرقة والنهب بتشديد المراقبة على الإداريين، وكذلك مستودعات القمح والأسواق بالداخل.

٦ - أما عن الحماية الاقتصادية في الداخل فقد شددت المراقبة في الأسواق ومستودعات القمح خوفا من الفساد أو التلاعب أو الغش في الأسواق.

وأخيرا أورد المؤلف تصوراته الخاصة حول إمكانية تدريس علوم التخطيط في جامعات المسلمين وفق الاستنتجات الاقتصادية من قصة يوسف عليه السلام وكذلك استخدامه هذا المنهج في إدارة منشآت الدولة الاقتصادية والإدارية والكليات العسكرية، ومن أهم التوصيات التي ذيل بها المؤلف كتابه إنشاء مركز أكاديمي للبحث العلمي يكون نواه لإنشاء أكاديمية تحمل اسم (أكاديمية النبي يوسف عليه السلام للتخطيط والإدارة) في مصر، وبالتحديد في المنطقة التي عاش فيها النبي يوسف، وهي بجوار مدينة الزقازيق.

وبعد .. فهذا الكتاب يعد إضافة جديدة إلى المكتبة العربية بشكل عام، والمكتبة الإسلامية بشكل خاص، لما فيه من نفع عظيم وفوائد جمة للإسلام والاقتصاد الإسلامي ■



فتاوى

منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

نذر أن يكسو الكعبة

● رجل يقول اني نذرت ان قضى لي الله كذا وكذا، وحقق ذلك فنذر على أن أكسو الكعبة. وراتبه لا يزيد عن ٢٠٠ دينار كويتي، وهو لا يعرف قيمة مصاريف كسوة الكعبة، فإن كان لا يستطيع بسبب عدم القدرة ماليا فماذا يفعل؟

■ إن المستفتى قد نذر مايقدر على الوفاء به كما تعرف حالته المادية من سؤاله، ولذا عليه كفارة يمين وهو إطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم أهله أو كسوتهم، فإن كان غير مستطيع فعليه صيام ثلاثة أيام. واللجنة تنصح المستفتي عدم تكرار مثل هذا النذر.

صيغة اليمين

● حصل بيني وبين أبن أختي خلاف على قضية فلوس فقلت له (أريد منك ألف دينار)، فقال لي: ما عندي إلا ٦٠٠ دينار فقط)، فوافقت على ذلك وتنازلت، ثم بعد ذلك حلفت أنه لا بد أن يأتي بالألف كاملة ثم تراضينا على أن يدفع ٦٠٠ فقط. فأرجو توضيح حكم حلفي هذا.

س- وسألته اللجنة عن صيغة اليمين؟ فقال: قلت له (والله لتجيب ألف دينار) ثم رأيت أنه لا يستطيع السداد فتنازلت وقبلت بـ ٦٠٠ دينار.

■ ورأت اللجنة أن على السائل كفارة

الحدود وتكفير الذنوب

● إذا أقيم الحد على مجرم هل يكفِّر ذلك ذنبه، أم أن الله يعاقبه عليه في الآخرة؟

■ يرى جمهور العلماء أن الحد يعتبر كفارةً للذنب وتطهيرا للمذنب ولا عقاب عليه بعد ذلك، لأنه استوفى عقابه في الدنيا. روى البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت في حديث المبايعة على عدم الشرك والسرقة والزنى والقتل أن النبي ﷺ قال: «فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له».

وروى مسلم حديث الجُهَنِيّة التي أُقيم عليها حد الزنى بعد أن جاءت إلى النبي ﷺ تطلب إقامة الحد عليها؛ وكانت حبلى؛ فأمهلها النبي ﷺ حتى تضع، ثم أمهلها حتى تفطم الوليد، ثم أقيم عليها الحد، ولما فاضت روحها، قال النبي ﷺ: «تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم».

وروى الترمذي والحاكم؛ وصححه؛ الحديث: «من أصاب ذنبا فعوقب به في الدنيا فالله أكرم من أن يثّني العقوبة على عبده في الآخرة».

يستشهد بهذه الأحاديث جمهور العلماء على أن الحدود كفارات للذنوب، بجانب أنها زواجر، وإن كان بعض التابعين والمعتزلة وابن حزم يرون (الحدود زواجر لا جوابر) وعلى من أقيم عليه الحد أن يتوب إلى الله حتى يكفّر ذنبه، ورأي الجمهور في ذلك أرجح لأن أدلتهم أقوى وأوضح.

الصدقة بدل نذر الصوم

● نذرت على والدتي عندما دخلت المستشفى انه إذا خرجت من المستشفى سأصوم شهر شعبان من كل عام وكان ذلك وأنا صغيرة لا أدري أن كنت قد بلغت أم لا، فهل يجوز أن أتصدق بدل الصيام، علما بأني كل السنين التي مضت صمت فيها شعبان؟

■ وبعد الاستفسار من السائلة هاتفيا رأت اللجنة أنها أن كانت شاكة في كونها بالغة عندما صدر منها النذر فعليها التحري والعمل بغالب ظنها فإن غلب على ظنها أنها لم تكن بالغة حينئذ فلا يلزمها الوفاء بهذا النذر، وإلا فعليها الوفاء به على الصورة المبينة فيما يلي:

عليها الالتزام بما ألزمت به نفسها من النذر بأن تصوم شعبان من كل عام، فإن أفطرت بعض الأيام لعذر قضت ما افطرته في أيام أخر، ولا تجزيء الفدية إلا أن عجزت عن الصوم.

حديث النفس

● كنت حلفت في نفسي ألا أدخل بيت أخي، ولم ينطق بذلك لساني، فما حكم هذا اليمين لو دخلت بيته؟

■ إذا حلف الإنسان على شيء ما ولكنه لم يلفظ به، ولم يفعله، فإن الله لا يؤاخذه بذلك، ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به».

وفي أول الإسلام كان الإنسان يؤاخذ بحديث النفس لقول الله تعالى: ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾، فصعب هذا على أصحاب رسول الله ﷺ، ثم خفف الله عنهم ذلك، ونزل قوله تعالى: ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به ﴾، ففرح بها الصحابة لما فيها من تخفيف الحكم الأول.

وعلى هذا فالسائل إذا دخل بيت أخيه لا حرج عليه ولا يلزمه كفارة، لأن يمينه لم تنعقد، كذلك من يجري الطلاق على قلبه ولم ينطق به، لا يعتبر طلاقا ولا تترتب عليه آثاره، لأن الله من رحمته بالأمة تجاوز عما تحدِّث به أنفسها.

التوفية بصفة النذر المذكورة

● نذر احدهم أن يذبح بعيراً كبيراً ولكنه لو ذبحه لن يتقبل الناس لحمه، فهل يصح استبداله ببعير صغير لأن لحم الصغير أفضل من الكبير، علما بأن سعر البعير الكبير أغلى من الصغير في بعض الأحيان؟ وهل يحق لصاحب النذر أن يأكل من لحم النذر، أو يقيم عليه دعوة او وليمة؟ وبالنسبة لأفراد أسرة صاحب النذر هل يحق لهم الأكل من لحم هذا النذر؟

بعد الاستفسار هاتفيا من السائل الذي أفاد أنه نذر لله تعالى أن يذبح بعيرا (فاطرا) بدون أن يقول أنه صدقة أو على الفقراء وأفاد أن المراد بالفاطر في عرف البادية هي الناقة التي سبقت لها الولادة وعليه.

■ أجابت اللجنة بما يلي: على الناذر المذكور أن يتقيد بما قيد به نفسه في نذره بذبح ناقة تتوفر فيها الصفة المذكورة، ويحق له أن يأكل هو وأفراد أسرته من لحم هذا النذر أو يوزع بعضه على الفقراء ويصنع وليمة بالبعض الآخر ويدعو من يشاء من فقراء أو أغنياء. أما لو قال في نذره: نذرت لله تعالى صدقة.. أو نذرت للفقراء فلا يجوز له ولا لأسرته ولا للأغنياء أكل شيء من ذلك النذر.

التهديد بالطلاق

● لقد حصل أن قلت لزوجتي على أثر عصبية إذا لم تذهبي معي: (رايح أطلقك) وهي لم تذهب معي ووزارة العدل طلبت مني ورقة إثبات بأني لم أطلق من قبل.

س– وسألته اللجنة كم مرة نطقت على زوجتك بالطلاق؟ قال : هذه هي المرة الأولى.

س– وما هي ظروف هذه الطلقة؟ قال: بسبب شجار بيني وبين زوجتي قلت لها وأنا في حالة غضب (اذا لم تذهبي معي رايح أطلقك)، وهي لم تذهب معي، وذهبت إلى المحكمة فطلبوا مني ورقة إثبات بأنني لم أطلق من قبل، وأنا لم أطلقها بعد أن خالفتني بعدم الذهاب معي.

■ أجابت اللجنة بأن ما صدر من المستفتي لا يقع به شيء.

النصيحة والغيبة

● أخت مسلمة سئلت عن صديقة لها، فقالت الحق عنها، فلم تتم خِطبتها، هل هي آثمة في ذلك؟

■ لا شك في تحريم الغيبة، ولكن هناك صور مباحة للضرورة إذا كان المقصود منها مجرد النصيحة، ويجب الاقتصار النصيحة على قدر بيان الواقع في حدود المطلوب بيانه.

وليس للسائلة أن تتألم نفسيا ما دامت لم تظلم صديقتها، وما دامت لم تتحدث عنها بما ليس فيها من صفات، ولم تتخذ النصيحة وسيلة للتشهير أو الغش والتضليل، فقد روي أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ تأخذ رأيه في رجلين تقدما لخطبتها فقال لها عن أحدهما أنه «لا مال له» وقال عن الآخر: «إنه لا يضع عصاه عن عاتقه» يعني أنه كثير الضرب للنساء. بهذا نصح السائلة لتكون على بيّنة من أمرها.

مثل هذه الحالة إذا جاء من يسأل عن أمانة شخص معين ليشاركه في تجارة أو في عمل من الأعمال فعلى المسؤول أن يقول ما فيه من خير ومن شر، بقدر ما يعلمه عنه، ويباح كذلك للمظلوم أن يذكر ظالمه بما فيه من سوء، وله أن يكشف جانب الشر في الظالم للحاكم. قال تعالى: ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلِم وكان الله سميعاً عليما ﴾.

فالنصيحة لا تعتبر غيبة ما دامت في حدود بيان الواقع وفي نطاق الضرورة، والأعمال تعتمد على النيات، ولكل امرىء ما نوى.

اللفتات النابهة

٩

ليس من الشك أن انتصار هذا الدين آية من آيات الله لا تتخلف، ولكن عندما يحين الزمان الذي قدره الله تعالى: ﴿ كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي ﴾ [المجادلة/٢١]. ﴿ وإن جندنا لهم الغلبون ﴾ [الصافات/١٧٣]، «والله ليتمنّ الله هذا الأمر» (١) ولهذا كان على الداعية أن لايتعسف الخطى، ويستخدم الحكمة التي لا يؤتاها إلا ذو حظ عظيم، ويتأسى برسوله ﷺ وسلف هذه الأمة، ويستحضر وقوفه بين يدي الله سبحانه في ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتي الله بقلب سليم ﴾ [الشعراء/٨٨ و٨٩].

نصرة الحق قضاء محتوم والخلق قدر من أقدار الله

للشيخ جاسم بن مهلهل الياسين

اقتضت حكمة الله تعالى، أن ينتصر هذا الدين بالجهد البشري، وأن يتحمل الأنبياء والدعاة المعاناة، من أجل تمكين هذا الدين في أرض الله، مع أن أمر الله سبحانه قائم بين الكاف والنون، واختراق السنن الكونية وارد، فهذه النار لم تحرق إبراهيم عليه السلام، أما نبينا محمد ﷺ، ففي حادثة الإسراء والمعراج، تعطلت السنن الكونية في مواطن متعددة، وعند النظر في الأزمنة والأمكنة، تجد أن هناك رجالا يصنعون لتحمل الأمانة، فتكون لهم مواصفات قد يجد الإنسان أنها ضرب من الخيال. ولننظر إلى شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي تقي الدين أبوالعباس، قرأ بنفسه ونسخ سنن أبي داود، وفصّل الأجزاء، ونظر في الرجال والعلل، وتفقه وتمهر وتميز وتقدّم وصنّف، ودرس وأفتى، وفاق الأقران، وصار عجبا في سرعة الاستحضار، وقوة الجنان، والتوسع في المنقول والمعقول، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف (٢). بهذه المواصفات وأكثر من ذلك مذكور في كتب التراجم من مواصفات حُق له أن يكون مجددا، وهذا أحمد بن إبراهيم بن الحسن القنائي، اشتغل في العلم وهو ابن ثلاثين سنة، وتفقه وقرأ النحو وغيره حتى مهر، وشغل الناس ببلده، وكان يحفظ أربع مائة سطر في يوم واحد، ثم أقبل على الطاعة ولازم الطاعة إلى أن مات في سنة ٧٢٨هـ، وهؤلاء يتعرض لهم، ومن قبل الأقران في زمانهم، لالعلمهم وصدقهم ومكانتهم، بل في الغالب لحسد شخصي لهم في الغالب يرد على صاحبه، فهذا والد الشيخ جمال الدين بن الظاهري يكتب كتابا لبعض معارفه في دمشق يبيّن الحملة الشرسة التي تعرض لها شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: وكان من أعظم القائمين عليه الشيخ نصر المنجبي، لأنه كان بلغ ابن تيمية أنه يتعصب لابن العربي، فكتب إليه كتابا يعاتبه على ذلك، فما أعجبه لكونه بالغ في الحط على ابن العربي وتكفيره، فصار هو يحط على ابن تيمية، ويغري به بيبرس الجاشنكير، وكان بيبرس يفرط في محبة «نصر المنجبي» ويعظمه (٤)، وإليك القصة التي تبين أسلوب بعض الناس مع العلماء، تبين ما يجب على العالم من السماحة وسعة الصدر، في مواجهة هذا الصنف من الناس، أحمد بن عبدالدائم بن يوسف بن قاسم بن عبدالله بن عبدالخالق بن ساهل. أمره الكتاني شهاب الدين الشرمساحي أبو يوسف الشاعر، ولد سنة ٦٦٣هـ وتعانى النظم فمهر، وكان عالي النفس، وله مروءة، ولم تكن طريقته محمودة، روى عنه من شعره أبوالفتح اليعمري وأبو حيان وغيرهما منهم السبكي، وكان شاعرا مشهورا مولعا بالهجاء، حتى أنه لما دخل دمشق، قدم لقاضيها شهاب الدين الخوئي قصيدة هجو فردها إليه، وقال كأنك ذاهل، قال: بل لست بذاهل، بل صنعت ذلك عمدا لأشتهر، لأني رأيت الناس اجتمعوا على الثناء عليك، فرأيت أن أخالفهم، فإني لو مدحتك فأعطيتني لم يشعر بي أحد، فإذا هجوتك وعزرتني، يقال ما هذا؟ فيقال: هذا غريم القاضي فأشتهر (٥).

ووالله لا أعرف مم أتعجب: من منهجية أحمد بن عبدالدائم في طلب الشهرة، أم من حكمة القاضي شهاب الدين!!.

وهذه صورة أخرى، عن كيفية التحول من الحب إلى التهجم، للاختلاف في وجهات النظر، وهي إن كانت في السلف قليلة، ففي أيامنا هذه لا حصر لها وتصل إلى درجة أن الإنسان يتعجب لدرجة الضحك على طبيعة الأنفس وتقلبها، وإليكم قصة محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان الغرناطي، أثير الدين أبوحيان الأندلسي ولد في أواخر شوال سنة ٦٥٤هـ كان ظاهري المذهب، فلما قدم القاهرة، ورأى مذهب الظاهر مهجورا فيها، تمذهب للشافعي وقرأ العلم على الغرافي في المحرر وفي المنهاج، ثم درس المنهاج، فحفظه إلا يسيراً منه، ثم اختصره وقرأ شيئا من أصول الفقه على أبي جعفر بن الزبير في الإشارة للباجي، ومن المستصفى، وقرأ في أصول الدين على ابن الزبير أيضا، وقرأ شيئا في المنطق على بدر الدين محمد بن سلطان، وقرأ عليه من الإرشاد للعميدي في الخلاف، وبرع في النحو إلى أن صار لا يعرف إلا به، وكان عريا من الفلسفة، بريئا من الاعتزال والتجسيم، متمسكاً بطريقة السلف، وكان يعظم ابن تيمية، ومدحه بقصيدة، ثم انحرف عنه، وذكره في تفسيره الصغير بكل سوء، ونسبه إلى التجسيم، فقيل: إن سبب ذلك أنه بحث معه في العربية فأساء ابن تيمية على سيبويه، فساء ذلك أبا حيان وانحرف عنه، وقيل: بل وقف له على كتاب العرش، فاعتقد أنه مجسم، وأكثر من سماع الحديث، حتى بلغت عدة شيوخه أربعمائة، وأجاز له جمع جم، وقد جمعهم في كتاب البيان في شيوخ أبي حيان، فبلغوا ألفا وخمسمائة وتصانيفه تزيد على خمسين (٦).

وللأسف الشديد إنه في الغالب يكون صنف العلماء العمالقة هؤلاء، متخوفا منهم من قبل أصحاب الجاه والسلطان، لأنهم يظنون خطأ أن منهم يأتي الخطر، مع أن الحقيقة والتجربة تقول: إنهم أداة الأمن والضبط العلمي، لكل التهورات التي من الممكن أن تحدث نتيجة للتجاوزات الشرعية التي تحدث في المجتمع، ولهذا يسعى المنتفعون وأصحاب المصالح، إلى استخدام قوة السلطان في عملية الإرهاب الديني، عندما تنقطع الحجة ويضعف الدليل، ولننظر معا إلى ابن تيمية رحمه الله عندما تمت الوشاية عليه وادعى عليه، وحكم القاضي المالكي بحبسه، فأخذ من المجلس، وحبس في البرج، ثم بلغ المالكي أن الناس يترددون إليه فقال: يجب التضييق عليه إن لم يقتل، وإلا فقد ثبت كفره، فنقلوه ليلة عيد الفطر إلى الجب، وعاد القاضي الشافعي إلى ولايته، ونودي بدمشق من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله خصوصا الحنابلة، فنودي بذلك، وقرىء المرسوم وقرأها ابن الشهاب محمود في الجامع، ثم جمعوا الحنابلة من الصالحية وغيرها وأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الإمام الشافعي (٧).

ومع هذا الحسد وهذا التحرك ضد عمالقة العلم، يظل قدر الله نافذا في أنهم حفظة لهذا الدين، ويقوم بنصرتهم العلماء والفحول، ففي الوقت الذي كان القاضي المالكي يكيد للشيخ ابن تيمية، كان قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين ابن الحريري ينتصر لابن تيمية، حتى إنه كتب في حقه محضرا بالثناء عليه بالعلم والفهم، وكتب فيه بخطه ثلاثة عشر سطرا من جملتها «أنه منذ ثلاثمائة سنة ما رأى الناس مثله» (٨) أما البيان الواضح لهؤلاء الكبار، فهو يوم الجنائز، قال الشيخ شهاب الدين الأذرعي: إنه حضر جنازة شيخ الإسلام ابن تيمية، وإن الناس خرجوا من الجامع من كل باب، وخرجت من باب البريد، فوقعت سرموزتي فلم استطع أن استعيدها، وصرت أمشي على صدور الناس (ثم لما فرغنا ورجعت، لقيت السرموزة وذلك من بركة الشيخ رحمه الله) (٩).

من أسباب انتصار الحق رجوع العلماء للحق

العلماء هم حماة العدل والحق في الأرض، وقد جعلهم الله مع الأمراء حراسا للعدل والحق، فلزمهم

الامتثال والانصياع للحق مبتدئين مع أنفسهم، ولا يضرهم من أي أحد جاء الحق، فهذا تقي الدين السبكي يقول عنه الإمام الأسنوي في الطبقات: كان أنظر من رأيناه من أهل العلم، ومن أجمعهم للعلوم، وأحسنهم كلاما في الأشياء الدقيقة، وأجلهم على ذلك، وكان في غاية الإنصاف والرجوع إلى الحق في المباحث، ولو على لسان آحاد الطلبة (١٠). هكذا كانوا رحمهم الله مع جلالة علمهم، وقافين عند الحق وأهله، وهذا علاء الدين بن العطار مع القاضي الأفرم دليل آخر في النزول على الحق والأمر به مع الصدق، قال قاضي صفد: إنه حضر دار العدل فرأى على الأفرم قباء حريريا وخاتم فضة ودواة مذهّبة فقال: إذا سألني الله عن هذا ما حجتي إذا قال لي: لِمَ لمْ تقل له إن هذا حرام بالإجماع، وبكى فأبكى الحاضرين والأفرم، وبادر إلى نزع القباء والخاتم واستبدل بهما وبالدواة، قال: فكان آمراً بالمعروف، قائما بالحقوق، كثير الإيثار، عظيم التواضع، رحمه الله، ومات في صفر سنة ٧٠٣هـ (١١).

وقولة الحق لا تنقص من الرزق والأجل، فالآجال مضروبة والأرزاق مقسومة، فالله سبحانه أول ما أمر القلم أن يكتب، أمره بذلك وهذا الفقه كان يعرفه الفحول من الرجال، فيمارسونه واقعا في حياتهم، فمحمود بن علي بن هلال العجلوني ولد بعد السبعمائة، نقم عليه أبو البقاء لموافقة ابن تيمية في مسائله، فبلغ العجلوني ذلك، فكتب إلى أبي البقاء: إن الله أعطاني من العلم ما يكفيني لديني، ومن الرزق ما يكفيني، ومن العمر فوق مايتذكر فيه من تذكر (١٢). هكذا يكون التمسك بالحق وبهذا الوضوح نقطع على المرجفين الطريق.

أهل الدعوة والعلم يلتقون مع بعضهم البعض لنصرة الحق

الحق لا بد له من معين ولكي ينتشر، يلزم أن يتحرك الجميع وأن يضع كل واحد ما عنده من الحق والجهد، وأن يتناسى المتخاصمون في الأمور الشخصية والفرعية ما بينهم، من أجل إنجاح المشروع الإسلامي الكبير، فالأمر الذي يعالج اليوم من الأمة الإسلامية أكبر من أن تتفرق فيه الجهود، انظروا من أجل ألا تسفك الدماء في بيت الله الحرام، أعطى النبي ﷺ لأبي سفيان رضي الله عنه مكانة اجتماعية، «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» (١٣). لو أعطيت اليوم لعالم فذ يدخل جديدا إلى الحركات الإسلامية، لأدى ذلك إلى مشاكل قد تصل إلى شق الصف الواحد، نعم إنه فقه الموازنات الذي غاب عن الساحة الدعوية اليوم، إلا ما ندر، غاب مع ضجيج الخطابات الرنانة، والصراخ العاطفي المؤقت، فالعلماء يأخذ بعضهم من بعض، من غير تكبر لسن أو لشهرة، فهذا عبدالله بن المؤمن بن الوجيه ابن عبدالله بن علي بن المبارك الناصر الواسطي تاج الدين، ويقال: نجم الدين المغربي ولد سنة ٦٧١هـ قال عنه الذهبي في طبقات القراء: له كتاب نفيس في القراءات العشر، اسمه الكفاية ونظمها، وقد أثنى عليها لبرهان الجعبري، وهو أكبر منه، وقال الذهبي أخذ عني، وأخذت عنه، وأقرأ الناس ببغداد وواسط والبصرة والبحرين هرمز وجزيرة قيس ومكة والشام وغيرها من البلاد، وكان تاجرا سفارا (١٤). وأهل الفضل مع اختلافهم يظل يشهد بعضهم لبعض، فبهذا يحفظ الدين ويستفاد من الجميع، وهذا عين العقل الذي نحتاجه اليوم ومثل هذا في سير سلفنا رضوان الله عليهم كثير، نسوق ما ورد من سيرة محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن يحيى ابن سيد الناس أبي الفتح فتح الدين اليعمري الشافعي الحافظ العلّامة الأديب المشهور، ولد في ذي القعدة سنة ٦٧١هـ، وكان من بيت رياسة في بلاده، قال عنه القطب: إمام محدث حافظ أديب شاعر بارع، جمع وألّف وخرّج وأتقن، وصارت له يد طولى في الحديث والأدب مع الإتقان، ثبت فيما ينقل ويضبط، من أحسن الناس محاضرة، وقال ابن فضل الله: كان أحد أعلام الحفاظ، وإمام أهل البلاغة الواقفين بعكاظ بحر مكثار، وحبر في نقل الآثار، له أدب أسلس قيادا من الغمام بأيدي الرياح، وأسلك مرارا من الشمس في خيمة الصباح، فانظر كلام من يشهد الصفدي له، مع أنه كان منحرفا عنه فالفضل ما شهدت به الأعداء، وقال الصلاح الصفدي: كان حافظا بارعا، متفننا في البلاغة، ناظما ناثراً مترسلا، حسن الخط جدا، حسن المحاورة، لطيف العبارة، أخبرني عماد الدين بن القيسراني قال: كان ابن دقيق العيد إذا حضرنا درسه وجاء ذكر أحد من الصحابة والرجال قال: إيش ترجمة هذا يا أبا الفتح. فيأخذ في الكلام ويسرد، والناس سكوت، والشيخ مصغ إلى ما يقال. قال: وكان صحيح القراءة، سريعا لم أسمع أفصح منه ولا أسرع (١٥). والشهادة لأهل الفضل وحفظ مكانتهم، حفظ للإنسان من عقوبة التعرض لهم، فلحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في انتهاك منقصيهم معلومة، والتحذيرات في التاريخ كثيرة، وفي زماننا رأينا منها شيئا، وننتظر أن نرى فيمن يتلذذون بغيبة العلماء أمراً آخر إن لم يتوبوا إلى الله سبحانه، ومن تاريخ المائة الثامنة محمد بن عبدالله بن أبي بكر الحنيثي النزاري الصردفي الأصل، ثم الزبيدي، القاضي الفقيه الشافعي، ولد سنة عشر وسبعمائة، شرح التنبيه في أربعة وعشرين مجلدا، أهداه للملك الأشرف صاحب اليمن، فأثابه عليه بأربعة وعشرين ألف دينار. درس وأفتى وكثرت طلبته ببلاد اليمن، واشتهر ذكره وبعد صيته، قال الجمال المصري: إنه شاهده عند وفاته وقد اندلع لسانه واسود، فكانوا يرون أن ذلك بسبب كثرة وقيعته في الشيخ محي الدين النووي رحمهم الله جميعا وهذا في التاريخ كثير، وضبط النفس بعدم الغيبة والوقيعة بالآخرين أمر نحتاجه جميعا، بعد أن تعودت ألسنتنا على ذلك، وأصبحت الغيبة فاكهة مجالس بعض الدعاة، والداعية قد يضبط نفسه بعدم الغيبة، ولكنه يصعب عليه أن يلزم مجلسه بعدم ذكر الآخرين فيه، فهذا أمر لا يستطيعه إلا من أعانه الله، فهذا محمد بن إدريس بن محمد القمولي نجم الدين الفقيه الشافعي أحد الفضلاء النبلاء، كان يستحضر الروضة، وأكثر شرح مسلم، والوجيز للواحدي، مع المشاركة في العربية والأصول والحساب، كان لايستغيب أحداً، ولا يمكن أحداً أن يستغيب بحضرته، مع ملازمة الاشتغال والأمر بالمعروف والتقلل من الدنيا، حج وزار، وعاد إلى قوص، فتوفي بها في جمادى الأولى سنة ٧٠٩هـ (١٧).

حرمة الدين والرسول مصونة بحفظ الله

لله ملك السموات والأرض، ختم كتبه بالقرآن وحفظه بفضله ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر/٩]، وأرسل رسوله صلى الله عليه وسلم وتكفل بحفظ حرمته حيا وميتا ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ [البقرة/١٣٧]، ﴿ فإن حسبك الله ﴾ [الأنفال/٦٢]، ﴿ إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا ﴾ [التوبة/٤٠]. وهذه حقيقة لا ريب فيها، ولذلك فالمسلم يتحرك في العمل الإسلامي، بنفس راضية مستقرة من غير اضطراب ولا فزع ﴿ وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ﴾ [يونس/٤٦]، والأمثلة على ذلك لا حصر لها، وسنسوق هنا أمثلة من المائة الثامنة من أجل طمأنة النفوس على بقاء حرمة النبي ﷺ، ولو كتب ألف رشدي من اليهود وأعوانهم، فهذا علي بن مرزوق بن أبي الحسن الربعي السلامي زين الدين، أصله من الموصل ولد سنة ٦٥٠هـ، وتعانى التجارة، ذكر عن جمال الدين إبراهيم بن محمد الطيبي: أن بعض أمراء المغل تنصّر، فحضر عنده جماعة من كبار النصارى والمغل، فجعل واحد منهم ينتقض النبي ﷺ، وهناك كلب صيد مربوط، فلما أكثر من ذلك وثب عليه الكلب فخمشه، فخلصوه منه، وقال بعض من حضر: هذا بكلامك في محمد ﷺ، فقال كلا بل هذا الكلب عزيز النفس، رآني أشير بيدىً، فظن أني أريد أن أضربه، ثم عاد إلى ما كان فيه فأطال، فوثب الكلب مرة أخرى فقبض على زردمته، فقلعها فمات من حينه، فأسلم بسبب ذلك نحو أربعين ألفا من المغل (١٨). والحادثة لا تحتاج إلى تعليق، فبتصرف كلب أمن أكثر من عمل سنة كاملة لمجموع العاملين في الحقل الإسلامي.

وحادثة أخرى نختم بها هذا المقال، ليزداد اليقين أن هذا الدين منتصر بمشيئة الله ولو كره الكافرون، فهذا عبدالسيد بن إسحاق بن يحيى الإسرائيلي الحكيم الفاضل، بهاء الدين بن المهذب كان ديان اليهود، وكان يحب المسلمين، ويحضر مجالس الحديث، وسمعه المزي ثم هداه الله تعالى وأسلم وتعلم القرآن وجالس العلماء، وكان ماهرا في صناعة الطب والكحل، قال ابن كثير كان إسلامه يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة سنة ٧٠١هـ، وحضر هو وأولاده إلى دار العدل فأسلموا جميعاً، فأكرموا إكراما زائدا، لأنهم أسلموا طائعين على بصيرة، وعمل في تلك الليلة في داره ختمة ووليمة عظيمة، حضرها القضاة والعلماء، وأسلم على يده جماعة من اليهود من أقاربه، وخرجوا يوم عيد الأضحى يكبرون مع المسلمين، وفرح الناس بهم فرحا زائدا، وأكرموهم إكراما عظيما، ومات في جمادى الآخرة سنة ٧١٥هـ (١٩) ■

الهوامش:

١) الحديث قطعه من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه أخرجه البخاري انظر الفتح رقم ٣٨٥٢.
٢) الدرر الكامنة، ت: ٤٠٩، ١/١٥٥.
٣) الدرر الكامنة، ت: ٢٢٩، ١/٨٨.
٤) الدرر الكامنة، ت: ٤٠٩، ١/١٥٧.
٥) الدرر الكامنة، ت: ٤١١، ١/١٧١.
٦) الدرر الكامنة، ت: ٤٦٩٣، ٥/٧٥.
٧) الدرر الكامنة، ت: ٤٠٩، ١/١٥٧.
٨) الدرر الكامنة، ت: ١/١٥٧.
٩) الدرر الكامنة، ت: ١/١٧٠.
١٠) الدرر الكامنة، ت: ٣/١٤١.
١١) الدرر الكامنة، ت: ٢٢٣٧، ٢/٤١٢.
١٢) الدرر الكامنة، ت: ٤٧٦٢، ٥/٩٩.
١٣) سبق تخريجه.
١٤) الدرر الكامنة، ت: ٢١٦٣، ٢/٣٧٦.
١٥) الدرر الكامنة، ت: ٤٤٣٧، ٤/٣٣٢.
١٦) الدرر الكامنة، ت: ٣٨٢٣، ٤/١٠٦.
١٧) الدرر الكامنة، ت: ٣٥٢٠، ٣/٤٦٧.
١٨) الدرر الكامنة، ت: ٢٩١٥، ٣/٢٠٢) ٢٠٣.
١٩) الدرر الكامنة، ت: ٢٤١٩، ٢/٤٧٦.

كان عم حمزة؛ بالرغم من هرمه؛ يحب الأمـواج، فهي تـذكّره بـالماضي أيـام الشبـاب

بشرته أشبه بلون جدران كوخه الصغير على شاطىء البحر بجوار تلك الصخرة العالية كانت تزداد مع الأيام قتامة. حضر إليه مفتش البلدية حاملا بعض الأوراق.. تكلم معه عم حمزة وسأله عن عثمان، ومحارب، ومجاهد، وعلوان. وأشار إليه أن يلجس. نظر عم حمزة إليه بعينيه الغائرتين وصاح فيه: هل رأيتهم؟

وأشار بيديه المرتعشتين نحو الصحراء وقال: ذهبوا في هذا الاتجاه.. ولم أعد أراهم منذ زمن بعيد، وتنهد بعمق وزفر زفرة كلها ألم، ولم يتكلم. ونظرة أخرى الى داخل الكوخ.. كانت هناك بعض الأقداح المتناثرة، وأطباق مكسرة، وبساطه الصغير. أشار الى مفتش البلدية أن يتبعه الى داخل الكوخ لتناول بعض التمور.

وهناك على الشاطىء، كانت أريكة عم حمزة تعاني من ضربات الأمواج العاتية، لكن عم حمزة رغم هرمه يحب الأمواج، تذكره بالماضي البعيد أيام شبابه وعنفوانه، أيام كان يركب البحر بحثا عن رزقه تحت الأمواج.

خرج عم حمزة متوكئا على منسأته التي يغوص طرفها في الرمال فيخلعها خلعاً باتجاه الأريكة التي طهرتها أشعة الشمس الصفراء، حتى وصلها بعد جهد جهيد، وجلس مفتش البلدية بجواره وراحا يتجاذبان أطراف الحديث، نظر عم حمزة إليه نظرة استهجان وفتح عينيه المغمضتين باتجاه مفتش البلدية وتساءل لماذا ترتدي هذا البنطال؟ وسأله ايضا أين إزارك. أين عباءتك؟؟

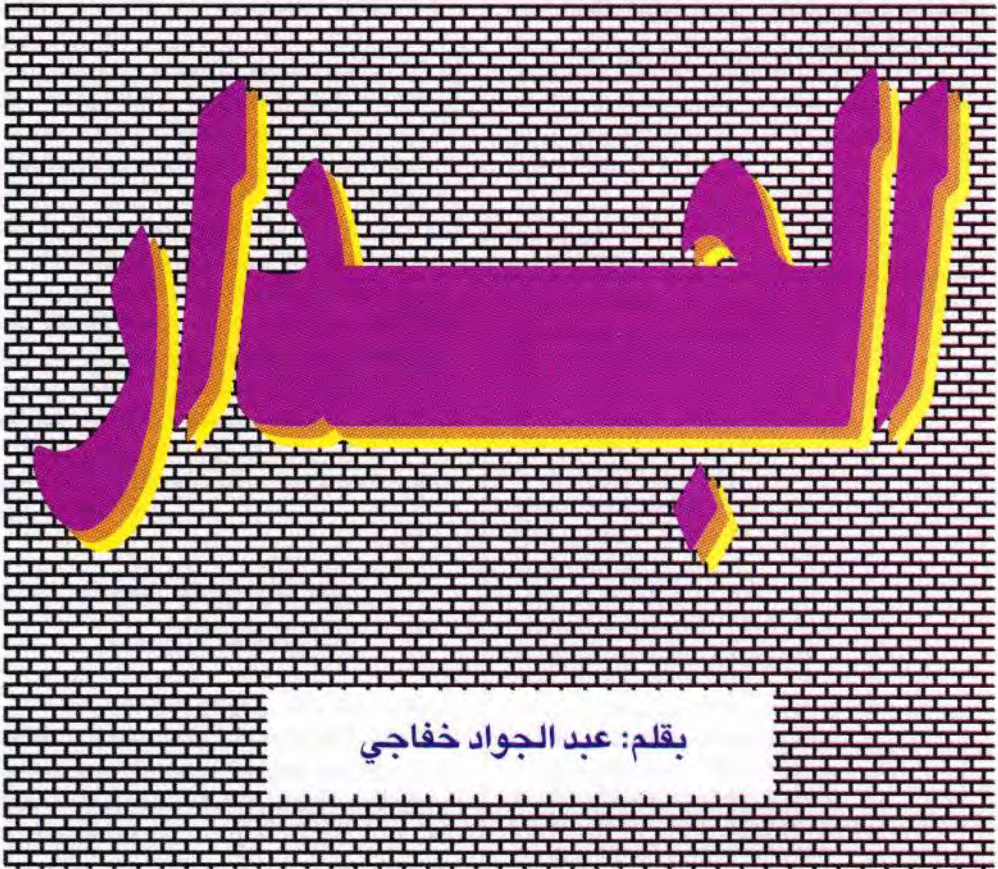
ولكن مفتش البلدية لم يفهم السؤال ولم يعد يفهم أيضا لماذا يصر عم حمزة على استضافته طوال تلك الفترة، لقد انتصف النهار إنه موعد انصرافه من العمل الى البيت ولكن عم حمزة قطع عليه حيرته عندما رفع رقبته نحو السماء وقال: لقد انتصف النهار، ونزل الى الماء ليغتسل، وأشار إلى مفتش البلدية أن يتبعه لأداء الصلاة، تنهد مفتش البلدية بغيظ وقال في نفسه: ليس هناك بد من طاعة ذلك العجوز وترك أوراقه على الأريكة وذهب للصلاة. كان عم حمزة يؤدي الصلاة متكئا على عصاه أيضا ومفتش البلدية من خلفه يؤدي الصلاة على مضض وبعد ان فرغا من الصلاة ذهب مفتش البلدية مسرعا نحو الأريكة، وما أن وصلها حتى صاح: لقد جذبت الأمواج الأوراق إلى داخل البحر، وراح بجري هنا وهناك بينما الأوراق المتناثرة كانت تحركها الأمواج والرياح وقد اختلط الحبر بالماء.

وبينما هو في لوثته الجنونية كان عم حمزة يعاني من آلام جسده المنهك بعد ان أجهده في الصلاة قياما وسجودا، نظر إليه عم حمزة نظرة تساؤل لكنه لم يعد يقوى على الحركة الآن ولم يعد يقوى على رفع جفنيه إلى أعلى، لقد آن له أن ينام بجوار الكوخ الصغير؟؟

في الصباح كانت هناك سيارة مدججة تخترق الأرض الصفراء باتجاه الكوخ. وعلى بعد ميل أو أكثر توقفت، ونزل منها رهط من الرجال بينهم امرأة، ألقى كل منهم نظرة فاحصة على المكان، ونصبوا أجهزة للقياس، وهناك عند نقطة قريبة من الكوخ وضعوا لافتة صفراء مكتوبا عليها بعض الكلمات السوداء.

نظر عم حمزة بعينيه المجهدتين باتجاههم لكنه لم يستطع أن يميز شيئاً سوى السيارة التي تقف بجوار اللافتة، ثبت عم حمزة بصره باتجاهها حتى بدأت تتحرك نحوه وما أن وصلت السيارة بجوار الكوخ حتى نزل منها أربعة رجال ملتحين، يبدو عليهم الوقار، في البداية اطمأن عم حمزة إلى وجوههم، لكنه تمنى لو يسألهم لماذا لايهذبون لحاهم تلك الماغولية. لكن كيف له ذلك وهو لايفهم عنهم كلماتهم الغريبة، ولهجتهم السريعة؟

أزاح عم حمزة بصره بعيدا عنهم باتجاه البحر ليقطع حيرته، وتساءل في نفسه: كيف أن هناك أقواما لايتكلمون مثلنا، وأن شفاههم تتحرك بألفاظ غريبة. لاتفهمها قريحته، ولاتفسرها أذنه؟ لكنه أخيرا نهض



بقلم: عبد الجواد خفاجي

بـاتجاه الشـاطيء ليغتسل للصـلاة، وبينما كان منهمكاً في صلاتـه كان الرجال منهمكين بوضع علامات صفراء وحمراء حول الكوخ، بينما راحت المرأة الشقــراء التي بصحبتهم تلقى ثيابها المبرقشة، وهى تزهـو كالفراشة المزركشة بألوان الطيف حتى أصبحت عارية تماما، واتجهت صوب الماء.

وما أن اختتم عم حمزة صلاته حتى صاح صيحات مبحوحة كانت في جوف الفلاة أشبه بحشرجة مذيـاع الجيب الصغير.. بالطبع لم يكن عم حمزة يفهم شيئـا عما يدور حـوله، لكن شيئا واحدا كان يفهمـه جيدا هو أن هذه المرأة عديمـة الحياء.. وبينما كـان هو يلـوح إليهـا بعصـاه مـن بعيـد لأن تخرج من الماء لترتدي ثيابها، كانـوا هم يتغامزون على هذا العجوز الهرم الذي يغازل تلك المرأة الجميلة. أخيرا أغمض عينيـه عنها وتـلا بعض آيـات الاستغفار وتساءل فيما بينه وبين نفسه لماذا يميل البشر الى التجرد من كل شيء من الثياب وحتى الحيـاة؟؟ بعد قليل خـرجت المرأة من الماء ليلتقطـوا لها بعض الصـور بـواسطـة الكـاميرات الفـاخـرة ثم اتجهـوا صـوب عم حمزة الجالس بجـوار الكــوخ ووجهــوا عدسـاتهم صوب تجاعيـد وجهه المتشـابكة والتقطوا له بعض الصور.

أخيرا حملوه معهم كالمتاع باتجاه السيارة. ووضعوه بـداخلها واوصـدوا الباب دونـه.. وفي طريق العودة كـانوا يثرثرون بكلمات لم يفهم منهـا عم حمزة شيئـاً بينما كان يتلـو دعاء الركوب سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين.

جلس عم حمزة أمــام رجل ضخم يجلس وراء مكتب كبير، وبين الحين والحين يضغط على أزرار صغيرة أمامـه، فيرد عليه صـوت نـاعم كأنـه الهمس.. في البـدايـة تملكت عم حمزة الحيرة من ذلك الصوت الـذي يسمعه ولايرى صاحبه.

أخيرا حضرت «السكـرتيرة» لتضــع أمـام المديـر «ملف» أخضر به بعض الأوراق، ومـا أن رآها عم حمزة حتـى راح يحدق فيها ملء عينيه وتمنى ألا تخلع ثيابها هذه المرة.

نظر إليـه المدير فجأة، فاذا ببـدنه النحيل يرتعش داخل ثيابه، أدرك المدير أن عم حمزة يعاني من برودة جهاز التكييف، فضغط على ازرار أخــرى في الحائط الخلفي فتـــوقف الجهــاز، هنـا فقط أدرك عم حمزة أن هــذا الهواء الذي لفح ظهره منذ جلوسه كان سببه هذا الجهاز المثبت خلفه في الجدار.

وأدرك أيضا سبب القشعـريرة التي سرت في جسده لحظـة أ ن وضعوه داخـل السيارة فلابد أن بها هيكـلا آخر ينفث الهواء البارد؟ وتمنى من اللـه ألا يعاود ذلك الـرجل ضغط الازرار من جـديـد، حتى يستريح من لفحـة هذا الهواء اللعين.

تسـاءل عم حمزة عن سبـب بقـائه.. لكن المديـر قطع عليه تسـاؤلاتـه وأشار إليـه ان يكف عن الكلام قائلا: ـ كل شيء على مايرام، ستعرف كل شيء الآن.

ظل عم حمزة قـابعـاً في مكـانه ونظـراتـه المتجمدة متجهة الى ذلك الهيكل اللعين المثبت في الجدار.. فجأة انفتح الباب ودخل عدد من الرجال والنساء وجلســوا جميعا حول مكتب المدير. شعر عم حمزة بالغـربة في هذا المكان الذي لايفهم مـايدور فيـه وتمنى من الله أن يأمـروا بعودتـه الى كـوخه الحجـري. وراح يدعو الله ان ينهي غربته.

وفجأة شعـر المدير بحـرارة الجو فضغط على الازرار من جديد فعـاد الهواء البارد مرة أخرى الى ظهر عم حمزة.

■ أخيراً وقع المدير على أمر إزالة الكوخ ودفن (عم حمزة)

وبينما عــم حمزة يقــــاوم البرودة أغمضت عيناه، وراح في ثبــات عميق، رفع المديــــر سماعـــــة التليفون، وتكلم قليلا مـع. « مـــــوظـف الكمبيوتر». بعد قليل عاد الأخير وهو يحمل كـــراسـة الأرقـــام الضخمـــة وتهامس الاثنان قليـلا ثم نظر الي عم حمزة الـــذي لايــزال بـلاحــراك منكمشا فـوق الأريكة الـوثيرة، تنهد المديـر بعمق ثم طلب من موظفه ان يضيف الى دائرة الاختزان رقما هو رقم عم حمزة.

ونظر نظرة اخـرى الى عم حمزة وتفحصه مليا بعينيه ثم طلب من سكرتيرته أن تتصل بـدار «رعايـة المسنين» وفجأة انفتح البـاب، فاذا بالموظف الذي غـرقت منه الأوراق في ماء البحـر قد حضر لتـوه إلى مكتب المدير الـذي ماأن رآه حتى صاح فيه: انت مرفوت.

لكن الموظف نظر الى المدير بذلة وانكسار.. وقـال وهو يشير إلي عـم حمزة الذي لايـزال بلاحـراك بإمكانك ان تـوقظه لتسألـه كيف ضــاع الملف في البحــر ولكن المديـر أصر على قراره قائلا: كل ماأعرفه أنك مهمل ومتسيب. وكنت سببا مباشرا في فقدان الملف.

لكن الموظف عـاد مــرة اخـرى يستعطف المدير قائلا بإمكانك يـاسيدي أن تعيد النظر في أمـر ايقـافي عن العمـل، مكتفيـا بتحـويلي للنيابة الادارية للتحقيق.

لكن المديـر رفض فاستشاط الموظـف غضبا لصلافة المدير، وعـدم حكمته في الإدارة ونفد صبره وصاح في المدير يسبه ويلعنه، وامتدت يـداه إلى عنق المديـر يريـد ان يخلعهـا ولكن المدير وهـو يعاني من إحكـام قبضة الموظف على عنقه ضغط على زرار صغير فـوق مكتبه فحضرت على الفور سكرتيرتـه التي شاهدت بعينيهـا مـايحدث« لمديرهـا» فـاتصلت على الفور عبر الهاتف تطلب الشرطة.

حضر للتـو مسـؤول «دار الرعـايـة» كما حضر رجـلا الشرطـة، وبعـدهما حضر جمع غفير من الموظفين تجمهـروا جميعـــا حــول مكتب المدير الذي صاح فيهم أرجو ان تقلبوا الدنيـا فوق رأس هـذا الموظف المهمل.. وراح يسوي هنـدامه. رجل واحـد بقى بجوار عم حمزة بعـد أن خـرج الجميـع وانفضـوا من حـول المدير الـذي بقى ليعد ورقـة خاصـة بتسليم «عم حمزة» إلى مســـؤول الـــدار.. تساءل الـرجل: هل من قريب لـه، لكن المدير أجـاب ـ البحـر والرمـال، والكوخ.. تسـاءل الرجل مـرة اخرى ــ أي كوخ؟ اجـاب المدير الكوخ الذي أمرنا بهدمه..

تساءل مرة أخرى ولماذا أمرتم بهدمه؟

أجـاب المدير لأننـا قررنـا إقامـة مشروع سياحي حول المكان الكائن به..

نظـر مسـؤول الـدار إلى عم حمزة نظـرة عطف وراح يوقظه بلطف استعدادا للرحيل.

لكن عم حمزة الـذي نـام منذ الصبـاح لم يكن «عم حمزة»بذاته، لقد رحل الرجل وترك جثته فـوق الأريكة!! صـاح «مسؤل الـدار» وهـو يتفحص عينيـه المتحجرتين وعـروقـه المتجمدة. ـ لقد مات.

التفت إليه المدير بفزع وردد بسرعة.

ـ مات؟؟!!

أخيرا صدر أمر المدير بازالـة الكوخ عندما تفضل بـرسـم تـوقيعـه الكـريم على الملف الأخضر وامـر السكرتيرة أن تتصل بـوزارة الصحة لدفن جثة «عم حمزة» ■



من الحكمة

- ثلاثة مرتفعة منحطة: السنبلة الفارغة والجاهل قدر نفسه ورأس المتكبر.
- ثلاثة بطيئة: السلحفاة والكسلان والوعد بالخير.
- ثلاثة نادرة: الكبريت الأحمر والراديوم والصدق.
- ثلاثة ما برح الناس يبحثون عنها ولا يجدونها: السعادة والراحة والسلام.
- ثلاثة ضيقة: سم الخياط وعين الحسود وكيس البخيل.
- ثلاثة طويلة: ليالي اليائس وأيام الهم وانتظار الفرج.

القلب السليم

القلب السليم الذي ينجو من عذاب الله هو القلب الذي قد سلم لعبودية ربه حياء وخوفا وطمعا ورجاء ففنى بحبه عن حب من سواه وبخوفه عن خوف ما سواه، وبرجائه عن رجاء ما سواه وسلم لأمره ولرسوله تصديقا وطاعة، واستسلم لقضائه وقدره، فلم يتهمه ولم ينازعه ولم يتسخط لأ قداره، فأسلم لربه انقياداً وخضوعا وذلا وعبودية، وسلم جميع أحواله وأقواله وأعماله وأذواقه ظاهراً وباطنا لمشكاة رسوله صلى الله عليه وسلم

* ابن القيم الجوزية

الناس ثلاثة

قال أيوب بن القرية: الناس ثلاثة: عاقل وأحمق وفاجر: فالعاقل: الدين شريعته والحلم طبيعته والرأي الحسن سجيته، إن سئل أجاب، وأن نطق أصاب وإن سمع العلم وعى وإن حدث روى. وأما الأحمق: فإن تكلم عجل وان حدث وهل (أي غلط) وإن استنزل عن آية نزل فإن حمل على القبيح حمل، وأما الفاجر: فإن ائتمنته خانك، وإن حدثته شانك، وان وثقت به لم يرعك، وإن استكتم لم يكتم، وإن علم لم يعلم، وإن حدث لم يفهم، وإن فقه لم يفقه.

حصنته العصمة الإلهية

ما من عظيم إلا رأيت في مسلكه كبوة، أو في شمائله جفوة أو في حسامه نبوة إلا محمداً صلى الله عليه وسلم فإن العصمة الإلهية حصنته فما يخبو له سنى أو يلحق خطوه عثار..! [الداعية محمد الغزالي].



إعداد: أحمد عبد الجبار

الشر الثالث

تجهز من الحسنى بما أنت قادر
وأحسن إلى من قد أساء تكرما
وحب الذي عاداك إن رمت قتله
إذا دفع الشر القبيح بمثله

عليه ولا تقبل سوى العقل مرشدا
وإن زاد بالإحسان منك تمردا
فاني رأيت الحب أقتل للعدا
تحصل شر ثالث وتولدا

[معروف الرصافي]

الصديق والعدو

قال حكيم: انتفعت بأعدائي أكثر مما انتفعت بأصدقائي لأن أعدائي كانوا يعيرونني بأخطائي فانتبه لها، وأصدقائي كانوا يزينون لي الخطأ فأغفل عنه حتى يبصرني الله.

الطريق إلى العلم

قال بديع الزمان الهمذاني: العلم شيء بعيد المرام لا يصاد بالسهام ولا يقسم بالازلام ولا يكتب للئام ولا يرى في المنام ولا يضبط باللجام ولا يورث عن الآباء والأعمام وغرض لا يصاب إلا بافتراش الصدر واستناد الحجر ورد الضجر وركوب الخطر وإدمان السهر واصطحاب السفر وكثرة النظر.

أدنى الأخلاق وأعلاها

قال المهلب بن أبي صفرة: أدنى أخلاق الشريف: كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما أسِرّ إليه!

عجبت من ثلاث

قال يحيى بن معاذ: عجبت من ثلاث: رجل يرائي بعمله مخلوقا ويترك أن يعمله لله، ورجل يبخل بماله وربه يستقرضه منه فلا يقرضه منه شيئا، ورجل يرغب في صحبة المخلوقين ومودتهم، والله يدعوه إلى صحبته ومودته.

النور لا ينسخ النور

إن النور لا ينسخ النور ولكنه إما أن يؤيده ويؤكده وإما أن يغذيه ويرفده وإما أن يكمله ويزيده.

عقوق اليوم

قال أحد الحكماء: من أمضى يوما من عمره في غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد أثله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه وظلم نفسه.

من الهدي النبوي

عن ابي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» [متفق عليه].

وصية

قال مالك بن ضيغم: لما احتضر أبي قلنا له: ألا توصي؟ قال: بلى. أوصيكم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب: ﴿ يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ وأوصيكم بصلة الرحم وحسن الجوار، وفعل ما استطعتم من المعروف وادفنوني مع المساكين.

عندما يفسد الماء

سافر تجد عوضا عمن تفارقه ... وانصب فإن لذيذ العيش في النصب
إني رأيت وقوف الماء يفسده ... إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب
الأسد لولا فراق الغاب ما افترست ... والسهم لولا فراق القوس لم تصب
التبر كالتراب ملقي في أماكنه ... والعود في أرضه نوع من الحطب

[الإمام الشافعي]

عدل ممقوت!!

شكا أهل بلدة إلي المأمون والياً عليهم، فقال: كذبتم عليه، فقد صح عندي عدله فيكم وإحسانه إليكم فقال شيخ منهم: يا أمير المؤمنين.. فما هذه المحبة لنا دون سائر رعيتك؟ قد عدل فينا خمس سنين، فانقله إلى غيرنا حتى يشمل عدله الجميع وتريح معنا الكل فضحك منهم وصرفه عنهم!!

العاقل والأحمق

وصف بعض الأدباء العاقل والأحمق فقال: العاقل: إذا والى بذل في المودة نصره وإذا عادى رفع عن الظلم قدره فيسعد مواكبه بعقله ويعتصم معادية بعدله، إن أحسن إلى أحد ترك المطالبة بالشكر وإن أساء إليه مسيء سبب له أسباب العذر أو منحه الصفح والعفو.

والأحمق: ضال مضل، إن أونس تكبر، وإن أوحش تكدر، وأن استنطق تخلف، وإن ترك تكلف، مجالسته مهنة (نوع من الحقارة) ومعاقبته محنة، ومحاورته تغر، وموالاته تضر، ومقاربته عمى، ومقارنته سقا، وكانت ملوك الفرس إذا غضبت على عاقل حسبته مع جاهل وقال الأحنف بن قيس: من كل شيء يحفظ الأحمق إلا من نفسه. [أدب الدنيا والدين].

الدين حجة ناطقة

يقول آرنست رينان في تاريخ الأديان:

إنه من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يريد أن يحصر الفكر الإنساني في المضائق الدنيئة في الحياة الأرضية!!

ثمـــرات المطـــابع

الاستشراق بين دعاته ومعارضيه

○ محمد أركون ومكسيم رودنسون وآخرون

○ دار الساقي – لندن

○ ترجمة: هاشم صالح

يتضمن الكتاب آراء عدد من المستشرقين الكبار ردا على الانتقادات التي وجهت إليهم في نطاق حملة المفكرين العرب على الاستشراق، وهم: بيرنارد لويس، ومكسيم رودنسون، وفرانسيسكو غابرييلي، وآلان روسيون، وكلود كاهين، ومحمد أركون..

وقد قدّم المترجم له بقوله: (تعود فكرة الكتاب إلى هم قديم يندرج ضمن الاطار العربي بكل مشاكله وقضاياه.. فالمناقشات الفكرية – الأيديولوجية التي دارت حول الاستشراق منذ الستينات، وحتى اليوم، كانت تبدو لي باستمرار وكأنها تعبر عن سوء فهم كبير، كنت احس بشكل غامض وضبابي ان المسألة أعقد من ذلك، وأن هناك خللا في الرؤية، كنت أعتقد ولا أزال أن المسألة لم تطرح من بابها السليم ولم ترتكز على الأسس التي كان ينبغي أن ترتكز عليها، وبالتالي لم نستطع بصددها أن نصل إلى نتائج مجدية أو حاسمة، أقول ذلك وأنا أتحدث عن الجهة العربية – الإسلامية بالطبع، فماذا يضير الاستشراق، والغرب بشكل عام، أن تظل تناطحه بشكل مباشر ومكشوف إلى أبد الدهر..

كان على الضعيف لكي ينتصر على القوي، أو كي يوازيه ويحاذيه، أو على الأقل كي يتخذ مكانة ما في مواجهته، أن يكتشف في البداية سبب قوة القوي أو سر نجاحه وتفوقه).

تفكير (محمد رشيد رضا) من خلال مجلة (المنار)

○ محمد صالح المراكشي

○ الدار التونسية للنشر – تونس

○ الطبعة الأولى ١٩٩٤م

تبوأ الشيخ محمد رشيد رضا مكانة بارزة بين زعماء الإصلاح في مطلع القرن، ليس لكونه فقط أبرز تلاميذ الشيخ محمد عبده، وإنما لأنه أقام مدرسة فكرية متميزة في تيار النهضة الإسلامية مهدت لظهور الحركة الإسلامية المعاصرة في مصر خاصة، وبقية العالم الإسلامي عامة. وشكّلت مجلته (المنار) [أصدرها من ١٨٩٨م وتوقفت عن الصدور في عام ١٩٣٥] منبراً رئيسيا لنشر أفكاره من حدود الصين وحتى شواطيء المحيط الأطلسي.. وتكمن أهمية كتاب الدكتور محمد صالح المراكشي، الأستاذ بكلية الآداب بتونس، بأنه لم يقتصر على كتب الشيخ محمد رشيد، وإنما عرض افكار وآراء إصلاحية متوارية في المقالات الثرية التي حبّر بها الشيخ محمد رشيد صفحات (المنار) خلال سبع وثلاثين سنة في مختلف ميادين الحياة السياسية والعقدية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية واللغوية والأدبية، فقد حاول الشيخ – وهو صاحب مشروع نهضوي يرمي إلى بناء مجتمع إسلامي يقوم على الكتاب والسنّة – توظيف ذلك كله توظيفاً كاملاً لخدمة الدعوة الإسلامية وعرضها بشكل ملائم لمقتضيات عصره.. ويؤخذ على الكاتب تسرعه وتساهله في إطلاق الأحكام الباتة والقاطعة معتبرا وجوب مرور فكر النهضة الاسلامية بالمسار الذي مر به الفكر الغربي المسيحي قبل تحقيقه الانتقال من عصور التخلف إلى العصر الحديث، فلا يصح أن نجعل من الخصوصية الأوروبية منهجا كونيا يحكم مسار جميع الحضارات، ومنهجاً لازما للانتقال من حال إلى حال ومن مرحلة حضارية إلى أخرى.

الانســان بين السحــر والعيــن والجــان

○ زهير حموي

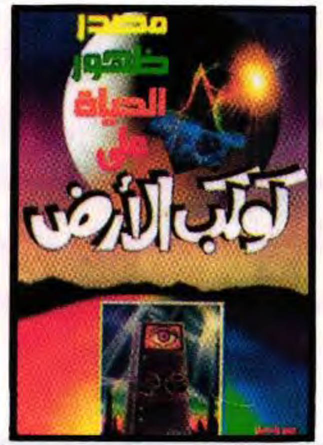
○ دار حواء (الكويت)، ودار ابن حزم (بيروت)

○ الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ

السحر وإصابة العين وعالم الجن، كل ذلك من علم الغيب الذي عبث في فهمه والتحدث فيه الجهلة والعامة والمغرضون، حتى فشا في النّاس تصورٌ خاطيء عن هذا العالم المجهول لديهم، وأجاز البعض لأنفسهم الإغراق في الاجتهاد في التصوّر، أو التعامل الميداني، مما أدى إلى عواقب وخيمة والوقوع فيما نهى الله عنه..

ولقد حذّر الشرع الشريف من التعامل بالسحر؛ وحرّم اتيان السحرة؛ وأمر بتطهير المجتمع المسلم من متعلقاتهم، وأوضح القرآن الكريم صورة محددة عن عالم الجن وعلاقته بعالم الإنس، والباحث زهير حموي يعالج هذه المسائل وفروعها بالدليل الشرعي، ويقدّم إجابات شافية لأسئلة مقلقة ومحيّرة، ويبيّن في أبواب الكتاب وفصوله أسس التعامل الشرعي مع (العين والسحر وعالم الجنّ) بما يحقق وضوح الرؤية للقاريء ويفوّت الفرصة على المغرضين والمتعاملين بما حرّم الله..

ويبقى الكتاب إضافة جديدة إلى مكتبة الأسرة وطالب العلم ينير للقاريء دربه في مجاهل هذا الميدان ويبعده عن السقوط فيما لا تحمد عقباه.



مصدر ظهور الحياة على كوكب الأرض

○ جمع وتنسيق يمنى زهّار

○ دار الآفاق الجديدة - بيروت

○ الطبعة الأولى ١٩٩٤م

جاء في مقدمة الكتاب: (تتعدد عند الإنسان أنواع التفكير في مصدر ظهور الحياة على كوكب الأرض، فمن المفكّرين من يؤمن بأكثرية ساحقة إيماناً راسخاً بما ورد في المراجع الدينية من أن مصدر الحياة هو إرادة الله عزّ وجلّ، ويرفض رفضا باتا إدخال الريبة والشك في هذه الحقيقة بسبب ما يذاع عن العثور على آثار حيوان الديناصور في الأراضي الأمريكية، وهناك اجتهادات اخرى..

يبقى أن نشير إلى أن الغاية مما ندلي به للقارىء في هذا الكتاب هي عرض دقيق وشامل لسائر الحالات والوقائع المتعلقة بانتشار الحياة على كوكب الأرض لعله يجد فيه تأييداً وإثباتاً لعقيدته يروق له التعرّف إليهما).

دنيا الدين والدولة (الإسلاميون والتباسات مشروعهم)

○ دلال البزري

○ دار النهار - بيروت

○ الطبعة الأولى ١٩٩٤م

تثير هيمنة الإسلام السياسية المعارضة حالة من الهلع مختلفة الأوجه متعددة المستويات، فبعد تلاعب مضنٍ وغير مجد بالرموز والعواطف المقدّسة، اختتم بعض المعنيين ذعرهم بلقاءات وقرارات أسمت الإسلامية (إرهابا) بغية علاجها بالمنطق المتبقي، المنطق الامني..

والنخب المثقفة ذات المشارب الليبرالية بمختلف طوائفها باغتتها؛ هي الأخرى؛ توهّجات (ساحة) الإسلاميين الصاخبة، فراحت طائفة منهم تكفّر عن ذنب اعتقدت نفسها ارتكبته في مسارها السابق، ولهذا استعانت ببعض النصوص السماوية، فلا صارت إسلامية ولا بقيت ليبرالية، وطائفة أخرى تمترست خلف سجالية واثقة في المظهر، وعطوبة في الجوهر، فيما انشغلت طائفة أخيرة بالانتظار، عبر صمت مطبّق أو الانكباب على شجون أحلى..

هذا الهلع، سواء أكان حقيقيا أو مفتعلاً، يستحق الاهتمام، وقد يعود بقسم كبير منه إلى عصيان الاسلامية السياسية على المفاهيم الرائجة والتحليل المتداول..

والكاتبة، لم تكن قط في الجانب الإسلامي، وهي تنقل وجهة نظر طرف آخر جديرة بالدراسة والإطلاع مهما بلغت قسوتها في نفس القارىء (الإسلامي)، ذلك لأن الرأي الآخر يبلور الرأي نفسه، فإما أن تحمد الله على ما أنت فيه، وإما أن تراجع فتصحّح وتعدّل إلى ما هو أقرب إلى الحمد، والصواب.

مشاهد وأحداث دمشقية في منتصف القرن التاسع عشر

○ الشيخ محمد سعيد الاسطواني

○ تحقيق: د. اسعد الاسطواني

○ الطبعة الأولى ١٩٩٤م

كتاب صدر في دمشق يؤرخ للفترة الممتدة من عام ١٨٤٠ وإلى ١٨٦١، سجّلها قاضي الديار الشامية الشيخ محمد سعيدالاسطواني، وكان يومها عضواً بارزاً في مجلس الولاية، مما يضيف على الكتاب أهمية خاصّة.. وهو يوميات تصور مختلف جوانب الحياة بدمشق، لم يقتصر صاحبها على سرد أخبار الولاة والمجتمع الدمشقي، ومرض الكوليرا، وسرقات الأوقاف، والأزمات الاقتصادية، بل سجّل - بالإضافة إلى ذلك - كل ما وصل إلى علمه من أحداث خلفتها مطامع الدول الكبرى التي أدّت إلى وقوع الفتنة الطائفية في صيف عام ١٨٦٠م، وكان شاهد عيان لها مما مميز انطباعاته بشيء من اواقعية والموضوعية.





بريد القراء

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين ولحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

تعقيبات حديثية

في أثناء اطلاعي على عدد شوال ١٤١٤هـ العدد رقم ٣٣٨ من المجلة بدت لي بعض الملاحظات التي تحتاج إلى التعقيب وهي كالآتي:

أولا : في مقال «مفهوم الحرية في المنهج الإسلامي» ورد ما نصه وفي هذا المعنى يقول نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام: «لا يكن أحدكم إمعة، يقول: إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن اساءوا أن تتجنبوا إساءتهم» رواه الترمذي. انتهى بنصه.

والحديث لفظه عند الترمذي كما يلي «لا تكونوا إمعة، تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم..» إلخ وليس كما ذكر الكاتب.

والحديث ضعيف وفيه علتان.

الأولى : الوليد بن عبدالله بن جميع، مختلف فيه، وقد أورده الذهبي في الضعفاء، وقال الحافظ في التقريب، «صدوق يهم»

الثانية : أبوهشام محمد بن يزيد.

قال الحافظ : «ليس بالقوى».

وقد قال البخاري : رأيتهم مجمعين على ضعفه، وأورده الذهبي في الضعفاء.

وهو معروف عن ابن مسعود موقوفا عليه مختصرا بلفظ: «اغد عالما أو متعلما، ولا تغد إمعة بين ذلك» أخرجه ابن عبدالبر في جامع العلوم (١١٢/٢) بسند حسن عنه.

انتهى بنصه من كتاب «نقد نصوص حديثية في الثقافة العامة» للعلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

ثانيا : في مقال «العقل ومكانته في الإسلام» ورد ما نصه: لقد وردت أحاديث نبوية شريفة كثيرة عن المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه في شأن العقل، منها: عن أبي أمامة وأبي معين رضي الله عنهما، أن السيدة عائشة.. رضي الله عنها - أنها قالت: قال رسول الله - ﷺ - أول ما خلق الله العقل، فقال له. أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال الله عز وجل وجلالي ماخلقت خلقا أكرم منك عليّ. بك آخذ وبك أعطي. وبك أثيب وبك أعاقب».

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ لكل شيء دعامة، ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قوله تعالى: ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ انتهى بنصه.

والحديثان السابقان لم يصحا عن النبي - ﷺ - وهذا بيانه.

أولا : كل ما ورد في العقل مما هو منسوب إلى النبي ﷺ موضوع باتفاق أهل الحديث ممن صنفوا في الموضوعات ومن هؤلاء:

١ - ابن قيم الجوزية في كتابه «المنار المنيف»

٢ - الصنعاني في كتابه «الموضوعات»

٣ - الشوكاني في كتابه «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»

٤ - ابن عراق الكتاني في كتابه «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة.

٥ - الألباني في سلسلته «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة»

وقد جمع داود بن المحبر أحاديث العقل في كتاب العقل الذي قال فيه الإمام الذهبي ليته لم يصنفه، وقال عنها الحافظ ابن حجر (أي عن أحاديث العقل) كلها موضوعة وقال الإمام أحمد بن حنبل عن داود المحبر: كان لا يدري ما الحديث وقال أبو حاتم عنه أيضا: ذاهب الحديث غير ثقة، وقال عند الدارقطني متروك.

ذلك من حيث الحكم جملة على أحاديث العقل وعلى داود بن المحبر مؤلف كتاب العقل وذلك من خلال جهابذة علماء الحديث وأساطينه وأعلامه.

ثانيا بالنسبة للحديث الأول «أول ما خلق الله العقل..» فقد حكم بوضعه كل من

١ - الصنعاني في الموضوعات. حديث رقم ٢٧ ص ٣٤

٢ - الشوكاني في الفوائد المجموعة حديث رقم ٤٢ ص ٤٧٦ كتاب الإيمان وقد حكم ابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة على الحديث الثاني «لكل شيء دعامة...»

بالوضع في كتابه تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة» حديث رقم ٩٣ ص٢١٥ الجزء الأول كتاب المبتدأ.

ومما سبق يتبين أن الحديثين المذكورين في فضل العقل موضوعان ولا يعني ذلك التقليل من العقل في إطار الشرع ومن أراد البسط في التعرف على علل وأسباب الحكم بوضع هذين الحديثين فليرجع إلى الكتب التي ذكرناها حيث فيها البسط والتبيين.

ثم إني أهمس في أذن الأخ الكريم كاتب المقال فأقول : هل تأكد من صحة ما ذكر، هل تحقق من صحة نسبة هذين الحديثين إلى النبي ﷺ؟!

إن على الكاتب أن يتأكد من صحة نسبة الأحاديث التي يوردها وهناك طريقتان معلومتان لذلك. اما أن يحضر دواوين السنة أو تكون في متناول يده فلا يكتب حديثا ألا وقد أخرجه من هذه الدواوين وعلم وتأكد وتحقق وتيقن من صحته.

وإما أن يذكر الحديث ثم بعد ذلك يبحث عنه في دواوين السنة ثم لا يكتفي بذلك، بل لابد من التأكد من صحته. وبذلك نضمن صحة كل ما ينسب إلى النبي ﷺ.

وتكون في منأى عن الكذب على النبي ﷺ وليس ذلك بعسير على من وضع نفسه في مصاف الكتاب والباحثين، فعلو الهمة مطلوب وتحري الدقة واجب وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ ■

محمد نجيب لطفي

اللون الأخضر سر الحياة

عندما يمر الإنسان على المزارع أثناء سيره في طريق زراعي قد ينظر يمينا ويسارا ليرى أصنافا كثيرة ومختلفة من النباتات المنتشرة على الجانبين وعندما يدخل الإنسان حديقة ما قد يعجب أيما إعجاب بمشاهد الزهور والأشجار وقد يقتني الإنسان في بيته بعض الزهور التي تنمو في مساحات صغيرة نظرا لمنظرها البديع لأن اللون الأخضر ذو تأثير خاص على النفس ولنتخيل لو أن كوكبنا الأرضي كان قاحلا كالصحراء لا زرع فيه ولا ماء كيف تكون الحياة فيه.

ومن خلال ذلك وبنظرة إلى عالم النبات الأخضر نتجول فيه لنرى بديع صنع الله. في البداية قد يخطر سؤال: هل خلق الإنسان أولا أم النبات؟ وللإجابة على هذا التساؤل نقول ان الله عندما خلق الإنسان كان لا بد له أن يأكل ليعيش ومن الطبيعي أن يكون ما أكله الإنسان في ذلك الوقت كان جاهزا للأكل.. وكان الزرع والنبات.. وقد خلق الله الجنة وجعل فيها من كل الثمرات وجعل فيها الغذاء للإنسان قبل سكنه فيها: ﴿ وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ﴾ [البقرة:٣٥]. ويرجع العلم حياة الإنسان على هذه الأرض إلى المملكة النباتية التي يعود نشأتها – هي والإنسان – إلى الماء ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ [الانعام:٩٩].

وهذا هو سر النبات الذي وصل إليه العلم كما قال الحق عز من قائل: ﴿ فأخرجنا منه خضرا ﴾ لأن سر النبات هو تلك المادة التي أسماها العلماء (الكلوروفيل) والتي سميت بالعربية اليخضوب ثم اليخضور.

ومن قدرة الله في هذا العالم الأخضر أن جعل منه غذاء للإنسان والحيوان والحشرات والطيور فهو غذاء لكل المخلوقات.

فغذاء الإنسان منه الحبوب والخضر والفاكهة ومنها ماهو صالح للغذاء مباشرة كالخضراوات ومنها ما يصلح بعد معالجته بطرق معينة مثل الطهي كالأرز والقمح ومنها ما يعطينا المشروبات كالقهوة والشاي ومن النبات غذاء للحيوان كالحشائش والبرسيم ومفدها هو غذاء للحشرات كالنحل الذي يخرج للناس العسل من رحيق الأزهار.

للنبات على الإنسان فوائد كثيرة فهو أساس حياة الإنسان وأهم هذه الفوائد أنه غذاء يتناوله الإنسان بطريق مباشر كالحبوب والثمار أو بطريق غير مباشر كما يحدث عند تناوله اللحوم أو البيض أو اللبن فهي إنما أساسها النبات. وكل مايشرب الإنسان يرجع أصله إلى النبات.

ومن فوائد النبات للإنسان التي لا غنى له عنها استخراج الخشب من الشجر الأخضر: ﴿ هو الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ﴾ [يس:٨٠] وقد أمدت جذوع وفروع الأشجار الإنسان بأيسر المصادر المتاحة لوقود الاحتراق.

ونتابع فوائد الأخشاب فنجد الأخشاب اللينة مثل خشب الشوح تعد حاليا أساسا في البناء أما الأخشاب الصلبة مثل خشب البلوط والماهوجون فهي تستخدم في صناعة الأثاث، ومنها أن كل مايرتديه الإنسان من ملابس تعود إلى النبات كالأقطان. أما أعظم فوائد النبات بعد كونه غذاء فهي كونه علاج ودواء لما يعاني منه الإنسان من أمراض لأن الإنسان القديم لم يعرف الطبيب على صورته الحديثة ولكنه كان يعالج نفسه بالأعشاب التي هي أساس الطب بل لعل استعمال النباتات لعلاج الأمراض كان معروفا لإنسان ما قبل التاريخ وذلك من رحمة الله بعباده أن خلق لهم الدواء قبل أن يخلق لهم الداء، وكل أنواع النبات لها تأثير في علاج الأمراض وقد كشف العلم الحديث عن ذلك من مكونات المادة الغذائية وماتحدثه في الجسم لعلاج المرض ولكن الغريب في هذا العالم الأخضر أن معظم الحشائش التي تستخدم كعلاج للأمراض تنبت من الأرض ولا دخل للإنسان فيها، بما في ذلك الأعشاب السامة التي أثبت العلم استخدام سمها كترياق وإشراكه في العلاج مع نباتات أخرى. فكل داء دواء وكل مرض له شفاء من النبات وما الأمراض التي لا علاج لها إلى الآن إنما هي لأن الله لم يفتح بعد على عباده لمعرفة هذه الأسرار ولم يصل إليها الإنسان وكم من أسرار في عالم النبات والأعشاب لعلاج الأمراض.

ولأن النبات مخلوق من مخلوقات الله كالإنسان فله من حقوق الاحترام ما للإنسان كما فعل أحد العلماء عندما تحاشى أن يطأ بقدمه حشائش الحديقة قائلا: أن النبات مخلوق مثله وقد يكون تمايل النبات إنما هو إلقاء للتحية فيجب رد التحية عليه. وتلك قدرة الله في خلقه ومخلوقاته فسلام على النبات ■

علاء محمد حسنين – دمياط – ج.م.ع

هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

الحصار

نرسو بأقلامنا، والشواطىء حيرى والقضايا متشعبة كثيرة، فلا نرسو مراكبنا متعبة. شمس تغرب، وليل يستفيق، ووطن يفيض حزنا كعيون سراييفو، طفل يتضوع جوعا، يتوسد نشز الأرض، ويلتحف الشمس اللاهبة، ينتشر مجموعة من العظام المتناثرة هنا وهناك لتسحقها مركبات حقوق الإنسان!!

بلاد لا يشتمون للإسلام فيها رائحة، يصبح الدين كمنشور سرى لا يجب تداوله أو الإفصاح عنه، تشتاق أسماعهم لصوت الأذان يصدح في أرجاء القرى المسلمة فيوحد شملهم الذي تشتت طويلا على دروب التيارات العلمانية، يفتقرون بشدة لذلك النداء الصادق، نداء الإيمان حين يطرق أبوابهم وبصائرهم، يفتقرون للصلوات المباركة، ورائحة الشهر الفضيل في بلادهم التي أصبح الإسلام فيها غريبا، يسمعون به ولا يجدون إلى تطبيقه بديلا، يشعرون به ولا يعيشونه منهاجا يحكم حياتهم..

غربة شديدة تسري في البلاد المسلمة، تمتد للحرم الإبراهيمي، والشعب الذي لازال يقاتل، خمسون عاما من الحرب والذل، من التحدي والقهر، خمسون عاما من التشرد والحرمان من أن يغفو طفل على تراب أرضه، أن يستنشق نسماته وأن يكون لفلسطين رائحة الوطن ورائحة العودة!!

خمسون عاما من المناورات الكلامية والحكايا الملفقة خلف عذابات أطفال الحجارة وخلف احتراق الأمهات كي تنبت الأرض أطفالا وحجارة!! احتراق حتى الرمق الأخير.

حصار طويل طويل حول مشاعر الفرد المسلم، حول شعائره ومناسكه، حصار حول دينه ودنياه، حول حقه في الحياة فترى جحافل الصهيونية تنفذ إليه من كل ثغرة، والثغرات كثيرة كثيرة..

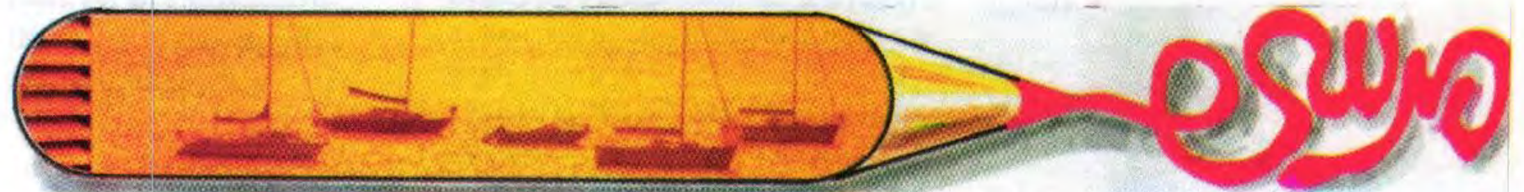
صحوة تفيق وأخرى تموت، ووهن شديد يدب في أوصالنا، رغبة عارمة في كسر القيود، وفك الحصار الخانق حول الأمة الإسلامية، ورغبة أقوى في صحوة تنفض غبار السنين العجاف. لتطل الوجوه ، مؤمنة أكثر، متألقة بنور الصحوة وعلى جبينها ألف باب للجهاد. خطوة تقود إلى آلاف الخطوات، وطريق يؤدي إلى كل الطرق..

بداية تنتهي عندها كل العذابات السطحية البعيدة المدى والتي ساهمت في تقويض الشخصية المسلمة، لتبدأ مرحلة الانعتاق من كل براثن الماضي الذي أرهق الأمة الإسلامية..

الانعتاق من هذا الحصار الطويل وبدء مرحلة أخرى من الجهاد حيث يكون الجهاد دستورا والمسلمون رجالا نبذوا عصور هامشيتهم وخذلانهم فأطلو ا برؤوس شامخة وصوت ناطق بالحق ■

بقلم: زهور الشمري *

* مركز اللغات بجامعة الكويت



عديدون هم أسرى الحرب والمفقودين من الكويت في سجون العراق



ألم يحن الوقت لإطلاق سراحهم؟

اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين

يتك مع ا
براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

اسلامية شهرية جامعة

العـــدد ٣٤٦ - السنـة الحادية والثلاثون - جمادى الآخرة ١٤١٥هـ / نوفمبر (ت٢) ١٩٩٤م

الثقافة الجمالية في الحياة الاسلامية



التلفاز والعنف في الغرب

معاً في وجه الاستفزاز



عديدون هم أسرى الحرب والمفقودون من الكويت في سجون العراق



ألمْ يحن الوقت لإطلاق سراحهم؟

لجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين



الوعي الإسلامي

اسلامية شهرية جامعة

AL- WA E I AL- ISLA MI

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٤٦ - السنة الحادية والثلاثون - جمادى الآخرة ١٤١٥هـ/ نوفمبر (ت٢) ١٩٩٤م

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar

مدير التحرير
MANAGING EDITOR
د. صلاح الدين أرقه دان
Dr. S.S. ARKADAN

المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR
خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz

الاخراج الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
S. M. Saleh

هاتف:
بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

كلمة العدد

الاستفزاز وليد الإفلاس

اعتدى العراق على الكويت منذ أربع سنوات بدون وجه حق، وحاول اعلام النظام العراقي طمس حقائق وتشويه أخرى، وأفلح في تضليل البعض، كما أفلح في شراء ذمم آخرين، وقام النظام الجائر نفسه بحركة استفزازية مؤخراً، استهدفت الحدود الكويتية، هددت أمن المنطقة، وأقلقت الأوساط الدولية، وجاء الرد العالمي والاسلامي والعربي حاسماً إلى جانب الحق الكويتي، وصفاً واحداً في وجه الاستفزاز..

وتبياناً لوجه الحق فيما وقع وتصحيحاً لأي تفسير خاطيء أو وقوع في حبائل إعلام النظام العراقي المغرض، أصدرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت بياناً وزعته على الهيئات الدعوية والجمعيات الإسلامية في جميع أنحاء العالم، وعددها ينوف على ١٦٠٠ هيئة وجمعية، وتعميماً للفائدة، وتفنيداً لادعاءات النظام العراقي تنشر (الوعي الإسلامي) نصه في الافتتاحية بالإضافة إلى ملف يحوي رسائل الاستنكار على الحركة العدوانية الأخيرة وإيضاح حقائق تتعلق بالموضوع □

al-Waei al-Islami
P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

المراسلات:
مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

الاشتراكات

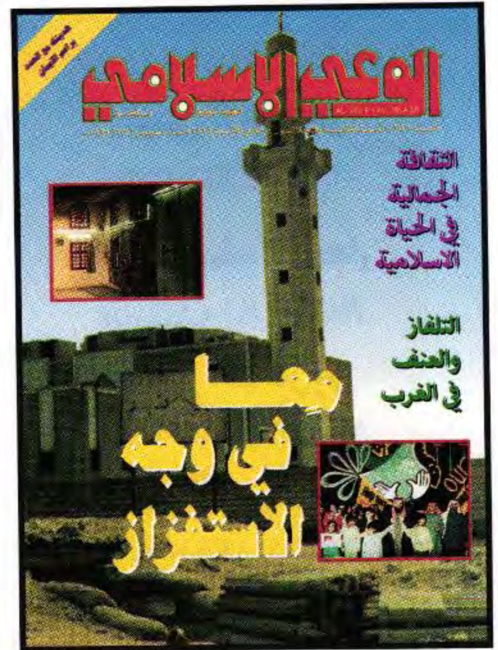
داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ
الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية(أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً(أو مايعادلها)
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
([illegible] عدم ارسال مبالغ نقدية)

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب:٤٢٠٥٧
الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت:٥/ ٤٨١٦٨٨٤-٤٨٣٥٠٤٧

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠فلس ـ ج.م.ع ٥٠ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما.

أقرأ في العدد



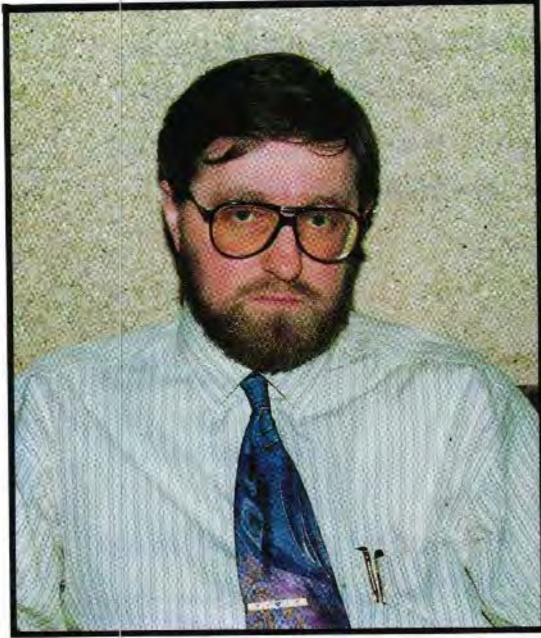
حرصت الكويت منذ اللحظة الأولى للأزمة التي افتعلها النظام العراقي على حل المشكلة بالطرق الودية، وحصرها داخل الوطن العربي، ورحبت بكل جهود عربية وإسلامية تسعى إلى علاج أسباب الأزمة وإزالة عوائق اشتعالها، لكن النظام العراقي استغل تلك الوساطات للتمويه عن مقاصده الحقيقية وأطماعه العدوانية، وقد أدى تعنّته إلى وضع الجميع أمام طريق مسدود، مما دفع بالقضية إلى التدويل..

الاستنهاض

(مساحة رأي) باب جديد على صفحات (الوعي الإسلامي) يهدف طرح مواضيع ومفاهيم تمسّ الساحة الإسلامية بشكل خاص، نسعى من خلاله إلى حوار هادىء ونقاش مثمر إن شاء الله، و(الاستنهاض) على رأس الأمور المطلوب دراستها وتناولها بعيداً عن الأفكار الجاهزة.

١٨

حوار عن آخر مستجدات البوسنة



بإيمان لا يتزعزع ويقين بالنصر المرتقب وسط ليل ادلج يخيم بظلامه على ارض البوسنة الجريحة جاءت كلمات الاستاذ حسين عمر سباهيتش (الممثل الشخصي لرئيس جمهورية البوسنة علي عزت بيغوفيتش في المملكة العربية السعودية) لتحيي الأمل في النفوس وتنير الدرب للسائرين في طريق الجهاد العظيم.. حول آخر المستجدات على الساحة البوسنية وكان هذا اللقاء الذي أجراه صلاح الدين الايوبي.

٥٢

اقرأ في الأعداد القادمة

- ○ تلوث البيئة اهم قضايا العصر / د. ابراهيم سليمان عيسى
- ○ مستقبل الجاليات الاسلامية في اوروبا إلى أين؟ نجلاء عبد الحليم احمد
- ○ حوار مع رئيس جمعية المنار في اوغادين / تمام احمد الصباغ
- ○ احترام الحرية الشخصية لاسرى الحروب / صلاح حسين شهاب الدين
- ○ حقائق ومفاهيم لا ينبغي ان تغيب / عطية فتحي الويشي
- ○ الذوق في القرآن الكريم / مصطفى بوهلال
- ○ نشاة البيمارستانات في العالم الاسلامي / ندى عبد السميع حافظ
- ○ من قضايا المعاجم العربية / د. رفيق حسن الحليمي
- ○ موانع الارث / رفعت محمد الطاحون
- ○ القصيدة العربية المعاصرة واشكالية الغموض / قطب الريسوني

دور الكويت التنموي

عملت الكويت منذ أن امتن الله عليها بالثروة البترولية على المساهمة الفعّالة في برامج التنمية في العالمين العربي والإسلامي، بالإضافة إلى دول محتاجة وجدت في الصندوق الكويتي حلاً لمشاكل مزمنة عالقة. وفي الدراسة التالية إيضاح لبعض مساهمات الكويت التنموية.



التلفاز والعنف في الغرب

د. قاسم القادري، ومن موقعه الميداني في قلب الغرب (باريس) وموقعه التربوي (معلّما وأباً) يطرح قضية (العنف) ودور التلفاز الغربي في تنميته لدى الطفل، وانعكاس ذلك على الأجيال الصاعدة، ويستقي إحاءاته من المصادر الغربية نفسها.



اليقظة الامنية في السلم والحرب

لم يعد (الأمن) قاصراً على فريق عمل ولا على مؤسسة بعينها، وقد بات أمراً مطلوباً في مختلف الميادين والظروف ومن مطلق الأفراد، وكلما ازداد المجتمع البشري تعقيداً كلما ازداد الموضوع الأمني إلحاحاً وحضوراً، وعبد الغني أحمد ناجي يتطرق في دراسته الأمنية إلى كون الأمن مطلباً إسلامياً على كل حال، في السلم والحرب على حد سواء.



الثقافة الجمالية في الحياة الاسلامية

لم يكن اهتمام المسلمين بالجماليات أمراً طارئاً، ولا تأثراً بثقافات دخيلة، ولكنه كان أمراً عميقاً في صلب الثقافة الاسلامية، ومحمود محمد الناكوع في موضوعه يتوجّه إلى منبع الثقافة الجمالية الصافي، يتوجه نحو القرآن ذاته ليسمعنا قيم الجمال فيه.



وسائل الدعوة الإسلامية الإعلامية

سعيد الأصبحي يكتب عن موضوع ذي صبغة دعوية وأخرى إعلامية، يهدف إلقاء الضوء على الوسائل الاعلامية العصرية المتاحة وكيفية توظيفها في حقل الدعوة، لاسيما والإعلام من صلب أعمال التبليغ.



الفهرس

الافتتاحية

معاً في وجه الاستفزاز

هاهو النظام العراقي يحاول أن يعيد عجلة التاريخ إلى الوراء، ويجهد نفسه وأمته في تكرار مأساة صنعها بيديه واكتوى بنارها الشعبان الكويتي والعراقي، واستطال شررها ليصل إلى العالمين العربي والإسلامي..

فقد قام النظام الحاكم في بغداد وبأوامر شخصية من رئيسه (صدام حسين) بمهاجمة الكويت بشكل مباغت وغادر صبيحة يوم ٢/٨/٩٠م، ورفع المعتدي يومها شعارات براقة استهوت البعض، وضللت البعض الآخر، معلّقاً كل مشاكله على شمّاعة الكويت، مدّعيا أنها السبب الرئيسي فيما وصلت إليه حالة العراق الاقتصادية (؟!) مستبيحاً أراضيها وشعبها وممتلكاتها، فارضاً من نفسه وصياً على مقدراتها، ضارباً عرض الحائط بكل حقوق الجوار والإسلام، متنكّراً للمواقف الأخوية الشريفة التي وقفتها الكويت حكومة وشعباً ومؤسسات إلى جانب الشعب العراقي في محنه، متحمّلة دون ذنب جريرة القرارات الفردية التي يتخذها الحاكم العراقي دون العودة إلى أحد..

ولقد حرصت الكويت منذ اللحظة الأولى للأزمة التي افتعلها النظام العراقي على حل المشكلة بالطرق الودية، وحصرها داخل الوطن العربي، ورحبت بكل جهود عربية وإسلامية تسعى إلى علاج أسباب الأزمة وإزالة عوائق اشتعالها، لكن النظام العراقي استغل تلك الوساطات للتمويه عن مقاصده الحقيقية وأطماعه العدوانية، وقد أدى تعنّته إلى وضع الجميع أمام طريق مسدود، فلا جامعة الدول العربية ولا رابطة العالم الإسلامي ولا المؤتمر الإسلامي ولا المؤسسات الإقليمية الأخرى نجحت في احتواء الأزمة، كما أنها لا تملك آلية ردع المعتدي العراقي عن غيه وإيقافه عند حدود مغامرته الفاشلة، مما دفع بالقضية إلى التدويل..

فلو كان النظام العراقي قد ثاب إلى رشده ورجع عن عدوانه، أو وجدت قوة عربية أو إسلامية تردعه عن غيه، لكانت القضية قد ظلت محصورة في النطاق العربي الإسلامي، لكن تعنّت ذلك النظام وصلفه وتمسكه بالباطل الذي يدافع عنه، وعزوفه عن الحق الذي داسه تحت أقدام جحافل جيوشه الغازية، وانخداع البعض بزيف شعاراته ومناصرتهم له على غيه وأطماعه، ومجاملة البعض الآخر لمواقفه الطائشة غير المسؤولة ومناصرتهم له أو سكوتهم عنه، قد أدّى كل ذلك إلى فتح أبواب تدويل المشكلة وتدخل القوى الدولية ذودا عن مصالحها في المنطقة، مما أدخل المنطقة كلها في دوامة كانت في غنى عنها، أدّت إلى نتائج ما زالت الأمة لعربية والاسلامية تعاني من آثارها..

لقد تبنت الكويت طوال تاريخها الحديث سياسة خارجية مستقلة لا تسمح بالارتباط بأي قوى خارجية أو دولية أو الدخول في تحالفات، وذلك اكتفاء بمعاهدة الدفاع العربي المشترك، والمساهمة النشطة في المنظمات العربية والاسلامية، ولم تسمح لأي قوى أجنبية بالتدخل في شؤون المنطقة حتى كان العدوان العراقي الغادر الذي استهدف احتلال الكويت ومصادرة إرادة أهلها وطمس هويتها مع افتقاد آلة عربية وإسلامية لردع المعتدى وإنقاذ الضحيةوتصاعد الموقف، مما رأت معه قوي دولية كثيرة أن ذلك العدوان يضر بالسلام الدولي وبأمن المنطقة مما أدّى إلى تدويل القضية لتصبح في قبضة الأمم المتحدة، وصارت القرارات التي تتعلق بها مرتبطة بالموقف الدولي لا بالموقف الخليجي أو العربي أو الإسلامي، وبذلك أخرجت الممارسات العراقية والتعسف العراقي الأمورَ من دائرة البيت الواحد لتصير إلى ما صارت إليه لاحقاً..

لقد حمل البعض على تدخّل القوّات الأجنبية في المنطقة - والتي جاءت كنتيجة للعدوان العراقي - ولم يشيروا إلى السبب الرئيسي الذي أدّى إلى ذلك، كما نسي البعض في حمأة الشعارات الحارّة البرّاقة اليد الملوثة بدماء العلماء والأبرياء، اليد التي امتدت إلى الشعب العراقي لتسومه أصناف الإيذاء في الدين والمال والنفس قبل أن تصيب غيره، نسي البعض في خضمّ العواطف الجارفة الأسباب الموضوعية والموازين الشرعية التي ينبغي مراعاتها والنزول عند الحكم الصريح الواضح في النظام الحاكم لبغداد، وانجرفوا في خط الاحتجاج على التدخل الدولي متناسين تعنّت النظام العراقي الذي جرّ المنطقة كلها إلى هذا التدخل وإلى الوجود العسكري فيها..

وكان الأمل يحدو الجميع في ان تلملم الامة العربية والامة الاسلامية شتات ما تفرق من صفوفهما، وما تبدد من طاقاتهما على أثر الاحتلال العراقي الغادر، وان تعيدا توحيد الصفوف بعد تنقية القلوب وإزالة ما لحق نفوس البعض من زيغ، لاسيما وأن حاكم بغداد أعلن قبوله للقرارات الدولية ومن بينها القرارات التي تتعلق بسيادة الكويت وحدودها الرسمية المبنية على الاتفاقات الثنائية (منها اتفاق تم سنة ١٩٣٢، واتفاقية سنة ١٩٦٣ الذي وقعها نظام كان حاكم العراق الحالي يحتل مركز الصدارة فيه) لكن تلك الآمال تبددت امام التعنت العراقي ورفضه - بالتدريج - كل ما أعلن استعداده لقبوله والالتزام به..

فالاتفاقيات الدولية لترسيم الحدود بين العراق والكويت الذي يطلب المجتمع الدولي اعتراف العراق بها كانت وليدة ارادة الطرفين، ولم تفرض على أحد..

والحصار الذي فرضته القرارات الدولية على العراق يتعلّق بقدرات العراق العدوانية، ولا يتعرّض لمقوّمات الشعب العراقي، فقد أجاز القرار الدولي للعراق أن يبيع حصة من النفط تحت إشراف الأمم المتحدة لتأمين احتياجات العراق من الأغذية والأدوية، ولم يمنع القرار الدولي قط ما يتعلّق بالغذاء والدواء كما يدّعي النظام العراقي..

وبقاء الحصار مرهون ببقاء أسبابه ودواعيه، وهو رفض النظام العراقي تنفيذ القرارات الدولية الذي سبق له الموافقة عليها، وبالتالي فإن ذلك النظام هو سبب بقاء الحصار واستمراره، إذ لم يرَ الرئيس العراقي في قرارات الأمم المتحدة ما يحقق طموحه الشخصي، ولم ينجح في إقناع الدول برفع هذا الحصار بالطريقة التي تحقق له حرية الحركة العسكرية مرة أخرى، فلجأ إلى التصعيد الأخير، وحشد آلافاً من وحداته العسكرية على الحدود الكويتية بهدف الضغط، ولقد جاء الردّ العربي والدولي سريعاً وحاسماً، مؤكداً على استمرار القرار الدولي بمنعه من أية مغامرة جديدة، وأن المجتمع الدولي ممثلاً بالمؤسسات الدولية (مجلس الأمن) على أهبة الاستعداد، مصراً على عدم تكرار مأساة ٢/٨/٩٠م، وأن أي خطوة عبثية من النظام العراقي لن تمر دون ثمن رادع..

إن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ومن منطلق مسؤوليتها الشرعية ومعايشتها للساحة الإسلامية، وصدوعاً منها بكلمة الحق الواجبة الاتّباع ترى أن سبب الأزمة - الماضية والحاضرة - ابتداء وانتهاء يتعلّق بتصرفات الحاكم الفرد، فتعنّته وتصرفه البعيد عن الشرع والعرف والقانون، وعدم استماعه إلى صوت الدين والعقل والضمير، وإهماله لمصالح شعبه والأمة، أدّى به في السابق إلى دفع القضية كلها باتجاه التدويل، وأدى إلى الوجود العسكري الدولي، وسيؤدي تصرفه الأرعن الحالي إلى مزيد من تعقيد الأمور..

إننا نهيب بكل الدعاة والمؤسسات والهيئات العربية والإسلامية إلى العمل الجاد على ردع هذا الرجل والإمساك على يده، وقد رأى الجميع بأم العين ما جرّه على الأمة العربية وعلى منطقة الخليج وعلى العراق وعلى الكويت من ويلات ودمار كنّا بمنأى عنه ونحن أمام نقلة حضارية تحتاج إلى كل جهد وطاقة لبناء مستقبل أجيالنا ومجتمعاتنا لتكون على مستوى الرسالة الحضارية الإسلامية في عالم يتعطّش إلى معانيها السامية..

قد يرى البعض أن التحرك العراقي الأخير ما هو إلا تهرّبا من الأزمات الداخلية المتلاحقة، وحركة إلهاء للقوات العسكرية والقوى الشعبية العراقية المستضعفة، وهي ترى بأم العين وتلمس باليد نتائج مغامرات الحاكم (الفرد)، وقد يرى البعض أن الهدف من التحرّك هو الضغط على المجتمع الخليجي والدولي لتقديم تنازلات تؤدي إلى استعادة النظام العراقي لجزء مما يصبو إليه من الآلة العسكرية المدمّرة، وقد يكون كل ذلك صحيحاً، ولكننا ومن نفس المنطلق الشرعي الذي ذكرناه، نؤكد أن أمام النظام العراقي طريقاً واحداً لتقف الأمور عند حد المعقول والمقبول، هو طريق الاستجابة للقرارات القانونية الدولية من الاعتراف بسيادة الكويت، وحدودها الآمنة، وفك أسراها ومرتهنيها، وإنهاء حالة التهديد العسكري الذي يشكل حالة قلق في العالم الإسلامي يوهن من قوّته ويذهب من ريحه، ويدمّر من طاقته..

والله ندعو أن يجنب أمتنا العربية والاسلامية آثار تلك الأفعال الطائشة التي ابتلينا بها على تلك الأيدي الآثمة التي استباحت شرع الله وأعراض المسلمين وأموالهم ■




مواقف في وجه الاستفزاز

أمام حركة الاستفزاز الأخيرة التي قامت بها قوات النظام العراقي العسكرية على حدود الكويت، صرّح عدد من الهيئات والمؤسسات والدعاة مستنكرين الخطوة الاستفزازية العراقية مؤيدين الحق الكويتي، وفيما يلي بعض هذه الصريحات:

على العراق الالتزام بالقانون الدولي


● أربكان

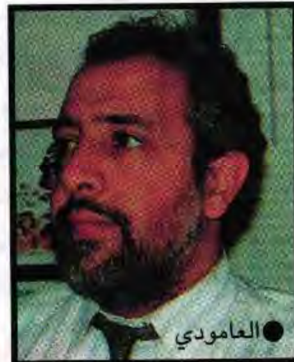
أصدر (حزب الرفاه) التركي البارز بياناً أكد فيه مسؤولية العراق عن تأزيم الأمور منذ ٢/٨/٩٠ وحتى اليوم، وعدم استجابته لكل وساطات الخير مما أدى إلى التدخل الدولي في المنطقة، وطالب القوات العراقية بالانسحاب من قرب الحدود الكويتية وتنفيذ القرارات الدولية المتعلقة بترسيم الحدود وإطلاق الأسرى والمرتهنين، ومما جاء في البيان:

(ونحن في حزب الرفاه نؤكد تأييدنا لحق الكويتي في أن يعيش في بلده آمنا، ونستنكر كل تدخل في شؤونه أو أي تهديد لأمنه، ونطالب القوات العراقية المحتشدة على حدوده بالانسحاب، وترك الفرصة لمجلس الأمن الدولي ليتابع خطواته التي قررها المجتمع الدولي).

الطبيعة الطاغوتية الدموية

وأعرب عبد الرحمن العامودي (المدير التنفيذي للمجلس الإسلامي الأمريكي) عن قلقه وأعضاء المجلس من التحركات العسكرية العراقية، وقال:

(إننا لا نجد تفسيراً لتصرفات النظام العراقي سوى الجنون والتهور والطبيعة الطاغوتية الدموية التي ما زال النظام العراقي يؤكدها ويمارسها على أرضه وجيرانه الآمنين).


● العامودي

كشف زيف الادعاءات العراقية

وباسم مكتب رابطة العالم الاسلامي في كندا، أبرق د. عرفات العشي مؤكدا موقف الجالية المسلمة هناك إلى جانب الحق الكويتي، وما تم القيام به في المساجد وسواها لكشف زيف الادعاءات العراقية.

تهديد العمل الخيري

وفي اندونيسيا اصدر د. أنور هايونو (رئيس المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية) بياناً أدان فيه الحشود العراقية على حدود دولة الكويت وقال: (إن هذه الحشود تهدد أمن الكويت وشرعيتها إسلامياً وعربياً ودولياً، مما يهدد كذلك كثيراً من الأعمال الخيرية والدعوية التي تدعمها الكويت ولجانها الخيرية).

نصر المظلوم حق واجب

من قبرص التركية أبرق السيد عبد المنّان عثمان جولحة (مكتب الدعوة الإسلامية) مستنكراً الاستفزاز العراقي مؤيداً الحق الكويتي، ومما جاء في برقيته: (.. والظالمون دائما هم الخاسرون، لأن اللـه لا يحبهم وليس لهم من نصير ولا حميم ولا شفيع، ونؤمن بأن نصر المظلوم حق واجب حتى يؤخذ حقه من الظالم).

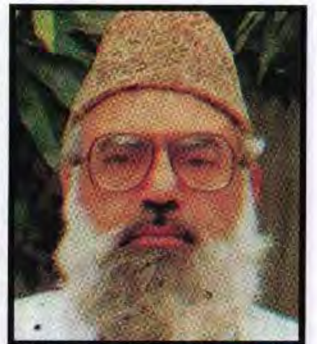


كيدهم ومكرهم في نحورهم

ومن الفلبين أبرق أمير الدين سرانجاني (مستشار مركز الشباب المسلم في الفلبين)، ومما جاء في رسالته: (ونحن إذ نعبر عن بالغ تألمنا واستنكارنا لهذا التصرف الشيطاني اللعين الذي أقدم عليه طاغية العراق.. فإنه ليسعدنا أن ننتهز هذه الفرصة الطيبة لنؤكد باسم اخوانكم المسلمين في الفلبين تضامننا الصادق وتأييدنا الكامل لدولة الكويت أميرا وحكومة وشعبا، رافعين الأكف إلى الله عز وجل بأن يحفظ الكويت من كيد الكائدين ومكر الماكرين، وأن يردّ كيدهم ومكرهم في نحورهم).

وأبرق حول نفس المعاني مختار حسين أمفاسو (عضو مركز الشباب المسلم في الفلبين).

خطوة العراق تخدم إسرائيل



● قاضي حسين احمد

ومن الباكستان أدلى القاضي حسين أحمد أمير (الجماعة الاسلامية) بتصريح أكد فيه وقوف الشعب الباكستاني إلى جانب الكويت وشعبها وحقوقها، مستنكرا الحركة الاستفزازية العراقية، ومما جاء في تصريحه:

(إن العمليات العسكرية التي نفذت عام ١٩٩٠م أضرت بجميع دول المنطقة أضراراً بالغةً، وأصبح المستفيد الوحيد من هذه الأوضاع هو (إسرائيل) التي زادت من قوتها ونفوذها في المنطقة).

(إن ما يزيد من خطورة هذه التحركات العسكرية انها حدثت في وقت تمر فيه منطقة الشرق الاوسط في مرحلة من اخطر مراحلها، لذلك نطالب بالانسحاب الفوري للقوات العراقية من الحدود الكويتية.. كما نطالب جميع الدول العربية والاسلامية ألا تقف وقفة المتفرج بل تتحرك فوراً لإنهاء هذه الأزمة).

الكويت سباق إلى الخير

ومن أمريكا اللاتينية أبرق الشيخ احمد علي الصيفي نيابة عن (المؤسسات الإسلامية) المجتمعة بدعوة من (مركز الدعوة الاسلامية لأمريكا اللاتينية) ومركزه البرازيل، مستنكراً الحشود العراقية الاستفزازية.. ومما جاء في برقيته: (وإننا إذ نؤكد شجبنا لما حدث من قِبَل النظام العراقي نستنكر الاستفزازات العسكرية للكويت الحبيب الذي كان ولا يزال سبّاقاً إلى فعل الخيرات ومشاركا في معالجة قضايا المسلمين في العالم، ومساهما في تحمل الكثير من المشاريع الخيرية والانسانية، ورافعاً كلمة الحق).

الخزي والهوان للمعتدي

ومن نيبال أبرق الشيخ عبد الرؤوف الحماني (أمير أهل الحديث) باسم (جامعة سراج العلوم السلفية) وأعضائها وطلابها مستنكراً الحشود العراقية على حدود الكويت، مذكّراً بجريرة العدوان العراقي عام ٩٠م وما جره على الأمة العربية والاسلامية من جراح تحتاج وقتا طويلا لتندمل، وفضل الله على الكويت بالتحرير، وعلى العراق بالخزي والهوان.

حق الكويت الشرعي

ومن خان يونس بفلسطين أبرق الشيخ عبد الله بن سليمان المصري (رئيس جمعية دار الكتاب والسنة) شاجباً ومستنكراً الاستفزازات والاعتداءات العراقية، قائلاً: (كما وأن الجمعية تؤيد الحق الشرعي لحكومة الكويت على كامل ترابه).

تبرير مرفوض

أصـدرت جماعـة (الاخـوان المسلمـون) من القـاهـرة بيـانـاً تستنكـر فيـه الخطوة العـراقيـة، مذكـرة بموقفها من رفض احتلال الكـويت يوم ٢/٨/٩٠م، رافضة تبرير الخطـوة العراقيـة الأخيرة، داعية اللـه تعالى أن يحمي الكـويت وشعبه، ومما جاء في البيان: (وفي هذه الأيـام تعود الحشود العسكرية العراقيـة على حدود الكويت بلا سبـب وبلا داع لتثير الذعر بـالخطر، وتهدد سلامة الكـويت مرة أخرى، وهذا تصرف من العـراق مرفوض وغير مقبول ولا معقـول، ولا يقبل ما يشـاع من ان المقصود منـه هو الضغط على مجلس الأمن لرفع الحصـار المفروض على العراق لأن من شأن هذا التصرف الأهوج أن يزيـد الضغوط على العراق وشعبه الذي يـلاقي أشـد العنت من الحصـار المفروض عليـه، ومن ظلم حكـامـه الغلاظ الذين يسومونهم أبشع عذاب).

الكويت دار أمن وأمان

وباسم (المجلس الاسـلامي في ألمانيا) أبرق صـلاح الـدين الجعفراوي شاجباً (المهزلة التي يحاول النظـام العراقي تكرارهـا ولا ندري من وراء أو مـا وراء تلك المسرحية التي تـؤدي إلى زعـزعة استـقرار وأمن المنطقة) داعيا الله تعـالى (أن يجعل أرضَ الكويت دارَ أمن وأمان، وعز واستقرار، ورمزا للخير والعطاء).

الاستفزاز لا علاقة له بأي مبدأ شريف

ومن لندن أصـدر (مركز دراسـات المستقبل الاسلامي) مستنكراً الحشـود العـراقية قائلا في رسالتـه: (إن مثل هذه الأعمال لا عـلاقـة لها بأي مبـدأ شريف بما في ذلك مبـدأ الدفـاع عن الشعب العراقي.. والـدفاع عن العـراق لا يكون بتهـديد الكـويت والتحـرش بأهلهـا، ولا بتوفير الأسبـاب والتبريرات المباشرة لتعطيل مهمـة حماية الأمن والاستقرار في المنطقة).

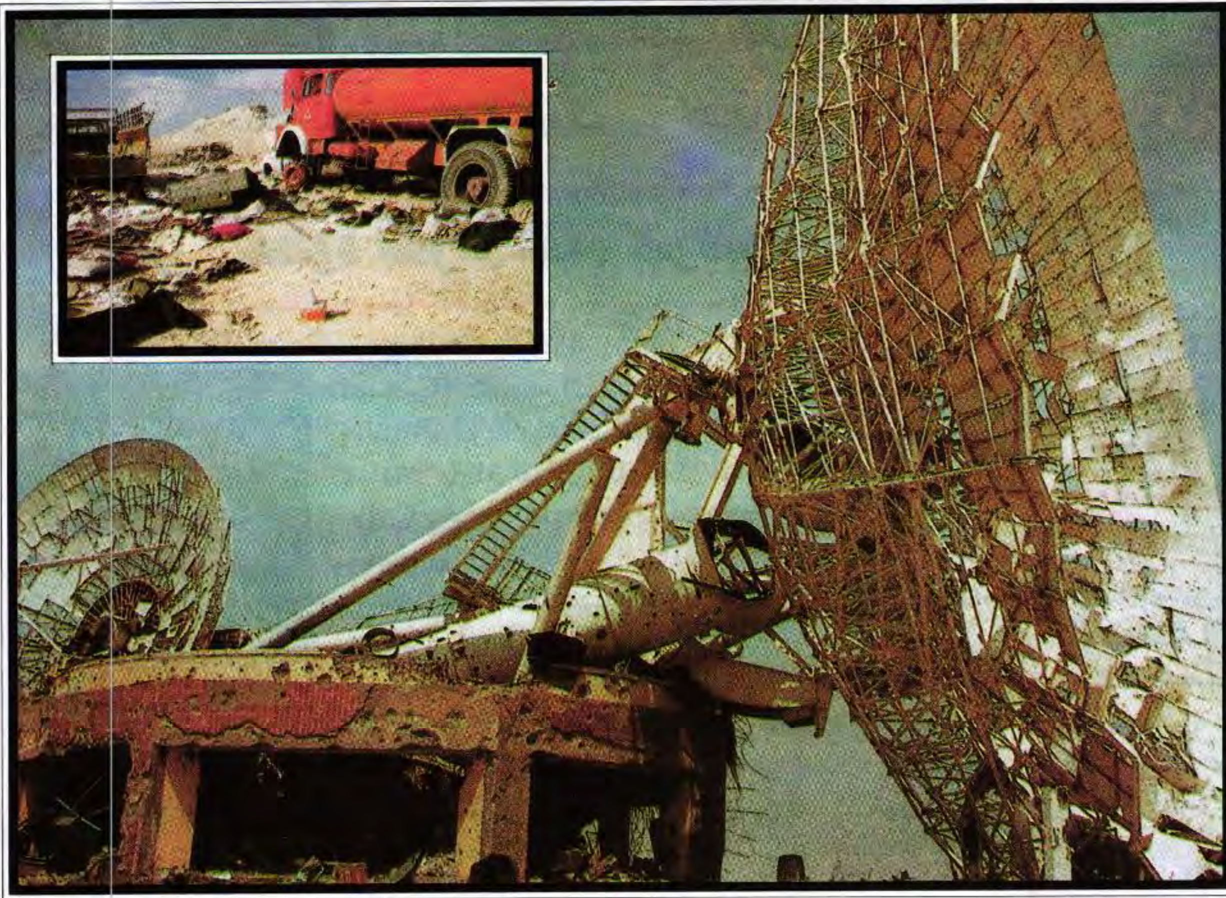
على العراق تنفيذ المواثيق

ومن مكـة المكرمـة أعـربت الأمـانة العـامـة لـرابطة العـالم الإسلامي عن قلقها لخطوة النظـام العراقي وتحركه العسكري، وجاء في تصريح لمتحدث باسمها:

(ان لشعب الكـويت الشقيق كل الحق في ان يعيش حـرا، وان يمارس سيادته على أرض بلاده نظرا لما اكـدته قرارات الجامعة العـربية، وقـرارات الامم المتحدة، وان العـراق مطـالب بالتقيـد بالانظمة والمواثيق الخاصة بالجامعة العربية، والتي كان العراق قد وقع عليها منذ ان قامت).

الظلم واحد لا يتجزأ

وجـاء في بيـان أصـدره عبد الـرشيـد الترابي (أمير الجماعـة الإسلاميـة في كشمير) التأكيـد على تضـامـن الشعب الكشميري مع الشعب الكويتي تقديرا لمواقفـه النبيلـة تجاه القضيـة الكشميريـة. وفيـه: (إن سيـاسـة صـدّام حسن تجاه الكـويت لا تختلف عن سياسة القيادة الهندية تجاه كشمير في تجاهلهما لقـرارات الأمم المتحـدة وعـدم احترامهما لسيـادة الشعوب واستقلالها).



التصرف المشؤوم لا يرفع الحصار

وفي صنعاء أدلى محمد عبد الله اليدومي (الأمين العام للتجمع اليمني) بتصريح أعرب فيه عن أسفه البالغ للتطورات الواقعة على الحدود العراقية الكويتية التي أعادت إلى الأذهان ما وقع في ٢/٨/١٩٩٠م (ذلك التصرف المشؤوم الذي لا زالت آثاره قائمة حتى اليوم). وأعرب عن رفضه (اللجوء لأساليب القوة لحل الإشكالات لأن عمليات الاستفزاز والتلويح باستخدام القوة ليست هي السبيل إلى رفع الحصار عن شعب العراق).



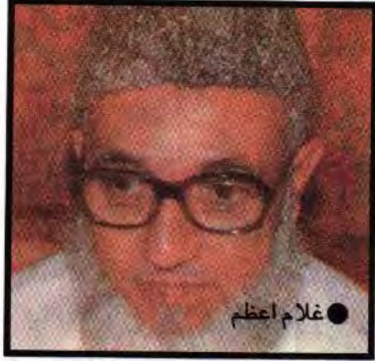

مولوي

لابد من تقديم ضمانات كافية للكويت

وبمناسبة انعقاد مؤتمر الحوار الإسلامي القومي، وقّع عدد من التنظيمات الإسلامية المشاركة في بيروت على بيان مشترك يستنكر الحشود العراقية على حدود الكويت (في الوقت الذي يتطلع فيه الجميع إلى عودة التضامن العربي وتقديم كافة الضمانات لطمأنة الكويت وإطلاق الأسرى والمرتهنين لدى النظام العراقي). وجاء في البيان الذي وقعه كل من (الجماعة الاسلامية في لبنان) و(حزب النهضة التونسي) و(حركة حماس الفلسطينية) بالاضافة إلى كتاب ومفكرين ودعاة من مصر والجزائر وسوريا: (على العراق أن يسحب حشوده بعيدا عن الحدود الكويتية وان يعمل على حل مشكلة الأسرى والمفقودين الكويتيين، وأن يقدّم كافة الضمانات التي تطمئن الكويت خاصّة ودول الخليج عامّة بما يحفظ أمن المنطقة واستقرارها).

موقف وفاء

وأصدر البرفسور غلام أعظم (أمير الجماعة الإسلامية في بنغلاديش) بياناً ندد فيه بتهديدات العراق، وأكد وقوف قواعد الجماعة إلى جانب الكويت وشعبها وحقوقها ضد أي تهديد خارجي.


غلام اعظم

دعوة إلى المخدوعين: أن استيقظوا

د. محمد منظور عالم (رئيس معهد الدراسات الموضوعية في الهند)، أبرق مستنكرا الاستفزاز العراقي الأخير، مؤيدا موقف الكويت الساعي إلى حفظ الحقوق، وردع المعتدي، ومما ورد في برقيته: (وهناك من لا يزال منخدعا بوعود النظام العراقي المعسولة، كما انه لا يزال في طيشه وغيه ولم يعد إلى رشده وصوابه، ولكنه تحرك حاليا تحركات عدوانية شكلت خطرا يهدد مرة اخرى أمن المنطقة وسلامتها، ومؤشرا يجر المنطقة إلى نفس الأزمة التي لا تزال شعوب المنطقة تجرع مرارتها وتتعذب بمخلفاتها، مما دفع المخدوعين إلى تغيير وجهات نظرهم، والخروج من حمأة أحلامهم الكاذبة، فيقومون إن شاء الله بجانب الكويت وأهلها قومة رجل واحد إن حدثت لها حادثة، لا قدّر الله).

النظام العراقي نكبة للأمة

رئيس جمعية الصداقة الكويتية – الهندية (محمد هوشدار خان) أعلن في بيان صحفي أن الحشود العراقية على الحدود الكويتية دليل صارخ على أن القيادة العراقية ما زالت تعمل بأسلوب عدواني وانها لم تلق درساً من الهزيمة التي منيت بها في معركتها مع دول التحالف. وقال البيان: (إن النظام القائم في العراق لا يشكل خطورة للدول المجاورة فحسب بل إنه سبب معاناة الشعب العراقي كما انه يسبب في نكبة الامة الاسلامية، وذلك بإهدار امكانيات الدول الاسلامية وإشغالها في الحروب).

الإضرار الاستراتيجي

أعلنت (الرابطة الاسلامية الكردية) في بريطانيا استنكارها لتهديدات النظام العراقي، وأكدت في بيانها أن (تهديد النظام العراقي لأمن الخليج لا يراد منه إلا الإضرار بالمصالح الاستراتيجية للأمة الإسلامية وتجفيف منابع الدعوة والخير والإغاثة عن المسلمين).

برنامج توعية

ومن موسكو أبرق الداعية (أبو عصام) مستنكرا باسم مؤسسة (سار)، الاستفزاز العراقي مبيناً مسارعة الخطباء وأئمة المساجد بتخصيص يوم الجمعة (للدعاء للكويت وأهلها، وترجمة نداء وزارة الأوقاف الكويتية إلى الروسية وتوزيعه على الإدارات الدينية والجرائد والمجلات المحلية ليعرفوا الحق ولا ينخدعوا بمقولات النظام العراقي الواهية).

التنكر للجميل

من هولندا، أبرق الكاتب الاسلامي نبيل شبيب مستنكراً كل المحاولات لمعاودة الاعتداء على دولة الكويت وأمنها وشعبها ومقدراتها، ومما قاله: (الكويت التي مدت يد الأخوة والعون لكل شعوب العالم وخاصة لشعب وحكومة العراق ولكنها بدل ان تلاقي الشكر والعرفان لاقت كل انواع الحقد والاجرام والأذى والدمار الذي لا يمكن تخيله). ■



■أقسام العمل الخيري الكويتي خارج الكويت ٢٤٩٨ مسجدا وذلك لغاية عام ١٩٩٢م

الكويت.. دور رائد في التنمية

عاشت الكويت خلال الشهر الماضي أزمة جديدة سببتها التحركات والتهديدات العراقية اللا مسؤولة ووقفت عناية الله من جديد إلى جانب أهل الكويت ترد عنهم كيد الكائدين وظلم الظالمين وتسابق الأصدقاء والأشقاء لنصرة قضية الكويت العادلة وارتفعت الأكف إلى الله ضارعة أن يزيل الغمة ويكشف السوء عن عباده ويقصم ظهر المجرمين فاستجاب الله الدعاء واندحر المجرمون مرة ثانية يجرون وراءهم أذيال الخيبة والفشل.. ونحن في مقالنا هذا لا نريد أن نتكلم عن الحدث ومستجداته ونتائجه فهذه أمور أشبعتها وسائل الإعلام المختلفة بحثا ونقاشا ولكن نريد أن نتحدث عن الدور الرائد للكويت في دعم عملية التنمية ومساعدة الشعوب الفقيرة وإغاثة المنكوبين ومساعدة الأرامل والأيتام وجبر القلوب المكسورة ومساعدة المحتاجين وتأهيلهم وتدريبهم والمساهمة في بث الوعي الصحي والاجتماعي والتنموي وهذه أمور كانت بلا شك من الأسباب الأولى الرئيسية التي استحق بها أهل الكويت حفظ الله ورعايته ونصره وصدق الله العظيم: ﴿ أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ [النحل/٦٢].. وفي هذه الآية إشارة واضحة إلى أن الله سبحانه وتعالى مع عباده المؤمنين ينقذهم من كل شدة وبلاء كلما جعلوا الأمر إليه وأن رحمته تدرك عباده المضطرين وتكشف السوء عنهم وتأخذ بأيديهم كلما توجهوا بإخلاص إليه..

من المحلية إلى العالمية

إن المتتبع للعمل الخيري الكويتي خلال

إعداد: التحرير

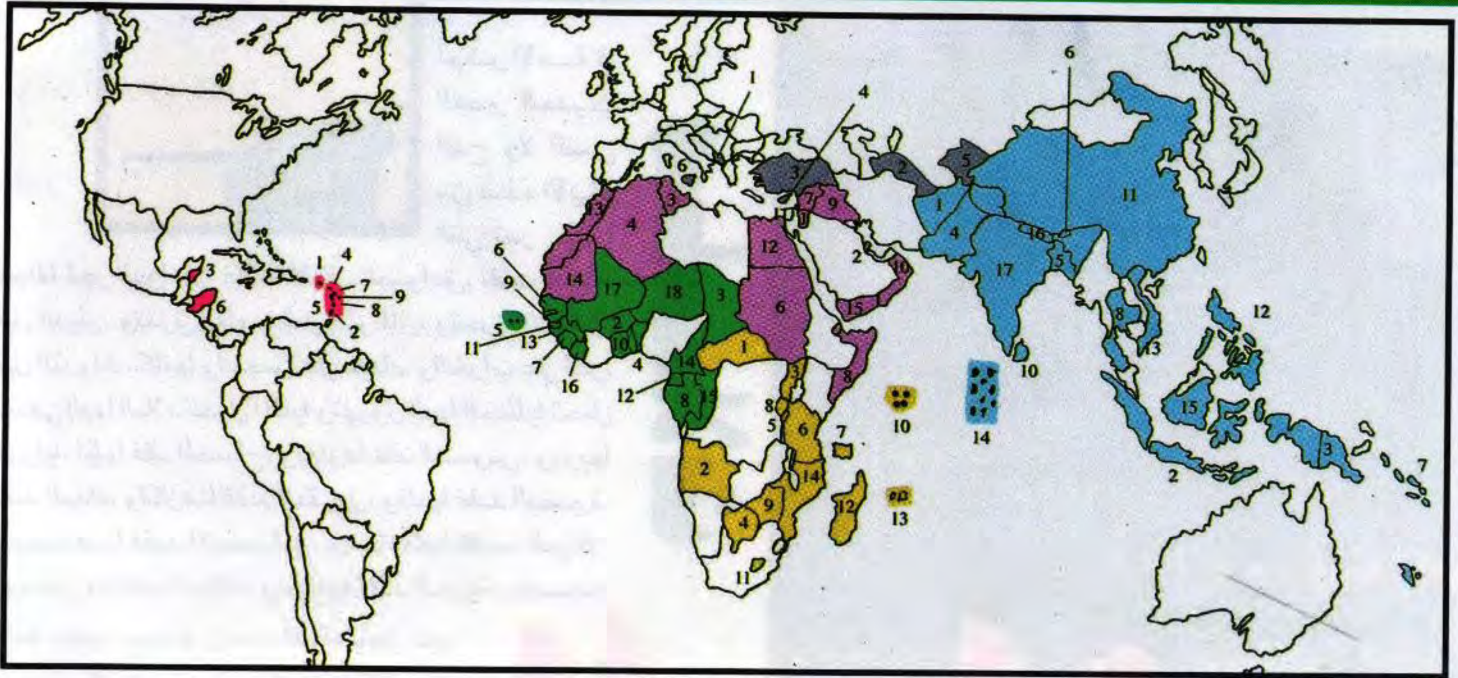
السنوات الأخيرة لابد له أن يقف وقفة تقدير واحترام للعاملين في هذا الميدان الإنساني النبيل ويقدر جهودهم الخيرة النبيلة على المستويين المحلي والعالمي وبهذا العمل الدؤوب تتجسد معاني التكامل والتراحم والتعاون بين المسلمين ويبرز وجه الكويت المشرق في مجالات الخير والعطاء، لقد استطاع هذا العمل أن يبرهن على تعاطف شعب الكويت من القضايا العادلة والمعاناة الإنسانية في بقاع مختلفة من أنحاء العالم فإنجازاته عمت قارات بأكملها مثل القارة الأفريقية والآسيوية وصارت المساجد والمدارس والمستوصفات والمستشفيات والمشاريع الإنتاجية بأنواعها التي شيدها أبناء الكويت الأبرار في أنحاء المعمورة شاهداً واضحا على العطاء الكويتي الإسلامي والإنساني والمشاركة الوجدانية لآلام الشعوب وتطلعاتها لمستقبل أفضل، وفي كل هذه البقاع عندما تذكر الكويت يذكر عطاء الخير ورسل الخير والسلام الذين طافوا بقاع العالم يواسون الفقير والمحتاج ويكفلون اليتيم، كما اهتمت مؤسسات الخير الكويتية بالجانب الدعوي فشجعت الأعمال الدعوية التي تستهدف التعريف بديننا الإسلامي الحنيف والدعوة إلى التمسك به وذلك عبر مشاريع كفالة الدعاة وإنشاء المساجد ومراكز تحفيظ القرآن الكريم وإصدار المجلات الدورية وبناء المدارس والمعاهد والجامعات التي تعني بتخريج كوادر إسلامية متخصصة في شتى المجالات لتساهم بنشر أنوار العلم

والإيمان في بلادها..هذه التجربةالكويتية الناجحة قدمت أيضا تجارب رائدة للهيئات والمؤسسات الخيرية العاملة في الوطن العربي والإسلامي لدرجة أن هذه التجربة أدخلت ضمن الدورات التدريبية التي ينظمها أحد أكبر مراكز التدريب في الوطن العربي كما قدمت دراسات أخرى عن آلية إنشاء المؤسسات الزكوية والخيرية في بعض المؤتمرات والندوات.

أرقام وحقائق

وإذا أردنا للغة الأرقام والإحصاءات أن تتكلم عن العمل الخيري الكويتي وإنجازاته الخارجية فلنلق نظرة سريعة على هذه الإنجازات كما وردت في كتاب «كويت الخير» الصادر عن بيت الزكاة عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

وبعيداً عن العمل الخيري وإنجازاته التنموية أنشأت الكويت «الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية» عام ١٩٦٢ تأكيدا منها على مواقفها الثابتة في مساعدة الدول النامية وتقديم العون لها رغم ضآلة الموارد المتوفرة لديها بسبب الخسائر الضخمة التي منيت بها نتيجة الاحتلال العراقي الغاشم عام ١٩٩٠م وقد اكتسب الصندوق منذ تأسيسه خبرة عملية واسعة في مجال التعاون من أجل التنمية وعمل على تطوير أساليبه في ضوء التجارب المكتسبة لتمكين الدول المستفيدة من تحقيق أفضل النتائج الممكنة والأهداف المرجوة من العمليات الإنمائية.. وقد قدم الصندوق خلال الفترة من ١٩٦٢/١/١-١٩٩٣/٦/٣٠ (٤٢٨)



● خارطة توضح مناطق انتشار مساهمات الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية

قرضـا بقيمة إجماليـة قدرهـا ٥ر٢٠٦٨ مليون د.ك، وقد بلغت القيمة المحسوبة من إجمالي القروض لحساب تنفيذ المشروعات حـوالي ١٣٩٦ مليـون دينـار كـويتي أمـا الدول المستفيدة من هذه القروض فقد بلغ عددهـا ٦٩ دولة بينها (١٥) دولة عـربية و(٣٠) دولة أفريقية و(٢٠) دولة آسيوية وأوروبية و(٤) دول في أمـريكا الـلاتينية وحوض الكـاريبي وقد بلغ نصيـب الدول العربية مـن إجمالي القروض ٥٥٪ والدول الأفـريقية ٩ر١٦٪ ودول آسيـا وأوروبـا ٣ر٢٧٪ ودول أمريكا اللاتينية والكاريبي ٨ر٠٪ كما قـدم الصنـدوق منحـا ومسـاعدات فنيـة بلغت حتى ٣٠ يونيـو ١٩٩٣م حوالي ١٦١ مليـون د.ك إضافـة لمنح ومساعدات فنية مقدمة من الصندوق للمؤسسـات العربية والإقليمية والـدولية بلغت أكثـر من ٥ر١٣ مليـون دينـار والجدول الآتي يبين مساهمات الصندوق في مؤسسـات التنمية العـربية والإقليميـة والـدوليـة حتى ١٩٩٣/٦/٣٠م.. هـذا غيض من فيض من عطاء الكويت لا نذكره في هذه العجالـة على سبيل التباهي أو المنة على الآخرين ولكن نذكره لإقامة الحجة على أولئك الذين تنكروا للكويت وقلبوا لها ظهر المجن أثناء المحنة ووقفوا إلى جانب الطاغية يرددون أكاذيبه وأباطيله الملفقة ظنا منهم أن مثل هذا الموقف سيحجب نـور الحقيقة عن الآخرين. إن التاريخ سيسجل بأحرف من نور هذه الأعمال الإنسانية الخيرة التي نفذها وينفذها أهل الكويت حكومة وشعبا لا يبغون من ورائها جزاء ولا شكورا اللهم إلا مـرضـاة اللـــه عـز وجل والعمل لخير الإنسان بغض النظر عن انتمائه أو لغته أو مذهبـه. يخطون لـلأجيال قـاطبة معـالم واضحـة في طـريق البطـولـة والتضحيـة والفداء ■

مساهمات الصندوق في مؤسسات التنمية العربية والإقليمية والدولية حتى ١٩٩٣/٦/٣٠م

البيـــــان	الملتزم به	المدفوع
١) الصندوق العربي لاقتصادي والاجتماعي	١٦٩,٧٠٠	١٦٩,٧٠٠
٢) المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا	١٤,٦١٦	١٤,٦١٦
٣) الصندوق الأفريقي للتنمية.	٤٦,١٢٤	٣٣,٦٤٩
٤) المؤسسة العربية لضمان الاستثمار.	٢,٠٠٠	٢,٠٠٠
٥) البنك الأفريقي للتنمية	٢١,٢٢٨	٢,٥٤٤
٦) مؤسسة التنمية الدولية	٢١,٨٩٠	٥,٦٢٦
٧) الصندوق الدولي للتنمية الزراعية	٣٨,١٠٠	٣٠.٣٨٩
٨) برنامج الصندوق الزراعي الخاص بالدول الأفريقية جنوب الصحراء.	٤,٣٢٢	—
المجمـــــــوع	٣١٨,٠٨٠	٢٥٨,٥٢٤

الإحصائية الرئيسية للنشاط الخارجي *

نوع النشاط	العدد	المبلغ
بناء مساجد	٢٤٩٨	٥٦٣٢٩٨٤
بناء مدارس ومعاهد وكليات	٧٤٩	٢٤٦٣٥٧١
مراكز إسلامية	٦٧٥	٣٨٩٥٣٤٧
دور أيتام	١٢٦	٨٤٧٥٧٦
مستوصفات ومستشفيات ومراكز صحية	٢٣٥	١١٨١٧٨٨
حفر آبار	٣٨٦٢	١٠٧٠٥٨٥
مساكن	٣٢٥٢	٩٨٣٠٣٤
مشاريع إنتاجية	٤٦٤٢	٤٩٣٩٦٠
دعم الزكاة	٦٧	٢٨٧٩٩٥
نشر قرآن وحديث	٩٥٨٨٥٦٨	٥٦٣٠٦٥٩
كفاية أيتام	٩١٠٠٠	٧٣٣٧٦٤٩
كفالة طلبة علم	٢٠٠٨	٩٥٥٥٩٥
كفالة داعية	٨٨٤	١٩٥٦٠٣

* الصندوق الكويت للتنمية الاقتصادية العربية





مسلات الدواهي

لم تـر الأمـة في العصر الحديث أفدح ولا أقسى من هـذه الأيـام التي تمر عليها عجافا تجر الدواهي، غلاظا تقذف الصواعق، تفتت الأكباد قبل الديار، وتمزق القلوب قبل الأوطان، وتحرق الأحشاء قبل الثروات، كأنها والنحس على ميعاد، والخراب على قدر، تسعى إليها البلاد تحمل المنايا وتهرول إليها الخطايا تحمل الرزايا، ليلها فقد المصباح، ونهارها فقد الشموس، ودربها فقـد الهداة، وفكرهـا فقـد العقـول، وقلبها فقـد البصيرة، وجسـدهـا فقـد الإحسـاس، ومجتمعهـا فقـد الـرائد، ودستورها فقـد العدالة، ولسانها فقـد الحرية، وأصبحت الأمة خشبا مسندة ونصبا قليلة، ينعق فيها غـربـان الخراب، ويمرح في جنبـاتها بـوم النحس، ويمسك بتلابيبها مغامروا الضياع، يأكلـون لحوم الناس ويمتصـون دمـاءهم وأموالهم، ويخربون ديارهم.

الدكتاتوريون الذئاب

أصيبت بنوع من البشر تولوا سدتها وهمشوا هويتها وقـادوها لرغباتهم وأهـوائهم بالحديد والنـار، وقـد أطلق العصر الحديث على هـؤلاء أسماء معينـة، منها الحكـام العسكر، ومنهـا الطـاغية السفـاح، ومنها الـدكتـاتور الـذئب، ويسمى في الاصطلاح القرآني (فـرعون)، وقد عرف الاصطـلاح الأوروبي والفكر السيـاسي الغربي الطـاغية بتعريفـات متقاربـة، ويقول (جون لـوك) معرّفـاً الطاغيـة بتعريـف يكاد يكون هو نفسه تعريف (أرسطو) فيقول: (إذا كان الاغتصاب هو ممارسـة إنسان ما لسلطة ليست من حقـه، فإن الطغيـان هو ممـارسـة سلطـة لا تستنـد إلى أي حق، ويستحيل أن تكون حقا لإنسان ما)..

ويقول أرسطو: (إن الطاغية هو الذي يستخدم السلطـة التي انفـرد بها لصـالحه الخاص). ويقـول الملك جيمس في خطـابه أمـام البرلمان الإنجليزي سنـة ١٩٣٠م: (إن الفرق بين الملك والطاغية، هو أن الأول يجعل من القوانين حدا تنتهي عنـده سلطتـه، كما أنـه يجعل من خير المجموع الغرض الأسـاسي لحكمـه، أما الطاغية فـلا حـد لسلطتـه، كما أنـه يسخـر كل شيء لإرادته ورغباتـه)، وإن كان من الممكن الجمع بين الخاصيتين في خاصية واحـدة، هي: (عدم المساءلـة) فهو كما قـال القرآن الكـريم: ﴿ لا يُسـأل عما يفعـل وهم يُسـألـون ﴾ [الأنبياء:٢٣]..



● من هنا مرّ الغزو، وبقيت مآذننا شامخة

بقلم: د. تـوفيـق الـواعي *

وشهـوات طغاة اليـوم أصبحت أوسع من ذي قبل وأكثر إلحاحا وأشـد تدميرا، لأنها تختلط بأحلام اليقظة، وأمجاد الجنـون، وتكنولوجيا الـدمار، وتتميـز بإشـاعـة الفوضى، وإثـارة الاضطـراب، وزرع البلبلـة، وخلق العـداوات، وبـذر الفتن وضرب النـاس بعضهم ببعض، وتحريض النـاس إلى عـدو مصطنع، وخطـر متـوهم، حتى تشعر الجماهير بحـاجتها إليـه وحمايتهـا من الأخطـار المحـدقـة والكـوارث المتـوقعة، ثم يقصـد الدكتـاتور بعـد ذلك إلى تحطيم القوى الفـاعلة في الأزمـة حتى لا تعلو عليـه أو تسبب له حـرجا معيبـا ولهذا يفترق الطاغية عن الحاكم العادل بأمور منها:

١) يهتم الحاكم العادل بحمايـة الشعب ومنع الظلم والإهانـة عنه ويحفظ له كـرامته وينمي فيه الخير والمعـروف، أما الطاغيـة فهو عكس ذلك، يفسح المجال لأنظمة القمع والإرهاب..

٢) يهتم الطاغيـة بمنافعه الشخصيـة والمتعة الـذاتيـة على حساب آلام النـاس ومعـانـاتهم

* أستاذ بكلية الشريعة/ الكويت

والنكسات لحساب من ولماذا؟!

■تنكّر دكتاتور العراق للأيدي العربية التي امتدت له بالخير والعون، وانقلب عليها ليصبح عنصر توتر فاق العناصر الخارجية المعروفة بعداوتها التقليدية لأمتنا

ويطمع في المال والثروة، ولهذا فكل طاغية يبدأ صفر اليدين ولا يلبث قليلا حتى يكون من أصحاب البلايين من دماء الشعوب الفقيرة وعرقهم..

٣) يعتمد الطاغية في حراسته على المرتزقة سواء كانوا من الأجانب أم من منافقي الأمة والمرتشين الذين يغدق عليهم بغير حساب ويقلدهم المناصب وي١١ م الرتب والنياشين بغير حق ولا جدارة إرضاءا واستعبادا لظهورهم وأفكارهم..

٤) يتصف الطاغية بعدم الثقة في الشعب والأمة ولهذا يفزع من حمل الناس للسلاح أو تدريبهم عليه مخافة على نفسه، ولهذا تراه محروسا بكثير من الجند تتخذ له الاحتياطات والاستحكامات ورغم ذلك ترتعد فرائصه..

٥) يقف الطاغية من المشاهير والعباقرة والأعلام موقف العداء، فالقادة العظام والساسة والمثقفون وأصحاب القدرات تزعجه فيضع الخطط العلنية والسرية للقضاء عليهم، ولهذا تجد الأمة بعد فترة قفرا من هؤلاء، إما تواريا عن الأنظار لإظهار غيرهم من العجزة والمحاسيب والمنافقين، أو خوفا من الظهور البروز الذي تعرف عواقبه..

٦) تدمير روح المواطنين وزرع الشك وانعدام الثقة بينهم، وتشجيع أعمال الخسة والضعة فيما بينهم مثل تجسس الأخ على أخيه أو أبيه أو أسرته أو زملائه، وتهوين العيش بلا كرامة، واستئصال أصحاب الشرف والفضيلة وكل من يرفع رأسه..

٧) الخوف من العمل الجماعي والأحزاب والتجمعات الوطنية حتى لا يجتمع رأي الناس على شيء أو تكون هناك قوة غير قوة الحاكم ورأيه المؤثر في الأمة، أو تكون هناك إرادة أو أداة توجيه تجمع الناس حول رأي مخالف..

٨) امتلاك وسائل الإعلام والصحافة وأدوات التأثير في الأمة، حتى يسهل بها عمل غسيل مخ للأمة كل حين، وحتى لا يتسرب إليها شيء من التجاوزات أو المخالفات التي لا يرغب في نشرها، والتي تفضح تصرفات معينة، وحتى يسمع الناس كل شيء من جانب واحد، ويتم تنفيذ القولة المشهورة: ﴿ ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ [غافر:٣٨]..

٩) محاولة كشف أسرار الناس والتجسس عليهم ولهذا تكون أجهزة المخابرات عند الدكتاتور هي أكفأ شيء في نظامه، حيث تستعمل أجهزة التصنت والتجسس بكثافة وتجند الأعداد الكثيرة من الرجال والنساء لهذا الغرض، ولهذا يكتم الناس أخبارهم بداخلهم لأنهم يهابون العيون، وتتعود الناس على الجبن والنفاق، وتؤخذ الناس بالظنّة وتكثر الفرص لاصطياد الناس، واتهامهم وتصفية الحسابات مع المخالفين أو الخصوم..

١٠) لا يهتم الطاغية بأحوال الأمة الاجتماعية لأسباب كثيرة، لأنه ليس من أصحاب الاختصاص أو العقول، ولأن ذلك ليس في أولوياته، ولأن أجهزته غير مؤهلة لذلك، ولأن إفقار الرعية قد يشغلهم، ويلهيهم بلقمة العيش والبحث عن القوت حتى لا يفكروا في التآمر أو التمرد، وإن فكروا فلا يجدوا الوقت الكافي أو المال اللازم لذلك..

١١) الإكثار من أعمال السخرة لعامة الناس والفقراء، والاعمال اللاإرادية، ولهذا نرى في أزمنة الفراعنة استغلال الناس في بناء الأهرامات والمعابد الهائلة، وحفر القنوات كقناة السويس التي مات فيها من السخرة الآلاف إرهاقا وجوعا ومرضا. والإرهاق بفرض الضرائب وجمع الإتاوات والرشاوى في هذه الأجواء..

١٢) اختيار المفسدين والمطيعين والملوثين والانتهازيين للقيادات، والاعتماد على الغوغاء في تأييد الحكم والتصفيق له، لأنهم يسهل خداعهم والتأثير فيهم وبث الأماني الكاذبة في روعهم.

الدكتاتور وجنون العظمة

رغم أن الدكتاتور غالبا ما يكون نصف متعلم



أو جاهلا جهلا مطبقا، إلا أنـه يدعي العبقرية، ويتقمص الإلهام ويلبس عباءة المبدعين ويتقلد خوذة الأبطـال ويرتـدي صولجان الفـاتحين، ومع أن الطاغية يكـون حتما بلطجيا أو همجيا، إلا أنـه يعلن أنـه رائد الإصـلاح ومنقـذ الأمـة ومبعـوث العنايـة الإلهيـة، وقـد قرأت لكـاتب مصري يصور طـاغية الخليج تصويـرا نفسيا فيتـوغرافيـا في كلمة لـه بعنوان (الـزملطجي) فيقول: (هذا الـرجل زلنطحي، والزلنطحي هو مـزيج من البلطجي، والأونطجـي، والـزنـديق واللص، وإن كان الزلنطحي يزيد عليهم جميعا في أشياء ولا يقل عنهم في شيء..

وفي كل من الزلنطحي جزء من البلطجة... وشيء من الأونطـة، وكثير من الزنـدقة واللصـوصية ويحتاج الـزلنطحي ألى صوت جهـوري جبار، وموهبة تمثيلية، وهو يبدأ تمثيليته عادة بزعقة هـائلـة يلم بها النـــاس ويسترعى انتبـاهتهم، ليضحك على الناس، ثم يخدعهم ويـرمي بلاءه على أحدهم وينقض عليه كالذئب الجائع)..

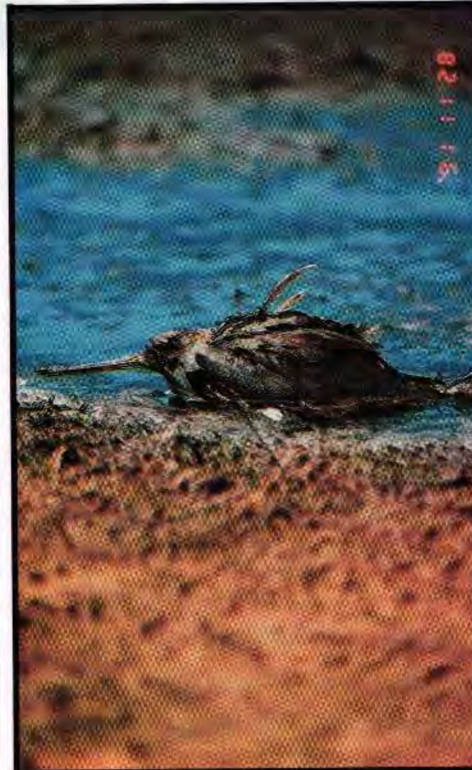
ورغم هذا التصوير الناصع إلا أن الطاغية يريد أن يكـون لـه دور في المنطقـة، أي دور تظن أو يظنه معك عاقل مجرد عاقل يدرك الأشياء، أهو دور الفلاح أو العـامل أو الموظف في بلـدية، لا، وإنما ويـالهول هذا الـدور، إنه دور الـرائد في المنطقة والمصلح في الأمة والمهيمن على الشعوب وبـــاعث نهضتهـا، وقـــائد مسيرتها!! ولكني أتساءل وتتساءل معي كل الأمة:

ما هو الدور الـذي كان لصدام في العراق، ذلك البلـــد البترولي صـاحب الانتـــاج الغـزيـــر، والاحتياطي الهائل، والـزراعي صاحب الأرض الخصبـة المترامية الأطـراف والمياه العـذبـة الغزيـرة، والأيدي العاملة الـرخيصة والشعب محدود العـــدد والمطـــالب؟ أين ذهبت هـــذه الثـروات وكيف استغلت، ومـا هي آثـار هـذه الموارد في هـذا الشعب الذي نكب نكبـة يصعب تصـــورها، وتـدور الرأس من هـولها والتفكير فيها؟ ولنتعـرض لبعض منها حتـى نكون على ذكـر، وحتى يظهر مقـدار الدور الـذي يريـده الطغاة!

الحالة الاقتصادية

رغم أن العـراق بلد بترولي وزراعي ذو ثـروات وإمكـانـات، وكـــان يعيش حتى قبل النفط في مستـوى متوسط لا بأس بـه إلا أنه وبعـد أن حكم بالعسكر وتـولته الدكتاتـورية وكان ذلك في مرحلة تدفق الثروات وازدياد تصدير النفط الذي در على العراق وغيره دخولا هـائلة، وكان ينتظره ثراء لا يقل عن إخوانه في الخليج إلا أنه، ظل ينحدر ويتدهور ويسـوء حاله إلى أن صار يتكفف النـاس، وذلك بأسبـابـه ومسببـاتـه وسياسته التي ما فتئت تضحك الثكلى، ولك أن تتصور بلدا تـدخل حربا لا نـاقة لها فيها ولا جمل قـرابـة العشر سنـــوات تهلك من مـالها وسلاحهـا ورجالها وطاقاتها وتـوقف تنميتها وتحطم بنيتها كيف تكون وإلى أي وضع تصير وعلى أي حال تـوجد؟ ولـك أن تتصور تقـرير المعهـــد الاستراتيجي الـــدولي للـــدراســـات الاستراتيجيـة حين يـذكـــر أن العـراق البلـد البترولي الزراعي يخرج من حرب إيـران مدينا بمائة مليـار دولار، وذلك قبل غـزو الكـويت، أليس هـذا شيء يـديـر الـرأس والعـراق بلـد صغير؟!

وبعد أن دخل الحرب الكويتيـة خسر ما يقرب من مائتي مليار دولار، وخسر آلتـه العسكرية التي تســـاوي أكثـــر من ذلك، وخسر بنيتـــه الصنـاعيـة ومرافقـه التحتيـة، وخسر القسم الأكبر من رجاله وخسر شعبه وروحه المعنوية وخسر سمعته وهيبته واحترام الجميع، وتدنى كل شيء، وانهار اجتماعيـا ونفسيـــا ومـــاليـا ومعيشيا، فلك أن تتصـور تقديـر ذلك في النقد بالأرقـام، فمثلا قبل الحرب كان سعر الـدينار يعادل ثـلاث دولارات، ومنذ عـام وصل سعر الدولار (٧٠) دينـارا، وفي ينايـر الماضي وصل (١١٠) دنانير، وفي نصف أغسطـس بلغ سعر الـدولار (٦٥٠) دينـارا ولا يعلـم إلا اللـه كم ستصير الأمـــور، ولك أن تتصـــور الحالـــة الاجتماعية في هذا الغلاء فمع هذا قد تضاعفت الأسعار بنسبة تتراوح بين ١٥٠٪ و ٢٠٠٪ في المائة في حين ظلت المرتبات على ما هي عليه، ولا يتجاوز دخل الموظف ٥٠٠ دينـار، أي أقل من دولار واحد شهريا، ثمن بيضة أو خمسة كيلو جرامـات من الذرة، وقد أوضح محمـد مهدي صـالح وزير التجـارة أن الدولـة تضمن لكل مـــواطن بين ٥٠ أو ٦٠٪ من احتيـــاجـاتـــه الأساسيـة ورغم ذلك فإن سياسـة الدعم أدت إلى زيادة نسبة التضخم لتصل إلى ألف في المائة سنويا.



● القضاء على الطيور، أحد أهم إنجازات أم المعارك

انتشار الجريمة

وهذه الأوضـاع السيئة أدت إلى انتشار الجريمة وشيـوع حـوادث السلب والنهب في الأوسـاط الشعبيـة بل في المجتمع كلـه بشكل لم تعهـده العراق في أزمانها المختلفة، وقد حصلت – كونا – وكالـة الأنباء الكـويتية ، على تقـرير أعـدته السلطات العراقية عن أسباب تفشي الجريمة في البلاد بشكل لم يسبق له مثيل، جاء فيه:

إن ارتفاع الأسعـار بشكل خيالي لمختلف المواد الغذائية والمعيشية والكماليـة والمواد الإنشائية والصناعية. دفع الفقراء وذوي الدخل المحدود إلى امتهـان السرقـة لعـدم تمكنهم من إطعـام الأفـواه الجائعـة، واعترف التقـــريـر بضعف السيطـرة المركـزيـة للحكـومـة على المنـاطق الشمالية والجنـوبية، واستغـلال ذلك من قبل بعض رجـال الـدولـة والمحسـوبين عليهـا في تشكيل عصابـات لسرقة السيارات الحكـومية والأهلية وبيعها في هذه المناطق.

هذا؛ وقد أكد تجار عراقيون إن عمليات السطو المسلح أصبحت ظاهرة مخيفة، ورجح بعضهم أن يكون لهذه العصابـات سند قوي من بعض الـرموز في السلطـة. كما أشـاروا إلى أن بعض المؤسســـات الحكـوميـة، والأهليـة بـدأت هي الأخرى في السطو على الممتلكـات، مؤكدين، أن قوة مسلحـة تابعـة للجنة الأولمبيـة العراقيـة داهمت السوق العربي، وسط المنطقة التجارية في بغداد وسيطرت على جميع المحلات التجارية ، وأبلغت أصحابها بمصادرتها وتحويل السوق من ممتلكـات خاصـة إلى ممتلكات عـامة. كما تقـرر وضـع اليد على مجمع تجاري في منطقـة

شـارع الخيـام في الباب الشرقي حيث يـوجـد مسرح ودور للسينما ومحال تجارية، وباشرت اللجنـة الأولبيـة تصفيـة مـواردهـا لإدارتها بنفسها. هذا؛ وقد انتشرت المصادرات للأموال الخاصة بأوهى الأسباب لتوضع تحت تصرف رجال السلطة فتذوب كما يذوب الجليد.

النار في مجتمع الضحايا

ومما هو معروف للعـامة والخاصة أن الحرب العراقيـة الإيرانيـة قد كلفت العـراق الكثير من الخسائر الماديـة والبشرية التي انهكـت العراق وسحقت جنده وآلته العسكرية وثرواته، ولسنا في مجال حصر الخسـائر الكبيرة جـدا في هـذه الحرب ، ثم لم يكد العراق يفرغ من تلك الحرب حتى اشتـاق حكـامـه بقيـادة دكتـاتـوره إلى الدخـول في حرب أخـرى بغزو الكـويت، فقام بمغامـرته التي أثارت عليـه وعلى المنطقة وعلى الأمـة من البلاء مـا فـاق التصور ، حيث جـر القوى العالمية إلى المنطقـة، ودمر ما دمر، ولكن كان تـدميره لنفسه أشد وانكى إيقاعـه بجنده افتك وأقـوى.. ويسعنا في هـذا المقام ان نـذكر تقـريـر شبكة إن .بي. سي التلفـزيـونيـة التي أذاعتـه في ١٩٩١/٣/٣م عن حجم الخسـائر البشرية الناجمة عن حرب الكويت، حيث ذكرت أن ١٥٠٫٠٠٠ (مـائة وخمسين ألف) جنـدي عراقي قتلـوا خلال المعركة في تحريـر الكويت، وقالت الشبكة إنها حصلت على هـذا الرقم من مسؤولي المخابرات في الـولايات المتحدة ودول التحالف، في حين ذكرت صحيفة (وول ستريت جورنال) في ١٩٩١/٣/٢٣م إن حرب تحرير الكويت كلفت العراق ما لا يقل عن ١٠٠٫٠٠٠ مـائة ألف قتيل طبقـا لما ذكـره مسـؤولـون أمريكيـون عن تقـديرات غير رسميـة أرسلها نـوارزكـوف منهم ٦٠-٧٠ ألف قتلـوا أثنـاء الحملة الجوية، و١٥-٢٠ أثناء الهجوم البري.. وأعلنت مجمـوعـة تحقيـق فـرنسيـة في ١٩٩١/٥/٢٧ أمضت ستة أيـام في العراق أن ١١٠٫٠٠٠ إلى ١٥٠٫٠٠٠ عـراقـي قتلـوا في الحرب بينهم ٣٥٠٠٠ مـدني، أمـا منظمـة السلام الأمـريكية فأشـارت إلى مقتل أكثر من ٢٠٠٫٠٠٠ عـراقي نصفهم من المدنيين، هـذه هي أرقام التقـديرات التي ذكرهـا المختصون، وأشـارت إليهـا ملفـات الحرب في الـدول التي اشتركت في الحملة، وهي تقـديرات تدل على أن حجم الخسائر كان كبيرا على دولة صغيرة مثل العراق وعلى دولة خرجت من حرب إيران قريبا ومـازال دمـاء جنـودهـا لم يجف في سـاحـة المعـارك.. ورغم ذلك فإن إرهـاب النظـام ومعـاركـه مع الشعب يخلف كـوارث أخـرى ويوقع بضحـايا جدد تماثل ضحـايـا المعارك، ويقول أدور جرجيان مسـاعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط في شهادة له، أن لـدى الـولايـات المتحـدة معلـومـات من مصادرها أن هناك محاولة انقلاب وقعت أخيرا في العراق للإطاحة بصدام حسين، أعدم النظام فيهـا حـوالي ١٢٠٠ جنـدي وضـابط نتيجـة المحاولة، وإن الإعدامات بالعشرات تتم كل يوم لأوهى الأسباب حيث يعامل الناس بالظنة..

كما لايتـورع النظام بضرب النـاس بالغـازات السامة، تقول مصادر المجلس الأعلى للمقاومة العراقية، إن النظام العـراقي ضرب ثلاث قرى في الأهـوار بـالغـازات السـامـة بتـاريخ ١٩٩٣/٩/٢٩م، وذكـر في لنـدن نقـلا عن شهود عيـان أن غيمة بيضاء من الغـاز غمرت عـددا من القرى وسببت مـوتا وقـروحا لـدى السكان ونزيفا وضيقا بالتنفس، وقال متحدث بـاسم المقاومـة أن العـدوان أسفر عن وقـوع حـوالي ٢٠٠ شخص مـن المدنيين في وجبـة واحدة، وذكرت إذاعـة بي. بي. سي، أن الأطباء الذين تمكنوا من الفرار كـانوا قد أخبروهم بأن العـدوان كـان رهيبـا، كما أكـدوا أن القـوات العـراقيـة قـد استعملت في يـوليـو عـام ٨٨ الأسلحة الكيماوية ضد الأكراد في حلبجة وقتل آنذاك ٥٠٠ شخص وجرح نحو ٣٠٫٠٠٠ وفر فيما بعد نحو ١٠٠ ألف إلى الحدود مـع تركيا وإيران.

هل نجا الذين ساعدوه

إن طبيعـة الدكتـاتـوريـة في أي زمان طبيعـة متقلبـة وعدوانيـة ومدمـرة والدكتـاتوريـات العربية مـن أسوأ الدكتاتـوريات على الإطلاق، ويجب أن يلتفت كل مخلص إلى ذلك فيعرف أن مساعدة دكتـاتـور هلاك للأمـة وهلاك للناس وهـلاك للثـروات، ولقـد وقفـت الكـويت والسعودية إلى جانب الشعب العراقي في محنه وشدائده، فماذا كانت النتيجـة؟ كان أن انقلب دكتاتور بغداد على من ساعدوه واحتل الكويت وجلب الكـوارث على المنطقـة بـأسرهـا وبـدد ثرواتها.. ويكفي أن نعلم أن حرب الكويت فقط دفعت فاتورتها حوالي ٧١ مليار دولار، هذا عدا الخسائر البشرية والمادية الهائلـة. وكانت هذه الفاتورة وحدهـا تكفي لتصنيع الدول العربية واستثمار مواردهـا وإعطائها دفعة حضـارية تستطيع بها أن تنهض من تأخرها، هذا عدا ما أدخله على الأمة من تمزق وبـلاء وعداوات تظل تعاني منها مئـات السنين، وأخيرا فقد استطاع الغـزو العـراقي للكـويت أن يحقق كثيرا من الكوارث هذا بعض منهـا مما قرره المحللون في هذا الشأن:

أولا: صرف الغـزو العـراقي أنظـار العـالم عن مشـاكل المسلمين الحقيقيـة، وعن قضـايـاهم الجوهرية التي يجب أن يتحدوا أمامها.

ثانيـا: صرف الغزو أنظار العالم عـن عمليات الإبادة في فلسطين وغيرها من بقاع العالم وركز على ما يفعله المسلمون بعضهم مع بعض.

ثـالثـا: أثبت الغـزو أن العـالم العـربي، بكل اتفـاقـاتـه ومجالسـة الـربـاعيـة والثـلاثيـة والخماسية، أثبت أن هذا كله حبر على ورق.

رابعا: أتاح الغزو للعالم الخارجي أن يتدخل في المنطقة العـربية بشكل أشد وضوحـا وإسفارا من تدخله سابقا.

خـامسا: أثبت الغـزو أن المشكلة الفلسطينيـة ليس هي القضيـة الـرئيسيـة في المنطقـة. وأن الحروب العـربيـة الإسرائيليـة ليست السبب الوحيد في التوتر بل أصبح السبب الأكثر أهمية هي الحروب العربية - العربية.

سادسا: أثبت الغزو أن العالم العربي لا يعرف حقـائق العصر ولا وعي لديـه بـالتغييرات التي وقعت، وأنـه إن ظل كـذلك فسيكـون مصيره كمصير الهنود الحمر.

سـابعا: حطم الغـزو المنطقـة نفسيـا وحربيـا وأضاع ثرواتها وأفقد الشعـوب ثقتها بأنفسها وببني جلـدتها. هـذا ومـا زالت بـركـات هـذا الجنـون تتـوالى، ولا يمكـن لأحـد أن يتنبأ بما تفكر فيـه الأنظمة الدكتـاتوريـة غير المستقرة، والتي تلغي دور الشعـوب ومصالحهـا وتكمم أفواهها وتوردها الحتوف، وتجبرها على السير إلى توابيتهـا وقبورها المحفورة إذا لم تتـداركها عنايـة الله، ويقـوم المخلصون في الأمـة، بحلف (كحلف الفضول) أو تقوم نهضة عاقلة في الأمة تعرف كيف نسير الأمور ونحيي دور الشعوب، ونستطيع ردع كل مغـامر يعطل سير الأمـة إلى قبل ذلك. فإنها وبدستورهـا الرباني وعقيدتها الكريمة تمـثل أمة الريادة وأمة المجـد وأمـة الخلـود، والأمـة الموعـودة بالخلافة في الأرض والسـيادة فيهـا وصدق الله القائل: ﴿ وعد الله الـذين آمنـوا منكم وعملـوا الصـالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهـم الـذي ارتضى لهم وليبـدلنهم من بعـد خوفهم أمنـاً يعبـدونني لا يشركون بي شيئا ﴾ [النور:٥٥]..

فهل نكون عنـد وعد اللـه وهل نستحقه، نسأل الله العافية ■

الاستنهاض بين النظرية والتطبيق

بقلم: د. صلاح الدين أرقه دان

تكثر على الساحة الاسلامية المعاصرة النظريات والمخططات والمنظمات الداعية إلى التغيير وإخراج الأمة من مرحلة المراوحة والتبعية وردة الفعل إلى مرحلة الانطلاق والاستقلال والتخطيط.. وتكثر مع هذه النظريات والتخطيطات والتنظيمات حركة الجدل الفكري عن أنجع الوسائل وأفضل السبل لتحقيق الغاية المرجوّة.. ولئن كانت التعددية إيجابيةً في وجه من أوجهها، ودليلَ حيوية وانطلاق وتوالد غير محصور في الفكر والوسائل، إلا أن غياب منهجية واضحة مُتَّفق عليها يؤدي إلى كثير مما لا تحمد عقباه، والبعض لا يلتزم بفقه الاختلاف ولا فقه الاجتهاد ويكتفي من السلامة بإلقاء اللوم جزافاً على الآخرين، ولو أدى طرحه إلى شق الصف الواحد، أو إحداث زلزال في الأمة تدفع ثمنه حاضراً ومستقبلاً.. وليس منّا من ينكر أن الواقع الإسلامي يحتاج إلى أكثر من حركة استنهاض واستصلاح، ذلك أن العلل والأمراض التي تعتريه لا تنطلق من منطلق واحد، وليست محصورة في زاوية واحدة من زوايا الابتلاء، فهي تتعلق بأسباب داخلية وخارجية، ومنها أمور تتعلق بالعقيدة والفكر والثقافة والاقتصاد، وبالولاء والبراء، والسياسة والأمن والصحة، كما أنها لا تبتعد عن الفساد الذي تعرفه الشعوب المتخلفة في حالات التراجع الحضاري من فساد الخُلُق وشراء الذمم وغيرها.. وتعدادنا للأمراض لا يعني اليأس من معالجتها، وإنما تحديد الداء من أهم وسائل العلاج، والتغافل عن موطن العلة وحده كفيل باستشرائها وتمكنها من الجسد إلى أن تقضي عليه، ومواجهة العلل يحتاج إلى شجاعة لا تقل عن الشجاعة المطلوبة في ساحة المعركة أمام عدو شرس، وما كان ضعف المجتمع المكي إلا أمام الاقرار والاعتراف بالواقع الفاسد الذي دعا النبي ﷺ إلى معالجته بما أنزل الله تعالى..

والقرشيون بالرغم من إقرارهم بصدق ما جاء به النبي الأمين ﷺ في أنفسهم إلا أنهم فقدوا شجاعة المواجهة مع النفس وفضلوا خراب البيوت وقتل الأنفس وسبي النساء وضياع الذرية، على الإقرار بالحق الذي لم يألفوه، وترك الباطل الذي نشأوا عليه، ﴿ قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾ [البقرة:١٧٠] وفي ذلك من الصغار والابتعاد عن مواطن الحكمة ما لا يخفى على عاقل ولا متدبّر..

وتعدادنا لأمراض الأمة الراهنة لن يكون متابعة لمخطط الإحباط الذي يريده أعداء الأمة، أو المرجفون في صفوفها، وإنما ينطلق من منطلق تلمّس الثغرة لمعالجتها والقضاء على أسباب الوهن فيها..

ومن الآفات التي يعيشها العالم الإسلامي بأفراده ومجموعاته آفة التعارض والتضارب ما بين النظرية والتطبيق، أو ما بين القول والفعل ﴿ كَبُر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [الصف:٣] وهي ظاهرة قديمة في المجتمعات إلا أن النسبة التي تفشو بها الآن تجاوزت ما عرفته العصور السابقة، وكان الذي لا يتطابق قوله بفعله يعرف بالنفاق، ويعامل على هذا الأساس إلى أن أصبح اختلاف القول عن الفعل من مظاهر هذا العصر يكاد لا تخلو منه ساحة ولا ميدان..

ومن المسلم به أن مجتمعات اليوم تعيش حالات متفاوتة من التباعد بين النظرية والتطبيق، والإحساس بهذا الشعور يتماوج في ضمائر المفكرين والمنظرين، فتراه يطفو أحيانا على السطح حتى تكاد تلامسه يداك، ويختفي استحياءاً أو كبتاً في غياهب النفوس حتى يكاد لا يبين، والأمة المسلمة ليست بدعاً بين الأمم، وهي تمر في حالة تشبه حالة الغيبوبة، التي تحتاج عناية فائقة وأجهزة معقدة تشعرك باستمرار الحياة في الجسد الذابل المريض، وهي بالتالي تعيش واقعا متخبطاً نتيجة تراكمات تاريخية ومادية ونفسية وتجارب إنسانية وضربات متلاحقة يضيق المجال عن تعدادها.. ولعل أبرز أسباب هذه الغيبوبة:

غياب منهجية علمية شرعية في التلقي والاستنباط، فالعلوم الآلية تكاد تختفي بين

أفراد المثقفين، وتحل العاطفة الجياشة المندفعة بشعاراتها الجاهزة السهلة البرّاقة، محل العلم والفهم والالتزام، فكم من رافعي الشعار الإسلامي من لا يحسن التلاوة بقواعدها، ولا القراءة السليمة الخالية من الأخطاء الفاحشة، ولا معرفة بعض الفروع التي لا يستغني عنها المكلّف في أدائه العبادات أو إقامته للشعائر اليومية.. أضف إلى ذلك غياب القدرة على الاجتهاد والاستنباط من خلال القواعد الأصولية لدى الجمهور الأعظم من خريجي الكليات الشرعية في مشارق الأرض ومغاربها، حتى بات العالِم محصوراً في نصوص وكتب لا يتجاوزها إلى غيرها..

ومن الأسباب الرئيسة كذلك غياب الشعور بالمسؤولية في حمل الرسالة إلى الآخرين، الأمر الذي من أجله يتميز الإنسان المسلم عن غيره، فالخيرية وإرث النبوّة ليس رتبة تشريفية، وأن تكون مسلماً يعني أن تكون صاحب رسالة تلتزم بها شخصياً فتكون بالتزامك قرآناً متحركاً يمشي على الأرض، تحمل النموذج في ميدان المعاملات: «الدين المعاملة»، وميدان الخُلُق: «وخالق الناس بخلق حسن»، وميدان المعرفة: «ليس مني إلا عالم أو متعلم»، وميدان البذل والعطاء: «أحبهم عند الله أنفعهم لعباده»، والإيثار ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [الحشر:٩]، والانتصار للضعيف: ﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولْدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالمِ أهلُها واجعلْ لنا من لدنك وليا واجعلْ لنا من لدنك نصيراً ﴾ [النساء:٧٥]، تتوج ذلك كله بالإخبات لله وإظهار الخشية منه وتنفيذ ما أمر والامتناع عما نهى عنه وزجر..

إن غياب المعنى (الرسالي) في الفرد المسلم، والمجتمع المسلم يحوّل كل الشعارات الراقية البراقة المرفوعة إلى قشور لا تغني ولا تسمن من جوع، وتؤدي إلى نتائج عكسية تضر ولا تنفع، لأن من أشد الأمور في نفوس الناشئة والمدعوين الجدد أن يسمعوا شيئا ويروا شيئا آخر لا علاقة له بما يسمعون.. وغياب هذا المعنى يؤدي إلى غياب النموذج القدوة الذي يُحتذى بفعله وقوله، ولئن كان الأنبياء والمرسلون معصومين عن الزيادة والنقصان في الدين إلا أن اجتهادهم على العبادة وحرصهم على أداء الشعائر والتزامهم بما يأمرون الناس - في جانبه البشري المعرّض للضعف والوهن كسائر البشر - يبقى حجة في الاقتداء والتأسّي، ولقد ذكرت عائشة رضي الله أنها رأت رسول الله ﷺ يقوم حتى تشقّق قدماه فسألته أن يهوّن عن نفسه وقد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، فأجابها: «أفلا أكون عبدا شكوراً»؟

إن مشكلة غياب القدوة من المشاكل التي لا يجوز الاستهانة بها والتعامل معها تعاملا سطحيا بعيدا عن دراسة أعراضها ومعالجة أسبابها، والعلماء ما كان لهم أن يكونوا ورثة الأنبياء بالعلم المجرّد وحده، وإنما هو العلم المرتبط والمتداخل مع التطبيق والممارسة، أو لم يقل تعالى في وصف حملة العلم دون العمل: ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ [الجمعة:٥]؟

والجهاد في أبعاده لا يقتصر على حمل السلاح، بل قد يأتي وقت وظرف يكون حمل السلاح فيه أهون الجهادين، لأن جهاد النفس وترويضها وحملها على ما تكره من الأعباء والالتزامات أمر ذو شأن يترتب عليه من الفوائد ما لا يخفى على كل ذي بصيرة..

والاستبداد بالرأي مهلكة للفرد وللجماعة، والشورى ليست قراراً أو قانوناً مسنوناً، إنما الشورى صفة متأصلة في المجتمع المسلم تسم أفراده ومؤسساته ابتداء من الحياة الأسرية وانتهاء بأداة الحكم، ولا يكفي أن نرفع شعار الشورى وواحدنا يضيق ذرعاً بالنصيحة والنقد والرأي الآخر، ولا يتحمل الكلمة الصادقة إذا لم تنزل من نفسه منزلة القبول، ولا يمكن أن يكون الفرد ولا المجتمع شوريا إذا كان الرأي يقدّم أو يؤخّر بناء على مكانة قائله الاجتماعية أو المالية، ولا ننسى أن النبي ﷺ قدّم رأيَ أم المؤمنين (أم سلمة) يوم الحديبية وفي صحابته كبار الشخصيات ورؤساء القوم، وقدّم رأي الحباب بن المنذر في ماء بدر، وأخذ برأي سلمان الفارسي في الخندق وهو غريب الوجه واليد واللسان، وأمثلة ذلك تكثر وتطول..

وغياب الشورى يؤدي إلى إضاعة الوقت والجهد وعدم الاستفادة من الطاقات الكامنة في الأمة، ويؤدي إلى استرخاء الشعور العام وغياب المشاركة وانعدام الاندفاع وموت المبادرات وضعف الطاقات، فالفرد لا يقدم على عمل مهدور لا قيمة له، وقديماً قيل (لا رأي لمن لا يطاع)، والشعور بالعبثية من أخطر الآفات الاجتماعية والنفسية على حد سواء..

وغياب الشورى يؤدي بالضرورة إلى غياب المشروع الأقرب إلى الصواب الأبعد عن الخطأ، وحضورها يؤدي إلى حلقات مترابطة من الرقابة الذاتية والجماعية مما يحسّن أداء الفرد ويذهب بالمظاهر السلبية في مجتمعات المسلمين، وكم هي حاجتنا ملحة إلى يقظة ضمير صارخ متمرد على كل آليات التدجين، يصدع بالحق فلا يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المعروف حركة تمايز ومؤسسات محصورة في اطار بمقدار ما يكون سمة بارزة من سمات المجتمع المسلم تؤدى بيسر وصدق دون تكلّف أو تصنّع..

إن غياب مشروع اسلامي متكامل، يحافظ على الأحكام الشرعية، ويراعي المرحلة واحتياجاتها، وينظر إلى مصلحة الأمة العليا فيقدمها على المشاريع الفردية والهامشية، هو أحد أبرز أسباب الضياع العام الذي تتخبط فيه الجماعات والمجتمعات، ويخطىء من يظن أن صاحب الرسالة ﷺ انطلق بعفوية بحتة بعيدة عن التدبر والتخطيط، ويتجنب الحقيقة من يظن أن الإنجازات التي حققها المجتمع المسلم الأول كانت نتيجة البساطة و(الدروشة)..

على العالم الإسلامي أن يسترد هويته، ليس في ميدان العبادات والالتزام بأحكام وسنن اللباس والطعام فحسب، وإنما في ميدان صناعة الإنسان وصياغته الصياغة الربانية السليمة، فالنقد والشورى والإيثار وتهذيب رغبات النفس واحترام الرأي الآخر واتخاذ الأسباب، كل ذلك من أسس بناء الشخصية المسلمة، وما تبقى ما هو إلا تفاصيل تسهل حيازتها بالجد والمثابرة، وفي الرعيل الأول قدوة أية قدوة ■



الرعب والتلفاز في الغرب

العنف ظاهرة إنسانية عامة، ظهر في الماضي، ويبرز في الحاضر، وسيستمر وجوده في المستقبل، تتنوع دوافعه ووسائله واشكاله مع تمايز الأفراد والجماعات، وتختلف حدته باختلاف المفاهيم التربوية والخلقية ودرجات التعبئة النفسية وتتصاعد وتيرته مع تأزم الأوضاع وتوتر العلاقات واختلال التوازن..

بقلم: د. قاسم القادري

كاتب لبناني مقيم في فرنسا

والعنف قوة مدمرة يلجأ إليها فرد أو جماعة مستخدما كل الوسائل المتوفرة لديه بقصد إخضاع أو استعباد أو إبادة فرد آخر أو جماعة أخرى أو بقصد قهر الذات وتعذيبها وقتلها. العنف ليس غاية بحد ذاته، لكنه وسيلة لغاية وطريق لهدف. وكما تتعدد الغايات والأهداف تتعدد الوسائل والطرق..

هناك عنف القوي الذي يملك الإمكانات والوسائل المتطورة وغايته الإخضاع والتوسع والسيطرة والإلحاق، وهذا النوع من العنف غالبا ما يكون منظما ومبرمجا يحمل طابع الهجوم والعدوانية، ينفذ أحيانا بوسائل مكشوفة وأحيانا أخرى بدبلوماسية مستترة ونعومة خفية، مقنّعة بأغطية الشرعية والحق والقانون. وهناك عنف الضعيف الذي يتميز بشكله العفوي ومظهره الفوضوي والذي ينفذ بوسائل بسيطة وبطرق بدائية مفتقرا للكثير من أشكال التغطية الحقوقية والإعلامية. وهذا النوع من العنف يأتي كرد فعل على السيطرة والإلحاق وغايته الدفاع عن النفس وحفظ الذات وهدفه التحرر والاستقلال..

أهداف دراسة ظاهرة العنف

وإذا كان العنف بشكل عام لا يشكل ظاهرة خاصة بالمجتمعات الغربية دون غيرها، فإن دراسة العنف في تلك المجتمعات غايتها إلقاء الضوء على شكل العنف وبواعثه واكتشاف خصوصيته من خلال ربطه بحضارة تلك المجتمعات وقيمها ونمط عيشها..

دراسة العنف في بعض جوانبه عند المجتمعات الغربية عرضة قياس الإدعاء السياسي والعقائدي بميزان الحقائق والوقائع وإزالة الوهم الذي يقدم لنا المجتمعات الغربية كمجتمعات نموذجية متحضرة صالحة للنسخ، مجتمعات مدنية يسودها السلم الأهلي ينبغي الاقتداء بها وتقليدها، وأخيرا الكشف عن الأباطيل التي تروج بأن الإسلام يولد العنف ويقضي على التسامح، وبأن المجتمعات الإسلامية مجتمعات بربرية استبدادية لا مجال فيها للحوار ولا سبيل معها لتعايش قائم على الحرية واحترام التمايز والاختلاف..

دراسة العنف في الغرب من خلال وقائع الأحداث الجارية ودلالاتها وافق تطورها ومحاكمتها على ضوء ما تعلنه وتردده في الكتب والإذاعات والصحف والمؤتمرات والندوات عن العدالة والحرية والإخاء وحقوق الإنسان إنما تهدف في نهاية المطاف إلى طرح جملة من الأسئلة: هل حققت هذه المجتمعات فعلا الأمن والسعادة لأفرادها وللإنسان بشكل عام؟ هل قلصت العنف وخففت من حدة الطرح الاجتماعي؟ هل أصبح الإنسان الذي يعيش في باريس ولندن ونيويورك وروما ومدريد أكثر اطمئنانا وحرية من مثيله الذي يعيش في أية عاصمة من عواصم العالم؟ أسئلة تخطر في البال وتطرق أبواب الذهن، تترك للحقائق الصارخة والأحداث الناطقة المساهمة في الإجابة عليها وإجلاء العديد من جوانب الوهم والالتباس.

وقائع وأرقام

في شباط ١٩٩٣م وفي مدينة «ليفربول» في بريطانيا أقدم طفلان عمر أحدهما ١٠ سنوات والآخر ١١ سنة على خطف طفل عمره سنتان وتعذيبه ومن ثم قتله (١) في ٨ آذار (مارس) ١٩٩٤م وفي مدينة «غلوسيستر» في بريطانيا تم اكتشاف الجثة السابعة في الطابق الأرضي من منزل البريطاني «فريدريك ويست» ويرجح البوليس أن يرتفع العدد إلى ١٢ ضحية والقاتل متزوج مرتين وعنده ١٠ أولاد ومن بين الضحايا امرأته وابنته (٢).

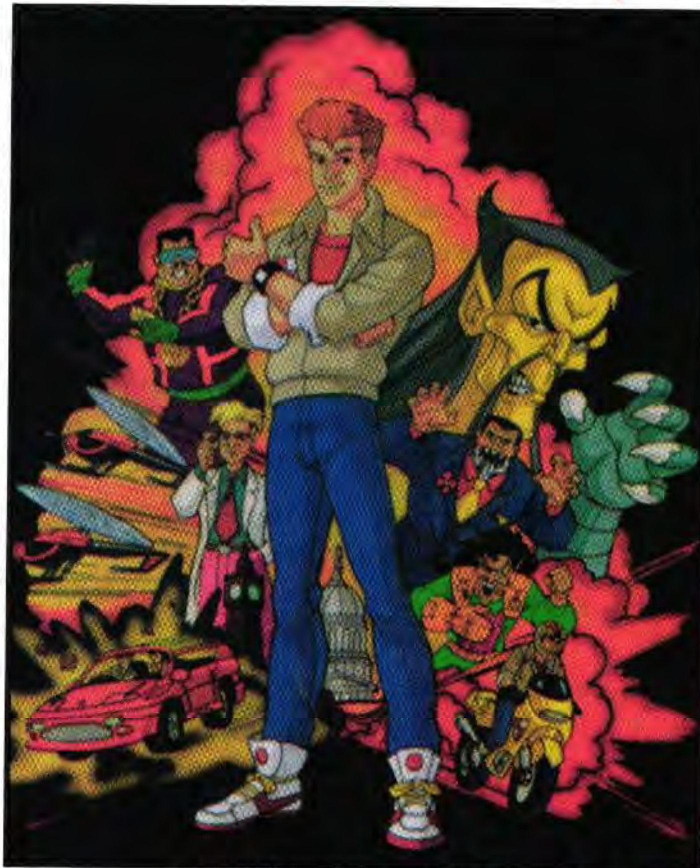
وفي تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٩٣م وفي مدينة «لإيتري» الفرنسية أقدم طفلان أعمارهما ٩ و ١٠ سنوات على قتل رجل مشرد بعد دفعه وإسقاطه داخل بئر عميقة.. وفي فرنسا؛ كذلك؛ أقدم شاب من أصل ياباني على قتل صديقته وتقطيعها ووضعها في البراد والأكل من لحمها لمدة ثلاثة أيام متتالية، ثم أفرج عنه لقاء مبلغ من المال. وفي إحدى ضواحي باريس أقدم شاب على اغتصاب فتاة داخل قطار أمام ثلاثين راكبا دون أن يتحرك أحد من أجل نجدتها وتخليصها..

في ألمانيا وفي مدينة «سيربروك» وفي ملعب مدرسة تكميلية كاد أحد التلامذة أن يموت قتلا على يد ثلاثة من رفاقه..

وفي واشنطن بالولايات المتحدة، أقدم شاب وللمرة الثالثة على خطف فتاة في الثانية عشرة من عمرها واغتصابها ثم قتلها..

هذه الأحداث الصارخة يصعب حصرها، ففي كل يوم تطالعنا وسائل الإعلام المختلفة بأنباء الجرائم الغريبة والبشعة من خطف وقتل واغتصاب، وما يعلن عنه يشكل جزءا بسيطا من الحوادث التي تبقى طي الكتمان فمسلسل الجريمة طويل ولا نهاية له..

وإذا كنا قد أوردنا نماذج من العنف في بعض المجتمعات الغربية التي لها سمعة طيبة وشهرة عالية في الرقي والتمدن فإننا نترك للقارىء تخيل حالة مجتمعات أخرى كإيطاليا حيث تمارس المافيات عنفها المتطور، أو كـ«تكساس، ولوس أنجلس، و«ديترويت» في الولايات المتحدة حيث يعتبر الخروج ليلا في شوارع المدن عملا من أعمال المجازفة والمغامرة..



• تقليد الشخصيات الاسطورية يؤثر سلباً على الطفل

التلفاز والعنف في الغرب

والإحصائيات التي أوردتها وزارة العدل الأمريكية تشير إلى ارتفاع معدل الجرائم وازدياد العنف، ففي عام ١٩٨٥م مثلا بلغ عدد ضحايا العنف قرابة ٦ملايين ضحية ما بين قتل واغتصاب وسرقة منهم ٢١٥٠٠ حادثة قتل و ١٣٥٤١٠حادثة اغتصاب. وتدل احصاءات ١٩٨٩ على تصاعد في ميدان الجرائم: ٣٢٪ زيادة في جرائم القتل، و١٦٪ في السرقات و ٧٪ زيادة في جرائم الاغتصاب..

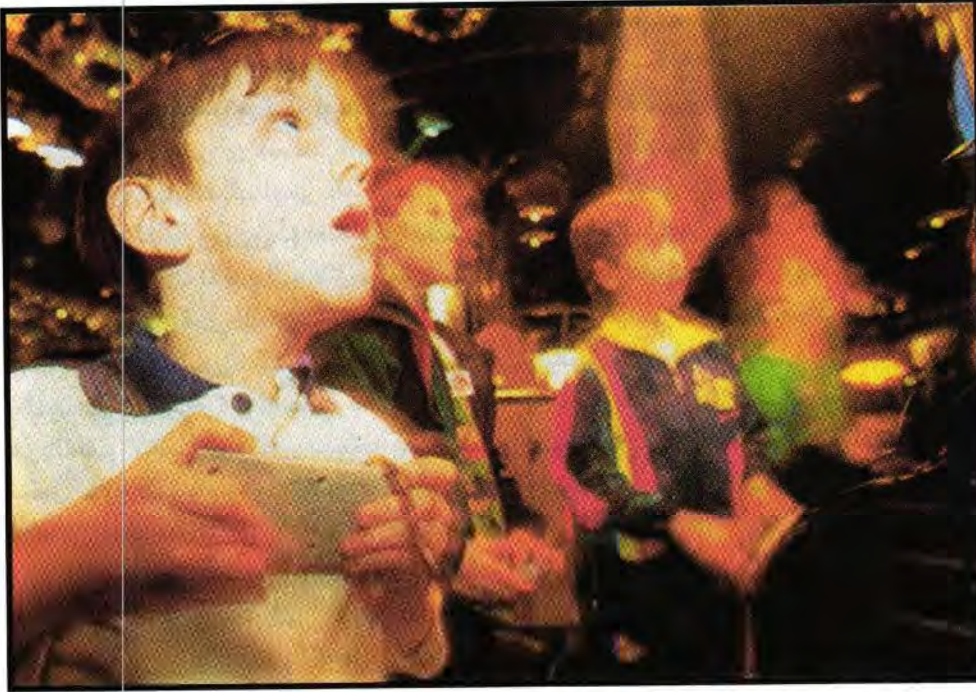
وفي فرنسا تدل احصائية حديثة صادرة ١٩٩٣م على أن عدد الأطفال الذين تعرضوا للتعذيب والاغتصاب قد بلغ (١٥) ألفا في حين تشير بعض التقديرات إلى أن عددهم الفعلي قد بلغ ٤٥ ألفا.. كما أن معدل الجرائم ارتفع من ٣٠,٠٠٠ سنة ١٩٧٥ إلى ٧٥,٢٠٠ سنة ١٩٩٣م (٣)..

ولا يتسع المجال لسرد المزيد من الحوادث ولإيراد العديد من الأرقام والإحصاءات حول ارتفاع معدل الجرائم في كافة المجتمعات الغربية لأن العبرة أخيرا في المعاني التي تنطق بها وفي الدلالات والمؤشرات التي تحملها..

العنف في الغرب له تاريخه الخاص، وله وجوهه المتعددة وأشكاله المختلفة ولا يتسع المجال للإحاطة به إحاطة شاملة.. وما يعنينا في هذا البحث ليس تاريخ العنف ودوره في إقامة تلك المجتمعات ولا العنف السياسي الخارجي والداخلي الذي يمارسه بحق المستضعفين، ما سنكتفي به هو إلقاء الضوء على تطور العنف وازدياده وأخيرا الكشف عن بواعثه وأسبابه داخل منظومة القيم والعلاقات السائدة..

وإذا كان العنف قد وجد له جذورا في البيت والمدرسة والمحيط والثقافة فإننا سنقتصر على تركيز المحللين في الغرب على إبراز دور التلفاز في تغذية تلك الظاهرة وتوسيع انتشارها.

محاولات رسمية للحد من العنف



● ألعاب الأتاري تشد الطفل وتلهيه عن طعامه وشرابه احيانا

يجمع الغربيون على اتساع نطاق العنف واقتحامه حصن الطفولة البريئة ويأخذون على التلفاز تنميته للنزعة العدوانية عند الأطفال من خلال البرامج التي يبثها والأفلام التي يعرضها. ففي كندا ومنذ أربع سنوات تطرح السلطات الرسمية والقسم التعليمي والهيئات الاجتماعية ووسائل الإعلام، علامات استفهام كبيرة حول دور التلفاز وتأثيراته في سلوك الأفراد بشكل عام والأطفال بشكل خاص، ذلك أن المذبحة التي ذهب ضحيتها ١٤ طالبا وطالبة في مدرسة البوليتكنيك في «مونتريال» قد أثارت انتباه الجهات المختصة وولدت حركة شعبية معادية لبث برامج العنف عبر التلفاز والسينما. وبعد ذلك قادت الفتاة «فرجيني لايفيير» التي صدمها مقتل شقيقها الأصغر، حملة شعبية ضد العنف، وجمعت ١٣٠٠٠٠٠ توقيع على عريضة تطالب بوقف البرامج والأفلام التي تغذيه (٤)..

وفي بريطانيا قامت مجموعة من ٢٥رجلا من مشاهير علماء الاجتماع والأطباء برئاسة الأستاذ «اليزابيث نيسون» برفع تقرير إلى الحكومة الإنكليزية تطلب منها اتخاذ إجراءات سريعة ووضع حد للتزايد المقلق لأفلام العنف. وبعد أن أقدم طفلان على قتل الطفل «جيمس بيلجر» تبين إن أحد الطفلين القاتلين كان قد شاهد فيلما في غاية العنف مما زاد في قناعة الرأي العام الشعبي بأن مشاهد العنف تغذي سلوك العنف وتنميه.

الأمر الذي دفع البرلمان إلى التصويت على قرارات تضع حدا لانتشار أفلام الفيديو المتسمة بالعنف في أوساط الأطفال، ومن أجل تهدئة المشاعر الشعبية أوعزت الحكومة إلى (BBFE) مكتب تصنيف الأفلام لكي يفرز الأفلام التي ينبغي منعها، كما قررت معاقبة كل من يبيع أفلام العنف للقاصرين بالسجن لمدة عامين، وأوجبت على الجهات المختصة ضرورة الحصول على رخصة تخولها بث تلك الأفلام وعرضها (٥)..

وفي فرنسا يشكل التلفاز قضية سياسية. فكل فريق عندما يكون في المعارضة يتهم الحزب الحاكم بسوء إدارته للتلفاز، ومؤيدو التلفاز الرسمي يتهمون التلفاز الخاص بلجوئه إلى البرامج التجارية. وتدل بعض الإحصاءات على أنه خلال أسبوع واحد من شهر تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٨م كان التلفاز قد عرض ٦٧٠ حادثة قتل و ١٥حالة اغتصاب و٨٤٨ معركة و ٤١٩ حالة إطلاق نار وانفجارات و١٤عملية خطف و٣٢ حالة أخذ رهائن و٢٧ مشهد تعذيب. وفي المحصلة النهائية هناك عنف عدواني كل خمس دقائق (٦)..

وفي عام ١٩٩٣م أظهر تحليل استمارة وزعت على ٢٦٠٤ تلاميذ بأن الأولاد يشاهدون التلفاز بمعدل ١٥ساعة أسبوعيا وبالتحديد ١٨ساعة للأولاد بين ١٣-١٤سنة كما أن نسبة المشاهدة تبلغ حدها الأقصى أيام الأعياد والعطل

الأسبوعية (٧)..

معظم أفلام العنف أمريكية

وفي الولايات المتحدة الأمريكية، يبرز التلفاز أكثر عنفا من أي مكان آخر فهناك تنتج معظم أفلام العنف وتوزع في شتى أقطار العالم، ولذلك تأخذ المشكلة حجما أكبر مما حدا بالكونغرس الأمريكي والرئيس «كلينتون» أن يتدخلا لمعالجة تلك المشكلة.. هناك حوالي ٥٧ مليون أمريكي يستهلكون آلات الفيديو، وقد بلغت المبيعات عند منتجي هذه الألعاب ٥ر٥ مليار دولار لهذا العام. لقد أصبحت ألعاب الفيديو في موضع الاتهام خصوصا بعد ارتفاع معدل الجرائم وتزايد أعمال العنف. فمع التطور التقني لم تعد ألعاب الفيديو صورا متحركة كما كانت منذ سنوات بل أصبحت صورا دقيقة وشبه واقعية، منها على سبيل المثال (Nieht Toap) امرأة شقراء شبه عارية تتعرض لهجوم ثلاثة رجال مقنعين.. و(Moctal Kombat) حرب شوارع يتدخل فيها اللاعب، وإذا كان ماهرا فإنه يستطيع اقتلاع قلب الخاسر أو عموده الفقري. و(Lothal Enforcer) عبارة عن مسدس كبير يستطيع بواسطته التصويب وقتل مايرى أمامه.. وهذه البرامج موجهة إلى الكبار كما يعلن نائب رئيس شركة (SEGA) والذي قال بأن الشركة لجأت إلى تصنيف الألعاب واضعة إشارة (GA) -General Au) (dionces على تلك الموجهة إلى عموم الناس و١٣-Mature Au Dionces MA على تلك المحذرة من هم دون الثالثة عشرة و(MA ١٧) على تلك الألعاب الموجهة لمن تتجاوز اعمارهم السابعة عشرة. أما شركة (Nintendo) فإنها تفاخر بأنها تتبع سياسة مسؤولة وتمتنع عن إنتاج أفلام على درجة عالية من العنف كالتي تنتجها شركة (SEGA) (٨)..

لقد خاطب الرئيس «كلينتون» الأمريكيين بعد عشرة أشهر على توليه الرئاسة وحمل بشدة على العنف داعيا إلى المسؤولية الفردية والجماعية، مذكرا السود بمواقف الزعيم الراحل «مارتن لوثر كينغ» قائلا لهم: «لو عاد إلى الحياة لقال: لم أمت لأخلف صبيانا في الثالثة عشرة يحملون السلاح ليقتلوا أطفالا في التاسعة» (٩)..

منذ سنوات والعنف يقلق المجتمع الأمريكي ولقد حاول المختصون بهذه الظاهرة تحليل أسبابها ودوافعها، ففي عام ١٩٦١م برهن الأستاذ «ألبرت بنديرا» في جامعة كاليفورنيا على تأثير الصورة المشاهدة في سلوك الأطفال وذلك بواسطة عرضه على عدد من الأطفال فيلما يقوم فيه رجل بالاعتداء على لعبة، ثم أعطى الأولاد لعبة مماثلة وشاهد ردة فعلهم عليها فكانت مماثلة تماما لما شاهدوه في الفيلم..

وفي عام ١٩٨١م قام «بركوريتز» أحد علماء النفس في أمريكا بدراسة تأثير أفلام العنف على مجموعة من الشبان الجانحين من أمريكا وبلجيكا حيث عرض على قسم منهم

■ليس العنف غاية بحد ذاته، لكنه وسيلة لغاية، وطريق لهدف. وكما تتعدد الغايات والأهداف تتعدد الوسائل

أفلاما عنيفة وعلى القسم الآخر أفلاما محايدة وقد ظهر عند المجموعة الأولى ازدياد في العدوانية والشراسة عما هو الحال عند المجموعة الثانية..

وفي عام ١٩٧٨م أجرى الأستاذ «وليم بلسون» إحصاء لـ ١٥٦٥ مراهقا تبين من خلاله أن مرتكبي الحوادث الخطيرة هم من بين مستهلكي أفلام العنف..

وفي عام ١٩٨٥م برهن «روال هوسمن» أحد علماء النفس في أمريكا، بعد تجربة أجراها على ١٠٠طفل من جنسيات مختلفة، بأن أفلام العنف تزيد في عدوانية الأطفال بغض النظر عن أصلهم العرقي. كذلك أظهرت بعض الاحصاءات أن حوادث القتل في الولايات المتحدة وكندا ازدادت بنسبة ٩٣٪ منذ انتشار التلفاز سنة ١٩٥٠م وحتى الآن (١٠)..

كيف يؤثر التلفاز في سلوك الأطفال؟

لقد احتل التلفاز مكان الكتاب كوسيلة من وسائل الثقافة والترفيه لدى الأطفال والعديد من عامة الناس، وتعلق الأطفال بتلك الشاشة الصغيرة التي تنقل اليهم بالصوت والصورة والألوان ما هو حقيقي وواقعي وما هو وهمي وخيالي، وأضحى النظر إلى الشاشة بمثابة سياحة ممتعة تنقل إلى الإنسان كل أماكن العالم وأحداثه وأسراره ومخلوقاته.. أصبح التلفاز خصوصا في البلاد الصناعية ضرورة من ضرورات العصر، وجزءا هاما من تجهيزات المنزل، إذ يأتي بالمرتبة الثانية بعد البراد. فالعائلة تتناول العشاء وهي تشاهد التلفاز، والأطفال يستيقظون ويلبسون ثيابهم ويتناولون فطورهم وأعينهم مسمّرة إلى الشاشة، ويغادرون المنزل حاملين في مخيلتهم كل ما اختزنوه من مشاهد وصور وأحداث علقت في رؤوسهم..

وفي كل عام يمضي الأطفال، في البلاد الغربية، أمام التلفاز، وقتا يعادل الوقت الذي يمضونه في المدرسة، ومن تلك الشاشة الصغيرة يستقي الأطفال كثيرا من معلوماتهم وثقافتهم، وعبر المشاهد التي تنطبع في أذهانهم يبنون سلوكهم..

الأكل المفضل هو ما عرضته الدعاية، واللبس الأجمل هو ما لبسته الشخصيات المحببة لديهم. لا يترك التلفاز لهؤلاء الأطفال فرصة لالتقاط الأنفاس والتفكير بهدوء، ولا فسحة من الوقت لبناء الذات والاعتناء بالصحة وأحيانا للذهاب إلى المرحاض.. التلفاز يمارس العنف بغض النظر عن برامجه، فهو يقتحم كل بيت دون استئذان ويدخل كل غرفة وسرير مع الحب والترحاب، يسرق من الأطفال والكبارعقولهم وأوقاتهم ويحتل ذاكرتهم مخيلاتهم ويحبط تطورهم الذاتي والمستقل..

تأثيرات التلفاز على الأطفال

ولقد حدد بعض المختصين تأثيرات التلفاز على الأطفال بأربعة عناصر هي:

التلفاز والعنف في الغرب

١) التقليد:

من المعـروف أن الطفل يحاول التباهي والتماثل مع الشخصية التي تعجبه وتؤثر فيه، وقد أشار التقرير الذي رفعه عدد من الخبراء الأنكليـز، إلى حكـومتهم إلى هـذه الناحية موضحا بأن الأطفال يقلدون دائما الغالـب ولا يقلدون مطلقـا المغلوب (١١)، وعمليـة التقليد تبـدأ بـالمشـاهدة المركـزة والملاحظة الـدقيقة: الحركـات، الأصوات، التعـابير.. وهــذه هي مـرحلــة التعبئـة والإشباع تليها مرحلة الاستخراج والتقليد، ومـرحلة الاختبـار والإعادة، يمتحن فيهـا الطفل قـدرتــه على الاستيعـاب والتمثيل وتأدية نفس الدور. تكفي مـراقبة الأطفال بعـد مشـاهـدتهم لأحـد أفـلام الجيـدو والكاراتيه، كيف يهبون لحظة انتهاء الفيلم ليطبقوا ما شاهـدوه على بعضهم وغالبا ما يختـار الأقـوى الطـرف الأضعف الـذي يمكنه من إظهار تفـوقه وانتصاره.. ورغم أن الممثل «مـاك جيفـر» مصنف في صف المعـادين للعنف، ورغم أنـه بطل مسلسل أمـريكي هـدفـه الـدفـاع عن الطفـولـة وحمايتهـا. إلا أنــه في عـام ١٩٩٢م لقي مراهقان حتفهما في أثناء محاولتهما تقليده في صنع عبـوة متفجرة وقـد قدمت والـدة أحـد الضحيتين دعوة ضـده وضد القنـاة التلفازيـة الثانية في فرنسـا بتهمة التسبب في القتل (١٢)..

كما أن العـديد من الأطفـال لاقـوا حتفهم حينما حاولوا الطيران بواسطة القناع الأحمر تقليدا لشخصية «سوبرمان» الخيالية..

٢) الإشباع:

إن عملية التمثيل والتقليد تتم في جزء كبير منها في اللاوعي وتحدث عن طريق المشاهدة المتكررة والتراكم البطيء الذي يؤدي إلى نوع من الإشبـاع النفسي والتعبئـة القصـوى تنعكس في السلــوك وتتجلى في الانفعـال والتبعية وفقدان زمام المبـادرة وعدم القدرة على خلق الأفكـار وتقـويم السلـوك بشكل إرادي وواع والانسيـاق أخيرا خلـف أفكـار الآخرين وسلوكهم.

٣) الغموض:

مع تطور التقنية وتطـور وسائل التركيب والتصوير ضاقت كثيرا الحدود الفاصلة بين الوهم والحقيقة بين الصـورة والواقع، وهذا من شأنــه إرباك الطفل واهتـزاز شخصيته وابتعـاده عن الـواقـع في ذات الـوقت الـذي يضطرب فيه تطوره الخيـالي ويضمر حسه الإبـداعـي. ولهذا فإن بعض علماء النفس في أمريكا يعتقدون بأن الأطفال الذين أصبحوا قتلة إنما فقـدوا الصلة الحيـة والطبيعية مع الواقع وانخرطوا انخراطا لا واعيا في عالم من الخيال تسـوده مشاهـد مضطربـة ومخيفة من العنف والقسوة..

٤) الابتـــذال وضعف الإحســـاس بالمسؤولية:

عندمـا يشاهد الطفل مشهدا من مشـاهد العنف، يغمره مزيج متنـاقض من الشعور: شعـور بالـرعب والخوف يجعلـه يهرب من أمام الشاشة إلى حضـن أمه أو أبيه أو اخيه الأكبر طلبا للأمن والسكينـة، وشعور باللذة والإعجـاب يـرفض معهما التـــوقف عن مشـاهدة الفيلم أو إقفـال التلفـاز، ويختلط لديـه الواقع بالخيال والخوف بـالمتعة، ومع المشـاهدة المتكـررة يتناقص الخوف وتتنمـو اللـذة ويصبح منظـر الموت حـدثـا عـابـرا وتستحيل الجريمـة لقطة بسيطـة، ويصبح الموت مبتذلا، يعني للطفل ما يعنيه لجندي في ساحة القتـال، يألف منظر القتلى والجرحى، تموت لديه مظاهر الحياة لأنه فقد الإحساس بها ولم يعد يرى شيئا من بهجتها وبهائها..

يصبح القتل لـديـه سلوكـا عـاديا يمليـه الـواقع الـذي تعوده والمنـاظـر التي ألفهـا، والمشاهد التي انطبعت وتـراكمت في خياله.. بـــاختصــار، يمــوت لــديـه الإحســـاس بالمسـؤولية، لا بل يقتنـع ولو لفترة قصيرة، بشرعية القتل..

التلفاز في وجه من وجوهه، يحول الأطفال إلى مشاهدين ومتفـرجين، ينفعلون بالصور والأحداث والمعلومـات، دون أن تكون لديهم القـدرة على الفعل والتقـريـر. إنهم يتلقـون ويتلقفون بوعي أو بلا وعي ما يعرض عليهم ومـا يهيأ لهم دون أن تترك لهم فسحــة من التأمل أو فرصة للمناقشة والتفكير..

إنــه أشبه بـالمنوم الـذي يخلق حالـة من التبعية والاستسلام، والغرض من ذلك إلغاء التعددية الثقافية والحضارية، وتعميم ثقافة الغـالـب وتهيئـة جيل يتلقى، ينفعـل، يقلـد وينفذ ما يخطط لـه، وما يقرر بالنيـابة عنه، حتى إذا ما قررت الدولة المسيطرة شن حرب ضد دولـة أخرى أو ضد شعب آخـر تحقيقا لمطامع وغـايات سياسية واقتصـادية، تجد جيـلا طـائعا ومنفـذا، الحرب لـديـه ليست سوى لعبة من الألعـاب أو فيلم من الأفلام، والبطل الذي يستحق التقديـر والإعجاب هو الطرف الرابح والمنتصر..

مع ألعـاب الفيديو، يختلف الـوضع عما هـو عليـه في التلفـــاز. يكف الأطفـال عن كـونهم مشـاهـدين ومنفعلين ليصبحـوا فـاعلين ومشـاركين.. ألعـاب الفيـديـو في غالبيتهـا المطلقة عبـارة عن مباراة وصراع بين اللاعـب والآخر، يربح الـلاعب ويجد متعــة إذا انتصر، إذا قتـل الخصـم وتغلب عليـه، وهـذا ينعكس في لا وعي الأطفـال وسلـــوكهم، بحيث يتصرفـــون مع أهلهم وأصدقـائهم ومعلميهم وفق هـذه اللعبة، فهم والطـرف الآخر الـذي يجب الصمود أمامه، ومعاكسته وإفشال خططه. فالطفل يصــارع الأهل لكي يستجيبـــوا لـرغبتـه ويتراجعـوا أمـامـه، ويتمـرد على معلميـه ليخرج من طاعتهم ويهزم مساعيهم ويجد لذة في الانتصار عليهم..

وألعاب الفيديـو أخطر من التلفاز، لأنها تغـذي الأطفـال بالعنف وتجعلهم طـرفـا مشـاركـا فيـه، مما يـزيـد في عـدوانيتهم وأنـانيتهم.. هنـاك أطفـال يقضـون عشر ســاعات متـواصلة أمـام ألعـاب الفيديـو يتخللهـا عنف ضـد الذات بـالامتنـاع عن الأكل والشرب والغسل والـــريــاضـــة، وحركات عصبيـة هيستيرية تتجلى بضرب جهاز الأمر والتحـريك اليدوي بالأرض أو بالمشـاجرة على الـدور والانفراد بـاللعب؛ الخ..

ومـرة أخرى يثبت الـواقع العملي فشل النظريـة التي تقول بأن الإبـاحة تقلل من التطلب والتبعيـة لأن المحجـوب مرغـوب. وذلك أن مـزيـدا من الإباحـة يخلق لـدى الأطفـــال مـزيـــدا من التعلق والتبعيـــة، فالألعـاب ليست ثـابتة والتجـار يتفننون ويجددون دائما في شكل الصـورة ونـوع الألعـاب ومـوضـــوعـاتها وأسرارهـا وفي إمكانيـة مشاركة فرديـة أو جماعية أوسع

نطاقا وأشد فاعلية..

التلفاز والانتحار

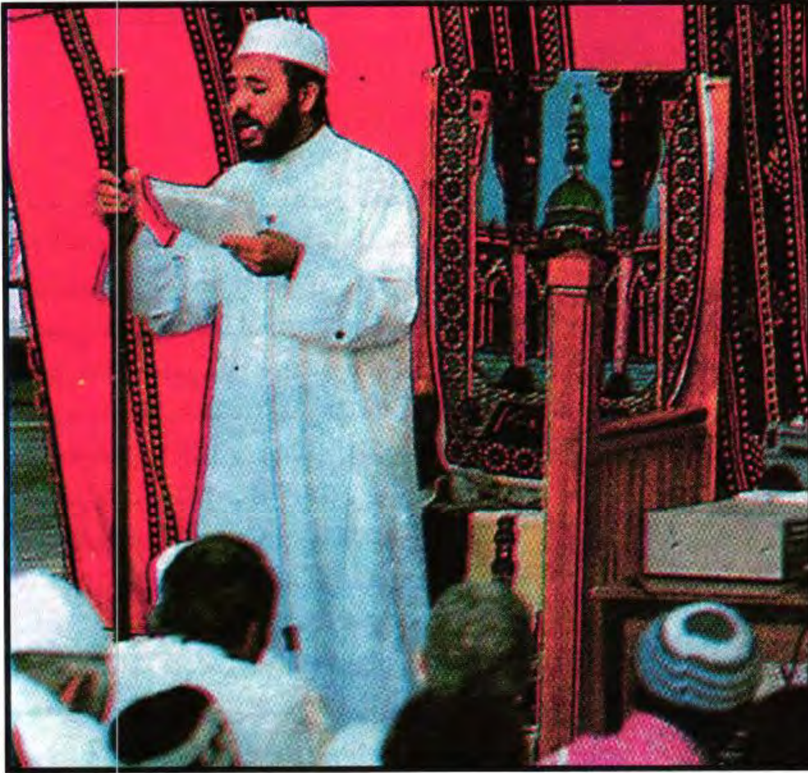
ليس العنف موجها ضد الغير فقط، وإنما ضد الذات أيضا. فعندما يتعرض شخص ما لآلام تزيد عن طاقة احتماله أو يختل توازنه الطبيعي نتيجة لإحباط نفسي أو عجز عن تحقيق آماله وطموحاته، يصبح ذاته ضحية لعجزه ولفقدانه القدرة على امتلاك زمام نفسه فيكون الانتحار.. ولاشك في أن التلفاز يساهم مساهمة فعالة في تزايد حالات الانتحار نظرا لتنميته النزعة العدوانية ولجعله الموت حدثا بسيطا في فيلم قصير، ونظرا لعرضه أفلاما تعلم الأفراد طرقا وأساليب للتخلص من الحياة لم تكن واردة من قبل في أذهان العديد من الضحايا. ولقد أجرى الأمريكيان «فيليبس» و«كسيتنسن» بحثا على ١٢٥٠٠ حالة انتحار ما بين ١٩٧٣ و ١٩٧٩ تبين من خلاله أن نسبة الانتحار ازدادت بنسبة ١٣٫٥٪ بين المراهقات و ٥٫٢٪ بين المراهقين في الأيام التي تعقب مشاهدة أفلام العنف التي تتخللها عمليات الانتحار (١٣).. إذا كان التلفاز وألعاب الفيديو يشكلان عنصرا من عناصر تغذية العنف فإن هناك عناصر أخرى لا تقل عنهما أهمية وفاعلية. وذلك أن دور كل من العائلة والمدرسة والجماعة والوضع الاجتماعي له أهميته أيضا في هذا المجال. فالعائلة المفككة والبطالة وانتشار المخدرات والكحول وتفشي البغاء والأمراض وتراجع القيم. كلها عوامل مواتية لتزايد العنف وارتفاع حدته..

فبعد أن ضربت سلطة الأب «الزوج» أصبحت العائلة مسرحا للعنف بين الزوج والزوجة وبين الأهل والأطفال وتراجعت الكثير من القيم الخلقية والفضائل الاجتماعية أمام قيم الحرية الفردية والتسابق على الربح والثروة، ونتيجة لذلك تدهورت علاقات التضامن والتعاطف والتضحية لتحل محلها علاقات التنافر والتناحر والمصلحة. وكانت الحصيلة الطبيعية لتدهور أوضاع العائلة كعنصر أساسي من عناصر الوحدة وكملجأ طبيعي للحوار والتفاهم إن تعززت العزلة وتعمقت الأنانية وازدادت حدة الصراع والعنف الذي انتقل إلى مؤسسات التعليم فتراجعت سلطة المربين وتصاعدت نسبة الفشل المدرسي مما أدى إلى تفاقم البطالة وزيادة الانحراف بأشكاله المختلفة. في مجتمعات تعاني من تراجع قيم التضامن والتضحية، وتتعزز فيها الفردية والأنانية، وتزدهر فضائل الربح واللهث وراء المادة والشهوات. في مجتمعات يعلن بعض فلاسفتها موت الإله، وسيطرة السوبرمان تمجد القوة وتبرر كل شيء بالمصلحة والمنفعة ليس مستغربا أن يتفاقم فيها العنف، وأن تجد فيها أطفالا قتلة ينحدرون نحو عالم الانحراف والجريمة ■

● شخصيات العنف تحوّلت إلى أبطال حقيقية في عقول الأطفال

الهوامش:

(1) Science et vie. No917 Fevrier 1994 p34.
(2) Le Monde, 9Mars, 1994.
(3) Le Monde, 20 Avrip 1994, revue politiques et socidux No695, 8/1/93.
(4) Le Monde, 1 Janvier 1994.
(5) Le Monde, 14 Avril 1994.
(6) Science et vie No917 Fervrier 1994, p36.
(7) Science et vie No917 Fervrier 1994, p39.
(8) Le Monde, 25 December 1993- Science et vie p.38,1994.
(9) Le Monde, 27 December 1993- Science et vie p.38,1994.
(10) Science et vie. No917 Fevrier 1994 p41.
(11) Le Monde, 14 Avril 1994.
(12) Science et vie. No979, Fevrier 1994 p43.
(13) Science et vie. No979, Fevrier 1994 p49.
- La violencve contemporaine. BT2, No10.
- Adolescence et vioence. BT2, No262, December1993.
- L'enfant devant la Television, Mirief chlvon, Pieree Corset, Michel Souchon. editor casterman, p.119-137-128.
- Des images pour les enfants. Bernard planque. edition casterman1977.



الدعـــوة الإسلاميـــة ووسائلها الاعلامية ١/٢

«إذا كـان الاعـلام الإسـلامـي يتميـز في اتصـالـه بـالجماهير بـاعـلامهـا بـالـواقع والأحداث، بصيغ يخاطب فيها وازع الضمير والأخـلاق، ويشـدهـا الى التفكير السليم والنظرة الحانية على العـالم، فهذه هي وظيفة الاعلام الأسـاسية، والتي يفترض بـالاعلام الدولي أن يؤديها» [د. أحمد محمـد عبد الملك الأصبحي]. ان الكتـابة في هـذه المادة ليست بـالأمـر السهـل كما كنت أتصـور والمراجع المكتـوبة والملحقـة بهذا البحث لم أجد فيهـا مـايـرضي مـرادي حيث كنت أطمع أن أجـد كتابا كتب فيه عن السيرة النبوية ومن خلال ذلك يستل الاستـلالات والمواقـف التي تـدل على مدى فاعلية الاعـلام في العهد النبوي بل كل الـذي وجـدتـه كـلام كثير يـدور حـول الاعلام ونظـرياته ووسائلـه الحديثة، يعني كان الكاتب يحرص أن يسوق السيرة النبوية تبعـا للنـاحيـة الاعـلاميـة الحديثـة وليس العكس، أي اننـا نحن كـاعـلاميين يجب أن نستفيد من السيرة النبوية حيث أنها تحتوي على كنوز كثيرة قليل منا من حصل على جزء منهـا. على كل أتمنى أن يوجـد الله عـز وجل رجـالا اعلاميين اسـلاميين يستفيـدون من

بقلـم: سعيـــــد احمد الأصبحـي

السيرة النبوية الشريفة، كما استفاد الآخرون من هـذه السيرة العطرة فـالقادة نهلـوامنها، والآبـاء أخـذوا بحظ وافـر منهـا، والعلماء والدعاة والسـاسـة وحتى رؤساء الدول كان لهم نصيب من هذه السيرة ليتعلموا منها.

فنحن أولى بـذلك لأن القـائم بالاتصـال – الاسم الحديث – هـو نفسـه الـداعيـة ولكن يختلف الداعية من شخص لاخر وأقصد بهذا الداعية المسلم فقط.

تعريف الدعوة

التعريف اللغوي:
الدعوة لغة من الدعاء الى الشيء بمعنى الحث على قصده، أو المحـاولة العلميـة أو القوليـة، لامالة الناس اليه (١).

التعريف الاصلاحي:

عـــرفهـا بعض العلماء بأنها قيـــام العلماء والمستنيرين في الـــدين بتعليم الجمهـــور من العامة مـايبصرهم بأمور دينهم ودنياهم على قـدر الطاقـة (٢). أما الشيخ الخولي فيعـرف الـدعـوة بأنها نقل الأمـة من محيط الى محيط (٣) والشيخ علي محفـوظ،يعـرفهـا بأنها حث النـاس على الخير والهدى والأمر بـالعمـروف والنهي عن المنكر ليفوز بسعادة الدارين (٤).

تعريف جامع الدعوة:

الدعوة جهد فني وعلمي مدروس ومخطط ومستمـر وصادق من قبل قـائم بالاتصـال لـديـه خلفية واسعـة ومتعمقـة في مـوضـع الرسـالة التي يتناولها ويستهـدف الاتصال الجمهـور العام وهيئـاته النـوعية وأفـراده بكـافة امكـانيات وسـائل الاعـلام المتاحـة وبطرق الاعلام والاقناع وذلك بغرض تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويتأثر بها في معتقداته وعبادته ومعاملاته (٥).

الداعية

من العوامل الهامـة التي تساعد على تجاح

الداعية وتزيد من فـاعليته ومقدرته في التأثير المكونـات الأساسية لشخصيتـه، فشخصية الداعية أو القائم بالتصال تعلب دورا أساسيا في تحديد نتائج عملية الاقناع لايقل أهمية من الرسـالة التي يـريد ابلاغهـا الى جمهوره أو الطريقة التي يتصل بها (٦).

وقـد أجمعت الكتب سـواء الاعـلاميـة أو الاسلامية على أن أهم صفـات الداعية هي أن يكون قدورة حسنة لمن يدعوهم فيتأثرون به التأثير المباشر فيقـول الأستـاذ/ مصطفى مشهـور «من أولى هـذه الصفـات والـزمهـا للداعيـة، أن يكون قـدورة حسنة ونمـوذجا طيبا للاسـلام الذي يدعو اليه مؤديـا أركانه متحـريـا النسـة الصحيحـة، متـورعـا عن الشبهات، متجنبا للمحـرمات، مراقبا للـه عز وجل في كل صغيرة وكبيرة، ملزما بيته وأهله بتعاليم الاسلام وآدبه».

ثم يضيف: «الداعيـة المسلم اليوم يجب أن يكـون واسع الاطـلاع ومتـابعـا لـلأحـداث والظـروف بأسلـوب شـائق جـذاب، يـوثـر ولاينفر، ولايعقد، يحسن ولايسىء» (٧).

ان القـدوة الحسنـة في حـد ذاتها تعتبر واحدة من أهم الوسائل الاعلامية وتقوم هذه الـوسيلة على غـريزة التقليد أو المحاكـاة في الانسـان، وهذه الغـزيـرة تعلب دورا هامـا وتغني عن بـذل جهود اعـلامية كبيرة بهدف غرس فكرة أو الاقتناع بـرأي أو تعديل سلوك معين لدى الجماهير.

وقد كان الداعي الأول لـلاسلام محمد بن عبد اللـه ﷺ مضرب الأمثال في هذا الصدد، وذكذلك أشتهـر بين قومه قبل نـزول الوحي بأنهالصـادق الأمين وهما صفتـان يجب تـوافهما في رجل الاعـلام الاسـلامي حتى يكون موضع ثقة جماهيره واحترامهم له، ثم الصبر والـرحمة والعطف والـدعـاء لهم، فلم يكن قاسي الفؤاد، فظا، غليظ القلب (٨).

ويكفي ماوصفـه به الحق عز وجل بقـوله: ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه مـاعنتم حريـص عليكم بـالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ [التوبة:١٢٩].

يضيف الدكتـور عماره نجيب من صفات الداعية مثل:

١) لايعرف السلبيـة لأن له مبـاديء يجب لها أن تسـود، ويجب للنـاس جميعـا أن يتمتعوا بفضهـا.

٢) لايعرف الكسل لأن الاسـلام يحرك كل طاقاته النشطة ويدعوه الى الاستفادة منها.

٣) ينقل معلوماته بفاعلية المؤمن بمبادئه، المتيقن من صدقهـا الشاعـر بقيمتها، فيمثل أداة اتصال وسيلة اعـلام تحركة، لها قوتها التأثيرية الفعالة والمباشرة.

٤) نجاحة في نقل معلوماته يحكمه فيتامل مع كل من يلتقي بـه على أساس مـايملك من معـارف ومـايقـدر عليـه من منطق الحديث فيعطيه المصالح ويخلصه من الفاسد (٩).

هـذه صفـات الـداعيـة المسلم أو القـائم بالاتصـال وهي الصفات التي أكسبـت هذا الـدين القوة والانتشـار السريع بفضل اللـه عـزو جل ففي (٢٣) سنة تحول العـرب من جـاهليـة ووثنيـة وتخلف وظـلام إلى علم ووحـدانية وتقـدم ونور على أرض الجزيـرة العربية ثم انطلق الاسلام بعد ذلك الى أرجاء العالم بمشارقها ومغاربها يفتحها المسلمون بصفـاتهم وأسـاليبهـم ووسـائلهم قبل أن يستعلموا قوتهم وسيوفهم ورماحهم.

وقد عبرت دائرة المعـارف البريطانيـة عن الجهـود والمنجـزات العملاقـة التي حققهـا الـرسـول الكـريم ﷺ في عشرين عاما من حياته ماعجـزت عن انجازه قرون من جهود المصلحين اليهـود النصـارى رغم السلطـة الزمنيـة التي كانـت تساعد جهـودهم، وعلى الرغم من أنـه كان أمام الـرسول ﷺ تراث أجيـال مـن الـوثنيـة والجهـل والخرافـات واضطهـاد الضعفـاء وكثـرة الحروب بين القبائل ومئات من الشرور الأخرى (١٠).

أساليب الدعوة

أسـاليب الـدعوة – أو مـايسمى حـديثـا بـالـوسائل الاعـلامية – في الاسـلام عديـدة ومتنوعة ومتجـددة في مضمونها ونحب هنا أن نحـدد بعض مـاقله الكتـاب في أسـاليب الدعوة.

يـرى الـدكتـور/ عبـد اللطيف حمزة أن الوسائل الاعلامية في الدعوة الاسلامية هى:

أولا: القرآن الكريم.
ثانيا: الحديث الشريف.
ثالثا: الخطابة.
رابعا: الحج والعمرة لله عزو جل.
خامسا: القدوة الحسنة.
سادساك الفتوح (١١).

ويتحـدث الأستـاذ الدكتـور ابـراهيم عن الاتصال الجمعي في الاسلام قائلا:

«إنـه الـدين الـذي أدرك قيمـة الاعـلام الجمعي عن طـريـق الاتصـال بـالنـاس، في الشريعة الاسـلامية من العبـادات التي تدل دلالـة واضحـة على هـذا المعنى فصـلاة الجماعة تقـام خمس مرات في اليـوم والليلة، وصلاة الجمعة تقام في كل أسبوع مرة وذلك على نطـاق واسع وفي تجمعـات كبيرة»، ثم هناك صلاة عيد الفطر وصلاة عيد الأضحى وفيهما تهليل وتكبير وذكـر لله، ولعلم قيمـة الاتصال الجمعي تتمثل في الحج وهو المؤتمر الأكبر والتجمع الأعظم ففيه يلتقي المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها مستجيبين لنداء الله، ومنافع الحج معنوية لانها رباط روحي مقدس واعلامية كمعـرفة أخبار المسلمين في جميع أنحاء العالم وماديـة كالتجارة وتبادل السلع.. وفي وقفـه عرفات يجتمـع المسلمون كـذلك من كل أقطـار العـالم في هـذه المكـان القـريب من مكـة في وقت واحد، وفي مـؤتمر هائل وتجمع رآئع لتبادل الأفكار والآراء فيما يعود عل الأمة الاسلامية من منافع (١٢).

ويضيف المرحوم عبـد الله علـوان اسلوب من أسـاليب الـدعـوة في «الموعظـة والتأثير والاقناع والمحاجة واستحالة العاطفة وشحذ العاطفة الهمة ترسخ الفكرة وهداية الناس الى الخير وتثبيت دعائم الاصلـح في المجتع وهو أسلـوب تـوضيح الفكـرة بشيء محسـوس وتجسيد الموقف كقول الله عز وجل: ﴿ مثل الـذين ينفقون أمـوالهم في سبيل اللـه كمثل حبـة أنبتت سبع سنابـل في كل سنبلة مـائة حبـة واللـه يضاعف لمن يشـاء واللـه واسع عليم ﴾ [البقرة:٢٦١]، وقوله: ﴿ واضرب لهم مثل الحيـاة الـدنيـا كماء أونـزلنـاه من السماء فـاختلط بـه نبـات الأرض فأصبح هشيما تذوره الرياح، وكان الله على كل شيء مقتدرا ﴾ [الكهف:٤٥].

والنبـي ﷺ كان يستعين على توضيح الكفرة للناس بضرب المثـل وتجسيد الموعظة، ليكون وقع الموعظـة في النفس أعظم، وتثبيت الفكـرة في الـذهن ارسخ (١٣) فعـن ابن عمـررضي اللـه عنهما عن النبي ﷺ قال: «مثل المنـافق كمثل الشاة العـائرة (١٤) بين الغنمين تعير الى هـذه مرة وهـذه مـرة» رواه مسلم (١٥).

وعن أبي موسى رضي اللـه عنه، عن النبي

الدعوة الإسلامية ووسائلها الاعلامية ٢/١

ﷺ قال: «انما مثل جليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير (١٦)، فحامل المسك اما أن يحذيك (١٧) واما أن تبتاع منه (١٧)، واما أن تجد منه رحيا طيبة، ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك، واما أن تجد ريحا خبيثة (١٩) [رواه مسلم].

مما سبق ذكره يتبين أساليب الدعوة الاسلامية في نشر التعاليم الاسلامية وفي ترسيخها للمفاهيم الاسلامية وهذا ماكان ينقص الكثير من الأديان الأخرى كذلك يرجع انتشار الدعوة الى طبيعة المرسل أو القائم بالاتصال وهو ماعرف بالسلام بالداعية وسيأتي الحديث عنه ومن صفاته ان شاء الله.

القصة في القرآن والسنة

يعتبر القرآن الكريم الحديث الشريف من وسائل الاعلام الاسلامي ومما تميزا فيه الأسلوب القصصي ونود أن نقدم هنا تعريف بالقصص.

القصص(في اللغة):

القطع والتتبع وايراد الخبر المقصوص ويقال: قصصت الشيء آذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء ومنه قوله تعالى: ﴿ وقالت لأخته قصيه ﴾ [القصص:١١٠] أي تتبعي أثره.

والقصة سلاح فعال، اذا أحسن الانسان اسعماله استطاع أن يحقق كثيرا من الخير والصلاح.. لأن النفس ترتاح لسماع القصة وتستمتع، وتتأثر بالمغزى الذي تحويه.

والانسان بفطرته ميال الى القصة لما يرى في سماعها من الأنس والمتعة، فاذا استطاع الدعية أن يستخدم هذه الأداة المتازة كان ضمن دائرة الاسلام ولمصلحة الدين والخق كان القصص محمودا وطيبا (٢٠).

والقصص من أهم العوامل النفسية التي تهضت بهمة الاعلام السالمي في شتى مراحله، وقد كان القصص القرآي هو الوسيلة العظمى والطريقة المثلى للدعوة الاسلامية(٢١)والقصة في القرآن الكريم هي أول قصة في لغتنا العربية عرفت الالتزام وحددت رسالة الاعلام بمعناه الانساني الذي يفهم من الاعلام السلامي على أساس وظيفته الاجتماعية التي تدعو الناس كلهم الى الخير وتبعدهم عما ألفوه من خلق وعادات وآراء زائغة وعقائد وعبادات باطلة (٢٢).

ويعتبر أسلوب القصص من أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى الاسلام ولعله كان أكثرها وقعا في نفوس العرب وغيرهم من الأمم التى أعتنقت الاسلام وقد حفل القرآن بقصص الأنبياء ومالقيه كل نبي منهم من أذى بأعنف الصور الأشكال التي عرفتها البشرية وصبرهم تجاهها مما بث في المسلمين روح التضحية والصبر من أجل الدين (٢٣).

يقول عز وجل: ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن، وان كنت من قبله لمن الغافلين ﴾

فكان اسلوب القصص مفرجا لكرب المسلمين خصوصا في مكة حديث اشتد العذاب بالمسلمين فعندما يسمعوا قصص من قبلهم ممن عذب هان عليهم العذاب والألم واستمروا في الثبات على الحق.

وجاءت السنة النبوية الشريفة بعد ذلك واستفادت من الأسلوب القصص خصوصا عندما يريد الرسول ﷺ توصيل بعض المعلومات أو الأمور التعبدية أو الأمور العسكرية أو غيرها.

ويستعمل عليه الصلاة والسلام أسلوب القصص بطرق عدة اما مباشرة أو عن طريق الايحاء أو التجسيد والتمثيل حتى يتصور المسلمون مايرده منه نبيهم ﷺ فحادثة الاسراء والمعراج وما رآه الرسول ﷺ من أنواع العذاب في النار أثناء المعراج ثم حدث به صحابيته فأخبرهم عن أنواع العذاب ومسبيات ذلك بأسلوب جعلهم يحسون وكأنهم رأوا هذه الحوادث بأعينهم فكان لهذا الأسلوب ذلك الأثر الجيد في النفس والفطرة، بحيث يحاول صاحبها أن تبقى نفسه من الآثام والذنوب والمعاصي.

وكانت الأحاديث الشريفة تأتي الفصل ماينزل في القرآن الكريم من آيات فمثلا فرضت الصلاة قوله عز وجل ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ [النساء:١٠٣].

ففصل الرسول ﷺ طريقة الصلاة ومواقيتها وعدد ركعاتها والوضوء لها وكل مايتصل بالصلاة حتى تكون متكاملة مقبولة عند الله عز وجل.

وكان الرسول ﷺ يعلم الناس ويرشدهم الى الطريق الصحيح وجادة الصواب فان أخطأوا صحح لهم ووجهههم كذلك نعلم أن كل قول أو فعل أو تقرير أو سكوت عن فعل يعتبر حديثا أي أنه اعلام للناس بحقيقة الأمر الذي يعلمونه.

لذلك لم يترك لهم الرسول ﷺ شيئا اجتماعيا ولاسياسيا ولا اقتصاديا ولاعسكريا ولاغير ذلك إلا وكان له رأي أو قول فيه.

الخطبة

تعتبر الخطبة احدى الوسائل المهمة في الدعوة الاسلامية، احدى الأساليب التي أدت إلى انتشار الدعوة – وأقصد بالخطبة – خطبة الجمعة وخطبة الوقوف بعرفات كذلك بعض الخطب في الفتوحات الاسلامية – وخطبة المعة فن من فنون الاعلام والدعوة يتجدد هذا الألوب بتجدد أسلوب المعيشة والتقدم الحضاري، وكلما واكبت الخطبة الأحداث اليومية خلال أسبوع وأعطت رأي الاسلام في مايحدث كانت في مقربة من الناس ومن مشاكلهم.

وتعتبر الخطبة من أقدم وسائل الاعلام الشهفية وهى مازالت منتشرة في المجتمعات الحالية، عرفتها المجتمعات القديمة، فانتشرت عند العرب والرومان في الحرب والسلم والسياسية والأدب، ولهذا انشأت عند العرب أسواق خطب كسوق عكاظ في مكة المكرمة وسوق المربد في البصرة أو كتلك الزوايا والملاعب الواسعة في روما التي كانت تشهد مباراة في الأدب والفلسفة (٢٤).

وقد قضت الخطابة في الاسلام على كل لون قديم من خطابة الجاهلية لايتفق مع روح الاسلام، ووضع الرسول ﷺ أسس الخطابة وتقليدها في صلاة الجمع والأعياد ومواسم الحج (٢٥).

فقد كان يبتدأ خطبته بحمد الله تعالى وشهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله كذلك كان يقوى خطبته بآيات الله البينات وكان ﷺ لايسجع في خطابته وتعتبر خطبة الجمعة هي التي تميز صلاة

الجمعة عن بقية الصلوات الخمس اليومية على مدار الأسبوع فأصبح لزامنا على كل مسلم أن يشهد هذه الخطبة انطلاقا من قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة في يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ﴾ [الجمعة:٩٠]. والنداء هو الآذان الذي يسبق الخطبة كما يسبق الصلاة (٢٦).

ويقول الدكتور؟ عبداللطيف حمزة ان نظرة سريعة في خطب الرسول ﷺ تدلنا على أنها أشتملت على المجالات التالية:

أولا: الكلام في مجال الدين من حيث أركانه وعبادته ومعاملاته وقد استغرق ذلك معظم حياة النبي ﷺ منذ البعثة الى نهايتها.

ثانيا: الكلام في مجال الجهاد.

ثالثا: الكلام في مجال الأخلاق وهو من أطول المجالات التي تكلم فيها الرسول ﷺ ذلك أنه كان مسؤولا عن بناء جديد له مفاهيم جيدة وقيم جديدة، ومن ثم اشتمل هذا المجال على بيان الصفات التي يجسدها الاسلام.

رابعا: الثناء على الخالق سبحانه وتعالى بما هو أهله من الصفات، وتصويره تعالى في أذهان المسلمين بالصورة التي رسمها القرآن.

خامساً: الثناء على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم – وبنوع خاص – ابو بكر وعمر وعثمان وعلي، وحث المسلمين جميعا على اكرامهم والرجوع اليهم في كل المشاكل.

سادسا: أوصاف الجنة النار كما جاءت كذلك في القرآن (٢٧).

والرسول ﷺ كانت له عدة خطب منها عسكرية ومنها في صلاة الجمعة، وأهم هذه الخطب هي خطبة (حجة الوادع) التي أعلن فيها المباديء العامة للسلام والتي كانت خاتمة وتعتبر دستورللحياة وضع فيها الأسس التي ستقوم عليها الأمة الاسلامية من بعده إلى يوم القيامة ونذكر هنا أنه توفي قبل أن يحل عام على خطبته.

ولايمكننا في هذه العجالة أن نذكر الخطبة كلها ولكن نقتطف منها ولو أن الاقتطاف منها يذهب بقوتها فيقول ﷺ أيها الناس ان دماءكم وأموالكمن حرام الى أن تلقوا ربكم» وان كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون،قضى الله أنه لاربا».

أما بعد أيها الناس، فان الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، لكنه ان يطع فيما سوي ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذوره على دينكم وقد تركتم فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمر بيننا، كتاب الله وسنة نبيه (٢٨).

هذه كانت بعض المقتطفات من خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع التي أعلم الناس فيها وبلغهم ملخص المباديء الأساسية للدين الاسلامي، وتركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

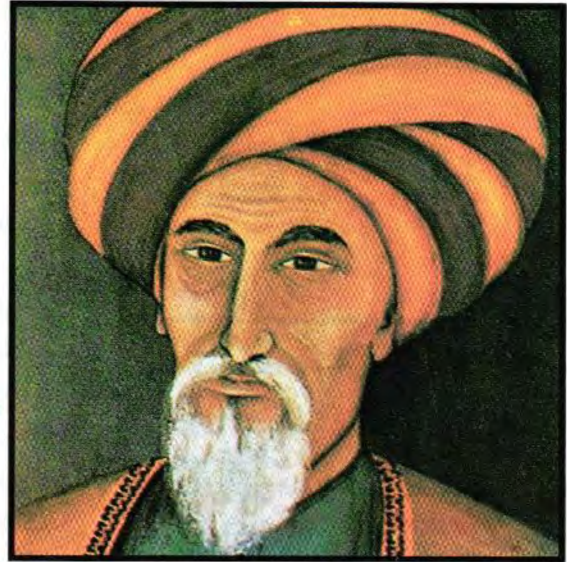
■كانت التربية في صدر الاسلام تبدأ في البيت عن طريق المحاكاة والتلقين

ويعلق الدكتور السباعي على هذه الخطبة بقوله: «ومما يلفت النظر في حجة الوداع هذا الخطاب القوي المحكم الذي خاطب به رسول الله الناس أجمعين، وتلك الباديء التي أعلنها بعد اتمام رسالته ونجاح قيادته، مؤكدة للمباديء التي أعلنها في أول دعوته يوم كان وحيدا مضطهدا، يوم كان قليلا مستعضفا، مباديء ثابتة لم تتغير في القلة والكثرة، الحرب والسلم، واعراض الدنيا واقبالها، وقوة الأعداء وضعفهم، بينما عرفنا في زعماء الدنيا تقلبا في العقيدة والمبدأ، وتباينا في الضعف والقوة، وتغيرا في الوسائل والأهداف،يظهرون خلاف مايبطنون خلاف مايبطنون، ويبادرون بغير مايعتقدون، ويلبسون في الضعف لبوس الرهبان، وفي القوة جلود الذئاب، وما ذلك إلا لأن هؤلاء رسل المصلحة، وأولئك رسل الله – شتان بين من يحوم فوق الجيف، ومن يسبح في بحار النور، شتان بين الذين يعلمون لأنفسهم والذين يعملون لانسانيتهم، شتان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن (٢٩) ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور، والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أو لئك أصحاب النار هم فيهاخالدون ﴾ [البقرة:٢٥٧].

ولانريد أن نتبحراكثر في الخطبة وأسلوبها ومكوناتها وصفات الخطيب وغير ذلك.

هوامش

١) دكتور/ منير حجاب، نظريات الاعلام الاسلامي، ص ١٥.
٢) دكتور/ أحمد غلوش، الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها، ص ١٠.
٣) الشيخ/ البهي الخولي، تذكرة الدعاة، ص ٣٠.
٤) الشيخ/ على محفوظ، هداية المرشدين الى طريق الوعظ والخطابة، ص ١٧.
٥) دكتور/ منير حجاب، نظريات الاعلام الاسلامي، ص ٢١.
٦) د/ منير حجاب، نظريات الاعلام الاسلامي، ص ١٨١.
٧) طريق الدعوة، مصطفى مشهور، ص ٣٠.
٨) د/ محي الدين عبدالعليم، الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العلمية، ص ١٦٨.
٩) د/ عماره نجيب، الاعلام في ضوء الاسلام، ص ١٢٠.
١٠) طلعت همام، مائة سؤال عن الاعلام، ص ١٠٧.
١١) د/ عبداللطيف حمزه، الاعلام في صدر الاسلام، ص ٢٠٤.
١٢) د/ ابراهيم اما، الاعلام الاسلامي (المرحلة الشفهية) ص ٧٧.
١٣) الأستاذ/ عبد الله ناصح علوان، حكم الاسلام في وسائل الاعلام، ص ٣٥.
١٤) أي المترددة الحائرة(بين الغنمين) لاتدري لأيهما تتبع (تعير) أي تردد وتذهب.
١٥) مختصر صحيح مسلم، الحديث رقم (١٩٤٢) ص ٥١٦.
١٦) بالكسر كير الحداد وهو المبني من الطين.
١٧) أي يعطيك.
١٨) أي تشترى منه.
١٩) مختصر صحيح مسلم، الحديث رقم (١٧٧٩) ص ٤٧٣.
٢٠) د/ محمد ابن لطفي الصباغ في مقدمته لكتاب القصاص والمذكرين لابن الجوزي، ص ٤٩.
٢١) د/ ابراهيم، الاعلام الاسلامي(المرحلة الشفهية) ص ١٣١.
٢٢) د/ ابراهيم امام، الاعلام الاسلامي(المرحلة الشفهية)ص ١٣١.
٢٣) د/ عبداللطيف حمزه، الاعلام في صدر الاسلام، ص ٤٣.
٢٤) طلعت همام، مائه سؤال عن الأعلام ،ص ٩.
٢٥) د/ ابراهيم امام، الاعلام الاسلامي(المرحلة الشفهية) ص ١٠٨.
٢٦) د/ محي الدين عبد الحليم، الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العملية، ص ١٥٨.
٢٧) د/ عبداللطيف حمزه، الاعلام في صدر الاسلام، ص ١٧٧.
٢٨) السيرة النبوية لابن هشام، المجلد الرابع، ص ٢٥٠.
٢٩) الدكتور/ مصطفى السباعي، السيرة النبوية، دروس عبر، ص ١٦٦.



لماذا تخلف المسلمون عن ركب الحضارة؟

يسألني النــاس إنك كنت في الشرق مـدة طويلـة. فما الـذي شهدت يـا ترى، ومـا عسى أن يكـون جوابي؟ إنني أقــول لهم: إنني رأيت الشرق من أقصاه، فما رأيت إلا قرى مقفرة، وشعـــوبا لا راعى لها، وجســـورا مهـدمة، وأنهارا معطلـة، وشـوارع مـوحشـة، رأيت وجـوهـا هـزيلـة متجعدة، وظهورا منحنية، ورؤوسا فـارغـة، وقلـوبا جـامـدة، وعقـولا منحرفة.

رأيت الظلم، والعبوديـة، والبؤس، والشقـاء، والـريـاء، والفــواحش المنكـــرة المكروهـــة، والأمـــراض الفاشية الكثيرة والغابـات المحرقة، والمواقد المنطفئة البـاردة، والحقول السبخة القاحلـة، والصور المقززة، والأيـــــادي المعطلـــــة والأرجل المشلـولة.. رأيت أئمـة لا تـابع لها، ورأيت أخـا يعـــادي أخــاه، ورأيت نهارا لا غـايـة لـه ولا هـدف، ورأيت ليـالي حـالكـة طـويلـة، لا يعقبهـا صباح مسفر، ونهار مشرق

تحقيق : مصطفى خليفة

.. هكذا صور الشـاعر التركي الكبير محمد عاكف العالم الإسلامي.

والصورة كما نرى شديـدة الظلمة مفعمة بـالتشاؤم والألم ونسأل لماذا أضحى العـالم الإســلامي هكذا؟ وبمعنــى آخر. لماذا تأخـر المسلمون عن ركب الحضـارة وتقدم غيرهم.. هذا هو موضوع تحقيقنا.

(القرآن كتاب عمل وحركة)

يجيب الـدكتـــور مصطفى محمـود.. لان المسلمين يقرأون كتـابهم بعيون الموتى، وهم في حـالــة قعود دائم وسكـون، ولا يبرحـون مكـانهم، فلا تطلق فيهم الآيـات قوة دافعـة للحـركـــة والعمل والبحث والاختراع.. مع أن القرآن الكريم كتاب حركة وعمل

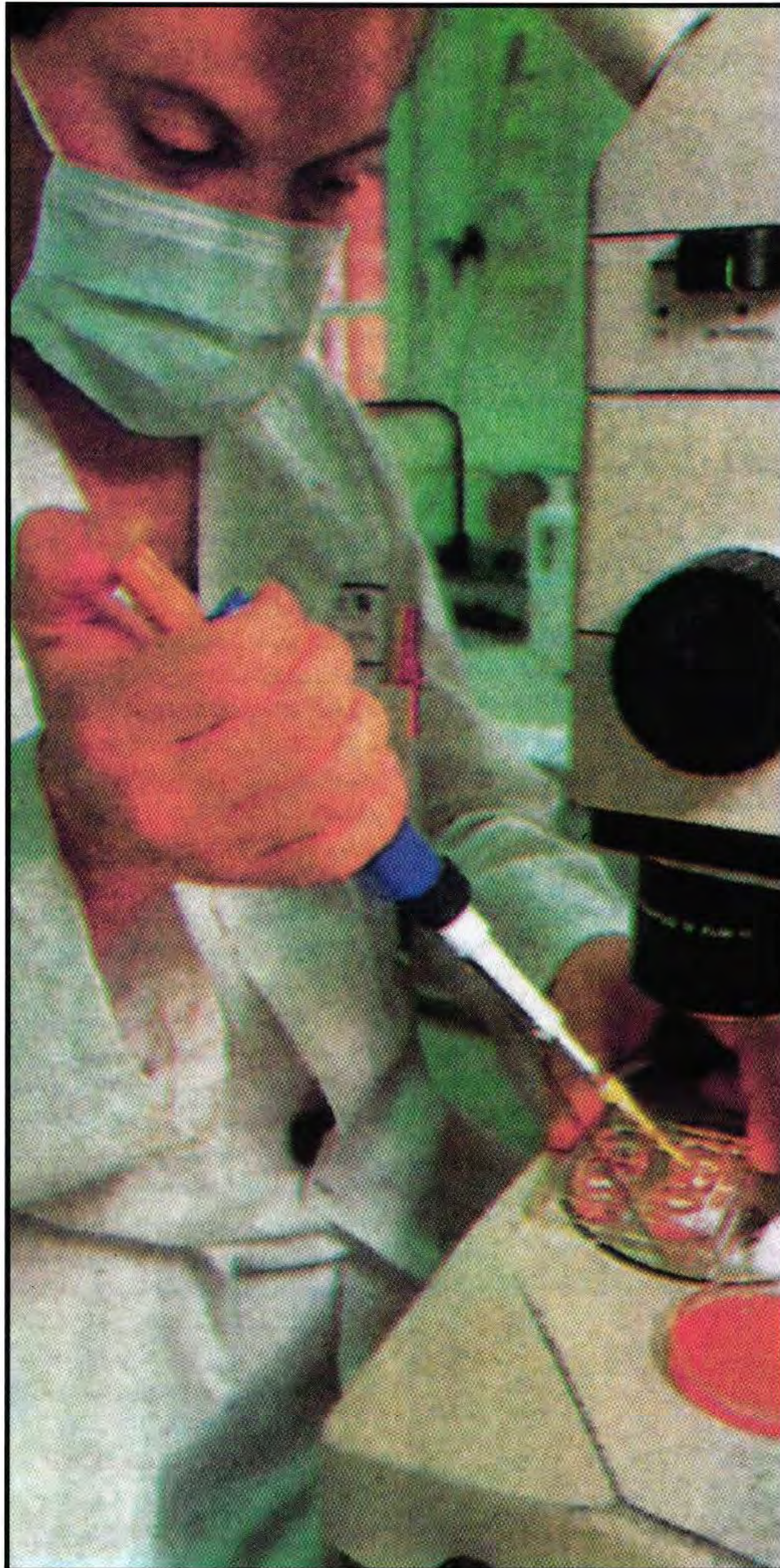
- ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ العنكبوت/ ٢٠.
- ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾ يونس / ١٠١.
- ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ التوبة/ ١٠٥.

وفي كل آيـة أمر بـالسير والنظر والحركـة والتفكـر والتـدبـر والتأمـل، وفي الإســلام ديـنـــاميكيــــة وإيجابيــــة وحض على العمل والسفـــر والسيـــاحـــة في الأرض والبحث العقلي.

لقد خرج عقبة بن نافع من قلب الصحراء العربية على فـرسه غازيا يـدعو إلى الله حتى بلغ الشمال الأفـريقي ثـم استمـر حتى بلغ أقصى الغرب. وعلماء المسلمين الذين صاغوا حضارة الغرب وتـزخر كتبهم بأسماء هؤلاء العلماء.. ولكن مـــاذا حــــدث، ولماذا هـــذا السكـون والسلبية والـرجعية في دين يأمـر بـــالحركـة والعمـل والانطـلاق في أرجـــاء الأرض؟

مذاهب التظليم

ولماذا يذهـب من يدعون بـأنهم أصحاب مـذاهب التنويـر إلى تنويـر آخر مـريب عن طريق التشكيك والتغـريب والعلمانية ينتهي بنا إلى الخروج عن الملة بـالكلية؟ لماذا لا ترى عيونهم التنـوير البـاطن بالفعل في كـل آية؟ والقـرآن نفسه كتـاب تنـوير من أول آيـة.. «اقرأ..» أمر صريح بالقراءة وطلب الاستنارة



والاستدلال. لم يفهموا كل هـذا، وتعاموا عنه وطلبوا التنوير من ديكارت وهيوم وأوجست كونت.. وكـان تنورهم يبدأ بـرفض الإسلام نفسه والتشكيك فيه، وفتح الباب لغزو ثقافي غربي يأتي ومعه آلته الاستعمارية. وعلى هذا الدرب سار سلامة موسى وطه حسين وبقية الطـائفة أصحـاب مـذاهب التنويـر وهم في الحقيقة أصحاب مذاهب التظليم.

أمـا بقيـة المسلمين فقـد ركنـوا إلى الكسل والتواكل والسلبية والجمـود ولم يفهموا من القرآن إلا ما تهوى نفـوسهم العاجزة التي لا تـريد أن تنهض لأي عمـل.. وهكذا ضـاعت حقيقة القـرآن وجوهـره من أيـدي أهله ولم يتبق منـه إلا حواشيـه. فالإسـلام الحقيقي مبعـد ومعتقل بين دفتي القــرآن وليس لـه وجود في الخارج.

الضعف الفكري والتفكك الاجتماعي

ويقول الـدكتور أحمد عبـدالرحيـم أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر: إن السبب في تخلف المسلمين عـن ركب الحضــــارة الإنســانيـة هــو الضعف الفكـري والتفكك الاجتماعي الذي أصـاب المجتمع الإسلامي. والضعف الفكـري: مـا أصيبت بـه أمـة من الأمم أو مجتمع مـن المجتمعــات إلا كــانت الحالــة، انحطـاطــا في التفكير، واهتمامــا بـالخرافات والأســاطير والتفكك الاجتماعي نتيجة حتميـة للضعف الفكري، لأن الضعف الفكري لا يكشف للإنســان مخاطر الانزلاق في الهاويـــة، ولهذا نجــد أن المجتمعــــات الإســلاميــة ابتليت بـالطــوائف المتعـددة والمتناحرة، والمذهبية التعصبية.

وانهيار الأمم يبـدأ من الداخل، وقـد يأتي تدخل خارجي ليعجـل بالسقوط. ولكن يظل الانهيار الـداخلي هو بدايـة النهاية وعـاملها الأكبر، ويأتي الانهيـار الداخلي حين تتكـون طبقـة مترفة تتحكم في الثـروة وفي الجماهير، فتنشر الظلم والانحــــلال، وتحيل حيــــاة الأكثـرية إلى جحيـم تهون فيه الحيـاة. كما يقـول الشيخ الغـزالي. وأيـة أمـة تضعف في أفكـارها، ولا تعـرف إلا القشـور من أمرهــا وتعيش في تنـاحـر وتمزق، لابـد وأن تسقط وينال منها من كان يهابها.

إن المجتمعـات الإسلاميـة.. حين أصــابها

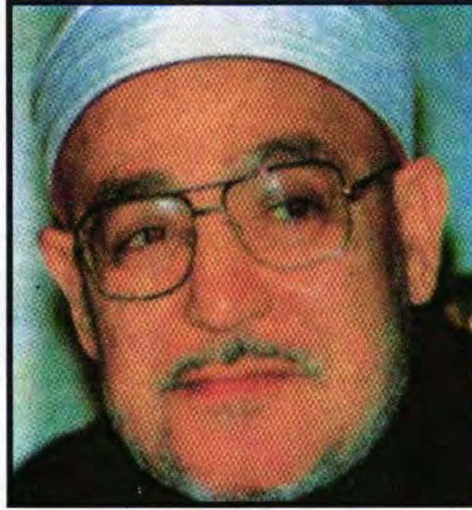
لماذا تخلف المسلمون عن ركب الحضارة

الضعف الفكري والتفكك الاجتماعي، انشغلت بالتافه من الأمور فقادتها التفاهة إلى التخلف عن ركب العلم والتقدم والحضارة. ومعنى هذا أن الأمة الإسلامية انصرفت عن تعاليم الإسلام التي تدعو إلى العلم والمعرفة واستعمال العقل والفكر في كل ما من شأنه أن يأخذ بالناس إلى الطريق السليم.

ويقول الدكتور أحمد كمال أبو المجد – مما لا شك فيه أن المسلمين تعرضوا وتعرضت حياتهم الفكرية والاجتماعية لركود وجمود حضاري ردهم عن مكان القيادة والتأثير، كما عرضهم بعد ذلك خلال مئات من السنين لعملية استلاب حضاري طويل تمثلت في انسلاخهم عن كثير من القيم الأساسية التي تقوم عليها عقيدتهم الإسلامية، كما تمثلت في قبولهم للعديد من المكونات الأخلاقية والسلوكية للحضارة الغربية في مرحلة أزمتها.. ولذلك اجتمعت في حياة الكثير منهم معالم تراجع الحضارة العربية والإسلامية، ومعالم أزمة الحضارة الغربية..وبينما أخذت كثير من الشعوب التي تعيش أزمة الحضارة المادية تتطلع بالأمل إلى الإسلام وقيمه ونظمه حتى ولو لم تذكر باسمه، وتتعرف على مصادره، ومنهج الأخذ من تلك المصادر.. فقد بقي المسلمون عاجزين عن المساهمة الفعالة في تحقيق هذا الأمل بسبب ما آلت إليه أوضاعهم من تراجع وتمزق وحيرة وعجز. وعلى امتداد العالم كله يتزايد وينتشر الإحساس بأن الثورات الصناعية والعلمية المتعاقبة قد مكنت الإنسان من تحقيق المزيد من السيطرة على البيئة، وتسخير الطبيعة، وتوفير العديد من أسباب اليسر المادي.. لكنها انتزعت من الإنسان الأمن والسكينة واشتد الإحساس بالقلق والخوف، وحل النهم في الأخذ محل الكرم في البذل والعطاء.

الإسلام مصدر القيم الإنسانية

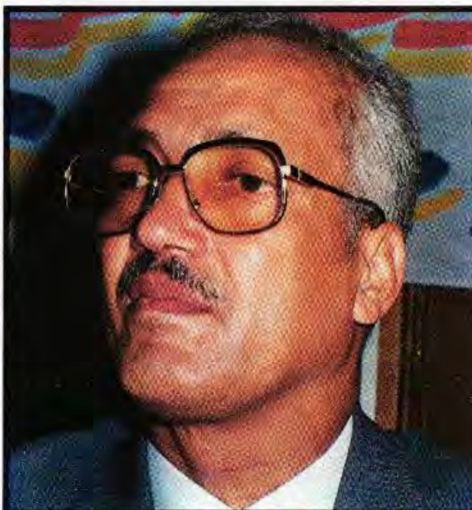
ويضيف الدكتور كمال أبوالمجد قائلا : ولما كان الإسلام – في جوهره – نظاما للقيم، يحفظ التوازن بين الإنسان الفرد والناس من حوله..كما يحفظ التوازن بين الإنسان ومطالبه المادية وأشواقه المعنوية.. فإن الإحساس بأزمة الإنسان المعاصر بدأ يأخذ صور التطلع إلى إحياء «القيم» الأساسية التي أوحت بها السماء إلى الناس والتي تنزلت بها كلمات الله على رسله وأنبيائه.. والتي جعلها الله كالرواسي الثابتة في الأرض، لولاها لمادت الأرض بمن عليها من الناس والشعوب.



الشيخ الغزالي

ولذا فإن الحاجة إلى إحياء قيم الإسلام ونشرها لم تعد حاجة موضعية قاصرة على المسلمين وإنما صارت حاجة عالمية لافكاك للمسلمين من النهوض لأداء مطالبها في غير ابطاء ولا تقاعس.

والتيار الإسلامي الذي تشتد الحاجة إليه، هو أساسا تيار في خدمة الناس، يفهم من معنى قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ آل عمران / ١١٠ أي أخرجت من أجل الناس ورحمة بهؤلاء الناس.



د. أحمد السايح



د. مصطفى محمود

هوان العقيدة في النفوس

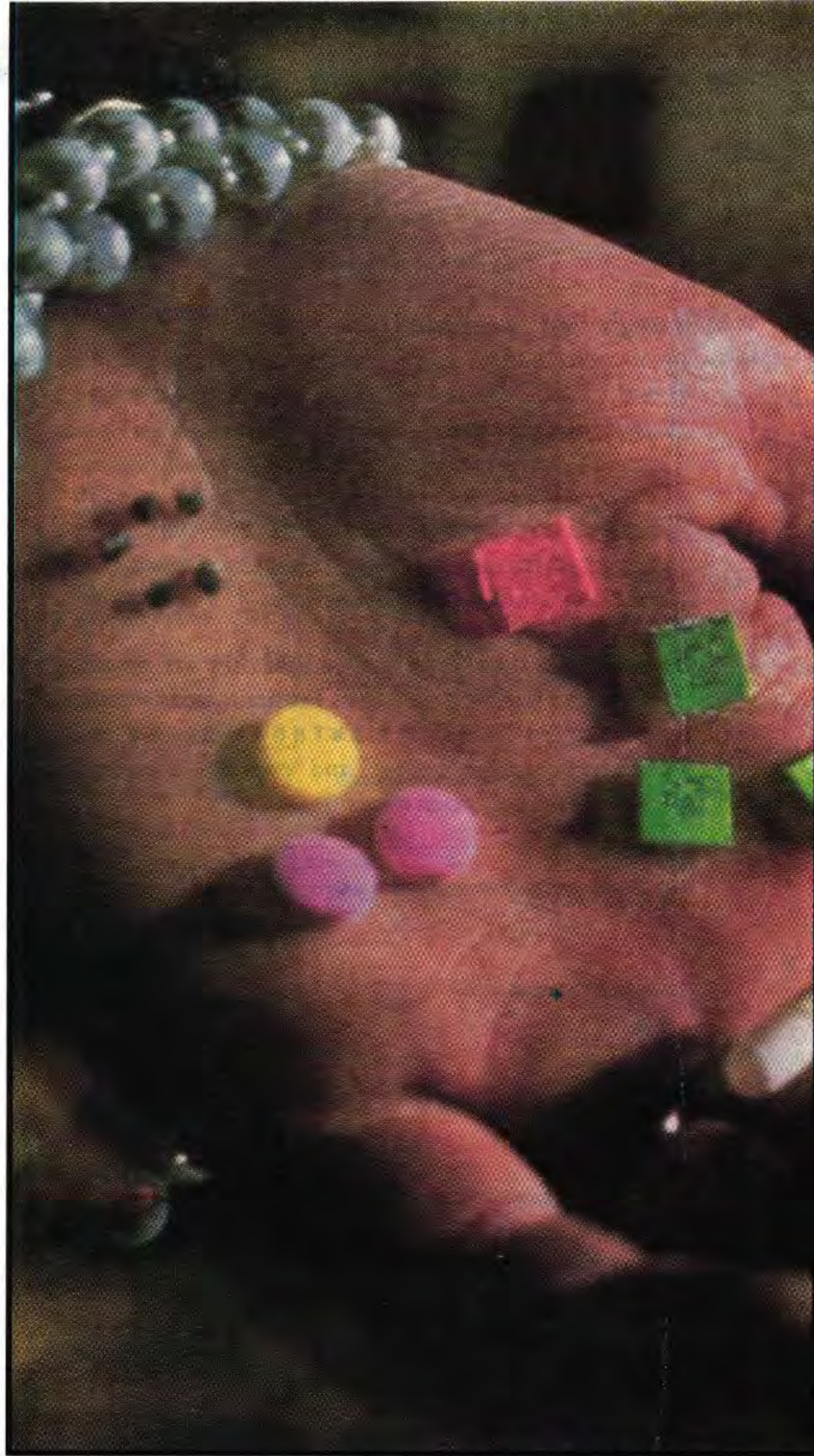
ويقول الشيخ محمد الغزالي.. إن الأمة الإسلامية تعيش في عصرها الحاضر فترة كئيبة من تاريخها الطويل وهي تمر بأيام عجاف، هزمت فيها.. وتألب عليها الأعداء فلم تبذل في مقاومتهم جهدا يذكر حتى استطاعت شتى الملل والنحل أن تكيد للإسلام وأهله، وأن تنزل بهم أفدح الهزائم، والسبب أن العقيدة الإسلامية في نفوس أهلها هانت وتأخرت ورجحت عليها حب الدنيا وحب الشهوات.

إن الإسلام أصبح في أقطار كثيرة من أرض الإسلام إشارة تمرد وتخلف ومصدر امتهان وإرهاب. بينما الآخرون ينتمون إلى دياناتهم بلا وجل ويعملون لها دون أن يعتبرهم أحد خارجين على القانون، وكأن الأمة الإسلامية مفروض على أبنائها أن يتنكروا لدينهم وأن يجعلوا ولاءهم لقيم مستوردة وأفكار غريبة!!

العودة إلى الإسلام

ويضيف الشيخ الغزالي.. بعد سؤاله عن كيفية الخروج من هذا المأزق. فيقول: إن الطريق واضح بين وهو أن يعود المسلمون ليدخلوا في الإسلام، حتى يعود إليهم ما افتقدوه ويثوبوا إلى رشدهم ونحن لا نيأس من هذه العودة المرتقبة لأننا نؤمن بقوله تعالى ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ آل عمران/ ١٣٩.على أن العودة إلى الإسلام ليست كلاما يقال أو هتافا يردد ولكنها عودة تعني بناء أخلاق قوية راشدة وشبابا يرعى العهود والأمانات وتعني إزالة الركود الذي تسلل إلى أوصال الأمة الإسلامية ■

احذر المخدرات



● الحبوب المخدّرة مغرية.. ولكن..

انتشرت في الفترة الأخيرة ظاهرة تعاطي المخدرات بصورة مقلقة بين شبابنا، ونشطت أسواق الخمر، وانتشرت منافذ السموم والعقاقير خصوصا بين الشباب والطلاب، وسرعان ماسقطت الضحايا نتيجة هذه السموم التي خربت العقول ودمرت النفوس وأزهقت الأرواح وسرى ضررها وخطرها في المجتمع سريان النار في الهشيم. وفي هذه العجالة السريعة لهذا الموضوع الشائك سنتعرف سويا على :أنواع المخدرات، رحلة المخدر داخل الجسم، أثر المخدرات على صحة الإنسان، وطرق العلاج وماطبيعة الشخصيات، المؤهلة لتعاطي تلك السموم. وماهو رأي الدين في تعاطي المخدرات؟

بقلم الدكتور: نبيل مأمون المرصفي *

المخدرات أنواع وهى إما مخدرات طبيعية أو مخدرات تخليقية.

١) المخدرات الطبيعية: وهى المشتقة من نباتات الخشخاش والقنب والكوكا والقات مثل:

* الأفيون: وهو عبارةعن العصارة اللبنية للخشخاش ويتعاطى عن طريق الأكل أو الشرب أو عن طريق الحقن بعد إذابته في الماء كما يدخن في بعض الدول كالصين.

* المورفين: وهو مشتق من الأفيون ويعتبر المادة الأولية للهيروين الذي يدخن أو يستنشق عن طريق الأنف أو يبتلع أو يوخذ عن طريق الحقن.

* الحشيش: ويستخرخ من نبات القنب الهندي ويدخن أو يؤكل.

* الكوكايين: ويستخرج من نبات الكوكا ويتم استنشاقه في صورته الفضية البلورية، كما يتم تعاطيه عن طريق حقن الوريد، ويقوم البعض بمضغ أوراق نبات الكوكا.

٢) المخدرات التخليقية: وهى التي تصنع بطريقة كيميائية مثل

* المهبطات: مثل أقراص «السيكونال» «والدورودين»

* المنشطات: مثل الهيروين

* عقاقير الهلوسة: والتي قد تكون أقراصا أو مسحوقا

* طبيب مصري

أو سـائلا وهـى تثير خيـال المتعاطي وتجعله يرى صورا أو أشخاصا غير مـوجودين. ومثـــال تلـك العقـــاقير (L.S.D) والمارجوانا.

رحلة الخدرات داخل جسم الإنسان

إن جلد الإنسان هو المحطة الأولى التى تتـأثــــر بمادة الهيروين والكـوكـايين عنـد إستنشـاقها، فـالمعـروف أن جـدران الأنف مـن الأمـاكن الغنية بالأوعية الـدموية وعلى ذلك يسهل امتصــــاص أي عقـار فبمجـرد الشم يلتصق مسحـوق الكوكـايين بجـدار الأنف المبطن بغشـاء مخاطي ويبـدأ بعـد ذلك الجسم في امتصاص المخـدر عن طريق الأوعيـة الـدمويـة الموجـودة داخل الأنف وتنفــذ مـادة الكـــوكـــايين من الأنف إلى الدورة الدموية وبالتالي تصل إلى الجهاز العصبي.

ويـلاحظ عنـد تعـاطي الكوكايين لفترة طويلة وجود ثقب كبير بـالحاجـز الأنفي ينتج عن تســاقط أجـزائه بسبب موت خلاياه.

والغـريب أن حاسـة الشم تنعـدم بمـرور الـوقت عنـد شمامي الهروين والكوكايين وذلك لضمـور عصب الشم نتيجـة لالتصـاق مسحـوق الهروبين بالجزء العلـوى من فراغ الأنف.

ويعتبر شكـل الأنـف مـن الداخل دليـلا واضحا وأكيدا على تعـاطى هــذه السمـوم البيضـاء.

أثر المخدرات على صحة الإنسان

تأثيرها على الدم:

من المعروف أن الـدم سائل أحمر وردي يتكون من سائل بـلازمـا الدم – ومن خـلايـا وتكون الخلايا من كرات الدم الحمراء وكرات الدم البيضـاء والصفائح.

ويكون الـدم ٨٪ من جسم الإنسـان وكما هـو معروف أن للدم وظائف هـامة منها: نقل المواد الغذائيـة المهضومـة إلى الكبـد وكـافـة أجـزاء الجسم ونقل الأوكسجين وتكـــوين وسـائل للدفـاع عن الجسم.. وما إلى ذلك من وظائف عديدة لايتسع المجال لذكرها.

فإذا كان للـدم تلك الأهمية البالغة فكيف يسمح الإنسان لنفســه أن يمـــزج دمـه بهذه السموم التي تعيق من دورته وتـؤدى إلى الإنيميـا وسـوء الهضم والإمتصـاص، كما أن مـــرونـــة الشرايين تضعف فتتمـدد وتغلظ حتـى تضيــق وتصـــــاب بـالتصلب ممـا يؤدي إلى جلطة في القلــب أو في الأوعية الدموية للمـــخ. وتعتبر هـذه الجلطـات أهم سبب للوفاة على الإطــــلاق وتسمـــــى في الولايات التحدة الأمـريكيــة – القــــاتـل رقم واحد.

تأثير المخدرات على الجهاز العصبي:

بـــدخـــول المخـــدرات إلى الدورة الدموية ينتقل مفعوله إلى موقع الخطر الكـامل وهو الجهـاز العصبـي المركـزي وأول جزء يتـأثر بـالمخدرات هـو المنطقـة التي تـربط بين

■ شيــــاطـــين المخدرات والخمور يـــركـــزون على عنصر الشبـــاب فيحـاربون الأمـة في حـــاضرهـــا ومستقبلها



● زراعة الخشخاش، الخطوة الأولى نحو الانهيار

فصي المخ... وهى المنطقـــة المســؤولـة عن الانفعـالات والتفكير «الذاكرة» والسلوك. وبعدها تتأثـر مراكز الحركة في الجسم ثم الإحســـاس ثم يصاب الإنسان بـالاكتئاب.. ومـــن الطبيعــي أن يحاول الجهـاز العصبي وخـلايـاه الدفـاع عن نفســه ضد المواد الدخيلة عليه فيستحدث نوعا من المنـاعة ضـدها وبـالتالي يحتاج المتعاطى لجرعات أكبر للحصـول على الأثــر نفســه وهذا هو الإدمان حيث يصبح الإنسـان بعد ذلك عبـدا لهذه المواد المدمرة لايستطيع العمل أو المذاكـرة أو التصرف دون تعاطيها.

ومن الجديـر بـالـذكـر أن الوفاة تنتج عادة عن هبوط في التنفس نتيجة شلل في مـركز التنفس في المخ الذي يؤدي إلى نقص حـاد في أوكسجين الدم وزرقة في الوجه والجسم.

تأثير المخدرات على الأنف والأذن والحنجرة:

إن استخدام الأنف كطريق لتعـاطي المخـــدرات ليس من قبيل المصـادفة فإن الغشـاء المخـاطي للأنف يحتـوي على شبكـة متشعبـة جـدا من الشعيرات الدموية ممايسهل الإمتصاص عن طريق الأنف.. لذلك نجـد أن المدمن يلجأ إلى أخـذ شمـة واحـدة في اليـوم تجنبـا لمشقـة أخـذ الحقن مـرات.. لما يتوهم مـن توفـر السرية.

وتعـــاطى المخــــدرات عن طريق الأنف يؤدى إلى ضمور وتآكل الغشاء المخاطي للأنف

احذر المخدرات

ومع استمرار التعاطي يصاب بثقب في الحاجز الأنفي وتشوهات بالأنف.

كما أن أغشية «دهليز» الأنف تحتقن ويتعرض المدمن لالتهابات متكررة في الجهاز التنفسي فيشعر بجفاف في الحلق والتهابات بالحنجرة وبحة بالصوت وسعال مستمر وقد يؤدى إلى نزلات شعبية ربوية مع ضيق في التنفس وطنين بالأذن وتأثر الدورة الدموية لجهاز التوازن بالأذن الداخلية وإحساس بالغثيان والدوار وعدم القدرة على الاتزان خاصة أثناء المشي والحركة.

هذه الشخصيات مؤهلة لتعاطي المخدرات

إن الأنسان الذي يدخل دائرة الإدمان هو شخصية ذو تركيبة محددة الأوصاف والأبعاد. التوتر يلازمه.. والإكتئاب يصاحبه، وتتفاعل داخله صراعات داخلية حادة وقد يواجه متاعب الفشل وقد يعانى من متاعب عائلية. وقد يكون فاقدا لوحدة الكيان الأسرى وقد تكون مجموعة عوامل متجمعة.

ويمكن أن تندرج شخصية الإنسان المدمن تحت ثلاث شخصيات:

١) الإنسان الذي يتمتع بشخصية سوية، وفي لحظة يقبل فيها تحدى اصدقاء السوء. أو ينزلق بحسن نيه، وبخطأ غير مقصود في صحبة الإدمان وهذه الشخصية تقبل «التوبة» وتعود إلى الاستقامة وينفع معها العلاج.

٢) الإنسان الذي يعاني من الاعتماد الدائم على الآخرين سواء كان الأب أو الأم أو شخص آخر وتجذبه الإغراءات بسهولة، ويتطلع إلى التصرفات التى تشد إليه الأنظار... وهذه الشخصية عادة ماتكون قد تلقت تربيتها في ظروف اجتماعية صعبة وفشل صاحبها في أن ينمي تلك الشخصية.فيهرب إلى الأحلام مع السموم البيضاء. ومثل هذه الشخصية تحتاج إلى علاج طبي ونفسي.

٣) الإنسان الذي عاش طفولته وتربى في وسط عائلي يتسم بالعنف له نزعات عدوانية ضد المجتمع وضد نفسه. وتظهر تلك النزعات في أشكال مختلفة لإيذاء النفس وإيذاء الآخرين. ومثل هذه الشخصيات تحتاج إلى علاج نفسي وطبي مكثف والإحتياط منها حتى لاتنتكس.

هل من أمل في الشفاء؟

نعم.. هناك أمل كبير في الشفاء. المهم هو التوبة والمواجهة الشجاعة والأهم من ذلك الإرادة القوية والعزيمة الصلبة.

من الشائع أن علاج المدمن يحتاج إلى فترات طويلة كما أن تكاليفه مرتفعة مما يجعل بعض المدمنين يتردد في العلاج. يبدأ العلاج بتخفيض عدد الجرعات التى يحصل عليها المريض ويتم استبدال العقار الذي اعتاد عليه بآخر له نفس التأثير ولكن مفعوله يستمر لفترة أطول فمثلا:

إذا كان المدمن يتعاطى ثلاثة جرامات من الهيروبين يوميا يمكن أن يعطى جراما واحدا من مادة أخرى مثل الميثادون.

والخطوة الثانية في العلاج هى: إستخدام الصدمات الكهربائية عن طريق الوخز بالإبر الكهربائية في مناطق معينة من الجسم لإعادة الحياة إلى الخلايا المتوقفة بسبب الإدمان ويتضمن العلاج أيضا سحب المخدر من الجسم بواسطة الحقن بمحلول الملح أو الجلوكوز لطرد المواد السامة المختزنة بالجسم.

كما يتضمن العلاج أيضا التغذية السليمة وممارسة الرياضة والاهتمام بالحالة النفسية للمريض.

حكم الدين

من القواعد الفقهية الثابتة أنه«لاضرر ولاضرار» ولقد حرم الاسلام تناول كل الأشياء التي تزيل العقل كالخمر وغيرها من المسكرات والمخدرات.

قال ﷺ : «ماأسكر كثيره فقليله حرام». وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله في فتاواه: «إن ماسمى بالحشيش حرام، وهو أخبث من الخمر من جهة إفساد العقل والمزاج وأنها تصد عن ذكر الله، وهى داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والمسكر لفظا ومعنى ومن استحل هذا الشيء ونحوه رغم أنه حلال فإنه يستتاب وإلاقتل ولايصلى عليه ولايدفن في مقابر المسلمين، وإن القليل منه حرام ايضا بالنصوص الدالة على تحريم الخمروكل مسكر.

وفي النهاية تبقي كلمة

إن أعداء الدين يتربصون بنا في كل مكان ويتسللون الينا بهذه السموم بغية الإضرار البليغ بنا وهى محرمة علينا. إننا جمعيا مطالبون بالتمسك بتعاليم الإسلام وتحصين انفسنا من شرور هذه الموبقات ..وإبلاغ السلطات فورا عن أوكار تجار هذه السموم ومهربيها ومتعاطيها لأن التستر عليهم إثم وجريمه في حق الأمة حتى نقضي عليهم ونحافظ على سلامة شبابنا.

يقول ﷺ : «إن الناس إذا رأوا المنكر ولايغيرونه يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه»[رواه أحمد] ■

■ اللجوء إلى الله والاعتصام بحبله على رأس طرق الوقاية والشفاء من الإدمان

يخطىء من يظن في القديم والحديث أن المسلم - في قيامه بتعاليم دينه الحنيف - ينأى عن الوعي المستنير، أو اليقظة المتفتحة، كما يجافي الحقيقة الملموسة كل من يرسم للمؤمن - في وداعته وسكينته - صورة الخامل المنخدع المرّة تلو المرّة، فليس المؤمن بهذا أو بذلك، إنما المؤمن الصادق هو الذي يترسم خطا نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، الذي كان في نهجه مثلا أعلى للإنسان الكامل في فكره ووعيه وفي يقظته التامة، واستعداده الكامل لكل ما يطرأ من شؤون الحياة، وفي خلقه، وسلوكه قبل كل شيء، وكان عليه الصلاة والسلام في علاجه التربوي، أو في تربيته الناجحة، يذكر التوجيه في مناسبته الملحّة حتى يجيء كالماء الفرات إثر صدى محرق..



● وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة

اليقظة في السّلم والحرب من أهداف الإسلام

بقلم: عبد الغني أحمد ناجي *

ففي مجال التنبيه إلى اليقظة والوعي، أو في مجال إيجاد نماذج من المسلمين تحرص في سلوكها الواعي على مايتطلبه الإسلام الحنيف من كمال اليقظة والإدراك، في هذا المجال أو ذاك يأتي التوجيه الهادف في الكشف عن أبرز مايميز المؤمن عن غيره من سمات وصفات، إن الذي يستمع لتوجيه الإسلام بتدبر وتذوق وإمعان، يرى صورة فذة لإنسان يتوقد ذكاء، ويتوهج وعيا، ويغنيه في فهم الأمور من حوله التلميح قبل التصريح، حتى لا يترك شاردة أو واردة إلا أحاط بها، وهو حكيم في تصرفه يضع الأمور في نصابها، ويدلي بالرأي فيصيب المحز..

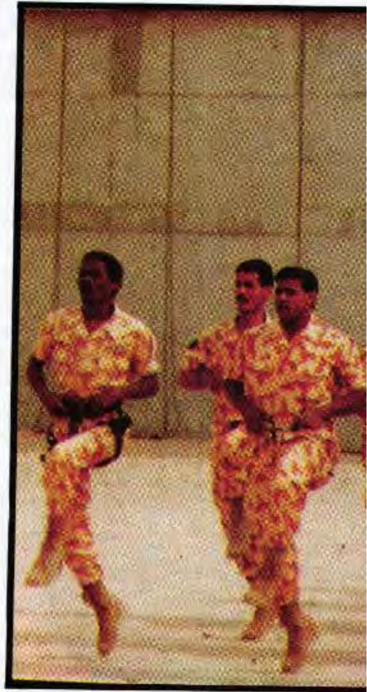
وليس ذلك عن ذكاء فطري فحسب، وإلا لمات من حُرقه كمدا، وإنما لأنه يضع يده في يد تعاليم الإسلام - إن صح ذلك التعبير - فتشده تلك اليد إلى أفق مترع بالعزة والوعي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لأنه يتعلم من تجارب الحياة مايكفل له الكياسة التي ينشدها الإسلام فيه، أو يدعوه إلى تحصيلها، لتكمل وتجمل شخصيته في مجتمعه..

والمسلم وهو بصدد تكوين كياسته بتجاربه ربما يكبو مرة، وهذه يغفرها له الإسلام شأن الوالد الرحيم الذي لا يؤاخذ ولده على أول هفوة، حتى لا يوصد أمامه الباب، أو حتى لا يدفعه دفعاً إلى اليأس والعناد، وبعد الكبوة الأولى ينبغي أن يكون المسلم على درجة كبيرة من الوعي واليقظة لمواضع قدمه حتى لا تزل أو تنزلق مرة ثانية، إذ لو حصل منه ذلك لكان دليلاً على غفلته غفلة لا يرضاها الإسلام الذي ينشد الحُصَفاء الواعين في مجتمعه السليم، ليكونوا أهلا لنشر النور بين البشرية، وأهلا لحراسة ذلك النور، والحفاظ عليه ممن يحاولون إطفاءه: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» [رواه أحمد].

ولا بد أن يلم المسلم بما يجرى في عالمه المحدود، وبما يجري في العالم الفسيح، لتحصل له المعايشة الفعلية لمعاصريه، فالإسلام لا يرضى لمسلم أن يعيش في دائرة خانقة، من فكر متبلد، ونظر كليل، ومن ثم أوجب الإسلام على المسلم طلب العلم، فمن مبادىء الإسلام الهادفة أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، لأن العلم هو الدعامة المتينة للوعي المنشود، والكياسة المبتغاة، ودعوة الإسلام إلى العلم من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى تجلية أو توضيح، ومن رحابة الجوانب بحيث لا يفي بها العرض السريع..

وإذا كان لابد من ذكر بعض الجوانب فلنذكر دعوة الإسلام الملحة إلى معرفة لغات

*الموجه العام للتربية الدينية بالفيوم - مصر



الغير، ومعرفة ما يحاك أو يـدبر للإسلام من كيـد، حتى نتقي الشرور الهدامـة التي تبغى تقويض مـايبنيه الإسـلام على مسرح الحياة من نماذج ممتـازة في مجال الفـرد والأسرة والمجتمع.

ثم نذكر أن مؤتمرات القمة الإسلامية - التي تعقـد في احـدى عـواصم الإسـلام في العصر الحديث - هي من صميم العمـل الإسـلامي البناء وهي استجابة أكيدة لدعوة الإسلام إلى الـوعي واليقظـة وإدراك مايجري في العـالم، وأنها - أي مؤتمرات القمة - بجانب تحقيقها الوعي واليقظة المنشودين - تحقق هدفا آخر نبيـلا وخطيرا هو اجتماع المسلمين في العـالم المائج المضطرب، حتى يكونوا قوة يحسب لها حساب، وهذا الهدف هو ما قصد إليه الإسلام الحنيف الحصيف حينما جعـل من بين الفروض التي فـرضها على المسلمين مـا يدعـو إلى اجتماع المسلمين في فترات متقاربـة أو متباعـدة، وفي نطاق محدود أو موسع..

فـالمسلمـون في صـلاة الجماعـة، والجمعـة والعيـديـن - في مـؤتمرات متلاحقـة، وهي وإن كانت ضيقـة إلا أنها تتيـح للمسلمين الـذيـن يحضرونها فـرصة اللقـاء لبحث مـا يهمهم من شـؤون تقـويتهم في دائرتهم - قـريـة كانت أو مـدينـة، وهم في الحج يكونـون في مؤتمر قمـة كبير يتيح لهم على مستوى أرحب لقاءً موسعاً لبحث مايهم الإسلام والمسلمين في جميع الانحاء والأرجاء وهذا هو المنشود. ولأهميـة هذه الاجتماعات والمؤتمرات الإسلاميـة كانت دعـوة الإسلام إليها شـديدة وملحة، فهي بـلا ريب محققة يقظـة المسلمين، وداعمة قـوتهم وكيـانهم في السلم والحرب..

وإذا كان الإسـلام يطلب من الفرد المسلم أن يكون قمـة في اليقظة وغـاية في الـوعي حتى يحقق الخير لنفسه ولمن يعـاشر، ويدرأ الشر عن نفسـه وعن بـلاده - فإنـه يطلب من المسلمين جميعـاً أن يكـونـوا في اتحادهم وتضـامنهم على درجـة عظمى من اليقظـة والوعي أيضـا حتى لا يطمع فيهم طامع، أو يعتدي عليهم معتد، فهم دعاة سلام حقا..

ولكن السـلام لا يعني أن يغفلوا ويتهـاونوا، ومن ثم فرض الإسلام على المسلمين في وقت الحرب ألا يتركـوا حراسـة الحدود والثغـور ولـو من أجل عبـادة مفـروضة كـالصـلاة، فرسم الإسـلام لصلاة الحرب نظامـا دقيقا يعـرفه كل من يتصفح كتب الفقـه، وكل من يقـرأ قـول اللـه تعـالى: ﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طـائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طـائفـة أخـرى لم يصلـوا فليصلـوا مـعك وليأخـذوا حـذرهم وأسلحتهم ﴾ [النساء/١٠٢].

وهو نظام دقيق حقا يكفل للمسلمين الحفاظ على الصلاة، والحفاظ على الحياة تجاه أعداء اللـه وأعـدائهم.

وجـاءت دعـوة الإسـلام إلى القيـام بهذه المرابطـة بأسـاليب جـاذبـة تتمثل في رصـد الجوائز الطائلـة لمن يتمسك بـاليقظـة فيحمي حـدود المسلمين، قـال رسـول اللـه ﷺ: «رباط يوم في سبيل اللـه خير من الدنيـا ومـاعليهـا» [رواه أحمد]..

■ وداعة المسلم وعي مستنير، ويقظة متفتحة، بعيدة كل البعد عن الخمول

وهـذا قليل من كثير من الآيـات والأحـاديث التي تـدعو بإلحاح إلى يقظـة المسلمين في كل وقت، وبخـاصـة في وقت الشـدة والخطـر، فيقظـة المسلمين في الحروب إطار يتمثل فيـه الاتحاد الكامل، والتخطيـط السليم للمعارك، وتبـادل الرأي السـديد، ثم السير إلى هـدف واحـد نبيل يحتوي كل الأهـداف والغايـات، وهو نصرة دين الله تعالى، لينصرنا الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ [محمد/٧]..

والذي يقـرأ السيرة النبويـة الشريقة، ويقف عند غـزوات الرسـول ﷺ يجد هذه اليقظة بـاديـة بشكل يبشر بـالنصر، وكـان رائدَ المسلمين في مجال اليقظة التـامة والـوعي هو رسول الله القائد، ولا ينسى التـاريخ موقفه الحصيف قبيل نشـوب الحرب في غزوة بـدر الكبرى حينما أجـاب من سأله عن قبيلتـه - وهو يستكشـف مواقع المعركة وأماكن الأعداء - بقولـه عن نفسه وعـن صديقـه ورفيقه في الاستكشـاف أبى بكر الصـديق «كِلاَنـا من ماء» [رواه ابـن اسحاق في السيرة النبـوية] فلم يكـذب، ولم يخلف الـوعـد، فكل حيّ من مـــاء، ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ [الانبياء/٣٠] فما أروع تلك الحيطة واليقظة في أعصب الأوقـات درءا للخطـر، وحفظـا للأمن، وصونا للقوة والأسرار، ليتحقق الفوز والانتصار..

والمسلمون اليوم، وبعد اليوم في ظروف تدعو إلى الاتحاد والتضـامن تحقيقـا لليقظـة التي ينشـدهـا دينهم الحنيـف، لمواجهـة القـوى الطـامعـة والطامحة والهادفـة إلى تقـويض صروح مجد الإسلام، وتفتيت قوة المسلمين حقدا، أو خوفا أو خبثا..

وبعد، فإذا كانت اليقظـة والوعي مطلبين من أهـداف الإسـلام في الفـرد المسلم، والأمـة الإسـلامية - مهما تبـاعـدت الديـار - فإن النتيجة البـاهرة، والثمـرة اليانعـة تدعـوان الفـرد المسلم، والأمـة المسلمـة إلى منتهى اليقظـة، وغـايـة الـوعي في معترك الحيـاة، فالنتيجـة والثمرة نصرٌ مبين وفـوز عظيم في الحروب، ونجـاح وفـلاح، وخير وفير، وعـزّ كبير في وقت السلم والأمـان. وصـدق رب العزة في قوله الداعـي إلى اليقـظة: ﴿ يا أيها الـذين آمنـوا خـذوا حـذركم ﴾ [النساء/٧١] ■

من أعلام الأندلس في الفقه والسيرة، والأديان المقارنة والتاريخ والأدب نثرا وشعرا. له إسهامات خاصة متميزة في الحضارة الإنسانية بصفة عامة، والحضارة الإسلامية لا سيما في ثلاثة ميادين:
– الفقه الإسلامي بصفة عامة، ووفقا للمذهب الظاهري بصفة خاصة، وقد تبنى ابن حزم المذهب الظاهري ودافع عنه بحماس وحدة مما أقحمه في كثير من المعارك مع المذاهب الإسلامية الأخرى لا سيما المذهب المالكي الذي كان سائدا آنذاك في الأندلس. وقد ظهر موقف ابن حزم الفقهي في كثير من المواقف والمؤلفات أشهرها كتابه الموسوعي الكبير

ملامح الفكر التربوي عند ابن حزم الأندلسي

– والأديان المقارنة والرد على الديانات والمذاهب الأخرى لا سيما أن الأندلس كانت زاخرة بطوائف يهودية ومسيحية متعددة، كما أن المواجهة العسكرية والثقافية بينها وبين أوروبا كانت مستمرة دائبة. وظهرت مواقف ابن حزم في هذا الميدان في سلوكه وانتاجه الفكري لا سيما في كتابه الشهير (الفصل في الملل والأهواء النحل) بأجزائه الأربعة..
– وأخيرا السيرة الذاتية بكتابه الصغير الشهير (طوق الحمامة في الألفة والألاف) حيث يحكى بصدق وتلقائية، وبعذوبة وطلاوة. تجاربه هو وبعض أصدقائه ومعارفه في الحب ومعانيه، وأسبابه وأعراضه..

علْم موسوعي

بقلم الدكتور: حسان محمد حسان

وحياة حافلة

ووفقا للمعايير الثقافية للقرن الحادي عشر الميلادي قلما نشر رجل دين وعقيدة – مسلما كان أم غير مسلم – مثل هذه الاعترافات الساخنة الحية. واستغل خصوم ابن حزم – وهم كثر – هذا الكتاب ضمن أسلحة الحملة الدينية السياسية المشهرة ضده باعتبار أن اعترافات كهذه لا يصح أن تصدر عن فقيه مسلم. وعلى العكس من ذلك فإن بعض الدارسين يعتبرون كتاب (طوق الحمامة) وثيقة نفسية اجتماعية هامة كتبها فقيه مسلم شهير تمرد فيها على بعض تقاليد حضارته الإسلامية، وعلى المعايير السائدة آنذاك في حضارات عالمه..
والثابت أن ابن حزم عاش حياة خصبة ثرية جسدت التفاعل الجدلي بين تألق وازدهار الحضارة الأندلسية من جهة، والبدايات الأولى لضعفها وتراجعها من جهة أخرى. ومع البحث والتأليف مارس السياسة والحكم سنوات متفرقة وسط عوامل قلق واضطراب دفعت به للسجن والنفي بحكم عوامل متعددة أهمها انتماؤه السياسي للأسرة الأموية من جهة، واختلافه المذهبي من جهة أخرى..
وعمر ابن حزم ما يقرب من ٧٢ عاما حيث ولد مع نهاية القرن العاشر الميلادي وعاش حتى ستينات القرن الحادي عشر (٩٩٤ – ١٠٦٣م) أي مع نهاية القرن

الرابع وحتى بعد منتصف القرن الخامس وفقا للتقويم الهجري الإسلامي (٣٨٤ - ٤٥٦هـ)..

اشتهر ابن حزم بالموسوعية والغزارة، والعمق والأصالة، لذلك كان فقيها بين الفقهاء، وأديبا بين الأدباء، ومؤرخا بين المؤرخين وعالم أديان مقارنة ليس له نظير، وصاحب دراسة متميزة عن الحب والمحبين.. ولم يقتصر الأمر على غزارة الإنتاج وعمق التناول، وحدة المعارضة وحرارة النقد، بل امتد إلى التميز في المنهج، والاستقلال في المذهب ومن هنا كانت ريادة ابن حزم للمنهج الظاهري في الاندلس معارضا للمذهب المالكي الذي كان سائدا بين الأندلسيين، حكاما ومحكومين..

ومما يستحق الإشادة أن منهجه لم يقتصر على أمور العقيدة. والفقه، بل امتد لسائر ميادين بحثه وفنه، نثره وشعره، وفي هذا المنهج لم يكن مقلدا كل التقليد، متبعا كل الأتباع، بل اختلف عن شيخه أبي داود الظاهري، صاحب المذهب ومؤسس أركانه. وفي ذلك يقول ابن حزم:

«أبو سليمان داود شيخ من شيوخي، إن أصاب الحق فنحن معه اتباعا للحق، وإن أخطأ اعتذرنا له، واتبعنا الحق حيث فهمناه».. وبرغم الموسوعية والأصالة، فلا بد من الاعتراف بأن للرجل سقطاته وأخطائه: فطبيعته المتطرفة، وحدَّة لسانه ومرارة نقده، والأمراض التي أثقلت عليه، والنكبات التي لاحقته، ومنهجه المتطرف حينا، المتجمد حينا آخر، كل ذلك - وغيره - جعل له آراء شاردة. وتفسيرات مبالغا فيها، وليس من مهمة هذه المقالة تتبع ذلك والرد عليه فتلك مهمة كتب الفقه والأصول، أفاضت فيها وأطنبت..

وكذلك ليس من مهمة هذه المقالة تتبع فكره فقيها وكاتب سيرة مؤرخا وعالم أديان، أديبا وفنانا، فتلك ميادين رحبة أفردت لها عشرات الكتب العربية والأجنبية وبخاصة الأسبانية..

هل كان ابن حزم اسبانيا؟

وللأسبان موقف خاص من ابن حزم.. فعدد كبير من مفكريهم يعتبرونه أسبانيا دما ولحما، تاريخا وثقافة، فكرا وسلوكا ولكنه ولد - لسوء طالعه - عندما كانت بلاده محكومة بالغزاة المسلمين!! ومن هؤلاء المستشرقين سانتشت البرنس، وغرسيه غومث فقد، اعتبرا كل ملامح عبقريته ترجع لدمائه الأيبرية، وثقافته الأسبانية، وبقايا التراث والورع الممتد إليه من أجداده الكاثوليك!

إلا أن بعض عمالقة الفكر الأسباني مثل (اسين بلاثيوس)، و(أورتيجا) رفضوا هذه الاتهامات وردوا عليها بموضوعية وأمانة، وعمق وتجرد ومن موقع فكري مرموق، ومكانة علمية مشهودة، وقد كتب (بلاثيوس) كتابا عن ابن حزم يعتبر درة شامخة قام الدكتور (الطاهر مكي) بترجمته عن الأسبانية..

مجمل القول: إن هذه المقالة تركز على جانب واحد عن فكر ابن حزم قليلا ما طُرق، ونادرا ما عُولج. والسبب في ذلك يرجع إلى أسباب أهمها:

* أن كتاباته فيه قليلة شحيحة في حين كانت غزيرة متنوعة في ميادين أخرى. فوسط مايربو على أربعمائة كتاب ورسالة صنفها ابن حزم - ويبدو الرقم مبالغا فيه - لا نجد إلا صفحات قليلة تعالج قضايا التربية والتعليم..

* أنه لم يحترف عملية التدريس والتأديب، من هنا لم يركز عليها تركيز المربين والمؤدبين، المعاصرين له أو السابقين عليه.

إذن هذه المقالة تلقي بعض الضوء على ملامح فكره التربوي، وبخاصة موقفه من الدعوة لتبسيط العلم ونشره بين الناس، وآداب ومجالس العلم والعلماء، والاهتمام بالعقل والتركيز عليه، وتصنيفه للعلوم، ودعوته للتكامل بينها، ودعوته للتوسع في العلم والتعليم.

تبسيط العلم ونشره

في كتاب ابن حزم «التقريب لحد المنطق» دعوة حارة لتبسيط العلم وتقديمه ليس فقط لأكبر عدد من الدارسين، بل أيضا لأكبر عدد من الراغبين، فالعالم الحق «يسهل علمه، ويقربه بقدر طاقته، ويخففه ما أمكن، بل لو أمكنه أن يهتف به على قوارع طرق المارّة، ويدعو إليه في شوارع السابلة، وينادي عليه في مجامع السيارة لكان ذلك حظا جزيلا، وعملا جيدا، وإحياء للعلم»..

وابن حزم عندما نادى بذلك كان تعبيرا عن حضارته الإسلامية التي فتحت باب العلم، وشجعت عليه بجميع الوسائل. كما كان ثمرة للثقافة الأندلسية التي جعلت التعليم الابتدائي في قرطبة - مثلا - يكاد يكون مجانيا إجباريا، وفي ذلك يقول الدكتور: الطاهر مكي: «مجانا لأن العاجزين ما كانوا يحرمون منه، وإجباريا بضغط المجتمع نفسه دون حاجة لقانون.. فالتجار وأصحاب الحرف والصناعات كانوا يرفضون قبول عمال أميين في مهنهم حتى لو كانت لا تحتاج إلى قراءة وكتابة»..

مثل هذا الوعي الإسلامي الحضاري مازالت بعض مجتمعاتنا المعاصرة تبحث عنه وتسعى إليه، ومثل هذا الوعي هو الذي انجب ابن حزم وآلافا غيره من دعاة نشر العلم وتعميمه، تبسيطه وتسهيله، دون تمييز أو تفرقة، حجب أو منع..

ولم يكتف ابن حزم بذلك بل طالب الأثرياء

■ انعكست بيئة ابن حزم على توجهه العلمي والفقهي، وقد أبدع في مدرسة متميزة عن المذهب المالكي السائد، كما أبدع في دراسته المقارنة للأديان والفرق

ملامح الفكر التربـوي عند ابن حزم الأنـدلسي

بتقديم الهبات والتبرعات تشجيعا للعلم، وحفزا للمعلمين والمتعلمين.. كل ذلك بشرط الا يتحول المتعلمون إلى شره المال، أو حب المناصب وفي ذلك يقول: «من اشتغل بطلب العلم ليكون سببا إلى كسب المال فقد جمع بين عيبين عظيمين: ترك أخصر الطرق وركب أوعرها وأقلها فائدة، واستعمل الفضيلة التامة في اقتناء حجارة لا يدري متى تدعه أو يدعها»..

ويبدو أن ابن حزم لم يكن يعبر عن القرن الخامس الهجري فحسب، بل كان يستطلع القرن الخامس عشر! ومن ثم قال في رسالة «مراتب العلوم»:

«إن صحبة السلطان وعمارة الأرض والتغلب في التجارات كل ذلك يدر دخلا أكبر من دخل المشتغل بالعلم. ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل إن أوجه الكسب المادي لا تحتاج إلى علم غزير أو عالم نحرير، بل ربما ينجح فيها الجاهل الاغتم - أي غير الفصيح».

آداب مجالس العلم

يناقش ابن حزم في كتابه «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» ضرورة الأدب والتأدب عند حضور مجالس العلم، مع ضرورة توافر الرغبة في البحث والاستزادة، وليس الرغبة في تصيد الأخطاء، أو المباهاة والاستعراض فإن حضرت هذه المجالس فالتزم أحد ثلاثة أوجه: «إما أن تسكت سكوت الجهال، وإما أن تسأل سؤال المتعلم، أو تراجع مراجعة العالم»(١)..

وفي نفس الوقت يطالبنا ابن حزم بالموضوعية والتأني، والتدقيق والحرص، فلا نقبل بالتصديق، أو نقطع بالبطلان من غير سلامة القلب ونزاهة الحكم من غير أحكام مسبقة.

ومحاولات ابن حزم - وغيره - للالتزام بالموضوعية كثيرا ما فقدت الطريق لأسباب شخصية واجتماعية، من هنا اعترف ابن حزم:

«لقد أصابتني علة شديدة، ولّدت على ربوا في الطحال شديدا، فولّد ذلك عليّ من الضجر، وضيق الخلق، وقلة الصبر والنزق، أمرا حاسبت نفسي فيه، إذ انكرت تبدل خلقي، واشتد عجبي من مفارقتي لطبعي» (٢)..

وهذا اعتراف صريح وجريء من فقيهنا الكبير، وعلى العكس من ذلك فكم من مفكر وسياسي - قديم ومعاصر - يعاني من أمراض جسمية ونفسية ولا يجرؤ أحد على مصارحته بذلك أو محاسبته على نتائجه!

الاهتمام بالعقل

يمايز ابن حزم بين الحس والعقل، الظن والتخيل ويفحص كل وسيلة منها ويدرك حدودها، من هنا يقول في كتابه «التقريب لحد المنطق»..

* الحواس السليمة رغم أهميتها وضرورتها للإدراك السليم إلا أنه لا يمكن الاعتماد عليها فقط لأن الخداع والهوىَ قد يؤثران عليها ومن ثم يجيء ضعفها وعجزها.

* أما الظن فأكذب دليل، وقد نبه الله تعالى إلى هذا بقوله في كتابه الكريم ﴿إن بعض الظن إثم﴾ الحجرات/١٢، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الظن أكذب الحديث».

* وأما التخيل فقد يسمعك صوتا حيث لا صوت، ويريك شخصا ولا شخص، من هنا قال تعالى ﴿يُخيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ طه/٦٦. وبذلك أخبرنا المولى بكذب التخيل.

* وأخيرا يأتي العقل الذي يثق فيه ابن حزم ويعول عليه: «فليس بين قوى النفس شيء يوثق به أبدا غير العقل ففيه تمييز مدركات الحواس السليمة والمخذولة بالمرض»(٣).

ويعود مرة أخرى لتأكيد قيمة العقل ودوره: «فإليه نرجع في صحة الديانة، وصحة العمل الموصلين إلى الفوز بالآخرة، وبه نعرف حقيقة العلم ونخرج من ظلمة الجهل، ونصلح تدبير المعاش».

واحترام ابن حزم للعقل، انعكس على فقهه، من هنا كان من أكثر فقهائنا تأييدا للاجتهاد، لهذا أكد في الجزء الأول من «المُحلى» «لا يحل لأحد أن يقلد أحدا لا حيا ولا ميتا، وكل أحد له الاجتهاد بحسب طاقته»(٤).

لهذا كله وضع ابن حزم لنفسه قاعدة فقهية جرّت عليه المشاكل وأودت به إلى المزالق: «المجتهد المخطىء أفضل عند الله من المقلد المصيب»!!

مثل هذه القاعدة - وغيرها - دفعت صاحبها إلى بعض الآراء الشاردة والتفسيرات المبالغ فيها كما سبقت الإشارة في مقدمة هذه المقالة.

العلوم والدعوة لتكاملها:

في رسالته «مراتب العلوم» صنفها إلى سبعة أقسام: الشريعة، واللغة، والأخبار، والفلك، والعدد، والطب، وأخيرا الفلسفة. والعلوم الثلاثة الأولى تختلف فيها الأمم من حيث المحتوى وطريقة التناول، بينما تتشابه الأربعة الباقية من حيث الحقائق والمحتوى.

وليس المهم الآن الدخول في تفاصيل كل علم من العلوم السابقة ويكفي تأكيده على وحدتها وترابطها: «فالعلوم التي ذكرنا يتعلق بعضها ببعض ولا يستغنى منها علم عن غيره»(٥).

والمؤكد أن بعض المفكرين المسلمين صادروا بعض هذه العلوم رفضا لها وتأكيدا لقيمة العلوم الإسلامية، إلا أن ابن حزم تجاوز ذلك ودافع عن سائر العلوم بقوله:

«من طلب علوم العرب وازدرى سائر العلوم بمنزلة ليس في يديه من الطعام إلا الملح، ويظن أنه ليس هناك أفضل منه»!!

وهكذا كان ابن حزم مخلصا لتنوع وتعدد، وتكامل وترابط العلوم مع عدم تناسيه لمنطلقه الإسلامي، وتخصصه الفقهي، وبذلك كان تعبيرا عن ثقافة رحبة وعصر

منفتح، وعقل متسع وتكوين متكامل.
ودعوته للتكامل بين العلوم وعدم إهمال فرع منها تتفق مع دعوته السابقة لاحترام العقل وتقديره، وتتفق مع وجهة نظره في تبسيط العلم ونشره، ودعوته لفتح باب الاجتهاد والتأكيد عليه.
فالعقل أداة أساسية للإدراك البشري، والتوغل في ميادين المعرفة المختلفة، التي لا ينبغي حصرها في مواد بعينها، أو حصرها في عدد قليل من الطالبين.

ضرورة التوسع في التعليم

لخوليان ريبيرا تعليق على التعليم بالأندلس بأنه كان مجانيا وإجباريا. ونفهم من مجاني أنه كان بالنسبة لمن لا يملكون نفقاته، وإجباري بمعنى أن الرأي العام فرضه، ولم يكن عملا أو تشريعا قامت به السلطة، فبعض أصحاب الأعمال كانوا يرفضون أن يقبلوا في مصانعهم صبيانا لا يعرفون القراءة والكتابة، حتى ولو كانت مهنتهم لا تتطلبها.(٦)
ومعنى ذلك أن الاهتمام بنشر التعليم والتشجيع عليه وصل إلى حد الالزام بالتعليم بدون إلزام رسمي وقد أشرت إلى ذلك في الملمح الأول منذ صفحات عندما ناقشت «تبسيط العلم ونشره». ونشر العلم وتعميمه كان خاصية إسلامية أندلسية حرص عليها كثير من خلفاء وأمراء الأندلس، من ذلك ما قدمه الحكم بن عبدالرحمن عندما تولى خلافة قرطبة في مطلع النصف الثاني من القرن الرابع حيث أجمعت المراجع على أنه اتخذ المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين مجانا، وأجرى على هؤلاء المعلمين رواتب ثابتة بحيث أنشأ خلال مدة حكمه – التي استمرت ستة عشر عاما – سبعة وعشرين مكتبا بمدينة قرطبة فقط (٧)..
وعند ابن حزم وصلت هذه المسألة إلى قمتها، فنظرا لكونه فقيها يريد نشر العلم لكل الناس، ونظرا لكونه ظاهريا يرفض التقليد والقياس، لذلك – ولغيره – يقول: «يجبر الإمام أزواج النساء وسادات الأرقاء على تعليمهم شريعة الإسلام إما بأنفسهم وإما بالإباحة لهم لقاء من يعلمهم. وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك وأن يرتب أقواما لتعليم الجهال. وفرض على أية جماعة مسلمة تعلم أحكام الشريعة الإسلامية» (٨)..
إذن هنا تأكيد على تعليم الفئات المحرومة من نساء وأرقاء وفي نفس الوقت إلزام وفرض فيما يتعلق بالحد الأدنى من العلوم الشرعية..
وبعد هذه الفروض الواجبة على كل مسلم عاقل تبدأ عند «ابن حزم» فروض الكفاية بحسب التخصصات والاحتياجات التي تختلف عند الأمير عن القاضي أو التاجر أو صاحب المال.. إلخ..
والذي لا شك فيه أن ابن حزم اختلف في تأكيده هذا عن بعض الفرق والمدارس الأخرى داخل حضارتنا الإسلامية لاسيما الصوفية. فالمعروف أن الصوفية طلبوا علوما معينة ركزوا عليها ورفضوا غيرها رفضا باتا.. والفقهاء – لا سيما في العصور المتأخرة – اكتفوا بالعلوم الشرعية واللغوية وأوصدوا الباب أمام غيرها..
أما فقيه الأدباء وأديب الفقهاء فقد كان أقرب للمدرسة الفلسفية مع انطلاق من علوم الشريعة، وتوجيه سائر العلوم بحيث تؤدي إلى مزيد من الإيمان بالباري سبحانه وتعالى، ومزيد من فهم المخلوقات والظواهر..
والجديد في الأمر أن الالزام الذي دعا إليه ابن حزم في التعليم ارتبط بالمصالح الاجتماعية والاقتصادية.. من هنا أكد أن الدين الإسلامي فرض على الأغنياء في كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكاة بهم ولا في سائر أموال المسلمين فيقام لهم بما يأكلون ويلبسون ويسكنون» (٩)..
ومثل هذه الدعوة الحارة الجادة ما أحرى أن نفهم أصولها ونجني ثمارها بحيث تتخلص المجتمعات الإسلامية المعاصرة في كثير من مشاكلها وعيوبها وتنطلق في مسيرة حضارية متكاملة يتحقق فيها التكافل والتكامل، والتعاون والائتلاف وتتكاتف فيها الجهود الرسمية والشعبية، النظامية وغير النظامية..
هذه مجرد ملامح وسوانح عن الفكر التربوي لابن حزم يحسن قبل الانتهاء منها الإشارة إلى رسالة «عبدالبديع الخولي» التي حصل بها على درجة الماجستير من كلية التربية – جامعة الأزهر عام ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م، عن «الفكر التربوي في الأندلس» وفيها فصل كامل عن الفكر التربوي لابن حزم، والاطلاع عليها يضيف للقارىء معلومات أغزر، وعمقا أوفر. كما أن كاتب هذه السطور سبق له في عام ١٩٨٥م أن أصدر كتابا نشرته دار الفكر العربي بالقاهرة يحمل عنوان «ابن حزم الأندلسي: عصره ومنهجه وفكره التربوي» لعل المراجع له يجد تفاصيل جديدة بالمناقشة والتحليل□

المراجع

١ – ابن حزم الأخلاق والسير في مداواة النفوس، تحقيق وتقديم وتعليق الطاهر مكي، القاهرة، دار المعارف ١٩٨١، ص ٢٥٣ – ٢٥٦.
٢ – المرجع السابق، ص ٢١١.
٣ – ابن حزم، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، بيروت، د.ت. ص ١٧٦ – ١٨٠.
٤ – ابن حزم، المُحلى، الجزء الأول، القاهرة، مكتبة الجمهورية العربية، ١٩٧٦، ص ٨٦.
٥ – ابن حزم، رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة الخانجي، ١٩٧٤، ص ٨١.
٦ – خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس – أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة الطاهر مكي، القاهرة، دار المعارف ١٩٨١، ص ٥٠.
٧ – محمد عبدالحميد عيسي، تاريخ التعليم في الأندلس ص١٣١ – ١٣٣.
٨ – ابن حزم، الاحكام في أصول الأحكام، الجزء الخامس ص ٦٩٠ و٦٩١.
٩ – ابن حزم، المُحلى، الجزء السادس، مرجع سابق، ص ١٥٦.

لاشك أن التربية هي اداة الحضارة ووسيلتها في تخليد ذاتها وضمان انسيابها وتناقلها عبر الأجيال. ويكون فعل التربية في الحضارة هو رسم هذا الفعل وتحديد مداه والتأثير في سلوك الفرد الإنساني حتى ينسجم مع الانماط الاجتماعية السائدة.

ولا ينكر إنسان أن مبادىء التربية الإسلامية هي الاساس المتين الذي قامت عليه الحضارة الاسلامية التي استمرت في تفوقها ثمانية قرون لا منافس لها - فقد قدس الاسلام العلم والعلماء، وسما بالعلم الى درجة العبادة، وعني بالتربية الروحية والدينية والخلقية، يؤكد ذلك ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من قواعد وأصول تعتبر خير طريق في هذا المجال.

محمد بن سحنون

مباديء التربية الاسلامية هي الاساس المتين الذي قامت عليه الحضارة الاسلامية

كانت التربية في صدر الاسلام تبدأ في البيت عن طريق المحاكاة والتلقين، ذلك ان الطفل ينشأ فيرى أهله يرتلون القرآن، ويقيمون الصلاة ويصومون رمضان، ثم يؤمر بهذه الفروض في سن السابعة ويضرب إن تركها في سن العاشرة. فالحقبة الممتدة بين الهجرة النبوية الشريفة وتدوين الحديث في بداية القرن الثالث الهجري تميزت تربويا بالوضوح والاستقرار والبعد عن التنظير، وظلت كذلك حتى بدء المرحلة الثانية من مراحل تطور الفكر التربوي الإسلامي، نتيجة للفتوحات شرقا وغربا، واتساع العمران وارتفاع شأن الحضارة، مما ادى إلى تنظيم أمر التربية.كان المسجد يقوم بدوره الهام والأساسي في المحافظة على التراث الإسلامي، وكان بمثابة الجامعة اليوم من حيث أهدافه التربوية، كما كان القرآن الكريم اوسع كتاب مقروء في ذلك الزمان.

أغراض التربية الاسلامية

وفي عصر الدولتين - الأموية والعباسية

بقلم: بهيج بهجت سكيك

- اختلفت أغراض التربية وأهدافها وذلك حين بدأ التمايز الطبقي الاجتماعي والاقتصادي يظهر في المجتمع الإسلامي حيث تميزت ثلاث طبقات اجتماعية هي:

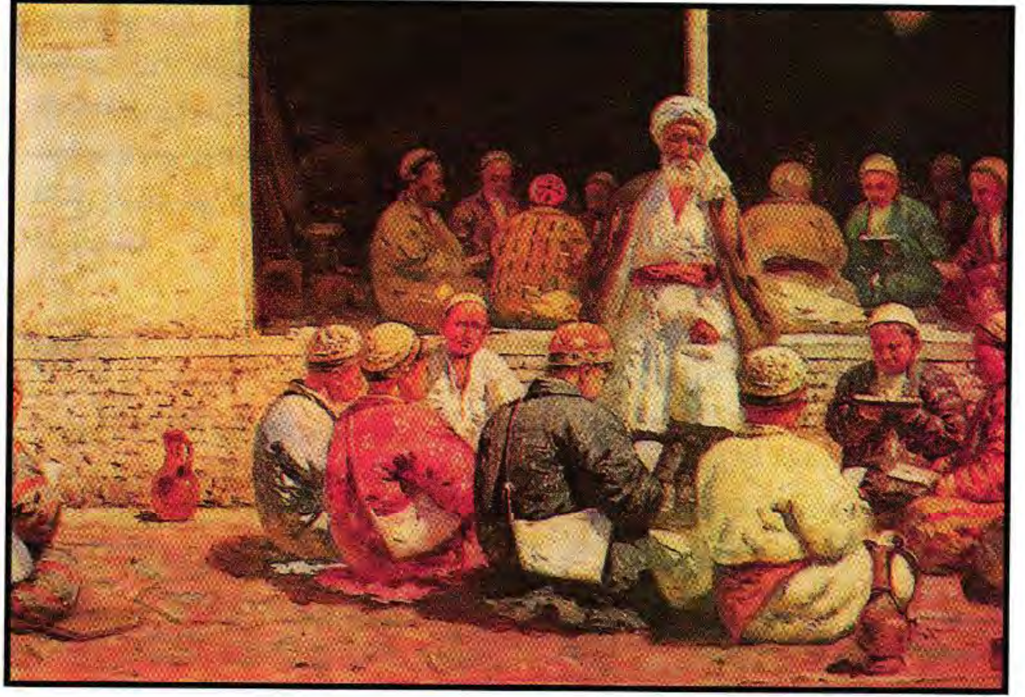
١ - الطبقة الوسطى وسواد الشعب ويقوم بتعليمهم معلمو الكتاتيب وأساس التربية عندهم القرآن الكريم وبعض الآداب الدنيوية كالشعر ومبادىء الحساب.

٢ - طبقة الأمراء والوزراء وعلية القوم ويقوم بتعليم أبنائهم المؤدبون، ومنهج التربية عندهم القرآن الكريم، الأدب، الحكمة، التفسير، الشعر، المنطق، الفلسفة.

٣ - ابناء الخلفاء وهؤلاء يعدون اعدادا خاصا يتناسب وأهمية وعظم المكانة التي سيحتلونها ويقوم على تربيتهم كبار المؤدبين، ومن رسالة الخليفة - هارون الرشيد - الى الكسائي مؤدب ابنه نستطيع ان نتعرف على مستوى التربية المطلوب لمثل هؤلاء: (أقرئه القرآن، وعرفه الآثار، وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره مواقع الكلام وبدأه، وامنعه من الضحك إلا في اوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده إياها من غير أن تخرق به فتميت ذهنه ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة).

انه منهج متكامل للتربية الارستقراطية في أوج الحضارة الإسلامية يؤكد أهمية العقيدة وأولوياتها، فهي أولا، ثم التاريخ والأدب والأحكام واللغة واحترام الرابطة العائلية، واحترام القادة وهم رصيده العسكرى - كما يؤكد أهمية استغلال الوقت وعدم تعريض المتعلم للكبت والتشدد ثم يأخذ بمبدأ الثواب والعقاب.

بدأ الاهتمام بالتربية كعلم له خصوصياته منذ فترة مبكرة في عهد الدولة الاسلامية، واحتلت نظريات التربية جانبا مهما من كتب ومصنفات كبار العلماء المسلمين، بالاضافة إلى اهتماماتهم ببقية فروع المعرفة، من علوم دينية وتاريخ وفلك



وكيميا ورياضيات وغيرها.

أعلام في عالم التربية

– أسد بن الفرات بن سنان (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م) الأمير القاضي، سمع من مالك بن أنس وصاحب أبي حنيفة النعمان،

– ابن مسكويه (ت ٢٤١ هـ/ ٨٥٥م) الشيخ ابوعلي احمد بن محمد.

– ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) محمد بن سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، وهو موضوع مقالنا هذا.

– القابسي (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) ابوالحسن علي بن محمد المعافري (تلميذ ابن سحنون).

– ابن جماعة (ت ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م)

– ابن سينا (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) الشيخ الرئيس ابوعلي الحسين عبدالله بن الحسين.

– الغزالي (ت ٥٠٥ هـ/ ١١١١م) الإمام ابوحامد محمد بن محمد الغزالي.

– ابن خلدون (ت ٨٠٩ هـ/ ١٤٠٦م) الوزير – السفير – القاضي عبدالرحمن ابن خلدون.

محمد بن سحنون

هو محمد بن عبدالسلام بن سعيد بن حبيب التنوخي – لقب ابوعبد السلام بـ(سحنون) لحدةّ ذكائه، فقد كان إماماً عالماً بالمذهب المالكي، الّف في جميع العلوم وفي المغازي والتاريخ، توفي سحنون سنة ٢٤٠هـ.

أما محمد فقد ولد سنة ٢٠٢هـ بمدينة القيروان التي كانت تشهد نهضة ثقافية وعمرانية كبيرة في ذلك الوقت بعد استقرار الأحوال السياسية فيها، مما جعلها مصدر اعتزاز أهلها بها، فهي أول العواصم الإسلامية، لا لإفريقيا فحسب بل لبلاد المغرب كلها. وقد كلف ذلك المسلمين التضحية بالرجال والمال من اجل تثبيت الدين الاسلامي في هذه البلاد، منهم رجال عايشوا الرسول الكريم ﷺ وآمنوا به، وانطلقوا يبشرون بالدين الجديد.

ففي أول حملة للمسلمين في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان سنة ٢٧ هـ على بلاد إفريقيا اشترك عدد كبير من صحابة الرسول ﷺ منهم (العبادلة) وهم عبدالله بن سعد بن أبي السرح (ت ٣٦هـ) وعبدالله بن الزبير ابن العوام (ت ٧٣هـ) وعبدالله بن عباس بن عبدالمطلب (ت ٦٨هـ) وعبدالله بن جعفر (ت ٨٠هـ) وهو آخر من رأى الرسول ﷺ من بني هاشم.

وعبدالله بن عمر (ت ٧٣هـ) وعبدالله بن مسعود (ت ٣٢هـ) وعبدالله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ) وابلوا بلاء حسنا. قتل في هذه الحملة (جريجور) قائد البيزنطيين ومعه عدد كبير من جيشه، وعاد جيش المسلمين محملا بالغنائم. يعتز أهل القيروان بهذه الحملة التي جرت عند (سبيطة) القريبة من القيروان، ويسمون مدينتهم مدينة الشهادة والاستشهاد.

اصبحت (القيروان مدينة أم أمصار، وقاعدة اقطار، وكانت اعظم مدن المغرب قطراً، وأكثرها بشراً واربحها تجارة وأكثرها جباية وأنماها ربحا) بهذا وصفها الادريسي في (كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق).

في هذه البيئة نشأ محمد بن سحنون، وكان أبوه الامام سحنون تلميذا لأسد بن الفرات الذي نشر المذهب المالكي في أفريقيا، فقد اخذ عنه سحنون أمر نشر هذا المذهب، والّف كتابه المشهور (العمدة)، بل ان سحنون تفوق على أستاذه أسد بن الفرات، وعارضه بمسائل رجع عنها، تولى سحنون والد محمد القضاء في القيروان، والى جانب القضاء تصدر للتدريس، وتخرج عليه عدد كبير من الطلبة المغاربة والاندلسيين منهم ابنه محمد.

صفات ابن سحنون

توسم فيه والده منذ الصغر استعداداً واضحاً وذكاء فطريا بارزا، بل ان والده تفرس فيه الإمامة، فهو يقول لمؤدبه: لا تؤدبه إلا بالمديح ولطيف الكلام، فليس هو ممن يؤدب بالضرب والتعنيف، فإني ارجو ان يكون نسيجا وحده، وفريد أهل زمانه، واتركه على نحلتي، واخاف ان يكون عمره قصيرا.

لقد صحّت تقديرات أبيه في كل ما قدّر، فقد حفظ محمد بن سحنون القرآن الكريم والعلوم الأساسية ثم تفقه على يدى أبيه، بل صار يناظره وكان يؤلف في حياة والده.

وفي سنة ٢٣٥ للهجرة ارتحل محمد بن سحنون الى المشرق لأداء فريضة الحج، وطلب العلم، ومر بمصر، واستقبله هناك اعلام الفقهاء وجلس بجامع عمرو بن العاص في الفسطاط، وتحلق عليه العلماء وسألوه. كما أخذ عن علماء مصر. منهم عبدالرحمن بن القاسم وابن عبدالحكم، ثم

محمد بن سحنون

قصد الى الحجاز فوصل الى المدينة المنورة، ودخل مسجد الرسول ﷺ حيث وجد جماعة كبيرة من العلماء محلقة على (أبي مصعب احمد بن أبي بكر الزهري) يتناقشون في مسائل فقهية، فتدخل ابن سحنون ونبههم الى جزئية تتعلق بمسألة من تلك المسائل، فقررها أبومصعب ثم سأله من أي البلاد أنت؟ فأجاب محمد من افريقية. فسأله الشيخ: من أي بلدة منها؟ أجاب محمد: من القيروان، فرد الشيخ: ينبغي أن تكون احد رجلين: إما محمد بن سحنون وإما محمد بن لبدة ابن أخي سحنون، لأن هذا العلم وهذه المعرفة لا تكون إلا من أهل دار سحنون. إذن سبقت شهرة ابن سحنون رحلته، هذه الرحلة التي كان لها أثرها الكبير في حياة ابن سحنون الدينية والعلمية، رجع من رحلته المشرقية الى العاصمة الافريقية مزودا بتجربة غنية وعلم غزير.

مؤلفات محمد بن سحنون

كعادة علماء عصره. كان ابن سحنون كثير الوضع للكتب غزير التأليف، الف في جميع فنون العلم كتبا كثيرة تنتهي الى المائتي كتاب، وقد ذكر القاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك وتقريب المسالك معظم مؤلفات ابن سحنون والتي من اشهرها كتاب – الجامع – ويقع في ١٠٠ جزء، والمسند في الحديث، مسائل الجهاد، الحجة على النصارى، طبقات العلماء، وكتاب (الإمامة) الذي وصل الى بغداد واعيدت كتابته بماء الذهب واهدى الى الخليفة.

أما كتاب (آداب المعلمين) وهو يتناول مبادىء وآراء حول التربية الإسلامية في ذلك العصر، وهو الذي اعطى محمد بن سحنون شهرته، يرى بعض الكتاب ان المائتي كتاب هي عدد المؤلفات والاجزاء المكونة منها.

كتاب آداب المعلمين

على كثرة ما الف محمد بن سحنون إلا أن اسمه ارتبط بـ (كتاب آداب المعلمين) ولعل ذلك يرجع الى سببين أولهما:

قلة عدد المشتغلين بالتربية في تلك الحقبة، وقلة عدد من كتبوا فيها فهو أقدم كتاب في التعليم. وثانيهما: مانقله عنه كبار العلماء في هذا المجال من أمثال العلّامة بن خلدون في مقدمته، وابوالحسن القابسي في كتابه الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين، وأحكام المعلمين والمتعلمين.

أما في العصور الحديثة فقد تناول سيرة وكتاب ابن سحنون بالدراسة والتحقيق المقارن كل من:

– الأستاذ/ حسن حسني عبدالوهاب في كتابه (آداب المعلمين مما دون ابن سحنون) تونس ١٩٣١م.

– الدكتور/ أحمد فؤاد الاهواني رسالة دكتوراه حول (التعليم في رأي القابسي) القاهرة ١٩٥٥م.

– الدكتور/ محمد أسعد طلس في كتابه (التربية والتعليم في الإسلام) بيروت ١٩٥٧م

– الدكتور/ محمد عبدالمولى في كتابه (آداب المعلمين) تونس ١٩٦٩م.

طبع في الجزائر ويتميز بوجود صور زنكوغرافية لصفحات هذه المخطوطة الفريدة.

كانت هذه المخطوطة محفوظة لدى مفتي تونس الشيخ/ بلحسن النجار، ثم انتقلت الى المكتبة الصادقية التابعة لجامعة الزيتونة وأخيرا استقرت في دار الكتب الوطنية.

تحتوي مخطوطة (كتاب آداب المعلمين) على ست أوراق (١١ صفحة) ومقاسها ١٩,٥سم X ١٤سم، كتبت بخط دقيق متشابك الحروف ذكر في أولها اسم المؤلف وفي آخرها اسم مؤلفها وناسخها.

على أن الدكتور محمد عبدالمولى استطاع ان يحصل على صورة ميكروفيلمية لنسخة خطية ثانية لكتاب (آداب المعلمين) محفوظة في الخزانة العامة بالرباط. إلا انها ناقصة وفيها محو وتحريف.

تضمنت المخطوطة الأساسية – الاصلية – مسائل رئيسية في التربية منها: ماجاء في تعليم القرآن الكريم، ماجاء في العدل بين الصبيان، ما يكره محوه من ذكر الله، وفي الأدب، وفي القضاء بعطية العيد، واجارة المعلم ومتى تجب، وما يجب على المعلم من لزوم الصبيان.

لقد استند ابن سحنون في كل هذه المسائل على أحاديث الرسول ؛: فحول ماجاء في تعليم القرآن الكريم يرجع الى حديث الرسول ﷺ : عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمّه» [رواه البخاري]، وفي حديث آخر: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع آخرين» [رواه مسلم]، وذكر تسعة من احاديث الرسول الكريم.

وهذه أهم آراء ابن سحنون في تربية المتعلمين:

– الأولوية لتعليم القرآن الكريم، وحث المتعلمين على العمل بما جاء فيه.

– العدل بين الصبيان وعدم التمييز بينهم – الفقير والغني – وهذا ما فطنت اليه النظريات التربوية الحديثة.

– جواز تأديب الصبية إذا ما خالفوا وفق شروط محددة – مبدأ الثواب والعقاب.

– عدم جواز تقاضي المعلم هبة أو هدية فوق أجرته، وهذا مانرى منه الكثير الآن.

– جواز اعطاء الصبية الاذن في العطل والأعياد على الاخص عيد الفطر وعيد الأضحى.

– لا يشغل المعلم وقته بغير تعليم

محمد بن سحنون صاحب كتاب (آداب المعلمين)
من ابرز اعلام التربية الاسلامية في صدر الاسلام

الصبية في الوقت المحدد للتعليم، ولا يعمل عملاً آخر، ولا يعود مريضا، أو يتبع جنازة، الخ.

- لا يجوز للمعلم ان يرسل الصبيان في حوائجه وتسخيرهم وأهليهم لقضاء مصالحه.

- لا يجوز الجمع بين الذكور والإناث في التعليم في مكان واحد: (اكره للمعلم ان يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان، لأن ذلك فساد لهم).

- يجب على المعلم تعليم الصبيان أركان الإسلام من صلاة وصوم ومحاسبتهم عليها.

لم يتطرق ابن سحنون الى أهمية تعليم الصبيان بعض العلوم الدنيوية كالحساب والتاريخ والجغرافيا مثلا.

ابن سحنون والقابسي

كما اقترن اسم محمد بن سحنون بمخطوطه (كتاب آداب المعلمين) فقد اقترن اسم القابسي باستاذه ابن سحنون فهو تلميذه الذي سار على نفس نهجه في التربية. كما اجتهد في تثبيت مذهب مالك في القيروان والمغرب.

والقابسي هذا هو العلاّمة: ابوالحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي، المعروف بالقابسي الفقيه القيرواني.

والقروي المعافري نسبة الى قرية تسمى (المعافرين) من اعمال قابس وهي مدينة تونس الآن، وهو ليس بقابسي انما ولي القضاء عليها. بل هو من القيروان وفي هذا يقول القابسي لأبي بكر الصقلي حول هذه التسمية:

(وكذّب عليّ وعليك فسموني القابسي وما أنا بقابسي، وإلا فأنا قيرواني، وأنت دخل أبوك مسافراً الى صقلية فنسب إليها).

اعتمد القابسي على استاذه ابن سحنون في كثير من الآراء التربوية واختلف معه في بعضها.

ومقارنة بما كتب ابن سحنون هذه أهم آراء القابسي في التربية:

- العلوم التي تدرس قسمان: اجباري واختياري، القرآن الكريم، والصلاة والنحو والقراءة من العلوم الاجبارية. بينما الحساب والشعر والتاريخ من العلوم الاختيارية.

- يرتبط التعليم بالدين ارتباط الوسيلة بالغرض. وحيث انه لا يستطيع احد من المسلمين ان يدعي احتكار الدين لنفسه فيجب ان يتعلم الجميع (مبدأ إلزامية التعليم).

- أيد القابسي استاذه ابن سحنون في وجوب فصل الذكور عن الإناث في التعليم (ومن صلاحهم ومن حسن النظر إليهم، لا يخلط بين الذكران والإناث).

- استحباب التعطيل يوم الجمعة حتى للمعلم الذي يستأجر شهريا: (وكذلك بطالة الاعياد على العُرف المشتهر المتواطأ عليه ثلاثة أيام في الفطر. يوم قبل العيد ويوم العيد فيوم ثانيه، وخمسة أيام في الأضحى، يوم قبل النحر وثلاثة أيام النحر واليوم الرابع وهو آخر أيام التشريق ثم

■كانت التربية في صدر الاسلام تبدأ في البيت عن طريق المحاكاة

يعودون الى معلمهم في اليوم الخامس من أيام النحر، هذا وسط في الرفق.

- يرى القابسي ان الضرب يقع من المعلم الجافي الجاهل وهو ينهي عن ضرب الصبي والمعلم غضبان، والضرب على التعليم انما هو لخطأ الصبيان.

كتب الدكتور أحمد فؤاد الاهواني (إذا كان لابن سحنون فضل الصدارة في تحرير كتاب خاص في تعليم الصبيان فللقابسي مزية التوسع في هذا الموضوع، والاضافة في أبوابه المختلفة، والترتيب الذي يدل على استقرار فكرة التعليم في الذهن والعمل على بيان السبل المختلفة المؤدية الى تحقيق الغاية المنشودة منه.

(وقد اختلط الأمر على العلاّمة ابن خلدون فنسب ما للقابسي الى ابن سحنون، ومرجع ذلك أن القابسي نقل عن سحنون ما في كتاب آداب المعلمين بلفظه في بعض المواضع وباختلاف يسير في مواضع آخرى.

قالوا في ابن سحنون

- القاضي عيسى بن مسكين - من معاصريه: (خير من رأيت محمد بن سحنون، كان جامعا للخصال من الخير، منها: العلم والورع ومعرفة الأثر وكثرة الايثار والتفقد للأخوان).

- الطبيب احمد بن الجزار: (كان ابن سحنون امام عصره في مذهب أهل المدينة بالمغرب جامعا لخلال قل ما اجتمعت في غيره، من الفقه البارع، والعلم بالأثر والجدل، سمحاً بماله، كريماً في معاشرته، نفاعاً للناس، مطاعا، وجيها عند الملوك والعامة).

- الدكتور محمد اسعد طلس في رسالة دكتوراه سنة ١٩٥٧م: (كتاب آداب المعلمين، اقدم الكتب العربية، وهو كتاب لطيف الحجم الفه محمد بن سحنون في سياسة الاطفال وتعليمهم وتأديبهم، وبحث في قواعد التربية وآدابها عند المسلمين).

وفاة ابن سحنون

صحّت مخاوف والده الامام سحنون في (ان يكون عمره قصيرا) حيث توفي بعد وفاة ابيه بست عشرة سنة وكان عمره اربعا وخمسين عاما، وسنة وفاته هي ٢٥٦هـ، توفي بالساحل وجيء به الى القيروان ودفن بمقربة من قبر أبيه).

تبقى حقيقة واحدة، إن الاسلام وحده كان القوة المنسقة والمقاربة بين أفكار المربين الاسلاميين على مر العصور، وان الإسلام وحده هو المسئول عن هذا التشابه العظيم الذي كاد أن يكون تطابقا في الأهداف التي توخوها وفي طرق التعليم التي مارسوها ■

بنو إسرائيل ووعد الآخرة

يقول الله؛ سبحانه؛ في الآيات (٤ - ٧) من سورة الإسراء: ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلُنّ علوّا كبيرا. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا. ثم رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا ﴾.

بقلم الأستاذ: أمين محمد عثمان

لقد حكم الله - سبحانه - على بني إسرائيل .. أن يفسدوا في الأرض مرتين - وهو قضاء لا مرد له - ولهذا جاء الفعل مؤكدا ﴿ لتفسدن ﴾ وهذا من ابتلاء الله لهم وغضبه عليهم.. - لما سبق من علمه - جل شأنه - من أنهم لن يستقيموا على هدى.. ولن يسكنوا إلى عافية! والمفسرون لهذه الآيات، قد اختلفوا في الزمن الذي يقع فيه هذا الفساد، في كل مرة من المرتين.. وهل وقعت هاتان المرتان أو لم يقعا بعد؟.. أم وقعت إحداهما ولم تقع الأخرى.؟

والذي عليه أكثر المفسرين أن هاتين المرتين قد وقعتا بالفعل.. وان إحداهما كانت عند الأمر البابلي على يد (بختنصر الذي استولى على دولة بني إسرائيل ودمرها تدميرا.. وهدم (بيت المقدس) وساق القوم أسرى إلى (بابل) سنة ٥٨٥ ق.م وأما المرة الثانية فكانت بعد أن قتلوا نبي الله يحيى أو ما يسميه الغرب (يوحنا المعمدان) وهذا القضاء اخبار من الله تعالى لهم بما سيكون منهم.. حسب ما وقع في علمه الإلهي من مآلهم - لا أنه قضاء قهري عليهم.. تنشأ عنه أفعالهم.. فالله - سبحانه - لا يقضي بالإفساد على أحد ﴿ قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ [الأعراف/ ٢٨] إنما يعلم الله ما سيكون علمه بما هو كائن فما سيكون - بالقياس إلى علم الله - كائن.. وإن كان بالقياس إلى علم البشر لم يكن بعد ولم يكشف عنه الستار..

والمفسرون في إشارتهم إلى وقوع وعد الآخرة.. كانوا معذورين في ذلك.. لأنهم نظروا عند تدوينهم لهذه التفسيرات.. لم يجدوا لبني إسرائيل دولة.. ولم تقم لهم قائمة فهم مشردون في أقصى الأرض.. والعالم كله ثائر عليهم.. يستذلهم ويستعبدهم، بالإضافة إلى بعدهم نهائيا عن (بيت المقدس)..

ولو أن المفسرين أزاحوا حجب الغيب.. وتطلعوا إلى ما سوف يحدث في المستقبل.. ورأوا كيف احتل بنو إسرائيل فلسطين بمؤامرة خسيسة.. واستولوا على بيت المقدس.. في العصر الحاضر.. لترووا فيما كتبوه عن (وعد الآخرة).. فقد عاد اليهود اليوم إلى الإفساد في صورة (إسرائيل) التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات.. واستباحت الحرمات.. وعبثت بالمقدسات، وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب.. تصديقا لوعده القاطع في قوله تعالى: ﴿ وإذ تأذن ربك ليبعثنّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم ﴾ [الأعراف:١٦٧].

وعد الآخرة لم يقع بعد

لكن مفسرا واحدا معاصرا.. قد أصاب كبد الحقيقة.. وهداه تفكيره ووزنه للأمور، إلى أن (وعد الآخرة) لم يقع بعد.. وانه سوف يقع على (أيدي المسلمين) إن شاء الله.. ذلك المفسر الألمعي.. هو (الشيخ عبدالكريم الخطيب) في تفسيره القيم (التفسير القرآني للقرآن)..

وسوف نستعرض مع القارىء بعض ما جاء في هذا التفسير من أفكار.. نطرحها على بساط البحث..

إذا أعدنا النظر إلى (بني إسرائيل) بعد الأسر البابلي.. لم نجد لهم دولة ظاهرة، ولا ملكا قائما.. وإنما هم دويلات ممزقة.. متقاتلة فيما بينها.. تخرج من حكم (البابليين) لتقع تحت حكم الفرس في سنة ٥١٨ ق.م.. ثم تحت حكم الرومان.. إلى أن جاء الفتح الإسلامي الذي أدخل (بيت المقدس) في دولته.. فأصبح (المسجد الأقصى) من مساجد الإسلام.. ليس لبني إسرائيل شأن به منذ ذلك الوقت إلى منتصف القرن العشرين.. وإذن فهناك المرة الثانية.. وهي التي أشار إليها القرآن في قوله تعالى: ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا ﴾.

هل جاء وعد الآخرة.. أي المرة الثانية.. وإذا لم يكن قد جاء فمتى يجيء وما

استعلاء الإسرائيليين في الأرض لن يكون بلا نهاية



الإرهاصات الدالة عليه؟..

والجواب على هذا:

أولا: إن هدا الوعد – وعد الآخرة – كان إلى نزول القرآن غير واقع، وأنه سيقع في المستقبل القريب، أو البعيد.. والدليل على ذلك ما يحدث به القرآن الكريم.. في هذا المقام.

فقد تحدث القرآن الكريم عن مجيء المرة الأولى هكذا.. ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ﴾ [الإسراء/ ٥].

وتحدث عن مجيء المرة الثانية هكذا: ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾.

فالآيتان تتحدثان عن المستقبل الذي يدل عليه الشرط (إذا) وهذا يعني أن المرتين سواء في تعليقهما بالمستقبل وقت نزول القرآن.. الأمر الذي يجعل القول بأن إحداهما قد وقعت والأخرى لم تقع قولا لا حجة عليه ولا مبرر له..

ولكن الذي ينظر في الآيتين يجد أن الشرط الذي يعلق الفعلين بالمستقبل هو منظور فيه إلى ماقضاه الله في كتابه.. وجعله قدرا مقدورا على بني إسرائيل في وقوع هاتين المرتين من الإفساد، وعلى هذا يكون وقوع الأحداث المسطورة في كتاب الله كلها لم تكن وقعت حين قضى الله بها، وأودعها خزائن علمه..

وعند النظر في الآيتين الكريمتين.. نجد أن النظم القرآني قد خالف بينهما، فجعل ما وقع منهما قبل نزول القرآن معبرا عنه بلفظ الماضي ﴿ بعثنا ﴾.. ﴿ جاسوا ﴾ على حين جعل المرة التي لم تقع بلفظ المستقبل ﴿ ليسوءوا وجوهكم ﴾.. ﴿ وليدخلوا المسجد ﴾.. ﴿ وليتبروا ﴾.

ولو تساوت المرتان في الوقوع، أو عدم الوقوع، عند نزول القرآن.. لم يكن لاختلاف النظم فيها سبب ظاهر.. وهذا أبعد ما يكون عن بلاغة القرآن وإعجازه .. حيث لا تجيء كلمة أو حرف فيه.. إلا ومعها ما لا حصر له من أسرار..

حديث عن المسجد

ثانيا: إذا تقرر أن المرة الثانية لم تجيء حتى نزول القرآن الكريم فهل وقعت بعد هذا.. أم أنها لا تزال معلقة بالمستقبل لم تقع بعد؟

والقرآن الكريم هو دليلنا في الإجابة على هذا السؤال.. ففي قوله تعالى: ﴿ فإذا جاء وعد الآخر ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا ﴾ في هذه الآية نجد حديثا عن (المسجد)..

والمسجد – كما هو معروف – معلم من معالم الإسلام.. وسمة من سمات بيوت الله التي يتعبد فيها المسلمون.. إذ كان السجود أبرز عمل من أعمال المسلمين في الصلاة..ولهذا فإن الاسم الذي يعرف به (المسجد الأقصى) هو (بيت المقدس) حتى إذا أسرى الله بنبيه (محمد) ﷺ أسماه سبحانه (المسجد الأقصى) وجعله بهذا الاسم (القبلة الأولى) للمسلمين.. كما جعله بهذه التسمية مسجدا لهم يعبدون الله فيه ثم كان الوصف الذي يعرف به المسلمون في المجتمع الإنساني هو سمة السجود في وجوههم ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ﴾ [الفتح/ ٢٩].

فذكر (بيت المقدس) باسم (المسجد) يشير إشارة واضحة إلى أن المرة الثانية التي يقع فيها من بني إسرائيل هذا الإفساد.. إنما تكون في العهد الإسلامي.. وفي الوقت الذي يكون فيه (بيت المقدس) مسجدا للمسلمين على خلاف ما كان عليه من قبل.. حيث لم تشر الآية الأولى إلى (المسجد) من بعيد أو قريب.. بل جاءت الآية هكذا (فجاسوا خلال الديار) أي تنقلوا كما يشاءون بين الديار.. وهذا يعني أن العدو الذي ابتلاهم الله به.. كان متمكنا بحيث يمشي في ديارهم ويتخلل طرقاتها دون أن يخشى أحدا..

كما دخلوه أول مرة

ونسأل مرة أخرى: هل وقعت المرة الثانية؟ وهل جاء وعد الآخرة قبل يومنا

بنو إسرائيل ووعد الآخرة

هذا..؟

والجواب هنا نأخذه أيضا من القرآن ومن أحداث التاريخ.

وننظر مرة أخرى في الآية ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا ﴾. فهناك حقائق تقدرها الآية الكريمة .. وهي:ان الذين يتسلطون على بني إسرائيل في هذه المرة سيدخلون (المسجد الأقصى) كما دخلوه أول مرة.. وهذا يعني أمورا:

أ – ان الذين يدخلون المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة.. قد كان لهم دخول من قبل.. وأنهم إنما يفعلون في هذه المرة مافعلوه في المرة السابقة.

ب – ودخول المسلمين المسجد الأقصى أول مرة.. كان في خلافة (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه وقد ظل في أيديهم إلى أن دخله بنو إسرائيل في العصر الحالي.. وفي أيامنا هذه.. نعم: خرج المسجد الأقصى من يد المسلمين إلى يدي الصليبيين ثم أعيد إليهم مرة أخرى على يد (صلاح الدين الأيوبي) ولم يكن لبني إسرائيل حساب أو تقدير في ذلك الأمر.

ج – ودخول المسلمين إلى (المسجد الأقصى) وانتزاعه من أيدي الصليبيين ليس له شأن بالدخول الذي سيدخله المسلمون.. بعد أن ينتزعوا هذا المسجد من يد (بني إسرائيل).. لأن بني إسرائيل لم يدخلوا المسجد ولم يستولوا عليه منذ الفتح الإسلامي حتى وقع في أيديهم هذه الأيام..

إرهاصة وإرهاصة

د – فهذه إرهاصة من إرهاصات المرة الثانية أو (وعد الآخرة) .. وهي أن يكون (المسجد الأقصى) في يد بني إسرائيل.. ثم يجيء إليهم من يخرجهم منه، وينتزعه من أيديهم.. وهم أولئك الذين كان (المسجد) مسجدهم (الذي دخلوه أول مرة) وليس المسجد إلا مسجد المسلمين.. وليس الذي يدخله للمرة الثانية، وينتزعه من اليهود إلا المسلمين.

هـ – الإرهاصة الثانية: هي حالة اليهود أنفسهم.. وهي أن يكونوا على الصفة التي وصفهم الله بها.. حين يفسدون في الأرض.. (ويعلنّ علوا كبيرا).

وحين يدخل عليهم أصحاب المسجد.. كما دخلوا أول مرة.. ليسوءوا وجوههم، أي يلبسونهم الخزى والسوء.. وقد اختصت الوجوه بهذا.. لأنها الصفحة التي ترتسم عليها أحوال الإنسان كلها.. وما يمسه من خير أو شر!

واقع بني إسرائيل اليوم

ان الذي ينظر في واقع بني إسرائيل اليوم يجد:

أولا: أنهم منذ عهد (سليمان) عليه السلام



■ إن احتلال الإسرائيليين لبيت المقدس من إرهاصات وعد الآخرة الذي لا مردّ له

لم تقم لهم دولة.. بعد الدولة التي خرّبها (بختنصر) ملك (بابل) حتى قامت لهم دولة في هذه الأيام هي المعروفة باسم (إسرائيل) والتي تدعمها وتساندها قوى كثيرة من قوى البغي والعدوان التي تكيد للإسلام وتتربص به..

ثانيا: أن هذه الدولة التي أقامها بنو إسرائيل هذه الأيام.. دولة ولدت من أحشاء الظلام.. تحمل معها كل ماعرفت الإنسانية من أدوات الشر.. والبغي والعدوان.. فقد ملكت بكيدها ومكرها كثيرا من الوسائل الخبيثة التي مكنتها من تلك القوة.. وأقامت بها هذه الدولة.. فالمال الذي أقيمت به هذه الدولة إنما هو عصارات تلك الدماء التي امتصها اليهود من الأمم والشعوب في شتى أقطار الأرض بما أشعلوا من حروب.. وبما اشتروا من ضمائر.. وذمم!

ثالثا: هذه الدولة هي غاية ما يمكن أن يبلغه بنو إسرائيل من علو.. وغاية ما يمكن أن تطوله أيديهم.. من إفساد في الأرض فهم الآن يضعون أيديهم على (فلسطين) كلها.. وعلى مرتفعات الجولان من (سوريا) وعلى الجنوب من (لبنان) وكل ذلك قد وقع لبني إسرائيل في لحظة خاطفة لا تتجاوز ستة أيام.. الأمر الذي جعل لبني إسرائيل اسما ذائعا رهيبا في العالم.. ومن هنا كان منهم البغي والعدوان والإفساد في الأرض، بنسف الدور.. وقتل الأطفال والنساء.. بلا وازع أو حياء أو ضمير.. وبلا خوف من قوة رادعة في الأرض أو في السماء.. كما فعل ذلك الإرهابي المتطرف (باروخ جولد شتاين) في الحرم الإبراهيمي واغتيال المصلين المتجهين إلى الله.. في شهر رمضان.. على مرأى ومسمع من الجيش الإسرائيلي..

■ نحتاج لتحقيق وعد الآخرة: إيمانا صادقا وعملا خالصا

المرة الثانية إذن

المرة الثانية إذن: هي ما فيه إسرائيل الآن.. من فساد في الأرض.. وعلو واستكبار أما الذي ينتظر بني إسرائيل الآن.. بعد هذا فهو ما يقع تأويلا لقوله تعالى ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا ﴾ والذي سيتولى ذلك بلا شك.. هم المسلمون أصحاب المسجد.. الذي دخلوه أول مرة أيام أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) والذين سيدخلونه اليوم – إذا شاء الله – كما دخلوه أول مرة.. وكما قوله تعالى ﴿ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ﴾ إشارة إلى صحوة جديدة ستبعث القوة.. وتعيد الحياة إلى الأمة الإسلامية.. وتجدد شبابها.. وإذا هي أقرب ما تكون إلى الفتح الأول..

وشواهد هذا البعث للأمة الإسلامية كثيرة.. فقد تحررت أوطان العالم الإسلامي جميعها من الاستعمار.. وأخذت الحياة تدب في أرضها الموات.. بما يتدفق منها من ينابيع (الذهب الأسود) البترول.. الذي أمدها بأقوى قوة تقوم عليها الأمم.. في العصر الحديث.. وهي المال.. الذي يمكن لها من العلم.. وما يقوم على العلم من أسباب المدينة والعمران..

بقى هنا أمران

يقول المفسر الألمعي (عبدالكريم الخطيب) في كتابه (التفسير القرآني للقرآن). بقى هنا أمران نود أن نشير إليهما في إيجاز.

إسرائيل وليس يهوذا

الأمر الأول: فهو أن هذه الدولة قامت تحت اسم (إسرائيل) ولم تقم تحت اسم (اليهود) أو دولة (يهوذا).

وهذا يجعل لقوله تعالى ﴿ وقضينا على بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ﴾ متوجها إلى تلك الدولة القائمة تحت اسم (إسرائيل).

الأمر الذي يجعل من العسير أن تدخل تحت حكم هذه الآية لو أنها اتخذت أي اسم آخر غير هذا الاسم.. وهذا إعجاز من إعجازا القرآن.

الأمر الثاني: فهو ما جاء في قوله تعالى في آخر هذه السورة:

﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا. قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر واني لأظنك يا فرعون مثبورا. فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا. وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾ [الإسراء/١٠١ – ١٠٤] ففي قوله سبحانه ﴿ وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض ﴾ إشارة إلى أمرين:

أولهما: أن سكنى بني إسرائيل للأرض.. لن تكون إلا سكنى.. ذليلة مهينة لا يرتفعون فيها عن الأرض.. ولا يستعلون بآدميتهم عن الدواب.. التي تدب عليها.. فهم أبدا لاصقون بهذه الأرض.. يغوصون في طينها... ووحلها إلى أذقانهم.. بحثا عما تعطي الأرض، أما ما وراء هذا من مطالب الروح فلاحظ لهم فيه ولا شغل لهم به.

ثانيهما: أنهم سيشردون في الأرض كلها.. في طولها وعرضها.. إذ كل همهم من سكنى الأرض هو البحث عن كل مرعى فيها.. فهم يتتبعون مواقع المرعى حيث كانت.. وهذا ما تحدث عنه حياة اليهود حيث هم في كل صقع من أصقاع الأرض..

وفي قوله تعالى: ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾ إشارة إلى ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا ﴾ فبنوا إسرائيل الذين جاءوا لوعد الآخرة. واجتمعوا اليوم في (فلسطين) وأقاموا الدولة الواقعة تحت حكم الله.. الذي قضى به عليهم.. يوم يجيء (وعد الآخرة) بنو إسرائيل هؤلاء قد جاءوا من كل أفق من آفاق الأرض. مسوقين إلى حتفهم.. مدعوين إلى قدرهم المقدور.. في قوله تعالى ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾ أي جمعناكم من كل جهة.. (فاللفيف من الناس) الجماعة التي تجتمع من وجوه شتى.. كما يجتمع الناس في الأسواق، والأسفار.. ثم ينفض السوق.. ويتفرق السفر ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [يوسف/٢١] ■

بين الإسلام والإيمان

المؤمن الصادق الناجي هو الذي يلفظ الشهادتين ويعتقدهما ويعمل بموجبهما

بقلم الدكتور: محمد محمد الشرقاوي

إذا تناولنا الإسلام والإيمان من مفهومهما اللغوي وجدنا بينهما تداخلا، ووجدنا أن الإسلام بمعناه اللغوي وهو مطلق الانقياد والتسليم سواء كان بالقلب أو اللسان أو الجوارح يشمل الإيمان بمدلوله في اللغة وهو التصديق الذي محله القلب فقط.. فيكون الإسلام أعم.. والإيمان أخص.. يجتمعان في الرجل المسلم.. لأن عنده تصديقا بقلبه وعدم جحود وإنكار، وهو في نفس الوقت يمثل الانقياد والامتثال بصفة عامة، وينفرد أعمهما وهو الإسلام فيمن انقاد بلسانه فقط لا بقلبه وهو المنافق حيث يطلق عليه مسلم باعتبار انقياده ظاهرا باللسان أو بالأعمال، ولا يطلق عليه مؤمن لخلو قلبه الباطن من التصديق والإذعان، وهذا ما يسمى عند العلماء (العموم والخصوص المطلق) ويعبر عنه بالنسبة بينهما..

ومن هذا الاستعمال جاء الحديث الذي رواه أحمد في مسنده: سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ فقال ﷺ: «الإسلام» فقيل: أي الإسلام أفضل؟ فقال: «الإيمان». فقد جعل الإيمان أخص من الإسلام، وجعل الإسلام أعم من الإيمان، وأدخل الإيمان في الإسلام ولا عكس..

معنى (الإيمان) لغةً

ويتفق هذا الاستعمال مع الإيمان اللغوي كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ [يوسف:١٧]. أي ما أنت بمصدق لنا [الجلالين:٣١١] مع قوله تعالى: ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ﴾ [فصلت:٣٣]. حيث شمل الإسلام كل ما تقدمه من دعوة إلى التوحيد، وعمل صالح.. هذا من زاوية اللغة.. وإذا تناولنا الإسلام والإيمان من جهة استعمالهما شرعا وإصطلاحا.. وجدنا ذلك يختلف باختلاف القرائن المصاحبة، والملابسات المحيطة.. فتارة يطلقان على معنى واحد فيكونان مترادفين، ويراد بكل منهما العقيدة والقول والعمل..

ومن هذا الاستعمال قوله تعالى: ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ [الذاريات:٣٥]، فما دام البيت الذي نجا مع لوط عليه السلام من العذاب الأليم واحدا، واجتمعت فيه صفتا الإسلام والإيمان، فإن معناهما واحد، وهو مطلق الانقياد سواء كان بالقلب أو باللسان أو بالجوارح أو بما يشمل كل ذلك.. ومن ذلك الحديث الذي أخرجه مسلم: «الإيمان بضع وسبعون شعبة..» [الحديث] ومنها العقيدة وغيرها من

سائر الأعمال.. مع آية: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران:١٩] وهو شامل كذلك لأعمال القلب واللسان والجوارح..

وهذا الاستعمال حصل فيه تصرف في معنى الإيمان من جهة اللغة.. بتعميمه وإدخال الأعمال الظاهرة، والإقرار باللسان في معناه.. بعد أن كان قاصرا على عمل القلب فقط.. وهذا التصرف جائز لغة.. لأن تسليم الظاهر بالقول والفعل هو ثمرة منطقية لتصديق الباطن، واستقرار الإيمان فيه.. وقد يطلق اسم الشجر ويراد منه الشجر مع ثمره.. فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا للإسلام.. وقد يراد بكل منهما القول والعمل فقط فيكونان أيضا مترادفين .. يدل كل منهما على مايدل عليه الآخر..

ومنه حديث: ما الإسلام؟ فقال ﷺ: «شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة..» [الحديث] مع حديث: ما الإيمان؟ فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة و...» [الحديث].

وقد يراد بهما في الاستعمالات الشرعية معنيين مختلفين.. فيدل كل منهما على غير ما يدل عليه الآخر، فيكونان متباينين، والنسبة بينهما التباين، وحينئذ يراد بالإيمان عمل القلب فقط وهو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره حلوه ومره وبكل ماثبت مجيئه عن محمد ﷺ بطريق صحيح، ويراد بالإسلام: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا.. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ [الحجرات:١٤]

قول الزمخشري

قال الزمخشري في كشافه [ج٢: ٣٩٩] في تفسير هذه الآية:

(الإيمان هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس، والإسلام هو الدخول في السلم، والخروج من أن يكون حربا على المؤمنين، بإظهار الشهادتين.. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ [الحجرات:١٤]. فاعلم أن ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام، وما واطأ فيه القلب اللسان فهو إيمان، ومثله حديث جبريل عند الشيخين: قال ما الإيمان؟ قال ﷺ: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله..» [الحديث] قال: ما الإسلام؟ قال: «شهادة ألا إله إلا الله وإقام الصلاة..» [الحديث]).

والتصرف اللغوي هنا يكون بقصر الإسلام على بعض معانيه، وهو جائز.. إذ لا يشترط في صحة إطلاق الاسم إرادة عموم المعنى.. كمن لمس يد زيد مثلا فإنه يصح أن يقول لمست زيدا.. إلا أن الغالب في هذا الاستعمال الشرعي أن يكون معناهما مترادفا إذا استقل أحدهما عن الآخر في المقام الواحد مثل: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ . ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾.. ﴿ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ﴾ ، ويكون معناهما متغايرا إذا اجتمع ذكر الإسلام والإيمان في مقام واحد.. مثل حديث جبريل السابق الذكر، و﴿ قالت الأعراب آمنا ﴾ [الآية].

ملاحظات لابد منها

وهنا جانب يتعلق بالفقه والتوحيد في كلمتي الإسلام والإيمان على النحو الآتي:

١ – من آمن بقلبه، ونطق بالشهادتين، وعمل المطلوب منه، وانتهى عن المحظورات فهو في الدنيا مسلم يعامل معاملة المسلمين.. فيصلي عليه إذا مات ويزوج من نساء المسلمين، ويدفن في مقابرهم.. وهو في الآخرة من الناجين باتفاق العلماء.

٢ – من اعتقد بقلبه ونطق بالشهادتين وجاء ببعض الأعمال دون بعض، وارتكب بعض الكبائر.. وكذلك إذا لم يعمل أي عمل صالح فعند أهل السنة مؤمن عاص ناقص الإيمان.. لا فاقده.. يعامل معاملة المسلمين.. وأمرهم في الآخرة أنهم مرجون لأمر الله إما أن يعذبهم وإما أن يتوب عليهم.. ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ﴾ [التوبة:١٠٣] نزلت في أبي لبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد حين بلغهم ما نزل في المتخلفين عن غزوة تبوك، وحلفوا: لا يحلهم الا النبي ﷺ ، فلما نزلت هذه الآية حلهم.

٣ – من اعتقد ولم ينطق بالشهادتين لعذر يمنعه من النطق كالأخرس والأشل ونحوهما فهو مؤمن عندنا وعند الله وأمره مفوض إلى ربه فيما قصر من أعمال.

٤ – من اعتقد ولم ينطق بالشهادتين، وكان يمكنه أن ينطق فامتنع ولم ينطق فهو كافر عندنا وعند الله لقوله تعالى في حق الكافرين: ﴿ جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾ [النحل:١٤]، وقوله تعالى في حق الكافرين من أهل الكتاب: ﴿ وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ ■

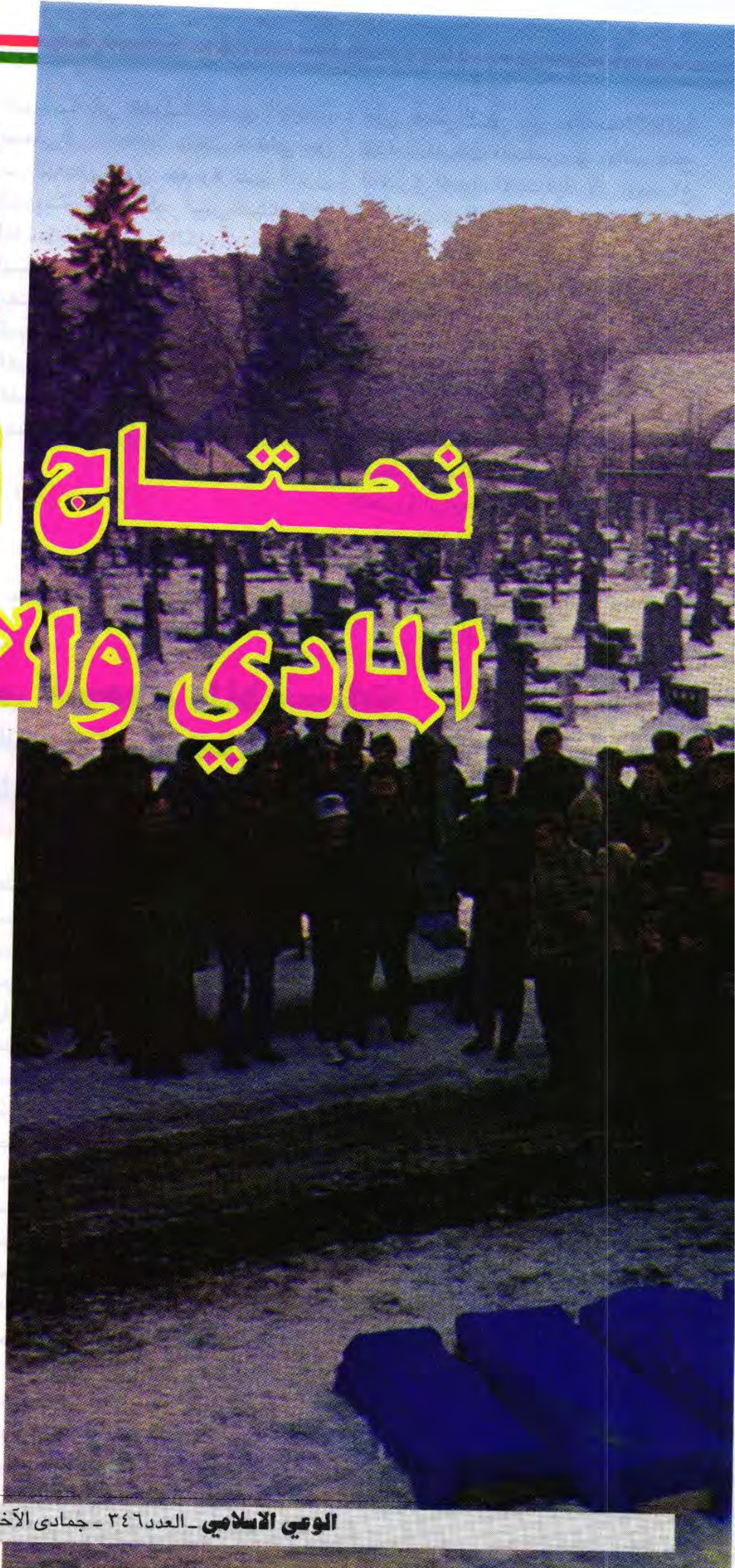


بإيمان لا يتزعزع ويقين بالنصر المرتقب وسـط ليل ادلـج يخيم بظـلامـه على ارض البـــوسنـة الجريحة جاءت كلمات الاستاذ حسين عمـر سبـاهيتش (الممثل الشخصي لـرئيس جمهــوريـة البوسنـة علي عزت بيغـوفيتش في المملكة العـربية السعـودية) لتحيي الأمل في النفــوس وتنير الـدرب للسـائرين في طـريق الجهـاد العظيم.. حـول آخر المستجـدات على السـاحـة البـوسنيـة كان هـذا اللقا

● نملك جيشاً قوياً يبلغ تعداده ٢٠٠ ألف مقاتل

حسين عمر سباهيتش:

نحتاج للدعم المادي والاغاثي



أجرى الحوار: صلاح الدين الايوبي

● هل لكم أن تحدثونا بإيجاز عما وصلت إليه القضية في البوسنة؟

■ هذا سؤال يمكن الإجابة عنه على عدة محاور - المحور السياسي، والمحور الإغاثي، والمحور العسكري، ثم الوضع الداخلي ثم الوضع الخارجي أو التحركات الدولية نحو قضية البوسنة فاذا تحدثنا عن المحور الإغاثي لابد أن نشير إلى أن المرحلة الجديدة في البوسنة بدأت بعد توقيع اتفاقية بين المسلمين والكروات والتي وقعت في واشنطن..

كان المسلمون يقاتلون على جبهتين ضد الصرب والكروات، وهذا أنهكهم إلى درجة كبيرة داخليا، لكن الحقيقة أن العداوة الصليبية بشكلها الأرثوذكسي أو بشكلها الكاثوليكي مدت يدها إلى البوسنة عن طريق الصرب شرقا وعن طريق الكروات غربا، ووجد كلا الجانبين

حوار مع حسين عمر سباهيتش

لهما حلفاء من الشرق ومن الغرب للقضاء على المسلمين في البوسنة، وهذا واضح للجميع، وفي الوقت نفسه استطاع المسلمون أن يكونوا جيشا قويا بلغ تعداده الآن – والحمد لله – قرابة مئتي ألف مقاتل منهم مئة وعشرون إلى مئة وأربعين ألفا مسلحون تسليحا جيدا..

الوضع العسكري

في مقابل هذا يبلغ عدد جنود الكروات في البوسنة نحو أربعين ألفا وعدد جنود الصرب نحو مئة وعشرين ألفا بمعنى أن عدد جنود المسلمين في البوسنة أكثر من عدد الصرب والكروات مجتمعين، إضافة إلى هذا هناك قرابة ستين ألف شاب مسلم يمكن أن يحملوا السلاح عندما يحتاجون إليه، فمن هذا الجانب كانت المرحلة الجديدة بدأت بعد الاتفاقية، وهذه الاتفاقية نشأت عن تحرك جاد لأمريكا لإنهاء الحرب الدائرة والعدوان الصربي على البوسنة ولكن لابد أن نشير هنا إلى أن التحرك الاميركي جاء في وقت خاف الغرب فيه من سقوط الورقة الكرواتية في القضية البوسنة ولأن المسلمين ألحقوا هزائم متتالية بالكروات، وطوقوا نفوذ الكروات في جنوب البوسنة، أو في منطقة الهرسك – المنطقة الضيقة من الهرسك – فكان من المرجح أن الكروات لايمثلون طرفا قويا يحسب له حساب في قضية البوسنة، فتنتقل المسألة من ما صورته وسائل الإعلام الغربية بدعم من السياسة الغربية – بأن قضية البوسنة هي قضية الحرب الأهلية، بمعنى أن المشكلة داخلية، فأي حل من الداخل يكون مقبولا لدى الدول الغربية، بينما الأمر ليس كذلك لأنه إذا سقطت الورقة الكرواتية فتكون المسألة صريحة وواضحة وهي العدوان الصربي على المسلمين في البوسنة.. عندئذ تحركت الدول الغربية لإعادة الكروات الى طاولة المفاوضات ولإنقاذهم من القبور، وهذا ما حصل في اتفاق واشنطن..

الاتفاق والوضعين السياسي والعسكري

عموما فإن هذا الاتفاق له ما له وعليه ما عليه، ولكن ليس هناك طرف يستطيع أن يحصل على كل ما يريد، لابد أن يتنازل الجميع عن شيء، المبدأ الرئيسي هو الحفاظ على استقلال دولة البوسنة، والهرسك، وأن يكون العنصر المسلم في هذه الدولة العنصر الأساسي، نظرا إلى أغلبية السكان كما تمنحه ذلك المواثيق الدولية..

صحيح أن المواثيق شيء وأن السياسة الفعلية العملية الغربية شيء آخر على نقيض ذلك، لكننا في كل المفاوضات، في كل الاجتماعات والمحادثات ننطلق من مبدأ تعداد السكان قبل بداية الحرب، بمعنى أنه ليس هناك اعتراف بالتطهير العرقي ولا بالإبادة الجماعية ولا بالتهجير القسري للسكان، مع أن النتائج التي تتوصل إليها المحادثات دائما تقر الوضع الحالي، الوضع العسكري، واحد، حققوا أكبر النتائج وأكبر الانتصارات من بداية الحرب حتى الآن، فاستطاعوا أن يوقفوا الصرب عند حدهم نظرا لانتظام الجيش بصورة جيدة ما عدا الذخيرة التي لا تصل بصورة مستمرة وهي أكبر نقطة ضعف لدى الجيش البوسني، من طرف آخر فقد ألحقوا الهزائم بالكروات، وبذلك أصبحت ورقتهم السياسية في المفاوضات أقوى من أي وقت سابق..

أما من الناحية السياسية فالاتفاقية الجديدة ظهر فيها عنصر جديد، كانت كل الاتفاقيات والتي كانت وراءها بريطانيا بالدرجة الأولى، ظهرت هذه الاتفاقيات أولا بصورة اللورد كارنغتون البريطاني، ثم بصورة اللورد أوين البريطاني، والذي تعترض عليه الدول الغربية، ثم لكن بغض النظر عن ذلك فالاتفاقية هذه ساعدت المسلمين في جانب فتح الطرق للمواد الإغاثية، لأن أوضاع المسلمين في البوسنة – الأوضاع الإغاثية خاصة – وصلت إلى مرحلة أصبح الطعام فيها نادرا وعسير الوجود إضافة إلى هذا وبما أن الطرق فتحت فإنه أصبح هناك إمكانية لإدخال البذور للموسم الزراعي الحالي وإدخال الأسمدة وما شابه ذلك، بحيث يستطيع المسلمون في وسط البوسنة وفي شمالها في المناطق المحررة أن يعتمدوا على أنفسهم وعلى ما يزرعون بأكبر قدر ممكن حتى يتفادوا ورقة الضغط الدائمة التي يستخدمها الغرب وهي الإغاثة، وهي المواد الإغاثية..

●على الدول والمؤسسات الاسلامية ان تتحرك بسرعة لبناء البوسنة من جديد

مميزات الاتفاق الأخير

من جانب آخر يمكننا أن نقول بأن المسلمين في هذه السنة التي حاربوا فيها الكروات والصرب في آن

تصرح بريطانيا بأنه ما زال في موضع الثقة البريطانية من المنظور البريطاني تجاه القضية البوسنية.

ففي الاتفاقية الأخيرة ظهر شيء جديد كما قلت وهو أن الاتفاقيات السابقة والخطط السابقة كانت تريد إضفاء الشرعية على الوضع الحالي، الوضع العسكري الحالي بمعنى حرمان المسلمين من المناطق الشاسعة التي استولى عليها الصرب، الخطوة العملية الأولى هي نزع السلاح من جميع الأطراف، وهذا يعني بكل صراحة أن الصرب والكروات ينقلون أسلحتهم إلى صربيا أو كرواتيا أي ان الاتفاقية لا تنطبق على صربيا أو كرواتيا بينما سيتم تجريد السلاح من المسلمين، عندئذ لن تكرر أوروبا خطأها الفادح في نظرهم وهو تسليح المسلمين بأي صورة كانت في السابق، عندئذ ستغلق جميع الطرق بما فيها بالدرجة الأولى كرواتيا.. والاتفاقية الجديدة نصت على أنه ليس هناك نزع سلاح للمسلمين وعلى أن الجيش سيظل قائما، فهذا يعتبر انتصارا سياسيا كبيرا للمسلمين.

هذا باختصار ما وصلت إليه الأوضاع.. تجري هناك كذلك بعض الاستعدادات لإعادة اللاجئين، لأن الغالبية العظمى من اللاجئين المسلمين من البوسنة، شعرت بالقهر وشعرت بالغربة عن البوسنة وشعرت بالمكائد التي تحاك لهم في معسكرات اللاجئين لتنصيرهم وإبعادهم عن الدين ولإغرائهم بالمناصب حتى لا يعودوا إلى البوسنة، وحتى تقل نسبة المسلمين في البوسنة، تجري الآن استعدادات لإعادة اللاجئين وهذا يحتاج إلى جهود جبارة وكبيرة لأنه تقريبا ٦٠٪ من مساكن المسلمين في البوسنة مدمرة، فنحتاج إلى إيواء اللاجئين بصورة سريعة ومقبولة تمكنهم من مواصلة حياتهم بشكل طبيعي نوعا ما.

الاتفاق مع الكروات

● ما هي مضامين الاتفاق مع الكروات؟!

■جاء هذا الاتفاق في وقت كان المسلمون على حافة الجوع المطلق في البوسنة. وهناك مرحلتان:

المرحلة الاولى من الاتفاق: بقي في البوسنة قرابة مليون ومئتي ألف مسلم والباقون يعتبرون في حكم اللاجئين ويعيشون في مناطق تحت الاحتلال الصربي وجزء منهم يعتبر من المفقودين، في وسط البوسنة كان يعيش ما يزيد على أربعمائة ألف كرواتي، لم يبق منهم سوى ستين ألف تقريبا، غالبهم هرب إلى كرواتيا أو نزح إلى جنوب البوسنة في منطقة الهرسك، في هذه الظروف فإن الاتفاقية الجديدة تنص على إقامة اتحاد بين المسلمين والكروات على مستوى دولة البوسنة، وهذا الاتحاد ينطبق على ٥١٪ من أرض البوسنة، طبعا ٤٩٪ ضمنا يدخل تحت سيطرة الصرب مع أن الاتفاقية لا تنص على شيء من ذلك، لكن مفهوم الاتفاقية – بمعنى – ينص على ٥١٪ للمسلمين والكروات، والباقي سيظل للصرب هذا من ناحية، من الناحية الثانية، في المرحلة الأولى: يتم تقسيم السلطة بين المسلمين و الكروات بالتساوي، – نتحدث على مستوى البوسنة – مع أن الكروات لا يمثلون أكثر من ١٢٪ من سكان البوسنة، في الوقت الحالي يعطون ٥٠٪ من السلطة، في مقابل هذا وبمقدار ما يحصل عليه الكروات من السلطة يتنازل عنها المسلمون، ليس هذا له أولوية قصوى في الوقت الحالي، الأولوية في الوقت الحالي لفتح الطرق إلى داخل البوسنة لتنقل البضائع بصورة ما، وكذلك لتنقل المدنيين في دخولهم وخروجهم، وإعادة بناء الطرق من جديد واستعادة حرية التجارة وما شابه ذلك، هذا في المرحلة الأولى: اتحاد بين المسلمين والكروات في داخل البوسنة. وفي المرحلة الثانية: بهذا الاتحاد يتفادى الغرب طلبا من مطالب المسلمين الأساسية وهو منفذ على البحر، وبما أن الاتحاد داخل دولة واحدة فهو يمنح للمسلمين المنفذ على البحر، بينما في حقيقة الأمر يظل يتحكم به الكروات ١٠٠٪

المرحلة الثانية من الاتفاق: هي أن الاتحاد الكونفدرالي سيكون مع دولة كرواتيا وهذا لا يمس استقلال دولة البوسنة والاعتراف الدولي بها وعضويتها في الامم المتحدة، بينما قد يكون هناك تأثيرات، وقطعا ستكون هناك تأثيرات اقتصادية سلبية على المسلمين في البوسنة بسبب وضع دولة كرواتيا، أو بسبب أكثرية الكروات فيها ثم إن اندماجها مع الكروات في البوسنة ستكون هناك

●أكبر نقطة ضعف لدى الجيش البوسني نقص الذخيرة
● المسلمون يقاتلون على جبهتين ضد الصرب والكروات

حوار مع حسين عمر سباهيتش

تأثيرات اقتصادية سلبية، لكن المرحلة المقبلة مرحلة المبادرة، مرحلة التحرك السريع مرحلة استعادة الأنفاس، مرحلة بناء البلد وسنكون في هذه المرحلة أحوج إلى دعم إخواننا المسلمين في أنحاء العالم مما كنا عليه في أثناء الحرب أو قبل الحرب.

المسلمون وحدَهم ناصروا البوسنة

● كلمة أخيرة تريدون أن توجهوها إلى العالم الإسلامي والعربي والمنظمات الخيرية.

■الشيء الأول الذي يجب أن يكون نصب أعيينا هو أن جميع الدول الغربية لم تبذل ولم تنفق دولارا واحدا على شراء السلاح للمسلمين للدفاع عن أنفسهم، بمعنى آخر أن كل الأموال التي جمعت للدفاع عن البوسنة ومع أنها حرمت من حقها الشرعي في الدفاع عن نفسها.. كل هذه الجهود وكل هذه الأموال بذلت وجمعت من المسلمين في أنحاء العالم وهذا واجب كبير لمسلمي البوسنة على إخوانهم من المسلمين في أنحاء العالم بغض النظر عن أن الدعم لم يكن على المستوى المطلوب، لكن البوسنة - بفضل الله تعالى - بقيت وثبتت وصمدت بعد فضل الله - سبحانه وتعالى - ومشيئته، بسبب دعم المسلمين في أنحاء العالم، إضافة إلى أن جمعيات الاغاثة الغربية كانت دائما تمارس الضغوط على المسلمين من أجل تقسيم البوسنة مقابل إدخال المواد الاغاثية، مع أن مهمة قوات حفظ السلام والمفوضية العليا لشؤون اللاجئين والدول الغربية كانت مهمة إغاثية بمعنى تأمين الأمن والغذاء وتأمين الدواء، وكان الأمر في الواقع على نقيض ذلك، كانت كل هذه الأعمال تبذل لأجل ممارسة الضغوط على بطون وعقول وحرية المسلمين حتى يقبلوا بالتقسيم، والجمعيات الاغاثية كذلك..

إن كل الدول الغربية سعت إلى هدم حكومة المسلمين في البوسنة وهذه الحقيقة تلزم جميع المسلمين بالتعاون والتعامل مع حكومة البوسنة والهرسك، ما دام الغرب يريد أن يهدمها فإذا ساعدناهم في ذلك أي في عدم التعامل مع الحكومة والتعاون ، فمعنى هذا أننا - بأيدينا - نساعد الغرب في هدم حكومة المسلمين في البوسنة والهرسك أو الحكومة البوسنوية التي يتمتع المسلمون بأغلبيتها، الشيء الثاني: أننا في هذه المرحلة نحتاج إلى الدعم المادي بالدرجة الأولى للدفاع عن البوسنة، ثم

بطاقة شخصية

الأخ حسين عمر سباهيتش مولود في سراييفو عام ١٩٦٠، تخرج من معهد الخطباء في سراييفو ثم من معهد اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، ثم من كلية أصول الدين قسم الحديث وعلومه.. ومع نشوب الحرب العدوانية عل البوسنة والهرسك توقف عن الدراسة.

وهو يشغل حاليا منصب الممثل الشخصي لفخامة رئيس جمهورية البوسنة والهرسك في المملكة العربية السعودية.

●الاتحاد الكونفدرالي مع الكروات أكثر من منفذ على البحر

إلى الدعم الإغاثي الذي - تبين في السنة الماضية أنه - لم يكن أقل شأنا أو اقل أهمية من الدعم المادي.. والدعم الإغاثي بالملابس والأدوية، والمعدات الطبية، والمواد الإغاثية التي مهما قل ثمنها في الخارج فإن ثمنها باهظ داخل البوسنة، كذلك رعاية الطلبة في البوسنة، ورعاية المدارس من خلال المناهج الحكومية الجديدة التي أعدت الآن وستطبق في المدارس، ترى فيها تغييرا كبيرا نظرا للتغيرات في عقلية المسلمين ووعيهم خلال سنتين من الحرب، وجاءت هذه التغيرات في المناهج استجابة إلى التغيرات في نفسية المسلمين وتوجههم داخل البوسنة والهرسك. ومجال المساعدات والدعم لا ينقطع ولا تحصره كلمات في مثل هذا الحديث..

هناك جانب آخر وهو ترميم وإعادة بناء البوسنة والهرسك، ويجب على الدول الاسلامية وخاصة المؤسسات المالية ووزارات الاقتصاد والمال أن تتحرك بسرعة كبيرة لبناء البوسنة من جديد، لأنها تحتاج لدفعات أولي حتى تقف على قدميها وتنطلق بنفسها، وفي هذا منفعة كبيرة للعالم الإسلامي، ولذلك ندعو جميع الموسرين وجميع المؤسسات المالية ووزارات الأوقاف ووزارات الاقتصاد والمال أن يتحركوا بصورة سريعة لبناء البوسنة من جديد لتوفير المساكن والمرافق العامة والمدارس، وإعادة بناء المصانع التي لابد منها في بداية الامر مثل المخابز ومصانع الأحذية ومصانع الأدوية ومصانع الألبسة كل هذه كانت متوافرة في البوسنة ولكنها توقفت لأسباب الحرب، ولكنها مازالت قائمة في صورة تمكنها من العمل، لذلك فإن التحرك السريع هو ما نناشد به إخوانناو١٣مــلطلبـالآنمن العالم الاسلامي.. شكرا وجزاكم الله خيرا ■

الثقافة الجمالية في الحياة الإسلامية

■ عالم اليوم وثقافته تطرح الكثير من الأزمات والمشكلات وفي مقدمتها الأمراض النفسية والعصبية

بقلم: محمود محمد الناكوع

لم يكن اهتمام المسلمين بالجماليات أمرا طارئا، أو تأثرا بثقافات أخرى، ولكنه كان أمرا عميقا في الثقافة الإسلامية وفي الحياة الإسلامية، وأي متتبع للفكر الإسلامي في صوره المختلفة، وموضوعاته ومباحثه، يجد مسألة الجمال والإحساس به وتذوقه، والاهتمام بفنونه هو أحد الأبعاد الأساسية في هذا الفكر، والذي ينبع أساسا من المصدر الأول له، وهو القرآن الكريم، الذي ينطق باللفظ الجميل، ويصور المعاني الجميلة ويوحي بأبعاد متعددة لها..

وقد اهتم المسلمون مبكرا بذلك البعد، وقاموا بعمل متفرد بحسه الجمالي عندما طبعت المصاحف بخط جميل، وبرسوم جميلة، وتنوعت الاهتمامات باظهار كل صور الحسن والجمال عند إصدار أي طبعة للقرآن. وانعكست الأبعاد الجمالية في أهم معلم من معالم الحياة الإسلامية وهو (المسجد) فتفنن المهندسون المسلمون في بنائه وزخرفته بفكر تأملي جعله محل قوة جاذبة ليس للمسلمين فقط، ولكن لغير المسلمين كذلك، وعندما يتجه المسلم إلى المسجد ليستروح بالعبادة ونفحات الإيمان، ويسمع جمال القرآن ويرى جمال البناء والمعمار، لابد له أن يحس بقيمة البعد الجمالي، إلا إذا كان على فساد في الطبع والمزاج..

إن البحث في أصل ومنبع الثقافة الجمالية يقتضي التوجه نحو النبع الصافي، نحو القرآن ذاته لنسمع ونتأمل قيم الجمال، والفرح، والبهجة، والسرور ونقف مع آيات تعرض صور الجمال ﴿ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ﴾ [الصافات/٦]، ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ [الملك/٥]، ﴿ فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ﴾ [النمل/٦٠] و﴿ وألقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴾ [ق/٧]. هناك حشد من الآيات القرآنية تعكس معاني الجمال، وهو جمال في الأرض، وجمال في السماء، وجمال في النفوس والقلوب..

العلماء والقيم الجمالية

وقد عبر الرسول ﷺ في حياته وسلوكه عن عمق القيم الجمالية، فدعا إلى تغيير بعض الأسماء القديمة، بأسماء جديدة جميلة، فغير اسم امرأة من عاصية إلى جميلة. ومن حزن إلى سهل.. وإلى غير ذلك من التغييرات الجذرية التي أحدثها الرسول ﷺ عندما كان يرسي قواعد المجتمع الإسلامي الجديد في مكة والمدينة، ويعقب الإمام ابن القيم على ذلك التغيير في الأسماء فيقول: (ولما كانت الأسماء قوالب المعاني، ودالة عليها اقتضت الحكمة، أن يكون بينها ارتباط وتناسب.. بل للأسماء تأثير في المسميات، وللمسميات تأثر عن اسمائها في الحسن والقبح، والخفة والثقل، واللطافة والكثافة)..

لقد اهتم بناة الحضارة الإسلامية، والمبدعون فيها بهذه الصور والأبعاد الجمالية، واتسعت دوائر الذوق الجمالي في فنونه المختلفة بما يلبي حواس الفطرة الإنسانية السوية، وفي إطار المفاهيم والتصورات الإسلامية. ومن بين الذين اهتموا بالبعد الجمالي من العلماء: أبو حامد الغزالي في كتابه (احياء علوم الدين)، وعبدالرحمن بن خلدون في (مقدمته)، وابن القيم الجوزية في (زاد المعاد)، ومحمد الشوكاني في (نيل الأوطار)، وابن حزم في كتابه (المحلى)، وعبدالحي الكتاني في كتابه (التراتيب الإدارية)، وكثيرون آخرون من الكتاب المعاصرين الذين قدموا مساهمات جديدة من بينهم الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ محمد الغزالي، والمرحوم مالك بن نبي الذي قدم إبداعات فريدة في تحليل دور ورسالة الجمال وثقافة الجمال وحرر فصولا مهمة في هذا الشأن في سلسلة كتبه (مشكلات الحضارة) التي ألفها ومنها كتاباه: (شروط النهضة) و(مشكلة الثقافة).

أثر الجمال في الفكر والتصوير

ويرى أن الجمال والإحساس به يدفع الإنسان إلى الاتقان في عمله (فالذوق الجميل الذي ينطبع به فكر الفرد، يجد في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل، وتوخيا للكريم من العادات، ولا شك أن للجمال أهمية اجتماعية إذا ما اعتبرناه المنبع الذي تنبع منه الأفكار) ويذهب الأستاذ مالك، فيما يسميه: بالتوجيه الجمالي إلى أنه: (لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل، أو بالأفكار الكبيرة، فإن لمنظرها القبيح في النفس خيالا أقبح، والمجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة، لا بد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره وأعماله ومساعيه. ولقد دفعت هذه الملاحظة كل من عنوا بالنفس الاجتماعية من علماء الأخلاق مثل الغزالي إلى دراسة الجمال وتأثيره في الروح الاجتماعية).

تلك هي ملامح الأبعاد الجمالية في الفكر الإسلامي، ولكن للأسف الشديد لا نلاحظ ذلك الجمال في جوانب كثيرة من حياة المسلمين بصورة

عامة الآن وإن كان لها وجود في حالات ودوائر محدودة، وذلك يرجع إلى قصور في التربية والتعليم حيث تغرس القيم الجمالية في مراحل مبكرة من عمر الإنسان. ومن هنا فإن أردنا أن نعيد البعد الجمالي في مجتمعاتنا الإسلامية، علينا أن نعطي الاهتمام الأكبر لمرحلة الطفولة، وأن نجعل مادة الجمال عنصرا أساسيا في بناء الشخصية الإنسانية.

إن ثقافة الجمال، والاعتناء بها فكرا وتنظيرا وتطبيقا، ليست من ضروب الترف كما قد يظن أو يعتقد بعض الناس، وليست من الأمور الكمالية في أي مرحلة من مراحل حياة الإنسان، وتحت أي ظرف من ظروف حياته، بل إنها من صميم عملية التربية الصالحة السوية ومن التكاليف الإسلامية، حتى أن الإمام الشاطبي، في كتابه الموافقات جعلها من مقاصد الشريعة الإسلامية، ووضع لها عنوانا لطيفا: (التحسينات) وهي عنده تعني الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات، التي تأنفها العقول الراجحة.. ومن حسن العادات النظافة وأخذ الزينة، وأشياء أخرى، تجري مجرى التحسين والتزيين. وهي كذلك جزء من القدرة التنظيمية، حيث إن النظام حالة جمالية، ولذلك تجد أكثر الناس خرقا للنظام العام، أقلهم اهتماما بمعاني الجمال والذوق العام.

وهكذا؛ فإن توسيع دائرة الاهتمام بالبعد الجمالي في الحياة العامة تجعلها أكثر قربا من النموذج الإسلامي. فالحدائق الجميلة، والشوارع النظيفة، والعادات الصحية، علامة من علامات عمق الحس الجمالي في المجتمع، وأي مجتمع لا يتمتع بذلك المستوى من التقدير لجمال ونظافة شوارعه وحدائقه ومؤسساته الخدمية العامة، لن يستطيع أن يبني شيئا له قيمة اجتماعية أو اقتصادية أو تاريخية. وانسجاما مع كل ذلك، فإنه كلما ضعف فهم الإسلام عند الناس، انحسر وقل الحس والتذوق الجمالي بينهم وفي حياتهم.

القرآن يدعو إلى التأمل في الكون وما يحوي من جمال

أما بالنسبة للبهجة والفرح والسرور، فإن في الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي ما يدل على الاهتمام بهما، وهذا أمر طبيعي، لأن إقبال أهل الفكر، وإقبال المجتمع على ذلك يرجع إلى أبعاد ثقافية فالمجتمع الذي تشبعت ثقافته بقيم الخير والتعاون والحب والحنان، وكثرت فيه الأنشطة الإنسانية، يميل الناس فيه إلى حياة البهجة والمرح. ونلاحظ أن كثيرين من أفراد ذلك المجتمع يعبرون بطرق مختلفة عن إحساسهم بالبهجة والسرور، مهما كانت ظروف حياتهم المعيشية، ومهما كان مستواهم من التعليم. وفي ثقافتنا العربية الإسلامية جذور وأبعاد عميقة للبهجة والفرح والسرور. يقول صاحب قاموس مختار الصحاح محمد الرازي، في مادة (بهج): (البهجة: الحسن، وبابه ظرف فهو بهيج، وبهج به، فرح وسر. وابهجه أي سره. والابتهاج السرور)، وفي القرآن الكريم آيات تتناول معاني الابتهاج، وهو ما يسر العين والنفس من مناظر كونية جميلة، تأمل قوله تعالى: ﴿فأنبتنا به حدائق ذات بهجة﴾، ﴿اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ [الحج/٥] ﴿والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ وتحدثت كتب السيرة عن الرسول ﷺ بأنه دائم البشر ضحوك السن، وكان يحب السرور وما يجلبه، ويكره الحزن وما يدفع إليه ويستعيذ منه ويقول: «اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن». وتتناقل عنه الرواة انه كان يداعب ويمازح زوجاته، وانه كان يضحك لما يسمعه من طرائف قومه. وفي كتب التراث رصيد هائل من الملح والظرف التي تعكس ثقافة البهجة والسرور.

لكن الواقع الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية في بعض قطاعاتها الاجتماعية، وعند بعض الشباب، يعكس صورة أخرى تميل إلى التعبس والتجهم وتوحي بالكآبة والحزن. وبعض تلك القطاعات الاجتماعية تمارس نوعا من القسوة والشدة في تربية الأبناء. وفهم بعض الناس أن التدين الصحيح يقتضي أن تكون على هذا النوع من السلوك الصارم. والحقيقة ليست كذلك. الإسلام هو دين الفطرة السليمة، والله خالق هذا الإنسان، وأعرف بطبيعة وخصائص تكوينه، وأعلم بأشواقه الروحية، وشفافيته الوجدانية، وأحاسيسه النفسية، ورهافته الشعورية. ويكفي دليلا على ذلك أن القرآن في كثير من آياته يوجه الخطاب إلى النفس والقلب والروح والعقل والفؤاد.. وجميعها موضع الرقة والدقة في هذا المخلوق العجيب (الإنسان).

■ التوجه العام للفكر الإسلامي والأخلاق الإسلامية يتميز بالوسطية والاعتدال

ظواهر الاعتدال في المرح والسرور

يبدو أن هناك خلطا عند بعض الناس بين الحزم والجدية وضبط الغرائز والشهوات، المرح والضحك والسرور والتمتع بمباهج الحياة حتى في حدود المباح. هذا الخلط يأتي نتيجة لعوامل متعددة جميعها لها صلة بالتربية والتكوين، وبنوع الثقافة السائدة في وقت ومكان ظاهرة الخلط تلك. من هنا تأتي أهمية وقيمة الوسطية أو الاعتدال في التوجه العام للفكر الإسلامي والأخلاق الإسلامية.

يتحدث الإمام الفيلسوف أبو حامد الغزالي عن الاعتدال في كبح جماح النفس وضبط شهواتها فيقول: (ليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية، بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط.. وبالرياضة تعود إلى حد الاعتدال، فدل على أن ذلك ممكن، والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك لا شك فيها، والذي يدل على أن المطلوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين، ان السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير) وتأكيدا لذلك نلاحظ في الحياة اليومية أن أكثر الناس توفيقا ونجاحا، وأكثرهم قبولا لدى الآخرين، من كان في خلقه وتصرفاته يتصف بالاعتدال والتوازن.

وقد أشاد الله بأهمية الوسط في قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ [البقرة/١٤٣] والاعتدال مطلوب في كثير من أمور الحياة والعلاقات العامة، والمجتمع الذي تؤسس ثقافته على أنماط متداخلة من النشاطات والسلوك المعتدل، لا يمكن أن تغيب فيه أبعاد البهجة والمسرة والطرب في حدود العفاف والطهر واحترام الحقوق العامة للمجتمع الإسلامي. وقد كان المجتمع الإسلامي الأول يعكس ذلك الاعتدال، وكان كبار الصحابة فيه يفعلون ما يشيع أجواء البهجة والسرور يقول الشيخ يوسف القرضاوي: (كان أصحابه: أي أصحاب الرسول ﷺ الطيبون الطاهرون يمزحون ويضحكون ويلعبون ويتندرون، معرفة منهم بحظ النفس وتلبية لنداء الفطرة، وتمكينا للقلوب من حقها في الراحة، واللهو البريء، لتكون أقدر على مواصلة السير في طريق الجد، وإنه لطريق طويل).

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة. وقال: روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلب إذا اكره عمي). فلا بأس على المسلم أن يتفكه ويمزح بما يشرح صدره، ولا حرج عليه أن يروح نفسه ونفوس رفقائه بلهو مباح.

(الحلال والحرام في الإسلام) الذي كتب فيه الشيخ القرضاوي فصلا كاملا عن (اللهو والترفيه) وأكد فيه (أن الإسلام دين واقعي لا يحلق في أجواء الخيال والمثالية الواهمة، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الواقع. ولا يعامل الناس كأنهم ملائكة أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع، ولكنه يعاملهم بشرا، لذلك لم يفرض على الناس – ولم يفترض فيهم – أن يكون كل كلامهم ذكرا.. وإنما اعترف بهم وبفطرتهم وغرائزهم التي خلقهم الله عليها، وقد خلقهم سبحانه يفرحون ويمرحون ويضحكون ويلعبون، كما خلقهم يأكلون ويشربون). إن عالم اليوم وثقافته تطرح الكثير من الأزمات والمشكلات، ومن أخطرها الأمراض النفسية والعصبية، وجاءت هذه الأمراض لتعكس حالات من الكآبة والبؤس على أعداد كبيرة من البشر، تلاحظهم في الشوارع وفي وسائل المواصلات، وعلى شاشات التلفاز. وفي البلدان الإسلامية صور متعددة للكآبة والحزن والتعبس والتجهم. وعلاج هذه الأزمات، يصعب أن يجري ويتم في العيادات النفسية.

لكن العلاج الفعلي هو الذي يأتي من المجتمع ومن ثقافة المجتمع، ثقافة الحنان والمودة والرحمة، ثقافة البهجة التي تصدر من القلوب صادقة وجميلة ذلك هو الدور الذي نريده أن يكون لثقافتنا الإسلامية. وذلك ما نريده لدور ورسالة هذه الثقافة، إذا استطاعت أن تتخلص من عناصرها السلبية، ومن التشوهات التي أصابتها في عصور انحطاط المسلمين، ولا تزال آثار ذلك الانحطاط تلقي بظلالها على مسرح حياتنا الاجتماعية، ولا تزال تطارد مظاهر البهجة في كثير من عاداتنا وسلوكنا، وتحرم – حتى – الأطفال من بهجة طفولتهم. إن ثقافتنا الإسلامية في منابعها ثقافة متوازنة، مؤسسة على الحب والتعاون والتضامن في السراء والضراء. وهي ثقافة بهجة وسرور وثقافة تيسير وتبشير وجمال ■

كثرت أمراض الفم والأسنان في الآونة الأخيرة فنرى أن شابا في العشرين قلع ضرساً ومنا من يستخدم منظفاً ثم بعد فترة يجد أن له تأثيرا سلبيا ومنا من لايستعمل منظفاً لعدم تقبله لـه فقد يتقيأ من استعماله..وحرص الإسلام على الاعتنـاء بالفم وبـالأسنان لما لها من تأثير سلبي على أجهـزة وأعضـاء الجسم لأنها المدخل الـذي يمر عبره الماء والغـذاء وكلما كان المدخل طيباً وطـاهراً كلما ارتفع المستوى الصحي لدى الفرد.

السواك خير حماية للأسنان

السواك مطهرة للفم مرضاة للرب

بقلم: منصور محمد الهادي مطاوع *

السواك (الأراك) اسمـه العلمي (SALVADORA_PERCICA) وهـو قطعـة مـن شجـر الأراك ويعتبر أحسن وأنفع وسيلـة للمحـافظة على الفم والأسنـان. ويتكـون من العفص وهـو مـادة مطهـرة ومضـادة للتعفنـات ومـادتي بيكربـونات الصوديوم وكلـوريد البوتـاسيوم والسينجـرين وهي مادة قـاتلة للجراثيم والفلـورايد، ومـادة شبيهـة بـالبنسلين التي تخفف من حـدة الآلام، ومـادة السلفـادوريـا وحـامض المينا انيسيك، ومـادة تمنع النخـر السني وألياف السليلوز، وبعض الزيوت الطيـارة كما يحتوي على شـارادات الحديـد والفـوسفـات والكلوروبلـورات السيليس وهي مواد زالقة للأوساخ.

الإسلام والعناية بالاسنان

لقـد حثنـا سيـد المرسلين وطبيب الحائرين على العنـايـة بـالاسنـان ولصعـوبـة آلامهـا وصف لنـا وصفـة نـافعـة وسـديـدة، فقـال رسـول ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عنـد كل صلاه» [رواه مـالك وأحمد والترمـذي عن أبي هـريـرة]. وفي الصحيحين عن حـذيفـة بن اليمان قـال: «كـان النبـي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك».

وفي صحيـح البخـاري: «السواك مطهـرة للفم، مـرضاة للـرب»، وفي صـحيح مسـلم أنـه ﷺ «كان اذا دخل بيته بدأ بالسواك»، وفي السنن عـن عامر بن ربيعـة رضي اللـه عنه قـال: «رأيت رسـول اللـه ﷺ مالا أحصى يستـاك وهـو صـائم»، وعن أبي أيوب رضي الله عنه أنه قال: «قال رسول الله ﷺ أربع من سنـن المرسلين الختـان والتعطـر والسـواك والنكـاح» [رواه الترمذي].

أول من استعمل السواك

يقـال إن أول من استاك هـو خليل الله ابراهيـم عليه السلام. والسواك سنة نبـوية في أي وقت يسر لك ويفضل عنـد الـوضـوء وقبل كل صـلاة، عقب تنـاول الطعام وتغير رائحـة الفم، وقبل النوم وعند الاستيقاظ.

الفوائد الطبية للسواك

أكد علماء الطب والصيـدلة أن للسواك فوائد ومنافع طبية عامة وشـاملـة للجسم وبخـاصـة للجهاز الهضمي والتنفسي..

– السواك يقـاوم الجراثيم وله تأثير مضاد للالتهـابات التي قد تحدث في الفم.

– لـه تأثير مسكـن لآلام الأسنان.

– استعمال السـواك يجعلك تقلع عـن العـادات السيئـة كالتدخين.

– السـواك بـه مادة قـابضـة تعمل على شـد اللثـة وتقويتهـا، وفيـه مواد تحافظ على الأسنـان مـن التسـوس وحمض الميناانيسيك الذي يطرد البلغم.

– السـواك أرخص وأيسر وأوفر وسيلة للمحافظة على الفم والأسنان.

– في السواك المتخد من شجرة الأراك مادة عطريـة زيتية منحلة في الأثير تعطي للفم رائحـة ذكية وطعماً مستحسناً.

– السـواك بـه ألياف عـزيـزة وقـويـة لاتنكسر تحت الضغط وهي لينـة بحيث تـأخـذ الشكل المناسب لتـدخل بين الأسنان وفي الشقوق لتزيل الفضلات دون أن تؤذي اللثة.

– السـواك يجلـو البصر، ويصحح المعـدة، ويصفـي الصـوت، ويسهـل مجاري الكلام، وينشط القراءة والذاكرة والصـلاة ويدر البـول ويطـرد النـوم، ويـرضي الـرب، ويعجب الملائكة ويكثر الحسنات ويقوي العمـود الفقري ويطلق اللسـان وينقي الـدماغ ويشهي الطعـام ويحد الذهن.

السواك موجود بوفرة

أفضل مـايتخـذ السـواك من شجـر الأراك وهـو شجـر دائم الخضرة تشبه شجـرة الرمـان، وينمو في المنـاطق الحارة وتكثر عادة في أودية الصحاري وتكون قليلة في الجبـال. وهي مـوجودة بـوفـرة في المملكـة العـربيـة السعودية وجنوب الوادي بمصر والسـودان وأيران وشرق الهنـد والشام. ولاينبغي أن يـؤخذ من شجرة مجهولة ربما كانت سماً. والسـواك متـوفـر حـاليـا في الصيـدليـات والأماكن العـامـة وأمـام المسـاجـد وأجـوده ماستعمل مبلولاً بماء الورد ■

*أستاذ بجامعة الازهر

دور الإسـلام في العالم

بقلم: محمد مرسي محمد مرسي

تتدرج الإنسانية نحو الكمال بقدم ثابتة، وخطى متزنة، والجماعات البشرية كلها وإن تناحرت وظهر أن بعضها يهدم بعضاً فإنها في الواقع مسخرة لقوى تمخضها مخضاً لتستخرج منها خلاصة ما أودعته فطرتها من خصائص كريمة وخصال عالية، وقد تزول أمم وتقوم أمم، وتبيد طوائف وتنشأ طوائف، وتزلزل الأرض تحت أقدام الجماعات حتى ليظن الناظر إليها أن العالم مدفوع لدمار محقق، وخراب لامرد له، والحقيقة أن أجزاءه تتفاعل تفاعل المواد الكيماوية، لتخرج مركباً جديداً أجمع منها جميعاً للمزايا المتفرقة فيها، ليؤدي عملاً جديداً لايستطيع أن يضطلع به ما كان قبله، ويكون مقدمة لغيره من الترقيات الصورية والمعنوية التي يأخذ بعضها بأيدي بعض، متكافلة على تحقيق وعد الله في الأرض..

لقد عاش الناس آماداً طويلة متفرقين شيعاً، ومتخالفين أصولاً ومبادئ وكان العقل الإنساني ملتاثاً ببقايا السذاجة الأولى، ويتخذ من هذا التشيع والتخالف عاملين قويين على توسيع شقة الانقسام البشري، وقد اتخذوا الأديان بواعث للمضي في هذا التناحر إلى أقصى حد. ومازالوا جارين على هذا السمت حتى تمهدت سبل الاتصال بين الشعوب، وتسهلت وسائل التعارف بينها، ونجمت حاجات حيوية تدعوها لتبادل الثمرات، وتداول المنافع، فنشأ للأمم شعور لم يكن من قبل..

وهو وجوب قيام صلة بينها تسمح لها بالتكافل في الحياة، ليكمل بعضها نقص البعض الآخر في أعظم الحاجات وأبسطها فنشأت التجارة العالمية، فكانت وسيلة للتفاهم، والتفاهم يدفع إلى التسالم، فكان هذا عهداً جديداً في حياة الأمم مازال تدفع عوامله بالشعوب بعضها نحو بعض، ممهداً لأكبر عهد من عهود البشرية، ألا وهو القيام على أصل جامع يؤلف بين الكافة في حظيرة واحدة، إخواناً على سرر متقابلين، ليقطعوا مراحل هذه الحياة، مجردين قواهم كلها للتكامل في العلم والعمل، لامتناحرين يبغي كل فريق لخصمه الفشل، ويبيت له الويل والخبل..

ولد هذا الشعور في العالم، ولكنه ولد خيالاً يطوف ببعض الرءوس ولايستقرفيها، إلا أنه كان يزداد على مر الأيام قوة، إلى عهد خاتم النبيين محمد ﷺ..

معضلة وحل

في هذا العهد أراد قيوم الوجود ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجعل من هذا الشعور الخيالي حقيقة واقعة، فشرع للناس الإسلام، وأمر بإشاعته في جميع أكناف الأرض، افتتح به عهداً نهائياً للبشرية لم تكن تخيله من ناحية الدين قط، لأن كل أمة لُقنت أن الأديان كلها مزورة إلا الدين الذي هي عليه، فمن أية جهة تأتي مجموعها الوحدة المرغوبة من قبله، ذلك كان من المحالات العقلية، فكان بعض الفلاسفة يتخيل هذه الوحدة من ناحية التخلي عن جميع الأديان، وكيف كان يعقل ذلك في أمم اختلط حب الدين بدمها وآثرته على نفسها وولدها؟

فكيف حل الإسلام هذه المعضلة الخطيرة في حدود العقل ومنطق الأشياء، وسوغها للأذهان إلى حد أن صار ليس بين خصم الإسلام وقبوله والتحمس له إلا أن يسمعها بينة من الداعي إليه، وأن يفهمها حق الفهم؟

حقاً إن هذه لمعجزة لدين يعلن أنه آخر الأديان الإلهية، وأنه الدين العام لمجموع البشرية، وسيصبح دين الكافة غير منازع، بعد أن تتجلى للناس آياته في الآفاق والأنفس

■ لاسبيل لأكبر قوة في العالم أن تسلب سلطان العقل الكامل، لأنه قبس من الله به يكلّف وبه يحاسب

الإنســانيــة. أعلن الإســلام أنـه في أصـولـه الاعتقادية ليس بدين جديد، ولكنه الدين الأول الـذي أوحاه اللـه إلى نـوح، ثم تابع وحيـه إلى جميع المرسلين من بعــده، فإذا كـان النـــاس يـرون أمـام أعينهم أديـانـاً مختلفـة في هـذه الأصـول فإنما حدث ذلك من تحريف قـادتها لها، وتحميلهـا مالاتحتملـه من أهوائهم بغيـاً بينهم.وقـد أرسل الله بـه نبيه محمـداً ﷺ في آخر الزمـان، خالصاً من كل ما أدخـل إليه مما ليس منـــه، ليقـوم النـاس على أصل جـــامع، فينعموا بمـزايا الـوحدة، ويتـوجهوا بجملتهم لتحصيل الكمال الذي وعـدته بـه البشرية، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى:

﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والـذي أوحينا إليك، ومـا وصينـا به إبـراهيم وموسى وعيسى، أن أقيمـوا الدين ولاتتفـرقوا فيـه، كبر على المشركين ماتـدعـوهم إليه، اللـه يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب، وما تفرقـوا إلا من بعد ماجـاءهم العلم بغياً بينهم ولـــولا كلمـة سبقت مـن ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم، وإن الـذين أورثـــوا الكتـاب من بعـدهم لفي شك منـــه مـريب، فلـذلك فـادع واستقم كما أمرت ولاتتبع أهواءهم، وقل آمنت بما أنزل اللـه من كتاب، وأمـرت لأعدل بينكم، اللـه ربنـا وربكم، لنـــا أعمالنـا ولكم أعمالكم لاحجــــة بيننـــا وبينكم ﴾ أي لامحاجة ولاخــــــصومة ﴿ الله يجـمع بيننا وإليه المصير ﴾ [الشورى:١٣-١٥]..

الحق لايتعدد

وكذلك قول الله تعالى في الآيتين:١٩و٢٠ من سورة آل عمران، إذا ألقيت هذا البيان إلى كائن من كان، أساغه عقلـه، واطمأن إليه قلبه، وحنّ له شعوره وإلا فهل يعقل أن اللـه يوصي أدياناً متخـالفة في أصـول العقـائد لأمم تتشابـه في عقولها وقابلياتها ووجهاتها، على حين أن الحق لايتعدد، ونواميس الكون لاتتغير؟ فإذا لم يكن هـذا التخـالف في الأديان مـن جنايـات قـادة الأديان، فجناية من هو؟

وهل يعقل أن يتـوحـد العلم الكـوني في كل مكان، حتى تكون أصولـه في أية بقعة من بقاع الأرض هي أصوله في سائر بقاع العالم، ويكون الـدين في أصـولـــه ذا وجـوه مختلفـة ينقض بعضهـــا بعضـاً، ويبغي بعضهـــا على بعض والذي ضمن للـدين الإسلامي الخلـود أمران: الفطـرة الإنســانية، وسلطـان العقل الكـامل، والناس جميعـاً يتفقون في مقتضيـات الفطرة، فما يراه إنسان بفطرته حسنـاً، ومايراه قبيحاً يـراه الكـافة قبيحـاً، اللهم إلا إذا تعمـد الآبـاء والمربون إفساد هذه الفطرة، وشرط الإسلام أن تبقى الفطرة سليمـة من الشوائب التي تحولها عن منهجها..

وأما سلطان العقل الكـامل، فلا سبيل لأكبر قـوة في الأرض أن تسلبه إيـاه، فإنـه قبس من نور الله، ونفحة من حكمته، وقد حاول طمسه قادة الأديان السابقة أجيالاً، وعاقبوا من يحوم حول حماه بالحديد والنار قـروناً، فأظهره الله على جميع القـــوى الظلمانيـــة التي جـــردت لمكافحتـه، وتجلى جوهـراً خالصـاً لم يمسسه سوء، وهـوهو اليوم فيصل التفـرقة بين الحق والبـاطل في العـالم كله.. اعتمـد الإسـلام على هذين الأمـرين الطـبيـعيين، اعتــــماد البنـاء على ركنيه الركينين فقال عن الفطرة الإنسانية:

﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبـديل لخلق الله ذلك الدين القيم، ولكن أكثـــر النـــاس لايعلمـــون ﴾ [الروم:٣٠].. فالخالق جـل شأنه يبين للناس أن الدين هو ماجبلـت عليه النفوس من الفطرة الإلهية، ولكن بشرط أن لاتشاب بتعاليم تتحكم فيهـا وتوجههـا غيروجهتهـا الطبيعية، وهـذه الفطرة الخالصـة من كل شوب: مـن هوى، أو وهم أو تقليد أو تعليم ، هي الإسلام نفسه..

العقل هو الحكم

إلا أن هذا الموقف يحتـاج لمقوّم يقـومه، فإن للنـاس يتخـالفـون في الغـرائز الطبيعيـة وفي الصفـات الـوارثيـة: فمنهم المتثبت والمتسرع، والبعيــــد النظـــــر والقصيره، والكثير العلم والقليلـه، فكـان لابد من حكم يـرضى النـاس جميعـاً حكومتـه، ولايشـذ عنها الإمفتـون أو متعنت، هـذا الحكم هـو العقل. وكما كان هـذا العقل مناط التكليف، وفيصل التفرقة بين الحق والبـاطل، وجب أن يكـــون بحيث يصلح لهذه المهمـة الخطيرة، فلـذلك حث الحق سبحـانـه وتعـالى على تكميلـه، بالنظـر في الأعـلام التي نصبها في الكـون لتكميله والمنـار التي أقـامها لهدايتـه، ليقـوى على ما هـو بصـدده، ويأمن العثـار في حكمـه، ولا يلتبس عليـه البـاطل في تكونـه.. فهذا الجمع بين حكم الفطرة المعـدلة بحكم العقل الكامل، هو الأسـاس الديني الذي بعث اللـه خاتم أنبيـائه ﷺ لوضعه وإعلانه بين الأمم، لتتوحد في أديانها وعقائدها، كما هي متوحدة في إنسانيتها ومظهرها وعقولها..

لقد نـجح الفيلسوف الإنـجليزي «باكون» واضع الدستور العلمي قبل نحـو ثلاثة قرون في توحيد العمل في كـل بقاع الأرض، ببنائه على المشاهـدة والتجربـة، وعلى التحليل والتركيب، وبإخراجه جميع الآراء والظنون من مادته، فإذ كان «باكون» قد استحـق إعجاب العالم كله به لتـوفقـه إلى هـذا العمل العظيم، فإن الإسـلام يستحق أكبر مما يتصور من الإجلال والإكبار لإيحائه إلى خـــاتم أنبيـــائه محمـــد ﷺ هذا الدستور الديني الـذي نحن بسبيله، فجمع به بين أمم لاتغرب عن بلادها الشمس، وسيجتمع عليه سائرها، متى وفـق الله المسلمين لإعلانه للناس في الصـورة الباهـرة، ومتى أراد الله أن يتم هذا الإصلاح الكبير في الأرض..

الإيمان بالرسل أساس الإيمان

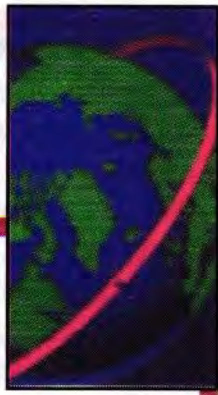
وبما أن الإسـلام يرمي إلى تـوحيـد الأمم في عهـد جديـد للبشرية، كـانت عقائده على هـذا الأصل الجامع، فأمـر الآخذين بـه أن يعتقدوا بجميع رسل اللـه، وأن لايفـرقـوا بينهم، وأن يصدقوا بما أرسلوا بـه من الكتب، جاعلاً ذلك أساس الإيمان، لتكـون صبغته عـالمية من كل وجه، فقـال تعالى: ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسبـاط وما أوتي مـوسى وعيسى ومـا أوتي النبيون مـن ربهم لانفرق بين أحـد منهم ونحن له مسلمون ﴾ [البقرة:١٣٦]..

وبعد هذا البيان لايستطيع أحد أن ينكر هذا الأســاس الديني الـذي جـاء بـه الإسلام هـو أقصى ما يمكن تخيله من نظـام يدعو إلى دين واحـد، وإلى الإخـــاء بين الأديـان، ويجمع على الـرضا بـه كل ذي فطرة وعقل. وإن رجـلاً في أبعـد بقعة من الأرض عن العمـران، وعن مثل هـذه الأحلام العـالمية، وفي عصر لم يطف فيـه تـوحيد الأديـان والأمم في عقل بشر، لايعقل أن يكون انفرد بالتفكير في هذا الأمر وهو لم يفرغ بعد من التوحيد بين القبائل التي نشأ في بيئتها، وإذا عقل أنه قد يفكر في ذلك، فلايعقل أن يأتي بدستور يبلغ من الكمال إلى هذا الحد..

لامشاحة في أن هذا أمـر جلل، وفي أنه معجز إلى أقصى حـدود الإعجـــاز وفي أنـه سيكسب الإسـلام المكـانة التي يـرمي إليهـا، وهي أن يـكــــون الديـــن الـذي شرعه الله للــــناس كافة ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السمـوات والأرض طـوعـاً وكرهـــاً وإليـه يرجعون ﴾ [آل عمران:٨٣]..

فإذا قـد ر اللـه للبشر أن يجتمعـوا على دين عام، في عهـد من عهودهم، فهو الإسـلام، وقد قـــال تعـــالى: ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنـه الحق، أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ [فصلت:٥٣]□

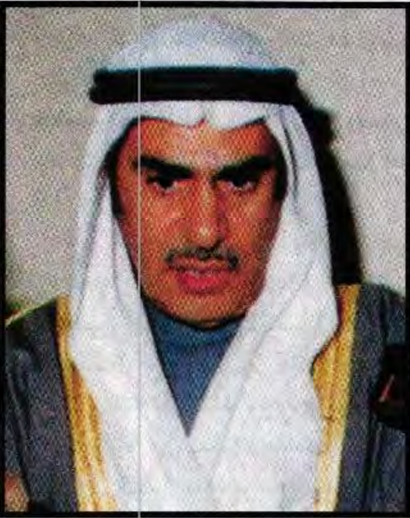




نافذة على العالم

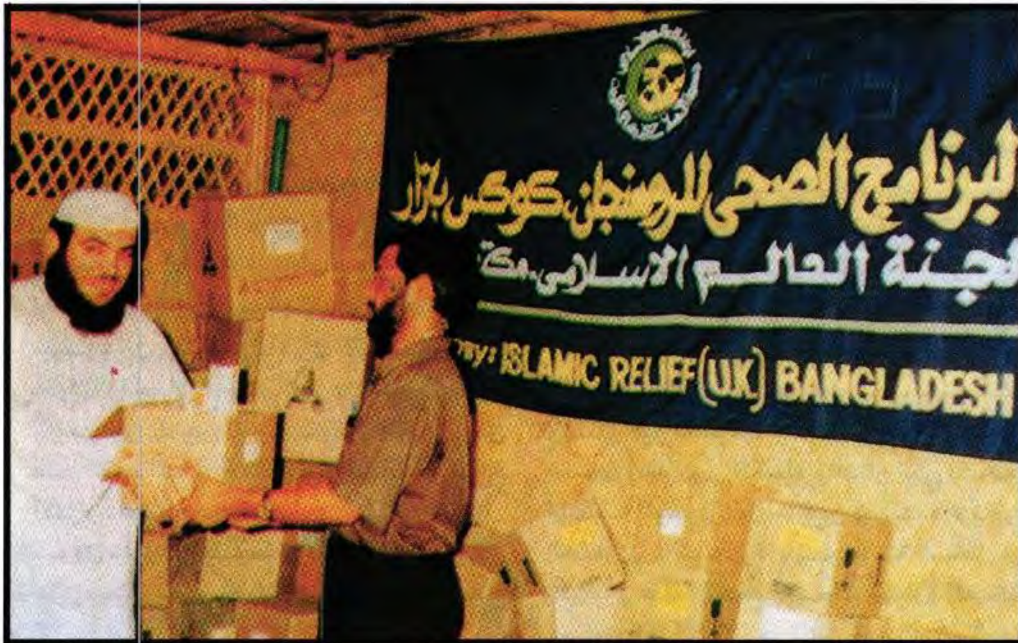
أسبوع الشريعة الإسلامية الثاني

برعاية السيد أحمد السعدون رئيس مجلس الأمة الكويتي وتحت شعار: (شريعتنا تحفظ كويتنا) أقامت جمعية الإصلاح الاجتماعي خلال الفترة من ٣-٧ جمادى الأولى ١٤١٥هـ الموافق ٨-١١ أكتوبر ١٩٩٤م أسبوع الشريعة الإسلامية الثاني وقد حاضر خلال الأسبوع كل من: الدكتور سيد نوح حول (تطبيق الشريعة بين الخيار والواجب)، والدكتور محمد الأشقر حول (الأمان في تطبيق شرع الرحمن)، والشيخ أحمد القطان، والشيخ جاسم مهلهل الياسين، والدكتور أيوب الأيوب. وقد أقيمت في ختام الأسبوع ندوة حول (مجلس الأمة بين الواقعية والتنظير في تطبيق الشريعة) شارك فيها نائب رئيس مجلس الأمة صالح الفضالة والنائب مبارك الدويلة والدكتور محمد المقاطع من كلية الحقوق في جامعة الكويت.



● أحمد السعدون

توزيع تبرعات عينية



قام قسم التبرعات العينية في بيت الزكاة خلال شهر سبتمبر الماضي بتقديم العديد من المواد الغذائية للأسر المحتاجة في الكويت لتخفيف العبء عنها، وتأمين العيش الكريم لها إلى أن تتحسن ظروفها وتصبح قادرة على الاعتماد على نفسها.

وأوضح رئيس قسم التبرعات العينية في بيت الزكاة عادل الجري أن عدد الأسر التي تمت مساعدتها بلغ (١٣٣٥) أسرة، وأن مجموع عدد أفرادها بلغ () ٩٠٧٥فردا.

باكستان الأولى في إمداد قوات الأمم المتحدة

أفادت أرقام نشرت في مقر الأمم المتحدة أن ٧٨١١١ رجلا يشاركون حاليا في ١٦مهمة دولية لحفظ السلام في سائر أنحاء العالم وما تزال باكستان وفرنسا والهند في طليعة الدول التي تمد الأمم المتحدة بهذه القوات.

وفي ما يلي اللائحة الشهرية لأول عشر دول تمد الأمم المتحدة بقوات (بتاريخ ٣٠سبتمبر): باكستان: ١٠٠٢٢، فرنسا: ٦٣٢٦، الهند: ٥١٦٣، بريطانيا: ٤٠٨٢، بنغلاديش: ٤٠٠١، الأردن: ٣٦٠٣، ماليزيا: ٢٨٥٤، كندا: ٢٧١٢، مصر: ٢٢٢٨، بولندا: ٢١١٧.

وتحتل روسيا المرتبة الـ١٦ في هذه اللائحة (١٥٣١)، والولايات المتحدة المرتبة الـ٣٢ (٩٣٨)، والصين المرتبة الـ٤٩ (٦٥). ومن بين دول امريكا اللاتينية التي تمد المنظمة الدولية بقوات تأتي الارجنتين في الطليعة (١٤٠٥).

قتلى إسرائيل منذ اتفاق أوسلو

ذكرت أنباء القدس المحتلة أن حصيلة القتلى الإسرائيليين منذ التوقيع على اتفاق أوسلو وحتى الآن بلغ (٦٧) إسرائيليا في الضفة الغربية وقطاع غزة وداخل الخط الأخضر. ووفق مصادر إسرائيلية فإن ارتفاعا طرأ على عدد العمليات داخل الخط الأخضر ١٩٤٨م. وقد قتل في الأشهر الثمانية التي سبقت توقيع الاتفاق (٢٣) إسرائيليا. وقد نشر هذه المعطيات مجلس المستوطنات الإسرائيلية بالتعاون مع حزبي الليكود واليمينيين المعارضين. وحسب المصادر فإن المعطيات تشير إلى مقتل (٣٨) إسرائيليا في المناطق المحتلة منذ شهر سبتمبر ١٩٩٢م وحتى سبتمبر من العام ١٩٩٣م منهم (٢١) جنديا، وأنه منذ اتفاق أوسلو وحتى أيلول ١٩٩٤م قتل في المناطق المحتلة (٣٠) إسرائيليا منهم (١١) جنديا، ومنذ تطبيق الحكم الذاتي الفلسطيني في شهر مايو الماضي وقعت داخل الخط الأخضر من عام ١٩٤٨م أكثر من (٤٠) عملية مسلحة قتل فيها (٦) إسرائيليين.

فتوى يهودية بقتل العرب

دعت فتوى دينية يهودية إلى قتل كل المواطنين العرب في فلسطين المحتلة بمن فيهم الأطفال والنساء. وزعمت الفتوى التي أصدرها الحاخام (عيدو ألبا) الزعيم الديني لليهود في مستوطنة كريات أربع بمدينة الخليل المحتلة أن الفرائض الإلهية تأمر اليهود بقتل جميع الغرباء العرب.

وقال الحاخام اليهودي في فتواه التي نشرتها صحيفة (معاريف) الإسرائيلية وصحف الأراضي العربية المحتلة أنه على الرغم من أن الأطفال والنساء العرب لا يعرضون حياة اليهود للخطر فإنهم يساعدون (العدو) في مواصلة الحرب.

وأشارت الصحيفة إلى أن الفتوى اليهودية صدرت تحت عنوان (توضيح فرائض قتل الغرباء) وتقع في ١٩ صفحة وأعدها الحاخام ألبا بعد مذبحة الحرم الإبراهيمي الشريف في شهر فبراير (شباط) الماضي التي ارتكبها متطرفون إسرائيليون وراح ضحيتها عشرات من القتلى والجرحى من المصلين المسلمين الفلسطينيين. وجاء في الفتوى اليهودية: (إن الحرب إلزامية ضد كل عربي. وأن النهي عن القتل وسفك الدماء الوارد في الشرائع اليهودية لا يتعلق باليهودي الذي يقتل من هو غير يهودي. ويجب عدم معاقبة أي يهودي يقتل أجنبيا).

رابطة العالم الإسلامي تشجب التحركات العراقية

أعربت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي عن قلقها الشديد إزاء التطورات على الحدود بين الكويت والعراق والتي سببها النظام العراقي بحشد قواته المسلحة بكثافة على الحدود مع الكويت. وقال المتحدث الرسمي باسم الرابطة في بيان صدر عنها: إن رابطة العالم الإسلامي التي تمثل شعوب العالم الإسلامي تعلن أسفها لمحاولات النظام العراقي تعكير الأمن وتهديد السلام بين الدول العربية في الوقت الذي لم تندمل بعد جراح الأمة بسبب غزو الجيش العراقي للكويت في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠.

وقال المتحدث إن رابطة العالم الإسلامي تدعو المسؤولين في العراق إلى تجنب أي تصعيد من شأنه إعادة المنطقة إلى التوتر الذي كان سائدا إبان الغزو والاحتلال العراقي لدولة الكويت، لأن الأمة تمر بمرحلة تتكالب فيها قوى العدوان على الشعوب المسلمة. وقال: إن للشعب الكويتي كل الحق في أن يعيش حرا وأن يمارس سيادته على أرضه حسب ما أكدته قرارات الجامعة العربية والأمم المتحدة، وأن العراق مطالب بالتقيد بالأنظمة والمواثيق الخاصة بالجامعة العربية والتي وقع عليها منذ أن قامت الجامعة.

السحرة ينشطون في إيطاليا!!

قال معهد يورسبيز للأبحاث في تقرير عن سوق السحر في ايطاليا: (لم تفلح المدنية والتقدم في القضاء على الخرافات والمعتقدات الغريبة المتأصلة في نفوس الإيطاليين منذ أقدم العصور).

وقال التقرير وعنوانه (أموال الشيطان): إن السحر أصبح تجارة في إيطاليا تبلغ قيمتها ملايين الدولارات.

ومن الصعب إعطاء تقرير دقيق لعدد السحرة والمنجمين وقراء الطالع في إيطاليا. ويقول التقرير إن عددهم يتراوح ما بين ٢٠٠٠ و١٢ ألفا غالبيتهم من الرجال. ويقدر المعهد أن حوالي ١٢مليون شخص معظمهم من النساء يستشيرونهم سنويا. ويعلن السحرة والحكماء عن أنفسهم في مجلات خاصة وفي وسائل المواصلات وقنوات تلفازية تابعة للقطاع الخاص. كما يعرضون خدماتهم هاتفيا وبالفكاس في الحالات العاجلة والبريد في الأمور العادية.

ملايين الأمريكيين تحت خط الفقر

أفاد مكتب الإحصاء أن عدد الأمريكيين الذين يعيشون في فقر ارتفع للعام الرابع على التوالي عن عام ١٩٩٣م. وقال مسؤولون إنه في عام ١٩٩٣ كان هناك ٣٩,٣ مليون أمريكي يعيشون في فقر أي ما يعادل نحو ١٥,١٪ من السكان بزيادة ١,٣ مليون شخص عن عام ١٩٩٢م.

وقبل أربع سنوات أي في عام ١٩٨٩ كان عدد الأمريكيين الذين يعيشون في فقر نحو ٣٢,٤ مليون شخص وهو ما يمثل ١٣,١٪ من السكان. وأشار المكتب إلى أن مستوى الفقر بالنسبة لأسرة مؤلفة من أربعة أشخاص كان يحسب في العام الماضي على أساس ألا يتجاوز دخلها السنوي ١٤٧٦٣ دولارا.

وكشفت الدراسة عن انخفاض متوسط دخل الأسرة الأمريكية خلال الفترة نفسها بنسبة ٦ر١٪ مع مراعاة معدل التضخم في عامي ١٩٩٢و١٩٩٣ ليصل إلى ٣٧٤٨٤ دولاراً من ٣٨٠٩٨ دولاراً. وهذا يعني أن دخل نصف عدد الأسر الأمريكية بشكل عام كان يقل عن المتوسط.

وأورد التقرير أن نسبة الفقر بين الأطفال ظلت أكبر منها بين غيرها من الفئات حيث وصلت إلى ٢٢,٧٪ لكن مسؤولين قالوا إن هذه النسبة لم تزدد كثيرا عن عام ١٩٩٢م.

وظلت نسبة الفقر بين البيض والسود كما هي تقريبا حيث أعلن المكتب أن١٢,٢٪ من البيض يعيشون تحت خط الفقر مقابل ٣٣,١٪ من السود و ٣٠,٦٪ بين من ترجع أصولهم إلى أمريكا اللاتينية.

روسيا غير مؤهلة للانضمام إلى المجلس الأوروبي

ذكر تقرير أن لجنة من الخبراء خلصت إلى أن روسيا غير مؤهلة حاليا للانضمام إلى المجلس الأوروبي الذي يضم في عضويته ٣٢دولة.

وقال التقرير إن اللجنة اتخذت هذا القرار لأن النظام القانوني لروسيا لا يفي بمعايير حقوق الإنسان.

ويمثل الحكم الذي اتخذته اللجنة انتكاسة كبرى لمحاولة موسكو الانضمام إلى الهيئة الأوروبية التي تعمل على تعزيز الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان.

مقتل ثلاثة آلاف طفل بوسني!!

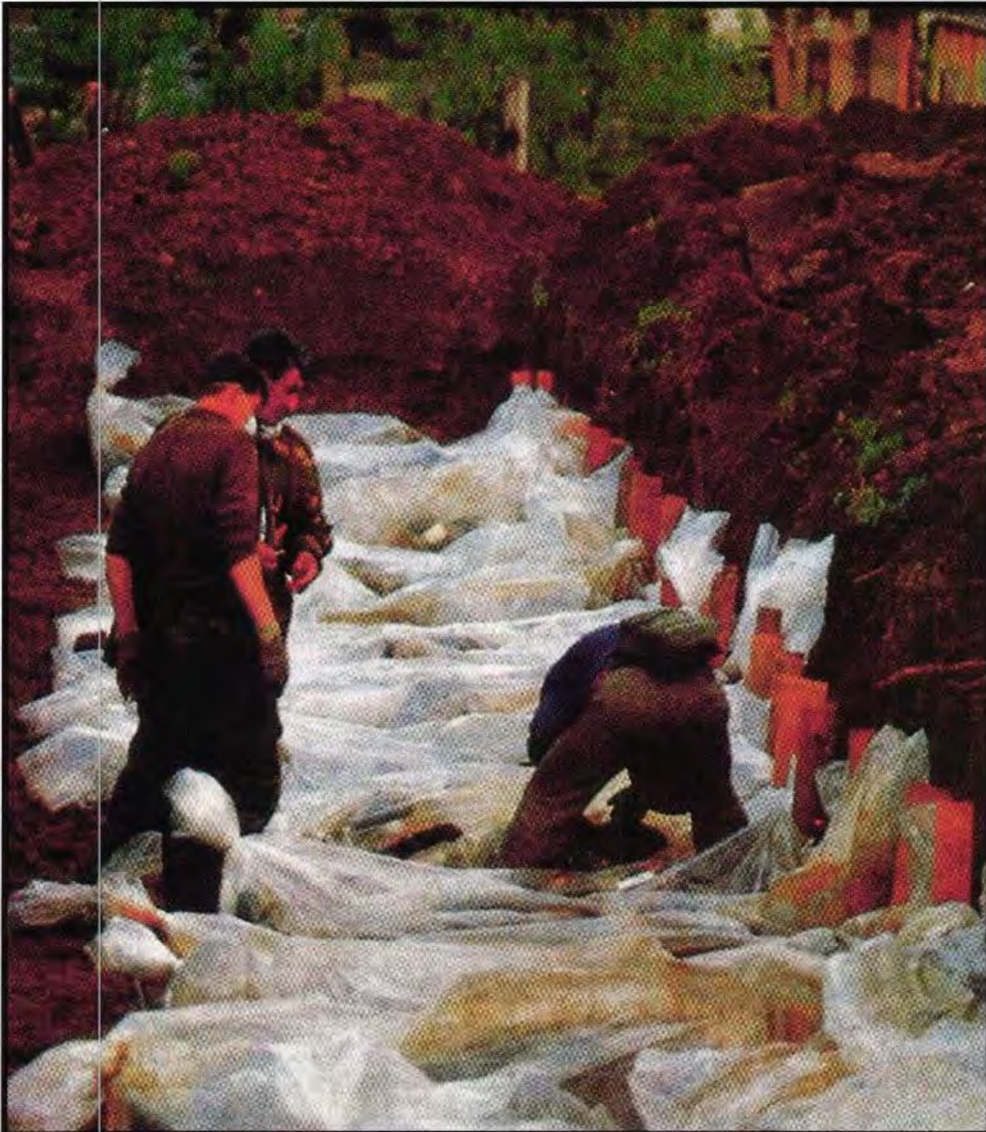
أكدت منظمة (اليونيسيف) أن ثلاثة آلاف طفل بوسني قتلوا في المعارك التي دارت حول العاصمة البوسنية سراييفو وأن العديد من الأطفال تعرض للصدمات النفسية العاطفية نتيجة نكبات الحرب، ولا يزال التهجير مستمرا إلى دول أوروبا وغيرها.

وفي هذا الشأن ذكرت أستاذة في الطب النفسي بمعهد الصحة النفسية في العاصمة اليوغسلافية بلجراد (أنه بسبب نقص الرعاية وبعد الأطفال عن أهلهم سيظل الأطفال معرضين للإصابة بالاضطرابات النفسية طوال حياتهم).

وقالت إن معظم الأطفال من مناطق الحروب يصابون بمختلف الأمراض النفسية مثل: اضطرابات الأكل والنوم والعدوانية والنشاط المفرط وعدم القدرة على التكيف مع الأطفال الآخرين.

كذلك يعاني هؤلاء الأطفال الذين أبعدتهم الظروف القاسية عن آبائهم وأمهاتهم من التشوش والشعور بالذنب، إذ لا يفهمون لماذا لم يعد ذووهم يريدونهم .

ومازال الصرب المعتدون يستخدمون النساء المسلمات والأطفال البوسنيين كدروع بشرية خلال عدوانهم على المسلمين في الجبهات المختلفة في البوسنة.



على طريق الأمية

أعلن جيمس غرانت المدير العام لصندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (يونيسف) في إطار مؤتمر التربية العالمي المنعقد حاليا في جنيف أن نحو ١٣٠ مليون طفل في عمر الالتحاق بالمدرسة لا يذهبون إلى المدارس، وثلثاهم من البنات.

وتابع غرانت: (ومن بين الأطفال الذين بدأوا دروسهم في عام ١٩٩٠م يهجر واحد من أصل اثنين تقريبا المدرسة قبل إنهاء المرحلة الابتدائية، ومن بينهم نسبة كبيرة من البنات.

وتبذل الكثير من الجهود في هذا المجال في ٤٢ من أصل ٩٥ دولة قد حققت تقريبا الهدف الذي حددته للعام ١٩٩٥ أي للتخفيض بنسبة الثلث، والفروقات القائمة بين نسب إنهاء المرحلة الابتدائية المسجلة في العام ١٩٩٠م ونسبة ٨٠٪ المحددة كهدف لعام ٢٠٠٠م.

وتعهدت تسع دول نامية من أكثر الدول اكتظاظا بالسكان بتحقيق هذا الهدف. ويعيش في هذه الدول - الصين وأندونيسيا والمكسيك والبرازيل ومصر والهند وبنغلادش ونيجيريا وباكستان - ثلاثة أرباع الأميين في العالم، وثلثا الأطفال الذين لا يترددون على المدرسة.

وأفاد غرانت أن الصين وأندونيسيا والمكسيك قد نجحت في ضمان أربع سنوات من المدرسة كحد أدنى لـ٨٠٪ على الأقل من أطفالها. لكن الوضع أقل ايجابيا في البرازيل ومصر والهند وهي دول يمكنها أن (تحقق الهدف شرط الاستمرار في تكثيف جهودها). وأفاد غرانت أن بنغلاديش ونيجيريا وباكستان بخاصة لا تزال تواجه (مهمة كبيرة لكن يمكن تحقيقها).

وقال: إنه من الملح الأخذ بعين الاعتبار المبادرة الهادفة إلى تمويل الخدمات الاجتماعية الأساسية التي عرضتها اليونيسكو بالتعاون مع منظمات عالمية لتمويل خدمات اجتماعية أساسية بما فيها التعليم الأساسي. وتقضي هذه الخطة بأن تؤمن الدول النامية ثلثي المبلغ والمجموعة الدولية ما تبقى.

الجوع يفترس ٩٠ دولة!

كشفت الإحصاءات التي أعدتها منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (الفاو) أن شبح الجوع يهدد ٩٠ دولة نامية ومن بينها ٤٥ دولة أفريقية، هذا ما أوضحه عبدالله بن يحيى ممثل الفاو بالقاهرة، وقال: إن هذه الدول منخفضة الدخل وتفتقر إلى مقومات الحياة الآمنة من الناحية الغذائية، وأن منظمة الفاو سبق لها في نهاية عام ٩٢م أن حذرت من وقوع كارثة غذائية في العالم حيث مازال العالم برغم التقدم العلمي الذي يعيشه عاجزا عن تدبير الغذاء للأفواه (الجائعة) لأن هناك مليار نسمة في العالم لا يحصلون على وجباتهم الأساسية، ومليارين يفتقرون في غذائهم للأملاح والعناصر الغذائية اللازمة وملياري نسمة آخرين يعانون من الأمراض المزمنة نتيجة الأغذية غير المتوازنة التي يحصلون عليها. وهو الأمر الذي يتطلب شن حرب جديدة لمواجهة الجوع في العالم قبل ان يستفحل امره ويشكل كارثة حقيقية لأنه إذا ظل هذا الوضع دون مجابهة، فإنه سيكون هناك ٩ مليارات نسمة سيهددها الجوع بشدة عام ٢٠٣٠م. وهو ما يحتاج بالفعل إلى تكثيف الجهود وتكريس التكنولوجيا الحديثة والتعاون بين الحكومات والمنظمات غير الحكومية في كل مكان من أجل تحقيق قدر معقول من التغذية السليمة لكل هؤلاء، لأنه من العار أن يموت الناس جوعا في عصر العلم والتكنولوجيا وغزو الفضاء.

اجراءات لإصلاح المجتمع المسلم في الهند

اتخذ مؤتمر إصلاح المجتمع الإسلامي في الهند برئاسة الشيخ أبو الحسن على الندوي عدة قرارات وإجراءات عملية للإصلاح، بعد دراسة الاتجاهات المعاصرة للمجتمع الإسلامي في الهند والنظام العائلي وحياة الفرد بمشاركة عدد من العلماء ورجال القانون. وجاء في قرارات المؤتمر الذي نظمته جامعة دار العلوم - ندوة العلماء بمدينة لكناو الهندية - ضرورة إعادة تكوين المجتمع الإسلامي على الأسس الإسلامية الأصيلة بداية من إصلاح الفرد والأسرة وتنقيته من التقاليد الدخيلة عليه وأن يتم الزواج طبقا للسنة النبوية المطهرة، وأنه لابد من إزالة ما راج في المجتمع الإسلامي في الهند باسم الجهاز، حيث يطلب ولي الولد المال والمتاع من ولي البنت، وذلك معارض ومضاد للشريعة الإسلامية السمحة، وأن المهر في النكاح واجب شرعي يجب في تعيينه وتحديده رعاية الحالة المالية للطرفين وأن يلجأ الزوج والزوجة المسلمين في نزاعاتهما في الحقوق والواجبات إلى أصحاب الرأي والعلم من أهلهما أو المحاكم الشرعية لهيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند بدلا من اللجوء إلى المحاكم العلمانية.

إسلام (٣٦) شخصا في جمهورية مالي

أعلن مشروع تفريغ الدعاة التابع لجمعية إحياء التراث الإسلامي أنه تم إسلام (٣٦) شخصا في جمهورية مالي على أيدي دعاتها، وذلك عن طريق زيارات الدعاة لهؤلاء الناس، ودعوتهم وإرشادهم إلى الإسلام ومميزاته، وإيضاح بطلان الطريق الذي يسلكونه سواء أكانوا من النصارى أم من الوثنيين عبدة الأصنام، وهذا مع قلة وسائل النقل لدى الدعاة. ومع قلة المراجع التي تفيدهم، وكذلك مع وجود الهيئات التنصيرية التي تعمل بنشاط لإغواء المسلمين وإدخالهم في النصرانية، ويتم إغراؤهم بإغداق الأموال عليهم والمواد التموينية والملابس وبناء المدارس والمستوصفات، ويتم صرف المواد عندهم والعطايا كل يوم أحد بالذات، وذلك بعد أن يجعلوا هؤلاء الفقراء يؤدون طقوسهم، ولكن بفضل الله ثم بجهود هؤلاء الدعاة تم صد هذا المد التنصيري ودعواته الباطلة، والجدير بالذكر أن لجمعية إحياء التراث الإسلامي العديد من الدعاة في جمهورية مالي، وتتراوح رواتبهم ما بين (٢٠-٦٠) دينارا شهريا ■

نود أن نشير في البداية، إلى اننا سنركز في حديثنا هذا، على الروائي المسلم، علما بأن الكثير من القضايا التي سنثيرها تهم الأديب المسلم عموما، سواء أكان شاعراً أم قصاصاً أم مسرحياً..

الاديب المسلم عنصر مهم في حقل الأدب الإسلامي. فهو الذي يصدر عنه الإبداع الأدبي بشتى فنونه وألوانه، وهو الذي يجسد التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة في أدبه، ويتوخى من ذلك الأهداف الإسلامية الحقة، المتمكن من أداته التعبيرية والفنية. والذي ننتظر منه الصدق الفني في التعبير عن قيم ومثل الإسلام وواقع المسلمين ولانتظر ذلك من غيره، لأن فاقد الشيء لا يعطيه. فلسنا ممن يتلمس الإسلامية في أدب مبدعه كافر أو ملحد أو ضال. فالأدب الإسلامي وجد يوم وجد الاسلام ولم نعدم في أي زمن وجود نماذج جيدة منه حتى نتلمسه عند من أظلم الكفر والإلحاد والضلال قلوبهم. لان هناك علاقة وثيقة بين المبدع وإبداعه. فالأديب المسلم يعبر من خلال إبداعه، عن رؤيته للحياة والانسان والكون، انطلاقا من التصور الإسلامي.

الأديب المسلم: التزامه ووظيفته

بقلم: محمد بنعزوز

■على الأديب الروائي المسلم أن يستفيد مما في قصص القرآن والحديث من تجارب بشرية وعبر ومغاز، وأداء فني رائع وممتع

وتجدر الاشارة إلى أن الأدب الإسلامي لاتتنافر فيه بين رؤية الأديب والتصور الفكري الذي ينطلق منه فهما منسجمان لان هذا التصور لايتصادم مع فطرة الأديب ولايتعارض معها. ومن ثم فرؤيته إغناء وإثراء لهذا التصور من خلال موقفه (أي الأديب) من كثير من القضايا وتقييمه للكثير من التجارب، وحكمه على الكثير من الأمور التي يراها ويسمعها ويعيشها، وعرضه لكل ذلك على التصور الإسلامي للانسان والكون والحياة الذي يرتكز عليه في إبداعه، وفي اعتقاده قبل إبداعه، ونظره في مدى استجابة هذه القضايا والتجارب والأمور لهذا التصور، ومدى بعدها عنه.

ومدى تقارب (الواقع) (قضايا وتجارب) من (المثال) (التصور الإسلامي) أو ابتعاده عنه ومن ثم يبرز دوره في معالجة قضايا (الواقع) أدبيا وفنيا من خلال استحضاره (المثال) قبل وفي أثناء المعالجة الابداعية، من هنا تأتي ضرورة التأكيد على أن الأدب الإسلامي لايصدر إلا عن أديب مسلم. يقول الدكتور نجيب الكيلاني:

(الأدب الإسلامي لا يمكن ان يصدر إلا عن ذات نعمت باليقين، وسعدت بالاقتناع. وتشبعت بمنهج الله ونهلت من ينابيع العقيدة الصافية، ومن ثم أفرزت أدبا صادقا، وعبرت عن التزامها الذاتي الداخلي دونما قهر أو إرغام) (١) ويقول في موضع آخر من كتابه. (وإذا كان الأدب الإسلامي

وسيلة لغاية أسمى، في حدود مفاهيمنا فمن الخطأ ألا يكون الأديب الذي يترجم عن تلك الوسيلة في حالة من اللياقة الفكرية والنفسية والفنية تؤهله لاداء هذه الرسالة. ومن الصعب ان نتصور ان المعتلين نفسيا يستطيعون أن يوجهوا البشرية إلى شاطيء السلام، أو أن يبدعوا أبنية فكرية ومادية لصرح حضاري. أو أن يبشروا بنمط معين لإحياء قيم الخير والعدل والجمال، والمعوقون عقليا يستدرون العطف والرثاء، وقد يأتون من الأقوال والأفعال ما يثير الدهشة والغرابة، أو يدعو إلى الضحك. لكنه من السخرية المرة أن يكونوا مثلا يحتذي، أو مصدرا من مصادر الاصلاح والهداية واستقامة الحياة (٢).

الأديب المسلم والالتزام

ما دمنا قد اشترطنا في الادب الاسلامي ان يكون مبدعه أديبا مسلما فان هذا الاخير مطالب حتي تتحقق إسلاميته في إبداعه ان يكون على صلة دائمة بالنبع الأول للادب الإسلامي: القرآن الكريم ثم بعده أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهما قمة البيان والأدب ولايعقل تحقق الإسلامية في أديب يتخذ الأدب الغربي مثله الاعلى في التصور والرؤية والمفهوم، بعيد كل البعد عن هذين الأساسين الثابتين: القرآن والحديث. ومابهما من تطور نظري مهم ينبني عليه الفكر والأدب الإسلاميين ووسائل بيانية وفنية وظف من خلالها هذا التصور وفي مقدمتها القصة.

إن الأديب الروائي المسلم مطالب بالاستفادة مما في قصص القرآن والحديث من تصورات مضمونية وتجارب بشرية وعبر ومغاز، ومافيه من أداء فني رائع وممتع، (لذا فمراجعة الاديب المسلم الدائمة للنموذج القرآني في القصة من الأهمية بمكان عظيم حتى يكون أدبه صوتا لاصدى وهادفا لاهاتفا) (٣).

يشترط في الاديب المسلم، قبل ان يحاول التعبير عن قيم الاسلام ومثله ان يحرص على معرفة طرق التعبير الفني بمعنى آخر عليه ان يكون أديبا، وفي مستوى مايود تبليغه من أفكار ومضامين، حتى لايقع عدم توازن - لديه - بين فنه وفكره يستطيع إدراكه القارىء العادى بله المتمرس. وحينما يكتسب الأداة الفنية ويتشبع بالتصور الإسلامي فإنه سيكون في مستوى (الأدبية) (والإسلامية) معا، وماعليه إلا ان يراعي احد الاصول المهمة التي تقوم عليها نظرية الأدب الإسلامي، وهو التوازن، توازن الشكل والمضمون وتوازن الفن والفكر.

إذا كنا ندعو الأديب المسلم إلى التمكن من أدواته الفنية، فإننا لانلزمه بأدوات معينة ليستخدمها كلما رغب في الكتابة، والباب مفتوح أمامه للانفتاح على المشترك الانساني، ومن ضمنه الأشكال الادبية، لكنه مطالب بتطوير أدائه الفني، بالاستفادة من جميع الاشكال الموجودة خدمة لأهدافه الإسلامية.

اننا ندعو الأديب المسلم إلى الالتزام بالجانب الفكري في الإبداع، وهو - بالنسبة لنا - التصور الإسلامى للإنسان والكون والحياة، ولن نعتبر أدبه أدبا إسلاميا إن هو حاول التقليل من قيمة هذا التصور، أوحاول معارضته ومصادمته بتصورات وضعية دخيلة.

إذن، فمدار الالتزام في الأدب الإسلامي يكمن في المضمون الإسلامي، وفي معالجة التجارب البشرية من خلال رؤية إسلامية وأداة فنية متميزة.

لذا، فالاديب المسلم مطالب بأن يكون على معرفة بعقيدته ودينه. وتاريخ أمته باعتباره سجلا زاخراً بالتجارب والشخصيات الإسلامية العظيمة.

الأديب المسلم والقاريء

ننبه - في البداية - إلى استعمال شائع لايخلو من لبس وغموض وهو كلمة (متلقي) التي تستعمل بديلا لكلمة (قاريء) مع أن هناك فرقا كبيرا بينهما.

إن كلمة (قاريء) أوسع دلالة من كلمة (متلقي) ذات المعنى السلبي، والتي توحي بنوع من الإلزام. فالمتلقي يتلقى الابداع مثلما يتلقى الأوامر ممن هو فوقه. وهذا يذكرنا بواقع الأدب في الدول الشيوعية التي تخضع لهذا الالزام كلا من المبدع وإبداعه والقاريء (المتلقي عندهم) فالاديب ملزم بالتعبير عن ايديولوجية بلاده، والدفاع عنها، وابراز (محاسنها) من خلال أدبه وفنونه، والقاريء الذي يغدو متلقيا لايجد أمامه من الإبداع الأدبي إلا الأدب الذي يقدس الشيوعية ورجالها، وعندئذ يكون مرغما بتلقي هذا الادب، دون ان تكون له حرية (القاريء) في اختيار مايريد قراءته وترك مالا يريد قراءته.

أما (القاريء) فينفعل بما يقرأ، ولايتلقى - هكذا أفكارا - تلقى اليه، وانفعاله هذا قد يكون ايجابيا أوسلبيا إنه لايتلقى من الكاتب، بل يشاركه في ابداعه. فالمبدع يختار من قرائه شخصيات لقصصه، ومن فضاءاتهم فضاء لأحداثه، ويؤلف من أقوالهم وأفعالهم المادة الأولية لبنائه القصصي والروائي. فالكاتب لاينطلق من فراغ بل من واقع معين، ومنه يستطيع التحليق إلى آفاق أبعد بكثير من واقعه الضيق.

فضلا عن ذلك فالقاريء قد يتعاطف مع شخصيات وأفكار ومواقف الكاتب، وقد يشعر بالسخط تجاهها.

ومشاركته هذه يشعر بها الكاتب في الوقت الذي يخط فيه أول جملة مما يكتب أو قبله بقليل، لانه يتساءل مع نفسه، لمن يكتب؟ من قراؤه؟ مامستواهم؟ كيف سينظرون اليه من خلال مايكتب؟ الكثيرمن الاسئلة تتبادر إلى ذهن المبدع قبل أو أثناء الكتابة وكلها متعلقة بالقاريء، مما يدل على أهميته في العملية الإبداعية، وعلى ضوء هذه الأسئلة يمكن ان تتخذ كتابته اتجاها آخر غير الذي كان ينوي السير فيه.

ان القاريء هو الذي يحكم على العمل الأدبي بالقبول أو الرفض، بالحسن أو القبح، بالجودة أو الرداءة، قبل أن يتناوله الناقد المتمرس بالتقييم والتقويم، الكاتب بدون القاريء يهدر طاقته ويضيع جهده ووقته.

نسمع ان لكل كاتب قراؤه لذا فهو مطالب بمعرفة قرائه، واقعهم وأحلامهم، آلامهم وآمالهم، حتى يكتب لهم مايفيدهم ويرضي طموحهم النفسي والمعرفي.

وهذا لايعني ان الكاتب سيكون مضطرا

الأديب المسلم: التزامه ووظيفته

لان يكتب ماتميل اليه أهواء قرائه، حتى يقرأوا له. حقيقة، هناك من الكتاب من يفعل ذلك وهمه الوحيد: الربح المادى فقط، هذا الصنف من الكتاب لايهمنا، الذي يهمنا هوالأديب المسلم، الأديب الذي يتخذ من أدبه وسيلة لتبليغ قيم ومثل الإسلام، هذا الكاتب عليه ان يعبر عن ذلك مستحضرا في الان نفسه قراءه، مستواهم، ثقافتهم، عامتهم وخاصتهم، كبارهم وصغارهم. وكل هذه الانواع من الكتابات موجودة نسبيا لذا نجد الإسلام وضع بعض القواعد المتعلقة بمخاطبة الناس (والمخاطبة قد تكون مشافهة أو كتابة).

ونجد قواعد أخرى يزخر بها تراثنا الأدبي من مثل قول البلاغيين: (خير الكلام ماقل ودل ولم يمل) وهنا استحضار للقاريء وترغيب في إبعاد الملل عنه وقولهم: (لكل مقام مقا) إلى غير ذلك من القواعد الواجب تطبيقها حتى تتحقق الغاية من الكتابة نفسها.

وظيفة الأديب المسلم

نتساءل أولا: لماذا يكتب الأديب؟ وماالهدف من كتابته؟

قد يكتب الكاتب لينفس عن نفسه بعض مكبوتاته وغالبا ماتكون هذه المكبوتات من الخبث والخلاعة والميوعة. وهذا النوع من الكتابة لايفيد في شيء، وهو يضرولاينفع.

ويدخل ضمن هذا النوع الكتابات العربية التغريبية التي تسير على نهج كتابات جملة من الأدباء الغربيين والتي داس أصحابها كل القيم والمثل الإسلامية ولهثوا وراء الملذات المحرمة، محاولين اغراق القاريء في أوحالها حتى يشاركهم إثمها ووزرها.

قد ينفس الكاتب عن نفسه بالتعبير عما يراه حقا، انطلاقا من رؤيته الخاصة للحياة. وهذا النوع من الكتابة نجده في الغرب كثيرا واصحابه يستندون في رؤيتهم هذه إلى فلسفة احد المذاهب الفكرية التي ينتمون اليها.

وهناك من يكتب لالينفس عن نفسه بعض همومها، ولاليقول الحق من خلال رؤيته هو للحياة، لكن ليقول الحق كما جاء به الله سبحانه وتعالى ويرغب في أن يقتنع الناس بهذا الحق ويعملوا به. وهو (أى الأديب المسلم) يقول الحق لانه واجب شرعى والحق هنا مطلق الحق، وعلى رأسه الدعوة إلى الله مصداقا لقوله تعالى: ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ﴾ [فصلت:٣٣].

وهذا لايمكن تسميته أدب تغيير، كما عند الغربيين فالدعوة غير التغيير. ثم ان كان التغيير مقصودا، فهو ليس مقصودا لذاته كما في الآداب الأوروبية حيث تداس – من أجله – القيم والمثل والمباديء المهم هو التغيير البناء لا الهدام، الذي يحافظ على انسانية الانسان، ويرتفع به إلى مستوى أعلى من السمو النفسي والروحي والعقلي الذي يصل بالانسان إلى سعادته في الدنيا وفي الآخرة. وهذا ماتهدف اليه كذلك، الدعوة إلى الله.

لابد لهذا التغيير البناء من شروط، وفي مقدمتها الاقتناع والايمان ثم يمكن – بعد ذلك – ان يحصل التغيير، ودور الأديب المسلم لايتمثل في احداث هذا التغيير لان ذلك ليس بمستطاعه، فهو ينبثق من ذات القاريء، كما ينبثق الالتزام من ذات الأديب لا من خارجها وإلا كان إلزاما. إذن لابد من الاقتناع. ينحصر دور الأديب المسلم في تبليغ تصور الاسلام للكون والانسان والحياة بضوابط لابد من مراعاتها وهى: الحكمة + الموعظة الحسنة + المجالدلة بالتي هي احسن + القدوة الحسنة، كما في قوله تعالى في الآية السالفة الذكر من سورة فصلت، وفي قوله سبحانه: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن ﴾ [النحل:١٢٥].

إن على الداعي إلى الله (بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هى أحسن) ان يلتزم بتطبيق مايدعو الناس اليه، حتى لايناقض قوله عمله، والقول تدخل فيه حتى الكتابة (فهى قول مكتوب) وهنا تبرز مسؤولية الأديب المسلم الذي يدعو إلى الله، والذي يجب عليه ان يكون أنموذجا يقتدى ومثلا يحتذى.

أما الوصول إلى الهدف الحقيقي، وهو هداية الناس لما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة، فهذا أمر يتكفل به الله سبحانه وتعالى الذي يقول ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ [الشورى:٤٨] ﴿ ليس عليك هداهم ﴾ [البقرة:٢٧٢] ﴿ إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [القصص:٥٦].

بعد الدعوة والابلاغ ينتهي دور الأديب المسلم، ويبقى دور القاريء في الاقتناع او عدمه، ودور الله، قبل ذلك وبعده في الهداية او عدمها (أي في زرع الهداية في قلب القاريء أولا).

وحينما يوفق الله سبحانه القاريء للاقتناع والهداية يحصل التغيير آنذاك في القلب والعقل والنفس وبعد ذلك في السلوك والأفعال والتصرفات مصداقا لقوله تعالي: ﴿ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾ [الرعد:١١] وهنا يحضرنى بيت شعري لشرف الدين البوصيري يقول فيه:

واذا حلت الهداية قلبا نشطت بالعبادة الأعضاء

فالأديب المسلم، إذن، عامل مساعد في هذا التغيير الذي يشارك فيه اكثر من فاعل يوجهه الله سبحانه وتعالى بأن هدي الأديب المسلم إلى كتابة ماكتب وهدى القاريء – إذا شاء سبحانه – إلى الاقتناع والايمان والتصديق بالعمل.



■ الأديب المسلم عنصر مهم في حقل الابداع لما يجسده من فن وتصور للإنسان والكون والحياة

ويمكن إبــراز ذلك من خــلال الترسيمــة التالية:

الله سبحانه وتعالي – الهداية – الكاتب الكاتب – الدعوة – القاريء

الله سبحانه وتعالى – الهداية – القاريء

على الاديب الـروائي المسلم، وهو يقـوم بدور الـدعوة إلى الله من خـلال روايته ان يتجـه – في عملـه هـذا – وجهتين لايحيـد عنهما، ومن الأصلح ان يجتمعا في ابـداعه ولايتفرقا وهما: الهدم والبناء.

هـدم المفـاهيم الخاطئـة، والتصـورات الفـاسدة والمعتقـدات الضـالة والنـزوات المريضة وبناء الشخصيـة الإسلامية كما يجب ان تكـون وعلى جميع المستـويـات. عقديا ونفسياواجتماعيا وسلوكيا، وتفكيرا وممارسة لانه لايمكن بذر البذور كي تثمر في أرض فاسدة و غير صـالحة للزراعة بل يجب أولا إزالـة كل العـوارض التي تحول دون ذلك وحينما تصلح الأرض تــزرع. والنفس كـالأرض إذا لم تتـم تصفيتهـا وتنقيتهـا ممـا يشـوبها صعب تكـوينهـا وتقويتها وتحصينهـا. والبناء لايتم إلا على أسس صلبـة، فان لم تـوجد هـذه الأسس انهار البنيان.

وظيفة الأديب المسلم هي التعبير عن قيم الإسلام ومثله ومحاولة الرجوع بالأدب إلى مفهومه الأصلي، الذي يتحـدد في كونه على مكارم الأخلاق والسلوك القويم.

إذا كان الأديب المسلم يعرف وظيفة أدبه والهدف منه، فان الاديب الغربي يعيش في ضبـابيـة وضلال عن وظيفتـه بعيـدا عن هدفه، يقول أحـد أدباء الغرب المشهورين وهـو (ألان روب غـرييي) أحـد أقطـاب مدرسـة الرواية الجديدة في فـرنسا، معبرا عن هذه الحالة:

(ان الكاتب نفسه لايملك حلـولا جاهزة، فهـو يبحث، لكنه يجهـل حقيقة مـايبحث عنـه) (٤). ويضيف في الصفحـة نفسهـا قائلا: (لكن الجمهور الـذي اعتاد أن تقدم لـه الأشيـاء سائـغةيسـتاء من كـون روايتنا غير مفهـومة فهـو يسـألنا: مـاذا يعني كل هــذا؟ مـاذا أرت ان تقـول في روايـتك (Lagalouis) ما الهـدف من كتابـتك لشريط : (LANNEE DER-MIERE A MARIENBAD) ؟

هنـا، نشعـر بحرج شـديـد، فنضطـر إلى

■الأدب الملتزم أحد عناصر البناء الحضاري والدعوة من خلال الفكر والأسلوب، وهو بهذا المعنى عنصر هداية لا عنصر هدم



الاجابة: بصراحة نحـن لانعرف بعد. لقد حفزنا دافع مـا إلى انجاز هذا العمل. حتى ولو كان يبـدو عديم الجدوى وغير نافع. لكننــا نأمل في الحين نفسـه، ان يصلح العمل المنجز لكل الأشياء..) (٥)

أمـا الأدب الإسـلامي، فإن له أهـدافـا مرسومة شأنه في ذلك شأن الإسلام الذي ينبني عليه عقـديا وفكـريا. ومـادامت له أهـداف، فليس هنـاك عبث لأن الانسـان الذي يبـدع هذا الأدب، ويوجهـه إلى اخيه الإنسان، هـدفه من وجـوده واضح، ومن ثم فكل مـايصـدر عنه يجب ان يكـون ذا هدف وغاية. والاسلام يوجه الانسان هذه الـوجهة، وهي التسـاؤل دائما عن مـدى مشروعيـة مايقـولـه ويفعله، لأنـه لايحل لامريء مسلم ان يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيـه كما هو منصـوص عليه في أصول الشريعة الإسلامية، والتساول عن فائدة مايفعله ويقوم به، حتى لايسقط في العبث والــلاجـدوى والضــلال، واللـه سبحانـه وتعالى يذكـر بني الانسان كلما سمعـوا القـرآن أوقرأوه، مخاطبـا إيـاهم بقــولـه ﴿ أفحسـبتم أنما خلقـناكم عبثـا وأنكم إليـنا لاتـرجعـون ﴾ [المؤمنـون:١١٥] وقــولـه: ﴿ أيحسب الإنسان ان يترك سدى ﴾ [القيامة:٣٦].

ولكون الأديب المسلم يقوم بدور تربوي وتعليمي، تثقيفي وحضاري، عليه ان يفهم جيـدا مخاطبيه – كما سبقت الاشـارة إلى ذلك – ويخاطبهم بما يفهمـون وبما هم في حـاجـة اليــه. فـالضروريـات أسبق على الكماليات، والأولويات أسبق على الثانويات وان يكـون إمتــاعـه لهم فنيــا على قــدر مايفيدهم فكريا.

ونورد في الختام قـولة لنجيب الكيلاني جامعة للكثير من الأفكار والمعاني المرتبطة بموضوعنا هذا يقول:

(وإذا كـان الأديب يعبر عـن الحيـاة من خـلال نفسـه وفكره، ويبـدع لها صـورة مؤثرة أخاذة، ترتبط بـذاته وخصوصياته، فتبـدو متفـردة جديـدة تضيف إلى عـالم المتلقي كـائنـات وعـلاقــات وانفعـالات مستحدثـة جذابة، فلابـد ان يكون الهدف من وراء ذلك تفجير طاقـات بناءة في داخل الإنســان، وإشعـاره بالـرضى والامتـاع، وإثراء وجوده بحيـوات اخرى قد لاتتيسر له في واقع الحياة التي يعيشها.

وهكذا لايقعد بـه الخيال كسيرا كسيحا بل ينهض بــه إلى آفــاق أسمى وأروع، وبذلك تتوثب الطاقـات الإنسانية وتتحفز، وتلعب دورها الفعال في صنع حياة أفضل، ولايتيسر ذلك إلا من خلال تصور صحيح للانسان والكون والحياة، والعلاقات التي تنسق مسيرة المخلـوقات والقيم الأصيلـة التي ترسخ خطا السائرين في طريق الخير والنماء والحق والحرية والجمال) (٦) ■

الهوامش:

١) مـدخل إلى الادب الإسـلامي، د. نجيب الكيلاني، سلسلة كتـاب الأمة، عدد ١٤. ط١، الدوحة، قطر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٣٦.

٢) المرجع نفسه، ص١٣٦.

٣) خواطر عن القصـة في القرآن الكريم، د. مصطفى السيد، مجلة البيان، لندن، العدد ٣٣، ربيع الآخر ١٤١١هـ، ١١/ ١٩٩٠م. ص ٤٧.

٤) الـروايــة والـواقع، ألان روب غــرييي وآخـرون، ترجمة رشيـد بنحدو، منشـورات عيون المقالات، ط١، الدار البيضاء، ص٣٣.

٥) نفسه، ص٣٣.

٦) مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص٣١.

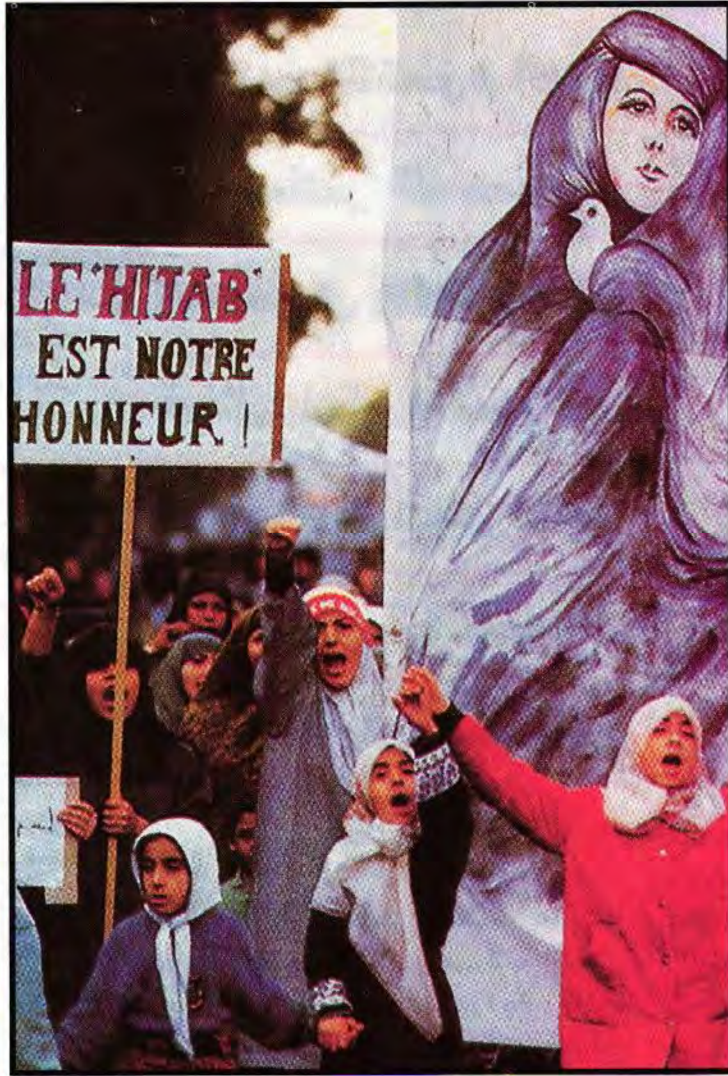
امـــرأة اليـــوم هل تنصف نفسها؟!

■أصـابع الاتهام لامـرأة اليـــوم لا تخلـــو من المبـــالغـة■

تحقيق السيدة:
نبال نخّال

كاتبة لبنانية مقيمة في الكويت

أصـــابع الاتهام تشير إليها كلما حصل تقصير أو تغيير، يقـولـون إنها نقضت عهـود جـداتها، وقطعت لنفسهـا مسارا تقـاذفته أمـواج العصر حتى انقلبـت سفينـــة القـديم وانقلبـت معهـا عادات وتقـاليد قيل إنها عقـــد نفيس حـــرمت نفسهـا منه استبـدلتـه بـآخـر مـزيف جمعت حباته من رياح التحرر والمسـاواة، لكـن بينهـا وبين نفسهـا نـراهـا تغـوص وتغوص علهـا تعثر على بعض ما فرط من ذلـك العقـــد حتى ترضي ضميرهـا وترضي الجميع.



«رحلت أيـــام البركـة، أيـــام أجدادنـا وآبائنـا، ورحلت معها مـوروثـات نفتقـدهـا في جيلنـا الحاضر ويمكــن أن تضمحـــل وينتفي حتى ذكرها عند الأجيال القادمـة، والمؤسف في الأمـر هو مرور الجميع مرور الكرام أمام مسألة تستحـق الاهتمام».. هذا أول مـا خطر على بـال السيـدة «فريدة» عندمـا علمت هدفنا من هذا الموضـوع ثم لتعبر فيما بعد عن وجهـة نظرهـا خاصـة فيما يتعلق بالاختـلاف الشاسع بين مـا كـانت عليـه المرأة في الأمس وبين ما هي عليه اليوم لتقول:

«المرأة هذه الأيام ليست امرأة بمعنى الكلمة، لأنها أخذت كثيرا من صفات وأعمال الرجل، حيث نـراهـا تقـود السيـارة وتعمل خارج المنزل، ولا تعرف ما يدور داخل منزلها حيث تسلمه للخدم والطباخين».

وإذا سألنـاهـا كيف تقضين وقتك؟ تجيب بالعمل خـارجا أو السـوق أو الـزيـارات المملـة.. وكيف تكـون النتيجة، تعـود إلى المنزل لتجد زوجها بالانتظار، أو ربما تناول طعامـه وحده ونام، والخادمة تعتنـي بالأطفـال مما ينعكس سلبـــا على حيـــاتها الأسريـة، وهذا مـا نلاحظـه من خلال ارتفاع نسبـة الطلاق بين الشباب.

* ألا ترين أن في حديثك ظلما لامـرأة العصر؟ فليست كل النساء كما تفضلت؟

** لا شك أن هذه الصورة

لا تنطبق على غالبية النساء، إلا أننا نشهدها على الأقل في مجتمعنا الخليجي، ولذلك ترين أن أبناءنا واخواننا أخذوا يتزوجون من خارج مجتمعهم، لأن الرجل يبقى رجلا يحب أن يرى جدته وأمه في زوجته وابنته في الاهتمام به ورعاية أولاده وإدارة شؤون منزله من طهي وتدبير منزلي وحتى الحياكة، وللأسف سيأتي علينا زمان لن نجد في بيت المرأة إبرة وخيطا، ففي هذه الأيام ليس هناك أسهل من شراء الثياب الجاهزة، ورميها في حال احتاجت لبعض التصليحات والاستعاضة عنها بثياب جديدة.

* أيمكن للوفرة المالية أن تكون من إحدى الأسباب التي دفعت بامرأة العصر إلى مثل هذه الأمور؟

** يمكن أن تكون إحدى الأسباب، لكن تربية الفتاة اختلفت كثيرا عما كانت، فمثلا كانت أمي - رحمها الله - تعلمني الاشغال اليدوية، تحضير «المؤونة» من موسم لآخر. كصنع المربيات وصلصة البندورة والكبيس على أنواعه.. لكن اليوم وصل الحد بالمرأة أن تشتري حتى العجينة من السوق وتضعها في الفرن وانتهى الأمر!

* هل علمت بناتك كل ما ورثتيه عن والدتك؟

** حاولت جاهدة، لكن كما قلت لك هذا الجيل مختلف تماما، كل شيء متوفر لديه وعلى قول البعض «شرايته ولا تربايته»، يعني شراء الشيء دون بذل العناء في صنعه.

* أخبرينا عن أيامك، كيف أنشأت أطفالك وكيف كنت تستغلين وقتك؟

** ياسبحان الله! حتى الوقت كان كله بركة، ويعود ذلك إلى الخيرة في البكور حيث كنت أصحو مع صلاة الفجر، أعجن العجين بيدي، ثم أخبزه، وأحضر فطور الصباح للعائلة، وبعد أن أطمئن على خروج زوجي إلى عمله وأولادي إلى مدارسهم، ألتفت إلى طفلي الصغير أرضعه من حليبي، ثم أفكك عنه ثيابه ليلعب قليلا، وعندما يهضم طعامه أعطيه حماما دافئا وإلى النوم.

بعدها أبدأ بتنظيف المنزل وغسيل حفاظات الطفل يدويا، حيث لم يكن على أيامنا حفاظات القطن القابلة للرمي، ثم أطبخ، وكنت أركز على الوجبات الصحية الطازجة، واستقبل عائلتي ظهرا، وأبقى في المنزل ادرس الأولاد، وفي المساء كنت أحيك الصوف أو أقوم بأي عمل مفيد، وأحاول النوم باكرا لأصحو نشيطة في اليوم التالي، يعني كان اهتمامي كله منصبا على عائلتي وكذلك كانت بقية النساء.

وتضيف السيدة فريدة: صحيح انني كنت أذهب إلى السوق من وقت لآخر، لكن لقضاء الحاجيات بالفعل وليس لتبذير المال أو لملء الفراغ كما تفعل امرأة اليوم.

* ألم تكن عندك صديقات؟

** ومازلن عندي حتى الآن، كانت الطيبة والعفوية الصادقة من سمات الصداقة، فلا غيبة ولا تفاخر أو تظاهر، ولا غيرة ولا حسد. كنا كالاخوات في الأفراح والأحزان، تجمعنا المحبة واللقمة الهنيئة..

وإذا ما نظرنا إلى الصداقة العصرية نجدها صداقة مصلحة، فكل امرأة عندها صديقة حميمة أو اثنتين على الأكثر، وكل ذلك يعود إلى عدم توفر السمات التي كانت موجودة على أيامنا.

* بم تنصحين امرأة اليوم؟

** أقول لها عودي إلى الجذور وتخلصي من الشباك التي نصبتيها لنفسك علك تفوزين بحب زوجك ورضى أهلك وأصدقائك.

تطور يقابله تخلف الرجل أيضا اختلف

السيدة «أمينة .ج» من نساء الجيل المخضرم بين القديم والجديد، وهي من أنصار مقولة: «المرأة مكانها البيت»، لكنها توعز التغيير الذي طرأ على حياة المرأة عبر الأزمان إلى التوتر النفسي والأمني والصحي الذي يجتاح العالم، وترى أن التطور التكنولوجي يقابله تخلف عقلي يمكن أن يسلخ الأجيال القادمة عن جذورها.

** إن اللفتة الواضحة في هذه المسألة تعود إلى كون المرأة القديمة تتمتع «بطول البال»، وهدوء الأعصاب، وكانت تحافظ على ضرورة التئام أسرتها حول مائدة الطعام لتناول الصحي منها و«تحسب لزوجها ألف حساب» حيث تجعل منه قدوة لأبنائها، وتجعل هيبته فوق كل هيبة بشرية، كما كانت تدخر مصروفها لمساعدته في الأزمات حتى يبقى رأسه مرفوعا أمام الجميع، يعني كانت تضحيتها لا متناهية قياسا بما يقال عن التضحيات الإنسانية.

وتتساءل: «أين المرأة اليوم من كل ذلك؟ إننا نراها في حالة قلق دائم، تريد السباق مع الرجال لتتبوأ مراكز مثيلة لمراكزهم، خاصة بعد أن نالت الشهادات العلمية العالية وخرجت لمضمار العمل، فلم يعد اهتمامها منصبا على بيتها وأولادها، بل تشعب إلى شعب كثيرة مما أنساها مهمتها الأساسية حتى انقلبت طباعها وانقلبت معها موازين الأسرة وخير دليل على ذلك التفكك الأسرى والفساد وضياع الشباب هذه الأيام».

وتضيف السيدة أمينة قائلة: «لكننا لا نستطيع تفادي دور الرجل أيضا في هذه المسألة، حيث كان الأب يهتم بأسرته ويرعاها ويمشي على الصراط المستقيم كما يقال، وكان يتحمل المسؤولية منذ بداية نشأته، فعندما تزوجت كان عمر زوجي آنذاك ٢٢ سنة وكان حاصلا على شهادة جامعية ويعمل جاهدا لإنشاء أسرة سليمة، لكن هذه الأيام نرى ابن الثلاثين مازال يأخذ مصروفه من أهله، ومازال عقله يعمل بعمر ابن العشرين».

* نرى بعض القساوة في كلامك على النساء والرجال والجيل الصاعد، لأن الجميع يتعلم ويكافح، وعمل المرأة ضروري، خاصة بعد أن اثبتت جدارتها في أكثر من ميدان بالإضافة إلى مساندة الزوج لجابهة صعوبة الحياة.. فهل برأيك لو أن المرأة عادت إلى بيتها وتركت عملها، يمكن للمشكلة أن تحل؟

** لا شك أن الغلاء وصعوبة الحياة يتطلبان المشاركة في الإنتاج، فالمرأة التي ترى أن الراتب الذي تقبضه سوف يساعد زوجها دون أن يكون ذلك على حساب تربية أولادها، يمكنها الاستمرار في عملها، أما بالنسبة للمرأة التي تعمل لمجرد التسلية والهروب من المنزل، فأنصحها بالعودة إلى بيتها لاحتضان أطفالها واستقبال زوجها بالكلمة الحلوة والطاعة السموحة تيمنا بعادات أمها وجدتها.

ويمكن بذلك أن تحل مشكلة بطالة يعاني منها رب أسرة حيث

امرأة اليوم هل تنصف نفسها؟!

يمكن ان يكون موظفا مكانها ويحتاج للراتب لإطعام عائلة بأكملها».

تنمية التوجهات هي الأساس

أما السيدة «ناهد ع» فإنها تلقي بالمسؤولية الكاملة على الأم خاصة في تربية ابنتها حيث تقول: «أحيانا نرى أن الفتاة موهوبة وعندها طاقة قوية لتعلم أي شيء جديد والاعتماد على نفسها في أمور كثيرة، لكن خوف الأم عليها أو ربما تماديها في تدليل ابنتها قد يغير من شخصيتها وبالتالي يقضي على اندفاعها لتقع فريسة الضياع».

وتضيف: «لا يمكننا إلقاء اللوم على الفتاة بل على التربية التي تلقتها، ولا يمكننا الجزم بأن أمهات الامس كلهن جيدات وأمهات اليوم كلهن جاهلات، ففي كل عصر نجد الأفضل والأسوأ.

بالنسبة لي عندي ابنة واحدة، كان يمكن أن تأخذ كل الدلال والرخاء، لكن والحمدلله عملت على تحميلها المسؤولية منذ الصغر وكنت أعاملها كفتاة ناضجة عليها واجبات، وعندما لمست استعدادها التام للتعلم، واظبت على مواكبتها وإفساح المجال أمامها لتكوين شخصيتها على أكمل وجه، واستطيع القول بأنها قد تبنت الكثير من العادات والمبادىء التي ورثتها أنا نفسي عن والدتي وجداتي..».

* لو كانت ابنتك ذات عقلية مختلفة عما هي عليه لوجدت صعوبة في جعل شخصيتها على النحو الذي تريدين؟

** بالطبع، ففي هذه الحالة سيذهب كل تعبي سدى، فأحيانا نجد أن الأم تفني حياتها في تربية بناتها كما تريد دون جدوى، وعلى العكس فإننا نرى بأن هناك بعض الأمهات لا يعطين بناتهن الوقت والدافع لتكوين شخصيتهن التي يجب أن يكن عليها، مما يجبرهن على التوجه إلي الأقارب أو الجيران لصقل مواهبهن.

* يعني يمكننا الجزم من خلال حديثك بأن العصر هو الذي تغير نسبة لما طرأ عليه من تطورات ساهمت إلى حد بعيد في تسهيل أمور المرأة، وبأن المرأة لم تتغير طالما أنها تحمل بالوراثة منهج جداتها؟

** هذا صحيح، ويمكننا التماسه أيام الأزمات، فمثلا في فترة الحروب ترجع دواليب الحياة إلى الوراء فتنقطع الكهرباء والماء، وينعدم أحيانا وجود اتفه مستلزمات الحياة.. وهنا نستطيع أن نعرف مدى قدرة المرأة على تحمل الصعاب والوقوف مع زوجها جنبا إلى جنب، وفي اعتقادي ان السواد الأعظم من النساء سوف ينسين الرفاهية ويقمن بالواجب حتى ولو تطلب ذلك منهن مجهودا مضاعفا نسبة لعدم اعتيادهن على هذا النمط الجديد من الحياة.

امرأة اليوم محظوظة

عدنا مع السيدة «أم بدر ع.» إلى أيام العشرينات لنتحدث عن هذه المرحلة وكأنها كانت فترة استعباد للمرأة، حيث اعتبرت أن صباها قد هدر ظلما، وبأن امرأة اليوم محظوظة جدا لأنها تتمتع بحياتها على أكمل وجه من تعليم وسفر وحرية في انتقاء الزوج وإبداء الرأي وكل الأمور الأخرى التي صارت طبيعية بالنسبة للجميع.

** كانت حياة المرأة بيتها فقط، وكان الزوج يتركها عند أهله عدة شهور عندما كان يسافر للغوص، أو للتجارة ولا تعرف عنه شيئا، وكان يتركها عروسا وليعود ليجد على يديها طفلهما الأول. أما اليوم فالمرأة تسافر وحدها وتترك الأولاد عند زوجها، كل شيء أصبح عاديا.

والفتاة نالت قسطا كبيرا من التعليم وأصبحت طبيبة ومحامية وسفيرة ونائبة، لكن على أيامنا كنا نذهب إلى الشيخة لتعلم القرآن الكريم، والتي تختمه ترتدي فستانا كالعروس ويدور بها أهلها على الأقارب والجيران فتأخذ منهم القرقيعان والهدايا البسيطة وهذا أقصى ما يمكن أن تعرفه أو بالأحرى تعيشه.

وتضيف: الفتاة اليوم صاحبة القرار في الزواج، وليس لولي أمرها أن يجبرها عليه وهذا ما نص عليه ديننا الحنيف، لكن على أيامنا لم تكن الفتاة تعرف انها مخطوبة، حيث يعقد قرانها غيابيا ويقال لها قبل العرس بساعات اليوم سوف تزفين إلى فلان ولا تراه إلا في العرس. حتى جهازها كان يحضر غيابيا، حيث كان الأهل يأخذون فستانا من عندها ويخيطون الجهاز على قياسه دون أن تدري بذلك. من قبل لم يكن يعرف ان فلانا عنده بنات من كثرة ما كان يمارس عليهن من ضغوطات فلا خروج ولا وقوف حتى على عتبة المنزل.

* إنك تركزين على الانفتاح الذي تشهده المرأة لكن، ما رأيك في التأثير الذي أحدثه في حياتها؟

** كل ما أود قوله هو أن المرأة كانت مظلومة لكنها راضية لأنه لم يكن بيدها حيلة، والآن أصبحت إنسانة مثلها مثل الرجل وقد اثبتت جدارتها في ميادين شتى لكنها بدأت تخرج من الإطار المحدد لها لتعتدي على مكانة الرجل وتسيء بالتالي إلى رسالتها التي خلقها الله لتأديتها وهذا ما يمكن الوقوف عنده لتنبيهها إلى أن الأجيال القادمة أمانة في رقبتها، فإن صلحت صلحت باقي أعمالها.

إنني مظلومة

السيدة هيام محمد من نساء هذا الجيل، لكنها تشعر بأنها من «ستات أيام زمان»، لأنها تزوجت صغيرة ولم تنل القسط الوافي من العلم، وحياتها بيتها وأولادها وزوجها فقط: أشعر بأنني مظلومة من بين نساء جيلي لأنني لا أملك القرار في أي شيء حتى في تربية أولادي حيث يستلم زوجي هذه المهمة ويقول لي أنت «ابقي على جنب»، هكذا تربيت وهكذا أريد أن أربي أولادي.

* ماهي الصورة التي تريدين أن تكوني عليها؟

** امرأة اليوم غير نافعة، ٢٤ ساعة خارج المنزل إذا صح الكلام، أقصد أنها حرة التصرف تشتري ما تريد وتأكل ماتريد وليس لأحد حق التسلط عليها، وأنا لا أريد أن أكون مثلها بل ان أنال بعض ما عندها من قوة في الشخصية على الأقل داخل بيتي.

الصراحة فضيلة

صحيح ان كل النساء اللواتي

تحدثن حول هذا الموضوع يرجحن كفة امرأة الأمس، مثنيات على الدور المقدس الذي كانت تقوم به، مع إعطاء التبريرات المستجدة والتي أدت إلى تغير طباع وشخصية امرأة اليوم، إلا أن السيدة «إقبال س.» ترفض التحدث عن المرأة بشكل عام لأنها لا تستطيع فهم أغوار كل النساء، وارتأت تصنيف نفسها بينهن على صورة محاكمة ضميرية، معتبرة كلامها فضيلة لأنه اعتراف بخطأ تحاول الخروج منه لكن لا تدري متى!

«اعترف بكل صراحة أنني إمرأة تنقصني الشجاعة للتخلص من خصال لا أحبها في المرأة بشكل عام».

وتضيف: «كانت المرأة بركة المنزل والزوج والأولاد، وأنا أجد ذاتي بعيدة عن ذلك لأنني بعيدة عن منزلي بسبب عملي خارجه، واتكل في كل أمور البيت على الخدم مع أن زوجي يحب حضوري وخاصة لتحضير وجبات الطعام له وللأولاد. وقد حاولت مرارا أن ألبي طلبه لكن عادتي القديمة تغلبني، وأصبح وجود الخادمة عندي إدمان لا مفر منه، وعلي «قولتهم: من كيس كيالها».

* هل تشعرين أنك تتعبين زوجك؟

** «جدا» فهو من الصابرين لأن اهتمامي منصب على التفكير في نفسي، ودائما أقول له لماذا فلانة عندها كذا وأنا ينقصني ذلك مع أنها ليست أفضل مني في شيء ودائما عندي طلبات لا اقنع بالقليل ولا بالكثير.

* الا ينعكس ذلك على تربية أبنائك؟

** أحاول قدر استطاعتي إبعادهم عن هذه الخصال السيئة، وأزرع فيهم القناعة والرضى على ما قسمه الله، لأنني أدرك تماما أنهم لو أخذوا صفاتي لتعذبوا في حياتهم كما أتعذب الآن.

* لماذا لا تحاولين تعديل مسار حياتك الزوجية والعودة إلى الصفات الحميدة التي كانت تتحلى بها نساء الأمس؟

** لقد توفيت أمي منذ صغري ولم أجد من يغرس عندي الأصالة، لكنني تعلمت من خالتي والدة زوجي الصبر والاستعانة بالله في كل أموري،

إنها امرأة اليوم، دعوناها للشهادة في محكمة تطالب فيها امرأة الامس ردا لاعتبارها المفقـــــود!

وأنا أضعها في مرتبة والدتي، وقد عاهدت نفسي أن أسلم لها أمري بعد الله علها تهديء من ثورتي وترشدني إلى الطريق الصواب لأن المثل يقول: «من ليس له كبير ليس له تدبير».

* ما هي أولى الخطوات التي تنوين القيام بها؟

** أن أقوم بتوبيخ نفسي كلما أسأت التصرف مع التعهد بعدم تكرار ذلك، وأنصح كل امرأة ترى نفسها في خصالي أن تحذو حذوي وذلك بأن تنفض كل ما يمكن أن يسيء إلى أنوثتها ويخل بمكانتها، وينسيها بالتالي رسالتها في هذه الدنيا.

وتضيف السيدة إقبال: إن المرأة التي تقف لزوجها ندا وتتشبث بعنادها ظنا منها انها صاحبة القرار والتحدي، قد تودي بحياتها الزوجية للهلاك، لأنه في النهاية يجب أن تكون السيادة بيد الرجل إذا كان على قدر المسؤولية ويااليتني أفعل ما أقول.

أحسد امرأة الأمس

«نستطيع أن نصف امرأة اليوم بالمرأة الحديدية، إنها المسؤولة عن كل شيء، فقد خففت كثيرا من مهام الرجل، عكس المرأة القديمة التي لم تكن مطالبة إلا بالمكوث في المنزل لتحضير الطعام وتربية الأولاد». هكذا ترى السيدة (رندة م.) الفرق بين امرأة الماضي وامرأة الحاضر وتعلل كلامها هذا بالتحدث عن نفسها قائلة:

«زوجي لا يعترف بشيء اسمه مسؤولية الرجل، فهو إنسان يحب الرفاهية الذاتية وإلقاء الثقل على كاهلي. إنني المسؤولة الوحيد عن البيت وتربية الأطفال وشراء الأغراض من السوق وأخذ الأولاد إلى الطبيب، وحتى حضور الاجتماعات المدرسية والتسجيل فيها. هذا فضلا عن أمور أخرى أساسية وثانوية، مع أنني موظفة أعمل نصف دوام، والحقيقة انني لا أجد الوقت الكافي لممارسة أي نشاط شخصي، كل همي عملي ومنزلي والأولاد، وزوجي يخرج إلى عمله في الصباح ويعود ظهرا ليتناول غداءه ثم يأخذ قيلولة «طويلة» وفي المساء يذهب إلى الديوانية وياليته راض عني بل غالبا ما يوبخني لو قصرت بمهامي و يقول لي «أين أنت من أمهاتنا.. عندك خادمة وسيارة وتتذمرين»؟

إنني أحسد أمهات «أيام زمان» فبالرغم من صعوبة معيشتهن إلا أنهن كن محدودات المهام ولا يتعرضن لضغوطات العصر وأيضا كانت تربية الأبناء أسهل من هذه الأيام لأن الطفل كان يقنع بثياب وألعاب أشقائه أما طفل اليوم فيريد السيارة قبل زجاجة الحليب وحقيبة المدرسة. وأخيرا اتمنى لو أنال بعضا من الراحة وهدوء البال الذي كان يسود حياة امرأة «أيام زمان».

التغيير عمومي

وللرجال رأيهم أيضا في هذا الموضوع، فمنهم من أثنى على التغيير الذي طرأ على حياة المرأة لأنها تعلمت وتفتحت، وأصبحت واعية لبيتها وأولادها مع دعوتها للرجوع إلى العادات والطباع الجميلة، والتحلي بالصبر والأخلاق التي جبلها عليها الله، لتكون سكنا حقيقيا للرجل.

ومنهم من يرى أن رياح التغيير قد عصفت بكل شيء حتى الرجل والأولاد، وهذا بطبيعته سوف ينعكس على حياة المرأة فضلا عن الانفتاح الإعلامي الذي يشهده العالم والتطور الفكري والعلمي، لكن تبقى هناك لمسات يجب علينا المحافظة على حلاوتها وبهائها، ولنورثها لأجيالنا القادمة لأنها تحمل كل الخير والبركة على حد قولهم!

ومهما طال الحديث حول هذا الموضوع، يبقى الشعب سيد الموقف، لأن الآراء تتضارب وتتفرع من امرأة لأخرى، إلا أن الرأي السائد لدى معظم اللواتي تحدثنا معهن هو «ترجيح كفة» طبيعة المرأة القديمة بكل ما تحويه من أصالة وبركة. لكن لا يمكن لأحد الجزم في هذا الشأن لأن الانقلاب الذي يشهده العالم اليوم لم يرحم حتى الحيوان والنبات فكيف الحال بالنسبة للبشر؟ ■

المصلحة العامة في مذهب مالك بن أنس

من المعلــوم أن أصحـاب المذاهب في تشريعهم لايتحــدون جميعا على الأسس التي بنوا عليها تشريعاتهم، فبينما نرى صـاحب مـذهب يعتمـد كل الاعتماد على مـاورد في الكتـاب والسنة ولايعير لغيرهما كثيرا من الإصغاء نرى آخر يعتمد عليهما ولكنه يحتكم الى الاستنتـاج العقلي بجانبهما ولربما حكم عقلـه حتـى فيما ورد في المشكلـة الفقهيـة من مـأثـور السنة أو نص الكتاب.

■ليس الاعتماد على العقل مخلــوقــا للمعتــزلــة في المسلمين وانما نجـــده مبكـــرا في بعض المســائل عنـــد الصحـــابـــة

وبين النوع الأول والثاني تتفاوت الأنظار في الأخذ بأحد الاساسين: النصوص، الرأي.

واذا أردنـا أن نضع خطـا بيـانيـا يمثل لنـا طوائف أصحاب المذاهب المشهورة وموضعهم العمومي من الطرفين فـإننا نستطيع، مبتدئين بالنصـوص ومنتهين بالـرأي، أن نضع في أول الخط:

- المذهب الظاهري.
- المذهب المالكي.
- المذهب الشافعي.
- المذهب الحنفي.

خصائص مذهب الامام مالك

وبناء على هذا الخط البياني فإننا نجد مالكا وسطا بين اصحاب المذاهـب المشهورة في الأخذ بـوجهتي نظر مختلفتين. وهـذا الوضـع الـذي وضعناه فيه إنما هو باعتبار العموم وليس هو بهذا الموضع في كل نظـراتـه التشريعيــة كما سنرى فيما بعد في هذه المسألة بالذات: مسألة المصلحة العامة، أو مسألة «المصالح المرسلة»

بقلــــم: راجــــي مليكـــة*

أو «الاصطلاح» كما يسميها أصحاب المذهب.

ولنقف الآن عند مذهب مـالك والخطوط التي ارتسمها فيـه حتى نكون على بينـة في دراستنا لموضوع المسألة التى عنون بها البحث.

إمـامنا مـالك بن انس في منحاه الاجتهـادي لايشترط في الحديث الذي يأخـذ به مـاشترطه أبو حنيفة من الشهرة وغيرها بل يعمل به حتى ولو كان خبر الواحـد إذا ماصح عنده أو حسن مع التـزام التحـري الشديـد في الحديث الـذي يعتمده فهو مثـلا لايأخذ الحديث من سفيه أو من داع إلى بدعته أو من كاذب في حديثه العادي مع النـاس بل هـو لايـأخـذ الحديث حتى من شيخ قـد اتصف بـالفضل والصلاح والعبـادة ولكنه لايعـرف مايحمل ومـايحدث به معـرفة تامة.

فمالك كما نرى لايتسـاهل في رواية الحديث والعمل على مقتضــاه، حتى يخلـو مـن تلك الشبهـات التي يتعرض إليهـا من جراء الـرواة السالف ذكرهم، فاذا توفرت تلك الشروط فإنه في داخل نطاقها يتوسع توسعا لاينتهي إليه أبو حنيفة وإلى جـانب الأخذ بهذه الأحـاديث فإن مالكا يعتمد كذلك على عمل أهل المدينة ملاحظا فيهم أنهم سكـان دار الهجرة النبويـة ومهبط جل القرآن المتعلق بـالاحكام فهم لهذا الاعتبار افقــه النـاس بـالسنـة واعلمهم بأحـوالها وماتعرضت إليه من النسخ في بعضها ببعضها الآخر فأهل المدينة اذا اتفقوا على مسألة وعمل بها علماؤهم على اتفاق فيما بينهم فعملهم هذا حجة يقدم على القيـاس بل انه يقدم حتى على الحديث الصحيح لانهم بصفتهم التى كـانت لهم أدرى الناس بالاحاديث واعمال النبي عليه الصلاةو السلام من غيرهم.

هذا اذا كان العلماء قد اجمعوا على قضية ما – كما سبق – وعملوا على وفقها. اما إذا لم يقع منهم إجماع ولـو بخـروج الأقلية منهم عن الأكثـرية فإن عملهم حجـة ولكنها لاتقـدم إلا على خبر الواحد في رواية الحديث ويتقدم عليها الحديث الذي روي من عدة رواة ذلك انه ينزل عمل أهل المدينة منزلة الـرواية، فعمل الأكثرية بمنـزلـة رواية الأكثـر، فإذا جـاء خبـر واحـد يخالفهم وهم كثرة فلامناص أن هذا الخبر على صحته منسوخ كما هو واضح بين.

على أننا إذا قلنا بعمل أهل المدينة وإجماعهم فعلينـا ان نفـرق في هـذا الإجماع بين الأعمال

*رئيسة جامعة محمد الخامس بالمغرب

النقليـة التـي رووهـا من أقـوال النبـي عليـه الصلاة والسلام أو افعاله والاعمال الاجتهادية التي ليست فيهـا روايــة ولانقل. وإنما هي اجتهــاد – من علماء المدينــة – اتحدوا فيــه وحصل منهم اجماع عليه فالإجماع الذي حصل منهم على النقل حكمه ماسلف اما الاجماع الذي حدث منهم في الاجتهاد فهذا اختلف أهل المذهب فيـه فمنهم من يتخـذه حجة ويعمل بـه عملـه بـالنوع الآخـر حيث إنـه يرى ان هـذا الاجماع منهم على هذا الاجتهاد لم يكن إلا لأن مؤهلات الاجتهاد واسســه كانت قـائمة على ما تـوفرت فيـه الشروط في المنقولات ومنهم من يـرى غير هذا وان للقـوم عقولا اجتهـدوا بها ولنا عقـول كذلك يمكن ان نجتهد بها ولايلزمنا اجتهادهم.

ومن مسالك التشريع عنـد مالك العمل بقول الصحابي اذا كان ذا مكانـة ممتازة ولو لم يكن من اهل المدينـة وذلك كـالخلفـاء الـراشـدين رضوان الله عليهم ولكن مـالكا لايلجأ إلى عمل هـؤلاء الأعـلام من الصحابـة الا اذا لم يـرد في المسألة نص.

هكذا نجـد مالكـا مقيدا بـالنصوص سـواء الواردة منها عن النبي عليه الصلاة والسلام أو عن اكابر الصحابـة ثم هو الى جانب ذلك مقيد كـذلـك بعمل أهل المدينــة على الاعتبـارات والـدرجـات التي تقـدمت ولم تـذكـر من بين النصوص نصـوص القرآن لأن هـذه لايختلف فيهـا مـذهب عن مـذهب الا بـاعتبـار الاخـذ بـالظاهـر أو التأويل في فهم النص أو الاطـلاع على النسخ فيه.

أذن فمالك من هـؤلاء الــذين يقفـون عنـد «حرفيـة القانون» ولكنها وقفـة طويلة متـزنة يـؤيـدهـا المنطق الحصيف والـرأي السـديـد وليست وقفة داود الظاهـري ولاوقفة احمد بن حنبل فهـو في الحقيقة لم يـر تقليد هـؤلاء فيما رووه أو رأوه لمجرد كـونهم رووه ورأوه ولكنه يرى طبيعة الأشيـاء تفرض عليه هذه الـوقفة: مثـلا إذا اعتمد على عمل أهل المدينـة فإنما ذلك الاعتماد قائم على تحفظـه الشديـد وتحريه أن يصيب الهدف في أحكـامــه الشرعيــة. وكل منصف يؤيده في هذا الاتجاه إذا ماراعى مكانة أهل المدينة ومقدار اتصالهم بصاحب الشريعة ومداخلتهم إياه مداخلة المكان والزمان.

ولهذا فمالك ليس – تمامــا – كما يفهم من وصفه بأنه يتبع حرفية القانون وانما هو يعمل في الغالب بروح القانـون لا بحرفيته. اذا أمعنا النظـر فهو في وقفتـه عند النصـوص يتصرف بعقله تصرف القانوني المخلص لروح القانون والمتزن في أحكـامه وعلى أسـاس هذا التصرف وعلى إدراك هذه الـروح في القانـون يخرج لنا مالك مصدرا هاما من مصادر التشريع المالكي أو الإسـلامي عمومـا هـذا المصدر الهام هـو «المصــالح المرسلـة» أو المصالح العـامـة كما نسميهـا فهـذه المصالح التي كـانت النظـرة عميقة فيهـا تؤهل الفقيه المالكي أن يكـون له إدراك متسع الأفق ولباقـة قانـونية، بل تفضي بـه إلى أن يقف في مصــاف المجتهـدين ولكن نصـوص القوانين ليست كـافية أن تخرج لنـا رجال القوانين.

إن فقه مالك أخرج لنا الشافعي نعم! اخرج الشـافعي لأن شخصيـة الشـافعي القـويـة ومؤهلاته العـديدة استطاعت أن تتبلور بتلك الثقـافــة وأن تبـدو للنـاس بمظهــر الخلق والابتداع.

لو استمر العمل حسب ما تمليه – المصالح المرسلة – بين أصحـاب مالك لكـان فقه مـالك أغنى فقـه في الإسلام ولكن العمل لم يستمـر وبقيت مسألة الاستصـلاح أو المصالح مسألة تاريخيـة عرفت عنـد مالك ولم يجر بها العمل الا في بيئة دون بيئة وفي مسألة دون أخرى ثم هي مع هـذا كله تتعثـر في سيرها وتتجـاذبها الأيدي حتى من أصحاب المذهب أنفسهم.

المصالح المرسلة

ولعل القـارىء يصيح: مـا هذه «المصــالح المرسلة» حتى تكون بهذه المثابة؟!

«المصالح المرسلة» مسـألة لها اتصال وثيق بما عرف عند الحنفية بمسألة «الاستحسان» لهذا نرى لزاما علينـا أن نتعرض لهذه المسألة أولا بشرح وجيز ثم ننتقل الى مسألتنا هذه.

مسـألـة الاستحســان قائمـة على الاعتبـار الاعتــزالي القــائم على التحسين والتقبيح العقليين عنـد التشريع والمعتـزلة عـرفـوا بين الناس بأنهم يحتكمون الى العقل كما قال فيهم ابـن السبكــي في جمع الجوامـع «وحكمـت المعتزلة العقل» ونظريتهم هذه تدور على ان في الأفعال نفسها التي تتعلق بها الأحكام صفات من حسن يحبذه العقل أو قبح يتجـانف عنه. فعلى هذين الأساسين قـام التحليل والتحريم فكل حكم معقول المعنى ولامقابل وكل مسألة محللـة لابـد ان يلتمس لها وجـه من الحسن، وكل مسـألـة محرمـة لامنـاص لنـا ان نلتمس صفة من القبح.

فالتحسين والتقبيح كما تـرى لايقومان على النقل اول ما يقـومان وانما النقل نفســه يقوم عليهما والا لما كـان هناك وجـه لـذلك التحليل وهذا التحريم فلو لم يوجد الشارع لكان العقل السليم وحـده كافيا في ان يستحسن ما حللـه الشـارع وأن يستقبح مـا حـرمه بـالاحكـام الشرعيـة خاضعـة إلى سلطـان العقل مهتديـة بالنـور الذي وضعه الله فيـه بالحسن والقبح كلاهما محور يـدور عليه التشريع الإسـلامي فالاحكـام تدور على العلـة وجودا وعـدماً كما يقول الفقهاء خذ مثـلا الصدق والكذب فما من عقل سليم ينكر مـافي الكذب من مضرة وهلاك فالقيمة الخلقية فيهما ذاتيـة عقلية والا لما كان الشارع حلل الأول وحرم الثاني.

وإذا فالمعتزلة يخالفون الواقفين عند الأوامر والنـواهي لالشيء إلا لأنها أوامر ونـواه وردت عن الشارع ولكنهم يتعقلـون ما في الأوامر من مصلحـة يفـرضها العقل ومـا في النـواهي من مضرة يحذر منهـا العقل فــالنظـرة العقليـة والاستجـابـة إلى مـايفـرضـه العقل هي التي جعلت في القرآن والسنة نـاسخا ومنسوخا لأن النظــرة العقليـــة إلى طبيعـــة الأشيــاء وتطـورالحيثيـات هــي التي رفعت ذلك الحكم وأقـامت هـذا، فالعلـة مثـلا في تحريم زيـارة القبـور ارتفعت لرجحـان علة أخـرى ذكرهـا الشارع فقال: «كنت نهيتكـم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الدار الآخرة».

والعلـة في القصاص ذكـرهـا القرآن فقـال: ﴿ولكم في القصـاص حيـاة﴾ [البقـرة/ ١٧٩] والعلـة في تحريم الخمـر والميسر ذكـرها اللـه فقـال: ﴿إنما يـريد الشيطـان أن يـوقع بينكم العــدواة والبغضــاء في الخمـــر والميسر﴾ [المائدة/ ٩١].

وهكـذا نجـد الكتــاب والسنـة في كثير من المحللات والمحرمات يبينان لنا وجه التحليل في ذلك على أسـاس عقلي كما يبينـان لنــا وجـه التحـريم في هـذا على أسـاس العقل كـذلك فــالمعتـزلــة إذن لم يحكمــوا العقل من غير مايكون لهم مستند في هذا التحكيم بل المعتزلة في الحقيقة يصح أن نعدهم في طبقة التجريبيين من الفـلاسفة ولا نعـدهم في طبقـات العقليين بكل دقـة، المعتـزلة يحتكمـون إلى العقل بعـد الاستقراء وما تاريخ قـدمائهم وفطاحلهم وما الإمعـان في صنيعهم إلا مـؤيـد لهذه القـولـة ويكفي دليــلا على هــذا «النظـام» وتلميــذه

المصلحة العامة في مذهب مالك بن أنس

«الجاحظ». إذاً هم في مسألة التحسين والتقبيح لم يبتدعوا فيها ولم يقتحموا خطوطا كانت محظورة أو مبهمة من الشارع وإنما اخذوا بمبدئه في تبيين العلل وزادوا أو استمروا في هذا الخط في التماس العلل للأحكام وتوسعوا في ذلك توسعا لايحده إلا حدود العقل الطليق المتصرف تصرفا حكيما رشيدا وفي القرآن الكريم في حق الدين: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ [الروم/ ٣٠] وفي حق المهملين لعقولهم تنديد عليهم في مثل قوله: ﴿أولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولا يهتدون﴾ [المائدة/ ١٠٤] وفيه حض على الاستقراء وبناء الحكم العقلي عليه في قوله تعالى: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وماخلق الله من شيء﴾ [الاعراف/ ١٨٥]. جعل القرآن إكراه العاقلين على اتباع الحق غير الإكراه في قوله تعالى:﴿لاإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ﴾ [البقرة/ ٢٥٦] فحيث تبين الرشد من الغي بطريق التفكير العقلي فلا إكراه على الحقيقة.

القول بالحُسْن والقبح

المهم أن الحنفية وعلى رأسهم إمامهم أخذوا بمبدأ التحسين والتقبيح وارتكنوا على الرأي والعقل بفطرته السلمية التى تستطيع أن تدرك ما في الشيء من صفات حسن فتتبعها ومن صفات قبح فتتنكب عنها وان الانسان لو لم تبلغه دعوة من رسول مرسل فلا عذر له في الجهل وفي إهمال هذه القوة التي اودعها الله فيه ليدرك بها الصالح والسيء وهو من أجل هذا ملزم بفعل الحسنات وترك السيئات ولأمر ما كان الصبي ومن لاعقل له غير مكلف لانه فاقد لتلك الاداة التى يدرك بها القبيح من الحسن.

وفي الحقيقة ليس الاعتماد على العقل مخلوقا للمعتزلة في المسلمين وانما نجده مبكرا في بعض المسائل عند الصحابة كعمر مثلا ثم نجده قد التزمه بعض فقهاء المدينة فيما بعد مثل «ربيعة الرأي» الذي لكثرة اعتماده على الراي اضيف اليه فقيل «ربيعةالرأي» وهو احد المؤسسين للمدرسة التي تخرج منها مالك بن أنس وقد تردد على العراق موطن الراي وتوفى سنة ١٣٦هـ. على اننا لانجعل الحدود فاصلة بين العقليين والنقليين وانما نقول ان العقليين لايهملون العقل وانما يؤيدونه بالنقل ففرق بين اولئك وهؤلاء، ان اولئك ينظرون إلى السر العقلي في المسألة المنصوص عليها ويقيسون على ذلك السر وتلك العلة، وهؤلاء ينظرون الى المسألة التي نص الشارع على تحليلها وتحريمها ويقيسون عليها والأولون يبنون على الكلي المبني على القضية العقلية في جزئية من الجزئيات والآخرون ينظرون الى الجزئية الوارد فيها الحكم ويبنون عليها ويجعلونها المبدأ فيقيسون عليها ماكان شبيها بها. فالكل متصرف بعقله فيما بعد ولكن تصرف الاول كان في حدود اوسع وفي نطاق اشمل لأنه خرج من الجزئي الى الكلي بينما الآخرون يتصرفون بعقولهم ولكن تصرفهم لايتعدى حدودا ضيقة تحوم حول المسألة التي نص عليها الشارع.

ولانريد ان نتوسع فيما راج بين هؤلاء وخصومهم وكل مانريد ان ننبه عليه هو ان أصحاب الرأي فيما بعد وجدنا من بينهم من توسط في المسألة حيث إنهم قسموا الأحكام إلى قسمين: أحكام تتعلق بأمور العبادات فلسنا ملزمين لأن نلتمس لها تحسينا أو تقبيحا عقليين. وأحكام تتعلق بشؤون الدنيا فلابد للعقل أن يقول كلمته فيها وهي نظرة قيمة تجعلنا ننظر إلى سير الحياة في خطوطها الطويلة سيرا سريعا متبصرا ونشرف فيها على آفاق بعيدة المدى.

هذه هي مسألة الاستحسان. أما مسألة المصالح المرسلة فما هي؟

المصالح المرسلة

المصالح المرسلة هي ماتسمى الآن بالمصالح العامة وهي مسألة – كما تقدم – قال بها مالك وظلت في مذهبه يعمل بها في حدود ضيقة إلى العصر الذي خبا فيه ضوء العقل وتحجرت المدارك ولم نعد نجد لها ظلا شاخصا إلا في بعض الجزئيات التي حتمتها الضروريات القاسية وقلما تظفر بها وهي في الحقيقة ليست – كما يدعي – مصدرا زائدا على مصادر التشريع الأول: «الكتاب والسنة والاجماع والقياس». وانما هي مستخرجة من نفس المصادر الاربعة فلابد أن ننظر فيها بعيون جديدة النظر غير زائغة البصر. هذه المصالح تقوم على تقديم الصالح العام على الصالح الخاص اذا تعارضا وعلى ارتكاب اخف الضررين لو اجتمعا ولو كان بجانب كل واحد نص يؤيده او ينهى عنه. ذلك أن اصحاب المصالح المرسلة نظروا إلى لب الشريعة والغرض الأساسي منها فانتهوا الى هذه الكليات الخمسة التي بنى الشارع عليها أحكامه وهي كليات استقرءوها فوجدوها خمسة أمور: «حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ المال». فلو استعرضنا أمور الشرع ونواهيه لما وجدناها تتعدى هذه الأسس الخمسة، وعلى هذا فاذا نظرنا إلى أية مسألة وأردنا أن نصدر فيها حكما لم ينص عليه فإننا يلزمنا ان ننظر إلى نتائجها وإلى ماسيترتب عليها من مصالح أو مضار فندقق في هذه النظرة ونقدر كل النتائج ونوازن فيما بينها إن تواردت أو تعارضت مستعينين في ذلك بمسار العقل وبالمقاصد الشرعية التي هدفت إليها الشريعة فاذا ما انتهينا من ذلك كله فلايبقى علينا إلا أن نصدر الحكم اعتمادا على المصالح والمفاسد أو الصالح والأصلح والفاسد والأفسد عند التعارض.

من مسائل المصالح المرسلة

خذ مثلا مسألة اتى بها صاحب المصلحة المرسلة: لو تترس العدو بجماعة من أسرى المسلمين وقعوا في يده هل نقاتل العدو ويكون في قتالنا له قتل الاسرى المسلمين الذين تترس بهم العدو أم نترك العدو خوفا من أن نصيب مسلما ونزهق روحا بريئة؟

هنا تعارضت المصلحتان كما تعارض النصان العدو يأمرنا الدين بقتاله:﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا﴾ [البقرة/ ١٩٠] والمسلم ينهانا الدين عن قتله ضمن قوله: ﴿ولاتقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ [الأنعام / ١٥١] فماذا نصنع؟

لننظر إلى المصلحة ولنقدر المضرة. المصلحة العامة تقضي بقتل العدو والمصلحة الخاصة تقضي بعدم قتاله ابقاء على الأسرى المسلمين: المضرة في عدم قتال العدو عامة فهي مضرة ثقيلة والمضرة في قتاله تنال جماعة الأسرى ولكنها مضرة خفيفة اذن فليرتكب اخف الضررين لأننا لو لم نرتكب أخف الضررين لمكنا العدو من الفرصة ولغلب علينا فلا نستطيع بذلك أن نحفظ مقاصد الشرع أو بعضها من نحو الدين والنفس والمال مما وجدنا الشرع حريصا على حفظه.

وهنـاك مثـال آخر أتى بـه مـالك في مسألـة الضرب. فالتهمة عند الاستنطـاق بالسرقة مثلا: المصلحة العامة تقضي بهذا الضرب او الحبس.

والمصلحـة الخاصـة لاتقضي بـه: المصلحـة العامة هو اننا بهذه الوسيلة نستطيع ان نتوصل إلى حسم هـذا الفسـاد الـذي حل بـالمجتمع من ضيـاع أموالـه وتعـريضهـا للهلاك فعلينـا أن نستعمل الوسـائل التي نستطيع بها أن نطمئن الناس على أموالهم وأن نجعلهـا في الحفظ الذي هـو مقصـد من مقـاصد الشريعـة والمصلحـة الخاصة أن لانوقع أذى بذلك المتهم لأنـه لربما كان بريئا فنظلمه: ﴿والله لايحب الظالمين﴾ [آل عمران/٥٧]. والمضرة العامة في ترك المتهم وهي مضرة ثقيلـة والمضرة الخاصـة في ضربـه أو سجنـه وهي مضرة خفيفة إذن فلنـرتكب أخف الضررين وهو الضرب أو الحبس أو ما إلى ذلك من العقـوبات، والشرع إنما يقـدر الكلي ويهمل الجزئي. وهكـذا أتى مـالك وأصحابـه بأمثلـه للمصلحة العامة. ثم عـرضت لأتباعه فيما بعد مسائل من هذا القبيل فـوجدنا منهم من يجيب فيها بناء على قانون المصلحة المرسلة ومنهم من يتوقف فيهـا أو يعارضهـا، لا من ناحيـة المبدأ ولكن من نـاحيـة الاتجاه حتى مـات العمل بالمصالح العامة أو كاد. ولم يلتفت إليه الا تحت ضغط السلطان فيما تحدث من مشـاكل تجابه الدولة مثل فرضه الخراج على الرعية والضرائب وما الى ذلك. والمواقف فيها كانت عنيفة سواء في الاندلس أم في المغرب إلى زمن يسير.

وبهذه المصلحة المرسلة لا تجدها وليدة لمالك كما لانجد مذهب الـرأي وليدا لأبي حنيفة وانما نجد لها بـذورا في عهد الصحابـة كما في مسألـة حـد الشارب اربعين أو ثمانين وقـد كـانت على عهد النبوة ضربا بـأطراف الثياب أو النعال كما حدث في أيـام عمر من مسائل نـزع الملكية ممن امتنع عن بيع داره لهدمهـا في سبيل المصلحـة العـامة بل اننـا نجـدها حتى في بعض الاحكـام التي نص عليها القرآن الكـريم ووجد فيها كثير من القسـاوة ولكن المصلحـة العـامـة كـانت تقتضيهـا من مثل حـد الـزاني لأن فيـه حفظـا للنسل وصونـا من الفوضى الاجتماعيـة ووعيا لكيان التربية العامة.

موقف الإمام الشافعي من المصلحة المرسلة

واذا كنـا نفـاجأ بشيء في العمل بالمصلحـة المرسلة فإننا نفاجأ بمعارضة الشافعي فيها كما نفاجأ بمعارضته في التحسين والتقبيح.

فهـذا الشافعي المتحـرر من كثير من القيـود والمرن في تشريعه والمتمعن في احكامـه حتى انه كان المتفرد من اصحـاب المذاهب بتغيير مذهبه وجعلـه مـذهبين في الحقيقـة لامـذهبـا واحـدا استجـابة للظـروف ومـرونـة مع ماتقتضيـه الأحوال وتستدعيه البيء المختلفة حيث كان له مذهب في العـراق وآخر في مصر ولو أن الـزمان كان قد امتـد به ولو أن المكان كـان قد اتسع به فأتى مثلا إلى المغرب او الأنـدلس أو قدر لعمره أن يطول لما كان يتردد في أن يحدث له مذهبا أو مذاهـب أخرى تمشيا مـع مايجد في مكـانه أو زمانه وتنفسـا بما يتأرج في هذه البيء المختلفة بل اننـا وجدنـاه قد خـرج عن مذهبـه الأصلي المالكي لما تجدد على عقليتـه بحكـم تـردده على العـراق واتصالـه بأجواء مختلفـة وممارستـه لقضايـا لم يكن قد سبق له أن مارسهـا لما كان بالمدينة بجانب استاذه مالك رحمهما الله فكان من اختـلاف هذه المنـاهج المتعـددة والمتلونـة بألوان متبـاينة أن استقل بمذهبه ودعـا إليه في سنة ١٩٣م. والشافعي أديب فيه مرونة الاديب ورياضي فيـه دقة الريـاضي فلا غـرو أن يكون لهذين العاملين اثـر قوي في توجيهـه نحو ذلك الاستقلال في التشريع بعد أن ادرك غور الأشياء وانحـدر الى اعماق اسرارهـا وبـذلك استطـاع وحده أن يخلق لنا علما هاما في أصول التشريع «أصول الفقه» التي تشرف بالفقيه على أن يدرك الكليات ويقيـس عليها الجزئيات وهـو مطمئن كل الاطمئنـان إلى أن بيده أداة فعـالة وأقنـوما دقيقا يسجل به الاشياء ويقدرها حق قدرها.

هذا الشـافعي الذي استطـاع وحده من زمن وجيز وفي وقت مبكر أن يهيـيء أصحابه بمصر لأن يصبحوا مجتهـدين في تشريعهم ومحاولين هم أنفسهم ان يخلقوا مذاهب خاصة لهم سواء في ذلك الـرجـل من اتبـاعـه أو النسـاء، هـذا الشـافعـي بهذه الصحيفـة الإشراقيـة نجـده يـرفض مسألة المصـالح المرسلة كما يـرفض مسألة «الاستحسان» ويضرب بكلتيهما عرض الحائط ويقول في الاستحسـان مثلا، من حسن فقـد شرع، وهـي وقفـة نستغـربها منـه كما نتسغربها من ابن المقفع قبلـه في الرأي وهو من هو يرفع صوته بنداءاته العديدة أن ينظم الفقه الإسلامي نظـاما دقيقا وقـد ضـاق بـالفوضى التي كانت على عهد ابن المقفع، هـذا نجده يقول في الرأي فصل بين الدين والرأي،ان الدين يسلم بالإيمان وان الرأي يثبت بالخصومة فمن جعل الدين خصومة فقـد جعل الدين رأيا ومن جعل الدين رأيـا فقد صـار شارعـا ومن كان يشرع لنفسه فلادين له.

وهكـذا ينفر ابن المقفـع من الـرأي كما نفـر الشافعـي بعده من الاستصـلاح والاستحسان ولم يلتفت الى اصحـاب الاستحسـان حتى في ادلتهم التي اتـوا بها مـن القـرآن لتشفع لهم في هذا مثل قـوله تعـالى: ﴿واتبعوا احسن مـاأنزل اليكم﴾ [الزمر/٥٥] وقـول:﴿الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله﴾ [الزمر/١٨] فالشافعي في هـذه المسألة بالذات لم يكن من اصحـاب الذوق القـانوني ولم يلـزم موضعـه الذي وضعنـاه فيه مـن الخط البياني السابق وانما رجع فيه الى نـاحية ابن حنبل كما قفز مـالك الى نـاحية ابي حنيفـة متعديـا مكان الشافعي منه. ولعل القـاريء الكريم يسألك اذا كنت قـد قلت في حق الفقه المالكي انـه قد اخـرج الشافعي وانه بالاضافة الى مؤهلاته استطاع ان يستقل بمذهبه الخاص ونـوهت في ذلك بمسألة «المصالح المرسلة» فجعلتهـا تقريبا روح المذهب او هي أهم شيء يمتـاز بـه هـذا المذهب فما بـال الشافعي قـد استطاع ان يخلق له مذهبـا مع انه لم يقل بهذه المسألـة التـي امتـاز بها المذهب المالكي؟ والجواب على هذا في منتهى البساطة:

فالشافعي لم يقل بهذه المسألة بالذات ولكنها بلا شك قـد أثرت في عقليته ونشـاطه التشريعي ومثلـه في ذلك مثل ابي حنيفـة الـذي تشبع بـالمذهب الاعتـزالي تشبعـا كبيرا او بطـريقـة الكـلاميين في جدالهم حتى قـد حدث عن نفسـه بقوله:كنت رجـلا أعطيت جدلا في الكلام فمضى دهر فيه اتردد وبـه اخاصم وعنه أناضل وكنت اعد الكلام افضل العلوم.

ثم بعد ذلك رفض – كما يقول – رفضـا تاما مـذهب الكـلاميين واصحـاب الجدل، فهل هـذا يكون كافيا في ان ابا حنيفة لرفضه ذلك لم يتأثر به في توجيه تشريعه؟ كلا، فإن أبا حنيفة بفضل الكـلاميين وجدلهم ولتأثره بذلك استطـاع ان يبنى مـذهبه على الرأي وان يـأخذ من المعتـزلة مسألـة الاستحسـان وان يتبنـاهـا بكل عطف ويدافع عنها بكل حرارة ثم هو بكل ذلك استطاع كما استطاع الشـافعي ان يكون من اتبـاعه من كان على ابواب استقلال في مذهبه.

ومن المعلـوم في كتب الأصول أن أقـوال اتباع أبي حنيفـة لاتعتبر كلهـا أقـوال ابي حنيفـة، فالحنفيون كثيرا ما يخالفون إمامهم في فقههم.

هذا عـرض سريع لمسألـة المصلحة العـامة في المذهب المالكي وموقف غيره منها وعمل اصحابه بها وعسى الايام ان تتيح لنا فرصا اخرى نرجع فيها إلى هذا الموضوع بأكثـر دراسة فيه توسعا واعمقها بحثا ان شاء الله□

يا أمتي

شعر:
عبد الغني أحمد ناجي

يا أمتي هتف الزمان مناديا
أين الألى تخذوا السماء مراقيا
أين الذين بهديهم، وضيائهم
كانوا مشاعل للأنام هواديا
أين الذين ترسموا نهج السما
ء مناهلاً كالنبع يعذب صافيا
أين الألى نطقت حضارة عهدكم
هم أطلعوا فجر الحضارة زاهيا
وتحدث التاريخ عن أمجادهم
فسلوه ليس مداهنا أو غافيا
فمن الذين علومهم قد نورت
أفق الحياة، وكان أظلم ساجيا
ومن الذين نهارهم بهر الدنا
ماأبشع الإظلام يعتم قاسيا!!
فالشرك ليل حالك لف الوجود
قتامة، وضلالة، وغواشيا
حتى أتى التوحيد نهجك أمتي
بالضوء للإظلام يسطع ماحيا
ومن الذين بعدلهم سعد الأنا
م وما اشتكوا، فالعدل يسعد حانيا
ومن الألى بفم الزمان شعارهم
الله أكبر كالسيوف مواضيا
ومن الألى هز العروش صليلهم
ثلت عروش الظلم منه بواكيا
ومن الألى دانت لهم صيد الجبا
برة القساة الملحدين مواليا
فهم الأباة لأمتي، وبأمتي
نطق الزمان مفاخراً، ومباهيا

*****

ياأمتي عودي إلى دين الإله
تبوئي تلك المكانة ثانيا
وتوحدي حتى تعودي قوة
تعلى بنود المجد فيك روابيا
ودعي الخلاف لكي تعودي أمة
تهب الزمان المجد يزهو ساميا
فالحلبة الجوفاء تنشد فارساً
كالخالدي؛ أصالة ومباديا
والعالم المكدود ينتظر النجاة
لديكمو بالنهج يشرف هاديا
والعالم المطحون في جوف الوغى
يرنو إلى حقب الزمان خواليا
يرنو إلى عهد الرسول: «محمد»
وصحابه الأبرار ظلا دانيا
ياأمتي، هيا امنحيه مآربا
كالواحة الخضراء تنجد ضاحيا
هذا النداء سمعته ياأمتي
من ذا الزمان، فلا تردي شاديا
بل رددي شدو الزمان لعلنا
بعد التخلف نستعيد معاليا



ولدان مخلدون

بقلم: محمد رشيد العويد*

هل شدّ نظرك يوماً وجه طفل فائق الجمال، كأن وجهه البدر، ووجدت شفتيك تسبحان الله تعالى وترددان: سبحان الله.. ما هذا الجمال.. سبحان من صوّر!

وهل تاقت نفسك إلى مداعبة الطفل وملاعبته، فإذا بك تجد مع هذا الجمال البديع، لغة طفولية عذبة.. يرددها لسان هذا الطفل الجميل، مع رقة لطيفة، وبراءة محببة.

ولعلك تمنيت أن ترزق طفلاً مثله.. إذن لامتلأ بيتك بهجة وسعادة، وأنساً وحبوراً، ورقة وعذوبة.

بل ربما كنت أنت أبا هذا الطفل، وتعيش حقاً أمتع الساعات في صحبته، وملاعبته، وأنت تحنو عليه حنواً بالغاً، وتسمع حديثه الطفولي العذب.. فيفيض قلبك بعاطفة دفاقة جياشة.

وأنت أختي الكريمة، أنت تدركين هذه المعاني، وتعيشين هذه المشاعر، أكثر من الرجل، وتعشقين الأطفال الذين آتاهم الله جمالاً فاتناً عشقاً فُطرت عليه، حتى لتضحين من أجلهم، وتفخرين بهم، إن كانوا أولادك، أعظم تضحية وأبلغ فخر.

وحين يبدؤون المشي على أقدامهم، تتملككم فرحة غامرة، وأنتم تتابعون مشيهم، وتنقلهم بين غرف البيت. وإذا ما طلبتم منهم شيئاً وأحضروه لكم.. فإذا سعادة لا توصف تشيع في حناياكم.

ولكن هذه البهجة بالأطفال في الدنيا تبقى ناقصة، ونقصها آت من التالي:

١) لا يضمن أحد عدم موتهم، فكم من الآباء والأمهات فجعوا بموت أطفالهم، وبكوهم وحزنوا عليهم، بقدر ما أحبوهم وفرحوا بهم.

٢) حتى وإن عاش هؤلاء الأطفال، فإنهم سيكبرون ويفقدون نعومتهم وبراءتهم وعذوبتهم.

٣) يبقى عدد الأطفال الذين يرزقون جمالاً أخّاذاً.. قليلاً، ولا يتمتع به إلا قليل من الآباء والأمهات.

٤) مرض الأطفال بأمراض عارضة أو مزمنة، ينغّص كثيراً، ويذهب بكثير من بهجتهم.

هذه البهجة الناقصة في الدنيا.. كاملة تامة في جنة الآخرة، فأولاد الجنة جميعهم يتمتعون بجمال فتّان، وهم يحافظون على سنهم الذي هم فيه، فلا يكبرون ولا تذهب نعومتهم وعذوبتهم، وهم خالدون لا خوف عليهم من موت.

يقول الله تعالى في وصفهم: ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون. بأكواب وأباريق وكأس من معين. لا يصدّعون عنها ولا ينزفون﴾ [الواقعة ١٧-١٩]. ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون. إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ [الإنسان:١٩].

جاء في تفسير ابن كثير: «أي يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة [مخلدون] أي على حالة واحدة، مخلدون عليها لا يتغيرون عنها، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن. ﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾. أي إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لؤلؤاً منثوراً. ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن. قال قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو: «ما من أهل الجنة من أحد إلاّ يسعى عليه ألف خادم، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه»(١).

ويقول سيد قطب رحمه الله في ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون﴾: «لايفعل فيهم الزمن، ولا تؤثر في شبابهم وصباحتهم السن، كأشباههم في الأرض»(٢).

ويقول في آية سورة الإنسان ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾: «وزيادة في المتاع، فإن الذين يطوفون بهذه الأواني والأكواب بالشراب هم غلمان صباح الوجوه، لا يفعل فيهم الزمن، ولا تدركهم السن، فهم مخلدون في سن الصباحة والصبا والوضاءة. وهم هناك كاللؤلؤ المنثور»(٣).

وفي تفسير الماوردي: «الولدان: جمع وليد وهم الوصفاء». و«المخلدون» الباقون على صغرهم لا يموتون ولا يتغيرون. ويحتمل أنهم الباقون معهم ولا ينصرفون عنهم بخلافهم في الدنيا»(٤).

ويشير القرطبي إلى فائدة هامة أخرى لكونهم ولداناً، وهي: أنهم أخف في الخدمة، وأنشط في التلبية. يقول رحمه الله في تفسيره: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ بيّن من الذي يطوف عليهم بالآنية، أي ويخدمهم ولدان مخلدون، فإنهم أخفّ في الخدمة. ثم قال: «مخلدون»، أي باقون على ما هم عليه من الشباب والغضاضة والحسن، لا يهرمون ولا يتغيرون، ويكونون على سن واحدة على مر الأزمنة. وقيل: مخلدون لا يموتون. وقيل: مُسوّرون مُقرّطون. أي محلون (بالأساور والأقراط)، والتخليد التحلية ﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ أي ظننتهم من حسنهم وكثرتهم وصفاء ألوانهم، لؤلؤاً مفرقاً في عرصة (ساحة) المجلس. واللؤلؤ إذا نثر على بساط كان أحسن منه منظوماً. وعن المأمون أنه ليلة زُفت إليه بوران بنت الحسن بن سهل، وهو على بساط منسوج من ذهب، وقد نثرت عليه نساء دار الخليفة اللؤلؤ، فنظر إليه منثوراً على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال: لله درّ أبي نواس كأنه أبصر هذا يقول:

كأن صُغري وكُبري من فقاقعها
حصباءُ درّ على أرضٍ من الذهب

وقيل: إنما شبّههم بالمنثور لأنهم سراع في الخدمة، بخلاف الحور العين، إذا شبّههنّ باللؤلؤ المكنون المخزون، لأنهم لا يُمتهنّ بالخدمة»(٥).

ويؤكد الإمام الرازي هذه المعاني ويزيد عليها فيقول: «والأقرب أن المراد بـ(مخلدون) دوام كونهم على تلك الصورة التي لا يراد في الخدم أبلغ منها، وذلك يتضمن دوام حياتهم، وحسنهم، ومواظبتهم على الخدمة الحسنة الموافقة.

﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾، وفي كيفية التشبيه وجوه:

أحدها: شُبّهوا في حسنهم، وصفاء ألوانهم، وانتشارهم في مجالسهم ومنازلهم عند اشتغالهم بأنواع الخدمة باللؤلؤ المنثور، ولو كان صفاً لشبهوا باللؤلؤ المنظوم، ألا ترى أنه سبحانه قال: ﴿ويطوف عليهم﴾ فإذا كانوا يطوفون كانوا متناثرين.

ثانيها: أنهم شُبهوا باللؤلؤ الرطب إذا انتثر من صدفة: لأنه أكثر وأحسن ماء.

ثالثها: قال القاضي هذا من التشبيه العجيب: «لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقاً يكون أحسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على البعض.. فيكون مخالفاً للمجتمع منه» (٦)□

الهوامش:

(١) تفسير القرآن العظيم، المجلد٤، ص٤٥٦.
(٢) في ظلال القرآن، المجلد٦، ص٣٤٦٤.
(٣) في ظلال القرآن، المجلد٦، ص٣٧٨٣.
(٤) النكت والعيون، ج٤، ص١٦٧.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، ج١٩، ص١٤٣و١٤٤.
(٦) التفسير الكبير، ج٢٩، ص٢٥١.

*مدير تحرير مجلة (النور) – الكويت



فتاوى

منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

حكم بيع الحمام بالمزاد

* يقوم بعض الشباب أصحاب هواية تطيير الحمام ببيع الحمام ذي الأصول العريقة بمبالغ كبيرة قد تصل في بعض الأحيان إلى أربعين ألف دينار كويتي أو أقل من ذلك أو أكثر بقليل، والتبايع والبحث عن الحمامة الأصيلة هو هم الكثير من أصحاب هذه الهواية والتي فيها حكام يحكمون، ومزادات للبيع. والسؤال هنا هو.

١ – ما حكم هذه المزادات التي تصل فيها الحمامة الواحدة أو مجموعة بعض الحمام الى أربعين ألفا؟

٢ – ما حكم التحكيم في مثل هذه المزادات؟

٣ – ما حكم هذا المال المأخوذ من بيع هذه المزادات؟

■ وبعد أن استمعت اللجنة إلى أفادة المستفتي حول طبيعة التحكيم، والمزادات التي تتم على الحمام، وأسباب ارتفاع أسعار الحمام. أجابت: بأنه بناء على ما أفاد به المستفتي في بيان صورة ما يتم التعامل به فإن الأصل: أن هذه المزادات جائزة، لأنها واردة على مال متقوم على أن يكون البائع مالكا للحمام ملكا مشروعا، ويجوز للمشتري أن يبيع ما تم شراؤه وإن لم يسلم الثمن حالا، ثم هو يبيع مفرقا ثم يسلم قيمة ما اشتراه أولا، على أن لا يكون هناك شرط بين البائع والمشترى بأن يرجع بأقل أو بأكثر.

واللجنة ترى: أن هذا البيع والمزاد رغم جوازه إلا أنه مكروه لما فيه من التغالي في الثمن من غير حاجة أو ضرورة، ولما فيه من إسراف وتبذير، فالأولى الترفع والتنزه عن هذه المعاملات والاهتمامات.

لا تجوز الرقى بالطلاسم

* نرجو منكم الاطلاع على الحجاب المسمى (الحصن الحصين) وهو عبارة عن صندوق صغير يعلق في السيارة، يحتوي على كتيب صغير فيه سورة الفاتحة وبعض سور وآيات قرآنية، ومقدمة، يدّعي جامعه أن هذا الحصن ينفع في توقّي وعلاج الأمراض، وينفع للدخول على الملوك والسلاطين، ويجلب المحبة ويبطل السحر، وينفع من لدغة العقرب والحية، ويجلب الرزق، وينفع لقضاء الديون، وينفع للخروج من السجن، ولإسكات الأطفال عند البكاء. كما يدّعي جامعه أن هذا الحجاب إذا وضع في الدكان فإنه لا يقربه لص ولا يحترق، علما بأن هذا الحصن اشتمل في آخره على طلاسم وأرقام ومربعات لا يفهم معناها ليست في كتاب اله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فهل يجوز تعليق هذا الحجاب؟ وهل يجوز بيعه وشراؤه تداول؟ وهل تنصح الجنة بالتحذير منه؟

■ اطلعت الجنة على حجاب (الحصن الحصين) المرفق مع السؤال، ورأت عدم جواز تعليقه وبيعه وشرائه وتداوله، لأن فيه طلاسم لا يعرف معناها، ولأن فيه نوعاً من البدع الإضافية، إذ خصصت آيات من الكتاب الكريم لعلاج حالات مخصوصة لم يقم دليل صحيح على تخصيصها..

وتنصح اللجن بتجنب تداول أمثال هذه التمائم صيانة لعقائد الناس من الشوائب، والاكتفاء بما هو مشروع من الرقى بآيات الكتاب الكريم، وبذكر الله مطلقاً.

التبرع بربا المصارف

* تقدم أحد المتبرعين إلى (لجنة الدعوة الاسلامية) وعرض تبرعه للجنة باستقطاع مبلغ شهري من فوائد حسابه في أحد البنوك غير الاسلامية، فهل يجوز ان تقبل اللجنة مثل هذا التبرع للانفاق على مشاريعها؟

■ وقد أجابت اللجنة بالآتي: يجوز لـ(لجنة الدعوة الاسلامية) أن تنفق الاموال التي تصل اليها من فوائد البنوك الربوية وغيرها لإغاثة البلاد المتضررة وغيرها من وجوه الخير والبر العام، ولا ينفق منها شيء في مجال المساجد او نشر المصاحف، وأولى ما تنفق فيه هذه الاموال هو الحالات الاضطرارية في الجوائح والمجاعات والكوارث العامة والخاصة.

(الزار) بدعة مأخوذة عن الوثنيين

* مـا حكم الإسلام بـالنسبـة للزار، وهـو عبارة عن اجتماع للنساء يضرب فيـه بالدف، ويوقد على البخور، ويقـال فيه بعض التعاويذ بقصد إخراج الجنّ من المرأة الممسوسة؟

■ وردت بعض الأحاديـث الصحيحة التي تـدل على أن لجن قد يتسلطـون على ضعـاف الناس ويسببون لهم أحوالاً مرضية لا يجدي فيهـا العـلاج الطبي، وورد ان بعض هـذه الحالات عولجت بتقـوية نفس المصـاب وذلك بالتعوذ والادعيـة وزجر الجني المتسلط عليه، ولا يقـوى على ذلك إلا من كـان قـوي الإيمان والعـزيمة، وحتى يكـون سلطانـه على النفس الشريـرة أقـوى مـن سلطـانها، فإذا تخلص المصاب ممـا كان يعانيـه دل ذلك على جدوى العلاج..

هذا؛ وإن درجة هذه الأحاديث تصلح للأخذ بها عملاً، ولو لم تصل إلى درجة أن يبنى عليها اعتقـاداً. أمـا مـا ينشأ من تسلط الجن، فهـو الصرع في بعض حالاته وكذلك بعض الأمراض النفسية كالقلق، والـوسوسة، والاضطراب في التصرفات المعاشية.

وأمـا معـالجة ذلك عن طريق الـزار ففيهـا أمور منها:

- الزار تعتريه محرمات كثيرة منها اختلاط النساء بالرجال على صوة محرَّمة.
- إيراد بعض التعاويذ والتمتمات الغامضة المشبوهة التي لم يرد فيها نص.
- الاعتقـاد الجازم بأن ذلك هـو الطـريق الوحيد لإخراج الجني من الممسوسة، وهو أمر لم يشهد له نص قاطع.
- الزار بـدعة محدثـة لم يثبت عن أحد من السلف، القول أو العمل بها، وأغلب الظن أنه مأخوذ من أمم وثنية سابقة.

لهذا كله رأت اللجنة حرمـة الزار على الوجه المتقدّم والاستعـاضة عنـه بالـرقية الشرعيـة المشروعة بالإضافة إلى ما سبق التنويه عنه في مقدمـة هذه الفتوى. واللـه تعالى أعلم. وصلى آله على سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه وسلم.

اشتراط الرجوع عن البيع

* رجل باع عقـارا لشخص آخر وحـرر هذا البيع بـالدوائر الـرسمية الحكـومية ولكن المشتري تعهـد في عقد البيع بأنـه إذا رجع له البـائع قيمة العقار ومصـاريف التسجيل قبل ستة أشهـر من تاريخ البيع فيرجع المشتري العقار وأن تأخـر البائع عن المدة المحـددة ولو بيـوم واحد فلا حـق له بـالرجوع، وكـان هذا البيـع في سنة ١٩٥٤م، وكان بمبلغ ٣٨٠ جنيهـا. وبعد مـدة ثمانية وثلاثين سنـة أراد البائع أن يرجع الثمن وهو مبلغ ٣٨٠ جنيها ويتسرد العقار. فأرجو من سيادتكم الإجابة على الآتي:

١ – هل عقد البيع المشترط بالرجوع جائز شرعا أم لا؟
٢ – هل للبائع الحق في الرجوع بعد مضي الفترة المحددة؟
٣ – هل للبائع الحق في ترجيع المبلغ بعد فترة ٣٨ سنة؟
٤ – هل قيمة العقار في سنة ١٩٥٤م تتناسب اليوم مع الفرق المتضاعف؟

■ وقد أجابت اللجنة: ان خيار الشرط عنـد جمهور الفقهاء لا يجوز أن يزيد على ثـلاثة أيـام لقـول النبي صلى اللـه عليه وسلم لمن كـان يخدع في البيـوع: (ثم أنت بالخيار في كل سلعـة ابتعتها ثلاث ليال) رواه البيهقي وابن ماجـه. وعليه فإن عقد البيع في الحالة المعروضة على اللجنة يعتبر لازما، وليس للبائع حق الرجوع فيه بعد مضي المدة المحددة لخيار الشرط.

تنظيم مسابقة لسباق الخيل

* هناك جهـة تنظم مسـابقة سنـوية لسباق الخيل، وجرى العـرف في السابق أن يكافأ الفـائزون الأوائل بمبلغ ٦٠٠٠ دينار كويتي مقدّمة من الحكومة يضاف إليها المبالغ المتحصّلة من رسوم اشتراك المتسـابقين.. وحصل أن جـرى السبـاق هـذه السنـة من غير الاعـلان عن قيمـة الجائزة وتم تأخير الاعـلان عن قيمـة الجائزة لما بعـد الـدخـول في السبـاق، ومـولت الجائزة من قيمـة الاشتراكـات دون التأكيـد من استلام النـادي للمبلغ المرصود من الحكومة لهذه الجائزة..

علما بأنـه قد تم السبـاق بعد اضـافة مبلغ بسيـط من النـادي الى قيمـة الاشتراكـات لدفعـه الى الفائزين، وكـان المتسـابقـون يعتقـدون ان الجائزة هي المبلغ المرصود من الحكومـة مضافا اليه قيمة الاشتراكـات، والذي تم هـو خلاف المتعارف عليه في السباقات السابقة. فما حكم ذلك؟

■ يجوز في سباق الخيل دفع العوض (الجائزة) بأحد الطرق الآتية:

– أن يدفع العوض أحد المستبقين دون الآخـر على أنه لـو سُبق لا شيء لـه، وإن سبَق الآخر أخذ العوض لنفسه.

– أن يـدفع العوض شخصٌ ثـالث لم يشترك في السبـاق ويعطـى العـوض لمن سَبق.

– أن يـدفع العـوض كـلا المستبقين ويدخـلان بينهما مستبقا ثـالثا ويسمى (المحلل) لا يـدفع شيئـا، فإذا سبقـوا جميعا أحـرز كل من المستبقين مـا دفعه ولا شيء للمحلل، وإن سبق المحلل وحده أحرز ما دفعاه، وإن سبق أحد المستبقين وحده أحرز ما دفعـه هو والمستبق الآخر ولم يأخـذ المحلل شيئـاً، وإن سبق أحـد المستبقين والمحلل، أحـرز السـابق مـال نفسه ويكون ما دفعه الآخر نصفين بين السابق والمحلل.

ويشتـرط في فـرس المحلل أن تكـون مكافأة لفرسي المستبقين الآخرين.

وبنـاء على ذلك ففي الصورة الـواردة في السؤال يجوز أخـذ الجائزة في السباق إذا كـانت الحكـومـة، أو طـرف خـارج السباق هو الـدافع للجائزة، فإذا أضيف إليهـا اشتراكـات المستبقين أو كـانت الجائزة كلهـا من اشتراكـاتهم لم يجز قبض شيء منها لأنها حينئذ قمار محرم.

حكمة الله الواسعة اقتضت تهيئة كلا من الرجل والمرأة لتأدية دورهما في الحياة نفسيا وجسديا

القرآن ينهى عن جماع المرأة في الحيض

بقلم: سعد عوض المر

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ﴾ [البقرة:٢٢٢].

حقا لقد تنزلت تلك الآية المباركة رحمة من الله تعالى للرجل والمرأة على حد سواء: فلقد بينت بصورة واضحة جلية أن الحيض ضار ضررا مطلقا، كذلك أمرت باعتزال المرأة من الناحية الجنسية فقط طوال فترة حيضها، كذلك نهت عن اتيانهن بعد فترة الحيض إلا بعد أن يتطهرن مما علق بهن من دم ورائحة لأن الله يحب الطهارة ويحب المتطهرين.

لماذا المرأة وليس الرجل؟!

فاذا تساءلنا: ولماذا تحيض المرأة دون الرجل؟ أجبنا: بداية هي مشيئة الله تبارك وتعالى وقدرته في اختلاف خلقه والتي لا نعلم منها إلا القليل القليل، لقد فطر الله المرأة على هذا الحال ليكون ذلك اعلانا بحدوث الحمل من عدمه وحتى تتخلص المرأة من البويضة - التي لم يتسن تخصيبها - أي التي لم يتم تلقيحها باختراق الحيوان المنوي لها واستقراره فيها وذلك تمهيدا واستعدادا لنضوج وقدوم بويضة أخرى من الجهة الأخرى للمبيض بعد ٢٨ يوما، كذلك حتى لا تختلط الانساب في حالة طلاق المرأة إذ يحرم عليها الزواج من رجل آخر إلا بعد حدوث ثلاث حيضات للتأكد من عدم حدوث حمل، حيث انه بعد تلك الفترة يستبان نهائيا توقف التبويض - نضوج وسقوط البويضات في قمع فالوب - ومن ثم لا يكون هناك أي احتمال لحدوث حمل آخر من الزوج السابق.

كذلك جعل الله الحيض للأنثى رحمة ونعمة بها لأنه الوسيلة الوحيدة للتخلص من إفرازات الرحم وسمومه الضارة التي تتمثل في سوائل ومركزات يتم طردها خارج الجسم بتلك الوسيلة حيث انها تزيد يوما بعد يوم وفي حالة استمرار وجودها يضيق الرحم بها وتنعدم مقاومته لها.

أما لماذا لا يحيض الرجل؟ فعلاوة على أن طبيعته الجسدية - جهازه التناسلي الموجب القاذف عكس جهاز الأنثى السالب المستقبل - فانه لا توجد إفرازات كتلك التي تحدث في الأنثى اللهم إلا عكس تلك المرأة التي لا تنتج إلا بويضة واحدة في كل دورة شهرية، فلو كان للرجل دورة شهرية - مثلا - لتعذر وتعسر حدوث التلاقي والمطابقة بين أيام خصوبتها وخصوبته فتضيع بذلك فرص كثيرة للأنجاب.

معنى ﴿ أذى ﴾

وهنا نقترب من السؤال الذي لخصت اجابته كلمة واحدة في الآية المباركة. إنها كلمة ﴿ أذى ﴾ أظنك عرفته: لماذا نهى الله عز وجل عن مجامعة الحائض والنفساء؟ إن ذلك جاء رحمة من الله تعالى لدرء الضرر عن الرجل والأنثى في نفس الوقت: أما من ناحية الرجل فلأنه باقترابه من المرأة للجماع فانما يضع اداة تناسله في وسط دموي تسكنه آلاف الميكروبات السبحية والعنقودية التي تؤدي إلى التهابات في قناة مجرى البول نظرا لقابليتها وضعفها بالنسبة لمقاومة الميكروبات، وقد تصل الالتهاب إلى (البروستاتا) نتيجة غزو تلك المكروبات بعد تكاثرها وبعد انتقالها إلى الحويصلات المنوية ثم إلى كل جزء في الجهاز البولي والتناسلي والتي قد تؤدي إلى عقم الرجل.

علاوة على ذلك فان الجماع في وقت الحيض يكون أذى للرجل من الناحية النفسية لأنه يعايش رائحة كريهة تنبعث من دم الحيض كذلك من ناحية لونه القاتم المتغير فيتقزز من ذلك فيصطدم شعوره بالاقبال مع شعوره بالادبار فيتصارع احساسان متضادان في نفس واحدة خاصة إذ أحس أو راود النفس احساس بان موضع الفرج مليء بالاضرار والأخطار، بالإضافة إلى عدم طهارة المرأة أو تجاوبها أو ميلها للجماع نتيجة للوهن الذي تكون فيه بسبب كثرة فقد الدم وفقره فينشأ عن ذلك كله إحباط وتردد وشعور بالنفور الذي قد يمتد إلى مابعد فترة

الحيض.

أما من حيث كـون الحيض أذى للمرأة فهـذا يرجع إلى عـدة أمور: أولها وأخطرها ذلـك الضعف الذي تكون فيه نتيجة لاستمـرار نزيف الرحم الـذي قد يتعدى الخمســة أيام مما يؤدي إلى انخفـاض حرارة الجسم وما يتبعه من فقد قدر كبير من الطاقة والحركة بسبب ضعف التمثيل الغـذائي وقلة الإفـرازات الحيـوية فينشأ عن ذلك إحســاس بالكسل والخمول والفتور والميل إلى النوم.

كذلك يكون الرحم في وقت الحيض في حالة غير مهيئة لاستقبال أي جسم خارجي نظـرا لما يعانيـه من تقلصات والتهابـات علاوة على أن شرايينه النازفة تكون مفتوحة ينبثق منها الدم إلى خارج الجسم، فإذا تعرض الرحم لأي تلـوث في ذلك الوقت مما قد يحملـه عضو التناسل في الـرجل فان ذلك يكـون نذيـر شر وشؤم، فإذا سـأل سـائل: ولم لا يحدث هذا التلوث في الأوقات الأخرى؟

نجيب: إن الافرازات الحمضية في المهبل تقوم بـابادة أية ميكروبات قد تتسلل محمـولة بعضـو الرجل. أما في وقـت الطمث فيكون المهبل نفسه ملوثا بالسائل الدموي الذي يناسب تكاثر الميكروبات المهاجمة التي لا تجد وقتـذاك الــوسط الحمضي المركـز الــذي يقتلهـا بسبب استمـراريـة نـزيف الـرحم. كـذلك يتسع معنى ﴿ أذى ﴾ بالنسبة للمرأة بسبب مـا تعانيـه من متاعب شـديدة نـاتجة عن آلام متعددة تشتد في منطقة الظهر واسفل البطن علاوة على معاناتها من تقلصات .... كل هذا ينعكس على حالتها النفسية بصفة عامة فتكون مضطربة المزاج سريعـة الغضب شـديدة الحسـاسيـة متـوترة قلقـة ينتـابها الاحساس بالضجر والضيق لاتفه الأسبـاب، إن هذا بالطبع يؤثر على قدرتها العقلية والفكرية والعاطفيـة ومدى قابليتها للتجاوب الجنسي. اننا نستطيع ان نصـف حالها في جملة واحـدة (ذلك الضعف الجنسي النـاتج عن انعدام القـدرة عليـه) لهذا كانت محاولـة مضاجعتهـا أو جماعهـــا ﴿ أذى ﴾ لها من رجلها الذي هو اقرب الناس لها والذي تربطـه بها وتربطهـا به ربطـة المودة والرحمة، خـاصـة وان عمليـة الجماع ذاتها في ذلك الـوقت مـاهي الا عبث لا يجدي بسبب انفجـار وموت البويضـة في رحمها الذي اعلن نبأ هلاكها ببكائه عليها.

جدل وجواب

فاذا جادل مجادل بعد ذلك مستنكـرا قدر المرأة في تلك الدورة مثيرا شفقته عليها مشيـرا إلى ما تعانيه من آلام وما تلاقيه من نفور وفتور.. نقـول: وهل أنت ارحم بـالمرأة من رب المرأة؟ إن حـدوث تلك الـدورة ليس من اجلهـا فقط بل مـن أجل نقـاء وطهـارة المجتمع الاســلامي بأكمله.

فان لم تتـذكر ماسبق ان اشرنـا إليه في عجالـة عن الحكمة من تلك الدورة التي منها عدم اختـلاط الانســاب ندعوك لـتتدبر قول اللـه: ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ [البقرة:٢٢٨]. انك ستلمس بها رحمة ربنا بنـا في ذلك التوجيـه الإلهي الذي يأمرنـا فيه بعدم زواج المطلقة بآخر إلا بعد انتظار انقضاء ثلاث حيضات.

لقد جـاء ذلك حتى يستبان على وجه اليقين وجود حمل من عـدمه، حتى يبرأ الــرحم الأم قبل الأب بل قبل الجميع حين يمـزق الصمت باعلى صوت معلنا خلوه من أي جنين، فـاذا كان هناك حمل فلا مكان أو مضجـع لزوج آخر حتى تضـع الحامل حملها، وإن لم يكن جاز لها أن تتزوج بعد تلـك العدة فاذا حدث ميلا قبـل اتمام التسعة أشهـر - وهذا احتمال قائم بسبب اكتمال نمو الجنين في نهاية الشهر السادس - فإنه لا يكون هنالك أدنى شك في نسب بنوة المولود للزوج الجديد.

فأي تشريع هـذا الـذي وهبه اللـه لتلك الإنسـانية الحائرة على يـد محمـد الأمين المبعـوث رحمة للعـالمين ﷺ فاذا ازداد المجادل صلفا وأشار إلى امكانية اتباع اسلوب المجتمع الغربي في ذلك الموضوع وعلى وجه التحديد المجتمع الامريكي وذلك باللجوء للمعامل الحديثة لتحليل دم المولود لمقارنته بدماء هؤلاء الرجال الذين عاشروا أمه خلال الفترة التي سبقت حدوث الحمل وذلك لتحديد ايهم يشـاركه في صفات الدم لامكان صدور حكم أو قرار انتسـاب الابن لواحد منهم، نرد: وهل كل المجتمعات تملك من وسائل التكنولوجيا ما تمتلكه امريكا الآن؟

الرحمة الربانية

وهل من العدالة أو يليق بـالرحمة المهداة ان تترك تلك المجتمعات في ظلمات تلك الحيرة لحين قيـام الانسانيـة باكتشاف قـارة امريكـا ثم قيام امريكا باكتشاف تلك الطـريقة؟ وهل في هذه الطريقة طمأنينة أو راحـة بال طـوال فترة الانتظار: انتظـار انتهـاء مدة الحمل وخـروج الجنين عكس مانجده في طاعة الله تعـالى في ترقب حدوث ثلاثة قروء؟ ومع ذلك فان هـذه الطريقة محفـوفة بالظنـون والهواجس لان دماء البشر لا تزيد في تنوعها عن بضـع أنواع فقط حيث تشترك مجموعة من الناس في فصيلـة متشابهة عكس مانـراه في بصمات الأصابع التي لا تورث.

وفي هذا المقـام هل لنا أن نستـدير بوجـوهنا تـاركين أقصى الغرب متجهين إلى أقصى الشرق حيث تقبع اليـابان ذات الحضـارة الحديثة والانطلاقة العملاقة لنطلع على دراسة قامت بها وزارة العدل لادخال بعض التعـديلات الجديـدة على قانـون الأحوال الشخصيـة الخاص بشئـون الـزواج. إن ذلك القــانــون الجديـد المزمع اصداره سيتم بمقتضاه السماح للمرأة المطلقة بالزواج بعد مرور مائة يوم فقط بدلا من الستة أشهر المنصوص عليها في القانون الحالي.

فهل يا ترى كـان الاقدام على هذه الخطوة من منطلق معـرفة هؤلاء اليابانيين بالآية الكريمة التي حددت عدة المطلقة بثلاث حيضات التي تنقص قليلا عن المائة يوم؟

من اعجاز الآية

وأخيرا أي اعجـاز هـذا الـذي نرى في الآيـة الكـريمـة: ﴿ والذين يتـوفون منكم ويـذرون أزواجـــا يتربـص بأنفسهن أربعة أشهـر وعشرا ﴾ [البقرة:٢٣٤]. نعم لقد زادت مدة الارملة حوالي اربعين يـوما عن عـدة المطلقـة، ترى لماذا؟ لأن المرأة المطلقـة تكـون كارهـة لزوجها مبغضـة لكل مايصدر عنه ومنه، محبـة متلهفة لسرعة انهاء الارتباط بـه، وهذا بـالطبع يؤثـر على تلهف الرحم في العـودة لحالته العذرية المترقبة، أمـا تلك التي مات زوجها فانها تكون كـارهـة لفراقه محبة متمسكـة بذكراه وهـذا يؤثر بـالطبع على كل جزء من جسـدها ومن ثم يحتاج الرحم إلى فترة أطول حتى يتخلص من آثار الارتباط به ورجوعه لحالته العذرية الجديدة ■



الاصولية الانجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الامريكي

عرض: الشيخ / طه الولي
باحث وكاتب لبناني

الكاتب: محمّد السّمّاك
الناشر: مركز دراسات العالم الإسلامي - مالطا

الكتاب يقع في حوالي تسعين ومائة صفحة من القطع الصغير، بدأه المؤلف بكلمة تحت عنوان (مدخل) وفيها بيان لما تقوله اليهودية في المسيحية وماتقوله المسيحية في اليهودية وما يقوله الاسلام في اليهودية والمسيحية معا.

ولابد لنا من القول بأن المؤلف الكريم كان مصيبا وأحسن صنعا حين بادر قارىء كتابه بما يساعده على أن يتعامل مع موضوع هذا الكتاب من خلال المفارقات التي تتحكم في المعطيات التوجيهية لكل من الاديان الثلاثة الاسلام واليهودية والنصرانية بالنسبة لكل واحد منها نحو الآخر.

مفاهيم ذات منطلق ديني

في هذا المدخل يلقي محمد السماك الضوء على المفاهيم التي يعتمدها المسلمون واليهود والنصارى في تعاملهم بعضهم مع بعض، انطلاقا من المبادىء الدينية، على لسان انبيائهم في

الكتب السماوية الثلاثة: القرآن الكريم عند المسلمين والتوراة عند اليهود والانجيل عند النصارى.

ولعل الاستاذ حين جعل هذه المفاهيم الاسلامية واليهودية والنصرانية مدخلا لكتابه، أراد أن يضع قارئه في جو الخلفيات العقائدية التي حددت، بشكل أو بآخر، الاسلوب أو النهج، من ايجابيات أو سلبيات العلاقة بين المسلمين واليهود والنصارى، كما كانت هذه العلاقة في الازمنة القديمة المتباعدة وكما هي متصلة ومستمرة ومتمادية حتى ايامنا المعاصرة، وكأن الكاتب الكريم اراد أن يترك لقارىء كتابه أن يقف بنفسه على الاسباب الكامنة وراء دهشة أهل زماننا وهم يتابعون الغزل المتبادل في ايامنا بين اهل الانجيل واهل التوراة بالرغم من انهما، كلاهما، مازالا يقرآن في كتابيهما، التوراة والانجيل، وماتنضح به كلمات هذين الكتابين من ريبة وشحناء واثارة للعداوة والبغضاء لدى كل منهما نحو الآخر.

(يسمح لليهودي أن يكذب ويشهد زورا للإيقاع بالمسيحي، فاسم الرب لايدنس ولايجدف به، حين نكذب على المسيحيين)، (يجب على اليهود السعي الدائم لغش المسيحيين). هذا ما تقول اليهودية في المسيحية.

اما المسيحية فانها تقول عن (اليهودية): (يعتبر اليهود خطرا على جميع شعوب العالم، وخاصة على الشعوب المسيحية). (يتضمن التلمود كل الكفر والالحاد والخسة).

وجدير بالذكر أن المؤلف الكريم شاء أن يوثق مارواه عن رأي اليهود بالنصارى وبالعكس، فحرص أن يحيل القارىء على المصدر الذي اعتمده في اثبات مارواه، بما لايدع مجالا لقول قائل في صحة وفي واقعية السلبيات المتبادلة بين اليهود والنصارى وذلك وفقا لما جاء عن لسان المرجعين المذكورين في مدخل الكتاب.

اذن، فان الغرام المتبادل اليوم بين الصليبية العالمية وبين الصهيونية العالمية لايتصل من قريب ولابعيد بالعداء الذي كان متبادلا بينهما ايام زمان..

العداوة التي استحالت إلى تحالف

ولكن كيف استحال العداء القديم بين النصرانية واليهودية إلى غرام حديث، فان المؤلف اعطانا الجواب على هذا السؤال بالجرأة والصراحة والأدلة الثابتة، وذلك في كل سطر خطته يمينه في كتابه الذي بين ايدينا، الذي جعل عنوانه معبرا بايجاز وبلاغة عن (الصيهونية المسيحية) وهو عنوان جمع في كلمتين اثنتين ماجاء في هذا الكتاب عبر صفحاته التي ناهزت المائتين، من النصوص المدعومة بمصادرها مايلقي ضوءا كشافا على العوامل الفعالة التي ابعدت التباعد وقربت التقارب بين الاصولية الانجيلية والاطماع التلمودية تحت شعار (الصيهونية المسيحية) برعاية الموقف الأمريكي.

ويمكن القول بأن هذا التحول الجذري في العلاقات بين المعطيات التلمودية والمؤسسات الكنسية سببه، كما يقول المؤلف انه (كان اليهود يتعرضون للاضطهاد والتحقير في المجتمعات الاوروبية وهي في مراحلها المختلفة، حاول اليهود معالجة هذه المشاعر بشتى الوسائل، وكان الدين انجحها فسربوا إلى الكنيسة عبر حركة الاصلاح الديني معتقدات تقول انهم شعب الله المختار وان الله يحب من يحسن اليهم ويعاقب من يعتدي عليهم.

غيبيات ومصالح استراتيجية

ويتابع السماك كلامه في الاجابة على السؤال المتقدم قائلا: فالذين تأثروا بتهويد الكنيسة البروتستانتية (وخاصة من الكلفانيين والتطهريين) آمنوا بتفسير وضعي لنبوءات توراتية تقول: إن المسيح سيطر للمرة الثانية، وان ظهوره سيتم بين اليهود وفي صهيون، وانه لابد من اجل ذلك من اقامة صهيون ومن اعادة تجميع اليهود فيها، حتى اذا ظهر المسيح يخلص المؤمنين من العذاب بعد معركة هرمجدون، ويتربع على عرش العالم مدة الف سنة (الالفية) إلى أن تقوم الساعة..

والاستراتيجيون الاوروبيون من الانكليز والفرنسيين ثم الامريكان، ربطوا بين مصالح امبراطورياتهم في المشرق العربي وبين هذه المعتقدات، فانطلقت الصهيونية كحركة سياسية تقول باقامة وطن يهودي في فلسطين، من الكنيسة المسيحية البروتستانتية..

الى أن يخلص السماك إلى تقرير الحقيقة الصادعة التي تشكل في الواقع لب الجواب على سبب التعاطف الراهن بين الكنيسة وبين اليهود اخصامها السابقين والتقليديين، وهذه الحقيقة هي كما قال:

(كان العداء للاسلام، والرغبة في قهر العرب من العوامل الرئيسية التي شجعت (الصهيونية المسيحية)

في هذه الجملة الأخيرة يبدو لنا المؤلف وكأنه ألف كتابه عن (الصهيونية المسيحية) لكي يستوقف الرأي العام العربي بله الاسلامي، وكذلك العالمي، عند رأيه في أن القاسم المشترك بين العوامل الفعالة التي اقامت اللحمة التعاضدية والتعاونية بين المؤسسات الكنسية والمؤسسات الصهيونية هو الاندغام العضوي والتقاء المصالح المشتركة بين هذه المؤسسات وتلك، من اجل مكافحة المد العقائدي والحنين التراثي والتوق الحضاري للعروبة والاسلام في عقر موطنه في الشرق، بعد أن اصبحت هذه الظاهرة تشكل باستفحالها خطرا حيقيا داهما على المصالح المتداخلة والمتبادلة بين نهم الاستعمار الغربي وبغي العدوان الصيهوني.

محطة تاريخية بارزة

في الصفحات التالية لمدخل الكتاب، قدم لنا المؤلف الكريم شريطا من الاحداث التي دارت كلها في فلك الإعداد اليهودي للرأي العام النصراني في التمهيد لتسخير هذا الرأي العام، بحكامه وشعوبه، في تحقيق مايعتقده اليهود بأنه وعد من الله لهم في التوراة بالعودة إلى فلسطين واعادة بناء هيكل سليمان الذي يقولون بأنه كان قائما حيث يقوم المسجد الاقصى اليوم.

وشريط الاحداث الذي قدمه لنا المؤلف إن هو في واقع الامر الا ملف ينطوي بما فيه من اشارة إلى تاريخ زمان الاحداث والاسماء والعناوين التي التصقت بها المؤامرة التي استهدفت العرب والمسلمين بخلفياتها الاستعمارية والصهيونية عبر مئات السنين حتى وجدت – اي هذه المؤامرة – في ايامنا ذراعها الضاربة في (الصيهونية المسيحية) المتمثلة،

أو بالاصح، المتجسدة في حكام الولايات المتحدة الامريكية المتربعين على ارائك البيت الابيض في واشنطن واحلافهم الدائرين في فلك سياستهم المنتشرين في ارجاء العالم وآفاقه.

قدم لنا الأستاذ السمّاك شريط تسلسل المؤامرة (الصهيونية المسيحية) تحت عنوان(محطات تاريخية بارزة) في هذه المحطات تبرز بصمات الذين تعاونوا على الاثم والعدوان لتنفيذ الوعد التوراتي على حساب الكيان العربي الاسلامي في فلسطين، واننا لنجد في هذه المحطات آثار اقدام الجناة في مسيرتهم الآثمة المعتدية على امتنا وتراثنا وتاريخنا وديننا.

بدأت القائمة السوداء (للمحطات التاريخية البارزة) كما جاء في كتاب (الصهيونية المسيحية) سنة ١٤٥٣م. عند سقوط القسطنطينية بيد الأتراك المسملين، ولعل المؤلف الكريم حين جعل سقوط العاصمة الشرقية للنصرانية في رأس القائمة، انما أراد ربط الاحداث العدوانية التي افرزتها(الصهيونية المسيحية) بالهزيمة التي الحقها الاسلام بالنصرانية عندما طواها المسلمون الاتراك تحت علمهم.

ثم كانت خاتمة القائمة المذكورة سنة ١٩٩٠م. عند فتح ابواب الهجرة اليهودية امام يهود الاتحاد السوفياتي إلى اسرائيل(فلسطين)، واذا كان السماك ختم القائمة السوداء من المحطات التاريخية البارزة بهذه الهجرة التي تدفق بها شلال المستوطنين اليهود من روسيا إلى فلسطين فاننا نعتقد بأن مسرحية الصهيونية المسيحية لم تتم بعد فصولا بهذه الهجرة التي يراد بها اغراق الوجود العربي الاسلامي في فلسطين تحت لجة الفيضان اليهودي الآتي الينا بسيله الجارف تحت المظلة الحمراء للدولة السوفياتية (الصديقة).

وهنا، افلايحق لنا أن نتساءل لماذا لم يجعل محمد السماك للاصولية الماركسية نصيبا في عنوان كتابه إلى جانب الاصولية الانجيلية، ومادامت السحب الحمراء في الاتحاد السوفياتي قد اصابتنا اخيرا بوابل من امطارها اليهودية التي على غير انتظار (جاءتنا ضغثا على إبالة)..

توقف واعتبار

والمحطات التاريخية البارزة في كتاب (الصهيونية المسيحية) جديرة بأن تستوقف القارىء العربي المسلم عند كل محطة على حدة حيث يجد نفسه امام خط بياني يتجه من بدايته حتى نهايته في الطريق الذي رسمته الصهيونية العالمية للوصول إلى ماوصلت اليه اليوم متوكئة على ذراع الانجيلية الاصولية متجلببة برداء الكنيسة البروتستانتية التي اعلنت (ان المجتمع الانجيلي حليف لطموحات اسرائيل) كما جاء في المؤتمر الاول للمعمدانيين الجنوبيين في امريكا الذي انعقد سنة ١٩٧٢م.

اجل إن المؤلف محمد السماك وضع قارىء كتابه امام خطوات الجريمة التي نفذتها (الصهيونية المسيحية) اخيرا في فلسطين وبين لهذا القارىء بأن جريمة التحالف العدواني بين الصهيونية و النصرانية، كما وضعتها دوائرهذا التحالف في اوروبا وامريكا، انما هي جريمة متمادية - اي متواصلة ومستمرة حسب الاصطلاح القانوني - وقد كانت بالامس، ومازالت اليوم، تستهدف العروبة في ارضها وكيانها، والاسلام في عقيدته ومقوماته. امسها كيومها. وما اشبه الليلة بالبارحة، فهل من مدّكر؟

يهود الاندلس نقلوا الثروة والعلوم

ثم يتجاوز الاستاذ السماك حديث المحطات التاريخية إلى الكلام عن (الصهيونية المسيحية) الاوروبية، فيقرر أن يهود اسبانيا (اندلس العرب) عندما هجروا بلادهم إلى قلب اوروبا نقلوا معهم ثروتين، احداهما علمية والاخرى مالية، وهما - الثروتان معا - اسستا قاعدة التغلغل اليهودي في المجتمعات الاوروبية والذي وصل إلى الكنيسة نفسها، حتى أن الادبيات الدينية اليهودية احتلت الموقع الممتاز في معركة الاصلاح الديني في أوروبا.

واستشهد على ذلك بأن مارتن لوثر، زعيم حركة الاصلاح ورائد المذهب البروتستنتي نشر كتابا في عالم ١٥٢٣م. باسم عيسى ولد يهوديا، قال فيه: (ان الروح القدس انزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم. إن اليهود هم أبناء الله، ونحن الضيوف الغرباء، ولذلك كان علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من فتات مائدة اسيادها، كالمرأة الكنعانية تماما).

الفكر اليهودي يهيمن على النصرانية

وقد لخص المؤلف الايحاءات الدينية التى ادخلها اليهود في ضمن المفاهيم العقائدية لنصارى اوروبا بأمور ثلاثة، سماها الادبيات اليهودية والتي تسربت إلى صميم العقيدة المسيحية، وهذه المفاهيم، والأدبيات كما يقول المؤلف هي:

١- إن اليهود هم شعب الله المختار، وانهم يكونون بذلك الامة المفضلة على كل الامم

٢- إن ثمة ميثاقا إلهيا يربط اليهود بالارض المقدسة في فلسطين وان هذا الميثاق الذي اعطاه الله لابراهيم (النبي) هو ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة.

٣- ربط الايمان المسيحي بعودة المسيح بقيام دولة صهيون اي باعادة تجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم.

وبرأي المؤلف، أن هذه المفاهيم، أو الادبيات الثلاث، ألفت في الماضي وهي تؤلف اليوم قاعدة (الصهيونية المسيحية) التي تربط الدين بالقومية،و التي تسخر الاعتقاد الديني المسيحي لتحقيق مكاسب يهودية.

وكما يقول المؤلف معقبا على ماتقدم، بأنه من خلال هذه الامور الثلاثة تغلغل الفكر اليهودي إلى قلب الحركة الدينية (النصرانية) حتى أن الفيلسوف اليهودي (هوغرويتوس) نشر كتابا عنوانه(حقيقة الدين المسيحي) سفه فيه التحقير المسيحي لليهودية، وابرز الجوامع المشتركة بين اليهودية والنصرانية الجديدة؛ اي البروتستانتية.

وهكذا، اصبحت المفاهيم العقائدية الثلاثة المذكورة جزءا من عقيدة الكنيسة البروتستانتية. ومن جوهر طقوسها، ومن خلالها تحولت إلى قاعدة عامة للتربية الدينية المسيحية، يقول مؤلف الكتاب:

(من هذه التربية الفكرية نبتت جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود في العام

١٨٠٧م.. وكان نابليون بونابرت اول رجل دولة اوروبي يدعو اليهود إلى اقامة وطن لهم في فلسطين خلال الحملة التي قام بها على مصر والشرق العربي سنة ١٧٩٨م. كذلك كان نابليون أول رجل دولة اوروبي يتبنى موقفا سياسيا من نبوءات دينية يهودية وردت في سفر اشعيا ويوئيل).

ولقد عكست السياسة الانكليزية المفاهيم التي تغلغلت في الفكر الديني الاوروبي تحت تأثير التوجيه اليهودي الفكري والادبي، وان اللورد بلفور الوزير البريطاني، صاحب الوعد المنسوب اليه، بلغ في ايمانه بالصهيونية المسيحية انه اعد لحكومته مذكرة حول موضوع الوطن القومي لليهود في فلسطين،قال فيها:

(ليس في نيتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين، مع أن اللجنة الامريكية تحاول استقصاءها. إن القوى الأربع الكبرى (امريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا) ملتزمة بالصهيونية، وسواء أكانت الصهيونية جيدة ام سيئة، على حق ام على باطل، فانها متأصلة الجذور في التقاليد القديمة العهد، والحاجات الحالية وآمال المستقبل، وهي ذات اهمية تفوق رغبات وميول السبعمائة ألف عربي الذين يسكنون هذه الارض القديمة؛ اي فلسطين.

مصالح استراتيجية متبادلة

وفي سياق الحديث عن (الصهيونية المسيحية) كان للاستاذ المؤلف مطالعة موثقة عن هذه الشراكة ذات المنافع المتبادلة بين الحكام الامريكان في البيت الابيض وبين حاخامات اليهود الموزعين على مراكز القوى والفعاليات النافذة في الولايات المتحدة الامريكية، ومن المفارقات العجيبة أن نجد الرئيس الامريكي وودرو ولسن الذي شغل المجتمع الدولي في اعقاب الحرب الكونية الاولى(١٩١٤-١٩١٨م) بمبادئه الأربعة عشر، كأساس للسلام العالمي، نقول من المفارقات العجيبة، أن يبادر في ١٩١٨/٨/٣١م. إلى ارسال مذكرة إلى الحاخام ستيفن وايز يبلغه فيها موافقته على وعد بلفور – يقول فيها:

(راقبت باهتمام مخلص وعميق العمل البناء الذي قامت به لجنة وايزمان (اول رئيس للوكالة الصهيونية في فلسطين) بناء على طلب الحكومة البريطانية، وأغتنم الفرصة لأعبر عن الارتياح الذي احسست به نتيجة تقدم الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة، والدول الحليفة (اي انكلترة وفرنسا) منذ اعلان السيد بلفور باسم حكومته عن موافقتها على اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين).

على أن الذي يخفف من دهشتنا لهذا الموقف المستهجن لولسن والمناقض لمبادئه السلمية، هو ماذكره لنا السماك من أن والد هذا الرئيس الامريكي كان قسيسا انجيليا رباه على الايمان بأن الله اعطاه فرصة تاريخية لتحقيق الارادة الالهية بمساعدة شعب الله المختار (؟) على استعادة الارض المقدسة(فلسطين) التي خصه الله بها.

وهكذا تكون (الصهيونية المسيحية) كما سماها السماك وراء هذه المفارقة العجيبة التي بدرت من رجل السلام وودرو ولسن.

الاعلام وحسن الظن!!

في الصفحات الاخيرة من كتاب (الاصول الانجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الامريكي)، نجد مؤلف هذا الكتاب محمد السماك يدلي بدلوه مع الذين يحسنون الظن بدور الاعلام في تحويل الصهيونية المسيحية عن دروب العدوان على الحق العربي واقناعها بموالاة هذا الحق.

انه مع اقرارنا بدور الاعلام في ازاحة الباطل واقرار الحق، ومع تقديرنا لما اخذ المؤلف به نفسه في النظرة المتفائلة بالنسبة للمجهود الاعلامي في داخل امريكا الموبوءة بداء (الصهيونية المسيحية).

نقول، اننابالرغم من ذلك، نرى أن وباء (الصهيونية المسيحية) قد اخذ بخناق جميع القوى والفعاليات الامريكيةوأن الامر بلغ بهذه القوى والفعاليات إلى درجة يصح معها القول انه (فالج لاتعالج)..

وبكل محبة ندعو الصديق محمد السماك لقراءة ماكتبناه عن التلازم العضوي الوثيق بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين المؤسسة الصهيونية العالمية تحت عنوان: (الاستعمار الامريكي والحركة الصهيونية توأمان متلازمان) وذلك في كتابنا الذي اصدرناه سنة ١٩٧٨م تحت عنوان: (الامريكان في الميزان) لكيلا يقال انه يحرث في البحر.

اما بعد

وقد قمنا بجولة افق تكاد تكون كاملة وشاملة لكتاب الاستاذ محمد السماك (الاصولية الانجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الامريكي)، فانه من حق هذا الكاتب الالمعي علينا أن نشيد بالمجهود الكبير الذي عاناه في متناول موضوعه من كل النواحي التي تجعله كتابا وثائقيا من شأنه أن يهدي العرب والمسلمين سواء السبيل في تعاملهم مع الصهيونية العالمية والذين يقفون معها علانية أو من ورائها تحت اسماء وعناوين مختلفة. وانني لا اكون مبالغا اذا انتهزت هذه المناسبة وأعربت عن قناعتي الاكيدة بأن هذا الكتاب، بالرغم من صغر قطعه وقلة صفحاته يصلح لان يكون مرجعا لايستغنى عنه في مجال التوعية القومية من اجل معرفة افضل المسالك للوصول إلى مصادر العدوان على حقنا المشروع في فلسطين، جبرها الله وردها للعروبة والاسلام..

فالى المزيد من هذه الكتابات الموثقة الواعية أيها الاخ الكريم، وحفظك الله يراعا مرهف الاحساس بقضايا العروبة والاسلام وفكراً نيرا عاملا على كشف اللثام عن أباطيل الدعايات الاجنبية التي تريد اغراقنا بالاكاذيب والاوهام. والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل ■

اللفتات النابهة ١٠

إن نجاح أي مؤسسة، إنما يعتمد - بعد توفيق الله - على روح الفريق الواحد الذي تشتغل فيه المجموعة، حيث كل واحد منهم يسعى بجهده، فهذا بماله، وذا بوجاهته، وذاك بفكره وحسن تدبيره، ومن لم يملك مايعطي فبدعائه وضعفه: «هل تنصرون الا بضعفائكم» (١) ﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرّة بغير علم ﴾ [الفتح/ ٢٥]. وهذا الفريق تحكمه علاقات سنحاول أن نلقي الضوء على بعضها من خلال سير سلفنا في القرن الثامن.

علاقة الداعية والعالم مع أبنائه وإخوانه

للشيخ جاسم بن مهلهل الياسين

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (٢) هكذا كان الاهتمام بالأخلاق عن طريق الحق، ولم لا يكون هذا؟ وحسن الخلق مع الله يزيد في محبته؟ وكذلك التجمل مع الخلق يقربهم إلى بعضهم، فما أصبح الناس يطمع بعضهم ببعض بمال وجاه، فقد انتشر هذا بين الخلق، حتى استغنى الناس عن طلبهما، وظل الخلق يطلبون ما هو نادر من الأخلاق، ولأهميته وتميزه، كان الوصف من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [القلم/ ٤]. والأخلاق يتفاضل بها الناس:

وما هذه الأخلاق إلا طبائع فمنهن محمود ومنها مُذمم

فالفاضل من غلبت فضائله رذائله، فقدّر بوقور الفضائل على قهر الرذائل، فسلم من شيْن النقص، وسعد بفضيلة التخصيص (٣) وحسن الخُلق عندما يضاف إلى غزارة العلم، يجتمع الخير بعضه إلى بعض، فهذا يوسف بن الزكي عبدالرحمن بن يوسف الحلبي الأصل، المزي أبو الحجاج، جمال الدين الحفاظ، كان كثير الحياء والاحتمال، والقناعة والتواضع والتودد إلى الناس، قليل الكلام جدا حتى يسأل فيجيب ويجيد، وكان لا يتكثر بفضائله، ولا يغتاب أحدا، ويتوجه إلى الصالحين ماشيا، وفيه حياء وحلم، وسكينة واحتمال، وقناعة وترك للتجمل، وصبر على من يؤذيه، وكان طويل الروح، رصين الخلق جدا، لا يرد بعنف، ولا يتكثر بفضائله، ولا يكاد يغتاب أحداً، وكان ذا ديانة وتصون من الصغر. وسلامة باطن وعدم دهاء، حسن الصحبة، خيِّر الطوية (٤).

هذه مجموعة من الأخلاق، جمعت بين علاقة الإنسان مع نفسه وإخوانه وتلامذته، قائمة على حسن الأدب وصفاء الطوية، وهذا ما جمع عليه في حياته ووقت جنازته، فقد كانت وفاته يوم السبت ١٢ صفر سنة ٧٤٢ بين الظهر والعصر وهو يقرأ آية الكرسي، ودفن بالقرب من ابن تيمية، وكان الجمع في جنازته متوفراً جداً (٥).

هذا هو منهج العمالقة في جمعهم بين العلم والأخلاق، وليتنا نستفيد اليوم من طريقتهم، ونتخلى عن طريق الجمع بين الجهل وجلافة الأعراب، وإن كان المزي لا يكفي دليلا، فهذا سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن قدامة المقدسي، القاضي تقي الدين، مسند العصر، قال الذهبي: كان محبا للرواية، كثير التلاوة، طيب الأخلاق، صاحب ليل وتهجد وصيام وإيثار وسماح، حليم النفس، منبسطا لقضاء الحوائج، لين العريكة، وكان لا ينهر أحدا، ويصمم على مراده بعقل وسكون، وفيه برّ بأقاربه، ولطف بالناس، وكان من حلمه أنه لما وقعت محنة ابن تيمية في سنة ٧٠٥، وألزم الحنابلة بالرجوع عن معتقدهم وهددوا، تلطف بهم وترفق، إلى أن سكنت القضية ولم يك شيئا (٦).

ولو أردنا أن نقف عند كل واحدة منها، لطال الحديث، ولكنها ومضة خير حول حلمه، وعدم نهره لأحد، مسألة يحتاجها قادة الدعوة والعلماء اليوم، فطيش الشباب وتصرفاتهم الحماسية وأغلاطهم المتكررة، تحتاج من أهل العلم والتربية إلى سعة صدر، وعدم النهر، حتى لا تكسر روح الشباب عندهم، ولا توهن جذوة الحماس في نفوسهم، ولكن في الوقت نفسه، لا تعالج المشاكل والمحن بروح الاندفاع عند الشباب، بل برجاحة عقول الكبار وتصميمهم، وسكونهم، إلى حين تجاوز المحنة والمشكلة، حيث بها حافظ قاضي الحنابلة ابن قدامة على العقيدة الصحيحة والتمسك بها في محنة أصحابها، من غير أن يورد مجاميع الحنابلة السجون والمذابح.

ومجاميع الشباب اليوم، يحتاجون إلى قيادة تأخذ بأيديهم، ليجتازوا المؤامرة الدولية على الإسلام والمسلمين وعلى الصحوة الإسلامية، وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء، ونتيجة لسعيه رحمه الله لحفظ مجامع الحنابلة، عجّل الله له بالثواب من جنس عمله، فعندما اشتد عليه الأمر في وقت «غازان التتاري» وأوذي كثيراً، وخرج من بيته بطاقية على رأسه، وعليه فروة ما تساوي خمسة دراهم، وفي رقبته حبل، فغاب إلى العشاء وجاء فسئل فقال: أوقدوا لنا نارا ليقدمونا، فإذا بصوت وصياح، فذهبوا فنظرت، فإذا أنا وحدي فرجعت إليكم (٧) وهكذا كان سببا في نجاة تلاميذه، فانقذه الله بصوت وصراخ!!

الصلة وعدم القطيعة في المخالفة

الاختلاف كما أننا ندعو إلى تقليله، ومن ثم قطعه، إلا أننا لا ننكره، ونعترف به كواقع بشري، نعمل على التعامل معه في أقل الخسائر، وهذا يحتاج إلى خلق وأدب خاص، يسمى بأدب الخلاف، كان سلفنا رضوان الله عليهم يتعاملون معه سجية وطبعاً، فهذا إبراهيم بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري الصعيدي الأصل، كان مع مخالفته لشيخ الإسلام ابن تيمية لا يهجره، ولما مات شيع جنازته وقعد لعزائه (٨).

وهذا محمود بن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي بكر شمس الدين أبو الثناء الأصبهاني سمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، فبالغ في تعظيمه، وقال مرة: أسكتوا حتى أسمع كلام هذا الفاضل، الذي ما دخل البلاد مثله (٩).

والتجاذب الذي كان بين ابن تيمية والمزي دليل آخر، فعندما تولى المزي «دار الحديث الأشرفية» بعد ابن الشريشي وباشرها، قال ابن تيمية: لم يلها من حين بنيت إلى الآن أحق بشرط الواقف منه لقول الواقف، وفي المقابل لما وقعت المناظرة بين ابن تيمية والشافعية، وبحث مع الصفي الهندي ثم ابن الزملكاني، قام المزي يقرأ كتاب خلق أفعال العباد للبخاري، وفيه فصل في الرد على الجهمية، فتحرك من هو على مذهب التعطيل ضده، وأكثروا الوشاية فسجن، فتوجه إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وأخرجه من السجن. وهكذا كانوا يتناصرون مع أنهم قد يختلفون فيما بينهم من المسائل، وهم لا يصرون على الخطأ إن تبين، فنرى أن الإمام المزي كان قد صحب التلمساني الصوفي، فلما تبين له ضلاله هجره (١٠).

العلماء الكبار رحمة على إخوانهم العلماء

العلماء والدعاة الكبار، يحتاجون إلى من يعينهم على مواصلة الطريق، ويخفف عنهم الوحشة الحاصلة من الغربة التي يعيشها المسلم، كلما ابتعد عن القرون الخيرة «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء» (١١).

وهذه المعادلة عرفها الكبار من سلف الأمة رحمهم الله، والذين منهم عمر بن عمران بن صدقة البلالي بن هشام بن عبدالله بن مروان الأموي زيد الدين البدوي، مع قوة إيمانه وعبادته وصلته بالله سبحانه، لدرجة أن ملك التتار اتهمه بمكاتبة المصريين بإخبارهم، فألقاه إلى الكلاب ومعه آخر، فأكلت الكلاب رفيقه ولم تؤذه، وكان في تلك الحالة ملازما للذكر(١٢) فعظم في أعينهم، وأكرموه وأقام معهم مدة يجاهد المبتدعة، ثم قدم دمشق، وعملت له مكيدة،

فسجن بقلعة دمشق حين كان شيخ الإسلام ابن تيمية بها، وهنا بدأ شيخ الإسلام بدوره كأخ كبير في التخفيف عن أخيه، فكان مما قاله له:

لا تفكرن وثق بالله إن له
ألطاف دقت عن الأذهان والفطن
يأتيك من لطفه ما ليس تعرفه
حتى تظن الذي قد كان لم يكن (١٣)

والاستفادة منهم متبادلة، قال المزي: ما التقيت مع ابن قدامة إلا استفدت منه (١٤)، وحتى إن كان بينهم نقد، فإنما يؤخذ كدافع للإتقان والإبداع، فهذا محمد بن علي بن عبدالواحد الدكالي ثم المصري، أبو أمامة بن النقاش، وعندما شرع في إلقاء التفسير في الجامع الأزهر في شهر رمضان فأكمله، بلغه أن بعض الناس استقصر علمه، ففهم أن هذه رسالة له للإبداع والإتقان، فشرع في إملاء تفسير على الفاتحة، فأقام فيه مدة طويلة، ثم شرع في كتاب التفسير، والتزم ألا ينقل فيه حرفا عن كتاب تفسير أحد ممن تقدمه (١٥). وهكذا كانت الملاحظة على تفسيره دافعا لأن تستفيد الأمة من غزارة علمه وفضله.

علاقة الود تحكم العالم والمتعلم

إن العلاقة القائمة بين العالم وطلبته، وقائد الدعوة وتلامذته، مبنية على الاستفادة والنماء، وهذه لكي تتحقق، لا بد من وجود الألفة بين الطرفين، وعدم الكلفة، كما قال جعفر الصادق رضي الله عنه: أحب إخواني إليّ من إذا كنت معه كنت مع نفسي، وهذا نراه واضحا في سير سلفنا رضوان الله عليهم، فهذا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحراني المعروف بابن القزار جاء في ترجمته أنه كان زاهدا كثير التلاوة، صاحب نوادر ودعابة (١٦).

والعالم يهتم بالجميع فلا يدري أي التلاميذ من الممكن أن يحمل علمه وينشره، وبه يدخل الجنة، فقد يكون الضعيف اليوم غنيا صاحب جاه في الغد، يروج للمذهب وللعلم الذي أخذه، وينشره بماله وجاهه، وحقا بيّن التاريخ ﴿ وما يدريك لعله يزكى ﴾ [عبس:٣].

ولهذا وجدنا أن الإمام عبدالرحمن بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم الأموي الأسنوي، صاحب التمهيد والكواكب، كان فقيها ماهرا، ومعلما ناصحا، ومفيدا صالحا، مع البر والدين والتودد والتواضع، وكان يقرب الضعيف المستهان، ويحرص على إيصال الفائدة المعروفة، فيصغي إليه كأنه لم يسمعها، جبرا لخاطره، وكان مثابرا على إيصال البر والخير لكل محتاج، مع فصاحة العبارة وحلاوة المحاضرة، وقد أورثه هذا الخلق قبولا في الأرض واضحا، قال بدر الدين الزركشي: كانت جنازته مشهودة تنطق له بالولاية (١٧).

والعلماء مع هذا الاهتمام العام بكل الطلبة كانوا يخصّون النابهين بشيء عن الاعتناء، لأنهم هم القادة الكبار في المستقبل. فهذا الصفدي يتحدث عن محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي، أبو حيان الأندلسي المولود في أواخر شوال سنة ٦٥٤ فيقول عنه: لم أره قط إلا يسمع أو يكتب أو ينظر في كتاب ولم أره على غير ذلك، وكان له إقبال على أذكياء الطلبة يعظمهم وينوه بقدرهم (١٨).

ونحن نرى أن التحصيل والتمكن من العلم، لكي يسهل عليهم التدريس والتعليم، وإيصال المعلومة إلى المتعلمين، كما أن محمد بن شرف بن عادي الكلائي، كان حسن التعليم جدا، منطرح النفس على طريق السلف، يقرّب المساكين ويعلمهم، وكان أعجوبة في تعليم العربية، يعلمها للطالب بسرعة، بحيث يرتفع عن درجة من يلحن، ومن نظمه:

سألت الله خلاقي
بنور جماله الباقي
بأن يغفر زلاتي
ويحسن سوء أخلاقي (١٩)

وعلاقة الود هذه تستلزمْ من العالم بقاء مواطن القدوة وتحملها، فهذا محمد بن علي الأنصاري الحفار الغرناطي، بقي نحوا من عامين أو يزيد، يخرج للصلوات الخمس يهادي بين رجلين لشيء كان برجله، حتى كان بعض أصحابه يقول: الحفار حجة الله على من لم يحضر الجماعة (٢٠). وحقا فعل الحفار يغني عن مائة موعظة عن أهمية ووجوب صلاة الجماعة، عامين كاملين! بالتأكيد أن الأمر لم يكن تصنعاً، بل أصبح سجية وطبيعة له في حياته، كالنام والطعام، وهكذا مواطن القدوة مكلفة لصاحبها، مربحة في نتيجتها، مؤثرة في بنائها.

زاد في الطريق

العالم أو الداعية يحتاج إلى زاد يعينه على مواصلة الطريق، فالتحرك في المجتمعات التي خالطتها الجاهلية، في كثير من ميادينها، ينحت من زاده الإيماني وحصيلته الروحية، لذلك هو يحتاج إلى الاستمرارية في عملية التزود، ليظل العطاء الدعوي والعلمي مغلفا بإطار تربوي روحي، يعطي للكلمة أثرها، وللتوجيه جماله، والزاد الإيماني له ميادين كثيرة، وطرائق مختلفة يستفيد منها العالم، ومن هذه الميادين التفكر في خلق الله، وبديع صنعه كما بين الله جل وعلا: ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ [آل عمران:١٩٠ و١٩١] آيتان عظيمتان ووقعهما كبير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لبلال: «ويلٌ لمن قرأها يا بلال ولم يتفكر».

هذا الكون الفسيح الذي يعيشه المسلم، في كل نظرة عبرة وآية على عظيم صفات الله سبحانه، فلو شغل المسلم تفكيره دائما بما يراه من حوله، لكان زاده عظيما من غير جهد ولا وقت، فهو يأكل الفاكهة في كل يوم، فلو نظر إلى الثمرة وكيف كانت بذرة، ثم كانت شجرة ثم جاءت الثمرة، ثمار مختلفة سقيت بماء واحد، فضل الله بعضهما على بعض في الأكل، ومثل ذلك كثير حول الإنسان وفيه وبهذا قال شرف الدين محمد بن الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب بهاء الدين رحمه الله، يقول: كان ابن دقيق العيد يقيم في منزلنا بمصر في غالب الأوقات، فكنا نراه في الليل إما مصليا، وإما ماشيا في جوانب البيت، وهو مفكر إلى طلوع الفجر، فإذا طلع الفجر صلى الصبح، ثم اضطجع إلى ضحوه (٢١).

كما أنه من المعين الصافي، الذي يعين المرء على مواصلة الطريق. المحافظة على العبادة، وسير سلفنا في ذلك كثيرة، فهذا محمد بن علي بن أبي بكر بن الأصفر قال ابن الخطيب عنه: كان فقيها ورعا زاهدا، كثير العبادة على سنن الصالحين، مات في آخر سنة ٧٤٤ عن مرض أصابه أنهك جسمه، ولم ينقص من وظائف العبادة شيئا، حتى إنه انصرف من بعض الصلوات، فسقط واحتمل خطى يسيرة، وقضى نحبه (٢٢).

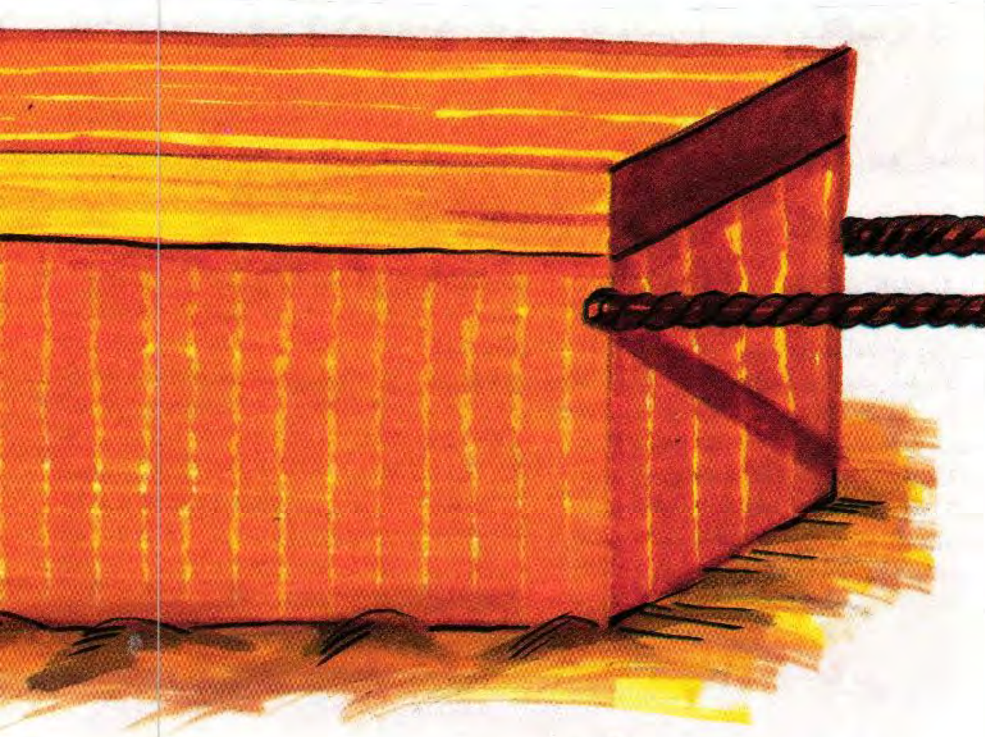
وهذه العبادة هي زاد العلماء الكبار، و لتأكيد ذلك، لننظره في وصف ابن كثير لابن القيم رحمهما الله قال: كان ملازما للاشتغال ليلا ونهارا، كثير الصلاة والتلاوة، حسن الخلق، كثير التودد، لا يحسد ولا يحقد، ولا أعرف في زماننا من أهل العلم أكثر عبادة منه، وكان يطيل الصلاة جدا، ويمد ركوعها وسجودها، وكان إذا صلى الصبح، جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار، ويقول ابن القيم عن هذه الفترة من الذكر: هذه غدوتي لو لم أقعدها سقطت قواي (٢٣).

وهذا الذكر كما هو نافع للإنسان في الدنيا كذلك له أنس في حياة الوحشة والانفراد في القبر، قال سيد الدين بلبان الحسامي: خرجت يوما إلى الصحراء، فوجدت ابن دقيق العيد في الجبانة واقفا يقرأ ويدعو ويبكي، فسألته عن حالة فقال: صاحب هذا القبر كان من أصحابي، وكان يقرأ عليّ فمات، فرأيته البارحة فسألته عن حاله فقال: لما وضعتموني في القبر جاءني كلب أنفط كالسبع، وجعل يروعني فأرتعبت فجاء شخص لطيف في هيئة حسنة، فطرده، وجلس عندي يؤنسني فقلت من أنت، فقال: أنا ثواب قراءتك سورة الكهف يوم الجمعة (٢٤). وهذه الصلة بالله سبحانه أوجدت نوعا من العزلة عن الدنيا وبهرجها فهذا محمد بن صالح الحموي: كان يلازم العبادة لا يعبأ بالدنيا، وأقام مدة لا يأكل لحما ولا فاكهة، ومات على ذلك سنة ٧٣٤هـ (٢٥).

وهذا الزاد يتحصل للمسلم بصفاء نيته لله سبحانه ومن سيرة محمد بن علي بن عمر بن يحى الفسّاني نعرف ذلك ابن الخطيب: كان من أهل العلم والدين كثير الحياء وحسن السمت له عناية بالقراءات والعربية مبارك النية والتعليم (٢٦).

الهوامش:

١) أخرجه البخاري، فتح الباري، رقم ٢٨٩٦.
٢) الأحاديث الصحيحة، رقم ٤٥.
٣) تسهيل النظر وتعجيل الظفر، ٦-٧.
٤) الدرر الكامنة، ت: ٥١٢٢، ٥/ ٢٣٣-٢٣٦.
٥) الدرر الكامنة، ت: ٥١٢٢، ٥/ ٢٣٦-٢٣٧.
٦) الدرر الكامنة، ت: ٨٣٧، ٢/ ٢٤٢.
٧) الدرر الكامنة، نفس الترجمة، ٢/ ٢٤٢.
٨) الدرر الكامنة، ت: ٨٨، ١/ ٣٥.
٩) الدرر الكامنة، ت: ٤٧٥٢، ٥/ ٩٤.
١٠) الدرر الكامنة، ت: ٥١٢٢، ٥/ ٢٣٤.
١١) أخرجه مسلم، رقم ١٤٥.
١٢) حدثني الثقات أن مثل هذا الأمر مع الكلاب حدث للحاجة زينب الغزالي عندما تعرضت للتعذيب وأطلقت عليها الكلاب في السجن.
١٣) الدرر الكامنة، ت: ٣٠٤٧، ٣/ ٢٥٧.
١٤) الدرر الكامنة، ت: ٣٠٤٧، ٣/ ٤٢٢.
١٥) الدرر الكامنة، ت: ٤٠٧٣، ٤/ ١٩٠.
١٦) الدرر الكامنة، ت: ٣٤٥٤، ٣/ ٤٤٤.
١٧) الدرر الكامنة، ت: ٢٣٨٦، ٢/ ٤٦٤.
١٨) الدرر الكامنة، ت: ٤٦٩٣، ٥/ ٧٠.
١٩) الدرر الكامنة، ت: ٣٧٣٩، ٥/ ٧٣.
٢٠) الدرر الكامنة، ت: ٤٠٨٧، ٥/ ١٩٩.
٢١) الدرر الكامنة، ت: ٤/ ٢١٣.
٢٢) الدرر الكامنة، ت: ٤٠٩٧، ٤/ ٢٠٣.
٢٣) الدرر الكامنة، ت: ٣٥٨٦، ٤/ ٢١.
٢٤) الدرر الكامنة، ت: ٤/ ٢١٤.
٢٥) الدرر الكامنة، ت: ٣٧٤٩، ٤/ ٧٧.
٢٦) الدرر الكامنة، ت: ٤٠٨٢، ٤، ١٩٦.



التابوت الزاحف

بقلم: محمد محمود عبد المجيد

قال الراوى: وكأن ريح الجنة هبت علي رهبان الليل وفرسان النهار، من جند يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.. لقد خرجوا غزاة في سبيل الله الى أرض الروم.. فراح كل منهم يتنسم أريجها.. لاتكاد تسمع منهم إلا حمحمة الخيل وقعقعة السلاح.. وشيخ جليل يركض به جواده العربي الاصيل ركضة الشباب.. ربما ناء جسده النخيل بما يحمله من سلاح.. ولكن قسمات وجهه تحمل إصرار جيش بأسره.. وبالبريق عينيه!!

ها هو ذا على صهوة جواده يكاد يسبق من حوله.. بل يمد قامته بين الحين والحين، وكأنه يتحدى مايحمله كاهله من سنين، فإذا ماحدث جند الله من حوله.. أفاض عليهم بوجهه الملائكي المضيء أمنا وإيمانا.. لا تملك معهما إلا أن تقول: هذا رجل كان يوما ما صاحب النبي!!

هو خالد بن زيد بن كليب.. أو كما تسميه كتب السيرة «أبو أيوب الأنصاري» رضى الله عنه، صاحب رسول الله ﷺ.. كم هفت نفسه ان يموت تحت ظلال السيوف.. وقد كان.. هاهو ذا يخرج مجاهدا في سبيل الله مع هذا الجيش الزاحف الى الشمال.. وقع سنابك الخيل لم يصرفه عن عالمه الخاص.. عن عالم الذكريات بعيدا هناك..

إنه مايزال يذكر يوم تعطرت أجواء المدينة المنورة بأنفاس حبيبه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في هجرته المباركة.. نعم راح يذكر موكب الهجرة وما كان له أن ينساه..

وذرفت عيناه.. ياطالما متع ناظريه بمرأى حبيبه صلوات الله وسلامه عليه.. وكأن الشمس تجرى في جبينه..

هذه ناقة رسول الله ﷺ.. يكاد يراها الآن مائلة أمام ناظريه..

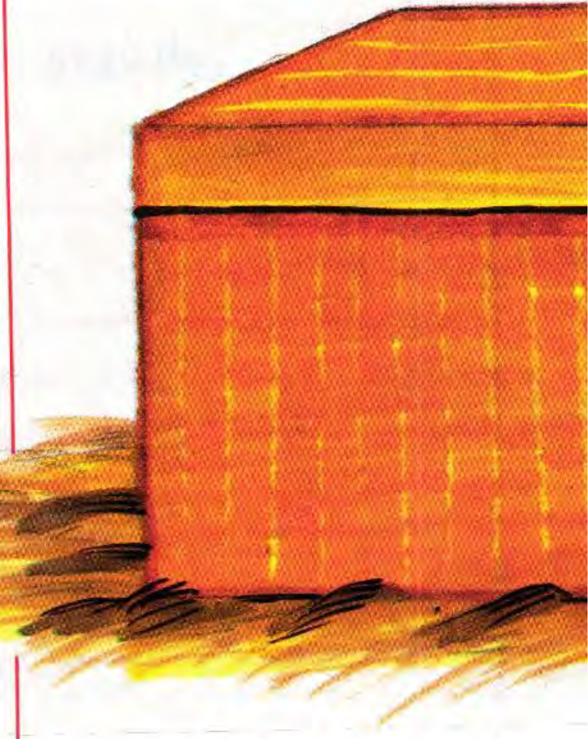
صوته الحبيب يأخذ بمجامع نفسه.. لقد هزه الشوق والحنين.. الصوت الحبيب الآن ملء فؤاده.. يا سبحان الله! حتى جواده الأصيل كأنه يصيخ السمع!!

الناقة القصواء الآن على مشارف المدينة.. إنها تمضي تخفق من حولها القلوب وقد استنار بصاحبها المكان كله.. وكل يريد ان يكون رسول الله ﷺ ضيفه.. الصوت الحبيب مازالت تردده السهول والجبال حوله: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة».. هاهي ذي الناقة المباركة قد تجلجلت ووضعت باطن عنقها عند بابه.. عندبابه هو !!بخ بخ لك ياأبا أيوب!!إنه يذكر ذلك تماما..

يذكر كلماته ساعتها لحبيبه عليه الصلاة والسلام: «ائذن لي يارسول الله ان انقل رحلك الى داري «فيجيبه الصوت الحبيب..

«نعم.. يا أبا أيوب!! والمرء مع رحله!!

وفاضت به الذكريات.. دمعه الآن يجري غزيرا على وجهه الحبيب.. ياالله!! حتى بنات بني النجار يكاد يسمع أنشودتهن من جديد عبر خمسين عاما من عمر الزمن.. يكاد يسمع قرع دفوفهن!! الكلمات ماتزال في أذنيه غضة طرية كأنها حديثة



العهد بنسمات النبوة الطاهرة..

نحن بنات من بني النجار..

ياحبذا محمد من جار..

ويعود الصوت الحبيب يلح عليه.. يقول لهن: «أتحببنني؟»..

فيقلن: «نعم!! نحبك يارسول الله».. فيجيب وكأن وجهه فلقة بدر: «وأنا والله أحبكم..وأنا والله أحبكم»..

راح أبو أيوب يربت على كاهل جواده الذي شارك صاحبه شوقه وحنينه فعلا شهيقه وزفيره.. وثقفت خطاه..والصحابي الجليل هناك بعيدا بعيدا مع الذكريات.. خمسون عاما من عمر الزمان.. ضيفه الحبيب ساعتها يساكنه داره سبعة أشهر كاملة.. يالتواضعه صلوات الله وسلامه عليه.. ينزل أسفل الدار!! الصحابي الجليل يذكر كلماته ساعتها: «بأبي أنت وأمي يارسول الله.. هذا والله لن يكون! إني أكره أن أكون فوقك وتكون أسفل الدار». فيجيبه بكلماته الحانية وإنها الآن لتلح عليه من جديد «ياأبا أيوب إنه أرفق بنا أن نكون في أسفل لما يغشانا من الناس!!»..

راح يذكر هذا كله.. يذكر جرته وقد انكسرت.. رحم الله أم أيوب.. قام وزوجه ساعتها بقطيفة لهما ليس لهما من لحاف غيرها ينشفون بها الماء، فرقا من أن يصل منه الى رسول الله مايؤذيه..

ياطالما تيمما موضع أصابعه، فيما تبقى من طعامه، يتلمسون بركته.. ياللذكريات!! بل يذكر طعاما أهدياه إليه فيه بصل وثوم.. لقد عاد كما هو لم تمسه يده الشريفة.. وليقول صاحب أزكي نفس حين سألاه: «إني وجدت ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجي، فأما أنتم فكلوه!!»..

ومضى الركب.. وجند الله تطوى لهم الصحراء تحت سنابك الخيل وقد اشتدت حمارة القيظ..

وأغفى إغفاءة!! لقد كاد يسقط بها من على ظهر جواده، ولكنه ظل متشبثا بالركاب.. وتوقف ركب الذكريات لتكون ذكرى حبيبه اخر عهده بدنيا الناس!!وراح الجواد الأصيل وكأنه ينعى صاحبه بصهيل كان أقرب الى تحية وداع!! وصاحبه هناك في النزع الأخير..

قال الراوي:

ويمضي جند الله في عزم وإصرار.. والقائد الشاب يزيد بن معاوية يشق بهم كبد الصحراء..

صاح أحدهم في هدأة من الليل: أيها الأمير.. أدرك أبا أيوب..

لقد راح مكبا على قربوس فرسه من الحمى!!

وسارع اليه يزيد.. فلما حاذاه قال: «ياصاحب رسول الله ألم أكن قد خلفتك ورائي؟» وانتزع الشيخ المهيب الكلمات انتزاعا لتكون آخر ماقال: «سامحك الله يابني!! اكنت تحرمني شرف الغزو في سبيل الله؟ أنسيت قول الله عز وجل ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ والله ماأجدني إلا خفيفا أو ثقيلا!!

يابني: اذا انا مت فسغ بي بعيدا.. سغ بي بعيدا في أرض العدو ماوجدت مساغا..وادفني هناك.. دعني أسمع حوافر الخيل وأنا في رحاب الله..

يايزيد!! لقد سمعت ان رجلا صالحا يدفن تحت أسوار القسطنطينية فأنا أرجو.. أرجو أن أكونه.. «وأسلم الروح»..

وصاح القائد الزاحف: «إلى رحمة الله ..والله لئن لم تبلغها حيا لتبلغنها ميتا!!ياجند الله..غسلوه وكفنوه.. وضعوه في تابوت يمضي أمام الجيش..ناشدتكم الله ان تقاتلوا دونه حتى يدفن حيث أراد!!» وذرفت عيناه!!

قال الراوي:

وأطل جند الرومان من فوق أسوار القسطنطينية على أغرب ما تراه عين: جيش المسلمين القادم يتقدمه تابوت زاحف، والجميع حوله يكبرون!!

إنهم يتدافعون الى حمله وقد حمي الوطيس، كلما سقط دونه شهيد قام مكانه أخوه..

واشتد الحصار..ونزل الرومان على شروط الصلح مع يزيد..

وعند أسوار القسطنطينية رقد الصحابي الجليل.. وقد سعدت روحه بوقع حوافر الخيل وتكبيرات الجند..

وحين أشرف أهل القسطنطينية على المكان يقولون لأصحاب التابوت: لقد كان لكم الليلة شأن !!

قالوا: نعم!! هذا رجل من أكابر أصحاب نبينا ﷺ.. وأقدمهم في ديننا.. لقد نذر ان يدفن عند أسواركم فكان مارأيتم..

قال كبيرهم: «لن نكون أقل وفاء منكم بصاحب نبيكم.. والله لنسرجن له ماحيينا.. وسجل التاريخ خبر التابوت الزاحف! تابوت أبي أيوب□

حديقة الوعي

إعـــــداد:
حسين كتاب العتيبي

فرصة

قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في كل يوم، مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك، حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك» [أخرجه البخاري].

ارشادات وحكم

١- قال تعالى: ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ [الزخرف/٦٧].
٢- «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفّوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم» [رواه الطبراني باسناد حسن].
٣- «الكلمة الطيبة صدقة» [أخرجه ابن حزيمة وابن حبان وصححه].
٤- لا تَعد بما لا تقدر عليه.
٥- لا تقل بغير تفكير ولا تعمل بغير تدبير.
٦- أصلح نفسك يصلح لك الناس.
٧- لا خير في لذة بعدها النار.
٨- لا تغتر بحلم الله.
٩- من عرف الله خافه.
١٠- لا تقدم على عمل لا تطيقه.

صور من مزاح الصالحين

● قال أحد الصالحين عن محمد بن سيرين - رحمه الله - «كان يداعبنا ويضحك حتى يسيل لعابه، فإذا أردته على شيء من دينه كانت الثريا أقرب إليك من ذلك».

● كان الصحابة رضي الله عنهم يتحاذفون البطيخ فيما بينهم، ولكن إذا جد الأمر كانوا الرجال. وسئل النخعي: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ: يضحكون؟ قال: نعم والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي.

● جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال له: إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر أغتسل فإلى القبلة أتوجه أم إلى غيرها؟ فقال له: الأفضل أن يكون وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تسرق.

دعوة إلى

أنا العبد الذي كسب الذنوبا
وصدته الأماني أن يتوبا
أنا العبد الذي أضحى حزينا
على زلاته قلقا كئيبا
أنا العبد الذي سطرت عليه
صحائف لم يخف فيها الرقيبا
أنا العبد المسيء عصيت سرا
فمالي الآن لا أبدي النحيبا
أنا العبد المفرط ضاع عمري
فلم أرع الشبيبة والمشيبا
أنا العبد الغريق بلج بحر
أصيح لربما ألقى مجيبا
أنا العبد السقيم من الخطايا
وقد أقبلت ألتمس الطبيبا
أنا العبد المخلف عن أناس
حووا من كل معروف نصيبا
أنا العبد الشريد ظلمت نفسي
وقد وافيت بابكم منيبا
أنا العبد الفقير مددت كفي
إليكم فادفعوا عني الخطوبا
أنا الغدار كم عاهدت عهدا
وكنت على الوفاء به كذوبا
أنا المقطوع فارحمني وصلني
ويسّر منك لي فرجا قريبا
أنا المضطر أرجو منك عفواً
ومن يرجو رضاك فلن يخيبا
فيا أسفى على عمر تقضى
ولم أكسب به إلا الذنوبا
وأحذر أن يعاجلني ممات
يحير هول مصرعه اللبيبا
ويا حزناه من حشري ونشري
بيوم يجعل الولدان شيبا

سابقة للرجال

عن الشعبي ، قال: قدمت أسماء من الحبشة، فقال لها عمر: يا حبشية سبقناكم بالهجرة.
فقالت: لعمري، لقد صدقت: كنتم مع رسول الله ﷺ : يطعم جائعكم. ويعلّم جاهلكم، وكنا البعداء الطرداء، أما والله لأذكرن ذلك لرسول الله. فأتته. فقال: «للناس هجرة واحدة، ولكم هجرتان» [صححه الحاكم].

حكم وأمثال

- إذا جاء القدر عمي البصر.
- ان غلبت على القول لم تغلب على السكوت.
- لا ينطق لسانك إلا على ما يتسع به بنانك.
- حفظك مافي يدك خير من طلبك مافي يد غيرك.
- إذا جهل عليك الأحمق، فالبس له سلاح الرفق.

مفاتيح الخير والشر

- مفتاح العلم: حسن السؤال وحسن الإصغاء.
- مفتاح الإجابة: الدعاء.
- مفتاح الإيمان: التفكر في آيات الله ومخلوقاته.
- مفتاح الرزق: السعي مع الاستغفار والتقوى.
- مفتاح كل إثم: الخمر.
- مفتاح الخيبة والحرمان: الكسل وحب الراحة.
- مفتاح البخل وقطيعة الرحم: الشح والحرص.

الولد شبيه أبيه

كان لمحمد بن بشير الشاعر ولد جسيم، فأرسله في حاجة فأبطأ عليه، ثم عاد ولم يقضها، فنظر إليه، ثم قال:
عقله عقل طائر * وهو في خلقه جمل
فأجابه:
مشبه بك أبي * ليس لي عنك

نعمة بلقمة

كان لامرأة ابن فغاب عنها غيبة طويلة، وأيست من رجوعه فجلست يوما تأكل فوقف بالباب سائل يستطعم فامتنعت من أكل اللقمة وحملتها مع تمام الرغيف فتصدقت بها، وبقيت جائعة تلك الليلة، وماهي إلا أيام يسيرة حتى قدم ابنها وأخبرها بشأنه كيف أن الله أنجاه من أن يكون فريسة لذلك الأسد الذي اعترض طريقه حتى إذا أنشب مخالبه في مرقعته وبرك عليه يفترسه قيض له سببا فقام الأسد عنه مهرولا، يقول فلحقت بالقافلة التي كنت فيها.
فنظرت المرأة – الأم – فإذا هو الوقت الذي أخرجت اللقمة من فيها، وتصدقت بها وصدق الرسول ﷺ : «صدقة السر تقي مصارع السوء».

نيل المعالي

لا يرهب المرء مالم تبد سطوته
لولا السنان استوى الخطيّ والقصب
ان النهوض إلى العلياء مكرمة
لها التذاذان: مشهور ومرتقب
والملك صنفان: محصول وملتمس
والمجد نوعان: موروث ومكتسب
والناس ضدان: مرزوق ومحترم
تحت الخمول ومعضوب ومغتصب
والطاهر النفس لا ترضيه مرتبة
في الأرض الا إذا انحطت لها الرتب
والفضل كسب فمن يقعد به نسب
ينهض به الافضلان: العلم والحسب

صورة الشيطان

قال الجاحظ: أتتني امرأة وأنا على باب داري فقالت: لي إليك حاجة وأريد أن تمشي معي، فقمت معها إلى أن اتت بي إلى صائغ وقالت له: مثل هذا! وانصرفت، فسألت الصائغ عن قولها، فقال: إنها أتت إليّ تسألني أن أنقش لها على خاتم صورة شيطان. فقلت لها: مارأيت الشيطان لأنقش صورته! فأتت بك وقالت ما سمعت!

هل قلت

قيل إن أبا بكر (رضي الله عنه) رأى رجلا بيده ثوب فقال له: هو للبيع؟ فقال الرجل لاأصلحك الله. فقال الصديق: هلا قلت لا، وأصلحك الله، لئلا يشتبه الدعاء إليّ بالدعاء عليّ!

أدرك قومك

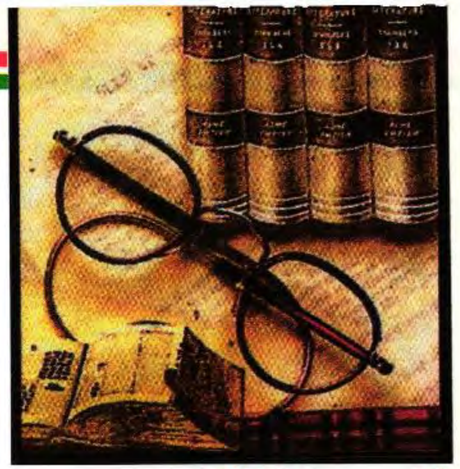
يقال: إنه أقبل رجل على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال: ما اسمك؟ فقال الرجل: شهاب بن حرقة، قال: ممن؟ قال: من أهل حرة النار، قال: وأين مسكنك؟ قال: بذات لظى، فقال له (رضي الله عنه): أدرك قومك فقد احترقوا، فكان كما قال.

بيوت العرب

قال المبرد: بيوت العرب ستة: قبة من أدم، وظلة من شعر، وخباء من صوف، وبجاد من وبر، وخيمة من شجر، وقنة من حجر.

تعبير الرؤيا

رأى الحجاج بن يوسف في منامه كأن جاريتين من الحور العين نزلتا من السماء، فأخذ الحجاج احداهما، ورجعت الأخرى إلى السماء، فبلغت رؤياه ابن سيرين، فقال هما فتنتان يدرك إحداهما.. ولا يدرك الأخرى، فأدرك الحجاج فتنة ابن الأشعث ولم يدرك فتنة ابن المهلب فكان كذلك.



ثمـــــرات المطـــــابع

فصول في أدب الطفل المسلم

إعـــــداد: التحريـــــر

○ عبد التواب يوسف

○ النادي الأدبي الثقافي – جدة

○ الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م

الكتابة للأطفال ليست شيئا جديداً، منذ (هانز أندرسون).. أما (ثقافة الأطفال) فهي قبل (عبدالتواب يوسف) كانت تعني مجرد تعليمهم وتعريفهم ببعض الأولويات، وكانت تهدف إلى تهذيبهم وترتيبهم، داخل المدرسة وخارجها، وجاء هو لكي يبلور فكرنا تجاه هذه القضية التي أعطاها عمراً..

إن التعليم لا يكفي، والتربية ليست كل شيء، بل لابد من تثقيف عقل الطفل ووجدانه، يجب أن نثقف عينيه بالجمال، وأذنيه بالنغم، ويديه بالعمل واللعب، لكي نصنع من عقله شيئا جديداً، وفي وجدانه نخلق عالما فريداً.. فذاً..

كان هناك برامج للأطفال في الإذاعة، وكتب تصدر لهم، ثم أصبحت لهم أفلام تعرض على الشاشة الكبيرة والصغيرة، وأضحى لهم مسرحهم؟ العرائس والبشرى، إلى جانب المجلات والصحف والكتيبات التي تصدر لهم.

وهذا الكتاب فصول متناثرة – كما يذكر المؤلف – حول أدب الطفل المسلم.. إذ إنها تحتوي على أفكار لتكون منهاجاً للكتابة الدينية للأطفال، وتكون هادية للآباء على وضع الأبناء على طريق الإيمان.

الاسلام في الحاضر

○ فيرنز ايندني (كاتب ألماني)

○ ميونخ – المانيا

○ الطبعة الأولى ١٩٩٤م

يتضمن الكتاب دراسة تاريخية تحليلية للاسلام وتطور مسيرة العالم الاسلامي في المراحل الحضارية المختلفة وذلك من خلال: الجغرافيا والسياسة والثقافة والاقتصاد. وقد قسم الكاتب موضوعه إلى عدة اقسام تسهل له حصر دراسته المقارنة منها: التاريخ السياسي للاسلام، ودور الاسلام السياسي المعاصر، والثقافة المرتبطة بالحضارة الاسلامية.. وقد عقد الكاتب مقارنة بين الثقافة الاسلامية (مراعيا تنوعها) وثقافات الادب الفرنسي والالماني..

الطب الروحاني

○ تأليف: ابو الفرج، جمال الدين ابن الجوزي

○ تحقيق: عبد الله بدران

○ دار الخير – بيروت / دمشق

○ الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م

يتكامل بناء الشخصية الإسلامية ما بين حاجات الروح وحاجات الجسد، وبالتوازن بينهما ينشأ المجتمع الإسلامي الفاضل، الذي يقيم حياته على أرفع مستوى من التعامل، وعلى أرسخ الأسس في التنزه..

ومن اطيب ما ترك السلف للخلف كتب الاخلاق والتزكية والتربية، ومهمتا تهذيب سلوك الانسان، وتقويم اعوجاجه، وإيقاظه من غفلته ورقاده، وإصلاح نفسه ظاهراً وباطناً، وتوجيهه نحو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

وكتاب (الطب الروحاني) للإمام ابن الجوزي صاحب (صيد الخاطر) و(اللطائف) و(المدهش) و(تلبيس إبليس) غيرها مما جعل له قصب السبق في ميدان التربية والتزكية،

وهو يعرض فيه خفايا النفس البشرية وأمراضها ووساوسها وخطراتها، ويفصّل عللها، ويفسّر مراميها وغاياتها، ويحلل طباعها وتصرفاتها، ولا يكتفي ابن الجوزي بالعرض بل يتجاوز ذلك ليضع الحلول ويصف الأدوية المعينة على تهذيب النفس والتخلص من شرورها مما يجعل الكتاب احد غايات المهتمين بعلل النفوس وأدوائها..

النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية

(اتجاهات جديدة للفكر والمنهجية الإسلامية)

○ أبو سليمان، عبدالحميد أحمد

○ نقله إلى العربية وعلق عليه وراجعه: ناصر أحمد البريك

○ ط ١ - الرياض: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

يتطرق هذا الكتاب كما يذكر المترجم إلى الطرق والمناهج التقليدية التي ناقشت وحللت الظروف والعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مر بها التاريخ الإسلامي الأول «في صدر الإسلام»، وما لحق بالأمة الإسلامية ودار الإسلام وسلطة الخلافة من تغيرات، بيد أن هذه المناهج لم تعد لها القيمة العلمية والدور البناء التي كانت تقوم به في السابق نتيجة لأسباب عديدة وعوامل مختلفة آخذين في الحسبان عاملي الزمان (التاريخ والبيئة) والمكان (الموقع الجغرافي)، وبالتالي حدثت الأزمة والتي تعني بمعناها الواسع أزمة الفكر الإسلامي بما في ذلك الفقه السياسي والدولي.

ولذا فإن هذا الكتاب يسد نقصا شديدا في المكتبة العربية والإسلامية لا من حيث تطرقه، وبشكل علمي تحليلي، للمفاهيم الإسلامية المتعلقة بموضوع العلاقات بين الدول فحسب. والمسمى تاريخيا بفقه السير، بل إنه أيضاً يعطي نظرة موضوعية وفاحصة لما هية العلاقات الدولية الإسلامية حاضراً، ومايجب أن تكون عليه مستقبلاً.

كما تدور معالجة الكتاب حول قضية التجديد والمعاصرة التي تشغل بال الكثير من المسلمين المستنيرين في مسايرة ومواكبة الواقع المعاش والمتغيرات الطارئة المستمرة بطريقة أكثر ملاءمة وأعم فائدة من أجل تحقيق علاقات دولية تربط فيما بين الدول الإسلامية ذاتها أولاً، ثم مع غيرها من دول العالم ثانياً، وتتميز بطابع عصري وحضاري في سبيل عالم يسوده التعاون والعدل والمشاركة والأمن والسلام.

دليل المؤلفات الإسلامية في المملكة العربية السعودية (١٤٠٠ - ١٤٠٩هـ)

○ يوسف، محمد خير رمضان

○ ط ١ - الرياض - دار الفيصل الثقافية، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م

يرصد هذا الدليل ما نشر في المملكة العربية السعودية من الموضوعات الإسلامية خلال عقد من الزمن. ويضم أكثر من ثلاثة آلاف عنوان، وزعت هذه العناوين على موضوعاتها بطريقة علمية منظمة، وقسمت على فروعها، ورتبت هجائيا.

وألحق ثلاثة كشافات بهذا الدليل:

أولاً: كشاف العناوين، حيث تم ترتيب جميع العناوين الواردة في الدليل حسب ترتيب الحروف الهجائية، وضمت إليها العناوين الواردة ضمن مجاميع الكتب، والعناوين البديلة، أو المشهورة بها. وقد أحيلت هذه العناوين إلى أرقامها الأساسية وليس العناوين الأصلية.

ثانياً: كشاف السلاسل، ورتبت فيه هجائياً، واتبع فيها كل كتاب برقمه العام في الدليل.

ثالثاً: كشاف المؤلفين ومن في حكمهم، جمعت فيه أسماء المؤلفين، والمؤلفين المشاركين - ما لم يتجاوزوا الثلاثة - والرواة، والمحققين، والمعلقين، والشارحين، والمترجمين، والمعدِّين، والمحررين.

النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى

○ أقلانية، المكي

○ ط ١-١٤١٣ هـ - الدوحة -

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

يشكل هذا الكتاب إسهامة بارزة في تبصير المسلم المعاصر، بنضج المنهج النبوي، الذي تمثل في مناهج المحدثين، وغيرهم منذ وقت مبكر.. هذا التاريخ التعليمي، الذي لايزال يشكل سبقا في بعض جوانبه إلى اليوم، لكن تبقى المشكلة في عجز المسلم المعاصر، عن تمثل التراث وفقهه وامتلاك القدرة، للامتداد به في ضوء فهمه للعصر، واعتبار ذلك عبادة من أسمى العبادات، يحكمها الإخلاص في النية، والصواب في الوسيلة، والاحتساب في الأجر.

وقد جعل المؤلف كتابه في خمسة فصول:

الفصل الأول: يتعلق بحلقات العلم من حيث ظهورها وشيوعها ونظامها.

الفصل الثاني: يتعلق بالمذاكرة وتطور دلالتها وأهدافها ومكانتها.

الفصل الثالث: خاص بالرحلة في طلب الحديث، ومدى توسع أهدافها، وقيمتها.

الفصل الرابع: يرتبط بالإشراف التربوي والتعليمي عند المحدثين، ومزايا ذلك.

الفصل الخامس: يدرس خصائص التعليم عند المحدثين.





ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين ولحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

المسلمون والحذر من تغيير دلالة المصطلح

الإسلام بوصفة اصطلاحاً فنياً يدل على نظام المعتقدات والشعائر المبنية على القرآن الكريم، ومشتق من استخدام فعل [أسلم] بمعنى استسلم او انقاد، للدلالة على الموقف الذي يميز المؤمن الحقيقي في علاقته مع الله، فسلم نفسه لله يعبده ويلتزم بأوامره وينتهي عن نواهيه في كل ما يضفي على المجتمع الإنساني الخير والطمأنينة والعدل.

والإسلام من حيث انه دين لا يتغير، فدين الله واحد وإن اختلفت شرائع الأنبياء تبعا لاختلاف الزمان والمكان، والدليل على أن الدين لا يختلف قوله تعالى: ﴿ شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ [الشورى:١٣]، طالع الموسوعة الإسلامية الميسرة [أ. ر. جب، و ج. هـ. كالمرز، ترجمة راشد البراوي، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١٩٨٥، ص٨٤ وما بعدها] وتأتي الآيات القرآنية مبينة دلالة المصطلح على النحو التالي:

الآيات القرآنية والمصطلح

- ﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ [النساء:١٢٥]. الإسلام يعني: الانقياد لله متبعا اوامره ومنتهيا عن نواهيه.

- ﴿ فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً ﴾ [الجن:١٤]. الإسلام يعني الرشد، والرشد دال على البصيرة والهدى وتمييز الطيب من الخبيث. ﴿ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ﴾ [آل عمران:٢٠].

- ﴿ فمن يرد أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ [الأنعام:٣٥]. الإسلام يعني: الهدا ية، والهداية تعني عدم التخبط، والاستقرار والأمان.

- ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ [القلم:٣٥]. الإسلام يعني كل المعاني التي تتناقض مع كل معاني الاجرام.

- ﴿ كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ [النمل:٨١]. ﴿ وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ [المائدة:٣ المائدة]. الإسلام يعني دوام النعم مادية أو كانت معنوية.

الأحاديث الشريفة والمصطلح

- وكذا الأحاديث النبوية الشريفة مبينة المعنى الاصطلاحي للإسلام كما يلي:

- «المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يحقره بحسب امرىء من الشر أو يحقر أخاه المسلم» [رواه مسلم عن أبي هريرة].

- «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» [البخاري].

- «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه» [رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة] المسلم يعني: المحبة، الإخاء، التعايش السلمي، احترام حقوق الآخرين.

التحذير من تغيير المصطلح

على ما تقدم يجب على المسلمين أن يحرصوا أينما وجدوا على المعنى السامي للإسلام منهج الحياة، إلا أن بعض الظواهر المعاصرة التي تحدث في بقاع العالم العربي والإسلامي، مثل ظواهر العنف والتطرف، تلك التي يقوم بها الأفراد والجماعات تجعل الاعلام المسموع - وهو يواجه هذه الظواهر - يستخدم مصطلحات مثل: الجماعات الإسلامية، الجهاد الإسلامي، أنصار السنة، الأصوليون الإسلاميون.

ولا تكاد أن تجد عينك في الصحف المقروؤة، أو تنصت بأذانك حتى تجد مصطلح الإسلام والمسلمين وسط ركام من الألفاظ التي لا تمت بالإسلام بصلة، مثل القتل والإرهاب، والعنف، والدماء، والتخريب والتعصب الديني، ورفض الحوار، واستخدام القوة، واللإنسانية، واستبعاد الاسلاميين، والحرب ضد اللاسلاميين، في حين ان ظواهر العنف والتخريب تحدث في كل بقاع العالم، ولا نكاد نجد إعلاما يقيم علاقة بين هذه الظواهر وبين الديانات الأخرى كاليهودية والمسيحية، أو غير ذلك من الملل والنحل، مع ان القائمين بهذه الاعمال كثيرا ما يحركها الدافع العقائدي، والعالم لا ينسى ما حدث في الهند من هدم مسجد إسلامي كبير، ومع ذلك؛ كما قلنا؛ لم نسمع إعلاما أسند إلى هذه الأفعال المجرمة إلى جماعة أو فئة ذات عقيدة معينة.

إن مثل هذه الصورة التي يجب إن ينتبه إليها المسلمون جميعاً تفرض عليهم أن يبحثوا عن مصطلحات أخرى تنضاف، إلى هذه الجماعات أو هذه الطوائف، سواء كانت هذه الطوائف على حق فيما تذهب إليه، أم كانت على ضلالة من أمرها، لا يجب أبداً أن يتجاور مصطلح الإسلام والمسلمين مع هذه المعاني التي هيأت لأعداء الإسلام ان يتعرفوا - عن طريق هذ الاعلام المكثف الذي يلف الكرة الأرضية بسرعة مذهلة - على الإسلام على أنه القتل والعنف إلى غير ذلك مما قلناه سابقاً، وكأننا نسوق لهم

تعريفا جديدا للإسلام والمسلمين لا يمت لدلالة مصطلح الإسلام الحقيقي بأي صلة، بل أن الحقدة على الإسلام يرّجون كثيراً غير ذلك في المحافل الدولية مبررين لأنفسهم هجومهم على المسلمين والإسلام، إما بالصمت تجاه انتهاك الأعراف الدولية، أو مساندة كل المحاولات التي من شأنها حصار الإسلام والمسلمين وكسر شوكتهم.

ولا نكاد نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا أن من بين الأسباب التي تجعل الغرب يصم آذانه للمسلمين في البوسنة ولبعض الأقليات الإسلامية في كثير من بلدان العالم، هذه الصورة التي ينقلها الإعلام عن الإسلام و المسلمين مقرنا إياه بمعان، الإسلام منها بريء تماما، بل هو لكل معاني السمو والحياة الفاضلة والمتآخية يدعونا وينتظر. فلنعد صياغة الحديث في إعلامنا بعيداً عن تجاوز مصطلح الإسلام، مع ألفاظ لا تتعايش ولا تجاوز أبداً مفهوم الدين الإسلامي الحنيف على النحو الذي بيناه سابقاً، نقول إنه يجب أن ننتهي سريعاً عن ذلك ونحن نعالج عنفاً وتطرفاً وقع في ديار المسلمين حتى لا تتغير دلالة المصطلح في مدونات يقف عليها أعداء الإسلام ومروجين لها بما أتوا من تكنولوجيا الاتصال والنشر، نقول إننا يجب أن ننتبه، لذلك حتى لا تتبدل دلالة المصطلح بدلاً من (الاستسلام لله والانقياد له)، تصبح دلالته: (الاستسلام والانقياد للعنف والتخريب والتعصب)، وكل ذلك عند أقوام وأمم نحن مأمورون لدعوتهم إلى الإسلام دين الحضارة والتقدم، ليظل دائما مصطلح الإسلام والمسلمين في كل بقاع العالم مرادفاً لكل معاني الحب والعدل والاخاء.

محمد سيد أحمد — كلية الآداب — جامعة طنطا

العمل.. عبادة

العمل هو المصدر الطبيعي لحصول الانسان على ما يصلح أن يكون شيئا يتعامل به وجرى في الحياة مجرى النفع والتبادل.

ولم يكتف الاسلام بالدوافع الطبيعية التي تدفع الإنسان الى العمل والضرب في وجوه الأرض ليحصل حاجاته ويحقق مطامحه وآماله. لم يكتف الإسلام بهذه الدوافع الطبيعية بل عمل على إيقاظها وحمايتها من آفات التواكل التي قد تتساقط علي بعض النفوس الضعيفة فتمسك بها عن السعى والجد وتقيمها في ظل الدعة والسكون الذي هو أشبه بسكون أهل القبور.

لم يكتف الاسلام بهذا بل رفع مكانة العمل والعاملين إلى درجة العبادة والعابدين، وقد عالج الإسلام كافة البواعث النفسية التي تثبط الناس عن العمل والسعي في مناكب الأرض وذلك فيما يلي:

— من الناس من يعرض عن العمل والسعي بدعوى التوكل وانتظار الرزق من السماء وهؤلاء قد خطأهم الإسلام فإن التوكل على الله لاينافي العمل واتخاذ الأسباب وشعار المسلم ماقاله النبى ﷺ للأعرابي الذي ترك الناقة سائبة: «اعقلها وتوكل» [الترمذي].

— ومن الناس من يدع العمل بحجة التبتل لطاعة الله تعالى والانقطاع للعبادة التى من أجلها خلق الإنسان: ﴿ وماخلقت الجن والإنس إلاليعبدون ﴾ [الذاريات:٥٨]. وهؤلاء يعلمهم الرسول ﷺ أنه لارهبانية في الإسلام وأن العمل الدنيوي إذا أتقن وروعيت فيه أحكام الإسلام هو عبادة في نفسه، وأن سعي الانسان على معاشه ليعف نفسه أو يعول أهله، أويحسن إلى أرحامه أو ليعاون في عمل الخير ونصرة الحق، إنما ذلك ضرب من الجهاد في سبيل الله، ولهذا سوى الله بينهما في قوله تعالى: ﴿ وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله ﴾ [المزمل:٢٠].

— ومن الناس من يدع العمل والسعي اعتماداً على أخذه من مال الزكاة أو غيرها من الصدقات والتبرعات التي تجيء إليه من الآخرين، بغير تعب ولا عناء، وفي سبيل ذلك يستبيح سؤال الغير ومد يده إليه، مع مافي ذلك من ذل النفس وإراقة ماء الوجه، كأكثر الذين نشاهدهم من المتسولين والشحاذين. وقد عالج الإسلام هذه المشكلة فوعظ السائل القادر على العمل وأكد أنه لاتصح له المسألة وهو يستطيع السعى والعمل :«لإن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره ليتصدق به وليستغني، خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه، ذلك بأن اليد العليا خير من اليد السفلى» [مسند أحمد]. وجعل لأصحاب الأعذار حقا في أموال الزكاة فقال تعالى: ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ﴾ [التوبة:٦٠]. يعطى هذا الحق لصاحبه مع صيانة كرامته وحفظ ماء وجهه. وأوجب الاسلام على ولي الأمر أن يدبر فرص عمل للقادرين عليه يغنيهم عن السؤال. جاء رجل الى النبي ﷺ يسأله فقال: «أما في بيتك شيء؟» قال: بلى؛ حلس نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه الماء. قال: «ائتني بهما»، فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ وقال: «من يشترى هذين»، قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال ﷺ: «من يزيد على درهم؟» مرتين أو ثلاثة، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمي.:فاعطاهما إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما للسائل وقال: «اشتر بأحدهما طعاما وانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوما فائتني به»، فشد النبي ﷺ عوداً بيده ثم قال: «اذهب فاحتطب وبع؛ لا أرينك خمسة عشر يوما». فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من أن تجيء المسألة في وجهك يوم القيامة؟»

إن المسألة لاتصلح الا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع» [أبو داود].

إن هذا الحديث يحتوي على خطوات سبق بها الإسلام النظم التي لم تعرفها الإنسانية إلا بعد قرون طويلة من ظهور الإسلام، إنه يعالج مشكلة السائل المحتاج بالمعونة الوقتية، ولم يعالجها بالوعظ المجرد والتنفير من المسألة، ولكنه أخذ بيده في كل مشكلته وعالجها بطريقة ناجحة وأرشده إلى العمل ولم يدعه تائها حيران ■

زكريا أحمد محمد نور ج.م.ع

هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

ضريبة الطفولة في عالم جشع

أكدت منظمة الصحة العالمية خلال اجتماع دولي خصصته لمكافحة المخدرات ان حوالي مائة مليون من اطفال الشوارع المشردين في مختلف انحاء العالم يتعاطون الخمور والمخدرات، وان أوضاعهم تدعو إلى القلق، لأن هذه العادات المرذولة تؤدي إلى ما هو أبعد من الإدمان، وتؤثر على نطاق أوسع من متعاطيها، فالإدمان على الكحول والمخدرات مدخل طبيعي إلى كل الشرور المعروفة في عالم اليوم، وعلى رأسها خضوع الطفل المدمن لابتزاز العصابات الخطيرة المتاجرة بكل المحرمات بما في ذلك الرقيق الأبيض..

وتؤدي هذه الآفات الصحية إلى أزمات صحية واجتماعية وأخلاقية عديدة، منها سوء التغذية وممارسة الدعارة ونقل الأوبئة الجنسية ومنها (الأيدز)، والأطفال المحرومون من لقمة العيش يستسيغون استخدام الصمغ والمذيبات والكوكا، في المناطق التي تتوفر فيها هذه المواد، بالإضافة إلى القنّب والنكوتين والادوية الطبية المخدرة، والكحول على أنواعها، في سبيل تلبية العادات التي أصبحوا أسرى لها، ومما يذكر أن نسبة المدمنين على المواد السامة المتوفرّة والتي تحقق نوعاً من التخدير بلغ ٩٠٪ من مجوع الأطفال المدمنين في (جواتيمالا) ، بينما يدمن عدد كبير في (بوليفيا) و (كولومبيا) و (بيرو) سجائر تحتوي مواد ضارة مشتقة من الكوكا تعرف باسم (باسوكو) ومعظمهم لا يتعدى الثامنة من عمره. ومثل هذا الكلام يصدق - ولكن بنسبة أقل - في بعض بلدان عالمنا الإسلامي..

ينفق البعض ببذخ وترف على شراء لوحات نادرة، وعملات مفقودة، وتسرف بعض الدول على أبحاث تتعلّق بالفضاء الخارجي، وتطوير الأسلحة الفتّاكة، وتتحرك الجمعيات المناهضة للتجارب العلمية على الحيوان بكل ما تملك من قوة وطاقة.. وقد ترتكب هيئات (حماية البيئة) أعمالاً إرهابية في سبيل الحفاظ على غابة بكر، أو تخليص قرد من مبضع جرّاح..

ولكن.. أين هؤلاء جميعاً من عالم الطفولة الذي يدفع ضريبة التخلف والتصارع دون أن يكون له يد أو تأثير؟ وأين مجموعات الضغط الفاعلة تقف في وجه آلة الموت التي تحصد مستقبل عالمنا يومياً؟ أم أن مشاهد وأخبار القتل والدمار والتسمم تحوّلت إلى جزء من برنامج الاستعراض اليومي، تماماً كما يمتّع أحدهم نفسه بمتابعة (فيلم رعب) يقطع عليه حبل الروتين اليومي ويضع أمامه شيئاً من الإثارة؟!

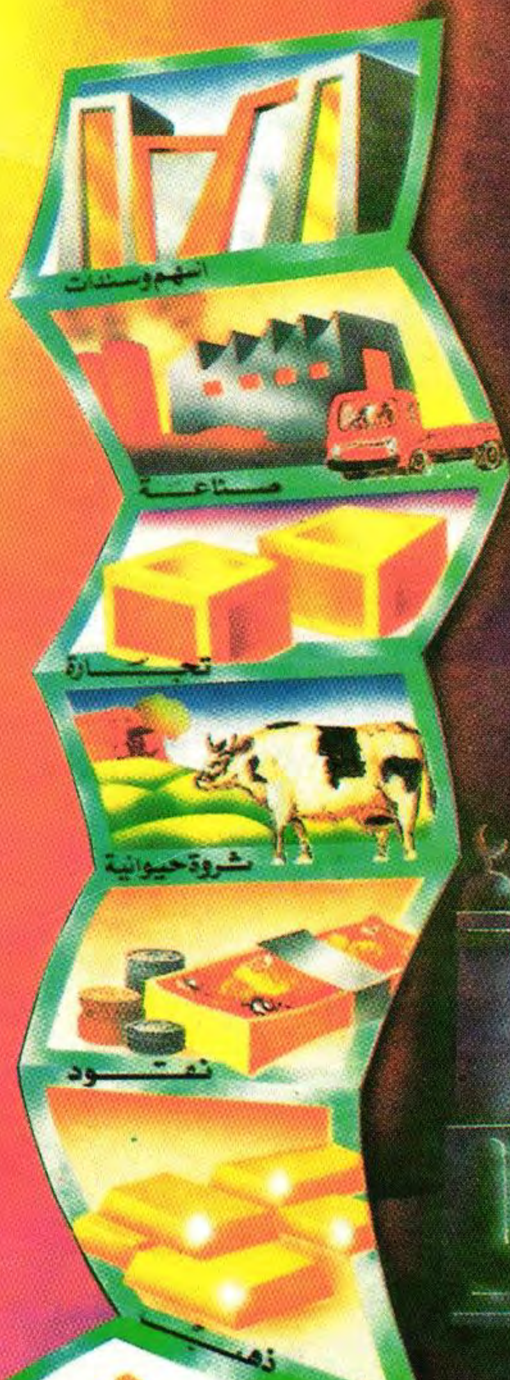
أفلا يجب على القادرين والمتحسسين التحرّك، فلعلّ في إنارة الدرب تخفيفا من المعاناة، ولعل في إيقاف شلال التخلّف تحريكا لعجلة البناء؟

بقلم: د صلاح الدين أرقه دان



زكاة أموالكم

2.5%





بالزكاة والخيرات بيت الزكاة نحقق الكثير



ديتك مع العدد
براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

اسلامية شهرية جامعة

العدد - ٢٤٧ - رجب ١٤١٥هـ/ ديسمبر (ك١) ١٩٩٤م



الاسراء والمعراج وفجرنا القادم



ملتقى الوفاء على أرض الكويت

جاز القرآن العلمي والتشريعي

لم المقاصد بين الضرورة والحذر

براعم الإيمان

السنة السابعة عشرة العدد (٢١٨) رجب ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

العدد الأول من براعم الإيمان

براعم الإيمان في رحلة العطاء

عدد خاص

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

هدية العدد (٣٤٧) من مجلة الوعي الإسلامي



الوعي الإسلامي

AL-WAEI AL-ISLAMI

اسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٤٧ - السنة الحادية والثلاثون - رجب ١٤١٥هـ / ديسمبر (ك١) ١٩٩٤م

هاتف:
بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

كلمة العدد

تتلقى (الوعي الإسلامي) كمّاً كبيراً من الرسائل اليومية التي تشيد بموضوعاتها الجادّة، ويطالبون بزيادة الكميات المطبوعة، وفتح أسواق جديدة، لتصبح المجلة في متناول أكبر عدد من القرّاء، عدا عن العتاب الذي يصلنا من مناطق الأقليات المسلمة في أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا، مما يعني الكثير لفريق العمل الذي يشعر بروح التواصل مع هؤلاء الأحبة بعيدا عن متاعب العمل وآمال المهنة..

وتتقدّم بعض المؤسسات والهيئات، بالإضافة إلى أخوة أعزاء كُثُر باقتراحات من شأنها - في رأيهم - تعزيز موقع الإعلام الإسلامي، منها

نجاحات الزمن الصعب

ترجمة مقالات مختارة إلى اللغة الإنكليزية، فعدد المقبلين على الإسلام في ازدياد، وعدد الناطقين بغير العربية من المسلمين أنفسهم في ازدياد، والكل يسعى إلى الكلمة الجادّة، والموقف السليم، والخبر الصادق، الأمر الذي أصبح نادراً في كثير من أنحاء عالمنا المعاصر..

ما يهمنا في الأمر هو تقدير هؤلاء للجهد المبذول، وللهدف السامي الذي ترنو إليه الوزارة وقد جعلت من صلب اهتماماتها تنفيذ كلّ ما من شأنه إنارة الطريق وفتح الأفق أمام عقل المسلم وقلبه ولسانه، أوليس المؤمن بأصغريه: قلبه ولسانه؟

المراسلات:
مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

الاشتراكات

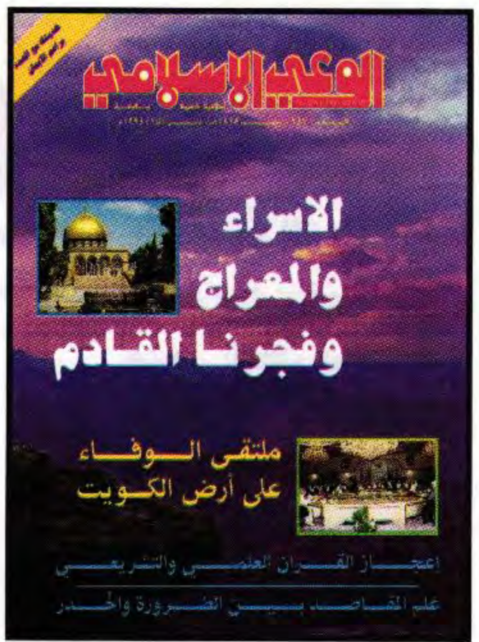
داخل الكويت: للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ
الدول العربية: للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها)
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب: ٤٢٠٥٧
الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت: ٤٨١٦٨٨٤/٥ - ٤٨٣٥٠٤٧

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع ٧٥ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما.

أقــرأ في العــدد





لـلإسراء والمعراج أكثر من بُعْد، وأكثر من ارتباط عقدي وثقافي وتاريخي وحضاري وعاطفي، نما مع الأيام، وربط في نفس المسلم، بين الأرض والسماء، وبين بيت الله الحرام في مكة، وبيت المقدس في فلسطين.. وفي زمن العلاقات المعقّدة والظروف الصعبة يبقى اللجوء إلى الله سبحانه والاعتصام بحبله والاقتداء بنبيه صاحب الذكرى فجرنا البازغ وصبحنا المشرق، أليس الصبح بقريب؟



ملف الإسراء والمعراج

عملنا في ملف العدد على إبراز معاني معجزة الإسراء والمعراج من زوايا عدّة أبرزها تفنيد دعاوى الصهيونية في أن هذه الأرض الطاهرة المباركة هي وعْدٌ خاصٌ بذرية إسحق عليه السلام، فقد بنت الصهيونية كل مشروعها على تجنيد الحلفاء الدوليين، وإلهاب عاطفة يهود العالم وجمعهم ليحلوا محل الشعب العربي المسلم في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، مدّعية أنها تنفذ إرادة السماء ووعد إبراهيم عليه السلام بامتلاك البلاد وإقامة دولة (إسرائيل)، ومحمد عبد الرحمن السحرتي يردّ بشكل موضوعي على هذه الأباطيل.





الأدب الإسلامي يدعو إلى تحرير إرادة الإنسان

للحوار مع الأديب الأريب الدكتور الطبيب نجيب الكيلاني نكهة خاصة، وهو من أوائل الداعين إلى قيام أدب إسلامي واضح الملامح، وأصدر في سبيل ذلك ثمانية كتب تعالج الموضوع من زاوية نظرية، بالإضافة إلى كتاباته الإبداعية الفنية التطبيقية، وفي حوار خالد محمد خلاوي معه تحدث عن رسالة الأدب الإسلامي والالتزام ووسيلة القصة وغاياتها.



اقرأ في الأعداد القادمة

- مخاطر الاستشراق على الفكر الاسلامي / محمد عبيد محمد
- الصحوة الاسلامية بين النظرية والتطبيق / مجدي عبد الجواد الداغر
- الكهوف / حنان ابراهيم عبد الهادي
- انتهاكات حقوق الانسان المسلم / سيد زرد الحامي
- الاسلام دين المستقبل / صلاح الدين حسين محمد شهاب الدين
- صورة المرأة في أفلام الفيديو وخطورتها على المجتمع / محمد يوسف مصطفى
- الأمية والأميون، نظرة لغوية بلاغية وقرآنية / أ.د. عبد الجواد محمد
- مفاهيم خاطئة عن الأعشاب وعسل النحل / مي علي إبراهيم كشك
- أطفالنا والقلق / أميمة محمد عز الدين
- الثقافة العربية بين التحدي الحقيقي والتحدي الزائف / د. محمد مورو
- جامعات اسلامية في الصين / محمود بيومي

علم المقاصد بين الضرورة والحذر

إن الإقرار بصلاحية الشريعة الإسلامية الغرّاء لكل زمان ومكان يرتبط بقدرتها وأهليتها للإجابة على قضايا الإنسان، وإقامة واقع المسلمين على هدي من القرآن الكريم والسنّة الشريفة، ومحمد الصالح بن عزيّز يعالج في مقاله موضوع (علم المقاصد) من زاوية فكرية تضعه تحت نقطة الضوء، وتبرز أهميته داخل مساحات الفكر الإسلامي.

٣٤

من إعجاز القرآن العلمي

علي عبد اللاه طنطاوي في مقاله يعرض صورا من إعجاز القرآن الكريم العلمي، بمدخل عن المظاهر الكونية التي تكلم عنها القرآن، والإعجاز التشريعي الذي لم يُسبق إليه من قبل، وفيه تتحقق العدالة وتقديم الرنسان في ميادين الاستخلاف في الأرض.

٣٨

القصيدة العربية المعاصرة وإشكالية الغموض

إذا كان للفن على الشاعر حق، إن قصر في الوفاء به، تنصل من تبعة المسؤولية وكلفة الالتزام، فبماذا نسوغ استشراء ظاهرة الغموض في الشعر العربي المعاصر إلى حد بات معه هذا الشعر – أو كاد – كتلة من الطلاسم والألغاز يشق على القارىء المثقف فكها، وقطب الريسوني يسعى في مقاله إل الإجابة عن هذا التساؤل.

٤٧

الزكاة ودورها في التنمية الاقتصادية

الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة التي لا تقوم إلا بها وعليها، وإذا كان لكل ركن خاصية يتميز بها، فإن خاصية الزكاة تتجلى في بعدها الاقتصادي والاجتماعي، فهي تندرج في اطار العلاقة الأفقية التي تجمع بين العباد في مختلف شوونهم الحياتية والمادية، فعن دور الزكاة الاقتصادي يأخذنا الحسين عصمة في جولة عامة.

٥٤



الآفاق المستقبلية للأوقاف في الكويت

انطلاقا من أهمية الوقف ودوره الفاعل في عملية التنمية، وبمناسبة مرور سنة واحدة على إنشاء الأمانة العامة للأوقاف، عقدت الأمانة العامة للأوقاف تحت رعاية الشيخ سعد العبدالله ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، لقاءها السنوي الأول، وحضره حشد من المسؤولين والعلماء والمفكرين والباحثين، يتقدمهم وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د. علي فهد الزميع الذي افتتح اللقاء نيابة عن راعي الحفل تحت شعار: (الآفاق المستقبلية للأوقاف في الكويت).

١٠

الفهرس

الافتتاحية

شهدت الكويت في الشهر المنصرم عددا من النشاطات المهمة الساعية إلى تفعيل دور (الوقف) ووضع عربته على خط سير الحضارة كما هو شأنه التاريخي..

والذي وقع في الكويت لم يكن عملية (إنعاش) للوقف بمقدار ما كان عملية استنهاض لعمل مؤسسي يعتبر بحق من مفاخر الحضارة الإسلامية، فقد ساهم الوقف في البناء الحضاري الانساني واقتبست الدول الغربية بعد احتكاكها بالمسلمين من خلال (الحروب الصليبية) و(الأندلس) CHARETABLE (العمل الخيري) NON-PROPHETABLE (الذي لا يبغي الربح) والذي ساهم بدوره في تحقيق كثير من البرامج الموازية والمساندة لنشر الفكر الغربي ومناطق نفوذه في العالم، بالإضافة إلى معالجة سلبيات الحياة الاجتماعية كالفقر والتشرد والاغتصاب..

وفي إحياء رسالة الوقف بالمعنى التي انتهجته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من خلال (الأمانة العامة للوقف) مظهر حضاري من مظاهر التمسك بالدين والحرص عليه والعمل على ترتيب الحياة الإسلامية وفقا لمنهجه، والمضي في أولوية من أولويات البناء الحضاري المؤدي إلى الهدف الأسمى في طاعة الله ورضوانه والاحتكام إلى شرعه، في عالم لم يعد يقرّ بالشعارات الخالية من المضمون، ولا بالبرامج الوهمية البعيدة عن حقائق الواقع..

والمسلمون في سعيهم لإيجاد مكان مناسب لهم في خارطة القوى العالمية يحتاجون إلى رسالة حضارية متميزة تؤهلهم ليكون لهم دور فاعل في مسيرة البشرية كما هو عهدها بهم وعهدهم بها..

ولإن كان إدراك المسلمين الفكري لا يغفل عن أهمية التنمية؛ وهم يرون بأم العين التكتلات الاقتصادية العملاقة تقام في مشارق الأرض ومغاربها؛ ويرون تأثير العملية التنموية في رفع أقوام وخفض آخرين، ويواجهون تحديات إقليمية تنظر إليهم كسوق تصريف لبضائعها، وأيد عاملة رخيصة مستعدة للعمل مقابل لقيمات يقمن الصلب بسبب غياب مشاريع وطنية وقومية فاعلية توظّف طاقاتهم وسواعدهم؛ إن كان إدراكهم الفكري والنظري لا يغفل عن هذا؛ فلابد لهم من ترجمة النظرية إلى واقع يبدأ من الفرص المتاحة، وعلى رأسها المؤسسات القائمة الراسية والضاربة في عمق تاريخهم الفكري والعملي..

فلا غرو إذن أن تتجه الأنظار البصيرة إلى الوقف، باعتباره المؤسسة الاقتصادية الاسلامية الكبرى التي تحمل بذور التنمية وتغذيها في كافة مجالات الحياة، والأمل يحدوها أن يكون الوقف البداية الصحيحة لتنمية المجتمع من خلال إطار إسلامي، كما كان الوقف في صدر الإسلام بداية النهضة الإسلامية، وأحد أهم عوامل نشوء حضارتها ونموها وازدهارها، وعسى أن تكون الخطوة بحد ذاتها مقدمة على طريق إصلاح حال الأمة وازدهار حاضرها واستمرار مستقبلها..

الوقف والبناء الحضاري

ويستمد الوقف مشروعيته من قوله تعالى: ﴿لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون﴾ ومن قوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»، ومن تجربة السلف الصالح في عصر النبوة وما تبعه من قرون، وكان أول وقف في الإسلام مسجد (قباء) يليه (المسجد النبوي الشريف) بالمدينة المنورة، وكان أول وقف خيري، وقف النبي ﷺ لسبعة بساتين بالمدينة، ثم تلاه وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه..

وأهم ما ميّز التجربة الإسلامية التاريخية الوقفية، تحرير مفهوم الوقف من حبس أعيان العقارات والأراضي إلى

تنمية الأحباس وانخراطها في دورة الحياة الدنيا ليتحقق من خلالها التكامل الحركي بين الدنيا والآخرة، فما من طاعة دينية في الإسلام إلا ولها انعكاس خير على حياة الناس أفراداً وجماعات، وما من عمل دنيوي في الإسلام إلا وله بعد أخروي يتمثل في النية الخالصة لقبول العمل وما يرتبط بـه من بذل الجهد والاتقان..

ولذلك لم يقتصر دور الوقف ورسالته في الحياة الإسلامية على الأمور التعبّدية البحتة، كما فعلت نظم الوقف السابقة، بل امتدت آفاقه لتشمل كل جوانب تنمية المجتمع والنهوض به، فقد كان الوقف المصدر الرئيس لبناء المساجد، والمستشفيات والمصحات والعناية بصحة الإنسان، وتعليم الطب، وترجمة المراجع الطبية واستنساخها، وتطوير فن الصيدلة..

وساهم الوقف في تنمية العملية التربوية، فقامت حلقات العلم والمدارس وكفالة العلماء وطلاب العلم من الأوقاف، ولم يقتصر التعليم المذكور على العلوم الدينية البحتة وإنما توسع في كل ميدان يغذي المعرفة الإنسانية وينمّيها، فشارك الوقف في إنشاء المكتبات العامة، الثابتة والمتنقلة، وتزويدها بالكتب والمراجع، واستنساخها وترجمتها، وتوفير أماكن الإقامة للباحثين واحتياجاتهم الحياتية الضرورية..

وساهم الوقف الإسلامي في إمداد الجيوش وتجهيزها للدفاع عن ديار المسلمين وبناء القلاع وغير ذلك من الأمور العسكرية. ولم يكن دوره في ميدان البناء والإعمار أقل منه في ميدان الجهاد والدفاع، فساهم الوقف في توفير الخدمات المدنية العامة من شق الطرقات وتعبيدها خارج المدن، وإصلاحها وتبليطها داخلها، وإنشاء سبل الماء وحفر الآبار، وكذا فعل في ميدان الرعاية الاجتماعية لذوي الحاجات والأيتام والعجزة والأرامل وأبناء السبيل وصغار الكسبة، وسواهم..

ولا شك أن مثل هذه الدائرة المتكاملة ما بين عمل الدولة والتزاماتها ومبادرة الأفراد وإقدامهم، جعل للمجتمع المسلم ميزات أهلته ليقوم بدور القيادة الحكيمة في عالم كان بأمسّ الحاجة لتطبيق عملي لشعارات تكريم الإنسان وتقديمه على مخلوقات الله، فالرعاية في الدولة المسلمة لم تكن محصورة بأتباعها والمؤمنين بمبادئها، وإنما شملت جميع الناس بما في ذلك أهل الذمة والمستأمنين، واللاجئين السياسيين..

ولقد أدى الوقف من خلال الميادين المذكورة إلى تنشيط الحضارة الإسلامية إلى درجة دفعت بعض الباحثين المنصفين إلى القول بأن (الوقف هو صانع الحضارة الاسلامية) لما أدى إليه من تنمية المجتمعات المسلمة، وتوفير الخدمات الأساسية للمسلمين، ورعاية أوجه تقدم وتطور العالم الاسلامي بما وفره من تمويل مالي مستقل لا يتأثر بغوائل الزمان، ولا يضعف بقلة الموارد المالية للدولة، ولا يقعد بتدخل خارجي أو تقهقر محلي، وفوق ذلك له صفة الاستمرارية والديمومة بإذن الله..

ولإن كان واقع (الوقف) اليوم في أغلب بلدان العالم الإسلامي لا يتوافق مع الدور التاريخي والأهداف الأساسية التي من أجلها قامت (مؤسسة الوقف)، فذلك يعود إلى عوامل وأسباب تاريخية وسياسية وآلية وفكرية، جعلت (الوقف) جزءا من حلبة الصراع، وكان جموده نتيجة طبيعية لدخول الفكر الإسلامي المعاصر في أزمة الجمود والتشرنق والانفصال عن التيارات الفكرية المعاصرة، إما خوفا على الهوية وإما تخوفا من المواءمة والموازنة بين الموروث ومتطلبات العصرنة. ومع ذلك فقد ابتدأت الأمور مع الصحوة المعاصرة بالعودة باتجاه الانفراج والتفاعل مع الواقع والمواءمة بينه وبين الأصول الفكرية والتراث الفقهي، ويقوم على تغذية وخدمة هذا التوجه أفراد ومؤسسات نذروا أنفسهم لخدمة دينهم ومجتمعاتهم بما يدفع باتجاه تحقيق الأهداف السامية المرجوّة..

ويبقي السؤال الموجه للمعنيين من الفقهاء والباحثين والعاملين عن عصرنة التعريف. ذلك لأن التصوّر عن أي عمل وتأديته على الوجه المطلوب نتيجة طبيعية لتعريفه وتحديد إطاره النظري، ومقتضى العصر وتلاحق أحداثه ومفاهيمه تدفع بشكل أكيد وحثيث إلى إعادة النظر في صياغة مفهوم الوقف، ذلك أن التعريف عمل اجتهادي بحت موضوع لما يتناسب مع عمل المؤسسة الوقفية، الأمر الذي يحتاج إلى معاصرة لمتطلبات الوقف وتحقيق المأمول منه حاضرا ومستقبلاً، ويتسق مع الأهداف والتطلعات التي يسعى لها مسلمو اليوم في مسيرة بناء مجتمعهم ومستقبلهم..

والثقة المطلوب قيامها بين الواقفين والوقف نتيجة عملية للدراسات والممارسات والآليات السليمة التي ستضع النظرية الفكرية داخل الإطار السليم من الممارسة، فالنجاحات اللائحية والنتائج العملية تصب جميعاً في موضوع تشغيل الدورة المنتجة لحركة العمل الوقفي وإبعاده عن الصورة الكلاسيكية الروتينية التي كادت تدفع بكثير من الشباب إلى البحث عن بدائل، وفي النجاحات المتوقعة لمشروعات التطوير والتحريك أمل كبير في إعادة ترتيب البيت الإسلامي ودوائر نشاطه الاقتصادي ومبادراته الفردية، وإقامة رواسيه المؤسسية، ولا يصح مهما دار الأمر أن نجمد أمام واقع يدفعنا إلي المراوحة ونحن نسمع قوله تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾، وقول رسوله ﷺ: «من تساوى يوماه فهو مغبون»، وآخر دعوانا أن الحمد لله ورب العالمين■

ملتقى الوفاء للمجالس الخليجية الشعبي



● جلسة الافتتاح

■الشيخ سعد العبد الله: من الضروري إنجاز عملية التنمي الشاملة للمجتمعات الخليجية حتى تواكب ركب التقد

تعبيراً عن الروابط والتلاحم وصدق المشاعر بين أبناء مجلس التعاون الخليجي، وعزمهم على رفد مسيرة الخير والعطاء في إطار المجلس، شهدت الكويت خلال الفترة من ١٠-١٣ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ، الموافق ١٣-١٦ نوفمبر «تشرين الثاني» ١٩٩٤م، ملتقى الوفاء للمجالس الخليجية الشعبية (الشورى والوطني والأمة)، لدول الخليج العربية.

الشيخ سعد: المرحلة دقيقة

وكان الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ولي العهد، رئيس مجلس الوزراء قد افتتح الملتقى نيابة عن راعي الحفل سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، وبحضور رئيس البرلمان الدولي رئيس مجلس الشعب

إعداد: تمام أحمد

المصري د.أحمد فتحي سرور، والعديد من الوفود المشاركة من رؤساء المجالس السابقين، والوزراء والنواب الحاليين والسابقين، والمحافظين، وكبار الشخصيات، وسفراء الدول العربية والأجنبية..

وأشار الشيخ سعد في الكلمة التي ألقاها نيابة عن أمير البلاد إلى خطورة المرحلة التي تجتازها المنطقة، والأخطار والتحديات التي تواجهها، مما يحتم وحدة الصف، والموقف، والكلمة. ومضاعفة التنسيق والتعاون، حماية لأمننا، وحفاظا على مصالحنا في ظل نظام عالمي جديد حافل بالمستجدات، والمتغيرات.

وأعرب الشيخ سعد عن أمله في أن يضيف الملتقى لجهود التنسيق والتعاون القائمة بين بلدان الخليج قيمة ودعماً فعالاً تحت مظلة مجلس التعاون الخليجي، وحث سموه على ضر إنجاز عملية التنمية الشاملة للمجتمع الخليجية، حتى تواكب ركب التقدم العـ وتؤمن للأجيال الخليجية حياة كري ومستقبلاً زاهراً.

السعدون: الملتقى فرصة للتشاو

من جانبه أكد رئيس مجلس الأمة الكو الأستاذ أحمد عبد العزيز السعدون في كل في حفل الافتتاح على قوة العلاقات الأخ التي تربط بين الدول الأعضاء في مج التعاون، مشيرا إلى الوقفة الشجاعة للد الأعضاء، إلى جانب الكويت، وأشاد بمو دول المجلس إزاء التهديدات العراقية الأخ وقال: إن الملتقى سيكون فرصة للتش حول كل ما من شأنه دعم مسيرة مج

التعاون، وطالب العراق بتنفيذ كافة القرارات الدولية، لا سيما إطلاق سراح الأسرى والمرتهنين الكويتيين، وأقسم على مواصلة الجهود دون تراخ إلى أن يتحقق الإفراج عنهم.

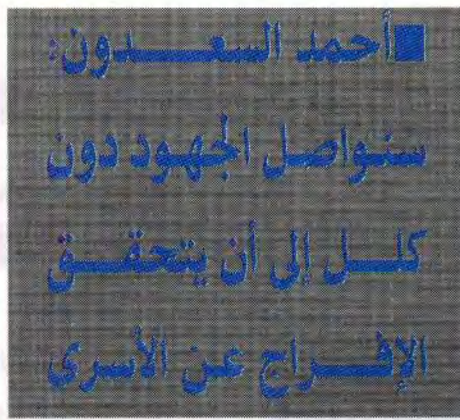
د. سرور: أنتم أحق بالشكر والامتنان

أما د. أحمد فتحي سرور رئيس البرلمان الدولي رئيس مجلس الشعب المصري، فرحب في كلمته بلقاء الوفاء بين الأشقاء، وقال مخاطبا الحضور: أنتم أحق بالشكر والامتنان، لأنكم سجلتم بحروف من نور أروع آيات الوفاء باحتضانكم أبناء الكويت في المحنة التي ألمت بها، وشددتم أزرها بشهامة وعزيمة صلبة، ووصف قرار العراق الأخير الذي اعترف به بالكويت بأنه قرار إيجابي، وشدد على قيام بغداد بتنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي كاملة لتأكيد حسن نواياها، ونوه إلى مطالبة الاتحاد البرلماني الدولي كافة البرلمانات والحكومات باستخدام نفوذها من أجل الإفراج الفوري وغير المشروط عن الأسرى والمرتهنين الكويتيين.

مشاورات ومداولات

وعلى مدار أيام اللقاء وخلال المناقشات والمداولات أكدت الوفود المشاركة في اللقاء على ضرورة تحقيق التنسيق والتكامل وتعميق وتوثيق الصلات والروابط.

فقد دعا رئيس مجلس الشورى في المملكة العربية ا لسعودية الشيخ محمد بن جبير



النظام العراقي إلى تنفيذ جميع القرارات الدولية ذات الصلة بعدوانه الغاشم، مؤكداً أن التعاون الخليجي اقتضاه الوفاء لعلاقات دينية وتاريخية وجغرافية.

وأكد رئيس مجلس الشورى في سلطنة عمان عبد الله القتبي فاعلية وجدوى العمل الخليجي المشترك، الذي تأسس على التشاور والإجماع، مما يوفر الإطار المناسب للانطلاق وتحقيق الأهداف.

ورأى رئيس مجلس الشورى البحريني إبراهيم حميدان أن السبيل الأمثل لمعالجة القضايا هو احترام الحدود القائمة والمتعارف عليها بين الدول، ودعا إلى إنشاء مؤسسات تمويل مشتركة بين دول المجلس في الصناعة والزراعة لاستكمال الترابط.

وشدد رئيس الوفد الإماراتي عبد الله المحيربي على ضرورة تعميق وتوثيق الروابط وأوجه التعاون بين شعوب المنطقة في مختلف المجالات خدمة للأهداف السامية للأمة العربية التي يحرص على إرسائها أصحاب الجلالة والسمو بدول مجلس التعاون.

وتمنى رئيس مجلس النواب المغربي محمد جلال السعيد أن يكون قرار النظام العراقي الاعتراف بسيادة الكويت متبوعا بإجراءات أخرى تتعلق باستئصال وإزالة كل الشوائب التي تعكر صفو العلاقات بين الجيران حتى يعمّ السلام في هذه المنطقة الغالية من وطننا العربي.

ورأى رئيس الوفد القطري محمد بن مبارك الخليفي الملتقى تجسيدا للتكامل والتلاحم بين أبناء المنطقة، وتوثيقا لعرى الروابط بين دول التعاون الشقيقة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

البيان الختامي

هذا وقد أكد البيان الختامي الذي صدر عن الملتقى على ضرورة تعزيز وتوثيق أواصر التعاون والتنسيق بين أعضاء ملتقى الوفاء في إطار الشريعة الإسلامية ودعم ومؤازرة القرارات والجهود المخلصة والبناءة لقادة دول المجلس لتحقيق مزيد من الإنجازات والآمال والطموحات الهادفة إلى خير وإسعاد دول وشعوب المجلس على جميع الأصعدة.

فقد أوصت لجنة توثيق الروابط المنبثقة عن الملتقى في تقريرها بعقد لقاءات دورية بين مجالس الشورى والوطني والأمة تتم بالتناوب في كل دولة من الدول الست لتوثيق العلاقة بينها وتعزيز تواصلها، بما يخدم مصالح دولها ومواطنيها. كما دعت المجالس الخليجية إلى العمل على التنسيق فيما بينها لتوثيق الروابط وتبادل المعلومات والخبرات.

أما لجنة دعم مسيرة التعاون فقد دعت في تقريرها إلى ترسيخ وعي المواطن لمسؤولياته تجاه مجلس التعاون وتعميق الإيمان بأهدافه ومرتكزاته. والاهتمام بوسائل الإعلام ودورها في مجال نشر قيمنا الدينية والتركيز على أهمية بناء مناهج التربية والتعليم، بما يتناسب وطموحات شعوب المنطقة، وتشجيع مؤسسات البحث العلمي بدول المجلس، ومضاعفة الجهود والتعاون بين دول المجلس في مجال البيئة والتنمية، وتسهيل توظيف وانتقال مواطني دول المجلس ومعالجة المشاكل الخاصة بالتركيبة السكانية، والدعوة إلى إقامة المزيد من المشاريع الاستثمارية المشتركة.

برقية شكر

وبعد تلاوة البيان الختامي طير المجتمعون برقية شكر وامتنان لسمو أمير البلاد لرعايته الكريمة للملتقى، وتوجيهاته القيمة التي كان لها أبلغ الأثر في نجاح هذا اللقاء المبارك□



● الجلسة الختامية للملتقى

اللقاء السنوي الأول للأمانة العامة للوقف

انطلاقا من أهمية الوقف ودوره الفاعل في عملية التنمية الاقتصادية والرقي الاجتماعي باعتباره أحد المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام وبمناسبة مرور سنة واحدة على إنشاء الأمانة العامة للأوقاف، بموجب المرسوم الأميري رقم (٢٥٧)، الصادر بتاريخ ٢٩ جمادى الأولى ١٤١٤هـ الموافق ١٣ نوفمبر ١٩٩٣م، عقدت الأمانة العامة للأوقاف تحت رعاية الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح ولي العهد رئيس مجلس الوزراء لقاءها السنوي الأول بفندق (المريديان) بتاريخ ١٦ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ الموافق ١٩ نوفمبر ١٩٩٤م.. وقد حضر اللقاء حشد كبير من النواب والوزراء الحاليين والسابقين، وعدد كبير من المسؤولين والعلماء والمفكرين والباحثين، يتقدمهم وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د. علي فهد الزميع الذي افتتح اللقاء نيابة عن راعي الحفل تحت شعار: (الآفاق المستقبلية للأوقاف في الكويت).



●الوزير الزميع يلقي كلمة الافتتاح

■المشاركون في الحوار أكدوا على ضرورة بناء وترسيخ جسور الثقة بين الأمانة العامة للأوقاف وجمهور الواقفين

افتتح الحفل بآيات من الذكر الحكيم رتلها المقرئ أحمد خضر الطرابلسي، ثم ألقى وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د.علي فهد الزميع كلمة أشار فيها إلى واقع الأمة، والمأزق التي هي فيه، وسط عالم تتصارع فيه القوى الكبرى والصغرى لإيجاد مكان مناسب على خارطة القوى العالمية، وبيّن أن المأزق الفكري المعاصر للأمة هو محصلة الفهم الجزئي للإسلام، وإهمال الكثير من القيم الحضارية، ومنها قيم الوقف، مما أدى إلى دخول الفكر الإسلامي في أزمة عنيفة، بعد أن تجمد فترة طويلة، وتشرنق على نفسه، وانفصل عن التيارات الفكرية لعصره، وأدى انفتاحه على حضارة العصر وتياراتها الفكرية المتجددة إلى أزمة المواءمة والموازنة بين الفكر الموروث ومقتضيات الحياة العصرية ومتطلباتها، ودخل الوقف تلك الأزمة التي مرت بها كافة النظم الإسلامية، وتأثر بها، وفقد فاعليته ودوره التنموي، وافتقدت المجتمعات الإسلامية أحد أهم عوامل نموها وتقدمها.

أعراض متشابهة

وعرج السيد الوزير على نشأة الوقف في الكويت وأشار إلى أن أول وقف هو مسجد البحر (الإبراهيم) الذي أسس عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م كما يرجع تاريخ بعض حجج الوقف المسجلة إلى عام ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م، وبلغ مجموع الأوقاف المسجلة لدى الوزارة ٤٤٠ وقفا ساهمت المرأة بنسبة ٣٨٪ منها، وقد عانى الوقف في الكويت من نفس الأعراض التي عانى منها الوقف في باقي العالم الإسلامي إضافة إلى أن الوفرة النفطية أدت إلى قيام الدولة بالدور التنموي الرئيسي فانكمش الوقف وقصرت أنشطته على مجالات هامشية واستمرت



■المأزق الفكري المعاصر للأمة هو محصلة الفهم الجزئي للإسلام وإهمال الكثير من القيم الحضارية

■مشروع قانون للوقف تجري الآن مراجعته وصياغته بالصورة النهائية

الحالة هكذا حتى جاءت الأزمات وبدت الحاجة ماسة من جديد لإحياء دور الوقف ومشاركته في التنمية ودراسة أسباب القصور، وأكد أن محاولة الخروج بالوقف من تلك الأزمة يقع ضمن الإطار العام لترشيد مسارات الصحوة الإسلامية ودفعها لأوجه تنمية المجتمع.

منطلقات التطوير

وتناول الوزير منطلقات التطوير الجديدة التي رافقت إنشاء الأمانة العامة للوقف وأوضح أن أمانة الوقف انتهت من إعداد مشروع قانون للوقف تجري الآن مراجعته بصيغته النهائية، وأن العمل يجري لإنشاء جهاز حديث لتنمية واستثمار الأموال الموقوفة باستخدام أدوات الاستثمار الحديثة، وفق الصيغ العصرية في صرف ريع الأموال الموقوفة ممثلة في الصناديق الوقفية التي تعتبر إطارا تنظيميا لصرف ريع الوقف في الأغراض التي حددها الواقفون، وأعلن عن إنشاء عشرة صناديق وقفية تغطي معظم مجالات التنمية، وخصصت لكل صندوق أصول وقفية، وهذه الصناديق هي:
رعاية المعاقين والفئات الخاصة، رعاية المساجد، التنمية العلمية، القرآن الكريم وعلومه، التنمية الصحية، الثقافة والفكر، المحافظة على البيئة، رعاية الأسرة والطفولة، التعريف بالإسلام، التعبئة المعنوية. هذا بالإضافة إلى صندوق لمعالجة ظاهرة الفقر أنشأه بيت الزكاة وتدير استثماراته الأمانة العامة للأوقاف .. وأعلن أيضاً أن الأمانة بصدد عقد اتفاقيات ثنائية مع كل من وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ووزارة الصحة ووزارة التربية للتعاون المشترك في الأعمال التنموية ودعا كل المتمسكين بالإسلام والداعين إلى تطبيق الشريعة، وكل القوى الفاعلة في المجتمع إلى أن تساهم في إنجاح التجربة الجديدة.



●د.عبد المحسن العثمان الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف

تنسيق مع المؤسسات الحكومية والأهلية

بعد ذلك ألقى الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف عبد المحسن محمد العثمان كلمة تطرق من خلالها لنشأة الأوقاف في الكويت وكيف كانت تدار في الماضي، وحتى عام ١٩٨٢م، عندما تحولت إلى قطاع يشرف عليه وكيل وزارة مساعد في وزارة الأوقاف وعندما دخلت الكويت مرحلة الإعمار بعد التحرير جرت محاولات جادة ومعمقة للنهوض بالوقف وإحياء دوره في تنمية المجتمع وكشف أسباب عزوف أهل الخير عن الوقف وانخفاض عوائده وأوضح أن الرأي تمخض أخيراً على ضرورة تأسيس كيان خاص مستقل للوقف يعمل بالتنسيق والتعاون مع المؤسسات الحكومية والأهلية لتلمس الاحتياجات التنموية للمجتمع.

استراتيجية الأمانة

واستعرض السيد العثمان ملامح الاستراتيجية العامة للأمانة المتمثلة في إحياء سنة الوقف ودوره في صناعة الحضارة الإسلامية وتطوير صرف ريع الأوقاف،

اللقاء السنوي الأول للأمانة العامة للوقف

وتنويع استثمارات الوقف وبناء الأمانة العامة للأوقاف وإنشاء صناديق خير الوقفية التي أعلن عنها الوزير في كلمته، والتي تمثل الدفعة الأولى وتعتبر الصيغة المناسبة لتحقيق المشاركة الشعبية في تلمس الاحتياجات التنموية للمجتمع، وتجنيد الطاقات الأهلية للمساهمة في الوفاء بها من خلال الدعوة للوقف.

اتفاقيات تعاون

وفي ختام حفل الافتتاح قام وزراء الأوقاف والتربية والشؤون الاجتماعية والعمل، والصحة العامة، بتوقيع اتفاقيات التعاون المشترك بين وزاراتهم من خلال الصناديق الوقفية العشرة التي أعلنت الأمانة عن إنشائها.

حوار مفتوح

وبعدها جرى لقاء مفتوح حول الآفاق المستقبلية للأوقاف في الكويت شارك فيه عدد من الوزراء الحاليين والسابقين وعدد من النواب ورجال العلم والفكر والثقافة الذين غصت بهم مائدة الحوار، والذين أشادوا جميعا بالتجربة الجديدة للوقف وركزوا من خلال النقاش والحوار على النقاط التالية:

١) ضرورة بناء جسور الثقة بين جمهور الواقفين والأمانة العامة للوقف، من أجل إنجاح التجربة وترسيخها وتطويرها.

٢) إعطاء الأمور التعليمية والفكرية والثقافية أهمية أكثر من خلال الصناديق الوقفية، حتى يعود للوقف دوره العظيم في بناء المدارس والجامعات ودور العلم.

٣) ضروة الاستفادة من العمل التطوعي الخيري الذي تفخر به الكويت، والذي رفع اسمها عاليا في شتى أرجاء المعمورة.

٤) ضرورة إقامة صندوق وقفي إعلامي لدعم العمل الإعلامي الإسلامي حتى يستطيع مواجهة الحملات الإعلامية الوافدة



●جانب من حفل الافتتاح

■تراجع دور الوقف أدى إلى افتقاد المجتمعات الإسلامية أحد أهم عوالم نموها وتقدمها وازدهارها

التي تستهدف صياغة عقول أبناء الأمة بما يخالف هويتها وعقيدتها.

٥) فتح فرصة لذوي الدخول المحدودة للمشاركة في الوقف الخيري عن طريق طرح أسهم وقفية.

هذا وقد وعد الإخوة المسؤولون في الأمانة العامة للأوقاف بدراسة هذه الأمور وغيرها تمهيدا للوصول إلى أفضل السبل والوسائل حتى يمارس الوقف الإسلامي دوره الرائد في عملية التنمية الشاملة التي نحن اليوم في أمس الحاجة إليها□

رسالة الأمانة العامة للأوقاف

تتلخص رسالة الأمانة العامة للأوقاف: بإحياء سنة الوقف، وتفعيل دوره في تنمية المجتمع من خلال التلاحم بين العمل الرسمي والشعبي وفق الثوابت الشرعية، ومعطيات الحاضر، ومتطلبات المستقبل.

انطلاقا من هذه الرسالة تسعى الأمانة العامة إلى..

- إحياء سنة الوقف بالصورة التي تعزز قناعة المواطن الكويتي بالوقف كمؤسسة دينية تنموية.
- تطوير صرف ريع الأوقاف بالتركيز على دعم المشاريع ذات العائد الاجتماعي العالي مع الالتزام الدقيق بشروط الواقفين والمقاصد الشرعية للوقف.
- توثيق الصلة بالواقفين ومتابعة تزويدهم بالمعلومات والبيانات الخاصة بالأصول الموقوفة.
- تنمية ريع الأموال الموقوفة، من خلال إدارة استثمارية محترفة.
- تسهيل مشاركة المواطن الكويتي في تكوين أوقاف جديدة تعزيزا لقيم حب الخير في نفسه، ومساهمة منه في خدمة دينه ومجتمعه.
- إبراز أصالة الرعيل الأول من الواقفين من أهل الكويت في حب الخير والإيقاف على أوجه البر، وتوثيق الصلة بورثتهم، ومتابعة شؤون المحتاج منهم وفاءً وتقديرا لهذا الرعيل.

اتفاقية بروتوكول تعاون بين حكومتي البحرين والكويت في مجال الشؤون الإسلامية والأوقاف

انطلاقا من إيمان حكومتي دولة البحرين ودولة الكويت بأهمية التعاون وضرورة التكامل بينهما في مختلف مجالات الشؤون الإسلامية، وتوطيدا لروابط الإخوة الإسلامية والعربية والخليجية بين الشعبين الشقيقين، وتعزيزا وتأكيدا لواقع العلاقات التاريخية القائمة بين الهيئات الرسمية والشعبية في كلتا الدولتين، وتقنينا لتلك العلاقات التي تزداد توثقا وترابطا، فقد تم الاتفاق على تعزيز التعاون في ثلاثة مجالات رئيسية، هي: الشؤون الإسلامية، والزكاة، والأوقاف، وذلك بموجب الاتفاقية التي وقعها في الكويت يوم ١٨ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ، الموافق ٢٢ نوفمبر ١٩٩٤م، كل من الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة وزير العدل والشؤون الإسلامية بدولة البحرين، والدكتور علي فهد الزميع وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت..

ففي مجال الشؤون الإسلامية تم الاتفاق على ما يلي:

١) توحيد الجهود لإحياء التراث الإسلامي وإبراز المعالم الثقافية للحضارة الإنسانية.

٢) تبادل الوفود وعقد الاجتماعات واللقاءات الدورية بين المختصين والوعاظ في كلا البلدين للإسهام في الأنشطة الثقافة الإسلامية، وترسيخ قيم ومفاهيم الدين الإسلامي.

٣) تبادل الخبرات والوسائل المتبعة في كلا البلدين لعلاج الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالعمل في المجال الإسلامي أو التي تتأثر به أو تؤثر فيه.

٤) تبادل المعلومات في مجال خطط وبرامج تدريب الوعاظ، وتبادل إيفاد الدارسين إلى برامج التدريب والتأهيل العلمي التي تعقد في كلا البلدين.

٥) تبادل الخبرات في مجال خطط ومناهج تحفيظ القرآن الكريم وتجويده والعلوم الدينية، وإجراء المسابقات المشتركة.

٦) رعاية المساجد ودعم المراكز الإسلامية وتأسيس معاهد لتعليم اللغة العربية وعلوم الدين في كلتا الدولتين.

٧) العمل على زيادة المنح الدراسية لأبناء البلدين للدراسة بالمعاهد الإسلامية والجامعات في كلتا الدولتين، وتسهيل الحصول على الكوادر العلمية في مجال الوعظ والدعوة والإمامة والخطابة.

٨) تبادل الخبرات في مجال تنشيط دور المسجد كمركز إشعاع ديني وروحي وإحياء فكرة المسجد الجامع.

٩) العمل على تنظيم وتبادل الأنشطة الثقافية الإسلامية بين البلدين.

١٠) القيام ببحوث مشتركة في مجالات العمل الإسلامي وظواهره تكون مرتبطة بظروف البيئة المشتركة للدولتين، ومتأثرة بالمناخ العام الموحد لكلاهما..

أما في مجال الزكاة فقد تم الاتفاق على ما يلي:

١) التنسيق بين النظم المتعلقة بتشريعات الزكاة في كل من الدولتين وتبادل الخبرات وإيجاد فرص التعاون بين بيت الزكاة الكويتي وفروعه، وكافة الأجهزة المعنية ذات النشاط في دولة البحرين.

٢) التعاون في إنشاء وتطوير دور الرعاية الاجتماعية في الدولتين لرعاية الفئات الضعيفة وإجراء الدراسات اللازمة لتنفيذ مشروعات اجتماعية واقتصادية، وتوفير الآلات والأدوات المطلوبة للتشغيل بهدف التدريب على مختلف الصناعات والحرف التي تساعدهم على تحقيق حياة كريمة لهم..

وفي مجال الأوقاف فقد تم الاتفاق على ما يلي:

١) تبادل المعلومات والخبرات والرسائل العلمية في كافة المسائل المتعلقة بالأوقاف وطرق إدارتها وأفضل السبل لاستثمار أموالها.

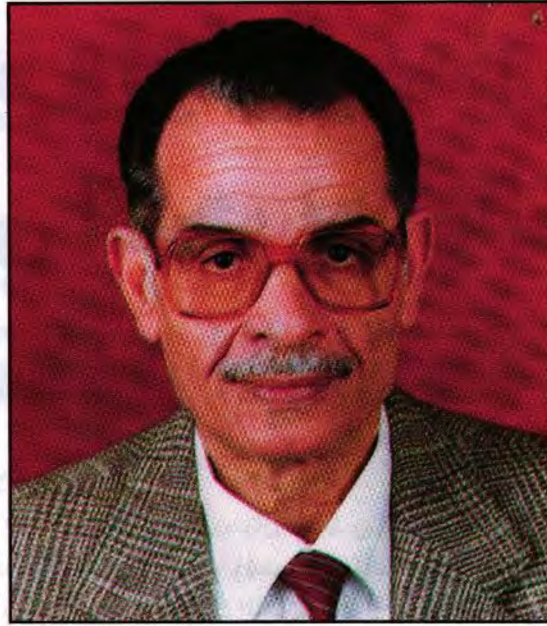
٢) تتعاون وزارة العدل والشؤون الإسلامية في البحرين مع الأمانة العامة للأوقاف في الكويت في مجالات استثمار وتنمية الأموال الموقوفة وإحياء أصولها والقيام بمشروعات استثمارية مشتركة لتحقيق الأهداف السابقة.

٣) التخطيط للقيام بمشروعات مشتركة لتوظيف ريع الأموال الموقوفة في المجالات التنموية في الدولتين.

هذا وقد اتفق على تشكيل لجنة برئاسة كل من وزيري الأوقاف والشؤون الإسلامية بكل من الدولتين لدفع عملية التعاون وتبادل الرأي والمشورة فيما يتعلق بشؤون الدعوة واختيار أفضل السبل لتنفيذ بنود هذا الاتفاق .. وذلك لضمان تحقيق الأهداف السامية المتوخاة في خدمة الإسلام وصالح الشعبين الشقيقين في كل من البحرين والكويت.

والجدير بالذكر أن مؤتمرا صحفيا عقد بعد توقيع الاتفاقية أشاد فيه وزير العدل والشؤون الإسلامية البحريني بعمق العلاقات الكويتية البحرينية وتمنى أن يمتد التعاون ليشمل كل دول الخليج العربية كما أشاد ببيت الزكاة الكويتي، وإنجازاته الكبيرة.

وقد شكره الدكتور الزميع على هذه العواطف الطيبة، وأكد في كلمته على وحدة وترابط البلدين عبر التاريخ، وأشاد بالموقف الأخوي الذي وقفته البحرين خلال الغزو العراقي الغاشم، ودعمها اللامحدود لقضية الكويت العادلة□



الأديـــب والــروائي الإســلامي الكـــبير

يعد الدكتور نجيب الكيلاني من أوائل الداعين إلى قيام أدب إسلامي ولقد أصدر في هذا المجال عدداً من الكتب النظرية (ثمانية كتب) وعدداً من الإبداعات الفنية التطبيقية في الرواية والقصة والشعر كما أصدر أول سلسلة من نوعها في الأدب العربي المعاصر عن بعض قضايا ومشاكل العالم الإسلامي منها «ليالي تركستان» و«عذراء جاكرتا» و«عمالقة الشمال» عن نيجريا و«الظل الأسود» عن أثيوبيا و«عمر يظهر في القدس» عن فلسطين.

د. نجيـــب الكيلانـــي للوعـي الإسلامـي:

الأدب الإســلامي أدب دعــوة يسعى إلى تحريـــر الإنســـان

ولقد قامت رابطة الأدب الإسلامي مؤخراً بتكريمه رائداً للأدب الإسلامي وأهدته درع الرابطة.

ومن الجدير بالذكر ان د.نجيب الكيلاني كتب أول قصة في أول عدد صدر من «الوعي الإسلامي» منذ أكثر من ثلاثين عاماً من عمر المجلة.

يؤكد د. نجيب على أن الأدب الإسلامي الناجح لايعني الانحصار في دائرة الموضوعات التاريخية وإنما يعني أساساً بقضايا العصر وواقع الحياة ومشاكلها من خلال الرؤية الإسلامية الصحيحة وفي إطار الشكل الفني الجميل المتطور.

وأكد في حواره مع «الوعي الإسلامي» أن الأدب الإسلامي عالمي بطبعه وأنه أدب لكل العصور والأماكن ذلك لأنه يتشح برداء الإسلام وهو رسالة عالمية وفيما يلي نص الحوار..

تكامل الشكل والمضمون

● هل يكفي المضمون الإسلامي فقط للحكم على الأدب بأنه أدب إسلامي؟

●● الأدب الإسلامي - كأي أدب - شكل ومضمون، فالأدب بدون شكل فني يفتقد صفته الرئيسية،ومعروف أن شكل القصة القصيرة يختلف عن شكل المسرحية أو القصيدة فلكل نوع من هذا الألوان قواعده ومواصفاته الخاصة، أما المضمون فيختلف من فلسفة إلى فلسفة ومن مذهب أدبي لآخر، ومن البديهي أن الأدب الإسلامي لايهدد القيم الفنية، أو يتجاهل المضمون الإسلامي الصحيح باعتبار الأدب الإسلامي هو تعبير فني جميل مؤثر من خلال الرؤية الإسلامية للإنسان والكون والحياة والعلاقات

أجرى الحوار: خالد محمد خلاوي

الإنسانية وقضايا المجتمعات والخير والشر، والعمل على خلق عالم تسوده المحبة والعدالة والسلام.من هنا نرى الأدب الإسلامي حريص على إجادة الشكل الفني أو الصورة الفنية، وحريص أيضا على تطويرها وتجديدها.

دور الأدب في الحياة

● كثيرمن الناس لايعرفون دور الأدب في الحياة. فما دور الأديب المسلم في خدمة المجتمع؟

●● لو لم يكن الأدب مرتبطاً بواقع الحياة والناس لما كانت فعاليته وتأثيره والاستمتاع به والاستجابة له.. والأديب المسلم مسؤول يؤدي رسالة تجمع بين الجمالية والفائدة، وكثراً ماقلنا إن الأدب وسيلة وليس غاية وأنه يفتح الطريق أمام العقل والوجدان للسمو والحلم بعالم أفضل وأروع، يوحي بالكثير من الاتجاهات والأفكار، واتخاذ «المواقف» التي تخدم الفرد والمجتمع، وتثري الحياة بالخير والجمال والمحبة والشماعر الإنسانية الرفيعة وتترجم عن قيم الحضارة الإسلامية ملاذ الخائفين والمقهورين والمعذبين في عالم اليوم، ذلك أن رسالة الأدب الإسلامي رسالة عالمية، تحارب التعصب والجمود والاستغلال، وتسعى إلى تحرير إدارة الإنسان، وإطلاق حريته في رطار الاقتناع بالالتزام الإسلامي التابع من قلب الإنسان، وليس الإلزام الذي تفرضه قوي الشر والخديعة وتسخير البشر للسياسات الجامحة، والنفعية المتوحشة، ذلك أن الأدب الإسلامي مستمد روحه من كتاب الله وقوة الإيمان وتوجيهات رسول الإنسانية ﷺ.

الأدب وسيلة دعوية

● هل يمكن اعتبار الأدب الإسلامي أحد وسائل الدعوة إلى الله؟ وماهو دور الأديب المسلم في خدمة قضايا المسلمين؟

●● بالتأكيد فإن الأدب الإسلامي أدب دعوة وليس هذا بغريب في عالمنا المعاصر الذي نرى فيه أن كل المذاهب الأدبية المعاصرة تنبع عن فلسفات ومدارس فكرية وضعية متضاربة ونحن نسعى إلى أن نعتمد منهج الله منطلقاً لأدبنا الإسلامي حتى نصحح انحرافات الآداب العالمية، دون أن نتخاصم

معها بـل نحاورها وتستفيـد منها مـن إيجابيات، ونترك سلبياتها.

وقضـايا المسلمين ومشـاكلهم كثيرة ومتنوعـة والرباط الذي يربط بين أبناء أمتنا يفرض علينا أن نسعى جـادين في إلقاء الضـوء على هـذا القضايـا والتعبير عنها بالأساليب الفنية الجميلة المستحدثة، وأظنني قـدمت في هـذا المجال ولأول مـرة في أدبنـا المعاصر روايات وقصصاً عن ذلك، أذكر منها« ليالي تركستـان» و«عمالقة الشمال» و«عذراء جاكـرتا» و«الظل الأسود» و«دم لفطير صهيون» وغيرها.

المذاهب والتيارات المعاصرة

● مـــا مـــوقـف الأديب المسلم مـن المذاهب والتيارات الأدبية والفكرية المعاصرة؟

●● الأديب الإســلامي ليس منغلقاً على نفسـه إنه يفتح أبـوابه ونوافـذه لتلقي المذاهب والتيارات الأدبية المعاصرة، ويتفحصها بعناية ويعاملها بثقة ودرايـة ولـه أن يأخـذ ويـرفض، مـادام محصنـاً تحصينـا قويـاً يقيم العقيدة الإسـلامية إن الـذين يتلقون لقاح الأمراض المعدية لن تصيبهم العدوى، وخاصة أننا نشعر بإعتزاز عقيدتنا وفكرنا ولانذكر على الآخـرين حقهم في ذلك نحن لانخـاصم الآداب العـالمية، ونـرحب بالجيـد والجميل والمفيد منهـا، ولانـرفض إلا مـا ينحـرف بفطـرةالإنسـان ويثير مكـامن غريـزتـه وحيوانيتـه ويطغى على الجانب الأخلاقي والروحي فيها.

عالمية الأدب الإسلامي

● كيف تتحقق عالمية الأدب الإسلامي؟

●● الأدب الإســلامي عـالمي بطبعه، وهـو أدب لكل العصـور والأمـاكن، ذلـك لأنـه يتشح بـرداء الإسلام وهو رسـالة عالمية وأن قضايـاه إنسانية بطبيعتها وأنه يحفل بواقع الماض والحاضر ويحلم بـالمستقبل الأفضل ويجمع الخلائق على معـــاني الإخاء والعـدل والحرية والمحبـة..قد تكـون هناك معـوقـات لشيوع الأدب الإسـلامي على مستـوى العالم ولكـن هناك أدبيات إسـلامية تـرجمت لكل لغـات العالم الإسـلامي بـالذات، والبعض الآخـر ترجـم إلى اللغات الأوروبيـة وهذا الأمـر يحتاج إلى جهود منظمة ودعم مستمر وأعتقد أن رابطة الأدب الإسـلامي تمكنها أن تفعـل الكثير في هذا المجـال، وكذلك الغيوريون على دينهم ولغتهم.

بين الصفوة والجماهير

● يقال عن الأدب الإسلامـي إنه أدب صفوة لا أدب جماهير فما رأيكم في ذلك؟

●● الأدب الإسلامي بطبيعته أدب لجميع فئات الأمة لـلأطفال والكبـار للنساء والـرجال،للـوهلين تعليمياً وغير المؤهلين، وهو قادر على تقديم ابداعاته لكل هـذه الشرائح بـالاسلـوب الـذي ينـاسب كل شريحة ويؤثر حتى ولو إستخـدمنا اللغة المبسطة أو العـــاميــــة(في أضيق نطـــاق وعنـــد الضرورة)ولانستطيع تجاهل الأميين، ونحن عندما نـدعـو إلى الإســلام مثـلاً فنحن نخـاطب كـافـة المستويات عنا قال الرسول ﷺ: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم».

تميّز القصة الإسلامية

●من خلال تجاربكم في جالي القصـة والرواية، مـاالذي يميـز القصـة الإسلاميـة عن غيرهـا من القصص؟

●● القصة والـرواية والمسرحية أيضـاً وكذلك الشعــر الأفـلام السينمائيـــة ودرامـا الاذاعـــة والتليفزون كلها فنون مهمة، وكثيراً ماتتشابه، لكن هناك الأدباء المتميـزون الذين يحرصون على القيم الفنية والفكريـة، والقصة الإسلامية بصفـة عامة تحرص على الجميع بين الشكل الجيـد والمضمـون الصادق والقصة تترك انطباعاً معيناً لدى قارئها أو مشاهـدها، فإذا كـان هذا الانطباع إيجابيـاً وبناءاً ومؤثـراً وذلك من خـلال إستجابة المتلقـي للفكرة والاقتنـــاع بها واتخاذ مـــوقف حيـــاتي محدد بصددهـا.. عندئذ تكون القصـة قد حققت هـدفها الأسمى وأصبحت فن بنـــاء لاهـدم، وآلـــة تغيير لاجمود ووسيلة إصلاح لاإفساد.

إن القصة وسيلـة غايتها بناء الـوجدان. المسلم الحي والشخصية الإسـلاميــة المتـوازنـة، التي تستطيع أن تفعل مافعله «قرآننـا» عندما غير وجه الجزيـرة العـربيـة وغير وجه العـالم كلـه، وتـرك بصماته اكثر من عشر قرناً من الزمان.

الالتزام والإبداع

● البعض يرى أن الإلتزام يعـوق حرية الإبداع وخاصـة عند تناول قضـايا المرأة والجنس فكيف يمكن للأديب الإسـلامي وخاصة الـروائي تناول قضايا الجنس والجريمة في ادبه؟

●● إن الالتـــزام في رأيي لايمكن أن يعـــوق حـــريـــة الابــــداع في أي مـــوضـــوع من الموضـوعــات،وخـاصـة أن الالتـــزام في أدبنـا الإسـلامي يـأتي من قنـاعـة ذاتيـة وينبع من ضميرنا وليس مفروضاً علينا ومادام الأمد كذلك فمن أين تأتي القيـود ولقـد كررنـا القـول في أن الالتزام الـذاتي غير الإلزام المفـروض من خارج ذات الأديب، ونحن نكتب عـن المرأة لأنـه لايمكن تجاهل مشاعـرها وأفكـارها ونكتب عنهـا حبية وزوجـــة وأم وإبنـــة ونعـــالج الحب والجنس بـدرجات متفـاوتـة لهدف معين وليس للإثـارة والإفساد، والحكـم يأتي في النهاية مـن محصلة العمل الفني والتأثير الكلي للعمل الأدبي..

وفي القـرآن الكـريم نماذج عــديـدة للنسـاء والرجـال، حتى الشهـودة الفائرة في المرأة نـراها صورت أروع تصوير وأصدقه في سورة يوسف وقـــد حـــدث شيء من الخلاف بين النقـــاد الإسلاميين حول هذه النقطة روبما تكون حدثت بعض التجـاوزات في البـدايــات لكن مـواصلـة التجارب وتتابع الابداع، سوف يقود إلى نماذج قد تكون أفضـل شكلاً ومضمـونـاً..وأنـا شخصيـاً كبت رواية «ملكة العنب» وبطلتها أمرأة ولن تجد في هـذه الـروايـة مـايمكن أن يـؤخـذ على عنـد معـالجتي لهذه القصـة، بـل كتبت عليهـا بثقـة «رواية من الأدب الإسلامي المعاصر» وطبيعى أن مثل هـذه الأمـور لاتقـاس بمقـاييس واضحـة محددة تمامـاً، ولكن تختلف فيهـا الإجتهـادات والمحصلة النهـائية للعمل الأدبي هي التي تحكم له أو عليـه أما الجريمـة فهى موضـوع شائع في الآداب كلهـا، لكن الأهم في ذلك كيف تعالج هـذه الجريمة ومن أي منظور نأخذها والهدف منها.

وصية للأديب الناشيء

● بماذا يوصي د. نجيب الأديب النـاشـىء الذي يريد أن يكون أديباً إسلامياً متميزاً؟

●● لابد للأديب الشاب الذي يريد أن يصبح أديبـاً إسلاميـاً أن يعمق صلته بـالقرآن الكـريم وبـالتراث حتى يكـون قـاعـدة متينـة لثقـافتـه الإسلامية بالإضافة إلى الاتصال بالآداب العالمية فلابد أن يطلع على مصادر الثقافة والمعرفة ولكن بشرط الحصـــانـــة والتي لاتتم إلا بـــالتعمق في الثقافة الإسلامية ولكـي يكون أيضاً متميزاً لابد أن يعرف قواعد الفنون: كيف تكتب القصة؟كيف تكتب المسرحيـــة؟ كيف يكتب الشعـر بـــاللغـة الصحيحـــة السليمـة لكل فن من فنـــون الأدب قواعـده التي لابد أن تحترم بـل وإذا استطاع أن يضيف عليها فليضـف..كل هذا لابد أن يهتـم به الأديب الإسلامي الذي يريـد أن يكون له مكانه، كذلك لاحظت أن بعض الإسـلاميين لايكتبون إلا للإسلاميين وأريد أن يكتبوا للإسلاميين وغيرهم أريد لأدبنا أن يدخل كل بيت وأن يقرأه الجميع.

لقد كان الأدب الإسلامي ومازال حقيقة واقعة فرضت نفسها في الصحف والمجلات والجامعات وعلينا أن نواصل المسيرة□

تنظيم العمل الخيري في الكويت

نظمت وزارتا الأوقاف والشؤون الإسلامية؛ والشؤون الاجتماعية والعمل؛ بالتنسيق مع القيادات الرسمية والشعبية للعمل الخيري إطاراً عاماً لتنظيم العمل الخيري في الكويت. وقال وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د. علي الزميع: إن بيت الزكاة سيكون المظلة القانونية والمالية لعمل لجان الزكاة، وذلك في إطار النظم والقواعد التي تعتمدها السلطة المختصة.

وذكر أنه سيتم تقنين العلاقة بين بيت الزكاة ولجان الزكاة من خلال اللوائح التي يصدرها بيت الزكاة وتتضمن قواعد إنشاء لجان الزكاة وإجراءاته، ودور بيت الزكاة في مراجعة مدى توفر شروط إنشاء تلك اللجان، واتخاذ قرارات إنشاء اللجان ومتابعتها والإشراف المالي عليها، ومتابعة أنشطتها الاجتماعية، والأمور المتعلقة بميزانيتها. وفيما يتعلق باللجان الخيرية قال الوزير الزميع: إن جميع لجان العمل الخيري ستنتقل من المساجد في مدة أقصاها منتصف ديسمبر الجاري. وذكر أن ممثلين من وزارتي الأوقاف والشؤون الإسلامية والشؤون الاجتماعية والعمل سيشتركون في عضوية اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة. وأشار إلى أنه سيمنح العمل الخيري الداخلي أولوية في مجالات اهتمامات الهيئات والجمعيات، مما يتعين معه البحث عن سبل تنشيطه لتغطية الاحتياجات التي يكشف عنها الواقع الميداني للمجتمع الكويتي وشرائحه. وأشاد الوزيران د. علي الزميع، وأحمد الكليب في ختام اجتماعهما مع القيادات الرسمية والشعبية للعمل الخيري في الكويت الذي عقد في منتصف شهر أكتوبر الماضي، بجهود جميع العاملين في القطاع الخيري الشعبي على الدور الإيجابي الذي يضطلعون به في خدمة الإسلام وخدمة وطنهم بالإضافة إلى مجهوداته الخارجية نحو خدمة الإسلام ودعم قضايا الكويت العادلة على الصعيد العالمي.

العمل على استكمال تطبيق الشريعة

زار السيد/ وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، د. علي فهد الزميع مقرّ (اللجنة العليا للعمل على استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية) ليلة السبت ١٢/١١/٩٤م والتقى رئيسها د. خالد المذكور وأعضائها، وحضر معه كل من: وكيل الوزارة خالد الزير، والأمين العام للوقف عبد المحسن العثمان، ومدير عام بيت الزكاة عبد القادر العجيل، وتم طرح ما أنجزته اللجنة في الفترة الأخيرة بالإضافة إلى استعراض استراتيجية الوزارة.. وقال د. علي الزميع: إن ما توصّلت إليه اللجنة بشأن استكمال تطبيق الشريعة يعتبر جهداً طيباً، ويسير على الطريق الصحيح لأنه مبني على دراسات علمية متأنيّة تراعي الأحكام الشرعية والمصلحة العامّة.

كيف نتعامل مع الأزمات؟

أقام قسم الواعظات بإدارة الدراسات الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ندوة في صالة أحمد شيخان الفارسي بالسرة حول كيفية التعامل مع الأزمات، حضرها عدد من الأخوات الإعلاميات، ومديرة إدارة برامج الأسرة والطفل بإذاعة الكويت عائشة اليحيى. وذلك بهدف توعية المرأة بكيفية التعامل والتعايش وقت الأزمات، وما ردود الأفعال بعد الصدمة حول أية أزمة سواء كانت سياسية أو عسكرية.

حاضر فيها كل من نضال الحاي، ومي البدر، وبدرية العزاز، وكانت عريفة الندوة موضي العميري. وتركز الحديث حول مبدأ الثقة بالله عز وجل والتوكل عليه في كل الظروف والأحوال، ومن ثمار ذلك السكينة والطمأنينة والرضاء.

واتفقت المحاضرات على ضرورة الربط بين الأزمات والابتلاءات التي يمتحن الله فيها عباده، وكيفية وضع العلاج والحلول الواقعية لها بعيداً عن التشنج والتسرع والتخبط في اتخاذ القرارات، متخذين من رضى النفس والسكينة وسيلة لتذليل الصعاب وإزاحة العقبات.

واختتمت الندوة بكلمة بدرية العزاز حول تجربة الأزمة السابقة، والأساليب العملية لمواجهة الأزمة الحالية ومحاربة الإشاعات ومقاومتها، وأوضحت وسائل الثبات من الذكر والدعاء لله عز وجل، والتمسك بكتاب الله وفهمه الفهم الصحيح، وتطبيق أحكامه. وفي نهاية الندوة فتح المجال للتعقيب والمناقشة.

مساجد الكويت تساهم في المجهود الحربي

نظراً للظروف التي تمر بها البلاد في مواجهة الاستفزازات والنوايا العدوانية للنظام العراقي الحاكم في بغداد، وانطلاقاً من الروح الوطنية التي أبداها جميع أبناء الكويت بمختلف فئاتهم، واستعدادهم للتضحية بالغالي والنفيس من أجل الحفاظ على تراب وطننا الحبيب. قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالتعاون والتنسيق مع الهيئة الشعبية لجمع التبرعات وبيت الزكاة، والأمانة العامة للوقف، واللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة بتنظيم حملة لجمع التبرعات بالمساجد، مساهمة منها في تدعيم المجهود الحربي.

الفائزون في المسابقة الثقافية الثانية

تحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د.علي فهد الزميع، أقامت الوزارة يوم ٢٩ جمادى الأولى ١٤١٥هـ (٣/١١/٩٤م)، الحفل الختامي للمسابقة الثقافية الثانية للبحث والقصة القصيرة والشعر.

وقد تضمن الحفل - الذي حضره كل من وكيل الوزارة خالد الزير، والوكيل المساعد لشؤون المساجد والثقافة الإسلامية عبد العزيز بدر القناعي - تكريم (٣٠) فائزاً بالمسابقة الثقافية في مجالات البحث، والقصة القصيرة والشعر.

وفي بداية الحفل تلا أحد طلبة كلية الشريعة الإسلامية بعضاً من آيات القرآن الكريم، ثم ألقى وكيل وزارة الأوقاف خالد الزير كلمة الوزارة نيابة عن راعي الحفل، أكد فيها اهتمام الوزارة بالثقافة الأدبية كاهتمامها بأبواب الفقه، والعقيدة، والسيرة، وعلوم القرآن الكريم، والسنة الشريفة.

وأضاف الزير موضحاً أن من أعظم أهداف الوزارة نشر العلم النافع الذي يعود على المجتمع بما يحقق تقدمه، ويرفع شأنه. وأوضح وكيل الوزارة أن الأدب الحديث والقديم يمثلان التعبير الصادق والتصوير الرفيع لحاجات الأمة ومتطلبات الحياة، وفي نفس الوقت يصون الدعوة بأسلوب قيم ورفيع.

وقال الزير: إنه كما كان للأبطال الشجعان مبادئهم في الدفاع عن الإسلام وفتح الأمصار والأقطار، فإن للشعر والأدب ميادينهما في فتح مغاليق القلوب عن الإسلام، والرد على أعدائه.

وأضاف: إن وزارة الأوقاف بعدما رأت مكانة الأدب قديماً وحديثاً، وحرص الإسلام على الارتقاء بالمستوى الفكري والأدبي، وحاجة الشباب وتعطشهم للعمل الجاد والبناء، لذلك قامت الوزارة بفتح المجال لجميع الطوائف كباراً وصغاراً، رجالاً ونساء للتسابق إلى مغفرة من ربهم مؤكداً أن المسابقة الثقافية الأولى أثبتت مقدرتها على تحريك الأفكار من خلال تقدم أعداد كبيرة للمشاركة بها، كما شهدت المسابقة الثانية لهم مشاركة كبيرة وفعالة وإقبالاً عظيماً.

وبعد أن ألقى وكيل الوزارة خالد الزير كلمته قام وبرفقته الوكيل المساعد لشؤون الثقافة الإسلامية وشؤون المساجد عبد العزيز البدر - وبحضور مدير إدارة الثقافة الإسلامية حمد الشهاب - بتوزيع الجوائز على الفائزين في المسابقة الثقافية والذي بلغ عددهم ٣٠ فائزاً، وهم في مجال البحث الأول: طارق خليل الأسود، والثاني: بثينة عيسى يوسف الثاقب، والثالث: منى معتوق أمان، الرابع: أيمن الشاذلي حسن حبيب، الخامس: مهلي فارس أسمر الفضلي، السادس: مشعل العتيبي، السابع: مبارك عبد الرزاق العنزي، الثامن: إبراهيم علي محمد، التاسع: سامي حسن محمد مبارك، العاشر: بشرى سعد الدين علي.

وفي مجال القصة القصيرة فالعشرة الفائزون هم بالترتيب: عبدالله جوزف فيشال، قتادة عبد الرحمن جميعان، مريم محمد حمد بوحمدي، منيرة أحمد عيسى العبيدلي، مريم حجي محمد الحجي، كفاية عبيد علي العنزي، علي عقال راشد الشمري، أمل ياسين، عقلة حمد عودة الشمري، وخلود داود أحمد عاشور.

وفي مسابقة (الشعر)، فاز كل من: طلال الخضيري السعيدي، حمد شلاش الشمري، عبد المحسن أحمد الطبطائي، أسماء فتحي رجب محمد سليمان، فؤاد عبد الرحمن محمد طلب، سمير الرفاعي، سعد حسن عبد الغني خضر، عبد الله محمود الجاموس، رفيع أوسولالي يقيني، صفاء خليل إبراهيم أبو عمارة، وعباس حلمي بسيسوس احتياطي.

ومن الجدير بالذكر أن جوائز المسابقات المادية (تتراوح ما بين ٥٠٠ دينار للفائزين من الأول إلى الثامن.





تطالعنا في هذه الأيام المباركة نسمات شهر رجب المعظم. ذلك الشهر الذي يقترن في قلب كل مسلم بذكرى عزيزة غالية تحتل مكانة عظيمة فيه الا وهي ذكرى الاسراء والمعراج ذلك الحادث الذي سجله التاريخ بكل تقدير وفخار حيث كانت الرحلة المباركة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى بالقدس، لتؤكد هذه الرحلة بالدليل العملي ذلك الرباط الروحي بين المسلمين مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم وألسنتهم. وأراني يعتريني الحياء والخجل كلما تحدثت عن هذه الذكرى العطرة، ذلك لان الأرض المقدسة التي شرفها الله تعالى بإسراء الرسول ﷺ اليها وعروجه منها الى الملأ الأعلى مازالت تقع تحت سيطرة شرذمة من اليهود أشد الناس عداوة للمسلمين.نعم يحق لكل مسلم يهتم بأمر المسلمين ان لاينعم له عيش ولا يهدأ له بال كلما حلت هذه الذكرى، لماذا؟ لانها تعيد الى أذهاننا معنا قضية فلسطين بكل احتمالاتها فهي قضية اسلامية أولا وقبل كل شيء.

عذراً.. صاحب الذكرى

بقلم: د. محمد السقا عيد

وإن العين لتدمع والقلب ليحزن ما يحدث هذه الأيام في القدس والخليل ونابلس وغزة وكل أرض فلسطين من قتل وسفك دماء واغتصاب كل هذا وغيره الكثير يستصرخنا أن نهب وأن يكون لنا موقف إسلامي موحد جاد ضد الهجمة الصهيونية التي تستهدف كل مسلم على وجه البسيطة.

لقد تزايدت الاعمال الاجرامية التي يقوم بها الكيان الاسرائيلي المحتل لارض فلسطين ضد أصحاب الحق الشرعيين. حتى أنه أصبح التنكيل بالمسلمين هناك هواية يمارسها الصهاينة في كل وقت وأصبح واضحاً انهم يجدون راحتهم في مطاردة إمرأة أو قتل طفل صغير وتعذيب شيخ كبير.

ولتعلم: أن القدس والمقدسات الاسلامية وبخاصة المسجد الاقصى تحظى بالنصيب الأكبر من تلك الممارسات العدائية.

فمنذ عام ١٩٦٧م وحتى الآن واليهود يخططون لدخول المسجد الأقصى والصلاة فيه وذلك تمهيداً لاحتلاله.

تلك القبلة التي أصبح المسلمون الآن يتركونها الا مرة واحدة كل سنة حينما يحل شهر رجب. يتذكر المسلمون عندئذ مناسبة الاسراء والمعراج كحدث تاريخي ليس إلا. تلك القبلة تذكركم أيها المسلمون في كل وقت وتناديكم أن تفكوا أسرها. تدعوكم أن تحطموا قبضة الاعداء الحديدية التي انتهكت كل شيء في أرض فلسطين المحتلة. ويجب على كل مسلم على وجه هذه الارض أن يستوعب حقيقة هامة وهي أن القدس ومقدساتها هي قضيته، ذلك أنها قبلة المسلمين الاولى التي دنسها أعداء الله الصهاينة بأعمالهم القمعية البشعة ضد المسلمين أصحاب الحق الشرعيين وضد مقدساتهم الطاهرة.

وإذا كان هناك من يخطط ليجعل من القضية الفلسطينية والقدس ومقدساتها الاسلامية قضية محلية أو قضية لاجئين ليصرف بهذا مسلمي العالم عنها فإن واجبنا نحن المسلمين أن نكشف تلك المخططات الخبيثة ونفند مزاعم أصحابها وننبه المسلمين الى خطورة الانقياد لافكار وخطط أعدائنا الذين لا يدخرون وسعاً ولا جهداً في سبيل الايقاع بالمسلمين.

■يهدف الإسرائيليون من جرّاء تهويد القدس طمس هويتها الإسلامية، يضربون بكل المواثيق عرض الحائط

وأحوال المسلمين في الارض المحتلة تسير من سيء الى أسوأ فقد بلغت ممارسات العدو الصهيوني ضد شعبنا الصادق مدى بعيدا وخطيرا ذلك لانهم لا يتورعون عن إتيان أي عمل اجرامي مهما كان بقصد تذويب الشخصية الاسلامية المتميزة لشعبنا المسلم وابعادنا عن هويتنا الاسلامية. وهل هناك أبشع من الاستيلاء على مساجد المسلمين في القرى الفلسطينية وعرضها للبيع؟

وهل هناك أبشع من نبش الصهاينة قبور المسلمين وعرضها للبيع أيضا لاقامة الفنادق السياحية الاسرائيلية عليها.

عذراً.. صاحب الذكرى

حقا إنها شبه عار– ودليل عجز وضعف – في جبين مليار مسلم ما يحدث في هذه الايام ضد إخواننا المسلمين في الأرض المحتلة.

إن قلبي ينفطر ويكاد يتقطع من هول ما قرأت ولكنني سأنقل اليك خلاصة ما نشر بالصحف اليومية القاهرية التي تعرضت لهذه المأساة.

خلاصتها أنه قام الاسرائيليون بمجزرة بشعة ضد المسلمين هناك حيث اقتحم جنود الاحتلال والبوليس الاسرائيلي ساحة المسجد الاقصى واعتدوا على المسلمين الامنين بطريقة وحشية

بالرصاص، راح ضحية هذه المجزرة واحد وعشرون شخصا وأصيب ألف آخرون. ومازالت الاحداث تكشف كل يوم ما تتمخض عنه هذه المجزرة.

وإنني لأتساءل بدهشة؟ أين الرأي العام العالمي؟؟ دعونا من هذا؛ أين رد الفعل الاسلامي تجاه هذه الفعلة البشعة؟؟ إخواني حقا:

لقد أسمعت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو نارٌ نفخت بها لشبت
ولكن أنت تنفخ في الرماد

ترى ما رد فعل العالم الاسلامي لو قام اليهود فعلا بتنفيذ مخططهم الخبيث. هدم المسجد الاقصى (لا قدر الله) وبناء هيكل سليمان المزعوم؟

اعتقد أن الفعل سيكون مجرد استنكار وتراشق بالكلمات ولن يتجاوز ذلك. والبقية تأتي. فاللهم لا حول ولا قوة إلا بك. ويقول الشاعر واصفاً هذه الحالة السيئة:

قد مسنا الضر يارحمن عن سفه
واستأسدت أمم الكفران والعجم
يهود خيبر عادو من كشتهم
مثل الجراد وسيل النقمة العرم
عاثوا فسادا بأرض المسلمين ضحى
وأحرقوا النسل بالنيران والنقم
ودنّسوا المسجد الاقصى وحرمته
وبات في قبضة الباغين فانتقم
وابعث عليهم عذاب الرجز يمحقهم
وطهّر الارض منهم عدل مصطلم

وخلاصة القول، أن الممارسات التي يقوم بها الكيان المحتل ضد الفلسطينيين أعمال اجرامية بشعة لم يعرف التاريخ كله مثلها، إنها أعمال يطأطيء الشيطان رأسه خجلاً أمامها، إن قضية الوجود الاسرائيلي الطارىء في أرضنا تأتي على رأس قضايانا المصيرية.

وفلسطين هي قضية المسلمين عبر العصور والاجيال عبر الحاضر والمستقبل.

وفي اعتقادي أنه ستأتي الاجيال القادمة لتحق عجزنا عن تحقيقه تماما كما حدث أيام الغزو الصليبي حيث محى الجيل اللاحق بقيادة صلاح الدين الايوبي عجز وتقصير الأجيال السابقة التي أضاعت القدس وفلسطين.

وتبذل اسرائيل محاولات محمومة في إطار تهويد مدينة القدس وفلسطين ومدينة العرب الخالدة ولا تستهدف مؤامرات التهويد تهويد الارض فحسب ولكنها تستهدف كذلك تهويد الممتلكات الفلسطينية أيضا بمزيد من المطاردات والمصادرات وطرد أصحابها وتشييد المستوطنات الاسرائيلية عليها. انها تستهدف

– تهويد المقدسات وذلك بتغيير معالمها

– تهويد الفكر والثقافة والسلوك. وفي النهاية تهدف الى تهويد انماط الحياة جميعها.

ويجدر بنا أن نذكر مقولة (بن جوريون) التي تعبر تعبيراً حقيقيا عما يدبره الكيان الغاضب (لا معنى لاسرائيل بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل).

وهذا بيجين فيلسوف الارهاب الصهيوني يقول: (لاحق للعرب أو المسلمين في القدس حيث إن المسجد الاقصى ليس الا معبداً يهودياً) ولا أملك التعليق على هذا الكلام الا بالتأكيد على:

أن أرضنا ومقدساتنا في فلسطين بحاجة الى حقيقة يذكرها التاريخ. وقفة تعيد الثقة الكاملة الى المسلمين في ذاتهم وقدراتهم. وقفة توقظهم من سباتهم على واقع مرير وصمت أكثر مرارة من قياداته الاسلامية.

فلنجدد جميعا العهد مع الله تعالى ونتخذ من ذكرى الاسراء والمعراج بداية انطلاق نستعين فيه بالله لتحرير القدس والمسجد الاقصى وكل أرض دنها العدوان واحتلها الغاصب حتى لا يعترينا الخجل عندما يسألنا صاحب الذكرى ﷺ عما حدث للمسلمين من بعده في موقف يوم الحشر.

لماذا الجفاف ياعين؟

ان نظرة ثاقبة على بقعة العالم الاسلامي من حولنا لستدعي منا أن نقف وقفة مع أنفسنا لنتدارك أنفسنا قبل أن نندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

لقد أصبحت الاخطار تتهدد الامة من كل صوب وحدب ومع شمس كل يوم تشتعل الحرب وتستعر معها نار الفتنة حتى تقضي على كل محاولة للفهم والاصلاح.

كل هذا وأبناء الامة الاسلامية مشغولين في الحروب فيما بينهم تارة بتراشق الكلمات فيما بينهم وأخرى بالسلاح.

إخواني المسلمين: كيف ضاعت دولة الاندلس؟ وكيف استولت الصهيونية الغادرة على أرض فلسطين؟ وكيف شرد عشرات الآلاف من الرجال والاطفال والنساء في الصحاري وفي فيافي الضياع؟

أين المليار مسلم الذين يملأون القارات الخمس؟ هم الذين قد فرض عليهم جميعا الجهاد في سبيله للذوذ عن مقدساته؟

أو ليس الله قد أنزل في القرآن سورة كاملة تحث المسلمين على النفير العام تسمى سورة (براءة) أو (سورة التوبة)، فأين فريضة الجهاد أيها المسلمون؟

ولماذ لا تتحدوا بعد تفرق وتكونوا على قلب رجل واحد يرهب اعداء الله؟ لماذا؟

مالذي افتقدناه؟ وما الذي ضاع منا؟ اعقمت الامة الاسلامية فلم تنجب أمثال (طارق بن زياد) أو (عمرو بن العاص) أو (عقبة بن نافع) و (خالد بن الوليد)؟

ما الذي ينقصنا إذن؟ إن أياً منا إذا عاش مع نفسه فترة وتوغل في أعماق ذاته لحظة لعرف أن الذي ينقصنا نحن المسلمين في عصرنا الراهن هو الوحدة الاسلامية التي تحركنا نحو الاتحاد والتجمع بعد شتات عندها فقط نستطيع أن نلبي نداء مقدساتنا بإحياء تلك الفريضة لفريضة التي تناسيناها كمسلمين الا وهي فريضة الجهاد.

ما أحوجنا حقا الى احياء تلك الفريضة.

هذه الخواطر وغيرها كفيلةبأن لا تدع الدموع تجف من المآقي. ولكن قد يسأل سائل: أهذا هو الحل؟ لست أقصد هذا فالبكاء كما نعلم حيلة النساء ولكن ما أقصده هو أن يكون هناك رد فعل ايجابي حتى ولو بدمع العين فإذا تحركت عيوننا. جميعا كمسلمين وأهدرت الدمع المدرار فليس بعيدا تبدأ شرارة التغيير فتجتمع على كلمة الحق قلوبنا وتتحد كلمتنا ويجمع الله شتات قلوبنا ويثبت على الحق أقدامنا.

كلمة لابد منها

أخي المسلم: انه لمن المؤسف حقا أن نكون أصحاب الدين عظيم هو الاسلام بما حوى من حلول ومعالجات ناجحة ثم نترك هذا كله لنلتمس حلولا واقدة بالية لدى الشرق والغرب.

فلنجمع شتات قلوبنا ونقف يداً واحدة في مواجهة ذلك الغزو الزاحف الذي يهدف إلى محو ديننا الاسلامي.

فهذا الدين يعلم أنفسنا ويعودها على الجرأة في تبليغ الحق والتضحية في سبيل الايمان.

وحتى لا تنسى

● فإن القدس الشريف مازالت تعاني الاحتلال الاسرائيلي والاسر الصهيوني منذ عام ١٩٦٧م حتى الآن، وينبغي أن لا يغيب عن أذهاننا ولا عن بالنا أن العدو الاسرائيلي قد أحرق الاقصى المبارك بتاريخ ٦٩/٨/٢١ قصداً وعمداً.

● ولا تنس أخي المسلم أن القدس أخت مكة فهي أمانة في أعناق المسلمين وكلنا مسؤولون أمام الله تعالى عن تضييعها فماذا نقول كمسلمين لصاحب الذكرى ﷺ ولم نأخذ بسنته؟بل ماذا نقول لله تعالى يوم الحساب؟ لك الله ياقدس، وعفواً يا صاحب الذكرى□





في السنة الحادية عشرة من البعثة النبوية، أسرى الله بنبيه محمد ﷺ من المسجد الحرام بمكة، إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس، وطوى النبي ﷺ هذه المسافة الشاسعة، في فترة وجيزه من الليل، وهناك رأى من آيات ربه الكبرى، وجمع الله له الأنبياء، فصلى بهم في بيت المقدس ثم عُرِج به ﷺ إلى السموات العلا فرأى من آيات ربه الكبرى، وأوحى الله إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات في اليوم والليله، وإلى هذه المعجزة، أشار القرآن في الآية الأولى من سورة الإسراء ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾.

ولما رجع النبي ﷺ إلى مضجعه أخبر الناس بما رآه فصدقه، كل من آمن به إيمانا قويا، وكذبه كفار قريش، وارتد كثير ممن كان في قلوبهم مرض!

معجزة تزكيها الحقائق العلمية

بقلم: أمين محمد عثمان

جاء في كتب السير أن النبي ﷺ، أخبر بمسراه السيدة أم هاني بنت ابي طالب وكان مضطجعا في بيتها وأنه عزم على أن يخرج إلى قومه ليخبرهم بذلك، فصدقة ولكنها تعلقت بردائه وقالت: أنشدك الله يا ابن عمي، أن لاتحدث بهذا قريشا، فيكذبك من صدقك، وينكرون مقالتك، فضرب النبي ﷺ بيده على ردائه فانتزعه منها، وانتهى ﷺ، إلى نفر من قريش فيهم المطعم بن عدي وأبو جهل بن هشام وقعد النبي ﷺ حزينا لأنه عرف أن الناس سوف تكذبه، فسأله أبو جهل مستهزئا: يامحمد؛ هل كان من شيء؟ قال: «نعم أُسريَ بي الليلة». قال: إين؟ قال: «إلى بيت المقدس». قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال النبي: «نعم»، قال: رأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بماحدثتني؟ قال: «نعم». فصاح أبو جهل يامعشر قريش، فانفضت إليه المجالس، وجاء حتى جلسوا إليهما. فقال رسول الله ﷺ: «إني أُسريَ بي الليلة إلى بيت المقدس، فبعث لي رهط من الأنبياء منهم إبراهيم وموسى وعيسى».

فلما سمعت قريش ذلك ضجت، وأعظمت ذلك الإسراء وصار بعضهم يصفق، وبعضهم يضع يده على رأسه متعجبا. وقال المطعم بن عدي: إن أمرك قبل اليوم، كان أمر يسيرا، لكن قولك اليوم يشهد انك كاذب، نحن نضرب أكباد الإبل، مصعدا شهرا، ومنحدرا شهرا، ثم تزعم أنك أتيته في ليلة وحدة؟ واللات والعزى لا أصدقك.

قال ابن هشام في سيرته: قال الحسن: وأنزل الله فيمن ارتد عن إسلامه قوله تعالى: ﴿وماجلعنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة المعلونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا خفيانا كبيرا﴾ [الإسراء:٦٠].

تصديق الصّدّيق

وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر فقالوا: هل لك إلى صاحبك؟ يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال أبو بكر: أو قد قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: والله لئن كان قال ذلك فقد صدق، فما تنكرون من قوله؟ فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل او نهار فأصدقه، وهذا أبعد مما تعجبون منه.

قال أصحاب السير: ومن ذلك اليوم لقب أبو بكر بالصِّدِّيق نزل في حقه قوله تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾ [الزمر:٣٣].

لقد كانت قريش تعلم أن محمدا لم يدخل بيت المقدس قط، فقال بعضهم: يامحمد صف لنا بيت المقدس إن كنت قد رأيته. قال النبي ﷺ: «فكربت كربا شديدا لم أكرب مثله قط، فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته»، وفي رواية: «فرفع لي المسجد حتى نظرت إليه».

ثم أخذ النبي ﷺ يصفه فكان يخبرهم بما يعرفونه عنه، وأبو بكر يقول: (صدقت صدقت) وقالت قريش: صدق الوليد بن المغيرة في قوله: إنك لساحر.

وعلى هذا فلا معنى ولا وجه لقول بعض المسلمين، مماحسنت طويتهم إن الإسراء بالنبي ﷺ كان، بالروح لا بالجسد وفي

النوم لا في اليقظة مستدلين بقوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلافتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن﴾.

ووجه أستدلالهم بهذه الآية، ادعاؤهم أن الرؤيا بالقصر من غير (تاء) لاتكون إلا في النوم، فأما التي تكون (بالعين) في اليقظة فيقال فيها (رؤية) ويرد على ذلك من وجهين:

١- أما أولا: فقد استعمل العرب (الرؤيا) بالقصر في اليقظة ومنه قوله (الراعي) الشاعر يصف صيادا رأي قنيصته من الظباء، وكان واجما حزينا قبل ظهورها:

وكبر للرؤيا وهن فؤاده
وبشر قلبا كان جما بلابله

٢- وأما ثانيا: فإن الآية نفسها تشير إلى أن ذلك كان يقظة وعيانا، فإنها ذكرت أنها كانت فتنة للناس، وهذا هو الذي حدث فعلا، فقد ارتد قوم ممن كانوا أسلموا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، ولجوا في تكذيب النبي ﷺ، وليس من المعقول أن يكون ذلك التكذيب لأنه حدثهم أن رأى في منامه ذلك، أو شيئا منه، فإن كل واحد منا يصبح فيحدث بأنه رأى في منامه إنه صعد إلى السماء، أو قطع المسافات الشاسعة، أو رأى ما وراء البحار، فلا يكون ذلك مثار للعجب، ولا باعثا على تكذيبه، ثم إنهم استبعدوا على الرسول ﷺ ذلك، فما الذي استبعدوه ياترى؟!

دعاية الاستعمار والصهيونية

لقد كانت معجزة الإسراء والمعراج في العصر الحديث، قذى في عيون كثير من المتعصبين المغرضين في الأمم الغربية، وشجا في حلوقهم. وزعموا أنها أسطورة من أساطير الأولين، التي حفلت بها أقاصيص الشرق، ذات الخيال المجنح، ويجب أن ترد هذه القصة في زعمهم إلى مثل كتاب (ألف ليلة وليلة) والملك سيف بن ذي يزن.

إنهم يستبعدون على محمد ﷺ، أن ينتقل من المسجد الحرام بمكة، إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس، فما بالك ومحمد قد عرج به إلى السموات العلا!

إن الدعاية التي تقوم بها الصهيونية العالمية قد اشتدت في هذه الأيام، ضد العرب والمسلمين، ولاسيما في هذه الظروف القاسية، كما يحدث ذلك في البوسنة والهرسك.

بينما يحترمون رجلا مفتريا مثل سليمان رشدي صاحب كتاب (آيات شيطانية) الذي يسخر فيه من رسول الله محمد ﷺ وزيادة في التحدي يستقبله بعض المسؤولين الغربيين في مكاتبهم!! فيا للسخرية.

■ دحض العلم الحديث - فيما وصل إليه من وسائل الانتقال السريع - حجة من ينكر إسراء النبي ﷺ ومعراجه

الإسلام ورحلة الإنسان إلى القمر

وفي تلك اللحظات الحاسمة التي كانت تتطلع إليها العيون، وتخفق لها القلوب، ويضع الناس أيديهم على أفئدتهم، حينما انطلقت سفينة الفضاء (أبولو١١) صوب القمر تحمل أول إنسان يهبط على سطح القمر. خلال شهر يوليو عام ١٩٦٩م وكان الناس في شتى بقاع الأرض يبتهلون إلى الله أن تكلل هذه الرحلة بالنجاح وأن يعود الإنسان إلى الأرض سليما معافى.

في هذه اللحظة طالعتنا وكالات الأنباء العالمية بالبرقية التالية: (بدأ بعض الصحفيين المغرضين من خلال تغطيتهم لرحلة (أبوللو١١) حملة غريبة فزعموا أن الإسلام قد نص على الإنسان لايستطيع أن يضع قدمه على سطح القمر).

إن هذه الحملة المغرضة تستهدف إظهار المسلمين والعرب بمظهر التخلف ومناهضة العلم الحديث ويكفي في الرد على ذلك الادعاء، أن نذكر أمرين:

١- أولهما: أن الحديث عن غزو الفضاء واختراق أجواء السماء قد سبق اليه القرآن الكريم، منذ أربعة عشر قرنا. فتحدث عن إسراء النبي ﷺ، ومعراجه حديثا مجملا. وتكفلت السنة النبوية ببيانه وتفصيله وتأمل قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزله أخرى. عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وماطغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [النجم:١٢-١٨].

وقوم يؤمنون بأن نبيهم قد جاوز الفضاء إلى السماء. وهي مسافات تقدر بآلاف السنين الضوئية، في حساب العلم الحديث لايستبعدون أبدا ولاينكرون أن يصل الإنسان إلى سطح القمر. وأن يقطع في ذلك مسافة تقدر بالأيام، وتحسب بالساعات. وتقاس بالأميال.

٢- وثانيهما أن القرآن، دعا الإنسان في آيات مفصلة إلى أن يرتفع عن الأرض، وأن يفكر في ملكوت السموات، وماخلق الله في الكون من عجائب ومأأودع فيه من أسرار، ويشير القرآن إلى أن الله سبحانه قد سخر للإنسان الشمس والقمر والنجوم والأفلاك والأجرام السماوية، والليل والنهار، والجبال والأنهار. فإذا استطاع الإنسان ان يصل بسلطان العلم إلى حقائق هذه المخلوقات، وأن ينفذ إليها ويتجول عليها فإنه بذلك يلبي دعوة الله الذي أمره بالنظر والتفكر في كل ما خلق الله، وتأمل قوله تعالى: ﴿يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا

الإسراء والمعراج معجزة تزكيها الحقائق العلمية

بسلطان﴾ [الرحمن:٣٣].

إن الجن والإنس ليس لهما ملجأ من الله إلا اليه. فإن استطاعوا أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض فلينفذوا. ولكن إلى أين؟ إنهم لاينفذون إلى أي قطر من أقطار السموات والأرض. إلا وهم واقعون تحت سلطان الله.

لماذا ينكرون؟

لماذا ينكرون إذن معجزة الإسراء والمعرج؟

إذا ركزنا البحث في قولهم: إن الاسراء والمعراج مستحيلان علما وعقلا، وبعيدان كل البعد عن حيز الإمكان. فإنني استسمح القارىء عذرا إذا كان ردنا على هؤلاء الناس ردا علميا. مع اعترافنا وتسليمنا بأن معجزات الأنبياء، ينبغي الإيمان بها والتسليم بوقائعها. وربما كان العلم الحديث لم يهتد إلى تفسيرها بعد. فإن الله سبحانه: ﴿على كل شيء قدير﴾. وهو الذي شق البحر لموسى وأحيا الموتى ليعسى، ونقل عرش بلقيس لسليمان في غمضة عين.

وإننا معاشر المسلمين نواجه أمما لاتؤمن إلا بالعلم المبني على البحث والتجربة، ويمقتون أكثر ما يمقتون التقليد الأعمى.

الإمام البيضاوي صاحب التفسير

يعتبر الامام البيضاوي من أبرز علماء المسلمين، الذين تصدوا لدراسات القرآن الكريم في ضوء العلم الحديث وهو ممن يؤيدون أن الأسراء والمعراج كانا معا بالروح والجسد وقد أراد أن يخرج هذا الرأي على أسلوب البحث العلمي وأنه من الممكنات التي لاينكرها العلم واستمع إليه يقول في تفسيره:

والأكثر من آراء العلماء، أنه أسرى بجسده ﷺ، إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السموات حتى انتهى إلى سدرة المنتهى. ولذلك تعجبت قريش واستحالوه. !

والاستحالة مدفوعة وقد برهن البيضاوي في كلامه بما نشرحه للقارىء فيما يلي: «إن الأجسام متساوية في قبول الأعراض. وهذا يعني أن الأجسام جميعها ترجع إلى أصل واحد وأن هذا الأصل قابل لجميع الأعراض التي تقبلها الأجسام بمعنى أن المادة التي شكل منها كائن ما. قابلة لأن يشكل منها كائن آخر مخالف له. مع اختلاف في نسب الأجزاء التي يتكون منها الكائن الواحد. فالعين مثلا هي من نفس المادة التي تخلّق منها الأنف، أو الكبد، أو القلب، أو الشعر، وكلها جميعا ترجع إلى ما عرف اليوم باسم الذّرّة أو ما كان يعرف قديما (بالجوهر الفرد) فمن كتل الذرات تتكون الأجسام ومن الاختلاف في بناء الذرات وترتيب أوضاعها تظهر الأجسام في صورها وأشكالها.

وهذا فهمه البيضاوي وقدره في قوله: (إن الأجسام متساوية في قبول الأعراض) ويعني بذلك أنه من الممكن أن يتحلل جسم الإنسان - مثلا - إلى ذرات فيصبح كائنا لطيفا غير مرئي. ثم يعاد تركيبة إلى وضعه الأصلي. فيكون جسدا كثيفا كما كان كل ذلك في لحظة خاطفة كلمح البصر أو هو أقرب دون ان يخرج الجسد عن سلطان الروح في حالتي تحليله وتركيبه.

■ساهمت معجزة الإسراء والمعراج في فتح أفق التفكير أمام الإنسان ليعمل على اختراق المسافات والانتقال بين الكواكب

وذلك هو الإعجاز أو المعجزة التي تظهر من انتقال النبي الكريم ﷺ بجسده الشريفة إلى المسجد الأقصى. أو العروج به إلى السماء في طرفة عين.

وتعقيبا على ما ذكره البيضاوي نقول: إن الملاحظ أن جبريل عليه السلام، كان في صحبة النبي ﷺ في مسراه وانتقاله من المجسد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج معه إلى السماء حتى سدرة المنتهى حيث يقول الله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وماطغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [النجم:١٣-١٨].

وقد ذكر الله سبحانه. إن الملائكة لهم قدرة خارقة على اجتياز الفضاء. واختراق أجواز السماء كما في قوله: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج:٤].

وهو إشارة إلى مدى هذا العلو لتلك المعارج التي يقوم عليه[ا] سلطان الله وأن الملائكة والروح أي جبريل تصعد هذه المعارج في يوم ولكن أي يوم هو؟ إنه يعدل خمسين ألف سنة من أزمان الدنيا. أي أن ما يقطعة الملك في عروجه إلى السماء في يوم واحد يقطعه الإنسان في خمسين ألف سنة بأقوى ما يمكن أن يتوصل به من وسائل: من صواريخ، ومركبات كوكبية. بل إن الحوادث قد أثبتت تلك السرعة الخارقة التي كان ينزل بها جبريل عليه السلام إذ اقتضى الموقف ذلك ما حدث في مقابلة النبي ﷺ لوفد نصارى نجران.

سأله كبير الأساقفة: يا محمد، موسى من أبوه؟ قال: «عمران»، قال: يعقوب؛ من أبوه؟ قال:«أسحق» قال: فأنت من أبوك؟ قال: «أبي عبدالله بن عبد المطلب» قال كبير الأساقفة: فعيسى من أبوه؟ فسكت رسول الله ﷺ، فنزل جبريل عليه السلا[م]

فقال: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [آل عمران:٥٩]. فعندما تلاها رسول الله ﷺ وثب كبير الأساقفة ثم دير به فوقع مغشيا عليه!

تأييد من علماء الغرب

ذكرت وكالات الأنباء العالمية: يتنبأ اليوم (وليم لير) رئيس مجلس إحدى الشركات الصناعية الدقيقة لأجهزة الطائرات، بأنه سيأتي اليوم الذي يستطيع فيه الإنسان أن يسافر عن طريق تحويله إلى ذرات وإرسالها بطريقة الكترونية.

وأشار (لير) إلى أن العلماء يعرفون اليوم ان المادة تتكون من ذبذبات يمكن أن ترسل عن طريق الأمواج الالكترونية كالصوت والصورة في الإذاعة والتلفاز، ومن ثم فإن الجسم البشري الذي يدخل في نطاق المادة يمكن أن ينقسم إلى ذبذبات تنقل بطريقة الكترونية إلى أي مكان، وسيتم السفر بهذه الطريقة خلال ثوان معدودات.

التلبيثي والجلاء البصري

أما قوله ﷺ: «فرفع لي بيت المقدس» أو «فجلى الله لي بيت المقدس» فهي ظاهرة علمية تعرف الأولى بالتلبيثي وتعرف الثانية بالجلاء البصري فما هو التلبيثي؟

إنه كلمة مكونة من مقطعين (تلي) ومعناها بعد (وبثي) ومعناها إدراك أو شعور أي (الشعور عن بعد) ويراد بها حالة نفسية يمتاز بها بعض الناس فيدرك الواحد منهم ما يفكر فيه الآخر من غير كلام أو اشارة وتعليل ذلك كما يقول السيروليم كروكس العالم الطبيعي المشهور:

إننا نعيش في عالم كله اهتزازات فالصوت اهتزاز في الهواء والحرارة والنور والكهرباء اهتزاز في الأثير وجواهر المادة لاتنفك عن الاهتزازات، فلاعجب إذا كانت الأدمغة تهتز اهتزازاً خاصا بها ويشعر بعضها باهتزاز البعض الآخر، وقد يكون ذلك أسرع من اهتزاز الضوء.

أما (الجلاء البصري) فهو قدرة الإنسان على الرؤية، بشكل مخالف العرف، وبدون استعمال الحواس العادية فيخترق بصره الحجب المعتمه ويرى ما وراءها متحديا حدود الفضاء والزمان.

وحينما توفى النجاشي ملك الحبشة - تقول الروايات الصحيحة إنه قد اسلم - قام رسول الله ﷺ وهو في المدينة يصلى على نعش النجاشي وهو في الحبشة فعن طريق الجلاء البصري تراءى للنبي ﷺ جثمان النجاشي، فصلى عليه، وأمر أصحابه بالصلاة خلفه ومن هنا، أجاز العلماء الصلاة على الغائب.

■أجاب الإمام البيضاوي - منذ مئات السنين -بشكل علمي وموضوعي على تساؤلات المشككين والمستنكرين لانتقال النبي ﷺ جسدا وروحا في الإسراء والمعراج

روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ نعى إليهم النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وقال: «مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا عى اخيكم». ويقول جابر: إن النبي ﷺ النجاشي قام فصفنا وراءه، وكنت في الصف الثاني والثالث فكبر أربعا.

ياسارية الجبل الجبل

وقصة سارية بن زنيم مشهورة لدى المؤرخين. وقد أوردها أبو الفداء في كتابه (البداية والنهاية) وافرد لها صفحات يذكر فيها أكثر من رواية.

وسارية بن زنيم كان قائدا من قواد المسلمين - على عهد عمر - فقصد مدينة (دارابجرد) فاجتمع له جموع من الفرس والأكراد عظيمة، ودهم المسلمين منهم أمر عظيم وجمع كثير.

ونترك الدميري في كتابه (حياة الحيوان) لتكملة القصة عند شرحه المثل المعروف (من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم)، حيث يقول:

(أول من قال هذا المثل أكثم بن صيفي، وقال عمر بن الخطاب في قصته مع سارية، وذلك أن عمراً كان يخطب يوم الجمعة بالمدينة فقال في خطبته: (ياسارية الجبل الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم)، فالتفت الناس بعضهم إلى بعض ولم يفهموا مراد أمير المؤمنين، فلما قضى صلاته قال له علي بن أبي طالب: ما هذا الذي قلته؟ قال عمر: أسمعته؟ قال: نعم؛ أنا وكل من بالمسجد. قال عمر: لقد وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم، وأنهم يمرون بجبل، فإن عدلوا اليه قاتلوا وظفروا. وإن جاوزوا الجبل هلكوا. فخرج مني هذا الكلام. وإن لله جنودا ولعل بعضها أن يبلغهم.

ثم جاء البشير بالفتح بعد شهر إلى المدينة فذكر انهم سمعوا في ذلك اليوم وفي تلك الساعة صوتا يشبه صوت عمر أمير المؤمنين يقول: (ياسارية الجبل الجبل) فعدلوا إليه ففتح الله عليهم).

وقد نقل هذه القصة صاحب كتاب (تهذيب الأسماء واللغات) كما ذكره ابن سعد في (الطبقات) ورواه أيضا صاحب كتاب (أسد الغابة في أخبار الصحابة).

إن هذه الكتب كلها تشير بوضوح إلى ظاهرة الجلاء البصري أو إلى ظاهرة التلبيثي وقد يسميها المتصوفون بالكشف وعمر بن الخطاب هو الذي أشار إليه النبي ﷺ في حديث له: «قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم أناس مُحدَّثون، فإن يك في أمتي أحدٌ منهم، فهو عمر بن الخطاب» [رواه البخاري]□



■لا يصح حصر ذرية إبراهيم ونسله بأبناء إسحق وحدهم، فأبناء إسماعيل من المسلمين والنصارى أيضا مشمولون بالوعود الإلهية

الصهيونية والتوراة

تهدف هذه الدراسة إلى دحض ادعاءات الصهيونية التي تقول إن تأسيس دولة يهودية في فلسطين هو تنفيذ لنصوص التوراة. وقد يتراءى لقارئ سطحي أن وعدا إلهيا صدر قبل أربعة آلاف سنة وكرر مرارا بإعطاء أرض لشعب معين، يجعل ذلك الشعب مالكا لتلك البلاد باسم الحق المقدس.

فإذا كان هذا هو سند اليهود في فلسطين فمن الواجب تفنيده تفنيدا دقيقاً. لذلك أرى بحث بعض النصوص المعروفة لدى اليهود المتدينين والتي كان لها أثرها العميق في كثير من الجماعات المسيحية لا سيما في أمريكا

■اعتماد اليهود والمتصهينين الغربيين على وعود التوراة بتمليك الأرض الممتدة من الفرات إلى النيل

إعداد: محمد عبد الرحمن السحرتي (*)

والنقاط التي ستتطرق إليها هذه الدراسة هي: أولا: لمن منحت هذه الوعود؟

ثانياً: ما حدود الأرض الموعودة؟

ثالثا: هل كان الوعد مطلقا بدون قيد ولا شرط أم بقيد وشروط؟

لمن منحت الوعود المزعومة

كان أول وعد بإعطاء فلسطين لذرية إبراهيم قرب نابلس : (وظهر الرب لإبراهيم وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض. فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له) [تكوين / إصحاح ١٢–٧].

وبينما كان إبراهيم واقفاً على تل (بثل) قال له الرب: (ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوباً وشرقا وغرباً لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها، ولنسلك إلى الأبد، واجعل نسلك كثيرا كتراب الأرض، حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضاً بعد. ثم امشي في الأرض طولا وعرضا لأني لك أعطيها) [تكوين١٣: ١٤–١٧].

وثمة عبارة أخرى وردت في [التكوين١٥: ١٨]: (لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات)، وكررت هذه الوعود لإسحق ويعقوب: (الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الأرض، وتمتد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا. ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض. وها أنا معك وأحفظك. تذهب وأردك إلى هذه الأرض لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به) [تكوين ٢٨: ١٣–١٥]، ولما عقد إبراهيم عهد الختان مع الرب وعد بكل أرض كنعان (ملكا أبديا) له [تكوين ١٧: ٨].

ويمكننا اقتباس نصوص أخرى. إلا أن ما أوردناه هو صورة واضحة لهذه الوعود. وليست هناك نصوص ذات أهمية عدا ما ذكرناه. والاعتقاد الشائع أن هذه الوعود قطعت لليهود دون سواهم، ولكن ليس ذلك ما تقول به التوراة. فإن كلمة (لذريتك) تشمل العرب أيضاً من مسلمين ومسيحيين من ذرية إبراهيم من أبناء إسماعيل، ونحن هنا لا نعرض للرواية الإسلامية القائلة بأن إبراهيم عليه السلام نزل بمكة وترك إسماعيل فيها.

لقد اشتهر إسماعيل بانتساب عدد كبير من القبائل العربية إليه. وسفر التكوين يذكر أن كثيراً من القبائل العربية الشمالية تنتسب إلى إبراهيم عن طريق ابنه إسماعيل. ولا يمكن القول بأن كلمات سفر [التكوين ٢١: ١٠–١٢] فسخت حق أبناء إسماعيل بالوراثة: (ورأت سارة ابن هاجر المصرية التي ولدته لإبراهيم يمزح، فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابن اسحق. فقبح الكلام جدا في عيني ابراهيم بسبب ابنه فقال الله لابراهيم: لا يقبح في عينيك من أجل جاريتك. في كل ما تقول سارة اسمع لقولها لأنه بإسحق يدعى لك نسل وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك).

ومنذ ذلك الزمن صار اعتقاد أبناء اسحق أن ذرية إبراهيم يعني الإسرائيليين فقط. ولكنها ما كانت كذلك منذ البداية. بل إن لأبناء إسماعيل كل الحق بأن يسموا ويعتبروا أنفسهم ذرية إبراهيم. يضاف إلى هذا الختان الذي عقد عليه العهد كان ختان إسماعيل ولم يكن إسحق قد ولد بعد.

نرى مما مر ان الوعد المقدس الذي أعطي لأبناء إبراهيم يشمل بالضرورة ذرية إسماعيل، إلا أنه في عهد إسحاق ويعقوب ضاق معناه بحيث شمل نسلهم فقط دون أن يحرم إخوانهم أبناء إسماعيل بشكل صريح. ومن المعروف أن كثيراً من العرب صحبوا موسى ويوشع إلى فلسطين التي كانت محتلة احتلالا جزئياً. ثم إن كثيرا من الفضل في نجاح موسى يعزى إلى (جزو) صهر موسى من أهل مدين، وهو رجل عربي بلا نزاع.

الأرض الموعودة

ومسألة الأرض الموعودة مسألة ليس من الهيّن تحديدها. إذ يبدأ الوعد المشار إليه آنفا بإشارة غامضة إلى (هذه الأرض) كما سبق أن أوردناه. وتبدأ هذه الأرض من نابلس لتشمل كل الأراضي الممتدة بين مصر والفرات. والنص الثالث يتكلم عن انتشار أولاد إبراهيم في جهات الأرض

الأربعة. ومن المهم أن نوضح أن هذا الوعد بالأراضي الممتدة بين النيل والفرات أعطي قبل مولد كل من إسماعيل وإسحاق. وهذا يعني أنه يجب ألا تكون خالصة للإسرائيليين من دون الناس. وإذا استثنينا الفترة القصيرة التي اعترف فيها بسيطرة سليمان؛ عليه السلام؛ فإن هذه الأرض كانت دواما ملكا للعرب.

ولنراجع سفر [التكوين ١٣: ١٥] ليتضح لنا أن شرق الأردن أدخلت في الوعود المعطاة لإبراهيم، لأنها كانت ترى بسهولة من تلال ثبل. إلا أن هذا الوعد أعطي أيضاً قبل مولد إسماعيل وإسحاق، ولذا فإنه لا يحتم إعطاء الإسرائيليين الضفة الأخرى من الأردن.

إلا أن موسى أخبر شعبه بأن الله أمرهم بامتلاك البلاد من البحر المتوسط غربا إلى الفرات شرقا، ومن النقب جنوبا إلى لبنان شمالا. إلا أن الإسرائيليين لم يستطيعوا تنفيذ هذه الأوامر ولم يتمكنوا من احتلال الشاطىء الذي كان يحتله الفلسطينيون، ولم يطأوا أرض فينيقيا الداخلية ولا ساحلها. وبعد قرون – وتحت حكم داود – ملكوا دمشق، وعقد داود معاهدة صداقة مع حيرام ملك صور. ولما أقام سليمان الاحتفال الكبير ببناء الهيكل جاءته وفود من أقصى الشمال حتى حماة، ومن الجنوب حتى العريش. ولكن قبل انتهاء حكم سليمان عادت أغلب أراضي امبراطورية داود إلى أصحابها الأصليين، ويعلم الجميع أن عملية التقلص هذه استمرت حتى لم يبق من مملكة سليمان إلا بضع مئات من الأميال المربعة حول القدس استولى عليها البابليون عام ٥٩٧ ق.م.

مدلول كلمة (أولام)

ويلاحظ في النص الأول ورود كلمتي (إلى الأبد) وكلمة (الدائم) للدلالة على وصف مستقبل احتلال اليهود لفلسطين، إلا أن هذه الكلمات ليست للترجمة الصحيحة لكلمة (أولام) العبرية، إذ هي تعني زمنا طويلا، كما تحمل معنى القدم. فكلمة (إلى الأبد) قد لا تعني في هذا المجال أكثر مما نعنيه بقولنا: سأغني إلى الأبد، ولا يعقل أن يفهم من هذا التعبير المعنى الحرفي للكلمة.

من مجموع الأدلة السالفة، يجد الإنسان نفسه مضطراً إلى الاعتقاد أن أرض فلسطين لم تعط لليهود فقط، وأن (هذه الأرض) مبهمة شملت أرض الأردن وسوريا ولبنان ممتدة حتى نهر الفرات. وأخيراً نرى أنه لم يصدر وعد مطلق غير مشروط بملكية أبدية، أو حتى ملكية تنسحب لأمد طويل.

وهكذا نصل إلى مرحلة من التاريخ والنبوة لها أثرها على ما انتشر من سوء الفهم الذي أحدثته النبوءات العبرية. فإنه حتى لو لم يكن لدينا نصوص نبوية تهدينا إلى الحق لكان من البين أن وعود امتلاك أرض كنعان لم تكن مطلقة دون قيد أو شرط، ذلك أن الله عاهد بني إسرائيل على الإخلاص في العبادة، وعلى التعاون فيما بينهم واتباع الحق. وأنذرهم إن فسقوا عن أمره أن ينتظروا مصيرا رهيبا محتوما.

الانتقام الإلهي

ويتضح لنا من كلمات موسى أن هذه النذرة تحققت فيما لاقاه اليهود من شدائد وأهوال في السنين القليلة الماضية، [التثنية: ٢٨]:

(ولكن إن لم نسمع لصوت الرب إلهك لتحرص على أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها تأتي عليك جميع هذه اللعنات، وتدركك، ملعونا تكون في المدينة، وملعونا تكون في الحقل.. ويجعلك الرب منهزما أمام أعدائك، وتكون قلقا في جميع ممالك الأرض.. وتكون دهشا ومثلا وهزأة في جميع الشعوب الذين يسوقك الرب إليهم.. فتكون فيك آية وأعجوبة وفي نسلك إلى الأبد. فيجعل نير حديد في عنقك وتبقون نفرا قليلا عوض ما كنتم كنجوم السماء في الكثرة، لأنك لم تسمع لصوت الرب الهك. وكما فرح البر ليحسن إليكم ويكثركم، كذلك يفرح الرب لينفيكم ويهلككم. فتستأصلون من الأرض التي أنت داخل إليها فتمتلكها ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها، وفي تلك الأمم لا تطمئن ولا يكون قرار لقدمك، بل يعطيك الرب هناك قلبا مرتجفا، وكلال العين، وذبول النفس، وتكون حياتك معلقة قدامك، وترتعب ليلاً ونهاراً، ولا تأمن على حياتك).

من هذا يتضح بجلاء أن الوعود الإلهية قد نسخها شعور قومي صابئ خارج عن كل دين، ولقد رأى الأنبياء في أسر الأشوريين لأهل سماراي، والبابليين لأهل جودا، مظهراً من مظاهر انتقام العدالة الإلهية من شعب عاص أناني.

اختلاط الحلم والشعر والأمل

ولكن اليهود لقنوا قومهم أن بقية منهم ستعود. وتعيد بناء الهيكل وتقيم الشعائر الدينية. كما تطلعوا إلى زمن يستضيء فيه العالم بمعرفة الله. ولكننا نتناسى أن هؤلاء الرجال كانوا شعراء ملهمين خلطوا المشاكل العملية كالعودة من الأسر بصورة روحية تمثل الصحراء المتوهجة وكأنها الزهر المتفتح، والأسد الهصور وقد رقد بجوار الحمل الوديع، والرجال الأشداء وقد هجروا سيوفهم البتارة ونسوا الحرب إلى الأبد، هؤلاء الرجال هم الذين تنبأوا بإحياء مملكة داود.

لقد تحقق لسوء الحظ الشطر العملي وبقى المثالي مثاليا. وبما أن ما سعى إليه رجال الدين لم يتحقق حينما تمت عودة اليهود الأولى. لذا نشأ ميل في العصور الخالية لا لتطبق النبوءات الدينية والأخلاقية والمثالية فحسب، بل لتطبق مستقبلا تلك النبوءات السياسية والعملية التي تحققت فعلاً في الماضي.

وبما أن نبوءات العهد القديم تتركز في شعب بني إسرائيل وعلاقته بالله. لذا فإن العصر الذهبي المثالي أوثق ارتباط بالمدينة المقدسة التي يسكنها شعب الله المختار، ويظهر أن البعض يأمل أنه لو عاد اليهود إلى فلسطين وأسسوا فيها دولة يهودية فإن معجزة العهد الذهبي في الأرض ستحقق.

ومثل هذه الآراء ما هي إلا تحريف لنبوءات العهد القديم التي قالت بعودة اليهود من الأسر البابلي، ومن البلاد التي نفوا إليها وقتئذ. ولقد تحققت هذه النبوءات فعلا وعاد اليهود إلى يهوذا وأعادوا بناء جدران أورشليم، وأعادوا بناء الهيكل. وبعد أن مرت عليهم ظروف متقلبة استطاعوا أن يحيوا زمنا وجيزا حازوا فيه استقلالا سياسيا وتوسعا تحت حكم المكابيين. وهكذا تحققت فعلا النبوءات والوعود المذكورة ولا يمكن بحال أن تحقق مرة ثانية. كما لا يوجد في التوراة نبوءة عن عود ثانية بعد العودة من الأسر البابلي، وذلك راجع إلى:

أ) إن أكثر اليهود الذين أرادوا العودة من الأسر عادوا إلى البلاد المقدسة – بالرغم من أن عددا كبيرا منهم فضل البقاء حيث كان – وأسسوا ما أصبح بحق العمود الفقري للكنيسة المسيحية.

ب) إن آخر الأنبياء توفي قبل هدم القدس عام ٧٠م ببضعة قرون.

يمكننا إذن أن ننقد النبوءات المقدسة التي تقول بأحقية سيطرة اليهود على فلسطين من ناحية نصوص العهد القديم، وأن هذا النقد أهمل لغاية مقصودة. فلنترك التوراة تفصح عن نفسها بنفسها. كما يمكن التدليل بالعهد الجديد على أن الكنيسة الراهنة تتبع إله إسرائيل.

هذه دراسة قصيرة فما هي إلا تدقيق مقتضب لبعض ما ينص عليه العهد القديم عن مشاكل أقحمت بها المصادر العليا□

هوامش:

(*) أصل المقال دراسة بقلم: بروفسور جليوم، أستاذ دراسات العهد القديم بجامعة لندن، وأستاذ اللغات الشرقية بجامعة درهام سابقا. ومؤلف عدة كتب عن العهد القديم والدراسات الإسلامية.







الجرائم اليهودية قديماً وحديثاً

قال تعالى: ﴿لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسَى ابن مريم ذلك بما عصَوْا وكانوا يعتدون﴾ [المائدة:٧٨].
أردت بهذه الكلمات أن أقلب صفحة من صفحات غدر اليهود، وخيانتهم منذ أن علموا برسالة محمد ﷺ على لسان عيسى ابن مريم المنصوص عليها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وإذْ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مصدقا لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ [الصف:٦].

وإن كنت لا أحصى كم مرة غدر اليهود بالمسلمين، وكم مرة خانوا العهود، كم مرة دبروا المكائد، وأبادوا قرى بأكملها وقتلوا الأطفال والنساء.

ومنذ أن بشر عيسى عليه السلام برسالة محمد ﷺ، كان اليهود يظنون أن هذه الرسالة ستكون لهم، وأن النبي المنتظر الذي بُشِّر به سيكون منهم، ولما علموا أنه من قريش، وليس منهم دبروا له ولرسالته، وترصدوا له كل باب، ومن يومها واليهود تمكث في قلوبهم العداوة والبغضاء للمسلمين.

قال تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتُفسِدنّ في الأرض مرتين ولتعلُنّ علوا كبيرا. فإذا جاء وعد أُولاهُما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا﴾ [الإسراء: ٤ و٥].

بقلم: إبراهيم محمد عجمي البهلول

استعداد فطري للانحراف

والذي يدل على استعداد القوم الفطري للانحراف، هو أنه يجيء النص الصريح في التوراة على انحرافهم مستقبلاً مرتين، كل مرة ينتقم الله منهم دون أن يكونوا قادرين وقتا من الأوقات على الانتفاع من هذه الدروس القاسية التي يتلقونها. ومهما يكن الحال، فإن التعبير قوي وغير عادي، وهو قادر على الإيحاء بأن إفساد بني إسرائيل في الأرض يفوق كل وصف، وليس بنص الآية الكريمة لمرة واحدة كي يقال إنهم أخطأوا مرة ثم تابوا بعد ذلك توبة نصوحا، إنما إفسادهم في الأرض بنص الآية الكريمة لمرتين.

وكما تنص الآية الأخيرة فإن القوم سيفسدون في الأرض كل مرة يتاح لهم فيها أن يفسدوا، وسينتقم الله منهم شر انتقام. ثم يحذرهم المولى جل وعلا بعد أن عرفهم أن جزاء الفساد عقابهم بأشد منه. فيقول سبحانه وتعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾ [الإسراء:٨].

(فإذا عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد في الأرض فالجزاء حاضر، والسنة ماضية: ﴿وإن عدتم عدنا﴾. ولقد عادوا إلى الإفساد فسلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة العربية كلها. حتى كان العصر الحديث، فسلط عليهم «هتلر» في الحرب العالمية الثانية، الذي كان ينوي قتل كل اليهود وإبادتهم من الأرض.

وإن كان اليهود عادوا اليوم في صورة إسرائيل، وازدادوا عددا وأرادوا أن يذيقوا العرب

وأصحاب الأرض الويلات، فليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب، تصديقا لوعد الله القاطع، وفاقا لسنته التي لا تتخلف، وإن غدا لناظره قريب) [ظلال القرآن لسيد قطب].

عداوة قديمة

وعداوة اليهود لكافة الشعوب عامة، وللعرب والمسلمين خاصة، ليست حديثة، ولكنها قديمة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، فهذه صفية زوج النبي ﷺ تشهد لعداوة اليهود له ﷺ وللمسلمين، تلك العداوة المتمثلة في أبيها اليهودي حيي بن أخطب، وعمها أبي ياسر ابن أخطب، كذلك قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي، حيي بن أخطب، بعد أن قَدِمَ الرسول ﷺ المدينة المنورة، ونزل بقباء، ورآه كل من حيي وأبي ياسر - أهو هو؟ قال: نعم والله؛ قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله، ما بَقِيتُ». [سيرة ابن هشام، ج١، ص٥١٩].

فلقد آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار «الأوس والخزرج»، عقب هجرته من مكة إلى المدينة، ودعا اليهود في يثرب «المدينة»، وأبرم معهم عهدا يتضمن إقرارهم بدين الإسلام، وبرسالته ﷺ، وأن يدافع عنهم مقابل أن يدفعوا الجزية، وشرط لهم واشترط عليهم، ولكنه مر معهم بتجارب مريرة وقاسية، فقد خانوا العهد ونقضوا الوعد.. فهؤلاء يهود بن قينقاع أول يهود نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ في بدر وأحد، وهذه واحدة من إمرهم وعداوتهم الدنيئة للمسلمين:

(كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ فجعلوا يريدونها على كشف وجهها أو عورتها، فأبت. فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب اليهود، وغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم). [السيرة النبوية ج٢ ص ٤٨].

وسرعان ما تعرف العرب وأدركوا تماماً المطامع اليهودية وعلى ما يتصفون به من اللؤم والغدر والخداع.. فمرة يدب بينهم الخلاف، الذي يؤدي إلى إشعال الحرب، ويحاربهم الرسول ﷺ والمسلمون، وهذا ما ظهر جليا في حصون بني قريظة بعد أن حوصروا خمسا وعشرين ليلة بعدها صاروا يخربون بيوتهم بأيديهم، وأيدي المؤمنين، ومرة يطلبون التحكيم لسعد بن معاذ، فحكم بقتل الرجال وسبي النساء، وتقسيم الأموال، وقتل منهم إذ ذاك ما يقرب من السبعمائة، وطلبوا من الرسول حقن الدماء فأجابهم إلى طلبهم وصاهرهم، ومع هذا أرادوا قتله، ولم يكفوا عن تدبير المكائد، فأهدوه شاة مسمومة.

بعد هذا لم تعد لليهود شوكة في أرض المسلمين، وظلوا على هذا العهد، عهد الرسول ﷺ، وفي عهد أبي بكر، وعمر بن الخطاب علم أن رسول الله ﷺ قال في فراش موته: «لا يبقين دينان بأرض العرب» [رواه مالك وأحمد]، فأجلى من ليس له عهد مع رسول الله ﷺ.

■ تعود جرائم الإسرائيليين إلى معتقداتهم العنصرية التي لا ترى غيرهم بشراً يستحقون التكريم



أخطر وثيقة ضد الإنسان

تدين اليهود بما في الكتاب المقدس فمن هذه: التوراة بمعناها البشارة، أو التشريع، وتطلق على الأسفار الخمسة الأولى: تكوين، خروج، لاويين، عدد، تثنية، ومنه أيضاً الأنبياء والكتابات والأشعار.

والتلمود: المصدر الثاني للتشريع اليهودي، وحين يقرأ المرء في هذا الكتاب وينظر في قضايا المعتقدات اليهودية ويتعرف على اليهود جيداً، يقف على حقيقة مذهلة وهي: «بعض أقوال التلمود مغال فيها، وبعضها كريه، والبعض الآخر كفر، فه يتشكل في سورتها المخلوطة أثراً غير عادي للجهد الإنساني وللعقل والحماقة الإنسانية». فالتلمود عامة، يعد أخطر وثيقة ضد كرامة الإنسان وآدميته وإنسانيته، إذ يدعو إلى تحطيم كل العقائد والأديان والقيم والحضارات، لإقامة مجتمع صهيوني يسيطر على كل دول العالم، وبكل الوسائل المكنة: كالغش والسلب والخداع والكذب والغدر والخيانة، وفوق ذلك كله يستبيح التلمود دماء وأموال الأجناس الأخرى غير اليهودية، ويعدّهم في منزلة الحيوانات، ويظهر اليهودي في شكل الحمل الوديع تقية وخداعا، ثم ليعتقد ما شاء وهذا قولهم: «إن الإنسان مهما كان شريرا في الباطن وأصلح ظواهره فهو مخلص».

ويقول التلمود: «لليهودي الحق في قتل أو استبعاد من شاء من البشر الآخرين». «إن الله لا يغفر ذنبا ليهودي يرد للآدمي ماله المفقود»، و«غير مصرح أن يقرض الأجنبي إلا بربا».

وإتيان زوجات الأجانب جائز، لأن المرأة غير الإسرائيلية بهيمة ولا عقل معها، «أي مع البهائم»، ومصرح لليهودي أن يغش غير اليهودي، ويحلف له أيمانا كاذبة.

والوصية الجامعة التي جاءت في التلمود: «اهدم كل قائم، لوث كل طاهر، احرق كل أخضر.. كي تنفع يهودي بفلس. اقتلوا جميع من في الأرض والمدن من رجل وامرأة، وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف». وإلى اليوم يتمسك اليهود بهذه التعاليم بل ينفذونها، ويتقنون تطبيقها، والحياة اليهودية اليوم مؤسسة إلى حد كبير على التعاليم والأسس التلمودية فطقوسهم، وكتبهم وصلاتهم واحتفالاتهم، وقوانين زواجهم، كلها مستخرجة من التلمود.

متى تنقضي المأساة؟

إن المسلمين اليوم يعانون كثيراً، فمتى

الجرائم اليهودية قديما وحديثا

تنقضي مـآسيهم، وتتآخـى شعوبهم.. ويسـود فيما بينهم روح المودة والأخوة؟ ويصـدق فيهم قولـه تعالى: ﴿وممـن خلقنا أمـة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ [الأعراف:١٨١].

والمتتبع للأحوال التي يعبق فيها العالم اليوم، يرى أنـه كلما اجتمع العـرب عامـة والمسلمون خاصـة في أي مناسبـة من المنـاسبات تشير إلى تقارب وجهـات النظر فيما بينهم وأحس بـذلك اليهود متمثلين في صورة إسرائيل، تسرع بتدبير المكائد، وتـدمير المنشآت، وهـدم الأخلاق، وقتل الأطفال، وإثارة الذعـر في نفوس ضعفاء الدين: «فهذه حرب يـونيو ١٩٦٧م، وذبح أربعة آلاف فلسطيني في صـابـرا وشـاتيـلا (سبتمبر ١٩٨٢م)، ثم الاعتداء الغاشـم على مقر المنظمة الفلسطينية في تـونس (سبتمبر ١٩٨٥م) ومثل ذلك كثير.

نوايا الصهيونية الدنيئة

والأمر الغريب والعجيب أن الذي يعيش ولو بعض الوقت في بلد أوروبي أو شرقي، يوجّه إليه هذا السـؤال: لماذا لا تتركون الشعب الإسرائيلي يعيش في سلام وحدود آمنة؟

هكذا استطاعت الدعاية الصهيونية أن تجعل من الظـالم مظلوماً، ومـن المظلوم ظـالماً، وهكذا تظاهرت إسرائيل في الأوساط العالمية قبل قيامها بأي ضربة انتقامية.

سئل بن غـريـون عـام ١٩٥٧م، عن عـودة قسم مـن الفلسطينيين العـــرب إلى أراضيهم. أجاب: إن عقارب الساعة لن تعود إلى الوراء».

يعتقـد اليهـود أن ملك فلسطين حق مشروع لهم، حيث وعد الله به ذرية إبراهيم عليه السلام في التـوراة: «واجتاز أبـرام في الأرض إلى مكـان شكيم إلى بلوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهـر الـرب لأبـرام وقـال: لنسلك أعطي هـذه الأرض، فبنى هنـاك مذبحـا للـرب الذي ظهر فيه له».

والـذي يستخلص من هـذا النص: «أن أرض الكنعـانيين – وهي فلسطين – وعـد بها الـرب ذرية إبراهيم، وهم إسحاق ونسله»، وجاء الوعد هـذا في أكثـر من مـوضـع في المزامير، ومن ذلك: «لأن اللـه يخلص صهيـون، وبنى مـدن يهوذا، فيسكنـون هنـاك ويـرثـونها، ونسـل عبـده يملكونها، ويحيوا اسمه، ويسكنون فيها».

ونكتفي بالـرد على ما جـاء في التوراة بـالآية القرآنية في قولـه تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قـال إني جاعلك للنـاس إمامـا قال ومن ذريتي قـال لا ينال عهـدي الظالمين﴾ [البقرة:١٢٤].

كرامتنا فوق كل شيء

لا شك أن المسلمين فيما لـــو انصرفـــوا عن القرآن الكريم، واتبـاع سنة رسول الله ﷺ، ولم يطبقوا لشرع الله، فسوف يكون عقاب الله لهم شديـدا، وانتقامه كبيراً، أما إذا طبقـوا دين الله، ومـا هو مكتـوب في القـرآن الكـريم، ونزل بـه الـرسـول الكريم محمـد ﷺ حقق اللـه وعـده: ﴿وعد الله الذين آمنـوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الـذين من قبلهم وليمكّنن لهم دينهـم الـذي ارتضى لهم وليبـدلنّهم من بعد خـوفهم أمنا يعبـدونني ولا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [النور:٥٥].

فيا أجيـال العرب، ويا من لا تعرفـون تاريخ اليهود قديماً، وما يخبئه لنـا القدر حديثاً، يجب أن تعلمـوا أن أمـة محمد ﷺ لها الكـرامـة على سائر الأمم، ولو دافعنا عن حقوقنا المدونة لنا في القرآن الكـريم، وتمسكنا بـديننا لكتب اللـه لنا الخلـود المصحوب بـالكـرامـة. لقد بقيت الأمـة الإسلاميـة رغم المحن والأزمات وتقلّب الحكام والثورات، بحمد الله حافظة لكتاب الله محفوفة بعناية.

ويا شباب الإسـلام يجب أن نقف على أنه لو تعرضت أية أمة لما تعرضت له أمتكم الإسلامية من كيد وبطش، وغـدر يهودي وجرائم وحشية، وهي تعيش في وكرهـا الهادي، لو تعـرضت أية أمة غير الأمة الإسلامية لمثل هذا، لما كان لها أثر الآن في الوجود.

ويا حكام الشعوب الإسـلامية والعربية، على السواء انتبهوا، وتناسـوا خلافاتكم الشخصية، وطبقوا شرع الله فيما بينكم، حتـى تعود الهيبة للعـرب، والقـــوة العظمى التي ورثنـاهـــا زمن الفتوحات الإسلامية عن سيدنا رسول الله ﷺ، والخلفـاء الـراشـدين من بعـده، رضـوان اللـه عليهم، إنها أمـانـة على أكتفـانـا نحن المسلمين يجب أن نجيد حملها. ومثال ذلك:

حج الـرشيد عـامـا فلقيه عبـد الله العمـري الطـواف.. فقال: يـا هـارون. قال: لبيك يـا عم. قال: كم تـرون هنا من الخلق – لا يحصيهم إلا الله – قـال: أعلم أيها الرجل أن كل واحـد منهم يسأل عن خاصة نفســه، وأنت يا هارون تسأل عنهم كلهم، فانظـر كيف تكون؟ فبكى الـرشيد وجلس، فجعلوا يعطونه منديلاً منديلا للدموع.. ثم قـال لـه: إن الـــرجل ليسرف في مـال نفســه يستحق الحجر عليـه، فكيف بمن أسرف في مال المسلمين؟

ويا أمـة الإسلام، إن كنت تبدين اليـوم شبه مفككة، ولكن يقيني بالله أولا وبما تضمرينه في أفكارهم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعـا ولا تفرقوا واذكروا نعمـة الله عليكم إذ كنتـم أعـــداء فـألف بين قلـــوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانـا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كـذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ [آل عمران ١٠٣] ■



■ ساهمت خرافات التلمود وعقد الحاخامات في شحن نفوس اليهود ضد الأمم الأخرى

بين قتال الأنبياء وحروب الطغاة

قاتل الأنبياء لتكون كلمة الله هي العليا، وقاتل الطغاة من أجل مجدهم الذاتي

قبل بيعة العقبة لم يؤذن لرسول الله ﷺ في الحرب، إنما أمر بالدعوة والصبر والتحمل، ومواجهة المناوئين الجاهلين بالصفح، استمر الأمر كذلك عشرة أعوام، ومع هذا فقد ظلت قريش على طغيانها تفتن المؤمنين عن دينهم، وتخرجهم من أرضهم وتسلط عليهم ألوان الايذاء، حتى أذن الله لرسوله في القتال فنزل قوله تعالى: ﴿أُذِن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلِموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ إلى قوله: ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ [الحج:٣٩-٤١]. ثم نزل قوله سبحانه: ﴿وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ [الأنفال:٣٩]. وهكذا أباح الله لرسوله ولجند الحق أن يقاتلوا أعداء الحق الذين آذوا المؤمنين وحاولوا أن يفتنوهم عن دينهم، بل حاولوا قتل النبي ﷺ كما حاولوا قتل المبايعين في العقبة الثانية.

فكان القتال من طرف المؤمنين عملية دفع للباطل وتثبيت الحق، ومنعاً للفتنة وإزالة للحواجز التي تقف في وجه الدعوة. لأجل هذا شرع القتال فالحق لابد له من رجال ومن قوة تحميه وتدافع عنه.

ولقد قيل ما قيل عن قتال الأنبياء.. تساءل البعض، واعترض البعض، ويكفي هنا أن نردد ما

بقلم: اسماعيل الخطيب

قـالـه أمير الشعـراء أحمد شوقي:

قالوا: غَزَوْتَ ورسْل الله مابعثوا
لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى لك عفواً كل ذي حسب
تكفل السيف بالجهال والعَمَم
والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحسم

إن كلمات الغـزو، القتـال، الحرب.. كلمات مفزعة مرهبة، لكن شتـان بين قتـال يقـوده الانبيـاء أو يسير على نهج الـرسل، وحـروب يشنهـا الطامعون الطغاة.

إن الأنبيـاء قاتلـوا وقتلـوا: ﴿وكأين من نبي قـاتل معـه ربيـون كثير﴾ [آل عمـران:١٤٦] وهـذا الكتـاب الحكيم يدعـو للقتال في سبيل الله: ﴿وقـاتلوا في سبيـل الله واعلموا أن اللـه سميع عليم﴾ [البقرة:٢٤٤].

والقتـال في سبيل اللـه هـو القتـال لإعـلاء كلمتـه وتأمين دينه، ونشر دعوته والدفاع عن أنصاره كي لايغلبوا على حقهم ولايصدوا عن إظهـار أمرهم، فهو أعم من القتال لأجل الدين لأنـه يشمل مع الـدفـاع عن الدين وحمايـة دعوته الـدفاع عن الحوزة اذا هـمَّ الطـامع المهـاجم بـاغتصاب بـلادنـا والتمتع بخيرات أرضنا أو أراد العدو الباغي اذلالنا والعدوان على استقـلالنـا، ولـو لم يكن لأجل فتنتنـا في ديننـا، فهـذا الأمر مطلـق كأنه أمر لنـا بأن نتحلى بحليـة الشجـاعـة، ونتسربل بسرابيـل القـوة والعـزة لتكـون حقـوقنـا محفوظـة وحرمتنـا مصونـة ولانـؤخـذ من جـانب ديننـا ولانغتال مـن جهة دنيانـا،بل نبقى اعزاء الجانبين جديرين بسعادة الدارين (١).

وقـد فهم الملأ مـن بني إسرائيل من بعـد موسى هـذا الأمر عندما قالوا: ﴿ومالنا أن لانقـاتل في سبيل اللـه وقـد أخرجنا من ديـارنا وأبنائنا﴾ [البقـرة: ٢٤٦] فلقـد وجـد سبب القتال وهو اخراج العدو لهم من أرضهم، ولذلك وجب عليهم ان يقـاتلوا لاسترجـاع الأرض وتحريـر أهلها بصـد العدو الباغي.

ولقـد قـاد الأنبيـاء عليهم السـلام جنـود الحق من المؤمنين بهم إلى قتال الأعـداء فلم يهنوا ولم يتخاذلـوا برغم مـا أصيبـوا بـه من الجرح لبعضهم والقتل للآخرين.

وقد يقتل النبي (٢) فيحمل الـرايـة أصحابـه من بعـده، ويسيرون نحو النصر بقلوب صابرة وعـزائم ثابتة، ذلك أن هـدفهم من القتـال ليس الغنـائم، أوحبـاً في الفتك وتعطشاً للدمـاء وانما للدفاع عن الحق واقامة العدل، ونشر الإسـلام وهـاهـو التـاريخ يعطينا صوراً واضحـة لقتال الفـريقين يتبين لنا منهـا ذلك البـون الشـاسع بين قتـال يهدف لإحقـاق الحق، وآخـر يعمل على طمس معالم الحق.

حروب الأشوريين

عرف الأشـوريون بـالقوة العسكرية، والشدة في الحرب، وقد هددوا البـلاد الممتدة من بـابل إلى مصر (وظلوا مـائتي عام كاملة يسيطرون بقوتهم الـوحشيـة على بـلاد الشرق الأدنى) (٣).

ويحدثنـا التـاريـخ عن حروبهم، فيخبرنا بأن العادة المألـوفة لـديهم كانت تـدمير المدينـة المغلوبـة وحرقهـا عن آخرها ومحو كل معالمها ودك بنيـانها، وافسـاد الأراضي الزراعية بإلقاء الملح والشوك فيها، وقطع أشجارها.

أمـا أهل الأرض فكـان مصيرهم القتل سـواء في ساحة المعركة أو بعد أسرهم، حيث كـانـت تسلخ جلـود الأسرى وهم أحياء او تشوى أجسـادهم على النار: (وكـان الجنود يكافؤون على كل رأس مقطوع يحملـونه مـن ميدان القتـال، ولهذا كـانت تعقب المعركة في أغلب الأحيان مجزة تقطع فيهـا رؤوس الأعـداء) (٤).

ويـروي لنـا التـاريخ مـا ارتكبه حـاكمهم (سنحريب) من فظائع أثناء غاراته، وكيف غضب على بـابل فحاصرهـا، واشعل فيها النيران ودمرها، ولم يبق على أحد من أهلها.

وكان اعتقـادهم أنهم بهذه الأعمال يرضـون آلهتهم فهذا (آشور بـانيبال) يفخـر بأنه، حرق بالنار ثلاثة آلاف أسير، وانتزع ألسنة آخرين، وأطعم أشلاءهم المقطعـة إلى الكلاب والـذئاب (وبهذه الأعمال أدخلت السرور على قلـوب الآلهة العظـام) (٥). وقـد اعتقـدوا أن (آشـور) إلههم القومـي كان ذا روح حـربية يغتبط بـرؤيـة الأسرى وهم يقتلون أمام مزاره.

وهـذا الاتجاه كـان
السائد، فعندما غـزا الغا
روما نهبـوها وأحـ
أحياءها، وعندما غزا الر
قرطاجنـة – وكانت من
عـواصم العـالم – لم يـ
فيهـا جحراً على حجـر،
بعد حصـارها وقتـل سـ
وإشعال النار فيها.

بل إن هـذه المعـا
الوحشيـة كانت تنصب
على (المواطنين) الـذين
التمسك بعقيدة تخالف
الطغـاة، وأصحـاب الأخ
أوضح مثـال لغطـرس
البغي والعدوان، حيث
إلى اقتيـاد تلك الفئ
المؤمنين بالله العـزيز ا
الى شق شقـوه في الا
وملـؤوه حطباً، وأوقـدو
النـار، ثم صـاروا يرمـ
فيهـا دون مراعـاة لـر
امـرأة، أو كبير أو
وماذلك إلا لأنهم آمنوا
القادر على مايـريد المسـ
للحمد في كل حال.

منهج الأنبياء في الق

لقـد كـان من رحمة
بعبـاده أن أذن للمـ
المصلحين بقتـال المفسـ
المعتدين، فهو سبحـانه
أهل الباطل بـأهل الحق
ذلك لفسـدت الأرض بسـ
البغاة المفسدين.

ولقد شرع القتال للدف
المؤمنين وأوطـانهم و
حرية الدين وسيادة
ومنع الاضطهـاد. كمـ
الإعداد للقوة والمرابطة،
إرهـاب من تسـوّل له
الاعتـداء على الأوطـ

... قتال الأنبياء
...روب الطغـاة

ح الأمة.
قتال لايقصد لـذاته، بل
ضرورة يلجأ اليهـا، ولذلك
عدة هي السلام، والحرب
لاستثناء، لايلجأ اليها إلا
دى حالتين:
لى: حـالـة الــدفـاع عن
ن والعـــــرض، والمال،
طن عند الاعتداء، قال
: ﴿وقاتلـوا في سبيل الله
يقاتلونكم ولا تعتدوا إن
ه لايحب المعتــــدين﴾
ة:١٩٠].
انية: حـالـة الدفـاع عن
وة الى الله، اذا وقـف أحد
بيلهــا.قــال تعــالى: ﴿
وهم حتى لاتكـون فتنة
ن الـدين لله فـإن انتهوا
عدوان إلا على الظـالمين﴾
ة:١٩٣] (٦).
إن الأنبيـاء، ومـن سـار
هجهم التزمـوا بما يمكن
سميه (آداب الحرب) وهي
لـة التي ينبغي ان يعامل
عدو المحــارب. ويمكن
ها فيما يلي:
ـدم قتـل الشيــوخ،
اء، والولـدان، روى أبو
عن أنس رضي الله عنـه،
سـول اللـه ﷺ قــال:
قـوا باسم اللـه، وباللـه،
ملـة رسـول اللـــه، ولا
وا شيخاً فـانياً، ولاطفـلاً
يراً، ولا امرأة».
نع تشويه القتلى (كقطع
ن والأنـوف) روى مسلم
ريدة، قال: كان النبي ﷺ
ـــر اميراً على جيش أو
ة أوصـاه في خـاصتـه

بتقــوى اللـه ومن معـــه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولاتغلوا ولاتغدروا ولاتمثلوا ولاتقتلوا وليدا».

*الاحسـان عنـد القتـال بـاستعمال السـلاح الـذي يسرع بـالقتل وفي مكانـه من الجسم، قـال تعـالى: ﴿فـإذا لقيتم الـذيـن كفـروا فضرب الـرقاب﴾ [محمـد: ٤] وقـال ﷺ: «ان اللـه كتب الإحسـان على كل شـيء فـــاذا قتلتم فأحسنـوا القتلـة وإذا ذبحتم فأحسنـوا الـذبحـة» [رواه مسلم]. ولــذلـك فــلا يحل استعمال الأسلحة الجرثومية وماشابهها.

*المحـافظـة على امتعـة المحـاربين من الأعداء، بعـدم عقـر شيء من حيوانـاتهم أو حرق أوتخريب بلادهم (٧).

* العنـايـــة بــالأسرى بإلباسهم (٨) وعـدم التفريق في السبي بين الوالدة وولدها. كان ﷺيقـول: «من فرق بين والدة وولـدها فرق اللـه بينه وبين أحبته يوم القيامة» (٩).

موازنة

عندما نقرأ هذه التوجيهات، ونعي منطلقـاتها ومـراميهـا يستـوقفنـا ماهـو مـدون في (التوراة) من دعوة لاستعمال القسوة مع الأعداء فقد جاء في (سفـر التثنية) في الاصحـاح العشرين، عدد١٠:

(حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعهـا إلى الصلح فـــان اجــابتـك الى الصلح، وفتحـت لـك فكـل الشعب الموجـود فيهـــا يكـــون لك بالتسخير، ويستعبد لك، وان لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرهـا، واذا دفعها الـرب الهك إلى يـدك،فـاضرب جميع ذكورها بحد السيف).

ان موقفنا من هذا النص هو مـوقفنا مـن (التواة) بصفـة عامة،وسفر التثنية الذي ورد فيه النص المذكور هو (كغيره من الأسفار السابقـة قد ضم الغث والسمين، والحقيقـــة والخيـال، والصدق والكـذب، مما حدا بالعلماء المحققين لأن يحكمـوا عليـه بأنـه ليس من تصنيف موسى عليه السلام، وانما صنفه الـذين جاءوا من بعده فأضافوا وحذفوا وعدلوا وصححوا كي يتفق هذا السفر وغيره مـن الاسفـــــار مـع ظروفهم وحياتهم) (١٠).

واضـــافـة إلى هـــذا النص الوارد في (التـوراة) نورد مـا جـاء في (الانجيل) على لسـان المسيح عليه السلام، فقد جاء في (انجيل متى) – الاصحـاح العاشر، عدد ٣٤: (لاتظنوا اني جئت لأرسي ســـلامـــاً على الأرض، ما جئت لأرسي سلاماً بل سيفـاً). وجــاء في (انجيل لوقـا) الاصحاح الثـاني عشر عـــدد ٤٩: (جئـت لألقي على الأرض نـــاراً، فكـم اريــد أن تكون قد اشتعلت).

إن قراءة الأناجيل الأربعة – المعتمـدة عنــد النصـارى – ودراستهـا تبين أنها بعيــدة الصلة عن الانجيل الـذي نزل على عيسى بن مريم، فأين هي الـدعوة الى الايمان بـالواحـد الأحــد، وهل بعـث الأنبيـــاء لحرق الأرض ومـــاعليهـــا ولسفك الـدمـــاء، أم لـدعـوة الناس إلى الاجتماع على كلمـة سواء□

الهوامش:

١) تفسير المنار، ٢:٤٦١.

٢) انظر تفسير قوله تعالى: ﴿وكأيـن من نبـي قتل﴾ عنـــد الطبري والقـــــرطبي وغيرهما و(قتل) قراءة نـافـع ، وقد قـالوا ومعنى الآيـــة: تشجيع المؤمنين والأمر بـالاقتداء بمـن تقدم .أي كثير من الأنبياء قتل معه ربيون كثير أو كثير من الأنبياء قتلوا فما ارتـــدت اممهم. والقـــول الأول للحسن الذي قـال: ماقتل نبي في حــرب قط، والثــاني لقتــادة وعكرمة.

٣) قصة الحضارة، ٢:٢٦٤.

٤) السابق، ٢:٢٧٤.

٥) السابق، ٢:٢٨٢.

٦) انظر: فقه السنة ٢:٦١٣.

٧) انظر: المحلى ٤:٣٤٣. وقـد ذكـــر في (فتـح البـــاري) أن الجمهور ذهب إلى جواز التحريق والتخريب في بلاد العـدو وكرهه الأوزاعي والليث وأبــــو ثـــور. واحتجـوا بــوصيـة أبي بكـر لجيـوشه أن لايفعلـوا شيئاً من ذلك. فتـح البــــاري، ٦:١٥٥، المطبعة السلفية.

٨) انظر: صحيـح البخاري – كتـاب الجهـاد – بـاب الكسـوة للأسارى.

٩) زاد المعــــاد ٢:٦٨ [رواه أحمد والترمذي].

١٠) التوراة: دراسة وتحليل، تأليف د. محمـد شلبي شتيوي، ص ٢٥، مكتبة الفـلاح، الكويت، ومن المعلوم ان سنــد التـوراة انقطع بضياعها من التابوت، ولم تظهر التـوارة، التي ادعى حلقيا اكتشـافها إلا بعـد حـوالي ٣٥٠ عاماً.

قبس من ضوء الإسراء

شعر: فؤاد عبد الرحمن المنياوي*
*إمام وخطيب بوزارة الأوقاف بدولة الكويت

هل يعلمُ الثقلان أنك سار
وسموت من فوق البراق مهللا
أما الأمين فقد أتاك مرافقاً
فمسحت عن وجه الحياة كآبة
قد هاموا في ظلم الدياجي حقبة
كم كنت تدعو للفضائل جمة
وَأَدوا البنات بغير ذنب يالها
شربوا الخمور ودنسوا أعراضهم
قد أنكروا البعث المحقق أمره

والظلم دين لا كرامة عندهم
ولقد خطوت إلى المبارك حولَه
قد كان ركب الأنبياء جميعهم
حضر السراج وقد توقد ضوؤه
يا فرحة الأخيار عند لقائه
نادى الأمين مؤذناً برحابه
صلِ وراءك يا حبيبي جمعهم
وسموت بالمعراج خير مكرم
حياك آدم والخليل وجمعهم



وقـد انتهى بـالمنتهى متـوقفـاً
نـادى رسـول اللـه عـذراً إنني
حيـاك رب العـالمين مبـاركـاً
ولقـد أتـاك هـدية مـرمـوقـة
عـاد الـرسـول مكـرمـاً ومبجـلاً
هـو لا يبـالي أن يكـذب مـارق
فلقـد أراه اللـه آيـة صـدقـه

والعير قـالت: قـد سمعنـا صـوتـه
والمسجـد الأقصى تجلى وصفـه
فتهلل الصـديق فـور سماعـه
يـا صـاحب الخلق العظيم تحيـة
مـاذا نقـول وقـد تـأخـر ركبنـا
قـدم الحبيب ينـادي كل مجاهـد
وكـذلك الفـاروق يهتف عـاليـاً
يا رب حقق نصرنا ورجاءنا في ليلة تزدان بالأنوار
ومكبراً يـا سيـد الأخيـار
ليقـود ركبك نحـو فيض البـار
وسـامـة من فعلـة الأشرار
يتـوسلـون بهذه الأحجـار
فيقـابلـون الفضل بـاستهتـار
من فعلـة تـربـو على الأعصـار

لا يـأبهون بخسـة أو عـار
لا يـؤمنـون بجنـة أو نـار
للمحسنين وصحبـة الأخيـار
في هـالـة الأنـوار والأسرار
يتهيأون لطلعـة المختـار
ومضـى يضيء لهذه الأقمار
فـاضت وجـوه الجمع بـالأنـوار
صـوتـاً رخيما هـام بـالأوتـار
في غبطـة وسعـادة ووقـار
فسمت بـك الـدنيـا بكل فخـار
والكل نـادى مـرحبـاً بـالسـار
ذاك الأمين وصـاحب الأسفـار
لا أستطيـع تجاوز الأنـوار
مـا نـالها أحـد من الأخيـار
إن الصـلاة تحيـة الأطهـار
ومبلغـاً بـالصـدق والإصرار

أو مشرك من جملـة الأشرار
وأراه من في جنـة أو نـار
من غير مـا شك ولا إنكـار
لنبينـا فكـأنـه بـالـدار
والجمع من صـدق ومن إخبـار
تهدي إليك بـرقـة ووقـار
عن بيتنـا الأقصى لـدى الأوضـار
هيـا أجيبـوا معشر الأحـرار
أين الشهـامـة معشر الأبـرار
أنـت المعين ومـالك الأقـدار

علم المقاصد بين الضرورة والحذر

بقلم: محمد الصالح بن عزيز

إن إقرارنا بصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، يقتضي أن تكون هذه الشريعة قادرة ومؤهلة للإجابة على قضايا المسلمين وإقامة واقعهم على هدي من توجيهات الإسلام، بعد أن شهد فكرنا تضخماً كبيراً في مسائل العبادات والأحوال الشخصية على حساب قضايا المجتمع، وترد فراغات كثيرة في ميادين كثيرة تتعلق بشؤون إدارة الحكم وبالثروة وبالملكية، وهو أحد مظاهر الإنحطاط والإنحراف الذي مس الحياة السياسية والإجتماعية للمسلمين، يتنافى وإيماننا بشمولية الإسلام الذي ينظم حياة الإنسان في مختلف وجوهها وعامة نواحيها، ولايقتصر على معالجة الجانب الروحي ولا على الجانب الأخلاقي، بل شمل كل نواحي النشاط الإنساني، وتعرض لجميعها..

وأعطانا صورة كاملة لنظام صالح للحياة، مبيناً بكل تفصيل ما هي الحسنات التي يجب أن نقيمها ونرقمها وننميها، وما هي السيئات التي يجب أن نعمل على محوها واستئصال شافتها، وما هي الحدود التي لاتتجاوزها حريتنا، وماهي الوسائل التي يجب أن نسلكها ونتوسل بها لتنمية الحسنات المنشودة ومحق السيئات البغيضة (١).

ولن يتم للشريعة الإسلامية – ولافكرنا الإسلامي – هذا الاقتدار إلا بـ:

١) فتح باب الاجتهاد لمن امتلك أدواته، والاجتهاد – كما هو معلوم – بذل الفقيه الوسع في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها لما يحدث للمسلمين من أقضية يفرضها تغير الحياة وتطورها، لأن الإسلام ترك للإنسان دور التوفيق بين نصوص الدين الثابتة ومقتضيات العصر المتطورة والمتحولة، ولم يطرح الوحي نفسه بديلاً عن قدرة العقل البشري في إيجاد صيغ تحقيق هذا الوحي في الواقع بالأشكال والصور التي تتلاءم مع ظروف الزمان والمكان، وفي ذلك تحقيق لأبعاد خلافة الإنسان في عمارة الأرض (٢). وقد عبر الإمام الشاطبي رحمه الله، عن حاجة الأمة إلى الاجتهاد في كل العصور، فقال:

«إن الوقائع في الوجود لاتنحصر، فلايصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره، فلابد من حدوث وقائع لاتكون منصوصاً على حكمها، ولايوجد للأولين فيها اجتهاد، وعند ذلك فإما أن يترك الناس فيها مع أهوائهم، أو ينظر فيها بغير اجتهاد شرعي، وهو أيضاً اتباع للهوى، وذلك كله فساد، فلا يكون بدٌّ من التوقف لا إلى غاية، وهو معنى تعطيل التكليف لزوماً، وهو مؤد إلى تكليف ما لايطاق، فإذن لابد من الاجتهاد في كل زمان، لأن الوقائع المفروضة لاتختص بزمان دون زمان» (٣).

■ المطلوب في عصرنا ان يتحول فكر المقاصد الى عنصر عناصر علم اصول الفقه

ضرورة الاجتهاد

ولعل الاجتهاد اليوم أكثر ضرورة من أي عصر مضى، بعد أن خلق المجتمع خلقاً جديداً، حتم أن يعود النشاط الفقهي إلى ما كان عليه في العصور الأولى، وأن يعود العلماء إلى مناهل الإسلام فيفتحوا منافذ نوره على حياة المسلمين اليوم، وأن يبعثوا روح الدين حسيسة نابضة حتى لانبقى في هذا الإنعزال الخطير: انعزال الحياة عن الدين، وحتى يبقى للدين سلطانه في النفوس واقتداره على إسعاد البشر.. وهو اليوم – الاجتهاد – أيسر منه في العصور السابقة، إذ ضبطت قواعد اللغة العربية ودونت الأحاديث وفُسر القرآن الكريم ونُشرت الكتب بين الناس وأصبحت في متناول كل طالب علم متوفرة في المكتبات الخاصة والعامة.

٢) تطوير أصول الاجتهاد بالاعتماد على وسائل أقدر على فهم حقائق الكون وقوانين الاجتماع والنفس، وتوظيفها في فهم النصوص لتنزيلها على واقع المسلمين، وهذا لن يكون إلا بمقدار علم المجتهد وغوصه في طلب مقاصد الشريعة، وهي المعاني والحكم والعلل الراجحة قصد استنباط الحكم الشرعي الذي يرعى مصالح الناس في مختلف مجالات الحياة، ويحفظ مصلحة الإنسان في الدين والدنيا، ذلك «أن كل

الشرائع والمنظومات مهما تباينت رؤاها الفكرية، إنما يقصد واضعها أو مشرعها إلى تحقيق جملة من المصالح والأغراض، ولئن اختلف مني تصور هذه المصالح وفي أشكال تحقيقها في الواقع فإنه لايجادل أحد في أن كل منظومة فكرية يسعى صاحبها إلى تلبية حاجات الإنسان في مختلف مناحي تنظيم وجوده كفرد، أوضمن المجتمع» (٤)..

ومن ثم فإننا على يقين بأن أحكام الشريعة الإسلامية كلها مشتملة على مقاصد الشارع، وهي حكم ومصالح ومنافع، وعلى علمائنا تعرف علل التشريع ومقاصده ظاهرها وخفيها «فإن بعض الحكم قد يكون خفياً، وإن أفهام العلماء متفاوتة في التفطن لها، فإذا أعوز في بعض العصور الاطلاع على شئ منها فإن ذلك قد لايعوز من بعد ذلك» (٥).

وقد كان فكر المقاصد حاضراً في اجتهادات الصحابة، لانهم إنما كانوا يتبعون طرق تحقيق المصلحة للأمة، كاجتهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما فتحت سواد العراق ومصر، فأراد أن تبقى الأرض بيد أهلها ويوضع عليها الخراج، بينما ذهب جمهور من الصحابة إلى وجوب تقسيمها، فمازال عمر يجادلهم حتى اقتنعوا بصواب رأيه، وإنما كان الخلاف حول فهم كل واحد منهم لنصوص الكتاب ومقاصد الشريعة..

وكذلك ما كان في عهد عمر من امرأة غاب عنها زوجها وترك معها ابناً لـه من غيرها، فاتخذت المرأة بعد زوجها خليلاً، ولما خشيت الافتضاح عمدت إلى قتل الولد، وشاركها في ذلك خليلها، ولما كُشف الأمر واعترف الجميع بعث يعلي بن أمية إلى عمر الحكم فيهما، هل يُقتل اثنان في واحد وشريعة القصاص المساواة، أم يقتص منهما حتى لايضيع دم المقتول هدراً وحتى لايكون ذلك ذريعة إلى اجتماع الجماعة لقتل الفرد حتى تفلت من القصاص، ويتوقف عمر ويستشير الإمام علياً، فيقول له : يا أمير المؤمنين، أرأيت لو أن نفراً اشتركوا في سرقة جزور فأخذ هذا عضواً وهذا عضواً، أكنت قاطعهم؟ فيجيبه: نعم، فيقول عليّ: وهذا كذلك، فيقتنع عمر، ويكتب إلى يعلي بن أمية عامله على صنعاء: اقتلهما، فلو اشتركوا فيه أهل صنعاء لقتلتهم.. وهكذا نرى، عند غياب النص كما في هذه الحادثة، يقع الاحتكام إلى المصلحة المستندة إلى روح التشريع ومقصده.

أبو حنيفة إمام مدرسة الرأي

وكذلك كان الفكر المقاصدي حاضراً عند اجتهادات فقهائنا الأعلام، فهذا أبو حنيفة إمام مدرسة الرأي عُرف بجنوحه الواسع إلى تحكيم الرأي فهي استنباط الأحكام الشرعية، وبمقدرته العقلية البارعة لإيجاد الحلول والتماس الإجابة الشرعية لكل معضلة أومسألة أو قضية على نحو يحفظ للإسلام جلاله ويفتح للإنسان الطريق إلى التيسير في العبادات والمعاملات - مادام التيسير مقصداً من مقاصد الشريعة، وعُرف بتضيقه من دائرة العمل بالحديث وبمسلكه الخاص في فهم النصوص وبحثه عن العلل، الأمر الذي جعله يكثر من القياس حتى جعله أساساً هاماً من أسس التشريع، وبذلك بلغ الفقه الحنفي الشام البعيد من التفصيل والشمول والانتشار وأضحت في متناول الكافة حلول لكل ما يعرض لهم من شؤون العبادات والمعاملات..

ولعل من أبرز الأمثلة على حضور الفكر المقاصدي عند أبي حنيفة قوله بأن الحجر على الإنسان لايكون إلا في حالات ثلاث: الجنون والصغر والرق، أما السفيه فلايحجر عليه ويرى أهليته كاملة لأنه إنسان حر في الأصل في تصرفاته، والحجر ينافي الحرية وفيه إهدار لإنسانيته وهي أجل خطراً من المال الذي يراد حفظه بالحجر عليه، كما يقرر - أبو حنيفة - للمرأة البالغة إرادتها وحريتها في الزواج بمن ترى الخير لها أن تتزوج به، فلايجعل لوليها سلطاناً عليها ويرى أن ولاية إنسان على آخر لايصح أن تفرض إلا لضرورة تنافي الحرية التي هي حق إنساني للناس جميعاً، وذلك أنه فهم أن

■الفكر المقاصدي واجه على مر العصور ولا يزال موقفاً معارضاً تزعّمه اصحاب النزعة الظاهرية

الحرية واحترام كرامة الإنسان من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية..

وهكذا مالك بن أنس إمام دار الهجرة الذي تفرد باعتماد المصالح المرسلة في استنباط الأحكام، وهي المصالح التي لم يرد في الشريعة نص معين يدعو إلى اعتبارها أو إلغائها، ولكن اعتبارها يجلب نفعاً أو يدفع ضراً، فالمصلحة عنده مقياس ضابط لكل ما هو شرعي، فاعتبرها - المصلحة - أصلاً قائماً بذاته، وقرر أن نصوص الشارع لم تأت في أحكامها إلا هو مصلحة، وأن الدين والأخلاق والقوانين إنما تتجه إلى إسعاد الناس، فأثرى بمنجهه هذا الشريعة الإسلامية وجعل أفاقها متسعة مشبعة لحاجات الناس في كل عصر وكل مكان.

ولئن كان الفكر المقاصدي حاضراً في اجتهادات الصحابة والأعلام من فقهائنا - كما بينا نماذج من ذلك، فإنه ظل مبحثاً من مباحث أصول الفقه، واقتصر الفقهاء على تخريج المقاصد المتعلقة بأحكام الشرعية عبر مباحث مسالك العلة لأنها كانت أقرب إلى التوضيح والكشف عن المعاني الواردة في النصوص، ولم يسلكوا مسلك القياس على المقاصد الكلية والعالية، بينما المطلوب في عصرنا الذي تشابكت فيه القضايا بقدر ما توسعت فيه العلوم على اختلاف أنواعها، أن يتحول فكر المقاصد إلى عنصر من عناصر هذا العلم - علم أصول الفقه - باعتبار أن النصوص لايمكن فهمها وتفسيرها إلا في سياق ما قصد منها، وباعتبار أن أحكام الشريعة كلها مشتملة على مقاصد الشارع..

وهو ما ذهب إليه الإمام الشاطبي رحمه الله، في الموافقات، وجاء بعده بقرون الإمام محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله، فسجل بكتابه القيم «مقاصد الشريعة الإسلامية » تطوراً نوعياً في سبيل وضع أصول هذا العلم وتكامله والإرتقاء به باستخلاص أصول قطعية كفيلة بأن تكون مناراً للكشف عن حكم الله في تدبير وجود الإنسان، كفيلة بالإقناع، وتهدي المتفقهين، وتضيق من دائرة الاختلاف في الأدلة، إيماناً منه بأن طريق المقاصد «هو أوسع طريق يسلكه الفقيه في تدبير أمور الأمة عند نوازلها ونوائبها إذا التبست عليه المسالك، وإنه إن لم يتبع هذا المسلك الواضح والحجة البيضاء عُطل الإسلام أن يكون ديناً عاماً وباقياً» (٦)

وقد عبر الإمام ابن عاشور عن غايته من

علم المقاصد بين الضرورة والحذر

الاشتغال بهذا المبحث بقوله: «دعاني إلى صرف الهمة إليه (علم المقاصد) مارأيت من عسر الاحتجاج بين المختلفين في مسائل الشريعة، إذ كانوا لاينتهون في حجاجهم إلى أدلة ضرورية أو قريبة منها يُذعن إليها المكابر ويهتدي بها المشتبه عليه» (٧)، ذلك أن علم الأصول كان يعتمد النصوص على محامل ألفاظها في الاستعمال اللغوي بمعزل عن بيان حكمة الشريعة ومقاصدها العامة: «إن معظم مسائل أصول الفقه لاترجع إلى خدمة حكمة الشريعة ومقاصدها ، ولكنها تدور حول محور استنباط الأحكام من ألفاظ الشارع بواسطة قواعد تكمن العارف بها من انتزاع الفروع منها، فتقاس فروع كثيرة علي مورد لفظ منها باعتقاد اشتمال تلك الفروع كلها على الوصف الذي اعتقدوا أنه مراد من ألفاظ الشارع، وهو الوصف المسمى بالعلة» (٨)، وذلك أيضاً لأن المنهج الأصولي اقتصر على معالجة القضايا الجزئية التي تلتمس حلولها من النصوص الجزئية، وأن الفقه في معظمه اتجه للمسائل المتعلقة بقضايا الشعائر والزواج والطلاق والآداب، وتناول فتاوي فرعية وقضايا أفراد، فلم يتجه نحو التنظير المنهجي والبناء على منهج مقرر لمعالجة قضايا الأمة السياسية والثروة والملكية والسلطة (٩).

النزعة الظاهرية

ولابد من التذكير بأن الفكر المقاصدي قد واجه على مر العصور – ولايزال – موقفاً معارضاً تزعمه أصحاب النزعة الظاهرية الذين يرفضون كل مصلحة لايكون طريقها النص الصريح، فلايقرون المصالح المرسلة ولايقولون بالاستحسان ويرفضون القياس، ولاعبرة عندهم بالمعاني والمقاصد إذا خالفت الظواهر، فنفوا بذلك عن الشريعة نوط أحكامها بالحكمة، ووقعوا في ورطة التوقف عن إثبات الأحكام فيما لم يرو فيه عن الشارع حكم من حوادث الزمان يقول ابن حزم إمام الظاهرية: «ويقال لمن قضى بالرأي في الدين محلل ومحرم وأوجب: أخبرنا عن قولك بالرأي هذا حرام أو هذا واجب، عمن تعبر بأنه حرّم هذا وأوجب هذا؟ أعنك أم عن الله تعالى ورسوله ﷺ؟ فإن كنت تخبر عن الله تعالى أو عن رسوله ﷺ كنت كاذباً عليهما، لأنك تقول عنهما ما لم يقله الله تعالى ولانبيه ﷺ، وإن كنت تقول ذلك عن نفسك فقد صرت محللاً ومحرماً وشارعاً، وفي هذا ما فيه نعوذ بالله منه، وأيضاً فإنك تصير قاضياً على الباري تعالى ومتحكماً عليه أن تلزم في دينه – الذي لم يشرعه سواه – أحكاماً تشرعها أنت ، وفي هذا البرهان كفاية، وبالله نتأيّد» (١٠)..

وقد ذهب المؤرخون والدارسون إلى أن ظهور هذه النزعة على سليمان الظاهري في بغداد (٢٠١هـ/ ٢٧٠هـ) وقويت وشاعت في المغرب على يد ابن حزم الأندلسي (٣٨٤هـ/ ٤٥٦هـ)، إنما جاءت لتقاوم الدعوة الباطنية (الإسماعيلية) التي اعتبرت أن مقصد الشارع ليس في ظاهر ما أوحي وإنما وراء الظواهر، وليس الظاهر إلا أسلوباً يستعمله الوحي في التدرج بعامة الناس، حتى إذا اقتربوا من الحقيقة سقطت عنهم الأوامر والتكاليف وصار بإمكانهم تأويل كل نص، فلاصلاة وزكاة، ويجيزون لأنفسهم المحرمات، ولايخفى أن هذا الرأي هو رأي كل قاصد إلى إبطال الشريعة و تمزيقها لظهور نزعة الظاهرية وانتشارها، فإنها مثّلت موقفاً خطيراً ينفي عن الشريعة صلاحها لجميع العصور، وهي نزعة مازالت تتبعها بعض الحركات الإسلامية في الوطن الإسلامي.

ضرورة الاجتهاد

وإذا قلنا إن الاجتهاد ضروري لبقاء الدين حياً له وقعه في النفوس، وله حضوره في الواقع اليومي للناس، يقوم به من امتلكوا أدواته المعروفة كما حددها علماء الأمة، فإن الإحاطة بعلم مقاصد الشريعة أوكد في عصرنا، إذ يُمكّن الشريعة من أهم وسيلة تساعدها على إيجاد الحلول الشرعية لما تراكم لدينا من مشكلات وقضايا، وتُمكّن الفكر الإسلامي من الخروج من بوتقة الموقف الدفاعي الذي تحصّن به في ظروف معينة ليتحول إلى الموقف الهجومي واختراق مجتمع الحداثة الذي يريد أن يؤسس شرعية بقائه على مقولة إن الدين غير قادر على إعطاء الحلول للمشكلات الراهنة في الوطن الإسلامي، تمكنه – الفكر الإسلامي – من إعادة البناء إيجابياً بعدما فشل في ذلك مشروع التحديث الذي شكل عملية انسلاخ عن المجتمع الأصلي وانطلق في معالجته لمشاكل البلاد بمقاطعة الإسلام والتراث والتاريخ..

وقد آن الأوان لمفكري الصحوة الإسلامية أن يطرقوا هذا المبحث دون خوف أو وجل، متسلحين بما لديهم من إيمان وعلم لينيروا الطريق أمام المخلصين من رجال السياسة الذين قرروا العودة ببلدانهم إلى تطبيق الشريعة في الأمور كلها.. وإن لنا أن نُعرّف الطلبة والمبتدئين بكتابي كل من الشاطبي «الموافقات» وابن عاشور «مقاصد الشريعة الإسلامية» ونخرجها من دائرة بحث المتخصصين لتعم الفائدة بهما المسلمين ونحن نعيش قومة إسلامية يريد من خلالها الفكر الإسلامي أن يستعيد عطاءه ودفعه أمام ركام التراث العربي الإسلامي وزحم الفكر الغربي..

إلا أن الذي نخشاه، وهو مايدعم موقف المعارضين لفتح باب الاجتهاد وأصحاب النزعة الظاهرية، أن تتخذ مقاصد الشريعة ذريعة تبني عليها أحكام كثيرة بعيدة عن روح الإسلام، وتتحول إلى وسيلة لضرب مقومات الشريعة الإسلامية وثوابتها، وذلك بإهدار النصوص أو اعتبارها نصوص تاريخية غير مطلقة، وهو ما وقع فعلاً في أكثر من موقع، فاستبيح باسم المصلحة العامة التعامل بالربا وأقيمت به دول الإسلام مؤسسات وهياكل يحميها القانون واستبيحت باسم المصلحة العامة دماء المسلمين وكرامتهم وأدميتهم لمجرد المعارضة السياسية للسلطة القائمة، ووقع باسم المقاصد تعطيل أكثر من حكم إسلامي مقر بدليل قطعي الثبوت والأدلة،وجردت أحكام الإسلام وفائضه من بعدها التعبّدي، حتى دعا أحدهم إلى إيقاف الحج «الفوضوي» لتقوم الدولة في كل سنة وعلى نفقتها ببعث مجموعة من المواطنين إلى الحج، وهكذا يكون كل الناس في بضع سنين قد أدوا فريضة الحج، وهم يعتقدون – أو يخيل إليهم – أنهم يقدمون بذلك للإسلام ولشريعته خدمة جلية..

وذهبت جماعة ما يسمى باليسار

الإسلامي التي تدعي اعتمادها على الفهم المقاصدي للشريعة إلى أخطر من ذلك، إذ ترى هذه الجماعات أن الشريعة جاءت لتحقيق بعض المقاصد العامة ولم تهتم - أي الشريعة - بالأشكال الموصلة إلى هذه المقاصد، لأن الوسائل متغيرة لايمكن حصرها من جهة، ولأن التجديد - كما يقول حسن حنفي - هو تطوير للواقع، وتطوير الواقع «هو ذاته تطوير الشريعة» من جهة أخرى، والمقاصد العليا التي جاءت الشريعة لتحقيقها خمسة في نظر هذه الجماعة، وهي: الإنسانية، العدل الاجتماعي، الحرية السياسية، المبدئية، التقدم المستمر نحو الأفضل..

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن المصلحة أصل مستقل وليست فرعاً تابعاً، ويمكن اعتبارها حتى ولمن خالفت نصاً شرعياً، أو قاعدة شرعية، ليضع «حسن حنفي» ترتيباً معاكساً لأصول الفقه التي وضعها علماء الأصول حسب الرتيب المعروف [قرآن، سنة، إجماع، قياس...]، فيقول: «ففي تقديري هناك واقع ومصالح مرسلة، وبالتالي أنا أقلب هذه الأدلة فأبدأ بالاجتهاد وبالرؤية المباشرة وبالواقع، فإن لم أجد ضالتي عليّ بالإجماع، إجماع الناس، والقرآن، سيكون معي الإحساس بالناس وبالواقع والملابسات والتاريخ، وهي التي تجعلني قادراً على أن أعيد بناء علم أصول الفقه حتى أعطي للناس الجرأة على الاجتهاد والتشريع» (١١)..

لقد أصبح الواقع أن الأحكام والقوانين المنزلة في القرآن والواردة في السنة قابلة للتأويل والتعطيل، ونحن في كل ذلك نستلهم روح الشريعة ومقاصدها، وكأن أحكام الشريعة ظرفية قابلة للنسخ المتواصل والتأويل المتواصل والتعطيل المتواصل، أي كأنها ليست وحياً منزلاً ولاشرعاً ملزماً ولا صادرة عن علام الغيوب وإنما هي فقط إفراز تاريخي مرتبط بزمانه ومكانه لايتجاوزهما (١٢)..

ملاحظات لابد منها

وغاب عن أصحاب هذا التيار:

أ) أن الشريعة لم تقتصر على بعض المعاني والحكم والمقاصد، بل تجاوزت كل ذلك إلى الوسائل والأحكام التي تضمن تحقيق هذه المقاصد على نحو يعصم من الوقوع في التعارض عند الاستنباط والتنفيذ.

ب) أنهم بنظرتهم هذه يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون بالبعض الآخر ما دامت أحكام الوحي فهي قابلة للنسخ المتواصل وفقاً للتطور التاريخي والاجتماعي.

ج) أن النية الصالحة التي شرع العمل من أجلها، بل لابد فيها من نية امتثال أمر الله «وبيان ذكر أن العمل - وهو وسيلة تنفيذ الحق بوجه عام - إذا كان تعبدياً، أي يقصد به امتثال أمر الله واجتناب نهيه، وهو حق الله في المصلحة، فلايجوز للعباد ابتداع المصالح لأنه تشريع مبتدأ وذلك محرم بالضرورة، الثاني: أن المكلف إذا كان عليه أن يتوخى المصلحة التي قصدها الشرع حتى يكون قصده في العمل موافقاً لقصد الله في التشريع، فإن توخيه لمحض المصلحة لذاتها لايجعل علمه تعبدياً لأنه لايختلف عن ابتغاء أي إنسان لحظوظه المجردة في الحياة، فلابد - ليؤدي حق الله في عمله - أن تتجه نيته إلى امتثال أمر الله جل وعلا» (١٣).

د) أن الإسلام إنما هو عبارة عن الصورة المتكاملة المتشابكة التي تقررها الشريعة للحياة الإنسانية، فلايصح أن نقطعها أجزاء ونجعل كل جزء منها مستقلاً عن غيره ثم نحكم عليه بشئ ونرى فيه رأياً... إن كل جزء من الإسلام مرتبط بسائر الأجزاء، لا يستطيع أن يعمل عملاً أو يأتي بشئ من النفع إلا معها ولايصح أن نحاول في محاسنه ومنافعه رأياً إلا إذا وجدناه يعمل في تناسب النظام الإسلامي الشامل (١٤).

وفي الختام

وأخيراً فإن موضوع المقاصد بحاجة إلى مزيد من البحث والتأصيل والربط بقضايا الواقع السياسي والاجتماعي حتى يتجاوز فكرنا رواسب الانحطاط والتخلف ويخرج من الخمول الفكري والتقليد القاتل للإبداع والاجتهاد، ويتيح للمسلمين معالجة واقعهم بمنهج أصولي يفي بحاجات هذا الواقع ويستوعب مطالبه في مختلف أبعادها..

وإن هذه العملية ينبغي أن تكون بهدي من نصوص الوحي واسترشاداً بما قدمه علماؤنا الكرام في مختلف المعارف والعلوم البشرية التي تساعد على فهم الواقع واستيعابه وفهم قوانين النفس والاجتماع البشري..

وهي عملية لن يستطيع أن يقوم بها إلا الراسخون في العلوم الشرعية - أولاً - والمتضلعون في العلوم الحديثة، لأنه لا يجوز التسرع في استخراج مقاصد الشريعة اعتماداً على قراءة سريعة متسرعة لبعض نصوصها - كما يفعل المتطفلون في عصرنا، ذلك أن التسرع في إثبات مقصد شرعي يؤدي إلى صياغة أحكام وتشريعات قد تتنافى مع بعض أحكام الشرع الأخرى، فقد نحقق مقصداً ونضيع آخر.. إن على الباحث في مقاصد الشريعة أن يطيل التأمل ويجيد التثبيت في إثبات مقصد شرعي، وإياه والتسرع في ذلك، لأن تعيين مقصد شرعي، كلي أو جزئي، أمر تتفرع عنه أدلة وأحكام كثيرة في الاستنباط، ففي الخطأ فيه خطر عظيم، فعليه ألا يعين مقصداً شرعياً إلا بعد استقراء تصرفات الشريعة في النوع الذي يريد انتزاع المقصد الشرعي منه وبعد اقتفاء آثار الأئمة ليستضيء بفهمهم (١٥) □

الهوامش:

١) انظر: نظرية الاسلام وهديه، المودودي.
٢) انظر: العقل والسلوك في البنية الاسلامية، عبد المجيد النجار، وكذلك: خلافة الانسان بين العقل والوحي.
٣) الموافقات للشاطبي.
٤) التفسير والمقاصد عند الامام محمد الطاهر بن عاشور، الصبحي عتيق.
٥) مقاصد الشريعة الاسلامية، محمد الطاهر بن عاشور.
٦) نفس المصدر.
٧) نفس المصدر.
٨) نفس المصدر.
٩) انظر بمزيد التفصيل: التفسير والمقاصد عند الامام ابن عاشور.
١٠) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم.
١١) حوار مع حسن حنفي بمجلة ٢١/١٥ التونسية، العدد١.
١٢) راجع كتاب: ظاهرة اليسار الاسلامي، دراسة تحليلية نقدية، محسن الميلي.
١٣) مفاهيم تربوية اسلامية، باب السنيّة، الصبحي عتيق.
١٤) راجع: نظرية الاسلام وهديه للمودودي، وكذلك كتاب: الاسلام في معركة الحضارة لمنير شفيق.
١٥) مقاصد الشريعة الاسلامية، ابن عاشور.

إعجاز القرآن العلمي والتشريعي

بقلم: علي عبـد الـلاه طنطـاوي*

■أثبت العلم الحديث صحة معلومات كونية وردت في القرآن الكريم وكانت خافية على العلماء يومها

نزل القـرآن الكريم في وقت سـاد الجهل فيـه وشـاع، فلم يكـن يعـرف النـاس عن الطبيعة إلا النذر اليسير فكانوا يعتقدون أن الأرض مستـويـة، وأن السماء تسقف الأرض، وأن النجـوم مسـامير لامعـة من الفضة مركبة في قبة السماء، أوأنها قناديل معلقة في الفضاء، وكان أهل الهند الأقدمون يؤمنون بأن الأرض محمولة على أحد قرني «البقـرة الأم» وهى حين تقـوم بنقلهـا من قرن إلى قـرن، يحدث زلزال على البسيطـة، بل كان العلماء حتى وقت قريب يقولون أن الشمس ساكنة بلا حراك وأن الأرض تدور حولها في الوقت الذي كان القرآن الكريم قد سجل قبل إكتشافهم بتسعة قـرون حركة الشمس وجريانها. ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولاالليل سـابق النهـار وكـل في فلك يسبحون﴾ [يس:٤٠].

ويقـرر العلم الحديث أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين داخل كتلـة غازية ملتهبة تسمى «السديم» ثم انفصلتا نتيجة إنفجارات شديـدة حدثت داخل السديم وفي ذلك يقـول الله عز وجـل في قرآنه الكـريم. ﴿أولم يـر الـذين كفـروا أن السماوات والأرض كانتـا رتقا ففتقنـاهما وجعلنا من الماء كل شـىء حي أفـلا يـؤمنـون﴾ [الانبياء:٣٠].

قرر القرآن الكريـم أيضا منذ أربعة عشر قـرنـا أن هنـاك ماهـو أصغـر من الـذرة: ﴿ومـايعـزب عن ربك من مثقـال ذرة في الأرض ولا في السماء ولاأصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ [يونس:٦١].

وقد أثبتت النظريـات العلمية الحديثة أن الـذرة ليسـت أصغـر شىء في الـوجـود حسبما كان سائدا بعد أن تمكن العلماء من تحطيمها وماتـرتب على ذلك من استخدام الطاقة النوويـة الناشئة عن ذلك في الحرب والسلم.

ومن الإعجـاز العلمي أيضـا قولـه عـز وجل: ﴿وتـرى الجبـال تحسبها جـامـدة وهى تمرمر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ [النمل:٨٨].

وقـد أثبت العلـم الحديث أن الجبـال تتحرك بحركة الأرض وان كنا لانشعر بها كما أثبت العلم الحديث أيضـا: أن ضغط الهواء يقل بـالإرتفـاع إلى طبقـات الجو العليا ، فيصبح التنفس عسيرا، يكاد يخنق الأنفـاس بسبب قلـة الأكسجين الـلازم

*) رئيس محكمة الجنايات وأمن الدولة العليا.

للتنفس،وقد يصيب الأنسان الإغماء والدوار من جراء ذلك (١).

وقد صور القرآن هذه الظاهرة في قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾ [الانعام:١٢٥].

وقد حرم الله في كتابه العزيز الميتة والدم ولحم الخنزير: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغيرالله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ [البقرة:١٧٣].

وكان الإنسان غافلا عن هذا التحريم إلى أن توصل العلم الحديث الى أن الدم يحتوى على كمية كبيرة من مادة حامض البوليك السامة، كما ثبت أن لحم الخنزير يحتوي على الدودة الشريطية.

ويقول الله في كتابة العزيز: ﴿أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه. بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾ [القيامة:٣و٤] والبنان أطراف الاصابع فتلك الخطوط التى تظهر في جلد أصابع الجنين وهو في بطن أمه وتتكامل عند مولده لاتتغير طوال حياته لا في الشكل ولا في العدد، وتظل حتى الموت، وقد اعتمدت بصمات الأصابع كأساس لاثبات شخصية الإنسان في جميع دول العالم بعد أن أثبت العلم الحديث أنه لايتشابه إثنان من سكان العالم في بصمات أصابعهم (٢).

ويصور القرآن الكريم العذاب الذي يلحق بالكفار في تاريخهم بقوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ [النساء:٥٦].

وقد أثبت العلم الحديث أن شبكة الأعصاب التي تشعر بالألم موجودة في الطبقة الجلدية دون سواها وهي التي تستقبل الإحساس بالحرارة والبرودة والألم،فتجدد الألم الذي ينقطع بحرق الجلد يتحقق بأعادة الجلد كما كان حتى يكون عذاب الكفار مستمرا كلما تبدل الجلد في كل مرة (٣).

ومـاسلف من بيان نذر يسير من فيض وغيره كثير يلمسه الباحث المتأمل في كتاب الله تعالى، مما يجزم معه بيقين أن القرآن الكريم من عند الله عز وجل وأن العلم الحديث بأبحاثه المستمرة واكتشافاته المتجددة المتكررة يذكرنا بقوله جل وعلا: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد. الا إنهم في مرية من لقاء ربهم الا إنه بكل شيء محيط﴾ [فصلت:٥٣و٥٤].

الإعجاز التشريعي للقرآن

نشأ الإسلام في مجتمع شبه



■ التشريع القرآني كامل الأصول، شامل لكافة القواعد الاقتصادية والاجتماعية، يغطي كل جوانب الحياة

إعجاز القرآن العلمي والتشريعي

بـدائي.. لاحـاكم لهذا المجتمع ولاسلطـان لأحـد عليه.. فكـان لزامـا أن يتولى القـرآن الكريم هذا المجتمـع بتشريعاته، وأن يضع لـه النظم الاجتماعيـة والاقتصـاديـة، وأن يسن لـه القــانـوانين، وأن يتـولى ضميره وروحه، وسلـوكه ومعـاملاتـه، وأن يجمع بين الدين والدنيا في توجيهاته وتشريعاته.

جـاء القــرآن بتشريع كـامـل الأصـول شـامـلا لكـافـة القـواعـد الاقتصـاديـة والاجتماعية في المجتمع الإسلامي ..تشريع شمل عـلاقـة الإنسـان بربـه.. وعـلاقتـه بنفسه.. ،وعـلاقته بمجتمعـه..تشريع قرر الثواب والعقاب على العمل غير غامض لنية المرء في مجال عقابه أو ثوابه.

جاء بتشريع وازن فيه بين مصلحة الفرد والجماعـة فلم يترك الفرد تطغى مطـامحه ومطـامعـه على الجماعـة ولم يترك كـذلك الجماعـة تطغى على فطـرة الفرد وطـاقتـه أوتنال من نشاطه بتحطيم ميـوله ونوازعه كما كــان الشأن في بعـض النظــريــات الاقتصـاديـة الحديثـة التي تشـد قـوابها وسموها إشـتراكية وتقدمية وأسبغواعليها الكثير من الصفـات ثم أثبتت الأيام فشلهـا الذريع وضياع الشعوب التى أخذت بها.

جـاء القـرآن بتشريعـات تأنف أن تحيل الحياة لقمـة خبز أو شهـوة جسد أودراهم معددوة بل قررت الكفـاية لكل فرد ورفعت عنه ضغط الإحتياج والعـوز، وحرمت عليه الترف الذي يطلق العنان للمتع والشهوات، ويخلق الفـوارق والطبقات فرتبـت للفقراء حقــوقـا في أمـــوال الاغنيـــاء بقـــدر حـاجتهم ممـا يجعل حياة النـاس تعاونـاً وتكافلا لاحـرب فيها ولانـزاع ولاخصـام، كما حـوت إطــلاقـا للطـاقـات الفـرديـة والعـامـة دون سجن أو كبت أوحرمان.

لقـد أبـاحت نصـــوص القـرآن الكـريم للأفـراد حق التملك للمنقول والعقـار بقدر وسعهم، وأبــــاحـت لهم التصرف فيما يمكلون شريطة أن يكون هذا التملك وذلك التصرف في غير ماحرم اللـه وسند ذلك من القـرآن الكـريم قـولـه تبـارك تعـالى: ﴿ولا تأكلـوا امــــوالكم بينكم بــالبــــاطل﴾ [البقـرة:١٨٨] ويقـــول: ﴿وان تبتم فلكم رؤوس امـوالكم لاتظلمــون ولاتظلمـــون﴾ [البقـــرة:٢٧٩]، ويقــــول عـــز وجل: ﴿ولاتقـربــوا مــال اليتيم إلا بــالتي هى أحسن﴾ [الانعام:١٥٢].

ولم تكتف أحكـام القرآن بـاقرار الملكيـ[...] وانما حضت على كسبها وذلك بالبحث عن العمل الـذي يعد المصـدر الأول والأساس لكسبها وأوجبته على الأفـراد.﴿وقل اعملو[...] فسيرى الله عملكـم ورسولـه والمؤمنون﴾ [التـوبـة:١٠٥]، ﴿فـإذا قضيت الصـلا[...] فأنتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ [الجمعـــة:١٠]، ﴿ هـــو الـــذي جعل لكم الأرض ذلولا فأمشوا في منـاكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ [تبارك:١٥].

وقــد جـــاء[...] القــــــرآن[...] بالنصوص التي[...] حمت هـذا الحق[...] وكفلت صيـانته[...] من أي اعتـــداء[...] ﴿يـا أيها الـذين آمنـوا لاتـأكلو[...] أمــوالكم بينكم[...]

■ سبق القــرآن التشريعـات البشريــة في إطــلاق العقل من عقـالـه، والإقـرار بـالحريات العـامـة، والحقــــوق الفـــرديــــة، وتحريـــــر المرأة، ممـــا يـــدل على ربـــانيتـــه قطعـــاً

بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ [النساء:٢٩]، ويقول تعالى: ﴿والسارق والسارقة فأقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله﴾ [المائدة:٣٨].

وأوجب القرآن البعد عن كسب الملكية من الحرام والغش والخداع والإكراه والإستغلال والخديعة: ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران:١٣٠]. ﴿ويل للمطففين. الذين اذا إكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون. ألايظن أولئك أنهم مبعوثون. ليوم عظيم﴾ [المطففون:١-٥]. وقد أوجب القرآن أن تنفق هذه الأموال في سبلها المشروعة وهي سد حاجة المحتاج ومواساة البائس، ومد يد العون للفقير، ومسح أحزان اليتيم، ووصل القريب، وتفريج كربة المكروب، وعدم التقصير في المساهمة في أعمال البر: ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخروالملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب﴾ [البقرة:١٧٧].

ويقول تعالى: ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾«الذاريات:١٩» ﴿لن تنالو البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران:٩٢]، ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى﴾ [النحل:٩٠].

وليس للمسلم أن يتخلف عن تنفيذ مايأمر به في هذا الشأن لأن المال هو مال الله عز وجل وقد إستخلفه الله تعالى عليه: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ [النور:٣٣]، ﴿وأنفقوا مماجعلكم مستخلفين فيه﴾ [الحديد:٧]، ﴿إن الإرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ [الأعراف:١٢٨].

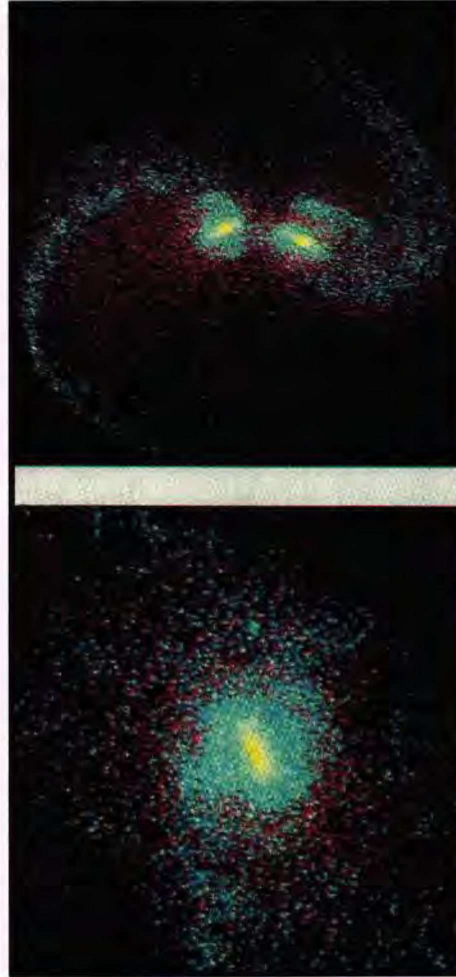
هذه أحكام القرآن الاجتماعية والاقتصادية لو طبقت لأصبح الناس أخوة متحابين، لا تباغض بينهم و لاتحاسد، ولاكيد، ولاعراك ولاخصام، مما يسعد النفوس المحروسة، ويكسى الأجساد العارية، ويشبع البطون الجائعة (٤).

أما سياسة الحكم في الإسلام فإنها تقوم على أساس العدل من الحكام والطاعة من المحكومين والشورى بين الحاكم والمحكوم وهي مبادىء عامة، وخطوط أساسية تتفرع منها سائر الخطوط (٥).

العدل من الحكام: ﴿إن الله يأمر بالعدل﴾ [النحل:٩٠]، ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ [النساء:٥٨] ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة:٨٥]، ﴿واذا قلتم فأعدلوا ولو كان ذا قربى﴾ [الانعام:١٥٢].

والطاعة من المحكومين مستمدة من طاعة الله ورسوله ﷺ لأن ولي الأمر في الإسلام لايطاع لذاته وإنما يطاع لقيامه على شريعة الله وتنفيذه لها: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ [النساء:٥٩].

والشورى أصل من أصول الحكم في القرآن: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ [آل عمران:١٥٩]، ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ [الشورى:٣٨]، وقد اكتفى القرآن الكريم بتقرير الشورى كأصل من أصول الحكم الإسلامي، أما طريقتها فلم يحدد لها تطبيقا خاصاً، بل تركه لظروف كل مجتمع



ومقتضياته التي تتغير بتغير الزمان والمكان.

ولقد سبقت الشريعة الاسلامية القوانين الوضعية في هذا الشأن إذ أن القانون الإنجليزي أخذ بنظام الشورى في القرن السابع عشر وقانون الولايات المتحدة الأمريكية أخذ به في منتصف القرن الثامن عشر، أما القانون الفرنسي فقد أخذ به في نهاية القرن الثامن عشر. وعلى إثر ذلك انتشر المبدأ وأخذت به معظم القوانين في القرن التاسع عشر (٦).

أما في مجال المعاملات والتى تتعلق بعلاقة الفرد بغيره من الأفراد فلقد جاءت التشريعات القرآنية بالأحكام العامة والمبادىء الكلية تاركة التفصيلات ليجتهد فيها العلماء، ولتتسع لكل زمان ومكان دون خروج عن أصل هذه القواعد أو تلك المبادىء وهذه مرونة من التشريع القرآني وسمة من سماته.

جاء القرآن بتشريعات لكل الناس عرب وغير عرب وعلى اختلاف عاداتهم وتقاليدهم ولكل زمان ومكان فجاءت جامعة تحكم كل شيء، مانعة لايخرج عن حكمها شيء، كاملة لايعتريها نقص أو قصور.. لقد جاءت بنصوص علمية غنية بالمبادىء والنظريات تندرج تحتها تفصيلات ماقد يستجد من متطلبات الحياة ومتغيراتها مما يسد حاجة الفرد والجماعة في الحاضر والمستقبل.. أحكام من عند الله غير قابلة للتغير والتبديل كما هو الحال في القوانين البشرية ﴿لاتبديل لكمات الله﴾ [يونس :٦٤] ورغم ذلك فإن الحاجة اليها ملحة وماسه لأنها من تشريع الخالق الذي لاتخفى عليه خافية والذي هو أدرى دون سواه بما ينفع خلقه وعباده: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك:١٤].

أتى القرآن منذ أربعة عشر قرنا بأحكام غاية في السمو والكمال ولم تدن منها حتى الان أحدث التشريعات الوضعية.

وعلى سبيل المثال لاالحصر زعم أهل الغرب أنهم وضعوا الإعلان العالمي لحقوق الانسان..وأعتبروا مبادئه التي وضعوها أوائل القرن العشرين النموذج المثالي لهذه الحقوق، وقد فاتهم أنهم جاروا وحافوا - بقصد أو بدون قصد - على القرآن الكريم

إعجاز القرآن العلمي والتشريعي

الذي أتى بهذه الحقوق منذ أربعة عشر قرنا بقوله تعالى: ﴿يأأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [الحجرات:١٣].

والمتأمل لهذا الحكم القــرآني يجد أن المساواة قد جاءت مطلقة على الناس كافة، لافرق بين فرد وآخر ولاجماعة وأخرى، ولاجنس يعلو على جنس، ولافرق بين حاكم ومحكوم وأن مبادىء حقوق الانسان لم تكن إلا قبسا من أحكام القرآن وإهتداء بهديه.

ساوى القرآن أيضا بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات بقوله تعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ [البقرة:٢٢٨]، ونظرا لأن الرجل هو رب الأسرة والمنوط به تربية الأولاد ورعايتهم ومن ثم فقد جعل له الرياسة والقوامة بقوله: ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ [البقرة:٢٢٨]، ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ [النساء:٣٤].

وهذا الوضع اللائق بالمرأة لم تعرفة القوانين الوضعية الحديثة حتى عهد قريب، فقد كان القانون الانجليزي حتى عام ١٨٠٥م يبيح للرجل أن يبيع زوجته وقد حدد ثمن الزوجة بست بنسات (٧)، وقد حرم هنري الثامن على الانجليزيات قراءة الكتاب المقدس وظلت نساء انجلترا حتى عام ١٨٥٠م غير معدودات من المواطنين وظللن حتى عام ١٨٨٢م ليس لهن حقوق شخصية، ولا حق لهن في التملك الخالص (٨).

وظلت المرأة في فرنسا حتى عهد قريب محرومة من التصرف في مالها دون إذن من زوجها حتى عام ١٩٣٨م حتى صدر قانون يجيز لها أن تفتح حسابا جاريا باسمها في البنك وتوقيع شيكات الصرف والعقود المالية (٩).

جاء القرآن مقررا حرية الفكر والعقيدة والرأى ونصوص القرآن التي تحض على استخدام الفكر لاتحصى ومنها قوله تعالى: ﴿قل أنظروا ماذا في السماوات والارض﴾ [يونس:١٠١]، وقوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب﴾ [الطارق:٦و٧]، ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وماأنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ [البقرة:١٦٤].

جاء القرآن مقررا حرية العقيدة: ﴿لاإكراه في الدين﴾ [البقرة:٢٥٦] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس:٩٩].

جاءت التشريعات القرآنية أيضا مقررة حرية القول وجعلتها حقا كفلته لكل إنسان.. بل جعلته واجبا في كثير من الأحيان وذلك إذا ماتعلق بالأخلاق والآداب العامة أو المصالح العامة فيقول جل ثناؤه: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ [آل عمران:١٠٤] ويقول: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ [الحج:٤١].

وحرية القول في القرآن مقيدة بعدم، اساءة إستعمالها بما لايؤدي إلى وقوع عدوان على أحد: ﴿لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ [النساء:١٨]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الاعراف:١٩٩]، ويقول جل من قائل: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ [الفرقان:٦٣].

وقد ظن البعض أن أهل الغرب هم أول من دعوا للحرية ونادوا بها وهذا القول ليس إلا جهلا بأحكام الاسلام التي سبقت الفكر البشري في هذا المضمار باحد عشر قرنا على الأقل،ذلك أن القوانين الوضعية لم تكن تعترف بالحريات بل كانت توقع أشد العقوبات على المفكرين ودعاة الاصلاح ومن كانوا يعتنقون عقيدة تخالف عقيدة الحاكم.

سبقت أحكام القرآن أيضا القوانين الوضعية الحديثة بتحريمها الخمر تحريما قاطعا، وقد تدرجت أحكام القرآن في تحريمها وذلك منعا للمشقة على الناس ولصعوبة تركهم لها مرة واحدة خاصة وأنهم كانوا في الجاهلية منغمسون فيها حريصين عليها أشد الحرص فكانت أول آية نزلت في الخمر مبينة لمضارها التي هي أكثر من نفعها مما يشير إلى تحريمها: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما اكبر من نفعهما﴾ [البقرة:٢١٩].

ثم جاء تحريم شربها قبل الصلاة: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ [النساء:٤٣].

وفي مرحلة ثالثة من تدرج التشريع نزلت آية التحريم النهائي: ﴿ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة البغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة:٩٠و٩١].

ولقد عرفت البشرية أخيرا مضار الخمر فحاولت بعض الدول محاربتها بشتى الوسائل ومن بينها وسائل الإعلام كالولايات المتحدة الأمريكية التى أنفقت عليها ستين مليون دولار،و بلغ مانشر ته من كتب ونشرات في هذا الشأن مايقرب من عشرة بلايين صفحة ولقد أشار تقرير المعهد الوطني لدراسة أخطار الخمور في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن الصبايا والصبيان الأمريكيين يشربون خمرا بـ ٢٥ ألف مليون دولار سنويا وهذا الجيل الجديد يتراوح سنه مابين إثنى عشر عاما وخمسة عشر عاما (١٠).

وسبق الشريعة الاسلامية في هذا الامر أقر به العديد من مفكري الغرب المنصفين فقد قرر احد كبار الانجليز وهو بنتام أن: «النبيذ في الأقاليم الشمالية يجعل الرجل كالأبله،وفي الأقاليم الجنوبية يصوره كالمجنون، ولقد حرمت ديانه محمد ﷺ جميع المشروبات المسكره وهذا من محاسنها.

سبق القرآن أيضا في أحكامه الفكر البشري الحديث في مجال إثبات الإلتزامات، فقد أوجب الكتابة كوسيلة لإثبات الدين المؤجل صغرهذا الدين أم كبر: ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى آجل مسمى فأكتبوه﴾ويقول تعالى﴿ ولاتسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى اجله﴾ [البقرة:٢٨٢] ومن الناحية القانونية يدخل تحت مدلول الدين كافة التصرفات من عقود بيع ورهن وقرض واجارة وعارية وغير ذلك.

ولقد استثنى القرآن الدين التجاري من الكتابة: ﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألاتكتبوها﴾ وعلة هذا الاستثناء أن التجارة تقوم على السرعة والتكرار والائتمان واشتراط الكتابةقد يعرض البائع لخسارة أو يضيع فرصة على المشتري، ولقد أخذت أحدث النظريات القانونية السائدة بهذه النظرية.

في مجال الاثبات أيضا حرمت نصوص القرآن التشريعية شهادة الزور أو الامتناع عن أداء الشهادة فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ولايأب الشهداء إذا مادعوا﴾ [البقرة:٢٨٣]، ويقول سبحانه: ﴿ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ [البقرة:٣٨٢]، ويقول جل ثناؤه: ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله ولو على أنفسكم أوالوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدولوا وان تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ [النساء:١٢٥].

وهذه النصوص القرآنية تحرم كتمان الشهادة، كما تحرم الإمتناع عن أدائها وتحرم أيضا شهادة الزور.

والقوانين الوضعية الحديثة وان حرمت شهادة الزور أو كتمان الشهادة إلا أنها لم تصل بعد إلى تحريم وتجريم الإمتناع عن تحملها مما يؤدي إلى تعقيد وعرقلة المعاملات وبطئها.

جاءت أحكام القرآن منذ أربعة عشر قرنا سابقة لأحدث النظريات الجنائية من أن العقوبات شخصية وأن من إرتكب إثما أو جرما يتحمل وحده دون سواه جزاء ماارتكبته يداه فيقول جل وعلا: ﴿ولاتزر وازرة وزر أخرى﴾ [فاطر:١٨]، ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ [غافر:١٧]، ﴿ومن يكسب إثما فانما يكسبه على نفسه﴾ [النساء:١١١]، ﴿ولاتكسب كل نفس إلا عليها﴾ [الأنعام:١٦٤].

ومن يتأمل أحكام القرآن يجد فيها السمو والكمال والعدالة والحكمة والرحمة وصلاحية مبادئة للتطبيق في كل زمان ومكان ولقد أشار علماء الغرب ومفكروه إلى أحكامه مشيدين بسموها مبهورين بعظمتها وفي ذلك يقول «ول ديورانت»: إنّ محمداً ﷺ كان من أعظم عظماء التاريخ فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي.. وقد وصل الى ما كان يبتغيه عن طريق الدين ويقول: وهو الذي أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعي والوحدة الاجتماعية، وحضهم على اتباع القواعد الصحيحة، وحرر عقولهم من كثير من الخرافات والأوهام والظلم والقسوة (١١).

ويقول المستشرق السويسري برهان كودفيل بردكهارت (١٢) أن المجتمع الاسلامي الصحيح هو مجتمع المحبة والتعاطف والصفاء، وفي ظلاله لايعرف شيء يسمى العوز أو الحقد أو التنافر الطبقي إذ يحظى الفقير والضغيف، والعاجز بعطف الأغنياء والأقوياء والقادرين ومعونتهم التي يبذلونها طواعية ومن غير ترفع ولا تعال،مما يقضي تمام القضاء على تلك الفوارق الاجتماعية والصراعات النفسية التى تعانيها المجتمعات الأوربية، وتهدد روابط الناس فيها بأفدح الاخطار.

ويقول المستشرق «فيتزجيرالد»: ليس الإسلام دينا فحسب ولكنه نظام سياسي أيضا. ويقول جيب: «إن الإسلام لم يكن مجرد عقائد دينية فردية، وإنما استوجب إقامة مجتمع مستقل له أسلوبه المعين في الحكم وله قوانينه وأنظمته الخاصة» (١٣). ويقول البروفسير شبريل عميد كلية الحقوق بفيينا: إن محمدا ﷺ الذي تفخر البشرية بانتسابه اليها استطاع أن يأتي بتشريع قبل بضعه عشر قرنا سنكون نحن الأوروبيين أسعد مانكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي عام (١٤).

وقد فات هذا المستشرق أن هذا التشريع الذي يتحدث عنه أنما هو من عند الله عز وجل وليس من عند محمد ﷺ.

ويقول الدكتور«تارا»: لايمكن لمدنية من المدنيات أن تدعى بأنها لم تتأثر من قريب أو بعيد بدعوة هذ النبي الكريم ودينه وتشريعاته (١٥).

وقد شهد بسمو التشريعات الاسلامية وتقدمها المؤتمر الدولي للقانون المقارن المنعقد بلاهاي عام ١٩٣٧م، وقد أعرب رجال القانون الغربيين المشتركين فيه عن بالغ تقديرهم لها، ومن هؤلاء العميد الإيطالي «دل فيكو» الذي شهد بسموها ومرونة أحكامها «وايفارستوكاروزي» أستاذ القانون الروماني والعميد الامريكي «ويجيور» والفقيه الفرنسي «لامبير»□

الهوامش

١) القرآن كتاب الله الخالد.
٢) المرجع السابق.
٣) المرجع السابق.
٤) أنظر مقالنا: «أحكام الشريعة الأسلامية ومدى الحاجة إليها ووجوب تطبيقها» بالعددين الخامس والسادس لسنة ٥٩ بمجلة المحاماة.
٥) انظر مقالنا: «بين الشريعة الإسلامية والقانون الدستوري» الوعي الإسلامي، العدد٢٠٨، السنة١٨.
٦) التشريع الجنائي الاسلامي.
٧) احكام الاسرة بين الشرع والقانون، للمؤلف، ص٢٠.
٨) المرجع السابق. مقارنة الاديان، للدكتور احمد شلبي، ص٣٠.
٩) احكام الاسرة بين الشرع والقانون.
١٠) الوعي الإسلامي، السنة التاسعة، العدد٩٨، ص١٠٦. جريدة الأهرام في ١٩٧٥/٤:٢٧.
١١) قصة الحضارة، ج١٣، ص٢٤٤.
١٢) اسلم سنة ١٨٠٩م وتسمى باسم ابراهيم المهدي بن عبد الله.
١٣) الحرية العامة في الفكروالنظام السياسي في الاسلام.
١٤) الوعي الإسلامي، س٣، عدد ٢٦، ص٤٢.
١٥) محمد رسول الله مرآة الفكر الأجنبي، للدكتور عبد الفتاح علي شحاته، ص٤٩.

الـدعـوة الإسلاميـة ووسائلها الاعلامية ٢/٢

بقلـم: سعيـــد احمد الأصبحي

العـــب القصـــص القرآني؛ وما زال؛ دوراً بارزاً ومؤثراً في الدعوة الإسلامية

تعـرّض الكـاتب سعيـد أحمد الأصبحي في المقال السابق لتعريف الدعوة الإسلامية والداعية المسلم، وتعـداد وسـائل إعـلام الـدعـوة الإسلامية في عصر النبوّة. وفي هذه الحلقـة الثانيـة والأخيرة يتحـدث عن الحرب النفسية والشعـر مبيناً أهمية الاستفادة من دروس السيرة الشريفـة في إقـامة إعـلام إسـلامي متميز.

الحرب النفسية

الحرب النفسيـة أو مـايسمى بـالحرب الباردة كانـت وسيلة من الوسائل الـدعائية التي قامت بها الـدعوة الأسلامية في بـدايتها حيث استخـدمت بعـض التمـويـه أو القـاء الرعب في المشركين بقصد أضعـاف عزيمتهم وروعهم. بما ينون فعله وأسوق هنا ثلاث حوادث حدثت في السيرة أولها – والتي حـدثت قبل فتح مكة يحيث أمر سول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب أن يجلس أبا سفيان حيث تمر به كتائب الايمان.

وتحركت كتائب الفتح كأنها بحر يموج، وكانت القبائل تمر علي راياتها كلما مـرت قبيلة سأل العباسي عنها وعن اسم القبائل فيقول: مالي وابن فلان؟ حتى مر رسـول الله ﷺ في كتيبة خضراء، فيها المهاجرون والأنصار، لايـرى منها إلا الحدق من الحديد، فقال سبحانه اللـه! ياعباس من هؤلاء؟ قال: هذا رسول الله ﷺ في المهـاجرين والأنصار قالك ما لأحد بهؤلاء قبل ولاطــاعـة، واللـه يــا أبـا الفضـل لقـد أصبح ملك ابن أخيـك الغـداة عظيما،قال:يأبا سفيان! انها النبوة، قال فنعم اذا (١).

بعـد هذا الموقف والمشهـد الـذي رآه أبو سفيـان مـاذا نتـوقع منه، أ مـاذا سيفعل؟وأي انســان غير ه لن يفعل إلا كما فعل وهـو نقل مـارآه بحـذافيره وخصوصا أنه من سادات قـريش وأن الرسول ﷺ أعطاه الأمان ان جلس في بيته ففتحت مكـة دون قتال ودخلهـا ﷺ فاتحا ومطأطـاً رأسه للـه عز وجل الذي من عليه بهذا الفتح.

أما الحادثـة الأخرى فقـد حدثت في غـزوة أحد والمسلمـون يستعدون لها

فيقول رسول الله ﷺ: «من يأخذ هذا السيف بحقه»؟ فقام اليه رجال، وأمسكه عنهم حتى قام اليه أبو دجانه سماك بن خرشة أخو بني ساعده فقال: وماحقه يارسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحنى، قال: أنا أخذه بحقه، فأعطاه أياه وكان أبو دجانه رجلا شجاعا يختال عند الحرب، اذا كانت ، وكان اذا أعلم بعصابة له حمراء، واعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله، أخرج عصابته تلك، فعصب بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصفين، فقال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجانه يتبختر: انها لمشية يبغضها الله الا في هذا الموطن (٢) لماذا؟ لأنها تثير الرهبة والذعر في نفوس الأعداء بل وتحطم معنوياتهم، وهذا أسلوب من أساليب الحرب الباردة، وهو أسلوب ناجح خصوصا عندما يكون الفريقان متجابهين فكل منهم يفرض قوته وفنه فكان أبو دجانه بعصابته الحمراء التي تدل على الدم نموذجا يرعب الكفار، والعصابة الحمراء تقول الويل لمن يقابل صاحبي هذا فمصيره الموت والهلاك، وكأن أبو دجانه بعصابته الحمراء يقول لكفار قريش هأنذا مميز بين المسلمين ليأتي الصنديد منكم لمقاتلتي.

أما الحادثة الأخيرة فقد حدثت في عمرة القضاء في السنة السابعة فقد خرج الرسول ﷺ مع أصحابه إلى العمرة، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عزل، وتحدثت قريش بينها أن محمدا وأصحابه في عسره وجهد وشدة.

ثم صفوا له عند دار الندوة لينظروا اليه والى أصحابه، فلما دخل رسول ﷺ المسجد اضطبع (٣) بردائه، وأخرج عضده اليمني، ثم قال:رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة، ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه، حتى إذا استلم الركن اليماني مشى حتى الركن الأسود، ثم هرول كذلك ثلاثة أشواط ومشى سائرها (٤) توقعت قريش أن ترى أناسا متعبين من السفر والعسرة ولكنه أراهم ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم ماتعجز عن ادراكه عقولهم القاصرة وهذا الأسلوب الذي تبعه ﷺ معهم أفاد أمور كثيرة منها:

١) جعلهم يتساءلون: هذا وهم متعبون من السفر يهرولون فما بالك وهم مستريحون.

٢) ألقى في قلوبهم الرعب والرهبة من عمل أي شيء للمسلمين أثناء عمرتهم أو نقض للعهد.

٣) أن الهرولة في الأشواط الثلاثة تعطي حماسة لدى المسلمين لتجاوز التعب والجهد. من الحوادث التي ذكرناها وغيرها نرى كيف أن الدعاية والحرب الباردة لها أثر كبير على منع العدو من أن يستهين بالمسلمين، بل علهيم أن يحسبوا لهم ألف حساب.

الشعر

يعتبر الشعر من الوسائل الاعلامية التي استخدمت في الدعوة الاسلامية رغم أنها تعتبر وسيلة ثانوية ولكن الرسول الكريم ﷺ استخدمها في دعوته ويأتي الشعر في المنزلة التي تلي منزلة الخطيب من حيث التأثير في الناس لذلك حرص رسولنا الكريم ﷺ وخلفاء الأمة بعده أشد الحرص على الخطيب وتعليمه فنونها وأساليبها.

وقد هاجم القرآن الكريم شعراء المشركين الذين كانوا يهجون الرسول ﷺ ويثبطون عن دعوته: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل أفاك أثيم، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون، والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون مالايفلعون. الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٧].

فالقرآن لم يهاجم الشعر كله، وانما هاجم شعرا بعينه هو شعر المشركين الذين آذوا الاسلام والمسلمين (٥). وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «لان يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى يريه (٦) خير من أن يمتلىء شعرا» (٧).

ويقول سيد قطب معقبا على قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون مالايفعلون﴾: ان طبيعة الاسلام لاتلائمها طبيعة الشعراء كما عرفتهم البشرية - في الغالب - لأن الشاعر يخلق حلما في حسه ويقنع به. فأما الاسلام فيريد تحقيق الحلم ويعمل على تحقيقه يحول المشاعر كلها لتحقق في عالم الواقع ذلك النموذج الرفيع.

ثم يقول: ومع هذا فالاسلام لايحارب الشعروالفن لذاته انما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفن، منهج الأهواء والانفعالات التي لاضابط لها، منهج الأحلام الموهومة التي تشغل أصحابها عن تحقيقها، فأما حين تستقر الروح على منهج الاسلام وتنضح بتأثراتها الاسلامية شعرا وفنا، وتعمل في الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة في دنيا الواقع، ولاتكتفي بخلق عوالم وهمية تعيش فيها، وتدع واقع الحياة كما هو مشوها متخلفا قبيحا!

فأما عند ذلك فالاسلام لايكره الشعر ولايحارب الفن، كما قد يفهم من ظواهر الألفاظ. ومن ثم يستثنى القرآن في ذلك الوصف العام للشعراء، ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا﴾. فهؤلاء ليسوا داخلين في ذلك الوصف العام، هؤلاء آمنوا فامتلأت قلوبهم بعقيدة، واستقامت حياتهم على منهج وعملوا الصالحات فاتجهت طاقاتهم الى عمل الخير الجميل، ولم يكتفوا بالتصورات والأحلام وانتصروا من بعد ماظلموا فكان لهم كفاح ينفثون فيه طاقتهم ليصلوا الى نصرة الحق الذي اعتنقوه.

ومن هؤلاء الشعراء الذين نافحوا عن العقيدة وصحاحبها في ابان المعركة مع الشرك والمشركين على عهد رسول الله ﷺ،حسان بن ثابت، وكعب بن مالك،وعبد الله بن رواحه،رضي الله عنهم من شعراء الأنصار ومنهم عبدالله بن الزبعري، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وقد كان يهجوان رسول الله ﷺ في جاهليتهما، فلما أسلم حسن اسلامهما ومدحا رسول الله ونافحا عن الأسلام (٨).

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لحسان اهجهم أو قال هاجهم، وجبريل معك (٩) وعن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ ان الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ماأنزل. فقال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نفح النبل» (١٠).

والخلاصة أن النبي ﷺ لم يكن شاعرا ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ [يس:٦٩] وانما كان خطيبا وحدثا، ومن ثم كانت خطبه وأحاديثه من أكبر وسائل الاعلام والدعاية للاسلام - ذلك بعد القرآن

الدعوة الإسلامية ووسائلها الاعلامية ٢/٢

– ومع هذا وذالك فان محمدا لم يتجاهل الشعر ولم يرد الشعراء وهو يعلم جيدا أن لهؤلاء مكانه كبيرة في نفوس العرب منذ الجاهلية، لذلك سمع الرسول شعرا في مدحه ومدح الدين الإسلامي الذي جاء من أجله كما سمع الرسول شعرا في ذم قريش (١١).

وقد استخدم الشعر في عدة مواقف منها ماكان في مدح الرسول ﷺ فقد قال حسان بن ثابت (١٢):

نبي أتانا بعد يأس وفترة
من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجا مستنيرا هاديا
يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا نارا وبشر جنة
وعلمنا الاسلام فالله تحمد
وأنت اللـه الحق ربي وخالقي
بـذلك ماعمـرت في الناس أشهد

كذلك استخدم الشعر في الحرب النفسية وهى هجاد وذم أعداء الاسلام من المشركين في مكة واليهود وفي خيبر وغيرها من المراكز اليهودية ومن قول حسان في هجاء خيبر على سبيل المثال (١٣):

لو كنت من هاشم أو من أسد
او عبد شمس وأصحاب اللوا الصيد
أو من بني نوفل أو ولد مطلب
لله درك لم تهتم بتهديد
أو كنت من زهرة الأبطال قد علموا
أو من بني خلف الزهر الأماجيد
يآل تيم ألا تنهى سفيهكمو
قبل (اللقاء) بأمثال الجلاميد

وكان الشعراء الملازمين للنبي ﷺ واجب ثالث وهو تهنئة الرسول بيوم النصر ورثاء القتلى من ذويه وأصحابه في ميدان الحرب، فقد قال حسان بن ثابت، يوم فتح مكة قصيدة طويلة جاء فيها (١٤):

لنا في كل يوم من معد
قتال او سباب أو هجاء
فنحكم بالقوافي من هجانا
ونضرب حين تختلط الدماء
وقال الله قد أرسلت عبدا
يقول الحق ان نقع البلاء
شهدت به وقومي صدقوه
فقلتم ماانجيب ومانساء
وجبريل آمن الله فينا
وروح القدس ليس له كفاء

وأخيرا كان من عمل الشعراء الملتفين حول النبي ﷺ أنهم يردون على الشعراء الذين كانوا يهجونه ﷺ تقربا للمشاركين. وهكذا كان يقوم الشعر في خدمة النبي ﷺ بكل هذه الواجبات التي ألقاها على كاهله ظهور الاسلام.

■أوليس الآذان مؤسسة إعلامية مستمرة ودائمة، تتولى التذكير بمعاني الدعوة الإسلامية بالإضافة إلي مهمته التعبدية؟

ولكنا نعود فنقول ان الرسول ﷺ – فيما يظهر – كان لايعول كثيرا على هذه الوسيلة الاعلامية أو هذا الشكل من أشكال الدعاية، وذلك أن الشعر مهما عظم شأنه في تلك الفترة لايمكن أن يقاس من هذه النواحي بالقرآن الكريم والحديث الشريف أو بخطب الرسول ﷺ أو بالقدوة الحسنة التي امتاز بها المصطفى ﷺ أصحابه الكرام (١٥).

الخاتمة

نقول في الخاتمة كما قلنا في المقدمة أن الكتابة في هذا الموضوع أمر شيق وجميل ولكن يحتاج إلى مراجع أفضل وأنا لا أبخس الكتاب الذين أخذت عنهم نقولاتي في هذا البحث ولكن يجدر الاشارة الى أنهم لم يعطوا الموضوع حقه من البحث والتحليل بل كان بعض الكتاب يحاول ملء الكتاب بأخبار لا تتصل بالاعلام الاسلامي أو من باب التوسع دون حاجة.

على كل أسأل المولى عز وجل أن يقيض لهذا الموضوع وهذا المجال من يكون أدرى بكلتا الحالتين – الاعلام والاسلام – حتى يخرج بنماذج وأفكار وابداعات ممتازة عن الاعلام في عهد البنوة وعهد الصحابة الكرام ومن جاء بعدهم وكيفية الاستفادة منهم ومن الأساليب التي ابتعوها في نشر دعوتهم.

وليس هذا بمستغرب فمازال الغرب يستفيد من خطط وأفكار القائد (خالد بن الوليد) ولابد أن هناك مايستفاد منه اعلاميا من هذه الدعوة الاسلامية وأساليبها وأهدافها□

هوامش

١) ابو الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص ٢٩٠.
٢) السيرة النبوية لابن هشام، المجلد الثالث، ص ٧١.
٣) أي أدخل بعضه تحت عضده اليمنى، وجعل طرفه على منكبه الأيسر.
٤) السيرة النبوية لابن هشام، المجلد الرابع، ص ١٢.
٥) الدكتور ابراهيم امام، الاعلام الاسلامي،(المرحلة الشفهية)، ص٨٤.
٦) بفتح الباء وكسر الراد، من الورى وهو داء يفسد الجوف، ومعناه قيحا يأكل جوفه ويفسده.
٧) مختصر صحيح مسلم، الحديث رقم (٩١٥٠٨ ص ٢٩٧، وقد رواه سعد ابن أبي وقاس(رضى الله عنه).
٨) سيد قطب، في طلال القرآن ،المجلد الخامس، ص ٢٦٢١.
٩) مختصر صحيح مسلم، الحديث رقم (١٧١٤)، ص ٤٥٨.
١٠) رواه الامام أحمد بن حنبل.
١١) د/ عبداللطيف حمزه، الاعلام في صدر الاسلام، ص ١٩٠.
١٢) ديوان حسان بن ثابت، ص ٩٦.
١٣) ديوان حسان بن ثابت، ص ٨٤.
١٤) ديوان حسان بن ثابت.
١٥) د/عبداللطيف حمزه، الاعلام في صدر الاسلام، ص ١٩٥.

■إن شعراء «الحداثة» في غفلة عما يرومه الخطاب الشعري المعاصر من مقاصد تتحقق معها وتتألق رسالته التغييرية الاستشرافية

القصيدة العربية المعاصرة وإشكالية الغموض

بقلم: قطب الريسوني

إذا كان للفن على الشاعر حق هو إن قصر في الوفاء به تنصل من تبعة المسؤولية وكلفة الالتزام، فبماذا نسوغ استشراء ظاهرة (الغموض) في الشعر العربي المعاصر إلى حد بات معه هذا الشعر أو كاد كتلة من الطلاسم والألغاز يشق على القارىء المثقف فكها، ناهيك عن القارىء العادي الذي يقنع من الطلب والتحصيل بقراءة الأخبار وتقصي الحوادث..

الحداثة والحداثيون

ولعلنا لانعدم من ينهض بالإجابة عن هذا التساؤل، سيما ممن ملأت عليهم (الحداثة) أسماعهم وجوارحهم، وهم قوم فيما نعتقد، قد لاتعوزهم فحولة المواجهة، وصلابة التحدي، مادامت الردود معلبة، والأجوبة جاهزة، وان كان كل مايتشدقون به من حجج وذرائع في تسويغ شيوع ظاهرة الغموض، هو أقرب إلى هذيان الحمى منه إلى كلام العقلاء، وإلا فكيف يمكن التسليم بقول (الحداثيين) بأنه ليس من الضرورة القاهرة لكي نتذوق جمال الشعر أن ندرك أبعاده ونكتنه مغازيه، لأن مثل هذه المقاربة قد تفوت علينا فرصة التمتع، وكأنهم بذلك - أي الحداثيين - يقصرون وظيفة الشعر على الامتاع والتسرية، ناسين أو قل متناسين أن الخطاب الشعري المعاصر مطالب في ظروفنا هاته بأقصى حظوظ الثورة والالتزام، حتى يتسنى له الانصهار في أتون المرحلة وخوض غمرات التغيير والبناء.. ولا أخالني أركب في الحديث مركب الغلو والإسراف إذا زعمت أن الكلمة الشاعرة قد غدت في زماننا هذا (الفارس المنتظر) الذي من شأنه أن يعيد صياغة العالم وفق موازين قد تكفل لكافة بني البشر رغادة الحياة وبلهنية العيش..

بات من الواضح اذن أن شعراء (الحداثة) في غفلة عما يرومه الخطاب الشعري المعاصر من مقاصد تتحقق معها وتتألق - بالآن - عينه، رسالته التغييرية الاستشرافية، وهي غفلة ستتبعها استخفاف بمسؤولية الإبداع والتزام الفن في سبيل تجديد القصيدة المعاصرة على نحو يفي بمستجدات الواقع وتطورات الحياة. لكن متى كان التجديد على حساب الالتزام الذي ينشده الشعر، بل وينشده الأدب بمختلف ضروبه ومتباين أجناسه؟ وهل يغني التجديد التنكر للموروث والانبهار بذات الآخر الى حد التماهي والاستلاب؟ وهل يكمن التجديد في غموض اللغة وغرابة الصور وركاكة الاساليب؟

اسئلة كثيرة تختمر في الذهن

أسئلة كثيرة تختمر في الذهن، ونحن نشهد واقع القصيدة المعاصرة، وقد أمست متاهات واسعة تتراكب فيها الصور وتغمض الاخيلة وتتبعثر الكلمات، بحجة تفجير اللغة، أو بذريعة الافصاح عن مكنونات اللاشعور، وأخيراً لاشيء يميز القصيدة المعاصرة سوى (خطرفات) فارغة وهلوسات مريضة، لاينتظمها خيط أو يستقيم بينها رباط، وإن شئنا دليلا شاهدا على ما نذهب إليه فلنستمع إلى قصيدة الشاعر محمد عفيفي مطر، يعرض فيها لما يكمن في تلافيف (اللاشعور) من خطرات وهواجس أشبه ماتكون بأضغاث أحلام، ومن صور يشق على الشاعر نفسه تبين معالمها، واستجلاء دلالاتها يقول:

تلبس الشمس قميص الدم، في ركبتها جرح بعرض الريح
والأفق ينابيع دم مفتوحة للطير والنخل
سلام هي حتى مشرق النوم سلام
ونساء النهر يطلعن
خلاخيل من العشب، استدارات من الفضة والطمي
انتهاء بللته رغوة الماء
تصايحن على الطير وبالسيلان يمسحن زجاج الأفق
يبكين بكاء طازج الدفء
سلام هي حتى مشرق النوم سلام
ضمت الحقول ركبتها واستراحت اسنة المحاريث
ونامت الثعابين
سلام ظلامي يتكوم قشا ناعما وغبا
والثيران أغفت واقفة، تتكسر أنجم الليل في حدقاتها
الفسفورية الغائبة
سلام لنا ع من ليل رحيم
نام النصف الهالك ولم يستيقظ النصف الحي (١)..

نموذج من هوس الحداثة

وهذا الشاعر شوقي أبو شقرا يتمكن منه هوس الحداثة الى حد يمسي معه شغوفا باقتناص الالغاز، وتصيد الاحاجي، مما جعل شعره يشكو شحا في الدلالة وفتورا في الايحاء كان بمستطاعه تحاشيهما لو اعتمد ضربا من الغموض (الواضح) وهو غموض قمين بأن يرفد الشعر أيا كان متجهه ومنزعه بمسحة الخيال وسيماء الإبداع، ونجتزىء هنا للتمثيل بقصيدة لهذا الشاعر يعرض فيها لنفثات خيال مريض، وخطرفات نفس يسكنها وهم الحداثة

وخرافة التجريب يقول:

أقرا الكواكب وكتاب السحر وتصفيف الشجر
أقابل العمال والفلاحين
أفتح القبو لحماري
يلبط القمر، بعض المسافرين، يرفع أذنيه إلى..
ملكوت السموات فوق رأسي
يغوص في الزيتون والعاصفة
هو من الفولاذ والسمع
أشعله مجانا ليلمع ويضيء العالم، حين كسوف الشمس (٢)..

ترى أين تكمن روعة الخلق وقوة الابداع في هذه التراكيب المبعثرة والصور المبهمة؟ فاذا كانت القصيدة الحداثية قد كتبت افصاحا عن مكنونات (اللاوعي)، فان (اللاوعي) لايعني (اللامعنى) أو (اللادلالة)، لأن (اللاوعي) الشعري مفعم بالإيماءات الدالة، مشحون بالاشارات الموحية، التي تقتضيها طبيعة أي عمل أدبي، و(اللاوعي) الإنساني الذي يشحنه الهاجس الشعري والكلمة المجنحة، ليس في واقعه إلا انعكاس متوهج لنبض الروح، وبوح شجي بخفقات النفس البشرية..

أما اذا كانت هذه القصيدة قد كتبت تفجيرا للغة الحاضرة وبحثا عن لغة جديدة فمن شأن هذا التفجير أن يفضي إلى نسف العلاقة الاشارية الكائنة بين الأشياء ومسمياتها، (فلا تعود الكلمة اشارة الى الشيء وتسمية له، بل تصبح استثارة لانواع مختلفة من السياق) (٣) مما يشفع لنا بالقول بان لغة (الغموض) لاتستحضر الحدث في وجوده الفعلي، بل تقصيه وتنسج حوله شبكة من التداحلات والامكانات، تنسف العلاقة الاشارية بين الاشياء والاسماء (حتى ان الشيء يتحول إلى وجود رمزي صرف يختفي فيه اختفاء شبه مطلق) (٤)..

وهكذا توالدت في اطارمفهوم الحداثة نماذج شعرية، اشتقت لنفسها اشارية غير تواصلية، هي من الغموض والابهام بالدرجة التي أمسى معها الشعر ألغازا لايفقهها شعراء الحداثة أنفسهم، ولئن كانت هذه اللغة تروم الانعتاق من أسر العبارة المتواترة والرمز المستهلك والصورة المبتذلة، وتطمح إلى استغلال كل الطاقات المكنة والمتاحة في المعجم اللغوي والانساني، على نحو يرفد الكلمة الشاعرة بحمولة من الإيحاءات الرفافة والرؤى المتوجهة، فان تحقيق مثل هذه المقاصد لايقتضي التمرد على الأعراف السائدة والقيم الموروثة، دون اكتراث بمقومات انتمائنا الروحي والحضاري، وهي مقومات من شأنها أن تكفل لنا دواعي التحصن من الذوبان الفكر والاستلاب الثقافي..

مفهوم الحداثة المتطرف

ولما كانت الحداثة - بمفهومها المتطرف - زلزلة حضارية عنيفة تروم الثورة على كل ماكان، وما هوكائن في المجتمع، فهي لم تنج من الوقوع في مغبة العبث الفكري، بل وأصبح هذا العبث صفة تدمغ بها الحداثة حيثما أصبحت وأمست، ولم يكن للشعر كجنس أدبي أن يسلم من معاول هدم الحداثة، وقد نكب بلوثة (الغموض) تحت ستار حجج هشة وذرائع واهية لاتثبت تحت مشرحة النقد والتمحيص، ولعل في مقدمة هذه الحجج والذرائع مايتشدق به نفر غير قليل من (الحداثيين) من أن الشعر ضرب من السحر يطمح إلى ادراك ما لايدركه العقل، أو قولهم ان الشعر نقيض الوضوح، لأن الوضوح ينفي عن القصيدة سيماء العمق، ويشل فيها نوازع السبر والاستشراق..

ولست أدري أي فكر هذا يمكن للكلمة الشاعرة أن تنهض بالافصاح عنه أن قصر العقل عن إدراكه، ولست أدري للمرة الثانية كيف يمكن ان نقطع لشعر ما بنضج الرؤية واستواء الفن مالم نستطع استجلاء ابعاده واكتناه مغازيه، وإن كنت لا أرتاب لحظة أن أول مايشترطه الفن الرفيع وآخره في العمل الأدبي هو التزام الوضوح في الرؤية والصفاء في التفكير على نحو يسعف الناس، وفيهم القراء والنقاد، على تبين هذا العمل في صورة بارزة المعالم واضحة الشيات، مما يحملنا عملا على الاعتقاد بأن الغموض ليس مرادفا للعمق والجودة في الشعر كما ذهب إلى ذلك زعيم (الحداثيين) أدونيس حين قال: (أفخر الشعر ما غمض) وهو قول لم يكن صدوره عن استقراء وئيد بقدر ماكان عن ارتجال في التفكير واستعجال في النظر..

ونحب أن نبادر هنا إلى القول بأن ظاهرة (الغموض) لم تكن أثرا من آثار جعل اللغة حقلا للتجريب وموضعا لاصطناع الحداثة فحسب، بل كانت في بعض الاحيان متسترا لضحالة البصيرة الفنية وضعف المقدرة الأدائية، وآية ذلك أن من الشعراء من يعجز عن استيضاح أفكاره فيحملها إلى القراء بصيغها الاولى التي جادت بها القريحة، على ماتلبس هذه الصيغ من غموض وضبابية، مما يجعل المتلقي مطالبا بأقصى حظوظ المثابرة والاجتهاد، حتى يتسنى له تجشم الصعاب وفك الطلاسم، مادام باع الشاعر قد قصر عن استيضاح الافكار وايفائها حقها من التمثيل والتحقيق الحسي..

من هنا يغذو لزاما على نقادنا المعاصرين أن يأخذوا أنفسهم بشيد غير قليل من الوعي واليقظة، يشددون معهما النكير على أناس لايقبلون على انتاج الشعر عن ايمان بضرورته وتفهم لمسوغات وجوده، بل يغريهم بقرضه مايتوهمون فيه من اليسر واهدار الضوابط واختراق الاعراف، وما يظنون فيه من أسجاف تحجب عن أعين الناس ضحالة الفكر واسفاف الفن..

خطر شيوع ظاهرة (الغموض)

ليست يخافية علينا إذن أخطار شيوع ظاهرة (الغموض) في الشعر العربي المعاصر، ولئن أردنا تبين هذه الأخطار على نحو غاية في الجلاء والوضوح وإمعانا في التحذير من مغبة شيوع هذه الظاهرة، فلنا أن نستقطبها فيما يلي:

أ) إن ظاهرة الغموض تشكل في حد ذاتها أو في صورتها المجردة عائقا ابستمولوجيا امام دارسي الشعر المعاصر وناقديه، ولعل هذا مايعلل غياب حركة نقدية رصينة تواكب بالتقييم والترشيد ذلك الزخم الهائل من الانتاجات الشعرية الذي تنوء به بطون الدواوين وصفحات المجلات والجرائد.. إذ ليس من المعقول في شيء، أن يقطع ناقد بحكم في شعر ما مالم يستطع تعمق معانيه واستبطان أبعاده، مما يشفع لنا بالقول - في منأى عن أي تحفظ أو احتراس - ان لاستشراء ظاهرة الغموض اليد الطولى في نسف معادلة التوازن بين الحركة الشعرية والحركة النقدية، وهو نسف فوت على الشعر فرصة التقييم النقدي الذي من شأنه أن يرقي بالعطاء الشعري وما سواه من فنون الأدب وألوان الابداع إلى آفاق التجويد والاتقان..

القصيدة العربية المعاصرة وإشكالية الغموض

ب) إن ظاهرة الغموض تقصي المتلقي من العملية الإبداعية إقصاء يفوت عليه فرصة تغذية الذوق وإهاف الإحساس، ويحرمه في الآن عينه من الحكم النقدي الذي من شأنه أن يرفد فطرته بضرب من التمييز يسعفه في فرز سمين الشعر عن غثه، ولعلنا نستطيع أن نذهب في هذا القول بعيداً فنزعم أن لشيوع ظاهرة الغموض ضلع أي ضلع في إفساد الذوق الشعري سواء عند جمهور القراء أو لدى الشعراء الشباب الذين كثيرا ما يفزعون الى تقليد المبرزين من شعراء الحداثة، خشية أن يُنعتوا بالقدم في أسلوبهم ومنحاهم الفكري، أو حرصا منهم على الظفر بسيماء الغموض في الشعر، بوصفه مرادفا لنضج الرؤية واستواء الفن في العمل الادبي.. ج) اذا كان للشعر ان يصطبغ بنوع من الغموض (الواضح)، وفاء بمقتضيات الفن ودواعي الجمال فقد لايكون له أن يغرق في الغموض ويمعن في الترميز الى حد يسمى معه حفنة من الطلاسم والأحاجي، تعنت الذوق والفهم والشعور جميعا، وتستخف في الآن عينه بمسؤولية الابداع والتزام الفن، لان الشعر اذا ما استغلق على الذات الذائقة، حاد عن المقاصد النبيلة التي تتألق معها رسالته التغييرية الاستشرافية.. هذا مادامت الكلمة الشاعرة رهان الحاضر والمستقبل عليها تعول الإنسانية في رحلة التجاوز والاستشراف: تجاوز الواقع المعاش بما يثقله من تناقضات واحباطات واستشراف المستقبل المشرق والغد المأمول..

د) لم تكن ظاهرة الغموض إلا أثرا من آثار التباعد عن اللغة التراثية والتنكب عن مواضعاتها المعروفة واستعمالاتها العادية، ففي إطار مفهوم الحداثة طفرت على الساحة الأبداعية نماذج شعرية اشتقت لنفسها لغة اشارية باطنية تنأى كل النأى عن التواصل الجماعي، وتدنو في الآن عينه أشد الدنو وأقواه من لغة المتصوفة أمثال النفري والحلاج ومن لف لفهما من المتمردين على العقيدة والسلطة الشرعية، ومن ثم لم يعد بخاف علينا أن من أخطار شيوع ظاهرة الغموض جعل اللغة حقلا للتجريب وموضعا لاصطناع الحداثة، مادامت عاملا أساسياً في موروث طال عليه العهد والامد، وهذا مما يعرض اللغة العربية في رأينا الى ضروب من العبث وألوان من المسخ لانظنها تنتهي بلغة القرآن إلى مانرجوه لها من علو الشأن وجلاء المنزلة..

ما بين الحداثة والتجديد

هذا ولانحب أن يفهم من كلامنا عن الحداثة في الشعر أننا نرفض تجديد القصيدة المعاصرة على نحو يفي بمستجدات العيش وتطورات الحياة، فمما ينزل في التصور منزل البداهة أن الشعر كائن حي يمسه ما يمس الكائنات الأخرى من ألوان الرقي وأضراب التكيف، ولعلنا لانعدم في صفحات تاريخ الشعر ماينهض دليلا دامغا على أن طبيعة الشعر المرونة لا التحجر، التفتح لا التقوقع، ومن ثم لم يكن له أن يستغني في أي عصر من الأعصار عمن ينهض بتحديده وفاء بالمستجدات الطارئة، شريطة أن لا يكون هذا التجديد رفضا لكل سائد، واصطناعا لمنطق الاباحة المطلقة، بمعنى أن لايكون دعوة محمومة للانفصام عن التراث التنكب عن تمثله واستيحائه فيما نرومه من (تحديث) و(عصرنة)، ذلك أن الحداثة في جوهرها الاصيل استجابة لتحديات الواقع والحضارة، ولعل أول ماتفترضه هذه الاستجابة وآخره الوقوف عند منعطفات التراث لاجراء الحفريات وتحديد المعالم على نحو يسعفنا في إدراك الثابت والمتغير ادراكا نتخذ في ضوئه مواقفنا من الانسان واشكاليات العصر، فينتج بالتأسيس على ذلك الوعي بالحاضر والتراث على حد سواء، وهو وعي قمين بأن (يبصرنا بطرق الاستفادة مما هو انساني ومشترك بين الحضارات) (٥) ويصوننا في الآن عينه من دواعي التماهي والانسلاخ..

ولايفوتنا التنويه هنا بشعراء لم يخطئهم التوفيق فيما حاولوه من (تحديث) القصيدة المعاصرة، دون أن يحملهم هذا (التحديث) على ألغاز الشعر وتعتيم أبعاده بصورة تفضي إلى انسداد الافق ومحدودية الروية، ومن هؤلاء الشعراء صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي وعبد الوهاب البياتي وغيرهم ممن حمل لواء التجديد في الشعر المعاصر، وفقه مفهوم (الحداثة) على نحو من النضج العقلي والوعي بالذات..

على أن التزام هؤلاء الشعراء الوضوح في التعبير والصفاء في الرؤية لم يكن ليسم قصائدهم بميسم التقريرية الجافة والخطابية الزاعقة، وإلا أصبح (الوضوح) في مثل هذا الحال نقيضا للفن، يفضي إلى الزراية بجمالية النص الشعري، والعصف بوقعه الاثيري بيد أن شعراءنا وفقوا أيما توفيق في احداث توازن مضبوط بين (الغموض) و (الوضوح) بحيث يبدو الوضوح بيانا للغموض، ومفتاحا يسعف في فك رموزه، وبعبارة أخرى، فقد اعتمدوا ضربا من (الغموض الواضح) أو (الوضوح الغامض) وفاء بدواعي الجالية وخضوعا لمقتضيات الفن.

آفة (الغموض) وشعر الأرض المحتلة

وكم كنا نأمل أن لاتطول آفة (الغموض) شعر الأرض المحتلة، وهو الشعر الذي يحمل بذور الثورة تميمة في مستقر وجدانه، ومعزوفة شجية في حلقه، ولعل أول مايشترط في شعر الثورة وآخره التواصل الحميم مع الشعب العربي صفاء في الرؤية وشفافية في الشعور وانعتاقا من أسر الضبابية والتهويم.. فمن شأن هذا التواصل أن يعمق في النفوس والضمائر الوعي بالمسؤولية واستشعار الخطر الداهم الذي يحدق بأمة الإسلام..

ولسنا نعدم في ديوان الشعر العربي المعاصر نصوصا شعرية تنهض بالتدليل على مآل اليه حال شعر الأرض المحتلة من غموض في التعبير وغبش في الرؤية وهلهلة في البناء، وهي نصوص من الوفرة والكثرة بالدرجة التي تتأبى معها على العد والاحصاء، لكننا سنجتزيء للتمثيل هنا بقصيدة للشاعر محمود درويش يعرض فيها لما يلوب في تلافيف نفسه، من خطرات متقطعة وهواجس مريضة، أملتها نفثات خيال عشق (الحداثة) وهام بـ (الجريب)..

تفاحة للبحر، نرجسة الرخام، فراشة حجرية
بيروت شكل الروح في المرآة
وصفي المرأة الاولى ورائحة الغمام
بيروت من تعب ومن ذهب واندلس وشام
قصة زيد وصايا الارض في ريش الحمام
وفاة سنبلة، تشرد نجمة بيني وبين

حبيبتي بيروت لم أسمع دمي
من قبل ينطق باسم عاشقة تنام على دمي وتنام
من مطر على البحر اكتشفنا الاسم من طعم الخريف
وبرتقال القادمين من الجنوب كاسلافنا تاتي إلى بيروت، كي ناتي الى بيروت (٦)..

فليس يخفى علينا ماتلبس القصيدة من غموض افتقدت معه غناء الايحاء وثراء الدلالة، وان كان مايرومه الشاعر من الإمعان في الترميز والاستجارة بالغموض هو تفجير اللغة على نحو يشحن الكلمة الشاعرة بفيض من الايماءات المشعة والرؤى المجنحة، التي تتشعب معها طرق الادراك وتتعدد مسالك التأويل..

ولئن أخذنا أنفسنا بشيء من الإغضاء عما حاوله الشاعر من تفجير اللغة، وتخريب الكائن لأجل إقامة الممكن وانتحلنا له عذرا هو سعيه إلى تبني لغة شعرية جديدة قوامها (المفاجأة) و (الاستثناء) واستغلال كل الطاقات المكنة والمتاحة في المعجم اللغوي والانساني استغلالا يجسد حيوية الواقع ونبض الحياة، فقدلا نجيز له ماتلبس القصيدة من هلهلة في البناء وتفكك في الأوصال إلى حد لم تسلم معه من الوقوع في مغبة التهرؤ المنهجي، وهو تهرؤ قد لايعده السواد الأعظم من الناس، وفيهم القراء والنقاد، نقيصة يرمي بها الشعر، مادام العمل الإبداعي في جوهره وصلب طبيعته يتأبى الخضوع لمنازع المنطق وصرامة الأقيسة النظرية، ومن ثم يغدو من الاجحاف أن يحاسب الشعر من منظور علمي صارم يفسد عليهم تلقائية الانسياب وعفوية التدفق..

وعلى مايبدو على هذا الرأي من السداد والوجاهة، فإنه لايصمد كثيرا تحت مجهر النقد والتشريح، ذلك أن ما نلحظه على البنية الشعرية من سيماء التلقائية وطابع الارتجال لايمكن أن يتحقق فنيا (إلا بحساب جمالي دقيق وهندسة صارمة للصوت والصورة، وتخطي مسبق للحرف والكلمة وفهم عميق للوزن والموسيقى) (٧)..

مصادر الإلهام الشعري

ولسنا نعني بهذا ان مصدر الالهام عقل (الكتروني) وآلة حاسبة أو ان الابداع معادلة رياضية تحتمل حدود المنطق، وتخضع لأقيسة العلم، فمما ينزل في التصور منزل البداهة أن (العفوية) و(البراءة) و(التلقائية) سمات فنية تقتضيها أصول الفن الرفيع، فلا مندوحة للفن أيا كان منحاه، ومنزعه من استيفائه لهذه السمات اذا ما أراد النزوع لآفاق النضج والاصالة. بيد أن الادوات الفنية التي ألمحنا إليها سابقا، تترسب بالمران والتجربة في الطبقة (اللاواعية) من وجدان الذات الشاعرة الى حد تستعيض معه ساعة التأمل ولحظة المخاض عن (الوعي المطلق) باللاوعي الذي لايتغاضى هنيهة في قوة انسيابه وحرارة تدفقه عن الخبرات النامية في أعماق الشاعر، وهي خبرات تتفاعل مع ترتيبات الذهن الخلاق على نحو ممعن في التعقيد، مما يسفر عن ولادة عمل فني محكم البناء متراص الأجزاء..

وإن بدت عليه في نهاية الأمر علائم التلقائية والاضطراب.. فلا مناص إذن من محاسبة الشاعر على الأسس والدعائم التي استند عليها في عملية البناء الفني، (فلربما كانت أسسا واهية قد تسببت في هذا الشرخ أو ذاك من شروخ العمل الشعري، تختلف من حيث الدرجة والنوع عن العفوية والبراءة والتلقائية والاضطراب في البنية الشعرية العظيمة) (٨)، والتي من شأنها أن تحيل النص الشعري الى حفنة من الأفكار والأحاسيس والصور، لاينتظمها غير ثوب مهلهل النسيج، فاسد اللحمة والسدي..

لن تتحقق الحداثة في الشعر اذن باحتذاء (جون بيرس) وأذنابه، ولابمشايعة (أدونيس) واضرابه، لان الاحتذاء والمشايعة عدوان للحداثة الشعرية (٩)، في جوهرها الأصيل أي بوصفها استجابة لتحديات الواقع والحضارة، وهي استجابة مشروطة بالتعبير عن واقع المجتمع العربي والإسلامي وتمتين عروى التواصل بين جمهور هذا الواقع، على نحو يضمن معايشة المتلقي لبوح الكلمة ولهاث الحرف. ولايتعالى عليه بدعوى التجريب وتخريب الكائن لإقامة المكن. فشاعر الإنسانية الحق يعلم يقينا أن الكلمة في بساطتها وتوهجها سلاح فعال في معركة التغيير والبناء، وأن الحرف في نقاذه وثوريته فارس شجاع يثير النقع باستمرار ليرسو الحافر على أرض الخلاص، بينما ألغاز (الحداثيين) لاتشذ عن كونها أسلحة مفلولة ظفرت في مناخ (التماهي) و(الانسلاخ) بسوق رائجة تنكأ فيها الجرح وتعدم البلسم، تفرز الحلم ولاتقارع التحدي..

ولعل ما يرتبط بالحداثة الشعرية ارتباطا وشيجا، أن نضطلع بالاجابة عن أسئلة اساسية، نعد منها ولانعددها:

أ) لماذا نكتب؟
ب) كيف نكتب؟
ج) لمن نكتب؟

وتلك أسئلة من الأهمية والخطورة والشأن بالدرجة التي تقتضي منا قبل استعجال الاجابة أن نأخذنا أنفسنا بشيء غير قليل من التدبر والتأمل وإمعان النظر..

هذا رأينا نبديه في ظاهرة (الغموض) دون غمغمة أو تلجلج، ولسنا ندري هل يشاطرنا في هذا الرأي الشعراء والنقاد والناس جميعا، أم لهم في هذه الظاهرة رأي آخر، فان تكن الاولى فعند الصباح يمدح القوم السري كما يقول المثل العربي القديم، وان تكن الثانية فما أمس حاجتنا إلى أن نصغي السمع للرأى المخالف، وما نشك أننا سننتفع به ونفيد منه، فليس كالتضارب في الرأي واللجاج في الكلام من شيء يرقى بالدرس الأدبي إلى آفاق النضج والاستواء، شريطة أن لايكون التضارب من أجل التضارب، واللجاج من أجل اللجاج إنما من آجل حق ننشده، وباطل نستعلي عليه، وإلا أصبح الجدال سفها ومماحكة لاطائل من ورائهما□

هوامش:

١) من قصيدة (قراءة) للشاعر محمد عفيفي مطر، نقلا عن مقال (الحداثة والتراث) للدكتور محمد مصطفى هدارة، مجلة الهدى، العدد ١٦و١٧، سنة ١٩٨٧، ص٤٣.

٢) شوقي ابي شقرا، نقلا عن عبد الحميد جيده، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، بيروت، مؤسسة نوفل، ١٩٨٠م، ص٢١٣.

٣) من مقال (الحداثة والتراث) للدكتور:محمد مصطفى هدارة، مجلة الهدى، العدد ١٦و١٧ص٤٢.

٤) نفسه.

٥) انظر مقال (الحداثة.. مالحداثة) للدكتور حسن الأمراني، مجلة المشكاة، العدد ١٥و١٦ سنة ١٩٩٣م.

٦) من (قصيدة لبيروت) للشاعر: محمود درويش، نقلا من مقال (الحداثة والتراث) للدكتور: محمد مصطفى هدارة، مجلة الهدى، العدد ١٦و١٧، السنة ١٩٨٧، ص٤٤.

٧) انظر مقال (ابعاد البطولة في شعر المقاومة العربية) للدكتورغالي شكري، مجلة الآداب البيرتية، العدد السابع، السنة السابعة عشرة، ١٩٦٩م، ص٣٣.

٨) انظر مقال (ابعاد البطولة في شعر المقاومة العربية) للدكتور غالي شكري مجلة الآداب البيروتية، العدد السابع، السنة السابعة عشرة، ١٩٦٩م ص٢٢.

٩) انظر مقال (الحداثة.. مالحداثة؟) للدكتور حسن الامراني، مجلة المشكاة المغربية، العدد ١٥و١٦، سنة ١٩٩٢م، ص١٢٢.



جولات في روضات الجنات

نفوس صافية

بقلم: محمد رشيد العويد*

لعلك فكرت يوماً في أن تعتزل هذا المجتمع، الذي بات أهله يحسدون كل صاحب نعمة، ويضيقون بكل إنسان آتاه الله من فضله، وباتت علاقات الناس فيه قائمة على المصلحة وحدها، فلا أثر لمودة صادقة، ولا مكان لصداقة مخلصة، ولا وجود لقيمة سامية..!

وربما فاجأك صديق بما يضمر لك في نفسه من ضغينة، وآلمك قريب بما بدر منه من عمل دلّ على ما في نفسه من حسد لك، فزادك هذا عزماً على اعتزال المجتمع، وهجرة الناس، والانزواء في بيتك بعيداً عنهم.

هذا أحد وجوه النقص في متع هذه الحياة الدنيا، فإنك لا تكاد تجد صديقين استمرا في صداقتهما مدى الحياة، أو قريبين لم يختلفا قط، أو شريكين لم يتنازعا ويفضّا شراكتهما.

إن النفس الإنسانية، تحتاج إلى تزكية طويلة مستمرة، لتتحرر من كل ما فيها من حسد وغل، حسد وغل ينغصان صفو الحياة، ويفسدان كثيراً من الصداقات، ويخربان كثيراً من العلاقات، ويثيران النزاع بين كثير من القرابات.

أما في جنة الخلد، فالأمر مختلف تماماً، كما يبشرنا سبحانه في هذه الآية الكريمة التي يصف فيها أهل الجنة بأنهم إخوان متحابون .. بعد أن نزع الله ما في نفوسهم من غِلّ: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غِلّ إخواناً على سرر متقابلين﴾ [الحجر:٤٧].

وفي آية أخرى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غِلّ تجري من تحتهم الأنهار﴾ [الأعراف:٤٣].

يقول ابن منظور في لسان العرب «الغل بالكسر: الغش والعداوة والضغن والحقد والحسد. ومعناه في التنزيل العزيز والله أعلم: أنها لا يحسد بعض أهل الجنة بعضاً في علو المرتبة، لأن الحسد غِلّ، وهو أيضاً كدر، والجنة مبرأة من ذلك (١).

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذّبوا ونقّوا، أذن لهم في دخول الجنة. فوالذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة .. أدلّ منه بمسكنه في الدنيا».

قال قتادة: قال علي رضي الله عنه: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾.

وفي الظلال: «إن هذا الدين لا يحاول تغيير طبيعة البشر في هذه الأرض، ولا تحويلهم خلقاً آخر. ومن ثم يعترف لهم بأنه كان في صدورهم غل في الدنيا، وبأن هذا من طبيعة بشريتهم التي لا يذهب بها الإيمان والإسلام من جذورها، ولكنه يعالجها فقط لتخف حدتها، ويتسامى بها لتنصرف إلى الحب في الله والكره في الله – وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟ – ولكنهم في الجنة، وقد وصلت بشريتهم إلى منتهى رقيها، وأدت كذلك دورها في الحياة الدنيا: يُنزع أصل الإحساس بالغل من صدورهم، ولا تكون إلا الأخوّة الصافية الودود.

إنها درجة أهل الجنة .. فمن وجدها في نفسه غالبة في هذه الأرض، فليستبشر أنه من أهلها، ما دام ذلك وهو مؤمن، فهذا هو الشرط الذي لا تقوم بغيره الأعمال..» (٢).

ويقول القرطبي في (الجامع): «ذكر الله عز وجل فيما ينعم به على أهل الجنة نزع الغل من صدورهم. والنزع: الاستخراج. والغل: الحقد الكامن في الصدر. أي أذهبنا في الجنة ما كان في قلوبهم من الغل في الدنيا. قال النبي ﷺ: «الغل على باب الجنة كمبارك الإبل قد نزعه الله من قلوب المؤمنين». وقيل نزع الغل في الجنة ألا يحسد بعضهم بعضاً في تفاضل منازلهم» (٣).

ويبسط الرازي هذه المعاني ويزيد عليها فيقول: «فأعلم أن نزع الشيء قلعه عن مكانه، والغل: الحقد. قال أهل اللغة: وهو الذي يغل بلطفه إلى صميم القلب، أي يدخل، ومنه الغلول، وهو الوصول بالحيلة إلى الذنوب الدقيقة. ويقال: انغل في الشيء، وتغلغل فيه، إذا دخل فيه بلطافة، كالحب يدخل في صميم الفؤاد. إذا عرفت هذا – يقول الرازي – فنقول: لهذه الآية تأويلان:

القول الأول: أن يكون المراد أزلنا الأحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في دار الدنيا. ومعنى نزع الغل: تصفية الطباع وإسقاط الوساوس ومنعها من أن ترد على القلوب، فإن الشيطان، لما كان في العذاب، لم يتفرغ لإلقاء الوساوس في القلوب. والقول الثاني: إن المراد منه أن درجات أهل الجنة متفاوضة، بحسب الكمال والنقصان، فالله تعالى أزال الحسد عن قلوبهم حتى أن صاحب الدرجة النازلة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة.

قال صاحب (الكشاف): هذا التأويل أولى من الوجه الأول، حتى يكون هذا في مقابلة ما ذكره الله تعالى من تبرّيْ بعض أهل النار من بعض، ولعن بعضهم بعضاً، ليعلم أن حال أهل الجنة في هذا المعنى أيضاً مفارقة لحال أهل النار» (٤).

الهوامش:

(١) لسان العرب، المجلد الثاني، ص١٠٠٨.
(٢) في ظلال القرآن، المجلد الرابع، ص٢١٤٥.
(٣) الجامع، مجلد ٧، ص٢٠٨.
(٤) التفسير الكبير، ج ١٤، ص٨٠.

*مدير تحرير مجلة (النور) – الكويت

لقد ذكر الفقهاء انه كما أن للوالد على ولده حقوقا فإن للولد على أبويه حقوقا ينبغي عليهما القيام بها، فيلزمهما تربيته تربية حسنة، كل بما يناسبه، فالأم تحضنه وترضعه، والأب يقوم بمصالحه ولوازمه، فينفق عليه ويؤدبه عند استعداده لذلك، بأن يعوده على اكتساب الأخلاق الحسنة، والبعد عن الخصال السيئة، فإذا بلغ من العمر سبع سنين علمه اداء الصلوات، وفعل الطاعات، واجتناب المنهيات، ونظمه في سلك ما هو مستعد له من العلوم والمعارف أو الحرف والصنائع، وله أن يؤجر الصبي المميز بالمعروف وأن يأذن له في التجارة بماله بما يناسب حاله، من أجل تهيئته وتأهيله وإعداده ليصير عضوا عاملا نافعا في الهيئة الاجتماعية، قادرا على حفظ ما له وصونه وتنميته وتثميره عند بلوغه رشدا (١). كذلك ينبغي للأب أن يعتني بحفظ مال أولاده - إن كان لهم مال - بقدر ما يمكنه، ويحرم عليه إضاعته في غير مصالحهم الشرعية.

مسؤولية الآباء عن تربية الأبناء في الشريعة الإسلامية

بقلم: أ.د. نزيه حمّاد

ومن جهة أخرى، على الأبوين أن يكونا مثال الاستقامة والأدب والديانة في سلوكهما أمام أولادهما، لينشأ الأولاد وقد طبعوا على الالتزام الديني وكريم الأخلاق والخلال المكتسبة بطريق العمل في مبدأ فطرتهما، حتى تتأصل فيهم وتكون طبيعة لهم، فيعملون بها ما عاشوا، ويعلمون أولادهم وغيرهم اكتسابها، وبذلك يكون الأبوان قد سنا سنة حسنة، ومن سن سنة حسنة فله ثوابها وثواب من عمل بها إلى يوم القيامة (٢).

يقول الإمام الغزالي: «الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش عليه، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عوّد الخير وعلّمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عُود الشر وأُهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له» (٣).

وعلى ذلك جاء في م٣٦٥ من الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية لقدري باشا: «يطلب من الوالد أن يعتني بتأديب ولده وتربيته، وتعليمه ما هو ميسر له من علم أو حرفة وحفظ ماله، والقيام بنفقته إن لم يكن له مال، حتى يصل الذكر إلى حدّ الاكتساب، وتتزوج الأنثى، ويطلب من الوالدة الاعتناء بشأن ولدها وإرضاعه في الأحوال التي يتعين عليها ذلك».

التربية مسؤولية كبيرة

وفي «تحفة المودود» للإمام ابن قيم الجوزية: أن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده، فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً، فللابن على أبيه حقاً، فكما قال تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا﴾ [العنكبوت/٨] قال جلّ شأنه: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾ [التحريم/٦]، وقال النبي ﷺ: «اعدلوا بين أولادكم» (٤). فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارا، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كبارا. وقد حكي عن بعضهم - ممن فرط في حق ولده في الصغر - انه عاتب ولده في العقوق، فقال له: يا أبت، إنك عققتني صغيرا، فعققتك كبيرا، وأضعتني وليدا، فأضعتك شيخا (٥).

وقد روى ابن حبان في صحيحه عن النبي ﷺ قال: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته (٦).

وروى أبو داود والحاكم وأحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول» (٧).

وروى الطحاوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا كان جالسا مع النبي ﷺ فجاء ابن له، فقبّله وأجلسه في حجره، ثم جاءت بنت له، فأخذها، فأجلسها إلى جنبه، فقال له رسول الله ﷺ: «فهلاّ عدلت بينهما» (٨).

وقال إبراهيم النخعي: كان السلف يستحبون التسوية بين الأولاد حتى في القبلة (٩).

حقوق الأبناء على الآباء

ومن المعلوم أن منشأ مسؤولية الآباء عن تربية الأبناء والقيام بأمورهم ورعاية أحوالهم في الشؤون الدنيوية والأخروية قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ وقوله ﷺ: «إن لولدك عليك حقاً» (١٠)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته. والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده،وهي مسؤولة عنهم» (١١)، ومن هنا قال الإمام النووي: «إن على الأب تأديب ولده وتعليمه ما يحتاج إليه من وظائف الدين، وهذا التعليم واجب على الأب وسائر الأولياء قبل بلوغ الصبي والصبية» (١٢).

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن» (١٣)، وقال ابن عمر رضي الله عنه: أدب ابنك فإنك مسؤول عنه، ماذا أدبته، وماذا علمته؟ وهو مسؤول عن بِرّك وطواعيته لك (١٤).

ومن المعلوم بالنظر والاعتبار أنه ما أفسد الأبناء مثل إهمال الآباء في تأديبهم وتعليمهم ما يصلح دنياهم وآخرتهم، وتفريطهم في حملهم على طاعة الله وزجرهم عن معصيته، وإعانتهم على شهواتهم، يحسب الوالد أنه يكرمه بذلك وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه وحرمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوّت عليه حظه في الدنيا والآخرة (١٥).

الأمر بالتربية الدينية

وقد أوضح ذلك قول النبي ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» (١٦). قال النووي: والاستدلال به واضح، لأنه يتناول الصبي والصبية في الأمر بالصلاة والضرب عليها (١٧). وعلى ذلك نص الفقهاء على أنه يجب على الولي أمره بها لتمام سبع سنين، وتعليمه إياها، وضربه على تركها لعشر سنين، لتخلق بفعلها ويعتادها - لا لافتراضها عليه - كما يلزمه كفه عن المفاسد كلها، لينشأ على الكمال وكريم الخلال (١٨).

ومن ثم ذهب جمهور الفقهاء إلى ثبوت ولاية الأب والأم والجد والوصي والقيم من جهة القاضي على تربية الصغير وتأديبه، وذلك بأمره بفعل الطاعات كالصلاة والطهارة والصيام ونحوها، ونهيه عن اقتراف المحظورات، سواء أكانت لحق الله تعالى أم لحق العباد، وتأديبه على عدم الإخلال بذلك، تعويدا له على الخير والبر، ثم زجره عن سيء الأخلاق وقبيح العادات - ولو لم يكن فيها معصية لله - استصلاحا (١٩). جاء في «المجموع شرح المهذب»: قال أصحابنا: ويأمره الولي بحضور الصلوات في الجماعة، وبالسواك، وسائر الوظائف الدينية، ويعرفه تحريم الزنا واللواط والخمر والكذب والغيبة وشبهها. قال الرافعي: قال الأئمة: «يجب على الآباء والأمهات تعليم أولادهم الطهارة والصلاة والشرائع بعد سبع سنين، وضربهم على تركها بعد عشر سنين» (٢٠). وعلّة ذلك - كما قال ابن القيم: أن الصبي وإن لم يكن مكلفا، فوليه مكلف، لا يحل له تمكينه من المحرَّم، فإنه يعتاده، ويعسر فطامه، وهذا أصح قولي العلماء (٢١).

يؤمر الصغير بالعبادة ندباً

أما الحكم التكليفي للمسألة، فالأصل أن من لا تلزمه الصلاة لا يؤمر بفعلها لا إيجابا ولا ندبا، إلا الصبي والصبية، فيؤمران بها ندبا إذا بلغا سبع سنين وهما مميزان ويضربان على تركها اذا بلغا عشر سنين، فإن لم يكونا مميزين لم يؤمرا، لأنها لا تصح من غير مميز. قاله النووي (٢٢).

وقال ابن قدامة المقدسي: وهذا الأمر والتأديب في حق الصبي لتمرينه على الصلاة كي يألفها ويعتادها، ولا يتركها عند البلوغ، وليست واجبة عليه في ظاهر المذهب. ومن أصحابنا من قال: تجب على من بلغ عشرا، لأنه يعاقب على تركها، ولا تشرع العقوبة إلا لترك واجب، ولأن حد الواجب: ما عوقب على تركه (٢٣).

الترهيب والترغيب في التربية

هذا، وإن مما يجدر بيانه في هذا المقام أن تأديب الصغير يكون بالقول ثم بالوعيد ثم بالتعنيف ثم بالضرب، وهذا الترتيب تلزم مراعاته، فلا يرقى الى مرتبة إذا كان ما قبلها يفي بالغرض، وهو الإصلاح. وفي ذلك يقول العز ابن عبدالسلام: «ومهما حصل التأديب بالأخف من الأفعال والأقوال، لم يعدل إلى الأغلظ، اذ هو مفسدة لا فائدة فيه، لحصول الغرض بما دونه» (٢٤).

وأنه يشترط في الضرب - عند مشروعية اللجوء إليه - أن يغلب على الظن تحقيقه للمصلحة المرجوة منه، وأن يكون غير مبرح ولا شاق، وأن يتوقى فيه الوجه والمواضع المهلكة من البدن (٢٥).

قال العز بن عبدالسلام: ومن أمثلة الأفعال المشتملة على المصالح والمفاسد مع رجحان مصالحها على مفاسدها: ضرب الصبيان على ترك الصلاة والصيام وغير ذلك من المصالح. فإن قيل: إذا كان الصبي لا يصلحه إلا الضرب المبرح، فهل يجوز ذلك تحصيلا لمصلحة تأديبه؟

قلنا: لا يجوز ذلك. بل لا يجوز أن يضربه ضربا غير مبرح، لأن الضرب الذي لا يبرح مفسدة، وانما جاز لكونه وسيلة إلى مصلحة التأديب، فإذا لم يحصل التأديب به، سقط الضرب الخفيف كما يسقط الضرب الشديد، لأن الوسائل تسقط بسقوط المقاصد (٢٦).

بل إن الحنفية قيدوا مشروعية ضرب الولد حيث لزم ضربه بأن يكون باليد فقط، فلا يضربه الولي بغيرها من سوط أو عصا. وذهب الحنابلة والحنفية إلى انه ليس له أن يجاوز بضربه الثلاث (٢٧).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم□

الهوامش:

(١) شرح الأحكام الشرعية للأبياني ٢/ ٤٤، كشاف القناع ٣/ ٤٣٥-٤٣٩، المهذب ١/ ٣٣٧، شرح منتهى الإرادات ٢/ ٢٩٣، الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية م٤٢٢، ٤٦٦، ٤٩٢.

(٢) شرح الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للأبياني ٢/ ٤٤.

(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ٦٢.

(٤) أخرجه أبوداود والنسائي وأحمد. (انظر مختصر سنن أبي داود للمنذري ٥/ ٩١، سنن النسائي ٦/ ٢٦٢،مسند أحمد ٤/ ٢٧٥، ٢٧٨).

(٥) تحفة المودود ص١٣٩.

(٦) الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيثمي ٢/ ٦٤.

(٧) مختصر سنن أبي داود للمنذري ٢/ ٢٦١، مسند أحمد ٢/ ١٦٠، ١٩٣، المستدرك ١/ ٤١٥.

(٨) شرح معاني الآثار ٤/ ٨٩.

(٩) تحفة المودود ص١٣٩، شرح منتهى الإرادات ٢/ ٥٢٤.

(١٠) رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي ٨/ ٤٣.

(١١) رواه البخاري ومسلم (صحيح البخاري مع الفتح ٥/ ١٧٨، صحيح مسلم حديث رقم ١٨٢٩).

(١٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٨/ ٤٤.

(١٣) أخرجه الترمذي والحاكم. (عارضة الأحوذي ٨/ ١٣١، المستدرك ٤/ ٢٦٣).

(١٤) تحفة المودود، ص١٣٧.

(١٥) تحفة المودود، ص١٤٧.

(١٦) أخرجه أبوداود والترمذي والدارمي والبيهقي. (عون المعبود ٢/ ١٦٢، سنن الترمذي ٢/ ١٢٦، سنن الدرامي ١/ ٢٧٣، سنن البيهقي ٣/ ٨٤).

(١٧) المجموع شرح المهذب ٣/ ١١.

(١٨) رد المحتار ١/ ٢٣٥، المغني ٢/ ٣٥٠، المجموع ٣/ ١١، شرح منتهى الإرادات ١/ ١١٩.

(١٩) الفروق للقرافي ٤/ ١٨٠، تحفة المحتاج ٩/ ١٨٠، أسنى المطالب ٤/ ١٦٢، رد المحتار ١/ ٢٣٥، روضة الطالبين ١٠, ١٧٥، الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٤٥١.

(٢٠) المجموع ٣/ ١١.

(٢١)تحفة المودود ص١٤٧.

(٢٢) المجموع شرح المهذب ٣/ ١١.

(٢٣) المغني ٢/ ٣٥١، وانظر الدر المختار ٥/ ٣٦٣.

(٢٤) قواعد الأحكام ٢/ ٧٥.

(٢٥) جامع أحكام الصغار ١/ ١٣٨، تحفة المحتاج ٩/ ١٧٩، روضة الطالبين ١٠/ ١٧٥.

(٢٦) قواعد الأحكام ١/ ١٠٢، وانظر أيضا روضة الطالبين ١٠/ ١٧٥.

(٢٧) رد المختار ١/ ٢٣٥، جامع أحكام الصغار ١/ ١٣٨، المغني لابن قدامة ١٢/ ٥٢٨.

لا تعمل الزكاة على صون رأس المال وحفظه من التآكل فحسب، بل تحفّز على استثماره وإنمائه

بقلم:
الحسين عصمة

الزكاة
ودورها في التنمية الاقتصادية



الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة التي لاتقوم إلا بها وعليها، واذا كان لكل ركن خاصية يتميز به، فان خاصية الزكاة تتجلى في بعدها الاقتصادي والاجتماعي فهي تندرج في إطار العلاقة الافقية التي تجمع بين العباد في مختلف شؤونهم الحياتية والمادية ولاتنحصر فقط كباقي العبادات الاخرى ضمن العلاقة العمودية التي تعني بشؤون العباد تجاه خالقهم.

وبالرغم من هذه الخاصية المميزة للزكاة، ورغم ارتباطها فوق ذلك بعبادة اخرى هي الصلاة في مواضع كثيرة، فانها مع ذلك لم تلق من المسلمين في العهود الاخيرة ماتستحقه من عناية واهتمام، بل ان الزكاة اليوم، وفي عموم البلاد الإسلامية، باتت شعيرة ذات طابع شخصي وصبغة اختيارية، اذ لايلتزم بها إلا بعض المسلمين الذين يؤدونها عن طيب خاطر وعلى النحو الذي يريدون. وبذلك ضيع المسلمون ورقة رابحة، هم أحوج مايكونون اليها في جهادهم من أجل تنمية اقتصادية حقيقية وذاتية.

وإشعاع الزكاة كقيمة عقدية واقتصادية واجتماعية لم يغب على المستوى العملي فحسب، بل وعلى المستوى النظري الاعتقادي أيضا، فقد بات أكثر المسلمين – فضلا عن خصومهم – وتحت ضغط فداحة المشكلة الاقتصادية المتفاقمة لعالمنا المتخلف أو النهوض بأوضاعه الاجتماعية المتردية. ويعتبرونها في أحسن الحالات مساعدة مالية بسيطة يتبرع بها محسنون كرماء على الفقراء والمعوزين لحل بعض مشاكلهم الآنية، بل إن خصوم الإسلام، عن جهل أو تجاهل، يسخرون من فريضة الزكاة ويعتبرونها – نظرا لنسبتها التي يرونها هزيلة للغاية – وسيلة لتبرير استغلال الاغنياء للفقراء، وحجر عثرة في طريق صراع الفقراء ضد الاغنياء!

ونحن، وان كنا لانزعم ان الزكاة علاج سحري لكل أزماتنا الإقتصادية ومعضلاتنا الاجتماعية، الا أننا نعتقد في فاعلية هذا المبدأ الأصيل في حياة المسلمين الجماعية خاصة حينما تطبق منظومة مبادىء متكاملة تشكل في مجموعها هيكل السياسة المالية للإسلام، وحينما تطبق هذه السياسة بدورها في إطار منظومة من السياسات الأخرى (الاقتصادية – التربوية..) والمحصنة بالمفاهيم الإسلامية المتميزة عن الإنسان والكون والحياة.وفيما يلي محاولة لرصد تفاعلات الزكاة مع أهم المعايير الاقتصادية.

الزكاة وصلتها بالاستثمار

صلة الزكاة بالاستثمار صلة وثيقة جدا لدرجة يمكن القول معها بأن: الاستثمار اساس الزكاة لكونها لاتهم إلا الاموال النامية بالفعل او القابلة للنماء، بمعنى تلك التي تدر على صاحبها دخلا معينا(ربحا وريعا).. أو تلك التي تكون هي ذاتها دخلا تمخض عن عملية استثمار سابقة. جاء في مقدمات ابن رشد:«الزكاة مأخوذة من الزكاء وهو النماء.ومن ذلك زكا الزرع اذا نما وطاب وقيل انما سميت بذلك لأنها لاتؤخذ الا من الاموال التي ينبغي فيها النماء لامن العروض المقتناة» (١).

وهذا مايفسر إعفاء الأموال الجامدة – لأسباب قاهرة – من الزكاة كأموال اليتامى التي لاتجد من يقوم باستثمارها. وهو مانص عنه بعض الفقهاء:« ليس في مال يتيم ولامعتوه زكاة إلا ان يعمل به» (٢) لأن من كان ممنوعا من التصرف في ماله بكل حال فلا زكاة عليه فيه إلا لحول واحد وان أقام أحوالا كثيرة كالمغصوب والملتقط والدين والقرض(٣) فحق الزكاة اذن مرتبط بتنمية المال وترويجه. وهذا ماجعل الفقهاء يعللون الزكاة بالنماء والانتاج حتى ان الامام أحمد قال الزكاة في الحلي الذي يكرى دون الذي يلبس وقال بها ابو حنيفة في الخيل المختلط ذكورا واناثا دون الذكور وحدها(٤).

وبهذا فالزكاة تعمل على صون رأس المال وحفظه من التآكل باعتبارها حافزا لاستثماره وانمائه ولقد اختلفت آراء الفقهاء في زكاة قيمة الاستثمارات. هل تشملها هي ذاتها أم تشمل فقط مداخيلها. وبشكل عام يمكن التمييز بهذا الصدد بين ثلاثة آراء فقهية تفضي كلها إلى نتيجة واحدة هي: الزكاة حافز مهم لاستثمار الاموال وترويجها في مشاريع انتاجية (٥).

* **الرأي الاول:** يعفى قيمة هذه الاستثمارات ودخلها ايضا من الزكاة مالم يدخل من دخلها مقدار يزيد على نصاب النقود، ويحول عليه الحول، فيزكي تزكية النقود(٢,٥٪)(٦) واقتصاديا فان هذا الرأي يؤدي إلى تشجيع الاستثمارات الاخرى غير المزكاة على حساب الاستثمارات المزكاة ويولد حافزا قويا ضد اكتناز النقود ويشجع استثمارها في مجالات غير مزكاة.

***الرأي الثاني:** يعامل الاستثمارات معاملة عروض التجارة(رأس المال التجاري) فيقومها مالكها كل عام، ويضيف اليها ماادخره من ايرادها، ويزكي المجموع بـ ٢,٥٪ شأن عروض التجارة. وهذا الرأي يسوى بين كل صور الاستثمار والاكتناز وقد يتراءى ان ذلك لن يشجع الاستثمار، ولن يثبط الاكتناز، ولكن الصحيح ان النقود في اقتصاد إسلامي لايمكن ان تدر على صاحبها أي دخل مالم يستثمرها لان اقراضها بفائدة حرام ولايرغب الفرد عادة ان يترك مدخراته تتآكل بالزكاة، بل يريد المحافظة عليها على الأقل، والسبيل إلى ذلك هو الاستثمار، لذلك فإن هذا الرأي يولد حافز الاستثمار ويثبط الاكتناز.

*أما الرأي الثالث: فهو يطرح من ايراد الاستثمارات السنوي مايقابل استهلاك رأس المال،ويزكي«صافي الايراد» فور قبضه زكاة بنسبة ١٠٪ شأن المحاصيل الزراعية.فإن لم يربح الاستثمار أو خسر لاتجب عليه الزكاة(كالارض الزراعية ان هلك محصولها).

ولو ان المستثمر اكتنز النقود ولم يستثمرها لوجب عليه اداء زكاتها على كل حال بمعدل ٢,٥٪ لهذا فإن تفضيل الاستثمار على الاكتناز سيستمر حتى يبلغ معدل خسارته المتوقعة ٢,٥٪ وهذه النتيجة تنطبق على القرارات الاستثمارية التي تبني على القيمة المتوقعة للعائدواقتصاديا يؤدي هذا الرأي إلى توليد حافز على الاستثمار، وتثبط اكتناز النقود بدرجة اكبر من الرأي الثاني.

وإذا كان الاستثمار اساس الزكاة، فإن الزكاة يمكن ان تكون أساس الاستثمار وذلك انطلاقا من اعتبارين اساسيين لابد من استحضارهما حتى يتسنى لنا ادراك دور الزكاة في الاستثمار.

*مسؤولية الدولة عن الزكاة: ان الدولة الإسلامية باعتبارها القائمة على تطبيق شرع الله، والراعية لمصالح مواطنيها المسلمين هي المسؤولة عن جباية الزكاة ممن تجب عليهم وصرفها إلى من تجب لهم (٧) والزكاة هي من فرائض الإسلام التي تجب على كل مسلم قادر على ادائها استجابة لقوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم﴾ (٨) وفي حديث ابن عباس أمر النبي ﷺ معاذا حين بعثه إلى اليمن فقال له: «اعلمهم ان الله أفترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم».

وقد استدل شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر بهذا الحديث على ان الامام هو الذي يتولى قبض الزكاة وصرفها إما بنفسه وإما بنائبه فمن امتنع عن دفعها اخذت منه قهرا (٩). ونقلها الشوكاني بنصها في «نيل

الزكاة ودورها في التنمية الاقتصادية

الاوطار».

فالزكاة اذا ليست منحة خاضعة لمزاج المانح لها بل هي واجب يؤخذ منه عنوة اذا امتنع عن ادائه طواعية. ولقد قاتل خليفة رسول الله ﷺ المرتدين - مانعي الزكاة - وقال فيهم كلمته الشهيرة: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة - حق المال - والله لئن منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه» (١٠).

*الزكاة بين الكفاية والكفاف: في اعتقاد عامة الناس، ليست الزكاة الا معونة بسيطة يتبرع بها أغنياء المؤمنين على فقرائهم. وأنها فقط علاج أو بالأحرى مسكن ظرفي لمرض الفقر ويجد هذا الاعتقاد اصله في واقع المسلمين الذين غيبوا فريضة الزكاة وجعلوها ممارسة فردية يقوم بها ثلة منهم، يوزعونها على شكل دريهمات تتلقفها جموع الفقراء والبؤساء على نحو مهين، لكن اين هذا الواقع من حقيقة ما أراده الإسلام من فريضة الزكاة؟

ان قراءة سريعة في النصوص المتعلقة بالزكاة توضح بجلاء ان هذه الفريضة المالية لم تشرع لتكون مهدئا ظرفيا لمشاكل الفقر بل لتعمل - بتضافر - مع عوامل اخرى على استئصاله والتصدي لأسبابه.

وهكذا فقد رأى فريق من الفقهاء ان الفقير يعطي من الزكاة قدر مايغنيه ويكفيه هو ومن يعول، العمر كله، وهوالاتجاه الذي مثله الخليفة الراشد عمر الفاروق رضي الله عنه والذي لخصه في قولته الجامعة: «اذا اعطيتم الناس فأغنوا» (١١) وهو مذهب الامام الحجة في الفقه المالي الإسلامي ابو عبد القاسم بن سلام في كتابه القيم «الأموال» ومذهب (عطاء) التابعي الجليل القائل: «اذا أعطى الرجل زكاة ماله أهل بيت من المسلمين فجبرهم فهو أحب إلي» (١٢).

ويرى فريق آخر أن الفقير يعطي ما يكفيه سنة واحدة فقط، وهو مذهب المالكية وجمهور الحنابلة معتمدين على ماجاء في هدى الرسول ﷺ من انه ادخر لأهله قوت سنة (١٣). من خلال هذين المعطيين نستنتج مايلي:

*كون الزكاة فريضة شرعية/ اجبارية يتكفل بجمعها جهاز اداري تشرف عليه الدولة يعني ان موارد هامة، مالية وعينية، سيتم تجميعها سنويا مما سيتيح استغلالها على نحو افضل من توزيعها على مستوى فردي.

إذا كانت الزكاة لاتبتغي الكفاف فقط بل تطمح إلى الكفاية، والكفاية هي أشباع الحاجات الضرورية سئل رسول الله ﷺ عن حد الكفاية فقال:« ماسد جوعتك ووارى عورتك وكان لك بيت يظلك. وان كان لك دابة فبخ بخ»(١٤).

على هذا الاساس فإن الزكاة لاينبغي صرفها لمستحقيها في شكل سيولة نقدية لاجل الاستهلاك المباشر فقط ،بل ايضا يجب تخصيص جزء من موارد الزكاة للاستثمار وهذا الاستثمار يمكن أن يتخذ شكلين:

*شكل مساعدة الحرفيين وذوي الصناعات من الفقراء بتمكينهم من شراء ادوات الانتاج اللازمة لمزاولة حرفهم. كأن تعطي الزكاة مثلا للفلاح في شكل ادوات حرث او اسمدة وللخياط في شكل آلة خياطة. وفي هذا يقول الامام النووي: «فمن كانت عادته الاحتراف اعطى مايشتري به حرفته او آلات حرفته، قلت قيمة ذلك ام كثرت، ويكون قدره بحيث يحصل له من ربحه مايفي بكفايته غالبا تقريبا.. ومن كان تاجراً أو خبازاً أو عطاراً أو صرافا أعطى بنسبة ذلك، ومن كان خياط أو نجارا أو قصارا أو قصابا أو غيرهم من أهل الصنائع أعطى مايشتري به الآلات التي تصلح لمثله (١٥).

فالزكاة بهذا المعنى لاتقدم فقط اعانات استهلاكية بل تخلق ايضا وحدات انتاجية، وهذا ما يمكن ان يتوافق مع مذهب الداعين إلى إغناء الفقير العمر كله.

*شكل الاستثمارات التي تدر مداخيل دورية لصالح فئة الفقراء التي لايمكنها ان تمارس أي نشاط انتاجي لسبب من الاسباب القاهرة(مرض مزمن - شيخوخة - عاهة..) وهذا مايتوافق مع مذهب القائلين باعطاء الفقراء كفاية سنة.

ويتضح من هذا انه لافرق بين الاتجاهين في واقع الامر، فالغاية واحدة هى كفاية الفقير، وان كان احد الاتجاهين يرى ان تحصل هذه الكفاية دفعة واحدة، فيما يرى الآخر ان تحصل بالتدريج.

الزكاة ودورها في توجيه الاستهلاك

تشكل موارد الزكاة عند توزيعها على المستحقين لها طاقة شرائية تعبر عن نفسها في شكل طلب على المواد الاستهلاكية الاساسية وهذه القوة الشرائية لاتكون جديدة بالنسبة للاقتصاد ككل بل فقط بالنسبة لقطاع منه، هو كما سبقت الاشارة قطاع المواد الاستهلاكية الاساسية، وبما ان هذا القطاع يعتمد - في مواده الاولية، وادوات انتاجه والعمالة التي يتطلبها - على طاقات محلية وبسيطة نسبيا، فانه من الممكن بل من اليسير الاستجابة للطلب الجديد بالزيادة في الانتاج خاصة وان المستثمرين سيغريهم ارتفاع الاسعار في البداية والناشىء عن زيادة الطلب. وفي اثناء عمليات الاستثمار ستتولد مداخيل جديدة ستؤدي بدورها إلى ارتفاع الطلب على المواد الاستهلاكية، وهكذا تنشط حركة الدورات الانتاجية والاستهلاكية الشيء الذي يؤول إلى تحريك الاقتصاد بشكل عام (١٦).

غير ان التساؤل التالي قد يتبادر إلى الذهن: بما ان الطلب على المواد الاستهلاكية جديد فقط على مستوى هذا القطاع وليس على المستوى الاقتصادي ككل، الا يمكن ان يتسبب من جهة اخرى في ظهور خلل على مستوى قطاع آخر؟

ان القطاع الذي يمكن - نظريا - ان يعرف خللا بين العرض والطلب هو القطاع الذي تنسحب منه القدرة الشرائية لصالح المواد الاستهلاكية. هذه الاخيرة تتوجه إليها الفئات الفقيرة المستحقة للزكاة، اما الفئات التي تعطي الزكاة فانها إنما تتنازل عن جزء من مبالغها المدخرة أو المخصصة لإشباع حاجات كمالية، الأمر الذي يعني في النهاية أن قطاع المواد الكمالية هو الذي يمكن - نظريا - ان يعرف خللا طفيفا بين الطلب والعرض لصالح هذا الاخير اقول نظريا لأن اقتطاع نسبة بسيطة من الارباح - المالية والعينية - لايمكن بحال ان يؤثر على المستوى المعيشي لاصحابها، وهكذا فإن الزكاة لايمكن ان يتضرر منها عمليا أي قطاع لانها لاتقتطع إلا من الأموال الفائضة عن

الحاجة: ﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ (١٧) وهي بهذا تساهم في تحريك جزء مهم من المدخرات الخارجة عن الدائرة الاقتصادية وتعمل على ترويجها بطرحها في السوق كسيولة نقدية، وبمعدل تداول مرتفع نظرا لارتفاع الميل الحدي للاستهلاك، غير العناصر المستحقة والمنفقة للزكاة (١٨).

الزكاة واثرها في التخفيف من الضغوط التضخمية

من ايجابيات الزكاة على المستوى الاقتصادي انها تعمل على التخفيف من الآثار التضخمية، وتحافظ بذلك على استقرار القدرة الشرائية للنقود خاصة لدى الفئات الفقيرة ذوات المداخيل المحدودة والثابتة فالتضخم كما هو معلوم هو الارتفاع العام اللاتراجعي للاسعار الناتجة عن فائض في السيولة النقدية بالنسبة إلى مايقابلها من السلع والخدمات أو بتعبير اخر هو (التضخم) تدهور القيمة الحقيقية للنقود بحيث تصبح اقل من قيمتها الاسمية.

فكيف يمكن ان تعمل الزكاة على الحد من هذه الآثار السلبية للتضخم؟ لمحاولة الاجابة على هذا التساؤل نشير إلى الخصائص التالية للزكاة.

ان الزكاة – كما سبقت الاشارة إلى ذلك – ليست سيولة نقدية جديدة يتم خلقها وتوزيعها دون ان يكون لها مقابل حقيقي (سلع – خدمات) بل هى فقط تحول داخلي لسيولة موجودة سلفا، ويفترض ان يكون لها مقابلها الحقيقي.

سبق الاشارة كذلك إلى ان الزكاة، بما أنها مداخيل للفئات الفقيرة، توجد اساسا لإشباع الرغبات الأولية أي لطلب المواد الاستهلاكية الاساسية. وهو الطلب الذي يترتب عليه ارتفاع في الاسعار، لكن فقط لفترة وجيزة، اذ سرعان ماتتراجع إلى مستواها الاول بعد الرفع من الانتاج.

الزكاة لاتدفع دائما مباشرة في شكل سيولة نقدية، بل يمكن استخدامها كأداة لمساعدة الفقراء والمساكين – من الحرفيين خاصة – في القيام باستثمارات انتاجية صغيرة، هذا فضلا على ان حصيلة بعض انواع الزكاة – كالثروة الحيوانية والفلاحية – تدفع في شكل سلع عينية، كل هذا من شأنه ان يقلل من

■ يعطى الفقير من الزكاة ما يغنيه عن المسألة، وحده قوت سنة كاملة

الانفاق على الاستهلاك وبالتالي يخفض القوة الشرائية للطبقات المستحقة لها من التدهور في وجه التضخم (١٩).

ان الزكاة باعتبارها حقا للفقراء في أموال الاغنياء كما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله صلى عليه وسلم امره ان يقول لاهل اليمن ان الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم. ان هذه الخاصية التي تتمثل في انتقال المال من فئة الأغنياء إلى فئة الفقراء تجعل منها اداة للرفع من القيمة أو المنفعة الحدية للمال (٢٠) فالنقد كأي سلعة اخرى تزداد قيمة إلى حدود مستوى معين من الاشباع ثم تأخذ هذه القيمة بعد ذلك في الانخفاض قليلا قليلا كما ابتعدت عن ذلك المستوى من الاشباع. فلو فرضنا ان هذا المستوى يوافقه – في ظل ظروف اقتصادية واجتماعية معينة – ١٠٠٠ وحدة نقدية (ون) ولو فرضنا شخصين يملك احدهما ٥٠٠ ويملك الاخر ١٥٠٠ ون. ان وحدة نقدية اضافية ستكون قيمتها الحقيقية عند الشخص الاول اكبر منها عند الشخص الثاني لان هذا الاخير سينفق وحدته النقدية الاضافية في اشباع حاجة ثانوية جدا، اما الاول الذي لم يصل بعد مستوى الاشباع المفروض فان الوحدة النقدية الاضافية ستمكنه من اشباع حاجته الاساسية ومن ثم كانت قيمتها عنده اكبر. وهكذا فان الزكاة التي تنقل جزءا من فضول أموال الاغنياء إلى فقراء ترفع من القيمة الحقيقية لهذه الاموال، بل وترفع ايضا – ولو بنسبة ضئيلة – من القيمة الحقيقية لأموال الأغنياء بعد خصم الزكاة منها□

الهوامش:

١) مقدمات ابن رشد ج٢:٢٠٩.
٢) الدعائم ٣/ ٧٧–٨٨ سبيل الإسلام ٢/ ١٣٠ اخذ عن أحمد باهر البقري: الزكاة ودورها في التنمية ص١٦.
٣) محمد العربي الخطابي(زكاة الاموال) ص ٢٨.
٤) أحمد لسان الحق(منهج الاقتصاد الإسلامي في انتاج الثورة واستهلاكها) الجزء الثالث ص ٢٠٠.
٥) د. محمد انس الزرقاء(اثر الزكاة على الاستثمارات الثابتة مجلة (الأمة) عدد ٤٥ص ٥٢ و٥٣.
٦) وهي نسبة لم تحدد بنص إلا انه يمكن اعتبارها بمثابة الحد الادنى الذي يجب الالتزام به على ضوء الحاجات التي يستشعرها المجتمع وفئاته الضعيفة.
٧) لايجب مع ذلك الخلط بين فريضة الزكاة والضرائب التي تستخلصها الدولة من مختلف القطاعات المنتجة، فالزكاة بخلاف الضرائب محددة شرعا من حيث نسبها، وأوعيتها والمستحقون لها ودور الدولة ينحصر في السهر على تطبيقها لاغير.
٨) سورة التوبة:١٠٣.
٩) الحافظ ابن حجر (فتح الباري) ج٣:٢٣١، أخذا عن يوسف القرضاوي (مشكلة الفقروكيف عالجها الإسلام) ص :٨١.
١٠) رواه الشيخان.
١١) الانصاف:ج٣ ص ٣٣٧.
١٢) الاموال: ص ٥٦٦.
١٣) متفق عليه.
١٤) سيد سابق:(عودة الإسلام) ص ٣٥
١٥) الامام النوري(شرح المهذب) ج٦ ص ٢٠٣
١٦) انظر: (الاستخدام الوظيفي للزكاة في الفكر الاقتصادي الاسلامي) للدكتور غازي عناية.
١٧) سورة البقرة:٢١٩.
١٨) الميل الحدي للاستهلاك هو نسبة ارتفاع الاستهلاك التي تنجم عن ارتفاع الدخل ويعبر عنها بالكسرة التالية س/د حيث يرمز بـ(س) إلى زيادة الاستهلاك ويرمز بـ(د) إلى زيادة الدخل.
١٩) مجدي عبد الفتاح سليمان (اثر الزكاة في الحد من الصغوط التضخمية) مجلة الأمة، عدد ٦٠، ص ٢٢.
٢٠) محمد احسان طالب: الاقتصاد الاسلامي والحد من التضخم) مجلة الأمة عدد ٣٥ص٣٤.

الحسبة وتنظيم العمران

خطة الحسبة من الخطط الشرعية التي أنبنت على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بقلم
: د. محمد أبو الأجفان*

إن خطة الحسبة من الخطط الشرعية التي أنبنت على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي من الخطط التي كان لها دورها الفعال في التنظيم السياسي والإداري والقضائي عبر تاريخ حضارتنا المديد.

وقد تولى كثير من العلماء خطة الحسبة، فقاموا بتنظيم المجتمع الإسلامي ورعوا مصالحه العامة، وحموا الحقوق، وتتبعوا المنكرات يستأصلون شأفتها، ونصروا المظلومين، وحافظوا على جمال البيئة ونظافتها، لضمان الصحة الجيدة، وأسهموا في التنظيم العمراني للمدن الإسلامية. وتشهد كثير من المؤلفات العلمية بما كان للفقهاء من دور في تقنين أحكام التعايش في المجتمع الإسلامي، وأحكام التصرف في المباني تصرفا يدرأ معه الضرر، ويلتزم فيه كل شخص بحدود حريته، كما تشهد بما كان للقائمين بخطة الحسبة من جهد في تطبيق هذه الأحكام، ومن أثر في حياة المدن الإسلامية التي تصطبغ بالصبغة الدينية، وتتاح فيها إقامة الشعائر، وحسن التعامل، وتبادل المنافع في الإطار الشرعي تحقيقا للتعاون على البر والتقوى وللتكافل الاجتماعي الذي ينشده ديننا الحنيف.

■ جاءت أحكام الفقه الإسلامي متناولة لجميع مجالات الحياة

*مدير قسم الفقه والسياسة الشرعية - تونس

وكنت تناولت الحديث عن دور الحسبة في الرعاية في موضوع سالف (١). وأتناول في هذا الموضوع الحديث عن دورها في تنظيم العمران.

الاهتمام الفقهي بتنظيم العمران

واعتبارا لما امتازت به الدعوة الإسلامية من العموم والشمول جاءت أحكام الفقه الإسلامي متناولة لجميع مجالات الحياة، ولم تقتصر على العبادات، بحيث يجد المسلم في هذا الفقه ما يتعلق بالحلال والحرام، وما يُنظم علاقته بربه وعلاقته بأفراد أسرته وعلاقته بسائر أفراد مجتمعه الذي يعيش فيه ، سواء كانوا ممن يشاركونه في العقيدة أو يخالفونه فيها. كما تجد فيه الحكومة الإسلامية القوانين الشرعية التي تطبقها في إدارتها لشؤون الرعايا من المسلمين وغيرهم، وفي علاقتها بالدول الأخرى.

ومن المجالات التي اهتم بها فقهنا الإسلامي وأولاها المجتهدون اعتناءً ملحوظا: مجال العمران وتنظيم المدن الإسلامية، وتحديد التصرف في الأماكن العامة التي يكون للناس فيها حق مشترك مثل الطريق والسوق والميناء والمسجد.

ومن ذلك أنهم أقروا للطريق حرمة تيسر استعماله لكافة الناس، دون أن يلحقهم ضرر من أفراد يتجاوزن حدودهم في استعماله، فمن اقتطع منه جزءا ألحقه بملكه الخاص حُكم بهدم ما بناه، وإعادة الطريق إلى ما كانت عليه. وقد حدثنا تاريخ قرطبة الإسلامية أن بعض سكانها اقتطع جزءا من أحد طرقها وبنى فيه، فعرضت المسألة على الفقهاء القرطبيين، فأفتى بعضهم بهدم الجزء الذي يضر بقاؤه بالطريق، بعد أن قدروا أن الطريق يلزمه ثمانية أذرع عرضا، وأفتى آخرون بهدم كل ما زيد فيه من البناء على كل حال مراعاة لحرمته وصفته كمرفق مشترك (٢).

وترجيح المصلحة العامة على الخاصة مبدأ يراعيه سائر فقهاء الأقطار - خارج الأندلس أيضا - ففي أفريقية أعلن علامتها الإمام عبدالسلام بن سعيد سحنون (٣) (ت ٢٤٠هـ) أن «من أدخل في داره من زقاق المسلمين شيئا، وشهد الناس بذلك بعد عشرين سنة، يرده إلى الزقاق، ولا تحاز

الأزقة» (٤).

وفي مصر أعلن أبـو عمـرو عثمان بن الحاجب (٥) (ت٦٤٦هـ) في «مختصره الفقهي» الشهير مبدأ «لا تحاز الشوارع بالبنيان» وجاء بعده الفقيه المصري خليل بن اسحاق الجندي (٦) (ت٧٧٦هـ) فشرح مختصره في كتابه «التوضيح» وعلل هذا المبدأ بأن الطريق لـه صبغـة الحبس لعامة المسلمين، وذكر إنـه «لا إشكال في منع ما يضر وهدمه» مما يبنى على أرض حيزت من الشوارع العامة، وأما ما لايكون فيه ضرر فاختلفت فيه الآراء، فقيل بالجواز وقيل بالكراهة، ولكن المشهور هو المنع. وتهديم ما بني فيما اقتطع من الطريق ولو لم يكن البناء ضارا بالناس، وهذا ما تقتضية صبغة الحبس، وهو ما ذهب إليه من المالكية مطرف (٧) وابن الماجشون (٨) وسحنون.

وما ذكرته ليس إلا نموذجا من أحكام العمران التي تناولها الفقهاء بتفصيل، عرفوا به حقوق الناس المشتركة والخاصة، وبينوا به ما ينبغي للقضاة أن يحكموا به في النوازل المتعلقة بالمباني، وما ينبغي للمحتسبين أن يراعوه في عملهم عند تنظيم المدن وتوفير راحة ساكنيها.

ثم إن الأحكام الفقهية التي تتناول المجال العمراني تكون تارة موزعة في أصناف من الكتب الفقهية، وتارة مجموعة في تأليف خاص بها. فأما الكتب الفقهية التي تعرض بعض أحكام العمران دون أن تختص بها فهي التالية:

- كتب الفقه العامة التي صنفها أعلام المذاهب التشريعية المختلفة.
- كتب الفتاوى والنوازل التي تتضمن أجوبة المفتين عما سئلوا عنه من أسئلة كان بعضها في موضوعات عمرانية، مثل المعيار للونشريسي (٩) ونوازل الإمام البرزلي (١٠).
- كتب الحسبة: النظري منها والعملي، فالنظري يتناول كل الحقوق لصيانتها والتعريف بها وبدور المحتسب في حمايتها، وبعضها حقوق في البنيان والعقار، والعملي يعرض صورا طريفة لما كانت عليه المجتمعات الإسلامية ولما قام فيها من وسائل تنظيم هادفة إلى تحقيق المصالح العامة.

وأما الكتب المختصة بأحكام البنيان فعددها محدود، نذكر منها:

- كتاب القضاء في البنيان لعبدالله بن عبدالحكم المصري (١١) (ت ١٩١هـ).
- كتاب الجدار لعيسى بن دينار (١٢) (ت ٢١٢هـ).
- كتاب الجدار لعيسى بن موسى (١٣) (ت٣٨٦هـ).
- الإعلان بأحكام البنيان لمحمد بن إبراهيم ابن الرومي التونسي (١٤).
- فتح الرحمن في مسألة التنازع في الحيطان لمحمد بن حسين البارودي الحنفي (١٥).

العمران في كتب الحسبة

اهتمت كتب الحسبة ببيان وظائف المحتسب وما يشمله نظره من مقاومة المنكرات التي قد تظهر في المدن وأماكنها العامة. فكل منكر يظهر أو يفترض وقوعه ينصون عليه لتنبيه من يتولى الحسبة لتتبعه، ويعاقب أصحابه بنفسه أو بدفع أعوانه إلى ذلك.

ويعنينا في هذا المقام أن نبرز اهتمامهم بالمجال العمراني وتحديد عمل المحتسب فيه، إذ في ذلك دلالة على مستوى حضاري بلغته أمتنا في حسن التنظيم والعناية بالمظاهر المادية للمحيط الذي يعيش فيه المسلم.

والمؤلفون في الحسبة عندما يتكلمون عن منكرات الأماكن العامة لا يميزون بين ما هو معنوي وما هو مادي بل يمزجون مزجا يصور مدى العناية بالناحيتين مستلهمين التوجيه الإسلامي الذي أولى الناحيتين اهتمامه البالغ. وكمثال لذلك أذكر أن الفقيه محمد بن عيسى بن المناصف (١٦) (ت ٦٢٠هـ) لما تكلم عن دور المحتسب في الشوارع والمحلات العامة عدد ما يظهر فيها من محرمات يتحتم تتبعها لقطع دابرها، وكان منها المحرمات التي تقع في هذه الأمكنة ولا صلة لها بالأبنية والعقار مثل شرب الخمر والازدحام واتخاذ الملاهي وتعرض الفساق للنساء، وإظهار النسوة محاسنهن وزينتهن للناس واجتماعهن في بعض الأسواق بسفلة السماسرة ومزاحهن بما لا يحل، وكان منها المحرمات التي تبدو وثيقة الصلة بالمباني والطرق مثل تكدس الأوساخ المستخرجة من سروب المحلة وقنوات الحومة ومثل قطر الميازيب التي تجري بنجاسة في موضع ضيق، ومثل اتخاذ مرابط الدواب على الطرق والتي تؤذي المارة، واتخاذ الكلاب العادية في الحومات وعلى أبواب الديار.

وهذه الناحية الثانية المتعلقة بالعمران ونظامه هي التي أردت إبراز عناية المحتسبين بها، وقد تناولها مؤلفو الحسبة لما لاحظوا أن إهمالها يوقع في الحرج ويؤدي إلى الأذى. ولاحظ ابن المناصف أن بعض الأمور المباحة في الأصل إذا أصبحت تقضي إلى الضرر تصير ممنوعة مثل بعض التصرفات التي تحصل في أسواق ضيقة المساحة لا تتسع للازدحام يقول عنها إنها «قد تفضي إلى أذى المسلمين في تخريق أثوابهم أوتلويثها وتكليفهم المشقة في التحرز منها.. شأنها الإباحة في الابتداء، لولا ما يعترضها من أذية المسلمين التي نبهنا عليها، فواجب أن تمنع على الصفة التي تؤذي» (١٧).

تنظيم الأسواق

لقد وكل تنظيم الأسواق إلى المحتسبين، حتى سمي المحتسب ب- «صاحب السوق» وألفت في أحكام السوق مؤلفات (١٨)، وممن أشار إلى ترتيبها وبنائها عبدالرحمن الشيزري الشافعي (١٩) (حوالي ٥٨٩) قال: «ينبغي أن تكون الأسواق في الارتفاع والاتساع على ما وضعته الروم قديما، ويكون من جانب السوق إفريزان يمشي عليهما الناس في زمن الشتاء وإذا لم يكن السوق مبلطا، ولا يجوز لأحد من السوقة إخراج مصطبة دكانه عن سمت أركان السقائف إلى الممر الأصلي لأنه عدوان على الماره، يجب على المحتسب إزالته والمنع من فعله، لما في ذلك من لحوق الضرر بالناس».

وقد أوصى الشيزري بأن يكون لأرباب كل صنعة سوق يختص بهم (٢٠) وهذا ما ذهب إليه أيضا ابن عبدون الأندلسي عندما قال: «يجب على المحتسب أن يرتب الصناع، ويجعل كل شكل مع شكله في مواضع معلومة، فهو أجل وأتقن» (٢١).

ويصرح الجرسيقي بمايوكل إلى المحتسب بالنسبة لرعاية الأسواق، فيقول: «يجب عليه النظر في شوارع المسلمين وأسواقهم، فيما ينجسها أو يوعرها أو يظلمها أو يضيقها كالأجنحة والسوابيط والبيع في الطريق» (٢٢).

الحسبة وتنظيم العمران

وهناك من يرى أن البيع في الطريق لا يمنع فيما خف ولم يكثر، وأن من سبق من الباعة إلى مكان في الطريق فهو أحق به من غيره، ولكن هذا الحق لا يكتسي صبغة الدوام (٢٣).

ويذكر يحيى بن عمر الكناني (ت ٢٨٩هـ) أن ما يتجمع في السوق من الأوساخ التي يلقيها أصحاب الدكاكين يجب عليهم كنسها ورفعها، ولا يكلفون برفع الطين المتجمع بسبب المطر، لأنه ليس من فعلهم (٢٤).

حرمة الأماكن العامة وتنظيمها

أكد فقهاء الحسبة والقضاء على ما تكتسيه الأماكن العامة في المدينة الإسلامية من حرمة وما فيها من حقوق مشتركة، وقد ألمحنا إلى ذلك بالنسبة للطرق والمسالك، ونذكر أن الموانىء المتخذة لإرساء السفن والقوارب على ضفاف البحار والأنهار، أكدوا على صبغتها العامة التي تمنع التصرف فيها بالبيع أو الهبة أو البناء عليها، تقديرا لأهمية الانتفاع المشترك بها، وقد قال عنها ابن عبدون: هي «عين البلد وموضع إخراج الفوائد مما يخرجه التجار، ومأوى الغرباء وموضع إصلاح السفن فلا يكون فيها ملك لأحد، إلا للسلطان وحده، ويجب على القاضي أن يحمي ذلك كل الحماية، فإنه موضع مجتمع التجار والمسافرين وغيرهم، ويجب على صاحب المواريث ألا يبيع منه شبرا واحدا» (٢٥).

وأما المساجد فهي مقر العبادة يشترك المصلون في أداء صلاة الجماعة بها ويؤمها المسلمون لتلقي العلم والهدي الإسلامي، وقد روعيت - في عمرانها - أمور من الناحية الخارجية وأخرى من الناحية الداخلية فمما جاء متعلقا بخارجها ومحيطها قول ابن عبدون: «يجب ألا يكون حول الجامع بائع زيت ولا قذر.. ولا بائع طيور» (٢٦). ومن الناحية الداخلية تكلم الفقهاء عن فراش أرض المسجد وتزويقه وتزيينه بالشمع والقناديل، وقد أفتى العز بن عبدالسلام الشافعي (ت٦٦٠هـ) بجواز تزيينه، لما في ذلك من مظاهر الاحترام والإكرام، واعتبر محمد العقباني التلمساني المالكي (ت٨٧١هـ) إنارته بثريات كبيرة بدعة مستحسنة، أما تعليق الستائر التي تشغل المصلين وتلهيهم وتشوش خشوعهم فاعتبره مكروها «لما فيه من تفويت الغرض الذي بنيت المساجد لأجله» ولم ير بأسا في تعليق الستائر في مكان غير مواجه للمصلي بحيث لاتشغله عند الصلاة (٢٧).

وصومعة المسجد ينبغي ألا يكون وضعها يسهل لمن صعد إلى أعلاها أن يتكشف منها على الدور المجاورة، وقد منع الإمام سحنون صعودها إذا كانت تتيح التكشف، لما في ذلك من ضرر (٢٨).

وأما غرس الأشجار بالمساجد فكانت محل خلاف بين فقهاء المذاهب، وفي الأندلس - حيث ساد المذهب المالكي - كان الأندلسيون يميلون إلى غرس الأشجار بها ترجيحا لمذهب الإمام الأوزاعي الشامي الذي يبيح ذلك خلافا للمذهب المالكي (٢٩). وهذه إحدى المسائل التي خالف فيها الأندلسيون مذهب إمامهم السائد ببلادهم.

لقد كان الحرص شديدا على مراعاة راحةالسكان ودرء ما يضرهم في الأماكن العامة التي لها حرمة خاصة وعهد إلى المحتسب صونها في نطاق تنظيمه للعمران بالمدينة. ومما يقوله فقيه الحسبة ابن عبدالرؤوف الأندلسي في تحديد عمل المحتسب في تنظيم الأماكن العامة: «يمنع من طرح الأزبال والجيف وما أشبهها في المحجات فإن ذلك يضر بالديار، فأما الأوساخ فإنها تنجس.. يكلفون بنقل ذلك إلى خارج البلد، وتتعاهد المساجد ورحابها وما دار بها عن طرح الأزبال والنجاسات، وينهى من فعل ذلك، فإن عاد عوقب. ويمنع حمال الحطب وكل من يحمل محملها بالمشي بها في المحجات والطرق الضيقة، ويكلفون النزول بها في الرحاب الواسعة للبيع، ويمنعون هم وغيرهم عن توقيف الدواب بأحمالها حتى يباع ما عليها، ويؤدبون إن عادوا... ويمنع الصباغون - ومن في معناهم - عن نشر الثياب المصبوغة المبلولة على الطرق، فإنها تؤذي الخاطرين بتغيير ثيابهم، وينهون عن اتخاذ أفرانهم على الطرق، فإنهم يؤذون المجتازين بالدخان، ويكلف من فتح سربا وأخرج ما فيه أن ينقله إلى خارج البلد، ويسوي موضع السرب، ويعدل الطريق، وينظفه من الأذى، لئلا يضر بذلك المار عليها» (٣٠).

وهكذا يتدخل المحتسب في تنظيم الأسواق ومنع الصناع من الإضرار بالناس، وتخول له سلطته أن يردع وأن يعاقب من تجاوز الحد.

الخاتمة

إن شريعتنا الإسلامية جاءت بمبادىء عامة ينبني عليها نظام حياتنا وتصلح لكل زمان ومكان ضامنة خلود هذه الشريعة الإلهية، ومن تلك المبادىء: دفع الضرر وإقرار الحقوق ومراعاة المصلحة العامة ودرء المنكر، وهذه المبادىء هي التي قامت عليها خطة الحسبة التي كان من مهمات صاحبها تنظيم النواحي العمرانية في المدينة الإسلامية حتى يطيب العيش فيها، ولقد ساعد فقهاء الحسبة في تحديد معالم هذا التنظيم وقننوا أحكامه التي يطبقها المحتسب

■ دفع الضرر وإقرار الحقوق ومراعاة المصلحة العامة ودرء المنكر، على رأس المبادىء التي قامت عليها خطة الحسبة في الإسلام

امتازت الدعوة الإسلامية بالعموم والشمول فجاءت أحكام الفقه الإسلامي متناولة لجميع مجالات الحياة

عند أداء وظيفته الحضارية، تلك الوظيفة التي مهدت لوظيفة البلديات في عصرنا الحاضر. وبذلك يظهر ما لأمتنا من رصيد في مجال التشريع وفي مجال التنظيم مايدل على مدى الرقي الحضاري الذي بلغناه□

الهوامش:

* أستاذ التعليم العالي في الفقه المقارن بجامعة الزيتونة، مدير قسم الفقه بالمعهد الأعلى للشريعة، تونس.

١) انظر العدد ٣٣٠ من هذه المجلة «الوعي الإسلامي» الصادر بتاريخ صفر ١٤١٤هـ/ أغسطس ١٩٩٣م.

٢) تحفة الناظر للعقباني: اللوحة ٤٦. مخطوط دار الكتب بتونس رقم ٨٩٥٠.

٣) أبو سعيد عبدالسلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، غلب عليه اسم سحنون، فقيه القيروان وإمامها وقاضيها، مجتهد في المذهب المالكي، اشتهر بالمدونة الكبرى التي أخذ مسائلها عن الفقيه المصري عبدالرحمن بن القاسم العتقي صاحب الإمام مالك. توفي بالقيروان سنة ٢٤٠هـ، ترجمته ومصادرها في رياض النفوس للمالكي: ١/ ٣٤٥ ط دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٨٣م.

٤) النوادر والزيادات، لابن أبي زيد القيرواني ج ٤ لوحة ١٢٥، مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس رقم ٥٧٧٠.

٥) أبو عمرو عثمان بن عمر جمال الدين المشتهر بابن الحاجب، فقيه على المذهب المالكي وضع مختصرات في عدة فنون منها مختصر فقهي اشتهر «حسن المحاضرة للسيوطي: ١/ ٢١٠».

٦) خليل بن إسحاق من علماء المالكية، بالقاهرة المعزية مجمع على فضله من أهل التحقيق، له مؤلفات في الفقه والنحو اشتهر منها مختصره «أعلام الزركلي: ٢/ ٣٦٤، ديباج ابن فرحون: ١/ ٣٥٧».

٧) مطرف بن عبدالله بن مطرف بن سليمان اليساري الهلالي أبو مصعب، من تلاميذ مالك صحبه سبع عشرة سنة. كان عالما ثقة. توفي سنة ٢٢٠ بالمدينة، متجاوزا ثمانين سنة. «تهذيب التهذيب: ١٠/ ١٧٥، الديباج لابن فرحون: ٢/ ٣٤٠».

٨) عبدالملك بن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون، أبو مروان. كان فقيها فصيحا دارت عيه الفتوى بالمدينة، تفقه بأبيه وبمالك. توفي سنة ٢١٢ أو بعدها متجاوزا ستين سنة «طبقات الفقهاء للشيرازي ١٤٨، الديباج:٢/ ٦، ٧».

٩) أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي الفقيه المالكي المغربي المتوفي بفاس سنة ٩١٤هـ وكتابه الموسوم ب-«المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب»، نشرته دار الغرب الإسلامي ببيروت سنة ١٩٨١ في ١٣جزءا.

١٠) أبو القاسم بن أحمد البرزلي البلوي القيرواني نزيل تونس فقيه مالكي حافظ (ت٨٤١هـ) ونوازله تتوفر منها عدة نسخ مخطوطة بالخزائن التونسية العامة والخاصة.

١١) انظر ترتيب المدارك: للقاضي عياض: ١/ ٥٢٥، الديباج لابن فرحون ١/ ٤٢٠.

١٢) ترجمة ابن دينار في ترتيب المدارك: ٢/ ١٩.

١٣) من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بدار الكتب الوطنية بتونس ١٥٢٢٧.

١٤) لهذا الكتاب طبعة حجرية فاسية. وتحقيقه موضوع رسالة جامعية أنجزها الصديق الباحث عبدالرحمن بن صالح الأطرم نال بها شهادة الماجستير من كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بإشراف الدكتور صالح الفوزان سنة ١٤٠٣هـ وهي الآن قيد الطبع.

١٥) من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بدار الكتب الوطنية بتونس رقم ٣٩٣٣.

١٦) أبو عبدالله محمد بن عيسى المعروف بابن المناصف وابن أصبغ فقيه مالكي من أصل أندلسي ولد بالمهدية سنة ٥٦٣هـ ونشأ بتونس آخذا عن أعلامها وتوفي بمراكش سنة ٦٢٠) «التكملة لابن الأبار: ٢/ ٦١١».

١٧) تنبيه الحكام، لابن المناصف: ٣٣٩، ٣٤١، ط دار التركي للنشر، تونس ١٩٨٨م.

١٨) منها كتاب «أحكام السوق» ليحيى بن عمر الكناني الأندلسي نزيل سوسة نشرته الشركة التونسية للتوزيع بتونس سنة ١٩٧٥ بتحقيق حسن حسيني عبدالوهاب بن نصر بن عبدالله الشيزري، معاصر للسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي القرن السادس الهجري، انظر مقدمة تحقيق كتابه «نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ط/ القاهرة سنة ١٩٤٦م.

٢٠) نهاية الرتبة للشيزري ١١.

٢١) انظر ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة: ٤٣.

٢٢) المصدر نفسه: ١١٩ وما بعدها.

٢٣) التوضيح لخليل بن اسحاق ج ٢، اللوحة ١٣٩، مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس رقم ١٢٢٥٦.

٢٤) أحكام السوق: ٩٥. ط الشركة التونسية للتوزيع تونس ١٩٧٥.

٢٥) ثلاث رسائل أندلسية: ٢١٩.

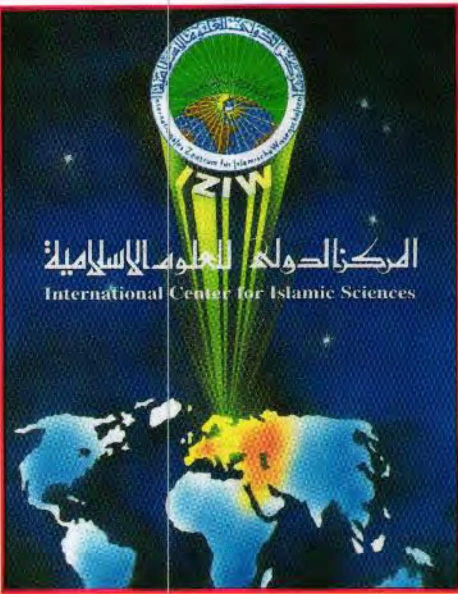
٢٦) المصدر نفسه: ٤٣.

٢٧) تحفة الناضر، للعقباني: اللوحتان ٢٩و ٣٠، مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس ٨٩٥٠.

٢٨) تكميل التقييد، لابن غازي المكناسي: ج٤، اللوحة ١٩٥، مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس رقم ١٥١٦٠.

٢٩) تحفة الناظر: اللوحة ٣٣، المخطوط سالف الذكر.

٣٠) الحسبة والمحتسب في الإسلام، للدكتور نقولا زيادة: ١٤٦.



■يتحمل المركز كافة نفقات الدورات الشرعية، بما في ذلك الاقامة والطعام والكتب، حرصا منه على إفادة أكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين في الغرب

المركز الدولي للعلوم الاسلامية في ألمانيا

منارة وسط دياجير المادة

إعداد: د. صلاح الدين أرقه دان

يقارب عدد المسلمين في أوروبا ٢٠ مليونا، منهم العامل والعالم والطالب واللاجيء، واكثرهم مضطر للإقامة في ديار الاغتراب بسبب ظروفه الاقتصادية أو السياسية التي تمر بها بلاده، وبعضهم فرّ بدينه بسبب الاضطهاد الذي يواجههم فيها كما في فلسطين وكسوفو والبوسنة والهرسك وكردستان، وسواها..

حاجة المسلمين إلى مؤسسات متخصصة

وبالرغم من هذا العدد الجم الغفير للجاليات الاسلامية، والقدرات العلمية الفذة التي تساهم بشكل فعّال في التقدّم العلمي الذي وصل إليه العالم الغربي، ليس لديهم مؤسسات متخصصة تعمل على تعليم أبنائه لغتهم ودينهم، وهم يتعرضون لظروف قاسية تفرض عليهم التغرب في اللغة والدين والمجتمع والفكر، وجوانب أخرى عديدة في الحياة. وإيضاح صورة الإسلامية النقية بعدما شوّهها الاعلام المغرض والتجهيل المقصود..

كما تفتقد الساحة الإسلامية الغربية علماء مؤهلين لإفتاء أبناء الجاليات الإسلامية في أمور دينهم، لاسيما ما يستجد من المعاملات الكثيرة المعقّدة، وإن وقع سؤال العلماء الزائرين أو مراسلة مراكز الافتاء في العالم الإسلامي فإن الفتاوى تأتي متباينة مختلفة باختلاف مناهج العلماء ومذاهبهم الفقهية، ولا تلحظ – في الغالب – الظروف الموضوعية الخاصة التي يعيشها المسلم في الغرب..

خطوة عملية

وفي سبيل إيجاد خطوة عملية على درب معالجة الحالة المذكورة، تداعى عدد من الدعاة المهتمين في ألمانيا (من المسلمين الألمان والمقيمين فيها) فأنشأوا مركزا إسلاميا باسم (المركز الدولي للعلوم الاسلامية) ليحمل على عاتقه عبء التعليم والإرشاد في جانبي اللغة وعلوم الشرع من تفسير وحديث وفقه وأصول وغير ذلك من علوم يحتاجها المجتمع المسلم لاسيما في البلاد الأوروبية، على أن يتم ذلك من خلال دورات علمية مكثفة تطرح فيها مناهج محددة ولمستويات تم توصيفها ووضع برامج مناسبة لها، وقد ساهم عدد من أبناء الكويت في دعم نشاطاته، ويديره حاليا فضيلة الدكتور حسن هيتو المدرس في كلية الشريعة بجامعة الكويت..

ويتولى التدريس في هذه الدورات عدد من العلماء أهل الثقة والكفاءة ممن أبدى استعداده الكامل للتعاون مع المركز في شتى بقاع العالم الاسلامي، وتهدف تزويد طلبة العلم بما يمكنهم من القيام بأعباء الدعوة إلى الله على بصيرة من أمور دعوتهم ودينهم..

وقد أجاز المؤسسون الانتساب إلى عضوية (المركز) بصفة (عضو فعال) لكل مسلم تتوفّر فيه الكفاءة العالية في العلوم الإسلامية، وأجازوا الانتساب بصفة (عضو غير فعّال) لكل مسلم مهتم بالعلوم الاسلامية..

ويطمح (المركز) إلى إنشاء لجنة للفتوى، تمثل جميع المذاهب الفقهية من كبار علماء العالم الإسلامي، تتولى إفتاء

المسلمين المقيمين بالغرب في كل ما يحتاجون إليه في جميع جوانب الحياة من العبادات والمعاملات والعقود..

الدورات الشرعية المنجزة

لقد أقام المركز، منذ عام ٩٨ وحتى الآن خمس دورات علمية وأعلن عن بدء تقديم الطلبات للدورة السادسة في الفترة من 12/24٩٤/ وحتى 1/6٩٥/ وتشمل موادها: الفقه، ومصطلح الحديث، والنحو، والتوحيد، والتجويد، والثقافة الإسلامية، على أن يستوفي الطالب الراغب بالمشاركة شروط الانتساب إلى الدورة، المذكورة مع استمارة الاشتراك نفسها..

وقد ساهم في القسط الاكبر من التدريس في الدورات السابقة عدد من ابناء الكويت والمقيمين فيها، وحضرها حوالي ٧٠ طالبا من جميع انحاء أوروبا، وعلى الأخص من: ألمانيا وفرنسا وهولندا وبريطانيا وبلجيكا والدنمارك والسويد، ورغم كثافة المحاضرات اليومية وصعوبة المادة العلمية التي يتلقاها بعض الطلبة لأول مرة، فقد زادت نسبة النجاح عن ٨٠٪ ولله الحمد..

وكان لهذه الدورات اكبر الاثر في نفوس الطلاب الذين حضروها لما حققوه من العلم والمعرفة، إلى جانب الفوائد الاجتماعية المتمثلة في لقاء عدد من مختلف الجنسيات والميول والطموحات في مكان واحد ولغاية واحدة وفي منهج علمي واحد. كما كان لها كبير الأثر في التربية، لحرص الجميع على تطبيق تعاليم الاسلام ومعاني الأخوة والإيثار، والسمو الروحي في الصلاة والصيام والقيام والتلاوة وغير ذلك.

يعيش في الغرب ما يقارب ٢٠ مليون مسلم، يقيم أكثرهم اضطرارا بسبب الظروف السياسية أو الاقتصادية القاهرة في بلده

أهداف علمية طموحة

ولتحقيق أكبر قدر من الفائدة من وراء المركز تم تحديد أهدافه بالتالي:

– نشر الثقافة الاسلامية بين ابناء المسلمين عن طريق تدريسهم العلوم الشرعية من مصادرها الأصلية المعتمدة..

– نشر اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، ولغة علماء الدين على مدى التاريخ..

– متابعة كل ما يتعلق بالاسلام من ابحاث وندوات ومؤتمرات، وتنسقيها وترتيبها بحيث يسهل على الباحثين الوقوف عليها..

– مراسلة من يمكن مراسلته من العلماء والمفكرين والناشرين ممن له عناية بالموضوعات العلمية الاسلامية للاستفادة من خبراتهم وآرائهم..

– تقديم المشورة العلمية لطلبة درجات الماجستير والدكتوراه في مجال اختيار مباحثهم، وطريقة العمل فيها، عن طريق لجنة من أساتذة الجامعات في شتى المجالات..

– الاهتمام بجمع المعلومات عن التراث الاسلامي المخطوط..

– عقد المؤتمرات والندوات التي تجمع العلماء والمفكرين للتداول فيما يحتاج لبحث ونظر من الامور العلمية المهمة..

– إنشاء لجنة للفتوى، تبحث وتناقش قضايا إسلامية قديمة وحديثة مما يحتاج للبحث والنظر..

– إصدار (دورية) ينشر فيها ما تجمع لدى المركز من معلومات وقام به من النشاطات..

جهاد لا قتال فيه

ليس للمركز موارد مالية ثابتة، وإنما يعتمد على اشتراكات المؤسسين والمنتمين إليه في ألمانيا وغيرها، ولكن الاشتراكات هذه لا تفي بأدنى حاجاته، ولذلك يعتمد على تبرعات المهتمين من المسلمين، من جميع أنحاء العالم.. وبالرغم من حجم النشاط الثقافي الذي يقوم به المركز إلا أنه لم يتمكن بعد من شراء مقر له لعدم توفر الامكانات المالية الكافية، وإنما استأجر مبنى مؤقتا يشمل مكاتب الإدارة والمصلى، مما فرض تحديد عدد المشاركين بالدورات والنشاطات الأخرى، بالرغم من تلقي مئات الطلبات من جميع أنحاء اوروبا.. ويبلغ اجمالي نفقات المركز الحالية حوالي ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف مارك الماني شهريا (حوالي ٦٠٠٠ دولار أمريكي)، تمثل اجرة المقر ورواتب العاملين والمصاريف الروتينية.. وفي الوقت الذي تكلف فيه الدورة الشرعية الواحدة حوالي ٣٠,٠٠٠ ثلاثين ألف مارك (حوالي ١٨ ألف دولار أمريكي)، فإن المركز يقدّم خدماته بما في ذلك الإقامة والطعام والكتب ومصاريف المحاضرين مجاناً لا يكلّف الطالب المشارك ماركاً واحداً، مراعاة لأحوال الغالبية العظمى من الطلبة المشاركين.. ويسعى المركز حاليا لشراء مقر دائم، قدّرت تكاليفه بحدود ٢٠٠ مائتي ألف دينار كويتي (تزيد عن ٦٠٠ ألف دولار أمريكي)، ويطمح إلى إيجاد مورد مالي ثابت لتغطية النفقات الشهرية، ونفقات النشاطات بما فيها الدورات الشرعية، وقد فتح لذلك باب التبرعات في جهاد لا قتال فيه□

ترتب على الدورات الشرعية المكثفة فوائد علمية واجتماعية وتربوية كثيرة

القرآن الكريم مائدة المربين والدراسين

بعث الله تعالى محمداً ﷺ مبشرا ونذيرا، وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا وأنزل القرآن معجزة خالدة مستمرة ماتعاقب الليل والنهار، وتحدى به الثقلين من الإنس والجن، فأذعن لفصاحته بلغاؤهم، وانقاد لحكمته حكماؤهم، وانبهر بأسراره علماؤهم وانقطعت حجة معارضيه وظهر عجزهم، كيف لا وهو كلام الحكيم الخبير ، الذي خلق الخلق بعلمه، وتعبدهم بقدرته، فأنزل إليهم مافيه صلاحهم ونجاحهم في الدارين، ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك: ١٤] فالقرآن كلام الله تعالى ، أحكم آياته بإرادته وصانه بقدرته.

يسر ذكره للذاكرين، وسهل حفظه للدراسين، فهو للقلوب ربيعها وللأبصار ضياؤها جعله الله تعالى نوراً وإلى النور يهدي، وحقا وإلى الحق يرشد، وصراطا مستقيما ينتهي بسالكيه الي جنة الخلد. لا تمله القلوب، ولا تتعب من تلاوته الألسنة ، ولايخلق على كثرة الرد.

والمسلم مطالب – وليس له خيار – ان يكون هذا الكتاب الكريم دليل دربه، ودستور حياته، في خلوته وجلوته، والأمة

بقلم: محمد يوسف الجاهوش

مطالبة – وليس لها خيار – ان يكون القرآن الكريم دستورها ومصدر تشريعها، تصدر عنه في دقائق وجلائل الأمور على كل مستوى، وفي كل مجال، بقوانينها وتنظيماتها الداخلية، وبتشريعاتها وعلاقاتها الدولية. ويوم ان تفعل ذلك تنتظر نصر ربها الذي وعده عباده المؤمنين. والخطوة الأولى التي تربط المسلم بالقرآن هي: تلاوته.

تلاوة القرآن

آداب تلاوة القرآن الكريم:

١– طهارة البدن من الحدث الأكبر والأصغر ونظافة الثوب والمكان.

٢– الاستعاذة بالله من الشيطان عند البدء. قال تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [النحل: ٩٨]..

٣– التدبر والتفكر في معاني مايقرأ او يسمع، ولو اقتضاه هذا التدبر ان يردد الآية مرات كثيرة، لأن هدف التلاوة إنما هو فهم الخطاب الرباني، والوقوف عند أوامره ونواهيه، وقد ذم الله من لايتدبر كتابه، قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾ [ص: ٢٩] وصح عن ابي ذر أن النبي ﷺ قام بآية يرددها حتى أصبح، وهى قوله عز وجل: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) [المائدة: ١١٨]..

٤– ان يتذكر القاريء من واقع حاله ماهو موافق لما يطلبه ربنا في كتابه، وماهو مخالف وقائم على غير هدى من كتاب الله، قال تعالى: ﴿ولقد صرّفنا في هذا القرآن ليذكّروا ومايزيدهم إلا نفوراً﴾ [الاسراء: ٤١]..

٥– ان يتحرى اوقات حضور قلبه وخشوعه، فيستغلها في التلاوة والتدبر، واهمها ما كان عقب الصلاة المفروضة، وفي هدأة الليل وسكونه قال تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ [الاسراء: ٧٨] والنصف الاخير من الليل افضل من الأول والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة



وأفضل قراءة النهار بعد صلاة الصبح، ويفضل من الأيام: الجمعة، والإثنين، والخميس، ويوم عرفة، والعشر الأواخر من رمضان، والعشر الأوائل من ذي الحجة، ورمضان شهر القرآن.

٦- وعلى سامع التلاوة الإنصات، وتأمل المعاني ومتابعة القارىء فان ذلك من اسباب جلب رحمة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تُرحَمون﴾ [الأعراف: ٢٠٤]..

٧- ويستحب للقارىء وللسامع إذا قرأ أو سمع آية رحمة ان يسأل الله من فضله، وإذا مر بآية عذاب ان يتسعيذ بالله من الشر أو من العذاب، سواء أكان يقرأ في الصلاة أم خارجها، ويستوي في ذلك الإمام والمأموم والمنفرد، فقد صح عن حذيفة بن اليمان انه صلى خلف النبي ﷺ ذات ليلة، فكان اذا مر بآية فيها تسبيح سبّح، واذا مرّ بسؤال سأل، واذا مرّ بتعوّذ تعوّذ [رواه مسلم].

٨- ان يتجنب القارىء الكلام والضحك اثناء القراءة - إلا كلاما يضطر اليه - فقد اخرج البخاري في صحيحه ان النبي ﷺ كان إذا قرأ القران لايتكلم حتى يفرغ مما أراد ان يقرأه.

٩- تزيين الصوت رترقيقه بما لايعد تكلفا، فإن رسول الله ﷺ كان يحب سماع القرآن من ذوي الصوت الحسن، وقد صح عنه ﷺ انه قال: «زينوا القرآن بأصواتكم» [رواه ابو داود والنسائي] وأثنى على أبي موسى الأشعري لحسن صوته بقوله: «لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود » [متفق عليه].

١٠- وينبغي لقارىء القرآن ان يرتل قراءته: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ [المزمل: ٤] وقد نعتت أم المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ بأنها كانت قراءة مفسرة حرفا حرفا. [رواه الترمذي وابو داود]..

فضل التلاوة وثوابها

ان فضل التلاوة عظيم، وثوابها جزيل، ومنزلة العبد عند ربه بمقدار قربه من كتابه عز وجل، ومعايشته له، وكثرة تلاوته، وإقامة احكامه، قال تعالى: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا ممارزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور. ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾ [فاطر: ٢٩و٣٠]..

فانظر يا اخي الى منزلة التلاوة وثواب المثابرين عليها:

تحرى اوقات حضور قلبك وخشوعه، فاستغلها في التلاوة والتدبر، واهمها ما كان عقب الصلاة المفروضة، وفي هدأة الليل وسكونه

١- إنهم ممن وعدهم الله تعالى بالتجارة الرابحة في دنياهم واخراهم.

٢- وتعهد لهم ربنا عز وجل ان يوفيهم اجورهم كاملة غير منقوصة.

٣- ان يزيدهم من فضله، ثوابا فوق ثوابهم وجزاء يفوق ما استحقوه بأعمالهم.

٤- ويختم لهم بالمغفرة ﴿إنه غفور شكور﴾

وماالذي يرجوه المؤمن بعد هذا

منزلة قارىء القرآن

منزلة قارىء القرآن ترتفع وتترقى كلما أخلص النية وابتغى وجه الله تعالى، وكلما ازدادت صلته بكتاب الله عز وجل، قال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها» [ابو داود والترمذي، وقال الترمذي حسن صحيح].

وقارىء القرآن احد رجلين: رجل آتاه الله ملكة الفصاحة والبيان والنطق السليم، فهو مع السفرة الكرام البررة. ورجل لم ينشأ على الفصاحة والبيان لعجمته، أو بعده عن العلم والعلماء فهذا له في قراءته أجران.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به، مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو يتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران» [متفق عليه].

وقارىء القرآن تضاعف حسناته، قال ﷺ: «من قرأ القرآن له بكل حرف حسنة والحسنة بعشر امثالها لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» [رواه الترمذي].

ومنزلة قارىء القرآن والعامل بأحكامه فوق غيره من الناس قال ﷺ: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع آخرين» [رواه مسلم].

والقرآن يأتي شفيعا يوم القيامة لمن تعاهده بالدرس والفهم والعمل، لذلك حث الرسول عليه الصلاة والسلام على قراءته، قال ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه» [رواه مسلم]..

واحذر أخي المسلم ان تشغلك امور الحياة - أيا كانت - عن صلتك بكتاب الله عز وجل تلاوة وفهما، فشواغل الحياة لن تنقضي مادامت الحياة.

وفرق كبير بين من يواجه الحياة وأحداثها ومشاغلها وهو موصول الحبال بربه، متزودا من كلامه، وبين من يواجهها ضعيف الصلة بمصدر العزة - القرآن الكريم - قليل التزود من معينه وفضائله، وان الوقت الذي يعيشه المسلم مع كتاب ربه ليس وقتا ضائعا، ولايتوقف بسببه أي عمل من الأعمال، انه وقت يكتسب المسلم فيه طاقة إيمانية، وقوة روحية تضاعف من همته ونشاطه، وتنعكس آثارها الإيجابية على نفسية صاحبها.

ثم هو وقت مبارك، ويبارك الله بسببه

القرآن الكريم مائدة المربين والدراسين

في بقية الأوقات، ويعطي صاحبه أفضل مما يؤمل، قال ﷺ: «من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» [رواه الترمذي وقال حسن صحيح]..

المحافظة على القرآن والتحذير من نسيانه

إن من أوتى حفظ القرآن كله او حفظ بعضه فقد أوتي حظاً عظيما، ورزق خيرا عميما، وان ظن ان احدا أوتي خيرا منه فقد حقر ماعظم الله عز وجل.

لذلك جاءت الأحاديث النبوية صحيحة صريحة تحذر من نسيان القرآن، وتحث على تعهده بمداومة التلاوة لتثبيت الحفظ، فعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها» [متفق عليه]..

وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها امسكها، وان اطلقها ذهبت» [متفق عليه].

إكرام أهل القرآن

القرآن كلام الله تعالى القديم وحبله المتين، وحملته هم أولياء الله تعالى، ما حافظوا عليه، واهتموا بفهمه، وحرصوا على تبليغ تعاليمه فلا عجب ان يكونوا موضع الإكرام والاجلال. قال ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط» [رواه أبو داود]، وهو حديث حسن.

ومن كرامة أهل القرآن علي ربهم ان جعلهم مقدمين على غيرهم في حياتهم وبعد مماتهم. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: ان النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى احد ثم يقول: «أيهما أكثر أخذا للقرآن»؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد. [رواه البخاري]..

فليت من أكرمهم الله تعالى بحفظ كتابه، وحمل رسالته يدركون منزلتهم عند ربهم عز وجل ويؤدون واجبهم تجاه حمل الأمانة التي حملوها.

أخلاق حامل القرآن

■ القرآن دليل درب المسلم، ودستور حياته، في خلوته وجلوته

ينبغي ان يكون حامل القرآن هو رجل الدعوة، ورجل الدعوة يجب ان يكون رجل القرآن، متحليا بأكرم الشمائل، مصونا عن دنيء المكاسب، مترفعا على الجبابرة والطغاة، متجافيا عن سفاسف الامور، متواضعا للصالحين، ذا سكينة ووقار، شريف النفس، عالي الهمة، وهذه الاخلاق فهمها اصحاب النبي الكريم وتحلوا بها، وحرصوا على نقلها إلى من وراءهم، قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: ينبغي لحامل القرآن ان يعرف بليله قائما إذا الناس نائمون، وبنهاره صائما اذا الناس مفطرون، وبعفة لسانه إذا الناس يهجرون، وبحزنه اذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون.

وعن الحسن البصري رحمه الله، قال: إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: ينبغي لحامل القرآن ان لايكون له حاجة إلى احد من الخلفاء فمن دونهم، فحامل القرآن حامل راية الاسلام لاينبغي له ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو، تعظيما لحق القرآن.

خاتمة

وبعد؛ أخي المسلم، ان القرآن مائدة الله عز وجل يدعو مناديها صباح مساء: هلم الى قرى الكريم، وضيافة العزيز الحكيم، فأقبل يا أخي، أقبل ولاتتردد. تزود من مائدة القرآن ففيها شفاء النفس من امراضها، وسلامة الأجسام من أدوائها، وراحة الصدور من كآبتها وانقباضها: ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادوْن من مكان بعيد﴾ [فصلت:٤٤]..

ان نماذج الحياة على صعيد الفرد والدولة والأمة قد وضحها القرآن وبينها، وتكفل بالسعادة والسيادة والعزة والسؤدد لمن أقام الحياة على وفق هدايته وفي ضوء تعاليمه.

وإن أمة أعرضت عن كتاب ربها واتخذته وراءها ظهريا حرية أن يطول ليلها، ويدوم شقاؤها، ويستذلها أعداؤها، وينهبون خيراتها، ويسومونها سوء العذاب، فمتى يصحو عقلاء الأمة ويحملون أنفسهم على منهج القرآن ويقودون أمتهم إلى هذا النهج القويم؟

إننا لم نفقد الأمل، ومازلنا نتطلع إلى ذلك اليوم الذي نرى فيه شباب الدعوة ورجالها ربانيين في اخلاقهم، ربانيين في سلوكهم وتعاملهم، ربانيين في صداقاتهم ومعاداتهم، عندها نرجو لهم نصر الله الذي وعد عباده المؤمنين. سدد الله الخطا ووفق الجميع. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين□

التربيــة بالقصــة أكثــر أساليـب

لتربيـــة اثــــارة وتشــــويقــاً

التربية بالقصة.. احد أساليب التربية المعتبرة، وأكثرها إثارة وتشويقا، لما في القصص من عناصر تشويق، ولسرعة ثباتها في الذهن، ولما تحتويه من العظات والعبر.. فالقصة تتجاوب مع ميول الإنسان الفطرية، وتعني بالتربية الوجدانية، إذ تولي العاطفة جانبا كبيرا من اهتمامها، وتوسع الخيال، وتقوى الذاكرة، إنها تقوم على أساس تصوير الحياة بأجمل السلوك وانبل القيم، فتوجه المتلقي نحو اعتناق أمثل المثل الإنسانية والقيم المعهودة، هذا بالإضافة إلى مايجده في قراءتها من متعة وراحة بما يعود عليه أخيراً ببالغ النفع في حقول الأدب واللغة والتربية والحياة..

بقلم: مصطفى عيد الصياصنة

عناية القرآن الكريم بالقصة

وقد عنى القرآن الكريم بالقصة عناية بالغة، فأفرد سورة كاملة من سوره باسم (القصص)، وخص إحدى سوره كاملة بقصة مطولة، وأكثر من ذكرها ــ أي القصص ـ مطولة وموجزة، في الكثير من باقي سوره، قال تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [يوسف:١١١]، وقال: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ [يوسف:١٠٣] كما وأمر نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بأن يقص على الناس مايوحى إليه من القصص من ربه، ليتعظوا ويعتبروا: ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ [الاعراف:١٧٦].

وعظ القرشيين بالقصة

فمثلا..كان مشركو قريش يشعرون باستكبار عن مجالسة ضعاف المسلمين وفقرائهم، فضرب الله لهم مثلا (قصة أصحاب الجنتين) قصة ذلك الثري الذي أبطرته النعمة، وأذهلته الثروة، فنسى القوة الكبرى، التي تسيطر على أقدار الناس ومدارج الحياة، وحسب ان هذه النعمة التي بين يديه لاتفني، وأن مايتجلبب به من سرابيل الجاه والمال والقوة لن يخذله، فراح يجادل ويباهي رجلا آخر ضعيفا، إلا أنه مؤمن معتز بإيمانه، لايرى النعمة إلا دليلا على المنعم، وموجبة لحمده وشكره، لا لجحوده وكفره:

﴿واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا. كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا. وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا. ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ماأظن أن تبيد هذه أبدا. وما أظن الساعة قائمة﴾ [الكهف:٣٢-٣٦].

إنه رجل ثري بطر مأخوذ بنفسه ومايملك، ذهب به زهوه وبطره وتعاليه إلى انكاره ان تكون الساعة قائمة، لقد وصل به غروره إلى منتهاه، وسد عليه صلفه جميع منافذ التفكير والتأمل السليم، وأغلق على نفسه البائسة كل الابواب التي يمكن عن طريقها وصول صوت الحق والخير اليه، وراح يعلن بكل وقاحة وبجاحة جحوده وكفره للنعمة التي أسبغها الله وافرة عليه.. لقد

الاعتبار بقصص الغابرين عن طريق الأمثال

انخلع من كل أردية العبودية والشكر، وهام في الطريق الذي اختطه له شيطانه وقاده اليه كبره وصلفه..

أما صاحبه، فقد كان على النقيض من موقفه تماما: لقد كان أقل منه مالا وولدا، إلا أنه كان أفضل منه بما هو أهم وأعظم.. لقد كان عزيزا بإيمانه، مطمئنا إلى عبوديته لله الواحد القهارشاكرا له نعمه وآلاءه، راضيا بقدره الذي قدره له.

﴿قال له صاحبه، وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة، ثم سواك رجلا. لكنا هو الله ربي ولاأشرك بربي أحدا. ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله إن ترن أقل منك مالا وولدا. فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا. أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا﴾ [الكهف:٣٧-٤١]. ويستمر الحوار على هذه الصورة بينهما ساخنا حارا، إلى ان ينتهي على هذا الشكل: ﴿وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ماأنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشرك بربي احد ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وماكان منتصرا﴾ [الكهف:٤٢-٤٣].

واحيط بثمره.. محقت جنته بثمارها وشجرها، وشخص صاحبنا مذهولا، يقلب كفيه على الخسارة التي مني بها، والمصيبة التي حلت به ووقعت على رأسه.. واعتراه الندم، حاصرته الهموم بثقلها، وأخذ يُعْوِلُ ويصيح: ﴿ياليتني لم أشرك بربي أحد﴾. ولكن متى؟ بعد فوات الأوان، وبعد ان نزل بجنته كل عواصف الدمار والخراب، ويسدل الستار على منظر الجنان وقد استحالت يبابا.. إنه مثل لكل انسان نفشته النعمة، فنسى ذكر الواهب المنعم وشكر الباذل المن، فازدهى كالطاووس وعربد واختال.. إنها قصة غابرة، إلا أنها جرس يقرع كل آن، فينبه كل سادر وله، ويوقظ كل غافل وَسْنَان..

من القصص النبوي

ولبيان ان أبواب التوبة مفتوحة، لكل من اتجه الى الله، بقلب صادق ونية خالصة، على ماكان منه من عمل، ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك مثلا بقصة (القاتل مئة):

فعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا، فهل له من توبة؟ فقال لا، فقتله، فكمل به المئة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مئة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى ارض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله، فاعبد معهم، ولاترجع إلى أرضك، فإنها ارض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق، أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا مابين الأرضين، فإلي أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا، فوجدوه أدنى إلى الارض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة» [رواه البخاري ومسلم].

■ شكل المثل القصصي مادة بارزة للمثل الشعبي

■ تشتت سبأ فذهب شتاتها مثلاً

لقد سيق هذا المثل على شكل قصة، الهدف من ورائها بيان ان فسحة الأمل في ولوج باب التوبة واسعة ومستمرة، مهما بدر من الإنسان من ذنوب، ومهما اقترفت جوارحه من آثام، فهذا مجرم سفاك متعطش للولوغ في الدماء البريئة، وقد قتل مئة رجل، ومع ذلك قبل الله منه توبته، عندما أتاه منيبا مخلصا بها قلبه، ورحمة الله وسعت كل شيء.

شكر النعمة ونكرانها

وفي قصة (الأقرع والأبرص والأعمي) مثل آخر من الأمثال النبوية الكريمة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ان ثلاثة من بني اسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، أراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب اليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس، قال: فمسحه، فذهب عنه قذره، وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا، قال: فأي المال أحب اليك؟ قال: الإبل، قال: فأعطي ناقة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتي الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس، قال: فمسحه، فذهب عنه، قال: وأعطي شعرا حسنا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطى بقرة حاملا، قال: بارك الله لك فيها، قال: فأتي الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله إلى بصري، فأبصر به الناس، قال: فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال احب إليك؟ قال: الغنم، فأعطى شاة والدا، فأنتج هذان، وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلابلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد والمال، بعيرا أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرا فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ماكنت عليه، قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ماقال لهذا، فرد عليه مثل مارد على هذا، فقال: ان كنت كاذبا فصيرك الله إلى ماكنت عليه، قال: وأتي الأعمى في صوته وهئيته، فقال: رجل مسكين، وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سرفي، فلا

الاعتبار بقصص الغابرين عن طريق الامثال

بلاغ لي اليوم إلا بالله، ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى، فرد الله إلى بصري، فخذ ماشئت ودع ماشئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي عنك، وسخط على صاحبيك» [رواه البخاري ومسلم].

شخصيتان متقابلتان

في هذا المثل القصص من أمثال النبوة، نجد طرحا لشخصيتين متقابلتين: الشخصية الجاحدة المكابرة المتبجحة، يمثلها كل من الأبرص والأقرع، اللذان كانا يشعران بمنتهى الألم والمعاناة، لما هما عليه من العاهة والفقر، وقد استجاب رب العالمين لدعوتيهما بشكف الضر عنهما، إلا أنهما أشاحا عن فعل الخير وتقديم يد المعروف، متعللين بكثرة الحقوق والواجبات، وحين ذكرهم ذلك الآتى (الذي هو ملك) بما كانا عليه، تنكرا ببجاحة، وادعى كل منهما أنه ورث هذا المال كابرا عن كابر.. في مقابل الشخصية الجاحدة نجد شخصية الأعمي، العبد الشاكر، المقر المعترف بنعم الله عليه وفضله، المتصدق مما أعطاه الله.

وهو مثل فيه من العبرة والعظة ما فيه، فالإنسان طموح إلى الأفضل والأحسن، إلى البسطة في المال والجسم، راغب في رحمة ربه أن تناله فتكشف عنه مابه من ضر، حتى اذا أنعم الله عليه، وزاده بسطة في ماله وجسمه، اتخذ أحد طريقين: إما الجحود والتنكر لما كان عليه، والتبجح بأنه إنما نال ذلك بكد اليمين وعرق الجبين، فيعزف عن الإحسان والبر والمعروف، وإما ان يكون عبدا شكورا.. ففي الحالة الأولى يجلب على نفسه النقمة والعذاب، وفي الثانية يكافأ بمزيد النعم وموفور العطاء والبركة.

إنه الطرح الذي يهدف من ورائه تلوين الحياة بطابع الإشراق، الذي يبعثه السرد القصصي للمثل في النفوس، وامتاعها باللون المحبب إلى جبلتها من ألوان الوعظ والارشاد، هذا بالاضافة إلى توظيف مثل هذه الأشكال من السرودات المتعة، لإحداث التغيير المبتغى والمأمول في السلوك الإنساني والطبع البشري السليم.

القصة في الأمثال الشعبية

وفي الأمثال العربية القديمة، نلحظ مثل هذا التوظيف للمثل القصصي، المستقاة معانيه من أحداث تاريخية منصرمة، أو أساطير وحكايات موروثة، من أجل تحقيق هدف الوعظ والإرشاد وزرع العبرة الفاعلة في النفس والسلوك.. ومن هذا القبيل قولهم: (تفرقوا أيادي سبأ) [مجمع الأمثال للميداني] لمن حلت بين ظهرانيهم رحال الفرقة لتشتت والضياع، بعد الألفة والرغد والاجتماع.

سبأ وسد مأرب

وسبأ هذه قوم سكنوا اليمن وحكموه ردحا طويلا من الزمن، منهم بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام، وقد سكنوا أرضا مخصبة ممرعة، وتحكموا في مياه الأمطار المتدفقة خلال ديارهم، اذ بنوا سد مأرب العظيم، الذي يعد أحد عجائب العالم القديم، جعلوه على فم واد، يكتنفه من جانبيه جبلان، ويحجز خلفه بحيرة واسعة ممتدة من الماء، الذي نشطوا في التحكم به لوقت حاجتهم، وبرعوا في استغلاله في مقابلة بساتينهم وجنانهم الوارفة المتنامية..

لقد أنعم الله عليهم بعطائه، وعرفوا كيف يستفيدون من هذا العطاء، فغرسوا الأشجار، واستنبتوا الثمار، وغدوا في حال من رفاهية العيش والغبطة والرغد، يرفلون في النعمة، وينعمون بالأمن والعافية والأمان.. حتى إن مسافرهم لم يكن لوفرة الثمار وتقارب البلدان - يحتاج إلى حمل شيء من الزاد والماء مع طيلة رحلته وتنقله، فهو حيث نزل وجد الماء والثمر والمقيل والسكن، بل ان المرأة من نسائهم، لم يكن عليها إلا أن تضع مكتلها أوزنبيلها على رأسها وتمضي، لتعود إلى بيتها بعد سويعات وجيزات، وقد تساقط في وعائها من الثمر اليانع الطري مايملؤه، من غير كلفة منها أو قطف، لقد أضحوا في بحبوحة العيش يتبخترون، اكتنفتهم سماحة الأرض بالنعمة والرخاء، واحتضنتهم سماحة السماء بالعفو والمد والغفران، إلا أنهم لم يشكروا ولم يذكروا، بل أعرضوا وأدبروا.. فأرسل الله عليهم من صواعقه، مابدل نعمتهم شقاء وأمنهم خوفا وتضامنهم تفرقا وشتاتا.. أرسل عليهم سيل العرم، فحطم السد، وأغرق الأرض، وأهلك الزرع والثمر، وتحولت تلك الجنان الفسيحة المرعة إلى صحراء تتناثر بها - هنا وهناك - أشجار الشوك والأثل والسدر والخمط، فتشتتوا في البلاد.. وساحوا في غياهب الأرض.. كأوراق شجرة عصفت بها ريح الخريف فتطايرت في كل فضاء. قال تعالى في تصوير حالهم: ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل. ذلك جزيناهم بما كفروا. وهل نجازي إلا الكفور﴾ [سبأ: ١٥-١٧].

قصة براقش

ومن ذلك في أمثالهم، قولهم: (على نفسها جنت براقش) [مجمع الامثال للميداني] يضرب لمن يعمل عملا، يرجع ضرره عليه.. وقصة هذا المثل، ان براقش هذه عبارة عن كلبة، نبحت على جيش مروا، وهم لايشعرن بمكان وجود القوم الذين منهم براقش هذه، فلما سمعوا نباحها، علموا بمكانهم، فعطفوا عليهم واصطلموهم.. فكانت جنايتها على أهلها وقومها، فذهبت في العرب مثلا□

وظفت العرب المثل في سبيل إحداث التغيير المبتغى والمأمول في السلوك الانساني

أشرف العـالم على القـرن الحادي والعشرين، وانطلقت المرأة في ميدان الحيـاة تشـارك الـرجل حقله، ومصنعـه، ومعمله جنبـاً إلى جنب، حتى إنها قـد تتفوف عليـه أحيانـا، لتصبح العلاقة بينهما شبه ندية أو - إن صـح القول - ندية مطلقة تتناطح بها رؤوس النساء بالرجال، فتختل الموزاين، وتتلاشى الحدود بين الباطل والحق، وبين ماهو كائن ومـاينبغي أن يكـون. لتصبح فـوضى الأدوار، ومـايتبعهـا من تضـارب الآراء، سمـة المجتمعات المعاصرة بما فيها المجتمع الإسلامي.

دور المــــرأة في المجتمع الاسلامي

بقلم: د. نزهة طلعت وفا عبد الهادي عصر*

اتحدت الجاهليات القديمة للعرب واليونان والـرومان وغيرهم على ظلم المرأة وإهـدرت أسمى حقوقها في الحياة وهي إنسانيتها. بل سلبتهـا الحياة نفسهـا، حتى جاء الإسـلام فكان لها منقـذاً، وناصراً، وحاميـاً ،فرفع من شأنها، وحث على العنـايـة بها، وإكـرامهـا وحسن تـربيتهـا واعتبرها شقيقـة للـرجل، وشريكة له في حياته، وهي منه، وهو منها، بل نظر إليها نظرة خاصة بحكم أنها تمثل نقطة الثقل في تكـوين الأسرة وبـالتالي تمثل نـواة المجتمع البشري. فـالـرجل والمرأة في ميـزان الإسـلام لهما قوام الحيـاة الإنسانيـة التي لاترقي إلا في ظل تكاملهما معا.

والإسلام في نظرته إلى الإنسان فيما له من حقوق، وفيما عليه واجبات، هي نظرة واحدة إلى كل من الـرجـال والنسـاء، ولا تفـاضل بينهما إلا في التقـــوى والعمل الصـــالح: ﴿فـاستجـــاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عـــامل منكم من ذكـــر أو أنثى بعضكم من بعض﴾ [آل عمران:١٩٥] وعلو منزلة المرأة في الإسلام تـؤكد سمـوه، وحيويـة شريعته، وصلاحيتهـا لكل زمـان ومكان، فلقـد كرم إنسانيتها ومنحهـا حقوقا مساويـة لحقوق الـرجل، منهـا: حق التعليم والثقـافـة، وحق العمل، إلى جـانب الحقـوق المدنية وشـؤون المسؤولية والجزاء.

واقع المرأة في المجتمع الإسلامي المعاصر

يقع المجتمع الإسلامي اليـوم أسير أزمات البحث عن أسلـوب حيـاة مناسب يسـايـر ظـروف العصر، وذلك في منـاخ، غير صحي، ووفق معايير غير صحيحة، ويبدو حائرا بين فرض قيمه، والأطر العلمية والعملية الخاصة به، فمـزج ما اقتبسه من الحضارة الغـربيـة بما حـافـظ عليـه من الحضـــارة الشرقيـة بارتجال زاد من تخبط قيمة وأسلوب حياته، وانعكس هـــذا بـدوره على المرأة المسلمـــة، فأصبحت هي الأخـرى أسيرة لهذا التمـزق الذي فُرض على مجتمعها، وفرضه هو بالتالي عليهـا، فـوقفت مبلبلة الفكـر، زائغـة البصر والبصيرة بين تيـارين يتجاذبـانها، ويـزعم أنصار كل منهما أن هـدفه هـو الحفاظ على كرامـة المرأة والذود عن حقـوقها، بما يحفظ كيانها الإنســاني، ويجعلها عضوا نـافعا في المجتمع.

فيدعـو التيار الأول المرأة إلى وجـوب العودة إلى البيت حيث مكانها الطبيعـي الذي خلقت لتمارس كافة أدوارها فيـه، ومن خلاله فقط يتحقق وجودها الإنساني، ويدلل أنصار هذا التيـار على صحة دعـواه بمختلف البراهين المدعمة بالدين تارة، أو بالاعتبارات الخِلْقية والخُلُقِية تـارة أخرى، أو مكتفيا بـالإشارة إلى الـواقع الملمـوس، ومـا تعانيـه النسـاء العامـلات من تعاسـة وشقاء. وأمـا التيار الآخـر فيحفز المرأة على منـافسة الـرجل، ومزاحمتـه في أعماله ومهامه، وشغل كـافة أدواره لتكون لـه ندا ، وإلا ستفقـد عنصرا من عنـاصر شخصيتهـا، وبالتـالي ينحسر وجودها الإنساني.

ويـؤكد أنصـار هـذا التيار على صحـة رؤيته بـالإشارة إلى تقـدم المجتمع الغربي الذي يجب أن تتخذه المجتمعات الإسلامية نبراسـا تسير على هـــداه، حتى تسمـو إلى درجته من التطور والرقي، وبهذا التجاذب والصراع ابتعـد كل منهما عن حـــد الحق القـائم على الـوسطيـة، فخلـود الإسـلام مستمـد من قدرتـه على البقـاء ومسايـرة العصر بما فيـه من متغيرات، فيمـــزج قيم الدين بمـواصفات الدنيا لمواجهـة تحديات هذه المرحلة ويعود بالإنسانية إلى حيث أراد لها اللـه أن تكـون أمـة وسطـاً ﴿وكـذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ [البقرة:١٤٣].

حقيقة الدور الإنساني في الإسلام

لقد بدأت مسؤولية الإنسان رجلا كان أو إمرأة على الأرض منذ ارتضائه حمل الأمانة التي عرضها اللـه عليه في أن يكون خليفته فيها، حيث يقول تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السمـوات والأرض والجبـال فأبين أن

(*) مدرس مساعد بكلية الإعلام، جامعة القاهرة.

يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان﴾ [الأحزاب:٧٢] ومن هذه المسؤولية تحدد دور الإنسان تحديدا إلهياً بالغاية من خلقه وهي عبادته سبحانه ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات:٥٦] وهذا التحديد الإلهي ما هو إلا إطار تتحدد من خلاله كافة الأدوار الانسانية الأخرى الكفيلة باستمرار الحياة وتوازنها، وإقامة مجتمع رباني، المظهر والجوهر.

مسؤولية المرأة في المنظور الإسلامي

إن المرأة في الإسلام ذات مسؤولية خاصة وعامة، فهي مسؤولة عن نفسها وعبادتها، وبيتها من ناحية، وعن مجتمعها من ناحية أخرى، وهي لاتقل في مطلق المسؤولية عن الرجل، ومنزلتها في المثوبة والعقوبة عند الله بما يكون منها من طاعة أو معصية، فقد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيتها وزوجها وولده، وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»(١).

دور المرأة في المجتمع من المنظور الاسلامي

يختلف دور المرأة في الحياة من مجتمع إلى آخر سلبا وإيجابا تبعا لطبيعة التدريبات التي تتلقاها من ناحية، وتبعا لاستعداد المجتمع لتقبل أي أنشطة تسهم بها من ناحية أخرى، ولقد سوى الإسلام بين المرأة والرجل فيما توجب فطرتها النسوية فيه، فسوّى بينهما في العبادة يقول الله تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [النحل:٩٧] ويقول تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ [التوبة:١٠٥]. وفي كلتا الآيتين نلمس أن المرأة في الإسلام مثل الرجل، لابد في الأصل أن تكون عاملة كالرجل العامل، وإن كانت طبيعة العمل قد تختلف باختلاف مكانة وظروف كل منهما (٢) وتبعا لما قرره الإسلام للمرأة بأنها ذات مسؤولية، فيمكن تحديد أدوارها في المجتمع الإسلامي في أدوار خاصة تجاه بيتها، وأدوار عامة تتصل بمجتمعها.

أولا: الأدوار الخاصة

١- المنزل:

إن للمرأة في الإسلام دورا أساسيا وطبيعيا وهو المنزل، فهي كفتاة يجب أن تهيأ لمستقبلها كزوجة وأم، وهي كزوجة

> يعود خلود الاسلام واستمراره إلى وسطيته وقدرته على التعايش مع مستجدات العصور

يجب أن تعني بزوجها وتخلص له، وهي كأم يجب أن تكون كل اهتماماتها ورعايتها لهذا الزوج وهؤلاء الأبناء، وهذا ما يتطلب منها التفرغ للبيت الذي من خلاله تنشىء الأجيال، وتبنى الكيانات الإنسانية التي يقع على عاتقها بناء الأمة، ويتوقف عليها فيما بعد مصير الشعب فالأم هي المدرسة الأولى للطفل، وهي بعد ذلك المؤثر الأول في حياة الشباب والرجال على السواء، ومهمتها هذه تعدل في ثوابها وأجرها ماللرجل في شهوده للجنائز والجهاد، وهذا ماقاله الرسول صلى ا لله عليه وسلم لأسماء بنت يزيد حين أتته تسأل عن أجر النساء، حيث أجابها قائلا: «إنصرفي يا أسماء وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها لمرضاته، وإتباعها لموافقته يعدل كل ماذكرت للرجال».

ثانيا: الأدوار العامة

ظلت المرأة لفترة طويلة بعيدة عن مجال العمل الخارجي والإنتاج، قانعة بالإشراف على مجتمعها الصغير، ولكن مالبث هذا الوضع أن تغير، واستطاعت أن تندمج في المجتمع الأكبر، وتتصل به مباشرة لتساهم مع الرجل في تنميته وتقدمه في مجالات عدة وهي:

١- المرأة في مجال العلم والثقافة الدينية:

إن تحميل الإسلام المسؤولية للمرأة يجعل لها الحق في أن تتعلم كل مايؤهلها للقيام بتبعات هذه المسؤولية على الوجه الاكمل من تحرّ للخير، والبعد عن الفساد، ومن هنا أوجب عليها الإسلام كما أوجب على الرجل معرفة كل مايتصل بأحكام العبادات والعقائد والمعاملات، ومعرفة ماأحل الله وماحرم من المآكل والمشرب، وإن كانت درجة هذا الوجوب تتفاوت من الوجوب العيني إلى الوجوب الكفائي تبعا لأهمية العلم، وإحتياجات المجتمع. أما في مجال الثقافة الدينية فإن للمرأة فيها دورا هاما، ولقد لقيت الصحابيات في الإسلام من الرسول صلى الله عليه وسلم من التأييد والتشجيع مادفع ببعضهن إلى الاهتمام بالدراسات الدينية، وبخاصة رواية الحديث، وكانت في مقدمتهن السيدة عائشة رضي الله عنها التي كانت مرجعا يعتد به في هذا المجال.

ولم يعق المرأة عن طلب العلم كونها زوجة أو أما فكانت تتلقاه في المساجد، والزوايا، ودور الكتب والمدارس وغيرها من الأماكن المعدة لتربية الولد وتعليمه. وإن كان الباحثون قد اختلفوا في تحديد طبيعة مناهج تربية المرأة وتعليمها، ونوع الثقافة التي يريد المجتمع للفتاة أن تتلقاها لتصبح بها عضوا نافعا في بناء المجتمع الإنساني، فإن هذه ليست بالقضية، لأن العلوم بأنواعها المختلفة سواء مايتعلق منها بمصلحة الفرد أو المجتمع وسواء الدينية

دور المرأة في المجتمع الاسلامي المعاصر

منها أو الدنيوية فإنها مباحة للمرأة إباحتها للرجل، مادامت تقنن داخل الإطار الإسلامي، وتلقن في جوه.

وعلى ذلك فهو للمرأة حق وفريضة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم » وإن يظهر فضل العلماء على سائر الناس فإن للتفقة في الدين فضل على سائر العلوم، فلقد روى عن معاوية أنه كان يقول خطيبا: سمعت النبي صلى الله على عليه وسلم يقول: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» (٣).

٢- المرأة في مجال العمل:

إن حق المرأة في العمل جليّ، فلقد شغلت المرأة المسلمة بالتدريس، وتتلمذ عليها أعظم الرجال وأفاضلهم، وأجازت لهم،ويروى أن الخطيب البغدادى قرأ على كريمة بنت أحمد المرزوى «صحيح البخاري»، كما عملت المرأة في التطبيب والتمريض، فكانت فيه رائدة مثل«رفيدة الانصارية».

المرأة والعمل السياسي:

أ- المشاركة الحربية

لقد منح الإسلام حق الجهاد للمرأة بأذن زوجها، وإن قضت الضرورة وحمى الوطيس فلها أن تخرج بدون إذنه وكان من الصحابيات من .. في المعارك ضربن بالسيف، وركبن الخيل، ولاهمية الدور الذي قامت به المرأة المسلمة في ميادين القتال من تمريض للجرحى، ودفن للقتلى، وإمداد للجيش بالطعام والسلاح، والمشاركة في المشورة والإعداد النفسي والمعنوي، أفرد لها البخارى بابا في كتابه أسماه«باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال» وإن كان العلماء قد اختلفوا فيما هدف إليه البخاري في تسمية كتابه حيث رأي إبن المنير أنه قد يريد أن إعانتهن للغزاة غزو أو إنهن ماثبتن لسقي الجرحى إلا وهنّ بصدد أن يدافعن عن أنفسهن، أما مسلم فقد ذهب إلى أن النساء إذا خرجن مع الرجال لايقاتلن بل يقتصرن على مداواة الجرحى (٤) ومهما كان الأمر، فإن حق المشاركة في القتال الفعلي للمرأة مباح، فإذا أرادت المرأة في عصرنا الحديث المشاركة في هذا الدور الإيجابي، فعلى المجتمع أن يتخذ لها الوضع الذي يصونها ويحفظ عليها كرامتها، حتى تقوم بدورها العام في جو آمن بعيد عن عبدة الاهواء وإن كان الهدف تعليمها كيف تدافع عن نفسها.

ب- إبداء الرأي بالتأييد أو المعارضة:

ينظر الإسلام إلى المرأة نظرته إلى الرجل



يحتاج موضوع المرأة في المجتمع المسلم المعاصر إلى رؤية علمية وموضوعية ترتكز على الشمولية والواقعية



فمن حقها أن تبدى رأيها في أي مسألة أو أمر يعنّ لها وتدافع عنه بما تملك من حجج وبراهين، وعلى ولاة الأمر الإصغاء إليها وإزالة مايكون قد نزل بها من ضرر.. ويكفي أن سورة المجادلة التي نزلت في حادثة«خولة بنت ثعلبة» أن تكون أثراً من أثار الفكر النسائي، وانعكاسا لاحترام الإسلام الإنسانية المرأة وتقديره لرأيها فلقد اصابت إمرأة وأخطا عمر» ؟ وهذا مايؤكد حرية المرأة وحقها في إبداء الرأي تأييداً أو معارضة، ويعد حق تصويتها في الانتخابات - حاليا أبسط دور لها في المشاركة السياسية.

ج- المبايعة:

إن من الادوار العامة التي يحق للمرأة ممارستها. المبايعة على الالتزام بمبادىء معينة وعدم انتهاكها لهذه المبادىء كالقسم على الالتزام بمبادىء مهنة معينة كما يحدث في العصر الحديث، وليس ثمة تفرقة بين الرجال والنساء في القيام بهذا الواجب (٥).

د- التبرع:

يحق للمرأة المسلمة أن تتبرع ماديا أو لإغاثة المجتمعات الإسلامية - وما أكثرها - والمساهمة في رفع البلاء عنها فلقد كانت النساء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يتبر عن بحليهن وذهبهن ليجهزن الجيوش ويقمن به صرح الإسلام وفي مقدمتهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم. وهن القدوة الحسنة.

٣- المرأة في مجال الخدمة الاجتماعية

«إمتازت المرأة في القديم والحديث بأعمال البر والإحسان بما فطرت عليه من رقة طبع وحنان وتدين. ولقد قدمت أعمالا خيرية جليلة خففت عن البشر عناء الفقر والجوع والحرمان والمرض، وساهمت كثيرا في بناء المستشفيات والملاجيء ودور الحضانة والمدارس على اختلاف أنواعها» (٦)

والتناصر في المجتمع الاسلامي والقيام بالأعباء الاجتماعية يشمل الرجال والنساء ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم﴾ [النحل:٩٧].

ومجالات الخدمة الاجتماعية للمرأة في المجتمع الإسلامي حاليا كثيرة ومتنوعة، ومن شأن تعاونها في هذا المجال «أن يسد ثغرة كبيرة في مجال البر والإحسان والتربية والتطبيب والمواساة وهذا فضلا عن القيام بأمور المرأة التي هي في حاجة إلى جهود رائدة من جنسها حفاظا عليها وعلى إسلامها» (٧).

عملت المرأة إلي جانب الرجل، وكانت داعية صابرة في عهد الرسالة والخلافة الراشدة، وما بعدهما، ولم يكن دورها أقل شأنا من دور الرجل

٤- المرأة في المجال الديني والدعوة:

إن مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي أكبر مسؤولية في نظر الإسلام تتساوى فيها المرأة بالرجل، وليس للمرأة أن تلقى حظها من هذه المسؤولية على الرجل وحده بحجة أنه اقدر منها على القيام بهذا الدور، أو أن طبيعة خِلْقتها لاتسمح لها بذلك، ولكل من الرجل والمرأة دائرته. وميدانه الذي يمارس فيه الدعوة وهذا الدور ثابت للجميع لايقتصر على جنس أو جماعة معينة، ولقد تطورت وسائل الدعوة في العصر الحديث تبعا للثورة التكنولوجية التي تشهدها المجتمعات المعاصرة فكانت وسائل الاعلام المقروءة، والمسموعة والمرئية إلى جانب المؤسسات الدينية الأخرى أنجع الوسائل لنشر الدعوة الاسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن استخدمت بشكل صحيح - وللنساء مجالهن فيها كما للرجال.

الرؤية الإسلامية لدور المرأة في المجتمع

لقد شاركت المرأة في الحياة الإسلامية، وأخذت مكانها، وأدت دورها في المجتمع الإسلامي، فبايعت الرسول صلى الله عليه وسلم، وخاضت المعارك، ضمن الحدود التي شرعها الإسلام لها، وهاجرت مع من هاجر من الصحابة، وشاركت في الدعوة إلى الله عزوجل ومن هنا كانت شمولية الإسلام للحياة تنعكس على رؤيته الشمولية للمرأة، من حيث كونها إنسانا، لها من الحقوق وعليها من الواجبات ماللرجل وماعليه، وتتحمل من المسؤليات العامة والخاصة مايجعلها بين حدّى الجزاء فإما ثواب. وإما عقاب. والإسلام دين الفطرة وعليها خلق الإنسان ومن ثم فإن في تبديلها خروجا عن الطبيعة، والفطرة كما يقول محمد المدني قد أكسبت كلا من الجنسين أوضاعا خاصة، ويسرت لكل منهما سبيله بحسب المقصود منه» (٨).

فالمساواة في الأدوار بين الرجل والمرأة لاتقتضي إنكار الطبيعة، ونسيان الفوارق الخِلْقية وما يتبعها من الاختصاص في الأدوار، فلكل منهما أدواته وإمكاناته التي لاتقوم الحياة إلا بهما معا باعتبارهما جناحى الإنسانية وإنكسار أحدهما يعني التوقف والهبوط يقول الله تعالى: ﴿ولاتتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ [النساء:٣٢].

فاذا كان المجتمع الإسلامي المعاصر وهو يأخذ بأدوات التقدم يستعين بشطره الإنساني الآخر وهو النساء، وكانت منهن من تنادي إنقيادا للمرأة الغربية - بالمساواة التامة في شغل أدوار الرجل، فإن طلب هذه الندية المطلقة من شأنها أن تحط من وضع المرأة، وتنزل بها عن الطبيعة الإنسانية التي أرادها الله سبحانه لها: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾ [البقرة:٢٢٨].

وإذا كان الاسلام قد منحها حق المساواة مع الرجل فإن لهذه المساواة حدودا وكما يرى عباس العقاد: «فإن العدل الذي فرضته الفلسفة القرآنية للمرأة، هو وضع المرأة موضعها الصحيح من الطبيعة، ومن المجتمع ومن الحياة الفردية.. لأن الطبيعة لاتنشىء جنسين مختلفين، لتكون لهما صفات الجنس الواحد ومؤهلاته وأعماله وغايات حياته (٩) ومع الشدة التي نلاحظها في رؤية العقاد لدور المرأة من خلال الحقوق الممنوحة لها، نجد الإمام حسن البنا مع إتفاقه من حيث المبدأ مع العقاد يشير - بسماحة - إلى رفق الإسلام بالمرأة في عدم تسويتها كاملا مع الرجل فيقول: «الإسلام إن انتقص من حق المرأة شيئا من ناحية فإنه قد عوضها خيرا منه في ناحية أخرى، أو يكون هذا الإنتقاص لفائدتها وخيرها قبل أن يكون لشىء آخر» (١٠).

وأخيرا نشير إلى أن الاصل في المشاركة النسائية - في المجتمع - الإباحة القائمة على الأولويات «ويأتي دورها المنزلي في مقدمة هذه الأولويات وهو الدور الطبيعي لها والإسلام دين وسط قام على التوازن بين الروح والمادة والنفس والجسد، وبين الدنيا والآخرة.. فلا تضييق ولاتفريط» وأبتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا» [القصص:٧٧] إننا بحاجة إلى رؤية موضوعية ترتكز على الشمولية والواقعية الإسلامية المعاصرة فيما يتعلق بقضايا المرأة وأدوارها في المجتمع الإسلامي□

الهوامش

(١) انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر، المجلد ١٣، كتاب الأحكام ص١١١.

(٢) د. عبد الهادي النجار «الاسلام والاقتصاد» عالم المعرفة (٦٣) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، ١٩٨٣م، ص٤٢.

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر، المجلد الاول، كتاب العلم، ص١٦٤.

(٤) أنظر المرجع السابق، المجلد السادس، كتاب الجهاد، ص٧٨.

(٥) د. كمال جودة ابو المعاطي، وظيفة المرأة في نظر الاسلام، القاهرة: دار الهدى للطباعة ١٩٨٠م، ص٧٤ بتصرف.

(٦) عمر رضا كحالة، المرأة في القديم والحديث، ط ٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٥م) ص ١١.

(٧) د. توفيق الواعى، النساء الداعيات، ط ١، الكويت: معهد الدراسات الاسلامية ١٩٨٩م، ص ١٦٦.

(٨) أنظر: محمد المدني، المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء، القاهرة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، د. ت، ص٣٥.

(٩) انظر عباس العقاد، الفلسفة القرآنية، ع٢٢٩٤، القاهرة، دار الهلال، ط١٩٧٠م، ص٥٠، و٥١.

(١٠) حسن البنا، المرأة المسلمة، ط١، القاهرة، دار الكتب السلفية، ١٩٨٣م، ص٩و١٠.

علامة الكويت

الشيخ عبد الله الخلف الدحيان

عرض: د. صلاح الدين أرقه دان

العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورّثوا درهما ولا ديناراً، وإنما ورّثوا رسالات الله والخشية منه، والجهاد في سبيله بالقول والعمل، وقد ذكر النبي ﷺ فضلهم الأسنى في أحاديث شتى، كقوله: «إن الله وملائكته وأهل السموات والارضين حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير».. وفقْد العالم مصيبة لا تُجبَر، وثلمة لا تُسد، وورد عن ابن عباس رضي الله عنه أن خراب الأرض بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير فيها..

ولئن كان إحياء الأرض الموات مما حثّ عليه الشرع وأجزل لصاحبه العطاء في الدنيا والآخرة، فما بالك بإحياء سير أهل العلم، وهم القدوة بعد الأسوة الحسنة ﷺ والنبراس بعد الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ونحن في أيامنا هذه أحوج ما نكون إلي قدوة ماثلة بعدما أكثرنا من المثاليات ومواضيع الترف الفكري، وأصبحت موارد العلم سهلة ميسّرة بالطباعة والنشر والتوزيع، ولم تبق الطباعة الحديثة، ولا وسائل الاتصال حجة لتقصير في تناول ما كان آباؤنا يضربون وراءه آباط الإبل، ويصلون في سبيل تحصيله الليل بالنهار، ويتحمّلون مشقات الطريق ووعثاء السفر..

ولئن كان بعض علمائنا ودعاتنا يبحثون في شؤون (الصحوة الاسلامية) المعاصرة، وتدور كتاباتهم حولها وصفا ونقدا وإطراءا وتوجيهاً، وتتناولها وسائل الإعلام كلٌ بحسب منبعه وتوجهه، فإن الكتابة عن أئمة الهدى الأعلام، ومن تبعهم بإحسان، وسرد تاريخهم وتحليل مواقفهم وتبيان عملهم وفضلهم، فيه من بذور العلم النافع، والتوجيه نحو الاقتداء المثمر، ما لا تستغني عنه أمة تريد إقامة بنيانها، وتقويم مسارها، والاستمرار من حيث انتهى الآباء، فلا تضيع التجارب، ولا تموت المفاهيم، ولا تجمد الحركة، ولا نراوح مكاننا فنضيع علينا الرصيد الهائل من العلم والتجربة ومنهجية العمل، ولا نبدأ من الصفر كلما أردنا خطوة إلى الأمام، بل ننطلق على بركة الله في سبيل الحق مزودين بتراث مفيد نزاوج بينه وبين العصرنة بما يجمع بين خيري الدنيا والآخرة، إن شاء الله..

ولكتابة السير منهج يحتاج صبراً وتفهّماً، ذلك أن الكتابة عن الحيّ حياة، والكتابة عن القدوة اقتداء، والشيخ محمد بن ناصر العجمي أراد من كتابه (علّامة الكويت، الشيخ عبد الله الخلف الدحيان) الخروج من إطار التأريخ لشخصية الشيخ إلى إنارة الدرب امام الدارسين لمعرفة مرحلة محددة من تاريخ الكويت، بعدما ازدادت قناعته بأن تاريخ الكويت لا يزال بحاجة الى جهود مضاعفة لتتبع أطرافه وجمع وثائقه ومتابعة أحداثه والوقوف بتأمل وعمق امام شواهد نشأته ورحلة تطوره وعرض ذلك على العالم في إطار علم محكم، كما جاء في مقدمة الناشر..

ويرى الناشر أن الجانب الثقافي من تاريخ الكويت هو الأكثر حاجة الى العناية والاهتمام، فلم ينل العلماء الرواد من ابناء هذا الوطن حقهم اللائق من الدراسة، ولم تحظ اعمالهم بما ينبغي لها من التوثيق والتحقيق والتحليل..

كما فتحت هذه الدراسة الأعين على البيئة العلمية المتكاملة التي عرفتها الكويت من قبل ظهور النفط، وتفاعلها مع البيئات العلمية المجاورة، ففي مراسلات الشيخ عبد الله مع معاصريه من العلماء واهتمامه بجمع النادر من المخطوطات، ما تشهد عليه مكتبته الثرية المحفوظ منها خمسمائة مخطوط في مكتبة الموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت، واكثرها نادر يعود إلى القرن الخامس الهجري، وبعضها نُسِخ في حياة المؤلف وأحياناً بخطه، ومنها قطعة من كتاب (منهاج السنة النبوية) لابن تيمية بخط صاحب الترجمة رحمه الله..

علامة الكويت
الشيخ عبد الله الخلف الدحيان

الكاتب: محمد بن ناصر العجمي

الناشر:
مركز البحوث والدراسات الكويتية

الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م

والكتاب حلقة في سلسلة بدأها مركز البحوث والدراسات الكويتية لسد ثغرة التقصير الحاصل في هذا الميدان، وقياما بواجب وفاء نحو هؤلاء الرواد، وانطلاقا من مسؤولية المركز التي حمله اياها مرسوم إنشائه ليكون مصدرا وطنيا للعلم والمعرفة بتاريخ دولة الكويت وشؤونها السياسية والاجتماعية والثقافية..

والكتاب في سيرة (العالم الجليل، والفقيه النبيل، الشيخ عبد الله بن خلف الدّحَيان، المتوفى سنة ١٣٤٩هـ، الذي كان له أثر ظاهر في إحياء العلم في الكويت، وربط الطلبة بالعلوم الشرعية، وإحياء دراسة كتب السلف التي فيها العلم النافع، فقد قضى عمره المبارك بالعلم والتعلم، فهو لا ينتهي من درس إلا ويبدأ بآخر، مع خدمته للنّاس يستقبلهم في منزله ما بين مستفتٍ وصاحب حاجة، كل ذلك بهمّة وعزيمة لا تعرف الكلل ولا الملل على مرّ الأيام، ولمّا تولّى القضاء الذي لم تطل مدته فيه، كان ذا نزاهة وجرأة جنان لا تأخذه في الحق لومة لائم، كما كان رحمه الله زاهداً معرضاً عن الدنيا)..

وكان الشيخ عبد القادر بن أحمد بدران قد أثنى عليه وأطراه إطراء شهادة لا إطراء محاباة، فقال بما يستحقه تبيان مقام لآليء أهل العلم وكواكب أهل الفقه: (ما لمع البارق النجدي إلا وأهدى لي مزيد الشوق إلى الأحباب، وما تنسّم نسيمٌ من تلقاء كاظمة إلا استراح القلب من نشره المستطاب، ولا ابصرت دراً إلا وقلت: هو من بحر حسان البلاغة، ولا وقعت عيني على المرجان إلا وقلت: قد قضى من زين العلماء بلاغة، ولا لاح لي الكوكب الدري إلا ودريت بأن نوره مقتبس من شمس العلم والتقى والصلاح، يذكر إثر ذلك الأثري الذي مورده العذب لظمآن الحقائق أعظم ري، ألا وهو العالم الفاضل الناهج منهج السلف، الشيخ عبد الله بن خلف، لازالت الأقطار النجدية، والأصقاع الكويتية محلاة بجواهر علومه مغتبطة ببيانه ومنطوقه ومفهومه)..

وقد جعله مؤلفه في ثمانية فصول كاملة غطت مختلف جوانب حياة الشيخ صاحب الترجمة العلمية والعملية، ففي (الفصل الأول) اسمه ونسبه ونشأته وطلبه العلم، ورحلته في ذلك، ومشايخه، ورحلته إلى الحج، وأخلاقه وصفاته، وإمامته وتوليه القضاء، وثناء العلماء عليه..

وفي (الفصل الثاني) مجالسه العلمية وتلاميذه، ومكتبته القيمة ونوادرها، ونماذج من نفائسها، والمخطوطات التي طبعت أو حُققت مما حوته مكتبته، ومآلها..

وفي (الفصل الثالث) ذكر لبعض فوائده العلمية على طُرر المخطوطات، وتملكاته للكتب ووقفيته لها..

وحوى (الفصل الرابع) المراسلات العلمية التي بينه وبين العلماء، ومراسلات علماء عصره معه..

وتم تخصيص (الفصل الخامس) لمراسلاته إلى العلماء، والرسائل الودية بينه وبين أصحابه..

واختص (الفصل السادس) برسائله إلى ابن اخته الشيخ احمد الخميس..

وفي (الفصل السابع) دار البحث والتوثيق لخطه وشعره، ومؤلفاته، وذكر ذريته، ووفاته، والرُّؤى..

أما (الفصل الثامن) فقد ضم المراثي التي قيلت فيه، وأتبعه المؤلف بملحقات هي: اجازة الشيخ المؤرخ إبراهيم بن صالح له، وإجازة الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل له، وترجمته لشيخه محمد الفارس، وتقريظه لرسالة (تحذير المسلمين) للشيخ عبد العزيز الرشيد، وبعض خطبه التي لم تطبع، مع نماذج من صور الرسائل..

ومن طريف ما ذكره في تقريظ العلماء له ما نقله عن تلميذه المرحوم الشيخ عبد الله النوري، وهو قوله: (والذين عرفوا عبد الله بن خلف، عرفوا فيه رجلا تقيا، متواضعا لله في نفسه، عظيما في اعين الناس، يقضي نهاره، وكل نهار من ايام عمره، معلما للناس، واعظا لهم، حلالا لمشاكلهم، مفتيا في قضاياهم، يقرأ القرآن، ويتدبر معانيه، ويستنتج منه احكامه، يعبد الله، ويختلط بالناس، يجلس في مجلسه لهم، ويعود المرضى، ويهنيء أو يعزي، عرَفه عارفوه بأنه قوي الإرادة، مضّاء العزيمة، صادق القول، وفيٌّ بالعهد، محافظ على الوعد، لا تعرف همته الكسل ولا الملل، ولم يذكر عنه؛ رحمه الله؛ أنه أضاع ساعة من عمره في لهو أو عبث)..

وينقل في أخلاق الشيخ، وزهده وكرمه وإحسانه قصصا، منها ما رواه تلميذه العلامة محمد بن سليمان الجراح: (أُعطي الشيخ كيسا فيه مال، وذهبنا لزيارة مريض من أصحابنا؛ وهو فقير؛ فلما ذهبت إليه وجدت عنده الكيس نفسه، أحضره له الشيخ عبد الله)، ومنها رواية تدل على حسن العلاقة بين الراعي والرعية، وعلى مروءة الشيخ وعلو همته من غير كبْر ولا إيذاء، وهو ما أخبر به الأديب إبراهيم الجراح فقال: (أرسل له الشيخ أحمد الجابر؛ حاكم الكويت آنذاك؛ رحمه الله، ابن عون ومعه سبعون نيرة، وهو مبلغ عظيم جدا في ذلك الزمان، وقال ابن عون: إن الشيخ أحمد الجابر يقول لك: إنها ليست من الجمرك، بل هي من مزارعنا في الفاو – أي انها من خالص المال وحلاله – فأخذها الشيخ عبد الله وأخرجها وعدّها وأظهر كأنه قد قبلها حتى لا يكون في الخاطر شيء، ثم أعادها إليه وقال: أرجعها وقل له: أنتم ذخر؛ إذا احتجت إليها أخذتها)..

ولابد لقاريء الكتاب أن يقدّر الجهد الذي بذله المؤلف، وهو يتتبع في دقة بالغة، واستقصاء موضوعي نشأةَ الشيخ عبد الله ورحلته في طلب العلم، وإمامته، وتوليه القضاء، ومجالسه العلمية، وتلاميذه، وغوصه داخل مكتبته مع مخطوطاتها ومراسلاته العلماء.. ومما زاد في قيمة الدراسة المنهجية سفر الباحث ورحلته وراء المعلومات ذات الصلة بموضوع الكتاب حرصا منه على توثيقها وتدقيقها، وكشفه – بعين المحقق الخبير – قيمة آثار الشيخ العلمية ومقتنياته من المخطوطات الثمينة، وتحديده ما نشر منها مما لم ينشر مما يفتح الباب أمام الباحثين والدارسين للقيام بحق إحياء رسالة العلم وأهله..

وممن قرّظ هذا الجهد العلمي القيم الشيخ محمد بن سليمان بن عبد الله آل جراح، والشيخ إبراهيم بن سليمان الجراح، وإمام وخطيب المسجد الحرام بمكة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد□

(الشامل) معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، وضعه محمد سعيد إسبر، وبلال جنيدي، ونشرته دار العودة في بيروت.. الطبعة الاولى عام ١٩٨١م، والطبعة الثانية (وهي التي بين ايدينا) عام ١٩٨٥م.. ويقع هذا المعجم في ثلاث وثلاثين وألف صفحة من القطع المتوسط بخلاف الفهرس.

استدراكات على معجم (الشامل)

بقلم: أ.د. مصطفى رجب*

ويقول المؤلفان في مقدمة هذا المعجم: إنهما استعرضا ماوُضع في اللغة العربية من معاجم، فلم يجدا ما يرجوان، فوضعا هذا المعجم، ورتّباه في صيغة واحدة مرتبطة بطريقة معجمية، متناولين:

١- مواد النحو والصرف.
٢- علوم القرآن والحديث.
٣- علم العروض.
٤- الاملاء والخط.
٥- علوم البلاغة.
٦- التعريفات الادبية والنقدية.

وهما يقولان في المقدمة: (نستطيع القول - وبكل ثقة - إن هذا المعجم هو للطالب في المرحلة الثانوية، وللمختص في المرحلة الجامعية، وللباحث والدارس مهما علا اختصاصهما كما أنه في الوقت نفسه لهواة اللغة العربية ومحبيها، ويمكن وصفه بأنه مكتبة في كتاب)!!

وقد أكون مخالفا للحقيقة اذا قلت انني سعدت بقراءة هذا المعجم النفيس فالحق أن سعادتي انتهت عندما وصلت الى هذه الفقرة من المقدمة!! إذْ كيف يستطيع انسان مثقف أن يقول: ان ما يؤلفه للهواه وللباحثين في وقت واحد؟!على أية حال.. ما إن مضيت في قراءة المعجم حتى وجدتني مضطرا الى تدوين بعض الملاحظات، حتى وجدت أن دفتري ضاق بما دونت، وكلما توغلت في المعجم، اكتشفت مزيدا من الملاحظات، وبصفة خاصة أشير الى الاغلاط في الآيات القرآنية الكريمة، وهذا أشنع ما يمكن أن يقع فيه مؤلفان يزعمان أنهما يضعان معجما يضم فيما يضم (علوم القرآن والحديث) وليت الامر وقف عند حد الأخطاء الطباعية، بل إنه يتعدى ذلك الى التحريف في آيات القرآن الكريم، واستنتاج قواعد من تلك الآيات المحرفة!!ولو أنني ذكرت كل ما دونت من ملاحظات، لاحتاج الامر الى مائتي صفحة ولكنني سأكتفي بضرب أمثلة، وبيان مواضع الخطأ:

*أستاذ بكلية التربية، سوهاج، مصر

ص٥: جاء قول المؤلفيْن: (فوجدنا قسمين من الموسوعات: (قسم قديم يحوي) والصواب أن يقولا: (قسما قديما يحوي) وهذا في المقدمة!!في الصفحة نفسها: (هذه المعاجم تحصر اهتمامها بجوانب جزئية) والصواب أن يقولا: (تحصر اهتمامها في جوانب جزئية). ص١١: في باب الالف يقولان عن الألف المهموزة: (وقد تحدثنا عنها في باب الهمزة).. ومن المعروف أن باب الهمزة يأتي بعد باب الالف وكان الصواب أن يقولا: وسنتحدث عنها في باب الهمزة.

١- نماذج لأخطاء في الآيات القرآنية:

أولا: آيات محرفة:

ص٦٢٥: ﴿هو الله الصمد﴾.. والصواب: ﴿الله الصمد﴾.

وهذا أعجب ما يمكن أن يقع عليه بصر الانسان، فهذه السورة لشهرتها وقصر آياتها نستبعد أن يخطىء فيها مسلم.

ص٦٢٩: ﴿يكاد زيتها يضيء لو لم تمسسه نار﴾الصحيح: ﴿ولو لم تمسسه﴾.

ص٦١٢: ﴿لا تأخذكم بهما رأفة في الدين﴾.. الصحيح: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ [النور/٢].

ص٨٣: ﴿ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وأن أسأتم فعليها﴾.. الصحيح: ﴿وان أسأتم فلها﴾ [الاسراء/٧].

ص٨٤: ﴿قل سأتلو عليكم ذكرا﴾ الصحيح: ﴿قل سأتلوا عليكم منه ذكرا﴾.

ص٨٧: ﴿لكل أجل كتاب، يمحو الله ما يشاء، ويثبت ما يشاء﴾ الصحيح: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب﴾.

ص١١٣: ﴿أبشرا منا هنالك نتبعه﴾. الصحيح: ﴿أبشرا منا واحدا نتبعه﴾.

ص ٦٤٦: ﴿وما تفعلوا من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا﴾.الصحيح: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه﴾ [المزمل/٢٠].

ثانيا: آيات يبدو الخطأ فيها كما لو كان مطبعيا:

ص٦٤٣: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ توجد ضمة على الكاف في ﴿يكفهم﴾.

ص٦٤٣: ﴿لو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة﴾.. فيها ضمة على قاف ﴿اتقوا﴾. وسقطت واو من أولها، فالصحيح ﴿ولو أنهم﴾

ص٥٧٨: ﴿وطور سنين﴾. الصحيح: ﴿سينين﴾.

ص٥٨٣: ﴿وما هو على الغيب بظنين﴾. أوردها هكذا، وقالا: بظنين: أي متهم،

ولكنهما لم يشيرا الى أن هذه قراءة تخالف خط المصحف العثماني فالـذي في قراءة حفص: ﴿بضنين﴾ بالضاد وليس بالظاء.

ص٦٦٣: ﴿لأصلبنكم في جذوع النخل﴾ بفتح الهمزة، وسكون الصاد، وكسر اللام من غير تشديد.. والصحيح ضم الهمزة، وفتح الصاد، وتشديد اللام المكسورة.

ص٥٤٣: ﴿وان أحسنتم أحسنتم لانفسكم﴾ الصحيح حذف الواو منها.

ص٥٤٧: ﴿من كل حدْب ينسلون﴾ وردت بسكون الدال، والصحيح فتحها.

ص٧٤: ﴿ولن ينفعكم اليوم اذا ظلمتم انكم في العذاب مشتركون﴾. هذه الآية فيها ثلاثة أخطاء:

أولهما: الصحيح إذْ وليس اذا.

وثانيهما: فتح همزة أنكم وليس كسرها، كما وردت في المعجم.

وثالثهما: وهو الأشنع: أن المؤلفين أورداها هكذا ليستشهدا بها في مجال الحديث عن (اذا الشرطية) وهي ليست باذا كما وضحنا.وما أبعد الشقة بين إذ واذا عند من يعرفون العربية، بله من يؤلفون فيها، ويضعون لها المعاجم التي تصلح للباحثين والمتخصصين!

ـــ ص٩٠: ﴿وآية لهم الليل﴾.. وردت ﴿آية﴾ بالنصب، والصواب أنها مرفوعة بالضمة ومنونة.

ثالثا: آيات مختلقة اختلاقا:

وهذا القسم أبشع شيء في الكتاب: أن يصطنع المؤلفان كلاما يكتبانه بين القوسين اللذين يبدو ما بينهما كأنه قرآن، ومن أعجب العجب أن يبنيا على هذا الصنيع قاعدة، أو يؤكدا به قاعدة يتناولانها، فمثلا:

ص٦٣٣، ورد ما يظن أنه آية وهو: ﴿أفتدري كيف عاقبة الظالمين﴾ في معرض حديثهما عن عدم فصل الفاء عن معطوفها، فذكرا ما ذكرا، ثم عقبا بقولهما: (والأحسن إعراب الفاء هنا استئنافية، والجملة بعدها استئنافية).. ولم يرد هذا الكلام في القرآن قط بصيغة (أفتدري) هذه التي يبنيان عليها قاعدتهما.. والذي ورد في القرآن في مثل هذا الموطن قوله تعالى: ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ [القصص/ ٤٠]، و[يونس/ ٣٩].

ص٥٩٥: يفعلان ما فعلاه آنفا، فيوردان: ﴿عسى أن يرحمكم ربي﴾ ويستشهدان بهذا على أن عسى يكثر اقترانها بـ (أن). وليس هذا الكلام من القرآن، والذي يشابه هذا قوله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا﴾ [الاسراء/ ٨]، وفي الآية الحقيقية اتصل اسم عسى بها قبل ورود أنْ، بعكس الآية المختلقة.

ص٧٦٧: ورد: ﴿إن ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾. وقالا بعدها: ان (ما) اسم موصول. اسم ان، والخبر جملة ينفد والآية الصحيحة: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾. [النحل/ ٩٦]. بدون (ان).

ص٨٦٤: ﴿وأنه أضحك وأبكى. وأنه أمات وأحيا﴾ وليس هذا مطابقا للقرآن، فالصحيح: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى. وأنه هو أمات وأحيا﴾ [النجم/ ٤٣ و٤٤].

ص١٥٣: ﴿ومن يؤمن بربه فلا يخاف بأسا ولا رهقا﴾.. ليس هذا من القرآن، والذي في القرآن قوله تعالى: ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا﴾ [الجن/ ١٣].

ص٧٢٦: أوردا: ﴿ولا تأكلوا أموالهم لاموالكم﴾.. واستشهدا بها على مجيء اللام بمعنى (مع) والذي في سورة النساء: ﴿ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم﴾.

٢- نماذج لأخطاء نحوية ولغوية:

والذي يحز في النفس أيضا، أن مؤلفي المعجم لم يهتما بمراجعته فيما يبدو، فجاء بهذه الصورة السيئة.. ومن مظاهر هذا السوء: أن يحتوي المعجم (وهو معجم في علوم اللغة).. على أخطاء نحوية، يندر أن يقع فيها الافراد العاديون الذين عافاهم الله من تأليف المعاجم، (وتقميس) القواميس ان جاز التعبير.. فمن ذلك مثلا:

ص٥: (فوجدنا قسمين .. قسم قديم.. الخ والصواب قسما قديما على انها بدل من المنصوب قبلها.. (وهذا في المقدمة كما اشرنا آنفا).

ص٦٠٥: (ليس جمعا مذكرا سالما، ولا مؤنثا سالما).. والصواب: (ليس جمع مذكر سالما، ولا جمع مؤنث سالما).

ص ٦١٤: ضبط قول المتنبى: (وجداننا كل شيء بعدكم عدم) بضم الواو، والافضل كسرها بل هو الصحيح.ص٦٢٩: جاء قولهما: (هل يمدحه، أم يسخر منه؟). اللغويون يقولون: (ان أم تأتي بعد همزة الاستفهام) وان (أو) تأتي بعد (هل).

ص١٤٠: (وتعرب) منْ (لو سميت رجلا (من)) مبني على السكون في محل رفع. الصواب: مبنيا على السكون.

ص١٤٠ ايضا: (مهما تغير موقعها الاعرابي) ويقول اللغويون: أن القياس ان تدخل (مهما) على المضارع، لا على الماضي، كقوله تعالى ﴿مهما تاتنا به من آية﴾.

ص ١٢٩: (اذا كان المضاف اسما جمع مذكر سالما، أو ملحقا به) وأرى في هذا التعبير ركاكة ونبوا لا ادري مصدرهما، وأحس أن الصواب أن يقولا : ان المضاف اذا كان جمع مذكر سالما، أو ملحقا به.. فلا أرى معنى لوجود كلمة (اسما) هذه قبل جمع المذكر السالم.. أم أن المؤلفين الكريمين قد أوحى اليهما أن جمع المذكر السالم، والملحق به، قد يكون فعلا، أو حرفا مثلا؟ وما ذلك عليهما ببعيد!

ص٧٥: (إذا.. وهي أداة شرط غير جازم.. الصواب غير جازمة.لان غير وما بعدها تصف الاداة، ولا تصف الشرط نفسه).

ص٨٠: (سواء كانت ناصبة، أم حرف عطف).. الصحيح أن تأتي همزة تسوية قبل الفعل الذي بعد سواء، حتى يمكن االتخيير بأم.. كقوله تعالى: ﴿سواء عليهم أأنذرتهم ، أم لم تنذرهم﴾. ص٥٨٥ حفنة أخطاء:

أهي انسانية أم قومية؟ وهل هي نوع واحد أم متغيرة (قلنا سابقا: أن التخيير بعد هل يكون بـ(أو) وليس (بأم).

(وكلما تفاعلت أنواع مختلفة من العواطف، كلما كان العمل الادبي أحسن) لاداعي لتكرار (كلما) وهو من الاخطاء الشائعة.

(العاطفة الجيدة تصدر عن انفعال حقيقي من الاديب فيما يكتب) والصواب: بما يكتب.

٣- نماذج لأخطاء علمية:

وأقصد بالاخطاء العلمية: تسرع المؤلفين بابداء رأي، أو اعطاء حكم، مبني على أساس غير سليم، أو تسرعهما بالفتوى في موضع، ثم تناقضهما مع ما أفتيا به في موضع آخر من معجمهما، فمن ذلك مثلا: ٣/أ= النصوص الشعرية ليست قطعية الثبوت، وبالتالي فان الاستشهاد بها في تقعيد قاعدة نحوية ينبغي ـ طبقا للاصول العلمية ـ أن

استدراكات على معجم (الشامل)

يسبقه توثيق للنص الشعري موضع الاستشهاد، وبخاصة ان روايات البيت الواحد قد تضطرب، أو تختلف من مصدر لآخر من مصادر التراث الشعري، وهذا ما لم يلتفت اليه واضعا المعجم، فعلى سبيل التمثيل:

ص٥٦٢ قالا: (لايجوز الفصل بين التمييز والعدد الا في ضرورة الشعر كقوله: (في خمس عشرة من جمادي ليلة).. يريد: في خمس عشرة ليلة من جمادي).. وفي قولهما هذا مأخذان: أولهما: أعادتهما الضمير (كقوله) على غير مذكور، مما يخالف أبسط قواعد النحو، وثانيهما: اثباتهما هذا الشطر كما لو كان معروفا للجميع فلاهما أتما البيت، ولا ذكرا قائله، ولا مصدره.

ص١٣٤ أوردا البيت الشهير:

لو ان الباخلين، وانت منهم * رأوك، تعلموا منك المطالا

ونسباه الى النابغة الجعدي، وبعد صفحة ونصف صفحة فقط، أوردا البيت نفسه ص١٣٦، ونسباه الى كثير عزة!

ص ٥٩٩ أوردا البيت الآتي:

كيف أصبحت؟ كيف أمسيت؟ مما * يغرس الود في فؤاد الكريم

وقد ضبطاه بضم التاء في الفعلين الناسخين في البيت، وفي تعليقهما على ذينك الفعلين، والصواب: فتح التاء على أنها للمخاطب، ويبدو أنهما لم يحاولا فهم معنى البيت.. ومعناه: أن سؤال المضيف للضيف كيف أصبحت؟ أو كيف أمسيت؟ من الاشياء التي تميل اليها نفس الانسان وتأنس بها، فالتاء تاء المخاطب، وليست تاء المتكلم.

ومن ذلك ما أورداه ص ٦٦٣، فقد أوردا قول الشاعر:

ويركب يوم الروع منا فوارس * بصيرون في طعن الاباهر والكلى

فقد ضبطا الكلى بكسر الكاف (وهى جمع كلية بضم الكاف) والمعروف في جمع كلية أنها كلى بضم الكاف كذلك، أما كسرها فلغة العامة.

ومن ذلك ما أورداه ص ٦٤ من قول عمر بن أبي ربيعة: (ثم قالوا: تحبها؟ قلت: بهرا) استشهدا بذلك على حذف الهمزة الاستفهامية، أي ثم قالوا أتحبها؟ مع أن البيت يروى أحيانا:

قال لي تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصى والتراب

وهو الاقرب للمنطق، فالسؤال بكم عن العدد يناسبه نصف البيت الثاني، أما روايتهما فركيكة، اذا عرفنا أن مطلع القصيدة:

قال لي صاحبي ليعلم ما بي * أتحب القتول أخت الرباب؟

وليس عمر بن أبي ربيعة بالشاعر الركيك الذي يستفهم بالهمزة، أول القصيدة ثم يستفهم بالهمزة وبالصيغة نفسها بعد بيتين أو ثلاثة أبيات.

٣/٢- من أمثلة التسرع في الفتوى، ما ورد في ص ٦٦ في معرض حديث المؤلفين عن أسلوب الشرط.. قالا ما معناه: ان الاسم لا يأتي بعد أدوات الشرط الا بعد أداتين فقط، هما: إن الجازمة، و (اذا) غير الجازمة.

ونفاجأ بهما في ص ٢٢١ يأتيان بأمثلة للاداة (أيّ) وهي اسم شرط جازم، فيقولان: بأى كتاب تقرأ اقرأ، ويضيفان: إن الاساس في (اى) أن تضاف الى نكرة ونسيا ما قالاه انفا (ص٦٦) من أن الاسماء لا تأتي الا بعد ان واذا.

٣/٣- من أمثلة التردد، أو عدم القدرة على الضبط، ما أورداه في ص: ٥٦٩ ـ بند رقم (٧) من ان اسم المفعول الذي اصله ثلاثي وعينه حرف علة، تحذف تاؤه في صيغة منتهى الجموع.. مثل: مختار، ومنقاد تصيران: مخاير، ومقاود، ولنا زيادة ياء قبل آخره تعويضا عن المحذوف فتصيران: مخايير، ومقاويد مع أنهما في بند (٥) السابق قالا: ان الميم في أول الكلمة أولى بالبقاء اذا كانت زائدة وتليها تاء الافتعال والاستعمال، ونون الانفعال، وهو ما لم يلتزماه في بند (٨) هنا.

وانني أشك في سلامة هذه القاعدة شكا كبيرا، فاذا صحت فكيف يقولان في جمع (مشتاق) اذا كانت اسم مفعول أو في غيرها مما لابد له من حرف جر بعده؟ وكيف يقولان في جمع (مختار) على هذه الصيغة (مخاير) أيكون مفردها اسم فاعل، أم اسم مفعول؟ وبأي قرينة؟ ثم (مقاود) هذه التي جاءا بها، كيف نفرق بينها في هذه الصيغة، وبينها جمع (مقود) بكسر الميم وسكون القاف، وفتح الواو؟ وكيف يجمعان (مرتاع) بمعنى خائف على هذه الصيغة؟ اهي مرايع أو مراييع؟ ومن ذا الذي يعرف أن مراييع هذه جمع مرتاع لصيغة منتهى الجموع؟

ثم أنهما في بند (٨) بعد هذا مباشرة يقولان: الطبيعي في الصفات التي أولها ميم زائدة، أن تجمع جمع مذكر سالما، أو مؤنث سالما مثل: مجتهد: مجتهدون، مجتهدة، مجتهدات.. وأعتقد أن بند (٨) يشمل فيما يشمل جمع أسماء المفعول التي أصلها ثلاثي، وعينه حرف عله، لانها غالبا تكون صفات.

٣/٤- ومع اقرار المؤلفين بأن الطبيعي في الصفات التي أولها ميم زائدة. أن تجمع جمع مذكر سالما، أو مؤنث سالما، فانهما في ص ٨١ يقولان: (ثلاثة مفاعيل) وكان الاولى بهما أن يقولا: ثلاثة مفعولات.. تطبيقا لما يقعدانه من قواعد.

نماذج لركاكة الاسلوب

ص ٨٩ يتحدثان عن قراءة القرآن فيقولان: (ويجوز للقارىء أن يقطع الاستعاذة عن البسملة، ويقطع البسملة عن اول السورة، وله ان يصل الاستعاذة بالبسملة أو يقرأ الاستعاذة ويقف.. ثم يصل البسملة بالسورة وله أن يقطع دائما فيقف بعد الاستعاذة وبعد البسملة) ما هذا كله؟ ولم كل هذا الاخذ والرد والارغاء. والازباد في معنى يسير؟ ألا يمكن أن يعبر عن هذا كله بأسلوب أخصر لا استطراد فيه ولا اعادة.. فيقال مثلا: ان للقارىء أن يصل

بين كل من الاستعاذة والبسملة والسورة، أو يقطع فيقف بعد كل واحدة أو اثنتين.

قولهما في ص ٦٧٩ بحيث أن (بفتح همزة أن).. و(تقديم بيت على بيت لا يؤثر كثيرا على المعنى) الصواب في (المعنى) و (ثم تغلغل تأثير أرسطو في الفكر والادب، ففهموه بشكل خاطىء فأخذوا هذه الملاحظات الخاطئة التي فهموها، وحولوا الشعر الى بلاغة لفظية) فهما ذكرا أرسطو فجأة خلال حديثهما عن الوحدة العضوية.. ثم ان قولهما (بشكل خاطىء) من الاساليب الركيكة.. فالفصيح أن يقولا: (ففهموه فهما خاطئا) والواو في الفعل (فهموه) لاتعود على مذكور قبلها، واسم الاشارة: (هذه الملاحظات) لامكان لها هنا، اذ لم يسبق استخدام كلمة (الملاحظات) حتى يشار اليها.

ويبقى ما أورداه عن أسس الشعر الحديث في ص ٦٨٠ فجل ما أورداه لا طائل منه، ولا قيمة له، ولا حتى من مجرد التعرض له هنا.

٥- نماذج للنقل غير الدقيق:

أورد المؤلفان ص ٥٦٧ أن صيغة (فعال) بضم الفاء، من مصادر الثلاثي التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، لتستعمل للدلالة على : أ - داء. ب - صوت. مثل دوار، وزكام، ونباح.. وأوردا هذا في ص ٦٥٠ على أنه قاعدة مسلم بها دون اشارة الى انه اجتهاد مجمعي، والا فان اللغة العربية قد عرفت مصادر على وزن (فعال) لا تدل على داء او صوت، مثل دخان، ومخاط وغيرهما واجتهاد المجمع مبني على غلبة الاستعمال وشيوعه.

٦- وتناقضات أخرى كثيرة:

ص٩٤١: ذكرا أن اسم الموصول (من) للعاقل و(ما) لغير العاقل وهذه المعلومة من المعلومات التي تقال لصغار التلاميذ، ولكن الباحثين يعلمون أن هذه القاعدة ليست مطردة فقد وردت من لغير العاقل في قوله تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له الى يوم القيامة). وقوله تعالى: ﴿فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع﴾ وقول الشاعر:

أسرب القطا هل من يعير جناحه ❊
لعلي الى من قد هويت أطير؟

وقول الشاعر:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي ❊
وهل يعمن من كان في العصر الخالي؟

وكان حريا بهما حين ذكرا أن (من) للعاقل، أن يحترزا فيقولا: (غالبا) مثلا أو على الاقل كان حريا بهما أن يتواضعا في المقدمة فلا يقحمان الباحثين مع طلاب الثانوية سواء بسواء عند التعامل مع معجمهما هذا الفريد!!

يقولان في ص ٩٢٠: (أي مبدوء بهمزة (وصل) تصبح عند النداء همزة قطع) وقبل هذه القاعدة الخرافية يمكن للقارىء أن يقرأ أول سطر في الصفحة نفسها ليجد (يابن خال، يابن أم) فهما لم يلتزما بقاعدتهما ويخالفانهما في الصفحة نفسها، سبحان الله، وكيف تكون هذه قاعدة صحيحة وفي القرآن الكريم وردت همزة الوصل بعد النداء ولم تصبح همزة قطع في قوله تعالى: ﴿يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ [طه/ ٩٤].

(ملحوظة: كتبنا الآية بالرسم المعهود لنا حتى يتبين خطأ القاعدة للقارىء ولم نكتبها بالرسم العثماني الموجود في المصحف. وفي كلتا الحالتين فالقاعدة خطأ) فهل تفضل عامل المطبعة بوضع هذه القاعدة؟ أو أنهما وضعاها سهوا؟

ومن أمثلة مخالفتهما لما يضعانه من قواعد ما ذكراه ص١٧: (اذا اجتمع المد والهمز وكان المد أولا، كتبت الهمزة مفردة) مثل: تضاءل، تشاءم ونجدهما في ص ٩٢١: يكتبان: يا أخي ويا أبا خالد.. أفليست هذه همزة سبقها مد؟ أم أنهما يستنكران أن تكتب يا أخي هكذا طبقا لقاعدتهما: ياءخي. الذي يجده القارىء في كثير من كتب الاملاء أن الهمزة التي يسبقها مد تكتب مفردة ولكن اذا كان هذا المد حرف النداء (يا) كتبت الهمزة على طرف حرف النداء ولم ترسم لها الف كما فعل المؤلفان. وهما لم يشيرا الى هذا الاستثناء أصلا.

يقولان في ص٤١٣: (الجواب هو الرد عن استفهام أو كلام) والصواب هو: الرد على وليس عن. أليس كذلك؟

ص ٩٥٥ فيها أخطاء في أربع آيات قرآنية على التوالي هي:

﴿فاجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة﴾ وهذا ليس من القرآن، والذي في القرآن هو قوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ فهل هذا سهو؟ وهل يجوز السهو هنا؟ واذا جاز السهو في الضمير فهل يجوز في عدد مرات الجلد؟ أو أن عامل المطبعة - لسبب ما - خفض العدد من ١٠٠ الى ٨٠؟

الآية **الثانية** في الصفحة نفسها: ﴿والله أنبتكم في الأرض نباتا﴾ والصواب ﴿من الأرض﴾.

والثالثة: ﴿خلق الانسان ضعيفا﴾ والصواب ﴿وخلق﴾.

الرابعة هي قوله تعالى: ﴿اذكروا الله كثيرا﴾ والصواب قوله تعالى: ﴿واذكروا﴾ [الانفال/ ٤٥] أو ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ [الأحزاب/ ٤١].

ص٤٣٧ ﴿أفلم يسيروا في الارض فيروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ ليس في القرآن آية بهذا الشكل اطلاقا. بل هي محرفة جهلا أو عمدا.

ص٤٤٤ ﴿فأقبلت امرأة في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾ الصواب: ﴿امرأته﴾. ويستحيل أن يكون هذا خطأ مطبعيا لانه لاتشابه بين الكلمتين ومثلها (أي مما يستحيل أن يكون مطبعيا).

ص٤٦٨: ﴿وما أبرىء نفسي إن النفس أمارة بالسوء﴾ والصواب: ﴿لأمارة﴾.

وأخيرا: فاكهة المقال التي أهديها الى القارىء في ص٤٦٠ من المعجم ما ورد على انه آية قرآنية ﴿الشمس والقمر آيتان من آيات الله﴾ فهذا الكلام ليس من القرآن. وليس في القرآن ما يشبهه. وهو - فيما أظن - حديث شريف. ولكنهما أورداه بين الاقواس التي يضعان بينها الآيات الكريمة. وهذا من أشنع الخطأ الذي يذكرني بقول الشاعر:

إذا كنت لاتدري فتلك مصيبة
وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم□

مفاهيم إيمانية خاطئة

إعداد: قسم الواعظات
بوزارة الأوقاف / الكويت

يتضمن الإسلام - كما نعلم - جميع المصالح التي تضمنتها الأديان السابقة، ويتميز عليها بكونه صالحا لكل زمان ومكان وأمة، فالتمسك به لا ينافي مصالح الأمة بأي حال من الأحوال، بل فيه صلاحها.. والإسلام هو دين الحق الذي ضمن الله تعالى لكل من تمسك به - حق التمسك - السعادة في الدارين الدنيا والآخرة.. ولكن هناك - وفي واقع المسلمين اليوم - تصورات خاطئة عن الإسلام، قد يتصورها البعض عن جهل أو عن حسن نية، لا بد من تصحيحها وايلائها الاهتمام والجدية التي تحتاجها..

المفهوم الأول: عن الإيمان

قد يظن البعض أن الإيمان هو تصديق بالقلب وحسن نية فحسب، أما العمل الذي يصدق هذا الإيمان ويثبته فهذا أمر ثانوي، فالمهم أن يكون الإنسان مؤمنا بالله محبا له مصدقا بكل ما جاء به، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، أما الطاعة والاتباع فذلك منفصل عن الإيمان لا يمت له بأي صلة..

هذا المفهوم خطير جدا، وذلك ما اعتقدته فرقة المرجئة الضالة التي أرجأ اتباعها العمل وأخروه عن الإيمان، وهذا الاعتقاد يجرّيء معتقده على المعصية ويقعده عن الجدية في الالتزام بالإسلام.. وإذا ما أردنا تصحيح ذلك المفهوم نقول: إن الإيمان قول - واعتقاد - وعمل، فهو قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فمن كان هذا حاله فهو المؤمن حقا كقوله عز وجل في كتابه في آيات عديدة: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ [الحجرات/ ١٥]. فإذا وقع الإيمان في القلب فإنه لا يصدق ولا يكمل إلا إذا ظهر أثره في الجوارح كلها، فلا تقترف هذه الجوارح إلا ما يرضى عنه خالقها ومصورها، لذلك استحق من وحد الله ثم أتى معاصيه أن يعذّب بالنار على قدر أعماله المنافية للإيمان، ثم يُخرج من النار ويُدخل الجنة لأنه كان موحدا وليس مؤمنا، هذا هو مفهوم الإيمان الصحيح الذي يجعل المؤمن مجتنبا المعاصي، صغيرها وكبيرها، فيحفظ جوارحه عن كل ما يخل بإيمانه..

المفهوم الثاني: عن العبادة

يظن الكثيرون أن العبادة هي فقط ما يؤديه المسلم من الأركان الخمسة، ومايقوم به من نوافل الصلاة أو الصوم، ويهملون بقية الأعمال والأقوال التي تدخل ضمن العبادة، وهذا حدا بالبعض إلى الاكتفاء بالنسك والشعائر الإسلامية والركون إلى ذلك، والعبادة بمفهومها الصحيح هي: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة)، وبذلك تكون حياة المؤمن كلها عبادة، فصلاته عبادة، وصيامه عبادة، وأكله وشربه عبادة، بل وحتى شهوته يقضيها في حلال عبادة، وذلك كله شريطة أن يقترن بالنية الخالصة لله تعالى واستشعار نعمه جل وعلا، وهكذا ينعم المؤمن بهذه النعمة الجليلة التي حرم منها غيره، فأي سعادة ينعم بها وقد أصبحت حياته كلها بدقيقها وجليلها - بمفروضاتها ومسنوناتها - بحلالها ومباحاتها، كل ذلك يقع في دائرة عبادة الله: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام/١٦٢و١٦٣].

ونقول لمن ظن أن العبادة هي القيام بالأركان الخمسة فقط، أما غير ذلك فهو من المندوبات ولا يطالب بها العبد، نقول لمن كان هذا تصوره إن تلك الخمسة هي أركان الإسلام وليس الإسلام، هي الدعائم والأسس التي يقوم عليها الإسلام وليست الإسلام كله، هذا مثله كمثل البيت لو أسس وأقيمت أعمدته ولم يضف على تلك الأعمدة شيء، لا جدران ولا منافذ ولا مرافق فهل يصلح هذا للسكن؟ وهل يمكننا تسميته بيتا؟ طبعا لا.. فكذلك أركان الإسلام هي قواعده الضاربة في الأرض يشاد عليها صرحه الشامخ بجميع تكاليفه ومتطلباته من: طلب علم وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر وصلة أرحام، وبر بالوالدين، وإحسان إلى الجار، والتصدق وكفالة اليتيم، والآداب والأخلاق الفاضلة، والتعاون على البر والتقوى ... إلخ. هذا هو الإسلام جملة، وهذه هي الميزة التي يتميز بها الإسلام عن غيره من الأديان ألا وهي الشمولية.

المفهوم الثالث: قبول العمل الصالح

اعتقد البعض خطأ أن العبرة بكثرة الأعمال الصالحة، فاتجه كثير من المسلمين عن حسن نية أو قصور في التصور لحقيقة العمل الصالح، اتجهوا إلى الإكثار من الأعمال الصالحة والعبادات دون إعارة الاهتمام إلى شروط قبول هذه الأعمال الصالحة، فنرى بعض الناس حينما يسمعون عن عبادة معينة كنوع من أنواع الأذكار أو الصلاة أو أي عمل مرتبط بالدين نجدهم يبادرون إلى

فعل ذلك غايتهم الإكثار من العمل الصالح دون التأكد من مدى توافر شروط قبول هذه العبادة أو تلك حتى تكتب للعبد في ميزان حسناته ولا تذهب هباء منثورا.

إن العبرة في العمل الصالح ليست في الكثرة إنما هي في صلاح هذا العمل وحسنه ومدى توافر شروط قبوله، والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة الملك / ٢ ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾. فلم يقل تعالى: أيكم أكثر عملا فاقتصار المسلم في صلاته على الفروض الخمسة على أن يحسن كل صلاة بخشوعها وصفتها من قيام وركوع وسجود، أفضل له من أن يؤدي جميع النوافل والرواتب، وأفضل له من قيامه ليله وهو مخل بشروط هذه الصلوات يسرق من القيام للركوع ومن الركوع للسجود، شارد الذهن في صلاته ينقرها نقرا لا اطمئنان فيها ولا روية.

إذا نقول لا بد من توافر جميع شروط قبول العمل الصالح (العبادة) وهي ثلاثة

١ – الإيمان.
٢ – الإخلاص.
٣ – الاتباع.

أما الإيمان فقد سبق الحديث عنه، وأما الاخلاص فهو تجريد النية والقصد له أثناء العبادة، وتخليص هذه العبادة من كل طلب للسمعة أو الشهرة.

أما الاتباع فلا بد وأن تكون العبادة مطابقة لما جاء في سنة محمد ﷺ، وعدم الابتداع فيها لقوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران/ ٣١]. ولقوله ﷺ في بداية كل خطبة: «وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» [رواه ابوداود]، وقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردّ». [أخرجه البخاري]. لذلك لا بد للعبد أن يتثبت مما يدعى إليه من قيام بعبادة كالالتزام بذكر من الأذكار أو بهيئة من الصلوات فيسأل من دعاه لهذه العبادة: ما دليلك من الكتاب أو السنة على ورود هذه العبادة شرعا وهل فعلها أو أقرها الرسول ﷺ؟ فإن لم يجد دليلا على ذلك فليعرف أنها عبادة باطلة، فإن الأصل في العبادات التحريم، أي أن كل عبادة لم يأت بها الرسول ﷺ ولا الصحابة فهي باطلة ومحرمة، فهناك مثلا من يدعو إلى المواظبة على أذكار معينة بعد صلاة المغرب بعدد معين، نقول لهؤلاء الذين ابتدعوا صلاة وسموها بصلاة الأوابين ودعوا الناس إلى القيام بها، نقول لهم: هل أنتم أكثر عبادة من الرسول صلى الله عليه وصحابته الكرام حتى تبتدعوا أذكارا وصلوات لم تؤمروا بها كمتبعين، أم أن ما جاء به رسول الهدى عليه الصلاة والسلام من الشرع ناقص – والعياذ بالله – فأردتم أن تكملوه؟! أما إذا كان ذلك منكم عن جهل ونقص في إدراك شروط قبول العمل الصالح فاللهم اهدهم واغفر لهم فإنهم لا يعلمون..

هذه أهم المفاهيم التي أخطأ كثير من الناس في فهمها فهل صححناها حتى تقبل أعمالنا وتغفر ذنوبنا ونسعد في دنيانا وفي آخرتنا؟ والحمدلله رب العالمين□

الوسائل المفيدة للحياة السعيدة

١) الإيمان والعمل الصالح قال تعالى ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [النحل/ ٩٧].

٢) الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل وعمل المعروف قال تعالى ﴿لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما﴾ [النساء/ ١١٤].

٣) الاشتغال بعمل من الأعمال أو علم من العلوم النافعة.

٤) اجتماع الفكر كله على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر، وقطعه عن الاهتمام في وقت المستقبل وعن الحزن على الوقت الماضي قال ﷺ: «احرص على ماينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإذا أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وماشاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان» [رواه مسلم].

٥) الإكثار من ذكر الله قال تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد/ ٢٨].

٦) التحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة.

٧) استعمال ما أرشد إليه النبي ﷺ في الحديث الصحيح حيث قال: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم» [رواه البخاري ومسلم]□

قسم الواعظات

هواية جمع الغبار

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم. وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين﴾ [الصف:١٠-١٣].

بقلم: أحمد عبد العزيز الفلاح

تجارة رابحة

إنّ الداعية إلى الله سبحانه وتعالى يغبط من قبل الآخرين على قانون تجارته المنجية، وهذا القانون الإلهي الرباني لن يتعرض لذبذبة الأسعار كمّا تتعرّض تجارة أهل الدنيا إلى تخفيض ومضاربات وتعقيدات التحويل، وذلك لسبب جوهري هو أن هذه التجارة المنجية ليست مع البشر وإنما هي مع خالقهم، قوامها: الايمان بالله تعالى والجهاد في سبيل الله تعالى بالمال والنفس. وثوابها: غفران الذنوب ودخول الجنة والنصر والفتح القريب.. ومن مزايا هذه التجارة الرابحة أن سعر السهم فيها يزيد ولا ينقص، بحسنات ربانية ادناها ٩٠٠٪ كما قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الانعام:١٦٠]. بل واكثر من ذلك؛ فقد تتضاعف إلى سبعمائة ضعف كما جاء في الحديث الشريف.

وزد على ذلك رضوان الله تعالى وجنة عرضها السماوات والارض، افبعد هذا الفضل الرباني يصد الناس عن تجارته؟!

أخي الحبيب..

بعد هذا العرض الموجز لقوانين التجارة الربانية الايمانية اني لارى العاقل وقد شمر عن ساعد الجد مع المجتهدين مسرعا نحو افراح الآخرة نحو رضوان الله ويالها من افراح قد تنوعت لك كما تشتهي، فتارة تشتهي نظرة إلى ربك الجميل عز وجل أو تارة إلى ملاقاة الانبياء والمرسلين والصديقين والشهداء ومن سار على دربهم من سلف هذه الامة من العلماء كل ذلك لك، كما اخبر جل جلاله في سورة الانسان:

﴿ولقّاهم نضرةً وسروراً وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا. متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً. ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً. ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريراً. قواريرا من فضة قدروها تقديراً. ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا. ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثوراً. واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيراً. عليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهوراً. إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً﴾ [الانسان:١١-٢٢].

الداعية لا يهدأ ولا يرتاح

وتأمل أخي الحبيب ما قاله يحيى بن معاذ عندما نظر إلى القافلة فوجد فيها الماشي والمهرول والراكض ثم نظر إلى درجات الجنة فوجد انهم ينشطون اليها على قدر منازلهم لديه. ومن اجل ذلك فان للمؤمن درجات تحسب نشاطه وإقباله على الله تعالى: ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ [الاحقاف:١٩]، وللمؤمن أن يتنافسوا في فعل الخيرات وفي الطاعات لينالوا الدرجات العليا من الجنة: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ [المطففين:٢٧]وكما ورد عن الصادق المصدوق ﷺ: «اذا سألت فسأل الفردوس الاعلى».

اذن فكل درجة في الجنة نشاط في السير فادفع ثمن الواطيء أو العالي، إن لك الخيار، انما نذكرك انه ملك وما هو والله باستئجار. أخي نعلم اختيارك ما انت بالذي يرضى بالوطيء بالجنة واني لصاحب الاستعلاء في الدنيا بان لا يطمع بعليين في الآخرة. اذن هنالك شرط وثمن فاقرأ قول الشاعر:

فاعلم بانك لن تنال جسيمة
حتى تجشم نفسك الأهوالا

اذن اعلم أخي؛ فقهك الله؛ انه مما لا شك فيه أن طريق الدعوة ليس ممهدا بالورود والرياحين وانما ممهد بالاهوال: «حفّت النار بالشّهوات وحفّت الجنة بالمكاره». هول من بعد هول كما أن درجات الجنة متعددة، فربض وفردوس فعليون، فيكون هذا الهول تكذيب الناس لك أو معاداة الاهل أو سجنا من طاغية، وقد يكون هذا الهول تعبا يوميا أو فقرا ونسيانا لفرحة أو حسنا، تعزف عنها عزوفا، وانت لاه بعمل الدعوة إلى الله.. وانظر إلىّ قدوتك عمر بن عبد العزيز، قالت زوجته فاطمة: (ما رأيته اغتسل من جنابة أو حلم من يوم يويع بالخلافة، وقد صرف جميع جواريه واعادهن إلى بلادهن).

من هذا تجد أخي العزيز أن طريق الحق ثقيل لا يلجه إلا من اشتاق إلى الجنة، وكان ثقيلا في القديم ايضا، كما هو ثقيل اليوم، فهذا الحسن البصري يناديك في نفس الطريق ويقول: (ان هذا ثقيل وقد جهد الناس وحال بينهم وبين كثير من شهواتهم) فانه لا يصدق اصطلاح الداعية إلا على من كان اشعث اغبر، فمن نظر إلى الداعي المسلم وجد لسان حاله يخاطبه ويقول له: (اخا سفر، جواب ارض تقاذفت به فلوات فهو اشعث اغبر).

انظر أخي؛ فقهك الله؛ إلى صورة الداعية المسلم فتراه لا يركن إلى الراحة ولا إلى الكسل والخمول غير قاعد، فضلا عن أن يكون راقدا، بل تراه يسرف ساعات نهاره وليله في التجول داعيا آمرا ناهيا مربيا، وماشيا أو راكضا، فاذا ريح إلى بيته عند منتصف الليل ورأى الغبار تعلو قدميه وملابسه، ابتسم فمه وضحك قلبه، وذكر قول رسول الله ﷺ: «من غبرت قدماه في سبيل الله، حرمه الله على النار» [رواه ابي حبان في صحيحه. في الجهاد] وان عاد من الجهاد ينفض رداءه من غبار الجهاد ثم يقول لابنته: اجمعيه واجعليه لبنة، اذا مت اجعليها لي وسادة في قبري.

وما عليّ أن أغبّر قدميّ

اخرج ابن عساكر من طريق سيف عن الحسن رضي الله عنه فذكر الحديث في تنفيذ جيش اسامة رضي الله عنه، وفيه: (ثم خرج ابو بكر رضي الله عنه حتى اتاهم فأشخصهم وشيعهم وهو ماش واسامه راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة ابي بكر رضي الله عنه فقال له اسامة: ياخليفة رسول الله ﷺ لتركبن أو لانزلن فقال: والله لا تنزل، ووالله لا اركب؛ وما عليّ أن اغبّر قدمي ساعة في سبيل الله فان للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له، وتمحي عنه سبعمائة خطيئة. حتى اذا انتهى قال له: إن رأيتني أن تعينني بعمر بن الخطاب فافعل. فاذن له).

غبار الجهاد، طيب الجنة

غبار الجهاد طيب الجنة، اخرج الطبراني عن ربيع بن زيد قال: بينما رسول الله ﷺ يسير معتدلا اذا بصوت شاب من قريش يسير معتدلا عن الطريق فقال: أليس ذلك فلان؟ قالوا: نعم. قال: فادعوه. فجاء فقال له النبي ﷺ: ما لك اعتذلت عن الطريق؟ قال: كرهت الغبار. قال: «فلا تعتذله، فوالذي نفسي بيده انه لذريرة الجنة» [حياة الصحابة].

احرص أخي أن تغبر قدميك في سبيل الدعوة إلى الله مع الصبر على مشاق الدعوة وتحمل مسؤلياتها الجسام، فاليوم عمل بلا حساب وغدا حساب بلا عمل، فالسعيد من أخذ من دنياه إلى آخرته ومن قوته إلى ضعفه ومن شبابه إلى شيخوخته، فالدنيا مزرعة الآخرة، واعلم انه لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم.

أخي انظر إلى قدمية في نهاية يوم رباط وجهاد في سبيل الله فتراها قد اكتظت بذرات الغبار الممزوج بقطرات العرق التي ثقلتها فجعلت هذه الذرات كالجبال الراسيات يوم الحساب تثقل الميزان، ويوم الزحام منجاة.. ذرات ولكنها يوم الفرار أوتاد..

اذن فاحرص أخي؛ على أن تتزود منها بقدر ما تستطيع، فأنت الفائز، إن الداعية اللبيب يسابق أصحابه لحمل كل ثقيل من الامور فيكون يوم الجمع صاحب الميزان الثقيل كما تسابق النخعيون يوم القادسية.. قال أحد الصحابة: (أتينا القادسية، فقتل منا كثير ومن سائر الناس قليل)، وما كان أحد ممن حضر القادسية إلا وابلى ولكن الدعاة إلى الله لهم هواية التسابق في رفع الاثقال لكي تكلمون بها هواية جمع الغبار. أخي الداعية؛ اعلم أن الفراغ الذي كان يذهب بوقتك سدى، قد ذهب بلا رجعة إن شاء الله، من حين بداية انصهارك في بوتقة هذه الكوكبة المضيئة، كوكبة الجامعين للغبار في سبيل الله، كوكبة الخير والفوز والفلاح. استمع معي إلى فاطمة بنت عبد الملك تصف زوجها عمر بن عبد العزيز فتقول: (كان قد فرغ للمسلمين نفسه ولامورهم ذهنه، فكان اذا امسى مساءا لم يفرغ من حوائج يومه وواصل نهاره بليله)، فانظر معي إلى هذه الامثال واجعلها قدوتك في طريق الدعوة إن اردت أن تصدق دعوتك وتؤدي حق الامانة والانتساب لها، وصدق الله سبحانه وتعالى حيث يقول: ﴿فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب﴾ [الشرح:٧و٨]. فانظر أخي؛ فقهك الله؛ إن القرآن قد شمل جميع مناحي الحياة والابطال واجعلهم قدوتك في طريق الدعوة، وان اردت أن تكون صادقا مع دعوتك وتؤدي حق الامانة والانتساب إليها.

واعلم أخي؛ فقّهك الله؛ أن اقرآن قد شمل جميع مناحي الحياة بين دفتيه فما من امر صغر أو كبر إلا وانت واجد ما يشفي صدرك ويبدد حيرتك ويضعك امام المنهج الصحيح القويم، إن هذا الكتاب الرحب الواسع يحتاج من الداعية إلى أن يسلك احدى خطواطه أو رحلاته من حيث التنقل بين دفتيه، وهذه الخطوط والرحلات قد تنوعت بتنوع مواضيعه الكثيرة. أخي العزيز؛ قم بنا نمضي في رحلة قصيرة عبر أجواء هذا الكتاب العظيم مستخدمين خطا من خطوطه الكثيرة إلا وهو خط الجهاد في سبيل الله، الجهاد بالمال، الجهاد بالنفس والولد، الجهاد باللسان والقلم، الجهاد بالوقت والراحة.

أخي الحبيب؛ ألا ترى أن خط الجهاد في سبيل الله له رحلات كثيرة وعظيمة في ثنايا سماء القرآن الكريم. فانظر معي في خط رحلة ذي القرنين الجهادية في سبيل نشر دعوة الله على ارضه بين عباده وكيف رفض الاجر المادي والعرض الدنيوي، وفضّل ما آتاه الله عنده انها فعلا صورة مشرفة من صور الجهاد في سبيل الله ونشر دعوته، فحري بك أيها الداعية أن تسلك طريق السابقين من الانبياء والرسل والصالحين وتتمثل هذه القدوات، وان تضعهم نصب عينك متى ارتضيت لك هذا الطريق والتزمت هذا المنهج الرباني وسلكت احدى رحلاته متبعا خط الجهاد ومثقلا قدمك بغباره.

وينبغي أن يردد لسان حالك يا أخي قول الشاعر:

ولست أبالي حين أقتل مسلما
على أي جنب كان في الله مصرعي□



موت الاستغاثة..

بقلم: محمد علي وهبه المحامي

رفع أحمد سيلوفتش نظراته إلى السماء، تضرعاً إلى الله، أن يحيل بلاده إلى دار سلام بعد أن أكلت نيران الحرب يابسها وأخضرها. رأى السحب مبعثرة في السماء كأشلاء القتلى المبعثرة في كل مكان على الأرض، يغلب عليها لون الحمرة الداكنة، كأنها قد أصابها ماأصاب القوم. كان حصار الصرب لسراييفوا قد طال، وقذفهم الناري الشرس يقترب من قلب المدينة. لم تنقطع الانفجارات الهادرة التي يسمعها من حوله، ويشعر باقترابها المزمجر في وحشية لذلك طلبت منهم قوات الدفاع البوسنية إخلاء المنطقة سريعاً، وكانوا يتعاونون معهم في حمل الأطفال والعجزة والشيوخ، ووضـ في عربات كبيرة، تنطلق بهم إلى معسكـ بعيدة للإيواء.

اختلط صوت الانفجارات في رأسه بصـ أمه العجوز وهو يحملها فوق ظهـ وينطلق بها إلى العربة. كان يشعر بأنـ يحملها وحدها، وإنما يحمل معها سنـ عمره التي قاربت الستين بكل مافيهـ خبرات ومصاعب رحلة العمر، ويشعر بـ يكبر في صدره، ويستضيء بنور سمـ بهيج، يمتزج بنور قلبها النابض بحـ الأمومة فوق ظهره. كان أولاده الثـ يشاركون في الجهاد لصد العدوان،ولايـ إن كانوا أحياء، أو أمواتا. أما أخوه سلـ الذي يكبره بعدة سنوات، والذي جاء إ من أطراف المدينة بعد فقده لزوجته وأو وبيته وأرضه، فقد بقي بالبيت، توسلات أمه ليذهب معهم.

- كيف تبقى في هذا الجحيم؟

قال وهو يستجمع قدرات شيخوختـ الأنفة والتحدي:

- لماذا لا أساعد في عمل شيء؟

لم تنقطع خيوط دمعاتها، وصوتها الـ يردد اسمه وأسماء أحفادها الثـ الغائبين، هي تبتهل إلى الله أن يعينهـ اللقاء في زمن قريب، ظل يجري بها لا نحو العربة، وزوجته تركض خـ بملابسها البيتية وهي تحمل حقيبة كـ معلقة على أحد كتفيها، تضع فيها بـ حاجياتهم، وبعض الأطعمة والزجاجـ المعبأة بالماء. وتعاونه في حمل أمه تمسك بساقيها النحيلتين، وتضعهما فـ كتفها.

كانوا يتوجهون بقلوبهم إلى الله ليشـ برحمته بعد انتقالهم مرغمين من ألفة ا الهادئة الناعمة إلى قسوة الشوارع الـ الصاخبة بمثيراتها الكثيرة المزعجة رائحة أثاثات البيت وروائح المـ والستائر والملابس البيتية، إلى ر العواصف الخارجية المحملة بالأتربة ود عوادم المركبات وأصوات الطلقات النـ المحيطة بهم من كل صوب، من المـ المغلق عليهم في هدوء حميم ومأمون إلى الفضاء المفتوح، والممتد لمسافات بـ مجهولة، باعثة على الخوف.

تعاونت معهما أياد كثيرة في حمل العجوز، وإراحتها برفق بين أجساد

لأمهات وشيوخ كثيرين فوق صندوق العربة المشكوف. كانت سيقانهم وأذرعهم تتداخل في بعضها، كأصواتهم المتداخلة في أحشاء بعضها، فيما يشبه الهمهمات المستغيثة. بعضهم تعتصر ملامح وجوههم مشاعر كثيرة متصارعة، وآخرون تلمع الدموع في عيونهم، وتسيل على خدودهم، مع ارتعاش ملامح وجوههم بمزيج ساحق من الحزن والألم تحت تأثير الشعور بآلام الرحيل الثقيل. تشبثت أصابع أمه الهزيلة بذراعيه وهي تدعوه ليصعد إلى جوارها.

قال وهو يربت على يديها المليئتين بالعروق الواهنة:

- سألحق بسليمان.

وحاول تخليص ذراعيه من بين أصابعها الضعيفة برفق.

- أأتركه وحده يواجه الخطر.

قالها بلهجة مخضوضة وصوت يختنق في حلقه. اتسعت المسافة بينها وبينه، رغم وقوفه بجوارها. ورأت أشباحا مخيفة من حولها تحاول تكميمها وكتم أنفاسها، فاعتصر وجهها بدا عنيفا حتى كادت تجاعيده الواهنة أن تنفجر وهي تضع كف يدها على فمها لتكتم صرخة مؤلمة ذابت في داخلها وهي تسترخي بجسد مهدود في استسلام للمصير المجهول. وامتزج حزنها بإحساسها بشيء من الارتياح وهي تنظر إليه في إعجاب وهو ينتفض أمامها في صلابة مشتعلة، كأنه يتهيأ لاختراق حواجز الغيب النارية بقلب يحمل في نبضاته أسرار الخوارق والمعجزات..ذاب صوتها المهزوز مع صوت زوجته في صوت محركات العربة وهي تنطلق إلى بعيد وهما تبتهلان إلى الله مع من في العربة ليعينهم على الصبر.

انقطع صوت الانفجارات فجأة من قريب ومن بعيد، مما شجعه على السير مسرعا ليلحق بأخيه. كان يرى بين لحظة وأخرى بعض عربات الجيش البوسني، وعربات القوات الدولية بألوانها وشاراتها المميزة تنطلق في الشوارع ذهابا وإيابا، وبعض عربات الإسعاف المحلية والدولية تنهب الطرقات بصوت عجلاتها المسرعة، وصوت نفيرها المتقطع الصارخ يملأ الآفاق وهي تحمل الجرحى والمصابين إلى أماكن العلاج، وبعض المجنزرات تتحرك بصوت مزمجر مخيف، وتترك آثارا مدمرة في الشوارع المرصوفة، تحيلها إلى أماكن شائهة بعد

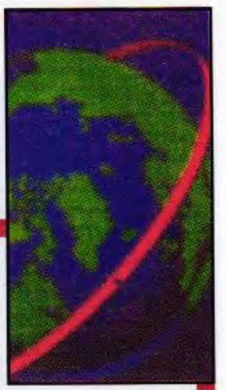


سحقها لوجهها الجميل، وبعض البيوت المهدمة التي طالتها القذائف المعادية، وبعض مآذن وقباب المساجد التي كانت تشق أحشاء الفضاء في شموخ عليائي مهيب قد تهدمت أجزاؤها العلوية، وأكلت القذائف النارية المعادية نقوشها التاريخية، الرامزة إلى نقاء وارتقاء الأحاسيس.

كان يشعر بما يشبه المطارق الحديدية تنهال ضربا فوق قلبه، فحاول أن يكتم إحساسه بالحزن وهو يسير بخطوات بطيئة، ثقيلة،حتى وصل إلى البيت. توقع أن يرى سليمان عند أحد نوافذ الطابق العلوي الذي يسكنون فيه، لكنه لم يره. أصابه الذعر فجأة مع معاودة الصرب لإطلاق قذائفهم المدوية الثقيلة. وامتلأ الجو من الانفجارات والشروخ والانهيارات المفزعة. كان يشعر بصفير القذائف ودوي الصواريخ المشتعلة وهي تمر منطلقة فوق رأسه. انبطح على الأرض سريعا بكل ثقل جسمه المهدود، وقلبه يوشك أن ينخلع من صدره من هول مايرى.

ازداد إحساسه بالذعر وهو يرى أكثر البيوت من حوله تتهدم بأصوات ساحقة، مكتومة، وهادرة في أحشاء الفضاء، تتصاعد منها سحابات مذعورة من الدخان والغبار، وتفوح منها رائحة النفط والمعدن المحترق وغبار الدمار. تملكه الإحساس بالرعب، واستحالت عيناه إلى بحر من الدموع على أثر انفجار صاروخي مزلزل فوق بيتهم الذي رأى حائطه العلوي يتدلى منكسرا، كالحصيرة المدلاة فوق واجهته، وكان معلقا بأسياخ حديدية في أعلى سقفه، وتتصاعد منه سحابات كثيفة من الدخان والغبار وألسنة النيران، ويبرز من أسفله رأس أخيه سليمان محشورا بين حافتي الجدار المتساقط والنافذة، وحلقه مفتوح على اتساعه، ربما من أثر استغاثة كان يطلقها وهو يحاول الهرب من النافذة، فمنعه سقوط الجدار فوقه من الهرب، فمات، وماتت معه صرخته في حلقه. وكانت ملامح وجهه المسحوقة تحت الأحجار ملطخة بالدماء ■





نافذة على العالم

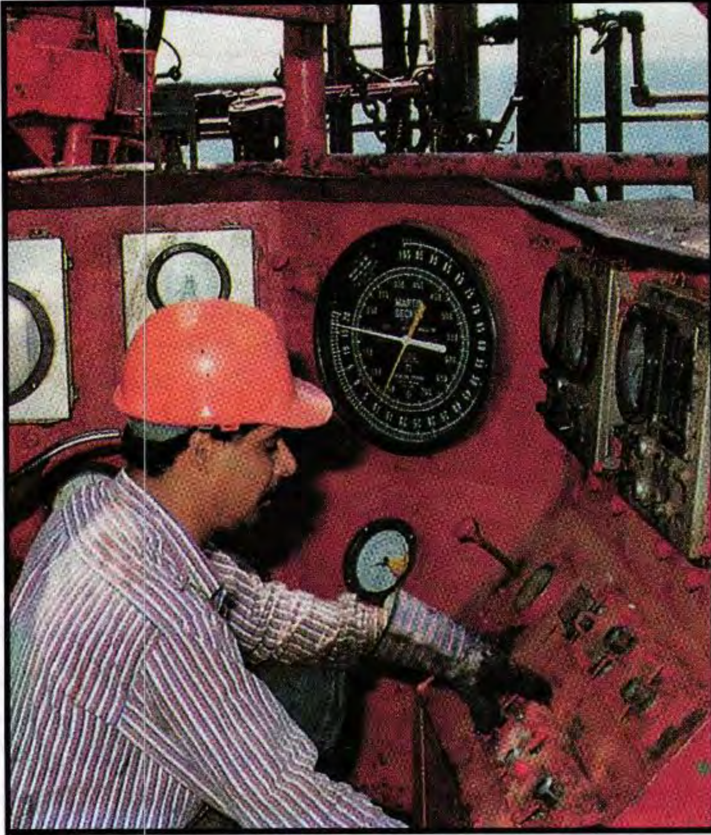
(الزكاة) ودفع العدوان

قال أمين سر مجلس الأمة النائب أحمد باقر: إنه قد جاء الوقت لإقرار مشروع قانون برلماني يحقق مساهمة المواطن في النفقات الدفاعية ويدعم المجهود الحربي، ويسهم في استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية.



وأعاد إلى الأذهان أنه تقدم مع عدد من النواب بمشروع قانون للزكاة ينص على أن الشركات العاملة بالبلاد مهما كانت طبيعة عملها تقدم ميزانيتها لوزارة المالية التي تقوم بدورها باستقطاع نسبة الزكاة من واقع تلك الميزانية، وحتى لا يكون العبء ثقيلاً على هذه الشركات، فإنها تخفف مساهمتها بمؤسسة الكويت للتقدم العلمي إلى ٢,٥٪ فقط، بدلاً من ٥٪، وتأخذ النسبة الأخرى كزكاة شرعية.

ازدياد القوى العاملة في مصانع الخليج



بلغ عدد العاملين في مصانع دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية في عام ١٩٩٣ (٣٦٩,٣) ألف عامل مقابل (٢٥٣,٧) ألف عامل في عام ١٩٨٨، وذلك بنسبة زيادة بلغت (٤٥,٦٪) خلال تلك السنوات.

وأوضحت الأرقام الإحصائية الصادرة عن بنك المعلومات الصناعية لمنظمة الخليج للاستشارات الصناعية أن قطاع صناعات المنتجات المعدنية المصنعة والآلات والمعدات قد استوعب نحو ما نسبته (٢٢,٧٪) من إجمالي العاملين في المصانع العاملة .. تليها صناعة المنتجات التعدينية غير المعدنية (١٩,٤٪)، ثم صناعة المنتجات الكيماوية والبلاستيكية (١٩,٢٪).

وبينت الأرقام الإحصائية توزيع العاملين في المصانع العاملة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية حسب التصنيف الدولي الموحد للنشاط الصناعي في عام ١٩٩١ كالتالي: صناعة الأغذية والمشروبات والتبغ (٤٩٢٧١) عاملاً .. صناعة النسيج والملابس والجلود (٤٢٠٤١) عاملاً، صناعة الخشب والأثاث (١٦٢٨٤) عاملاً، صناعة الورق والطباعة والنشر (١٠٢٩٩) عاملاً، صناعة المنتجات الكيماوية والبلاستيكية (٧٠٧٩٦) عاملاً، صناعة المنتجات التعدينية غير المعدنية عدا البترول (٧١٦٢٦) عاملاً.

كفالة طلاب علم

قال طارق عبد الله المطر مدير صندوق طالب العلم في بيت الزكاة إن ثلاثة من الطلبة يكفلهم البيت أنهوا دراساتهم العليا على مستوى الدكتوراه. ومن ناحية أخرى ذكر طارق المطر أن عدد الطلبة الذين يكفلهم الصندوق حالياً يصل إلى أكثر من (٢٠٠٠) طالب موزعين في دول آسيا وأفريقيا بمن فيهم الطلبة الذين يدرسون في الأزهر الشريف.

وأعرب مدير صندوق طالب العلم عن شكره الجزيل لكل المحسنين الذين ساهموا بتبرعاتهم السخية في دعم هذا المشروع الخيري النبيل، موضحاً أن البيت على استعداد للتعاون مع الإخوة الكافلين في هذا المجال وتزويدهم باستمارات تعريفية بالطالب مع شهاداته الدراسية التي يرغب فيها ومدتها ومكان البلد الذي يدرس فيه، والتقارير اللازمة بصفة دورية.

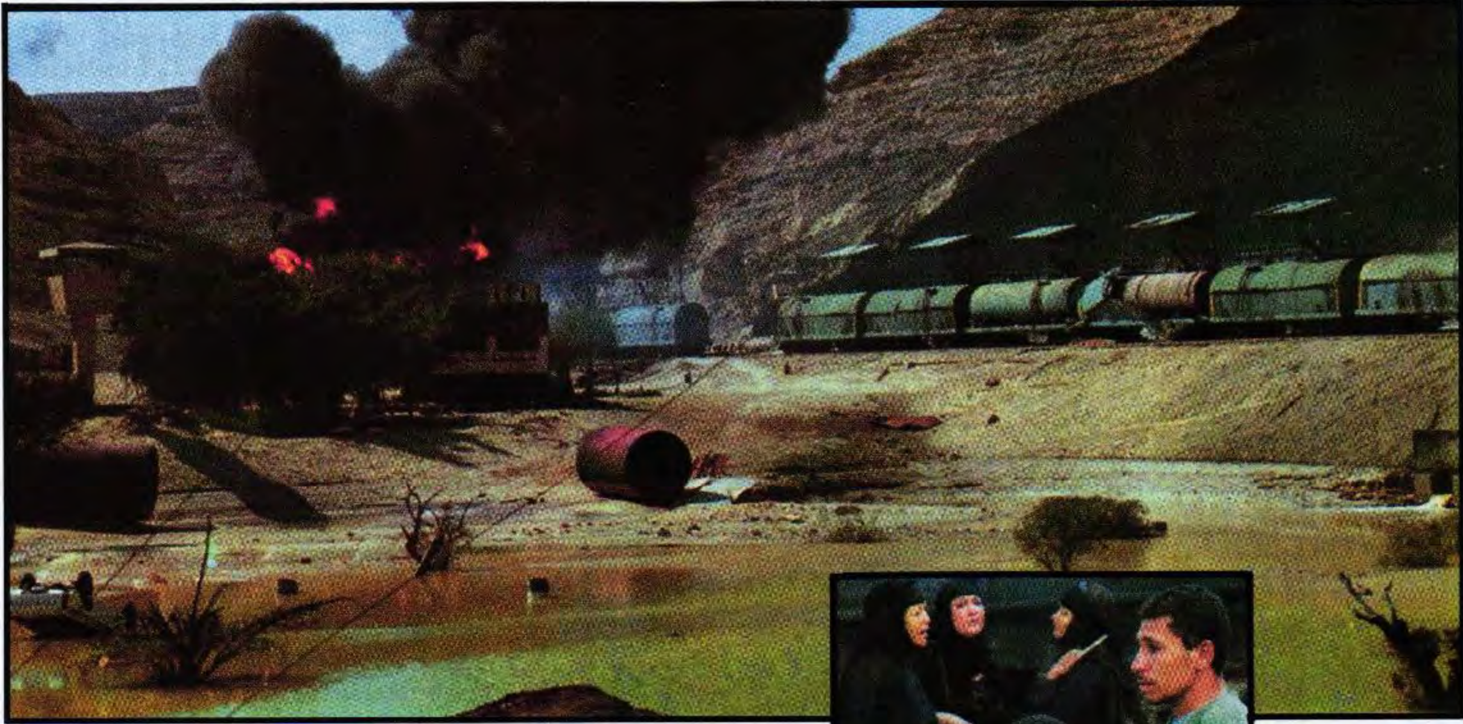
خطورة جرائم الخادمات

حذرت دراسة ميدانية لمركز البحوث والدراسات بشرطة دبي من خطورة الجرائم التي ترتكبها الخادمات .. مشيرة إلى أنه قد لوحظ أن أكثر من نصف الجرائم التي ترتكبها المرأة في دولة الإمارات تقع من الخادمات، وأن بعض هذه الجرائم تكون موجهة إلى أفراد الأسرة وبخاصة الأطفال.

وأوضحت الدراسة أن ٩٢,٥٪ من جرائم الخادمات خطيرة للغاية، واستعرضت نماذج من هذه الجرائم ومنها إغراق طفل الأسرة برميه في حوض السباحة، وفتح غاز (البوتاجاز) بهدف قتل أفراد الأسرة، ومحاولة إحراق طفل صغير لا يتجاوز عمره عامين بالكيروسين انتقاما من الأسرة، ووضع طفل صغير في فريزر الثلاجة مدة من الوقت أثناء الليل لكثرة بكائه، وإهمال أمه له، ووضع طفل الأسرة في الغسالة وتشغيلها انتقاما من الأسرة، وسد فتحة شرج طفل لا يتجاوز عمره ثمانية أشهر بمادة لاصقة، ووضع منوم بصفة مستمرة لربة المنزل في المشروبات التي تقدمها لها، واستغلال طفل عمره خمس سنوات في أعمال التسول.

منع كتب تدّعي العلاج بالقرآن الكريم

طالب مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بمنع نشر كتب تدعي العلاج بالقرآن الكريم، لما تحمله من خرافات ودجل. وذكر أن لجنة مشكلة من إدارة البحوث والنشر قامت بدراسة مجموعة من الكتب التي تعالج بالقرآن الكريم، وأكدت أن نشر هذه الكتب يغري بعض الناس بالقيام بأعمال السحر والدجل وبذلك يفقد متعلم السحر عقيدته الإسلامية بعبادة غير الله، وحذرت اللجنة من طبع هذه الكتب مشيرة إلى أن بها خزعبلات وإسرائيليات مدسوسة.





ضحايا السيول والحرائق في مصر

بلغت الحصيلة النهائية لضحايا كارثة سوء الأحوال الجوية التي تعرضت لها مصر في الثاني من شهر نوفمبر الماضي ٥٨٨ قتيلاً ومئات الجرحى إضافة إلى أن أكثر من مائة ألف شخص ظلوا بلا مأوى، كما نفق أكثر من ٢٥٠ ألف رأس ماشية، و٥٠٠ ألف من الدواجن. الدكتور عاطف صدقي رئيس الوزراء المصري. قدر حجم الخسائر المادية بأكثر من ٥٠٠ مليون دولار.

هذا وقد بادرت الدول الشقيقة والصديقة إلى تقديم الدعم والمساعدات للأسر المنكوبة، وفي مقدمتها الكويت وباقي دول مجلس التعاون الخليجي.

حاجة مسلمي آسيا للمدارس الاسلامية

أكد نعمان محمد طشقندي المشرف على مشروعات هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في جمهوريات آسيا الوسطى أن الدول الإسلامية والعربية لم تقم بدورها كما يجب نحو إخوانها المسلمين في تلك الجمهوريات، في الوقت الذي تسابقت فيه الدول الأخرى في إقامة علاقات، وإنشاء مشروعات في هذه المنطقة، التي تعتبر عمقا استراتيجيا للعالم الإسلامي. أما عن مشروعات هيئة الإغاثة في هذه الجمهوريات، فقد قال: إن الهيئة تقوم الآن بإنشاء أكثر من ١٥٠ مدرسة إسلامية ملحقة بالمساجد الجامعة، حيث انتهى إنشاء حوالي ٤٠٪ من هذه المدارس، ويجري إنشاء الباقي في خلال عام ونصف العام. إلى جانب إنشاء المراكز الإسلامية الكبيرة في المدن الهامة مثل مركز (أبي حنيفة) في مدينة (طشقند) على مساحة ٨ آلاف متر مربع، والذي تم إنشاؤه، كما يجري الآن إنشاء مركز آخر في مدينة (عشق آباد) عاصمة تركمانستان على مساحة ٣٠ ألف متر مربع.

إقبال على معاهد الأئمة في تركيا

أكد الشيخ صلاح الدين كايا - مفتي اسطنبول - أن وزارة التعليم التركية سمحت بفتح حوالي عشرين معهدا للأئمة والخطباء. وقال: إن الإقبال المتزايد على المعاهد أجبر الحكومة التركية على السماح بفتحها.

تجدر الإشارة إلى أن عدد المعاهد الثانوية للأئمة والخطباء قد بلغ حوالي ٥٠٠ معهد في أنحاء تركيا.هذا وصورت الصحافة الإسلامية بتركيا افتتاح العشرين معهداً هذه على أنه انتصار جديد لصالح التعليم الإسلامي في تركيا.



ملايين الأفارقة مهددون بسوء التغذية

أعلن جاك ضيوف المدير العام لمنظمة الأغذية والزراعة (فاو) في افتتاح المؤتمر الإقليمي الثامن عشر لهذه المنظمة أن حوالي ١٨٠ مليون أفريقي مهددون بسوء التغذية من جراء السياسات الزراعية غير الملائمة. كذلك تعتبر الأسباب التي طرحها ضيوف والرئيس البوتسواني كيتوميلي ماسيري الذي حضر الاجتماع (مزيجاً من العوامل المتناقضة التي تفتقر دول القارة إلى القدرة على إدارتها).

واستنادا إلى دراسة نشرتها الفاو في عام ١٩٨٦، عن التوقعات الغذائية للسنوات الخمس والعشرين المقبلة في أفريقيا، أشار ضيوف إلى أن السعر بالقيمة الثابتة للمواد الغذائية المستوردة سيقارب الـ ٢٨ مليار دولار في عام ٢٠١٠ فيما ستبلغ عائدات الصادرات الزراعية ١٢ ملياراً.

وعلى صعيد الحبوب وحدها فإن العجز يمكن أن يبلغ هذه السنة ١٠٠ مليون طن منها ٥٨ مليونا للدول الواقعة جنوب الصحراء وحدها، الأمر الذي يدل - كما قال ضيوف - على (الوضع الغذائي الحرج لأفريقيا).

مركز عربي لمعلومات المخدرات

بدأت مصر إقامة أول مركز عربي لمعلومات المخدرات تتولى الإشراف عليه الأمم المتحدة ويتبع المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر.

وقالت الدكتورة نادية جمال الدين رئيس قسم بحوث المخدرات في المركز: إن المركز الجديد يستهدف تبادل المعلومات والبيانات الخاصة بنشاط تجارة وتهريب المخدرات بين مختلف الدول العربية، بهدف وضع استراتيجية قومية عربية لمكافحة المخدرات.

وأكدت أن هناك ضرورة ملحة في الوقت الراهن للتنسيق العربي لمكافحة تهريب المخدرات، خاصة أن المهربين بدأوا يلجأون إلى استخدام طرق برية وبحرية غير معتادة لتهريب المخدرات بين الدول العربية.

قناة فضائية إسلامية

تدرس رابطة العالم الإسلامي تأسيس قناة فضائية إسلامية بالتعاون مع المؤسسات والشركات الإعلامية العربية والإسلامية للاستفادة من التقنيات الحديثة التي تستخدمها هذه الشركات لخدمة الإسلام والمسلمين في كل مكان. وتتطلع الرابطة إلى الاستفادة من إمكانات مجموعة (دلة البركة) وخبراتها في هذا المجال، خصوصا وأن الأخيرة تملك أربع قنوات فضائية.

وعقد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، أحمد محمد علي اجتماعا مع السيد صالح كامل لرسم استراتيجيات مشروع القناة الفضائية الإسلامية بالتعاون مع مجموعة (دلة البركة) السعودية. وقال علي: (إن رابطة العالم الإسلامي هيئة إسلامية شعبية عالمية غير حكومية تسعى إلى خدمة الأمة الاسلامية في كل مكان).

وأضاف: (نحن نحاول الآن رسم الاستراتيجيات العامة للمشروع مستفيدين من الخبرات الموجودة في العالم الإسلامي بعدما رحب السيد كامل بالتعاون مع الرابطة لإيجاد القناة الفضائية الإسلامية. وهذه هي الخطوة الأولى. ولا يزال المشروع وليدا ويحتاج إلى بعض الوقت لاستكمال خطواته بصفة عامة).

مراهقو أمريكا وانتشار العنف!!

جاء في تقرير رسمي أذيع في واشنطن أن المراهقين في الولايات المتحدة الأمريكية يقتلون بعضهم بعضا بأعداد متزايدة. ونقل راديو صوت أمريكا عن تقرير أصدرته مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها في الولايات المتحدة القول إن المعدل السنوي للقتلى بين الصبية الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و١٩ عاماً قد ارتفع بنسبة ١٥٤٪ في الفترة بين ١٩٨٥ و١٩٩١.

ونسب إلى بعض الخبراء قولهم إن هذه الزيادة يمكن أن تكون ناجمة عن شيوع تعاطي الكوكايين خلال الثمانينيات وتجنيد تجار الكوكايين للمراهقين لأغراضهم.

وقال (الراديو) إنه وفقاً لهذا التقرير فإن الشباب هم الآن أكثر عرضة للاعتقال بسبب حوادث القتل من أي جماعة أو أي فئة أخرى.

الصرب يستعينون بالمرتزقة!!

قال سفير جمهورية البوسنة والهرسك لدى دولة الكويت الدكتور نعيم كادتيش: إنه منذ بداية العدوان على جمهورية البوسنة والهرسك لوحظ وجود جنود من الروس مع بعض المرتزقة الآخرين من رومانيا وبعض دول أوروبا الشرقية في وحدات ما يطلق عليه اسم جمهورية الصرب، وفي نهاية ١٩٩٣، كان هناك ما بين ٢٠٠٠ - ٥٠٠٠ جندي روسي يعملون مع الصرب ضد الشعب البوسني.

وأكد السفير البوسني أنه في بداية شهر يناير من العام الحالي سجلت أعداد كبيرة من هؤلاء المرتزقة في وحدات كارجيتش عند جبل ازرين غرب مدينة (توزلا)، ويطلق عليهم اسم (ضيوف من سيبيريا). وفي نهاية الشهر نفسه في المنطقة حول (باله - سكوليتش). انضم الجنود المرتزقة إلى المتطوعين من الصرب، وشاركوا في العدوان ضد جيش البوسنة والهرسك في (فاريش أولوفو). كما سجلت حاليا أعداد من هؤلاء المرتزقة في مناطق سرابيفو - غربافيتش - وبخارتش.وأكد السفير البوسني أنه توجد مراكز لتدريب هؤلاء المرتزقة والمتطوعين في بتروفارادين قريبا من نوفاساد، فوفودينا، في واجهة باحة مصنع كيماوي في شاباتس (في صربيا قريباً من الحدود التابعة لجمهورية البوسنة والهرسك)، وتوجد مراكز أخرى في فيرجين موست (المنطقة المحتلة من كرواتيا)، والتي أطلق عليها اسم كرايينا، وتوجد أيضاً في (باتاينيتسا) بجانب بلغراد على جبل تارا في منتجع الجيش السياحي في منطقة البوسنة، وعلى مناطق محددة بجانب نهر درينا ضمن منطقة صربيا وجد ما لا يقل عن ٤ آلاف جندي روسي.

وأشار السفير البوسني إلى أن هؤلاء المرتزقة والمتطوعين معهم، يدخلون إلى جمهورية البوسنة والهرسك من خلال هيئة المنظمات الخاصة، أو عن طريق مكتب ما يطلق عليه (جمهورية الصرب)، وغالبا ما تكون جوازات سفرهم مستبدلة بجوازات سفر يوغسلافية مزيفة، أو جوازات الجنود الصرب المقتولين.

وأشار إلى أن جمهورية البوسنة والهرسك واتحاد الفيدرالية للبوسنة والهرسك واتحاد الفيدرالية للبوسنة والكروات، قررت أن تضع تلك الحقائق أمام الرأى العام أجمع، لوضع حد لهذه التصرفات.



أوضاع سيئة للبوسنيين في مقدونيا

قدمت الحكومة البوسنية مؤخراً طلباً إلى المكتب الإقليمي للهيئة السعودية العليا لمساعدة مسلمي البوسنة والهرسك في زغرب للمساعدة في ترحيل أكثر من ألف لاجيء بوسني يعيشون في جمهورية مقدونيا التابعة للاتحاد اليوغسلافي السابق، وقد بدأت الهيئة في اتخاذ الإجراءات اللازمة لتأمين وسائل النقل ومن ثم استقبالهم في مدينة سبليت الكرواتية حيث سيقوم المكتب التابع للهيئة هناك باتخاذ اللازم، ذكر ذلك المشرف على مكاتب الهيئة في أوروبا ناصر بن عبد الرحمن السعيد الذي أكد على المتابعة المستمرة والدعم الدائم اللذين تلقاهما كافة أنشطة الهيئة من قبل الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، ورئيس الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك والصومال.

والجدير بالذكر أنه يبلغ تعداد المسلمين البوسنيين المهاجرين داخل مقدونيا ثلاثة آلاف مهاجر يعيشون أوضاعاً مأساوية من جراء بعدهم عن الهيئات الإغاثية الإسلامية.



فتاوى

منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقى الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

الجائـز والحـرام في التعامل بالذهب

● عرض على اللجنة الاستفتاء، الآتي:

(١) بيع كيلو ذهب مصوغ مقابل ثمن الصياغة نقدا يدا بيد، مع ارجاع كيلو ذهب بعد فترة.

(٢) اعطاء بائع الذهب، ذهبا مصوغا لبيعه، لحسابي بسعر أقوم بتحديده، وما زاد على هذا السعر في بيعه هو له (فلصاحب المحل).

(٣) اعطاء بائع الذهب ذهبا مصوغا لبيعه لحسابي على أن يأخذ عمولة معينة على صافي البيع نحو ١٪ مثلا.

(٤) بيع كيلو ذهب مصوغ لصاحب محل (بيع الذهب) بسعر الكيلو لسعر اليوم مضافا إليه أجرة الصياغة. ويتم البيع على مجموع سعر البيع المحدد على أن يتم دفع المال بعد فترة.

●● أجابت اللجنة بما يلي:

بالنسبة للصورتين الأولى والرابعة هما محرمتان، لأنه يحرم تأجيل أحد البديلين أو كليهما في بيع الذهب بالذهب، وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع الذهب بالذهب إلا يداً بيد.

كما أن في الصورة الأولى ربا الفضل أيضا وهو اعطاء زيادة مقابل الصياغة. ومن الواجب في بيع الذهب بالذهب التساوي في الوزن دون اضافة شيء ولو مقابل الصياغة..

أما بالنسبة للصورتين الثانية والثالثة فهما توكيل بيع الذهب لقاء أجر معين بالقدر أو بالنسبة، وهو جائز شرعا..

الزيادة في سعر شراء المصاغ الجديد بالقديم

● سأل سائل:

ما حكم من يشتري مصوغ ذهب جديد بمصوغ ذهب قديم مع زيادة نقدية، علما أن المصوغين متماثلان وزنا، موضحين ما يلي: إن الجاري في تجارة الذهب أن التاجر الذي يشتري مصوغا جديدا يدفع فيه قيمة وزن الذهب كما هو سعره في السوق وأيضا قيمة صوغه، وهي هنا الزيادة التي يأخذها بائع المصوغ الجديد فهل هذا البيع جائز أم يدخل في النهي الوارد في الأحاديث المعروفة في هذا الباب؟

●● أجابت اللجنة بما يلي:

إن هذا البيع المشار اليه في السؤال الأول يدخل في النهي الوارد عن بيع الذهب بالذهب متفاضلا، والطريقة الصحيحة لمثل هذه المبادلة التي يجري العمل بها هي: بيع الذهب غير المصوغ بالعملات النقدية ثم شراء الذهب المصوغ بالعملات النقدية أيضا، أي لابد من اجراء عقدين منفصلين..

وقد ورد في نحو هذه المعاملة أن رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خيبر فجاءه بتمر جنيب فقال رسول الله ﷺ: «أكلُّ تمر خيبر هكذا»؟ قال: لا والله يارسول الله، إنا نأخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة. فقال رسول الله ﷺ: «لا تفعل، بع الجمع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيبا» [رواه البخاري] والجنيب: هو الذي أُخرج منه حشفه ورديئه وهو الذي لا يخلط بغيره بخلاف الجمع، والجمع: هو التمر المختلط. [فتح البارى، جزء ٤، ص ٣٩٩، حديث رقم ٢٢٠١، ٢٢٠٢] ولابد من التقابض في المجلس.

حكم انتاج وبيع الأغاني

● ورد للجنة السؤال التالي:

ما حكم من جعل كسبه وتجارته من انتاج وبيع الأغاني؟ وجزاكم الله خيرا..

●●وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

إذا كانت الأغاني المراد انتاجها أو بيعها لا تتضمن طعنا في الاسلام ولا اثارة جنسية ولا دعوة الى رذائل الاخلاق ولا تحريضا على المحرمات في كلماتها أو أدائها أو لحنها فلا مانع من ذلك لأن الغناء حسنه حسن وقبيحه قبيح، وان صاحب الغناء موسيقى فيصبح حكمها من المختلف فيه الذي يرشد إلى تركه ولا ينكر على فعله.

حكم التسعير بسعرين لمصوغ ذهب واحد

● ورد السؤال التالي:
ما حكم من يسعر بسعرين مختلفين لمصوغ ذهب واحد، فمثلا إذا أراد بائع المصوغ أن يأخذ قيمته نقدا، يكون السعر المعطى له أقل فيما لو أراد بائع المصوغ أن يشتري بثمن مصوغه مصوغا آخر، حيث يكون السعر المعطى أكثر، فهل يجوز هذا، وهل هذا هو المراد في البيع ببيعتين؟

●● وأجابت اللجنة بما يلي:
إن كان المراد من هذا السؤال تطبيق ما عليه العمل من بيع المصوغ بمصوغ آخر مع فرق في الثمن، فهذا ما تقدم منعه الا عن طريق البيع بالعملة النقدية ثم الشراء بالعملة النقدية، وقد سبق بيان الحكم الشرعي فيه، أما ان كان المراد شراء المصوغات القديمة بسعر أعلى، إذا كان البائع يريد شراء مصوغ جديد فيما بعد، وشراؤها بسعر أدنى إذا كان يرغب فيما بعد شراء مصوغ جديد فهذا التفاوت جائز بشرطين:
أولا: أن يتم ذلك بعقدين مستقلين.
ثانيا: أن تكون هذه الرغبات مساومة قبل العقد، وان يقع العقد على سعر واحد، وإلا كان من (بيعتين في بيعة) وعلى جميع الأحوال لابد من التقابض في المجلس.

التخلص من إثم الربا

● ورد للجنة السؤال التالي:
تمتلك عائلتي شركة تعتبر من كبريات شركات البلد، وهي جميع ما ورثناه عن والدنا رحمه الله منذ ما يقرب من ثلاثين سنة ونيف، والشركة منذ انشائها تتعامل بالربا بمختلف الوانه، ولكن التعامل الاساسي هو الاقتراض من البنوك، وأنا الآن أريد أن أتفكك من هذا الربا ومعي اختاي ووالدتي، فما رأيكم بالوضعين التاليين:
أ) إما أن نقوم ببيع حصصنا في الشركة، وهذا أمر الآن غير مقدور عليه حيث ان الشركة مديونة للبنوك وموجوداتها لا تغطي الديون، ومثل هذا الارباك ببيع الحصص سيجعل البنوك جميعها تهاجم الشركة بقصد تحصيل ديونها مما يؤدي بالتالي إلى خسارة عظيمة ليس في الشركة فقط ولكن في أموالنا الخاصة لأننا شركاء متضامنين، كما أن هذا العمل سيكسر القيمة الحقيقية للأصول الموجودة الى النصف تقريبا..
ب) واما الصبر على هذا الموضوع حتى تستقيم أمور الشركة، خاصة اننا الآن أوقفنا الاقتراض حتى نتمكن من تسديد ما عليها، ونتخلص بالتالي من ديونها، ومن ثم يأتي دوري في الإدارة الكاملة للشركة (حيث إنني الآن اعتبر من مدراء الشركة وفرصتي كبيرة في استلام الادارة). حيث أضع خطة طويلة المدى، مدتها من ١٠ - ١٥ سنة لمحو الربا وإزالة آثاره من الشركة وأعمالها.

●● أجابت اللجنة بالتالي:
لا مانع من الاستمرار في هذه الشركة، بشرط أن لا يتعاملوا فيما بعد بالربا. وبما أن التعامل الربوي الذي وقعت فيه الشركة هو الاقتراض دون الإقراض، وقد أوقفته الشركة فانه يكفي الاستغفار والتوبة والعزم على عدم الوقوع في ذلك ثانية. والله أعلم.

الزواج من غير المحجّبة

● ورد السؤال التالي للجنة:
إنني أريد الزواج، والمرأة المختارة لي ليست متحجبة، فهل يصح لي الزواج من امرأة غير متحجبة مع العلم انني سأسعى جاهدا وبكل تأكيد لتحجبها وإلزامها باللباس الشرعي، فهل يجوز لي ذلك؟ مع العلم اني واثق من قدرتي على القيام باقناعها وإلزامها، باللباس والحجاب الشرعي. وجزاءكم الله خيرا.

●●وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:
ينبغي للرجل المسلم أن يتخيّر المرأة الصالحة الملتزمة بالواجبات الشرعية ومنها اللباس الشرعي للمرأة، فان اختار امرأة على غير هذه الصورة وعرف من نفسه ومن سلوكها إمكان التزامها بما يجب عليها شرعاً فله ذلك، لأنّ مسئوليته عن هذه المرأة تبدا بعد عقد الزواج، والله أعلم.

صفة التماثل في بيع الذهب

● وورد السؤال التالي:
هل التماثل في المصوغات الذهبية يكون في الوزن فقط أو أن التماثل ينبغي أن يكون كذلك في نوع القطع نحو قلاده، أسورة، خاتم، وكذلك في عيار الذهب نحو ذهب عيار ١٨، ٢١، ٢٤ إلخ.

●● وأجابت اللجنة بما يلي:
ان التماثل في بيع الذهب بالذهب سواء أكان مصوغا أو غير مصوغ، العبرة فيه بالوزن فقط ولا ينظر الى نوع القطعة المصوغة كما لا ينظر الى عيار الذهب ما دام الذهب هو الغالب كالعيارات المشار اليها في السؤال، فان صار الذهب مغلوبا كعيار (١١) فما دونه فيعتبر نوعا آخر بحسب المعدن الغالب فيه إذ العبرة للأكثر، والحل الشرعي في مبادلة هذه الأنواع من الحلي أو العيارات المختلفة بعضها ببعض، وهو ما سبقت الاشارة إليه في جواب السؤال السابق من بيع النوع الأدنى بالنقد ثم شراء النوع الأعلى بالنقد أيضا مع الأخذ في الاعتبار وجوب التقابض في المجلس.

العملات الورقية تقوم مقام الذهب

● قال ﷺ: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة ...» الى آخر الحديث. هل الفلوس الرائجة المستعملة في هذا الزمان كالجنيه والريال ونحوهما من العملة المصرية وغيرها لها حكم الذهب والفضة أم؟ وهل يجوز تبديل بعضها ببعض بدون حضور أحد البدلين في المجلس؟

●● وأجابت اللجنة بما يلي:
إن العملات الورقية المتداولة تقوم بالدور الذي كان يقوم به الذهب والفضة من حيث الثمنية، فينبغي أن يجري عليها حكم الذهب والفضة في التبادل عن طريق الصرف وفي القرض والزكاة وغيرها من الأحكام. وعليه ترى اللجنة أنه لا يجوز تبديل بعضها ببعض بدون حضور أحد البدلين أو كليهما في المجلس.



صفة الحاسد

الحاسد لا يزال زاريا على نعمة الله ولا يجد لها مزالا، ومكدرا على نفسه ما به من النعمة، فلا يجد لها طعما، ولا يزال ساخطاً على من لا يترضاه، ومتسخطا لما ينال، فهو كظوم هلوع جزوع، ظالم أشبه شيء بمظلوم، محروم الطِّلبة، منغص العيش، دائم التسخط، لا بما قسم له يقنع، ولا على ما لم يقسم له يغلب، والمحسود يتقلب في فضل نعم الله مباشرا للسرور، مهملا فيه إلى مدة لا يقدر الناس لها علي قطع ولا انتقاص، ولو صبر الحاسد على مابه لكان خيرا له، لأنه كلما أراد أن يطفىء نور الله أعلاه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. [من كلام ابن المقفع في زهر الآداب].

العقل والحلم

عن معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه أنه قال: أفضل ما أعطى الرجل العقل والحلم، فإذا ذكر ذكر، وإذا أساء استغفر وإذا وعد أنجز. وكان يقول: المروءة احتمال الجريرة – الجناية – وإصلاح أمر العشيرة، والنبل: الحلم عند الغضب، والعفو عند المقدرة.

العفو عند المقدرة

قدم ثلاثة من الشباب ممسكين برجل أمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقالوا هذا الرجل قتل والدنا واعترف الرجل ولكنه طلب امهاله ثلاثة أيام حتى يخبر أبناءه بثروة مدفونة لا يعلمها سواه وضمنه الصحابي أبوذر الغفاري، وقاربت الثلاثة أيام على الانتهاء وكاد أبو ذر أن يقتل بضمانه وفي آخر لحظة قدم الرجل وعليه غبار الطريق واجهاد السفر. فقال له عمر: لم حضرت وقد كان بامكانك أن تهرب؟ فقال: خوفا من ان يقال ذهب أهل الوفاء بالوعد فقال عمر لابي ذر: وأنت لماذا ضمنته ولم تكن تعرفه؟ فقال: خوفا من ان يقال ذهب أهل المروءة والكرم فقال ابناء القتيل: ونحن عفونا وتسامحنا حتى لا يقال ذهب أهل العفو عند المقدرة!!

من أدب المجالس

روى أبو امامة قال: خرج إلينا النبي صلى الله عليه وسلم فقمنا إليه فقال: «لا تقوموا كما يقوم العجم لعظمائها» فما قام أحد منا بعد ذلك.

أسماء ومدلولات

الشعلول: لهب النار، الأقشر: الكثير السؤال، الصقعاء: الشمس، اللث: الندى، الرباب: السحاب الأبيض، الكدام: الرجل الشيخ، الديبوب: النمام، الحبل: العهد والذمة، السنديان: اسم نبات مثمر، اللحاظ: مؤخر العين، النتأة: الكمأة، الكناس: بيت الظبي، الفرق: الموجة، الهلهل: الثلج، النداف: الكثير الأكل.

شهادة حق

يقول الفيلسوف كارلايل: إن أجدر الأقوال بالانصات والقبول هي أقوال محمد صلى الله عليه وسلم لأن أقواله وحدها هي التي تمثل الحقيقة» ويتابع قوله: إن كنت في ريب من حقائق الإسلام فالأولى بك أن ترتاب في البديهيات والضرورات القطيعة، لأن الإسلام من أبده الحقائق وأشدها ضرورة.

حديقة الوعي

إعداد: أحمد عبد الجبار

المتغيرات

ستة أشياء لا ثبات لها: ظل الغمام، وخلة الأشرار، وعشق النساء، والثناء الكاذب والسلطان الجائر، والمال الكثير.. [بدائع السلك في طبائع الملك]

أينما تكونوا يدرككم الموت

قال أعرابي في ولدٍ له هرب من الطاعون فلدغته أفعى فمات:

طاف يبغي نجوة ... من هلاك فهلك
والمنايا راصد ... للفتى حين سلك
كل شيء قاتل ... حين تلقى أجلك

أقوال

قال أحد الحكماء: العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل حياته.

دعاء

اللهم أني أسألك عيشا قارا ورزقا حلالا داراً، وعملا بارا، اللهم اغنني بالافتقار إليك، ولا تفقرني بالاستغناء عنك، اللهم استر عورتي وأمن روعتي وخفف لوعتي، اللهم أعني على حسن عبادتك، ووفقني لاستفتاح أبواب رحمتك واستمطار سماحتك.

وصية

يا بني أوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا.. ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك وجهك – أي غضبك – عن الكريم واللئيم، واحفظ اخوانك، وصل أقاربك وأمنهم من قول ساع – أي واشٍ بهم – أو سماع باغ، يريد افسادك ويروم خداعك... وليكن اخوانك من إذا فارقتهم أو فارقوك، لم تعبهم أو يعيبوك.

ظننتك ساهراً

دخلت عجوز على السلطان سليمان القانوني تشكو إليه جنوده الذين سرقوا ما شيتها بينما كانت نائمة.

فقال لها السلطان: كان عليك أن تسهري على مواشيك لا أن تنامي. فأجابته: ظننتك ساهراً علينا يا مولاي فنمت مطمئنة البال.

هل سألوا الغواص عن صدفاتي؟

قال شاعر النيل حافظ إبراهيم في اللغة العربية:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ... وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم أجد لعرائسي ... رجالا وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
فلا تكلوني للزمان فإنني ... أخاف عليكم أن تحين وفاتي

سراج أمير المؤمنين

جلس أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز ذات ليلة يتناقش مع بعض أصحابه في أمور الدولة والخلافة ولاحظ المجتمعون أن ضوء المصباح بدأ يخفت فقد كان عبارة عن وعاء مصنوع من الزجاج مملوء بالزيت وفي وسط الزيت فتيل مشتعل فإذا سقط الفتيل أكثر مما يجب في الزيت خفت الضوء أو انطفأ المصباح.

قطع أمير المؤمنين الحديث وقام إلى السراج فأصلحه، وعندما عاد إلى المجلس، قال له بعض الجالسين: يا أمير المؤمنين، لماذا لم تطلب فتنادي من يقوم بإصلاح السراج؟

فأجاب الخليفة: وهل أصابني ضرر.. قمت وأنا عمر بن عبدالعزيز ورجعت وأنا عمر بن عبدالعزيز!!

ما أفلح قوم ظلموا

كتب أبوبكر الصديق رضي الله عنه إلى بعض قواده: إذا سرت فلا تعنف أصحابك في السير ولا تغضبهم، وشاور ذوي الآراء منهم، واستعمل العدل وباعد عنك الجور، فإنه ما افلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم، وإذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله وإذا نصرتم عليهم فلا تقتلوا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ولا تحرقوا زرعا ولا تقطعوا شجراً ولا تذبحوا بهيمة إلا مايلزمكم للأكل ولا تغدروا إذا هادنتم، ولا تنقضوا إذا صالحتم، وستمرون على أقوام في الصوامع رهبان ترهبوا لله فدعوهم وما انفردوا إليه وما ارتضوه لأنفسهم فلا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهم والسلام.

قصة آية

كان بعض العرب يستخدمون الاماء المملوكات لهم في الكسب بالبغاء، فكان الواحد منهم يدفع امته إلى هواة المتعة الحرام لقاء مبلغ من المال.

فلما جاء الإسلام وحرم الزنا امتنع الناس عن ذلك، ولكن رأس المنافقين عبدالله بن أبي استمر على هذه العادة المنكرة. ويروى أنه كانت له جاريتان: معاذة ومسيكة.. وكان يكرههما على الزنا نتيجة لوجود ضريبة له عليهما سابقا. فلما جاء الإسلام قالت معاذة لمسيكة: إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين: فإن يك خيراً فقد استكثرنا عنه، وأن يك شراً فقد آن لنا أن ندعه.

فأنزل الله تبارك وتعالى قوله: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾.

من محاسن الشيم

قال أحد الحكماء: إذا استخار العبد ربه واستشار صديقه واجتهد رأيه، فقد قضى ما عليه ويقضي الله في أمره ما أحب. وقيل عليك بالمشورة فإنها تأمر بالتي هي أحسن وتهدي للتي هي أقوم، وقالوا: لا تستبد بتدبيرك، ولا تستخف بأميرك فمن استبد بتدبيره زل، ومن استخف بأميره ذل، ولا تدخل في مشورتك بخيلاً في عطاء فيقصر بك ولا جبانا في حرب فيخوفك، ولا حريصاً في بذل فيصدك، فإن البخل والجبن والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله.

ثمـــــرات المطـــــابع

كتاب الأربعين

○ للإمام الحافظ أبي العباس الحسن بن سفيان النسوي

○ تحقيق: محمد بن ناصر العجمي

○ دار البشـــائر الإســـلامية - بيروت - الطبعـــة الأولى ١٤١٤هــ/ ١٩٩٣م

وهـو ثالث الأربعينـات في الحديث الشريف، جمعه الإمـام الحافظ أبو العبـاس، الحسن بن سفيـان النســوي (ت٣٠٣هـــ) رحمه اللـه، وعلماء الحديث اعتنـــوا بالأربعينـات، فمن مؤلف على أبواب الفقه لما فيهـا من التمييز بين الحلال والحرام، ومن مؤلف على الأبواب الزهدية والوعظية، ومنهم من ألف على الشيوخ والبلدان، إلى غير ذلك من المقاصد، ومن أوائل الأربعينـات (اربعين الحسن بن سفيان النسوي) رحمه اللـه، وهي ثـالث الاربعينات بعـد اربعين (ابن المبـارك) و(محمـد بن أسلم الطوسي) رحمهم الله جميعاً..

وقد جعل الإمام الحسن بن سفيان أربعينه على الأبواب، وأراد المحقق أن يكون له أجر إحياء رسـالة عالم تشبهاً بإحياء الأرض الموات، فسعى جـاهداً للحصول على صورة المخطـوط الأصلي من تركيا إلى أن يسّر الله لـه ذلك، وجعل لكتابه مقـدمة في ترجمة المصنف، ووصف النسخ المعتمدة في التحقيق، وتراجم رواة الكتاب، وميزات نسخة الظاهرية وما عليها من السماعات، وتوثيق نسبة الكتاب إلى مصنفه، ومنهج المحقق في عمله، ثم النص، فجزاه الله خيراً.

رحلة الشاه الأخيرة (مصير حليف)

○ شوكروس، ولـــيام - ط١ - ١٩٩٢م - دمشق، الأهالي

يكشف هذا الكتاب حقائق غالبا ما تخفى على الناس، ولا سيما في الغرب. فهو من جهة يفضح السياسات الغربية، كما يسلط الضـوء من جهة أخرى على حكم الشاه، وما طفح به بلاطه من فســاد، ومجون، وارتكابات، وتبذير للأموال العـامة، ويصور الفجوة التي كانت بين الشاه وبين شعبـه بسبب تعاليه وغروره، وبسبب مـا أوقعه من تعذيب وقتل بالشعب الإيراني على يد «السافاك».

وقد أوضح الكـاتب كيف كان الشــاه طوال حكمـه يأتمر بأمر المخـابرات الأمـريكية والبريطانية، وحين أسقط عن عرشه راح الغـرب يعامله كأجير سابق لا كحليف مخلص، ولـذلك ظل منذ مغـادرته طهـران في ١٦/ ١/ ١٩٧٩م وحتى موتـه في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٠م مشردا ذليلا، تتقاذفه المنافي النائية، وينبذه حلفاؤه وأسياده السابقون ولا يقبل أن يأويه أحد.



إعـــــداد: التحريـــــر

يزيد بن معاوية: الخليفة المفترى عليه

○ الشمّري، هزّاع بن عيد

○ الرياض - توزيع دار أمية، ١٤١٣هـ

يتنـاول هـذا الكتـاب تـاريخ يـزيـد بن معـاويـة، وهـو ســادس خلفـاء الـدولـة الإسلامية، وأول الخلفاء التابعين، وما ادّعاه عليـه خصومـه فـرد المؤلف حجتهم عليهم بسند صحيح مصادره وآراء العلماء والرواة من السلف الصـالح الـذين شهـدوا عصره والذين لحقوهم ممـن يثبت قولهم وتصدق نياتهم ويحتج بها.

من أهم مباحث هذا الكتـاب: ترجمة يزيد بن معـاوية، وخـلافـة يزيـد، وأعماله أيـام خلافتـه والقلاقل والفتـن الداخليـة في عهد يزيـد، وفتاوى العلماء، وأغـاليط الـروايات وردها.. إلخ.

الاستشراق وتعريب العقل التاريخي العربي

○ د. محمد ياسين عريبي

○ المجلس القومي للثقافة العربية - المغرب

تتناول ابحاث الكتاب الموضوعات التالية: تأسي الأنا المنطقية والمذهب السينوي، والأنا الجدليـة وصراعهـا مع الأنـا المنطقيـة، والصورة التخطيطية لمناهج العقل التاريخي العـربي وتطـوره، والمنهـج التجـريبي بين العلوم الموضوعية والاجتهادية، والاستشراق ومرحلة التبني والاستيعاب للعقل التاريخي العـــربي، ومــرحلـــة التمثل والاستشراق والقطيعة بين العقل التاريخي القديم والعقل التاريخي العربي؛ وفيه عرض لنماذج تمثل هذا العقل واستلاباته.

العقل والغيب

○ الدكتور محمد حسن هيتو

○ نشر دار البشـــائر - بيروت - الطبعـــة الأولى ١٤١٤هـــ / ١٩٩٤م

الكاتب هو الفقيه الشافعي المعروف، المدرس بكلية الشريعة بجامعة الكـويت، وله مؤلفات في الأصـول والفروع وغيرها، ويرى أن الردّ على الحملة العالميـة على الإسلام يكون بالعمل العلمي الجاد الموصل إلى الحق، المبعـد عن الـزيغ والبـاطل والضـلال، وهو يـرى للخصـوم والاعداء في ديـار المسلمين قـواعد يـركنون إليهـا ويعتمدون عليهـا، وقد أنشأت جيـلاً يحمل بكل جرأة فكرها، ويلحن بمنطقها، ويلبس لبوسها ولا يقل في حقـده على الإســلام عن حقـدهـا، بل ربما فـاقهـا وتجاوزها، وتلك طبيعة الإمعات والأذناب..

والكاتب لا يـرى أن يكون عمل الدعـاة ردة فعل وانفعالات لفعل الاعداء، ولا نتيجة استثارة وتفريق طاقات، ويتطرق إلى مـوضوع (العقل والغيب) لكثـرة مـا اثار بعضهم الشبهـات حـولـه، وإن كـانت شبهـات لا تقـوى على مـواجهـة حجج الاسلام الداحضـة..

ومن عنـاوين الكتاب: لا جدال مـع الكافر في أمـور الغيب، الكـلام في المغيبـات مع المؤمن فقـط، الإيمان بـاللـه والغيب متلازمان، الايمان كل لا يتجـزأ، الايمان بالغيب تكريم للعقل لا تعطيل لـه، لا يجوز إخضاع الغيبيـات والتعبديـات لحكم العقل، العقل عاجـز عن استيعاب مـا وراء طاقتـه من وقائع الحيـاة. والكتاب إضـافة في ميـدان العقـائد يحتاجـه المثقف المعاصر، وهو موجّه إليه بشكل خاص.

الخـــداع

○ المؤلف: بول فندلي - مشرف الترجمة: د. محمد يوسف

○ مراجعة: أحمد خليفة

○ نشر: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - بيروت، ١٩٩٣م

صدر للمؤلف كتـاب سابق أثار ضجة عـالمية هو: (من يجرؤ على الكلام)، وقـد اختار لكتـابه هـذا أسلوبـاً آخر لفضـح خداع اسرائيل، وهو نشر الأسـاطير والأكاذيب التي تروّجهـا ثم تفنيد كل منها بالاستناد إلى أحدث المراجـع وأوثقها، وقد ألقى في كتابه هـذا أضواء جـديـدة على مختلف جـوانب القضية الفلسطينيـة بفضل حصوله على وثائق ومراجع جديدة وخصوصا على علاقة رجال الإدارة الأمريكية وأعضاء الكـونجرس باللوبي الصهيوني الموالي لإسرائيل، والتواطـؤ الرسمي مع الـدولة اليهوديـة، على ما يتعلّق بـانتهاكـات المعاهدات الـدولية وتمرد دولـة إسرائيل على الأمم المتحدة وعدم الالتزام بقـراراتها. والكتاب مفيد للسياسيين والـدبلـومـاسيين العـرب المعنيين بـالقضيـة الفلسطينيـة أو بالعلاقات العربية - الأمريكية..

ولقد لخّص المؤلف هـدفه في عبـارته التـالية الـواردة في تقديم الكتاب للقـارىء: (لو قدّر لتاريخ النـزاع العربي - الإسرائيلي أن يُكتَب اليـوم، لسجّل أن الغالبيـة العظمى من مـواطني الولايـات المتحـدة، يهوداً كـانـوا أو مسيحيين، إمـا التـزمت الصمت إزاء السياسات غير الإنسانيـة التي تنتهجها إسرائيل أو انها تواطأت مبـاشرة على تنفيـذهـا، والغـرض من هـذا الكتـاب هـو تقـديم المعلومـات التي توحي لأصحـابها الفكر من المواطنين بالمطـالبة بالتغيير).

قضايا عربية

○ ادوار حشوة - دار العربي الاشتراكي

يضم كتاب المحامـي ادوار حشوة (عضو المكتب السياسي لحركـة الاشتراكيين العرب) بالإضـافة إلى الأبحاث السياسيـة المهمة عن الحرب الأهليـة اللبنـانيـة والسـلام في عقل الشرق، دراسـات عـن القيـادات العـربيـة المعاصرة، والحرية، والدولة العلمانية، وأزمة الديمقراطية، وحرب الخليج، والصراع العربي الاسرائيلي، ضمن تحليـل سيـاسي منطلق قومي عربي. ويعتبر المؤلف أن حرية الكلمة من أصعب القضايا في هذا الشرق، وأن كتابه ما هو إلا خطـوة متواضعة للدفـاع عنها.

الثورة العالمية الأولى

○ تأليف: الكسندر كينج وبرتراند شنيدر

○ ترجمة: وفاء عبد الإله- تقديم: د. ابراهيم حلمي

○ نشر: مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، ١٩٩٢م

تقريـر صدر عن (نـادي روما) وهو مـؤسسة فكريـة غير حكوميـة، تهتم بمستقبل الانسان على الأرض بصـورة جـامعة، تتجـاوز حـدود الـدول الكبرى والصغـرى، وقـد أسستها مجمـوعـة من المفكّرين في عام ١٩٦٨م، ولا يتعدّى عدد أعضائها المائة..

والكتـاب مـوجّه إلى كل من يحمل بين جنبـاتـه قبساً من حب الـريادة والكشف وخوض المخـاطر وبحور العلم، وإلى أولئك المهتمين بمستقبل كوكبنا ومستقبل الإنسان الذي يعيـش على ظهره، فهؤلاء هم الذين يمكن الاعتماد عليهم في التصدي للقضايا الصعبة التي يشير إليها هذا الكتاب، وهم القادرون على تحديد الأهداف ومحاولة الوصول إليها والتعلم من إخفاقاتهم ونجاحـاتهم والاستمرار في المحاولة والتعلم.. وهذا الكتاب موجّه كذلك إلى الشباب حتى يتمكنوا من إجراء تقدير أكثر تكاملاً لأوضاع العالم الذي ورثوه عن الأجيال السابقة، وحتى يمكن أيضاً حفزهم على العمل من أجل بناء مجتمع جـديد قادر على الاستمرار والنمـو، وعلى توفير الـرخاء لحيـاة كريمة لأبنائهم وللأجيال القادمة..

يحاول هـذا الكتاب عـرض التغيرات الرئيسيـة التي حدثت خلال العقـدين الماضيين، وتحديد عدد من أهم القضايـا والأخطار التي يتعين على البشرية أن تتحد في مـواجهتها، وتقديم عـدد من الإجراءات التي يبـدو من الضروري اتخاذها في هـذه المرحلة، ويتناول بـوجه خـاص الحاجة إلى خلق التضـامن العالمي..





ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

بين الإسلام وحالة المسلمين

من ميت غمر بالدقهلية، بجمهورية مصر العربية كتب إلينا الأخ محمد عبد الرحمن السحرتي عن حالة المسلمين بين ما ينبغي وما هو واقع فعلاً، وهي مساهمة في رفع الصوت تنبيهاً وتذكيرا. جزاه الله خيراً:

عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب. وذرفت منها العيون. فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل. والسمع والطاعة، وأن تأمَّرَ عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عَضُّوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور. فإن كل بدعة ضلالة» [رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

إن من يمعن النظر في أحوال المسلمين يرى بعين الحقيقة هذه التيارات التي أخذت تعصف بهم داخل بلادهم. والأهوال التي أحاطت بهم من كل جانب، أبرزها تداعي الأمم عليهم، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

والمؤمن الآن عندما يجيل الطرف يرى أن الثقافة الغربية بطابعها المادي قد غزت ديار المسلمين. فنتج عنها ما نتج من المساوىء. مع العلم أن كسب العلوم والمعارف أمر ضروري جداً لهذه الأمة.

فإذا أخذ أعداء الإسلام قسطاً وافراً من هذه العلوم، فلا بد للمسلمين أن يحظوا بقسط وافر. هكذا يأمرهم الدين: ﴿وقل ربي زدني علماً﴾، إلا أن عليهم أن ينتبهوا للخطر. عليهم أن يأخذوا العلوم والمعارف ويصبغوها بطابعهم الإسلامي. بحيث يشمل مناهج التعليم من رياض الأطفال حتى الجامعة. آخذين بعين الاعتبار المربي الصالح الذي هو حجر الأساس. والا تجرعوا غصص هذه الثقافة المسمومة التي يشاهدها الحريص على دينه وأمته والتي لا تخفى على كل ذي بصيرة.

ومن هذه الشرور الزيغ في العقائد والإلحاد. وهذه التحلل الخلقي. وحتى ضعف المستوى الذي تسبب عن انشغال الأذهان بأمور لا فائدة فيها. كما أن هذه الشرور برزت لدى الساسة وقادة الفكر في البلاد الإسلامية بأشكال عديدة منها: الدعوة إلى العلمانية. وفصل الدين عن سياسة الأمة، ظانين (وظنهم خاطىء)، أن العلاقة بين الدين وسياسة الأمة أشبه بعلاقة الكنيسة وحالة الشعوب. (شعوب أوروبا)، ذلك لأن الذي يحصل على ثقافته من علوم الغرب المادية، لابد وأن يكون على يقين بأن الدين شيء، والنظر في المصالح الناس الناس شيء آخر، وهذا لا شك منتهى الشرور.

فهذا المؤمن المسلم الحريص على أمنه عندما يري هذا يقوى عزمه، ويوصي المسلمين جميعاً (حكاماً ومحكومين). إن الثقافة أمر مهم وحيوي، ولا غنى عن الأخذ بأسبابها.

إلا أن عليهم أن يأخذوا النافع منها بإطار الإسلام، ويزيدوا عليه كما فعل أجدادهم من قبل في علوم اليونان حينما ترجموها وزادوا عليها فكان البون شاسعاً بين الترجمة والزيادة، فلابد إذن من ثقافة إسلامية صحيحة ومناهج تربوية مدروسة مع الاسترشاد بأحكام الإسلام في كل الأمور.

عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة (ثلاثا). قلنا لمن (يا رسول الله)؟ قال: لله (عز وجل) ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم». [رواه مسلم].

ثم لنسر مع هذا المؤمن الصالح ليحدثنا ماذا يرى. لابد وأننا نسمع منه آهات حينما يصف لنا هذه المبادىء الفكرية الوافدة التي وضعها غير المسلمين لمعالجة النواحي الاقتصادية في بلادهم. والتي برزت فكرتها في روسيا الاشتراكية وامتدت منها إلى بعض البلدان. ثم ظهرت في بلاد المسلمين كمبادىء أشبه بهذا الطراز الاشتراكي ولو أنها محلية لا دولية.

إن هذا المؤمن الحريص على دينه يرى أن هذه المبادىء من عقل البشر. وهو عاجز عن إدراك حقيقته فما يبرمه اليوم ينقضه غداً. وما الصراع الفكري بين الدول الاشتراكية

والـويـلات التـي مـرت ببـلاد المسلمين نتيجـة الـرغبـة في السيطـرة على الحكم (والتي لا يمحى أثرها من الأذهان إلى أمد بعيـد، كل هذه المصـائب ليست عنا ببعيد.

إن عـلاج هـذا الأمـر يكـون بتطبيق أحكام الإسـلام في بلاد المسلمين. فهي الكفيلـة بجلب السعـادة لهم وتخليصهـم من هذه الشرور.

ثم لننتقل أخيراً مع هذا الرجل الصالـح لنسمع منه مـا يحدثنا عما ابتليت بـه غـالبيـة بـلاد المسلمين. يقـول لنـا: إن أجـزاءً كثيرة من بـلاد المسلمين تـرزح الآن تحت سيطـرة المستعمـر الكـافر .. كما أن قسماً عـزيـزاً وفيـه الأقصى الشريف قـد اغتصب منهم من قبل اليهـودية العـالميـة وأصبح مـا يسمى بإسرائيل تسنـدهـا دول الكفـر «والكفر ملة واحدة».

إن هذا الرجل الـذي عرف ربه تـزداد ثقتـه بـه في مثـل هـذه الظروف الحالكة التي تمر ببلاد المسلمين. ويعلنها للدنيا صيحة مدوية. (صيحـة الحق)، إن الله عز وجل أعز المسلمين بالإسلام. ولا يصلح أمـرهم إلا بما صلح بـه أولهم. فـالمؤمن الـذي يفهم الإسـلام فهما صحيحـاً يعيش عزيز الجانب موفور الكرامة، لا يفكر إلا بالأخـذ بأسباب العدة. ويتصور دوما أن الجهاد ماض إلى يـوم القيـامـة. ويـوصي من ولاهم الله عـلى وجز أو المسلمين بقـوله تعـالى: ﴿وأعدوا لهم مـا استطعتم من قوة﴾.

ذلك لأن المؤمـن إذا أخـذ بأسبـاب العـدة حسب استطاعتـه. وتوكل على اللـه عز وجل حق توكلـه. واعتقد أن نيل الشهادة في سبيل الله تعالى غاية ما يتمنـاه. حينذاك يتحقق ظنه بـاللـه عـز وجـل بألا يجعل للكـافرين على المؤمنين سبيـلاً. وما النصر إلا من عند الله.

كنيسة محروسة

من أرض الكنانة، كتب إلينا الأخ عبد الرحمن شادي، مقـارنـا مـا بين رعـاية الإسـلام وبـرّه بأتباع الأديـان الأخـرى وحفاظـه على مؤسسـاتهم ومعابـدهم، وبين تعرّض مساجد المسلمين للاعتداء في أكثر من بلد:

تحرس الحكومات المصرية المتعاقبة من عهد الرئيس السـادات إلى اليـوم؛ جميع الكنـائس الموجـودة داخل مصر بصفة دائمة ليلاً ونهاراً بـواسطة جنود مسلمين مسلحين.

وإذا كـانت هـذه هي القـاعـدة المتبعـة في حمايـة الحكـومات المسلمـة لدور عبـادة الأقليـات الدينيـة في أراضيها، ممـا يدل أعظم الدلالـة على تسامح المسلمين مع أهل الأديان الأخرى، وضمان حـرية العبادة داخل دورها قولاً وعملاً، من عهـد عمر بن الخطاب إلى اليوم، فهل يفعل ذلك أهل الأديـان الأخرى من بـاب المعاملـة بالمثل مع الأقليات المسلمة داخل أراضيها؟

الجواب على السؤال مـؤلم مع الأسف الشديـد .. لقد تعرضت مسـاجـد المسلمين في كثير من بلاد العالم، وفي مختلف عصـور التاريخ للعـدوان الغاشم، ومن ذلك أن إسرائيل تركت المستـوطنين المتطرفين من اليهود أتباع حـركـة (كـاخ) يحملـون السـلاح ويطلقـون نـار الـرشاشـات التي تقـذف في الدقيقـة الـواحدة مئـات الطلقـات على المصلين في الحرم الإبـراهيمـي بمـدينـة الخليل، وهم بين يدي الله ركع سجود في صلاة الفجر، فراح ضحيـة المذبحـة ٩٠ شهيـداً و٣٠٠ جريح في ١٥ رمضان ١٤١٤هـ، وكـان السفاح جولد شتـاين - وهو يهودي من أصل أميركي ومهنته طبيب يعالج الأمراض، ويداوي الجراح - هو الذي قام بهذه المهمة، ومعه بعض أعوانه.

ولم تكن هناك حـراسة بالمرة على مسـاجد المسلمين في مـدن وقرى فلسطين الـواقعـة تحت حكم إسرائيل، كما تفعل حكومات مصر المتعاقبة في الكنائس المحروسة.

وقـد تعـرض المسجـد الأقصى ثـالث الحرمين وأولى القبلتين ومسرى خاتـم الرسل ﷺ لعـدوان المستوطنين من قبل، فحـاولـوا حـرقه، وتهدمـت أجزاء منـه سنـة ١٩٦٩م، وتكـررت المحـاولات في سنـة ١٩٨٠، ١٩٨٣، ١٩٨٤، ١٩٨٦م، ووقعت مـذبحـة في سـاحتـه سنـة ١٩٩٠م، فقتل ثلاثـون وجرح المئـات، أليست كل دولة مسئولـة وضامنـة لحرية العبـادة داخل أراضيها لجميع رعايـاها، سواء كـانوا ينتسبون إلى دينهـا، أو إلى أديان أخرى.

وإذا وقعت حـادثـة من المستـوطنين أو المتطـرفين أو الإرهابيين، فلماذا لا يـأخـذ الجناة جزاءهم العـادل وهو القصـاص الرادع عن الفسـاد في الأرض.

ثم تقـوم الحكـومـة بدورهـا في المحـافظـة على الأمن واتخاذ الاحتياطات الكفيلة بمنـع تكرار حوادث العدوان على الركع السجود الآمنين في بيـوت الله. ومنها الحراسة المستمـرة بصفـة دائمـة ليلاً ونهاراً بـواسطـة جنـود من القوات الدولية التي تشارك فيهـا دول إسلامية وعربية، كما شاركت في البوسنة والصومال والكويت.. إلخ.

هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

قراءة في واقع أمة

الأمة بناء تتضح شماخته في إثبات الوجود والإحساس بمعانيه التي تفتح لأفراد الأمة الإحساس بكيان الأمة تبعا لإدراك الماهية التي تنطلق من خلالها عقلياتهم وتتحرك من خلالها فلسفة إيمانهم بموجد الأمة والموفق لها في خطاها صوب ما يصلحها ويعلي من شأنها بين الأمم الأخرى، وقراءتي لواقع الأمة يرتكز على عدة محاور ومن أهمها عقد مقارنة بين الأمة بالأمس والأمة اليوم ووضع عدة مقاييس ومعايير لهذه المقارنة وكذلك كيف كانت تطبيقات الدين بفلسفاته ومنطقة في التعامل مع مشكلات الأمة وماتمثله هذه المشكلات في ضمير الأمة من معترضات تقف أمام تقدم الأمة وصياغة واقعها الملموس بين الأمم الأخرى وهل كانت هذه المشكلات هي نفس المشكلات المختلفة اليوم من بعض عناصر العمل الإسلامي والتي تمثل قوقعة العقلية في فلسفتها لمشكلات الحياة والتوقف عند غلق محاور انطلاق العقلية صوب مايمس الواقع التعاملي والتطبيقي للدين في شتى مجالاته الحياتية، فمثلا مشكلة النقاب وزيارة الأضرحة والزكاة هي تمثل قطاعا بسيطا جدا من المشكلات التي تعترض واقع الأمة اليوم فالبحث عن الأزمة الحقيقية التي تحياها الأمة هي فساد الأجيال التي تحيا بين أعين أفراد الأمة الكبار في السن والذين يمثلون جيلا قد انقضت لحظات كبيرة من أعماره وهذه المشكلة، أي مشكلة الأجيال الشابة اليوم أنها تفتقد روح التماسك وتحتكم إلى التفكك والانحلال والتحلل من الدين واعتبار الدين بتطبيقاته وفلسفاته حجرا على تحرر العقلية والقضاء على أهدافها التي لا ترتبط بجوهر الإيمان ولا بماهية العقل وتحليل هذه الظاهرة تحتاج إلى المتخصصين الذين يعملون مدى أهمية دور البحث عن أسباب وتنامي هذه الظاهرة وتحليل عقليات هذه الأجيال مع وضع برنامج جدولي للقضاء على مشكلات هذه الأجيال من الارتباط بالدين والإيمان بأهميته في صياغة واقع جيد للأمة الضائعة في ظلمات الشيطان□

بقلم أ. د: حاتم محمد أبوالعباس



وعينٌ باتت تحرس في سبيل الله



عديدون هم أسرى الحرب والمفقودون من الكويت في سجون العراق



ألم يحن الوقت لإطلاق سراحهم؟

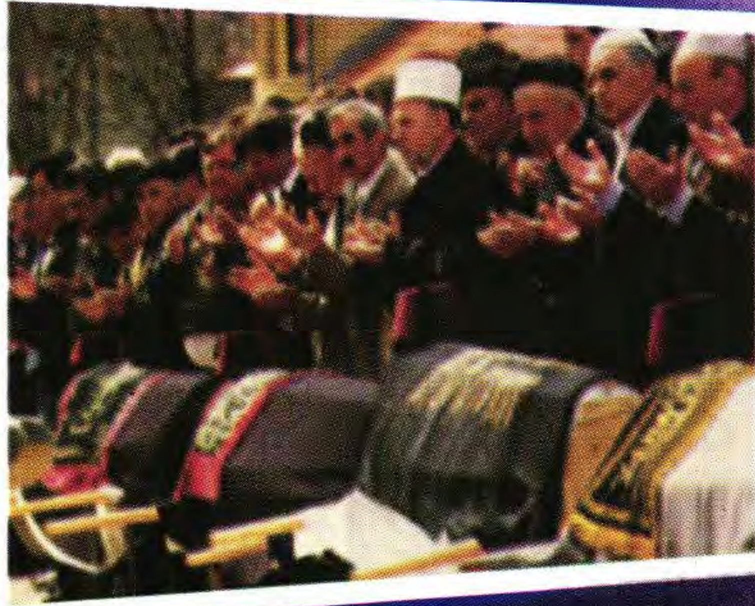
اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين

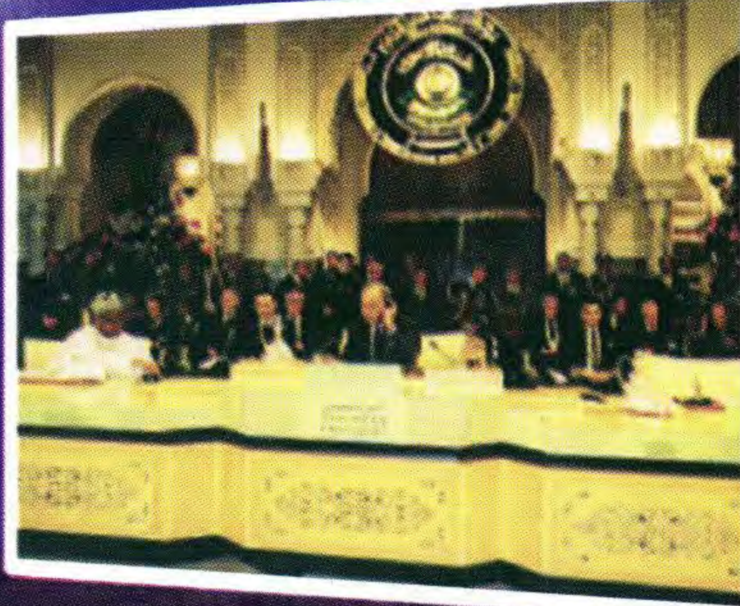
الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

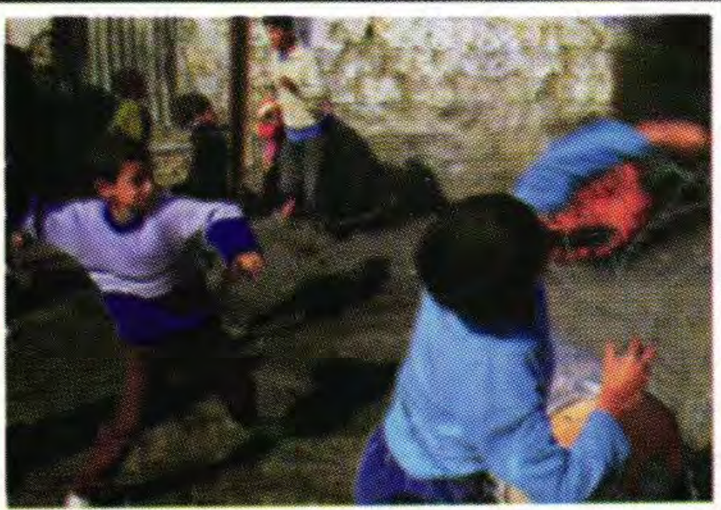
اسلامية شهرية جـامعـة

العدد - ٣٤٨ - شعبان ١٤١٥هـ/ يناير (ك٢) ١٩٩٥م





المؤتمر الإسلامي وقضايا الأمة



مسجد (سلطان أيوب) شـاهـد حي

بدعة غربية: القتل بدافع الرحمة

حياة الحيوان كما صورها القرآن


حتى
متى..

الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

اسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٤٨ - السنة الحادية والثلاثون - شعبان ١٤١٥هـ / يناير (ك٢) ١٩٩٥م

هاتف:
بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

كلمة العدد

جدوى الحوار..

الدعوة إلى الحوار والتفاوض والتفاهم تعتبر أبرز شعارات المرحلة العالمية المعاصرة، فالمطلوب حوار بين الأصدقاء ذوي النظرات المتباينة إلى الأمر الواحد، والمطلوب حوار بين الأفرقاء المتفاوضين الساعين إلى تحقيق مصالح مشتركة، والمطلوب حوار بين المتخاصمين ذوي النظرة المتناقضة إلى المسألة الواحدة، وأخيراً يطرح البعض مبدأ الحوار بين الجلاد والضحية، ولعل النموذج البوسنوي أبرز الأمثلة على الدعوة للحوار بين الذئب والحمَل..

والإسلام من حيث المبدأ يدعو إلي التحاور، ويفتح أبوابه على مصراعيها، ليصل بالناس إلى القلوب المفتوحة، والعقول الواعية البعيدة عن التعصب والإنغلاق، ولكنه يدفع الحوار في الاتجاه المناسب لإقامة العلاقة السليمة، وتبيان الحجة الواضحة، ولا يتخذ من التحاور سبيلا إلى تضييع الحقوق وهضمها، واستغفال أهلها، وتزييف الحقائق كما يجري في عالم اليوم..

ولقد ذكر القرآن الكريم حوار الملائكة وهم يبدون رأيهم فيما ستؤول إليه أمور الإنسان من الإفساد وسفك الدماء، كما ذكر ألوانا من الحوار بين المتفقين والمختلفين على حد سواء، تنميةً للعقل الإنساني، وارتقاءً ببني البشر إلى درجة سامية من درجات تحقيق الذات بعيدا عن الصدام الدموي المؤدي إلى التهلكة..

فهل دعوات الحوار المرفوعة هنا وهناك تحقق نفس الهدف الإسلامي السامي؟ وهل تملك المنظمات الدولية الآلية الجادّة القادرة على إنهاء حالات التصارع الدموي والمذابح الوحشية والتصفيات العرقية التي تستهدف من لا حوْل له ولا طوْل، أم هي دعوة لمط الوقت وإفساح الفرصة للجلادين ليستفيدوا من الفرصة وليجعلوا المتغيرات واقعاً يستحيل تجاوزه؟ والجواب - بالطبع - عند دعاة الحوار لا عند المتعطشين للحل□

المراسلات:

مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

الاشتراكات

داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ
الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية(أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً(أو مايعادلها)
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب:٤٢٠٥٧
الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت:٥/ ٤٨١٦٨٨٤-٤٨٣٥٠٤٧

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠فلس ـ ج.م.ع ٥٠ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما.

أقــرأ في العــدد



المجلس الامريكي للشباب المسلم

ما زالت الجالية المسلمة ذات الأصول الأفريقية تعاني الكثير من الهموم والعقبات على درب الالتزام بالحياة الإسلامية. وفي حوار الشهر مع المسلم الأمريكي (خالد أحمد) نقل لهموم وآمال وآلام الحركة الزنجية المسلمة في الولايات المتّحدة الأمريكية، وفيه طرح لأفكار عن الأولويات والحوار والعلاقة بين الشرق والغرب، وانطباعاته عن الكويت وسواها من المواضيع المطروقة على الساحة الإسلامية المعاصرة.





أعرب عدد من وزراء خارجية الدول الإسلامية عن ارتياحهم لتحقيق إجماع حول القضايا الرئيسية التي طرحها جدول أعمال المؤتمر الإسلامي السابع الأخير الذي عقد في الدار البيضاء بالمغرب، وعلى رأسها: وضع الإسلام في العالم، وقضية القدس الشريف، وإنهاء الوضع المأساوي الذي ترتب على الخلافات العربية – العربية. ويبقى المسلم العادي في أي منطقة في العالم بانتظار تحقيق نتائج إيجابية على الأرض، الأمر الذي يتطلب تعاونا إيجابيا بين القيادات، وبينها وبين القاعدة الإسلامية العريضة.



أبو أيوب الأنصاري ومسجده

يتحفنا الاستاذ بهيج سكيك في عرض تاريخي لشخصية إسلامية جهادية من أصحاب رسول الله ﷺ، وعرض تصويري لمسجده الذي يعتبر من رموز تركيا المسلمة، وأبو أيوب الأنصاري ممن شهد غزو القسطنطينية، ودفن إلى جوار أسوارها بناء على وصيته وقد سمع النبي ﷺ يدعو بالبركة لفاتحها، ولما تحقق الفتح على يد السلطان العثماني محمد الفاتح اهتم بدوره في إبراز تاريخ وشخصية أبي أيوب وتخليد جهاده من خلال بناء مسجده الذي سرعان ما تحوّل إلى خلية عمل ومدرسة علم.



اقرأ في الأعداد القادمة

- حوار شائك مع د. عبد القدوس ابو صالح / محمد عبد الشافي القوصي
- تراثنا الفقهي / بدرت نوال محمد بدير
- هل الاستشراق في أزمة / حسن عزوزي
- الاقليات الدينية في الدولة الاسلامية / د. محمد عمارة
- التنوع البيولوجي في البيئة لخدمة الانسان / د. عواد جاسم الجدي
- الهوية الاسلامية والبناء الحضاري / محمد خليل الابراهيمي
- تجدد الرؤية الاسلامية في فكر الشيخ الغزالي / صبري عبد الله قنديل
- الزواج السري باطل / محمود محمود النجيري
- الصحوة الاسلامية في بلاد تركستان / د. عوني الخان
- في رحاب الدعوة / عبد الرحمن قره حمود



العودة إلى الذات

يرى الكاتب محمد الصالح بن عزيز في توجه بعض القيادات السياسية في وطننا الإسلامي للعودة إلى تحكيم الشريعة الإسلامية مظهرا واضحا من مظاهر الصحوة المعاصرة، وثمرة طيبة من ثمراتها، وفي مقاله يطرح مجموعة مبادرات يراها ضرورية في سبيل العودة إلى الذات.

١٩



فلسفة الوقفيات وإعادة التعريف

(الوقف) في حياة أمتنا راسيا من رواسي الخير التي تشبه إلى حد بعيد الرواسي الملموسة (السفن)، وتدفع بنا الى أبعاد ثلاثة رئيسة نكتشف معها تطورا وارتقاء لاشك فيه، ويرى الشيخ عبد الحليم زيدان – وميدانه ميدان التدريب والعمل التطوعي على حد سواء – لزاما علينا أن نقف مع المصطلح وتعريفه وقفات تأمل ومراجعة واستجماع لابتكار التطوير والتحسين وإضفائهما لمناسبة المعايشة والمعاصرة والواقعية. ويطرح فيما يلي قضية إعادة تعريف (الوقف) بما يتناسب مع واقعنا المعاصر.

١٦



القتل بدافع الرحمة!!

أحاط الإسلام حياة الإنسان بسياج منيع من القيم الحامية الراعية، فحرّم قتل النفس وسفك الدماء والاستهانة بالحياة، وجعل ذلك من الكبائر، واعتبر من قتل نفسا واحدة فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا. وفي مقالة أحمد أبو زيد كشف لصيحة من صيحات الحياة المادية تدعو إلى (القتل) بهدف توفير الرحمة!!

٣٧



حلكة الديجور في دعاوى التنوير

يرى عمر إبراهيم الراكشي أن للإسلام شعبا ثلاثة يقوم عليها، هي: العقائد والعبادات، والتشريع والتقنينات، والأخلاق والسلوكيات، وأن لكل من هذه الشعب دورها الذي لا يقل بحال من الأحوال عن أدوار الشعب الأخرى، ويرى في بعض دعاة (التنوير) و(التطوير) و(العلمنة) خطرا كبيرا على تفتيت هذه الشعب، أو قل تعطيلها عن أداء دورها، وفي مقالته تفصيل لذلك.

٥٢

الرصاص.. القاتل الخفي

ازداد في السنوات الأخيرة الاهتمام البيئي لدى كثير من الشعوب، وباتت الدراسات والتوعية البيئية على رأس اهتمامات الأفراد والمنظمات، ودخلت ضمن مناهج التدريس باهتمام خاص من وزارات وإدارات التربية، ولقد أثير أخيرا موضوع تلوث مياه الشرب بالرصاص، وفي مقال الدكتور عواد الجدي (الباحث في تنمية المورد البيئية) معلومات وافية ومهمة حول التلوث وأسبابه وسبل الوقاية منه.

٢٦

الفهرس

الافتتاحية

بين المسؤولية والمبادرة

اعتاد المسلم العادي ألا يشغل باله بالمؤتمرات واللقاءات لأنه قد حكم عليها سلفا، واعتبرها بعيدة عن مشاكله وهمومه، أو هي لا تملك إجابات واضحة شافية كافية على أسئلته الملحّة، والمتعلقة بتفاصيل مشاكله الأمنية والاجتماعية والاقتصادية، وعلى رأسها قضايا كبرى يراها تضيع في دهاليز السياسة، أو تنحر على مذبح الضعف والتفكك، كقضايا فلسطين وأفغانستان والبوسنة والهرسك وكشمير، واللائحة الطويلة المعروفة..

وكان الدكتور حامد الغابد (الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي) قد ألقى كلمة في الاجتماع التمهيدي الذي عقده وزراء خارجية الدول الاسلامية، تحضيراً للمؤتمر الاسلامي السابع، دعا فيها الدول الاسلامية إلى التعاون فيما بينها والبحث عن حلول ملائمة للمشاكل المشتركة وفي مقدمتها قضايا فلسطين وافغانستان واذربيجان والبوسنة والهرسك والصومال، بالإضافة إلى بحث وسائل إيضاح صورة الإسلام النقية وهو يتعرّض إلى التشويه بسبب الجهل والمناورات المتكئة على تصرفات لا تمت إلى الإسلام الحنيف بصلة..

وعقدت القمة الاسلامية السابعة جلساتها لاحقا في أواسط الشهر الماضي في الدار البيضاء بالمغرب، وقد جاءت في فترة زمنية ميزتها عن القمم السابقة، بعدما شهد العالم الإسلامي أحداثاً شكلت مفترق طرق حادّة قد تؤدي إلى متغيرات تاريخية من النوع الاستثنائي الذي لا يقع يوميا، فالعدوان العراقي على الكويت وما تبعه من إسقاطات متسارعة ومتشابكة، دوليا وإقليميا وعربيا، ومسيرة المفاوضات العربية – الإسرائيلية، يشكلان زاويتي المتغيرات المعاصرة والتي تكاد تترك بصماتها على مجمل الأداء العام داخل عالمنا الإسلامي..

فلم يؤدِ الاحتلال العراقي للكويت – ورفع الشعارات الوهّاجة، وانجرار مجموعة من الهيئات والشخصيات والتنظيمات والتيارات السياسية في منزلق المغامرة العراقية والتعاطف معها – إلى آثار سياسية سلبية رسمية وشعبية فقط، وإنما أدى إلى آثار فكرية تعيد النظر في المسلّمات التي كان الرأي العام الإسلامي يرددها خلال العقود القليلة الماضية..

فحجم الحدث وما جرّه على العالم الإسلامي من تشطير وانشقاقات في الرأي والموقف والصف، كان من الضخامة بحيث يصعب إغفاله أو التعامل معه تحت سياسة اللامبالاة أو الرهان على الزمن ليأتي الحل المستقبلي وقد بردت الجراح..

وما جرّه من تأثير في التحالفات الاقليمية والدولية، والحضور الواضح للنظام الدولي الجديد وأثره على سياسات واقتصاديات المنطقة العربية يؤكد خطورته وخطورة التعامل معه بطفولية أو بتبسيط يبعد الفرد والجماعة عن فهم الواقع وإدراك الأشياء بحجمها وأبعادها الحقيقية بدون مبالغة أو تهوين..

لقد برزت أهمية سياسة المصلحة، وأهمية توظيفها في دفع الضرر أو جلب المصلحة بعيدا عن حمأة الانفعال الفارغ والشعار الأجوف..

ولعلنا لا نبالغ إن اعتبرنا الزاوية الثانية نتيجة واضحة من نتائج المسألة الأولى، فـ(إسرائيل) ما كان لها أن تؤكد حضورها الفاعل وإملاء شروطها القاسية لولا ما تم من إضعاف الصف العربي الداخلي ومن ورائه الصف الإسلامي بسبب انتهاك المصالح العربية من خلال سلسلة من الحروب الداخلية، وعمليات الاستنزاف المريع داخل الجسم الإسلامي في حروب إقليمية تشكل وصمة عار في جبين محرّكيها ومغذّيها على حد سواء..

ومن المعروف أن الأمم في حالة الخسارة والتراجع تكثر من التلاوم والعداوات الداخلية، وكل طرف يسعى لاتهام غيره بالتسبب بالواقع المأساوي القائم محمّلا إياه كامل المسؤولية عمّا آلت إليه أوضاع العباد والبلاد، الأمر الذي يعكس بدوره مزيدًا من التردي والشعور بالإحباط إلى درجة اليأس، وتهيئة الصف الداخلي لتقبل الحلول الخارجية ولو كانت على حساب

المستقبل أو تضييعا لجهود أجيال بأكملها، كما هو واقع الحال في كثير من الحلول السياسية والاقتصادية والأمنية المطروحة في أكثر من ساحة..

إن حالة الانقسام والانشطار، وتعارض المصالح السياسية والأمنية والاقتصادية تؤدي حتماً إلى تعقيد الأمور، والابتعاد عن الحل بدلا من الاقتراب من مفرداته وتحقيق نتائج إيجابية فيه..

ولقد طغى موضوع (البوسنة والهرسك) على كثير من المواضيع المقترحة على جدول الأعمال، وكان وزراء الخارجية في اجتماعهم المذكور قد توصّلوا إلى قرارات حاسمة باتجاه دعم صمود شعب البوسنة والهرسك أمام حملة التطهير العرقي المروعة التي تشهدها منذ سنوات عجاف، وتقدّموا بمشروع يقضي بإرسال قوات إسلامية تحل محل القوات الدولية حال انسحابها، إلا أن محللين سياسيين لا يرون القرارات وحدها كافية لتحقيق ما تصبو إليه القيادات الإسلامية، ولأسباب موضوعية كثيرة على رأسها عدم وحدة الصف والقرار الإسلامي، ولم يبنِ رئيس الوزراء البوسني (حارث سيلايجيتش) كبير تفاؤل على المقترحات، ولم يتوقع أن يتم تنفيذ ما تقرره الدول الإسلامية في هذا الصدد، لعلّة التفتت الداخلي، مصرحا بقوله: (نحن ندافع عن الكيان الاسلامي في البوسنة، طلباتنا معروفة، إن بعض الدول الاسلامية يقوم بواجبه، فيما البعض الآخر مشغول بمشاكله)..

ولا يقل موضوع (القدس) ووضعها القانوني ضمن مسار التسوية الفلسطينية - الإسرائيلية، أهمية عن موضوع البوسنة والهرسك، وفي الوقت الذي يعلن فيه الطرف الفلسطيني تحميل الإسرائيليين مسؤولية تردي الأوضاع داخل الأراضي المحتلة وتعطيل تنفيذ بنود اتفاق التفاهم بما في ذلك إجراءات الانتخابات وتسليم صلاحيات الإشراف الإداري على قطاع الخدمات والسياحة والمالية، داخل الأراضي المحتلة في الضفة وقطاع غزة، كما ان الحفاظ على المستعمرات اليهودية في العمق الفلسطيني، يجعل قضية القدس معلقة، تمتلك فيها تل أبيب كل أوراق اللعبة، وتقذف بالكرة داخل الساحة الإسلامية ليتم الصدام هذه المرّة بين الفلسطينيين والأردنيين..

والمؤتمر الإسلامي مطالب أكثر من ذي قبل بأن يأخذ قراراً فيصلا واضحا في هذا الموضوع، والقدس لم تعد تشكّل مساحة من الأرض بمقدار ما هي رمز يعني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ويعني المجتمع الدولي والنظام العالمي الجديد - على وجه التحديد - لتبيان الخطوط العامة العريضة لسياسة (السلم) العالمي، ومفهوم التسوية السلمية، وهل هي إخضاع طرف لشروط طرف آخر والدعوة إلى التسليم المطلق بما يريده القوي للضعيف أم هو العدل والالتزام بقواعد المواثيق والعهود والالتزامات الدولية المتفق عليها؟

وفي خطوة تعتبر استباقاً لأي تحرك فلسطيني أو إسلامي مساند للدور الفلسطيني حول القدس قال عبد السلام المجالي (رئيس وزراء الأردن) إنه على الرغم من احترام الاردن الكامل للقمة الاسلامية فهو لا يرى أن مسألة القدس من المسائل التي يبت فيها؟

وتبقى الحقيقة الماثلة للعيان أن الغاصب اليهودي يملك من أوراق اللعبة ما يجعله مطمئنا إلى قوّة موقفه التفاوضي المناور في مسألة القدس، بينما يتعامل المسلمون مع المسألة في حدها الأدنى حرصا على حفظ البقية الباقية من خيوط اللقاء والجلوس إلى طاولة واحدة بعدما فرّق بين صفهم تضارب المصالح، والحلول الثنائية مع (تل أبيب) بعيدا عن استراتيجية واحدة وخطة واضحة، وكلٌ يسعى إلى أن يحقق على الساحة أكبر حضور وفاعلية ممكنة، ولكنه ينسى في خضم السعي أن الأمر كله لا يعدو أكلاً من حصص الأشقاء وأبناء الصف الواحد، لأنه - كما يبدو - الطرف الأسهل والأقرب منالاً..

وتبقى مهمّة معالجة الصورة الشوهاء التي يعمل الإعلام الغربي على تعميقها في نفس المتأثرين به عن الإسلام والمسلمين موظّفا حوادث متفرقة هنا وهناك، ومضخّما أحداث تقع يوميا على الساحة الدولية ليبرز الوجه السلبي للمسلمين، ولا سيما الوجه المرتبط بالانغلاق والعنف، مما يسميه إرهابا وتطرفا وأصولية متناسيا أن كثيرا من هذه المصطلحات تصدق على المجموعات الأوروبية العنصرية المتصاعدة في شرق أوروبا وغربها بالإضافة إلى القارة الأمريكية..

إن الإسلام الحنيف يحتاج منا إلى جهاد إعلامي يرد على الحملات المغرضة من جهة، ويعرض الصورة السليمة من جهة أخرى، الصورة التي تريح المسلم نفسه أولا وترفع عنه كابوس الضغط الإعلامي وانتشاره التقني الذي صار في حضن كل أسرة من خلال أقمار البث الصناعي التي لا تجدي معها قوانين المنع أو الرقابة..

إن التحدي الإعلامي المعاصر لا يقل في خطورته عن أية مواجهة سياسية أو عسكرية، ولا يحتاج فقط إمكانات مادية - كما يتوهم البعض - وإنما يحتاج استراتيجية متكاملة تتعلق بالخطة والهدف والوسائل وسبل التسويق والترويج وجذب المشاهد الذي يملك خيارات واسعة ومغريات أوسع للانتقال بين الأقنية، ولأننا أصحاب رسالة حضارية إسلامية، علينا أن نبيّن للآخرين عقيدتنا في الكون والإنسان، والتصور السليم للعلاقة بين الخالق والمخلوق..

فهل يمكننا إنجاز ذلك كله قبل ترتيب أوضاع ومشاكل البيت المسلم من الداخل؟ وهل تكفي النوايا الحسنة في تحقيق الأهداف السامية التي يحرص عليها المسلم سواء أكان مسؤولا أم فرداً أم جماعة؟ وهل نكتفي من السلامة بإلقاء اللوم على عاتق (الغير) ونردد ما اعتدناه من نقد بعيد عن المشاركة الفاعلة أو تفهّم الأسباب؟

تظهر لنا الإجابة واضحة في قوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، فتعميم المسؤولية، والمبادرة إلى سد الثغرات القائمة - كلٌ من قِبَله، وكلٌ بما يملك - والتعاون الوثيق ما بين القيادة والقاعدة، هما ركنا الإجابة على تساؤلات المراوحة الحالية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين□

المسلمون السود في أمريكا

(لا تزال امريكا – إلى حد بعيد – مجتمعاً يعاني من العــزل العنصري في مجالات مثـل المدارس والجامعـات ووسـائل الاعلام والقوات المسلحة، وعلى رغم ان الامـريكيين الافـارقـة لا يتجـاوزون عشريـن في المائة مـن السكـان فـإنهم يشكلـون ٨٠٪ من العـاطلين عن العمل، ونسبـا متشابهة من ساكني الاحياء الفقيرة والمسـاجين وذوي الرتب الصغيرة في القوات المسلحة) [البروفسور إدوارد سعيد/استاذ الادب الانجليزي بجامعة كولومبيا]

● الأخ خالد أحمد

علينـــا أن نـــولي الحوار والنقـــاش داخل الصف الإســلامي مــــزيــــدا من الاهتمام والجديـــة إن أردنـــا التـــوصل إلى حلـــول لمشـــاكلنـــا الكثيرة

بحماس كبير وحركات تعبيرية بكلتا يديه، كان محدثي الأخ (خالد أحمد) عضو المجلس الأمـريكي للشبـاب المسلم (AMERICAN CONGRESS OF MUSLIM YOUTH) وهو مجلس متخصص في الـدعـوة بين صفـوف المسلمين الامــريكيين من أصل أفــريقي ومـركزه في فيـلادلفيـا بـولاية بنسلفـانيـا، يحاول بكلماتـه وبحـركـة يـديـه أن يبيّن مأسـاوية الـوضـع الاجتماعي (للأمـريكيين الأفـارقة)، وهـو تعبير يفضّلونـه على تعبير (الأمريكيين السود أو الزنـوج)، وكان زميله الأخ (بـلال عبد السـلام) يتدخل بين الفينـة والأخرى ليعلّق على عبارة أو يوضح مسألة، وهما في الكويت تلبية لـدعوة وزارة الأوقاف والشؤون الاسلاميـة، ولبحث سبل التعاون المشترك لمساعدة المجتمع المسلم الأمريكي..

فــالجهل والفقــر أديــا إلى تسلط الآفــات الاجتماعية على أبنـاء وبنـات المجتمع الـزنجي الأمريكي، مما سـاهم في الماضي، وما زال يساهم اليـوم في مدّ تجّار المخـدرات ومروجيهـا، وتجار المتعة الحرام بالمادة الخام، وبجيش من العاطلين عن العمل يتم السيطرة عليهم من خـلال الحاجة

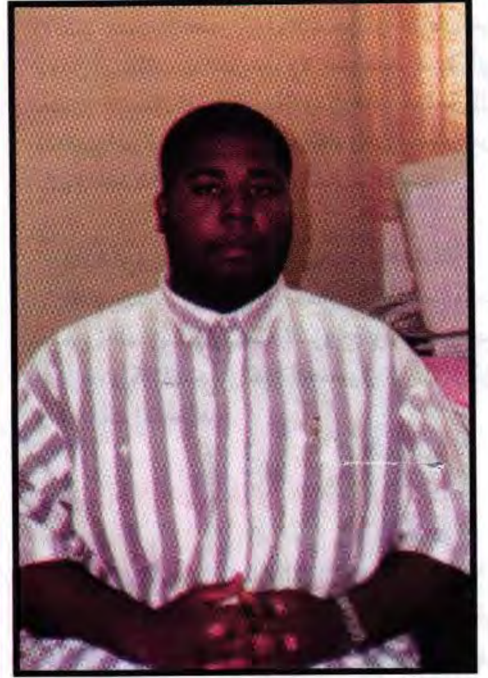
أجرى الحوار: د. صلاح الدين أرقه دان

والعوَز، وإحكامها بواسطـة الإدمان الذي يؤدي ببعضهم إلى التخلي عن كل قيمــة بما في ذلك مـا يتعلّق بـالحياة نفسهـا من أجل حقنـة مخدر أو متعة زائلة..

فـالمجتمع الزنجي الامـريكي – بحسب كـلام الاخ خـالـد ويؤيـده في ذلك زميلـه الأخ بـلال – يواجه ظروفا غايـة في الصعوبة، ومسائل معقدة يصعب حلها بـالطرق المعتادة، ولم تعد التفـرقة العنصرية كبرى مشاكله – وقـد ساوى القانون بين جميـع المواطنين مهما اختلفت ألــــوانهم وديانـاتهم وأصولهم العـرقية – ولكن المشـاكل الاقتصاديـة والاجتماعية والتعليمية والـروحية، على رأس الأولـويـات التي تواجـه هـذا المجتمع المتميز في الولايات المتحدة الأمريكية..

والذي يمر في مناطق الامريكيين السود ويرى الصورة الكئيبـة المتناثرة بعشـوائية في مظـاهر الحيـاة اليـومية والمرتسمـة على وجـوه أطفـال الشوارع والأمهات العزباوات، بالإضافة إلى عدم تـوفّر الخدمـات الصحية والبلـديـة بالمستـوى المطلـوب، وعنـدما تـرى بنـات الهوى يعـرضن أنفسهن مقابل كسرة خبز أو حتى مأوى مؤقت، وشبـابـا في ربيع العمر يتسكعـون في الشـوارع متكسبين بالسرقة أو بحراسة مروّجي المخدرات، وعنـدمـا تعلم أن نسبـة الأميـة متفشيـة بينهم متحالفة مع البطالة عليهم، يمكنك ساعتئذ إدراك حجم المعـانـاة وحجم الـواجب الملقى على عـاتق العاملين الاجتماعيين أو الدعاة المسلمين..

ولا غرو أن ينجح (أليجا محمـد)، الذي ادعى في مطلع هذا القـرن بين زنوج أمريكا أنـه رسول اللـه وأن دينـه هـو دين الإسـلام، وملأ قلـوب البعض عنصريـة وكـراهيـة للجنس الأبيض، ولا عجب أن وجـد آذانـا صــاغيـة طـالما بحثت عن متنفس لها يفسّر الــواقع السيء الــذي تعيشـه بسبب اللـون فقط، فـالتمييـز العنصري الـذي عـاشتـه الاقلية السوداء في الـولايـات المتحـدة الأمريكيـة لم يكن لـه أي مبرر سوى الاستهـانة بالإنسان بسبب لونـه، ولقد آمن البعض بأقوال (أليجا محمد) بأن الشيطان أبيض وبأن الجنس الأسود مقدّم على الجنس الأبيض، كردة فعل على ما واجهتـه هذه الأقليـة بسبب اضطهاد البيض ورفضهم انـدمـاجهـا في مجتمع البيض، حتى خصص لهم كنائس وكهنة إبعاداً لهم عن كنائس البيض..



● الأخ بلال عبد السلام

ويقول الأخ خالد، أن الله تعالى امتن علينا ووعينا فيما بعد خطأ الأفكار التي بثّها (أليجا محمد) وأدركنا أن الإسلام لا يعترف بالتمييز ولا يرضه لنا، ويقود مسيرتنا الآن ابن (أليجا محمد) الإمام وارث الدين ضمن قواعد وأحكام الإسلام الحنيف، فـردّات الفعل ينبغي ألا تحرف المسلم عن الشرع الذي ارتضاه الله له ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾..

الحاضر والمستقبل

●وعن أهداف (المجلس) وغاياته القريبة والبعيدة يقول الأخ خالد:

●●قام المجلس من أجل الشباب وقيادته، حتى الأئمة والقادة هم من الشباب الصاعد، فحركتنا حركة شبابية، ونعود إلى الأئمة والعلماء لترشيد الشباب وتوجيههم عند الحاجة إلى ذلك..

ونحن نؤمن أن المستقبل هو الحاضر، ولأننا لا نعلم متى تأتي (الساعة) نعمل باجتهاد كامل من أجل الجالية الآن، ونسعى لإقامة (جالية إسلامية أمريكية جادّة)، ولذلك نضع نصب أعيننا إقامة مؤسساتنا كالمزارع للحصول على اللحم الحلال، والمصارف الإسلامية للتخلص من التعامل الربوي، وإيجاد قوّة سياسية إسلامية ترعى مصالحنا وترفع صوتنا، وفي الولايات المتحدة ما بين ٥ – ٦ ملايين مسلم أمريكي، ولقد دفعنا العام الماضي ٣٠٠ شابا من الكليات المختلفة ليتسجّلوا في الهيئة الناخبة والتصويت في كلياتهم تدريبا لهم على المساهمة في الحياة العامّة.

مهام رسالية ودور حضاري

ويلخص الأخ خالد بنفس الحماس المذكور المهمّات التي يحملها (المجلس الأمريكي للشباب المسلم)، في النقاط التالية:

أ) دعوة غير المسلمين من الشباب الأمريكي، عن طريق الاحتكاك المباشر والاتصال الشخصي في الجامعات والسجون والشوارع، الأمر الذي يسميه – مبتسماً – (الدعوة المفتوحة)..

ب) مساعدة الشباب المسلم على تحصيل الثقافة الاسلامية والوقوف إلى جانبه ومساعدته في مواجهة مشاكل المخدرات والاغتصاب وغيرها..

ج) توفير برنامج عالمي للتغيير، مما يفسح المجال أمام الشباب المسلم الأمريكي لزيارة الأقطار الإسلامية ومشاهدة الحياة اليومية الاسلامية بشكل عملي (اللباس، الصلاة، التجارة، كل مظاهر الحياة.. إلخ) ونحن نطلق على مثل هذه البرامج القائمة على تبادل زيارات الشباب بين دول العالم برنامج (ثقافي، تربوي، تغييري) نظراً لأثره، ونؤمن بأهمية وضرورة هذا المشروع، فالشباب الأمريكي اليهودي – مثلا – يزور بالآلاف (إسرائيل) لممارسة الحياة اليهودية، ومن الملاحظ أنهم يعودون بأفكار ونفسية إسرائيلية بحتة..

ونحن نرى الكويت مناسبة لتحقيق برنامجنا المذكور، فهي دولة متوازنة بين الشرق والغرب، والالتزام الإسلامي متواز في حركته مع الحرية السياسية والفكرية، وهي من المناطق التي سعدنا بزيارتها، وعندما جئت لم أشعر بأية صدمة حضارية رغم قدومي من (الولايات المتحدة الأمريكية)..

ولا أخفيك أنني عندما زرت مجلس الأمة الكويتي، كنت مسرورا بالجلسة، فمن خلال نقاش أعضاء المجلس تبيّنت طريقة الشورى الاسلامية، والتفاعل ما بين الاسلام ومفهوم الحرية الديمقراطية الغربية في الحوار السياسي. وكيف يتم تغيير الأفكار والقناعات داخل قاعات المجلس بطريقة حضارية ومتقدمة من خلال النقاش. ولم أر في الكويت ممارسات بوليسية، فلا تصارع بين النظام والجماهير الاسلامية، ولا توجد ضغوط من هيئات رسمية أو شعبية لممارسة الحياة الإسلامية.

لم أر في الكويت ممارسات بوليسية، ولا تصارعا بين النظام والجماهير المسلمة، ولا توجد ضغوط من هيئات رسمية أو شعبية لممارسة الحياة الإسلامية

الأمريكيون الأفارقة الأصل

●ولماذا حددوا الساحة الزنجية بالذات. أجاب الأخ خالد:



● المخدرات من أبرز مشاكل أمريكا

المسلمون السود في أمـريكـا

●●نعمل داخل الجماعات الأمـريكيـة ذات الأصول الأفـريقية (يكره تسميتها بـالسوداء لما يعنيـه الاستخـدام من مصطلح عنصري) لأنهم أكثر الجماعات الأمريكية قربا من الإسلام، ولأن الإسلام يملك حلولاً لكل مشـاكل الناس، وهؤلاء عندهم مشـاكل كثيرة، ويبحثون عن حل لها كما فعل المسلمـون في إيقـاف بيع المخـدرات في (منهاتن) بنيويورك، ومانشستر بواشنطن، ولأن أجدادنـا قبل قدومهم إلى أمـريكا كـانوا مسلمين، والرجل الأبيض غيّر ديانتنا بعدما استعبدنا.

●وبسـؤالي: ألا ترى في التركيـز على الجاليـة الزنجية نوعاً من الانغلاق العنصري؟ أجاب:

●●لا؛ لأن الأنبياء عليهم السـلام أرسلوا إلى أقوامهم أولاً، فالنبي محمـد ﷺ أرسل إلى قريش أولا، والمطلـوب أن يعمل الـداعيــة داخل صف جماعته أولا ثم يتوسّع مع الآخرين..

●ومـا هو الموقف في السـاحة الإسـلامية لـو التزم الكل بنفس المبدأ العـرقي، ألا يؤدي ذلك إلى مشاكل؟

●●لا أظن ذلك، لأن المسلمين أمــة واحــدة، وجسـد واحـد، وديـانــة وادة، وكـان الأنبيـاء السابقون كل منهم أمة واحدة، والنبي محمد ﷺ لجميع المكلّفين من الإنس والجنّ، والقرآن الكريم يحمل حلـولاً لكل المشــاكل، في جميع العصـور وللناس كافّة..

صحيح؛ نحن نعمل داخل جماعتنـا السوداء، ولكننـا منفتحين على أي فـرد يطلب أو يحتــاج المساعدة..

جهاد النفس أولاً

●وعن مميزات المجتمع الزنجي واحتيـاجاته، يقول الأخ خالد:

●●للمسلمين الأمـريكيين جهـاد مميـز هـو جهـاد النفس، وهـو مشكلة منفـردة ومتميّـزة، وعندما ندعو قوماً عليك أن تعرف عنهم كلّ شيء، ومن أين تبـدأ، ولذلك كـان عملنا داخل الجماعـة الأفريقية المسلمـة الأمريكية، فنحن نستطيع فهم كل ما يتعلق بها من رجال ونساء وأطفال.. هناك من يقبض ٣٠٠ دولاراً في اليــوم فقط لمراقبــة الشـارع ومساعدة رجال المخدرات وتحذيرهم من الشرطة، ماذا يمكن أن تقدّم لهذا الشخص؟ وماذا يمكن أن تقول له ليتوقف؟

نحن ندخل إليه من مدخل المستقبل، لأن نتيجة عمله إما السجن وإما القتـل، ونحدّثه عن تدمير (الجماعـة) لا عن الإسلام، ونـدعوه إلى تنـاول العشاء، وسماع أحد الأشخاص (يكون في العادة داعيـة) وهذا الأسلـوب يشـدّه عادة لأنـه ربما للمرة الأولى يدعوه أحـد لتناول الطعام، أو يبيّن له مصلحتـه أين تكمن.. وللعلم أكثر هـؤلاء من الأميين الـذين لا يعـرفـون القراءة والكتـابـة.. وأحيانا نقنعه بترك عمله لعمل آخر مثمر..

ولا تنسى أننا جميعاً من عمـر واحد، فيشعر بـالأخوّة أكثـر ممـا يحس بـالوعظ، وهنـا يبرز دورنـا في إفهـامـه أن هـــذه (الأخـوّة) أتت من (الإسلام)..

ونؤكد لك أن السؤال الذي يطـرحه أمثاله عن الوضوء والصلاة يبدأ من ملاحظته فعل الأخوة حين قيـامهم للصــلاة فيسأل: لماذا تغسلـون أطرافكم؟ ونجيب: عندمـا تقابل الرئيس تغتسل وتتطيب وتلبس أجمل ثيـابـك، ونحن نفعل ذلك لأجل مقابلـة ربّنا سبحانـه وتعالى. ونجيب عن الحج مثلما تلبي دعــوة (جــاكســـون) أو (كلينتون) كذلك نحن نلبي دعوة الله تعالى.. ثم نتكلم عن النبي محمد ﷺ..

المدخـل الاجتماعـي فعّال في ميدان الدعوة بين الأمـريكيين ذوي الأصـول الأفـريقيـة

والكنيســة في أفريقيـا تمارس الاستراتيجيـة نفسهـا: الطعـام بيـد والإنجيل في الأخــرى، ويعلّمون أن الـذي وفّر لهم الطعـام هو المسيح عليه السلام..

العمل النسائي، شائك ولكنه مثمر

●وماذا عن العمل النسائي، فكل كلامك يركز على المجتمع الشبـابي الذكـوري، أليس للمـرأة دور بينكم؟

●●الأخـوات يعملن وحـدهن، وفي المجتمع الـزنجي الأمـريكي نـواجـه مشكلـة (المراهقـة الحامل) (Single Parent) وقد تستغرب إن قلت لك أن بعضهن لم تتجـاوز ٩ سنـوات وعندهـا طفل.. إنه مجتمع بلا قيود، ولا يـوجد من يوجه هؤلاء المراهقـات عن أخطار الممارسـة الجنسية وما يترتب عليها، وكيف تساعد الطفل والأب على الأغلب صغير العمـر أو في السجن أو عـاطل عن العمل أو طالب في المدرس، ولا يستطيع – على أي حـال – تحمّل المسـؤولية؟ ومن هنـا نـدخل إلى مجتمع المرأة، من خلال أخواتنا، وهنّ يدخلن من باب إعادة الثقة إلى الفتيات واحترام أنفسهن..

●ألا ترون الزواج المبكراً حلاً لهذه المشكلة؟

●●يصعب أن تجد في أمـريكـا فتاة مسلمـة صغيرة السن منـاسبــة للـزواج، ونحن نشجع الزواج، ولكننا نشجع قبله الحصول على الأخلاق والصفات الاسلامية..

العلاقات العامة اكبر مشاكلنا

●ما هي أبرز العقبات التي تواجه برامجكم؟

●●العلاقـات العامـة على رأس المشاكل التي تواجهنا، ونحن نسعى لإظهـار الإسلام بصورة إيجابية، لأن صورته مشـوّهة من خلال الإعلام الـذي يستعمل مصطلحات وتعـابير كـالتاليـة: (ديانـة إرهابية) بسبب جـود حركات إســلامية تستخـدم العنف أو تـؤيـد استخـدامـه سبيـلا للتغيير، و(ديانـة لا تحترم المرأة) ويضربون على ذلك مثلاً بتعـدد الزوجات وإلـزام المرأة المسلمة بالحجاب، و(ديانة متعطشة للدماء) لأنها تشجع على القتل والحروب باسم الجهاد المقدّس.. إلخ.

وهـذه الصـورة المشـوهـة انتعشت في الفترة ١٩٨٠ – ١٩٩٤م، لاسيما وأحــداث العــالم الاسلامي تساعد الاعلام المذكور فيما ذهب إليه، انظـر إلى المسلمين يتقاتلـون (العراق – إيـران) (العــراق – الكـويت) (الصــومــال) (اليمن) (أفغانستان) (كردستان) إلخ..

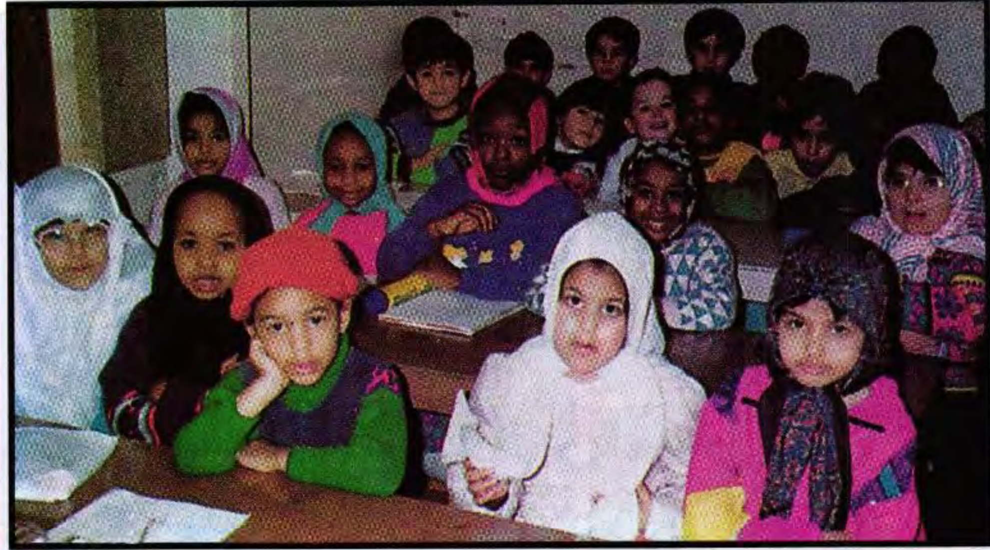
فحــالـــة الصراع والتقــاتـل داخل الصف الإسـلامي لا تشجع الأمريكي المتـابع لوسـائل الإعلام (تلفاز ومذياع وصحافة) على الإقبال على الإسلام وهـو يرى فيه دين قتـال ودماء، وكيف تـدعـو أحداً إلى العشـاء أو الغـداء في بيتك وأنت تتقاتل مع أخيك؟

وإننا نظن أن في مقدور الحكـومات الإسلامية تـوظيف طاقـاتها (العـلاقات العـامـة) من أجل الدعوة، ولكن انشغال البعض ضد البعض الآخر يحول بينهم وبين تحقيق هذه المهمة.

سلمان رشدي في البيت الأبيض

●كمسلم أمـريكي، كيف تنظـر إلى استقبـال الرئيس الأمريكي لسلمان رشدي؟

●●سلمان رشـدي التقى بأحــد الـرسميين أصحاب الصلـة بالبيت الأبيض، وأخبره بـرغبته في مقابلـة الرئيس، وبالفعل تم ترتيب مـوعد مع الـرئيس كلنتون لمدة أربع دقـائق، وصدر بيـان



● مدرسة لأطفال المسلمين الأمريكيين

بعد ذلك يعلن أنه لم يقصد إيذاء المسلمين، وأنه يعتذر إن كان قد أساء لهم بهذه المقابلة.

مكانة الجالية الإسلامية

●تم تسمية الشيخ عبد الرشيد كأول إمام للجيش الأمريكي، كيف استقبلتم هذه التسمية، وما هو تقويمكم لانعكاساتها على مكانة الجالية الإسلامية؟

●●لاشك أن لاختيار الشيخ عبد الرشيد كأول إمام مسلم في الجيش الأمريكي (First Chaplin) أثره الإيجابي على مكانة الجالية وحضورها في المجتمع الأمريكي، ومؤسساته الفاعلة، وهي تعكس حجم تنامي الوجود الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية..

وأحب أن أذكر هنا أنّ الحضور الرسمي الإسلامي تمثّل في عدد من المناسبات منها تلاوة الداعية (سراج وهّاج) لأول مرّة القرآن الكريم في افتتاح دورة الكونغرس الأمريكي، وهو تقليد يقضي بافتتاح الجلسة بكلمة دينية، ومن حق أي عضو أن يدعو أحد الضيوف الدينيين، وكان (سراج وهّاج) ذلك الضيف، وفي العادة يتلو أعضاء الكونغرس دعاء قبل الاجتماع..

وكذلك قرأ الداعية (وارث الدين) القرآن في افتتاح مجلس الشيوخ، وتلاه كذلك يوم دُعي لشهود قسَم استلام الرئيس كلنتون السلطة..

والإمام عبد الرشيد يسعى لتوفير متطلبات الجنود المسلمين في الجيش الأمريكي من طعام حلال، وتوفير الوقت الكافي والمكان المناسب لإقامة صلاة الجمعة، وحل أية عقبة تواجه الجندي المسلم داخل المؤسسة العسكرية، ومراعاة احتياجات المجنّدات المسلمات كذلك..

الحكومة والجالية

ويتابع الأخ خالد قوله:

●●وإنني أظن أن الحكومة الأمريكية لا تنظر إلى الجالية الإسلامية من منطلق ديني ولا تتخذ أي إجراء معيّن نتيجة تمييزها بين الطوائف.. أظن أنها لا تنظر إلى (الإسلام) كديانة ولكن (كحركة سياسية)، وفي الوقت الذي نطالب به الحكومة أن تفهم أن الإسلام ليس ضد الغرب، وليس ضد أمريكا، علينا أن نفهم أن أمريكا ليست ضد الإسلام، وأنا شخصيا لا أؤمن بأنها ضد الإسلام، فأمريكا تهتم بمصالحها فقط، ولابد من إيجاد فهم جديد ومتوازن لهذه المسألة..

ونحن نرى بعض القادة السياسيين المسلمين ضد الإسلام أكثر من بعض السياسيين الأمريكيين أنفسهم..

المال يشتري القوّة

●نحن العرب نقول: إن اليهود وراء كل قرار أمريكي ضدنا. فما قولكم وأنتم من داخل الساحة الأمريكية نفسها؟

●●أظن أننا نعطي اليهود قيمة أكثر من مما يستحقون، فهم لا يملكون هذه القوّة التي ندعيها لهم.. وأظن أن الحكومات العربية تملك من المقومات التي وهبها الله إياها بشكل يمكنها من تغذية العالم كله بهذه المصادر، ولكن ما هي الاستعدادات التي قاموا بها للدفاع عن مقدّراتهم ودياناتهم؟

فالعرب يستطيعون شراء وكالات أنباء ومؤسسات إعلامية كثيرة، ولكنهم يشترون فنادق في (لاس فيغاس) ولا يهتمون بشراء شبكة (CNN)، ولم لا نقيم تجمعات رجال أعمال مسلمين يمتلكون مؤسسات ومقوّمات مؤثّرة، وأنا شخصيا لا أرى أي مبرر لهذا التقصير، والمال يشتري القوّة في أمريكا حيث يمكنك – مثلا – شراء أي صحيفة أو مجلة أو مؤسسة إعلامية ناجحة بأموالك، وتسخرها لخدمة مشروعك..

وأريد أن أبين لكم أنه لو انتهت (إسرائيل) وغادر كل اليهود الأراضي الفلسطينية بالكامل، سيبقى في أمريكا مجموعات ضغط يهودية..

الدنيا جنة الكافر

●بم تنصح المبهورين بالحلم الأمريكي؟

●●أقول لهؤلاء: اذكروا حديث الرسول ﷺ: «الدنيا جنة الكافر وجحيم المؤمن».. وأظن أن هناك أشياء كثيرة يمكن للعالم الإسلامي تعلمها من أمريكا، فهي بلد متقدّم، وأنا معجب بطريقة عمل النظام السياسي هناك، وحرية الاختيار، ولكنني لا أحب السياسة الخارجية.. وأمريكا بلد قوي، وقد تكون أقوى بلد في العالم، ولكن مشاكلها الداخلية والخارجية كثيرة..

نشكر الكويت وشعبها

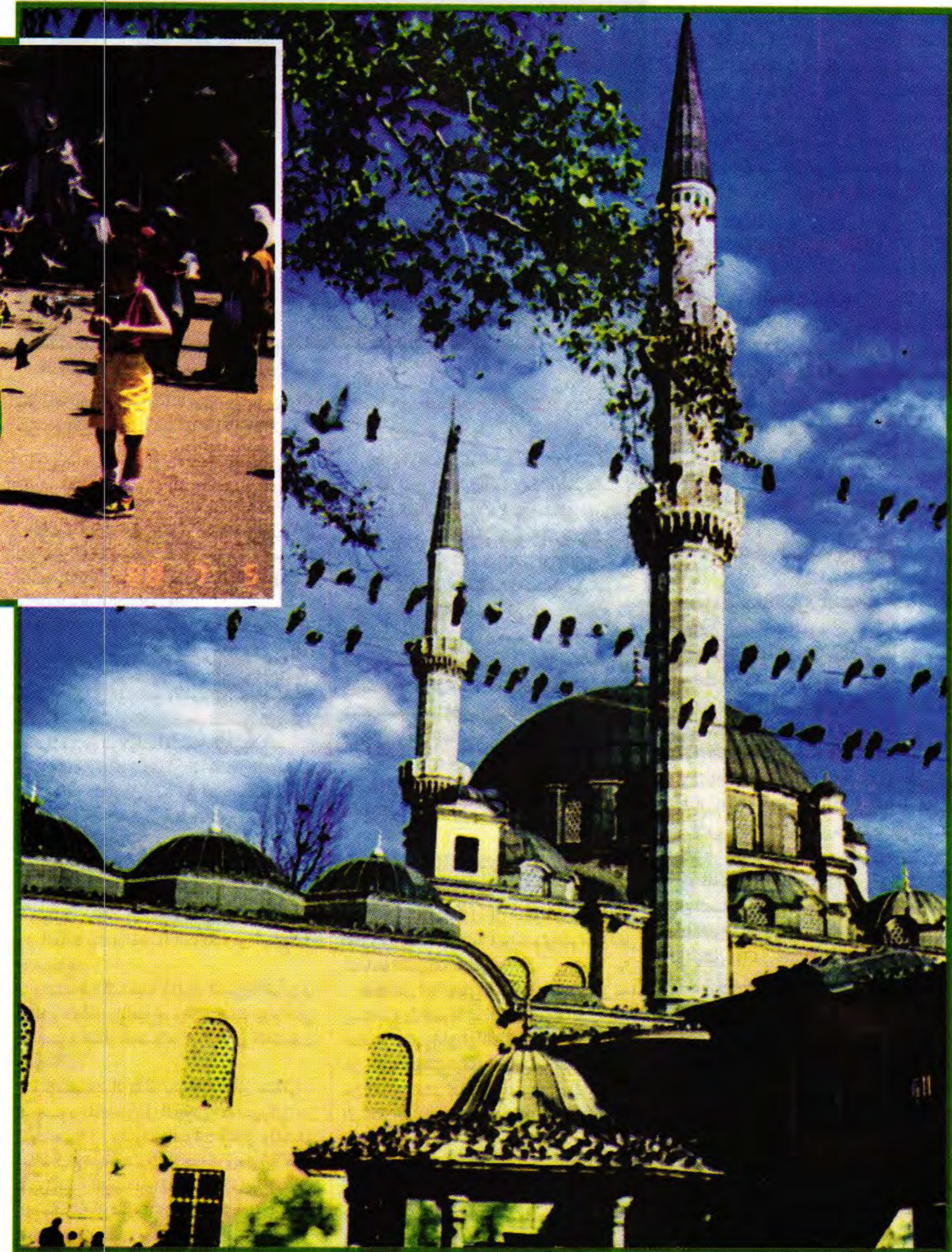
●ما هو انطباعك والوفد المرافق بعد زيارتك الكويت؟

●● زيارتنا للكويت أمدتني بتجربة جيدة، وأنعشت فينا الفكر والتفكير، وأريد لإخواني المسلمين في أمريكا أن يتعلّموا هذه التجربة، وأن يعملوا مثلما يعمل المسلم الكويتي الملتزم متبعاً أصول الشريعة وقواعد الحلال والحرام..

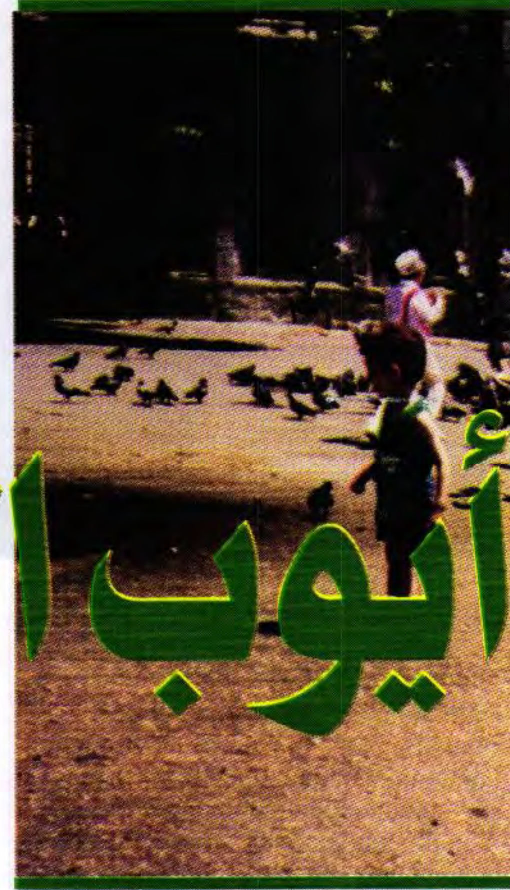
وسؤالي في عام ١٩٩٤: كيف تمكّن الغرب من إدخال (الكوكاكولا) و(المالبورو) إلى العالم الإسلامي، ولم نتمكن نحن من تصدير الإسلام إليهم؟!

وبالمناسبة نحن المسلمين الأمريكيين لا ندخّن، ومن الصعب وجود أمريكي مسلم ملتزم يدخّن، لأننا نقول بحرمة التدخين، وأنا أتحيّر كم من المال ينفق هنا على التدخين؟ ولو وضع للدعوة كم ستكون فائدته كبيرة؟

أما حصيلة لقاءاتنا فهي طيبة، وتلخص أهداف زيارتنا الكويت ببناء علاقة بين الشباب المسلم الكويتي والشباب المسلم الأمريكي، وترتيب دورات تدريب للأئمة الأمريكيين على أيدي الأئمة الكويتيين، لاسيما في حقلي الأسرة والمجتمع (Comunity Leaders)، ونتطلع إلى مزيد من الحوار، ودعم برامجنا التنموية، ولم نجد سوى الترحاب والتعاون، ونوجه من خلالكم الشكر لجميع المسؤولين والعلماء الذين قابلناهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته□



في كل دولة عربية غالباً ما نجد مدرسة أو مسجداً أو مؤسسة أو هيئة خيرية أو شارعاً يحمل اسم أبي أيوب الأنصاري.. هذا الصحابي الجليل الذي ارتبط اسمه بحدثين هامين في تاريخ الدعوة الإسلامية.. أولهما تشريف الرسول ﷺ بنزوله في بيته في دار الهجرة قبل بناء مسجده ومساكنه في المدينة.. وثانيهما تلك الطريقة الفريدة التي استشهد فيها أبو أيوب الأنصاري على أسوار القسطنطينية.. وبين الحادثين الأول والثاني مسيرة من الفداء والجهاد والإيثار والقدوة الحسنة. لقد كان أبو أيوب الأنصاري واحداً من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا.. ومن الذين آمنوا ولم يُلبسوا إيمانهم بظلم، من الذين أخلصوا دينهم لله.



أيوب الأنصاري

رضي الله عنه

ج بهجت سكيك

سجده

■ أصبح هذا الرجل وهو تقي من أنصار المدينة ولياً عند العرب والروم والترك

هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غَنْم بن مالك بن النجار، واسمة تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر - أبو أيوب الأنصاري الخزرجي، وأمه هند بنت سعيد بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج (١).

كان أبو أيوب الأنصاري من السابقين إلى الإسلام فقد شهد بيعة العقبة الثانية قبل هجرة الرسول ﷺ إلى يثرب.

«وكان أبو أيوب أحد الذين بايعوا الرسول ﷺ في بيعة العقبة الثانية، أو العقبة الأخيرة، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين منهم من الأوس أحد عشر رجلاً، ومن الخزرج ابن حارثة ستة نفر منهم أبو أيوب خالد بن زيد»(٢).

عاد أبو أيوب إلى يثرب منشرح الصدر بالإسلام، يُمَنّي النفس بلقاء الرسول ﷺ في العام المقبل، ولم يكن يدري ما يخبئه القدر له من جاه وعز، سيظل يُذكر ذلك على مر الزمان.

السعيد الموعود

وصل الرسول ﷺ ومعه رفيق هجرته أبو بكر الصديق إلى يثرب - بعد أن أذن الله له - مختتما مرحلة هامة من مراحل الدعوة، ومستهلاً أيامه المباركة في دار الهجرة التي ادّخر لها القدر ما لم يدخره لمثلها في دنيا الناس.

خرجت يثرب كلها مرحبة بالضيف الكريم مرددة الأهازيج، وقد طلع البدر عليها.. من ثنيات الوداع.. «وكان كل يثربي يود أن يُنْزِل الرسول عند تشرفاً ووجاهة»(٣).

بلغ الموكب دور بني سالم بن عوف، فاعترضوا طريق الناقة قائلين: «يارسول الله أقم عندنا: فلدينا العَدَد والعُدّة والمنعة». ويجيبهم الرسول ﷺ: «خَلّوا سبيلها فإنها مأمورة».. حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بَركت على باب مسجده ﷺ وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بني النجار، وهما في حجر معاذ بن عفراء: سهل وسهيل ابنا عمرو، فلما بركت ورسول الله ﷺ لم ينزل وثبت سارت غير بعيد، ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه، ثم تحلحلت وزمت جرانها.. فنزل عنها رسول الله ﷺ فاحتمل رجل رَحْل الناقة فوضعه في بيته(٤).

أتدرون من كان هذا السعيد الموعود الذي بركت الناقة أمام داره وصار الرسول ضيفه؟ ووقف أهل المدينة جميعا يغبطونه على حظوته الوافية؟(٥).. إنه أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد.

ليس من الأغنياء الأقوياء (٦)

تشير المصادر الحديثة إلى أن أبا أيوب الأنصاري لم يكن من الأغنياء الأقوياء في قومه كأولئك الذين عرضوا ضيافة رسول الله ﷺ وعندهم العَدَد والعُدة والمنعة ولعلهم استدلوا على

ذلك مما أوردتـه كتب السيرة والتراجم من أنه لم يكن من النقباء الذين اختيروا بعـد بيعة العقبـة الثـانيـة، ومما روى في هـذه الكتب عنـه: «فلقـد انكسر حُبّ لنا فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا، ما لنـا لحاف غيرها نَنْشف بها الماء تخوفا أن يقطر على رسول الله ﷺ منـه شيء فيؤذيه»(٧)، ومنها ما كتب ابن عساكر عن حبيب بن أبي ثابت أن أبا أيوب أتـى معاوية فشكا إليـه أن عليه دينا فلم يـرَ منه مـا يحب ورأى مـا يكـرهه - فقـال سمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول: «إنكم سترون بعـدي أثـرة». قـال: فـأي شيء قـال لكم؟ قـال: «اصبروا»، قال «فاصبروا» فقـال والله لا أسألك شيئاً أبـداً.. فقدم البصرة فنـزل على عبد اللـه بن عبـاس رضي الله عنهما - وكـان قد أمّـره علي بن أبي طالب رضي اللـه عنه عليهـا - ففرغ لـه بيته وقال: «لأصنعن بك كما صنعت بـرسول الله ﷺ فأمر أهلَـه فخرجوا لـه ما في البيت كلـه، وأعطاه أربعين ألفا وعشرين مملوكاً»(٨).

وفي روايـة أخـرى أنه بعـد أن أغلق عليـه الـدار سأله: حاجتك؟ قال: حـاجتي عطائي وثمانية أعبد يعملـون في أرضي، وكــان عطـاؤه أربعــة آلاف.. فأضعفهـا لـه خمس مرات.. فأعطـاه عشرين ألفـاً وأربعين عبداً.. ذكره الطبراني بإسنادين(٩).

على أن ذلك لم يُنقص من قدر أبي أيوب ومنزلته، فلقـد كان يصنع العشـاء ويرسلـه للرسـول ﷺ، وينظر أن يفـرغ منه فيلتمس مـوضـع يد الـرسول ويأكل منها، يبتغي بذلك البركة.

وفي مرة خرج أبـو بكر رضي الله عنه بـالهاجرة، فسمع عمـر رضي اللـه عنه فقـال: يـا أبـا بكر مـا أخرجك هـذه الساعة؟ فقـال الذي أخـرجك! يقصد الجوع، وبينما هما كذلك خـرج عليهما رسول الله ﷺ فقـال: ما أخـرجكما هـذه السـاعة؟ فقـالا مـا أخـرجنا إلا مـا نجده في بطـوننا من حـاقّ الجوع.. فقال وأنا ما أخرجني غيره.. فقوما.. فانطلقوا فأتوا بـاب أبي أيوب الأنصـاري رضي اللـه عنه.. وكـان يدّخـر لرسول اللـه ﷺ طعاماً كـان أو لبنا فأبطأ عليـه يومئـذ فلم يأت لحينـه فأطعمه لأهلـه، فلما وصلوا إلى الباب خرجت أم أيوب فقالت مرحبا بنبي الله، وبمن معـه، فقال لها الرسول: أين أبـو أيوب؟ فسمعـه وهو يعمـل في نخل لـه.. فـرحب بـه وبمن معه.. فـانطلق فقطع عذقا من النخل فيـه كل التمر والرطب والبسر. فقال رسـول الله ﷺ: ما أردت إلى هذه.. ألا جنيت لنا من تمره؟ فقـال يا رسـول الله أحببت أن تأكل من تمرة ورطبـة وبسرة.. ولأذبحن لك مع هـذا.. قال: إن ذبحـت فلا تـذبحن ذات در، فأخذ جـديا وذبحـه.. وطبخ نصف الجدي وشوى نصفه وقـامت امرأته بـالعجن والخبز، فلما نضج الطعام ووضع بين يدي رسـول الله ﷺ وأصحابه أخذ من الجدي فجعله في رغيف وطلب من أبي أيوب أن يبعث به إلى فاطمـة فإنها لم تصب مثل هذا من أيام، فلما أكلوا وشبعوا قال النبي ﷺ: «خبز ولحم وتمر وبسر ورطب»..!! ودمعت عينـــاه.. «والـــذي نفسي بيده إن هذا هو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة»(٩).

فكبر ذلك على أصحـابـه، فقـال: «بل إذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيـديكم فقولـوا بسم الله.. فإذا شبعتم فقولـوا الحمد للـه الذي هـو أشبعنا وأنعم علينا فأفضل فإن هذا كفاف بهذا».

وقـد نقل ابـن كثير في البـدايـة والنهـايـة عن الصحيحين عن أنس بن مالك قـال: «جيء رسول الله ﷺ ببدر [طبق مستديـر] وفي رواية بقدر فيه خضراوات من بقـول، قال فسأل فأخبر بما فيهـا، فلما رآها كره أكلهـا، وقال: «كل فإني أناجي من لا تناجي»(١٠). كـان في الطعام بصل أو ثـوم وكان النبي ﷺ يأتيـه الملك.. فكـره أن يأتيـه ورائحـة البصل أو الثوم فيـه.. وكان رد أبي أيوب عظيما.. إني أكره ما كرهت.

كان مقـام الرسول ﷺ في دار أبي أيـوب سبعة أشهـر(١١) حتى بنى مسجـده ومسـاكنـه(١٢) وطيلة إقامة الـرسول في دار أبي أيوب الأنصاري، ما كـانت ليلة إلا وعلى باب رسول اللـه ﷺ الثلاث والأربعة يحملـون الطعام يتنـاوبون، «وروى عن زيد بن ثابت أنه قـال: أول هدية أهديت إلى رسول اللـه ﷺ حين نـزل دار أبي أيـوب أنـا جئت بها.. قصعة فيها خبز مثرود بلبن وسمن فقلت: أرسلت بهذه القصعـة أمي. فقـال: بارك اللـه فيك. ودعـا أصحابه فأكلوا. ثم جـاءت قصعة سعد بن عبادة: ثريد وعراق لحم»(١٣).

أبو أيوب حامل راية النبي ﷺ في المعارك

شَهدَ المشاهد كلها

منذ وصول الرسول ﷺ إلى المدينة وأبو أيوب له دور فاعل ونشط في الحياة.. فقد اشترك في السرايا التي كـان يبعث بها الـرسول لاستطـلاع أحـوال العدو ومناوشته على أطـراف المدينة، وللتأكيد على سيادة الدولة الجديـدة وهيبتها.. وفي السرية التي أسر فيها أبو العاص بن الـربيع بن عبد العزى بن شمس،أسر أبو أيوب المطلب بن حنطب بن الحارث بن مخزوم فتركه لبنـي الحارث من الخزرج وخلوا سبيله(١٤)، كما شهد بدراً واحـداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ (١٥)، وحين ذكر ابن هشام من اشتركوا في غـزوة بدر قال: «ثـم من بني ثعلبة بن عبد عـوف بن غنم أبو أيوب خالـد بن زيد من بني النجـار(١٦)، وبعـد وفاة الـرسـول ﷺ استمـر يجاهد في عهد الخلفاء الراشدين. «وكان ممن شهد مع علي بن أبي طـالـب رضي اللـه عنهما حـروبـه كلها»(١٧)، ولعل هذا السبب الذي جعل معاوية لا يستجيب لأبي أيوب ويقضي حاجته كما بيّنا، «ولم يتخلف عـن غـــزاة للمسلمين إلا وهـــو في أخرى»(١٨).

المرة الـوحيدة التي قعد فيهـا عن الجهـاد حين استعمل على الجيش رجل شاب لم يرق لأبي أيوب - ولكنه عاد وندم على ذلك ندماً شديداً، وكان يردد دائماً: «مـا عليّ من استعمـل عليّ»، وذكـرت بعض المصادر أن هذا الشاب الذي اعترض أبو أيوب على إمارته ثم ندم، كان: عبد الملك بن مروان(١٩).

وفي غير أيـام الغزو والجهـاد لم يكن أبو أيـوب بعيدا عن الرسول ﷺ فقد سجل له أكثر من موقف لحبه وغيرتـه على الرسـول، فقد سـاعد في إخـراج المنافقين من مسجد الرسـول بعد طرد بني قينقاع من المدينـة. «وكـان هـؤلاء المنـافقـون يحضرون للمسجد فيستمعون أحاديث المسلمين، ويسخرون ويستهـزئون بـدينهم فـاجتمع في المسجـد منهم نـاس، فـرآهم رسول اللـه ﷺ يتحـدثـون بينهم، خافضي أصواتهم، قد لصق بعضهم ببعض، فأمر بهم رسـول ﷺ فأخـرجوا مـن المسجد إخـراجـا عنيفاً»، فقـام أبو أيـوب خالـد بن زيد إلى عمـر بن قيس فسحبه حتى أخرجه من المسجد وهو يقول: أتخرجني يا أبا أيوب من مـربد بني ثعلبة! ثم أقبل أبو أيوب أيضاً إلى رافع ابن وديعة أحد بني النجار فلببـه بردائه ثم نتره نترا شـديدا ولطم وجهـه ثم أخرجه من المسجد وأبو أيوب يقول: إف لك منافقا خبيثـاً.. ادراجك يـا منـــافق من مسجـد رسـول الله(٢٠). ومن محبته للرسول ﷺ وخوفه عليه أنه «لما دخل رسـول اللـه ﷺ بصفيـة بنت حيي بن أخطب بعـد غزوة خيبر.. بـات أبو أيـوب رضي الله عنـه على باب النبي ﷺ فلما أصبـح فرأى رسـول الله كبّر ومع أبي أيوب السيف فقال يا رسول الله: كانت جارية حديثـة عهد بعرس، وكنت قتلت أباها وأخاهـا وزوجها فلم آمنهـا عليك. فضحك رسول اللـه ﷺ وقـال له خيرا [أخـرجـه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه وابن سعد ٢/١١٦](٢١).

كـان شـديـد الاعتزاز بسنـة رسـول اللـه ﷺ ومحافظا عليها فقـد أخرج الطبراني في الكبير: «أن أبا أيـوب كان يخالف مروان بن الحكم في صـلاته فقال له مروان: مـا يحملك على هذا؟ قال إني رأيت النبي يصلي صلاة، إن وافقته وافقتـك وإن خالفته صليت وانقلبت إلى أهلي»(٢٢).

إن مصاحبة أبي أيوب للرسول ﷺ وملازمته له جعلته محل ثقة فكان يروي عنه الحديث فقد أخرج لـه الطبراني عن عبد اللـه بن سعد بن أبي وقـاص، وابن حبان والبيهقـي وابن أبي الدنيـا وغيرهم.. وهـذا مـوضـوع يحتـاج إلى دراسـة خاصة، كما أنه رحل مرة إلى مصر ليسمع حديثا عن عقبـة بن عـامر وقـال لـه: حيث لم يبق من أصحاب رسـول الله ﷺ إلا أنـا وأنت. وذلك عن مـوضـوع «ستر المسلم» فسمعه منـه وعـاد إلى المدينة وما حل رحله.

انفروا خفافا وثقالا

امتد العمر بأبي أيـوب الأنصاري حتى أدرك دولـة بني أميـة وشهـد اتسـاع رقعـة الـدولـة الإسـلامية شرقـا وغـربا وشمالا. وقـد اتخذت الفتـوحـات في هذه المرحلـة شكل «الصـوائف»، و«الشواتي»، كانـوا يفضلون الصوائف لأنها إلى الطبيعـة أقـرب. وكـانت تلك الحملـة البحـريـة «الصـائفـة» التي جـردهـا معـاويـة لفتح القسطنطينية.. وأمر عليها ابنه يـزيد بن معاوية، رافقـه فيها عـدد من الصحابـة منهم أبو أيـوب الأنصـاري، ولم يمنعه تقـدم العمـر من ذلك بل كـان يـردد دائماً قول اللـه عـز وجل: ﴿انفـروا خفافا وثقالا﴾ [التوبة / ٤١]. فيقول فلا أجدني إلا خفيفا أو ثقيلا.

طـال حصـار المسلمين للقسطنطينيـة، واستعصت عليهـم في محاولتهم الأولى هـذه، لأسباب عديدة، فمرض ودخـل عليه يزيد يعوده فقال ما حاجتك؟ فقال حاجتي إذا أنا مت فاركب بي ثم سغ في أرض العدو، ما وجـدت مساغا فإن لم تجد مساغا فـادفني ثم ارجع. فلما مات ركب به في أرض العـدو وما وجـد مساغا ثـم دفنه ثم رجع. رويت هـذه الحادثـة بـأكثـر من صيغـة. أخرجها مـرة الحاكم عن محمد بن سيرين ومرة ابن عبد البر عن أبي طبيان دمرة الإمام أحمد عن أبي طبيان (٢٣)، وكان ذلك في العام ٥٢ للهجرة، وقـد جـاوز أبو أيـوب الخامسـة والسبعين من عمره.

كان يحمل راية النبي في المعارك

يقول فيليب حتى في كتابه «تاريخ العرب» عن حملـة القسطنطينيـة الأولى: «إلا أن بطل هـذه الصـائفـة الحقيقي في الأسـاطير هو أبـو أيـوب الأنصاري الـذي نزل محمد في بيته عنـد الهجرة إلى المدينة، وكان يحمل رايـة النبي في المعارك وقد اصطحبه يزيد على تقدم سنه للتبرك بحضوره لا للانتفـاع من درايته الحربيـة، وكان أصيـب أبو أيوب بزحار فمات ودفن قريباً من الأسوار، فكان النصارى من اليونان بعـد ذلك يتعاهدون قبره، ويزورونه، ويستسقون بـه إذا قحطوا، وقد نقل فيليب هـذه الجملة عن ابن سعـد، وفي ١٤٥٣م، حاصر الترك العثمانيون القسطنطينية فعثروا على هذا القبر وقد أظهرته فيما روى اشعة نور عجيبة وبنى الأتراك بعد ذلك عند قبر أبي أيوب مسجدا فأصبح هـذا الرجل وهـو شيخ تقي من أنصـار المدينة وليا عند العرب والروم والترك.

السلطان أيوب

لو سأل زائر إلى مدينة استانبول هذه الأيام أحد عـامـة النـاس عن مسجـد الصحـابي أبي أيـوب الأنصاري ما استدل عليه بسهولة.. ذلك أن العامة أعطوه من الاحترام والتقدير منزلة كبيرة بل منحوه لقب سلطـان وصـار مسجـده يعـرف بمسجـد «السلطـان أيـوب» ولا عجب فـاستـانبـول تعج بمساجد السلاطين العثمانيين، بل لا نكون مغالين إذا قلنا: إن لكل سلطان حكم هنـاك مسجدا باسمه يمثل قمة فن العمارة الإسلامية.

اكتشف قبر الصحـابي الجليـل أبي أيـوب الأنصاري العالم «آق شمس الـدين»، الذي شارك السلطـان محمـد الفـاتح سنـة ١٤٥٣م، في فتح القسطنطينيـة(٢٥)، وفي سنـة ١٤٥٨م، أمـر السلطـان الفـاتح ببنـاء مسجد تخليـدا وتمجيـدا لذكـرى هذا الصحـابي الجليل. وتمت تـوسعته في عهـد السلطـان أحمد الثـالث «١٧٠٣–١٧٣٠م»، وطولت منـارتاه حيث كـانت تعلق القناديل بينهما في شهر رمضان المبـارك وبالمناسبات الـدينية، ثم تصدعت جدرانه وتضرر هيكله بفعل الزلازل فأمر السلطـان سليم «١٧٨٩–١٨٠٧م» بإعادة بنـائه من جديد، يقع مسجـد «السلطان أيوب» في منطقة شعبيـة اكتسبت اسمهـا من وجود هـذا المسجـد، وكانت تعتبر خارج أسوار القسطنطينية التي كانت محاطـة بسور مـا زالت آثـاره بـاقية إلى اليـوم في المنطقـة المحصـورة، فيما يعـرف اليـوم بـالقـرن الذهبي مـا بين بحر مرمرة والخليج الـذهبي، وهو شبـه جـزيرة تشكـل اليوم قصبـة وسط مـدينـة استانبول، وفيها أخلد الآثـار الإغريقية والبيزنطية والإسلامية..

ففيها مسجد آيا صوفيا ومسجد السلطان أحمد المعـروف بـالمسجد الأزرق ومسجـد السليمانيـة «تحفة المعماري سنان الخالدة – ومسجد السلطان محمـد الفاتح ومسجـد ابنـه السلطان «بـايزيـد» وغيرهـا من المدرجـات والقصـور.. صمم مسجـد «السلطـان أيـوب» المهنـدس المعماري «أوزون حسن» الـذي سـار على خطى المعماري سنـان في نظام القبـاب «وأنصاف القبـاب» والمآذن المتعددة للمسجـد.. وهو مشيـد على طـرازالباروك» الـذي يجمع بين الفن القوطي والإسلامي والحديث، يأخذ المسجد شكل المستطيل، وله مئـذنتان، لكل واحدة أفريزان، عليها مقـرنصات منقوشة بشكل جميل، والقبة الكبيرة تتوسط المسجد، وترتكز على أقواس تستند إلى ثمانية أعمدة..

وللمسجد صحنـان.. الصحن الداخلي فيـه اثنا عشر عمودا من المرمر المجزع الجميل، وفوقه ثلاث عشرة قبـة صغيرة يتميـز المسجد بـوجـود «محل للنساء» أي مصلى خـاص بهن، يتصل بسرادق مع المسجد، وللمسجد محراب ومنبر، ومنصـة للواعظ من المرمـر المنقـوش بطـلاء الذهب، فـوق نـوافـذ المسجـد – من الداخل – كتبت آيـات قرآنيـة زانت المكان وزادتـه رهبة. من وسط القبـة الكبيرة تتدلى ثريا كبيرة من ثلاث طبقات مصنوعة مـن الزجاج الأزرق والأبيض الشامي الجميل.

الصحن الخارجي تتوسطه «ميضأة» سداسية، لها مظلة ترتكز على أعمدة رخامية وهي لا تستخدم للوضوء الآن.. ولكنها مرتع آمن للحمام الذي يمرح هناك في حمى هذا الصحابي الجليل.

بين الصحن الخارجي والمسجد توجد «الحضرة» وهي بناء مثمـن الشكل مغطى بالقـرميد.. وداخل الحضرة يـوجـد ضريح الصحـابي الجليل.. الـذي جـدد في عهـد السلطـان أحمد الأول «١٦٠٣–١٦١٧م»، ويحرص حراس الحضرة على عدم السماح للنساء السافرات من الزائرات بدخول الحضرة ويعطين خمارا يستر الشعر ومـا انكشف من الجسم. خلف الحضرة تـوجد مقبرة دفن فيهـا الكثير من رجالات الدولة العثمانية بناء على توصية أوصوا بها.. وأبرز هذه القبور وأقربها للحضرة قبر «مـدحت باشـا» الصدر الأعظـم، تدخـر القرويـة التركية طيلة العام مالا، لتـأتي بابنها إلى استانبول وقـد اشترت لـه زيـا خاصـا لتجـري لـه عمليـة «الختان» قـريبا مـن حضرة السلطان أيـوب تيمنا وتبركا.. وتـوزع الحلوى – مكعبـات من السكر في قراطيس – على من حضر هذه المناسبة السعيدة.

مسجد أبي أيوب الأنصاري من المساجد القليلة في استـانبول التي بقيت تقـام فيهـا الصلاة بعـد حركة «أتاتورك».

وهنـاك تحت ثـرى استانبـول – الاستـانـة – حاضرة الدنيا لحقبة طويلة – وعاصمة العواصم – يثـوي رفات نبيل ونفس مطمئنـة تسمع كل يـوم خمس مـرات النـداء الخالد: (اللـه أكبر اللـه أكبر.. أشهد أن لا إلـه إلا الله.. وأشهد أن محمـدا رسول الله..) □

الهوامش:

(١) أسد الغـابة في معرفة الصحـابة، ابن الأثير، ص ٨٠ مج٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٧هـ.
(٢) السيرة النبوية، ابن هشـام، تحقيق مصطفى السقا، الإبياري، شلبي، دار المعرفة، بيروت.
(٣) تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، د.عمر فروخ، ص ٥٨، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢م.
(٤) السيرة النبوية، مرجع سابق، ص ٤٩٦.
(٥) رجال حول الـرسول، خالد محمد خـالد، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٥٠٩.
(٦) تأريخ صدر الإسلام، مرجع سابق، ص ٥٨.
(٧) السيرة النبوية، ص ٤٩٨.
(٨) حياة الصحـابـة، الشيخ محمد يوسف الكـاندهلوي، تحقيق نـايف العبـاس، محمد علي دولـة، ج١، ص ٤٠٥، دار القلم، دمشق، دار المنارة، جدة.
(٩) نفس المصدر السابق، ص ٣٠٩ و٣١٠.
(١٠) البـدايـة والنهايـة، لأبي الفـداء الحافظ ، ابن كثير، مج٢، ص ٢٠٢.
(١١) نفس المرجع.
(١٢) تـاريخ العرب في العصر الجاهلي، أ.د. عبـد العزيـز سالم، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٠، ص ٤٧٦.
(١٣) البداية والنهاية، ج٣، مج٢، ص ٢٠٢.
(١٤) السيرة النبوية ص ٦٥٩.
(١٥) أسد الغابة، ص ٨، مج٢.
(١٦) أسد الغابة، ص ٧٠١.
(١٧) المرجع السابق.
(١٨) حياة الصحابة، ص ٤٥٩.
(١٩) نفس المصدر، ص ٤٥٩.
(٢٠) السيرة، ص ٥٢٨.
(٢١) حياة الصحابة، ص ٦٦٣، ج٢.
(٢٢) المصدر السابق، الجزء الثالث ص ١٣٣.
(٢٣) حياة الصحابة، ص ٤٥٩.
(٢٤) تـاريخ العرب، فيليـب حتى وآخرون، دار غنـدور للطباعة، ١٩٧٤، ص٢٦٢.
(٢٥) الجوامع التركية المشهورة، نعمت بيرقدار، تعريب خـالـد النـوري، طبـاعـة ميناتورا، استانبول، ص٣٢.

□ إن التعامل مع اللغات الحية، ولغتنا العربية واحدة من أهمها، يدفع إلى الربط بين المصطلح وبين مجموعة الأبعاد التي تشترك في صنـاعة مدلوله

فلسفة الوقفيات وإعادة التعريف

بقلم: عبـــد الحليـم زيـــدان*

لا نهتم في هذا المقال بـالتعريف وصيغته من ناحيـة البعد اللغـوي المنطقي النحتي فحسب، وإن كـان هـذا البعد يشكل أحـد أهم خلفيـات الكـاتب للنظر في الاصطـلاحـات ومدلـولاتها وتطـور ذلـك عمـومـا، وفي لغتنـا العـربيـة خصوصا.

كما تبتعد مقـالتنا عن الماحكـة التشديـدية الحرفية حول الدلالـة المباشرة للحرف في اللغة العربية، فهذه نتركها لابن فارس وابن السكيت ومن جاراهم علما وتمكنا.

ولا شك بأن التعـامل مع لغات حيـة، ولغتنا العربيـة واحدة من أهمها، يـدفع إلى الربط بين المصطلح وبين مجموعـة الأبعاد التي تشترك في صناعة مدلوله، فلا يجرد المصطلح إلا في نطاق ضيق جـدا حين نتناول المدلـول المعجمي للفظ من الألفـاظ في البيئـة الجاهليـة، وهي البيئـة الأولى التي نستطيـع أن ننطلق منهـــا لنعتبر المصطلح بمدلوله في العصر الجاهلي هو المجرد، وما ذاك إلا لأنها المرحلة الـوحيدة التي حفظت لنا ألفاظهـا ودلالاتها من خلال الشعر الجاهلي كممثل للمرحلة بلفظها ثم القرآن الكريم كعامل تغييري ضخم أحـدث في فترة زمنيـة قياسيـة تغييرا في لفظ ومصطلح ومـدلـول هذه ا للغـة وتعبيرهـا على نحو مـوجه ومنضبط في كتـاب خـالـد محفـوظ لا يَتأتى عليـه التحـريف ولا التبديل.

ولا شك بأن الحديث اليـومي لشهود تنـزل القرآن والتغيير الذي أحـدثه، ورد فعلهم عليه، سلباً أو إيجابـا، يمثل بدوره مـوردا من موارد التعـاطي والتفاعل البشري الـذي يحدث تغيرا لغـويـا، وفي رأس هـذا الحديـث حـديث النبي المصطفى صلى اللـه عليـه وسلم، وحـديث صحابته وتابعيهم. وندع المراحل التالية تترى مـرحلـة بعـد مـرحلـة لتفعل فعلهـا وتضفي بظلالها ومـؤثراتها وعـواملها المختلفـة لتنقل المدلول والمعنى للفظ من حال إلى حال.

ولقد عـودنا الفقهـاء والأصوليـون وعلماء الشريعة عمـوما على استخدام جملة تبـدو لنا يسيرة مبسطة، لكنها في منتهى الدقة accuracy تعـدد التراكيب complexity ، وهي قـولهم عند التعريف لأي كلمة شرعية مثـلا بأن معناها في اللغة كذا وفي الاصطلاح كذا، ومثل هذا شا ئع، ومستخـدم «مثل قـولهم: الصـلاة في اللغـة: الـدعـاء، وفي الاصطـلاح: أقـوال وأفعـال مخصوصة تبدأ بالتكبير وتختتم بالتسليم و.. إلخ».. بل يـزيـد بعضهم وجـه المنـاسبـة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي.

فمن نـاحية الـدقة تمثل هـذه الجملة حـالة تفريقية بين مدلولين ومعنيين للفظ واحد،نقله من معنى إلى غيره عـامل من العوامل، فيكـون التفـريق بين المعنيين دقيقا ومطلـوبـا ليتضح المراد. أما من ناحية التراكب، فالعوامل تختلف وتختلف بـذلك النتـائج والآثـار، والمنـاخـات الثقـافيـة والسيـاسيـة والاقتصـاديـة والاجتماعيـة. تتـداخل تأثيراتها لتشكل معـا المدلـول الظـرفي وليس النهـائي للمصطلح أو اللفظ.

وعلمنا أساطين علـوم التعريف والمعجميون عمـومـا، والأصـوليـون والمنـاطقـة بشكل تخصصي، أن ينحت المصطلح بـذات ولـذاتـه، وأن ينحت تعريفه بالـدقة نفسها ولكن لغيره. والنحت الاصطلاحي موضـوع آخر ليس هذا بـابه، ولكن يلـزمنـا منه الصـورة الدالـة على صخر خام أشوه مشوش، تضرب فيه الأزاميل والمطـارق وفق رؤية خـاصة ومهـارة وحرفـة وخبرة ودربة وآلة مناسبـة، فتخرج منه شكلا مقدرا محترما نفسيا.. والقيمة الإضافية Value Adding هي كما يعلم الاقتصـاديـون الحرفـة والخبرة والآلة، التي نقلت الصخر من سعر إلى سعر.

ومن هذه الصـورة النحتية نكتشف أن نحت المصطلح يحتاج إلى كل هـذه الملكات والمهارات، ولنحت التعريف مثله أيضاً مع بعض الزيادات كـالضوابط التي أسماهـا المناطقـة بالجامعـة المانعة، فيكون التعريف لكل المعرف دون غيره، جامعا لما ينضوي تحته، مانعا من دخول غيره فيه.

ويتـدخل العلماء في حـركـة الاصطــلاح والتعريف طردا وعكسـا، فتارة تكون مهمتهم ابتكـار التعـريف المناسب لحالـة أو قضيـة أو عمليـــة أو صنف.. إلخ، وتـارة يكـــون الاسم موجـودا ومستخدمـا على العمل نفسـه، ولكنه يحتاج إلى التعريف الضابط جمعا ومنعا وتارة يحتاج لكليهما وتكون مهمته في هذه الحالة على قدر أعلى من المشقة؛ إن كان الاصطلاح المطلوب مبتكر بالكامل.

أزمة التعريف و إعادة التعريف

وتبقى أزمـة من نوع آخر ليسـت بعيدة عما مضى من حيث حصـولها، ولكنهـا قليلـة من حيث تفاعل المعنيين بها واستجابتهم لضغطها وتفاعلهم مع احتياجاتها، وهي إعادة التعريف حسب متغيرات العـوامـل والظـروف وتحريك المصطلح أو تعريفه أو كليهما من حالة لأخرى بما ينـاسـب المتغيرات وفق مرجعية مـا. والتي هي لدى المسلمين الشريعة الإسلامية.

ولا شك بأن تغير التعـريـف وفق مـرجعيـة ثابتة ورؤى واضحـة وتفاعل إيجابي حياتي، واستيعاب حضـاري لهو من أخص خصائص الدلالـة على حياة لغـة ما، وبالتحـديد حيـوية أهلهـا ومعـاصرتهم لـزمنهـم ومستلـزمـاتـه ومتطلباته ومتغيراته.

وتعـريف الـوقف المتـداول بين طلبـة العلم والمشتهـر على السنـــة المعنيين هـو في اللغـــة: الحبس. وفي الشرع هو: «حبس الأصل وتسبيل

*رئيس شركة (المستشار) ومركز اتقان لتدريب – لبنان

المنفعة» أو «التصدق بالمنفعة». أي أن يحبس أصل المال من العقار وغيره لا يباع ولا يشترى ولا يملكه أحد بخاصة، ويجعل منفعته عامة كسبيل على المسلمين، ويصح أن يكون عام المنفعة لكل المسلمين، أو خاصا على فئات منهم كالفقراء فقط. «انظر التعريفات للجرجاني ص ٢٧٤».

وهو تعريف يضعنا أمام مفارقة طريفة، فمن ناحية، هو جامع مانع وفق ضوابط الأصليين وشروطهم، ومن ناحية هو مشتهر منتشر منبث في ثنايا كتب الفقه والتشريع والقانون. إلخ.

ولكننا إذا دققنا النظر في التعريف لما هو أعمق بقليل من غلافه الأول: وهو غلاف التوصيف للمعرف به، فإننا نجد هذا التعريف في زماننا لا يعدو أن نعتبره تعريفا للآلية التنفيذية للوقف، وهي خلاصة الطريقة التي ينفذ الوقف من خلالها. وهي خلاصة عملانية قادرة على الإيفاء باختصار شديد بمتطلبات أن العين الموقوفة تحبس كما السجين فلا تباع ولا تشترى ولا تنقل ملكيتها في الذمم، وأما نتاجها ومنفعتها وثمرتها فهي التي تحرك وتعمم أو تخصص إلخ.

ولكن.. ألا نجد أنفسنا ونحن في هذا المشهد الحضاري الزماني بالذات بحاجة لتعريف أكثر ملاءمة للأبعاد المستجدة والمتغيرات المراوحة والدفق الزاخم بالمعلومات والاستحضار الميسر للتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسياسة؟

نحو تعريف جديد

إن المشهد الحضاري الذي نعيشه وتعيشه أمتنا قد وضعنا جميعا على حافة ومخاض، فهو يستلزم منا استيعابا واستشرافا، ويتطلب تخطيطا وتنفيذا، ويرتجي إمكانات نوعية لرؤى ومشاريع نوعية، ويواجه أحجاما لا يكافئها بالمعاشير، وتحاسبنا دورة زمنية ليست إلى صفنا، والموقف المراوح لا يبشر بخير كثير.

ونرى (الوقف) في حياة أمتنا راسيا من رواسي الخير التي تشبه إلى حد بعيد الرواسي الملموسة «السفن»، وتدفع بنا إلى أبعاد ثلاثة رئيسية نكتشف معها تطورا وارتقاء لا شك فيه في مستوى التعامل والتعاطي مع الوقف، ونراه لزاما علينا أن نقف مع المصطلح وتعريفه وقفات تأمل ومراجعة واستجماع لابتكار التطوير والتحسين، وإضفائهما لمناسبة المعايشة والمعاصرة والواقعية.

وهذه الأبعاد هي:

أ) الثبات: فالدور التثبيتي للخير والدارىء للشر الذي يقوم به الوقف، ولئن كان دور الدعوة الإسلامية بمفهومها التبليغي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن دور الوقف بالمعنى التثبيتي هو تأمين موارد ثابتة لتحقيق هذا التبليغ، وإنفاذه وتجويزه العقبات والمفاوز.

ب) الضابطية: فالوقفيات والوصايا تنضبط بضوابط تبدأ من الفكرة ومشروعيتها، ثم بالجهات المعنية بتسجيل وتوثيق وضبط الوقفيات، ثم بالطريقة التنفيذية، ثم بالمكلفين بالتنفيذ وهكذا. فالوقفيات تتميز بالضبط والتوثيق وتفترق عن عمل الخير المجرد بهذه الخصوصية، فعمل الخير يمكن أن يقوم به كل أحد بضوابط وتوثيق أو بدون، وليس هذا للوقفيات.

■يحتاج نحت المصطلح والتعريف إلى الضوابط التي أسماها المناطقة بالجامعة المانعة، فيكون التعريف لكل المعرف دون غيره، جامعا لما ينضوي تحته، مانعا من دخول غيره فيه

ت) التفاعلية المجتمعية: يختبىء هذا البعد وراء الدوافع والخلفيات التي دفعت كل واقف على حدة، ولكن هذا البعد يتحول إلى أبعاد كثيرة واضحة ظاهرة عندما تعاد دراسة الوقفيات دراسة مسحية تحليلية، تستكنه الخلفيات الاجتماعية والبيئية والاقتصادية والمرحلة التاريخية على الوقفيات وأنواعها.

فكثافة الوقفيات على تخفيف الفقر والتسول والمرض في منطقة ما وتاريخ ما، تمثل غير ما تمثله كثافة وقفيات على قضايا بيئية كتنظيف المواسير والأقنية وتخصيف الشجر وتسوير القرى وقتل الضواري.. إلخ، أو على قضايا تتعلق بالحيوان ورعايته وإطعامه كوقف إطعام الهررة ووقف المرجة للحيوانات المسنة، أو على قضايا تنقيهية كالتي على مرفهي المرضى في المستشفيات، أو على قضايا التنموية كالتعليم وغيره.. إلخ.

عن أي وقف نتحدث إذا؟!!

ومن هنا فإن الإطار الوقفي باجتماع أبعاده التكاملية هو إطار حضاري تتمثل فيه الحضارة في كل بعد، وإطاره التنفيذي هو المجتمع الذي يلعب أفراده الأدوار المختلفة في كل عمليات الوقف، وحركة أدائه هي حركة تنموية في انطلاقها وتنفيذها ونهوضها وجريانها وانبثاثها وريعها.. إلخ.

ومن هنا كان لابد لنا من أن نطرح تعريفا جديدا للوقف بأبعاده الحضارية والتنموية والمجتمعية، وأن نعتبر التعريف التقليدي المتعارف عليه والمعتمد في معظم المراجع بمثابة تعريف للآلية التنفيذية للعملية الوقفية والقائمة على حبس الأصل وتسبيل المنفعة.

وبإطلالة سريعة على شريحة من نماذج الحالة الاستيعابية والافرازية للمجتمع المسلم لمفهوم الوقف والتحرك به تعطينا فكرة حافزة عليه، حيث نقتطف من محاضرة للأستاذ محمد أمين الحبال المدير العام السابق للأوقاف الإسلامية في لبنان حولها، ونقتطف منها بعض النماذج عن الوقفيات الموجودة حيث نجد في أنواع الوقف:

أنواع الوقف

- وقف بناء الخانات لأبناء السبيل.
- وقف الرباطات لإنشاء ثكنات الجيوش.
- وقف دور الثغور للغزاة والمرابطين.
- وقف بناء دور المحتاجين.
- وقف حياض الدواب.
- وقف السبيل.
- وقف إنشاء القناطر والجسور.
- وقف البيمارستان.
- وقف دور النقاهة.
- وقف دور سكن الطلبة.
- وقف سقي العطاش.
- وقف المدرسة.
- وقف تأمين الطبابة.
- وقف الطرقات – لمدها وتعبيدها.
- وقف اطعام الهررة.
- وقف القنوات – لمن يقوم بتنظيف أقنية المياه.

فلسفة الوقفيات وإعادة التعريف

- وقف العروس.
- وقف تجبير الكسور.
- وقف الكفن - لتكفين فقراء المسلمين.
- وقف البـاءة - لتأمين صداق زواج الفقراء.
- وقف المرجة - لإيواء الحيوانات كبيرة السن.
- وقف المصحف - لنشره مجانا.
- وقف المكتبة.
- وقف مصحات العاهات المزمنة.
- وقف الكتاب - لنشر الكتب مجانا.
- وقف المساجد - للانفاق عليها.
- وقف الآبار.
- وقف قفة الخبز - من لا يجد خبز يومه.
- وقف الحرمين الشريفين - للإنفاق عليهما. وغيرها مما لا يمكننا إحصاؤه. [من محاضرة الأستاذ الحبال بتاريخ ١٩٨٤/١٠/٢٥].

التعريف المقترح

ولذلك فإنني أقترح التعريف التالي، وأضعه بين يدي العلماء والباحثين والمعنيين والمهتمين، وهو برسم التداول والمناقشة والإقناع التفاكري والتفاعلي:

«الوقف هو جهود مجتمع متمكن، بدواع ورؤى متفاوتة، لتثبيت خير أو استحداثه أو درء شر أو التحصين منه، وضمان الاستمرار بمنع الزوال الإرادي، وإلزام التشغيل المستقبلي بحده الأدنى، وذلك لحفظ قرار وذاتية المجتمع إذا مادت به ظروف ومتغيرات السياسة أو الاقتصاد برواس محمية ومشروعية محققة وإشراف منضبط».

شرح التعريف

جهود: مختلف ما يبذل ليؤدي إلى إحداث عمل ما «قول - سعي - توجيه - تمويل -..الخ» وليس منه المهمل - المشاع.. إلخ.

مجتمع: فالمجتمع أساس تقرير الاحتياجات واللوازم وهذا يجمع الأدميين المجتمعين العاقلين ويخرج غير الآدمي - غير العاقل.

متمكن: التمكن نسبي وهو بالعموم سياسي اقتصادي.

بدواع: كالخوف على الذرية أو ابتغاء العفو أو تعويض نفسي وتختلف بها خلفيات الجهود وبواعثها.

ورؤى: كالتطلع إلى تخليد الذكر أو استنفاذ جيل المستقبل.

متفاوتة: حيث إن الناس تختلف.

لتثبيت خير: قائم ولكنه عرضة للانهيار إذا ترك دعمه.

أو استحداثه: كأن يكون استحداث منفعة ما أساسا للوقف.

أو درء شر: باختلافه: صحيا كان أم اقتصاديا «فقر - جهل - مرض - تسول - إلحاد -..إلخ».

أو التحصين منه: كتأمين بدائل أو تراتيب تحصينية «ميتم - مدرسة - جامع - نشريات.. إلخ».

وضمان الاستمرار: بحبس أصل العين عن البيع والشراء والانتقال إلى ما شاء الله.

يمنع: وتحريم وضبط.

الزوال الإرادي: أي الذي يتم إراديا وليس فوق الطاقة كالجوائح.

وإلزام: لنفاذ الوقفيات والوصايا شرعا وعرفا وقانونا.

التشغيل: المنفذ لرغبات الواقف أو الموصي.

المستقبلي: لحياته وبعد موته.

بحده الأدنى: الذي فرضته الوقفية فإن التطوير والارتقاء نسبي.

وذلك: بهدف وغاية.

لحفظ قرار: فإن الوصايا والوقفيات تعمل وفق قرار واقفها.

وذاتية: فإن الموارد التي تحققها الوقفيات هي ذاتية.

المجتمع: واقفا وموقوفا عليه وله.

إذا مادت به: وطرأت عليه وأثرت فيه.

ظروف: كالحروب والانقلابات والجوائح الطبيعية.ومتغيرات: وتفاعلات وتحولات.

السياسة: بالأنظمة والمؤسسات الرسمية.

أو الاقتصاد: أو النظام الاقتصادي ومؤسساته.

برواس: فالوقفيات كالسفن المقيمة ترسو ولا تغادر الميناء.

محمية: بالشريعة والنظم والتشريعات والقوانين.

ومشروعية: قد تختلف المرجعية التشريعية، وهي عندنا الشريعة الإسلامية.

محققة: لابد للإجراء من موافقة المرجعية التشريعية.

وإشراف: من الجهات المعنية والتي يتم إيكالها بالإشراف، كنظار الوقف ولجانه ومؤسساته.

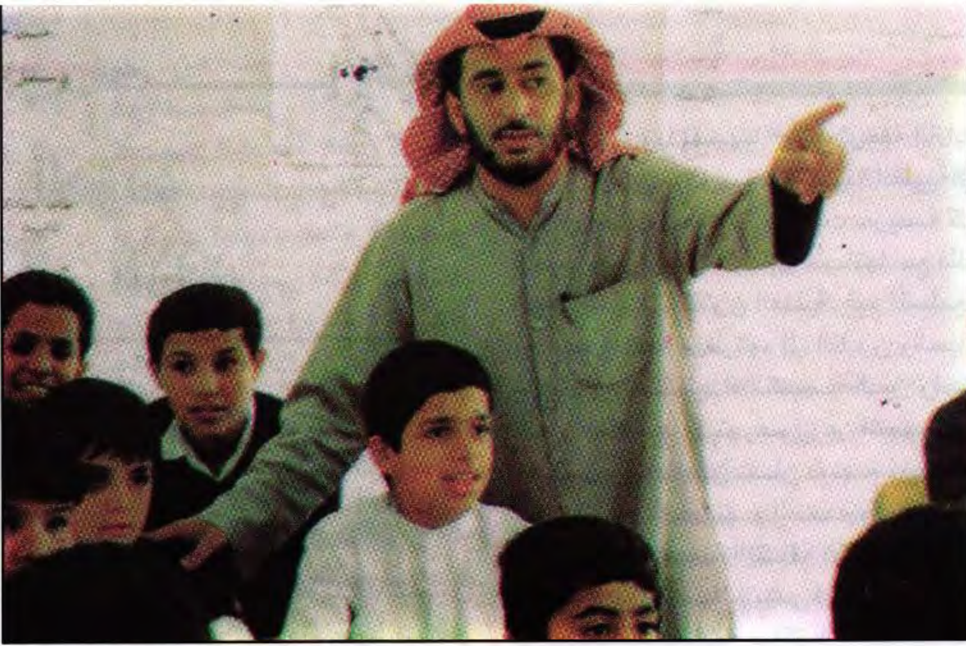
منضبط: ويتأتى ضبطه من خلال مرجعيته التي تكون القضاء أو الهيئات الوقفية العليا.

الآلية التنفيذية

١ - حبس الأصل وتسبيل أو تعميم المنفعة.
٢ - تسجيل الوقف لدى الجهات المعنية.
٣ - تعيين نظارة للوقف «شخص أو لجنة أو مؤسسة أو جمعية أو هيئة».
٤ - ضبط طريقة العمل بالوقف وسبل صرفه وكيفيات تعاطيه مع المتغيرات وتحقيق استمراره.

تصنيف أمثلة الأنواع

١ - الذري: الوقف على الأولاد وأولادهم.
٢ - المساند: وقف المغلوب بكثرة الأولاد - وقف المعيل للوالدين - وقف المعيل لأولاد معاقين.
٣ - الترفيهي - التمريضي - الترويحي: وقف مسلي المرضى بالمستشفى.
٤ - الجهادي: وقف تجهيز المجاهدين - وقف أسر الشهداء.
٥ - الإغاثي - الإنقاذي: وقف المفلسين - وقف المنهدمة بيوتهم، وقف الجرة المكسورة.
٦ - الحيوان: وقف المرج للحيوانات المريضة أو الكبيرة المتعبة.
٧ - المسجدي: وقف مساجد. وقف على مساجد. وقف على خدمة مساجد.
٨ - الريعي الدوار: وقف يعود ريعه على أعمال البر الراجعة كالقروض والمشاركة.
٩ - العقاري: وقف طرق للمسلمين. وقف ساحات ودور وأراض.
١٠ - الجابر: وقف الجرة المكسورة للأجير المخطىء.
١١ - التنموي: وقف نقل المياه للري والشرب. وقف التعليم ودور التأهيل الاجتماعي والمهني والاصلاحي.
١٢ - البيئي: وقف استصلاح مياه المسلمين ومواردها. وقف التشجير.
١٣ - وغيرها.. وقف سبيل المياه.. وقف قفة الخبز.. وقف إفطار الصائم.. إلخ□



مبادرات لابد منها في سبيل

العودة إلى الذات

وأخيراً بدأت جهود الصحوة الإسلامية تؤتي ثمارها - بحمد الله، وقررت بعض القيادات السياسية المؤمنة في الوطن الإسلامي العودة إلى تحكيم الإسلام في حياتها اليومية، بعدما تبين لها أن العودة إلى الذات شرط لازم للانبعاث الحضاري، و الخروج بشعوبها من دائرة التبعية الضيقة التي رسمها لها الاستعمار، إلى دائرة الإسلام المرنة، وأن مانعيشه من تخلف ومذلة لايتحمل الإسلام وزره، وإنما هو عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه وتراخيهم عن عقيدته الأمر الذي ازعج الدوائر الاستعمارية وامتداداتها في الوطن الإسلامي، فأعطت الضوء الأخضر إلى أجهزتها العاملة هناك لإجهاض هذا التوجه حتى لايشمل كل البلاد الإسلامية، فيفسد عليها سياستها في إبقاء الإسلام بعيدا عن دائرة العمل والتنفيذ والتوجيه، تنفيذاً لوصية جلادستون حين رفع المصحف في مجلس العموم البريطاني عام ١٨٨٢م، وقال: «إنه مادام هذا الكتاب باقياً بين المسلمين فلم يقر لنا قرار في هذا البلد - مصر - فلنعمل على تمزيقه في قلوب المسلمين».

ولعل من أهم وسائل هذه الأجهزة التي تعمل لصالح الدوائر الاستعمارية للقيام بعملية إجهاض المشروع الإسلامي تخويف الجماهير المسلمة المستهدفة بعملية التغيير، من العودة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، بما تروجه ضدها من شبهات وافتراءات مثلما أذيع في بعض تلفازاتنا العربية (*) من أن تطبيق الشريعة ينافي المبادىء العالمية لحقوق الإنسان.

﴿كبُرت كلمة تخرج من أفواههم﴾

إن التحدي خطير، المعركة حامية تستعمل فيها الدوائر الاستعمارية كل أساليبها القديمة والحديثة، حتى لايفلت زمام الأمور في الوطن الإسلامي من يديها.. ومع ذلك تبقى ثقتنا في الله أولا وفي قدرة الأمة على تجاوز هذا التحدي والعودة إلى ذاتها

بقلم: محمد الصالح بن عزيّز

واستعادة دورها الحضاري، ولكن قبل ذلك، وحتى نضمن - بمشيئة الله - كسب التحدي، لابد من قطع عدة مراحل ضرورية، تتضافر فيها جهود الدعاة والسياسين الصادقين من ولاة أمور المسلمين.

ولعل أهم هذه المراحل:

التكوين العقائدي

لابد من ترسيخ القناعة لدى أبنائنا وشبابنا، الذين تربوا على فلسفة المناهج الغربية، بأن نهضة أمتهم مرهونة بالعودة إلى الإسلام، به تشكلت شخصيتها الحضارية وتاريخها وثقافتها، وأن كل مشروع مستقبلي للبلاد لايراعى هذه الحقيقة وهذا المعطى التاريخي مآله الفشل، لأن أول البناء في تكوين الأجيال هو الإيمان بذاتية خاصة، لها قيمها ووجودها وكيانها وتاريخها، مختلفة عن غيرها.. وهذا يعني أن تبدأ مؤسساتنا التربوية والثقافية والإعلامية بالتكوين العقائدي، لأننا لانستطيع أن نظفر بالتفسير الصحيح للإسلام ونحن نسحب عليه المنهج الغربي للنقد، المتميز بأسسه التي انبنى عليها (نظرته إلى الدين، إلى الدولة، إلى المرأة، إلى الاقتصاد) (١).

والتكوين العقائدي الذي نعنيه، حتى تضمن الأمة بقاءها ونقاءها وتطورها بعيدا عن الانكسارات والانحرافات في الفكر والسلوك ذات اليمين أوذات الشمال هو:

١- التكوين الذي يحدد المفاهيم الأساسية الإسلامية، مثل مفهوم الألوهية والنبوة والبعث.

العودة إلى الذات

٢- التكوين الذي يحدد منـزلة الإنسان في الوجود وعلاقة العقل بالوحي.

٣- التكوين الذي يحدد سلما للأوليات بين القيم، مثل قيمـة العلم والعمل، والتقـوى، والتفكير.

٤- التكوين الـذي يحدد موقف المسلم من الـواقع بجميع تعقـداتـه وعنـاصره..مـاهـو إسلامي وما هو غير إسلامي.

٥- التكويـن الذي يزود الفـرد بالبـواعث الضرورية للإقبال على المعرفة في نهم وولع.

٦- التكوين الذي يحدد المفاهيم الأساسية للعمل الإسلامي: الجماعة، الشوري، السمع والطاعة (٢).

بهذا التكوين نستطيع أن نمكن أبنـاءنا من الإطـلاع على ترك الثقـافات الأخـرى، ونحن آمنون - إلى حـد م ا- من أن تصهرهـم هذه الثقافات في بوتقتها، أو أن توقعهم في سلسلة من الإنحـرافـات والتمـزقـات وألـوان من الضياع، ونستطيع أن نزيل من أذهانهم زيف الأكـذوبـة، التي روج لها الاستعمار، من أن العقيدة الإسلامية هي سبب تخلف المسلمين. وبهذا التكوين العقـائدي يدرك أبناؤنا فـرية مايردده التغريبيـون، من أن اللحاق بالغرب هو التحدي الوحيد الـذي واجه ويواجه الأمة منذ الاحتلال، وهي دعوة أن ننصهر في الفكر الغربي والمجتمع الغربي وأن نفقـد مقوماتنا وعقيـدتنـا حتى نفقـد أخص خصـائصنـا، ويدركون أن مايلـوح به لنا الغرب من تيسير وسائل نقـل التكنولوجيـا وأساليب التقدم، يجب أن تكون مبادرة حرة وغير مرتبطة بأي دعوة أخـرى إلى نقل أسلوب العيـش الغربي، بما يستهدف القضاء على الضوابط الأخلاقية والدينية والأدبية، لأن المفروض - في التصور الإسلامي - أن تكون حركة هذا العلم في إطار قيمنا ومفهومنا الـذي يقوم على بناء المجتمع الـربـاني المحرر مـن العبودية والعنصريـة والاستغلال، بمعنـى أننا إذا كنـا - مثلا - في حاجة إلى المذياع وآلة «السينما» أو آلة التلفاز، فإننا في غنى عن مسرحيـاتها وأفلامهـا، لأننا حين ننقل هذه الأدوات الصناعيـة، إنما نريد أن نشغلها بفكرنا وليس بفكر الغير (٣).

بل إن أوروبا نفسهـا - عند ترجمة التراث العلمي الإسلامي واستعارة فنونه العلمية في الطب والفلك والحساب - كانـت حريصة كل الحرص على أن لايتسرب إلى حيـاتها، مع ذلك التراث العلمي والفنون العملية، قيم المسلمين وآدابهم ولغتهم ونظرتهم إلى الكـون والحياة والإنسان، وكان أعداء الكنيسـة الذين رفعوا شعار العلمانيـة لايتورعـون عن التهجم على المسلمين والحط مـن شـأن دينهـم ونبيهـم، حفاظا على شخصيتهـم الحضارية والخوف من الوقوع في هيمنة الثقـافة الإسلامية، ولم ينظر الغرب للإسـلام بشيء من الموضوعية إلا بعـد إحسـاســه بـاكتمال شخصيتـه الحضـارية وتأكـده من تفوقـه على المسلمين (٤).وأخيرا - وليس آخـــرا - يمكّن هـــذا التكوين العقائدي أبناءنا وطلابنا من الوقوف على المعارف المعروضة عليهم موقف التعرف الصحيح على قيمهـــا الحقيقيــــة، وعلى مصـادرهـا، وعما إذا كانـت نافعـة أو ضـارة، إيجابيـــة أو سلبيـة، فيرفضـــون الـــزيف والتفاهات، وينبهون إليهـا، ويعرفون أن لهم من العلوم موقفا ومن الثقافات الأممية موقفا آخر، ويعرفون الفرق بين العلوم والفلسفات، وأن هذه الفلسفات هي نظريات فردية قوامها فروض تصح وتخطىء، وهي مرتبطة ببيئتها وعصـــورهـا، وليسـت صـالحة لعصـــور أو بيئات أخرى.

وقد سبق لأسلافنـا، بفضل عمق تكوينهم العقـائدي، أن تعاملـوا مع التراث الإنسـاني الفكـري والعملي، من موقـع القوة والاعتـزاز بدينهـم، تعاملا إيجابيـا، فأبقوا جـوانب من ذلك التراث زكوها ونموهـا، أيدوها وطوروها وصاغـوها صياغة جـديدة، وعابـوا من هذا التراث أشيـاء كثيرة، كشفوا زيفهـا، عرّوهـا ونقـدوهـا، ولم يكتفـوا بـالقبـول والـرفض والوقوف عند عطاء التراث من خلال الانتقاء، بل جاءوا بالجديد، وقدموا للإنسانية منهجية علمية تتلخص معالمهـا في العرض، والتحليل، والنقـــد، والكشف عن الجوانب السلبيـــة والإيجابيـة، والموقف، والإضـافـة الجديـدة، حيث تشكـل من مجمـــــوع ذلك، المشروع الحضاري الذي قلب وجه الحياة (٥).

تحرير مناهج التعليم والثقافة

لابد من تحريرمناهج التعليم والتثقيف من أخطار المفاهيم التي بثتها مناهج الاستعمار، إذا علمنا أن هذه المناهج كانت إحدى الوسائل التي راهن عليهـا الاستعمار لتمـزيق النفس الإسلامية والعقل الإسـلامي، بإفراغهما من جوهر الأصـالة الذي كان يعصمهـا جميعا، ويكوّن ذلك الجدار الصلب الـذي لاينفذ إليه الخطـر، وتلك الحصـانـة النفسيـة والفكريـة القـــادرة على الثبـات أمـــام كل الأعـــاصير والزعازع التي تقذف بها الثقـافات الداخلية، وقد استطاع، الاستعمار - للأسف الشديد - تحقيق هدفه، وذلك بشهادة أبنائه أنفسهم.

فهذا «مـاملتون جوب» أحد أعـلام الحملة الغـربيـة على المشرق العـربي يقـول: « لقـد أستطاع نشاطنـا التعليمي والثقافي عن طريق المدرسـة العصريـة والصحـافـة، أن يترك في المسلمين - ولـو من غير وعـي منهم - أثـراً يجعلهم في مظهـرهم العـام لادينيين إلى حـد بعيد.ولاريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر في كل مـاتركـت محاولات الغرب لحمل العـالم الإسلامي على حضارته من آثار»(٦).

إلا أن الملفت لـلانتباه والـداعي إلى الحيرة، هـو استمـــرار سيطـرة هـذه المنـــاهج على مؤسسـاتنـا الوطنية حتى بعـد حصول دولنا على مـاسمي بالاستقـلال السياسي، بل إننـا نجد أن بعض الدول العـربية بعد الاستقلال، لاتـرى حـــرجـاً في أن تـوكل مهمـــة إعـداد سيـاستهـا التربـوية وبـرامجهـا إلى رجـال الاستعمار أنفسهم، مثل مـاسمي بمشروع« جين دوبياس» .

الذي أُعِدّ للبلاد التونسية سنة ١٩٥٨م.

وكان من أهم ماأوصى به ضرورة مواصلة تعليم العلـوم والتقنيات بـالفـرنسية طـوال العشريـة المواليـة لسنـــة ١٩٥٨م، ويـذهب «دبياس» إلى أن تـونس، ذات الموقع المتوسط بين الغـرب والشرق، لـديها شيء من الميل إلى أزدواجية اللغة، وأن تعليميا مزدوج اللغة هو الــذي يمكنـه أن يتنـــاسب مع الحاجـــات الحقيقيـة للبـلاد التـونسيـة، ولايـزال هـذا المشروع نـــافــذ المفعـــول على الـــرغم من الإصلاحـات التي وقعت، والتي لم تستهدف إلا مزيداً من علمنة التعليم (٧).

وهو مـوقف يجعلنا نتسـاءل مع الأستاذ« أبـو معـاذ»: «لمصلحة من نقـوم بمسخ هـذا الجيل واجتثـاثه من أصـوله الثقافيـة وقطع أوصاله عن محيطه وتركه ضائعاً ليس ندري إلى أي أمـة هـو ينتمي ولا إلى أي ثقافـة هـو ينتسب ولا إلى أي مثـل ينبغي أن يتطلـع، ولا إلى أي رأي قيم ينبغي أن يحتكم.أليست مهمة

التربية الأولى تأصيل الإنسان في بيئته حتى يتفاعل ويسهل عليه حل مشكلاتها»(٨).

وتحرير مناهج التعليم والتثقيف يعني

١- أن نعمل بوصايا الملتقى الإسلامي المنعقد في الجزائر ١٩٧٤م، والتي ركزت على إنشاء مادة دراسية في المدارس والجامعات العربية والإسلامية، يطلق عليها اسم «مقدمات المناهج والعلوم» «يتوفر لها باحثون غيورون، يكون من شأنها أن تقدم، في مناهج الجامعات في الاجتماع والسياسة والاقتصاد والقانون والطب والتربية، دراسات تقدم الصورة الحقيقية لما قدمه المسلمون في هذه المجالات الإنسانية كلها، والذي هو - دون مبالغة - الإطار الحقيقي للفكر والحضارة والعلوم التجريبية والعلوم الاجتماعية والإنسانية قبل أن تنحرف عن طريقها الأصيل. إلى الاستجابة لأهواء الذات ومطالع البشر» (٩).

٢- أن نقدم لأبنائنا تاريخ أمتهم الصحيح غير مشوب بأكاذيب الغرب، وماقدمته - أمتهم - من أعمال خالدة في مختلف مجالات البطولة والعلم والأخلاق والإخاء الإنساني، ونعلمهم أن ما تنعم به المدنية الغربية اليوم من تقدم علمي، مدينة في جزء كبير منه إلى حضارة الإسلام التي أقامت المنهج التجريبي، ووضعت أصول العلوم التي تدّرس اليوم في الجامعات - كالطب، والاجتماع وعلم النفس والتاريخ والأدب والقانون والفلك والتربية - على أنها أوروبية المولد والنشأة، وذلك باعتراف الصادقين من أبناء الغرب أنفسهم، الذين حطموا جدار الصمت وأبوا إلا إرجاع الفضل إلى أصحابه، وهذا العلامة «بريفوت» في كتابه بناء الإنسانية يقول: «إن ما يدين به علمنا لعلم العرب (المسلمين) ليس هو ما قدموه لنا من اكتشافات لنظريات مبتكرة غير ساكنة، إنه يدين له بأكثر من هذا، إنه يدين له بوجوده ذاته»، فنكون بذلك قد أعدنا الثقة لأجيالنا في هذه الحضارة وهذا الفكر، وأعدنا لهم الاعتزاز.

بالانتساب إلى هذه الأمة، وهي بنوة عريقة، ونسب كريم، يدفعهم للمحافظة عليها والدفاع عنها بالغالي والنفيس، ذلك أن الارتباط بالماضي شرط من شروط بناء المستقبل يقول (أوغست كونت): «إنما الحاضر نتيجة للماضي، وما المستقبل إلا وليد الحاضر، وبقدر مانلم بماضينا نفهم حاضرنا، ومن ثم يمكن لنا أن نتفهم مستقبلنا».

٣- الإسراع بتنقية مايعرض على أبنائنا من مراجع تسيء إلى الفكر الإسلامي وإلى الحضارة الإسلامية، كتبها - المراجع - أقزام جندهم الاستعمار لهذا الغرض، فنعري افتراءاتهم ونفضح تواطأهم، ونعرض الفكر الإسلامي الصافي كما كتبه وعبر عنه رجال مشهود لهم بالصدق والأمانة والاستقامة وإنه لمن المؤسف أن نرى - مثلا - مؤلفات جرجي زيدان التي أطلق عليها اعتباطا روايات الإسلام، واستطاع صاحبها بوحي من الدوائر التبشيرية أن ينقل جملة الشبهات حول الإسلام ورجاله وتاريخه ودعوته وشريعته، عن طريق قصص مزج فيها الحق بالباطل، وقدمها في أسلوب براق جذاب يقوم على الحبكة والغرامية والتصوير الوجداني وخلق الحوداث المثيرة.

إنه لمن المؤسف أن نرى مثل هذه المؤلفات، تٌعتمد حتى اليوم كمرجع لدراسة فن الرواية العربية، دون التنبية إلى ماتبثه من سموم في عقول الناشئة.. ولئن وقع الرد على جرجي زيدان وأمثاله، ودحضت شبهاتهم، وفضحت أكاذيبهم وعمالتهم، فإننا لانريد لهذه الردود أن تدفن في رفوف المكتبات الوطنية أو الجامعية، وإنما نريد لها أن تنتشر بين العامة ليعم نفعها.

٤- العمل على تدعيم اللغة العربية الفصحى حتى تصبح لغة الفكر والثقافة والعقيدة والعلوم، ودحض الشبهة القائلة إن العربية غير قادرة على استيعاب العلوم، وهي شبهة - كما يعلم الجميع - يكذبها تاريخ اللغة العربية التي لم تتقهقر قط - فيما مضى - أمام لغة من اللغات التي احتكت بها، بل أثرت فيها حتى عدوا أكثر من الف وخمسمائة كلمة عربية في مجال العلم والحديث اليومي لاتزال مستعملة اليوم في لغات أوروبا.. وإنه - حقيقة لأمر مؤسف أن نرى العربية اليوم لغة ثانية بين قومها تأتي بعد الإنجليزية أو الفرنسية، بالرغم من أن الدعوة إلى التعريب قديمة قدم الاستعمار في أقطارنا، بل أليس من العار أن نسمع رئيس الوزراء في إحدى الدول العربية يلح في افتتاحه لاجتماع منظمة الجامعة العربية للتربية والعلوم المنعقد في تونس في أوائل الثمانينات، - يلح - على ضرورة تعلم العلوم باللغات الأجنبية، بعدما ظننا أننا تجاوزنا دعوة طه حسين إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية وتبديل قواعد النحو العربي، باسم تطوير اللغة، وما تعنيه هذه الدعوة من التحلل من القوانين والأصول التي صانت اللغة خلال خمسة عشر قرنا أو يزيد، والتي ضمنت وتضمن لنا القدرة على مطالعة آثار المسلمين والعرب خلال أربعة عشر قرنا، وبعدما ظننا أننا تجاوزنا دعوة فريد أبو حديد وتوفيق الحكيم وأمين الخولي إلى إعلاء اللغة الوسطى (لغة الصحافة) وجعلها لغة أساسية تفصل اللغة الأم عن بيان القرآن وتكون مقدمة لمرحلة أخرى تصل إلى العامية؟

٥- أن نعقد العزم على إعادة أساليب التربية الإسلامية لهذه الأمة، وحمايتها من هذا الخطر المتصل والمتجدد الذي يفسد عليها هذه الأجيال الجديدة المتطلعة إلى نور الله والى العلم والثقافة..ولابد أن نشير إلى أن المسجد يبقى من أهم ركائز التربية الإسلامية، وتبقى حرية المساجد ورفع الوصاية والرقابة عنها مطلباً حيوياً إذا أريد لهذه الأمة أن تحيا وتستعيد كرامتها، لايجب أن يعطل نشاطها - المساجد - بحجة مقاومة التطرف كما يقع في بعض الدول العربية التي ترفع شعار الهوية الإسلامية ولاننسى أن المساجد لعبت دوراً اجتماعياً عظيما، ساهم في تماسك الأمة وحمايتها من الذوبان، بل إن التاريخ يروى أن مقاومة المغول - وكذلك التتار والصليبيين - الذين هاجموا العالم الإسلامي من الشرق وخربوا البلاد وأهلكوا العباد، مقاومتهم انطلقت من المساجد، ولم يمر وقت طويل حتى غلب المغول على أمرهم وسجدوا لله الواحد القهار تحت سقوف المساجد التي خربوها في طريقهم من سمرقند إلى حلب، وقام أحفادهم بإعادة بناء المساجد وفيها صلّوا، وتحولوا إلى مسلمين مجاهدين في

■ إن مانعيشه من تخلف ومذلة لايتحمل الإسلام وزره، وإنما هو عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه وتراخيهم عن عقيدته

العودة إلى الذات

سبيل الإسلام، حاملين رايته، مدافعين أعداءه وسائرين باسمه في معارج الرقي والعمران.

٦- تحرير تعليم الدروس الدينية من الطرق التقليدية التي دأبت عليها مدارسنا منذ زمن طويل، والتي أورد الاستاذ محمد قطب صورة موجزة لها فقال: «أما حصة الدين فماذا فعل بها هذا الخبيث (دانلوب)؟ وضعها في آخر جدول الدراسة أي في الحصة السادسة أو السابعة في نهاية اليوم الدراسي والتلاميذ آنذاك مثقلون بثقل اليوم الدراسي، وأعصابهم مرهقة ينتظرون الصيحة الأخيرة صيحة الجرس (...) وهم في هذه الحالة من التوتر العصبي يأخذون حصة الدين ولمن تعطى حصة الدين؟ لأعجز مدرسي اللغة العربية (...) هو أولا مدرس لغة عربية من الذين أنصبت عليهم نقمة دانلوب، ثم هو أضعفهم بدناً، فيتمثل الدين في نفس الصبي بالنفور من ثقلة الدرس وصورة المعلم»(١٠). شأنها - أي الدروس الدينية في المعاهد - شأن الحصص الدينية التي تعرض على شاشات التلفاز، والتي وصفها الأستاذ أحمد محمود أبو زيد في (العدد ٣٢١) من مجلة (الوعي الإسلامي)، فقال: «وإذا ماقدم التلفاز بين برامجه المتعددة والمتنوعة برنامجاً دينيا، فإنه يقدم بشكل تقليدي ليس فيه حيوية ولاجذب للمشاهدين، ثم يقدمه في وقت ميت يقل فيه إقبال الجمهور على هذا الجهاز، ولايقف الأمر عند هذا الحد، بل نجد القائمين على برامج التلفاز يهملون البرامج الدينية إهمالا شديدا، ولاينفقون عليها إلا جزءاً ضئيلا من المال والوقت، في الوقت الذي ينفقون فيه ببذخ شديد على أفلام الإثارة والمسلسلات الهابطة ذات المضمون الهدام، وقد لمست ذلك بنفسي في تلفاز بعض الدول العربية العربية الذي تهمل فيه البرامج الدينية الجادة عمدا كماً وكيفاً ونوعا».

تأسيس إعلام إسلامي متطور

لابد أن نبادر ببناء إعلام إسلامي متطور، مجهز بأحدث تكنولوجيا الإعلام، يكون من مهامه:

■على الدعاة والمفكرين التنبيه إلى خطورة الحركات التغريبية التي تعمل على ضرب الإسلام من الداخل

١- تنبيه المسلمين إلى خطر التحدي الذي يواجه أمتهم، والمتمثل، ليس في وجود فئة من «الرجعيين والمتعصبين» في هذا البلد أو ذاك كما تروج لذلك وسائل الإعلام المأجورة وإنما يتمثل أساساً في التناقض الجذري والعميق بين الأوضاع القائمة في العالم الإسلامي، المتأثرة - إلى حدما - بإرث الثقافة الاستعمارية، وضمير هذه الأمة وثقافتها وتاريخها، وضرورة أن يكون هذا التحدي قائماً في نفس كل منا وعقله لايغيب لحظة، فلاينظر في أمر من أمور الثقافة والفكر والاجتماع إلا وهو مستحضر ذلك الخطر الذي ترمي إليه القوى الطامعة في بلادنا والتي ترى أن خير وسيلة لاحتوائنا هي استقطاب فكرنا.

٢- نشر الفن النظيف(مسرح، أغان، أفلام، شعر، قصة، الخ..) الذي ينطلق من روح إسلامية قوامها عقيدة التوحيد الملتزم حدود الإسلام، المتقيد بشرائعه، الذي يعالج قضايا من واقع المسلمين ومشكلاتهم في إطار نظرته العامة الواسعة إلى الكليات الكبيرة، الذي لايزيف الواقع ليخرج من مسؤولية الحياة إلى خداع الخيال، الذي يحمل وظيفة كبيرة، ويدعو إلى فكرة كبيرة، ويدافع عن فكرة كبيرة.

٣- تمكين الصادقين من الكتاب والمنتجين الذين رفضتهم المنابر الإعلامية الموجودة بضخامة على الساحة، والتي لم تفتح أبوابها إلا لأصحاب الدعوات المشبوهة والعاملين ضمن نشاط الدوائر الاستعمارية، تمكين هؤلاء الكتاب والمنتجين من نشر أفكارهم الإسلامية بعيداً عن ردود الأفعال المتشنجة التي تدفعهم إليها أبواق الدعاية المعادية، ومن التعريف بهم وبأعمالهم لدى العامة.

٤- فضح المآسي التي جنتها علينا رغبتنا في تقليد الغرب والتي انتهت بنا إلى التمزق بدل الوحدة، والفقر بدل الغنى، والانحلال بدل العفة، والتبعية بدل التحرر، والشك بدل اليقين.. بل إن الغرب نفسه قد ضاق ذرعاً بفلسفاته ونظرياته على الرغم من أنها صنعت على مقاييس بيئته وظروفه، لأنها لم تهده إلى حق في شأن القلب، أو إلى ضوء في شأن العقل، أو إلى سكينة في شأن النفس، لأنها فقدت الإيمان برسالة الإنسان ساعياً في الحياة، مريداً، ملتزماً بالأخلاق، مؤمنا بالبعث والجزاء.

يقول: «أوزفالد شبنجلر» في كتابه« سقوط الغرب»، « إن الحضارة مشرفة على عهد انحطاط وتدهور، وإنها تعاني أعراض الشيخوخة، وانحلال الفناء.. إن أوروبا ستقضي على حضارتها التي هي بمثابة عملاق يترنح بفعل الخمر والمرض والانحلال»، وهذا زكي نجيب محمود الذي لايتهم في تغربه يقول: « إننا لنبصر بأعيننا ونلمس بأيدينا كيف انتهى العلم الطبيعي وهذه الصناعة، إلى حالة من العرج الحضاري فكأنما هي تحجل على ساق واحدة حتى لقد أعلنوها صريحة بأنهم لم يعودوا يطيقون العقل والمعقول، وأندفعوا وراء اللا معقول والعبث» (١١).

ولانريد لكلامنا هذا أن يفهم منه أنه استنقاص واستصغار لمنجزات الغرب في ميدان الفكر والثقافة والاجتماع، بل لعل مانسمعه من صحيات الفزع والتحذير التي يطلقها علماؤه، دليل على العافية التي مازال يتمتع بها هذا الغرب.. ولانريد لحديثنا عن انحدار الحضارة الغربية أن يغدو مروحة صيف في يوم قائظ، تغرينا بالنعاس من جديد.. ذلك أن انهيار الغرب وامتداداته في العالم الإسلامي لايعني أن أوضاعنا جيدة وأننا سنكون بالضرورة نحن الوارثين، إلا إذا كنا واعين بمشكلات عصرنا، قادرين على حلها في الإطار الإسلامي، فإنما يقود العالم أصلح من فيه ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء:١٠٥] ..

ولا نريد أن يفهم من حديثنا أنه دعوة إلى أن نغلق أبوابنا أمام منجزات الحضارة الغربية، ورفضها جملة وتفصيلا، معتبرين كل مايرد علينا - حتى وإن كانت سلعتنا ردت إلينا- كفراً يحرم قبوله والاستفادة منه، لأن هذا الموقف هو جهل..

أولا: بحقيقة الإسلام الذي لايمنع المسلمين من الاستفادة بما توصل إليه غيرهم من علوم مادية وتطبيقية وتقنية ومن أساليب حديثة في الحكم وفي إدارة المجتمع، ليكونوا في مركز الأقوى دائماً.. وهو جهل..

ثانيا: بأن العزلة بين الحضارات والثقافات أصبحت أمراً مستحيلا على أثر الثورة العظيمة في وسائل الاتصال.. وهو جهل. ثالثا: بأن مثل هذا الموقف سيحول الإسلام إلى حدث خارج التاريخ الإنساني، أي إلى منهج طوباي مغرق في مثاليته وفي تجريده وفي تجاهله لوقائع التاريخ، ويحول المسلمين إلى صنف يختلف تماماً عن سائر الناس مقطوع الصلة بتيار الحياة الذي يخوض فيه جميع الآخرين من الناس والشعوب.. وإنما الذي نريد أن نقوله إن بقاء أمتنا – وكذا كل أمة – واستمرارها لايتم إلا بالمحافظة على العناصر المكونة لشخصيتها والمانعة لها من الذوبان في كيانات أخرى، وإن مرحلة التفتح – في شكله العام – لاتأتي إلا بعد أن تتم مرحلة التكوين الحضاري الذي يجب أن يتم بعيدا عن المؤثرات الخارجية.

٥- التنبيه إلى خطورة الحركات التغريبية التي تعمل على ضرب الإسلام من الداخل، وقدرتها على تغيير جلدها كلما انكشفت خطتها أو واجهها الفشل، فتتشكل في صورة جديدة.

وقد رأينا في العقود الأخيرة، عندما بدأت الحقيقة الإسلامية تفصح عن كنوزها وتشرق بأنوارها على عالم الضياع والدمار فتهفو إليها القلوب وتشرق بالأمل، ولم يستطع الغرب بأسلحته التقليدية ترويضها أو تطويعها، رأينا قادة الغزو الفكري في أوطاننا يغيرون أسلوب التعامل معها، ويروجون لكتب ومقالات تتمسح بالإسلام وتدافع عنه، فتصفه بأنه دين تقدمي، أو اشتراكي، أو ديمقراطي، وتنادي لإسلام يساري ولمسلم شيوعي، وهي مستعدة اليوم لأن تغير جلدها مرة أخرى بعد أن فشلت الشوعية في أوطانها وانحسر مدها..

وقد رد الأستاذ محسن الميلي في كتابه «ظاهرة اليسار الإسلامي» على مثل هذه الحركات فقال: «وهي ظاهرة وإن ادعى أصحابها أنها حركة تصحيحية تريد القيام بنقد ذاتي للحركة الإسلامية المعاصرة، فإنها لاتعدو أن تكون تلفيقا بين الإسلام والماركسية «كما حاول غيرهم التلفيق بين الإسلام والليبرالية»، ولاتعدو أن تكون حيلة افتعلها الفكر المتغرب بعد إحساسه بفشله في العالم الإسلامي، فأدركت أن معاداة الدين جهاراً نوع من السذاجة وقلة الذكاء، فأظ–هر التعاطف مع الإسلام لرفع تهمة الإلحاد عنه وللمفاداة بالتجديد على أساس الماركسية بخلاف الاعتقاد الإسلامي اعتبار الدين قضية شخصية».

٦- التعريف بحقيقة الصحوة الإسلامية ودحض مالحقها من شبهات – في مقدمتها تهمة التطرف – روج لها الإعلام المعادي الذي نجح في استغلال ماترسب في تراث الجماهير المسلمة وواقعهم من كره لكثير من المفاهيم كالفتنة والتمزق والتكالب على السلطة والتأخر والعنف، فعمد – الإعلام المعادي – إلى تحريك ذلك الرصيد من الكره في العقل الجمعي لهذه المفاهيم، اجتهد عن طريق التكرار المتنوع والمدروس ليوجد ارتباطا شرطياً بين هذه المفاهيم وبين الدعوة الإسلامية ورجالها، قصد تخويف الجماهير المسلمة المستهدفة بعملية التغيير من ظاهرة الصحوة، وقصد دفع السلطة الحاكمة لضربها والتصدي لها (١٢).

٧- تقريب وجهات النظر وتضييق فجوة الخلاف بين العاملين للإسلام، بعدما انتقلت جرثومة التمزق وطغيان الحزبية الضيقة البغيضة إلى سفينة الإنقاذ، فحول الاختلاف في الرأي، الذي يعتبر مكسباً لابد من استثماره، إلى أزمة في الثقة، وحول الدعوة إلى مذهبية ضيقة تجعل من أقوال الشيخ أو الزعيم ومن مواقفه المقياس النهائي للحق والباطل، فنكون بذلك قد ساهمنا في إنجاح خطة الاستعمار الذي ما انفك يعمل على إجهاض كل عمل تحرري بخلق وحدات كفاح جزئية مكان وحدة الكفاح الشاملة ليحدث الهبوط في المستوى الروحي فتتبدد القوى المكافحة وتنحرف المعركة (١٣).

هذه في تقديري أهم الخطوات التي يجب إن نبادر بها ونحن نسعى لنزيل عن شخصيتنا الحضارية ماتراكم عليها من غبار عصور من الانحطاط والتبعية، وهي دعوة أوجهها إلى الصادقين من ولاة أمور المسلمين – حكاما وعلماء – الذين يؤلمهم حال أمتهم ذات الإمكانات الحضارية الكبرى. وإنه عمل غير يسير مافي ذلك شك، ولكن مرة أخرى نقول إن إيماننا بقدرة المارد الإسلامي على تحطيم القيود وكسب معركة التحدي يجعلنا نؤكد أن غداً لناظره لقريب□

الهوامش:

١) ا الإسلام في معركة الحضارة، منير شفيق.

٢) مجلة المعرفة، العدد، ٧ السنة ٥، التكوين العقائدي أولا.

٣) إطار إسلامي للفكر المعاصر، أنور الجندي.

٤) مجلة المعرفة، العدد ٥، السنة ٢:١، التطور = احتفاظ + تجاوز .

٥) مجلة الأمة، العدد ٨٦، الأصالة والمعاصرة.

٦) نقلا عن: إطار إسلامي للفكر المعاصر.

٧) التربية والتحديث في تونس، نور الدين العرباوي.

) الجامعة الزيتونية والمجتمع التونسي (بالفرنسية)، محمود عبد المولى.

٨): مجلة المعرفة، العدد١، سنة ١٩٧٣، برامج الفلسفة وجيل الضياع.

٩) انظر: إطار إسلامي للفكر المعاصر.

١٠) مجلة المجتمع الكويتية، العدد ٣٤١.

١١) ثقافتنا في مواجهة العصر، زكي نجيب محمود.

١٢) الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مالك بن نبي. وفيه يعرض صورة مفصلة غير التي ذكرنا، لما يقوم به الاستعمار من حيل شيطانية قصد عزل الفكرة ورجالها عن الجماهير.

١٣) انظر ماكتبه مالك بن نبي في الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، بتفصيل جميل عن أساليب الاستعمار لتحطيم الجبهات المعادية له في البلاد المستعمرة.

*) قال أحد الدكاترة الضيوف في برنامج (في ظلال الحضارة) أذاعته التلفزة التونسية بتاريخ ٢٨/١٢/٩٢م: (إن تطبيق الشريعة يعد خرقا للمبادىء العالمية لحقوق الإنسان). وذكر دولتين مسلمتين شرعتا في تطبيق الشريعة تتصدران قائمة الدول الخارقة لحقوق الإنسان، ومصدره في ذلك مجلة تصدر في سويسرا.

الشباب والانحراف



بقلم

د. صلاح الدين أرقه دان

ترتفع على سطح الساحات الإعلامية والتربوية والاجتماعية والنفسية والأمنية صيحات التحذير من ظواهر انحراف الشباب، وتكاد المجتمعات جميعا تشكو من ذلك ولكن بنسب مختلفة، فالدول الصناعية تشعر بالخوف على مستقبلها لأنها لا ترى في شبابها المعاصر ما تصبو إليه من شعور بالمسؤولية واهتمام بالإنتاج وعمل جاد للحفاظ على القيم، وبالمقابل ترى بين صفوفه تفشي الإدمان والأمراض الجنسية وما يتبعها من تفكك وانحراف وجريمة وحوادث سير تملأ أعمدة الصحف اليومية، وتطال في بعض الدول علية القوم..

وتحمل الحضارة الأوروبية بواقعها ومجمل أدائها وقيمها السائدة المسؤولية المباشرة عن هذا الجانب الخطير، الأمر الذي لا يخفيه الدارسون الاجتماعيون الغربيون أنفسهم، ولا علماء النفس المختصون، ويولون الحلول المقترحة عناية خاصّة ينشرونها في المؤتمرات المتخصصة والمقالات الصحفية، ويناقشونها في المنتديات والمناظرات ذات العلاقة..

وبالمقابل، تشكو مجتمعاتنا الإسلامية من مشاكل الشباب، وإن كانت الأسباب مختلفة عما هي عليه في الغرب، بسبب اختلاف الثقافة والبيئة والظروف، ومن الملاحظ تركيز أجهزة الاعلام مؤخراً على الشباب المسلم بشكل خاص، من بروز التيارات الفكرية المنحرفة، ومن شيوع بعض المفاهيم المخالفة للفكر الصحيح، مشيرة إلى حوادث متفرقة تقع هنا وهناك،وأغلبها مما يمكن معالجته وتفهّم أسبابه، وقد يصل بعضها إلى درجة خطيرة في استخدام العنف أو مقدّماته.. والسؤال: كيف يمكن تحصين الشباب من هذه التيارات والمفاهيم المنحرفة؟

وتيارات الفكر المنحرف ليست ظاهرة مختصة بعصرنا وحده، فقد عرف التاريخ الإسلامي خلال مسيرته الطويلة كثيراً من الأفراد والفرق المتطرفة والمنحرفة، كما ظهر في بعض أبنائه عوارض التهاون في الاعتقاد، والمفهوم، والتعبّد، والتعامل مع الواقع، ووقع بعض المسلمين بين إفراط وتفريط، ولكل ذلك أسباب أدّت إلى ظهوره، ولا بد من سبل معالجة لإعادة الأمور إلى نصابها..

ولقد درست جهات مختصة - رسمية وعلمائية - هذه الظاهرة واقترحت لها حلولا، وربما قام بعضها بخطوات عملية في هذا الاتجاه، ويبقى الباب مفتوحاً أمام مساهمات الغيورين لإلقاء مزيد ضوء على أسباب ظاهرة الانحراف الفكري والسلوكي عند الشباب المسلم الملتزم، وسبل معالجتها، ونحن فيما يلي نركّز على محورين اثنين أحدهما يتعلّق بالشباب نفسه، والآخر بالظروف التي تحيط به، ولا ندعي أن الأسباب محصورة في المحورين المذكورين فقط..

ونرى (الجهل) على رأس أسباب الانحراف الفكري، فالإنسان عدو ما جهل، ولذلك كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وكان الحماس والاندفاع في طريق إبراز الشعار الإسلامي لا يكفي وحده إن هو ابتعد عن العلم الشرعي الصحيح، ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي ﷺ يسالون عن عبادة النبي ﷺ فلمّا أُخبروا كانّهم تقالّوها، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر. قال أحدهم: أما أنا فاصلي الليل أبدا. وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أُفطر. وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأُفطر وأُصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب

عن سنتي فليس مني»..

فجهل هؤلاء دفعهم، من حيث لا يدرون، بل من حيث يظنون أنهم يحسنون، إلى الوقوع فيما نهى الشرع عنه من الإجهاد في العبادات، والزهد الموهوم في متاع الدنيا، والإعراض عمّا أحلّ الله.. وكان موقف النبي ﷺ كالعادة، تعليم الناس الخير، وهو الأسوة الحسنة لكل من أراد اللهَ واليومَ الآخر.. ولا يقضي على الجهل سوى العلم، والعلم الصحيح على وجه التحديد، وهذا يحتاج إلى صبر من العالم ومثابرة من المتعلم، ولقد يسّرت وسائل العصر الحديث آليات نشر العلم والمعرفة، عن طريق أجهزة الاتصال المتطورة، من التلفاز والمذياع بالإضافة إلى المجلات والصحف والكتب وأجهزة الحاسوب الآلي (الكومبيوتر)، وأصبحت المدارس والمعاهد والجامعات، بالإضافة إلى الدورات والمحاضرات وحلقات المساجد، في متناول الجميع من ذكر وأنثى، والمسلم في أقاصي الأرض بات وكأنه في حضن الوطن باستخدامه لما ذكرنا، ولكن يبقى على أهل العلم والمسؤولين أن يقدّموا هذا العلم بالشكل السليم الجذّاب، فلا يصحّ أن يكون مروجو البضائع والمعلنون والمسوّقون للسلع المختلفة أكثر قدرة وكفاءة من الدعاة إلى الخير..

والتسويق والدعاية والإعلان، تتشابه والدعوة ونشر الفكر من أوجه على رأسها توظيف الرغبات والجواذب لشدّ الانتباه؛ ومن ثمّ التهيئة للتلقي والقبول، فما زالت طرق ومناهج الدعوة الاسلامية، والتعليم الديني على وجه الخصوص، تقليدية بعيدة إلى حد ما عن أسباب الجذب والارتباط بالإنسان وحاجاته، وكثير منها يلقى وكأنه خطبة جمعة على منبر، تأخذ طابع التوجيه المباشر، مستخدمة أسلوب الوعظ والإرشاد، وكثيرا ما يعتمد النجاح أو الفشل في العرض على المدرّس أو المعلّم، فتتفاوت الصورة والنتيجة بين مدرّس وآخر، كما تختلف الانطباعات بين فصل دراسيّ وآخر..

حتى المسرحية والتمثيلية والفيلم الديني ما زال دون مستوى الأعمال الفنية التوجيهية في الطرف المقابل، فكم من فرد أو أسرة أغلقوا التلفاز أو غيروا قناة البث بمجرد الإعلان عن البرنامج الديني، وبالمقابل كم من طفل أهمل دراسته وطعامه وشرابه منصرفاً إلى فيلم الرسوم المتحركة بألوانه الزاهية ومواقف الإثارة والمغامرة، يحمل مع هذه الجواذب الأفكار الهدّامة ومفاهيم العنف وسواها..

نحتاج باختصار إلى تغيير طرق الطرح، ونحتاج توظيف ما توصّلت له التجربة مع النفس البشرية في ميدان نشر الفكر الإسلامي والمفاهيم القرآنية، وهي مهمّة تحتاج تضافر جهود تجمع بين المسؤولين والعلماء والتربويين والإعلاميين، فهي عملية متكاملة ذات دورة محددة وواضحة..

ومن أسباب الانحراف الفكري، وقدرة أصحاب التيارات المنحرفة على جذب الشباب واستيعابهم وتعبئتهم؛ وربما توجيههم للقيام بما لا تحمد عقباه؛ فقدان (الحوار) الحر البعيد عن الخوف والرهبة، فمن لم يطمئن على نفسه، ولم يأمن جانب السلطة السياسية أو الدينية يحتاط فيتشرنق وينمو فكره بعيدا عن الواقع، ومَثَلُه كمَثَل الذي ينشأ بعيداً عن الشمس والنور والهواء الطلْق حبيسَ المباني الأرضية، فلا يُتَصوَّر أن يمتلك جسماً سليما ولا جوارح معافاة، وكذلك من ينشأ في جو من الخوف والحذر والترقب الفكري لا يمكن أن نتصوّر سلامة فكره ومنهجه، ومثل ذلك من لم يجد فرصة إبداء الرأي وإعلان مكنون نفسه لأي سبب من الأسباب الخارجية..

ومن الملاحظ في سيرة النبي المصطفى ﷺ حرصه على معايشة الشباب والاستماع إليهم، وإفساح المجال ليسمعوا حواراته داخل المسجد مع الوفود ومنها وفود مشركين ويهود ونصارى ومجوس وغيرهم، بل من الملاحظ أن القرآن الكريم ذكر حجج المشركين، وتطرق إلى حجج إبليس وحواره مع آدم، تعليماً لنا وتوجيهاً إلى أن الكبت والكتمان ليس الطريق السليم الموصل إلى الحقيقة، وتنبيهاً على أن المجتمع المسلم يثق في نفسه وفي عقيدته وفي منهجه بما لا يدعو إلى التخوّف من الآخرين وآرائهم، حتى لو كانت آراء شرك وعقائد كفر، ما دامت الحجة تقارعها الحجة، وما دامت الفرصة متوفرة للجميع ليدي بدلوه بعيدا عن مؤثرات الإكراه والتزييف..

ولابد من الإشارة هنا إلى أن معايشة الواقع تبعد الفرد والجماعة عن التنظير المثالي، الذي أدّى بكثير من الأفراد والحركات إلى ما نراه في واقع اليوم الأليم، والمثالية ليست مرذولة لذاتها، ولكنها إن انفصلت عن الواقع أدت إلى عالم خيالي أقرب إلى الأسطورة منه إلى الحقيقة، عالم لا علاقة له بالحقائق الملموسة ولا التجربة الحية المُعاشة، ولا بحاجات الإنسان وطاقاته وقدراته، والشباب في سعيه إلى التغيير قد يستثقل الانتظار، ويرهقه التدرج، فيرى الأمور من زاوية تختلف عما يراها منه أهل العلم والبصيرة، فتدفعه حسن النية المنفصلة عن التجربة الحية، المرتبطة بالحياة إلى ما نراه من تخبط، وتكون النتيجة على خلاف ما تقرره المصلحة الشرعية وإلى خلاف ما يسعى إليه الفرد نفسه، بعيدا عن الحكمة، وهل الحكمة إلا معالجة الواقع الفكري أو المادي بالتي هي أحسن، بما يحقق الهدف المنشود ولا ينفر عنه؟



كانت تأخذنا الدهشة، ويمتلكنا العجب عندما ننظر من أعلى إلى شوارع المدينة وأبنيتها التي تلفها غماقة رمادية من الضباب الدخاني، ومع مرور الزمن وازدياد معرفتنا أصبحت تأخذنا الشفقة على هؤلاء الأطفال الذين يعيشون في هذا الوسط الحضري، فالضباب الدخاني هذا، ما هو إلا نتاج عوادم السيارات التي تجوب شوارع المدينة بأعداد كبيرة وباستمرار، وفي هذا الضباب الدخاني ترتفع نسبة الملوثات البيئية، ولعل أهم هذه الملوثات هو عنصر الرصاص الذي تتراوح نسبة كثافته في المناطق الحضرية بين ١ – ١١٠ ميكروجرامات في كل متر مكعب من الهواء، وتنخفض النسبة كلما ابتعدنا عن المدينة، حتى تصل إلى ١ ميكروجرام/م٣.

أما اليوم فقد ازدادت أهمية التلوث بالرصاص وتابع العالم بأجهزته ووسائله المختلفة هذه القضية البيئية المهمة حتى أثارت الصحف اليومية قضية الرصاص في برادات مياه الشرب في المنازل، حيث أصدرت وزارة الصحة الكويتية بيانا حذرت فيه المواطن من استخدام برادات مياه الشرب المصنعة محليا.



الرصاص القاتل الخفي

*باحث في تنمية الموارد البيئية

بقـــام :د. عــواد جـــاسم الجدي*

■تقـــدّر الـــدراســـات البيئيـــة المختلفـــة أن عـوادم السيارات التـي تنفث الـدخان هـي المسؤولـة عن ٨٠٪ مـن إجمالي الـــرصـــاص الموجـــود في الهـواء

وقال البيـان: إنه إثـر قيام وزارة الصحـة بعمل تحليل لعينـات من ميـاه الشرب، وجـد أنها تحتـوي على نسبـة مـن الـرصـاص، وبـالتحـري عن سبـب ذلك اتضح أن ملف التبريـد المغمـور مبـاشرة في ميـاه الشرب لتحقيق تبريد أسرع وتقليل استهلاك الطاقة، هــذا الملف مطل في بعض الأحيـــان بمادة القصـديـر، حيث يحتـوي على نسبـة من الرصاص، ومع الزمن تتـآكل مادة القصدير وتذوب أملاح الرصاص في الماء.

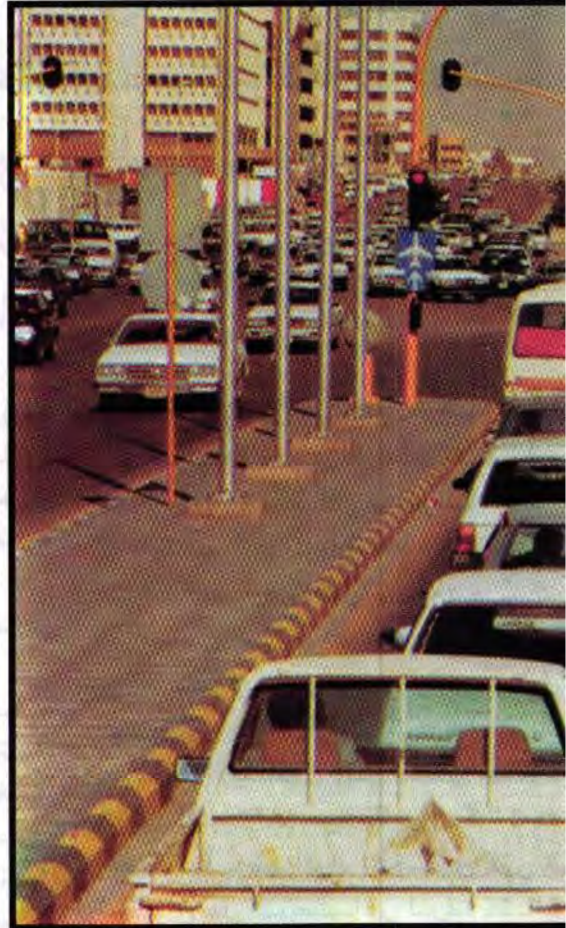
فما هـذا العنصر؟ وما هـي الحدود الدنيـا الضارة لـوجوده في جسم الإنسـان؟ وما هي الأضرار التي يسببهـا تـراكمـه في الأحيـاء؟ وكيف يتم وصوله إلى جسم الإنسان؟

الرصاص عبر التاريخ

عرف الـرصاص منـذ القدم، واستخـدمه الإنسان استخدامـات مختلفة، وتحدثنا كتب التاريـخ عن استخدام الـرومان لهذا العنصر الـذي أدى - كما تبين فيما بعـد - إلى زوال مملكتهم وحضـارتهم، فصنعـوا منـه أواني الطهي، وأوعيـة الطعـام، وكـؤوس الشراب. وصنعـوا منـه ألواحـا تسقف بها مبـانيهم، وأنابيب لنقل المياه إلى قصور وبيوت الطبقة الحاكمة.

وسلط اللـه عليهم لعنـة الـرصـاص من خلال النبيـذ الذي كانـوا يخزنونـه في أوعية فخارية، مبطنة بالـرصاص، وبمرور الزمن يتأكسـد النبيذ تاكسـدا جزئياً، وينتـج عنه بعض الأحماض فتـذيـب هـذه النـواتج الحمضيـة الـرصـاص ويختلط مع النبيـذ، وبـذلك يجد طـريقـا سهـلا إلى أجســام الشاربين.

ويربط أصحاب هـذا الرأي بين افتراضهم العلمي هذا، بما سجلـه التاريخ من كثـرة ما كـان يولـد ميتـا من أطفـال «الطبقة العليـا والحاكمـة»، كـذلك بـانتشـار حـالات الجنون والصرع في أفـراد الأسرة الذين يبلغـون سن الـرشد، ويـربطـون ذلك أيضـاً بـوفـاتهم المبكـرة حيـث تـدل الـدراسات على أن متـوسط عمر أفـراد هـذه الطبقـة كان لا يتعـدى ٢٥ سنـة، ويـؤكـد العـالم الكنـدي «جيروم فير يـاجـو»، مـديـر معهـد بحـوث الماء في أونتاريو تلك الحقيقة، وذلـك بالدراسة التي نشرهـا عـام ١٩٨٧، ويشير إلى نهايـة كل من «كلوديـوس» الذي كـان يعـاني مـن أرق دائم، واضطــراب في معـدتـه، و«كـاليجـولا» الـذي وصفت تصرفاتـه بالشـذوذ، واتسمت قـراراته بـالعبثيـة إلى «نيرون» الـذي أصيب باضطـراب عقلي. فكان وباء الـرصاص بمثـابة سـوسـة وئيدة الخطى نخـرت بنيـانهم، وهدتـه تدريجيـا، وعجلت في زوال إمبراطوريتهم.



الرصاص في بيئتنا

هذا ما جـاء عن الأقدمين وقصصهم، ولكن الـرصـاص الـذي يستخـدم اليـوم في صنـاعات مختلفـة يفـوق رصـاص الدولـة الـرومانيـة أضعافـاً مضـاعفة فقـد تجاوز الإنتاج العـالمي للرصـاص ٥,٥ مليون طن، وهـو يوجـد بشكل طبيعي في التربة والمياه، والنبات، والحيوان، على الرغم من أنه لا يعتبر عنصرا غذائيـاً، ويدخل الرصاص في العـديد من الصناعـات الحديثة، كأنـابيب المياه التي تستخـدم لجر الميـاه إلى المنـازل وبعض المزارع، وفي العديد من الصبـاغات التي تطلى بها جدران المنـازل والمباني، كـذلك يدخل في صنـاعـة البطـاريـات والمبيـدات الفطـريـة والحشرية والمعجـون الذي تثبت بـه الألواح الزجاجيـة في الأطر، والمادة التي تستخدم في اللحـام الجانبي لعلبات الأغـذية، وتحتـوي حروف الطباعة على رصاص، وحتى صناعة الذخيرة، يـدخل فيها الرصاص، وهـو كذلك في القواريـر وأطباق المائدة، ويعـرفه صنـاع الخزف، كما أن لصنـاعة الكـريستـال خبرة فيما يفعلـه أكسيد الـرصاص في منتجـاتهم حينما يحلل إلى أطيـافـه الـزاهيـة البراقـة، ويـدخل الرصـاص في كثير من مستحضرات التجميل كأصبـاغ الشعـر، والكـريمات، والكحل، والعديد مـن المنتجات الأخرى التي تدخل في صميم حياتنا اليومية.

وللدلالة على ازدياد واستخـدام الرصاص نشير إلى أن إنتـاج العالم منـه قد ازداد عـام ١٩٦٠م إلى ستـة أضعـاف عما كـان عليـه سابقاً.

عوادم السيارات السبب الرئيسي

وقـدرت الـدراسـات البيئيـة المختلفـة أن عـوادم السيـارات التي تنفـث الـدخـان هي المسـؤولـة عن ٨٠٪ من إجمالي الـرصـاص الموجـود في الهواء، ويعود ذلـك إلى مركبـات مثل رباعي إيثيل الـرصاص Lead tetra-ethyl، ورباعي ميثيل الرصاص Lead tetramethyl التي تعمل على زيادة فاعلية الاحتراق في المحرك، والحد من عملية الخبط

الرصاص
القاتل الخفي

والفرقعة التي تحدث داخل محركات السيارات، نتيجة لتبادل أشواط الاحتراق في المحرك الواحد، وبعد اكتشاف هذه المركبات أضيفت إلى وقود السيارات (بنزين)، إما مركب لمفرده أو الاثنان معا. ولكن نجاح الفكرة لم يدم طويلا إذ سرعان ما عرف الخبراء أن الوقود المرصص «الذي أضيف إليه أحد المركبين السابقين أو كليهما»، يحترق في آلات الاحتراق الداخلي، وتتأكسد مكوناته وينتج أكسيد الرصاص ضمن ما ينتج من عوادم السيارات.

كذلك عرفوا إمكانية ترسبها داخل جدران المحرك، فأضافوا مادة «بروميد الاثيلين» إلى البنزين لمنع الترسب حيث تتفاعل هذه المادة مع رصاص الوقود المرصص لتتحول إلى مادة جديدة هي «بروميد الرصاص» وهي مادة متطايرة تخرج من غازات المحرك الساخنة وتترسب بعد ذلك مزودة البيئة بإضافات جديدة من الرصاص.

لقد حددت منظمة الصحة العالمية وهيئات حماية البيئة أعلى حد لإضافة مركبات الرصاص إلى البنزين وهو ٠,٨٤غ لكل ليتر من البنزين ولكن دولا عديدة خطت خطوات عملية لتخفيض هذا الرقم كثيرا أملاً بالوصول إلى إزالة هذا العنصر نهائياً من البنزين من خلال تحسينات تدخل على المحرك للمحافظة على أدائه وقوته وسرعة اندفاع السيارة، وفي مارس عام ١٩٨٥م، أعلنت منظمة حماية البيئة العالمية تخفيض نسب الرصاص المضاف إلى البنزين على النحو التالي:

- لغاية يوليو ١٩٨٥ تخفض الكمية إلى ٠,١٣ غرام/ليتر.
- لغاية يناير ١٩٨٦ تخفض الكمية إلى ٠,٠٣ غرام / ليتر.
- لغاية يناير ١٩٨٨ تخفض الكمية إلى ٠,٠١ غرام / ليتر.

واتخذ المسؤولون في دول متقدمة كاليابان والسويد وبريطانيا وفرنسا واليابان إجراءات مماثلة، وذلك للحد نهائيا من إضافة الرصاص إلى البنزين.



■الرصاص أهم الملوثات البيئية المعاصرة، وتتراوح نسبة كثافته في المناطق الحضرية ما بين ١ - ١١٠ ميكروجرامات في كل متر مكعب من الهواء

والجدول (١) يبين كمية الرصاص المضافة إلى البنزين في بعض الدول الأوروبية وذلك عام ١٩٨٣، والخطة للتخلص منها حتى عام ١٩٩٠.

ويبين الجدول (٢) مواصفات البنزين في دول الخليج.

إن عملية الاستغناء عن إضافة مركبات الرصاص في مصافي البترول ومصانعه لإنتاج البنزين عالي الكفاءة، وإن كانت مكلفة وتتطلب جهودا إضافية إلا أنها مفيدة بيئياً وتستحق التطبيق والسعي في تنفيذها لحفظ وحماية البيئة من هذا الملوث الخطير.

ووسيلة للحد من انبعاث الملوثات الغازية الأخرى لأن معظم الوسائل المستخدمة عالمياً للحد من انبعاث ملوثات السيارة تتعطل بوجود مركبات الرصاص وتجري الآن في دول عديدة من العالم أبحاث لإيجاد وقود بديل للبنزيل ففي البرازيل وكوبا مثلا يستخدم الايثانول وعلى نطاق محدود كوقود للسيارات بديلا للبنزين كما تمت إضافة بعض المواد الأخرى التي لا تحتوي على الرصاص لرفع كفاءة

البنزين في المحرك مثل مادة ميثيل ثلاثي بيوتيل الأثير M1BE.

وخطورة الرصاص تعود إلى بقاء دقائقه في الوسط البيئي مدة طويلة دون أن تتحلل وإمكانية انتقالها من مكان إلى آخر لتصل في النهاية إلى جسم الإنسان. لقد وجد العلماء أن مادة بروميد الرصاص المتطاير تكون مع الهواء معلقاً دقيقاً يبقى زمنا طويلا في هواء الشوارع المزدحمة وتعرضنا المستمر له يجعله من المواد التي تمتلك فرصة التراكم في أجسامنا فإذا ما علمنا أن الليتر الواحد المحترق من البنزين يعطي غازات ينفثها العادم تحتوي ضمن مكوناتها على ملليجرام واحد من الرصاص لأدركنا خطر هذا الملوث خاصة في المدن و المناطق الصغيرة المزدحمة بأعداد كبيرة من السيارات.

ومن المفيد ذكره أن الهواء و الضباب المشبع بملوثات الرصاص لا يقتصر وجوده على أجواء المدن فقط، بل ينتشر إلى مسافات بعيدة، فمنذ سنوات رصد البيئيون في جليد القطب الشمالي «جزيرة غرينلاند» نسبة من الرصاص بلغت ثلاثة أمثال نسبتها منذ ثلاثين عاما.

يدخل الرصاص إلى أجسامنا عن طريق الطعام الذي نأكله والهواء الذي نتنفسه ووجد العلماء أن ٩٠٪ من الرصاص النافذ إلى الجسم يأتي عن طريق الطعام والباقي عن طريق الهواء، وتشكل الأغذية التي نتناولها خاصة الملوثة المصدر الأساسي للرصاص فلقد أثبت العلماء قدرة الخضراوات الورقية والفواكه على اختزان كميات من الرصاص إذا كانت مزروعة في بيئات ملوثة خاصة تلك الحقوق المزروعة بالقرب من مصافي النفط أو طرق المواصلات المزدحمة بالسيارات.

وعلى سبيل المثال تكون ثمار الطماطم والجزر أقل في محتواها من الرصاص موازنة بأنواع الخضر الورقية التي تؤكل طازجة كالخس والجرجير والكرنب حتى لو زرعت في تربة ملوثة واحدة وعلى نفس المقياس بالنسبة لثمار الفاكهة الملساء التي تتراكم عليها كميات أقل من الثمار ذات الأوبار كالمشمش والخوخ وغيرها!

الأطفال أول المتضررين

يكون الأطفال أكثر المتضررين من تراكم الرصاص في أجسامهم إذا ما وجدوا في البيئة الملوثة بالرصاص وذلك لاستجابة أجسامهم حيث يمرون بأكثر مراحل العمر قابلية للنمو حيث يؤدي إى ظهور الأنيميا عندهم وذلك لقابلية الرصاص بالتدخل في بناء مادة هيموجلوبين الدم، وأضعاف تكوين هذه المادة.

ولعل أخطر ما في الرصاص هو أنه متى دخل الجسم بقي فيه، فالجسم لا يطرح سوى ١٠٪ فقط من الرصاص، أما الـ ٩٠٪ الباقية فتستقر فيه وتتواجد في العظام غالبا على هيئة فوسفات الرصاص بعد أن يحل محد كالسيوم العظام ولا يستقر في العظام بل يتسلل إلى خلايا الدم متسببا في إبطال عمل أنزيمات الخلية ولهذا تتوقف التفاعلات الضرورية الخاصة لاستمرار حياة الخلية بصورة طبيعية.

لقد بينت أبحاث العلماء نتائج خطيرة مفادها أن هناك ترابطا وثيقا بين نتائج الأطفال في امتحانات الذكاء وبين نسبة الرصاص في دمائهم.

فيعمل وكما قدر العلماء على إضعاف الذاكرة لدى الأطفال، وللرصاص تأثيرات مهلكة على الجنين في الرحم، حيث يخترق جدار المشيمة ويحدث فيها تشوهات تؤدي إلى إجهاض الحوامل، وعند الكبار يرتفع ضغط الدم. ويسبب الرصاص تدميرا في خلايا القشرة المخية وذلك ما يضعف ذاكرة المصاب ويفقده قدرته على التفكير واتخاذ القرارات الصحيحة. إضافة إلى ما يحدث من فشل كلوي وأمراض أخرى قد يكتشفها العلم لاحقا. ويمكن للقائمين على أمور البيئة اتخاذ كل الاحتياطات لتقليل نسبة هذا العنصر في البيئة لعل التشجير وإيقاف إضافة الرصاص إلى البنزين واستبدال أنابيب المياه بأخرى بلاستيكية أو غير رصاصية ووقف الملوثات من المصادر الأخرى من أهم هذه الإجراءات□

الدولة	كمية الرصاص (غم/لتر)	ملاحظات
بلجيكا	٠.٤	سيخفض إلى ٠.١٥ في ١٩٨٧/١/١
هولندا	٠.٤	سيخفض إلى ٠.١٥ في ١٩٨٧/١/١
ألمانيا	٠.١٥	إدخال البنزين الخالي من الرصاص في ٨٦
النمسا	٠.١٥	
بريطانيا	٠.٤	سيخفض إلى ٠.١٥ في ١٩٨٦
سويسرا	٠.١٥	إدخال البنزين الخالي من الرصاص في ١٩٨٦.

الجدول (١)

الدولة	النوع	الرقم الأوكتيني RON	محتوى الرصاص غم/لتر
السعودية	ممتاز	٩٥	٠.٨٤
	عادي	٨٣	٠.٨٤
البحرين	سوبر	٩٨	٠.٨٤
	عادي	٩٠	٠.٨٤
الكويت	ممتاز	٩٨	٠.٨٤ - ٠.٥٣
	عادي	٩٠	٠.٨٤ - ٠.٥٣
قطر	ممتاز	٩٧	١.٠٦
	عادي	٩٠	٠.٨٥
الإمارات	ممتاز	٩٧	٠.٨٤
	عادي	٩٠	٠.٨٤
عمان	ممتاز	٩٧	٠.٦٢
	عادي	٩٠	٠.٦٢

الجدول (٢)

بعد التطوير الذي طرأ عليها

الوعي الإسلامي في عيونهم

بعد واحد وثلاثين عاماً في خدمة الدعوة الإسلامية، ترتدي مجلة الوعي الإسلامي أبهى حللها، لتخرج لجمهور القراء في ثوبها الجديد، تبويباً، وإخراجاً، وذلك لمسايرة التطور الذي طرأ على معظم الصحف والمجلات في الساحة، آخذة بعين الاعتبار محافظتها على طابعها وثقافتها الإسلامية. إن تبويت المجلة الجديد لمس أكثر مجالات الحياة دينية، واجتماعية، وتربوية، وطبية.

وفي هذا التحقيق نعرض رأي القراء في التطوير الذي طرأ على مجلة (الوعي الإسلامي).

وزير الأوقاف السابق محمد صقر المعوشرجي:

أهنىء المشرفين على المجلة على هذا التطوير الذي جاء نتيجة دراسات متواصلة

بداية يقول معالي الأستاذ محمد صقر المعوشرجي، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السابق، والذي صدر أول عدد بعد التحرير في عهده:

أهنىء الشباب الذين يشرفون على مجلة (الوعي الإسلامي)، وأنا أعرف صدقهم، وصدق نواياهم تجاه بلدهم الكويت، وتجاه القارىء نفسه. ومما لا شك فيه أن هذا التطوير الذي طرأ على المجلة جاء نتيجة دراسات متواصلة، أدت إلى قناعة المسؤولين في هذا التطوير الحاصل بالمجلة.

ويضيف السيد محمد صقر المعوشرجي قائلاً: إن هذا التطوير يؤدي إلى انتشار المجلة على نطاق أوسع بين القراء في الكويت بخاصة، والعالم الإسلامي بعامة. وآمل أن يكون للمجلة طابع السمت والوقار، وألا تقلد المجلات العادية الأخرى المنتشرة في السوق، وأن يكون لها مظهر وطابع مميز، يختلف عن طابع المجلات الأخرى.

ويرى السيد محمد صقر المعوشرجي أن عدد صفحات المجلة قليل، وبخاصة أنها شهرية، فالمفترض أن يكون عدد صفحاتها أكثر مما هي عليه الآن.

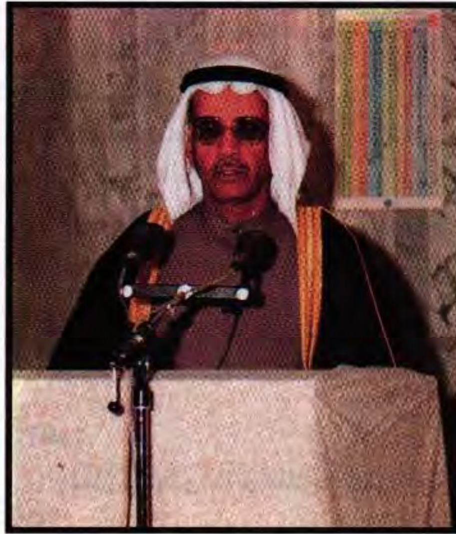
الاهتمام بالدول الإسلامية

ويضيف معاليه قائلاً:

إن من أهداف مجلة الوعي الإسلامي، تثقيف الإنسان المسلم، وبالتالي يكون من البدهي الاهتمام بالبلدان الإسلامية، وبخاصة دول شمال وشرق آسيا. فكثير من الشباب المسلم لا يعرفون الكثير عن هذه الدول، بل والبعض منهم يفتقر إلى أبسط المعلومات عن المسلمين في هذه الدول، فمعرفة الشباب المسلم بدول العالم الإسلامي، يجعلهم يتفاعلون حول معظم القضايا التي تحيط بنا.

براعم الإيمان

أما عن ملحق الأطفال (براعم الإيمان) فيقول السيد/ محمد صقر المعوشرجي: إن هذا الملحق ممتاز، ويؤدي رسالته للطفل المسلم بشكل جيد، فمن خلاله يعرف الطفل الكثير عن أمور دينه، وتاريخه الإسلامي بطريقة مبسطة ومحببة لديه، لأن الموضوعات معروضة بشكل جيد، يفهمها الطفل، ويهتم بها، وأرى أن القائمين على هذا الملحق يبذلون جهدا كبيرا حتى يخرج بهذا الشكل الجيد والمبسط.



●الوزير السابق للأوقاف والشؤون الإسلامية / محمد صقر المعوشرجي

تحقيق: أحمد فرغلي

طفرة صحفية

وعن التطوير الذي طرأ على (الوعي الإسلامي) يقول علاء الدين دوارة ـ نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية المصرية:

إن مجلة (الوعي الإسلامي) واحدة من المجلات العربية المعروفة بشكل واسع لدى القارىء المصري، ولها انتشار واسع في مصر، أما التطوير الذي طرأ عليها مؤخراً، فيزيد من انتشارها، وللمجلة في ثوبها الجديد العديد من المزايا أوجزها فيما يلي:

● حجم المجلة بشكلها الحالي أفضل من الحجم السابق، لأن القارىء في وقتنا الحاضر اعتاد على هذا الحجم من المجلات، ولذلك نجد معظم المجلات العربية تصدر في حجم مجلة (الوعي الإسلامي) الحالي.

● تبويب المجلة أكثر من جيد، فهي إلى جانب المواضيع الدينية، فيها أبواب أخرى متعددة، وهذه الأبواب تأخذ أيضا الصبغة الدينية، أو بمعنى أنها تتطرق للقضية التي تناقشها من منظور ديني.

● الإخراج في المجلة ممتاز، فالمجلة بها عدد كبير من الصور التي تخدم الموضوعات، بالإضافة إلى تعدد العناوين الرئيسية والثانوية والفرعية، كما أن العناوين الفرعية طبعت بلون مخالف لمادة الموضوع، وهذا يعطي القارىء شعورا جمالياً، وراحة نفسية وهو يقرأ الموضوع.

● استخدام المجلة للأرضيات، وهذا يحرك الموضوع المنشور، ويخلق تباينا بين الموضوعات، كما أنني أجد مثلا في الموضوع الواحد أكثر من أرضية، حسب الخبر المنشور كما في صفحات (نافذة على العالم)، وهذا يشد انتباه القارىء للخبر، بالإضافة إلى إضفاء ناحية جمالية للصفحة بشكل عام.

● غلاف المجلة ذو طابع إخراجي متميز، وتعدد العناوين، وتباينها سواء من حجم البنط، أو اللون يُكوّن عناصر إخراجية متناسقة، تستقطب نظرَ القارىء من أول نظرة إلى غلاف المجلة.

● إخراج الملحق (براعم الإيمان)، جاء بصورة جيدة، يتماشى ونفسية الطفل، ويحفزه على قراءة محتوياته.

باع طويلة

أما محمد علي سراج ـ بدائرة خدمات الأحمدي،

قسم صيانة المباني ـ شركة النفط الكويتية فيقول:
إن لمجلة (الوعي الإسلامي) باعا طويلة في مجال الدعوة الإسلامية، ويكفيها شهادة على حسن أدائها، استمراريتها في هذا المجال لأكثر من ٣١ عاماً من العطاء المستمر، ورؤيتها الثاقبة لكثير من الأمور والأحداث التي تدور في مجتمعنا الإسلامي، فكثير من الدول الإسلامية لم أعرف ما يدور فيها إلا من خلال الوعي الإسلامي وبعض الصحف الكويتية.

أما المجلة في ثوبها الجديد، فهي تقطع شوطا كبيرا في تأدية رسالتها، إلى جانب أنها تصدر ملحقا لأطفالنا، فهي تتبنى العديد من القضايا الاجتماعية والتربوية التي تمس حياتنا اليومية، وتؤثر على أطفالنا، لعل المثال على ذلك الموضوع المنشور مؤخراً في المجلة عن (العنف والتلفاز في الغرب) [العدد٣٤٦]، حيث بيّن الموضوع تأثير جهاز التلفزة على سلوك الطفل.

هذا إلى جانب باب شؤون المرأة، وباب الطب النبوي، وغير ذلك من الأبواب التي لها علاقة بحياتنا الاجتماعية. كما أن المجلة تحتضن عددا كبيرا من كتاب المقالات الذين لهم أقلام مشهورة، في مناقشة العديد من القضايا سواء في الكويت أو في أية دولة من دول العالم الإسلامي، ونأمل من القائمين على المجلة أن يقوموا بعمل العديد من التحقيقات الصحفية عن أحوال المسلمين في العالم.

الوعي وجبة دسمة

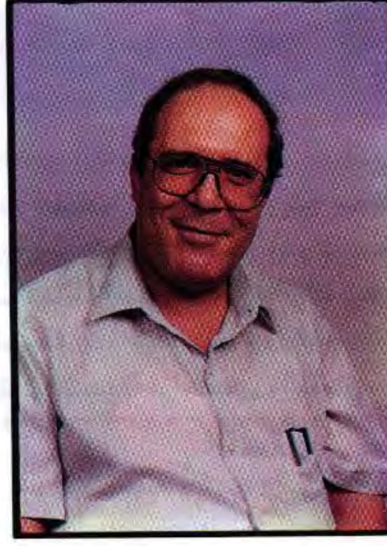
نبيل جمعان ـ صحفي يقول:
مجلة الوعي الإسلامي من المجلات التي أحرص على اقتنائها شهرياً، ومنذ مدة طويلة، فهي مجلة وسطية لا اتجاه لها ولا ميول إلا نشر الثقافة الإسلامية والتبصير بأحوال المسلمين في شتى بقاع العالم، ومن ثم فهي تعد وجبة دينية ثقافية اجتماعية شهرية دسمة، وبخاصة بعد التطوير الذي أدخل عليها مؤخراً، فهي بلا شك تطورت تطورا كبيرا، وفي نفس الوقت، حافظت على محتواها وطابعها الديني والثقافي.

ولكن لي مطلب بسيط عند الإخوة القائمين على أمرها، يتمثل في أن الجانب الإعلاني عن المجلة ومحتوياتها في الصحف اليومية يكاد يكون معدوما، بمعنى المفروض أن يكون هناك إعلان عن صدور المجلة مع صدور كل عدد جديد في المجلات والصحف الأكثر انتشاراً، حتى يعلم القراء أن هناك مجلة دينية ثقافية متطورة، ومن ثم تعمل كل أسرة مسلمة على اقتنائها، وبخاصة أنها تصدر ملحقا للأطفال، والذي يعطي للطفل جرعة دسمة من المعرفة والثقافة الدينية، وبطريقة مبسطة.

آمل أن يأخذ الإخوة المشرفون على المجلة رأيي هذا بصدر رحب، لأن مجلة (الوعي الإسلامي) مجلة يجب على كل أسرة مسلمة أن تقتنيها شهرياً.

الوعي والارتباط بالمجتمع

عصمت محمد يوسف ـ مدرس:
علاقتي بـ (الوعي الإسلامي) نشأت عندما



● علاء الدين دوارة/ نائب رئيس تحرير (الجمهورية) المصرية

نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية المصرية:

التطوير يزيد من انتشار المجلة

كنت طالباً بجامعة الأزهر، وكان ذلك منذ أكثر من عشرين عاماً، كنت وقتها أنتظرها من شهر إلى شهر، ونَمَتْ علاقتي مع (الوعي الإسلامي) أكثر فأكثر بعد التطوير الذي حدث لها، ففيها العديد من الحوارات والموضوعات الصحفية الهامة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع المسلم والعالم الإسلامي، وبخاصة الحوار الذي نشر مؤخراً مع الممثل الشخصي لرئيس جمهورية البوسنة علي عزت بيغوفيتش في المملكة العربية السعودية [العدد٣٤٦]، الذي تحدث عن الأوضاع السياسية والعسكرية في البوسنة والهرسك، وآخر المستجدات في هذين المجالين.

كما أنني من المواظبين على قراءة باب الأدب، وبخاصة كل ما يتعلق بالأدب الإسلامي، والشخصيات الإسلامية.

وتتطرق المجلة في ثوبها الجديد إلى المعوقات



● محمد علي سراج



● نبيل جمعان

نبيل جمعان ـ صحفي:

(الوعي الإسلامي) وجبة ثقافية دسمة

التي تعترض تقدم الأمة الإسلامية، وتخلف المسلمين عن ركب الحضارة، والبحث عن أفضل الطرق للعودة إلى تراثنا وأصول حضارتنا التي سادت العالم شرقه وغربه.

وأهنىء القائمين على مجلة (الوعي الإسلامي) لما أضفوه على المجلة من تطوير وازدهار.

ولهن رأي

سعاد القطان ـ مدرسة تقول:
ما يهمني قراءته في مجلة (الوعي الإسلامي)، الجوانب التي تهم المرأة المسلمة، والطفل، والمواضيع التربوية، فكلها مفيدة للأسرة في المجتمع الكويتي، والمجتمعات الإسلامية الأخرى، ولكن أرى أن تركز المجلة على بعض المشاكل التي تعترض طريق المرأة المسلمة، مع تقديم أفضل السُبل لحلها، والتي منها مشاكل التربية، فمثلاً الدول الغربية قطعت شوطاً طويلاً في مجال التربية، ونحن ما زلنا نترك تربية أطفالنا لخادمات يختلفن عنا في الدين واللغة، والثقافة، ولا بد من التركيز على هذه القضية، ومناقشتها من الناحية الدينية، والتربوية، وبيان خطورة ذلك لكل أسرة مسلمة.

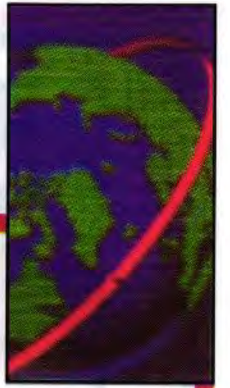
أما ملحق (براعم الإيمان) فهو المجلة الوحيدة التي أقدمها لأطفالي، وذلك لما يحتويه من موضوعات تثقف الطفل المسلم، وتعرفه بتاريخه الإسلامي، بأسلوب سهل وميسر.

ولي اقتراح بأن يكون هذا الملحق (براعم الإيمان) أسبوعيا، أو نصف شهري على الأقل لأن فترة الشهر بالنسبة للطفل متباعدة، وطول هذه المدة لا يعمل على الترابط بين العدد الجديد والعدد السابق له. أنا أعلم أن ذلك مكلفٌ لكن يمكن أن يباع الملحق بسعر منفصل عن المجلة□



مساعدات كويتية عاجلة لجيبوتي

تنفيذا لتعليمات من صاحب السمو أمير البلاد، غادرت الكويت طائرات شحن تابعة لمؤسسة الخطوط الجوية الكويتية محملة بمواد الإغاثة التي شملت الخيام والبانيات والأدوية ومستلزمات طبية ومواد غذائية متنوعة، ومواد إغاثة أخرى للمساهمة في تخفيف معاناة المنكوبين من آثار السيول والفيضانات في جمهورية (جيبوتي) ، وتأتي هذه المساعدات الإنسانية في إطار مشاركة شعب الكويت الوقوف إلى جانب الدول الشقيقة والصديقة أزاء المحن والنكبات.



نافذة على العالم

مساهمة كويتية للأنروا

تبرعت الكويت بمبلغ ١,٥ مليون دولار أمريكي لوكالة الأمم المتحدة لإنماء وتشغيل اللاجئين الفلسطينين (الأنروا) وأكد مندوب الكويت في الجمعية العامة للوكالة أن الحكومة الكويتية قررت دفع مساهماتها الطوعية لميزانية الوكالة لعامي ٩٤ و٩٥ وسيتم اتخاذ الاجراءات اللازمة من أجل تنفيذ هذا القرار في القريب العاجل.

وفد طلابي اسلامي يزور الكويت

زار وفد طلابي يمثل (الاتحادات الاسلامية للمنظمات الطلابية لجنوب شرق آسيا) و(الاتحاد الوطني للطلبة المسلمين الماليزيين) وحل ضيفا على جامعة الكويت، ويتألف الوفد من ٣٠ طالبة و٢٠ طالبا، وقال د. عثمان الفليج (مساعد عميد شؤون الطلبة) أن زيارة الوفد الطلابي فرصة طيبة للتواصل الفكري والأكاديمي والحضاري بين الكويت ومناطق جنوب شرق آسيا، كما أعرب أعضاء الوفد عن إعجابهم بما رأوه في الكويت من نهضة عمرانية أعادت ما دمّره الغزو العراقي في مدة زمنية قياسية، كما أعجبوا بالمستوى العلمي الجامعي، وبالخطوات الواعية باتجاه استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية.

ندوة (الأمان النفسي)

أقامت إدارة الشؤون النسائية بلجنة التعريف بالإسلام مؤخراً ندوة تحت عنوان (الأمان النفسي) حضرها عدد من زوجات سفراء الدول المعتمدة لدى الكويت، وجمهور من المسلمات الجدد والمدعوّات، وتناولت في مجملها أثر المفاهيم والقواعد الإسلامية في النفس البشرية. وحاضر في الندوة كل من د. صلاح الدين أرقه دان، ود. طارق سويدان، حيث ربط د. أرقه دان بين الأمان النفسي والإيمان بالقدر، لأن الإيمان بالقدر يعطي الانسان شعورا بأنه مهما تعرض لأحداث خير أو شر فهي من الله. مما يبقى عنده مسألة الأمان النفسي حيّة ومتّقدة.

في حين تناول د. سويدان مسألة الأمان النفسي عند الإنسان، وقال: إنه لا يكفي ان يكون الانسان مسلما حتى يشعر بالأمان النفسي بالرغم من انه اكثر الناس شعورا به، وساق كثيرا من الأمثلة لضياع الأمان النفسي من الانسان الغربي.

ومن الجدير بالذكر أن (لجنة التعريف بالإسلام) استضافت في أواخر الشهر الماضي وفداً من الجنود الامريكيين الراغبين في الاطلاع على نشاطات اللجنة والمفاهيم الإسلامية التي تدعو إليها، وكان في استقبالهم أمينها العام الشيخ صلاح الراشد، هذا وقد ألقى الداعية الأمريكي (دانيال ماستر) كلمة ترحيب بهم وحثهم على الإطلاع على الإسلام الذي بعثه الله رحمة للعالمين.

الاهتمام بالعربية الفصحى

دعت ندوة وسائل الاتصال التي ترعاها المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم (إيسيسكو) التي اختتمت أعمالها في القاهرة مؤخراً، إلى الاهتمام بالعربية في كافة مواد البرامج المذاعة بالإذاعة والتلفاز، باعتبارها اللغة التي يستخدمها المسلمون جميعا في صلواتهم ومناسكهم، فضلا عن أنها لغة القرآن الكريم التي هي أساس وحدة الأمة ثقافيا وفكريا، إضافة إلى أن المسلمين – وهم يشاهدون القنوات الفضائية العربية – لا يفهمون اللهجات العامية المحلية، بل اللغة العربية الفصحى. كما وافقت إدارة الندوة على توفير الامكانات التقنية والبشرية والمادية الكفيلة بالنهوض ببرامج الثقافة والتراث الاسلامي على النحو الذي يحقق الهدف منها. ووافق المشاركون على دعوة رؤوس الأموال الاسلامية للاستثمار في مجالات انتاج البرامج الاعلامية ذات التوجه الاسلامي، وإنشاء قنوات فضائية ومحطات إذاعة وتلفزة وصحف إسلامية.

٢٧ ألف طالب أزهري

أعلن د. عبد الفتاح الشيخ (رئيس جامعة الأزهر) أن كليات الجامعة استوعبت ٢٧ ألف طالب وطالبة من الناجحين في الثانوية العامة لهذا العام.. منهم من قبل في كليات جديدة تضم الدراسات الاسلامية بـ(دسوق)، والاقتصاد المنزلي بـ(طنطا).

تفشي المخدرات في النمسا

أظهرت نتائج تقرير سنوي عن وضع المخدرات في النمسا ارتفاعا ملحوظا في عدد متعاطي المخدرات وتجارة نقلها وترويجها غير المشروع.

وأوضح التقرير أن ٢٢٦ شخصاً لقوا حتفهم من جراء تناول المخدرات في النمسا خلال العام الماضي أي بزيادة معدلها ٢٠٪ مقارنة بعام ١٩٩٢.

وأضاف التقرير أن سلطات الأمن والجمارك تمكنت من ضبط ٥٥٠ كيلو غراماً من القنب الخام و١٠٤ كيلوغرامات من الهيروين و٩٥ كيلو غراما من الكوكايين و٢٨٢٠٠ كيس صغير من مادة (ال إس دي) عام ١٩٩٣.

وحذر التقرير من أن ظاهرة الإقدام على تناول المخدرات المركزة القوية والخطيرة في ارتفاع مستمر إلى جانب لجوء عدد متزايد من الشباب إلى تناول الأدوية والعقاقير المؤثرة التي يمكن تصنيفها من المخدرات.

مسؤولون صينيون فاسدون!

أعلنت صحيفة القوانين الصينية أنه تمت معاقبة أكثر من ١٤٠ ألفا من المسؤولين في الحزب الشيوعي الصيني منذ إطلاق حملة مكافحة الفساد في أغسطس ١٩٩٣م.

ولم تحدد الصحيفة عدد الأشخاص الذين طردوا من الحزب، ولكنها أضافت أنه تم رفع (١٠) آلاف ملف إلى السلطات القضائية وتمت من جهة أخرى معاقبة ٤٥٢١ من كبار المسؤولين. وتم الإعلان عن هذه الأرقام عند افتتاح الاجتماع الوطني لهيئات مراقبة الحزب والإدارة في داليان (شمال شرق الصين).

وتابع المصدر ذاته أن المشاركين في هذا الاجتماع شددوا على أهمية مكافحة الفساد للتمكن من مواصلة الإصلاحات الاقتصادية في البلاد. يشار إلى أن عدد المنتسبين إلى الحزب الشيوعي الصيني يبلغ حوالي ٥٢ مليون شخص منهم ٣٠ مليون مسؤول.

فيلم وثائقي عن القدس



تعد منظمة اذاعات الدول الاسلامية (اسبو) فيلما وثائقيا عن القدس يغطي تاريخ فلسطين، ويهدف إلى التأكيد على إسلامية القدس وعروبتها، والحق الثابت لأهلها المسلمين في السيادة الكاملة عليها، وذلك لمواجهة خطر التهويد والعدوان على المعالم الحضارية الإسلامية للمدينة المقدّسة. وقد حذّر الأمين العام للمنظمة حسين العسكري من مخاطر تصدي العديد من المنظمات والهيئات بأرقى ما لديها من تنظيمات ردارية وتخطيطية واعتمادات مالية سخية لهذه الحملات الموجهة بشكل خاص ضد المجتمعات الاسلامية، كما هيأت محطات للبث الاذاعي والتلفازي وجهزتها بأحدث التقنيات لبث برامجها بأكثر من ثمانين لغة ومن مراكز واسعة الانتشار في مختلف مناطق العالم. وبالمقابل يتكشف لنا حجم الاهتمام المتواضع الذي يحظى به العمل الإعلامي الاسلامي المشترك.



انتهاكات حقوق الإنسان في كشمير

صرح (جيهارد بادم) رئيس المنظمة الألمانية لحقوق الإنسان في مقر الأمم المتحدة في جنيف أن الجيش الهندي يستخدم أبشع أنواع العنف ضد المواطنين في كشمير المحتلة، متجاوزاً في ذلك جميع المعايير الانسانية والأخلاقية. وأضاف (بادم) أن العاصمة الكشميرية (سرنجر) تشبه المدن الواقعة تحت الحصار العسكري حيث تنتشر الثكنات العسكرية في كل مكان للقضاء على الحركات التحررية التي سمّتها الهند (إرهابية) و(انفصالية) تضليلا للرأي العام العالمي.

الكومبيوتر وتعليم الفقه

أنتجت شركة (خليفة للهندسة والكومبيوتر) برنامجا جديدا ضمن سلسلة (نور القرآن والسنة) لتحفيظ القرآن الكريم، كما أنتجت الشركة برنامجا لتعليم الأطفال الوضوء (أركانه وواجباته وسننه ومبطلاته)، وبرنامجا آخر لتعليم الصلاة.

أضواء حول الوصية الإختيارية

الوصية الاختيارية (المستحبة) قربة يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل في آخر حياته حتى تزداد حسناته في الآخرة.. أو ليتدارك الإنسان ماعسى أن يكون قد وقع فيه من تقصير في العمل أو نقص في الحسنات.. أو بقصد مساعدة الأقرباء الفقراء غير الوارثين أو ذوي الأرحام المحجوبين بغيرهم والفقراء والمساكين والصالحين من الناس..وتشمل أيضاً(أيواء أبناء السبيل، وعمارة المساجد، وطلاب العلم، والمديونين..وغيرهم) راجياً بذلك تحصيل الثواب في الآخرة ورفع الدرجات.. ولما في الوصية من البر بالناس والمواساة لهم.

يقول تعالى: ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾ (١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ماحق إمرىء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده» (٢).

قال ابن عمر: «مامرت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺيقول ذلك إلا وعندي وصيتي».

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات على وصية مات على سبيل وسنة، ومات على تقى وشهادة، ومات مغفوراً له» (٣).

ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم في آخر أعماركم زيادة في أعمالكم. فضعوه حيث شئتم» (٤).

بقلم: رفعت محمد مرسى طاحون

تعريف الوصية والحكمة منها

والوصية تعرف شرعاً: «بأنها تمليك مضاف إلى إلى مابعد الموت بطريق التبرع سواء كان تمليكاً لأعيان أو إدارة أو منافع».

والحكمة هنا من وقّت الوصية لما بعد الموت، بالرغم من أنه ليس وقتاً للتمليك، لأن الميت زال ملكه بعد وفاته. ولكن الشارع الحكيم أجازها للضرورة. رفقاً ورحمة بالأمة وتوسعة لغرض الخير والبر والثواب أمام طالبيها. حيث إن العمر يقصر عن إكتناز الخيرات. والموت قد يفاجىء المرء بدون إعداد له وتهيؤ لما بعده.

والوصية كما ذكر جمهور الفقهاء مستحبة. للشخص أن ينشئها وله ألا ينشئها. فإذا صدرت منه لاتكون لازمة. فله أن يرجع عنها قبل وفاته. فإذا مات ولم يرجع لزمته في حقه وحق ورثته بعد موته.

متى تتم الوصية الاختيارية؟

*والوصية الإختيارية(المستحبة) تتم بعد:

١- تجهيز الميت بكل مايحتاج إليه من وقت وفاته وحتى دفنه من نفقات (غسيل وتكفين وحمل ودفن) بما يليق بمثله بمقتضى الشرع وبحسب العرف من غير إسراف ولاتقتير.

٢- وكذا بعد قضاء الدين: كما أجمع العلماء سلفاً وخلفاً بأن قضاء الدين مقدّم على الوصية:

فقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إنكم تقرؤون ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾، وإن رسول الله ﷺ قضى بالدين قبل الوصية.

ونرى هنا أن الحكمة في تقديم الوصية على الدين في الآية: ﴿من بعد وصية يوصي بها أودين﴾، إن الوصية مال يؤخذ بغير عوض. فكان إخراجها شاقاً على الورثة. وكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فإن نفوس الورثة مطمئنة إلى أدائه. ولهذا السبب قدَّم الله سبحانه وتعالى ذكر الوصية على ذكر الدين في اللفظ بعثاً على أدائها وترغيباً في إخراجها.

ثم أكد ذلك الترغيب بإدخاله كلمة (أو) على الوصية والدين. تنبيهاً على أنهما في وجوب الإخراج على السوية. أن سهام المواريث كما أنها تؤخر عن الدين. فكذا تؤخر عن الوصية.

فمثلا: إذا أوصى الميت بثلث ماله. كانت سهام الورثة معتبرة بعد تسليم الثلث إلى الموصى له. فجمع سبحانه بين ذكر الدين وذكر الوصية ليعلمنا أن سهام الميراث معتبرة بعد الوصية كما هي معتبرة بعد الدين.

عموماً، يجب تقديم الدين على الوصية. لأنه حق ثابت وواجب في الأداء. بخلاف الوصية فإنها تطوع. والواجب يقدّم على التطوع.

شروط الوصية الاختيارية

ويشترط في الوصية الإختيارية (المستحبة):

١- ألا تكون الوصية لوارث، لما رواه أبو إمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله أعطى كلَّ ذي حق حقه. فلاوصية لوارث» (٦).

٢- ألا تزيد الوصية عن ثلث التركة، فعن أبي هريرة رضى الله عنه: إقرؤوا إن

شئتم ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾ (٧).

كما ثبت في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاءني رسول الله ﷺ يعودني من وجع اشتد بي. أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. قلت:فالشطريارسول الله؟ قال: لا. قلت: فالثلث؟ قال: «الثلث؛ والثلث كثير. إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس».

٣- في حالة زيادة الوصية عن ثلث التركة. لاتنفذ هذه الزيادة إلا بإجازة الورثة. فإن لم يجيزوها نفذت في ثلث التركة فقط.

شروط في الموصي والموصى له والموصى به

يشترط في الموصي، أن يكون أهلاً للتبرع. بأن يكون كامل الأهلية. وكمال الأهلية بالعقل والبلوغ والحرية والاختيار وعدم الحجرلسفه أو غفلة. وهنا؛ إذا كان الموصي ناقص الأهلية أو مجنوناً أو مكروهاً أو محجوراً عليه فإن الوصية لاتصح.

ويشترط في الموصى له: ألا يكون وارثاً. وأن يكون موجوداً وقت الوصية تحقيقاً أو تقديراً: أي يكون موجوداً بالفعل وقت الوصية. أو يكون مقدراً وجوده أثناءها. وأن لايقتل الموصى له الموصي قتلاً محرماً مباشراً (١٠). وهنا اذا قتل الموصى له الموصي قتلاً محرماً مباشراً بطلت الوصية له. لأن تعجيل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

ويشترط في الموصى به أن يكون بعد موت الموصي قابلاً للتمليك بأي سبب من أسباب الملك. فتصح الوصية بكل مال متقوم من الأعيان ومن المنافع. وتصح الوصية بما يثمره الشجر. وبما في بطن بقرته. لأنه يملك بالإرث. فما دام وجوده محققاً وقت موت الموصي استحقه الموصى له.

وتصح الوصية بالمنافع كالسكن. ولاتصح بما ليس بمال كالميتة.. وما ليس في حق العاقدين كالخمر للمسلمين.

طريقة حل مسائل الوصايا الإختيارية (المستحبة)

أولا:بالنسبة للوصايا التى لاتحتاج إلى إجازة أحد من الورثة، وهى الوصايا التى تكون في حدود ثلث فأقل من التركة.

صورها:

أ) ألا تكون الوصية بمثل نصيب أحد الورثة.

وهنا: تستخرج الوصية أولاً من التركة..وتمنح للموصى له.

ثم يقسم باقي التركة بين الورثة.

ب) أن تكون الوصية بمثل نصيب أحد الورثة:

وهنا: تقسم التركة بين الورثة لمعرفة سهام الوارث الذي أوصى بمثل نصيبه وهي تساوي سهام الموصى له.

ثم تقسم التركه على مجموع السهام (سهام الورثة + سهام الموصى له).

ثانياً: بالنسبة للوصايا التي تحتاج إلى إجازة الورثة، وهي، الوصايا التي تكون بأكثر من ثلث التركة.

صورها:

أ) ألا تكون الوصية بمثل نصيب أحد الورثة.. وتزيد الوصية على الثلث:

وهنا يكون أحد أمرين:

أن يجيز الورثة هذه الوصية: وهنا يخرج مقدراها من أصل التركة.. ثم يقسم باقي التركة بين الورثة تقسيم الميراث.

ألا يجيز الورثة هذه الوصية:وهنا تنفذ الوصية في الثلث فقط حيث يخرج ثلث التركة من أصل التركة.. ثم يقسم الباقي من التركة (الثلثين) بين الورثة.

ب) أن تكون الوصية بمثل نصيب أحد الورثة الذي يزيد عن ثلث التركة:

وهنا يكون أحد أمرين:

أن يجيز الورثة هذه الوصية، وهنا تقسم التركة بين الورثة لمعرفة سهام الوارث الذي أوصى بمثل نصيبه. وهى تساوي سهام الموصى له. ثم تقسم التركة على مجموعة السهام (سهام الورثة + سهام الموصى له).

ألا يجيز الورثة الوصية وهنا تنفذ الوصية في ثلث التركة فقط. حيث تمنح للموصى له. ثم تقسم باقي التركة(الثلثان) بين الورثة .

■ قال ﷺ: «من مات على وصية مات على سبيل وسنة، ومات على تقى وشهادة، ومات مغفورا له»

أمثلة على الوصية المستحبة

(مثال١) مات شخص عن (ابن، وبنت، وزوجة، وأم). وأوصى بثلث لأخته الشقيقة، وقد ترك ٣٦٠ فداناً. فكيف توزع التركة؟

من الملاحظ هنا أن الأخت الشقيقة ليست من والوارثين. لأنها هنا محجوبة (بالإبن) ولذا فإنها تستحق الوصية.

وهنا تحل المسألة كالتالى:

أ) نستخرج أولا الوصية من التركة ومقدارها =٣٦٠×١/٣=١٢٠ فداناً تمنح للأخت الشقيقة.

ب) ثم يقسم باقي التركة (٣٦٠-١٢٠=٢٤٠ فداناً) بين الورثة كالتالى:

الزوجة:١/٨ فرضاً. لوجود الفرع الوارث: (٢٤٠×١/٨=٣٠ فداناً).

الأم: ١/٦ فرضاً. لوجود الفرع الوارث: (٢٤٠×١/٦=٤٠ فداناً).

الإبن والبنت: الباقي تعصيباً (١-(١/٨+١/٦)=١٧/٢٤) للذكر مثل حظ الانثيين: ٢٤٠×١٧/٢٤ = ١٧٠ فداناً (للابن =١٧٠×٢/٣=١/١١٣٣فداناً وللبنت = ١٧٠×١/٣ = ٢/٣ ٥٦فداناً.

أضواء حول الوصية الإختيارية

(مثال٢): مات شخص عن (زوجة، وابنتين، وأخ شقيق) وكان قد أوصى لجهة خيرية بمقدار ١٥٠٠ دينار، وكان ترك ٦٣٠٠دينار. فما نصيب كل من الورثة؟

الحل: من الملاحظ هنا أن الوصية أقل من ثلث التركة، وهنا تحل المسألة كالتالي:

أ) نستخرج أولاً الوصية من التركة ومقدارها ١٥٠٠ دينار. تمنح للجهة الخيرية.

ب) ثم يقسم باقي التركة (٦٣٠٠ – ١٥٠٠=٤٨٠٠ دينار) بين الورثة كالتالي:

الزوجة:١/٨ فرضاً، لوجود الفرع الوارث: (٤٨٠٠×١/٨= ٦٠٠ دينار).

البنتان: ٢/٣ فرضاً. بالتساوي بينهن (٤٨٠٠×٢/٣= ٣٢٠٠دينار).

(حيث يكون نصيب كل بنت = ٣٢٠٠×١/٢=١٦٠٠ دينار).

الأخ الشقيق: الباقي تعصيباً. (١ – (١/٨+٢/٣)=٥/٢٤)=٤٨٠٠×٥/٢٤ =١٠٠٠دينار.

(مثال٣): مات شخص عن (زوجة، وأم، وأخوين لأم، وأختين شقيقتين، وأخ لأب أوصى له بمثل نصيب الأخ لأم). وكانت التركة ٧٦٠ فداناً .فكيف توزع التركة؟

الحل: من الملاحظ هنا أن الأخ لأب ليس وارثاً لأنه لم يبق له شيئاً تعصيباً لأن المسألة عالت. وهنا يعتبر الأخ مستحقا للوصية. إن نصيب الأخ لأب (الموصى له) المساوي لنصيب الأخ لأم: أقل من الثلث. وهنا تحل المسالة كالتالي:

أ) تقسم التركة بين الورثة لمعرفة سهام الوارث الذي أوصى بمثل نصيبه وهي تساوي سهام الموصى له. الورثة:

الزوجة: ١/٤فرضاً.

الأم: ١/٦فرضاً.

الأخوان لأم: ١/٣ فرضاً.

الأختان الشقيقتان: ٢/٣ فرضاً.

السهام: ٣,٢,٤,٨ . أصل المسألة ١٢ عالت إلى ١٧.

ب) وحيث أن الموصي للأخ لأب بمثل نصيب الأخ لأم إذاًنصيب الموصى له (الأخ لأب) = ٢ سهم. إذاًمجموع السهام = سهام الورثة + سهام الموصى له = ١٧+٢= ١٩سهماً. وهنا: قيمة السهم الواحد =٧٦٠ /١٩ =٤٠ فداناً.

إذاًنصيب الاخ لأب (الوصية) =٤٠×٢= ٨٠ فداناً.

نصيب الزوجة =٤٠×٣= ١٢٠ فداناً.

نصيب الأم =٤٠×٢= ٨٠ فداناً

نصيب الأخوين لأم = ٤٠×٤= ١٦٠ فداناً (لكل أخ لأم=١٦٠/٢=٨٠ فداناً).

> ■الوصية الاختيارية (المستحبة) قربة يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل في آخر حياته لتزداد حسناته أو ليتدارك تقصيره

نصيب الأختين الشقيقتين =٤٠×٨= ٣٢٠ فداناً (لكل أخت شقيقة =٣٢٠/٢= ١٦٠فداناً.

(مثال٤): ماتت عن (زوج، وأخوين لأم، وأم) وتركت ١٢٠ فداناً. وكانت قد أوصت إلى جهة خيرية بستين فداناً. وقد أجاز الورثة هذه الوصية. فكيف توزع التركة؟

الحل: من الملاحظ هنا أن الموصى به أكثر من ثلث التركة. وأن الورثة هنا قد أجازوا هذه الوصية. وهذا شرط أساسي لتنفيذ الوصية التي تتعدى ثلث التركة. وهنا تحل المسألة كالتالي:

أ) نستخرج أولاً الوصية من التركة ومقدارها (٦٠فداناً) وتمنح للجهة الخيرية.

ب) ثم يقسم باقي التركة (١٢٠–٦٠=٦٠فداناً) بين الورثة كالتالي:

الزوج: ١/٢فرضاً، لعدم وجود الفرع الوراث (٦٠×١/٢= ٣٠ فداناً).

الأم: ١/٦فرضاً. لوجود عدد من الإخوة (٦٠×١/٦= ١٠ فدادين).

الأخوين لأم: ١/٣ فرضاً، لعدم وجود الفرع الوارث أو الأصل الوارث المذكر، فيكون نصيبهما =٦٠×١/٣= ٢٠ فداناً مناصفة بينهما.

(مثال٥): مات شخص عن (زوجة، وبنت، وأخت شقيقة) وترك ماقيمته ٤٢٠٠ دينار. وكان قد أوصى إلى جهة خيرية بمبلغ ٢٢٠٠ دينار، ولم يحجز الورثة تعدى الوصية عن ثلث التركة. فكيف توزع التركة؟

أ) إذا الورثة لم يجيزوا تعدي الوصية عن ثلث التركة. إذاً تنفذ الوصية هنا في ثلث التركة فقط. فيكون مقدار الوصية =٤٢٠٠/٣=١٤٠٠ دينار تدفع إلى الجهة الخيرية.

ب) الباقي بعد دفع الوصية للجهة الخيرية (٤٢٠٠ –١٤٠٠= ٢٨٠٠ دينار) يوزع بين الورثة كالتالي:

الزوجة: ١/٨ فرضاً، لوجود الفرع الوارث: (٢٨٠٠×١/٨= ٣٥٠ ديناراً).

البنت:١/٢ فرضاً، لانفرادها ولعدم وجود من يعصبها (٢٨٠٠×١/٢=١٤٠٠ دينار).

الأخت الشقيقة: الباقي تعصيباً، حيث أصبحت الأخت الشقيقة عصبة مع البنت: ١ – (١/٨+١/٢)=(٣/٨)= ٢٨٠٠×٣/٨= ١٠٥٠ ديناراً□

الهوامش:

١) البقرة: ١٨٠.
٢) رواه البخاري ومسلم.
٣) رواه ابن ماجه.
٤) رواه ابن ماجه.
٥) النساء:١١.
٦) رواه احمد والترمذي وأبو داود.
٧) البقرة:٢٢٩.
٩) وهذا مذهب الأحناف.
١٠) وهذا مذهب أبو يوسف. وقال أبو حنيفة ومحمد: لاتبطل الوصية وتتوقف على إجازة الورثة.

آخر صيحات حضارة الغرب الساقطة

القتل بدافع الرحمة

حياة الإنسان قيمة من القيم التي أحاطها الإسلام بسياج منيع من الحماية والرعاية، حيث حرم قتل النفس وسفك الدماء، واعتبر ذلك كبيرة من الكبائر، ووضع كل الضمانات التي تحفظ النفس وتحميها من التعرض للأذى أياً كان مصدره، حتى لو كان من المرء تجاه نفسه كتعريض النفس للتهلكة ﴿ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة:١٩٥]، أو الانتحار ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾ [النساء:٢٩] فالآجال محددة بعلم الله سبحانه وهو وحده القادر على أخذها في حينها، ولا يملك أحد ان يضع نهاية لحياته بنفسه فينتحر أو يدعو غيره لمساعدته على إنهاء حياته أيا كانت الوسيلة إلى ذلك.

بقلم: أحمد ابو زيد

ولكن حضارة الغرب الساقطة التي تحمل منذ قيامها بذور فنائها وصلت الآن إلى مرحلة جديدة من الانحطاط والانهيار الخلقي والروحي فأصبحت تنظر لحياة الإنسان على أنها مجرد ثمن لما يقدمه من نفع لمجتمعه كالآلة التي تعمل في ورشة أو مصنع فإذا ماوصل الإنسان إلى مرحلة الكبر والعجز عن العمل فلاداعي لبقائه على قيد الحياة، ولا داعي لأن يشغل أسرة المستشفيات في حالة مرضه طالما وصل إلى سن الكبر، وإذا كان مرضه هذا ميئوساً من شفائه فما المانع في أن يتم قتله بدافع الرحمة، ويكون هذا القتل مقننا بحيث لايعاقب من يقوم به!!

الامتناع عن معالجة كبار السن

فقد انتشرت موجة في المجتمع الغربي تدعو إلى عدم تقديم العلاج لمن يزيد عمرهم عن سبعين عاماً لأنهم أصبحوا قوة غير منتجة والمجتمع الرأسمالي يقيِّم الإنسان تقييمامادياً.

وبادرت بالفعل المستشفيات في بريطانيا برفض استقبال وعلاج المرضي كبار السن توفيراً للنفقات، وزعمت المستشفيات أن هؤلاء يحتاجون إلى فترة طويلة للشفاء وان العمليات التي تجري لهؤلاء تسبب تكاليف مالية باهظة على المستشفيات.

وقال تقرير أصدره الأطباء المتخصصون في العناية بكبار السن في لندن إن هذا موقف غريب من المستشفيات وطالبوا بوضع خطوط عريضة لتأكيد معاملة متساوية للجميع بما هو متيسر من الخدمات الطبية.

وقال البروفيسور «جون جريملي» رئيس قسم طب الشيخوخة بمستشفى «راد كليف بجامعة اسكفورد» إن لدية أدلة تفيد بأن كبار السن لايتلقون المساعدة في الوحدات العلاجية الخاصة بالقلب والأوعية الدموية، وان استبيانا شمل ١٧٥ مريضا أثبت ان الوحدات العلاجية تطبق سياسة دخول ترتبط بعمر المريض، وأن وحدات علاجية رفضت بصراحة شديدة دخول المرضى كبار السن.

دعوة إلى القتل

وقد أكد هذا المنطق غير الإنساني المسيو

● طبيب أمريكي يخترع آلة توقف ضربات القلب لمساعدة أصحاب الأمراض المستعصية على الانتحار

«جاك أتالي» مستشار الرئيس الفرنسي فرانساو ميتران بقوله: «إنني أعتقد أن إطالة العمر لم تعد هدفاً مرغوباً في منطق مجتمعنا الصناعي فالماكينة الإنسانية مادامت تنتج فهي تستحق البقاء والصيانة فإذا تجاوزت عمرها الانتاجي كانت تكاليف صيانتها خسارة اقتصادية وان التخلص منها لايكون بتركها تتآكل ولكن بإعدامها مرة واحدة، والإنسان الذي بلغ الستين أو الخامسة والستين وتوقف عن الإنتاج يصبح استمراره في الحياة عبئاً على طائفة المنتجين».

وهذه دعوة صريحة من هذا المسيو، لإقامة المقاصل والمشانق وكراسي الإعدام لقتل كل فرد بلغ الستين لأنه اصبح عالة على المجتمع وعلى طائفة المنتجين ولافائدة - عنده - من بقائه واستمراره على قيد الحياة.

القتل بدافع الرحمة

واما القتل بدافع الرحمة أو قتل الميئوس من شفائه فهي دعوة ليست وليدة اليوم في المجتمع الغربي، ولكن لها جذور تعود لسنوات عديدة، فقد ألفت جمعية في انجلترا عام ١٩٣٦م بعنوان «القتل بدافع الرحمة» طالبت السلطات بإباحة الاجهاز على المريض الميئوس من شفائه ولكن رفض طلبها.

وتكونت جمعية في أمريكا عام ١٩٣٨م لنفس الغرض وباء مشروعها بالفشل، ومازالت هذه الدعوة تكسب أنصاراً إلى اليوم وتجد لنفسها صدى كبير في المجتمع الغربي.

فقد قام طبيب أمريكي يدعى «جاك وكيفو» باختراع آلة توقف ضربات القلب لمساعدة أصحاب الأمراض المستعصية والمشكلات الصعبة وكبار السن في الإنتحار والتخلص من حياتهم، واستخدم هذا الطبيب جهازه في معاونة مريضة بسرطان الدم على التعجيل بوفاتها وكانت قد توجهت إليه مع زوجها بعد أن يئست من الشفاء.

زوجة تساعد زوجها على التخلص من حياته

ونشرت الصحف مؤخراً ان زوجة يابانية أجهزت على زوجها استاذ الجامعة بسكين المطبخ بعد أن فشل في الانتحار شنقاً، ثم استدعت الشرطة لاعتقالها ومعاقبتها إذا كان مالرتكبته يستوجب العقاب، واوضحت الزوجة للشرطة أنها أقدمت على ذلك بهدف تحقيق رغبة زوجها في الموت حيث قطع منحة دراسته في بريطانيا وعاد قبل ستة أشهر من الموعد مصاباً بالإحباط.

ومن المعروف إن الانتحار لايعد جريمة في اليابان، حيث يلجأ إليه القادة المهزومون كتقليد لغسل عار الهزيمة، وكثيراً ما تنشر الصحف أخبار انتحار أسر يابانية بكاملها.

قانون هولندي يبيح القتل

ودعوة القتل بدافع الرحمة تصل إلى أكبر رواج لها في هولندا، فهي الدولة الوحيدة التي حسمت هذه القضية وتجرأت وأصدرت قانونا يبيح القتل بدافع الرحمة، فقد أصدر البرلمان الهولندي هذا القانون بعد دراسة

● مستشفيات بريطانيا ترفض استقبال وعلاج المرضى من كبار السن توفيراً للنفقات

استمرت لسنوات بدأت باستطلاع للرأي العام طلبته لجنة تنسيق برلمانية شكلت عام ١٩٩٠م لتقصي حقيقة هذه القضية. وفي عام ١٩٩٢م قدمت مشروع قانون للبرلمان يحمل رقم ٢٢٥٧٢، وعاش البرلمان الهولندي في دوامة من المناقشات حول المبدأ ذاته «هل نوافق على القتل أم لا؟» وأخيراً وافق البرلمان وصدر القانون الهولندي بأنه من حق الطبيب قتل أي فرد يكون ميئوساً من شفائه وبناء على طلبه.

وجاءت الموافقة بأغلبية الأصوات ووضع البرلمان قواعد جديدة عند تطبيقه بحيث لايستطيع ان يستغله أحد في قتل إنسان أو الشروع في قتله مستغلاً هذا القانون.

واستقر الأمر على ان القتل - من باب الرحمة يخضع وسيظل خاضعاً للقانون الجنائي ويعرف على أنه: «قتل شخص بناء على طلب واضح وجاد من شخص آخر لوضع نهاية لحياته»

وتم وضع أربعة قواعد لتنفيذ هذا الطلب هي:

١) القتل من باب الرحمة هو فعل «غالبا يتمثل في تعاطي دواء» ولايغني هذا التوقف عن العلاج.

٢) القتل من باب الرحمة عمل تطوعي ويجب ان تستبعد منه حالات بعض المرضى مثل الأطفال حديثي الولادة أو المرضى في حالات الغيبوبة لأن حالتهم لاتمكنهم من اتخاذ قرار بشأن جدوى العلاج أو حتى المسؤولية القانونية في اتخاذ القرار.

٣) القتل من باب الرحمة يتم بواسطة الأدوية أو أية وسيلة أخرى.

٤) القتل من باب الرحمة يتطلب توافر شرط «العمد» ويجب أن يكون القصد واضحاً وصريحاً في ازهاق الحياة، اما مجرد القصد غير الواضح وغير الصريح والغامض فانه لاينطبق على حاله القتل من باب الرحمة حي يرحل المريض من عالمنا بكرامة .

وقد وضعت اللجنة المركزية للجمعية الملكية الطبية الهولندية عام ١٩٨٤م شروطاً جوهرية يجب على الأطباء اتباعها عند تنفيذ القتل من أجل الرحمة « وأكد القانون هذه الشروط وهي:

١) ان يكون طلب المريض عفوياً «بدون إحياء من أحد».

٢) ان يكون صاحب الطلب قد فكر جيداً قبل أن يقدمه.

٣) ان يتأكد من رغبته في الموت.

٤) ان تكون المعاناة من المرض قد وصلت إلى درجة غير محتملة.

٥) ان تجري مشاورات ومناقشات بين المريض وآخرين قبل توقيعه على قراره.

فإذا تأكد الطبيب أن هذه الشروط واضحة وثابتة فإنه يصبح على يقين جازم بأن المحكمة التي يقيم المريض في دائرتها لن تلاحقه قانونياً.

وخوفا من استغلال البعض للقانون وخاصة ذوي النفوس الضعيفة في ارتكاب جريمة قتل عادية للتخلص من إنسان مريض وضعت قواعد واجراءات وعقوبات لتطبيقها في حالةعدم ثبوت القتل من باب الرحمة، ويخضع القتل من أجل الرحمة للقانون الجنائي وتطبق عليه أحكامه.

آلاف الحالات يرغبون في الموت

ويعد تنفيذ هذا القانون الذي يبيح القتل ويقننه بالنسبة للمرضى الميئوس من

شفائهم أجريت دراسة استطلاعية استمرت ستة أشهر بين الأطباء وشلمت ٤٠٥ أطباء وكانت نتائجها كالتالي:

١- في عام ١٩٩٠م جرى في هولندا ٢٣٠٠حالة قتل من باب الرحمة تمثل هذه النسبة ١,٨٪ من إجمالي مجموع الوفيات في هولندا.

٢- في ٤٠٠ حالة من هذه الحالات قدم الأطباء معونات للمرضى حتى يتخلصوا من حياتهم، وفي جميع هذه الحالات كان المرضى ممن يستحيل شفاؤهم، وفي ٧٥٪من هذه الحالات توقع الأطباء علمياً ألا يتجاوز المتبقي من أعمارهم سوى أربعة اسابيع على الأكثر.

٣- من عام ١٩٨٦م حتى عام ١٩٨٩م كان هناك خمسة آلاف طلب سنوياً، من مرضى يطلبون تخليصهم من حياتهم رحمة بهم، ونفذ الأطباء عمليات قتل من أجل الرحمة في ألفي حالة من الآلاف الخمسة الذين تقدموا بطلباتهم ومعظمهم كانوا مرضى بالسرطان، وحاليا أمام الأطباء، السلطات الصحية ١٥ ألف طلب من ١٥ ألف مريض يطلبون مساعدتهم للتخلص من الحياة.

تحريم قاطع

وانتشار مثل هذه الدعوة غير الإنسانية في المجتمع الغربي يدل دلالة واضحة على الانحطاط والسقوط الذريع لحضارة الغرب المادية، هذه الحضارة التي تهدر قيمة الحياة وتجعل الإنسان مجرد آلة، كما تؤكد هذا الدعوة عظمة الإسلام ونبل شريعته التي تحترم النفس البشرية احتراماً لاحدود له، وتضع كل الضمانات التي تحمي هذه النفس وتحقق لها عزتها وكرامتها بعيداً عن المزايدات، فالإسلام يحرم هذه الدعوة تحريما قاطعاً لانها قتل للنفس التي حرم الله قتلها، ولايبيح ذلك لمن يشرف على العلاج حتى ولو كان بإذن المريض، والمريض ان أذن به يعد منتحراً. ذلك لأن حياة الإنسان في ظل الإسلام قيمة في حد ذاتها وحق الهي مقدس جاءت كل الأحكام والشرائع للحفاظ عليه وحمايته قال تعالى: ﴿ولاتقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ [الاسراء:٣٣]، والحق الذي تزهق به النفس هو مابينه رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن مسعود: «لايحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة»، والمارق من الدين التارك [متفق عليه].

وينذر الحق سبحانه من يعتدي على النفس البشرية بأشد العذاب فيقول تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما﴾ [النساء:٩٣].

والإسلام لايحمي حق الحياة للإنسان من غيره فقط، بل يحميه من نفسه فليس للإنسان الحق في ان يعتدي على نفسه، أو يعرضها للمهالك او يضع نهاية لعمره، ولذلك حرم الإسلام الانتحار واعتبره جريمة كبيرة في حق النفس، ففي الصحيح: «كان فيمن قبلكم رجل به جرح فجزع، فأخذ سكينا فجز بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، فقال الله تعالى: «بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة».

● المرض ابتلاء من الله ومكفر للذنوب والمسلم مطالب بالصبر عليه والتداوي منه

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان الرسول ﷺ قال: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً».

لايأس من رحمة الله

والإسلام له نظرة خاصة للمرض حيث يعتبر ابتلاء من الله سبحانه لعبادة وهو مكفر للذنوب، والمسلم مطالب بالصبر على مرضه، وحق المريض في الحياة وفي العلاج حق مقدس فليس في الاسلام مايسمى «القتل بدافع الرحمة» بل أن ذلك هو اليأس من رحمة الله، ويجب على المسلم ألا ييأس من روح الله مهما تدهورت صحته واشتد مرضه، وألا يستبعد الشفاء منه فالله سبحانه قادر على كل شيء. قال تعالى: ﴿ولاتيأسوا من روح الله إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف:٨٧].

ففكرة التخلص من الحياة بالنسبة للمريض غير مطروحة اطلاقا في مجتمعنا المسلم بل ان مجرد تمني الموت لكي يستريح المسلم من عذابه ليس مطروحاً، لان غاية المؤمن هي رضاء الله، وقد روى الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: «لايتمنين أحد منكم الموت لضر نزل به فان كان لابد متمنيا للموت فليقل: اللهم أحيني ماكانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي».

فالمرض الذي يصيب المسلم ابتلاء من الله، ووسيلة من وسائل تكفير عن الذنوب، وهو قضاء من الله يجب أن يقبله ويرضى به ويصبر عليه، لأن في صبره عليه خيراً له، فقد روى مسلم عن صهيب بن سنان إن رسول الله ﷺ قال: «عجباً لأمر المؤمن ان أمره كله خيروليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر وكان خيراً له، وان اصابته ضراء صبر كان خيراً له».

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من تعب ولا وصب ولا هم ولاحزن ولا أذى ولاغم حتى الشوكه يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه».

وموقف المسلم من مرضه في حال المرض ليس الا تطبيقا للنظرة الإسلامية المتميزة التي يواجه بها كل مشاكله في الحياة وهو موقف رائع يتفرد به الإسلام، فالمسلم يكره المرض ويحترز منه ويسعى لتجنبه والوقاية منه، ولكن إذا حدث وأصيب به فإنه يتقبله كقضاء وقدر وابتلاء ويصبر عليه، وفي نفس الوقت يسعى للعلاج منه باتخاذ كل مايمكنه من وسائل وأسباب، ومنها العلاج المادي والتقرب إلى الله سبحانه حتى يتحقق الشفاء بإذنه تعالى، فإذا ماتحقق، فليشكر الله على نعمة العافية والا فليصبر وينتظر قدر الله سبحانه بانتهاء أجله□

مجالات الإبداع في الأدب الإسلامي [١/٢]

من بين مـا اتهم به الأدب عندمـا يعبر عن التصور الإسـلامي، أو ينبثق في إبـداعه من رؤيـة إسلاميـة، أنه سيضيق الخناق على الأدب المبـدع، ويحد من رفرفة روحه وخيـاله في المجالات المختلفة، والآفـاق المتعددة، آفاق الإنشاء الأدبي، وأن الأدب الإسلامي سيتحرج من عرض بعض المشاكل، اجتماعية كانت، أو سياسية، أو اقتصادية.

كما سيقف عند المرأة، والتعبير عن بعض مشاكلها، وقضاياها، وعـلاقاتها بالرجل (الجنس) ومايرتبط به من الشرف والعرض وما سوى ذلك.

بقلم: كمال سعـد محمد خليفـة

وإذا كـان ذلك كـذلك، فإن الأدب الإسـلامي وأدباءه، سيتقوقعـون على أنفسهم، ولايتفاعلون مع المجتمع الذي يعايشونه.

نقـول لهؤلاء: إن الأدب الإسـلامي، وكـذا الأديب المسلم، ليس باستطـاعتهما الخصام مع الحيـاة، أو الهروب إلى عصور قديمة، أو إنكار ما يعتلج على مسرح الحياة، من قضايا ومشكلات، فيما أن الأدب الإسلامي، والأديب المسلم، نصب أعينهما الإسـلام، فلا يمكن بحـال من الأحوال أن ينفصـلا عن الحياة. فـالإسلام كمنهج وعقيـدة، ودستور حياة، دين شمولي: فالأدب الإسلامي يتسع اتساع هذه الحياة الشاملة.

والأديب المسلم شـديـد الارتباط بمجتمعـه (فيقـوم بتوصيل رؤيـة الإسلام للكون والحياة والعالم والإنسـان، لابمفاهيم تجريدية، وأفكار صادقة، ومقولات قاطعة كالسكين، ولكن بالصورة المشخصة، والتجربة المعاشـة، والخبرة، التي يجرى الدم في خلايـاها وشرايينهـا فيبعث فيها الحيـاة، ويجعلها تضحك وتبكي، وتفـرح وتحزن، وتتـوحد وتتمـزق، وتشرق وتغيم، وتظهر وتغيب، وتحيا وتموت) (١).

الأديب المسلم يتأثر بواقعه ويقوم بمعالجته

فلايمكن أن ينسلخ الأديب المسلم عن المجتمع الـذي يعيش فيه، وعلى ذلك فإنه سيتأثر بـواقعه، ويقوم بمعالجته من خـلال رؤيته الخاصة. فالحد الفاصل بين الأدب العظيم والأدب التجـاري هو أن الأديب العظيم – هو الذي – يستطيع أن يؤثـر في مجتمعه، وأن يكسب رضاه، دون أن يخضع لإرادة هـذا المجتمع، بل ربما استطاع ذلك وهـو يقف معارضـا لهذا المجتمع. والأديب التجاري: هو الذي يتملق الجماهير، ويخضع لها، ويترك إرادته تذوب في إرادتها، الأول: هـو الذي يؤدي دور الأديب الحق في مجتمعه حين يتأثر بهذا المجتمع، ثم يحاول التأثير فيه، وهو تأثير له خطورته، لأن له خطته، وهدفه، أما الثاني: فلايمكن أن يكون عامل دفع في مجتمعه، لأنه سيترك المجتمع يدور في نطاق ذاته (٢).

كما أن الأديب الإسـلامي، لايمكـن أن يعقل مـايجري علي مسرح عـالمه الإسـلامـي، من مشكلات سيـاسية أو اقتصاديـة، أو اجتماعية، فـالأديب المسلم فرد يتفـاعل مع المجموع الـذي يشكل هذه المواقف والأحداث، فالأدب الإسلامي بإمكانه أن يحقق (حدا أدنى من التوحيـد الإسلامي في الإحساس والـرؤية والتجربـة، في عالم دوره التمزق والتباعـد، والقطيعة، وسوء التفاهـم والبغضاء، فينزل إلى سـاحة الأمـة.شعـوبها وجماهيرهـا الساحقـة يتحـدث عنهم وإليهم، ويجسـد أمام وعيهـم أهدافهم الضـائعـة، ومطالبهـم الملحة، وآمـالهم المرتجاة، لكي يحكى عـن الآلام التي تجمعهم، والمصـائب التي تلفهم، والويلات التي تطحنهم، والمؤامـرات التى تحاك ضدهم، فيحضهم على التحرك من أجل قطع أيـدي الكبار التي تمتد صباح كل يـوم لكي تولم عليهم. على أرضهـم وكـرامتهم وشرفهم وأموالهم فتجعل منهم القصعـة التى حذر منهـا الرسول ﷺ من أن تتداعى عليهم الأمم يـوما رغم أنهم كثيرون.

الأدب يوسع المفاهيم

ولهذا فيعتبر الأدب هنا الضوء، أو الاشارة، والمعاونة، والأمل، والقدرة على التجاوز والانطلاق فيشد ملايين المسلمين على هم واحد، وإحساس واحد، ورؤية واحدة ومصير واحد. لقد بعثرتهم السياسات. فأحرى أن توحـدهم الكلمات. فإن الأدب وإن كان غير السياسة، إلا أنـه سياسى، بمعنى أنه لايزال يوسـع مفاهيمنا عن الحرية الإنسانية (٣).

هذه حقيقـة، ولكن هناك عـديد من التسـاؤلات التي تضطرم في قلب الحياة، والتي لها عـلاقة وثيقـة بالتغيير المستمـر في الحياة، ومـرتبطة كذلك بالفلسفات والدعوات الفكـرية والمذهبية الجديدة في أرض الواقع. فهل للأديب المسلم أن يصم آذانه عن هذه التساؤلات.؟؟

بالطبـع ستكون الإجابـة بالنفـي. لأن الأدب يعيش الحياة بكـاملها، ويعكس تأثر الأديب بهذه الحياة. ولكنه يحتـاج إلى الشجاعة والمواجهة،

والتصور الفكري الواعي الصحيح.

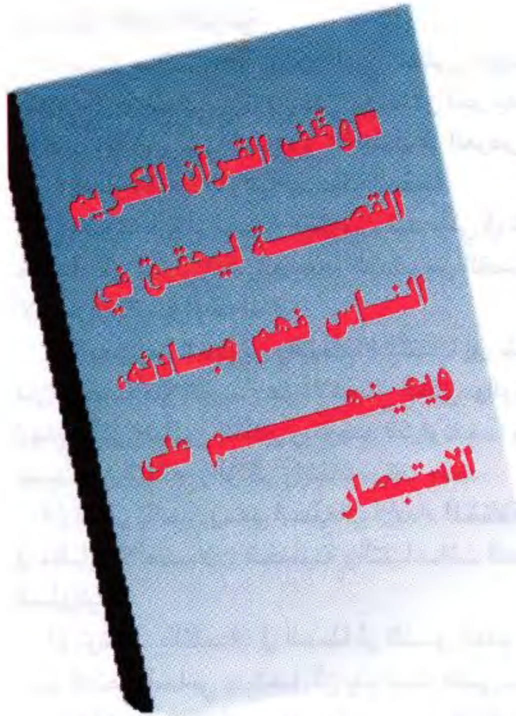
ونجيب الكيلاني يجيبنا في هذا المقام بأن هذه المواجهة، وتقديم العلاج، يحتاجان إلى شيئين هما: (٤).

الأول: توصيف الظاهرة، ومعرفة أبعادها، وأساليبها، ودوافعها، والخط المتوقع لمسيرتها، ونهايتها أو تطورها، إلى ماهو أخطر (أبعد) وأعقد، وإدراك أبعادها الداخلية والخارجية.

الثاني: التصور الفكرى، أو المنهج المناسب. أو العقيدة الراسخة التي يمكن استخدامها في التقويم والتقييم، وفي معالجة هذه الظاهرة حتى تستقيم الحياة، وتكون أكثر بهجة وسعادة.



■لا يستطيع الأديب المسلم أن ينسلخ عن واقعه ولا عن مشاكل عصره، وتجاهل الواقع يتعارض مع (الأمانة) ومع (التفاعل الانساني)



فهذا أسلوب عام يعتمد عليه في تشخيص الظواهر (فكرية وسياسية واجتماعية) والتعامل معها ومعالجتها، إلا أن طريقة الفنان المبدع، تختلف في أسلوب الوصف والمعالجة، لأنه يتميز بخصوصية في العرض، والتصوير والأداء، كما يتميز بالتركيز على جانب معين ينفذ من خلاله إلى هدفه، حتى يحقق قيمة الجمال الأساسية للفن، إلى جوار قيمة النفع (المتعة والمنفعة للمتلقى) (٥).

الأديب المسلم لاينعزل عن الناس

فالأديب المسلم لايمكنه أن ينطوي أو ينعزل عن الناس، أو الحياة فلذا تكون مجالات الإبداع والابتكار في الأدب الإسلامي، واسعة – وستظل – سعة الكون والحياة، بأكثر مما يتخيل متخيل في أي لون من ألوان الآداب الأخرى (٦).

كما أن الإسلام كفل للأديب الحرية في ظل التصور الإسلامي، ليتناول كل مايعن له من مشكلات وقضايا، وليس حكما عليه إلا الشكل الفني الذي يرضي أذواق النقاد، ويجذب القارىء ويرضى عنه الآخرون، وكذلك مسؤوليته ووعيه بما يقدم من فكر، أو يرشد إلى سلوك أو يعبر عن علاقات، في ظل هدي قرآني عظيم. ﴿مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ (٧).

فعلى الأديب أن يستشعر هذا الكون كله بجميع أشيائه، بإحساس المسلم المرهف، ثم يعبر عنه التعبير اللائق، بهذا الإحساس غير المتصادم، أو المتناقض مع الرؤية الإسلامية ثم يفعل بعد ذلك مابداله من معطيات في الشكل الفني، وعلى ذلك يصبح الأديب باستطاعته أن يبدع في مجالات الكون كله.

والقرآن الكريم معين الأدب الإسلامي الثر، وتربته الخصبة والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي يموج كل منهما بالصور الزاخرة، والمواقف الباهرة، والصراعات – المتأججة، بين الخير والشر والفضيلة والرذيلة، والحرية والاستبداد، والظلم، والعدل والصدق، والكذب. وما إلى ذلك من موضوعات شائقة، تغري بالأدباء أن ينهلوا، بل وينطلقوا منها في محاولة مايسمى (بالإسقاط) أو الاستدعاء، في الفنون – التعبيرية الإبداعية. كما أن هذا التراث الحضاري للمسلمين مليء، خاصة القرآن الكريم، بالقصص الفني الفذ الرائع، وزاخر بالأشخاص، والنماذج الإنسانية الحية في قصص، يوسف (عليه السلام)، وعيسى وأمه مريم (عليهما السلام) وأهل الكهف، وموسى وأخيه هارون، وصراعهما الطويل مع فرعون، وإبراهيم وابنه اسماعيل (عليهما السلام) وقصص اليهود مع جميع الأنبياء. وغيرها من القصص المفعم بالصور الفنية، والجمالية.

خصائص القصة القرآنية

فالقرآن الكريم. مدرسة الأدب الإسلامي الأساسية. وهاك بعض خصائص القصة القرآنية السامية التي أبدعها البديع، والمبدع لكل شيء (٨).

١) ارتباطها بالحقيقة والواقع التاريخي.

مجالات الإبداع في الأدب الإسلامي

٢) أنها أحسن القصص بأسلوبها ومضمونها، وتأثيرها وغايتها. فالقرآن الكريم مدرسة متميزة في الأداء القصصي، وضع الأسس الصحيحة لفن الكلمة الجميلة المؤثرة.

٣) أنها تقدم للتعليم والعظة والعبرة. فضلا عن المتعة الفنية الرائدة في جمالية القصة القرآنية.

٤) تمتاز بالتنوع في الشكل الفني، فتكون طويلة حينا، وقصيرة في مكان آخر أو تحكي جزءا بإيجاز، وفي مكان آخر بإطناب، حسبما يقتضي الموقف، ويقضى بهذا التنوع في الأسلوب أو العرض أو الأداء.

٥) تمتاز القصة القرآنية بالحبكة الدقيقة.

٦) الاستنارة أو لحظة التنوير، قد تأتي في شكل عبرة أو عظة أو حكمة، لأن القرآن الكريم يضع الهدف من القصة (المضمون) فوق الاعتبارات الفنية المصطنعة.

٧) البعد عن الغموض والإبهام، استنادا إلى طبيعة القرآن، ومن ثم فإن القصة فيه تحرص على الإشباع العقلي، والوجداني دون حيرة أو إبهام، حتى يتبلور التأثير ويتوحد فكراونفسا ويمهد السبيل لرحلة جديدة من التفكير والتذكر واتخاذ موقف واحد.

٨) تمتاز بالحرص على استيعاب الأبعاد المختلفة للشخصية، وخاصة في نطاق الانفعالات النفسية والتفاعلات العقلية.، والممارسات السلوكية.

٩) توظيف «الكلمة» في الجملة أو النسق العام، توظيفا فريدا بحيث تبدو كعنصر أساسي يستحيل أن يتم البناء الفني بدونها.

١٠) الإيجاز والتركيز، أو مايسمى «بالتكثيف» وإذا جاء تكرارا فيبدو وكانه صيغة جديدة. قمة في الإبداع والإشراق، تبعث على الاهتمام والمتابعة، والشعور بالاستمتاع والرضى والحماسة، عند كل المستويات (الثقافية) دونما ملل أو ضجر.

١١) التركيز على القضايا الأساسية في حياة الانسان كقضايا، التوحيد، والعبادة، الخير، العدل، الحرية، الصدق، الجهاد،الإيثار، الوفاء، المحبة، العلاقات الإنسانية، الصبر والاستقامة. إلخ من هذه القضايا التى تشكل حياة الانسان ومستقبله الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

القرآن الكريم حافل بالصور الرائعة للحياة

ومن الصور الرائعة التي يزخر بها القرآن الكريم، هذه الآية التى تصور حقيقة الحياة الدنيا: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وأزينت، وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ (٩).

أرأيت معي، لو أننا ذهبنا نضع من الصور الفنية مايفوق الجودة والبيان، هل كنا ننجح فينقل هذه الصورة الرائعة، التي تملك على القارىء والسامع معا، وجدانهم وتستلب ألبابهم، وتسكن من نفوسهم موقعا لايمكن بحال من الأحوال أن تأخذه أي صورة من إبداع الفنان، مهما علا شأنه، ورسخت قدمه في الفن والإبداع؟

نعم إنه إبداع البديع. بديع السموات الأرض، سبحانه وتعالى، عما يقولون علوا كبيرا.

وإذا ذهبنا نستقصي هذه الصور لما اتسع البحث كله لهذه الصور الجميلة الرائعة ففي كل آيه، وفي كل جملة وفي كل كلمة من القرآن الكريم، إبداع وروعة، وجمال مبهر ومعجز، ينمي فينا رهافة الإحساس، ويرتفع بنا إلى درجة يعتبر فيها الإنسان متذوقا حساسا.

فالقرآن الكريم في دعوته تجاه الطبيعة يعرف كيف يخاطب كينونة الإنسان، ويحرك كل مكنونات النفس، لأن طبيعة هذا التشكل الإلهي الفذ تقود الإنسان السوى الإيجابى، الفعال (الفنان) في الطريق إلى الله، بهزه الإيمان العميق الذي يحدثه في عقول الأدباء والعلماء. وفي وجدانهم وأفئدتهم فمن خلال رؤاهم يعاينون، ويعانون، ويلمسون وينظرون، ويسمعون، فتهزهم المعاينة والمعاناة. وتحيلهم إلى قلوب تنبض عشقا، وشوقا، وهياما، وشعرا، وعقول تندعن مرائيها النفعية، المادية القريبة، فتحطم جدران الأشياء. وتنطلق إلى ماوراءها وحدس ينقل أحساسيس الإنسان، من سمع، وبصر، ولمس، من مراتبها الأولى الى أجهزة فذة عجيبة للتعامل مع مافي الكون من قيم، وحقائق، وأشكال، غابت عن الأسماع والعيون أول مرة، فجاء (العيان الفني) لكي يمزق عنها الأستار ويعيد إليها صفاءها الأول (١٠).

فالطبيعة لاتقف عند إحداث الهزة الروحية في نفس الإنسان فحسب، لكنها تدفعه دفعا إلى التعبير، إلي تحويل تأمله، وإدراكه، وعيانه السلبي إلى فعل وحركة، وجهد، وإبداع، وفي أعماق كل فنان مايمكن أن نسميه: تقابلا منغما بين الهدوء والحركة، بين السلب والإيجاب، بين الأخذ والعطاء، بين التقبل والتعبير. إن أعماق الفنان، كالبحر الذي يضم في اللحظة الواحدة هدوءا حاليا وتمخضا مخيفا، أو كالسيمفونية التى تحتوي علي نغمتين متناقضتين، لكنهما في المدى النهائي للحن، موحدتان (١١).

القرآن الكريم يحث على الإبداع

فهكذا القرآن الكريم لم يقف حيال الطبيعة موقفا جامدا، ولكنه التحم معها، ونحوها لأداء المهمة الرئيسية لها، ألا وهى اثارة كوامن النفس البشرية، وحثها على الإبداع في ظل رؤية إيمانية عميقة: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ (١٢) و﴿أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت﴾ (١٣).

فهذه الطبيعة ما أرحبها وأوسع آفاقها، ألم يكن الأدب الإسلامي تعبيرا فنيا جماليا عن الكون؟ أو بعد هذا يتهم الأدب الإسلامي بتضييق آفاق الإبداع، وتحجيم انطلاقه، وهوربيب القرآن الكريم، ومنهله العذب، وغديره الدفاق؟

في القرآن الكريم أيضا من النماذج المتقابلة، مايذكي الصراع ويلهبه، ويثير المفارقات بين عدد من المظاهر، والمواقف، والشخصيات، مايدهش العقول، ويأخذ بالألباب، ويحفزنا على البحث والتأمل والمتابعة، مما يعد مجالا خصبا للإبداع الأدبي في ظل هذه المعطيات الفنية الراقية مما زخرت به القصة القرآنية كالصراعات المتعددة بين يوسف عليه السلام

واخوته، وبين موسى وفرعون، وبين موسى واليهود، وبين محمد ﷺ،وبنى قومه، وعيسى بن مريم وقومه،ونوح عليه السلام وابنه وامرأته، ولوط وامراته. كل هذه الصراعات تبلورت من خلال حوارات رائعة لاتملك من الكلمات مايمكن وصفها به من نوع القوة والإيحاء والعمق صياغة رائعة وجديدة ﴿من لدن حكيم عليم﴾ (١٤).

القرآن الكريم فياض بالقصص الرمزي

هذا فضلا عن فيضان القرآن الكريم فيما يمكن تسميته «بالقصص الرمزي» (١٥) وهو قصص أسباب نزول آيات القرآن الكريم، فإن كثيرا من الآيات كانت تنزل لأسباب وكان لهذه الأسباب قصص يستحضرها الذهن عندما نستمع أو نقرأ هذه الآية صاحبة السبب كآيات الظهار وغيرها. كما يزخر بالقصص النفسي والتربوي والاجتماعي، الذي عنيت به كثير من الدراسات الفنية الفذة المرتبطة بالقرآن الكريم (١٦) لها من الأهمية والفائدة مايجعلنا نقف مشدوهين أمامها حيث تعمقت وأظهرت فيضا من هذا الجانب (الفني/ الأدبي) في قرآننا العظيم. فالقرآن الكريم - كما قلنا - جاء ليخاطب كينونة الإنسان. عقله وحسه، روحه وأعصابه، وجدانه وجسده، أحلامه ورؤاه. ومن هنا انبعث من بين دفتيه آلاف الخريجين على مر العصور، كلهم كانوا ذواقين،كلهم كانوا (فنانين)، لأن مخاطبة كينونة الإنسان لاتؤتي ثمارها، إلا بأن تصاغ النداءات والتعاليم، وفق أكثر الأساليب روعة، وجمالا، وأشدها استثارة لطاقات الإنسان ومكوناته جميعا فكرا، وقلبا، وعقلا، وضميرا، وفؤادا، وعاطفة، وروحا، وأحلاما، ووجدانا (١٧). فالأدب الإسلامي، ينهل موضوعاته، وإبداعاته من القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي وحياة الأنبياء، والقادة المسلمين، فمجالاته متسعة اتساع هذه الحياة، ورحبة رحابة القرآن، والتاريخ الإسلامي والحياة. والكون والإنسان بقيمه وفضائله، ومتقابلاتهما وصراعاتهما، بل إنه متسع أيضا اتساع الحياة الاخرى التي ينتظرها المسلم وماوراءها.

إذن، فبوسع الأديب المسلم أن يتناول كل مايحدث له من تجارب، أو ينضح به مجتمعه من قضايا، وصراعات وأحداث، وعلائق مختلفة، في هذه الحياة المضطرمة بكل مافيها ومن فيها، في ظل تصور إسلامي واع، ومسؤول مسؤولية كاملة عما يقول قال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ (ق/١٨) أو مايعالج من تلك القضايا و الموضوعات.

فباستطاعة الأديب أن يتحدث عن الإنسان باعتباره خليفة الله في الأرض، فهو ليس ملاكا، ولا إلها، ولا راغبا في أن يكون كذلك، فينظر إلى الإنسان على أنه عنصر ايجابي في هذا الوجود، لاكما سالبا تتحكم فيه قوى الحياة، من الاقتصاد والسياسة والمادة. وما إلي غير ذلك، فيراه انسانا ذا قدرات، وطاقات ترفعه إلى أعلى حين يعرفها، ويحسن استخدامها، ومشتمل كذلك على منافذ للضعف، ومنافذ للغزو ينفذ إليه منها عدوه الأول. الشيطان..

كما أن الأديب المسلم لايهمل الصراع. بين الحياة والموت، بين القوة والضعف بين المؤمن والكافر، بين الصالح والطالح، بين الإنسان والشيطان، ففيه يجد الأديب المسلم آفاقا محلقة لإبداعه الأدبي، ولكن عندما يصور الصراع في العمل الأدبي يهتف للإنسان دائما بالصعود من الضعف إلى القوة،ومن الشر إلى الخير ومن الكفر إلى الإيمان.

إذ أن جانب الهبوط موجود في الإنسان لايحتاج إلى هتاف، كما لاتحتاج لحظة الضعف إلى تسجيل (١٨).

الأدب الإسلامي لايهمل العواطف

فالإسلام لايغفل العاطفة، والرغبات الغريزية لدى الإنسان، لكن ماينبغي صنعه في الأنموذج الأدبي، ألا تشغل هذه الغرائز الحيز الأكبر في فن اللوحة الطبيعية لهذا الإنسان.

فالأدب الإسلامي، والأديب المسلم كذلك لايهملان العواطف والرغائب النفسية ولا لحظات الضعف، أو على الأقل ألا يمجد هذا الضعف أو السقوط أو تطغى مشاهد الرغبة والعاطفة على المشاهد العظيمة في حياة هذا الإنسان، ولكن تصور هذه الأشياء على أنها ضعف، ومنافذ للشيطان، يهتف به الأديب للارتفاع عن هذا الضعف أو السقوط، لأن الأدب الإسلامي أدب الاستعلاء والرفعة بهذا الإنسان، وأدب التطوير لهذه الحياة (أدب للحياة).تلك مهمة الأدب الإسلامي، الارتقاء، والاصلاح، والتطوير. فالإنسان وإن كان غاية العمل الأدبي إلا أنه ليس كل هذه الغايات، فلقد أخطأ الذين تصوروه كذلك ولكن هذه الغاية (حتما ستصل بالإنسان إلى حالة النشوة الذهنية التي هى في قمتها سكينة، وأمن، يخلص الإنسان من الإحساس بالضياع أو العبث، لأنها غاية قائمة على العدل والحكمة) (١٩).

الهوامش:

(١) وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي، مقال مجلة الأمة عدد (٢٨) السنة الثالثةص: ٨-١٣ د.عماد الدين خليل.
(٢) الأدب وفنونه، ص٤٥، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، سادسة، ١٩٧٦م، القاهرة.
(٣) وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي. مرجع سابق. ومقال حول الالتزام الأدبي في منظورة الماركسي لنفس المؤلف، عدد الأمة الخامس والخمسون.
(٤) مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص١٠٢، نجيب الكيلاني
(٥) المرجع السابق، ص١٠٢.
(٦) من قضايا الأدب الإسلامي، ص٥٨، د. صالح آدم بيلو، دار المنارة، أولى، ١٩٨٥م، جدة - السعودية.
(٧) سورة «ق»، الآية ١٨.
(٨) القصة القرآنية والأدب الإسلامي، باختصار، مقال مجلة الأمة، عدد٥٦، د.نجيب الكيلاني.
(٩) سورة يونس، الآية : ٢٤.
(١٠) شيء عن الموقف الجمالي في الإسلام د.عماد الدين خليل. مقال نشر مع مجموعة مقالات في كتاب (المسلمون والعصر)، فصلي؛ يصدر عن إدارة مجلة (العربي الكويتية) منتصف يناير ١٩٨٧م، رقم ١٤، ص١١٤.
(١١) المرجع السابق، ص١١٥.
(١٢) سورة فصلت، آية ٥٣.
(١٣) سورة الغاشية، الآيات ١٧-٢٠.
(١٤) سورة النحل، الآية ٦.
(١٥) هناك دراسة قيمة للأستاذ أحمد محمد جمال تحمل عنوان (القصص الرمزي في القرآن الكريم) صادرة عن دار الكتاب العربي، لبنان.
(١٦) من هذه الدراسات (التصوير الفني في القرآن)، (في ظلال القرآن الكريم) لسيد قطب. وانظر (في قصص القرآن) للأستاذ محمد قطب عبدالعال، و(منهج الفن الإسلامي) لمحمد قطب، و(منهج القصة في القرآن) للأستاذ محمد شديد، و(القرآن والقصة الحديثة) لمحمد كامل حسن المحامي، وغيرها من الدراسات والبحوث في هذا المجال.
(١٧) في النقد الإسلامي المعاصر، ص١٠و١١، د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، ثالثة، ١٩٨٤م. بيروت.
(١٨) منهج الفن الإسلامي، ص١٢٢، محمد قطب.
(١٩) نحو نظرية للأدب الإسلامي، د.محمد أحمد حمدون، دارة المنهل، أولى ١٩٨٦م، جدة - السعودية.

كان النبي ﷺ يأمر بعض صاحبته بتسجيل ماينزل من القرآن، بغية الحفاظ عليه في السطور كما هو محفوظ في الصدور. وقد انتقى لهذه المهمة أصحاباً أجلاء عرفوا بإيمانهم الشديد وادراكهم لرسالة الإسلام ومن هؤلاء: الخلفاء الراشدون، ومعاوية ابن أبي سفيان، وأبان بن سعيد، وخالد بن الوليد، وزيد بن ثابت، وأبيّ بن كعب، وثابت بن قيس. وغيرهم.

ظل هؤلاء يكتبون جميع ما ينزل في الرقاع وقطع الأديم (الجلد) وعظام الأكتاف والأضلاع، والعسف (جريد النخل) واللخاف (الحجارة الرقيقة) وهكذا دوّن القرآن الكريم كله في حياة المصطفى ﷺ وتحت إشرافه، وإن كان هذا المدون متناثرا بين صحابة النبي ﷺ وهنا يجيء دور أبي بكر رضى الله عنه حيث جمعه، وكان في صنيعه هذا كمن عمد إلى أوراق (تأخذ أرقاما مسلسلة) حيث كان الصحابة على علم تام بل وحفظ لترتيب آياته وسوره إذ جمعها وربطها بخيط حتى لايضيع منها شيء. ثم جاء عثمان رضى الله عنه فنسخ من هذا (المجموع) نسخا ووزعها على الأمصار. من هذه النسخ، ونسخ أخرى عديدة تعد من النفائس وكنوز التراث الإسلامي جمعتها الهيئة المصرية العامة للكتاب بمعرض خاص تجولنا فيه وأطلعنا على محتوياته الثمينة.

نفائس من المصحف الشريف بمعرض القرآن الكريم بالقاهرة



تحقيق: جمال فتحي عبد القوي

مصحف عثمان

يعتبر (مصحف عثمان) من أندر المصاحف وأقدمها، وهى نسخة نادرة ونفيسة، ولعلها هى إحدى النسختين اللتين تكلم عنهما المقريزي في خططه عند ذكره للجامع العتيق حيث قال: «وكان قد حضر الى مصر رجل من أهل العراق، وأحضر مصحفا وأودعه خزانة المقتدر وذكر انها نسخة (مصحف) سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه، وأنه كان بين يديه يوم الدار وكان عليها أثر الدماء، وذكر انها أستخرجت من خزائن المقتدر فأخذه أبو بكر الخازن وجعله في الجامع، وقد نقل في حفل كبير، وقد جعل على هذه النسخة من المصحف خشباً منقوشاً، وكان الإمام يقرأ فيه يوما، وفي مصحف اسماء بنت ابي بكر يوما، ولم يزل على ذلك الى أن رفع هذا المصحف واقتصر على القراءة في مصحف أسماء وذلك في شهر المحرم سنة ثمان وسبعين وثلثمائة»..

وقال: «وقد أنكر قوم أن يكون هذا المصحف هو نسخة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه لأن نقله لم يصح ولم يثبت بحكاية رجل واحد».. ثم قال: «رأيت هذا المصحف وعلى ظهره مانصه: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد الله رب العالمين هذا المصحف الجامع لكتاب الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، حمله المبارك مسعود بن سعد الهيثمى لجماعة المسلمين القراء التالين له، المتقربين الي الله جل ذكره بقراءته، والمتعلمين له، ليكون محفوظا أبدا، وقصد بإيداعه فسطاط مصر في المسجد الجامع العتيق ليحفظ حفظ مثله مع سائر مصاحف المسلمين، وذلك في يوم الثلاثاء

مستهل ذي القعدة سنة ٣٤٧هـ».

ويوجد بها خرم في مواضع متفرقة، وقد استكمل هذا النقص بخط مغاير لخط النسخة، وكتب بآخرها: قد تم هذا المصحف الشريف على يد محمد بن عمر الطنبولي الشافعي الأزهري بإسعاف وإمداد الوزير الأعظم الجامع محمد عل باشا سنة ١٢٤٦هـ

على ورق غزال

هناك أيضا نسخة قديمة نادرة من مصحف مكتوب على ورق غزال، ويقال إنه مكتوب على طريقة أبي الأسود الدولي في التنقيط، به آثار ترميم ويعيب على هذه النسخة قدمها وعليها بعض البقع وأوراقها غير متعاقبة، وهى نسخة مكتوبة بالخط الكوفي، ويرجع تاريخها الى القرن الثاني الهجري حينما كثر اختلاط العرب بغيرالعرب من الذين دخلوا في الإسلام حديثا وعرفوا اللغة العربية، وصعب عليهم قراءة اللغة العربية بالطريقة التي كانت تكتب بها في ذلك الوقت، فكثر اللحن، مما تطلب تدخلا سريعا فنشأت فكرة وضع قواعد للغة العرب، وتم ذلك على يد أبي الأسود الدؤلي ـ والى الكوفة سنة ٦٧هـ ـ وذلك بأن أتي بكاتب يجلس أمامه ويتبع حركات شفتيه وهو يقرأ القرآن الكريم، ومع الكاتب المصحف الشريف.. وقال له الدؤلى: (إذا رأيتني رفعت شفتي ضع نقطة على يمين الحرف. فإذا انتصبت شفتاي ضع نقطة فوق الحرف، وإذا انكسرت شفتي السفلى ضع نقطة أسفل الحرف)، وهذه النقط كانت تكتب بلون يخالف لون مداد الخط.

يضم معرض القرآن النسخة الأصلية من المصحف (المنقط) لأبي الأسود الدولي، ومصاحف أخرى نادرة منها مصحف على ورق الحرير هدية من أمير بخاري للخديوي إسماعيل

مصحف حرير

وفي معرض القرآن الكريم بالقاهرة مصحفاً من الحرير لايزال بحالة جيدة ومكتوب عليه (هدية لحضرة الخديوي من أمير بخارى) أما المادة التي كتب عليها فهى من ورق الحرير، محلى باللازورد، وماء الذهب إضافة الى الألوان البديعة والمزركشة والمصحف به أربعة تفاسير، كتب واحد منها في متن الصفحات، والثلاثة بالهوامش وهى تفسير القاضي البيضاوي المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل ثم جواهر التيسير لتحفة الأمير، وهو باللغة الفارسية للمولى حسين بن على الكاشفي الواعظ، وتفسير الجلالين «جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي» وتفسير آخر باللغة الفارسية.

أيضا هناك مصحف آخر من الحرير لكنه على هيئة شريط طوله ٥٥٧ سنتيمترا وعرضه ٧,٥ سنتيمترات، من الحرير الموصول بعضه إلى بعض، كتب في القرن الحادي عشر الهجري، والآيات القرآنية الكريمة مكتوبة فيه علي أشكال هندسية متقنة بالحبر الأسود والخط الثلث.

مماليك وعثمانيون

تعتبر مجموعة المصاحف العثمانية المملوكية على وجه الخصوص الموجودة بالمعرض من أهم المجموعات التى جعلتها أولى مكتبات العالم في مجموعات المصاحف، فهى الأضخم من حيث الحجم، وخطوطها أجمل ودقيقة الصنعة وكتبت خصيصا للمماليك، فكانت وقفاً على مساجدهم ثم جمعت ونقلت إلي دار الكتب.من بين هذه المصاحف مصحف عظيم الحجم كان مملوكا للسلطان فرج بن برقوق، وكتبه عبد الرحمن الصائغ عام ٨٠١ هجرية، واستخدم في كتابته قلما واحدا، وأنجزه خلال شهرين.

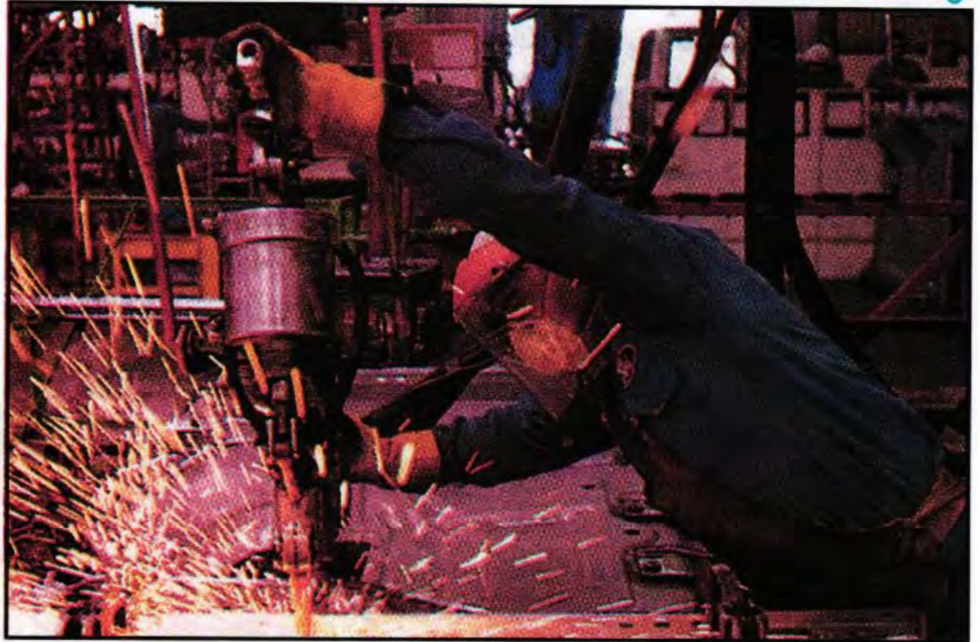
ومن بينها أيضا مصحف السلطان محمد بن قلاوون الذي كتب بالذهب الخالص، ومصحف الأشرف الناصر شعبان، أول من وضع فواصل الآيات وأحكام التلاوة في المصحف الشريف.

أما المصاحف العثمانية فالاهتمام بفن التذهيب فيها اهتمام بالغ، فتظهر المصاحف غاية في الفن والجمال، وكلها بالذهب الخالص، وأحيانا تبدو الصفحات المذهبة وكأنها لوحة رائدة، إلى جانب تذهيب الغلاف وبطانته أما الأوراق فأحيانا يتم تذهيبها دون تحديد أي زخرفة، وأحيانا تزين بعناصر زخرفية نباتية بمداد الذهب تظهر عند غلق المصحف.

الأصغر والأكبر

وأصغر المصاحف حجما بالمعرض هو مصحف عبارة عن نسخة، ثمانية الشكل طولها ٢,٥سم، وسمكها ١,٥سم، وكتب بخط نسخ دقيق جدا وربما كتب في القرن العاشر الهجري، وأسماء السور داخل هذا المصحف مكتوبة داخل مربعات محلاة بماء الذهب، بآخرها خاتم خماسي الشكل.

أما أكبر المصاحف حجما بالمعرض فهو نسخة نادرة حصلت عليها دار الكتب القومية كهدية من نواب بهوبال بالهند سنة ١٩٥٠م وهى مكتوبة بالخط الثلث في القرن الحادي عشر الهجري «تقديرا» وهذ المصحف طوله ١٥٠ سنتيمترا، وعرضه ٩٠ سنتيمترا، وبذلك يعد من أكبر المصاحف حجماً في العالم، ويتكون من سبعة أجزاء، و تتخلل أسطره ترجمة لماكتب باللغة الفارسية، ووضع له غلاف من الفضة الخالصة المطعمة برقائق الذهب والياقوت□



كيف يمكن تحقيق استراتيجية إسلامية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية؟!

ضمن إطار الاهتمام المتزايد بالتنمية وربطها بالتكنولوجيا المتقدمة.. والسعي إلى تطوير الاقتصاد ووسائل الإنتاج وتحويل المجتمع الإسلامي إلى قوة دافعة قادرة على العمل والجودة بشكل مستثمر متزايد لرقي الحياة وتحقيق حد الكفاية للمواطنين.. وكيف أن الإسلام أعطى لهذه القضايا الاقتصادية والاجتماعية اهتماماً خاصاً فاق كل التصورات.. لأن تقدم الأمم يرتكز على حسن آدائها وعدتها لإشاعة الأمن والطمأنينة..

فماذا يرى الإسلام في هذا المجال حتى يصبح المجتمع الإسلامي مثلاً يحتذى به؟!

وكيف نصل إلى إستراتيجية إسلامية لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية؟!

وماهي وسائل تحقيق هذه الإستراتيجية؟!

وكيف يمكن تحقيق أهداف هذه الاستراتيجية بعمق وفعالية في أقصر وقت ممكن؟! تشكل الإجابة على هذه الأسئلة هدف هذه السطور والذي يتركز حول الوصول إلى استراتيجية لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ضوء الإسلام ومبادئه وأصوله..

عــرض: حمدي الحلــواني

جهود ربع قرن من الزمان لتحقيق تلك الاستراتيجية

يقول الأستاذ الدكتور حاتم نصر خضير الخبير الاقتصادي المصري: حقيقة أن هناك جهوداً قد استمرت قرابة ربع قرن من الزمان في محاولة للتوصل إلى هذه الاستراتيجية. وقد تمثلت في طرح البنوك كمؤسسات مالية تمثل استراتيجية تنمية فعالة في الدول الإسلامية.

نتائج التجارب السابقة

وتتلخص نتائج ومسلمات التجارب التي أسفرت عنها هذه الجهود في:

– أن تعريف التنمية كعملية تكوين رأس المال بصورة متكررة مستمرة ومتراكمة هو التعريف المقبول لدى معظم المفكرين والباحثين.

– أن هذه العملية إن كانت قد تمت في أوروبا وأمريكا في ضوء فلسفات وأيدولوجيات معينة.. وتمت في روسيا أو اليابان في ظل فلسفات مغايرة.. إلا أن عملية التنمية في كافة هذه الحالات تحمل نفس المعنى.. – أنه ليس هناك مايمنع من استخدام التنمية على أنها عملية تكوين رأس المال بصورة متكررة مستمرة شريطة أن يتم ذلك كله في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة الشريفة.

– أن العوامل التي تعوق التنمية بالمعنى الذي سلفت الإشارة إليه سواء في جانب العرض أو في جانب الطلب..في الدول الإسلامية عديدة ومتشابكة منها العقبات المادية والإجتماعية والأخلاقية والثقافية ونظم الحكم.. وكل هذه العوامل التي توثر على التنمية تجدها في نهاية الأمر عند تحليلها تنتهي إلى سلوك الفرد سواء كان مواطناً أو عاملاً أو مسؤولاً في مؤسسة..

وكل نماذج التنمية في التاريخ الناجحة منها وغير الناجحة ترتد في النهاية إلى القدر الذي أمكن إدخاله على سلوك الفرد لتغييره أو لتشكيله في الاتجاه الذي يخدم عملية التنمية أو العكس.. وآية ذلك في تاريخنا الحديث ماحدث في ألمانيا واليابان وروسيا والصين.. ويؤكد هذه النماذج دور المثقفين في حالة ربطهم مع الجماهير من خلال المؤسسات التي تتصدى لتحقيق التنمية..

– أن تشكيل سلوك الأفراد للتفاعل مع التنمية وإحداثها لايتم في يوم وليلة وإنما

يستغرق وقتاً.. وكل التجارب السابقة تشير إلى احداث التغيير المناسب في السلوك قد استغرق وقتاً وصاحبته مآس عديدة ولكنه كان شرطاً ضرورياً للتنمية..

– أن من غير المعقول أن يدور تفكيرنا حول إمكانية تكرر العوامل والقوى التي ساهمت في تشكيل سلوك الأفراد في النماذج السابقة.

– أن النموذج الوحيد الذي تم من خلاله في وقت قصير قلب أعماق الفرد وغير سلوكه تغييراً شاملاً في الاتجاه المناسب ودون عوامل خارجية هو نموذج العهد المكي والمدني في صدر الإسلام..

– توضع كل الاعتبارات السابقة في الحسبان.. وباستقراء الواقع الحالي والظروف المحيطة.. وفي ضوء عناصر وعوامل التنمية كعملية تكوين رأس المال بصورة مستمرة ومتراكمة فإننا نصل صيغة مؤسسة البنك الإسلامي..كاستراتيجية تكاد تكون وحيدة بحكم تكوينها ووظائفها للتصدي بعمق وفاعلية وسرعة للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي تعوق التنمية..

مبادىء إسلامية لتحقيق التنمية

يوضح الأستاذ الدكتور عبد الله هدية عميد كلية التجارة جامعة أسيوط: أن الرقي الاقتصادي يستند إلى سبعة مبادىء أساسية هي:

الإستعانة بالمبادىء الإسلامية

١) المبدأ الأول:

الاستعانة بالمبادىء الاقتصادية الإسلامية .. فقد ثبت بالدليل القاطع أن الإسلام دين ودنيا وسلوك وعمل وأداة للتواصل والتقدم المنشود.. فلابد من تكثيف الجهود من أجل الكشف عن الأصول والمبادىء الاقتصادية الإسلامية بلغة العصر وربطها بعالمنا الاقتصادي الحالي.. لأن غلق باب الاجتهاد يعطل الأمة عن مواجهة حاجات المجتمع الضرورية..

وعي الفرد بدوره في صنع المستقبل

٢) المبدأ الثاني:

وعي الفرد بدوره في صنع المستقبل..فلابد من تحقيق الثقة للفرد وتوفير المناخ الملائم لكي يبذل كل جهد نافع .. فالاهتمام بالفرد كشريك أساسي في العملية الانتاجية من أثمن مايملكه الوطن.. كما أن تعاون الأفراد والوعي الكامل بدورهم الإيجابي في صنع المستقبل دعامة وركيزة هامة للرقي والتقدم...

كذلك فإن الإسلام لم يترك العنان للعمل كما أطلقته الرأسمالية الغربية بل ضمن التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع.. وعلى الدولة الإسلامية أن تشجع هذا التوازن.. والإسلام دعا إلى الوسطية في الجمع بين دور الأمة ودور الفرد.. ولن يحدث توازن في الحياة إلا إذا حدث هذا الوسط..

تطوير وسائل الإنتاج

٣) المبدأ الثالث:

تطوير وسائل الإنتاج.. فالإسلام وضع ضوابط للإنتاج بالمال والملكية وتوزيع الدخل واستخدام عناصر الانتاج المتاحة في المجتمع..

وترك لنا أن نستخدم عقولنا في تطوير وسائل الإنتاج لنصل إلى الصيغة التي تتفق مع الدين.. فلابد من الاهتمام بالصادرات ونظم الإدارة واستخدام الموارد البشرية والاقتصادية أفضل استخدام بتحويل المجتمع إلى مجتمع قادر على زيادة الإنتاج والجودة بشكل مستمر ومتزايد سنوياً.. والتصدير للخارج من أهم مبادىء التقدم والرقي الاقتصادى..

تطوير الفكر الإقتصادي

٤) المبدأ الرابع:

تطوير الفكر الاقتصادي لأننا في حاجة إلى تطوير كامل للفكر الاقتصادي. فالتغيير أساسي ويدفع نحو التطوير والارتقاء ونحو التقدم والعدالة.. فعلى علماء الفكر الاقتصادي في عالمنا الإسلامي بذل كل جهد من أجل شمول ووحدة وهدف السياسة الاقتصادية والتنسيق بين أدواتها وإعادة النظر في خطط التنمية الحالية بما يتفق وحاجة أمتنا.. فضلاً عن استخدام الطاقات الموجودة بكفاءة أكثر والعمل على توفير موارد أكثر لرعاية الإنتاج المحلي وجودته.. ومراجعة أنظمة الاستيراد لحماية الانتاج المحلي من المنافسة غير المشروعة.. وتحرير التجارة الخارجية تدريجياً لتحقيق الاستقرار.

الاهتمام بالاستثمارات للمدن الجديدة

٥) المبدأ الخامس:

الاهتمام بالاستثمارات للمدن الجديدة.. فلابد من توحيد قوانين الاستثمار المعمول به حالياً لكي يتولد لدى المستثمرين أكبر قدر من الثقة والضمان والاستقرار..وهذا يتطلب الحد من المتغيرات المتلاحقة في قوانين النشاط الاقتصادي.. ولتيسير تدفق الأموال لتشغيلها والالتزام بالقيم التي تفرض الجدية والانضباط..وإقامة مؤسسات متخصصة في خدمة صغار المستثمرين ..والإهتمام بالاستثمارات في المدن الجديدة بإقامة المصانع ومشروعات استصلاح الأراضي..وتشجيع الأفراد على المشاركة في تنمية المدن وتنشيط المدخرات فيها ولخدمتها في أوجه الحياة المختلفة بها..

ربط التكنولوجيا المحلية بالعالمية

٦) المبدأ السادس:

ربط التكنولوجيا المحلية بالعالمية ..وهوالمبدأ السادس..حيث ينبغي بذل الجهود لتطوير التكنولوجيا المحلية بالوسائل العملية الحديثة فنستضيء بمن سبقنا من الدول المتقدمة في كافة مجالات الحياة المختلفة علمياً وتقنياً واقتصادياً.. ونأخذ منها مايصلح للتطبيق لبلدنا.. ولابد من العمل الجاد للشكف عن الأصول العلمية الحديثة والارتباط بها.. لأن الإسلام لم يغلق باب الاجتهاد.. لأن غلقه يعطل حياتنا الاقتصادية.. ويعجزها عن مواجهة حاجات المجتمع..

تغيير نظام الأداء

٧) المبدأ السابع:

تغيير نظام الأداء.. فيجب الاستمرار في سياسة التغيير في إدارة المؤسسات الإقتصادية لاستكمال تنفيذ البرنامج الكامل للإصلاح الاقتصادي..

فالإسلام قد وضع أسس التخطيط الاستراتيجي طويل المدى الذي تقوم عليه كل معايير التغيير المختلفة بالنسبة لكيفية التوافق مع السياسات والأساليب اللازمة لتغيير المجتمع مع المتغيرات العلمية المعاصرة. حتى يمكن للأمة مواجهة التكتلات الاقتصادية الكبرى الغربية..

ويضيف الدكتور عبد الله هدية قائلاً: يجب أن نستوعب مبادىء الإسلام في تنمية المال ثم نحوله إلى برنامج يناسب تكنولوجيا العصر□

محاولة الملحدين فصل الأدب عن الدين

لقد تيقن الغرب أنه لن يستطيع السيطرة على العالم الإسلامي عن طريق الحرب نظرا لما يحتويه الإسلام من منهج حاسم لمقاومة الاحتواء، والانصهار والمحافظة على التميز وعلى استقلالية الذات الإسلامية والتضحية بكل شيء في سبيل حمايتها، ولما كان منهج الإسلام في مقاومة الغاصب وحماية الثغور والمرابطة بها والتضحية بالأنفس والأموال، كل هذا من شأنه أن يقضي على كل محاولة خارجية للسيطرة..

بقلم: أحمد محمد محمد عبد العظيم

حرب الكلمة

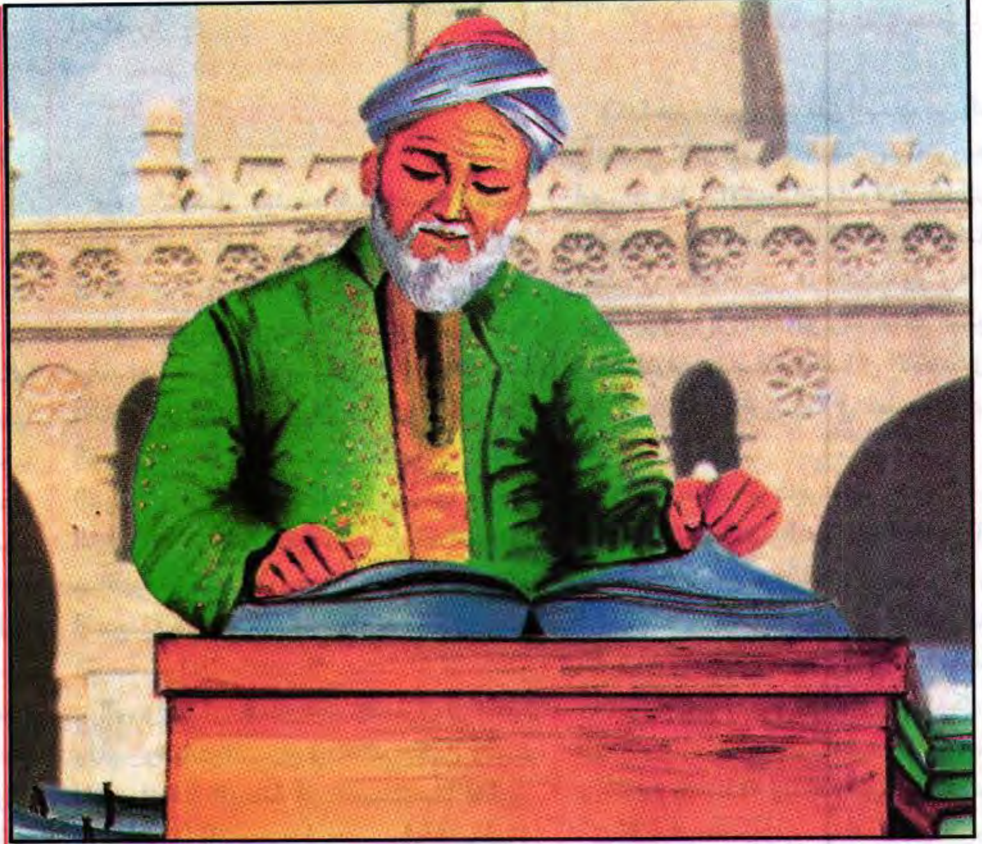
ومن هنا قد اتجهت خطة المؤامرة إلى ما أطلقوا عليه حرب الكلمة بدلا من حرب السيف، وترمي حر ب الكلمة إلى تزييف مفاهيم الإسلام فيما يتعلق بالجهاد والمقاومة، ومحاولة إدخال تفسيرات وتأويلات من شأنها أن تقضى على القوة الإسلامية، كذلك العمل على: «الحد من نفوذ اللغة العربية» التي يجب أن تنتشر مع الإسلام ومغالبتها بالعاميات، من ناحية وباللغات من ناحية أخرى وإفساد المراجع وتغيير المفاهيم وهدم المجتمع وإفساد الفطرة الإنسانية بالحديث عن نهاية الحياة بالموت وذلك حتى يفسح المجال أمام الناس للركض من أجل الملذات وانتهابها قبل أن تأكلهم الحروب والقنابل الذرية (١).

وخلق جو من الريبة والقلق والشك والفساد الخلقي والاجتماعي وإيقاع الخلاف والصراع بين الجيرة المتلاقية وإثارة العصبيات التي أدت إلى الحروب والعداوات حتى ظهرت أعمال أدبية تعبث بالقيم الخلقية التي يحرص عليها الإسلام عبثا شديدا وتصور العفن والهبوط والنزوات الجنسية المحرمة على أنها عواطف إنسانية رقيقة جديرة بالاهتمام وتسوغ التحلل والتفسخ وتسعى إلى ترسيخه في أعماق الشباب والشابات تحت ستار المشاعر العاطفية والحرية الشخصية (٢).

فإن هذا اللون الجديد من الأدب الذي روج له الأدباء والنقاد المنسلخون عن العقيدة ودافعوا عنه ودعوا إليه لأنه الأدب الأكثر تعبيرا عن روح العصر وأشواق الإنسان المعاصر كما ذكر د. أحمد محمد علي: قد انغمس في التصورات اليونانية الوثنية والروح المسيحية والتيارات الفلسفية التي تموج بها الآداب الأوروبية قديما وحديثا فإذا نحن أمام أدب غريب علينا في تصوراته وأخيلته ورؤيته للحياة والإنسان والكون والوجود وعالم الغيب وعالم الشهادة ولم تعد كما كانت في ماضي أدبنا الجانح وصفا للعورات وفحشا في القول وقذفا للمحصنات، وإقذاعا في الهجاء، وغلوا في المديح، ووصفا لمجالس الشراب، وغزلا في المذكر، مما يعد خروجا على ضوابط الإسلام..

أدب وثني دخيل

ولكن مما يؤسف له أن هذه الآداب التي طمستها الفلسفات الأوروبية قد تجاوزت ذلك بمراحل كبيرة، فارتدت إلى الجذور نفسها تقتلعها من أساسها وتضع بدلا منها جذورا جديدة لتصورات وعقائد ومذاهب جديدة ماجاء الإسلام إلا ليقضي عليها ويقتلعها من جذورها.. فإن هذا الأدب إذا تحدث عن الألوهية والنبوة والعالم الآخر يقدم تصورا لا علاقة له بالإسلام من قريب أو من بعيد وإذا تحدث عن بداية الخلق أعاد مقالات سفر التكوين: وإذا تحدث عن هابيل وقابيل وإبراهيم وإسماعيل وبقية الأنبياء الماضين فإنما يقدمها في إطار رؤية الكتاب المقدس أو في إطار أسطوري لا حقيقية له، أما الصليب والمسيح والخطيئة والفداء



والصلب والخلاص وبقية مفردات العقيدة المسيحيـــة فهي كثيرة في أدبنـــا الحديث بمعانيها المسيحية لا بمعانيها اللغوية، وأما الأساطير اليونانية والبابلية والأشورية والهندية والصينية فحدث عنها ولا حرج ومن هنا كان وجه الخطر في القضية، فإن المسألة ليست مسألة شكل فني أفضل، ولا لغة تعبير أرقى ولا طريقة تناول أسمى فكل هذا لا خطر فيه ولا خوف منه، بل وندعو إليه، ولكنها قضية محو وإثبات، محو للتصورات الإسلامية وإثبات لتصورات بديلة مناقضة لها تماما (٣).

وبعد أن فرغ «د. أحمد محمد علي» من كلامه السابق نراه يورد في كتابه نصا من المذكرة التي أفزعت لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بمصر، فقدمتها إلى وزير الثقافة لكي توضح فيها موقفها مما ينشر في مجلة الشعر من شعر جديد: «إن مراجعة سريعة لكثير مما يسمى بالشعر الجديد لتكفي للدلالة على أن أصحابه واقعون تحت تأثيرات إذا حللناها وجدناها منافية لروح الثقافة الإسلامية التي هي الروح المميز لشخصيتنا الفنية على مدى العصور، مما يجعل كتاباتهم مرفوضة حتى لو أخرجناها من دنيا الشعر لندخلها في عالم النشر الفني وذلك لأنها تشيع في كياننا العضوي عنصرا غريبا يهدمه ولا يعمل على بنائه ونمائه.

من ذلك ميلهم الشديد نحو الاستعانة في التعبير بعناصر يستمدونها من ديانات أخرى غير العقيدة الإسلامية، بل ومما تأباه هذه العقيدة كفكرة الخطيئة وفكرة الصلب وفكرة الخلاص ذلك فضلا عما يستبيحونه لأنفسهم بالنسبة لكلمة «الإله» كأنما هي ماتزال عندهم كلمة بمعناها الوثني ولم تتخذ في الإسلام معنى خاصا يجب احترامه مهما كان السياق الذي ترد فيه (٤). وإن كان في الواقع أنه تحت يدي بعض الأعداد من المجلة التي جاء ذكرها في المقال السابق وأخص منه العدد رقم ٦٠ الصادر في ربيع الأول ، ١٤ أكتوبر ١٩٩٠ ويمكن أن استدل منه على مدى صدق نص المذكرة السابقة فقد جاء في قصيدة «مساء وحيد» لمحمود قرني التي يقول فيها:

■ الحد من نفوذ اللغة العربية يهدف إلى الحد من نفوذ الإسلام نفسه، فاللغة وسيلة الدعوة ومن مظاهر الوحدة

وإني أفسر حلم الأميرة وحيدا
ووحدي الذي سوف يأكل من رأسه الطير
إني الذي سوف يشرب من خمره الله (٥)

فأنا هنا لا أريد أن ألقي بما أحمل من هموم فوق رأس الأديب العربي فأغرقه من شعره إلى أخمص قدميه وأطلب منه موقفا فنيا عقائديا وفلسفة حضارية بل إنني أكاد أبرىء موقف الأديب وأقول كما قال د.يوسف حسن نوفل أكاده. لأن الأديب نتاج بيئته ومجتمعه بما يحمله هذا المجتمع من مثالب ومحامد، فإذا كان مجتمعنا في حيرة من أمره إزاء اصطخاب عالمه بغزوات متعددة متلاحقة متناقضة متضاربة أفلا يكون شيئا حتميا أن يحار الأديب ويضطرب (٦).

امتحان حضاري ومحاذير

فنحن الآن أمام موقف امتحان حضاري عسير لا تستحيل منه النجاة بل تجب النجاة منه. لكن ذلك لا يكون إلا بعودة الأدباء إلى أحضان العقيدة الإسلامية والوقوف في وجه كل الذين ينادون بفصل الأدب عن العقيدة فإن الغزو الفكري أو الثقافي هو السلاح الذي يستخدمه أعداؤنا في نشر سمومهم الفتاكة، فلقد أصبح لخططهم هدف أساسي ورئيسي هو الغزو الثقافي، ومن هنا قويت المعاول التي مازالت تضرب في جدار الإسلام، محاولة أن تسرب تحت الأساس المكين شبهات وادعاءات في مجالات مختلفة ولا تزال تتردد بصورة أو بأخرى حتى ظن البعض أنها مسلمات وحقائق خاصة..

إن هذه المحاذير والتراكمات التي تدقها المعاول إن كانت تتصل باللغة العربية من ناحية فتتصل كذلك من ناحية أخرى بالشريعة الإسلامية، وتتخذ من التعليم والصحافة عامة والأدب بخاصة أدوات

محاولة الملحدين فصل الأدب عن الدين

فعالة لتثبيت الشبهات والسيطرة العقلية ووضوح بعض مظاهر التبعية والخنوع، بل الإحساس بالنقص تجاه حضارة الغرب المادية، سواء أكان ذلك الشعور تجاه الفكر بعامة أم بالتقاليد والعادات، فقد عمل الغرب المستعمر منذ مائتي عام على تحقيق أسباب الغزو الفكري في بلاد المسلمين مما خذل أبناء الأمة في شخصيتهم، وجعلهم يضامون في أصالتهم ومجدهم. حيث بدد شعورهم بالريادة ودعا بعض المخذولين منهم إلى صبغ فكرهم في زمن المعاصرة بمعالم التبعية والاحتذاء، بل والضعف الديني وفقدان الشخصية ولقد صدق عز من قائل في وصف هذه الحالة بقوله: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ [البقرة/ ١٢٠].

لقد سخر الغرب المستعمر وسائل ثقافته ومظاهر حضارته من أجل إعجاب الأمم بواقع حضارته وجذب أفكارهم نحوه حتى كادت أن تذوب الشخصية الإسلامية وتتلاشى في شخصية حضارية أخرى، والمسلمون ليسوا في حاجة إلى أن تصرعهم هذه الحضارة المادية، وليس من مصلحتهم أن يذوب وجودهم في خضمها، فالوضع الحضاري للعالم الإسلامي متخلف كثيرا ووضعه الاقتصادي أيضا لذلك أصبحت الشعوب الإسلامية مطمعا للقوى العظمى، وقد نجح بعضها في شد بعض الدول الإسلامية إليها وإلحاقها بتبعيتها، والمدهش أن هذه الشعوب جميعا على ضعفها وتخلفها مازالت تتعرض إلى الغزو الفكري المكثف، وإلى حملات تبشيرية، تنفق فيها الأموال الطائلة، وتبذل لها الجهود الضخمة لقتل ما بقي من شخصيتها الإسلامية ولمحاصرة إسلامها في زوايا المسجد وعزله عن الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية ولتصويره في أحسن الأحوال على أنه تراث مجيد لا يصلح للحياة المعاصرة.

أشكال جديدة من المحاصرة

ومن أشكال هذه المحاصرة أيضا تطبيع الفرد المسلم بطابع المدنية الغربية والشرقية، وملئه بقيمها وتصوراتها وسلخ عقيدته وتغيير ثقافته وآدابه وفنونه وتحويلها إلى مسخ تقليد الآخرين فإن إنسان الثلث الأخير من القرن العشرين يشهد كثيرا من القيم الدينية والروحية ينالها ويسمها بعض التشويه، بل إن بعض الناس قد أصيبوا بانهيار تام أو غير تام في عقيدتهم الدينية فهل كان هذا وليد يوم أم هو نتيجة عوامل متعددة؟

الواقع أن هذا التزلزل في القيم والموروثات الروحية لم يكن وليد المصادفة البحتة أو مصاحبا لتغيير مفاجيء. بل مهد له وسبقه اندفاع حضاري متهور إلى مجالات التقدم العلمي منذ بداية النهضة في العصر الحديث. وكما يعلق د.حسن نوفل بعد ذلك: التطور الحضاري في حد ذاته مرحلة هامة وجليلة في تاريخ البشرية دائما، والأخذ بوسائل التقدم العلمي شيء مشرق في حياة الإنسان، لكن هذا شيء، والالتواء بهذا المد الحضاري إلى غير وجهه تشويها للدين وغضا من قيمة الاتجاه الروحي في سبيل إعلاء الاتجاه المادي هو أسوأ ما في الأمر (٦).

■ الحروب الفكرية لا تقل خطورة عن الحروب العسكرية إن لم تكن أشد منها فتكاً

الاقتباس بضوابط وحدود

فكما هو معروف: «أن البحث عن الجد
والسعي لنمو الجهد البشري وتطور عطا
أمر في فطرة الإنسان ولولا هذه الرغب
المغروسة في الفطرة ما استطاع الإنسان
يجدد في عطائه على مر العصور ولما انت
من الكهوف إلى العمائر ولما صنع السيار
والطائرات وسائر وسائل الاتصال إن
رغبة ملحة مغروسة في فطرة الإنس
نحترمها ونرعاها.

ليس الخلاف في ذلك، ولكن الخلاف ه
في نهج التحديث والنمو والتطور ال
يدفعه الإنسان منطلقا من رغبته هذه (
فالإسلام عقيدة فطرية تلائم نوا
الإنسان وتستجيب لمطالبه وإننا بإسلا
ونظرتنا الإسلامية منفتحون على كل ما
العالم عارفون ببضاعته وعندنا حي
وإنتاج وبضاعة وبدافع من ديننا نستق
من كل مفيد، جديد، صالح فليس
المقبول إذاً كما ذكر د.عبدالمنعم النمر «
نستسيغ كل التصرفات التي يتصرفها غي
ولا نستطعمها دينا أو عقلا أو عادة ف
تفاهة التقليد تثير الضحك عادة، والذ
يقلدون الفنانين إنما يريدون إضح
الجماهير (٨)..

والولد الصغير حينما يقلد أخته الأك
منه ويتحدث عن نفسه بضمير المؤنث ي
فينا الاشفاق عليه، والخوف من أن يتأ
في كبره ويكون مضحكة.. لكن إذا قلد أخ
في المذاكرة والاجتهاد كان جيدا أو في الطا
وتنفيذ التوجيهات.. لأن هذه الأشياء تك
معه وتكبر قيمته وقدره. أما أن يقلد ح
يتأنث فهذه مصيبة لأنه يخرج بذلك ع
طبيعته، فالتقليد والتأثر بالأشياء الحس
أمر مطلوب ومحبوب، لكن التقليد فيما يض
مصيبة. التقليد الذي يضيع شخصي
الإنسان ويهدر قيمته ويمسخ حيات
ويبعده عن دينه وثقافته وأصالته كار
والمسلم أديبا كان أو غير أديب ينبغي عل
أن يحفظ نفسه وأمته من هذه الكارثة (
ويبتعد عن التقليد الأعمى، ولا يكون كالذ
رسم الله لهم صورة زرية تليق بهذا التقل
وهذا الجمود صورة البهيمة السارحة ال
لا تفقه ما يقال لها، بل إذا صاح بها راعي
سمعت مجرد صوت لا تفقه ماذا يعني.

بل هم أضل من هـذه البهيمـة، فالبهيمـة ترى وتسمع وهم صم بكم عمي قال تعالى: ﴿مثل الـذين كفروا كمثل الـذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونـداء صم بكم عمي فهم لا يعقلـون﴾ [البقـرة/ ١٧١]، صم بكم عمي، ولو كانت لهم آذان وألسنة وعيون، ما داموا لا ينتفعون بها ولا يهتـدون فكأنها لا تؤدي وظيفتهـــا التي خلقـت لها، وكأنهم إذن لم تـوهب لهم آذان وألسنـــة وعيـون، منتهى الـزرايـة بمن يعطل تفكيره، ويغلق منـافـذ المعـرفـة والهداية، ويتلقى في أمـر العقيـدة والشريعـــة من غير الجهـــة التي ينبغي أن يتلقى منه أمر العقيدة والشريعة (١٠).

الاسلام كلٌ متكامل

فإن عقيـدة الإســـلام تستجيب لمطـالب الإنســان، فهي عقيـدة فطـريـة تـلائم كل نوازعه وإن طاقة الإبداع في الإسلام مثل أي عمل إبداعي يقوم بـه الإنسان شأنه في ذلك شأن الغـرائز والقدرات والطـاقات والميـول والاستعدادات وكل مـا وهبه الله لـلإنسان ليكون وسيلة للعمل الصالـح فلا بد للأدب الذي يكتب أن يكون معبرا عـن وجدان الأمة ومشاعـرها وأحاسيسهـا وتصوراتها التي كونتها العقيدة الإســلامية لأن الإنسان هو اللبنة الأساسيـة لهذه الأمة فشأن الأدب في ذلك شأن ســائر الغـرائز التي وهبهـا اللـه للإنسان يمكن أن يتحقق على صور مختلفة بغض النظر عن الصـواب في ذلك أو الخطأ.. فهل ترك الإسلام هـذه الغرائز تعمل عملها بـدافع الضرورات أو الحاجـات والـرغبـات دون ضابط ولا رابط؟

إن الأمـر لـو كان كـذلك لعمت الفـوضى والمفاسد والشرور والفـاحشة، وساد الظلم والفســاد كما نرى ذلـك واضحا وجليـا بين الـدول التي لا عقيـدة لها ولا أخـلاق ولكن الإسلام نظـم للإنسان كـل شؤون حيـاته ليسير في غاية معلومة فيها مصلحة لـ لفرد والجماعة والـوجود كله، وهـذا يدلنـا دلالة واضحـة على الكـذب الذي يـدعيـه أدعيـاء التطـور أعداء الـدين: أن الـدين عقبة أمـام التطور وأن الشاعر المسلـم الملتزم بالعقيدة والأخـــلاق في نظـــرهـم لا يمكن أن يحقق الإبـــداع إلا إذا انفصل عن الـــدين وتـــرك الجماعة، حتى أوصد هـؤلاء المعادون للدين والأمة الباب أمام الشاعر المسلم الملتزم.

■ يستجيب الاسلام لحاجات الإنسان الفطرية ويهذبها، فهل نحتاج بعد ذلك إلى بديل؟

وكان من نتيجته ظهور عدد من الملحدين الـذين يحملون الهويـة الإسلاميـة والاسم الإسـلامي. الـذين وظفـوا أدبهم بحماسـة بـالغـة في النيل مـن العقيـدة الإسـلاميـة، وإشاعـة الفاحشة، ومن هنا كـانت الحاجة ماسة إلى أن يكون هناك أدب إسلامي يعبر عن الشخصيــة الإســلاميــة ويجســد تصوراتها عن الكـون والحياة والإنسان في مـواجهة آداب غصّت بها سـاحتنا الأدبيـة تجسد تصورات فلسفية ومذهبية وعقائدية غريبة عنا غربة كاملة (١١).

مسؤولية الأديب المسلم

فالمطلوب من الأديب المسلم أن ينطلق من رؤية الحلول الإسـلامية في تثبيت القيم من خلال معالجتـه الصحيحة لها، ولا بأس في استخدام أي من الـوسائل لتحقيق أهـدافنا وتحسين مبـادئنا في أي قـالب من القـوالب الأدبيـة كما ذكــر د.أحمد السيـد محمــد «ينبغي علينـا أن نعرض عـن الرأي القـائل بأن الأجهـزة الوافـدة إلينا من أمم تعـادي الإسلام أو لا تدين بـه لا ينبغي لنا التمسك بها، لأنها تمثل غزوا ثقافيا هداما ، فالقوالب الأوروبيـة في جـوهرهـا وأدائهـا الـوظيفي المعاصر وسيلة من وسـائل الإعلام لا يكمن الخير أو الشر في تقنينها وإنما يكمن الخطر في طـريق استخـدامها ولقـد استطـاع الفن الـروائي العـالمي المعـاصر أن يغـزو جميع الأمم منذ القرن التـاسع عشر الميلادي وأن يتسع لجميع متطلبات الناس بتنوع أشكاله وسهـولـة عـرضـه.. في كلمات مقـروءة أو مسلسلات إذاعيـة.. أو غير ذلك من وسائل العرض.. فـلا مناص لنا من استخـدام هذه القوالب استخـداما واعيـا.. وليس هناك من يحول بيننا وبين ابتكـار الشكل الملائم لهذه المضـــامين ولكن لا بأس من الاقتبـــاس الرشيد» (١٢).

ولكي يخدم هـــذا الأدب قضـايــا الأمـة الإسلاميـة ويعبر عن أي ناحيـة من نواحي الحيـاة تعبيرا ســويــا لا يتنـاف مع الخلق الإسلامي ومع رسـالة الإسلام، ولا شك أن الإسلام لم يلـزم الأديب بألا يتحدث إلا عن الـدعـوة الإسلاميـة والجهـاد الإسـلامي، فـالإســلام يستوعب الـوجـود ويستـوعب الحيـاة ولكن ينبغـي على الأديب أن يسخـر قلمه ليعـرّف الناس بـالإسلام لما لـه في تلك النظرة العريقـة وهذه الساحة الـرحبة، فإن هنـاك تبــاشير أمل على طـريـق الصحـوة الإسـلاميـة رغم كـل القـوى الهدامـة التي تسلطت على الأمـــة الإســلاميـــة في الفترة الأخيرة بعـد توقف المد الإسـلامي وامتـداد الغزو الأوروبي والثقـافة الغـربية المعـادية للأمـة الإسلاميـة، لذا كـانت هناك حـاجة مـاسـة إلى ضرورة وجـود الأدب المعبر عن آمال وآلام الأمة والملتزم بعقيدتها السامية□

الهوامش:

١ – أهداف التقريب لأنور الجندي.
٢ – حاجتنا إلى نظـرية الأدب الإسلامي، د. عبدالباسط بدر.
٣ – الأدب الإســـلامي ضرورة، أحمد محمد علي.
٤ – قضايا ومواقف، عبد القادر القط.
٥ – مجلـة الشعـــر عـدد ٦٠ أكتـــوبـر ١٩٩٠م.
٦ – دور الأدب الإســـلامي في العصر الحديث، د. حسن نوفل.
٨ – موقف الأدب الإسلامي من الحداثة، د.عدنان علي رضا.
٩ – شخصيـــة المسلـم كما يضعهـــا الإسلام. د.عبدالمنعم النمر.
١٠ – في ظـلال القـرآن، الشهيـد سيـد قطب.
١١ – الأدب الإســـلامي ضرورة، أحمد محمد علي.
١٢ – إسلامية المعرفة، أحمد سيد محمد.

حاسبهم الله على ما يقولون، وحسابه عسير، ولن ينفعهم يومئذ علمانية ولا تنوير، فهم يقولون عن «العلمانية»: إنها عزل الدين عن كل محاور الحياة، ومؤدي ذلك هو إجهاض الدين وتفريغه من محتواه. ويقولون عن «التنوير»: إنه تحكيم العقل البشري وإعلاؤه فوق كافة النصوص، ومؤدى ذلك إخضاع النصوص الثابتة بالكتاب والسنة ثبوتا قطعي الدلالة، لتمحيص العقل البشري بكل ما يترتب على ذلك من آثار وخيمة.

والمحصلة النهائية لما يهدفون إليه وباختصار شديد أن ما لا تهدمه العلمانية يهدمه التنوير.

وتفصيل ذلك: أن الإسلام كما هو معروف ثلاث شعب رئيسية متكاملة، لا ينبغي أخذ شعبة أو شعبتين وترك الباقي، فهو دين كل زمان وكل مكان.

حلكة الديجور.. في دعاوي التنوير

بقلم الأستاذ:
عمر إبراهيم الراكشي*

شعب الإسلام الثلاث

الشعبة الأولى: هي العقائد والعبادات والشعائر وهي أركان الإسلام الخمسة.

والشعبة الثانية: هي التشريع الإسلامي والتقنينات الإسلامية بشقيها المدني والجنائي. ومن أمثلة ذلك أحكام المعاملات المدنية من بيوع ورهون ومداينة (استقراض) ومزارعة ومشاركة وزواج وطلاق وميراث ووصية ووقف إلى آخر ما قننت له الشريعة الإسلامية في مجال المعاملات المدنية. أما القانون الجنائي الإسلامي فيتمثل في المباحات والمحظورات من الأفعال وفي العقوبات من حدود وتعازير. كما يتمثل التشريع أيضا في نظم الحرب والسلام ونظام الشورى والحكم في الإسلام. وهذا التفصيل في الأحكام هو بعض ما تميز به الإسلام كدين على ما سبقه من الأديان باعتباره آخر الأديان وآخر ما ارتضاه ربنا للإنسان من أحكام.

والشعبة الثالثة: هي الأخلاق الإسلامية، وهي في حقيقة أمرها محصلة العمل بالشعبتين السابقتين، وتتمثل في سلوكيات الفرد والمجتمع الإسلامي تحقيقا لقوله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» رواه أحمد، والبخاري في الأدب.

والإسلام بشعبه الثلاث بهذه المثابة هو نظام حكم، ودستور حياة، ونمط معيشة، يبتغي سعادة المسلم والمجتمع الإسلامي في الدارين.. باعتبار أن الحياة الدنيا مزرعة الآخرة. تحقيقا لقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات/٥٦]، ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ [القصص/٧٧]. ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ [آل عمران/٨٥]. وآثار هذين المبدأين الهدامين نستعرضهما بإيجاز فيما يلي:

آثار العلمانية

إن الدعوة الخبيثة للعلمانية تهدف إلى عزل الدين وتنحيته بشعبه الثلاث عن محاور الحياة، وهي في حقيقة الأمر إجهاض للدين وتفريغه من محتواه، فلا يتبقى منه إلا مظهرية الصلاة والحج، فيخرج المصلي من المسجد ليغش المسلمين، ويزوّر ويرتشي ويشهد الزور، ويرجع الحاج من حجه ليفعل نفس الشيء، ومن لم تنهه صلاته فلا صلاة له، فتنهدم الشعبتان الأولي والثالثة، وتصبح العبادة حركات رياضية بلا مضمون وبلا معنى وبلا هدف، ويصبح حديث سيدنا رسول الله ﷺ: «إنما

*محامي بالنقض والادارية العليا – مصر

بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» غير ذي موضوع، للأسف الشديد.

أما الشعبة الثانية من الإسلام وهي الشرائع والأحكام، فقد نجح الغرب في عزلها عن المجتمع الإسلامي بنسبة كبيرة وهم ما ضون في ذلك، ولم يبق منها في بعض البلاد العربية إلا بعض أحكام الزواج والطلاق، وأحكام المواريث والوصية، أما بقية المعاملات المدنية فهي خاضعة لقوانين من صنع البشر. والقانون الجنائي الإسلامي بحدوده وتعازيره لم يوضع موضع التطبيق حتى الآن في معظم البلاد العربية والإسلامية، وحجتهم - صحت أو بطلت - أنهم لا يحمون بالسياج الجنائي الإسلامي أوضاعا مدنية غير إسلامية ومجتمعا غير إسلامي.

ويستشهدون في ذلك بما فعله عمر رضي الله عنه عندما عطل حكم قطع يد السارق في عام المجاعة، حيث يقع على عاتق الحاكم - ملكا كان أم رئيسا للجمهورية أم أميرا للمؤمنين - أن يوفر لكل فرد في المجتمع عملا شريفا يرتزق منه، بحيث إذا سرق الفرد بعد ذلك يقام عليه الحد، أما قبل توفير العمل له، فإن وزر السرقة يقع على الحاكم نفسه وعلى المجتمع غير المتكافل ويمتنع بالتالي تطبيق الحكم الشرعي بقطع اليد، لأن الفرد في هذه الحالة يكون قد سرق ليقيم أوده ويحفظ حياته.

آثار التنوير

وإذا صحت دعواهم في تعطيل حد السرقة للسبب المذكور، فكيف يصح قولهم عن حد قطع يد السارق إنه عقوبة موغلة في العنف يشوبها اللا إنسانية وضد الحضارة! ويتغافلون بذلك القول الخبيث عن الحكمة الإلهية الكامنة وراء تقرير هذه العقوبة.

وهذا التنوير الذي يزعمونه يصطدم شكلا بقاعدة شرعية أصيلة: وهي أن القرآن الكريم يقعد به ولا يقعد له. كما يصطدم موضوعا بقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ [الحشر/٧]، ويصطدم صراحة مع قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ [النساء/ ٥٩]. ولا يخفي أ ن ما يزعمونه هو أمر يتعدى حدود قاعدتي الاجتهاد والقياس المباحتين.

وبمقتضي ما يزعمونه فلا نستبعد يوما قريبا يجيء يعطلون فيه سريان حكم أو أكثر من أحكام المعاملات أو الزواج والطلاق أو صحة النسب أو المواريث والوصية، فيعطل العقل البشري - القاصر بطبيعته - سريان حكم من هذه الأحكام بحجة أو بأخرى، فتنهار بذلك الشعبة الثانية من شعب الإسلام الحنيف، والتي يتميز بها على سائر الأديان باعتباره آخر هذه الأديان، وآخر ما ارتضاه لنا ربنا من شرائع نسخت ما قبلها.

وهم يستخدمون في تنويرهم هذا ما يسمونه بكتب التنوير، وهي في حقيقتها خلاصة فكر الماركسيين والملحدين والمفسدين وأعداء الدين من الشرق والغرب بل ومن بعض من يرتدون عباءة الإسلام، ثم تباع هذه الكتب بأرخص الأثمان تشجيعا على تداولها بين الشباب.

ومما يذكر للإسلام في مجال الشعبة الثالثة المشار إليها وهي شعبة الأخلاق والسلوك، أنه عندما سادت القيم الإسلامية لم يرفض الإسلام كل القيم السلوكية الجاهلية أي القيم الأخلاقية التي سادت في الجاهلية، ذلك أنه من عظمة الإسلام وعدله أنه فرق فيها بين ما هو مستملح مقبول، وما هو فيها مستقبح مرذول، فرأي في الأولى ما هو جدير بأن يستبقيه، ورأي في الثانية ما هو واجب أن ينحيه، فاستبقى قيم الشجاعة والفروسية وإكرام الضيف ونجدة الملهوف وإغاثة الضعيف والوفاء بالعهد، ونحى عادة وأد البنات والأخذ بالثأر والرايات الحمر وأكل الربا وشرب الخمر ولعب الميسر.

لكن الإسلام لا يرتضي بحال من الأحوال أن تهدد كل قيمه السلوكية النبيلة، وأخلاقياته الرفيعة تحت دعاوي العلمانية والتنوير، لأنها هدم للدين ليس فقط في شعبته الثالثة ولكن في شعبه الثلاث برمتها.

مما تقدم يتبين أن «العلمانية» و«التنوير» هما معا سلاحا المقص الذي يقصون به شعب الإسلام الثلاث واحدة بعد أخرى، ويحولونها إلى جذاذات ومفردات متفرقات لا معنى لها، وبهذه المثابة يكونون قد أجهضوا الإسلام وأفرغوه تماما من مضمونه ومحتواه، فلا يبقى منه نظام حكم، ولا يكون منه دستور حياة، ولا يبقى منه نمط معيشة. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن هنا فلا يخفي علينا جميعا، أنه يغدو من واجب كل مسلم أن يتنبه لما يحاك له، وأن يبصر نفسه وأولاده بما هم مقبلون عليه، وأن يقفوا أمام هذه الدعاوي الخبيثة الباطلة لا بالعنف، ولكن بقرع الحجة بالحجة، والبرهان بالبرهان، وفضح الوسائل والأهداف، فإذا اصطرع الحق والباطل فالنصر بإذن الله للحق وهو من أسمائه الحسنى، أما إذا اصطرع الباطل والباطل فالغلبة عندئذ للقوة الغاشمة، جعل الله بأسهم بينهم شديدا، وأظهر الإسلام على أعدائه□

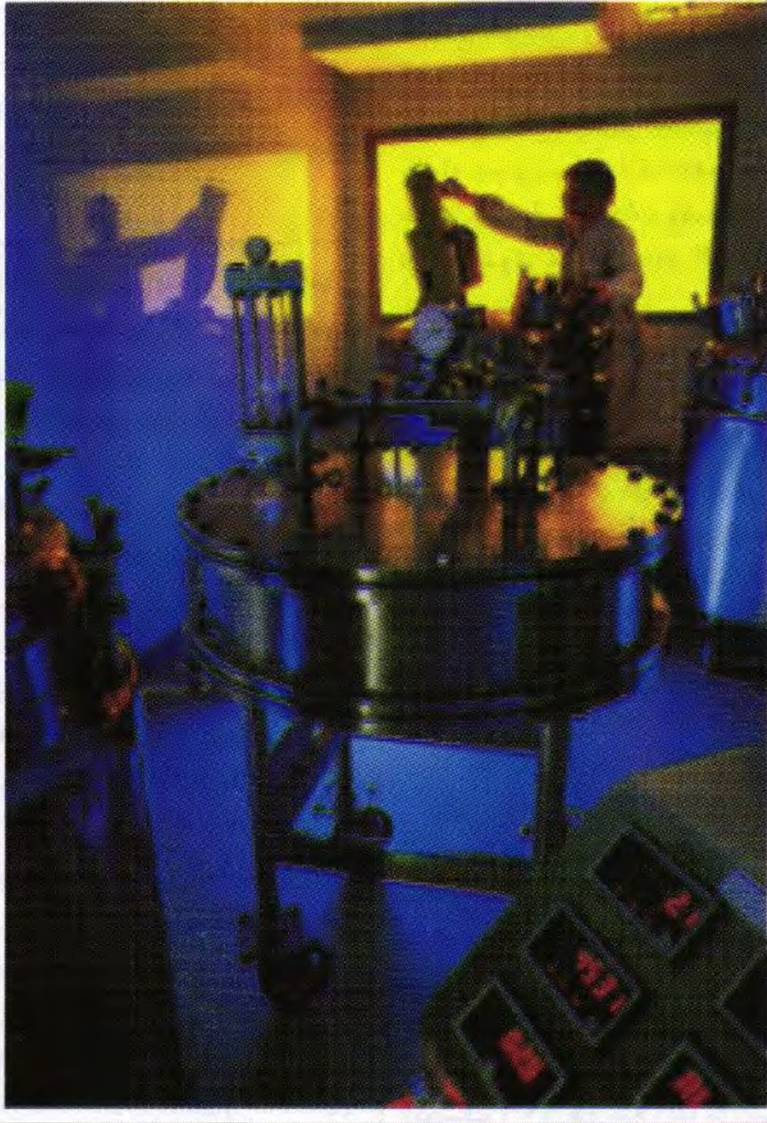
■ للمرأة من تو...
الإسلام ورعايت...
كبير، وقد جعله...
العلم والعب...
والتكليف الشرعي
الرجل



العلم بين تعاليم الإسلا[م] وواقع المسلمين

بقلم:
أشرف
شعبان
أبو أحمد

دعا القرآن الكريم في اكثر من آية الى التفكر والتعقل والتدبر والمشاهدة واستخدام الحواس وهي من أهم وسائل البحث العلمي قال تعالى: ﴿وسخّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [الجاثية:١٣]. ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ [الرعد:٤]. ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ [آل عمران:١٩١]. ﴿الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور﴾ [الملك:٣].



الإسلام يشجع على تلقي العلم مطلقا

كما يدعو الإسلام الى دراسة العلوم المختلفة:

أ) دراسة الدين وفقهه قال سبحانه: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا إليهم﴾ [التوبة:١٢٢].

ب) دراسة نفس الانسان والكون يقول الله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ [فصلت:٥٣].

ج) دراسة التاريخ واحوال السابقين من الأمم والشعوب قال تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ [يوسف:١٠٩].

د) دراسة علم الحيوان: ﴿أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت﴾ [الغاشية:١٧].

هـ) دراسة علم الفلك: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾ [يس:٣٧].

س) دراسة علم الجغرافيا: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ [الذاريات:٢٠].

ص) دراسة الجيولوجيا: ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها﴾ [فاطر:٢٧].

ع) دراسة الكيمياء والفيزياء: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ [الحديد:٢٥]

العلم بين تعاليم الإسلام وواقع المسلمين

غ) دراسة علم النبات والزراعة ﴿فلينظر الانسان إلى طعامه. أنّا صببنا الماء صبّاً. ثم شققنا الأرض شقا﴾ [عبس:٢٤-٢٦].

وأشاد القرآن الكريم بالعلم والعلماء فكان أول نداء فتح الله به على نبيه ايذانا ببدء الوحي قوله سبحانه وتعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم﴾ [العلق:١-٥].

وبالعلم أعلى الله قدر آدم على الملائكة المقربين: ﴿وعلّم آدم الاسماء كلها﴾ [البقرة:٣١].

وتوضح الاحاديث النبوية دعم الإسلام للعلم فيعتبر العلم جهادا ففي الحديث الشريف قوله الرسول ﷺ: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» [رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه].

ولقد ذكر أمامه صلى الله عليه وسلم رجلان عالم وعابد فقال: «فضل العالم عل العابد كفضلي على أدناكم» [رواه الترمذي عن أبي أمامة] وكان افتداء الأسارى في غزوة بدر تعليم أولاد المسلمين القراءة والكتابة، وهكذا كانت السنة الشريفة مع القرآن تبيانا وهداية للعلم مما يدعو المسلمين الى الانكباب على العلم والارتواء من بحره الواسع وإدارة أعمالهم ومصارفهم وشركاتهم على أساس من العلم والخبرة بعد الدراسة والبحث ويتمثل ذلك في.

أ) إنشاء اقسام للبحث العلمي بالشركات الصناعية لتقديم الاساليب العلمية لرفع الكفاية الانتاجية للصناعة وتطويرها.

ب) الأكثار من الدورات التدريبية للعاملين بأجهزة الحكومة والمصالح والشركات لرفع الكفاءة الانتاجية ووضع الحوافز والمكافآت التي تدفع العاملين للاستفادة وتحصيل اكبر قدر منها.

ج) إنشاء الحكومات إدارات ومصالح متخصصة بالبحوث المتعلقة بالصناعة، وإدارات ومصالح للكفاية الانتاجية في الصناعة وتختص بكل مايؤدي الى رفع الكفاية الانتاجية كإجراء التجارب لزيادة الانتاج وتنظيم دراسات علمية وتدريبية للمشتغلين بالصناعة، وتحسين العلاقات الانسانية في العمل، ومكافحة الإسراف في عناصر الانتاج، والمعاونة في تنظيم وتخطيط الصناعات الجديدة.

ذلك أن رفع الكفاية الانتاجية والكفاءة العمالية تخدم الدولة، لأنها تحقق زيادة الانتاج القومي، وتساهم في زيادة الانتاج الصناعي لأصحاب رؤوس الاموال، وتسمح برفع أجور العمال نتيجة زيادة كفاءتهم وزيادة انتاجهم، وتعمل على خفض أسعار المنتجات وتساعد المستهلك في الحصول على المنتجات الصناعية بأقل سعر.

د) تتعاون الجامعات مع كافة أوجه النشاط الانتاجي في اجراء التجارب والأبحاث اللازمة - ومدهم بالمتخصصين في كل فرع من فروع الانتاج بصوره المختلفة - وإنشاء المعاهد والتخصصات التي تلبي طلبات التطور والتقدم في وسائل الانتاج.

لا تنسى فضل الله عليك

ولكن مهما بلغت درجة الانسان عن العلم، ومهما حصل عليه من درجات علمية فعليه ألا ينسى فضل الله عليه وانه سبحانه وتعالى هو الذي ييسر السبل ويهدي إليها ليتعلم الانسان، وهذا كله هو اقل القليل وما زال الانسان يجهل الكثير.

قال تعالى: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ [يوسف:٧٦]. ﴿وسِعَ ربُّنا كل شيء علما﴾ [الأعراف:٨٩]. ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ [البقرة:٢٥٥]. ﴿أعلم ما لا تعلمون﴾ [البقرة:٣٠].

ومن ناحية أخرى يجب على من تصدى للكسب أن يكون عالما بما يصححه ويفسده لتقع معاملاته صحيحه وتصرفاته بعيدة عن الفساد.

فقد روى ان عمر رضي الله عنه كان يطوف بالسوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول: «لا يبيع في سوقنا الا من يفقه، وإلا أكل الربا شاء أم أبى».

وقد أهمل كثير من المسلمين الآن تعلم المعاملة، وأغفلوا هذه الناحية وأصبحوا لايبالون باكل الحرام مهما زاد الربح وتضاعف الكسب وهذا خطأ كبير يجب ان يسعى في درئه كل من يزاول التجارة ليميز له المباح من المحظور ويطيب له كسبه ويبعد عن الشبهات بقدر الإمكان.

قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» فليتنبه لهذا من يريد أن ياكل حلالا ويكسب طيبا ويفوز بثقة الناس ورضي الله.

الأمية عقبة في وجه التقدم

أماعن الامية بوجه عام، فالامية عقبة في سبيل التقدم الاقتصادي والاجتماعي. والنظام التربوي الاسلامي لم يهمل هذه المشكلة بل انه اولاها اهتمامه منذ أول يوم نزلت فيه الآيات الأولى من القرآن الكريم. ومازالت التجربة الاسلامية في هذا المجال حية وميسرة لمن أراد الاستفادة منها، ولكن القضية تحتاج إلى عزمة إسلامية صادقة وجهاز تنفيذي كفأ يسعى الى محو الأمية في مجتمعاتنا الاسلامية المعاصرة.

لقد جاء الاسلام والمجتمع العربي تغلب عليه الأمية الكتابية تلازمها الامية الحضارية، وقد اشار القرآن الكريم الى هذين المصطلحين في مضمون الآية الكريمة: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين﴾ [الجمعة:٢].

إذن فهو مجتمع أمي يقف جهله بالقراءة والكتابة عقبة في سبيل تقدمه وقد طغت على المجتمع الجاهلي ايضا الأمية الحضارية التي أوجز ملامحها جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه في مقابلته لنجاشي الحبشة بقوله: «أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية تعبد الاصنام وتأكل الميتة وتأتي

الفواحش وتقطع الارحام وتسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف». ولاشك ان هذه الصفات والسلوكية تدل دلالة واضحة على مدى التخلف الحضاري والفكري الذي كان يعاني منه المجتمع العربي حين ظهور الاسلام.

وجاء الاسلام وبدأت آيات القرآن تنزل وقد لزم لمعرفتها تعلم القراءة والكتابة. وأدرك المؤمنون أن الاسلام دين معرفة وعلم وليس أدل على ذلك من كثرة تردد المصطلحات التي تتعلق بالكتابة والقراءة والعلم التي تضمنتها الآيات القرآنية فقد وردت مادة كتب ومشتقاتها خمسا وعشرين وثلاثمائة مرة.

ومادة (علم) ومشتقاتها احدى وسبعين وسبعمائة مرة ومادة (قرأ) سبعا وثمانين مرة، إلى جانب أن أدوات الكتابة وردت في السور المختلفة للقرآن الكريم فذكرت كلمة الصحيفة ومشتقاتها ثماني مرات وكلمة (القلم) والأقلام أربع مرات وواضح ان تكرار هذه الالفاظ المتعلقة بالقراءة والكتابة بالاضافة إلى الآيات والاحاديث النبوية الحاضة على طلب العلم والاشادة به كانت كلها كافية لشد انظار المسلمين الى إدراك أهمية العلم وحفزهم للسعي في طلبه. وقد كانت تجربة كتابة القرآن الكريم أولا بأول وفقا لنزوله حافزا قويا لإقبال المسلمين على تعلم القراءة والكتابة.

وقد أمر النبي ﷺ الوالدين ان يعلموا اولادهم، وأمر الذين يعرفون العلم والذين لايعرفونه ان يتعاونوا في طلب العلم وواجب الذين ليس لديهم علم ان يتعلموا من جيرانهم الذين يعرفون العلم ومن ذلك ماورد عن علقمة بن سعد بن عبد الرحمن بن أبزى قال: خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثني على طوائف من المسلمين خيرا ثم قال: «مابال اقوام لايفقهون جيرانهم ولايعلمونهم ولايعظونهم ولايأمرونهم ولاينهونهم. ومابال اقوام لايتعلمون من جيرانهم ولايتفقهون ولايتعظون؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم ويتفقهون ويتعظون ويأمرونهم وينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعالجنهم العقوبة» [رواه الطبراني].

ولم يكتف النبي ﷺ بالأوامر والوصايا، بل ترجمها الى واقع عملي، فارسل المعلمين الدعاة الى كل بلد من البلاد التي بلغتها دعوة الاسلام ليعلموا الناس هناك، ومنهم أربعون معلما قتلوا في حادثة بئر معونة ومنهم من أرسل إلى نجران واليمن وقد بدأ النبي ﷺ ببعث المعلمين الدعاة إلى اقوام مختلفة قبل الهجرة ومن هؤلاء المعلمين الدعاة مصعب بن عمير.. وعبد الله بن أم مكتوم الى المدينة.

وأول قانون لمحو الأمية في المجتمع الإسلامي كان بعد غزوة بدر الكبرى حيث أسر المسلمون سبعين أسيرا فكان يفادي بهم على قدر أموالهم فمن لم يكن له فداء وكان يجيد الكتابة طلب منه تعليم عشرة من أبناء المسلمين الكتابة. وكان هذا أول سنة نبوية لمحو الامية في المجتمع الاسلامي الجديد، وبعد ذلك صار مسجد الرسول ﷺ بالمدينة اول مدرسة لتعليم المسلمين. وكان نتيجة لهذا النشاط العلمي والتعليمي ان الكتابة قد انتشرت في معظم جزيرة العرب تقريبا قبل وفاة الرسول ﷺ وبرزت فائدتها في حياة الناس ومعاملاتهم، وبهذا تكون مسيرة محو الامية في ظل التربية الاسلامية قد قطعت اشواطا بعيدة في سبيل القراءة والكتابة، وتحرر المسلمون من قيود الامية والجهل في فترة قياسية.

وعندما اجتاز الاسلام حدود الجزيرة العربية بفضل الدعوة والفتوح ازداد النشاط العلمي الذي ابتدأه الرسول قوة واندفاعا فعمت الحلقات العلمية المدينة ومكة والطائف وصنعاء والبحرين، وأسس الصحابة مراكز علمية جديدة في عواصم البلاد المفتوحة كالبصرة والكوفة وحمص ودمشق والفسطاط وغيرها. واستمرت المسيرة العلمية بعد ذلك في الاتساع كما وكيفا حتى عرفت أمة الأسلام بأمة العلم والمعرفة.

هدي النبي ﷺ في حرب الأمية

أما اليوم فقد وصل بنا الحال إلى مانحن عليه. فلابد من ان نسير على هدى رسول الله ﷺ في محو الامية.

فلو أدرك المسلمون مضمون الحديث السالف الذكر: «مابال أقوام لايفقهون جيرانهم..الخ» لما بقي في العالم الاسلامي أمي واحد.

ولو ان في كل حي من أحياء المدينة وكل قرية من قرى الريف مسلما متعلما واحداً يعي مسؤوليته – والتي لخصها رسول الله ﷺ – حق الوعي لشمر عن ساعد الجد وبدأ في محو أمية الناس من حوله بادئا بمن يليه أهلا ورفاقا وخدما.

ويستلزم ايضا دعوة المتعلمين على مختلف مستوياتهم الى التطوع لمحو الأمية بنوعيها ولبدأ كل منهم بأقرب الناس إليه اهلا له وخدما في بيته وعما لايعملون تحت إشرافه، ويمكن الاستفادة في ذلك من ائمة المساجد ووعاظها ومن موظفي الدولة في أوقات فراغهم، ومن المحالين الى التقاعد ممن تعينهم ظروفهم الصحية على ذلك، ومن الطلاب خلال العطلات، ومن وسائل الاعلام المتطورة كالتلفاز على وجه الخصوص. ومن مباني المدارس والمعاهد التعليمية المختلفة في غير أوقات الدراسة، والمساجد.

يصحب كل ذلك التأكيد المستمر على ان هذه المهمة من المهمات الشريفة التي يقوم بها المسلم ويتقرب بها الى الله.

وفي كل الأحوال يجب ان ينطلق اي حل لمشكلة الأمية من قيمنا وثقافتنا الاسلامية مدعما بروح الاحترام التى اضفتها التربية الاسلامية على العلم والتعليم والمعلمين والمتعلمين كي تبقى جذوة طلبالعلم متقدة في روح كل مسلم لتثمر ثمرتها المرجوة ان شاء الله.

واذا كان هناك علم او عمل يحتاج اليه المسلمون في دينهم او دنياهم فان تعلمه وإتقانه فرض كافية تأثم الامة كلها اذا فرطت فيه وفي المأثور، مااكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ضلال، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله، وقد قيل: لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته، أما سمعتم قول الكفار في النار: ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ [الملك:١٠].

العلم بين تعاليم الإسلام وواقع المسلمين

والله يحثنا على استخدام العقل، لذلك يجب على الانسان ان يستعمل عقله، وقد ورد أمر الله باستعمال العقل في كثير من الآيات القرآنية وذكرت مادة العقل ٤٩ مرة ومادة الفكر١٨ مرة وجاءت عبارة ﴿أفلا تعقلون﴾ ١٣ مرة، وعبارة ﴿لعلكم تعقلون﴾ ٨ مرات، وذكر لفظ (أولو الألباب) ومشتقاتها ست عشرة مرة.

والمتصفح لكتاب الله يجد ان الله تعالى يذكر في نهاية بعض الأحكام الشرعية او غيرها من الامور التقريرية انها ﴿لقوم يعقلون﴾، أو ﴿لأولي الالباب﴾، أو ﴿لقوم يتفكرون﴾، أو ﴿لعلكم تتفكرن﴾، أو ﴿لو كانوا يعلمون﴾.

قال تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإيّاهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ [الأنعام:١٥١].

كما ان الآيات الاخبارية القصصية التي تحكي قصص الأمم والانبياء السابقين تنص على ان تلك القصص إنما جاءت لقوم عقلاء أصحاب بصيرة قال تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [يوسف:١١١]. كما ان الفروض تشترط العقل لأدائها.

وإذا كانت الاحكام الشرعية والقصص والأخبار هي لقوم يعقلون فكذلك استكشاف آيات الله في كونه لايقدر عليها الا قوم عاقلون.

وإذا كان العاقلون وحدهم هم القادرون على استكشاف آيات الله في الكون والكائنات، فهم كذلك وحدهم الذين يخشون الله حق خشيته قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر:٢٨].

والحكمة هى ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها ولذا فالإسلام يبيح نقل تجارب ومعارف الآخرين بشرط الا يتنافيا مع تعاليم الإسلام.

إن عدد الأميين في الوطن العربي يصل الى حوالي ٣٥,٥ مليون أمي من أصل ٨٠,٨ مليون نسمة من السكان في مراحل العمر من ١٥- ٤٥ سنة، ومعنى الاحصائية ان نسبة الامية مازالت مرتفعة وهذا يعني أن مايقرب من نصف العرب ما زالوا أميين.

واليك معدلات الأمية كنسبة مئوية لبعض الدول العربية سنة ٨٥م:

الجزائر ٥٠-البحرين ٢٧-المغرب ٦٧-الاردن ٢٥-السعودية ٤٩-ليبيا ٣٣-تونس ٤٦-العراق ١١-الكويت ٣٠-الصومال ٨٨-سوريا ٤٠-مصر٥٦-اليمن ١٤٥

العلم طريق لزيادة الرزق

فالعلم طريق من طرق زيادة الرزق للفرد وللأمة حيث يضعها على طريق التقدم والحضارة لتواكب وتجابه غيرها من الأمم كما انه هو الطريق لإعداد القوة والتخطيط المدروس للاستخدام الأمثل للموارد الانتاجية وغيرها من ثماره التي ذكرناها سابقا.

ولكن ليس العلم هو الموزع للارزاق قال تعالى: ﴿إن قارونَ كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومُه لاتفرحْ ان الله لايحب الفرحين. وابتغ فيما آتاك اللهُ الدارَ الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين. قال إنما أوتيته على علم عندي﴾ [القصص:٧٦-٧٨].

لقد كان قارون من قوم موسى وآتاه الله مالاً كثيراوقد بغى قارون على قومه. وحاول قومه نصحه ولكن كان جوابه: ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي﴾، أي إنما أوتيت هذا المال استحقاقا على علمي الذي طوع لي جمعه وتحصيله وانها قوله المغرور المطموس الذي ينسى مصدر النعمة ويفتنه المال ويعميه الثراء. وهو نموذج مكرر من البشرية فكم من الناس يظن ان علمه وكده هما وحدهما سبب غناه.

وقال تعالى: ﴿فإذا مس الإنسانَ ضرٌّ دعانا ثمّ إذا خوّلناه نعمةً منّا قال: إنما أوتيته على علم﴾ [الزمر:٤٩]. ﴿إنما أوتيته على علم﴾ قالها قارون، وقالها كل مخدوع بعلم او صنعة او حيلة يعلل بها ماقدر له من مال أو سلطان غافلا عن مصدر النعمة وواهب العلم والقدرة ومسبب الأسباب ومقدر الأرزاق. ولكنها فتنه للاختبار والامتحان ليتبين ان كان سيشكر أم سيكفر وإن كان سيصلح بها أم سيفسد. ولما فشلوا وأصابهم السوء ولم يغنِ عنهم علمُهم ولاماُلهم ولا قومُهم شيئا.

وهذه سنة الله التي لاتتبدل تصيب كل مغرور أو مفتون بما رزق من علم ومال: ﴿قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون. فأصابهم سيئات ماكسبوا الذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمجرمين﴾ [الزمر:٥٠و٥١]. وقارون ذاته لم يجهر بكلمة الكفر ولكن اغتراره بالمال ونسبته إلى ماعنده من العلم جعلهم يسلكونه في عداد الكافرين ومن ثم استحق عقاب الله كما قال عز وجل: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾ [القصص:٨١].

ولم نقصر حديثنا في التعليم عن الرجل فقط بل قصدنا المرأة أيضا. فللمرأة حق تعلم العلوم النافعة لها بالكيفية المناسبة لطبيعتها بشرط الالتزام التام بالآداب الإسلامية اللازمة لها، وأعظم ماينفعها تعلم شريعة الاسلام ومافيها من حلال وحرام وينبغي ان تتعلم مايلائم طبيعتها ويناسب اختصاصها الفطري في تربية الاولاد ورعاية البيت وزوجها فتتعلم فنون الخياطة والطبخ واصول تربية الأولاد ونحو ذلك: وهذا ماسيوفر للزوج أجرة الاستعانة بمربية او خادمة ترعى شؤون المنزل والأولاد. واذا ارادت المرأة المزيد من المعرفة فلابأس، بشرط الا يؤثر في قيامها بواجباتها المطلوبة منها كزوجة وام، وبشرط ان يكون التعليم بالكيفية المشروعة، فلا يجوز اختلاطها بالشباب بحجة التعليم أو ظهورها بالمحرم من اللباس فكل هذا وامثاله حرام لايباح ولايجوز ولوبحجة طلب العلم.

فطلب العلم كما انه فريضة على كل مسلم فهو فريضة على كل مسلمة، فإلى جانب العلم بالدين تتعلم التعليم العالي لتتخرج الطبيبة المتخصصة للنساء، والمعلمة التي تربي النشء□

اعترافات سيجارة؟!

للأستاذ: يحيى بشير حاج يحيى

أنا عُلَبٌ مُلَوَّنَةٌ ... وعندي الموتُ أشكالُ
فكم مِنْ أسرةٍ حُرِمَتْ ... وَهَانَ لأجليَ المالُ؟!
بِجَيْبِكَ لِيْ مَكاناتُ ... ومِنْ رِئَتَيْكَ أَقْتاتُ
يَغُرُّكَ شكليَ الجـ ... ـذّابُ لكنّي نِفاياتُ
أنا السَّرَطانُ والقارُ ... أنا سلٌّ وأخطارُ
أنا الأمراضُ أجمعُها ... ومنها أنتَ تَختارُ
لقد سَمَّمْتُ أَجْواءَكْ ... ونَاري أصبحَتْ داءَكْ
فكم آذَيْتُ أبناءَكْ ... وكم أحرقْتُ أحشاءَكْ
أنا لِيْ شُهرَةٌ كُبرى ... وتَعرِفُني المَجَلاَّتُ
فكم مِنْ فِتْيَةٍ هَلَكُوا ... وأغْرَتْهُمْ دِعاياتُ؟
أنا أغلى مِنَ الذَّهَبِ ... وَلِلأَعْوادِ مُنْتَسِبي
فكم أوهمْتُ ذا هَمٍّ ... بتَدْخِيني لدى الغَضَبِ؟!
مُقامي في الشّرايينِ ... كوسواس الشّياطينِ
فحتّامَ تلومونِي ... وبالرِّئتين تَغْذوني؟!
عَدوّي صاحِبُ الصَّبْرِ ... ومَنْ يقوى على قَهْري
نَجا بالعَزْمِ والإيمانِ ... مِنْ كَدَري ومِنْ شرّي
أُعاديكم، وتَحمُني ... وبالأموالِ تَفْدوني
إلى الأمراضِ أدعوكم ... وأنتم لا تعادوني؟
تَعالَوْا يا أَحِبّائي!! ... لأَقتُلَكُمْ بِأَوْبائي
وأجعلَكم مهازيلاً ... وأهدافاً لأدوائي
أنا وصَديقتي «الشِّيشَهْ»» ... نُعَكِّرُ صافِيَ العِيشَهْ
ونجعلُ مَنْ له «كَيفٌ» ... كطَيْرٍ نَتَّفُوا رِيشَهْ

احذروا الشيشة والتدخين

بقلم: محمد بشير الوظائفي

انتشرت في الآونة الأخيرة بعض المقاهي في الاحياء السكنية، واعداد من الشيشة (النارجيلة) مصفوفة أمام مداخلها لإغراء وإغواء ابنائنا الشباب للجلوس في تلك المقاهي وتدخين الشيشة التي كانت مقصورة على كبار السن في المقاهي الشعبية فحسب.. فأصبح استعمالها في المقاهي الأخرى قتلاً لنفس الشباب.. وجسمه ووقته، دون حسيب أو رقيب..



مضار التدخين العامة

إن نظرة سريعة إلى الدراسات والاحصائيات التي قامت بها هيئات صحية إقليمية وعالمية عن أخطار التدخين عموماً والشيشة بشكل خاص، توضح بشكل لا يقبل النقاش أضرار هذا السلاح الفتاك نظراً لاحتفاظ مدخن الشيشة بكمية كبيرة من أول أكسيد الكربون السام أثناء عملية الاحتراق مع الفحم، والذي ينتج عنه الدوران (الدوخة) والصداع والخفقان والغثيان والسعال وغير ذلك لمدخن الشيشة اللعينة..

لقد كنا نتطلع إلى تعاون كبير من السادة اولياء الأمور والمدارس والجهات المختلفة الحريصة على بناء الشباب وتنشئتهم تنشئة سليمة صحيحة بحيث يركزون اهتمامهم على توجيه الشباب ونصحهم وبيان الأخطار الناجمة عن التدخين وغيره من العادات الاجتماعية الضارة والخطيرة.. إلا أن مايجري من انتشار للمقاهي بين المساكن ودفعها الشباب إلى تدخين الشيشة والسجائر يضاعف من الأخطار المحدقة بالشباب.

فمختلف الأمم والهيئات مازالت تعاني من صرف بلايين الأموال التي تصرفها شركات تصنيع التبغ لاغراء الشباب في التدخين بينما تبذل الجمعيات والجهات الصحية الجهود المضنية من خلال وسائل الإعلام المختلفة لتحذير الشباب من اخطار التدخين بأنواعه على صحة المدخنين وغير المدخنين وعلى البيئة.. وقد جاء في احدث التقارير الصادرة مؤخراً في جنيف عن بعض العلماء والمهتمين ان مدخنا يموت كل عشر ثوان في العالم..نتيجة التدخين؟ وانه خلال الفترة ما بين عام ١٩٥٠ وعام ٢٠٠٠ سيكون التبغ قد قضى على نحو (٦٠) مليون شخص في الدول النامية فقط.. نصفهم ممن هم في سن الشباب؟

اما عن غير المدخنين الذين يتضررون من جراء تدخين الآخرين فإليكم هذه الأحصائية:

- ٢٤٪ من النساء البالغات اللواتي يتعرضن لدخان أقاربهن في المنزل.
- ٣٩٪ من النساء اللواتي يتعرض لدخان زملاء العمل.
- ٥٠٪ من النساء اللواتي يتعرضن للدخان في الاماكن العامة.

كل أولئك معرضات لخطر الاصابة بسرطان الرئة..

اما أطرف ماكتب حول الحرب الدائرة بين الشركات المصنعة للسجائر والجهات الحكومية في الولايات الأمريكية، فقد رفعت ولاية فرجينيا الغربية دعاوى ضد شركات التبغ لاستعادة أموال صرفت على الرعاية الصحية للمرضى المدخنين، وهي ثالث ولاية تقوم بذلك بعد ولايتي فلوريدا ومسيسيبي.

■ أكثر أهل العلم المعاصرين على نبذ التدخين والتنفير من تعاطيه، ومنهم من أفتى بحرمته

فتوى الشيخ ابن باز بتحريم التدخين

اما من جدة بالمملكة العربية السعودية فقد

■ثبتت مضار التدخين من الناحية الصحية بما لم يدع مجالاً لأحد بالتعلل والاعتذار أو التشجيع والإغضاء

أعلن عن فتوى صدرت عن فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز بتحريم التبغ حيث قال: (إن التبغ بكل انواعه محرّم كالخمر لكونه خبيثا ويشتمل على اضرار كثيرة ولايجوز بيعه ولاتدخينه ولا التجارة فيه. واضاف أن الله سبحانه وتعالى قد أباح لعبادة الطيبات من المطاعم والمشارب وحرّم عليهم الخبائث، اما التبغ فليس من الطيبات بل هو من الخبائث. كما أكد فضيلته بأن كل من يدخن أو يتاجر بالتبغ عليه أن يبادر إلى التوبة والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى والندم على مامضى والعزم على أن لا يعود إلى ذلك). وقد نقلت هذه الفتوى جريدة القبس الكويتية بتاريخ ٢/٦/١٩٩٤ عن وكالة الأنباء الإسلامية التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي في جدة.

أقوال العلماء في التدخين

هذا ويطيب لي أن أرفق نشرة صادرة عن مكتب منظمة الصحة العالمية لإقليم شرق البحر المتوسط في القاهرة تتضمن الحكم الشرعي في التدخين، وذلك على لسان بعض العلماء المسلمين اثابهم الله.

ولايسعنا في هذا المقام إلا أن نشد على أيدي كافة العاملين في مجال مكافحة التدخين من جمعيات أهلية، ولجان رسمية محلية واقليمية وعالمية، مقدرين لهم جهودهم في الوقت الذي نأمل فيه من الجهات المختصة في الكويت اعطاء موضوع انتشار المقاهي بين المساكن جلّ اهتمامهم حفاظا على ابنائنا من معاول الهدم التي ترفعها وتشجعها شركات تصنيع التبغ بأنواعه سالكة في سبيل ذلك شتى الطرق متجاهلة بجشعها صحة الأفراد، والبيئة. وتصب غايتها فقط في الربح من تجارتها بأسلحة دمار الإنسان.

(أصبح واضحا جليا أن شرب الدخان، وان اختلفت أنواعه وطرق استعماله، يلحق بالإنسان ضررا بالغا، ان آجلا أو عاجلا، في نفسه وماله، ويصيبه بأمراض كثيرة متنوعة، وبالتالي يكون تعاطيه ممنوعاً بمقتضى هذه النصوص، ومن ثم فلايجوز للمسلم استعماله بأي وجه من الوجوه، وأيا كان نوعه، حفاظا على الأنفس والأموال، وحرصا على اجتناب الأضرار التي أوضح الطب حدوثها، وابقاء على كيان الأسر والمجتمعات بإنفاق الأموال فيما يعود بالفائدة على الإنسان في جسده، ويعينه على الحياة سليما معافى، يؤدي واجباته نحو الله ونحو أسرته. فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. والله سبحانه وتعالى أعلم).

الأمام الاكبر جاد الحق على جاد الحق/ شيخ الأزهر.

(الحكم الشرعي الذي تطمئن إليه النفس أن التدخين حرام. الدخان من الخبائث لمذاقه المرّ، ورائحته الكريهة، وأضراره البالغة، وعواقبة الوخيمة، ويكون حراما. والله سبحانه وتعالى أعلم).

د. حامد جامع/ وكيل الجامع الأزهر سابقا، خبير موسوعة الفقة الإسلامي بالكويت.

(الأن وقد حسم أهل الذكر والاختصاص الطبي الأمر، فإن حكم شرب الدخان، بصفة عامة، يدور بين الحرمة والكراهة التحريمية.. وينبني عليه حكم الاتجار فيه، الذي يدور أيضا بين الحرمة والكراهية التحريمية، بالنسبة لمن يريد البدء في هذا الاتجار لأنه حينئذ يتاجر في حرام ضار، أو في مكروه كراهة تحريمية، تقف على حدود الحرام).

د. زكريا البري/ أستاذ ورئيس قسم الشريعة وكلية الحقوق بجامعة القاهرة، وعضو مجمع البحوث الإسلامية ولجنة الفتوى بالأزهر.

(إن مكافحة أو مقاومة التدخين سواء أكان حراما أم مكروها، أمر يقره الإسلام، لأنه يجب على المسلم أن يكون قوياً كاملا في كل نواحيه الصحية والفكرية والروحية والاقتصادية والسلوكية بوجه عام).

الشيخ عطية صقر/ عضو لجنة الفتوى ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

(وحيث ثبت أن شرب الدخان وتعاطي السموم المخدرة بإجماع العقلاء، والمختصين من الأطباء، ضار بالنفس والعقل والمال، ويؤدي إلى إتلافها، أو الاعتداء عليها بتعطيلها وضعف انتاجها كمّاً أو كيفاً، وجب الحكم بتحريم تناولها، وتحديد عقوبة رادعة للجالبين لها والمتاجرين فيها والمتعاطين لها، كثر ماتعاطوه أو قل).

الشيخ عبدا لله المشد/ عضو مجمع البحوث الإسلامية ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر.

(شرب الدخان حرام، وزرعه حرام، والاتجار به حرام، لما فيه من الضرر، وقد روي في الحديث: «لاضرر ولاضرار» ولانه من الخبائث، وقد قال الله تعالى في صفة النبي ﷺ: ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء بالمملكة العربية السعودية.

هذا؛ وبالله التوفيق□

■ الإسلام دين الأنبياء جميعاً،

تتغيّر التفاصيل وتبقى الأصول

حصافة سليمان عليه السلام في إسلام بلقيس ملكة سبأ

اصطفى الله سبحانه وتعالى رسله من صفوة خلقه، وخصهم بمعجزات وآيات بينات، منقطعة النظير، عن بقية خلقه، للدلالة على أنهم مبعوثون من الله، وتبليغ رسالته الى خلقه، بصدق وأمانة، وقد ميز الله كل رسول بمعجزة خاصة به، ومن معجزات سيدنا سليمان عليه السلام، تسخير الريح له تسير بأمره، وتحمله مع جنده مسافات شاسعة في ساعات معدودة، ومنها ذوبان النحاس، حتى كان يجري كأنه عين ماء متدفقة من الأرض، وعلمه الله كلام الطير والدواب وأصوات جميع الحيوانات، كما سخر له الجن تعمل بأمره وإرادته ما شاء ممايعجز عنه البشر، ومنها نقل عرش بلقيس الذي نتحدث عنه في هذا البحث، كما نتحدث عن الصرح الأملس البلوري الشفاف الذي بناه.

إن رسل الله جميعا لايكرهون الناس على الإيمان، ولكن يقنعونهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والأدلة العقلية والبراهين المنطقية والمعجزات الحسية، وحينئذ يصل الإيمان الى قلوبهم، ويدخلون في دين الإسلام طواعية، وتلهج ألسنتهم بذكر الله ووحدانيته، وإعلان الإسلام، كما فعل سحرة فرعون تجاه عصا موسى. حيث قالوا: ﴿آمنا برب العالمين. رب موسى وهارن﴾

بقلم: عبد المحسن محمود قاسم*

[الأعراف:١٢١و١٢٢].

بلقيس والدعوة الى الإسلام

كانت بلقيس ملكة مدينة سبأ (باليمن) وقومها، يعبدون الشمس من دون الله، ولهم معبد بسمى معبد الشمس ، له نوافذ متعددة، تدور عليها الشمس على مدار شهور السنة، وقد أرسل اليها سليمان كتابا يدعوها فيه مع قومها الي الإسلام، فاستشارتهم، ثم أرسلت رسلها بهدية عظيمة، تليق بسليمان! فردها إليها مستنكرا ومتوعدا! فبعثت إليه: إني قادمة اليك. ولو ان سليمان كان يعتد بقوته المادية فحسب؛ لاكتفي بها، سيما وقد أعطاه الله طوائف الإنس والجن والطير: ﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾ [النمل:٣٧].

ولكنه يعلم ان القوة المادية وحدها لاتكفي؛ فقد يشهد اللسان ولايصدق القلب إذاً لابد من القناعة، لابد من القوة المعنوية؛ ولذا أراد سليمان ان يرى بلقيس وقومها بعض ماخصه الله به من العجائب، الدالة على عظيم القدرة، وصدقه في دعوى النبوة.

معجزة نقل عرش بلقيس من اليمن

﴿قال يأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين﴾ [النمل :٣٨] طلب سليمان من أشراف من حضر من حاشيته؛ ان يأتوه بعرشها، وماأدراك ماعرشها! انه عظيم بالنسبة الى عروش أمثالها؛ صخامة وقيمة، سريريمتد عشرات الأذرع طولا وعرضا وسمكا، وكان مضروبا من الذهب والفضة، مكللا بالجواهر المختلفة الأشكال والألوان والأحجام والقصر المزين بالسرير، المنقطع النظير، له أبواب عديدة، عليها حراس شداداغلقت دونهم الأبواب، وارتحلت صاحبة العرش العظيم من أرض اليمن، مع ألوف من قومها وأفيالها، الى ان قربت من مقر سليمان، وحينئذ استشار سليمان حاشيته في إحضار عرشها ﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ [النمل:٣٩] اي من مجلسك للحكومة، وكان يجلس الى نصف النهار، ورد عليه سليمان﴿الذي عنده علم من الكتاب﴾ [النمل:٤٠].

والتعبير عن سليمان بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة بسببه قال:﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ [النمل:٤٠] أي في لمح البصر، وكأن سليمان استبطأ العفريت فقال له

*موجه عام تربية اسلامية سابقاً - ج.م.ع

ذلك، أوأراد اظهار معجزة في نقله، فتحداهم أولا، ثم أراهم أنه يتأتي له مالايتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم، وتم لسليمان ماأراد، ورأى العرش بين يديه، فـ(قال) تلقيا للنعمة بالشكر، على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى: ﴿هذا من فضل ربي﴾ تفضل به على من غير استحقاق، والإشارة الى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين.

تنكير عرش بلقيس لاختبار ذكائها

وفضلا عن معجزة نقل العرش الى حضرة سليمان لم يكتف سليمان بذلك، بل أراد استثارتها واختبار ذكائها، وهل ستهتدي الى معرفته، أو الى الجواب اللائق بالسؤال الذي سيوجه اليها ﴿قال نكّروا لها عرشها﴾ [النمل:٤١] اي غيروه الى حال تنكره اذا رأته بزيادة أو نقص أو غير ذلك، يريد اختبار عقلها في معرفته، وإظهار معجزته لها، لتوقن بنبوته، وتؤمن بالله ورسوله، إذا رأت تقدم عرشها، وقد خلفته، مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس. ﴿فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو﴾ اي فعرفته، وشبهت عليهم، كما شبهوا عليها، إذ لم يقل: أهذا عرشك؟ ولو قيل قالت: نعم، كما أنها لم تقل: هو لاحتمال ان يكون مثله، وهذا من كمال عقلها.

وقال سليمان وقومه لما رأوا لها معرفة وعلما: ﴿وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾ [النمل:٤١] عطفوه على جوانبها؛ لما فيه من الدلالة على إيمانها بالله ورسوله؛ حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا، واحضاره ثمة من المعجزات التي لايقدر عليها غير الله، ولاتظهر إلا على يد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. أي: وأوتينا العلم بالله وقدرته، وصحة ماجاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه، لم نزل على دينه، ويكون غرضهم فيه التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا له.

إزالة شبهة بلقيس في عبادة الشمس

ولم يكتف سليمان عليه السلام باثبات نبوته ورسالته لبلقيس برد هديتها، ومعجزته المنقطعة النظير، بنقل عرشها العظيم، في مدة ارتداد الطرف وقد خلفته في حراسة مشددة، مما جعلها توقن بكمال قدرة الله، وصحة نبوة سليمان - اقول لم يكتف بذلك بل أراد معه ان يمحو ما في قلبها من الوثنية، وحتى تضم الى الاقتناع الباطني التسليم الظاهري، فتقر باللسان وتدخل في دين الإسلام، لذا أمر قبل مجيئها ببناء قصر عظيم فخم من الزجاج الأملس الشفاف الصافي وأجرى تحته ماء كثيرا متموجا، يتراءى لمن ينظره أنه لجج البحار.

■ما زعمه البعض في قصّةزواج سليمان من بلقيس عار عن الصحة

وكان الزجاج من اللطف يخفي على عين رائيه، فلا يرى إلا تموجات الماء من تحته، وكان غرضه بذلك ان يريها كيف ينخدع العقل بظواهر المرئيات، فيخفي عليه مالطف من الماديات، ليكشف شبهتها وقومها في عبادة الشمس من دون الله، ويعلمها ان الظواهر كثيرا ماتخفي وراءها من الأمور الغيبية، التي لايعلمها إلا ذوو البصائر المشرقة، لتعلم ان الشمس التي عبدتها وقومها من دون الله، لما يرون من تأثيراتها في العوالم الأرضية، كانت حجابا كثيفا، حجب عن بصائرهم معرفة الله الذي خلق الشمس، وجعلها سببا للتأثير في غيرها من الكائنات، كما حجبت ظواهر التموجات المائية عن عينها رؤية الزجاج الذي بنى منه الصرح، وأنهم وقفوا عند الشمس التي هى حلقة من سلسلة الأسباب المؤثرة في غيرها من الكائنات، ولم تنفذ عقولهم الى معرفة الله الذي خلق الأسباب والمسببات، وجعل بعضها موثرا في بعض بقدرته التى لاتحد، كما وقفت هى عند ظواهر تموجات الماء، فحسبته لجة، ولم تر الزجاج الشفاف المرد من فوقه.

وكانت هذه الطريقة العملية من أنجع طرائق سليمان عليه السلام في هداية بلقيس الى الله تعالى، فلما جاءت بلقيس إليه، وأراها معجزته في احضار العرش من بلادها، أراد ان يريها ذلك البرهان المحسوس على بطلان الوثنية، وعلى ان وراء عالم المادة قوة إلهية خفية غيبية، يرى الناس آثارها في أنفسهم وفي الآفاق، وان لم يعرفوا كنهها وحقيقتها لسموها عن إدراك العقل، الذي لايستمد معلوماته إلا من الحواس فأمرها بدخول الصرح ﴿فلما رأته حسبته لجة﴾ أي ماء كثيرا، وخفيت عليها رؤية الزجاج، كما يري الرائي كوبا من الماء الملون، فيخيل اليه انه ماء بلا قدح، فتأهبت لخوض الماء ﴿وكشفت عن ساقيها﴾ [النمل:٤٢] اي جمعت عزمها للسباحة، كما يقال: شمر فلان عن ساعدالجد، وكشفت الحرب عن ساقها، وعض على كذا بالنواجذ، لا يراد حقيقة التشمير والكشف والعض، وانما هذه كنايات لطيفة عن الاشتداد في الأمر.

﴿قال﴾ سليمان علي السلام ﴿انه صرح ممرد من قوارير﴾ اي من زجاج، ساعتئذ تكشفت الحقيقة لبلقيس، وشع في قلبها نور الحكمة والهداية فبدد مابقى في قلبها من ظلام الوثنية الأولى، هنالك

حصافة سليمان عليه السلام في إسلام بلقيس ملكة سبأ

فهمت بقليس سرما أراده سليمان عليه السلام من بناء الصرح، وتيقنت ان عينيها خدعتا برؤية تموجات الماء، فلم تريا الزجاج المملس من فوقه، كما خدع عقلها بتأثيرات الشمس المحدودة في العوالم الأرضية، فظنتها لقدرة ذاتية فيها، ونحلتها صفة الألوهية وعبدتها من دون الله تعالى ،فلم ينفذ عقلها الى ماوراء الشمس لمعرفة الإله الذي خلقها وأبدعها وأجراها في فكلها لمستقر لها،وخلق فيها الضوء والحرارة المؤثرين في عوالم الارض، وتبين لها جليا انها وقفت عند بعض الحلقات في سلسلة الأسباب، ولم تسم الى مسبب الأسباب.

فأيقنت ساعتئذ ان وراء هذا العالم المادي [اسبابه ومسبباته] إله تعالى عن المادة وملابساتها، وتسامي عن مشابهة المحدثات ولقد اثر فيها ذلك البرهان المحسوس تأثيرا بالغا، فندمت على مامضى من عمرها في ظلام الوثنية الأولى لتقليدها قومها في معتقداتهم الباطلة، وفارت قوة الإيمان في قلبها، فلم تستطع كتمانها، ولم تتردد في إعلان إسلامها، فتوجهت بقلبها وشعورها، ضارعة الى الله: ﴿قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ [النمل:٤٢].

الإسلام دين الأنبياء جميعا

ان في قول بلقيس: ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ لدلالة على ان الإسلام دين الأنبياء جميعا، وان الاختلاف بين الأديان ليس من طبيعة الأديان، وإنما نشأ من رؤساء الدين الذين حرفوها عن وضعها الصحيح ويؤيد ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام: ﴿ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ [يونس:٧٢] وقوله تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلاتموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [البقرة:١٣٢]، وقوله تعالي على لسان إبراهيم واسماعيل عليهما السلام: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ [البقرة:١٢٨] وقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾ [يوسف:١٠١] وقوله تعالى: ﴿وقال موسى لقومه ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين﴾ [يونس:٨٤] وقوله تعالى: ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾ [آل عمران:٥٢] وقوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران:١٩]. وصفوة القول ان دين الله واحد؛ منذ آدم عليه السلام الى قيام الساعة ،الأصول واحدة، والفروع تختلف باختلاف العصور.

زواج سليمان من بلقيس

ذكر المفسرون والقصاص ان الصرح اصطنعه سليمان لما قيل له: ان ساقيها وقدميها كقدمي الحمار. ثم جلس على سرير في صدر الصرح، وعندما أشير عليها بالدخول فيه؛ كشفت عن ساقيها حقيقة! فرأى سليمان قدميها وساقيها حسانا! وأراد تزوجها، فكره شعر ساقيها، فسأل الإنس عما يذهبه، فقالوا (المواسي) فكره ذلك، ثم دعا الشياطين، فوصفوا له النورة ــ و هى اخلاط تضاف الى حجر الكلس من زنيخ وغيره وتستعمل لإزالة الشعر ـ فأزالت بلقيس شعرها بهذه النورة، ثم تزوجها وأحبها وأقرها على ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرة، ويقيم عندها ثلاثة أيام.

الرد على هذه المزاعم

ذكرنا فيما سبق ان المراد من ﴿وكشفت عن ساقيها﴾ أنها تهيأت وقصدت وجمعت عزمها واستعدت لدخول الصرح بملابسها كما تفعل المحتشمات في عصرنا عندما يردن ان تمس مياه البحر أو الاحواض أقدامهن.. فهى كناية لطيفة يراد بها الاستعداد والتهيؤ، ولم تكشف عن ساقيها حقيقة، وسياق آيات القصة في القرآن الكريم، ترد ذلك ردا صريحا، فهى صريحة الدلالة في ان سليمان عليه السلام أرسل اليها كتابه يدعوها فيه الى دين الإسلام وانه أحضر عرشها من بلادها، ليريها معجزة نبوته، ونكّره ليختبر عقلها، وعمل لها الصرح ليزيل شبهتها في عبادة الشمس. وقد فهمت بلقيس غرضه، وانجلت أمامها الحقيقة، فلم تستطع كتمان إيمانها، ولم تتمالك أن ﴿قالت ربي إني ظلمت نفسي﴾ [النمل :٤٢] بعبادة الشمس التي حجبتني عن معرفتك ﴿وأسلمت﴾ الآن ﴿مع سليمان لله رب العالمين﴾ [النمل:٤٢] وذلك صريح في أن بناء الصرح كان طريقة من طرق الهداية العملية، أثرت في نفس بلقيس تأثيرا بالغا. كانت نتيجته ان أعلنت إسلامها، وأقرت بأنها ظلمت نفسها من قبل بالعقيدة الباطلة التى حرمتها من نور الهداية، فهذه الخاتمة هى التي تتناسب مع بناء الصرح للهداية، ولاتتناسب مع بنائه للتأكد من جمال ساقيها، أو وجود الشعر فيهما من عدمه، أو الزواج منها، فلم تسق القصة لأجل ذلك، ولايوجد دليل يؤيده. كما أن هذه المزاعم لاتليق من امريء عادي، فكيف برسول اختاره الله واصطفاه لرسالته، ليخرج الناس من ظلمات الوثنية الى نور التوحيد والإيمان، هذا فضلا عن أنه لم يثبت ان سليمان تزوج من بلقيس. وصفوة القول ان بناء الصرح طريقة عملية من طرق الهداية الربانية□

﴿وما من دابـة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام:٣٨].

من الأمور المسلم بها أن محمداً ﷺ، كان أميا لايقراء ولايكتب، وقد نشأ في (مكة) حيث لم تكن هناك علوم ولامعارف ولاجامعات ولامدارس تقرأ فيها العلوم الكونية، كالذي حدث في (طيبة) عاصمة مصر القديمة، وفي (أثينا) عاصمة حكماء(الإغريق). كما أن محمدا ﷺ،كان بعيداً عن ذلك المحيط العلمي الذي كان موجودا في (الشام وفي الأسكندرية وروما).

ومع ذلك فإن الحقائق العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم لم تكن معلومة في القرن السابع الميلادي، حيث بعث النبي ﷺ ولم يكتشف العلم أسرارها إلا منذ عهد قريب.



حياة الحيوان كما صورها القرآن

■ إن شعراء «الحداثة» في غفلة عما يرومه الخطاب الشعري المعاصر من مقاصد تتحقق معها وتتألق رسالته التغييرية الاستشرافية

بقلم: أمين محمد عثمان

فطرة الله

وأرجو أن يتأمل القارىء هذه الآية الكريمة: ﴿ومامن دابة في الأرض ولاطائر بجناحين إلا أمم أمثالكم مافرّطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام:٣٨]، فقد وصف الله الجماعات من الحيوانات والطير والحشرات بأنها أمم لها نظامها وعاداتها وبأنها تشبهنا في أن لها عقلاً يدبر أمرها!

فكما أن الناس يمسكهم نظام، ويضبط حياتهم سلوك، وتربط بينهم عادات، وتحكمهم قوانين، فكذلك كل جنس من أجناس الحيوان.وكل نوع من أنواعه، له عالمه الذي يعيش فيه،ولغته التي يتفاهم بها، وله نظامه الذي يأخذ به الخارجين على نظام الجماعة، المتمردين على أوضاعها المستقرة فيها.

إن هذه الحقيقة العلمية لم يعترف بها علماء الحيوان إلا حديثاً..ولقد أكتشف العلماء أن جماعة الحيوان والطير يربط آحادها رباط اجتماعي وثيق وأن منها ماتعيش في صورة ممالك ذات نظم ثابتة (كالنمل والنحل) وغيرهما، وأن لكل جماعة لغة يتفاهم بها أفرادها.

وقد اتضح أن بعض الخواص التي كنا نتخيلها مقصورة على الجنس البشري كالميل لتكوين المجتمعات، والرغبة في التملك، وحب السيطرة والحنين إلى الوطن وحب الولد..إنما هي سجايا أساسية في كل الأحياء والفقريات.

ولقد قلبت هذه الاكتشافات كثيراً من الآراء الراسخة بحيث تشكل انقلابا في العلوم الطبيعية، كما قال العالم (روبرت أردري) في كتابه (تكوين الإفريقيين).

ولقد كشف عالم ألماني بعد ملاحظات دقيقة، لم يتنبه إليها العلماء، وهو أن الطيور لاتصدح فقط ولكنها تتكلم. ولها مثل البشر لهجات خاصة مثال ذلك ان (الشحرور النمساوي) لايفهم لهجات الشحرور (البافاري) والشحرور (الفرنسي) لايفهم لهجة الشحرور (الإنجليزي).

إن هذه الحقائق التي توصل إليها العلماء في الوقت الحاضر. قد سبق إليها القرآن الكريم. منذ أربعة عشر قرنا. وقد أثبت القرآن أن هناك خاصية لبعض الناس اصطفاهم الله لرسالته، وأكرمهم بوحيه. وأعطاهم قدرة على معرفة لغات الحيوانات وتفاهم الحشرات، وألهمهم مايعرفون به منطق الطير.

فقد جاء في الآيات (١٦) ومابعدها من سورة (النمل) مايؤكد أن (داود



وسليمان) عليهما السلام قد كانت لهما القدرة على معرفة ذلك: ﴿وورث سليمان داود وقال يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين﴾.

نملة سليمان

فهذه النملة على صغر حجمها، وضآلة شأنها، تقف من سليمان موقف النّد للنّد وتتصدى له وهو في بهاء ملكه.. ومظاهر عظمته.. وقد حشر له الجن والإنس والطير في مظاهرة ولاء.. واستعراض انقياد وخضوع.. وإذا النملة التي يمر بها سليمان فلايأبه لها، ولايحفل بها، بل ولايكاد يذكر من أمرها شيئاً.. تلقى سليمان لقاء مثيراً، وتحاجه في منطق قاهر، لايقل عن منطق سلطانه القوي.

إنها تقوم على دولة لاتقل عن دولته نظاماً وإحكاماً وروعة، وانها لتقوم على رعية تسوسها بالرأفة والحكمة، وتحوطها بالرعاية والعناية، وتوفر لها الأمن والسلامة، واستمع إلى قوله تعالى: ﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون. حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون. فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ [النمل:١٧ـ١٩].

لغة الكيمياء في عالم النمل

والسؤال الذي حير العلماء زمنا طويلا هو (كيف تستطيع ممالك النمل التفاهم فيما بينها أثناء بناء بيوتهم المكيفة الهواء، وعند تقسيم العمل في مجتمعاتها بين مختلف أفرادها)؟

ثم جاءت الإجابة بعد أبحاث طويلة تبرز وتشهد بإعجاز الخالق في جميع مخلوقاته، وتوضح أن يكون لكل مخلوق لغته التي يتميز بها.

فممالك النمل يفرز أفرادها مواد كيمائية، من خلالها يجري التفاهم حول كل شيء تشبه (الحروف والجمل) في لغة البشر، لكل جملة حروفها المكونة من العناصر الكيمائية التي تشكل قواعد هذه اللغة.

وعندما توصل بعض العلماء إلى حروف هذه اللغة لم يصدقوا في البداية هذا الإعجاز المتجسد داخل مجتمعات هذه الحشرة الاجتماعية.

وعندئذ قاموا بتجربة شهيرة.. اعتمدت على تغطية جسم نملة — في عنفوان شبابها ونشاطها ـ بالمادة الكيمائية المعبرة في لغة النمل عن الموت.. أي الرائحة الخاصة التي تنبعث عادة من جسم نملة فارقت الحياة.. وبعد وقت قصير جاءت المفاجأة عندما التفت الشغالات حول هذه النملة وقامت بحملها وسط موكب جنائزي والإلقاء بها خارج المملكة رغم أنها حية ومليئة بالنشاط.

وحين عادت النملة التعسة إلى قومها تحمل نظرات الدهشة والعتاب لم تتردد الشغالات في تكرار الموقف نفسه..

ومن هذه التجربة الفريدة اقترب العلماء من معرفة إحدى معجزات الخالق الذي قدر فهدى: ﴿ومامن دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ [هود:٦].

الهدهد وسليمان

وقصه (سليمان) مع (الهدهد) مشهورة ذكرها القرآن الكريم في سورة (النمل). ذكر (الزمخشري) في تفسيره (الكشاف):

كان سليمان قدنزل على غير ماء فسأل الإنس والجن والشياطين عن الماء، فلم يعلموا له خبرا، وكان

■صوّر القرآن الكريم حياة الحيوان تصويراً دقيقاً يدل على إعجاز الوحي

سـوطـه وشراك نعلـه، وتخبره فخذه بما حدث أهله بعده».

بين دارون وديكارت

لقـد كان العلماء ــ قبل الآن ـ لايعترفـون للحيـوانـات والطير بعقل ولاذكـاء، وكانـوا يظنونها مجرد آلـة حيـة تحس وتتألم، ولكنهـا لاتعقـل، وكـل مـايشاهـدونه من آثـار التفكير والتـدبير يعتبرونـه من ثمـرات الإلهام والغرائز.

بقي هـذا الاعتقاد إلى عصـور متأخـرة فكـان الفليسـوف (ديكارت) يرى أن الحيوان كالآلة المعقدة المجردة من الحيـاة العقلية، فهـو لايفكر كما يفكر الإنسان، بل يعبر في سلوكه عن الغرائز.

وقد اشتهر هذا التعريف عن (ديكارت) وتنـاقله النـاس واتخذوه قضية مسلمـة ولم يعترف للحيـوان بعقل أو تفكير إلا في القرن (الثامن عشر).

ومن ذلـك مـاأعلنـه العـالم الشهير(دارون) مؤسس مذهب (النشوء والإرتقاء). أن التفكير موجود في الحيوان ولكنه بدرجة أقل من الإنسان.

إن هـذه الحقـائق التي أعلنهـا القـرآن الكريم، عن الحيـوان، هي ولاريب، أحدى معجزات القرآن، الذي قـرر حقيقة علمية اعترف بها العلم الحديث، بعد أن اتسعت البحـوث في الحيـوان والطير، وقضى العلماء أعمارهم في ملاحظتها ودراستها.

الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى

يقـول الـدكتـور (سونـدجراس): إن رأس الحشرة أفضل مـن رأس الإنسان!

في الـواقع أن رأس أيـة حشرة، مجمـوعـة من



والجن والشياطين عن الماء، فلم يعلموا له خبرا، وكان الهدهـد هو دليـل الماء..يقول القرآن الكـريم متحدثـا عن سليمان عليه السلام.

﴿وتفقد الطير فقال مالي لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين لّأعذبنّـه عذاباً شديداً أو لاذبحنـه أوليأتينّي بسلطـان مبين. فمكث غير بعيد فقـال أحطت بمالم تحط بـه وجئتـك مـن سبأ بنبـأ يقين﴾ [النمل:٢٢ـ٢٤].

إن الهدهـد وقصتـه مع سليمان لاتقل روعة وعجبـا عن قصة النملة.. فقـد جاء إلى سليمان وهـو في أبهة ملكـه وعظمـة سلطانـه، وبين يديه مـاسخر اللـه له من الجن والإنس والطير ليلقـاه بهذا الخبر أحطت بمالم تحط بـه، هكـذا المتمكن من نفسـه، الواثق من وجـوده، يقـول قولـة الحق في غير خوف أو تردد.

نظرة الإنسان إلى عالم الحيوان

ومن هنا يمكن أن تتغير نظـرة الإنسان إلى عـالم الحيـوان.. وأن يفتح لـه العلم الحديث آفـاقا جـديدة في دراسـة علم الحيـوان فـلا يقف عنـد حـدود دراسـة جسديـة له، تـدور حول الـوظائف العضـوية ومـايتصل بها، بل ينبغي أن يتجاوز هذه الدراسة إلى دراسة نفسية وعقليـة أيضا.. بحيث يكـوِّن من موضوع هذه الدراسة لغة الحيوان، وعن طريق التعرف إلى هذه اللغة يمكن التعرف على معـارف عالم الحيـوان، ونظرتـه إلى الكـون، وصراعه مع الطبيعـة، ووسائلـه التي بلغهـا في التغلب عليها، ولـربما يقع للعلم في هـذه الـدراسـات، من أسرار وعجائب مالم يقع لـه إلى اليوم من أسرار وعجائب!

ويـوم يبلغ الإنسـان مـن العلم مايستطيع به الالتحـام مع عالم الحيوان والتفـاهم معه.. يـومئـذ يكون الإنسـان بحق هو سيد العـالم الأرضي وخليفة الله فيه.

وقد أنبأنـا رسول الله ــ الذي لاينطق عن الهوى ــ أن هذا اليوم آت لاريـب فيه فقـد روى الإمـام (أحمد) في مسنـده عن أبي سعيـد أن النبي ﷺ قـال: «والـذي نفسي بيـده، لاتقـوم السـاعـة حتى تكلم السباع الإنس، وحتـى يكلم الرجل عـذبة

■ لكل جنس من أجنـاس المخلـوقـات، وليس للانسان وحده، قانون ينظم حياته وعاداته وسلوكه، ولغة خطاب يتفاهم بها

حياة الحيوان كما صورها القرآن



الأجهزة التي تؤدي عشرات الوظائف بطريقة سهلة وسريعة، لايستطيع الإنسان أن يحققها بحواسه، وفقا لبحوث العلماء التي أمضوا فيها طوال حياتهم لدراسة الحشرات.

وقد ثبت أن رأس الحشرة مزودة بمجموعة من الحواس المتعددة الأنواع والوظائف ومن ذلك أعضاء التغذية ـ مثلا ـ فهى قادرة على التهام أي طعام بخلاف الحيوانات الأخرى التي تنتقي طعامها.

ومنها عيون الحشرات فهى شديدة التعقيد وبالإضافة إلى ماتؤديه من وظائف عند الإنسان، فهى أيضا حواس للمس وشم الرائحة. وأحيانا تلتقط الأصوات الذبذبات كالراديو، والرادار كما سنذكره بعد قليل.

أما فم الحشرة فهو يؤدي عدة عمليات كالقبض على الأشياء وعضها، ومضغ الطعام وإحداث ثقب في مادة ما، وإن كانت هذه المادة سميكة لاتقدر على اختراقها المسامير والإبر. كما تفعله (البعوضة) عندما تثقب جلد الفيل أو الجاموس ثم تمتص ماتحويه من سوائل. إن الله قد زود هذه الكائنات الضعيفة بأجهزة لم يزوِّد الإنسان بمثلها، وليس معنى هذا أنها أرقى منه في سلم التطور ولكنها ذات مميزات لوحصل عليها الإنسان لكان أرقى وأفضل مما هو عليه الآن.

الحرب الخفية بين الخفاش والفراشة

الخفاش من أغرب الحيوانات الثديية، فهو يختبىء نهارا في إحدى المناطق أو الكهوف المهجورة، ثم تتجمع أسرابه عند غروب الشمس، وتنطلق في الليل المظلم، تعرف طريقها بدقة،رغم جميع العقبات، فكيف يستطيع الخفاش معرفة طريقة في الظلام، والانقضاض على ضحاياه للحصول على غذائه؟

في البداية اعتقد العلماء أن للخفاش عيونا خارقة، قادرة على الرؤية في الظلام لكن تجربة علمية شهيرة تمثلت في استئصال عيون الخافش ثم إطلاقه ـ وهو فاقد البصر ـ بددت هذا الاعتقاد.

فإن الخفاش بعد فقدان عيونه، واصل طريقه الطبيعي، يتجنب طريق العقبات مثل الأسلاك أو البنايات العالية، وينقض على مصادر غذائه من الحشرات الطائرة بلا أدنى خطأ، أو انحراف.

عندئذ أكتشف العلماء خفايا السر الكبير، فالخفاش لايعتمد على عينيه إنما على أروع جهاز (للرادار) فهو يطلق أثناء طيرانه صريرا ذا نغمة خاصة، ويحسب بسرعة الوقت بين انطلاق الصوت وعودة صدى هذا الصوت، وحين يصطدم بجسم يعرف نوعه إذا كان ضمن قائمة غذائه، أو يتجنبه إذا كان عقبة في طريقه، أو عدوا يفوقه قوة وشراشة.

لكن فصيلة ذكية من الفراشات التي يتغذى عليها الخفاش استطاعت تحدي هذا الطائر الثديي المخيف بجميع انواعها. لأنها تملك جهاز يقوم بمهمة التشويش على (رادار) الخفاش وكل موجة صوتية يطلقها الخفاش، ترد عليها بموجة، موجة مضللة تصيبه بالارتباك والعجزعن الانقضاض عليها.

ويقول العلماء: إن حرب الأمواج الصوتية التي توصل إليها البشر مؤخراً، بدأت على الأرض بملايين السنين، وكان أبطالها كائنات صغيرة لكنها انطوت على مقدرات عظيمة، وكأنها توشك أن تقول للعلماء ماقاله الله سبحانه لنبيه الكريم﴿وقل رب زدني علماً﴾.

حياة الإنسان معلقة بجناح الطائر

وفي قوله تعالى﴿ ولا طائر يطير بجناحيه﴾ مايثير التساؤل: لماذا كان ذكر الجناحين هنا مع أن الطائر لايطير إلا

■ كشف عالم ألماني أن للطيور لغة تتكلمها، وأنها لا تفهم لهجات بعضها، فلا يفهم الشحرور النمساوي مثلا كلام الشحرور البافاري ولا الفرنسي

بجناحيه، والجواب عن ذلك:

انه في ذكر القرآن الكريم الأجنحة لكل طائر.. مايدعو الإنسان إلى اعادة النظر وإمعانه في هذه المخلوقات الضئيلة. وفي دقة تركيبها، وروعة بنائها وأنها على صغر حجمها ـ عالم متكامل في تكوينه، قد أودعت يد القدرة فيه من الأجهزة والحواس، ماأودعته في أرقى الكائنات الحية من قوة ومشاعر ومدركات.

يقول بعض العلماء: (لو لم يكن للطائر ريش لما عاش على ظهر الأرض إنسان ولاحيوان) وليس هذا الكلام يلقي على عواهنه، أو يقال على علاته. لأن الريش هو الكساء الذي يغطي جسم الطائر، ويصونه من حر الصيف، وبرد الشتاء ولولاه لهلك الطائر. وزال بذلك أهم عامل طبيعي يعوق نمو الحشرات فتنتشر بشكل مروع، وتحصد الزرع وتأكل الخضرة وتموت الحيوانات آكلة العشب ثم تموت الحيوانات آكله اللحوم، وتصبح الحياة قبراً لادبيب للحياة فيها.

إن الله سبحانه يجعل في الأرض توازنا عجيبا بين الحشرات والطيور فالأولى تظهر في أواخر الربيع من بيض وضعته في العام السابق، أو من شرنقة كانت تضمها في الشتاء..وفي نفس الوقت الذي تكثر فيه الحشرات تكون صغار الطيور قد خرجت من بيضها واحتاجات إلى الغذاء، فيجمع لها أبوُاها الحشرات بمقادير كبيرة من مطلع الشمس إلى مغربها، فينقص عدد الحشرات نقصا بالغا. ولولا ذلك لأصبحت وباء يعجز الإنسان عن مكافحته!

ومن الريش يتكون جناح الطائر الذي يحمله من مكان إلى آخر باحثا عن قوته ويمكنه من الهجرة في الشتاء عندما يندر الغذاء، وتقل الحشرات، فيحل في إقليم فيه دفء يجد فيه بغيته من الغذاء وضالته من الحشرات.

وفي الجناح قدرة خفية لايعرف مصدرها، فالقطار والسيارة والطائرة تقطع المسافات الشاسعة بالطاقة المولدة من الخارج ولكن جناح الطائر يحمله آلاف الأميال بدون أن يستمد طاقة من الخارج.

وقد يرفرف الجناحان بسرعة عظمية مدة طويلة من الزمن مدفوعين بقوة كامنة لايدرك منشؤها ولا المورد الذي يغذيها وتتضح هذه الظاهرة في العصفور الطنان الذي يزيد حجمه قليلا عن النحلة.. فإنه يستقر في الهواء تحت زهرة بها رحيق مرفرفا بجناحيه وبسرعة مفرطة حتى ليخيل للرائي أنهماه ساكنان.

هجرة الطيور

هل لدى الطيورعقل (ألكتروني) تهتدي به؟ هل تهتدي بالشمس في الظلام؟ هل تهتدي بجاذبية الأرض هل تهتدي بالغريزة عبر الأميال؟

إنه في الوقت الذي يدبر فيه كبار العلماء الطبيعيين وسائل السفر في الفضاء بين الكواكب يحاول بعض العلماء في ميدان آخر، اكتشاف كيفية سفر الطيور عبر المحيطات علي ظهر الأرض؟ كيف يغادر (خطاف البحر) القطبي، موطنه في الشهر السادس من عمره، وقد ولد تحت حرارة تبلغ عشر درجات مئوية في القطب الشمالي، ويأخذ طريقه إلى المنطقة الجليدية في القطب الجنوبي يقطع فيها أحد عشرألفا من الأميال؟! وبعد أن ينقضي فصل الشتاء يطير عائداً إلى نفس موطنة الأصلي في الشمال ليقضي فصل الصيف هناك؟

إلى قدرة قلبه وجناحيه على أحتمال ذلك تعد معجزة بكل المقاييس. ولكن كيف يستطيع عقله الذي لايزيد عن حجم الدبوس أن يحل مشاكل السفر عبر البحار التى أرهقت الجنس البشري آلاف السنين؟

لقد اخترعت (البوصلة) في القرن (الثاني عشر) وبعد اختراعها بثلاثة قرون تمكن (كولومبس) من عبور المحيط الأطلنطي.

ولكن الطيور كانت تقوم برحلاتها البحرية في ثقة إلى جميع أنحاء العالم قبل ذلك بمليون سنة، إنه حتى الآن لايوجد لدينا أي فهم كامل في كيفية قيام الطيور بهذه الرحالات، وإن كانت هناك محاولات جادة لاكتشاف هذه الكيفية.

ماالذي يوجه الطيور وبأي شيء تهتدي في مسارها؟ أبالنجم القطبي مثلا؟ أم بالشمس والقمر، أم بالرياح والجو، أم بالجاذبية الأرضية ما الذي يعطيها إحساس بالاتجاه؟

وأعجب من ذلك الحركة المشتركة التي تصدر عن كل فرد، في سراب من (الزرازير) أو رتل من صغار السمك عندما تريد تغيير اتجاهها.

ذلك أن كل فرد منها يدور على نفسه، كما لو كانت كلها يسيرها عقل واحد، هل يخاطب قائد السرب أفكار الأفراد فتصدر منه موجات تستقبلها عقول الجميع فيتجهون اتجاها واحداً أويميلو ن ميلة وحدة؟

إن صح هذا فإن تخاطب الأفكار أقصى مايطمح الإنسان إلى الوصول إليه في عصر الحضارة وقد سبقه إلى ذلك الحيوانات والطيور بآلاف السنين.

إنه بإزاء هذه الصورة الرائعة من القدرة الحيوانية تمثل أمامنا آلاف الضحايا البشرية، التي تقتل في الصحراء على بعد أميال محدودة من موطنها . ولاتجد من حواسها وقوة تفكيرها مايهديها سواء السبيل، فتموت من الإعياء والجوع، أو تفترسها السباع.

وليتذكر القارىء بعد ذلك قوله العليم الحكيم: ﴿ومـا من دابة في الأرض ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام:٣٨]□



الإبداع
بين الرؤية الإسلامية والغربية

بقلم: علي القــاضي

■ يحتاج الإبداع إلى الشعور والإحساس بالحرية والانطلاق وعدم الكبت أو الرضوخ لأي نوع من القهر

(الإبداع) تعبير يقصد به المقدرة على عمل شيء جديد ومبتكر وإخراجه إلى حيز الوجود والإبداع في الفن والأدب: معناه: الخروج على أساليب القدماء باستخدام أساليب جديدة وقد وردت في القرآن الكريم هذه الكلمة في أربع آيات ومنها قوله تعالى: ﴿بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ [البقرة:١١٧] بمعنى أن الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض على غير مثال سابق.

الإبداع ظاهرة عامة يمكن أن توجد في كل المجتمعات الإنسانية وفي مختلف مراحل التطور الاجتماعي والثقافي. والعمل الإبداعي يتجاوز التجربة الإنسانية العادية ويدخل عليها الكثير من عناصر التحوير والتعديل التي قد تؤدي في النهاية إلى تغييرها تغييرا شاملا، بحيث تتعارض مع الأوضاع التقليدية.

والإبداع لن يحقق رسالته الصحيحة إلا إذا تمكن من توصيل التجربة الإبداعية بكل إنجازاتها إلى الآخرين حتى يحصل على تقبل المجتمع لعمله الإبداعي. والعملية الإبداعية يقصد بها العملية الذهنية التي يمكن عن طريقها تصور العمل الإبداعي وحده كلية، قبل الشروع في إنجازه وهي في حقيقتها أقرب إلى الحوار المتبادل بين الأوضاع الثقافية والاجتماعية السائدة في المجتمع، والتكوين النفسي والوجداني للفرد والمجتمع.

والإبداع يحتاج إلى الشعور والإحساس بالحرية والانطلاق وعدم الكبت أو الرضوخ لأي نوع من القهر - بما في ذلك القهر السياسي - الذي يقضي في كثير من الأحيان على الحرية الإبداعية وإلى اختفاء أو انزواء كل الحركات الإبداعية.

والمبدع في العلم أو الفن: هو الشخص القادر على إدراك الروابط الخفية بين الأشياء.

دعائم الإبداع

وللإبداع الحقيقي الذي يمكنه أن يحقق وظيفة هذه الحياة دعائم أهمها:

أولا- الأصالة:

فالمبدع لا بد وأن يكون ذا فكر أصيل، وهذه الدعامة تتجلى في ميل بعض الأشخاص إلى التجديد، ومن ذلك استخدام بعض الشعراء لتشبيهات جديدة وابتعادهم عن التشبيهات الشائعة في المجتمع، كما تتجلى في استخدام بعض المصورين للألوان في علاقات جديدة. وفي استخدام بعض العلماء أساليب جديدة في تجاربهم وتحليلاتهم.

ثانيا- الطلاقة:

ويقصد بالطلاقة القدرة على إنتاج أكبر عدد من الأفكار الإبداعية مع سرعة التفكير السليم والتطبيق السريع للكلمات مثلا والقدرة على وضع الكلمات في أكبر قدر ممكن من الجمل والعبارات ذات المعنى المفيد والمثير في الوقت نفسه.

ثالثا- المرونة:

ويقصد بالمرونة الإشارة إلى القدرة على تغيير الحالة الذهنية بتغيير الموقف ومظهر ذلك: قدرة الشخص على أن يعطي - تلقائيا - عددا متنوعا من الاستجابات التي لا تنتمي إلى مظهر واحد والمرونة التلقائية هي التي يمكن تحديدها لدى الفنانين والأدباء المبدعين.

والمبدع يتميز بالحساسية فهو يرقب الأشياء التي لا يرى فيها غيره كالألوان كما ويلمس الأشياء واستجابات الآخرين.

وبذلك: تصبح المرونة وظيفة متخصصة في ألوان النشاط وأنواعه ويمكن عن طريقها أن نغير من وجهة نظرنا إلى أمر من الأمور أو مشكلة من المشكلات.

رابعا- التقويم:

والتقويم هو الذي نحكم عن طريقه على الأشياء أو الموضوع من حيث ملاءمته، لأنه يوضع على أشياء أخرى أو يدخل في سياق معين كالشاعر والمصور والعالم والفيلسوف.

■يقوم الإبداع الاسلامي على تأصيل القيم الجمالية والمضامين الفكرية ضمن الفهم الاسلامي للكون والحياة ودور الانسان القيادي فيها

مجالات الإبداع

والإبداع يشمل كل مجالات الحياة.. فالإبداع في في السياسة: يعني التغيير المفيد في توزيع السلطة في المجتمع. والتغيير في عقول الناس وأفكارهم فيما يتضمن وسائل معاشهم، والتغيير في أذواق الناس ووجدانهم وعواطفهم. والتغيير في سلوك الناس بحيث يكون سلوكهم أفضل ومتمشيا مع قيم المجتمع وأخلاقه والإبداع بكل صوره يختلف من مجتمع إلى مجتمع.

والإبداع في العلوم الاجتماعية هو تقدم علمي بحثي يقوم بإسهام جوهري في إثراء الرصيد المعرفي لأي تخصص من التخصصات.

ويتحقق الإبداع في العلوم الاجتماعية بتقدم علمي - بحثي - يقوم بإسهام جوهري في إثراء الرصيد المعرفي لأي تخصص من التخصصات.. وبطرح بعض الفروض الهامة وتحسين منهجية بعض النظريات أو الغوص في الكشف عن خبايا بعض البحوث القديمة المهملة - في عمليات هامة رئيسة بالنسبة لمسيرة المشاريع العلمية في هذه العلوم.

وبذلك يأتي الإبداع من تلاقح العلوم لا من انعزالها بعضها عن بعض ولا من الإفراط في التخصص المتقوقع.

فخروج عالم الاقتصاد أو عالم النفس من مجال تخصصه بشيء ما واحتكاكه - على الهامش - بتخصصات أخرى مجاورة يرشحه للإبداع في دنيا الأفكار والمعارف في علوم الإنسان والمجتمع.

والإبداع الإسلامي يستوعب كل ما في الحياة وفق التصور الإسلامي الصحيح لهذه الحياة بحيث لا يزيف حقيقة ولا يخلق وهما فاسدا ولا يحابي ضلالا ولا يزين نفاقا. بل إنه يطلق نيرانه على شياطين الانحراف والقهر والظلم، لأن له وظيفة في هذه الحياة، هي تحقيق وظيفة المسلم طبقا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى.

ومن ثم فإنه ينهض بعزائم المستضعفين وينصر قضايا المظلومين ويبشر بالخير والحق والجمال ومن هنا فإن الإبداع في الإسلام لا يكون عبثيا بل إنه إبداع الضمير الحي والوجدان السليم والتطور الصحيح والخيال البناء والعواطف المستقيمة، فهو لا يتجه إلى انحراف نفسي ولا إلى اعتلال شعوري ولا إلى مرض فلسفي، وما إلى ذلك مما نراه في الحضارة الغربية.

وهو يقوم أيضا على تأصيل القيم الجمالية والمضامين الفكرية الأصيلة. وهو وثيق الصلة بالصحوة الإسلامية في جميع المجالات.

والمبدع المسلم لا يكمن فيه الخلل الداخلي ولا الخلط الأهوج بين الوسائل والغايات، ولا



الابداع بين الرؤية الإسلامية والغربية

يكمن فيه سوء النية ولا العداء لكل شيء في الحياة، الأمر الذي جعل الغرب يعيش في ظله بسبب الخواء الروحي الذي دفعه إلى التهكم من القيم النبيلة وأفكار العقيدة الدينية ذلك لأن المبدع المسلم مرتبط ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم والمنهج الإلهي، إلى جانب الالتزام الداخلي الذاتي يعد الوجه الآخر للصدق.

والالتزام في الإبداع معناه القناعة الإيمانية والسلوك المطابق لكل ما يتعلق بها، والالتزام بذلك التزاما داخليا وخارجيا في وقت واحد، وذلك يكون في إطار المسؤولية الإيمانية. فالميزان من صنع الله تعالى

والمبدع المسلم خاضع لحساب الضمير ولحساب المجتمع في الدنيا، وخاضع لحساب الله تعالى في الدنيا والآخرة. وحريته تكون في إطار المنهج الإلهي.

والإبداع في المنهج الإسلامي وسيلة من وسائل التربية، وله تأثيره المتميز على نفسية المتلقي وفكره حتى وإن لم يدركه.

والمبدع المسلم يعيش عقيدة وفكرا وسلوكا من نوع خاص، وذلك يؤثر في مكوناته النفسية والعقلية ويؤثر في قدراته الإبداعية.

الإبداع والفكر

والإسلام دعا إلى إعمال العقل والتفكير، والنصوص القرآنية تحث على التفكير والتدبر ففي ذلك آيات لقوم يتفكرون وعبرة لأولي الألباب وأصحاب العقول المتدبرة والمتفكرة يقول الله تعالى في ذلك: ﴿أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير﴾ [العنكبوت:١٩]، ويقول: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾ [العنكبوت:٢٠].

وقد عاب القرآن الكريم على أقوام لم يفكروا ولم يفقهوا ووصفهم بأنهم كالأنعام بل هم أضل - لأنهم لم يوظفوا حواس التفكير والتدبر فقال: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ [الأعراف:١٧٩].

فالإسلام دعا إلى الفكر والتدبر وهو الدين الذي قال: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [النمل:٦٤].

والفكر في الإسلام مطلق بلا حدود ولكن على ألا يتعدى المفكر بفكره والمبدع بإبداعه الثوابت التي جاءت ثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية. ولايمكن للمبدع المسلم أن يقول: إنه لا علاقة للدين بالإبداع أو يزعم أن الدين لا علاقة له بالفن.

ذلك لأن الدين الإسلامي جزء من كيان الإنسان بل إن الإنسان الذي لا دين له ما هو إلا حيوان، ولا يمكن للحيوان أن يبدع أو يفكر لأن الإبداع الفكري والإبداع الفني صفة من صفات الإنسان الذي يحس بوظيفته في هذه الحياة.

يتجاوز العمل الإبداعي التجربة الإنسانية العادية ويعدّلها بحيث تتقدم على الأوضاع التقليدية

ولذلك فإن رسم صورة لامرأة عارية لا يمكن أن يسمى في الإسلام إبداعا، وكذلك القصيدة التي تدعو إلى الخلاعة الجنسية.

وهكذا كل ما يمس حياء الناس وأخلاقهم أو يسيء إلى أذواق الناس وقيمهم ودينهم وأخلاقهم فكل ذلك يسمى قبحا ولا يسمى إبداعا وفنا.

ولأن الإبداع الحقيقي يشمل كل ما يخدم الإنسانية من اختراعات وابتكارات، ولا يصح أن تتحول حرية الإبداع إلى عوامل لإفساد الأخلاق والقيم والمجتمع، فإن الإسلام قد وضع ضوابط لحرية الإبداع فقد زكى الكلمة الطيبة وجعلها صدقة يتصدق بها الإنسان ذلك لأن النبي ﷺ جاء ليتمم مكارم الأخلاق. وبذلك يتمكن المسلم من أداء وظيفته في هذه الحياة في عمارة الأرض وفي عبادة الله تعالى بالمعنى الشامل للعبادة. ولذلك فلا يوجد في الإسلام رذيلة ولا يوجد انحلال أو انحراف أو تفسخ مشروع.

والحرية في الإسلام لها ضوابط ويمكن لأي مسلم أن يفعل ما يريد وأن يقول ما يريد ما دام ملتزما بهذه الضوابط. ومن هنا فإننا نجد الإسلام قد شجع الناس على التعامل بما خلق الله تعالى في الطبيعة من جمال السماء والأرض.

ولذلك فلا بد وأن تضع الحكومات الإسلامية أجهزة للإشراف على الفكر الفاسد الذي يضر بعقول الناس تحت اسم الإبداع فالكلمة الملوثة أخطر على الإنسان من الأدوية الفاسدة، لأنها تعم الناس جميعا وآثارها أكبر وأخطر.

الإبداع في الغرب

الإبداع في الغرب لا حدود له والحرية - لما يسمونه المبدع - شاملة وكاملة وتحت قشرة المسيحية الرقيقة ظلت في شعور الأوروبيين تلك النظرة الإغريقية إلى الله فالعلاقة الإغريقية بين الله وبين البشر هي العلاقة القائمة على السرقة والاغتصاب والصراع والانتقام والوحشية والعنف.

يقول بعض كتاب الغرب: إن حرية الإبداع هي القدرة على اقتحام المحرمات الثلاث: الدين والسياسة والجنس فهي المجال الحيوي الذي يتحرك فيه الإبداع. ومعنى هذا أن حرية الفنان في الإبداع هي التي تتيح له تجاوز الضوابط والحدود والحرمات بل وإهانة المقدسات والاستهانة برموز الدين وتجريد كل ذلك من الأخلاق الفاضلة.

وهذه النظرة أدخلت في بيوت بعض المسلمين كل معاني الفحش والرذيلة بدعوى الضرورة الفنية وحل مشكلات المجتمع والناقد الفني (جان كلير) يؤكد أنه منذ الحرب العالمية الثانية حدثت تحولات جذرية في المجال الفني حيث تدفق سيل من الاتجاهات الغربية المبتذلة ومحاولات الهدم الفني والرغبة الجامحة في التدمير وذلك الطموح الذي لفت الأنظار اعتمادا على التخويف والتزييف ومن امثلته: فن الطبيعة، الشراسة، الفن النظري البدائي، اللا شكلي، الكهربائي إلى أكثر من مائتي تصنيف للفن الحديث لهذه المسميات

التي داهمت المجتمعات في هذا العصر. ثم يقول: «إن هذه التسميات تتم عادة عن عمليات تزييف واسعة للواقع وتزييف للكلمات والأفكار بهدف إخفاء اللعبة المستترة التي كانت تتم خفية».

وفي الغرب يدخلون إلى عالم الإبداع مجرّدين من القيم الفاضلة والأخلاق النبيلة ويجعلون ذلك غايتهم وذلك مقبول عندهم بكل صوره.

سمّ ودسم

وقد استطاع الغرب أن يدخل خطرين إلى فكرنا الأدبي الإسلامي:

الأول: أنه أعطى كاتب القصة التاريخية حرية التصرف في الواقع بما يتفق مع هواه.

الثاني: أنه أعطى الحرية في اقتحام المحرمات تحت اسم الإبداع وحرية الإبداع والفن.

وهذا يفتح الطريق أمام إشاعة الفاحشة.

ومن هذا المنطلق ظهر المذهب الوجودي لسارتر والمذهب السريالي الذي يهدف إلى هدم جميع الحركات الذاتية النفسية.

ومن أهدافه الأساسية: هدم كل معتقد وهو في ذلك يخضع لسلطة فرويد في إعلاء الجنس وفي تفسير كل شيء به حتى رضاعة الطفل من ثدي أمه.

وهناك دعاوى هدامة ترمي إلى تحطيم النظام الاجتماعي وتوهين العزائم في كل مكان وإحياء النزوات ومن ذلك:

المذهب العبثي: الذي يدعو إلى التحرر من قيود أي مسلك أخلاقي.

ومذهب الدادية: الذي يدعو إلى تدمير منابع الفكر واللغة معا.

وهذه المذاهب تركز على حرب اللغة العربية بدعوى أن في قواعد اللغة العربية ثوابت لا يصح أن تستمر مع أن هذه الثوابت هي التي تحفظ اللغة وتحفظ الإسلام.

والإبداع الفني في الغرب يجعل الصور المحسّة بعامة وجسم الإنسان بخاصة له المقام الأول في فلسفة الجمال. وهذا معناه الهبوط بالفن إلى التقليد اللاواعي والمحاكاة اللاواعية ولذلك فإن أغلب الأعمال الفنية ما هي إلا حوار مكرر من الإنسان وصورته وتقوقع الإنسان في داخل نفسه.

والسينما تصور المرأة – في الإبداع الغربي – وكأنها لم تخلق إلا لمتعة الرجال وخيانة الرجل لزوجته وقد اختفت صورة المرأة المكافحة التي تعيش في ظل المعاني الأسرية.

وتصورها على أن لها الحق في ممارسة كل الأفعال غير الأخلاقية في حرية تامة، وإلا فهي الضحية وهي المظلومة في حقوقها الإنسانية.

وباسم الإبداع والفن والحب ترتكب كل الآثام ثم تلتمس لها الأعذار، وقد أصبح أبطال الشاشة هم القدوة والمثل للشباب، فهم يقلدون ما يرونه في السينما من تصرفات وملابس وأزياء وأفكار.

ويقولون: الدين قيد على الإبداع والفن والجمال وهذا مفهوم غربي غير إسلامي، لأن الإسلام هو الحياة الحقيقية والحياة الحقيقية هي الإسلام وكل مذهب ملزم بالفكر الذي يدعو إليه.

الانسان أولاً

والإبداع في المنهج الإسلامي وسيلة من وسائل التربية وله تأثيره المتميز على نفسية المتلقي وفكره حتى وإن لم يدركه بسبب التأثير. والمبدع المسلم يعيش عقيدة وفكرا وسلوكا من نوع خاص وذلك يؤثر في مكوناته النفسية والعقلية وفي قدراته الإبداعية.

والتصور الغربي للإبداع قائم على مادية الإنسان وحيوانيته وإنكار الروح، والسبب في ذلك الداروينية التي تولدت عنها الماركسية، وعلم النفس الحديث، وعلم الاجتماع الحديث وقد صور فلاسفة الإبداع في الغرب الدين على أنه علاقة تعدد وتضاد بينه وبين الإنسان.

فتارة يقولون: الإبداع غاية وأن شعارات الدين والسياسة وغيرها تفسد الإبداع.

وتارة يقولون: إن الأديان قيود، والإبداع حرية وانطلاق.

ومرة ثالثة يقولون: إن الدين عماده الأخلاق، وإن الإبداع لا يعبأ بهذا الجانب، لأنه يهتم بكل ما هو جميل ولا يفكر فيما إذا كان يعبر عن فضيلة أو يعبر عن رذيلة، والإسلام يحافظ على شخصية الفرد وأخلاقه كما يحافظ على شخصية المجتمع وأخلاقه حتى يمكن للجميع أن يؤدوا وظيفتهم في هذه الحياة باعتبارهم خلفاء الله في الأرض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله تعالى الخالق الرازق المحيي المميت الذي سيحاسب الناس على أعمالهم: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ [الزلزلة:٧و٨].

والإنسان إذا فقد فرديته ووعيه الذاتي بنفسه وأصبح مندمجا مع غيره في كتلة واحدة لاتمايز فيها كما هو الحال في قطيع الغنم فإن آدميته تكون قد ضاعت في اللحظة نفسها، وذلك يقتل فيه الإبداع ويعدم الأفكار. بل يصبح المبتدع – إن وجد – منحرفا ويصبح التفكير ساذجا وخارجا عن الجماعة، والإبداع ليس الغموض، كما يحاول الغرب أن يصوره، بل هو الوضوح دون إهدار للقيم الفنية الجمالية والمبدع يعبر عن الحياة من خلال نفسه وفكره، يبدع لها صورة مؤثرة آخاذة ترتبط بذاته وخصوصياته فتبدو متفردة جميلة.

ثم إن الإبداع يرتبط بالمسؤولية النابعة من صميم الإسلام، على عكس الفلسفات الغربية التي تنوعت وتعددت وأصبحت لا تلتزم بالقيم، وبذلك استمالت المتحللين من القيم والأخلاق والمبادىء، وقد فهموا أن ذلك هو قمة الحرية: مع أنه في حقيقته قمة العبودية. لأن الحرية الحقيقية تتبعها المسؤولية النابعة من ضمير الفرد ومن قيم المجتمع على السواء.

والإبداع لذلك يقدم الإحساس الرفيع للناس في صورة من صوره. والإسلام يوقع على الحس البشري توقيعات شتى تهز الوجدان من أعماقه في توجيه القلب البشري إلى آيات الله سبحانه وتعالى في صفحة الكون.

والإسلام وهو يربي الروح يعمل على إثارة الحياة فيها عن طريق النظره والتفكر، ثم يوجه القلب البشري إلى علم الله تعالى الشامل لكل ما في الحياة، وإذا كان الغرب يعمل على إبراز الجنس في لوحة الإبداع والفن فإن الإسلام يصور الحب بالمعنى الشامل للحب والجمال – الجمال الأكبر المستمد من ناموس الكون وهو الذي ينبغي أن تمارسه الفنون الإنسانية الرفيعة التي تتجاوب تجاوبا صحيحا مع حقيقة الوجود وذلك هو الجمال الذي يؤدي وظيفته في هذه الحياة.

وذلك هو الإبداع الذي يجعل المسلم قادرا على الانسجام مع نفسه ومجتمعه ومع الكون ومع ربه سبحانه وتعالى، وهذا ما يميز المبدع المسلم عن غيره ممن يسمون بالمبدعين في الشرق وفي الغرب على السواء□

يصطبغ المعجم العربي عادة بالصبغة الثقافية التي تسود العصر الذي يظهر فيه

أسفرت أبحاث المهتمين في العصر الحديث بقضايا المعاجم العربية عن عدة نتائج، كان من بينها كثرة المعاجم العربية في مختلف العصور الأدبية، باستثناء العصرين الجاهلي والأموي، وأن هناك درجات من التفاوت بين عصر وآخر، وأن العصر الحديث أكثر العصور تأليفاً ووضعاً للمعاجم، وخاصة تلك المعاجم التي تتسم بالصبغة المدرسية، أو ذات الطابع التعليمي، كما يرون أن تلك المعاجم تتنوع منهجياً، وتختلف كماً في استيفاء المواد اللغوية، وفي الأسلوب العلمي الذي اتبع في معالجتها، وأن المعجم العربي يصطبغ عادة بالصبغة الثقافية التي تسود العصر الذي يظهر فيه هذا المعجم أو ذاك..

مدى الحاجة إلى معجم تاريخي

بقلم: د. رفيق حسن الحليمي

غير أن هذه الاستخلاصات تبقى هامشية قياساً إلى شعور أكثر الباحثين المعاصرين بالحاجة الماسة إلى ضرورة وجود معجم تاريخي يعمد أساساً إلى التأريخ لحياة الكلمات، ويتعقب هذه الكلمات في مراحلها المختلفة، ويوضح ما يمكن أن يكون قد طرأ عليها من تغيير أو تبديل في مختلف الأزمنة، وما طرأ على أبنيتها وصيغها واستخداماتها ودلالاتها من تطور وفقاً لمقتضيات كل عصر.

الباعث على وضع المعجم التاريخي

ويبدو واضحاً أن هذا الشعور كان وليد العصر الحديث، وأنه تولّد ابتداء لدى نفر من المستشرقين، نتيجة إحساسهم بالغربة عند قراءتهم للنصوص العربية، ونتيجة تأثرهم بما لديهم من معاجم عُنِيَ بعض منها بالجوانب التاريخية لحياة المفردات اللغوية.ففي الثلاثينيات من هذا القرن، قام المستشرق الألماني أوجست فيشر(*) بعد اقتناعه بضرورة وجود معجم عربي يكون في المكتبة العربية إلى جانب المعاجم العربية الأخرى، بمحاولة لوضع معجم تاريخي يعد الأول من نوعه، وقد أهدى جذاذات أصول هذه المحاولة إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٣٦م، ثم انعقدت النيّة حينئذ على استكماله وطبعه، ولكن العمل فيه توقف أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم استؤنف بعدها، ثم توقف عند عودة هذا المستشرق إلى ألمانيا، وعودة أصول هذا المعجم معه، ولا شك أن ما بقي من بعض جذاذات هذا المعجم يؤكد أن صاحبه قد عُنِيَ بناحية هامة فيه كان قد أغفلها أصحاب المعاجم من قبل، وهي تعقب معاني كل كلمة في مراحل حياتها، وفي مختلف العصور والأمكنة، وبيان ما اعتورها في مدلولها من تغيير(١)..

موقف الباحثين العرب من المعجم التاريخي

تركت أفكار هذا المستشرق آثارها لدى العديد من الباحثين العرب، وبخاصة في مصر ممن وقفوا بصورة أو بأخرى على أفكار هذا المستشرق وغيره – من أمثال دوزي (**) وتأثروا بها. ولعل من أبرز هذه الآثار على المستوى الرسمي، ما نصت عليه المادة الثانية من قرار إنشاء مجمع اللغة العربية وهي أن يقوم (المجمع) بوضع معجم تاريخي للغة العربية، وأن ينشر أبحاثاً دقيقة لتاريخ بعض الكلمات وتغيّر مدلولاتها. ولا شك أن هذا الشعور أخذ يزداد قوة عندما وقف نفر من الباحثين على المعاجم الغربية ومن بينها المعاجم التي تُعْنَى بالجانب التاريخي وفي مقدمتها قاموس أكسفورد الذي اتخذه بعضهم أنموذجاً لمشروع قاموس تاريخي عربي، فارتفعت الأصوات التي تعبر عن الحاجة الماسة إلى مثل هذا القاموس، ومن بين هؤلاء المرحوم أحمد أمين الذي نادى صراحة بضرورة وجود قاموس تاريخي، وذلك في كتاب ضحى الإسلام (٢)، كما تحدث عن العقبات التي تعترض سبيل هذا المعجم في كتاب فجر الإسلام (٣)، ثم تبعه نفر آخر من الباحثين نذكر منهم على سبيل المثال حسن عون في كتابه اللغة والنحو (٤)، والدكتور حسين نصار في كتابه المعجم العربي(٥)، والدكتور تمام حسان في كتابه اللغة معناها ومبناها(٦)، والدكتور علي عبدالواحد وافي في كتابه فقه اللغة(٧)، ود.محمود حجازي في كتابه علم اللغة (٨) وغيرهم.

ويبدو أن أكثر هؤلاء الباحثين يعبرون عن الحاجة إلى قاموس تاريخي عندما يكونون بصدد دراسة إحدى الظواهر اللغوية، أو الأدبية، أو النقدية، فيقفون أمامها ويريدون أن يحددوا بدقة الفترة الزمنية التي ظهرت فيها اللفظة المعبرة عنها فلا يجدون ضالتهم في المعاجم اللغوية العربية فيلجأون إلى عملية التأريخ لها من ناحية ثم يلجأون – بعد طول العناء – إلى التمني والأمل في وجود قاموس تاريخي يحقق لهم ضالتهم ويسد النقص الذي يعتري المعاجم العربية.

وعلى سبيل المثال قام الدكتور محمود حجازي بالتأريخ لكلمة (اسم) وذهب إلى أن عمرها يزيد على خمسة وأربعين قرناً، وإلى أنها من أصل ثنائي (٩)، كما عرض إلى كلمة (نَقَلَة) وهي من المادة العربية (نَقَلَ) التي تفيد النقل المادي ونقل الشيء من مكان إلى مكان وذهب إلى أن معناها تَطَوَّرَ إلى النقل المعنوي ونقل الفكرة من لغة إلى أخرى ورأى أن تاريخ هذه الدلالة لهذه الكلمة يعود إلى القرن الرابع الهجري (١٠). والدكتور حجازي هو الذي يرى أن دراسة حياة كل كلمة عمل علمي، وهو أحد الدعاة إلى إيجاد

قاموس تاريخي، وأحد الذين تأثروا كثيراً بأفكار المستشرق أوجست فيشر. وكذلك قام الدكتور شوقي ضيف بالتأريخ إلى كلمة (مقامات) (١١)، وفعل مثله د. محمد مصطفى هدارة في عرضه لكتاب الأسس الفنية للنقد الأدبي، حيث عُنِيَ فيه بتطور المفهوم اللغوي لكلمة (فن) (١٢). وهذا كله من شأنه أن يؤكد حاجة هؤلاء الدعاة إلى قاموس تاريخي لأنهم هم الذين شعروا بالمعاناة الحقيقية، وهم يبحثون في تراثنا فلم يجدوا ما يسعفهم لتحديد الفترة الزمنية التي وجدت فيها هذه الدلالة أو تلك.

موقف العقاد من القاموس التاريخي

وقد تفرد الأستاذ عباس محمود العقاد من بين الباحثين العرب برفض فكرة القاموس التاريخي، ورأى أن الدول الغربية في حاجة ماسة للمعاجم التاريخية، أما نحن العرب فلا نحتاج - على حد قوله - إلى التسلسل التاريخي في وضع معاجمنا الحديثة (١٣). ومما يُلْحَظ على مقولة العقاد أنه لم يعلل لموقفه الداعي إلى رفض فكرة القاموس التاريخي، ولم يوضح المسوغات التي تجعلنا نحن العرب في غنى عن مثل هذا القاموس، وتجعل الغرب في حاجة إليه.

القرآن الكريم وظاهرة التطور التاريخي لبعض المفردات اللغوية

لقد غاب عن هؤلاء الباحثين - وهم بصدد مناقشة حيثيات المعجم التاريخي - الالتفات إلى الظاهرة القرآنية التي تتصل مباشرة بمسألة التطور التاريخي للعديد من المفردات اللغوية، ومع إيماننا المطلق - أولاً وقبل كل شيء - بأن القرآن الكريم كتاب العقيدة الإسلامية كتاب الأحكام والعبادات والمعاملات وليس كتاباً في علم اللغة، أو الأدب، أو البلاغة، ولكنه نزل باللغة العربية متربعاً على عرش الفصاحة والبلاغة والبيان، ومع هذا كله يجد فيه الباحث اللغوي والبلاغي والأدبي ما يسعفه ويعينه على تأصيل النظريات اللغوية والبلاغية والأدبية وغيرها.

ومن هنا يمكن أن نسجل أن القرآن الكريم حمل بين دفتيه بأسلوب متميز ظاهرة التطور التاريخي للعديد من المفردات اللغوية، وهو بذلك يكون الكتاب الأول في تاريخ لغتنا العربية.

وهذه المفردات هي التي يطلق عليها في كتاب اللغة «الألفاظ الإسلامية»، وفي ذلك يقول السيوطي:

«فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والكافر والمنافق، وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والايمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط واوصافاً بها وسمّي المؤمن بالإطلاق مؤمناً. وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشيء، ثم جاء في الشارع من أوصافه ما جاء، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر، فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نافقاء (جحر) اليربوع، ولم يعرفوا في الفسق، إلا قولهم: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله تعالى. ومما جاء في الشرع: الصلاة، وأصله في لغتهم: الدعاء.. وكذلك الصيام أصله عندهم الإمساك.. وكذلك الحج لم يكن فيه عندهم: غير القصد، ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره.

«وهذه الألفاظ وغيرها مما تفيض بها كتب اللغة، لا تعدو أن تكون من قبيل نقل الدلالة من معنى إلى معنى، وهي بذلك تكون قد أخذت هذا المعنى، وهذا المفهوم الذي أقره الشارع، ويمكن أن يحدد تاريخ دلالتها الجديدة بفترة نزول القرآن الكريم» (١٤).

على أن هناك طائفة أخرى من المفردات تدخل في هذا الإطار وهي التي أطلق عليها علماء العربية لقب المولد(١٥)، وهي مجموعة من المفردات أحدثها المولدون من الشعراء وهي أصلاً ليست من كلام العرب، وإنما ولدت توليداً واستجدت على اللغة بعد عصور الاحتجاج. ويطول بنا المقام إذا أردنا أن نعدد هذه المفردات وغيرها، والذي يعنينا من هذا كله أن الالتفات - إلى الألفاظ الإسلامية، وإلى المولد وكذلك المصنوع من المفردات - أمر ضروري للباحث عندما يكون بصدد الحديث عن المعجمية التاريخية وليس من السهل المرور ببساطة ودون التوقف مليا عندها.

صعوبات أمام المعجم التاريخي

ومهما يكن، فإن هناك عقبات جمة - شعر بها كثير من الباحثين ممن عرضنا لمواقفهم السابقة - تحول دون إيجاد المعجم التاريخي ولا يمكن تجاوزها بسهولة، وهذه العقبات لا تقتصر على الجانب المادي وما يحتاجه هذا الإنجاز من وقت وجهد ومال. ومما يذكر بهذا الصدد أن معجم أكسفورد استغرق إنجازه سبعين عاماً، وضم أكثر من ثلاثة ملايين ونصف المليون شاهد لغوي، وشارك في فرز مواده اللغوية من مظانها ومصادرها ألف وثلاثمائة قارىء، وخصص ثلاثون دارساً لترتيب المادة اللغوية (١٦).

هذا إلى جانب العديد من العقبات الفنية التي تعترض طريق هذا المعجم المقترح، بعضها يتصل بطبيعة اللغة العربية التي امتدت على رقعة واسعة من الأرض وعاشت عصوراً طويلة متعاقبة، وبعضها يتصل بطرق رواية اللغة وتعدد اللهجات وضياع عدد كبير من آثارها وبقاء جزء كبير من تراث العربية في صورة مخطوطات موزعة في شتى مكتبات العالم، ويتعذر جمعها ونشرها.

والذي نراه إزاء هذه العقبات الجمة أن يُكْتَفَى بالتأريخ لبعض المفردات التي يرى الباحثون ضرورة التأريخ لها، وهي التي لها صلة وثيقة بالفكر أو الفن، أو العلوم، أو الطب، أو الفلسفة، أو اللغة، أو المعرب، أو الدخيل، إذ ليس هناك من قيمة كبيرة في التأريخ إلى كلمة مثل: ذهب - وقف - أكل - قياساً إلى التأريخ إلى كلمة: أدب - فن - مقامة - قافية - قاموس - معجم - مؤامرة، وغيرها من كلمات تعد من صميم التراث وركائز الحضارة.. وقد يكون ذلك خيراً من قاموس كامل يؤرخ فيه لجميع المفردات، وقد يكون من الترف العلمي أن نُقدم على صناعته في وقت تشتد الحاجة فيه إلى سد العديد من الثغرات في المعجمية العربية، وما أشد الحاجة إلى معجم عصري حديث يحظى بالقبول لدى قراء العربية ويكون ملاذهم عند قراءة النصوص□

الهوامش:

(*) أوجست فيشر، مستشرق ألماني اهتم بدراسة فقه العربية، والمعاجم، وله مؤلفات عديدة، انتخب عضواً في المجمع العلمي بدمشق، والمجمع اللغوي في القاهرة. (نجيب عقيقي، المستشرقون، ص٧٧٠).

(**) دوزي، مستشرق هولندي له اهتمامات بالساميات وتاريخ الأندلس وآدابه، وأصل الكلمة العربية، والألفاظ الدخيلة (المرجع السابق، ص٦٥٩).

(١) علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص٢٩٠، ٢٩٥.

(٢) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج١، ص ٢٩٢.

(٣) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص٥١.

(٤) حسن عون، اللغة والنحو، دراسات تاريخية وتحليلية مقارنة.

(٥) حسين نصار، ص٩٩، المعجم العربي، نشأته وتطوره، ج٢، ص٧٧٣.

(٦) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص٣٣٣.

(٧) علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص٢٨٨ (مرجع سابق).

(٨) محمود حجازي، علم اللغة العربية، ص٤٠.

(٩) نفسه، ص٣١٠.

(١٠) نفسه الموضع السابق.

(١١) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، ص٢٤٧.

(١٢) محمد مصطفى هدارة، مقالات في النقد الأدبي، ص١٩٨.

(١٣) عباس محمود العقاد، بحوث في اللغة والأدب، ص٢٨.

(١٤) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وآدابها، ج١، ص٢٩٥.

(١٥) نفسه، ج١، ص٣٠٤.

(١٦) عفيف عبد الرحمن، من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، ص٣٥، (مقال في مجلة المجمع

عبرة مسجد

(من مسجد خسروبيك في سرايبفو إلى مسلمي العالم)

شعر: عبد الرحمن البجاوي

وحـدي وليـلُ الأسى في الـدار يضْطرمُ — والبـوم ينعَبُ، والغـربـانُ، والـرخَمُ
ولا تلـوحُ سـوى الجرذان عـابثـةً — والقط نشـوانُ حيث اللحم والـدّسمُ
وقصتي تثقبُ الأسماعَ مـرعـدةً — والعـالم الحر، قـد أزرى بـه الصّممُ!!

* * *

مـرتْ قـرونٌ ثـلاثٌ لا تبـددنـا — أهـواءُ عـاصفـة كـالسيل تقتحمُ
يسعى إليّ عبـاد اللـه ، رائدهـم — النـور، والطهـرُ، والإحسـانُ، والكـرمُ
يتلـون حقًـا كتاب اللـه، سـاجـدةً — أضـلاعُهم، ويـروعُ النفْس ذكـرهمو
صيـامهم، حجّهم للـه، طـائفـةٌ — أرواحُهم حـول بيت اللـه تستلم
يـؤمّهم من بنـي الإسـلام (معتضـدٌ) — ويحفظ الـدار والأعـراض (معتصمُ)

* * *

في (آل عثمان) عشنـا، لا يكـدّرنـا — مـا كـدر الأهل إذ طـاحتْ بهم (إرمُ)
وكم دهتنـا صروفُ الـدهـر غـاشيـةً — بـاسْم الصليب فأودى الغـابُ والأكمُ
واسـودت الأرض من الجاد شرذمـة — دستـورهـا السحلُ والتنكيلُ والضرمُ
وقيض اللـه أن تهوي دعـائمهـا — وضلّ من سـاد في أعماقهم عـدمُ

* * *

واليـوم تبكي منـاراتي، ولا أحـدٌ — وخيّم الظلمُ، واستشرتْ بـه الظلَمُ
في كل زاويـة آهـاتُ ضـائعـة — تبتلتْ ؛ فسبـاهـا فـاجـرٌ نهمُ
الموتُ رافضـةٌ ، والقهـرُ راكعـةٌ — ووزرهـا قـولُ : لا ، لا قـولها : نعمُ
وكم تمادى ذئابُ الليل فـامتشقـوا — سـلاحهم، وثغـاءُ الشـاة يُكتتمُ

* * *

وفي المحـاريب آيـاتٌ مبعثـرةٌ — تشكـو، وفي شفتيهـا حشرجٌ ودمُ

---

(١) لقب الصرب

أصحابُها انفطرت أضلاعهم جزعًا   والحوتُ يبلعُ، والثعبانُ يلتهمُ
وكلُّ سارية أمٌّ مضرجةٌ   تعاورتها كلابٌ ساقها أرثمُ
وحولها جثثُ الأطفال، نازفةً   وأي قبر تداعى حوله الرممُ؟!

* * *

والعلج يلهو بأطراف مسبّحة   شُلت يداه، ولا تسعى به قدمُ
يسائل العظم : هل تحيا فتخبرنا   بما فعلنا؟! وهل نشقى كما زعموا؟
وارحمتا لعيون راح يفقؤها   وللجماجم بالأوحال ترتطمُ!!
تقول : وا أسفا مما يجللنا   وما أتى مثله في الدهر منتقمُ

* * *

والمنبر ارتعدت أعواده فرقًا   إذ مات فوق ذراه الحاذقُ الفهمُ
قد كان يوقظ أهل الدار إن نزلتْ   بهم نوازلُ، حتى يكسَر الصنمُ
ويجمع الشمل في الأعياد باسمةً   وينشرُ الخير إذ تهمي به الدِّيَمُ

* * *

أواه، يا لبقايا مئذنات هدى   ترنو بطرف كليل، دمعُه سجمُ
كانتْ تدوّي بذكر الحق شاهدةً   أن الفَلاح لمن دامتْ لهم رحمُ
والله أكبر في الآذان ناطقةٌ   إن الأذانَ به الأرواح تنتظمُ
حروفُه من سنا القرآن مشرقةٌ   يزكو بنبرتها عبْر الدّيار فمُ
فهل يعود (بلالٌ) الفجر يرفعها   وشرع (أحمد) في (البلقان) يلتئمُ؟!
وهل تضيء قباب الطهر في زمن   سار (التّشتُك) (١) به فاستأسد الغنَمُ

* * *

لا هُمّ أشكو إليك اليوم مظلمتي   وأنت ربّاه نعم العدلُ والحكَمُ!!
تدعو (سراييفو) رحماك من فتن   عم المساجدَ منها العار والألمُ
بالأمس قد باد في (غرناطةٍ) أثرٌ   واليوم مسرى (رسول الله) ينهدمُ!!
والدمع غاصَ فهل في الحي مستمعٌ   يطهّر الأرضَ من أوغاد اختصموا
رسالتي احترقتْ يا أمةً سبقتْ   عصر النجوم، وشمس العلم تنفطمُ
مهما شقيت فلي في خالقي أملٌ   يحيا، متى اتقدت في أمتي الهممُ

نشرت الـ(هيرالد تريبيون) المقال التالي تعليقا على مجريات الأمور في البوسنة وتصاعد حمى التصفية العرقية ضد المسلمين، محاولة تحديد أوجه المسؤولية الدولية فيما يجري، ولقد ارتأت (الوعي الإسلامي) ترجمة المقال لإفادة القاريء العربي، فنحن نحتاج إلى فهم المنهجية الإعلامية الغربية في التعاطي الموضوعي مع حدث ضخم بحجم مذبحة البوسنة والهرسك..

البوسنة

ضحية الحسابات غير المنسجمة مع الواقع

أوضحت الأحداث التي وقعت مؤخرا العبثية التي اتسمت بها السياسة الغربية في جمهورية يوغوسلافيا السابقة. فالغارات الجوية التي شنها حلف الأطلسي كرد انتقامي على الاعتداءات الصربية على مدينة بيهاتش المحاصرة، وضد مواقع الصواريخ التي تطلق على طائرات الناتو، إنما جاءت بناء على طلب الأمم المتحدة، وقد خطط لها بدقة كي تحدث الحد الأدنى من الأضرار، ولقد كانت بمثابة

■ رسائل عبثية.. مصدرها سياسات عقيمـــة

«إشارات» أو رسالة إلى الصرب.

ووصف المتحدث الرسمي باسم قوات الحماية التابعة للأمم المتحدة في سراييفو غارة الأسبوع الماضي على أنها «ليست عقابية، وإنما وقائية». ولكن كيف كان تأثيرها الوقائي؟ وماذا قالت تلك الرسالة بالفعل؟

إنه إذا ما استمرت القوات الصربية في انتهاك الوضع في بيهاتش التي تعد من «الملاذات الآمنة»، وانتهاك منطقة الحظر الجوي، فإن حلف الناتو سيرد بشدة على ذلك؛ إلا أنه حتى وقت متأخر كانت القوات الصربية التي تهاجم بيهاتش في تحد لوضعها كمنطقة أعلنتها الأمم المتحدة «كملاذ آمن»، مستمرة في عملياتها، من غير أن يمنعها حلف الأطلسي أو قوات الحماية التابعة للأمم المتحدة من ذلك.

وهناك الفرقة البنغلادشية التي تشكل جزءا من هذه القوات، وهي معدة إعدادا ضعيفا، وقد أصبحت الآن محاصرة في بيهاتش، كما أن الوحدات الأخرى أصبحت الآن رهينة في يد صرب البوسنة.

إنقاذ ما يمكن إنقاذه

وكان الجنرال مايكل روز قائد قوات الأمم المتحدة قد قدم الرسالة الحقيقية بقوله: إنه ما زال متفائلا حول إمكانية



إنقاذ ما وصفه بـ«عملية السلام».

وطالما أن قوات الحماية التابعة للأمم المتحدة تتمركز في وسط القوات الصربية أو بالقرب منها، فإنها تعد رهينة في أيديهم، وبالتالي فإن الأمم المتحدة والحكومات الأوروبية الرئيسية الأعضاء في الناتو تقوم بتنشيط أية خطوة يقوم بها الحلف، وقد تؤدي إلى استفزاز الصرب وجعلهم يلجأون إلى أعمال انتقامية ضد هذه القوات أو ضد وكالات الإغاثة الإنسانية.

وبعد الدروس المستقاة من سياسة «بعث الرسائل» إلى العدو في فيتنام ـ أي من خلال عمليات القصف المحدودة الرامية إلى تغيير سلوك العدو بواسطة التهديد بتصعيد أعمال العنف في المرة المقبلة ـ كما نظن أن هذا التعبير قد سحب من القاموس العسكري.

فهذه الرسائل لم تحدث الأثر المفترض منها إلا في تلك الحالات التي كان فيها الالتزام بالقرار مناسباً للاستراتيجية التي وضعها الشيوعيون الفيتناميون، ولقد كانت لهم، كما هو الحال بالنسبة لصرب البوسنة وكرايينا الآن، استراتيجية ثابتة وتكتيكات مرنة، واحتقار ثابت لخصمهم (في البوسنة الأمم المتحدة)، الذي يصاب بالحيرة من الطريقة التي يخوضون بها حربهم من دون أن تكون لديه الشجاعة على خوضها بطريقتهم.

النار على الأرض وليس على «الناتو»!

وكانت الرسالة التي بعثت للصرب هي: «لا تأخذوا كلامنا مأخذ الجد»، وتلك التي صحبت الغارة على مواقع الصواريخ هي: «اطلقوا النار على الآخرين، ولكن ليس على قوات حلف الناتو».

والرسالة الموجهة إلى الرأي العام في البلدان الغربية هي: «انظروا كم هو قوي ومنضبط حلف الناتو، وأن الأمم المتحدة يمكنها أن تكون كذلك، وأن ثمة خطوات ستتخذ فيما يتعلق ببيهاتش وسراييفو والحرب. وما هي الا أشهر قليلة وستنجح عملية السلام.. إلخ».

والإشارة المبعوثة إلى الحكومة البوسنية التي يبدو أنها ما زالت لديها بعض الأوهام حول إمكانية تدخل الأمريكيين لصالح البوسنة، يمكن أن تقرأ كالآتي: «انسوا الغرب».



■أقصى أمنية لأمريكا هي تفادي التواطؤ مع العجز

وتأتي كل هذه الأمور كنتيجة للتصرفات الأوروبية والأمريكية المتضاربة تجاه الحرب، وللسياسات المتناقضة لهذه الأطراف فالهدف الأساسي للسياسة الأوروبية ـ وبوجه خاص سياسة فرنسا وبريطانيا وهما المساهمتان الرئيسيتان في قوات الأمم المتحدة ـ ظل يتركز في حماية جنود قوات الأمم المتحدة والعاملين في وكالات الإغاثة الإنسانية، والدول الأوروبية قد تختلف حول إلى أي مدى يمكن لحلف الناتو أن يستخدم قوته في الدفاع عن قوات المنظمة الدولية، إلا أنها تتفق في أن هذا الأمر يمثل أولوية بالنسبة لها.

أوروبا وأمريكا والآمال المتلاشية

والأوروبيون بكل تأييد لم يبدأوا هكذا، فالحكومات التي أرسلت قوات كانت مدفوعة بالطموح النبيل إلى القيام بعمل ما تجاه ضحايا الحرب آملين التوسط في التوصل إلى تسوية، وهو الأمل الذي تلاشى.

والسياسة الأمريكية الحالية تقوم الآن على التأني بنفسها عن السياسة الأوروبية وذلك حتى تتفادى التواطؤ مع العجز في مساعدة ضحايا العدوان غير أن واشنطن نفسها لا تنوي القيام بأي شيء تجاه هؤلاء الضحايا قد يؤدي إلى كلفة عالية بالنسبة للولايات المتحدة، أو يؤدي إلى إزعاج الرأي العام الأمريكي الذي أثبت في الانتخابات التي أجريت هذا الشهر عدم رغبته في رؤية القوات الأمريكية تتدخل في مهمات خارجية.

كما أن زعماء الكونغرس الجمهوريين الجدد كانوا يقومون بدور حماية الحق عندما كانوا في المعارضة، حيث ظلوا يهاجمون إدارة الرئيس كلينتون لفشلها في إنقاذ البوسنة، أما الآن فإن مسودة المقترحات الخاصة بمساعدة الولايات المتحدة للبوسنة، التي الح الكونغرس على إدارة الرئيس كلينتون بتقديمها إلى الكونغرس خلال هذا الشهر، لم تجد بعد أن رفعت الآن بالفعل، لم تجد أية استجابة من أولئك الذين صوتوا لتقديمها.

ترجمـــــات

العلم بين تعاليم الإسلام وواقع المسلمين

والنائب نيويت غينغريتش الذي يتوقع أن يصبح رئيسا لمجلس النواب يقول عن الخطط الخاصة بتسليح وتدريب الجيش البوسني: «بكل صراحة، لا أستطيع أن أتصور كيف يمكننا أن نتدخل ونقدم تلك المبالغ من المال. فالبوسنة بصورة عامة إنما هي مشكلة أوروبية».

المعونات الإنسانية. هل هي البديل؟

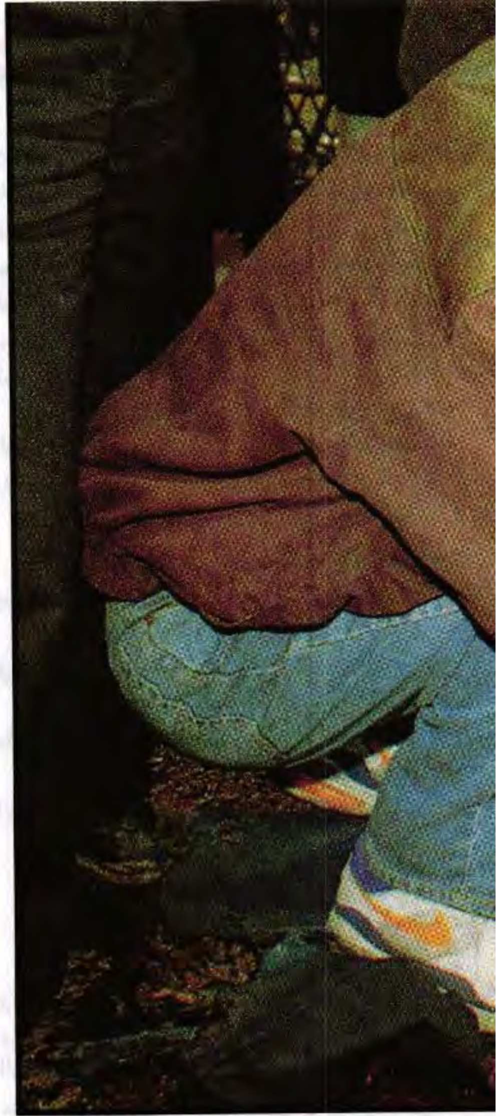
ولقد ظل التدخل لتقديم المعونات الإنسانية يمثل بالنسبة لأوروبا بديلا عن أي سياسة أو استراتيجية تهدف إلى معاقبة المعتدي والدفاع عن أحكام القانون الدولي. ويجب الإقرار الآن بأن هذا يعد خطأ فادحا كانت له عواقب وخيمة على مواطني يوغوسلافيا، كما أدى إلى شلل مواطني الدول الأوروبية، والتحالف الغربي.

والأوروبيون عن طريق استبدال الموقف السايسي بالمعونات الإنسانية وضعوا أنفسهم تحت سلطة المعتدين، وعليهم الآن أن يدركوا أنهم أصبحوا في وضع يمكن أن يتهموا فيه باتباعهم شكلا من أشكال التعاون الإيجابي مع العدوان ولا أحد يجب قول هذه العبارة.. إلا أن الأمر كذلك بالفعل.

ويجب علينا أن ندرك بأن هناك خطرا كامنا في كافة العمليات الإنسانية من هذا النوع، إلا وهو أن الجهة التي تقدم المساعدة قد تتحول ضمنا إلى طرف متواطىء في الجرائم التي أثارت الأزمة. وهذا الأمر يصح في حالتي رواناد وزائير كما يصح أيضا في حالة البوسنة وعليه يجب عدم تكرار الخطأ مرة أخرى□

ماذا عن حقوق الإنسان الدينية في العالم

المقال التالي تم نشره في الـ(كريستاين ساينس مونيتور) ويعالج ظاهرة تكاد تتكرر خلال التاريخ، وهو اضطهاد الجماعات المتدينة، فكيف ترى الصحيفة هذه المسألة وماذا تقترح لها من حلول؟ و(الوعي الاسلامي) تنشر الترجمة دون تبني وجهة نظر المقال، تاركة للقاريء الكريم المقارنة بين المفهوم المطروح والمفهوم الاسلامي في تكريم الانسان وحرية معتقده.



■يتعين على التقاليد الدينية ، صياغة مفهوم لحقوق الإنسان بشكل أفضل من العلمانيين

التطهير العرقي للمسلمين في البوسنة والصدامات بين السيخ والهندوس في الهند، والنزاع المرير بين الكاثوليك والبروتستانت في شمال إيرلندا، وحظر السماح للمسلمين بإقامة مساجدهم ولليهود بإقامة جوامعهم في بعض مناطق الولايات المتحدة هي بعض مظاهر المخالفات ضد حقوق الإنسان الدينية.

والحقيقة أن ممارسي الشعائر الدينية في كل مكان بالعالم يتعرضون للقتل والذبح والتعذيب والتهجير وكبت الحريات لا لسبب سوى معتقداتهم الدينية.

ومع أن مخالفات الحقوق الدينية حدثت في مختلف العصور، فإن بعض المراقبين يقولون إنها بلغت أبعادا جديدة لا سابقة لها في عالم اليوم، وذلك بالرغم من تهاوي العديد من الأنظمة المتسلطة التي تضطهد أصحاب المعتقدات الدينية خلال العقد الماضي. وفي الوقت نفسه، ثمة إدراك يتسع باستمرار في أوساط المتدينين بأن الحقوق الدينية لا تؤخذ بشكل جاد من قبل المجتمع الدولي.

ويقول جون ديت، مدير قسم القانون والدين في جمعية «ايموري» بولاية اتلانتا الأميركية، والعضو المنظم الثاني في المؤتمر الذي انعقد مؤخراً حول حقوق الإنسان الدينية، والذي استقطب رجال الدين وساسة وأكاديميين من مختلف الأديان، يقول: إن ثورة حقوق الإنسان أهملت كل ما يتعلق بالحقوق الدينية.

ويقول جيمس وود مدير معهد داوسون للدراسات الدينية في جامعة بيلور بولاية تكساس في كلمة له أمام المؤتمر: إن هذه الحقوق جزء مكمل لحقوق الإنسان الأخرى بسبب تأصلها العميق في طبيعة وقدسية النفس البشرية. إنها تتضمن الحق الموروث للإنسان في ممارسة أو عدم ممارسة شعائره الدينية في السر أو العلن، وحسبما يمليه عليه ضميره أو فهمه أو خياراته، وكذلك الحق في نشر الإنسان لدينه أو التعاون مع آخرين من نفس الانتماء الديني، والحق في تغيير ذلك الانتماء دونما عرقلة أو تمييز أو إزعاج، لكن لماذا يتم تجاوز الحقوق الدينية في الوقت الذي يعتبر فيه الدين ضروريا لعدد كبير من البشر؟

صعوبات سببها القناعات

البروفسور ويت يقدم عدة أسباب ويقول إن الدين شأن خاص، ولذلك فإن تناوله من منظار الحقوق والقانون يعد بمثابة مخالفة للمنطق الديني. ثم إن ممارسي الديانات المختلفة لا يستطيعون الاتفاق عادة على ماهية الحقوق التي يتوجب احترامها. مثال ذلك أن عددا كبيرا من أتباع الدين المسيحي يؤمنون بحق الهداية إلى الدين بينما يحرم اليهود ذلك الحق. ويقول ويت: بوسعنا الاستشهاد بالمثال تلو المثال حول حقوق لمجموعات دينية غدت مثارا للنزاعات، فلماذا نقحم كل ذلك في مجال حقوق الإنسان بشكل عام. ثم إن المجموعات الدينية وقفت حتى سنوات قليلة خلت موقفا فكريا ضيقا من قضية الحقوق الدينية.

ويضيف ويت بالقول إنها ـ أي المجموعات الدينية ـ تهتم بحماية اتباعها، لكن فكرة أن نطور قواعد واسعة للحرية الدينية، قواعد نعامل بموجبها الجميع كما نحب أن نتعامل نحن على أساسها، ثم استدراكها منذ فترة غير بعيدة فقط.

إن صعوبة تطوير قاعدة واضحة للجميع اتضحت في الجلسة الختامية للمؤتمر، عندما تم توزيع مسودة نموذج لقانون حول الحرية الدينية، استغرق من الأفراد الذين ألفوه فترة خمسة عشر عاما.

في مقدمتها تقول المسودة إنها تقدم أنموذجا تشريعيا حول الحرية الدينية يرتكز إلى مقاييس حقوق الإنسان العالمية، والنتائج التي توصل إليها الخبير الخاص للأمم المتحدة حول التعصب الديني. لكن الأنموذج تعرض لانتقادات حادة وبشكل خاص من قبل ممثل مسلم من جنوب أفريقيا شعر أنه ـ أي الأنموذج ـ أميل إلى الغرب ولا يمثل ديانته المسلمة.

ومما قاله ويت أيضاً: كلما اتسع تحديد مفهوم الديانة، انفتح الباب أمام قضايا مختلفة بشكل عميق. وذلك يشعرني بمدى صعوبة جمع المصادر من أي طرف لمعالجة تلك المشاكل. ومن المستحيل علينا أن نصوغ بلغة إنسانية، آلية تحدد تلك المظاهر الواسعة جدا لمخالفات الحقوق الدينية.

ونحن في الوقت نفسه نقول إننا قمنا في هذا المؤتمر ببلورة مفهوم ضروري بطريقة لم نكن لنتخيلها. لقد عبر كل مشارك عن الحاجة إلى حوارات أكاديمية ومنظمة عن الحقوق الدينية.

إن تلك التقاليد الدينية التي ستشكل جزءا من الحوار حول حقوق الإنسان، سيتعين عليها صياغة مفهوم للحقوق يدفع في اتجاه العوامل التي نحبها في المجتمع الديمقراطي، وأن تفعل ذلك بشكل أفضل من العلمانيين. ذلك ما قاله ديفيد نوفاك، أستاذ العلوم اليهودية في جامعة فيرجينيا الأميركية، الذي ختم حديثه بالقول: ولذلك فإن من الضروري حدوث مبادلات وحوارات، ومن الضروري أيضاً أن يفهم الناس طبيعة المشكلة على حقيقتها ■

احترام الحرية الشخصية لأسرى الحروب

الأسرى الكويتيون نموذج تطبيقي

عرض وتقديم: صلاح حسين محمد شهاب الدين*

الكتاب: يقع في ست وثمانين صفحة من القطع الصغير، وهو مكون من مقدمة وفصلين، تناول الكاتب في مقدمة كتابه: بيان معنى الحرية، والتي سوف نذكرها بالتفصيل عند بداية العرض، ثم تناول الكاتب في الفصل الأول من كتابه بيان «الأحكام العامة لأسرى الحروب»، موضحاً ذلك بالأدلة المختلفة من الشرائع السماوية «اليهودية – النصرانية – الإسلام»، والقانون الدولي العام، ثم تناول في الفصل الثاني مدى انطباق هذه الأحكام على الأسرى الكويتيين. وهذا كله سوف نفصله في عرضنا للكتاب بإذن الله تعالى، بعد أن نذكر الهدف من الكتاب.

يهدف الكتاب إلى:

* كشف جرائم النظام العراقي ضد الأسرى الكويتيين. فهو يثبت بالنصوص الدينية والقانونية والوثائق والمستندات، عدم أحقية العراق في احتجاز أية أسرى كويتيين.

لهذه الأسباب:

(١) فإن النظام العراقي:

– خالف الشريعة الإسلامية ببدئه اقتتالاً مع دولة إسلامية.

– ارتكب جرائم حرب عديدة، منها:

* الاعتداء على المدنيين العزل من السلاح، واحتجازهم كأسرى حرب، أو رهائن بدون مسوغ.

* مخالفته أحكام اتفاقية «جنيف» بشأن معاملة الأسرى.

* الإرهاب الدولي الذي مارسه النظام العراقي ضد المدنيين الكويتيين، وضد الرعايا الأجانب الموجودين في الكويت.

«بداية العرض»

الحرية تعني: الخلو من القيد. واستقلال الإرادة

بعد أن بينت لك أخي القارىء في السطور السابقة التعريف بالمؤلف، وبكتابه، والهدف منه، هيا بنا لنقلب صفحات هذا الكتاب ورقة ورقة، ونغوص في أعماق كاتبه، لنشاهد عن قرب مدى حب الكاتب لإسلامه، وللمسلمين، الأمر الذي دعاه ينادي ويأمل في أن تتضافر كافة الجهود العربية والدولية مع الجهود الكويتية – الرسمية والشعبية – للإفراج عن الأسرى الكويتيين، الذين ليس لهم ذنب في أن يكونوا «ورقة سياسية»، يلعب بها النظام العراقي، ليحقق أهدافه السياسية.

وعندما أخذت في تقليب الصفحات، نظرت في الصفحة الثالثة من الكتاب، فوجدت حب الكاتب للبلد العربي الشقيق، ولشعبها المناضل العريق، فلهذا أهدى الكاتب كتابه إلى الكويت وشعبها.

ماذا تعني الحرية؟

احترام الحرية الشخصية للإنسان. ضرورة

أوضح الكاتب في مقدمة كتابه معنى الحرية. فقال: «الحرية هي أثمن شيء في الحياة. وهي تعني الخلو من القيد، واستقلال الإرادة. فالحرية تعني انعدام العوائق أمام ممارسة الشخص لحياته، وهي أيضاً نماء للكرامة. فالحرية بعبارة أخرى هي ذلك الحق الذي لا يتقادم، ويعطي كل إنسان القدرة في أن يعمل، أو يمتنع عن العمل وفقاً لإرادته هو، لا وفقاً لإرادة أخرى. كما يخول هذا الحق للإنسان القدرة على استخدام كفاياته في صنع ما يراه نافعاً أو ممتعاً له، وأن يفكر ويعلن تفكيره، وأن يستمتع بكل ما لا يحرمه القانون». وبعد أن وضح الكاتب معنى الحرية، ذكر أن القوانين الوضعية وإن كانت تحرص على احترام الحرية الشخصية للإنسان، إلا أن هذا الحرص – على حد قوله إن صح التعبير – «اقتباس بسيط ومحدود، لما قررته الشرائع السماوية في هذا الشأن».

حيث جاءت في الشرائع السماوية أدلة كثيرة، تؤكد على احترام الحرية الشخصية للإنسان. كما ذكر الكاتب أن القانون الدولي العام يتفق مع الشرائع السماوية في تقرير مبادىء أو أحكام عامة، تكفل احترام الحرية الشخصية لأسرى الحروب، ولا تسمح بالمساس بها إلا في أضيق نطاق، ولضرورة قصوى.

وذكر الكاتب أربعة أحكام من أبرزها الأحكام التي تكفل احترام الحرية الشخصية للأسرى وهي:

١) عدم جواز الأسر إلا في حرب دفاعية.

٢) تقرير حقوق للأسير تحفظ كرامته بوصفه إنساناً.

٣) الانحياز نحو استرداد الأسير لحريته في أسرع وقت ممكن.

٤) عدم جواز الأسر إذا كان القتال بين طائفتين من المسلمين.

وهذا الحكم اختصت به الشريعة الإسلامية دون غيرها، وهو حكم متميز.

الفصل الأول

تناول الكاتب هذه الأحكام بالشرح والتحليل في الفصل الأول من كتابه، وقد وضح من خلال هذه الأحكام مدى حرص الشرائع السماوية، والقوانين الوضعية على حماية الأسير، والميل نحو احترام حريته الشخصية، وألا يكون ثمة مساس بهذه الحرية، إلا بالقدر اللازم لاحتجاز الأسير، والتحفظ عليه. إلى أن يسترد حريته في أقرب فرصة ممكنة، كما بيّن أن الإسلام لايقر الحرب بين طا ئفتين من المسلمين، الأمر الذي لا يمكن معه احتجاز أسرى طائفة تحت يد الطائفة الأخرى، لأن ما بُني على باطل، فهو باطل أيضاً.

وهذا يؤكده ويؤيده ما جاء في السُنّة النبوية المطهرة. ففي الحديث الذي روي عن عائشة رضي الله عنها – أنها قالت: «لما قسّمَ رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السبي لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم لـه» إلى آخر الحديث. والحديث رواه أحمد، واحتج به في رواية محمد بن الحكم.

والشاهد من ا لحديث أن النبي ﷺ تزوج من هذه الأسيرة، الأمر الذي نتج عنه فك أسر عشيرتها «وهم لم يسلموا بعد»، فمن باب أولى لا يصح احتجاز أية أسرى متى كان القتال بين طائفتين من المسلمين بحسب الأصل. كما بيّن الكاتب أنه لا يجوز الأسر إلا في الحروب الدفاعية، وتستهدف الحروب الدفاعية، الدفاع عن حقوق أو مصالح الدول المتحاربة. لذلك فرّق الكاتب بين الحروب المشروعة، والحروب غير المشروعة، وهذا

*مدرس بالأزهر

الفرق قال عنه بأنه موجود في الشرائع السماوية، والقانون الدولي العام، وقال عن الحرب في الإسلام: إن الحرب في الإسلام تكون مشروعة في حالتين:

أ- الدفاع عن النفس، وعن الدعوة الإسلامية.

ب- الإغاثة الواجبة لأمة إسلامية، أو لحليف غير قادر على الدفاع عن نفسه.

ومن ثم، لابد أن تتغاير الآثار التي تترتب على نوعي الحرب المشار إليهما. ولقد فطن فقهاء الشريعة الإسلامية إلى ذلك، فقرروا عدم ترتيب آثار الحرب المشروعة على الحرب غير المشروعة، ومن ذلك عدم جواز احتجاز أسرى من أبناء الدولة المعتدى عليها، مع مراعاة الفرض أنها دولة غير إسلامية. كما يتفق القانون الدولي العام مع الشرائع السماوية في التفرقة بين الحرب المشروعة، والحرب غير المشروعة، وذهب الكاتب مع فقهاء هذا القانون إلى تأكيد مبدأ أن الجماعة الدولية يتعين عليها أن تقف ضد الدولة المعتدية، الأمر الذي يجرد المعتدي من حقوق المحارب، في وقت الحرب.

كما أنه ليس حسبما - نرى - للدولة المعتدية من باب أولى أن تحتجز لديها أسرى من رعايا الدولة المعتدى عليها. لأن القول بغير ذلك يصطدم مع القاعدة القانونية التي تقرر عدم جواز استفادة الشخص المخطىء من خطئه. إذ كيف تكون الدولة معتدية، ثم يسمح لها بذات الحقوق المقررة للدولة المعتدى عليها، فلا يعقل أن يكون للجاني ذات. حقوق المجني عليه!!!

الفصل الثاني

الأسرى الكويتيون . نموذج تطبيقي

والتساؤل الذي برز لنا من خلال عرضنا للفصل الأول، يطرح نفسه ويقول: هل هذه الأحكام المتقدمة احترمتها دولة العراق . أو بالأدق النظام العراقي . بشأن الأسرى الكويتيين؟

هذا التساؤل أجاب عنه الكاتب في الفصل الثاني من كتابه. فقال: إذا حاولنا أن نطبق المبادىء المتقدمة - السابق عرضها في الفصل الأول - على الأسرى الكويتيين، يتضح الآتي:

١) من غير الجائز شرعاً للعراق أن يحتجز أسرى.

فالإسلام لا يقر الحرب بين طائفتين من المسلمين، والعراق والكويت بلدان إسلاميان.

٢) لا يجوز للعراق البادىء بالعدوان أن يحتفظ بأسرى كويتيين.

لأن ما قام به العراق حرب غير مشروعة، لأنها لم تكن حرباً دفاعية، وإنما كانت هجومية، وبالتالي لا يجوز للعراق أن يحتجز أسرى، لأن المخطىء لايستفيد من خطئه.

٣) انتهك العراق القواعد القانونية وتعاليم الشرائع السماوية المتعلقة بمعاملة الأسرى. لأن الشرائع السماوية والقوانين الوضعية تنحاز إلى جانب الأسير، فتكفل له احترام حريته الشخصية، وعدم المساس بها.

ولكن العراق - أو بالأدق النظام العراقي - تجاوز ذلك، وانتهك الأحكام السماوية، والقواعد القانونية المتعلقة بمعاملة الأسرى، وذكر الكاتب العديد من صور الانتهاك التي ارتكبها النظام العراقي نحو المدنيين العزّل من السلاح، واحتجازهم كأسرى، أو كرهائن بدون مسوغ:

وعلى سبيل المثال - لا الحصر - نذكر ما يلي:

كتب الأستاذ سمير رجب - الصحفي والكاتب المصري المعروف - قائلاً: «لقد كان صدام حسين يقول ذلك بينما قواته الغازية تجبر المواطنين والمقيمين في الكويت على الرحيل . حدث ذلك منذ أول يوم للغزو . حينما تعرض سكان مدينتي الجهراء، والصليبيخات لبطش وتنكيل الجنود العراقيين . مما اضطرهم إلى الهجرة نحو الحدود السعودية . بما فيهم سيدات يرتدين قمصان النوم، ويحملن أطفالهن الصغار.

٤) العراق لم يلتزم بالأحكام الخاصة بانتهاء الأسر.

وهنا يقول المؤلف: «إن انتهاء الأسر في الشريعة الإسلامية. يتم فور انتهاء الحرب، حيث يكون لولي الأمر الخيار بين أمرين: المن أو الفداء».

أما في القانون الدولي العام، فقد وضعت اتفاقية «جنيف» - بشأن معاملة الأسرى - قاعدة عامة يرد عليها استثناء، فالقاعدة العامة تقرر: «ضرورة الإفراج عن الأسرى وإعادتهم إلى الوطن عند انتهاء الأعمال العدائية». أما الاستثناء، فينصرف إلى: «ضرورة إعادة الأسرى المرضى والجرحى، ومن في حكمهم، قبل انتهاء الأعمال العدائية».

ومن استطلع ما فعلته السلطات العراقية بشأن الإفراج عن الأسرى يلاحظ عدم التزام السلطات العراقية بهذه الأحكام المتقدمة التزاماً كاملاً. ويشهد بذلك شاهد من نفس دولة العراق ذكره الكاتب دون ذكر اسمه، وهو رئيس وفد ما يسمى بالمجلس الوطني العراقي.

٥) ارتكب النظام العراقي جرائم دولية بشأن الأسرى، ومن في حكمهم.

ومن أمثلة هذه الجرائم ما يلي:

أ) القبض على عدد من المدنيين الكويتيين دون مبرر للقبض.

ب) أضف إلى ذلك أن النظام العراقي ارتكب جرائم إرهاب دولي ضد المدنيين الكويتيين، وضد الرعايا الأجانب الموجودين في الكويت. ومن أمثلة جرائم النظام العراقي ضد المدنيين العزل من السلاح: «فقء العيون، ونشر أطراف الأحياء بالمناشير، واغتصاب العجائز، وثقب جماجم الأطفال بالرصاص، ونقع الأحياء في أحواض الأحماض الكاوية».

ثم يختتم الكاتب هذا الفصل بقوله:

«ولا مراء في أن ارتكاب هذه الجرائم يستأهل محاكمة المسؤولين عنها في النظام العراقي.

ويذكر الجهود المبذولة من قبل المسؤولين في دولة الكويت، وعلى رأسهم أمير الكويت الشيخ / جابر الأحمد الصباح - حفظه الله ورعاه. وأيضاً الشيخ سعد العبدالله الصباح ولي العهد رئيس مجلس الوزراء. كما يذكر الجهود الشعبية والتي ترجمت إلى جمعيات، وصناديق للتكافل من أجل رعاية أسر الشهداء والأسرى. ويقول في الختام: نأمل أن تنجح هذه الجهود - جميعها - في استرداد الأسرى الكويتيين لحرياتهم الشخصية. تلك

المؤلف:

د. محمود صالح العادلي

* يعمل مدرساً للقانون الجنائي بكلية الشريعة والقانون بطنطا - جامعة الأزهر - ج.م.ع.

* حصل على الدكتوراه في الحقوق من جامعة القاهرة عن رسالته للدكتوراه المعنونة: «حق الدفاع أمام القضاء الجنائي» - دراسة مقارنة في القانون الوضعي والفقه الإسلامي - مساهمة في بناء نظرية عامة لحق الدفاع أمام القضاء الجنائي - دراسة مقارنة في القانون الوضعي والفقه الإسلامي.

* عمل وكيلاً للنيابة الإدارية، ثم مدرساً مساعداً، ثم مدرساً للقانون الجنائي الآن بجامعة الأزهر - كلية الشريعة والقانون بطنطا - ج.م.ع.

* عضو بالجمعيات العلمية المختلفة، وصدر له العديد من الكتب. كما له العديد من الأبحاث والمقالات المنشورة في بعض الجرائد المصرية والعربية، ويكتب باب الملتقى في مجلة عرب الكويت من ١٩٩٣م، وحتى الآن.

ضاحكة مستبشرة.. بيضاء ناعمة

بقلم: محمــد رشيد العــويـد*

أليس الوجه مرآة القلب؟

إذا غمرت السعادة قلباً، وفاض السرور في النفس، وخالطت البهجة حنايا المشاعر، ألن يظهر هذا كله على الوجه: بشراً، وفرحاً، وسروراً؟

وهل هناك سعادة أفضل من سعادة الفوز يوم القيامة؟ وهل هناك سرور خير من سرور النجاة من النار؟ وهل هناك بهجة أعظم من بهجة الجنة؟

لا شك في أن وجوه أولئك الفائزين يوم القيامة ستكون ضاحكة مستبشرة، بيضاء مسفرة، ناعمة منوّرة، راضية نضرة.

اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة. ضاحكة مستبشرة﴾ ﴿عبس:٣٨ و٣٩]. ﴿وجوه يومئذ ناعمة. لسعيها راضية﴾ [الغاشية:٨ و٩]. ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلّة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ [يونس:٢٦]. ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾ [آل عمران:١٠٧]. ﴿يوم تبيض وجوه﴾ [آل عمران:١٠٦].

هي إذن بيضاء، مسفرة، ضاحكة، مستبشرة، ناعمة، راضية، نضرة، لايرهقها قتر ولا ذلة.. فلنقف عند كل صفة من هذه الصفات، التي قلما تجتمع لوجه في الدنيا، وقلما تستمر وتدوم.

ما رأيكم لو نبدأ بـ«بياضها»؟

«المراد بالبياض معناه الحقيقي، أو ما لازمه من السرور والفرح، والجمهور على الأول – أي أن البياض حقيقي – قالوا: يوسم أهل الحق ببياض الوجه، وإشراق البشرة، تشريفاً لهم، وإظهاراً لآثار أعمالهم في ذلك الجمع. ويوسم أهل الباطل بضد ذلك. والظاهر أن الابيضاض والاسوداد يكون لجميع الجسد، إلا أنهما أسندا للوجوه.. لأن الوجه أول ما يلقاك من الشخص وتراه، وهو أشرف أعضائه.

واختلف في وقت ذلك، فقيل: وقت البعث من القبور. وقيل: وقت قراءة الصحف. وقيل: وقت رجحان الحسنات والسيئات في الميزان. وقيل عند قوله تعالى جلّ شأنه: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ [يس:٥٩]. وقيل: وقت أن يؤمر كل فريق بأن يتبع معبوده.. ولا يبعد أن يقال: إن في كل موقف من هذه المواقف.. يحصل شيء من ذلك» (١).

«إذا كان يوم القيامة، يُؤمر كل فريق بأن يجتمع إلى معبوده، فإذا انتهوا إليها حزنوا واسودت وجوههم، فيبقى المؤمنون وأهل الكتاب والمنافقون، فيقول الله تعالى للمؤمنين «من ربكم»؟ فيقولون: ربنا الله عز وجل. فيقول لهم: «أتعرفونه إذا رأيتموه»؟ فيقولون: سبحانه! إذا اعترف عرفناه. فيرونه كما شاء الله. فيخرّ المؤمنون سُجّداً لله تعالى، فتصير وجوههم مثل الثلج بياضاً، ويبقى المنافقون وأهل الكتاب لا يقدرون على السجود.. فيحزنون وتسودّ وجوههم، وذلك قوله تعالى: ﴿يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه﴾ [آل عمران:١٠٦]. وابيضاض الوجوه إشراقها بالنعيم.. واسودادها هو ما يرهقها من العذاب الأليم» (٢).

ويضرب الرازي أمثلة على البياض المجازي، حيث «تقول العرب لمن نال بغيته وفاز بمطلوبه: ابيضّ وجهه، ومعناه الاستبشار والتهلل. وعند التهنئة با لسرور يقولون: الحمد لله الذي بيّض وجهك. ويقال لمن وصل إليه مكروه: اربدّ وجهه. واغبرّ لونه، وتبدلت صورته. فعلى هذا معنى الآية: إن المؤمن يردّ على ما قدمت يداه، فإن كان ذلك من الحسنات ابيض وجهه، بمعنى استبشر بنعم الله وفضله. وعلى ضد ذلك إذا رأى الكافر أعماله القبيحة محصاة.. اسودّ وجهه، بمعنى شدة الحزن والغم». وهذا قول أبي مسلم الأصفهاني.

ثم ينقل الرازي قول القائلين بأن البياض حقيقي. الحكمة في ذلك: «أن أهل الموقف إذا رأوا البياض في وجه إنسان.. عرفوا أنه من أهل الثواب، فزادوا في تعظيمه، فيحصل له الفرح بذلك من وجهين: أحدهما: أن السعيد يفرح بأن يعلم قومه أنه من أهل السعادة، قال تعالى مخبراً عنهم ﴿يا ليت قومي يعلمون. بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ [يس:٢٦و٢٧]. الثاني: أنهم إذا عرفوا ذلك خصّوه بمزيد التعظيم، فثبت أن ظهور البياض في وجه المكلف سبب لمزيد سروره في الآخرة. فهذا وجه الحكمة في الآخرة.

وأما في الدنيا، فالمكلف حين يكون في الدنيا، إذا عرف حصول هذه الحالة في الآخرة، صار ذلك مُرغّباً له في الطاعات، وترك المحرمات، لكي يكون في الآخرة من قبيل من يبيض وجهه، لا من قبيل من يسود وجهه»(٣).

ولنقف عند ثلاث صفات جمعها قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة. ضاحكة مستبشرة﴾. إنها (مسفرة): أي مشرقة مضيئة، قد علمت ما لها من الفوز العظيم، وهي وجوه المؤمنين. و(ضاحكة) مسرورة فرحة (مستبشرة) بما آتاها الله من الكرامة.

وقال عطاء الخرساني: (مسفرة) من طول ما اغبرت في سبيل الله جل ثناؤه. وقال الضحاك: من آثار الوضوء. وقال ابن عباس: من قيام الليل.

ويقول الرازي رحمه الله: «وعندي أنه بسبب الخلاص من علائق الدنيا، والاتصال بعالم القدس، ومنازل الرضوان والرحمة: ضاحكة. قال الكلبي: يعني بالفراغ من الحساب، مستبشرة فرحة بما نالت من كرامة الله ورضاه. واعلم أن قوله (مسفرة) إشارة إلى الخلاص من هذا العالم وتبعاته»(٤).

إنها وجوه مستنيرة، منيرة متهللة ضاحكة مستبشرة، راجية في ربها، مطمئنة بما تستشعره من رضاه عنها. فهي تنجو من هول الصاخة المذهل لتتهلل وتستنير وتضحك وتستبشر. أو هي قد عرفت مصيرها، وتبين لها مكانها، فتهللت واستبشرت بعد الهول المذهل (٥).

وبعد ابيضاض الوجوه وإسفارها وضحكها واستبشارها، تعالوا إلى صفة خامسة ﴿وجوه يومئذ ناعمة. لسعيها راضية﴾. ناعمة: أي ذات نعمة، وهي وجوه المؤمنين، نعمت بما عاينت من عاقبة أمرها، وعملها الصالح (٦). وناعمة: ذات بهجة وحسن (٧)، يبدو فيها النعيم، ويفيض منها الرضا، وجوه تنعم بما تجد. وتحمد ما عملت، فوجدت عقباه خيراً، وتستمتع بهذا الشعور الروحي الرفيع، شعور الرضى عن عملها حين ترى رضى الله عنها. وليس أروح للقلب من أن يطمئن إلى الخير ويرضى عاقبته، ثم يراها ممثلة في رضا الله الكريم، وفي النعيم (٨).

وماذا بعد صفات وجوه المؤمنين الفائزين يوم القيامة؟ ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

* مدير تحرير مجلة (النور) الكويتية

ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلّة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ [يونس:٢٦].

يقول الإمام الرازي: «واعلم أنه تعالى لما شرح ما يحصل لأهل الجنة من السعادات، شرح بعد ذلك الآفات التي صانهم الله بفضله عنها، فقال: ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾. والمعنى: لا يغشاها قتر، وهي غبرة فيها سواد، ﴿ولا ذلة﴾ ولا أثر هوان ولا كسوف.

فالصفة الأولى (التي صانهم عنها) هي قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ عليها غبرة. ترهقها قترة﴾ [عبس:٤٠و٤١].

والصفة الثانية هي قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ خاشعة. عاملة ناصبة﴾ [الغاشية:٢و٣].

والغرض من نفي هاتين الصفتين: نفي أسباب الخوف والحزن والذل عنهم، ليُعلم أن نعيمهم الذي ذكره الله تعالى خالص غير مشوب بالمكروهات، وأنه لا يجوز عليهم ما إذا حصل غيّر صفحة الوجه، وأزال ما فيها من النضارة والطلاقة، ثم بيّن أنهم خالدون في الجنة لا يخافون الانقطاع.

واعلم أن علماء الأصول قالوا: «الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم، فقوله تعالى: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ [يونس:٢٥]، يدل على غاية التعظيم، وقوله: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ يدل على حصول المنفعة، وقوله: ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾، يدل على كونها خالصة، وقوله: ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾، إشارة إلى كونها دائمة آمنة من الانقطاع» والله أعلم(٩).

الهوامش:

(١) روح المعاني، ج ٤، ص٢٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ١٦٧.
(٣) التفسير الكبير، ج ٧، ص ١٧٠ و١٧١.
(٤) التفسير الكبير، ج ٣١، ص ٦٤ و٦٥.
(٥) في ظلال القرآن، مجلد ٦، ص ٣٨٣٤.
(٦) الجامع لأحكام القرآن، ج ٢٠، ص ٣٢.
(٧) الرازي، ج٣١، ص ١٥٣.
(٨) في ظلال القرآن، مجلد ٦، ص ٣٨٩٧.
(٩) الرازي، ج ١٧، ص ٧٨ و ٧٩.

أسلوب الرسل في البلاغ

الجدال قبل القتال

بقلم: د. محمد محمد الشرقاوي

المتتبع لأحوال رسل الله تعالى مع أقوامهم، وأسلوبهم في دعوتهم إلى الله وهدايتهم، يجد أنهم التزاموا بجادة واحدة، ومحور ثابت.. لايتغير بتغير الزمان، ولا يختلف باختلاف المكان، ولايتنوع بتنوع الحدثان.. ذلك أنهم يبدأون خصومهم بالتي هي أحسن.. بالقول اللين، بالعبارة المقنعة.. بالحوار المنطقي المثمر.. كما قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام وهو يوجههما إلى أعتى المعاندين، وأقسى المجادلين: ﴿إذهب أنت وأخوك بآياتي ولاتنيا في ذكري. إذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾ [طه:٤٢ -٤٤]..

الدعوة بالحسنى

والقول اللين هو الدعوة إلى الله تعالى بالحسنى، والمجادلة بالتي هي أحسن، واختيار الكلمات الهادئة الوادعة، اللطيفة مع المخالفين مع طول الأناة، ومطاولة حبال الصبر والتأني، واحتمال مايفرط منهم من تهجم أو تجن ومن ذلك: استعمال أسلوب الاستفهام الدال على العرض والمشورة، قبل أسلوب الأمر الصارم، والنهي القاطع كقول موسى لفرعون: ﴿هل لك إلى أن تزكى. وأهديك إلى ربك فتخشى. فأراه الآية الكبرى. فكذب وعصى﴾ [النازعات:١٨-٢١]..

وهذا من آداب المحاورة والمناظرة لأنه استدعاء بالكلام الرقيق والتلطف إلى القول المماثل، واستنزال للخصم من عتوه وعلوه إلى مائدة المفاوضة والمقاولة بالمداراة حينا، والمجاراة حينا آخر، ولقد أراه الآية الكبرى وهي تحويل العصا إلى حية، لأنها كانت المقدمة لما بعدها من الآيات التسع، والأصل لما بنى عليها من الآيات البينات، وهي كما في الكشاف جـ٢ / ٢٧: العصا، واليد وفلق البحر، والحجر، والجراد، والقُمل والضفادع، والدم، ونتق الجبل.. كل هذا بأسلوب التذكير والتخويف، والإعذار والإنذار.. وقد أبصرها فرعون بعينه بعد أن احتواها بعقله، واشتملها بيقينه.. ولكنه كذب وأبى، واستكبر واستعلى ظلما وجحودا، ومكابرة وصدودا.. كما قال تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾ [النمل:١٤]..

وأخيرا وآخرا جاء دورا الإهلاك والعقاب حين قال موسى: ﴿ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم. قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون﴾ [يونس:٨٨ و٨٩]..

دعا عليهم موسى وأمن هارون على دعائه (الجلالين/ ٢٨٦): «فاستجاب الله الدعاء فمسخت أموالهم حجارة، ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق، كما في قوله تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لاإله إلا الذي

الجدال قبل القتال

آمنت بـه بنـو إسرائيل وأنـا من المسلمين. آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين. فـاليـوم ننجيك ببـدنك لتكـون لمن خلفك آية﴾ [يونس: ٩٠-٩٢]..

لكل مقام مقال

وهكـذا رأينـا الأسلـوب الحكيم الـذي اتبعه رسل الله جميعاً في تبليغ الرسالات، ودعوة الأمم، ومحاربة الفسـاد والكفر.. أسلوبـاً لاظلم فيـه ولاعدوان، ولامبـاغتة للظـالمين ولاطغيان، لأنـه من لـدن حكيم عليم.. فـالحوار أولاً، والجدال ثـانيـاً، وإظهـار الآيـات والمعجزات وخـوارق العادات ثالثـاً ورابعاً وهلُم جرا.. حتى إذا فـاضـت الكأس بقـدرهـا، وبلغ السيل الـزبى، وجـاوز القيعـان والرُّبـا، جـاءت الضربـة القـاضيـة، والصدمـة العـاتيـة فطهـرت الأرض من الفسـاد والمفسـدين، وأورثتهـا للصــلاح والمصلحين ولم يكن هذا دين مـوسـى وأخيه هـارون وحدهما وإنما هـو الإطار الجامع لكـل أنبياء اللـه ورسلـه من أولهم إلى آخرهم.. ليكـون في ذلك مثـل وسلف للمصلحين، وقـــدوة وأسوة للدعاة أجمعين..

وهـذا مـاتدل عليه آيات اللـه تعالى التي قصت علينا قصص السـابقين واللاحقين من الأولين والآخرين كما قال تعالى: ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قـوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينـات فردوا أيديهم في أفواههم وقـالوا إنـا كفرنـا بما أرسلتم به وإنـا لفي شك مما تـدعوننـا إليه مـريب. قالت رسلهم أفي الله شك فـاطر السموات والأرض يدعـوكم ليغفر لكم من ذنـوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تـريدون أن تصدونـا عما كان يعبد آبـاؤنا فأتـونا بسلطـان مبين. قالت لهم رسلهم إن نحـن إلا بشر مثلكم ولكـن اللـه يمنّ على مـن يشـاء من عبـاده﴾ [ابراهيم: ٩-١١]. فالحوار كما نرى دائر بين قـول وقـول، وحجـة وحجـة، منطق ومنطق.. وذلك قبل اللجـوء إلى استعمال العنف والقوة، كما قال الشاعر الحكيم:

أناة فإن لم تغن عقّب بعدها وعيداً
فإن لم يغن أغنت عزائمه

وقد عرضنا قصة موسى وهارون عليهما السـلام مع فـرعـون أول، نظراً لكثـرة تردادهـا في القرآن الكريم، وتنـوع صور عرضها في آياته، وذكر الآيات البينات التي أفحمهم بها.. وإلا فإن مسلسل الأنبيـاء والرسل جميعا قد سلك نفس هذا الطريق، والتــزم بمنهج الحوار قبل الشجــار، والموادعة قبل المواعدة، والعبـارات اللينة السلسة، قبل النوازل الصاعقة، وفي قصة نوح عليه السلام تكـرار لهذا الموقف مع اختــلاف في الشكـل والصـــورة، لافي المضمون والجوهر..

ففي [الأعـراف: ٥٩-٦٤] ومـابعدهـا: ﴿لقد أرسلنا نـوحا إلى قومه فقـال يا قوم اعبدو اللـه مالكم من إلـه غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم. قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضـلال مبين. قـال ياقوم ليس بي ضـلالة ولكني رسول من رب العالمين. أبلغكم رسـالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون. أوعجبتم أن جاءكم ذكـر من ربكم على رجل منكم لينـذركم ولتتقـوا ولعلكم تُـرْحمون. فكـذبـوه فأنجينـاه والـذين معه في الفلك وأغـرقنـا الـذين كذبـوا بآيـاتنـا إنهم كانـوا قومـاً عمين﴾..

ونـرى في قصـة عــاد وثمـود وشعيب وغيرهم كثيراً من المجـــادلات الهادفـــة، والمحـاورات الهادئة، وقـد قيل في شعيب عليه السـلام إنه فيلسـوف الأنبياء وذلك لكثرة محاوراته ومناظراته مع المخالفين له، وكلهم نصرهم الله في النهاية، وأنجاهم ومن معهم، وأهلك أعـداءهم أعـداء اللـه اعداء الحق والحقيقـة، وصاروا أحـاديث وقصصـاً، يعتبر بها أولـو الألباب، ويتعظ منها أولوا البصائر والأبصار..

من سيرة النبي المصطفى ﷺ

وقد كان رسولنـا محمد ﷺ خاتمة المطاف في هذا المجال.. فلم يبدأ دعوته إلى الإسـلام بـالعنـف والحرابـة، بل بـدأهـا بـاللطف والهدوء فكـانت أول دعوة جهرية لكفار مكة حين نزل عليه قـولـــه تعـــالى: ﴿وأنـــذر عشيرتك الأقـربين﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وقـولـه تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين. إنـــا كفينـاك المستهـزئين. الـذيـن يجعلـون مع اللـه إلها آخـر فسوف يعلمون﴾ [الحج: ٩٤-٩٦].

قـال في الجلالين: (هـــذا قبل الأمـر بالجهاد.. وكانت كفـاية الله لنبيه من هؤلاء المستهزئين بأن أصاب كلاً منهم بـآفة قضت عليـه قبل أن يقضي عليـه حـد السيف وهم: الـوليـد بن المغيرة، والعـاص بن وائل، وعـــدي بن قيس، والأسود بن عبـد المطلب، والأسود بن عبد يغـوث.. أخرج البـزار والطبراني عن أنس بن مــالك رضي اللـه عنـه في قوله تعالى: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ [الحجر: ٩٥]، قال: «مرّ النبي ﷺ على أناس بمكة، فجعلـوا يغمزون في قفاه، ويقولـون: هذا الـذي يزعم أنـه نبي، ومعه جبريل عليه السلام فغمز جبريل بأصبعـــه، فـــوقع مثـل الظفــر في أجسـادهم، فصـارت قـروحـا، حتى نتنوا، فلم يستطع أحـد أن يدنومنهم، وزاد في الكشــــــاف: الحارث بـن الطـلاطلة، قـال ابن عباس رضي اللـه عنه: ماتوا كلهم قبل بدر، وقال جبريل للرسول ﷺ أمرت أن أكفيكهم)..

وفي البخـاري ومسلم: أن النبي ﷺ بدأ بعشيرته الأقربين وهم بنو هاشم، وبنو عبد المطلب، وقـد أنذرهم جهارا، وكـــان قبل ذلك يستعمل أسلـــوب المخـافتـة والإسرار، وأخيراً جـاء دور الجهـاد والقتـال، والضراب والنـزال، وكما يقولـون: (آخر الدواء الكي) حين نزل قوله تعـالى: ﴿أذن للذين يُقاتَلون بأنهم ظُلِمـــوا وإن اللـــه على نصرهم لقدير﴾ [الحج/ ٣٩] □

خاتمة الأوراق

للشيخ جاسم بن مهلهل الياسين

بعد هذا التطواف في الدرر الكامنة في سبر أعلام المائة الثامنة، نختم بهذه الورقة جبراً لأي كسر، أو نقصا وقع في أوراقنا السابقة، وأول ما نحب أن ننبه إليه قارىء هذه الورقات من أحبابنا الكرام، أن ما كتبناه ليس ترفا فكريا ولا حبا في زيادة الرسائل في مكتبات الدعاة، ولا هي بأوقات زائدة عند المرء يتسلى فيها بكتابة هذه الأسطر، بل هي أمانة بناء وتوجيه، نتحمل معاناة الخطأ فيها، ونسأل الله الأجر في صحيحها، وأن تكون من العلم الذي ينفع المرء بعد موته..

والمرء حين يكتب أو يتكلم، يستشعر اللحظة التي سيقف فيها بين يدي ربه سبحانه، كما كان عمر بن سعد الله عبدالله بن نجيح الحراني زين الدين الحنبلي ولد سنة خمس وثمانين وستمائة، وناب عن ابن المنجا في القضاء، ودرس بالضيائية، وكان يحكم بالمسائل التي أنفرد بها ابن تيمية، وطال امتناع السبكي من تنفيذ ذلك حتى قال لمستنيبه ابن المنجا: هذا الذي يحكم به نائبك إن قلت لي: إنه مذهب الإمام أحمد بن حنبل نفذته. فقال: لا أقول ذلك، لكن إذا حكم بشيء حكمت بصحته. قال ابن رجب: أخبرني عز الدين بن شيخ السلامية عنه أنه قال له لم أقض قضية إلا وأعددت لها جوابا بين يدي الله قال ابن رجب: وكان حَسن الأخلاق، دينا متواضعا بشوش الوجه، فقيها فرضيا متثبتا (١)..

وهنا وقفة مع قوله: «لم أقض قضية إلا وأعددت لها جوابا بين يدي الله» إنها هي السبب الأول الذي جعل القاضي ابن المنجا يقول بصيغة الإطلاق: (إذا حكم بشيء حكمت بصحته)!! إنها الثقة بإنسان يخشى الله سبحانه والمثول بين يديه، قبل المثول بين يدي البشر، وكم هي روح الاعتزاز التي يشعر بها الإنسان عندما يرى ثقة إخوانه به، ولا أنسى في مطار إحدى الدول الخليجية، عندما جاءني أخ نحبه في الله، ولا نعرفه باسمه، فقال: يا شيخ إني أحبك في الله، وأنا اشتغل في مراقبة الكتب في جمارك المطار، والكتاب الذي عليه اسمك أجيزه من غير قراءة له، وحادثة أخرى عندما جئت بمقالات إلى مجلة المجتمع، فالتقيت بالأخ الكبير عبدالله العلي المطوع، رئيس جمعية الإصلاح التي تتبعها مجلة المجتمع فقال لي: إن مقالاتك أجيزها من غير قراءة، فشكرت الله تعالى وسألته سبحانه أن نكون عند حسن ظن عباد الله بنا، وأن يسترنا فيما لا يعلمون.

واعتزاز الإنسان بدينه ومعتقده يقربه إلى الخلق، ويحفظ مكانته، ويرفع قدره، وما بين الإنسان والذل، إلا لحظة الثبات على الحق، وعدم الضعف، لذلك كان منهج أهل الإيمان ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [العصر:٣]. فصبر لحظة يحتاج إلى من يعين عليه، والأدلة على الثبات على الحق كثيرة، ومن مائتنا الثامنة نختار قصة موسى بن أبي بكر سالم التكروي ملك التكرور، قدم حاجا سنة ٧٢٤ في رجب، وأدخل إلى الناصر فامتنع من تقبيل الأرض وقال: لا أسجد لغير الله، فأعفاه السلطان وقربه وأكرمه، وأحسن تجهيزه إلى الحجاز (٢)..

ونحن في كل كلمة أو جملة كتبناها نستمع باصغاء للحكمة القائلة: لا تفتح بابا يعييك سده، ولا ترم سهما يعجزك رده، ولا تفسد أمرا يعييك إصلاحه، ولا تغلق بابا يعجزك افتتاحه وكما قال الشاعر:

فإياك والأمر الذي إن توسعت
موارده ضاقت عليك المصادر
فما حسن أن يعذر المرء نفسه
وليس له من سائر الناس عاذر (٣)

فالكثير من القضايا لم نكتب فيها إلا بعد التحدث والحوار مع أهل الفكر من العاملين في الحقل الإسلامي امتثالا لقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: (استشر فإن المستشير معان، والمستشار مؤتمن، واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء) (٤)..

نعم حقا على العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العلماء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذ ربما زل، والعقل الفرد ربما ضل (٥) ونحن نعرف أن الكلمة لها خطورتها فهي أداة بناء كما هي معول هدم. لذلك رأينا النبي ﷺ يقول: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة». فالأعضاء تصيح باللسان: اتق الله فينا، فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا، وخطورة الكلمة تأتي واضحة في البيان النبوي الكريم: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوى بها في جهنم»، فالكلمات تقود الرجل الحكيم، ولكنها تقود المجانين أيضا (٦)، ونحن نسعى في كتاباتنا إلى التحديد في العبارات والكلمات ومدلولات الألفاظ حتى لا تجري مناقشاتنا في الظلام فيضيع الفهم بيننا..

وعند ختمنا لهذه الورقة، يلزمنا أن نؤكد أن العمل الإسلامي والتحرك لتمكين شرع الله سبحانه، لا يعرف عمرا زمنيا، فمن ثقل لكبر سنه فليتذكر أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه، ولتكن له همة الشباب كما حدث ليوسف بن رزق الله، فقد عمر طويلا لعله قارب التسعين، ثقل سمعه، لكن حواسه كلها صحيحة، وهمته همة ابن ثلاثين، مات وهو في ميدان العمل يباشر التوقيع بصفد في ربيع الآخر سنة ٧٤٥هـ (٧).

هذا وفي الختام نسأل الله أن يحسن خاتمتنا في الأمور كلها آمين والحمدلله رب العالمين□

الهوامش:

١) الدرر الكامنة، ت: ٣٠٠٨، ٣/ ٢٤٢ و٢٤٣.
٢) الدرر الكامنة، ت: ٤٩٠٤، ٥/ ١٥٤ و١٥٥.
٣) تسهيل النظر، ص ١٣٤.
٤) سنن ابي داود من حديث أبي هريرة ٤/ ٣٣٣.
٥) رقم ٥١٢٨، مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٧٤.
٦) المصطلحات السياسية، ص ١٠.
٧) الدرر الكامنة، ت ٥١١٥، ٥/ ٢٢٩.

والديّان لا يموت

بقلم: عبد الجواد محمد الحمزاوي

– ما اسمك؟

زاد من تقطيب سحنته حتى خلته شيطانا وزوى ما بين حاجبيه ثم صوّت فيّ:

– لا شأن لك بي.. اغرب عن وجهي..

الحق أن صوته كان مرتفعا ارتفاعا آذاني، ثم إنه غاظني بـ«اغرب عن وجهي هذه»، قلت:

– لماذا تصيح هكذا يا غبي؟.. إنني أمامك ولست في بلد آخر.. ثم كيف تجرؤ على أن تطردني؟! هذه أرض الحكومة.. ثم الاتعرف من أنا؟!

تصنعت سمت الناس أصحاب السطوة والسلطان وأنا أنظر إليه في استخفاف واضح، لم يكترث بسمتي ولابكلامي وانطلق كمدفع ضخم في صحراء..

– أناغبي.. أنا غبي..؟! آه لو فكت عني أغلال الأمير وقيوده.. لقد قتلت غيرك كثيرا في أقل من عشر هذا الذي قلته..

ثم انفجر في ضحك شديد بصوته المجلجل القوي وظل يقهقه والأغلال في عنقه والقيود في قدميه ويديه حتى دمعت عيناه.. لم أكن أدري سبب هذا الضحك، ولكنه كان ينظر إلى ويشير بيده نحوي.. إذا فهو يضحك علي.. لم أكن أدري ما يضحك في.. الغيظ يأكلني ويستبد بي والصوت يؤذيني ويثير أعصابي.. هممت بأن أصفعه على وجهه الضخم، ولكنني – للحق – خفت منه ومن منظره.. بعد فترة ليست بالقصيرة تمالك نفسه بعض التمالك، ثم قال، وهو يغالب ضحكه بصوته الأجش العالي..

– قل لي أنت.. من أنت؟.. وكيف تجرؤ أن تدخل معسكر الأمير أبي نصر بن مروان وأنت عاري الرأس هكذا؟! ثم أين هي لحيتك يا.. يا رجل؟

ثم أخذ يضحك هذا الضحك الذي يغيظ..

فجأة شحب وجهه، وغاص الدم منه وسكت كأنما أصابه الخرس.. تلفت حولي لأعرف سبب هذا التغير المفاجيء فوجدت مجموعة من الجنود تحمل نطعا وبجانبهم يسير رجل يمسك سيفا بتارا.. إذا، فهذا الرجل الضخم الذي رفض أن يفصح لي عن اسمه محكوم عليه بالاعدام وهذا سر الأغلال والقيود التي عليه.. لم يكن كلامه عن القتل تخويفا ولاتهويشا. «الحمد لله أنه مقيد مغلول»..

زاد هذا من فضولي لأعرف فيم يقتل هذا الرجل الضخم العملاق.. اقتربت منه مستغلا حالة الضعف الشديد التي انتابته بعد رؤية الجنود يحملون النطع ثم همست في أذنه..

– إنني صحافي، أستطيع أن أنشر قصتك في كل الصحف والمجلات العربية والعالمية وأستطيع أن اتصل بمنظمات حقوق الانسان لتتدخل في الأمر وتضمن لك محاكمة عادلة.. نما هي قصتك بالضبط..

لم يكن يعرف ما معنى «صحافة» ولاماهي منظمات حقوق الانسان ولم استطع أنا أن أفهمه.. لم أدر كيف فهم من كلامي أنني سوف أرثيه بقصيدة أذكر فيها شجاعته وفتوته.. وافقته على ما فهم ليتكلم فقال:

– سل ما بدا لك وأنا أجيب.

– ما اسمك؟

– دعك من هذا، فلن أخبرك باسمي أو قل: إن التاريخ نسي اسمي وصرت رمزا.. انني رجل من الاكراد كنت أعمل في جيش الأمير أبي نصر بن مروان..

أنا والله العظيم مقدم العسكر في هذا المعسكر.. منذ فترة قصيرة كنت آمر وأنهى في هذا المعسكر بل ان الطعام الذي في بطني الذي أكلته في ضيافة الأمير نفسه..

– إذا، ما الذي غير حالك إلى ما أرى؟!

– ضحكت وأنا آكل مع الأمير فلما سألني عن سبب ضحكي وأخبرته عنه صرت إلى ما ترى.. صحت وأنا في غاية الدهشة..

– هذا ظلم.. ظلم شنيع.. تقتل لأنك ضحكت، هذا شيء فظيع.. صحيح أن الضحك من غير سبب سوء أدب ولكن هذا لايبرر للأمير قتلك.. كان يكفي أن يعزلك، أما أن يقتلك هذا شيء في منتهى الظلم والقسوة..

أومأ إلى موافقا على ما أقول ثم طلب مني أن أذكر هذا في رثائه، وهنا نهرني أحد الجنود الذين يحملون النطع بشدة وقال «ياهذا، إن أميرنا لايقتل الناس لسوء أدبهم.. قتل النفس كبيرة، وإذا سمعت القصة لآخرها فستعلم أن أميرنا عادل..

غصصت بريقي، ثم تمالكت نفسي وسألت مقدم العسكر السابق عن سبب ضحكه وهو على مائدة الأمير.. ابدا.. كنت آكل أنا والأمير وإذا بالخادم يدخل وفي يده صينية عليها حجلتان مشويتان، وبمجرد أن وقع بصري على هاتين الحجلتين ضحكت ضحكا شديدا وقهقهت بصوت مرتفع.. ستسألني كما سألني الأمير.. عن السبب سأخبرك.. كنت أقطع الطريق وأنا في

شبابي..

– لص أنت إذا؟

– قلت لك: قــــاطـع طريق.. أعتمد على قوتي وشجـــاعـتي في تحصيل رزقـي، فـالقلب حـديـد والصحة كـمـا تـرى، وكنت أتـــرصـــد الـنـاس في الأمـــاكـن البعيــدة وأهـــاجمهم وأقتـل مـن أقتل ويفر من يفـــر ثـم أستولى على كل مـا معهم من مـــال ومتـاع، وفي يوم خـرجت لعملي كعادتي، وانتصف النهـار وارتفعت حـــرارة الشمس المحرقة ولم يمر أحد بالطريق الذي كنت فيه، وبينما كنت أستعد للعودة إلى بيتي رأيت من بعيد رجلا يمتطي ظهر فرس جميل، فانتظرته حتى أتى وهجمت عليه وأسرته واستوليت على كل ما كان معه من مال ومتاع، ثم جردت سيفي لأقتله، فاستعطفني وألح على الحاحا شديدا الا أقتله، ولكنني كنت مصمما حتى لاأترك ورائي أي دليل على جريمتي..

وأخيرا، وبعد أن أيقن أنه لاأمل في الحياة وأني قاتله لامحالة، تلفت يمينا وشمالا لم أكن أدري عم يبحث. كنت أخاف أن يكون قد رأى بعض من يعرفهم مقبلين علينا فهو يستحثهم لينقذه..

فالتفت حيث يلتفت وقد داخلني خوف كبير ولكني لم أر شيئا يخيف.. فنظرت إليه وقد تهلل وجهه بالبشر وهو ينظر إلى حجلتين كانت بالقرب منا وصاح فيهما أيتها الحجلتان أشهدا لي أنه قاتلي ظلما، دون ما ذنب مني ولاجريرة سلفت.. ضحكت كثيرا عليه وعلى جهله وحمقه، فيكف يشهد حجلتين علي..

فقلت أنـا الآخر وأنـا أنظر إليهما: «أيتهـا الحجلتان.. انظرا جيدا، ودققا كيف أقتله، ثم آكلكما أنا بعده، فلا تستطيعان الحديث إلى بنات جنسكم من الطيور، وتموت الجريمة ولايعلم بها أحد كـائنا مـا كان».. ثم قتلته بسيفي سريعا، ولكنني لم أستطع أن أمسك بالحجلتين.. لم أكن خائنا، وليس علي من بأس أن تعرف الطيور كلها لاالحجل وحــــده، فلما أتى الخادم بهاتين الحجلتين المشويتين، تذكرت كل هـذا وضحكت على ما كان من حمق ذلك الرجل وجهله..

وحينما وصلت الى هـذا الحد من قصتي مع هـذا الرجل الأحمق صاح في الأمير: «انهما قد شهدتا عليك عندي وأنا قاتلك به»..

نظرت اليه طويلا في دهشة وقلت «ولقد شهدتا عليك»..

ثم تركته ومشيت تاركا للجند أن ينفذوا فيه انتقام الله وحكمه■

■ثم تركته ومشيت تاركا للجند أن ينفذوا فيه انتقام الله وحكمه



فتاوى

منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقى الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

حكم دفع الرشوة

● ورد للجنة السؤال التالي:

إنني مكلف بـادرة شركـة من شركـة المقـاولات ونحن نضطـر تحت وقـع الظـروف والـواقع الى دفـع رشـاوى وحالاتها كالتالي:

أ) التعـاون المفـروض علينـا من قبل مهنـدسين الجهـة المنفـذة لحسب كميات اضـافية عن الحقيقـة ومناصفـة الربح معهم حتى لو لم نكن بحاجة الى هذا الربح.

ب) دفع رشاوي لـرفع الظلم وليس لكسب امتيازات أو استثنـاءات غير ممنـوحـة للغير وتـأخـذ في الاعتبـار عنـد تسعير المناقصة.

ج) نتيجـة لصعوبـة الأسـواق والأسعار بسبب فتح الدولة لكثير من المقاولين للعمل أدى الى تنافس شـديد بين المقـاولين ممـا أدى إلى الاتفاق بين بعضهم بعضا داخليا على أسـاس أن واحدا منهم يأخـذ المشروع ويضع سعـــرا يتضمن حصـة كل مقـاول على ضمان أن يـدخلـوا المنـاقصــة، ويـرفعـوا اسعـارهم أكثر منـه ليتسنى لـه الفوز بها.

د) وهل يحق لي الاستمـــــرار كمدير لهذه الشركة خاصة وانني معين من قبل ورثـة وليس لي حق التصرف في رفض هـذه العمليـات خاصة وانني أحـاول قدر الامكان التخفيف منهـا وقـد يـأتي مـديـر غيري ويتمادى فيها؟

●● أجابت اللجنة بالتالي:

أ) إن مخالفة الحقيقـة في حساب الكميـات لتحقيق ربح يقتسم بين الشركـة والمهنـدسين، هذه الصـورة محرّمـة، لأنها تزوير ورشوة وأكل مال الغير بالباطل.

ب) أما دفع رشـاوى لرفع الظلم، فـالأصل تحريم دفع الرشوة إلاّ إذا تعينت طـريقاً لدفع الظلم أو تحصيل الحق ولم يكن فيهـا تضييع لحق الغير أو استئثـار من دونـه، ولكن الصورة الواردة في السؤال ليست من هذا القبيل، لذا لا يجوز دفع الرشوة فيها.

ج) وأما الاتفاق بين المقـاولين على سعر معيّن ثم يقتسمون الأربـاح الناتجة عن هـذا السعـر فيما بينهم فهذه الصـورة محرّمـــــة، لأنها من قبيـل النجش المنهي عنــه، وهـــو تقـديم اسعــار غير واقعيـة بقصد التوريط في الدخول في الصفقة أو التنفير منهـا، وفي هــــذا تعــــاون على الاثم والعدوان، وأكل لأموال الناس بالباطل.

د) وفيما يتعلّق بـاستمرار عمل المدير الواردة في السؤال، فيجوز للمستفتي الاستمرار مـديراً للشركـة المشار إليهـا مشروطـاً بـرفض العمليـات المحرّمة المنوط أمـرها به. أما دعوى أنه قد يأتي مدير آخر يتمادى في الأمـور المحـرّمـة، فهـذا افتراض لا يسـوغ لـه البقاء في عمل محرّم.

كفّارة القتل الخطأ

● وورد للجنة السؤال التالي:

قتل رجل رجـلا خطأ دهما بـالسيـارة ثم قـام بـدفع الـديـة لأهل الميت فهل يلـزمـه بعـد ذلك الصيـام؟ وإذا كـان عليه صيـام ولم يتمكن من الصيام لأي سبـب فماذا عليه بعد ذلك؟ وجـزاكم الله خيرا..

●●وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

تجب في القتل الخطأ كفـارة على مـن وقـع منـه القتل خطأ وهي (الآن بعـد انتهـاء الـرق دوليـا) منحصرة في صيـام شهرين متتـابعين، ولا تسقط إلا عنـد العجـز عن الصـوم لمرض مـزمن أو شيخوخة لخبر طبيب مسلم موثوق به أو تجربة.

من صـــور الربـــا في البيـــوع

● ورد للجنة السؤال التالي:

حصل ان اشتريت سيارة بمبلغ قدره ٦٠٠ دينارا، وكتبت عليها سعرا قدره ٩٥٠ دينار على اقساط شهرية ٤٠ دينار لمدة سنتين، ثم قمت ببيع السيارة لشخص ما اخبرته بأن السيارة مطلوبة لشركة التسهيلات، على الرغم من أنها ملكي وليست مطلوبة للشركة. وبعد أن تم البيع والشراء سجلنا السيارة باسم المشتري في شركة التسهيلات وأخذت أنا من الشركة ٨٠٠ دينار نقدا مع العلم بأن الشركة تأخذ نسبة (٧٥٠/١٨٪).

فما حكم التصرف أو هذه البيعة لأنني بهذه الطريقة ضمنت ربح ٢٠٠ دينار من شركة التسهيلات.

ويحصل أن يأتي مشتر لسيارة امتلكها فحينما أعرض عليه المبلغ نقدا ويعجز المشتري عنه فيطلب شراءها اقساطا عن طريق شركة التسهيلات وأنا لا أمانع ولكن بشرط استلام السعر الذي ذكرته فهل في هذا حرج أم لا ؟

●● قد سبق عرض هذا الاستفتاء على اللجنة وطلبت حضور المستفتي لتوضيح بعض الأمور، وقد حضر في هذه الجلسة وأفاد أن العمل الذي يقوم به البائع هو أنه يكتب على السيارة أنها مطلوبة لشركة التسهيلات بمبلغ قدره ٩٥٠ دينارا مثلا ثم يبيعها في السوق بالطلب وبما يزيده المشتري الذي تستقر عليه المزايدة. هذا مع العلم أن السيارة لا تكون مطلوبة للشركة أصلا، ثم يذهب البائع والمشتري الى شركة التسهيلات ويقدم البائع دفتر السيارة واثبات الشخصية الى مسئول الشركة ويوقع فقط على استلام شيك بـ ٨٠٠ دينار ويكون الباقي من الـ ٩٥٠ دينارا مبلغ وقدره ١٥٠ دينارا وهو ربح الشركة ويوقع المشتري لدى الشركة كمبيالات شهرية بما مجموعه ٩٥٠ دينارا وينتهي دور البائع بعد التوقيع لدى ادارة المرور وتحويل السيارة باسم المشتري ولا يوقع البائع لدى شركة التسهيلات أي نماذج أو توثيقات ما عدا الايصال بالشيك الفوري..

وبعد اطلاع اللجنة على الاستفتاء والافادة أجابت بما يلي:

ان هذه العملية محرمة لأمرين الأول: انها تشتمل على الكذب والتدليس لإعطاء السلعة أكثر من قيمتها ليغتر المشتري بأنها تستحق ذلك الثمن.

والثاني: ان هذه العملية بإدخال شركة التسهيلات فيها على الصورة المبينة تؤول الى الربا، لأن البائع يترتب له في ذمة المشتري مبلغ معين مؤجل الدفع فيحوله الى شركة التسهيلات ويأخذ من شركة التسهيلات أقل منه حالا هذا صورة من صور الربا وهو يشبه خصم الكمبيالات المؤجلة لدى البنوك الربوية التي تدفع أقل من قيمتها وتأخذ الفرق ممن عليه الدين في نهاية الأجل، فاذا ادخلت في العملية شركة التسهيلات على الوجه المبين في السؤال حصل الربا المحرّم، أما إذا كان الغرض أن يتم البيع بالأجل ولم يدخل فيها طرفا ثالثاً كشركة التسهيلات، فان العملية تكون صحيحة شرعا مع حرمة ما اقترن بها من كذب وتدليس عند كتابة مقدار الطلب على السيارة بخلاف الواقع.

ان تعارف البائع والمشتري على البيع بثمن معين حال جائز شرعا، فاذا ذهب المشتري الى طرف ثالث واقترض المبلغ المطلوب للبائع وكتب على نفسه كمبيالات مؤجلة قيمتها اكثر من القرض فذلك من الربا المحرم، وهو ربا واقع بين المشتري وبين الطرف الثالث.

بيع المباع لا يجوز

● ورد للجنة ما يلي:

أردت شراء سيارة من شخص عن طريق بيت التمويل الكويتي وقد اتفقنا على سعر معين على أن أعطيه ربح قيمة السيارة قبل الذهاب الى بيت التمويل وذلك حتى تقل قيمة الأرباح التي يحددها بيت التمويل فهل تجوز هذه المعاملة بهذه الطريقة؟ وجزاكم الله خيرا..

●●وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

هذه المعاملة لا تجوز لأن البيع تم بين مالك السيارة والمشتري، فلا يجوز للمالك أن يبيعها مرة أخرى لأنها خرجت من ملكه، فضلا عما في هذا التصرف من الاحتيال الباطل. ويمكن للسائل أن يعرض على بيت التمويل تخفيف نسبة الربح لانه سيدفع جزءا من الثمن حالا. والله تعالى أعلم.

من صور بيع العاجل بالآجل

● ورد للجنة الاستفتاء التالي:

١) لديّ سيارة وأريد تبديلها بسيارة أخرى جديدة وهذه السيارة التي عندي تعتبر كمقدم وأقوم بتسديد باقي قيمتها على اقساط..

١) ما حكم هذا البيع؟

٢) ما حكم البيع بالأقساط؟ مع العلم بأن سعر السيارة إذا دفع حالا يختلف عنه إذا كان مؤجلا (يعني إذا كان مؤجلا يكون زائدا)؟

●●وأجابت اللجنة عن السؤال الأول بمايلي:

يجوز تبديل سيارة قديمة بسيارة أخرى جديدة مع دفع الفرق ما دامت السيارة القديمة تعتبر دفعة من الثمن كمقدم، ولا ضرر من بيان ثمن السيارتين إذا وقعت المبادلة بعقد واحد..

وأجابت اللجنة عن السؤال الثاني بجواز البيع بالأجل بثمن أعلى من البيع في الحال، على أن تعتبر الزيادة مندمجة في الثمن، وعلى أنه في حال تأخير الدفع عن الأجل المحدد لا يزاد في الثمن بسبب التأخير ولا يحط منه عند التعجيل في السداد إذا كان الاتفاق مسبقا.



الإسراء والمعراج

قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ [الإسراء:١].

سر قوته

يحكى أن ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه، والشاب يعجز عن ذلك، فعجب منه واستحضره محادثه في ذلك، فأراه ألف دينار مربوطة على وسطه.

حديقة الوعي

أبيات حكمية

قال الشاعر:

وجليس لي أخي ثقة
كأن حديثه خبره
يسرك حسن ظاهره
وتحمد منه محتضره
يستر عيب صاحبه
ويستر أنه ستره

وقال آخر:

بلوت مرارة الأشياء طرا
فما شيء أمر من السؤال
ولم أر في الخطوب أشد هولا
وأصعب من معاداة الرجال

وقال آخر:

ذهاب المال في حمد وأجر
ذهاب لا يقال له ذهاب

وقال آخر:

قد أنطقت الدراهم بعد عيّ
أناسا طالما كانوا سكوتا
فما عادوا على جار بخير
ولا رفعوا لمكرمة بيوتا
كذاك المال ينطق كل عي
ويترك كل ذي حسب صموتا

الأمل في الله

قال الشاعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تفرج

عُمر الحارس اليقظ

يقال ان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ولى رجلا من قريش عملا، فبلغه أنه قال:

اسقني شربة ألذ لديها
واسق بالله مثلها ابن هشام

فأمر عمر بعزله عن عمله، فلما قدم عليه قال له: ألست القائل (وأنشده البيت السابق).

فقال الرجل: نعم يا أمير المؤمنين، وقد قلت بعده:

عسلا باردا بماء سحاب
إنني لا أحب شرب المدام

فقال أمير المؤمنين: أكذا قلت؟ قال: نعم فرده عمر الفاروق إلى عمله.

الحسنة والسيئة

قال ابن عباس رضي الله عنه: (إن للحسنة لنورا في الوجه، وقوة في البدن، وزيادة في الرزق، ومحبة من الخلق. وإن للسيئة لغبرة في الوجه، ووهنا في البدن، ونقصا في الرزق، وبغضا من الخلق).

أقوال

* من أصلح سريرته أصلح الله علانيته.
* من اهتم بأمر آخرته كفاه الله أمر دنياه.
* من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.
* ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الأقتار [حديث شريف].
* «لا تصاحب إلا مؤمن ولا يأكل طعامك إلا تقي» [حديث شريف].
* من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

الحر يجتنب المخازي

قال الإمام الشافعي:

رأيت الحر يجتنب المخازي
ويحميه عن الغدر الحياء
إذا جاريت في خلق دنيئا
فأنت ومن تجاريه سواء
إذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش الحر ما استحيا كريما
ويبقى العود ما بقي اللحاء
وما من شدة إلا سياتي
لها بعد شدتها رخاء

صلاة أعرابي

صلى أعرابي صلاة مخففة، فقام إليه علي ـ كرم الله وجهه ـ بالدرّة، وقال له: أعدها، فأعادها الأعرابي، ثم قال لعلي بن أبي طالب: أهذه خير أم الأولى؟ فقال علي: بل الأولى، فقال الأعرابي: ولم؟ قال علي ـ رضي الله عنه: لأن الأولى لله، وهذه للدرة.

نسيت اسم أبي

قيل إن زيادا ـ أمير البصرة وحاكمها ـ أمر بقتل رجل، فقال الرجل: أيها الأمير: إن لي بك صلة، قال: وما هي؟ قال: إن أبي كان جارا لك بخراسان. فقال زياد: ومن أبوك؟ قال الرجل: قد نسيت اسم نفسي، فكيف لا أنسى اسم أبي؟

فضحك زياد، وعلم أنه أديب احتال في خلاص نفسه فعفا عنه.

أم توصي بضرب ابنتها

لما تزوج شريح الراوية زينب، زارتها أمها بعد سنة فقالت له: لم يضم الرجل إلى نحره شرا من ورهاء، وإنما زينب من النساء، فإن رابك منها شيء، فالسوط فضحك شريح ثم قال:

رأيت رجالا يضربون نساءهم
فشلت يميني يوم أضرب زينبا
وكل محب يمنع الود الفه
ويعذره يوما إذا هو أدبنا

تذكر

تذكر: ان الله عز وجل يبتلي العبد وهو يحبه ليسمع تضرعه.
تذكر: أنها كلما تشتد الأزمة تنفرج، اشتدي أزمة تنفرجي.
تذكر: أن أفضل العباد انتظار الفرج.
تذكر: أن الفرج يأتي من الله على قدر شدة البلاء.
تذكر: إن ما يكره العبد، خير مما يحب، لأن ما يكره يهيجه على الدعاء. وما يحب يلهيه عنه.
تذكر: إن من اتبع الصبر اتبعه النصر.
تذكر: ان من صبر ظفر وأن الصبر مفتاح الفرج .. وعند اشتداد البلاء يأتي الرخاء. [زاد المتقين للحازمي].

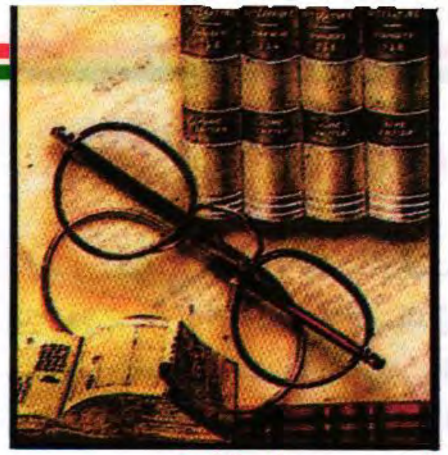
النصيحة في الملأ تقريع

قال مسعر بن كدام: رحم الله من أهدى إلى عيوبي في ستر بيني وبينه، فإن النصيحة في الملأ تقريع.

اطلبوا العلم

قال أحمد شوقي:

اطلبوا العلم لذات العلم لا
لشهادات وآراب أخر
كم غلام خامل في درسه
صار بحر العلم استاذ العصر
ومجد فيه أمسى خاملا
ليس في من غاب أو فيمن حضر



ثمـــرات المطـــابع

إعـــداد: التحريـــر

المجموع المذهب في قواعد المذهب

الإمام الحافظ: خليل بن كيلكلدي؛ العلائي الشافعي

تحقيق: د. محمد عبد الغفار الشريف

الادارة العامة للافتاء والبحوث الشرعية، بوزارة الأوقاف - الكويت

الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م

وكتاب (المجموع المذهب) من كتب القواعد الفقهية المهمة، وقد جمع فيه مؤلفه القواعد الفقهية والأصولية التي بني عليها المذهب الشافعي، وقد أثنى عليه العلماء، وقال ابن حجر في ترجمة المؤلف: (صنف التصانيف في الفقه والأصول والحديث، كالقواعد التي جودها)، وقال حاجي خليفة: (قواعد العلائي في الفروع، وهي أجود القواعد)..

ومؤلف الكتاب، الإمام خليل بن كليكدي، من العلماء المعتبرين، قال عنه الأسنوي: (كان حافظ زمانه، إماما في الفقه والأصول وغيرهما، ذكيا نظارا فصيحا كريما ذا سطوة وحشمة، انقطع في القدس للتدريس والإفتاء والتصنيف)..

ومحقق الكتاب، الدكتور محمد عبد الغفار الشريف عضو هيئة التدريس في جامعة الكويت، وعضو هيئة الإفتاء في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس

الإمام الحافظ، أبو الفرج، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)

تحقيق وتعليق: محمد بن ناصر العجمي

دار البشائر الاسلامية - بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م

اهتم بهذه الطبعة (جمعية إحياء التراث الإسلامي، فرع الجهرة بالكويت) وهي طبعة مزيدة بعدما وقف المحقق على نسخة خطية رابعة للكتاب من جامعة (ييل) بالولايات المتحدة الأمريكية أضاف منها ما هو مهم وجوهري..

والإمام ابن رجب؛ رحمه الله؛ من علماء السلف الصالح الأجلاء، أثنى عليه العلماء فقال فيه الحافظ ابن حجر: (الشيخ المحدّث الحافظ)، وقال ابن عبد الهادي المِبْرد: (الشيخ الإمام، أوحد الأنام، قدوةُ الحفّاظ، جامع الشتات والفضائل)، وعُرف بالزهد والورع والعبادة، وألّف في الفقه وعلوم القرآن والحديث والتاريخ والوعظ والفضائل، وكان من المتقنين الذين يجمعون فيعون، ولرسائله فوائد لا تعد ولا تحصى..

وقد وضح في كتابه هذا حديث ابن عباس، رضي الله عنهما: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك ...»، وجلاه في أحسن صورة، وأجمل حُلة، وليس هذا الحديث بأول حديث يهتم به ويشرحه، بل كان يعمد إلى الأحاديث التي لها أهمية خاصة في ترسيخ العقيدة وتزكية النفوس، فيفردها بالتأليف ويشرحها ويبيّن مراميها، مع الاهتمام بالناحية الوعظية، وذكر نماذج من أقوال السلف وما كانوا يتحلوْن به من خلق عظيم تجاه الله وتجاه خلقه، كل هذا بلطف عبارة وجمال أسلوب وترابط أقوال وإتقان معنى وحسن بيان..

وقد جعل المحقق كتابه في مقدّمة تبين مضمونه، ووصف لمخطوطات الكتاب المعتمدة في تحقيقه، وعمله فيه، وترجمة مختصرة للمولف، ثم الكتاب.

نظريات السياسة الدولية (دراسة تحليلية مقارنة)

د. اسماعيل صبري مقلد

جامعة الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م

علم السياسة من العلوم المنهجية التي يحتاجها المسلم المعاصر لا سيما في ميدان الدراسات التحليلية المقارنة، ود. اسماعيل صبري مقلد، استاذ العلاقات الدولية بقسم العلوم السياسية بجامعة الكويت وضع كتابه (نظريات السياسة الدولية) آملاً أن تسد بعض الفراغ الذي تعاني مه المكتبة العربية حاليا من هذا النوع من المعالجات النظرية المتخصصة لمختلف ظواهر السياسة الدولية وحقائقها الكثيرة والمركبة..

وقد اقتصر على عرض ومناقشة أهم تلك النظريات، مبينا المضمون الفلسفي لكل منها، ومبرزا الافكار والمفاهيم التي روّج لها دعاتها، والحجج والأسانيد التي قدموها دفاعا عنها، ثم انتهى من ذلك إلى تقييم كل واحدة من هذه النظريات من مختلف زواياها الايجابية والسلبية على حد سواء.

النظام القانوني لحماية الاختراعات ونقل التكنولوجيا

د. جلال احمد خليل

جامعة الكويت – الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

حرصت الدول على الاحتفاظ بالاكتشافات والاختراعات سرا خشية ذيوعها وانتشارها، فاحتفظت الصين لمدة طويلة بصناعة الحرير وتوصل العرب إلى (البوصلة) واستعملوها قبل أن تستعملها أوروبا في اكتشاف العالم الجديد..

إلا أنه مع تقدم المدنية وانتشار الأفكار الحديثة وتزايد الاختراعات والاكتشافات، فقد أصبح من الصعوبة بمكان الإبقاء على تلك السرية، ولذلك تنبهت بعض الدول منذ أمد طويل إلى أهمية ضمان حمايتها لأبنائها المخرعين سواء بتقديم المساعدات المادية أو المعنويةلهم، أو بضمان التطبيق العملي لما حققوه من اختراعات في نطاق الصناعة، وقد ظهرت بوادر هذه الحماية في صورة امتيازات ملكية بضمان الاستغلال من جانب الملوك والأمراء لأرباب الحرف والصناعات بهدف تحقيق الأمان لهم وتشجيعهم على القيام باستغلال اختراعاتهم في البلاد.. والكتاب دراسة للنظام القانوني لحماية الاختراعات ونقل التكنولوجيا الى الدول النامية، وجعله كاتبه في باب تمعيدي وقسمين رئيسيين..

مواقف إنسانية في السيرة النبوية

عبد الله نجيب سالم

دار حواء – الكويت، ودار ابن حزم – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م

يرى الناظر في سيرة رسول الله ﷺ شخصية فريدة من نوعها، فالبرغم من إنسانيته وعواطفها وانفعالتها غير أنه بزّ أفراد الإنسانية جميعا وفاقهم في ميادين الخير والخلق والحكمة والتقوى والعمل والجهاد، فكان بحق الأسوة الحسنة والقدوة المتميّزة..

وفي السيرة دروس وعبر ومواقف لا يحصرها كتاب ولا تحيط بها دراسة واحدة مهما بلغت من الشمول والتوسّع، فلقد كان النبي ﷺ أمّةً في ذاته وتصرفاته، وكفى في ذلك قول الله تعالى: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) [الأنعام: ١٢٤].. والشيخ نجيب عبد الله سالم كان قد سلّط الضوء على مواقف إنسانية بارزة في السيرة النبوية الشريفة، في حلقات أذاعتها إذاعة الكويت، ورأى تعميم الفائدة فنشرها في كتاب يبرز لشبابنا صوراً ناضرة حيّة من سيرة نبينا ﷺ العطرة، فيستدلون بها على الطريق، ويرتقون في مدارج الخير، ويحيون بها تراثنا العملي..

ومن مواضيع الكتاب: حلف الفضول بداية رائعة، ومواجهة مع ابي جهل، والعم الحاني ابو طالب، وبنت خويلد الزوجة الأولى، وموعد مع الآلام في الطائف، وغرباء في أرض الحبشة، ونصارى يصلون في مسجد النبي ﷺ، والسياسي الخبير والمفاوض البصير، وثمامة أعرابي من نجد، ومكة تنطق بالشهادتين، وغيرها..

حقوق الانسان في الوطن العربي

حسين جميل
مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت –
الطبعة: الأولى شباط (فبراير) ١٩٨٦م

الكتاب هو الأول في سلسلة (الثقافة القومية)، التي تهدف مخاطبة القارىء العادي غير المتخصص، وتستهدف الشباب والطلبة بشكل خاص، والغرض الاساسي منها تيسير إيصال الافكار التي تنطوي عليها حركة (القومية العربية) وهدف الوحدة العربية لأوسع جماهير الشعب..

وبغض النظر عن أهداف (المركز) و(سلسلته) تبقى مسألة (حقوق الإنسان) على رأس اهتمامات الفرد والجماعة والدولة والمجتمع الإنساني، طالما يسعى الجميع إلى تحقيق العدالة وسبل الرقي للشعوب والأمم والأفراد..

وقد تناول الكتاب في الفصل الأول الخلفية التاريخية لمفهوم حقوق الإنسان كما وردت في النصوص القانونية والدستورية والفلسفية في الإسلام والغرب على حد سواء. وخصص الفصل الثاني للمواثيق والاتفاقيات والقرارات الدولية والاعلانات والتوصيات المعاصرة ذات العلاقة بالحقوق. واستقل الفصل الثالث بـ(الديمقراطية)، بينما تحدث الفصل الرابع عن الأنظمة والاوضاع غير الديمقراطية ونتائجها، وفي الفصل الخامس مسّ مفصل للشكوى من الثغرات القائمة في موضوع الحقوق وانعكاسها على الفرد والمجتمع، ويتعرض الفصل السادس لنظام الحكم الذي نريده وفي ظله تضمن حقوق الانسان. وترك المؤلف نتائجه إلى الخاتمة.

يوم الله (الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث)

المؤلف: جيل كيبل

ترجمة: نصير مروّة – نشر: دار قرطبة – قبرص، ١٩٩٢م

يرصد الكتاب العلاقات بين الدين والسياسة خلال العقدين الأخيرين، فمن الاسلام؛ الذي شهد الثورة في إيران، وحركة حماس في فلسطين، وصعود جبهة الانقاذ في الجزائر. إلى أمريكا البروتستانتية؛ حيث لعبت الجماعات المعمدانية والإنجيلية دوراً بارزاً في انتخابات ثلاثة رؤساء اعتلوا سدّة البيت الأبيض (كارتر وريغن وبوش) مروراً بالكاثوليكية في أوروبا الغربية والشرقية، حيث مارست الكنيسة تأثيراً مشهوداً في التحوّلات الأخيرة لا سيما في بولندا. واليهودية في فلسطين المحتلة، حيث أصبح للأحزاب التوراتية موقعاً مقرراً في سياسة الدولة وحياة المجتمع منذ صعود تحالف الليكود إلى السلطة. انبعثت الظاهرة الدينية واختلطت بالمشاريع والحركات السياسية معيدة الاعتبار إلى ما كان قد جرى تنحيته ووضعه في ذمة التاريخ منذ انتصارات الحداثة وقيم العصر التكنولوجي.. هل فقدت (الحداثة) مصداقيتها؟ وما معنى (العودة) المدويّة للمشاريع الدينية واحتلالها لصدارة المشهد التاريخي المعاصر؟ تبدو الحركات الدينية اليوم بمثابة (حركات احتجاج) على وضع الانسان في العالم المعاصر، وتقدّم نفسها بديلاً عن اليوتوبيات الايدلوجية العلمانية الكبرى (القومية والليبرالية والشيوعية)، فإذا كانت (العلمانية) قد اعتبرت (الدين) لحظة عفى عليها الزمن، فها هو الخطاب الديني اليوم يضع (العلمانية) وقيمها وإنجازاتها موضع تساؤل وشك، ويحمّلها مسوولية الحروب والكوارث والظلم نتيجة الابتعاد عن أمر الله.





ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين ولحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

قضايا العالم الإسلامي

كتب القارىء/ يحيى السيد النجار من الشقيقة جمهورية مصر العربية، يبث اخوانه ما يتفاعل في نفسه تجاه قضايا العالم الإسلامي الساخنة، ومتطلبات المرحلة القادمة من ثبات ومصابرة ومجاهدة فقال:

هموم وقضايا الأمة الإسلامية المصيرية عديدة.. والحل لكل هذه القضايا يكمن في الجهاد، والجهاد الإسلامي فقط.

والبلدان العربية والإسلامية.. لم يعد الحل بيدها، ومن تلك القضايا فلسطين.. البوسنة والهرسك.. كشمير.. أذربيجان.. فالقضية الأولى.. فلسطين.. وارتبطت مؤخراً باتفاق غزة - أريحا بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، والجانب الإسرائيلي يحاول أن يستفيد من الاتفاق أكبر استفادة.. والجانب الفلسطيني يشعر أنه أعطى غاية ما يمكن أن يقدم.. والتكوين الإسرائيلي دائماً لا يعرف الخط المستقيم.. والاتفاق لم ينظر لقضية السلاح النووي الإسرائيلي، وإسرائيل لم تنضم لمعاهدة خطر انتشار الأسلحة النووية.. وإخضاع ترسانتها النووية للتفتيش الدولي.

حتى تصبح إسرائيل تمتلك مقومات إقامة الدولة اليهودية.. والاتفاق حدد موعداً للتنفيذ هو ١٣/١٢/١٩٩٣.. وإسرائيل كعادتها تراوغ ولم تنسحب من غزة وأريحا.. برغم أن نوع السلطة الفلسطينية لم يحدد بعد.. لكنه في مجالات التعليم، والثقافة، والصحة، والخدمات الاجتماعية، والضرائب المباشرة، والسياحة.. وحدد يوم ١٣/١٢/١٩٩٨م لبدء سريان تسوية دائمة.. وفلسطين منذ مايو ١٩٤٨م قضيتها حتى اليوم قاصرة وعاجزة.. ولم تعط أي أثر إيجابي بل ازدادت القضية سوءاً في حرب عام ١٩٦٧م، إذ احتلت إسرائيل القدس، والضفة، والجولان، وسيناء، والبلدان العربية لا تستطيع شن حرب على إسرائيل لاستخلاص الحق العربي منها.. وليس لعجزها العسكري.. فقد تحقق عام ١٩٧٣م النصر على إسرائيل.. برغم أن الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٤٨م أقامت من نفسها حامية لإسرائيل.. وتعلن أن إسرائيل هي الأقوى عسكرياً في منطقة الشرق الأوسط.

وإسرائيل طالما تجد الحماية لا تستجيب لمطالب أصحاب الحق.. وانطلاقاً من هجوم السلام الصاعق بين المنظمة وإسرائيل، يشعر المسلم أنه لا سلام حيث تعلن حكومة إسرائيل بأن القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل.. ولا تهاون ولا تفريط.. هكذا يعلنون صراحة.. فالقدس هي مفتاح السلام في المنطقة.. وهي القضية الكبرى في طريق السلام.. وما لم تحل حلاً عادلاً فإن كل الجهود المبذولة سعياً وراء السلام لن تجدي شيئاً.

والصهيونية تنطلق في تمسكها بالقدس من روح الحقد والتعصب.. وعروبة القدس وإسلاميتها حقيقة مؤكدة.. وحقائق التاريخ شاهدة تؤكد ذلك، ومستقبل القدس هو ماضيها العربي الإسلامي.

ونتساءل: ما رؤية العرب تجاه القدس؟ هل ننسى القدس في زحمة (الفرح) باتفاق غزة - أريحا؟ من يستر عرى الأزمة العربية وطاولة (الفرح) هي نفس (طاولة) كامب ديفيد؟ والحلم عودة كامل التراب الفلسطيني.. وأساس للتوصل، وسلام نهائي ودائم.. ونسى العرب أن التسوية تفرضها موازين وأوضاع الولايات المتحدة الأمريكية.

والقضية الثانية.. البوسنة والهرسك.. وهي تشهد تنفيذ المؤامرة الدولية التي تقررت سلفاً في أروقة الدول الاستعمارية الكبرى.. والموقف الدولي الذي يتعمد تمييع الجمهورية المنكوبة يشهد ذلك.. وخيوط الوهم مع الحقيقة ظهرت.. والاستسلام للصرب هو الطريق الوحيد للنجاة، أو الموت للبوسنيين.

والأمم المتحدة.. بقيادة بطرس غالي تلجأ للأسلوب الضائع.. وقد دخل الإسلام البوسنة والهرسك على يد السلطان محمد الفاتح عام ٨٧٨ هـ/ ١٤٦٣م.

والمسألة هي اعتداء صارخ على حق الإنسان المسلم منذ محاولة إسقاط دولة مستقلة في ٢٩/٢/١٩٩٢م.

وأعظم ما قرأت حول أزمة البوسنة للشاعر محمد أحمد الحساني:

سراييفو.. سراييفو ... نداء كله خذلان
وصوت ضائع الأصداء ... وقال الله: ﴿ولا تهنوا﴾
فأدبرنا ولينا أمام الزحف ... وقد صرنا غثاء السيل
وغطانا ظلام الذل ... فنمنا نوم موهون
تحرج قلبه بالخوف ... وداعا يا سراييفو
فليس لديك معتصم ... يجيبك أو صلاح الدين

وأعتقد أن الحاجة الملحة تدعو المسلمين إلى مساعدة إخوانهم الذين ظلوا عامين أو يزيد تحت نير القهر والظلم والعدوان.

والعوامل عديدة وراء ما وصل إليه العالم الإسلامي من واقع مؤلم.. في مقدمته انحراف البعض عن منهج الإسلام قال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [الأنفال:٤٦].

وليس في الأمر كله ما يستعصي على الفهم.. لم يكتفوا بمأساة فلسطين والاعتداءات في الأرض المحتلة.. وزرعوا مأساة البوسنة، والأمم المتحدة قائمة.. ومجلس الأمن الدولي شاهد المشهد المأساوي، وكذلك المحاكم الدولية.. وتلك الخطابات الفضفاضة عن الحضارات والأخلاق والقيم

والمحبة والسلام.

كـان وزننا الـديمغـرافي بالأمس يـوزن بثلاثـة أربـاع العالم، ووزننـا الحضاري كان في التاريخ كله.

.. وسرعان ما تبدل الواقع..

وهذا الشاعر: محمد عبد الرحمن صان الدين:

هل نسيتم أنكم بالدين كنتم خير أمة
واحتضنتم دعوة الإسلام في عزة وهمة
فصعدتم واستويتم المعالي فوق قمة

وما دام الأمـر كذلـك، فإن الشاعـر لا يجد أمامـه إلا استنهاض الإرادة العربية، ودعوة العرب إلى أن يفيقوا ليدفعوا عن أنفسهم الشر الذي يتربص بهم.. وهذا الشاعر محمد صان الدين:

أمة القرآن والإيمان والفصحى أفيقي
وادرئي في عزم حر هجمة الشر المحيق
وارجعي من غير إبطاء إلى قصد الطريق

.. من يحس بقضايانا.. والزمن زمن التحولات والمتغيرات.

والقضية الثـالثة.. كشمير المسلمـة والإعلام العـالمي الذي يمارس تعتيماً بليغـاً على مـا يجرى داخل كشمير التي أغلق الهنـدوس المحتلـون كـافـة منافذها، وعزلـوها عن العالم الخارجي بشكل نهائي.. وكشمير ذات موقع استراتيجي في الهند.. وكشمير جزء لا يتجزأ من عالمنا الإسلامي.. والقوى الاستعمارية تنشـد تحقيق أهـدافهـا الخبيثـة ضـد الإسـلام والعـالم الإسـلامي.. والمآسي أصبحت عـديـدة في فلسطين والبـوسنـة والهرسك وكشمير وأريتريا وبورما.

وجملـة القول أن العـالم الإسـلامي قد أصـابتـه الجروح العديـدة في كل جسده وأصبحت دماء المسلمين.. أرخص من الماء.

كشمير المسلمـة يجاورهـا الاستعمار الهنـدوسي من الجنـوب الشرقي، والصين الشيوعية في الشمال الشرقي، والباكستـان الإسلامية في الجنوب الغربي، وروسيا في الشمال الغربي.

وعدد سكـان كشمير ١٢ مليون نسمـة، منهم ٨٥٪ مسلمـون، والعهد الإسلامي بها منذ خمسة قرون في أواخر القرن الرابع عشر.

والهند بلد علماني وبه مائتا مليون مسلم.

والاستعمار الهندوسي لا يختلف في طبيعته ولا في مطـامعه الاستعمارية عن الاستعمار الصهيـوني الحاقـد على الإسلام. وقـال تعـالى: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

والهند وإسرائيـل وجهان لعملـة واحدة ذات ملامـح مشتركة.. فـالهند مصرة على الاحتفاظ بكشمير ضاربة عـرض الحائط بقرارات الأمم المتحدة بإجـراء استفتاء فيهـا لتحديـد مستقبلها السيـاسي. وإسرائيل مصرة على الاحتفاظ بالقدس العربية.

وبـريطانيـا هي المسـؤولة عـن إنهاء حكم المسلمين في البلدين.. وثمـة تشابه في الهند.. والمسجد البابري.. الهنـدوس يدعون أنه مبنى فوق معبد قديم أقيم في ذات المكـان الذي ولـد فيه (الإله رامـا)، واليهود يـدعون أن المسجد الأقصى وقبة الصخرة.. أقيما فوق أنقاض هيكل سليمان.

فالهندوس لا بديل أمامهم سوى هـدم المسجد البابري، وإسرائيل تريد هدم المسجد الأقصى.. لبناء هيكل سليمان.

والقضيـة الـرابعـة.. أذربيجـان.. فلم يكـد يسعـد الشعب المسلم في أذربيجـان بسقوط الشيـوعيـة.. ليسترد أنفـاسه.. حتى داهمه العـدوان الأرمني.. وتمادى الأرمن في عدوانهم مثل الصرب، فاحتلوا أجزاء من أرض أذربيجـان.. وعلى مسمع ومرأى من العـالم.. ويطرد أصحـاب الأرض من خلال فرز طائفي مقيت.. لتزداد الهموم الإسـلامية.. والتواطؤ الدولي أمر واقع.. وكل وثـائق التـاريخ تشهـد بملكيـة الشعب الأذري المسلم لإقليم ناغورنو كاراباخ الذي يعيش فيه المسلمون والأرمن على حد سواء.

لكن مـاذا بعـد؟ ينظر المسلم لأرض الإسـلام فيراهـا شـاسعة.. ينظـر لتـاريخه فيكتشف أن أجـداده لعبوا دوراً في التـاريخ.. سـاهموا في إبـداع الحضارة في كثير مـن مجالات الحياة.. البحث الإنساني.. العلـوم.. الفلك.. الجبر.. القانـون.. التاريخ.. الطب.. علم العقـاقير.. البصريات.. الـزراعة.. الهندسة المعمارية.. علوم الدين.

بل كـانت (قرطبـة) أكثـر المدن تحضراً في أوروبا.. وينظـر المسلم ليرى واقعه.. يرى جغرافيا ممزقة.. تاريخ تكتل ضد التكتلات.

على مدى العقود الأربعة الماضية.. أين مشروع الإسلام الحضاري.. أين نقط التـلاقي.. وبـؤس الحاضر يـوجـه لملايين من المسلمين؟ هل نعـزي أنفسنـا؟ وعتمـة الليل لا تضيء لأنها مبعثـرة.. هل يبقـى المسلمـون في صفوف المتفرجين؟

تساؤلات عديدة تطرح.. هل يستطيع المسلمون في تلك المجتمعات تحمل تلك المآسي.. ومع أذربيجـان.. نرى أهميتها في احتيـاطي النفط، والذي يقدر بأربعة مليـارات برميل.. ومحاولة يلتسين بسط النفوذ على الجمهـوريات الإسلامية.. وأذربيجان هي الضحية.

قـال تعـالى: ﴿واعتصمـوا بحبل اللـه جميعـاً ولا تفـرقـوا﴾ [آل عمران/١٠٣].

ولن تقـوم للعرب ولا للمسلمين قـائمـة بدون الاتحاد.. والإسـلام ليس عنفـا.. وهموم الحاضر ومساره يستـدعي حـالة تشخيص لأن صفعـات التجزئة والإحباط.. جعلت الأمة ترتطم بمنـاخ هزيل أشبه بالصخور التي تتآكل وتتفتـت أمام موج البحـر المتلاطم.. علينـا أن نثابـر.. دون أن ينفد صبرنا.. والحق لا يعود في ليلة.. لكن بتغيير السلوكيات في المواقف.. لإنتاج فكر إسلامي يتعايش مع الأحداث.. كل قضية إسلامية.. دوائرها متسعة، وتشـابك الـدو ائر يحتاج لأدوات إنتـاج.. ونمـو ثقـافة.. واتخاذ قـرارات إسلامية.. ودروب الحروب طويلة.. لكن بوضع أولوياتنا الإسلامية.

فلماذا يحن المسلم لماضيـه؟ لأنه أفضل.. والتحـدي الإسلامي لأعـدائه يجب أن يرتكـز على العقيدة الإسـلامية، نصّـا وروحاً.. وتـاريخ الإسلام شاهد أن المسلمين يعـاملون أبناء الأديان الأخرى أفضل معـاملة عرفت في التاريخ.

والاختـلاف في العـالم الإسـلامي ينبغي أن يكـون لأجل الـوصـول إلى المصلحة العليا، وخدمة قضايا الدين وإعلاء كلمة الله.

بل لماذا نختلف ونتقاتل. قـال تعالى: ﴿وجـاهدوا في الله حق جهـاده هو اجتباكم﴾ [الحج:٧٨]. وقد أصبحنـا في كافة المجالات بحاجـة إلى مراجعة لشؤون أنفسنـا.. وأن نثبت الثقة لدي الشبـاب المسلم ونبصرهم بشؤون دينهم ودنياهم.

ولا شك أن كل مسلم غيـور على دينه، تشغله قضـايا وهموم أمتـه.. لذا نشعـر بـالقلق حيـال الـوضع المتدهـور في فلسطين المحتلـة والبـوسنـة وكشمير.. وأذربيجان.. إلخ.. فهل يواجه أبناء الأمة بمناطق الصراع الأزمات بمفردهم.

قـال تعـالى: ﴿كم من فئـة قليلـة غلبت فئـة كثيرة بإذن اللـه واللـه مع الصابرين﴾ [البقرة:٢٤٩]. وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنو إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ [الأنفال:٤٥].

وقـد انتصر المسلمون بهذا الـدين مـدى حياتهم، وفي جميع معـاركهم.. ومعارك اليوم تضرب في جدار الإسـلام.. حتى يعجز المسلمون عن امتلاك إرادتهم، أو تحقيق قيام مجتمعهـم الأصيل القائم على النظام الإسـلامي.. والمد الإسلامي يتمثل في الصحوة الإسلامية.. والهدف ترشيدها وحمايتها لتأخر الطـريق الصحيح. قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فـاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفـرق بكم عن سبيله ذاكم وصا كم بـه لعلكم تتقون﴾ [الأنعام:١٥٣]□

هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

جميلة هي السعادة

جميلة هي السعادة عندما تشرق في نفوس أصحابها.. إن للسعادة طعماً ليس ككل الطعوم، وأن لها لذة لا تعادلها كل لذائذ الأرض.. وسبب ذلك أنها تنبع من داخل نفس الإنسان، وأجمل ما في السعادة أنها لا تخطىء الضعفاء والفقراء لتستقر في بيوت الأغنياء والأقوياء.. بل غالباً ما يشعر بها الفقير والضعيف وذو الحاجة عن غيره من أثرياء الأرض وأقويائهم لأنها لمسات رقيقة حانية تنبعث من صفاء النفس، ورقتها، وقدرتها على الرضا وأنسها بمن حولها من الحياة والأحياء..

لهذا فالسعداء يعمرون مدة حياة خالية من الكدر - لا أقول خالية من المرض - فقد يكون في المرض لذة وسعادة لا تعادلها ثمة لذة أخرى - بل يشعر السعداء بحياة عالية القيمة عظيمة المعنى لأنهم يفهمون معاني الأشياء على حقيقتها، على الرغم من بساطة علمهم وقلة ثقافتهم وموارد عيشهم، ولكنهم يضعون الفكرة في موضعها ويردون اللفظة إلى صوابها، ويعيشون يومهم بامتداد ساعاته غير كارهين أو متسخّطين لما يجري فيه من لمات عارضة، ولا يحملون في قلبهم الصغير حقداً لأحد..

ولفظ الشقاوة يحمل في طياته الغم والضيم لأنه يحدث في النفس زلزلة ينبعث منها شعور بالقلق والتسخّط والمعاناة السرمدية إلا من عصم ربي ورحم. ويكاد البدن أن يقشعر وهو يسمع قول الحق جل وعلا: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق. خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعّال لما يريد. وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ [هود:١٠٦-١٠٨]□

بقلم: علي مدني رضوان الخطيب



أسرى الكويت يناشدون العالم

NATIONAL COMMITTEE
FOR M.& P.O.W.'S AFFAIRS



اللجنة الوطنية
لشؤون الاسرى والمفقودين

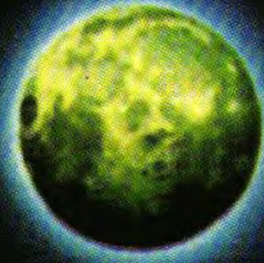
هديتك مع العدد
براعم الايمان

الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

اسلامية شهرية جامعة

العدد ٣٤٩ - رمضان ١٤١٥هـ/ فبراير (شباط) ١٩٩٥م



رمضان شهر البر والخير



الفكر الإسلامي المعاصر بين البناء والهدم

المعهد الديني في الكويت نبراس على الطريق

هدية غارة جوية روسية على ثلج غروزني الناصع



الوعي الإسلامي

AL-WA E I AL-ISLAMI

اسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٤٩ - السنة الحادية والثلاثون - رمضان ١٤١٥هـ/ فبراير (شباط) ١٩٩٥م

كلمة العدد

دورة تدريب ربانية

سئل النبي ﷺ عن الإحسان فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، والإحسان بهذا المعنى منهج متكامل، يقيم من نفسك رقيبا على نفسك، لا بمعنى الخوف والرهبة والإمتناع فقط (العمل السلبي)، وإنما يضعك في ميدان الإقدام والإقبال والبذل والتضحية كذلك (العمل الإيجابي)..

والرقابة الربانية بهذا المعنى دافع ذاتي ملازم للفرد، يتحول – بالتزام الأفراد – إلى سمت للمجتمع المسلم الذي يسعى إلى الخير إدْراكاً منه لحجم النتيجة المنتظرة يوم القيامة، فحالة الرهبة تقابلها حالة الرغبة، وحالة الخوف تتوازن مع حالة الرجاء، وبذلك تتوازن رغبات المؤمن وتستقيم تصرفاته ويصح منه القول والعمل..

ولما كان الإنسان يمر بحالات ضعف متعددة النوازع والظواهر كان محتاجا إلى تنمية قدراته ومهاراته في التذكر والرقابة، والخروج من الروتين اليومي الذي يشكل علامة بارزة من علامات التراخي والخمول، ومدخلا من مداخل النسيان والجمود..

فكان الصوم بما يتطلبه من تكاليف وامتناع، وما يحيط به من عبادات وقُرُبات شحذاً للهمّة والنفس، واستنفاراً للجسد والروح، وتغييراً للعادة، وتحريكاً للساكن من حركة الإنسان المادية والمعنوية، دافعاً لاستشعار رقابة الله تعالى في السر والعلن، وتطويعاً للنفس للطاعة عن طواعية ورضا، وهو بهذا المعنى دورة تدريبية على (الإحسان) والتدرج صُعُداً في مدارج الطاعة والاحتساب..

تقبّل الله طاعتكم، وغفر الله لنا ولكم□

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar

مدير التحرير
MANAGING EDITOR
د. صلاح الدين أرقه دان
Dr. S.S. ARKADAN

المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR
خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz

الاخراج الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
S. M. Saleh

هاتف:
بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

المراسلات :
مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

الاشتراكات

داخل الكويت : للافراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ
الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية(أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ
دول العالم: للافراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً(أو مايعادلها)
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب:٤٢٠٥٧
الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت:٥/ ٤٨١٦٨٨٤-٤٨٣٥٠٤٧

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع ٧٥ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

أقـــرأ في العـــدد

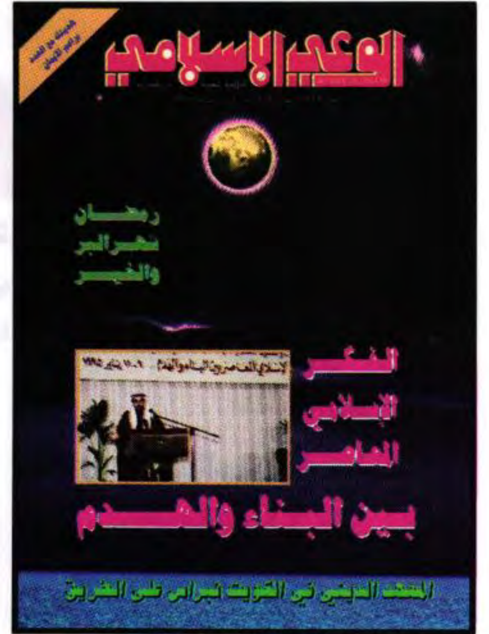




الكومبيوتر داعية اسلامي، ولكن بشرط!!

حوار هذا الشهر مع الدكتور المهندس حسنين محمد حسنين الاستاذ بقسم النظم والحاسبات بجامعة الازهر، ومعه نتابع كيفية توظيف الثورة الالكترونية الحديثة في سبيل خدمة ديننا تراثنا، ولحاقنا بالركب الحضاري في الوقت نفسه.







رمضان شهر القرآن الذي أُنزل هدىً للناس وبينات من الهُدى والفرقان، وهو موسم يختلف في أبعاده وإسقاطاته وآثاره عمّا نعرف من مواسم الخير كلها، وفرصة طيبة لإعادة التوازن بين القلب والعقل، والروح والجسد، والدين والدنيا، بما فيه من شعائر وآداب وما له من فضل وانعكاسات على الفرد والأمة.



تحرير المرأة والتوازن المطلوب

أخذ مصطلح (تحرير المرأة) حيزا كبيرا في أدبيات وخطاب المرأة المسلمة المعاصرة، ويكاد لا يغيب عن أي بحث أو ندوة أو دراسة تتعلق بمستقبل الأمة المسلمة،وفي مقالها عن الموضوع تعرض الكاتبة ابتهال قدّور وجهة نظرها في التوازن المطلوب في هذا الطرح كي لا تذهب بنا رياح التحرر ما بين تشريق أو تغريب.



اقرأ في الأعداد القادمة

- تقديم لعلوم الاراضي
  / د. محمد احمد عبد المطلب
- القلق وأطفالنا
  / اميمة محمد عزالدين
- عناية الاسلام بالاسرة
  / سهير محمد حسنين
- الاخلاق في الاسلام، الخصائص والغايات
  / عبد العظيم سيد الطنطاوي المشايخ
- الاقليات الدينية في الدولة الاسلامية
  / د. محمد عمارة
- الانتماء: قومي ام ديني؟
  د. محمد عمارة
- ظاهرة السعادة بين الحضارة الغربية والاسلامية
  / علي القاضي
- انتقال الحضارات
  / د. محمد عبد المنعم خفاجي
- مخطط التنصير في البلاد الاسلامية
  / احمد محمود ابو زيد

الاغتراب في الفكر والتاريخ الاسلامي

تعيش أمتنا حالة الاغتراب كما لم تعشها من قبل، ولقد كانت لنا مساهمات واضحة في الحضارة الإنسانية العامة، بالرغم من كل السلبيات التي واجهناها وقاومناها في تاريخنا القديم والوسيط، ولكن ما هو دورنا الآن، وكيف هو المخرج، تلك كانت هموم الطرح الذي تناولته ندوة (الاغتراب في الفكر والتاريخ الإسلامي) وشهدتوقائعها قاعات (مسجد الدولة الكبير) بالكويت.

١٩

صمود.. ولكن..

(مساحة رأي) هذا العدد تتطرق إلى ضرورة إيجاد خطة إسلامية شاملة توظف الجهود الكبيرة التي تبذلها أمتنا المسلمة وجماعاتها المنتشرة في المعمورة، في أكثر من ساحة وعلى أكثر من صعيد، وإلا نخشى أن تتحوّل هذه الأعمال – ومنها الصمود الأخير الرائع لمسلمي الشيشان – إلى مجرد مراسم (عزاء) أو (دعاء).

٢٢

الشيشان وكبرياء المواجهة

يعيش عالمنا الإسلامي حالة الجهاد المفروض، والمقاومة الباسلة، ولكنه يعيش في الوقت نفسه حالة التجهيل، حتى يكاد بعضنا لا يعرف البعض الآخر، ولولا العاطفة الجيّاشة والأحداث المروعة لما عرفنا ما الذي يجري في بعض أقطارنا، ولا تفاعلنا معه، ولذلك يسعى مقالنا هذا لتعريف المسلم بجزء عزيز وغال من وطنه الإسلامي الصابر المحتس، في عجالة عن الشيشان تاريخا وحاضراً.

٢٤

ملف رمضان

شهر رمضان ذو النكهة الخاصة في قلب وعقل ونفس المسلم يطل علينا كل عام حاملا من المعاني والمشاعر، ومذكرا بالواجبات والفروض والآداب ما يعيننا على استعادة الذاكرة والهوية التي تكاد تتأثر بالضغط المادي وبالمطحنة الحياتية اليومية، وكالعادة؛ في جنبات العدد ملف رمضاني يتناول الصوم والشهر من أكثر من زاوية.

٣٠



الفكر الإسلامي المعاصر بين البناء والهدم

على مدى ثلاثة أيام، شهدت الكويت جلسات الندوة الرابعة لمستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل، والتي عقدت تحت رعاية من سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ/ سعد العبد الله الصباح بعنوان (الفكر الإسلامي المعاصر بين البناء والهدم)، وكانت مظاهرة ثقافية شهدت جمعا غفيرا من المفكرين والعلماء بالإضافة إلى جمهور المتابعين.

١١

الفهرس

الافتتاحية

على الرغم من التقدم الحضاري الذي تشهده الإنسانية في هذا العصر، فإنها تعيش في قلق واضطراب، وذلك نتيجة بعدها عن الله، وإهمالها للقيم الروحية النابعة من وحي السماء وتعاليم الأنبياء.. ولا شيء يقي الإنسانية سعار المادية، وطغيان الشهوات ويردها إلى الاتزان إلا الاتصال بالله والرجوع إلى حماه.

والصوم في مقدمة الفرائض التي فرضها الله جلت قدرته وعظمت إرادته، حتى يرتفع الإنسان إلى المستوى الرفيع الشاف الذي أراده الله له.. فهو رياضة روحية وعبادة بدنية ترتفع بها النفس البشرية من أوحال المادة، وتتسامى عن الانغماس في مضارها. فالصوم تصفية للنفس وتطهير للضمير الإنساني على اختلاف الأديان والمذاهب.

إلا أن هناك سؤالا يفرض نفسه ويتردد على ألسنة كثير من الناس وهو: ما الحكمة المستفادة من فريضة الصيام؟ أو بمعنى أوضح: ما الحكمة في أن يجوع الناس ويظمأوا ويصبروا عن الطعام والشراب ومخالطة النساء من طلوع الفجر إلى غروب الشمس طوال شهر كامل كل عام.. وهو شهر رمضان؟

والجواب على ذلك: أننا معشر المسلمين نصوم لا لحكمة واحدة، ولكن لحكم كثيرة نجدها في الصوم ولا يتسع المجال هنا لذكرها جميعا، فنكتفي الآن بذكر بعضها:

● نصوم امتثالا لأمر الله تبارك وتعالى ما دمنا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فقد فرض علينا – نحن معشر المؤمنين عن طريق رسوله الأعظم ﷺ أن نصوم شهرا كاملا من كل عام لا يعفى من ذلك إلا من كان عنده عذر شرعي. فالصوم إذن عبادة مفروضة وركن هام من أركان الإسلام الخمسة.

والفروض الإلهية تشرح وتوضح ولا تجادل ولا تناقش ما دام الذي فرضها رب العزة سبحانه. وقد فرض علينا الصيام كما فرضه على الذين من قبلنا من الأمم السابق: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة:٨٣].

ولا أحدثك عن السعادة القلبية والراحة النفسية اللتين يشعر بهما المؤمن حين يؤدي فريضة فرضها الله تعالى عليه.

● نصوم لأن في الصوم تكفير للذنوب بقول الرسول ﷺ في حديث شريف: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» [رواه النسائي وأحمد]. ولقول الرسول ﷺ: «إن الله فرض صيام رمضان وسننت لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» [رواه النسائي].

● نصوم لأن الصوم نصف الصبر، والصابرون يوفّوْن أجورهم بغير حساب.

● نصوم لأن الصوم كما هو نصف الصبر فالصبر نصف الإيمان، والإيمان يدعو إلى العمل الصالح، وهما معا – أي الإيمان والعمل الصالح – يهديان إلى الجنة: ﴿إن

لماذا نصوم؟!

الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾. [الكهف:١٠٧].

فالصوم إذن طريق ممهد إلى الجنة، وإلى رضوان الله تعالى ورحمته. فمن ذا الذي يسمع أن في الجنة بابا اسمه «الريان» لا يدخل منه إلا الصائمون، ثم لا يقبل على الصوم فرحا مسروراً وينتظر شهر الصوم كل عام في شوق ولهفة؟

● نصوم لأن في الصوم تربية للنفس وتهذيبا للخلق فينشأ الصائم مطبوعا على الخلال الكريمة، والأخلاق الطيبة، والسلوك الحسن، والبعد عن كل ما يفسد الصوم ويغضب الله تعالى. وفي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» [رواه البخاري والترمذي].

● نصوم لأن الصوم يربي في الإنسان قوة الإرادة والعزيمة، فالصائم الذي يستطيع أن يمنع نفسه ويحرمها من تذوق الطعام والشراب والملذات وهما في متناول يده من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والذي يكبح جماح شهواته طوال فترة الصوم، لابد وأن تنشأ عنده إرادة قوية. وكلنا في حاجة إلى المزيد من قوة الإرادة والعزيمة الصادقة الهادفة

التي تحول بين المرء وبين اقتراف المعاصي التي حرمها الله، والمنكرات التي ينفر منها الطبع السليم والوجدان الراقي والنفس الأبية الخيرة.

● نصوم لأن الصوم يغرس فينا قوة التحمل، فكلنا معرضون لهزات الفقر العنيفة والحرمان البغيض، والبعد عن الأهل، والأوطان. وكلنا معرض للأزمات الاقتصادية الناجمة عن الحروب، والآفات والحوادث والأخطار، وما شاكل ذلك من الظروف التي يندر فيها أو ينعدم الطعام والشراب. وكلنا معرض كذلك للأمراض والعمليات الجراحية التي تستلزم الامتناع عن الطعام والشراب فترة أو فترات طويلة من الزمن.

فلو أن إنسانا لم يعود نفسه على احتمال ألم الجوع وجفاف الحلق، من شدة الظمأ وطول المعاناة عند نزول المحن، كيف يواجه أمثال تلك النكبات وكيف يصبر على ما لم يتعود عليه من قبل؟

حقا: إن الصوم درس عملي يفيد منه كل من شرح الله صدره للإسلام وصام صوما خالصا يبتغي به وجه الله ذي الجلال والإكرام.

● نصوم لأن الصوم يربي في الصائم صفة المراقبة الدائمة ويدربه تدريبا عمليا على هذه المراقبة، فالصائم وهو غائب عن أعين الناس لا يعدم على ممارسة ما يفسد صومه لأنه يعلم أن الله معه حيث كان، وأنه مراقب من الله شديد الأركان فأين يذهب؟ والله موجود في كل مكان..؟

فمن تربى على ذلك لا يمكن أن يسلك في حياته العملية سلوكا معيبا أبدا أو يتصرف تصرفا شائنا أبدا، وهذا هو غاية الإحسان.

ولتعلم – أخي المسلم – أننا في هذه الأيام بالذات في حاجة ماسة إلى المزيد والمزيد من هذه المراقبة وهذا الإحساس بها ليمتنع الاختلاس الذي عم والتدليس الذي طم، وتطفيف الكيل وبخس الميزان الذي تجاوز كل الحدود، وما إلى ذلك من الشرور والآثام التي ترتكب في غيبة القانون وحراس القانون، ولكنها لا تخفى على الله، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، القدير علام الغيوب.

● نصوم لأن ممارسة الصوم في شهر واحد وفي أيام معينة من كل عام يشترك فيه القاصي والداني من المسلمين في أنحاء العالم بشكل أمة مؤمنة واحدة موحدة، إذ يمسك أفرادها عن الطعام والشراب تقربا إلى الله تعالى ويبتعدوا عن المنكرات ومقاومة الشهوات ابتغاء مرضات الله ويتصرفون في حذر خشية أن يتعدوا حدود الله.

هذه الأمة التي يربط بين أفرادها رباط وثيق من المشاركة الوجدانية والشعور بالتضامن الأخوي، لأن المؤمنين إخوة. ماذا تمثل هذه الأمة العظيمة؟ إنها تمثل أسرة واحدة يفرح الفرد فيها لفرح الآخرين، ويتألم لآلام الآخرين، ويسعى بجهده وعرقه ودمه لمساعدة من هم في حاجة إلى المساعدة.

● نصوم لأن الصوم جُنّة كما ورد في الحديث القدسي. فالصوم الصحيح يمنع صاحبه من مزاولة الرفث والفسوق والعصيان ويحجب عنه غضب الرحمن فهو في حرز وفي حماية الله ذي الجلال والإكرام.

والصائم الممتثل لآداب الصيام إذا سبه أحد أو قاتله فقد أمر أن يقول: «إني امرؤ صائم.. إني امرؤ صائم». وهو بذلك يتقي المشاحنة وما تجر إليه من صدام وآثار لا تحمد عواقبها.

● نصوم لأن الصوم يقي من كثير من الأمراض المستعصية التي تفتك ببني الإنسان مثل التخمة وضغط الدم، وتصلب الشرايين والسكر، وتضخم الطحال، واضطراب الأمعاء المزمن، والتهاب الكلى الحاد وأمراض القلب. ومن الأطباء من قال إن الصوم يقي أيضاً من الأمراض الجلدية.

وقبل هؤلاء وهؤلاء بعشرات القرون يقرر معلم الإنسانية الأول وطبيبها الحاذق وملاك رحمتها ﷺ: إن المعدة هي بيت الداء. فيقول ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاءً شرا من بطنه» [رواه الترمذي والحاكم]. ويروى عن لقمان عليه السلام قوله: «إذا امتلأت المعدة خرست الحكمة، ونامت الفطنة، وسكتت الأعضاء عن العبادة».

● نصوم لكي نحس بآلام الفقير الجائع الذي لا يجد قوت يومه. فإذا صمنا أدركنا مدى ما يعانيه هو وأولاده طوال العام، فترق قلوبنا، وتسخو نفوسنا، وتمتد إليهم أيدينا بالعطف والحنان، وبشيء من المال الذي هو في الحقيقة مال الله إن شاء أخذه منا دون عوض، وإن شاء حفظه لنا وبارك لنا فيه.

يفعل الصائم ذلك كله طواعية وقناعة ورضى، لا يدفعه إلى ذلك قانون من صنع بشر أو قرار وزاري أو منشور إداري أو لائحة عامة، وإنما الذي يدفعه إلى ذلك إحساسه الديني وفطرة الرحمة التي غرستها في نفسه شريعة الصوم.

● من هنا ندرك أن فريضة الصوم تخلق مجتمعا ذا حساسية مرهفة.. مجتمعا عطوفا ودودا رحيما.. مجتمعا متكاملا متعاونا لا تجد له مثيلا في المجتمعات الأخرى، ذات المبادىء المستوردة، من هنا وهناك، وذات القوانين الأرضية المصطنعة التي تتغير كل حين وفق أهواء الناس وتبعا لأمزجة الحكام.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا الشهر فاتحة خير لنا وبشير يمن ومناسبة لجمع كلمة المسلمين، وأن يعيده علينا وقد تحررت مقدساتنا وارتفعت راية الإسلام ونكست للشرك رايات، إنه قدير وبالإجابة جدير.. وكل عام وأنتم بخير□



د. حسنين محمد حسنين:

الكمبيوتر داعية إسلامي.. ولكن بشرط!

ضعف التمويل هو المشكلة الأساسية التي تواجه هذا المشروع الحضاري

نحن في عصر يشهد كل يوم نهضة حضارية جديدة بفضل التقدم المذهل في العلم وتطبيقاته التكنولوجية. والكمبيوتر! هذا المارد الذي خرج من القمقم هل نتمكن من السيطرة عليه وترويضه وتسخيره لخدمة علوم القرآن والحديث ومعارفنا الدينية والشرعية؟!

لقد سببت الثورة الالكترونية الحديثة نقطة تحول خطيرة رجحت كفة الغرب وتنذر من قريب بالوقوع في شرك التبعية الثقافية والاجتماعية. واصبحت التكنولوجيا تمثل تحدياً هاماً أمام أقطار العالم العربي والإسلامي.

ورغم وجود خبراء عرب على مستوى رفيع فما زلنا ننظر الى التكنولوجيا من ثقب ضيق، ونتحسس مشكلاتنا من منظور تقليدي ونكاد نصور الكمبيوتر على أنه (تابو) مقصور على فئة أو مجال معين دون غيره. ويأتي في مقدمة الدراسات التي يجب الاضطلاع بها هي حفظ القرآن: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر:٩].

ومجال الحفظ والتذكر من المجالات التي يتمتع فيها الكمبيوتر بإمكانات بالغة التقدم.

تجعلنا نتساءل هل يمكن للكمبيوتر ان يصبح داعية إسلاميا ومامدى إمكانية استيعابه للمسائل الدينية؟!

وفي مجال الإجابة على هذه التساؤلات كان لنا هذا الحوار مع الاستاذ الدكتور حسنين محمد حسنين الأستاذ بقسم النظم والحاسبات بجامعة الأزهر.

فقد أنجز مع مجموعة من الباحثين موسوعة للقرآن وعلومه وموسوعة لعلماء الدين واستخدمت في إنشاء هذه الموسوعات لغة(بدولوج) على كمبيوتر شخصي IBM.

■ نعم.. يمكن أن نستفتي الكمبيوتر!

■ إنشاء بنك معلومات إسلامي.. مسؤولية الأقطار الإسلامية

في البداية يقول د. حسنين محمد حسنين حتى الآن معظم البرامج التي تأتي للمنطقة العربية تأتي من بلدان غربية بلغتها المختلفة وفي مجال الاستفادة من الكمبيوتر في خدمة علوم القرآن والحديث

أجرى الحوار: جيهان طلعت

وعلومه والعلوم الشرعية تصبح اللغة العربية هي المحك الأساسي في التعامل وبخاصة عند إنشاء موسوعة لأي علم من العلوم الشرعية، لذلك يجب أن يكون للعرب بالذات بصمتهم الثقافية على لغتهم وتراثهم، وتقتضي هذه البصمة ان يحمل الباحثون العرب، (هوية الثقافة السريعة) أي ملاحقة التطور التكنولوجي الذي يحمل كل يوم الجديد الى عالم الكمبيوتر. وأساس التطور ليس في تصنيع (الماكينة) ولكن في تصنيع البرامج والتطبيقات التي تعمل عليها هذه (الماكينة).

الكمبيوتر والفهرسة

● مامدى نجاح الكمبيوتر

في إيجاد معاجم مفهرسة لألفاظ القرآن الكريم ونظام لرواة الاحاديث النبوية؟

●● يقول د. حسنين محمد حسنين الواقع أن هناك تجارب ناجحة ومشرفة في هذا المجال على مستوى جامعة الأزهر وعلى مستوى موسسات عربية خارجية، فعلى المستوى الاول تم انشاء موسوعة للقرآن وعلومه ،وهي السبيل لجمع الأدلة القرآنية، وموسوعة للحديث النبوي وعلومه ،وموسوعة علماء الدين لتوثيق الأدلة، وقد استخدمت في إنشاء هذه الموسوعات لغة(بدولوج) على كمبيوتر شخصي (IBM)، وهناك جهود لإنشاء (مكانز) أي معاجم عربية لخدمة الباحثين في أي مجال لغوي وعربي بالذات.

وفي هذا العام تم تنفيذ مشروع باستخدام الأوساط المتعدده الـ(Multimadia)، كما تم إخراج برنامج (لتعليم الصلاة) وأسس الجمع بين الصلوات،وتحت التصميم هناك برامج منطوقة للنصوص القرآنية لخدمة غير الناطقين باللغة العربية..وهناك برنامج لتعليم الصلاة لغير الناطقين باللغة العربية، وهناك جهد بدأناه في موضوع(تسجيل صوتي) للقرآن الكريم على الكمبيوتر وقدتم عمل الإختبارات الأولية عليه وأثبتت نجاحه.

وعلى مستوى المؤسسات قامت مؤسسة صالح كامل بجهود اكثر جدية للعمل تحت هذا المجال خاصة (بنظام المواريث).

وهو جهد علمي منظم ومشرف وقد شارك احد الأساتذة من جامعتنا بإخراج نظام للحديث النبوي الشريف بالتعاون مع جهة خارجية وللشركة العالمية جهد كبير في مجال تصميم البرامج لتفسير القرآن باستخدام الذكاء الإصطناعي.

مشكلة النص الثابت

● هل يمكن أن نستفتي الكمبيوتر في بعض المسائل الدينية مثل (حكم تارك الصلاة)؟

●● هذا الامر ممكن في حالة تغذية الكمبيوتر بالبيانات والمعلومات الخاصة بأحكام تارك الصلاة.

ولكن لابد ان يكون النظام اللغوي العربي مخدوم خدمة جيدة وذلك بالإستعانة بالمحللين اللغويين.

وعلماء الألسن والخبرات الموجودة في الكمبيوتر ورجال التحليل النصي للغة الكمبيوتر، فاللغة العربية تتسم بكثرة المترادفات والمشكلة التي تظهر على الكمبيوتر هي مشكلة الإلتزام بالنص الثابت أي الإلتزام بهذه العبارة فقط(حكم تارك الصلاة)، فإذا ماتمت صياغة هذه العبارة بطريقة مختلفة لكنها تؤدي نفس المعنى فقد لايلتزم الكمبيوتر بنفس المعنى وقد لايلتزم الكمبيوتر بنفس الإجابة لهذا لابد من الاستعانة بالمحللين اللغويين لكي يستطيع الكمبيوتر أن يحلل نص العبارة ويعطي الإجابة الصحيحة وبعد ذلك يمكن القول بإمكانية خدمة الكمبيوتر في مجال الإفتاء.

(مشكلة التمويل)

● ولماذا لم تتم الاستعانة بهذه المجموعة من المتخصصين لإخراج نظام كامل يخدم هذا المجال؟

●● إلى الآن نادراً مانجد مجموعة عمل متكاملة من المحلل اللغوي وحتى العالم في مجال الكمبيوتر، وطالما كانت هذه المجموعة ناقصة كان إخراج النظام ناقصاً. وفي مراكز الأبحاث بعد ان تتواجد هذه المجموعة أو هذا التكتل العلمي تطفو على السطوح مشكلة التمويل، صحيح ان مصادر الجهود العلمية جاهزة للتنفيذ ولكن من سيمول لتخرج هذه الجهود إلى حيز التنفيذ وتؤتي ثمرتها؟!

فالباحث مثله مثل أي إنسان عادي مطحون بالظروف التي يعيش فيها، فهو لايستطيع ان يمول أي مشروع من ماله الخاص نظراً للتكلفة العالية التي يتطلبها التنفيذ فمن أين يؤتى بالتمويل إذا لم يكن هناك رأس مال مرصود أو موضوع لخدمة المشروعات البحثية في هذا المجال. مجال العلوم الشرعية وعلوم القرآن والحديث وخلافة ومن هنا ينطلق الباحثون.

التعاون لإنشاء بنك معلومات إسلامي شامل

●● هل ترى – إذن – حتمية البدء بالتعاون بين الأقطار العربية والإسلامية لحل المشكلات في هذا المجال؟

●● التكنولوجيا سلاح ذو حدين ومنطقي أن يمسك هذا السلاح أولاً الأفراد الباحثون من مختلف التخصصات ومن مختلف أنحاء العالم الإسلامي وذلك لتقديم وجهات النظر العلمية وطرح المشروعات المقترحة للتنفيذ في خدمة هذا المجال وتأتي بعد ذلك مهمة الأقطار التي تتعاون من اجل انشاء مؤسسة تتولى تمويل هذه المشروعات وخروجها الى حيز التنفيذ.

إن العلاقة بين شركات الإنتاج وشركات قطاع الأعمال والشركات التجارية والشركات الخارجية وبين مراكز الأبحاث علاقة غير قوية أو هي ليست متواجدة على المستوى المطلوب ونتمنى إنعاش هذه العلاقة عن طريق المزيد من التعاون حتى تخرج جهودنا ومشروعاتنا المقترحة لخدمة هذا المجال إلى حيز التنفيذ الفعلي ونوثق البصمة العربية الثقافية على لغتنا وتراثنا اللغوي على المستوى التكنولوجي بإنشاء بنك معلومات إسلامي شامل يخدم الجميع في كل أقطار عالمنا العربي والإسلامي.

فالكمبيوتر إلى الآن ليس عربي التصنيع ليس لأنه صعب فنحن لدينا خبرات كثيرة متواجدة على الساحة وعلى مستوى رفيع ولكن المشكلة ان (الماكينة) أو لـ(Mochine) التي ستصنع تحتاج لرأس مال ضخم، وفي الأساس لابد من التعاون لاستغلال الخبرات

الكمبيوتر داعية

على المستوى الاقليمي بالتركيز أولا على تصنيع البرامج والتطبيقات التي تخدم مجالات اللغة وعلوم اللغة وعلوم القرآن، والعلوم الشرعية وعلوم التراث والعلوم العلمية ، فتصنيع البرامج هو أساس التطور التكنولوجي الحادث في مجال الكمبيوتر.

الكمبيوتر داعية إسلامي!

● في المستقبل هل يمكن للكمبيوتر أن يصبح داعية إسلاميا؟

●● يذكر انه سبق أن تقدمت بورقة بحثية فى أحد المؤتمرات بشأن هذا الموضوع ولكي يتحقق هذا الأمر لابد أن يتحقق التالي:

١) أن يغذى الكمبيوتر بمختلف العلوم الدينية والشرعية لأجل إخراج موسوعة شاملة في كثير من المجالات: موسوعة القرآن الكريم وعلومه لجمع الأدلة القرآنية وموسوعة السيرةالنبوية والموسوعة اللغوية وموسوعة الحديث وعلومه.الخ.

العبرة ليست بما نملك ولكن كيف ندير ما نملك

٢) وشرط أساسي ان يكون النظام اللغوي العربي مخدوماً خدمة جيدة بتضافر جميع الجهود والتعاون من قبل الباحثين من مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي وأهل العلم المتخصصين في العلوم الشرعية والدينية فالعبرة ليست بمانملك ولكن كيف ندير مانملك!

٣) متابعة التطور التكنولوجي وكل ماهو جديد في عالم الكمبيوتر باستمرار والتركيز على اللغة العربية وحل مشاكلها على الكمبيوتر(مشاكل النص الثابت، والترادفات) وأذكر أننا بدأنا جهودنا في مجال الحديث النبوي عام ١٩٨٨م وحتى الآن لم نستغل التطور التكنولوجي الجديد بسبب معوقات كثيرة ومنها التكلفة.

٤) الأمر الرابع في هذه النقطة أننا مستغلون للتكنولوجيا أي (مستوردون) فيجب ان نتعلم ونتابع أي تطور وليس شرطاً ان نطور وهذا ليس عيباً، وإنما العيب هو أن ننغلق على أنفسنا في قمقم ولانتابع أي تطور والأساس أن تكون لنا بصماتنا عن طريق تصنيع البرامج والتطبيقات.

الأوساط المتعددة، والجديد في علوم الكمبيوتر

● ما الجديد في علوم الكمبيوتر وكيف يمكن الاستفادة منه لخدمة علوم القرآن؟

●● الجديد في علوم الكمبيوتر هو (Mulltimedia) أو مايسمى بالأوساط المتعددة أي وسط النص المكتوب مع وسط الصوت (Sound) ووسط الحركة ثم ربط هذه الأوساط بعضها مع البعض وفي تزامن تام مع الاشراف الجيد على هذا التزامن تصبح التجربة مثمرة، فلاشك ان النص القرآني عندما نسمعه فإنه يعطي رونقاً و فاعلية اكثر من مجرد الكتابة فقط.

وأما استخدام الحركة فإنه يفيد في اخراج المسلسلات الدينية للاطفال وكل هذا في وقت قصير للغاية.



ولاتقتصر الاستفادة من الكمبيوتر في مجال خدمة علوم القرآن والعلوم الشرعية على الأشخاص العاديين فحسب بل ويمكن الإستفادة منه في خدمة الذين حرمهم الله من بعض النعم مثل نعمة التحدث أو البصر، فالذي لايتسطيع الكلام يمكنه رؤية النص القرآني مكتوباً في الوقت الذي يتمتع فيه بتلاوة الآيات وتفسيرها فمثلا عند توجيهه سؤالا للكمبيوتر عن كل النصوص القرآنية والاحاديث النبوية التي ترتبط بموضوع ما وكذا كل المواقف والمشاهد التي تتعلق بهذاالموضوع وكل ماوجد في التراث او السلف أو حالياً فإنه بمجرد الضغط على لوحة المفاتيح تظهر الاجابة على الشاشة فيما لايتجاوز الثانية مع الاستماع للتلاوة ومشاهدة المواقف في شكل مسلسلات وخلافه.

أيضا فاقدالبصر يمكنه توجيه السؤال للكمبيوتر عن طريق الصوت حيث يلتقط الكمبيوتر - السؤال عن طريق مسجل بداخله ويجيب عليه بالصوت ايضاً ويستطيع هذا الشخص ان يستقبل الاجابة عن طريق الاستماع أو عن طريق كتابة الاجابة بطريقة(برايل) أو الطرق الأخرى.

وتمتد هذه الخدمة أيضا لغير الناطقين باللغة العربية عن طريق ترجمة تفسير النص القرآني بأكثر من لغة مع وضع إسم المصدر القائم بالترجمة تحت كل تفسير□

الفكر الإسلامي المعاصر بين البناء والهدم

د. الزميع: مطلوب وضع إطار عصري للاجتهادات حول المشروع الحضاري الإسلامي

تحت رعاية سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ/ سعد العبد الله الصباح، وللسنة الرابعة على التوالي استضافت الكويت في الفترة من ٩ - ١٠ يناير (ك٢) ١٩٩٥م ندوة (مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل) والتي أرادتها (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية) جلسة حوار مفتوح من القلب إلى القلب، تسترشد بهدي الكتاب والسنّة، وتستفيد من خبرة الماضي والحاضر، وتنطلق في مسيرة واعية نحو بناء المستقبل، فوفّرت لها مناخ المناسب، ودعت إليها نخبة من مفكّري ودعاة العالم الإسلامي بعيدا عن أي ضغط فكري أو نفسي، كما شهد بذلك المشاركون والحضور..



●وزير الأوقاف د. الزميع يلقي كلمة الافتتاح

وقد ناقشت الندوة ستة محاور حول (فكر التكفير.. النشأة وكيفية العلاج) للأستاذ سالم البهنساوي، و(رؤية في الآفاق المستقبلية لتجديد الفكر الإسلامي) لوزير الأوقاف الدكتور علي الزميع، و(فكر التأصيل الإسلامي الحضاري والعلاقة مع الحضارات الأخرى) للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، و(الفكر التقليدي ماله وما عليه) للدكتور طه العلواني، و(الفكر الطائفي وأثره في انقسام الأمة) للدكتور صادق العبادي، وندوة عن (موقع المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر) لكل من هبة رؤوف وفاطمة حسين وخديجة المحيميد..

متابعة وتغطية:
د. صلاح الدين أرقه دان

وفيما يلي عجالة لتغطية وقائع الندوة، على أن يتم نشر ورقات العمل والتعقيبات لاحقاً تعميما للفائدة وتثميراً للندوة ودعوة للمساهمة الجادّة الهادفة.

[موضوع على رأس أولويات العالم الإسلامي]

أكد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور علي فهد الزميع بكلمته التي ألقاها في افتتاح أعمال الندوة نيابة عن سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء وبحضور وزير الإعلام الشيخ/ سعود ناصر الصباح ووزير التربية الدكتور/ أحمد الربعي، ووزير الشؤون الاجتماعية والعمل الأستاذ/ أحمد خالد الكليب، وعدد كبير من رؤساء جمعيات النفع العام والهيئات الخيرية والمسؤولين وضيوف الندوة من المفكرين على اهمية موضوع الندوة كونه يطمح الى تقويم الوضع الراهن للمشروع الاسلامي من خلال تسليط الضوء على عوامل البناء للعمل على تعزيزها وتقويتها، والتعرف على عوامل الهدم وتحليل اسبابها والبحث المتعمق الذي يستهدف تحديد وسائل واساليب التصدي لها..

وكذلك اشار الدكتور الزميع

أهم عناصر البناء في المشروع الإسلامي التصاق الأمة بالإسلام، وأكبر عوامل الهدم اتساع الفجوة بين الاجتهاد وروح العصر

الى اهمية وقت الندوة بقوله يأتي هذا الملتقى في وقت عصيب يثور فيه جدل عميق حول العمل الاسلامي تختلط فيه الحقائق مع الأوهام، وتضيع في رحابه الآمال والتطلعات الممكنة جريا وراء سراب وطموحات جانحة لا تتوافق مع الواقع، لذلك فان الندوة تحظى بأهمية نابعة من استمرارها على مدار اربع سنوات ولطابعها العلمي المتجرد، ولموضوعها الذي يرتبط بالقضايا الحيوية للعمل الاسلامي في وضعه الحالي، وللمحيط العام الذي تعمل فيه، إذ أن موضوع الندوة اصبح احد أهم القضايا التي تشغل العالم الاسلامي والعالم الخارجي، ومثار جدل ونقاش على المستوى الاكاديمي وعلى الصعيد السياسي، بل وعلى مستوى الرأي العام الاسلامي والعالمي..

وبين ان المطلوب من الندوة واللقاءات الفكرية المماثلة الابداع في الوصول الى تطبيق المثال على الواقع والاقتراب بقدر الإمكان بالواقع والمثال، ووضع إطار عصري للاجتهادات حول المشروع الحضاري الاسلامي الذي بدأ يأخذ مناحي متعددة، ويحد من التناقض الحاصل حول مفردات هذا البرنامج، ويزيل اسباب الخلاف والمعارك الدائرة بين اطرافه، وبينهم وبين الاجتهادات الأخرى.

[كلمة المشاركين]

وألقى كلمة المشاركين المفكر الإسلامي المعروف الدكتور احمد كمال ابو المجد فقال:

إن الامة تعيش في ازمه يعلم ذلك حكامها كما يعلمه الخاصه وعلماؤها، وان امامنا طريقا يوشك ان يكون مسدودا، وانا اصف العصر الحالي بانه عصر مدهش واننا أمة مندهشه.. عصر مدهش لكونه جعل الفرد في حياته اكثر يسرا ووفرت له ما يستخدمه من ادوات الحضاره.. وامة مندهشه لانها لم تحط بالقوانين الداخلية والسنه التي تبني العلوم..

وركز على ان هذه الدهشة ناتجه عن ازمة خطيرة وهي شعور المهزوم، وروى جانبا من قصة للجبرتي عندما زار (دار الصنائع) التي اقامها نابليون بونابرت وراح يصفها فقال: (لقد شاهدت كذا وكذا وغير ذلك من الامور مما لا تطيقه عقول أمثالنا)..

ودعا الي مواجهة سوآت الفكر الاسلامي بثورة فكرية حقيقيه تعيد للمرأه دورها الحقيقي في التنمية، وعدم تقديس التراث الاسلامي، وضرورة إعمال العقل في هذا التراث وفتح باب الاجتهاد مركزا على ان العقل نعمه من الله والتشريع هو رحمة من عنده تعالى، وان مصيبتنا في ان العقل قد نحى عن عرشه في حين ان الاسلام اسقط التكليف عن فاقد العقل، وفي الوقت الذي نحن فيه امة العقل الا ان الغالب علي مفكري المسلمين ان العقل حرام..

ودعا ابو المجد إلى إيجاد غرفة عمليات لمواجهة أزمة الفكر الاسلامي وذكر ان الاسلام هو التاريخ مهديا، وهو المسيرة الانسانيه المرشد، وهو ليس بديلا لشيء وهو اضافة لكل شيء..

[نعم للحوار.. لا للعنف والاقتتال]

دعا وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور علي فهد الزميع علماء الدين ومفكري الأمة ومثقفيها إلى مناشدة جميع القوى والتيارات الإسلامية بالتوقف الفوري عن الصراع الدموي المسلح والدخول في حوار وتحكيم منطق العقل ونبذ طريق العنف والاقتتال..

وقال في ورقته التي قدمها أمام الندوة: إن الحوار وحده هو الذي لا يضيق بالاختلاف والتنوع ويتسع بكل الأطراف لتعبر فيه عن نفسها تعبيراً مسؤولاً ضمن شراكة الوطن، مع تأكيده على ضرورة أن تكون إدانة العنف المسلح والتخلي عن الصراع الدموي والقبول بالحوار قوام الدعوة إلى مصالحة بين كل الأطراف في الحكم والمعارضة بين الأنظمة الحاكمة والجماعات والتيارات. وطالب بوضع خطة عامة وشاملة لاشاعة مفاهيم الاعتدال والوسطية والتسامح وترسيخها على كل المستويات وبين كل الفئات وتدريسها في الجامعات والمساجد وان تجد لها الأولوية بين الدعاة المفكرين والأجهزة الإعلامية المتعددة..

وقال الوزير د. الزميع: لقد شهدت السنوات العشرون الأخيرة بروز تيار جماعات التطرف والغلو الذي يذهب إلى تكفير المجتمعات ووصمها بالجاهلية والدعوى إلى مفاصلتها على المستوى العقدي والسياسي والاجتماعي، والصدام معها، والعمل على قلب السلطة للسيطرة عليها باستخدام العنف المسلح. وأكد أن الدين الإسلامي يرفض أن يكون ستاراً للاخلال بالأمن والخروج على النظام العام وسفك الدماء..

ورد على دعوة البعض باحياء نظام الخلافة الإسلامية بقوله إننا لا نجد في اصول الإسلام ونصوصه وإجماع علمائه المجتهدين ما يدعونا إلى التمسك بنظام الخلافة، وإن الفراغ الفكري هو الذي دفع البعض إلى هذا الطرح، ودعا إلى مواجهة هذا الموضوع بصراحة وواقعية ازاء الإصرار على تضخيم المسألة والتعصب لها والإدعاء بأنها نظام إلهي وأنها محور القضايا في الشعارات الحركية..

د. أبو المجد: الإسلام هو التاريخ مهديا، والمسيرة الانسانية المرشدة، وهو ليس بديلا لشيء بل هو إضافة لكل شيء



● مشهد عام للحضور

[فكر التكفير.. النشأة وكيفية العلاج]

عــرض المستشــار ســالم البهنســاوي ورقتــه عن (فكـر التكفير: النشأة والعلاج)، وعقّب عليها عدد مـن الأخوة المشاركين والمستمعين، وقـد قسم الكـاتب ورقته إلى ثـلاثة فصـول تناول فيهـا: (التفكير في مــاضيـه وحـاضره) و(ضــلالت التكفير والفكر البديـل) و(كيفية العلاج ومدى بقاء التكفير)..

وقــد خلص في ورقتــه إلى النتائج التالية:

إن كل مـا يستند إليـه البعض لتكفير المسلمين ليس إلا أوهاما، فلا يوجد في القرآن أو النسة نص يمكن الاستناد إليه، كما لا يوجد قول لصحابي أو تابعي في ذلك.. ويرى سبل العلاج في بلورة خطة قـومية لمعـالجة جذور المشكلـة تخرج عن نطـاق مهمــة الأمن، فهي مهمة المجتمع كلـه، وطالب بالحرص على عدم إثارة المشاعر الإسلامية، وضرورة التمييز بين التيـارات المعتـدلة والمتطـرفـة، وإعــــادة الاعتبــــار للعلماء وللمؤسسات الدينية..

وأشاد البهنســاوي بالنمـوذج الكويتي في منع التطرف والتكفير، وذلك بإطــلاق حــريــة العمل الإسلامي كغيره مـن الحريات في حدود الـدستور والقـانون في ظل نظـام ديمقراطـي، ونوّه بحـرص وزارة الأوقـــاف والشـــؤون الإسـلاميـة على إقـامـة مـؤتمر سنـوي عـالمي للحـوار الفكـري، فضـلا عن إنشـاء (اللجنة العليـا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية)..

[التأصيل الاسلامي الحضاري]

بدأ الـدكتور عبد الحميـد أبو سليمان في محاضرتــه (فكــر التأصيل الإســلامي الحضاري والعــلاقـــة مع الحضـــارات الأخرى)، بالإشارة الى انه لم يود الـدخول في وضــع تعريفـات او توضيحـات لمفردات محاضرتـه ايمانــا منــه بعـدم حــاجــة الحاضريـن الى المزيــــد مـن التوضيح لها.. ثم انتقل المحاضر الى طــرح ابـرز المحــاور التي تتناولها محاضرته، قائلا:

إذا أردنـا أن نــدرك أين نحن وكيف نصلح، لابــد ان نعــرف كيف بدأنا. بدأ الاسـلام بالوحي دعوة الى الفهم والتفكـر والتدبر وإعمال العقل لبلــــوغ الايمان باللـه، والقيام بـأمانـة الخلافة والشهـادة. كـذلـك الـدعـوة الى التــوحيـد اصــلا لفهم الغيب وكليـــات الكـــون والحيـــاة، والخلافــة اصـلا كــانت لفهم الانســان قيم المســاواة والاخــاء والعــدل والشـورى والــرحمة والقوة والكرامة..

وعن حياة المسلمين الفكـرية، استطرد المحاضر الى عـدة نقاط، فقال: لم يدرك المسلمون بشكل عــام المعــاني النفسية الـدوليـة القائمة.. وقد ادت القوى القبلية الى فصـام القيادة الفكـريـة عن القيادة السيـاسية الاجتماعيـة، واخـذت القـوتــان في تـوظيف الخوف للسيطــرة فتضــاءلت الطاقة النفسية..

وفي إشــــــــارة الى تــأثير الحضــارات الأخــرى، ذكــر المحــاضر ان امتــزاج العــرب بشعوب الحضـارات اليونـانية والفارسية والهنديـة واللاهوتية المسيحية ادى الى اختلاط العقل المسلم، فخـــاض في فلسفـــة الإلهيـــات وهمش مهمتـــه الاساسية في عالم الشهادة وبدل ان تتصاعد حـركة العقل المسلم اداء لامـانـة الخلافـة تبـاطأت، وتخبطـت حتـى فكــــــرة السببيـــية..

وعن علاقة أوروبا بالحضارة الإسلاميـة، تطرق المحـاضر الى قضية تفاعل اوروبا وتصارعها مع الدولة والحضارة الاسلامية حيث بـدأ عصر الاصـــلاحـات الـدينيـة والفكـريـة والعلميـة، وتلبست اوروبـا بكثير من القيم والتقاليـد الاسلاميـة، والتزمت العقل والسببيـــة كـأســـاس للحضـارة والمعرفـة، واكتشفت في تحررها من خـرافات القرون الوسطى منطلق الحرية مصدرا للطـاقــة النفسيـة ورحـابـة للانطلاق العلمي والفكري..

وقـد ادى الفصـــام والخوف واختــــلاط العقـل الى الضعف والجمود والاستبداد، وبـدأ العد التنـازلي في السبــاق بين الامـة الاسـلاميـة واوروبـا لصـالح اوروبا حتى وقعت الامة بأسرها تحت سيطرة اوروبا ونشاطها.. وبحكم الهزيمة كان لابد من بدء ظهـور عـاملي المقـاومـة وفكـر المقـاومـة والــرفض والجمـود لحمايـة الذات والهويـة، كـذلك بحكم الاعجــــاب بالــــــقوة وحب الاستطــلاع ظهـر فكــر المحاكاة..

ومع الاستقــلال السيــاسي وتـراجع السيطــرة الاوروبيـة اشتــد عـود فكــر المحـاكــاة والتلفيــق. وبفشـــل مشروع الاستقــلال السيــاسي وفكــر المحــاكـاة والتقليـد في تحقيق التقدم والاصلاح الحضاري على مستــوى العصر ، ظهـر فكــر اليـأس والـــــرفض والعنـف والثـورة، خـلال كل ذلك لكـون السيــاسي والعسكـــري هــو المسيطـر الذي يستنـزف طاقـة الأمة في معارك خـاسرة وان كان يذكي فيها روح المقاومة والبقاء، دون طـاقـة حضـاريـة وتقنيـة متزايدة ومتجردة تأخذ الامة الى عـالم الاسيـاد وبـر الحضــارة والكرامة..



● وزير الاعلام يقص شريط افتتاح المعرض وإلى جانبه د. الزميع

د.العلواني: مطلــــوب مـــراجعـــة منهجية معرفية لتراثنـــا الفقهي

د.الريسوني: المراجعـــــة قـــائمــة إنما ينقصهــــا الجماعيـــــة

[الفكر التقليدي.. ماله وما عليه]

في الورقة الرابعة قدم الدكتور طه جابر العلواني (رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن) دراسة بعنوان (الفكر التقليدي – ماله وما عليه) داعيا فيها إلى فقه حضاري، وطالبا مراجعة منهجية معرفية لتراثنا الفقهي..

وقد اشار د. طه في بداية الدراسة إلى أن إخراج الأمة من أزمتها الفكرية الموروثة والمعاصرة، وإعادة تشكيل العقل المسلم يقتضي مراجعة شاملة ذات منطلقات منهجية ومعرفية لتراثنا كله. واضاف بأن هذه المراجعة قد تتطلب تجنيد مئات الباحثين وعقد الكثير من اللقاءات والندوات العلمية المتخصصة، وذلك لدراسة وتحليل التراث ورصد الافكار المريضة وتمييزها عن السليم الصحيح من التراث، على ان هذه المراجعة توجب بداية التفريق الواضح بين التراث البشري، والوحي الإلهي الذي كان مصدر نشوء وانطلاق هذا التراث في فترة التكوين، فالمراجعة تنصب على التراث البشري ذاته، لا المصادر الموحاة فهذا التفريق ضروري بين المطلق والنسبي، وقد كان أئمة الأمة يؤكدون على هذه المعاني..

كما اضاف بأن دراسة واقع البيئة العربية واوضاعها وخصائصها قبل النبوة وأثنائها وبعدها ستساعد كثيرا في عملية المراجعة لتراثنا.

د. عبد الحميد أبو سليمان: سيطرة السياسي العسكري استنزفت طاقة الأمة في معارك خاسرة

نماذج

ثم انتقل بعد ذلك إلى تقديم نماذج من الافكار والمفاهيم التي وردت في تراثنا وتحتاج إلى هذه المراجعة، وذكر من بينها، الاتجاهات الفقهية التي وضعت على المسلمين قيودا وأطرا وأغلالا أدت إلى محاولة التحايل على هذه القيود والأغلال المتشددة، والخروج عليها بما عرف بفقه (المخارج والتحايل)، في حين ان ذلك يتعارض مع اطلاقية القرآن ومنهجيته المعرفية وروح الشريعة الإسلامية ومقاصدها، فالقرآن الكريم قد اشتمل على جملة من الآيات مبثوثة في كل سورة تفضي بشكل قطعي الدلالة إلى الأخذ بقاعدة رفع الحرج، وتأصيل فقه التخفيف والرحمة، واعتبار ذلك مقصدا للشارع والشريعة.

نمط تقليدي

وفي دعوة إلى تجاوز هذا الوضع، دعا الدكتور العلواني في ختام دراسته الى (فقه حضاري) و(اصول عمرانية) نابعين من عقلية مجتهدة مبدعة يمكن ان يجعلا الامة قادرة على الوعي بمنهجيتها وشريعتها بشكل تخرج معه من ازماتها، وتسترد به عافيتها وتحقق في اطارة نقلتها المعرفية وانطلاقها. مشيرا الى ان هذا لايتم بدون الجمع بين قراءة الوحي الإلهي وقراءة الكون واستنباط ذلك النوع من الفقة الحضاري من قراءة هذين الاصلين معا، قراءة منهجية معرفية، ليتم التصديق بالقرآن في هذه المنهجية المعرفية على تراثنا كله، والهيمنة عليه، واستيعاب ماينبغي استيعابه ، وتجاوز ما يجب تجاوزه منه.

[الفكر الطائفي وأثره في انقسام الأمة]

استهل الدكتور صادق العبادي الباحث في الشؤون الإسلامية ورقة بحثه (الفكر الطائفي وأثره في انقسام الأمة) بشكر وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية على دعوته، موضحا بأن بحثه ليس الإمجرد إثارات لقضية ليست بالجديدة بل هي قريبة دائما إلى أذهان الحاضرين..

وجاء في مقدمته للموضوع توضيح لتعريف مفهوم الطائفية، بأنها حالة لا تقتصر على الدائرة المذهبية فقط، وإنما على غيرها من الدوائر العنصرية والقبلية، والجغرافية والحزبية، كما أنها جزء من التركيبة الإنسانية والفطرة البشرية، وهي ربما تكون مفيدة في حالتها الطبيعية المعقولة، وربما تنزلق إلى دائرة الإفراط والإنحراف والسلبية في الحالة الشاذة وغير المعقولة، وأن الطائفية تعني رفض كل انحياز غير موضوعي إلى عقيدة أوطائفة أو مذهب معين.. ومحاولة الوصول إلى مشروع قناعة مشترك يمكن أن يكون دافعا لايجاد نواة التفاهم والتقارب الحقيقي بين مختلف الإتجاهات الإسلامية.

المرفوض

ولخص الباحث حصيلة التعصب الطائفي في التمزق والتخلف والاستبداد وقتل الحرية العقلية..

وقبل أن يختم الحديث عن الواقع العملي لتجاوز الطائفية لفت الأنظار الى نقاط عدة يراها ضروية منها ان يتحول الاختلاف

د. صادق العبادي: التعصب الطائفي أساس التمزق وقتل الحرية العقلية

د. سعيد حارب: الفكر الطائفي أقرب إلى الفكر السياسي



● مشد عام للقاعة

من ظاهرة صحية (سنة من سنن الإجتماع) تغني العقل المسلم بخصوبة الرأي وعمق التمحيص إلى مرض عضال يؤدي إلى التآكل والتفتت والتناحر في بعض الاحيان الى حد التصفية الجسدية. ومنها كذلك ان بقاء المذاهب في إطار المفهوم الإسلامي من عوامل ازدهار الحياة الفقهية والفكرية ونموها وتقديم الكثير من وجهات النظر التي ترى فيها الامة سعة ويسرا بما يتلاءم مع ظروف الزمان والمكان مع السعي إلى إقامة حالة من التعاون والتفاهم والتقارب الوثيق والعميق بين المذاهب المختلفة. كما ان حالة الطائفية بحاجة إلى حلول شمولية في مقدمتها معالجة الأزمة الفكرية وإصلاح مناهج التفكير الإسلامي..

مقترحات التجاوز

وبعد أن لاحظ الباحث ان أكثرية الساحة الإسلامية اليوم تميل في الاتجاه الإيجابي لحركة التقارب وتجاوز التعصب والفكر الطائفي، قدم في نهاية دراسته بعض المقترحات لتجاوز الحالة الطائفية، منها: ايجاد المزيد من الحوار بين الاتجاهات الاسلامية المختلفة عبر المؤتمرات ولجان العمل المشتركة. كذلك الانطلاق في جميع القضايا الفكرية والشرعية من قاعدة اسلامية (القرآن والسنة) وليس من قواعد مذهبية (التراث التاريخي والمذاهب). كما اكد على ضرورة التزام الابحاث الفكرية والمذهبية بالصيغة العلمية والموضوعية الهادئة والتخلي عن قاعدة الانتصار على الطرف الآخر..

واتباع اسلوب القرآن والرسول الاكرم والصحابة والائمة الراشدين في الحوار الفكري والاستدلال وآداب الاختلاف، فقد كان ائمة المذاهب في حياتهم صورة طيبة للتفاهم العلمي والاخاء الفكري والتقدير المتبادل للآراء بعيدا عن التعصب. وزيادة على هذه المقترحات، اضاف التوعية بنقاط الالتقاء والاتفاق التي تجمع الامة، والابتعاد عن اثارة نقاط الخلاف والقضايا التاريخية والتوقف عن لغة الاستفزاز والاستخفاف والتحامل والتفكير واثارة المشاعر والعواطف، والتركيز على توحيد المنهجية الفكرية والعقلية في قضايا الفكر والاصول والتوسع في الدراسات الفقهية المقارنة، واقامة الندوات والمؤسسات العلمية، ومراجعة الافكار والفتاوى في المذاهب الشائعة المختلفة والتي لاتستمد شرعيتها من مصادر سليمة.

[موقع المرأة في الفكر المعاصر]

في جو هادىء ووسط حضور كبير جاءت ندوة (موقع المرأة في الفكر الاسلامي المعاصر) والتي عقدت مساء أول من أمس بحضور وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وجمهور كبير من المشاركين بالندوة والمهتمين..

تميزت الندوة بطرح هادىء استوعب تنوع واختلاف أفكار الجمهور، إلا أن هذا التباين لم يفسد جو الندوة بل زادها تنوعا وأثراها غزارة فكرية وجعلها واحدة من أفضل الندوات التي عقدت منذ فترة طويلة في الكويت، وقد حاضر فيها كل من خديجة المحيميد إحدى العاملات في الحقل الاسلامي الكويتي، وهبه رؤوف أستاذ مساعد بكلية العلوم السياسية بجامعة القاهرة، وفاطمة حسين رئيسة تحرير مجلة سمرة..

في البداية تحدثت خديجة المحيميد فقالت:

إن موقع المرأة في فكر وواقع أي مجتمع ما هو إلا مرآة كاشفة للحالة الحضارية التي يجسدها ذلك المجتمع.. ورأت ان المنهج سيكون ادق لو تم تناول وضعية المرأة لا بكونها حالة فردية بل جزء من حالة فكرية اجتماع.. واشارت الى بعض المفاتيح التي تسهل الوصول الى الوضعية التي كانت عليها المرأة في المجتمع الجاهلي العربي والذي كان يئد المرأة منذ ولادتها.. وقالت: ان حال المرأة الغربية لم يكن افضل من مثيلاتها في جاهلية شبه الجزيرة من خلال النزعة المادية التي تنظر الى استضعاف المرأة وتسلبها الكثير من الحقوق.. اما النقلة النوعية فقد جاءت للمرأة العربية بعد دخول الاسلام واستقراره وحدثت في اوروبا من خلال الثورة الصناعية وخروج المرأة للعمل..

واشارت الى اختلاف طبيعة النقلة الحضارية في حياة المرأة العربية عنها في اوروبا حيث عاشت المرأة العربية حقوقها كمبدأ وواقع قبل ان يتم اقرار حقوق المرأة الاوروبية.. واعطت دلائل على الفروق في المضمون الفكري والحضاري لتحرير المرأة في شبه الجزيرة العربية مقارنة بمشروع تحرير المرأة الغربية.. وشخصت موقع المرأة في مجتمعاتنا بأنها تتراوح بين أطراف مزيج غريب من الجاهلي التراثي والجاهلي الغربي والحقيقة الاسلامية وان هناك نظرة تراثية جاهلية تنسب للاسلام جهلا كالنظر الى المرأة من زاوية ان حقيقتها متجانسة عن الشر ويجب أن تحجب عن كل تجديد حتى لا تهوى في المثيرات فتنحرف.. أو نظرة غربية في تحلل المرأة من قيود الشرع والاعراف في المظهر والمعاملات.

الفكر يصلح الأصول

ومن جانبها أوردت السيدة فاطمة كلمتها على النحو التالي: ان أدبيات الفكر الاسلامي التي تعالج موقع المرأة ودورها في التنمية كثيرة وهي تتراوح بين المدروس والمجتهد به بين المتعمق والمتسطح. مشيرة الى ان الفكر هو العنصر الاساسي لبعث الحياة في أصول الدين.. وأعادت وقوف حركة الاجتهاد الى عدة أسباب منها انقسام الدولة الى ممالك متناحرة انقسام الأئمة المجتهدين.. ادعاء الاجتهاد من ليس أهلا له.. والتحاسد والبغض بين العلماء وأضافت الا انه رغم ظلمة هذا العهد الذي امتد الى القرن الثالث عشر الميلادي استطاع بعض الضياء أن ينفذ باجتهاد ابن تيمية وابن القيم الجوزية..وأشارت الى بعض المؤثرات التي نقلت الدوافع من الايجاب الى السلب في تيار الصحوة الدينية وهي الرغبة في الانتشار والوفرة المادية ومحاولة اشراك المرأة رغم وجود تباين في النظرة الى موقعها بين المرأة ناقصة العقل والدين أو الأخت المسلمة أساس المجتمع الفاضل..

ومن جانبها ارتجلت السيدة هبة رؤوف كلمة اوضحت فيها ابعاد قضية المرأة من منطلق الفكر الاسلامي، كما قدمت نقدا لهذه النظرة ضمن المنظور الاسلامي المعاصر، ووجهّت نقدا موضوعيا للسلفية العلمانية – إن صح التعبير – في



● الندوة النسائية

فاطمة حسين: الفكر الإسلامي يزخر بالرؤى التقدمية التي تضع المرأة في مكانها الصحيح

هبة رؤوف: مطلوب حركة تجديد لتحرير المرأة تـــدرك واقعهـــا الاجتماعي

نظرتها للمرأة ودورها في الفكر والحياة، داعية إلى التحرر الشامل من تبعات الفكر الغربي والتقليد السلفي للطروحات الغربية المبنية على فكر وظروف مختلفة ،متباينة تمام التباين والاختلاف مع ظروف المجتمعات الشرقية عامة والعربية خاصّة، واكدت على ضرورة تحرير الرؤية الموضوعية لمكانة المرأة المسلمة المعاصرة، والعمل على تحقيق حركة تجديد لمفهوم تحريرها مع إدراك عميق وصادق لوضعها داخل المجتمع.

[سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء يكرم المشاركين]

استقبل سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح في قصر الشعب المشاركين في الندوة التي شهدتها الكويت في الفترة من الثامن الى العاشر من شهر شعبان عام ١٤١٥هـ، وحضر اللقاء وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور علي فهد الزمي،ع ووزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء وزير التخطيط عبد العزيز دخيل الدخيل، والمستشار بديوان سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء ضاري عبد الله العثمان، ووكيل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية خالد عبد الله الزير..

وفي مستهل اللقاء رحب سمو ولي الهد رئيس مجلس الوزراء بالمشاركين والمشاركات في الندوة واشاد بجهودهم وبالابحاث والدراسات القيمة التي ساهموا فيها، وثمّن سموه المناقشات الهادفة والمثمرة التي سادت الندوة وما نتج عنها من أطروحات وأفكار تساعد على فهم واضح لمبادىء ديننا الاسلامي السمح بعيدا عن التطرف والتعصب.. ودعا سموه الى انتهاج طريق الاعتدال والحوار والتفاهم في جميع الأمور، كما تمنى سموه لهذا الجمع الخير من المهتمين بشؤون الأمة الاسلامية التوفيق والنجاح..

ثم تحدث وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية فاعرب باسمه وباسم اخوانه واخواته المشاركين في الندوة عن الشكر والتقدير لسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء على رعايته الكريمة للندوة وقال ان هذا العمل سيكون له آثار ايجابية على العالم الاسلامي باذن الله، وأثنى الوزير على مساهمات المشاركين في الندوة وخص بالذكر دور الاخوات المشاركات فيها في طرح قضايا المرأة من منظور اسلامي اصيل.

لقطات

○حرص وزير الاعلام على حضور فعاليات الندوة مشاركة زملائه وزراء الأوقاف والتربية والشؤون في حضور الندوة.

○أبدى الكثيرون من الحضور اعجابهم الشديد بكلمة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية.. وهذا الطرح القوي وغير التقليدي الذي تتبناه ندوة المستجدات.

○بدا الدكتور أحمد كمال ابو المجد متحمسا في كلمته التي ألقاها باسم المشاركين، ومعبرا بوضوح عن احوال الامة وناصحا في ضرورة اللجوء الى الاتفاق وترك عوامل الاختلاف حتي تلحق بركب الحضارة الانسانية، وذكر ان الطفل الآن يتعلم الدين في الصباح ويفتي في المساء ويحاسب الناس في اليوم التالي!

○وزير الاعلام ابدى اعجابه بمعرض الفن التشكيلي الاسلامي الذي افتتحه على هامش فعاليات الندوة.

○شهدت الندوة النسائية كثافة في الحضور فاق ما شهدته المحاضرات الأخرى، وكان للنسوة الحظ الأوفر من المقاعد والأسئلة والتعليقات التي اتسمت بالجدية والمصارحة.

○شهدت ندوة المرأة عدة تعقيبات من الحضور ومن المشاركين ورغم تعدد وجهات النظر الا انها اثرت انتعاش واعطت الكثير من الملامح عن النظرة الى المرأة في الفكر المعاصر.

○اهتمت الصحافة المحلية بتغطية وقائع الندوة، وكان للأخوة الصحفيون حضور واضح، ونشاط واسع بين فقرات البرنامج للقاءات وحوارات جانبية مع المشاركين.

خطأ غير مقصود

وقع في عدد رجب ١٤١٥هـ خطا مطبعي في قصيدة الأستاذ فؤاد عبد الرحمن المنياوي: (قبس من ضوء الإسراء)، والقصيدة مشطورة، وقد ذكر في أكثرها الشطر الأول من الأبيات ولم يذكر الثاني، الأمر الذي أخل بمعانيها. والوعي الإسلامي تعتذر للكاتب الكريم وللأخوة القراء عن هذا الخطا غير المقصود، تسعى لتصحيحه في أقرب فرصة إن شاء الله.

حقوق المرأة والتوازن المطلوب

بقلم: ابتهال قدّور*

تناولت ندوة (الفكر الإسلامي المعاصر بين البناء والهدم) موضوع (موقع المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر)، وتعددت الآراء وتشعبت وذهبت كل مذهب، وفيما يلي مساهمة في مفهوم تحرر المرأة المسلمة مبنية على ما دار في الندوة نفسها وما تبعها من نقاش.

بين القول والممارسة

لقد نال الحديث عن حقوق المرأة في هذا العصر من الجهد والوقت ما لم ينله على مر العصور.. وليس في هذا حقيقة ما تحسد المرأة المعاصرة عليه.. ذلك لأن كثرة الجدل في قضية بعينها يعني - في كثير من الأحيان - غياب الممارسات الواقعية العملية السليمة لهذه القضية. وفي هذا ما يكفي لإصدار سلسلة من اتهامات التقصير أو العجز الموجهة للمرأة بشكل خاص، وللرجل والمجتمع بشكل عام. ونحن نعلم بأن التحركات النسائية النموذجية في صدر الإسلام، والتي كانت تتم ضمن إطار واضح من مساحات الحقوق والواجبات، استطاعت أن تغلق مداخلات الفكر واختلافاته، وشططه حول هذه القضية.. على الأقل.

أما ما جعل من هذه القضية مادة دسمة على طاولات البحث في المؤتمرات عربيا وإسلاميا وعالميا، فيرجع بنسبة كبيرة إلى أن المجتمع نال من مساحة تحرك المرأة، فاقتطع لنفسه أجزاءً، ومنعها - من ثمة - من التنقل إلا ضمن دائرة مساحية ضيقة حدّت من انطلاقاتها، وضيقت آفاقها، وجمدت فكرها. فكان ذلك نوعا من أنواع الاغتصاب القهري الذي لا يقل بآثاره خطورة عن أي اغتصاب آخر.

تحرر المرأة في النموذج الغربي

إلى أنْ نظّر الغرب سياساته الجديدة القائمة على أساس الحريات الخاصة لكل فرد، وحصلت المرأة الغربية على حقوقها كنتيجة حتمية، تمخضت عن طبيعة النظم السياسية والفكرية والاجتماعية. ومُورست تلك الحقوق عمليا بأسلوب تحرري كامل من كل القيود الأخلاقية والعرفية والدينية، وبدت المرأة الغربية بصورة جذابة تتنقل بين المساحات الحياتية صفا إلى جانب الرجل، فكانت النموذج الحي للتحرر المطروح أمام المرأة المسلمة. والنماذج الحية تظل أقوى أثرا وأشد من النماذج التاريخية التي تكون أشبه بالأساطير في زمن مضى.

والصراع الآن بين جبهتين واحدة تحتذي بالنموذج الغربي، وأخرى تحاول إعادة النبض والحياة في النماذج التاريخية التي شاركت وبجدارة في ميادين الحياة المختلفة. ويبدو جليا في هذا الصراع كيف أن تضييع المقدسات أسهل بكثير من استرجاعها!! لأن الأمر يخرج عن كونه مجرد استرجاع لأمور فقدت، ليدخل ضمن سنن الأدوار الحضارية.

غياب خطة واضحة المعالم، صحيحة المفاهيم، يؤدي بدعوة تحرر المرأة إلى عبثية ومضيعة للوقت

لقد ذكر المفكر الإسلامي(مالك بن بني)، أن الحضارة التي عليها طابع الذكر تنتهي إلى الجفاف والعقم والتحجر، بينما تنتهي الحضارة التي تطبعها عبقرية الأنثى إلى فجور وميوعة وانحلال.. ويقارب كلامه الصحة بدرجة عالية إذا ما قسناه، مقارنين بذلك بين حضارة غربية، المرأة فيها (فارسة)، وحضارة إسلامية حالية، يسيطر عليها طابع (الرجل).

التوازن المطلوب

وإذا كان كلا الوضعين خاطىء على المستوى الحضاري، فيكون الوجه الصحيح هو ذلك الذي تتوزع فيه المساحات بالتساوي، لا أقصد التساوي المطلق، ولكن التساوي النسبي الذي لا تطغي سمة الذكورة فيه على مساحات هي من حق الأنثى، ولا تتجاوز فيه الأنثى طبائعها الأنثوية لتنال من واجبات الذكر!

أنقل هنا ما ذكرته (إليزابيث شملا)، وهي واحدة من رائدات الحركة النسائية الفرنسية، تقول: (لم تعد المرأة الفرنسية بحاجة لأن تنزل إلى الشارع، وتنظم المظاهرات، فقد أعطاها القانون الفرنسي جميع حقوقها التي قامت من أجلها، ولم يبق إلا حق المساواة في الأجور بين الجنسين).

ولعل أبرز ما نلاحظه في كلماتها، هو معرفتها السابقة لحدود المساحات التي كانت ترمي إلى الحصول عليها، أو استرجاعها.. وبغض النظر عن صحة التقسيم أو عدمه فإن هذا يدل على أن المرأة الغربية لم تحقق هدفها في التحرر، إلا بعد أن رسمت له تصورا قبل الشروع في تنفيذه.

وهنا أجدني أتساءل عن وضع التصور

*كاتبة وصحفية مقيمة في الكويت

لدى المعنيين عن (تحرير المرأة المسلمة) - إن صح التعبير - خاصة بعد معايشتي لوقائع مؤتمر (الفكر الإسلامي المعاصر)، والذي نظمته وزارة الأوقاف مؤخراً. فقد خرج الجميع من هذا المؤتمر، وهم على قناعة تامة بأنه لابد من العمل على إعادة المساحات المغتصبة من قبل الرجل إلى المرأة المسلمة، على أن تكون هذه الأخيرة في المستوى اللائق لشغل تلك المساحات.

المؤتمر لم يقدم تصورا واضحا، إلا أنه ومن خلال الكلمات الرئيسية والتعقيبات، رسم خطوطا عريضة عامة بعد أن حلل واقع المرأة المعوق، والذي مثل الرجل أحد أهم أسباب معوقاته. ورفض نموذج المرأة المحررة على الطريقة الغربية، مع الإقرار بأنها كانت المحرض المباشر لطرح علامات الاستفهام المطروحة حاليا على الساحة الإسلامية.

أما التخوفات من عدم وجود تصور واضح، فينتج كما ذكرت سابقا من أن عدم الشروع في رسم ملامح هذا التصور، وتحديد مسارات الوصول إليه سيؤدي إلى البحث عن القوالب الجاهزة، وبعبارة أخرى، فإن الحديث عن رفض النموذج الغربي مع عدم إيجاد البديل الحسي لهذا النموذج يعتبر ضربا من العبث، وتضييعا للوقت.. لأن عملية رد الناس إلى النموذج التاريخي يبدو أنها فقدت أثرها في تغيير الأوضاع، سواء عند الرجل، أو عند المرأة!!

المطلوب خطة اجتماعية متكاملة

كما أن عدم العمل جديا على إيجاد خطة اجتماعية فردية لتطوير المرأة من الداخل أولاً، يعني التسليم لهذه المرأة باستمرارها في التقليد الشكلي للمرأة الغربية، مع ما يشكله هذا من خطر على العملية التطويرية، التي تتطلب - بداية - تغييرا داخليا، لأننا إلى الآن نعاني مما عبّر عليه (بافلوف)، تخطيطا يخص الحالة (القشرية) في الشخصية، لا حالتها (الداخلية).

وتغيير المرأة داخليا لا يمكن أن يكون في مجتمع جامد، وأستعير من المفكر القدير (مالك) عبارته: (إن الفرد لا يتطور في مجتمع جامد، وإنما يتهور أحياناً).

إذا كانت المـــرأة في الحضارة الغربية فارسة.. فالحضارة الإسلامية الحالية يسيطر عليها طابع الرجل

فالعملية التطويرية التي تتطلب وضع خطة عاجلة لها، لابد أن تشمل الفرد امرأة كان أم رجلا، والمجتمع بكل فئاته. هذا لأن المرأة لا تخرج عن نطاق مجتمعها، وعن كونها مؤثرة ومتأثرة به، فهي كالبصمة يطبعها المجتمع، فتدلل على طبيعته ومستواه. ولا يخرج هذا عن مضامين العبارة التي ذكرتها الأستاذة (هبة رؤوف) - أثناء محاضرتها في المؤتمر المذكور - حين قالت: (عندما أُخذت الخلافة بالسيف علق الرجل السوط في بيته)!!

لقد تحدث المؤتمر عن مشاركة المرأة في التنمية إلى جانب الرجل على اعتباره شكلا من أشكال الجهاد، ولكنه في ذات الوقت أهمل تقديم خطة واضحة لهذه المشاركة، مما دعا أحد الحضور أن يتساءل عما إذا كان لابد من مشاركة المرأة بنسبة خمسين بالمائة في المعمل والمكتب، حتى تعتبر محررة ومشاركة في خطط التنمية!!

وهذا وضع - من وجهة نظري - مرفوض، لأنه في خضم الحديث عن واجبات المرأة تجاه مجتمعها، يجب ألا يفوتنا أن أول واجب لاتجاه هذا المجتمع هو تهيئة جيل سليم، مؤهل ومكلف بمواصلة الطريق مما يعني تفرغ المرأة، ولو جزئيا للعملية التربوية، الأمر الذي يتطلب تقنين ساعات عملها، وساعات غيابها عن البيت بما لا يتنافى مع هذا الواجب الأساسي. وهنا تظهر أهمية الخطط المتكاملة في المشروع الإسلامي بحيث ترضى المؤسسة الوظيفية بألا تأخذ من المرأة أكثر مما يأخذه بيتها، كما هو حاصل في النموذج الغربي، حيث انتزعت المرأة من بيتها انتزاعا قاسيا، نتج عنه تفكك أسري، أخذ أشكالا ومظاهر مختلفة ومتراوحة الخطورة، ونتج عنه خلل كبير في البنية الاجتماعية والسياسية مستقبلا.. يضاف إلى هذا - طبعا - عوامل أخلاقية واجتماعية أخرى، أبرزها ما كان أيضا من إفرازات الدعوة للتحرير حين أباحت العلاقات الجنسية خارج نطاق الأسرة، الأمر الذي قلل من الرغبة في الإنجاب، وتحمل المسؤولية المترتبة على ذلك.

إن ما يخشى أيضا من دعوة لتحرير غير مقنن ولا محدد، ولا يحمل صفة الشمولية، ما قد يحدثه هذا على نفسية الرجل المسلم من رفض محتمل لواجبات القوامة من إنفاق على الزوجة والأولاد، وهو ما نراه حاليا على شكل حالات فردية يرفض الزوج فيها إلا إشراك زوجته العاملة في عملية الإنفاق، متجاوزا بذلك الأمر الشرعي الذي لم يكلف المرأة بأي أعباء مالية، إلا ما كان منها طواعية. بل لعل الشرع يتجاوز ذلك لكي يبعدها عن الواجبات المنزلية، من غسيل وطبخ وحتى رضاعة. فهي ليست مكلفة شرعا إلا بواجب الزوجية.

هذه الوصفية التي رفعت المرأة، وأعلت من شأنها، يخشى أن تؤثر الدعوة إلى تحرير غير مدروس عليها بشكل يزيد من تكليفها بالأعباء، فتضطر للإنفاق على نفسها، بل وعلى زوجها وأطفالها!

لا نستطيع مع ذلك كله أن نؤيد فكرة استسلام المرأة للفراغ.. خاصة تلك التي تتمتع بالكفاءة.. ولا نستطيع تأييد أن تتفرغ المرأة نهائيا لمعلومات الطهي والتنظيف، لأنها ينبغي أن تحمل مؤهلات تنشئة الأجيال بأسلوب علمي سليم على أقل تقدير.

ولكن الدعوة والإلحاح في الدعوة إلى تحرير غير واضح المعالم، ودون رسم واضح للحدود التي ألزم الله بها كل طرف. أو دون تبيان واضح للمساحات المخصصة لكلا الطرفين، في إطار خطة شاملة تعني بالداخل قبل الخارج، وتحفظ لكل ذي حق حقه، وتحافظ على المصلحة العامة للمجتمع. أمر لن يخدم الأمة بقدر ما سيضربها.. ولن يحرر المرأة بقدر ما يستعبدها□



●د. المذكور ود. الزميع على المنصة

الاغتراب في الفكر والتاريخ الاسلامي

د. الزميع: مجتمعنا لايحوي تيارات علمانية، والأحْرى بنا أن نتصدى بموضوعية ودراية لمظاهر الاغتراب ومعالجة آثاره، وليكن شعارنا: مواجهة حوار لا مواجهة صِدَام

تعيش أمتنا الاسلامية حاليا حالة (الاغتراب) كما لم تعشها من قبل، فبالرغم من بروز بعض السلبيات المتفاوتة الحجم والتأثير في تاريخنا السابق، إلا أن الصفة العامة للأمة المسلمة كانت صفة المساهمة الفعّالة والجادّة في الحضارة الإنسانية ككل، وبناء الفرد المسلم والجماعة المسلمة على أسس راقية من الإيمان والمعرفة والالتزام، مما جعل لها مكانة متميّزة وبوأها رتبة عالية بين الأمم وحضاراتها المعروفة..

وفي واقع اليوم أكثر من محطة تدعو للتوقف والتأمل والبحث عن أسباب الجمود القائم في ميادين الفكر والالتزام، لاسيما والمعاناة الفريدة في نوعها تبرز بشكل ناتيء في أكثر من ساحة إسلامية، ويعود بعضها إلى أسباب خارجية وأكثرها من فعل أنفسنا مما يدفع الغيورين إلى الإصرار على البحث

متابعة: د. صلاح الدين أرقه دان

عن العلّة واكتشاف دواء الخروج من المأزق..

ولذلك جاءت ندوة (الاغتراب في الفكر والتاريخ الإسلامي) التي دعت إليها (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية) بدولة الكويت، وشارك فيها كلٌ من الدكتور علي فهد الزميع (وزير الأوقاف والشؤون الإسلامي)، والدكتور خالد المذكور (رئيس اللجنة العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية) في قاعة المحاضرات بمسجد الدولة الكبير مساء الاثنين ٢٣/١٢/١٩٩٤، وشهدها عدد من العلماء والدعاة والمهتمين بالفكر الإسلامي وواقع العالم الإسلامي المعاصر، جاءت الندوة باكورة عمل نرجو له النمو والتوسع ليقوم على مؤسسة تعنى بأبحاث الاغتراب وتحليل أسبابه ورسم معالم الخروج منه..

أرادت الوزارة من خلالها أن تفتح باب النقاش والحوار وإنعاش فكر المسلم المعاصر للتوقف أمام ما تمر به المجتمعات المسلمة من حالة غريبة من نوعها لم تعرفها على مدى تاريخها الاسلامي المشرق، وهي حالة الاغتراب في ابعاده الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية..

كسر أسوار العزلة

وقد جاء في كلمة مدير الندوة داهي الفضلي (مدير المكتب الفني بالأمانة العامة للأوقاف):

د. المذكور: (اللجنة العليا) تستند في عملها إلى (الشورى) فتستفيد من تجارب سابقة ومعاصرة، وتتبنّى التدرج، وتتفادى الآراء الشاذة التي لاتستند الى الفقه الاسلامي

نرحب بكم أيها الأخوة في هذه الأمسية الفكرية التي يفتتح بها (قطاع الشؤون الإسلامية) عمله التثقيفي، إيمانا منا بدورنا الرئيسي في تقديم أرضية مشتركة للحوار والتباحث لا نبتغي من خلالها أجوبة سريعة ترضي ذاتيتنا، وإنما بحاجة إلى أن نطرح ونعيد طرح الأسئلة لفهم أوضاعنا طبقا لواقعها الحقيقي بعيدا عن الزخرفة وإبداء المحاسن والتغاضي عن المساويء، لنسعى من خلالها لكسر أسوار العزلة مع الجمهور، والتواصل معه في شتى القضايا..

فنحن نسير وفق ثوابت تحكم عملنا، منها أننا نؤمن بالاختلاف ونرفض الخلاف، ونحترم الرأي والتعبير، ونرفض القذف والتشهير، فنحن دعاة حوار لا نفرض فكرا بذاته وإن كانت لنا أفكارنا الخاصة، ونهدف لتقديم الإسلام بصورة تظهر عظمته من خلال مشاريع على أرض الواقع تنطق بما تريد بعيدا عن الشعارات البرّاقة والخطب الرنانة، فالأمة تعيش مأزقا حضاريا متعدد الوجوه مركب العناصر جعلها تعيش حالة الاستتباع لغيرها وتتعرض لضغوط أفقدتها هويتها ونسقها، ونحن لا نواجه اهتزازا في بنياننا الداخلي ونسقنا الحضاري فقط، ولكننا نعيش أيضا محاذير فقدان الكيان والهوية..

واليوم نلتقي في أمسية فكرية مفتوحة نتناول فيها موضوعا نرى أنه يستحق التقديم على غيره لأن فيه تحديدا للهوية وتشخيصا لواقع نعيشه.. موضوعنا عن (الاغتراب)، فما هو الاغتراب؟ هل هو وهم أم حقيقة؟ وما هي حدوده؟

أولوية البحث عن مخرج

وقد أوضح وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور علي فهد الزميع في كلمته أن واجب الأمة البحث عن مخرج وليس الاكتفاء بوصف العلّة، وإذا كانت الأمة الإسلامية تعيش في مأزق سياسي وثقافي واجتماعي بيّن واضح، يعاني منه الجميع، فمن واجب صنّاع القرار ان يتعاملوا مع المأزق للخروج منه..

وذكر ان المجتمعات الاخرى (غير الاسلامية) وجدت الادوات والطرق التي تعينها على الخروج من هذه القضية المهمة وهي (الاغتراب) الذي يُعتبر قضية انسانية بالدرجة الاولى، ولكن للاسف الشديد فإن المجتمعات الاسلامية تعايشت مع الاغتراب بشكل سيء، نتيجة خلافات الصف الداخلي..

وأعاد – في كلمته – الأسباب الرئيسية التي جعلت ظاهرة الاغتراب تطفو على سطح المجتمعات الاسلامية إلى انبهار حضارتنا بالحضارات المدنية الحديثة الأخرى، وإهمال التنبه إلى أثر المعايشة الحضارية والاحتكاك الحضاري بما يؤدي إلى الاستفادة من إيجابيات الآخرين دون الانغماس في تقمّص مفاهيمهم ومسخ الشخصية الإسلامية إما بالرفض أو بالتقوقع أو بالذوبان، ولفت النظر في كلمته إلى أهمية وخطورة عدم دراسة وتحليل أسباب تعرض المجتمع الاسلامي لفترة انتقالية معينة اثناء نمو المجتمعات الاخرى، حيث لا يمكن لحضارة ما ان تنمو بذاتها فقط..

وأشار إلى أن التاريخ أظهر أن كثيرا من المجتمعات التي أغفلت التعامل مع هذه الظاهرة بشكل منهجي مدروس لم يكن امامها إلا التلاشي، وفقدان دورها على الساحة الدولية، وقد فشلت في تثبيت ذاتها وكيانها الذي يمكنها من استمرارها في الحياة بصورة طبيعية..

وبيّن د. الزميع ان معظم من كتبوا في التاريخ الاسلامي لم يكتبوا بفهم صحيح لواقع الازمات التي مر بها، وكان ذلك احد اسباب الاغتراب، ومن مظاهره (الفتنة الكبرى) وقد تجلى ذلك واضحا في عهد الخلافة الاسلامية الذي شهد قتال الصحابة بعضهم بعضا وهم المبشّرون بالجنة، وحتى الآن لم نقع على دراسة وافية تفسّر لنا ظاهرة (الفتنة) وكيفية وقوع المبشّرين بالجنّة فيها، ولا كيفية الخروج منها، ولا تحصين صفنا من الوقوع فيها مرّة أخرى، مما يدل على تقصير كبير في هذا الشأن لا يصح استمراره أمام ما نواجهه من تحديات، وما نعزم عليه من الاستمرار في سبيلنا الحضاري ومعاودة مساهمتنا في بناء الحياة الإنسانية وحضارتها الراقية..

وتطرق وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الى مرحلة ظهور الاسرائيليات، وقد تسرّبت إلى ثقافتنا من خلال ثغرات علمية وفكرية، وعلى مراحل عديدة.. ولم يهمل الإشارة إلى أثر الترجمة والنقل والاطلاع على الثقافات الاخرى، كما لم يغفل الإشارة إلى دور الحروب الصليبية في عملية الاحتكاك الحضاري، وإهمال مؤرخينا دراسة الأسباب التي مكنت الصليبيين من احتلال أعز بقعة في عالمنا الإسلامي، وقلب عالمنا العربي، وقد أدت الهزيمة هذه إلى ظهور حالة (الاغتراب) بصورة جلية..

وقال ان الغزو الاستعماري للعالم الاسلامي تبعته سيطرة سياسية على صنع القرار، مكّنت للغزو الفكري الثقافي، وبالرغم من ذلك فإن التعليم الحديث – بكامل قطاعاته التنفيذية –– لم يأخذ بعين الاعتبار المتغيرات والحاجات، ورأينا أنفسنا في وقت ما منقسمين حول التعليم وسبله، أهو تقليدي (حلقات) أم داخل قاعات وفصول دراسية حديثة (نظامية)، وهل نعلّم الفتاة أم لا، وإذا سمحنا لها بالتعلّم فإلى أية مرحلة دراسية، واختلفنا على الجامعة وكلياتها، ومشاركة الفتاة فيها إلخ..

وكشف د. الزميع ان المجتمعات العربية لم تكن لها اية مبادرات بقبول التحديث والمدنية والتطور من خلال الاطار الشرعي، ولمّا ترك الاسلاميون ذلك قام غيرهم بالمبادرة المطلوبة، الامر الذي ادى الى صراعات كثيرة منها ظهور قضية الاختلاط وعمل المرأة، واصبح من يتحفظ على أية قضية من الطرفين يسمى رجعيا او منكرا للدين..

واضاف ان هناك قضايا كثيرة جعلت ظاهرة الاغتراب تثبت جذورها وهي ظهور مشكلة المرأة العاملة، وقضية الاسرة وتمزقها، وقضية القبيلة والمذهب والطائفة وغيرها، وكل ذلك لم يأخذ نصيبه من الدراسة حتى الآن، مما ادى الى تعمق هذه

الاغتراب في الفكر والتاريخ الاسلامي

الظواهر والاختلاف عليها..

واشار الى ان الامة الاسلامية تعرضت لاغتراب اقتصادي كان وقعه أقل مما عرفته في الميادين الأخرى، لأنه كان بعيدا عن التشنجات السياسية، الأمر الذي ساهم في ظهور مؤسسات اقتصادية كبرى ناجحة، لعبت دوراً مهما في إبراز الظاهرة على كافة المستويات، وقد دفعت النجاحات الاقتصادية المعاصرة في العالم الإسلامي مؤسسات مالية غربية إلى دراستها وتخصيص حافظات مالية على النمط نفسه، مما يفتح باب الأمل واسعا يمكننا من المساهمة على الساحة الدولية من باب الاقتصاد الإسلامي..

وكان لرفض العالم الإسلامي التعامل المبكر مع الانجازات العلمية المتقدمة وبرامج التكنولوجيا الحديثة أثر خطير وكبير في الظاهرة الاغترابية نفسها، بسبب الهوة الواسعة التي قامت بيننا وبين الآخرين..

وأوضح وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية طرق الحل للخروج من هذه الظاهرة فقال: يجب ان نلملم انفسنا من الآن تحت صف موحد واحد، وهو قدرتنا على تطبيق احكام الشريعة الاسلامية بعيدا عن الخلافات والمهاترات والاتهامات، خاصة واننا مازلنا في مفترق طرق، ويجب علينا مواجهة حضارة جديدة للخروج من الازمات الداخلية والخارجية، وللقضاء على الاغتراب، ولن يتحقق ذلك بدون إبداع، لأن المستوى المطلوب ليس مستوى عاديا بل هو مستوى يرقى إلى التهيئة للحاق بالركب الذي سبقنا بعقود طويلة، والزمن – كما يظهر – جزء من المشكلة..

وفي معرض تبيينه للمراد من البعد عن الخلافات والمهاترات قال د. الزميع: إن مجتمعنا الاسلامي الكويتي لايحوي تيارات علمانية، بل هو مجتمع اسلامي يحتاج لمعالجة بعض مظاهر الاغتراب، كما وان اي خلاف لمعالجة الاغتراب يجب ان يكون بعيدا عن التشنج في المعاملة، ومراعاة طاقات الأمة، وتجنب الصراعات الجانبية، واحترام المبادىء الشرعية ولو اختلفنا في آلية تنفيذها – طالما أننا متفقون على المباديء العامة، مجتهدون في نظرتنا لآليات التنفيذ..

وحذّر من صبغ الصراع بالصبغة (الدينية) التي ينبغي تنزيهها وترفيعها عن مثل هذه الصراعات والنزاعات..

وحتى لايذهب البعض الى مبادرات تسيء للسمعة الاسلامية في الخارج، يرى د. الزميع انه يجب إعادة النظر في مؤسساتنا العلمية والدينية ، وأغلب مؤسساتنا التعليمية كذلك، ويجب ان يكون للمسجد دور بارز في جمع الأمة والمحافظة على الاصالة والهوية واحتواء العناصر العاصية لتنشئتها اسلاميا بدلا من طردها والتصارع معها، وتجنيب المسجد أن يكون ساحة صراع أو ساحة عرض فوضوي للآراء كـ(هايد لارك)..

الحرص على نجاح التطبيق

وفي الجزء الأخير من ندوة الاغتراب في الفكر والتاريخ الاسلامي قال رئيس (اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق احكام الشريعة الاسلامية) الدكتور خالد المذكور، ان عمل اللجنة هو تهيئة الاجواء لتطبيق ذلك وليس الالزام او التنفيذ في ذلك، وبرغم مضي اكثر من ثلاث سنوات على صدور اللجنة إلا انها مازالت مستمرة في عملها المحدد لها وهو التهيئة لامكانية التطبيق.. وأضاف ان اللجنة قطعت شوطا كبيرا في ترتيب الكثير من الأمور الهامة في ظل المسؤولية الجماعية لتطبيق الاحكام الشرعية والمتمثلة في السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية، ولذلك – ومن خلال دور اللجنة في المطالبة بالاقتراح بالتغيير – ثبتت عدة امور هامة مثل مبدأ الشورى للاستفادة من الآراء المختلفة وتفادي الخلافات..

وأشار د. المذكور الى ان اللجنة تقوم بمد جسور التنسيق بين المؤسسات التربوية وجمعيات النفع العام للاستفادة من التجارب السابقة على كافة المستويات، وتتعاون مع القطاع العام والخاص في اطار عملها المحدد لها وهي بذلك تلتقي مع شرائح كثيرة من المجتمع الكويتي..

وأكد اهمية الاستفادة من الفقه الاسلامي في عمل اللجنة وذلك بعدم التقيد بمنهج معين في مسألة فقهية او شرعية شرط الالتزام بالاحكام الشرعية، وتتفادى اللجنة الآراء الشاذة التي لاتستند الى الفقه الاسلامي، مع مراعاة واقع البلاد ومصالحها، لأن الشريعة الاسلامية تراعي ظروف كل زمان ومكان..

وأشار د. خالد المذكور الى ضرورة دراسة المجتمع الكويتي المتمثل في الانسان قبل تطبيق الشريعة مع مراعاة النصوص الشرعية، وهناك اجتهادات تتميز بها اللجنة كما تتناسب مع الكويت وظروفها، والحصول من الفقه على اجتهادات سليمة لضمان امكانية التنفيذ والتطبيق، فهدف نجاح التطبيق مقدّم على الاقتصار على إصدار القوانين نفسها□



●جانب من الحضور

صمود.. ولكن

لم يكن الصمود العسكري الشيشاني في وجه القوات الروسية المعتدية مستهجنا ولا مفاجئاً، فقد أكّدت أكثر التقارير التحليلية والإخبارية الغربية أن المغامرة العسكرية الروسية لن تكون نزهة عابرة، وإن كانت موسكو قد وجدت كل تشجيع – مباشر وغير مباشر – من دوائر القرار الغربي، التي صرّح أكثرها أن ما يجري داخل (روسيا الاتحادية) شأن روسي داخلي بحت، وأن القوم أدرى بمشاكلهم وحلولها..

ولقد كان مشهد شيوخ الشيشان بلباسهم التقليدي، وهم يؤدون حركاتهم داخل حلقات تجمعهم والشباب المسلّح أقرب إلى أداء رقصة حرب بحركاتها العنيفة المعبّرة عن استجماع القوّة المشوبة بالغضب، كان هذا المشهد المنقول بأجهزة التلفاز العالمي يثير في نفوس مشاهديه من المسلمين نفس الحماس الذي حرّكهم سابقا باتجاه الجهاد الأفغاني والمقاومة الباسلة في كل من فلسطين والبوسنة والهرسك وكشمير وسواها من مناطق الاحتراق الأمني في بلادنا المنكوبة بالظلم والضعف والتردد.. وبغياب فريق عمل منسجم ومتفاهم داخل الإدارة الروسية يمكن توقّع أي خطوة مرتجلة وفردية، وتبقى تصريحات المعارضة والاحتجاج من داخل روسيا وخارجها مجرد حبر على ورق أو صرخات ضائعة في خضم الضجيج الدولي المسيطر على أكثر من منطقة في العالم، وتبقى المظاهرات التي قادتها أمهات الجنود المكرَهين على القفز في محرقة المعركة مجرد مظهر فلكلوري يكمل الصورة ولا يشكل عند زعيم الكرملين أي عنصر ضغط فاعل ومؤثر في قرار استمرار المعركة أو إيقافها..

ولقد اعتاد عالمنا الإسلامي في مثل هذه الأحوال أن يلجأ إلى الخطب الرنّانة، والقيام بحملات تعبئة إعلامية – لاسيما من على منابر الجمعة – تكرر كلاما يدور على الصمود والفئة القليلة الغالبة، والفئة الكثيرة المغلوبة، تنتهي فيه حدود المسؤولية الشرعية والتاريخية عند باب المسجد، ليعود الجميع إلى داره مطمئنا لقيامه بواجب (العزاء) أو واجب (الدعاء)، ذلك لأننا بتنا في موقع لا يمكّننا أكثر من الدعاء أو العزاء..

صحيح أن البعض ممن تحرّكت في قلوبهم حميّة الدين، وعاطفة الأخوّة، ونداء الواجب، قد توجّهوا إلى أرض الشيشان ليقفوا إلى جانب المظلوم في وجه الظالم، ولكن تبقى الظاهرة محدودة وخجولة، تواجهها حملة إعلامية مركّزة تنبّه المعنيين إلى عدم السماح بتكرار خطأ التسيب الأفغاني، وولادة ظاهرة (شيشانية) تردف الظاهرة (الأفغانية) داخل الوطن الإسلامي الكبير..

وفي خضم التساؤلات الملحّة لفهم حقيقة ما يجري، ولماذا يجري، تكثر الإجابات والاجتهادات، ويعتمد أكثرها على أحد سبيلين، السبيل الأوّل سبيل العاطفة الإسلامية العامّة الجيّاشة التي باتت جزءا من سمات حركة مجتمع المسلمين المعاصر، وتعتمد على إجابات جاهزة حاضرة حضور الأبدية، ومسلّمة لا نقاش فيها ولا فكاك منها، تعتمد على (نظرية المؤامرة) و(تعميم العداء) ولا تتكيء على دراسة واعية، ولا أرقام واضحة، ولا تاريخ مقروء، فيفوتها توظيف (التدافع) العالمي لرفع سيف الذِّلّة عن رقاب ضحايا العدوان، وتستعدي الحياديين والمتريثين، وتفوّت المصلحة في توظيف (تناقض المصالح) لتحقيق خطوة إيجابية ثابتة بنّاءة مهما كانت صغيرة..

والسبيل الثاني يعتمد اعتماداً تاماً على تقارير وتحاليل مؤسسات الإعلام الغربي ومراكز الدراسات العلمية فيه، التي باتت وكأنها مرجعيتنا الوحيدة في معرفة ما يدور على سطح البسيطة (وخارجها)، وبذلك تذهب الاجتهادات في التفسير اتجاهات شتى ولكنها تبقى ممسوكة بيد أصحاب القرار هناك حيث توضح سيناريوهات تحريك البيادق، فيصيبون بسبب غياب المشروع النقيض أو المقابل، وتبقى اللعبة لعبة الآخرين، نقوم نحن



بقلم

د. صلاح الدين أرقه دان

بأدوارنا بشكل جيّد، وربما حققنا نتائج متقدمة على السيناريو المرسوم والمطلوب، ومن ثم تتولى عناصر الأداء (الضحية) فيما بعد إحسان القِتلة والذِبحة، الأمر الذي يفسّر التدخل الخارجي المفاجيء أحيانا لتهدئة الأمور أو تصعيدها، كما وقع لساحات مضطربة كثيرة هدأت فجأة كما اشتعلت فجأة، وساحات أخرى - عُرفت بالهدوء والاستقرار - اشتعلت بدون مقدمات واضحة..

ورغم كل ما تقدّم تبقى الساحة الشيشانية مشبعة بالدروس والمواقف الدافعة إلى التأمّل والتعمّق فيها وفي مجرياتها، واستشراف مستقبلها، وليس بالضرورة أن تكون دروسها إيجابية بحتة أو سلبية بحتة، فلطالما تداخل الخير بالشر، والفائدة بالضرر تبعاً لظروف ومداخلات وتطورات غير محسوبة..

وعلى رأس الدروس المستفادة أن القوّة لم تعد الفيصل الحاسم في مسائل الولاء و إسكات المستضعفين، مهما بلغ ضعفهم وقلة حيلتهم، فلا يوجد وجه للمقارنة بين العدد والعدة والإمكانات في صفي الروس من جهة والشيشان من جهة أخرى، ولقد رأينا بأم أعيننا من خلال أجهزة البث التلفازي العالمي، وقرأنا تقارير المراسلين الصحفيين - شهود العيان، عن أسلحة الشيشان الهزيلة التي تعود إلى الحرب العالمية الأولى، مقارنة مع الترسانة الروسية الموروثة من الاتحاد السوفياتي السابق، ويتبع نوعية السلاح عدده والخبرة الميدانية ومهارات القتال الحديث، ومع ذلك شهد الروس قبل غيرهم على جديّة المقاتل الشيشاني وقوّة اندفاعه بما يقطع الأمل في تسوية سريعة هينة بدون دماء وأشلاء، ويكاد عدد القتلى من كلا الجانبين يتقارب بالرغم من التفاوت المذكور في العدد والعدة..

ومن الملفت للنظر توقيت اشتعال فتيل الحرب متزامنا مع تطورات الساحة البوسنية، ومسارات التسوية في المنطقة العربية، وإذا أضفنا إليها تحركات الساحة الكشميرية، ملنا إلى الاعتقاد بأن المطلوب عدم ترك العالم الإسلامي ولو للحظة واحدة دون عملية استنزاف تدفع به إلى الإغراق في الإعياء والتعب والبعد عن التقاط الأنفاس، أو إفساح الفرصة له ليحصي خسائره على الأقل..

فما من هدنة تقع هنا، ولا إيقافٌ لحمّام الدم في مكان ما، إلا ويوازيه - زمانا وخسارةً - مكان آخر تشتعل فيه الحرائق لتأتي على البقية الباقية من ثروة العالم الإسلامي المادية والبشرية، ودفع العقلاء للتسلح بسلاح الجنون أمام ما يجري لأنهم لا يملكون فرصة هدوء واحدة تساعد على إعمال العقل بدل العاطفة، والبحث عن حل صحيح مثمر بدل الإغراق اليائس فيما نحن فيه..

إن المغامرة الحربية الروسية ليست أولى المغامرات الجارية على أرض المسلمين، ولن تكون الأخيرة - على الأقل في المستقبل المنظور - ولكنها متميّزة من زوايا كثيرة تؤثر يقينا على معطيات ومفاهيم سائدة داخل الساحة الإسلامية، من جملتها إعادة اللحمة بين ما هو وطني وما هو ديني، فقد دار الجدل - منذ ما بعد الحرب العالمية الأولى وسقوط دولة الخلافة - بين ما هو وطني وما هو ديني؟ ودار جدل عقيم حول الانتماء وتصنيفه، وتحديد مربعات واضحة تتقاسم الساحة الفكرية والثقافية والسياسية والجهادية ما بين (القومي) و(الديني)، وحاول بعض العابثين بتاريخنا وواقعنا، أن يتجاهلوا ويزوّروا دور الإسلام - تحديدا - في التحرر والاستقلال ورفع المظلمة..

والساحة الشيشانية اليوم تتجاوز هذا المنطق كما تجاوزته الساحة الاسلامية في البوسنة والهرسك، وكما وقع في حرب التحرير الجزائرية.. إن الجهد الضائع في تحديد الهويّة، والفضل، والانتماء، والانتساب، تم تحويله إلى التلاحم والمواجهة، لأن الهوية المتميّزة لأي شعب إسلامي ليست منفكّة وليست مفصولة عن إسلامه نفسه..

ويبقى في الذهن سؤال ملح، يتردد كلما تكررت مثل هذه الحروب وهذه الأحداث: ما هي الثمرة، وكيف سيتم توظيفها؟

قد يستغرب البعض السؤال، ولكنه يعتمد على الحديث القائل: (إنما الأعمال بخواتيمها).. فالسؤال عن الثمرة في مثل هذه التضحيات أولى من الإغراق في عمليات الحماس والاندفاع اللاواعي الذي يهتم بالعمل والإنجاز دون وضعه في الموضع السليم وفي الوقت المناسب، كالباذر في غير الأرض الصالحة للإنبات..

ولا يصح أن يفهم من التساؤل تشكيك أو تهوين بما يقوم به العاملون والمجاهدون، أو أنه تضييع لدماء الشهداء وبذل المخلصين، فالسؤال موجه إلى الأمة ومراكز القرار فيها استنهاضا للجميع على أن يكون الجهد المبذول محفوظا وموظّفا في ميدان الدفع إلى الأمام لا التراجع إلى خلف، فلا يصح أن تنتهي فصول مآسينا دائما بشعار: (لا غالب ولا مغلوب)، أو: (أبرأنا الذمّة فلم يكن في الإمكان أبدع مما كان)، ذلك لأن مثل هذه الشعارات دلالة على الخسارة لا الربح، وعلى تضييع الجهد لا تنميته، ولأن المطلوب برنامج عمل أوسع من (الأقطار) و(الجماعات) يحفظ حقوق الأقطار والجماعات..

فأين هو موقع الصمود الشيشاني الرائع في رصيد دفع الحياة الإسلامية قُدُما، وأين هو خزين الجهاد الأفغاني في الرصيد نفسه؟ ومثل هذا يقال في كل راية وكل جهاد عرفته أمتنا في عصرها الراهن..

إن الصمود الشيشاني، ومثله صمود البوسنة والهرسك، وتضحيات كل مخلص بالمال والنفس والوقت، حجة علينا، وحجة قاسية إن لم يكن لدينا خطة لإضافتها إلى رصيد الأمة، وما زال القرآن الكريم يعيب على الضائعين في دهاليز التنظير، والمراوحين في متاهات غياب البرامج، حيث يقول: ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثا﴾ فهل نحن متّعظون؟

(الشيشان) وكبرياء المواجهة





●خارطة الشيشان

*إعداد مركز الدراسات والأبحاث لروسيا الاتحادية وجمهوريات آسيا الوسطى بدولة الكويت

في ٢٥/١٢/١٩٩١م، استقال ميخائيل جورباتشوف من رئاسة الاتحاد السوفييتي، وأصبحت جمهورية روسيا الاتحادية الوريث الشرعي الوحيد للاتحاد السوفييتي المنحل، وشغلت روسيا مقعده الدائم في مجلس الأمن، وسقطت الشيوعية كفكر وتطبيق .. نظرية وواقعاً، وتمزق الاتحاد السوفييتي إلى خمس عشرة دولة مستقلة، مع بقاء بعض الجمهوريات ذات الحكم الذاتي ضمن جمهورية روسيا الاتحادية، ومن هذه الجمهوريات جمهورية الشيشان والانغوش.

ترى ما الذي يجري في هذا الإقليم اليوم، ونحن على أعتاب الذكرى الثالثة لانهيار الاتحاد السوفييتي؟

نظرة إلى الوراء

تقول المصادر التاريخية إن الإسلام وصل إلى جنوب القفقاس منذ العام الثاني والعشرين للهجرة، بينما تأخر وصوله أحد عشر قرناً إلى شمال وشرق القفقاس. ومنطقة القفقاس منطقة شديدة الوعورة، فرضت قساوتها البيئية على طبيعة سكانها، فعرفوا بالقسوة وشدة البأس، والتمسك الشديد بالأرض، والإصرار الشديد على الحرية والاستقلال ومحاربة الغزاة الطامعين في أرضهم.

وتقسم منطقة القفقاس - كما تقدم - إلى قسمين طبيعيين «شمالي وجنوبي». وقد حاول قياصرة الروس الاستيلاء على المنطقة منذ عصور مبكرة بسبب مزاياها الاستراتيجية والاقتصادية، ولكنهم لم يتمكنوا من بسط سيطرتهم عليها، رغم الحملات العسكرية العديدة التي وجهوها منذ عام (١٥٠٥م)، أيام القيصر إيفان الرابع (إيفان الرهيب).

وقد حاول القياصرة على مدى أكثر من قرنين، استغلال قبائل القوقاز للاستيلاء على المنطقة، لكن محاولتهم باءت بالفشل، بسبب الصمود الرائع لأهلها، وبخاصة القوقاز الشمالي، وكان الشيشان يمثلون العمود الفقري في تلك المواجهة. ولعب الإسلام دورا بارزا في صمودهم، وبرز في تلك المواجهات الشيخ شامل، الذي استنهض الهمم، وهاجم الروس عام (١٢٥٦هـ)، مستفيدا من انشغالهم بحرب القرم، فلمّا انتهت الحرب عام (١٢٧٥هـ)، حشدت روسيا جيشا هائلاً واكتسحت المنطقة، وارتكبت أبشع المجازر، وبدأت أفواج الشيشان والشركس والداغستان تغادر موطنها، وأُسِر الشيخ شامل من عام (١٢٨١هـ)، بعدما تفرقت الجيوش القفقاسية.

وعود معسولة

ولما قامت الثورة البلشفية في روسيا عام (١٩١٧م)، قدمت وعودا معسولة لشعوب آسيا الوسطى، وشعوب القوقاز، تتضمن حقها في الاستقلال والتحرر، لكن لينين وستالين لم يفيا بتلك الوعود، بل كانا أشد شراسة تجاه تلك الشعوب التي قامت بمساعدتهما في القضاء على القيصر، وهكذا ظل الاستعمار الروسي جاثما على المنطقة، حتى سقطت الشيوعية عام (١٩٩١م)، فماذا فعلت روسيا وريثة الشيوعية بهذه الشعوب؟

لا أعترف بالشيشان

بعد سقوط الشيوعية، أعلنت العديد من الأمم والشعوب استقلالها عن موسكو من جانب واحد، واضطرت موسكو إلى الانصياع للأمر الواقع واعترفت بها، وارتبطت معها بمعاهدات، على العكس مما فعلت مع الشيشان، الذين قرروا في أغسطس «آب» عام (١٩٩١م)، الانفصال عن روسيا، وإعلان استقلالهم بعد مرور شهر واحد فقط على انقلاب أغسطس، الذي هدف إلى الإطاحة بجورباتشوف. وفي (٢٧/١٠/١٩٩١م)، انتخب جوهر دوديف، وأرسلت إليها قوات لمواجهة التظاهرات الشعبية التي خرجت لتعلن دعمها للرئيس دوديف، الذي وقف موقفا شجاعا أمام التحديات الروسية، فأعلن التعبئة العامة، وأمر الحرس الوطني بمحاصرة القوات الروسية التي وصلت إلى مطار جروزني، وهدد بإعلان الجهاد المقدس ضد روسيا، مما دفع البرلمان الروسي إلى إعلان خطأ رئيس روسيا في تعامله مع الشيشان، وطالبوا بسحب القوات الروسية، وتمكنوا من إقناع الرئيس الروسي بالتراجع عن موقفه، وإلغاء مرسومه بإعلان حالة الطوارىء، ودعوا إلى حل المسألة سلميا، ومن خلال المفاوضات.

لا تغيير في المواقف

ومنذ ذلك الحين، وحتى ١٣/٣/١٩٩٤م، موعد انتخابات ممثلي جمهورية الشيشان في المجلس الفيدرالي الروسي (لاختيار ٣٢ نائباً) شيشانيا، ظلت الأمور

هـادئة دون أن يعني ذلك اعتراف الروس بالشيشان، أو استسلامهم للأمر الواقع، فروسيا مازالت تعتبر الشيشان جزءا لا يتجزأ من روسيا الاتحادية، لكن الكرملين حريص على الصورة الديمقراطية لنظامه الجديد، لذا كان يتحرك بحذر شديد تجاه الشيشان، فهو يريد أن يكون التدخل في مثل هذه الصراعات باتفاق مع الغرب، أو مباركة ضمنية منه، ولهذا لجأت روسيا لتزويد عملائها من الشيشان بالسلاح بطرق سرية، علاوة على المساعدات المالية الخفية لإفشال حركة دوديف من الداخل.

الروس خائفون

وتعتبر ثورة الشيشان التجربة الأكثر خطورة التي تواجه حكومة بوريس يلتسين، لأن فقدان روسيا للشيشان قد يؤدي إلى انهيار روسيا نفسها. فالشيشان ستصبح رمزا لاستقلال كل شعوب القوقاز، التي يعتنق الجزء الأكبر منها الدين الإسلامي، وكان أول بروز عملي قوي لهذه الشعوب قد ظهر خلال النزاع بين جورجيا ومقاطعاتها ذات الحكم الذاتي «استيا الجنوبية/ وأبخازيا»، ولعب الشيشان الدور الرئيسي والأكبر في إرسال المتطوعين والسلا ح إلى أبخازيا فقضية الشيشان إذا ليست قضية داخلية كما تدعي موسكو، بل هي قضية الخوف من امتدادها لمناطق أخرى.

بداية الصدام

ازداد التوتر بين موسكو والشيشان في أعقاب محاولة الاغتيال الفاشلة التي تعرض لها جوهر دوديف في «٢٧/ ٥/ ١٩٩٤»، أثناء مرور موكبه الخاص بالرئيس جوهر في إحدى ضواحي العاصمة غروزني، وقد قتل بالمحاولة وزير الداخلية الشيشاني، وكانت أصابع الاتهام تشير بوضوح إلى موسكو، حيث أثبت التقرير أن العبوة الناسفة التي فجرت عن بعد لاتصنع إلا في روسيا، في نفس الوقت حركت موسكو المعارضة التي قامت ببعض العمليات المسلحة ضد حكومة جوهر دوديف، كما صعدت حملاتها الإعلامية ضد الشيشان واتهمتهم بأنهم حولوا المنطقة إلى منطقة إجرامية حرة، بل وصل الأمر بالروس إلى أنهم روجوا دعايات عن صفقات لتهريب المواد النووية عبر جمهورية الشيشان لتأليب الرأي العام المحلي والعالمي عليهم.

التصعيد الأخير

ومع نهاية شهر نوفمبر الماضي (ت٢)، وبالتحديد في يوم ٢٨ منه، قامت قوات معارضة لدوديف وبعض المؤيدين لروسيا باقتحام بعض المواقع الشيشانية في العاصمة غروزني، غير أن القوات الحكومية الشيشانية نجحت في صد المهاجمين وأجبرتهم على التراجع، وألقت القبض على عشرات من الروس المرتزقة، وقامت بعرضهم في شوارع العاصمة.

جمهورية الشيشان في سطور

الموقع: القوقاز الشمالي.

الحدود: من الشمال منطقة ستافروبول الروسية، ومن الجنوب جورجيا، ومن الشرق داغستان، ومن الغرب أوستيا الشمالية.

التضاريس: سطح الأرض جبلي مرتفع، وأشهر الجبال جبال القوقاز التي يصل ارتفاعها إلى «٤٤٩٣ متراً» من على سطح البحر، والجبال مغطاة بالغابات، وتجري في الأودية الجبلية عدة أنهار.

المساحة: ١٩٣٠٠ كم.

العاصمة: غروزني.

المقاطعات: ١٢ مقاطعة.

عدد السكان: ١,٢٣٥ مليون نسمة.

القوميات: الشيشان ٧٣٥ ألف نسمة، الروس ٢٩٤ ألف نسمة، الأنجوش ١٦٤ ألف نسمة، الأرمن ١٥ ألف نسمة، الأوكرانيون ١٢٦٠٠ نسمة.

الإنتاج الاقتصادي: الصناعات البترولية، وصناعة المعدات الثقيلة - وزراعة الفواكه والخضراوات والذرة والأرز وقصب السكر، وتربية المواشي.

لا مجال للإنكار

وفي روسيا، قال أقارب هؤلاء المعتقلين إن المقبوض عليهم في غروزني هم أفراد في وحدات الجيش الروسي، وهكذا لم يكن بوسع بوريس يلتسين الإنكار بأن حكومته كانت تدعم المعارضة سياسيا فقط، ولم تلجأ بتزويدهم بالسلاح، أو المعدات العسكرية، أو مساندتهم بالجنود الروس، وإثر تأزم الموقف، وجه يلتسين إنذارا شديد اللهجة لحكومة دوديف، طالبها بإطلاق صراح المعتقلين الروس، وإلا تفاقم الموقف لدرجة خطيرة، كما طالب الشيشان بإلقاء السلاح مع نهاية يوم ١٥/ ١٢/ ١٩٩٤م، ورغم عدم انتهاء مهلة الإنذار، إلا أن الحكومة الروسية أرسلت ما يقدر بعشرة آلاف جندي إلى جمهورية الشيشان، في محاولة منها لإخضاعها. وتقول التقارير إن أطرافا خارجية شجعت الروس على قمع الحركة في الشيشان بسبب ملامحها الأصولية، وبسبب تهديد مصالحها في المنطقة، ولأن تشطير روسيا في الوقت الراهن لن يزيد إلا من مصاعب الاستقرار العالمي، وسيكون حجر عثرة في وجه النظام العالمي الجديد، الذي يتم إرساء قواعده تحت الإشراف المباشر والفعلي للدوائر الغربية، وانطلاقا من هذا الموقف الدولي، شرعت روسيا في تسيير الأزمة القوقازية وفق ما تمليه مصالحها القومية، ووفق ما يمليه الوضع الدولي الراهن.

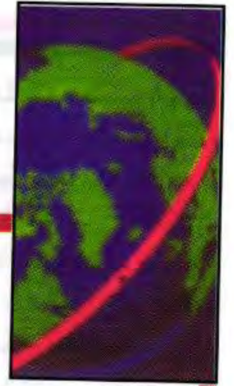


● الشخصية الشيشانية والعزة بالإسلام

وحتى كتابة هذا التقرير ما زالت المعارك تدور في جمهورية الشيشان على مشارف العاصمة غروزني، وإذا ما نجحت القوات الروسية في احتلال العاصمة الشيشانية، فإن هذا لا يعني نهاية المشكلة، وهذا ما أكده جوهر دوديف في أكثر من تصريح، حيث سيلجأ الشيشان إلى حرب العصابات، وعندها فلن تصمد ديمقراطية روسيا الوليدة أمام عواقب هذه الحرب.

فهل تستمر روسيا في هذه الحرب إلى نهايتها؟ أم أنها ستدخل في مفاوضات مع الشيشان للتوصل إلى حل وسط ينهي المشكلة ولو مؤقتاً؟!





نافذة على العالم

مشاريع بيت الزكاة

استعرض الأخ أحمد عطية الباطني مراقب النشاط المحلي في بيت الزكاة منجزات المراقبة والخدمات والمشاريع الخيرية التي نُفذت خلال السنة الماضية، وهي مساعدة ٢٠٢٧٥ اسرة بلغ مجموع افرادها ١٥٠٧٧٩ فردا، وذلك بتقديم ٨٧٣ طنا من المواد الغذائية المختلفة بتكلفة بلغت ١٩٨٩٧٩ دينارا، كما تم دعم ١٩ هيئة محلية تشمل وزارات وهيئات وجمعيات نفع عام، من خلال قسم الهيئات المحلية بمبلغ قدره ٨٧١٥٠ دينارا لمساعدتها على تنفيذ أهدافها الخيرية والتنموية..

هذا بالإضافة إلى مشاريع توفير الماء البارد لعابري السبيل بتكلفة قدرها ١٣٥٤٥ دينارا، ومشروع حقيبة الطالب المدرسية، وقد تم توزيع ٤٦٣٠ حقيبة تحتوي على قرطاسية متنوعة إلى الطلبة الأيتام والفقراء التابعين للأسر المسجلة لدى بيت الزكاة، ولجان الزكاة، وبعض مدارس وزارة التربية، بتكلفة قدرها ١٥٠٥٤ دينارا.. ومن المشاريع التي تم إنجازها إنشاء مقهى شعبي لنزلاء دور الرعاية من كبار السن بتكلفة قدرها ٢٧٠٠٠ دينار.

موقف وفاء

أسقطت أولى جلسات مجلس الأمة الكويتي في العام الميلادي الجديد حوالي مليار دينار تتمثل في ديون مستحقة للكويت على مصر وسوريا، وفوائد متراكمة لديونها حيال بعض الدول النامية.

وشهدت مناقشة الموضوع إشادة كبيرة من جانب النواب الكويتيين بدور مصر وسوريا المبدئي والشجاع في دعم الكويت، والوقوف إلى جانبها خلال أزمة الاحتلال العراقي الغاشم وحتى تحرير اراضيها، وفي الوقت نفسه نوّه العديد من الأعضاء بالصمود السوري أمام المتغيرات الجارية، وأعربوا عن استغرابهم للتسابق نحو تطبيع العلاقات بين الدول العربية و(إسرائيل).

تعاون كويتي إيران

صرح عبد الله عبد العزيز الدويخ (سفير دولة الكويت لدى الجمهورية الإسلامية الإيرانية) عقب لقائه وزير الثقافة والإشاد الإسلامي الإيراني مصطفى مير سليم أنه سلّمه رسالة خطية من وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتي د. علي الزميع تعلق بالعلاقات الثنائية وخاصّة التعاون الثقافي في المجالات الثقافية والدينية. وأوضح أن الوزير مير سليم أعرب عن استعداد بلاده لمشاركة في تدوين الموسوعة الإسلامية التي اقترحها سمو أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح.

قنبلة نووية إيرانية!

أفادت مصادر مقربة من الإدارة الأمريكية الإعلان عن نية الولايات المتحدة السعي لإجراءات دولية عاجلة للحؤول دون تطوير إيران لقنبلة نووية في غضون السنوات الأربع أو الخمس القادمة، وكان خبراء غربيون قد توقعوا ان يستغرق تطوير ايران لقنبلة نووية فترة قد تمتد الى عام ٢٠٠٥ على الأقل، ولكن تقارير مبنية على معلومات سرية صادرة عن الأقمار الصناعية ومصادر بشرية أظهرت مؤخرا أن تسريعا كبيرا في برنامج ايران النووي، مما يعني ان ايران قد تحصل على أولى قنابلها النووية قبل نهاية العقد الحالي حسب المحللين الأمريكيين.

مدير جامعة لاهور يزور الكويت

أشاد مدير جامعة لاهور الاسلامية في باكستان الحافظ عبد الرحمن المدني بدور اللجنة العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في الكويت، بعد زيارته لقرها ولقائه المسؤولين فيها، ورأي أن ما وصلت إليه اللجنة إنجازا رائعا في مجال تهيئة الأجواء ومراجعة القوانين، وقد قدم الزائر الكريم نبذة عن مسار التشريعات الاسلامية في باكستان والقوانين المعمول بها، وتطرق إلى المعهد العالي للقضاء وطرق الدراسة فيه.

أوقاف الأرض المحتلة

بحث وزير الأوقاف والشؤون الدينية الفلسطيني حسين قطين طهبوب – أثناء زيارته مؤخرا للسعودية مع وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودي د. عبد الله بن عبد المحسن التركي – عمل الاوقاف في الاراضي المحتلة، وقد أشاد طهبوب بدور المملكة العربية السعودية ووقوفها إلى جانب الشعب الفلسطيني.

معرض بريطاني إسلامي متجوّل

تستعد وزارة الخارجية البريطانية بالتعاون مع مكتب دول الكومنولث لتنظيم معرض متنقل حول دور المسلمين البريطانيين في الحياة البريطانية العامة، وسيزور المعرض خمسة عشر موقعا في ست دول اسلامية هي: مصر والسعودية والباكستان وبنجلاديش واندونيسيا وماليزيا والنرويج.

وقال متحدث باسم وزارة الخارجية البريطانية في حضور المراسلين الاجانب في لندن ان فكرة المعرض نشأت مع خطاب ولي العهد البريطاني الامير تشارلز في اكتوبر ١٩٩٣م حول (الاسلام والغرب) الذي أثار اهتماما كبيرا لدى مسلمي بريطانيا والعالم.

ويسود الاعتقاد بأن الإسلام هو أكثر الاديان انتشارا في بريطانيا، حيث يزيد عدد المسلمين فيها على مليون ونصف المليون نسمة، بينهم ما لا يقل عن ٣٠ ألف من الانجليز الذين اعتنقوا الاسلام عن قناعة. وتشير الإحصاءات غير الرسمية إلى وجود أكثر من ٨٠٠ مسجد مقارنة مع ١٠ مساجد قبل ٤٠ عاما.

الإسلام حصانة من الانحراف


● الأمير نايف بن عبد العزيز

احتل موضوع التطرف حيزا كبيرا في مداخلات وزراء الداخلية العرب في دورتهم الثانية عشرة في تونس التي عقدت الشهر الفائت، وقد أكد الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودي ان الامة الاسلامية تملك الحصانة العقائدية والفكرية لحماية مواطنيها من الانحراف، ومجتمعاتها من الجريمة متى التزمت بتعاليم الاسلام السمحة الخالدة (فالإسلام دين وسط يمنع من الانحراف والغلو، ويكفل الأمن والاستقرار).

اعتذار ياباني

أقدمت إحدى المجلات اليابانية على طباعة صور للحرم المكي الشريف مع بعض الصور الخليعة، وكان لذلك أثر سيء على المسلمين المقيمين في اليابان، وبعد تحرّك قام به كل من المركز الإسلامي بطوكيو، والمعهد العربي الإسلامي (التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) اعتذرت إدارة المجلة ووعدت باحترام مشاعر المسلمين مستقبلا، وكانت إحدى دور النشر قد وجهت اعتذارا رسميا كذلك عن صور ضمنتها كتابا لتدريس التاريخ الاسلامي للطلاب اليابانيين، وهي صور مزعومة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم. وتعهدوا بعدم تكرار مثل هذا العمل، وسحب الكميات الموجودة بالسوق.

مؤتمر إسلامي سويسري

نظمت جمعية (مسلمي ومسلمات سويسرا) مؤخرا بمدينة جنيف مؤتمرا حول الوجود الإسلامي في أوروبا حضره عدد من المثقفين والصحافيين من سويسرا ودول الجوار، وقد توزعت أعمال المؤتمر على ثلاثة محاور رئيسية هي: (حضور المسلمين في سويسرا واوروبا)، و(الاسلام ودور الصحفيين) و(الحوار الديني).

وكان المؤتمر فرصة مهمة للمسلمين لبناء علاقات حوار بينهم وبين غيرهم من فعاليات المجتمع السويسري حول مختلف القضايا، وعلى رأسها بحث طرق استقرار المسلمين واحتفاظهم بهويتهم في مجتمع علماني، وقد اشاد المستشار الاداري لمدينة جنيف بالمبادرة واعتبرها فرصة لتوضيح اهم المباديء التي تؤطر وضعية المسلمين هناك.

اعتقال إمام الحرم الإبراهيمي

حولت السلطات الاسرائيلية إمام مسجد الإبراهيمي في الخليل – الشيخ عادل إدريس – للاعتقال الإداري لمدة ستة أشهر، وكانت سلطات الاحتلال قد أوقفت الإمام نفسه قبل عشرة أيام من القرار المذكور، دون إبداء أية أسباب.

الصحوة في بنجلاديش

تجاوز عدد المساجد في بنجلاديش أكثر من مائتين وخمسين ألف مسجد.. والجمعيات الإسلامية التي تقوم بنشر الدعوة الإسلامية والتربية والتعليم ثماني جمعيات.. والمدارس الإسلامية أكثر من نص مليون مدرسة إسلامية. صرح بذلك لوكالة الأنباء الإسلامية الدولية عضو المجلس الأعلى العالمي للمساجد ورئيس المجلس المحلي للمساجد ببنجلاديش الشيخ/ محمد هلال جناب علي.وقال إن هناك صحوة إسلامية وإقبالا على اعتناق الدين الإسلامي. وبيّن أن المجلس المحلي للمساجد ببنجلاديش يقوم بعدة نشاطات مختلفة منها تنظيم المسابقات القرآنية حيث نظم أربع مسابقات قرآنية كما يقوم بنشر الدعوة الإسلامية والاهتمام والعناية بالمساجد من حيث البناء والترميم والصيانة والتشغيل. وأشار إلى أن في كل مسجد مدرسة لتعليم القرآن الكريم وتحفيظه.

٢٠٠٠ نمساوي يعلنون إسلامهم

أعلن حوالي ألفي نمساوي إسلامهم في السنوات الخمس الأخيرة لما وجدوه في العقيدة الإسلامية من عناية فائقة بالإنسان وحقوقه. والجدير بالذكر أن عدد المسلمين في النمسا يزيد على (١٢٠) الف مسلم من أصول تركية ويوغسلافية إلى جانب نشاط العرب المسلمين المهاجرين الذين ينشطون بالدعوة في أكثر من ١٠٠مسجد في العاصمة فيينا وضواحيها.

مركز حضاري في القاهرة

أنشأت جامعة القاهرة مركزاً للدراسات والبحوث الإسلامية يتبع كلية دار العلوم، يتكون مجلس إدارته من نخبة من كبار المفكرين وأساتذة الجامعة.صرح الدكتور حامد طاهر مدير المركز بأن المقر الجديد استهل نشاطه بندوتين حول (الضوابط المنهجية للاختلاف بين المسلمين) و(المفهوم المتكامل للإسلام).

وقال إن المركز يتكون من خمسة أقسام رئيسية، تشمل قسم إحياء التراث العربي والإسلامي، وقسماً لتدريب طلبة الدراسات العليا والمعيدين على وسائل البحث العلمي وتطبيق مناهجه في مجالات الدراسة العربية والإسلامية، وقسماً للعلاقات الخارجية الإسلامية والعربية والأجنبية، وقسما للندوات والمحاضرات المتخصصة في أمور تهم الواقع الإسلامي، وأخيراً قسم التاريخ والحضارة الإسلامية. وأشار الدكتور حامد طاهر إلى أن المركز يهدف إلى إجراء الدراسات والبحوث الإسلامية في مجال التعريف بالتراث الحضاري الإسلامي بغرض إثراء الحضارة المعاصرة واستكشاف أساليب نشر الثقافة الإسلامية، والأخذ بها وفق المبادىء الإسلامية وفي إطار منهج علمي سليم.كما يهدف المركز إلى مواجهة تحديات العصر برؤية إسلامية واضحة لإعداد باحثين مدربين على أعلى مستوى، وتبادل الخبرات مع المراكز البحثية في العالم، وإقامة الندوات والمؤتمرات حول القضايا الإسلامية المصرية التي تهم كل مسلم.

إعادة فتح مسجد (أيا صوفيا)

لاتزال قضية إعادة فتح مسجد (أيا صوفيا) للعبادة أمام المسلمين تثير ردود فعل مختلفة لدى المسلمين، وغيرهم على حد سواء، ففي الوقت الذي لايزال فيه النائب البرلماني الذي تقدم بمشروع إعادة فتح مسجد (أيا صوفيا) للعبادة يتلقى رسائل التأييد والشكر، قامت الكنائس الأرثوذكسية في روسيا وبلغاريا وقبرص اليونانية وغيرها، بالاحتجاج الرسمي على هذا الأمر، وقد بعثت الحكومة اليونانية في وقت سابق برسالة احتجاج إلى الخارجية التركية تحذر فيها الحكومة التركية من الإقدام على هذه الخطوة، وجاء في الرسالة: أن (أياصوفيا) حق للنصارى، ونحن نطالب بفتحها للعبادة النصرانية وليس لغير ذلك.

بين الجهل ومخطط الإساءة

استنكر رئيس كتلة نواب (الجماعة الإسلامية) في لبنان، د. فتحي يكن خطف الطائرة الفرنسية في الجزائر وقتل الرهبان، واعتبر (ان تواتر الأحداث يدل على أمرين: إما وجود مخطط استخباراتي مدروس للإساءة إلى الإسلام والمسلمين ووصفهم بالإرهابيين والقتلة، وإما ما يحدث حقيقة، وهذا أقل ما يقال فيه إنه جهل بالإسلام وإساءة إليه لا تعدُلها اساءة).

وأضاف: (نستنكر هذه الحوادث وكل الحوادث المشابهة لأنها لا تمت إلى الإسلام بصلة وندعو القائمين بها إلى الكف عن هذه العبثية).

مجلس علماء كينيا

عقد مؤخراً في العاصمة الكينية – نيروبي – المؤتمر التمهيدي لإنشاء مجلس للعلماء المسلمين بكينيا، وقد حضر المؤتمر – الذي أقيم تحت رعاية المجلس الإسلامي الأعلى لمسلمي كينيا – عدد كبير من الشخصيات الإسلامية، وقادة العمل الإسلامي وعدد من القضاة الشرعيين الذين يرأسون المحاكم الشرعية الإسلامية في مختلف المحافظات.

يذكر أن فكرة إنشاء هذا المجلس كانت قد انبثقت من القضايا العديدة المعقدة والملحة التي أفرزتها الحياة العصرية الحديثة في أوساط المجتمعات الإسلامية، وذلك في مجال الفكر والاجتماع والاقتصاد، وشتى نواحي الحياة المهمة التي تتطلب معرفة رأي الإسلام فيها، وموقفه منها، والبحث عن حلول لها لا تناقض أحكام الشريعة الإسلامية،. وقد صدرت عن المؤتمر عدة توصيات منها:

أن يتولى المجلس المقترح إنشاؤه التحدث رسميا باسم المسلمين في كينيا في كل القضايا والشؤون التي تهمهم، وتمس كيانهم، وأن يكون المجلس هو الإطار والقالب الذي تناقش فيه قضايا المسلمين ومشكلاتهم، وتصاغ فيه مطالبهم.

وأن يكون المجلس هو الممثل الشرعي لمسلمي كينيا لدى الحكومة الكينية، فتكون لديه الصلاحية الكاملة، على أن يستشار في كل القضايا والشؤون الإسلامية.

المسلمون ٢٣,٢٪ من سكان العالم

ذكرت منظمة المؤتمر الإسلامي أن عدد المسلمين في العالم يبلغ حاليا مليارا ومائتي مليون شخص، أي ما يوازي ٢٣,٢٪ من سكان العالم الذين قدَّرتهم المنظمة بخمسة مليارات نسمة، وأوضحت المنظمة في تقريرها أن حوالي ٣٨٩ مليون مسلم يعيشون كجماعات وأقليات مسلمة في دول ليست أعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي.

١٨٠ ألف حاج إندونيسي هذا العام

قال (هاريانتو دانوتيرو) وزير النقل الإندونيسي: إن إندونيسيا تعتزم إرسال ١٨٠ ألفا من مواطنيها إلى المملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج في الموسم المقبل. وقال للصحافيين عقب اجتماعه بالرئيس (سوهارتو): إن عدداً ممن سجلوا اسماءهم في طلبات الحج زاد هذا العام على ١٦٣ ألف شخص.وأضاف: أننا (نحتاج إلى ٢٤ طائرة مستأجرة لنقل هؤلاء الحجاج، واتفقنا بالفعل على استئجار ١٣ طائرة). وتوفي نحو ٣٥٠ إندونيسيا خلال الحج في عام ١٩٩٤م، معظمهم بسبب المرض، كما توفي خمسة آخرون خلال التزاحم بالقرب من مكة.

منصِّرون في قبرص

بدأ العديد من المنصرين يتسللون إلى القسم الشمالي المسلم في جزيرة قبرص، مدعومين بالإمكانات المختلفة، وعلى رأسها المادية مستهدفين الشباب المسلم.وقال رئيس الدعوة الإسلامية في قبرص إن نشاء البعثات التنصيرية ومكاتبها أصبحت واضحة في هذا الموقع من الجزيرة لتنفيذ مخططاتها الهادفة إلى السيطرة على الشباب المسلم وجعله كمًا مهملا وتشويه صورة الدين الإسلامي.

ألعاب الكمبيوتر الإباحية تفسد عقول الأطفال بالصين

غزت ألعاب الكمبيوتر الإباحية مثل (بوكر العري) متاجر شنغهاي ومدارسها مفسدة عقول الصغار من دون علم آبائهم. وذكرت صحيفة (ونهوي) الرسمية أن (ألعاب الكمبيوتر الإباحية بدأت تنتشر بهدوء في مدينتنا مثيرة تيارا خفيا يثير القلق). ويواجه زعماء الصين الشيوعيون الإباحية في شدة حتى إنه كثيرا ما يحكم على البعض بالإعدام بتهمة تهريب أشرطة فيديو إباحية، أو كتب، أو صور. وأفادت الصحيفة التي تصدر في شنغهاي بأن قاعة ألعاب مجاورة لإحدى المدارس الثانوية في شنغهاي تعرض ألعاب كمبيوتر إباحية وأن (الآباء يظنون أن أبناءهم يذاكرون دروسهم بجد واجتهاد).

كتب أصدرتها (إيسيسكو)

في إطار الحفاظ على التراث الإسلامي وتحقيقه، والتعريف بالحضارة الإسلامية، ونشر أمهات كتب التراث الإسلامي صدرت ثلاثة كتب جديدة ضمن مطبوعات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) هي:

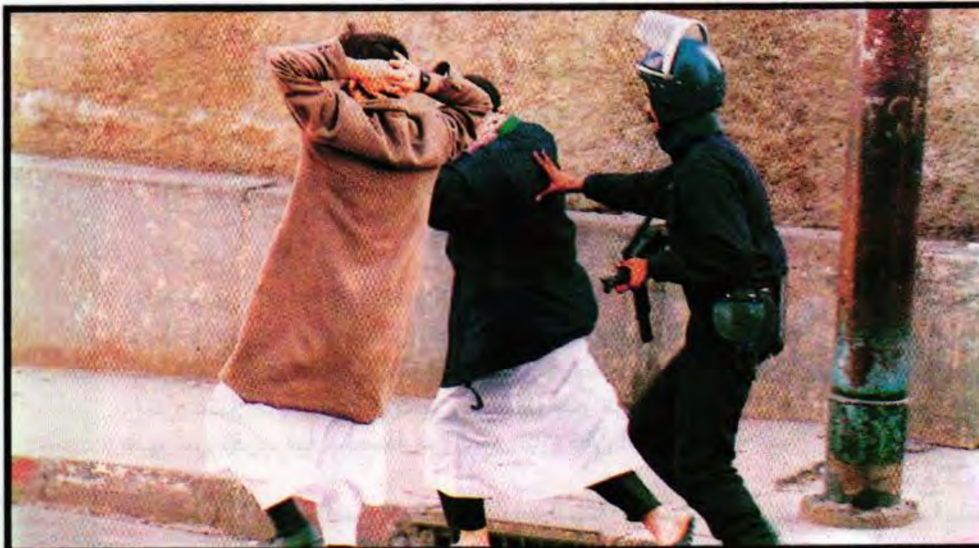
كتاب الأحكام الصغرى الجزء الثاني للقاضي (ابن العربي)، وكتاب عن ندوة الإمام الشافعي، وكتاب معالم الحضارة الإسلامية بالملكة الأردنية الهاشمية، تأليف الدكتور وائل الرشدان.وقد قام بتحقيق الجزء الثاني من كتاب (الأحكام الصغرى) عالمان من جامعة القرويين بفاس، هما محمد الزيزي، ومحمد البكاري، ويقع هذا الجزء في ١٧٨صفحة من القطع الكبير، وستقوم الإيسيسكو بنشر جزء ثالث خاص بالفهارس.

أما كتاب (معالم الحضارة الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشيمة)، فيتضمن تفصيلا واضحا ودقيقا لهذه الآثار، ومنها القصور والقلاع مع مخططاتها البيانية، وصورها الفوتوغرافية، ثم المساجد وأضرحة بعض الصحابة بما يجعل الكتاب بمثابة متحف حضاري إسلامي عريض في انبساطه، وعميق تأثيره. والكتاب يعرف بما للأردن من رصيد ثقافي تاريخي، وأصالة حضارية، وإسهام متميز في خدمة الثقافة الإسلامية، وفي ازدهار الحضارة الإسلامية، ويعد حلقة في سلسلة كتب توثيقية تصدرها الايسيسكو تباعا، وتهدف إلى إنجاز حصر شامل لمعالم الحضارة الإسلامية في الدول الأعضاء كافة.

ويتضمن كتاب (الإمام الشافعي) أبحاثاً لندوة نظمتها الايسيسكو بالتعاون مع الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا احتفاء بذكرى مرور اثني عشر قرناً على وفاة الإمام الشافعي، وقدمت فيها دراسات متخصصة وأبحاث معمقة، حول الإمام الشافعي، حياته ودراسته، والإمام الشافعي واضع أصول الفقه، ومذهب الإمام الشافعي بيِّنٌ بين المذاهب الإسلامية، وأثر مذهب الشافعي في العالم الإسلامي وخارجه.

نفي نقل الحرب إلى فرنسا

قال متشددون جزائريون في بيان أصدروه أوائل العام الحالي: إن الدعوة إلي الحرب ضد فرنسا أمر شرعي، ولكنهم نفوا أن يكونوا قد قالوا إنهم سينقلون الحرب إلى فرنسا. وجاء التصريح في بيان لكتيبة العهد التابعة للجيش الإسلامي للإنقاذ.وذكر البيان أن وسائل الإعلام حرَّفت ما جاء في افتتاحية بيان أصدرته الجبهة بعنوان (الفتح المبين). وقال: إن إعلان الحرب على فرنسا أمر شرعي نتمسك به على اعتبار أنها أضحت طرفا في الحرب الدائرة في الجزائر عن طريق الدعم المالي والعسكري للنظام (الطغموي)، بالإضافة إلى تواجدها العسكري – مئات (الجندرمة) – في الجزائر.وأضاف البيان قائلا: أما مسألة نقل الحرب إلى فرنسا، فهذا أمر لم يرد إطلاقا في نشرة المجاهدين.



الصيام وأبواب الخير

بقلم: عبد الرحمن قره حمود

لرمضان تأثير قوي في الناس، ينبه فيهم شعور الامتثال لأوامر الديـن ونواهيه، فتعـدل النفوس عـن ارتكاب المعاصي وتـرجع إلى ربها بكثرة العبادة

شهر رمضــان، شهر الصوم والصبر، شهر تتفتح فيـه القلوب للعمل الصالح، ولكل ما هو خير. فكم من فاجر يتوب في رمضان، وكم من عاص يثوب إلى رشده، ويقلـع عن ذنبه، ويستغفر ربه في رمضان؟ وكم من سكير يقلع عـن الخمر، ويقاطعهـا في رمضان؟ وكم من جاحد قاسي القلب لا يعـرف قلبه الرحمة أو الشفقة إلا في رمضان، فيـه يتسامح من لايعرف التســامح، وفيه يحسن من لا ينتظر منه الإحسان.

شهر البركات والنفحات

كل ذلك بفضل هـذا الشهـر العظيـم، الـذي إذا حل حلت معـه البركــات، وزادت فيـه النعم والخيرات، وتعــامل فيـه النــاس بـالإحسـان والمواساة، وازدهـرت أيـامـه وليـاليه، بـالمتعبـدين الطائعين، وامتلأت المساجد وأماكن العبـادة بالراكعين الساجدين من صالحين وتائبين، من خـائفين وطامعين، كلهم يرجون رحمة ربهم ويخشون عذابه، يطمعون بثـوابه ويخافون عقابه. ولكنهم جميعا يحسنون الظـن به، وهو الكريم الذي لا يغلـق في وجه أحد بابه.

إن لرمضان تأثيرا قويا في الناس، يوقظ فيهم حساسية بالآثام والـذنوب، وينبـه فيهم شعور الامتثـال لأوامر الـدين ونواهيـه، فتعـدل النفوس عن ارتكـاب المعـاصي وتـرجع إلى ربها بالصــلاة والدعاء وكثرة العبادة.

فالصوم فـرصـة وأية فرصــة.. إنه فرصة عظيم طيبـة للمؤمن لاتماثلها فرصة، كيف لا وهـو يعمل لله؟! لقد عرف المسلم أن كل عمله له إلا الصـوم فإنه لله، وهو يجزي بـه، فإذا كان المؤمن من عادته أن يتقن العمل الذي هو له، أو لغيره من المخلوقات، لأن الله يحب منه ذلـك، امتثالا لقول رسـول الله ﷺ: «إن اللـه يحب من أحدكم إذا عمل عمــلا أن يتقنه». فكيف يصنع إذا كـان العمل لله نفسه؟! ما أسعـده إذ يقوم به، وما أحرصــه على اتقانه. لا ريب في أنه سيفرغ فيه كل جهده، دون كلل أو ملل، أو شعور بالتعب.

شهر الجود والكرم

إنه يصوم لله، وينتظر الجزاء منه، وأقـل ما فيه. أن يغفر له ما تقدم من ذنبـه. فكيف إذا زاد على الصيام تطـوعه بالقيـام؟ الذي يكلم فيه ربه، في أيام مباركة، في شهـر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتـق من النار؟! في شهر فيـه ليلةٌ خيرٌ من ألـف شهر؟! في شهر من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه؟!

أليس هو شهـر الصبر؟ والصبر ثوابه الجنة؟! أليس هـو شهر المواساة، أيعقل أن يواسي فيه بعضنا بعضا تنفيذا لأمر الله، ثم لا يواسينـا هو فيه؟! كيف يكـون ذلك ورسول الله ﷺ يقـول: «إن شهر يزاد في رزق المؤمن فيه». ويقول: «من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار. وكان له مثل أجره». وإن الل يعطي هذا الثواب على القليل يعطيـه لمن فطر صائماً على تمرة، أ على شربـة ماء، أو مـزقة لبن. فأي خير أكبر من هـذا الخير؟ وأ عطاء أجزل من هذا العطاء.

ومع ذلك فإن الأمــر لا يقف عنـــد هـــذا الحد، فنحن نعلم أ الملائكـة تستغفر للمـؤمنين في الأيام العـادية، فكيف بها في هـ الشهر المبـارك؟ وإذا كان الله سبحـانه وتعالى يبسط يـده بالليـ ليتـوب مسيء النهار، ويبسط يـده بـالنهار ليتـوب مسيء الليل الأيام العاديـة، فكيف به في هذه الأيام المباركـة من شهر رمضا الـذي تفتح فيه أبـواب الجنة، وتغلـق أبواب النـار، وتصفد فيـ الشياطين؟!

وإذا كان الجود مطلوبا من النـاس في شهر رمضان، وإذا كا رسول الله ﷺ أجـود ما يكون فيه، فكيف بجـود الحليم الكري الحنّـان المنّــان؟! واللـه إنها للجنة، وفي الجنـة درجـات تعلـوه درجات، يقال فيها لقارىء القرآن أقرأ وأرق، فنعمت القراءة كلا الله، ونعم المرتقى إلى علاه.

الاخلاص والطمأنينة

وما من إنســان يخلص لله في صيامه وقيـامه، ومحاربة لهوا إلا ويشعر في آخر رمضـان بأنوار تتلألأ في قلبه، واطمئنان تسك إليه نفسه، وراحـة تغمر وجدانه، وتفتح لمعـاني الحياة الحقيق يسيطر على عقله.

ولو استمـر الناس بعد رمضان على مـا كانوا عليـه في رمضا لكـانوا بصفـاء نفوسهم، وإشراق أرواحهـم، أشبه مـا يكونـو بالملائكة.

كيف لا؟! والله سبحانه وتعالى يقول: (كل حسنة بعشر أمثال إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنـه لي وأنا أجزي بـه.. إنما يد شهوته، وطعامه، وشرابه لأجلي).

ثم يقسم رسـول اللـه ﷺ بقولـه: «والـذي نفس محمد بيـ لخلـوف فم الصـائم أطيب عنـد اللـــه من ريح المسك». ويقـو «للصائم فرحتان: فرحة عند إفطاره، وفرحة عند لقاء ربه».

ثمرة أية ثمرة

وجدير بمن يصوم صياما حقيقيـا أن ينال ذلك كله، لأنه عا لربه وحده، فترة شهر كامل، نهى فيه نفسه عن هواها، وكفها ع شهواتها وملـذاتها، بل وجعل هواها تبعـا لما جاء به رســول ال ﷺ.

وكم لذلك من أثر في الفرد نفســه، وعلى الأمة كلها، من أجل ذا حرص رسـول الله ﷺ على أن يضـع أيـدينا على حقيقـة الصيا ومعناه العميق، وآثاره العظيمة، وحذرنا من الوقوع في أمور معي يحرم الـواقع فيهـا من كل هـذا الخير، كقول الـزور والعمل بـ والرفث، والصخب، وما إلى ذلـك.. قال تعالى: ﴿إن السمع والبص والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ [الإسراء:٣٦].

إن هذا الجهاد للنفس والهوى والعادات التي لا تليق بالمؤمن سبيل رضاء الله يجعله أهلا لهدايته. قال تعالى: ﴿والذين جاهد فينا لنهدينهـم سبلنا﴾ [العنكبوت:٦٩]. وقال سبحـانـه: ﴿والذ اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ [محمد:١٧٢].

وتكـون النتيجـة، تغيير في كل شيء، في الفكـر، في المشـاعـر، العبادات، في المعـاملات، وفي الأخلاق، ممـا ينعكس أثره صـلا للمجتمع كله. وصدق الله العظيـم: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حت يغيروا ما بأنفسهم﴾ [الرعد:١]□



ملف رمضان

العشر الأواخر وليلة القدر

عن عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر في رمضان، ما لا يجتهد في غيرها»

بقلم: أحمد رمضان محمد حمودة

شهر رمضان الكريم فضّله الله سبحانه وتعالى عن سائر الشهور، ففيه أنزل القرآن، وفيه فرض الصيام على الأمة المحمدية، وفيه ليلة القدر، وفيه تفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار، وتصفد الشياطين، وفيه خمسة أعطيت للأمة المحمدية، ولم تعط لنبي قبله.

قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ [البقرة:١٨٣]. روى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب جهنم، وصفدت الشياطين» [رواه البخارى ومسلم].

وشهر رمضان كله خير وبركة، وعلى المسلم أن يجتهد ويجد في هذا الشهر الكريم لينال من هذا الخير، ولكن في العشر الأواخر يجب أن يزيد الاجتهاد، لأن فيهما الخير الكثير والكثير، ولها من الفضل الوفير، وفيها ليلة القدر.

العشر الأواخر

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر في رمضان، ما لا يجتهد في غيرها».

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ «كان إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد مئزره». وزاد مسلم: «وجدَّ، وشد مئزره».

ومما يدل على فضيلة العشر من هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله فيه للصلاة والذكر حرصا على اغتنام هذه الليالي المباركة، بما هي جديرة به من العبادة ، فإنها فرصة العمر، وغنيمة لمن وفقه الله عز وجل، فلا ينبغي للمؤمن العاقل أن يفوّت هذه الفرصة الثمينة على نفسه وأهله، فما هي إلا ليال معدودة، ربما يدرك الإنسان فيها نفحة من نفحات المولى، فتكون سعادة له في الدنيا والآخرة(١).

الاعتكاف

الاعتكاف هو لزوم المسجد والمكث فيه فترة معينة بنيّة التقرب إلى الله تبارك وتعالى. وهو سنّة مؤكدة في العشر الأواخر من رمضان، ومستحب في غيرها.

وقد ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر في رمضان حتى توفاه الله عز وجل، ثم اعتكف أزواجه من بعده».

وفي صحيح البخارى روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشريناً»وكما أن الصيام درع للقلب يقيه مغبة الصوارف الشهوانية، من فضول الطعام والشراب والنكاح، فكذلك الاعتكاف ينطوي على سر عظيم، وهو حماية العبد من آثار فضول الصحبة، فإن الصحبة قد تزيد على حد الاعتدال، فيصير شأنها شأن التخمة بالمعلومات لدى الإنسان.

ليلة القدر

القدر هو الشرف العظيم، وليلة القدر هي الليلة المباركة، التي يفصل فيها كل أمر حكيم، قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ [القدر:١-٥].

روى أحمد والبخارى وأبو داود، أن رسول الله ﷺ قال عن ليلة القدر: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان».

وهي في الأوتار أقرب من الأشفاع لقول النبي ﷺ: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان». [رواه البخارى].

وفي صحيح البخارى عن عبادة بن الصامت قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى (تخاصم وتنازع) رجلان من المسلمين، فقال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خير لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة».

علامات ليلة القدر

لليلة القدر علامات وأمارات، أخرج أبو داود الطيالسي أن رسول الله ﷺ قال عن ليلة القدر: «ليلة سمحة طلقة، لا حارة ولا باردة، وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء».

ولليلة القدر فضل عظيم، وشرف كبير، فقد قال الله سبحانه وتعالى في شأنها: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ [القدر:٣-٥]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿فيها يفرق كل أمير حكيم﴾ [الدخان:٤].

قال الإمام مالك في الموطأ: سمعت من أثق به يقول: إن رسول الله ﷺ رأى أعمار الأمم قبله تقاصر أعمار أمته، الا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر. فأعطاه الله ليلة القدر، وجعلها خيرا من ألف شهر». ويكفي ليلة القدر شرفا وقدرا، أنه أنزل فيها القرآن الكريم.. هادي البشرية ودستور الأمة.

وبعد.. يجب على المسلم الاجتهاد والمثابرة في موسم الخير، وفي هذه الأيام المباركة، لينال من بركاتها وخيراتها. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم□

الهوامش:

١) الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، مجالس شهر رمضان، الناشر: دار المدني بجدة، ط أولى، ١٤١١هـ ص ١٠٦.

رمضان

شهر الصبر والرحمة



رمضان اسم للشهر التاسع من الشهور القمرية يقع بين شعبان وشوال. سمّي بهذا الاسم لأنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق زمن الحر والرّمش. والرّمض وقع الشمس على الرمل وغيره. يقال رَمِض يومنا. أي اشتد حره. والرمضاء: الأرض الشديدة الحرارة (١).

أفضل الشهور

ورمضان أفضل شهور السنة لأن القرآن الكريم أنزل فيه القرآن الكريم أنزل فيه. قال الله تبارك وتعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ [البقرة:١٨٥].

وفيه ليلة القدر، وهي ليلة مباركة فضلها الله تعالى على ألف شهر، وهي ليلة نزول القرآن الكريم، على قلب النبي محمد ﷺ. قال الله سبحانه: ﴿إن أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين﴾ [الدخان: ٣]. ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ [القدر:١-٣].

بقلم: عمر أحمد عمر

وعن ابن عباس؛ رضي الله عنهما؛ قال: «أنزل القرآن جملة واحدة في السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة (٢).

لذلك فرض الله عز وجل صيام هذا الشهر على المسلمين وخصّهم فيه بمزيد من الرحمة والمغفرة والحفظ والصون.

عن أبي هريرة؛ رضي الله عنه؛ عن النبي ﷺ قال: «أتاكم رمضان، شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه. تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم. وتُغل فيه مردة الشياطين. لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم» (٣).

وفتح أبواب السماء كناية عن تنزل الرحمة وتوفيق العباد للعمل الصالح وقبوله منهم.

وغلق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي التي توصل أصحابها إلى النار، ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو، ويحتمل أنه على ظاهره وحقيقته، وأن ذلك علامة للملائكة لدخول الشهر وتعظيم حرمته.

وغل الشياطين يعني تقييدها بالأغلال، فلا تقدر على غواية المسلمين وإيذائهم، أو لاتقدر على افتتانهم فيه كغيره من الشهور، لانشغالهم بالصيام الذي فيه قمع الشهوات، وتلاوة القرآن والذكر (٤).

وعن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى فرض صيام رمضان عليكم وسننت لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (٥).

والمراد بالإيمان: الاعتقاد بحق فرضية صومه وبالاحتساب: طلب الثواب من الله والتقرب إليه.

فضل الصوم

والصوم من أفضل العبادات وأحبها إلى الله عز وجل، ولذلك فقد خص الله نفسه بالإثابة عليه، فعن أبي هريرة؛ رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ «قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به. والصيام جُنّة. وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب. فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقى ربه فرح بصومه» (٦).

فأعمال ابن آدم تظهر للناس، ويكون لنفسه حظ منها يتعجله في دنياه كالجاه وثناء الناس عليه، أما الصوم فلا يعلم حقيقته سوى علام الغيوب، ولذلك فلا يشوبه الرياء، ولهذا أضافه الله إلى نفسه، وعد بالجزاء العظيم عليه. والصوم وقاية وحفظ من المعاصي وحصن من النار وعلى الصائم ألا يتكلم الكلام الفاحش ولا يخاصم أحدا. فإن شتمه أحد فليقل بلسانه: إني صائم ليكف خصمه عنه، أو ليذكر ذلك في نفسه، لتمتنع عن مقابلة

الخصم بالسب والشتم.

والخلوف: هو تغير رائحة الفم بسبب خلو المعدة من الطعام.

وتظهر فضيلة الصوم في تخصيص أحد أبواب الجنة للصائمين.

عن سهل بن سعد؛ رضي الله عنه؛ عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بابا يقال له الرّيان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم. يقال: أين الصائمون فيقومون، لايدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد» (٧).

الصبر والإيمان

والصوم يؤدي إلى قوة الإرادة وزيادة الصبر وترسيخ الإيمان، لأن من يتحكم في نفسه فيمنعها عن الطعام والشراب والشهوات من الفجر إلى المغرب يصبح قوي الإرادة.

ومن يمتنع عن الطعام والشراب وهو يشعر بالجوع والعطش يصبح متحليا بالصبر. وهو حين لايمتنع عنهما لفقدهما أو لعدم رغبة بهما، وإنما إرضاء لله تعالى وطلبا لثوابه، فإنه يصبح راسخ الإيمان. بل إن الصوم يعد نصف الصبر وربع الإيمان بدليل قول النبي ﷺ: «الصوم نصف الصبر» (٨) وقوله: «الصبر نصف الإيمان» (٩).

ويعد الصوم نصف الصبر، لأن الصبر كما قال حجة الإسلام الإمام الغزالي هو «ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة. وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات، ومضاداتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة. فإذا قوي يقينه – أعني المعرفة التي تسمى إيمانا، وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى – قوي ثبات باعث الدين، وإذا قوي ثباته تمت الأفعال على خلاف ما تتقاضاه الشهوة، فلا يتم ترك الشهوة إلا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة. وقوة المعرفة والإيمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها» (١٠).

ولما كان باعث الهوى قسمين: (أ) باعث من جهة الشهوة، (ب) وباعث من جبهة الغضب. فالشهوة تطلب اللذيذ، والغضب للهرب من المؤلم، وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط، وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب، ولذلك كان الصوم نصف الصبر، لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا (١٠).

أي إن الصوم يعين على مقاومة المغريات وقمع الشهوات، فيسبب قوة الوازع الديني. ثم إن الأهواء تتلاعب بالنفس بدافع الشهوة حينا والغضب حينا آخر، والصوم يضعف الشهوة ويقمعها، فيكون نصف الصبر.

وإنما كان الصبر نصف الإيمان لأن الإيمان تارة يختص في إطلاقه بالتصديق بأصول الدين، وتارة يختص بالأعمال الصالحة الصادرة منها، وتارة يطلب عليها جميعا. والصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقين:

أحدهما: أن يطلق الإيمان على التصديق والعمل جميعا، فيكون له جانبان هما: اليقين والصبر. والمراد باليقين: المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين والمراد بالصبر: العمل بمقتضى اليقين، إذ اليقين يعرفه بأن المعصية ضارة والطاعة نافعة، ولايمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر، فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار.

ثانيهما: أن يطلق الإيمان على الأحوال المثمرة للأعمال لا على المعارف. وعندئذ ينقسم جميع ما يلاقيه العبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيهما. وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر، وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر، فيكون الصبر أحد شطري الإيمان بهذا الاعتبار، والشكر هو الشطر الآخر. وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر». وبهذا يكون الصوم ربع الإيمان (١٠).

ولايوجد إيمان بدون صبر. قال علي رضي الله عنه: «بني الإيمان على أربع دعائم: اليقين والصبر والجهاد والعدل» وقال أيضا: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا جسد لمن لا رأس له، ولا إيمان لمن لاصبر له».

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر» (١٠).

الحث على الصبر

وقد جعل الله جل جلاله الصبر أعظم الأمور وأسمى الفضائل. فقال: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ [الشورى:٤٣].

وجعله صفة أساسية في القادة والمصلحين والداعين إلى الهدى والرشاد. قال تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة:٢٤].

وبين الرسول ﷺ أن الصبر أفضل خُلق يتصف به المرء: عن أبي سعيد الخدري؛ رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر» (٦).

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالصبر، وجعله من وسائل الفلاح في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران:٢٠٠].

والحكماء يوصون بالصبر. فقد جاء في وصيته لقمان الحكيم لابنه قوله: ﴿يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ [لقمان:١٧].

وقال عمر بن الخطاب؛ رضي الله عنه؛ في رسالة وجهها إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : «عليك بالصبر، واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر: الصبر في المصيبة حسن، وأفضل منه الصبر عما حرّم الله. واعلم أن الصبر ملاك الإيمان. وذلك بأن التقوى أفضل البر، والتقوى بالصبر» (١٠).

والمؤمنون يتواصون بالحق والصبر. قال الله تعالى: ﴿والعصر. إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [العصر:١-٣].

جزاء الصابرين

والصبر مثل الصوم يؤدي إلى دخول الجنة. قال الله تعالى: ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً﴾ [الدهر:١٢].

وجزاؤهم فيها يفوق كل

رمضان شهر الصبر والمرحمة

الأعمال التي قاموا بها والمصاعب التي صبروا عليها. قال سبحانه: ﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون﴾ [النحل:٩٦].

وقد جعل الله عز وجل الابتلاء في هذه الحياة بالخوف والعاهات والمرض وموت القريب والصديق وذهاب الأموال سنة وقانونا ليتميز الصابرون من غيرهم، وليحصلوا على الرحمة والمغفرة والفضل من ربهم. قال الله تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وجعل ثواب الصبر مثل الصوم يجاوز قانون التقدير والحساب. فسائر الأعمال ثوابها مقدر، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وجزاء الصوم والصبر متروك لله تبارك وتعالى. والكريم إذا أراد شيئا لنفسه فإنه يعطي عليه ما يتناسب مع فضله وكرمه، ويعظم لصاحبه الأجر، ويضاعف له الثواب. قال تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر:١٠].

شهر الرحمة

إن رحمة الله جل ثناؤه تنزل على عباده في شهر رمضان أكثر من سائر الشهور، حتى أن أبواب الجنة تفتح في هذا الشهر المبارك، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، فلا تقدر على غواية المؤمنين وضلالهم.

عن أبي هريرة؛ رضي الله عنه؛ عن النبي ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار وأصفدت الشياطين».

ومن رحمة الله تعالى بالمسلمين أن أباح للمسافر والمريض ومن في حكمه أن يفطر في رمضان، ثم يقضي بعدد الأيام التي أفطرها، أو يدفع فدية طعام مسكين عن كل يوم إذا عجز عن القضاء. قال سبحانه: ﴿أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ [البقرة:١٨٤].

ثم إن الصوم يدفع إلى العطف على الضعيف واليتيم والإحسان إلى الفقير والمسكين. ولذلك كان النبي ﷺ أجود ما يكون في رمضان، وكان في جوده كالريح المرسلة التي تأتي بالغيث الكثير، فيعم البلاد والعباد.

عن ابن عباس؛ رضي الله عنهما؛ قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل. وكان جبريل؛ عليه السلام؛ يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن. فإذا لقيه جبريل؛ عليه السلام؛ كان أجود بالخير من الريح المرسلة.

ولذلك فإن كثيرا من المسلمين يدفعون زكاة أموالهم في هذا الشهر المبارك، ويكثرون من الصدقات وأعمال البر اقتداء برسول الله ﷺ، ورغبة في مضاعفة الأجر والحسنات.

الحض على التراحم

كان النبي ﷺ يحض أصحابه على التراحم فيما بينهم، ويرغب في أن يجعلهم متحابين متعاطفين مثل أعضاء الجسد الواحد:

عن النعمان بن بشير؛ رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى (١٢).

وكان يأمر برحمة الصغير واحترام الكبير، فعن ابن عباس؛ رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا» (١٣).

ويبين أن الله تعالى يرحم الرحماء من عباده: فعن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (١٣).

ويحذر من فقدان الرحمة ومن الشقاوة والعنف: فعن أبي هريرة؛ رضي الله عنه؛ قال: سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق صاحب هذه الحجرة يقول: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي» (١٣).

وهذا يكون رمضان المبارك شهر الصبر والمرحمة. وقد أثنى الله تعالى على المؤمنين الذين يتواصون بهاتين الصفتين ويطعمون اليتامى والمساكين، ويعتقون الأرقاء. ووعدهم بالنجاة من أهوال يوم القيامة، فقال عز من قائل: ﴿فلا اقتحم العقبة. وما أدراك ما العقبة. فك رقبة. أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتيما ذا مقربة. أو مسكينا ذا متربة. ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصو بالمرحمة. أولئك أصحاب الميمنة﴾ [البلد:١١-١٨].

الهوامش:

(١) القاموس المحيط، رمض.

(٢) فضائل القرآن لابن كثير، مطبوع في نهاية تفسيره، ج ٤ ص ١٢.

(٣) رواه النسائي والبيهقي.

(٤) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، جـ ٤ ص ١١٤.

(٥) رواه النسائي وأحمد.

(٦) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

(٧) رواه البخاري ومسلم والنسائي.

(٨) أخرجه الترمذي وحسنه، وابن ماجة، من حديث أبي هريرة.

(٩) أخرجه أبو نعيم في الحلية والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن.

(١٠) إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، جـ ٣ ص ٦٢، ٦٣، ٦٦.

(١١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

(١٢) رواه البخاري ومسلم.

(١٣) رواه أبو داود والترمذي بسند حسن . والثاني بسند صحيح.

معجزات في غزوة بدر

بقلم: نبيل فولي محمد منجي

مثّلت هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة - بالنسبة لهم - تحوّلا من القهر والفتنة إلى النصرة والمنعة، ومن طور الكيان المستضعف إلى طور الدولة الناشئة صاحبة الاجهزة التي تزيدها الأيام كلما تقدمت صقلا وخبرة. ولكن قبل شهر رمضان من العام الهجري الثاني لم يكن أهل الدين الجديد قد أثبتوا جدارتهم بدرجة كافية رغم أنهم نظموا كثيرا من شؤونهم، وبنوا بيت الجماعة المسلمة الأول (المسجد)، ووضعوا ميثاقا للتعامل بين طوائف المدينة المختلفة، وحددوا الزعيم الذي يرجعون إليه في كل الأمور، لا لأسباب سياسية فحسب، وإنما هي فروض دينية أيضا، فالقائد محمد ﷺ نبي ورسول قبل أن يكون زعيما سياسيا.

وكانت غزوة (بدر) اختبارا شديد الصعوبة للمسلمين، فإما المحو، وإما إثبات الجدارة على أعلى مستوياتها، وقد وقع ذلك في جو مشحون بالمعجزات.

العير طريق النفير

كأني بالأسباب الإلهية تزرع الأسباب كي ينفتح الطريق أمام الموحدين ليثبتوا جدارتهم، ويرفعوا راية الإيمان الحق، ولو كره أساطين الكفر وطواغيته لقد وقعت بُعيد هجرة النبي ﷺ معركة كلامية بين أبي جهل وسعد بن معاذ رضي الله عنه، وكان الأخير في زيارته لصديقه المكي أمية بن خلف، وخرج سعد للطواف بالكعبة، فقال له ابو جهل: (ألا أراك تطوف بمكة آمنا، وقد آويتم الصباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالما، فقال له سعد - ورفع صوته عاليا - أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه: طريقك على المدينة)(١).

وجاءت عير أبي سفيان فيها تجارة قريش لتمر من هذا الطريق - كما اعتادوا - في السنة الثانية من الهجرة، وفيها (ألف بعير تحمل أموال قريش بأسرها إلا حويطب بن عبد العزى)(٢) فلننصت إلى التاريخ فإنه يروى لنا لحظات حاسمة منه! إن أمية تعلم جيدا ما التجارة؟ ولذلك وُضع على قافلة قريش الضخمة رجل من رجالات أمية: أبو سفيان صخر بن حرب الذي كان يعلم أنه سيمر قريبا من المدينة الحجازية (يثرب) التي آوت محمدا ﷺ وصحبه، ولذلك أخذ يتحسب، ويتحسس أخبار المسلمين، وجعل للحذر نصيبا كبيرا في تحركاته، وكان يسأل الذين يشقون قلب الصحراء القاسي عن محمد ﷺ وصحبه حتى بلغه أن (يثرب) قد رمته برجالها، والفزع أول عدو يهزم الإنسان، ولذلك فإن أبا سفيان قد ألقى به وراء ظهره، وبعث إلى قريش يستصرخها لتنقذ أموالها. إن العير تفتح بمشافرها الطريق إلى الحرب!

وخرجت سيوف قريش من أغمادها تطلب محمداً ﷺ وصحبه حتى (لم يتخلف من أشرافها أحد، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة)(٣).

وعلم النبي ﷺ بخروج قريش رامية إياه ومن معه من المسلمين بفلذة أكبادها. لقد كان موقفاً معدوداً من المواقف الدقيقة قي صراع الحق والباطل، فأبو سفيان يطلب النجاة للركب التجاري، والمسلمون يطلبون أبا سفيان وغيره، ليردوا على قريش جورها وظلمها الذي ارتكبته ضد المهاجرين، وقريش خرجت بأشرافها تطلب حماية تجارتها!

أما أبوسفيان فقد التزم ساحل البحر، ونجا بتجارته، فلمارأى ذلك أرسل إلى قريش: (إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم وقد نجاها الله فارجعوا)(٤).

وأما قريش فقد ساقها كبر زعيمها أبي جهل بن هشام إلى قليب بدر! إذ قال حينما بلغت رسالة أبي سفيان: (والله لانرجع حتى نرد بدرا - وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام - فنقيم عليه ثلاثا، فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، ولايزالون يهابوننا أبدا

> حرّك الإيمان المتمكن في قلوب المسلمين في بدر دفة نفوسهم، وحركها باتجاه يقتضيه الإيمان

بعدها)(٥).

وتبدأ المعجزات

غرق أكثر المشركين في كبرهم، وراحوا يطلبون الاستعلاء بلا مؤهلات إلا فخار الجاهلية الزائف، بينما كان القائد محمد ﷺ يسأل المسلمين الرأي فتجيبه المهاجرة على لسان المقداد بن عمرو رضي الله عنه: (لا نقول كما قال قوم موسى؟ اذهب انت وربك فقاتلا) ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك، وبين يديك وخلفك)(٦).

الله! إن الأمة الجديدة تثب بثبات نحو خلافة بني اسرائيل – الذين بدلوا وخانوا – في حمل مصباح السماء (الوحي) ليضيء للبشرية دروبها، وتلك معجزة!

ولكن أين الأنصار من هذا؟ إن المهاجرين يمثلون ما يزيد عن خمس الجيش قليلا، والبقية من الأنصار، وكان الأخيرون قد عاهدوا في العقبة عهدهم: (قالوا: يارسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوّف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصْره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو..) (٧) فعرّض ﷺ بالأنصار فقال: (أشيروا عليّ أيها الناس) فأجاب سعد بن معاذ صاحب الموقف السابق مع أبي جهل: (لعلك تريدنا يا رسول الله! فقال ﷺ: أجل. قال: فقد آمنا بك وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يارسول الله لما أردت، فنحن معك، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقي بنا عدوا. إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء. لعل الله يريك منا ما تقربه عينك فسربنا على بركة الله تعالى)(٨).

إن هذه المجاوبة من الأنصار لتشير إلى وقوع انقلاب رهيب في حياة هؤلاء الناس، فقد تغلغلت فكرة الإيمان والإسلام في قلوبهم، وتشربتها أرواحهم حتى تغلبت على عاداتهم ومألوفاتهم، فصاروا يسيرون خلف فكرة محددة وشريفة ينصرونها ويفدونها بكل غال ونفيس، وتحولوا عن همجيتهم الأولى التي قتل فيها بعضهم بعضا لأتفه الأسباب إلى أمة عاقلة تضع مصابيح الوحي في كل خطوة تخطوها، بل وتضع نفسها – بأمر الله – في موضع المنقذ الذي يمسك بحلاقيم البشرية ليحول بينها وبين التهافت في النار، وتلك معجزة أخرى! إن التاريخ ليتململ، وتتأرجح كفتاه هنا بين معسكرين: أحدهما الحق بالعدوة الدنيا، والآخر الباطل بالعدوة القصوى. يقول القرآن: ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوى القصوى والركب أسفل منكم﴾ سورة الانفال. الآية ٤٢ والعدوة الدنيا – كما يذكر المفسرون – هي شفير الوادي الأدنى إلى المدينة، والعدوة القصوى: شفير الوادي الأقصى إلى مكة، والركب أسفل منكم: عير أبي سفيان وأصحابه في موضوع أسفل منكم إلى ساحل البحر(٩).

معجزة النصر

إن مقاييس الماديين لاتنظر في المعركة المرتقبة إلا إلى:



ا) مدى قناعة المقاتل بما يقاتل من اجله، وكان المسلمون على قناعة تامة بقضيتهم، وقتالهم من أجلها، حتى ولو فقدوا في ذلك أغلى ما يملكون في هذه الدنيا، وظهر ذلك جليا من خلال مجاوبة المهاجرين والأنصار السابقة للرسول ﷺ.

وأما قريش فقد كانت مقتنعة تماما بأهمية حماية شرفها حتى ترهبها العرب، ومن لم يقتنع بذلك رجع حينما نجت تجارة أبي سفيان.

ب) قُدُرات الجنود العسكرية، وهي الكفاءة القتالية لدى الافراد، وكانت الأنصار – التي تمثل قريبا من أربعة أخماس الجيش المسلم – ذات خبرات واسعة في هذا المجال، وذلك نتيجة عن الحروب الطاحنة التي وقعت بين الأوس والخزرج في الجاهلية.

وأما قريش فربما كانت أكثر خبرة في هذا المجال من أهل يثرب، ودليل ذلك أنها سيطرت على مكة والبيت الحرام بعد جرهم وخزاعه بكفاءة عالية، وقد خاضت قريش حرب الفجار عندما كان النبي ﷺ في الخامسة عشرة من عمره، وأثبتت فيها كفاءتها القتالية العالية(١٠).

ج) الاستعداد النفسي: وكانت قريش قد خرجت بنية القتال، فلن تكون الحرب مفاجأة لها، وزد على ذلك أنها – قبل أن ينجو أبو سفيان بالتجارة – كانت ستقاتل وهي قلقة، وقد كفاها أبو سفيان هذا القلق. وأما المسلمون فرغم أنهم خرجوا، وليس في تقديرهم أنهم يخوضون حربا، إلا أن الإيمان المتمكن في قلوبهم هو الذي يمسك بدفة نفوسهم،

ويحركهـا إلى أي نـاحيـة يقتضيها الإيمان.

د) عـدد الجنـود وعُـدتهم، وهــذا يتضـح من الجدول ادناه:

إن هـذه المقاييس، التي يأخـذ الماديون بها وحـدها، لاينسـاها أهل الإيمان، ولكنهم يضيفـون إليها، بل يضيفونها الى قدرة الله عز وجل التي تفصل وتقضي بما يريده الباري تبارك وتعالى.

وينظم النبـي ﷺ جنـوده، ويلجأ إلى ربـه مُلحّـا عليـه في الدعاء أن ينجزه مـا وعده، (وقد علم أنـه لـو وُكل المسلمـون إلى أنفسهم وقـوتهم فـالنتيجـة معلومة واضحة، نتيجة كل قليل ضعيف أمـام قـوى كثيرة العدد)(١١).

ولما قعقعت السيـوف، واخترقت الحراب الأكباد، ووثب الفرسـان، وقف الوجـود مترقبا خائفا أن تهلك العصـابة المؤمنة أولا تعلم أن الجبـال والأرض والسماء تحب المؤمـن وتبغـض الكافر؟!

ويـوحـي اللـه إلى مـلائكتـه ليكونوا سنـدا لعبـاده المؤمنين: ﴿إذ يوحي ربـك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الـذين آمنوا سألقي في قلـوب الـذين كفـروا الـرعب فاضربوا فـوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) [الانفال: ١٢].

ورغم أن نزول الملائكـة تقاتل مع المسلمين في (بـدر) السـابع عشر من رمضـان عـام ٢هـ معجزة إلا أن المعجزة الأعظم هي في قلـوب صبغهـا الحق حتى صـارت منه ولـه، وحتى أصبح كل شيء من أجله هينا، ذلك لأن اللـه عـز وجـل لايمـد ضعيفي الإيمان، ولايؤيد خائري العزيمة بـالملائكـة، ولا بأي جنـدي من جنوده، وإنما يـؤيد مستفـرغي الوسع من عباده المؤمنين حينما تعجز وسائلهم وقواهم.

وانجلت حجـب المعـركـة لتكشف – رغم الحسـابـات السابقـة – عن المعجزة الكبرى: معجزة انتصار القلة القليلة التي هي كثيرة بإيمانها وتأييد ربها، على الكثـرة الكـافـرة التي هي قليلة بغـرورها وسوء تـدبيرها وتقـديرهـا، ولقى سبعـون من أسـاطين المشركين مصرعهم، وأسر منهم سبعـون آخـرون، ليجدوا جميعا صدق موعود الله عز وجل بنصر المؤمنين وخذلان الكـافريـن: ﴿إنا لننصر رسلنـا والـذين آمنوا في الحيـاة الدنيـا ويـوم يقـوم الأشهـاد﴾ [غافر:٥١].

ذلك الدين القيم

ونعـاود القول بأن مستـوى التغيير الذي أحدثـه الإسلام في تلك الكـوكبة البشريـة العظيمة التي رضيتـه دينا يصل إلى حـد الإعجـاز التام، فهل كـان يحلم مطلع على تاريخ الجاهلية – بلْه من عـاش بين أهلها – أن يـرى الرجل منهم يقاتل في جيش ليس لـه فيـه أب أو أخ أو عم ضـد جيش آخـر فيـه كل هـؤلاء، بل ويقتل منهم بسيفه؟!

مثّلت هجرة المسلمين من مكـة إلى المدينـة تحوّلا من القهـر والفتنـة إلى النصرة والمنعـة، ومن حـالـة الاستضعاف إلى طـور بنـاء الـدولـة ذات المؤسسـات الفـاعلـة

وكـذلك هل خطـر لأحـد أن هؤلاء العـرب من الممكن أن يرى واحد منهم أبـاه مقتولا أمـامه، ويجر جرا قبيحا، فلايحزنه من ذلك إلا أن أباه كان صاحب رأي وعقل، وكـان يحب له أن يمـوت على الإسـلام؟! مـا أعظم هـذا الإسلام حقا! قـال بن اسحاق: (وتغير وجه أبي حذيفة ابن عتبة عند طـرح أبيه في القليب، ففطن له رسول الله ﷺ، فقال له: لعلك دخلك في شأن أبيك شـيء! فقال: لا واللـه، لكني كنت أعـرف من أبي رأيـا وحلما وفضـلا، فكنت أرجـو أن يهديه اللـه للإسـلام، فلما رأيت مـا مات عليـه أخذني ذلك)(١٢)..

غرق أكثـر مشركي قـريـش في كبرهم، وراحـوا يطلبـون الاستعـلاء بـلا مـؤهـلات إلا فخـار الجاهليـة الـزائف، فكـانت الدائرة عليهم في بدر

وبعـد.. فليسـت هـذه بالاساطير، وما زال المنهج الذي صنع هـؤلاء الرجـال، وسيظل، محفوظـا ينتظر الـرجال الـذين تتنفس قلوبهم وأرواحهم وحي السماء، فإن أبعدت عنـه ماتت.

﴿ذلك الـدين القيـم ولكن أكثـر النـاس لايعلمـون﴾ [يوسف:٤٠]□

البيان

عدد المقاتلين	المسلمون	المشركون
	٣١٣	٩٥٠ أو ١٠٠٠
الخيل	فرسان	١٠٠
الدروع	٦٠	٦٠٠
الجمال	٧٠	٧٠٠

الهوامش:

١) رواه البخـاري في الصحيح، كتـاب المغـازي، عن عبـد اللـه بن مسعود.

٢) ابـن كثير، البـدايـة والنهاية:٣/٢٥٦، مكتبـة المعارف، بيروت، ط٤، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣) السابق ٣/٢٥٨.

٤) ابن سيـد النـاس، عيـون الأثر:١/٣٠١، لجنـة إحياء التراث العـربي، دار الآفـاق الجديـدة، بيروت، ط٢، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

٥) السابق نفسه.

٦) رواه البخـاري في الصحيح، كتـاب المغـازي، عن عبـد اللـه بن مسعود.

٧) عيون الاثر:١/٢٩٧و ٢٩٨.

٨) السابق:١/٢٩٨.

٩) راجع: ابن جـريـر الطبري، جـامع البيـان في تفسير القـرآن، ٨/١٠ دار المعـرفـة، بيروت، ط٤، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م، نسخـة مصورة عن طبعة بولاق، مصر.

١٠) راجع: محمد رضـا، محمد رسول اللـه ﷺ، ص ٣٦و٣٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

١١) أبـو الحسن النـدوي، السيرة النبـويـة، ص ٢٤٦، طبع ومـراجعـة عبـد اللـه بن ابـرهيم الانصـاري، دار عمر بن الخطـاب، منشورات المكتبة العصريـة بلبنان، ط١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٢) عيون الأثر:١/٣١٧.



في رحاب بدر

شعر: محمد إبراهيم عامر



يا بدرُ بدرَ الدجى أبلِغْ تحياتي — لأهل بدر وقد فازوا بجناتِ
وقصّ للمسلمين اليوم ملحمة — يصحو بها من تَوارَوْا شِبْهَ أموات
وجَلّ بدراً لقوم زاد شوقهمو — لرؤية النصر من عصر النبوات
هاقد شهدت فحدّث بالقلوب هوى — لأن ترى منك أسرار الفتوحات
حدّث عن الكفر في بدرٍ ومصرعه — وعن أسود الحمى عند اللقاءات
يا مسلمون بكل الأرض قاطبة — وقد شغلتم فرادي أو جماعات
هيا اسمعوا ذكر أجداد لكم سلفوا — قد حطموا كل باغ مشرك عاتي
كم ظل أحمدُ يهديهم وينصحهم — يتلو عليهم آياً تِلْوَ آيات
فما استجابوا له بل هاج هائجَهُم — أن يحمل اليتمُ أسرارَ الرسالات
وبيتوا قتلَه والله خاذلُهم — ومُحبِط كيدَهم فوق السماوات
وهاجر المصطفى بالحق يحمله — الى المدينة في سُور وآيات
وجاء يوم لقاء المشركين بهم — وفي حشاشاتهم أعدى العداوات
يوم من الهول مشهودٌ قد اجتمعت — له الجحافلُ من أقصى المسافات
هذي سنين مضت يدعو فما استمعوا — فليُسمِعْ السيفُ من صُمّوا جماعات
ودارت الحرب وانهالت أسنتها — فلست تسمع الا صوتَ أنات
هذى رؤس هوت في الارض صاغرة — ووسد العارَ أصحابُ الغوايات
وجَدّ بالمؤمنين الامرُ فاقتحموا — وكل غاياتهم رب البريات
كأنما الموتُ يخشاهم اذا هجموا — وأسقَوْا الكافرين المرّكاسات
فأين أين جنود الكفر أين هُمُوا؟ — تجندلوا وتردّوْا في الرزيات
وأين أين أبو جهل وعصبتُه؟ — نالوا بأوزارهم أردى المهانات

أين الوعيدُ الذي قد كان عدتهم؟ ... لقد هوى اذ هَوَوْا في بضع ساعات
لابد للبغي مهما طالَ عاقبة ... فالارض أصحابها أهل الهدايات
فلتأخذوا يا جنودَ المصطفى عِبرًا ... فكل تاريخكم رمز الهدايات
العارُ أن تتركوا مجدَ الجدودِ سُدًى ... تغتاله عصبةٌ كانوا الحّثالات
فليس يجدي التغني بالذين مَضَوا ... اذا قَعَدْنَا ولُذنا بالمقالات
وحالنا اليوم لا يرضى به أحد ... فالحر يَقْضي ولا يرضَى المذلات
ما أبعد اليوم عن أمسٍ لنا علمٍ ... جزنا به عزةً كلّ المحيطات
توحد الشرك ضد الحق في صلف ... والمسلمون تباروا في العداوات
وهم كثير ولكن لا أرى أحدا ... لدى الشدائد أو عند الملمات
أُسْدٌ عَلَى بعضِهم لكنهم نَعَمٌ ... على العدو وضاعوا في المتاهات
أعداؤهم طمعوا في قتل مجد همو ... فمزقوهم الى فرق واشتات
اني لأبكيك يا إسلام منتحبا ... لما ينالك من شتى اعتداءات
قد كنت بالأمس يا إسلام مرتفعا ... يحوطك الله من فوق السماوات
فما لك اليوم يا إسلام مضطهد ... عليك قد أطبقت شرّ الخليقات
الشرق والغرب شاءوا ضربَ وحْدَتِنَا ... فمزقوها الى شَتّى دويلات
فالقتل والغصب ولتدمير شِرْعَتُهَا ... ومجلسُ الأمن حُرّاسُ العصابات
كأنهم دُميةٌ في حِجْرِ غانيةٍ ... تلهو وتلعب.. ياويلَ المصيبات
والجارُ جارَ على اخوانِه سَفَهاً ... أَنْستْهُ أطماعُهُ جَمّ العَطيات
أنينك اليوم يا إسلامُ مزدوجٌ ... من شانئيك واتباع بَلِيّات
فلا دُعاتُك رَاعَوا حقّ دعوتهم ... ولا رُعَاتُك قد هَبّوا جماعات
يارب هيء لنا من أمرنا رشدا ... واحمِ العروبةَ من شرّ الخلافات
وألْهِمْ المسلمين الحقّ يجمعُهُم ... وكن لهم خيرَ عونٍ في الملمات

فتوحات إسلامية مجهولة في رمضان

بقلم: خالد محمد عزب



تاريخ الإسلام تاريخ حافل بالفتوحات المجيدة على مدى العصور والدهور وعلى الرغم من محاولات الأعداء تقديم صورة مشوهة عن الفتوحات الإسلامية بإلصاق صورة الإرهاب بها لإكراه الناس على الإسلام من خلالها فإن هذه الفتوحات تظل علامة مضيئة في تاريخنا نحن المسلمين لما كان لها من أثر فعّال في نشر مفاهيم الحق والخير والعدل والسلام في أرجاء الأرض وصدق من قال: (ما عرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب). مقالنا هذا يسلط الضوء على بعض الفتوحات التي يجهلها كثير من المسلمين والتي حدثت في شهر رمضان.

وصية السلطان الفاتح

وفي وصية السلطان محمد الفاتح، أنعم به من فاتح، لولده بايزيد، كما تروي المصادر العثمانية، تطالعنا هذه العبارات:

(يا بُني، إنّ نشر الإسلام في الأرض هو واجب الملوك على الأرض، فاعمل على نشر دين الله حيثما استطعت.

يا بُني، حذار أنْ تغرك كثرة الأموال والجنود، وإياك أنْ تخالف أمر الشريعة في أي شأنٍ، واحرص على الدين فإنه سر انتصارنا)(١).

هكذا رسم محمد الفاتح لابنه المنهج الذي يجب أن يسير عليه، ومحمد الفاتح السلطان العثماني المحنّك، فاتح القسطنطينية، له العديد من الفتوحات الأخرى، التي رسخت أقدام الدولة العثمانية والإسلام في أوروبا، ولعل أكثر هذه الفتوحات أهمية فتحة للبوسنة والهرسك الذي أتمه في شهر رمضان سنة ٨٦٧هـ/ مايو ١٤٦٣م.

مقدمات الفتح

كان فتح بلاد الصرب والمورة موقعا لاضطراب عظيم وقلقاً كبيراً للنصرانية الأوروبية، ودافعا للبابا لبث الدعاية المضادة للعثمانيين لما يسببه اتمام هذا الفتح من ترسيخ للوجود الإسلامي بأوروبا، وكان أكثر من استجاب لنداء البابوية، ودعايتها الصليبية في ذاك الوقت، ملك البوسنة ثم تلاه دوق الهرسك، وكان يسمى سانت ساباس، وكان البابا وقتها هو بيي الثاني.

وقد بدأ في طلب المساعدات من كل من ماثياس ملك المجر، ومن جمهورية البندقية، وحتى من اسكندر الأرناؤوط، خاصة وأن رسل ملك البوسنة قد ذهبوا إلى روما في ديسمبر عام ١٤٦١م، الموافق ربيع الأول عام ٨٦٦هـ، وطلبوا من مقام البابوية قوات مساعدة لهم ضد العثمانيين.

وبعد مدة من هذا، وفي سنة ٨٦٦هـ، اتفق نفس الملك مع اسكندر، وفي كل هذه العلاقات السرية، كانت تتوسط جمهورية دوبرفنيك راجوزا الصغيرة التي كانت تدفع الخراج للدولة العثمانية، وكان للسلطان محمد الفاتح استخبارات على أعلى درجات التنظيم، وجواسيسه ينتشرون في كل مكان، وكان السلطان محمد الفاتح من خلال هذا الجهاز يتابع بدقة بالغة استعدادات العدو، وقرر السلطان الفاتح تسوية مسألة هذه الدولة الصغيرة بشكل حاسم، وذلك لكي يتمكن من إتمام فتوحاته في البلقان، لكن حرب الأفلاق الأخيرة التي حدثت في أوائل عام ٨٦٦هـ/ ١٤٦٢م. منعت التطبيق الفوري لقرار الفاتح، وذلك لأن الفاتح كان قد أرسل قبل تلك الحرب إلى ملك البوسنة (ستيغان توما شافيتش) رسلا يطلبون منه الخراج الذي تأخر عنده. لكن ملك البوسنة رفض دفع الخراج ووصل الأمر به أن ألقى برسل الفاتح في غياهب السجون وبالتالي أخذت العلاقات بين الدولة العثمانية والبوسنة شكل العداء الصريح، والواقع أن ملك البوسنة وهو صهر ملك الصرب كان له ادعاؤه في قضية وراثة العرش الصربي، وادعى فيها عدة حقوق واتخذ في المسألة الصربية جبهة ضد العثمانيين(٢).

الفتح

استعد السلطان محمد الفاتح لحملته على البوسنة بعد فتحه لجزيرة (ميديللي) – وبعد أن قضى على غائلة الأفلاق – وكانت قوات السلطان لفتح البوسنة عبارة عن جيش مكون من (١٥٠) ألف شخص، وسار إلى مملكة البوسنة في شعبان ورمضان ٨٦٧هـ. وفتح (قلعة ياي تشا) وكانت هذه عاصمة المملكة البوسنية، ثم قدمت المدن الهامة الأخرى مفاتيحها للسلطان الفاتح، وبعضها الآخر قاوم مقاومة بسيطة لاتذكر ولكن الجميع سلم للعثمانيين. ولجأ آخر ملوك البوسنة إلى قلعة (كلوتز) وسلمت أيضا هذه القلعة، وأعدم فيها ملك البوسنة بناء على فتوى من الشيخ علي بسطامي المعروف بلقب (مصنفك). وكان إعدام ملك البوسنة

يستند إلى أسباب عدة أولاً: أنه حبس رسل الفاتح الذين أرسلهم إليه ليطلبوا منه الخراج.
ثانياً: دوره في تحريض القوى الصليبية ضد العثمانيين.
ثالثاً: وقوفه ضد العثمانيين أثناء غزوهم لبلاد الصرب، وبالعموم يستند قرار الإعدام إلى عدة أسباب حقوقية وسياسية والمعروف أن ملك البوسنة كان من أشد المعادين للعثمانيين في أوروبا، وفي حملة الفاتح هذه تم للعثمانيين فتح كل بلاد البوسنة، واستولى على أكثر من ثلاثمائة قلعة وموقعاً حربيا. وقد اهتدى جل أهلها إلى الإسلام(٣).

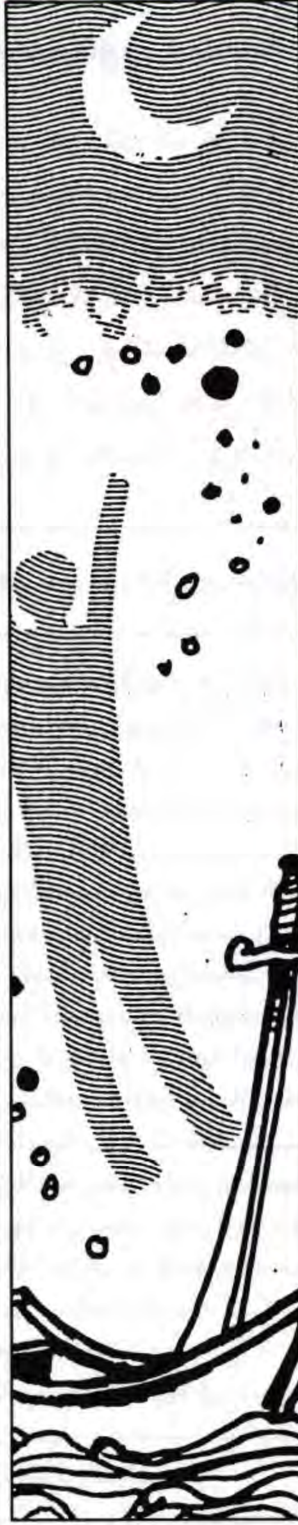
فتح بلغراد

ومن الفتوحات الإسلامية المجهولة التي تمت في شهر رمضان، فتح مدينة بلغراد التي تحولت فيما بعد الفتح إلى مدينة إسلامية، وكان ذلك في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م). فعلى ما يذكر الرحالة أوليا شلبي (المثقف والعارف بالتاريخ وأحوال العالم) إنه قد اهتم ببلغراد منذ أن كان وليا للعهد وعبّر منذ ذلك الحين عن أمنيته قائلا: (إذا منحني الله الحكم فسأوجه جيشي إلى بلغراد). وكان ذلك، بعد سنة فقط من توليه الحكم، قاد السلطان سليمان جيشا ضخما لفتح بلغراد التي وصلها في منتصف يوليو ١٥٢١م. وقد بدأ بقصف قلعة بلغراد في أواخر يوليو، واستمر طيلة شهر أغسطس.

وخلال القصف قام جيشه بهجومه الأول في ٢-٣ أغسطس ثم بهجومه الثاني في ٨أغسطس، والذي استمر من الصباح وحتى المساء وانتهى بفتح القسم المنخفض من المدينة المحصنة، بعد أن لجأ سكان هذا القسم إلى القسم المرتفع من القلعة، حيث قبلتهم القيادة العسكرية بعد ممانعة لقلة المؤونة. وقد استمر العثمانيون في حصارهم للقلعة، الذي صادف طيلة شهر رمضان، إلى أن استسلمت في ٢٦ رمضان٩٢٧هـ، الموافق (٢٩/٨/١٥٢١م).

يوميات فتح بلغراد

وحول وقائع ذلك اليوم يذكر مؤلف



(يوميات حول حملة السلطان سليمان إلى بلغراد ما يلي: (بعون الله تعالى تم اليوم فتح قلعة بلغراد. وارتفع صوت المؤذن من القلعة). وقد صادف اليوم التالي الجمعة الموافق ٢٧رمضان، وهكذا التقت هاتان المناسبتان، يوم الجمعة والسابع والعشرين من رمضان، واختار السلطان هذا اليوم للدخول إلى بلغراد وسط احتفال كبير. وعلى عادة العثمانيين في تحويل إحدى الكنائس إلى جامع عقب فتحهم لكل مدينة في البلقان لتخليد انتصارهم، قام العثمانيون بتحويل الكنيسة الواقعة في القسم المنخفض من المدينة إلى جامع حيث أقيمت فيه فورا صلاة الجمعة من ذاك اليوم.

وفيما يتعلق بسكان المدينة وحاميتها، التي قاومت بشدة الجيش العثماني خلال هذا الحصار الطويل، تجدر الإشارة هنا إلى أن السلطان سليمان تعامل مع هؤلاء بتسامح نادر. فقد عفا السلطان سليمان عن كل السكان والعسكريين المجريين، بعد أن قاوموه أكثر من شهر، واستجاب لرغبتهم بالسماح لهم بالذهاب إلى المجر، واستثنى من هذا قائدين عسكريين أمر بإعدامهما. وقد ذهب السلطان في تسامحه إلى حد سماحه للسكان والعسكريين المجريين. بحمل ثرواتهم من المجر. ولكن من ناحية أخرى، تعامل السلطان سليمان بشكل مختلف مع الصربيين الذين وجدوا في المدينة، فقد أمر بترحيل هؤلاء إلى استانبول للإقامة هناك، مع السماح لهم بأخذ ثرواتهم وكنوزهم الدينية، وقد غادر هؤلاء بلغراد في اليوم التالي، وحملوا معهم ثرواتهم وكنوزوهم الدينة، كأيقونات كنيسة مريم العذراء، وتم توطينهم قرب استانبول، وفي الحي الجنوبي الغربي من المدينة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإدارة العثمانية سمحت لهم ببناء كنيسة خاصة بهم في هذا الحي، كنيسة مريم العذراء وذلك تعويضا عن كنيستهم في بلغراد، ووضعوا في هذه الكنيسة الأيقونات التي أحضروها من بلغراد.

وكان فتح بلغراد من أهم الأحداث التي شهدتها أوروبا في القرن السادس عشر، فقد تحول (حصن المسيحية) ، كما كانت تسمى بلغراد في ذلك الحين، إلى دار الجهاد و (بوابة للحروب ضد الصليبيين) بعد أن استقرت في أيدي العثمانيين، فمع فتح بلغراد وضع العثمانيون يدهم على مفتاح المجر ووسط أوروبا(٤).

الهوامش:

(١) زياد أبو غنيمة، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، ص٢٣، دار الفرقان، عمان ١٩٨٥م.

(٢) د. محمد حرب، البوسنة والهرسك من الفتح إلى الكارثة، ص٢٠، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، ١٩٩٣م.

(٣) إسماعيل حامي دانشمند، تقويم التاريخ العثماني، ج١، ص٣٠٠-٣٠١ استنابول١٩٧١م/ د. محمد حرب، المرجع السابق ص٢١-٢٢.

(٤) د. محمد موفاكو، تاريخ بلغراد الإسلامية، ص١٧و١٨. دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت ١٩٨٧م/ د. محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص٩١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٩م.

لاينبغي لأحـــد ان يفتي حتى يكـــون عــالماً بــاختــلاف النـــاس

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ [التوبة:١٢٢]. فهذه الآية أصل في وجوب طلب العلم ووجوب التفقه في الكتاب والسنة. فقد بين الله تعالى فيها أن الجهاد ليس فرضا على الأعيان، بل هو على الكفاية. إذ لو نفر جميع المسلمين لضاع من وراءهم من العيال، وهلك المال، فأوجب الخروج على فريق منهم، وليقم فريق آخر، يتفقهون في الدين، حتى إذا ماعاد النافرون أعلمهم المقيمون ماتعلموه من أحكام الشرع الحنيف، وما تجدد نزوله على النبي ﷺ.

الإجماع وموقعه في الإجتهاد المعاصر

بقلم: د. فـاروق حمادة

ومن هذه الآية وأمثالها من الآيات القرآنية الكريمة ومن الأحاديث النبوية الشريفة، قرر علماء الإسلام عبر العصور، أنه فرض على كل جماعة مجتمعة في قرية او مدينة، أو دسكرة أو غيرها، أن ينتدب منهم لطلب جميع أحكام الدين، ولتعلم القرآن كله، ولكتابة ماصح عن رسول الله ﷺ من الحديث وضبطه، وضبط ما أجمع المسلمون عليه، وما اختلفوا فيه من يقوم بتعليمهم وتفقيههم في القرآن، والحديث والإجماع(١) كل هذا لتستمر الشريعة غضة طرية مضبوطة الأسس محفوظة الأصول، راسخة البنيان، وليؤوب الناس الى حكمها في كل حين وآن.

مايشترط في المجتهد

وإن هذا العلم الذي تشد فيه الرحال، ويتنافس في تحصيله الفحول من الرجال، ويبذلون في سبيله غالي المهج ونفيس الأموال، لايحل لكل أحد أن يقول فيه، كما لا يسمع قول كل قائل فيه إلا اذا بلغ مبلغا مرضيا، وارتقى فيه مكانا عليا، بين درجات هذا المرتقى الرفيع الناصحون من هذه الأمة، الذابون عن مقدساتها المهمة الدافعون عنها كل مدلهمة وملمة بدءا من طالب العلم، وإنتهاء بالأئمة المجتهدين، الوارثين لمقام النبيين، المبلغين للأحكام الشرعية للعالمين، وقد حددوا أوصافهم، وبينوا خصالهم فمن مستقل من الشروط ومن مستكثر، ومضمون كلامهم محل اتفاق بالجملة ويزيد بعضهم على بعض، فمن أوصافهم العلم بكتاب الله تعالى، في ظاهره ونصه، وعامه وخاصه ومجمله ومبينه، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه، ومتشابهه. الخ.

وكذلك سنة رسول الله ﷺ في صحيحها وسقيمها وعامها وخاصها وناسخها ومنسوخها. كالقرآن العظيم.

وأن يعرف الإجماع، والاختلاف في مذاهب العلماء المتقدمين، والسلف الماضين، وان يعرف القياس وشرائطه فإنه مناط الاجتهاد، وأصل الرأي ومنه يتشعب الفقه.

وأن يعرف علم العربية، لغة، ونحوا، وتصريفا بالقدر الذي يفهم به خطاب العرب وعاداتهم في الاستعمال، إلى حد يميز به الظاهر والمجمل والمبين، والحقيقة والمجاز، والعام والخاص، وكلما زاد من التمكن في معرفتها كان أكثر في إصابة الحق توفيقا وتسديدا وهذا الذي تقدم يسمى أصول الفقه، وزاد الإمام الغزالي وتبعه الشاطبي أن يكون ممارسا للفقه وله من الدربة والمكنة مايكسبه قوة الفهم لمعرفة مراد الشارع، عارفا بمقاصد الشريعة وغاياتها وأن يكون عدلا في دينه، مستقيما في سلوكه، صلبا في رأيه، فمن كان بهذه الخصال، فقد استحق التقدير والإجلال، وغدا قوله مسموعا وعمله متبوعا.

واتفاق هذا الصنف من الناس في عصر من العصور على أمر من أمور الشريعة وحكمهم في قضية من قضاياها، بل وتفسيرهم لآية أو حديث حجة قطعية لاتنقض ودليل لايرفض من الأدلة المجمع عليها المتلقاة بالقبول مع كتاب الله العزيز وأحاديث الرسول ﷺ.

استنباط الاحكام الشرعية

فأدلة الشريعة المجمع عليها عند أهل الحق أربعة: الكتاب، والسنة، والإجماع والقياس، وبدع داودد بن علي الظاهري لإنكاره القياس.

وأما الإجماع فهو كما يقول أبو محمد بن حزم: ماتيقن أنه لاخلاف فيه بين أحد من علماء الإسلام. ونعني بقولنا العلماء من حفظ عنه الفتيا من الصحابة والتابعين وتابعيهم من علماء الأمصار، وأئمة أهل الحديث ومن تبعهم رضي الله عنهم أجمعين.

أو كما يقول السبكي: هو اتفاق أهل الحل والعقد – أي المجتهدين من أمة محمد ﷺ على أمر من الأمور(٢). ويدخل فيه الأمور

الشرعية، كحرمة القتل، ووجوب الصلوات الخمس. واللغوية، ككون الفاء للتعقيب، والعقلية، كحدوث العالم، ولم ينكر حجية الإجماع إلا إبراهيم بن سيار النظام المتوفى سنة ٢٢١هـ، وقد كان مغموصا عليه في الدين، متهما بسلوك الزنادقة والملحدين، فحري أن لايعد في زمرة هؤلاء البررة الأخيار الوارثين، ولكن الأمانة العلمية اقتضت ذكر قوله، والتنصيص على سوء فعله، كما اشترط الشيعة وجود المعصوم، أو الالتفاف حول آل البيت. قال الخطيب البغدادي: إجماع أهل الإجتهاد في كل عصر حجة من حجج الشرع ودليل من أدلة الأحكام، مقطوع على مغيبه(٣). بل إن الإمام الكبير محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ وأبا بكر الرازي، وأبا الحسين الخياط، وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه يرون انعقاد الإجماع مع مخالفة العدد القليل وقال: ويعتبر في صحة الإجماع كل من أهل الإجتهاد سواء كان مدرسا مشهورا أو خاملا مستورا، ولافرق أن يكون المجتهد من أهل عصرهم، أو لحق بهم من أهل العصر الذي بعدهم، وصار من أهل الإجتهاد، كالتابعي إذا أدرك الصحابة في وقت حدوث الحادثة وهو من أهل الإجتهاد(٤).

وإن هذا الإتفاق الحاصل على حكم شرعي أساسا من هؤلاء المتجردين لخدمة الحق لا يكون من فراغ، ولايكون وقعه كوقع غيره، بل له مكانة عظمى، ومحل ركين في أمور الدنيا وأمور الدين.

يقول أبو العباس بن تيمية(٥): وأن كل ماأجمعوا عليه فلا بد أن يكون فيه نص عن الرسول ﷺ فكل مسألة يقطع فيها بالإجماع، وبانتفاء المنازع من المؤمنين، فإنها مما بين الله فيه الهدى، ومخالف مثل هذا الإجماع يكفر، كما يخالف النص البين. ويقول في موضع آخر: والتحقيق أن الإجماع المعلوم يكفر مخالفه، كما يكفر مخالف النص بتركه، لكن هذا لايكون إلا فيما علم بثبوت النص به. إلى أن يقول: فالإجماع مع النص دليلان كالكتاب السنة(٦).

نظرة علماء الأصول إلى الاجتهاد

وإذا كان الإجماع بهذا الموقع العظيم في الدين اعتقادا وعملا، فإن علماء الأصول قد أفاضوا في مباحثه والتدليل على حجيته، وجعلوا مخالفه متبعا غير سبيل المؤمنين استنادا إلى قوله تعالى:﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ماتولّى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ [النساء:١١٥] ورصدوا مواقف أئمة المسلمين منه عبر العصور بدءا من أيام الصحابة رضوان الله عليهم. فقد جاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: (اتفق رأيي ورأي عمر على أن لاتباع أمهات الأولاد، والآن فقد رأيت بيعهن). فقال له عبيدة السلمانيك: (رأيك مع الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك)(٧).

وجاء عن عبد الله بن مسعود: إذا سئل أحدكم فلينظر في كتاب الله، فإن لم يجد ففي سنة رسول الله ﷺ، فإن لم يجد فلينظر فيما اجتمع عليه المسلمون وإلا فليجتهد(٨).

ووجدنا علماء الأصول قد اتفقوا على أن من شروط المجتهد، بل وعند كثير منهم والمفتي أن يكون عارفا بمعاقد الإجماع بصيرا بمواقع الاختلاف، وماذلك إلا تعظيما لموقع هذا الدليل، وزجرا لمن يخالفه أو يفتي ويحكم بغير هذا الإجماع.

وكذلك ألزموه بمعرفة اختلاف العلماء حتى لايدعي الإجماع فيم الإختلاف فيه معروف مذكور، وليردع من يدعيه ويرده عن غيه. فعن سعيد بن جبير قال: أعلم الناس، أعلمهم بالإجماع والإختلاف (٩). وعن قتادة قال: من لم يعرف الإختلاف لم يشم أنفه الفقه وعن عطاء قال: لاينبغي لأحد أن يفتي حتى يكون عالما بإختلاف الناس، فإنه إن لم يكن كذلك، رد من العلم ماهو أوثق من الذي في يديه(١٠).

ومثل هذا عن غير واحد من السلف الصالح كسعيد بن أبي عروبة وأيوب السختياني، وابن عيينة، ومالك والشافعي، ويحي بن سلام وغيرهم، ولهذا فقد أحكم العلماء هذا الباب منذ القرون الأولى وكتبوا في الاجماع والإختلاف وتداولوا مسائله في حلقات الدرس ومجامع المناظرة ومن الطريف مايذكر في هذاما سطره أبو محمد بن حزم الأندلسي في كتابه الإحكام، فقال: حمل كتاب الأوسط لابن المنذر، الى أحمد بن الليث الأنسري، وإلى القاضي أبي بكر يحي بن عبد الرحمن بن واقد، فلما طالعاه قال: هذا كتاب من لم يكن في بيته لم يشم رائحة العلم، قال: وزادني ابن واقد ونحن ليس في بيوتنا، فلم نشم رائحة العلم(١١).

نماذج من كتب الأجماع

وفي الإجماعات غير كتاب، وفي الإختلاف مصنفات كثيرة جدا في هذا الباب نثرت من قضايا الإجماع واتفاق العلماء وماهو بالجمع والتصنيف، والضم والتأليف حري وجدير بل هو عمل جليل منيف، فالإمام مالك رحمه الله في كتابه الموطأ وهو من أقدم ماوصل إلينا اهتبل هذا الأمر وأكد عليه.

وكذلك فقيه السنة الأكبر محمد بن إدريس الشافعي نثر غير قليل من هذا في كتبه الأم، واختلاف الحديث، وأحكام القرآن، والرسالة وغيرها وفي كتب الإجماع المتداولة، كتاب أبي بكر محمد بن المنذر النيسابوري المتوفى ٣١٨هـ وهو مطبوع، وكتابه سالف الذكر الأوسط في السنن، والإجماع واختلاف العلماء وطبع قسم منه، وكتابه الإشراف على مذاهب العلماء، وفيه قليل من ذكر الإجماعات، وتبعه على ذلك أبو جعفر الطحاوي المتوفى ٣٢٣هـ في كتابه اختلاف الفقهاء. وشرح معاني الآثار، وغيرها ومحمد بن نصر المروزي في كتابه اختلاف الفقهاء.

وكذلك الإمام أبو بكر بن مجاهد الطائي البصري في كتابه الرسالة الى باب الأبواب فقد ذكر نحوا من خمسين إجماعا في العقائد دون غيرها، وقد قرأنا معه هذا الباب - أعني باب العقائد - فوجدنا أضعاف ماذكر، وقد بلغ ماأحصينا من الأجماعات في العقائد الى يومنا هذا نحو ثلاثمائة وخمسين اجماعا أما في مسائل العبادات، والأحكام العملية فهناك المئات من الإجماعات.

وإننا نحن اليوم نتنادى في شرق الأرض وغربها للإجتهاد والتجديد وتحكيم الأصول الشرعية، لابد أن نضع هذا الدليل المجمع عليه أعني الإجماع في موقعه الصحيح في عملية الاستدلال، فالذي نلاحظه اليوم هو نوع من أنواع الفوضى في بعض الجوانب وأن هذا الدليل لم يأخذ موقعة الصحيح إذ أننا نجد(مجتهدين) بدون أهلية ولا استعداد ولم يتحقق بالمجتهدين ولو شرط واحد من الشروط المذكورة في الاجتهاد فقد خرجوا باجتهاداتهم إلى ساحة الكفر الصراح

بتنكـــــرهم لإجماع المسلمين، وإزدرائهـم بمعتقداتهم التي أطبقوا عليها أجمعين، أولين وأخرين (أركان الإسلام ليست خمسة) مثلا كما يدعي بعضهم.

ووجـدنـا من جـانب آخـر عمل عـدد من اللجـان في عـدد من البلـدان الإسـلاميـة في قضايا لامسـاس لها بما يخاف منه ويحذر، تخالف السواد الأعظم من العلماء بل تخالف مايكاد يكون إجماعا، وتتعلق برأي شاذ قاله بعض العلماء ولعله كان منه زلة أو قول رجع عنه وتتخذه أساسا لأحكـام الأموال والدماء والأعراض وهـذا من الخطأ والخطـر بمكان بعيد.

وقــد نص الأئمـــة الهداة أن ذلك لايصح اعتماده في المسائل الشرعيـة، لأنها لم تصدر في الحقيقـــة عن اجتهـــاد، وإن حصل من صـاحبها اجتهـاد فلم يصادف فيهـا محلا، وإنما يعد في الخلاف - الأقوال الصادرة عن أدلة معتبرة في الشريعـة كانت ممـا يقوى أو يضعفّ. ولهذا لم يعتـد السلـف الصـــالح بـالخلاف في مسألـة ربـا الفضل، والمتعـة، واشباهها من المسائل التي خفيت فيها الأدلة على من خالف فيها(١٢).

وقد نص غير واحـد من الأعلام كـابن عبد البر في التمهيـد في غير مـوضـع من كتبـه والشاطبي في مـوافقاتـه أنك إذا رأيت انفراد صاحب قول عن عـامة الأمة فليكن اعتقادك مع السواد الاعظم من المجتهدين(١٣).

دعوة إلى تخليص المسائل المجمع عليها

إننـا بحكـم هـذا الموقع العظيم في الـدين لـلإجماع والإتفاق نـدعوا اليـوم الى ضرورة تخليص المسـائل التي حصل عليهـا الإجماع في الفقـه الإسـلامي عـامـة، وقـد غـدا هـذا ميســوراً جــدا، وذلك من خـــلال المذاهب الإسلامية المطبوعة.

وإذا كان الأصوليون من قبـل قد تعرضوا في مبـــاحثهم في الإجماع الى كيفيـة تحققـــه والعلم به، فإن كتب كل مـذهب قد أحاطت أو كـادت بعلماء ذلك المذهب ونقلتـــه، وأقـوال حملتــــه ويشمل هـــذا المذاهب الأربعـــة والظـاهـريـــة، وأهل الحديث، بل ويصل إلى الإباضيـة والشيعة وغيرها ومصدر مـوثوق لمعرفـة الإجماع، والإختـلاف، فما اجتمعت عليه هذه المصادر المذهبيـة التي يعتمدها كل مـــذهب، اذا ضم بعضـــه إلى بعض، يمكن الخروج بنتائج حاسمة، ومـا شذ فيه واحد، أو اثنان فلايمكن أن يكون اجتهادا صحيحا، أو عملا ناجحاً لاسيما إذا لم يكن له دليل، أو كان، وبان ضعفه ومستنده.

وقد أشار إلى ذلك الإمام فخر الدين الرازي في محصـــوله حيث قـــال (١٤) فإن قلت: فلم صنفت كتب الفقـه مـع فنـاء أربـابها؟ قلت: لفـائدتين: استفـــادة طـريق الإجتهـــاد من تصرفهم في الحوادث، وكيفيـة بنـاء بعضهـا على بعض. والأخرى: معرفـة المتفق عليه من المختلف فيه.

إن تقصى الكتب المذهبيـــة على تنـوعهـــا وتعـددهـا وكتب الفقـــه المقـارن، وتخليص قضـايـا الإجماع منهـا، وتصنيفهـا، وبيـان دليلهـا أمـر في غايـة الأهميـة والجلالـة على طـــريق إحيـــاء الإجتهـــاد الصحيح، وقمع الـزائغين، وتعبيـد الطريق لأجيـال البشريـة القادمة.

إن الكتب التي تطبع اليـــوم وتفهـرس مع تعـدد مشـاربها، واختلاف مـآربها تجعلنـا اليوم مضطرين إلى وضع هـذا الدليل موضع الاستدلال بين يدي البـاحثين لينال حظه من البحث واستثارة الكوامن، واستمداد الكليات والنظريـات كما حدث هـذا بالنسبـة للقرآن الكريم والسنـة المطهرة، وهـذا شيء لا أعلمه من قبـل، وإن كنت أعلم أن أول محاولـــــة لاستقصاء الاجمـــــــاعات كـانت في ظلال الـدولة الموحـدية، وبأمـر من الخـــــليفة يعقـوب المنصـــور رحمه الله، ليكـون أهــل العلم والاجتهـــــاد ملـــزمين بالأـــــصول الثـــلاثة.

القـرآن، والسنـة، والإجماع، وليستنبطـوا منهـا ويقيسـوا عليهـــا مـايجدّ من وقـائع، ومايواجه الأمة من أحداث.

بل إن خطة البحـوث يجب أن تأخذ منحى جديـدا بتقديم مـواطن الإجماع والإتفاق، ثم تبحث عن الخلاف والافتراق، كما كـــان ذلك في كتـابات أصحـاب القـرن الثاني والثـالث والرابع بل والخامس.

أما والأمة الإسلامية قـد غدت اليوم قريبة الأطـراف، دانية الأقطـار، فإن مايعترضهـا اليوم هي مشاكل متجـانسة متشابهة، ولابد من مواجهتهـا وتحديد ضـارها من نـافعها، ولهذا فإننا نشجع طـرح القضايا على أوسع مـايمكن من خـلال مـراكـز البحث العلمي، والمعـاهـد والجامعـات، ليســاهم أهل الاختصـاص من العلماء والفقهـاء بإبـداء آرائهم، وتأييدها بالأدلة لتكوين ثروة فقهية لامناص منهـا، وإلا فإن الأمة تكـون عقيمة ولاتؤدي وظيفتها. وقد أصبح من الممكن جدا اليوم الإجماع الذي كان بـالأمس صعبا، وقد ظهرت بوادر طيبة في عـدد المجمعات العلمية والجامعات.

وخلاصة القـول إن الإجماع لابد إن يأخذ مكانه السليم في الاجتهاد المعاصر ولما يأخذه بعـد، وإلا كـــان الاجتهـاد فيـــه ضرب من المغـامـرة إن لم أقل العبث، وذلك بمعـرفـة الإجماع فيما مضى، للإنطلاق منه، والبحث عن إجماعـــات جـديـــدة أو مـايقـــرب من الإجماعـــــات متجنبين الشــــاذ من الآراء، والهالك من الأقـوال، والبعيد عن السـداد في القضـايا التي نعيشهـا وتلح علينا، لنتركهـا للأجيال القادمة كما ترك لنا الآباء والأجداد، في استمـراريـة دائمـة شـاهـدة على خلـود الشريعة المطهرة، وصلاحيتهـا للإنسان على امتدادالزمان، واتساع المكــــان. ﴿هو الذي أرسل رسـوله بـالهدى ودين الحق ليظهـره على الـدين كلـه وكفى بـاللـه شـــــهيدا﴾ [الصف:٩] □

الهوامش:

١) أنظر: الأحكام في أصول الأحكام، لابن حزم: ٥/ ١٢١.
٢) الإبهاج للسبكي: ٢/ ٣٤٩.
٣) الفقيه والمتفقه:١/ ١٥٤.
٤) الفقيه والمتفقه: ١/ ١٧٠.
٥) الفتاوى: ٧/ ٣٨.
٦) الفتاوى: ١٩/ ٢٧٠.
٧) الإحكام للآمدي: ١/ ٢١٩.
٨) موسوعـة الإجماع لسعدي أوبو جيب: ١/ ٢.
٩) الإحكام لابن حزم: ٥/ ١٢٥.
١٠) انظر الموافقات للشاطبي: ٤/ ١٦١.
١١) انظر الإحكام: ٥/ ١٢٩.
١٢) انظر الموافقات: ٤/ ١٧٢.
١٣) انظر الموافقات: ٤/ ١٧٣.
١٤) المحصول، جزء ٢، قسم ٣.



أستاذا بجامعة (رومـا) وأعلن للعالم نظريته المشهورة بعد أن لبث ثلاثين عاما يدرس هذه النظرية التي تقول:

«إن الأرض ليست سجينـة لاتتحـرك، بل هي عـربـة دائبـة الدوران تحملنـا معهـا في مغامراتها الأبدية خلال الفضاء الشاسع لهذا الكون». وقد سخـر العلماء ورجال الكنيسة من هذا الـرأي واتهموا صاحبه (بـالهرطقة) والكفر وبالمروق من الديـن، ولقد حاول هذا العـالم الجليل أن يبين لهم طريق الصـواب، وأن يصرفهم عـن مســـالك الخطـأ ولكن هيهات..لقد ذهبت محاولاته أدراج الرياح:

فلو نار نفخفت بها أضاءت
ولكن أنت تنفخ في رماد
لقد أسمعت لوناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي

وفي منتصف (القرن الســادس عشر) جاء العالم الـرياضي (جـاليليو) وكلما حـاول أن يناقـش نظرية (بطليمـوس) ويثبت بـالأدلة العلميـة أنها خطأ، صـاح فيــه الأســاتـذة بالجملة المشهـورة(اسكت فلقد تكلم السيد) يعنـــون (أرسطـو) وان في قـــولـــه لفصل الخطاب. فلماذا تتعب أنت نفسك؟!

ولكن (جاليليو) لم يعبأ بكـلام الأساتذة، وظل يـواصل البحث حتى أخرج على النـاس بكتابه المعروف (رسـول النجوم) وفيه يثبت بـالأدلة العلميـة فساد نظـرية (بطليمـوس) وقيام نظرية جديدة هي:

أن الأرض تدور حول نفسها وأنها وجميع الكواكب حولها ليست إلا جـزءاً من المجموعة الشمسيـة تـدور حـول الشمس، وبـــذلك نستطيع أن نفسر نظـــريـــة (الكســـوف والخسـوف) وتعاقب الليـل والنهار وثـارت ثائرة الكنيسة، واستدعي (جاليليو) للتحقيق معـه أمـام (الـديوان المقـدس) ولكنـه كـان مـريضا، وكتب أطبـاؤه تقريـرا بينوا سـوء حالته التي لاتساعده على الذهاب إلى (روما)

﴿يكوِّر الليلَ على النهار ويكوِّر النهارَ على الليل﴾

بقلـم: أمين محمــــــــد عثمان

كان علماء (أوروبا) حتى منتصف (القرن الخامس عشر) الميلادي يؤمنون إيمانا أعمى بنظـريـة (بطليمـوس) في أن الأرض ثـابتـة لاتتحرك، وأنها مـركز العـالم، وبأن الشمس وجميع الأفـلاك تدور وكأنها أجســام ثابتـة حول الأرض!

اختلاط الحقيقة بالخرافة

هـذا النظام (البطليمـوسي) ظل متبعـا لمدة (ألف وخمسمائة عـام) وبـــدا كأنـه سيظل محتفظا بقـوته إلى الأبـد، وأساســه وعماده، والحقيقة الأولية التي بنى عليهـا هو (ماتراه الحواس التي لايمكن أن تخطىء).

هذه الحقيقة الأساسية هي أن السماء التي فـوقنـا – كما يبـدو لكل من ينظـر إلى دائرة الأفق – عبارة عن إنــاء مقلوب تشغل الأرض مركـزه، واعتماد على هذا الأمر البـدهي الذي يثبت نفسه بنفسه، وضــع الفلكيون القدامى نظـريتهم.إن الأرض تقف في مكـانها كملكـة خالـدة، تقدم لها فروض الطاعـة والولاء كل الأجســام السماوية، فـالشمس تدور فـوق الأرض أثناء النهار، وتحتهـا أثناء الليل، على حين أن النجوم تقوم بـرحلتها، تحت الأرض أثنـاء النهار، وفـوقها أثنـاء الليل،وفي كلمات أخـرى «أن الكون كـرة تقوم بـدورة كاملـة حول الأرض كل أربع وعشرين ســاعة» وعلى هذه النظرية الخاطئة بنى الفلكيون آراءهم في الكواكب والأبراج وتـأثيرها في عالم الأرض.. ولجئوا إلى السحر والشعوذة في تفسير بعض الظواهـر الفلكية (كـالكسوف والخســوف) وكلما بدا أن هنـاك كوكبـا أو نجما خرج عن مـداره الصحيح، عزوا ذلك إلى الـروح الحي لذلك النجم أو الكوكب!

ومع ذلك فإنها تدور

(وفي منتصف القرن الخامـس عشر) ظهر العـالم البولـوني (كـوبرنيكـوس) واشتغل

وهو أقرب إلى الموت منه إلى الحياة!

وحين مثل أمـام القضاء لم يكـن في حالـة تسمح له بـالدفـاع عن نفسه لا من النـاحية الجسمية ولامن الناحية العقلية!

واستمرت محاكمتـه ستة أشهـر، وصلته خلالها رسائل تأييـد لا من المفكرين فحسب بل من عدد من (الكاثوليك) ورجال الكنيسة، وأخيرا أرغم الـرجل إرغـامـاً على ان يضرب بمعتقداته عـرض الحائط ثم اضطروه إلى أن يقول:

(إني أقسم ويداي على الإنجيـل المقدس أن أنبذ نظـرياتي «الهرطقيـة» السابقـة، وإني أعترف أن خطئي تسبب عن طمـوح كـاذب وجهل تـــام، وإني أعلـن وأقسم أن الأرض لاتدور حول الشمس).

وبينما كان أصـدقاؤه يقـودنه بعيـدا عن ساحـة المحكمة وهـو مجهد متعب في حـالـة شبيهـة بـالحمى.. كان يغمغم بين أنفـاسـه اللاهثة: (ورغم ذلك فإنها تدور).

الرجوع إلى الحق بعد (٣٥٠) سنة

وفي نهايـة شهر (أكتـوبـر ١٨٩٢) أذاعت وكـالات الأنبـاء الخبر التـالي: أعلنت بـراءة (جاليليو) بعد (٣٥٠) سنة. بـابا الفاتيكان يصف حكم محكمة التفتيش بأنـه مأساوي وتفصيل ذلك أن البابا يوحنا بولس الثاني – بابـا الفاتيكـان – أصدر يـوم السبت الماضي الحكم بـالبراءة في القضيـــة التي اتهم فيهـا (جاليليو) بالكفر والتحريف أي منذ شهور.

قال (البـابا في حكمه الـذي أصدره وأعلن أمام جمع من العلماء وحائزي جائزة نوبل.. إن جاليليو مؤمن صـادق، وفزيائي عبقري) ثم أضاف: (إن المحاكمة التي انتهت في القرن الســادس عشر تميـزت بعـدم فهم متبـادل ومأسـاوي بينـه وبين قضـاة محكمـة التفتيش). وهكذا يعود الحق إلى نصـابه بعد (٣٥٠) عاما.

موقف الإسلام من العلم

أما الإسلام فقد قضـى على الوثنية قضاء مبرمـا، ولم يسمح لعقائده بـدخـول الفسق والـزيف فيهـا، وبـذلك حفظ للمسلمين عقائدهم وأخـلاقهم إلى أبد الآبـدين، وسمح للعلماء أن يتفيئـوا في ظـلالـه حيث شـاءوا، فالعلم والدين توءمان، لايختلفان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد أزدهرت الحضارة الإسلامية، وأينعت وآتت أكلها، وعنـدما انتقل المنهج الإسـلامي التجريبي الواقعي إلى (الفكر الأوروبي) اتجه العقل الغربي إلى البحوث العلميـة التجريبية، وبـدأ البحث العلمي يكشـف حقـائق فلكيـة وجغـرافيـة وطبيعيـة ،غيّر تلك الأوهـام والخرافـات التي سيطـرت على أفئدة النـاس وتبنتها الكنيسـة، واعتبرتها حقائق مقـدسة لايصح منـاقشتهـا أو الحوار حـولها،ومن يفعل ذلك فهو (هرطقي) أو مارق!

ولقد وقفت الكنيسـة موقفا عنيفـا في وجه العلماء الذين اتجهـوا اتجاها جديـداً بعد أن نهلـوا من الثقـافـة الإسـلاميـة عن طـريق الأنـدلس غـربـا،وعن طـريق الشرق أيـام الحروب الصليبيـة. ويقـدر عـدد الـذين عاقبتهم الكنيسة ومحاكم التفتيش،بثلاثمائة ألف عـالم أحرق منهم إثنـان وثلاثـون ألفا وهم أحيـاء وكـان منهم العـالم الطبيعي (برونـو) نقمت منـه الكنيسـة بسبب آرائه العلمية، وحكمت عليـه بالقتل، واقترحت بأن لاتـراق قطرة من دمـه «وكـان ذلك يعني أن يحرق حيا»!

وعندئذ كان ذلك الفصـام النكد بين الدين والعلم حتـى مطلع القـــرن العشريـن في (أوروبا) وظل اندفاع الناس في شرودهم عن الـدين: ﴿كأنهم حُمُرٌ مستنفـرة. فـرّت من قسورة﴾ [المدثر:٥٠و٥١].

لقد تذكروا تلك الـدماء الزكية التى أريقت في سبيل العلم، وتلك النفـوس البريئـة التي ذهبت ضحيـــة لقســوة القســاوســة ووسـاوسهم، وتمثل لأعينهـم تلك الـوجـوه العابسة، والجباه المقطبة، والعيون التي ترى بالشر والصدور الضيقـة الحرجة، والعقول السخيفـة البليدة، فـاشمأزت قلوب النـاس، وآلـوا على أنفسهـم كـراهـة مـايمثلـونـه ومايقولون به.

(البيروني) ودوران الأرض

إن أسلـوب القـرآن ومنهجـه في الحث على النظر في ملكـوت السموات.قـد شجع العلماء المسلمين على دراسة العلوم دراسة مبنية على البحث والتجريب.

ونظـريـة (دوران الأرض حـول الشمس) ليست وليـدة الفكر الأوروبي بل هي وليـدة أبحاث العلماء المسلمين ممن تبحروا في علوم الفلك والطبيعـة والـريـاضيـات وعلى رأس هؤلاء (أحمد البيروني أبو الريحان) (٩٧٣ – ١٠٤٨م) ولـد بضـاحية (خـوارزم) وهـو مـؤلف عـــربي، مـن أصل فـــارسي، درس الـريـاضيـــات والفلك والطب والتقــاويم والتاريخ والعلـوم اليونـانية والهنـدية، ومن مؤلفـاته كتاب(الصيدلـة في الطب) وكتاب (الجماهر في معرفة الجواهر) وكتب (الدستور – وتـاريخ الهنـد – وتحقيـق مـا للهنـد من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) تقول عنه المستشرقـة الألمانيـة (زيجريـد هـونكـة) في كتـابها القيم (أثـر الحضـــارة العـربيـة في أوروبا):

إن التحـــول «الكـــوبـــرنيكي» في التفكير الفلكي، والذي جاء بـه عام (١٠٠٠م) العالم العـــربي (البيروني) مـاكـــان ليحظى بأي اهتمام أو انتباه، وظـل منسيا مجهـولا زمنا طـويـلا حتى أكتشفـه بعـده نـابغـة الألمان العلامة(كوبر نيكوس) وكان يعلمه من قبله بخمسمائة عـام العـــلامـة العـــربي (أحمد البيروني؛ أبو الريحان) فقد أدرك أن الشمس لم تكن هي سبب تفـاوت الليل والنهـار.. بل ان الأرض ذاتها هي التي كـانت تـدر حـول نفسهــا، وتدور مع الكـواكب حـول الشمس وتقول المستشرقة الألمانية في موضع آخر من كتابها:

«كبر نيكوس» فلكـي (بولوني) بـرهن على دوران الكـــرة الأرضيـــة على ذاتها وحـــول الشمس فغيَّر النظرية القـديمـة بأن الأرض ثابتة، وأن الشمس تـدور حولها ،وهو يعتبر مـؤسـس علم الفلك الحديث،ولكـن الفضل يرجع إلى (البيروني) العـلامة العـربي الذي قال ذلك قبل (خمسمائة عام).

القرآن الكريم ودوران الأرض

والسؤال الـذي يرد على خواطرنـا جميعاً: هل يمكن أن نستشف هـذه الحقيقة العلميـة من آيات القـرآن الكريم بعـد أن ثبتت صحة النظـريـــة، وأصبحت في عـــداد المسلمات والبديهيـات، في عصر انشطار الـذرة، وغزو الفضـاء، وهبوط الإنسان على سطح القمر؟

وليس معنى ذلك أن نتجـــه إلى القــول بأن القـرآن كتـاب يحتـوي على نظـريـات(العلم الحديث) صغيرهـا وكبيرهـا.. بل إن اللـه – سبحانه – قد تـرك ذلك كله لاجتهاد العلماء

من الإعجاز العلمي في القرآن

بعد أن أعطاهم إشارة البدء في ذلك وأمرهم بالنظر في العقل والنفس وفي علوم الأرض، وفي ملكوت السموات: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات:٢٠و٢١]. وفي آية أخرى. يقول: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وماخلق الله من شيء﴾ [الأعراف:١٨٥].

ولكن ماأريد قوله، وماأدعوا إليه دائما، هو أن ننظر في آيات القرآن الكريم، بمنظار المسلم المتحضر وأن نراها بمرآة العلم الحديث فسوف نرى فيها عجبا من الآيات البينات في علوم الفلك والطبيعة، والكيمياء والجيولوجيا والتاريخ وعلوم الاجتماع..الخ.

تكوير الليل على النهار

نستشف من بعض آيات القرآن الكريم، أن الأرض كروية وأنها تدور وأرجو من القارىءأن يتأمل قوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق، يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾ [الزمر:٥].

فقوله تعالى: ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ يشيرإلى أمور:

أولها: أن النهار والليل يكور كل منهما على الآخر في حركة دائبة حيث لايكون نهار إلا كور عليه الليل، ولايكون ليل إلا كور عليه نهار.

ثانيها: أن التكوير يعني الحجب والتغطية من الأعلى للأسفل، وكلمة تكوير تعني تكوير العمامة على الرأس يقال كار العمامة وكورها أي لفها على رأسه حتى صارت كالكرة.

وثالثها: أن هذه الصورة من التكوير تشير إلى (كروية الأرض) وإلى أن الليل والنهار يتحركان فوق كرة أشبه بالعمامة التي تعلو الرأس.

ورابعها: أن لفظ يكور يشر إلى أن الأرض متحركة، وأن هذا التكوير الذي يجري على الكرة إنما يقع حالا بعد حال ووقتا بعد وقت.

وخامسها: تقديم تكوير الليل على النهار إشارة إلى اتجاه حركة الأرض بعد الإشارة إلى شكلها الكروي وإلى حركتها، فإن هذه الحركة من الغرب إلى الشرق حيث يكون النهار أولاثم يتلوه الليل فيتكور عليه، ثم يعقبه النهار فيعلوه ويتكور عليه كذلك،و هكذا.

وقد أرانا الله سبحانه - أن شروق الشمس لايحدث في وقت واحد على كل أجزاء الأرض المختلفة كما يقول: ﴿إن إلهكم لواحد. رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾ [الصافات:٤و٥].

ويدل ذلك على أن الشمس لاتشرق على الأرض كلها دفعة واحدة، بل تختلف أوقات شروقها واختلاف أوقات شروقها يدل على دوران الأرض حول نفسها وعلى أن الليل والنهار هما نتيجة لهذه الحركة.كما أن وجود الليل والنهار في وقت واحد على الارض لايتأتى إلا إذا كانت الأرض كروية وقد تجلى ذلك في الآية الكريمة: ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرُفَها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأنْ لم تغنَ بالأمس﴾ [يونس :٢٤].

إن الله - سبحانه - لم يشأ أن يحدد الوقت الذي تكون فيه نهاية العالم، لأن العالم لايغشاه ليل في وقت واحد، ولايصيبه كله نهار في وقت واحد، والحديث هنا عن الأرض كلها، وهو حكيم عام يلزم لصحة عدم التحديد.. ويقول الله تعالى: ﴿وترى الجبالَ تحسَبُها جامدةً وهي تمرُّ مرَّ السحاب صُنْعَ الله الذي أتقنَ كل شيء﴾ [النمل:٨٨].

حقيقة سير الجبال

إن هذه الآية تدل على حقيقة واقعة وهي ﴿سير الجبال﴾ سيرا حثيثا لايشعر به الإنسان بل يظنها واقفة في مكانها، وذا كانت الجبال تسير، فإن الأرض كذلك تسير وقد ضرب الله - سبحانه وتعالى - الجبال مثلا لأنها أبرز ماعلى الأرض وهذا مايشير إليه (علماء البلاغة) ومنها إطلاق الجزء وإرادة الكل، كما تقول (رأيت عمامة تسير) أي (رأيت رجلا يسير) وهذا دليل على دوران الأرض حول نفسها، كما يقول العلم الحديث، وقد أكدت ذلك سفن الفضاء المتجهة إلى القمر ولكن يعترض على هذا الرأي بعض الناس فيقولون: «إن هذه الآية تتحدث عن الآخرة لأنها واقعة بين آيات تتحدث عن الآخرة»، وقد أجاب عن ذلك كثير من جهابذة المفسرين مؤكدين ان الآية تتحدث عن الدنيا على الوجوه التالية:

١- القرآن قد يتحدث عن الآخرة ثم يلتفت إلى الحديث عن الدنيا، بماله علاقة بالموقف في الآخرة، وقد يكون الموضوع عكسيا، كأن يتحدث عن الدنيا، ثم ينتقل فجأة إلى الحديث عن الآخرة.

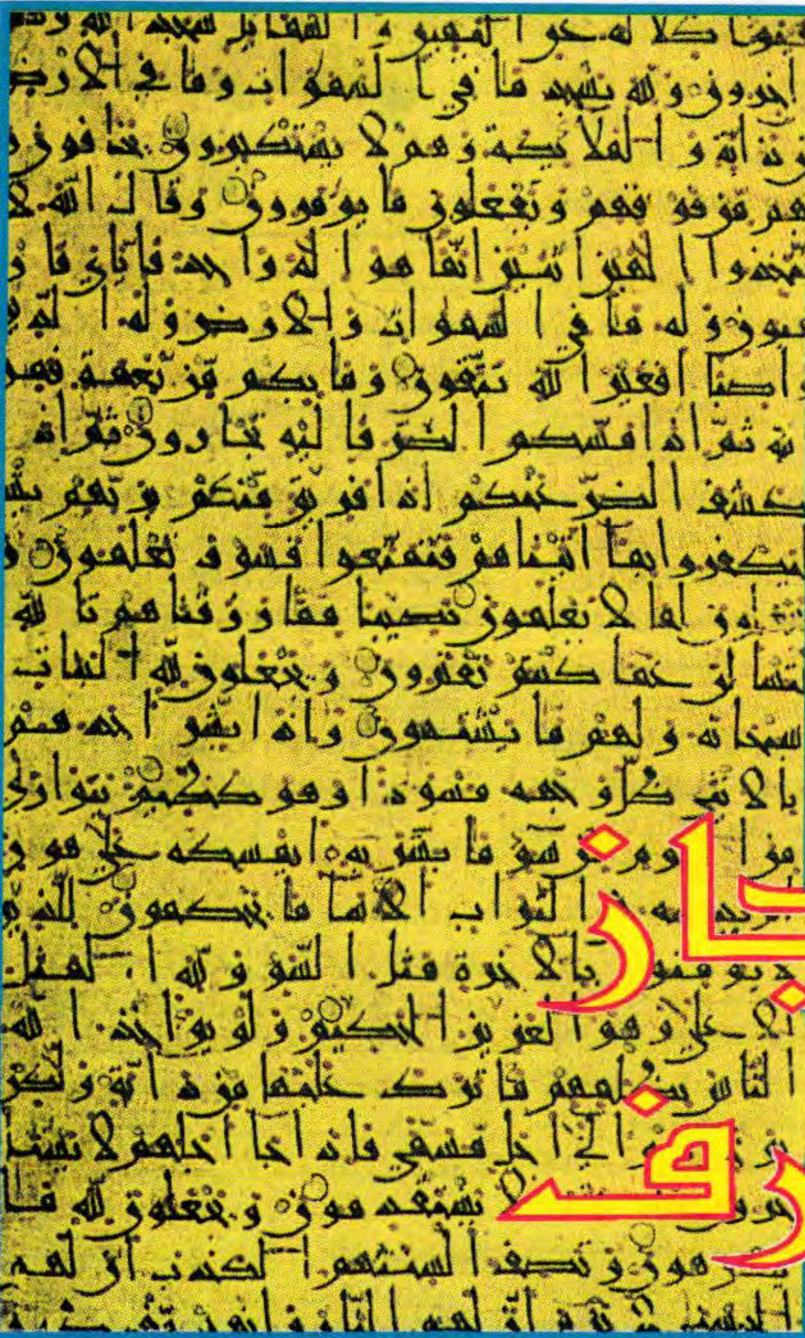
ووصف مشاهدها لأن إزالة الحواجز الزمنية بين الدنيا والآخرة أبلغ في التأثير على النفوس وفي السياق الذي وردت فيه هذه الآية يتجلي هذا الأسلوب الكريم: ﴿حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون. ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لاينطقون. أولم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. ويوم يُنفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكلٌّ أتوْه داخرين. وترى الجبال تحسَبُها جامدةً وهي تمرُّ مرَّ السحاب، صنع الله الذي أتقن كل شيء وإنه خبير بما تفعلون﴾ [النمل:٨٤-٨٧].

فالآيتان في السياق الأول تتحدثان عن الآخرة تلتهما آية تتحدث عن الدنيا هي: ﴿ألم يروا أن جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾، ثم تلتها آية تتحدث عن الآخره هي ﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ وبعد ذلك تلتها آية تتحدث عن الدنيا هي ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾.

٢- والدليل الثاني: أنه في الآخرة ينفرط عقد كل شيء وتختل نواميس الكون ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث. وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ أما الإتقان المستمد من قوله تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾، فإن له صلة بالنواميس القائمة في الدنيا ويريد الله سبحانه أن يتدبرها الناس في حياتهم ليستدلوا من دقة صنعها على عظمة الخالق وبديع صنعه

٣- أما الدليل الثالث: فهو أنه ماتستعمل كلمة (ترى) في القرآن لتلتفت أبصار الناس وعقولهم إلى معجزات الله في الكون وآياته في الوجود ليدفعهم ذلك إلى تقوى الله وانظر قوله تعالى: ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ [الحج:٥]□

المعجزة بالتعريف: هي خرق لقوانين الكون، يؤيّد الله بها أنبيـاءه ورسلـه، ويعجز البشر أن يأتـوا بمثلهـا، وكان لـرسول الله ﷺ معجـزات مادية معـروفة كتلك التي أجـراهـا الله على أيـدي بـاقي الـرسل، إلا أن أهمَّ معجزة لـه كانت ولاتزال خـالدة أبـد الآبدين، إنما هي معجزة القـرآن الكريـم. تحدّى الله تعـالى بها العرب، وهم فرسان البـلاغة وأرباب الفصاحـة ان يأتوا بمثله أو بسـورة أو بـآيــة ففشلـوا رغم محاولات البعض، فكـانت محاولات هـؤلاء كـلامـاً مسفـاً مثيراً للضحك والاشمئزاز (محاولات سجاح ومسيلمة).



إعجاز الحرف في القرآن الكريم

بقلم: محمـــد فتحي محمـــد راشـــد الحريـــري

تتجلى معجـــزة القــــرآن في مجالات الإخبـار عن الغيب، وفي المجـال التشريعي والعلمي، كما تتجلى في إعجـــازه اللغــــوي والبلاغي وطريقـة نظمه وسبكه وانتقاء ألفاظه وصياغة عباراته، وتيسير فهمه وتلاوتـه، وبراعة تصـويره وإحكـام آيـاته، وقـد تكلـــــم العلماء والمفسرون والباحثون كثيراً في هذه الفروع مـن الإعجــــاز كل حسـب اختصاصـه واهتمامه، وحسبما جلى له الله تعالى بعض السوانح والأفكـار، وسأتكلم فيما يلي عن زاويـــة من إعجـاز القـــرآن بـــالحرف. نعم القـــرآن ليس معجزاً بـالآية والكلمـة وحسب، بل معجـز بطريقة رسـم الكلمة أيضاً ومعجز بالحرف.

كما نعلم فإن لغتنـا العـربيـة الثرّة بمعانيها ومفرداتها تحوي الكثير من البـدائل وبخـاصـة الحروف التي تتعاورفيما بينها، ودون أن يلحظ القــــارىء أو السامع العـادي تغيراً في المعنى، لكن الأمر بالنسبة للقرآن الكريم جدّ مختلف، فـالحرف موضوع بحكمـة معجزة لاتقبل التبـديل بأي حال من الأحـوال: ﴿كتاب فصلت آيـاتـه قرآنا عربيـاً لقوم يعلمون﴾ [فصلت:٣].

أمثلة لغوية من الكتاب

وسوف أسوق فيما يلي بعض الأسئلـة من كتـــاب اللــه تعـالى لتوضيح هذه الفكرة:

١- يقول تعـالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفـر أو جاء أحد منكم مـن الغـــائط أو لامستم النســاء فلم تجدوا ماءً فتيممـوا صعيــداً طيبـــاً﴾ [المائدة:٦].

نلاحظ أن اللـه تعالى قـال ﴿جاء أحـد منكم من الغـائط﴾ ولـرب زاعم أن هـذا الكلام غير وجيـز، وهناك بديلان:

الأول: أن يأتي الكـــلام على نسق المعطـوف عليـه (ان كنتم) فيقـال: (أو جئتم من الغـائط أو لامستم).

الثـاني: الاستغناء عن حـرف الجر (من) في قــولـــه: (منكم) لتكون العبارة: ﴿أو جاء أحدكم من الغائط﴾، فلماذا كانت الآية مضربة عن هذين البديلين؟

- البـديل الأول يشير إلى أن قضـــاء الحاجـــة في الأرض المنخفضة (الغائط) أمر مسموح بـــه بشكل جماعـي (جئتم من

الغـائط) أي ذهبتم معـاً وعـدتم معاً.

– أما البـديل الثاني فيشير إلى أن قضـاء الحاجة قـد تم بشكل الـذهـاب جماعيـاً إلى الأرض المنخفضـة، لكن عـدتم فـرادى، والله سبحانه وتعالى يشير لنا إلى ضرورة التأدب ويـزرع فينـا قـواعـد التهـذيب والاحتشـام وضرورة الستر عنـد التغـوّط، فنـذهب فـرادى ونعود فـرادى، وهذا مابينه وجود الحرف (من) الذي لم يرسم عبثاً.

٢– في قـوله تعـالى: ﴿يـاأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومـاً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين﴾ [الحجرات:٦]. لننتبـه إلى حرف الشرط (إن) ، فلماذا لم يقـل (إذا)؟

الجواب أن (إذا) ظـرف لما يستقبل من الـزمـان، وتفيـد إمكـانية الـوقوع والحدوث أمـا (إن) فهى حـرف شرط يفيـد التشكيك، أي أن إمكانية الحدوث مستبعدة، وفي هذا إلهاب لمشاعر المؤمنين واحترام لمكـانتهـم وجماعتهم التي قلما يتواجد فيها فاسق. أما لو قال (إذا) فإمكانية وجود الفاسق تكون واردة، وهو مـايـربأ الإسـلام بأفـراده أن يكون.

والشيء نفسـه يقـال في الآيـة (٩) من السـورة نفسها: ﴿وإن طـائفتـان من المؤمنين اقتتلـوا فأصلحوا بينهما﴾.

٣– في الآيـة السـالفـة لفتـة إعجـاز حـرفي أيضـا: لـو كـان السيـاق في غير القـرآن لاقتضى ان نقول (وإن طائفتـان اقتتلا)، لكن التعبير القـرآني بـواو الجماعـة بـدلاً مـن ألف الاثنين(اقتتلوا) فلماذا؟

– الطائفتان قبل القتال مثنى، أما بعد نشوب الحرب فتلتحمان لتصبحـا جمعاً، ثـم بعد انتهـاء المعـركـة يعـودان مثنى لـذلك قـال(فأصلحـوا بينهما) ومن جهـة ثانيـة فـان هناك إشـارة أخـلاقيـة وهي أن الحرب بين المؤمنين لاطـائل مـن ورائهـا ولايكون بنتيجتها خاسر ورابح فـالكل خـاسر فكـان التعبير (اقتتلـوا) إشارة إلى أنهم فـريق واحد لا فريقان اثنان.

٤– عندمـا يصور اللـه تعالى هول الموقف يوم القيامة فيقول: ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعـت وتضـع كـل ذات حمل حملهـا وتـرى النـاس سكـارى ومـاهـم بسكـارى﴾ [الحج:٢].

– كما نعلم فإن قـواعد اللغـة العـربية تقتضي عـدم تأنيث أي صفـة تختص بها المرأة فنقـول امـرأة حـامل، ثيّب، حـائض، مرضع.. الخ، ولا نقـول (حاملة وثيبـة وحـائضة ومـرضعـة). وقياساً على هذه القاعدة نتساءل عن سر ورود كلمة (مرضعة) في السيـاق القـرآني بـزيـادة هـاء التـأنيـث، ولماذا لم يقـل (مرضع)؟

والجواب أن الفـرق كبير بين (مـرضع) و(مـرضعة) فصفـة مرضـع تفيد امرأة قـامت بفعل الإرضـاع أو تقوم بـه بين الحين والآخـر، أمـا (مـرضعـة) فهي صفة تفيد أن صاحبتها متلبسة بفعل الإرضاع الآن، أي أن ثديها في فم الـرضيع وهو مـايعبر عنه بـاللغـة الإنجليـزيـة (الحاضر المستمر)، وفي لغتنا – لغة القرآن – عبر حرف واحد عن هذا المراد، ليكون تصوير المشهد أبلغ.

٥– في سـورة الكهـف (٧٢و٧٥) في قصـة الـرجل الصالح مع سيدنـا موسى عليه السلام، نلاحظ اختـلاف أجوبة الرجل الصـالح لسيدنـا موسى عنـدما استفسر منـه عن خـرق السفينة وقتل الولد ونقب الجدار فقال له في المرة الأولى: ﴿ألم أقل إنك لـن تستطيع معـي صبرا﴾، وفي المرة الثانية قال له: ﴿ألم أقل لـك إنـك لـن تستطيـع معـي صبرا﴾، لقـد كـان الجار والمجـرور(لك) وهما حـرفـان تعبيراً مدهشاً عن حالة المسؤول ورغبته في تقريع السـائل، مؤكداً أن زيـادة المبنى تفيـد في زيـادة المعنى، كما يقول اللغويون..

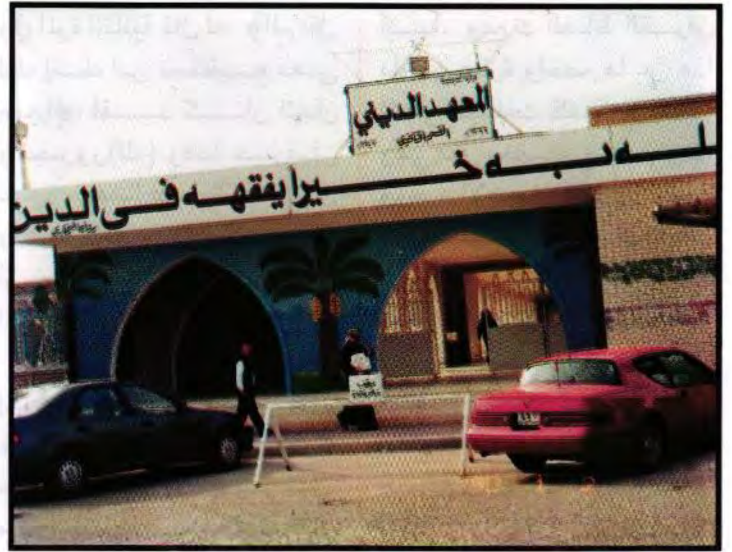
٦– وفي المكـان نفسه نـلاحظ إعجازاً آخر بالحرف يقول تعالى: ﴿ذلك تأويل مـالم تسطع عليـه صبرا﴾ [الكهف:٨٢]، ولم يقـل: مالم تستطع عليه صبرا. كما قال في قولـه: ﴿سأنبئك بتأويل مالم تستطـع عليـه صبراً﴾ [الكهـف:٧٨]، وذلـك ليشير إلى عظيم الجهد الـذي بذله سيـدنا مـوسى لاستيعـاب ما شـاهـد، فقال له: (تستطع) وبعد أن فسر له سر تصرفاتـه، إذ هي لاتحتاج لهذا الجهـد الكبير فقـال لـه: (تسطع) عملاً بالقـاعدة اللغوية التي ألمحنـا إليهـا في الفقـرة السابقة.

٧– في قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولاتقـربوهن حتي يطهـرن فإذا تطهـرن فأتـوهن من حيث أمركم اللـه﴾ [البقرة:٢٢٢].

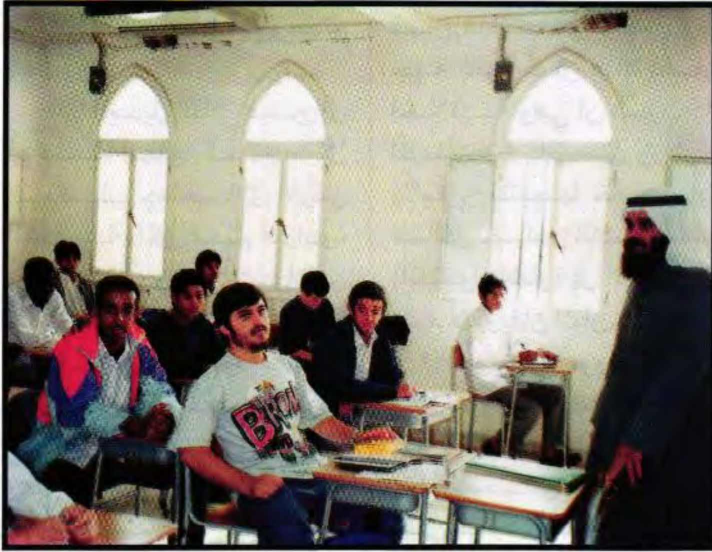
كـان السياق يقتضي ان يقـال (فإذا طهـرن) ، لو أنه مـن قول بشر، لكن جـاء بلفظ (تطهـرن) على وزن (تفعّلْـن) ، والتفعـل يـوحي بـوجـود شيء كسبي، فصـار المعنى (فـإذا طهـرن ثم تطهرن فأتوهن) أي إذا ما انقطع الحيض ثم قامت صاحبته بفعل الاغتسال (التطهـر الكسبي بعد الطهـر غير الكسبي) فقـد حلت لزوجها.

٨– في قـولـه: ﴿ياليتنـا نـرد ولانكـذب بـآيـات ربنـا﴾ [الأنعـام:٢٧]: تصـويـر لحال العصـاة يـوم القيـامـة، حيث يتمنون أن يعـادوا للدنيا ثـانية وبعـدها لن يكـذبوا بـآيات اللـه أبـداً.. وعبرت ألفـاظ القـرآن بأوجز عبارة وأخصرها عن هذا المعنى فجـاءت كلمـة (نكـذب) وهي فعل مضـارع منصـوب، ووجـه الإعجـاز الحرفي وجـود الواو وهي ليسـت حرف عطف بل هـي واو المعيـة إذ نصبت الفعل المضـارع إذ لـو كـانت حـرف عطف لما انتصب الفعل (نكذب) ولما كان لـه بالتالي ذلك العمق المعجـز، وتلك البـلاغـة المتمثلة في إصـابة الهدف بـواو المعية.. بما يؤكـد انه ليس وراء نظم القـرآن بشر، فبنـاؤه كلـه قـائم على السـداد والصحـة والرفعة، بخلاف بلاغة الناس إذ فيهـا مـايقبل ومـايـرد، وهـذا يدفعنا للقول بأن علماء اللغة إذا مـاخاضـوا في البلاغـة فعليهم التنبيه إلى أن بـلاغة القـرآن من طـراز خـاص فهي فـوق كل بـلاغة، واسمى مـن كل جزالـة وبيـان مهما عـلا وصفـه، وحسبها أنها كلام الله تعالي.

وهـذه البلاغـة القرآنيـة التي يرجع العلماء إليهـا أمر الإعجاز تتجـاوز السقف الـذي تنتهي عنـده بـلاغـة البشر، تجاوزاً واضحاً عنـد أصحاب البصيرة الصنعـة، فكل كلمـة لها دلالـة وكل حـرف بميـزان أدق من ميزان الذهب، ولذلك تجد القرآن الكريم قد تحدى أربـاب البلاغة ودعـاهـم لأن يـأتـوا بمثلـه، فاستخرج منهم مـن باب البيان مـاأظهـر عجزهـم أبد الدهـر، وأثبت أن القـرآن الكـريم هـو المعجزة الخالدة بمعناها ومبناها على حـد سواء، فهـو كتاب اللـه وحبله المتين، لاتنضب معجزاته، ولاتتنـاهى مـواعظـه وآيـاتـه، سيبقى وارف الظـلال، حـافـزاً لأصحـاب الاستـدلال، على مـر الأيـام والليـالي مهما نعق النـاعقون وتحذلق الحـاقدون. وآخر دعـوانا ان الحمـد لله رب العالمين□



● مدخل المعهد



● داخل فصول الدراسة

تحقيق وتصوير: أحمد فرغلي

إذا عُدنا بذاكرتنا إلى الماضي القريب للبحث عن نشأة التعليم الديني في الكويت فيتضح لنا أن البداية كانت مع ظهور (الكتاتيب)، وهي الأماكن التي يتم فيها حفظ القرآن الكريم، ثم تطورت لتصبح مدارس غير نظامية لتحفيظ القرآن الكريم، ودراسة الحديث النبوي الشريف، ثم تدرجت وأصبحت تنحو منحى التعليم الديني النظامي الذي نراه اليوم تابعا لوزارة التربية، والتي خصصت له إدارة.

المعهد الديني في الكويت
معين ثقافي مستمر العطاء

وهناك رواية تاريخية تقول إن من أسباب نشأة التعليم الديني أن بعض أئمة المساجد سها في صلاته، ولم يتمكن من إصلاح سهوه، فما كان له إلا أن يعيد صلاته، ولما ذاع الخبر وبلغ مجلس المعارف، وطلب إليه عمل مدرسة للأئمة والمؤذنين استجاب لذلك بتوجيه من أمير البلاد الراحل الشيخ أحمد الجابر الصباح، حيث أوصى سموه – رحمه الله – بفتح مدرسة، وتم ذلك، وكان من أساتذتها الذين درسوا فيها الشيخ أحمد عطية، والشيخ محمد صالح، والشيخ عبد الله النوري، والشيخ عبد الله البداح.

وتطور التعليم الديني وازدهر، ففي معهد قرطبة الديني مئات الطلاب من الكويتيين وغيرهم من الجنسيات الأخرى التي فتحت لهم الكويت ذراعيها ليتعلموا فيها ويعودوا إلى بلادهم أئمة ودعاة ومدرسين، يعملون جاهدين على خدمة دين الإسلام الحنيف.

وحرصا من (الوعي الإسلامي) على التواصل فيما بينها وبين المؤسسات الإسلامية في الكويت وخارجها، كانت لنا هذه الجولة داخل معهد قرطبة الديني، والذي يضم المتوسط والثانوي والبعوث.

وفي البداية التقينا الأستاذ/ محمد الراشد (ناظر المعهد الثانوي)، والذي أعطانا نبذة مختصرة عن نشأة المعهد الديني، فقال: نظرا لحاجة الكويت إلى أئمة ووعاظ، فقد تم إنشاء المعهد الديني عام ١٩٤٧، وتم الاستعانة ببعثة من شيوخ الأزهر، وكان ضمن البعثة الشيخ علي البولاقي الذي كان مديرا للمعهد، وكان موقع المعهد بمنطقة الشرق، وكانت الدراسة من ثلاث مراحل: الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية. وكان التدريس يقوم على دراسة العلوم الشرعية واللغة العربية والحساب.

تطوير المناهج

ويضيف محمد الراشد قائلاً:

وتطورت المناهج فبالإضافة

إلى المواد الدراسية التي ذكرتها من قبل، أصبحت تدرس في المعهد المواد التالية:

الحاسب الآلي والعلوم والرياضيات والتربية البدنية، ولكننا نركز على دراسة العلوم الشرعية باعتبارها المواد التخصصية، مثل: السيرة والتوحيد والحديث وعلوم القرآن، فلكل مادة من هذه المواد نهاية كبرى وصغرى، وكل مادة أيضاً لها كتاب مستقل بذاته. وأصبح طلاب المعهد الديني مؤهلين لدخول كل كليات جامعة الكويت والتعليم التطبيقي ما عدا التخصصات العلمية مثل الطب والهندسة، كما يمكنهم الالتحاق بالجامعات العربية والأجنبية، أما التخصصات التي تمكن لطلبة المعهد الديني الالتحاق بها فهي كالآتي:

العلوم الشرعية - التربية والآداب - التجارة - الاجتماع - القانون - العلوم العسكرية.

مستقبل التعليم الديني

أما عن مستقبل التعليم الديني في الكويت فيقول محمد الراشد:

هناك مستقبل مزدهر ينتظر التعليم الديني في الكويت، والدليل على ذلك تزايد أعداد الطلاب المقبلين على دراسة التعليم الديني، وكذلك الطالبات، فمثلا بعد الغزو وصل عدد الطلاب في المتوسط إلى ٢٥٠ طالباً، بينما كان قبل الغزو لا يتجاوز عددهم ٣٦ طالبا، وكذلك تضاعفت أعداد الطلاب المقبولين في الثانوي سواء في معهد قرطبة أو معهد الفحاحيل، وبالمثل ازدادت أعداد الطلاب المبعوثين.

وأصبح المناخ الدراسي سليما،



محمد الراشد - ناظر المعهد الثانوي



خالد الوقيان - ناظر المعهد المتوسط

محمد الراشد ناظر المعهد الثانوي:

المناهج تطورت والإقبال على التعليم الديني كبير

حيث وضعنا شروطاً خاصة بالقبول في المعهد، فطبقنا نظام المعادلة، حيث يجرى امتحان للطالب الذي يود الالتحاق بالمعهد الديني في ٦ مواد دراسية: ٤ علوم شرعية، ومادتان في اللغة العربية والنصوص.

كما وضعنا شروط اختيار للمدرس الذي سيقوم بالتدريس للطلاب، تتمثل في المظهر والسلوك والقدرات الخاصة، وذلك أوجد عناصر متفهمة لرسالة التعليم الديني، والحمد لله أصبح الطلاب والمدرسون أسرة واحدة متفاهمة. وكان القبول من قبل يحتوي على عناصر مختلفة، غير متجانسة، حتى إن البعض كان يقول إن المعهد الديني يحتوي على كل مخلفات التعليم. والآن أصبح هذا الكلام لا أساس له من الصحة، فأصبح الطلاب في الوقت الحاضر لديهم قدرة استيعاب علمية، ولديهم أيضا في نفس الوقت خلفية دينية، وزادت نسبة التحصيل العلمي لدى الطلاب، وارتفعت نسبة النجاح حتى أننا نرى أن العديد من أولياء الأمور يسارعون إلى إلحاق أولادهم بالمعهد الديني.

وزراء ومسؤولون سابقون من خريجي المعهد:

١) أ/ أحمد الجاسر، وزير سابق.
٢) أ/ عبد الرحمن المجحم، محافظ سابق.
٣) عبد الله المفرج، وزير سابق.
٤) د. خالد المذكور، جامعة الكويت.
٥) د. عجيل النشمي، عميد كلية الشريعة.
٦) د. عبد الله محمد، مستشار.
٧) أ/ أحمد العبيدان، مستشار.
٨) أ/ يوسف الغنام، مستشار.
٩) أ/ عبد العزيز السرحان، مدير سابق.
١٠) أ/ عبد الرحمن الخضري، وكيل وزارة سابق.
١١) أ/ حمود الرومي، مستشار.
١٢) أ/ عبد الله العيسى، وكيل وزارة سابق.
١٣) أ/ أحمد السرحان، ناظر المعهد سابقا.
١٤) أ/ عبد الرحمن الفارس، وكيل سابق.
١٥) أ/ أحمد الفارس، مدير سابق.
١٦) أ/ راشد الفرحان، وزير سابق.
١٧) أ/ أحمد بوطيبان، مستشار.
١٨) أ/ راشد الحماد، رئيس محكمة.

٣٥ جنسية في المعهد

والتقت «الوعي الإسلامي» ناظر المعهد الإعدادي خالد الوقيان الذي حدثنا عن طلبة البعوث فقال:

بعد توسع التعليم الديني بصورته الحالية، فتحت وزارة التربية مجال القبول بالمعهد من الدول الإسلامية والدول ذات الأقليات الإسلامية، حتى بلغ عدد الجنسيات التي يدرس طلابها في المعهد ٣٥ جنسية.

ويضيف الوقيان قائلاً:

يفد طلبة البعوث إلى دولة الكويت بعد اختيارهم من قبل الوزارة، أو من الجمعيات والمؤسسات الخيرية الإسلامية الكويتية العاملة في مجال تقديم المساعدات للدول الإسلامية، وتكون هذه المنح التعليمية خاصة لسياسة الوزارة في هذا الشأن.. وعند وصول الطلاب إلى مطار الكويت يقوم المختصون باستقبالهم واصطحابهم إلى أماكن مخصصة للسكن، وتقع هذه المساكن في محيط المعهد الديني، وتوفر الدولة الرعاية الكافية لهؤلاء الطلاب، خاصة أن بعض

المعهد الديني

الطلاب صغيرو السن، ويحتاجون إلى رعاية خاصة، حتى لا يشعرون بالغربة، كما يُمنح الطالب المبتعث مكافأة مادية مقدارها ٢٥ دينارا شهرياً بالإضافة إلى ثلاث وجبات غذائية يومية، وتكفل الدولة أيضاً الرعاية الصحية، وتمنحهم تذاكر سفر ذهابا وإيابا إلى بلادهم مع نهاية كل عام دراسي.

ثلاثة مستويات

وعن نظام الدراسة لطلاب البعثات يقول الوقيان:

لنظام الدراسة للطلبة المبعوثين ثلاثة مستويات: التمهيدي، والمستوى الأول، والمستوى الثاني، ويلتحق بها الطلاب الذين لا يعرفون اللغة العربية أصلاً، أو تكون درجة إلمامهم بها غير كافية لمواصلة دراستهم في مرحلة الإعداد، ونقوم في هذه المراحل بعمل دراسة مكثفة في مادتي اللغة العربية والتربية الإسلامية لمدة عام أو عامين، حتى يصبحوا قادرين على مواصلة الدراسة باللغة العربية.

وبعد اجتياز طالب البعثات المستوى الأول والثاني، يدرس الطالب منهجي الصفين الأول والثاني المتوسط في السنة الأولى، ومنهجي الصفين الثالث والرابع في السنة الثانية، ويصبح الطالب بعد ذلك معدا للالتحاق بالمرحلة الثانوية في المعهد الديني ويقوم بدراسة مناهج المرحلة الثانوية، وهذا يؤهلهم للالتحاق بالجامعة. ويتفق هذا النظام مع هؤلاء الطلاب لأن معظمهم من كبار السن.

ويضيف الوقيان: إن عدد الطلاب المبعوثين وصل إلى ٢٤٣ طالبا من ٣٥ دولة، وتتوالى الأعداد في التزايد شهرياً، لأن الطلاب الوافدين ليس لهم وقت محدد لوصولهم.

وأضاف الوقيان: إن المعهد يعد كل عام رحلات للعمرة للطلبة المتفوقين.

معاملة ممتازة

وكان لنا لقاء مع عباس حمزة رئيس قسم البعوث بإدارة التعليم الديني الذي قال:

إن الكويت ترحب بطلاب البعثات وتعاملهم معاملة أكثر من ممتازة، لأن ذلك شيمة أهل الكويت. وأضاف: إن أعداد الطلاب الوافدة للدراسة في المعهد الديني آخذة في الازدياد، فما من شهر إلا ويصل فيه طالب أو أكثر ليلتحق بالدراسة في المعهد الديني.



عباس حمزة - رئيس قسم البعوث

عباس حمزة رئيس قسم البعوث: إقبال على الدراسة بالمعهد من طلاب روسيا وألبانيا والبوسنة

وعن نوعية وجنسيات الطلاب الدارسين قال:

إن عدد الطلاب في البعثات وصل إلى ٢٤٣ طالبا، أما الطالبات فقد بلغ عددهن عشر طالبات. وأن عدد الطلاب يزداد يومياً بعد يوم لأن وصول الطلاب من دولهم لا يتوقف، ومعظم الطلاب من الدول الإسلامية التي كانت تابعة للاتحاد السوفييتي السابق، وهناك العديد من طلاب البوسنة والهرسك ممن لا يستطيعون مواصلة دراستهم في ظل ظروف الحرب الدائرة رحاها هناك، أيضا يضم المعهد طلابا من روسيا، وألبانيا، وماليزيا، وإندونيسيا، والدول الأفريقية، ومن دولة المغرب الشقيقة.

وهؤلاء الطلاب يمثلون أكثر من ٣٥ جنسية. ويضيف عباس حمزة قائلًا:

إن الطلاب الجدد يحتاجون إلى معاملة خاصة، لأن معظمهم من صغار السن الذين لم يسبق لهم السفر والاغتراب من قبل، وعند حضورهم يجدون أنفسهم في عالم آخر غير الذي نشأوا فيه، لذلك نحاول أن نشعرهم بأنهم في بلدهم من خلال تقديم كافة الخدمات لهم من مطعم ومسكن وملبس وإشراكهم في الأنشطة الرياضية والكشفية، وهناك إخصائيون اجتماعيون يعملون على تذليل كل الصعاب والمشاكل التي تعترض طريق هؤلاء الطلاب.

أصبحت مدرسا

والتقت «الوعي الإسلامي» عبد المؤمن شريف علي من «غانا» ويعمل مدرسا لطلاب البعوث بالمعهد الذي يقول:

أنا سعيد جدا لأنني كنت طالبا هنا بقسم البعوث، وأكملت دراستي بكلية التربية الأساسية، وتم اختياري مدرسا في قسم البعوث، والآن أقوم برد جزء من الجميل الذي طوقتني به حكومة الكويت، التي أتاحت لي الدراسة حتى تخرجت من جامعتها.

ويعود عبد المؤمن شريف بذاكرته إلى الوراء قليلا فيقول:

حصلت على منحة دراسية من حكومة دولة الكويت عام ١٩٨١، وبدأت دراستي في قسم إعداد البعوث ثم قضيت سنة في الإعداد، ثم التحقت بالقسم الثانوي، وأتممت فيه سنوات



عبد المجيد شعيب - طالب غاني



أحمد سيد - طالب روسي

الـــدراســـة دون رســـوب حتى التحقت عـــام ١٩٨٦ بكليـــة التربية الأساسية التابعة للهيئة العـــامـــة للتعليـم التطبيقي والتدريب بالعديلية، وبعد إتمام دراستـي وتخرجـي التحقـت بالتدريس في المعهد الديني قسم البعوث الإسلامية.

وعن فترة الـدراسـة في أثنـاء الغدو يقـول عبد المؤمن شريف: سافـرت قبل الغزو بـأسبوعين إلى بلـدي غـانـا، وكنت وقتهـا رئيسـاً لاتحاد طلبـة غـانـا في الكـويت، وعنـدمـا سمعنـا نبأ الغزو، كتبنا رسالـة إلى حكومة الكويت في السعودية معبرين لها عن تأييـدنـا لموقف الكـويت في قضيتهـا العـادلـة، وأبـدينـا استعدادا - وقتها - لـلانخراط في صفـوف القـوات الكـويتيـة لنقف معهـا جنبـا إلى جنب، لأن الكـويت بلد العطـاء، ولم تبخل على أية دولة مسلمـة أو صديقة بـدليل أن المعهد بـه العديـد من الطـــلاب من مختلـف أنحـــاء العالم.. كما قمنا بإرسال رسالة مشـــــابهة لخادم الحرمين الشريفين، وقد رد علينا جـلالته برسـالـة شكـر على تلك المبادرة الطيبـة، ودعـــا لنـا بـــالبركـة والنجاح.

وفي نهايـــة التحقيـق التقت «الوعي الإسلامي» بعض طلاب البعثـات الذين وفـدوا من شتى دول العالم وكـان لقاؤنـا الأول مع:

عبـد المجيـد شعيب سليمان «غانا» يقول:

* التحقت بالدراسـة في الكويت عن طـــــريـق المجلس الأعلى للشؤون الإسـلامية بغـانا، لأن للمجلس عـلاقـات ثقـافيـة مع وزارة التربية في الكـويت، وكان مجيئي عـــام ١٩٨٩، ودرست عاما وحـدث الغزو، ولكن دولة الكـويت لم تـوقف المنحـة رغم الظروف التـي مرت بها، وعـدنا مرة أخرى للدراسـة بعد الغزو، واحتضنتنا مرة أخرى، وقدمت لنـا خـدمـــات جيـدة سـواء في السكن أو المأكل أو الــرحـلات التي تقـدمها للطـلاب المتفوقين حيث تـوفـر للطلاب المتفـوقين علميـا رحلـة للعمـرة سنـويـاً لزيارة الأماكن المقدسة.



طلاب البعثات داخل المطعم



شبتم فاطل - طالب آلباني



حاتم بن جالون - طالب مغربي

روسيا في حاجة إلى دعاة

* أحمد سيـد عبـد العـزيـز «روسيا» يقول:

تعلمت اللغة العربية في قريتي «جمنـــازيـــا» على يــد بعض المدرسين العرب، وتم ترشيحي للدراسـة بالكويت، وفي البـداية خشيت أسرتي عليّ لأنني صغير السن، وعمري الآن ١٣ عاما، إلا أنني زاد إصراري على الالتحاق لتعلم اللغـة العـربيـة والعلـوم الدينية، لأننـا في روسيا في أمس الحاجـة إلى الأئمـة والـــوعـاظ والمدرسين الذين يعلمون الدين الإسلامي، بعدمـا عملوا في ظل النظــام الشيـــوعي على فصل المسلمين عن دينهم. والحمد لله وجـدنـا هنا كل تعـاون، الأمـر الذي جعلنا ننسى أننا في غربة، وأتطلع أن أكـــون في المستقبل أحد وعاظ الـدين المشهورين في روسيا. وأتمنى أيضـاً أن يزداد عـــدد الطـلاب المبعـــوثين من روسيـا لأننـا في أمس الحاجـة للعديد من رجال الدعوة.

* شبتم فاضل يولي «ألبانيا» يقول:

تم ترشيحي للدراسة بالمعهد الديني بـدولة الكـويت من قبل الهيئـة الخيريـــة الإسـلاميـــة العالمية عام ١٩٩٣م، وكنت أول طالب ألبـاني يدرس بـالكويت، والآن يبلغ عدد الطـلاب الألبان حـوالي ١٦ طـالبـــاً في مـراحل التعليم المختلفـــة، ونحن نعمل جاهـدين على التخـرج والتفوق حتى نـرجع لبلادنـا دعاة، لأن الحمد لله الـوضع الآن في ألبانيا تغير عما كان عليه من قبل، وبدأ النـــاس في العـودة إلى الـــدين الإسلامي، فأنت تعلم أن ألبانيا من أكبر الـدول الأوروبيـة من حيث عـدد السكان المسلمين إذ يمثلون أكثر من ٩٠٪ من أصل السكان. وهذا يتطلب العديد من المدرسين المتخصصين في الدين الإسلامي، ونشكر دولة الكويت لقبـولها هـــذا العـدد الكبير من طلاب ألبانيا للـدراسة في المعهد الديني، ونأمل زيـادة العدد لأن المتطلبات المستقبلية أكبر.

وكان آخر لقاء لنا مع الطالب حاتـم بن جالون مـن «المغرب» حيث قال:

تمكُني من اللغـــة العـربيـــة والعلـوم الإسلاميـة أهلني لأن أدرس في المعهـد الثـــانـوي مع طلبـة البعـوث، والدراسـة هنـا سهلة لأن كل الإمكانات وفرتها لنـا إدارة التعليم الـديني، ومـا علينا إلا المذاكـرة فقط، والتفرغ لتحصيل العلـم، وأنــــا أعمل جـــاهـــدا لكي ألتحـق بقسم الاقتصــاد والعلوم السيـاسيـة بإذن الله. وأضاف ابن جالون: إن العلاقات والـروابط الحميمة بين الشقيقتين المغرب والكويت قـويـة، وأننـا كطـلاب بعثـات سنعمل على تقوية هذه الروابط أكثر وأكثر بعـد تخرجنا، وأحب أن أشير إلى أن طلاب المغرب هم العـــرب الـوحيـــدون الـــذين يـــدرســـون في قسم البعـــوث بالمعهد الديني.

الزكاة أداة للتنمية الاقتصادية

بقلم: رفعت محمد مرسي طاحون

إن الزكاة الآن تعتبر فريضة غائبة عن مجتمعنا الاسلامي. فانعدام التقوى من بعض القلوب جعل الناس لا تهتم كثيراً بالعبادة المالية. على الرغم أنها فريضة وركن أساسي في الاسلام.

دور الدولة في جباية الزكاة

ومن هنا يجب على الدولة أن تقوم بشئون هذه الفريضة الدينية (باقامة بيت مال للزكاة) حتى لا تضيع حقوق الفقراء. فالزكاة ليست مجرد إحسان متروك لاختيار المسلم، وإنما هي فريضة إسلامية إلزامية يستوفيها ولي الأمر من المستطيعين ويصرفها على المستحقين. حيث تقوم الدولة بالتوعية في شئون الزكاة.. وتتلقى ما يؤديه المواطنون المسلمون من زكوات أموالهم. ثم تحصل الزكاة الواجبة جبرًا من كل من لم يؤدها اختيارياً. وتكون ميزانيتها مستقلة عن ميزانية الدولة.

يقول تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقةً تطهرهم وتزكيهم بها﴾ [التوبة:١٠٣]. فهذا أمر لرسول الله من الله بأخذ مال الزكاة من المسلمين. وهذا أمر لكل من ولى أمر المسلمين. لأن الله سبحانه لا يريد أن يعرض الفقير لمذلة الأخذ من مساوٍ له. ولكنها لو أخذت من الوالي وهو مسئول عن كل المسلمين لا تكون هناك ذلة.

ثم تنفق هذه الهيئة العامة (بيت مال الزكاة) من حصيلة الزكاة في أوجه الصرف المحددة شرعاً دون غيرها. لقوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضةً من الله والله عليم حكيم﴾ [التوبة:٦٠].

الضمان الاجتماعي

إن الزكاة تعتبر وسيلة من وسائل الضمان الاجتماعي الذي جاء به الاسلام. فالاسلام يأبى أن يوجد في مجتمعه من لا يجد القوت الذي يكفيه والثوب الذي يزينه ويستره ويواريه والسكن الذي يؤويه. فهذه ضرورات وحقوق يجب أن تتوفر لكل من يعيش في ظل الاسلام. والمسلم مطالب بأن يحقق هذه الضرورات من جهده وكسبه. فإن لم يستطع (لعجزه أو مرضه أو شيخوخته) فالمجتمع المسلم يكفله ويضمنه.ولا يدعه فريسة الجوع والعرى والمسكنة.

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» [متفق عليه].

فوظيفة الزكاة ليست لسد رمق الجائعين من الفقراء والمساكين. ولكن تعمل أيضاً على تحويل الفقراء القادرين على العمل إلى عاملين منتجين. تسعى إلى تحقيق الخير والكسب والنماء لهم وللمجتمع.

الزكاة والتنمية

فليس المقصود بالصرف من أموال الزكاة مجرد توزيع مبالغ نقدية في صورة معونات للفقراء والمساكين. بل هناك التقدمات العينية ومنها (تقديم أدوات المهنة والحرفة، والتدريب على مهنة أو حرفة ما، وإقامة صناعة من الصناعات الصغيرة قليلة التكاليف، وكذلك تقديم القرض الحسن الانتاجي) من أجل استخدامها كأداة لمساعدة الفقراء القادرين على العمل باستثمارات صغيرة.

فقد كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لعماله على الزكاة: (إذا أعطيتم فأغنوا) يريد بذلك أن يستأصل بيت مال الزكاة الفقر من جذوره كلما أمكن هذا.

وأن تستهدف التقدمات الزكوية (المادية والمعنوية والعينية) القضاء على أسباب الاحتياج.

وكما ذكر (الامام الغزالي) أن أموال الزكاة تدفع قوى التنمية في المجتمع. حيث تعمل على التنمية الاقتصادية لطبقات الفقراء والمساكين. بحيث إذا حصلوا منها على (كفاية سنة) أمكنهم تشغيل متجر صغير أو شراء أدوات حرفتهم وإقامة صناعة من الصناعات الصغيرة قليلة التكاليف. تحت إرشاد وتوجيه الدولة وخبرائها. وهنا يتكففون عن المسألة بعد أن تنمو تجارتهم وحرفهم وصناعاتهم الصغيرة. وفي تنميتهم اقتصادياً مساهمة في التنمية الاقتصادية للمجتمع ككل. وسيتحول الفرد من مستهلك إلى منتج. عندما يستخدم الزكاة كرأس مال ينطلق من خلاله نحو الاستثمار.

وفي هذا يقول النووي: (فمن كان من عادته الاحتراف أعطى ما يشتري به حرفته أو آلات حرفته. قلت قيمة ذلك أو كثرت. ويكون قدره بحيث يحصل له من ربحه ما بقى بكفايته غالباً تقريباً. ومن كان تاجراً أو خبازاً أو عطاراً أو

صرافاً أعطي بنسبة ذلك. ومن كان خياطاً أو نجاراً أو قصاراً أو قصاباً أو غيرهم من أهل الصنائع أعطي ما يشترى به الآلات التي تصلح لمثله) [الامام النووي، المجموع شرح المهذب، مكتبة الامام ج ٦، ص٢٠٣].

ويقول الامام النووي أيضاً (في بحث حدود إعطاء الفقراء والمساكين): قال أصحابنا: (أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة حتى يصيب ما يسد حاجته. فإن كان من عادته الاحتراف أعطي ما يشتري منه حرفته أو آلات حرفته. قلت قيمة ذلك أو كثرت ويختلف ذلك باختلاف الحرف والأزمان والأشخاص والبلاد).

وقد تقيم هيئة الزكاة مشروعات لتشغيل العاطلين.. أو تستثمر بعض احتياطاتها في مشروع أو أكثر. يرجع بعائد اجتماعي واقتصادي. وتضم أرباحه إلى صندوق الهيئة.

وبذلك يكون لهيئة الزكاة نشاط مفيد وتحرك منتج. يشارك في عجلة الانتاج ويخدم المجتمع. ويواكب جهود الدولة للتنمية.

الزكاة والاستثمار

وتكون الزكاة حافزاً للمكتنزين للاموال والحابسين لها نحو مجالات الاستثمار المختلفة من زراعة أو صناعة أو تجارة. وذلك لتعويض ما تستقطعه الزكاة سنوياً من أموالهم. وبذلك تساهم أموالهم في التنمية الاقتصادية للمجتمع خصوصاً. وأنهم منهيون طبقاً لأحكام الشريعة الاسلامية عن توظيف أموالهم في معاملات ربوية. فيبتعدون عن الاقتراض الربوي ويلجأ ون الى الاستثمار. وإذا فعلوا ذلك استجابوا لنهي الله سبحانه وتعالى عن التعامل بالربا بآيات قاطعة.

يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون﴾ [البقرة:٢٧٨و٢٧٩].

وأيضا استجابوا لنهي الله تعالى عن الاكتناز في قوله جل وعلا: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ [التوبة:٣٤و٣٥].

والزكاة سبب في تنمية المال وتثميره حيث:

أوصى الشارع الانسان بتثمير ماله ليدفع الزكاة من ربحه. بينما إذا لم يقم الانسان باستثمار ماله وتركه عاطلا كان للمجتمع حق فيه. وهو الزكاة التي تعتبر في هذه الحالة عقوبة على الاكتناز.

أثر الزكاة الاقتصادي

وبالنظر إلى إنفاق حصيلة الزكاة:

نجد أثرها الكبير على التنمية الاقتصادية واستخدام الأموال. حيث أنها تشجع صاحب رأس المال بطريق غير مباشر على استثمار أمواله. فيحقق فيها فائضا يؤدي منه الزكاة.

وهنا (يكون المكلف قد استفاد من استثمار أمواله. وحقق فائضاً أدى منه الزكاة وبقي الربح.. وفي نفس الوقت يفيد المجتمع بأداء حق يساعد في مجال التنمية الاقتصادية بالعمل على سرعة دوران رأس المال.

وهذا بلاشك يتفق مع أحدث النظريات الاقتصادية التي تنادي بالعمل على تداول رؤوس الأموال وعدم تركها عاطلةً.

ومن الملاحظ الآن: أن الضريبة لا تفرض على رأس المال «اللهم إلا في حالات خاصة مثل ضريبة التركات». وهذا يكون مدعاةً لترك الأموال عاطلةً دون استغلال. وفي ذلك خسارة اقتصادية كبيرةً للمجتمع بعكس الزكاة التي تشجع على الاستثمار.

وإذا علمنا أن الضريبة الحديثة قد تفرض بنسب تصاعدية تطبيقا لنظرية المنفعة الحديثة للدخل. فإن هذا له آثاره الضارة على التنمية.

وأيضا نجد آثار الزكاة الحميدة على التنمية الاقتصادية:

فمثلا (الفقراء والمساكين) وهم أوائل المستحقين للزكاة. عندما يعطون نصيبهم من الزكاة فإنهم سوف ينفقونها في قضاء حاجاتهم الاستهلاكية سواء أكانت سلعاً أم خدمات.. وبذلك فإنهم يدعمون تيار الاستهلاك.

ومن المعروف اقتصادياً أن زيادة الاستهلاك تؤدي إلى زيادة الاستثمار.

ونجد أن من ضمن أبواب الانفاق من حصيلة الزكاة (مساعدة الغارمين على أداء ديونهم):

والغارم فقهياً هو: من تداين لنفسه في مباح. أو من تداين لنفسه في غير مباح ثم تاب أو صرفة في إصلاح ذات البين. أي دفع دية من ديات الصلح بين الناس).

وبذلك فإن الزكاة تعمل على خلق الائتمان. فمن ناحية:

المقترض: فإنه يطمئن إلى أنه إلى أنه عند عجزه عن السداد. فإن المجتمع سيؤدي عنه. وبذلك لايخاف الإفلاس. وما يترتب عليه من عدم تمكنه من المساهمة في النشاط الاقتصادي للمجتمع.

والمقرض: فإنه يطمئن أيضاً إلى ضمان عودة أمواله إليه. مما يبعث الثقة بين المتعاملين في المجتمع. لأنهم يعلمون أنه إذا عجز المدين عن السداد فإنهم سيحصلون على ديونهم من بيت المال.

من هنا: فإن الزكاة تعمل على تشجيع الائتمان وتيسيره.

ونجد من ضمن أبواب الانفاق من حصيلة الزكاة (سبيل الله):

حيث يمكن تقوية جيوش المسلمين بشراء الأسلحة والعتاد والانفاق على المحاربين للذود عن الأوطان والدفاع عن البلاد الاسلامية.

وبذلك تساهم الأموال (أموال الزكاة) في تغطية جزء كبير من نفقات الدفاع التي تضخمت في السنوات الأخيرة. فالتهمت جزءاً ملحوظاً من الايرادات العامة. وبذلك قصرت الايرادات العامة الباقية عن الوفاء بمتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وهكذا نجد مما سبق أن الزكاة تعتبر أداةً للتنمية الاقتصادية سواء للفرد أو المجتمع□



آثار التبعية الغربية على الاقتصاد الإسلامي

يتساءل الناس عن الأسباب التي أدت الى تخلف البلاد الإسلامية وتأخرها، بينما تقدم الغرب، ولو رجعنا الى ديننا الإسلامي الحنيف واستمعنا الى قوله تعالى: ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾ [طه:١٢٣-١٢٤].

بقلم: أنور سيد الشريف

لم يعتمد الاسلام على الرجل الاقتصادي أوالترس الاجتماعي،انما اعتمد على الانسان الأخلاقي وما يتصف به من خلق وقيم ومبادىء يسير عليها.

ولكننا اليوم نعيش في عقدة التبعية للمبادىء الغربية مما أدى الى تخلفنا، والغريب أننا نجد البعض وهو يتحدث عن الاقتصاد الاسلامي يحاول ان يثبت أنه يتمشى مع الانظمة المعاصرة وكأنها هي الأصل والإسلام الفرع، وهذا تجن على الإسلام من قبل أبنائه وأحساس منهم بالتخلف، الازدواجية والاختلال في سلوكنا وأدت للانخفاض المستمر في حياتنا بينما الاسلام يختلف عن كافة الانظمة لانه من وضع الخالق، وهو كدين ونظام حياة جاء ليجمع في تزاوج بين السماء والأرض والروح والمادة والآخرة والأولى، لذا دعانا بالعمل للدنيا، كأن الإنسان يعيش أبدا، وللآخرة كأنه يموت غدا، وهذه الثنائية ليست ثنائية فصل بل تكامل فالروح والمادة ليسا بالقطع بديلين إنما يشكلان عنصرين مترابطين يدعم أحدهما الآخر دون افراط أو تفريط، فجمعت بين الروح والمادة والآخرة والأولى.

قيم لا تناسب ظروفنا

فنحن نستورد قيما لا تناسب ظروفنا مما يترتب عليه مزيد من تبدد الموارد فنحن نستورد طرقا انتاجية وتكنولوجية وأنماطا وعادات وتوزيعا واستهلاكا غير مناسب مع خصائص مواردنا، بينما الإسلام كنظام حياة يعد أكمل وأشمل وأروع الأنظمة لأنه نظام سماوي.

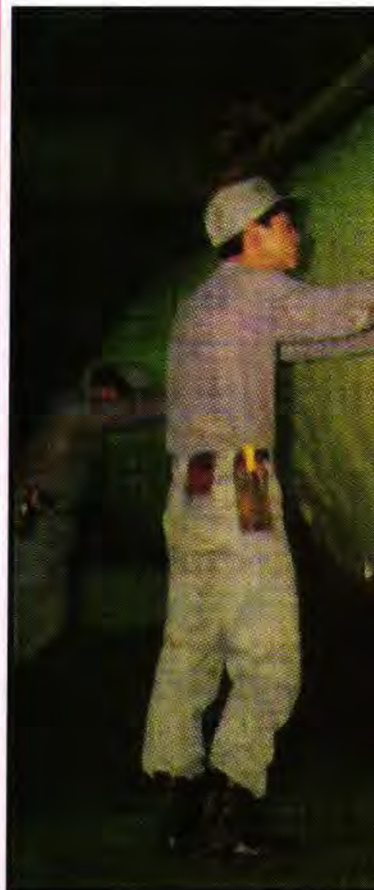
التبعية وآثارها

فنحن متخلفون - كما ذهب الغرب - لا لأننا مسلمون، ولكن لأننا تركنا الإسلام وبالتالي صرنا نهباً لكل من (هبّ ودبّ) ولم تعد لدينا هوية. فنتخبط بين الأنظمة، فنأخذ بالنظام الرأسمالي الغربي تارة وبالشرقي تارة أخرى، وأصبحنا مستهلكي سلع وحضارة وصرنا أكثر تخلفا وتبعية.. وليتنا استفدنا من نظمهم اذ لم تتوفر لنا مقومات نجاح كل نظام مع اصطدامه بالمبادىء الاسلامية ومن ثم كانت

وأدت لآثار سلبية في بعض الدول البترولية لاحتلال هيكلي في الاقتصاد القومي، اذ ظهر حدوث حالة من الثراء النقدي دون أن يصاحبها تقدم حقيقي، وتحوّل المجتمع لمجتمع كثيف الاستهلاك، والاستيراد والاعتماد على الخارج مما أدى لانخفاض الدخل.

آثار سلبية

ومن الآثار السلبية ازدواجية الاقتصاد القومي، واقامته على قطاع زراعي ينتج عند حد الكفاف، وقطاع صناعي غالبا ما يرتبط بدولة أو مستعمرة، فهو قطاع هامشي، وتلعب هذه الظاهرة دورا ديناميكيا في استمرار مشكلة التخلف (خلال التجارة الخارجية) فنجد شروط التبادل بينها في صالح الدول الكبرى التي تزداد تقدما. وكثيرا ما يستنزف الفائض للدولة الأم



المستعمرة، وأدى ذلك الى أن استغلت الثورة الصناعية الدول المتخلفة استغلالا مزدوجا، كمصدر رخيص للمواد الخام، وكمنافذ لتصريف منتجاتها وبذا منعتها من أي محاولة جادة لتنمية اقتصادها..

واستمر الاستغلال بدرجات كثيفة ومخططة من خلال الاستثمارات الاجنبية والتي ساهمت في تدعيم المواصلات أساسا لتسهيل ارتباط هذه الدول بالخارج ومولت الاستثمارات بقروض أجنبية باهظة في صورة عمولات وفوائد وأقساط لإرباكها ماليا ولاستنزاف الفائض الاقتصادي.

استعمار جديد

وازداد الاستغلال خلال الاستثمارات الأجنبية، أو المساعدات الأجنبية التي أسماها البعض الاستعمار الجديد، والتي قدمت مقيدة إذ يتعين على الدولة المستفيدة استخدام هذه المساعدات في شراء المنتجات من الدول المانحة على أساس (تسليم المفتاح)، وكثيرا لا تتناسب المنتجات الرأسمالية المشتراة مع ظروف السوق المحلي، ودفع فوائد باهظة على القروض مما يحد من إمكانية نمو الصناعة الوطنية ويزيد من التبعية التكنولوجية بجانب ماتواجه هذه الدول من منافسة شديدة في الغالب من الدول المانحة للمساعدة.

أسواق السلاح

ومما يزيد الطين بلة تلك المساعدات العسكرية، وهي قروض تستخدم في شراء منتجات حربية، وتعطى الدول المتخلفة لهذا النوع أهمية، بينما تقوم الدول المتقدمة بخلق مناطق ساخنة، أو مناطق حروب كأسواق لتصريف منتجاتها وخاصة الصناعات الحربية، وبذا تروج الأسلحة وتباع بأسعار باهظة.. بينما فرض على الدول المتخلفة التخصص في إنتاج المواد الخام والأولية نجد الدول المتقدمة بجانب انتاجها للسلاح تتخصص في المنتجات الصناعية..

وكانت نتيجة ذلك ان صارت شروط التبادل التجاري مجحفة فازدادت الدول المتخلفة تخلفا مما أدى لظهور حركة اصلاحية تنادي بضرورة العمل على تغيير النظام الاقتصادي العالمي بآخر أكثر كفاءة لخير البشرية، ولكن الدول المتقدمة تعمل في وجود استمرار مشكلة التخلف وزيادة حدتها، فإذا أردنا أن نخرج من تخلفنا يجب ألا نلجأ للنموذج الغربي أو الشرقي، بل نعود للمنهج الإسلامي.

الإنسان في الإسلام

فعلينا أن نطهر الحياة من كافة اشكال الظلم، ونهيىء المناخ لاستئصال الشرور ونعيد للانسان كرامته يقول تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ [الأسراء:٧].

فالإسلام كرّم الانسان لانه اسمى ما في الوجود وعليه تقوم عملية التنمية وفقاً لهذا المنهج الذى يتميز بالاستمرارية المستمدة من عبادة الخالق تبارك وتعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

فالإسلام يريد الانسان الواقعي المحرر من الاستغلال الذي يتوجه لله وحده بالعبادة. يقول تعالى: (قل هو الله أحد. الله الصمد لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحدً) الإخلاص.

فالله وحده نتوجه له بالعبادة يقول تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لا اله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء:٢٥].

وإقرار العبودية له أشرف تكريم للانسان لانه اخراج له من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة (إياك نعبد وإياك نستعين) فخص العبادة بالله وبذا فالمؤمن حر لا سلطان لأحد من البشر عليه،أطعم الله الإنسان من جوع وآمنه من خوف فضمن رزقه وكتب أجله وحدد عمره يقول تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ [هود:٦١]. وارتبط هذا الأمن المادي والنفسي بالسعي في طلب الرزق وعادله بالجهاد يقول تعالى: ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾ [المزمل:٢٠].

المال.. مال الله

وتقوم التنمية في الإسلام

آثار التبعية الغربية على الإقتصاد الإسلامي

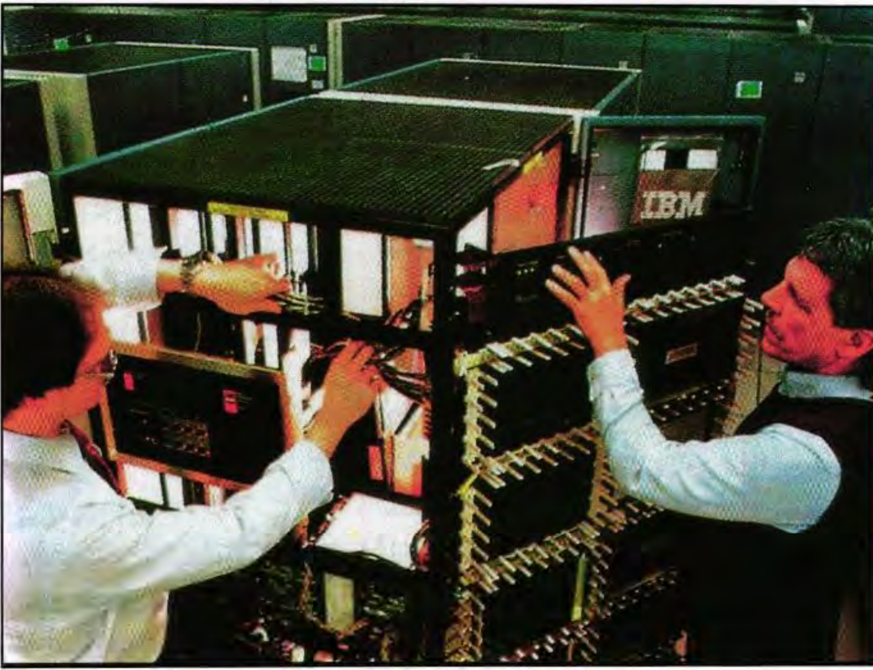
على أساس أن المال لله ونحن مستخلفون فيه يقول تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ [البقرة:٣٠].

وتبعية الاستخلاف تعني تسخير المال لخدمة الخلق: ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ وتعني تبعية الاستخلاف العمل كدحا لتثمير المال بالعمل الصالح: ﴿وأن ليس للانسان إلا ماسعى، وأن سعيه سوف يرى﴾ [النجم:٣٩-٤٠].

وعليه فيجب احترام عقد الاستخلاف والإلتزام بشروطه بأن نؤدي حقوق المال لله وللمجتمع في صورة دفع الزكاة والصدقات لاقامة التكافل يقول تعالى: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ [الجاثية:٣].

فالزكاة فريضة وركن اسلامي، ولذا علينا استثمار المال لاخراجها لانها تعمل على عدالة التوزيع في صالح الطبقات والحض على الاستثمار، والاسلام لا يعرف اهدار الطاقات ويهتم بالضروريات التي لا يمكن أن تقوم الحياة بدونها، ثم تأتي مرتبة الحاجيات التي يمكن تحمل الحياة بدونها ولكن بمشقة ثم تأتي مرحلة التحسينات التي تجعل الحياة أكثر يسراً، ووفقا لهذا فالاسلام يعطي أهمية للطيبات

■ يقوم الاقتصاد الإسلامي على قيم لا تعرف الاحتكار، وأسواق خالية من الربا، وعلى محاربة الاستغلال وإهدار الإمكانات وتبديد الطاقات



التي يحتاجها معظم الناس، وفي ظل هذا يتم القيام بالجهد الانمائي على أساس التكامل، وتقع مسؤولية التنفيذ على الأفراد وتتم بعدالة التوزيع على أساس تحمل المخاطرة وبالمشاركة وبالتالي في الربح والخسارة، فالمال لا يكون غانما إلا اذا كان غارما، فالعائد لا يحل الا اذا تحمل المال كامل المخاطرة، وبذا لا يكون هناك استغلال بل الجميع يشترك في النشاط.. ولذا فالمصرف الاسلامي لا يقوم على أساس المتاجرة في النقود وانما كشركة استثمار حقيقي، فالمودعون هم أصحاب الأموال، والمصرف هو العامل فيها فإذا وقعت خسارة يتحلمها المودعون بالكامل، وعلى هذا يكون الطريق العادل السوي لانماء المال الاشتراك الفعلي في النشاط الاقتصادي فلا يوجد كسب بدون عرق وجهد ومخاطرة، ولا توجد فئة تعيش على جهد الآخرين فالكل ينتج ويشترك ويتم توزيع الناتج وفقاً لمعايير عادلة، ومن ثم تكون النتيجة تنمية مستمرة وتوزيعا عادلا يقول تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون﴾ [البقرة:١٨٨].

كما يدعو للحض على الانفاق وعدم كنز المال فبدون انفاق لا نتصور وجود أسواق وبالتالي لا يتولد انتاج ومن ثم لا تقوم دورة نشاط اقتصادي فالحض على الانفاق هو حض على الإنتاج، ودفع عجلة إعمار الأرض. ولا شك أن العدل في السوق الاسلامية يؤدي لزيادة الانتاج وتقدمه فالأسواق الاسلامية لا تعرف بخس حاجات الناس ولا التطفيف وفيها يقول تعالى: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ [هود:٨٥]. ويقول تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾ [المطففين:١].

التربية في الاسلام

ويقوم الاقتصاد الاسلامي على قيم لا تعرف الاحتكار، وأسواق خالية من الربا، وعلى محاربة الاستغلال واهدار الامكانات وتبديد الطاقات من خلال تحريم الربا والاحتكار والغش والتدليس وكل صور أكل المال، بجانب أنه يحض على التقوى والانتاج والعمل والانفاق والزكاة والتعاون والامر بالمعروف وتأليف القلوب والقدوة الحسنة. وركز على تربية الإنسان ليتحمل التبعات..

وشملت التربية كل جوانب حياة الانسان من آداب الاستيقاظ والنوم والعادات من مأكل ومشرب ومحاربة كل ما هو غير سوي وتحلي الانسان بمكارم الاخلاق ولذا وضع للانسان برنامجا تربويا يقوم على الصلاة والدعاء والزكاة والاستغفار وطلب العلم الحلال وبذا هيأ للإنسان حياة نامية سعيدة فلو رجعنا لتعاليم الإسلام لتخلصنا من المشكلات الاقتصادية التي أصبحنا نعاني منها أشد المعاناة والتي كانت سببا في تخلفنا عن غيرنا من الأمم□

تآكل المجتمعات من الداخل

■لطاعة الله ورسوله ﷺ، والالتزام بأحكام الشرع الحنيف، أثر واضح في تماسك المجتمع المسلم وتحقيق قوته

بقلم: د. محمد محمود متولي

لعل من أخطر ما منيت به مجتمعاتنا في الآونة الأخيرة هو تآكلها من داخلها، وأعني بالتآكل النعرات الجديدة التي ظهرت فيها، فقد أصبح الانتساب إلى الدولة، أو الجنسية أولى بالرعاية من الانتساب إلى الإسلام، وأصبح أبناء الجنسيات يحارب بعضهم بعضا في أرزاقهم، وبرزت عنصريات عرقية بدأت تطالب بهوية ثقافية مستقلة عن الثقافة العربية الأم ولغتها، وهؤلاء يطالبون بدراسة لغاتهم وتراثهم سواء صلحت هذه اللغات للكتابة والقراءة، أو كانت تنطق ولا تكتب، وكذلك نشطت دعوات دينية إسلامية وغير إسلامية تطالب بكيانات مستقلة بالإضافة إلى أن بعض الكيانات العربية مؤهلة للتفكك بفعل عوامل لو نشطت لأدت إلى حروب أهلية وتلك العوامل كان الإسلام قد هذبها أو جعلها تنصهر في بوتقته الكبيرة، ولكنها عادت بعد ذلك للظهور شيئا فشيئا. ونشطت أكثر مانشطت مع بدايات عصر استقلال الأمة العربية، فأراد أعداؤها أن يشغلوها بفتن تأتي من داخلها. حتى لاتتحقق لها وحدة، ولايبرز فيها كيان كبير، يمكنه مواجهة الغرب، أو الشرق كما حدث في عصر صلاح الدين. وقد كان من ثمرات هذا التآكل.

شيوع الآنانية

فأصبح العربي المسلم لايهتم لهم أخيه، سواء أكان هذا الهمّ سياسياً أم هما عسكريا، أم اقتصادياً، وإن اهتم فلايكون همه بقدر مصيبة أخيه، ليحملها معه، أو يخففها عنه، أو يرفعها كلية، وإنما هو هم تصريحات، أو معونات قليلة أو كثيرة. وقد جرأ هذا أعداء الأمة الإسلامية عليها.

٢) المكايدة:

حروب خفية، وخطط مستورة، وهجوم متبادل ظاهر وخفي، وتراشق بالتهم بالحق أو بالباطل بالصدق، أو بالكذب. ومحاولات استعلاء وتحقير، ينكر فيها مالايمكن أن ينكر، ويجحد فيها مالايجحد. حرب مشنونة، وكأننا قد قسمنا أنفسنا إلى مسلمين، وغير مسلمين. فكيف تعلو لنا راية. والناس يتجمعون ونحن نتفرق؟

وفي غمرة هذا نسينا: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات:١٠] وتناسينا ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة:٥٤] لقد فرغنا من عدونا، أو فرغ عدونا منا، فصارت عداوتنا له كلاما، وعداوتنا لأنفسنا شقاقا وخصاما.

٣) التشفي:

فحين تشيع الآنانية، وتسود المكايدة لابد أن يتربص كلا الطرفين بمصيبة تنزل بالآخر، وساعتها يشفى نفسه المريضة من مصاب أخيه. وقد روى واثلة رضي الله عنه قول الرسول ﷺ: «لاتظهر الشماتة لأخيك. فيعافيه الله ويبتليك» [رواه الترمذي] وقال: حسن غريب (١).

وأين تلك العلة من قول الرسول الكريم ﷺ فيما رواه أنس رضي الله عنه: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» (٢).

٤) التربص واصطياد الأخطاء

لاشك أن من يسلط مجهره على أغلاط الناس يصبح حاله كحال القط المتحفز للفأر على باب الجحر، أو الجاسوس المنتظر غفوة من حارس، ليأخذه على حين غرة، أو اللص الذي ينتظر غفلة الرقيب أو الشرطي إنه يعمي عن كل الحسنات، ولايبصر إلا السيئات، وربما حول الصواب إلى خطأ، فإن غش النوايا يجعل الخير شرا والصواب خطأ وليس ما أقوله من خيالي، وإنما هو الواقع الذي نحياه. وهل يومنا الآن كأمسنا في التحاب؟

٥) التفتت وقلة التعاون:

فالخير مجمع والشر مفرق، وحين تسيطر نوازع الأثرة البغيضة، ويصبح هم كل فرد، أو جماعة تحصيل منافع فردية، أو جمعية فلاشك في التفرق، وانعدام التعاون، وهذا حالنا في مؤسسات كثيرة. تشرذمنا، وقسمناها إلى جنسيات، ونشرنا ثوب الرياء والنفاق، ولكن الحقيقة هي التباغض واصطناع عداوات لامبرر لها، وعنتريات في غير مواضعها، ودعاوى لم تصدقها الحقائق، ولم تتحقق في عالم الواقع، وكيف تتحقق نهضة، أو يلتئم شمل مؤسسة تعمل تحت هذه الظلال الكئيبة من نكران الإسلام كجنسية

ورابطة. إن الواقع الصحيح المستمد من الإسلام يفرض أن يأخذ القوي بيد الضعيف، ويعلّم العالم الجاهل، ويأخذ المعاف بيد المبتلى، ويرق الطائع للعاصي، ويتساند الجميع لصنع واقع مشرق. وهذا يتحقق لو تناسينا الإقليمية الضيقة، لقد سقط جدار برلين، وسقط بسقوطه كثير من الآلام، وولدت كثير من الآمال، ولكن أنى، ومتى تسقط جدران الفصل بين القلوب في مجتمعاتنا، فلو كانت أسواراً من حديد لذابت، ولكنها جدران من أحقاد، ومكائد، فكيف نذيبها، والشيطان ينفخ في رمادها، والنفوس المريضة تشعل جذوتها، ولاتريد أن يبقى أو يتصدر المواكب سواها، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: لماذا ننشغل ببعضنا بعضاً، ولا نوجه هذا للبناء، أو لكراهة الأعداء؟ وهل يسمح المسلم لنفسه أن يتعالى، أو يكيد، أو يصغر من شأن مسلم تجمعه به شهادة التوحيد؟

■تهديم المجتمعات من الداخل أشد فتكا من أي هجوم خارجي مهما بلغ حجمه

ومن الذي تقرعينه بتآكل مجتمعاتنا من داخلها؟ والجواب بصراحة هو أن أكثر الناس سرورا بما يحدث هم أعداء الإسلام، لأننا بذلك نكفيهم أنفسنا، ونوفر عليهم مشقة التفكير في وضع مكائد لتعويقنا، فنحن نعوق أنفسنا، ونبدد قوانا، ونوجه حرابنا إلى صدورنا مع أن أعداءنا لايفرقون بيننا بالجنسية، فنحن جميعا عندهم مسلمون.

والعلاج

لابد من العودة إلى دراسة أمراض الفرقة التي ذكرها القرآن، وحذر منها. يقول الله تعالى:

أ- ﴿ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين. وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم. ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ [آل عمران:١٠٠-١٠٣].

ب- ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسّونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدما أراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾ [آل عمران:١٥٢].

جـ-﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ [الأنفال:١].

﴿وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين. ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط﴾ [الأنفال:٤٦ و٤٧].

﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوارة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ [الفتح:٢٩].

والناظر في هذه الآيات الكريمات يجدها حددت جملة من الأمور الهامة لتحمي جدران المجتمع المسلم من التآكل فإن من المجمع عليه أننا نصنع مانصنع بأنفسنا حبا في الدنيا، وليس حبا في الدين، ورغبة فيما عند الناس وليس رغبة فيما عند الله. وهذه الأمور أذكرها، وهي أسباب صحة للمجتمع وأضدادها أسباب مرض وهي:

أ- معظم الآيات قد اتفقت على مبدأ طاعة الله والرسول

ب- إصلاح ذات البين، فإن إفسادها قد سحق قوانا، وشتت جموعنا، وفرق صفوفنا.

ج- تقوى الله.

د- الإخلاص له.

هـ- عدم طاعة أهل الكتاب، فإن طاعتهم إضعاف لنا.

و- التزام كتاب الله تلاوة وعملا.

ز- الحذر من التفرق، لأنه جرأ الجبناء علينا، وأطمعهم فينا.

ح- تفويض أمر الدنيا متمثلة في الغنائم إلى الله ورسوله، فالله هو الذي يرزق وسنة الرسول هي التي توزع.

ط- الصبر.

ي- البعد عن البطر والرياء.

ك- عدم طاعة الشيطان، فإنه يعد بالفقر، ويأمر بالفحشاء.

ل- التآزر والشدة على الكفار، والرحمة للمؤمنين، فهذا يقوى شوكتنا، ويخيف أعداء نا منا.

م- ذكر إنعام الله علينا وعلى أسلافنا بإخراجهم من الكفر إلى الإسلام، ومن النار إلى الجنة، ونحن على طريقهم.

ن- إن المنجي من كل شقاء نتعرض له هو التمسك بكتاب الله.

وهذه الأدوية التي ذكرتها الآيات القرآنية تذكرنا بأمراض تهتك جدران مجتمعاتنا فمما لاشك فيه أن ماحذرت منه الآيات موجود فينا الآن. بنسب تتفاوت قوة وضعفا، وإلا فلماذا فساد ذات البين بين المسلم والمسلم، ولماذا ينعم أهل الكتاب في بلادنا بالأمن والراحة، ويخاف المسلمون، ولماذا نتفرق، حتى إن كثيراً من مؤسساتنا كيان لانحس بفاعليته كما ينبغي، اللهم إلا تصريحات أو اجتماعات.

حتى إن الدول المتجاورة في أماكن من بلادنا في شقاق ونزاع. وهذا مرده إلى إننا لانقدر علاقتنا الإسلامية حق قدرها.

ولماذا، يشيع بطر النعمة، ومراءاة الناس بالعطاء، أو الكلام، أو العبادة.

إنني أوصي متعلمينا وجاهلينا بالتأمل فيما أشارت إليه الآيات الكريمة، وكل

منه محتاج إلى مقال خاص.

فعسى الله أن يهدي قلوبنا، ويقينا شر أنفسنا، وسيئات أعمالنا، مع العلم بأننا مستفيدون منه في دنيانا وإني أذكّرهنا بما ذكره محمد بن إسحاق وغيره كما ذكر الحافظ بن كثير في تفسيره في سبب نزول الآية ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ يقول رحمه الله: إن هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج، وذلك أن رجلا من اليهود مر بملأ من الأوس والخزرج، فساءه ماهم عليه من الاتفاق والألفة، فبعث رجلا معه، وأمره أن يجلس بينهم، ويذكرهم ماكان من حروبهم يوم بعاث، ففعل، فلم يزل ذلك دأبه، حتى حميت نفوسهم، وتشاوروا، ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم، وتواعدوا إلى الحرة، فبلغ ذلك النبيﷺ، فأتاهم، فجلس يسكّنهم، ويقول: أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم، وتلا هذه الآية، فندموا، واصطلحوا، وتعانقوا. وهذا الأثر يفيد أن أعداء الأمة الإسلامية يندسون بيننا، ليفسدوا علاقات الود في صفوفنا ويوضح الحديث الشريف أن طابور المفسدين لايهنأ له عيش، ولايهدأ له بال إلا بتفريقنا.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: ياللأنصار، وقال المهاجري: ياللمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: مابال دعوى جاهلية؟ قالوا يارسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: «دعوها، فإنها منتنة»فسمع بذلك عبد الله بن أبي، فقال: فعلوها. أما والله. لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فبلغ النبي ﷺ فقال عمر: يارسول الله. دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «دعه لايتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه» [اللؤلؤ والمرجان رقم ١٦٦٩].

العلاج في السنة المشرفة

لقد رأينا من خلال تأملنا للآيات القرآنية جملة أمور. تحقيقها يحمي المجتمع من التآكل من داخله، ويشفي جراحه ويشد علاقات أفراده بروابط متينة من التقوى وإصلاح ذات البين. الخ فإذا تأملنا نصوص السنة المشرفة وجدنا أن المجتمع المسلم يحميه ترابط أفراده، وأن مايصيب فردا منه لابد أن يؤثر على الجميع، وهاهي بعض الأحاديث الشريفة.

أ- عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»، وشبك أصابعه. [حديث رقم ١٦٧٠ من اللؤلؤ والمرجان].

ب- عن النعمان بن بشير رضي الله عنه. قال: رسول اللهﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم، وتوادهم، وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا، تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » [رقم ١٦٧١من اللؤلؤ والمرجان].

ج- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث ولاتحسسوا، ولاتجسسوا، ولاتناجشوا، ولاتحاسدوا، ولاتباغضوا، ولاتدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا»رقم ١٦٦٠ من اللؤلؤ والمرجان.

د- عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه» [البخاري، كتاب الايمان ١٦٦٠].

وقد تضمنت هذه الأحاديث أن المسم لايستغني عن المسلم، وأن مايصيب عضوا في المجتمع يؤثر على الجميع، وأن من حق المسلم على المسلم ألا يظن به ظن السوء، ولايتجسس عليه، ولايتآمر عليه بالتناجش ولايحسده ولايبغضه ولايقطعه، وهذه جملة أداب يتحقق بها ماوصف به الله المؤمنين في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ فإذا ماتساءلنا عن ذوي الأرزاق الوفيرة من موظفين كبار وعلماء وتجار، لماذا يتآمر بعضهم على بعض فإن الجواب: إنها الدنيا المؤثرة، والأنانية البغيضة، والمأسوف له أن هذا التآمر لايطول «خواجة» ولا كافرا، إنما هو موجه كله من المسلمين إلى المسلمين، فماذا نحن آخذون من الدنيا، من جناح البعوضة؟

يجيبنا على ذلك الرسول الكريم طبيب أمراض النفس الإنسانية بجملة أحاديث شريفة:

أ- عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺقال: « يتبع الميت ثلاث: أهله وماله وعمله. فيرجع اثنان، ويبقى واحد. يرجع أهله وماله، ويبقى عمله» [متفق عليه].

ب- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول العبد: مالي، مالي، وإنما له من ماله ثلاث، ماأكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأقنى، وما سوى ذلك، فهو ذاهب، وتاركه للناس» [رواه مسلم].

ج- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺقال: «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطى رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش. طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع» (٣). وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد□

الهوامش:

١) تمييز الطيب من الخبيث لابن الديبع الشيباني ص ١٨٦.

٢) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان حديث رقم ٢٦.

٣) هذه الأحاديث الثلاثة من الترغيب والترهيب جـ٦، باب الترغيب في الزهد في الدنيا. ص١٢ و١٣ و١٦، تحقيق: محي الدين عبدالحميد.

■ لم يعد موضوع تلوّث البيئة مشكلة إقليمية محصورة في منطقة دون أخرى، وعلى العالم كله السعي لمعالجة الآثار السلبية المترتبة عليها



تلوث البيئة

١٢:٥٣ يُعتبر موضوع تلوث البيئة من قضايا الساعة، التي تواجه البشرية جمعاء، وعلى كل البشرية أن تجِد وتجتهد حتى تجد خَلاصاً من هذه المحنة. فقد يؤدي الإهمال في تداركها - لا قدر الله - إلى الانتحار الجماعي للبشر، وربما إلى انتهاء الحياة على هذا الكوكب الأرضي.

أهم قضايا العصر



بقلم: د. إبراهيم سليمان عيسى*
*أستاذ بجامعة الأزهر

و المستقبل

حجم المشكلة والتعريف بها

لقد أصبح التلوث في هذا العصر أشد خطورة في أبْعاده المؤثرة، وذلك بسبب تزايد حجمه، واتساع نطاقه الجغرافي يوماً بعد يوم. ولقد كانت الثورة الصناعية، والتقدم التكنولوجي، والصناعي، والحضاري للإنسان في مقدمة الأسباب المؤدية إلى ما يمكن أن نسميه بـ «انقطاع التوازن البيئي»، الذي كان قائماً بين الإنسان وبيئته. والجدير بالذكر، أنه حتى نهاية القرن الماضي، لم يكن هناك وجود لمشكلة التلوث عملياً.

ومع بداية القرن التاسع عشر، ظهر التلوث باتساع النشاط الإنساني، خصوصاً حول تجمعات المدن، ففي كل يوم تُلقي آلاف المداخن بآلاف الأطنان من الغازات، والغبار، والأتربة التي تفسد الهواء، وتخل بمكوناته الطبيعية، وتجعله غير صالح للتنفس. ويزداد حجم المشكلة مع ما يبذله الإنسان من محاولات مستمرة، وجهد دؤوب، وبحث جاد عن وسائل جديدة للراحة، والرفاهية، والمدنية، وبسبب ذلك يَلجأ الإنسان إلى الاتساع في التصنيع، والأخذ بأساليب الميكنة الزراعية، والتوسع في استخدام الأسمدة والمبيدات الكيميائية، والمخصبات الزراعية، وهذا بدوره يؤدي إلي مزيد من المخلفات والمواد غير المرغوبة فيها.

ولا سبيل للتخلص من هذه المخلفات إلا بدفنها في الأرض، أو إغراقها ورميها في البحار والمحيطات، أو بإطلاقها في طبقات الجو، وبذلك يُفسد الهواء، ويتلوث الماء، وتصبح التربة غير صالحة للزراعة، فيموت النبت، وتجف الأزهار والأشجار، وتنقلب الأوضاع، فما يستهدفه الإنسان من مساعيه نحو تحسين معيشته بالتصنيع، والأخذ بأسباب وأساليب التقدم التكنولوجي، أصبح وبالاً، وعبئاً، وكابوساً عليه، وعلى صحته، وأمواله، وحيواناته المستأنسة. ولقد انتشر التلوث، فشمل الكرة الأرضية كلها، وشمل أيضاً عناصر البيئة المختلفة من ماء، وهواء، وغذاء، وأنهار، وبحار، ومحيطات، وأرض، وغير ذلك.

وأصبحت مشكلة التلوث الشغل الشاغل لجهات وأجهزة علمية كثيرة، وأخذت الاهتمام الكبير في معظم صحف ومجلات العالم، وأقيمت الكثير من المؤتمرات والندوات بهدف توعية الإنسان في كل مكان، بأبعاد وحجم مشكلة تلوث البيئة، ووضع القيود والقوانين التي تهدف إلى المحافظة على البيئة، وأُنشئت في معظم البلاد – إن لم يكن كلها – أجهزة متخصصة تعني بشئون البيئة. بل أُقيمت أيضاً في بعض البلاد وزارات متخصصة لهذا الغرض. لكن المشكلة تتضح وتصبح أكثر صعوبة عندما يُطلب

تلوث البيئة أهم قضايا العصر والمستقبل

من الإنســـــان أن يتخلى عـن التصنيع، وتطبيق أحدث أساليب العصر.

وفيما مضى كـــان النـــاس يشكون – على سبيل المثال – من الضجيج والضـوضـــاء، بسبب الأعمال التي يقـــوم بها العمال الحرفيون في الصبـاح، أو بسبب مواء قطة، أو نباح كلب، وطبعاً لا يـوجد وجـه للمقـارنة بين هـذه المسببات للضجيج والضوضاء، وبين أزيـز الطـائرات صباحـاً ومساءً، وليلاً ونهاراً، خـاصة في مناطـق السكان حـول المطارات التي قد تصل في مطـار واحد إلى خمسمائة طيارة في اليوم، ما بين هابطة وصاعدة.

ومن المعروف أن أزيز الطائرة يمثل عشرة أمثال الضجيج الذي يحدثه أي مترو عنـد دخولـه أية محطة، ومع كل ذلك، فإن الخطر الذي يهدد الأرض كلها بالتلوث، يكمن في مصـــادر محددة تماماً، والإنسانيـة في مجموعهـا تعتبر ضحيـــة خطأ كـل عضـــو من أعضائهـا. فإن تلـوث المحيطات لم يحدث فقط نتيجـة لما تخلفـه ناقـلات البترول من عادم، أو لما تلفظـه المصـانع المقـامـة عنـد الأنهار، والبحـار من مخلفـات، وإنما يحدث التلـوث لأن الأنهار تنقل المخلفـات والشـــوائب إلى المحيطات. ولقد وصل التلوث في بعض البحيرات «بحيرة إيـريا»، التي تساوي مساحتها مساحلة إقليم «بـريتـــاني الفـرنسي» إلى درجة جعلت السلطات المسؤولة، تمنع الاستحمام فيهـــا، وتعلن مُحذرة أن الواجب يقضي بتلقيح كل مـن يسقط فيهــــا بمصل التيتانوس.

والتلـــــوث لم يقتل بعـض المناطق فحسب، بل جعلها سامة أيضـــاً، والإنســـان لم يتسبب في جعل الميـاه غير صـالحة للشرب فقط، بل تسبب كـذلك في تحويل عدد كبير من البيئـات إلى بيئات سامة، وتحويل المخلوقات الحية إلى مخلـوقـــات سـامـــة، ففي اليابان، ظهـرت أمراض تسببت فيهـا أسماك ابتلعت نفـــايـات مشبعة بـالـزئبق والكاديوم، كما ســـاد اعتقـاد في إيطـــاليـا أن في خليج نابولي بعـض الميكروبات التي سببت مـــرض الكـــوليرا، وأمراضاً أخرى.

ويـلاحـظ أن ميـاه البحيرات تتلـــوث وتتحـــــول إلى بحيرات سامة، بسبب الأسمدة التي تزيد من تكاثر الطحالب.

ومما يذكـر في هذا الصدد، أن نسبـــة الأوكسجين انخفضت في بعض البـــلاد أيضـــاً، وتقـــول تنبؤات العلماء: إن البحر الأبيض المتوسط يتعـرض لخطر التلوث، والتسمم خـلال الخمسين سنـة القـادمـة، لأنه أقل اتسـاعـاً من المحيـط الأطلنطـــي، أو المحيـط الهادي.

وبـــالمثل فإن كتل الشـــوائب التي تصب في المحيطـــات، قـــد حَـولتها، كما حـولت البحـار إلى صنـاديق للقمامـة. يضـاف إلى ذلك أن البحار أصبحت تتلقى في الوقت نفســه الفضلات المنـزلية التي تتسرب غـازاتها السـامـة خفية، والفضلات الصناعية التي تلفظهـا المصـــانع المجـاورة للأنهار، والتي يزداد خطرها مع اتساع مصـانع الصلب المجاورة لـلأنهار، ثم كل الفضـلات التي تنقلهـا ميـاه الأنهار نفسهـا إلى الترع والجداول والبحيرات، كذلك الفضـلات النـــاتجة عن تلـوث الجو، والتي تسقـط على الأرض مع الأمطار .. وهذا يعني انتشار التلوث عالمياً.

وما لم توجد إرادة عالمية تهتم بمكافحة خطر التلوث وأسبابه، فإن البشريـــــة ستمضي دون تبصر في إتلاف البيئـة الطبيعية، وتسميم التربة، وبث السموم في كل مـــا يحيط بـالإنســـان من عنـــاصر البيئـــة المختلفـــة. إن العقــــاقير التي تستخــــدم في مقـــاومـــة الطفيليـــات لا تقتل الكائنـات المقصودة فحسب، بل تقتل الأنواع الأخرى التي تعتمد عليهـا في الغـــذاء، وبعض هـذه العقاقير – المشار إليها – تنتشر في الطعـام الـذي نتغـذى بـه، وتتركز في الدهـون، والدم، ولها آثـارها العميقـة التي لا نعرفهـا تماماً، ولم يلق عليهـــا الضـــوء حتى الآن.

وتـــرجع بعض الأمـــراض السرطـانيـة وأمـــراض الدم – جـزئيـاً – إلى امتصـاص هـذه العقـــاقير، التـي تعتبر نسبـــة السموم فيها بـاعثة للقلق؛ وإن استخـدام مـــادة الـــ«د. د. ت» يمثل مشكلة، فنحن نستخـدمه للحصول على نتائج طيبة، وعدم استخـدامـه يمثـل مشكلـة قـد تكـون أكبر حجماً مـن المشكلـة الأولى، ومن هنـا يبرز التحـدي أمـام الإنســان، لكي يحافظ على بيئتـه ويحميها. لـذلك يجب أن تتركـز كل جهـود الإنسانيـة في الاهتداء إلى وسائل فنيـة جديدة تهيىء لـلإنسان سبيل التقـدم، دون مـــا ضرر تُلحقـه ببيئتـــه الطبيعية، وفي نفس الـوقت الذي ينبغي فيـه أن تُستخدم عقـاقير مقـاومـة الآفـات، ونستخـدم الأسمـدة التـي تـزيـد التربـة خصوبة، وتتيح الفرصة لمكافحة بعض الكـوارث دون أن تَتَسَبب في أخطار جـديدة، فإن الـواجب يقضي بـاستخـدام طـائرات أقل ضجيجاً، وسيـارات أقل تلـويثاً

■ ملوّثات البيئة كل مادة أو طاقة تعـرّض الإنســان للخطـر، أو تهدد ســلامتـــه، أو سـلامة مصادره بطريقة مباشرة، أو غير مبـــاشرة



للهواء، وصناعة ورق لا تتسبب في قذارة الماء إلى الدرجة التي نراها الآن. ويجب فضلاً عن هذا، أن نهتدي إلى المزيد من الأساليب الفنية لمكافحة التلوث، وإنني مقتنع بأننا لو وجهنا جهود الإنسان في مضمار الابتكار والاختراع، إلى البحث عن أساليب فنية تحمي البيئة الطبيعية، فإن الوصول إلى هذه الغاية المنشودة، سَتُحقق حتماً بإذن الله سبحانه وتعالى.

ويكفي أن نتصور مدى التقدم الفني في ابتكار العتاد الحربي في أثناء الحروب، لكي تتخيل مدى التقدم الذي يمكن تسجيله لو أننا عهدنا - خلال عشرين عاماً - لمعامل الأبحاث بمهمة اختراع وابتكار أساليب فنية مانعة للتلوث لوقاية البيئة من التدمير، واختلال التوازن، وبذلك تنجو البشرية من خطر التلوث وكوارثه.



■تساهم البلاد المتقدمة صناعية في مشكلات تلوث البيئة أكثر مما تفعل البلدان النامية والمتخلفة صناعياً

تعاريف

١- البيئة:

اصطلاح البيئة، يقصد به كل ما يحيط بالإنسان من أشياء تؤثر على الصحة، فكلمة بيئة تشمل المدينة بأكملها مساكنها، شوارعها، أنهارها، آبارها، وشواطئها، وتشمل أيضاً ما يتناوله الإنسان من طعام، وشراب، وما يلبسه من ملابس بالإضافة إلى العوامل الجوية، والكيميائية، وغير ذلك.

والبيئة الصحية هي البيئة النظيفة الخالية من الجراثيم، الناقلة للأمراض، ومن كل الملوثات المختلفة.

٢- التعريف الدولي للبيئة:

أقر المؤتمر الدولي للبيئة (استوكهولم ١٩٧٢» "Tibilis" يبليس ١٩٧٨م)، التعريف التالي: «إن البيئة هي مجموعة من النظم الطبيعية والاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى، والتي يستمدون منها زادهم، ويؤدون فيها نشاطهم». وهذا التعريف كما هو واضح يشمل: الموارد والمنتجات الطبيعية، والاصطناعية التي تُؤَمِّن إشباع حاجات الإنسان.

٣- التلوث:

يعني ببساطة اختلال مكونات النظام البيئي، ووجود مواد تفسد نظام الطبيعة، وما تحتويه من كائنات حية، ونباتية، وغلاف جوي، بالإضافة إلى إفساد هذه المواد لكل الخواص والمكونات الطبيعية والكيميائية للأشياء، بحيث يؤدي ذلك إلى الإخلال بالتوازن البيئي كما سبق.

ويرى كثير من علماء البيئة أن التلوث عبارة عن وجود أية مادة أو طاقة في غير مكانها، وزمانها، وكميتها المناسبة. فالماء - برغم أنه أساس الحياة - يعتبر ملوثاً إذا ما أضيف إلى التربة بكميات كثيرة تحل محل الهواء فيها، والأملاح عندما تتراكم في الأرض الزراعية، تعتبر ملوثاً أيضاً، والنفط مكون من مكونات البيئة، لكنه يصبح ملوثاً عندما يتسرب إلى مياه البحار، والأصوات عندما تزداد شدتها عن حد معين تعتبر ملوثات تضايق الإنسان.

وفي ضوء ذلك يبدو جلياً وواضحاً أن تلوث البيئة يشمل البر والبحر وطبقة الهواء، والقرآن الكريم - كتاب الله الخالد - والذي لا يأتيه الباطل، يشير إلى التلوث الحسي (المادي) في البر والبحر، حيث يقول رب العزة جلت قدرته في الآية رقم ٤١ من سورة الروم: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾، والآية تشير بجلاء ووضوح إلى التلوث الذي يفسد البر والبحر نتيجة لما يعمله الإنسان من تدخل في الكون، وهي تشير أيضاً إلى الضرر البالغ الذي يحل به من جراء عمله هذا، ذلك الضرر الذي يذوقه الإنسان رغماً عنه، والذي دفعه إلى ذلك هو جهله بناموس الكون، وقوانين البيئة التي سنها الله سبحانه وتعالى، وسعيه من أجل متعة دنيوية زائفة أدى إلى إفساد البر والبحر بالمخلفات الصناعية تارة، وبمخلفاته تارة، وبالمواد المشعة والإشعاعات الذرية وغيرها، إنه بتدخله غير المدروس في تغيير نظام البيئة يدفع نفسه إلى الانتحار، وإلقائها في التهلكة.

٤- التلوث والفساد في اللغة:

جاء في المعاجم: لَوّث الأمر: لبسه، ولَوْثَ التبن بالقت: خلطه وتلوث بالطين، وتلوث بفلان رجاء منفعة، أي لاذ به، وتلبس بصحبته، ولوث الماء أي كدره. ويقال: الْتَاَثَتْ عليه الأمور، أي التبست، والتاث في عمله: أي أبطأ، والتاثَ بالدم: تلطخ به، وفلان به لوثة، أي به جنون. ونستنتج من هذا أن التلوث له

تلوث البيئة أهم قضايا العصر والمستقبل

معنيان في اللغة: معنى مادي، وهو اختلاط أي شيء غريب عن مكونات المادة بالمادة، مما يؤثر عليها ويفسدها كتلوث الماء، والتلوث بالطين، أما التلوث المعنوي فهو يعني ذلك التغير الذي ينتاب النفس فيكدرها، أو الفكر فيفسده، أو الروح فيضرها، وهذا التغير كما يتضح، يكون دائماً إلى ما هو أسوأ، أو يكون تغيراً من أجل غرض ما، والتلوث بالمعنيين المادي والمعنوي يعني فساد الشيء، سواء كان هذا الشيء كائناً حياً كالإنسان، أو الحيوان، أو جسماً غير حي، كالهواء، والماء، والتربة.

أما الفساد في اللغة، فإنه ضد الصلاح، يقال: فسد الشيء يفسد فساداً وفسوداً فهو فاسد، وفسيد والمفسدة: ضد المصلحة.

ولفظة الفساد أكثر شيوعاً في الاستعمال، وهي تُعَبِّر عن أي خلل يقوم به الإنسان من سلوك شائن، أو فعل قبيح، أو صفة مرذولة، أو عن أي اضطراب يحدثه الإنسان في خلق الله.

٥- التربية البيئية:

ظهر وتطور مفهوم التربية البيئية منذ أن نُشِر عام ١٩٦٨، كتاب من تأليف (راشل كارسون) بعنوان: «الربيع الصامت»، وهذا الكتاب أحدث ثورة ووعياً بيئياً كبيراً، ثم كانت مؤتمرات الأمم المتحدة بعد ذلك بقصد حماية وتحسين البيئة للأجيال الحاضرة، والقادمة، والتربية البيئية تهدف إلى توعية سكان العالم بالبيئة الكلية، وتقوية اهتمامهم بها، وبالمشكلات المتصلة بها، وتزويدهم بالاتجاهات والمعلومات والالتزامات والمهارات التي تؤهلهم فرادى وجماعات للعمل على حل المشاكل البيئية الحالية، والحيلولة دون ظهور مشكلات بيئية جديدة.

٦- الملوثات:

كل مادة أو طاقة تعرض الإنسان للخطر، أو تهدد سلامته، أو سلامة مصادره بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة، والملوثات قد تكون جوية، أو مائية، أو أرضية، وتتعدد مصادر التلوث، فقد تكون مصادر طبيعية، أو صناعية من جراء فعل الإنسان ونشاطاته، وجدير بالذكر أن أول كتاب تكلم عن البيئة هو كتاب «الربيع الصامت» عام ١٩٦٨، بينما نجد القرآن الكريم قد تحدث عن مشكلة تلوث البيئة منذ أربعة عشر قرناً، ويتجلى إعجاز القرآن الكريم (الآية السابقة رقم ٤١ من سورة الروم) في عرضه لجوانب المشكلة بالتفصيل، وآثارها على الإنسان، وعلى البر، والبحر، وكيف تحمل الإنسان نتيجة ذلك الفساد الذي يصنعه بيديه، مما يضيف دلالة قاطعة على أن القرآن من لدن حكيم عليم.

الإنسان وتلويث البيئة وتخريبها (جذور التلوث)

لكي نفهم بطريقة سليمة جذور وتطور مشكلة التلوث البيئي وتأثير الإنسان على مجاله الحيوي، يجب أن نَتعرّف على الخصائص التي تحدد معالم البيئة المحيطة بالإنسان.

إن البيئة، أو الوسط الإنساني - بوصفه مجالاً حيوياً - نجده نظاماً يشمل الكائنات الحية، والهواء، والماء، والتربة، والأرض، ويصل سمك المجال الحيوي حول الإنسان إلى عدة كيلو مترات، والمجال الحيوي له وظائفه، فهو مصدر للطاقة مُمَثَّلة في الإشعاع الشمسي، وهو استمرار للحياة، وبواسطة التمثيل الضوئي يستطيع النبات تحويل المادة الجامدة إلى مادة عضوية، وتتخلص من الأوكسجين الذي يعتبر مصدراً للحياة، ومحافظاً عليها. ونجد أيضاً أن معظم الأوكسجين في الجو له أصل بيولوجي. النبات يمثل غذاء للحيوانات آكلة العشب، وهي بدورها غذاء للحيوان آكلة اللحوم، وعندما تموت تتحلل بقاياها بفعل البكتيريا لتكون العناصر والمواد المعدنية التي تعود بدورها إلى المملكة.

ومن الجدير بالذكر، أن تأثير الإنسان على توازن البيئة بدأ منذ ظهوره على الأرض، ولقد مر ذلك بمراحل مختلفة، فالإنسان البدائي من القناص، والصياد، وحتى الراعي، والزارع، كان تأثيره على البيئة بسيطاً. شأنه في ذلك شأن الكائنات الحية التي كانت تعتبر منافسة له. وكان سلوك الإنسان، وتأثيره، وإخلاله الجزئي بالنظام البيئي (تلويثه للبيئة) يتم جبراً عنه، لاضطراره للتغذية، والتدفئة، ووقاية نفسه من الحيوانات المفترسة، وكل ما يهدده، ووصل إلى أكثر من تلويث البيئة إلى تخريبها..

وعلى أية حال، فإن إشعال الحرائق في الغابات لا يزال يستخدم كوسيلة للصيد تَعْمِد إلى ذلك مجتمعات بدائية لإكراه الحيوانات على الفرار مما يسهل صيدها، وأسرها، بل إن بعض القبائل المتخلفة في وقتنا هذا، ما برحت تحتفظ بأسلوب الحياة الذي كان سائداً في أقدم العصور، وهكذا نرى أن النار كانت دائماً إحدى العوامل الرئيسية لتخريب البيئة. وأضيف إلى الحرق قطع الأشجار، وأكل الجذور، وقطف الثمار لتجعل كل هذه الأشياء حياة الإنسان ممكنة في هذه



العصور القديمة.

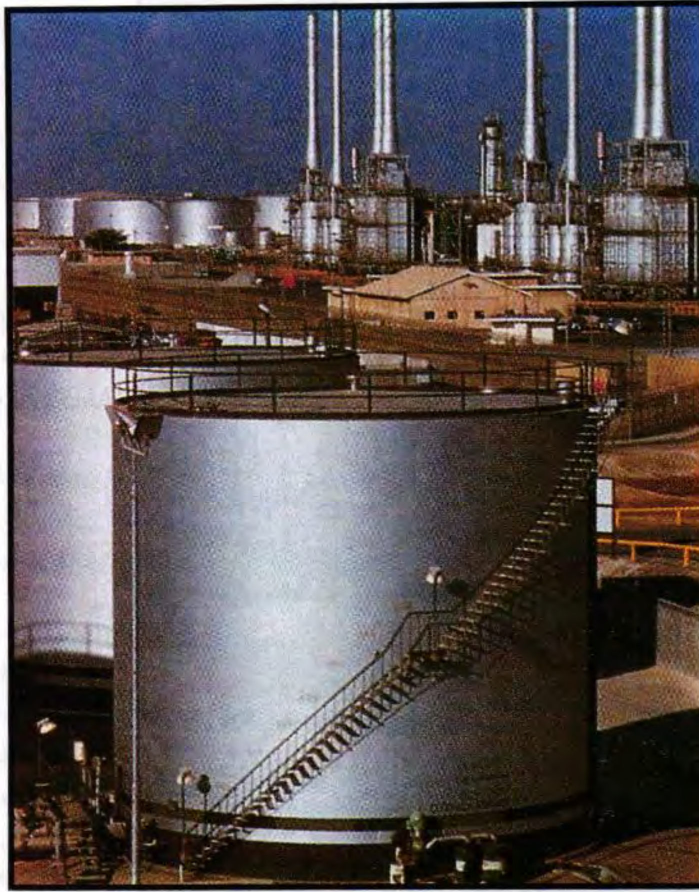
وبعد ذلك تصاعد تأثير الإنسان في تغيير وإخلال توازن البيئة بالتحول إلى أساليب إنتاج اقتصادي أكثر تقدماً، اقتضى أن يعتمد الإنسان على وسائل فنية أكثر ملاءمة. وقد تم ذلك مع زيادة الكثافة السكانية، وبدأ التوازن بين الإنسان والطبيعة يختل تبعاً لذلك. وطوال القرون الوسطى، كان يتم القضاء على الغابات بغية تيسير الزراعة، وتربية الماشية، وبمضي الوقت، ازداد استخدام الخشب يوماً بعد يوم.

وفي بداية عصر الاكتشافات الجغرافية الكبرى، كانت هناك مناطق شاسعة غير مستغلة عملياً، غير أن هذه الحال لم تستمر - وفي أقل من مائتي عام، عمدت الدول الاستعمارية والأوربية - وكانت تملك وسائل قوية للتدمير - إلى استخدام سياسة «حرق الأرض» في كثير من المناطق، ودون أن تتنبه قط إلى الآثار البيئية والاجتماعية التي يمكن أن تحدث نتيجة لاستخدام تلك السياسة، ودون أن تهتم إلا بالنتائج المباشرة الملموسة، فبالنسبة للمستعمر الأوروبي، كانت الطبيعة المهجورة عدواً ينبغي أن يقهر، وكان الاعتقاد السائد حينئذ أن الموارد الطبيعية لا يمكن أن تنفد نظراً لكثرتها، ولكن مع هذه السياسة المطردة كادت أن تنفد هذه الموارد الطبيعية، وتضمحل، وتفنى.

ثم جاءت الثورة الصناعية

حتى عام ١٨٠٠، كان الإشعاع الشمسي هو المصدر الوحيد المتاح للطاقة، وفي نهاية القرن الثامن عشر، كانت الأوضاع والظروف الاقتصادية والاجتماعية الجديدة - فيما يتعلق بالإنتاج - تهيىء الفرصة لاكتشافات علمية عديدة، وتيسير تطبيقاتها، ومع الثورة الصناعية اقترن الإنتاج باستخدام الآلات، واكتشاف مصادر طاقة جديدة أنتجتها مواد اشتعال صلبة، ازداد استهلاكها باطراد، وكان لذلك أثر كبير بلا شك على المجال الحيوي، وهكذا نرى أن تلوث الوسط الحيوي المتزايد ينشأ عن بعض أشكال استعمال الطاقة وتضاعف حجم المواد المستغلة في إنتاج الطاقة وكميتها، وبذلك نتأكد بأن المصادر الجديدة للطاقة هي المأوى الدائم للتلوث (المركز الصناعي - فيلفورد - بلجيكا).

وتلي ذلك المشكلة السكانية (الانفجار السكاني)، أو الإحصاء السكاني المتزايد. إن موضوع الإحصاء السكاني يعتبر أحد العوامل الأساسية في تأثير الإنسان في توازن البيئة. ففي عام ١٦٥٠، كان عدد سكان العالم ٥٠٠ مليون نسمة، وكانت نسبة الزيادة السنوية ٠,٣ في المائة، وبعد ٢٥٠ عاماً تضاعف عدد سكان العالم، ففي عام ١٩٧٠، بلغ عدد سكان العالم ٣٦٠٠ مليون نسمة، ونسبة تزايده السنوي ٢,١٪، أي أن تعداد سكان العالم يتضاعف كل ٣٢ عاماً، وأسباب ذلك معروفة، ويمكن إرجاعها إلى أنه في الماضي كانت نسبة انتشار الأمراض والأوبئة مرتفعة، وبالتالي ارتفعت نسبة وفيات الأطفال (بإذن الله طبعا)، أما الآن، فقد تغير الوضع تماماً، فقد حدث توازن بارتفاع نسبة المواليد، وانخفاض نسبة الوفيات، ومن



أجل ذلك يرى كثير من المفكرين أن الانفجار السكاني، لا يمثل السبب الرئيسي بالنسبة للتلوث فقط، ولكنه سبب رئيسي أيضاً بالنسبة لأزمة الغذاء العالمي، ومختلف الأزمات الاجتماعية المترتبة على ذلك.

ولقد أصبح هذا الرأي مرجوحاً الآن، لأن هناك مصادر وأشكالاً كثيرة للتلوث ليست مرتبطة بالانفجار السكاني، ومع ذلك فإنه ينتظر أن يصل عدد سكان العالم في سنة ٢٠٠٠ إلى سبعة مليارات نسمة، وسوف يترتب على ذلك كما تقول التنبؤات، أن يزيد مستوى التلوث إلى عشرة أمثال ما هو عليه الآن. وعلى العموم، لا توجد دراسات علمية كافية تحدد وتربط ما بين التلوث وعدد السكان، ومهما يكن، فإن الأثر والتأثير متبادل، فالانفجار السكاني، وما يترتب عليه من احتياج هذه الأفواه إلى المأكل والمشرب، وغير ذلك من ملبس ومسكن أدى إلى إخلال واضطراب وتلوث البيئة، والذي ينعكس أثره في الوقت نفسه على هذه الأعداد نكسة ووبالاً. ونماذج النمو الاقتصادي والتطبيقات المحددة لاستخدام التكنولوجيا والتطوير إلى المدنية والحضارة الحديثة في شتى دول العالم تحدد وترتبط بالتلوث ارتفاعاً وانخفاضاً.

إن مشكلة تلوث البيئة بشكل مزعج تتضح في المدن المتقدمة صناعياً، وهذا يحدث في البلاد الأقل نمواً، والمختلفة في نماذج نموها الاقتصادي. وفي بلاد العالم الثالث - الدول النامية - تختلف معدلات التلوث والنمو الاقتصادي باختلاف ظروف سكان واقتصاد كل دولة على حدة □

إن كافة الكائنات الحية تأتي بأعمال لا إرادة لها فيها، و إنما تفعلها بوحي و إلهام من الله تعالى للحفاظ على أنفسها واستمرار جنسها

إذا رفع الإنسان بصره إلى السماء رأى ما فيها من نجوم وكواكب، وإذا نظر إلى الأرض وجد ما عليها من إنسان وحيوان، وما فيها من زرع وشجر..

وإذا تفكّر وتدبّر وجد شمساً تشرق ولم تخلف موعدها لمحة بصر على مر الأزمان والأجيال، وليلاً دائب السعي يدب ويدور بلا سرعة أو إبطاء!!

وإذا تأمل الإنسان هذا وذاك.. انتابته الدهشة في هؤلاء الذين يشكّون في وجود الله. وإني لأزداد عجباً من هؤلاء الذين يشكّون في وجود هذه القدرة الجبارة التي خلقت فأتقنت وصوّرت فأبدعت وكوّنت فنظمت كل شيء بدقة ونظام وتقدير وإتقان: ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ [الجاثية:٦]..وموضوعنا هذا عزيزي القارىء يتركز في بيان بعض من آيات الله الناطقة الدالة على عظمته وقدرته. وتتمثل هذه الآيات الناطقات في (وحي الإلهام)..

والإلهام هو أبلغ دليل على وجود الملهم، وإن كافة الكائنات الحية تأتي بأعمال لا إرادة لها فيها وإنما تفعلها بوحي وإلهام من الله تعالى. كي تحافظ على أولادها مثلا.. أو لكي تحمي نفسها من أعدائها.. أو.. أو.. إلخ والتي تؤدي إلى عمارة هذا الكون بالأحياء..

وفيما يلي سنعرض بعض عجائب الإلهام في الأحياء والتي لا تدل فقط على وجود الله وإنما تبين بالدليل والحجة الواضحة تفرُّده سبحانه وهيمنته على هذا الكون بما فيه من كائنات حية وغيرها..

● في حياة البجع آيات تدل على حكمة الله

من وحي الإلهام

بقلم: د. محمد السقا عيد

نظرة في عالم الحيوان والطيور

لا يختلف الحيوان عن الإنسان كثيرا من ناحية تزاوجه مثلا. فإذا ما أراد الحيوان التزاوج نجده دائب البحث عن أليفه لإلفات النظر إليه. كذلك إذا ما تزاوج الأليفان نجدهما بعد الزواج يرعيان صغارهما بعناية فائقة ولعل أدلة الإلهام في تناسل الحيوان والطيور أبلغ من أدلتها في الإنسان، وذلك لطرافتها وكثرتها والتي أفرد لها الباحثون مجلدات عدة.

فعلى سبيل المثال نجد أن طائر البطريق له أسلوب في الغزل لا يحيد عنه. فإذا ما أراد الذكر التودد إلى أنثاه، اختار حصاة صغيرة وتقدم بها في زهو وحنان، ووضعها تحت رجليها، فإذا التقطتها كان ذلك دليل قبولها له

زوجا لها فيتزاوجان. واذا لم يمسّ وتراً في فؤادها تركت الحصاة ولم تمسها.. عندئذ يعود الطائر فينصرف بها إلى أخرى!!

ومما يؤكد إدارك طائر البطريق لهذه العملية ما رواه (تشابمان آندورز) في أحد كتبه العلمية أنه جاء طائر بطريق عجوز إلى الدكتور (روبرت مرفي) أحد علماء متحف التاريخ الطبيعي في أمريكا، وألقى تحت أقدامه في حديقته حصاة كبيرة، فلما التقطها الدكتور، صار البطريق والعالم صديقين حميمين، ولم يغادر البطريق حديقة العالم حياً..

وهناك طريقة أخرى وتعتبر من الطرق الطويلة المدى والتي يستخدمها طائر (الروبين) ففي صيف السنة السابقة لبناء العش، يستولي الذكر على قطعة من الأرض كبيرة المساحة في حقل أو غابة، وحين يحط عليها يأخذ في الدفاع عنها، ومهاجمة أي طائر أو حيوان يحاول أن يستولي عليها أو يحط فيها، وحين يأمن وتثبت ملكيته لها، يقبع على شجرة قريبة، ويأخذ في الصياح إعلانا وإشعارا لباقي الطيور بامتلاكه الأرض. ويظل على هذا الإعلان ستة أشهر كاملة. وفي منتصف الشتاء ينقلب صياحه إلى تغريد وغناء عذب، فتنجذب إليه الأنثى التي تود أن تعيش معه إلى الربيع.

بعد ذلك يتعاونان في بناء عشهما، ثم يتلاقيان وتضع الأنثى بيضها الذي يفقس بعد ذلك. وهكذا نرى كيف أن هذا التزواج قد سبقته مقدمات منتظمة مقصودة الغرض، دامت ما يقرب من العام. وهكذا مع باقي أفراد هذا النوع من الطيور.. أما رأيت معي عزيزي القارىء أن كل هذه الحيوانات والطيور تلتقي في مدرسة واحدة هي مدرسة (الإلهام)!!

الإلهام في عاطفة الأمومة

تسمو عاطفة الأمومة على أية عاطفة على وجه الأرض، وقد أودعت كافة الأحياء تلك العاطفة التي تتجلى فيها بوضوح قدرة الخالق ورحمة الأحياء عموما.. وإني لأتساءل. هل إذا نُزعت هذه العاطفة من قلوب الأحياء يعمر الكون؟!

وما دمنا بصدد الحديث عن الحيوان فلننظر سويا لنرى كيف أن الإلهام في عاطفة الأمومة يظهر بشكل أوضح في الحيوانات والتي تأتي في سبيل وليدها بالعجائب مما حيّر الباحثين..

فالدببة والقطط والكلاب تحمل أولادها بأنيابها الحادة المخيفة، وتعدو بها المسافات الشاسعة دون ان تخدش جلدها..

كذلك يطير الخفاش وصغاره معلقة به، وهو ينوء بحملها ولكنه مع ذلك لا يضعها إلا حيث يتحسس الأمان، ولو اقتضى ذلك منه طيران الليالي بأكملها..

وحمل أنثى حيوان (الكنجارو) لوليدها في كيس ببطنها والقفز به من مناطق الخطر..

كل هذه وغيرها أمثلة توضح قدرة الخالق في ايداع هذه العاطفة - التي هي أرق واخلص عاطفة من كائن لكائن حي - قلوب هذه الحيوانات الشرسة.. كيف؟ إنه الإلهام؟

وتغذية الحيوان لصغاره وما يقوم به في سبيل ذلك عجب يعترف به كل الناس غير أن هناك من الحشرات والطيور الصغيرة، ما يجذب انتباهنا إلى هذه العاطفة التي لا تجعل هناك شكاً في وجود مبدع أودع في كل قلب ما يجعله يحقق القصد من الحياة..

لننظر سويا إلى مثال من أروع أمثلة الإلهام ونتأمل فيه:

فحيوان (الإكسيلوكوب) يعيش منفردا في فصل الربيع.. والأمات لاترى صغارها ولا تعيش لتساعدها في غذائها ودفاعها عن نفسها. فهي لا تستطيع الحصول على غذائها لمدة سنة كاملة.. تأمل معي عزيزي القارىء صنيع الأم.

نرى الأم تعمد إلى قطعة من الخشب فتحفر فيها حفرة مستطيلة (سردابا)، ثم تجلب طلع الأزهار وبعض الأوراق السكرية، وتحشو بها ذلك السرداب، ثم تبيض بيضة، ثم تأتي بنشارة خشب، وتجعلها عجينة لتكون سقفا لذلك السرداب. وتصنع بعد ذلك سردابا آخر، فمتى فقست البيضة وخرجت الدودة كفاها الطعام المدّخر لمدة سنة وهي المدة التي لا تستطيع خلالها الحصول على غذائها. أرأيت ذلك التدبير الحكيم، وتلك الرحمة من حيوان على ولده الذي سيرى العالم بعد موته، من الذي أودع فيه تلك الرحمة؟ ومن الذي ألهمه ذلك الحنان!! سبحانك ربي ما أعظم قدرتك!!

حزن الأم على فقد ولدها

وحزن الأم على فقد ولدها إذا كان مضرب الأمثال في الإنسان، فإن من الحيوان ما يأتي من ضروب الحزن والألم في هذه الحال أكثر مما يُشاهد في الإنسان.

فحزن الناقة على صغيرها أو الكلبة على جروها، هما أبلغ دليل وأكثر عظة للإنسان. وقد ضربت الخيل أروع الأمثلة في هذا الشأن، ومن يشاهد حياتها يعرف أن الفرس إذا مات لها صغير نهنهت بصوت مسموع، يعرفه القاصي والداني، وكثيرا ما يفيض الحزن بالفرس فتأتي من الأعمال ما لا يصدقه العقل..

فالفرس التي صاحت ونهنهت حتى نزلت من عينيها الدموع لموت صغيرها وفاض بها الحزن، حتى انها توحشت ولم يستطع إنسان ان يقترب من جسد صغيرها.. وما أن هدأت وحُمل جسد الصغير، سارت خلفه. وحتى إذا ما دُفن لازمت قبره، وانقطعت عن الأكل والشرب، ولم تفد فيها أية محاولة،



● من خرطوم الفيل اقتبست آلة الغوص (ستوركل)

من وحي الإلهام

حتى أنقذها – من عذابها وحزنها – الموت.. و تتكرر مثل هذه الحالة بين الحين والآخر في مختلف أنحاء العالم.

الفيلة سبب ابتكار الغواصات

ثبت أنه حدث يوما في الأزمنة الغابرة أن ذهب أحد الفيلة ليشرب من بحيرة لم يكن يقدّر أنها غائرة، فلما أخذ الفيل يغطس، رفع خرطومه من تحت الماء، جاعلا طرفه فوق سطحه كي يستطيع التنفس. وحتى تمكن من إنقاذ نفسه..

وقد نشأت من هذه الملاحظة الفكرة التي أدت إلى ابتكار جهاز الغواصات المعروف باسم (ستوركل)!!

تقليب البيض للتفريخ

خطر لعالم أمريكي أن يستفرخ البيض دون حضانة الدجاجة، بأن وضع البيض في نفس الحرارة التي ينالها البيض من الدجاجة الحاضنة له، فلما جُمع البيض ووُضع في جهاز التفريخ نصحه فلاح أن يُقلّب البيض حيث إنه رأى الدجاجة تفعل ذلك! فسخر منه العالم وأفهمه أن الدجاجة إنما تقلب البيض لتعطي الجزء الأسفل منه، من حرارة جسمها الذي حرمه.. أما هو فقد أحاط البيض بجهاز يُشعّ حرارة ثابتة لكل أجزاء البيض.. واستمر العالم في عمله حتى جاء دور الفقس وفات ميعاده ولم تفقس بيضة واحدة!!

وأعاد التجربة واستمع هذه المرة إلى نصيحة الفلاح، أو بالأحرى إلى تقليد الدجاجة، فصار يُقلّب البيض حتى إذا أتى ميعاد الفقس خرجت الفراريج؟!

والتعليل العلمي لتقليب البيض، أن الفرخ حينما يخلق في البيضة، ترسب المواد الغذائية في الجزء الأسفل من جسمه، وإذا بقي بدون تحريك، تتمزق أوعيته.. ولذلك فإن الدجاجة لا تقلب البيض في اليوم الأول والأخير! أفليس في هذا ما يدلنا على أن الدجاجة تقلب البيض عند الحضانة بإلهام عجز عن معرفته الإنسان بالمحاكاة، بالرغم من كثرة ما يعلمه؟ وإننا إذا سألناها كيف فعلت ذلك، لقالت: علمني العليم الخبير.

نظرة على عالم النبات

كان القس (كرستيان كونراد شبرنجل) أول من اكتشف أن الحشرات تنقل حبوب اللقاح من زهرة إلى أخرى وذلك في عام ١٧٩٣م بألمانيا. وقد اعترف هذا القس أن هذا العمل من معجزات الله، وقضى كثيرا من الوقت يدرس الزهرة والحشرات حتى شغله ذلك عن كنيسته التي يتولى الوعظ فيها فانصرفت عنه رعيته..



● أسرار حياة العناكب ممتعة ومفيدة

أدت ملاحظة طريقة استنشاق فيل للهواء بخرطومه، وجسده تحت الماء، إلى ابتكار جهاز الغطس المعروف باسم (ستوركل)

وقد ثبت بتجارب وأبحاث العلماء والدارسين أنه في بعض الأزهار نرى أن عضو التذكير يبلغ نضجه قبل عضو التأنيث ومع هذا فلا يتم التلقيح إلا إذا جيء بحبوب اللقاح من نبتة أخرى، قد تم نضج أعضاء التذكير فيها، في موعد يوافق تلقيح عضو التأنيث في تلك. وبعضها تلقح نفسها بنفسها، دون معونة لأن حبوب اللقاح تنتقل بالهواء أو الحشرات..

وهذه قد توافقت تراكيبها كما في الذّرَة والقمح وغيرها.. فأعضاء التذكير التي تحمل حبوب اللقاح، تميل إلى مواضع فتحات أعضاء التأنيث بتقدير وضبط لا يمكن اسناده إلى لا شيء فتنعقد بذلك الحبوب.. فهل يتم ذلك مصادفة؟

وتأمل معي عزيزي القارىء الحيل العجيبة لأزهار بعض النباتات..

فبعضها ما ان يحس بالحشرة تطأ أعضاءها الزهرة، حتى يهوي عليها وعاء اللقاح، فيضربها ضرباً رقيقاً ليغمرها به.. والبعض الآخر يقوم بما يدل على قوة الإلهام في وضوح ودون لبس..

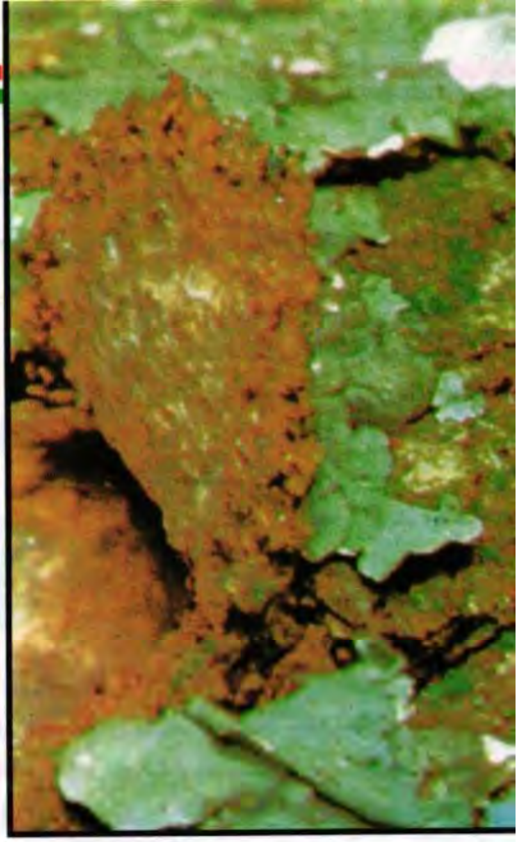
فزهرة (القطرب) لا يتم تلقيحها إلا بفَراش الليل، لأنها تذبل بالنهار، فإذا غابت الشمس تفتحت أكمامها وانتشرت رائحتها الجذابة، وبرزت أعضاؤها الداخلية بما عليها من حبوب اللقاح، استعداداً لتلقي فَراش الليل.. فإذا ما أقبل الفجر عادت الزهرة إلى حالتها الأولى..

فإذا كان هذا هو الشأن في الحيوان والطير والنبات.. فسبحان من لا يشغله شأن عن شأن!! ﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى:١١].

تكوين ثمرة البلح

من المعروف أن جذر النخلة يمتص العناصر الغذائية من التربة بالشعيرات الجذرية، وأن هذه العصارة المتصة تصعد بخاصية الضغط الأسموزي إلى أعلى، ولتعلم – عزيزي القارىء – أن جذع النخلة يتغذى بما غلظ من هذه العصارة، أما الخلاصة فتصعد إلى حيث تغذي الأجزاء العلوية، ويأخذ كل جزء من النخلة غذاءه..

وترتفع العصارة الدقيقة لتكوّن الثمرة، فقمع البلحة هو مصفاتها التي تسمح بمرور المواد الغذائية الذائبة تماما إلى الداخل فقط. وهي التي تكوّن الحلو من البلحة وغير الحلو



من النـواة.. والتي منهـا ينشأ جسم البلحـة الطـري وهيكل النـواة الصلب، وبين الحلـو والمر والصلب والطـري غلاف رقيق شفـاف لايكـاد يرى!!ولم يحدث إطـلاقـا أن أخطأت نخلة فكونت نواة البلحة في الخارج، أوالبلحة من الـداخل، أو كـونت بلحة صلبـة والنـواة طرية، ولا يمكن أن يُعـزى ذلك إلى ميكانيكية النخلة أو طبيعتهـا.. فهذا شيء لا يمكن إلا أن يُقال إنه إلهام.. ولابد من وجود ملهم..

إطلالة على عالم الحشرات

تستطيع طوائف من العنـاكب والزنابير أن تحفظ اللحم أســـابيع فــلا يفســـد، دون الاستعـانة بما تفتقت بـه حيل الإنســان من تبريد أو ثلج.

لأن هذه العنـاكب والزنـابير تحتاج إلى اللحم الطـري في غذائهـا، ولا تضمن الظفر بـه كل يوم، لذلك فهي تحفـظ صيدها من الحشرات التي تـزيد على حاجتهـا بطريقـة لم يستطع الإنسان أن يصـل إليها، فهي تفـرز في أبدان هذه الحشرات مادةتخدرهـا دون أن تميتها، فيبقى غذاؤهـا دائما طريـا طازجـا، بل حيا لحين استخدامه..

ومن المعروف أن العلم لم يتمكن حتى الآن من تخديـر ذبيحـة الإنسان والإبقـاء عليهـا بحياة كامنة دون موت لحين استهلاكها! ولا تعليق؟!

وفي عالم الأمومة

نجـد أن حشرة الـزنبـور الحفـار، تحفـر الأنثى نفقـا في الأرض لتضع فيـه بيضهـا، وبعـــد أن تحفـر النفق فإنها لا تضع فيــه البيض مباشرة. بل تبحـث عن دودة تلسعها لسعـة تخدرها ولا تميتهـا ثم تسحبهـا إلى داخل النفق، وتضع عليهـــا البيض وتســـد النفق، وتموت الأنثى عن بيض قـــد تـوافـر لدودة عنـد فقسه ما يكفيه من القـوت.. إنه الإلهام!

حماية بيض الحشرات من غوائل الجو

وذلك بأن تقـوم هـذه الحشرات بإحاطـة بيضهـا بكتلة هشـة خفيفـة من الفقاعـات الهوائيــة، أي تضع لبيضهـــا مــا يشبــه الزجاجات المفرغة وقد تبين أن ما تحويه هذه الفقـــاعـات من الهواء يقـــوم بتقليل تسرب الحرارة والبرودة إلى البيض.. ولهذا نجد أنه مهما اشتدت حـرارة الجو أو برودتـه، نرى البيض داخل هـذه الغلالـة على درجة ثـابتة وبمنجاة من تقلّب الجو.

تكييف هواء وحرارة خلية النحل

نظرا لما تحتـاجه يـرقات نحل العسل من حفظ الهواء على درجـة ثـــابتـة من الحرارة والتهـوية التـامـة، لتظفـر بأسباب الحيـاة والنمـو في الخليـة، فإن هنـــاك طـائفـة من النحل، لا عمـل لها في الخليـــة إلا إجهـــاد عضلاتها لتـولد حـرارة في أبدانها، لتشع في أرجاء الخلية، بينما هناك طائفة أخرى تجثم على الأرض وتحرّك أجنحتهـا بسرعة معينـة محكمة لتـولد تياراً من الهواء يكفي لتهـوية الخلية فتكون بذلك مكيفة الهواء والحرارة!!

﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾

ولماذا نـذهب بعيداً هنـا وهناك وقـد لفت القـرآن الكريم أنظـارنا إلى أنفسنـا أولا قبل النظر إلى ما حولنا.

ألا تـرى معي – عـزيـزي القـارىء – أن الأجهزة التنـاسلية للذكر والأنثى قد هيئت تهيئة مـلائمة متـوافقة لحفظ النـوع حفظاً تاماً؟؟

تستطيع طـــوائف من العنـــاكب والـزنـــابير أن تحفظ لحمَ فـــرائسهـــا أســابيع فـلا يفســد، دون الاستعـانة بما تفتقت بـه حيل الإنســـــان من تبريـــــــد أو ثلـج

أو لست ترى كيف أحيطت عمليـة التزاوج بكل ما يضمن الحياة ويحافظ عليها؟!

فالحيـوان المنوي، الـذي يحاط بكمية من سائل يحفظ عليه درجة حـرارته ويمنع عنه الهواء، هيىء بذيل يتحرك به هذا الحيوان.

والبويضة التي تهبط مـن مكانها في الرحم لملاقاة الحيوان المنوي، ثم تتحد نواة الحيوان بنواة البـويضة، ثم تنقسم إلى اثنتين، فأربع فثمان، لتكـوين الكـائن الحي، الـذي ينمـو ليكـون طفـلا يخرج إلى الحيـاة، فتستقبلـه عاطفة الأبوة، وحنان الأمومة، وتبذل الأم من رعايتها، والأب من كده وعنايته.. لا فرق بين إنسان وآخر، ولا بين جيل وجيل، وإذ بالطفل يشب ليأخـذ دورتـه في الحياة، ويعيـد نفس الـــدورة التي مـــر بها من قبـل، ولا دخل للإنســان في شيء إلا التسليم بأن هنـاك قوة علمت فقدّرت، وكتبت فألهمت!! ﴿ونفس وما سـوّاهـا. فألهمهـا فجـــورهـا وتقـواهـا﴾ [الشمس:٧و٨].

وهذه لفتة أخرى خاصة برضاعة الطفل

نجـد أن الغدد التي تصنع اللبن في صـدر الأم تنمـو في فترة الحمل، والسبب في نموهـا مـواد يفـرزها المبيضـان، وفي نهايـة الحمل وبـدء الـوضع، تتلقى هذه الغـدد من الغـدة النخامية القـائمة في قاعدة الجمجمـة – أمراً بالبدء في صنع اللبن..

وتعتبر عملية الرضاعة أولى عميات الإلهام للكـائن الحي، حيث إنها عملية شـاقـة، تتم للطفل عن طـريق الإلهام، فهي لذلك تشهـد بقـدرة الخالق، إذ إنها تقتضي انقبـاضـات متـلاحقة في فكـه الأسفل وتنفساً من أنفـه.. ولا يمكن أن يتم ذلـك مصـــادفـــة من أول رضعة لرضيع، إلى آخر رضعة لفطيم..

بل قـرر العلماء أكثر من ذلك أنـه لا يمكن للرجل أن يقـوم بها بالنجـاح الذي يقـوم به الطفل الـذي لا يتجـاوز عمره سـاعـات، بل دقـائق، ولم يحدث أن أخطأ طفل واحـد من ملايين الأطفال الذين ولدوا من يوم أن قامت الـدنيا إلى الآن، وإلى مـا شاء اللـه في طريقـة الرضاعة!!

فمن ألهم كل هذه الكـائنات تلك المعجزات التي تقـوم بها؟! ﴿ذلكم الله ربكم لا إلـه إلا هو خالق كل شيء فـاعبدوه وهو على كل شيء وكيل﴾ [الأنعام:١٠٢].

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

لقي نصــــارى الشــــام ومصر من الاضطهــــاد على أيـــدي الـــروم (أبنـــاء دينهم) مـــا دفعهم إلى الاستنجـــاد بعــدل المسلمين

منتهى التسامح

بقلم: عبد الرحمن شادي

اضطهد الرومـان (الكاثوليك) أقباط مصر (الارثـوذكس) عشر سنوات طوال ساموهم فيها سوء العذاب حتى سميت هذه الفترة بمصر الشهداء والكل أتباع دين واحـــد، ومن أجل ذلـك رحب المصريـون الأقباط الأرثـوذكس بالمسلمين الفاتحين كمنقذين لهم من أبنـــاء دينهـم حكـــامهم الرومان، وحقق المسلمون العرب بدع الفتح آمال المصريين وغيرهم وتركوا لهم الحريـة في البقاء على دينهم دون تفـرقة بين كاثـوليك وأرثوذكس ولمن شاء أن يسلم.

أوروبا والفتنة الطائفية

وبعـد ظهور الإسـلام ثـارت الفتن في بعض ممـالك أوروبـا: بريطـانيا وألمانيـا وفرنسـا بين الكاثوليك و البروتستانت لدرجة أنهم حرموهم من تولي الوظائف العـامـة والتمثيل النيـابي في مجالس الأمة والشورى، بل إنهم فـرضـوا عليهم بقوة القـانـون خدما كاثوليك للتجسس عليهم، من أفظع مـاحــدث في بـاريس عاصمة فرنسا مافعله الكاثوليك سنة ١٥٧٢م فقد انتهزوا فرصة عيد القديس سان بارتليو وفتكوا بثمانيـة آلاف من البروتستـانت على أقل تقدير وأربعين الفا على أكثر تقدير في ليلة واحدة مجزرة بشعة عدوها فرحاً كبيراً فأطلقت المدافع وأقيم القداس في الكنائس وأرسلت التهـــــاني ورسمـت الصور.

والكل أتبـاع ملـــة واحــدة لايختلفـون إلا في المذهب، فكيف يكون الحال عند اختلاف الدين. ولم يخل تـاريـخ المسلمين من الحروب الطـاحنة بين الطـوائف المختلفة عنـد الصراع على السلطة ومـــا سمى بـــالفتنـــة الكبرى والصغـــرى، كما حـــدث بين الشيعـة والقـــرامطـة والخوارج وأهل السنة والمعتـزلة والأمويين والزبير والفاطميين والعباسيين، إلخ.

والأديان بريئة براءة الذئب من دم ابن يعقـــوب ممـــا ارتكب باسمها، وهناك تلاعب آخر حمل النصــوص الـواردة في الكفــار المحاربين غير المسـالمين لتشويـه وجه الإسلام وتصويـره بالغلظة والشــدة على النــاس أجمعين، وتأييـد دعوى انتشـار الإسلام بـالسيف لابالـرضـى والاقنـاع، وكذلك الحال في آيات اليسر ودفع او رفـع الحرج واستخــــدام الـرخص المبـاحة أو المتاحـة في السـاحـة هنـاك من يتمسك بها ولايعترف بغيرهـا وهنـاك من يتشـــدد ويظن أن الـدين أخـذ النفس وأخـذ النـاس بـالشـدة والحدة مع أن ظروفهم وأحوالهم مختلفة، فيهم القـوى والضعيف والكبير والصغير. والمؤمن الـذي نـزيـد إيمانـه أحيـانـا وينقص أحيـــانـــا، والعـالم والجاهل، والصحيــح والمريض والمقيــم والمسافر.

ويتعـــرض المتشـــدد لهذه الأحوال بحكم البشرية وهو يظن في حال قـوتـه وصحته أن الـدنيا دائمــة، وبـذلك يجعل التيسير تفريطا وتهاونـا وضعفا في الدين واتبـــاعـــا لغير سبيل المؤمنين وثغرة ينفـذ منها العـدو، وكذلك الحال في كثير من القضـايـا التي اختلفت فيها الآراء وتبـاينت فيها الأهـــواء وغنى كـل على ليـــلاه، والعلماء بين شد وجذب ورمضاء ونار ومطرقة وسنـدان، كان الله في عونهم، وتكفي التسمية بأهل الـذمــة وقـد جــاء في الحديث الشريف «من ظلـم معـاهـــدا أو انتقصـه أوكلفه فـوق طاقتـه أو أخـذ منه شيئـا بغير طيب نفس فأنا حجيجـه يوم القيـامة»(٢). وقـاعـدة: (لهم مـالنا وعليهم مـا علينا).

من صور التسامح الإسلامي

وسبق ذكـر بعض المعاهـدات التي عقدهـا الرسـول مع الكفار وقفى خلفاؤه الراشدون على أثره ومنها معاهـدة عمر بن الخطاب مع صقـــريتـــوس أسقف بيت المقدس عنـد فتحها سنـة ١٢هـ على يـد الكاتب معـاويـة بن إبي سفيان والشهود خالـد بن الوليد وعمرو بن العـاصي وعبد الرحمن بن عوف».

وقـد أوصى وهـو على فـراش الموت: «أوصِ الخليفة من بعدي خيرا بذمة الله وذمـة رسولة ان يوفي لهم بعهـدهم وأن يقاتل من وراءهم وأن لايكلفـــوا فـــوق طاقتهم»(٣).

ومن هذه الرحمة المهداة إباحة الطعام والشراب (غير المحرم عند المسلمين) بين الطــرفين وزواج نسـائهم الشريفـات العفيفـات اللائي لايـؤمن بحـرية المرأة في الفســـــاد والفسق والعشـق والفجـــــور والخلاعـــــة والميـوعـة﴿اليـــوم أحل لكم الطيبـات وطعـام الـذين أوتـوا الكتـاب حل لكم وطعـامكم حل لهم والمحصنـات مـن المؤمنـات والمحصنـات من الـــذين أوتـوا الكتـاب من قبلكم إذا آتيتمـوهن أجـــــــورهـن محصنين غيرمسـافحين ولامتخــذي أخدان﴾(٤).

وبالمناسبة فقد كان من جملة حملـة نابليـون على مصر ٤٠٠ بغي لنشر الفسـاد والترفيـة عن جنود الحملـة وضباطهـا إيمانا بحريـة المرأة في جسدهـا فتهبه لمن تهواه أو لمن يدفـع أغلى مهرا وأعلى سعر للبغي.

ومن هـــذه الـرحمة المهــداة الحريـة في أعتناق دين الإســلام (دين الحكـــام) الـذين غلبـــوا الـرومان والفرس معـا في فترة وجيزة ثم أضيفت إليهم الأغلبية بعـد دخول النـاس في دين اللـه أفواجا أو البقـاء(إن شاءوا)على اديـانهم آمنين على أشخـاصهم وأطفـالهم ونسـائهم وأمـوالهم وكنائسهم وصلبانهم ورهبانهم والاحتكام في أحوالهم الشخصية إلى ديانتهم وإن كانـت باطلة في نظر المسلمين كزواج المحارم عند المجوس.

بشرط أن لايحدث منهم نقض

للعهد كالتجسس لصالح الأعداء والدلالة على العورات وفتح الثغرات وإفشاء أسرار الحرب والخيانة العظمى للدولة والقيام بدور المنافقين وماعرف بعد بالطابور الخامس، أو صدور أفعال مخلة بالشرف والأمانة مثل استغلال النفوذ وإيثار المحاسيب بالعوائد والفوائد والمكاسب والمناصب لدرجة أن الأقباط وهم عشر السكان ظفروا بنصف الوظائف تقريبا ٣/١ ٤٥٪(٥) وقد وجدهم الانجليز عندما احتلوا مصر يحتكرون ٩٠٪ من الوظائف فهالتهم هذه النسبة وأنقصوها حتى أصبحت ٣٠٪ وكان هناك تركيز بل وصل الأمر إلى حد احتكار الوظائف المالية ويشهد بهذه العيوب والطعون مستشرقون من أهل ملتهم(٦) وكانت بعض الضرائب تذهب إلى جيوبهم ولاتستفيد الدولة منها شيئا، والرشوة لأكل الحقوق وتعطيل الحدود، وفي مقابل الدفاع عنهم يدفعون الجزية فتجب بوجوده وتسقط بامتناعه خلافا لما فعله الاستعمار الحديث حين أرغم الشعوب المستعمرة على خوض حروب لاناقة لها فيها ولاجمل، دخلت مصر والهند واستراليا الحرب العالمية الأولى والثانية مع انجلترا مدافعة عنها وهي عدوة لها.

والجزية مقدار يسير أربعة دراهم على الغني مثل الصيرفي والبزاز والطبيب والتاجر وصاحب الضيعة واثنين على المتوسط كالحرفي: الصباغ والخياط والجزار والاسكافي وواحد على الفقير كل شهر وتضرب في اثنى عشر شهرا ليكون المبلغ المجموع كل عام = ٤٨ و٢٤ و١٢ على ا لفرد في عدد السكان، ويجوز ان يستبدل المال بالعروض والسلع، ويعفى منها العجزة كالأعمى والمقعد والمشلول والزمن والمجنون والصبيان والنساء والأطفال والرهبان في الأديار والقسس في الكنائس والشيوخ الذين لايتكسبون، هؤلاء لاتأخذ منهم الدولة المسلمة شيئا بل تعطيهم معاشات من بيت المال وهي سنة حسنة أول من سنها عمر بن الخطاب وسبقت الإشارة إلى ذلك.

ومن الرحمة منع التعذيب بسبب الجزية أو الخراج كالضرب بالسوط والقيام في الشمس وصب الزيت المغلي على الرؤوس(٧).

ويكتفي بالحبس دون تعذيب، ولا تباع الممتلكات للوفاء بالجزية او الخراج ومن الرحمة المساواه والعدالة فلاتؤخذ من فريق دون آخر. وهى مرة واحدة في العام ويأخذ وصلا بالاستلام يحميه من المطالبة والدفع مرة أخرى.

لا إكراه في الدين

وكل هذا كان يحدث في الامبراطورية الرومانية والفارسية قبل أن تبسط راية الإسلام على المشارق والمغارب ويرث المسلمون الحكم فيهما وقد استبدلت الجزية بانخراطهم في صفوف جيش المسلمين في وقت مبكر سنة ٢٢هـ(٨) أما المسلم فهو يدفع الزكاة والضرائب واسمها القديم المكوس إن لم تف الزكاة بنفقات الدولة، وهي من المصالح المرسلة بشرط تساوي أو تقارب الحكام مع الطبقة الوسطى من المحكومين في الايراد والمصروفات.

فلما أسلموا كان ذلك بكامل حريتهم ومحض إرادتهم دون أي شائبة إكراه من جانب الحكام المسلمين وأضيفت اليهم بالأغلبية كما سبق القول في مختلف الدول والأزمان والأوطان عملا بالآية: ﴿لا إكراه في الدين﴾ [البقرة:٢٥٦] وامثالها دخلت شعوب كاملة الإسلام وتركت أديانها القديمة - اليهودية والنصرانية في الامبراطورية الرومانية - مصر وجيرانها من الشرق فلسطين وسوريا ولبنان وجيرانها.

وفي الغرب ليبيا وتونس والجزائر ومراكش وتعدى الإسلام البحر الأبيض حتى سكن واطمأن حينا من الزمن في الأندلس، والمجوسية والوثينة في العراق وفارس والترك وبلاد ماوراء النهر تحت حكم الامبراطورية الفارسية وعومل المجوس معاملة أهل الكتاب بناء على الحديث الوارد: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»(٩). اعتنقة العرب والفرس والروم والسوريون والمصريون والسودان والحبشة والأتراك و الأكراد والبربر والهنود والمغول والصين.

بل إن هذه الشعوب لم تكتف بالدين الإسلامي عقيدة ومنهاجاً وانما، خطت خطوة أوسع في التقرب إلى الله فتقربت تماما، اتخذت العربية لسانا لها على مر السنين وهجرت لغاتها القديمة حتى ماتت.

الحفاظ على الهوية الثقافية

ومنهم من بقى على لغته ولكنه كتبها بحروف عربية، ودخلت المعاني العربية أيضا مجال المنافسة، فأصبح فيها ألفاظ معانيها عربية، كما حدث للفرس والترك والهنود، وإن كان مصطفى كمال (الذئب الأغبر) قد ثار على الدين واللغة وأجبر قومه على استبدال الحروف العربية بحروف لاتينية جاعلا مثله الأعلى في كل شيء أوروبا فخيب الله أمله وأمل حزبه في حياته وبعد مماته وخذله مثله الأعلى وسقاه المر، وحاول الاستعمار إعادة الكرة بنشر لغة المستعمر وإماتة اللغة العربية ففشل في الدول العربية التي حماها الله بوجود القرآن، وافلح في دول أخرى فوجد مايسمى شعوب ناطقة بالإنجليزية وأخرى ناطقة بالفرنسية.

وبلغ الأمر مداه أو منتهاه في التسامح عند ما ظلوا في أعمالهم التي تعطيهم الوجاهة والامتياز بل والسيطرة على عامة المسلمين سماحة وليس نزولا على حكم الضرورة ووصلوا في هذه الأعمال إلى الوزارة والسفارة والولاية ائتمنهم الخلفاء فيها على أسرار الدولة وعلى أنفسهم وأرواحهم في الطب والعلم والثقافة والترجمة والتعليم، وفي عهد الدولة الفاطمية لمعت أسماء الوزراء عيسى بن نسطوريس وزرعة بن عيسى وبهرام الأرمني وأبو سعد التستري، وفي العصر الحديث لمعت اسماء نوبار باشا الذي وصل لرتبة رئيس الوزراء وبطرس غالي وصل أيضا لرتبة رئيس الوزراء، ومكرم عبيد، ومريت غالي ألخ وهذا منتهى التسامح والله يقول الحق وهو يهدي السبيل□

هوامش:

١) قصة الاضطهاد الديني، ص ١٢٩، د. توفيق الطويل.
٢) الخراج لابي يوسف القاضي، ص ١٣٥.
٣) الخراج لابي يوسف القاضي، ص ١٥، ١٣٥،٤٠.
٤) المائدة:٥.
٥) التعصب والتسامح، ص ٣٥١، محمد الغزالي.
٦) اولبرى، الفاطميون في مصر، ص ١٩٨، د. حسن ابراهيم حسن.
٧) حديث ١٦٠٦ في رياض الصالحين للنووي.
٨) أهل الذمة في الإسلام، أس ترتون، ترجمة: حسن حبش، ص ١٢٦.
٩) الخراج لأبي يوسف، ص ١٤٠.

ليس ثمة شك أن الصحة أفضل ما أنعم الله به على الانسان بعد الاسلام، بها تشاد معالم الدنيا وتزدهر الحضارات، وبفقدها يتكدر صفو الحياة وتتعطل المصالح، وبدونها لا يتمكن الانسان من حسن التصرف والقيام بطاعة خالقه سبحانه وتعالى، ولا عجب فالانسان الصحيح السليم يستطيع القيام بطاعة ربه على أكمل وجه، كما يستطيع القيام بخدمة نفسه وأداء عمله ورعاية أسرته. ومن هنا قال الرسول ﷺ في فضل الصحة: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» [رواه البخاري]. وقال ﷺ: «من أصبح معافى في بدنه، آمنا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا» [رواه الترمذي].

الوصايا العشر للوقاية من (الحساسية)

إعداد: د. محمد مصطفى السمري

ومنذ صدر الاسلام ظهر مفهوم حفظ الصحة حيث أنه يعين على العبادة وأداء مهمة الخلافة في الارض وبذلك تتحقق مصلحة الدين. والوقاية من المرض تحقق مصلحة البدن والعقل. والصحة تعين على العمل والكسب والتناسل، فهي بذلك تحفظ مصلحة النسل والمال.. وهكذا فان حفظ الفرد يحقق له المصالح الخمس التي طلب الشرع رعايتها وهي: الدين والبدن والعقل والنسل والمال.

وتعد أمراض الحساسية من أكثر الأمراض انتشارا في عصرنا الحديث، وفي نفس الوقت من أكثر الأمراض صعوبة في التوصل الى أسبابها ومن ثم علاجها، لان أسباب الحساسية متعددة بتعدد المواد والعناصر والأدوات في حياتنا، فقد يكون السبب أي شيء موجود في حياة المريض من مأكل ومشرب ودواء وزهور وأتربة ودخان وملابس صناعية ومستحضرات تجميل وأثاث.. ألخ، بل ان التوتر العصبي والاضطراب النفسي يؤدي الى حدوث ما نطلق عليه الحساسية النفسية.

ولأن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراها الى المرضى ولأن الوقاية خير من العلاج، يجب أن يكون رائدنا جميعاً توقى الأمراض وليس التعرض لها.. وقبل أن أذكر أهم الوصايا التي ينبغي أن نتبعها حتى لا نصاب — بإذن الله — بأحد أمراض الحساسية، يجب أن نعرف أولا ما هي الحساسية؟ وكيف تحدث؟

ما الحساسية؟

يمكن تعريف (الحساسية) بأنها: استجابة شاذة لمؤثر عادي أو طبيعي، أو هي رد فعل غير طبيعي لفعل طبيعي، أو أن يتأثر شخص ما تأثراً شديداً بمادة لا يتأثر بها الأشخاص العاديون عامة. بمعنى أن هناك ملايين الاشخاص يتعرضون للادخنة والاتربة والمواد الكيميائية المختلفة أو يتناولون مئات من الأطعمة أوالأدوية دون أن تحدث لهم حساسية أو تفاعل غير طبيعي في أي مكان بالجسم.

بمعنى آخر: ان شخصا ما قد يشكو من حساسية جلدية أو (أرتيكاريا) على صورة طفح جلدي مع تورم وحكة شديدة بالجلد بعد تناوله لطعام معين مباشرة، قد يكون هذا الطعام اللبن أو السمك أو البيض أو الفراولة أو (الشيكولاته) أو غير ذلك من الاطعمة المختلفة، وهذا الشخص يتفاعل جلده بطريقة غير طبيعية لأشياء طبيعية. ومثال آخر: نحن جميعا نتعرض للأتربة والدخان ولا يحدث لنا شيء والحمد لله، ولكن بعض الأشخاص عند تعرضه للأتربة أو الدخان يصاب بضيق شديد في التنفس. و(تزييق) بالصدر وهو ما نطلق عليه (حساسية الصدر) أو الربو الشعبي. بل هناك من يصاب بالتهاب مؤلم بالمفاصل بمجرد استنشاق رائحة المانجو، ونحن جميعا لا نشم رائحة المانجو فحسب بل نلتهمها التهاماً ولا تحدث لنا أية أعراض مرضية.

والحساسية ليست مرضا في حد ذاتها —كما يعتقد الكثيرون.. ولكنها أسلوب دفاعي للجسم ضد الأجسام الغريبة التي تقتحم أنسجة الجسم المختلفة وتؤدي الى حدوث مجموعة من (الأعراض) المرضية.. وقد يكون الاقتحام أو الهجوم عن طريق الأغشية المخاطية للانف فتحدث (حساسية الأنف) أو عن طريق أغشية الأمعاء فتحدث (حساسية الأمعاء) أو عن طريق أغشية العين فتحدث (حساسية العين) أو عن طريق الأغشية المخاطية المبطنة للشعب الهوائية فتحدث (حساسية الصدر).. ألخ.

كيف تحدث الحساسية؟

يمكن تفسير حدوث الحساسية بأن بعض الأشخاص تحت ظروف معينة يشعر جهاز المناعة لديهم بأن بعض المواد الغريبة على الجسم قد تكون مضرة لنقاء الجسم كيميائيا أو بيولوجيا لهذا الشخص بالذات، ويبدأ في التعامل معها بطريقة أشد من المعدل الطبيعي المألوف بالنسبة للأجهزة المناعية في الاشخاص الآخرين. وقد يرجع هذا التصرف غير الطبيعي أو الشاذ من جانب جهاز المناعة الى كثرة التعرض لنوع عادي من التلوث سواء في درجة التعرض أو مدتها، أو من خبرة موروثة من جيل سابق.

ويتم التعامل بين الجهاز المناعي والجسم الغريب عن طريق تكوين ما يسمى (الأجسام المضادة) والتي تقوم بالتخلص من بعض مكونات المادة الغريبة على الجسم والتي قد تكون طعاماً أو دواءً أو حبوب لقاح.. الخ. ويحدث تفاعل أو عراك شديد بين الأجسام المضادة وهذه المادة الغريبة، فإذا وصلت أو وجدت المادة الغريبة في الدورة الدموية حدثت الحساسية على صورة (أرتيكاريا)، وإذا وجدت في بشرة الجلد حدثت (الإكزيما)، واذا تواجدت في الشعب الهوائية حدثت (حساسية الصدر) أو الربو الشعبي.. الخ أي أن مكان وجود هذه المادة الغريبة وبالتالي مكان تمركز الاجسام المضادة

هو الذي يحدد أي مرض من أمراض الحساسية سيصاب به الشخص.

والجدير بالذكر أن هذه الاجسام المضادة تنتمي عادة الى نوع من بروتينات بلازما الدم يعرف باسم (جاما جلوبيولين)، وتتميز بصفتين مهمتين الأولى: أنها (نوعية) بمعنى أن كل مادة غريبة لها جسم مضاد مخصوص لايتفاعل الا معها فقط، والثانية: أنها تبقى في الجسم مستعدة للتفاعل مع المادة الغريبة عندما تدخل الجسم.

الوصايا العشر للوقاية من الحساسية

أولاً: يجب على الأم الحامل الاهتمام بغذائها في أثناء فترة الحمل بحيث يحتوي على كل العناصر الغذائية الاساسية، ويجب أن يتم ذلك تحت اشراف طبيبة مسلمة ثقة، حيث ثبت أن سوء التغدية قد يؤدى الى ولادة طفل مناعته مضطربة ومن ثم تزيد اصابته بأمراض الحساسية.

ثانياً: ثبت أن الجزء الأكبر من الوقاية ضد الحساسية يقع في السنوات الأولى من العمر، ومن مسؤوليات الأم المباشرة. ولقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن فطام الطفل المبكر عن ثدي أمه عامل حاسم في ظهور العديد من أمراض الحساسية في الأطفال، ولقد أظهرت جميع الأبحاث العلمية والطبية أهمية الرضاعة الطبيعية للأطفال لمدة حولين كاملين، كما أكدت ضرورتها البالغة وأهميتها العظمى بالنسبة للطفل والام على السواء، ولا غرو، فلبن الأم سهل الهضم والامتصاص ولا يسبب أي حساسية أو اضطراب كما يسبب اللبن الصناعي، ومن ثم فهو يحمي الطفل من أمراض الحساسية، ولقد أثبتت الابحاث الطبية أن لبن الأم يحتوي على كمية كبيرة من الأجسام (المناعية) المضادة للميكروبات والفيروسات، تقى الطفل من كثير من الأمراض المعدية الخطيرة وبخاصة أمراض الجهاز الهضمي امثل النزلات المعوية والاسهال، وأمراض الجهاز التنفسي مثل الالتهاب الرئوي، وأمراض الحساسية مثل الربو الشعبي والإكزيما.. الخ. لذا يجب على الام أن ترضع طفلها — من ثديها وللمدة التي نص عليها القرآن الكريم — عامين كاملين. وصدق الله العظيم وهو القائل: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ [البقرة:٢٣٣].

ثالثاً: يجب الامتناع عن الاطعمة التي تسبب الحساسية، وهذه في الغالب تكون صعبة التشخيص ولكن يمكن للشخص المصاب بالحساسية مقارنة الاعراض ومواعيد حدوثها مع مواعيد ونوعيات الاطعمة التي تناولها، وكذلك عن طريق اختبارات المنع الغذائي، يمكن في حالات كثيرة التوصل — بإذن الله — الى معرفة نوع الطعام المسبب للحساسية.

رابعاً: عدم الافراط في الأطعمة التي قد تزيد من حدة الحساسية مثل الاطعمة الغنية بمادة (الهستامين) مثل: الطماطم والسبانخ والسمك والجبن المتخمر، والاطعمة الغنية بمادة(الترامين) مثل: الشيكولاتة والاجبان المطبوخة، وكذلك الاطعمة التي قد تؤدي الى زيادة افراز الهستامين من الخلايا مثل زلال البيض والفراولة. كما يجب الاقلال من الأطعمة المحفوظة أو التي قد أضيفت اليها مواد ملونة أو مكسبات طعم، واذا ثبت أنها تسبب الحساسية، يجب الامتناع عنها تماما.

خامساً: يجب الاعتدال في تناول الطعام، وتجنب الاستهلاك الزائد عن الحد المعقول لطعام معين لمدة طويلة. فالطفل المولع بالشيكولاتة أو المشروبات الغازية مثلا هو الاكثر عرضه للحساسية بها. ومن الافضل أن

■الصحة أفضل ما أنعم الله به على الانسان بعد الاسلام، بها تشاد معالم الدنيا وتزدهر الحضارات

تكون الوجبات صغيرة وعلى فترات، مع تجنب الوجبات الثقيلة والدسمة خاصة في العَشاء الذي يجب أن يكون مبكراً وخفيفاً. وينصح بالاكثار من تناول السوائل خاصة المياه في حالة حساسية الصدر. ويجب القضاء على عادة البعض وهي الأكل في غرف النوم حيث يؤدي ذلك الى تكاثر حشرة صغيرة في التراب تسمى (أكاروس التراب) وهي السبب في حساسية الأنف والجهاز التنفسي.

سادساً: يجب العناية بنظافة البيئة المنزلية وخصوصاً بالنسبة للاطفال، فيجب أن يكون المنزل نظيفا وخاليا بقدر الامكان من مسببات الحساسية السائدة مثل، الحيوانات المنزلية الاليفة مثل: القطط والكلاب والطيور فوجودها يعرض الطفل ذو القابلية للحساسية لحدوث حساسية منها، كذلك بعض لعب الاطفال المكْسوّة بالفرو أو الشعر الصناعي الذي قد يجذب الأتربة والطفيليات التي تعيش فيها وكذلك الستائر و(الموكيت). ومن الافضل أن تكون حجرة الطفل بسيطة الاثاث، جيدة التهوية، مع تهوية الفراش وتعريضه للشمس وذلك للتخلص من بعض الكائنات الدقيقة العالقة بالفراش.

سابعاً: يجب الامتناع نهائيا عن (التدخين) بكل أنواعه.. ولقد أثبتت الأبحاث تأثير التدخين الضار على جهاز المناعة، ومن ثم ازدياد فرصة الاصابة بأمراض الحساسية خاصة حساسية الصدر، ناهيك عن الامراض الاخرى التي ثبت أن التدخين يسببها، نذكر منها: سرطان الرئة، سرطان الحنجرة، انتفاخ الرئة، النزلات الشعبية المزمنة، قرحة المعدة، سرطان المعدة والفم، جلطة القلب والمخ، الذبحة الصدرية، الاجهاض، التشوهات الخلقية للجنين، العقم.. الخ.

ثامنا: تبين أن بعض المهن تؤدي الى زيادة نسبة الحساسية نتيجة التعرض لتركيزات عالية من مادة أو أخرى مثل: الدقيق، نشارة الخشب، معدن الكروم، وفضلات الحمام والطيور الاخرى.. وذلك بين الخبازين، والنشارين، وعمال الاسمنت، ومربي الدواجن. ورغم أن الحساسية لا تظهر الا في نسب صغيرة من أهل هذه المهن — وهم الذين يحملون الاستعداد الوراثي — إلا أنه من المستحسن للعاملين في هذه المهن مراعاة القواعد الصحية الصناعية الخاصة بكل مهنة كإجراء وقائي ضد الحساسية.

تاسعاً: يجب مراعاة الحالة النفسية، حيث التوتر العصبي والانفعال النفسي قد يؤدي الى حدوث وزيادة أمراض الحساسية. ولقد أثبتت الابحاث أن الحالة النفسية لها تأثير مباشر وغير مباشر على جهاز المناعة.

عاشرا: يجب عدم تناول الأدوية الا للضرورة التي يحددها الطبيب المعالج، مع ضرورة استعمال الادوية حسب ارشادات الطبيب، حيث أن الكثير من الناس يتوقفون عن تناول باقي العلاج بحجة زوال أعراض المرض وبالذات (المضادات الحيوية) وهذا خطأ، حيث أن استعمال المضاد الحيوي لمدة يوم أو يومين والامتناع عن تناوله بعد ذلك قد يؤدي الى ظهور بكتيريا مقاومة لهذا المضاد الحيوي و ظهور انتكاسة للمرض بعد ذلك.

وأخيرا ننصح الأم بعدم اعطاء طفلها أي أدوية مقوية بدون داع، وكذلك عدم اعطائه الاغذية المصنعة بما فيها من مواد حافظة وكيماويات أخرى، فلقد ثبت أن أمراض الحساسية تزداد بازدياد التحضر. وهناك قاعدة عامة تقول: إنه كلما شب الطفل على الفطرة لمدة أطول، كان ذلك أجدى للوقاية من أمراض الحساسية، بل ويؤدي الى كمون الاستعداد الوراثي للاصابة بالحساسية، وعدم ظهوره على الاطلاق في بعض الأحيان□

قيمة أية جامعة تكمن في أن تكون منارة من أجل بناء الإنسان المسلح بالعلم والإيمان

جامعة الجنان في طرابلس

نظرا للظروف الحياتية الضاغطة التي حالت دون متابعة عدد كبير من الطلاب اللبنانيين الدراسة الجامعية في الخارج، ونتيجة للأوضاع الاقتصادية المتدنية، ونظرا للنجاح الذي حققته (ثانوية الجنان) التابعة لجمعية الجنان للتعليم العالي جاء القرار بانشاء جامعة الجنان في نهاية العام ١٩٨٨م. وقد استوعبت الجامعة منذ انشائها الاساتذة الاختصاصيين والعلماء، وأزدحمت بطلاب العلم، وتوزعت كلياتها بين: الآداب والعلوم الإنسانية، والإعلام والتوثيق، والصحة العامة والعلوم الإدارية. ولمزيد من التوضيح والاستفسار التقينا رئيسة الجامعة د. منى حداد يكن لتحدثنا عن وضع الجامعة الثقافي، والأكاديمي:

حيثيات وأهداف نشوء الجامعة

●ما هي حيثيات وأهداف إنشاء الجامعة؟

●●انطلاقا من قناعاتها الأساسية، وتعبيرا عن الاهتمام الكبير الذي توليه جمعية الجنان للتعليم العالي، وفي أعقاب النجاح الذي حققته ثانوية الجنان، جاء القرار بإنشاء جامعة الجنان في نهاية العام ١٩٨٨م. ولايفوتنا أن ننوه بأن الظروف الحياتية الضاغطة التي حالت دون متابعة الدراسة الجامعية في الخارج لمعظم الطلاب، وعدم قدرة المؤسسات الشمالية - الرسمية والخاصة على استيعاب الأعداد المتزايدة من الطلاب سنويا، وافتقار المنطقة إلى العديد من الاختصاصات التقنية، كل ذلك دفع إلى إتخاذ القرار بإنشاء جامعة الجنان. وقد فتحت الجامعة أبوابها أمام طلبة العلم وأمام الاختصاصيين والأساتذة والعلماء من أجل بناء المواطن المسلح بالعلم والإيمان، في وقت قضت فيه الحرب الأهلية على كل المبادىء والقيم السامية. ويقع مبنى الجامعة في منطقة زيتون أبي سمراء (إحدى ضواحي مدينة طرابلس - لبنان). ويتألف من ست طبقات فسيحة، ويحتوي على مؤسسات ثقافية، وتعليمية واجتماعية.

العلاقات الأكاديمية

●هل هناك علاقة أكاديمية مع

استطلاع وحوار: فادي الغوش

جامعات أخرى في العالم، وعلى أي أسس تقوم هذه العلاقة؟

●●منذ انطلاقتها، أدركت جامعة الجنان أهمية إقامة علاقات أكاديمية وثقافية مع الجامعات المحلية والعالمية. وقد عقدت أول اتفاق لها مع (كلية عجمان للتكنولوجيا) في بداية عام ١٩٨٩م، ومع (جامعة طهران) عام ١٩٩٠م، ومع (الجامعة الكاثوليكية في ليل - بفرنسا) عام ١٩٩٠م، ثم وقعت اتفاقات مع (الجامعة الإسلامية العالمية) في ماليزيا عام ١٩٩١م، ومع (المدرسة العليا للتجارة في كومبيان - بفرنسا) عام ١٩٩١م، ومع (جامعة أم درمان الإسلامية) في السودان عام ١٩٩١م..

وجميع هذه الإتفاقات تقوم على أساس الاعتراف المتبادل بالدرجات العلمية الممنوحة وتبادل الزيارات بين أفراد الهيئة التعليمية وتطوير مناهج الدراسة.

الكليات المعتمدة في الجامعة

١) كلية الآداب والعلوم الإنسانية وتشمل اختصاص:
- الدراسات الإسلامية.
- الترجمة والتعريب.

٢) كلية العلوم الإدارية وتشمل اختصاصات:
- إدارة الأعمال والمعلومات.
- إدارة وتسويق.
- محاسبة وتمويل.

٣) كلية الإعلام وتشمل اختصاصي:
- الصحافة والإعلام.
- الإعلام والتوثيق.

٤) كلية الصحة العامة وتشمل اختصاصي:
- العلوم المخبرية.
- الاشراف الصحي والاجتماعي.

أهداف هذه الكليات

ولكل كلية من الكليات التي انشأتها الجامعة أهداف محددة يمكن تلخيصها بالآتي:

فمن أهداف كلية الآداب والعلوم الإنسانية:

- إعداد جيل قوي الشخصية قويم الخلق راسخ العقيدة.
- دراسة الحضارة الإسلامية وما فيها من قيم فكرية وإنسانية أصيلة.
- ترسيخ اللغة العربية ونشرها.
- إعداد اختصاصيين في التربية والتعليم والثقافة.
- دراسة اللغات الحية لتكون وسيلة نقل للفكر والعلوم من وإلى العالم.
- إعداد نخبة من الباحثين في مجالات الدراسات الإسلامية المختلفة.



●مختبر الكومبيوتر

ومن أهداف كلية الإعلام:

- استقطاب أنواع من المعرفة المتخصصة لتوظف في خدمة المجتمع بوساطة الخريجين.
- اكتساب طريقة عملية في التفكير والممارسة، لضبط المعلومات وتنسيقها وتحويلها إلى علاقة بناءة بين الإعلامي والمستمع والمشاهد، أو القارىء عبر وسائل الإعلام.
- التأكيد على استخدام الإعلام في وجهه الإيجابي كي لايتحول إلى وسيلة هدم ودمار ولكي لايستهلك الإنسان والمواطن في مآرب وغايات هدامة.

ومن أهداف كلية الصحة العامة:

- تهدف هذه الكلية بشكل عام إلى تهيئة كوادر متخصصة وقادرة على تغطية النقص الفادح في المجالات الطبية المختلفة من

تمريض وتحليل وإشراف صحي واجتماعي وبخاصة في القرى النائية الواقعة في الشمال.

ومن أهداف كلية العلوم الإدارية:

- إعداد كوادر مؤهلة نظريا وتطبيقيا للمساهمة في بناء المجتمع الأفضل والأمثل.
- تأهيل الشباب وتمكينهم من الإرتقاء والنجاح في أعمالهم الوظيفية العامة وبخاصة شؤون الإدارة والتخطيط والإحصاء والتنمية.
- تخريج اختصاصيين لـ(مكننة) جميع المؤسسات الصناعية - التجارية.

مكتبة الجامعة

ومنذ خمس سنوات كانت بدايات إنشاء نواة مكتبة في جامعة الجنان لتسير جنبا إلى جنب مع فروع الجامعة واختصاصاتها. ويبلغ اليوم عدد الكتب المتوفرة للمكتبة نحو ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف كتاب موزعة على الاختصاصات التالية:

- الإسلاميات.
- الإدارة والاقتصاد.
- التاريخ والجغرافيا.
- الصحافة والإعلام.
- الكمبيوتر.
- الموسوعات والمعاجم.
- اللغات.
- الحضارة.
- السياسة والقانون.

مشاريع مستقبلية

●هل من مشاريع مستقبلية لتوسيع الجامعة وتنويع اختصاصاتها؟

●●إن الجامعة تطمح إلى فتح دراسات عليا في اختصاصات: الاعلام، والإدارة العامة، والدراسات الإسلامية.

وكذلك من المحتمل فتح اختصاصات جديدة ضمن كلية الصحة: مثل تأهيل المعوقين، وفتح كليات جديدة كلية الهندسة الميكانيكية وغيرها.

ووالهدف من وراء فتح اختصاصات جديدة هو تغطية حاجات السوق وسد الثغرات الميدانية.



● إحدى الخريجات

وضع الجامعة القانوني

●هل الجامعة معترف بها لبنانيا؟ وما الخطوات المعمول بها لترخيص الجامعة؟

●●لايخفى على أحد أن الوضع المتردي الذي مر به لبنان خلال الحرب الأهلية كان السبب المباشر في عدم إصدار المراسيم الضرورية لإنشاء الجامعات الخاصة. واليوم بعد تحسن الأوضاع نأمل قريبا في الحصول على الاعتراف الرسمي.

وهنا لابد لنا من التنويه بأن الاتفاقات المعقودة مع الجامعات الأخرى قد أمنت لخريجي جامعة الجنان الشهادة المعترف بها رسميا من الدولة اللبنانية، كما أمنت لهم متابعة دراساتهم العليا في شتى المجالات. ولدينا - على سبيل المثال - عشرة من طلابنا يتابعون دراستهم في المدرسة العليا للتجارة في (جامعة كومبيان) في فرنسا.

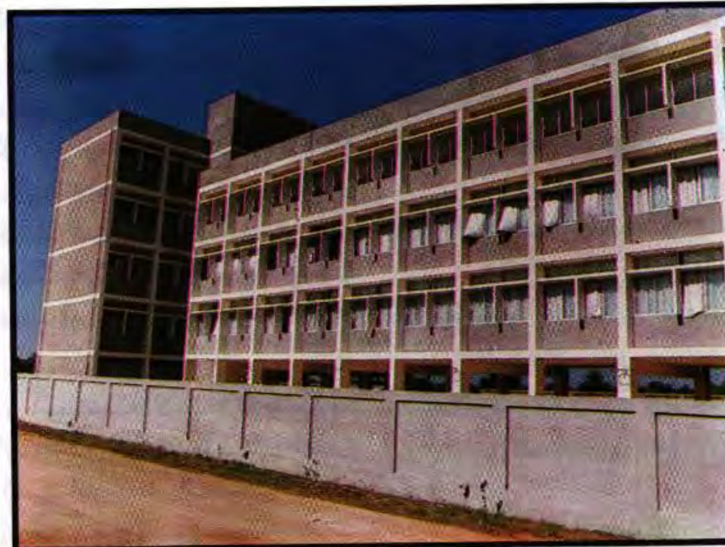
مركز (حقوق الإنسان)

●قام مركز (حقوق الإنسان) من رحم جامعة (الجنان) فهل من فكرة عن أهدافه وآلية عمله؟

●●إن واقع المجتمعات الإنسانية مازال يتخبط في متاهات الضياع والقهر والتعسف، ولذلك فإن العالم المتحضر قد شهد ولادة العديد من المنظمات الدولية الهادفة إلى نصرة الإنسان الضعيف وإعطائه حقوقه المغتصبة.

من هنا ولدت فكرة إنشاء مركز لحقوق الإنسان في جامعة الجنان ليأخذ دوره في الدعوة لتدعيم العدالة وممارستها بين البشر.

وقد افتتح المركز في الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩١م بحضور فعاليات لبنانية ومنظمات غربية وجمعيات دولية تعني بشؤون حقوق الإنسان.



●واجهة المبنى الأمامي

أهداف المركز

ويهدف المركز إلى:

- جمع كافة الوثائق الدولية والإقليمية والمحلية المعنية بحقوق الإنسان، ووضعها في تصرف الراغبين بالعلم والاستعلام والتوثيق.
- تنظيم ندوات عامة حول (حقوق الإنسان) تتبعها ندوات متخصصة من خلال الاستشارات القانونية المتعلقة بها.
- العمل على تنمية الروابط والتعاون والتنسيق ما أمكن مع الشخصيات والجمعيات الحكومية المحلية والإقليمية والدولية والمنظمات الدولية العاملة في ميدان حقوق الإنسان.

أنشطة المركز

وأقام المركز حتى اليوم النشاطات التالية، آملا توسيع برامجه خلال السنوات القادمة إن شاء الله:

- من ٤ - ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩١م: المؤتمر الأول.
- من ٢٣ - ٢٥ نيسان (إبريل) ١٩٩٢م: المؤتمر الثاني (الطفل قضايا وحقوق).
- من ٥ - ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٢م: المؤتمر الثالث (استقلالية السلطة القضائية في لبنان).
- من ١ - ٣ نيسان (إبريل) ١٩٩٣م: المؤتمر الرابع (حقوق المرأة العاملة في لبنان والشرق الأوسط)□

مجالات الإبداع في الأدب الإسلامي [٢/٢]

تعرّض الجزء الأول من هذه الدراسة للأدب الإسلامي ومنطلقاته، وللأديب المسلم وتفاعله مع رسالة الإسلام وواقع الأمة والبشرية بشكل عام، وأنه يعمل على مشروع أساسي هو أسلمة التذوق والعاطفة ونشر الفضيلة وتنوير العقول والقلوب. وفي هذا القسم الثاني والأخير يناقش المسألة الأخلاقية في الأدب الإسلامي.

بقلم: كمال سعد محمد خليفة

أما موضوع تعرض الأدب الإسلامي للمرأة فأمر طبيعي، إذ لا يوجد مجتمع كله رجال، فلذلك يصعب إبدا ع عمل فني دون أن يكون للمرأة دور فيه، لاسيما فن القصة والمسرح.

فالأدب الإسلامي لايتحرج من تناول قضايا المرأة ومايتعلق بها من مشكلات، نفسية، وجنسية، واجتماعية، فيعرض للحظات الجنس الطاغية، التي تفقد الإنسان ضوابطه، فلا يملك الانسان نفسه وينجرف في هذا التيار المدمر.

هذه اللحظة بكل مافيها من انفعالات عنيفة، ودفعات دافقة، يعرضها الأديب المسلم في أدبه، لكنه لايصورها تصوير المعجب المفتون بها، المهتزلها، المتفنن في تسجيل دقائقها، والمستمتع بها كما في الآداب الأخرى المتحللة من الأخلاقيات والأعراف، والقيم التي تحكمنا كأمة مسلمة، (فقد تآمرت أكثر الآداب العالمية في إبراز هذا الجانب الجنسي، وركزت عليه حتى أصبح أمرا يكاد يكون مألوفا لايثير الدهشة، ولا الغرابة، أو الاشمئزاز، وغرقت السينما العالمية في هذا البحر الهائج من الإثارة والإغراء، واصبحت هناك سينما ونجوم تخصصوا في هذا اللون من الأدب الساقط ووجد ذلك قبولا لدى المراهقين والمنحلين وتجار الرقيق الأبيض) (١).

كما وجد للأسف لدى كثير من أدبائنا في الوطن العربي ومصر خاصة، ترحيبا لهذا اللون من الأدب الساقط كالمرحوم، إحسان عبد القدوس في رواياته المعددة من مثل: «أنا حرة» وكذلك من المثقفين الأكاديميين في مجتمع الجامعة من ينادى بتيسير الاختلاط بين الجنسين من الشباب، وقيام التعارف بينهم على أساس من الأهداف العليا المشتركة كحل للمشكلة الجنسية لدى الشباب المراهق. ولاندري ماهية هذه الأسباب أو الأهداف العليا المشتركة التي يعنيها هذا الأستاذ الكبير؟

وان كان لايدري هذا الأستاذ بما يصنعه الاختلاط بشبابنا فلنذكره بماأوردته إحدى المجلات الأمريكية عن أسباب شيوع الفاحشة. ذكرت من أهمها. الأدب الفاحش الخليع والأفلام السينمائية التي لاتذكي في الناس سوى عواطف الحب الشهواني بل وتلقنهم دروسا عملية في بابه (٢).

الأدب الإسلامي عالج مشكلة الجنس بأسلوب سام وأدب راق

فالإسلام اهتم بالطاقة الجنسية في الإنسان وعالجها في وضوح وصراحة، في أدب راق، وأسلوب سام رفيع، يجعل الجنس نشاطا إنسانيا ساميا، إذا وجه للحلال، وعملا حيوانيا ساقطا إذا وجه للحرام، مستخدما في التعبير عن هذه العملية كثيرا من ألوان الكناية والرمز، خاصة في التعبير عن حالة الاتصال الجنسي حيث رمز إليها بأسماء متعددة تهدف إلى معان ولالولات أبعد من المعاني اللفظية للكلمات. كالمباشرة والملامسة. بدون إسفاف أو حرج (٣).

وإذا كان الأدب الإسلامي يتخذ الإسلام منطلقا لإبداعه، ونورا يستضيء به في معالجاته، فموقفه - كذلك - يستمد من موقف الإسلام من هذه القضايا فالمرأة أم، وأخت، وزوجة وقارئة، وشاعرة، وعالمة ومن يتصفح التاريخ الإسلامي يجده زاخرا بمواقف النساء المجيدة، ونماذج لهذا الجانب في حياتهن.

فهناك المرأة التى جاءت إلى الرسول ﷺ تشكو عدم حبها لزوجها، وأنها لاتطيق الحياة معه، (فالإسلام لاينكر الحب كعاطفة روحية وسامية وهناك المرأة التى ذهب زوجها إلى ميدان الجهاد وطالت غيبته وسمعها عمر ابن الخطاب تترنم تحت جنح الليل بشعر الشوق والهيام، فتقول (٤):

تطاول هذا الليل وازورّ جانِبُه
وليس إلى جنبي خليل الاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه
لزُلزل من هذا السرير جوانبه
مخافةُ ربي، والحياءُ يصدني
وأكرِم بعلي أن تُنال ركائبُه

ولم يعاقبها عمر، لكنه ذهب يسأل زوجته عن المدة التى تستطيع أن تتحملها المرأة وزوجها بعيد عنها، وعلى هذا قام

بترتيب أمور الجند بحيث يعودون لزيارة زوجاتهم من آن لآخر.

فهذا اعتراف من الإسلام بنوازع البشر، واحتياجاتهم الجسدية، والروحية، فيحفظ على الإنسان سموه، وارتفاعه عن الانحراف، حتى أن الانحراف لم ينظر إليه على أنه لعنة أبدية، بل ينظر إليه على أنه مرض، أو لحظة ضعف تحتاج إلى من ينهض بها ويقومها، حتى تبرأ من آثاره ومضاعفاته فلا ينزع الأديب في أدبه، أو في تصويره للمرأة، ولحظة الهبوط، منازع الفتنة والإثارة والإغراء بارتكاب الموبقات.

فالمرأة قد تكون رمزا للعفة، أو قد ترمز إلى الرذيلة والانحراف، فلذا ينبغي للأديب المسلم (حتى يتمكن من رسم الصورة بدقة، انتخاب الأحداث والحوار المناسب لها فلن يكون زيها مثلا إلاصورة لانحرافها، ولن يكون تعبيرها إلا تعبيرا عن فساد ممارساتها وتكوينها، ولن تتسم تصرفاتها إلا بما يثير الاشمئزاز والضيق والنفور.

فوظيفة الكاتب، أن يختارمايثير الرفض، والإدانة لهذا المسلك المعيب، لامايبرر الانطلاق في دنيا الحرية الآثمة، يقول جونسون:« لأن الرذيلة يجب أن تكشف فلا بد أن تثير النفور دائما» (٥).

أمثلة من الأساليب الرقيعة

وحسنا فعل الكيلاني، في روايته«دم لفطير صهيون» حيث صور «كاميليا» زوجة اليهودي «داود هراري» فكانت رمزا للعفن الاجتماعي والاضطراب العاطفي الذي تفرزه التعاليم الزائفة المستقاة من شروح التلمود، وتعززه القيم الفاسدة التي درج عليها المجتمع اليهودي – فكانت رمزا حيويا متحركا، تجسيما لمأساة الضلال اليهودي القديم، وصورة صادقة للعقد النفسية (٦).

وكذلك شخصية «زوجة عبد العال» رجل الأعمال (٧) في قصة «ليل الحيارى»، فكانت هذه المرأة رمزا للانحلال الأخلاقي في مجتمع غرق حتى أذنيه في الماديات ونسى كل شيء. وهناك شخصية «وصال» «الداعرة» في رواية «قاتل حمزة» التي كان بيتها قبلة المستهترين والماجنين في الجاهلية، ولكن الإسلام حولها إلى العفاف، والانعتاق من العفن الأخلاقي، حتى استقامت امرأة صالحة مسلمة من منطلق «الإسلام يجب ماقبله».

■ لا يوافق الأديب المسلم على الأدب الساقط، ولو تم تغليفه بقناع (الواقعية)

والقرآن الكريم عرض لهذا الموضوع في قصة طويلة في سورة يوسف عليه السلام حيث تحتدم الشهوة في جسد امرأة العزيز، وتضطرم الأنوثة، ويلتهب أوارها في كيانها الأنثوي فتتحدى بجرأتهاالقيم والمواضعات الاجتماعية، وتلهث وراء فتاها (يوسف عليه السلام) لتطفيء شعلة شهوتها وهياجها، وتعلن في تبجح أمام نسوةفي المدينة إصرارها على الإثم: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لايفح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر﴾.

إلى قوله: ﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين. فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهم سكينا وقالت أخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن، وقلن حاش الله ماهذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راوته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ماآمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾ (٨).

نماذج من القرآن الكريم

فالقرآن الكريم عرض لهذه القصة بأسلوبه الفني الرائع المهذب، البعيد عن المجانة والمجون في عالم السمو والعفاف. فنقرأ من فعلة هذه المرأة، ورغبتنا في الفضيلة تجعل قلوبنا ترتجف من المخبوء ليوسف، ونستعدي كل القوى على هذه المرأة الماجنة المستهترة، فلابد أنك كمؤمن ستفرض هذا الأمر، ولو أدى بك إلى قاع السجن ﴿قال رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه﴾ (٩).

أبعد كل هذا، ويقال: بتمرج الأدب الإسلامى من عرض لحظات الجنس ومايتعلق بها من عواطف وغرائز؟ كلا والله!! فالأدب الإسلامى العذب وتربتة الخصبة، القرآن الكريم. يدعو الى إقامة مجتمع نظيف، مبرأ من العلل دون فتنة أو انحراف، أو إثارة أو تلذذ محرم. فالإسلام لايحرم وصف المشاعر الجنسية، نظيفة كانت أو غير نظيفة، ولايحرم وصف لحظة الهبوط، ولكنه يعرضها كما ينبغى أن تعرض، لحظة ضعف لا لحظة بطولة.. لحظة عابرة، يفيق منها الإنسان إلي ترفعه الواجب، ولايظل دائراً في حلقتها المرتكسة على الدوام (١٠).

ظهور المرأة كما لم يرفض الأدب الإسلامى ظهور المرأة في الأعمال الفنية، بشروط منها:

أن ترتدى الزي المناسب الذي لايضير القيم الفنية أو الجمالية، ولايتجاوز في نفس الوقت الحدود الشرعية.

■ يعبر الفنان عن وقع الوجود كله في حسه من مختلف منافذه وبجميع أبعاده

ولكن الأمر الدقيق في هذا الموضوع هو الدور الذى ستؤديه المرأة، أو نموذج الشخصية الذي تلعبه. هناك المرأة الأم، والمرأة المضحية صاحبة الرسالة، والمرأة المظلومة المضطهدة، وهناك أيضا المرأة اللعوب التى تغري بالإثم،وتمشي بك في طريق الخطيئة، فمن الزيف أن تظهر المرأة دائما في العمل الفني في ثوب الطهر والعفاف. فكيف إذن يحدث الصراع؟ إلا اذ

مجالات الإبداع في الأدب الإسلامي

أوجدت المتناقضات والإغراءات، والجذب والشد والإثارة وما إلى ذلك من ألاعيب النساء؟

لايعني ذلك أن تظهر المرأة متبذلة، أو شبه عارية، أو تبالغ في حركاتها الماجنة، وألفاظها المثيرة المغرية، وتأوهاتها الخليعة، (فالكاتب القدير يستطيع بأقل الكلمات، وأبسط الحركات أن يعطى الانطباع الذي يريد، فقد يكون ذلك من خلال نظرة معينة أو التفاتة خاصة، أو أداء دقيق، والممثلة القديرة تستطيع أن توظف موهبتها، فتؤدى دورها المنوط بها دون تبذل أو إسفاف) (١١).

وفي القرآن الكريم مثال الإعجاز الفني في هذا المجال، لعبت المرأة أدوارا في قصصه (كالسيدة أم المسيح (مريم) – عليهما السلام – وبنتا شعيب، وامرأة نوح وامرأة لوط، وامرأة العزيز، وأم «موسى» عليهما السلام وامرأة «فرعون». فكان القرآن الكريم يعرب عن هذه النماذج وتصرفاتها (بالصور الحسية المتخلية عن المعنى الذهني،والحالة النفسية، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، كما يعبر عن الحادث المحسوس والمشهد المتطور، ثم يرتقي بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا الأنموذج الإنساني شاخص حى. فأما الحوادث والمشاهد القصصية والمناظر فيردها شاخصة حاضرة تضج بالحياة والحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد (استوت لها كل عناصر التخييل.فالقرآن الكريم يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية) (١٢).

فلابد للمرأة عندما يظهرها الكاتب، لتلعب دورا ما على صفحات قصته أو فوق خشبة مسرحه أن تمثل هذا الفن القرآني العظيم، فباستطاعة الكلمة الجيدة أن تصنع ماتصنعه الحركة والفعل في العمل الأدبي.

فالأدب الإسلامي ليس باستطاعته الانسلاخ من الواقع والحياة، ولكنه يعكس كل مافي الحياة، فالفن العظيم يعكس الحياة بكل مافيها من طاقة، ويقدم بشكل واضح وجلي، رؤية تمتد جذورها إلى الحب. الحب. الكلمة التي لايمكن لأي فرد يعشق الجمال أن يستغنى عنها، ولكن مع أنها تتعرض للتشويه، ويساء فهمها واستعمالها، مثلما يسيء إليها الإباحيون، إلا أنها تنطوي على معنى ثابت لايمكن أن يخدع،و هو المعنى الجوهر الذي يعبر عن صفة واحدة، بدونها لايمكن أن يكون للحقيقة وجود (١٣).

■ينهل الأدب الإسلامي موضوعاته بالإضافة إلى القرآن الكريم والسنّة الشريفة من سير الأنبياء والتجربة الانسانية السليمة

الخلاصة

بمقتضى هذا العموم والشمول الخاص بالإسلام، تنبثق أشعة النور، فتهب الحياة الأدب الإسلامي، فيفيض في كل جنبات الحياة، ومايدور على مسرحها من أحداث ومشكلات، وما يهم الإنسان مسلما أو غير مسلم، مما يدور في هذا العالم المزدحم بالمتناقضات، فالفنان الكبير – في مجموعه – يعبر عن مدلولات النفس كلها في مختلف حالاتها، أي يعبر عن وقع الوجود كله في حسه من مختلف منافذه وبجميع أبعاده، لاعن جانب واحد من جوانب هذا الوجود (١٤).

وبهذا المفهوم يتحقق للمبدع المسلم الانطلاق في آفاق الإبداع المختلفة، دون حرج أو قسر. بشرط أن تكون المعالجة لاتتعارض مع العقيدة (التصور) الإسلامية□

الهوامش:

(١) مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص١٠٧، نجيب الكيلاني.
(٢) مشكلات الشباب والحلول المطروحة والحل الإسلامي، ص٧٤–٨٠ ، د. عباس محجوب، كتاب الأمة رقم (١١) مطابع الدوحة الحديثة، أولى، ١٤٠٦هـ. قطر.
(٣) السابق، ص٨٣ ومابعدها.
(٤) سيرة ابن هشام، ج١، ص٥١٢، مطبعة الحلبي، مصر.
(٥) مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص١١٢، نجيب الكيلاني.
(٦) تذييل قصة «دم لفطير صهيون» ص١٣٩، نجيب الكيلاني.
(٧) حكايات طبيب ص٨٧ –١٦٢، نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، خامسة، ١٩٨٩م «بيروت».
(٨) الآيات من سورة يوسف من ٢٣–٣٢.
(٩) سورة يوسف، آية٣٣.
(١٠) نظرات في قصص القرآن ص ٧٩ محمد قطب عبدالعال.
(١١) حول المسرح الإسلامي ص : ٣٥ نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، أولى. ١٩٨٥م. بيروت.
(١٢) التصوير الفني في القرآن الكريم، ص٧١و١٧١، بتصرف سيد قطب، دار الشروق، عاشرة، ١٩٨٨م بيروت.
(١٣) الرواية الأخلاقية ص٨٦ جون كاردنر، ت إيشو إلياس، الشئون الثقافية العامة، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٨٦م.
(١٤) منهج الفن الإسلامي: ص١٢٧، سابق.

إن من أهم ما تميز به الإسلام، أنه رسالة عالمية، تدعو إلى التعلم وطلب العلم، بل جعله فريضة على كل مسلم ومسلمة، ولقد فهم المسلمون الأوائل ذلك جيداً، فأقبلوا على مُدارسة مختلف العلوم الدنيوية منها والأخروية، ومن هذه العلوم علوم الملاحة والبحار.

فلقد ذكر المؤرخون أن معاوية بن أبي سفيان كان أول من شجع على دراسة هذه العلوم، وأجزل العطاء لعلمائها، واستعان بهم في فتح قبرص، واعتبرها قاعدة له في بحيرة الروم، وفي مصر، جهز المعز لدين الله الفاطمي أسطولاً ضخماً يتألف من ستمائة سفينة للقتال، وخوض البحار.

أسَدُ البِحَارُ

بقلم: د. مـاهـر خليل*

ولا يمكن للتاريخ أن يغفل ذكر الملاح العربي والرحالة المسلم (ابن ماجد العماني)، الذي لقب بمعلم البحر، وأسد البحار، والذي اقترن اسمه دائماً بعلوم البحار والمحيطات، فلقد كان هذا الرحالة والملاح الفذ أول من استخدم المصطلحات البحرية، وصنفها في مؤلفاته التي تبلغ زهاء الأربعين مؤلفاً، منها مؤلفه الشهير «الفوائد في أصول علم البحر والقواعد».

وحتى لا نتهم بالتعصب لبني جلدتنا من العرب والمسلمين فلنترك الحكم للمستشرقين من أبناء الغرب الذين عكفوا على دراسة أحوال الشرق الإسلامي وعلومه. ولقد أجرى المستشرق الفرنسي «جبريان فيران» دراسة علمية على ابن ماجد، وتقع تلك الدراسة في نحو مائتين وخمس وسبعين صفحة، أثبت فيها أن ابن ماجد لم يكن ملاحاً وعالماً بعلوم البحار والملاحة فقط، بل كان شاعراً فذاً.

ومن براعته في هذا المضمار أنه قام بوضع أصول وقواعد علم الملاحة في منظومات شعرية ليسهل على الدارسين حفظها، واستخدم في مؤلفاته مصطلحات علمية هندية وماوية، بل وفارسية أيضاً مثل كلمة رامنجانات، وغيرها من الكلمات التي إن دلت على شيء، فإنما تدل على سعة أفقه، واطلاعه على علوم الشعوب الأخرى، ولم يكن ناقلاً فقط، بل أضاف من عنده الكثير من الاصطلاحات الملاحية التي نقلها عنه البرتغاليون فيما بعد. لقد سبق هذا العالم عصره، فكتب في علوم المحيطات، والتي تعرف حالياً بعلم «الأوشانوجرافيا»، ويتضح لنا ذلك جلياً في مقدمة كتابه سالف الذكر، لقد تحدث في مؤلفاته عن خطوط الطول والعرض وطرق قياسها، ومعرفة الاتجاهات وتحديدها في أي مكان من الأرض، ومعرفة القبلة، وأكد على أهمية التجربة في دراساته وكيفية استعمال الإشارات، وحلول الشمس والقمر، وفوائد الظل، ومعرفة الأوقات.

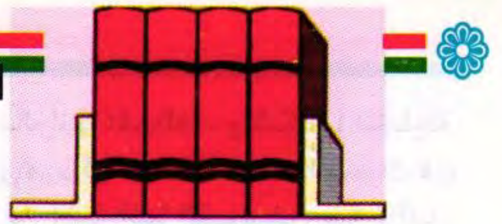
والعجيب أنه لم يفته أن يسجل كل ما شاهده في رحلاته العلمية من نباتات وبكتريا وطحالب سجلها بألوانها المختلفة، وأشكالها المتباينة، وأفرد لها فصلاً خاصاً تحدث فيه عن إضاءاتها الفوسفورية بالليل، ومدى شدة تلك الإضاءات التي تصل في قوتها أحياناً إلى درجة تجعل من اليسير أن تقرأ عليها. ولم يكتف بذلك، بل درس قاع البحار، وما فيه من حيوانات بحرية وحشائش، ووضع ذلك كله في شعر يحفظ، فكان أول من وضع أسس بيولوجية البحار.

لقد كتب ابن ماجد بالتفصيل عن آلات الرصد ومعرفة الطرق البحرية والوصول إلى أي مكان تريده في أقل وقت ممكن، ومن أقصر طريق. ونوه إلى أهمية نجم القطب الشمالي، وبيّن مواسم الرياح، واتجاه هبوبها، ليحدد المسارات للبواخر، حيث إن المراكب كان أغلبها شراعياً في ذلك الوقت، وبيّن أهمية المنارات، وحركتي المد والجزر، وكيفية الاستفادة منها.

لقد عرف العالم له فضله، والبرتغاليون على وجه الخصوص الذين تأثروا كثيراً بمصطلحاته العلمية، واستعلموها في علومهم البحرية والملاحية، مثل كلمة إِصْلَع، وهي تساوي ست شعرات من ذيل الحصان، اتخاذ الكف كمقياس، فمثلاً اثنان وثلاثون كفاً تساوي دا ئرة البوصلة، وهكذا. ولم ينس البرتغاليون أنه رافق الرحالة البرتغالي فاسكو داجاما في رحلته، ودله على الطريق إلى الهند، فأقاموا له تمثالاً عرفاناً بالجميل وتخليداً له!

هؤلاء هم أجدادنا يا بني الإسلام، وها هو ذا تراثهم المجيد، وما خلفوه لنا من مجد تليد ينادوننا لحمل الراية من بعدهم قائلين: هل لكم أن تضيفوا إلى ما قدمناه للإنسانية من مجد وحضارة، وتأخذوا بيدها إلى نور وحضارة الإسلام العظيم ■

*جامعة الكويت – كلية العلوم – قسم الجيولوجيا



الذين طغوا في البلاد

● الكاتب: محمد عبد الله السمان
● الكلمة الطيبة - القاهرة



عرض: أحمد أبو زيد

توالت حلقات الطغيان على مدار التاريخ دون توقف رغم النهاية المحزنة لكل طاغية، ومنهم طاغية العراق الذي احتل الكويت بدافع النهب والسرقة والتخريب والتدمير وسفك دماء الابرياء وترويع النساء والأطفال. والطغاة يستمدون طغيانهم من ضعف الشعوب وتخاذلها واستسلامها. ولقد سجل القرآن الكريم مسيرة الطغاة والطغيان لتكون درساً لكل طاغية يفسد في الأرض. والله سبحانه لم يغرق فرعون وحده بل أغرق معه قومه الذين استخف بهم فأطاعوه. والتاريخ - منذ خلق الله الأرض ومن عليها والى عصرنا هذا - حافل بقصص الطغيان والطغاة التي لم تتوقف رغم النهاية المحزنة لكل طاغية، ذلك ان الطغيان ركيزة من ركائز الحياة وقد ظلت حلقاته تتوالى ولم تتوقف عن مسارها إلابعد أن أهلك الله قوم نوح بالطوفان واهلك ثمود بالطاغية، وعاداً بريح صرصر عاتية، وفرعون وقومه بالغرق، وقارون بالخسف، وإلابعد ان كتب الله عز وجل أسوأ النهايات في العصر الحديث لهتلر وموسوليني وشاوشيسكو في رومانيا ومن قبل عبدالكريم قاسم في العراق، بل ولابعد أن أذل الله بعض الطغاة - وهم أحياء - مثل بورقيبة في تونس وسياد بري في الصومال وهيلاسلاسي ومنجستو في أثيوبيا وماركوس طاغية الفلبين والشاه طاغية إيران.

ولن تتوقف قافلة الطغيان عن مسارها الى ان يرث الله الأرض ومن عليها لأن الطغيان ليس مجرد هواية يتسلى بها الطغاة بل هو - فوق ذلك - مرض نفسي عتيد يصيب بعض الناس في مقتل.

واذا كان الطغاة قد مارسوا الطغيان ايجابيا وأن الشعوب أسهمت بدورها سلبا في ممارسة الطغاة طغيانهم وقد عرض القرآن الكريم هذه القضية في كلمات ثلاث﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾ [الزخرف:٥٤] فالمسئولية مشتركة بين الطغاة والشعوب ولن يقبل الله - سبحانه - لهذه الشعوب عذراً من الأعذار فهو «سبحانه » لم يغرق فرعون وحده بل أغرق معه قومه الذين استخف بهم فأطاعوه.

وحول الطغاة والطغيان على مدار التاريخ يتعرض الكاتب والمفكر الإسلامي محمد عبدالله السمان في كتابه الذي صدر حديثاً بالقاهرة تحت عنوان «الذين طغوا في البلاد» لنماذج حديثة من طغاة العصر الحديث وعلى رأسهم صدام حسين هولاكو القرن العشرين.

يبدأ المؤلف كتابه بوضع الطغاة على كفتي الميزان فيقول: إن للطغاة وزنا ولكن في عالم الشر أما في عالم الخير فلا وزن لهم على الاطلاق مشيرا الى ان الطغيان في اللغة هو تجاوز الحد، وأن مدلولات اللفظ «طغى» تستوعب كل ماهو ذميم في السلوك كما ان لفظ «الطاغوت» ورد في القرآن في اماكن ثمانية والمعنى المتداول للفظ هو «الشيطان» لأن الشيطان لفظ جامع مانع مستوعب لكل ألوان الشر.

واضاف السمان قائلا واذا كانت ألوان الشر جميعا تخرج من تحت عباءة الشيطان وأن البغي والظلم والعدوان والجبروت والعتو تخرج من تحت عباءة الطاغية لذا

جـاءت معظـم الآيـات القـرآنيـــة التي عرضت لفرعون تصفـه بالطغيان، ولذا – أيضا – كان عقاب الطغـاة فريداً من نـــوعـه حسبما ورد في ســـورة (ص): ﴿هـذا وإن للطـاغين لشر مئـاب. جهنم يصلـــــــونها فبئس المهــــــاد﴾ [ص:٥٥و٥٦]، وفي ســـورة النبأ: ﴿إن جهنم كانت مرصـاداً . للطاغين مئابا﴾ [النبأ:٢١و٢٢].

ويشير المؤلف الى ان البيئـة لا أثر لها في صنـاعة الطـاغية مـالم تتـوافر فيـه نزعته الى الطغيان التي لها انعكاس عليه منـذ طفـولتـه كـــذلك فإن النـزعـة الى الطغيـان لا أثـر لها اذا تصـدت البيئـة لقمعها.

القرآن يتعقب الطغاة

ويستطـــرد السمان في حـديثـــه عن قصص الطغاة في القرآن الكريم فيقول: ان القرآن الكـريم سجل حافل بتـاريخ الطغاة ومسيرة الطغيـان ففيه الـذكرى والعبرة للأجيال التالية لنزوله على خاتم الأنبياء والمرسلين، كما يعتبر درســا لمن تحدثه نفســه ان يكون طاغيـة يفسد في الارض ويعكـر صفـو البشريـة ويهدد أمنها ويقلق راحتها.

ويعـــرض المؤلف لنماذج من السجل القرآني للطغـاة فيشير الى أول جريمـة من جـرائم الطغيـان وهـى قتل قـابيل لاخيه هـابيل، وبشـاعة هـذه الجريمة تـــرجع الى ان القـــاتل أخ للقتيل إلا أن دوافع الحســد كانت أقوى مـن وشـائج الرحم وكان عقـاب القاتل أن أصبح من الخاسرين، وقارون الذي كـان من قوم موسى فبغى عليهم ووصل الى حد كبير من البغـي والاستعـــلاء والغـــرور والإفساد، فكانت عاقبته :﴿فخسفنا به وبـداره الأرض فما كـان لـه مـن فئـة ينصرونـه من دون اللـه ومـــاكـان من المنتصرين﴾ [القصص:٨١].

أما فرعون فلم يكن طاغيا عاديا بل كان نموذجـا فريـداً في جبروته واستعـلائه واستخفـافه بـدمـاء البشرية وشراهتـه التي تجاوزت كل حد في تعـذيب الناس والتنكيل بهم، وهـو لم يـدع الألـوهيـة فحسب بل تطـاول على مقـام اللـه عـز وجل بكل سفه وغرور. ﴿وقـال فرعون يأيها الملأ مـاعلمت لكـم من إلـه غيري فأوقد لي يـاهامـان على الطين فاجعل لي صرحـاً لعلي اطلع الى إلـه مـوسى واني لأظنـه من الكـاذبين﴾ [القصص:٣٨]. ﴿وقـال فـرعـون ذروني اقتل مـوسى وليدع ربه إني أخـاف ان يبدل دينكم أو ان يظهـــــر في الأرض الفســـــاد﴾ [غافر:٢٦].

لـذا كان العقـاب صـارما وعـادلاً ﴿ واستكبر هـو وجنـــوده في الأرض بغير الحق وظنـوا أنهم إلينـــا لايـرجعـــون فأخـذنـاه وجنـوده فنبـذنـاهم في اليم فـانظـر كيف كـــان عـاقبـة الظـالمين. وجعلناهم أئمـة يدعون الى النـار ويوم القيـــــــامـــــــــة لا ينصرون﴾ [القصص:٣٩و٤١].

الطغاة على المستوى الجماعي

ويستمر المؤلف في حديثـه عن الطغاة فيعرض سبعة نماذج أخرى ورد ذكرها في القرآن الكريم وهي: قـوم نوح، وقوم عـاد، وقـوم ثمود، وقـوم لـوط، وقـوم ابراهيم، وقوم شعيب ، ثم بنو اسرائيل.

فأما قوم نوح فقد استكبروا ورفضوا رسالـة السماء التي جاء بها نـوح وظل فيهم ألف سنـة الا خمسين عـامـاً ولم يـؤمن به الا القليل فكـان جـزاء قومـه الطوفـان كأحد أقسى ألوان العقـوبات وأشدها. قال تعالى: ﴿ فكذبوه فأنجيناه والـذين معـه في الفلك وأغـرقنـا الـذين كذبـوا بآياتنـا إنهم كانوا قـوماً عمين﴾ [الاعراف:٦٤].

امـا عـاد قـوم هـود فقـد اصروا على البـاطل والكفر واستخفـوا بما جـاءهم على يـد هود عليـه السـلام قال تعـالى: ﴿ألم تـركيف فعل ربك بعـاد. إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلهـا في البلاد﴾ [الفجر :٦–٨]. ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكـاذبين﴾ [الاعراف:٦٦]. ﴿وأمـا عـاد فأهلكـوا بـــريح صرصر عـاتيـة. سخرهــا عليهم سبع ليال وثمانيـة أيام حسوما فترى القـوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخـل خاوية. فهل تـرى لهم من باقية﴾ [الحاقة:٦–٨].

أمـا ثمـود قـوم صـالح فقـد عبـدوا الأصنـام ورفضوا دعـوة صالح عليـه السلام فكـان عقابهم كما جاء في قـوله تعالى : ﴿فلما جـاء أمرنا نجينـا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القـوي العزيز. وأخذ الـذين ظلمـوا الصيحـــة فأصبحـوا في ديارهـم جاثمين. كأن لم يغنـوا فيها ألا إن ثمود كفـروا ربهم ألا بعداً لثمـود﴾ [هود:٦٦و٦٨].

اما قـوم لوط فقد أضافـوا الى كفرهم صفة اخرى مذمومة قال تعالى: ﴿ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحـد من العـالمين، انكم لتأتـون الرجال شهـوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون. وما كـان جواب قومه إلا ان قالوا أخرجوهم من قريتكم إنه أناس يتطهرون﴾ [الاعـراف:٨٠–٨٢] فكان جزاؤهم ﴿فأخـذتهم الصيحة مشرقين. فجعلنا عـاليها سافلها وأمطـرنا عليهم حجـــــــــــارة مـــن سجيـل﴾ [الحجر:٧٣و٧٤].

بنو إسرائيل

وبعد ان يعرض المؤلف لقصة إبراهيم مع قومه وقصـة شعيب مع قومه يصل الى بني اسرائيـل كنمـــوذج صـــــارخ للطغيان على المستوى الجماعي.

والتاريخ على مساره الطويل لم يشهد – ولايـزال – صنفـا من البشر أحط ولا أخس من بني اسرائيل: سلوكـاً وأخلاقا وشراسة ونذالة، ولا اعتقد أن البشرية – في تاريخها – منيت بمثل مامنيت به من جـراء بني اسرائيل: عتـوا واستكبـاراً وعثوا في الأرض فســاداً ،إن الشر يجري منهم مجرى الـدم في العـروق والقـرآن الكريم يصور في العديد من آياته حقيقة هـؤلاء القـوم ومدى مـاتنطـوي عليـه

الذين طغوا في البلاد

نفوسهم من اصرار على الشر والحقد والحسد والغدر وسفك الدماء .

ويقول السمان ومن يتبع تاريخ هؤلاء القوم – منذ أن وجدوا على الأرض وحتى يومنا هذا – يوقن بأنهم أضل خلق الله وان الشر ينطلق من طبائعهم قال تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون﴾ [المائدة ٧٨و٧٩].

ولقد هلك كل الطغاة الذين اكثروا في الأرض الفساد والذين تعقبهم القرآن، الكريم هلكوا ولم يبق لهم أثر سوى صفحاتهم السود التي دونها التاريخ، ولم يبق سوى بني اسرائيل يمثلون فتنة في الأرض وفساداً كبيراً تبتلى به البشرية الى ماشاء الله .

الطغاة في سجل التاريخ

ويتحدث المؤلف في كتابه عن الطغاة في سجل التاريخ، فيقول ان مسيرة الطغيان لم ولن تتوقف، وأرحام الحياة غاصة بالطغاة فقد هلك فرعون ولم تعقم الحياة بل انجبت بعده مئات مثله، واذا تتبعنا مسيرة التاريخ نجد أن الكثرة الكاثرة من الحكام كانوا طغاة مستبدين وان القلة القليلة كانوا عدولا متواضعين، وكل الطغاة في الاسفلين وبلا استثناء، لان الذي يمارس هوايته المفضلة في اذلال الناس والتنكيل بهم والتلذذ بمعاناتهم لامكان له الا في الحضيض، وان توهم مكانه في القمة.

لقد حفل التاريخ بآلاف الطغاة منذ بدء الخليقة حتى اليوم، ولايزال يعيش بين ظهرانينا حفنة من صغار الطغاة منهم من ينتمي الى حزب البعث ومنهم من لا ينتمي إلا إلى نفسه.

ويتحدث السمان عن العديد من الطغاة الذين حفل بهم التاريخ ومنهم طغاة آل صهيون قديما وحديثا ومنهم بورقيبة وسياد بري وهيلا سلاسي ومنجستو وماركوس وشاه ايران وعبد الكريم قاسم، ثم يقول ان طاغية العراق الجديدصدام حسين لم يعتبر بنهاية سلفه الطاغية عبد الكريم قاسم فشهوة السلطة لاتدع فرصة للطغاة حتى يقرأوا التاريخ ويتابعوا أحداثه ليعتبرو..ان جرائم عبد الكريم قاسم لاتساوي عشر معشار جرائم صدام حسين.. والأمل في الله – عز وجل – ان تكون نهايته مضرب الأمثال.

ونشير الى التقرير الذي نشرته الصحف المصرية عن سرقات طاغية العراق صدام حسين. والذي قال: ان الطاغية يستخدم حسابات مصرفية سرية له في سويسرا وأصولاً وأموالاً أخرى كان من المفترض تجميدها عقب غزو العراق للكويت، وقد استخدم الثروات الشخصية لبعض أقاربه واصدقائه في الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا وربما أنفق أيضا – مليارات الدولارات من الأموال التي ذهبت من الكويت، وقد قدرت ثروته عقب انتهاء حرب الخليج في فبراير ١٩٩١م بأنها تزيد على ثلاثين ملياراً من الدولارات . وهو الذي أعدم عشرات التجار العراقيين بتهمة الجشع دون ان يشعر بذرة من الخجل.

طغاة العصر الحديث

ويضرب المؤلف أربعة نماذج من طغاة العصر الحديث وهم :أتاتورك وجوزيف ستالين وجمال عبد الناصر وصدام حسين.

أما أتاتورك فقد لقبه المؤلف «بالذئب الأغبر» وهو من يهود الدونمه الذين هاجروامن أسبانيا الى تركيا بعد اضطهادهم وطردهم على أيدي محاكم التفتيش الأسبانية، وهؤلاء اليهود تظاهروا بالاسلام وأضمروا اليهودية واسهموا إسهاما كبيرا في تقويض أركان الدولة العثمانية، وقد كان لهم أثر كبير في الإضرار بالعالم الاسلامي في السلوك الاجتماعي والأخلاقي والحضاري وفي هدم القيم الاسلامية وتخريب الخلق والسلوك لدى المسلمين.

وكل ماحدث من أتاتورك – بإعتباره من يهود الدونمة – ليس بغريب عليه ولا بعجيب منه، لكن أسوأ آثاره ان العسكريين الذين قاموا بإنقلابات في عالمنا العربي او الإسلامي حاولوا تقليد الغازي أتاتورك، بل ان العلمانية التي تثبت أقدامها في ديارنا ليست إلا أثرا من آثار ماحدث في تركيا على يد أتاتورك الذي ألغى الخلافة الاسلامية وألغى اللغة العربية وسائر التشريعات الاسلامية، وأعلنها علمانية سافرة، بل وألغى المحاكم الشرعية والتقويم الهجري، ومنع الحجاب واغلق اكبر مسجدين في استانبول، واعدم مئات من علماء الدين وذلك بعد ان قبل – وهو من الصاغرين – شروط وزير خارجية بريطانيا «كرزن» الأربعة وهي:

– إلغاء الخلافة نهائيا من تركيا

– ان تقطع تركيا كل صلة مع الاسلام

– ان تضمن تركيا تجميد وشل حركة جميع العناصر الاسلامية الباقية في تركيا.

– ان يستبدلوا بالدستور العثماني القائم على الاسلام دستوراً مدنيا بحتا.

الدب الأحمر

اما جوزيف ستالين الذي لقبه المؤلف بـ«الدب الأحمر» فقد ولغ في دماء المسلمين في روسيا كالكلب العقور .ففي أقل من نصف قرن لقى اكثر من عشرين مليون مسلم مصرعهم، وتقول الاحصائيات ان «ستالين» وحده خلال حكمه الذي دام زهاء ثلاثين عاما قتل اكثر من أحد عشر مليون مسلم. وكان لايهوى سوى سفك الدماء، وكانت ديكتاتوريته من لون يتسم بالعنف والغطرسة والنرجسية والتسلط.

وستالين لم ينشأ نشأة عسكرية

شأنه شأن جلاد العراق صدام حسين وانما مارس نشاطه من خلال الحزب البلشفي كما فعل صدام الذي مارس طموحاته من خلال حزب البعث.

طاغية من بني مر

وينتقل المؤلف للحديث عن طاغية آخر من طغاة العصر الحديث، وهو جمال عبد الناصر مشيراً الى ان العالم العربي كان يتمتع بقدر لابأس به من الهدوء قبل ان يظهر عبد الناصر على المسرح، وكان يتمتع بشيء من الود بين أطرافه، وما ان ظهر عبد الناصر حتى بدأ القلق يسود العالم العربي فقد قدم للشعوب العربية شعارات جوفاء يخدعها لتنجذب اليه، وفي نفس الوقت يهدد بها الأنظمة العربية لكي تنحنى له، وكان يتهم كل زعماء العرب بالعمالة ليستعدى الشعوب عليها، بينما هو ضليع في العمالة لو اشنطن تارة ولموسكو تارة أخرى، وكان يسعى جاهداً ليكون «شرطي» العالم العربي وفتوته فبدد ثروة مصر على شراء الضمائر واعداد المؤامرات على الأنظمة العربية.

وقال المؤلف لقد كان جمال عبدالناصر مريضا بالوهم والغرور وجنون العظمة ومثل هذه الأمراض انما تسهم في تكوين الطاغية، مشيرا الى جوانب عديدة من حياته وموقفه من الاخوان المسلمين الذين زج بهم في السجون والمعتقلات تنفيذاً للشرط الذي اشترطته روسيا لعقد صفقة جديدة من السلاح.

هولاكو القرن العشرين

ويصل المؤلف للحديث عن طاغية الطغاة في هذا العصر، وهو صدام حسين الذي لقبه بـ« هولاكو القرن العشرين» فيقول ان صدام حسين طاغية نزاع الى الشر بكل ماتحمل الكلمة من معنى، دموى النشأة والمسيرة وكأن سفك الدماء هوايته الوحيدة المفضلة، وقد حاول ان يقلد هولاكو القرن الثالث عشر الميلادي، ويجعل من نفسه هولاكو القرن العشرين خلفا له، إلا آن الطاغية تجاهل عن عمد ان هولاكو التتار مارس التدمير والتخريب في غير بلاده بينما هو بغباوته دمر بلاده فكان شبيها باليهود الذين قال عنم القرآن الكريم: ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم ﴾ [الحشر:٢].

لقد توهم طاغية العراق انه انتصر على إيران دون اعتبار لما منى به العراق من خسائرفي الاموال والارواح والعمران، ومثل هذا الوهم هو الذي جعل الغرور يزكم أنفه واعتدى على دولة مجاورة، عربية شقيقة لم تتحرش به ولم تبدأ العدوان عليه، ومحال عليها ان تفعل ذلك، ولم يخجل الطاغية وهو يستعرض عضلاته على دولة شقيقة مجاورة .

احتل هولاكو الكويت بدافع النهب والسرقة والتخريب والتدمير وسفك دماء الابرياء وترويع النساء والأطفال لأنه كان على ثقة من أنه سوف يخرج من الكويت إن آجلا وان عاجلا.

ويشير المؤلف الى أنه في مايو ١٩٧٩م استطاعت اسرائيل ان تدمر المفاعل الذري العراقي وظن السذج من الناس ان طاغية العراق سوف لايستسلم لصفعة اسرائيل وأنه يستعد لرد الصفعة على وجه آل صهيون وخاب ظنهم حيث تجاهل هولاكو صفعة اسرائيل واستعد لمغامرة مع دولة مسلمة مجاورة – ايران – كان هو البادىء بالتحرش والعدوان وقامت الحرب بين الدولتين حتى توقفت في عام ١٩٨٨م وعاود السذج من الناس حسن الظن بالطاغية لعل نشوة النصر التي توهمها تجعله يفكر جاداً في الثأر من اسرائيل إلا ان الطاغية لم يكن يفكر في الثأر من اسرائيل وانما كان يفكر في أغتيال دولة عربية مسلمة شقيقة مجاورة – الكويت – فكر في اغتيالها بما يملك من ترسانات السلاح التي دفعت ثمنها الكويت وشقيقاتها في الخليج والسعودية.

وعن دموية صدام حسين يقول السمان: حدث عنها ولاحرج فكل الطغاة دمويون بلا استثناء ودموية صدام حسين من طراز لم يشهد التاريخ له مثيلا وشهداء الحركة الاسلامية في العراق خير مثال على ذلك، فقد بلغت دمويته القمة في خستها ووحشيتها ونذالتها ولو أننا وصفناها بالهمجية والبربرية لكان في هذا إهانة لهما.

ويتساءل المؤلف :لماذا بقى صدام في السلطة بعد جريمته البشعة بل وجرائمه الشرسة في حق شعب العراق وحق البشرية، ثم يقول: ان الاجابات عن هذا السؤال شبه متشابهة ومن يدري فلعل الأيام القادمة سوف تقدم لنا إجابات شافية فصدام – جلاد العراق – لن يخلد وسوف ينتهى ان قريبا وان بعيداً، ويبقى لب المأساة وهو كيف تجنب العراق ظهور طاغية جديد قد يكون شراً من صدام، والخروج من مثل هذا المأزق يجب ان يكون على أيدي الشعب، فالشعب أولا وأخيرا هو الذي يدفع الثمن!!

ويخلص المؤلف في خاتمة كتابه الى التأكيد على ان الطغاة لا يولدون طغاة وان الشعوب الضعيفة التي لاتؤمن بوجودها هى التي تصنع الطغاة، فالطغاة يستمدون طغيانهم من ضعف الشعوب وتخاذلها واستسلامها.

وقد نبه القرآن الكريم الى ان تكون للشعوب إرادة مستقلة عن حكامها والا تحول الحكام الي طغاة تصل بهم الصفاقة – يوم الحساب – ان يتبرأوا من هذه الشعوب فقال تعالى: ﴿اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب. وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار﴾ [البقرة: ١٦٦و١٦٧]□.



القبض على رمضان!

بقلم: خالد محمد خلاوي

لم يبق سوى ثلاثة كتب ويكون قد أنهى مهمته في فحص كومة الكتب التي أمامه..

قال له رئيسه في العمل «إنه أذكى زملائه» لذلك عهد إليه بهذه المهمة الشاقة

وهي أن يبحث جيداً في كتب ذلك المؤلف ولابأس أن يستخدم عدسات مكبرة ليبحث بين الحروف والكلمات ربما يكون المؤلف قد دس أسماء أعضاء تنظيمه بين هذه السطور أو دفنها بين كلمتين صغيرتين وعليه بعد ذلك أن يحول هذه الكتب إلى لجنة علمية لفحصها من الناحية الفكرية وضبط مابها من أفكار.

ضرب الكتب بيده غاضباً.. ماذا سيقول لرئيسه في العمل.. لم يبقى سوى ثلاثة كتب ومع هذا لم يعثر في هذه الكومة التي أمامه على أية أسماء، أو حتى أية أشارة لأي اسم!!..

ستضيع منه الترقية ولن يصبح رئيساً للمباحث.

قال لنفسه غاضباً: أأفشل في العثور على أسماء في كتب وأنا الذي قيل عني إني أخرج العفاريت من جحورها..

وماأن أمسك الكتاب قبل الأخير حتى انفرجت أسارير وجهه وعاد إليه الأمل في الترقية وفي رضا رئيسه عنه..لقد وجد على الغلاف الأول للكتاب عبارة مكتوبة بخط عريض «يعود إلى رمضان».

وسأل نفسه، من يكون رمضان هذا حتى ليعود إليه هذا الكتاب؟ لابد أنه من زعماء التنظيم ولذلك كتب اسمه بصورة واضحة..

ومما زاد من شكوكه في أن رمضان هذا من زعماء التنظيم



هذه العبارة التي وجدها في مقدمة الكتاب: «تعود إلى رمضان الذي يزورنا كل عام بهداياه الثمينة التي تشيع في النفس والروح البهجة والسرور.

وقال لنفسه: الآن فهمت المقصود بالهدايا الثمينة هي الأموال إذن رمضان هذا هو الذي يمول التنظيم وأمسك بورقة ونقل هذه العبارة وهرول إلى رئيسه يقول:

– لقد عثرت يا أفندم على اسم شخصية خطيرة جداً في هذا التنظيم.

– من؟ زعيم التنظيم؟

– لاياأفندم إنه الممول الذي يمولهم.

وعلى الفور أمر سعادته الجنود أن ينتشروا في أنحاء البلاد يبحثون عن رمضان في كل مكان.

كان سعادته يدور في مكتبه قلقاً.. مرت أيام ولم يعثروا على «رمضان» هذا إلى الآن وقال في غيظ:

– آه.لو عثروا عليه.. إنه مفتاح التنظيم كله لقد أعددت له من يجعلونه بين أمرين لاثالث لهما إما أن يعترف بكل شيء وأما أن يفقد عقله..

ودار مرة أخرى في المكان ولم يخفف من قلقه سوى دخول رئيس المباحث يهنئه بالقبض على «رمضان».. فقال له متلهفا:

– عملتم معه اللازم.. أدخله فوراً.

كان رمضان يلبس جلباباً ممزقاً وظهره قد إنحنى وبدت عليه آثار إنهاك وتعب وما أن دخل حتى ارتمى على سعادته وقال له: – يا سعادة البك.. إني فلاح بسيط لاأعرف شيئاً عن أي شيء..

– لن ينفعك التمثيل يا رمضان ولاتحسب أن هيئتك هذه تخدعني.. اعترف بكل شيء وكفى ماحدث لك في الطريق.. هل تريد أن أستدعيهم إلى هنا ثانية.

– يا سعادة البك أنا لا أعرف لماذا جئتم بي إلى هنا؟!!

– ماهي علاقتك بهذا المؤلف الذي يحاربنا بكتبه التي تنتشر بين الشباب؟

ولماذا وضع اسمك على كتاب من كتبه؟

– أي كتاب يا سعادة البك.. أنا لاأعرف القراءة ولاالكتابة، لاأعرف غير الفأس والعمل في الحقل..

أمسكه من جلبابه وطرحه على الأرض قائلا:

– لافائدة يبدو أنك مصمم على عدم الإعتراف..

ضغط على زر في مكتبه فدخل ثلاثة رجال ضخام واقتادوا رمضان خارج المكتب وبعدها بلحظات.. بدأ صراخ الرجل يعلو.. وأصوات الضرب تزداد..

دخل رئيس المباحث على سعادته وسأل متلهفا:

– هل أعترف يا أفندم؟

– لافائدة يبدو أنه فضل الخيار الثاني.

– وما هو؟

– أن يفقد عقله..

ضغط على الزر مرة أخرى وجاءوا به إليه وبمجرد أن تركوه سقط من بين أيديهم على الأرض.. وضع رئيس المباحث قدمه على صدره وقال له:

– من الأفضل لك أن تعترف يا رمضان.

رمضان لم يستطع الكلام أشار بيده في الهواء والدم ينزف من وجهه قال رئيس المباحث:

– خذوه.. لعله يعترف هذه المرة..

حملوه على أيديهم وأخرجوه من المكتب.

وبعد أن خرج دخل جندي وسلم لرئيس المباحث ملفاً..

فتح الملف أمام سعادته وقال:

وبدأ يقلب في صفحاته قائلا:

– انظر يا أفندم الأفكار التي ضبطوها مهربة داخل كتبه..

وعندما وصل إلى آخر صفحة وقف مشدوها وقال:

– غير معقول.. اتفضل اقرا يا أفندم..

وقرأ سعادته الصفحة الأخيرة من التقرير مكتوب فيها: «هذا الكتاب يتحدث عن الصوم وعبارة «يعود إلى رمضان» هي عنوان الكتاب والمقصود بـ«رمضان» هو شهر الصوم الذي يصومه الناس في كل عام».

وقال سعادته في ذهول:

– اذهب يجب أن يتوقفوا.. قبل أن يفقد الرجل عقله..



ولكن قبل أن يتوقفوا لم يكن قد فقد عقله ولكنه قد غادر الحياة□

لم يبقى سوى ثلاثة كتب ومع هذا لم يعثر في هذه الكومة التي أمامه على أية أسماء، أو حتى أية أشارة لأي اسم!!..

■ولكن قبل أن يتوقفوا لم يكن قد فقد عقله.. ولكنه قد غادر الحياة



فتاوى

منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقى الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

حالة المرض المجيز للفطر

●كنت أقضي ما عليّ من الصوم الواجب، وكنت كلما أفطرت اعتراني ألم بالمعدة، حتى اشتد الألم واستمر بدون انقطاع. أجرى الطبيب الفحوصات فاكتشف أنني مصابة بالقرحة النشطة بالمعدة حجمها ٠,٤سم، وأعطاني علاجا «حبتين في اليوم»، فطلبت رأيه فيما إذا كان من الممكن أن أصوم مع تلك القرحة، فرد عليّ أنه إذا كان لازما أن أصوم فيلزم إضافة عدد الحبوب المتناولة يوميا بحيث تكون ست حبات بدلا من حبتين، واستطرد قائلاً: لكن تناول تلك الكمية «ست حبات يومياً» له تأثير جانبي يظهر ضرره فيما بعد.

وعلى ضوء ما سبق من كلام الطبيب، ماذا يكون موقفي من الصوم حيث إن الصوم ركن من أركان الإسلام الخمسة؟

●●وأجابت اللجنة بما يلي:

إن هذه السائلة إذا قرر الأطباء أن الصوم يؤخر شفاءها، أو يزيد من آلامها، فليس عليها أن تصوم في الحال، سواء أكان صومها أداء أم قضاء عما فاتها، وإذا قرر الأطباء أن مرضها لا يرجى برؤه، فعليها عن كل يوم تفطره فدية طعام مسكين، من أوسط ما تطعم أهلها «وجبتان مشبعتان»، وأما إذا كان يرجى برء هذا المرض، فعليها أن تنتظر إلى حال الصحة فتقضي ما أفطرته من أيام، ولا تجزئها الفدية «الإطعام».

مصارف فدية الصائم

●يتقدم إلينا أحيانا أشخاص وذلك للتبرع عن فدية صيام شهر رمضان، وذلك لعجزهم عن الصيام. وبما أن اللجنة لديها مشروع العون الغذائي، وهو مشروع يعتني بشراء المواد الغذائية وتوزيعها على الأسر المحتاجة، فإن اللجنة بأمس الحاجة لشراء المواد الغذائية. فهل يجوز وضع هذه الفدية في حساب المشروع والتصرف بها على مدار السنة.

●●وأجابت اللجنة بما يلي:

يجوز تقديم الفدية عن الصيام إلى إحدى الجهات الموثوقة المعنية بتوفير الغذاء للفقراء سواء تم صرف ذلك في رمضان أو غيره، على أن يلتزم بصرف ذلك على الفقراء دون غيرهم من وجوه الخير أو مصارف الزكاة.

وقت الإفطار الشرعي

●نحن في لواء الدروع الخامس والثلاثين تغرب الشمس عندنا بعد ما تغرب في الكويت وعند سماعنا للآذان من إذاعة الكويت نرى الشمس طالعة، وبعض الجنود يفطرون على سماع الآذان، وبعضهم لا يفطر حتى تغرب الشمس، فما الحكم الشرعي في ذلك؟ وما حكم من أفطر عند سماع الآذان وفي مثل هذه الحالة هل يجب عليه القضاء أم لا؟

●●وأجابت اللجنة بما يلي:

إن الوقت الشرعي الذي يفطر فيه الصائم هو غروب الشمس لقول الله تعالى: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾. وقول الرسول ﷺ: «وإذا أقبل الليل من ها هنا وادبر النهار من ها هنا، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم» [متفق عليه].

وأن الأذان الذي يرفع من إذاعة وتلفاز الكويت قد روعي فيه التوقيت المحلي لمدينة الكويت فقط، ولا يسري هذا على غيرها من المناطق التي تختلف عنها في التوقيت ولو بدقائق معدودة، فيجب على من كان خارج مدينة الكويت مراعاة التوقيت، ومن أفطر عند سماع الآذان من الإذاعة أوالتلفاز وهو في مكان لم تغرب فيه الشمس بعد فقد فسد صومه، وعليه قضاء ذلك اليوم فقط.

حكم تناول حبوب منع الحيض

●ما حكم الشرع في تناول المرأة الحبوب المانعة لنزيف الدم أثناء العادة الشهرية، وذلك من أجل أن تستمر المرأة بالصوم في أيام رمضان؟ علما أن بقاء دم الحيض وعدم خروجه ربما يسبب أمراضا لجسم المرأة وقد يسبب أيضا منع الحمل، وبقاء دم الحيض مخالف لسنة الله الكونية في المرأة فكأننا ننازع القدر؟

●●وأجابت اللجنة بما يلي:
ثبت عن السيدة عائشة أنها كانت تقول: «كنا نحيض في رمضان ونقضي أيام الحيض بعد رمضان». وأجاز البعض ذلك بناء على الحج، فالحج فيه دليل، ولأن الحملة لا تستطيع انتظار المرأة صاحبة العادة الشهرية فأجازوا لها شرب ماء الآراك وهذا ليس بضار للصحة.

وأيضا قال الرسول ﷺ لعائشة عندما جاءتها العادة الشهرية: «فاقض ما يقضي الحاج غير أنك لا تطوفي بالبيت»، فلم يؤيد ﷺ تناول شيء لإيقاف دم الطمث.

إن الأصل في هذه المسائل يرجع فيها إلى رأي الأطباء المختصين، فإن قرروا أن في استعمال هذه الحبوب ضررا في الحال أو المستقبل منعت المرأة من استعمالها وإلا فلا بأس باستعمالها، فإن استعملتها وامتنع نزول الدم فهي في طهر وتجري عليها أحكام الطهر من وجوب أداء الصوم والصلاة، وغير ذلك من أحكام الطاهرات. وليس في تناول الدواء منازعة القدر إذ لا شيء يغلب القدر، فما يقدر يكن ولابد ﴿ما شاء الله كان وما لم يشأ يكن﴾.

وقد قال النبي ﷺ: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله». وقال: «تداوو عباد الله». ولو كان في هذا منازعة للقدر فإن الفقير إذا طلب الكسب والمظلوم إذا طلب النصر، والمصاب إذا طلب رفع مصيبة، يكونون منازعين للقدر.

وأما النبي ﷺ لم يأمر عائشة بأخذ الدواء لتأخير نزول الدم، فإن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بيان الحكم الشرعي، وقد بينه، وهو أن الحائض لا تطوف، وأخذ الأدوية لمنع دم الحيض أمر دنيوي لأنه مسألة طبية. فليست من الأحكام الشرعية حتى يلزم بيانها. ثم إن أحوال النساء تختلف بالنسبة إلى ذلك، فقد يضر بعضهن مثل ذلك الدواء دون بعض، وقد يضر إحداهن في حال عدم مراجعة الأطباء.

التلقيح الصناعي في رمضان

●يرجى العلم بأن وزارة الصحة قد بدأت إدخال التلقيح بواسطة الأنابيب، وهو ما يعرف بطفل الأنابيب، متخذة كل الاحتياطات الشرعية والمخبرية اللازمة ضمانا لعدم خلط الأنساب والأرحام.

وحيث إننا هذه الأيام في شهر رمضان الكريم، وزيادة في الاحتياط، أرجو التكرم بتوضيح الآتي:

١ – هل يجوز أن يتم هذا العمل في أثناء ساعات النهار؟ علما بأن المريض يطلب منه إحضار عينة من منيه لتلقيح البويضة؟ وما حكم صيام المريض؟

٢ – إن المني تتناوله أيدي العاملين، وهناك احتمال سقوط نقطة أو بعضا منه على أيدي العاملين .. هل يفطر ذلك الصائم أم لا؟

٣ – بالنسبة للسيدة، فإن الأطباء يتولون إعطاءها بعض المنشطات لإنزال البويضة إلى الرحم، وقد تنزل البويضة وتتهيأ للتلقيح، وربما يكون ذلك أثناء شهر رمضان، وهي فرصة قد لا تعوض لها مرة ثانية، ولذلك يجب اغتنامها والحصول على مني زوجها لتلقيح البويضة.

٤ – هل الطبيب آثم إذا أمر مريضه بإحضار منيه أثناء أوقات الصيام؟ وما الاحتياطات الواجب اتخاذها تجنبا للوقوع في الإثم؟

راجيا أن يصلنا ردكم بالسرعة الممكنة نظرا لظروف المرضى. شاكرين لكم تعاونكم الصادق معنا في هذا المجال.

●●واتصلت اللجنة لمزيد من الاستفسار حول الموضوع، وهذا نص الإفادة:

س: هل يمكن إجراء العملية في الليل دون النهار؟

ج: هناك صعوبة كبيرة في إحضار عدد كبير من الموظفين.

س: هل يمكن الحصول على الحيوانات المنوية في وقت الإفطار، والاحتفاظ بها إلى اليوم الثاني لإعطاء نفس النتائج؟

ج: من الممكن الاحتفاظ بالحيوانات المنوية أو البويضات بالتجميد، لكن لا يمكن الإبقاء على خصائصها، كما هي في الصورة المثلى «الفورية»، لا سيما أن الحالات موضوع العلاج تتطلب أدق المواصفات وأحسنها دون تأثير خارجي بالتجميد ونحوه.

●●وأجابت اللجنة عن السؤال الأول والثاني والرابع بما يلي:

الأصل في الشرع أنه لا يجوز إقدام الصائم على إفساد صومه بالاستمناء في نهار رمضان، لأن الإفطار في رمضان معصية، وهذا من الكبائر، ولذا فإنه لا يجوز له الاستمناء في نهار رمضان لغرض تلقيح بويضة الزوجة.

ولا يجوز أن يطلب منه ذلك، أو أن يعان عليه إلا في حالة الضرورة التي يباح بها المحظور، ولا تتحقق الضرورة إن أمكن أن تتخذ هذه الإجراءات في غير وقت الصيام كليل رمضان، أو ما بعد انقضاء شهر رمضان.

أما الضرورة التي تجيز ذلك فهي أن يتعين إجراء ذلك في نهار رمضان، بأن تكون الحالة التي هي موضوع العلاج – لو تأخر هذا الإجراء (وهو الإقدام على إفساد الصوم بالاستمناء في نهار رمضان – لضاعت الفرصة، ولما تحققت المواصفات والظروف المقيدة لمثل هذا العلاج، وفي أمثلة حالة الضرورة ما إذا كانت بويضات المرأة نادرة، غير معتادة، وصادف حصولها في رمضان حسب استقراء الطبيب المعالج.

وعلى هذا فلا يجوز الاستمناء نهارا من قبل الزوج إذا كان يمكن إجراء ذلك ليلاً، أو بعد رمضان لأنه لا يترتب على التأخير الخوف من ضياع فرصة العلاج، وفي جميع الأحوال يفسد صيام المريض بالاستمناء في نهار رمضان، وعليه القضاء فقط، ولا كفارة عليه، ويجب عليه الإمساك بقية يومه لحرمة شهر رمضان. ويكون حكم عمل الطبيب المعالج نابعا لحكم الحالة التي أمر فيها بالاستمناء، فإن أمر به في الحالات التي تتحقق بها الضرورة فلا إثم عليه، وإلا فعليه إثم الأمر بالحرام.

●●وأجابت اللجنة عن السؤال الثاني بما يلي:

إن سقوط المني على يد العامل الصائم لا يفسد صومه.

رؤية الهلال

●هل لابد من رؤية الهلال لإثبات شهر الصيام في ضوء الأحاديث الشريفة المثبتة في الباب؟ هل يصح شرعا رؤية كل بلد له خاصة؟ وما الدليل على ذلك؟

●●وأجابت اللجنة بما يلي:
المتبع الآن في أقطار العالم الإسلامي الأخذ باختلاف المطالع وأن لكل إقليم رؤيته الخاصة، ولكن إذا رأت الجهة العليا للمسلمين في إقليم ما الأخذ برؤية إقليم آخر فهو أولى، لأن الألفة بين المسلمين أهم من التدقيق في مثل هذه الأمور الخلافية، ولا سيما أن كثيرا من المؤتمرات والندوات أوصت بتوحيد إثبات أوائل الشهور القمرية والأعياد الإسلامية، وذلك للأقاليم التي تشترك في ليل واحد، ولو اختلفت درجات الطول والعرض بينها. وينبغي للمسلمين في كل إقليم أن يوجدوا هيئة من أهل المعرفة تهتم بإثبات هلال رمضان والمواسم الدينية، وإعلانه على الجمهور والالتزام به في جميع أرجاء الإقليم لتوحيد كلمة المسلمين.

تطعيم الطلبة خلال نهار رمضان

●يرجى الإحاطة علما بأن وزارة الصحة ستقوم بالتنسيق مع وزارة التربية بحملة لتطعيم طلبة المدارس خلال شهر رمضان المبارك بطعم «غير مغذ وبجرعة قدرها نصف سم تحت الجلد»، وذلك حرصا على صحة أبنائنا الطلبة، وبناء على ما تقتضيه المصلحة العامة. لذا نود الإفادة برأيكم، والفتوى الشرعية في هذا الخصوص، هل التطعيم يبطل الصيام أم لا؟ مع اعتبار الموضوع عاجل حتى نقوم بالإجراءات الصحية اللازمة حسب الخطة الموضوعة.

●●وأجابت اللجنة بما يلي:
إن التطعيم المشار إليه في نص الاستفتاء لا يبطل الصيام لأنه لا يصل إلى الجوف عن طريق منفذ طبيعي.

الصيام واستخدام البخاخ لمرضى الربو

●ما حكم استخدام الفنتولين «البخاخ» لمرضى الربو في شهر رمضان، هل هو مفطر أم لا؟

●●وأجابت اللجنة بما يلي:
وبعد أن اطلعت الهيئة على تقرير رئيس وحدة الصدر ومكافحة الدرن د.عدنان أبل المؤرخ ٧/٤/١٩٩٣ والمتضمن أن هذه البخاخات تحمل جزيئات مواد تدخل إلى المعدة عن طريق الحلق. وعليه ترى الهيئة أن المريض الذي يستعمل هذا البخاخ إن كان مرضه مستمرا ولا يستغني يوما عن استعماله، يعتبر من أصحاب الأعذار، وله أن يفطر ويفدي وليس عليه القضاء. وأما إن كانت الأزمة تأتيه على فترات متقطعة، فاستعمال هذا البخاخ مفطر، وعلى من استعمله أن يقضي بعد ذلك في فترات الصحة.

الأخذ برؤيــــة

●بالنسبة إلى عيد الأضحى، فقد انشقت وحدة صف المسلمين بإدخال القول بالأخذ بالحسابات الفلكية في إثبات الأشهر القمرية، إذ كانت الأمة على مبدأ الرؤية منذ عهده ﷺ وبقيت عليه قرونا عديدة، ولم يظهر أي خلاف بينها في إثبات شهر ذي الحجة. وبما أن وحدة صف المسلمين هامة جدا في الإسلام، فهل يصح في بلد ما أن يأخذ بعض الناس عن السعودية، أو لأكثرية الرؤية في بلدهم، علما أن الاختلافات والفرقة قد وقعا بين أفراد القوم حتى بين أفراد بعض العائلات المسلمة، بسبب ذلك الاختلاف في إثبات رؤية هلال شهر ذي الحجة؟
ومن المعلوم أن عامة المسلمين يحتفلون بيومين أو ثلاثة أيام من عيد الأضحى، وبما أن صلاة عيد الأضحى سنّة عند جمهور الأئمة والعلماء، فهل يصح شرعا الوجوب بأخذ رؤية الهلال في السعودية علما أن ما حصل فيها من المناسك مختص بالحجاج الذين يحجون، وإن كان واجبا فما الدليل على ذلك؟
بسبب سنّة الله في خلقه يستحيل للعالم كله أن يكون له عيد واحد في نفس اليوم، وعلى هذا كيف يكون صوم يوم عرفات لهؤلاء الناس الذين لا يأخذون برؤية الهلال في السعودية أولا يمكن الأخذ به كسبب من أسباب الاختلاف في الليل والنهار؟

●●وأجابت اللجنة بما يلي:
المعمول به الآن من قبل هيئات الرؤية الشرعية في أقطار العالم الإسلامي اعتماد هلال ذي الحجة من قبل الهيئة الشرعية بالمملكة العربية السعودية، وهذا مما يحقق وحدة المسلمين، وعليه يكون صوم يوم عرفة حسب تلك الرؤية.

الدراسة والإفطار

●هل يجوز للطالبة الإفطار في رمضان بحجة الدراسة والامتحانات وأن الصيام يؤثر على النتائج؟

●●وأجابت اللجنة بما يلي:
من كان عمله شاقا ويجهده الصوم معه أو طرأت عليه أعمال زائدة في رمضان كمذاكرة الطلبة للامتحانات فليس لأحد من هؤلاء أن يصبح مفطرا، بل عليه أن ينوي الصيام من الليل ويظل صائما ما لم تشق عليه متابعة الصيام مشقة شديدة، فله عندئذ أن يفطر، وذلك متروك لدينه وتقديره واستطاعته، فإن بلغ الأمر إلى هذه الحال وأفطر فعليه القضاء فقط.

طرق إثبات رؤية الهلال

●هل يثبت كل شهر برؤية الهلال؟ وإن لم يجب ما الدليل الشرعي على ذلك؟

●●وأجابت اللجنة بما يلي:

أ – إذا رؤي الهلال بعد غروب شمس اليوم التاسع والعشرين من شعبان أو رمضان أو ذي القعدة أو أي من سائر الشهور القمرية رؤية صحيحة، ثبت بذلك دخول الشهر القمري. فإن لم ير رؤية صحيحة وجب إكمال العدة ثلاثين يوما. وذلك لقول ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غمَّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين» [متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ للبخاري].

ب – والمراد بالرؤية، الرؤية المباشرة بالعين المجردة، أو بمساعدة الأجهزة المقرِّبة والمكبرة كالنظارات والنواظير وأجهزة المراصد، لأن الرؤية من خلال هذه الوسائل تعتبر رؤية حقيقية فتدخل في الرؤية المذكورة في الأحاديث الواردة.

ج –البينة المطلوبة في إثبات الرؤية: أما التواتر أو الاستفاضة أو شهادة رجلين عدلين فأكثر، ولا يقبل أقل من ذلك لما أخرجه أبو داود في السنن (٢/ ٤٠٤ برقم ٢٣٣٨)، والدارقطني في سننه (١٦٧/٢) أن أمير مكة – وهو الحارث بن حاطب – خطب ثم قال: «عهد إلينا رسول الله ﷺ أن ننسك الرؤية، فإن لم نره وشهد شاهدا عدل نسكنا بشهادتهما». وقال الدارقطني: «هذا إسناد متصل صحيح».

وفي رواية أخرى لأبي داود والدارقطني: ثم أشار إلى ابن عمر فقال ابن عمر: «بذلك أمرنا رسول الله ﷺ».

ولما روى الدارقطني في السنن (١٦٧/٢) عن شقيق بن سلمة قوله: «جاءنا كتاب عمر رضي الله عنه ونحن بخانقين: أن الأهلة بعضها أعظم من بعض، فإذا رأيتم الهلال نهارا فلا تفطروا حتى يشهد شاهدان». قال الدارقطني: «رواه شعبة عن الأعمش فقال: إذا رأيتم الهلال من أول النهار فلا تفطروا حتى يشهد شاهدان أنهما رأياه بالأمس». وقال: «هذا أصح من حديث ابن أبي ليلى، وقد تابع الأعمش عن منصور».

ولقول عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب: «إنا صحبنا أصحاب النبي ﷺ وتعلمنا منهم، وأنهم حدثونا أن رسول الله ﷺ قال: «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته، فإن غمَّ عليكم فعدوا ثلاثين، فإن شهد ذوا عدل فصوموا وافطروا وانسكوا». [أخرجه أحمد: ٤/ ٣٢١] و[النسائي (١/ ٣٠٠)] و[الدارقطني واللفظ له ص ٢٣٢]، وإسناده صحيح كما رواه الغليل (٤/ ١٦).

د – في حالة الاستعانة بالمراصد لابد أن يكون الرائيان عدلين، وأن يكون الإخبار بلفظ الشهادة.

هـ – إذا دل الحساب القطعي على استحالة رؤية الهلال لم تقبل الشهادة، لأن من شروط البيِّنة عدم مخالفة الواقع، نقل القليوبي من الشافعية عن العبادي قوله: «إذا دل الحساب القطعي على عدم رؤيته لم يقبل قول العدول برؤيته، وترد شهادتهم بها». ثم قال: «وهو ظاهر جلي ولا يجوز الصوم حينئذ ومخالفة ذلك معاندة ومكابرة» [حاشية القليوبي ـ٢/ ٤٩)]. ومما يدل لذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً﴾ [الإسراء/ ١٢]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ [الرحمن/ ٥]. ومن أمثلة الاستحالة ما يلي:

١ – أن يدل الحساب القطعي على أن الهلال سيغرب مع الشمس أو قبلها.

٢ – أن يدل الحساب القطعي على أن الهلال موجود وله مكث بعد غروب الشمس لكن رؤيته مستحيلة، ويرجع في تقديره المدة التي تستحيل فيها الرؤية بعد ولادة الهلال إلى قول أهل الخبرة، وقد أفاد الدكتور صالح العجيري – الفلكي الكويتي بما حاصله: «إن الرؤية بالعين المجردة لا تكون ممكنة قبل مضي عشرين دقيقة على غروب الشمس، وإذا كانت الرؤية بالأجهزة الحديثة فلا يمكن أن يرى قبل مضي سبع دقائق على غروب الشمس».

٣ – أن يعرف بالحساب القطعي أن هناك كسوفا سيقع بعد غروب الشمس من يوم التاسع والعشرين من الشهر، لأن ولادة الهلال لا تكون قبل الكسوف، ولا تكون إلا بعده، فإذا ادعيت الرؤية ثم حصل الكسوف تبين أن الرؤية باطلة لمخالفة الواقع، وكذلك ترد الشهادة إذا تمكنت التهمة في أمر الشهادة أو غيرها لسبب آخر غير الحساب، ومع ذلك ترى الهيئة أنه لابد من الاستعانة في هذه الأمور برأي خبيرين على الأقل للتوثق من هذه الحقائق العلمية.

و – وترى اللجنة أن الحساب القطعي يجب الأخذ به في حال النفي، أي القطع باستحالة الرؤية، أما في حالة إثبات الرؤية فيجوز الأخذ به بمعنى الاستناد إليه في إمكان الرؤية، أي دلالة الحساب على أن الهلال موجود ورؤيته ممكنة لولا وجود المانع من غيم ونحوه.

قال ابن دقيق العيد: «وأما إذا دل الحساب على أن الهلال قد طلع من الأفق على وجه يرى لولا المانع، كالغيم مثلاً، فهذا يقتضي الوجوب، لولا السبب الشرعي وليس حقيقة الرؤية بشرطة في اللزوم لأن الاتفاق على أن المحبوس في المطمورة «هي حفرة تهيؤ في الأرض في مكان خفي وتغطى». إذا علم بإكمال العدة، أو الاجتهاد بالإمارات، أن اليوم من رمضان، وجب عليه الصوم، وإن لم ير الهلال ولا أخبره من رآه [الأحكام شرح عمدة الأحكام ٢/ ٤].

ز – إذا دل الحساب على إمكان الرؤية ولم يكن هناك مانع لكنه لم ير فيجب إكمال عدة الشهر ثلاثين يوماً لقوله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غمَّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين».



حديقة الوعي

حوار بين أحمقين

رأى رجل منارة الجامع ، فقال: ما كان أطول الذين بنوا هذه المنارة، فقال صاحبه: اسكت، فما أجهلك، هل رأيت أحدا في الدنيا في طول هذه المنارة؟ لقد بنوها على الأرض، ثم رفعوها.

إعداد: حسين كتاب العتيبي

تنبيـــــه



قال الحطيئة:

إذا نكبات الدهر لم تعظ الفتى
عن الجهل يوما لم تعظه أنامله
ومن لم يؤدبه أبوه وأمه
تؤدبه روعات الزمان وزلازله
فدع عنك ما لا تستطيع ولا تطع
هواك ولا يذهب بحقك باطله

النفـــوس ثلاثـــــة

قـال ابن القيم – رحمه الله – النفـوس ثـلاثـة: نفس سماويـة علـويـة، فمحبتهـا منصرفـة إلى المعارف، واكتسـاب الفضـائل، والكمالات الممكنـة لـلإنسـان، واجتنـاب الـرذائل، وهـي مشغـوفـة بما يقـربها من الرفيق الأعلى، وذلك قوتها وغذاؤها ودواؤها، فاشتغالها بغيره هو داؤها.

ونفس سبقية غضبيـة، فمحبتها منصرفة إلى القهر، والبغـي والعلو في الأرض، والتكبر، والرئاسة على الناس بـالباطل، فلذتها في ذلك وشغفهـا بـه، ونفس حيـوانيـة شهـوانيـة، فمحبتهـا منصرفـة إلى المآكل، والمشرب، والمنكح، وربما جمعت الأمـريـن فـانصرفت محبتها إلى العلو في الأرض، والفساد، كما قال الله تعالى: ﴿إن فـرعون علا في الأرض وجعل أهلهـا شيعا يستضعف طـائفة منهم يـذبح أبنـاءهم ويستحيي نسـاءهم إنـه كـان من المفسدين﴾.

والحب في هذا العالم دائر بين هذه النفوس الثلاثـة، فأي نفس منهـا صادفت مـا يلائم طبعهـا استحسنته، ومـالت إليـه، ولم تضع فيه لعـاذل، ولم تأخذها فيه لـومة لائم، وكل قسم من هذه الأقسـام يرون أن مـا هم فيه أولى بالإيثـار، وأن الاشتغال بغيره والإقبـال على سواه غبن وفوات حظ.

الشعبي في حوار مع شاب

تكلم شـاب يـومـا عنـد الشعبي، فقـال الشعبي: مـا سمعنا بهذا. فقال الشـاب: كل العالم سمعت؟ قال: لا .. قـال فشطره؟ قال: لا، قـال فـاجعل هـذا في الشطـر الـذي لم تسمعه، فأفحم الشعبي.

العدل سيد الأخلاق

كان المنصور – الخليفـة العباسي – يجلس للقضـاء بين النـاس، فجـاؤوا بـرجل أذنب، فأمر بقتله فقال الرجل:

إن اللـه يأمـرك بالعـدل والإحسـان، فإن أخذت في غيري بالعدل فخذ في بالإحسـان.

فأمر المنصور بإطلاق سراحه وعفا عنه.

حكـــم وأمثـــال

* ويل عالم من أمريء.. جاهل.
* العجز والتواني سبب الفاقة.
* جدّك لا كدّك.
* إن قدرت أن ترى عدوك أنك صديقه فافعل.
* رب أخ لك لم تجمعك به ولادة.
* من أيقن بالأجر رغب في الصبر.
* العقل كالزجاج أن يصدع لم يرفع.
* من مأمنه يؤتي الحذر.
* ذم الإنسان لنفسه في الملاء، مدح منه لها في الخلاء.
* من نظر أبصر ومن فكر اعتبر.

لو كان ثقة ما نمَّ

غضب رجل على رجل فقال له: ما أغضبك؟ قال شيء تنقله إليّ الثقة عنك، فقال له: لو كان ثقة ما نمّ.

قـــول سديـــد

قال ابن القرية:
تأدبوا فإن كنتم ملوكا سدتم، وإن كنتم أوساطا رفعتم، وإن كنتم فقراء استغنيتم.

دعاء أعرابي

دعا أعرابي فقال: اللهم إن كان رزقي نائيا فقربه أو قريبا فيسره، أو ميسرا فعجله، أو قليلا فكثره أو كثيرا فثمره.

إن النساء رياحين

مر رجل على مجموعة من النساء فأعجبه شأنهن فقال:

إن النساء شياطين خلقن لنا
نعوذ بالله من شر الشياطين

فردت إحداهن عليه قائلة :

إن النساء رياحين خلقن لكم
وكلكم يشتهي شم الرياحين

فلو كان النساء كمثل هذي

قال الصاحب بن عباد:
أهلا وسهلا بعقيلة النساء، وأم الأبناء، وجالبة الأصهار، والأولاد والأطهار، والمبشرة بإخوة يتناسقون، الخباء يتلاحقون.

وقال المتنبي:

فلو كان النساء كمثل هذي
لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال

بخيل

قيل لرجل أما يكسونا فلان؟ فقال: والله لو كان له بيت مملوء إبرا، وجاء يعقوب عليه السلام ومعه الأنبياء شفعاء والملائكة ضمناء، ليستعير منه إبرة ليخيط بها قميص يوسف عليه السلام الذي قد من وبر، لما أعاره إياها، فكيف يكسوني.

الصبر

قال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾ [الكهف:٢٨].



رباطة جأش

لما أمر الحجاج بقتل سعيد بن جبير قال له سعيد:
«إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما كان من المشركين». فقال الحجاج: شدوا إلى غير القبلة. فقال سعيد: «فأينما تولوا فثم وجه الله». فقال الحاج: كبوه على وجهه. فقال سعيد: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم».

تجارب في كلمات

قالوا: إذا وجدتم الحكمة مطروحة على السكك فخذوها.

وقال أبو عمرو بن العلاء: خذ الخير من أهله، ودع الشر لأهله.

وقال الإمام علي بن أبي طالب (كرّم الله وجهه): لا تقاطع أخاك على ارتياب، ولا تهجره دون استعتاب.

وقال الأحنف: من حق الصديق أن يتحمّل ثلاثا: ظلم الغضب، وظلم العدالة، وظلم الهفوة.

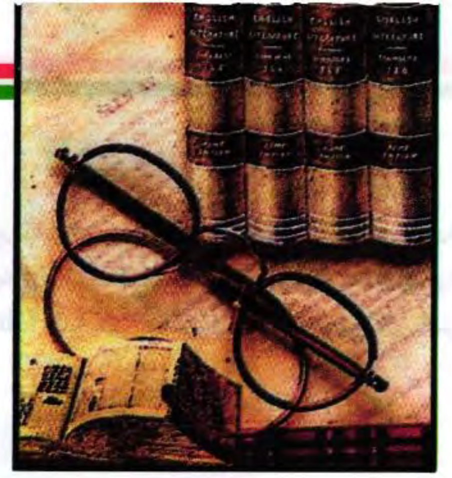
وقال اكثم بن صيفي: القرابة تحتاج إلى مودة، والمودة لا تحاج إلى قرابة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: القرابة تُقطع، والمعروف يُكفر، وما رأيت كتقارب القلوب.

قال الجارود: سوء الخُلُق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

قال أبو بكر: الحب والبغض يتوارثان.

قال عبد الله بن مسعود: لا تعادوا نعم الله. قيل له: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.



ثمـــــرات المطـــــابع

المعجزة القرآنية (الإعجاز العلمي والغيبي)

○ أ.د. محد حسن هيتو

○ مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م

ما زال القرآن الكريم كتاباً معجزاً فيما قال وفيما قرر من تشريعات وحقائق، لا تبلى بتعاقب الزمان، ولا تخلق على كثرة الردّ، وكلما ازداد التقدم العلمي وأوغل الناس في المعرفة كلما اكتشفوا سبق القرآن لكثير مما خفي عليهم وغاب عن مداركهم، وأن يكون القرآن الكريم معجزا لكل إنسان في كل زمان ومكان مهما ازدهرت الحضارة وتقدمت العلوم وزادت المكتشفات وتباينت الثقافات لهو أعظم أنواع الإعجاز وأظهرها.. وهذا هو المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم: «ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».. والكاتب أراد فيما كتب التركيز على موضوعي (الاعجاز العلمي والغيبي) للقرآن الكريم، بما يمكن لأهل العصر استيعابهما وهضمهما، تاركا الإعجاز اللغوي لبحث أوسع وأعمق وأكثر تركيزا، ومهّد لذلك بـ(مقدمة) بين فيها معنى المعجزة بوجه عام، والمعجزة القرآنية بوجه خاص، وكيف ولمَ كانت معجزة، كما بيّن الأثر الذي تركته بين الناس عند ظهورها، وأثرها في سير الدعوة مع ذكر بعض وجوه الإعجاز التي أشار إليها العلماء قديما وحديثا، مبينا وجه القوة أو الضعف فيها، فيما ظهر له من النظر، ووصل إليه من العلم.. وأعقب ذلك ببيان مهزلة وأكذوبة الإعجاز العددي التي افتراها رشاد خليفة وفتَن بها كثيرا من النّاس..

● من قسمات التجربة البريطانية في العمل الخيري والتطوعي

○ إعداد وترجمة: بدر ناصر المطيري

○ الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م

العمل الخيري قديم وأصيل قدم الخير وتجذره في النفس الانسانية، وقد تطورت ممارسة الخير من الفعل الفردي (محدود الأثر) زمانيا ومكانيا إلى الممارسة الجماعية المؤسسية، وقد وضعت شريعتنا الاسلامية مبادىء راسخة لتشجيع هذا السلوك الحضاري الراقي، ولهذه الممارسة الفردية والجماعية، اعتقادا وقولا وعملا. وحثّ الاسلام على فعل الخير بأسلوب مباشر صريح، وبطرق غير مباشرة، مما يؤدي إلى غرس قيمة حب الخير وفعله في نفوس أتباعه..

والواقع المتردي الذي تمر به الامة الاسلامية اليوم لا يقلل من اهمية وقيمة المساهمة التاريخية التي قدمتها للعمل الخيري الانساني، كما لا يحط من شأن عظمة وصلاحية المبادىء التشريعية التي وضعها الاسلام لممارسة هذا السلوك الانساني الراقي، والتحدي الذي تواجهه شعوب العالم الاسلامي اليوم في هذا المضمار يتمثل في البناء على هذه الأسس الراسخة بما يتفق مع احتياجاتها وخصوصيتها في هذا الزمن واحتياجات البشرية جمعاء..

ولقد جاءت مساهمة الكاتب في الاستفادة من تجارب الآخرين (والحكمة ضالّة المؤمن)، واختار الساحة البريطانية بسبب تقدّم العمل التطوعي والخيري فيها وقد بلغ حجم ميزانياته لعام ١٩٨٥م مثلا ١٢,٦ بليون جنيه استرليني (تعادل ٤,١٪ من الدخل القومي)، وما زالت في تقدم واضطراد..

وقد قدم الكاتب لموضوع دراسته بمدخل، وجعلها في خمسة فصول تناولت على التوالي: (مفوضية العمل الخيري: النشأة والوظائف)، و(قانون الجمعيات الخيرية لعام ١٩٩٢م)، و(الأنشطة السياسية للجمعيات الخيرية)، و(القطاع التطوعي في بريطانيا من ١٩٧٥ – ١٩٨٩م)، و(اتجاهات الخير لعام ١٩٩٣م).. وختمها بخمسة ملاحق هي: (قائمة المنشورات التعريفية والتوجيهية لمفوضية العمل الخيري)، و(مقال: لا نجدة من الميزانية الحكومية)، و(جداول إحصائية)، و(قائمة ببعض الهيئات الرئيسية المعنية بالعمل الخيري في بريطانيا)، و(مصادر مادة الكتاب)..

ونحن بدورنا نرى في الكتاب موضوعا ومادة جديرة بالاهتمام والمتابعة، والتعمّق في البحث لحاجة عالمنا الإسلامي لقيام من غفوة لا تكفي فيها جهود المؤسسات الرسمية وتحتاج سواعد كل القادرين والمتحرّقين لاستنهاض أمتهم..

● المتطرّفون (ندوات ودوائر حوار)

○ إعداد: د. عمرو عبد السميع

○ نشر: مكتبة التراث الاسلامي – القاهرة، ١٩٩٣م

ينتقل الدكتور عمرو عبد السميع بالحوار في قضايا الدين والسياسة من المستوى الفردي الـذي مارسه في كتابه السابق (النصـارى؛ حوارات حول المستقبل) إلى مستـوى جماعي أكثـر تشابكـاً وتعقيـداً من خلال النـدوات ودوائر الحـوار، ليقدّم صـورة دقيقة لمواقف النخبة والشـارع والسلطة، كل في مـواجهة الآخـر، والجميع في مواجهـة الاختبـار الذي يطـرحه التطـرف والعنف على مصر..

وقد جمعت هذه الندوات خيوط توازت وتماست وتقاطعت لتصنع نسيجا فكريا جديراً بالتأمّل يحاول بنـاء لحمة بين النخبة والشارع، مشكلا كتيبة وطنية مصرية جديدة قابلة للاتحاد مع السلطة الوطنية فيما هو مطروح من بنود على جدول أعمال الاتفاق، أو قابلـة للتضاغط مع ذات السلطة فيما هو مطروح من بنود على جدول أعمال المواجهة..

طرحت النـدوات الغلو الدينـي، والغلو العلماني، والاستقطابـات الحادثة بينهما، وطرحت كذلك موضوع الفكـر الاخواني والفكر الجهادي، وتساءلت عما إذا كانت العلاقة بينهما ارتباطية أم خلافية، وأثارت موضوع التأثيرات الإقليمية، وعلى رأسهـا تأثير إيران على حركـة الإسلام السياسي بجنـاحيها المعتدل والمتطرف، وموضوع الدولية الإسلامية الجديدة التي تضم (الترابي والغنوشي ومـدني) وتأثيرها على الحالة الإسـلامية. وتسـاءلت الندوات عن مدى قابلية النموذج الإسلامي السياسي للعمل في اطار ليبرالي، ومدى قدرته على التالف مع التيار القومي بعد طـول صراع، وتطرق إلى العديد من الرؤى لتبين كيف ينظر الغرب للإسلام السياسي وتأثير ذلك على موقفه تجاهه..

ومن أسماء المتحـاورين والمتنـادين فهمي هويـدي، جميل مطـر، د. علي الديـن هلال، د. سعد الـدين ابراهيـم، د. مصطفى السعيد، لـواء احمد عبد الحليم، لــواء فـوزي طـايل، د. أحمد كمال أبـو المجـد، سيـد يـاسين، طارقـالبشري، مصطفى مشهور، د. وحيد عبد المجيـد، د. نيفين عبد المنعم، نبيل عبـد الفتـاح، د. محمود عـاكف، لطفي الخولي، محمـد سيـد أحمد، د. محمـد عمارة، تحسين بشير، د. أحمد يوسف، د. عصـام العـريـان، هالـة مصطفى.. ولعل الملاحظة الأوّليـة على الكتاب تناوله قضية التطـرف وكأنه القضية الأولى في عـالم اليوم، واقتصاره على الساحـة المصرية، وعدم إقـامة توازن في الحضـور بين النساء والرجـال مع ما للمـرأة من دور مهم وفعّال على مستويي التطرف والاعتدال.

● المراهقون، ظاهرة الانحراف: أسبابها وعلاجها

○ عبد الله نجيب سالم

○ دار حواء – الكويت، ودار ابن حزم – بيروت

○ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م

الشباب عماد الأمة، وساعدها القوي، واستثمارها الناجح، وعدتها المتأهبة لكل طـاريء، وكنزها المكنـون لكل حادث، ورجاؤهـا وأملها، وربيعها وزهـرها، وغدها وفجـرها، فلم لا نوليهم مـا يستحقون من الأهمية؟ ولم لا نـدرس ظروفهم التـي تؤثر في حيـاتهم؟ ولم لا نتتبع أسباب ضيـاعهم.. لم لا نفعل كل ذلك حتى نضع أصبعنا على الجرح فنعالجه، ونمسك بطرف الخيط في الإصلاح؟

بهذه المقـدمة وهـذه التساؤلات يكشف المؤلف هـدف كتابـه الأول ومحتواه، فهو للجيل الذي يراهن عليـه الخصم ليشده، وتراهن عليه الأمة لتكسبه، وبين الـرهانين تبقى المسؤوليـة في التوجيه والتحصين على عاتق الواعين من الآباء والمسؤولين والدعاة..

ومن منطلق الـواقع البحث يخاطب المؤلف الفتاة والشـاب مذكـراً إياهم بموقهم في الحياة، وما تنتظر منهم مجتمعاتهم في المستقبل، وما ترجوه لهم من خير وما تتوقعه منهم من فهم كامل ووعي عميق، وقد اطلعوا على مـا لم يتوفّر لآبائهم مـن المعلومات، وتوفّـرت لهم ظروف وفـرص ربما لم يحلم بها من سبق، فــلا يصح أن يقعـوا فـريسـة التخلف والتردّي والإغـراءات، وإنما عليهم أن يعـوا المسـؤوليـة الحضارية المطلوبة، وأن يكونوا عند حسن الظن..

ويرى في رسائله الموجّهة هذه صيحـة إنذار مبكرة، ودعوة إصلاح صادقـة، بعدما رأى رصيـد الزمة من شبـابها فريسة ضعيفـة أمام وحوش الإفســاد، فأراد أن يلقي عن كاهلـه إثم من علم الحق فسكت عنه..

والكتاب في قسمين، يتنـاول الأول منهما (ظواهـر الانحراف عنـد الشبـاب)، ويعالج الثـاني (أسباب الانحـراف في الشباب)، ويمـرّ في طريقـه على ظواهـر التطرف والانحـراف والجهل والبطـالة وقـرناء السوء.

● النظام العالمي الجديد (ملامح ومخاطر)

○ د. شفيق المصري

○ دار العلم للمـــلايين، بيروت،

الطبعة الأولى ١٩٩٢م

جـاء في تقـديم الكتـاب للـدكتـور محمـد المجذوب (رئيس الجامعة اللبنانية):

«لم يكتف مؤلف الكتاب بالوصف والسرد والعرض والحديـث العام عن ملامـح النظام العـالمي الجديـد، بل حـاول أن يغـوص في الأعماق ويحلل الظـواهـر ويفسر الأحـداث ويستخرج منها الدروس والعبر، ولم يتوقف المؤلف عنـد ملامح هـذا النظام بل ركـز على مخاطـره التي بـدأت آثـارهـا تلـوح وتتسـع وتتفاقـم، وإذا كان العـالم بحاجـة إلى نظام عالمي جديد، بعد كل ما أصبه من خلل وشرخ وانهيار، فهذا النظام يجب أن يكون مشروعا وعـادلا وإنسـانيا يقـوم على أسس وأركـان جديـدة.. ويقدم المؤلف في الفصل الأخير من هــذا لكتـاب رأيـــه الـواضح في الظـــروف والتطورات المؤاتية لقيام هذا النظام المشروع، ومقترحـاتـه حول الأركـان والعنـاصر التي ينبغي الاعتماد عليهـــا لتفسير المســـاواة والعدالة بين شعوب الأرض..

وينضم د. شفيـق المصري إلى صفـــوف المنادين بالإصـلاح القادر على توفير السلام والأمن لشعوب العالم، وهـو صادق في كل ما يقترح، ولعل صرخاتـه تجد صدى مستحبا، وأن يثـري هـذا الكتاب المكتبـة السيـاسيـة العربيـة، ويكون للباحثين نموذجـا رفيعا في معالجة موضوعات الساسة الدولية».





ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين ولحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

قضايا العالم الإسلامي

يعمل الإسلام دائماً على إعداد أبنائه المقاتلين إعداداً كاملاً قوياً، حتى يظلوا في عزة من أمر دينهم، وفي منعة من كيد أعدائهم، وعلى حذر من تآمر خصومهم عليهم. قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لاتظلمون﴾ [الأنفال:٦٠].

وجميع أبناء الأمة في حكم المقاتلين، لافرق بين من يحمل السلاح، ومن يعمل في مصنعه، أو يكد في حقله.. من هنا كان أمر الإسلام موجها إلى الجميع - الذين اعتبرهم مقاتلين - بإعداد القوة في شتى ميادينها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

ولايخفى على الإنسانية كلها - فضلا عن ابناء المسلمين - أن الإسلام دين القوة بمعناها الواسع الشامل، اشاد بها، ودعا ابناءه المؤمنين إلى الاخذ باسبابها ورسم لهم الطريق القويم الذي يوصلهم إليها، كما بين لهم ثمار تلك القوة من العلو والمهابة، والرقي والسيادة، والعزة والسعادة.. قال تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون﴾ [المنافقون:٨].

ولقد جعل الحق جلت قدرته عزة الأمم في قوة ايمانهم بعقائدها ومبادئها وصلابة فتيانها علما وعملا، وشدة بأس ابطالها كفاحا وجهاداً ،وكمال خلق رجالها حرباً وسلاماً، وحسن استعداد افرادها أمناً ونضالا.

إذن فلاعجب إذا رأينا القرآن الكريم يشيد بالقوة، ويحث عليها في مناسبات عديدة فالله سبحانه وتعالى من اسمائه «القوي» وصف نفسه بالقوة في آيات كثيرة فقال: ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ [الحج:٤٠].

وقال: ﴿ماقدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز﴾ [الحج:٧٤].

وقال: ﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز﴾ [الحديد:٢٥].

ووصف ملائكته بالقوة، فقال في وصف جبريل عليه السلام ﴿علمه شديد القوى﴾ [النجم:٥] كما وصف أنبياءه أيضا بالقوة وحثهم عليها في اكثر من آية فقال عز من قائل: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾ [ص:٤٥].. والأيدي هنا أي القوة كما قال ابن عباس.

وكرر القوي - سبحانه وتعالى - أمره بالقوة لنبيه صلى الله عليه وسلم مرتين في سورتين مختلفتين بلفظ واحد، فقال: ﴿ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ [التوبة:٧٣] و[التحريم :٩].

كما أحب للمؤمنين ان يشعروا أعداءهم بالقوة عند النزال، فقال:﴿ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ [التوبة:١٢٣].

هكذا يشيد القرآن بالقوة، ويأمر بها، ويثني على المتصفين بها.. فأية قوة هذه - ياترى - التي أشاد بها كتاب الله وأمر بإعددها ؟ وماهي سبلها؟

إنها القوة بمعناها الأعم والأشمل، وأساسها الأول: العقيدة القوية الراسخة وماعقيدة المؤمن إلا الإيمان الغيبي بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

فاذا تغلغل هذا الإيمان في نفس المؤمن واستقر في قلبه، تكونت لديه العقيدة القوية التي تصبح معيناً لاينضب للعمل الموصول، والحماسة المذخورة، واحتمال الصعاب والأخطار، بل تصبح حافزا قويا له يدفعه إلى لقاء الموت دون خوف أو فزع. كذلك تضفي على صاحبها قوة تنطبع في سلوكه كله، فإذا قال أو فعل كان واثقا من نفسه، وإذا اطمأن إلى فكرة ملأت عقله وقلبه لايتردد عن تنفيذها قيد أنملة، ولايتزحزح عن الوصول إلى غايته مهما كانت الصعاب والآلام،بل يظل صامداً كالطود الأشم.

ولننظر إلى عقيدة رسول الإنسانية، والتي تتلخص في قولته المشهورة: «والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر مافعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

وكانت نتيجة هذه العقيدة الراسخة ان عناية السماء أيدته بقوتها، وبجند لايعلمها إلا الله في جميع غزواته، وفي شؤون حياته كلها، فعلت راية التوحيد وانتصر الحق والعدل، وانتشر النور.

ومن أهم الأشياء التي يريدها الإسلام منا: إعداد قوة الجسم، لذا رأيناه ينهى عن الإسراف في الطعام والشراب،كي يظل المؤمن قويا صحيحا، قال تعالى:﴿وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين﴾ [الأعراف:٣١].

كما ينهى الإسلام عن العادات الضارة بالصحة والموهنة للقوة،، كالمخدرات والخمور، والمنبهات ، والزنا، فإنها تعصف بالصحة وتسرع بالإنسان إلى الشيخوخة، وتحول بينه وبين الجد والنشاط والتفكير الصحيح - فالعقل السليم في الجسم السليم - ثم تورثه بعد كل هذا مقت الله وغضبه.

وندع إعداد قوة الجسم إلى إعداد قوة السلاح، ومن عظمة القرآن الكريم انه يعطي الحكم ويعلله.

فالله تبارك وتعالى أمرنا بإعداد آلات الحرب لمقاتلة الأعداء حسب الطاقة والاستطاعة، فقال: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم﴾ أي ما أمكنكم، ﴿من قوة ومن رباط الخيل﴾، ثم علل هذا الإعداد للقوة بقوله: ﴿ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ أي تخوفون أعداء الإسلام ﴿وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم﴾ وهم المنافقون أو غيرهم ممن يطلع الله على عدائهم ونواياهم السيئة.

إذن فالإسلام يحث أبناءه على الاستعداد بأنواع الأسلحة المختلفة، ويحرض أبناءه على التدريب المتواصل.. ويحب الله - كمالاً لإعداد القوة - من المقاتلين في سبيله عند مواجهة عدوهم أن يكونوا متحدين أقوياء، عقيدة وفكراً، سياسة واقتصاداً، عدداً وعدة، كلمة وخطة، متداخلين متلاحمين كالبنيان المرصوص. قال تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف: ٤].

مما سبق يتضح أن الإسلام يريد من المؤمنين إعداد القوة في جميع أحوال دنياهم حتى لايعيشوا عالة في أمور حياتهم على من سواهم، فتضرب عليهم الذلة والمسكنة، لأن قوة العدو - على اختلاف انواعها - لايحكمها خلق إنساني ولادين سماوي، إنما تحكمها الأنانية وحب المنفعة على حساب استذلال الغير، واستنزاف جميع طاقاته لمصالحه وحده، وليس بعد هذا من ذلة ومهانة.

وبعد أن حلقنا بك عزيزي القارىء في سماء إعداد المقاتل بالقوة في الإسلام وأن ديننا دين القوة العامة الشاملة للحياة الحرة الكريمة، ربما يخطر ببالك أن قوة الإسلام قد تكون كسواها من أنواع القوى في العالم، التي تمارس العدوان وتؤيد الظلم، ولاتخضع لمنطق الحق والعدل، ولاتنهج منهج دين كامل في تبادل المنافع بين الشعوب والأمم، وإنما تعتمد في تحقيق مصالحها على قوتها الغاشمة التي تملكها، وعلى سياسة الأمر الواقع نتيجة الظلم والاعتداء على الشعوب المستضعفة.. فهل قوة الإسلام - كذلك - في تعاملها؟ والجواب: كلا!! وألف كلا!!

إن قوة الإسلام ليست قوة ظالمة، أو معتدية، وإنما هي قوة عادلة محكومة بقوانين سماوية عليا. لقد أمر الإسلام المسلمين بإعداد القوة - كما اسفلنا - كي تكون لهم رهبة وفيهم رغبة، ولكي تكون زاجراً للنفوس اللئيمة التي يوسوس لها الشيطان بالظلم والاعتداء على ديار الإسلام، وحتى تضع حدا للعدوان ولتلقن اعداء الإسلام درسا لاينسوه فيحترموا حمى المسلمين، وتكون العقيدة في منعة من السفهاء، والمسلمون في عزة أينما كانوا.. فما أحكم الإسلام في كل تشريعاته، فليس في الإسلام رهبانية ولاعزلة، وعلى المؤمن أن يستعين بالله في كل عمل يعمله، وأن يضع على الدوام نصب عينيه قول رسولنا الكريم: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ماينفعك، واستعن بالله، ولاتعجز. وإن أصابك شيء فلاتقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وماشاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان» [رواه مسلم وابن ماجة وأحمد]□

مجدي محمد عرابي - الموفية - ج.م.ع

بهذه الصفات سادت أمة الإسلام

صفحات التاريخ حافلة بأمجاد خير أمة أخرجت للناس، ومشرقة بسيرة قائد هذه الأمة سيدنا محمد ﷺ، الذي ملأ سمع الزمان والمكان، حتى غدا أعظم العظام، وأنبل النبلاء.

لقد استطاع النبي ﷺ في أقصر مدة أن يصنع أعظم أمة تحولت بتعاليمه إلى معجزة بهرت الدنيا، كانت في جاهليتها مغمورة، فنقلها إلى آفاق عالية فإذا بها بين عشية وضحاها، تغير معالم الدنيا وتعدل ميزان القيم وتخرج البشرية من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

من كان يظن أن أهل البادية يهدون الدنيا أعز حضارة وأغلى تراث.. أن تكون في قافلة البشرية في مكان الريادة والصدارة.. أن تزرع الخير في جنبات الأرض، وتفسح له الطريق، ليأخذ مجراه بين الناس.. أن تعلي صوت الحق فتطارد المنكر، وتجعل من كيانها ملجأ للأمن وملاذا للمعروف، ومثابة للفضائل.. أن تحمل وحي السماء في أمانة، وأن تبلغه للناس في صدق، وأن تجعل من إسلامها شعلة مقدسة تنشر نور الهدى في فجاج الأرض، حتى لا تضل الإنسانية طريقها.

هكذا تكونت الأمة الإسلامية واضحة الهدف، متميزة الحركة تمضي مسيرتها في الحياة تهدي وتعلم وتشرق بنور الإيمان. ومنهج الأمة الإسلامية قائم على الحق والعدل.

ها هو عمر بن الخطاب ينصف رجلا قبطيا من أهل مصر، ضربه ابن أميرها، عمرو بن العاص، يقول عمر للقبطي: «خذ هذه الدرة واضربه كما ضربك»، ففعل الرجل، ولا يكتفي عمر بذلك بل يقول له: أجلها على صلعة عمرو.. أي كما ضربت ابن الأمير فأضرب الأمير نفسه، فقال الرجل: إنما ضربت من ضربني، فيقول الخليفة العادل: «اضربه فما ضربك إلا بجاه أبيه». ثم يلتفت الخلفية العادل في استنكار إلى عمرو قائلاً: «متى استعبدتم للناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا».

وقد ربى الإسلام أبناءه على أن يمشوا على الأرض هونا، وأن يسلكوا في حياتهم مسلك التواضع والورع، وأخذ النفس بالشدة حتى لا تضيع حقوق العباد، وهذا هو عمر بن عبد العزيز يدخل عليه في داره أحد المقربين، فيجده في ركن منها تغطيه الشمس، وقد لف جسمه كله في إزار، وحسبه الزائر مريضا، فسأله عن حاله، فأجاب أمير المؤمنين: لا شيء غير أني أنتظر ثيابي حتى تجف. قال الزائر: وما ثيابك؟ قال عمر: قميص ورداء وإزار. قال الزائر: ألا تتخذ قميصا آخر ورداء وإزارا؟ قال الخليفة: كان لي ثم بليت.. قال الزائر: ألا تتخذ سواها! وهنا علا صوت عمر بالبكاء وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض، ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾ [القصص / ٨٣].

والإسلام يعلم أمته الشجاعة والثبات عند لقاء الأعداء.. ففي غزوة بدر، وجد المسلمون أنفسهم أمام امتحان عسير، فالأعداء تجمعوا عليهم في كثرة وهم قلة. فجمع الرسول ﷺ أصحابه وقال لهم: «أشيروا عليّ..» فقال سعد بن معاذ: «يا رسول الله قد آمنا بك وصدقنا، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا، ومواثيقنا على السمع والطاعة لك.. فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله.. فرح الرسول ﷺ بكلام سعد وقال: «سيروا وابشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أرى مصارع القوم. ثم دارت المعركة وكان النصر في جانب المؤمنين.

بهذه الصفات سادت أمة الإسلام، وبهذا الدين الخالد منّ الله على المستضعفين من الأرض الذين كانوا يخافون أن يتخطفهم الناس فأواهم، وأيدهم بنصره، ومكن لهم في الأرض.. وبمحمد ﷺ وأتباعه ارتفعت راية الحق والعدل، وعلى المسلمين في أركان الأرض أن يتأسوا برسولهم، وأن يأخذوا من سيرته وهديه ما يحقق لهم عز الدنيا ونعيم الآخرة□

محمد السيد عامر - بور سعيد - مصر

هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

المسلمون ومسؤولية الحياة والحضارة

هناك تساؤلات تتعدد إجاباتها متباعدة ومتقاربة في الاختلاف والاتفاق ترجع في ذلك إلى تنوع العقول والمشارب والعلوم والدراسات.. وها هو سؤال يقف بنا على مفترق طرق.. يقول من أين تأتي الحياة؟.. ولا ندع الحيرة تضيق علينا الخناق فهاهي الحياة من حولنا بخيرها وشرها وسوئها وحسنها، وفقرها وثرائها، ومغانمها ومغارمها، فلا نخطىء ونحن نقول: تأتي الحياة من حيث نرى..

إن هذه الدنيا يتوفر لها أن تدللنا وأن تكون الحبيبة، ويتوفر لنا أن نحبها ونأنس بها ويأخذنا سحرها ويطمئننا أمنها.. فهي زاخرة بكل ما نطلب وكل ما نتمنى.. وتختلف هذه الرؤية عن اليوتوبيا إلى حد لا يتشابهان في شيء منه لما هو بين الأحلام والحقيقة من فارق لا يجتمعان فيه..

وحاذروا من أن تقولوا أمامنا الزيف ولسنا نرى الحقيقة مع أنها ماثلة واضحة تملأ الكون على اتساعه من حيث أن الله خلق الحياة جميلة وسخية وخلق القلوب لخيرها وجمالها وسخائها ونحن ننظر إليها من هذا التصور الذي كان ينتظرنا والذي هو مبتغانا..

وإذا كانت الأمور تبدلت من النقيض إلى النقيض فذلك ما يستحق أن نعمل فيه الفكر لينكشف لنا مصدر البلاء وممكن الداء ومبعث الهموم والأنات..

ترى هل الحياة خانت الناس؟ أم أن الناس خانوا الحياة؟ والجريمة تحمل بصمات الإنسان.. أساء التفكير وأخطأ التصرف فانتهج العبثية والفوضى والظلم وانتشر الفساد في البر والبحر وغدا فريق من الناس كالوحوش الضارية يتلذذون في التشفي من الآخرين وغدا فريق تلوكه الأنياب..

ووهذا الزيف هو الذي نحى الحقيقة جانبا لتبدو الحياة مأساة ويعيشها الناس جرحى ساخطين وتبقى الإجابة على ما هي عليه: تأتي الحياة من القلوب وإليها تعود..

ولم ينته الأمر بعد، ولن ينتهي، لأن الأمل ممتد لا يموت ينتظر من يعود إلى الحق.. والمسلمون يتحملون هذه المسؤولية ويتجرعون مرارة هذه الدنيا الضالة وأخراهم أقسى من دنياهم طالما هم يتقاعسون عن الواجب المقدس الذي يضع الأمور في نصابها ويتصالح الناس مع الحياة..

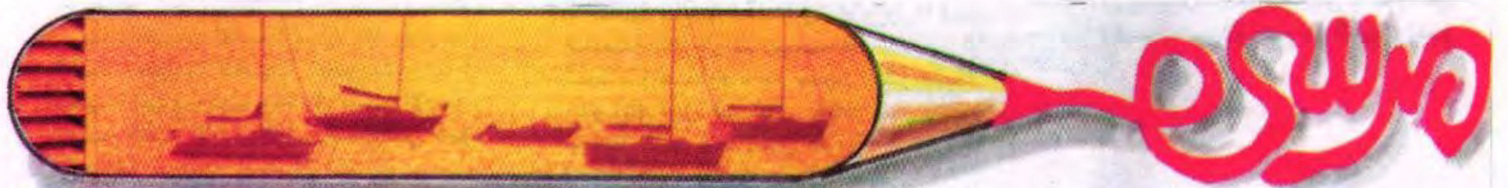
والقصة مبنية على أن القلوب بيوت الله يبنيها الإسلام بعدله وقوته وشفافيته وصفائه.. وتقوم الحياة على هذا الدعم مؤنسة مصونة ساطعة رخية ويتولى الله هذا المسعى ببركاته وهداه ويسبغ نعمه على عباده ظاهرة وباطنه ويحدوهم بعنايته ورضاه فيهنا العمر ويطيب الملتقى..

ولو سلكت هذه القصة سبيلها القويم لتجسدت حضارة الإسلام الشامخة الحانية بدلا من حضارة الأهواء التي تمضغ الناس وكأنها تقبلهم والتي تعتصرهم وكأنها تحتضنهم..

إذن المشكلة مشكلة قلوب وهي على الأخص مشكلة المسلمين لأن تطابقهم مع القرآن والسنة هو أن يكونوا اخوة متوادين متراصين كالبنيان وكالجسد الواحد ثم أن يأخذوا بفواعل التفوق والريادة والمنعة..

ليست لهم توجهات دنيوية وليست لهم أهواء ولا يستطيع مفسد أن ينزغ بينهم.. وهم بهذه الأصالة الإسلامية تتهيأ قلوبهم لاستقبال واهب الحياة□

بقلم: محمود عبد المجيد أحمد



مقدار الزكاة

لِمَالِكَ وَحُلِيِّكَ

%2.5



إذا حال عليها الحول

سنة قمرية

للإستفسار : ٥٦٢٢٢٢٤

بالزكاة والخيرات | نحقق الكثير



أسرى الكويت يناشدون العالم



NATIONAL COMMITTEE
FOR M.& P.O.W.'S AFFAIRS

اللجنة الوطنية
لشؤون الاسرى والمفقودين

يتك مع العدد
براعم الايمان

الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

اسلامية شهرية جامعة



العدد ٣٥٠ - شوال ١٤١٥هـ/ مارس (آذار) ١٩٩٥م

فرحة التحرير تكتمل بعودة الأسرى





■ الزواج السري باطل.. باطل

■ إعلانات بيع الوهم

■ الأمن البيئي من منظور اسلامي

تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،
و مجلة الوعي الإسلامي من

صاحب السمو أمير البلاد،
وسمو ولي العهد، رئيس مجلس الوزراء،

والشعب الكويتي الكريم، والأمة الإسلامية،
بأحر التهاني بمناسبة عيد الفطر المبارك،
تقبل الله طاعتكم، وأثابكم خيرا،
اللهم ارحم شهداءنا الأبرار، وفك قيد
أسرانا وأسرى المسلمين.

كل عام
وأنتم
بخير



الوعي الإسلامي

AIWEI AL-ISLAMI

اسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٥٠ - السنة الحادية والثلاثون - شوال ١٤١٥هـ / مارس (آذار) ١٩٩٥م

كلمة العدد

فرحة.. وغصّة

وتجلدي للشامِتين؛ أريهمو
أنّي؛ لريْب الدهر لا أتضعضعُ

كلما أزِف فبراير (شباط) على الوداع قفزت إلى الذاكرة فرحة تحرر الكويت من عدوان النظام العراقي، ففي مثل هذه الأيام منّ الله تعالى على هذا الشعب المسلم بالتخلص من كابوس لم يتوقع حدوثه قط، وهو الذي لم يقصّر في حقوق الأخوّة، ولا حقوق الجوار بحسب طاقته وقدرته وجهده، وبمقدار ما كان الاحتلال كابوساً ضاغطاً، ونزيلا مرفوضاً كان للتحرير وقع متميّز في القلوب والنفوس..

استعادت الكويت عافيتها، وعادت إلى حركتها النشطة المتميّزة في ميادين خدمة العروبة والإسلام، والعمل في حقول التنمية والتعليم والفكر، منطلقة من الزاوية الإيجابية في الاعتبار، مدركة أكثر من غيرها ماذا يعني الظلم، ولذلك لم تكبّلها مآسي فترة الاحتلال ولا صوره القاتمة، ولم يتمكن الغزو العراقي من تغيير المعدن الأصيل لجزء لا يتجزأ من أمة أصيلة، وبقي صوت الكويت الاقليمي والدولي عاليا إلى جانب تحقيق العدالة ورفع الظلم عن كل فرد وجماعة بشرية، وبقي الساعد الكويتي جنبا إلى جنب مع السواعد البنّاءة الأخرى على الساحة الإسلامية والدولية..

ولكن الفرحة لم تكتمل في بعض البيوت العامرة، لأنها تفتقد الغالي والعزيز من آبائها وأبنائها في سجون الطاغية، فما زال أسرى الكويت شهوداً على الظلم الطاغوتي، وعلى اجتراء الطاغية على حرمات الله تعالى، ويظهر أنه ومن حوله لم يسمعوا بعد قول النبي ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، اللهم تقبّل شهداءنا وفك قيد أسرانا واغفر لنا تقصيرنا□

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar

مدير التحرير
MANAGING EDITOR
د. صلاح الدين أرقه دان
Dr. S.S. ARKADAN

المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR
خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz

الاخراج الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
S. M. Saleh

هاتف:
بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

الاشتراكات

داخل الكويت : للافراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ الدول العربية : للافراد ٦ دنانير كويتية(أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ دول العالم: للافراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً(او مايعادلها)

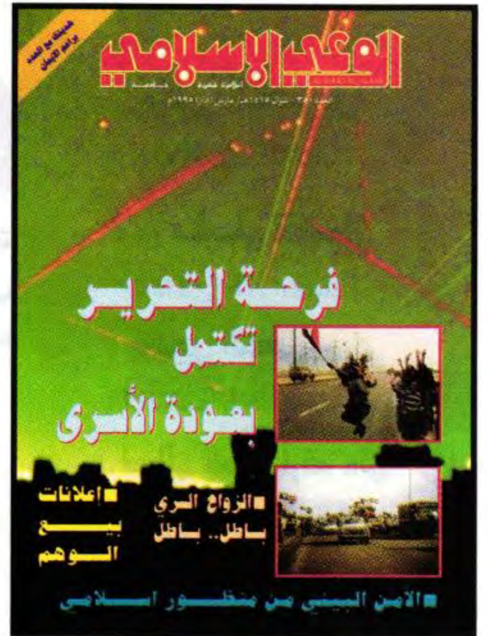
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب:٤٢٠٥٧
الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت:٥/ ٤٨١٦٨٨٤-٤٨٣٥٠٤٧

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠فلس ـ ج.م.ع٧٥ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

أقــــرأ في العــــدد



نعيش فرحة الكويت باليوم الوطني وذكرى التحرير، مدركين أن المحنة والابتلاء يمكن أن يكونا منحة وخيراً إن نحن وعينا الدروس واستفدنا من التجربة، وعدوان النظام العراقي على الكويت ترك بصمات واضحة وقروحا مسمومة إلا أنه كشف كثيرا من الحقائق التي اختفت طويلا خلف غلالة من النفاق والعبثية، وتبقى الفرحة ناقصة بغياب الأحبة في سجون النظام الظالم وأقبيته.. اللهم ارحم شهداءنا الأبرار، وفك قيد الأسرى والمرتهنين.

تذهب بنا رياح التحرر ما بين تشريق أو تغريب.

تجدد الرؤية الاسلامية في فكر الشيخ الغزالي



حاول كثير من العلماء الذين يملكون من الجرأة ما لا يجعلهم يخشون في الله لومة لائم ان يبصّروا الأمة ويأخذوا بيد المسلمين إلى الأمام، وصبري قنديل يسلط الضوء في مقاله هذا على نموذج معاصر من أهل العلم، هو الداعية المشهور الشيخ محمد الغزالي.



انتقال الحضارات

علم الحضارات والعمران من العلوم المهمة المفيدة، وقد يصل حكمه في زحمة الحياة العصرية وتعقدها إلى درجة (الضرورة)، ودراسة أسباب موت الحضارات وانبعاثها، وجمودها وتطورها، وتحولها وانتقالها مما لا يصح إغفاله بعد اليوم، وفي مساهمة جادة حول ذلك كله يكتب لنا د. محمد عبد المنعم خفاجي عن (انتقال الحضارات).



اقرأ في الأعداد القادمة

- جمالية الابداع في الادب الاسلامي / كمال سعد خليفة
- مراكز افريقية للحفاظ على التراث الاسلامي / محمود بيومي حسن
- اهتمام الاسلام بتربية الابناء / محمد عبد الشافي القوصي
- اعجاز القرآن اللغوي / علي عبد اللاه طنطاوي
- كيف يعالج الاعلام الاسلامي اخبار الجريمة والجنس / نور الدين بليبل
- البنك الاسلامي ونشأته / الأزهري مولاي عبد العزيز
- بين السلف والخلف / د. محمد محمود متولي
- القلق وأطفالنا / اميمة محمد عزالدين
- المنظور الاسلامي للانسان / عبد المجيد بنسعود

اعــلانــات بيع الــوهم والاثــارة

لـلإعــلانـات المعــاصرة دور كبير في تــرويج البضــائع وتشكيل العقليــة الاستهـلاكيـة، ولقـد أبـدعت الحضـارة المعاصرة في هذا الفن حتى بات بابا واسعا من أبواب التأثير على الأفراد والمجتمعات، وعاطف شحـاته زهران في مقالـه يتطرق إلى أســاليب الاعــلانــات المعــاصرة وتسويقها الوهمي.



الاقليات الدينيـة في الـدولـة الاسلاميـة

أيا كانت ديانتك فانت في الدولة الاسلامية لك حق المواطنـة، وتتمتع بـالمسـاواة والعـدل، وان كنت ذا خبرة فلك مكانتك، فقـد تضع الدولة شروطـا لتولي بعض المناصب ذات الصفة الدينية، وهذا حق، فإن توفـرت فيك فمرحبـا بك، وإلا فلن ينتقص أحـد حقك، حـول هـذه المعـاني وغيرها يحدثنـا د. محمـد عمارة الكاتب الاسلامي المعروف.



مخطط التنصير في البـلاد الاسلاميـة

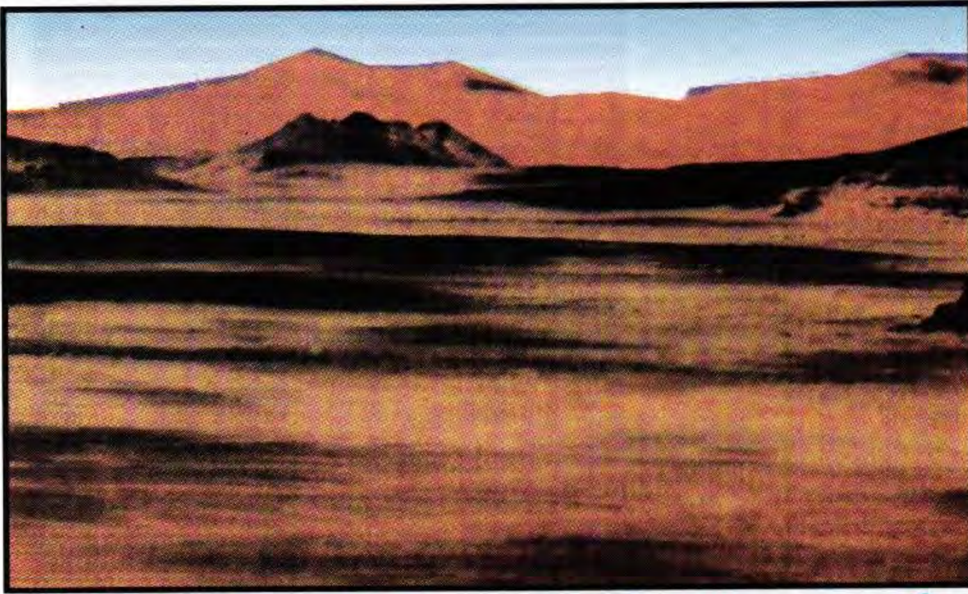
أصـدرت النشرة الدوليـة للبحـوث الإرساليـة المسيحيـة إحصـائيـة عن التنصير وأنشطتـه في العالم لعام ١٩٩١م وقد أشارت هذه الإحصائية الى أن عـدد المؤسســات التنصيريـة ووكــالات الخـدمـات المسيحيـة، والموارد الماليــة للكنـائس العاملـة في مجال التنصير، وما حققته الإرساليـات الأجنبية في ميـدان الاعـلام والنشر، حـول التنصير ومخططـاته كتب لنـا احمد محمود أبو زيد.



الـوظيفـة التربـويـة للـــدعـــاء

غير خاف ما أعطي للدعاء من منزلـة ومكانة وأهمية في الإسلام. وحسبنـا من ذلك كونه «مُخّ العبـادة»، وفي روايــة عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»، ومن هنا كان المقصـد الأسمى لـلـدعاء، هـو كـونـه يمثل أعلى وأرقـى درجــــات العبـــوديـــــة والعبـادة لله سبحـانه وتعـالى. والدكتور/ احمد الـريسوني في مقـالـه يبين مكـانــة الـدعــاء ووظيفته في حياة الانسان.





تقـديم لعلـوم الأراضي في ظـلال بعض آيـات القـرآن

تدبـر الدكتـور/ محمد أحمد عبـد المطلب لفظة (الأرض) تـدبراً خـاصاً، يبحث في معـارف الإنسان ومعلـوماتـه التي كشف اللـه لخلقه بعضـا من أسرارها العلميـة والعملية، والتي يشاهـدها الانسان بنفسه ويلمسهـا بيده سواء في الحياة اليومية أو البحثية في حقائق ذات انتشار واسع أو محدود.



الفهـــرس

الافتتاحية

الابتلاء

سنّة الله تعالى في خلقه؛ يمحص به الخبيث من الطيب، والكافر من المؤمن، والمطيع من العاصي، وأشد الناس ابتلاء الأنبياء «فالأمثل فالأمثل، يبتلى المرء على قدر دينه، فإن كان في دينه شدّة زيد له في البلاء»، ولقد ابتلي نبينا محمد ﷺ وامتحن أصحابه فثبتوا وضربوا أكبر مثل في الجهاد والتضحية وإنكار الذات والثبات على الحق..

وقد بين سبحانه وتعالى أن الابتلاء أحد سننه في الذين آمنوا خاصة وفي الناس عامة، ماضيا وحاضرا ومستقبلا، فقال: ﴿ألم. أحسِب الناس أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتَنون. ولقد فتنّا الذين من قبلِهم فليعلمنَّ اللهُ الذين صدقوا وليعلَمنّ الكاذبينَ﴾..

وما وقع من الابتلاء نتيجة عدوان النظام العراقي على دولة الكويت يوم ٢/٨/٩٠م، وإسقاطاته وإفرازاته، لم يقف عند حدود السياسة ولا الأمن ولا الاقتصاد، وإنما طال ميادين الحياة جميعا حتى بات المسلم نفسه حائرا أمام تداعياته وتطوراته، وللأسف كان للعاطفة دورها الأكبر في توسيع الفتق، وإطلاق الصراع على غاربه حتى وقع ما يشبه الانشطار الداخلي، الذي أصاب كل جزء من أجزاء جسم الأمة، وانتقل من الميدان الرسمي إلى القاعدة الجماهيرية العريضة..

ولئن كان للعدوان هذا الأثر السلبي المعروف، فقد كان له إيجابياته الكثيرة وعلى رأسها العودة إلى الله تعالى بالصلاة والدعاء وضرب أروع الامثال في التكافل والتعاون والأثرة والصبر والمصابرة، مما كان له اكبر الاثر في تخيف المعاناة وتثبيت الناس والتمهيد لزوال الغمة والظلم والعدوان، وهذه صفات تقوى بها النفوس ويصلح بها شأن الأمم ﴿ولنبلونّكم حتى نعلمَ المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾، كما كان لتحرير الكويت ورفع ثقل الاحتلال ومفرداته عن أرضها العربية المسلمة إيجابيات أخرى لم تخلُ من محاولات إعلامية يائسة للنظام العراقي، ساعياً إلى تشويه وجهِ الحق في المسألة، وموظفًا كمّاً كبيرا من المفاهيم والشعارات لخدمة الغايات والمرامي التي سعى إليها منذ بداية خطته وحتى اضطراره للفرار مخلفا وراءه ذكريات أليمة ووقائع حزينة وتخريبا يندى له الجبين..

والامتحان يفيد المؤمنين والعقلاء، ويوجب على كل مسلم أن يحاسب نفسه، ويجاهدها لله، وأن يستقيم على أمره ويتباعد عن نهيه، ويوجب على الدول الإسلامية أن تحاسب نفسها أيضا، وأن تستقيم على دين الله، ومتى استقام العباد على الحق، وأصلحوا أنفسهم، وبذلوا المستطاع في نصر الحق، يسر الله أمورهم، ونصرهم على عدوهم ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾..

وقد انتهك النظام العراقي بعدوانه الماكر أحكام الشريعة الإسلامية، في نفس الوقت الذي تنكّر فيه لأحكام القانون الدولي، والأعراف الإنسانية السليمة المنسجمة مع شريعة الله تعالى في حفظ الجوار وعدم العدوان واحترام العهود والمواثيق..

وما بين واقع الاحتلال الذي رفع فيه النظام المعتدي شعار (وحدة الأمة)، ومعركة التحرير الذي ثرثر فيها بشعار (لا

الابتلاء.. بناء لا هدم

للوجود الأجنبي) كادت الحقيقة تضيع على البعض ممن غرتهم الشعارات، واستمعوا بآذانهم بعيدا عن إعمال الفكر وعميق النظر في أفعال النظام العراقي نفسه..

فقد ذكر تعالى في كتابه الكريم صفات أهل البغي والعدوان، الذين استعبدوا الناس واسترهبوهم واستخفوا بعقولهم وساموهم سوء العذاب، وتوعّدهم كما توعّد المستجيبين لهم في جملة من الآيات الشريفة، منها قوله تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة﴾ وقوله تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار﴾.. كما بيّن النبي ﷺ عاقبة ذلك كله في سنته المشرّفة..

ولو عدنا إلى حقائق الواقع لما وجدنا أي مبرر لتأييد النظام العراقي لا على المستوى العقدي والفكري، ولا على المستوى الميداني والعملي، وهو الذي يتنكر للإسلام عقيدة والتزاما ويستبدل الشريعة السمحة بقوانين وضعية تعود في أغلب الأحيان إلى مزاجية الفرد الحاكم لا إلى مجالس شرعية دستورية قد تراعي المصلحة العامة وتقدمها على المصلحة الخاصة..

بل من المعروف للقاصي والداني أن زبانية النظام لا يقيمون وزنا لبيوت الله ولا للشعائر التي تقام فيها، ولا يتورعون عن إهانة المصلين واعتقال العلماء وجمهور المتعبّدين إذا ما كانت مقتضيات حفظ هيبة الحكم تتطلب ذلك..

ولا ننسى أن الدعوة إلى الإسلام وانتشاره وتمكينه في نفوس الناس وتبيان محاسنه وتخليص العامة من الأوهام والخرافات والبدع العالقة بتراكم الجهل على مدى السنين، لا يمكن أن يتم بعيدا عن المؤسسة العلمية متمثلة بالمعاهد والمدارس والكليات والجامعات الشرعية، ولايمكن أن يتم بعيدا عن روح احترام العلماء وطلابهم من الدارسين والقائمين على هذه المؤسسات العلمية. وفي الوقت الذي تنتشر فيه المدارس الشرعية، وتهتم ببرامج التربية والتعليم في الكويت وأخواتها من دول الخليج بالتعليم الديني ونشر علوم القرآن الكريم والسنة الشريفة والفقه الإسلامي بين مختلف شرائح المجتمع نكاد لا نسمع باسم عالم يمتلك حرية التعبير أو حرية الحركة أو حتى حرية المشاركة والمساهمة في مجالس فقهية متخصصة داخل العراق أو خارجه، بل إن قتل العلماء سمة تسم النظام الحاكم منذ وصوله إلى السلطة وحتى اليوم، لا يوفر في ذلك فريقا دون فريق أو مذهبا دون مذهب بما في ذلك العرب والأكراد والتركمان، والشيعة والسنّة على حد سواء، ومن أراد الاستزادة فسيجد كما هائلا من الوثائق التي توضح حقيقة اضطهاد أهل العلم والمؤسسات العلمية الشرعية في العراق، ولائحة طويلة من أسماء المبتلين بالتعسف والظلم المريع..

ولعل من الشائع المنتشر على ألسنة العامة والخاصة داخل العراق وخارجه تسمية الجمهورية العراقية بجمهورية الخوف، لما ينتشر فيها من وسائل الإرهاب كالقتل والخطف والسجن وسمل العيون وقطع الأيدي، وشرم الآذان، وبتر الأعضاء، وكي الجباه، والطرد التعسفي من الوظيفة، والتهديد بالاعتداء الجنسي على الفرد وأفراد أسرته، ومصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة، والطرد من البلد، أو مصادرة جواز السفر والحرمان من السفر ولو طلبا للاستشفاء في الحالات المستعصية، أو طلبا للعلم، إلا بضمانات وقيود أين منها قيود هامان وفرعون وزبانيتهما..

ومن مظاهر التعدي على الحقوق وانتهاكها عدم الالتفات إلى حرمة البيوت وخصوصيتها، فالكل مستباح في أي وقت وأي ظرف طالما أن ذلك يؤدي إلى سيطرة النظام على الأفراد، حتى قيل أن الزوجة باتت لا تأمن على نفسها من زوجها أن يكون عينا للأجهزة وأذنا، فالخوف يحكم العلاقة داخل الأسرة الواحدة، والعلاقة متوترة بين الزوج وزوجته، وبين الآباء وأبنائهم، وبين الجيران والأنسباء، الكل يخشى من الكل، والكل يتربص بالكل، والعياذ بالله..

أما القتل الجماعي فحدث عنه ولا حرج، وإن ينسَ العالم جرائم النظام العراقي فلن ينسى خنق حلبلاًا – المدينة الكردية العامرة – بالغازات السامة والسموم القاتلة الممنوعة شرعا وقانونا، وهي المدينة التي كانت تعتبر مركز العلم الشرعي في مناطق الأكراد، وتحتضن من الحفّاظ والقرّاء والمدرسين والدعاة ما شكّل شوكة في حلق النظام، وشوكة في طريق مخططاته الماكرة..

وعندما نتحدث عن الدعوة الإسلامية ودعاتها، لن نجد جريمة تشبه جرائم النظام العراقي في تصفيتها والتشفي بتقتيل أبنائها، ورفعهم على أعواد المشانق أو إذابتهم بالمواد الكيماوية الحارقة، أو سحلهم حتى الموت، مع استباحة تركتهم، والحجر على أموالهم، والانتقام من أصولهم وفروعهم، فالانتماء للعمل الإسلامي جريمة يعاقب عليها قانون حاكم بغداد، ومع ذلك كان يحرص – لا سيما –خلال فترة الاحتلال وحرب التحرير على الظهور في (المساجد) و(العتبات) بمظهر المصلي الورع، ذرا للرماد في العيون وتغريرا للبعض ممن لا يعلمون، أو يستعينون على إسكات ضمائرهم بالنسيان..

إن جرائم النظام العراقي لا تقف عند حدود الانتهاكات الآنية المحدودة، ولكنها طالت مستقبل الأمة، لا مستقبل الشعب العراقي المنكوب بها فقط، فقد أدت مغامراته العسكرية المتلاحقة إلى إنهاك الأمة العربية، وتفتيت صفها، والذهاب بريحها، وما نراه اليوم من قرارات تفرض عليها إقليميا أو دوليا هو نتيجة طبيعية لمغامراته العسكرية الخاسرة، وعلى رأس ضحاياها (قضية فلسطين) التي وصلت إلى ما وصلت إليه بسبب العبثية الفاشلة التي قامت على الغوغائية وتدمير البنى التحتية، والقوى الحقيقية للأمة، وعلى رأسها (الإنسان)، فأمة أفرادها ضعفاء؛ أمة ضعيفة، والأمة التي تربي أبناءها على الخوف والتردد وعدم الثقة بالنفس لا يمكن أن تغير واقعها أو تبني مستقبلها أو تحقق العدالة المطلوبة المؤدية إلى تحقيق المرتجى والمطلوب في مسألة الاستخلاف في الأرض، وهو رسالة الإنسانية الأولى..

إن ذكرى التحرير تعيد البسمة إلى الشفاه التي اكتأبت بالاحتلال وإفرازاته، وتعيد الأمل إلى القلوب التي أشفقت على الأمة وهي ترى الظلم يمتد ويطغى ويعيث في الأرض الفساد، ويقلِّب الشعارات رأسا على عقب، ويسيء استخدام الإسلام ومفرداته الطاهرة لتزييف الوقائع، ولكن ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾..

وتبقى الألسن تلهج بالدعاء أن يرحم الله تعالى الشهداء الأبرياء، وأن يطلق الأسرى والمرتهنين داخل سجون الظلم والتعسف في العراق وفي كل مكان، ونسأله تعالى أن يجعل فيما وقع خيرا للمسلمين جميعا، وشراً على أعداء الإسلام، لأنه سبحانه أعلم وأحكم فيما يقدّره ويجريه، ونرجو أن يكون فيما وقع عظة بالغة في الرجوع إلى الله والاستقامة على دينه، وعدم الركون إلى الدنيا وزخرفها الزائل مصداقا لقوله ﷺ: «من زهد في الدنيا أسكن الله الحكمة قلبه، وأطلق بها لسانه، وبصّره عيوب الدنيا، داؤها ودواؤها، وأخرجه منها سالما مسلما إلى دار السلام» [رواه ابن أبي الدنيا]. وذاكرين ومذكّرين في هذا الموقع بقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾■

■ الغـرب متخـوف وحـذر في وقت واحـد، فـالحضور الإسلامي في دياره أصبح ملحـــوظـــا وفـــاعـــلاً



● نشاط إسلامي خيري في بريطانيا

المستشرق بـــورينغ:

الإســلام ديـــن المستقبـــل

زار البرفسور جيرهارد بـورينـغ (رئيس قسم الدراسات الدينيـة بجامعة يـال YALE بأمريكا) الكويت بـدعوة من وزارة التربية والتعليم العالي. وكان قد زارمكاتب مجلة (الوعي الاسلامي) والتقى مسؤوليها، ودار بينهم حوار شـامل حول الاستشراق وحركـة التواصل الفكـري والحضاري بين الشرق والغرب، قديماً وحديثاً.. ونظراً لموقع الرجل وأهمية الزيارة أجرينا معه الحوار التالي:

■ السـؤال التقليدي: لماذا اخترت ميـدان الدراسات الإسلامية؟

● أجاب مع الإشارة: بالصدفة..

■ يعني: من دون تخطيط؟

● يمكنك قول ذلك؛ ففي العطلة التي تلت امتحاني للثانوية العامة اخترت السياحة إلى جنوب اسبانيا (الأنـدلس) ومنها إلى المغرب، وكانت المرة الأولى التي أزور فيها بلداً عربياً، وأعيش بين أهلهـا عن قـــرب، ولما عـدت إلى ألمانيـا (بلـدي) درست الفلسفـة لمدة ثـلاث سنـوات في الجامعـة، ثم حصلت على منحـة حكـوميـة فيممت وجهي شطر البـاكستـان حيث درست الأورودو في لاهور لمدة سنتين، ثم التحقت بجـامعة البنجاب لأحصـل منها بعـد ثـلاث سنوات على دبلـوم الـدراسـات الاسلامية. ومنها إلى مصر لـدراسة العربية لمدة سنة دراسية واحدة..

وبعـدهـا حصلت على منحـــة من خــلال

أجرى الحوار: د. صلاح الدين أرقه دان

بـرنـــامج تبـادل الطلبـة بين ألمانيـــا وكنـدا، فحضرت درجـــة الـــدكتـــوراة تحت إشراف بروفسـور ألماني كنـدي في الاسلاميات. قبلت بعدهـا عرض عمل في بنسلفانيا (فيـلادلفيا)، وعـام ١٩٨٤م سنحت لي الفـرصـة للعمل في جامعة يال (Yale)..

■ وهل عملت هنـاك في قسـم الـدراسـات الإسلامية؟

● لم يكن القسم قـــد أنشيء بعـد، وإنما استدعيت لتأسيسه، بعدمـا كانت الجامعة قد اتخذت قراراً سابقاً بذلك.

طلبة الدراسات الاسلامية وتوجهاتهم

■ كم عدد الطلبة؟



● تظاهرة احتجاج إسلامية نظمها مسلمون في ال

● في المرحلـة الجامعيـة ٤٠ طـالبـاً، وفي الدراسات العليا ٧ طلاب.

■ ما هي جنسياتهم؟

● هنـاك ٣٥ طـالباً أمـريكيـاً في المرحلـة الجامعية، وخمسـة من جنسيات إسـلامية. وفي مرحلة الـدراسات العليا طالبـان عربيان (أحـدهما درزي) وطـالبـان بـاكستـانيـان وطـالبـان أمريكيـان وطـالب واحـد صيني (درس العربيـة في مصر ويتقنها بـالرغم من صعوبة النطق بكثير من أصواتها)..

■ لم اختار هؤلاء الدراسات الإسلامية؟

● في المرحلة الجامعيـة، يحضرون المنهاج لأنه جـزء من الـدراسة الجامعيـة (كورس) وليس للتخصص، وقد يكون الأمر بين الطلبة المسلمين موضوع انتماء أو بحث عن انتماء..

تخوّف وحذر

■ في بريطانيـا حوالي ١٣ مركـزاً لتدريس الإسلام، وفي الدول الأوروبيـة يزداد الإقبال على الدراسات الإسلاميـة، فكيف هو الأمر في أمريكا؟

● في أمـريكـا مـا لا يقل عن ٣٠ مـركـزاً للـدراسـات الإسلاميـة، وأظن أنها ستـزداد توسعاً في المستقبل..



■ مـا سبب هـذا الإقبال برأيك؟

● لنكن صرحـاء، الإسـلام دين ينتشر، وقـد أصبـح عـدد المسلمين بمختلـف فئـاتهم يـربـو على الأربعة مـلايين، وأظن أنـه لو جـرى إحصـاء لربما تجاوز العدد ستة مـلايين مسلم، فهنـاك (المسلمـون السـود) أتبـاع اليجـا محمـد، والمهـاجـرون الجدد (وهـم في ازديـاد) وبعض المعتنقين للإسلام..

■ خُمس سكـان العالم من المسلمين، وهـم يحيطون بـالكـرة الأرضيـة كالحزام

الغـرب متخـوف وحـذر في وقـت واحـد، فالحضور الإسلامي أصبـح ملحوظاً، وهناك أثـر الثورة الإسـلاميـة في إيران وشعـاراتها وخطابها الاعلامي المميـز المثير لانتباه الغرب وتخوفه، وهناك حـرب الخليج الأولى (العراق وإيران) والثانية (احتلال العراق للكويت) وما تبعهـا من تحرّك دولي كان على تماس مبـاشر مع الإسلام السياسي والمجموعات الإسلامية، ولا تنس مشكلـة فلسطين والصراع العـربي الإسرائيلي، وظهور حـركات المقاومـة والجهاد ذات الشعـار الإسلامي المميـز، وهناك لبنـان ومظـاهـر الحرب الـداخليـة والصراع مع الإسرائيليين والامتـداد الإيـراني، وهنـاك الحركات الأصولية البارزة ذات التأثير في أكثر من بلد (الجزائر، تركيا، إيران إلخ)..

أضف إلى ذلك أن خمس سكـان العـالم من المسلمين، وهم يحيطـون بـالكـرة الأرضيـة كالحزام، وكل ذلك حقائق يأخذها الغرب بعين الاعتبار..

ولقـد كتبت مقـالا نشر بخمس لغـات (الانكليزيـة والفرنسية والألمانية والاسبـانية والبرتغـالية) بعنـوان (العـلاقة بين الإسـلام والغرب) تناولت فيه كثيراً مما يثار حول هذه العلاقة وحول (الأصولية) الإسلامية..

مفهوم الأصولية بين الشرق والغرب

■ الأصـوليـة مصطلـح يختلف في معنـاه العـربي عمّا تعنـونـه بـالإنكليـزيـة، كما أن الأصولية بمعنى التـزمّت أمر انتشر عند غير المسلمين أولاً، كـالأصـوليـة اليهـوديـة والمسيحية والهندوسية إلخ.. أرجو استخدام مصطلح (الصحوة)..

● قـد أوافقك الـرأي.. فـالأصـوليـة بروتستـانتية المنشأ، وهي تعنـي العودة إلى الجذور الصـافية للـدين أو لمظـاهر التـدين بعيداً عن مـؤثرات المادة، التمسّك بـالأصول الداعيـة للزهـد والتقشف والإيمان بحـرفية النص، والعيش فيـه، أي الانتقال من الـواقع المرفـوض إلى أجـواء النـص الـديني كما يستغرق فيه المتعبّـد الملتزم.. فهل ترى ذلك بعيداً عن الفهم الإسلامي؟

■ نعـم.. فـ(الأصول) في المصطلـح الإسلامي هـي القواعد الكليـة التي يستنبط منهـا المجتهد الأحكـام الفـرعية التفصيليـة، والأصوليون هم أصحاب الاختصاص بغض النظر عـن مدى التزامهم أو تعصبهـم لمظهر من مظـاهــر التـديـن، أمـا (التعصب) و(التمسّك) أو الإغـراق في مظـاهـر التـدين، فمسألة مختلفة، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم رفض بشدّة أن يستغرق الفرد المسلم في مظـاهر التـدين إلى درجـة تعطيل دوره في الحياة الـدنيا، أو المبالغة في التعبّـد إلى درجة الخروج من الفـاعليـة إلى الجمـود، أو من الحياة الفطـرية إلى الترهـب، وقصة الثـلاثة الـذين بـالغ كل منهم في التعبير عن تـدينـه، فأقسم أحدهـم ألا يتـزوج النساء، والآخر ألا يفطر الدهر، والثـالث أن يقوم الليل فلا ينام قط، مشهـورة، وقـد نهاهـم عليـه الصـلاة والسلام عن هذا التطرف وأمرهم بالاعتدال. والأدلـة الدالـة على هـذا المنهج الوسط تكـاد تتضافر في القـرآن الكريم والحديث الشريف على حد سواء، وهي من الوضوح والكثرة مما ينفي عن العبـادة الإسـلاميـة أو الالتـزام الإسـلامي أي تطرف أو تـزمت أو إغـراق في الروحية البعيدة عن الواقع العملي..

ولنعد إلى مـوضوع الأصـولية في المفهـوم الغـربي، ولِمَ أطلق على الحركـة الإسلاميـة المعاصرة؟

● برأيي – كما قدّمت – ان المصطلح ابتدأ في الطـوائف البروتستانتيـة، وهنـاك خطأ في الفهم عندما يعمّم على ما نراه من بروز روح التدين في العالم الإسلامي..

ولعل مردّ ذلك إلى طبيعة انطلاقة الحركات الإسلاميـة المعاصرة، فهـذا العصر هو عصر

المستشرق بورينغ: الإسلام دين المستقبل



● العودة إلى الحجاب ظاهرة اسلامية في ازدياد

التحرر من الاستعمار المباشر والاستغلال والسيطرة التي عرفتها عصور سابقة، لاسيما بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة.. فالأمة المسلمة اليوم متحرّرة وهي تسعى إلى أن تأخذ دورها على الساحة الدولية، ولا يوجد حكومة إسلامية واحدة تجمع الشتات وتوظف الطاقات وتحقق الهدف المشترك لجميع المسلمين في استعادة المكانة العالمية، وكل فرد وجماعة يبحث عن حل، ولقد جرب العالم الإسلامي حلولاً كثيرة، فشلت جميعاً في تحقيق الهدف المذكور، جربوا الاشتراكية، والقومية، وغيرهما، إلى أن رفعوا شعار (الإسلام هو الحل) وقالوا: (جربنا كل شيء، فلم لا نجرب الإسلام)..

وهذا ببساطة يعني (الجهاد) وهو عنصر مهم في آلية التحرك الاسلامي، وللجهاد متطلبات جادّة تجعل الحركات الإسلامية الداعية للحل الإسلامي حركات ذات صفات وسمات مميزة، وبالتالي تختلف عن الحركات السياسية العلمانية الساعية للتغيير بطرق غربية في معظمها، والتخوف يأتي من هنا، من شعار (الجهاد)..

وهناك جاعات كثيرة على رأسها (الاخوان المسلمون) و(الجماعة الإسلامية)، الأولى في العالم العربي، وقد أسسها حسن البنا، والثانية في شبه القارة الهندية، وتعود إلى أيام أبو الأعلى المودودي، ومن رموز هذه الحركات سيد قطب..

وظهرت حركة الخميني في إيران، مع مراعاتنا وفهمنا لتأثير عقيدة (المهدي) في الساحة الشيعية، ومعرفتنا للاختلافات العقدية والفقهية والفكرية والتاريخية بين السنّة والشيعة، يبقى الشعار واحد والهدف واحد، فالكل يريد العودة إلى الاسلام نفسه، ولنقل أنه يجمع هذه الحركات جميعاً عملية (إحياء) للأمة المسلمة (Revival)..

تمايز الحركات الإسلامية

■ هل ترى جميع الحركات الإسلامية سواء؟ وهل تصنفهم ضمن نفس الاتجاه السياسي أو المنهجية العملية؟

■ بالعلم نقضي على التخوف، فالإنسان عدو ما جهل

● لا شك أن هناك اختلافات بين الحركات الإسلامية، وبعضهم أكثر تشدداً من بعض، كجماعة التكفير والهجرة، ولكن الواضح أن الجميع يدعو إلى الجهاد، منهم من يرى (الجهاد بالسيف) ومنهم من يراه (بالقلم)..

ولا يفوتني الإشارة إلى أن هذه الحركات المعروفة لم تخرج من رحم المؤسسة العلمية التقليدية، فلم تخرج من الأزهر مثلاً، ولم يكن قادتها (علماء) بالمعنى الاصطلاحي كما هم مشايخ الأزهر أو أي معهد ديني آخر.. فالبنا كان مدرّساً، والمودودي صحفياً، وسيد قطب أديباً، وصاحب كتاب (الفريضة الغائبة) مهندساً، ومثل ذلك الحركات المعاصرة فأربكان في تركيا مهندس، وكذلك قادة جبهة الانقاذ في الجزائر..

ومن الملاحظ أن غالبية أتباع هذه الحركات من أبناء الطبقة الوسطى، وليسوا كذلك خريجي المعاهد الدينية التقليدية..
وبالمناسبة هل قرأت كتاب سلمان رشدي؟

سلمان رشدي أساء إلى الإسلام

■ قرأت فصولاً منه، لم أقرأه تفصيلاً..
● هل يصعب الحصول عليه هنا في الكويت؟

■ هو غير متوفر في أي من البلدان العربية، بالرغم من وجود ترجمة عربية له..

● اسمع؛ لقد قرأت الكتاب كله، وإنني أراه مؤذياً للعالم الإسلامي، بلغته وأسلوبه.. ومع ذلك فهو قصة (Novel) خيالية وليس دراسة نقدية، والكاتب لم يظهر أي احترام للقرآن ولا للرسول ولا لآل البيت، ولكنه من جهة أخرى وصف وصفاً دقيقاً المشاكل التي يواجهها المسلم عندما يقدم من بلده ليعيش في الغرب، وبهذا المعنى يكون كتاباً نقدياً لفكر المسلم الفرد وطريقة حياته وما يعتريه بسبب الانتقال من ثقافة إلى ثقافة أخرى..

■ ألم تر في دفاع المؤسسة الغربية الرسمية والشعبية عن سلمان رشدي وكتابه الذي تصفه بهذه الأوصاف، موقفاً استفزازياً للعالم الإسلامي؟

● لا يمكنك القضاء على كتاب ومجموعة أفكار بالسيف، فالفكر إما أن يموت أو يعيش بالاقتناع أو الرفض، بفكر مثله.. وإحراق كتاب لن يوقفه..
وإنني أظن أن سبب انتشار الكتاب وشهرته هو (الفتوى) بمنعه وقتل صاحبه، لولاها لكان كتاباً محكوماً عليه بالموت..
ولقد رأيت في تونس كتاباً مصوراً لقصص القرآن، ولا أظن أن واضعه أراد الإساءة للقرآن أو لمعانيه، بل أظن أنه أراد إظهار ذلك وتيسيره لا سيما للأجيال الجديدة، ولا يصح إقامة ضجة على مسألة فكرية لا تهدف الإساءة..

الاسلام دين المستقبل

■ كيف ترى مستقبل (الإسلام) من خلال قراءاتك ومتابعاتك؟

● أظن أن الإسلام سيكون أقوى ديانة في القرن القادم، فهو ينمو بسرعة ملحوظة، وقد أصبح ثاني أكبر ديانة بعد المسيحية وأتباعه ما زالوا يتكاثرون، وهو دين يملك مقومات كثيرة قوية، ولا تنس أنه دين يمارسه أتباعه ولا يلتزمون به فكريا أو روحيا فقط.

■ لا يصح إطلاق مصطلح (الأصولية) البروتستانتي المنشأ على الحركات الإسلامية لاختلاف المنهج والمفهوم

■ ألا ترى أن هناك تخوف بين الشرق والغرب، فنحن هنا لا نشعر بالاطمئنان إلى كثير مما يطرحه الغربيون أو يمارسونه، ولا نرى في إعلامهم سوى الجانب السلبي تجاهنا، وهم هناك يطلقون التحذيرات تلو الأخرى من الصحوة الإسلامية.. كيف يمكن معالجة حالة الخوف المتبادل هذه؟

● بالعلم نقضي على التخوف، فالإنسان عدو ما جهل، وعلى المسلمين أن يتعلموا أكثر عن المسيحيين، ففي الغرب نتعلم كل الثقافات، تجد دراسات في الهندوسية والبوذية واليهودية والإسلام، بينما لا يوجد عندكم في الشرق سوى دراسات تتعلق بكم، فالأزهر مثلاً برنامجه التعليمي محصوراً بالدراسات الإسلامية، أنتم لا تريدون من الآخرين سوى تقدّمهم المادي، وترفضون كل ما يتعلق بفكرهم.. أليس كذلك؟

■ يرى (الغرب) في الصحوة الاسلامية بمختلف تياراتها دعوة صريحة (للجهاد)

■ كيف تفسر إذن ظاهرة الدراسات الاسلامية في أوروبا وأمريكا، وكثرة الطلبة المسلمين والعرب الذين يقصدون هذه المراكز التعليمية، لو كان المسلمون منغلقون لما قصدوها.

● الذين يقصدون الجامعات والمعاهد ومراكز الدراسات الغربية من العالم الإسلامي، يريدون أن يصبحوا علماء (Scholars) لأنهم يدركون أن الغرب ومنهجيته متقدمة على منهجية المدارس التقليدية لديهم كالأزهر مثلاً، فهم يسعون لاكتساب المنهجية العلمية التي تؤهلهم للبحث العلمي ذي المستوى المطلوب، خذ مثلاً الدكتور عبد الحليم محمود (شيخ الأزهر السابق) فهو خريج فرنسا.

■ أليس في ذلك دليل على رحابة الإسلام نفسه، حيث يبيح للمسلم أن يقصد الدول غير المسلمة، ويتلقى على أيدي غير المسلمين ما يتعلق بدينه؟

● تقصد القول (اطلبوا العلم ولو في الصين)؟

■ أقصد أن الإسلام لا يحول بين المسلم وبين العلم والحكمة حيث كانا، ففي بريطانيا مثلاً، تم إقفال قسم الدراسات الإسلامية عندما امتنع الطلاب المسلمون عن الالتحاق به، وجامعة اكستر لولا مساعدة دولة الإمارات لأقفلت قسمها كذلك، فمعظم طلاب الدراسات الإسلامية هناك من المسلمين، وبسببهم يتم تمويل هذه المراكز، بينما لم نسمع قسيساً واحداً جاء ليدرس المسيحية في الأزهر مثلاً..

● اسمح لي؛ هذا لن يحدث؛ نعم في العصور الوسطى كان العالم الإسلامي ذا حضارة عظيمة، وكان الغربيون يقدمون للدراسة في معاهده وجامعاته، ولكن الآن تغيّر الزمن، وتغير كل شيء، والعلماء عندكم، كما في كلية الشريعة هنا (بالكويت) لا يرون • سوى الأزهر؟!

ندوة مستجدات الفكر الاسلامي والمستقبل
قفــزة في الاتجاه الصحيح

كان (لندوة الفكر الإسلامي المعاصر بين البناء والهدم) آثار فكرية وعلمية كثيرة، وهي الندوة السنوية الرابعة من سلسلة ندوات (مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل) التي تقيمها وزارة الأوقاف والشوون الإسلامية بدولة الكويت، ويحضرها عدد من المفكرين والدعاة والعلماء من مختلف أنحاء العالم، يمثلون التيارات الفكرية الاسلامية المعاصرة، وفي هذه العجالة نعرض آراء بعض العلماء والمثقفين وابرز ملاحظاتهم على أدائها، وما طرح فيها من بحوث ومداخلات:

لا يصح الاقتصار على تيار فكري

أولا أبدأ بتسجيل شكري وتقديري لوزاة الأوقاف، وزيراً وإدارة لهذه الندوة، وأعتقد أن الندوة جيدة من حيث التنظيم والإدارة واختيار المواضيع المتصلة بهموم واقعية، ونحن في الحقيقة في حاجة ماسة إلى طرح مثل هذه القضايا الفكرية الهامة.

وإن كان لي من ملاحظة فهي ملاحظة هامة، أحسستها وأحس بها كثير ممن



● د. عجيل النشمي

حضر، وبسبب هذه الملاحظة تحفظت على القول بأن الندوة كانت ناجحة من كل وجه، والملاحظة هي اقتصار البحوث على نمط واحد واتجاه فكري واحد يسمى – إن صحت التسمية – (الفكر المعاصر) أو فكر (أسلمة المعرفة)، وهذا نوع من الاحتكار الفكري والسيطرة تتنافى والفكر والمنهج الاسلامي الصحيح، بل يتنافى مع الفكر العصري المنفتح..

وقد ترتب على ذلك أن كثيرا من الأطروحات كانت غير مقبولة فكرا أو بعضها غير مقبول فقها وشرعا، ولم يستمع الحضور إلى ورقة بحث تحمل ما يمثل الأصالة – إن صح التعبير – مقابلا للمعاصرة وترد على هذه الأفكار ولقد استمعت وقرأت في بعض الأبحاث ما هو خارق لإجماع الأمة وما هو ترديد لأقوال بعض المستشرقين وقد بليت واهترأت من كثرة الردود العلمية عليها.

وأتمنى أن تستمر هذه الندوات الفكرية الراقية فلا شك انه كان فيها فوائد وإيجابيات، وما من عمل إلا وفيه سلبيات، ونتمنى أن يتم تدارك ما ذكرت.

[د. عجيل النشمي، عميد كلية الشريعة]

المطلوب مزيد من هذه الندوات

لقد عالجت الندوة موضوعات مهمّة وجادّة، وكانت الصفة العامّة للتعقيبات والمناقشات هادئة وعقلانية تسعى إلى الحجة والبرهان بعيداً عن التشنج والعصبية بأشكالها المتعددة، الأمر الذي يدفعنا للقول بأننا نحتاجها منذ فترة مبكرة، ونعتب على تأخرها كل هذا الوقت، مؤكدين على أهمية الحوار بين أصحاب التيارات الفكرية المختلفة بما يؤدي إلى نتائج موضوعية وتوصيات طيبة. وحبذا لو تم عقد أكثر من ندوة في هذا الاتجاه.

[د. نضال الموسوي، قسم الاجتماع كلية الآداب]

فرصة ثمينة

لقد قدمت لي ندوة مستجدات الفكر الاسلامي والمستقبل فرصة لقاءات ثمينة لتسليط الأضواء على الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية، وبخاصة تلك المتعلقة بحركات التكفير والانغلاق الفكري، وكانت ورقة معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور علي فهد الزميع استعراضا شاملا وتقييما دقيقا لمشاكل الحركات والأحزاب الدينية، ولا شك أن مساهمته هذه ستثري فعلا أي حوار حول هذا الموضوع في المستقبل، كما سيثمن المتابعون لهذه الندوة اهتمامها الخاص بقضايا المرأة وتصديها لجدار العزلة الطائفية.

[أ. خليل حيدر، كاتب وصحفي]

الهجوم على (التراث) غير مبرر

إن إقامة مثل هذه المؤتمرات الفكرية هي خطوة طيبة تثري الساحة الاسلامية بعدد من الاطروحات التي تهدف الى إصلاح أحوال المسلمين وإلحاقهم بركب الحضارة القائمة، واستعادة مجدهم السابق، ولكن يبقى لكلٍ اجتهاده ووجهة نظره في هذا الاطار، ويجب عدم تغليب وجهة نظر معينة على أعمال هذه المؤتمرات الفكرية، إلا أننا نجد في هذا المؤتمر تغليب وجهة النظر القائلة بالفكر الاسلامي المعاصر، أي معاصرة المسلمين لركب الحضارة الحديثة..



●د. محمد عبد الغفار

وصحيح ان النية كانت خالصة لوجه الله، وان الهدف هو الاصلاح، الا انني لا أرى مبرراً لهذا الهجوم المكثف الذي شنه البعض على التراث الاسلامي، ، وكأنما هذا التراث هو سبب تخلف الامة الاسلامية، في حين نجد ان هذا التراث هو مجموعة من اجتهادات العلماء السابقين تدور حول فهم النص الشرعي، وقد لا تصلح بعض هذه الاجتهادات لهذا العصر لما طرأ من مستجدات، ولكن هذا التراث في عمومه يمثل تاريخ الامة الاسلامية، ولا توجد امة من الامم تتخلى عن تاريخها او تنبذه، بل إن نجاح أي أمة يتوقف على ربط الواقع والمستقبل بالماضي، وليس ادل على ذلك من محاولة دولة كبرى مثل امريكا ايجاد ماض لها تربط به ابناءها، فكيف بأمة لها تاريخ يمتد لأكثر من ١٤٠٠ عام؟ ونريد أن نهدم كل هذا باجتهادات فردية لا تنظر إليها إلا من زاوية واحدة، وما قرأت إلا من خلال ما يسمى (بالقراءة الانتقائية)؟

[د. محمد عبد الغفار الشريف، المدرس بكلية الشريعة بالكويت، وعضو اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق الشريعة الاسلامية]

مظاهرة اسلامية

واقع الأمر اليوم ان الفكر الإسلامي يطرح ويناقش ويفلسف في الخارج وفي الدول الغربية بصورة أرقى وأنقى وأوضح مما يطرح هنا، فليذهبوا إلى المؤتمرات التي تعقد في فرنسا وبريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية، وأنا بدوري أهنيء د. علي الزميع وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية – الذي هو خريج هذه الجامعة – على هذا المؤتمر الإسلامي الرائع الذي أقامه، فهو يعتبر مظاهرة اسلامية بمعنى الكلمة.

[د. سيف عباس، رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة الكويت]

قفزة في الاتجاه الصحيح

الندوة قفزة في الاتجاه الصحيح، فقضايا الفكر الاسلامي التي تداخلت مع المفاهيم الخاطئة عن الإسلام سلبا وإيجابا، وقضايا الواقع والتخلف، والتراث السلبي والصحيح، كلها قضايا تحتاج للكثير من الحوار والاستكشاف، ولم تكتف الهيئة المنظمة بدعوة من تتفق معهم في الآراء بل دعت من المفكرين من هو المجدد ومن هو التقليدي، كما دعت المتزمت إلى جانب الدنيوي (العلماني)، وذلك لخلق جدل وحوار حول أمور الدين والدنيا.

[د. شفيق ناظم الغبرا، أستاذ العلوم السياسية بجامعة الكويت]

تعدد الآراء دليل وعافية

أقيمت في الفترة من (٩–١١ يناير ١٩٩٥م) ندوة مستجدات الفكر الإسلامي المعاصر الرابعة، بإشراف وتنظيم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.. وقد شارك مجموعة كبيرة من رجال الفكر والفقه العرب ممن نقرأ لهم في الصحف والمجلات، أو الكتب التي يصدرونها.. والندوة تناولت مجموعة من الأفكار المطروحة على الساحة العربية الإسلامية، والآفاق المستقبلية لتجديد الفكر الإسلامي، وفكر التكفير، والفكر الطائفي، وموقع المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر.

وإذا أردنا أن نقيم هذه الندوات من حيث نجاحها أو فشلها، فيكفي أن نلقي نظرة على الجمهور الحاشد الذي كان يؤم هذه الندوات، فنخرج بنتيجة أن الإنسان العربي المسلم متعطش لسماع وجهات النظر الموضوعية في هذه القضايا الحساسة، خصوصا في وجود أساتذة الفكر الإسلامي. ومن هنا فإننا نناشد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الإكثار من مثل هذه الندوات، التي تطرح قضايا معاصرة، هي مثار حديث الناس، وموضع اهتمامهم. ولهذا كنت أود أن يخصص تلفاز الكويت ساعة أو أكثر من بثه يوميا، لنقل صورة حية عن هذه المناقشات، واختلاف وجهات النظر بين المشاركين فيها.. هذا الاختلاف الذي هو رحمة، بل إننا يجب أن نفتخر لتعدد الآراء في الفكر الإسلامي، لا سيما وأنه ليس وليد اليوم، بل منذ قفل باب الاجتهاد، كما انني أود أن يتاح وقت أطول للباحثين والمعقبين على الأبحاث، والمشاركين في المناقشات.

وإذ كان في الإمكان مد أجل الندوات لتكون لمدة أسبوع – على سبيل المثال – وليس ثلاثة أيام، لأن الوقت كان يقف حائلا دون السماع لصاحب الرأي ليقول كلمته، أو يشرح وجهة نظره.. وآمل أن تراعى هذه الأمور في الندوات القادمة، وأتمنى أن يخصص موضوع واحد ليمكن إشباعه بحثا ونقاشا.. ومازلت أتعشم أن يتمكن وزير الأوقاف من إقناع زميله وزير الإعلام في بث هذه الندوات ضمن قنوات التلفاز.

والشكر كل الشكر لوزارة الأوقاف ووزيرها النشط، وجميع من أسهم في إخراج الندوة بالشكل الذي رأيناه من التنظيم، وحسن اختيار الموضوعات، ومقدرة المعدين والمعقبين.

[محمد مساعد الصالح، محام وكاتب صحفي]

البناء قبل الهدم

جزى الله خيرا وزارة الأوقاف على دعوتي للمشاركة في ندوة مستجدات الفكر الإسلامي، التي شاركت بها للمرة الثانية منذ بدايتها قبل أربعة أعوام، ولست أنكر صعوبة مناقشة مثل هذه المواضيع المهمة والحساسة أمام جمع من المفكرين والجمهور الكبير الذي يمثل جميع التوجهات الموجودة على الساحة الإسلامية.

ولا شك أن فكرة الندوة طيبة ومتميزة وهي فتح قنوات للحوار بين جميع التوجهات الإسلامية حول القضايا المصيرية التي تهم هذه الأمة، ومحاولة الخروج بصيغة عمل مشتركة تجمع بينهم حيث يندر حدوث مثل هذا الحوار على مستوى العالم الإسلامي كله، كذلك فإن الأسلوب العلمي الذي ساد الندوة والصراحة في الطرح كانا مثار اعجاب الجمهور، وكذلك الضيوف الذين اكبروا جو الحرية في الكويت والذي لا يجدونه في بلادهم، ولا شك أن الهدف البعيد للندوة هو ترشيد التيار المعتدل للصحوة الإسلامية ومحاصرة التيارات المتطرفة والإرهابية التي لا تنمو إلا في ظل غياب العلماء والمفكرين عن الساحة الإسلامية والانزواء عن تيار المجتمع ووصمه بالكفر الإلحاد.

وفائدة هذه الندوة لا تنعكس على الكويت وحدها بل على بقية البلدان الإسلامية حيث تنظر إلى الكويت نظرة القدوة.

لكن لكل عمل سلبيات، ومن السلبيات التي أعتقد أن الندوات المقبلة يجب أن تتجنبها لتطوير العمل، أن المشاركين قد طرحوا قضايا كثيرة وناقشوها نقاشا مستفيضا، ولكن دون محاولة الوصول إلى قاعدة مشتركة، أو نظرة واحدة لها، أو اتخاذ توصيات بشأنها يستفيد منها من يأتي بعدهم. وهذا مهم جدا في جميع الندوات والمؤتمرات، حتى لا يتكرر الكلام في كل مرة دون الوصول إلى شيء.

الأمر الآخر هو أن كثيرا من المدعوين إلى الندوة كانوا من المفكرين ولم نر كثيرا من المشايخ واصحاب الفقه والعلم الذين يعتبرون منارا يقتدي به الناس، خصوصا شباب الصحوة والشارع الإسلامي، وهذا مهم كذلك لأن الهدف من هذه اللقاءات هو توجيه الصحوة والشباب وترشيدهم، لذا يجب اختيار الأكفاء والأكثر تأثيرا في هذا المجال، بل كان كثير من المشاركين من أتباع المدرسة التجديدية التي؛ وان كانت تطرح كثيرا من الأمور الحيوية التي يجب أن يتنبه لها المسلمون ويعملوا بها للنهوض بأمتهم؛ إلا أنهم اقتصروا على الجانب التنظيري دون وضع الحلول العلمية كما أن معالجتهم لبعض الأمور - كالموقف من التراث الإسلامي - يشوبها كثير من الغموض، ويفهمها كثير من الناس فهما متباينا، وقد قال لي أحد المشاركين كلمة أعجبتني في تعليقه على مناقشة قضية التراث: (الواجب هو أن نبني البيت الجديد ثم ننقل إليه الأثاث من البيت القديم، لا أن نهدم البيت القديم ثم نرى أنفسنا وقد جلسنا في العراء).



●[د. وائل الحساوي

[د. وائل الحساوي، كاتب وصحفي كويتي]

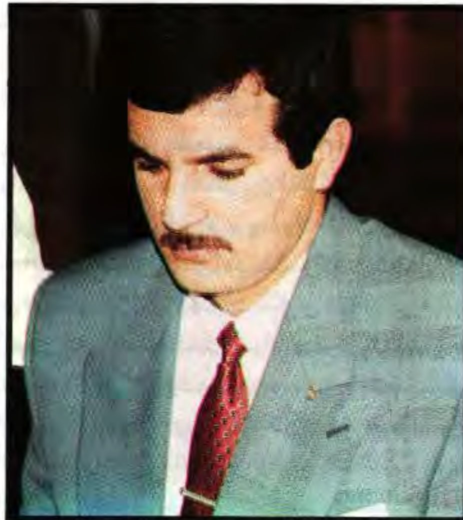
خلاف حاد ومشكلات حقيقية

إن الندوة كانت ناجحة، حيث وفرت فرصة لنقاش حر حيوي، ولم تكن هناك مجاملات بين المفكرين والباحثين، وإن كان هناك خلاف، وأحيانا يكون حادا.

فقد تم طرح مشكلات حقيقية، وليست وهمية، وقد جاءت بعد أسبوع فقط من اجتماع وزراء الداخلية العرب، والذي ناقش قضية التطرف والإرهاب، فمثلت الندوة أطروحة ثانية، وكانت معتدلة نسبيا في معالجة هذا الموضوع وقد ركزت الندوة على خيار الفكر والحوار والحجة والبرهان كأساس لمعالجة هذه المشكلة. والندوة نجحت نجاحا كبيراً وأعطت للكويت وجها من وجوهها الحيوية والفكرية ذات النقاش الحر، والمساحة التي تسمح بتداول الأفكار دون مشاكل. إن الندوة ختمت بلقاء سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح، وقد تم التحدث مع سموه عن التطرف والعنف والمصالحة العربية، وكانت في أجواء مفتوحة للنقاش والحوار، وهي لا تتوافر في الكثير من الأماكن والدول.

ولا بد للندوة من أن تأخذ وقتا للتأثير، حيث إن الافكار صناعة ليست آنية تظهر نتائجها في الوقت نفسه، ولكن بعد انتشار الافكار داخل الكويت، وخارجها في انحاء الوطن العربي والإسلامي وتداولها بين الناس ليأخذ الصحيح مكانه إلى أن تأتي أجيال جديدة تفهم الإسلام دون أن يؤدي هذا الفهم إلى أن تتحول حرب ضد مواطنيها ودون أن يؤدي الفهم إلى تمزق طائفي وسياسي كالذي نعايشه في بعض البلدان العربية.

[أ. محمد الهاشمي الحامدي، رئيس تحرير جريدة (المستقلة)]



●أ. محمد الهاشمي الحامدي

نقاط مضيئة

الندوات الثقافية التي دأبت الوزارة على تنظيمها على مدى الاعوام الاربعة الاخيرة كانت بمثابة النقاط المضيئة في سجل أعمال الوزارة، وجاءت لتؤكد أن للوزارة دورا بناءً في المجتمع، وأن للفكر الإسلامي دوره في معالجة المشاكل المستجدة على المجتمعات الإسلامية ، ولم تقل ندوة هذا العام - من حيث الأهمية - عن مثيلاتها في الأعوام السابقة، بل جاءت متناسقة مع الظرف والزمان. وفقكم الله لما فيه صالح هذا الدين.

[د. عادل الزايد]

تضييق الفجوة

إن النـدوة كانت (عظيمـة) بما حملتـه من جهود فكريـة ورؤية مستقبلية وموضـوعية متمنيا أن تكون كل الملتقيات العلمية على هذا النحو. وتضييق الفجـوة عمل دائم ومستمر وان كل جهد طيب يحدث أثرا في هذا الاتجاه.

[د. محمد عمارة،
الكاتب الاسلامي المعروف]

نجاح الملتقى

إن الملتقى كان جيـدا وإن أي حوار فكري يجري بين المفكرين والأسـاتذة من مسلمين وعلماء وفقهاء يهمهم في هـذه الأمة حيث من شأنه أن يقدم رؤية ويساعد في تقديم تصور جيد وهذا ما نحتاج إليه في ظروفنا الراهنة.

وليس مـن شأن الملتقيـــات أن تضيق أو تـوسع الفجـوات، بقـدر مـا تطـرح افكـارا ويتفاعل معها بعد ذلك الكتاب والصحـافيون والإعـلاميون والتربـويون لكي يجعلـوا من الأفكار الجيدة المطروحـة أمرا متداولا، يمكن أن يصل لأبنـاء الأمـة، ويحدث شيئـا فعـالا بها.

وأظن أن الملتقى قـد نجح في تحقيق هدفـه الأساسي بإيجاد بيئة حـوار بين مفكرين من مختلف المشـــارب والاتجاهـــات، ودور المفكـرين الآن أن يزيـدوا من ساعـات العمل والجهد المطلوب لتعميق الإحساس في الأفكار الجيدة وتنميتها وتعميق الإحســاس والوعي بها.

[الدكتور طه العلواني، مدير المعهد العالي للفكر الإسلامي في واشنطن]



● الدكتور طه العلواني

للكويت شرف السبق

عنـدما دعيت لهذه النـدوة أحسست أنـه اجتماع لأهل الحل والعقـــد وأن المســـائل الأســـاسيـــة في المجتمع يجب أن ينبري لها العلماء ليـدرسـوهـا ويعطـوا الـرأي فيهـا. وللكويت شرف السبق في عقـد هذه الندوات، وإفساح الفرصـة للعلماء للبحث عن حلول، مع العلم أن تضييق الفجوة أمر ليس سهلا، حيث ان تيارات التكفير سهل عليها أن تكفر أو ترد الأدلة الشرعية.

وهذه النـدوة بما حوتـه من موضـوعات كانت مهمة جدا، وقد يكون الوقت غير كاف لبلورتها نهائيا، خصوصـا موضوع التكفير ونشأته وعلاجـه، وهذه القضية ربما تكون قد عولجت إلى حـد ما؛ إلا أن الحوار الذي تم بشأنها لم يكن كـافيـا؛ لأنها تكـاد تكـون سـلاحا يستخـدمـه الغـرب لتدمير العـالم الإسـلامي، لا لأن العالم الاسـلامي قـوي، ولكن حتى لا يقـوى يـومـا مـــا، وحتى لا يستفيق، ولذلك يضع الغربُ المشاكلَ أمامه.



● د. علي الآغا

[د. علي الآغا، رئيس قسم الـدراسات العليا **في جامعة الجنان بطرابلس – لبنان]**

رائعة د. الزميع وكبوة أبو المجد

استمتعت كثيرا بقراءة ورقة د. الـزميع وزير الأوقـاف والشؤون الإسـلاميـة التي قدمهـا في نـدوة (مستجـدات الفكر الإسـلامي المعـاصر) عندما وضع النقاط على الحروف بذكره الأسباب التي أسهمت في نشأة ونمـو ظـاهـرة التطـرف الديني، والتي كان من أبرزها:

أ – الجهل بحقيقة الدين.

ب – عجـز المؤسسـات الدينيـة والـرسميـة وانشغـالها بـالقضـايـا الفقهيـة دون الاهتمام بالقضـايا الاجتماعيـة التي تعاني منهـا طبقات المجتمع.

ج – ضيق قنـوات الحوار، والـذي ذكـر فيـه ضرورة نقد هذا الفكر المتطرف من خلال الحوار الــذي يـدور حــولـه ليـزيل اللبس ويكشف الغمـوض، وبـالتـالي فـإن من يقـدم على تبنيـه واعتنـاقـه يكـون على بينـة، ومن يتصـدى لـه ويحاربه يكون أيضا على بينة بحقيقته ودوافعه، فلا ينقاد شباب متحمس وراء فكر طائش بعد أن تسلط الأضـواء عليه، وتكشف حقيقيتـه. ثم ذكر الدكتور الزميـع حقيقة مهمة في هذا المجال، وهي (الإجــراءات الأمنيـة التـي واجهت بعض شبـاب الحركـات قـد ولــد لـديهم الإحســاس بالإحباط، ونمّى الشعور بـالظلم، وعظم مشاعر القنـوط، وأغلق أبوابـا للحـوار، فكان الصـدام المتوقع). وفي هذا وضع د. الزميع اصبعه بجرأة على سبب رئيسي في نشـوء الظـاهــرة، ثم ذكـر الأسباب الأخرى:

– الأزمــات الاقتصـــاديـــة. – الشعــور بالاغتراب. – تعثر التجارب القومية واليسارية.
– العوامل الخارجية.



●أ. عبد الحميد البلالي

وبرغـم روعة طرح وزيـر الأوقاف، فـإن طرح مشـارك آخر في النـدوة وهو الـدكتور كمال أبـو المجـد، غفر اللـه لـه، خيب الآمال بكبـوة لا تليق بمقامه، ولا تتجانس مع أجواء الندوة ذات الطرح العميق، و(المعتـدل) عندمـا بدأ حـديثه بمقـدمة متطرفة، ذكـر فيها كراهيته للجماعـة والحركات الإسلامية. ولا أدري كيف سيتقبل الخصم طرحا يقول له فيه صاحب الطرح: إنني أكرهك.

إننا نحتاج في مثل هذه الندوات إلى طرح معتدل مـوضـوعي وحيادي يعـالج مثل هـذه القضيـة الخطيرة من جميع جــوانبهـا مـن غير تشنج وتطرف في الطرح من أي مشارك.

[أ. عبد الحميد البلالي، كاتب صحفي]

مناجاة أسير

شعر: محمود عبد اللطيف فايد

متى ألقاك يا ولدي؟ سليم النفس والجسد؟!
وتحظى العين بالرؤيا ويهنا القلب بالرغد

غدا يومي هنا عاما فلم تلمس يداك يدي
ولم أسمع دعاءك في صلاة الفجر للصمد
ولم أهنأ بمائدة خلت إشراقة الولد

متى ألقاك يا ولدي؟ ذراعي أنت يا سندي!!
كويتك لم يزل خصبا يزيل متاعب الصفد
كويتك ناظر أملا يريدك ناهضا بغد

لعلّ الله يرأف بي ... يزيل الملح من كبدي!!
فنار البعد تؤلمني ... وليل القهر والكمد
لعل الله يجمعنا ... بديرتنا على رغد
ويحيينا أوداء ... بأمن ربعنا الغرد
لينشد كل أحراري ... رعاك الله يا بلدي
وأهدي «جابر» جبرا ... وأحيا «سعْدَ» في سعَدِ
لنحيا أسرة فُضْلى ... بفضل المنْعم الصمَدِ
وبعض الفكر يحزنني ... كجمر سيق للكبد
وأقوال لمجنون ... نأت عن رونق الرشد
وكيف يمين (صدام) ... ولا يخشى أذى أحد؟
فلا يمنعه دين ... تخلى عنه للأبد
فهل ننسى مخازيه ... جبالا أرهقت جلدي؟
وكيف عدا جبابرة ... على شعبي ..على بلدي؟
ذئاب بادرت زمرا ... جموع الغدر والنكد!!
نسوا أنّا أعنّاهم ... بأموال لنا لبد!!
حفظنا حق جيرتنا ... بطبع غير مقتصد!!
عرفنا حق إخوتنا ... ولم نمنن على أحد
أردّ العرف نكران ... من الأشراف يا ولدي؟
ونهب المال مغتفر ... لجوعان ومفتقد
وهتك العرض لا ينسى ... وبتر الرجل بعد يد
وظلم ذوي قرابتنا ... حسام دق في الكبد
فكيف يقول أغرار ... كفى ثوبوا إلى الرشد؟
عفا الرحمن عن خطأ ... تناسوا وقدة الحرد



ما حدث أثناء غزو الكويت من جرائم تكشف عن سلوكيات لا تتفق وصفات العرب والمسلمين

رسالة إلى بطل (أم المعارك)

تخيل الكاتب أنه أحد الأسرى الكويتيين – في حرب الخليج الثانية – الذين ما زالوا محجوزين حتى الآن في سجون النظام العراقي فكتب يقول:

بطل (أم المعارك).. صدام.. العرب والمسلمين.. بعد السلام.. الذي لا تعرفه طبيعتك (البشرية) العدوانية.. أبدأ حديثي معك..

فقد ترددت كثيرا في الكتابة إليك – آسف لفخامتكم – ففي القلب الكثير، وفي العقل أكثر.. الكثير من الحزن والهم والغم يملأ القلب، والأكثر منه، ذلك الكم الهائل من علامات الاستفهام التي يبحث العقل عن إجابة لها، فلا يجد سوى تحليلات وتبريرات يعجز العقل عن ترجيح إياها. ولذلك سأفتح لك قلبي وعقلي وأتحدث إليك بدون التفرقة بين ما يملأ القلب

بقلم: د. محمود صالح العادلي

من آلام، وما يملأ العقل من فكر مشتت، بين ما تعلمناه وعرفناه عن العروبة والإسلام، وما حدث منذ الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م، وحتى الآن.

هل أبدأ حديثي – معكم – عما تركته حرب الخليج الثانية – والتي نأمل أن تكون الأخيرة – من جروح غائرة في وجدان العرب والمسلمين. ولا شك في أن هذه الجروح سيتكفل ببحثها والكتابة عنها المؤرخون في مؤلفاتهم ودراساتهم في سنوات قادمة. ولكن يكفيني – هنا – أن أذكر فخامتكم بأن المؤرخين لن يجدوا لهذه الجروح مكانا، إلا في (أسود) صفحات التاريخ.. العربي والإسلامي، بل قل – إن شئت – التاريخ الإنساني.

وحوش البشر

أما المحللون فسيجدون أنفسهم حيارى، أمام نوعية من البشر.. وصلت إلى درجات دنيا في الوحشية، ودرجات دنيا في التفكير والتعقل، ودرجات دنيا في التعصب والتعنت. مما دفعهم دفعا إلى ارتكاب جرائم يشيب لهولها الولدان، ويقشعر منها الوجدان. جرائم آذت الصغير قبل الكبير، والنساء قبل الرجال. فالأطفال ثقبت جماجمهم بالرصاص، والكبار فقئت عيونهم، ونشرت أطرافهم، وهم أحياء بالمناشير، والنساء – حتى العجائز منهن – اغتصبن، والجميع – الصغار والكبار، النساء والرجال – نقعوا في



● من بصمات الاحتلال العراقي للكويت

أحواض أحماض كاوية.

وإذا حاول الباحثون أن يفسروا سر ذلك، فلن يتفقوا على شيء: فقد يرى البعض أن السر يكمن في أن (الجاني) شقيق (للمجني عليه) في العروبة والإسلام، وأراد - أي الجاني - بوصفه الشقيق الأكبر، والأضخم، والأقوى - أن يؤدب شقيقه الأصغر، لأنه منع عنه (المصروف)، أو لم يستطع أن يجاريه في طلباته غير المعقولة. وقد يرى البعض الآخر أن السر يختبئ وراء ضعف النفس البشرية، التي لا تشبع من أي شيء. فصحيح أن المجني عليه كان كريما مع الجاني إلى حد كبير، ولكن لماذا لا يستولي الجاني على خزائن المال - المملوكة للمجني عليه - دون أن يرهق (الجاني) نفسه في طلب (عطاء) من الشقيق، ودون أن يضع نفسه في موضع المستجدي اللحوح، الذي (ألح) كثيرا في السؤال، ولم يشبعه أي (عطاء)!!

وقد يرى البعض أن السر يستتر وراء (التخلص من جيش بلغ المليون)، مما جعله يشكل تهديدا صارخاً لـ (كرسي الحكم). فلم يكن ثمة مفر من إلهاء هذا الجيش بـ (حرب جديدة)، وإلهاء الشعب بـ (مشروع قومي جديد) هو إضافة رقعة أرض (جديدة) ثرية بالذهب الأسود لأراضي الجاني.

تفسير لا مبرر له

ولكن هذا التفسير - الأخير - يعيبه أن الحرب الجديدة كانت ضد شقيق في (العروبة) و(الإسلام) ولم تكن ضد (عدو) للعروبة ولا (للإسلام) فالأخذ بهذا التفسير (يمحو) كل ما سطرته الأقلام من كتابات تبحث عن روابط العروبة والإسلام من الخليج إلى المحيط، ودوافع وحدة الصف العربي، وضرورة قيام كيان عربي وحدوي يحقق أهداف العروبة والإسلام، ويقضي على الرواسب التي خلفها الاستعمار. كما أن انتصار هذا التفسير الأخير يمحو كل ما ارتفعت به - إلى عنان السماء - الحناجر في الخطب المنبرية التي تشدق بها أبناء - بل وزعماء - العروبة والإسلام، على مر التاريخ، القديم منه والحديث. فقد أرهقت الحناجر في التغني بالعروبة و(القومية العربية)، وبـ(الإسلام) كرابطة توطد هذه القومية.

ولكنك يا سيادة الرئيس لم تشأ أن تترك الباحثين والمؤرخين حيارى، حيث طرحت على بساط الفكر العربي (نظرية عسكرية تكتيكية جديدة) فسرت بها - تفسيرا المعيا - سر غزوك للكويت، حيث أوضحت أن (التكتيك العسكري) يتطلب، لكي نحارب (عدو العرب) إسرائيل، أن نمر - أولاً - على الكويت، تطبيقا لنظرية (اضرب القريب.. يخاف البعيد)..

وهذه النظرية (العسكرية التكتيكية)، لم يفهمها - للأسف - عقل حتى الآن، وسمعت - وأنا في معتقلاتك المخصصة

غزو الكويت كان عملية إلهاء لجيش بات يشكل تهديداً لكرسي الحكم

للأسرى الكويتيين - أن هذه النظرية لم تقنع العالم، بل إنها لا تقنع طفلا صغيراً.. وبمناسبة العسكرية، لا أعرف حتى الآن مؤهلاتك العسكرية، إذ يقال - والعهدة على الراوي - إنك لم تحصل على أي مؤهل عسكري، لذا تأتي أفكارك العسكرية، بعيدة - كل البعد عن كافة العلوم العسكرية، فهي أقرب إلى فنون البلطجة..

أطفال الكويت وصدمة الغزو

هل أحدثك - فخامة الرئيس - عن الآثار النفسية للغزو العراقي للكويت؟

لا مراء في أن ذلك سيشغل أذهان المختصين في الدراسات الاجتماعية والنفسية. ولكن يكفيني - هنا، لضيق المقام، واحتراما لوقت فخامتكم - أن أشير إلى أن هذه الآثار ستظل صدمتها في نفوس كل الكويتيين، بل كل العرب.

ولكن أكثر من تأثر - بهذا الغزو العدواني الغريب على الفكر الإنساني - هؤلاء الأطفال الكويتيون الذين تفتحت عيونهم في صباح يوم أسود في تاريخ البشرية، ألا وهو - كما تعلم سيادة الرئيس - يوم الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م - على رعب بشري ضد ذويهم، وضد أراضيهم، وضد أعراضهم. ومر الغزو، وجاء النصر، واستردت الأرض.. ولكن بقيت محفورة في الذاكرة.. ذاكرة هؤلاء الأطفال.. آثار هذا الغزو الغاشم.. آثار المناظر المرعبة التي كتب عليهم أن يشاهدوها دون ذنب اقترفوه - هم وذويهم - إلا ذنب (الجوار) بجانب بلد شقيق - في العروبة والإسلام - قدر له، أن يتولى زمام السلطة فيه - ولا تؤاخذني - (إنسان).. غريب الأطوار.. غريب التصرفات.. بلغ حبه للسلطة وصولجان السلطة.. كل مبلغ حتى هانت أمام هذا الحب علاقة المصاهرة فقتل (الصهر).. (في حادث مؤلم).. وهانت أمام هذا الحب.. علاقة (الجوار).. فأردت أن تبتلع (ثروة البلد الشقيق).. تحت ستار من الإسلام.. والإسلام من هذا التصرف بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب.. ولكنك - يا فخامة القائد - هدفت بفعلتك هذه (تدعيم سلطانك) في الشرق الأوسط.. وفي الخليج العربي.

وعلى كل حال، لم تكن هذه المناظر المرعبة، هي المؤثر الوحيد في نفسية أطفال الكويت، بل يضاف إلى ذلك، أثر استشهاد: القريب.. والصديق.. والأب.. والأم.. والأخ، وما له من أثر.. لن يمحوه الزمن.. مهما طال.

أخي في العروبة والإسلام.. أبو عدي.. الذي تمهد له الطريق لخلافتك.. في حكم (الجمهورية العراقية).. يمكنك أن تساهم في إعادة البسمة، في عيون أطفال أبرياء.. هم أبناء الأسرى الكويتيين - ومحدثك، أحد هؤلاء الأسرى - يمكن أن تسعد بعض الشيء قلوبا كثيرة.. قلوبا ما زالت تهفو نحو.. عودة عزيز لديها.. أغلقت أنت.. دونه.. أبواب الأسر..

السجون تشهد

وأعدك - بوصفي أسيرا - أنني سأساهم في إعادة هذه البسمة.. فلن أحدثهم عن البشاعة.. والوحشية.. التي شهدتها في سجونك.. سجن (أبو غريب).. ومعتقل الرضوانية، والراشدية، وسجون تكريت، وبيجي، ومعتقل المشاتل،

رسالة الى بطل (أم المعارك)

وسجون البصرة، وزنزانات بغداد الانفرادية، وفي مبنى المخابرات العامة في منطقة الأعظمية في بغداد.

نعم لن أزيد ما بأهلي من آلام نفسية، بحديثي معهم عن التعذيب الذي مارسه عسكرك الغازي في لحوم إخواني الأسرى، ولا ما حدث لي من كسور في عظامي نتيجة المعاملة غير الكريمة التي قوبلت بها في معسكر اعتقالي.. الذي تغير أكثر من مرة، فقد كان في بادىء الأمر في الكويت في المعتقل الذي استحدثه جندك إبان الغزو في (مشاتل العمرية) في وطني الحبيب الكويت، حيث حول عسكرك المزارع النموذجية المملوكة لهيئة الزراعة والثروة السمكية (الكويتية) إلى معتقل..

وكان جندك يقولون لنا – نحن الأسرى – نحن سنأكلهم كما يأكل السمك الكبير السمك الصغير.. لن أحدثهم عن التعذيب الذي شهدته في هذا المعتقل، خاصة تعذيب النساء.. الذي لم يكن له أي مبرر إلا مبرر (العقد النفسية) التي تحتاج إلى مجلدات لتفسيرها.. لأنه إذا كان تعذيبي.. وتعذيب إخواني من الأسرى الرجال له ما يبرره.. من أنكم كنتم تريدون الحصول على معلومات تفيدكم في (أم المهالك) – معذرة – أقصد (أم المعارك)، فتعذيب النساء ليس له مبرر على الإطلاق.. بل إنه.. يتناقض مع ما هو معروف عن العرب من شهامة..

وبمناسبة العرب.. أود أن أقول لك – يا فخامة القائد – إن ما حدث من غزوك للكويت.. بجيشك الجرار.. وما كشف عنه من سلوكيات.. لا يتفق مع الكثير من صفات العرب المعروفة مثل الشجاعة.. ومناصرة القريب والصديق وغير ذلك.. إذ لم تكن شجاعة منك – ولا تؤاخذني – أن تسطو على الكويت ليلاً كاللصوص.. وتسرق (الأخ) والصديق.. فلا مناصرة.. بل (مناصبة) – ومعذرة لكل اللغويين فقد – أقصد أنك فخامة القائد المغوار – (نصبت) على العرب جميعهم.. وخدعت حكماء العرب.. وأغريت – بالوعد – سفهاءهم، خدعت – من خدعت – حينما قلت: إنك لن تحارب الكويت.. وأغريت – من أغريت – حينما وعدت بأنك ستقتسم الغنائم معهم.

لقد صدمت العرب حقا وصدمت المسلمين فعلا.. صدمت العرب بخديعتك.. لرؤسائهم وزعمائهم.. حينما قلت – وقولك الباطل – إنك لن تقْدم على عمليات عسكرية ضد الكويت.. ولكنك أقدمت.

وصدمت العرب.. حينما (أوهمتهم) بأنك تعد العدة لتحرير (فلسطين العربية).. فزاغ بصرك على وطني الحبيب (الكويت العربية).. فأقدمت على فعلتك.. التي لا أجد لها وصفا سوى أنها فعلة غير إنسانية.. بكل معاني الإنسانية.. وصدمت المسلمين – أيضاً – حينما تذرعت بحجج إسلامية.. لتبرير غزوك الكويت..

حجج يعلم الله أنها مجرد غطاء (ديني).. لـ (مطب) سياسي.. وقعت أنت فيه.. فبحثت عن (عمامة الدين) لترتديها.. ونسيت أنك.. كنت بالأمس القريب.. تحارب دولة إسلامية – أيضاً – لا.. لشيء.. إلا لإلهاء شعبك وجيشك.. عن تجاوزاتك.. وعن أرصدتك في البنوك الأجنبية.. وعن – معذرة إن كنت صريحاً معك – جرائمك الداخلية.. والتي أتذكرها.. كلما تذكرت وجه صديق لي عراقي..

في العراق لا يوجد لقب وزير سابق فالوزير إما في الحكم أو مدفون في باطن الأرض

كان يقول لي: (نحن نتعجب من أن يكون في بلد عربي لقب (وزير سابق) لأننا في العراق.. لا يوجد هذا اللقب.. لأن عندنا – أي في العراق – إما وزير في الحكم.. وإما مرحوم في القرافة – فكل من يترك الوزارة.. يتوفى إلى رحمة الله).

هذا.. غيض من فيض.. عن جرائمك الداخلية.. التي لا نريد أن نتدخل فيها.. المهم أنك بعد أن ألهيت شعبك وجيشك في حرب ضروس.. فاجأت العالم.. بأن تنازلت عن.. كل ما كنت حصلت عليه.. وكل ما كنت تتمنى الحصول عليه.. من حربك مع (إيران).

فباسم (الإسلام) حاربت شقيقتك المسلمة (إيران).. وباسم الإسلام.. غزوت شقيقتك العربية المسلمة (الكويت).. وطني الحبيب.. والإسلام – في كافة الأحوال – منك بريء.. براءة الذئب من دم ابن يعقوب.. ومع ذلك. فإنني أستحلفك باسم (العروبة).. وباسم (الإسلام).. أن تبادر.. بمبادرة.. طيبة.. قد تغفر لك.. بعض خطاياك في حق العروبة.. وفي حق الإسلام.. هذه المبادرة هي: فك أسر الأسرى الكويتيين – الذين يخاطبك الآن أحدهم – وأرجو ألا تصدم العرب.. والمسلمين مرة أخرى.. بإصرارك على الاحتفاظ بالأسرى – كـ (ورقة سياسية).. تلعب بها.. فالأسرى.. لا ذنب لهم ولا جريرة.. في شطحاتك السياسية.. التي لم تفلح.. ولن تفلح.. في إدخالك التاريخ.. كـ (قائد للعروبة.. والإسلام).. إلا من الأبواب الخلفية.. وبوصفك (أكبر معول هدم) لكيان العروبة.. ولـ(صرح الإسلام)..

والسلام على من اتبع.. أخلاق العرب الكريمة.. والتزم بتعاليم الإسلام.



● بعض آلات التعذيب

انتقال الحضارات

د. محمد عبد المنعم خفاجي

ورثت الحضارة الإسلامية كل الحضارات السابقة وزادت عليها بعدا رساليا لم تعرفه الحضارات الوثنية كالفارسية واليونانية

الحضارات العالمية القديمة، كالحضارة الفارسية والإغريقية والرومانية والمصرية والصينية وسواها من مختلف الحضارات العالمية البائدة، قد مثلت دورها على مسرح الحياة في فترة من فترات عصور التاريخ، ثم انتهت كأن لم تكن الأمس.

وورثتها الحضارة الإسلامية التي ازدهرت في بغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة والقيروان وأصفهان وجرجان وبخارى وسمرقند وغيرها من عواصم العالم الإسلامي الممتد من الصين شرقا إلى بحر الظلمات غرباً (أو المحيط الأطلسي)، ومن أوروبا شمالا إلى أواسط قارة أفريقية جنوبا، وكانت هذه العواصم الإسلامية تسبح في نور العلم والمعرفة والتقدم والمدنية، وفي ظلال الأمن والرخاء والرفاهية والسلام.

حضارة متميزة

حضارة شريفة نجمت من أصول شريفة، وقام عليها دولة جمعت كل أصول التقدم في السياسة والفكرة والاجتماع والاقتصاد وكل جوانب الحياة الرفيعة، وشهد لها العلماء والمفكرون والمشرعون في كل عصر وكل جيل. حضارة أعزت الدنيا، ودوت بذكرها الآفاق، وعاش فيها الناس أحرارا مكرمين، ينعمون بشتى ألوان السعادة والثراء والرخاء والتقدم. وكانت أوروبا تنظر إليها، وتذهل لهذا التفوق الحضاري الفريد، ويصيح شاعر كبير مثل (بترارك) الشاعر الإيطالي في العصور الوسطى في مدينة روما قائلا: (ياللـه، لقد تفوقنا على كل الأمم إلا العرب الذين أذلونا بحضارتهم، فيا للخزي ويا للألم).

وجاء دور أوروبا الجاهلة الظامئة المجردة من كل شيء، فنهلت من حضارة العرب وعلومهم وثقافاتهم حتى استطاعت أن تقوم على أقدامها، ثم استطاعت أن تملك زمام المبادرة، وتأخذ العنان بيدين من العرب، وأن تنشيء لها حضارة جديدة تخالف الحضارات الأخرى، ولا تتفوق على حضارة الإسلام في الروحانيات، بل في الماديات وحدها.

تقول (هونكة) المستشرقة الألمانية في كتابها [شمس العرب تسطع على الغرب]: (كل موجة علم أو معرفة قدمت لأوروبا كان مصدرها البلدان الإسلامية) [شمس العرب ٤١].

ويقول غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) (حضارة أوروبا مدينة للعرب بحضارتهم، فالعرب هم الذين فتحوا لها ما كانت تجهله من المعارف الفلسفية والعلمية والأدبية، فكانوا دائنين للغرب وأئمة له في ستة قرون. وعن طريقهم اهتدى الغرب إلى تراث الإغريق، وكشف ماضيه فأخذوا يبحثون عنه).

إنّ الأصول العلمية والفكرية لحضارة الإسلام وللفكر الإسلامي قد أخذها الغرب وصاغ منها حضارته التي هي صدى كبيراً للحضارة الإسلامية فقد سرقت أوروبا على غفلة منا، كنوزنا ومواريثنا الثقافية والحضارية، مثلما سرقت كذلك إمبراطورية المسلمين الممتدة في كل مكان، وأقامت على كل هذه الأسس حضارتها الماثلة اليوم.

غروب الحضارة الغربية

ولكن حضارة الغرب اليوم قد نال منها الهرم، ودبت فيها الشيخوخة، وأخذت تقترب من حافة الفناء، يقول (بول فاليري) شاعر فرنسا الكبير: (فرنسا وإنجلترا وروسيا، وألمانيا، ويالها من أسماء كانت جميلة كما كانت أسماء نينوي وبابل وعيلام جد جميلة، ولحاق هذه الأسماء الراهنة بأسماء الأمس الغابر لم يعد شيئا مستعصيا على الإدارك).

يقول (فولتي) من كبار رجال الفكر الأوروبي: (ماذا أصاب تلك البدائع الراهنة التي حققتها يد الإنسان.

أين هي حصون نينوي وجدران بابل؟ ومن يدري؟ لعل مسافرا في المستقبل يجد نفسه عند شواطىء السين والتايمز يجلس باكيا على بقايا الفتات الذي تحولت إليه معالم الحضارة حول هذه الأنهار).

ويعجب: (دنيس دورجمون) من العدد الذي يتضاعف بصورة مستمرة من الأوروبيين الذاهبين إلى انهيار الحضارة الغربية، ومن المتنبئين الذين يفضلون الحديث عن كشوفها.

ويقول إقبال شاعر الإسلام: (مثلت حضارة الغرب دورها، وقد شاخت وهرمت أينعت كالفاكهة وحان قطافها، ولسوف تتمخض الإنسانية عن عالم جديد، وهذا العالم لا يحسن تصميمه إلاّ من بنى للبشرية البيت الحرام، وَوَرّثَ محمداً وإبراهيم قيادة العالم).

ورأي إقبال يكاد يكون تفسيرا للآية الكريمة: ﴿حتّى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظنّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأنْ لم تغن بالأمس﴾ [يونس: ٢٤]، فالمعنى على هذا هو فناء حضارة عجيبة من حضارات الحياة الدنيا، كانت قد بلغت غاية نمائها وازدهارها، بأمر الله وقدرته، وفي لحظة من ليل أو نهار زالت وانتهت.

وما يقوله إقبال يقوله مفكرو العالم وفلاسفته في كل لحظة، ونحن نعلم أن ميزان القوة في العالم متغير أبدا، وعلى امتداد التاريخ.

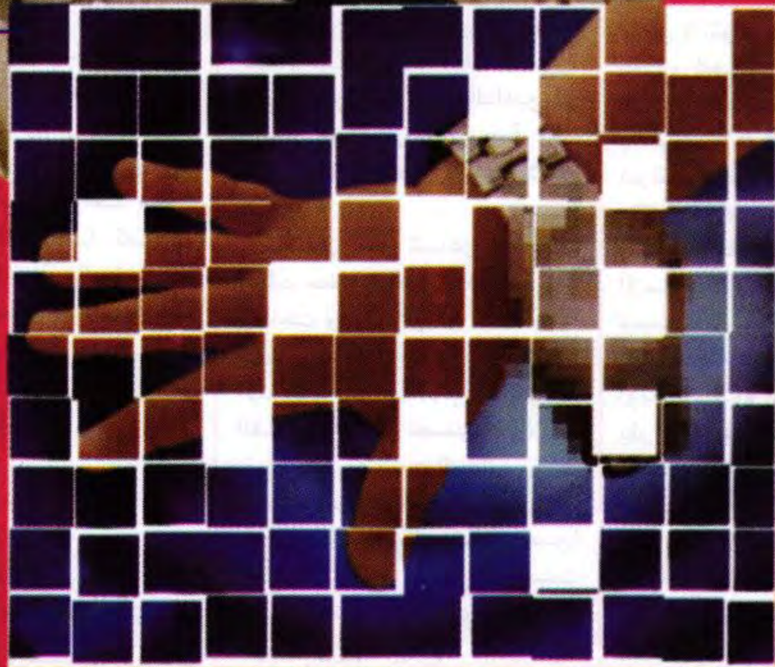
ولكني أقول كما قال بعض المفكرين: إنه لن تجد الإنسانية يوم تتهاوى حضارة الغرب عقيدة تؤمن بها، وتؤمّن بها مصيرها، إلا الإسلام،

فالإسلام وحده والإيمان به، سوف يكونان ضرورة بشرية، لأن ذلك هو مسيرة الحياة والتاريخ، وحتمية انتصار الحضارة، وهو العلاج الوحيد لكل مشكلات العالم، وهو النتيجة الأخيرة لقدرة الإنسان على مواجهة

التحديات التي يتحداه بها عصره وقدره.

ويومئذ سيعيد التاريخ نفسه مبتدئا من الشرق الإسلامي عودا على بدء: من المنطقة التي قامت فيها الحضارة الإسلامية، وستثبت يومئذ هذه المنطقة وجودها، وستقلب موازين القوى، لأن قوة الإسلام وحضارته قائمة على أسس لا تتوافر في غيرها من تيارات القوى العالمية. وقد أدرك مفكر إنجليزي ذلك حيث كتب يقول: (لا يساورني شك في أن الحضارة التي ترتبط أجزاؤها برباط متين، وتتماسك أطرافها تماسكا قويا، وتحمل في طياتها عقيدة مثل الإسلام، لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب، بل ستكون أيضا خطرا على أعدائه) [باول شمتز في كتابه الإسلام قوة الغد العالمية]. كما يقول: (إن قوة القرآن في جمع شمل المسلمين لم يصبها الوهن).

إن سفينة العالم التي قد أصابها الخور اليوم سوف تجد في الإسلام المرفأ الأمين الذي يتقدم بالفعل سفينة الحضارة العالمية، وهذا ما كان يقوله مستشرق مثل عبدالكريم جرمانوس، وما يقوله اليوم (روجيه جارودي) الذي نادى بحتمية الرجوع إلى الإسلام لإنقاذ الإنسانية من المصير المهلك. إن حضارة الإسلام هي ولا ريب حضارة المستقبل□



بقلم: عاطف شحاته زهران

إعلانات يريدون، لكن جمعيات خيرية وأخرى لحماية الأطفال قالت: إن الإعلانات تشجع الأطفال على شرب الخمور وبخاصة وأن عددا كبيرا من هذه الإعلانات يوضع في الأحياء الفقيرة التي بها أطفال السود الفقراء. وزار مندوب جريدة «بولتيمور صن» المنطقة، وقال: إن الإعلانات مغرية وإنها تكتب شعارات مثل: الحياة المتعة، وأحسن ما في الحياة، وهلموا نحو الإثارة، وحانت ساعة البهجة، ووجد في أحد أحياء المدينة الفقيرة أكثر من ألف لوحة إعلانية (١).

إن قراءة هذا الخبر تعطي الكثير من الدلالات في هذا الموضوع من تركز الإعلانات والاهتمام بمناطق وطبقات معينة إلى يقظة الناس لخطر هذه الإعلانات وتحركهم ضدها، والألفاظ الخادعة التي اختيرت للحملة الإعلانية إلى غير ذلك من الدلالات.

بدأت في مدينة (بولتيمور) ثورة ضد الملصقات والإعلانات واللوحات التجارية للخمور. قالت شركات الإعلانات: إن حرية الرأي التي يكفلها الدستور الأمريكي تسمح لهم بوضع أية

إعلانات بيع الوهم والإثارة

للإعلان. إنه أحد مهام وسائل الإعلام بلا شك وعليه تعتمد في تغطية جزء كبير من نفقاتها الباهظة، والمعلن يهدف إلى بلوغ أكبر عدد ممكن من مستخدمي السلعة أو مستهلكيها المرتقبين بأقل التكاليف، والمستهلك بحاجة لمعرفة الجديد من احتياجاته. وبذا يصبح الإعلان مادة

أوهام الإعلان

فإذا ما اتجهنا شرقا لنعايش الإعلان الموجه لنا لرأينا العجب العجاب من إعلانات تهتم ببيع الوهم لجمهورها العريض. فهذا (شاي السعادة) وهذا نوع من الزيوت النباتية يعيد للمرأة حب زوجها (النخلتين الحب في أكلتين) وهذا (صابون الأناقة والجمال) وتلك (جبنة الأبطال الأقوياء) وهذا نوع من السجائر يساعد على «التفكير الجازم والتخطيط الحازم» وهذا إعلان تلفزيوني يقدم امرأة سافرة تعانق زوجها وتبدو عليها علامات السعادة والرضا بعد عودته إلى منزله ثم لا تلبث ان تكشف عن سر سعادتها فإذا به نوع من المناديل الورقية.

إلى غير ذلك من الإعلانات التي تعمل على خداع أكبر عدد لتفضيل منتج على غيره معتمدة على التكرار والاستمرار فترة تضمن نجاح الحملة، وتتخير صيغا سهلة وعبارات جذابة وخفيفة يسهل حفظها وترديدها، وبذا يصير الجمهور من حيث لا يدري عاملا هاما في الدعاية حيث تسمع وترى الأطفال والشباب يرددون هذه العبارات في الشوارع وفي البيوت كما شاهدوها وبذلك ترسخ في عقولهم مفاهيم وقيم الإعلانات. ولا تعجب إذا رأيت منهم من يعتقد أن للشاي علاقة بالسعادة واعتدال المزاج، أو رأيت بعض بناتنا يعتقدن بضرورة استخدام نوع معين من الصابون والكريمات للمحافظة على جمالهن.

إن تركيز الإعلانات وتكرارها قد يستمر إلى حد السأم منها. يقول أحد رجال وكالات الإعلان: أنه عندما يبدأ الملل من الإعلان فاعلم أن الإعلان قد بدأ يؤثر في الجمهور (٢).

انتقادات وجهت إلى الإعلان

منذ وجد الإعلان مساحة على خريطة وسائل الاتصال الجماهيرية وجهت إليه انتقادات كثيرة وظهرت الدراسات تكشف عن آثار سيئة يمكن أن تنجم عن الاستخدا[م السـ]يء

ضرورية لا يستغني عنها أحد أطراف العملية الاتصالية ولا يماري في ذلك أحد، والمهم هو الأسلوب الأمثل للإعلان وطريقة عرضه، فهناك حدود للمعلن ينبغي ألا يتعداها وأمانة يجب أن يصونها، وأمن المجتمع وسلامته أولى من أي كسب مادي، ولكن صنفا من المعلنين تجاوزوا كل حد، وأهملوا كل قيمة، من أجل ذلك وجهت للإعلان انتقادات عديدة.

منها:

١ - انه يقنع الجمهور بشراء سلع وخدمات ليس في مقدوره شراءها بالاقناع، أي تجعل الأفراد غير قادرين على ممارسة الضبط الذاتي.

٢ - انه يقنع الجمهور من خلال مخاطبة عواطفه أكثر من عقله ويخاطب الدوافع والحاجات ويتلاعب بالعواطف والانفعالات التي يصعب التحكم فيها.

٣ - إن معظم الإعلانات تحتوي على ادعاءات مبالغ فيها وفي بعض الأحيان على معلومات كاذبة ومضللة.

٤ - إن الإعلان عن السلع الاستهلاكية بدءا من منتجات التجميل إلى وسائل الديكور والأثاث والتكييف. إلخ. يسهم بشكل خطير في زيادة الاستهلاك ويخلق مناخا نفسيا محيطا وأليما للذين لا يمكنهم الحصول عليها.

٥ - تستخدم الإعلانات أساليب بعيدة عن الذوق السليم وقد تتجاوز أية قيود أو قيم وتتسم أحيانا بأنها هابطة مبالغة تثير أهواء الفرد وغرائزه.

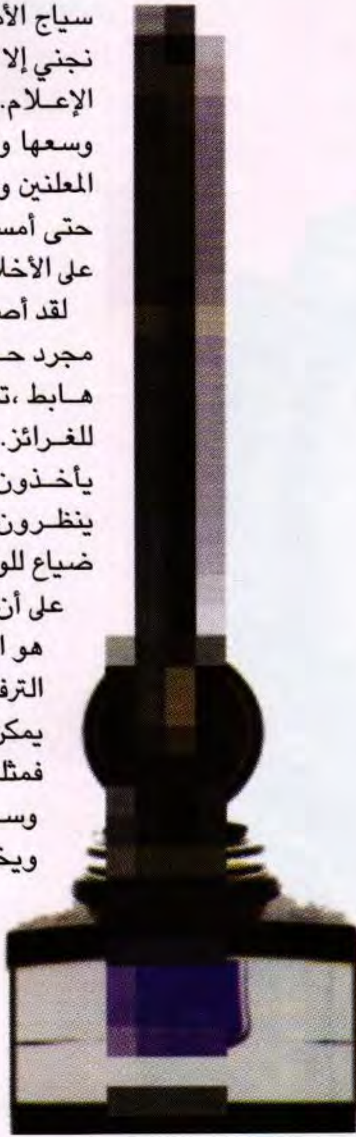
الإعلام وحراسة القيم

ولا مناص من احترام قيم المجتمع وسلامته وأن تصبح المسألة الأخلاقية قبل أي شيء فتحلل بعض المعلنين من الدين والأخلاق جعل كل شيء عندهم مباحا.

فانهيار الأخلاق ينذر بعواقب وخيمة وساعتها قد يكونون أول من دفع الثمن. ولليهود باع عريض في نشر الفساد والإفساد بكل سبيل. فتنظيمات البغاء وتوزيع المخدرات ونشر المطبوعات القذرة يسيطر عليها ويديرها اليهود. ومعظم دعاة الإلحاد وهدم الأديان يهود ويرجع ذلك لنظرية عندهم تقول: «أفسدوا الآخرين ليضعفوا في صراعهم معكم. زلزلوا أركان الإسلام والنصرانية لتثبيت أقدام الموسوية. إنهم أكثر منا عددا وأعز نفرا ولا سبيل لنا للثبات أمامهم ثم الانتصار عليهم إلا بإفسادهم من الداخل»(٣).

لقد اعترف بعض رجال الإعلان والعلاقات العامة في مذكراتهم أنهم كانوا يقومون بعمل يكرهونه من أجل الحصول على مال لا يستحقونه لشراء أشياء لا يحتاجون إليها للتأثير على أشخاص لا يحبونهم(٤).

ولقد حث الدين على حماية الأخلاق من كل ما يخل بها فهي سياج الأمان لأي مجتمع وإذا اختلت لن نجني إلا مرّ الثمار، ومسؤولية أجهزة الإعلام. حراستها والحض عليها ما وسعها ولكنها أحيانا تخضع لرغبات المعلنين وتغفل هذه المهمة شيئا فشيئا حتى أمست في أحيان كثير مصدر خطر على الأخلاق.



لقد أصبح التلفزيون في معظم الدول مجرد حزام ناقل لإنتاج فني ضعيف هابط ،تتخله إعلانات جذابة ومثيرة للغرائز. وقد يظن البعض أن الناس لا يأخذون هذه المواد مأخذ الجد وإنما ينظرون إليها على أنها مجرد تسلية أو ضياع للوقت، ولكن علماء النفس يؤكدون على أن ما لا يأخذه الناس مأخذ الجد هو الذي يؤثر فيهم أبلغ الأثر. فليس الترفيه «التلفزيوني» بأمر ثانوي يمكن أن نهمله أو نهوّن من شأنه فمثله مثل الماء والنار له جاذبيته وسحره لأنه يتحرك ويؤثر ويسحر ويخلب الألباب (٥).

ولن يعجز المعلنون عن اختيار صيغ إعلانية تتجنب إيذاء الجماهير ولا تمس أمنهم وسلامتهم ولاتثير الشهوات ولاتسيء إلى الذوق العام ولا تستغل المرأة استغلالا شائنا في مناظر بعيدة عن الحياء. فكم خلفت تلك المناظر من حسر ات!

وأي عمل إنساني لا يخدم أو يلائم أي فطرة إنسانية نقية ضرب من العبث والسفسطة والبطالة الفكرية فأولى بالقائمين على أجهزة الإعلام معالجة أدواء المجتمع الأخلاقية وتصدعاته النفسية بدلا من تلقين الأجيال المهيجات الجنسية وبذر الخيالات المكذوبة في كوامن أمة الإسلام(٦).

احتجت جمعيات أمريكية على إعلانات تشجع الأطفال على شرب الخمور، خاصة وأن عددا كبيرا من هذه الإعلانات يوضع في الأحياء الفقيرة المزدحمة بالأطفال

مسؤولية الجمهور

الجمهور هو الغاية التي تخطب أجهزة الإعلام وده وترجو رضاه. فهي تخاطبه وتسعى إليه حيث كان، وتستخدم كل معطيات العصر وتقنياته في جذب الكم الكثير منه، وإليه تتوجه الحملات الإعلانية التي تدر عليها أرباحا هائلة ويجب أن يتيقظ الحس الديني لديه ليعى ما

يلقى إليه من سم خفي في صور براقة وأساليب خادعة. وعليه أن يتحرك ليقول كلمته فيما يعرض عليه فلن يعذره الله إن تخلى عن إنكار المنكر، والسبل كثيرة ليس منها طبعا اختيار موقف سلبي والرضا بما هو كائن. فهو الأرض الخصبة التي تنثر فيها تلك البذور بحلوها ومرها، وعليه بكل طوائفه وتخصصاته أن يجابه المادة الرديئة التي تعرض عليه.

فهناك رسائل المستمعين والمشاهدين والقراء التي تحمل آراءهم أو اعتراضاتهم أحيانا وصفحات الرأي والبريد في الصحافة، ويمكن رفع الأمر لأولي الاختصاص، والمساهمة الجادة في ندوات المستمعين وبحوث الرأي العام التي تجري بين الحين والآخر لاستطلاع الآراء فيما تبثه وسائل الإعلام، وهناك الدراسات والبحوث وهؤلاء يجب عليهم أن يدقوا أجراس الخطر كلما بدت في الأفق ظاهرة يمكن أن تؤثر على المجتمع وأخلاقه، ولا تظنن أن صوتك سيضيع أو أنك تصيح في واد.

تعمل بعض الإعلانات على خداع أكبر عدد لتفضيل منتج على غيره معتمدة على التكرار والاستمرار فترة تضمن نجاح الحملة، وتتخير صيغا سهلة وعبارات جذابة وخفيفة يسهل حفظها وترديدها

فلن تصمد هذه القنوات أمام غضبة الجماهير عامة ولن تطيق ذلك وسكوت الناس على ذلك إنما يترجم على أنه دليل رضاهم بما يعرض عليهم.

إن الإعلام هو الهواء الذي نتنشقه يوميا وفي كل لحظة وهذا الهواء ملوث جدا الآن ويجب تنظيفه إما أن نترك عملية التلوث تتضاعف تحت مظلة الحرية فذلك أمر انتحاري لأن الحرية هنا تعني حرية التلويث وليست حرية الإعلام(٧).

عليك أن تؤدي دورك وتبلغ رأيك. وهناك مسؤولية أخرى على جانب كبير من الأهمية هي الإعراض عن كل لغو وعبث كما علّمنا ديننا الحنيف.

فقد وصف الله سبحانه المؤمنين بقوله: ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ [المؤمنون:٣] وقال في موضع آخر: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ [القصص:٥٥].

واللغو يشمل الشرك والمعاصي ومالا فائدة منه من الأقوال والأفعال، وقال ابن كثير. اللغو: الباطل.



الإعلان والقيم الغائبة

هنا قيم ينبغي أن تسود تجعل المعلن خادما أمينا لأمته إن أردنا أن تسلم مجتمعاتنا، ويبقى الحياء ومكارم الأخلاق سماتنا البارزة بينما تضج مجتمعات كثيرة في الشرق والغرب بالشكوى من انهيار الأخلاق، لما قدموا المادة وسعوا وراء الأرباح وحسب وأمسوا على شفا جرف هار. والويل لأمة تهتم بالأرباح على حساب الأخلاق.

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «لابد لك من نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج».

وكان عمر يقول للتجار: «اجعلوا أول نهاركم لآخرتكم – للصلاة والذكر – وما بعده لدنياكم» أي للتجارة.

وكره ابن سيرين الدلالة – وكره قتادة أجرة الدلال، ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والإفراط في الثناء على السلعة لترويجها(٨). واعتقد أننا في أمسّ الحاجة لهذه القيم. إن أردنا صلاح الدارين. أرشدنا الله لكل خير وحفظ أمتنا من كل سوء□

الهوامش:

١) جريدة المسلمون، بتاريخ ١٩ ربيع الأول ١٤١٢هـ.

٢) وليام ريفرز وآخرون، وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، ترجمة: د. إبراهيم إمام، ص٣٠٣.

٣) كيف نفهم اليهود، د. حسين مؤنس، ص٦١.

٤) وسائل الإعلام والمجتمع، مصدر سابق، ص٢٨٦.

٥) د. إبراهيم امام، الإعلام الإذاعي والتلفزيون، ص٢٣٣.

٦) عطية الديسي، فتاة الغلاف، المجلة العربية، ربيع الآخر ١٤١١هـ، ص٨٥.

٧) محمد السماك، إعادة تنظيم الإعلام اللبناني، الدراسات الإعلامية، يوليو/سبتمبر ١٩٩٣م، ص٤٩.

٨) حجة الإسلام الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٢، ص٨٥.

افتتح السيد/ وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور علي فهد الزميع مسجد الشيخة/ سبيكة دعيج السلمان الصباح يوم الجمعة في ١٩ شعبان ١٤١٥هـ الموافق ٢٠/١/١٩٩٥م.. ففي منطقة حولي المعروفة باكتظاظها السكاني وحركتها التجارية المزدهرة، وعلى تقاطع شارعي تونس و ابن خلدون ترتفع مآذن المسجد ليسد ثغرة مهمّة ويلبي حاجة المنطقة لبيت من بيوت الله يُذكر فيه اسمه تعالى وتمتلىء جنباته بالصلوات وحلقات القرآن الكريم والعلم الإسلامي النافع، وقد وفّرت الشيخة سبيكة له - جزاها الله خيرا - كل ما يتطلبه إنجاز العمل على الوجه الأفضل..

مسجد الشيخة سبيكة دعيج السلمان الصباح

• حرم الصلاة

تغطية: د. صلاح الدين أرقه دان

وفي لقاء مع المهندس (محمد أمين عمر مدير) مدير مشروع المسجد الذي نفذته (المجموعة الأهلية للمقاولات) تزودنا بالمعلومات التالية:

تبلغ المساحة الإجمالية للمسجد ومرفقاته وحدائقه ٨٣٩٠ متراً مربعاً. يبلغ حجم البناء منها ٢٣٠٨٢، تتوزع على حرم صلاة الرجال (١٤٠٠ م٢) الذي يسع ٢٥٠٠ مصلياً، وقد بني بشكل مستطيل تبلغ أضلاعه ٤٤متراً بـ٣٢ متراً، ومصلى النساء (٢٠٦م٢) الذي يتسع لحوالي ٣٠٠ مصلية، بالإضافة إلى مكتبة يجري العمل على تجهيزها بأهم الكتب والمراجع الاسلامية والمعرفية لخدمة رواد المسجد وقاصدي المعرفة، وتبلغ مساحتها الإجمالية ٢٦٦م٢، وفيما تبلغ مساحة صحن المسجد ٢٥٦ م٢، تمتد مساحة الرواق على ١٢٠م٢..

ويحتوي حرم الرجال على ٣ قباب لإعطاء إضاءة طبيعية للمسجد، ويبلغ ارتفاع القبة الوسطى (الكبيرة) ٢٠ مترا وقطرها ١٤ متراً، وتقوم على أربعة أعمدة، وقبتان جانبيتان ترتفع الواحدة منهما ٤ أمتار عن سطح المسجد بقطر ٥ أمتار، وللمسجد مئذنتان جانبيتان ارتفاع كل منهما ٤٠ متراً، بما يقيم التوازن الهندسي بين القبة الكبرى وارتفاع المآذن، وهناك قبة صغيرة فوق بهو المدخل وضعت فيها ثريا نحاسية على الطراز الدمشقي..

ويبلغ ارتفاع السقف الداخلي ٨ أمتار، بينما يصل ارتفاع سقف الرواق إلى ٥ أمتار، ويقوم على ثلاثة أقواس تضفي الطابع الشرقي التقليدي على بنائه..

وملحق بالمسجد منزل للإمام والمؤذن والحارس، بالإضافة إلى مخزنين ومشارب مياه حديثة، روعيت فيها أحدث الوسائل الصحية الحديثة حرصاً على صحة المصلين ورواد المسجد..

ولقد روعي في المرافق العامة والمياضيء راحة المصلين، فأقيم ٢٠ ميضأة، و٢٠ حماما، مع حمام خاص بالمعاقين، تبلغ مياضيء النساء ١٠ مياضيء، و٤ حمامات خاصة بهنّ..

ومراعاة لسهولة حركة المصلين عند الدخول الخروج من الصلاة تم إقامة ٣ بوابات رئيسية أمامية وبوابتين جانبيتين، ومما يميز البناء تقليل استخدام الدرج التقليدي بقدر الاستطاعة حيث اقتصر على المدخل الرئيسي، وتم اعتماد المنحدرات في البوابات الخارجية تسهيلا لكبار السن والمعاقين، وزود مدخل المعاقين بإشارات واضحة..

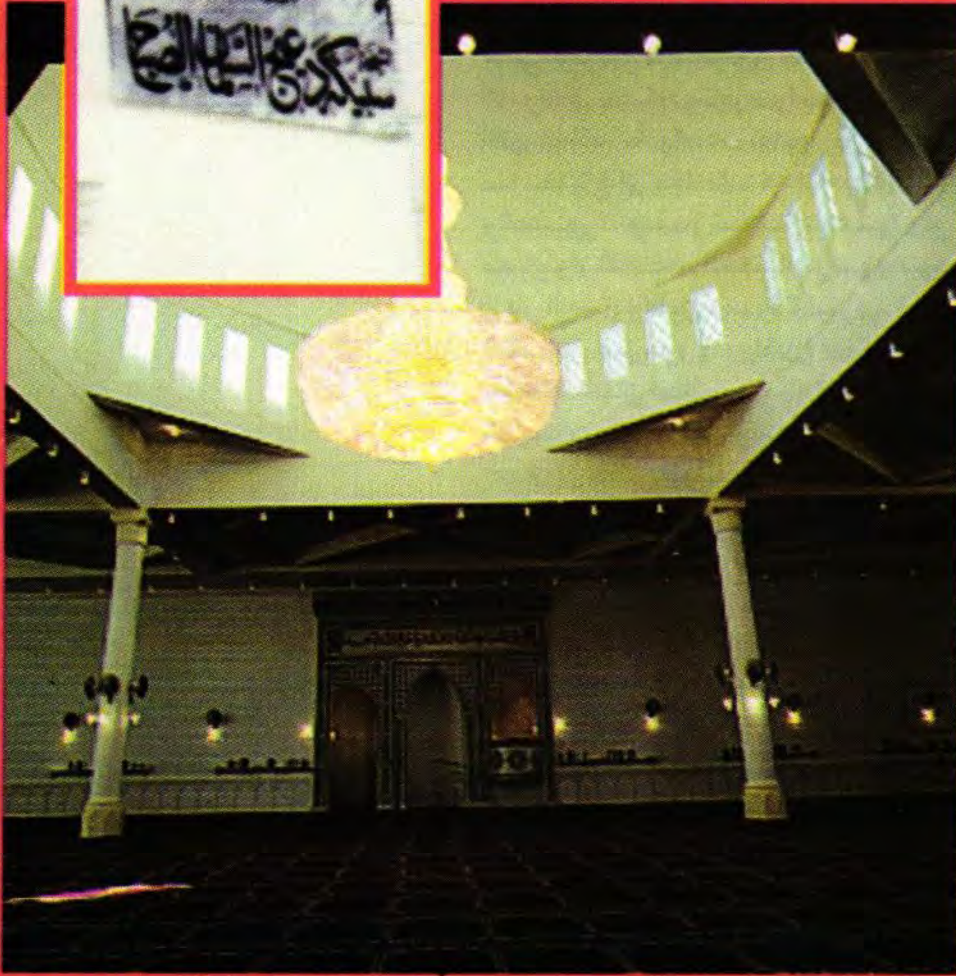
تبلغ مساحة حدائق المسجد الخارجية ٥٠٠٠ م٢، تغطيها أشجار النخيل والزيتون والمسطحات الخضراء المزروعة بالحشائش، مما أعطى شكلا جماليا للمسجد ومحيطه..

ولقد أضفت فوانيس أعمدة إنارة السور والحدائق طابعا جماليا، يبرز في الليل معالم المسجد الأساسية، وقد تم اختيار اللون الأبيض للمسجد تمييزاً له عن المباني السكنية المحيطة به، ومراعاة لاحتياجات البيئة، بالإضافة إلى معنى الصفاء والسلام الذي يضفيه اللون الأبيض في نفس الرائي..

● مشهد عام للمسجد من الخارج

يتميز بناء المسجد بالبساطة ابتعادا عن الزخرفة المكروهة، وتوفيراً لجو الخشوع والتفكر





● المنبر والمحراب

واستخدم خشب (تيك) في أعمال النجارة الداخلية (الأبواب والشبابيك) وروعيت فيها البساطة والجمال مع شيء من زخرفة إسلامية غير معقدة، وهو الشيء الذي نجده في بناء المسجد وقاعات الصلاة والمنبر والمحراب، تطبيقا لآداب بناء المساجد، بعيدا عن إلهاء المصلي بكثرة الزخارف والألوان، وإفساحا للتركيز في التلاوة والخشوع في الصلاة..

وتمت مراعاة توزيع موجات الصوت لتجنب مشكلة الصدى المعروفة في مثل هذه الأبنية الضخمة، بالإضافة إلى فرش طبقة من اللباد تحت سجاد الحرم الداخلي مما ساهم في امتصاص الصوت..

واستخدمت طريقة الدفع البعيد (Get Difusers) لتكييف قاعة الصلاة الرئيسة، فيما تم تكييف المكتبة وحرم النساء بشكل منفصل، وزودت الميضأة بالماء الحار والبارد كما هو المعتاد في مساجد الكويت ■

منزلق الاستعانة!!

قلّما يجتمع قوم؛ اليوم؛ اهتموا بالسياسة أم لم يهتموا، شبابا كانوا أم يافعين، إلا وكان التحرك الإسرائيلي على جبهات فرض الشروط والتطبيع وإنهاء المقاطعة وطرح مشروع (الشرق الأوسط الجديد، ووعود الرفاهية والوفرة الاقتصادية، جزءاً مهما من الحديث فيما بينهم..

يتم تناول أحاديث (السلام) القادم، و(التطبيع) بمفرداته وامتداداته طبيعياً في أجواء الاستقبالات الحارة التي يلقاها (أعداء الأمس) وأخبارها التي تملأ أعمدة الصحف اليومية، وتحليلات واستطلاعات المجلات الأسبوعية، عدا عن كم الأخبار المنقولة بوسائل الإعلام المسموعة والمرئية بلغات الأرض ولهجاتها..

ولقد جمعني مجلس على غير موعد مع بعض الشباب الفاضل من جنسيات شتى، وبينهم لبنانيون لفحهم الفساد الإسرائيلي بحرّه، وتجرّعوا بسببه نغب التهمام أنفاساً، وأصاب أهليهم من ويلاته ما يحتاج إلى مجلدات كاملة بالكلمة والصورة، ومنهم شباب سمعوا ولم يعاينوا، تأخذهم الحميّة مرّة، ووعود أنهار العسل واللبن مرّة أخرى، ودار النقاش عن دور (إسرائيل) المستقبلي في المنطقة، فكان الكلام سجالا ارتفعت فيه الأصوات وانخفضت، وجرت من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، في حلبة غير مستوية الطرقات ولا واضحة المعالم ولا ممهدة الجنبات..

وبقيت منصتا أرجو أن أجد من بين اشتباك الأفكار والعبارات منفذا ألج منه ثم أخرج بأقل قدر ممكن من الخسائر، ففي أجوائنا الحالية البعيدة عن لغة الأرقام الواضحة، والموضوعية في الطرح، يسرّك أن تخرج كفافا لا لك ولا عليك..

وجاءت الفرصة في قول أحد المتحمّسين ممن استهواهم تبسيط المشكلة وحصرها في زاوية (المهارة) الشخصية، وقوة (العقيدة)، وسلامة (الطوية)، فقال: (العرب أكثر عددا من الاسرائيليين، والبضائع الأجنبية القادمة من أقصى الشرق أرخص أسعاراً مما يمكن للاسرائيليين تسويقه، والبضائع الغربية أكثر إتقانا وأعرق في السوق، فلا يمكن للاقتصاد الإسرائيلي أن يشكّل خطرا علينا أو يبتلعنا، وكيف دار الأمر - يتابع صاحبنا حديثه - اللبناني أجدر من الإسرائيلي وأعلى منه كفاءة، وهو إلى العرب أقرب، وله في قلوبهم مكانة لا يصل إليها الإسرائيلي، واللبناني ماهر في ميدان الأعمال لا يشقّ له غبار)..

وفي كثير مما قاله صاحبنا حقائق معروفة، ولكن عرضها يتميّز بالبساطة التي تصل إلى درجة الغفلة عن حقائق أخرى لا يقبل من المسلم المعاصر أن يغيب عنها أو أن تغيب عنه، ذلك لأن الإسلام نفسه بعيد عن منهجية الاستغفال والسذاجة، ولم يعرف تاريخنا الإسلامي الحافل (سطحية) كالتي يعيش فيها البعض اليوم، وقد حسبوا أن الإيمان بـ(الغيب) و(القدر) و(التوكل) يعني ترك الحبل على الغارب، والنوم الهانيء باعتبار أن القدر يحركنا كما نحرك نحن بيادق الشطرنج، ونسوا أن مبدأ الحساب والعقاب يصب بشكل مباشر في عقيدة المسؤولية الفردية والجماعية، وتناسوا فوق ذلك سجل الجهاد المشهود الذي قام به رسول الله ﷺ وإخوانه وأتباعه رضي الله عنهم أجمعين، ولو كانت الدنيا تأتي طواعية بلا تخطيط ولا سهر ولا بذل لجاءت مطواعة للنبي ﷺ، وهو خير الخلق وحبيب الحق وصاحب الدعوة الخاتمة..

لقد نسي صاحبنا الشاب المتحمس، ونسي أكثرنا، أن ما بيننا وبين الإسرائيليين ليس مجرد تنافس صناعي أو تجاري، إنما الذي بيننا هو صراع حضاري يبدأ بالعقيدة أولا، وبتصوّر كل منا للكون والحياة والإنسان، والعلاقات الإنسانية التي يذبحها الإسرائيليون - كلما سنحت لهم الفرصة - على مذبح المصلحة القومية الضيقة الخاصّة بهم..



بقلم

د. صلاح الدين أرقه دان

وبنـاء على هذا التصـوّر تسعى القوى الصهيونية في العالم إلى إحلال حضارة مكان حضارة، ومفهوم حضاري مكان مفهوم حضاري آخر، فالعدل والحرية والمساواة وكل ما يمسّ الإنسان من حقوق وواجبات، تختلف في المفهومين الإسلامي والإسرائيلي لاختلاف نظرة كل فريق إلى (الإنسان) ومهمة استخلافه في الأرض، واستعداداته الفطرية ليحمل شرف التعبّد والتنسّك وإقامة العدل..

وبناء على ما تقدّم يمكننا فهم الممارسات الإسرائيلية التعسفية اليومية في فلسطين وما حولها، ولاسيما الجنوب اللبناني، فالعدل والحرية والقيمة الإنسانية واحترام الحياة البشرية ورفع العدوان والإيذاء عنها، ما زال محصوراً – عندهم – في نطاق الفرد (الإسرائيلي) اليهودي بالولادة والانتماء، ولا نعجب عندما نرى ضغطهم الواضح في الإعلام لإبراز ظلامات الشعب اليهودي دون سائر الشعوب، والانتقام من أي فرد أو جماعة تحدثهم أنفسهم بالتعرّض بالنقد والكشف لزيف التاريخ اليهودي، أو لواقع الإرهاب الذي تمارسه العصابات اليهودية في فلسطين، أو المافيا اليهودية في ميادين السياسة والاقتصاد والتجسس العالمي، ويحتاج تفصيل ذلك إلى مقالات مستقلة كي توفيه حقّه..

فإذا تحدّث الإعلام – مثلاً – عن القنبلة النووية الإسلامية (الباكستانية أو الإيرانية) وضخّم مخاطرها، رأيناه يعمى ويبكم ويصم أمام مخاطر إسرائيل النووية.. وأن يعلن المسؤولون الإسرائيليون رفضهم التوقيع على المعاهدة النووية الدولية لا يؤدي إلى تصريحات ولا تهديدات ولا مجرد احتجاجات غربية، ولكن أن تربط مصر بين مصالحها الأمنية والقومية واحتياجات شعبها، وبين خطواتها السياسية أو الأمنية وعلاقاتها بالدولة العبرية فامر لا يستطيع الموقف الدولي ولا الإعلام العالمي تحمّله أو قبوله، أوليس في ذلك انحياز أبلق لا يستتر خلف أي بروتوكول أو لياقة دبلوماسية؟

إن قوّة الموقف الإسرائيلي الدولي الذي نلمسه يومياً، لا ينبغي أن يدفعنا باتجاه الرعب المؤدي إلى شلل الحركة، كما لا يصح أن يدفعنا إلى التصرف الأرعن المؤدي إلى الخسارة، وإنما الذي ينبغي فعله هو اعتماد منهج الدراسة والتخطيط للوصول إلى نتائج تدفع باتجاه الهدف ولا تبعدنا عنه..

ومنطق الغرور لا يبتعد عن منطق الاستهانة بشيء، بل هما مترابطان ترابط السبب بالنتيجة، فأحدهما باب للآخر، ونتيجتهما معروفة سلفاً لمن درس التاريخ أو تمعّن في الواقع، فقد أدت الاستهانة بطاقات وقدرات العدو سابقا إلى فقدان مساحات واسعة من العالم الإسلامي، وخسارة دول بأكملها، وما الأندلس عنا ببعيد، وأدت الاستهانة حديثاً إلى سلسلة من التراجعات وكمية من التراكمات مما شكل ويشكل تركة يصعب علينا التخلص منها في فترة وجيزة..

ولئن كنا ضد منطق التهويل والترويع فإننا في الوقت نفسه، وبالحجم ذاته، ضد منطق التبسيط والتهوين، وفي المسألة الإسرائيلية بالذات ندعو إلى اعتماد كل ما يمكن اعتماده من دراسات علمية منهجية، ومراعاة الاحتمالات جميعها، بما في ذلك تلك التي تبدو بعيدة الحصول، حتى نتجنّب منزلق غلطة تكلف أجيالنا القادمة ضريبة باهظة تضع في أعناقهم الأغلال الاقتصادية والأمنية، وتضيّع عليهم هويتهم وثقافتهم وشخصيتهم المتميّزة..

فهل يقوى العمل الفردي العربي – واللبناني جزء منه – على مواجهة العمل الجماعي الإسرائيلي المرتبط بأجهزة ومؤسسات عريقة فاعلة؟

هل تكمن إشكالية التعامل الاقتصادي مع الإسرائيلين في المهارة الفردية، وفي الجسر المفتوح داخل العالم العربي، ليستبعد أخونا اللبناني المنافسة الاسرائيلية لبني وطنه؟ وهل تكمن إشكالية التفوق الإسرائيلي في العدد البشري حتى يطمئن ملايين العرب والمسلمين إلى تفوقهم العددي؟

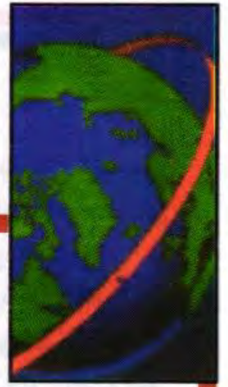
أم أن التفوق الإسرائيلي يكمن في وضوح المشروع السياسي، وبناء القوى الصناعية وقيام المؤسسات التي تضمن تنفيذ القرارات ومتابعتها؟

ولقد بيّن لنا الله ما ينبغي علينا من الموضوعية ورؤية الواقع بحجمه لا بما نتوهّم، في خطابه تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قل للمخلّفين من الأعراب ستُدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ [الفتح:١٦] فوصف العدو بما يستحقه من البأس فيستعد المسلمون للمعركة بحجمها الحقيقي بعيدا عن أجواء الغرور أو التقدير الخاطىء لاحتياجاتها، مع الأخذ بعين الاعتبار انه يخاطب المخلّفين الذين يحتاجون تشجيعاً وحثّاً قد يراه البعض في التهوين من شأن العدو، والرفع من معنويات الجند المدعوّين إلى خوض غمار المعركة..

وفيما وقع في غزوة حنين عبرة عميقة لأولئك الذين يستعلون بقوتهم، ويستهينون بغيرهم، حيث قال بعض المسلمين الجدد: (لن نُغلب اليوم من قلة) مستحقرين قوات (هوازن وثقيف) فحل بهم البلاء، وامتحنهم الله تعالى امتحانا قاسيا محّص الصف من خلاله، ولقنهم درساً وافياً في إخلاص النية، والأخذ بالأسباب وعدم اتكاء العاطفة على العدد أو العدة: ﴿ويومَ حُنينٍ إذ أعجبتكم كثرتُكم فلم تغنِ عنكم شيئاً وضاقتْ عليكمُ الأرضُ بما رحُبتْ﴾ [التوبة:٢٥]..

إن مخاطر الواقع، وغيوم المستقبل لا يمكن معالجتها بالعاطفة البحتة البعيدة عن لغة الوقائع والأرقام، وإنما تحتاج إلى مواجهة شجاعة تقرّ بالحقائق الماثلة وترسم خطتها على هذا الأساس بلا تشنج ولا توتر أعصاب، والمعرفة أول خطوات النجاح: ﴿إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ﴾ [ق:٣٧]□





نافذة على العالم

أضخم مسجد في البلقان

صرح جمال الفوزان – عضو لجنة مسلمي أوروبا والأمريكتين بجمعية إحياء التراث الإسلامي – بأنه قد بدأ العمل في انجاز أضخم مسجد ومركز إسلامي في منطقة البلقان تقيمه لجنة مسلمي أوروبا والأمريكتين التابعة لجمعية إحياء التراث الإسلامي في العاصمة الألبانية تيرانا.

والمشروع سوف يقام على مساحة تصل لـ ١٧ ألف متر مربع، وبتكلفة إجمالية تصل لربع مليون دينار كويتي، وقد تبرعت بإنشائه أسرة كويتية ليكون على أحدث طراز، ويجسد الروح الإسلامية لمنطقة البلقان التي اصبحت ساحة تتصارع فيه الأديان والاتجاهات بغية تغريبها وإبعادها عن الإسلام..

وهذا المشروع الضخم سيضم مسجدا جامعا ومدرسة إسلامية كبيرة ومكتبة متعددة الأدوار، ويقع في قلب العاصمة الألبانية – تيرانا – وعلى مقربة من مبنى البرلمان.

تنمية وتعمير سيناء

أعلن الدكتور محيي الدين الغريب رئيس هيئة الاستثمار والمناطق الحرة بمصر أنه تقرر البدء في تنفيذ الخطة القومية لتنمية سيناء الشمالية والجنوبية التي يقدر أنها سوف تتكلف ٧٥مليار جنيه خلال الأعوام الخمسة والعشرين المقبلة، وأنه تم اختيار خمس مناطق صناعية حرة جديدة تشمل كل سيناء.

وكان الدكتور الغريب يتحدث في حفل أقامته جمعية مستثمري سيناء بفندق شيراتون بالقاهرة، وقد أقيم الحفل بمناسبة إنشاء أول كيان اقتصادي مصري مائة بالمائة في شمال سيناء والذي يخدم قطاعاً كبيراً من أبناء سيناء وفي إطار المشروع القومي لتنمية سيناء.

وقال الغريب: إن الخطة القومية لتنمية سيناء بدأت مع إنشاء ترعة السلام الجديدة التي تهدف إلى استصلاح ٤٠٠ ألف فدان في سيناء وإنشاء مجتمعات صناعية ومناطق عمرانية جديدة لتحقيق التنمية الشاملة، وأن المناطق الحرة الجديدة في رفح ورأس النقب ستبدأ بالنشاط وتصدير منتجاتها إلى الدول العربية المجاورة بمنطقة الخليج، وكذلك غزة وأريحا، وأكد الغريب أن المناطق الصناعية الحرة الجديدة في سيناء سوف تحظى باهتمام كامل من الدولة في المرحلة القادمة، وأن مشروعات التصنيع الزراعي ستكون لها



● الدكتور محيي الدين الغريب

الأولوية في شمال سيناء إضافة للمشروعات التعدينية والسياحية في جنوب سيناء.

وأكد اللواء منير شاش محافظ سيناء أن المشروع القومي لتعمير سيناء تبلغ تكاليفه الاستثمارية ٧٥مليار جنيه. وأن ما يجري الآن هو البداية لتأسيس وإنشاء شركات وكيانات اقتصادية مصرية ضخمة.

وطالب محافظ شمال سيناء بوضع قانون جديد للاستثمار في سيناء يساعد على جذب مزيد من المستثمرين في مواجهة مرحلة السلام القادمة بين كل العرب وإسرائيل بحيث لا يتعارض مع قوانين الدولة في إطار المشروع القومي لتنمية سيناء وبحيث تكون قادرة على مواجهة المنافسات المتعددة في المرحلة القادمة.

خفض نسبة الأمية في سوريا

أعلن صندوق الأمم المتحدة للسكان أنه نجح بالتعاون مع هيئات حكومية سورية في خفض نسبة الأمية في سوريا، إلى أقل من الثلث، ضمن سلسلة نجاحات حققتها برامج التوعية السكانية وتنظيم الأسرة التي ينفذها.

وقال عبدالمنعم أبو نوار المدير الإقليمي للصندوق إن برامج التثقيف التي بدأ الصندوق تنفيذها في سوريا عام ١٩٧١ ساهمت في خفض معدل الأمية من ٧٣٪ إلى ٢٣٪.

وأضاف: إن الإحصاءات التي أجراها الصندوق تشير إلى أن نسبة الأزواج المستخدمين لوسائل تنظيم الأسرة ارتفعت من ١٢٪ إلى ٤٠٪، بينما انخفضت نسبة الوفيات بين الأطفال الرضع إلى ٣٣ في الألف، من ١٠٥ في الألف.

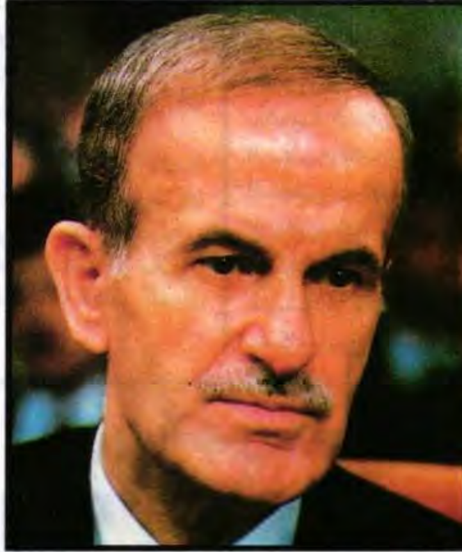
وقال (نسيم مدانات) المستشار في الصندوق إنه تجرى حاليا دراسة مشروع جديد، يغطي الفترة من عام ١٩٩٦م إلى عام ٢٠٠٠م، ويهدف إلى تنظيم السياسة السكانية لتتناسب مع النمو الاقتصادي للبلاد.

وذكر أن الصندوق ينفذ حاليا برنامجا يغطي الأعوام من ١٩٩٠م إلى ١٩٩٥م، ويتضمن إقامة مشروعين للتوعية السكانية بالتعاون مع وزارة الإعلام، ويدعي البرنامج إلى وحدة الاتصال السكاني، ويتوجه في شكل خاص نحو جيل الشباب الذين يمثلون الشريحة الكبرى من المجتمع السوري نحو الفئة القيادية صاحبة القرار في قضايا التنمية، وذلك من أجل تنظيم الأسرة.

وحـــدة (بـــلاد الشـــام)

كشف برلماني أردني النقاب عن أنه نقل رسالة من الرئيس السوري حافظ الأسد إلى الملك حسين تُعرب فيها سوريا عن استعدادها للدخول مع الأردن في أي شكل من أشكال الوحدة أو الاتحاد. وقال الدكتور سعيد التل – عضو مجلس الأعيان الذي كان يتحدث أمام المجلس في مناقشته للموازنة العامة – إن الرئيس الأسد (حمّلني عندما قابلته قبل أشهر قليلة رسالة إلى جلالة الملك حسين. تقول باختصار: إن الجمهورية العربية السورية مستعدة لأي شكل من أشكال الوحدة والاتحاد بينها وبين المملكة الأردنية الهاشمية).

ونسب التل للرئيس السوري قوله: إن مقاومة مشروع سوريا الكبرى في الماضي كانت خطأ قويا فادحا يجب تصويبه. وقال في هذا الصدد: إن الأردن وسوريا بالإضافة إلى لبنان وفلسطين تشكل كلا واحدا متكاملا جغرافيا وديموغرافيا واقتصاديا وسياسيا، هو إقليم بلاد الشام.



● الرئيس السوري

وأضاف: إن تعميق العلاقة وتطويرها بين أقطار بلاد الشام تمهيد لاتحادها مطلب وطني لكل قطر من هذه الأقطار ضرورة قومية عربية تفرضها التحديات المصيرية التي تواجهها هذه الأقطار.

احتمالات التطبيع

شارك ١٨ باحثا وأكاديميا من ثماني دول عربية في أعمال مؤتمر بعنوان (العالم العربي واحتمالات التسوية مخاطر وتحديات) على مدى ثلاثة أيام في بيروت بإشراف وتنظيم المركز اللبناني للدراسات، ومثّل الكويت الدكتور شملان يوسف العيسى.

وبدأت أعمال المؤتمر في أحد الفنادق الكبرى في بيروت بحضور مفكرين من لبنان وسوريا والأردن والأراضي المحتلة والكويت والعراق ومصر والمغرب. ونظم المؤتمر المركز اللبناني للدراسات وهو مركز متخصص تأسس عام ١١٩٠م ويقوم بإصدار مجلتين: (مجلة أبعاد الفصلية.. ومجلة نصف سنوية باللغة الانكليزية). وأوضح فارس أبو صعب مدير تحرير مجلة (أبعاد) أن عمل المركز يتضمن – بالإضافة إلى ذلك – تمويل إعداد دراسات. وتنظيم مؤتمرات تهتم بوضع السياسات التنموية في لبنان تحديدا، وفي منطقة الشرق الأوسط على المستويات السياسية والإدارية والاقتصادية والتربوية.

إدارة الأوقاف السّنيّة (البحرين)

ضمن مشروع طموح لبعث كنوز التراث الاسلامي، أصدر قسم الارشاد واعداد البحوث بإدارة الأوقاف السنيّة التابع لوزارة العدل والشوون الإسلامية بدولة البحرين باكورة انتاجه: كتاب (الموطأ) للإمام مالك بن أنس الأصبحي، برواية سويد بن سعيد الحدثاني (أحد تلامذة الإمام مالك رحمهما الله).

اعتذار عن إساءة

قال صاحب شركة توزيع أمريكية إنه تم سحب مئات النسخ من بطاقة بريدية تظهر عليها صورة صدر امرأة عار، تحيط به آيات من القرآن الكريم، بعد اعتراضات من المسلمين الأمريكيين.

وقال جيديون كلين صاحب شركة (جي كي انتربرايسس) في نيويورك: (لم نعرف بتلك الاعتراضات الا في الاسبوع الماضي، ووجدنا انه لا يوجد اقبال كبير على هذه البطاقة على أي حال، ولذلك لم نشأ إثارة جلبة بشأنها). وقال كلين إن نحو ٦٠٠ بطاقة بريد تحمل الصورة بيعت خلال الثمانية عشر شهرا الماضية وان مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية، الذي يتخذ من واشنطن مقرا له، اعترض عليها وحذره من ان الشركة ستغمرها الشكاوى إذا لم تسحب هذه البطاقة. وقال المجلس في بيان أصدر بهذا الخصوص: ان البطاقة البريدية التي انتجت في هولندا، تحمل صورة لصدر امرأة عار، وقد كتبت حول احد الثديين سورة الاخلاص بالعربية. وقال كلين ان شركته اصدرت بيانات لتوضح انها (لا تريد بأي حال إيذاء مشاعر المسلمين الأمريكيين وتعتذر لأي شخص جرحت مشاعره). وقال: إن الشركة الهولندية المنتجة للبطاقة، والتي لها موزعون في كل أنحاء العالم توقفت عن طبعها.

مسلمو جزر الباهاما

يعيش ١٥٠ مسلما في جزر الباهاما في البحر الكاريبي قرب كوبا. وقد بنوا مسجدا من التبرعات. وأكثرهم من أصول هندية وباكستانية وملاوية والقليل منهم من أهل البلاد الأصليين.

ويتشوق المسلمون هناك لزيارة دعاة وعلماء من العالم الإسلامي.. وقد تم تنظيم دروس وفصول دراسية أسبوعية للنساء والأطفال، ودروس لتحفيظ القرآن الكريم.. ويحتاجون إلى الكتب الإسلامية.

عدد المساجد في كازاخستان

تضاعف عدد المساجد في كازاخستان عدة مرات، فبعد أن كانت ٥٣ مسجدا عام ١٩٩٠، في عهد الاتحاد السوفييتي أصبحت الآن حوالي ٨٠٠ مسجد وانتشرت المدارس والنشاطات الإسلامية، وتزايدت الحاجة للأئمة والمعلمين والدعاة، والتحق عدد كبير من الطلاب من كازاخستان بدورات تدريبية في هذا المجال في مصر وتركيا.
وقد افتتحت الإدارة الدينية بكازاخستان مدرسة عليا لتدريب الأئمة والدعاة، وقد بني مسجد مركزي كبير في العاصمة المآتا. وسيقوم مركز إسلامي ثقافي كبير على حساب الحكومة المصرية بمبادرة من الرئيس حسني مبارك، وتشرف باكستان على إنشاء مطبعة لطبع الكتب الإسلامية في العاصمة المآتا، وستوزع مجانا، وتتوفر في المكتبات ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الكازاخية.

جائزة الأزهر في العمارة الإسلامية

اعتمد مجلس جامعة الأزهر الذي انعقد برئاسة شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق مشروع جائزة الأزهر في مجال العمارة الإسلامية، والهدف منها تشجيع البحوث والدراسات في مجال العمارة الإسلامية، وتنمية الوعي بأهمية العمارة الإسلامية والفن الإسلامي بشكل عام في مختلف دول العالم، وتشجيع المبتكرين على إنتاج أعمال معمارية أكثر ملاءمة للمجتمعات الإسلامية، وتحافظ في الوقت نفسه على وظيفة العمارة وفقا للمفاهيم الإسلامية، هذا بجانب مهمة توثيق المعلومات عن فن العمارة الإسلامية والفنون الأخرى المكملة له، ومقدار الجائزة ١٥ ألف دولار توزع على ثلاثة فائزين بالتساوي، وهي تنظم كل عامين، كما أن لها مجلسا يشكله شيخ الازهر ويعين أعضاءه لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد.

اجتماعات المجمع الفقهي بمكة المكرمة

أقيمت في مكة المكرمة – مؤخرا – اجتماعات المجمع الفقهي في (رابطة العالم الإسلامي) في دورته الرابعة عشرة برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء)، نوقش فيها عدد من الموضوعات والمسائل ذات الصلة بالفقه الإسلامي التي تهم المسلم المعاصر.

مركز إسلامي في السويد

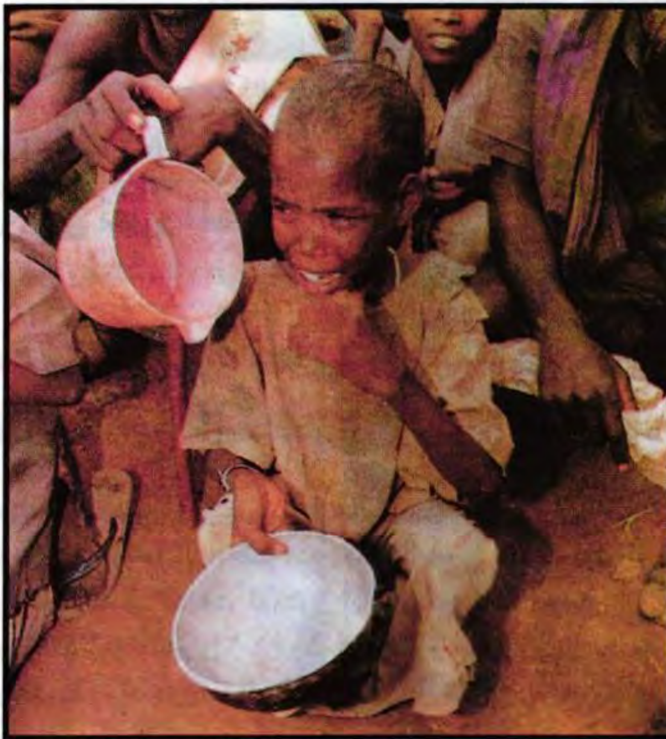
(المركز الإعلامي الإسلامي) في السويد سيتخذ مقرا له في العاصمة ستوكهلم، يحوي قسما لإصدار جريدة إسلامية ومحطة إذاعية إسلامية. ويعمل المركز على ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات السويدية والنرويجية والفنلندية والدانماركية.

وسيفتتح مكتبا فرعيا في أوسلو عاصمة النرويج، وهلسنكي عاصمة فنلندا، وتقدر تكاليف هذه المشروعات الإجمالية حوالي ٥٠٠ ألف دولار.

ترجمة كتب إسلامية للصينية

كلف (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية) بالقاهرة الدكتورة منى فؤاد حسن (أستاذة اللغة الصينية) بترجمة بعض الكتب الإسلامية إلى اللغة الصينية لتوزيعها في الصين على المسلمين. وتشمل الكتب التي يجري ترجمتها أحكام العبادات والعقائد والمعاملات.

مليون لاجىء مسلم في أفريقيا



أكد جاسم العيناتي رئيس لجنة القارة الأفريقية تزايد أعداد اللاجئين المسلمين في أفريقيا خلال الفترة الأخيرة، حيث بلغ عددهم نحو مليون لاجىء، يعيشون في ظروف إنسانية بالغة الصعوبة تتطلب الإغاثة العاجلة.
وأشار العيناتي إلى أهمية توفير المسكن والملبس لهؤلاء اللاجئين، وإلى دور اللجنة في تقديم الخدمات اللازمة لهم باعتبارهم ضحايا للكوارث الطبيعية والنزاعات والحروب.
وأوضح أن تقديم العون لهؤلاء اللاجئين يدخل في صميم العمل الدعوي للجنة التي تعنى بتشييد المساجد والمراكز الصحية وتقديم المعونات الغذائية والمادية، وإقامة المشاريع التنموية، ومشاريع الصدقة الجارية.
وأوضح أن لجنة القارة الأفريقية قد قامت في هذا الإطار ببناء ٤٢ مسجدا، و٤٠٦ مراكز إسلامية، و٨٠ مركزا صحيا، و٢٣ مزرعة إنتاجية، و١٥١ مدرسة.

أكبر مركز إسلامي في بورسعيد

افتتح أكبر مركز إسلامي بمدينة بور فؤاد بمحافظة بورسعيد بمناسبة احتفالات المحافظة بذكرى انتصارات شعبها على المعتدين في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م.
وتكلف المركز الإسلامي الجديد تسعة ملايين جنيه مصري، وافتتحه محافظ بورسعيد اللواء فخر الدين خالد عبده، ثم نقل منه التلفاز والإذاعة بمصر صلاة الجمعة على الهواء مباشرة عقب مراسم الافتتاح الرسمي.

أسرارهم عند صغارهم

ذكرت صحيفة (إندبندنت) أن مراهقا بريطانيا يواجه تهمة اختراق أنظمة كمبيوتر حكومية أمريكية حساسة للاطلاع على اتصالات سرية حول أزمة كوريا الشمالية النووية في الربيع الماضي. وأضافت الصحيفة أن الصبي ظل لمدة سبعة أشهر يخترق أنظمة كمبيوتر دفاعية عدة، فيما وصفه مسؤولون أميركيون بأنه من أخطر عمليات انتهاك سرية الكمبيوتر خلال السنوات الأخيرة. وعقب اطلاع الصبي البالغ من العمر ١٦ عاما على الرسائل السرية، قام بإدخالها على شبكة الكمبيوتر الدولية (انترنت) التي تضم ٣٥ مليون مشترك.

وقال هاوٍ للكمبيوتر إن بريطانيا آخر اطلع على الرسائل المذاعة على الشبكة لصحيفة (إندبندنت) وإنها كانت تضم معلومات عن مواقع إطلاق في كوريا الشمالية، ومعلومات استخبارات ميدانية. وأضاف للصحيفة: إن (الأمريكيين كانوا يعتقدون أنه جاسوس لكنه أبلغهم أنه كان يفعل ذلك من أجل المتعة).

وتمكن المحققون الامريكيون من الإمساك بالصبي عندما ترك جهازه ذات ليلة متصلا بكمبيوتر وزارة الدفاع الامريكية (البنتاغون). وألقت الشرطة البريطانية القبض على الصبي في يوليو الماضي. وذكرت الصحيفة أن المحققين سيقررون هذا الشهر ما إذا كانوا سيوجهون إليه الاتهام رسمياً.

أرشيف عثماني للوثائق

يهتم الأرشيف العثماني الذي مضى على إنشائه ١٤٨عاماً بتأمين وجمع الوثائق الأرشيفية التي ترجع للعهد العثماني وما قبله، والحفاظ عليها، والقيام بتصنيفها وحمايتها واستنساخها بالوسائل والتقنيات الحديثة، تمهيداً للقيام بدراسات علمية حول تلك المواد، ثم إعداد المنشورات للتعريف بتلك الوثائق في الأوساط العلمية في تركيا وخارجها.

ومن بين مهام الأرشيف العثماني متابعة التطورات العلمية القائمة في العالم في مجال إدارة الأرشيفات وترجمة الكتب والمقالات والوثائق، وتجميع الوثائق المتعلقة بالتاريخ والحضارة في العهد العثماني إلى جانب تقديم خدمات أرشيفية بوساطة الكمبيوتر للباحثين.

وكانت بداية إنشاء الأرشيف العثماني سنة ١٨٤١م، عندما نظم علي شكل أرشيف سلطاني عرف باسم (خزينة أوراق). وفي عام ١٩١١م، وضع هذا الأرشيف تحت إدارة رئاسة مجلس الوزراء التركي. وفي عام ١٩٨٤م، تم إنشاء المديرية العامة لأرشيف الدولة وألحق بها الأرشيف العثماني كأحد أقسامها.

كتابة ١٧ لغة أفريقية بالحروف العربية

أتمت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) بنجاح المرحلة الأولى من مشروع كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف القرآني المنمط، و ذلك بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية، ومركز الأبحاث والدراسات للتعريب في الرباط.وتمثل المرحلة الأولى من المشروع تنميط الحرف العربية لكتابة ١٧ لغة افريقية. ولذلك فقد تم إنجاز الآلة الكاتبة المنمطة لتوزيعها على الدول الأعضاء، التي يتحدث سكانها بهذه اللغات، وستواصل المنظمة العمل في هذا البرنامج، ليشمل أيضا لغات شعوب شرقي أفريقيا، ولغات الشعوب الإسلامية في وسط وشرق آسيا.يتطلب المشروع جهودا كبيرة ودعما ماليا متزايدا حيث يسعى لإعادة ربط الشعوب المسلمة بمصادر الثقافة الإسلامية الأصلية، والتي تتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والتراث الحضاري الاسلامي في كل ميادين المعرفة، ويواجه هذا المشروع تحديا كبيرا من قبل هيئات كثيرة لا تريد للمسلمين أن يتقاربوا وأن يعودوا لمنابع دينهم وحضارتهم.

كتب إسلامية بالروسية

طبع على نفقة الحكومة المصرية عشرات من الكتب الإسلامية باللغة الروسية تحت إشراف (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية). وسيتم توزيعها في روسيا الاتحادية، وبلدان اسيا الوسطى.. وتشرح هذه الكتب عدة موضوعات إسلامية مثل الصلاة والحج والزكاة والفقه والتوحيد.

استرداد الآثار الإسلامية من أثينا

توجه إلى أثينا وفد من وزارة الأوقاف المصرية برئاسة أحمد عبد الله رئيس هيئة الأوقاف في زيارة لليونان، لبحث سبل استرداد أموال وممتلكات الأوقاف المصرية في أثينا والتي تقدر بحوالي ٣٥ مليون دولار. يضم الوفد المهندس احمد مرعي المستشار الهندسي لوزارة الأوقاف وعددا من الفنيين والخبراء. تجدر الإشارة إلى أن من بين الآثار المصرية في أثينا والتي تطالب بها مصر: متعلقات أسرة محمد علي وبعض التحف الإسلامية.

منح أزهرية لطلاب بنغلادش

وافق فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر على تخصيص عدد من المنح الدراسية لطلاب الدراسات العليا في بنغلادش للدراسة بجامعة القاهرة.

اشترط شيخ الأزهر أن يكون الطلاب من الحاصلين على شهادات معادلة لشهادات الأزهر، وأن يجيدوا التحدث باللغة العربية الفصحى. وتجدر الإشارة إلى أن جامعة الأزهر ستجري اختبارا لهؤلاء الطلاب بعد موافقة دولتهم.

إسرائيلية سرقت رشاشين لتشتري المخدرات

قال التلفاز الاسرائيلي إن محكمة عسكرية اسرائيلية حكمت بسجن مجندة إسرائيلية خمس سنوات بتهمة سرقة رشاشين وبيعهما لفلسطينيين مقابل شراء مخدرات. واقتحمت المجندة راشيل بيتون غرفة جنود آخرين في القاعدة العسكرية التي تعمل بها في تل أبيب وسرقت رشاشين عوزي صناعة إسرائيلية. وذكر تقرير التلفاز أنها أعطت إسرائيليا من أصل فلسطيني الرشاشين مقابل الحصول على مخدرات، وقام بدوره ببيع الرشاشين لفلسطينيين في الأراضي المحتلة.

وطالب مدعون في وزارة الدفاع بسجن المجندة ثلاث سنوات ونصف السنة إلا أن قاضيا عسكريا رفض ذلك، وحكم عليها بالسجن لمدة خمس سنوات. ويقوم الجيش بتجنيد الاسرائيليات في الخدمة العسكرية من سن ١٩ لمدة عامين.

يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير. إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ [آل عمران:١٨٩و١٩٠].

وفي ظل هاتين الآيتين الكريمتين تم بحمد الله تناول المصحف الشريف، وتدبر الآيات الكريمة التي ورد بها ذكر لفظة (الأرض) تدبراً خاصاً يبحث في معارف الإنسان ومعلوماته التي كشف الله لخلقه بعضاً من أسرارها العلمية والعملية، والتي شاهدها الإنسان بنفسه ولمسها بيده سواء في الحياة اليومية أو البحثية في حقائق ذات انتشار واسع أو محدود. وذلك ابتغاء وجه الله تعالى أولاً، وابتغاء المعرفة والاعتراف بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم، فسبحان رب العالمين.

تقديم لعلوم الأراضي

في ظلال بعض آيات القرآن الكريم

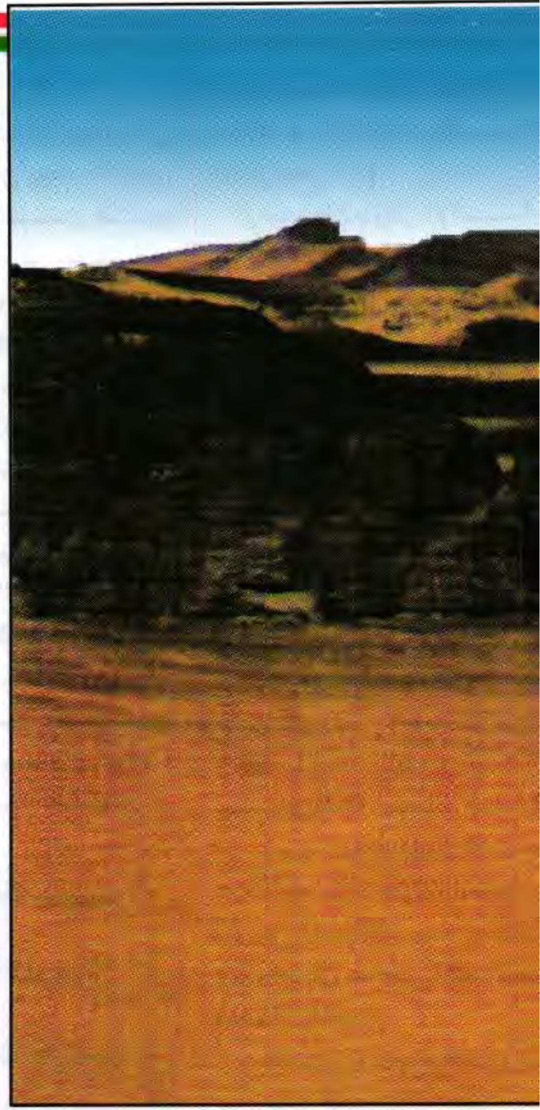
بقلم: د. محمد أحمد عبد المطلب *

(الأرض) في القرآن الكريم

من المنطلق المتقدم تم حصر الآيات الكريمات التي ورد فيها ذكر لفظ الأرض وحصر معارف الإنسان المشتغل بعلوم الأراضي والمياه في عصرنا الحالي، ثم تحديد الآيات التي توصل الإنسان لمعرفة أية معلومات أو بيانات يمكن إيداعها في ظل تلك الآيات. وتوصلت الدراسة في ضوء هذا الفهم المحدود للإنسان، والإطار الخاص للبحث إلى تبويب خاص لبعض آيات القرآن الكريم على النحو التالي:

آيات تتصل بخلق الأرض مثل: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ [هود:٧]. ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ [الأنبياء:١٦] ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون. وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون﴾ [الأنبياء:٣٠و٣١] ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾

* أستاذ علم الأراضي بكلية الزراعة، جامعة الأزهر، القاهرة.



[الرحمن:١٠-٢١]. ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً. والجبال أوتاداً. وخلقناكم أزواجاً﴾ [النبأ:٦-٨]. ﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها. رفع سمكها فسواها. وأغطش ليلها وأخرج ضحاها. والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها ماءها ومرعاها. والجبال أرساها. متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ [النازعات:٢٧-٣٣]. ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت﴾ [الغاشية:١٧-٢٠]. ﴿والشمس وضحاها. والقمر إذا تلاها. والنهار إذا جلاها. والليل إذا يغشاها. والسماء وما بناها. والأرض وما طحاها. ونفس وما سواها﴾. [الشمس:١-٧].

[غافر:٥٧]. ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم. الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون. والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون﴾ [الزخرف:٩-١١].

الآيات التي تتصل بالإعجاز المطلق لقدرة الله سبحانه وتعالى مثل: ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ [النمل:٧٥].

آيات تتصل بطبيعة التواجد مثل: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ [طه:٥٥]. ﴿والأرض وضعها للأنام. فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام. والحب ذو العصف والريحان﴾

وآيات تتصل بعبودية الأرض وملكيتها لله سبحانه وتعالى مثل: ﴿ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير﴾ [النور:٤٢]. ﴿الرحمن على العرش استوى. له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ [طه:٥و٦]. ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾ [الإسراء:٤٤].

وآيات تتصل بطبيعة الأرض وأنها أحد مصادر الرزق مثل: ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون. وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين﴾ [الحجر:١٩-٢٠]. ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ [البقرة:١٦٤]. ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين. ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت:٩-١١].

وآيات تتصل بطبيعة التواجد والتعايش بين المخلوقات على الأرض مثل: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون. الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ [البقرة:٢١و٢٢]. ﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كان فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ [البقرة:٣٦]. ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون﴾ [الأعراف:١٠]. ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى. كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ [طه:٥٣و٥٤].

وآيات تدل على أن الأرض أحد المصادر المباشرة لرزق الخلائق مثل: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ [البقرة:١٦٨]. ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد﴾ [البقرة:٢٦٧]. ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ [يونس ٣١]. ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون. ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون. وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون. وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ [النحل:١٠-١٣]. ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صباً. ثم شققنا الأرض شقاً. فأنبتنا فيها حباً. وعنباً وقضباً. وزيتوناً ونخلاً. وحدائق غلباً. وفاكهة وأباً. متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ [عبس:٢٤-٣٢].

وآيات تتصل بالأمثلة الإيضاحية حسب مراد رب العزة سبحانه وتعالى مثل: ﴿يا

تقديم لعلوم الأراضي

أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مُخلَّقة وغير مخلّقة لنبين لكم ونُقِرُّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوف ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير. وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾ [الحج :٥-٧]. ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كِسَفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون. وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين. فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ [الروم:٤٨-٥٠].

ونظراً لأن القرآن الكريم كتاب هداية، فإن ألفاظه ومعانيه أَجْملت وأوْفت لما أراده الله لها، كما أنه يساير المعرفة في جميع العصور، ومهما تقدمت العلوم فلن تتمكن من الوصول إلى حقائق ما أتى في القرآن الكريم من علوم .. بل إن القرآن الكريم نبأ بذلك حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء:٨٥].

ما قبل خلْق الإنسان وما بعده

وبالنظر إلى الآيات القرآنية التي ورد بها لفظ (الأرض) نجد أنه يمكن تقسيمها إلى مجموعتين أساسيتين:

المجموعة الأولى: تتضمن آيات تبلغ الإنسان عن نشأة الأرض فيما قبل الإنسان، وهذا الأمر يعد (من الناحية الدراسية في عصرنا الحالي) من الأمور الغيبية التي لا يستطيع الإنسان وصفه أو شرحه والتعرض لتفاصيله وليس أمام الإنسان إلا الإسلام والتسليم لله سبحانه وتعالى - ويؤيد هذا الرأي فهمنا لقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ [الكهف:٥١].

والمجموعة الثانية: تتضمن آيات توضح للإنسان بعض صفات الأرض وخصائصها وفي ظل هذه المجموعة سوف يتم بإذن الله وتوفيقه استعراض معرفة الإنسان وإسناد ذلك إلى الآيات التي نعتقد أن معناها يمكن أن يتقبل ذلك بإذن الله.

بين مصطلحات علماء الطبيعة والقرآن

من المعروف حالياً بين المشتغلين بدراسة العلوم الطبيعية أنه يوجد لديهم ثلاثة مصطلحات للفظة الأرض. وهذه المصطلحات الثلاثة هي: (Earth, Land, Soil) فإذا ما استعمل المصطلح الأول وهو (Earth) كان ذلك دلالة على أننا نعني الأرض كأحد كواكب المجموعة الشمسية التي نعيش عليها.

ومن المعروف تاريخياً أن الإنسان كان يعتبر الأرض مسطحة ثم تعدل فكره واعتبرها كروية، ثم حديثاً ثبت بالتصوير الجوي للأرض أنها ليست كاملة الكروية، بل يميل شكلها إلى الكروي المنبعج أو المائل إلى البيضاوية ..

فإذا علمنا أن أول سفن الفضاء ذات الرحلات الناجحة تم إطلاقها عام ١٩٥٧م، وتلا ذلك تصوير الأرض ومعرفة خصائص شكلها بأسلوب تقديري كمي، حيث وجد أن القطر القطبي للأرض يساوي (١٢٦٤٠) كيلومتراً تقريباً (١)، بينما وجد أن القطر

■يشير القرآن بشكل واضح إلى التوازن المطلوب في عناصر الطبيعة لتحقيق حياة أفضل للإنسان

الاستوائي للأرض يساوي (١٣٠٧٠) كيلومتراً تقريباً، هذا ما توصل إليه العلم حديثاً .. وهذا قليل من كثير حيث لم نصل إلى معرفة جميع القياسات الخاصة بأبعاد الأرض في الاتجاهات البينية المختلفة.

فما بالنا نجد القرآن الكريم أوجز هذا وأجمله مع ما يمكن أن يتوصل الإنسان إليه من معارف في هذا الشأن - حيث حدد لنا ربنا سبحانه وتعالى شكل الأرض في لفظة واحدة تشمل كل ما عرف وما سوف يعرف، وما لا يستطيع أن يعرف الإنسان - حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ [النازعات:٣٠].

أيضاً لم يكن الإنسان يتصور أن الأرض كجسم هائل معلق في الفراغ الكوني بل كان يعتقد أنها ترتكز على قاعدة ما أو أنه لا يوجد كواكب أخرى دونها، وأن الأرض ممتدة عمق إلى ما شاء الله .. ثم تبين للإنسان بوسائله العلمية أن الأرض ككوكب معلق في فراغ كوني هائل تحيطها السموات من كل جانب وكل اتجا ،والمقصود هنا بلفظة السموات هو كل ما يعلو الأرض وباعتبار أن أي قياس لابد أن يبدأ من نقطة، ويمتد في اتجا ما ، نجد أننا في مجال الحديث عن الأرض وما حولها نتكلم عن الأرض بلغة المفرد، بينما م حولها يمثل جمعاً، لأنه متعد الاتجاه والمقدار.

فلننظر إلى التعبير القرآني عن هذه الحقيقة ويا له من تعبير سام: ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ [الأنبياء:٣٠].

كما أن هذه الأجرام الكونية دائمة الحركة رغم إحساسنا الظاهري بثباتها - والحرك دليل عملي على حرية الأطراف - وهذا ما يشير إليه العل الحديث في السنوات الأخيرة.

بينما القرآن الكريم يشير إلى ذلك منذ بدء الرسالة المحمدية حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ثم استوى إلى السما وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتين طائعين﴾ [فصلت:١١].

فكيف للأرض وما يحيط به من سموات بما فيها من كواك أن تأتي، أليس ذلك دليلاً عل أن أطرافها حرة، وتستطي

التحرك، بل وأنها فعلاً تتحرك، بدليل قولهما ﴿أتينا طائعين﴾.

أما المصطلح الثاني: وهو (Land) فيطلق على الأرض عندما نريد التعبير عن الجزء اليابس من الكرة الأرضية، وما لسطح هذا الجزء من خصائص، وما لهذه الخصائص من تأثير على حركة الإنسان ومعيشته على الأرض.

فمن البديهي أن الإنسان خصوصاً، والكائنات الحية عموماً تفضل في معيشتها التواجد على أرض سهلة منبسطة ذات مناخ ملائم وذات موارد طبيعية طيبة، سواء كانت هذه الموارد منتجات زراعية نباتية أو حيوانية، أو موارد معدنية وغيرها من خيرات مخزونة في باطن الأرض، أو كانت هذه الموارد من منتجات البحار: كالأسماك، والحيوانات البحرية التي يتسفيد بها الإنسان، أو مقتنيات أثرية بحرية مثل اللؤلؤ والمرجان وغيرها مما عرف الإنسان.

كما أن الإنسان يفضل التواجد بقرب وسائل المواصلات التي تمكنه من الترحال من مكان إلى آخر بسهولة وأمان، وأهم عنصر في ذلك هو الطرق أو السبل الممهدة براً أو المجاري المائية إذا كان الانتقال بحراً.

فكان حرياً بالإنسان منذ أقدم العصور أن يلتزم ذلك كأمر بديهي تلقائي فنجد حالياً التكاثف السكاني متوافق مع تيسر سبل الحياة، والعكس صحيح، وعندما يريد الإنسان التوسع العمراني لمكان ما خال فإنه يختار المكان الأقرب إليه، والأقل تكلفة في أعمال التسوية والتمهيد للمعيشة، والأيسر في توصيل الخدمات إليه، وكل هذه الأمور يحكمها شكل السطح سواء كان مستوياً، أو منحدراً، أو متعرجاً، أو به تباب، أو هضاب، أو جبال..إلخ.

(سطح الأرض) والعلم الحديث

ومن ثم فإن إنسان العصر الحديث يهتم عند حديثه عن سطح الأرض أن يتناول ما يلي:

أ) الموقع: ويتحدد بذلك المكان على سطح الكرة الأرضية، ويتضح بذلك الظروف المناخية للمكان وعلاقة المكان بالأماكن الأخرى وما به من موارد طبيعية عموماً.

ب) شكل السطح: ويتحدد ذلك بالشكل العام للمكان والذي عادة ما يوصف بأحد الأوصاف الآتية: مستو – مائل – منحدر – مرتفع – متموج – هضبة – جبل – منخفض – واد.

جـ) المنسوب: ويتحدد به ارتفاع الموقع عن سطح البحر، ويهمنا بالتحديد تبيّن ارتفاع الموقع عن مصادر المياه الصالحة للاستعمال الإنساني، سواء في أغراض صحية، أو إنتاجية زراعية نباتية، أو حيوانية.

وحيث إن الموقع يحدد المناخ بصفة عامة مثل المناخ القطبي والاستوائي والقاري، وهكذا للمناطق المتباعدة، فإنه يحدد أيضاً طول الليل والنهار لذات المكان نتيجة دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس، وهذه الدورة معروفة، وهي دورة يومية تتم كل ٢٤ ساعة تقريباً.

فلو افترضنا أننا عند نقطة على خط الاستواء مثلاً، حيث يبلغ طول محيط الكرة الأرضية حوالي ٤١٠٤٠ كيلومتراً تقريباً(٢)، وأن هذه النقطة تعود إلى مكانها أمام الشمس مرة كل ٢٤ ساعة نتيجة دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس، فإن ذلك يعني أن هذه النقطة تتحول بسرعة تساوي (١٧١٠) كيلومترات في الساعة تقريباً. وفي أثناء حركة الأجسام العادية غير المتوازنة (ذات الأشكال المنبعجة) بمثل هذه السرعة الدورانية يتحتم اختلال وضع أجزائها بالنسبة لبعضها البعض، بينما نجد من رحمة ربنا بنا أن خلق الجبال وجعلها رواسي في الأرض أو أوتاداً تتثبت بها أجزاء الأرض وأوضاعها بالنسبة لبعضها البعض في أثناء حركة الأرض المستمرة ذات السرعة العالية المشار إليها سابقا.

■ يساير القرآن الكريم المعرفة في جميع العصور، بل سبقت آياته كثيرا من حقائق العلوم المعاصرة



وكيفية ذلك فيما نعلم – والله أعلم – أن الجبال تم توزيعها (بعلم الله سبحانه وتعالى الذي خلق كل شيء بقدر)، بحيث أن ما تمثله من نتوءات على سطح الأرض وما تحويه من كتل مكثفة في مواضعها تحقق اتزاناً في توزيع الكتل المحيطة بمركز ثقل الأرض، وبمجرد دورانها بحيث لو أخذنا أي قطر يمر بمركز الثقل في أي اتجاه ويوصل بين نقطتين على سطح الأرض، فإن مجموع القوى (الكتل) مضروباً في ذراعها على أحد جانبي هذا المركز سوف يساوي مجموع القوى (الكتل) مضروباً في ذراعها على الجانب الآخر للمركز على نفس امتداد الذراع الأول.

والمعنى الآخر يتحقق بأخذ مقطع أفقي في شبه الكرة الأرضية عند أي مستوى متعامد على محور حركة الأرض (دورانها حول نفسها أمام الشمس)، ثم بتوصيل أي قطر داخل هذا المقطع، فإننا نجد أيضاً أن مجموع القوى (الكتل) مضروباً في ذراعها على أحد جانبي المحور لابد أن يتساوى مع مجموع القوى (الكتل) مضروباً في ذراعها على الجانب الآخر للمحور على نفس الامتداد فسبحان الله .. ومن يستطيع الإجابة على السؤال القرآني المعجز: ﴿ألم

تقديم لعلوم الأراضي

نجعل الأرض مهاداً. والجبال أوتاداً﴾ [النبأ ٦ و٧].

أما وظيفة الجبال الثانية فيما نعلم: أنها تعمل كمصدات للرياح بما تحمل من مواد وأتربة وبالتالي فإنها تحد من فعل عوامل تعرية سطح الأرض من المواد الناعمة.

أما الوظيفة الثالثة للجبال فيما نعلم: أنها تعمل على تنوع المناخ المحلي للأماكن التي تحتلها الجبال حيث إنه من المعروف أن درجة الحرارة تنخفض كلما ارتفعنا عن سطح الأرض بمعدل من ٦ إلى ٦,٥ درجة مئوية(٣) لكل ألف متر خلال طبقة التريوسفير (حوالي ١٥ كم ارتفاع)، وبذلك نجد تدرجا حرارياً مع ارتفاع الجبل، أيضاً نلاحظ أن قمم الجبال وجوانبها المنحدرة لا تجمع ولا تسمح بتجميع مياه المطر الساقطة عليها، بل تتركها تسيل إلى ما يجاور الجبال من سفوح وأودية، وهذا يؤدي إلى توزيع محلي للمطر مخالف عن توزيعه الطبيعي المتجانس للمكان الواحد.

وباختلاف التوزيع المحلي لسرعة الرياح ودرجة الحرارة، ومعدل سقوط المطر، تختلف تباعاً الرطوبة النسبية والضغط لذات المكان، وهذه الاختلافات تمثل تبايناً مناخياً في المكان الواحد، الأمر الذي يحقق لهذه الأماكن ما يسمى الاكتفاء الذاتي في بعض متطلباتها المناخية والمعيشية.

وهذه الأمثلة للحقائق العلمية السابقة، نسوقها ضمن فهمنا للآية الكريمة: ﴿وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يُغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [الرعد:٣].

أما المصطلح الثالث وهو (Soil) فيطلق على التربة الزراعية وتعرف بين المشتغلين بعلوم الأراضي أنها تمثل الجزء الخارجي أو السطحي للغلاف الخارجي للقشرة الأرضية، والتي تتميز بوجود قطاع يعكس تأثير عوامل تكوين الأراضي عليها، وأنها تقع في تماس مباشر مع الهواء الجوي.

وهذه الأرض لم يدَّع أحد ملكيتها أو خلقها، أو خلقه مثلها، فسبحان الله عما يشركون: ﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ [طه:٦].

ولذا اتجهت كل دراسات علم الأراضي إلى دراسة خواص الأرض فقط، وكيفية الاستفادة منها على طبيعتها التي هي عليها ولم تنجح أعمال الاستصلاح إلا في إعادة حالة التربة إلى ما كانت عليه قبل تدهورها، أما استصلاح أراضٍ غير قابلة للاستصلاح بطبيعتها فلم ينجح أي من برامجه حتى الآن.

ومن ثم، فإن الجانب التطبيقي لدراسة التربة يعمد إلى إعادة استزراع الأراضي التي كانت صالحة للزراعة فيما مضى، ولسبب ما توقف استزراعها، كما يعمد إلى تحسين ورفع كفاءة الإنتاج للأراضي المنزرعة حالياً.

وفي إطار الهدفين السابقين تقسم أعمال المشتغلين بعلوم الأراضي خصوصاً في الجانب التطبيقي بصفة أساسية إلى:

١- استصلاح أراضٍ.
٢- تحسين أراضٍ.
٣- خدمة أراضٍ.
٤- صيانة أراض والمحافظة عليها من التدهور.

وللتعامل مع هذه المجالات الأربعة، يجب تقدير الصفات الآتية للتربة(٤):

١- الموقع.
٢- الانحدار.
٣- التضاريس.
٤- النحر.
٥- الصرف السطحي.
٦- لون التربة.
٧- عمق قطاع التربة.
٨- نفاذية التربة.
٩- كثافة التربة.
١٠- مسامية التربة.
١١- قوام التربة.
١٢- وجود أحجار من عدمه.
١٣- بناء التربة.
١٤- الصرف الداخلي.
١٥- قدرة الأراضي.
١٦- نسبة الماء الميسر للنبات.
١٧- المادة العضوية المساعدة على الاحتفاظ بالماء.
١٨- كربونات الكالسيوم.
١٩- السعة الامتصاصية للأيونات.
٢٠- الأملاح.
٢١- العناصر الغذائية.
٢٢- العناصر الثقيلة.
٢٣- التكوين المعدني.
٢٤- المناخ.
٢٥- الغطاء النباتي.
٢٦- إنتاجية الأراضي.

■ وردت لفظة (الأرض) في الآيات القرآنية في ميادين الخَلْق، والطبيعة، والإعجاز المطلق، والعبودية، والرزق، مما أبعدها عن الوصف السطحي العابر

العلاقة الوثيقة بين التربة والنبات

وبتقدير هذه الصفات للتربة ومقارنتها بقيم صفات الأراضي عالية الإنتاج، يتضح لنا المطلب، وتتحدد احتياجات الأرض إلى عمليات الخدمة التي ترفع من قدرتها الإنتاجية. والواضح علمياً وعملياً هو ضرورة إتمام هذه الدراسة وإتمام عملية الخدمة قبل زراعة التربة، وهذا هو ما ذكره القرآن الكريم صراحة، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صباً. ثم شققنا الأرض شقاً. فأنبتنا فيها حباً﴾ [عبس: ٢٤-٢٧].

وفي الواقع أن إنتاجية التربة تتوقف على عوامل عديدة، بعضها خارجي ولا يمكن للإنسان التحكم فيه أو توجيهه. مثل: المناخ، والعوامل البيئية، والآفات، والأمراض، وذلك برغم محاولات الإنسان في مجالات مقاومة الآثار الضارة للعوامل السابقة.

كما أن الإنتاج يتوقف على عوامل داخلية يمكن للإنسان المساهمة في تحديد مقاديرها، وذلك مثل خواص الأراضي، والتعديل من قيمتها نتيجة لعمليات الخدمة، مثل: نوع النبات، واختبار بعض السلالات منه ذات صفات خاصة، ومثل: صفات مياه الري، ومحتوياته من العناصر

المختلفة.

أي أن صفات المنتج النهائي للزراعة النباتية (عند ثبوت العوامل البيئية) تتوقف على(٥):

١- صفات التربة.

٢- صفات النبات(٦).

٣- صفات مياه الري.

فمن البديهي أن كل نبات يتأثر بالصفات السابقة هي جملة صفات لكل من التربة والنبات والماء على المستوى العام (بمعنى للأراضي المختلفة، والنباتات المختلفة في أنواعها، والمياه المختلفة في صفاتها) - بينما على المستوى الخاص - بمعنى لكل نبات مفرد - فإن كل نبات يتأثر بحجم الأرض الذي تنتشر فيه جذوره، وبمدى ما فيه من ماء ميسر للنبات، وصفات هذا الماء.

وهذه الجزئية الأخيرة تدل على أن لكل نبات عمق تربة خاص به، وكمية عناصر غذائية متاحة، ووسطا معينا تنتشر به جذوره، ونسب رطوبة محيطة به، ونسباً خاصة بين العناصر داخل هذا الوسط المحدود المحيط بجذر نبات واحد، ومن المستحيل أن تتساوى هذه الصفات لنباتات النوع الواحد المنزرع في أرض واحدة، بل إنها لا تتساوى ولا تثبت للنبات الواحد المفرد.

فمع نمو النبات يزداد انتشار جذوره، ويتاح له التعامل مع حجم تربة أكبر، وبالبعد عن السطح يقل انتشار رطوبة مياه المطر، أو مياه الري، وبالتالي يقل ذوبان العناصر الغذائية وصلاحيتها لكي يمتصها النبات، وربما بزيادة التعمق لجذر النبات وصل إلى مستوى الماء الأرضي، وربما كان ماء أرضياً مالحاً، أو ذا تأثير قلوي، وهذا له تأثيره على نمو الجذر، ومن المعروف أن نمو الجذر

■ لم يقتصر الإعجاز القرآني على فصاحة الألفاظ ومتانة البناء اللغوي، وإنما فيه من الإعجاز العلمي ما لايدع حجة لكافر

مؤثر ومرتبط بنمو المجموع الخضري والثمري للنبات.

مما تقدم يتضح أن إنتاجية النبات «نوعاً وكماً» تتأثر باختلاف صفات التربة، وباختلاف نوع النبات وكفاءة عمليات الخدمة، واختلاف صفات المياه المستعملة في الري، سواء كان ذلك لأراضٍ متجاورة، أو لنفس التربة في مساحة محدودة لنباتات مختلفة النوع، أو لنبات نوع واحد.

أما الشيء الأكثر غرابة مما تقدم فهو اختلاف إنتاجية النبات ذي النوع الواحد المنزرع في مكان واحد، ويروى بنفس المياه، وتقدم له الخدمة بنفس الكفاءة من يد مزارع واحد، فلو أخذنا نباتين متجاورين تحت هذه الظروف، فإننا نجد أن إنتاجهما يختلف في طعمه عن بعضهما البعض، وذلك يرجع للاختلاف في الاتزان الغذائي في المنطقة المحيطة بالجذر لكل منهما.

وأبسط معاني الاتزان الغذائي في البيئة الخارجية للجذر: أن تتواجد العناصر الغذائية في هذه البيئة أولاً، بنسب وبكميات مناسبة، لاحتياج النبات بحيث تكون علاقة هذه العناصر مع بعضها متكافئة كيماوياً، ومتعادلة كهربياً، بمعنى أن يكون مجموع الشحنات الموجبة على عناصرها مساوٍ لمجموع الشحنات السالبة على العناصر التي تحملها.

وأصبح الآن من الثابت علمياً وعملياً أن هذا الاتزان لا يتساوى لنباتات النوع الواحد المنزرع تحت ظروف قياسية (حسب تقدير الإنسان) ثابتة، وذلك نظراً لأن لكل نبات اختيارية خاصة للعناصر، ومعدلا خاصا في الامتصاص، ونظراً لهذا الامتصاص الاختياري بتغير الاتزان في البيئة الخارجية بين العناصر، وبديهي أن التغير في محيط كل جذر نباتي لا يتساوى مع التغير في محيط الجذور الأخرى.

على أن صفات الأراضي والنباتات والمياه، وإن بدت ثابتة في لحظة ما لمكان ونبات ومياه معينة، إلا أنها في الواقع دائمة التغير الديناميكي، وأن نتائج هذا التغير تختلف من محيط نبات إلى آخر، وأن إنتاج كل نبات يتوقف على نتائج هذا التغير المستمر نتيجة التأثير المتبادل بين النبات والبيئة.

وهذا قليل من كثير فيما أشار إليه القرآن الكريمة في آية واحدة: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأُكُل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ [الرعد :٤].

﴿فسبحان ربك العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾□

الهوامش:

(١) د. محمد إبراهيم فارس، د. محمد يوسف حسن، د. مراد إبراهيم يوسف (قاعدة الجيولوجيا العامة والتطبيقية)، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٦٤م.

(٢) د. محمد جمال الدين الفندي، الطبيعة الحيوية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٦٤م.

(٣) د. محمد جمال الدين الفندي، الطبيعية الجوية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٦٤م.

(٤) د. محمد أحمد عبد المطلب، د. سيف الدين أحمد حسين (تقييم الأراضي الزراعية)، كلية الزراعة، جامعة الأزهر، القاهرة ١٩٨٥م.

(٥) د. محمد أحمد عبد المطلب (مبادىء التغذية المعدنية للنبات) الطبعة الأولى، كلية الزراعة، جامعة الأزهر ١٩٨٧م.

(٦) د. محمد عزيز فكري، د. عماد الدين الشيشيني (الخلية من النواحي السيتولوجية والبيوكيماوية والوراثية) الجزء الأول، الأعضاء الأساسية في الخلية وفسيولوجيتها، الطبعة الأولى، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٠م.

تجدد الرؤية الاسلامية في فكر الشيخ محمد الغزالي



بقلم: صبري عبد الله قنديل

علمنا إسلامنا الحنيف آداب الحوار العام وآداب الاختلاف في الرأي واحترام العقل المفكر، وشجع على إعمال الفكر والتخلق بشجاعة العلم وقوة الايمان وبصيرة العقيدة للاجتهاد فيما ينفع الأمة ويزيل الالتباسات المتراكمة، ويفتح الطريق أمام الارهاصات البناءة التي تعمق وترسخ وتبني وتنهض وتقوى وتعضد. لقد حاول كثير من العلماء الذين يملكون من الجرأة ما لا يجعلهم يخشون في الله لومة لائم أن يبصّروا الأمة ويأخذوا بأيد المسلمين إلى الأمام، إلا أن دعاة السلطان وبعض الظلاميين من أهل التقليد والتجمد – وما أكثرهم في تاريخنا – كثيراً ما قوّضوا بعض هذه المحاولات وجندوا أقلامهم للنيل من علماء التنوير والاجتهاد فعطلوا مصالح الأمة ونصبوا لهم فخاخ الدسائس وجروا بعضهم إلى ميدان الجدل الفارغ، والمعارك المبتذلة التي يتصاعد فيها القتال بالكلمة بصورة شرسة تمتد لحد الرمي بالكفر والزندقة، فيضطر بعض الثقاة إلى ترك واجبهم درءاً لمهاترات المتهاترين وبقيت الأمة ترفل في بلاء التخلف الذي دفع ببعض الأبناء إلى منطق الزيغ والشرود. وإذا كنا بحاجة في هذه الظروف إلى الترابط على قلب رجل واحد فنحن أيضا بحاجة إلى فكر موضوعي صادق يضعنا أمام أنفسنا ويناقش جوانب الخلل بصراحة بناءة.

فرقتنا أضعفتنا

يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه: (الطريق من هنا):

تخلف العالم الاسلامي في قضية معروفة وإن كانت مخجلة، وهذا التخلف أطمع الأقوياء فيه من اعدائه بل طمّع فيه من لا يحسن الدفاع عن نفسه وشر من ذلك أن هذا التخلف ألصق بالاسلام تهما كثيرة، بل إن عقائد خرافية فكرت في إقصائه ووضع اليد على أتباعه، ولست ألوم أحدا استهان بنا أو أساء ظنه بديننا ما دمنا المسؤولين الأوائل عن هذا البلاء وأن القطيع السائب لابد أن تفترسه الذئاب. هذا تأكيد على فرقتنا التي أضعفتنا وهو واقع لم يجد فضيلته غير بلورته على هذه الصورة حتى وإن كان ذلك غير مباشر.

وهو يذهب إلى تفاصيل يرى من خلالها أن الاسلام يعاني اليوم من أمرين:

الأول تصور مشوش يخلط بين الأصول والفروع والتعاليم المعصومة والتطبيقات التي تحتمل الخطأ والصواب..

والثاني أن جماعات متربصة تقف بعيدا دون عمل تنتظر بأعداء الله الويل والثبور وعظائم الأمور وهي في ميدان الدعوة الاسلامية بطالة مقنعة، لأن المسلم، سواء ملك سلطة رسمية أم لم يملك، انسان ناشط دؤوب لا ينقطع له عمل في الشارع أو البيت أو المسجد أو الحقل أو المصنع أو الدكان أو المكتب، وليس العمل المطلوب مضغ كلمات فارغة أو مجادلات فقهية أو خصومات تاريخية، والمجتمع الذي يعجز عن محو تقاليد سيئة في دنيا الأسرة لن يحقق نصرًا في دنيا السياسة..

إن الجهاد الاسلامي كدح مضن في

ميادين وعرة. وقد ساق الله الدولة للمسلمين الأوائل وهم مشغولون بالعمل له وبناء مجتمع رباني خالص من الرزائل والمآرب. تلك مكاشفة أراد بها فضيلته إبراز همّة المسلم وتاريخه الطويل الحافل بالارادة والقدرة على التحمل الذي انتصر بهما وفتح بلادا جديدة وأقام بهما حضارة رائدة من أجل هذا كانت دعوته الى تغيير العقل الذي يفكر به الدعاة والمدعوون وهو يجزم بأنه ليس عقلا إسلاميا..

ولقد علت في السنوات الأخيرة نبرات خرجت بالحوار عن آدابه وتقاليده المتعارف عليها اسلاميا ودخل إلى ميدانه أناس يجهلون بدهياته ويفتقرون إلى الحكمة والرؤية المتبصرة. وكذلك الثقافة التي تشكل شخصية المتصدي للحوار بالتي هي أحسن وتحول ميدان الحوار إلى منطقة مخيفة ومرعبة تحرسها جوقة لا يرون في الميدان إلا أنفسهم وليس في وسعهم مجال لرأي مخالفيهم حتى ولو كانوا على صواب والذي يعيد النظر ويجد المبرر الموضوعي لرد بضاعتهم هو خارج عن الدين أو عميل وفي النهاية هو كافر..

وتمضي حمية الشيخ محمد الغزالي ونحن لازلنا معه في (الطريق من هنا) فيقول:

إن العقيدة الاسلامية أساس حضارة راشدة راقية ولا يسوغ أن يتذرع بها من يخدمون مآربهم وأغراضهم. وأن كثيرا من المعارف المسمومة والفتاوى الكاذبة والأحكام الطفيلية قد عاشت وغلظت في حضانة الحكم الفردي والاستبداد السياسي، وقد لاحظت أن جماهير المسلمين خلال عدة قرورن احتبست في مجادلات لا تساوي قلامة ظفر، وهاجت أعصابها في خلافات محمومة لا طائل تحتها وأن السياسة الفاسدة تبقى وتنمو في جو الثقافة الفاسدة وهي إذا لم تجدها سعت لخلقها، واحتضان رجالها والحكم الاسلامي في قرون خلت لم يرتفع إلى مستوى الاسلام نفسه. فلا عجب إذا فشل في تبليغ رسالته وفي الدفاع عنه عندما تعرض له الأزمات، وتلك إشارة أخرى واضحة لا يمكن اغفالها وأهميتها ونحن إزاء عدة مآسي تتعرض لها الأمة!

أين العلم الذي يسعفنا؟!

ويتواصل في نفس الكتاب تأمل فضيلته مع الحمية فيقول:

إن فساد المبتعدين عن الله الجاهلين بحقوقه، سوف يعلل بأنهم لا إيمان لهم أما فساد المتدينين فإنه يرتد إلى الدين نفسه بالنقض، يجر عليه تهما هو منها براء، فحكمة الله واضحة في تأخير المتدينين الجهلة وحرمانهم من السلطة والأمة الاسلامية منذ بضعة قرون تتدحرج إلى أدنى، والمصلحون الذين هم شهداء عليها يوم القيامة لا يلقون منها إلا عنتا، وقد فقدت في أثناء هذا التدحرج أمرين جليلين..

أولهما: الشمائل الاسلامية التي اختصت بها الرسالة الخاتمة.

والآخر: الملكات الانسانية التي تتمتع بها الشعوب الراقية والتي تجعلها سباقة في ميادين الحياة المادية والأدبية وتلك هي الحال عند بعض المتدينين الذين يسرفون في المواجهة بأساليب بعيدة كل البعد عن روح الاسلام وتعاليمه السمحة. من أجل هذا يتساءل فضيلته - هل لنا من العلم من نصيب نقطع به المشوار الطويل؟

إن النصيب الذي لدينا هو ما يرميه خصومنا إلينا فنحن على فصولهم العلمية نعيش، فأين العلم الذين يسعفنا ويقيم لنا صناعة مستقلة؟

أين العلم الذي يصون عقائدنا وآدابنا ويجعل يدنا العليا؟

أين العلم الذي يحكم علاقتنا بكتابنا وينقلنا إلى جوه الممدود بين السماء والأرض؟

أين العلم الذي يقدرنا على أن نثير الأرض ونعمرها؟

إن تتابع مواجهة الخلل ونقد العيوب كرؤية في كتب الشيخ محمد الغزالي يكشف لنا عن مدى حرصه على ربط الاسلام بحركة الحياة بشكل عام، ونجده يدقق النظر كذلك في مناهج الغرب وأسرار تقدمه وهو يبرز عيوبنا وسر تخلفنا ولم تخنه شجاعته في قول الحق ولهذا تحركت ثورته على كل ما يجرى من خلال كتابه (ركائز الايمان).. فدعا إلى مراجعة ثقافتنا التقليدية.. يقول فضيلته:

إن الطريقة التي يواجه بها المسلمون الحياة تحتوي على أغلاط كثيرة ومرد ذلك إما إلى جهلهم بأمور كان يجب أن يحيطوا بها علما، وإما لعلمهم بأمور على غير وجهها الصحيح والثقافة التقليدية هي التي تصنع عقيدة الأمة ومزاجها وشخصيتها ووجهتها مسؤولة عن ذلك القصور السائد، لأنها تنقص عناصر لابد منها لتكوين الغذاء العقلي المطلوب للجماهير ولأنها خلال القرون الطوال تضمنت جملة من التصورات والأحكام المعيبة، ولأن ما بها من حقائق مازال يعرض العرض المنفر أو يفسر التفسير الناقص، وذلكم هو السر الأول في تخلف العالم الاسلامي خلال العصُورُ الأخيرة تخلفا جعل الأوربيين نتذ عصر الأحياء - ينفردون بقيادة القارات الخمس! وانحطاط التعليم الديني في هذه المجالات هو المسؤول عن تكوين أجيال ضعيفة الأفق بيّنة القصور، لا تتقدم بها دنيا، ولا ينتصر بها دين.

ثم يعيب فضيلته على ترك الأمة

أين العلم الذي يصون عقائدنا وآدابنا ويجعل يدنا العليا؟

تجدد الرؤية الاسلامية في فكر الشيخ محمد الغزالي

ينابيعها العلمية حتى خفت فيعود بنا (للطريق من هنا) متسائلا:

لماذا جفت ينابيع العلم؟.. إن الله جعل معرفته والحفاظ على حقوقه مربوطين بدراسة الكون، والتمكن فيه فاذا كنا خفافا في هذه الدراسة أو كنا ذيولا لغيرنا فهل نحن بهذه الخفة عارفون بالله، قادرون على صيانة حرماته؟

فأي تناقض مذهل إذا مشى الكافرون بين مخلوقات الله وهم يسبرون أغوارها ويعرفون أسرارها ويجيدون استخدامها، ومشي المؤمنون بين هذه المخلوقات لا يكادون يفقهون حديثا أو يحسنون صنعا؟ وكل ما يجيدونه هو الحوقلة والتواكل.

العقل والعلم

أما في كتاب (خلق المسلم) فيعرض فضيلته لطبيعة الاسلام وهي طبيعة تفرض على الأمة التي تعتنقه أن تكون أمة متعلمة ترتفع فيها نسبة المثقفين وتتقدم بهم وتهبط فيها نسبة الجاهلين ذلك لأن حقائق هذا الدين من أصول أو فروع ليست طقوسا تنقل بالوراثة أو تعاويذ تشيع بالإيحاء، وتنشر بالإيهام، كلا إنها حقائق تستخرج من كتاب حكيم ومن سنة واعية ولابد من أمة تتوافر فيها الأفهام الذكية والأساليب العالية والآداب الكريمةحتى تنهض بالأمة وتتقدم بها وتجعلها في مصاف مثيلاتها من الدول الحضارية.

إن فضيلة الشيخ محمد الغزالي لم يترك جانبا من الجوانب الأساسية التي تتعلق بجوهر حياة الأمة إلا وطرقه وأعمل فيه العقل والتفكير الأمين وأعلن فيه الرأي من خلال مؤلفاته التي تتميزبالحيوية الفكرية والرؤية التي تبرز عمق ديننا وتحضره على مدى الأزمان ومن هنا كان تشبثه وحرصه أن يدور مع القرآن وبهذا العمق يمضي بنا مع (ركائز الايمان) حيث يرصد حالة الانفصام التي سيطرت على فعاليات حياتنا ويرى أن الإصلاح الحقيقي يجب أن يكون أولا وثانيا وثالثا في السؤال الآتي:

كيف نحوّل الفكر إلى عمل؟ وكيف نمنع الفكر من أن يتبخر؟ وكيف لا نفكر إلا إذا ضمنا العمل بما نفكر؟

إن الفكرة ميتة ما لم يحييها العمل. خيال ما لم يحققها العمل، ولذلك يجب أن تتضافر الجهود لدفع المسلمين إلى هذا السبيل، سبيل العمل الذي يملأ القلب ويزخم الحياة.

إن المتأمل لرؤية فضيلة الشيخ محمد الغزالي يرى أنه لا يقتحم القضايا التي يتناولها بل يتأملها تأمل المحب لدينه العاشق لإسلامه ولذلك رفض المزاعم الهلامية التي تبناها الجدليون المعاصرون حول نظرة الاسلام للمرأة وخصها بكتاب (قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة) ولم يغفل القاء الضوء على جوانب دورها ومكانتها في العديد من كتبه السابقة لهذا الكتاب وفي (ركائز الايمان) يقول:

احترام المسلمين لنسائهم جاء ثمرة نُضج المجتمع ومعرفة الأنثى لوظيفتها الصحيحة

نريد أن نتأمل في أساليبنا نحن العرب والمسلمين – مع المرأة – وأن نقابل بين ما انتهى إليه الاسلام في هذا الشأن وبين ما وصل إليه مفكروا الغرب وتقدم الحضارة الحديثة ومن الخير أن ننفي زعما شاع بين الناس أن العرب في جاهليتهم كانوا يهينون الأنثى ويغمضون مكانتها، واحترام العرب لنسائهم جاء ثمرة نضج الذكورة، وعرفان الأنثى لوظيفتها الصحيحة..

فالمرأة إما زوج حانية أو أم مربية أو في طريقها إلى هذا المصير ووظيفة ربة البيت من أشرف الوظائف في الوجود، وما يحسنها إلا من استكمل لها أذكى الأخلاق وأنقى الأفكار وفي نطاق تعاليم الاسلام لا يقل وعي المرأة عن وعي الرجل بقضايا الدين وما كان نساء الصحابة والتابعين جاهلات بكفاح الاسلام في أرجاء الجزيرة ضد الوثنية، أو بكفاحه بعد ضد الفرس والروم ولكن توزيع الأعباء أعطى كلا الجنسين نصيبه من العناء دون تعسف.

إن المشكلة ليست في عمل المرأة أيا كان نوعه، بل المشكلة في وجود ذلك العمل ولون المجتمع العام الذي يتم فيه، لقد رأينا المرأة في صدر الاسلام لا تقل عن الرجل علما ولا جهدا في خدمة دينها وأمتها وبيتها وولدها، رأيناها في القادسية واليرموك في أشرف المواقف وأجدرها بالتكريم ولم نرها أبدا مجندة للترفيه عن الرجال ولا رأيناها حسرت عن صدرها وركبتيها باسم العمل في المكاتب أو المصانع. إن الأخلاق كما نرى هي نقطة الارتكاز المضيئة للحياة الانسانية وهي في رأي فضيلته ليست شيء يكتسب بالقراءة والكتابة أو الدعاية والخطابة.

كل مفقود يمكن أن تسترجعه إلا الوقت، فهو إن ضاع لم يتعلق بعودته أمل

ثم يعود بنا إلى (الطريق من هنا) فيقول:

إنها درجة تكتسب بالمعاناة الشديدة، وكيف تنتقل من أدنى إلى أعلى؟

والأخلاق لغة عالمية تتفاهم بها الشعوب على اختلافها وتتحاكم إلى منطقها وربما اختلفت تقاليد وأحكام لكن الأخلاق تظل مرتكزة إلى ما أودع الله في الفطرة من تحسين الحسن وتقبيه القبيح ولكي يعود سلطان الأخلاق إلى عرشه يجب أن يعود اليقين إلى الأفئدة وأن تألف الجماهير الصلاة، وأن تنتصر الفضائل على الشهوات وألا يحترم كذوب أو يتقدم مفرط ثم يمتد بنا الفهم إلى مكونات الخلق الأساسية التي لا يمكن أن تستقيم الأخلاق إلا بها وفي مقدمتها الإيمان الذي تقوم عليه كل الفضائل.

دعوة إلى الخير

يقول شيخنا الجليل في كتابه (خلق المسلم):

الايمان قوة عاصمة عن الدنايا، دافعة إلى المكرمات، ومن ثم فإن الله عندما يدعو عباده إلى خير أو ينفرهم من شر يجعل ذلك مقتضى الايمان المستقر في قلوبهم وقد أوضح صاحب الرسالة أن الايمان القوى يلد الخلق القوي وأن إنهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الايمان، يقول الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (الحياء والإيمان قرناء جميعا فاذا رفع أحدهما رفع الآخر).

إن الاسلام جاء لينتقل بالبشر خطوات فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب، وأنه اعتبر المراحل المؤدية إلى هذا الهدف النبيل نابعة عن صميم رسالته كما أنه عد لاخلال بهذه الوسائل خروجا عليه وابتعادا عنه، لهذا كانت الغاية من بعثة الرسول صلوات الله عليه (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

ثم ينقلنا فضيلة الشيخ إلى النظر في خوارق العادات. معناها ودلالتها من خلال كتاب (ركائز الإيمان) فيقول.. الخرافيون من الناس آفة الأديان والأخبار في كل زمان ومكان، والمسلم الذي آمن بربه عن عقل يحسن الفهم

الإيمان قوة عاصمة من الدنايا دافعة إلى المكرمات

والاستدلال ليس مستعدا لإلغاء كيانه المعنوي بأي ثمن وهناك خوارق للعادات أنبأنا الله عنها في كتابه، وهذه نتلقاها جميعا بالصدق (ومن أصدق من الله حديثا).

إن خالق الكون جل شأنه ومبدع نواميسه جعل من هذه النواميس وما يقع في الكون من خوارق إنما يتم وفق سنن كونية قد يكشف عنها العلم أو تبقى مستورة أبدا، أما ما يتداوله الناس بينهم من قصص وقعت أو لم تقع، فلا علاقة لديننا برأينا فيها ومزاعم الدهماء في تلك القضايا لا وزن لها والأقرب إلى طبيعة الإسلام تعليم الجماهير إحترام القوانين العامة شرعية كانت أو كونية أو عقلية، وحماية التفكير الديني من شطحات الملتائين هو الذي يحميه من الزيغ.

أما المزاعم الروحية الحديثة والتي استدرجت الذين استدرجتهم الأوهام يفندها فضيلته قائلا عند بعض المتدينين طيبة تبلغ حد السذاجة وإيمانهم بالغيب إذا تجاوز حدود الكتاب والسنة قد يكون ثغرة تنفذ منها الأساطير، وتضاربها حقيقة الدين وقصة تحضير الأرواح التي شاعت في عصرنا قد اكتنفتها أوهام شتى وسرت في ركابها أفكار ينكرها الاسلام، ولعل إحقاق الحق في هذه القضية يضع الحدود لجدل كثير ويغلق الأبواب أمام

الخرافيون من الناس آفة الأديان والأخبار في كل زمان ومكان

ترهات لا أول ولا آخر لها. إن دنيا التقدم بكل ما أحدثت من نهضة وصلت في بعض جوانبها إلى تحويل الخيال إلى واقع إنما استمدت علمها وفكرها من الاسلام وإذا كان الغرب يمسك بيده الزمام فهو لتقاعس المسلمين وليس لجمود الدين الجامع لعلوم الدنيا والآخرة.

والوقت هو أحد العناصر الهامة في حياة أي أمة لا يهتم به أهل اللغو الذين يحاربون بكل ما في أيديهم لتجميد الحركة الاسلامية. ولذلك يقول الشيخ الجليل: كل مفقود يمكن أن تسترجعه إلا الوقت فهو إن ضاع لم يتعلق بعودته أمل وقد وزع الإسلام عباداته الكبرى على أجزاء اليوم وفصول العلم والزمن يستغرق التكاليف التي نيط بأعناق العباد، فهو يستوعب الأقضية التي أرسلها الله على الناس من خير وشر وهي أقضية تفيض بالعظات الحقة. إن هذا الفكر وإن أختلف حوله كثير ممن لم يستوعبوا أبعاد القضايا الاسلامية، فقد وضعنا أمام أنفسنا رغبة ودعوة لإعادة صياغة العقل المسلم وإكتسابه قدرة التعامل مع هذه القضايا بفكر متجدد يقاوم الجمود والتخلف.

إننا أمام رؤية إسلامية تجاوزت أنماط القوالب وفكر شجاع وجاد يواجه ويكشف بأمانة مدى حجم الفجوات التي يعاني من ظلمتها فكرنا الاسلامي ومدى حاجة الحوار الاسلامي إلى مراجعة تأخذه إلى مناقشة قضايا الأصول التي تنهض بالأمة مثلما نهضت في آفاق العلم والمعرفة وتنقية المناخ من ركام السفسطة وكفانا إستغراقاً كل هذه السنوات الطويلة ان نكون أسرى لفكرة الدعة والاسترخاء والضعف الذي يأكلنا وقد آن الأوان لأن ننظر أمامنا لنحدد توجه خطانا على الطريق ونعلم مكاننا بين الأمم ولن يكون لنا ذلك إلا بفكر يكشف لنا معالم هذا الطريق□

أيا كانت ديانتك فأنت في الدولة الإسلامية لك حق المواطنة، وتتمتع بالمساواة والعدل، وإن كنت ذا خبرة فلك مكانتك. فقد تضع الدولة شروطاً لتولي بعض المناصب ذات الصفة الدينية، وهذا حق فإن توفرت فيك فمرحبا بك، وإلا فلن ينتقص أحد حقك. حول هذه المعاني وغيرها يحدثك هذا المقال.

الأقليات الدينية في الدولة الإسلامية

بقلم: الدكتور محمد عمارة

في القرآن الكريم، وفي الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة «الممتحنة» تحديد لمعايير الإسلام في الموالاة والمعاداة بين المسلمين وغير المسلمين ﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون».

وانطلاقا من هذه الآيات المحكمة فالمواطنون من أبناء الأقليات الدينية - الكتابيون - الذين يعيشون مع الأغلبية المسلمة ويشاركونهم الانتماء للوطن، والولاء له، هم شركاء في المواطنة، لهم البر والعدل، فريضة من الله على الأغلبية المسلمة.

الموالاة نوعان

وإذا كان الإسلام قد جعل من التعددية في الشرائع الدينية سنة من سنن الله في الاجتماع الديني: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ [المائدة/٤٨]. فإن دستور دولة الإسلام الأولى، في المدينة، على عهد رسول الله ﷺ، قد قرر التمييز بين «أمة» - جماعة - الدين. وبين «أمة» - جماعة - الرعية السياسية. فحرية التدين تحدد خطوط تمايز الجماعات المختلفة في الدين، على حين تجمعها جميعا رابطة المواطنة الواحدة، والرعية السياسية في الدولة الواحدة.

فهناك نوعان من الموالاة:

أ) موالاة في الدين بين أهل كل دين، تظهر في المناصب والتنظيمات ذات الطبيعة والشروط والوظائف الدينية، والتي ترعى الشؤون الدينية لأهل كل دين. وفيها لا ولاية لغيرهم عليهم. بصرف النظر عن القلة والكثرة العددية لهذه الجماعات والملل الدينية.

ب) وموالاة في الشؤون العامة للدولة المشتركة، تظهر في المرجعية التي تعبر عن هوية الدولة ورسالتها. وهذه المرجعية والهوية والرسالة تتحدد تبعا لأغلبية المواطنين. ولشمولية الإسلام الدولة مع الدين - وهي خصيصة تميز بها عن النصرانية خاصة، تلك التي وقفت عند خلاص الروح ومملكة السماء، تاركة ما لقيصر لقيصر وما لله لله. مع التأكيد على أن إسلامية المرجعية في هوية الدولة ورسالتها لا تعني انتقاصا من المساواة في الحقوق أو تمييزاً في الواجبات الحياتية بين كل المواطنين من أبناء كل الديانات.

إسلامية قانون الدولة مطلب إسلامي لايقابله مطلب للنصرانية

المرجعية الإسلامية وحقوق المساواة

وعن هذه الحقيقة الدستورية - جاء في «الدستور» - الصحيفة - الكتاب - الذي حكم علاقات الرعية بعضها ببعض، وعلاقاتها بولاة الأمر، في دولة الإسلام الأولى: «وأن يهود. أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم. وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم». فتقررت في هذه «المواد» المساواة في الحقوق والواجبات.

ثم تقررت إسلامية المرجعية في هوية الدولة ورسالتها بالنص على: «وأنه ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ». والأمر الذي يجعل من إسلامه المرجعية في هوية الدولة ورسالتها. أمر لا ينتقص من حقوق المواطنة لغير المسلمين، في الدولة ذات الأغلبية الإسلامية، أن «إسلامية الدولة» من حيث «إسلامية قانونها» هو مطلب ديني للإسلام، لا يقابله مطلب نصراني للنصرانية. فالنصرانية التي لم تأت بشريعة للدولة والسياسة والاقتصاد وشؤون العمران الدنيوي، والتي تركت ما لقيصر لقيصر وما لله لله، لا يضيرها، ولا ينتقص من حقوق أبنائها «إسلامية قيصر - الدولة». لأنها في كل الحالات قابلة بـ«قانون» ينظم العلاقات في الدولة، فإذا كان هذا القانون إسلاميا، يعبر عن الهوية الإسلامية للدولة، فإنه لا يمثل انتقاصا منها، ولابديلا عنها، فضلا عن أنه - مع عدله مع كل الرعية - هو جزء من الاعتقاد الديني للأغلبية التي تعايشها وتواطنها.

المساواة في المواطنة

ولقد أكد هذه الحقيقة. حقيقة قيام المساواة في حقوق وواجبات المواطنة، بين الأغلبية المسلمة وبين الأقليات الكتابية - «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» - مع «إسلامية الدولة» - في هويتها ورسالتها وحضارتها وثقافتها - ان هذه الإسلامية لم تقم كبديل عن «نصرانية الدولة» في المرحلة التي سبقت فتوحات الإسلام وقيام دولته الإسلامية فالنصرانية الشرقية - التي هي دين لا دولة - قد ظلت ديانة مضطهدة في الشرق، حتى جاء الإسلام فأمَّن أهلها لأول مرة في تاريخهم النصراني.

فدولة الإسلام كانت بديلا لدولة الروم البيزنطيين المستعمرين، ولم تكن بديلا لدولة نصرانية وطنية شرقية، ولذلك كانت تحريرا للنصارى وتأمينا للنصرانية، ولم تكن انتقاصا لحق من حقوقهما.

وحدة الأمة بديانات متعددة

ولقد بلغ الإسلام في التأسيس لوحدة الأمة في المواطنة، على اختلاف دياناتها، أن شرع تعدد الديانات في الأسرة الواحدة - وهي لبنة الأمة والشعب -. فبزواج المسلم من الكتابية، يكون للأولاد المسلمين أم كتابية وأخوال كتابيون!، الأمر الذي يؤسس وحدة الأمة بدياناتها المتعددة، على التعددية التي قررها الإسلام في لبنات الأساس.

وإذا كانت سنة «لهم مالنا وعليهم ما علينا» قد مثلت عنوانا على تراث من المبادىء والتشريعات والممارسات ضمنت العدل والمساواة بين أهل الديانات المتعددة في دولة الإسلام، حتى لقد انفردت حضارة الإسلام بتجسيدها لهذه التعددية بين الحضارات الأخرى.

فإن الفكر الإسلامي، والممارسة الإسلامية قد أكدت على أن إسلامية هوية الدولة ومرجعيتها ورسالتها الحضارية - فضلا عن أنها حق من حقوق الأغلبية المسلمة في أن تحكم بأيديولوجيتها - بالمنطق الديمقراطي. وحق الإنسان في أن يحكم بالقانون الذي تريده الأغلبية - والذي لا يخل بالعدل والمساواة بالنسبة للأقليات. إن هذا الفكر وهذه الممارسة قد ميزا بين الولايات التي فيها «رسالة دينية إسلامية». فمن الطبيعي أن يليها مسلم. وبين الولايات التي لا تحمل «رسالة دينية إسلامية» فيها يتساوى كل المواطنين، على اختلاف الديانات التي يدينون بها.

الاجتهاد الإسلامي والخبرات الإنسانية

فعندما نكون بصدد تكوين هيئة للاجتهاد الإسلامي في الشريعة الإسلامية والقانون الإسلامي. لابد من اشتراط الإسلام في أهل هذا الاجتهاد. وعندما نكون بصدد خبرات أهل الذكر في الشؤون الحياتية. فلا مجال للتمييز بين عقائد أهل الذكر هؤلاء، وكذلك عندما نكون بصدد تكوين هيئات ومؤسسات المراقبة والمحاسبة للحكومات «البرلمانات» فلا مجال للتمييز بين المواطنين بسبب الاعتقاد الديني.

وعندما يكون القاضي - كما كان قديما - مجتهدا في الدين الإسلامي. فلابد وأن يكون مسلما. أما إذا كان القاضي منفذا للقانون - كما هو الغالب الآن - فلا مجال للتمييز بين عقائد القضاة.

رئيس الدولة المسلمة مسلم

وعندما تكون لرئيس الدولة الإسلامية ولايات دينية - رغم كونه حاكما مدنيا مثل إمامته للأمة في الصلاة. وقيادته الدعوة إلى الإسلام. والجهاد في سبيل نصرة الإسلام. وقضاء المظالم وفق شريعة الإسلام، إلى آخر ولايات حراسة الدين الإسلامي. فضلا عن سياسته للدنيا بهذا الدين. فإننا نكون أمام شروط في رأس الدولة لا تتحقق إلا إذا كان مسلما. فحجب غير المسلم عن هذا المنصب ليس انتقاصا من المساواة في المواطنة، وإنما هو لغيبة شروط لابد منها فيمن يلي هذه الولاية ذات الرسالة الإسلامية، غيبتها عن غير المسلمين. ومثل ذلك مثل المواطن الذي لم تجتمع فيه شروط منصب من المناصب. فإن ذلك لاينتقص من حقوقه في المواطنة الكاملة. وإنما هو أمر يتعلق بغيبة الشروط اللازمة فيمن يلي هذا المنصب.

وإذا كانت إسلامية الدولة، هي مطلب ديني إسلامي، وفي غيبتها لا يكتمل إسلام الدولة والأمة - وإذا كانت هذه الإسلامية للدولة - التي يرمز لها إسلام رئيس الدولة - ليست بديلا ولا نقيضا لعقيدة نصرانية توجب نصرانية الدولة وقانونها ونظامها - ومن ثم رئاستها، فإن الذين يطرحون مطلب تولي نصراني، مثلا لرئاسة دولة أغلبيتها مسلمة، إنما يفتعلون «مشكلة» ثم يبحثون عن «حل». فالدولة ليست شريعة نصرانية حتى يطلبها النصراني بحكم نصرانيته. وإنما هي شريعة إسلامية يطلبها المسلم استكمالا لإسلامه. ففي ولايتها بُعْدُ «ديني إسلامي، وإذا كان المسلم مطالبا بأن يدع الولايات ذات الرسالة النصرانية للنصارى، فإن الولايات ذات الرسالة الإسلامية والبعد الديني الإسلامي والشروط الإسلامية، ولابد أن يشترط فيها إسلام متوليها.

افتعال مشكلات

وإذا كان غريبا - ومستحيلا - أن يطلب مسلم بريطاني أن يكون ملكاً على بريطانيا - وملكتها - بنص الدستور - حارسة الكنيسة - فإن من الغريب - دينيا. وديمقراطيا - أن نجعل الولايات ذات الرسالة الدينية في الدولة الإسلامية «مشكلة ومطلبا» في علاقات الكتابيين كأقليات بالأغلبية المسلمة في الدولة الإسلامية. !

لقد قرر الفقه الإسلامي - منذ عصر الماوردي (٣٦٤ - ٤٥٠هـ - ٩٧٤ - ١٠٥٨م) - أن «ولايات ووزارات التفويض» ذات الرسالة الدينية الإسلامية - هي اختصاص إسلامي. بينما «ولايات ووزارات التنفيذ» - التي لا تحمل رسالة دينية إسلامية - هي مشاع مفتوح لأهلها من الكتابيين. ومارس المسلمون، من خلال دولتهم الإسلامية، تطبيق هذا الاجتهاد الإسلامي».

ولقد آن الأوان للإقلاع عن افتعال «مشكلات»، ثم البحث عن «حلول - مفتعلة» لها. فتخصيص «الولايات ذات الرسالة الدينية الإسلامية» للمسلمين. هو كتخصيص «الولايات ذات الرسالة الدينية النصرانية للنصارى» لا يعني ذلك انتقاصا من حقوق المواطنة بالنسبة لمن يحجب عن ولاية هذه الولايات. لأن هذا الحجب هو الافتقار إلى شروط هذه الولايات أقرب منه إلى التمييز الذي يخل بحقوق المواطنة.

إن المساواة بين المواطنين حتى في الدولة التي تكون رعاياتها كلها مسلمة، لا يعني توفر كل شروط جميع المناصب في كل مواطن مسلم.

وولاية منصب ما، هي حق لمن تجتمع فيه شروطه. وليس في ذلك إخلال بمبدأ المساواة في المواطنة، حقوقا وواجبات، تلك التي سنها رسول الله ﷺ عندما حدد علاقة المسلمين بالكتابيين فقال: «إن لهم مالنا وعليهم ما علينا»□





● الفقر باب واسع من أبواب المنصّرين



التنصير في البلاد الإسلامية

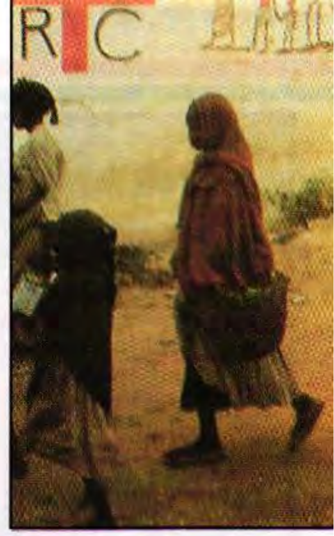
أصدرت النشرة الدولية للبحوث الإرسالية المسيحية إحصائية عن التنصير وأنشطته في العالم لعام ١٩٩١م وقد أشارت هذه الإحصائية الى أن عدد المؤسسات التنصيرية ووكالات الخدمات المسيحية بلغ ١٢٠ ألفا و ٨٨٠ وكالة ومؤسسة، كما بلغ دخل الكنائس العاملة في مجال التنصير ٩٣٢٠ بليون دولار وأنفقت ١٦٣ بليون دولار لخدمة المشاريع المسيحية، وحققت الارساليات الأجنبية دخلا مقداره ٨,٩ بليون دولار، كذلك يعمل في مجال خدمة التنصير ٨٢ مليون جهاز كمبيوتر لحفظ ونشر المعلومات، كما صدر ٨٨٦١٠ كتابا و ٢٤٩٠٠ مجلة أسبوعية تنصيرية. وقد وصل عدد الأناجيل الموزعة مجانا ٥٣ مليون نسخة، أما محطات الاذاعة والتلفاز المسيحية فتبلغ ٢٣٤٠ محطة، وبحسابات اقتصادية اذا جمعنا هذه الأرقام بصورة مالية كانت النتيجة لميزانية دعم العمل التنصيري لعام واحد فقط «١٩٩١م» هي ١٨١ مليار دولار. واذا رجعنا عامين إلى الوراء ندرك مدى التطور الكبير الذي يحدث في ميزانية التنصير وإمكانياته على مستوى العالم، فقد نشرت المجلة الدولية لأبحاث التنصير التي تصدر في أمريكا نقلا عن «ديفيد ياريت» أن مجموع التبرعات لأغراض كنسية قد بلغت عام ١٩٨٩ ما قيمته ١٥١ مليار دولار وان عدد المجلات والدوريات والنشرات المسيحية التي توزع في العالم تبلغ ٢٢٧٠٠ مطبوع. أما الأناجيل التي وزعت في العام نفسه فتبلغ ٧٢ مليون و ٥٥٢ ألف نسخة وتحدد الإحصائية عدد أجهزة الكمبيوتر التي تستغلها المنظمات المسيحية لخدمة التنصير في تخطيط برامجها وتنفيذها بـ ٤٥ مليون جهاز، وان محطات الاذاعة والتليفزون المسيحية في العالم تبلغ نحو ١٩٠٠ محطة، وأن عدد المنصرين المحليين أي أولئك الذين ينتمون الى الدول التي يعملون فيها يبلغ ٣ ملايين و ٨٦٥ ألف منصر.

١٣ دولة أفريقية يمارس التنصير فيها نشاطه وشعاره: إذا لم تستطع تنصير مسلم فلا تمكنه من أن يكون مسلما حقيقيا

ولعل هذه الارقام وتلك الاحصائيات التي صدرت عن دعاة التنصير أنفسهم تؤكد بما لا يدع مجالا للشك، أن التنصير من أقوى الجبهات المعادية التي تعمل ضد الإسلام في هذا العصر، وتهدف إلى إبعاد المسلمين عن دينهم، ويستمد التنصير قوته من هذه الامكانيات الضخمة، التي ترصدها له الكنائس الأوروبية والدول المسيحية، وكذلك من هذه الصورة التنظيمية التي يقوم عليها والتي تظهر في أهدافه المحددة، وفي إرسالياته

بقلم: أحمد محمود أبو زيد

ومؤتمراته ومؤسساتها التي يحرص المنصرون على إقامتها في كل بقعة يطأونها، وعلى رأسها المدارس والمستشفيات وملاجىء الأيتام ودور الرعاية.وأمام هذه القوة التي يتمتع بها النشاط التنصيري كان ولابد أن يؤتي أكله في بعض المناطق الإسلامية، ويحقق بعض أهدافه الخبيثة، وقد أشارت وسائل الإعلام إلى هذه النتائج حيث انخفض عدد المسلمين في دولة ملاوي من ٧٠٪ من مجموع السكان الى ٣٠٪ فقط نتيجة ممارسات التنصير، وأجريت دراسة شاملة على المجتمعات الإسلامية في أفريقيا أكدت أن أكثر من ٩٠٠ ألف مسلم قد تقبلوا المسيحية في عدد من البلاد الأفريقية، وأن عدد أبناء المسلمين – الذين يشرف المنصرون على تعليمهم في تلك البلاد – وصل الى خمسة ملايين طالب وطالبة، كما ثبت أن الهيئات التنصيرية العاملة في أندونيسيا استطاعت تنصير رابع مليون مسلم خلال عشرين عاما.



أهداف التنصير

والمخطط التنصيري يسعى الى تحقيق مجموعة من الأهداف المحددة في البلاد الإسلامية وفي هذا الصدد يقول الكاتب والمفكر الإسلامي: أنور الجندي: إن المنصرين يخافون الإسلام، ويرددون دائما أن الإسلام هو الدين الوحيد الخطر عليهم فهم لا يخشون البوذية ولا الهندوكية ولا اليهودية. اذ أنها جميعا ديانات قومية لا تريد الامتداد خارج أقوامها وأهلها، وهي في نفس الوقت أقل من النصرانية رقيا، أما الإسلام فهو كما يسمونه دين متحرك زاحف يمتد بنفسه وبلا أية قوة تساعده، وهذا هو وجه الخطر فيه – كما يقولون – ومن هنا نجدهم يهدفون الى إخراج المسلمين من الإسلام والتشكيك فيه وفي سيرة رسوله ﷺ وتزييف مفاهيمه وهدم عقيدته. ولقد صرح بذلك «زويمر» زعيم التنصير في قوله: «إن مهمة التنصير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريم، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله».

إخضاع العالم الإسلامي

ثم نجد التنصير يهدف في جانب آخر من أهدافه الى إخضاع العالم الإسلامي لسيطرة النفوذ الغربي، فقد كتب أحد المنصرين إحدى المجلات التي تصدر في باريس يقول: «إن الهدف من التنصير ليس مجرد نشر النصرانية بل إخضاع العالم الإسلامي فقد أثبت التاريخ أن المجابهة بين المسيحية والإسلام لم تنته بمجرد انتهاء الحروب الصليبية، تلك الحروب التي مثلت الصراع الجسدي على أعلى المستويات، والتي استمرت في خمس حملات خلال مائتي عام، وقال إن التعاون بين الإرساليات التنصيرية والاستعمار تعاون وثيق لتحقيق هذا الهدف».

الحيلولة دون انتشار الإسلام

ويتحدث د. يوسف القرضاوي عميد كلية الشريعة بقطر (سابقا) عن هدف آخر للتنصير هو الحيلولة دون انتشار الإسلام، فيقول: إن هجوم المنصرين على الإسلام وتشويهه يأتي خوفا على قومهم من معرفته أكثر من رغبتهم في تنصير المسلمين، فهم يخافون الإسلام ويرددون دائما أنه الدين الوحيد الخطر عليهم.

وهدف التنصير يختلف من منطقة الى أخرى ففي المنطقة العربية يكتفي بزعزعة عقيدة المسلم وإخراجه من الإسلام، وليس مهما أن يدخل النصرانية، وفي خارج المنطقة العربية يتم تنصير المسلمين فعلا، فهناك ٢٥٠ ألفا من أندونيسيا قد نصروا منذ عدة أعوام، وفي نيجريا وغيرها من البلاد الإسلامية هناك نصاري الآن آباؤهم وأجدادهم مسلمون ولا يزالون يحملون أسماءهم الأسلامية.

الإمكانات الضخمة

وحول إمكانات التنصير الضخمة يقول د. القرضاوي إن للمنصرين إمكانات ضخمة في البلاد الإسلامية، ففي أندونيسيا أكثر من خمسين مطارا للمنصرين غير أسطول من الطائرات (واللنشات) والسفن والسيارات المختلفة والمدارس والجامعات والمستشفيات المجهزة بأحدث الأجهزة، هذا الى جانب المؤتمرات التي يعقدونها لتنظيم صفوفهم ووضع خططهم، فقد عقد مؤتمر في كلورادو عام ١٩٧٨م قدم فيه أربعون بحثا عن الإسلام والمسلمين، وقرروا فيه العمل على تنصير المسلمين في العالم، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار، كما أنشأوا معهدا لإعداد منصرين متخصصين وأطلقوا عليه «معهد صموئيل زويمر»

وفي مؤتمر كلورادو هذا وضعت استراتيجية شاملة ذات أهداف محددة في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي تهدف الى تحريف عقيدة المسلمين وتغيير منهج حياتهم، وقد عقد هذا المؤتمر تحت اسم «مؤتمر أميركا الشمالية لتنصير المسليمن» وحضره مائة وخمسون مشتركا يمثلون أنشط العناصر التنصيرية في الجامعات والكنائس والمؤسسات الأخرى.

العوامل المساعدة للتنصير

أما العوامل التي تساعد المنصرين في تحقيق أهدافهم في البلاد الإسلامية – والحديث للدكتور: القرضاوي – فتتمثل في الآتي:

١) النفوذ الغربي الذي يعاون التنصير ويهيىء له الظروف التي تساعده في تحقيق أهدافه.

٢) ضعف بعض حكام المسلمين الذين يسكتون عنه أو يُيَسّرون له السبل.

٣) انتشار الفقر والجهل والمرض في بعض البلاد الإسلامية، حيث يستغل المنصرون فقر المسلمين وحاجتهم إلى الغذاء والكساء والدواء ويمدون لهم يدالعون في مقابل تنصيرهم.

٤) بُعْد المسلمين عن الإسلام وتخليهم عن أحكامه وشرائعه.

جبهات التنصير

وأما الجبهات التي يعمل من خلالها التنصير فتتمثل في جبهتين:

جبهة الأقليات والجاليات الإسلامية: التي تعيش في الدول المسيحية، حيث يمارس التنصير نشاطه بين هؤلاء جميعا، وبخاصة الذاهبين منهم لتلقي العلم في المعاهد والجامعات الاوروبية والأمريكية.

وأما الجبهة الثانية: فتتمثل في المجتمعات الإسلامية نفسها وبخاصة في قارة أفريقيا حيث ينتشر الفقر والمجاعات ويسود الجهل والمرض ويستغل المنصرون كل هذه الظروف في تحقيق أهدافهم، ومن الدول الأفريقية التي ينشط فيها التنصير: نيجريا وغانا وأثيوبيا والصومال وأوغندا والسنغال، وخارج أفريقيا هناك أندونيسيا وبنجلاديش والفلبين، وفي هذه الدول تعمل آلاف المنظمات والجماعات التنصيرية التي يتم التخطيط لأهدافها ودعمها بالملايين بل المليارات من الدولارات.

ويذكر أحد التقارير أن هناك ثلاث عشرة دولة أفريقية يمارس التنصير فيها نشاطه ويعقد

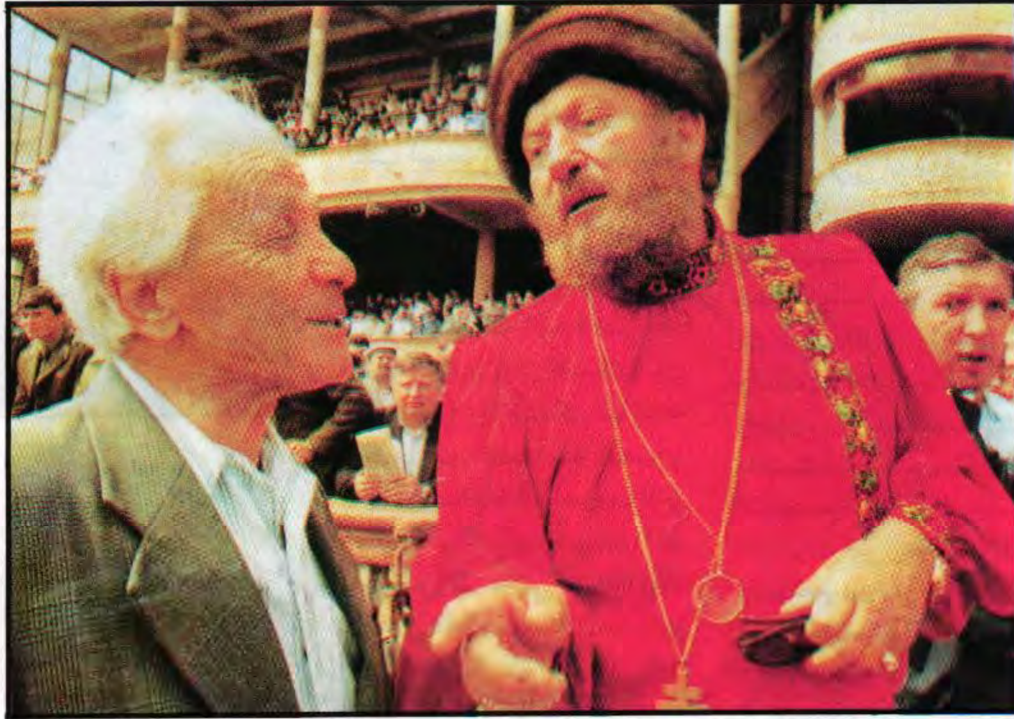
التنصير في البلاد الإسلامية

مؤتمراته في مدينة نيروبي للتشاور حول الأهداف والأنشطة والممارسات وشعار التنصير في أفريقيا هو: «إذا لم تستطع تنصير مسلم فلا تمكنه من أن يكون مسلما حقيقياً».

الوسائل والأساليب

ويعتمد التنصير في تحقيق أهدافه ومخططاته على مجموعة من الوسائل والأساليب فيقول الدكتور: وهبة الزحيلي عميد كلية الشريعة بجامعة الإمارات: التنصير يعتمد على عدة وسائل أهمها: أسلوب الخدمات المادية والاجتماعية كالاعلانات والغذاء والكساء وبناء المستشفيات والمدارس ودور الرعاية..

ومن هنا نجده يركز على المناطق التي تعاني من الفقر حيث يكون من السهل شراء هؤلاء المحرومين واستمالة قلوبهم وتغيير عقائدهم ومحو الإسلام من نفوسهم، ولذا فان الغذاء والدواء أصبحا ثمنا للتنصير في بعض البلاد الإسلامية الفقيرة.ومن أخطر الوسائل التي استغلها المنصرون في تحقيق أهدافهم - كما يقول الأستاذ أنور الجندي - التعليم ومناهجه في البلاد الإسلامية، فقد سعوا إلى إنشاء المدارس المسيحية في الأقطار الإسلامية واتجهوا الى مناهج التعليم ليطوعوها لخدمة أهدافهم، وقد اعترف بذلك «زويمر» في قوله: «لقد قبضنا على برامج التعليم في البلاد الإسلامية منذ خمسين سنة فأخرجنا منها القرآن وتاريخ الإسلام، ومن ثم أخرجنا الشباب والفتاة المسلمة من الوسائط التي تخلق فيهم العقيدة



● هل يحل التنصير أزمة أوروبا الروحية؟

الوطنية والإخلاص والرجولة والدفاع عن الحق».

ولقد عاون الاستعمار الغربي - في فترة احتلاله للبلاد الإسلامية إرساليات التنصير في وضع برامج التعليم التي تدمر الانسان المسلم، وجاءت المدارس الوطنية في ظل الاحتلال واعتنقت هذه البرامج وطبقتها، ولا يزال جانب كبير منها مطبقا حتى اليوم، وكانت هذه البرامج تركز على عدة أمور هي:

١) ان تحتضن الفتاة المسلمة، فركزت على مدارس البنات لتعليم المرأة المسلمة في ظل مفاهيم مسيحية وعلمانية.

٢) أن يكون التعليم وسيلة لهدم مفهوم العقيدة، وذلك بالدعوة الى وحدة كل الأديان والعقائد والنحل والمذاهب.

٣) أن تقوم على تقوية العنصريات والدعوة إلى الأقليات والعصبيات والقوميات: كالبربرية والتركية والفارسية والعربية.

٤) الدعوة إلى العاميات واللغة المحلية والقضاء على اللغة العربية الفصحى والحيلولة بين النشء وبين تعلم لغته التي هي المفتاح للاسلام والقرآن.

٥) الاعتماد على الترجمات من اللغات الأجنبية وخاصة ترجمة قصص الجنس والإباحية.

٦) طرح الأيديولوجيات المختلفة والنظريات الفلسفية المتعددة في علم النفس والاجتماع والأخلاق وكلها ترمي إلى تحطيم مفاهيم الدين.

٧) محاولة التشكيك في تاريخ الإسلام وسيرة رسوله ﷺ.

٨) تقديم مفاهيم فاسدة عن الموسيقى والمسرح والفن والحضارة تختلف عن مفاهيم الإسلام الأصيلة.

٩) إغراء الشباب المسلم بالبعثات الخارجية وهي التي تستهدف تغيير شخصية الشباب بعد صهره في معاهد خاصة.

المواجهة المطلوبة

والسؤال الذي يثار الآن بعد إستعراضنا لأهداف المخطط التنصيري وإمكاناته وأساليبه هو: ماذا فعل المسلمون ومؤسسات الدعوة في مواجهة هذا المخطط؟ يقول د. يوسف القرضاوي: إن المواجهة تتطلب إعداد الدعاة المسلمين القادرين على مواجهة التنصير واستخدامهم الوسائل المختلفة لتبليغ كلمة الإسلام، ثم بعد ذلك لابد من المواجهة الاجتماعية والخيرية بحيث تقام مؤسسات خيرية إسلامية لإنقاذ المسلمين الفقراء من براثن التنصير، وإذا كان المنصرون قد رصدوا المليارات لتنصير المسلمين، فيجب علينا أن نرصد نحن أكثر من هذا المبلغ لحماية المسلمين ونشر الدعوة الإسلامية.

ويقول الشيخ مختار السلامي مفتي تونس: إذا أردنا المواجهة الصحيحة للتنصير فعلينا أن نسد الأبواب التي يدخل منها الى المناطق الإسلامية، وهذه الأبواب هي ثالوث الفقر والجهل والمرض، فالمواجهة لن تكون الا بمحاربة هذا الثالوث المدمر ومد يد العون للمسلمين الفقراء في أفريقيا وغيرها من قارات العالم□

حركة الإصلاح الإسلامي مدخلها التعليم

بقلم: محمود محمد الناكوع

هذا المقال يسلط الضوء على حركات الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث والوسائل التي استخدمها المصلحون وفي مقدمتها الدعوة والتعليم والنوعية ودور هذه الوسائل في صنع الأمة على الطريق القويم. يعتبر القرن الثالث عشر الهجري، القرن التاسع عشر الميلادي، بداية ارهاصات اليقظة وانطلاق حركة الاصلاح الإسلامي، وتذكر الكتب التي أرَّخت لتلك الأحداث، أن دعوات الإصلاح جاءت رد فعل ضد الواقع المختلف الذي كان يعيشه العالم الإسلامي في جميع مجالات الحياة، وهي كذلك رد فعل ضد الأخطار الاستعمارية التي بدأت تفرض حضورها الإقتصادي والعسكري.

التغيير يبدأ من النفس الإنسانية

من أبرز الحركات الإسلامية التي ظهرت في الوطن العربي، الحركة الوهابية، الحركة السنوسية، الحركة المهدية. وقد اعتمدت هذه الحركات منهج التغيير الثقافي، عن طريق التعليم والتربية، وهو المبدأ القرآني الذي يؤكد أن التغيير يبدأ من النفس الإنسانية ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مابأنفسهم﴾ [الرعد/١١]. وقد أسست هذه الحركات مؤسسات تؤدي رسالة ثقافية اجتماعية ومن بين تلك المؤسسات (الزوايا) وهي التي كانت تقدم للمسلمين خدمات تعليمية، وتقدم لهم كذلك العون الإجتماعي والإقتصادي، وتقول بعض الإحصائيات الخاصة بالزوايا التي أنشأها الإمام محمد علي السنوسي في عدة مناطق إسلامية والتي بلغت حوالي مائة وخمسين زاوية.

وعملت هذه الحركات التاريخية الكبرى في اتجاهين:الإتجاه الأول يركز على تحصين المجتمع الإسلامي عن طريق التعليم والتوعية والدعوة إلى اتحاد المسلمين، باعتبارهم أمة واحدة أما الإتجاه الثاني فقد تمثل في الجهاد ضد الإستعمار الأجنبي، والإستعمار الأوربي والذي كانت قواته وجيوشه من فرنسا وبريطانيا.

بهذا النهج استطاعت تلك الحركات وما أحدثته من امتداد في العالم الإسلامي أن توقظ الإحساس بواجب الدفاع عن مقومات الشخصية الإسلامية، وأن تدفع كثيرا من الأخطار الثقافية والإجتماعية، واستطاعت أن تحدث صدى يتردد في أنحاء العالم الإسلامي. يتحدث الأمير شكيب أرسلان عن تلك التطورات فيقول: (فهذه الصرخات التي توالت والمصابيح التي أوقدت في فترات مختلفة طيلة جميع الأجيال التي كرت على الإسلام من بعد انحداره من الأوج، قد كان من شأنها أن تمهد السبيل بعض التمهيد للمصلحين المتأخرين، إذ لم ينتصف القرن التاسع عشر، حتى قد قام في كل بلد من بلدان المسلمين في الرقعة الإسلامية عدد من رواد الإصلاح ودعاته ينبهون ويوقظون، ويحضون ويستحثون) [حاضر العالم الإسلامي].

وفي دراسة للدكتور أحمد صدقي الدجاني عن (الحركة السنوسية) يؤكد نفس الرأي: (ليس غريبا أيضا أن تتابع هذه الحركات في العالم الإسلامي، فبالإضافة إلى وجود التحديات هناك تهيأ للإصلاح بين المسلمين ناجم عن أصل ديني وهو حديث الرسول ﷺ: «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» [رواه أبو داود والحاكم]. وقد تتابع المصلحون طوال فترات التاريخ الإسلامي بشكل متصل.

وأي قراءة واعية لتاريخ حركات الإصلاح الإسلامي طوال ما يزيد عن قرن ونصف من الزمان، ستجد أن مدخل الإصلاح هو تعليم المسلمين، الذين كانوا وما زالوا يعانون من آثار الجهل. جهل الدين، وجهل الدنيا. أي أن المجتمعات الإسلامية على اختلاف ألسنتها وثقافتها المحلية وانتماءاتها الجغرافية، ظلت تعيش في دوامة التخلف فكريا واقتصاديا وعسكريا إضافة إلى جهلها بحقائق الإسلام عقيدة وشريعة ونظما. إلا أن حركة الإصلاح هذه وعن طريق مدخل التعليم قد تعثرت بشكل كبير، عندما وثبت قوى الإستعمار إلى هذا المعقل الحصين واستفردت به، فأصبحت المدارس والمعاهد والجامعات تحت سيطرة السياسة الإستعمارية، وتبعاً لذلك أصبحت مناهج التعليم، هي مناهج المستعمر. وخرجت الجامعات ومناهجها أجيالا متتالية من النخبة التابعة لفكر المستعمر وتابعة له في أساليب حياتها. ولم يبق لتلك الحركات الإصلاحية إلا المسجد. وحتى المسجد ليس لها خالصا. ومن هنا بدأ ضعف الجامعات الإسلامية مثل الأزهر والزيتونة، أمام قوة الجامعات الحديثة، التي تسمى بالجامعات المدنية.

ورغم مرور أكثر من نصف قرن على بدايات الاستقلال في بعض البلدان الإسلامية، ثم استقلال جل البلدان الإسلامية، إلا أن التعليم لم يتحرر بصورة كاملة من التبعية للقوى الإستعمارية في شكلها القديم المتجدد. إذ للأسف الشديد أن تطور التعليم في الدول الصناعية يقفز بمتواليات مدهشة في مختلف التخصصات، بينما في العالم الإسلامي مازالت الفوضى في مناهج التعليم تربك وتعرقل حركة الإصلاح الصحيح. وعندما بدأ مسلسل الانقلابات العسكرية وبدأت سياسة (تثوير) المناهج جاء المنعطف الخطير الذي أدى إلى مزيد من التخلف والجهل، وتدني مستوى التعليم بصورة مخيفة وأصبحت الجامعات تخرج أجيالاً من أشباه الأميين حرفيا وثقافيا. وفي بعض البلدان (الثورية بالذات) هناك قصص عن انحطاط التعليم إلى مستوى لا يصدقه العقل.

عودة إلى المساجد لإصلاح الخلل

لقد عملت حركات الإصلاح الإسلامي أن تعوض ذلك الخلل الذي حدث، فاتجهت نحو المساجد وتأليف الكتب بأحجام مختلفة لتكون في متناول القراء، وأصدرت المجلات والصحف، وخاصة في مصر والهند وبلاد الشام وفي شمال أفريقيا، وخاصة بعد الحربين العالمية الأولى والثانية، ونشأت عن ذلك، ما سمي في الأدبيات العربية والإسلامية الحديثة. وحدثت المعركة بين القديم والجديد، والتي مازالت أبعادها قائمة حتى الآن. ويعتبر كتاب المرحوم الدكتور محمد محمد حسين [الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر] من أهم الكتب التي تناولت وأرّخت للصراع الفكري بين الفكرالغربي، والفكر الإسلامي، فيما يتعلق بالتعليم والصحافة والأدب والثقافة بصورة عامة، وأصبح هذا الكتاب من أهم المراجع لدى الدارسين والباحثين.

ويجدر بشباب اليوم أن يقرأ هذا الكتاب، وكتب المؤلف الأخرى ليسبر غور الصراع بين الثقافات، وليعرف الأبعاد التاريخية لها، وليزداد تبينا لدور ورسالة الكلمة والفكرة، وأن الإصلاح الحقيقي مدخله التعليم على تنوع طرقه وأساليبه. وأن هذا الإصلاح كلما كان مهتديا بسنن الله في الكون والحياة والناس، كلما كان أكثر حظا في التأثير والنجاح، ووضع الأمة في المسار القويم. وهكذا يبدو واضحا أن أي حركة إصلاحية لا تهتم بالتعليم ويكون هو مدخلها الأساسي والأول، لن تتمكن من تحقيق الإصلاح الذي تدعو إليه، وتطالب الآخرين بالدخول فيه. ولازالت أذكر دور التعليم ودور المدرّس في المرحلة الثانوية وفي الجامعة، وكيف فتح ذلك الدور طريق الإصلاح الإسلامية أمامنا، وأمام الكثيرين في بلدان عربية وإسلامية أخرى، وحقق ذلك العمل تواصل عطاء الأجيال، وتأكيد الحضور الإسلامي، على المستوى العالمي□

وسائل وأساليب تقويم الشخصية

في التراث التربوي الإسلامي

بقلم: علاء حسني المزين

موضوع (تقويم الشخصية) أي محاولة الحكم على مدى ما تتمتع به من خصائص وإمكانات واستكشاف ما أودع فيها من طاقات وقدرات ليس غريبا على ساحة الفكر الإسلامي.

فهذا المفهوم يرتبط مبدئيا بخلق إسلامي أصيل هو خلق المحاسبة وذلك الخلق الرفيع الذي يكفل نقاء الفرد ونقاء الجماعة وإتقان العمل وارتقاء الأمة في معارج الكمال.

وللحسبة في تاريخنا في إطار الدولة الإسلامية دور لا يُنكر وأهمية لا تُجهل، والحسبة كتنظيم اجتماعي ذي عمق فكري تمارس هذه الوظيفة فيما يناط بها من وظائف.

كما أن علما إسلاميا يوشك أن يكون حكرا على الأمة الإسلامية تخصصه الأساسي في هذا المجال. إنه الجرح والتعديل الذي وضع فيه العلماء من الضوابط ما يكفل الوصول إلى أوزان دقيقة لأقدار المشتغلين بالحديث النبوي حفاظا على هذا الكنز العظيم من غائلة التحريف. وهذا العلم بالمناسبة أحسبه من العلوم التي اندثرت في زماننا كما في أزمنة الضعف والانحلال التي سبقته فكان لاندثارها آثار وخيمة وفي ظني أن موضوعا كهذا الذي بين أيدينا ينبه الأذهان إلى ضرورة بعث هذا العلم من جديد وهي مهمة أحسبها من مهمات الحركة الإسلامية وفي مجال اكتشاف القدرات الخاصة للأفراد وتوظيفها التوظيف الأمثل نجد النبي ﷺ في قمة سامقة لا يدانى فيها. وإذا استعرضنا سيرته العطرة وسير الصحابة الكرام لتجلت لنا هذه الحقيقة ناصعة، ولقد كانت هذه الظاهرة مثار إعجاب كل دارس لسيرته بل كانت عند كثيرين مظهرا من مظاهر نبوته ﷺ.

وعلى إثره سار الخلفاء الراشدون فكانوا على تفاوت بينهم من فرسان تلك الحلبة ولعلنا لا ننسى هنا شهادة الفاروق للصديق وهي شهادة عظيم لعظيم حيث قال فيه: (إنه أعرف بالرجال مني). وعمر من هو في هذا الباب. إنه مضرب المثل فيه وله الوصية المشهورة في تقدير الرجال.

وفي ميدان التربية الإسلامية ترك لنا المربون المسلمون الأوائل تراثا زاخرا لا يحصر اهتمامه في استكشاف القدرات الفريدة والمواهب الفذة لاستثمارها وإنما يهتم بالإضافة لذلك بما هو أخطر ويهتم بما يعوّق نمو هذه القدرات في الاتجاه الصحيح. فيبحث لذلك في مكنونات أخرى في النفس في حاجة لاستئصال لا لاستثمار، وهو ما اصطلح على تسميته بأمراض القلوب وتتميز تربيتنا الإسلامية بالعناية بهذا الجانب العناية الفائقة حتى أفرد بعلم مستقل، على حين أنه لا يكاد يلقى أو يحظى بأي اهتمام في التربية الحديثة(١).

لقد عنى علماء التربية الاوائل من المسلمين بالبحث عن وسائل اكتشاف مواهب تلاميذهم وقدراتهم لتوجيههم في ضوئها إلى ما يصلحهم ويصلح بهم (والإسلام حريص على هذه المواهب والاستعدادات يربيها وينميها ولا يتركها تتبدد بغير طائل)(٢).

وسوف نتعرف في السطور التالية على نماذج من هذه الأساليب فنستفيد من ماضينا لحاضرنا وننظر للجديد في ضوء الأصيل التليد، فتستقيم النظرة ويعتدل الميزان ونوقن أن ما بين أيدينا، من تراثنا العريق كنوزا مذخورة لمن ينقب عنها، ومن خلال ذلك كله نستعيد هويتنا المتميزة فمن الوسائل والأساليب التي أخذ بها المربون الأوائل للحكم على شخصيات من يربونهم أو قياس بعض قدراتها الخاصة ما يلي:

١ – الفراسة

ومعناها في اللغة: التثبت والنظر الصحيح، وهي إحدى أقدم الوسائل التي عرفها الإنسان للحكم على شخصيات الآخرين وقد كان للعرب القدماء فيها باع كبير حتى أوشكت أن تكون علما من علومهم وقد أعطاها الإسلام بعدا إيمانيا وجعلها عطاء ربانيا يمنحه من أوتي صفاء النفس وشفافية الروح وهو ما لايدركه بغير

مجاهدة ورياضة نفسية فهي ضرب من الحكمة التي تعني فيما تعني حسن التقدير ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾ [البقرة:٢٦٩]. وقد شاع على الألسنة كالقول المأثور: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله) .وينسب أحيانا إلى النبي ﷺ كما شاع قول أحد العارفين: (من عمّر باطنه بالتقوى لم تخطىء له فراسة).

ولقد ارتبطت الفراسة أو انبثق عنها وسائل حُكمية أخرى في أوساط الصوفية والمتدينين كالكشف والرؤى. ولا يستطيع باحث مؤمن يوقن بالإمكانات غير المحدودة للروح مما لم يقف العلم، وربما لن يقف على شيء من أسراره لأن الروح من أمر ربي ولا يستطيع باحث يوقن بذلك أن ينكر أثر هذا الأسلوب وجدارته بالإقدام، ولكنه في النهاية لا يستطيع أن يحكم له بصفة العلمية بالمعنى الدقيق. ويسرني أن أقف إجلالا لتلك العقلية العلمية المتزنة التي تبدو في الأصل الثالث من الأصول العشرين التي وضعها الشيخ البنا لتربية أفراد جماعته على قواعد منهجية فكرية واحدة حيث يقول:

(وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه)(٣).

٢- الملاحظة

والملاحظة بمعنى مراقبة سلوك المتعلم في مواقف مختلفة بعين الناقد البصير هي أيضا أسلوب قديم لأنه أسلوب فطري منطقي يمارسه الناس بتلقائية فلا تختص به أمة دون أمة أو بيئة دون أخرى وقد حاول المربون الأوائل أن يضعوا للملاحظة منهجا أو ضوابط فنية لتخرج من أسر الذاتية إلى الموضوعية ، وأقدم ما بين أيدينا من نصوص تؤكد على ضرورة ضبط الملاحظة للوصول إلى نتائج دقيقة في مجال الحكم على الأشخاص هو وصية الرسول ﷺ إلى جابر بن عبدالله عند إقباله على الزواج إذ دعاه لإمعان النظر وأباح تكراره ليتخذ القرار السليم كما نجد كذلك وصية عمر في اختيار القادة وغيرها من المواقف والوصايا وبخاصة عند علماء الحديث والصوفية مما لو تم جمعه لتكونت لدينا رؤية منهجية وإننا لانعدم بالطبع في مصدرنا الأول - القرآن الكريم - إشارات دقيقة في هذا الصدد وإلى أن يتم ذلك فلا يسعنا إلا أن نقرر أن العلماء الغربيين هم الذين قطعوا شوطا بعيدا في مجال الضبط العلمي للملاحظة لتكون نتائجها أكثر موضوعية ودقة.

إن الملاحظة الدقيقة الموضوعية المدروسة هي بداية الطريق نحو حكم صحيح وهي (الخطوة الأولى من خطوات البحث العلمي ولذلك فهي ليست بعملية سهلة) وتحتاج من ثم إلى خبرة ودربة.

ترك لنا المربون المسلمون الأوائل تراثا زاخرا لا يحصر اهتمامه في استكشاف القدرات الفريدة والمواهب الفذة لاستثمارها، وإنما يهتم بمعالجة ما يعوّق نمو هذه القدرات في الاتجاه الصحيح

٣- ملازمة الشيخ

وبينها وبين ما سبق خصوص وعموم فلا شك أن فراسة الشيخ المعلم وملاحظته هي وسائله الأساسية في الحكم على شخصيات تلاميذه، لكن الفراسة والملاحظة أوسع مدى من أن تحكر على المعلمين كما أن للملازمة في ذاتها فضيلة مستقلة تجعلها جديرة بأن تكون وسيلة خاصة من وسائل الحكم على الشخصيات واكتشاف قدراتها ومواهبها.

وابن جماعة - أحد كبار المعلمين المسلمين - يجعل من أولى مهمات المعلم اكتشاف قدرات ومواهب طلابه لتوجيهها الوجهة النافعة فيقول: (كان علماء السلف الناصحون لله ودينه يلقون شباك الاجتهاد لصيد طالب ينتفع به الناس في حياتهم ومن بعدهم)(٤).

ولا شك أن طرقهم في التدريس ووسائلهم الخاصة التي يحصلونها بالتجربة هي التي كانت تساعدهم في اكتشاف هؤلاء النوابغ والإمام الغزالي في إحيائه يعقد فصلا طريفا لبيان وسائل اكتشاف النفس والحكم عليها فيحددها في أربع وسائل ينقد ثلاثا منها ويرفضها ويقبل الرابعة ويحبذها، فالوسيلة الأولى هي الاستبطان الذاتي، والوسيلة الثانية هي ملاحظات ونصائح الصديق الصدوق والوسيلة الثالثة هي اتهامات العدو الكاشح والوسيلة الرابعة هي ملازمة الشيخ الرباني (٥).

وهذا الأسلوب الفريد المعطاء الذي تميزت به التربية الإسلامية تسعى التربية الحديثة للوصول إليه إيمانا بمنافعه ولكن دون جدوى وقد حاولت بعض التجارب التربوية الحديثة للحركات الإسلامية إحياء هذا الأسلوب وأثبت بالفعل نجاحا

وسائل وأساليب تقويم الشخصية

لكنه نجاح يحتاج لمزيد من الجهود لضبطه وتقعيده وتحقيق استمراره.

٤- المواقف الكاشفة

الرجال مواقف كما يقول المثل وهو كلام معقول حيث تكشف المواقف الكثير من معادن الناس ومكنونات نفوسهم وبخاصة مواقف الشدة والابتلاء ولعل هذا الأسلوب أسلوب فطري قديم احتفل به الإسلام، والإسلام دين الفطرة يلتقي معها في نقائها وصفائها.

ولقد عنى المربون المسلمون الأوائل وعلى رأسهم إمام المربين محمد ﷺ بهذا الأسلوب الذي يقوم على غمر المتعلم في الموقف بعد تأهل له ثم ملاحظة سلوكه وطريقة تخلصه منه وما يبدو عليه من ثقة أو اهتزاز أو ابتكار أو نمطية الخ. وهذا الأسلوب يكشف بالفعل الكثير من المواهب كما يفيد في الحكم على الشخصية حكما كليا. وتاريخنا التربوي حافل بأمثلة تطبيقية في هذا المجال بما يؤكد وجوده وأهميته.

٥- المقابلة

وهي كذلك أسلوب فطري قديم اعتمده الإسلام وأمامنا نموذج عملي في القرآن الكريم على هذا الأسلوب في سورة يوسف في تلك المقابلة التاريخية التي تحول يوسف بعدها من عبد رقيق سجين إلى رئيس وزراء مصر المطلق كما أننا لا نعدم نماذج أخرى كثيرة في سيرة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين.

وكما قلنا في كلامنا حول الملاحظة إن هذا الأسلوب كأسلوب تقويم واستكشاف للشخصية لم يحظ بدراسات تخلصه من آثار الذاتية والعشوائية كما رأينا عند الغربيين، ولا يعني هذا عدم وجود هذه الضوابط، وإنما يعني أنها لم تجمع جمعا علميا يسمح باضطرادها، كما لا يعني هذا الكلام القدح في نتائج المقابلات القديمة، فلم يزل لفطنة المقابل وفراسته وذكائه وخبرته أثر في هذه المقابلات حتى اليوم.

٦- قوائم الصفات المعيارية

ولا أنكر ابتداء أنني أخذت وصف هذا الأسلوب من الدراسات الحديثة لكنه بلا شك أسلوب إسلامي أصيل في تصنيف الشخصيات والحكم عليها حكما كليا عاما ويقوم هذا الأسلوب على مبدأ أساسي في التصور الإسلامي وهو مبدأ المسؤولية الفردية للإنسان وكونه رقيبا على نفسه: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ [القيامة/ ١٤] ويتلخص هذا الأسلوب في تقديم خصائص وصفات دقيقة للشخصية السوية تمثل معايير قياسية يسهل على كل إنسان أن يقيس نفسه بها ويعطي لنفسه درجة على هذا المقياس

عنى المربون المسلمون الأوائل بغمر المتعلم في الموقف بعد تأهل له، ثم ملاحظة سلوكه وطريقة تخلصه منه، وما يبدو عليه من ثقة أو اهتزاز أو ابتكار أو نمطية...

فيحصل على حكم دقيق في نفسه. ومن هذه القوائم المعيارية في القرآن الكريم خواتيم سورة الأنعام، وخواتيم سورة الفرقان، وخواتيم سورة المعارج، وغيرها كثير في القرآن العظيم.

ومن عجائب هذا الأسلوب في منطق النبي ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم أن تجمع قائمة الصفات في تشبيه يسهل إدراكه واستيعابه والقياس عليه ومن ذلك وصف المؤمن بالنخلة والخامة من الزرع ومما يجدر ذكره أن أسلوب القوائم المعيارية هذا هو أبرز الأساليب عند علماء الصحة النفسية المحدثين.

٧- الحسبة

الحسبة هي وجه من وجوه التطبيق العملي لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع الإسلامي، (والمحتسب رجل ائتمنه أهل زمانه على تقديم أداء الأفراد، وتنظيم أمور السوق والعمل، فمهمات المحتسب سابقا مهمات تقويمية عديدة ومتنوعة تقوم بمثلها الآن مؤسسات ودوائر مختلفة، والذي يهمنا من ذلك ما يقوم به المحتسب من تقويم لانجاز الفرد لمنحه إجازة الانتقال من رتبة مهنية إلى أخرى)(٦).

إن عملية التصنيف التي كان يقوم بها المحتسب لتحديد مستويات الأداء والتي تعتمد على اكتشاف المهارات الأساسية لكل مرتبة تعطي ايحاء مفيدا في أن المحتسب كان يمتلك من الوسائل ما يقيس به أو يكتشف تلك المهارات، ولما كنا لم نتعرف على وجه القطع على هذه الوسائل فقد اعتبرنا الوظيفة نفسها هي الوسيلة.

٨- إشاعة جو الحرية والتركيز على مبدأ المسؤولية الجماعية

الإنسان يعمل بصورة أفضل في الجو

الحر المفتوح وتتفتح طاقاته وتظهر مواهبه حين يشعر أنه مقدر ومحترم يستطيع أن يبدي رأيه ويعلن عما في نفسه من موقع المشارك لا التابع، ولذلك يؤكد القرآن على هذا المعنى ويعطي نماذج عملية للمسلمين في مجال النقد الذاتي ولا نعجب حين نجد أن عمليات التصويب والتسديد تناولت الرسول القدوة نفسه ﷺ في بعض ما اجتهد فيه(٧)، وتتضافر النصوص والمواقف لتأكيد هذا المعنى، ويلتقط عمر الملهم المبدأ مدركا أهمية الناس لممارسة حقوقهم في النقد الذاتي والمراقبة الجماعية: (لا خير فيكم إن لم تقولوها).

إن روح النقد الذاتي إذا تمكنت فإنها تتحول تلقائيا إلى ظاهرة اجتماعية فكما أن الفرد يقوم بحركة تزاوجية في كيانه مما يكتب لكيانه الخصوبة والنمو يحدث الأمر بنوعية جديدة من خلال مزاوجة نقدية على مستوى المجتمع تجعله يتحلل من أمراضه(٨) ومنها الكبت والتسلط والقهر وجميعها تقتل المواهب كما أن هذه الظاهرة تسهم إلى حد كبير في اكتشاف وإبراز الكثير من الطاقات والقدرات والمواهب والكفاءات.

٩- آراء المعيدين

يسجل ابن جماعة في كتابه القيم (أدب العالم والمتعلم) أسلوبا من الأساليب المعتمدة عند المربين في عصره لاكتشاف طاقات الأفراد وإمكاناتهم إذ جعل (من واجبات المعيدين وهم أكثر اختلاطا بالطلاب وأكثر معرفة بقدراتهم أن يخبروا المعلمين عن الأذكياء النابهين منهم لتزداد عناية المعلمين بهم وليقدموا لهم من التعليم ما يناسبهم وما يتلاءم مع قدراتهم)(٩).

١٠- الاختبارات التقليدية

وهي أضعف وسائل الحكم على

يعمل الانسان بصورة أفضل في الجو الحر المفتوح، وتتفتح طاقاته، وتظهر مواهبه، حين يشعر أنه مقدر ومحترم يستطيع أن يبدي رأيه ويعلن عما في نفسه من موقع لمشارك لا التابع

الشخصية إذ لا يمكن أن تقيس أكثر من جانب واحد من جوانب الشخصية ولكنها قد تفيد في الكشف عن قدرة معينة أو مهارة خاصة لدى الفرد ومن ثم لم يكن اعتماد التربية الإسلامية عليها كبيرا وهو ماتدعو إليه الدراسات النفسية الحديثة ، وقد حرصت التربية الإسلامية على تنقية الاختبارات من الكثير من مثالبها فجعلتها في حسن المربي وسيلة لا غاية، وشهادة لله، واشترطت لها ملازمة العالم للمتعلم مدة كافية يستطيع فيها تبين ما لديه باعطائه الفرصة بعد الفرصة من حين لآخر لإبراز تلك القدرات في مواقف عملية.

يقول النحلاوي: (كانت الإجازة العلمية قديما عند أسلافنا شهادة من عالم جليل لأحد طلابه بالقدرة على تدريس كتاب معين ولم تكن تعطى الإجازة إلا بعد شعور صحيح بقدرة هذا المدرس الجديد وبعد مرافقته للشيخ مدة كافية ومناقشته لجميع قضايا الكتاب مع فهم وإتقان. ويبقى المجاز بعد ذلك كله على صلة بشيخه)(١٠). ليستقيم له السير على طريق الحق بلا زيغ أو انحراف.

وبعد فهذه الوسائل والأساليب التي عرضناها ربما لا تكون مستعصية لكل ما كان معهودا في البيئات التربوية العلمية الإسلامية. ولكن حسبها أن تكون علامات على الطريق ومحفزات البحوث أكثر استقصاء وشمولا بما يغنينا في النهاية بأساليب تربوية مستقاة من تراثنا وبخاصة في عهود القوة والازدهار لعلنا نأخذ بها في جهودنا التربوية الراهنة ففصل حاضرنا بماضينا وطريفنا بتالدنا وبمثل هذا نستعيد بإذن الله ما كان لنا من مجد وسؤدد وعزة وتمكين (ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)□

الهوامش:

(١) انظر للتوسع ابن تيمية: أمراض القلب وشفاؤها. والمحاسبي: آداب النفوس. والغزالي: إحياء العلوم.

(٢) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ج٢، ص٢٧٥.

٣) الإمام حسن البنا: مجموعة الرسائل (رسالة التعاليم) ص ٢٦٨.

(٤) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين ج١ ص٧٩-٨٠.

(٥) د. نزار الطائي: القياس وعلاقته بالتقويم التربوي، من: محاضرات في التقويم التربوي، إصدار مكتب التربية العربي، ص٤٨.

(٦) عمر عبيد حسنة: نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ص٤٢.

(٧) د. خالص جلبى: في النقد الذاتي، ص٢١.

(٨) د. حسن عبدالعال: فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة، ص٢١٠.

(٩) د. عبدالرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص١٥٢.

ضرورة الاعتقاد الديني ووظيفته

بقلم: الطيب بوعزة

إن الظاهرة الدينية ثابت أساسي في جميع النظم الثقافية التي تواجدت في حضارات الانسان. فضمن كل ثقافة لابد من وجود معبود تتجه اليه مشاعر الافراد بالتقديس والخضوع، ويستمد منه نظام المجتمع الشرعية والقدرة على الزام الافراد باحترام أعرافه وقوانينه. ونظرا لاهمية الاعتقاد الديني وحضوره الكبير في حضارات الانسان، فقد كان موضوعا للتساؤل والجدال بين اتجاهات ومدارس الفكر والفلسفة. والسؤال الاساسي الذي تمحورت المجادلات حوله هو: ما مصدر الظاهرة الدينية؟

ظاهرة التدين واختلاف المفكرين

لقد تباينت الاجابات عن هذا السؤال وتعددت. فبعض المفكرين جعل الظاهرة الدينية نتاجا لضعف الانسان الاول (الانسان البدائي) تجاه الطبيعة، هذا الضعف الذي يعكس انحطاط مستوى الاجتماع والتمدن، مما يجعل الانسان مدفوعا الى تملق بعض ظواهر الطبيعة والكون، والتوجه اليها بالتقديس والتعبد، عسى ان تحميه من الاخطار المحدقة به.

لكن هذه الفرضية تظل مهزوزة، وذات ضعف واضح في استنادها. اذ لو كان الاعتقاد الديني نتاج ضعف وبدائية المستوى المعرفي والاجتماعي للانسان الاول، فلماذا استمر هذا الاعتقاد في خلال نظم اجتماعية وحضارية أرقى مستوى بل نظم اجتماعية متحضرة متمدنة جداً؟

إذن فهذه الفرضية جد محدودة في قدرتها التفسيرية، لانها لا تستطيع أن تبرر التدين في حضارة العلم والتمدن.

ونتيجة لتواجد الاعتقاد الديني وحضوره في مختلف المجتمعات البشرية - على ما بينها من اختلاف في درجة التفكير والتحضر - ذهب صنف آخر من المفكرين الى حد اعتبار الانسان حيواناً متديناً. بمعنى إن التدين احتياج فطري لصيق بالنفس البشرية، ونابع منها لذا. فقد تدين الكائن الانساني في كل أطوار حضارته ومدنيته. ولم يمنعه انحطاط مستوى عيشه. وطفولة مداركه المعرفية من الشعور بالحاجة الى الاعتقاد والتدين، كما لم يمنعه ارتفاع وعيه وفكره ومدنيته من استشعار هذه الحاجة. وهذا يدل دلالة قطعية على أن الاحتياج الى الدين ينبعث من داخل الانسان.

أما شروط الاجتماع وملابسات محيط العيش فقد تؤثر في الاعتقاد الديني، وقد تحدد مدى قوته أو ضعفه، لكنها لن تخلقه من عدم وبكل منطق، لو كانت الظاهرة الدينية نتاج شرط اجتماعي معين، أو نتاج مستوى معين من مستويات المعرفة البشرية، لذهبت بذهاب ذلك الشرط، وزالت بزوال ذلك المستوى.

التدين فطرة ربانية

وفي القرآن الكريم إجابة واضحة فيما يخص مصدر الظاهرة الدينية. إذ يتحدث القرآن في سورة الروم، عن الفطرة حديثا يزاوج فيه بينها وبين الدين في توليف واحد يفيدُ وجود علاقة ضرورية بين الفطرة الكامنة في نفس الانسان، والعقيدة الدينية الظاهرة في حياته. يقول الله عز وجل: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [الروم: ٣٠].

ويمكن أن نستمد من هذه الآية دلالتين:

- الدلالة الأولى: وهي دلالة واضحة مستفادة من ظاهرة الآية، حيث تفيد أن الاسلام دين منسجم مع الكيان الفطري للانسان ومع تصميمه النفسي. ومن ثم فهو الدين الوحيد الذي يستطيع الانسان أن يطمئن الى حقائقه وإيحاءاته، ويجد فيها السعادة والاطمئنان النفسي والعقلي.

- والدلالة الثانية، وهي التي تهم موضوعنا هذا، ومفادها ان هذا الربط بين الدين والفطرة لا يقف عند انسجام الاسلام مع فطرة الإنسان، بل يتجاوزه الى أن هذه الفطرة ما انسجم معها هذا الدين الا لكمون خصائص روحية فيها وهي التي تطلب هذا الدين وتنسجم معه. ومادامت فطرة الانسان واحدة في كل زمان ومكان، فالخصائص المركوزة فيها هي كذلك واحدة، ومن ثم فاحتياجها الى الدين موجود فيها في كل زمان ومكان، وفي كل الشروط الثقافية والمجتمعية.

إن دلالة لفظة (الفطرة) - إذن - في تلك الآية الكريمة تفيد (الدين) وهكذا فسرها الشيرازي و الماوردي وغيرهما من العلماء والمفسرين. ومن ثم فالانسان في المفهوم الاسلامي متدين بالفطرة.

خطأ الفلاسفة

ولذا قد أخطأ الفلاسفة وعلماء الاديان الوضعيون حين جعلوا المجتمع والكون مكاناً يبحثون فيه عن أسباب التدين، فانصرفت ملاحظاتهم عن الداخل الانساني الى الوجود الاجتماعي والكوني، ولكنهم انتهوا بعد مشقة البحث وعناء التفكير الى فرضيات مهزوزة، وسبل مسدودة، وأسئلة معلقة، وشكوك قائمة.

إن الكون ومؤثراته المادية، لا يمكن أن ينشىء في داخل الانسان مشاعر كانت معدومة من قبل، بل لا يمكن للكون أن يحرك شعورا أو إحساساً في الانسان، ما لم يكن بداخل الانسان قابلية للاستشعار والاحساس ابتداء. والشروط الاجتماعية والكونية لاتخلق المشاعر بل تحركها، ولا تخلق الاهتمام بل تثيره. والتدين إحساس فطري يولد مع الانسان، انه شعور قبل أن يتجسد في سلوك أو نمط اجتماعي، أو في ثقافة ونظام تفكير.

إن الانسان كائن متدين، وليس أدل على ذلك عندي من أفكار وفلسفات الالحاد! أجل من الالحاد يثبت فكرة التدين أكثر من فلسفات الايمان والاعتقاد. فكل فلسفات الالحاد كانت حين تستبعد فكرة الخالق

(الله)، تضع لنفسها – حتى بدون أن تدري – إلهاً جديداً، وتخلع عليه نفس المواصفات التي تخلعها الثقافة الدينية على الاله المفارق للكون، وهذا أدل دليل على حتمية الدين واستحالة ابعاده. فحينما أعلن نيتشه موت الاله فانه في ذات الوقت كان يستدخل نفس مواصفات الاله، في فكرة الانسان المتعالي (السوبر-مان)، إنه بلا شعور منه، حين يحاول تغييب الاله، يتوالد من خلال فلسفته ذاتها اله جديد! وبهذا يصل نيتشه الى عمق التناقض والتهافت. فلم يستطع قتل فكرة الإله كما توهم بل ظلت هذه الفكرة متواجدة في صلب مذهبه الفلسفي ذاته، ولم يفعل نيتشه غير تبديل موقعها من السماء الى الأرض.

إن نيتشه يناقض نفسه بنفسه، ويؤكد ضرورة وجود فكرة (الإله) في ذات الوقت الذي يحاول فيه نفيها وتغييبها، إذ يقول: (إن علينا أن نصنع الله! ولكن حذار من أن نصنع الله على صورتنا ومثالنا، إلهاً بشرياً، إلهاً غاية في الانسانية. فلنصنع أنفسنا نحن على صورة الله، ولتكن هذه الصورة فوق – إنسانية)(١).

لابد للانسان من اصطناع دين واتخاذ معبود، ومن لايعبد الله يعبد غيره. فالتدين فطرة واحتياج نفسي ضروري لابد من إشباعه. تماما كالاحتياج الى الطعام والشراب. ولذا حينما يزيل الفيلسوف الالحادي باليد (اليسرى) فكرة الاله– اله السماء– من ثقافة مجتمع معين، فانه يستقدمه – وحتى بدون أن يدري– باليد الاخرى ويثبته في موقع جديد. والفلسفة التي تفرغ السماء من فكرة الاله تضطر الانسان الى تحويل توجهه من السماء نحو الارض. وهكذا يتحول الانسان من عبادة الله الى عبادة (آلهة) زائفة من الارض، وهذا تحريف خطير لغريزة التدين، تحريف يفسد الايمان ويفرغه من محتواه الايجابي.

على التفكير الالحادي أن يدرك ألا محيد عن الاعتقاد الديني، فان لم يتعبد الانسان إلى إله السماء. تعبد – ولا بد – الى (إله) الارض (الاوثان). وفرق كبير بين عبادة إله السماء، وعبادة الآلهة الزائفة، ففي عبادة إله السماء تحرر للوجدان البشري، وتحرر للنفس البشرية من أوثان الارض وضغط مؤثراتها وشروطها، وارتفاع عن التذلل أمام مخلوقات الارض، لانها – وبكل بساطة – عبد لله الواحد لأحد، عبيد كباقي المخلوقات سواء. ولذا فالاختيار (الانطولوجي) الموضوع أمام العقل الفلسفي ليس إختيارا بين الايمان والالحاد، بل إنه في العمق اختيار بين عبادة الله الخالق، أو عبادة عبد مخلوق. والى مثل هذا المعنى كان يلمح موريس بلوندل حين كتب: (في العمق ليس هناك ملحدون بمعنى الكلمة)(٢).

والملفت للنظر أن الانسان لا يصبر على العيش بدون اعتقاد ديني، وحينما يفتقر الى وحي سماوي، يندفع بعقله القاصر – وإن كان على إدراك بقصور عقله – الى الانشغال بما وراء هذا الكون ومحاولة تحديد فكرة دينية عن أصل الحياة ومصيرها، وهذا ما يفسر المحاولات الفلسفية المصطلح عليها (بالميتافزيقا) التي رغم هشاشة بناءها، وافتقارها للدلائل والبراهين، كان الفلاسفة يتمسكون بها، ويضعونها في أول مذاهبهم الفكرية.

يقول أوجست كونت في كتابه الشهير (دروس الفلسفة الوضعية): (في الحالة الوضعية يعترف العقل الإنساني باستحالة الوصول إلى معاني مطلقة. ولذا فإنه يقلع عن البحث عن أصل الكون ومصيره، وعن معرفة العلل العميقة للظواهر)(٣).

فعلا إن العقل الإنساني عاجز عن تصور ما وراء هذا الكون، وعاجز عن تحديد مصدر هذا الكون ومصيره. ولكن أخطأ كونت في إقلاع هذا العقل عن البحث الماورائي. فحتى لو تيقن العقل الإنساني بعجزه، فإنه لن يقلع عن البحث عن أصل الكون ووجهته ومآله. فغريزة التدين وتساؤلاتها الفطرية مركزة في صميم الإنسان، كل إنسان، حتى السيد أوجست كونت نفسه! ولذا اضطر هو نفسه – في أواخر حياته – إلى البحث عن دين جديد سماه (عبادة الإنسانية) ليحل محل (الدين) اللاهوتي، في المرحلة الوضعية العلمية. وهكذا لم يقلع عن البحث، بل ظلت قضية التدين ضمن انشغالاته، واضطرته آخر الأمر إلى الإبحار في شفافية الدين، ومحاولة ملامستها.

وظيفة الدين

والفكرة الدينية ذات وظيفة هامة، إذ هي مكون ضروري لاكتمال نظام الثقافة، فهي التي تحدد التصور الكلي حول الوجود، هذا التصور الذي يفسر مصدر الوجود ومصيره، وإلى هذا التفسير تستند ثقافة المجتمع ومنه تأخذ طبيعتها وخصائصها. والفكرة الدينية عنصر أساسي لصلاح المجتمع. فحين يؤمن الإنسان بوجود الله الذي سيحاسبه بعد الموت على فعله في هذه الحياة الدنيا، يصلح في قرارة نفسه، ويصلح فيما يتجاذبه مع غيره من روابط وصلات. فلا تكون الرقابة الزجرية التي تحافظ على نماذج السلوك المشروعة كالقانون والشرط والمحكمة أوراقا وشخوصا وبنايات، بل تتحول تلك الرقابة إلى إحساس وشعور في داخل الإنسان يوجهه ويقوده.

وهذا ما اضطر فولتير وهو عدو الكنيسة إلى أن يقول: (إذا كان الله غير موجود يجب اختراعه) إيمانا منه بضرورة الاعتقاد بوجود قوة عليا ليصلح الإنسان والمجتمع. كما أن الفكرة الدينية هي التي تعطي لشريعة المجتمع القوة الإلزامية المعنوية التي تستند إلى القناعة الذاتية للفرد الإنساني، وهذا ما تفتقر إليه الشرائع الوضعية، التي لا تستند نظمها إلى قناعة شعورية معنوية، بل فقط إلى قوة إلزمية مادية(٤).

ولا يعني هذا قبولا لمختلف الأفكار الدينية الموجود، إذ فيها أفكار وثنية زائفة يجب إزالتها من ثقافة وحضارة الإنسان، لأن الفكرة الدينية فوق مقدور العقل الإنساني، ولذا فهي فكرة معطاة، ولا يجب أن ينتجها التفكير البشري، بل يجب أن يتلقاها من الوحي السماوي. والفكرة الدينية الصحيحة هي وحي منّزل، لا فكرة من بنات أفكار الأرض القاصرة، على يقين يمنحه الله للإنسان، لا هلوسة ينتجها عقل بشري محدود في طاقته وأدواته ورؤاه

الهوامش:

(١) د. زكريا إبراهيم: مشكلات فلسفية – مشكلة الإنسان، ص ١٩٧.
(٢) نفس المرجع ص ١٨٥.
(٣) انظر مجلة: تراث الإنسانية، المجلد ٢، ص ١١.
(٤) انظر مقالنا: الدين قانون المجتمع، ١و٢، المنشور بجريدة الإصلاح المغربية، العددان: ٩و١٠.

يمثل الدعاء أعلى وأرقى درجات العبودية والعبادة لله سبحانه وتعالى.. ولذلك كان مطلوبا في كل حين، وعلى كل حال

الوظيفة التربوية للـدعـاء

بقلم الدكتور: أحمد الريسوني *

غير خاف ما أعطي للدعاء من منزلة ومكانة وأهمية في الإسلام. وحسبنا من ذلك كونه اعتبر «مُخّ العبادة»، وفي رواية أخرى عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»(١).

ومن هنا كان المقصد الأسمى للدعاء، هو كونه يمثل أعلى وأرقى درجات العبودية والعبادة لله سبحانه وتعالى. ولذلك كان الدعاء مطلوبا في كل حين، وعلى كل حال، وكان مطلوباً بتذلل وتضرع وافتقار وعبودية: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾(٢). وجاءت الأدعية النبوية طافحة بروح الضراعة والإجلال للباري جل وعلا «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك..»(٣)، «يا مُقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»(٤)، «ألظوا بياذا الجلال والإكرام»(٥)، «اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان..»(٦).

والمقصد الآخر من المقاصد الكبرى للدعاء، هو قضاء الحاجات، واستجلاب الخيرات، ودفع الشرور والآفات. يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾(٧)، وقوله: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾(٨). وما جاء في الأحاديث الكثيرة من مثل ما رواه أبو هريرة رضي عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي»(٩). وما رواه طارق بن أشيم رضي الله عنه قال: كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني»(١٠). وهذا المقصد، هو أكثر ما يعرفه الناس ويتعاطونه من مقاصد الدعاء وفوائده، ولو أنه مجرد فرع عن المقصد الأول.

إلا أن المقصد الغائب المغفول عنه من مقاصد الدعاء هو وظيفته التربوية، وهو المقصد الذي أردت التنبيه عليه في هذا المقال.

وأعني بذلك أن الدعاء في الإسلام قد جُعل وسيلة للتوجيه التربوي، والتأثير السلوكي العملي. ولا شك أن الممارسين للتربية – من أساتذة ومعلمين، ووعاظ مرشدين، وخطباء موجهين، وعلماء مفتين، ومن آباء وأمهات – لا شك أنهم كلما كانوا على بينة من الأبعاد والتأثيرات التربوية للدعاء، أمكنهم الاستفادة منه، وتوظيفه فيما يرومونه، ويضطلعون به من إصلاح وتهذيب وتزكية. بل إن عموم الناس إذ نُبهوا وتفطنوا لما تقتضيه أدعيتهم – والأدعية المأثورة خاصة – من لوازم وشروط وغايات، فإنهم يصبحون أكثر تفاعلا مع الدعاء ومغزاه العملي. وفيما يلي نماذج للمضامين التربوية لبعض الأدعية المشروعة في القرآن والسنّة.

المساعدة على الطاعة والامتثال

ومن ذلك ما نبه عليه الإمام أبو بكر الطرطوشي، حيث قال وهو يسرد فوائد الدعاء منها: (إن الدعاء إشغال الهمة بذكر الحق سبحانه وتعالى، وذلك يُوجب قيام الهيبة – للحق عز وجل – في القلوب، والزيادات في الطاعات، والانقطاع عن المعاصي)(١١)، ذلك أن من تعلق قلبه وفكره بربه داعيا مبتهلا، كان أقرب إلى طاعته والتجافي عن معصيته. وهذا أمر واضح ومجرب، ولا يحتاج إلى إثبات أو شرح.

ثم إن بعض الأدعية المأثورة تتضمن بألفاظها تذكير الداعي بطاعة الله، وترغيبه فيها، وتنفيره من العصيان، مثل ما جاء في سيد الاستغفار: (..وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت)(١٢). ومثل ما جاء في الوصية النبوية: «أوصيك يا معاذ لا تَدَعنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنّي على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك»(١٣). ومثل دعائه ﷺ – يعلمنا – بقوله: «اللهم مُصرف القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك»(١٤).

توجيه العناية إلى الذات

كثير من الناس حين يتوجهون بالدعاء إلى ربهم، ويرفعون أكفهم وأبصارهم نحو الأعلى، سائلين حاجاتهم، متعوذين من الشرور النازلة بهم، تنصرف عقولهم وأذهانهم عن ذواتهم ونفوسهم، غافلين أو متغافلين عن مسؤولياتهم فيما جرى، وما يمكن أن يجري، وأن الأمور بأسبابها وشروطها. ولذلك جاءت الأحاديث والأدعية النبوية توجه عناية الداعين إلى ذواتهم، وإلى مكامن الداء في أنفسهم، حتى لا يكون الدعاء – الذي هو تعلق بقدرة الله وإرادته – صارفا لهم عن الشعور بواجبهم وبدورهم، وبتبعات صفاتهم، وتصرفاتهم. فعن شَكْل بن حميد رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، علمني دعاء، قال قل: «اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي، ومن شر منيي»(١٥).

فالحديث يحملنا على الالتفات والتفكير في الشرور التي نقع فيها – أو يمكن أن تقع فيها – أسماعنا، وأبصارنا، وألسنتنا، وقلوبنا، وفروجنا، وغير ذلك من أعضائنا وأدوات تصرفنا. وقريب منه ما رواه زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا كما كان يقول رسول

* أستاذ مقاصد الشريعة بجامعة محمد الخامس بالرباط

الله ﷺ. كان يقول: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، إنك وليها ومولاها. اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها»(١٦).

وهكذا يُتخذ من الدعاء سبب ووسيلة لحمل الناس على التفكير في نفوسهم، وتصرفاتهم، وأحوالهم، ومسؤولياتهم في ذلك كله.

ومن مثل هذه الأدعية والأحاديث، استخلص الواعظ الزاهد إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - كلمته الجامعة، حين قالوا له: ما لنا ندعو الله فلا يستجيب لنا؟ فقال: (لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه، بل وافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم موتاكم فلم تعتبروا بهم، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس).

التنفير من الآفات

وهذا امتداد - لما جاء في النقطة السابقة - وفرع له. فهو من قبيل عطف الخاص على العام. وأعني بذلك أن الأدعية النبوية كانت تركز على التشنيع والتنفير من آفات معينة، يكثر اتصاف الناس بها، ووقوعهم في أسرها. من ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه قال: كنت أخدم النبي ﷺ، فكنت أسمعه يكثر أن يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال».

وهذه الآفات كلها تجتمع في كونها تدفع إلى الشلل في الإرادة والمبادرة والفعل، وتجعل المتصف كَلّا لا يقدر على شيء. فجاء الدعاء النبوي يحمل جرعات من التحذير والتنفير من هذه الآفات، ويجعل من هذه الجرعات زادا ودواء يوميا. وإذا كان رسول الله ﷺ «يُكثر» من التعوذ من هذه الآفات وهو أبرأ الناس منها، وأبعدهم عنها، فكيف بمن دونه، وكل الناس دونه؟!

إن من شأن المداومة على هذا الدعاء - مع تدبر معانيه واستيعاب مراميه - أن يحدث في النفس نفورا واشمئزازا من هذه الآفات المستعاذ منها. وهذا الاشمئزاز والنفور يدفع إلى اتقائها، وتجنب أسبابها، ومقاومة مظاهرها وآثارها.

وغير خاف على أحد أن هذه الآفات، هي من أكثر الآفات انتشارا وتنغيصا للحياة الفردية والاجتماعية للناس، فهي مصدر الاكتئاب والانهزام، ومصدر الضعف والتخاذل، ومصدر الغش والتقاعس، ومصدر التدهور والانحطاط في المعنويات الخلقية. يوضح ذلك - أو بعضه - بيان رسول الله ﷺ حين قيل له: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم!! فقال: «إن الرجل إذا غرم، حدث فكذب، ووعد فأخلف»(١٧).

تمتين الأخوة الإسلامية

هناك أدعية كثيرة في القرآن والسنة، ترمي إلى بث روح الأخوة والمحبة بين المسلمين، وتعمل - من خلال تكرارها والمداومة عليها - إلى جعل تلك الأخوة والمحبة في حالة توهج وتجدد مستمرين، وتُحرك بين المؤمنين عواطف الرحمة والشفقة والتناصر والتآزر. وفيما يلي نماذج من تلك الأدعية التي لا يسع مسلم أن يخلو من نصيبه منها، قلّ أو كثُر:

* فمن القرآن الكريم:

- ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾.

- ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾.

- ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾.

- ﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات﴾.

ومعلوم أن الدعاء الذي يتكرر في سورة الفاتحة مرات ومرات في كل يوم وليلة، قد جاء بصيغة الجماعة ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾، ليكون الشعور بالانتماء، وما يقتضيه هذا الانتماء من طلب جماعي، وسعي جماعي للهداية والتمسك بصراطها المستقيم، حيا متجددا في نفس كل مسلم.

* ومن السنّة:

نبدأ من حيث انتهينا، من أدعية الصلاة التي يكررها المسلم يوميا مرات ومرات بصورة جماعية وإلزامية.

- ففي دعاء التشهد: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)، فالمصلي يدعو بالسلام والسلامة، والأمان والنجاة لكل عبد من عباد الله الصالحين. ومن روائع التأملات ودقائق الاستنباطات، ما حكاه تاج الدين السبكي عن والده علي بن عبد الكافي من أنه سمعه يقول: لكل مسلم عندي وعند كل مسلم حق في أداء هذه الصلوات الخمس، ومتى فرط مسلم في صلاة واحدة، كان قد اعتدى على كل مسلم، وأخذ له حقا من حقوقه.. لأن المصلي يقول: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)، والنبي ﷺ يقول: «إن المصلي إذا قال هذا، أصاب كل عبد صالح في السماء والأرض»(١٨).

ومن هذا الباب صلاة الجنازة، التي هي في جوهرها ومقصدها الأول دعاء للميت. غير أن الدعاء المسنون لهذه الصلاة - التي تخيم عليها الرهبة والخشوع - لم يقتصر على الدعاء للميت وحده، وإنما امتد ليشمل كل مسلم، على غرار دعاء التشهد: (اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان)(١٩).

- وترغيبا في استحضار المؤمن لإخوانه، وتشجيعا على ذكرهم، وتجديد عهدهم، والدعاء لهم، جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «من دعا لأخيه بظهر الغيب، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل»(٢٠).

الحث على العمل

كثير من الناس يتصورون أن الدعاء يقوم مقام العمل ويغني عنه. وهذا اعتقاد فاسد لا أصل له في الشرع. أما التعبد الصحيح بالدعاء، فهو الذي يكون مسبوقا بالعمل، ومصحوبا بالعمل، وملحوقا بالعمل. والتعبد الصحيح بالدعاء هو الذي يعتبر الدعاء شكلا من أشكال العمل، وضربا من ضروب التسبب، مثلما يعتبر العمل والتسبب ضربا من ضروب الدعاء لله تعالى. فنحن حين نتخذ الأسباب إنما ندعو الله الفاعل الحقيقي أن يستجيب لما قصدناه وابتغيناه بتلك الأسباب، وبذلك السعي. فلا يصح تعطيل العمل بالدعاء كما لا يصح تعطيل الدعاء بالعمل، فلا يغني أحدهما عن الآخر،

الوظيفة التربوية للدعاء

والنموذج التفصيلي الأرفع والأتم هو رسول الله ﷺ بكل سيرته وسنته وحالته. وهذه لقطة من ذلك:

بعدما أمعنت قريش في العناد ورفض الهدى الذي دعاها إليه رسول الله ﷺ، وأمعنت في حربه، والكيد له، والتأليب ضده، خرج ﷺ مشيا على قدميه إلى الطائف، وكان ذلك في صيف السنة العاشرة من البعثة المحمدية. وفي الطائف، كما في الطريق إليها دعا رسول الله ﷺ إلى ما بعثه الله به واجتهد وجاهد في سبيل ذلك. ومكث في الطائف عشرة أيام، يتصل ويدعو ويشرح، وهو لا يلقى في ذلك إلا أسوأ مما تركه في قريش. فلما قفل راجعا بعد معاناة شديدة قاسية، توجه إلى ربه بهذا الدعاء العظيم: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك. لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك».

فهو ﷺ إنما لجأ إلى هذا الدعاء بعد عشرة أيام من الكدح والبذل والمعاناة. وهو يعرب عن ضعفه وقلة حيلته بعد أن أبلى بلاء الأقوياء، ودبّر تدبير الحكماء. وهو يفوض كامل الحول والقوة إلى الله، بعد أن بذل كل ما في حوله واستطاعته، وبعد تصميمه على المضي في ذلك.

وشبيه بهذا الموقف ما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يُقسِّم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»(٢١). فهو يبذل جهده ويستنفد قدرته فيما يستطيعه، ثم يدعو الله أن يعفو عنه، فيما لم تبلغه طاقته.

وفي قصة الثلاثة أصحاب الغار - وهي في الصحيحين - ما يشير إلى ضرورة الجمع بين الدعاء والعمل الصالح والتوسل بهما مقترنين. فقد جاء في أول هذه القصة عن رسول الله ﷺ قال: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيت، إلى غار، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار. فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم..».

وحين شرع الإسلام للناس صلاة الاستسقاء - التي هي دعاء لله أن ينزل غيثه ورحمته عند الجدب وانحباس المطر - شرع لهم هذا الدعاء المخصوص، سنّ لهم قبله ومعه أعمالاً: في التوبة، والخروج، والتجمع، والصلاة، والوعظ، وإظهار الرغبة في إصلاح الحالة الفاسدة. فعند ذلك يحصل الاستسقاء المشروع وتحصل ثمرته المطلوبة، وليس هو ما يفعله الكسالى الغافلون، من الدعاء البارد المقترن بالخمول والقعود واللا مبالاة وبقاء ما كان على ما كان.

قال الشيخ المصلح الفقيه أبو بكر الطرطوشي - رحمه الله - وهو يتحدث عن آداب الدعاء: (ومن آدابه أن تقدِّم بين الدعاء عملاً صالحاً من صلاة أو صدقة ونحوها.. كما شرع لنا في الاستسقاء أن يؤمر الناس قبله بالصلاة والصيام والصدقة والأعمال الزاكية، ثم يخرجون للاستسقاء، وهذه سيرة السلف الصالح. قال عبد الله بن عمر: إذا أردت أن تدعو فقدم صدقة، أو صلاة، أو خيرا، ثم ادع بما شئت)(٢٢).

وقد استدل الطرطوشي في موضع آخر بقوله سبحانه: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠]. قال: (دلت الآية بظاهرها أنه إذا لم يقترن بالدعاء عمل، لم يستجب)(٢٥).

ومن خلال الدعاء وآدابه، يعلمنا النبي ﷺ المثابرة والإلحاح في العمل، وفي الحرص على ما نريد، وعدم الاستعجال المفضي إلى التخلي واليأس. ففي حديث الصحيحين: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت ربي فلم يستجب لي». وفي رواية لمسلم يقول: «قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء».

فإذا كان بعض الناس لا يصبرون على العمل ومتطلباته وسننه، ويلجأون إلى الدعاء تاركين العمل ومتاعبه، وبطء نتائجه، فإن النبي ﷺ يعلمهم أن الدعاء نفسه يتطلب الصبر والمصابرة والتأني في الأمور، وعدم الضجر واليأس والانصراف، وأن الله تعالى لا يستجيب للقلقين العجلين، سواء في أدعيتهم أو في أعمالهم□

الهوامش:

١) رواه أبو داود والترمذي، وقالا حديث حسن صحيح.

٢) سورة الأعراف: ٥٥.

٣) رواه البخاري في الدعوات، وكذلك الترمذي، والنسائي في السنن، وفي عمل اليوم والليلة.

٤) رواه الترمذي، وقال حديث حسن.

٥) رواه الترمذي والنسائي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

٦) رواه مسلم وأبو داود، والنسائي في عمل اليوم والليلة.

٧) سورة النمل: ٦٢.

٨) سورة البقرة: ٢٠١.

٩) رواه مسلم.

١٠) رواه مسلم.

١١) الدعاء المأثور وآدابه ١٣٢.

١٢) سبق تخريجه برقم ٣.

١٣) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة، وانظر تخريجات محققة، د.فاروق حمادة، ص١٨٧.

١٤) رواه مسلم.

١٥) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن.

١٦) رواه مسلم.

١٧) الدعاء المأثور للطرطوشي: ١٢٥و١٢٦.

١٨) متفق عليه.

١٩) متفق عليه.

٢٠) معيد النعم ومبيد النقم: ١٤٩ و١٥٠.

٢١) رواه الترمذي وأبو داود. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

٢٢) رواه مسلم.

٢٣) قال في نيل الأوطار: رواه الخمسة إلا أحمد.

٢٤) الدعاء المأثور: ٥٩.

٢٥) نفسه: ١٢٢.

طفلة سراييفو

شعر:
عبد الله القولي

قد كنت أحيا ذات يوم في سلام ... أمي معي وأبي على أحلى وئام
مع أسرتي كانت سعادتنا منى ... تغشي القلوب وظلها مثل الغمام
مع إخوتي ألهو وأمرح كيفما ... تهوى الطفولة مثلما يهفو مرامي
نمضي الحياة هنيئة أيامها ... وطفولتي تاج المحبة والسلام
جيراننا كانوا أناسا حولنا ... عشنا جميعا في أمان واحترام
في ديننا الإسلام إحسان لجار ... ومحبة وجميل أفعال الكرام
إنا سمونا عن أذى دينا وطبعاً ... بل لم نفكر أي وقت في خصام
ما بالهم في لحظة صاروا وحوشا ... هدموا المنازل فوق هامات النيام؟
بل أحرقوها والصغار بجوفها ... ناموا على حلم الطفولة في هيام
قد أحرقوها والعجائز مادروا ... عن بطش غدر كل حين من لئام
يا ويحهم جيراننا إذ أجرموا ... دكوا البيوت بكل أنواع الحمام
هدموا المساجد فوق هامات الورى ... فإذا الأذان مضى إلى الأسماع دام
رباه قد ذبحوا أبي في حضرتي ... ذبح الخراف فمن لنا إلاك حام؟
أمي وقد هتك الكواسر عرضها ... فهي الذبيحة قد غدت مثل الحطام
وأخي ترى ألقاه يوما بعدما ... أخذوه في بطش إلى الموت الزؤام
قد صرت أخشى إن دنا أحد إلينا ... أن استباحوا، فأين أبطال تحامي؟
رباه إن (الصرب) قد بطشوا بنا ... فجروا! فمن يا رب يمسك بالزمام؟
من ينقذ الأعراض والأرواح؟ من ... يسعى لإنقاذي من الكرب العظام؟
من يرفع التضييق عن بلدي ... يغيث الناس يأذن بالسلاح وبالطعام؟
رباه كم شكوى من الأطفال، كم ... جرح لدى قومي وكم مقل دوام
كم أدمع هزت صخور الأرض لكن ... لم تجد عطفا لدى سمع الطغام
باسم الطفولة عالم الإنسان أوقف ... سيل الدماء فأنت في وضع اتهام
فإلامَ تسكت عن وحوش أثخنت ... وطني؟ إلام الصبر عن بطش اللئام؟
باسم الطفولة عالم الإنسان عجل ... أنقذ صغارا من رحى الموت الزؤام
ربي إليك المشتكي دوما فمن ... إلاك رحمن؟ ومن إلاك حام؟
ربي أغثنا يا قدير فحالنا ... يبكي الصخور دما، فتصرخ من ملام
ربي أغثنا أنقذ الأطفال من ... وحش الدمار وقد تشفى بالحطام
ربي إليك المشتكى ولأنت حسبي ... من خطوب أفزعت حتى منامي
فاجب دعائي واكشف البلوى إلهي ... حمدي إليك أبثه حتى الختام

الاستشراق.. وتراثنا الفقهي

بقلم: أ.د. محمد الدسوقي

تراثنا الفقهي ثروة علمية تعتز بها الحضارة الاسلامية كل الاعتزاز، إنها ثروة رائعة لم تعرف البشرية نظيراً لها في تاريخها الطويل، وهذه الثروة ثمرة جهود عظيمة لأجيال متتابعة من العلماء والمجتهدين، وهؤلاء على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم الفقهية كانوا في اجتهادهم يعتمدون على المصادر الأساسية للشريعة الغراء، وليس لهم إلا دقة الفهم وانسانية النظرة، ومحاولة الاحاطة بكل القضايا والمشكلات التي تحتاج إلى معرفة حكم الدين فيها، حتى يكون الناس على بينة وهدى فيما يأتون من التصرفات وما يدعون.

الأصالة

وهذا التراث من ناحية أخرى أصيل في نشأته، أصيل في نظرياته وقواعده، فلم يكن له من رافد سوى مصادره الأساسية، وما يتمتع به الفقهاء من فهم ثاقب، وإدراك واع لمقاصد الشريعة، وأن الأحكام التكليفية لاحرج فيها، وأن طابع اليسر غالب عليها، ومن ثم كان للبيئة والعرف تأثير في بعض الأحكام من حيث الصحة وعدمها.

مستشرقون ومستشرقون

وهذه الحقيقة العلمية حول تراثنا الفقهي ومكانته وأثره في الفكر الانساني وقف منها المستشرقون موقفا لا يعرف الموضوعية العلمية، صحيح أن منهم من أثنى على هذا التراث واعتبره أعظم جهد علمي عرفته الانسانية، وأن المسلمين خليقون بأن يفخروا به، يقول بعض المستشرقين: (إن البشرية لتفخر بهذا التشريع وإننا سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي عام) ويقول مستشرق آخر: (إن فقهكم الاسلامي واسع جدا إلى درجة أنني أعجب كلما فكرت في أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لبلادكم وزمانكم) (١).

ولكن هذه الأصوات التي ترتفع بالثناء والتمجيد تنظر إلى هذا التراث على أنه مجرد فكر إنساني ، لأنها لا تؤمن بمصدره الالهي، ولا يمكن أن نتوقع منها سوى هذا، لأن إنكار نبوة محمد ﷺ ينسحب على انكار كل تراث علمي استهدى القرآن، وقام على خدمته، والتزم بمبادئه وقواعده، ومع ذلك تعد هذه الأصوات – على قلتها – شهادة إكبار لتراثنا الفقهي نبهت بعض الغافلين منا إلى أهميته ووجوب التعويل عليه في اتخاذ التشريعات والقوانين.

مهما امتدح بعض المستشرقين الاسلام فإن إنكار نبوة محمد ﷺ يهدم كل ما قالوا

إن جمهور المستشرقين لا يعترف بقيمة علمية للفقه الاسلامي، ويحاول نفي كل جديد جاء به الفقهاء المسلمون، ويعزو ذلك إلى مصادر غير إسلامية، وفي مقدمتها القانون الروماني.

إن الذين درسوا تاريخ الفقه الاسلامي من المستشرقين يرون بوجه عام أن هذا الفقه اعتمد على القانون الروماني (٢)، بل إن منهم من غلا غلوا كبيرا وزعم أن الشرع المحمدي – على حد تعبيره – ليس إلا القانون الروماني للامبرطورية الشرقية معدلا وفق الأحوال السياسية للبلاد العربية. فهذا رأي لا يصدر عن عالم يعرف شيئا من التاريخ، أو يملك قدرا محدودا من البصر والفهم للعقلية العربية الاسلامية، أو إدراك لما أحدثه القرآن والسنة النبوية في التشريع الاسلامي في مختلف النواحي.

وجملة الأدلة التي يأخذ بها هؤلاء المستشرقون في دعواهم تقوم على ما أراده من الشبه بين بعض أحكام الفقه الاسلامي والقانون الروماني، ثم إلى ما يحدثه بلا ريب التقاء الحضارات والعادات والأعراف القانونية من تأثير متبادل.

هل وجود التشابه بين تشريع وآخر دليل كاف على أن هذا أخذ من ذلك؟

وجود التشابه وحده لا يكفي

ولكن هل هذا التشابه – إذا كان موجودا – يدل على التأثر، أو يدل على أن الفقه الاسلامي ليس إلا القانون الروماني مع شيء من التعديل في بعض القضايا والمسائل؟

إن الاجابة عن هذا هي النفي بلا ريب فإن الوضع الصحيح الذي يقرره علم الاجتماع، ويؤيده الواقع فعلا أنه إذا التقت حضارتان لأمة غالبة وأمة مغلوبة كان التقليد - حين يوجد ويكون - من الأمة ذات الحضارة المغلوبة، لأن المغلوب مولع بتقليد الغالب كما يقرر ابن خلدون.

ثم إن التشابه في بعض الأحكام القانونية أو في غير ذلك من نواحي الفكر المختلفة أمر طبيعي بين الأمم جميعا، لا فرق بين العرب أو الرومان أو غيرهم، وبذلك لانستطيع لمجرد هذا التشابه الحكم بأن هذه الأمة هي التي أخذت عن تلك وليس العكس، بل قد يكون مرجعه إلى ما هو معروف من أن العقل الانساني السليم يتشابه في كثير من ألوان التفكير ونتائجه دون حاجة إلى تفسير هذه الظاهرة بالأخذ والتقليد.

ثم هل عرف المسلمون القانون الروماني كما عرفوا فلسفة اليونان؟ لقد نقل المسلمون هذه الفلسفة وافادوا منها، وهم يعترفون بذلك، بيد أنهم في الفقه والتشريع لم يجدوا حاجة مطلقا للأخذ عن غيرهم، فلديهم من كتاب الله وسنة رسوله، وتراث الصحابة والتابعين ما يغنيهم عن الاستعانة بسواهم في هذا، ولو كان الأمر على غير ذلك لحفظ لنا التاريخ كتابا واحداً أو رسالة واحدة نقلوها إلى اللغة العربية من قانون الرومان، أو لرأينا ولو مصطلحا واحدا من مصطلحات هذا القانون في كتب الفقه وما أكثرها.

وهذا ابن النديم (ت٤٣٨هـ) في كتابة (الفهرست) ذكر لنا أسماء الأشخاص الذين قاموا بحركة الترجمة والمؤلفات التي ترجموها، ولكنه لم يذكر لنا اسم كتاب واحد وضع في القانون وترجم الى العربية (٣).

هل تأثر القانون الروماني بالفقه الاسلامي؟

على أن هناك رأيا يذهب إلى أن القانون الروماني هو الذي تأثر بالفقه الاسلامي، لأن القوانين الأوربية مستمدة من ذلك القانون، وعلى الرغم من تطويرها عبر التاريخ مازالت روح القانون الروماني تسري في كل التشريعات الغربية حتى الآن. وقد أثر الفقه الاسلامي في هذه التشريعات منذ بداية عصر النهضة في أوربا وحتى العصر الحاضر، بل إن هناك بعض النظريات الفقهية الاسلامية كنظرية التعسف في استعمال الحق، ونظرية النيابة عن الغير أخذتها القوانين الأوربية عن الفقه الاسلامي، وإن أنكر الفقهاء الأوروبيون ذلك.

بين الفقه المالكي والقانون الفرنسي

ويلاحظ من يدرس الفقه المالكي والقانون المدني الفرنسي أن بينهما تشابها واضحا في كثير من القضايا، وهذا يعني أن هذا القانون انتفع بذلك الفقه أوتأثر به، فقد كان الفقه المالكي يسود المجتمع الاسلامي في الأندلس وشمال افريقيا وجزر البحر المتوسط، وقد أثر في القانون الفرنسي عن طريق الدراسة العلمية بالأندلس وغيرها، وأيضا عن طريق ترجمة بعض مؤلفات ذلك الفقه إلى الفرنسية (٤).

لا حاجة لنا في مجال الفقه والتشريع إلى الأخذ من غيرنا

الفقه الاسلامي اعتمد على القانون الروماني، دعوى باطلة

الفقه الاسلامي لم يتأثر بالقانون الروماني

ومما يدل على نفي تأثر الفقه الاسلامي بالقانون الروماني وجود نظم في هذا القانون لا يعرفها ذلك الفقه مثل التبني لولد معروف نسبه، والوصاية على المرأة بصورة دائمة بحيث لا يمكنها التصرف إلا بإجازة صاحب الوصاية عليها أبا كان أو زوجا، (٥) وكذلك وجود نظم في الفقه الاسلامي لا يعرفها القانون الروماني مثل: الوقف والشفعة وموانع الزواج بسبب الرضاع، وجواز حوالة الدّين.

وفضلا عن ذلك لا يقيم القانون الروماني علاقة بين القاعدة القانونية، والقاعدة الأخلاقية، بخلاف الفقه الاسلامي فإنه يرفض الفصل بين هذه القاعدة وتلك، ويقيم بينهما علاقة حميمة.. والفقه إلى هذا يسوي بين الناس كافة أمام التشريع، على حين يفرق القانون بين الناس فليسوا كلهم أمام التشريع سواء...

فقهاؤنا الأفاضل

وقد حاول المستشرقون - في إثبات ما ذهبوا إليه من نفي أصالة الفقه الاسلامي إن في مصدره وقواعده، أو في تدوينه وتبويبه - التركيز على ثلاثة من إعلام الفقهاء، بقصد تشويه الجهد العظيم الذي قام به هؤلاء الفقهاء، وانهم كانوا عالة على غيرهم من اليونان والرومان.

الامام الاوزاعي

وأول هؤلاء الفقهاء هو الامام أبو عمرو عبد الرحمن بن محمد الاوزاعي الذي ولد في بعلبك سنة ٨٨هـ، ونشأ في البقاع، ثم أقام في بيروت وتوفي بها سنة ١٥٧هـ فقد ذهب بعض (٦) المستشرقين إلى أن هذا الامام درس الفقه البيزنطي في مدرسة بيروت القانونية، وظن هؤلاء المستشرقون أن حياة الأوزاعي في بيروت تعضد زعمهم، وتجعل رأيهم مقبولا. ولكن ما يدعيه المستشرقون من تأثر الامام الأوزاعي غير مسلم به، لأن مدرسة بيروت القانونية لم يكن

الاستشراق وتراثنا المعاصر

لها وجود في القرن الثاني، فقد دمرت قبل الفتح الاسلامي لبيروت بنحو قرن، ومن ثم كانت بلاد الشام في حياة هذا الامام لا تعرف شيئا عن القانون الروماني، وكان الاسلام بتعاليمه قد صبغ المجتمع في تلك البلاد صبغة جديدة تباين كل المباينة صبغته في ظل الحكم البيزنطي.

هذا من جهة ومن جهة أخرى يلاحظ من ينظر في فقه الأوزاعي أن هذا الفقه مبتوت الصلة بكل فكر تشريعي لا يرتد إلى المصادر الاسلامية، وأن الرجل فيما صدر عنه من آراء كان يجنح إلى مدرسة المدينة أكثر من ميله إلى مدرسة الكوفة وإن عده ابن قتيبة في كتابه (المعارف) (٧) من فقهاء أهل الرأي.

الامام الشيباني

أما الامام الثاني الذي يرى المستشرقون أنه تأثر بمصادر غير اسلامية في مؤلفاته الفقهية فهو الامام محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩هـ – هذا الامام أول من دون الفقه الاسلامي على منهج علمي لم يُسْبَقْ به، كما أنه أول من كتب في العلاقات الدولية كتابة علمية شاملة، بحيث عُدّ في الأوساط الدولية في العصر الحاضر أول رائد في مجال التأليف في القانون الدولي، وأنشئت باسمه جمعيات متعددة في بعض بلدان أوربا وأمريكا تحمل اسم «جمعية أصدقاء الشيباني للقانون الدولي» (٨).

ماذا قال المستشرقون عن هذا الامام؟ لقد راعهم أن يكون الامام الشيباني بعبقريته الفذة، قد دوّن الفقه الاسلامي تدوينا علميا، وكتب في العلاقات الدولية كتابة دقيقة شاملة، فحاولوا أن يقللوا مما قام به من جهد علمي، وأن يثبتوا أنه لم يكن مجددا أو مبتكرا، وانما سار على الطريق الذي سلكه من قبله، واستفاد من تراث علمي غير اسلامي، فقد قالوا (٩) إنه في تبويبه وترتيبه للفقه تأثر بترتيب كتاب «المشنا» اليهودي، ومن ثم فهو مقلد وليس مجددا.

وكتاب «المشنا» يضم السنّة الموسوية، وقد قام بشرحه عدد من الأحبار وسمي الشرح «بالجيماره» ومن المشنا والجيمارة يتألف التلمود، وهو يعتبر مرجع اليهود في أحكام العبادات والمعاملات، وهذا التلمود لم يكن مكتوبا بلغة عربية، ولم ينقل إلى هذه اللغة إلا في أوائل القرن الرابع الهجري (١٠)، فكيف استطاع الامام الشيباني أن ينسج على منواله في ترتيب المواد الفقهية وقد عاش في القرن الثاني، ولم يكن يعرف لغة غير العربية حتى يمكن أن يقال إنه اطلع على التلمود في لغته الأصلية؟ إن دعوى تأثر الامام الشيباني بالمشنا لا أساس لها، لأنه لا يوجد دليل علمي عليها.

الإمام الشافعي

ثالث الفقهاء الذين كثر كلام المستشرقين عنهم هو الامام محمد بن ادريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤هـ وهذا الإمام يُعدّ أول من كتب في علم أصول الفقه كتابة متكاملة وصلت إلينا.

وهذا العالم يعتبر مفخرة الفكر الاسلامي، فهو يؤصّل لمنهج البحث الفقهي تأصيلا رائعا يشهد لعلماء المسلمين بأنهم كانوا الرواد لغيرهم في هذا المجال، «مجال الكتابة في المناهج».

لقد أكدت الدراسات العلمية المعاصرة أن أصول المنهج العلمي الحديث أصول اسلامية وليست أصولا يونانية (١١)، وأن بعض المؤلفات العلمية الاوربية في بداية عصر النهضة هي في الحقيقة ترجمة لمؤلفات اسلامية أو نقول منها، وإن حاول أصحاب هذه المؤلفات تجاهل فضل العلماء المسلمين، وزعموا أنهم فيما أتوا به من آراء ونظريات لم يعتمدوا على مصادر اسلامية(١٢).

ولأن الامام الشافعي كان أول من دوّن علم أصول الفقه ومن ثم كان الهجوم عليه، وكذلك الاتهام بأنه عرف المنطق اليوناني حين وضع رسالته في الأصول، وأنه درس القانون الروماني في مدرسة (١٣) بيروت، واستطاع بما عرفه عن ذلك المنطق وهذا القانون أن يكتب رسالته الأصولية وفق منهج علمي دقيق في التأليف، وهذا كله غير صحيح، فلم يعرف الشافعي المنطق اليوناني ولم يدرس في مدرسة بيروت، لأنها لم تكن موجودة في القرن الثاني كما أومأت إلى هذا آنفا.

إن الإمام الشافعي ولد في غزة، وعاش أيامه الأولى في البادية يدرس العربية وآدابها، ثم طلب العلم بعد ذلك على أئمة فقهاء عصره في الحجاز والعراق، وتولى بعض الأعمال في اليمن، ثم أقام في العراق، وكان له في هذا البلد مذهب فقهي عرف بالمذهب القديم، لأنه بعد أن ترك العراق ورحل إلى مصر أنشأ له مذهباً آخر سمي بالمذهب الجديد، وكان مرد الاختلاف بين المذهبين إلى ما اطلع عليه الشافعي في مصر من سنن وآثار، وكذلك إلى اختلاف الأعراف بين أرض الرافدين ووادي النيل، فكيف استطاع الشافعي أن يدرس الفقه البيزنطي كما يدعى المستشرقون؟

إن تاريخ الإمام الشافعي لا يتحدث عن اقامته في بيروت أو سفره اليها، وكتابته في علم الأصول لم تكن لها روافد دخيلة. لقد استقى مادة ما كتبه في هذا العلم من الكتاب (١٤) والسنة وفقه الصحابة

أول من دون الفقه الاسلامي على منهج علمي غير مسبوق الامام محمد بن الحسن الشيباني

الامام الأوزاعي فقيه يجنح إلى مدرسة المدينة أكثر من ميله إلى مدرسة الكوفة

والتابعين، ولأن الرجل وهبه الله عقلية علمية طيبة وقدرة فائقة على الربط بين الجزئيات واستنباط القواعد العامة لها، استطاع أن يخط الرسالة التي قال فيها الامام الحافظ عبد الرحمن بن مهدي (ت١٩٨هـ) لما نظرت الرسالة للشافعي أذهلتني، لأنني رأيت كلام رجل عاقل فصيح ناصح فإني لأكثرُ الدعاء له (١٥).

وقال عنها الإمام المزني صاحب الشافعي (ت٢٦٤هـ) قرأت كتاب الرسالة للشافعي خمسمائة مرة ما من مرة منها الا واستفدت فائدة جديدة لم أستفدها من قبل في الأخرى (١٦).

انسب الفضل لأهله

إن الاستشراق وهو يدّعي الموضوعية والدقة العلمية لا يريد أن ينسب الفضل لأهله، ولا يريد أن يعترف أن العالم كله قبل الاسلام لم يعرف فكرا أصوليا للقوانين والتشريعات وأن فقهاء المسلمين كانوا الرواد في مجال تأصيل مناهج البحث العلمي، وأن علماء القانون مع تعمقهم في البحث ووضع النظريات القانونية لم يبلغوا ما بلغ إليه فقهاء الاسلام من الاستيعاب والعمق (١٧)، ولهذا كان موقف المستشرقين من تراثنا الفقهي وأعلامه المجددين، وهو موقف يتلمس الشبهات، ويتكيء على الأوهام والظنون، ولكن هيهات لهذا الموقف أن يحجب الحقيقة، وإن أثار حولها بعض الغبار.

غاية الاستشراق سياسية - تبشيرية

وإذا كانت آراء الاستشراق في تراثنا الفقهي وغيره على هذا النحو من التحامل وتصيد المثالب، وتجاهل الموضوعية والأمانة العلمية فإن الظرف الزمني الذي ظهرت فيه مزاعم المستشرقين حول تأثر الفقه الاسلامي بمصادر دخيلة، تؤكد بأنه كان يسعى من وراء مزاعمه لغاية سياسية تبشيرية وليس لغاية علمية.

إن دعوى تأثر الفقه الاسلامي بالقانون الروماني أو غيره بدأت منذ القرن الماضي ورددتها المجامع والدوريات من الاستشراقية، وذلك لأن الغرب قد احتل أجزاء من العالم الاسلامي، ويخطط لاحتلال سائر أجزائه، وما كان هدفه من هذا الاحتلال سيطرة سياسية أو اقتصادية فحسب، وانما كان هدفه الأول القضاء على مقومات الشخصية الاسلامية بإبعادها شيئا فشيئا عن قيمها وتراثها، وفي مقدمة هذا، التشريعات والقوانين التي تحكم حياتها، ولأن الاستشراق يخضع في نشاطه لتخطيط علمي مدروس يدرك أن المسلمين مهما يبلغ بهم التخلف الحضاري لا يرضون بغير تشريعات دينهم واجتهادات فقهائهم، وإن لم يلتزموا بهذه الاجتهادات وتلك التشريعات التزاماً كاملا، فلا سبيل إلى إبعادهم عن هذه التشريعات، وإحلال غيرها محلها إلا إذا توصل إلى ذلك بمحاولة اقناع المسلمين بأن تشريعاتهم كانت تستجيب للتأثيرات الغربية وأن الثراث الفقهي ليس كله من صنع الفقهاء المسلمين، فقد أخذوا عن القانون الروماني، وهو مصدر القوانين التي يريد المحتل تطبيقها في المجتمعات الاسلامية.

إن الاستشرق على حد تعبير بعض المستشرقين يريد أسلمة القوانين الغربية، (١٨) يريد أن يقول للمسلمين إن هذه القوانين ليست غربية عليهم فهي مصدر فقههم ولا ضير عليهم دينيا إن هم أحلوا تلك القوانين المتطورة محل الفقه الاسلامي الذي لم يعد صالحا للحياة العصرية؟ فالغاية من إثارة موضوع العلاقة بين الفقه الاسلامي والقانون الروماني سياسية تبشيرية وليست علمية على الاطلاق. وجملة القول إن الفقه الاسلامي أصيل في مصادره، أصيل في منهج تدوينه، أصيل في أقسامه ومصطلحاته وقواعده ونظرياته، وكل دعوى تحاول أن تنفي عن هذا الفقه أصالته، وتفرده بخصائصه، لا يدافع عنها دليل علمي مقبول ،هي دعوى لا وزن لها في معيار الحق والصدق، والبحث العلمي الأصيل. وهكذا كانت كل دعاوى المستشرقين عن الفقه الاسلامي. دعاوي لا وزن لها، لأنها لا تنهض على دليل علميّ، وإنما تقوم على التعسف في إثبات أن الظنون والأوهام حقائق تاريخية لا مراء فيها، كما تقوم على سياسة الغزو الفكري وليس على مبادىء وأصول البحث العلمي، ومن ثم لم تصمد تلك الدعاوى أمام صوت الحق، وبدأ خط السقوط البياني لها في الانحدار: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ [الرعد:١٧]□

(جمعية أصدقاء الشيباني للقانون الدولي) موجودة في أكثر من بلد أوروبي وأمريكي

الامام الشافعي أول من كتب في أصول الفقه كتابة متكاملة

الهوامش:

١) انظر: المدخل للفقه الاسلامي، للاستاذ محمد سلام مدكور، ص٣٨، ط القاهرة.
٢) انظر: العقيدة والشريعة في الاسلام، لجولد تسهير، ترجمة: د. محمد يوسف موسى وآخرون.
٣) التشريع الاسلامي وأثره في التشريع الغربي، للدكتور محمد يوسف، ص١٠٩، ط القاهرة.
٤) انظر المقارنات التشريعية، للاستاذ حسين عبد الله. وانظر: دفاع عن الشريعة، للاستاذ علال الفاسي.
٥) انظر: فلسفة التشريع الاسلامي، للاستاذ صبحي المحمصاني، ص٢٨٥، ط بيروت.
٦) انظر: بين الشريعة الاسلامية والقانون، للدكتور صوفي أبو طالب، ص٥٢، ط القاهرة.
٧) ص٧١، ط قطر.
٨) انظر: الامام محمد بن الحسن الشيباني وأثره في الفق ه الاسلامي، للكاتب، ص٣٤٣، ط قطر.
٩) انظر: المصدر السابق، ص١٨٦.
١٠) انظر: د. صوفي أبو طالب، المرجع السابق، ص٧٦.
١١) انظر: دراسات في الفلسفة الاسلامية، للدكتور محمود قاسم، ص٢٦، وانظر: في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق، للدكتور ابراهيم مدكور، جـ١، ص٢٥، ط القاهرة.
١٢) انظر: محاضرات في تاريخ العلوم عند العرب، للدكتور فؤاد سزكين، ص٨١، ط الرياض.
١٣) انظر: دكتور صوفي أبو طالب، المرجع السابق، ص١٥٢.
١٤) انظر: الشافعي ناصر السنة وواضع علم الأصول، للاستاذ عبد الحليم الجندي.
١٥) انظر: الرسالة، بتحقيق الشيخ أحمد شاكر، ص٤، ط القاهرة.
١٦) المصدر السابق.
١٧) انظر: مجلة المحاماة الشرعية، السنة الأولى، العدد الثالث، ص١٧٢، القاهرة.
١٨) انظر: هل للقانون الروماني تأثير على الفقه الاسلامي؟ مجموعة أبحاث لبعض المستشرقين والعلماء المسلمين، ص١٢٠، ط بيروت.

■ اهتم الاسلام بالأخلاق الفاضلة وجعلها من المبادىء الضروريـــة لقيـــام مجتمع سليم

خصائص الأخلاق في الإسلام وغاياتها

بقلم: عبدالعظيم سيد الطنطاوي

الأخلاق الفاضلة من المبادىء الضرورية لقيام مجتمع، ويرى فلاسفة الأخلاق أن الإنسان عرف القيم الأخلاقية من واقع الحس والفطرة والجبلة قبل معرفته للديانات السماوية وإدراكه لقيمها ومبادئها، ولهذا لم تتميز بالأخلاق أمة من الأمم دون أمة ولا عصر من العصور دون آخر، ويرى البعض أن معرفة الأمم بالأخلاق هي المقدمة الأولى لاعتقادها في قيم السماء وتعاليمها، فجاءت الديانات لتكون الهيكل الأساسي للأخلاق التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان والتي تكفل الخير للجميع لا لفئة منهم فقط، وجاء الدين الإسلامي فاتخذ من الخلق الفاضل نبراسا لهداية وتهذيب النفس البشرية.

الأخلاق الإسلامية والتطبيق العملي

ومن أجل هذا اهتمت التربية الخلقية في الإسلام بالتطبيق العملي لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، فكان الفعل مواكبا للقول، ولم يكن الدين ترديداً لعبارات جوفاء وشعارات براقة، ولهذا عاب القرآن الكريم على البعض أن تكون أخلاقهم مجرد كلمات تقال، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾ [الصف:٢و٣].

تعريف الأخلاق

الأخلاق جمع خُلُق بضم اللام وسكونها: وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، وتخلق بخلق كذا: أي استعمله من غير أن يكون مخلوقا في فطرته، وفي حديث عمر: من تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله، أي تكلف أن يظهر للناس من خلقه خلاف ماينطوي عليه(١).

ويطلق الخلق على الصفة التي تقوم بالنفس على سبيل الرسوخ ويستحق الموصوف بها المدح أو الذم، فهو عادة مقصودة أو عزيمة مكررة معتادة مختارة توجه إلي الخير أو الشر. فإذا كانت العادة عفوية غير مقصودة أو تحت إلحاح فلا تسمى خلقا، فمن اضطر – تحت إلحاح السائل – أن ينفق شيئا من ماله لا يمكن أن يقال أنه يتمتع بخلق (الجود) أو (الكرم)(٢).

ويخلص الإمام الغزالي إلى أن الخلق هو هيئة في النفس راسخة تصدر الأفعال عنها بسهولة ويسر من غير حاجة إلي فكر وروية(٣).

ترسيخ الأخلاق الفاضلة في النفوس

قلنا إن الأخلاق موجودة في كل المجتمعات، ولكن بعض هذه الأخلاق قد تكون في حاجة إلى تقويم أو تغيير، وهذا مافعله الإسلام، فقد نجح في تحويل خلق الجاهلية وحكمها إلى خلق الإسلام وشريعته، ومن هنا مرت التربية الخلقية في الإسلام بمراحل ثلاث هي(٤):

١) مرحلة المعرفة النظرية بوصف الخلق ومعناه:

كما في قوله تعالى في وصف الفاسقين: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾ [البقرة:٢٧]. وكما يقول تعالى في وصف أولي الألباب: ﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبي الدار﴾ [الرعد:٢٠-٢٢]، فهذه الآيات لم تنفر من خلق معين يجب أن نتركه أو دعت إلى خلق معين يجب أن نتمسك به، ولكن الآية الأولى اكتفت بذكر أن الأخلاق السيئة هي من صفات الفاسقين، وذكرت الآيات الأخرى بعض صفات أولى العقول الرشيدة.

٢) مرحلة التنديد بالسلوك السيء والعادات الرذيلة والتمييز بين الحلال والحرام وجزاء كل منهما:

كما في قوله تعالى: ﴿لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ [آل عمران:١٨٨]، وكما في قوله تعالى: ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا﴾ [النساء:٨٥].

٣) مرحلة الفعل والإرادة بتنفيذ الأوامر

والنواهي:

وهي مرحلة الإقدام على السلوك الفاضل والإحجام عن السلوك الرذيل، ومنها قوله تعالى: ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم. يا أيها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الأخر﴾ [البقرة:٢٦٣-٢٦٤].

خصائص الأخلاق الإسلامية

تنفرد الأخلاق الإسلامية بأن الدين منبعها وبأن التقوى محورها، وتتميز بخصائص تفوقت بها على المذاهب الأخلاقية الوضعية، ومن هذه الخصائص:

أ - الخيرية المطلقة:

فإذا كان هناك من المذاهب الأخلاقية مايسعى إلى خير البشرية، فإنها لم تتخلص من إيثار فريق من الناس على آخر أو من الاستجابة لنوازع الأهواء، لكن الإسلام كفل الخير للجميع، فقد شرع الأخلاق التي تحقق الخير المحض للفرد وللناس جميعا في كل البيئات والحالات. فأمر بالفضيلة ورغب فيها لأنها خير يجب أن يفعل، ونهى عن الرذيلة وبغضها إلى الناس لأنها شر يجب أن يترك(٥).

ب - تطابق الظاهر والباطن:

فالخلق الإسلامي يرفض مبدأ المصانعة والتكلف وأن يعطي الإنسان من طرف اللسان حلاوة ومن صفحة الوجه بشاشة على حين يحمل الفؤاد مقتا وحقدا وخبثا وكيدا، ومن هنا كان المنافق - في التصور الإسلامي - أحط مرتبة من الكافر، فالكافر صادق مع نفسه فيما يؤمن به وإن كان مسؤولا عن كفره، أما المنافق فيظهر خلاف مايبطن، إنه يخون نفسه ويخدعها.

ولأن الأخلاق في الإسلام حديث صادق عن يقين صادق، كانت آية من آيات شجاعة المؤمن في الحق وسمة من سماته في العزة والإباء ودليلا على أنه لا يخشى فيما يؤمن به لومة لائم. ومن ثم لا يقيم للمعايير البشرية الفاسدة وزنا، بل هو حرب عليها يتصدى لها كي يسود طابع الخير المجتمع الإنساني(٦).

وإذا كان الإسلام يطالب بتطابق الظاهر والباطن، فإن المذاهب الأخلاقية لا تطالب بذلك، فقد كانت السرقة مباحة في أسبرطة

■الخلق الإسلامي يرفض مبدأ المصانعة والتكلف، كما يرفض ذا الوجهين واللسانين

لتدريب الشباب على الحيلة والخداع في الحرب، على شريطة ألا يراهم أحد أو يعلم بأمرهم، فكانوا يدخلون الحدائق على حين غفلة من أهلها، فإن غفلت عنهم العيون أكلوا وكان عاقبة أمرهم خيرا، وإن تنبه للسارق أحد وقبضت عليه الأيدي فياللفضيحة والعار، فإنه يشهر أمره ويسلم إلى مروض الأطفال فيضربه بالسوط ويحرمه الطعام، لا لأنه سرق بل لأنه لم يأخذ حذره(٧).

ج - اليسر والصلاحية العامة(٨):

تمتاز الأخلاق الإسلامية بيسرها وسماحتها وصلاحيتها العامة، فليس فيها إرهاق ولا عنت، وتكفل الخير للجميع في كل زمان ومكان.

لقد سن الإسلام أخلاقا فاضلة تستريح إليها النفوس النقية، وفي هذا يقول تعالى: ﴿يريد الله بكم اليُسر ولا يُريد بكُمُ العُسر﴾ [البقرة:١٨٥] ويقول: ﴿لا يُكلِّف اللهُ نفساً إلا وُسْعَها﴾ [البقرة:٢٨٦].

د - الثبات:

الأخلاق الإسلامية نابعة من صميم الدين والعقيدة وتتسم بالثبات والدوام والاستقرار، على النقيض من ذلك نجد الأخلاق في المذاهب الوضعية فيها مافيها من الاضطراب والتقلب وقصور الصلاحية، لأنها تمثل نفسية واضعيها وهم بشر لا يستطيعون أين يضعوا دستورا أخلاقيا ثابتا لا تبدله الأحوال ولا تداخله الأهواء(٩). وكثير من القيم الوضعية يحكمها الناس ويشكلونها على الصورة التي يختارونها، يفرضها الأقوياء إذا رأوا أنها تحقق مصالحهم وما أسهل أن يغيروها ويبدلوها تبعا لأهوائهم(١٠).

غاية الفرد والمجتمع مع الأخلاق الإسلامية

إن غاية ذي الخلق الفاضل من هذا الخلق السعادة التي يشعر بها وينعم عند ممارسته له، وهذا ما أراده الإمام الغزالي بقوله: (وغاية هذا الخلق أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا، فالسخي يستلذ بذل المال الذي يبذله، دون الذي يبذله عن كراهة والمتواضع يستلذ التواضع)(١١).

والغرض من الأخلاق الإسلامية تكوين مواطنين صالحين أقوياء العزيمة مهذبين في أقوالهم وأفعالهم، نبلاء في تصرفاتهم، يراعون الله في سلوكهم الظاهر والباطن، وبذلك يتكون المجتمع الفاضل الذي تسوده مجموعة من العلاقات الإنسانية، القائمة على دعائم العدل والحق والرحمة ومجموعة من القيم الروحية التي تساعد الفرد على التوافق الفردي والاجتماعي(١٢). لذا كانت التربية الخلقية هي الهدف الأساسي في الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». [رواه البخاري].

الرسول ﷺ المثل الأعلى في الأخلاق

عندما نتحدث عن الأخلاق الإسلامية لابد أن نذكر القدوة والمثل الأعلى فيها وهو رسول الله ﷺ، ولكن كيف نوفيه حقه بعد أن قال عنه ربه: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم:٤]، وبعد أن قال عن نفسه: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وبعد أن تحدثت عنه أم المؤمنين عائشة. رضي الله عنها - حينما سئلت عن خلقه - فقالت: «كان خلقه القرآن». [رواه أحمد وأبوداود]، يعني أنه ﷺ يتأدب بآداب القرآن، فيفعل بأوامره ويتجنب نواهيه، فصار العمل بالقرآن له خلقا كالجِبِلّة والطبيعة(١٣)، وكما تنساب آيات القرآن فقد أنسابت أخلاق رسول الله ﷺ، فكان مثالا للخلق الفاضل في كل مايأتي وفي كل مايدع. ومن أخلاقه ﷺ:

١ - جوده وسخاؤه ﷺ:

كان ﷺ يعجل بالإحسان والصدقة والمعروف وكان وافر الفضل والكرم مطبوعا على السخاء سهل الإنفاق، لا يخيب أمل الآمل، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، أسخى من الغمائم المثقلة وأجرى بالخير من الريح المرسلة، ماسئل عن شيء وقال لا(١٤). فقد جاءته ﷺ امرأة ببردة منسوجة فقالت: نسجتها بيدي لأكسوكها، فأخذها ﷺ محتاجا إليها ولبسها، فقال له

رجل من الصحابة: أكسنيها يارسول الله، فقال ﷺ: نعم، فدخل منزله فطواها وبعث بها إليه، فقال له بعض الصحابة: ما أحسنت، لبسها رسول الله ﷺ محتاجا إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يرد سائل. فقال: إني والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفني. قال سهل بن سعد رضي الله عنه: فكانت كفنه». [رواه الترمذي].

٢ - حسن المعاشرة:

اتصف ﷺ بحسن معاملته لكل من خالطه يستوي في ذلك الخادم والسيد: الفقير والغني، المرأة والرجل، فيروي أنه ﷺ ما نهر خادما وماضرب بيده شيئا قط إلا أن يكون جهادا في سبيل الله، قال أنس رضي الله عنه: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، ولا قال لشيء صنعته لم صنعته؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟» [رواه الشيخان].

وكان ﷺ يجيب دعوة المسكين ويعود المرضى، يقبل عذر المعتذر ويأمر بالحسنة ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ويتسامح ويتجاوز عن المسيء، يصل الرحم ويقري الضيف وكان يدعو أصحابه بكناهم وأحب الأسماء إليهم(١٥).

حث الرسول ﷺ على حسن الخلق

كثرت توصيات الرسول ﷺ لأصحابه باتباع الأخلاق الحميدة وجعلها من خصال المؤمن الحسنة، فقال: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا». [أخرجه أحمد وأبوداود]. وقال ﷺ عندما سئل: يارسول الله، ما أفضل ما أعطي المرء المسلم؟ قال: الخلق الحسن». [أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه]. وقال: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجات الصائم والقائم». [أخرجه أحمد وأبوداود]. وقال ﷺ: «إن حسن الخلق أثقل ما يوضع في الميزان وإن صاحبه أحب الناس إلى الله وأقربهم إلى النبيين مجلسا [أخرجه أحمد وأبوداود].

ولقد دعا رسول الله ﷺ إلى كثير من الأخلاق المرغوبة، ومن هذه الأخلاق:

١) كسب المودة واستمالة قلوب الناس: فقال ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم». [رواه مسلم].

٢) العفة: حرص رسول الله ﷺ على تكوين المجتمع الفاضل، فأمر المسلمين بالعفة في كثير من أحاديثه، كقوله ﷺ: «لإن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه». [متفق عليه].

٣) التواضع وذم الكِبْر: فقال ﷺ: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد». [رواه مسلم].

وقد نهى ﷺ عن جملة من الأخلاق الذميمة، منها:

١) الظلم: فقال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة». [رواه مسلم].

٢) الحسد: فقال: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو العشب». [رواه أبوداود].

٣) الغش: فقد مر رسول الله ﷺ على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت بللا، فسأل: «ماهذا ياصاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يارسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا». [رواه مسلم].

وبعد

فما ذكرنا يتضح لنا أن التربية الخلقية هي دعوة الإسلام - بالحسنى - إلى العمل الصالح الذي يحقق الرقي الأخلاقي الذي تسعى إليه البشرية جمعاء.

إنما دعوة إلى الناس جميعا كي يؤدوا الأمانات إلى أهلها ودعوة إلى الصدق والرحمة. وهي دعوة إلى الحاكم والقائد والراعي كي يرعى كل منهم ما وكل إليه من أمر رعيته وأن يقيموا العدل بين المحكومين.

ودعوة إلى رب الأسرة كي ينفق على من يعولهم من زوجة وولد، ودعوة إلى كل زوج ليحسن معاملة زوجته وأمر إلى الزوجة كي تطيع زوجها وتحسن إليه.

ودعوة إلى التاجر كي يكون صدوقا يفي الكيل والميزان ولا يحتكر سلعة ثم يستغل حاجة الناس إليها بعد ذلك.

ودعوة إلى المعلم كي يكون وقورا رحيما مع من يعلمه وصبورا مع من يتعلم منه. ولقد ربى رسول الله ﷺ صحابته على هذه الأخلاق العليا، وأشربتها قلوبهم، فاستحقو أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس، ثم ربى الصحابة جيلا بعدهم اسقوه من هذا المنهل الفريد، فنبغ في الأمة من لا يحصيهم العد من الأبطال والقادة والمصلحين والعلماء وحاملي مشعل الهداية في كل مكان وطأته أقدام المسلمين وبهذا دانت لهم الأرض ورحب بهم الخلق وسعد بحكمهم الناس. لقد كانت هذه الأخلاق هي مصدر القوى النفسية والمادية التي مكنتهم في نحو قرن واحد أن ينتقلوا من قلة متبدية مستضعفة إلى كثرة متحضرة مرهوبة، فقوضوا ملك الفرس والروم وانتشروا في بقاع الأرض هداة ومعلمين ودعاة إلى الحق والخير والحرية□

الهوامش:

(١) ابن منظور ، لسان العرب، مادة (خلق) ص١٢٤٥.

(٢) أحمد محمد الحوفي، من أخلاق النبي ﷺ ص٩، ١٠ بتصرف.

(٣) نفس المصدر السابقص١١ عن إحياء علوم الدين للغزالي ٣/ ٥٠.

(٤) د. أمينة أحمد حسن، نظرية التربية في القرآن وتطبيقاتها في عهد الرسول ﷺ، ص٣٣٠.

(٥) د. أحمد محمد الحوفي، من أخلاق النبي ﷺ، ص٤٣.

(٦) د. محمد الدسوقي، دعائم الأخلاق في الإسلام، مجلة (الوعي الإسلامي) العدد (٢٨٢).

(٧) د. أحمد محمد الحوفي، من أخلاق النبي ﷺ، ص١٣ بتصرف.

(٨) نفس المصدر السابق، ص٤٥.

(٩) نفس المصدر السابق، ص٤٧.

(١٠) عمر عبيد حسنة، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، ص٢٠١.

(١١) د. أحمد محمد الحوفي، من أخلاق النبي ﷺ، ص١٠ عن إحياء علوم الدين للغزالي ٣/ ٥٠.

(١٢) د. أمينة أحمد حسن، نظرية التربية في القرآن، ص٣٢٩.

(١٣) ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ص٣٠٧.

(١٤) محمد أحمد جاد المولى، محمد المثل الكامل، ص٢٣ بتصرف.

(١٥) أحمد عبدالجواد الدومي، الإسلام منهاج وسلوك، ص٢١٣، ٢١٤.

في رحاب الدعوة

على الداعية أن يحسن اختيار الأسلوب المناسب للمدعو، بعيدا عن التنطع

بقلم: عبد الرحمن قرة حمود

قـال: ما أكثـر المسلمين، ومـا أسوأ ما نحن فيه!

قلت: ذلك لأنه لا أهمية للكثرة بدليل قولـه تعالى: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثـرتكم فلـم تغن عنكم شيئاً﴾ [التـوبـة/ ٢٥] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿كم من فئـة قليلة غلبت فئـة كثيرة...﴾ [البقرة/ ٢٤٩].

– فالعبرة بماذا؟

– بالإخلاص.

– وما السبيل إليه؟

– العلم والتقوى.

– ما أكثر العلماء!

– ومـا أقل المتقين. أما البلاء العظيم فيمن يتصدرون للـدعوة وهم جاهلون.

– كيف؟

– هنـاك مثل عـامي يقـول: (ليس كل مـن صف الصـواني قال أنا حلواني).

– ماذا تقصد.

– أقصـد أن هنـاك صفـات معينة لابد للداعية من أن يتصف بها قبل أن يباشر الـدعوة. فليس كل من أطال لحيته وحفظ بعض الآيات والأحاديث صار داعية.

– وما هذه الصفات؟

– هي التي ذكـرهـا سبحـانـه وتعالى في الآيـة الكريمـة بقولـه: ﴿ادع إلى سبيل ربك بـالحكمـة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [النحل/ ١٢٥].

– ولكن من أين تأتى الحكمة؟

– من عند الله.

– لا إله إلا الله، لكن كيف؟

– قـال تعـالى: ﴿واتقـوا اللـه ويعلمكم اللـه﴾ [البقرة/ ٢٨٢]، فالتقوى هي السبيل إلى الحكمة.

– والموعظة الحسنة؟

– من اقتدائنا برسول الله ﷺ بعد معـرفة سيرته، وأسلـوبه في الدعـوة. فإذا نحن أتقنـا دراسة سيرته، وفهمنـاها علمنـا معنى قـولـه عليه الصـلاة والسـلام: «بشروا ولا تنفــــروا» [رواه البخـاري] وقـولـه «إنما بعثت لأتمم مكـارم الأخــلاق» [رواه البخاري] في الأدب المفرد، وقوله لسيـدنا معـاذ بن جبل، عندمـا اشتكى منـه أحـد الصحـابـة لإطالته الصـلاة: «أفتان أنت يا معاذ» [رواه البخاري]. وقـوله لسيدنا عمر عنـدما نهر يهوديا وأساء إليـه في مطالبته بـدين له عليه: «أنا وهو أحوج إلى غير هذا منك. تـأمــره بحسـن الطلب وتأمرني بحسن القضاء» [رواه أبو نعيم في الحلية].

– والمجـادلـة، كيف تكـون بالتي هي أحسن؟

– إذا تــوفــرت الحكمــة، والموعظــة الحسنــة، أمكنت المجادلة بالتي هي أحسن. وهذا ليس سهلا، وإنما يحتاج إلى علم ومعــرفــة بطبــاع النـاس، ومـداراتهم، ومعـرفـة من أين يؤتون، (فلكل لحية مشط) كما يقولـون. وقبل ذلك كله التحمل والحلم والصبر.

إن للدعـوة أساليب متنـوعة، وطرقا مختلفة، ونهجـا متفاوتا والصـالحون من الـدعـاة هم الـذين يجتهـدون في الاقتـداء برسول الله ﷺ. لأن الداعية إذا لم يكن على المستـوى المطلـوب علما وتربيـة وسلوكا قـد يكون ضرره أكثر من نفعه.

– أعطني مثلا على ذلك؟

– في أحـد المجـالس قـال أحدهم، وكان قاضيا ومن أسرة متـدينة : إن الجماعـة الفلانيـة (وهي جماعـة إسـلاميـة) هي التي صيرتني شيوعيـا. فقيل له كيف؟! فقـال: حين كنت صبيـا صغيرا دخلت إلى مركز الجماعة وكنت لابسـا بنطالاً قصيرا وإذ بأحــــدهم يصيـح بي بشكل أرعبني ياقليـل الأدب أخرج من هنـا. مضيفـا بعض الشتـائم. فخـرجت خـائفا مـذعـورا، بل وحــاقـدا، وكــان رد الفعل أن صرت شيوعيا.

وأقـول: أين هـذا المسلم من قول الله تعـالى: ﴿ولو كنت فظا غليظ القلـب لانفضــــوا من حولك﴾ [آل عمران/ ١٥٩]. بل أين هو من عمل رسول الله ﷺ من ذلك الإعرابي الـذي بـال في المسجـد. فهمّ بعض الحاضرين بضربـه فـزجرهم رسـول اللـه، وأمرهم «أن يهريقـوا فوق بـوله سجلا من ماء» [رواه الجماعة إلا مسلما] إن الداعية كالصباغ.

– صبـاغ؟! ألم تجد تشبيهـا أليق؟!

– وماذا في ذلك يا أخي؟ إن الله يقول عن دينه: ﴿صبغة الله ومن أحسن من اللــه صبغـة﴾. ومع ذلك فهو مثل لإيضاح الفكرة.

– تفضل، أكمل.

– الصبـاغـون – كغيرهم من أصحــاب الحرف – درجـات، وفيهم المحسن، وفيهم المسيء.

فـالمحسن هـو الـذي عـرف صنعته. وأتقن عمله. والمسيء هو الـذي لم يعـرف الصنعـة أو لم يتقن العمل، وكلاهما سواء.

إن الثـوب الملطخ الذي يحتـاج لإزالة ما بـه من بقع يحتاج دواء معينا على الصباغ أن يعـرفه، ولا يكفي أن يعـرفه. وإنما عليـه أن يعـرف المقـدار – الـلازم لإزالـة البقعة – الـذي إن نقص لم يكف وإن زاد أتلف.

وكذلك الداعية عليه أن يحسن اختيـــار الأسلـــوب المنـــاسب للمـدعو، بعيـدا عن التنطع «هلك المتنطعـــون» [رواه مسلم]. «إن هـذا الدين متين» [رواه البـزار]، وبعيدا عن المسـايرة على حساب الدين فلا إفـراط ولا تفريط، وفي الـوسطيـة الخير كلـه. ﴿وكـذلك جعلنـــاكـم أمــــة وسطــــا﴾ [البقـــرة/ ١٤٣]، و «بُعثتـم ميسرين ولم تُبعثــوا معسّرين» [رواه الجماعــة]، فــالصبــاغ المحسن تألفه ويـألفك، والصباغ المسيء تنفـر منه وينفـرك، لأنـه يعطيك فكــرة سيئــة عـن كل الصباغين. فيسيء من حيث يظن أنه يحسن. وكذلك الداعية. اللهم لا تجعلنا من الذين ضل سعيهم في الحياة الـدنيا وهـم يحسبون أنهم يحسنـون صنعـا□

الزواج السري باطل.. باطل

بقلم: محمود محمد البخيري

ظاهرة جديدة وخطيرة تتشكل حاليا في بعض مجتمعات المسلمين وخطورتها أنها تتشكل في الخفاء، فلم يعلم بها أكثر الناس الذين من الممكن أن تأخذهم على غرة، وتنالهم من حيث لا يحتسبون في أعز ما يملكون، فهي تختص بالأعراض المصونة والحرمات المكنونة، والأشد خطورة أنها تتم بالمكر والخداع والتحايل على الشرع وتحاول إضفاء صفة الشرعية على ما ليس كذلك، وسبب ذلك الجهل بأحكام الدين الحنيف أو الجرأة على حدوده، ومع الجري وراء قناع زائل وشهوة مؤقتة، والفرار من مسؤوليات اجتماعية مقدمة يتم إلباس الباطل ثوب الحق للتوصل إلى المحرمات باسم ما شرع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

زواج شرعي أم بغائي

هذه الظاهرة الخطيرة يقوم بها العديد من الشباب جهلا بالدين أو تجرأ عليه، وإقناع الشابات بالزواج سرا، سببه الاختلاط الذي يعيش فيه كثير من الناس في أماكن التعليم والعمل والتثقيف والترفيه، يسعى كثير من شياطين الإنس إلى التغرير بالبنات، فيترصد الشاب للشابة كما يترصد السبع فريسته، ويوهم الشاب الفتاة أنه يحبها ويريد أن يتزوجها، وأن ما يمنع من ذلك هو ضيق ذات اليد عن أن يتقدم في الحال لأهلها طالبا إياها.

ومع اللقاءات المتكررة يؤثر الشاب على عواطف من يوقعها سوء حظها فريسة في طريقه، ويتفنن في اثارتها وما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما، ويدعي لها أنه يمكن أن يتزوجها في السر زواجا عرفيا - كما يسمى في بعض الأقطار العربية - أي بلا وثيقة رسمية مسجلة، وعلى هذا يتم العقد دون علم من أهل الفتاة أو من أهل الفتى، ولا يجرى أي إعلان أو إشهار، وقد لا يحدد مهر، ولا يقام حفل زفاف ولا وليمة، أو مسكن للزوجين ولا أثاث!

وسبب ذلك خديعة البنات في هذا الأمر هو أن الشاب يقنعها بأنه زواج شرعي لا شبهة فيه، وأنهما سيظلان على هذه الحال حتى تيسر له مؤونه النكاح، فيتقدم لأهلها رسميا، ويتم الزواج رسميا دون أن يدري الأهل بما سبق وجرى من عقد.

ويتوصل الشاب بهذا إلى معاشرة الفتاة وكأنها زوجة، حيث يلتقيان في أماكن مخصوصة وأوقات معلومة، ويحرصان مع ذلك على الاحتياط حتى لا يتم حمل يكشف للأهلين الخديعة التي تجري من وراء ظهورهم، وهم عنها غافلون.

ولم يقف الأمر عند هذا، فمع اعتقاد بعض الشباب أن زواجه هذا شرعي، يبقى يغرر بمزيد من الفتيات، فيتزوج في السر مثنى وثلاث ورباع، وكل واحدة منهن لا تدري من الأخرى شيئا، فإذا ما عرف هذا المجترىء على دين الله فتاة جديدة، سرح إحداهن بغير إحسان ليعقد على الجديدة، وربما تجرأ بعضهم فعقد بهذه الطريقة على ما هو أكثر من أربع، مادام الأمر لا يكلفه إلا دراهم معدودات.

وماذا يحدث بعد ذلك؟ إن غالب هؤلاء الشباب لا يصدق في وعده، ولا يأتي اليوم الذي يتقدم فيه لأهل الفتاة، وهنا تصير هي رهينة لهذه العلاقة الآثمة، وإذا رأت أن الشاب قد خدعها، وحطم حياتها، فإنها ستجد نفسها مدفوعة إلى درك أكثر سوءاً وربما تنتقل العدوى إلى أخرى بالطريقة نفسها، ويستمر منحدر السقوط حتى يعتاد هذا الفريق من الناس أن يعقد كل سنة، بل كل شهر أو أسبوع زواجا سريا جديدا، ويحسبونه هينا، وهو عند الله عظيم.

وقد فتح هذا الزواج السري الباب واسعا أمام بعض البنات الصغيرات اللواتي هنّ في سن لا يكاد يصدق، سن ما قبل السادسة عشرة أوما بعدها، يستمرىء هؤلاء الزواج السري مرات ومرات جريا وراء الشهوات والأموال، فإذا تركها واحد من أخدانها بحثت هي عن آخر، دون أن تسمع عن شيء اسمه عدة المطلقة، وكيف تسمع والزواج بالأصل باطل، والأهل عنها لا هون، على حين أنها تمتهن كرامتها وكرامتهم، وتصير مضغة في الأفواه، وتعتاد هذا النوع من الزواج البغائي، مما يستوجب من أولي الأمر سن قانون يعاقب على هذه الجريمة التي لم تعرفها مجتمعاتنا من قبل.

وأن بعضهم قد وقع في براثن هذا الزواج السري بحسن نية، وبعضهم يمكن أن يقع فيه بحسن نية كذلك، لذا يجب أن نتفرغ وسعنا لكي نبين لماذا لا يعد هذا الزواج السري زواجا شرعيا؟ وخصوصا أن الدكتور محمد سيد طنطاوي قد أفتى بأن هذا الزواج صحيح وحلال شرعا وقد نشرت فتواه بإحدى المجلات(١) ففتح بذلك الباب واسعا لفتنة عظيمة، وأعطى أصحاب الأهواء مستندا للتلاعب بدين الله تعالى.

الزواج نظام اجتماعي

إن الزواج في روحه نظام اجتماعي يرقى بالإنسان من الدائرة الحيوانية والشهوات المادية إلى العلاقة الروحية، ويرتفع به من عزلة الوحدة والانفراد إلى أحضان السعادة وأنس الاجتماع، وهو عقد ارتباط مقدس بين رجل وامرأة يمضيه الشرع ويباركه الله تعالى، ولا ينبغي أن يصير مادة للعبث أو المخاطرة والمغامرة، واللعب بالدين والشرع، بل الواجب أن يؤدى إلى حياة استقرار ومعاشرة بالمعروف، وبناء أسرة بالمودة والرحمة، وتأسيس بيت مسلم يقوم على تربية ذرية مسلمة تعبد الله سبحانه وتحفظ حدوده، وتنصر دينه.

ولكنا لا نجد شيئا من ذلك في الزواج السري، فلا ألفة بين أسرتين، ولا إذن لولي، ولا مهر ولا نفقة، ولا مسكن ولا متاع، ولا أسرة ولا أولاد، ولا حياة مشتركة ولا قوامة للرجل، ولا طاعة من المرأة، ولا علم بين الناس، ولا يجري التوارث بين الخليلين... مما يجعلنا نجزم بأن هذا لا يعد زواجا عرفيا كما يدعون، ولا شرعيا كما يريد الله تعالى.

لقد أمر الله سبحانه في النكاح بأن يميز عن السفاح والبغاء، فقال تعالى: «فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان» [النساء: ٢٥] ، وقال جل شأنه: « والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان» [المائدة: ٥]، فأمر بالولي والشهود والمهر والعقد، والإعلان، وشرع فيه الضرب بالدف والوليمة الموجبة لشهرته.

لا نكاح إلا بولي

ليس للمرأة أن تنفرد بتزويج نفسها دون رأي أهلها، وليس لولي المرأة أن يتولى إتمام العقد وإنجازه دون استشارتها، فالإسلام يتوسط في ذلك، فيحرص على المشاركة بين المرأة ووليها وأهلها، فللمرأة أن تعرب عن

رغبتها ولا تكره على الزواج أبدا، وولي المرأة يتولى إبرام العقد وإتمامه بعد إذنها، وبذلك لا يستقل أي منهما بالعقد، فالمرأة لا تنفرد بتزويج نفسها دون أهلها، ولا وليها ينفرد بتزويجها دون رأيها، وليس في هذا حجر على حرية المرأة في الاختيار، ولكنه حرص على تحقيق الاطمئنان الكامل في الحياة الزوجية وضمان المشاركة والمصاهرة بين أسرتين بعلائق قوية ودية يشهدها ويباركها.

والزواج ليس علاقة بين الرجل والمرأة تنشأ في فراغ اجتماعي، ولكنه علاقة بين أسرتين وعائلتين قائمة بالمودة والرحمة والتناصر، فيكون منع المرأة من الإستقلال بالعقد رعاية لحق أسرتها في أن تكون العلاقة الزوجية سببا في توطيد أواصر المودة بين أسرة الرجل وأسرة المرأة، ويضاف إلى هذا أن النصوص عن الكتاب والسنة لا تدل قطعا على حق المرأة في الاستقلال بالعقد.

إن من تكريم الإسلام للمرأة منحها حقها في اختيار زوجها، ولكن ليس ذلك في السر أو من وراء أسرتها، وأحاديث النبي ﷺ تبين كيف تكون المشاركة في الإختيار، ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن» قالوا: يارسول الله! وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت».

وإذا رفضت المرأة رجلا فليس لوليها أن يكرهها على الزواج منه لقوله ﷺ فيما رواه مسلم: «الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأمر، وإذنها سكوتها» وليس معنى أنها أحق بنفسها أن وليها لا حقّ له، بل له حق، ولكنها أحق عند المفاضلة إذا تعارضا بالقبول والرفض.

وروى أحمد وأبو داود وابن ماجة عن ابن عباس أن جارية بكرا أتت النبي ﷺ، فذكرت أن أباها زوّجها وهي كارهة، فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم.

والسنة تبين أن النكاح بلا ولي باطل قطعا، ومن ذلك ما رواه ابن حبان والحاكم وصححاه عن ابى موسى عن النبي ﷺ قال: «لا نكاح إلا بولي»، وروى ابن حبان والحاكم أيضا وغيرهما عن عائشة أن النبي ﷺ، قال: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له».

ومنه أيضا ما رواه ابن ماجة والدارقطني باسناد رجاله ثقات عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها» وروى مالك في الموطأ عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه قال: «لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها، أو ذى الرأي من أهلها، أو السلطان».

الإشهاد والإعلان

الغرض من الإشهاد في الزواج هو الإشهار، فإذا اتفق من يريدان الزواج مع الشهود على كتمان أمر زواجهما يقضي ذلك على العقد بعدم الصحة، لأن كتمان الزواج قام مقام عدم الشهادة، أو ألغى الهدف منها.

وأوجب الإسلام إعلان النكاح، وندب إلى إشهاره بالضرب على الدفوف وإظهار الفرح والسرور، والإحتفال به ومشاركة كل من أسرتي الزوج والزوجة، فقد روى الترمذي عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «أعلنوا النكاح، واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدفوف».

ومن الأحاديث التي تنص على وجوب الإعلان كذلك ما رواه الإمام أحمد وصححه الحاكم عن النبي ﷺ قال: «أعلنوا النكاح»، وما رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة عن محمد بن حاطب الجمحي قال: قال رسول الله ﷺ: «فصل ما بين الحلال والحرام الصوت والدف في النكاح».

ويفرق الإمام ابن القيم بين الزواج الشرعي والزواج الباطل بقوله «وشرَط في النكاح شروطا زائدة على مجرد العقد، فقطع عنه شبه بعض أنواع السفاح بها، كاشتراط إعلانه، إما بالشهادة، أو بترك الكتمان، أو بهما معا، واشترط الولي، ومنع المرأة أن تليه، وندب إلى إضهاره، حتى استحب فيه الدف والصوت والوليمة، وأوجب فيه المهر، ومنع هبة المرأة نفسها لغير النبي ﷺ، وسر ذلك: أن في ضد ذلك والإخلال به ذريعة إلى وقوع السفاح بصورة النكاح، كما في الأثر: «المرأة لا تزوج نفسها، فإن الزانية هي التي تزوج نفسها»، فإنه لا تساء زانية تقول: زوجتك نفسي بكذا سرا من وليها، بغير شهود ولا إعلان، ولا وليمة، ولا دف، ولا صوت، إلا فعلت، ومعلوم قطعا أن مفسدة الزنى لا تنتفي بقولها: أنكحتك نفسي، أو زوجتك نفسي، أو أبحتك مني كذا وكذا، فلو انتفت مفسدة الزنا بذلك لكان هذا من أيسر الأمور عليها وعلى الرجل، فعظم الشارع أمر هذا العقد، وسد الذريعة إلى مشابهة الزنى بكل طريق» إهـ.

عقد مؤقت وزنى مقنع

يتفق الطرفان في هذا النكاح وقت إبرامه على أنه مؤقت إلى حين أن يتيسر للرجل التقدم لأهل المرأة، وليتم الزواج رسميا بمعرفتهم، وبهذا تعد نية الزواج الأول مؤقتة، وكثيرا ما يعرض للطرفين عارض يحول دون نية الإعلان الرسمي للزواج مستقبلا، فلا يتقدم الرجل للمرأة.

وكثير من الشباب المخادع استغل جهل البنات وهو لا يقصد زواجا، ولا هو في نيته بل يريد أن يعقد عقدا لا يقصده ليتمكن من الإستمتاع بالفتيات دون أن يتحمل مسؤوليات الزواج الشرعي، وهذا نكاح لا يقع لأنه ليس مقصودا ولا معقوداً في النية مثل نكاح المحلل حيث المحلل عقد عقداً لا يقصده ولا ينتويه حقيقة لذا حكم الشرع ببطلانه.

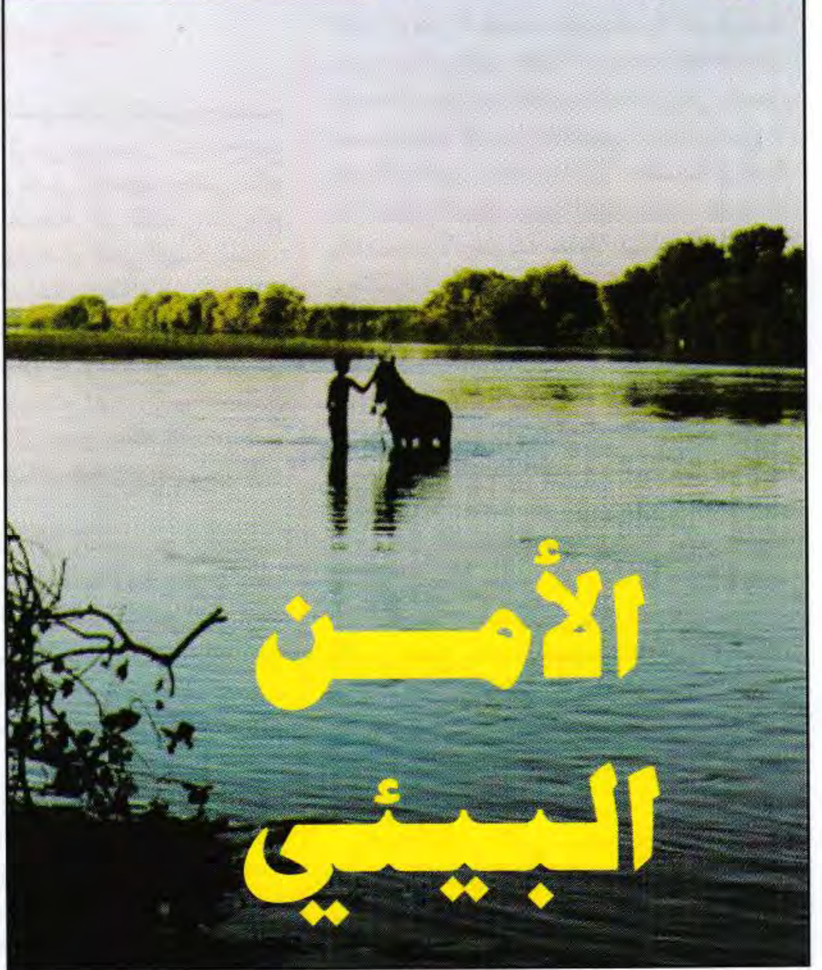
بل هذا الزواج طريقة خفية يتوصل بها إلى ما هو محرم في نفسه، وهو الزنى، ولأن المقصود بها محرم باتفاق المسلمين، فهي حرام كذلك، وسالكها فاجر ظالم آثم، وكونه يسعى إلى ذلك متخفيا مخاتلا أشد ظلما وإثما، فشره يصل إلى الأسر الآمنة، ويضر الأعراض المصونة من حيث لا تشعر، ولا يمكن الإحتراز عنه، ولهذا عد الشرع قطع يد السارق لأنه يستخفى بجرمه، على حين لم يأمر بقطع يد المنتهب والمختلس، ولذلك أيضا من قتل غيلة يقتل، وإن قتل من لا يكافئه، وكذلك من جحد شيئا استعاره وأنكره، تقطع يده لعدم إمكان التحرز منه، ولأنه يعد سارقا.

وهذا النكاح الغريب لم يعرفه العرب في الجاهلية لأنهم كانوا أهل نخوة ورجولة، ولم يشرع في الإسلام ولا وجود له في حياة المسلمين، ولم نر قبل اليوم أناسا يسعون للزواج سرا وخفية، بل يطلب الناس الزواج إعلانا وإشهارا، واجتماعا ومصاهرة، ولا نظن أحدا يرضى هذا النكاح لا أخته، أو لإبنته ولا حتى لإبنه، لأنه خروج على الفطرة السليمة، ومقاصد الاجتماع الإنساني، ومحادة للدين والأخلاق القويمة، بل هو مكر وخداع واستهزاء بآيات الله، ولعب بالشريعة، وتحليل للمحرمات، وانتهاك للمحرمات يأباه العقلاء، ويتخذه غير المسلمين موجبا للطعن في الدين الحنيف والنيل منه، ومن البيّن أن الإسلام بريء من كل هذه المحدثات التي تشبه حيل اليهود في تحليل الحرام، ولأننا نرى كثيرا من الشباب والشابات يقعون في هذه الشراك المنصوبة، لذا كان واجبا أن يبذل الدعاة والمربون والعلماء جهودهم لبيان وجه الحق، وللإنكار على المجترئين والمخادعين والضالين، ولمعالجة الأسباب التي أوجدت هذه الظاهرة، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ عن بينة.

الهامش:

١) نشرت الفتوى بمجلة (نصف الدنيا)، ٢٠٩٤ مطلع رمضان ١٤١٤هـ.

٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ١/ ٣٦٥و٣٦٦.



الأمن البيئي من منظور إسلامي

د. عواد جاسم الجدي*

مفهوم الأمن البيئي ليس مصطلحا حديثا نشأ وتطور مع تطور العلوم الحديثة، والتي ازدهرت مع بداية هذا القرن عندما تعالت صيحات البشرية تنذر عن وجود أوبئة وأمراض سببها المباشر أو غير المباشر تجاوزات الإنسان على مكونات النظام البيئي (Ecosystem) بل يعود هذا المفهوم إلى عصور ما قبل الميلاد، حيث كان الإنسان - ولا يزال - حريصاً على ما حوله من مكونات و مركبات حيوية يعرف أنها سببا في حياته ووجوده، واستمرار ذلك الوجود.

حماية البيئة موقف حضاري عريق

وليت أيام الجاهلية الأولى هي مبلغ علمنا عن أمن وحماية البيئة بل يعود ذلك إلى أيام حمورابي حيث وضع من جملة قوانينه قانونا يحمي التربة الزراعية، وينادي بزراعتها موسما وتركها موسما ثانيا، إلا إذا زرعت بالبقوليات. ويشير قانون حمورابي هذا بصورة واضحة إلى أمن التربة الزراعية وحماية خصوبتها، ومكوناتها الغذائية.

وقد اهتم الملك الأشوري «ميرواخ بالدوان» ٧٢٠ قبل الميلاد، حيث شرع قانونا لحماية النباتات الطبية واستزراعها، والمحافظة عليها، وأنشأ أول حديقة نباتية في عهده، زرع فيها أكثر من ستين نوعا نباتيا، وترك أول رسالة علمية في حماية وصيانة هذه النباتات المفيدة.

أما في أيام العرب بالجاهلية، فقد أخذ الأمن البيئي شكلا ونموذجا آخر، حيث كانت الموارد البيئية في عهدهم تكاد تقتصر على الكلأ والمرعى والمياه وهم أغلى ما عند العربي بعد أسرته.

وكان الشريف في الجاهلية إذا نزل أرضا استعوى كلبا فحمى لخاصته مدى سماع عواء الكلب لا يشاركه ولا يرعى فيه معه أحد.

الإسلام وحماية البيئة

ولما جاء الإسلام الدين ا لحنيف، وضع حدا للحروب التي كانت تقوم بين القبائل العربية وسببها أغلب الأحيان المرعى وآبار ونقاط الشرب، أما الرسول محمد ﷺ فقد أشار إلى أنه لا حمى إلا لله ورسوله.

وقال الشافعي رضي الله عنه في تفسير قول الرسول ﷺ: لا حمى إلا لله ورسوله، نهى النبي ﷺ أن يحمى على الناس المرعى كما كانوا في الجاهلية يفعلون، وقوله إلا لله ورسوله إلا ما يحمي لخيل المسلمين وركابهم التي ترصد للجهاد، ويحمل عليها في سبيل الله، وإبل الزكاة، كما حمى عمر بن الخطاب رضي الله عنه النقيع لنعم الصدقة، والخيل المعدة في سبيل الله.

وفي أحاديث كثيرة ومواقف متعددة حمى رسول الله ﷺ الموارد البيئية من التلف والاستنزاف كما دعا إلى ترشيد استخدامها. فقد حمى الرسول ﷺ النقيع وعضاة المدينة — أي تكوين الثرى الذي تسوده أشجار الطلح والسمر — ومنع الصيد عبر الحمى والاحتطاب والاقتلاع حول مكة.

وبالرغم من الجهود المبذولة من الدول والهيئات العالمية والإقليمية والمحلية المتخصصة لحماية البيئة المختلفة إلا أن الرسول محمد ﷺ أصدر ومنذ ١٤٠٠ سنة قوانين وتشريعات للمحافظة على أمن البيئة ومكوناتها الأساسية.

ولعل مشهد مزارع بولندي يلقي حليب بقرته يوميا في جدول ماء يمر بجانب مزرعته إبان حادث المفاعل النووي «تشير نوبل» يذكرنا بحديث الرسول ﷺ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الملاعن الثلاث البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل» [رواه أبو داود وابن ماجه].

هذا الحديث الشريف قاعدة عظيمة وقانون من قوانين الأمن البيئي حيث تسعى الدول المختلفة اليوم جاهدة لسن المزيد من هذه القوانين في حين أشار الرسول إلى ذلك منذ زمن بعيد، كما أشار إلى الموارد المائية والنباتية حيث يعتبر المورد المائي اليوم من الموارد الهامة التي تعرضت للتلوث والاستنزاف، فقد بدأت البحار والأنهار والجداول والترع الصغيرة، والبحيرات تعاني من التلوث الشديد، وبانتقال مخلفات ا لإنسان إلى الموارد المائية..

فإن العديد من البكتريا ومسببات الأمراض سوف تنتقل إلى هذه الموارد، وتسبب العديد

*باحث في تنمية الموارد البيئية – الكويت

من الأمــــراض المختلفـــة، فمثـــلا تعتبر الاشريشيـات الكــولـونيـة مســؤولـة عن الانتانات الهضميـة والبولية وهي تنتقل مع مخلفات الإنسان إلى الميـاه والفناء الخارجي، كما تنتقل السالمونيلات Salmonela spp إلى ميـــــاه الشرب والأنهار وهي التـي تسبب الانتـانات المعـويـة، ولعل أهم الجراثيم التي تنتقل عن طـريق المخلفات البشريـة وتسبب أمراضاً خطيرة هي الشيفلات الزحارية Shi-gella dysenteriae وهي المسببة لمرض الـزحار أو الـزنطـاريـا، ويتميز هـذا المرض بأعراض تتجلى في المغص الشـديد والإسهال وفقدان الشهية والاضطرابات المعدية.

إنما أشار الـرسول محمـد ﷺ إلى أهمية ا لموارد لأن الجرثومـة الأكثر خطـرا على حياة مـلايين الأطفـــال والتي أودت بأرواحهم في مجازر عـديدة عبر التـاريخ، هي جـرثومـة الكـوليرا Vibrio Cholerae وتؤدي إلى موت الطفل خلال أيام، إذا لم يعالج هذه الجرثومة تنتشر بشكل أساسي مع مخلفات الإنسان إلى المياه، أو الهواء، ومن الديدان التي تنتشر عن طـريق المخلفات البشريـة الـديـدان المعديـة كالاسكـارس، والدودة الشريطيـة، وغيرهما من الأوبئـــة الأخـــرى سريعـة الانتشـــار، والعدوى.

حديث الرسول ﷺ وواقع اليوم

إن حـديث الـرسـول ﷺ هـذا ملخص لما يجري اليـوم على الساحـة البيئيـة العالميـة، فالمصادر المائية تعاني بـالإضافة إلى التلوث البيــولـــوجي (الجرثـــومي) من التلـــوث الكيميائي، حيث تشير الإحصائيات الحديثة التي أصدرتها منظمات ومـؤسسات وهيئات عـالميـة وإقليميـــة إلى تلـوث الأنهار الكبرى كـالـدانـــوب والمسيسبي وفيســوا والأودرا والنيل وغيرهـا من الأنهار العالميـة الأخرى، وللمثال فإن نهرا مثل الأودرا الـذي ينبع من جبال الكـاربات عنـد المثلث الألماني الجيكي البولندي ويصب شمالا في بحـر البلطيق، قد تلوث تلـوثا تاما وانقـرضت نسبة كبيرة من الأحيـاء التي كـانت تعيش فيـه فأصـدرت الهيئـات البيئيـة في بـولنـدا وألمانيـا أوامـر صـارمـــة تمنع شرب ميـاه ذلـك النهـر أو السباحة فيه، أو اصطياد الأسماك منه وعدم أخذ مياه الشرب من مصادر جوفية قريبة إلى النهر، أقل من ١٥ كيلومترا على الأقل.

فترى السكـان في أيــام العطل يقصـدون اليـنـابيع الجبليـة البعيـدة عن التلـوث وعن المخلفات البشرية الملـوثة، لجلب مياه الشرب والشاي ولصنع الحليب وتحضيره للأطفال الرضع ..! صدق رسول الله ﷺ.

ولما كانت بيئة الإنســان الخاصة هي جزء من البيئة بشكل عـام فقد حث الـرسـول ﷺ على الاهتمام بـالبيئـة الخاصـة التي تحيط بالإنسان، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظـافـــة، كـريم يحب الكــرم، فنظفـــوا فيكم ولا تشبهـــوا باليهود» [رواه الترمذي].

النظافة أولى خطوات حفظ البيئة

يأمر الرسـول ﷺ حفاظا على البيئة وعلى الإنسان اتبـاعه بـالنظافة البـدنية ونظـافة المسكن والشوارع والسـاحات، والسـاحات العامـة المحيطة بالبيوت، لأن نظـافة المسكن من نظافة ساكنيه، ونظـافة الحي من نظافة الأفنيـة والساحـات والشـوارع التي تشرف عليهـا بيوتنـا، ونظـافـة المدينة مـن نظافـة أحيائها، فـالقمامة المتراكمة تجذب الحشرات الناقلة للمرض فالـذباب المنزلي وذبابة اللحم تنقل أمراضـا متعددة بحكم طبيعـة حياتها المستمـرة على القمامة والفضـلات، كل ذلك يجعل منها ناقلا للأمراض، خاصة للأطفال مثل شلـل الأطفــال، والجذام، والتـــدرن الرئوي، والتيفوئيد، والباراتيفوئيد، وأمراض العيون، مثل مرض الطراخوما.

ولم يفت المصطفى ﷺ أن يـوصي الإنسان بأمن بـدنـه ونظـافته لحمايتـه من الأوبئـة والأمراض، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «من بـات وفي يده ريح غَمرٌ فـأصابه فـلا يلومن إلا نفسـه». وريح الغمـر أثر الأطعمـة والدهـون العـالقة بيـد الإنسان أو في ملابسه، وهنا يأمرنا الرسول ﷺ بـالنظـــافـة لحمايـة بيئتنـا الـــذاتيـة الشخصيـة الخاصـة بكل فرد منـا. فهنـاك العديـد من الحشرات التي تمرح ليلا بـاحثة عن طعـــامهـا، وتجذبها رائحـة الـــدهـون والفضلات والأوســاخ في البيت وعلى الجسم والثيـــاب، ولعل من أهم هــــذه الحشرات: الصراصير الحمراء، والقمل، والبراغيث.

فـــالصراصير التي تترد على القـــاذورات وتلوث أطعمتنـا وألبستنا وبعض أجـزاء من أجسامها، هي خير نـاقل ميكانيكي لكثير من الطفيليـات البدائيـة، والترشيحـات «الحمى الراشحــة»، وبيوض الـديدان الطفيليـة وقد ثبـــت دور الصراصير في نقـــل كثير مــــن مسميـات الأمراض كـالتيفـوئيـد والزحـار والكـوليرا. وتأتي حشرات القمل في مقـدمـة الحشرات التي تعيـش على جسم الإنســـــان وتنقل مرض التيفـوس الوبائي الـذي تسببه الـركيتسيـــا Reckettsia prawazepi، وتستطيع حشرة القمل نقـل مسببـات هـــذا المرض، عن طـريق بـرازها الـذي يجف على جسم الإنســان وتنتشر مكونـاتـه كما تنقل القملة مرض الحمى الوبائية.

لا يزال التاريخ يحتفظ بسجـلاته لكوارث الطـاعون، ذلك الـوباء الخطير، ولا تـزال في الذاكرة حوادث انتشار الطاعون في الهند هذا العام، حيث عـزلت عن العالم، وأوقفت كـافة الخطوط الجويـة العالميـة رحلاتها إلى هنـاك والسبب بنقل الطـاعـون حشرة صغيرة هي «البرغوث» حيث ينتقل إلى الإنسان عن طريق الحيوانات المصابة كالفئران والقطط وغيرها، وتعود القذارة البيئيـة لتكون السبب الرئيسي وراء انتشـار ذلك الوبـاء فما تعـانيه البيئـة البشريـة من كـوارث وحـوادث وإصـابـات مرضية وبيئية جـاء في أحاديث الرسول ﷺ منذ ما ينوف عن ١٤٠٠ سنة.

حيث دعا إلى الحجر الصحـي لعدم انتقال تلك المرضـات والأوبئة من بيئة مصـابة إلى بيئـــة سليمـة ، وفي ذلك حمايـــة للبيئـــالت السليمـة من أن تلـوث وحفـاظـا على أمنهـا الصحي. عن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الطاعون بقية رجز أو عذاب أرسل على طائفـة من بني إسرائيل، فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه، وإذا وقع بأرض ولستـم بها فـــلا تهبطـــوا عليها» [رواه البيهقي والترمذي].

وفي هـذا الحديث الشريف إشارة واضحـة ودليل قـــاطع على احترام والمحـــافظـــة على البيئـات النظيفـــة الخاليـة مـن الأمـراض، والتلوث، وحصر الوباء والبلاء في بيئة المنشأ لكي لا ينتقل إلى البيئات الأخرى.

تلك مقطتفـات من حـــرص الإسـلام على الـوسط البيئي الـذي يعيش فيـه الإنسـان، وهذه الأحاديث النبوية الشريفة المختارة خير دليل تشريعـي على أن الإســـــلام لم يهمل الجانب البيئي في حيـاة الإنسان بل أوصـاه ببيئته خيراً□

عناية الإسلام بالأســـرة

الشريعة الاسلامية لا تتناقض مع حقائق الحياة.. لأن عظمة هذه الشريعة الربانية تكمن في أنها صالحة للتطبيق في مختلف البيئات لكل تطور يحققه الانسان عبر التاريخ، فقد أعطى الاسلام المرأة الكثير من الحقوق التي كانت محرومة منها حيث ألقى ظلاله الكريمة على حجم مسئولية المرأة كزوجة وكأم.. لأن الحق في الإسلام، يقابله واجب وتزايد في المسؤوليات.. ولأن الحصول على الحقوق لابد ان يقابله تبعات من الواجبات.

فقد حرص الإسلام في أحكامه على ابراز حق الوالدين والتذكير الدائم بحقوقهما على أولادهما.. بل ان الله تعالى في وصاياه جعل برّ الوالدين والاحسان اليهما قرين الدعوة الى عبادته سبحانه وتعالى.. محذرا من الاساءة اليهما.

يقول تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾ [الاسراء:٢٣] ومن هنا اتضحت عناية الاسلام بالاسرة المسلمة.

بقلم: سهير محمـــد حسنين

كرامة الوالدين

وفي الجانب الآخر المقابل للبر والاحسان.. نرى الاسلام ينذر ويحذر من عقوق الوالدين.. فقد جاءت أحاديث الرسول ﷺ منذرة عاقّ والديه بالطرد من رحمة الله وبأنه لا يدخل الجنة. بل إن من يؤذي والديه ويخالفهما يعجل له العقاب في الدنيا فضلا عن حسابه في الآخرة.. فقد قبح الرسول ﷺ إيذاء الام ومخالفتها وعدم الاحسان اليها بقوله: «ان الله حرّم عليكم عقوق الامهات ووأد البنات». متفق عليه كما حفظ الاسلام كرامة الوالدين ووصى الاولاد بذلك.. فمن الاحسان الى الوالدين طاعتهما في المباحات.

فقد حرم الرسول ﷺ كل فعل أو قول يؤدي الى اهانة الوالدين قال تعالى: ﴿ووصينا الانسان بوالديه إحسانا حملته أمه كُرْها﴾ [الأحقاف:١٥] فالام تحمل جنينا ينمو في بطنها ويمر بأطوار التخلق التي أرادها الله تعالى. تحمله في مشقة ومحبة به وهي راضية شديدة الحفاظ عليه لا تبالي بأوجاعها وآلامها.. والاسلام في أحكامه التشريعية العادية يقوى من عزيمتها مدة حملها. فيخفف عنها في العبادات اذ يبيح لها الفطر في رمضان عونا لها على مشقات الحمل.. وبعد الولادة أيضا رخّص لها الاسلام بالفطر في شهر الصيام. متى خافت ضررا على نفسها ووليدها رعاية لأمومتها وما تحمله من مشاق الحمل أو الارضاع والسهر على الوليد والقيام بشؤونه..
كما خففت عنها الشريعة الاسلامية في الصلاة وشروطها فاعتبرتها من أصحاب الاعذار.. وأجرى عليها الفقهاء أحكام وضوء وصلاة المعذور.



الرعاية الشاملة

ولقد كرّم الله تعالى الام الحامل اذا طلِّقت فأوجب على مطلقها الانفاق

عليها نفقة شاملة كالسكنى وغيرها.. يقول تعالى: ﴿وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾ [الطلاق:٦] ولا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة على الحامل حتى تضع حملها.. فاذا وضعت.. حملها فعلى ومطلّقها - والد طفلها - أجرة رضاعها إياه.. أما اختلاف العلماء ففي استحقاق الأم المرضع أجرة الرضاع اذا كانت ماتزال زوجة لوالد الطفل.. وأجاز الفقهاء جميعا للأم المرضع طلب زيادة نفقتها أو أجرة الارضاع.. لأن الارضاع حق للأم وواجب عليها في ذات الوقت.. يقول تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ [البقرة:٢٣٣].

وقد قال الفقهاء في هذا المجال.. إن الرضاع لازم على الأم في حال الزوجية لانه عُرْف صار كالشرط..إذا لم يقبل الولد غير ثدييها أو لم يكن للأب ولا للصغير مال. باعتبار ذلك حال ضرورة سواء أكانت الأم زوجة لأبيه أم مفارقة له.. كما أن فقه الشريعة الاسلامية قد أكسب المرضع حق الأمومة لمن أرضعت غير ولدها.. وجعل الرضيع محرما لها كابنها ولادة، وأولادها إخوته رضاعا.. يقول تعالى: ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾ [النساء:٢٣] فقد اكتسبت بهذا النص القرآني الكريم حق الامومة وكل صفاتها.. فالقرآن الكريم سماها أما تكريما لها في هذا المجال.

ولقد كانت الشريعة الاسلامية حريصة على الامومة حفيظة عليها.. حين أناطت بها حق حضانة أولادها في سنوات عمرهم التي يحتاجون فيها الى حضانة الأم ورعايتها لشئونهم.. مادامت أهلا لهذه الحضانة ولم تتزوج بغير أبيهم..

من قضاء النبي ﷺ وصحابته

وحضانة الأم لأولادها من الامور التي بحثت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم.. فقد جاءت أم تتحاكم مع مطلقها إلى الرسول ﷺ فقالت الأم: يارسول الله.. إن ابني هذا كانت بطني له وعاء.. وحجري له حواء وثديي له سقاء.. وزعم أبوه أن ينتزعه مني فقال النبي ﷺ: «أنت أحق به ما لم تنكحي» [رواه أحمد وأبو داود] أي تتزوجي بآخر.

وقد أجمعت الامة الاسلامية على هذا.. ويحكى التاريخ ان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خاصم زوجته بشأن ابنهما عاصم فذهبا الى أبى بكر - رضي الله عنه - في هذا الشأن فقال أبو بكر: (ريحها ومسّها ومسحها خير له من الشهد عندك ياعمر).. وكان هذا بمحضر الصحابة - رضوان الله عليهم - ولم ينكر أحد منهم على أبي بكر قضاءه فكان إجماعا.

وقد اتضح لنا ان عطف الأم وحنوها قد يكون له غذاء وشفاء.. كما ثبت حق الأم في حضانة أولادها.. لأن الأمهات بأولادهن أشفق وأحنى وأصبر.. فالامومة منحت الام ولاية المطالبة بحقوق طفلها من والده.. وهي نيابة أناطها الشرع لها.. لان الأمومة فطرة، والفطرة تجعل الأم ترتفع بولدها الى الكمال.

ولم يقف تقدير الشريعة الاسلامية للأمومة عند هذا الحد.. بل إذا أجرمت الأم وحق عليها العقاب في حد شرعي أو غيره.. وكان في إنزال العقاب بها إضرار بها أو بوليدها أوقفت الشريعة الاسلامية العادلة هذا العقاب، حتى تؤدي الأم رسالة الامومة.. فتضع حملها وترضع وليدها.فالغامدية التي جاءت الى رسول الله ﷺ.. تطلب اقامة الحد عليها في اصرار التائب النادم العائد الى ربه تعالى.. طالبها الرسول ﷺ أن تعود حتى تضع حملها.. وبعد أن وضعت حملها جاءت اليه مرة أخرى مطالبة بإقامة الحد عليها.. فأشار عليها ﷺ أن تعود حتى ترضع وليدها ويستغنى عنها.. ثم عادت به مرة أخرى وفي يده تمرات يأكلهن.. عندئذ دفع الرسول ﷺ بالطفل الى من يكفله.. وأمر بإقامة الحد عليها.

الأم والأمة الإسلامية

لقد قامت الدعوة الاسلامية على المبادىء القويمة التي تهدف الى متانة الرابطة بين أبناء الامة الاسلامية الواحدة.. وبخاصة الاسرة المسلمة باعتبارها الخلية الاولى في بناء المجتمع.. فاذا ترابطت الاسرة ترابطت الامة والمجتمع.. ولقد جاءت دعوة الاسلام لتكريم الأم صريحة واضحة.. فقد اهتم الاسلام بالمرأة التي ستكون أما.. لذا نرى الاهتمام النبوي الشريف باختيار الزوجة: «تنكح المرأة لأربع.. لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها.. فاظفر بذات الدين تربت يداك» متفق عليه.

فالتوجيه النبوي الشريف في اختيار ذات الدين.. يبين للرجل الاساس السليم الذي يختار فيه أما لأولاده ترعاهم وتحفظ مكانتهم.. وكما عنى الاسلام باختيار الزوجة خلقا ودينا.. فكذلك وجه نظرة صادقة أثبتها علم الوراثة.. وهي توجيه الانظار الى الاغتراب في الزواج.. حتى لا يتأثر الابناء بالامراض الوراثية.. كالسكر والتخلف العقلي وغيره من الامراض الوارثية الناتجة عن الزواج من الأقارب.

استمرارية العطاء

فالأمومة في الاسلام رابطة دائمة بين الأم وأولادها.. تبدأ أول أمرها برعاية الأم لأولادها.. فاذا ما اشتد عودهم وتقدمت السن بالأم تحولت الى بر ورحمة من الابناء الى أمهم.. ويتسع نطاق الأمومة في الاسلام ليربط المجتمع كله في وحدة انسانية واضحة المعالم.. فالاسرة هي الخلية الفطرية التي يعيش فيها الانسان.. وفي الاسلام تصعد الامومة والبنوة فوق مستويات الجنس والمصلحة القريبة الى أفق الوفاء والرحمة والمسارعة الى البر.. فالاحسان الى الابوين من الثمار الطيبة للأمومة والأبوة أو هما امتداد لهما معا..

وبهذا لم يجعل الاسلام فجوة بين الاجيال المسلمة.. بل كرم الله تعالى الامومة.. فجعلها مسؤولة عن رعاية أنبياء.. وجعلها تعالى جزءا من مناسك الحج بسعي هاجر عليها السلام بين الصفا والمروة بحثا عن الماء لوليدها ولنفسها□

الإعلان العالمي.. وانتهاك حقوق الإنسان

تشكل (حقوق الإنسان) والدعوة إلى حفظها معلما مهما من معالم القرن الأخير، كما تشكل في الوقت نفسه أهم مبررات تدخل دول عظمى في مسار دول أقل عظمة.. ويبقى الشعار المرفوع شعارا جذابا لاسيما لأولئك الذين يبحثون عن العيش بكرامة أو بمستوى يرفعهم من الذلة التي يحيونها، ولكن هل يدل الواقع على أن الإنسان - أي إنسان - يتمتع اليوم بالحقوق المعلنة والمقننة؟ ففي أكثر من منطقة نشهد انتهاكات صارخة؛ عدا عن الانتهاكات المقنّعة ببرقع شفاف من التبريرات القانونية.. وفيما يلي ترجمة لمقال (الهيرالد تريبيون) بمناسبة مرور ٤٦ سنة على (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان):

الذكرى السادسة والأربعين

تمر هذه الأيام الذكرى السادسة والأربعين على إصدار الجمعية العامة للأمم المتحدة للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي أعطى قوة دفع كبيرة لدول أوروبا للمصادقة على ميثاق حقوق الإنسان الملزم قانونا، والأكبر في عالم اليوم.

لكن انتهاكات الحقوق - التي نص عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، في العديد من دول مؤتمر الأمن والتعاون

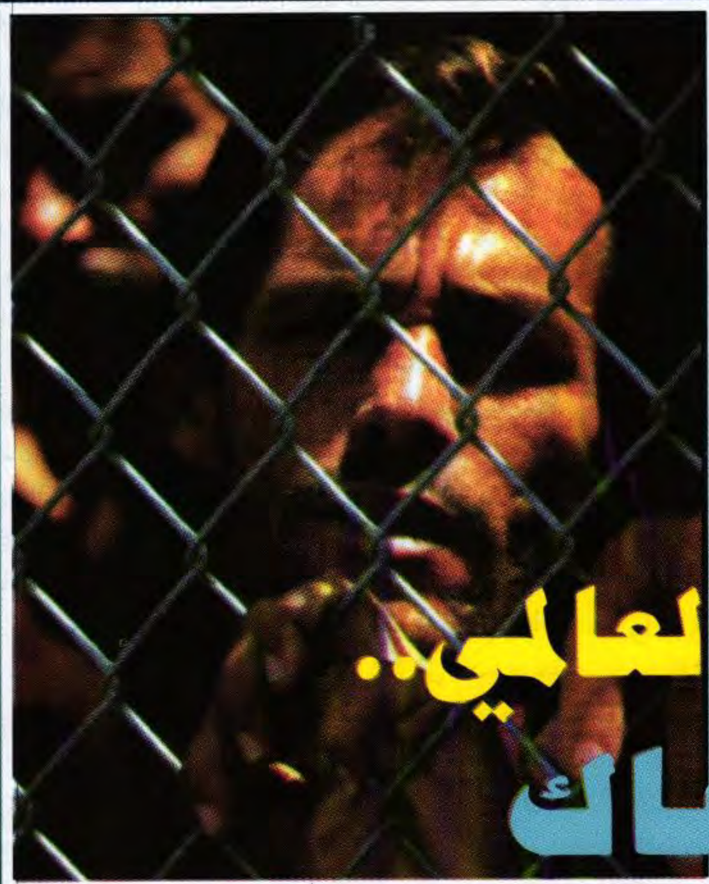
الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لم يعد أثر من مجرد ذكرى؟!

الأوروبي - ظلت في ازدياد مستمر، حيث كانت العوامل العرقية تمثل الدافع الرئيسي لمثل هذه الانتهاكات. ومن الأمثلة على ذلك:

في كرواتيا، عمدت حكومة (فرانكو توجمان) للمساواة بين الخيانة واتخاذ موقف للدفاع عن حقوق الإنسان، أو معارضة الحكم.

وتخضع وسائل الإعلام بشكل كامل للدولة، وقد بدأت حملة (للتطهير الأيديولوجي) أدت إلى تسريح الكثيرين العاملين فيها. وقد أوردت مجموعات حقوق الإنسان - خاصة (لجنة هلسنكي الكرواتية) - تقارير عن قيام السلطات الكرواتية بعمليات طرد غير قانونية - وعنيفة أحيانا - للمسلمين والصرب، من شقق كانت مملوكة للجيش الشعبي اليوغسلافي سابقا.

وكثيرا ما يتعرض رئيس لجنة (هلسنكي) لاتهامات بالخيانة من قبل الصحافة، وعندما تحدث (سلوبودان بوداك)، داعية حقوق الإنسان البارز، حول إمكانية توجيه تهمة ارتكاب جرائم حرب للكروات، تعرض منزله للتخريب، وقد اعترف أحد رجال الشرطة بارتكاب الجريمة، لكن السلطات أطلقت سراحه. وزعمت السلطات بأنها عملية سلب صغيرة، ورفضت التحقيق في الأدلة المقدمة لها بأن العملية كانت إرهابا سياسيا.



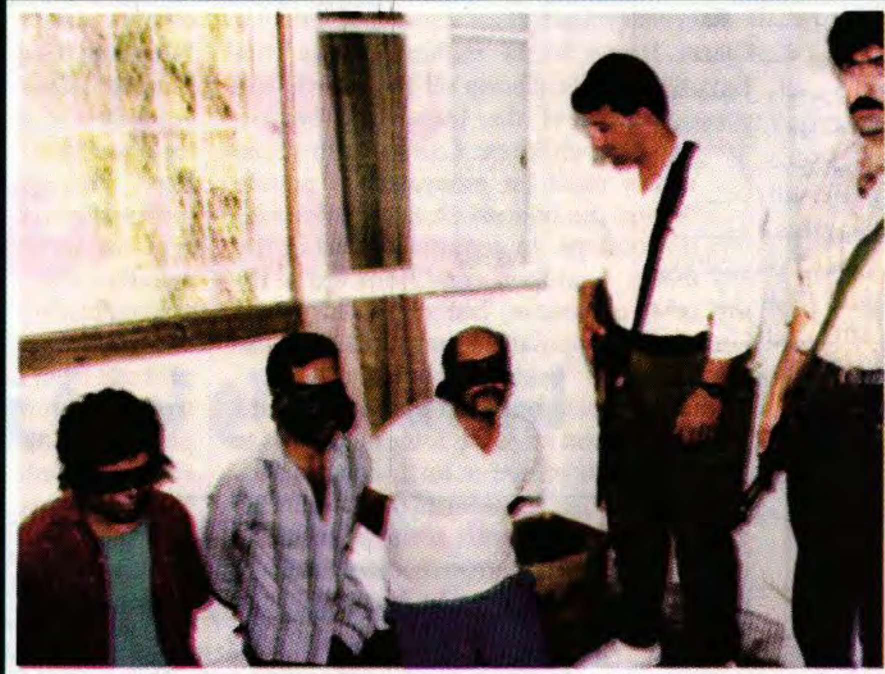
الانتهاكات في تركيا

وفي تركيا، تلجأ السلطات لاستخدام قانون مكافحة الإرهاب، والقانون الجزائي كأداة للقمع، إذ كان يواجه ثمانية أعضاء أكراد في البرلمان التركي - اتهموا بانتهاك قانون مكافحة الإرهاب - إمكانية الحكم عليهم بالإعدام، ففي مرافعة جرت في ٢٤/١١/٩٤م، رفضت محكمة أمن الدولة التركية مطالبات الدفاع الشرعية بتقديم أدلة مادية، أو الاستماع إلى شهود النفي، مما قضى على إمكانية إجراء محاكمة عادلة لهؤلاء النواب، وقد انتهكت مداولات المحكمة اثنين على الأقل من مواثيق حقوق الإنسان، الموقع عليها من قبل تركيا. وفي نهاية الأمر صدرت أحكام على النواب الأكراد الثمانية، تصل إلى السجن لمدة خمسة عشر عاما.

ويواجه اثنان من أعضاء منظمة حقوق الإنسان التركية تهما بنشر الدعاية الانفصالية، من خلال نشرة كانا يصدرانها خلال الفترة من ١٩٨٠م - ١٩٩٤م، وهي النشرة التي قامت بتوثيق حالات التعذيب والقتل داخل السجون التركية. لكن جمعيات حقوق الإنسان العالمية أشارت إلى أن عام ١٩٩٣م، وحده شهد وفاة ما يزيد على عشرين شخصا في مراكز الشرطة في تركيا، وقد تعرض ستة عشر صحافيا تركيا - معظمهم يعمل لدى صحف ونشرات كردية - للاغتيال على مدى السنتين الماضيتين، ولكن لم توجه لأحد تهمة القتل في أي من هذه الاغتيالات.

ولم تكتف تركيا بإحباط الجهود لتوثيق وتحليل هذه المشكلات وحسب، بل إنها

قاومت بشدة وجود المنظمات غير الحكومية لحقوق الإنسان، والتي أثارت هذه القضايا في مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي، وأمام منتديات دولية أخرى.



.. واليونان

وفي اليونان، أدين ثلاثة وعشرون شخصا على مدى السنتين الماضيتين لانتقادهم سياسات الحكومة الخارجية، والمتعلقة بالأقليات، ووجهت لهم تهم مثل (تشويش العلاقات الخارجية) أو (إهانة الحكومة)، أو (زعزعة السلام من خلال إثارة التناقضات).

وقد وجهت السلطات لـ (كريستوس سيدروبولوس) - رئيس الحركة المقدونية لحقوق الإنسان - تهمة خلق الفوضى لعلاقات اليونان الدولية، من خلال البيانات التي ألقاها حول الهوية المقدونية، أمام مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي.

وفي ٢/١٢/٩٤م، أدين الأب (نيكوديموس تساركيناس) بتهمة (تقمص شخصية سلطوية)، بسبب ارتدائه الزي الكنسي الأورثوذوكسي. وقد أقيم الحكم على أسس جدلية، بأن المواطن اليوناني لا يمكنه إعلان ولائه لغير الكنيسة اليونانية. وربما تكون لهذا الانتهاك - للحقوق الدينية - انعكاسات خطيرة على الحرية الدينية في منطقة البلقان.

صربيا تقمع مواطنيها

وفي حين قامت الديمقراطيات الناشئة في أوروبا بتخفيف مواقفها تجاه حكومة (ميلوسوفيتش) في صربيا، وتفكر بالتسليم بإقامة صربيا الكبرى، نجد أن مواطني صربيا محرومون من أبسط الحقوق المدنية والسياسية.

فالدولة تشدد قبضتها على وسائل الإعلام، ولا تزال تحاول السيطرة على صحيفة (بوربا)، وهي الصحيفة اليومية الوحيدة التي ما زالت مستقلة في بلغراد، وتسعى وسائل الإعلام الحكومية التي عبأت الشعب الصربي ضد الشعوب غير الصربية، من خلال برنامج (حديث الكراهية..) الآن لخلق حالة من عدم الاستقرار في أوساط الصرب. ووفقا للجنة (هلسنكي) لحقوق الإنسان في صربيا، فإن عدد قوات الشرطة الصربية يزيد على ثمانين ألف شخص مزودون بأسلحة أفضل من تسليح الجيش اليوغسلافي.

وتقوم قوات الشرطة هذه بمهمات قمعية بدلا من الحماية، وتقوم بشكل متكرر بإيقاف الناس وتفتيشهم، كما استمرت في عمليات (التطهير العرقي) في مدينتي (فوجفودينا) و(سانجاك).

وفي مدينة (كوسوفو)، قام النظام الصربي - لتوه - باعتقال أكثر من مائة وعشرين شخصا من ذوي الأصول الألبانية، الذين تعرضوا لمختلف صنوف التعذيب، بحجة أنهم قاموا بتشكيل قوة شرطة موازية للشرطة الصربية. واتهم محامو هؤلاء المتهمين السلطات الصربية بانتهاك القانون الصربي الخاص بالاحتجاز الذي يسبق المحاكمة، ناهيك عن انتهاك القوانين الدولية بهذا الشأن.

روسيا والنشاطات المتطرفة

وفي الوقت الذي تسعى فيه روسيا لتجديد دورها القيادي في الشؤون الدولية، إلا أن الحكومة لا تطبق التشريعات السارية ضد أولئك الذين يقومون بإقامة التنظيمات القومية المتطرفة، أو الذين يستخدمون وسائل الإعلام لحض الجمهور على القيام بالعنف العرقي، أو الاثنين. وهي النشاطات التي تعتبر غير قانونية، في ظل القانون الجزائي الروسي.

وتصدر في أكثر من مائتي صحيفة، أو مجلة قومية في روسيا، منها الكثير المعادي للسامية، والداعي إلى أفكار ايديولوجية عنصرية. فالحركة الجديدة - التي تتخذ من اللونين الأحمر والبني شعارا لها - تدعو دائما إلى الوحدة مع (الأشقاء الصرب)، تمثل تهديدا ليس فقط لحقوق الإنسان للأقليات في روسيا، بل للأمن الأوروبي برمته.

وفي هذا الوقت، اختتم مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي اجتماعاته في (بودابست) لمراجعة ملف حقوق الإنسان على مدى شهرين. وقد طالبت منظمات حقوق الإنسان بالتزامات أقوى لحماية المدافعين عن حقوق الإنسان، وبالالتزام بالحد الأدنى من المعايير الإنسانية عند اندلاع الأزمات، وبمنع التعذيب، وضمان معاملة عادلة وإنسانية للاجئين. وعلى الرغم من الفشل في اتخاذ خطوات بناءة بشأن البوسنة في مؤتمر القمة الأخير، أوضحت اللقاءات الطويلة والمكثفة في بودابست، أن مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي ما زال يمثل آلية فعالة لتعزيز إجراءات حماية حقوق الإنسان.

وتعتبر الوثيقة النهائية للاجتماع خطوة إلى الأمام، فهي تعزز الالتزامات بحقوق الإنسان، وتضع مزيدا من الضغوط على الدول التي لا تحترم هذه الالتزامات. وسيكون لدى الدول الأعضاء (في مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي)، القليل من الأعذار لتجاهل الانتهاكات. لكن يبقى الكلام حول هذا الموضوع رخيصا. فعلى ضوء التهديدات المتزايدة لحقوق الإنسان، فإنه يتعين على الدول أخذ التزاماتها على محمل الجد □

حكم الموسيقى في الفقه الإسلامي

سماعا وعزفا وامتهانا

بقلم: أ.د. أحمد الحجي الكردي*

أدوات الموسيقى بعامة هي أدوات لهو وعبث، فالعزف عليها وسماعها وصنعها وبيعها. ممنوع شرعا، لما فيه من إضاعة الوقت الذي أمرنا أن نقضيه في طاعة الله سبحانه وتعالى وعبادته، قال سبحانه: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ [الذاريات:٥٦و٥٧].

وقد ورد النهي عن العديد من آلات اللهو والموسيقى في أحاديث شريفة، منها: قوله ﷺ: «ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الخز والحرير والمعازف» [رواه البخاري]. وقوله ﷺ: «إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة» [رواه أبو داود وابن حبان واحمد].

وهذا كله إذا كان الحال لهوا مجردا، فإذا رافق العزف محرمات أخرى، كاختلاط النساء بالرجال الأجانب، أو الخلوة المحرمة، أو كشف العورات أمام الأجانب، أو شرب المحرمات، أو الاشتغال عن الواجبات.. كان حراما بالاتفاق لما رافقه.

فإذا قصد بذلك مصلحة شرعية معتبرة راجحة، كالضرب بالدف للعرس والحرب أوالأعياد أوالختان، وما أشبه ذلك، جاز في حدود تلك المصلحة دون زيادة، وقد ورد في ذلك نصوص، منها:

قول النبي ﷺ: «أعلنوا النكاح» [رواه مسلم]. وماروته السيدة عائشة أم المؤمنين، رضي الله تعالى عنها، قالت: دخل عليَّ أبو بكر وعندي جاريتان في أيام منى تدفان وتضربان، والنبي ﷺ متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف النبي ﷺ عن وجهه فقال: «دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد» [متفق عليه].

ما اتفق العلماء على تحريمه من المعازف

هذه مقدمة عامة نخلص منها إلى ما يلي:

اتفق الفقهاء على تحريم العزف على الآلات الموسيقية بعامة، وكذلك سماعها، إذا رافق ذلك محرم، كاختلاط النساء بالرجال الأجانب، وكشف العورات أمام الأجانب، وشرب المحرمات كالخمرة، والتأخر عن القيام بالواجبات كتأخير الصلاة عن وقتها، والخلوة بالأجنبيات. وغير ذلك.

فإذا خلا الحال عن أي محرم مرافق، فالجماهير على التحريم أيضا إذا كانت الآلة ذات وتر كالعود والكمان والقانون والربابة. أو ذات صوت يصدر عنها بالنفخ فيها، كالبوق والمزمار والناي والشبابة. وكذلك الكوبة (الدربكة) والصنجات، وذلك لما ورد من نصوص السنة والآثار في النهي عن هذه الآلات مما تقدم بعضه، ولأنها شعار الفسقة.

وما اختلفوا فيه

أما الدف والطبل، فقد اختلف الفقهاء فيهما:

فذهب الجمهور وفيهم الأئمة الأربعة إلى حرمة العزف عليهما وسماعهما أو كراهته، قياسا على ماورد من النبي عن الآلات السابقة بجامع اللهو في كل.

قال الحصكفيّ من الحنفية: (وكره كل لهو)، وقال ابن عابدين: (أي كل لعب وعبث. والإطلاق شامل لنفي الفعل واستماعه كالرقص والسخرية والتصفيق وضرب الأوتار من الطنبور والبربط والرباب والقانون والمزمار والصنج والبوق، فإنها كلها مكروهة، لأنها زي الكفار، واستماع ضرب الدف والمزمار وغير ذلك حرام). [رد المحتار:٥/٢٥٣].

وقال ابن عابدين أيضا: (ويحرم علم الموسيقى، وهو علم رياضي يعرف منه أحوال النغم والإيقاعات وكيفية تأليف اللحون وإيجاد الآلات) [رد المحتار:٥/-].

وقال قليوبي من الشافعية: (ويحرم استعمال آلة من شعار الشربة للخمر، كالطنبور والعود الأصح والمزمار العراقي، واستماعها لأنها تطرب، لايراعٌ في الأصح، لأنه ينشط على السير في السفر، قلت: الأصح تحريمه، والله أعلم، وقال في الروضة بعد تصحيحه أيضا: (وهو هذه الزمارة التي يقال لها (الشبابة) ثم قال: (ويحرم ضرب الكوبة، وهي طبل طويل ضيق الوسط واسع الطرفين أي دربكة لحديث النبي ﷺ: «إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة» [رواه أبو داود وابن حبان]. انتهى [قليوبي:٤/٣٢٠].

وقال الجلال المحلي: (ولا تضمن الخمر لمسلم ولا ذمي ولا تراق على ذمي إلا أن يظهر شربها أو بيعها وترد عليه إن بقيت العين. والأصنام وآلات الملاهي كالطنبور وغيره لا يجب في إبطالها شيء لأنها محرمة الاستعمال ولا حرمة لصنعها) [شرح المحلي في هامش قليوبي عليه ٣/٣٣].

وقال الغزالي: (ولايستثنى من هذه - أي الآلات المباحة - إلا الملاهي والأوتار والمزامير التي ورد الشرع لمنع منها. وكان تحريمها من قبل الاتباع... وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة. فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها) [الإحياء ٢/٢٧٢].

وقال ابن قدامة الحنبلية: (فصل في الملاهي، وهي على ثلاثة أضرب: محرَّم، وهو ضرب الأوتار والنايات والمزامير كلها والعود والطنبور والمعزفة والرباب ونحوها، فمن أدام استماعها ردت شهادته لأنه روي عن علي، رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا ظهرت في أمتي خمس عشرة خصلة حل بهم البلاء) نذكر منها المعازف والملاهي، وقال سعيد. قال رسول الله ﷺ: «إن الله بعثني رحمة للعالمين، وأمرني بمحق المعازف والمزامير لايحل بيعهن ولا شراؤهن ولا تعليمهن ولا التجارة فيهن وثمنهن حرام) [المغني ٨/١٧٤].

وذهب بعض الفقهاء إلى إباحة الدف والطبل مطلقا مالم يرافقهما محرم، لعدم ورود نص على التحريم، وهم بعض الصوفية، ومال الغزالي إليهم.

قال ابن قدامة: (وضرب مباح وهو الدف، فإن النبي ﷺ قال: «أعلنوا النكاح» [رواه مسلم]، وذكر أصحابنا وأصحاب الشافعي أنه (مكروه في غير النكاح) [المغني: ٨/١٧٤].

وقال الغزالي: (فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها، وماعدا ذلك فليس في معناها، كشاهين الرعاة والحجيج، وشاهين الطبالين، وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب، لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها، فلم يكن في معناها

*الخبير بالموسوعة الفقهية - الكويت

فبقي على أصل الإباحة) [الإحياء:٢/ ٢٧٢و٢٧٣].

وقال الحصكفي: (ومنهم من أجازه – أي الغناء – في العرس كما جاز ضرب الدف فيه، ومنهم من أباحه مطلقا، ومنهم من كرهه مطلقا، وفي البحر والمذهب حرمته مطلقا) [الدر المختار في هامش رد المحتار عليه ٤/ ٣٨٢].

وذهب جمهور الفقهاء، إلى إباحة الدف في العرس والولائم والأفراح المشروعة، كالختان والأعياد، وفي الحرب، وكذلك الطبل عند الأكثرين، وذلك لما فيه من المصلحة الغالبة، كإعلان العرس، وجمع الصفوف في الحرب، ولما ورد في ذلك من الآثار.

قال ابن عابدين من الحنفية: (وإذا كان الطبل لغير اللهو فلا بأس به كطبل الغزاة والعرس، لما في الأجناس؛ ولا بأس أن يكون ليلة العرس دف يضرب به ليعلن به النكاح، وفي الولوالجية: (وإن كان للغزو أو القافلة يجوز) [ابن عابدين ٥/ ٣٤].

وقال قليوبي من الشافعية: (ويجوز دف لعرس وختان وكذا غيرهما. في الأصح) [قليوبي ٤/ ٣٢٠].

وقال ابن قدامة الحنبلي: (لابأس بالدف في العرس والختان وأكره الطبل وهو المنكر وهو الكوبة التي نهى النبي ﷺ) [المغني ٦/ ٥٣٨].

إلا أن بعض الفقهاء أشار إلى أن الدف مباح في العرس للنساء فقط دون الرجال، قال ابن قدامة: (وأما الضرب به – أي بالدف في العرس – للرجال فمكروه على كل حال، لأنه إنما كان يضرب به النساء والمخنثون المتشبهون بهن، ففي ضرب الرجال به تشبه بالنساء، وقد لعن النبي ﷺ: «المتشبهين من الرجال بالنساء) [المغني ٦/-].

هذا حكم العزف والسماع، والحكم في التعليم والتعلّم والبيع والشراء والصنع والاستئجار وغير ذلك مثله، للقاعدة الكلية (ما أدى إلى الشيء أعطي حكمه).

قال ابن عابدين: (.. ونظيره كراهة بيع المعازف لأن المعصية تقام بها عينها ..) [ابن عابدين ٣/ ٣١٣].

وقال الجلال في المحلي: (والأصنام وآلات الملاهي كالطنبور وغيره لا يجب في إبطالها شيء، لأنها محرمة الاستعمال ولا حرمة لصنعتها، والأصح أنها لا تكسر الكسر الفاحش بل تفصل لتعود كما قبل التأليف لزوال الاسم بذلك، والثاني تكسر وترضض حتى تنتهي إلى حد لا يمكن اتخاذ آلة محرمة منه لا الأولى ولا غيرها) [شرح المحلي في هامش قليوبي عليه ٣/ ٣٣]. هذا ويستوي في الحكم أن يكون العزف أو السماع المحرم أو المكروه في المنزل أو الشارع أو الفندق أو دار الإذاعة أو غير ذلك، لعدم الفارق المؤثر، وكلما كان الإعلان أشمل وأعم كان التحريم أو الكراهة أشد، لشدة الضرر، والله تعالى أعلم□

اتسمت الشريعة الإسلامية بالسعة والشمول، وأحاطت بجميع جوانب الحياة الإنسانية الضرورية

التجربة والمشاهدة

مبدأ أصيل في منهج البحث العلمي عند المسلمين

بقلم: عبد الله بدران

اتسمت الشريعة الإسلامية بالسعة والشمول، وأحاطت بجميع جوانب الحياة الإنسانية الضرورية، ودعت لتحقيق التوازن الشامل والدقيق بين الحياتين الروحية والجسدية، لتتم حياة الإنسان على أكمل هيئة، وأتم صورة. والناظر في كتاب الله – عز وجل – وفي سنّة نبيه ﷺ، يجد أن هناك اهتمامات أولاها الإسلام عناية خاصة، وحث عليها، ودعا إلى الالتزام بها، وحضّ على متابعتها، والتمسك بها، وذلك لكونها ضرورية للإنسان. فهي تفتح آفاق المعرفة أمامه، وتنير السبل المظلمة، وتوضح مشكلات الحياة ومصاعبها، وتنبه إلى حقائق لا ينبغي التهاون بها. ومن هذه الأمور دعوة الإسلام إلى العلم، وحضه المتكرر على الأخذ به، وقد وعى العلماء المسلمون هذه الحقيقة، فأقبلوا على العلوم يدرسونها، ويطلعون على ما كتب العلماء القدماء عنها، ثم تعمقت دراستهم لها، وأصبح لها معنى خاص، وأخذوا يعتمدون على منهج علمي فريد في دراسة كل علم من العلوم، يقرأون كل ما كتب قبلهم، ويجردون عقولهم عن الأوهام والخرافات، ويعتمدون على البحث والتجربة، والحس والمشاهدة، ثم يدونون أفكارهم وآراءهم مشفوعة باستنباطات بديعة، واستنتاجات مدهشة.

مبدأ التجربة والمشاهدة

مبدأ التجربة والمشاهدة أهم مبدأ تمسك به العلماء المسلمون في منهجهم العلمي، ولم يستغن عنه أي عالم دارس للعلوم التطبيقية، كالطب، والفلك، والفيزياء، والكيمياء، والجغرافيا، والهندسة و..إلخ. ولم يكتف العلماء بما قرأوه عن أسلافهم ويسلموا لهم، بل أخذوا يضعون الأفكار والقراءات السابقة على محك التجربة والمشاهدة، فإن اتفقت الدراسة مع التجارب والمشاهدات، أخذوا بتلك الدراسة واعتمدوها، وإن تباينت الدراسة مع ما جربوه وشاهدوه، نبذوا تلك الدراسة، ولم يلقوا لها بالاً.

حتى إن أحدهم لم يكن يجرؤ على القول بنظرية ما إلا بعد أن يخضع نظريته وآراءه لميزان التجربة والمشاهدة، ليكون البحث والرأي كاملا، ولتكون النظرية دقيقة. والفكرة سليمة وصحيحة، وقد أدت هذه المعاينة الدقيقة لكل أمر من الأمور إلى ذلك النمو الهائل في العلوم الإسلامية، والتطور الزاهر الذي شهدته الحضارة الإسلامية، وإلى اعتماد الحضارات التي أتت بعد الحضارة الإسلامية على تلك المنهجية العلمية الفريدة، واعتبارها ركنا ركينا في التفكير العلمي السليم.

صور حية لذلك المبدأ

وسنتناول صورا حية في العلوم التطبيقية الإسلامية، لنرى من خلالها تطبيقات حية وعملية لمبدأ التجربة.

التجربة والمشاهدة

١) في مجال الطب:

اشتهر الأطباء المسلمون بأنهم أثبتوا دراستهم وخبراتهم بعد تجاربهم الحسية الملموسة التي شاهدوها وعاينوها بأنفسهم. ولم يسلموا لكبار الأطباء السابقين، وإن كانت شهرتهم قد أطبقت الآفاق. ومن هؤلاء الطبيب (موفد الدين عبد اللطيف البغدادي)، الذي وضع كتابا سماه (الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر). وفيه نرى مخالفته الصريحة لـ (جالينوس) الذي كان مثارا لإعجاب الطبيب العربي. يقول البغدادي: (إن (جالينوس) قد أطبق على أن – أي عظم الفك الأسفل – عظمين بمفصل واحد، وثيق عند الحنك. فقد باشر التشريح بنفسه، وجعله دأبه ونصب عينيه. والذي شاهدناه من هذا العضو أنه عظم واحد، ليس فيه مفصل ولا درز أصلا. واعتبرناه –فحصناه – ما شاء الله من المرات في أشخاص كثر، تزيد على ألفي جمجمة بأصناف من الاعتبارات، فلم نجده إلا عظما واحدا من كل وجه، ثم استعنا بجماعة متفرقة اعتبروه – فحصوه – بحضرتنا، فلم يزيدوا على ما شاهدناه منه وحكيناه).

ونرى شيخ الأطباء (أبا بكر الرازي) يبيّن الفرق الهائل بين العلم النظري المجرد، والعلَم التطبيقي المجرب. فيقول: (ينبغي للمعني بأمر الطب، أن يجمع بين رجلين: أحدهما فاضل في الفن العلمي في الطب، والآخر كثير الدربة والتجربة، ويصدر عن اجتماعهما في أكثر الأمور، فإن اختلفا فليعرض ما اختلفا فيه على كثير من أصحاب التجارب، فإن أجمعوا جميعا على مخالفة صاحب النظر قُبِل منهم، فإن الشكوك المغلطة تقع – على الأكثر – في الفن العلمي النظري أكثر منه في التجربة، فإن لم يتهيأ له إلا أحد الرجلين فليختر المجرب، فإنه أكثر نفعا في صناعة الطب من العاري عن الخدمة والتجربة البتة).

٢) في الأعشاب والنباتات:

وكذلك سلك علماء النباتات والأعشاب سبيل من سبقهم من علماء الطب في الاعتماد على التجربة والمشاهدة في مناهجهم. وها هو شيخ العشابين (ابن البيطار)، يبيّن ذلك في مقدمة كتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) فيقول:

(إني توخيت صحة النقل فيما أنقله عن الأقدمين، وأحرره عن المتأخرين. فما صح عندي بالمشاهدة والنظر، وثبت لدي بالخُبر لا بالخَبَر، ادخرته كنزا سريا، وعددت نفسي عن الاستغناء بغيري فيه – سوى الله – غنياً. وما كان مخالفا في المنفعة والماهية للصواب والتحقيق، أو أن ناقله – أو قائله – عدل فيه عن سواء الطريق، نبذته ظهريا، وهجرته مليا، وقلت لناقله أو قائله: لقد جئت شيئا فريا، ولم أحاب في ذلك قديما لسبقه، ولا مُحدَثا اعتمد غيري على صدقه).

وقد أصبح كلام (ابن البيطار) هو المنهج المعتمد لدى علماء الغرب، لكنهم نسبوا إليهم هذا السبق، وادعوا أنهم أصحاب (المنهج التجريبي).

وكان (رشيد الدين الصوري) صاحب كتاب (الأدوية)، يدرس النباتات في منابتها ويستصحب معه إلى أماكنها مصوراً يحمل أصباغا مختلفة متنوعة، فإذا شاهد النباتات في منابتها حققها، واطلع المصور عليها، لينقلها بألوانها ومقادير ورقتها وأغصانها وأصولها، ويصورها بنسبها كما تبدو في الواقع. كما يروى عنه أنه كان يتتبع تطور النبات، ويريه للمصور في حالة نبته وطراوته، ثم في حال اكتماله وظهور بزره، ثم في حال أفوله ويبسه. ويعتبر عمل (الصوري) هذا أساسا في المنهج التجريبي المتبع في هذه الأيام.

٣) في علمي الفلك والحيل:

عندما درس العلماء المسلمون علم الفلك كانت هناك مقولات كثيرة، وآراء عديدة، منقولة عن علماء أقدمين كـ (بطليموس) و(أرسطاطليس)، وكانت تلك الآراء والمقولات مسيطرة على عقول الناس وأفكارهم، ومسلّم بصحتها وثبوتها.

لكن علماء المسلمين لم يأخذوا بتلك الآراء على أنها ثابتة وصحيحة، بل اعتمدوا على الحس والمشاهدة والتجربة في مطابقة الفكرة بالمشاهدة. فها هو (البيروني) يقول في مقدمة كتابه (الآثار الباقية من القرون الخالية):

(صدق قول القائل: ليس الخبر كالعيان، لأن العيان هو إدراك عين الناظر عين المنظور إليه في زمان وجوده، ومكان حصوله).

وقد استطاع (البيروني) من خلال البحث والتجربة والمشاهدة من تقدير الثقل النوعي لكثير من العناصر، كما استطاع تحديد أبعاد الأرض والظواهر التي تبدو في أوقات الشفق، أو كسوف الشمس.. وغيرها.

وبرع في ذلك أولاد (موسى بن شاكر)، الذين نبغوا في علم الحيل (الميكانيك) وفي

الفلك، والفيزياء. ويظهر ذلك جليا عندما طلب منهم (الخليفة المأمون) أن يتحققوا من مقاس الكرة الأرضية، فسألوا عن الأراضي المنبسطة في أي البلاد تكون، قيل لهم في صحراء سنجار، فذهبوا إليها ووقفوا في موضع بها، وأخذوا ارتفاع القطب الشمالي بما تيسر لهم من آلات في ذلك العهد، وضربوا في هذا الموضع وتدا، وأوثقوا به حبلا طويلا، وساروا شمالا، وفعلوا به ما فعلوا في ذلك الموضع، ولم يزل ذلك دأبهم حتى انتهوا إلى موضع أخذوا فيه ارتفاع القطب المذكور، فتبينوا أنه زاد على الارتفاع درجة واحدة، فمسحوا ذلك القدر الذي قدروه من الأرض بالحبال فبلغ (٣/٢ ٦٦ ميل)، فعرفوا أن كل درجة من درج الفلك يقابلها من سطح الأرض ذلك المقدار، ثم عادوا إلى الموضع الذي ضربوا فيه الوتد الأول، وشدوا فيه حبلا، ومضوا جنوبا، وساروا في خط مستقيم، وفعلوا ما فعلوه في الشمال من نصب الأوتاد وشد الحبال، حتى نفدت الحبال التي استخدموها في الشمال، ثم أخذوا الارتفاع، فتبينوا أن القطب الجنوبي قد نقص عن ارتفاعه الأول درجة، فصح حسابهم، وحققوا ما قصدوه من ذلك.

ثم عادوا فأخبروا المأمون بما فعلوا، فطلب منهم أن يعيدوا التجربة في موضع آخر، وسيرهم إلى الكوفة، ففعلوا بها ما فعلوا في سنجار، واتفق الحسابان.. وهكذا أكد قياس العرب أن محيط الأرض ٤١٢٤٨ كيلومتراً.

٤) في الكيمياء والفيزياء:

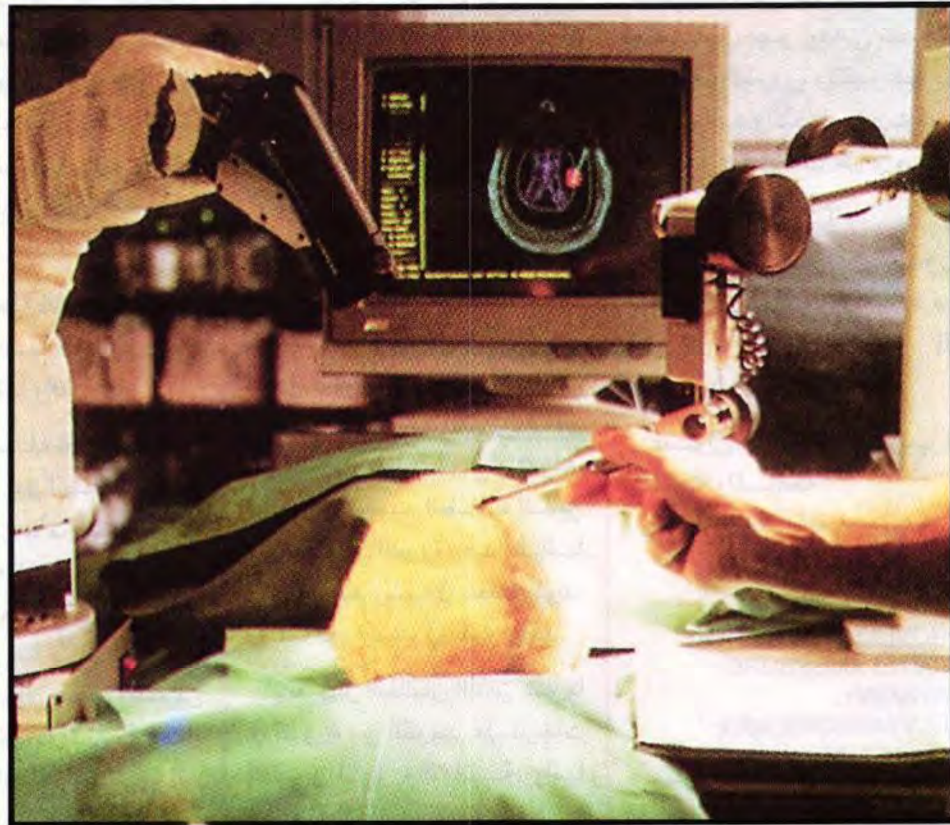
كان للمسلمين نصيب مهم في علم الكيمياء الذي كانوا يسمونه (علم الصنعة)، وشغلت فكرة تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة، فكرة العالم المسلم (خالد بن يزيد). لكن علم الكيمياء شهد تطورا ملحوظا عند (جابر بن حيان)، الذي يعتبر أشهر عالم عربي اشتغل بالكيمياء وبرع فيها، وهو الذي ترك أبحاثا غاية في الأهمية والدقة والعمق، وقد اعتمد في أبحاثه تلك على الحس والتجربة والمشاهدة. ولم يدون أبحاثه إلا بعد الاختبار والفحص والمعاينة، وقد أثبت ذلك المبدأ في كتابه (الخواص الكبير) حيث يقول:

(ويجب أن نعلم أنا نذكر في هذه الكتب خواص ما رأيناه فقط، دون ما سمعناه، أو قيل لنا وقرأناه، بعد أن امتحناه وجربناه، فما صح عندنا أوردناه، وما بطل رفضناه، وما استخرجناه نحن أيضا، وقايسناه على أقوال هؤلاء القوم).

مبدأ التجربة والمشاهدة أهم مبدأ تمسك به العلماء المسلمون في منهجهم العلمي، ولم يستغن عنه أي عالم دارس للعلوم التطبيقية

أما في الفيزياء، فقد اهتم العلماء بأبحاث الصوت والضوء بصورة كبيرة، ويطلق على علم الضوء عندهم (علم البصريات)، أو (علم المناظر)، وأشهر العلماء المسلمين الذين أبدعوا في ذلك (ابن الهيثم البصري)، الذي نفى نظرية (إقليدس) و(بطليموس)، في أن الإبصار يعود إلى إشعاعات تخرج من العين إلى الشبح المرئي. وقال: إن الأشباح تدخل العين منقولة إليها من خلال الرطوبة الزجاجية. وأوضح لنا مبدأه في العمل، واعتماده على التجربة في كتابه (المناظر)، إذ يقول: (ونبتدئ في البحث باستقراء الموجودات ما يخص البصر في حال الإبصار، وما هو مطرد لا يتغير، وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس، ثم نترقى من البحث والمقاييس على التدريج والتدريب، مع انتقاء المقدمات، والتحفظ من الغلط إلى النتائج. ونصل بالتدريج واللطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين. ونظهر مع النقد والتحفظ بالحقيقة، التي يزول معها الخلاف، وتنحسم به مواد الشبهات).

لقد كان ابن الهيثم أبا المنهج العلمي الحقيقي. لا (روجر بيكون). فلقد خالف من سبقه في نظرية الرؤيا، ولم يسلم بما كان سائدا في ذلك الوقت، بل شك وبحث ونقد، واستفاد ممن تقدمه، ولكنه أتم النقص، ونقض الخطأ، ثم ألف وأبدع وحدة مترابطة الأجزاء. وعلى منهج هؤلاء العلماء سار علماء الجغرافية والهندسة وغيرهم، متبعين مبدأ فريدا فرض وجوده على الحضارات اللاحقة، تبيّن فيه دقة المنهج الذي سار عليه المسلمون الأوائل، وسلامته من الزيغ والزلل والاضطراب □



تهدف الدورة إلى نشر العلوم الإسلامية والعربية بين أبناء المسلمين في ديار الغرب، وتعريف الغربيين بحقيقة الإسلام المستنبطة من كتاب الله، وسنّة رسوله ﷺ

فوز طالبين كويتيين بالدرجة الأولى والثانية في الدورة السادسة للعلوم الشرعية بألمانيا

عقد (المركز الدولي للعلوم الإسلامية) في ألمانيا دورته السادسة للعلوم الشرعية والعربية في الفترة ما بين السبت ٢١ رجب ١٤١٥هـ (٢٥/١٢/١٩٩٤م)، إلى الجمعة ٥ شعبان ١٤١٥هـ (٦/١/١٩٩٥م)، في دار السلام في BREUBERG-NEUSTADT.

وقد حضر في هذه الدورة خمسة عشر طالبا من عدد من الدول الأوروبية، كما شارك فيها ولأول مرة طالبان من ماليزيا وطالبان من الكويت، بعد أن قررت إدارة المركز منح كرسيين دائمين لكل من طلاب الدولتين، في كل دورة من دوراتها

متابعة:

د. صلاح الدين أرقه دان

وساهم في التدريس فيها كل من الأساتذة الأفاضل:

- الأستاذ الشيخ علي الشربجي من الهيئة الاستشارية لتطبيق الشريعة الإسلامية في الكويت.

- الأستاذ الدكتور محمود الطحان من جامعة الكويت.

- الأستاذ الدكتور محمد حسن هيتو من جامعة الكويت.

- الأستاذ الشيخ أسعد سعود الزريج من وزارة الأوقاف الكويتية.

وقد دُرّست في هذه الدورة كتب كاملة في كل من العلوم الآتية: التوحيد والفقه ومصطلح الحديث والنحو والتجويد. وقد حضر جميع الطلاب في الموعد المحدد قبل افتتاح الدورة حسب الشروط الموضحة في الإعلان عنها، ولم يتخلف أحد منهم.

وفي تمام الساعة الثامنة من صباح يوم السبت ٢٤/١٢/١٩٩٤م، افتتحت الدورة بكلمة من الدكتور محمد حسن هيتو مدير المركز الدولي، رحب فيها بالأساتذة الزائرين للتدريس، والطلاب المشاركين للدراسة، والإخوة المساهمين في أعمال الدورة من أعضاء المركز، وذكر نبذة عن المركز الدولي وأهدافه العلمية التي يرمي إليها، كما بيّن الأهداف المنشودة من هذه الدورة، والدورات السابقة واللاحقة، وأن المركز لا يهدف من خلال أعماله إلى إقامة تجمع سياسي جديد، وإنما يريد نشر العلوم الإسلامية والعربية بين أبناء المسلمين في ديار الغرب، كما يريد تعريف الغربيين بحقيقة الإسلام، والمستنبطة من كتاب الله، وسنّة رسول الله ﷺ، بناء على القوانين العلمية الثابتة، لا على الجهل والشهوة والهوى، كما يخيل لمن بعد عن علوم الشريعة وقوانينها.

ثم قرأ لائحة النظام الداخلي، والآداب العامة التي يجب على الطلاب مراعاتها والتزامها.

وفي تمام الساعة التاسعة، وزعت الكتب على الطلاب المشاركين، وبدأت الدراسة، وكانت مكثفة للغاية حيث تلقى الطالب كل يوم ساعتين لكل مادة، فكان مجموع ما تلقاه الطالب في كل مادة حوالي خمس وعشرين ساعة، وهي تعادل دراسة فصل كامل في الجامعات العالمية. وقد اشتملت الدورة إلى جانب الدراسة على برنامج تربوي تجلى في اختلاط الطلاب بأساتذتهم صباح مساء، وصيام يومي الاثنين والخميس، والإفطار الجماعي، وقيام الليل الذي كان يبدأ كل ليلة قبل الفجر بساعة وعشر دقائق، وأذكار الصباح والمساء التي كانت تحيل الجو إلى جو إيماني عملي، تتجلى فيه آثار التربية العملية إلى جانب التعليم النظري.

وفي نهاية الدورة أُجري امتحان تحريري للطلاب، كانت نتيجته جيدة للغاية، تدل على الفرق الشاسع بين الطالب الذي يدرس لنيل الشهادة، والطالب الذي جاء راغباً في العلم والمعرفة، فقد نجح جميع الطلاب الذين شاركوا في الدورة، عدا طالبا واحدا، قد رسب في معظم المواد، وطالبا آخر رسب في مقرر واحد.

وقد حاز الطالبان اللذان شاركا في الدورة من الكويت على درجات التفوق الأولى والثانية، وأما الدرجة الثالثة، فقد حاز عليها طالب من ألمانيا، كما حاز طالب من الدانمارك على الدرجة الرابعة.

وقد اختتمت الدورة في تمام الساعة الثامنة من مساء يوم الخميس ٥/١/١٩٩٥م، بحفل متواضع ابتدأ بكلمة من الأساتذة المشاركين في الدورة، ثم أعلنت النتائج، ووزعت الهدايا على الطلاب المتفوقين، وودع فيها الأساتذة طلابهم، والطلاب أساتذتهم، كما ودع بعضهم بعضا، في جو إيماني تغمره السعادة والسرور، وتتجلى فيه كل معاني الود والاخاء، عبرت فيه الدموع عما في قلب كل واحد من الحاضرين عن الكلام.

كما أعلن المركز عن الدورة القادمة التي ستكون في الفترة من ٢٣/١٢/١٩٩٥م إلى ٧/١/١٩٩٦م إن شاء الله.

عنوان المركز لمن يرغب في المشاركة والمساهمة :

INTERNATIONAL ZENTRUM
FUR ISLAMISCHE
WISSENSCHAFTEN e.v.

PROVLANTBACHSTR30,
D-86153 AUGSBURG,
GERMANY,
TEL/FAX:0821/559828

وكان للوعي الإسلامي اللقاء التالي مع الأخوين الفائزين

بالمرتبة الأولى والثانية في الدورة المذكورة وانطباعاتهما عنها وتنمياتهما،

قال الطالب بكلية الشريعة بجامعة الكويت، سنة رابعة، الفائز بالرتبة الأولى/ خالد عبد الله محمد المطيري: كانت لي رغبة بالمشاركة منذ أكثر من سنة، ولم أتمكن من تحقيقها سابقا حتى كتب لي الله ذلك في هذا العام بدعوة من الدكتور/ حسن هيتو، وتزكية من أستاذي الفاضل الشيخ/ حمد سنان..

وأعرب عن رغبته المستقبلية في تحضير الماجستير بالفقه والأصول.. أما عن الانطباع الذي تركته زيارة ألمانيا، فقال: أنا أعرف أن في الدول الأوروبية عدد كبير من المسلمين، والجهد الذي يقوم به الدكتور/ هيتو جهد يشكر عليه، ومشاركتنا في هذه الدورة نوع من أنواع التشجيع وإنجاح هذا النشاط السلامي العلمي الطيب، وتقوية روابط الأخوة بين المسلمين في أوروبا وبين أهل الكويت، وللمشاركة هدف آخر يتمثل في زيادة التعلم والتلقي، فليس في العلم صغير أو كبير، وهذه أهم الإهداف التي شجعتنا على المشاركة.. وفي إجابته على سؤالنا عن نشاطات أخرى قام بها خلال الزيارة قال: كانت الزيارة مقصورة على الدورة نفسها، على المركز الإسلامي، ولم نملك وقتا كافيا، فقد كانت الدراسة من الفجر إلى المغرب، وامتحاناتنا في (كلية الشريعة بالكويت) عقب الدورة مباشرة. مع أن الأخوة في الدانمرك وبعض أنحاء ألمانيا قد وجّهوا لنا الدعوة لزيارتهم، وقد وعدناهم بذلك في المستقبل إن شاء الله.. وأتمنى لهذه الدورة ان تنمو وتزيد أعداد المشاركين فيها وأن تتعدد المستويات لتعميم الفائدة على أكبر عدد ممكن من



الفائز الأول/ خالد عبد الله محمد المطيري



الفائز الثاني/ علي إبراهيم الراشد

الشباب المسلم المقيم في أوروبا.. وعمّا استفاده شخصيا قال: لم تكن العلاقة مع المشايخ ولأساتذة المشرفين على الدورة علاقة محصورة في زاوية التلقي والتعليم، ولكننا شعرنا بالأخوّة والعطاء الذي لا يعرف الحدود وبالاهتمام الشخصي بطالب العلم، مما يعود بنا إلى الأهداف الأساسية للعملية التربوية الإسلامية..

ليس للعلم حدٌ يقف عنده

لقاؤنا الثاني كان مع الفائز بالدرجة الثانية الطالب بكلية الشريعة، السنة الثالثة، علي إبراهيم الراشد، فقال عن سبب اختياره طريق الدراسات الشرعية: رغبتي منذ الصغر بتلقي العلم الشرعي للتفقه في الدين، والسهر على خدمة الإسلام إن شاء الله، دفعتني للإلتحاق بكلية الشريعة أنهل من العلم والمعرفة الإسلامية..

وعن قصة مشاركته بالدورة قال: تأثرت باطلاعي على كتب الفقهاء وسيرهم في تلقي العلم والسفر في هذا السبيل، مما جعلني أسعى لتطبيق ما عرفته على نفسي، وتقدمت بطلب الالتحاق بالدورة نفيذا لهذه الرغبة في التحصيل والاقتداء، والحمد لله تم قبول طلبي، ومشاركتي، وكتب الله لي شرف النجاح فيها..

أما رغبته المستقبلية فقد لخصها بقوله: ليس للعلم حد يقف عنده، وأمنيتي متابعة الدراسة كما قال الإمام أحمد بن حنبل (من المحبرة إلى المقبرة).. ورغبتي تتركز في التخصص بأصول الفقه إن شاء الله، فهذه المادة أصبحت من نوادر التخصصات ولها أهمية خاصّة في فهم القواعد الفقهية وتطبيقاتها..

وسألناه عن أنطباعات زيارته لألمانيا فقال مبتسما: بصراحة.. كنا لا نسمع إلا عن ألمانيا الفساد، ولكنني عندما زرتها مؤخرا عشت في الجو الإسلامي داخلها، ولست مدى تمسك ومرابطة الجالية هناك، ولقد أحسست بعمق وإخلاص أن المستقبل لهذا الدين إن شاء الله، وربما يعجز أحدنا أحيانا عن التعبير عن مشاعره وهو يعيش مع إخوة له من جميع أنحاء أوروبا في جو إسلامي طيب، تحت ظلال تلقي العلم في قلب أوروبا وفي قلب ألمانيا بالذات.. وعن مشاركته في نشاطات خارج الدورة أجاب: كانت الدراسة مكثفة، ووقتها قصير نسبيا، فلم نتمكن من تنفيذ أي برامج أخرى خارج نطاقها، ولكننا التقينا بإخوة يقيمون في أنحاء متفرقة من أوروبا، ويقومون على مراكز إسلامية دعوية، تبادلنا وإياهم الآراء والأفكار وعاهدناهم على زيارة متفرغة في أقرب فرصة إن شاء الله، وفي نيتي زيارة كل من الدانمرك وهولندا بالإضافة إلى ألمانيا نفسها، ففي الدانمرك مدرسة إسلامية ونشاطات ثقافية متعددة، وزيارة الجاليات المسلمة في الغرب عنصر مهم من عناصر المعرفة والاعتبار والتواصل الأخوي..

وأقترح تمديد مدة الدورة إلى شهر واحد بدل الأسبوعين، وحبذا لو قامت وزارة الأوقاف والشوون الإسلامية في الكويت بدعم هذه الدورة العلمية وأمثالها، لاسيما في أوروبا، لما في مثل هذه الأعمال التعليمية والتثقيفية من فوائد كثيرة..

الحمد لله، لقد ثبتنا من خلال هذه المشاركة المعلومات الأساسية لتي يحتاجها طالب العلم الشرعي، وتمثل له قاعدة أساسية لينطلق إلى العلوم الأخرى، أما بالنسبة للناحية الروحية، فمن خلال العيش الأخوي، يشعر أحدنا بوجود الإسلام وبسموه الروحي خاصة عندما يناجي ربه مع إخوانه ويصوم متطوعا ويفطر معهم، فكل هذه المعاني الروحية يشعر الإنسان بها بقربه من الله تعالى.. وفي الختام أدعوه تعالى أ يجزي خيرا كل من علمني ورفع من مستواي العلمي ورسّخ في نفسي المعنى الإسلامية، وهم أصحاب فضل لا ينسى.

تحقق العلاقة الروحية بين طالب العلم وأستاذه الأهداف الأساسية للعملية التربوية

ابن جُزي الكلبي المفسّر الشهيد

بقلم: محمد ياسر القضماني

هل هناك عمل في الوجود أشرف من أن يعمل المرء في خدمة كتاب الله عز وجل، ويقف نفسه على تعليمه؟! وصدق نبينا ﷺ القائل: «خيركم من تعلّم القرآن وعلمه». ومن هناك كان لعلوم القرآن شرف ومزية، ترفعها على سائر العلوم، وعلوم السنّة، مما يلتحق بعلوم القرآن في الفضل والشرف. فلا غرو أن الكتاب والسنّة، هما المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وقد قيّض الله تبارك وتعالى رجالا نذروا أنفسهم وطاقاتهم في كل عصر، لخدمة كتاب الله، ومن هؤلاء الامام ابن جزي الغرناطي الأندلسي، كان ممن يشار له بالبنان، وله تفسير مستقل متميز سماه: (التسهيل لعلوم التنزيل)، وقد طُبع في أربعة أجزاء، في مجلد ضخم، فلنأخذ لمحة عن تفسير هذا الإمام:

مقدمات التسهيل لعلوم التنزيل

قدم الإمام في بداية تفسيره مقدمتين، الأولى في أصول التفسير وقواعده، وما يتعلق به من علوم القرآن، وقد جعلها في اثني عشر بابا.

والمقدمة الثانية: وهي مقدمة لغوية خاصة بالألفاظ التي يكثر دورانها في القرآن الكريم، وهي بمنزلة معجم مصغر لألفاظ القرآن.

ومما قاله في خطبة الكتاب: (... وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت مسلكا نافعا، إذ جعلته وجيزا، جامعا، قصدت به أربعة مقاصد، تتضمن أربع فوائد.

الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم، تسهيلا على الطالبين، وتقريبا على الراغبين. فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها، وفضولها. ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن اللباب دون القشر المرغوب عنه من غير إفراط ولا تفريط، ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.

الفائدة الثانية: ذكر نكت عجيبة، وفوائد غريبة، قلما توجد في كتاب، لأنها من بنات صدري، وينابيع فكري، أو مما أخذته عن شيوخي - رضي الله عنهم - أو مما التقطته من مستظرفات النوادر الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات، إما بحل العقد المقفلات، وإما بحسن العبارة، ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح، وذلك أن أقوال الناس على مراتب فمنها:

الصحيح الذي يعول عليه. ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه. ومنها ما يحتمل الصحة والفساد..

ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساويا أو متفاوتا، والتفاوت قد يكون قليلاً أو كثيراً) إ.هـ.

ولقد حقق جلّ ما وعد به من خلال جهده الواضح في تفسيره، ومن علائم جهده في تفسيره:

١) تتبع أقوال المفسرين، ومحاولة تلخيصها بعد استقصائها قدر الإمكان، مثلا يقول في قوله تعالى: ﴿وشاهد ومشهود﴾ [البروج:٣]:

وقد اضطرب الناس في تفسير الشاهد والمشهود اضطرابا عظيما، ويتلخص من أقوالهم في (الشاهد) ستة عشر قولا، يقابلها في (المشهود) اثنان وثلاثون قولاً. وذكرها.

ويذكر في تفسير ﴿ناشئة الليل﴾ [المزمل:٦] سبعة أقوال. وفي تفسير ﴿الكوثر﴾ [الكوثر:١] سبعة أقوال. وفي تفسير ﴿غاسق إذا وقب﴾ [الفلق:٣] ثمانية أقوال.

٢) يبذل جهدا واضحا في محاولة الترجيح بين الأقوال، وعلى سبيل المثال: رجح أن الكوثر المراد به الحوض، بسبب الحديث الصحيح الوارد، ورجح أن الغاسق إذا وقب، هو الليل إذا أظلم، بسبب ورود ذلك المعنى بذلك اللفظ في موضع آخر من القرآن ﴿إلى غسق الليل﴾ [الإسراء:٧٨].

٣) بذل الجهد في رد بعض الأقوال وبيان بطلانها فمثلا:

عند قوله تعالى: ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا﴾ [مريم:١٨]. يقول ابن جزي: (لمّا رأت الملك الذي تمثل لها في صورة البشر، قد دخل عليها، فخافت أن يكون من بني آدم، فقالت له هذا الكلام، ومعناه إن كنت ممن يتقي الله فابعد عني، فإني أعوذ بالله منك. وقيل: إن (تقيا) اسم رجل معروف بالشر عندهم، وهذا ضعيف وبعيد).

٤) وقد اهتم الشيخ بذكر النكات واللطائف التفسيرية من مثل قوله في آخر سورة (المؤمنون) عند قوله تعالى: ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ [الاية:١١٧] قبل الأخيرة، فيقول ابن جزي: وانظر كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين، وختمها بعدم فلاح الكافرين، ليبيّن البون بين الفريقين، والله أعلم.

ويقول عند قوله تعالى عن الأنعام: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾ [النحل:٦]: (الجمال حسن المظهر، وحين تريحون يعني حين تردونها بالعشي إلى المنازل، وحين تسرحون حين تردونها بالغداة إلى الرعي، وإنما قدم تريحون على تسرحون لأن جمال الأنعام بالعشي أكثر، لأنها ترجع وبطونها ملأى، وضروعها حافلة).

ولابن جزي رحمه الله في تفسيره، إسهابات وإطالات في بعض المواضع، يعزّ نظيرها، فاستمع إليه وهو يحدث عن **التقوى** عند قوله تعالى في أول سورة البقرة ﴿**هدى للمتقين**﴾ يقول: فنتكلم عن التقوى في **ثلاثة** فصول:

الأول في فضائلها المستنبطة من القرآن، وهي خمسة عشرة:

١ - الهدى لقوله: ﴿هدى للمتقين﴾

[البقرة:٢].

٢ – والنصرة لقوله: ﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ [النحل:١٢٨].

٣ – والولاية لقوله: ﴿والله ولي المتقين﴾ [الجاثية:١٩].

٤ – والمحبة لقوله: ﴿إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة:٧].

٥ – والمغفرة لقوله: ﴿إن تتقوا يجعل لكم فرقانا﴾ [الأنفال:٢٩].

٦ و٧ – والمخرج من الغم، والرزق من حيث لا يحتسب لقوله: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ [الطلاق:٢].

٨ – وتيسير الأمور لقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ [الطلاق:٤١].

٩ و١٠ – وغفران الذنوب وإعظام الأجور لقوله: ﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا﴾ [الطلاق:٥].

١١ – وتقبل الأعمال لقوله: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [المائدة:٢٧].

١٢ – والفلاح لقوله: ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران:١٣٠].

١٣ – والبشرى لقوله: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [يونس:٦].

١٤ – ودخول الجنة لقوله: ﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾ [القلم:٣٤].

١٥ – والنجاة من النار لقوله ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم:٧٢]) إ.هـ.

ثم يذكر في الفصل الثاني أن البواعث على التقوى عشرة. والفصل الثالث يذكر أن درجات التقوى خمس. وهذا قد لا يوجد في تفسير من التفاسير.

أثر ابن جزيّ في المفسرين

وقد تأثر من المفسرين بتفسير ابن جزي الشيخ الجمل في كتابه (الفتوحات الإلهية على تفسير الجلالين). وممن تأثر به من المعاصرين الشيخ محمد علي الصابوني في كتابه (صفوة التفاسير)، فينقل من ابن جزي في مواضع.

أقول: كيف لا نهتم بابن جزي وله باع طويل في علوم القرآن، وبخاصة علم التفسير، وكتابه يردُّ فيه على كبار مثل الإمام الطبري وابن عطية. وقد انتفع به انتفاعا عظيما لأنه أندلسي مثله، ورد وناقش الزمخشري مع أنه أيضا انتفع من كتاب (الكشاف) انتفاعا عظيما، وجرى على طريقته في الفنقلة أي: (إذا قلت: لمَ قال كذا؟ أقول:...). وكذلك ناقش الإمام السهيلي.

ترجمة ابن جزي

وبعد، نأتي الآن لنلقي بعض الضوء على ترجمة الإمام ابن جزي، الذي يعتبر مغمورا، وكثير من طلبة العلم لا يعرفون تفسيره، وكثير منهم يعرف كتابه المشهور بـ(القوانين الفقهية)، ولا يعرف لابن جزي غيره.

فهو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي، وكنيته أبو القاسم. ويبدو أن (جزي) اسم أحد أجداده، والتسمية بجزي معروفة عند العرب على وزن (سُمي).

وابن جزي ينحدر من قبيلة كلب اليمانية، الذي منها دحية الكبلي، وزيد بن حارثة. والكلبيون دخلوا الأندلس، إما فاتحين قوادا، أو جنودا مجاهدين ومن هؤلاء سلف ابن جزي.

ومن أعلام أسرة المترجم: أبو أحمد بن جزي الكلبي المالكي المتوفى سنة ٦٢٠هـ تقريبا، وهو فقيه زاهد ورع، مفسر له: (تفسير القرآن العزيز).

وأما جد ابن جزي فهو فقيه له صلة بالوزارة، اسمه محمد، وكنيته أبوالقاسم، كصاحب الترجمة. وأما والده فقد كان من أهل الأصالة والذكاء، توفي سنة ٧١٠هـ. وأما أبناء المترجم، فهم: القاضي أحمد، ويكنى أبا بكر (ت ٧٨٥هـ)، والكاتب محمد، ويكنى أبا عبد الله (ت ٧٥٧هـ)، والقاضي عبد الله، ويكنى أبا محمد، توفي أبوه وهو في السابعة عشرة من عمره، وعهد الإمام في مدة ملك بني الأحمر، حيث ولد في عهد ثاني ملوك بني الأحمر، وتوفي في عهد سابع الملوك من بني الأحمر، وهو أبو الحجاج يوسف.

يعتبر ابن جزي مغمورا بالرغم من طول باعه في العلم، وبعضهم لا يعرف له سوى (القوانين الفقهية)

له شيوخ كثر، من أشهرهم ثلاثة عشر شيخا، أشهرهم أبو جعفر بن الزبير، أخذ عنهم أكثر العلوم والفنون، وله تلامذة كثر، من أشهرهم لسان الدين ابن الخطيب (٧١٣ – ٧٧٦هـ)، ترجم لشيخه ابن جزي في كتابه (الإحاطة). ومما وصفه به قوله: (كان رحمه الله، على طريقة مُثلى من العكوف على العلم، والاقتصار على الاقتيات من حرِّ النشب، والاشتغال بالنظر، والتقييد والتدوين، فقيها حافظا قائما على التدريس، مشاركا في فنون من العربية، والفقه، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حُفظة للتفسير، مستوعبا للأقوال، جمّاعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح الباطن).

وممن مدح أسرة ابن جزي المقَّري، حيث قال في نفح الطيب (١٠/١٤٢): وبيت بني جزي، بيت كبير، مشهور بالمغرب والأندلس.

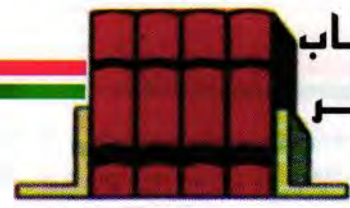
ويقول النباهي في: تاريخ قضاة الأندلس (ط ١٩٤٨م، ص ٧٧) في ابن جزي وبيته: (.. ذو البيت الأصيل، والمجد الرفيع الأثيل).

وقد تقلد ابن جزي – رحمه الله – وظائف كثيرة، أشهرها: الإمامة والخطابة للجامع الأعظم بغرناطة بلده، وكان يدرس القرآن الكريم، وقراءاته، وكان مفتيا عظيما يشار له، وكان مع هذا يؤلف ويجاهد، تنزه عن تولي القضاء تورعا.

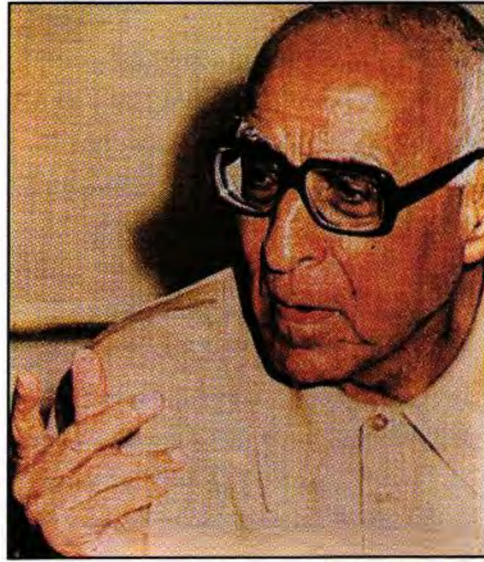
آثار ابن جزي وكتبه

ومن كتبه: (تقريب الوصول إلى علم الأصول) [مخطوط]، و(الصلاة)، و(النور المبين في قواعد عقاد الدين)، و(الضروري من علم الدين)، و(الفوائد العامة في لحن العامة)، و(فهرسة ابن جزي)، و(المختصر البارع في قراءة نافع)، و(أصول القراء الستة غير نافع)، و(وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم)، و(الأنوار السنية في الألفاظ السنية) [مخطوط] و(الدعوات والأذكار المخرجة من صيح الأخبار).. وأشهر كتبه: (القوانين الفقهية) و(التسهيل لعلوم التنزيل).

ولد ابن جزي – رحمه الله – في غرناطة في يوم الخميس ٩ من ربيع الآخر عام ٦٩٣هـ، الموافق ١٢٩٤م، واستشهد ضحوة يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى عام ٧٤١، الموافق ٣٠/١٠/١٣٤٠هـ، في معركة طريف□



الفكــر الـدينــي عند زكي نجيب محمود



تأليف: د. منى أحمد أبو زيد
عرض: علي القاضي

العالم الإسلامي يعاني من أن أعدادا كبيرة من مفكريه وأساتذته قد درسوا الثقافة الغربية دون أن يكون عندهم خلفية ثقافية عن الثقافة الإسلامية فبهروا بها ودعوا إلى اتباع منهجها بكل مافيه، وساعد على ذلك الاتجاه تقدم الغرب في الماديات التي غزت العالم كله.

وفي بداية حياتي قرأت كثيرا للدكتور زكي نجيب محمــــود وكنت أعجب لاتجاهه الغربي غير مقتنع بالكثير مما يقوله، ثم تركت قراءة كل ما كتبه. وأخيرا قرأت هذا الكتاب الذي أعطاني إضافة طيبة جعلتني أحمد الله تعالى على أن المفكر الكبير زكي نجيب محمود قد قرأ كتب الثقافة الإسلامية وتأثر بها ودعا إليها، كما دعا إلى ترك الكثير من الثقافة الغربية، وكان لانتدابه في جامعة الكويت الفضل الأول في تغيير اتجاهه، لأن مكتبتها مملوءة بالكتب الثقافية الإسلامية، وكان عنده وقت فراغ مكّنه من القراءة والتدبر وتغيير الاتجاه.

تقول المؤلفة الفاضلة: (إن المشهور عن الدكتور زكي مرحلته العلمية التي أخذ فيهابالعلم فقط وبالوضعية المنطقية، أما مرحلة الأصالة والمعاصرة فما تزال غائبة عن أذهان بعض الناس، على الرغم من أن مفكرنا قد استفاد من مرحلته العلمية في تطبيق أركان المنهج التحليلي القائم على دراسة موضوع التراث والمعاصرة، الذي كان أحد عناصره الفكر الديني والتبلور الحقيقي للفكر الديني عند مفكرنا وادراجه ضمن مشروعه الحضاري الذي لم يظهر بشكل واضح إلا من خلال كتاباته الأخيرة وكان على رأس هذه الأفكار مفهومه عن الحضارة الذي تغير وضم في داخله (في مرحلة حياته الفكرية الأخيرة) جانب الفكر الديني).

وقد اعترف الدكتور زكي بهذا التغيير، وبرر هذا التغيير بأنه كان دائما صادقا مع نفسه فما يراه صوابا في وقته ولا يتردد في البوح به.

ثلاث مراحل

وقد مر الدكتور زكي بثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة الشباب: وهي المرحلة التي أخذ في أكثرها بأفكار نقلها عن آراء الآخرين وكان يهدف إلى التقدم - ثم أخذ يدعو إلى العلم والحضارة الغربية وحدها عندما رأى أنها هي الأمل المنشود.. ثم تراجع عن هذا الرأي وأضاف إلى جانب العلم جانب الأصالة وكان الفكر الديني أحد هذه المجالات.

وهذه المرحلة بدأت في العشرينات واستمرت حتى الثلاثينات من هذا القرن وتقول عنها المؤلفة الفاضلة (هي فترة كان الكاتب فيها مستمعا لما يقوله الآخرون أكثر منه ناطقا بما عنده) وقد ضم إلى فكرة التقدم فكرة التطور ومحاولة النهوض بالشعب المصري ثم الأمة العربية بحيث تصل إلى مصاف الدول الغربية.

وكانت أطروحة الدكتوراه في الأربعينات عن الجبر الذاتي في أثناء بعثته إلى إنجلترا وكان أساس الدراسة عنده الميتافيزيقية ثم أصبح من أكبر أعدائها لأنها لا تقدم مدلولا ولأنها فارغة من المعنى. وكان مفهومه الجديد عن النهضة ليس إعادة تراث الآباء والأجداد، وإنما اتخاذ نفس عناصر الغرب والتوجه الكامل نحو الغرب للأخذ بالحضارة والتقدم. والقوة.

الثانية: مرحلة الوضعية المنطقية:

وقد بدأت هذه الفترة من سنة ١٩٥٠م إلى سنة ١٩٧٠م وفي هذه الفترة أعلن عــــــداءه الصريح للميتافيزيقية، ويعتبر هذا تحولا عنيفا في أسلوبه. والسبب الحقيقي وراء هذا التغيير ما شاهده في الغرب من تقدم علمي وتفوق في واقع الحياة المعاشة ورأى أن ما جعل الغرب يتقدم هو التزامه بالمناهج التجريبية والانصراف إلى علوم الطبيعة - وماجعل الشرق يتأخر هو الاقتصار على حضارة الكلمة فقط، وأن ما تقدم به الغرب يمكن أن يتقدم به الشرق، وكان لا يجد بديلا لصورة الحياة الغربية لأنها حضارة القوة والعلم والإبداع وتحقيق السيادة، وكان يسعى في هذه المرحلة إلى تحقيق هدفين:

الأول: الأخذ بثقافة العصر.

والثاني: أن تكون التجربة العلمية

ضابطا للفكر في مجالاته العلمية المتعددة وكان منهج الدكتور زكي هو المنهج التجريبي الذي تبنته الفلسفة الوضعية والتجربة العلمية والحضارة كما يراها هي الاحتكام إلى العقل في قبول ما يفعله الناس وفي رفض ما يرفضونه.

وصورة الحضارة العصرية (في رأيه) هي نموذج القياس للحياة العصرية في أوروبا وأمريكا وأهم ما يميز الحياة في الغرب سرعة التغيير وسرعة قبول الجديد.

وتتلخص آراؤه في هذه المرحلة فيما يلي:

١ – رفض موضوعات الميتافيزيا ونشر كتابه «خرافة الميتافيزيقا» والمقصود بها ما وراء الطبيعة.

٢ – الاعتماد على المنهج التجريبي ودعا إلى العلم ومنهاجه للتأكد من حقيقة كل ما نقوله.

٣ – مهمة الفلسفة والفيلسوف: وقد حصرها في توضيح الأفكار توضيحا منطقيا وفي تحليل عبارات العلم تحليلا يستخرج ما تنطوي عليه من مبادىء.

الثالثة: مرحلة الأصالة والمعاصرة:

في هذه المرحلة أخذ يغير من تصوره فأصبحت الحضارة علما وثقافة ومعاصرة وأصالة وجديدا وأخذا بالصالح من القديم

وقال: إن الشعوب العربية إذا أرادت أن تكرر نفس الحضارة السابقة فعليها أن تهتم بالعلم والثقافة – بالعقل والوجدان، واستمرت هذه المرحلة في الستينات وتبلورت في السبعينات ويرجع ذلك إلى نوعية الثقافة التي تزود بها في أوائل حياته وإلى الدراسة التي أخذ بها فقد كان قارئا منذ بداية حياته للفكر الغربي.

ثم إن تطور حركة القومية العربية غيّر من رؤية الدكتور زكي فبعد أن كان يدعو إلى نبذ التراث نبذا تاما ويدعو إلى العيش في العصر علما وحضارة ظانا أن الحضارة وحدة

كان لانتداب د. زكي في جامعة الكويت الفضل الأول في تغيير اتجاهه، وذلك باطلاعه على مكتبتها المملوءة بالكتب الثقافية الإسلامية وتدبّره في محتواه

لاتتجزأ فإما أن نرفضها كلية وإما أن نتقبلها كلية، وهنا حاول أن يخرج من الثقافة العربية عوامل القوة التي ساعدت العربي المسلم قديما على التحضر.

العمل في الكويت أنار له الطريق

وإلى جانب ذلك ذهاب الدكتور زكي في فترة السبعينات إلى العمل بجامعة الكويت فقد تعرف على الذات الإسلامية معرفة تفصيلية فتغير موقفه ولمح في جوانب الثقافة الإسلامية بعض الجوانب المضيئة، وحل هذه المشكلة يكون بالتوفيق بين الأصالة والمعاصرة والعناصر التي اختارها هي:

١) الأصالة: وتعني الجوانب الثقافية التي نبتت أساسا في تربة الوطن ويحدد عناصرها في: الدين والفن والأدب والقيم الأخلاقية التي يكون مصدرها الدين.

٢) المعاصرة: الأصالة تدور على الوجدان، والمعاصرة تدور على الفعل، وأول ينابيع الثقافة وأهمها: الدين.

والمعاصرة لا ارتباط لها بالدين ولا يكفي أن نستوردها، بل لا بد وأن نضيف المشاركة الفعلية في صنعها.

وقال: إن الماضي تتكون منه الشخصية الفريدة التي تتميز بها أمة من الأمم، ومن الحاضر نستمد عناصر البقاء والدوام في معترك الدول.

فالأمة العربية بما ورثته عن الأسلاف من عوامل أهمها العقيدة ومواضع العرف والتقاليد ولابد من جمع بعض عناصر التراث إلى جانب بعض عناصر المعاصرة لتحقيق المركّب الصحيح منهما – وهذا المركّب الواحد هو الصورة الملائمة لصنع الحضارة وتحقيق التقدم المرجو.

٣) الجمع بين الأصالة والمعاصرة:

كان الدكتور زكي في بداية الأمر يرفض التراث كله ويقول: (هذا التراث كله بالنسبة إلى عصرنا قد فقد مكانته لأنه يدور أساسا على محور العلاقة بين الإنسان وبين الله – على حين ما نلمسه اليوم هو محور تدور عليه العلاقة بين الإنسان والإنسان).

ثم أخذ يتراجع عن هذا الموقف في كتابه «تجديد الفكر العربي» إلى أن عدل تماما عن موقفه من التراث وأخذ يجد في التراث الغذاء الروحي لحياتنا المعاصرة فهو بالنسبة لنا كالجذر بالنسبة إلى الشجرة ثم قال «إذا استطاع حاضرنا أن يبتلع ماضينا ابتلاعا ينقل ذلك الماضي من حالة كونه تحفة يتفرج عليها وعبارات نرددها إلى حالة كونه غذاء للدماء في شراييننا».

جوانب الاستفادة من التراث:

ويرى أن نأخذ من التراث ما نستطيع تطبيقه اليوم تطبيقا عمليا يضاف إلى الطرائق الجديدة المستخدمة واستفادة الدكتور زكي من التراث تتمثل في:

الجانب الأول: يمثل الاتجاه العقلي.

الجانب الثاني: ويمثل الاتجاه اللا عقلي.

الجانب الثالث: ويمثل تجنب عوامل الضعف ويتلخص في:

احتكار الحاكم لحرية الرأي وسلطان الماضي على الحاضر وتعطيل القوانين الطبيعية والأخذ بعوامل القوة ويتلخص في: ان نأخذ من التراث ما يعطينا الزاد على المواصلة ومن العلم نظرياته الحديثة إلى جانب الوقفة النقدية لكل ما هو موروث وماهو مستجد وبذلك يتحول الدين إلى كونه

الفكر الديني عند زكي نجيب محمود

أحد عوامل القوة التي نستفيدها من تراثنا ويتحول إلى باعث على العمل.

الدين أهم عناصر الحضارة

ويرى الدكتور زكي في أيامه الأخيرة أن الذي يميز الإنسان هو إدراك الربوبية في الكون وما وراءه حتى كان الإنسان وحده هو الذي يعبد الله، وهو الوحيد الذي يجمع بين وحي إلهي يهدي، وعلى الأرض سعي يهتدي، والدين أهم المقومات الحضارية ولكل دين رؤيته الخاصة، وأهم الخصائص التي تميز الشخصية المصرية والعربية أن الشعوب قد تدينت منذ فجر التاريخ فكانت هذه المنطقة مهبط الوحي لكل ما عرفه الإنسان من ديانات نزل وحيها من السماء علي نبي أو رسول، وذلك لأن هذه المنطقة كانت معمورة بالبدايات الأولى لقيام الحضارات وبها وديان خصبة أخضرت بزرعها وعمرت بأهلها.

الدين والفكر الديني: الدين هو الوحي الإلهي بنصوصه المحفوظة، والفكر الديني فكر إنساني عقلي قام على هذا الدين.

ما الدين؟

سؤال يجيب عليه الدكتور زكي بقوله: الدين هو الذي يقدم المبادىء الأساسية التي نسير على هداها والتي من شأنها أن تبلور لنا رؤية خاصة وموقعا معينا من الكون والحياة بصفة عامة، وتطبيق الدين بهذا التصور هو الجانب السلوكي من الإنسان المعبر عنه بأخلاقه. وعلم الدين هو فاعلية تقام على الدين، والدين ثابت لا يتغير ولكن علوم الدين تتغير وتتطور، والعلم الديني وجهة نظر جزئية لجانب معين للدين، ولكن الفكر الديني رؤية شاملة للدين ككل تدخل منها العلوم بجزئياتها وتصوراتها، ويضاف اليها روح الدين وقيمه، والدين يحمل في داخله مجموعة من القيم ويدعو إلى سلوك معين للوصول إلى غاياته .

ويرى الدكتور زكي وجوب تطوير الفكر الديني بحيث يتطور مع تطور الحياة البشرية ويرجع الضعف الفكري الذي أصاب حياتنا إلى أمرين:

– الوقوف بالفكر عند معنى معين قديم

– مجال الحياة الفكرية تعوزه الضوابط الواضحة لما هو صواب وما هو خطأ .

ثم تتحدث المؤلفة الفاضلة عن وظيفة الفكر الديني عند الدكتور زكي وعن دوره وتعطينا نماذج من فكره الديني.

أمراض العصر

أمراض العصر التي تصيب المجتمع الإنساني مثل القلق والتمزق واليأس والعنف والاغتراب ويرى الدكتور نجيب أن في جوهر العقيدة الإسلامية مايعالج مثل هذه الأمراض، والمسلم يستفيد من عقيدة التوحيد لإصلاح حياة الفرد ونزع أمراض العصر عنه فهي تحمي وحدة الفرد وتحقق وحدة المجتمع والجهل من أسباب خلل المجتمع وهو يعني كل موقف يغيب فيه الحق على ضمائر الناس وعقولهم فيما يعرض لهم من مواقف ومشكلات، وعندما يكتشف الإنسان جانبا من جوانب الحق تطير خفافيش الوهم والخرافة.

والخوف يشمل كل حالات الحذر الذي يزيد على حيرة العقول بحيث يغري صاحب السلطان بالبطش خوفا على سلطانه، ويغري صاحب المنصب بأن يختلس ويرتشي، ويغري الإنسان العادي من جمهور الناس بأن ينافق مواطنيه.

وهذه الأمراض من أهم أسباب تعثر البشر أفرادا وجماعات والابتعاد عنهاحدده الإسلام في الاستعاذه بالله من الشيطان الرجيم دائما. والإيمان بالله الذي أطعمنا من جوع وآمننا من خوف ومفهوم الطعام يشمل كل أنواع المعرفة وعلى هذا تقوم الحضارة. ومن أمراض المجتمع اللغو والكذب والنفاق والمجتمع الذي تسوده هذه الصفات مجتمع فاسد لأن مقياس النجاح السلوك الأفضل والإيمان إذا لم يتحول إلى العمل كان إيمانا قاصرا. ولذلك فإن القرآن الكريم يضيف إلى الذين آمنوا قوله (وعملوا الصالحات) حتى يكتمل الإيمان. ومجتمع الآخرة مجتمع الصلاح الخالي من الكذب والنفاق واللغو يقول الله تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا كذابا﴾ [النبأ:٣٥]، ويقول: ﴿لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما. إلا قيلا سلاما سلاما﴾ [الواقعة:٢٥و٢٦].

العلاج من هذه الأمراض: الإرادة صاحبة الأولوية في النظرية الإسلامية والله سبحانه وتعالى لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم، فإذا غيرنا ما بالداخل تغير ما بالخارج.

والداخل: هو مجموعة الأفكار التي تملأ رؤوسنا والتي هي ذات شأن في تشكيل سلوكنا، ثم تغير العلاقات الإنسانية التي يجري التعامل بها بين المواطنين.

والإسلام يسعى إلى إصلاح الفرد وذلك يأتي من إحياء ضميره الديني الذي يحول العقيدة إلى معنى يعيشه الإنسان وتحويل القيم إلى قوة يحيا الناس على أساسها.

وسبب فساد الحضارات وانهيارها أنها فقدت روح العدالة الاجتماعية: ﴿الذين طغوا في البلاد. فأكثروا فيها الفساد. فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ [الفجر:١١-١٣]. والعلم الحقيقي يكون دائما في خدمة الإنسان.

الفكر الديني بين الأخلاق والعلم: الحضارة تضم جانبي الأخلاق والعلم

والفكر الديني يجمع بينهما ويقدم لهما الدعم المعنوي الساعي إلى التقدم.

وليس معنى ذلك سيطرة الدين على العلم كما يرى الدكتور زكي، فالدين يقدم القيم التي تساعد على مزيد من التعلم والمعرفة ويترك للعلم الحرية في البحث والمعرفة ثم يضع الفكر الديني الأهداف الواجب عليه مراعاتها وهي خدمة الإنسان لا تدميره.

الأخلاق والفكر الديني: الأخلاق تسير في ميادين التعامل البشري وإلى طرائق العيش كما يريدها الناس، وهي تبحث عن قيمة الخير وهي إحدى ثلاث قيم كبرى هي: الحق، والخير، والجمال، وهذه القيم هي الضابطة لحياة الإنسان الفكرية والعملية على السواء.

فالحق: هو ما ننشده في حالات الإدراك. والجمال: هو ما نبتغيه في حالات الوجدان.

والخير: هو ما نقصد إليه في جانب السلوك. وقيمة الخير يختص بها على الأخلاق وهي تصب معناها مباشرة على مجال السلوك الإنساني. وكان الدكتور زكي يرى في فترة حياته الأولى أن الأخلاق نسبية ثم تغير فكره بسبب ظهور عامل الوجدان أو الثقافة بما يحمل من أصالة وتراث ودين، وفي البداية كان يرى أن القيم الأخلاقية عبارة بدون معنى، لأنها تعبر عن رؤية ذاتية للقائل، فكانت أحكامها نسبية متغيرة بتغير العقلية، ولذلك فهي لا تتمتع بالحكم الثابت ورأى ضرورة نقلها من مجال العلم والالتزام بنوع ثابت من القيم سيحول الإنسان إلى عبد تستعبده هذه القيم، ثم بدأ يغير نظرته ويرى أن هناك قيما نسبية يجب تغييرها دائما وفق تغيير الحياة وبجانبها قيم أخرى ثابتة، لقد كان يرى أن الأخلاق نفعية نسبية تهدي إلى تحصيل النفع والسعادة ثم رفض هذا وقال: قوام الأخلاق عندنا هو الواجب لا السعادة، والواجب مفروض علينا من صاحب السلطان في عليائه من السماء، وهو يعتبر الدين مصدرا للقيم الأخلاقية الثابتة والعلم دعامة هامة لتحقيق الحضارة، ولكنه يحتاج إلى الأخلاق. والدين قيم تؤدي إلى عمل وليس مجرد شعائر تؤدى. والصلاة فريضة دينية وقيم سلوكية تجعل الإنسان بعد الصلاة أقوى، وبهذا يحول الفكر الديني الإنسان المؤمن إلى عابد في كل لحظة.

علاقة الفلسفة بالدين

يشير الدكتور زكي إلى كون الفلسفة أقرب إلى طبيعة العلم منها إلى طبيعة الدين، ويرى أن هناك اختلافا بين الدين والفلسفة، فالتيارات الفلسفية مبنية على دعائم ميتافيزيقية متعددة بتعدد أصحابها ولكن البناء الديني وحي منزل.

العلم وحده لا يكفي

لم يسمع من الدكتور زكي هذا إلا في كتاباته الأخيرة، وظهر في كتابه «الشرق الفنان» مساحة للوجدان في بناء الحضارة والوجدان الذي يشمل الدين، أخذ جزءا كبيرا منه يتسع حتى أصبح دعامة رئيسة بجانب دعامة العلم الرئيسة في تشكيل الحضارة. وقال: لقد أدخلت على التصور تعديلا في المرحلة الثانية، لقد كنت في المرحلة الأولى لا أجد بديلا لصورة الحياة الغربية كما هي في عصرنا لأنها حضارة القوة والعلم والإبداع والمغامرة وتحقيق السيادة على الطبيعة، ثم رأيت أنها ليست وحدها كافية ولابد وأن نضيف إليها أن لكل أمة ما يميزها من سمات ثقافية.

ثم قال في صراحة: «لقد كنت لفترة طويلة واحدا من أولئك الذين ضلوا سبيل الحق في هذا الصدد فبالغت كما بالغوا حتى أراد الله لي رؤية أهدى»

وقد نادى بتطوير الأحكام الفقهية بحيث تساير العصر الذي نعيش فيه، مع عدم الإخلال بهدف الدين وبالإطار الشرعي المفروض، ومنها مجال حقوق المرأة والاقتصاد والفن، ولا بد من الاهتمام بالقيم الدينية، ومنها الحرية والعدالة الاجتماعية وتهيئة قلوب المؤمنين للأخذ بدعائم العصر الحديث من دعوة إلى العلم والعمل.

وقد أرجع مشكلة التطرف إلى غياب العقلانية عن حياتنا الدينية والفكرية، لأن التطرف يعني الأخذ بالجانب الفكري بمنهج عاطفي يلتزم فيه المتطرف بأحد الاتجاهات، ويرفض النقاش والحوار، وإذا التزم بالمنهج العقلي فلن يظهر لديه التطرف، ويرى أن الأديان السماوية الثلاثة تعتبر أسرة واحدة تشترك في كثير من المبادىء الأساسية وأن الخلافات الموجودة خلافات جزئية.

وأخيرا

فقد استمتعت بقراءة هذا الكتاب الذي جعلني أعرف التغير في حياة فيلسوف عربي كبير بدأ بالانبهار بالغرب وحضارته، وحين درس الحضارة الإسلامية غيّر أفكاره ونادى بالالتزام بها حتى يمكن للعرب والمسلمين أن يسيروا في الطريق السليم الذي يجعلهم قادرين على أداء وظيفتهم في عمارة الأرض والدعوة إلى الله على بصيرة، والسير على صراط الله المستقيم وعدم اتباع الفلسفات البشرية البعيدة عن القيم والأخلاق.

وما يعيشه المسلمون سببه البعد عن منهج الله والانبهار بالمناهج الغربية، لأنهم يرون التفوق المادي والتكنولوجي ولا يفكرون أن الحضارة لا يمكن أن تسير بجناح واحد هو الجناح المادي بل لابد من الجناح الروحي الذي يجعل الإنسان قوى الصلة بالله فيأخذ منهجه عنه ويلتزم بأخلاقه ويعمل على الإصلاح العالمي ولمثل هذا فليعمل العاملون□



فتاوى

منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقى الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

الضرورات تبيح المحظورات

●لا يخفى عليكم دور مهنة التمريض في رفع المعاناة عن المرضى والجرحى في فترة السلم أو الحرب، وكان وما زال دور الممرضة إيجابيا ومميزا منذ القدم. فهل يجوز للممرضة «المسلمة» – أو الكتابية – الاطلاع على عورة الرجل بما في ذلك تغيير ضماد الجروح والعناية بالقسطرة البولية، وحلق الشعر، علما بأنه يوجد ممرضون من الرجال في نفس المستشفى؟ يرجى الإفادة لما لذلك من أهمية .. وجزاكم الله كل خير.

●●أجابت اللجنة بما يلي:

الأصل أنه يحرم على الرجل أن يطلع على عورة المرأة الأجنبية، أو على عورة رجل مثله، كما يحرم على المرأة أن تطلع على عورة الرجل الأجنبي أو على عورة امرأة مثلها، ولكن يجوزأن يطلع كلا الجنسين على الآخر لحاجة العلاج أو التمريض، على أن الأولى ألا يطلع على عورة المرأة إلا امرأة مثلها، وكذا الأولى ألا يطلع على عورة الرجل إلا رجل مثله، لأن نظر الجنس إلى جنسه أخف.

من أحكام المضاربة

●هل يحق لي شرعا أن أشترط على العامل الذي يعمل عندي بنسبة معينة من الربح الكلي – الذي يختص بنشاط العامل – أن يتحمل معي تغطية إيجار المحل، بأن يدفع نسبة معينة من نسبة الربح التي يحصل عليها من مجال عمله فقط، كما ذكرت، لأن المحل له مجالات وأعمال أخرى، ولها عمال مختصون بتأديتها، وكل عامل له نسبة من الربح الكلي للعمل الذي يؤديه، علما بأنهم لا يتحملون مبالغ المعدات التي نشتريها؟

●●أجابت اللجنة بما يلي:

إن الاتفاق بين صاحب المحل والعامل على أن يقدم صاحب المحل المواد المستخدمة، ويقوم العامل بالتصليحات والأعمال اللازمة للتركيب، ويكون الربح بينهما هو عبارة عن شركة مضاربة، رأس المال فيها بضائع معروفة القيمة، بحيث يعرف الربح، وهذا جائز بشرط أن تكون نسبة الربح لكل من الطرفين معلومة.

أما أجرة المحل أو الجزء الخاص بالعمل موضوع المشاركة، فإنها تعتبر من التكاليف، وتخصم قبل حساب الأرباح.

إغلاق (الجمعية التعاونية) وقت الصلاة

●أود إحاطتكم علما بأن الجمعية التعاونية بصدد دراسة اقتراح مطروح عليها مؤداه الحرص على مداومة إغلاق السوق المركزي والفروع الخارجة التابعة لها إبان أوقات الصلوات المفروضة.

ونظرا لأن الجمعية ترغب – استكمالا للدراسة – في استطلاع الحكم الشرعي في مدى التزام الجمعية شرعا بتنفيذ هذا الاقتراح.

لذلك أرجو عرض الأمر على لجنة الفتوى للنظر في هذا الموضوع والإفادة بما ينتهي إليه الرأي في هذا الشأن.

●●أجابت اللجنة بما يلي:

إن إغلاق الجمعيات التعاونية بعد سماع الأذان من يوم الجمعة واجب ويأثم الجميع بتركه لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾. أما إغلاق الجمعيات التعاونية في الصلوات الأخرى غير الجمعة، فهو مستحب إظهارا لشعائر الإسلام يثاب فاعله، ولا يأثم تاركه شريطة ألا يمنع من يرغب في الصلاة من الخروج إليها.

حكم التنفل قبل صلاة العيد

●نحن جماعة ذهبنا إلى أحد المساجد لأجل صلاة العيد، فمنا من جلس عند دخوله المسجد ولم يصل تحية المسجد، مدعيا أن لا صلاة قبل صلاة العيد، ومنا من صلى تحية المسجد، وجلس ينتظر صلاة العيد، ومنهم إمام المسجد، نرجو الجواب: أيهما أصح؟ أم أن الجميع على صواب؟

●●وأجابت اللجنة بما يلي:

إذا كانت صلاة العيد في المسجد - كما ورد في السؤال - فقد اختلف العلماء في التنفّل قبلها وبعدها، وترى اللجنة أن الأوْلى ألا يصلي قبلها تحية المسجد ولا بعدها، وإن صلى فلا يُنكر عليه لوروده عن بعض السلف، أما إذا كانت صلاة العيد في الصحراء، فليس من السنّة أن يصلي قبلها ولا بعدها.

ما يجوز للخاطب رؤيته

إذا أراد شخص أن يتقدم إلى خطبة فتاة فما حدود رؤية الخاطب للمخطوبة؟ وهل يجوز رؤية شعرها؟

●●أجابت اللجنة بما يلي:

إن الخاطب له أن يرى من مخطوبته الوجه والكفين فقط، وإذا أراد أن يرى شعرها فعليه أن يرسل من يثق بها لترى شعرها.

ما أدى إلى شيء أخذ حكمه

●إذا أرادت المؤسسة التوسط في بيع بناء جديد وهو معد لأن يكون فندقا يسكنه الناس، واعترض أحد أفراد المؤسسة على أن يكون الفندق في غالب الأحوال يباع فيه الخمر، فلا يحل لنا أن نأخذ عمولة هذه البيعة، فهل يصح هذا الحكم؟

●●وقد أجابت اللجنة بما يلي:

ترى اللجنة أن بيع المبنى إذا ظن البائع، أو غلب على ظنه أنه سيفعل فيه منكر من المنكرات كشرب الخمر أو الزنى، أو غير ذلك يكون حراما، لأن ما أدى إلى الشيء يعطي حكمه، والتوسط في بيع الحرام حرام.

إتلاف الأوراق التي تحمل اسم الجلالة أو آيات قرآنية

●نفيدكم بأن البلدية تنوي القيام بوضع حاويات خاصة لجميع الكتب والصحف التي تحمل لفظ الجلالة وبعض الآيات القرآنية، وذلك لمنع امتهانها وتدنيسها.

يرجى إفادتنا بالحكم الشرعي لاستفساراتنا الآتية:

١) هل يجوز حرق هذه الكتب والصحف؟

٢) هل يجوز إذابتها ببعض المواد الكيماوية وإعادة استخدامها وتصنيعها من قبل مصانع الورق لاستخراج منتجات ورقية أخرى منها «كورق المحارم وغيره»؟

●●وقد أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز إتلاف أوراق المصاحف المستغنى عنها بكل من الطرق الآتية:

١) الإحراق الذي يتحول به المصحف كله إلى رماد.

٢) الدفن ويجب أن يكون في مكان طاهر بعيدا عن مواطىء الأقدام.

٣) التغريق بأن يوضع في أكياس مثقلة، ويلقى في عرض البحر بعيدا عن الشاطىء.

٤) المحو أو الغسل بالماء أو المواد الكيماوية الطاهرة ،التي تزيل كل أثر للكتابة.

٥) التقطيع وذلك عن طريق آلات التقطيع العادية المعروفة، التي تحولها إلى مجرد حروف مقطعة، لا يمكن جمع كلمات منها.

٦) تحويلها إلى عجينة بشرط أن يزول كل أثر للكتابة منها، ولا مانع من استعمال هذه العجينة في الأغراض الصناعية المباحة، ويشترط في جميع هذه الطرق أن يقصد بها تكريم المصحف وصيانته من الامتهان، فإن قصد فاعله امتهان المصحف فإنه يكفر بذلك، كما يشترط في الإتلاف تجنب كل ما يشعر بالإهانة والامتهان، وأن يتولى هذا العمل أناس مسلمون.

شروط الجوائز الجائزة على المبيعات

●وهو أن يقوم شخص ما بشراء بضائع وحاجيات، أو مواد غذائية، بمبلغ معلوم يحصل على إثره على ورقة سحب تحمل رقما معيناً.

مثال ذلك: اشتر بخمسة دنانير واحصل على كوبون يؤهلك لدخول السحب فقد تربح سيارة.

●●وقد أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز الاشتراك في السحب على الجوائز الممنوحة مقابل الشراء بمبلغ معين، شريطة أن تعطى قسائم السحب للمشتري دون مقابل، أو زيادة في ثمن البضائع التي اشتراها، وتكون الجوائز الممنوحة لمن تخرج له القرعة من قبيل الهبة، يقصد بها التاجر ترويج بضائعه وإغراء الناس في شرائها.

حكم مصارعة الكلاب

● أود أن أسأل وزارتكم الموقرة عن الظاهرة الغريبة جدا لدى مجتمعنا المسالم، ألا وهي مصارعة الكلاب، والتي تم تصويرها وعرضها في الصحف والمجلات الكويتية. والسؤال هو: هل هذا الفعل مسموح به في ديننا الإسلامي الحنيف أم لا؟ وهل لديكم أي تعليق تجاه هذا الموضوع؟

●●وقد أجابت اللجنة بما يلي:

لا يجوز شرعا التحريش بين الحيوانات بإغراء بعضها بمصارعة البعض الآخر لأنه سفه يؤدي إلى إيذاء الحيوانات أو إلى إتلافها دون غرض مشروع، والحكم في ذلك سواء إذا تم التحريش بقمار أم دونه.

علما بأنه يحرم اقتناء الكلاب إذا كان القصد من ذلك مجرد الزينة أو اللهو أو تقليد الغرب.

حياة جديدة

بقلم: خلف أحمد محمود

كان يسير في الشوارع بغير هدى، وهو ينقل قدما وراء الأخرى بتثاقل شديد، وتغطي صفحة وجهه الأسمر، غلالة من الحزن، وقف للحظات وهو يمسح بمنديله المثقوب حبات العرق التي راح ينضحها جبينه بغزارة، عرج ناحية إحدى المتنزهات العامة، تهالك على مقعد رخامي، وهو يبعثر عينين محمرتين ضيقتين في وجوه المارة، هذا رجل يسير بجوار زوجته وحولهما طفلهما الصغير، وهما يضحكان، هؤلاء مجموعة من الأطفال يلعبون، ويمرحون وهم في منتهى السعادة.

أفلتت من عينيه، دمعات حارة، أخذ يمسحها باطراف أصابعه، عندما تذكر زوجته وأولاده الثلاثة، الذين ذهبوا ليعيشوا في بيت جدهم، بعدما أدمن شرب الخمور، ويئست زوجته من إصلاحه، آثرت أن يعيشوا بعيدا عنه.

حدث نفسه بأسى، معها حق، لقد كانت نعم الزوجة. نهض بتثاقل، وهو يمسح براحته على شعره المبعثر في فوضى، ثم مضى يعبر الشارع، وهو يتفادى العربات المتلاصقة، التي تخلف عادمها وراءها، فيلسعه في وجهه.

عندما وصل إلى بيته، وفتح الباب، صدمت أنفه رائحة هواء عفنة، كادت أن تصيبه بالغثيان، توسط الصالة الضيقة، وهو يوزع بصره في الحجرات الخالية من الأثاث، التي تفرشها بقايا جرائد ولفائف قديمة، البلاط قذر وملطخ ببقايا البصاق، ملابسه المتسخة، المعلقة على المشجب، والتي تعلوها مسحة من غبار، في أثناء ذلك تعلقت عيناه بالصورة الكبيرة المعلقة على الحائط، دق قلبه دقات عالية، أحضر المقعد الخيزران الوحيد، اعتلاه وهو ممسك بورقة صحيفة، راح يزيل مسحة التراب من على الزجاج، فظهر وجه زوجته المشرق، وهي تطل بعينين باسمتين، وحولها أطفالهما الثلاث وهم يضحكون ببراءة، ظل للحظات يحدق في الصورة، ارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة، أخذ يطبع قبلة طويلة على زجاجها، فجأة قفز على الأرض، ارتمى على سريره، بينما اغرورقت عيناه بالدموع، وهو يئن آنات الندم والحسرة.

جلس على الأرض، وهو يسند رأسه على الحائط، ويقول بصوت خفيض، مخلوط ببكاء متشنج «سامحني يارب، لن أعود لهذا الطريق، الذي هدم سعادتي، وشتت أسرتي، وجعلني منبوذا بين الناس، أعاهدك يارب على أن أتوب من الآن توبة حقيقية، سأكون فيها إنسان آخر.

مسح براحتيه على وجهه، ظل تائه النظرات في فضاء الحجرة، أحس بشبح الجوع ينهش أمعاءه، خرج للشارع الكبير المتلىء، بالمحلات التي تعلو واجهتها العريضة الأضواء الكهربيائية، البيضاء والصفراء والحمراء، فتجعله كقطعة من نهار، اخترق طريقا بين الكتل البشرية المتلاحمة، اختلس النظر إلى أحد البارات، أحس بجسده يغلي، وقف متسمرا مكانه، وهو ينقل النظر بين الزجاجات الموضوعة داخل الواجهات الزجاجية، وبين عيون المارة التي شعر بأنها تحملق فيه، باستنكار شديد، دس يده في جيبه، تحسس ملمس الورقة المالية من فئة العشرين جنيها، وهي آخر ما تبقى من راتبه، الذي يخصم ما يقارب من نصفه، بسبب إهماله، أخرج يده من جيبه، صوت داخله يصرخ، اغتنم الفرصة، أطفىء ظمأ جسدك لا تفكر في الغد، هيا تحرك قبل أن يغلق المحل أبوابه.

هم بنقل قدمه إلى الأمام، فوجىء بصوت يقول له بنبرة مطمئنة، لكنك عاهدت الله، الا تسير في هذا الطريق مرة أخرى، اقشعر جسده، أحس بأن قدميه لا تقويان على حمله، هم بالسقوط، احتضن بذراعه، أحد الأعمدة الكهربية المرصوصة في الشارع، ظل صامتا للحظات، استعاذ بالله من الشيطان الرجيم.. أحس بدبيب راحة يسري في أوصاله، نظر ناحية البار، بصق عليه بتقزز شديد. ولى راجعا ناحية بيته، بقلب يرقص فرحا، لكسر شوكة شيطانه، عندما وصل أحس برغبة شديدة في النوم، استرخى على سريره، ثم أطبق جفنيه، وأخذ يغط في نوم عميق، نهض من نومه على صوت مؤذن الفجر، وهو يرتفع خفاقا عاليا، في عنان السماء، «مناديا

بالصلاة خير من النوم»، توضأ، ثم ذهب قاصدا المسجد، بعد الفراغ من الصلاة، وقف في شرفة منزله، وهو يملأ رئتيه بالهواء الرائق، الممتزج بعبق نسائم الفجر، ظل واقفا حتى باغته قرص الشمس الأصفر وهو يرتفع عاليا من فوق المباني الشاهقة

، ارتدى ابهى ثيابه، وقف أمام المرآه للحظات، وهو يعدل من هيئته. ثم خرج، في الطريق اشترى بعض قطع الحلوى، ذات الأغلفة الذهبية، مضى ناحية البيت، الذي تقطنه زوجته، تردد في طرق الباب، في أول الأمر، ثم طرقه طرقات خفيفة، سمع بعدها صوت أقدام تأتي من الداخل، عندما فتح الباب، تلاقت عيناه بعيني زوجته، اعتلت وجهيهما، مسحة من احمرار، رد بصره إلى الأرض، في انكسار. قال بصوت حفيض: تسمحين لي بالدخول.

قالت: تفضل.

عندما دخل فوجىء بالأولاد يجرون نحوه وهم يصيحون، في فرح شديد «بابا.. بابا» التفوا حوله، وهم متشبثون بملابسه، أخذ يمطرهم بقبلات حارة، وهو يدس في أيديهم، قطع الحلوى الصغيرة. عندما جلس، على احد المقاعد، التي تتوسط الردهة الفسيحة، أحس بالكلمات، تهرب منه، وعجز لسانه عن الكلام تململ في جلسته، بينما كانت، عينا زوجته، ترقبه في توجس، استجمع شجاعته، ثم قال، بعد صمت طويل، أعترف بأنني قد تسببت لك ولأولادنا في متاعب كثيرة، وأنني أخطأت

عندما سلكت هذا الطريق، وقد عاهدت الله على أن أبدأ صفحة جديدة في حياتي، فهل تقبلين مشاركتي حياتي الجديدة، لنربى أولادنا معا، ونطوى الماضي بجراحه القديمة. نظرت إليه نظرة حانية، ثم أومأت برأسها موافقة، ارتسمت على وجهيهما، ابتسامة عريضة، وهما ينظران إلى أولادهما، الذين يتقاذفون الكرة، ويتلذذون بالتهام، قطع الحلوى الشهية□



حديقة الوعي

إعداد: وجيدة حجازي عبد الله

خير أمة

قال تعالى في وصف الأمة المسلمة ذاكرا صفات الخيرية فيها: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ [آل عمران: ١١٠].

العَجَلة المحمودة

قال حاتم الأصم: كان يقال: العجلة من الشيطان إلا في خمس، إطعام الضيف إذا دخل، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا حل ووجب، والتوبة عن الذنب إذا وقع.

فوائد التدخين

قالوا: إن المدخن يجني من التدخين ثلاث فوائد:

هي: أن شعر رأسه لا يشيب، وأن الكلاب لا تعضه، وأن اللصوص لا تدخل بيته.

ذلك: أنه يموت قبل أن يبلغ سن الشيخوخة، وأنه يصاب بارتجاف في أعصابه فيضطر إلى التوكؤ على عصاه، فلا تقربه الكلاب.. وأنه يسعل كثيرا في الليل، فيظنه اللص مستيقظا، فلا يدخل بيته.

الدجاجة المشوية بين سائلين

جلس رجل يوما يأكل هو وزوجته، وبين أيديهما دجاجة مشوية. فوقف سائل ببابه، فخرج إليه وانتهره، فذهب ذلك السائل، فاتفق بعد ذلك أن الرجل صاحب البيت افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته، وتزوجت بعده برجل آخر، فجلس يأكل معها في بعض الأيام، وبين أيديهما دجاجة مشوية، وإذا بسائل يطرق الباب.

فقال الرجل لزوجته: ادفعي إليه هذه الدجاجة، فخرجت بها إليه، فإذا هو زوجها الأول، فدفعت إليه الدجاجة، ورجعت وهي باكية، فسألها زوجها عن سبب بكائها، فأخبرته أن السائل كان زوجها، وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الأول، فقال لها زوجها: أنا والله ذلك السائل.

كيف يستجاب الدعاءْ؟

يروى أن إبراهيم بن أدهم مر في سوق البصرة فسأله الناس: يا أبا إسحاق إن الله يقول: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانِ﴾ ونحن ندعو الله سبحانه وتعالى فلا يستجاب لنا..

قال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء:

أولاً: عرفتم الله فلم تؤدوا حقه.

ثانيا: قرأتم القرآن فلم تعملوا به.

ثالثا: ادعيتم حب الرسول ﷺ ولم تعملوا بسنته.

رابعاً: قلتم إن الشيطان عدوكم فوافقتموه.

خامسا: قلتم إنكم مشتاقون إلى الجنة ولم تعملوا لها.

سادساً: قلتم إنكم تخافون النار، ولم تهربوا منها.

سابعاً: قلتم إن الموت حق، ولم تستعدوا له.

ثامنا: انشغلتم بعيوب الناس، ونسيتم عيوبكم.

تاسعا: أكلتم نعم الله، ولم تشكروه عليها.

عاشرا: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا، فكيف يستجاب لدعائكم؟

أياس في مجلس القضاء

استودع رجل رجلا مالا، ثم طالبه به فجحده، فخاصمه إلى أياس بن معاوية القاضي، وقال: وضعت إليه مالا في مكان كذا وكذا.

قال: فأي شيء كان في ذلك الموضع؟ قال: شجرة.

قال: فانطلق إلى ذلك الموضع، وانظر إلى تلك الشجرة، فلعل الله يوضح لك هناك ما تبيّن به حقك، أو لعلك دفنت مالك عند الشجرة، فنسيت، فتذكر إذا رأيت الشجرة.

فمضى وقال أياس للمطلوب منه: أجلس حتى يرجع صاحبك. فجلس وأياس يقضي وينظر إليه بين كل ساعة.

ثم قال: ترى صاحبك بلغ موضع الشجرة؟

قال: لا.

فقال: يا عدو الله أنت الخائن. قال: أقلني أقالك الله.

فأمر بحفظه حتى جاء خصمه، فقال له: خذ منه بحقك فقد أقر.

من حكم لقمان

قال لقمان الحكيم: ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواضع:

* الحكيم عند الغضب.
* والشجاع عند الحرب.
* وأخوك عند حاجتك إليه.

من آداب العيد

من آداب العيد: إحياء ليلته.. بما فيها طاعة الله، من ذكر، وصلاة، وتلاوة القرآن، والاغتسال قبل الذهاب إلى صلاة العيد، ويستحسن أداء الصلاة في الخلاء، لما في ذلك من مظاهر الفرح والابتهاج، ويظهر المسلم في أحسن ما يبدو من التعطر والتزين، ولبس أحسن الثياب، وتناول قليلا من الطعام قبل الخروج إلى المصلى.

ومن آداب العيد أيضاً: التزاور، واستقبال الناس بالبشاشة والبشر، واللعب المباح، واللهو البرىء، والرياضة، والترويح على النفس.

الدنيا.. والآخرة

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن: أن أجمع لي أمر الدنيا.. وصف لي أمر الآخرة.. فكتب إليه:

إنما الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والموت مستيقظ، ونحن في أضغاث أحلام، من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن حلم غنم، ومن خاف سلم، ومن اعتبر أبصر، ومن فهم علم، ومن علم عمل، فإن زللت فأرجع، وإذا ندمت فاقلع، وإذا جهلت فاسأل، وإذا عصيت فأمسك، واعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليها.

١ صفات المرأة الصالحة وثوابها

أربعة من النساء في الجنة:

امرأةعفيفة طائعة لله ولزوجها، ولود صابرة، قانعة باليسير مع زوجها، ذات حياء إن غاب عنها زوجها حفظت نفسها وماله، وإن حضر أمسكت لسانها عنه.

وثوابها كما جاء في الأثر: يستغفر لها الطير في الهواء، والملائكة في السماء.

١ أعطوا الطريق حقه

عن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ قال: «إياكم والجلوس في الطرقات. قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها. قال رسول الله ﷺ: فإن أبيتم إلا الجلوس، فاعطوا الطريق حقه. قالوا وما حقه؟

قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر».

من الذوق

قال سعيد بن العاص: لجليسي عليّ ثلاث: إذا دنا رحّبت به، وإذا جلس وسعت له، وإذا حدث أقبلت عليه.

وقال: ما مددت رجلي قط بين يدي جليسي، ولا قمت حتى يقوم.

رسالة

كتب سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلي ابنه عبد الله في غيبة غابها: أما بعد: فإنه من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن أقرضه جزاه، فاجعل التقوى جلاء بصرك، وعماد ظهرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسنة له، ولا جديد لمن لا خَلَقَ له.

الأخيار

خير الكتب القرآن الكريم، خير الخلق رسول الله ﷺ، خير الأيام يوم الجمعة، خير الشهور شهر رمضان، خير الزاد من كان من كسب حلال، خير الناس أنفعهم للناس، خير الأمم أمة محمد ﷺ.

العاقل والواصل

قال عمرو بن العاص: ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر، ولكن العاقل الذي يعرف خير الشرين.

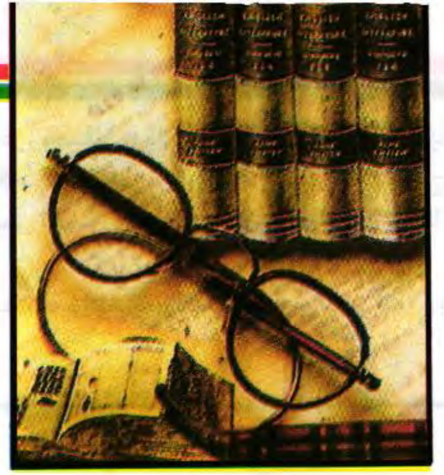
وليس الواصل الذي يصل من يصله، ولكن الواصل الذي يصل من قطعه.

مكور وأمكر

استأجر رجل حمالا ليحمل له قفصا فيه قوارير، على أن يعلمه ثلاث خصال ينتفع بها، ورضي الحمال بذلك، وقال في نفسه: العلم خير من المال، فلما بلغ ثلث الطريق، قال الحمال: هات الخصلة الأولى. فقال له: من قال لك: (إن الجوع خير من الشبع، فلا تصدقه). قال: نعم. ولما بلغ نصف الطريق قال: هات الثانية. فقال: (من قال لك إن المشي خير من الركوب، فلا تصدقه). قال: نعم. فلما انتهى إلى باب الدار قال: هات الثالثة. فقال: (من قال لك إنه وجد حمالا أجهل منك ، فلا تصدقه).

فرمى الحمال القفص، وضرب به الأرض، فكسر القوارير جميعا. وقال: (من قال لك إنه بقي في القفص قارورة، فلا تصدقه أبداً).

ثمـــرات المطـــابع



التحديات (الشرق أوسطية) الجديدة والوطن العربي

○ أحمد صدقي الدجاني وآخرون

○ مركز دراسات الوحدة العربية،

من بين أبرز وأخطر التحديات الجديدة الكثيرة التي يواجهها الوطن العربي حاليا، ما أثارته (التسوية) التي يجري التفاوض عليها بين العرب وإسرائيل، وما تتضمنه أو تطمع فيه بعض أطرافها من (ترتيبات شرق أوسطية) اقتصادية وسياسية وأمنية، قد يكون لها تأثيرات متفاوتة في النظام الإقليمي العربي، وفي العلاقات العربية – العربية، وفي مستقبل الأمة العربية.. وحرصا من (مركز دراسات الوحدة العربية) على بحث هذه (الترتيبات)، ورغبة في تبادل الرأي بين مختلف اتجاهات الفكر السياسي العربي المعاصر حول الموقف من هذه الترتيبات والقضايا والتحولات والتحديات التي تحدثها، وحول مبررات ووسائل التصدي لها، نظّم المركز ندوة بعنوان (الوطن العربي والتحديات الشرق أوسطية الجديدة) شارك فيها ما يزيد على ثلاثين باحثا ومفكرا عربيا يمثلون وجهات نظر ومدارس فكرية وسياسية وأجيالا مختلفة.. ولقد اتجه هدف الندوة بشكل رئيسي إلى رصد وتحليل التحديات التي تواجه الأمة العربية، ومحاولة إعطاء تصوّر خطة عمل لخطوط عامة وعريضة، قابلة للتطبيق على مستوى الأنظمة والشعوب العربية، لكيفية مواجهة هذه التحديات، والانتقال إلى الأوضاع المرغوب فيها، ومحاولة ابتداع صيغ لتفعيل دور المفكرين العرب ومراكز الأبحاث والدراسات العربية في بحث المشاكل الراهنة لأمتنا، واقتراح سياسات وبدائل مستقبلية لحلولها، ويضم الكتاب حصيلة الوقائع الكاملة لبحوث ومناقشات هذه الندوة التي انعقدت في بيروت يومي ١٢ و١٣ نوفمبر (ت٢) ١٩٩٣م.

شفاء السائل لتهذيب المسائل

○ عبد الرحمن بن خلدون

○ تحقيق: د. أبو يعرب المرزوقي

○ نشر: الدار العربية للكتاب،

يتألف الكتاب من ستة فصول، ودراسة تحليلية وضعها المحقق عن العلاقة بين السلطان الروحي والسلطان السياسي. وينبني على معالجتين مترابطتين، إحداهما فلسفية تقوم على تفسير الظاهرة الصوفية بوصفها أحد أشكال المعرفة والسلوك الأخلاقي، والثانية تاريخية ترمي إلى رصد ما طرأ على الظاهرة من تطورات وتفاعلات ترتبت على الظروف التي نبتت فيها..

ووضع ابن خلدون توطئة للكتاب شرح فيها السؤال الذي كان مطروحا على علماء فاس، والذي استفتاه في شأنه بعض إخوانه سائلين عن الحاجة إلى الشيخ في السلوك الصوفي، كما قوّم في التوطئة المناظرة التي عرضت عليه مع السؤال، والتي أثبت نصها الكامل في الفصل الأخير من الكتاب..

ويكشف فصلان من فصول الكتاب تصور ابن خلدون للعلاقة الرابطة بين السلطتين الروحية والسياسية، وهو تصور يحمل قطيعة جوهرية ونهائية مع آراء أهل (المدينة الفاضلة) مثلما صاغها ابو نصر الفارابي، و(دولة الأخيار) التي بشّر بها إخوان الصفا، فضلا عن الأفكار الإسماعيلية والباطنية في شأن الإمامة، والتصورات الصوفية عن (القطب) و(الشيخ).. ويعتبر الدارسون كتاب (شفاء السائل) حلقة أساسية في خضم الفكر الخلدوني، إذ أن مقدمة كتاب (العبر) الشهيرة جاءت بحل استند على انقلاب فلسفي ثنائي البعد تمثل بإعادة ترتيب المسائل الفلسفية عندما جعل ابن خلدون المسألة العلمية تتقدم على المسألة المعرفية، والمسألة القيمية تسبق المسألة الوجودية، ويبقي الدارس حائرا أزاء هذا الإنقلاب، فهو لا يدرك كيفية حدوثه ولا مقدماته ومنطلقاته، وإنما يتابع نتائجه فقط، ومن هنا تأتي قيمة الكتاب (شفاء السائل) الذي يفك لغز الانقلاب الخلدوني، حتى أن الدكتور المرزوقي اعتبره الحلقة المفقودة في فكر العلامة لأنه هو الذي حمل إرهاصات قلب المعادلة الفلسفية، ليس في فكر صاحب (المقدمة) فحسب، وإنما في الفكر العربي خلال العصر الوسيط..

وعلى الرغم من مكانة الكتاب التأسيسية، فإنه ظل مهملا، ربما بسبب شك بعض المحققين في نسبته إلى صاحب (المقدمة) المشهورة، إلى أن حققه ونشره ابن تاويت الطنجي، ثم حققه الاب خليفة..

الفكر السياسي عند الماوردي

○ د. أحمد مبارك البغدادي

○ مؤسسة الشراع للنشر والتوزيع،

الدراسة في أصلها موضوع الرسالة التي نال بها المؤلف درجة الدكتوراه في الفكر السياسي الاسلامي من جامعة ادنبره بالملكة المتحدة، ويدور محور الموضوع الأساسي حول الفكر السياسي لأبي الحسن الماوردي، وتنقسم الدراسة إلى أربعة فصول وخاتمة وملحق.. اتسم الفصل الأول بتناول شمولي للماوردي، في محاولة دراسة كتاباته السياسية في إطار المؤلفات السياسية المختلفة للمفكرين الاسلاميين المعروفين، وموقع كتابات الماوردي منها، وشخصيته كمفكر سياسي بالدرجة الأولى.. ويتصل الفصل الثاني بطبيعة الكتابات السياسية التي كتبها الماوردي في أوليات حياته، هذه الكتابات نجد فيها أفكارا وآراءاً مختلفة للماوردي حول الملك، الإدارة الحاكمة (تدبير البلاد والعباد)، فكرة العدالة، دورة حياة الدولة، وتتميز هذه الكتابات باحتوائهما على عملية مزاوجة بين الأطروحات الإسلامية والثقافات غير الإسلامية.. ويختص الفصل الثالث بالانسان والمجتمع من خلال التركيز على كتاب (أدب الدنيا والدين) حيث نتمكن من التعرف على وجهة نظر الماوردي في كيفية قيام المجتمعات الانسانية، ودور الانسان في هذه المجتمعات من خلال علاقاته المختلفة مع الأطراف الحاكمة والمحكومة في هذا المجتمع.. ويمثل الفصل الأخير قمة الفكر السياسي عند الماوردي متمثلة في كتابه (الأحكام السلطانية) وقد أقام فيه الماوردي نظريته السياسية في الحكم على أصول إسلامية نقية بشكل عام، مارس فيه كل قدراته الابداعية في الاجتهاد الفكري، لكي يوائم الواقع مع النظرية، وفي هذا الإطار العام تمت معالجة جميع الأمور المتعلقة بالدولة من اجتماع واقتصاد إلخ.. وفقا للقواعد الاسلامية وفي ظل دولة الخلافة.. أما الخاتمة فقد لخّص فيها الخطوط العامة للفكر السياسي للماوردي ومدي تأثره وتأثيره في الفكر السياسي الإسلامي بشكل عام.

● التنصير: خطة لغزو العالم الاسلامي

مجموعة من المنصرين

كانت عملية تنصير المسلمين من اعظم التحديات التي واجهت الكنيسة على مر العصور، وأصبح ذلك التحدي أكثر وضوحا بسبب الأحداث السياسية التي تشد الأنظار نحو الأراضي الإسلامية إضافة إلى الانفتاح الحديث الذي يشير إلى استعداد بعض المسلمين للوقوع في أحابيل المنصرين، وانطلاقا من ذلك فقد تسلمت (لجنة التنصير في لوزان) بكل ارتياح اقتراح عقد مؤتمر موسع للمنصرين في امريكا الشمالية، وتبنى الاقتراح (د. بيتر واكنر) عضو كلية (فولر) لارسالية تنصير العالم، وقام بتقديمه القس (دون ماكري) وهو أحد طلاب ذلك المعهد التنصيري، ووافقت لجنة لوزان بحرارة على تبني عقد المؤتمر في خريف عام ١٩٧٨م بالتعاون مع منظمة (التصور الدولية)..

وقامت اللجنة بتوزيع اربعين بحثا اساسيا على الأشخاص البارزين في مجال التنصير وبمعدل بحث واحد في الأسبوع، وحدد مستوى الاستجابات الكتابية على هذه الأبحاث التي أرسلت إلى اللجنة لاختيار المشاركين في المؤتمر وقد بلغ عددهم ١٥٠ شخصا، ولا ريب ان هذه المرة هي الاولى في التاريخ التي يجتمع فيها هذا العدد الكبير الذي يمثل مختلف الدوائر والهيئات والكهنة من اجل توحيد جهودهم، وامكاناتهم والاستفادة بعضهم من بعض بعضا في عملية تنصير المسلمين..

والكتاب ترجمة كاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة (جلين آيري) بولاية (كولورادو) في الولايات المتحدة الامريكية بتاريخ 5/15/١٩٧٨م، ونشرته دار MARC للنشر بعنوان: THE GOSPEL AND ISLAM .. وفي طيات فصوله وأبحاثه الكثير مما ينبغي على المسلم معرفته والاطلاع عليه لفهم واقع التنصير ومخططاته المستقبلية، وآلية تعامله مع العالم الإسلامي.

● المرأة المسلمة بين الأصالة والتقليد

○ عبد الله خلف السبت

○ نشر: صندوق الإحسان الخيري

(بجمعية إحياء التراث الإسلامي)

من ضمن سلسلة إصداراته، صدرت الطبعة الجديدة من كتيب (المرأة المسلمة بين الأصالة والتقليد) عن صندوق الإحسان الخيري بجمعية إحياء التراث (الكويت)، وهو من تأليف الشيخ/ عبد الله بن خلف السبت، ويقول في مقدمته ملخصا الهدف مما كتب:

(لقد تكالبت كل ذئاب الأرض وثعالبها، وتعاهدت على إفساد المرأة المسلمة وغزوها في عقر دارها، وكل مناها أن تحوّلها عن الفضيلة إلى الرذيلة وتجعلها عابدة للغرب عبر وسائله المادية المتجددة كل لحظة.. لذلك كان لزاما على أهل الخير – رجالا ونساء – أن يتداركوا الأمر ليوقفوا هذا الطوفان الوافد).

● الاجتهاد وطبقات مجتهدي الشافعية

○ د. محمد حسن هيتو

○ مؤسسة الرسالة، بيروت

الاجتهاد كلمة براقة جميلة، تستهوي العقول، وتستميل النفوس، وما من امرىء إلا ويتمنى الوصول إليها، والتحلي بها، فهي ذروة ما يصل إليه الإنسان في علوم الشرع من الكمال، ونهاية ما يبدع به العقل من الاتقان..

ولقد قدر سلفنا رضوان الله عليهم هذه الكلمة حق قدرها، فوضعوا لها الحدود، ورسموا لها الضوابط، وفهموا منها معناها الحقيقي الذي يستفاد منها، فما كان يدعيها إلا من هو أهل لها، إذ كانوا يدركون معنى اقتحام لجج الفتوى، وخطر الخوض في غمارها، بإدراكهم أن الجرأة على الفتوى جرأة على النار..

ولقد نظر المؤلف في أحوال العصر الحاضر فوجد بعض من يتوهمون أنهم علماء يدعون الاجتهاد، ويخوضون في دين الله فيحرمون حلاله، ويحلون حرامه، وهم لما يتعلموا قراءة القرآن بعد، ولما تستقم ألسنتهم بلغة قرانهم الذي تعبدهم الله بفهمه، بناء على قواعد لغة العرب! وكان من نتيجة ذلك – كما يرى المؤلف – أن اضطربت المعايير، وانقلبت المفاهيم، فصارت السنة بدعة، والبدعة حسنة، وصار الجهل علما، والعلم جهلا، فصدق الجاهل، وكذب العالم، وائتمن الخائن، وخون الأمين..

ولذلك وضع كتابه لتبيان الشروط التي يجب أن تتوفر في العالم حتى يصير مجتهدا مطلقا، أو مجتهد مذهب، أو مجتهد فتوى، لإيضاح الهوّة الواسعة بين دعوى الاجتهاد وحقيقته.. ورتب للكتاب مقدمة حوت أصناف المجتهدين وأوصافهم وشروط كل صنف منهم، وترجمة موجزة للإمام الشافعي تفي بغرض الكتاب، فالطبقة الأولى في المجتهدين المنتسبين للشافعي، والطبقة الثانية من أصحابه الذين جالسوه وأخذوا عنه، والطبقة الثالثة في مجتهدي المذهب بعد أصحابه، وهم قسمان: المكثرون، والمقلّون، ورتّب جميع التراجم في جميع الطبقات حسب سني الوفاة، وألحق بالكتاب فهرسا تفصيليا مرتبا حسب الأحرف.

كتاب: نصيحة باجتناب الدخان

○ الإمام إبراهيم اللقاني (ت١٠٤١هـ)

○ تحقيق د. أحمد محمود آل محمود

تنبه العالم مؤخراً إلى مضار التدخين، وأثبت العلماء أن علاقة وثيقة بين التدخين وبعض الأمراض الخطيرة، وعلى رأسها أمراض القلب والسرطان، وبدأت – منذ ربع قرن تقريبا – الحملات المناهضة للتدخين، وتكونت جمعيات للقيام بهذه المهمة، وتوالت تحذيرات منظمة الصحة العالمية وغيرها بهدف تبيان مخاطر التدخين، والدفع باتجاه الحد من انتشاره..

والمطلع على تراثنا الفقهي يجد ثروة كبيرة من العلوم المتعلقة بالإنسان وتحقيق مصالحه الشرعية والدنيوية، وقد تنبه علماؤنا قبل غيرهم إلى المخاطر والأضرار الناجمة عن التدخين، ومن هنا تأتي أهمية كتاب الشيخ ابراهيم اللقاني المتوفى سنة ١٦٣١م، والذي قام بتحقيقه د. أحمد محمود آل محمود، الاستاذ المساعد بقسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية بجامعة البحرين..





ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين ولحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

المرأة في الجاهلية والإسلام

قال تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسّه في التراب ألا ساء ما يحكمون ﴾ [النحل:٥٨و٥٩].

وقال تعالى: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلّ منه أو كثر نصيبا مفروضا﴾[النساء:٧].

كانت المرأة في العصر الجاهلي عديمة القيمة مهدرة الحقوق مع أنها النصف الثاني للإنسان فكما أنه لاسبيل إلى بقائها دون وجود الرجل فكذلك لاسبيل إلى بقائه دون وجود المرأة، فعن طريق تلاقيهما يتكاثر الجنس البشري.

فتلك سنة الله في الخليقة الإنسانية بعد خلق أصلها من تراب. وبهذا المنهج الإبداعي يمتن ربنا على عباده ويدعوهم إلى تقواه وإلى صلة الأرحام وينبئهم أنه رقيب عليهم في تنفيذ مادعاهم إليه فيقول في أول سورة النساء: ﴿يأيها الناس اتقواربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾.

ولقد بلغ من إهدار حق المرأة في العصر الجاهلي أنهم حرموها حق الحياة فوأدوها وقتلوها طفلة أو شابة دون أن يجدوا من يردهم عن هذه الجريمة الشنعاء.فقد كان يرتكبها سادتهم وضعفاؤهم وتجاوزت قلوبهم بذلك قسوة الحجارة﴿ وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ [البقرة:٧٤].

أسباب الوأد في الجاهلية

كان الوأد في الجاهلية للإناث غالبا وكانوا يقتلونهن مخافة العار أو مخافة الإملاق، وأحيانا كانوا يقتلون الذكور مخافة الإملاق فحسب، مع أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.ومع أنهم بحاجة إلى الأبناء للدفاع عن القبيلة. ومن عجب أن هذا الجاهلي القاسي القلب كان يغذي كلبه في الوقت الذي يقتل فيه ولده، فكلب الحراسة عنده أعز عليه من ولده ومنهم من كان يقتل بناته زاعما أنه يتقرب بذلك إلى الله سبحانه فقد، زعموا أن الملائكة بنات الله، فقتلوا بناتهم ليلحقوهن به تعالى فهو أحق بهن: ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علو كبيرا﴾.

منهجهم بعد ولادة البنات

كان الرجل منهم إذا ولدت له بنت فاما أن يريد أستحياءها وإما وأدها، فإن أراد الثاني تركها حتى تبلغ السادسة فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها حفرة عميقة في الصحراء فيسير بالطفلة المسكينة حتى يبلغ بها الحفرة فيقول لها انظري فيها فإذا نظرت دفعها من خلفها وهال عليها التراب في الحفرة حتى يسويها بالأرض.

قيس الزعيم التميمي يئد بناته غيرة وأنفة

ومن أبرز أولئك الوائدين لبناتهم قيس بن عاصم سيد أهل الوبر كما كان يلقبه الرسول ﷺ حين وفد عليه. ويعزون إليه أنه أول من وأد بناته في الجاهلية والصواب أن الوأد أقدم من قيس، ولكنه كان أكثر الوائدين بطشا ببناته ولم تسلم منه سوى ابنة واحدة في صغرها ثم وأدها شابة جميلة مكتملة الأنوثة، وتفصيل ذلك أن أمها ولدتها وهو مسافر فبعثت بها إلى أخوالها، ولما قدم قيس من سفره سأل امرأته عن حملها فزعمت أنه ولد ميتا.

ولما كبرت الفتاة جاءت لأمها تزورها فرآها قيس شابة جميلة مزدانة بزينتها.معطرة بالخلوق فأعجب بجمالها وعقلها واتزانها. فسأل امرأته عنها فأخبرته باكية بما صنعته بشأنها فلم يظهر أمامها أي اعتراض على مافعلت. وفي أحد الأيام حفر لها حفرة عميقة وأخذها معه بحيلة فوجدت نفسها أمام قبرها فدفعها في تلك الحفرة وغطاها بالتراب ولم تدمع له عين. فما أشد قسوته. ويذكر المؤرخون أنه لم يفعل ذلك لحاجة فقد كان غنيا كريما ولكنه فعله أنفة وغيرة من أن ينكح الرجال بناته.

قيس يجمع بين الأضداد في أخلاقه

ومن عجب أن يقسو قيس على بناته إلى هذا الحد. مع أنه كان مشهوراً بالحلم فقد كان من سماته الذائعة الصيت. أن الأحنف بن قيس المعروف

بـالحكمـة والحلم كـان يقـول: مـاتعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري لأن ابن أخ له قتل بعض بنيه فأتي بالقـاتل مكتوفا يقـاد إليه فقـال أخفتم الفتى ثم أقبل عليـه يقـول: يـابني بئس ماصنعت نقصت عددك.وأوهنت عضدك، وأشمت عدوك، وأسأت بقومـك، خلوا سبيلـه وحملوا إلى أم المقتول ديته فإنها غريبة. وكل ذلك حـدث منـه وهـو لم يغير جلسته ولم يتجهم له وجه.

وكـان الأحنف يقـول: كنـا نختلف إلى قيس بـن عـاصـم في الحكم كما نختلف إلى الفقهـاء في الفقه.

وكان إلى جانب حلمـه شجاعا سخيـا صبـوراً متواضعـا وقـد حـرّم الخمـر على نفسـه في الجاهلية وسبـب تحريمه إيـاها أنـه شربها في ليلة فسكـر فغمـز عكنـة ابنتـه فهـربت منـه. فلما صحـا أخبروه بما حـدث منـه فحـرّم الخمر على نفسـه وقـال شعراً جاء فيه:

فلا والله أشربها حياتي
ولا أدعو لها أبداً نديما

كان في العرب من ينكر الوأد

ينقل الألوسي في تفسيره لقوله تعـالى: ﴿وإذا الموءودة سئلت. بأي ذنب قتلت﴾ [التكـويـر:٨ و٩]. إن من العـرب من كـان يستقبحه كصعصعة بـن ناجية المجـاشعي فقـد كـان يفتـدي الموءودات من قـومـه بني تميم. وأخبر الطبراني عن صعصعة أنه قال قلت يارسول الله إني عملت أعمالا في الجاهليـة فهل لي فيهـا من أجر. أحييت ثلاثمائة وستين مـن الموءودات، كنـت اشتري الواحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل، فهل في ذلك مـن أجـر؟ فقـال ﷺ: «لك أجره إذ منّ اللـه عليك بالإسلام».

الإسلام قضى على هذه الجريمة

جاء الإسلام وهـذه الجريمة الشنعـاء يمارسهـا الفقـراء والأغنياء والضعفـاء والأقويـاء للأسباب التي مـر بيانها فوقف من القتلـة الـوائدين مـوقف الناهي المحذر مـن سوء العقاب قـال تعالى: ﴿ولاتقتلـوا أولادكم خشيـة إمـلاق نحـن نـرزقهم وإيـاكم إن قتلهم كـان خطئـا كبيرا﴾ [الإسراء:٣١] والخطء بكسر الخاء: هـو الـذنب. أي أن قتلهم كـان في شريعة اللـه ذنباً عظيما يستوجـب أشد العقـوبة ولاشك أنه جريمة كبرى في نظر العقلاء الحكماء أيضا.

وقال سبحـانه في ل مصـورا سوء تصرفهم نحوميلاد الاناث: ﴿وإذا بشر أحدهم بـالأنثى ظل وجهــه مســودا وهــو كظيم. يتــوارى من القـوم من ســوء مابشر بـه أيمسكه على هـون أم يـــدســـه في التراب ألاســـاء مايحكمون﴾ [النحل:٥٨و٥٩]. وقال في سـورة التكويـر حاكيـا بعض مـــايحدث من أهـــوال القيامـة: ﴿وإذا الموءودة سئلت. بأي ذنـب قتلت﴾. ففي هـــذا الموقف العظيم يسأل اللـه تعالى الموءودة عن طريق ملائكته قائلا أمام قاتلها:بأي ذنب قتلك أبوك لتشهد هي ضده بأنه قتلها ظلما بطـريقتـه القـاسيـة. وليكـون السـؤال تسليـة لها واعظـامـا لحقهـا وتفظيعا للجنـاية عليهـا وإسقـاطـا لقـاتلهـا عن رتبـة الخطاب توبيخا وحملا له على أن يحكم بنفسـه على نفسـه بأنـه قتلهـا دون ذنب. وأنـه يستحق سوء العذاب على قتلها ظلما.

كان من عادة أهل الجاهلية أن يحرمـوا النسـاء والصغـار من الميراث ويجعلـــوه حقـــا لمن يدافعون عن القبائل من الرجال وكان هذا التصرف مجافيا للحق والعـدل فلهذا أبطلـه الله تعـالى بقوله: ﴿للرجال نصيب مما ترك الـوالـدان والأقربـون وللنسـاء نصيب ممـــا تـــرك الـوالـــدان والاقربـون مما قـــلّ منـــه أو كثــر نصيبــا مفـــروضـــا﴾ [النساء:٧].

والسبب المباشر لنزول هـذه الآيــة أن أوس بن ثـابت تــوفي وترك زوجة وبنتين وابنا صغيراً فجاء سـويد وعـرفجة ابنـا عم أوس بن ثـابت وأخذا مـاله ولم يعطيـا امـرأتــه وأولاده شيئـا فقــالت أم اليتــامــى لابني عم زوجها: أفـلا تتزوجـان البنتين وقـد أخـذتما أمـوال أبيهما فلم يوافقـا على ذلك. وكـان بالبنتين دمـامـة فأتت رسـول اللـه ﷺ فـاخبرته الخبر فـدعاهما فقـالا يـارسول اللـه ولـدها لايـركب فرسا ولايحمل كلا ولاينكأ عدواً فصرفهم النبي ﷺ حتى ينـــزل الله حكمه في شأنهم فـأنزل الله هذه الآيـة. فأرسل إلى ابنى العم فقال لهما: «لاتحركـا من الميراث شيئا فإنه قـد أنزل عليّ فيه شيء أخبرت أن للذكر والأنثى نصيبا» ثم أنـزلت بعد ذلك آيـات الميراث مفصلـة نصيب كل وارث فدعـا النبي ﷺ بالميراث فـاعطى المرأة الثمن وقسم البـاقي بين الاولاد. للذكر مثل حظ الانثيين ولم يعط ابنى العم شيئا.

وهكذا أنقـذ الإسلام المرأة من ظلم أهل الجاهليــة. فأوجب لها حق الحياة وحـرّم قتلها وأوجب لها الميراث على النصـــف مـــن الـرجل صغيرة كـانت أو كبيرة فللـــه الحمـــد أحكم الحاكمين وأعدل العادلين□

محمد عبد الرحمن الشاعر – مصر

إلـــى متـــى؟

إلى متى سيظل حال المسلمين هكذا؟

في البوسنة.. اغتصاب.. تهجير.. تدمير.. هدم للبنية الإسلامية..

في الهنـد.. هـدم للمساجـد.. تشريـد للمسلمين.. وكـذا الحال في كشمير. وناهيك عما يحدث في الدول الأفـريقية ذات الأقلية المسلمة من إبادات جماعيـة.. ومحاولة لطمس الهويـة الإسلاميـة في بلدان كثيرة.. وتلك الأيام.. هدم جديد.. وقتل بلا رحمة.. (الشيشان)..

متى سيفيق العالم الإسلامي؟

متى سيجتمع العـالم العـربي على كلمـة واحدة للـوقـوف تجاه (الغول) الأوروبي الذي يسعى لطمس الهوية الإسلامية؟

العالم العـربي لو أجمع على كلمـة واحدة للـوقوف في وجـه هذا التيار لانتصر بـلا أدنى شك.. ولكن.. هل يريد العالم العـربي فعلا الوقوف ضد تلك الهجمات البربرية؟

هل سيستطيع العرب – فعلاً – استعادة القدس؟ كيف؟

كيف وإسرائيل تنفـرد بكل دولـة عـربيـة بمفـردهـا.. لتحقق مكاسـب.. ما كانـت ستحققها لـو أجمع العرب جميعاً على مـوقف واحد.. كنـا نـنادي بـاستعادة فلسطين.. العـربية.. واليـوم اكتفينا بـ(غزة وأريحا)!!

الأردن في يـوم وليلة.. عقـد اتفـاقا.. وفتح أراضيـه فجأة.. دون مقدمـات.. ولم يراع باقـي جيرانه.. والحقوق المشروعـة لاستعادة سوريا لجولانها.. ولبنان لجنوبها.. وفلسطين للعرب..

فإلى متى سنظل هكذا؟

طارق كمال – الكويت

هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القاريء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

الدعوة بالممارسة

بقلم: د. صلاح الدين أرقه دان

جمعتنا ضاحية باريسية شتاء ١٩٨٥م وبعضَ الأخوة العلماء والدعاة الأفاضل، بدعوة من (اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا)، نتدارس ونحاضر عن الاسلام، وواقع العالم الاسلامي، وهموم الدعوة، وانتشار الجالية في أوروبا عامّة وفرنسا على وجه الخصوص، وحولنا ما يزيد على خمسة آلاف مستمع ومستمعة، جاؤوا من مناطق شتى، وبينهم من لا يحسن العربية من المسلمين الجدد وأبناء الجيلين الثاني والثالث، حتى اضطر منظمو الدعوة إلى استخدام الترجمة الفورية..

كان كلّ ما في اللقاء مميزاً بالنسبة لي وأنا القادم من أرض تشتعل بسلسلة من الحروب الداخلية والصراع الطائفي، فبيروت يومها كانت تعاني من ضربات البوارج الحربية ما يزيد في مسؤوليتها وهمومها، والجنوب اللبناني مرابط ثابت – كالعادة – أمام الغارات الجوية الإسرائيلية، وصورة (الغربي) في أذهاننا – نحن الضحية – لا تعني أكثر من حليف إسرائيلي، ولا نتصوّر أصحاب الوجوه الصفراء والعيون الزرقاء إلا أعداء لا يمكن أن يكونوا في صف المسلمين، ولا في صف الاستجابة للدعوة..

وأيقظني هذا الجمع على حقيقة كادت أن تضيع تحت وطأة المأساة اللبنانية المذكورة، فالإسلام أكبر من أن يكون مفصّلا ليناسب فرداً أو جماعة بعينها، الإسلام دعوةٌ للعالمين، وبنو الأصفر أصحاب العيون الزرقاء مدعوون كغيرهم، ومنهم من يستجيب ويحسن إسلامه وإن كان لسانه يرطن بالإفرنسية أو الألمانية أو (يهدر بالدارجة) كما يقول إخواننا أبناء الشمال الأفريقي..

وبقي في ذهني مشهد لا أنساه ما حييت، هزّني من داخلي كما هزّ الحاضرين جميعا، فقد أعلن عريف اللقاء عن رغبة أحد الفرنسيين في إعلان إسلامه أمام هذا الجمع الغفير، وكبّر الحاضرون وفرحوا، ولمّا تقدّم هذا المقبل على الإسلام وكان فتى فرنسياً في سن المراهقة، وتخوفا من أية ردة فعل غاضب من الإعلام الفرنسي نظرا لصغر عمر المهتدي الجديد، وحتى لا يدّعي المغرضون أننا نغرر بالأطفال، فضل العلماء الحاضرون أن يشهد إسلامَه أحدُ أوليائه، وبالفعل قامت امرأة من آخر الصف – لا يدل سمْتها على أنها مسلمة – فقالت: إنني أمه، وأنا أريده أن يصبح مسلما..

سألها العريف: أأنت مسلمة؟ فأجابت بالنفي، مما عجّب الحاضرين جميعاً، فسألها العريف: لمَ ترغبين في إسلام ولدك وأنت غير مسلمة؟ فأجابت: لأنني أرى معاملة جيراننا المسلمين لآبائهم وأمهاتهم، وأريد لولدي أن يكرمني في كبري كما يكرمون آباءهم، لا أن يلقيني في الشارع أو المأوى كما هي عادة الفرنسيين..

من المحتمل أن جيران هذه المرأة لم يتلقوا العلم الشرعي البليغ الذي يؤهلهم ليكونوا دعاة وخطباء مفوّهين ومقْنِعين، ولكنهم بالتأكيد مارسوا من أخلاق الإسلام ما دفعها لتتخذ الموقف المشهود هذا، والدرس أوضح من أن نسهب في شرحه.. الدعوة بالممارسة أبلغُ من الوقوف عند حدود الكلام□



مائة الف دولار سنويا جائزة عبد العزيز سعود البابطين لاحفاد الامام البخارى



● زبن العتيبي



● عبد العزيز سعود البابطين

فى بادرة طيبة اعلن السيد / عبد العزيزسعود البابطين بالتعاون والتنسيق مع القائمين على مشروع التواصل الحضارى مع احفاد الامام البخارى فى لجنة مسلمى اسيا المنبثقة عن الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية عن طرح جائزته الكبرى السنوية وقدرها مائة الف دولار امريكي تقدم للدراسات والابحاث والابداعات المهتمة بمنطقة اسيا الوسطى والقوقاز ومسلمى روسيا الاتحادية وتأتى هذه الجائزة امتدادا للدور الخيرى والانسانى النبيل الذى تقوم به دولة الكويت فى مد جسور التواصل الحضارى (الثقافى والفكرى) مع شعوب المنطقة التى انجبت العديد من العلماء والمفكرين امثال البخارى والبيرونى والنسائى وغيرهم من اعلام الحضارة الاسلامية الزاهرة .

وسوف يقوم القائمون على مشروع التواصل الحضارى مع احفاد الامام البخارى فى لجنة مسلمى اسيا فى وقت لاحق بالاعلان عن المحاور واللوائح والشروط المنظمة للجائزة حتى يتسنى للمهتمين والمختصين بالمنطقة من شتى ارجاء العالم الاسلامى الاطلاع عليها ومن ثم تقديم دراساتهم وابحاثهم المتميزة بالجد والابتكار خدمة لامتنا فى مسيرتها الحضارية المعاصرة ...

أطفال الكويت يناشدون العالم



ouldn't

F get you



NATIONAL COMMITTEE
FOR M.& P.O.W.'S AFFAIRS



اللجنة الوطنية
لشؤون الأسرى والمفقودين

الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

اسلامية شهرية جامعة

العدد ٣٥١ - ذو القعدة ١٤١٥هـ/ ابريل (نيسان) ١٩٩٥م

التنمية الاجتماعية بين الشعار والالتزام

آثار المخدرات الضارة تفوق الخطر النووي

الصحوة الاسلامية في تركستان

التلقيح الصناعي في الانسان


هذا خلق الله ...



الوعي الإسلامي

AlWEI AL-ISLAMI

اسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٥١ - السنة الحادية والثلاثون - ذو القعدة ١٤١٥هـ/ ابريل (نيسان) ١٩٩٥م

كلمة العدد

ساعة تفكّر وتدبّر وعمل

(تفكّر ساعة خير من عبادة ستين سنة) أثر يتناقله الناس، وفيه حكمة، فالإنسان يحتاج – مهما بدت مسؤولياته صغيرة – إلى ساعة تأمل يقضيها في دراسة ما مضى وما هو آت، ذلك لأن الحياة الإنسانية السليمة مزيج متوازن بين الجد والهزل، والعمل والراحة، والعطاء والإمساك.. توازن يؤدي إلى الاستفادة من الحياة مع تحقيق المصالح التي اقتضتها حكمة الله تعالى باستخلاف الإنسان في الأرض..

والإنسان في حمأة الصراع اليومي وراء لقمة العيش، يحتاج إلى لحظات يلتقط فيها أنفاسه، ويدرس بشكل موضوعي ونقدي مواطن الضعف والقوة، ونقاط التقدم والتراجع في حياته، والخاسر هو الذي يراوح مكانه فلا يدري وراءه من أمامه، ولا إفلاسه من ربحه..

وأمتنا المسلمة أمام براكين الأحداث التي تواجهها كل يوم، وأمام الساحات الملتهبة التي تكتوي بنارها كل ساعة، وأمام الفتن التي تكاد لا تتوقف، تحتاج إلى لحظات هدوء لالتقاط الأنفاس من جهة، ودراسة واقعها وما تحتاجه لمواصلة مسيرة البناء وأداء الأمانة التي في عنقها من جهة أخرى..

قد يبدو الواقع أصعب من القدرة على التحمّل، مع قلة الصبر والمجالدة، وقد يرى البعض فيما يجري حالة مستعصية على المعالجة، فما من فتيل يطفأ في مكان إلا ويشتعل بدله فتيل في مكان آخر، إلا أن ذلك كله يسهل أمام إرادة مؤمن بالله حقيقة الإيمان، وبرنامج مدروس وخطوات ثابتة، ولنا في رسولنا الكريم ﷺ أسوة حسنة فقد واجه ﷺ وعصبة مستضعفة أهوالاً أين منها ما نواجهه اليوم، فكان للصبر والإخلاص والمصابرة أكبر أثر في النجاح الذي عرفناه قرونا.. يكفي أن نعقد العزم ونخلص العمل، وفي الحديث: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه». أوليس التدبّر من إتقان العمل؟■

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar

مدير التحرير
MANAGING EDITOR
د. صلاح الدين أرقه دان
Dr. S.S. ARKADAN

المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR
خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz

الاخراج الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
S. M. Saleh

هاتف:
بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر، والمقالات لا تعبّر بالضرورة عن رأي الوزارة

المراسلات :
مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

الاشتراكات

داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية(أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً(أو مايعادلها)
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب:٤٢٠٥٧
الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت:٥/ ٤٨١٦٨٨٤-٤٨٣٥٠٤٧

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع ٧٥ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

أقـــرأ في العـــدد



شهـدت العـاصمـة الدانمركية كوبنهاغن الشهر الماضي وقائع جلسات مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية الذي حدد هدفه بـ(وضع خطة إيجابية وعملية تتضمن إجراءات وطنية ودولية لتشجيع جميع الدول على تحقيق مستويات معيشية أفضل، وسبل كسب اكثر انتاجية، وترابط اجتماعي قوي).. وكان حضور صاحب السمو أمير دولة الكويت جلسات المؤتمر دلالة واضحة على اهتمام هذا البلد المسلم المعطاء في ميدان التنمية الاجتماعية، وهو الذي لم يدخر وسعا في تقديم المساعدة الممكنة من خلال (الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية)..

وتجربة الكويت وحجم مساهماتها في ميدان التنمية وتقديم يد المساعدة للدول الشقيقة والصديقة تجربة غنية تستحق الدراسة والتعميم.

الوجود الإسلامي في جـزر البحـر الأبيض

بهيج سكيك بأسلوبه السلس الرقراق يأخذنا في رحلة تاريخية - حضارية لنعيش حالة الانتشار الإسلامي في جزر البحر الأبيض المتوسط، ومساهمات هذا الوجود الحضاري والثقافي.



حوار بروفسور غـلام أعظم



كثيرا ما توجه أصابع الاتهام للعاملين في الحقل الإسلامي دون رويّة ولا إنصاف، وكثيرا ما يستفيد المتهمون من التعتيم الإعلامي الذي يلف عمل الدعاة وأفكارهم، وفي الوقت الذي يرفع فيه البعض شعارات العنف واستخدام القوة نرى أنموذجا في الدعوة يسير على هدي الحكمة والموعظة الحسنة مستخدما كل وسائل الحضارة والبناء الحضاري. حديث هذا الشهر عن العنف والأقليات والمرأة ووسائل التغيير مع أمير الجماعة الإسلامية في بنغلاديش.



اقرأ في الأعداد القادمة

- الحجب والحرمان في الميراث / رفعت محمد مرسي طاحون
- ما هو ادب الاطفال الاسلامي / اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
- التأريخ لمراحل تعليم الطب عند العرب / أ.د. مصطفى رجب
- الثقافة العربية بين التحدي الحقيقي والتحدّي الزائف / د. محمد مورو
- واقع التعليم الاسلامي بين الاقليات الاسلامية في اوروبا الغربية / د. احمد جاء بالله
- الحج وبيوت العرب المنظمة في الجاهلية / طه الولي
- حوار الأديان / د. عطاء الله صدّيقي
- بعث الاشعاع الحضاري الاسلامي / محمد علي وهبة المحامي
- حواء ام البشرية / خالد سيد علي بلاسي

تقدير عمر الارض بين الأمس واليوم

يناقش د. ماهر خليل نظريات عمر الأرض بين الأمس واليوم، عارضا النظريات المختلفة ومستجدات العلم فيها، وعلاقة ذلك بالمفهوم الاسلامي ونظرته للكون والحياة.

١٤

جاك بيرك والجدل حول ترجمته الاخيرة للقرآن الكريم

ما زال القرآن الكريم حجة الله على خلقه، وآياته الباهرة، ومعجزته الخالدة، لا تبلى على مدى الأيام ولا تتأثر بكثرة الردّ، ومازال الاستشراق يسعى حولها ما بين منصف ومتحامل. ومحمد القاضي يتعرض بالشرح والإيضاح لخصائص ترجمة المستشرق الفرنسي (جاك بيرك) الأخيرة للقرآن ومميزاتها.

١٨

تجربة تنموية ناجحة

ساهمت العبادات الإسلامية في بناء الحياة، ولم يقتصر أثرها على الآخرة وإنما امتد لإصلاح الدنيا وعمارتها، والوقف أحد أبرز مظاهر مساهمة العبادة في إنماء الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. و(مساحة رأي) لهذا العدد تتطرق إلى تجربة (مؤسسة الحج) الماليزية، ويبين د. صلاح الدين أرقه دان عوامل النجاح وأهمية تعميم التجربة.

٢٨

كيف يعالج الإعلام الإسلامي أخبار الجريمة والجنس

للإعلام دور كبير لا ينكره عاقل في توجيه الفكر البشري المعاصر، وهو سلاح ذو حدين قادر على الإفساد كمقدرته على التوعية، ونشر الخبر انعكاس للتوجه الفكري والعقدي الذي يحمله رجل الإعلام، وكثيراً ما تنتشر الجريمة وتستساغ من خلال طريقة العرض نفسها. في هذا المقال يعالج نور الدين بليبل ذلك كله من منظور إسلامي.

٥٠



مفهوم البنك الاسلامي ونشأته

حققت المصارف الإسلامية نجاحات دامغة في مضمار المال والتعامل المالي، مما دفع بالمصارف الغربية الكبرى إلى دراسة هذه الظاهرة والاستفادة منها، والعمل على افتتاح فروع مخصصة للمسلمين والراغبين بالتعامل المالي على الطريقة الإسلامية لحوقا منها بالمؤسسات التي استقطبت المساهمات الشعبية. والأزهري مولاي عبد العزيز في مقاله هذا يلقي الضوء على مفهوم المصارف الإسلامية ونشأتها.

٤٧

الفهرس

الافتتاحية

الابتلاء

شهدت العاصمة الدانمركية كوبنهاغن - مطلع الشهر الماضي - وقائع جلسات مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية بدعوة من الأمين العام للأمم المتحدة، الذي حدد هدفه بـ(وضع خطة إيجابية وعملية تتضمن إجراءات وطنية ودولية لتشجيع جميع الدول على تحقيق مستويات معيشية أفضل، وسبل كسب اكثر انتاجية، وترابط اجتماعي قوي)..

وقد أجمع المشاركون في القمة على أن الجانب الإنساني للتنمية والتقدم الاجتماعي، ظل مهملا أكثر مما ينبغي، وكان الأمين العام للأمم المتحدة قد صرح بأن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، باتت تمثل خطورة على السلام العالمي تفوق ما تسببه الحروب بين الدول، وأن أمن البشرية في أزمة، فهناك ١٢٠ مليون عاطل عن العمل، وثلث القوّة العاملة في العالم لا يعمل بوظائف منتجة، وبالتالي فهناك نحو ١,١ بليون نسمة - معظمهم في دول جنوب آسيا - يعيشون تحت خط الفقر، و٦٠٪ من سكان العالم يعيشون على الزراعة، كما يوجد حوالي ٣٠٠ مليون نسمة - معظمهم من النساء - يعملون في المدن الكبيرة بدول العالم الثالث بوظائف غير منتجة، ودون ضمان اجتماعي، ولا تأمين، ولا دعم..

وتُظهر إحصائيات متخصصة أنه كلما ازداد عدد الاقتصاديين في العالم الصناعي، ازداد عدد العاطلين عن العمل. ففي الفترة بين عامي ١٩٦٠-١٩٩٠م، دخل نحو ٤٠٠ مليون شخص سوق العمل في الدول النامية، ويتوقع دخول ٢٦٠ مليونا آخرين خلال العقد الجاري، وبالتالي فالمطلوب إيجاد ما لا يقل عن بليون وظيفة جديدة حتى عام ٢٠٠٠م، إذا أردنا القضاء على البطالة بشكل تام..

وكان حضور صاحب السمو أمير دولة الكويت جلسات المؤتمر دلالة واضحة على اهتمام هذا البلد المسلم المعطاء في ميدان التنمية الاجتماعية، وهو الذي لم يدخر وسعا في تقديم المساعدة الممكنة للدول الشقيقة والصديقة من خلال (الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية) وقد بلغت قروضه ٨ بلايين دولار أمريكي لـ٧٢ دولة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وأوروبا..

وقد اعتبرت الكويتُ هذا المؤتمرَ فرصةً للبحث والنظر بصورة جدية في موضوع التنمية الاجتماعية، وقد جاء استجابة للضغوط الجديدة التي يتعرض لها الأمن البشري، وللتأكيد وبوضوح تام على استحالة تحقيق أي هدف من أهداف التقدم البشري والرخاء الإنساني إن لم يتمكن المجتمع الدولي بالتعاون والتعاضد بين مؤسساته ودوله من تعزيز دور التنمية ومحورها الأول (الإنسان)، وهو الثروة الحقيقية القادرة على التنمية والتغيير، فالإنسان هو موضوع التنمية وهدفها.. والمؤتمر فرصة لاعتراف المجتمع الدولي بضرورة التصرف الجاد وإيجاد سبل العلاج لمشاكل البشرية قبل أن تستفحل إلى الأسوأ..

والقضايا التي طرحها المؤتمرون باتت بالفعل من الإشكالات الرئيسة، التي تتطلب حوارا ودراسة عميقة من أجل بلورة مفاهيمها وآلية تنفيذها، والعمل على إيجاد نظام متكامل لمواجهة هذه الإشكالات. فإذا نظرنا إلى خارطة العالم، وما يقع فيها من أحداث ووقائع وإشكالات، أدركنا أهمية تسليط الأضواء على المشاكل التي تعاني منها قطاعات وساحات واسعة تتطلب مزيدا من البذل والجهد والصراحة للخروج من دوامتها.

التنمية الاجتماعية بين الشعار والالتزام

وأبرز ما نلاحظه:

- اتساع الفجوة بين الدول الصناعية والدول النامية، مما يترتب عليه مزيدا من الهوّة بين الأغنياء والفقراء، فنرى قلة قليلة تنعم بثروات مالية وصناعية، وتقطف جنى التقدم التقني والعلمي متسارع التطور، بينما نرى في الجهة المقابلة مزيدا من المعاناة بسبب الفقر والتخلف والحرمان وانخفاض مستوى المعيشة والبطالة، الأمر الذي ينعكس على ميزان العدالة بمفهومها العام، ويشكل تهديداً للسلام العالمي..
- وإن مما يدق ناقوس الخطر تلك المعاناة الواضحة لمجموعات واسعة من المحرومين في عالم اليوم من الرعاية الصحية والتعليمية وحق العمل والضمان الاجتماعي، وعدم التمتع بتكافؤ الفرص والمساواة على قدم وساق مع إخوان لهم في البشرية يرفلون بما تحلم بها نفوسهم، وأكثر القطاعات حرمانا - بحسب بعض الدراسات - نساء وأطفال وعجزة الدول النامية المعروفة اصطلاحا باسم (العالم الثالث)..
- ومن المخيف كذلك مظاهر انتهاك حقوق الإنسان والتمييز بين البشر، وانحسار الممارسة الديمقراطية والشورية، وبروز فتنة التمييز العنصري بأشكاله المتعددة - العرقية والدينية

والطائفية إلخ - ولجوء البعض إلى استخدام العنف وأساليب القهر والسيطرة، بل إن هناك حكومات باتت تتميز بسوء السمعة في تعاملها مع شعوبها وحرمانها من حق التعبير والحريات الأساسية، وعدم توفير الحماية القانونية والواقعية للأفراد والمؤسسات، مما يشكل انتهاكا صارخا للكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان..

والمتأمل في ممارسة هذه الحقوق يجد تفاوتا بين الدول في الاهتمام بها تنصيصا وتطبيقا، وقد تجد في البلد الواحد مفارقات تبتعد بالإنسان عن ميدان التطبيق، وتدفعه إلى زاوية الإحراج لعدم ارتباط الشعار بالعمل..

والكويت حرصا منها على تحقيق قواعد الشرع الحنيف في رعاية الانسان وتحقيق كرامته وحفظ حقوقه، والتزاما بالقرارات القانونية والأعراف الدولية المستندة إلى وثيقة حقوق الانسان، راعت حفظ ذلك بالقانون وبالممارسة، فالحكومة توفّر التعليم المجاني في جميع مراحله، وتقدم الرعاية الصحية، والإسكانية، وتولي عناية خاصة بالرعاية الاجتماعية للفئات الخاصة، وتقدّم المساعدات المادية للعاجزين عن الكسب..

وكنتيجة لذلك تغطي الخدمات التعليمية والصحية ١٠٠٪ من السكان، ويعادل متوسط عمر الفرد في الكويت ٧٤,١ سنة، مما يعتبر مماثلا لما هو عليه في الدول المتقدمة، وفي الخطة الخمسية الأخيرة [١٩٩٥-٢٠٠٠م] أهداف كبيرة تتعلق بتحقيق أمن المواطن، ودعم الترابط الأسري، وبناء الإنسان وحماية كرامته، وتلبية احتياجاته الروحية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية..

ونتيجة للاهتمام الرسمي بالتنمية، نلاحظ أن الكويت إحدى أبرز مناطق جذب العمالة الأجنبية، نظرا لارتفاع الأجور بها، وتقدُّم الخدمات الصحية والتعليمية، والاستقرار السياسي الذي يسود البلاد، ويبلغ عدد الوافدين حوالي مليون شخص معظمهم من دول نامية، يسهمون في رفع مستوى معيشة أسرهم في بلادهم الأم..

وقد ركزت الكويت بشكل كبير على الإنفاق في مجال التنمية الاجتماعية، قناعة من مؤسساتها المسؤولة بأهمية هذا الميدان، وحرصا منها على تنمية المجتمع بكل قواه ومؤسساته الخاصة والعامة، وذلك سعيا منها إلى إقامة بناء اجتماعي يحقق التوازن والتكافل بين أفراد الشعب، وتوفير الأمن الاجتماعي والاستقرار لأبنائها والمقيمين فيها، وتسخير الثروة لخير الإنسان..

ولم تحصر الكويت اهتمامها بالمجتمع الكويتي فقط، ففي إطار المبادئ الإسلامية الحنيفة، سعت منذ أفاء الله عليها من نعمه إلى مشاركة الإخوة والأصدقاء هذه النعمة، فسعت إلى إمداد جميع الدول المعوزة بكل أنواع الدعم والمساندة، بإقامة مشروعات تنموية، وتقديم مساعدات إنسانية، والإسهام في حركة التنمية والبناء وإقامة المنشآت الاجتماعية والانتاجية في مختلف المناطق، ودول العالم النامية على وجه الخصوص، مساهمة منها في تخليصها من مشكلات التخلف الاقتصادي، وهموم البناء الاجتماعي المتقدم، وأصبحت نسبة ما تقدمه من مساعدات خارجية يصل إلى ٣٪ من إجمالي الناتج القومي..

وتموّل هذه التقديمات مشاريع زراعية وصناعية وكهربائية ومصادر المياه وميادين النقل والمواصلات، ومن الجدير بالذكر أن (الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية) بالإضافة إلى القروض - المذكورة آنفا - قدّم مساعدات لمؤسسات إقليمية ودولية بلغت قيمتها ٦٩٦٣ مليون دولار أمريكي، ودول نامية بلغت قيمتها ١٠,٨ بليون دولار أمريكي، وتميزت هذه المساعدات بعدم اقترانها بالشروط المعقدة التي تفرضها المؤسسات الدولية والدول المانحة في العادة، كما انها لا تقترن بأطماع عسكرية ولا هيمنة سياسية، وإنما تتلخص أهدافها بالمشاركة في التنمية الدولية وتحقيق المصالح المشتركة، وهي إذ تسعى لتحقيق التنمية الدولية إنما تنطلق من سعيها الدائب لتحقيق السلام العالمي والرخاء لكل أفراد المجتمع الدولي. ومن نفس المنطلق ألغت الكويت الديون عن أكثر الدول فقرا، كما ألغت الفوائد عنها..

ولا يسع العاقل إلا أن يرى في الحروب والاعتداءات المسلحة والاحتلال الأجنبي أهم معوقات التنمية والاستقرار، ولقد مرت الكويت بتجربة مرّة تمثلت في الاحتلال العراقي لأراضيها ومحاولة مصادرة إرادة أهلها، وطمس هويتها الوطنية، ومع ذلك تعالت على الجراح وعادت سيرتها الأولى في البذل والعطاء والتعاون ضمن حدود الإمكانات المتاحة، ولو كان ما تنفقه البشرية على الحروب ومعالجة آثارها متجها إلى التنمية، لأمكن معالجة الأوضاع الخطيرة التي تعاني منها معظم المناطق النامية من الفقر والجوع والبطالة والمرض، فلقد شكلت النفقات العسكرية عبئا ثقيلا على كاهل الشعوب المبتلاة، وأدخلت المجتمع الدولي كله في دوّامات كان في غنى عنها..

ولقد تبنت الكويت - في المؤتمر المذكور - الدعوة إلى نبذ العنف، واجتناب اللجوء إلى القوة في حل المنازعات الإقليمية، والوقوف بحزم ضد المغامرات الطائشة والعدوان الذي تلجأ إليه بعض الحكومات، وإجبارها على الالتزام بمبادىء ميثاق الامم المتحدة والشرعية الدولية..

ودعت إلى الافراج عن الأسرى والمحتجزين المدنيين والعسكريين بعد وقف اطلاق النار، وإعادتهم إلى أهلهم وذويهم، وعدم اللجوء إلى المساومة أو إدخال هذه القضية الإنسانية في أساليب تتسم بالابتزاز..

كما كررت دعوتها إلى وقف سباق التسلح، ووضع حد للنزاعات الحدودية واللجوء إلى التحكيم الدولي وقرارات الامم المتحدة، وتخصيص الاعتمادات التي تنفق على العمليات العسكرية لكي توجّه إلى التنمية الاجتماعية، وبناء المدارس والمستشفيات، وإيجاد فرص العمل ورخاء الشعوب بصفة عامة..

إن موضوع التنمية الاجتماعية على رأس أولويات المهتمين والمسؤولين في العصر الراهن، ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن دائما هو مدى المصداقية في الالتزام والتطبيق، ذلك لأن النظرية والشعار مما يسهل رفعه، ولكن المحك الصحيح هو اقتران الفعل بالقول، ولئن تمكنت الكويت بالوعي والحرص والمتابعة أن تحافظ على التزاماتها وقناعاتها تجاه مواطنيها وجيرانها وأشقائها وأصدقائها، فإن المطلوب تعميم التجربة حتى تتحقق عالمية التنمية وشمولها، والله الموفق إلى كل خير■

بروفسور غلام أعظم

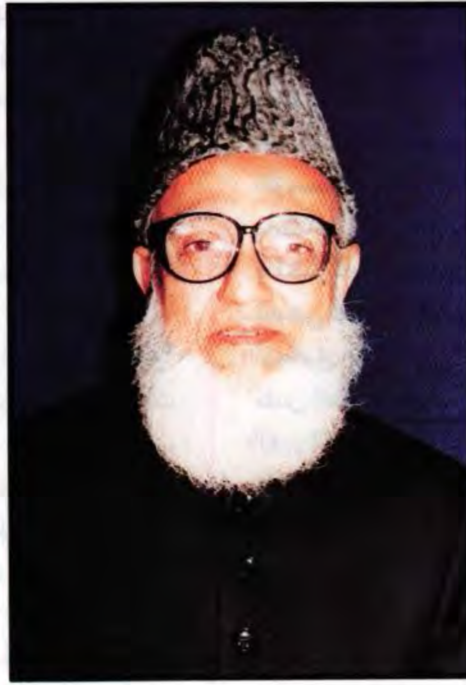
(أمير الجماعة الإسلامية ببنغلاديش):

التعدد قوّة عند التعاون وضعف عند التحزّب

البروفسور غلام أعظم، أمير الجماعة الإسلامية ببنغلاديش، شخصية بارزة ومعروفة في العالم الإسلامي، فبالاضافة إلى علومه الشرعية يعتبر داعية وعالما ومفكرا وأديبا، وهو استاذ جامعي وامام وخطيب الجامع الكبير في منطقة مونج بازار بمدينة دكا..

أعلنت بنغلاديش عام ١٩٧١م سحب جنسيته، وسلب حقوقه المدنية، وقضى حياته في المنفى في كل من المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة وباكستان وبريطانيا، ثم عاد إلى بنغلاديش عام ١٩٧٨م مطالبا باسترجاع جنسيته، واعتقل وطالب البعض بإعدامه، وقد قضت المحكمة العليا ببنغلاديش مؤخراًبعدم مشروعية سحب جنسيته وعدم شرعية اعتقاله، فخرج ليزاول نشاطه الدعوي والعلمي المعتاد..

التقيناه خلال زيارته الأخيرة للكويت، وكان هذا الحوار:



●غلام أعظم

حاوره: د. صلاح الدين أرقه دان

نتدرب على خدمة المجتمع بجميع فئاته وبكل احتياجاته، من منطلق الواقع والممارسة والتجربة، لا من منطلق التنظير البحت

■ يعيش شباب العالم الإسلامي اليوم صراعا مكشوفا بين النظرية والواقع، ويوجه البعض أصبع الاتهام لغياب برامج استراتيجية واضحة لدى الحركات الإسلامية العاملة على الساحة.. فهل توجد لدى (الحركة الإسلامية) المعاصرة برامج واضحة تلبي حاجة العصر، وحاجة المجتمعات الإسلامية على وجه الخصوص؟

●● في الحقيقة، يعاني عالم اليوم نقصا وفراغا واضحا في العقيدة، لا سيما بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، فلا توجد عقيدة معاصرة يمكن ان تجذب معظم الناس، والاسلام هو الدين الوحيد الذي يمكن ان يسد الثغرة ويلبي حاجة البشرية جمعاء..

وأنا لا أعلم تفاصيل خطة عمل كل قطر إسلامي، ولكن بإمكاني عرض برامجنا في بنغلاديش، فالعمل السياسي يقوم هناك على (الاقتراع) وأي حكومة غير منتخبة تعتبر حكومة غير مقبولة، وقد طرحنا الإسلام – من خلال الانتخابات – بديلا، وأعلنا برنامجنا الانتخابي على هذا الأساس، حيث إننا لا نؤمن بالعمل العسكري (الثورة) أداة للتغيير..

وفي برنامجنا الانتخابي الذي طرحناه، وفزنا بناء عليه، إيضاح لخططنا المستقبلية في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والاعلامية والاجتماعية إلخ.. فهو برنامج متكامل ولله الحمد، ونحن نلتقي بالجماهير في لقاءات مفتوحة،

نسمع منها وتسمع منا كل ما يتعلق بمشروعنا الإسلامي..

والجماعة الإسلامية تملك اليوم برامج تغطي مساحات واسعة من ميادين النشاط الإنساني، بنتها على رؤية إسلامية، وأبرز ما فيها: الدعوة، وتنظيم العناصر المستجيبة والمقتنعة برؤانا، والنشاطات الاجتماعية، والاقتصادية، والعمل السياسي..

وحتى نصل إلى أكبر عدد ممكن من الناس العاملين للإسلام أنشأنا أربع منظمات: (١) للعامة (٢) للطلاب (٣) للطالبات (٤) للعمال..

وبشكل طبيعي تظهر النشاطات السياسية من خلال وسائل الاعلام، ويظن الناس اننا حزب سياسي فقط، مع العلم أن السياسة جزء من برامجنا قد لا تتعدى الربع مما نقوم به.

■ بمناسبة ذكر البرامج الاجتماعية والاقتصادية، ما أبرز معالم نشاطكم في بنغلاديش، والمعروف انها تنوء بأعباء الميدانين الاجتماعي والاقتصادي؟

●● تقوم الجماعة الإسلامية من خلال برامجها بدعوة الناس للمساهمة الاجتماعية، فنحن ندرب اخواننا على العمل الاجتماعي التكافلي، بحيث لو وصلت الجماعة إلى الحكم نكون على استعداد لخدمة المجتمع بجميع فئاته وبكل احتياجاته، من منطلق الواقع والممارسة والتجربة، لا من منطلق التنظير البحت..

وفي مجال الاقتصاد عندنا مؤسسة البحوث الاقتصادية الاسلامية (ISLAMIC ECONOMIC RESEARCH BOROUGH) التحضير اساتذة في مجال الاقتصاد، وفي سنة ١٩٧٨م عقدنا مؤتمرا اقتصاديا عالميا، خرج بتوصيات تخدم نفس الهدف، وبعض رجال الأعمال الملتزمين أسسوا أعمالا مصرفية، وابتدأ المصرف الإسلامي عمله الفعلي منذ عام ١٩٨١م وهو المصرف الاسلامي الوحيد في بنغلاديش، وأداؤه أفضل أداء مالي مقارنة بغيره من مصارف بنغلاديش، ومن خلال مجمل الممارسة الاقتصادية والمالية الاسلامية بدأ المثقفون يفقهون كيف يمكن للإسلام أن يدير الأمور الاقتصادية، لأنهم يرون تجربة عملية حية..

وبذلك تكون الجماعة الإسلامية مهيأة للحكم في حال اختيار الناس لها.

■ بما ان المثقفين هم النخبة التي تقوم على أكتافهم دول ومجتمعات اليوم، فكيف يتم إعدادهم، وما برامج الجماعة الإسلامية تجاه أسلمة المعرفة، أو أسلمة التعليم؟

●● التعليم في بنغلاديش رسمي، وهو يخضع لبرامج الحكومة، وليس بمقدورنا التدخل في مناهج التعليم، أو إيجاد مؤسسة تعليمية بديلة، أو إنشاء مدارس خاصة بنا، لها مناهجها التربوية والتعليمية المستقلة، لكننا نستعيض عن ذلك بإقامة دورات ومحاضرات، ويعمل اخواننا المتخصصون في ميدان أسلمة المعرفة وتأليف الكتب الدراسية في كل المراحل وكل المواد من المرحلة الابتدائية حتى الثانوية، بما في ذلك مواد العلوم والرياضيات، نحاول صياغة المعرفة فيها من خلال نظرة اسلامية..

وفي بنغلاديش عموما نوعان من التعليم، التعليم الديني التقليدي من خلال المدرسة (MADRASA)، والمثقفون ثقافة عصرية من خلال المدارس النظامية الرسمية، وبالنسبة للفريق الأول يتناول طلابه علومهم العصرية في حلقات الجماعة الاسلامية من خلال دوراتها التخصصية، ومن خلال هذه العملية يمكن للعلماء أن يوصلوا الفكر الاسلامي للمثقفين ثقافة عصرية..

حرية التعبير والتفكير لا تعني حرية الإيذاء والبذاءة والتهجم على معتقدات ومقدسات الملايين من المسلمين، الحرية شيء وما كتبه سلمان رشدي وتسليمة نسرين شيء آخر



● مظاهرة طلابية تندد بالغزو العراقي للكويت

البروفسور غلام أعظم

والناس في بلدنا مـؤمنون بشكل عام، وإن كانت معلوماتهم عن الإسلام قليلة، وهذا مما يجعل عملنا سهلا بينهم..

ويمكنك القـول إننـا نسعى منـذ الآن لنكون مستعدين إذا مـا اختارنا الشعب - من خـلال الانتخـابـات البرلمانيـة - لحكم البلاد.

■ وماذا عن برامجكم السياسية؟

●● نـريــد من خــلال بــرامجنـا السياسيـة تصحيح أوضاع الـدستور، والانتخابات، نريد للناس أن يعبروا عن انتمائهم لـلإسلام وتمسكهم بـالكتاب والسنة..

■ في ميدان السياسية بالذات يتخوّف الآخرون، وأقصـد بهم أولئك الذين هم داخل الصـف الإســلامـي، ولكن لهم رؤيتهم وفهمهم الخاص، أما الـذين هم خــارج الصف الإسـلامي من حملــة العقائد والأفكـار المغايـرة أو النقيضة، فهم يتخوفون على (الحرية)، ويسألون عن مستقبل (الحـريــات العـامـــة والخاصة) في حال وصولكم إلى الحكم؟ لاسيما ومطـالبتكم بمحـاكمة تسليمـة نسرين مـا زالت ماثلـة للعيان؟ وكـذلك الموقف الاســلامي العــام من سلمان رشدي؟

●● تسليمة نسريـن سلمان رشدي آخر، وكثير من الإعلاميين يلوموننا على المطـالبـة بمحـاسبتهـا، ولكنني أسأل بدوري: هل حرية التعبير تعني أن أشتم شخصا بعينـه؟ حتى بريطـانيا - التي أثارت أكبر ضجة حول هذا الموضوع - تمنع التهجم على الكنيسـة والملكة.. وفي الكويت، هنا، هل من المقبول لشخص ما - تحت شعار حريـة التعبير - أن يقول



● مسيرة للجماعة الاسلامية ضد الغزو العراقي للكويت

إن الكويت جزء مـن العراق لأنها كانت جزءاً من الامبراطورية العثمانية؟!

وإنني أكاد أجـزم أنه لا توجـد دولة واحدة، تسمح لأي فرد منها - حتى في الـدول الـديمقـراطيــة - أن يطـرح موضوعا ضد استقلال البلد..

وحــريتك لا يجوز أن تــؤثــر على حــريتي، فسلمان رشــدي وتسليمـة نسرين يمكن أن يعتقدا ما شاءا، ويمكن أن يكفرا بالعقيدة الـدينية، وبالإسلام، وبـالقـرآن، وبـالسنـة، فهـذا شأنهما الخاص، ولكن في الـوقت الذي يعلنـان فيـه بكلمات بـذيئـة ضـد العقيـدة الإسلاميـة وضد القـرآن والسنة، فهما بهذا يسيئـان إلى مــلايين المسلمين في العــالم، وهـذا هــو منطلق مطـالبتنـا بمحـاسبة تسليمـة نسرين، فهي حـرة فيما تعتقده ولا شأن لنـا عليها، ولكنها ليست حرّة في تـوجيه الشتـائم وإيذاء مـــلايين المسلمين في معتقــداتهم ومقدساتهم..

ولقـد سألت صحفيــة فـرنسيـة في معرض إجابتي عـن سؤالها الشبيه: لم لا تسمحون في بلدكم للفتيات المسلمات بلبس (الإشارب) غطاء الرأس مع انكم تدّعون تقديس الحريـة والديمقراطية، ولم تمنعون المسلمات من ارتـداء الزي الإسلامي؟!

■ وماذا عن الأقليـات غير المسلمة في بلـد مسلـم تحكمـه بـرامـج الجماعـة الإسلامية؟

●● في بنغـلاديش حـوالي ١٢٪ من غير المسلمين، أكثـرهم هنــدوس ثم النصارى فالبوذيون ثم الوثنيون..

ويسرني أن أعلــن أننــي نشرت في ١٩٨٣م كتـابـا لغير المسلمين سميتـه: (الجماعـة الإسلاميـة وغير المسلمين)، والفكرة الأسـاسية في الكتـاب تتلخص فيما يلي:

أنتم في دياناتكم القـديمة متقون لأنه لا يوجد فيها شيء غير أخلاقي، ولكن لم تـريدوننـا رأسماليين أو اشتراكيين إذا كـان الإسلام يقـدّم لنا جميعـا نظامـا اقتصـاديـا فدينكم ليـس فيه نظـريـة اقتصادية..

وللعلم فإن جموعـــا من الهنـــدوس يـؤيدون بـرامج الجماعـة الإسلاميـة السيـاسيـة والاقتصـاديـة، وإحـدى المنظمات الهندوسيـة عملت على إطلاق سراحي حين كنت معتقـــلا، وقـــامت بحملة اعلامية من أجل ذلك، وقالوا: لو

كان هذا الرجل في السلطة لكنّا في أمان، لأن المؤمن لا يُخشى منه، ونحن أقلية لا يمكننا الحكم، فحقوقنا ستكون محفوظة إذا حكمت جماعة مؤمنة كـ(الجماعة الإسلامية)..

وعندما تدرك الأقليات أن حقوقها محفوظة لا يمكن أن تقف ضد الإسلام أو القانون الإسلامي.

■ وماذا عن رؤيتكم لمشاركة الأقليات غير الإسلامية في الحكم؟

●● نعم؛ يمكن ان يشاركوا في الوزارات والإدارات التي لا تتطلب معلومات إسلامية، وبالطبع لن يصل غير المسلم إلى مسؤولية تستلزم إيمانا بالإسلام ومعرفة بأحكامه، فيمكن لغير المسلم أن يكون نائبا، أو عضوا في الإدارات المحلية، أو وزيرا مختصا إلخ.. ولا تنس أن بعض المواقع تحتاج مواصفات معينة للشخص، قد لا يصلح لها مطلق مسلم.

فالأمر متعلق بمواصفات المسؤولية وواجباتها كما لا يخفى عليك.

■ يطرح البعض، لاسيما في الغرب، أن العلاقة بين الحضارات علاقة تناحر وتضاد وتصارع، كيف ترون العلاقة بين الحضارة الإسلامية وسواها من الحضارات؟

●● لابد من الحوار بين المسلمين وغيرهم، ومن خلال هذا الحوار سنجد قواسم مشتركة كثيرة، فليس من الممكن تحطيم الحضارات، والفهم ضروري للتعاون..

والحضارة الغربية في موقع القوّة اليوم، وأقطابها يقودون العالم، فمن السهل عليهم أن يدفعوا الآخرين لاتباع قيمهم وقوانينهم ومفاهيمهم..

وفي بلدنا منظمات غير حكومية (O.G.N) تقوم بأعمال خيرية واجتماعية وصحية، وأكثرهم من النصارى، وكثير منهم تحت قيادة منصّرين، ولأن قيمهم الاجتماعية مختلفة وتجيز لهم لقاء البنات والشباب فسنجد في اجتماعاتهم الاختلاط المرفوض إسلاميا بين الجنسين، ونحن من جانبنا نقوم بدورنا الخيري التطوعي، ولنا قيمنا التي تنعكس على ممارساتنا وأعمالنا بشكل يتناسب مع مفاهيمنا وشعاراتنا الإسلامية..

ومثل هذه الاختلافات وانعكاساتها الميدانية يصعب حلها، فهم لا يضيرهم – مثلا – إقامة علاقات جنسية خارج دائرة الزواج الشرعي أو القانوني، ولكن في الإسلام – كما هو المعروف – لا يجوز ممارسة الجنس إلا داخل مؤسسة الزواج الشرعي.. فنظام الخليل والخليلة (BOY & GIRL FRIEND) مرفوض في الإسلام..

عندما تدرك الأقليات أن حقوقها محفوظة لا يمكن أن تقف ضد الإسلام أو القانون الإسلامي

وبين الحضارة الاسلامية والحضارات الغربية هناك اختلافات –وبخاصة– في ميدان القيم والأخلاق، ولا يمكن للمسلم أن يقبل بالمفهوم الغربي لهذه القيم الأخلاقية والاجتماعية.. فالأسرة ممزقة هناك، والزواج والطلاق ألعوبة بأيديهم، بينما الطلاق في الإسلام هو الخيار الأخير (أبغض الحلال).. ومع ذلك فهناك نقاط لقاء بين الحضارتين، كالحرية الفردية، والتمثيل السياسي، وقوّة القانون ودوره، والمساواة في الحقوق والواجبات، والأمن الشخصي، إلخ..

■ يرى البعض في ظاهرة التعدد على الساحة الإسلامية عنصر ضعف، ويرى آخرون انه عنصر قوّة للمجتمع المسلم، كيف ترون المسألة من جانبكم، ضعف أم قوّة؟

●● التعدد التنظيمي على الساحة الإسلامية عنصر قوّة إذا كانت التنظيمات تعمل لتحقيق الإسلام بإخلاص، ولكن إن كانت تعمل من أجل مصالحها فسوف تصطدم بعقبات وتكون عندئذ نقطة ضعف..

ينبغي أن يكون الهدف (الإسلام) لا (التنظيم)، وأوضح مثال يمكن الاستشهاد به ما يجري في أفغانستان اليوم، فسبعة تنظيمات تعمل ضد بعضها البعض، وتفشل في إيجاد حكومة واحدة وإنهاء المشاكل..

• التنظيمات المتعددة المتعاونة عنصر قوّة، والتنظيمات المتعددة المختلفة المتصارعة عنصر ضعف.

■ هل من كلمة أخيرة لجمهور قراء (الوعي الإسلامي)؟

●● فهم الإسلام هو الأساس الذي يحتاجه المجتمع المسلم المعاصر، حتى المثقفين يحتاجون أن يفهموا ويعلموا الإسلام، ومن خلال مواقعهم يمكنهم خدمة الإسلام لو فهموه بشكل سليم..

ومع الفهم يحتاج الفرد والجماعة إلى ممارسة صحيحة ومخلصة للإسلام بعيدا عن الرياء والمراء، واختلاف القول عن العمل من الآفات التي تشكل خطرا على الأفراد والأمم والعياذ بالله□

المثل الأعلى في سورة الواقعة

بقلم: د. محمد رجب البيومي*

سورة الواقعة.. سورة مكية .. قال عنها ﷺ في حديث رواه ابن عساكر وأبو يعلى: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً».

في رحاب هذه السورة الكريمة وما تتضمنه من معان ومثل عليا كان هذا المقال: ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة. فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة. وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة. والسابقون السابقون. أولئك المقربون. في جنات النعيم﴾ [الواقعة: ٧-١٢].

تشتاق النفوس الراقية إلى مطامح عالية نبيلة، تسعى جاهدة إليها حتى تصل أو تكاد، وهي في سعيها الدائب تستمد من مشاعرها الراقية عزيمة تدفعها إلى الجهاد المتواصل، حتى تتكاثف الصعاب، وتقوم العوائق، هذه النفوس ذات مثل عليا تتجسد أمامها، وتراوحها في الغدو والعشي، حتى تملك عليها منطقة التفكير فلا تهدأ حتى تبلغها.

فالمثل الأعلى معنى من معاني الإنسانية النبيلة. يتمثل في أغراض سامية تستدعي الكفاح مثل التضحية والفداء وردع الظالم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. في ملأ تعاون على البغي والعقوق، وصاحب هذا المثل إنسان عرف طريق الحق فآلى ألاّ يحيد عنه أو يستشهد دونه. ومن ثمّ كان المثل الأعلى عزيز المنال ولكنه يتحقق بعد النضال والكفاح.

وقد ذهب بعض الأخلاقيين إلى أن المثل الأعلى فكرة خيالية. تعشق فقط، ولا تتحقق، فهي حلم جميل يراود المخلصين فيتوقون إليه، ولايبلغونه، وفي هذا المنحى يقول القائل:

ما شرّف المثل الأعلى وعظّمه
في أعين الناس إلاّ أنه حُلم
ولو تمثّل فيما بينهم رجلا
لحطّموه وقالوا يسقط الصّنم

وهؤلاء متشائمون لايعبرون عن الواقع المشاهد، لأن المثل الأعلى تحقق فعلاً في الحياة على فترات كثيرة. وقام بتحقيقه الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون. وكل مصلح كانت وجهته خالصة لوجه ربّه، وما أثمرت جهود الإنسانية في سعيها الدائب نحو النور إلاّ بجهود أصحاب المثل العليا ممن تعاظمهم أن تكثر المصائب، وتغشى الظلمات سماء الحياة فهبوا يعملون على الانقاذ حتّى قطفوا ثمار ما غرسوه، فالمثل الأعلى هدف منشود، وليس سراباً يلوح.

*كلية اللغة العربية بالمنصورة

نصّ قرآني كريم

وقد قرأت قول الله عز وجل في سورة الواقعة: ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة. فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة. وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة. والسابقون السابقون. أولئك المقربون. في جنات النعيم﴾. ثم قرأت ما جاء في تفسيري القرطبي والزمخشري عن بعض العلماء: «إن الناس ثلاثة فرجل ابتكر للخير في حداثة سنه ثم دوام عليه حتى خرج من الدنيا، فهذا هو السابق المقرّب، ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طوّل الغفلة حتى رجع بتوبته فختم له بها، فهذا من أصحاب اليمين، ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم بها فهذا من أصحاب الشمال» [تفسير القرطبي، ص٦٣٦٩، ط. الشعب].

قرأت ما جاء في تفسيري القرطبي والزمخشري عن الطرائف الثلاث، وتذكرت ما قاله الأخلاقيون عن الطائفة المثالية التي وجهت عزمها إلى نصرة الفضيلة فقضت حياتها في كفاح الشر لنصرة الخير، ومازالت تعمل في مضمارها غير وانية حتى بلغت الشاطىء بسلام، فقلت إن هذه الطائفة المثالية جديرة بأن تكون السابقة المقرّبة، لأنّها ارتفعت عن نزوات الغرائز الهابطة. واستشرفت أفقاً يفيض بالنور، وقد تكلّل مسعاها بالنجاح فحازت النصر في الحياة ورضا الله في الآخرة، فمن يكون السابق المقرّب غيرها، ومن أفرادها النبيون والصديقون والشهداء والصالحون. وإذا كافح المكافح ولم يهن ولم يضعف ولكنه لم يبلغ ما يرجو إذ كانت العقبات فوق طوقه البشري فهو سابق مقرّب، لأن الأعمال بالنيات، ولكل امرىء ما نوى.

رحمة الله

ننظر إلى السياق القرآني في قوله عز وجل: ﴿وكنتم أزواجا ثلاثة﴾، فنلمس رحمة الله البالغة في هذا التقسيم، إذ لو كان المشرّع إنسانا بشريا لجعل الناس طائفتين، طائفة الشر، وطائفة الخير فللأولى سوء المصير، وللثانية حسن العقبى، ولكن خالق الإنسان وبارئه يعلم مناحي ضعفه، ويعرف أنه يقارف الذنب، ويأتي المعصية، ومن الخير أن يفتح له سبيل الغفران فيتوب، عَلِمَ ذلك خالق الإنسان فشمله برحمته وفسح له باب المغفرة، فَجُعِلَ من أصحاب الميمنة، ممن يرتكبون الآثام، ثم يقلعون عنها نادمين، ولم يصروا على ما فعلوا، يقول الله عز وجل في سورة آل عمران عن هؤلاء: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾. [آل عمران: ١٣٤و١٣٥]

ويقول تعالى في سورة الزمر: ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم. وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون﴾ [الزمر: ٥٣و٥٤].

وهذه الطائفة من التوّابين ليست هي الطائفة المثالية. ولكنّها الطائفة الواقعية، التي اصطدمت بغرائز الشّر فاستسلمت لها حيناً. ثم استيقظت من غفلتها فأدركت ماينفرج تحت أقدامها من هوّة سحيقة توشك أن ترتطم في غورها، فسارعت إلى المغفرة دون

إصرار على المعصية، وكان مصيرها الجنّة مع أصحاب الميمنة.

السابقون المقرّبون

تحدثت سورة الواقعة عن الطوائف الثلاث في موضعين. تحدثت عنهما في أولها بعد أن تقع الواقعة. وترج الأرض رجا. وتبث الجبال بثا، ويقوم الناس لرب العالمين، ينتظرون الثواب والعقاب.

ثم تحدثت السورة الكريمة عن هذه الطوائف في خاتمتها، إذ صوّرت حشرجة الموت، حين تبلغ الروح الحلقوم حيث يقول الله عز وجل في سورة الواقعة: ﴿فأما إن كان من المقربين. فروح وريحان وجنة نعيم. وأما إن كان من أصحاب اليمين. فسلام من أصحاب اليمين. وأما إن كان من المكذّبين الضالين. فنزل من حميم. وتصلية جحيم﴾ [الواقعة:٨٨-٩٤]. فالسورة الكريمة وحدة متماسكة لا انفصام بين آياتها، بل تتسلسل في نسق منتظم وطبيعي أن يختلف الثواب لدى السابقين، وأصحاب الميمنة، فإذا نَعِم كلاهما بثواب الجنة، وما تضمّه من متع دانية وهناءات وارفة، ففرق شاسع بين نعيم مكتمل، ونعيم يترقب الكمال ويتمناه، وأجمل ما حظي به السابقون أنهم المقربون.

ويقول المفسرون إنهم مقربون من عرش الله، دانون من جواره، وتلك أعظم مكافأة للمؤمن إذ يُرى في المنزلة العليا، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وما يلي القرب من طرائف المتع المشتهاة أقل خطراً منه لدى من يلتمسون وجه الله في كل لحظة مهما حفل بالنعيم الرافه، والسعادة المورقة! أجل، إن السابقين المقربين هم المثل الأعلى للإنسانية الكريمة، يتكئون على سُرر منسوجة، وسائدها وحشياتها بالذهب، يطوف عليهم الولدان المخلدون بأنفس ما يشتهى من المطعم والمشرب، والمرأى، يحملون أكواب الشراب حافلة بما يبهج ولا يصدع ولاينزف، وأطباق الطعام مليئة بالفاكهة المتخيرة، واللحوم المشتهاة. ولديهم الحور العين كأمثال اللؤلؤ المكنون، ومع ذلك كله فالنفوس سعيدة قريرة لا تسمع غير ما يسر ويبهج إذ لا لغو ولا تأثيم جزاء بما كانوا يعملون.

هذا الثواب الجزل صورة تقريبية لما ينتظر من فضل الله، ولكن متعه الحسية على جلال شأنها، وحسن أثرها، لا تُقاس بالمتعة المعنوية الأولى، وهي القرب من عرش الله. القرب معنوي لا حسي إذ يصور غاية الاطمئنان، ونهاية السرور، كما لا يُقاس بالراحة النفسية حين يبتعد المؤمن عن ترهات اللغو والسوء من القول، وأي كدر تحيق بالإنسان حين يفاجأ بأن يسمع ما يكره إن كلمة نابية واحدة تنغص عليه أعظم ما يلقى من المتع، فإذا أمن اللغو فقد ضمن الهناءة والصفاء.

أصحاب الميمنة

يقول بعض المفسرين، إن ما أعد للسابقين المقربين شبيهٌ بما يعد لسكان الحواضر إذ هُيِّئت لهم ملاذ المدن المتحضرة من حيث السرر المصفوفة، والولدان والحور، والرغد الرافه في المسكن والمخدع والمشرب والمطعم، وما أعد لأصحاب الميمنة شبيه بما يعد لسكان البوادي من نزولهم الأماكن المخصبة، بين الظل الممدود، والماء المسكوب. والفاكهة الدائمة، لامقطوعة ولاممنوعة، وأنا أقول إن هذا القول مجرد اجتهاد من قائله. فالفرق بين نعيم السابقين المقربين. ونعيم أصحاب الميمنة واضح، لأن الثواب على قدر المشقة.

ولكن تصوير الفرق بما بين الحضارة والبداوة بعيد بعيد، وأصحاب الميمنة على الرغم من هذا الفارق يتمتعون بأحسن ما يتمناه الإنسان، فهم في سدر مخضوض، وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب، وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة، وفرش مرفوعة! وليت شعري أكانت الفكاهة الدائمة والفرش المرفوعة والظل الممدود من لوازم البادية!؟

إن أصحاب الميمنة في مرتبة ثانية! ولكن ثانويتها لا تمنع ما يتدفق فيها من خير ونعيم، وماذا نقول فيمن دخل الجنة، وهي كما نعلم تحفل بما لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر وأسأل الله أن يجعلنا من أصحاب اليمين، لأننا لانطمع أن نكون من السابقين المقربين، إلا بفضل من الله، وهو ذو الفضل العظيم.

أصحاب المشأمة

هل يوجد مايسمى بالمثل الأدنى!؟ إن الأخلاقيين لايعرفون هذه التسمية، لأن ذوي الجرائم من أصحاب المشأمة لايعترفون بنقائصهم، وكل مجرم فيما بينه وبين نفسه يندم ندما شديدا في بعض أوقات حرجة، ويود أن يكون شريفا في عين نفسه قبل أن يشرف في أعين الناس، وإذن فهو لايتخذ مثلا أدنى يحتذيه، وقد يحاكي المجرم مجرما سبقه إلى الإجرام متفننا متمكنا، فهو يستفيد من مواقفه الشريرة، ولكنه مع احتذائه إياه يبغض كل البغض أن يكون هذا الشرير مثله المنشود! فهواتف الارتقاء في أعماق النفس تتآلب صارخة بين الفينة والفينة في أعماق المجرم، ولكن غرائز الشر في نفسه أقوى من هذه الهواتف، فتسكتها مرغمة ذليلة.

وأصحاب المشأمة يمثلون المثل الأدنى في سورة الواقعة لثلاثة أوصاف سجلها عليهم النص القرآني حين قال جل ذكره: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين. وكان يصرون على الحنث العظيم. وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا تراباً وعظاما إننا لمبعوثون. أوآباؤنا الأولون﴾ [٤٥-٤٨]، فالترف مفسدة، لأنه يطغي صاحبه: ﴿أن رآه استغنى﴾ [العلق:٧] وهذه واحدة، أما الثانية فهي الإصرار على الذنب العظيم، وصاحب هذا الإصرار لا تُرجى منه توبة ما، لأن التائب يخاف الله، ويحذر عقابه حين يقوم الناس لرب العالمين، أما من لايثق في بعث ويكذب أن ينشره الله بعد أن يصير ترابا وعظاما، وتلك هي الثالثة، فمحال أن يفيء إلى توبة، ولماذا يتوب؟ ولاحساب عنده ولاعقاب! فإذا اجتمعت هذه الثلاثة فإنها تصور المثل الأدنى للإنسان المنحدر، وهو بذلك مستحق عذاب الله حين يكون في أصحاب الشمال!

إن إنكار البعث داعية الفجور حيث لارادع ولا محاسب، ومن هنا يسأل أحد هؤلاء: ﴿أيان يوم القيامة﴾ [القيامة:٦] لانه يريد أن يفجر أمامه دون أن يخشى عقاب الفجور، ولذلك كان مستحقا أن يكون من آكلي شجر الزقوم، إذ يملؤون منها البطون، ويشربون شرب الهيم من الحميم! وهذا نزلهم يوم الدين.

عند الاحتضار

حددت سورة الواقعة موقف الطوائف الثلاث لدى الاحتضار في آخر السورة، كما حددت موقفهم عند البعث في أوّلها، فإذا كان الإنسان من المقربين، فروح وريحان وجنة نعيم، وإذا كان من أصحاب اليمين فسلام عليه من إخوانه المؤمنين، وإذا كان من أصحاب المشأمة، فنزلٌ من حميم. وتصلية جحيم. وهذا هو حق اليقين.

وإذن فقد تحدثت السورة الكريمة عن الناس أجمعين، حين جعلتهم أزواجاً ثلاثة، وحددت كل زوج بصفاته الدقيقة وسماته المطابقة، وأعدت له ما يستحق من ثواب أو عقاب في ضوء ما أسلف من عمل، حين ترجف الراجفة تتبعها الرادفة، وهنالك تبلو كل نفس ما أسلفت، وردوا إلى الله مولاهم الحق□



● التعامل المالي العصري يتطلب مؤسسات قادرة ومؤهلة

نظراً لما يلعبه المال في الحياة والمؤسسات التي تشرف على تنظيم المعاملات المالية والتي تتمثل في البنوك خاصة، قررت أن أذكر الإنسان المسلم بالنظام البنكي الإسلامي، ومدى أهميته في حياته حياة كريمة تبعده من التناقض الموجود في بنية المجتمع الاسلامي. المعاملات المالية المعتمدة على الربا، وحصر الإسلام في العبادات فقط..

مفهوم البنك الإسلامي ونشأته

■ الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الإستهلاكي وما يسمى بالقرض الإنتاجي

بقلم: الأزهري مولاي عبد العزيز

مفهوم البنك الإسلامي ونشأته

أولا: تعريف البنك الإسلامي:

أ- لغة البنك جمع بنوك. وهو المحل الذي توضع فيه الأموال لأعمال مخصوصة تحت إدارة مخصوصة وعربيتها (المصرف)(١).

ب- اصطلاحا: تعرف البنوك بصورة عامة بأنها مشروعات تتلقى أموالا من الجمهور على شكل ودائع، تستعمل فيما بعد على عمليات حسم أو اعتماد عمليات مالية، فهي بهذه الصفة مجرد مشروعات وسيطة تقوم بدور الوساطة ليس إلا. لكن من المعلوم أن «الوديعة تتيح الإعتماد» كذلك فإن «الإعتماد يضع الوديعة» وذلك وفق معامل يمكن أن نطلق عليه «مضاعف الاعتماد» وهذه السلطة التي تتمتع بها البنوك في إصدار النقد الخطي أو الكتابي تمنحها مركزا أكثر أهمية وخطرا من مجرد كونها وسيطة، فهي أيضا «خالقة» أو مصدرة للنقد وهذا الدور الذي انتزعته من سلطة الدولة أو المجتمع أثار فكرة تدخل السلطات العامة من مجرد توجيه ومراقبة الائتمان (الإعتماد) إلى التأميم الكلي وذلك حسب المذاهب والأنظمة السياسية المتبناه. وهذا التعريف عام للبنوك(٢). وهناك تعريف آخر، اختلفت بشأنه الآراء، ولعل أطرفها هو الذي يقول: إنها المؤسسات التي تقوم بالأعمال المصرفية. وأما البنوك الإسلامية بوجه خاص فإنها تختلف اختلافا جذريا عن البنوك التقليدية باعتباران علاقة هذه الأخيرة بالطرفين (المودع ومستخدم الأموال) تقوم على أساس القرض بفائدة. فالبنوك الإسلامية هي تلك البنوك التي تلغي الفائدة(٣).

ثانيا: نشاته

لنأخذ مثالاً البنك الإسلامي للتنمية، فهذا البنك لم ينشأ إلاّ لأسباب متعددة منها على سبيل المثال:

– إن الحكومات الموقعة على اتفاقية إنشاء هذا البنك. إذ تنظر بعين الإعتبار إلى الحاجة للنهوض بمستوى المعيشة لشعوب الدول الإسلامية، وإلى تحقيق تنمية اقتصادية متجانسة ومتوازنة للدول الإسلامية على أساس المبادىء والمثل الإسلامية. – وإذ ترى أن أحسن السبل لتحقيق هذه التنمية هو التعاون المالي والاقتصادي المتبادل بين الدول الإسلامية الأعضاء في المؤتمر الإسلامي.

– وإذا أخذنا في الإعتبار أن من بين أهداف المؤتمر الإسلامي – كما ينص عليها ميثاق هذا المؤتمر – تنمية ودعم التعاون بين الدول

الأعضاء في المجالات الإقتصادية والإجتماعية وغيرها من ميادين النشاطات الأخرى.

- وإذ نذكر الحاجة إلى تعبئة جميع الموارد المالية وغير المالية من داخل الدول الأعضاء ومن خارجها وتشجيع المدخرات المحلية والاستثمارات وزيادة تدفق الأموال إليها.

- ونظرا لاقتناعها، على ضوء ما تقدم، فإننا بحاجة إلى إنشاء مؤسسة دولية مالية مختصة بالتنمية والاستثمار والرفاهية الاجتماعية تستمد توجيهاتها وأصولها من المبادىء والمثل الإسلامية، وتكون تعبيرا عمليا عن وحدة الأمة الإسلامية وتضامنها، قررت - نتيجة لكل هاته الأسباب - بموجب هذه الاتفاقية إنشاء مؤسسة مالية دولية يكون اسمها على سبيل المثال: «البنك الإسلامي للتنمية»(٤).

ومن أهم الأسباب الأخرى التي أدت إلى نشأة البنوك الإسلامية في نظر الدكتور النجار(٥) نذكر ما يلي:

- أن البنوك الإسلامية أصبحت ضرورة اقتصادية لاجدال فيها ولا مفر منها وذلك من خلال الوظائف التي تقوم بها والخدمات التي تنجزها. - دور اتفاقية علماء مؤتمر البحوث الإسلامية الثاني في شأن المعاملات المصرفية، حيث قرروا ما يلي:

١- الفائدة على أنواع، القروض كلها ربا محرم، لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي أو ما يسمى بالقرض الإنتاجي، لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين.

٢- كثير الربا وقليله حرام، كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح لقوله تعالى: ﴿يايها الذين آمنو لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة﴾ [آل عمران/ ١٣٠].

٣- الإقراض بالربا محرم ولا تبيحه حاجة ولا ضرورة، والإقتراض بالربا محرم كذلك، ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة.

٤- تحريم الكتاب القاطع لمكافأة رأس المال بواساطة الفائدة المحظورة. لهذا فيبدو أن فكرة البنك الإسلامي أول ما ظهرت عند الدكتور النجار كانت بمناسبة دراسة لتاريخ بنوك الأدخار المحلية في ألمانيا منذ القرن التاسع عشر.

مجالات عمل البنوك الإسلامية ونماذج منها

أولا: مجالات عمل البنوك الإسلامية:

لقد تأسست البنوك الإسلامية بهدف تطبيق الشريعة الإسلامية في مجال المعاملات الإقتصادية وإتاحة الفرصة للمسلمين لمزاولة الأنشطة الإستثمارية والإستفادة من الخدمات المصرفية بعيدا عن دائرة الربا المحرم في الإسلام، حيث إن تحريمه جاء صريحاً وواضحاً في القرآن الكريم ولنقرأ قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنو لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران/ ١٣٠]، وقول جل من قائل: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة/ ٢٧٥].

وقول جل من قائل: ﴿يأيها الذين آمنو اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ [البقرة/٢٧٨].

لذلك فإن البنوك الإسلامية أصبحت ضرورة في المجتمعات الإسلامية: لتقوم بخدمة المسلمين في المجال المصرفي والإستثماري بعيدا عن شبهة الربا فالتحريم الذي ورد في الآيات الكريمة المبينة لا يدع مجالا للمسلم - الذي يسعى للالتزام بشرع الله - بأن يتعامل بالربا، وبالنظر إلى حاجته الى الخدمات المصرفية والإسلامية فإنه لا بديل للبنك الإسلامي لتقديم هذه الخدمات(٦).

ومن أهم المجالات الأخرى التي يتجسد لنا فيها عمل البنوك الإسلامية نذكر صيغ معاملات هذه البنوك:

أ- فالقوانين التي تحكم عمل البنوك في كل البلاد تمنع هذه الأخيرة من أي نشاط تتعرض معه أموال المودعين للخطر، فعملية الاتجار شراء وبيعا، وكذلك عمليات المشاركة في الربح والخسارة ممنوعة على البنوك، وإنما المباح لها فقط هو الإقراض بفائدة. بحيث يكون أصل القرض وفائدته مضمونين. وتأتي البنوك الإسلامية ملتزمة بحكم القرآن الكريم: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾. المناقض في شقيه للقواعد التي تحكم نشاط البنوك التقلدية وأمام هذا الفارق الجوهري يلزم أن تنص القواعد الحاكمة لنشاط البنوك الإسلامية على التصرفات التي يجوز لها أن تباشرها. والتصرفات التي لا يجوز لها أن تباشرها.

ب- الناحية الهامة الأخرى التي يجب التنبيه إليها هي أن البنوك شيء والشركات التجارية والصناعية والزراعية شيء آخر.

فما هو غرض البنك ووظيفته الرئيسية ياترى؟

إن وظيفة البنوك الرئيسية هي الوساطة بين المدخرين والمستثمرين...

جـ- وإذا استبعدنا علاقة الدائنية والمديونية التي تتسم بها أعمال البنوك التقليدية، فمن الممكن تصور قيام البنك الإسلامي بوظيفة(عمل) الوساطة من خلال الإطار بين التاليين:

١- إطار الوكالة الخاصة: حيث يتلقى البنك المدخرات كوديعة مخصصة لاستثمارها في مشروع معين أو قطاع معين، بعد أن يقتنع المودع له ويوكل البنك في الإشراف نيابة عنه على هذا الإستثمار.

٢- إطار الوكالة العامة: أو المضاربة إن أخذنا بالصيغة الفقهية المعروفة بهذا الإسم. حيث يتلقى البنك المدخرات لاستثمارها فيما يراه من وجوه الإستثمار.

ودون أي قيد من جانب المودع سوى قيد المدة التي يرغب بعدها في استراد ماله(٧).

د- وإذا نظرنا إلى علاقة البنك الإسلامي بمستخدمي الأموال وجدنا أنها لا تكاد تخرج عن الأطر الثلاثة التالية:

١- الإطار التقليدي: حيث يقوم البنك بتمويل عملائه الذين يقومون بالنشاط الاقتصادي من تجارة وصناعة وخدمات.. الخ. والفارق هنا بين البنك الإسلامي والبنك التقليدي أن الأول لايمول عملاءه في صورة قروض بفوائد، وإنما من خلال إحدى الصيغ الجائزة شرعا.

٢- الإطار الذي يقوم به البنك بإنشاء شركات تابعة متخصصة في مختلف القطاعات الإقتصادية، ويقوم البنك بتمويل عملياتها.

٣- الإطار الذي يقوم فيه البنك بالعملية الإقتصادية مباشرة لحسابه، سواء في مجال تجارة السيارات أو المواد الغذائية أو العقارات أو الإسكان أو غير ذلك. حيث يكون البنك هو المشتري والبائع والمؤجر.. الخ.

هـ- إن المقياس المطلوب من البنك الإسلامي مراعاته هو مقياس من الرجل الخبير الحريص وليس مقياس الرجل العادي.

و- يتحتم على المؤسسات الوسيطة أن تقوم بمهمة ترتيب استثماراتها بصورة تمكنها من رد الودائع إلى أصحابها في موعد استحقاقها

مفهوم البنك الاسلامي

والبنوك الإسلامية لا تقدم الأموال لآجال محددة، بل تقوم بتمويل مشروعات حقيقية يصعب في معظم الأحيان انضباط مواعيد تصفيتها وتحصيل ناتجها إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة والمشروعة التي تقوم بها هذه البنوك اللاربوية(٨).

مجالات أخرى

وهناك مجالات أخرى مثل:

ز- مشروعات البنك الإسلامي: نرى أن هذا النوع من البنك (مصرف التنمية الإسلامي) يسمح بالمشاركة في مختلف المشروعات عند توفر مجموعة من الشروط. ١- عند قيام البنك بالإستثمار عن طريق المشاركة في رأس المال.

٢- يجب أن يتأكد من المؤسسة أو المشروع من شأنه أن يحقق عائدا ملائما حاليا أو مستقبلا وانه يدار بشكل سليم.

٣- يضع البنك شروط المشاركة - كما قلنا - التي يراها ملائمة آخذا بعين الاعتبار متطلبات المؤسسة أو المشروع والمخاطر التي يصطدم بها البنك وكذلك الشروط التي يلتمسها في غالب الأحيان المستثمرون بالمشاركة في حالة التمويل، بما في ذلك حقوق التصويت وحق اختيار مدير أو أكثر في مجلس إدارة المؤسسة أو المشروع الذي يشارك فيه.

٤- يحتفظ البنك لنفسه بالحق في بيع حقه في رأس المال في الملابسات وبالشروط التي يراها ملائمة.

٥- لا يتولى البنك مسؤولية إدارة المشروع الذي ينمي فيه أمواله إلا عندما يكون ضروريا لرعاية استثماراته.

٦- لا يقدم البنك قروضا لمشروع يكون مشاركا في رأس ماله إلا في حالات خاصة بعد موافقة أغلبية تمثل ثلثي الأصوات في مجلس المدراء التنفيذيين.

٧- يسعى البنك لتجديد موارده عن طريق بيع استثماراته كلما وجد ذلك مناسبا له.

٨- يسعى البنك إلى المحافظة على التنوع الملائم في استثماراته بطريق المشاركة في رأس المال(٩).



● لمصارف اليوم الدور الأول في تمويل العمليات الاقتصادية المختلفة

ثالثا: نماذج منها

ومن أهم نماذج البنوك الإسلامية نذكر ما يلي: بنك دبي الإسلامي، بنك فيصل الإسلامي السوداني وبنك فيصل الإسلامي المصري.

نظرا لضيق المجال نعطي لمحة عن البنك الأول، «بنك دبي الإسلامي». تأسس هذا البنك بموجب مرسوم صادر في ١٢/٣/١٩٧٥م من سمو حاكم أمارة دبي الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم.

١- وقد نص المرسوم المذكور على ضرورة موافقة حكومة دبي على:

* قبول مساهمة غير مواطني دولة الإمارات العربية المتحدة في رأس مال البنك.

* أنشاء فروع مكاتب أو وكالات للبنك في إمارة دبي أو خارجها.

* انضمام البنك أو اندماجه في أية شركة أو هيئة أخرى.

* تعديل عقد البنك التأسيسي أو نظامه الأساسي أو وضع أية أنظمة أخرى مغايرة لأحكام مرسوم التأسيس.

* إنهاء عمل البنك أو التوقف عنها.

٢- كما نص المرسوم على ضرورة اقتطاع نسبة لا تقل عن ١٠٪ من أرباح البنك الصافية لحساب الاحتياطي القانوني، حتى يساوي رأس مال الشركة المصرح به.

٣- وكذلك نص المرسوم على ضرورة تقديم قائمة بأسماء أعضاء مجلس الإدارة والعضو المنتدب الى الحكومة، وتبليغها خلال ثلاثة أشهر من ختام السنة الميلادية بصورة من تقريرها السنوي وميزانيتها السنوية مصدقة من محاسب قانوني.

٤- وأخيرا نص المرسوم على خضوع البنك لأحكام القوانين والأنظمة المعمول بها في إمارة دبي(١٠).

آفاق البنك الإسلامي، مميزاته وحقوقه

أولا: آفاق البنك الإسلامي.

يعتبر البنك الإسلامي مؤسسة حكومية أو خاصة مختلطة - في نظرنا - حسب الظروف المحلية لكل بلد إسلامي وهي ذات طابع محلي،ومتعددة النشاطات تستثمر الأموال الموضوعة تحت تصرفها لتحقيق أرباح مشروعة، وأحداث أو دفع عجلة التنمية الإقتصادية والاجتماعية في فلك عملها.

والبنك الإسلامي بإسمه الخاص وإصالة في حدودأمواله الفردية التي يتمتع بها (رأس المال والإحتياطات)، وباسم المودعين وكالة، في حدود المبالغ المودعة من جهتهم وفي هذه الحالة الأخيرة يلعب البنك دور «وكيل مأجور بحيث يشرف على العمل لحساب المدخرين المستثمرين، في مقابل أجر يتمثل في رواتب وأجور موظفيه وعماله التي يجري تنزيلها من الأرباح المتحققة.

كما يستطيع هذا البنك أن يقوم بكل الأعمال المصرفية مستبدلا فيها المشاركة، ويمكن تصنيف عملياته في الأنواع الأربعة التالية:

أ- جمع واستقطاب المدخرات النقدية.

ب- تقديم المساعدة المالية.

جـ- تقديم المساعدة الفنية.

د- وخـدمـات أخـرى كثيرة لا يمكن حصرها..

فالبنك يمكن أن يقدم لزبنائه خدمات أخرى مثل تحصيل السندات التجارية وتسليم القسائم (الكوبونات) وتأجير الصناديق الحديدية والتوسط في الإكتتابات لحساب الشركات مثل هذه الخدمات لا تثير مشكلات خاصة، لأنها مأجورة لا بواسطة الفوائد الربوية ولكن عن طريق العمولات المشروعة(١١).

ثانيا: مميزات البنك الإسلامي

يتميز البنك الإسلامي بما يلي:

- هو بنك محلي (ذو اختصاص جغرافي).
- هو بنك شعبي، أو ذو نزعة اجتماعية.
- هو بنك غير ربوي.
- هو بنك متعدد الأعمال، له علاقات مع المزارعين والتجار والعمال وأصحاب المهن الحرة، ويقدم تسهيلات ائتمانية لآجال قصيرة ومتوسطة وطويلة لأغراض وغايات استهلاكية وأخرى إنتاجية(١٢).

ومن مميزات البنوك الإسلامية أيضا نذكر ما يلي:

أ- استبعاد التعامل بالفائدة (الربا) بأي شكل من الأشكال.

ب- توجيه المجهودات نحو التنمية عن طريق الإستثمارات ويساهم في رأس مال المشروع الإنتاجي بصفة شريك في الملكية والإدارة والإشراف وفي كل ماينتج من ربح أو خسارة، وفي الحالتين تخضع استثماراته ومساهماته كلها لمعايير الحلال والحرام.

جـ- ربط التنمية الإقتصادية بالتنمية الإجتماعية نتيجة انطلاقه من التصور الإسلامي في الحياة الذي يرتكز على الشمول والتوازن حيث لا ينفصل فيه طرف عن طرف آخر بل يعتبر التنمية الإجتماعية هي الأساس الذي لاتزدهر التنمية الإقتصادية إلا بمراعاته. كما يتميز عن البنوك الربوية التي تعتمد طريق تمويل المشروعات عن طريق الأقراض بالفائدة من غير أي حرص على مصلحة الجماعة، وإنما انطلاقا من مصلحة الفرد والحرص على تحقيقها، ورعايته، لذلك فهي لا تعتني بجوهر المشروع الذي تموله بمقدار اعتنائها بالربح، أو العائد الفردي الذي سيلحقها منه(١٣).

ثالثا: حقوق البنك الإسلامي

إن العنصر الثاني يتمثل في البنك وهو في الواقع ليس عضوا أساسيا في عقد المضاربة، لأنه ليس هو صاحب المال ولا صاحب العمل أي المستثمر، وإنما يتركز دوره في الوساطة بين الطرفين، فبدلا عن أن يذهب رجال الأعمال إلى المودعين يفتشون عنهم واحدا بعد آخر ويحاولون الإتفاق معهم يقوم البنك بتجميع أموال هؤلاء المودعين ويتيح لرجال الأعمال أن يراجعوه ويتفقوا معه مباشرة على استثمار أي مبلغ تتوفر القرائن على إمكان استثماره بشكل ناجح.

وهذه الوساطة التي يمارسها البنك تعتبر خدمة محترمة يقدمها البنك لرجال الأعمال ومن حقه أن يطلب مكافأة عليها على أساس الجُعَالة.

والجُعَالة التي يتقاضاها البنك كمكافأة على عمله ووساطته تتمثل في أمرين:

الأول: أجر ثابت على العمل يمكن أن يفرض مساويا لمقدار التفاوت بين سعر الفائدة التي يعطيها البنك الربوي وسعر الفائدة التي يتقاضاها، مطروحا منها زيادة حصة المودع من الربح على سعر الفائدة الوديعة.

وهذا المقدار بقطع النظر عن الطرح منه هو الذي يمثل الإيراد الإجمالي الربوي للبنوك، فإن إيرادها الربوي يتمثل في الفارق بين الفائدة التي تدفعها للمودع والفائدة التي تتقاضاها لدى تسليف الودائع.

غير أن البنك اللاربوي الذي نبحث عن صيغته الإسلامية لا يكفي أن يحصل على هذا المقدار، لأن هذا البنك يختلف عن البنوك الربوية في نقطة جوهرية هي أن ضمان رأس المال المتكون من الودائع يقع على عهدته هو بينما لا تتحمل البنوك الربوية شيئا من الخسارة في نهاية الشوط وإنما الذي يتحملها رجل الأعمال المقترض من البنك، ولهذا يجب أن يزيد الجعل الذي يتقاضاه البنك لقاء عمله على المقدار الى يحصل عليه البنك الربوي من التفاوت بين سعر الفائدتين كما سنرى.

الثاني- (أي العنصر الثاني في الجعالة المفروضة للبنك) أن يكون للبنك زائدا على ذلك الأجر الثابت جعالة مرنة على العامل المستثمر تتمثل في إعطاء البنك الحق في نسبة معينة من حصة العامل في الربح ويمكن أن تقدر هذه النسبة بطريقة تقريبية تجعلها مساوية للفرق الذي ينعكس في السوقين النقدي الربوي والتجاري بين أجرة رأس المال المضمون، وأجرة رأس المال المخاطر به، فإن رأس المال المضمون تتمثل أجرته في الأسواق الربوية في مقدار الفائدة التي يتقاضها البنك الربوي من مؤسسات الأعمال التي تقترض منه، ورأس المال المخاطر به تتمثل أجرته في الأسواق التجارية في النسبة المئوية التي تعطي عادة لرأس المال إذا اتفق صاحبه مع عامل يستثمره على أساس المضاربة، وفي العادة تكون النسبة المئوية التي تعطى لرأس المال في حالة المخاطرة بدرجة يتوقع لها أن تكون أكبر من الفائدة التي يتقاضاها رأس المال المضمون عن طريق القرض.

وهذا الفارق بين الأجرتين يجعل للبنك كجعالة على عمله ووساطته(١٤).

يمكن للبنك أن يدخل إلى مجال الإستثمار على أساس المضاربة بالأموال التي تعتبر مِلكا خاصا به إلى جانب الودائع الثابتة التي يعتبر البنك وكيلا عليها من قبل مودعيها(١٥).

الهوامش:

١) المنجد في اللغة والإعلام.. ص٥٠.
٢) مصرف التنمية الإسلامي.. د. رفيق المصري ص٣٨.
٣) البنوك الإسلامية بين الحرية والتنظيم.. التقليد والإجتهاد النظرية والتطبيق (من كتاب الأمة) ص٨٠، د. جمال الدين بن عطية.
٤) نظام التبرعات في الشريعة الإسلامية.. محمد الحبيب التجكاني. ص٢٠٥.
٥) مصرف التنمية الإسلامي.. ص٣٢٨-٣٣٠.
٦) مجلة الأمة، عدد ٥٩، السنة ٥، ذو القعدة ١٤٠٥ (يونيو).
٧) كتاب الأمة: البنوك الإسلامية بين الحرية والتنظيم.. ص٧٩-٨١.
٨) البنوك الإسلامية بين الحرية والتنظيم.. ص٨٢-٨٤.
٩) نظام التبرعات في الشريعة الإسلامية.. ص٢١٤-٢١٥.
١٠) البنوك الإسلامية بين الحرية والتنظيم.. ص٢١. ولمن أراد الإطلاع على النماذج الأخرى، ينبغي، الرجوع إلى نفس المرجع. الصفحات: ٢٢-٢٣.
١١) مصرف التنمية الإسلامية.. ص٤١٠.
١٢) نفس المرجع.. ص٣٧٤.
١٣) من مجلة الأمة.. العدد٥٩، ص٦٢، السنة ٥.
١٤) البنك اللاربوي في الإسلام.. محمد باقر الصدر. دار من المذهب الشيعي التعاون لمطبوعات بيروت لبنان. ط. الثامنة. ١٩٨٣/١٤٠٣هـ. ص٤١-٤٣.
١٥) نفس المرجع.. ص٤٧.

استأثرت الدراسات الاستشراقية في السنوات الأخيرة باهتمام الكثير من الباحثين الدراسين والمفكرين، واتسع مجالها وكثر الجدل حولها بين ناقد ورافض ومتهم ما دام الاستشراق في نظر بعضهم(١) علماً غربياً يقدم التصور الغربي للعرب، التصور الغربي للإسلام. وهو في نظر إدوارد سعيد كذلك عبارة عن رد الفعل الغربي اتجاه الشرق، وهو أمر له جذوره في السياسة ولكنه مع ذلك يعتبر ظاهرة ثقافية(٢).

جاك بيرك والجدل حول ترجمته الأخيرة لمعاني القرآن الكريم

تناول المستشرقون القرآن الكريم بالدرس والتحليل والتمحيص، واعتنوا بترجمته الى لغاتهم ليتقربوا اليه اكثر

إعداد: محمد القاضي

آراء وانتقادات

كثيرة هي الآراء والانتقادات، ولها ما يبررها، فهي قائمة على خلفيات فكرية وتوجيهات قومية، ولكن برغم ذلك فإن الجدل يبقى مستمراً والحوار مفتوحاً. وللدكتور شكري محمد عياد رأي خاص في الموضوع بحيث يرى: (لولا اننا ابتعدنا عن مصادر ثقافتنا الأصلية الغنية ما احتجنا اليهم، ولولا اننا تعودنا ان نسمع ونقرأ فنحفظ ونردد، ولانتأمل أو ننقد، ماجعلنا لما يقوله القوم أو يكتبونه كل هذا الخطر لاحين يصيبون ولا حين يخطئون.

ولماذا لا أقول إننا رأينا انصراف القوم إلى الدرس وعكوفهم على البحث وصبرهم على النبش في الوثائق، والتتبع للجزئيات، ومرونة أذهانهم إذ يجمعون ماتفرق، وينظمون ماتشابه، ويطرحون الأسئلة، ويقدمون الفروض، وعز علينا أن نجاريهم في شيء من ذلك، فاكتفينا بترديد ماقالوه، وخيرنا من ترجم وعقب، وشرنا من خطف وانتهب. ثم رأيناهم يتنكبون الصواب، ويتجافون عن الحق، وعز علينا مرة أخرى ان نباريهم صبراً ودأباً فظننا أن ننصر حقنا على باطلهم بالمهاوشة والسباب وديننا يأمرنا بغير ذلك)(٣).

لقد عرفت حركة الاستشراق تطوراً وذلك تمشياً مع طبيعة المرحلة والوضع الجديد الذي تشهده الأمة العربية والاسلامية واختلف غرب القرن الثامن عشر والتاسع عشر عن غرب النصف الثاني في القرن العشرين اختلافا شديدا، وتغير الرأي الذي كان سائداً بين المستشرقين في القرنين الماضيين والذي كان قائماً على العصبية وانكار فضل العرب ودورهم في الحضارة الانسانية، فقد عصف بهم التعصب الأعمى، إلى انه لايجب انكار ماقام به البعض الآخر من مجهود جبار في خدمة العرب حضارة وثقافة وفكراً، ومسحوا غبار الاهمال والنسيان عن كثير من آثار التراث العربي والاسلامي.

وعلى العموم فإن المستشرقين اليوم غيرهم بالأمس إذ يلاحظ ان أعدادا متزايدة من المستشرقين في مختلف اقطار اوروبا وامريكا يتجهون الى الدراسات المعاصرة والتاريخ المعاصر والادب المعاصر كل حسب تخصصه، وترى المستشرقة الفرنسية كلود أودبير (أن الاستشراق بمعناه القديم ليس موجوداً، بل يتعلق الاستشراق اليوم بالتخصصات، فهناك تخصص في علم الاجتماع أو اللغة أو التاريخ ثم يتجهون للعربية يتفاعلون معها. فالاستشراق عندهم ليس هدفا بقدر مايعتبر امتدادا لتخصصهم الأصلي ومتعلقا به. أشك ان مفهوم الاستشراق الكلاسيكي مازال موجوداً بالمفهوم الحديث)(٤).

ومهما يكن هذا التطور الذي طرأ على البحث الاستشراقي في السنوات الاخيرة، وظهور مناهج جديدة في ميدان البحث العلمي والميل الى ابراز الحقيقة العلمية الخالصة، فإن النشاط الاستشراقي حسب رأي بعض الباحثين العرب يبقى (عملية معقدة جدا، انعكست اثارها على السياسة والاجتماع والحركة الفكرية بل على الحياة العربية والاسلامية كافة، واختلفت فيها الآراء وتباينت حتى اختلط الحق بالباطل، وكان من نتاج كل ذلك بلبلة فكرية واجتماعية لاتزال الأمة تعاني من اثارها)(٥).

المستشرقون والقرآن الكريم

تناول المستشرقون القرآن الكريم بالدرس والتحليل والتمحيص، واعتنوا بترجمته الى لغاتهم ليتقربوا اليه اكثر. هذه الترجمات التي اختلف في تقويمها المهتمون بالدراسات الاستشراقية في المشرق والمغرب بعد أن أتيح لهم الاطلاع عليها، فوقفوا على جوانب الضعف فيها والمطعون، ما ظهر منها وما بطن، ورصدوا الأخطاء التي ارتكبوها عمداً وبسوء النية أو بغير عمد وكثيرة هي القضايا التي تطرحها ترجمة القرآن الكريم كاستحالة نقل

إعجازه الى لغة اخرى ومسألة الكتابة والقراءة بصفتها تأويلات والفرق بين الترجمة والنقل والحد والتجاوز الى غير ذلك من القضايا الفلسفية.

ولكن مهما اختلفت آراء وأهداف المستشرقين حول هذا الموضوع يبقى عملهم محاطاً بالحذر واليقظة والموضوعية العلمية والنزاهة لأنه كما يرى الدكتور حسن حنفي (أن جميع المستشرقين أوجلهم من أهل الكتاب ينكرون الوحي الإسلامي ومن المستحيل بالنسبة اليهم ارجاع الظواهر الفكرية التي يدرسونها الى أصولها في الكتاب والسنة عن اعتقاد أو عن تعود. بل يرون ان الوحي ذاته نتاج التاريخ واتصال المبلغ اليه بالبيئات اليهودية والنصرانية المعاصرة له، بل إنه لم يحسن فهمها، وجمعها بلاترتيب أو منطق، قد يفترض البعض منا سوء النية في ذلك لأن المستشرق يعرف في قرارة نفسه أن التفسير الوحيد للظاهرة هو ارجاعها الى أصولها في الوحي، ومع ذلك يدير ظهره ويحاول إيجاد أصول تاريخية واجتماعية لها)(٦).

هل يترجم القرآن الكريم؟

لم يحظ كتاب بما حظي به القرآن الكريم من عناية وحفظ دون اكراه، وظل هو هو كما أوحي به الى النبي ﷺ لفظاً ومعنى عبر الاجيال دون أي تحريف. وقد نص القرآن الكريم صراحة على أنه ﴿قرآن عربي﴾و﴿بلسان عربي مبين﴾ ﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون﴾ [فصلت:٣] ﴿إنا انزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون﴾ [يوسف:٢] ﴿وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربياً﴾ [الشورى:٧] ﴿وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا﴾ [الاحقاف:١٢].

فالقرآن الكريم أنزل باللسان العربي، فكان نزوله أعظم تحول تاريخي في اللغة العربية وآدابها ومعجزاتها الكبرى في كل موضوع من المواضيع التي حفل بها القرآن الكريم .وقد اتفق الفقهاء على أن القرآن هو (الكلام المنزل على سيدنا محمد حتى المتعبد بتلاوته) لذا فإن ترجمة القرآن الكريم الى أي لغة غير العربية ليس قرآنا سواء أكانت الترجمة حرفية أم معنوية(٧) والترجمة الجيدة يجب أن تكون ترجمة للمعاني تنطلق في فهم الخصائص البنيوية للغة التي تتم الترجمة منها، واللغة التي يترجم اليها، وتأخذ بالاعتبار الموقف أو الحال الذي يقال الكلام فيه(٨).

وقد حاول العديد من المستشرقين الخوض في ترجمة معاني القرآن الكريم وكانت أول ترجمة للقرآن باللاتينية بإيعاز رئيس ديركلوني بجنوب فرنسا الراهب بطرس المبجل وذلك سنة ١١٤٣م، وقد جابهت الدوائر الدينية هذه الترجمة واتخذت موقفاً حازماً لمنعها من الظهور، بحيث لم تظهر الا عام ١٥٤٣م في (القرن السادس عشر) بمدينة (بال) السويسرية، فأمر البابا بولي الثالث بإتلافها، ولم تسمح الكنيسة بطبع ترجمة القرآن الكريم الا في عهد البابا الكسندر السابع (١٥٥٥-١٥٦٧) والغريب في الأمر أن ترجمة القرآن الكريم في أروبا سبقت طبع القرآن نفسه والصفة البارزة لكل هذه الترجمات انه عمل لم يكن قائماً على مبدأ البحث العملي النزيه. إضافة الى جهل هؤلاء المترجمين ببلاغة كتاب الله وقصور فهمهم لمعانيه.

مقدمات في التشويه والاستفزاز

والمتتبع لمقدمات الترجمة يجد التشهير بالإسلام والمسلمين وبالنبي بشكل تقزز منه نفس العلماء الباحثين المنصفين. ومما يدل على سوء نية هؤلاء ومحاولتهم إثارة ترجمة القرآن حسب النزول لايجاد الخلاف والبلبلة عند الشباب المسلم المثقف، ونشر الترجمات المضللة التي تنطوي على الحقد والتعصب الأعمى.

وحاول الاستاذ صلاح الدين كشريد ترجمة معاني القرآن بشكل دقيق فقال: إن اكثر الترجمات من صنع المستشرقين الذين لايدينون بالاسلام. وأما التراجم القليلة التي قام بها المسلمون فأعيب على بعضها لغتها الفرنسية الضعيفة، فحاولت جهدي أن أتقمص الجملة القرآنية واحافظ على ترتيب سوره وآياته(٩).

ويبين ريجيس بلالشير المستعرب الفرنسي في مقدمة كتابه عن القرآن كيف عمد بعض المؤلفين القدامى الى ترجمة القرآن ترجمات مشوهة بدافع من روح صليبية معادية للاسلام. يقول بلاشير: (من المرجح أن بطرس المبجل الذي رحل الى اسبانيا بين ١١٤١ و١١٤٣م هو الذي فكر؛ بتأثر من روما ومن البابا، في ترجمة القرآن الى اللاتينية فأوعز بذلك الى روبيرد ريتين الذي تولى عمل الترجمة بمساعدة بعض الرهبان.وقد جاءت هذه المبادرة بدافع من روح صليبية تدل على ذلك رسالة بطرس المبجل الى القديس برنار مع نسخة من الترجمة المنجزة، كما كان الداعي الى هذا العمل الحاجة الى محو اثر الإيمان في نفوس معتنقي الاسلام)(١٠).

جدل حول جواز الترجمة

لقد ثار جدل كثيف وكتب الكثير حول جواز ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الأعجمية وعدم جوازها، سواء من طرف اشخاص أكفاء أو من طرف هيئات علمية إسلامية متخصصة.

يرى الدكتور زكي نجيب محمود في هذا الموضوع (ان ترجمة القرآن لي فيها رأي قديم وهو ان تترجم أفكار القرآن، بمعنى أن المترجم ليس ملزما بالنص خشية ان يقع في سقطات أو مستحيلات أو صعوبات تحول بينه وبين حقيقة المعنى المراد. وحين كنت استاذاً زائرا ومستشاراً ثقافياً في أمريكا جاء خطاب من مصر يطلب من سفارتنا هناك تحديد الموقف إزاء مفكر قام بترجمة القرآن وارسلوا قوائم بما رأوه من أخطاء وملاحظات إلا أنها كانت ملاحظات متعنت متجبر لايعرف صعوبات ومشكلات الترجمة، فنحن كمسلمين حفظنا القرآن وسمعناه وقدسناه وآمنا به..يجب أن نفهم أن القرآن معجزته عربية كيف أنقل هذه المعجزة الى الانجليزية أو الى أية لغة أخرى؟ رغم ذلك فالتحدي المطروح لكل من يعيب على هذه الترجمات أن يثبت جدارة واستحقاقاً وينهض هو لترجمة القرآن)(١١).

ونشير هنا الى دراسات عديدة تعرضت الى هذا الموضوع طارحة مشاريع مختلفة لايجاد ترجمة علمية دقيقة يشرف عليها علماء أكفاء وتحت اشراف الجهات الاسلامية المسؤولة بدلاً من الاعتماد على ترجمات المستشرقين (الذين يتجشمون - الى يومنا هذا - مشقة ترجمة القرآن سواء عن حسن نية أو سوء نية دون ان نقوم بالدور الحضاري المنوط بنا. ويكفي أن نشير بهذا الصدد الى أن فرنسا وحدها شهدت في الموسم الادبي لسنة ١٩٩١م ميلاد ثلاث ترجمات: ترجمتي رينيه خوام وأندريه شوراكي، وآخرها ترجمة شيخ المستشرقين جاك بيراك الصادرة عن دار سندباد في طبعتين واحدة مجلدة وممتازة ومرقمة في ١٨٠٠ نسخة واخرى عادية في (١٣) الف نسخة. وعلى الرغم من أن صاحبنا عضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة الا انه فضل الالتصاق في ترجمته بالأصول

ترجمة القرآن لجاك بيرك

الفرنسية، والجميل أنه صرح في عنوان فرعي على صفحة الكتاب الأولى ان عمله مجرد محاولة في الترجمة.وتضاف الى تلك الترجمات الثلاث أربعون ترجمة فرنسية سابقة مقابل ستمائة في العالم)(١٢).

جاك بيرك والجدل حول ترجمته للقرآن

يعتبر المستشرق الفرنسي جاك بيرك أحد الأعلام البارزين في ميدان الاستشراق الفرنسي المعاصر وصديق العرب، المنصف لهم ولحضارتهم، ، المدافع عن قضاياهم، عايش الكثير من العلماء والمفكرين العرب، وهذه أكسبته المقدرة والتجربة على التحليل والتعمق في قضايا الاسلام والعروبة الى درجة جعلته كثيراً مايمتلكه شعور عميق بأنه شرقي أصيل ويرى أن (الاستشراق الفرنسي الذي تأثرتأثرا كبيراً بالنقاش التاريخي الذي وضعه في علاقة خاصة وثيقة مع العالم الاسلامي والعربي ثم عاش تجربة التحررمن الاستعمار كظاهرة داخلية، وقد ظهر هذا الجانب اكثر واكثر بسبب الهجرة الغربية، ولأن اكثر من مليون مواطن فرنسي يعتنقون الإسلام الآن. هاتان الظاهرتان حيتان على ترابنا الوطني وتؤثران تأثيرا مباشراً على استشراقنا)(١٣).

وعلى العموم فإن مكانته في ميدان الاستشراق تحظى باهتمام المفكرين والمثقفين في العالم العربي والإسلامي فمؤلفاته كثيرة عن حاضرة العالم العربي والحضارة الاسلامية إضافة الى مشاركته في اللقاءات الفكرية ومحاضراته بكلتا اللغتين العربية والفرنسية، ورحلاته العديدة الى العالم العربي والاسلامي كل هذا أهله ليصبح عضوا في اكاديمية القاهرة للغة العربية.

لقد احتل الاسلام مكانة مهمة في فكر جاك بيرك برغم تشبثه بمسيحيته، ويرى فيه ملاذا وخلاصا للانسانية من شقائها وعذابها وحرمانها، وان تقدم المجتمعات الاسلامية لن يتحقق الا بتقدم الاسلام نفسه وتطبيق اصوله السمحة وغاياته الانسانية النبيلة.

(إن الاسلام يمتلك حضوره المتجدد داخل الانسان وعلى الارض وبشكل ديناميكي وهو مثل الجواد الأصيل الذي لاتقف امامه الاسوار العالية، والاسلام لم يكن في أي يوم عدو الديانات الاخرى بل إنه الديانة الوحيدة التي حافظت على حقوق أبناء الديانات الاخرى. وقلما شاهدنا في تاريخ الديانات هذا المستوى من السحر الذي نشاهده في الاسلام)(١٤).

قرأ جاك بيرك القرآن الكريم كثيرا وقام بترجمته الى اللغة الفرنسية (اعتنى المستشرقون الفرنسيون بترجمة القرآن، ومن أبرز هذه الترجمات ترجمة دوربيه (باريس ١٦٣٤) وترجمة سفاري (باريس ١٧٨٣) وترجمة كازيميرسكي (باريس ١٨٤٥) وترجمة ماردروس، باريس (١٩٢٦) وترجمة مونتيه باريس (١٩٢٩) وترجمةبلاشير (باريس ١٩٤٩-١٩٥٠-١٩٦٦) وترجمة حميد الله (باريس ١٩٥٩-١٩٦٦).

ويرى بيرك ان الترجمات التي قدمت حتى الان الى اللغة الفرنسية كانت من قبل مترجمين يحسنون اللغة الفرنسية اكثر من العربية أو العكس، ولذلك فان هذه الترجمات كانت معرضة لبعض الخلل أو النواقص. أما من ناحيته فقد تعلم اللغة العربية وأتقنها بشكل جيد لأنه درسها لسنوات طويلة وعاش في البلاد العربية لسنوات طويلة كذلك، ولعله يتقنها اكثر من المستشرقين الفرنسيين الآخرين الذين ترجموا القرآن قبله الى اللغة الفرنسية فمعرفته باللغتين هي معرفة متوازية ومتعادلة كما يقول(١٥).

وبطريقة موضوعية يقول: (لاحظت فيما اعتقد أن معظم الترجمات السابقة قد اغفلت منطق السياق. كانت الترجمة لعبارات أو بمقارنة عبارات دون التسلسل بينها.. وهذه سمة مشتركة في كل الترجمات في العربية الى اللغات الاوروبية وترجع الى أن العربية لاتفصل الجملة بحروف النصب كما هو الحال في اللاتينية والفرنسية بل تتجاورفيها العبارات وربطها بحروف العطف (الواو والفاء) والواقع انه لايوجد تجاور فقط بل عطف.. لقد حاولت ترجمتي ان تأخذ في الاعتبار منطق القول، وبوجه عام حاولت إبراز دعوات القرآن الى العقل والتسامح والانسانية. كنت أعمل من أجل فهم متبادل بين الحضارات، وكان هذا هو الهدف الرئيسي من محاولتي)(١٦).

والنص القرآني بالنسبة اليه يجمع بين كل صفات الاعجاز في بناء لغوي واسلوبي فريد في نوعه ومتكامل، إنه يجمع كل هذه الجوانب في بناء لغوي كلي حي، وهذا مايسمونه بالاعجاز. فالقرآن علاوة على ذلك هو نص قديم وحديث في وقت واحد، اي انه حديث بالنسبة لكل زمان فهو يمتلك (دينامية) أزلية(١٧). وقد أشار القاضي الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن) الى ثلاثة أوجه في اعجاز القرآن وهي:

١) الاخبار عن الغيوب وذلك مممالا يقدر عليه البشر.

٢) الاخبار عما تقدم منذ خلق الله آدم عليه السلام، مع ان النبي كان أميا ولم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين.

٣) ان القرآن بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة الى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه(١٨).

منهجية بيرك في ترجمته

ويؤكد جاك بيرك ان لكل كتاب مقدس عدة تفسيرات، وكما هو الحال عند الفقهاء يميز الإسلام بين الظاهري والباطني، والواقع أن القرآن الكريم وذلك هو ثراؤه يستطيع أن يشرع عدة قراءات عقلية او صوفية تقليدية أو تجديدية.. وبطبيعة الحال ليس لي أي صفة لأن احكم على هذه القراءة او تلك بالرغم من أن القراءة العقلية فيما يبدو يدعمها المعنى الحرفي للكتاب والأكثر اتفاقاً مع روح العصر(١٩).

لقد وضع جاك بيرك مقدمة طويلة في مائة صفحة لترجمته يوضح فيها الكثير من الجوانب الخاصة بالنص القرآني، لكن الفكرة العامة لهذه المقدمة ترتكز على نقطة مهمة وهي أن البعد التاريخي موجود في القرآن الكريم، لأن الكثير من الناس والمفكرين الآن ينبذون الصورة المادية للحياة المعاصرة ويرفضون مجتمع الاستهلاك، هذا المجتمع المادي المحض، ويفضلون على المدنية المادية المعاصرة مدنية الاسلام الروحية وينادون بالعودة اليها. ومن خلال القراءة المتعمقة للنص القرآني وللشريعة الانسانية التي يطرحها، يظهر لنا بأن هنالك قدراً كبيراً من المرونة الملائمة لكل زمان ومكان، وهذا الجانب هو الذي يخلق شمولية القرآن ومطلقيته وزمانيته الأزلية. هذا ماحاول ان يوضحه في المقدمة إضافة الى بعض القضايا الأساسية الاخرى التي تتعلق ببنية النص القرآني أو بمضمونه الفلسفي والروحي.

(وكان لمبادرة بيرك، أو إقدامه على الترجمة هذه ضجة كبرى ليس اقلها كون بيرك،

المعروف بتقدميته المشوبة بشيء من الماركسية ينصرف الى روحانية الاسلام وكتابه الأول بعد أن قضى العمر في دراسته التاريخية والاجتماعية في الحداثة العربية! يقول بيرك: راودتني فكرة الإقدام على الترجمة في نهاية الستينات، حينما كتبت مقدمة خاصة بالترجمة التي قام بها (جان غروجان) لمعاني القرآن الكريم.

وكان من الطبيعي ان انشغل بهذه الامور الروحانية في شيخوختي، لافي مرحلة الشباب، عدا ان هذا الأمر يندرج في تتابع دراساتي: فبعد ان درست سابقاً المصير التاريخي للمجتمعات العربية، عدت لتبين جذورها القيمة خاصة. فنحن نستطيع بعد دراستنا للقرآن الكريم، الاجابة عن الاسئلة التالية: ما موقف الإسلام من التاريخ، من العقل، من مسؤوليات الانسان؟)(٢٠).

تنويه العلماء وانتقادهم

وقد نوه بعمله هذا العديد من الباحثين المهتمين، كما تعرض في نفس الوقت لانتقادات عنيفة من طرف الآخرين، نورد هنا بعضها.

يقول الاستاذ قاسم الزهيري (باحث مغربي) (من خلال ما اطلعنا ودققنا النظر فيه، عمل جليل يستحق التنوية وبالتالي فهوعمل علمي دقيق يأخذ بالاعتبار كل العلوم المتصلة بالذكر الحكيم والرجوع الى الاحاديث النبوية والاجماع والمذاهب الأربعة والتفاسير الكبرى التي أثبت الكثير منها في شروحه وتعليقاته وذكر منها على الأخص جامع البيان في تفسير القرآن للطبري والكشاف في حقائق التنزيل للزمخشري ومحاسن التأويل للقاسمي وتفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي..زيادة عن استئناس المترجم بكتاب في ظلال القرآن لسيد قطب وصفوة التفاسير للصابوني والمختار في تفسير القرآن لمحمد متولي الشعراوي، وجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي وأضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي وتفسير الحديث لعزة دروزة)(٢١).

أما الكاتب محمد سنكير (كاتب جزائري مقيم في فرنسا) فقد علق على هذه الترجمة قائلاً: (إن قراءة ماسميناه:محاولة لترجمة معاني القرآن الكريم (لجاك بيرك) تترك لدينا انطباعاً بأن النصوص القرآنية التي يتوجه بها الله عز وجل إلى الانسان تستخدم الفاظاً تتميز بالرقي والسمو البعيد عن المعنى المتداول لتلك الكلمات وأنها تحتوي على روح الالهام الجديدة بالرسالة التي أعادت تأكيد معاني الألوهية والتوحيد.

وتتميز ترجمة (بيرك) قبل كل شيء بسهولة قراءتها وفهمها فهي ليست ترجمة الى اللغة الفرنسية بل هي لو أجزنا قبول هذا التعبير، القرآن الكريم باللغة الفرنسية، وهي ليست خدمة تؤدى الى اللغة الفرنسية بل هي هدية مهداة الى المسلمين والى المثقفين الذين يعجزون عن قراءة النص العربي بلغته الأصلية والذين يتمكنون، بفضل ترجمة بيرك، في التعرف على جمال الاسلوب وعمق التفسيرات وجمال الموسيقى الداخلية للألفاظ في القرآن الكريم.. وعلى ذلك فإنه يجب علينا أن نحيي هذه الترجمة التي قد تكون الأولى من نوعها والتي تفتح باب النقاش فيما يتعلق بدور الاسلام في العالم وكذلك وجهة نظر الغرب في القرآن الكريم والعقيدة الاسلامية)(٢٢).

ولعل اعنف انتقاد وجه لجاك بيرك وترجمته لمعاني القرآن الكريم هو ماكتبته الدكتورة زينب عبدالعزيز من مصر حيث ترى أن هذه الترجمة جاءت مليئة بالمغالطات والأخطاء التي لا يقع فيها أي ملم باللغة العربية، بل الاكثر من ذلك أن بيرك قدم لها بمقدمة طويلة تعج بالمغالطات والمزاعم التي تشكك في نزول القرآن وترتيبه وجمعه، وتزعم أنه قد تأثر بالشعر الجاهلي والفكر اليوناني ومزامير داود!! بل ويستبعد أن يكون للفقة الاسلامي الحالي أي أصل في القرآن الكريم.

وترى أن وجه الخطورة في هذه الترجمة هو أن ما يصدر عن جاك بيرك يلاقي مصداقية كبيرة في الغرب لأنه معروف بصداقته للعرب والمسلمين فضلا عن انه عضو في مجمع اللغة العربية ولذلك فقد اختبأ وراء كل ذلك ليوجه للاسلام أعتى طعنة بتحريف معاني القرآن الكريم عمداً. وقامت برصد العديد من الاخطاء اللغوية التي وقعت في بعض الآيات القرآنية، والمغالطات التي أوردها في مقدمته لهذه الترجمة. وتناشد المسؤولين في الأزهر وفي المؤسسات الاسلامية المختصة الحد من هذا التقصير الذي طال مداه، وتكوين فريق عمل للقيام بترجمة معاني القرآن باللغة الفرنسية، منعاً لكل هذه العناصر التخريبية(٢٣) ويبقى السؤال مطروحاً وباب النقاش مفتوحاً حول ترجمة القرآن ترجمة ترضي جميع المسلمين!

الهوامش:

١) الدكتور غالي شكري/ ندوة حول الغزو الثقافي الامبريالي للوطن العربي/ مجلة المعرفة السورية/ عدد ٢٢٧/ ص ١١٠.

٢) انظر لقاء معه في جريدة الجزيرة السعودية عدد (٤٠٦٩) ١٩نوفمبر ١٩٨٣م.

٣) انظر مقالة المستشرقون مالهم وماعلينا/ جريدة الرياض السعودية عدد (٦٠٣٨) ٣/١/١٩٨٥م.

٤) انظر لقاء معها في جريدة الرياض (مرجع سابق).

٥) انظر مقدمة كتاب: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية/ للدكتور قاسم السامرائي/ ص٦.

٦) انظر كتابه التراث والتجديد/ ص٦١/ الطبعة الرابعة.

٧) انظر مجلة التراث العربي السورية/ العدد السابع/ السنة الثانية/ ابريل ١٩٨٢م/ ص٧٨. (اعجاز القرآن وترجمته/ د.جعفر دك الباب.

٨) نفس المرجع/ ص٨٠.

٩) انظر مجلة رسالة الجهاد الليبية/ عدد٥١/ ص١١١ (المستشرقون ودورهم في ترجمة القرآن) د .محمد شيخاني، -PARIS -p.u.f-Le coran -Regis Blachere ١٩٦٦.

وانظر كذلك مجلة (المناهل) المغربية/ عدد١٠/ ص١٨و١٩ (من أجل حواربين الحضارات) د. محمد العربي الخطابي.

١١) انظر حواراً معه في مجلة روز اليوسف/ حاوره السيدمحمد حسين (نقلته صحيفةالعلم المغربية) عدد يوم ٧/١٠/١٩٩٣م/ ص١٢.

١٢) انظر الملحق الثقافي لصحيفة العلم المغربية/ عدد: ٨٢٤ (٨ يونيو ١٩٩١م/ ص٦). (إشكالية نقل المعنى في ترجمات القرآن الكريم) د. عبد النبي ذاكر.

١٣) انظر حواراً معه نشر في صحيفة الاتحاد الاشتراكي المغربية عدد ٧/١/١٩٩٢م/ ص١٠.

١٤) انظر حوارا معه نشر في الملحق الثقافي لجريدة الأنباء المغربية عدد٣٢ (٢٧/٥/١٩٨٥م) ص٤.

١٥) انظر مجلة رسالة الجهاد الليبية/ عدد١٥٥/ ص ١٨٣ (المستشرقون والقرآن الكريم من خلال مجلة رسالة الجهاد)د. محمد القاضي.

١٦) انظر صحيفة الاتحاد الاشتراكي/ مرجع سابق/ ص١٠.

١٧) انظر مجلة رسالة الجهاد/ مرجع سابق/ ص١٨٣.

١٨) انظر مجلة التراث العربي/ مرجع سابق/ ص٧٠.

١٩) انظر صحيفة الاتحاد الاشراكي/ مرجع سابق/ ص١٠.

٢٠) انظر مجلة (المجلة) السعودية/ عدد٦٩٥ (٦-١٢/٦/١٩٩٣) ص٧٠ و٧١، حوار معه بمناسبة صدور كتابه (ويبقى المستقبل).

٢١) انظر صحيفة، العلم المغربية، عدد ١٩/٥/١٩٩١م، ص١٢.

٢٢) انظر مجلة (القاهرة) حيث نشرت ملفاً خاصاً بجاك بيرك بمناسبة صدور ترجمته لمعاني القرآني الكريم/ عدد اغسطس (غشت) (١٢٩) السنة ١٩٩٣م ص١٦و ١٨.

٢٣) انظر دراستها المهمة التي تنتقد فيها ترجمة جاك بيرك في مجلة رسالة الجهاد/ عدد مزدوج ١٠٨/١٠٩ ص١٠٨ الى ١١٦. وانظر كذلك حواراً مها حول نفس الموضوع في مجلة (زهرة الخليج) عدد ٧٨٦ (١٦/٤/٩٤م) ص١٠٠و١٠١.

فقـه المصلحة بين العقل والشرع

بقلم: سالم البهنساوي

قد يختلف حكم العقل مع الشرع الذي يسمى بالنقل أي النص الشرعي وهو القرآن الكريم والسنة النبوية فهل نغلب حكم العقل أم حكم الشرع؟ وفي أي من ذلك تكون المصلحة؟ يرى جمهور العلماء أن لاسبيل سوى التسليم بصحة النقل (الشرع) مع الاعتراف بالعجز عن فهم النص الشرعي وتفويض الأمر في علمه إلى الله تعالى.

ويرى الشيخ محمد عبده في كتابه الإسلام والنصرانية أنه يلزم تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل، ويوضح في تفسير المنار [ص٥]، أن الشرع يعد من الموازين التي وضعها الله للعقل ليرد شططه ويقلل خلطه وخطأه.

إلا أنه في التطبيق العملي لم يلتزم بهذه القاعدة ففي تفسيره لقول الله تعالى بشأن أصحاب الفيل: ﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول﴾ [سورة الفيل].

قال إن الطير الأبابيل هي مرض الجدري والحصبة الذي جعل الجيش يولى هارباً(١).

ولقد أخذ هذا عن محمد بن بحر الاصفهاني وهو من المعتزله، وهذا التفسير لم يقل به احد من العلماء ولا يقبل من عالم مثله صحيح الايمان لانه يخالف صريح القرآن الكريم، ويخالف الواقع الذي شهد به المؤمن والكافر.

أسباب التعارض بين العقل والشرع

إن ظاهرة التعارض بين العقل والشرع، وجدت في أوروبا حيث كان البابوات يحرمون البحث في علوم الطب والهندسة والكمياء وغير ذلك من الأمور الكونية والتجريبية، وزعم البابوات ان لهم حق التحليل والتحريم ومن ثم بيدهم صكوك الغفران والحرمان،ومن هنا نشأ التعارض بين العقل وهذا الشرع الذي هو شريعة البابوات، وليست الشريعة الموحى بها من عند الله تعالى، هذا التعارض أدى إلى أن أمر البابوات، بحرق كل من خالفهم زاعمين انه يمارس السحر الأسود ويعارض الرب، فمثلا حرم البابوات استخدام التخدير في العمليات الجراحية زاعمين أن ذلك يخالف المشيئة الإلهية، بينما توجد مصلحة عاجلة وملحة للناس في استخدام التخدير في العمليات الجراحية لهذا غلب الاوربيون هذه المصلحة على الشرع البابوي وانتهى الأمر بينهم بعزل الدين هناك عن الدنيا.

أما في بلاد المسلمين فلم تنشأ هذه المشكلة في أي عصر من العصور لأن النبي صلى الله عليه وسلم وضع قاعدة هامة في هذا الشأن ففصل بين مايخضع للعقل ومايخضع للشرع أي الوحي فجعل الأمور التجريبية كلها من اختصاص العقل حيث قال: «أنتم أعلم بشؤون دنياكم» [رواه مسلم].

المصلحة والتجديد العصري

ولكن للأسف الشديد بعض من يسعون للتجديد قلدوا الأوروبيين في هذه المسألة وهي مسألة أوروبية بحتة ولا وجود لها بين المسلمين فكان تجديدهم قياساً مع الفارق يبطله كل مثقف.

لقد كتب الدكتور إبراهيم اللبان في مجلة الأزهر(رمضان ١٣٣٩ – نوفمبر١٩٧٠) تحت عنوان (القرآن وتجديد المجتمع):

(أن الاجتهاد بمعناه التقليدي كان يتم باستنباط الأحكام من أدلتها الشرعية وبخاصة نصوص الكتاب والسنة وهذا الاستنباط كان احيانا يتم على أساس النص وحده دون استشارة مقاصد التشريع الإسلامي العليا وهي صيانة الحياة والمال والعقل والعرض والدين، وقد اتجهت الأنظار إلى المصلحة كأساس للتشريع، وظهر للمجددين ان تجديد الشريعة على أساس المصلحة هو الطريق الصحيح لتطورها وجعلها كفيلة بتحقيق الخير الإنساني المنشود)..

ثم ينهي الكاتب مقاله بقوله: (إن هدف عملية التجديد قد اقترنت بظهور المدنية الغربية في العالم الإسلامي معتزة بعلومها

ونظمهـا وشرائعهـا،فقـد كـانت علـومهـا تمتـاز بأنها مطـابقـة للعقـول مستنـدة إلى الأدلـة العلمية التي لاتقبل النقيض كما كـانت شرائعهـا ونظمهـا تعتـز بأنها قادرة على تحقيق المصلحة والخير للجماعـات والافـراد. فوضعت بذلك معيـارا تقاس به الشرائع والنظم والعقائد والآراء، وليس هـذا المعيـار الا مقيـاس العقـل والمنطق في ميـــادين الكونيات ومبدأ الخير والمصلحة في دائرة الشرائع والنظم فكـان على الأمم التي تـريـد أن تعيش طبقاً لعقائد دينهـا وشريعتها أن تصل بـدينهـا إلى هذا المستـوى العقلي الرفيع وإلا تعرض الدين للإهمال والانزواء).

إن هـــذا التعميـم في اعتبـار المصلحة بالمقياس الأوروبي هي المقيـاس للشرائع، يـــؤدي إلى استحسان الفواحش كما فعلت، أوروبـا، ولا يخفي على أحـد أن جميع الفواحش قـد حرمهـا الله في كتبه المقدسة، على لسان رسله جميعـا وقـد ثبت للجميع انها تضر بـالفرد وبـالمجتمع وهـذا مـاجعل الكـاتـب يختم مقـالـه بقوله:

(بهذه الروح يواجه المجددون المدنيـة الغربيـة، فيفرقـون بين الصحيح والسقيم من مقوماتها والفاسد والضـار من عناصرها، ولهذا رفضـوا حيـاة التهتك والاستهتـار التى جـاءت بها مدنية الغرب وكان معيار القبول والـرفض هو الـدين فما طـابق الدين قبلوه ومـاناقضه رفضوه وهذا الاستثنـاء ينسف مقـولته السـابقـة بـأن المعيـار ليس إلا المصلحــة في دائرة العقـــائد والشرائع).

المصلحة والفقه السلفي

إن دعوى التعارض بين الدليل العقلي والـدليل النقلي والسمعي يردها شيخ الإسـلام ابن تيمية، ومهما كتب البـاحثـون في ذلك فبحوثهم قطرة من بحر بالنسبة لما دونـه في كتابـه الكبير، العقل والنقل ومـا ذكره عن التعـارض بينهما فمن اقواله:

١) أن هـذا بـاطل من أصلـه والتقسيم الصحيح أن يقال:

إذا تعـارض دليلان سمعيـان أو عقليان أو سمعى وعقلي يجب اتخاذ الآتي:

أ- فإما أن يكونا قطعيين وإما أن يكونـا ظنيين وإما أن يكـون أحدهما قطعيا والآخر ظنيا.

فأمـا القطعيـان فـلا يمكن تعـارضـهما لان الـدليل القطعي هو الذي يستلزم مـدلولا قطعيا ولو تعارضـا لزم الجمع بينهما، إن هـــذا لايشك فيـه احـد من العقلاء لانـه مبني على أن العقل من مخلـوقـات اللـه والنقل أي ماجـاء به الوحي هـو من أوامر الله ومن ثم فـلا تعارض بينهما طـالما أن كـــلا منهما قطعي الثبوت.

ب- وان كـان أحدهما قطيعـا والآخر ظنيا تعين القطعي سواء أكان عقليا أم سمعيا أي (نقليا).

ج- وان كانـا ظنيين صرنا إلى الترجيح ووجب تقـديم الـراجح بينهما. وهـــذا التقسيـم واضح ومتفق على مضمـــونـــه بين العقلاء.

لما كـان كـذلك أني لقـــول التعـــارض بين الـــدليل العقلي والنقلي والجزم بتقـــديم العقلي مطلقـــا خطأ واضح معلـــوم الفساد لكل العقلاء.

ومن حيثيـاتُ عدم التعـارض أنه اذا تعارض العقل والنقل فإما أن يريـد به القطعيين فـلا نسلم بإمكان التعارض وإمـا أن يريد بـه الظنيين فـالتقـديم للـراجح مطلقا وليس العقلي وحده.

واذا قدر أن العقلي هو القطعي كان تقـديمه لانـه قطعي لا لأنه عقلي، فعلم أن تقـــديـم العقل مطلقـــا خطأ وأن جعـل جهـــة الترجيح كـونـه عقليـا خطأ وأن جعل سبب التأخير كـونه نقليـا خطأ كذلك.

وقال: أيضا أما القول بأنه ان قدمنا النقل لـزم الطعن في اصله وهـــو العقل لان العقـل أصل النقل، فهو باطل لأن العقل ليس أصل النقل بـل بـه نفهمـه فما أخبره الصادق والمصـدوق هو ثابت في نفسه سواء علمناه أم لم نعلمه وسواء صدقه الناس أم لم يصـدقوه، كما أنـه رسول اللـه حقا وان كـذبه من كـذبه كما أن وجود الرب تعالى وثبوت اسمائه وصفـاتـه حـق سـواء علمنـاه بعقولنا أم لم نعلمـه فلا يتوقف ذلك على وجـودنـــا فضـلا عن عقولنا وعلمنابالشرع المنزل من عند الله مستقل بنفسه عن علمنا وعقلنا ولكن نحن محتاجون إليه وإلى ان نعلمـــه فـإذا علم العقل ذلك حصل له مـالم يكن له قبل ذلك وإذا نقـده كـــان نـاقصـا جاهلا(٢).

وقد لخص الشيخ حسن البنا هذه القضية فقـال: وقد يتناول كل مـن العقل والشرع مـــا لا يـدخل في دائرة الآخـر، ولكنهما لن يختلفـــا في القطعـي فلن تصطـــدم حقيقـــة علميـــة - صحيحة بقـاعدة شرعية ثـابتة ويـــؤول الظني منهما ليتفق مع القطعي فان كانـا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حيث يثبت العقلي أو ينهـار. [البنـد ١٩ من رسالة التعاليم].

فقه المصلحة في القانون والشرع

المصلحة في الفقـه القانـوني: هي المنفعه ولهذا قال الفيلسوف بنتام في كتـابه اصـول الشرائع: ان المنفعـــة هي أقـــرب المذاهب لتكـــون اســـاســـاً للقـــوانين الوضعية(٣).

وقـد قـرر فقهـاء الشريعـة الإسـلاميـــة أن المصلحـة هي أسـاس الأحكام الشرعيـة حيث جاءت الشريعة لحماية المصالح الإنسـانيـــة الحقيقيـة وجعلت الاعتـداء على هـــذه المصـــالح جريمة توجب العقاب حيث جاء النص في القـــرآن والسنـــة بالعقوبات المختلفة لحماية هذه المصـــالح، وخـوَّل ولي الأمـــر بوضـع العقوبـة المناسبـة وهو مايسمى بالتعازير.

فـالمصلحة في فقـه الشريعـة الإسـلاميـة تختلف عما عـرف باسم (فقه المصالح) في القانون الوضعي وهو مذهب أو مدرسة تـرجع إلى كتابـات(فيليب هيك) خـــلال نصف قـــرن من الزمان(١٨٨٩-١٩٤٣)- وكان للفقيه القانوني (اهرنج) الفضل في هـذا الفقـه حيث انتهى إلى ان الحق مصلحـــة يحميهـــا القانون(٤).

انه طبقـا لفقه المصـالح يجب على القاضي الفقيه تطوير النص القانوني فيما يسمى بضرورات القيـام بـالتجديـد والتطويـر الاجتماعي لتحقيـق المنفعـــة (باسم المصلحة).

إن هـذه النتيجـة في الحقيقـة تعـرض مع المصالح التي وجـد القانـون لحمايتها وهـي هدف القاعدة القانونية الحقيقي، حتى أصبح فقـه المصالح ومن قبلـه فقه الأفكـار معارضـا للعدالـة بسبب المغـــالاة في السعي وراء المصلحـــة حتى نتج عـن ذلك الكثير من الضرر(٥).

المصلحة الحقيقية

إن المصلحـــة الحقيقيـــة لاتعارضها النصـوص القطعية ومن ثم أخـذ الصحـــابـة بهذه

فقه المصلحة بين العقل والشرع

المصلحة دون خروج على النص فان موقف عمر ومن وافقه في مسلكه في قسمة الأراضي المفتوحة على الفاتحين أي الجنود انتهى إلى تفسير قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه﴾ [الأنفال:٤١] تفسيره بأن غنائم الحرب للمنقولات وليست للأراضي.

هذا ماصنعه سيدنا عثمان، حين رأى التقاط ضوال الابل وحفظها في بيت المال حتى لاتضيع على أصحابها، ولم تكن تلتقط على عهد النبي ﷺ.

وهو ماصنعه بعض فقهاء التابعين في حديث امتناعه ﷺعن التسعير حين شكا اليه اصحابه الغلاء فقال: «إن الله هو المسعر القابض الباسط»، إذ حملوا ذلك على حالة الغلاء الطبيعي وليس الغلاء الناتج عن احتكار التجار والعمل على اغلاء الاسعار ولهذا قالوا بوجوب التسعير في هذه الحالة.

ان التعارض بين نص قطعي ومصلحة وهمية ليس إلا تدليسا واستخفافا بالعقول.

فلا توجد مصلحة حقيقية في «إيقاف حدود الله» التي اوجبتها النصوص القطعية الدلالة.

ولا توجد مصلحة حقيقية في (إباحة الخمر) التي حرمتها نصوص القرآن الكريم.

ولاتوجد مصلحة حقيقية في (إباحة الربا) الذي حرمته النصوص القرآنية.

ولاتوجد مصلحة حقيقية في (إباحة التبرج) الذي حرمه القرآن.

ولاتوجد مصلحة حقيقية في (تعطيل الزكاة) التي فرضتها النصوص القرآنية وفصلتها السنة النبوية.

ولا توجد مصلحة حقيقية في (إباحة البغاء) الذي حرمته النصوص القطعية.

ولاتوجدمصلحة حقيقية في التسوية بين الابن والبنت في الميراث الذي حرمته النصوص القطعية.

حيث يوجد شرع الله فثم المصلحة

والعجيب أن هؤلاء كثيرا مايذكرون الكلمة التي نقلت عن الامام ابن القيم ويرددونها في كل مناسبة وهي: (حيث توجد المصلحة فثم شرع الله). ثم يستدلون بها، بما يهدر المصلحة الشرعية.

والحق أنهم يقطعون هذه الكلمة عن سياقها الذي وردت فيه،فقد قالها ابن القيم ردا على الذين يحصرون (البينة) الشرعية في شهادة الشهود وحدها ويرفضون الاخذ بالقرائن وان بلغت مابلغت من الوضوح والدلالة على وجه الحق في القضية. فقد قال في (الطرق الحكمية)(٦).

(ان الله سبحانه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الذي قامت به الارض والسموات، فإذا ظهرت إمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان، فثم شرع الله ودينه) ونحو ذلك قاله في أعلام الموقعين.

أما اطلاق هذه الكلمة على النحو الخاطىء عن ابن القيم أو شيخه ابن تيمية فلم يثبت عنهما، ولا يتصور منهما، وهما أشد الناس تمسكا بالنصوص والدعوة إلى الاتباع وترك الابتداع(٧).

وانما تقبل هذه الكلمة: (حيث توجد المصلحة فثم شرع الله) فيما لا نص فيه أو فيما فيه نص يحتمل تفسيرات عدة أو فيما عدا ذلك فالواجب أن يقال: (حيث يوجد شرع الله فثم المصلحة).

وجدت ظاهرة التعارض بين العقل والشرع في أوروبا بسبب تحريم الباباوات البحث في علوم الطب والهندسة والكمياء وغيرها، بينما يدعو الإسلام إلى البحث العلمي

ضابط المصلحة

والجدير بالذكر هنا أن البحث عن المصلحة واللجوء إليها لايكفي في جميع حالات تفسير النص الشرعي، بل فقط عندما يجد الفقيه أن المفتي أوالقاضي أن فهم النص يتوقف على معرفة العلة أو الحكمة من النص، أي المصلحه منه.

يقرر الامام الشافعي أن للفقيه أن يستنبط المعنى أو الحكمة أو المصلحة التي حكم الشارع فأجلها من الحكم نفسه أو من غيره من أحكام الله تعالى أو أحكام رسوله ﷺ ثم يفسر النص على ضوء الحكمة (٨).

كما أنه ليس للعقل دخل في إيجاد حكم شرعي بالوجوب أو النهي، وانما ينحصر عمله في فهم النصوص الشرعية واستنباط العلة من النص والتي بمقتضاها ينتقل حكم هذا النص إلى الشيء المسكوت عنه إذا اشترك في هذه العلة.

وهذا الاختصاص للعقل يحكمه قول الله تعالى﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ [الشورى:١٠]، وقوله تعالى: ﴿وماكان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من امرهم﴾ [الاحزاب: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ولاتقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾ [النحل:١١٦]□

الهوامش:

١) الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جمع الدكتور عمارة، ج ٤، ص٧٧٨.
٢) الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية، ص٩٦ ومابعدها.
٣) نقلا عن الجريمة في الفقه الإسلامي، للشيخ محمد ابو زهرة، ص٣٢.
٤) مبادىء القانون، ثروت الاسيوطي بيروت ١٩٧٥، عن فقه المصالح لمؤلفه فيليب هيك (بالألمانية بند٢، ص٧).
٥) المرجع السابق ص٣٨٤ نقلا عن هيك في التطبيق للقانون المدني سنة ١٩١٤.
٦) الطرق الحكمية لابن القيم ص١٤، ط: السنة المحمدية.
٧) المرجعية العليا للإسلام للدكتور يوسف القرضاوي ص٣٥٧-٣٥٩.
٨) تفسير النصوص في القانون والشريعة الإسلامية، د. محمد صبري السعدي، ص٥٥، دار النهضة العربية بمصر، سنة ١٩٧٩م. ود.حسين حامد حسان: نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي، ص١٧٥، دار النهضة، سنة ١٩٧١.

الخوف والرجاء

بقلم: أحمد الأمين محمد علي رشدان

الخوف والرجاء من الله عز وجل صفتان من الصفات التي يتحلى بها المؤمنون الأتقياء الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه. يقول الامام الغزالي: «الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طريق الآخرة كل عقبة كئود» [إحياء علوم الدين، ج٤، ص١٤٢] فماذا عن الخوف والرجاء؟!

الخوف.. فزع القلب

الخوف هو فزع القلب من مكروه يناله أو محبوب يفوته، والخوف من الله يتوقف على الصلة به سبحانه، والشعور بخشيته وخشيته تدفع إلى كل صلاح وتنهي عن كل انحراف وتجعل العمل والعبادة خالصاً لله وحده، والخوف من الله محمود، وقد وعد الله من خاف مقام ربه جنتان: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن:٤٦]، ومن كان في معية الله لايخاف من شيء وكيف يخاف ومعه الطمأنينة؟ ولا يضطرب من شيء وكيف يضطرب وعنده الأستقرر؟ لايخشى مخلوقاً وكيف يخشى ومعه الله؟

ولولا خشية الله لاسترسل الناس في شرورهم وانكبوا على شهواتهم، وإن مايعانيه العالم اليوم من تدهور في الأخلاق وانكباب على الرذائل وانتشار للإجرام إنما ذلك بسبب ماران على قلوبهم من الغلظة والقسوة وغفلتهم عن خالقهم وعن استحضار عظمته التي تجعل في القلب رهبة تحول بين الإنسان والميل إلى الشر..

قال تعالى: ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير﴾ [الملك:١٢]، وقال: ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾ [النور:٥٢].

وخشية الإنسان لله تهبه قوة، وتخلق شجاعة أدبية وهى من محاسن الصفات التي يتحلى بها الإنسان، قال الفضيل: (من خاف الله دله الخوف على كل خير). ويكفي فضلاً للخوف من الله وثمرة له أن من خاف نجا من دخول النار، قال ﷺ: «لايلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع» [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

ماذا عن الرجاء؟

أما الرجاء فهو ارتفاع لانتظار ماهو محبوب عند الإنسان، ورجاء العبد دائر بين ذنب يرجو غفرانه، وعيب يرجو إصلاحه، وعمل صالح يرجو قبوله، وتقرب إلى الله يرجو أن يحظى به. عن أنس، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله: يابن آدم، إنك مادعوتني و رجوتني غفرت لك على ماكان منك ولا أبالي، يابن آدم، لوبلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك» [رواه الترمذي].

والحديث يبين لنا أن المؤمن إذا اتجه إلى الله بقلبه ورفع أكفه إلى السماء في ضراعة، فإن الله يحقق له الرجاء ولايرده خائباً. فعن سلمان الفارس، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى ليستحي أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيراً فيردهما خائبتين» [رواه أبو داود والترمذي].

وليس الرجاء كلمات تقال أو عبارات تردد فإن من يرجو الله ويطمع في مغفرته لابد أن يكون صادقاً مع الله فقول بلاصدق كذب كبير ومقت. فمن كان يرجو ثواب الله ورضوانه، ويتطلع إلى القرب من الله وجواره فليأخذ الوسيلة والأساس.

الوسيلة التي لاوسيلة سواها وهي العمل، والأساس الذي لا أساس غيره وهو الإيمان بالله وعدم الاشراك به: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحدا﴾ [الكهف:١١٠].

الرجاء ضرورة

إننا في أمس الحاجة إلى الرجاء في الله، فالرجاء عبودية والله سبحانه يمقت اليائسين ويحب من عباده أن يؤملوه ويرجوه، فهو أجود من سئل، وأرأف من ملك، وأوسع من أعطى، ومن لم يسأل الله يغضب عليه.

لولا الرجا يحدو المطي لماسرت
بحمولها لديارهم ترجو اللقا

ولابد للعبد أن يجمع بين مقامي الخوف والرجاء لأنه إن غلب عليه الخوف حتى فقد رجاء الله فقد وقع في طريق اليأس ولاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولايقنط من رحمة ربه إلا الضالون، وإن غلب عليه الرجاء حتى فقد الخوف وقع في طريق الأمن من مكر الله، ولايأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

وما أفقه يحيى بن معاذ حينما قال: (ما من مؤمن يعمل سيئة إلاويلحقها حسنتان: خوف العقاب ورجاء العفو.. كثعلب بين أسدين)، لقد جعل السيئة من المؤمن تثمر ثمرتين.. الخوف من عقاب الله عليها، ورجاء الله في العفو عنها وقبول توبة المؤمن منها..

وبعد.. فإن خشية الله المقرونة بالرجاء لهى أقوى المؤثرات في أعمال الإنسان، لأنها تربي الضمير في الانسان وتجعله فرداً صالحاً في المجموعة الإنسانية وبها يحيا الناس حياة طيبة.. يعيشون في صفاء من نعيم النفس، وراحة القلب.. والله من وراء القصد□

بيت الزكاة يحتفل بالذكرى الثالثة عشرة لتأسيسه

من إنجازات بيت الزكاة



● صورة لإحدى ولائم الإفطار



● مشروع الاضاحي داخل الكويت

مدير بيت الزكاة بالنيابة: البيت يتفوق بمميزاته على غيره من المؤسسات

احتفل بيت الزكاة خلال شهر رمضان الماضي، بالذكرى الثالثة عشرة على تأسيسه بحضور عدد كبير من الموظفين ومديري الإدارات، وقد بدأ الحفل بتلاوة آيات من القرآن الكريم، رتلها فضيلة الشيخ علي سعود الكليب مدير مكتب الشؤون الشرعية في بيت الزكاة، ثم ألقى السيد عبد القادر ضاحي العجيل مدير عام البيت بالنيابة، كلمة نقل من خلالها تحيات وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية رئيس مجلس إدارة بيت الزكاة الدكتور علي فهد الزميع للعاملين في بيت الزكاة، وشكره وتقديره لهم في هذه المناسبة.

وفي معرض حديثه، أشاد العجيل بمنجزات البيت خلال السنوات الثلاث عشرة الماضية، وعبّر عن شكره وتقديره لجهود الموظفين التي جعلت بيت الزكاة من المؤسسات الرائدة في هذا المجال على مستوى العالم الإسلامي، التي ينظر لها بعين الاعتبار، والتي تتمتع بالصيت الحسن. وذكر أن جميع الحضور - بعد حضور مؤتمرات الزكاة الثلاثة - أبدوا إعجابهم بهذه المؤسسة وإنجازاتها، وأكد تفوق البيت الكبير بهذه المنجزات على غيره من مؤسسات الزكاة الأخرى، حسب الإحصائيات والأرقام.

استراتيجية عامة

وقال إن البيت خلال العام الماضي ١٩٩٤م، بدأ مرحلة التحول بوضع استراتيجية تبدأ عام ١٩٩٥م، إلى عام ٢٠٠٠م، وهي نقلة نوعية كما وصفها، ينتقل فيها بيت الزكاة من العمل المركزي في مبنى واحد تقريبا، إلى العمل من خلال فروع منتشرة في محافظات الكويت المختلفة، مشيرا إلى أن بيت الزكاة قام مؤخرا بفتح عدد من الفروع، وأوضح أن العمل جارٍ الآن لأخذ الموافقات الرسمية لفتح فروع أخرى في مختلف مناطق الكويت، تسهيلا على المتبرعين والمستفيدين.

وذكر أن هذه الاستراتيجية التي بدأ تنفيذها منذ أواخر عام ١٩٩٤م، تضم عددا من المشاريع التي استطاع بيت الزكاة تحقيق جزء منها في فترة قياسية جدا، وذكر أن من أهمها - وعلى رأسها - مشروع قانون الزكاة المعدل الموجود حاليا لدى وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية رئيس مجلس إدارة بيت الزكاة، والذي سبق عرضه على مجلس الأمة، وأعرب عن أمله بأن يرى هذا القانون - الخاص بتطبيق فريضة الزكاة

على الشركات – النور في هذا الصيف إن شاء الله.

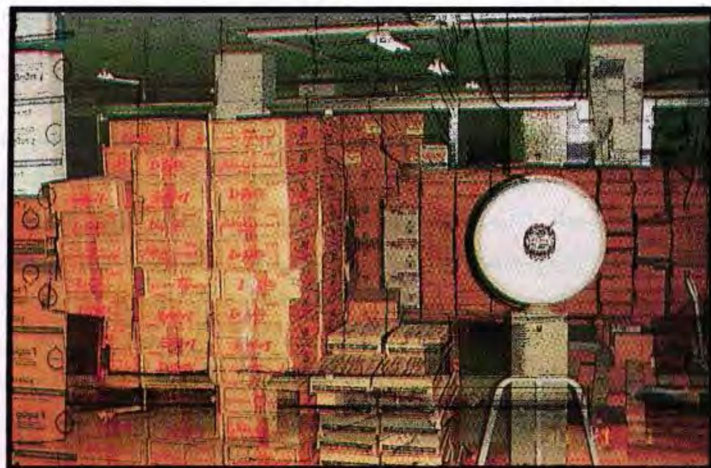
وقال إن من المشاريع المهمة لهذه الاستراتيجية هو تنظيم العمل الخيري داخل الكويت، وعلاقة بيت الزكاة بالمؤسسات الخيرية خارج الكويت، والتنسيق في هذا المجال مع وزارة الخارجية، وسفارات دولة الكويت في الخارج، مؤكدا أن البيت حقق جزءا كبيرا من هذا المشروع، الذي ما زال العمل فيها جاريا.

تطوير النظام المحاسبي

وذكر أن من أهداف الاستراتيجية كذلك تنفيذ مشاريع تطويرية للنظام المحاسبي والهيكل التنظيمي في بيت الزكاة، خصوصا بعد تطبيق قانون الزكاة، بالإضافة إلى المشاريع الأخرى التي أعرب عن أمله في تحقيق الجزء الكبير منها خلال هذا العام ١٩٩٥م.

وعن المبنى الرئيسي لبيت الزكاة المزمع إقامته في جنوب السرة، ذكر العجيل أنه تم إرساء مناقصة على بعض الشركات، وتوقع أن تبدأ أعمال البناء في نهاية السنة الحالية، أو مع بداية عام ١٩٩٦م، مشيرا إلى أن البيت سينقل من مبناه الحالي إلى مبناه المؤقت في إحدى المدارس الواقعة خلف مبنى جوازات حولي، وذلك خلال الشهور القليلة القادمة.

وعن المنجزات التي حققها البيت خلال العام الماضي ١٩٩٤م، أكد العجيل أنها



● تبرعات عينية



● ماء سبيل على نفقة إحدى المحسنات

استراتيجية فاعلة للبيت ومشروع قانون الزكاة على رأسها

كانت كثيرة ومتنوعة، وأن التقرير السنوي لبيت الزكاة – والمنتظر صدوره قريبا – سوف يلقي الضوء على الإنجازات الكبيرة جدا والعظيمة التي حققها بيت الزكاة.

وشكر مدير عام بيت الزكاة بالنيابة في ختام كلمته، لجنة النشاط والضمان الاجتماعي، التي قامت بتنظيم هذا الحفل، ثم شكر الحضور. وأعرب عن أمله في تحقيق إنجازات أكثر وأكبر خلال العام القادم، وأن يتم الاحتفال في هذه المناسبة من جديد من خلال المقر المؤقت في المبنى الرئيسي بإذنه تعالى.

تكريم الموظف المعطاء

ألقى بعد ذلك رئيس لجنة النشاط والضمان الاجتماعي صباح عنان كلمة قال فيها: إن هذا الحفل الذي تقيمه إدارة البيت كل عام في هذه المناسبة العزيزة، إنما يشكل حافزا للموظفين الذين سموا بأعمالهم إلى أعلى درجات الخير والعطاء، نظرا لما يقومون به من مساعدة المحتاجين والفقراء والمساكين. وأضاف أن اللجنة حين تعد مثل هذا الحفل، فإنما تهدف إلى تكريم هذا الموظف المعطاء الذي بذل كل ما لديه من جهد وعمل، وتحثه في الوقت نفسه على مواصلة العطاء وإخلاص العمل لله لنيل الخير الكثير. وتوجه في نهاية كلمته بالشكر الجزيل للأخ يوسف الكندري مسؤول الحفل، ولكل الذين قاموا بإعداد الحفل، راجيا للجميع التوفيق والسداد في أعمالهم.

ثم ألقى بعد ذلك محمد أبو عيشة – من إدارة العلاقات العامة والإعلام – قصيدة بالمناسبة أشاد من خلالها بجهود بيت الزكاة المباركة، وآثاره الإيجابية في المستويين الداخلي والخارجي، وتوجه إلى الله بالدعاء بأن يجزي كل من أسهم في دفع مسيرة البيت خير الجزاء، وأن يوفق العاملين فيه للمزيد من العطاء، ويسدد خطاهم.

وقد تتابعت بعد ذلك الفقرات الترويحية، وقام مدير عام بيت الزكاة بالنيابة، ومديرو الإدارات بتكريم إدارة التطوير الإداري والتدريب وإدارة النشاط الخارجي لفوزهما بلقب الإدارة المثالية مشاركة فيما بينهما، وتم توزيع الجوائز على الموظفين القدامى، وأصحاب الاقتراحات الجيدة والأعمال المميزة، وأكثر الموظفين انضباطا بالدوام الرسمي، وتناول الجميع بعد ذلك الغبقة الرمضانية□

تجربة ماليزية تنموية ناجحة



بقلم
د. صلاح الدين أرقه دان

ترتبط العبادة في الإسلام بمصلحة (الإنسان) فرداً كان أو جماعة، وترفل عليه بظلالها ليتفيأ تحتها بعيدا عن منغصات الدنيا المادية، وما أكثرها.. وآثار العبادة الإسلامية غير محصورة في الروحانيات فقط، وإنما تمتد لتلامس كل ميدان يحتاجه الإنسان في حياته الدنيا وفي التهيء للحياة الآخرة، ولذلك لم تكن العبادات في الإسلام مجال ابتلاء واختبار ولو على حساب النفس والمال والعقل والعرض، كما يحصل في أديان وفلسفات قديمة ومعاصرة، وقاعدة (الدين يسر) تؤكد هذا المفهوم، حيث لم يبتلينا الله سبحانه ولا رسوله ﷺ بما تعيى العقول عن فهمه أو الأجساد عن القيام به: ﴿لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها﴾..

ولقد انعكست العبادات في الإسلام على ميدان العلم، فكانت حافزا للبحث والمقارنة والتقرير والابتكار، أولم يوضع علم اللغة وفقهها – بما في ذلك الألسنية والمقارنة – خدمة للقراءات القرآنية؟ ألم يكن التنقيط والتحريك ووضع رموز الأصوات خدمة لفن التجويد وإتقان مخارج الحروف؟ ألم يكن اهتمام علماء المسلمين الأوائل بالفلك والهيئة خدمة لتحديد مواقيت الصلاة واتجاه القبلة؟ ويصدق الأمر على فن الجغرافيا ومعرفة الأقاليم.. ومثل هذا يطول شرحه ويكثر ذكره، حتى يمكننا القطع أن أصل الاهتمام بالعلوم الإنسانية والمخبرية انطلق من خدمة هذه الدعوة الكريمة وهذا الدين العظيم حتى بلغت الأمة المسلمة من الشأن ما دفع الأمم المعاصرة للعباسيين ومن بعدهم للسعي والإقبال على التتلمذ والتلقي كما يشهد التاريخ والمنصفون من علماء الغرب المعاصرين..

وأثر العبادة يمتد – بالإضافة إلى ما ذكرنا – إلى تنظيم الحياة الاجتماعية وترابطها، فصلاتي الجماعة والعيد، من أهم المواسم التي تجمع القلوب والأجساد، وتقلل الفجوة والجفوة، وتعيد اللحمة بعدما تكاد الحياة الدنيا ومتطلباتها أن تفصل بين الناس وتفرّق جمعهم، فكم من فقير التفت الناس إلى حاجته مما رأوه من رقة وضعه وهو بينهم في الصف، وكم من مريض افتقده أهل المسجد وقد اعتادوا رؤيته يوميا، وكم من متخاصمين استرشدوا بما يتلى عليهما من كتاب الله فقام كلٌ إلى صاحبه يسأله العفو وفتح صفحة جديدة..

والحج – ونحن على أبوابه – كم قرّب من بعيد العادات، وكم قارب الشقة بين تقاليد وعادات الشعوب المتعددة، وكم أدى إلى معرفة أحوال الأمم، لاشك أن لرحلة الحج من الفوائد المادية والروحية والاقتصادية والمعرفية ما ينوء بذكره وشرحه المجلدات الضخمة، وقد كتب في ذلك جمهرة من أهل العلم والفضل في مختلف ميادين المعرفة..

وهو إضافة إلى كل المنافع التي أسهب علماء الإسلام في شرحها ما زال يؤدي دورا كبيرا في بناء المجتمع المسلم كلما توافرت المناسبة لتحقيق ذلك، ولا تخفى أهمية الاستقرار الأمني والاجتماعي وقيام المؤسسات الحية الفاعلة لتحقيق خطوة متقدّمة في ميادين الحياة، ومن التجارب التنموية الناجحة التي تدل على حيوية الإسلام وتفاعله مع متطلبات المجتمع المسلم بعيدا عن الضوضاء والأضواء ما توصلت إليه (مؤسسة التوفير وشؤون الحج الماليزية) التي باتت علَماً يُضرب به المثل وتستحق الدراسة والاحتذاء..

فقد باتت تعتبر مؤسسة التوفير وشؤون الحج الماليزية واحدة من أهم تجارب الاستثمار والتنمية في العالم الثالث خصوصا في علاقتها بصغار المدخرين..

وقد نشأت هذه المؤسسة عام ١٩٦٢م بمبادرة من اقتصادي ماليزي هو البروفسور (اونكر عبد العزيز) الذي انطلق من فكرة مبتكرة وهي إنشاء مؤسسة تساعد الماليزيين على الادخار وتوفير المال اللازم للقيام بفريضة الحج، وفي الوقت نفسه استثمار هذه الأموال لحساب المدّخرين والمساهمين في مشاريع منتجة ومفيدة للاقتصاد الماليزي..

وقد نمت المؤسسة خلال السنوات الـ٣٢ التي عملت خلالها لتصبح الآن إحدى أكبر المؤسسات المالية في ماليزيا، كما اكتسبت المؤسسة خلال تلك الفترة خبرة متزايدة في استثمار أموالها في مجالات منتجة خصوصا في القطاع الزراعي وتنمية الريف،

ولعبت دورا مهما في حماية الاقتصاد الماليزي لاسيما في ميدان استقرار المواطنين في الريف لأنها ساعدت هؤلاء على توفير مؤونة السفر لأداء الشعائر المقدسة تدريجيا، بينما كان الحجاج يضطرون إلى بيع أراضيهم أو مزارعهم لتوفير المال اللازم للحج..

وتعدت نسبة الأرباح التي ستوزع عن عام ٩٤ على المودعين، ٩٪، ويتوقع أن ترتفع هذه الأرباح في السنوات المقبلة مع اكتمال نمو أشجار المزارع التي تمتلكها..

ويقوم المواطن الماليزي بالادخار في المؤسسة منذ وقت مبكر، وقبل سنوات من اعتزامه القيام بفريضة الحج، حتى إذا وصل حجم توفير الفرد إلى المبلغ الكافي للحج – وهو ٥,٧ ألف دولار ماليزي (حوالي ١,٠٢ ألف دولار أمريكي) – يعطى المودع فرصة الذهاب للحج إذا رغب، مع القيام بترتيب كل ما يلزمه من جواز سفر إلى تأشيرة زيارة السعودية، واستراحات المطار، ورعاية صحية واجتماعية، وحماية في كل أماكن وجوده من مطار ماليزيا إلى الديار المقدسة وحتى العودة..

فمن استثمار بدأ عام ١٩٦٢م بشراء عقارين ومحلات تجارية تدرج النمو في مؤسسة التوفير وشؤون الحج ليصل اليوم إلى استثمارات في أسهم بلغ مجموع أسعار تكلفتها ٩١٨ مليون دولار ماليزي (حوالي ٣٦٧,٢ مليون دولار أمريكي)..

وبلغ مجموع الاستثمارات في مجالات أخرى عقارية وبنوك إسلامية، وأوراق مالية إسلامية ٧٨٣,٥ مليون دولار ماليزي (حوالي ٣١٣,٧ مليون دولار أمريكي)، اما الاستثمار في المجال الزراعي والذي يتم من خلال شركة تابعة للمؤسسة (T.H.P.C) فيصعب تقدير قيمته حيث تمتلك المؤسسة حاليا مساحات أراض زراعية تصل إلى ١٧,٥٢ مليون هكتار، ومزارع لأشجار نخيل الزيت في أماكن متفرقة من ماليزيا، ومعصرتين ومصنعين لانتاج زيت النخيل، الى جانب نشاطات زراعية أخرى..

ومع نجاح فكرة هذا المشروع التوفيري تسعى كل من بنغلاديش ودول شرق افريقيا واندونيسيا لتطبيق تجارب مماثلة في بلادها، ويتمتع المودع او الموفر من هذه المؤسسة بعدة امتيازات منها امكانية السحب من امواله الموفرة مرة كل ستة أشهر، والحصول على الربح العائد على استثمارات المؤسسة للأموال المودعة (بعد توزيع زكاة التجارة) بشكل سنوي، وتسهيل عملية التوفير وذلك من خلال الخصم من راتبه حسب رغبته دون التقيد بنسبة معينة.

إن عبادة الحج التي قال الله فيها ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ تحقق هذه المنفعة على أكثر من صعيد، وفي التجربة الماليزية المذكورة ما يبين للمنصفين كيف تساهم العبادة الحية الموصولة بالأهداف الإسلامية العليا في بناء الحياة نفسها، وكيف ترد بشكل عملي وفاعل على مجمل المشاريع غير المرغوب فيها، والتي تشكل خطرا على مفاهيم التنمية والاستقرار الاجتماعي..

لقد تحوّلت الفكرة البسيطة إلى مؤسسة كبيرة وساهم في نجاحها عدد من العوامل الموضوعية على رأسها القناعة بالمشروع وجدواه.. فالقناعة بأي مشروع والثقة بالقائمين عليه وبجدواه الاقتصادية على رأس الأسس المطلوبة لتخرج الفكرة من الورق إلى الواقع، ولتتدرج صعدا حتى تصل درجة النضوج والإثمار..

ولابد أن نسجل هنا أهمية التواصل والتلاحم مابين المؤسسة الرسمية متمثلة بالدولة وأجهزتها والمؤسسة الشعبية متمثلة بالوقف -في هذه الحالة المحددة- الذي يساهم فيه عدة آلاف من صغار الكسبة والمساهمين، ولا ننسى أن الطلاق النكد الذي وقع بين المؤسستين في بعض أجزاء العالم الإسلامي لم يعد بالخير على أي منهما، بل أدى إلى سلسلة من الكوارث والمآسي مما نري آثاره المرّة كل يوم، ومما أفسح المجال أمام المحذور والمرفوض من مخططات الخصوم..

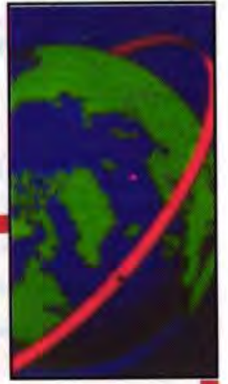
والاستقرار السياسي والأمني والاجتماعي ضرورة لازمة لتحقيق أية خطوة باتجاه المستقبل، وما كان للتجربة الماليزية أن تنجح لو وقع الخصام والصراع بين (الرسمي) و(الشعبي)، وإنني أذكر تجربة مشابهة في بلد عربي مسلم لم يكتب لها الاستمرار ولا النمو بسبب انعدام الثقة بين المؤسسة الحكومية و(المسجد)، حيث كان كل طرف ينظر إلى الآخر نظرة ريبة وشك، ولا يتعامل معه إلا على أساس (الخصومة) حتي وقعت الواقعة وتفجرت الأمور وانعكست سلبا على الجميع، فلا الدولة استفادت من مؤسسة يمكنها تخفيف العبء الاقتصادي، ذلك الغول الذي لا يعف عن أحد، ويبلع الأخضر واليابس، ولا (المسجد) استطاع أن ينصرف إلى دوره المطلوب في بناء المجتمع وإعادة الثقة بين أفراده والانطلاق من حيّز النظرية إلى أفق التطبيق الرحب الواسع..

لابد أن نسجل اعتزازنا بالتجربة الماليزية داعين إلى دراستها – وهي أهل لذلك – ودراسة ميادين أخرى تقدم فيها العبادة خدمات تنموية غير تقليدية، فبناء المساجد والمدارس والمياتم والمكتبات، وإقامة السبيل والإفطارات، والمساهمة في تكاليف الأفراح والأتراح والمناسبات الاجتماعية، كل ذلك حقل واسع من حقول مساهمة العبادة في التنمية، ولكنها تبقى في إطار الإنفاق ولا تلج باب الإنتاج، والتجربة الماليزية – بهذا المعني – تكون قد تجاوزت عملية الإنفاق لتحقق عملية إنتاج يحتاجها المسلم المعاصر في وقت تتطلع فيه المؤسسات المالية العالمية والإقليمية إلى مشاركته في لقمة عيشه بما تبتكره من أساليب التعامل مع أكبر قدر ممكن من المساهمات المالية مهما بدت صغيرة، فاجتماع نقاط الماء يؤدي إلى الفيضان..

إن الخير الكامن في هذه الأمة أكبر وأوسع من أن يدّعي حصره فرد أو جماعة أو مؤسسة، وإن العاقل هو الذي يتفكّر فيما قدّم وأخّر ويستفيد من (الحكمة) حيث كانت، بعيدا عن حساسيات (الأنا) و(القوم) و(المذهب) و(الإقليم) فالتجربة الإنسانية ملك الجميع، ونحن مؤاخذون بما نضيّع..

والخير الكامن في هذه الأزمة يستحق أن يخرج إلى الناس ،،كل الناس، لأن الإسلام نفسه للعالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين□





نافذة على العالم

أدويــة الكويتيــة للبوسنــة

صرح رئيس اللجنة الطبيـة المنبثقة من اللجنة الكويتيـة المشتركة للإغاثـة – ومقرها صندوق إعانـة المرضى – عن تحرك أكبر شحنة أدوية إلى البوسنـة والهرسك تزن ٣١ طنا، بها أكثر من ثلاثين صنفا من مختلف أنـواع الأدوية، وتأتي هذه الشحنة في توقيت مهم بـالنسبة للبـوسنة والهرسك، لحاجتهـم الماسة لكميـات كبيرة من الأدوية، نظـرا لصعوبـة توفيرهـا في ظل الأوضاع المتردية بسبب الحرب الطاحنـة هناك، مع تـدهور الأحوال الصحيـة، وزيادة الضغوط على جمهـورية البوسنـة والهرسك في ظل الأوضاع الراهنـة، والحرب التي لم تظهر لها نهايـة حتى الآن. وأضاف رئيس اللجنـة أن شحنة الأدويـة تم اختيـارها بعـد دراسـة وافية لـلأمـراض المنتشرة هنـاك، ومنها الأنيميـا، والجفاف، وحـالات الحروق والجروح بسبب الحرب، إضافـة إلى الأمراض التي تنتشر بسبب نقص المنـاعـة في الجسم مثل الالتهـاب الـرئوي – المعـروف بـالسل – ويكثـر انتشـاره في كبـار السن والحوامل والأطفـال، إضافـة إلى عشرات الآلاف من ضحـايـا الحرب.

مساعدة كويتية لضحايا زلازل اليابان

سلم سفير دولة الكويت لدى اليابان الدكتور سهيل خليل شحيبر مساهمة الكـويت لضحايا الزلـزال المدمر الذي ضرب غرب اليـابان في ١٧ يناير الماضي.

وقد أبلغ السفير الكويتي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجيـة الياباني يـوهي كونـو خلال تسليم المسـاهمة المالية أنـه تنفيـذا لتوجهيـات سمو الأمير الشيخ جابر الأحمد الصباح، قررت الحكـومة الكـويتية تقـديم ستة مـلايين دولار أميركي للصندوق المخصص لضحـايا الـزلزال الـذي ضرب غـرب اليـابـان، لمسـاعـدتهم على مواجهة آثار هذه الكارثة المأساوية.

وأبلغ كونو السفير الكويتي بأن اليابان تقدر هـذه اللفتة الإنسـانية من الكـويت، وبالتأكيـد سيسـاهم هـذا التبرع في مسـاعدة الضحـايـا للتغلب على المصاعب التي تـواجههم، خاصة أن عدد الذين قتلوا في الـزلزال بلغ ٥٤٢٦ شخصا، ومـا زال قـرابـة ٢٠٠ ألف شخص يقيمـون في ملاجىء مؤقتة.

وقال شحيبر إنـه أبلغ كونـو أننا في الكـويت أميرا وحكومة وشعبا، لن ننسـى موقف اليابان المشرف بمساندة الجهـود الدولية، التي أفضت إلى تحرير الكويت.

وغطت الأجهزة الإعـلامية اليابانيـة باهتمام كبير هـذا اللقـاء بين السفير الكـويتي ووزيـر الخارجية الياباني، خاصة في النشرات الإخبارية في محطات التلفاز العديدة.

ولي العهد يشيد بلجنة تطبيق الشريعة

أوضح سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح أن قوة أهل الكويت تكمن في تعاونهم وتآزرهم، وهذه نعمة منّ الله بها علينا، وأن الديوانيات عادات طيبة ورثناها عن الآباء والأجداد، وعلينا أن نحافظ عليها.

جاء ذلك خلال زيارة سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح - حفظه الله ورعاه - لمقر اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، خلال شهر رمضان المبارك الماضي، وقد رافق سموه الشيخ سلمان الحمود الصباح، والشيخ فهد سعد العبدالله الصباح.

وأضاف سموه أنها مسؤولية كبيرة ألقيت على عاتق الإخوة أعضاء اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية لإنجاز مهمتهم، ونحن واثقون من نجاح الإخوة في عملهم، ويجب أن يتحمل الجميع المسؤولية، ونحن نُكنّ كل احترام وتقدير لأعضاء اللجنة.



● الدكتور **خالد المذكور**

كما أثنى سموه على الديوانية الرمضانية التي تقيمها اللجنة كل رمضان، انسجاما مع عادات أهل الكويت في التزاور والتراحم.

من جانب آخر، أوضح الدكتور خالد المذكور رئيس اللجنة الاستشارية العليا، أن زيارة سمو ولي العهد والتقاءه بشرائح من الشعب لها أثرها العميق في نفوس أبناء المجتمع خاصة، وأن أهل الكويت يجمعهم النسب أو الرضاعة أو الجيرة، وأنه في ظل التلاقي والتواد يمكننا حل أي طارىء.

دعوة لدعم مشروع (دفع البلاء)

دعا بيت الزكاة المحسنين والمحسنات إلى المشاركة في مشروع دفع البلاء، الهادف إلى تقديم العون للمحتاجين، وتنفيذ العديد من المشاريع الخيرية داخل وخارج الكويت، وكان المشروع قد تأسس في أغسطس عام ١٩٩١م، لتعميق مبدأ الشكر لله على نعمه، ولترسيخ العمل الخيري في النفوس، الذي كان له أكبر الأثر في دفع الضرر عن أهل الكويت.

الناطقون بالأوردو يشيدون بدور وزارة الأوقاف

قام قسم الجاليات الإسلامية بإدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتنظيم محاضرات ومسابقات دينية بين الجالية الإسلامية الناطقة بالأوردو، وذلك خلال شهر رمضان الماضي، وقد أبدى المشاركون والمتسابقون عن بالغ شكرهم وتقديرهم لوزارة الأوقاف على عنايتها بالجاليات المسلمة المقيمة في الكويت، كما دعا المجتمعون لازدهار دولة الكويت ورقيها، وعودة الأسرى والمفقودين من سجون النظام العراقي.

إدارة الوقف وفرت ١٥٠ ألف وجبة في رمضان

خصصت الأمانة العامة للوقف بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ٣٩ ألف دينار من ريع الوقف، وفرت من خلالها ١٥٠ ألف وجبة إفطار للصائم في رمضان الماضي. وقد أشاد مدير إدارة شؤون الصناديق بالأمانة العامة للأوقاف صلاح الغزالي بالتعاون المثمر بين الأمانة العامة للأوقاف وبيت الزكاة، واللجنة التي أشرفت على مشروع ولائم الإفطار، وأكد ضرورة الاستمرار في هذه الخدمة التي تكشف الستار عن أصالة أهل الكويت، وحرصهم على فعل الخير منذ القدم، حينما أوقفوا أوقافا واشترطوا في ريعها إفطار الصائم المحتاج.

منظمات إنسانية تطالب بالإفراج عن الأسرى

طالبت ثلاث منظمات أجنبية تعني بحقوق الإنسان العراق بضرورة إطلاق سراح جميع الأسرى والمرتهنين الكويتيين وغيرهم، الذين ما زالوا محتجزين في سجونه منذ أكثر من أربع سنوات. جاء ذلك خلال بيان مشترك أصدرته كل من كونفدرالية الرحمة المسيحية الأوروبية، واللجنة المسيحية الإسلامية الدولية، ولجنة حقوق الإنسان الإيطالية (أبيلا).

رابطة لخريجي الأزهر

دعا الشيخ سيد عسكر - مدير عام الدعوة والإعلام بالأزهر - إلى إنشاء رابطة لخريجي الأزهر في العالم. وبدأت الإدارات والأجهزة المختصة بالأزهر في اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ الاقتراح، والاتصال بالمنظمات الإقليمية والدولية، لإنشاء الرابطة الأزهرية المقترحة.

إسلام (٧٨) شخصاً

أفادت التقارير الواردة حديثا إلى لجنة الدعاة بجمعية إحياء التراث الإسلامي، بأن عددا كبيرا من الوثنيين والنصارى قد دخلوا الإسلام على أيدي دعاتها في أكثر من دولة، وقد أصبح من هؤلاء المهتدين الجدد دعاة إلى الإسلام، بعد أن منّ الله عليهم بنعمة الهداية والإسلام، وبعدما ذاقوا حلاوة الإيمان، حيث دخل الإسلام ٤٧ شخصا في أوغندا وساحل العاج، و٢٠ شخصا في تايلاند كانوا يدينون بالبوذية والنصرانية، وكذلك حالات الإسلام في تنزانيا، حيث بلغ عدد المسلمين الجدد ١١ شخصا، كانوا يتخبطون ردحا من الزمن في ظلام الوثنية والعبودية.

نشاطات البنك الإسلامي

تم توقيع اتفاقية بين البنك الإسلامي للتنمية وتركيا، يقوم البنك بموجبها بتمويل استيراد حديد خردة بمبلغ ١٥ مليون دولار، لصالح شركة صناعية تركية. وبذلك يبلغ إجمالي التمويلات التي اعتمدها البنك الإسلامي للتنمية لصالح تركيا ما يزيد على المليار و٤٨٦ مليون دولار. ويأتي هذا التمويل في إطار خطة البنك لتعزيز القدرات الإنتاجية، وتوسيع القدرة التصديرية لمؤسسات القطاع الخاص في الدول الأعضاء، بهدف تشجيع التجارة فيما بينها.

كما تم توقيع اتفاقية أخرى بين البنك الإسلامي للتنمية وأوغندا، يقوم البنك بموجبها بتقديم قرض ميسر قيمته مليون وأربعمائة ألف دولار، لأحد المشروعات الاجتماعية في العاصمة الأوغندية (كمبالا). ويتم سداد القرض على مدى ثلاثين عاما، بعد عشر سنوات فترة سماح. وبذلك يبلغ إجمالي التمويلات التي اعتمدها البنك لصالح أوغندا ما يزيد على ٧٨ مليون دولار. ويهدف المشروع إلى تطوير مجتمع منيجوكسني في كمبالا من خلال ترميم وتجهيز خمس مدارس ابتدائية لاستيعاب الأعداد المتزايدة من التلاميذ في تلك المنطقة، وإنشاء أقسام لحضانة الأطفال، ورعاية الأمومة، وتدريب المرأة، بالإضافة إلى تمديد شبكات للصرف الصحي بطول عشرة كيلومترات، وتحسين شبكة توزيع المياه، وترميم الطرق الرئيسية بطول ١٥ كيلومترا.

الأصولية الإسلامية ليست هدفاً(!!)

شدد حلف شمال الأطلسي الذي يشعر بقلق من إساءة تفسير الهجوم الدبلوماسي للحلف على الدول الواقعة على امتداد جناحه الجنوبي، على أن الأصولية الإسلامية ليست هي الهدف. وقال مصدر في الحلف: (إن الأصولية الدينية ليست هي في حد ذاتها مصدر قلق حلف شمال الأطلسي، وإنما مجمل التهديدات المختلفة للاستقرار الإقليمي هي التي تثير القلق، حلف شمال الأطلسي ليس على خلاف مع الإسلام).

هيئات أهلية خيرية

قرر مجلس الوزراء السعودي إنشاء هيئات أهلية خيرية داخل المملكة.. من أجل إعمار المساجد وترميمها وصيانتها، وستشرف على هذه الهيئات الفرعية هيئة مركزية برئاسة وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف، وعضوية ممثلين عن وزارة الداخلية، والعدل، والبلدية، وإدارة الإفتاء، والمحسنين المهتمين ببناء المساجد.

فجوة غذائية عربية هائلة

قال مدير عام المنظمة العربية للتنمية الزراعية يحيى بكور في القاهرة، إن المنظمة أعدت دراسة حول كيفية التعامل مع التحديات الاقتصادية التي تواجه المنطقة العربية، بسبب المتغيرات المتسارعة التي تشهدها، خاصة في مجال الزراعة والموارد المائية.

واضاف بكور – في تصريح للصحفين عقب اجتماعه مع الأمين العام لجامعة الدول العربية الدكتور عصمت عبد المجيد – أن هذه الدراسة تبحث أيضا كيفية التعامل مع مشاريع التعاون الاقتصادي الإقليمي في المنطقة العربية. وأشار إلى أن الفجوة الغذائية العربية تبلغ حاليا حوالي ١١ مليار دولار، معربا عن أمله في تعزيز التنسيق والتعاون العربي في المجال الزراعي، حتى يمكن تقليل الفجوة، وتحقيق الاكتفاء الذاتي.

انتهاكات يونانية لحقوق المسلمين

حكمت محكمة الاستئناف في لاريسا اليونانية بالحبس عشرة أشهر على محمد أمين أغا مفتي اسكجة، الذي انتخبه أبناء الأقلية التركية المسلمة في ترافيا الغربية بحجة خرقه لسلطاته، وأودعته السجن في لاريسا. والجدير بالذكر، أنه بموجب معاهدة أثينا لعام ١٩١١م، يتولى المفتون مناصبهم بعد انتخابهم من قبل أبناء الأقلية. وان هذا الأمر أصبح معمولا به في القوانين اليونانية بقانون صدر عام ١٩١٠م، كما أن حقوق الأقلية هذه غدت مضمونة بموجب معاهدة لوزان.

غير أن اليونان بقرار له مفعول القانون، صدر عن الحكومة اليونانية يوم ٢٥/١٢/١٩٩٠م، ألغت هذا التشريع، وعمدت إلى تعيين المفتين من قبل السلطات اليونانية.. إذ تحاول السلطات اليونانية بهذا القرار الحيلولة دون قيام مفتي أسكجة وكومولجينة بأداء مهامهما، برغم أنهما يتوليان هذا المنصب عن طريق الانتخاب. وعلق متحدث باسم وزارة الخارجية التركية بقوله: (نتلقى بأسف هذا الأمر الذي يعد مثالا جديدا للممارسات اليونانية الرامية إلى إضعاف الوضع القانوني المعترف به للأقلية التركية في ترافيا الغربية، وفقا للمعاهدات الدولية).

الإغاثة الإسلامية أول منظمة دولية تدخل مدينة (غروزني)



الإغاثة الإسلامية أكبر منظمة إغاثية إسلامية في أوروبا، والتي مقرها الرئيسي في بريطانيا، كانت أول منظمة دولية تدخل مدينة غروزني محملة بمواد إغاثية عاجلة مثل: (أرز، زيت، طحين، سكر، شاي، شمع، كبريت)، والقافلة الأولى من نوعها التي تدخل مدينة غروزني.

ومن الجدير بالذكر، أن الإغاثة الإسلامية بدأت بتوزيع الطعام من أول يوم في شهر رمضان المبارك الماضي، وذلك عبر مستودعاتها في ضواحي المدينة المنكوبة، وتحت إشراف ممثلها في الشيشان.

وقد أجرى مراسل محطة الشرق الأوسط (MBC) – وهي البعثة العربية الإعلامية الوحيدة الموجودة في الشيشان – مقابلة مع الأستاذ مصطفى عثمان رئيس الوفد الخاص للإغاثة الإسلامية إلى الشيشان من داخل غروزني، وقال: (إنه فوجيء بوجود منظمة الإغاثة الإسلامية، حيث إنه لم يـر غيرها في المدينة).

هذا وقد حذر الأستاذ مصطفى عثمان من وقوع كارثة إنسانية في الشيشان، إذا لم يتحرك العالم بسرعة لنجدة النازحين، وسكان مدينة (غروزني)، حيث يبلغ عدد النازحين أكثر من أربعمائة ألف يواجهون ظروفا صعبة جداً.

وذكر السيد عثمان أن النقص الحاد في الأدوية والأغذية، وعدم توافر الماء النقي للشرب بسبب انقطاع التيار الكهربائي، وتناول السكان لمياه القنوات والأنهار الملوثة، سيؤدي حتما إلى انتشار الأوبئة. هذا بالإضافة إلى وجود النازحين في ظروف سكنية سيئة، حيث يسكن ما يقارب من ٢٠ إلى ٣٠ شخصا في منزل واحد، لا يمكن أن يستوعب أكثر من خمسة أو ستة أفراد فقط، وهذا أيضا سيساعد على انتشار الأمراض المعدية.

وعندما سئل عن الاحتياجات قال: (هناك حاجة شديدة وماسة إلى الأدوية، والضمادات، والأغذية، والبطانيات، هذا إلى جانب الحاجة الملحة لسيارات الإسعاف التي تكاد تكون معدومة، ونحن حاليا نقوم بتوزيع الطعام يوميا وبصدد إرسال سيارات إسعاف، كما أننا نحضر لإرسال قوافل أخرى من المواد الغذائية قبل أن يزداد الأمر سوءا).

من آثار اتفاقية الجات الدولية

أشار الدكتور يحيى بكور المدير العام للمنظمة العربية للتنمية الزراعية التابعة لجامعة الدول العربية في ورقته (الزراعة العربية.. الواقع والتحديات)، التي قدمها إلى ندوة التكنولوجيا والتنمية في أكسفورد، إلى أن جميع الدول العربية – بلا استثناء – ستتكبد خسائر في صورة نقص حصيلتها من النقد الأجنبي، لارتفاع وارداتها الصافية بعد تحرير التجارة العالمية في السلع الغذائية، وتبلغ الخسارة الكلية المتوقعة لمجموعة الدول العربية من جراء تحرير التجارة العالمية في السلع الغذائية نحو ٦٥٩ مليون دولار في السنة.

تعصب هندوسي أعمى

في محاولة هندوسية ماكرة من أجل هدم مسجد إسلامي في مدينة (فاراناسي) بوسط الهند، قام عدد من الهندوس المتعصبين في أواخر شهر فبراير الماضي، بحركات اعتصام قرب مسجد (فاراناسي) الذي يعود تاريخ بنائه إلى القرن الثامن عشر، زاعمين أن المسجد بناه الإمبراطور (المولى أورانجزيب) بعد هدم معبد هندوسي قديم.

والجدير بالذكر أن هذا الزعم الباطل، هو نفسه الذي استخدمه الهندوس المتعصبون عندما دمروا المسجد البابري يوم ١٩٩٢/١٢/٦م.



فتاوى

منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية : ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

حج المعسر

●ورد للجنة السؤال التالي:

هل يجب على الابن (المعسر) الحج إذا منحه والده مالا أو إذا تكفل الوالد بمصاريفه؟ هل في ذلك منّة أم لا؟

●●وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

إذا قبل الولد ما بذله له أبوه من المال وصار به مستطيعا وجب عليه الحج. ويستوي في ذلك أن يكون الباذل الوالد أو غيره في حال القبول، أما لو لم يقبل لا يجب عليه قبول المنحة لما في ذلك عليه من المنة، وعليه فلا يجب عليه الحج، أما إذا كان الباذل الولد لأبيه، فإنه يجب على الوالد قبول هذه المنحة في مذهب الشافعي، وسوّى غير الشافعية الولد بغيره، وهو ما تختاره اللجنة، وعلى هذا فلا يلزم أحدا قبول المنحة للحج أو غيره.

الحج عن الغير

●ورد للجنة السؤال التالي:

هل يصح أن تحج امرأة عن شخص متوفى ومن تركته مع العلم بأن المرأة قد حجت عن نفسها وستكون برفقة محرم لها؟

وهل يصح لها أن تحج من أموال أحد أقاربه كأخيه؟

●●وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

يصح للمرأة أن تحج عن رجل متوفى ما دامت قد حجت عن نفسها حجة الإسلام، سواء كانت نفقة الحج من مال المتوفى أو من غيره.

المفاضلة بين الحج والعمل الخيري

●ورد للجنة السؤال التالي:

أي العملين أفضل في الإسلام .. حج التطوع لمن سبق له الحج؟ أم مساعدة المسلمين المنكوبين، وبخاصة مسلمي البوسنة والهرسك بالمال الذي رصده الحاج لحجته؟

●●وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

إن الأفضل لمن أدى فريضة الحج ويريد أن يحج فعلا أن ينفق نفقة حجه في مساعدة فقراء المسلمين والمنكوبين كمسلمي البوسنة والهرسك والبلاد الإسلامية التي تتعرض للمجاعة. لحديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «ثم جهاد في سبيل الله». قيل ثم ماذا؟ قال: «ثم حج مبرور». ويعتبر دفع المال للمسلمين المنكوبين نوعا من انواع الجهاد بالمال.

وقد ثبت عن ابن المبارك، أنه خرج إلى الحج فاجتاز بعض البلاد، فمات طائر معهم، فأمر بإلقائه على المزبلة، وسار أصحابه أمامه، وتخلف هو وراءهم، فلما مر بالمزبلة إذا بجارية قد خرجت من دار قريبة، وأخذت ذلك الطائر الميت، ثم أسرعت به إلى الدار، فجاء ابن المبارك وسألها عن أمرها، وأخذ الطائر الميت، فاستحيت أولا، ثم قالت: أنا وأمي هنا وليس لنا شيء إلا هذا الازار، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة، وكان لنا والد ذو مال عظيم فأخذ ماله وقتل لسبب من الأسباب، ولم يبق عندنا شيءنتبلغ به أو نقتات. سمع بذلك ابن المبارك فدمعت عيناه وأمر برد الأحمال والمؤونة للحج، وقال لوكيله: كم معك من النفقة؟ قال: ألف دينار. فقال له ابق لنا عشرين دينارا تكفينا لإيابنا وأعط الباقي إلى هذه المرأة المصابة، فو الله لقد أفجعتني بمصيبتها، وان هذا أفضل عند الله من حجنا هذا العام، ثم قفل راجعا ولم يحج ، وأعتقد أن هذه الصدقة فوق الحج المبرور والسعي المشكور.

استخدام الدبوس في شبك الإحرام

●ورد للجنة السؤال التالي:

هل يجوز استعمال الدبوس المشبك والمكبس غير المخيط في ملابس إحرام الرجال ـ على أن يمر بين الدبوس والمكبس أستك غير مخيط؟

واطلعت الهيئة على نموذج من ملابس الإحرام يتكون من ثلاث قطع. الأزار، ويشتمل على حجزة مركبة بواسطة الكبس، يمر من داخله خيط عريض (شريط) غير مخيط، مثبت في الحجزة بكبسات معدنية ثابتة، وفيها جيبان للنقود مثبتان بكبسات معدنية أيضا. والرداء كذلك فيه كبسول معدني مشبك يمكن فتحه وقفله. ومعهما ما يشبه السروال يربط على البطن، ويستر العورة من غير خياطة، وفيه كبسات.

●●وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

لا يجوز لبس المحرم لأي من النماذج الثلاثة التي فيها كباسات لأن ذلك من قبيل الخياطة والإحاطة المنوعين في لبس المحرم.

الحج على الفور

●ورد للجنة السؤال التالي:
هل الحج يكون على الفور أو التراخي؟

●●وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:
ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الحج واجب على الفور على من تحققت فيه شروط وجوب الحج وهي: الإسلام، العقل، البلوغ، الحرية، والاستطاعة، فلا يجوز له تأخير أداء فريضة الحج.

حج المدين

●ورد للجنة السؤال التالي:
هل الذي عليه دين لأحد البنوك .. سواء كان أقساط سيارة .. أو دينا عاما يجب عليه الحج؟

●●وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:
أن الدين المستغرق لكل مال المسلم أو لأكثره إذا كان الباقي بعد الدين لا يحقق الاستطاعة للحج يرفع وجوب الحج عنه، وعلى ذلك فإن هذا المسلم المدين على الوجه المتقدم لا يجب عليه الحج إذ لم تتوافر فيه شروط الاستطاعة والله تعالى يقول: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾.

تقديم الحج بين الوالد والولد

●ورد للجنة السؤال التالي:
أعمل طبيبا بمستشفى، ولم أؤد فريضة الحج، وسني ستة وثلاثون عاما، ووالدتي مسنة، وترغب في أداء فريضة الحج، ولن يتوافر معي مبلغ يكفي لأداء فريضة الحج هذا العام، أنا ووالدتي، وإنما يكفي لأداء فريضة الحج لشخص واحد فقط، فهل يجوز أن أعطي هذا المبلغ لوالدتي لأداء فريضة الحج في هذا العام باعتبارها متقدمة في السن، وتأجيل أدائي للحج لفرصة أخرى؟

●●وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:
إذا تبرع لأمه بما معه من المال قبل حلول شهر الحج، جاز وأُجِرَ لبره بها، وإن دخلت أشهر الحج قبل أن يتبرع لها بهذا المال، أصبح الحج واجبا عليه، ومنع من التبرع به، لأن الحج عليه أصبح واجبا، وتبرعه به لأمه مندوب ولا يقدم المندوب على الواجب.

سفر المرأة بدون محرم

●ورد للجنة السؤال التالي:
تعتزم اللجنة تنظيم رحلة عمرة لطلبة وطالبات البعوث (المنح الدراسية) فهل يجوز سفر الطالبات مع هذا الوفد بدون محرم، علما بأن الوفد عدده كبير، وسفر الطالبات بالطائرة، والرحلة مرتبة اقامتها وطريق سيرها وعودتها..

وتعتزم اللجنة تنظيم رحلة حج للمهتدين، فهل يجوز للمهتديات تأدية شعيرة الحج بدون محرم، علما بأن جميع الاستعدادات متخذة مسبقا؟

●●وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:
لا يحل للمرأة السفر بدون رفقة زوج أو محرم لقوله ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم»، ولقوله ﷺ: «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم» [رواه البخاري]..

وهذا حرص من الشريعة على صيانة المرأة ودرء الفتنة عنها، ولضمان عدم تعرضها لما يخدش عرضها، أو يمتهن كرامتها..

واشتراط المحرم يشمل جميع أنواع السفر، كالسفر للسياحة والترفيه والسفر للتعليم والسفر للحج والعمرة. ويكتفى عند فقد الزوج أو المحرم في السفر لحج الفرض، والعمرة المفروضة، بالرفقة المأمونة من النساء. ويُلحق بحج الفرض وعمرته كل سفر وجب على المرأة..

ويُستثنى من اشتراط المحرم ومن الاكتفاء بالرفقة المأمونة حالات الحاجة والضرورة، كالمرأة الأسيرة والمهاجرة، أو المريضة التي لا تجد علاجا في محل إقامتها، أو المرأة التي توفي عنها زوجها أو محرمها في السفر، فيجوز في هذه الحالات السفر بدون محرم، ودون الحاجة إلى رفقة مأمونة، ولا يشترط أن يرافق الزوج أو المحرم المرأة في إقامتها في غير بلدها، إذا كانت تأمن على نفسها ودينها، وإلا وجب عليه مصاحبتها طيلة اقامتها فيه. والله تعالى أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم■

نفقة الزوج على زوجته

●ورد للجنة السؤال التالي:
١) الزوجة ملتحقة بالجامعة خارج البلاد فهل يجوز للزوج أن يصرف عليها من أموال الزكاة؟
٢) بالنسبة لحج الزوجة يجوز حجها من مال زوجها وما الحكم إذا كان هذا المال من الزكاة؟

●●وأجابت اللجنة عن الشق الأول من السؤال بما يلي:
لا يجوز الصرف على الزوجة من زكاة الزوج بقصد التعليم أو غيره، ويجوز الصرف عليها من زكاة غير الزوج بقصد التعليم إذا كانت فقيرة.

أما بالنسبة للشق الثاني من السؤال، فلا يلزم الزوج نفقة الحج لزوجته موسرة كانت أم معسرة، لأن ذلك ليس من نفقة الزوجية، وإن كانت الزوجة معسرة لم يجب عليها الحج لقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾. ولكن من حسن العشرة أن يسهل الزوج لزوجته أداء هذه الفريضة بماله إن كان موسرا، وبمرافقته لها، على أنه إذا حجت المرأة من مالها أو مال زوجها أو غيره سقطت عنها حجة الإسلام، لأن الحج لا يجب إلا مرة واحدة في العمر، وقد حصلت، ولم يرد اشتراط كون حجة الإسلام من مال الشخص نفسه، والاستطاعة المشروطة في الحج شرط للوجوب وليست شرطا للصحة، فإذا حج غير المستطيع صح منه الحج، وسقطت عنه الفريضة.

«العقل السليم» للدولة الإسلامية لابد أن يكون عربيا في أية «قومية من قومياته»

هل الانتماء قومي أم ديني؟!

بقلم: الدكتور محمد عمارة

الإنسان يعيش بطبيعة الحال وسط عدة دوائر تبدأ بالأسرة، فالعشيرة، فالقرية، فالمدينة، فالوطن، فالأمة، فالإسلام، فالإنسانية. دوائر مترابطة. لا تنافر بينها، ولكن الوقوف عند مرحلة من هذه الانتماءات دون الأخذ بالانتماء الأوسع دائرة يولد الانفصام النكد، ويخلق المشكلات، ومن الإيجاز إلى التفصيل.

الولاء والانتماء

الإسلام دين الفطرة السليمة. ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ [الروم:٣٠].

وعندما يعود الإنسان إلى فطرته السليمة، التي فطره الله عليها، يجد أن لديه ولاء وانتماء إلى الأهل، بمعنى الأسرة والعشيرة، ثم إلى «الشعب» في الوطن والإقليم الذي ينتسب إليه، ثم إلى الأمة - الجماعة - التي يتكلم - بلسانها - وهي الأمة بالمعنى القومي - ثم إلى الأمة - الجماعة التي يشترك معها في الاعتقاد والدين، ثم إلى الإنسانية، التي خلقه الله وإياها من نفس واحدة. دون أن يكون هناك تنقاض أو تعارض بين هذه «الدوائر» في الولاء والانتماء. فهي أشبه ما تكون بدرجات سلم واحد، يفضي بعضها إلى بعض، ويدعم أحدها الآخر. وخاصة إذا خلت مضامينها من الأفكار الشاذة التي تقحم عليها التناقضات.

وكذلك الحال إذا عاد الإنسان إلى فطرته السليمة، فإنه سيجد له حنينا خاصا إلى المكان الذي ولد فيه. وولاء للوطن الذي يحمل جنسيته والذي ضمن له الرعاية والخدمات. وولاء وانتماء للوطن الأكبر، الذي كون ذكريات انتصاراته وطموحاته وآماله وآلامه، فيه إنه مخزون التاريخ والتراث الذي شكل ويشكل تميز هوية هذا الإنسان. دونما تناقض أو تعارض بين هذه الدوائر المتسعة والمتتالية والمترابطة لوطن هذا الإنسان.

لا تناقض بين الانتماءات

إذاً، فافتعال التناقض بين الانتماء العربي وبين الانتماء الإسلامي لدى بعض من الإسلاميين، وبعضاً من القوميين، هو ثمرة لغيبة منهاج الفطرة السليمة في النظرة لقضية الانتماء ودوائره. أو هو ثمرة لسوء الفهم الذي أحدثته مضامين غريبة وشاذة وخاطئة وضعت في أوعية مصطلحاتنا، فأدت

القومية العربية ليست عرقا بل هي «اللسان»

إلى خلافات مفتعلة بين فرقاء لوحددوا مرادهم بالمصطلح الذي يرددون لزال الخلاف والاختلاف.

فمصطلح «القوم» - الذي اشتقت منه «القومية» - مصطلح عربي، بل وقرآني. وفي القرآن الكريم حديث عن العرب، قوم الرسول ﷺ ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤]. فقوم الإنسان هم الدائمو الإقامة معه، والذين تربطهم معه الروابط التي اصطلح على تسميتها «سمات القومية»، وأولها رابطة اللسان - اللغة.

ولقد حدد حديث رسول الله ﷺ دور اللغة العربية في تحديد دائرة القوم «العرب» عندما استنكر أن تكون العصبية العرقية والنسبية هي التي تحدد من هو العربي. فقال: «ليست العربية بأحدكم من أب أو أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي».

فإذا اتفق الفرقاء الذين يفتعلون الخلاف حول تبني أو رفض «القومية العربية» وحول علاقتها بدائرة «الجامعة الإسلامية». إذا اتفقوا على استبعاد المفهوم العرقي العنصري للقومية - وهو مفهوم غربي وافد إلينا من الفكر القومي الغربي - وإذا اعتمدوا معيار «العربية» - «اللغة والثقافة» - لتحديد دائرة العروبة وأبنائها. زال الخلاف المفتعل بين دائرة الانتماء القومي - والقومية العربية - وبين دائرة الانتماء الإسلامي - والجامعة الإسلامية -. بل إنهم سيكتشفون قاعدة للعلاقة بينهما ورباطا للاتفاق، ذلك أن اللسان العربي، الذي يحدد من هو العربي هو في ذات الوقت لسان الإسلام وقرآنه الكريم. وبدون عروبة اللسان لايمكن للمسلم أن يبلغ درجة الاجتهاد في الدين واستنباط الأحكام من القرآن، فكأنما «العقل المسلم» للدولة الإسلامية لابد وأن يكون «عربيا» في أية قومية من قوميات الإسلام.

بين العروبة والإسلام

فتحديد مضمون مصطلح «العروبة»، ومعيار «العربي» هو الذي سيفك الاشتباك

المفتعل بين القوميين والإسلاميين، وبين الرابطة القومية العربية والرابطة الدينية الإسلامية. وعند ذلك يعود الجميع إلى دوائر الانتماء، التي صنعتها الفطرة السليمة.

الوطن الإقليمي، فالوطن القومي، فالمحيط الإسلامي، الذي يضم قوميات إسلامية، كالجزر التي يحتضنها المحيط، دون تنافر أو تناقض أو عداء.

وهذا التحديد، الذي ينفي المفهوم العرقي للقومية، سينفي أيضا المفهوم الضيق للوطنية، بالمعنى القطري والإقليمي، ليس بمعنى إسقاط الوطن - الإقليم - «القطر» وإنما بمعنى عدم الوقوف عند دائرته كنهاية للأفق والمطاف. فالوقوف عند الدائرة «الوطنية - القطرية - الإقليمية» هو مفهوم عنصري ضيق الأفق لمصطلح «الوطنية». وكذلك الحال مع الوقوف عند «الدائرة القومية - العربية»، مع إسقاط الدائرة الإسلامية، هو الآخر مفهوم عنصري ضيق الأفق لمصطلح «القومية العربية».

وإذا نحن اكتشفنا واعتمدنا علاقة الأخص بالخاص والعام بالأعم لدوائر «الوطنية» و«القومية» و«الجامعة الإسلامية» و«الإنسانية»، انتفت هذه التناقضات المفتعلة، بإحلال منهاج الفطرة الإنسانية السليمة محل المفاهيم العنصرية الطارئة على حياتنا الفكرية العربية الإسلامية.

قادة الإصلاح

والأمر الذي يزيد من شذوذ هذا الخلاف المفتعل بين دوائر الانتماء هذه. أن كثيرين من أعلام النهضة الإسلامية الحديثة قد كتبوا في هذا الموضوع مؤكدين على تكامل هذه الدوائر للانتماء، نافين أي تناقض بينها.

فإمام الإصلاح القومي والإسلامي في المغرب العربي، الشيخ عبدالحميد بن باديس [١٣٠٥-١٣٥٩هـ ١٨٨٧-١٩٤٠م] له في هذه القضية كتابات كثيرة. منها مقال كتبه في ذكرى ميلاد الرسول ﷺ جعل عنوانه: «محمد ﷺ رجل القومية العربية». وفيه يقول: «هذا رسول الإنسانية ورجل القومية العربية.. والأمة العربية، الذي نهتدي بهديه، ونخدم القومية العربية خدمته، ونوجهها توجيهه، ونحيا لها ونموت عليه، وإن جهل الجاهلون. وخدع المخدوعون. اضطرب المضطربون.» وهو نص واضح لا يحتاج أي تعليق.

للإنسان المسلم عدة دوائر من العلاقات والانتماءات أشبه ما تكون بدرجات السّلم. كل درجة تؤدي إلى الأخرى



وأبرز أئمة الإصلاح الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري، الشيخ حسن البنا [١٣٢٤-١٣٦٨هـ ١٩٠٦-١٩٤٩] هو القائل عن علاقة التكامل والتساند بين دوائر الانتماء «الوطنية» و«العربية» و«الإسلامية»:

«إن الإخوان المسلمين يحبون وطنهم، ويحرصون على وحدته، ولا يجدون غضاضة على أي إنسان أن يخلص لبلده، وأن يفنى في سبيل قومه، وأن يتمنى لوطنه كل مجد وكل عز وفخار. وأن يقدم في ذلك الأقرب فالأقرب رحما وجوارا.

ثم إن هذا الإسلام الحنيف نشأ عربيا، ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه الكريم بلسان عربي مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين، وقد جاء في الأثر: إذا ذل العرب ذل الإسلام. وقد تحقق هذا المعنى حين دال سلطان العرب السياسي، وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم، فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه. والعروبة هي كما عرفها النبي ﷺ فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل، رضي الله عنه: «ألا إن العربية اللسان، ألا إن العربية اللسان»؟؟



الفكر الغربي بمصطلحاته الوافدة هو الذي أفسد مفاهيمنا وقيمنا وافتعل المشكلات في واقعنا

ومن هنا كانت وحدة العرب أمر لابد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها.

ثم إن الإسلام، كما هو عقيدة وعبادة، هو وطن وجنسية. قضى على الفوارق النسبية بين الناس. فهو لايعترف بالحدود الجغرافية، ولا يعتبر الفوارق الجنسية الدموية، ويعتبر المسلمين جميعا أمة واحدة، ويعتبر الوطن الإسلامي وطنا واحدا مهما تباعدت أقطاره وتناءت حدوده.

فالقومية الخاصة هي الأساس الأول للنهوض المنشود. والوحدة العربية هي الحلقة الثانية في النهوض. والجامعة الإسلامية هي السياج الكامل للوطن الإسلامي العام. ثم إننا نريد الخير للعالم كله. فلا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار، فكل منها تشد أزر الأخرى وتحقق الغاية منها».

ذلك هو منهاج الفطرة الإنسانية السليمة في رؤية تعددية وتكامل دوائر الانتماء. وهو المنهاج الذي التزمه كل الذين نجت مناهجهم من المفاهيم الشاذة والغريبة التي أُقحمت على مصطلحاتنا في «الوطنية» و «القومية» كما نجت مناهجهم من التعصب لدائرة انتماء واحدة مع إدارة الظهر للدوائر الأخرى□

الهوامش:

(١) الروم: ٣٠.
(٢) الزخرف: ٤٤.
(٣) [تهذيب تاريخ ابن عساكر] جـ ٢ ص ١٩٨. طبعة دمشق.
(٤) [كتاب آثار ابن باديس] جـ٢ مجلد ٢ ص ١٧-٢١ طبعة الجزائر سنة ١٩٦٨م.
(٥) انظر في النصوص المشابهة ملحق كتابنا [الإسلام والعروبة] ص ١٥١١-٢٦١، طبعة القاهرة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
(٦) [رسالة المؤتمر الخامس] ص٤٩-٥٠، طبعة القاهرة، ١٩٧٧م.

البحر الأبيض المتوسط.. هذا المسطح المائي بوضعه العام، وامتداده وخصائصه الجغرافية.. لا يوجد مسطح آخر احتفظ بقيمته كمركز من أخطر مراكز الثقل الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية مثله. كان ظهير هذا البحر مركزا لحضارات عريقة نشأت على سواحله.. ابتداء من الفراعنة والفينيقيين، ثم الإغريق، فالرومان فالبيزنطيين، وبعد أن كان (بحيرة رومية)، جاء عصر السيادة الإسلامية.

الوجود الإسلامي البحري في جزر البحر الأبيض المتوسط

١/٢

وفي الوقت الحاضر، تطل على شواطئه أكثر من ثماني عشرة وحدة سياسية بشعوبها المتعددة، ودورها الفاعل في القارات الثلاث: أوروبا، آسيا، وأفريقيا، وهو يمثل أيضا بؤرة العلاقات الدولية وأحد مناطق الصراع الاستراتيجية الساخنة.

كانت جزر البحر المتوسط محطات لتأكيد التفاعل الحضاري بين الإنسان والبيئة، بل ما زالت نقاط ارتكاز حضاريةولو حاولنا تتبع هذه ا لجزر على سبيل الحصر فهي كثيرة، وتختلف حسب مساحتها، وموقعها الجغرافي، وأهميتها الاستراتيجية، وتبعيتها السياسية، وأهم هذه الجزر: قبرص - رودس - ارواد - صقلية - كورسيكا - سردينيا - كريت - مالطة - قوصرة - جزر البليار شرقي إسبانيا - وجزر أخرى أقل أهمية منها: قودية - جالطة - قرقنة - قملارية تجاه الساحل التونسي، بالإضافة إلى جزيرة جربة الشهيرة في خليج قابس، وفي الجزء الغربي توجد جزر البا - بانوس - استرنجلرا - والطرفانية - وكمونة وهي قرب مالطة. وهناك مجموعة كبيرة جدا من الجزر الصغيرة تشكل (أرخبيلات) أمام سواحل اليونان وإيطاليا مثل: ارخبيلي السيلاوس وليباري.

هذه الجزر المتوزعة في منتصفه تقريبا بين سيفيه الشمالي والجنوبي، تؤلف لمن يسيطر عليها ستارة أمامية، أو خطا دفاعيا أماميا يقيه هجمات الأعداء، وفي الوقت نفسه تعينه على توجيه الغارات على السواحل الجنوبية لإيطاليا وفرنسا(١).



● ميناء عكا في القرن السابع عشر



● ثغر صيدا، وتبدو القلعة البحرية

بقلم: بهيج بهجت سكيك*

تعامل المسلمين مع البحر المتوسط

متى كان هذا التعامل؟ كان ذلك حين وجه الخليفة أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- ثلاثة جيوش للجبهة الغربية بقيادة ثلاثة من المسلمين البواسل: عمرو بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، يرأسهم أبو عبيدة بن الجراح، وبعد معركة اليرموك (١٣هـ - ٦٣٤م).. وخلال عامين، كان الإسلام ينتشر على موانىء الشام - كعسقلان وقيسارية وعكا وصور وطرابلس(٢) - ليقوم بدور حاسم في صد غارات الأعداء عن ديار الإسلام. لذلك كان المسلمون كلما فتحوا مدينة من مدن الساحل، وفروا لها قوة حراسة ترابط فيها للتصدي لأي إنزال بحري بيزنطي، وإذا تعرضت أية منطقة ساحلية لأي هجوم مفاجىء، ترسل لها الإمدادات من المناطق المجاورة.

وأول من أدرك أهمية هذه الثغور معاوية بن أبي سفيان والي الشام (١٩هـ - ٤١هـ) (٦٣٩ - ٦٦١م). لذا يعتبر بحق واضع اللبنة الأولى في

*موجه تربوي (سابقا) بوزارة التربية

صرح البحرية الإسلامية في البحر المتوسط، وباني أول أسطول إسلامي عبر هذا البحر العظيم(٣).

على أن هذه الوسائل لم تُجد نفعا في كبح جماح الأساطيل البيزنطية المرابطة في جزيرتي ارواد وقبرص، إلى الغرب من الشام، وعلى مسافة وجيزة منه(٤). لذا لم يجد معاوية بدا من فتح هذه الجزر، والسيطرة عليها لتأمين هذه الشواطىء. على أنه يجب ألا يغيب عن بالنا دور البحرية الإسلامية في النصف الغربي من حوض البحر المتوسط، ودورها في فتح الجزر في هذا الجزء. حقيقة أخرى هي أن القوى البحرية الإسلامية في الشام ومصر والمغرب والأندلس، نهضت نهوضا واضح المعالم إبان القرنين الثالث والرابع للهجرة، بحيث يمكننا أن نطلق على هذا العصر (عصر السيادة الإسلامية) على جزر البحر المتوسط.

فتح جزيرة قبرص

كي يقنع معاوية الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بفتح جزيرة قبرص، أرسل له رسالة يقول فيها: (يا أمير المؤمنين، إن في الشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم، وهي تلقاء ساحل من سواحل حمص)، ولكن الخليفة لم يأذن له بالغزو البحري خوفا على المسلمين، لعدم درايتهم بركوب البحر.. وبقي على رفضه هذا إلى أن مات، فلما ولي عثمان بن عفان – رضي الله عنه – الخلافة، كرر معاوية طلبه للفتح، فأذن له عثمان بشروط هي: ألا يُكره أحدا على الركوب معه، وأن يصطحب زوجته معه. وذلك بعد أن رأى أساطيل بيزنطة لم تتوقف عن الإغارة على سواحل الشام، وبعد أن تيقن من بناء الأسطول الإسلامي وتجديد دور الصناعة في عكا والإسكندرية، إضافة لما غنموه من أساطيل بيزنطة في عسقلان وصور وغيرهما. ثم الخبرة التي استفادوها من أهل الشام ومصر في هذا المجال. استعد معاوية لهذا الفتح استعدادا كبيرا، وأعد لذلك ١٧٠٠ سفينة من مختلف الأنواع، وتعاون الأسطولان المصري والشامي في فتح الجزيرة، فمن مصر أبحر إليها عبد الله سعد بن أبي السرح، ومن ميناء عكا بالشام معاوية بن أبي سفيان، الذي اصطحب معه زوجته، وأخته بنت قرظة بن عبد مناف.

تجمع المصادر على أن تاريخ الحملة كان في الفترة ما بين (٢٧هـ – ٢٩هـ)، حيث تم فتح الجزيرة بسهولة، وصالح معاوية أهلها على شروط يتضح منها أن الهدف من الحملة كان دفاعيا، كما يقول الطبري(٥). من هذه الشروط: جزية يدفعها أهل قبرص قدرها سبعة آلاف دينار كل سنة، إلا أن أهالي قبرص نقضوا معاهدة الصلح، وقدموا للروم سفنا. فقام معاوية على رأس حملة بحرية سنة (٣٣هـ – ٦٥٤م)، وأقام حامية للمسلمين في ليبتيوس على الساحل الشمالي للجزيرة(٦).

واستمرت جولات الصراع في البحر المتوسط بين المسلمين والبيزنطيين، حتى ختمت هذه الجولات سنة (٤٧هـ)، في معركة فاصلة جرت على مقربة من قبرص، حيث هاجم أسطول كريت البيزنطي اسطولا عربيا ضخماً مكونا من ألف سفينة سريعة تمثل مدى ما بلغته القوة البحرية من ازدهار في مصر والشام، ومشاركة اسطول بيزنطة في المعركة، وانهزم الأسطول العربي، ولم تنج منه سوى ثلاث سفن(٧). وظلت قبرص تابعة لبيزنطة حتى نهاية القرن التاسع للميلاد، عندما استطاع أسطول الشام – بقيادة ليو الطرابلسي بالتعاون مع أسطول أقريطش – فتحها، وظلت قاعدة للأساطيل الإسلامية في شرق البحر المتوسط، حتى سقطت كريت حين استولى (نقفور فوكاس) على طرسوس، قاعدة أسطول الشام في نفس العام (٩٦٥م – ٣٥٤هـ). وظلت قبرص تتبع الدولة البيزنطية حتى قدوم الحملة الصليبية الثالثة، ففي سنة (١١٩٠م)، استولى عليها (ريتشارد قلب الأسد) أثناء قدومه لعكا، وباعها لأحد الأمراء الصليبيين، وتكونت فيها أمارة صليبية أسهمت بدور خطير في مساندة صليبي ساحل الشام، وحاول (الظاهر بيبرس البندقداري) القضاء على هذا الوكر الصليبي، ولكن الرياح البحرية دفعت أسطوله إلى الشواطىء، حيث غرق البعض وأُسر البعض الآخر.

بعد فتح المماليك لساحل الشام وتطهيره من الفرنجة، ظلت جزيرة قبرص تقطع طريق التجارة البحرية بين مصر والشام، وكانت أعنف حملة قامت من قبرص، هي تلك التي هاجمت ثغر الإسكندرية سنة (١٣٦٧م)، فدمرتها وظل المماليك

كلما ذُكرت (صقلية) ذُكرت معها خريطة الإدريسي



● ميناء اللاذقية

الوجود الإسلامي البحري في جزر البحر الأبيض

يحاولـون فتح قبرص، حتى تمكن السلطان (برسباي) من فتحها سنة (١٤٢٣م)، بالتعاون بين أسطولي مصر والشام. وخضعت قبرص لنفوذ ثنائي (مملوكي - بندقي)(٨)، وفي سنة (١٥٢٤م)، تمكن الأسطول العثماني بمساندة قوة برية ضخمة من فتح الجزيرة، وبقيت تابعة للعثمانيين حتى معاهدة برلين سنة (١٨٧٩م)، حيث استحوذت عليها بريطانيا مقابل مساندتها للدولة العثمانية في مجابهة الزحف الروسي على البلقان، وظلت تابعة لبريطانيا إلى أن استقلت بعد حرب تحرير بقيادة (جريفاس) و(مكاريوس)، والأخير أصبح أول رئيس لجمهورية قبرص المستقلة.. وهي اليوم مقسمة إلى قسمين بين الأتراك القبارصة، واليونانيين القبارصة.

فتح جزيرة (أرواد)

وهي جزيرة صغيرة أمام (طرطوس) من ساحل بلاد الشام، تبعد عنه مسافة قصيرة، وتُرى بالعين المجردة، ولا تزيد مساحتها على (٧٠٠م * ٤٠٠م)، كانت مركزا هاما للبحرية البيزنطية، وبقيت تهدد ثغور الشام، ولا يعرف السبب في أن المسلمين تركوها لفترة.

وعندما عاد الأسطول الإسلامي منتصرا بعد فتح قبرص،، اقتحم جزيرة أرواد واستولى عليها سنة (٢٩هـ - ٦٤٩م)، منذ ذلك الوقت ارتبطت هذه الجزيرة بساحل بلاد الشام، وقد استخدمها الاستعمار الفرنسي - إبان احتلاله لسوريا ولبنان - سجنا نفى إليه الزعماء الوطنيين، أمثال شكري القوتلي وفارس الخوري.

فتح جزيرة (رودس)

وهي جزيرة صغيرة أمام ساحل آسيا الصغرى (تركيا) تقع على مدخل بحر (إيجة)، تتميز بموقعها الهام، وكان لابد من فتحها بالتعاون مع أقريطش صاحب جزيرة (كريت) حتى يُؤمِّن المسلمين طريقهم في محاولات لفتح القسطنطينية. ولقد قام حنادة بن أبي أمية الأزدي بفتحها عنوه سنة (٣٣هـ).

وهي الآن تابعة لجمهورية اليونان.

معركة ذات الصواري

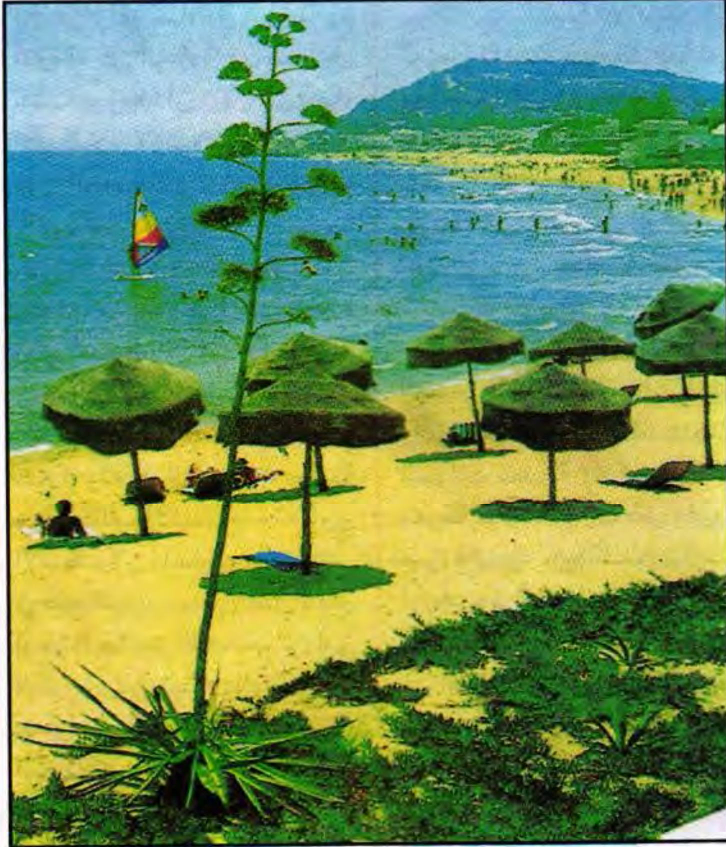
هل يمكن أن نتناول الوجود الإسلامي في البحر المتوسط دون التعرض لذكر معركة ذات الصواري؟

يذهب الدكتور إبراهيم العدوي إلى الحد الذي يعتبر فيه موقعة ذات الصواري بمثابة (تقرير مصير البحر الأبيض المتوسط).

فقد كانت سلسلة الانتصارات البحرية الأولى التي أحرزها الأسطول العربي، سببا في حقد الروم، وإثارة ضغين٦٢٢لله وقد صادف ذلك تولي الإمبراطور (قنسطانز) الثاني عرش بيزنطة، فتصور أن واجبا مقدسا عليه هو استرداد ما فقدته دولته من أقاليمها الغنية في مصر والشام، وأعظم جزرهما في قبرص ورودس. ولكن كيف السبيل إلى ذلك والتفوق أكيد بجانب الأسطول العربي؟

مهد الإمبراطور (قنسطانز) لذلك بالقضاء على الفتن والقلاقل في إقليم آسيا الصغرى التابع له، والذي يعتبر موردا هاما للرجال، وخشب السفن، كما أعاد إلى سلطته مناطق بحر ايجة التي استقلت بها جماعات السلاف، وبذلك ضمن المورد الثاني، وبدأ يُعِد نفسه للقاء العرب.

وصلت إلى الإمبراطور في عام (٣٤هـ - ٦٥٥م)) أنباء عن استعدادات بحرية يعدها معاوية بن أبي سفيان والي الشام - في ذلك الوقت - لضرب القسطنطينية عاصمة الروم. فرأى ألا ينتظر حتى يهاجمه المسلمون في عاصمته، وإنما سيخرج إليهم قاصدا بلاد الشام ليدمر أساطيلهم هناك. وفي نفس الوقت، نشطت جواسيس (قنسطانز) في بلاد الشام، فحاولوا تخريب الأسطول الإسلامي في مدينة طرابلس لبنان، حيث حطموا سجن المدينة وبه عدد كبير من أسرى الروم الذين أحرقوا العدد والعتاد التي جمعها معاوية وفروا إلى آسيا الصغرى، ولكن ذلك لم يفت في عضد المسلمين، فخرج من مصر واليها عبد الله بن أبي السرح بأسطول يتكون من خمسمائة سفينة، مزودة بآلات الحرب، وقد نقل الطبري على لسان أحد المشتركين في تلك الموقعة: (فالتقينا في البحر.. فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط).التقى الجمعان في البحر قريبا من آسيا عند ساحل (ليكيان) في مكان يعرف بفونكس (Phoenix)، بات العرب يصلون ويدعون الله، وبات الروم ليلتهم يضربون بالنواقيس.



● البحر المتوسط من مياه زرقاء ورمال ذهبية، إلى أكثر البحار تلوثا

بدأ القتال باستخدام الأقواس والسهام، فاضطر العرب لتغيير خططهم، ثم وثبوا على الروم بالسيوف والخناجر، واشتد الصراع وكثر القتلى.. حاول الروم الاستيلاء على سفينة القائد عبد الله بن أ٨٢٢ؤلسرح، وكادوا ينجحون في أسرها، لولا استبسال أحد بحارة العرب، الذي أخذ في تقطيع السلاسل التي ربطها الروم بالسفينة.

والحقيقة أن كلا الطرفين أظهرا تفانيا كبيرا.. ولكن بعد نجاح المسلمين في إنقاذ سفينة القيادة هجموا على الروم بشدة، وفر الإمبراطور بنفسه على ظهر مركب صغير إلى جزيرة صقلية.

أهم نتائج هذه المعركة البحرية: تدعيم سيادة العرب على الشواطىء الشرقية للبحر المتوسط، وهذا بدوره أنهى أحلام الروم في محاولاتهم استرداد البلاد، التي كانت تابعة لهم من يد العرب. كما أتاح للعرب فرصة الاستقرار لينتجوا حضارة جديدة. بعض المؤرخين العرب يرى أن هذه الموقعة البحرية لا تقل أهمية عن معركة (اكتيوم) عام (٣١ ق.م)، بين بطالسة مصر والقائد الروماني (اكتافيوس)، وبعضهم يعتبرها كمعركة أبي قير البحرية (١٧٩٨م) بين (نلسون) الإنجليزي، وأسطول (نابليون) في المياه المصرية.

فتح جزيرة (صقلية)

تتحكم جزيرة صقلية في المداخل الرئيسية الكبرى للبحر الأبيض المتوسط، بل تكاد تقسم هذا البحر إلى قسمين رئيسيين، وتشرف على الاتصال بينهما عن طريق مضيقي

القرنان الثالث والرابع للهجرة كانا (عصر السيادة الإسلامية البحرية)

(مسينا) و(صقلية) الواقعين بين طرفها الجنوبي وشمال أفريقيا(٩)، وهي أكبر جزر البحر المتوسط مساحة وأهمها، لذا كانت صقلية تمثل بؤرة الصراع بين الدول البحرية القوية المطلة على البحر المتوسط منذ فجر التاريخ، سيطر عليها شعوب مختلفة (السيكولي والسيكاني والأطيانز واليونانيون والفينيقيون والفندال والقوط الشرقيون) ،ثم الدولة البيزنطية عام (٥٥٢م)، حتى قدوم العرب إليها عام (٨٢٧م).

محاولات الفتح

كانت هناك محاولات كثيرة لفتح صقلية، بدأت عام (٣٣هـ - ٦٥٣م)، ثم تتابعت الحملات والمحاولات، حتى وصل عددها عشر حملات عام (١٣٠هـ - ٧٤٧م)، في عهد الأمويين، وبقي الحال كذلك، حتى وجه لها زيادة الله بن الأغلب من عاصمته في القيروان حملة بقيادة أسد بن الفرات سنة (٢١٢هـ - ٨٢٧م)، مكونة من سبعمائة فارس، وعشرة آلاف من المشاة في سبعين سفينة. وقد قاسى المسلمون كثيرا أثناء حصارها من الجوع والطاعون، بل إن أسدا نفسه كان من ضحاياها، حيث خلفه في القيادة محمد بن أبي الجواري، والذي خلفه أيضا زهير بن غوث.. وقد وصلتهم إمدادات من الأندلس، واستمر الحال كذلك حتى تمكن المسلمون من دخول عاصمتها (باليرمو) عام (٨٣١م)، ثم تمكن منها المسلمون نهائيا عام (٨٤١م).. وأصبحت صقلية بعدها منطلقا للفتح.

لكن البعض يعتبر العباس بن جعفر الفاتح الحقيقي للجزيرة عام (٨٥١م)، فقد قضى على أسطول بيزنطي ضخم، وبذل جهودا هائلة في فتح مدن الجزيرة وحصونها، وسيطر عليها المسلمون كلية عام (٩٠٢م)، ثم انتقل حكم صقلية للفاطميين ثم الكلبيين الذين قضوا على الأغالبة، وسيطروا على تونس وصقلية، غير أنها لم تنعم بالهدوء طويلا فقد أدى الصراع الطويل المتواصل مع البيزنطيين إلى انهيار الكلبيين عام (١٠٥٢م)، وتمزقت صقلية إلى أمارات متناحرة، ثم واجهت تهديد النورمان المتربصين في جنوب إيطاليا(١٠).

فتحها النورمانديون نهائيا عام (١٠٩٠م)، لضعف الفاطميين في مصر، والزيريين في المهدية في تونس، وبقوا فيها حتى عام (١١٨٩م)، وهي اليوم تابعة لإيطاليا.. تصدر

وقعة ذات الصواري كانت (تقرير مصير البحر المتوسط للمسلمين)

عصابات (المافيا) للعالم. وأصبحت مسرحا للجريمة ومركزا للفقر.

صقلية كانت أحد أهم المراكز الحضارية الإسلامية التي ساهمت مع الأندلس في نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا، واستمرت كذلك في عهد النورمان، ومن بعدهم (هوهنشتافن - الألمان)، تمثل ذلك في مجالات الزراعة والصناعة والعلوم(١١).

وهل يمكن أن تذكر صقلية دون أن يذكر الجغرافي العربي (الإدريسي)؟ وخريطته الشهيرة للعالم والمنقوشة على لوح من الفضة المحفوظة في متحف باليرمو الوطني؟

[يتبع قسم ثان وأخير]

الهوامش:

١) تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، د. سالم + د. العبادي، ص٥٥.

٢) فتوح البلدان، البلاذري القسم الأول، ص ١٥٢.

٣) المسلمون في حوض البحر المتوسط د. حسين مؤنس، ص ٧٦.

٤) المسلمون والبيزنطيون، د. إبراهيم العدوي، ص ٩٤.

٥) الطبري، ج٢، ص ٢٦٢.

٦) القوى التجارية والبحرية في المتوسط، ارشيبالد لويس، ص ٩١.

٧) القوى التجارية والبحرية في المتوسط، ارشيبالد لويس، ص ١٠٨

٨) الدولة البيزنطية، د. السيد الباز العريني، ص ٤٧٧.

٩) الأمويون والبيزنطيون، د. أحمد العدوي، ص ٩٧.

١٠) القوى التجارية والبحرية في المتوسطة، ارشيبالد لوس، ص ٣٦٣.

١١) فضل العرب على أوروبا، د. سيجريد هونكه، ص ٣٤.



فن المعمار

الفن الإسلامي على الرغم من وجود عدد ضخم من الوثائق والدراسات الوصفية التي قام بها الباحثون إلا أنه لم ينل الاهتمام الكافي فيما يتعلق بعمق معانيه الداخلية ومدلولاته الرمزية، وقد قام هؤلاء الباحثون بدراساتهم وأبحاثهم في أغلب الأحيان من منطلقات غير ملائمة حيث ان في اعتقادهم أن «تجريدية» الفن الإسلامي يمثلها المفهوم نفسه الذي ينطبق على الفن الغربي في حين أن كليهما يقف على طرف مناقض للآخر، فظهرت المباني الحديثة وناطحات السحاب لتمثل ندوبا في وجوه معظم المدن بينما كان مسجد قرطبة وتاج محل ثمرة للنموذج الإسلامي في العمارة.والجمال في الإسلام صفة إلهية تمثل حضوراً مزدوجاً ومن بين جميع الصفات الإلهية المتجلية في العالم، وتاريخ الفن يتجاوز المستوى المألوف للتاريخ لأنه يقدم فهما موسعاً وعميقا للحقائق الروحية الكامنة في جوهر العالم الكوني ويذكر العلامة «بوركهارت» عن الفن الإسلامي أنه ينبع من تزاوج الحكمة وفن الصنعة ويقدم لنا بعض جوانب الفن الإسلامي كانبثاق مباشر من مبادىء الوحي الإسلامي والكشف الإلهامي للرؤية الإسلامية. وفي القرن السابع الميلادي شهدت الهندسة المعمارية في ظل الإسلام ازدهاراً كبيراً في مختلف الأقطار التي خضعت للفتوحات الإسلامية، وتمكن المعماريون المسلمون بفضل رساخة عقيدتهم وعمق إيمانهم من أن يخلفوا للعالم إرثا هائلا من روائع الفن المعماري في النواحي الدينية والمدنية والحربية بما فيها من مساجد ومعاهد للعلم ومستشفيات وفنادق وقصور وقلاع وحمامات وغيرها، فقد كان للدين الإسلامي أثر عظيم في جميع هذه الميادين.

والقرآن الكريم الذي هو مصدر عبادة وتفكير وأسلوب عملي في الحياة لا يمثل رؤية وتجليا نهائيين لأصحاب الكتاب بل هو أيضا منهاج تأثرت به أساليب الهندسة المعمارية لحضارات مختلفة انصهرت في عالم الإسلام فهذه المساحات الجغرافية الواسعة التي انتشر فيها الإسلام تضم أمما وطبائع ولغات وبيئات تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا ولذلك فإن الفن الذي نما في ظلها قد تطور في اتجاهات أساسية مميزة تعكسها

إعداد: سيد محمد الطنطاوي

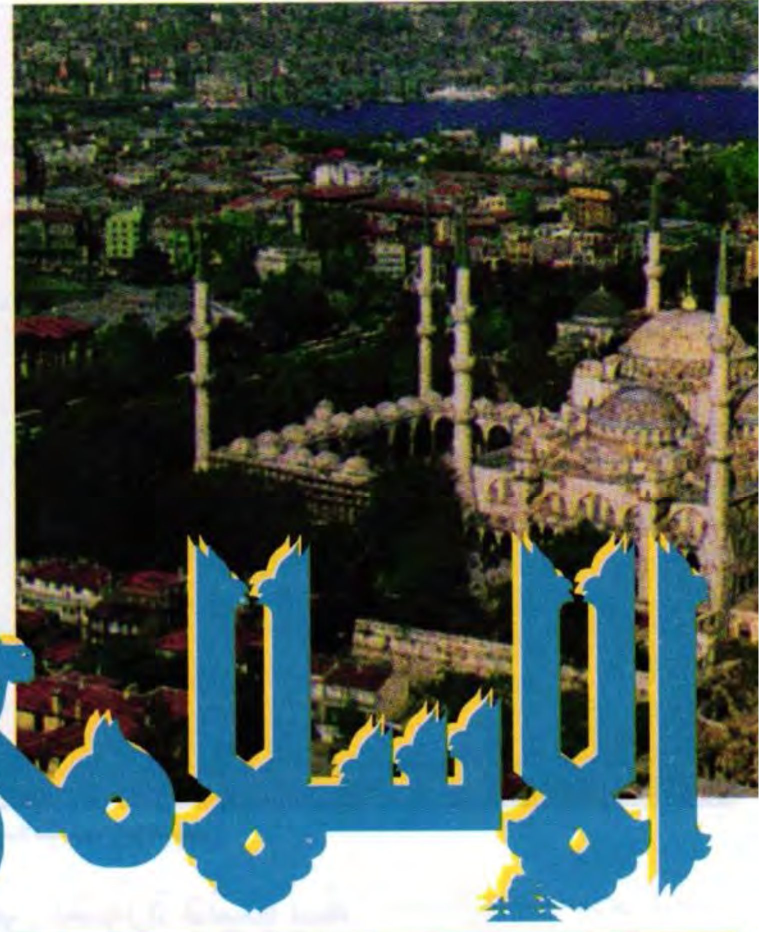
أساليب العمارة في هذه البلدان.

وإبان العهدين الأموي والعباسي في الفترة من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلاديين انجزت مبان عظيمة في القدس الشريف قبة الصخرة وفي دمشق الجامع الأموي الكبير ومدينة سامراء على ضفاف دجلة في العراق، وشهدت هذه الفترة بالذات الإبداع الإسلامي الخلاق الأصيل الذي تجلى في تلك الساحات الفسيحة المعمرة التي تتسع لأعداد كبيرة من المصلين.

عبقرية الفن الإسلامي

وشهدت مصر ظهور الفن المعماري الفاطمي وفن المماليك في مجموعة من المباني الجميلة التي تعكس التقدم الذي أحرزه هذا البلد.

وفي تونس والمغرب وأسبانيا، حيث أخذت التيارات المحلية بعد الفترة الكلاسيكية تطبع آثارها على فن البناء التقليدي البسيط، وشهد القرن الرابع عشر تقدما مزدهراً توج بقصر الحمراء بغرناطة ومدارس فاس ومراكش، كما بنى الفارسيون مساجد ومدارس وفنادق تميزت بباحات تحيط بأضلاعها أربع صالات أو كوات مقببة كبيرة واتبع هذا الأسلوب في القرن العاشر وبلغ أوجه في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين في ظل حكم الصفويين في أصفهان، وقد طور الأتراك السلاجقة الذين قدموا من آسيا الوسطى هندسة معمارية في الأناضول خلال القرون الوسطى غنية في زخرفتها.



العلامة (بوركهارت): الفن الإسلامي ينبع من تزاوج الحكمة وفن الصنعة

وفي الجزء الشرقي من العالم الإسلامي – في الهند التي خضعت لحكم المغول – نشأ فن رائع ارتكز على التقاليد الفارسية وتميز بروعة وجمال الرخام الأبيض والحجر الرملي الأحمر في فاتهبور سكرى ودلهي وأغراء ويمثل تاج محل المشهور أفضل تمثيل عظمة أباطرة شبه الجزيرة الهندية.

إن تلك الأبنية المعمدة والمساجد ذات الباحات الداخلية الواسعة والصالات الفسيحة المقببة لتنم جميعها عن عبقرية غنية وإلهام منوع، تمتع بهما العالم الإسلامي في حقل الهندسة المعمارية.

عناصر العمارة الإسلامية

حفلت المدن التي أحدثها القادة المسلمون عبر جميع العصور بالأسلوب الإسلامي ، على صعيد تخطيط الأسواق والأحياء والجوامع و«البيمارستانات» أو على صعيد بناء الدور والقصور، وتستوقفنا مدينة سامراء قبل سواها من المدن الإسلامية، وذلك لأنها كانت من أولى مدن الإسلام التي استحدث إنشاؤها على أرض فضاء، دون أن يضطر ساكنوها للبحث والتفتيش عن أركان وفراغات هنا وهناك يقيمون عليها مساكنهم كما يحصل عادة للنازلين الجدد في المدن التي تكون مأهولة.

وقد قصد المعتصم سامراء وبنى بها دارا وأمر عسكره بمثل ذلك، وأخذ الناس في تشييد دورهم حول قصره وعندما توفي أكمل ابنه الواثق خطة والده العمرانية فبنى قصره الشهير والمعروف «القصر الهاروني» وإضافة إلى «القصر الهاروني» عرفت سامراء قصر العاشق الذي بناه أبوالحسن علي بن المنجم للخليفة المعتمد على الله ابن الخليفة المتوكل والقصر يتكون من طابقين الأول مستطيل الشكل طوله ١٣١ مترا يمتد من الشمال إلى الجنوب وعرضه ٩٦ مترا، وحوط هذا الطابق بساحة مسورة تشاهد فيها القصر والسور الخارجي، وبُني جميعه بالآجر والجص، كما كثرت فيه الإيوانات المألوفة في العمائر الإسلامية، ولوحظ في جدار المدخل نوافذ عديدة للإضاءة والتهوية في الجهة الجنوبية ثلاثة أبراج ومدخل صغير عقد على غرار المدخل الغربي.

وأهم ما توقف عنده الباحثون ذلك القدر الهائل من الزخارف والقوالب الجصية والحليات المعمارية التي تم العثور عليها في أطلال مدينة سامراء والطبقات الزخرفية التي كانت تغطي جدران منازل هذه المدينة الأثرية والتي تتمثل بتلك اللوحات المدهشة المصنوعة من الرخام والفسيفساء. والمادة الأساسية التي استخدمها المعماريون الإسلاميون كانت من اللبن، وهي مادة هشة قصيرة الدوام عرفت في مباني مصر القديمة وبشكل ملحوظ خصوصا في العراق وبلاد فارس.

الفسطاط وأسلوب المعماريين

كانت تتألف منازل المسلمين في الفسطاط من إيوانات تسبقها شرفات بارزة، تحف بفناء مركزي واسع مكشوف، اتبع المعماري في أسلوب بنائه خطة معينة بحيث كانت تتيح لهذا الفناء الواسع أن يحتضن قدرا كبيرا من الظل طيلة اليوم، وكيفما كان مدار الشمس عبر فصول السنة وكانت طوابق العمارة السكنية لا تتجاوز الطبقتين أو الثلاث على أبعد احتمال، وذلك لأن مواد البناء التي كانت مستخدمة خصوصا في الطابق الأرضي لا تتحمل الثقل الذي يز يد على طبقتين أو ثلاث.

والتصميم الذي اتبعه المعماريون المسلمون في جميع العمائر الإسلامية التي بنوها تمت فيه مراعاة ظروف المناخ بحيث يتوصلون إلى توفير الرطوبة من جهة ومنع وصول لفحات الحر في أيام القيظ، فأول العناصر التي تسترعي الانتباه في المنازل السكنية في القاهرة مثل بناء «الصحن» المكشوف الذي كان يستخدم

فن المعمار الإسلامي

في تكييف حــرارة الجو. فالمعروف أن هواء الليل أبرد من هـواء النهار، ولذلـك فقد كـان الصحن يحفظ هـواء الليل الذي كان يهبط إلى أدنى الـدرجـات ثم مـا يلبث أن يسهم الصحن في تسربـه إلى الحجـرات فيعمل على تلطيف حـرارتها، ويظل هـذا الهواء الليلي المنعش محصـوراً بين جدران الصحن حتى سـاعة متأخـرة من النهـار وبـذلك يتحـول إلى خـزان للترطيب العـام في المنـزل يحفظ لـه الهواء المنعش على مدار اليوم بكامل ساعاته تقريبا. وبذلك يكـون قـد أدى دور مكيف الهواء، وقد درج المعماريـون المسلمـون في العهـود الأولى من بناء العمارة السكنية على إحـاطـة الصحـن بإيـوانين للاستقبـال الأول: يقع لجهة لشمال. والإيـوان الثـاني: لجهـة الجنـوب، كل ذلك من أجل تفادي الأشعة على مدار النهار. كما كانـوا يصممون الشرفـــات التي تسبق الإيــوانين، ولم يكن يخلـو الصحن من نـافورة ميـاه أو حـوض مـــاء تنعكس بين جنبـاتـه زرقـة السماء نهاراً ونجوم الليل ليـلا. إلى جانب النـافـورة أضـاف المعماري العـربي «السلسبيل» وهـو عبـارة عن لـوحـة جـدرايـة رخامية حفرت على صفحتها النقـوش، فبـدت زخـرفتهـا وكأنها تحـاكي صفحـة الماء حين تتعرض لمداعبـة النسيم وكـانت الجدارية تـوضـع مقابل الايوانين فتبدو للناظر وهو يجلس على شرفة الإيوان



● تميزت الأقواس والعقود المعمارية الإسلامية بسمتها الخاص

فن المعمار الإسـلامي بلـورة دنيـويـة لـــروح الإلهام الإســـلامي

في أبهي منظـرهــا لحظــة انسياب الماء على سطحها إلى القنـاة الرئيسيـة التي تفضي إلى الحوض.

أمـا «المنـدرة» في العمارة الإسـلاميـة فهي القاعـة التي تتألف عـــادة من الإيــوان والبهو الذي يتصدر الإيوان.

شخصية المدن الإسلامية

مثلما كـانت بـابل وأثينـا ورومــا والقسطنطينيـــة وقرطاجة انعكـاسا حقيقيا لحضـــارات الـــدول التي عاشت في ظل سيادتها، فقد أفرزت الحضـارة العربيـة الإسـلاميـــة أسماء مــدن وعـــواصم نشـأت في ظل سيـادتها أيضـا كـالبصرة والكـــوفـــة والفسطـــاط والقيروان وسامراء ودمشق والقـاهرة فكـان لبعضهـا طــابع سيـاسي كما كــان لبعضهـا الآخـر طـــابعهـا الإداري، وجميع هــذه المدن عـاشت في ظلال الحضـــارة العربية الإسلامية واتسمت بسمتها واتصفـت بصفتها فتجلى ذلك أكثـر ما تجلي في مظـاهــرهـا العمـــرانيـة وأنماطهـــا الاجتماعيـــة وأنشطتها الفنية والثقـافية والعلمية.

والعمـــران العـــربي الإسلامي في المدينة العربية اعتمد في البدايـة على روافد حضـاريـة أخـرى كـانت تعيش قبله مثل الساسانية والبيزنطية، لكـن سرعان ما تبلورت فيما بعد الشخصية الخاصة بها والتي أصبحت عربيـة إسلاميـة خالصـة والمبـاني كـانت على أربعـة أنواع:

١ - المباني الدينية والتي تمثلت في المساجد والمدارس والخانقـــاهـــات والــربط والتكايا والمدافـن والمشاهد والسبل والمآذن بـالإضافـة إلى الميضـــأة والمطبـــخ والصحن.

٢ - المبـــاني السكنيـة وتتكـــون من القصـــور والمنازل الخاصـــة ودور الأمـراء والـوزراء ورجـال الحاشية إضـافة إلى الـدور الشعبيـــة ودور الطبقـــة الوسطى.

٣ - مبـــاني الخدمـــات وتشمـــــــل الخان

والبيمارستان والحمامات العامة والوكالة.
٤ - المباني الدفاعية كالقلاع والحصون والأسوار والأبراج.

مسجد السلطان حسن

يعتبر مسجد السلطان حسن أحد العلامات المميزة للعمارة الإسلامية في العصر المملوكي، وترجع أهميته إلى أنه كان مسجدا ومدرسة لتدريس المذاهب الأربعة وتمثلت فيه روعة وعظمة الفن المملوكي في العمارة والزخرفة وذكر المقريزي أن السلطان حسن بدأ بناء مسجده ومدرسته سنة ٥٧ هجرية وظل يعمل في انشائها لمدة ثلاث سنوات مستمرة، وأن هذا الجامع من عجائب العمارة الإسلامية إذ ان طول إيوانه الكبير خمسة وستون ذراعاً ويقال انه أكبر من إيوان كسرى الذي بني في العراق ومنها القبة العظيمة التي لا مثيل لها في البلاد الإسلامية ومنها المنبر المصنوع من الرخام والبوابة العظيمة والمدارس الأربع بدور قاعة الجامع.

والمسجد يقع بميدان صلاح الدين بالقلعة أمام باب العزب وهو أشهر أبواب القلعة، وهو من أضخم مساجد مصر عمارة وأعلاها بنيانا وأكثرها فخامة وأحسنها شكلا وأجمعها لمحاسن العمارة، وأدلها على عظمة الهمة.

يبلغ طول المسجد ١٥٠ متراً وعرضه ٦٨ مترا ومساحته ٧٩٠٦ أمتار مربعة، وارتفاعه عند المدخل ٣٧,٧٠ مترا وعلى جوانب الصحن أربعة إيوانات معدة لإقامة الشعائر الإسلامية، وفي كل زاوية من زواياه باب يوصل إلى إحدى المدارس الأربع التي شيدها منشىء الجامع ليدرس في كل واحدة مذهبا من المذاهب الأربعة.

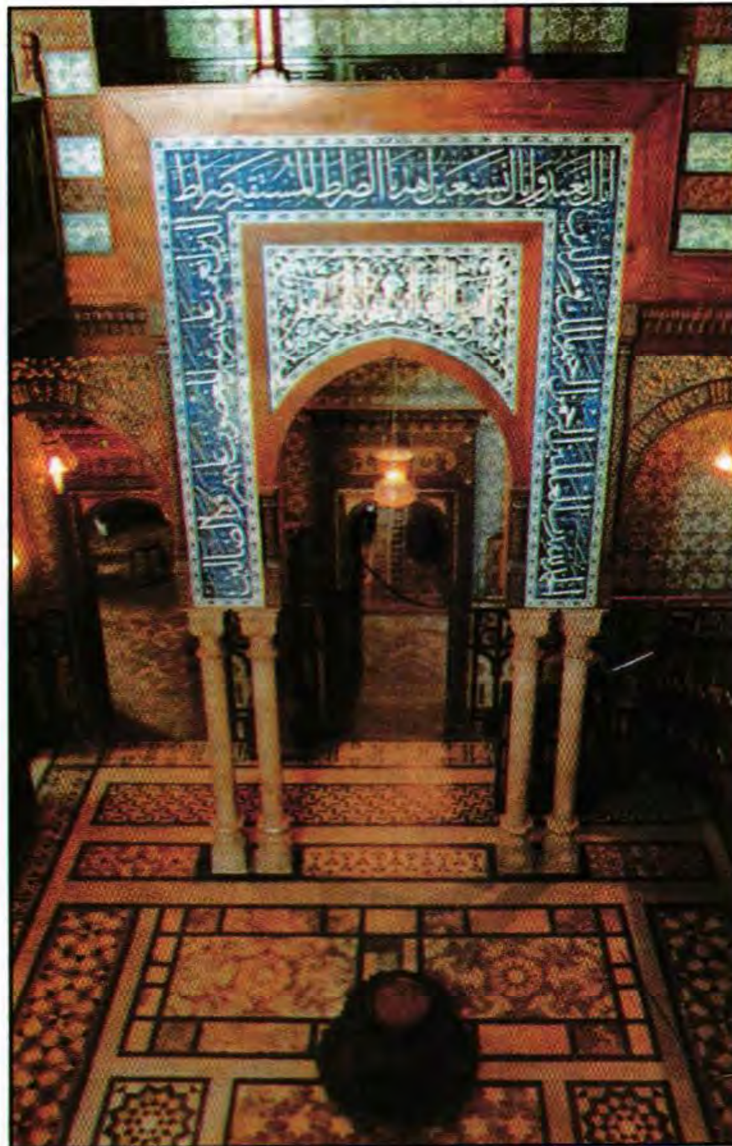
وفي كتاب «مساجد مصر» للدكتورة سعاد ماهر تقول: لم يستكمل السلطان حسن المسجد حيث قتل عام ٧٦٢ هجرية قبل إتمام بنائه فقام ألطوش بشير الجهدار بأعمال تكميلية كثيرة منها أعمال الرخام الملون للأرضيات، وكذلك تكسية أبواب المدارس بالرخام الملون.

أما أهم مكونات المسجد من الناحية المعمارية، القبة الكبيرة والتي تقع خلف جدار القبلة ويبلغ طول ضلعها ٢١ متراً، وارتفاعها إلى نهاية القبة ٤٨ مترا، وقد زخرف مربع القبة حتى ارتفاع ثمانية امتار بشريط من الكتابة عبارة عن آية الكرسي من القرآن الكريم. وقد انتهى من بناء القبة عام ٧٦٤ هـ وحدث أن سقطت هذه القبة عام ١٠٧١ هجرية وحلت محلها قبة ذات قطاع مدبب، ويحيط بها من الخارج دعامات أسطوانية الشكل وباطنها محلى بالزخارف والرسوم الزيتية، وكانت أكثر ارتفاعا مما عليه الآن ثم نقص ارتفاعها عندما جددها إبراهيم باشا عام ١٠٨٢ هجرية.

المآذن

بلغ التطور المعماري أوجه في نهاية دولة المماليك وخصوصا في عصر «قايتباي» (٨٧٣ - ٩٠١هـ) إذ أصاب المعماريون المسلمون في هذا العصر قسطا عظيما من التوفيق في تجميل المآذن بالطاقات والدلايات «المقرنصات» والخوذات المضلعة أو المستديرة والتي تحملها أكتاف أو عمد رشيقة، فضلا عن كسوة القمة بالقاشاني.

وشكل مئذنة جامع الحاكم بأقسامها: المربع ثم المثمن هو الذي غلب على معمارية المآذن المصرية في العصور التي تلت فيما بعد ،ومعظم المآذن التي شيدت في مصر بعد ذلك قامت على ثلاث طبقات مربع ثم مثمن ثم اسطواني، وأسلوب آخر عرفته المئذنة المصرية ابتداء من النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، حيث ظهرت منارات ذات رؤوس، مزدوجة شاعت في نهاية القرن التاسع بشكل واسع وخير مثال على ذلك مئذنة الغوري في الجامع الأزهر، وللغوري أيضا في مسجده بالغورية مئذنة ذات أربعة



●تقوم المدينة الإسلامية على قطبية المسجد بمآذنه الشامخة

فن المعمار الإسلامي

رؤوس وامتازت المئذنة الموجودة بالجامع الأزهر عن غيرها بكسوتها من القاشاني.

المحراب

يعتبر المحراب أحد العناصر الأساسية في الفن المعماري للمقدسات الإسلامية، ويرى المؤرخون أن المحراب أدخل في فن عمارة المسجد في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك وعلى التحديد عندما قام بإعادة بناء المسجد النبوي في المدينة المنورة، وهناك احتمال قوى يشير إلى أن المحراب كنموذج معماري حل مكان شكل أكثر بساطة مثل باب إضافي شكلي استخدم في المساجد البدائية للدلالة على اتجاه القبلة.

يتخذ شكل المحراب دلالة رمزية حيث تشير قبته إلى السماء في حين تتصل عتبته بالأرض مما يجعل المحراب صورة معبرة عن «كهف العالم» الذي يعتبر محلا لظهور التجليات الإلهية سواء كان هذا الرمز معبرا عن العالم الخارجي أم عن العالم الداخلي في قلب الإنسان المؤمن.

ولتحديد الرمزية التي يمثلها المحراب في التصور الإسلامي لابد من ربط هذه المسألة بالنص القرآني، فالمعنى الحرفي لكلمة «محراب» يدل على «الملجأ» أو الملاذ أو المأوى. وقد استخدم القرآن الكريم كلمة محراب لتصف المكان المقدس في المعبد الذي دخلت فيه السيدة مريم عليها السلام في خلوتها الروحية حيث كانت الملائكة تقدم لها رزقها، وقد ورد في الآية ٣٧ من سورة آل عمران مايلي: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾.

الخانات

بنيت الخانات في الأصل على الطرق لخدمة المسافرين وقد كان المسافر يستخدمها للاستراحة أو المبيت فيها مع وسيلة انتقاله ولفظة «خان» فارسية الأصل وهي نوعان، منها ما كان يقام على طرق السفر خارج المدن المتباعدة، ومنها ما كان يقام داخل المدن وقد كانت خانات طرق السفر تشيد على منابع المياه ومجاري الأنهار، وكان يبتعد الواحد عن الأخر مسيرة نهار، أي ما يقارب الثلاثين كيلو مترا، ويقدم في الخان - للتجار والمسافرين والرحالة - الخدمات، فيوفر لهم الراحة من جهة، ويجنبهم مشقة السفر ومخاطره ليلا.

ويتألف الخان من طابقين، مسقطه مربع، وتمثل أركانه أبراجا للمراقبة والدفاع وغالبا ما كان يحيط به سور خارجي قوي وبوابة مصفحة ضخمة تغلق في الليل، أما غرف المسافرين فقد كانت تتوزع في الطابقين وربما اقتصرت على الطبقة العليا.

وطرز الخانات متنوعة بحسب تصاميمها، فهناك مثلا الطراز الفارسي الذي عرف بقاعاته الطويلة والموازية للصحن المركزي.

وقد أخذ هذا التصميم شكل الأواوين، وقد تميز ببوابته التي كانت تمثل الجانب العظيم منه أما طراز الخان - البحر - متوسطي - فقد كان تصميمه يشتمل على أربعة أضلاع وصحن مركزي تحيط به الأروقة.

وكانت خانات المدن تشترك مع خانات الطرق في بعض ما تقدم من خدمات للمسافرين، غير أنها كانت تشتمل خدمات الضروريات والكماليات معا مثل الحمام والمطعم والمخازن الكبرى التي كانت تستقبل البضائع وتخزنها حتى يتمكن التاجر من بيعها، وكانت وظيفة الخان في المدينة تختلف عن وظيفته في طرق السفر لأنه كان يستقبل التجار بشكل عام من باعة الجملة ومروجي البضائع والوسطاء، ثم كان لكل بضاعة خان يرتبط بها، فكان مثلا خان الحرير وخان الحبالين في دمشق وخان الجوخ في استنبول وخان الخياطين في طرابلس بلبنان.

الحمامات

يذكر المؤرخون أن المسلمين أنشأوا ثلاثة حمامات في البصرة اعتبرت الحمامات الأولى في الإسلام، كذلك فإن المسلمين الأوائل الذين خرجوا من الجزيرة العربية لم يكونوا قد ألفوا استعمال الماء الغزير الجاري وذلك لندرته وعدم توفره في بلادهم، ولكن حين خرجوا بدعوتهم ووجدوا الحمام البيزنطي - الروماني، بوءوه مكانة لم يمثلها من قبل، وجعلوه شعبيا بالمعنى الصحيح لأنه كان مقتصراً على طبقة الأثرياء والموسرين.

وحافظ المعماريون المسلمون على هيكله العام وتصميمه الذي عرف به، غير أنهم قاموا بتعديلات أساسية طالت زخارفه وزينته ونقوشه وعدد قاعاته والمسافة التي تباعد بين أقسامه، ولقد عرفت الحمامات العامة عند المسلمين مخططين من حيث الشكل، الأول: طغت فيه القاعة الدافئة على ما سواها وكانت بثمانية أضلاع أو باثنى عشر، أما المخطط الثاني: فهو طولي تصطف فيه قاعات مستطيلة تمثل القاعة الأولى مركز الصدارة. وفي أحيان كثيرة كان يكتفى بقاعات ثلاث «البراني والوسطاني والجواني» وتعتبر بعض الحمامات الإسلامية من التحف المعمارية النادرة مثل حمام الخاسكي في مدينة استنبول وقد تميز مظهره الخارجي بأناقة بالغة وكان عددها يزداد بتقدم العصور الإسلامية، فقد كان في الفسطاط وحدها عام ٥٣٩ هجرية ألف وستمائة وسبعون حماما، كما أن حمامات بغداد بلغت في القرن الرابع للهجرة ستين ألف حمام، وأما عدد حمامات دمشق في القرن السادس للهجرة فقد بلغ اثنين وخمسين حماما□

تقدير عمر الأرض بين الأمس واليوم

بقلم: د. ماهر طه خليل

لقد خلص بعض كبار المفكرين على مدى القرون الثلاثة الماضية إلى تحديد عمر الأرض بنحو أربعة مليارات ونصف المليار من السنين، وقبل ذلك بقليل كان العلماء يحددون عمر كوكبنا الأرضي بنحو ثلاثة مليارات ونصف سنة فما هي حقيقة الأمر ياترى؟

إلى مثل هذه الأرقام حول عمر الأرض تستند كل نظريات علم البيولوجيا والتطور.. ولقد انهار تقديران سابقان لعمر الأرض سادا خلال السنوات المائة والخمسين الماضية، عندما تركت العلوم البيولوجية والجولوجية المجال لعلم الفيزياء الأكثر دقة.. وفي الحقيقة.. فإن المتتبع لأبحاث العلماء على اختلاف مشاربهم وتخصصاتهم يجد أن الأمر لايعدو أن يكون مزاداً علنيا وتلاعباً بالملايين من السنين!!

تقديرات علماء الغرب

فلقد سقط التقدير الأول خلال القرن التاسع عشر عندما أجرى اللورد كلفن حسابات بدت في ذلك الوقت صحيحة، قائلا بأن الأرض لم تكن موجودة منذ الأزل، وإنما تشكلت منذ مائة مليون سنة، وقد أدى ذلك إلى استياء تشارلز داروين والجيولوجيين المعاصرين.. ولكن هذه الطريقة الميقاتية قد انهارت في مطلع القرن العشرين عندما ظهرت تقنية التأريخ الأشعاعي، التي بينت أن عمر الأرض يبلغ بضعة مليارات من السنين. وبعد جدل عنيف بين الجيولوجيين والفيزيائيين تغلب التأريخ الإشعاعي على كل الطرائق الأخرى لتحديد عمر الأرض ومن أهم مابينته المناظرات حول عمر الأرض هو أن العاطفة والاحساس والمصالح يمكنها أن توجه مسار العلوم بقدر مايوجهه المنطق والتجربة!!

ولقد كان كل من لومونوسوف وبوفون وحيدين في سعيهما الحذر والدقيق لتقدير عمر الأرض المطلق. وأخيراً توقف العلماء عن التفكير في هذه المسألة عندما لم يجدوا أمامهم سوى طريقين:



إما أن يتركوا كل شيء للخالق وإما أن يفترضوا وببساطة شديدة أن الأرض والكائنات الحية التي عليها كانت قد استغرقت زمنا طويلاً، لكي تصل إلى وضعها الحالى!!

إلى أن جاءت ميقاتية الأحقاب الجيولوجية التى حيرت الجميع وطرح (سميث) آراء في تحديد عمر الطبقات بناء على ماتحتويه من حفريات معروفة العمر نسبياً واستناداً إلى آراء جيمس هاتون في كتابه (نظرية الأرض) قام العلماء بتأريخ الطبقات وتقدير عدد الأحقاب الجيولوجية واختلفوا في ذلك اختلافا كبيراً.

ولقد اندهش علماء الطبيعة عندما قدر اللورد كلفن أن الأرض تشكلت منذ عشرين إلى أربعمائة مليون سنة معتقداً أن الأرض كانت منصهرة وأن سطحها تبرد وتصلب في حين بقيت نواتها حارة، ولاحظ أنه كلما نزل المرء إلى الأعماق في الأرض ارتفعت درجة الحرارة، وللتوصل إلى عمر الأرض حسب اللورد كلفن المدة اللازمة لكي تبرد الأرض من حالتها الأولية إلى وضعها الراهن، وافترض أن التقلص الجاذبي الذي أدي إلى تشكل الأرض هو الذي ولد حرارة الأرض كلها ثم حدد قابلية مادة الأرض لنقل الحرارة وقدر كمية الحرارة اللازمة لصهرها أو رفع درجة حراتها بمقدار معين! وبمرور الوقت حسّن تقديره لعمر الأرض إلى مدة تقع مابين عشرين وأربعين مليون سنة!!

نقد نظرية كلفن

ولقد أثارت حسابات كلفن هذه حفيظة الجيولوجين باعتباره فيزيائيا

تطفل على حقل اختصاصهم، على أن حسابات كلفن قد بدت غير قابلة للنقد من حيث المنطق والفيزياء إلا أنه تبين فيما بعد أن استنتاجه كان بعيدا كل البعد عن الدقة.. فقد صدمت نتائجه البيولوجيين بنفس القدر الذي صدم الجيولوجيين فاعتبره داروين شبحاً بغيضاً!! وأضحت الميقاتية التي ابتدعها للأحقاب الجيولوجية واحدة من أكبر مشاكل علماء الطبيعة فقد افترض داروين وبيولوجيون أن الكائنات الحية المتعددة تحتاج إلى أكثر بكثير من أربعين مليون سنه لكي تتطور وتصل إلى هيئتها الراهنة!

ولكن مع هذا، هل قدمت الكائنات الحية والحفائر أساسا لحساب زمن التطور بصورة مستقلة؟ بالطبع لا.. ولذا كان لزاماً على التقويم البيولوجي أن يستند آخر المطاف إلى الجيولوجيا – ولقد هاجم هكسلي وداروين آراء اللورد كلفن ومثلت نظرتهما هذه الازدراء الذي أحس به الجيولوجيون تجاه العلوم الفيزيائية في أواخر العصر الفيكتوري، فلقد قال في خطابه الرئاسي للجمعية الجيولوجية بلندن ١٨٦٩م.

لاينبغى أن يسمح لدقة العمليات الرياضية ان تفرض سلطانا غير مقبول بتاتا على النتائج، إذ لايمكن لصفحات من المعادلات الرياضية أن تستخلص نتيجة محددة من معطيات غير كاملة.

وحقيقة الأمر أن اللورد كلفن لم يكن واثقاً من صحة القيم التى استخدمها في حساباته!!

ولكن كلفن لم يتابع المعركة وحده، فقد حسب كل من الفلكي الأمريكي نيوكم، والفيزيائي الألماني فون هلمهولتز حساباتهما ووصفت نتائجها المستقلة التى قدرت الزمن بمائة مليون سنة حداً أعلى لعمر الأرض. وكذلك فعل فيلبس ابن أخ سميث وتلميذه، وادعى نفس الشيء ولكنها كانت نتائج تم التوصل اليها انطلاقا من معطيات نعلم الآن جيداً أنها غير دقيقة وتخص هذه المعطيات معدل تراكم الرسوبيات النهرية، وفي عام ١٨٦٨م درس كيكي مدير المساحة الجيولوجية باسكتلنده دلائل الحت واستنتج أن عمر الأرض لايمكن أن يفوق المائة مليون عام!!

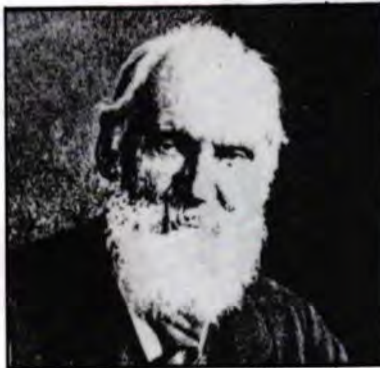
تنقية جيولوجية لقياس عمر الأرض

وفي عام ١٨٩٩م ابتدع جون جولي من جامعة دبلن أول تنقية جيولوجية بحتة حديثة لقياس عمر الأرض من خلال قياس ملوحة البحار وتقدير كمية الأملاح الموجودة بها! مصحوبة بطبيعة الحال بافتراضات غير صحيحة تماما.. والحقيقة التى لامراء فيها أن جميع المحاولات لقياس عمر الأرض كانت تستند دائما إما إلى افتراضات أو مقارنات أو في أفضل الحالات إلى تخمين لمعدل تغير العمليات الجيولوجية..

ولقد خلقت هذه الافتراضات مجالاً كبيراً للشك، فلقد افترض البعض بأن الأرض لم تكن في يوم من الايام منصهرة، في حين افترض البعض الأخر أن باطنها مازال منصهرا، وهو أمر لم يكن اللورد كلفن قد أخذه في الاعتبار أو الحسبان، وشك البعض في المعطيات الخاصة بالحت والترسيب والملوحة!!

وبحلول نهاية القرن التاسع عشر أبدى الجيولوجيون عدم ارتياحهم لتقنيات كلفن الفيزيائية وكانت له ثقة (لم يكن لها مبرر) بطرقهم تفوق ثقتهم بمجموعة الافتراضات التي استخدمها الفيزيائيون وعلى رأسهم الفيزيائي المرموق كلفن. وعلى الرغم من هذا، لم ينقض وقت طويل إلا وعاد الفيزيائيون إلى اختراق مجال الجيولوجين في تحديد عمر الأرض عن طريق دراسة النشاط الإشعاعي بناء على اكتشافات بكريل ١٨٩٦ والزوجان بير وماري كوري ١٨٩٨م.


● إيرنست روثفود


● لورد كللإن


آرثر هولمس


● برترام بولتوود

وخاصة بعد تفسير رذرفورد وسودي عملية النشاط الاشعاعي في عدد من البحوث المنشورة ١٩٠٣-١٩٠٢م شرحا فيه بحق أن هذا النشاط إنما يوافق التحول الذاتي لذرات عنصر كيمائي معين إلى ذرات عنصر آخر. وكانت أشعة ألفا وبيتا وجاما أكثر أهمية من العناصر المختلفة ذاتها لأغراض التأريخ الجيولوجي، وفي عام ١٩٠٣م كان داروين وجولى أول من ادعيا أن النشاط الاشعاعي سبب جزئي

على الأقل لحرارة الأرض والشمس، ولكن هل تحوي الارض كميات كافية من المواد المشعة لتسبب فرقا قابلا للقياس؟

ولكن سرعان ماتأكد الجيولوجيون بأن النشاط الإشعاعي واسع الانتشار، ووجد (سترت) من الكلية الأمبراطورية في لندن بأن كمية الراديوم الموجودة فيها كبيرة جداً، الأمر الذي يجعل من غير الممكن توزيعها توزيعا متجانساً على الكرة الأرضية كلها (دون أخذ إسهام العناصر المشعة الأخرى بعين الاعتبار) إذ أن ماوجده من الراديوم قادر بمفرده على تبريد كل حرارة الأرض الجوفية وأشار إلى ماوصل إلى أن التاريخ الجيولوجي يمكن أن يمتد إلى زمن غير محدود، فلم يجد أثرا لتبرد ولابادرة للتوصل إلى عمر محدد!

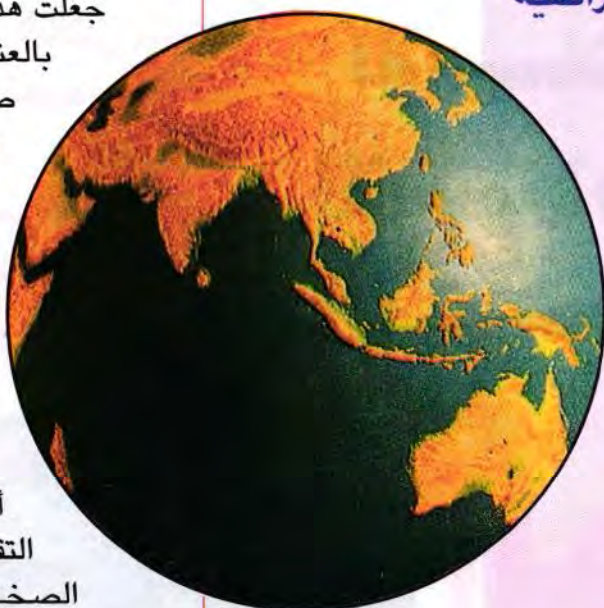
وتضاربت مشاعر كلفن، وقد اعترف بصفة غير رسمية بأن تقديراته قد تجاوزها الزمن ولكنه كان يتابع الجدل في المحافل العامة، وكانت نقاشاتهم أشبه ماتكون بحلقات المزاد العلني ولكنه مزاد علمي علني عملته ملايين السنين.

اختلفت تقديرات عمر الأرض لاختلاف وسائل القياس العلمي والنظريات الافتراضية

التأريخ الإشعاعي للصخور

وتطورت تقنية التأريخ لعمر الأرض عن طريق التأريخ الاشعاعي للصخور انطلاقا من دراسة العناصر المشعة وسلاسل تفككها ولقد كان (رذرفورد وبولتورد) رائدين في هذا المجال، فلقد تمكن رذرفورد من تحديد عمر العينة الصخرية من خلال محتواها من الهيليوم وكان رذرفورد يفتخر بامتلاك عينة من الفركوسونايت عمرها ٤٠مليون سنة ولقد اعترف بولتوود أن الفضل يرجع لرذرفورد في إقتراح الرصاص لتحديد العمر المطلق للصخور القديمة ولكن الكيمائي بولتوود هو الذي بين إمكانية استخدامها.

وبانتهاء عام ١٩٠٥م كان قد حدد أعماراً تتراوح مابين ٩٢، ٥٧٠ مليون سنة ولستة وعشرين من المعادن المختلفة ولكن لحسن الحظ فإن هذه ال



تقنية الحديثة وماترتب عليها من نتائج لم تنشر وذلك لأن نسبة الراديوم إلى اليورانيوم التى استعملها بولتوود لم تكن دقيقة، وعلى الرغم من هذا فقد كانت النتائج التي توصل إليها فيما بعد مدهشة إذ بينت أن عمر الأرض يبلغ مليار سنة تقريباً!! ومن الغريب أن هذا الإنجاز الهائل قوبل بعدم الاكتراث، فعلى الرغم من أن بحث بولتوود ظهر في مجلة أمريكية(الجيولوجية الأولى، فإن نتيجة بولتوود لم تثن الجيولوجيين عن رأيهم بإن دلالة الطريقة الاشعاعية مبالغ فيها.

تفيد التقنيات الراهنة أن أقدم الصخور على الأرض تشكلت منذ فترة تقدر بـ ٣,٨ مليار سنة خلت

وجاء اكتشاف النظائر المشعة من ناحية واكتشاف القوانين الفيزيائية التي تحدد نواتج تفكك كل عنصر من العناصر المشعة المختلفة من ناحية أخرى لتهاجم كل من يقول بالنشاط الإشعاعي أمثال (هولمز وسترت)، فلقد جعلت هذه الإكتشافات التأريخ بالعناصر المشعة يبدو أكثر صعوبة وغير أهل للثقة في أعين الكثير من علماء الأرض.

وهكذا ففي خلال العقود الستة الماضية، إزداد حذق الجيولوجيين في تطبيق طريقة التأريخ بالرصاص أكثر وأكثر، وتفيد التقنيات الراهنة أن أقدم الصخور على الأرض تشكلت منذ فترة تقدر بـ٣,٨ مليار سنة خلت. وهذا يؤرخ بالطبع أدنى عمر للقشرة الأرضية العلوية، ولكن لايؤرخ بالضرورة الحقبة التى تكثفت خلالها السحابة اللولبية من الغاز والغبار السديمي لتشكل النظام الشمسي.

وقد حدد باترسون من معهد كاليفورنيا للتقنية وزملاؤه عام ١٩٥٥ عمر النظام الشمسي بتأريخ النيازك.

وتعطى أحدث القياسات التي أجريت على النيازك عمراً للأرض الأولية يبلغ ٥. ٤ مليار سنة. فيا ترى هل أغلق الباب في هذا المزاد العلمي العلني أم مازال مفتوحا لكل جديد؟

كيف يعالج الإعلام الإسلامي أخبار الجريمة والجنس

بقلم: نور الدين بليبل

٢/١

كيف يعالج الإعلام الإسلامي أخبار الجريمة والجنس، والأمراض المفضية إلى الموت الناتجة عن الزنا والفاحشة كالسيدا «الأيدز»، أو قضايا التمييز العنصري، والخطر النووي، وعواقب الصناعات الكيمياوية على الإنسان والطبيعة؟

بادئ ذي بدء، أنبه إلى ضرورة اعتبار ما جاء في هذه المقالة بمثابة تصور إعلامي - وليس اجتهادا مفتيا، لأني إذا كنت أمتلك أدوات الدول «أي الإعلامي»، فإنني أفتقر إلى الشرط الثاني «أي المفتي». وبذلك فإنني سأتقبل عن طيب خاطر، كل تصويب أو إضافة، أو تنبيه، أو إحالة.

إذا كانت المواضيع المذكورة في الاستهلال، قد بحثت بشكل ملفت للانتباه في البلدان الغربية، فإنه على نقيض ذلك لم يتم بعد الاهتمام بتلك المسائل في البلدان الإسلامية، ويمكن تعليل ذلك بالغياب شبه الكامل للمراجع والمستندات في هذا الشأن.

إن الإعلام الإسلامي يهدف من بين ما يهدف إلى بعث نموذج «المعالجة المعبرة» إسوة بالقصص القرآني أو القصص النبوي، وبذلك يتميز عن النماذج الإعلامية الأخرى، وفي مقدمتها النموذج الغربي الذي يعرف النصوص الإعلامية في تفاصيل وصفية إما تخدش الحياء، أو تؤدي إلى تعويم القضية الأساسية، وفي أحيان أخرى تستخدم كل أساليب التعبير المتاحة لتحقيق الغرض التجاري.



تلفاز اليوم يحتوي على أفلام ومسلسلات مليئة بالجرائم والقتل والعنف والإرهاب

أخبار الجريمة

تعاني المجتمعات اليوم من الجريمة التي تأخذ مع كل فجر جديد أبعاداً جديدة، وتفيد أبحاث علمية بأن المشكلات الاجتماعية والنفسية، ومواد وسائل الإعلام الحديثة تنهض بأدوار ذات بال في التحفيز لارتكاب الجرائم.

إن تجريم وسائل الإعلام والاتصال أضحى متداولا على نطاق واسع، فهذا أحد مفتشي الشرطة في الولايات المتحدة الأمريكية يعترف قائلا: لاتوجد أية جريمة قتل جنسية في تاريخ إدارتنا إلا وكان القاتل فيها قارئاً للمجلات الجنسية والكتب الداعرة».

واستناداً إلى دراسة سويدية قامت بها السيدة «اينغاسونيسون» الباحثة في الإعلام في جامعة «كوند» التي نشرت نتائجها في كتاب تحت عنوان: «من يربي أطفالنا؟! «الفيديو أم نحن». فإن «الأطفال الذين بلغوا سن التاسعة إلى العاشرة من عمرهم يكونون قد شاهدوا سلسلة «الهولوكوست» التي تقدم صور الكوارث والعنف والانفجارات، أصيبوا بالهلع وهم يرون الأطفال يموتون داخل غرف الغاز حيث يعدونها أحداثا حقيقية وواقعية».

وقد عبرت فتاة في السادسة من عمرها بكل عفوية قائلة: «الأمر مزعج عندما يطلقون النار، إني أخاف أن يخرجوا علي من شاشة «التلفاز».

ومن النتائج التي توصلت إليها – السيدة سونيسون – أن الأطفال الذين يتراوح معدل مشاهدتهم للشاشة ٣٠ إلى ٣٥ ساعة في الأسبوع يرفع خطر تطور السلوك العدواني عندهم».

وللأسباب ذاتها، دعت الحكومة الهولندية قنوات «التلفاز» ومنتجي أفلام «الفيديو» إلى الحد من صور العنف بجميع أشكاله في البرامج الموجهة إلى الأطفال والشباب.

لكن هذا النداء، أثار سخط المنتجين وصانعي الأفلام بحيث أكدوا أن هذا الأمر لا يخصهم بل يخص الآباء والأولياء فهؤلاء هم الذين يراقبون ويسهرون على أطفالهم.

وبشأن تعامل الصحافة الأمريكية المكتوبة مع أخبار الجرائم يوضح كتاب «الصحفي المحترف» أنه هناك اتجاهان متطرفان في الصحافة الأمريكية بالنسبة لنشر أخبار الجرائم والمحاكم.

فالصحف التجارية تنشر أخبار الجرائم لأنها بذلك «تبيع أعدادا منها»، أما الصحف الوقورة التي لاتعتمد على الإثارة بأي شكل لتكتسب تأييد القراء فتكون متأكدة من أنها تنشر هذه الأخبار كلما كان ذلك ممكنا وتبدو وكأنها فخورة بما تفعل وفي الحالتين يظل القراء بعيدين عن أخذ صورة واضحة عن مشكلة الجرم.

ونقرأ في المؤلف نفسه ما يلي: «إن أخبار الجرائم والعقوبات تشكل عنصرا أساسيا في الصحافة الأمريكية، وأيضا الغربية، كثير من المراسلين يحررون هذه الأخبار تحريرا حسنا بغض النظر عما إذا كانوا يحبون تحريرها أم لا، وذلك بالنظر لكونهما جزءاً من تدريباتهم الأولى على المهنة وغالبا ماتكتب بشكل مألوف. أما ماذا تصنع الصحف بمثل هذه الأخبار فأمر آخر، فالدوافع غالبا ما تكون غير واضحة سواء للذين ينشرون هذه الأخبار، أو أولئك الذين يمتنعون عن نشرها».

ويمكن القول بأن الصحافة الأمريكية كانت القدوة السيئة للصحافة العالمية في هذا الميدان الشائك فبتأثيرها سارت الصحافة في كثير من بلاد العالم في هذا الطريق المحفوف بالأخطار(١) لقد أعلنت إحدى اللجان الأمريكية التي أنشئت بغرض بحث دوافع العنف وسبل الاحتياط منه، بأن مشاهدة البرامج المتضمنة للقطات العنف، من شأنها تحريض المشاهد لكي يتخذ موقفا عدوانيا.

وبعد إنكباب دام ستة عشرشهرا حول هذه المشكلة، حذرت مؤسسة مختصة من كون العرض المتكرر للعنف بالتلفزة يمكنه أن يجعل الأطفال أكثر عنفا، وغير مبالين بالرعب من العنف في الحياة الحقيقية.

إنه بمجرد مشاهدة لقطات العنف في «التلفزة»، يمكن أن يحدث ذلك مواقف وقيما وسلوكا أكثر عدوانية، ولاسيما لدى الأطفال(٢).

ومن المثير للانتباه، أن «التلفاز» اليوم يحتوي على أفلام ومسلسلات مليئة بالجرائم والقتل والعنف والإرهاب والتمثيل بالجثث والانتقام البشع والعدوان الشنيع وغيرها من المشاهد المنافية للقيم والمعايير الاجتماعية والأخلاقية. ولا شك في أن مثل هذا العرض المستمر لمثل هذه الأفلام قد يؤدي إلى تكوين شخصيات منحرفة ذات قيم معادية للمجتمع(٣).

وتؤكد مصادر إعلامية أمريكية أن عرض عمليات القتل والعنف وغيرهما في مقالاتها في الصفحات الأولى من الجرائد. وعبر الصور المنشورة تحت عناوين عريضة، هي التي كانت السبب في نشوء إحساس لدى بعض الأشخاص بأن الجرائد تمجد النشاطات العنيفة، وتجعل من المجرمين أبطالا حقيقيين. كما احتجوا ضد القطاعات التي بدأت تغزو بعض الرسومات المتحركة، وكذلك ضد المكانة التي تمنحها بعض الصحف للجرائم الصغيرة.

تشير مصادر أخرى بأن العنف يعتبر في سلوك الأمريكي أحد الوسائل المثلى لفض الخلافات، وأن السلاح الناري في ذاك البلد قد قتل ١٠٧٢٨ شخصا عام ١٩٧٩، في حين لم يؤد في كندا إلا إلى قتل ٥٢ شخصا، و٤٨ في اليابان و٨ فقط في بريطانيا. وقد لاحظ السيد «هاري اندرسون» في مقالة نشرها عام ١٩٨٢م في صحيفة The Press، أن الولايات المتحدة الأمريكية بلد أكثر عنفا مما يمكن تصوره.

وأمام الارتفاع المضطرد لنسب العنف والإجرام، اعتبرت انتقادات عديدة في «التلفزة» أحد الأسباب المحتملة.

وإن اغتيال الرئيس «جون

كيف يعالج الإعلام الإسلامي أخبار الجريمة والجنس؟

كنـدي» و«السيناتـور روبـرت كيندي» و«مـارتن لوثـر كينغ». قـد أدت كل هذه الاغتيـالات إلى تـركيـز الاهتمام على سلـوك الأمريكيين المتسم بـالعنف، وقد انتقد مجلس الشيـوخ الأمريكي «البرامج التلفازيـة لكونها تقدم جرعات كثيفة من الأحداث التي تحتـوي على العنـف والإرهـاب والانحراف».

الإعلام الإسلامي وأخبار الجرائم والعنف

إن الإعـلام الإسلامي يمكنـه عرض ومعالجة أخبار وقصص الجريمة والعنـف، على أن تكون العبرة فيه. ليس بتفصيل وقائع الجريمة، وإبراز الحيل المعتمدة في ذلك، لكن بإبراز عواقب القتل على مرتكبه وعلى محيطة وعائلته وعلى الروابط الاجتماعية.

يقول السيـد قطب «لقـد كثر مجيء النهي عن القتل في القرآن الكـريم، فالمجتمع الـذي تشيع فيـه المقـاتـل والثـارات مجتمع مهدد بـالدمـار، ومن ثم يجعل الإسـلام العقـوبـة من أقسى العقـوبـات لأنه يـريـد حمايـة المجتمع من عـوامل الـدمـار وانطـلاق كل فـرد منـه ليعمل وينتج في طمأنينــة آمنـا على حياتـه لا يؤذى فيهـا إلا بالحق الـذي بينه اللـه في شريعتـه ولم يتركه للتقدير والتأويل».

وإن القصص في الإعـــلام الإســـلامي يجب أن يلتــزم بالغرض الديني، كما هو الشأن في القصص القرآني أو القصص في الحديث النبوي الشريف.

وأعني بذلك الاكتفاء في عرض القصة بما يحقق الغرض الديني المراد، بحيث يقتصر العــرض لأحداث القصة ومواقفها على ما يؤدي إلى الأثر المنشود، فتختار المواقف الكفيلـة بإيجاد التأثير المعين، وعند ذلك يتوقف العرض القصصي، حيث تحقق المراد، ولا داعي بعـد ذلك للمضي في سرد أحـداث ووقـائـع من شأنها أن تطيل العرض(٣).

وعن أسلوب القصـص يقول الشيخ محمـد الغـزالي: «إن القصص من أنجع الطـرق التي أتبعهـا القرآن الكـريم في تأديب النفس وسيـاسـة الجماعـات، والمحاورات النابضة، هي معالم خالـدة لضبط الحقيقة وتـوليد العبرة منها».

فهنـاك معـالم قرآنيـة حـول نظـرة الإسـلام إلى الجريمـة وعـواقبهـا الوخيمـة على الفـرد والمجتمع والتوجيهات الـربانية لمحـاربتها وتقبيحهـا وتـرهيب المعتـدين حتـى يقلعـوا عن ارتكـابها فتخف حـدتها وتقل آثارها السيئة على المجتمع(١).

لقد قص علينا القـرآن الكريم نبأ أول جـريمـة قتل متعمـد وقعت في الوجود في أسلوب حي من غير تـزييف أو تشـويـه أو إطنــاب مخل يختتـم بعبرة تتضمن حقيقة أبـدية: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتـل نفسا بغير نفس أو فســاد في الأرض فكـأنما قتل النـاس جميعـا ومـن أحيـاهـا فكأنما أحيا النـاس جميعا ولقد جاءتهم رسلنـا بالبينـات ثم إن كثيرا بعـــد ذلـك في الأرض لمسرفون﴾ [المائدة:٣٢].

وهناك آيـات كثيرة تحرم قتل النفـس بغير حـق، إذ يجب أن تكـون منـارات توجـه الإعـلام الإســلامي في حـالة معـالجتـه لموضوعات تتعلق بجريمة القتل:

- ﴿إن الذين يكفـرون بآيات اللـه ويقتلـون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم﴾ [آل عمران/٢١].

- ﴿ومن يقتل مؤمنـا متعمدا فجـزاؤه جهنـم خـالـدا فيهـا وغضب الله عليه ولعنـه وأعد له عذاباً عظيما﴾ [النساء/٩٣].

- ﴿ولا تقتلــوا النفـس التي حــرَّم اللــــه إلا بــــالحق﴾ [الأنعام/١٥١].

- ﴿قـال أقتلت نفسـا زكيـة بغير نفس﴾ [الكهف/٧٤].

- ﴿قــد خسر الـذين قتلــوا أولادهم سَفَهــــا بغير علـم﴾ [الأنعام/١٤٠].

- ﴿وإذا الموؤدة سُئلت. بـأي ذنب قُتلتْ﴾ [التكوير/٨و٩].

على ضـوء هـذه الآيـات يجب على الإعلام الإسلامي أن يسهم بقــوة في نبـذ القتل بغير حق، وعليه أن يدعـو الناس إلى ضبط أنفسهـم - وتـأمـل مصيرهـم، وتذكرهم عند كل حالة قتل.

واسترشــادا بهذه المعـــالم القرآنيـة الكريمة نخـرج بنتيجة واضحة مـؤكدة وهي أنـه يمكن للصحــافة «النظيفـة» أن تقـدم أخبـار الجريمة على صفحـاتها للقـراء - كلما تطلب الأمـر ذلك دون أي حـرج مترسمـة في ذلك خطى القرآن الكـريم الذي أورد هـذه المعالم بين دفتيـه، لتقبيح الجريمـة، وردع المجرمين، فلـو كان الإسـلام يمنع الحديث عن هذه الأمـور، ويحض على تجنب الخوض فيها، لما وردت في قـرآن

النشــاط الفنــي القصصي في منطـق الأسهم لـه وظيفة وله رسالة وله هدف

كريم يتلى ويُتَعَبَّدُ بـه، والقرآن هو المنبع الصافي والسراج المنير الهادي لكل من يريد السير على النهج السليم، والصراط المستقيم(١).

إذا كانت الطرق التي تعتمدها وسائل الإعلام في معالجتها للقضايا الجارية، والحلول التي تقترحها، يقلدها الناس بدرجات متفاوتة، وفي أحيان أخرى هناك من يعتبرها حلولاً مثلى، تعبر حقيقة عن روح العصر.

ولذلك فإن النشاط الفني القصصي في منطق الإسلام له وظيفة وله رسالة وله هدف، بحكم أن هذا النشاط الفني هو جزء من نشاط الإنسان المسلم، وهذا الإنسان بحكم إسلاميته، صادر في محل نشاطاته مهما اختلفت مجالاتها عن تصور إسلامي خاص يجعله يعبر تلقائيا وبلا أدنى ضغط خارجي وفق قيم الإسلام ورآه شكلا ومضمونا(٣).

الطرق السليمة في معالجة أخبار الجريمة

يقع الصحفيون المبتدئون في أخطاء مهنية عند معالجتهم لعدد من أخبار الجرائم والعنف، إذ يقدمون في أحيان كثيرة فرضيات وخلاصات لا تعبر حقيقة عن طبيعة الأحداث وأسبابها.

ومما لا شك فيه أن المراسل المنفعل ربما يكون في عجالة من أمره فيصف حادثا ما بأنه انتحار أو قتل في الوقت الذي يكون فيه حادثا عاديا، وعلى هذا الأساس، فإنه ينصح المراسلين والصحفيين أن ينقلوا ما يعرفونه فقط، وأن يتركوا الشائعات إذا لم يتوفر أمامهم تقرير عن تشريح الجثة أو أي تصريح من مسؤول(٤).

وحادث الانتحار الواضح واحد من أصعب أخبار الجريمة تحريراً. وإذا ما تضمن تقرير الشرطة أن رجلا قد وجد قتيلا برصاصة في صدغه الأيمن كما أن مسدسا قد وجد في يده اليمنى أو بالقرب منها، فمن الضروري أن يكتب الخبر تماما كما جاء في التقرير، وإذا وجد «البوليس» أن شخصا ما قد «سقط» قتيلا فلا يجوز للمراسل أن يتجاوز الحقائق بل عليه أن يستعمل ذات التعبير في خبره، وإذا وجدت إمرأة قتيلة في فراشها وإلى جانبها زجاجة من الأقراص المنومة يجب على المراسل ألاّ يستنتج أي شيء من عنده(٤).

وفي مثل هذه الحالات الشديدة التعقيد، من الأكثر فائدة والأجدى ألا يندفع الصحفي لتقديم أسباب ودوافع الجريمة، لأن المظهر الساطع للأحداث قد خفي في ثناياه الأسباب الحقيقية والفعلية التي يصعب معرفتها من خلال الاتصال الأولي بالواقع.

وضع الدكتور محمد فريد محمود عزت في مؤلفه بعنوان «بحوث في الإعلام الإسلامي» عددا من القواعد التي من شأنها ترشيد وضبط كيفيات نشر أخبار الجريمة في الصحافة التي يطلق عليها صفة «النظيفة» ومن هذه القواعد أو النصائح.

أولا: ينبغي على الصحافة «النظيفة» أن تقف إلى جانب المجتمع في الحق وأن تكون ضد الإجرام، وتثير الكراهية ضد المجرمين وتُقبح أعمالهم، وتبدي احتقارها لهم، وتنفر الناس منهم، وتحض على تجنب الإجرام، وتكوين رأي عام راشد ضده، ذلك أن الإجرام في ذاته عمل عدواني على المجتمع.

ثانيا: على الصحافة «النظيفة» أن تراعي الدقة في عرض أخبار الجريمة وتتجنب التهويل والمبالغة بقصد إثارة القراء، والجري وراء تحقيق الربح المادي على أن تشفع الخبر ببيان أسباب الجريمة، وعلاجها دون أن تخوض في التفصيلات الدقيقة للحادثة التي لا لزوم لها، وكذلك تجنب التعليق على الخبر بما يؤذي الأخلاق العامة أو يحرج الإحساس والحياء، أي أن تلتزم الصحافة «النظيفة» في كتابة أخبار الجريمة جانب الواقعية ولا تحاول أن تبتعد بالقارىء عن مركز الجريمة، أو تغرق القصة الخبرية في بحر من التفاصيل المثيرة والتي لا يمكن أن يؤثر عدم نشرها على جوهر الموضوع.

ثالثا: يجب أن تحرص الصحافة «النظيفة» عند كتابة أخبار الجريمة على الألفاظ غيرالنابية وأن يكتفى في بعض الحالات بالتلميح دون التصريح حتى لا تخدش أذن القارىء ولا تعوده الاستهتار في انتقاء ألفاظه.

رابعا: يجب على الصحافة «النظيفة» عدم ذكر الأسماء والعناوين في أخبار الجريمة التي تنشرها ويمكن الاكتفاء بالأحرف الأولى منها، إلا في الحالات التي يتحتم فيها نشر الأسماء والوظائف. الخ.

خامسا: يجب على الصحافة «النظيفة» ألا تنشر أخبار الجريمة على الصفحة الأولى بالعناوين الضخمة بعرض الصفحة «المانشيت»، أو في الأماكن البارزة في الصحيفة إلا إذا كانت الجريمة لها أهمية عامة وفي مستوى النبأ.

سادسا: يجب على الصحافة أن تمتنع تماما عن تمجيد المجرمين فلا تظهرهم بمظهر الأبطال الذين حيروا رجال الأمن.

سابعا: على الصحافة «النظيفة» فيما تقدمه من أخبار الجريمة أن تحذر التدخل في عمل القضاء إذا كانت الجريمة معروضة أمامه، إلا إذا وثقت من أنها تكشف عن جوانب ربما خفيت عن القضاء على ألا يؤثر ذلك في سير العدالة سواء من ناحية الشهود والمحامين والقضاء. الخ.

وفي نفس النسق من الأفكار تدعو المادة الثالثة من ميثاق جاكرتا الأول للإعلام الإسلامي إلى: «الامتناع عن إذاعة ونشر كل ما يمس الآداب أو يوحي بالانحلال الخلقي أو يرغب في الجريمة والعنف والانتحار، أو يبعث الرعب أو يثير الغرائز سواء بطريق مباشر أو غير مباشر□

[يتبع ٢/٢]

الهوامش :

(١) د. محمد فريد محمود عزت، بحوث في الإعلام الإسلامي، دار الشروق. جدة، ط١، سنة ١٩٨٣.

(٢) Autews –Medias –Warren K. Agee – Ahillip H. Ault Ed-di-ضرgene –winemy tion Tiaduit de La-mecai par ame ضرSwv –tre ١٩٨٩م.

(٣) محمد بن حسن الزير، القصص في الحديث النبوي، «دراسة فنية وموضوعية» المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

(٤) جون هو هنبرغ، الصحفي المحترف، ترجمة فؤاد مويساني المؤسسة الأهلية، بيروت.

موقف الإسلام من الهجران في الحياة الزوجية

بقلم:
د. نزيه حماد

للهجران في الحياة الزوجية صورتان: إحداهما: هجر المرأة لفراش زوجها. والثانية هجر الرجل لزوجته في المضجع.

هجر المرأة لزوجها

فأمّا الأولى: وهي هجر المرأة فراش زوجها، فلا خلاف بين الفقهاء في تحريم هجر المرأة فراش زوجها لغير عذر شرعي. قال النووي: وليس الحيض بعذر في الامتناع، لأن له حقاً في الاستمتاع بما فوق الإزار(١).

وحجتهم على ذلك ماروى البخاري ومسلم وأحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح»(٢). وفي رواية: «حتى ترجع».

ومعنى الحديث: أنَّ اللعنة تستمر عليها حتى تزول المعصية بطلوع الفجر والاستغناء عنها أوبتوبتها ورجوعها إلى الفراش(٣).

وقال ابن أبي جمرة: الظاهر أن الفراش كناية عن الجماع، ويقويه قوله ﷺ: «الولد للفراش» أي لمن يطأ في الفراش، والكناية عن الأشياء التي يُستحيى منها كثيرة في الكتاب والسنة. قال: وظاهر الحديث أختصاص اللعن بما إذا وقع منها ليلاً، لقوله: «حتى تصبح» وكأن السر تأكُّد ذلك الشأن في الليل وقوة الباعث عليه، ولايلزم من ذلك أنه يجوز لها الامتناع في النهار، وإنما خص الليل بالذكر، لأنه مظنة ذلك(٤).

ومما يؤكد عموم النهي عن الامتناع بغير حق في كل الأوقات ماروى أحمد في مسنده عن أبي هريرةرضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «لاتهجر امرأة فراش زوجها إلا لعنتها ملائكة الله عز وجل»(٥).

ولايخفى أن هجر المرأة فراش زوجها لغير سبب شرعي يعد نشوزاً ومعصية وكبيرة من كبائر الإثم، لما ثبت فيه من الوعيد الشديد كلعن الملائكة، وما ورد عن النبي ﷺ من عدم قبول صلاة المرأة التي يسخط عليها زوجها حتى يرضى(٦).

هجر الزوج لزوجته

وأما الصورة الثانية وهي هجر الرجل لزوجته في المضجع، فقد ثبتت مشروعية هجر الرجال لنسائهن في المضاجع عند نشوزهن في قوله تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾ [النساء:٣٤].

والخوف هو عبارة عن حال يحصل في القلب عند ظن حدوث أمر مكروه في المستقبل(٧) وأما نشوز المرأة فأراد به معصية الزوج فيما يلزمها من طاعته. قاله ابن عباس وعطاء والسدي. وأصل النشوزمن المرأة: الترفع على الزوج بمخالفته. مأخوذ من نشز الأرض، وهو الموضع المرتفع منها(٨) وقد ذكر العلماء أن النشوز قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل، فأما وقوعه بالقول، فمثل ماإذا كانت تلبيه إذا دعاها وتخضع له بالقول إذا خاطبها، ثم تغيرت. وأمابالفعل، فمثل ما إذا كانت تقوم إليه إذا دخل عليها، أو كانت تسارع إلى تحقيق رغبته وتبادر إليه باستبشار إذا التمسها ثم تغيرت عن ذلك فتلك أمارات تدل على نشوزها وعصيانها(٩).

أقوال العلماء في (النشوز)

قال الإمام الشافعي: وأشبه ماسمعت في الآية أن لخوف النشور دلائل، فإذا قامت فعظوهن، لأن العظة مباحة. فإن لجن فأظهرت نشوزاً بقول أو فعل فاهجروهن في المضاجع. فإن أقمن على ذلك

فاضربوهن. وذلك بيّن أنه لاتجوزُ هجرةٌ في المضجع - وهو منهي عنها - ولاضرب إلا بقول أو فعل أو بهما.

ثم قال: ويهجرها في المضجع حتى ترجع عن النشوز، ولايجاوز بها في هجره الكلام ثلاثاً، لأن الله عز وجل أباح الهجرة في المضجع، والهجرة في المضجع تكون بغير هجرة كلام، ونهى رسول الله ﷺ أن يجاوز بالهجر في الكلام ثلاثاً(١٠).

وعلى ذلك نص الحنابلة وغيرهم(١١).

قال الفخر الرازي: إنه تعالى ابتدأ بالوعظ، ثم ترقّى منه إلى الهجران في المضاجع، ثم ترقى منه إلى الضرب، وذلك تنبيه يجري مجرى التصريح في أنه مهما حصل الغرض بالطريق الأخف وجب الاكتفاء به، ولم يجز الإقدام على الطريق الأشق(١٢).

ولايخفي أن الغاية الشرعية من وضع هذه الوسائل بيد الزوج عند نشوز زوجته إنما هي تهذيبها وإصلاح حالها وحملها على ترك ذلك العصيان، لرأب الصدع وإصلاح الخلل في الحياة الزوجية، ولابد أن يكون قصد الرجل في استعمال هذا الحق موافقاً لقصد الشارع عز وجل في منحه له، وضمن الغاية الشرعية التي استهدفها المولى عز وجل من استعماله.

فإذا ابتغى بفعله غير ذلك، أصبح فعله تعسفياً غير مشروع، لانحرافه في ممارسة هذا الحق عن الغاية التي شرع من أجلها، وذلك كما إذا أراد به الإنتقام، أو التعبير عن كراهيته، أو ابتغى به الحمل على معصية، أو إكراه الزوجة على ملايحل له أكراهها عليه، ومثل ذلك مالوغلب على ظنه عدم جدوى استعمال بعض تلك الوسائل المذكورة في الآية الكريمة وعدم إفضائها إلى تحقيق الثمرة المرجوة منها، لأن استعمالها حينئذ يصبح ضرباً من العبث أو الإضرار الذي لاطائل تحته، وذلك مخالف لمقصد الشارع الحكيم من تشريعها(١٣) وفي ذلك يقول صاحب «منح الجليل» من أئمة المالكية: «إذا تحقق للزوج، أو ظن عدم إفادة الضرب، أوشك فيها، فلا يضربها، لأنها وسيلة إلى إصلاح حالها، والوسيلة لاتشرع عند ظن عدم ترتيب المقصود عليها»(١٤).

أقوال الفقهاء في (الهجر)

بعد هذا، تجدر الإشارة إلى أن الفقهاء، اختلفوا في معنى الهجر في المضاجع المذكور في قوله تعالى ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ على خمسة أقوال:

(أحدها) هجر الكلام. وهو قول ابن عباس وعكرمة والضحاك والسدي.

(والثاني) أن يوليها ظهره في فراشه. روى ذلك عن ابن عباس أيضا.

(والثالث) ألا يجمعها وإياه فراش ولاوطء. وهذا قول الشعبي وقتادة والحسن البصري، ورواه أبن وهب وابن القاسم عن الامام مالك، وغيرهم.

(والرابع) أن يكلمها ويجامعها، ولكن يغلظ لها في القول. من الهجر، وهو القبيح من القول وهو رأي سفيان وابن عيينة.

(والخامس) شدوهن وثاقاً في بيوتهن. من هجر البعير، أي ربطه بالهجار، وهو حبل يشد به البعير. وهو اختيار الطبري. وقد شنع عليه فيه القاضي ابن العربي وقال: يالها من هفوة من عالم بالقرآن والسنة. وقال ابن حجر الهيثمي: وهذا القول في غاية البعد والشذوذ. وقال الزمخشري: وهذا من تفسير الثقلاء(١٥). وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين□

الهوامش:

١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٠/٧.
٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ٩/ ٢٩٤، صحيح مسلم بشرح النووي ١٠/٧، مسند الإمام أحمد ٢/ ٥١٩، ٥٣٨.
٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٠/٨.
٤) فتح الباري ٩/ ٢٩٤.
٥) مسند أحمد ٢/٣٤٨.
٦) الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي ٢/٤٧ ومابعدها.
٧) تفسير الرازي ١٠/ ٨٩.
٨) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٤٩، بدائع الصنائع للكاساني ٢/ ٣٣٤، المغني لابن قدامة ٧/ ٤٦.
٩) تفسير الفخر الرازي ١٠/ ٨٩.
١٠) الأم للشافعي ٥/١٧٦، وانظر ٥/١٠٠.
١١) غذاء الألباب للسفاريني ٢/ ٤٠٢.
١٢) تفسير الرازي ١٠/ ٩٠.
١٣) نظرية التعسف في استعمال الحق للدكتور فتحي الدريني ص ٢٥٥و٢٥٦.
١٤) منح الجليل ٢/ ١٧٦، ويقول العزبن عبد السلام« كل تصرف تقاعد عن تحصيل مقصوده باطل» قواعد الأحكام ١/ ١٠٢.
١٥) الكشاف للزمخشري ١/ ٢٦٦، أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٤٢٠، الزواجر للهيتمي ٢/ ٤٦، أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٥٠، بدائع الصنائع ٢/ ٣٣٤.

■لايخفى أن هجر المرأة فراش زوجها لغير سبب شرعي يعد نشوزاً ومعصية وكبيرة من كبائر الإثم

■لا يجوز للرجل التعسف في استعمال حقوقه على امرأته، فإن فعل فهو آثم

جمالية الإبداع في الأدب الإسلامي

الأدب الإسلامي موكل بالجمال، يحرص عليها أشد الحرص، بل ينميها ويضيف إبداعاته إليها

فطر الله الناس على محبة الجمال ولذا وعى الناقد والفيلسوف اليوناني «أفلاطون» أهمية الجمال في الحياة فقال: إن الجمال قيمة لاغنى عنها، تقديرها ضروري للحياة الخيرة، ولكن لايمكن فصلها عن قيمتي الخير والحق(١).

القرآن الكريم يشجع الحس البشري للجمال

فالجمالية كما يقول جونسن: بمعناها الواسع تفيدك محبة الجمال.. ولاشك فإن الإنسان خلق محبا للجمال، وقد ورد في الأثر عن الرسولﷺ(٢): «إن الله جميل يحب الجمال».. والقرآن الكريم يوجه الحس البشري للجمال في كل شيء، وهذا ماحمل لغويينا القدامى (كابن منظور والزبيدي) وغيرهما عبر تاريخنا اللغوي الطويل، يرجعون وهم يعاينون مفردات الجمالية في اللغة العربية، أو أية مفردة أخرى إلى كتاب الله، لكي يستمدوا منه الأشارة والشاهد، فإنه يسعى لتحريك الحواس المتبلدة، لتنفعل بالحياة في أعماقها، وتتجاوب تجاوبا حيا مع الأشياء والأحياء..

وهنا يلتقي الفن بالدين، والفن الصحيح، هو الذي يهيء اللقاء الكامل بين الجمال والحق، إذ الجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها حقائق الوجود(٣).

والأدب الإسلامي موكل بالجمال، فليس مجانبا للقيم الفنية الجمالية، يحرص عليها أشد الحرص، بل ينميها ويضيف إبداعاته إليها، والتراث الجمالي العالمي ملكية شائعة كالدين، والفلسفة، والعلوم، لايحتكرها شعب دون آخر، كما أن كلمات الصدق والشجاعة والورع والإيمان إذا جاءت بمفردها عارية من الإشراقات الروحية (الجمالية) التي يشعها البناء الفني، أصبحت مجرد كلمات مملة لاتوحي بشيء.. إذن فالأدب الإسلامي، ليس قواعد جامدة، أو صنيعا معزولا عن الحياة والواقع، أو خطبا وعظية تثقلها النصوص، والأحكام، ولكنه صور جميلة نامية متطورة، تتزين بما يزيدها جمالا وجلالاً(٤).

الأدب الإسلامي والجمال

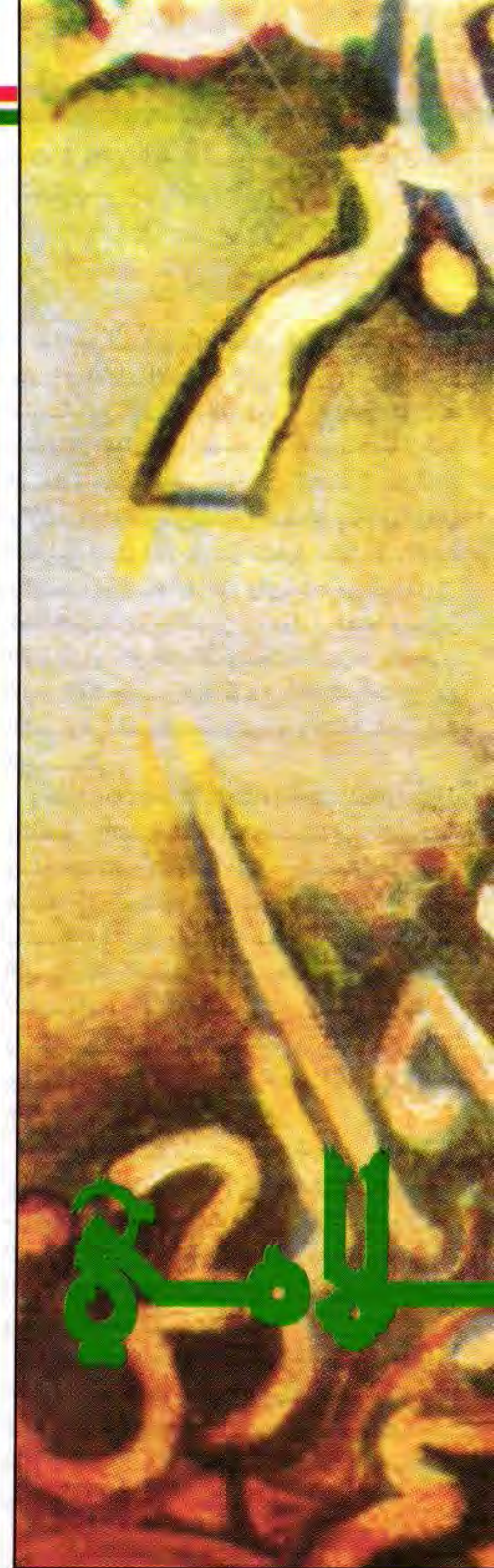
فالأدب الإسلامي - كما قلنا - موكل بالجمال يتبعه في كل شيء، وكل معنى في هذا الوجود.. الجمال بمعناه الواسع الذي لايقف عند حدود

بقلم:كمال سعد محمد خليفة

الحس، ولاينحصر في قالب محدود، جمال الكون وشموسه، وأقماره، وما بينهما من تجاذب وارتباط، وجمال الطبيعة بما فيها من جبال وأنهار، وجوامد وأحياء، وجمال المشاعر بما فيها من حب وخير وطلاقة، وارتفاع، وجمال القيم والأوضاع، والنظم والأفكار والمبادىء، والتنظيمات.. كل ذلك ألوان من الجمال يحتفي بها الفن الإسلامي، ويجعلها مادة أصيلة للتعبير، بل هو يعرض الحياة كلها من خلال المعايير الجمالية سواء بالسلب أو الإيجاب، فهو حين يعرض للاختلالات في أي مجال، يعرضها على أنها قبح ينافي حقيقة الجمال(٥).

كما أن الاستمتاع بهذا الجمال، مباح في الأصول الإسلامية: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾(٦)، ﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾(٧).

فالجمال في الأدب الإسلامي، مدخل إلى الارتقاء بالروح والذوق، والسمو بالنفس، وملهب للعاطفة، ومنشط للوجدان، ومحرك للفكر كي يجول فيما هو أبعد من المظاهر الحسية، كما أنه قد يكون سببا من أسباب الإيمان، فالقيم الجمالية تحمل على جناحيها مايعمق هذا الإيمان ويقومه، ويجعله وسيلة للسعادة، والطمأنينة، والخير في هذه الحياة



والجمال بطبيعته، لاينافي الأخـلاقية في الفن، بل إن الأخلاقية في الفن تكسبه الجمالية وعندما سئل أحد النقاد الأجانب – بيتر – لم يجب أن نكون أخلاقيين في الفن.. ؟ قال: لأن ذلك غاية الجمال(٨).

الفن والأخلاق

فالفن الصادق، أخلاقي بطبيعته – يختبر القيم، ويوقظ المشاعر الصادقة، ويستحثها لكي تميز بين الجيد والرديء في سلوك الإنسان، ولايعني بذلك أن يكون الفن متخما بـالمواعظ الدينية، أو الأخـلاقية، من أوامـر ونواه، أو بعبـارة أخرى، أن يكـون الفن تعليما، فالتعليمية والفن الأخلاقي الرفيع، يتنافران ولايتمازجان على آيـة حال فأدبنا الإسلامي نـريده فنا: يستكشف من خلال فـن مفتوح، واسع الآفاق، كي يتعلم مـاينبغي ان يعلم. (٩) فأخـلاقيـة الأدب لاتنفي جماليته، بل ترقـي بها وتدعمها حتى نعيش حياة جمالية من خلال الأعمال الأدبية المبدعة، وبهذا يترتب على النـاقـد الجمالي أن يعـد جميع المواد التي عليه أن يتعامل معها كقوى أو طاقات تبعث مشاعر ملذة كل واحـد من نوع يزيد أو ينقص خصـوصية وتفردا(١٠).

فالأدب الإسلامي تتحد فيه جماليات الشكل، مع جماليـات المضمـون فالشكل والمضمـون يتبـادلان التأثير(١١) فيصبح العمل الفنـي جمالا، يثير فينـا المتعة المرجوة من الأثر الفنـي. هذا إلى جانب المنفعة، ولـو لم تتوفـر هذه الجماليـة في الأدب لما تـوفر لـه القبول أو الحياة، فالجمالية تضفي قيمة على الشكل والمضمـــون معـا، وليس على الشكـل فقط كما يظن بعض دعـاة «الفن للفن» حيـث أنـه (لا يمكن فصل الشكل عن المادة) (المضمـون) في تجربتنا المبـاشرة مع العمل الفني بصـورة واضحـة ففي استجابتنـا المباشرة يندمج الشكل بالمضمون في مجمل الانطباع الذي يتركه العمل الفني فينا..

فعندما استمتع بقـراءة قصيدة، لاأستطيع القول أنني مدين في هذا الجزء من تجربتي إلى االفكرة، وفي ذاك الجزء إلى اللغة، أو الصور الشعـرية، أو الإيقاع الـذي ينقل التجربـة، مجمل تجربتنا مع القصيـدة (العمل) لايقبل التجزئة، رغم أن بعض العنـاصر قد تقع في منطقة الضوء، والأخرى في الظل، فهي ماتزال تؤثـر فينا مجتمعة مع بعضهـا يقول والتربتر: بأن الفن جميعا يطمـح إلى حالة الموسيقى، حيـث يكون الشكل والمادة (الموضـــوع) لايمكـن التمييـــز بينهما(١٢).

فـالأدب الإســلامي، أدب جمالي يحقق المتعـة والإشراف الـروحي، فضلا عن الأمن والطمأنينـة في ابداعاته الأدبية المتنوعة.

هذا عن الجمالية، أمـا المتعة والتسلية والسعادة، كوظائف يقدمهـا الأدب الإسلامي، فمن بين مايتهم به الأدب الإسلامي، أنه أدب قد يهتم بالأمور الجادة في الحيـاة ولايهتم بالمتعـة والتسلية، اللـذين يبحث عنها المتلقي في المقام الأول عند قراءته للآثار الأدبية عـامـة، فأين المتعـة والتسليـة والسعـادة في الأدب الإسلامي؟!

المتعة والتسلية والسعادة

أو بعبـارة أدق: أين الأدب الإســلامي من المتعـة والتسلية والسعادة؟

نقـول – بـداهة – الأدب الإسـلامي لم يبـدع من أجل الإبـداع – كما يقول – أصحـاب مدرسـة (الفن للفن)، ولكن دوره يكمن في (تشكيل الـوجـدان بما يبثه فيه من عطاءات فكريـة وعاطفية، كما أن هدفه لانقول تغيير الحياة، ولكن تطويرها والارتقاء بها إلى المستوى الأفضـل، والأجمل عن طريق بـذر العقيدة وترسيخها في الصدور، وغرس مبادىء الخير والحق والجمال في النفـوس والتبـاعـد عن الـرذيلـة والقبح(١٣).

فالهدف الأسمى – إذن – للأدب الإسـلامي، هو السمو بـالإنسان فكراً وروحـاً وسلوكـاً، ولكنه على الرغم من ذلك لم يغفل ماتقصدونه، أو تبحثون عنه من التسليـة أو المتعـة أو السعـادة، إذ الإسـلام لم يحرم مثل هـذه الأشياء فبالتـالي لايضيق بها الأدب الإسلامي.

يقول الدكتور نجيب الكيلاني(١٤): المتعة – كما أتصور – حـالة نفسيـة، أو وجدانيـة يتجسد فيهـا الارتيـاح والرضـا والاهتمام والشغف.. ولكي أزيـد الأمـر وضـوحا على ضـوء العمل الأدبي فأقـول:إن الأمر يتعلق بنواح عديدة لتحقيق تلك المتعة، فالدراما الناجحـة تبعث على المتعـة، والكوميـديا المصنـوعة ببراعـة وإتقـان تحرك شعـــور المتعـة، ولهذا، فإن الحدث الذي يبعث على الأسى، والحدث الـذي يدفع في النفس بموجـات الفرح، يستويـان في خلق المتعة، على الـــرغم من اختـــلافهما في الطبيعـــة، والتأثير، والإيحاء، لأن كليهما يبعث لونا مـن النشوة أو اللذة الروحية أو الفكرية، ويحركـان في الوجدان ألوانا من الانفعـالات، وفي الفكـر ألـوانـــا من القنـاعـات، أو التساؤلات، أو الاعتراضات، وفي ذلك كله متعه للعقل والروح والخيال.

وهـذه المتعـة تنبع من الشكل والمضمـون معـا، فالقضية أو الموضوع الذي يعالجه الأدب، ثم الشكل الفني بما فيه من بداية وعقدة ونهاية، وبما يتطعم به من تشويق وإثارة وترقب، ثم نمو الحدث، وتصوير الشخصيـات والحوار المعبر المتميـــز في القصـة أو الـروايـة أو المسرحيـة، وغير ذلك من العنـاصر التي ترتبط بكل لون من ألوان الأدب، كالموسيقى والثقافة في الشعـر، والألفـــاظ المختـارة والـــوزن.. كل تلك العناصر المتضمنة في العمل الأدبي شكلا وموضاعا، هي التي تكون عنصر المتعة لدى المتلقي.

كما أن انتصـار الخير على الشر متعـة، وانتحـار القيم الرذيلة متعة، والارتقاء بالإنسان، والأخذ بيده، ليتمكن من أداء مهـامه المنـوط بها في الحياة، متعـة ونشرالقيم السامية، والفضائل الإيمانية، والتعاطف مع الضعفاء، وانتشال المخطئين من توقعات الرذائل متعة، والتنفير من الانحطـاط، والحث على الفضائل، واعتناقها متعة.

إلى غير ذلك مما يهتم به الأدب، والأدب الإسلامي في الحياة..

وإذا كـان هــؤلاء المهتمـون، يقصـــدون المتعـة الحسيـة المتمثلـة في الجنس، والإغراق في تصـويـر، وتزيين الشرور لـلإغراء بـارتكابها أوتقليـدها، كما يحدث في الأفـــلام السينمائيـــة المتســـوردة، حتى الأفلام العربية التي بدأت تزييف القيم الدينية وتبث الأفكار المنحرفة التي يأباها الدين والعرف والتقاليد كما ورد في هذا الحوار الذي نقتطفه من فليم عربي، كان بين الممثل والممثلة اللـذين لهما اسمهما في عالم الشهـرة:

قالت له: وهبت لك نفسي..

قال: وأنا قبلت الزواج منك.

قالت متسائلة: من يشهد على ذلك؟

– فنظر إلى السماء وكأنـه يشهد اللـه (عز وجل) على مايقول..

جمالية الإبداع في الأدب الإسلامي

وتم الزواج بينهما هكذا دون شهود، ولاولي.. بلفظ الهبة، وقد أجمع العلماء والفقهاء على أن هبة المرأة نفسها غير جائزة(١٥).

ألا ترون معي أن تأثير مثل هذا المشهد على شبابنا وفتياتنا، خاصة ونحن ننهج سياسة الاختلاط بدون حرج في التعليم والنزهة، والزيارات والمشاهدة، وماإلى ذلك سيء.. فهل هذه المتعة.. بئست هي إن كانت كذلك..

كما نرى كذلك في أحد مشاهد الأفلام الأجنبية بطلة الفيلم عارية تماما وتقول لحبيبها في تبذل وعهر: لماذا تفسد علاقة الحب السعيد بالزواج(١٦) فهل تعد مثل هذه متعة؟!

فالأدب الإسلامي أدب السمو والرقي يربأ بنفسه عن هذا السقوط، ويقدم البديل الإسلامي لمثل هذه الموضوعات، وعندما نقلب صفحات الكيلاني(موضوع البحث) فسنرى المشاهد الأدبية العفيفة، والأسلوب الراقي في عرض مثل هذه المواقف.

التسلية في الأدب الإسلامي

أما التسلية: كما يقول الكيلاني(١٧): فاعتقد المقصود بها هنا هو تمضية وقت الفراغ في قراءة لون أدبي خفيف، لايرهق الذهن، ولايثقل على المتلقي ويبعد عن نفسه الملل والرتابة ويصرفه – لوقت ما – عن متاعب الحياة، كما يبعد عن التفكير المضني، والقلق المستبد، والجدية الصارمة، المسؤولية التي تشد أعصابه وتبعد منه لذة الهدوء والنوم والاسترخاء، نرى ذلك في الروايات البوليسية، والقصص الخيالي وشعر الفكاهة وفي الملح والطرائف. وهناك كثير من ألوان التسلية والتسرية عن النفس.. وهذا متوفر في كثير من الآداب التي تلقى سوقا رائجة في عالم الفن..

ولكن، فأين الأدب الإسلامي من هذه التسلية؟

نعم.. توجد التسلية في الأدب الإسلامي، فيذكر لنا تراثنا النبوي نوعا من هذه التسلية والترويح عن النفس، فرسولناﷺ في حديث له:

يروي عنه ﷺ أنه كان يمزح ولايقول إلا حقا رأته امرأة عجوز له:أدع الله لي أن يدخلني الجنة فقال ﷺ: «لايدخل الجنة عجوز».. فتقطب وجه المرأة وخافت وقالت: لم يارسول الله؟ فقال – وهو يطمئنها ويبتسم: «لا تخافي ولاتحزني، ألم تسمعي قول الله، عز وجل: ﴿عربا أترابا﴾(١٨).

فمن هنا نرى أن مبدز التريح أو التسلية مقرر ومباح، ولكن في حدود المشروع (التصور الإسلامي) لأن التسلية تتخذ مسارات متباينة، منها مايبعث على التخفيف وممارسة تحمل المسؤوليات الضرورية.

ومن التسلية كذلك مايصرف عن الاستقامة، ويورث الكسل والفوضوية، ويسخر من القيم العالية، ويقتل في النفس الطموح، ويصبح كالمخدر الذي يصنع الخيالات والأوهنام، ويدفع إلى ارتكاب الحماقات والرذائل، وهو أمر مرفوض بأي مقياس أخلاقي (إن التسلية المباحة لاتصرف عن عبادة، أو تؤخر عن قيام بواجب، أو تضعف من قوة العقيدة وصلابتها، أو تعطل القوى الإبداعية الخلاقة في الإنسان المؤمن).

ويدخل ضمن التسلية مايسمى بالسخرية وهي نوعان: نوع يوظف السخرية في النقد اللاذع الذكي للأوضاع الفاسدة والشصخيات المنحرفة، والقوى الجائرة، التي تضرب بالقيم والمبادىء عرض الحائط، تسخر الضعفاء والمقهورين، لأطماعها الدنيئة..

والأدب الذي يعبر – بسخرية واعية – عن هذا الخلل، أدب قوي بناء، يهاجم السلبيات، وينبه إليها، وهذا مانعني به في الأدب الإسلامي.

أما النوع الآخر من أدب السخرية: فهو السطحي الذي ينهش في أعراض الناس وينال من ذوى العاهات، والأحزان والجهالات، والفقراء وأصحاب بعض الحرف.. وما أكثره في إعلامنا، إنه خليط من الهمز واللمز والبذاءة، وبرغم مايبعثه من إضحاك ومرح إلا أنه يورث الضغائن والأحقاد، ويساعد على تنمية العقد النفسية، وبذر بذور الشقاق بين فئات المجتمع. خاصة وأن كثيرا منهم يستعين بفحش القول وبذاءة السلوك ومثل هذا النوع يتنافى مع القيم الإنسانية، ويجب أن يعف عنها صاحب القلم النظيف واللسان الطاهر(١٩) ومن ثم فإنه يخرج عن دائرة الإسلام، والأدب الإسلامي.

إذن. فالأدب الإسلامي، أدب عف متميز، تمتزج فيه المتعة بالمنفعة، لأنه أدب، تحكمه ضوابط وشروط نابعة من التصور الإسلامي الذي يبغض التنابز والسخرية المجوجة في الكتاب والسنة(٢٠) يحفظ للإنسان كرامته وهيبته بين بني المجتمع ليكون صالحا للهدف الذي خلق من أجله. فالأدب الإسلامي أدب بناء لامعاول هدم وتحطيم.

> **الجمال في الأدب الإسلامي، مدخل إلى الارتقاء بالروح والذوق، والسمو بالنفس، وملهب للعاطفة، ومنشط للوجدان، ومحرك للفكر**

السعادة في الأدب الإسلامي

أما عن السعادة في الأدب الإسلامي، يختلف عنها في الآداب الأخرى التي أفرزتها المجتمعات المتنوعة، بين المادية، والواقعية بأنواعها، الديانات المختلفة – والمذاهب الفلسفية المتعددة، فمثلا نجد السعادة عند الماديين، تتحقق في الحصول على المادة والإشباع المادي، والملذات الجسدية، فالهدف الأساسي لدى الماديين هو تحقيق متطلبات المعدة والجسد، وإشباع الغرائز، والرغبات من أي طريق، كما أنهم يعتبرون الدين مخدراً، ومقعداً بهم عن التوصل إلى مثل هذه الملموسات فالدين – عندهم – أفيون الشعوب، ولايختلف في ذلك الرأسمالي عن الشيوعي فالهدف واحد وإن تغيرت الوسائل..

وهذا ليس ببعيد عنا(فإذا نظرنا إلى الآدب والفنون العالمية، وجدنا قي قصصهم، ومسرحياتهم، وفي أفلامهم، ومسلسلاتهم، كما هائلا من الأحداث التي تبلورهذا المعني، وتبرزه بوضوح، فالبطل السعيد هو الذي يفوز بالفتاة الجميلة، ذات الحسن البارع، والجسد المثير، و التي لاتفكر إلا في اللذة والاستمتاع، وتثور المعارك، وتحاك المؤامرات، وتراق الدماء، وترتكب الحماقات من أجل الفوز بامرأة خاوية المعنى لاتعبر عن قيمة عليا لاتوفر إلى غاية نبيلة(٢١).

ومنهم من يرى أن السعادة، تكمن في الفوز بالمنصب، أو كرسي الحكم كما يفعل أهل السياسة من الحكام وغيرهم، ومنهم من يرى السعادة في بث الأفكار الساقطة والمبادىء السقيمة، كما يفعل الأدب اليهودي، إذ يحمل على عاتقه فساد العالم وإغراقه في الرذئل.

ولكن السعادة في الأدب الإسلامي، نابعة من القناعة التي أمر بها الإسلام فيما يروي عن رسلنا الكريم ﷺ «من بات آمنا سربه معافي في بدنه، عند، قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»(٢٢).

ونابعة كذلك من الرضا بالقضاء والقدر، لاالتمرد على حكم الله ومشيئته، ولكنه في الوقت نفسه لس أدب الخضوع والسكونية ولكنه إن كان فهو خضوع لذى الجلال والرضا بقضائه، وتمرد على الشرور والضوائق، وتمرد كذلك على السقوط والتردي.. فالأدب الإسلامي، أدب النهوض والاستعلاء..

والقرآن الكريم يحدثنا عن السعادة الحقيقية في إحدى آياته (٢٣) ﴿إلا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يجزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون. ﴾

فشرط تحقق السعادة :الإيمان والتقوى وهذان الشرطان عندما تحققا لأحد الصالحين قالك إن مابين جنبي من اللذة(السعادة) مالو علمها الملوك لقاتلوني عليها بالسيوف.

ورحم الله شاعرنا إذ يقول:

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً
وعند الله للأتقي مزيد

ومن خلال دراستنا لروايات الكيلاني، سيتضح لنا مفهوم السعادة في رؤي شخصياته وتصرفاتهم وقناعاتهم من خلال المفهوم الإسلامي، في مواجهة المفاهيم أو المذاهب الفكرية الأخرى.

فالأدب المسلم في ظل هذه الفلسفات المتعددة، والقيم المختلفة، مطالب بأن يعري زيفها، ويفضح مخططاتها، وأن يضع الأمور في إطارها الصحيح، لتكون لبنة في بناء حضاري ووجداني للإنسان الواعي، المسؤول عن تصرفاته قولا وفعلا حتى تتجدد الروح الإنسانية وترفرف في عوالم السمو والمحبة والإخاء والطمأنينة فإن ابنعاث الإيمان بالله في النفس يجدد الروح الإنسانية، ويسمو بها إلى عالم المثل(٢٤).

فالمفهوم الإسلامي للسعادة: (شعور نفسي وعقلي، يتسم بالاطمئنان والرضى، والأمان يحيطه سياج من الإيمان بالله وهي مربتة، أوحال، يمكن أن يصل إليها الغني والفقير على حد سواء، وجانب المادة فيها معترف به، لكن حدود الحاجة دونما جشع أو أنانية، في حدود الشرعية التي فصلها الإسلام(٢٥) فالعلاقة بين الرجل والمرأة لها إطار، والملكية عليها واجبات، ولها حقوق، والسلطة تحكمها أصول واضحة.

فالأدب الإسلامي أدب الإشراقات الروحية والفنية يؤدي وظائفه بصدق وإيمان والتزام، حتى الفكاهة في الأدب الإسلامي، تصبح أدبا بناء هادفا له أثره في بناء المجتمع المثالي، فلم يشغل الأديب الفكه مكان المهرج، ولامكان الساحر الذي يزيل الأرق عن أجفان المتخمين، وإنما يصف الداء بأسلوب ساخر ليتمكن المصلحون من اختيار أنجع الأدواء(٢٦).

فهي ثمرة الممارسة والحكمة المنبثقة عن التجربة والواقع.. فالفكاهة في الأدب الإسلامي(شدو بالآمال، وتعبير صادق عن الآلام، وترنم بالجمال الإنساني في شتى مظاهره، ونطق بما يختلج في قلوب الناس، ومايتردد في صدروهم من شكوي ورجاء وأمل، في أسلوب ساخر يرسل الحكمة في ثوب الفكاهة تزيدها وشيا وجمالا(٢٧) وتصبح ذات قدرة على النقد، والتغيير، والتوجية، ليحقق هذا المجتمع المثال الذي نأمل إقامته في إطار الرؤية الإسلامية التي تتغذى على القرآن القرآن الكريم.

فالأدب الإسلامي، لن يحد من مجالات الإبداع، أو يقصر التعبير على نوع معين من قضايا المجتمع دون الأنواع الأخرى، لكنه يوسع سعة الإسلام والكون والحياة.. وبهذه الشمولية، والاتساع، والامتلاء، تصبح اللوحة الفنية أجمل وأكمل وأمتع، تصبح مليئة بالحركة الموارة، والحياة الزاخرة، فيتحقق الانبعاث الذي نرجوه لهذا المجتمع فكرا، وثقافة، وحياة ولاشك فالإسلام أثري التراث الإنساني وأخصبه أيما إخصاب، وتقدم بالعالم خطوات سريعة راسخة، نحو التقدم والتحضر بنزعته الإنسانية ووضوحه المشرق، إشراق الشمس في رابعة النهار□

يكمن الهدف الأسمى للأدب الإسلامي، في السمو بالإنسان فكراً وروحاً وسلوكاً

الهوامش:

١) الجمالية ص: ٢٨٢ ر. ف. جونس رجمة عبد الواحد لؤلؤة، الكتاب الثالث المجلد الأول، موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ثانية، ١٩٨٣م. بيروت.
٢) رواه مسلم والترمذي عن ابن مسعود مرفوعا.. أنظر «الحلال والحرام د. يوسف القرضاوي ص ٨٤»
٣) الجمال لغة واصطلاحا مقال الدكتور :عماد الدين خليل بمجلة الحرس الوطني عدد ٩٤.
٤) نجيب الكيلاني في كتابته مدخل إلى الأدب الإسلمي «٣٣-٣٥» والإسلامية، والمذاهب الأدبية ص :٢٥.
٥) منهج الفن الإسلامي ص :٦-١٣٥ محمد قطب بتصرف.
٦) سورة النحل آية / ٦
٧) سورة الأعراف آية / ٣١
٨) الجمالية ص:٣٨٧ موسوعة المصطلح النقدي/ جونسن.
٩) الرواية الأخلاقية ص:٢٥
١٠) الجمالية: ص:٣١٥
١١) النقد الأدبيك دراسة جمالية وفلسفية ص:٦٨٩ جيروم ستولنتيز ت/د / فؤاد زكريا الهيئة المصرية العامة للكتاب، ثانية، ١٩٨٥م القاهر.
١٢) الجمالية ص: ٢٨٩، ٢٩٠ بتصرف.
*راجع مجلة الفيصل عدد (١٩٥) مقال(جمالية الأدب الإسلامي) للكاتب، حيث وظفت بعض الأفكار عن هذه الجزئية في هذا المقال.

١٣) انظر من قضايا الأدب الإسلامي صالح آدم بيلو ص:٧٣
١٤) آفاق الأدب الإسلامي، نجيب الكيلاني ص:١٢٢ ومابعدها.. مؤسسة الرسالة، أولى ١٩٨٥م، بيروت.
١٥) أنظر مجلة الأزهر (الدراما إلى أين ؟) للأستاذ :عاطف شحاته زهران عدد ربيع الأول ١٤١٠هـ الجزءالثالث، السنة ٦٢.
١٦) مجلة الوعي الإسلامي العدد (٢٥٥) ربيع أول ١٤٠٦هـ للاستاذ بركات عبد العزيز محمد (السلوك المنافي للإسلام في الدراما التلفزيونية المتسوردة) وفي المقال رحصائيات مهمة تشير إلى مؤشر خطر من حيث تآمر الغرب علينا وتصديره لأفلام الجنس والعنف والجريمة، وكل ماهو رذيل، يفقدنا شبابنا وهويتنا الإسلامية.
١٧) آفاق الأدب الإسلامي ص:١٢٣
١٨) سورة الواقعة آية ٣٧ والحديث رواه عبد بن حميد والترمذي
* أنظر (الحلال والحرام)ص٢٤٢د/يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الرابعة عشر / ١٩٨٠م
١٩) انظر آفاق الأدب الإسلامي. مواضع متفرقةمن ص: ١٢٥ بتصرف.
٢٠) قال تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولاتلمذوا أنفسكم ولاتنابزوا بالألقاب بئس الاثم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يأأيها الذين آمنوا اجتبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا أيحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ آية: ١١و١٢ من سورة الحجرات.
٢١) أنظر الإسلام وحركة الحياة نجيب الكيلاني :ص ١٢٢.
٢٢) رواه البخاري في الأدب والترمذي
٢٣) سورة يونس: الآيتان:٦٢و٦٣.
٢٤) أن مفهوم المثالية في الإسلام يختلف عن مفهومة في الفلسفات الغربية فالمثالية الغبية، أحلام تظل أحلاما، لأنها تتطلع إلى عالم غير منظور، وغير محقق في عالم الأرض.
أما المثالية في الإسلامك حركة تبدأ في أعماق الضمير ثم تحقق نفسها في عالم الواقع، لأن الإسلام حركة إبداعية، لتحقيق تصور معين للحياة قابل للتحقيق وفي طبيعة النفس البشرية استعداد لتحقيقة حين تسجيب لدعوته وحين تتأثر به تأثيرا ايجابيا لايكتفي بالمشاعر أو الشعائر.
في التاريخ فكرة ومنهاج ص: ٢٣ سيد قطب.
٢٥) الإسلام وحركة الحياة ص :١٢٦ نجيب الكيلاني الرسالة، أولى، ١٩٨٨م.
٢٦) الفكاهة الهادفة في الادب العربي مقال بمجلة كلية اللغة العربية بأسيوط للدكتور؟ علي أحمد العريني العددالسابع.
٢٧) نفس المرجع السابق.

أفريقيا كنز كبير للمخطوطات الإسلامية

مراكز أفريقية للحفاظ على التراث الإسلامي

بقلم: محمود بيومي

القارة الأفريقية، من أهم القارات التي تعرفت على الدين الإسلامي الحنيف، منذ العهد النبوي الشريف.. وقد أصبح الإسلام جزءا من الكيان الأفريقي كله حيث يلف الإسلام هذه القارة ويتوغل في وسطها.. وقد أثمرت الدعوة الإسلامية العديد من الإنجازات الإيجابية.. فتأسست المجتمعات المسلمة منذ القرن الأول الهجري.. وأبدع المسلمون في هذه القارة آدابا وفنونا وعلوما إسلامية، مازالت باقية حتى اليوم..

وعندما وقعت دول هذه القارة في براثن المستعمر الغربي.. حرص المسلمون على حماية هويتهم العقائدية والاحتفاظ بمخطوطاتهم الإسلامية وتوارثتها الأجيال.. وتشهد أفريقيا صحوة إسلامية معاصرة تتمثل في الانطلاقة الكبرى لمسيرة المد الإسلامي.. وأثمرت الصحوة تحويل الأقليات المسلمة إلى أغلبيات في العديد من الدول الأفريقية.

وقد أنجبت أفريقيا العديد من علماء الإسلام الذين أنعشوا الثقافة الإسلامية والعربية بالمؤلفات في مختلف نواحي العلوم والمعارف الإنسانية.. وكان لهم صلات قوية بالأزهر في مصر ومراكز التعليم الإسلامي في القيروان في تونس وفاس بالمغرب وبلاد الأندلس ودول أوروبا.. كما تأسس في أفريقيا العديد من المدن الإسلامية العربية مثل: «تمبكتو» و«باماكو» و«الحمد لله» التي أسسها الملك المسلم «ماسينا» في مالي..

كما اشتهرت بعض الأقاليم بهويتها العربية الإسلامية مثل: «زنجبار» و«كانو» في شمال نيجيريا ومنطقة «دالا» و«الحوسه» في نيجيريا أيضا.. كما ثبت تاريخيا أن الوفود خرجت من الدول الأفريقية لمقابلة الصحابة رضوان الله عليهم خلال هجرتهم إلى الحبشة.

وتعتبر القارة الأفريقية كنزا عامرا بالمخطوطات الإسلامية النادرة التي كتبت باللغة العربية وباللغات واللهجات الأفريقية المحلية.. وقد عثرت المؤسسات الإسلامية على ثروات هائلة من هذا التراث الإسلامي الأصيل.. وتواصل هذه المؤسسات جهودها للكشف عن معالم التراث الإسلامي الإسلام الأفريقي.

وترصد «الوعي الإسلامي» جهود هذه المؤسسات في بعض الدول الأفريقية.. وتسلط دوائر الضوء على إبداعات المسلمين في مختلف المعارف والعلوم وإبداعاتهم الفنية.

مركز التاريخ والثقافة

من المؤسسات الإسلامية الهامة في نيجيريا والتي تقوم بدور مهم في جمع وصيانة التراث الإسلامي الأفريقي.. مركز التاريخ والثقافة الإسلامية في ولاية (كانو) في شمال نيجيريا وقد تأسس منذ عام ١٩٨٧ ميلادية.. لجمع وثائق التاريخ الإسلامي وثقافة المسلمين في هذه الولاية الإسلامية والحفاظ عليها من الاندثار.. إلى جانب توعية الناس بها.. ويشرف على هذه المؤسسة أمير «قومل» هناك.. ويتكون المركز من أربعة أقسام تتولى تنفيذ المشروعات والبحث والتوثيق المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والثقافية.. ويضم قسما للبحث ومكتبة ومتحفا وقسما لعلم الآثار واللغة والآداب وقسما للفنون الإبداعية لتشجيع المواهب الفنية في مجالات الإبداعات الإسلامية من نقوش وزخارف وخط عربي وغيرها.



٥٤٤٧ مخطوطا

تضم مكتبة المركز ٥٤٤٧ مجلدا ومخطوطا إسلاميا نادرا.. تم تجميعها عن طريق تبادل المخطوطات وصورها وعن طريق الإهداء من الشخصيات والمؤسسات والجمعيات الإسلامية في نيجيريا وغيرها من الدول.. وقد ثبت أن منطقة (هضاب دالا) من أكثر المناطق التي عثر فيها على مخطوطات إسلامية.. احتفظت بها القبائل المسلمة منذ القرن الرابع الهجري وتوارثتها الأجيال المسلمة عبر المراحل التاريخية المختلفة.

ويقوم المركز بالمشاركة في إنشاء المراكز الإسلامية المماثلة في جميع أنحاء نيجيريا.. بهدف إنعاش الثقافة الإسلامية وإبراز الدور التاريخي الذي قام به مسلمو نيجيريا في الحفاظ على هوية المعارف الإسلامية في مختلف مجالاتها.. ويضم المركز قاعة كبرى للاجتماعات والندوات. تحفا للتاريخ لعرض المنتوجات الفنية.. التي أبدعها الإنسان المسلم في نيجيريا عبر مراحل التاريخي الإسلامي.. كما يقوم المركز بتكوين جمعيات ثقافية في نطاق ولاية (كانو) وغيرها من الولايات النيجيرية.. ويهتم المركز بالتعريف بنشاطاته المختلفة وتشجيع الناس على الاطلاع على معالم الثقافة والتاريخ الإسلامي الأفريقي.. وتجويد التراث الثقافي عن طريق التأريخ لأهم الأحداث التاريخية التي مرت بها نيجيريا.. كما شارك المركز في العديد من المهرجانات والمعارض التي تدخل في نطاق اهتماماته.. مثل المعرض النيجيري الدولي ومهرجانات الفنون والثقافة.



موسوعة الآثار الإسلامية

وقد اهتم المركز بدراسة المواقع الأثرية في نيجيريا.. فتشكلت لجنة لدراسة هذه المواقع منذ عام ١٩٨٨ ميلادية.. وقامت اللجنة بالتعرف على أهم المواقع التاريخية والأثرية في ولاية «كانو» وقامت بإجراء العديد من الحفريات في عدة مواقع أخرى وإجراء الدراسات اللازمة بشأنها.. وذلك لتأصيل التاريخ والثقافة الإسلامية لهذه الولاية.

ويقوم المركز حاليا بإعداد أول موسوعة ثقافية حول ثقافة وتاريخ منطقة (الحوسه) وتوثيق الإبداعات الفنية المتمثلة في الإنتاج الحرفي لأبناء هذه المنطقة وتسويقه.. وإعداد أفلام تسجيلية عن أهم الأحداث والتطورات التي عرفتها ولاية كانو.

ويقوم المركز بدور مهم في تنمية المهارات الفنية في مجالات الزخارف الهندسية والنباتية والحفر على الخشب ولوحات الصدف إلى جانب لوحات الزجاج المعشق والخزف والفخار والنسيج والقيشاني.. وذلك من أجل تطوير المهارات وتحسين إنتاج هذه المنتجات الحرفية وتمويلها فيقدم المركز مساعدات مادية ومعنوية ويقدم الأجهزة اللازمة لإنتاج هذه الحرف اليدوية للعاملين فيها وللراغبين في الحصول عليها.. وقام المركز بدور إيجابي في كتابة تاريخ أهم مدن ولاية «كانو» التي اشتهرت عبر المراحل التاريخية المختلفة بإنتاج الحرف اليدوية.. وتضمنت مشروعات المركز بيان حركة العمران الإسلامي لهذه الولاية والتطورات التي طرأت على تحفيظ القرآن الكريم.. من الطرق التقليدية التلقينية وحتى إنشاء المدارس القرآنية الحديثة.. وتطور تعليم الفتاة المسلمة منذ دخول الإسلام إلى نيجيريا وحتى يومنا هذا.. وذلك من أجل تأصيل الهوية الإسلامية لولاية كانو ونيجيريا كلها.

مسلمو أفريقيا أبدعوا علوما وآدابا وفنونا إسلامية راقية

الحفاظ على التراث الإسلامي

فإذا تركنا نيجيريا وذهبنا إلى دولة أفريقية أخرى مثل أوغنده، لنتعرف على الجهود الإسلامية المبذولة لصياغة التراث الإسلامي.. فإننا نجد مركز البحوث الأفريقية للحفاظ على التراث الإسلامي «تراث».. وهو من المؤسسات حديثة العهد حيث بدأ أعماله في العاصمة الأوغندية «كمبالا» منذ فبراير عام ١٩٨٩ ميلادية.. بهدف إيجاد وعي بين الشعب الأوغندي والشعوب الأفريقية.. بضرورة الحفاظ على تراثها الثقافي ووضع الاستراتيجيات اللازمة لصيانة التراث الإسلامي من الاندثار لصالح الأجيال المسلمة.. ويقوم هذا المركز بترجمة الكتب الإسلامية إلى اللغات المحلية المتداولة في القارة الأفريقية والتعريف بمعالم هذا التراث.. عن طريق تنظيم المحاضرات والحلقات الدراسية والمعارض إلى جانب تشجيع إنشاء المراكز الثقافية والمكتبات والمتاحف وغيرها.. ويشرف على المركز مجلس من الأمناء يضم أعضاء يمثلون المنظمات الإسلامية العالمية و٣ أعضاء يمثلون المؤسسات والجمعيات الإسلامية في أوغنده.

دور الحضارة الإسلامية

ويضم مركز البحوث الأفريقية للحفاظ على التراث الإسلامي.. أربعة أقسام للبحث والآثار والمعارض والاستثمارات وقسم للتعاون العربي – الأفريقي.. وذلك لبيان دور الحضارة الإسلامية العربية في النهوض بالمجتمع الأوغندي..

افريقيا كنز كبير

والتأثير العربي – الإسلامي على ثقافات السكان وتأثير اللغة العربية على اللغة السواحلية وتدوين هذه اللغة بالحروف العربية .. لأنها جاءت نتيجة للتلاقح اللغوي بين العربية وبين اللهجات الأفريقية المتداولة في شرق القارة الأفريقية.

ويتعاون المركز مع المؤسسات الإسلامية الأفريقية والعربية والعالمية.. مثل الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث والمتاحف والمكتبات ومنظمات الشباب.. لإجراء العديد من البحوث. ومن الدراسات القيمة التي أنجزها المركز.. دراسة حول أوغنده والعالم الإسلامي في القرن العشرين.. فشملت الدراسة الفترة من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩٨٩ ميلادية.. ودراسة أخرى حول المساهمات العربية الإسلامية في مجال محو الأمية والتعليم في أوغنده من عام ١٨٤٠ ميلادية إلى عامنا هذا.

كنوز المعارف الإسلامية

وفي مدينة «تمبكتو» التي تعتبر من أهم المدن الإسلامية في «مالي» وفي القارة الأفريقية كلها.. اجتمع خبراء الثقافة الإسلامية الأفريقية في عام ١٩٦٧ ميلادية.. وأوصوا بإنشاء مركز إسلامي يهتم بالتراث الإسلامي والمخطوطات العربية والإسلامية المدونة باللغات الأفريقية.. وحصر هذه المخطوطات وتحقيقها ونشرها في بلدان العالم.. وقد قرر مؤتمر اليونسكو إقامة مركز لإجراء الدراسات في الثقافة الأفريقية.. فتم إنشاء مركز «أحمد أبابا الإسلامي للتوثيق والبحث» في مدينة تمبكتو بجمهورية مالي.. وقد تم وضع حجر أساس هذا المركز في ٢٣ يناير عام ١٩٧٠ ميلادية.. وافتتح رسميا في ٨ نوفمبر عام ١٩٧٣ ميلادية.. وبعد عدة سنوات من العمل المتواصل ظهرت بوادر إنجازات هذا المركز منذ عام ١٩٧٧ ميلادية.

كانت مدينة تمبكتو في أوج مجدها في القرن السادس عشر الميلادي.. وكان علماؤها على صلة بعلماء الإسلام في القارة الأفريقية وغيرها.. خاصة علماء الأزهر في مصر وقد دعم علماء تمبكتو صلتهم بالعالم المصري جلال الدين السيوطي.. ونقلوا مؤلفاته إلى مدينة تمبكتو التي اشتهرت في التاريخ الإسلامي الأفريقي بأنها السوق الرائجة للكتب الإسلامية.. حيث تأسست بها دور نسخ المخطوطات الإسلامية وتوزيعها ونشرها.. إلى جانب ترجمتها إلى اللغات الأفريقية المختلفة.. وقد برز من علماء الإسلام في هذه المدينة الشيخ أحمد أبابا الذي توفي عام ٦٢٧ ميلادية بعد أن أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من مؤلفاته.

تنمية العلاقات الثقافية

يعمل مركز أحمد أبابا الإسلامي للتوثيق والبحث.. على اقتناء وجمع وتصنيف الوثائق التاريخية باللغات العربية والأفريقية مثل : «الهوسا» و«اليوريا» و«الفولاني» وغيرها.. والتي تتعلق بتاريخ وثقافة القارة الأفريقية وتسجيلها على «الميكروفيلم» ونشر المعلومات الواردة في هذه الوثائق وتوزيعها على

أفريقيا أنجبت علماء أنعشوا الثقافة الإسلامية

المؤسسات الإسلامية والعلمية في كافة أنحاء العالم.. ورعاية المخطوطات وصيانتها باستخدام وسائل التقنية الحديثة وتقديم الثقافة الإسلامية الأفريقية المدونة باللغة العربية.. من خلال الأعمال الوثائقية للتأكيد على أن الأفارقة تعربوا بفضل القرآن الكريم.. إلى جانب الإسهام في تنمية الثقافة الإسلامية – العربية.. التي كانت مدينة «تمبكتو» مركزا من أهم مراكزها في القارة الأفريقية.

ويعمل المركز كمعهد إعلامي وثقافي مفتوحا للباحثين وذلك من أجل تطوير العلاقات الثقافية بين بلدان العالم العربي والإسلامي والدول الأخرى التي تهتم بالثقافة والحضارة الإسلامية.

التعاون مع الجامعات

ويقوم مركز أحمد أبابا الإسلامي.. بإصدار مجلة علمية شهرية تتضمن الأبحاث وأسماء المخطوطات الإسلامية التي عثر عليها أو تم تحقيقها.. وقد صدر أول عدد من هذه المجلة في يناير عام ١٩٨٥ ميلادية.. ويتعاون المركز مع الجامعات الإسلامية في نشر وتحقيق كتب التراث الإسلامي الأفريقي.. حيث قامت جامعة «أبيدان» في نيجيريا بالتعريف بالمخطوطات الإسلامية التي قام المركز بتحقيقها وضمها إلى مكتبة الجامعة.

ومن هذه المخطوطات مؤلفات لعلماء الإسلام الأفارقة مثل الشيخ عبدالله بن محمد بن فودى والشيخ عثمان بن فودى وغيرهما.. وأكدت الدراسات التي أعدها المركز أن مدينة تمبكتو في مالي.. كانت مدينة الثقافة الإسلامية في أفريقيا.. وكان لها نفس مكانة القيروان في تونس وفاس في المغرب وقرطبة في الأندلس.. وأن مراكز البحث والثقافة الإسلامية في تمبكتو.. كانت لها صلات مع الأوروبيين في القرن السادس عشر الميلادي.. كما كانت تتعامل مع الثغور الإيطالية وبخاصة فلورنسا..

ويقوم المركز بتسجيل الترجمات الشفوية لمعاني القرآن الكريم باللغات الأفريقية.. ويتعاون في هذا المجال مع مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في اسطنبول – التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي – والذي يقوم بحصر الترجمات الشفهية لمعاني القرآن الكريم.

وبعد ..

هذه بعض النماذج المشرفة التي يبذلها الأفارقة للحفاظ على تراثهم الإسلامي الأصيل وهو ثمرة من ثمار الصحوة الإسلامية المعاصرة.. التي تسود المناخ الأفريقي العام الذي استجاب لدعوة الدين الإسلامي الحنيف منذ العهد النبوي الشريف.. وقد أصبحت أفريقيا بحق قارة الإسلام حيث تزايدت أعداد المسلمين وخرجت الأقليات المسلمة من قوقعة الأقليات إلى رحب الأغلبيات المسلمة.. واهتمت المؤسسات الإسلامية بإحياء كنوز الثقافة الإسلامية وصيانة التراث الإسلامي الأصيل□


●رعاية الطفل في وقت مبكّر يمتّعه بصحة نفسة جيدة

القلق استجابة لتهديد غير محدد أو غير معروف، وينبع في حالات كثيرة عن مصادر أو مشاعر عدم الأمان ويكون كل ذلك من داخل نفوسنا

القلق خبرة عامة ومشتركة، وهو شعور عام بالرعب أو الخشية، أو أن هناك مصيبـة على وشك الوقـوع. وهنا يجب التفـرقة بين القلق والخوف، فـالخوف استجابة لخطر واضح وموجود فعـلا، على حين أن القلق استجابة لتهديد غير محدد أو غير معروف والذي ينبع في حالات كثيرة عن مصـادر أو مشاعر عدم الأمان ويكون كل ذلك من داخل نفوسنا(١).

وللقلق في علم النفس الحديث مكـانـة بـارزة، فهو المفهـوم المركـزي في علم الأمـراض النفسيـة والعقليـة، والعرض الجوهـري المشترك في الاضطـرابـات النفسية، بل في أمراض عضوية شتى.

ومن ثم يتضح لنا صـدق المقولـة: (إننا نعيش في عصر القلق)، ولا ينسحب هذا القول على عالم الكبار والراشدين فحسب، ولكنه يضم عالم الصغار.

القلـــق وأطفالنا

بقلم: أميمة محمد عزالدين

صغار في زنزانة القلق

عنـدمـا يمـرض الطفل نفسيا، فإن ذلك يعني أنه قطع شـوطا طـويـلا من المعـاناة المتراكمـة التي تم إهمالها من قبل والـديـه. وغـالبـا مـا يكـون هـذا الاهمال نتاجا لغيـاب المستوى الثقافي الضروري لفهم ومعـرفة الارهـاصات الاولى لـلانحرافـات السلـوكية عنـد الاطفـال، مع التأكيد على أهميـة تضافر جهود جميـع الجهات المحيطة والمرتبطة بالسلوك (عائلة، روضـة، مدرسة) بحيث تؤدى في النهاية الى منظومة تربوية سوية حقا.

لهذا يعطي علم النفس اهتمامـا كافيـا بطبيعة العلاقات العائلية ويرصد مدى تأثيرها على نشوء الانحرافات السلوكية عند الاطفال.

العُصَابية: أسباب وعوارض

العُصابية هي نـوع من التهيج العصبي الذي يكثر انتشاره في مرحلة الطفولة، ويمكن إضعاف أثـره بصـورة تدريجيـة مع تقـدم السن اذا مـا توافرت الشروط التربوية السوية في العائلة.

من الناحية التكوينية: ترتبط ظاهرة العصابية بـالطفل منذ الـولادة، من دون أن يعني ذلك بأن العامل الوراثي هو المسؤول عن وجودها بالرغم من ظهـور تأثير محدد لـه، يطـال النمط العـام للاستجـابة العصبية في العـائلة التي يولـد فيها الطفل.

ومن الأسباب المساعـدة على ظهور العصابية يمكن ذكر تلك الحالة العصبية التي تواجهها الأم خـلال فترة الحمـل من جـراء المنـــازعــات والمشاحنات التي تواجههـا سواء في العائلة أم في مكان عملها أم في أثناء تسوقها.

إن القلق الشديـد الذي تسببه المعانـاة، يؤدي الى تغيرات هرمـونية في جسم المرأة الحامـل مما يؤثر على شبكة الدورة الدموية ويترك مضاعفات مضرة على الانجاب وعلى تطور ضوابطه العصبية الـلازمة للحمل، والطفل الـذي يـولد في ظل هـذه الظروف ، يرتعش عادة من أقل الأصوات ضجة، عـدا اضطراب في نـومـه النهاري أو الليلي. وقـد تصبح هذه الأعـراض العصابيـة أكثر وضـوحا وبروزا بعد السنة الأولى من عمر الطفل، وتستمر هكذا طوال السنوات اللاحقة.

رعاية أطفالنا

إن الأطفال المصابين بالعصـابية يحتاجون الى اهتمام ورعـايـة خـاصين، لأنهم يتميـزون عن غيرهم بحساسيتهم المفرطـة وانفعالهم العاطفي الجامح، واستعدادهم السهل للاضطراب النفسي وشح الشهيـة وتعطل آلية النوم لـديهم(٢). فهم ينتفضون من اللوم الموجه اليهم، فيتألمون بسرعة ويكـون البكـاء المتـواصل أحـد ردود أفعـالهم الدفاعية الأولى. لذلك يجب على الوالدين أن يراقبا طفلهما جيـدا، خصوصـا في حالتيـه الانفعاليـة والعاطفية، وأن يكونا على أهبة الاستعداد لتقديم كل العون له.

وغـالبـا مـا يستصحب الأطفـال المصـابـون بالعصابية، عدم تحمل الضجيج الملازم للأماكن المزدحمة بـالنـاس، فتراهم يشعـرون بـالتعب وفقدان القدرة على تنسيق أفعالهم ومراقبتها، لذا ينصح بالـرعايـة المكثفة لهم ويتحقق ذلك فقط، عنـدمـا يقلع الـوالـدان عن استخـدام أسـاليب معـاملـة التربيـة البـدائيـة الفظـة في عـلاقتهما كـزوجين بعيـداً عن المشـاحنـات والتـوتـرات العصبيــة(٣) المستمـرة التي تـؤثـر سلبـا على التطور النفسي لطفلهما وتسـاهم لاحقا في تثبيت عصابيته وتحويلها الى عصاب مستحكم لا يمكن استئصـاله الا بمسـاعـدة مستمـرة من الطبيب النفسي.

والاسلام دين يصلح للحيـاة وللآخـرة، ولذا نجده اهتم بالطفولة ورعـاها، ووضـع لها قواعد. فقبل أن يولد الطفل، وعندما يذهب الرجل للبحث عن شريكـة حياتـه وأم أطفـاله، يجب أن يكـون هدفه من الزواج بناء أسرة سعيدة صـالحة، وهنا نجـد الـرسـول صلى اللـه عليـه وسلم قـد رسم الطـريق للـرجل في اختيـار زوجته. فقـال عليـه الصـــلاة والســلام: «تنكـح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولـدينها فاظفر بـذات الدين تربت يداك» [رواه البخاري].

وهكذا يجب أن يهيأ الجو للنشـأة الصالحة. فالـوراثة والبيئـة إذا، تؤثـران على سلوك الطفل وشخصيتـه وانفعالاتـه وطمـوحـاته وصحتـه النفسية، وقـد أطلق عليهما الامام الغـزالي الطبع والتطبع، فالأول يورث والثاني يكتسب■

الهوامش:

(١) أحمد محمـد عبـــد الخالق، قلق الموت، الكويت: عالم المعرفة، ١٩٨٧م.

(٢) Kureshi, A. (1969) Neuroticism, anxiety, self. Concept, Indian Journal of clinical Psychology, P: 199.

(٣) أحمد مرعي، مجلـة الشاهـد، العدد ٦٢، ١٩٩٠م.

لابد وأن تكون لكل دعوة حجة دامغة، وبرهان قاطع تدليلا على صدقها وصحتها وابتغاء التصديق بها، وهذه الحجة وذلك البرهان يتمثلان في المعجزة التي هى أمر خارق للعادة يظهره الله عز وجل على يد نبيه ﷺ تأييدا لنبوته.

الإعجاز اللغوي في القرآن

بقلم: علي عبد الاله طنطاوي*

وغني عن البيان أن معجزة كل نبي هي من جنس مابرع فيه قومه ومانبغوا فيه، فموسى عليه السلام أرسل إلى قوم نبغوا في السحر فكانت معجزته الكبرى أنه ألقى عصاه فإذا هى حية تسعى تلقف جميع حيات السحرة، فآمن هؤلاء لأنهم أيقنوا أن ماجاء به موسى عليه السلام قد فاق قدرتهم ونبوغهم في فن السحر، وأنه من عند الله تعالى فخروا سجدا قائلين: ﴿آمنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾ [الشعراء: ٤٧و٤٨].

وقد أرسل نبي الله عيسى عليه السلام إلى قوم نبغوا في الطب، فكانت معجزته إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله.

ولما كان العرب قد ملكوا زمام الفصاحة والبيان، فقد جاءت معجزة رسول الله محمد ﷺ القرآن الكريم، ليتحدى العرب في فصاحتهم وبلاغتهم، حتى لايقال تحداهم في شيء لايعرفونه ولايجيدونه.

وقد جاء القرآن الكريم بمنهاج كامل للحياة، مصحوبا بحجج خالدة وقاطعة.

جاء معجزاً في بلاغة الأسلوب، وسمو المعنى، وجوا مع الكلم.

جاء معجزا في كلماته وحروفه.

جاء معجزا في قصصه عن الأمم السابقة والأنبياء والرسل الذين أرسلوا اليهم.

جاء معجزا بما حوته آياته الكريمة من العلم والمعرفة الصحيحة عن الجانب المادي للكون مما لم يكن للناس علم به وقت نزوله وبعده حتى عهد قريب.

جاء معجزا بما حواه من قواعد اجتماعية، وتشريعات حكيمة، ومثل عليا ابتغاء الوصول بالفرد والمجتمع الى درجة السمو والكمال الإنساني.

جاء معجزا بحكمه العالية، وبحقائقه المؤثرة في القلوب، والمطهرة للنفوس.

جاءت معجزته مناسبة لخلود رسالته، عامة كعموميتها، لايقيدها زمان ولا مكان فهى حجة على العرب وغيرهم من سائر الخلائق منذ نزوله إلى يوم الدين.

لقد زعم المشركون أن النبي ﷺ صبأ عن دينهم، وأنكروا نبوته وسفهوا رسالته، فجاء القرآن متحديا لهم بعد أن زعموا أن النبي ﷺ جاء به من عنده، وافتراه على ربه، فتحداهم بأن يأتوا بمثله. ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ [الطور: ٣٤].

وبعد أن عجزوا عن الاتيان بمثله تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله: ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون﴾ [هود:١٣و١٤].

وبعد عجزهم عن الإتيان بعشر سور تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ [البقرة:٢٣]. وقوله عز وجل: ﴿أم يقولون إفتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ [يونس:٣٨].

ولقد حار المشركون، واضطربت أحوالهم، وباتوا يجادلون في الحق ولايجدون مايدفعونه به، فهاهو الوليد بن المغيرة يقول لزملائه من المشركين بعد سماعه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ [النحل:٩٠]: (والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني، أعرف رجزها وقصيدها، والله مايشبه الذي يقوله شيئا من ذلك، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، إنه ليعلوا ولايعلى عليه، وما يقول هذا بشر) [البيضاوي].

وهاهو عتبة بن ربيعة توفده قريش مفاوضا للنبي ﷺ على ترك دعواه، على أن يجمعوا له الأموال حتى يصير أغنى قريش، أو يسندوا له الرياسة التي يصبح بها أرفعهم مقاما وأعزهم ملكا، أو يتلمسوا له الطب حتى يبرأ من هذا الذي يأتيه فينطقه بكلام عجيب.

وبعد سماع الرسول ﷺ لما جاء بعد عتبة بن ربيعة قرأ عليه قول الله تعالى: ﴿حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيراً ونذيرا فأعرض اكثرهم فهم لايسمعون. وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون. قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي انما الهكم إله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين﴾ [فصلت:١-٦].

*رئيس محكمة الجنايات وأمن الدولة العليا

حتى وصل الى قـولـه تعـالى: ﴿فقل أنـذرتكم صـاعقـة مثـل صـاعقـة عـاد وثمـود﴾ [فصلت:١٣] فـانصرف عقبـة مأخوذا بما سمع مـن جمال لفظ وسحر بيان وقال لقومـه - إني والله قد سمعت قـولا مـاسمعت مثله قـط، والله مـاهـو بالشعر، ولا السحر ولا الكهـانة يامعشر قريش أطيعوني وخلوا مـابين هذا الرجل وبين ماهو فيه فواللـه ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ. لقد أجـابني بشيء والله ماهو سحر ولاشعر ولاكهانة.

وقـرأ عليهم سورة فصلت حتى الآيـة ١٣ فأمسكت وناشـدت محمدا الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمـدا إذا قال شيئا لم يكذب، فخفت أن ينـزل عليكم العذاب [رواه البيهقي]. وكما هـو ثـابت بكتب التاريخ فإن عقـلاء قريش وحكماءهم لم يحاولوا الإدعـاء بمجاراة القـرآن الكريم، ولم يتهـافت إلى ذلك إلا مسيلمة الكـذاب الذي قال لفض خلاف وقع بين أصحابه: (والذئب الاولم، والجذع الأزلم، ما انتهكت أسيـد من أحرم)، ويقـول في سخـافاتـه أيضا: (والليل الـدامس، والذئب الهامس، ماقطعت أسيـد من رطب ولايابس)، ومن قوله: (الفيل مـا لفيل، ومأدراك ما الفيل، له ذنب وبيل، وخرطوم طويل)، وقوله في الضفدع: (ياضفـدع بنت ضفدعين، نقي مـــاتنقين، ونصفـك في الماء ونصفك في الطين، لا الماء تكـــدرين، ولا الشـــارب تمنعين) (١).

والنـاظـر لهذه الأقـوال يجد الفــرق شاسعا بين لغة القرآن الكريم التي تتسم بجزالة اللفظ وبلاغة القول وبديع النظم، وسمو المعنى، وجميل النسج وبين سجع مسيلمة الكذاب ،الواهي الـذي كله ركاكة واضطراب، ونسج مبتذل المعنى لاينهض ولايتماسك .

ومنذ رسـالة النبي ﷺ حتـى اليوم لم يستطع إنس ولاجان أن يأتي بسورة من مثله، وصدق اللـه العظيم حين قال: ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يـأتـوا بمثل هذا القـرآن لايأتون بمثله ولـو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [الاسراء:٨٨].

فقد مضت القرون إثر القرون دون أن نجـد من البلغــاء من استطـاع أن يأتي بأسلوب يقترب من أسلوب القرآن.

هـذا فضـلا عن الــروعـة التي تلحق بقلـوب سـامعيـه، والهيبـة والخشيـة والرهبـة التي تعتريهم عند تلاوتـه، وقد أسلم الكثير بمجـرد سماع بعض آيـاتـه (٢).

والأسلوب القرآني يحمل في طيـاته من وسـائل إعجازه مـايترفع بـه عن بلاغـة البشر، وليس هــــذا راجعـــا إلى جمال أسلوبه، وبلاغة تصويره وحلاوة إيقاعه فحسب، بل يرجع إلى القوة المسيطرة على الحروف والكلمات والآيات التي تستـأثر بالقلوب

أنزل الله تعالى القرآن الكريم منهاجا كاملا للحياة مصحوبا بحجج خالدة وقاطعة

لاسيما عندمـا يتحدث ذو الجلال والإكـارام عن ذاته العليـة وصفاته القـدسية، وقـدرته وعظمته ولطفـه ورحمته التى وسعت كل شيء (٣). وأعجـاز القـــرآن لايقتصر على ســـوره وآيـاتـــه وإنما يشمل كلماتـــه وحروفه.

إعجاز الكلمات

إن كل كلمـة من كلمات القرآن الكـريم وضعها المولى عـز وجل بميـزان وحكمة، فنجـد الكلمات التي تتكـون منها الآيـات مرتبطـة إرتباطـا وثيقا لايقبـل التجزئة، بحيث لـو نــزعت كلمـة منهـا ثم نقبت معاجم اللغة للبحث عن كلمة أفضل منها في تأليفها وموقعها وسدادها لعجزت عن ذلك، ولـو وجد المعـانـدون والمكابـرون سبيلا إلى نقـض كلمة واحدة مـن القرآن لفعلوا.

وقـد نجـد في القـرآن الكـريم بعض الألفـــاظ التي لايستسيغهـــا السمع بمفردها، ولكنها إذا تليت في القرآن كانت من أعـذب الكلمات، ولـــو بحثت في كتب اللغة عن لفظ اخـر، ماصلح لهذا الموضع غيرها، ولقـد كان العرب يئـدون البنات، ويبقون الـذكور، ويـزعمون أن الملائكة والأصنام بنات الله، فنزل قوله عز وجل: ﴿ألكم الـذكرو له الانثى، تلـك إذا قسمة ضيزى﴾ [النجم:٢١و٢٢].

فكـانت غرابـة هذا اللفظ - ضيـزى - أكثـر الألفـاظ مـلاءمة لسخـافـة هـذه القسمة الجائرة، رغـم مافي أسلـوب هذه الآية مـن السخرية والتهكـم على القائلين بذلك (٤).

وقد وضـع اللـه جل وعلا كل كلمـة من كلمات القرآن في مكانها بحكمة بالغة فقد تحذف الكلمـة أو الكلمات من الآيـة دون أى تأثير على معنى الآية، هـذا فضلا عما يتضمنـــه الحذف من روعـة الأسلـــوب وإنسجـامـه وآية ذلك قـولـه عـز وجل: ﴿ولما ورد ماء مـدين وجد عليـه أمة من الناس يسقـون - أي أغنامهـم - ووجد من دونهم امــــرأتين تــــزودان قــــال ماخطبكماقالتـا لانسقي - أي أغنامنا - حتى يصـدر الرعـاء وأبونـا شيخ كبير، فسقى لهما - أي أغنامهما-﴾ [القصص ٢٣و٢٤].

والمتأمل لهذا النص القـــرآني يجد أن المفعول قد حذف في ثـلاثة مواضـع دون إخلال بالإعجاز اللغـوي أو روعة البيان (٥).

والقرآن الكريم قد يقدم كلمة ويؤخرها في موضـع آخر حسب مقضتيات السياق، ومن ذلك قـولـــه عـز وجل:﴿ولاتقتلـوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾ [الانعام:١٥١].

فقد قدم وعده بالرزق للآباء على وعده بـرزق الأبناء ومـرجع ذلك أن الخطـاب موجه للفقراء من الأباء وذلك خلافا لقوله

الوجود الإسلامي البحري في جزر البحر الأبيض

جل وعـلا: ﴿ولاتقتلـو أولادكم خشيـة إمـلاق نحن نـــرزقهـم وإيـــاكم﴾ [الاسراء:٣١].

فقد قـدم الله وعـد الأبناء بـالرزق على الآباء لان الخطـاب موجه للأغنيـاء الذين يخشون الفقر بالصرف على الأبناء.

ومن أوجـه الاعجاز اللغـوي في كلمات القرآن الكنايـة حيث يستعمل اللفظ الذي يـؤدي المعني المقصـود وبأسلـوب رقيق مهـذب، ومن ذلك قولـه تعـالى في إباحـة التيمم.. ﴿أولامستم النســـاء فلم تجدوا مـاء فتيممـوا صعيـدا طيبـا فأمسحـوا بـوجـوهكم وأيديكـم إن الله كـان عفـوا غفـورا﴾ [النساء:٤٣]. والملامسـة هنـا كنايـة عن الجماع. ومثل قولـه عز وجل: ﴿فلما تغشـاهـــا حملت حملا خفيفـا﴾ [الأعراف:١٨٩].

والقصد أنـه تدثرهـا لقضاء شهـوته. وخلاصـة القول أن كل كلمـة من كلمات القـرآن الكـريـم: كأنها قطعـة من الماس يعطيك كل ضلع منها شعاعا، فإذا نظرت إلى اضلاعـه جملة واحـدة بهرتك بألوان الطيف جميعا (٦).

أعجاز الحروف

لـو سقط حـــرف من حـروف كلمات القرآن، أو أبدل بغيره، أو أقحم معه حرف آخـر لأحدث ذلك خلـلا في نسق الـوزن، وإنسجام العبـارة ذلك أ ن وضـع الحرف في موضعـه إعجاز لانـه يربط الكلمة التي هو فيها بما قبلها ومابعدها.

وقد يحذف الحرف في نهاية الكلمة كما في قـوله تعـالى: ﴿ولقـد كذب الـذين من قبلهم فكيف كان نكير﴾ [تبارك:١٨]، أي نكيري. وكما في قوله تعـالى: ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ [القمـر:١٦]، أي انذاري، وقـد يضـاف الحرف في آخـر الكلمـة أو الكلمات كما في قوله تعالى: ﴿ماأغنى عني مـــاليـــه، هلك عني سلطـــانيـــه﴾ [الحاقـــة:٢٨و٢٩] والأصل مـــالى وسلطاني والإضافـة للحفاظ على اتساق الوزن مع الكلمة السابقة، وفي قوله تعالى: ﴿يا ليتها كانت القاضية﴾ [الحاقة:٢٧] (٧).

اعجاز حفظه وخلوده

من معجـزات القـرآن الكـريم أن اللـه سبحـانه وتعـالى حفظه من أن تعبث بـه أيـدي الأعداء والحاقـدين، فصـانه ممـا حدث للكتب السماوية الســابقة عليه وفي ذلك يقول

ف

> كل كلمة من كلمات القرآن الكريم كأنها قطعة من الماس يعطيك كل ضلع منها شعاعا، تبهرك ألوان طيفه

ضي
لـة الشيخ
محمد متولى الشعراوي:

* إن معجـــزة القـــرآن تختلـف عن معجـزات الـرسل إختـلافـا آخـر.. فكل رسول كـانت له معجـزة وكتاب ومنهج.. معجـزة مـوسى عليه السـلام العصـا.. ومنهجـه التوراة ومعجـزة عيسى عليـه الســلام الطب ومنهجـــه الإنجيل لكن رسول الله ﷺ معجـزته هي عين منهجه ليظل المنهج محروسـا بـالمعجـزة وتظل المعجـزة محروسـة بالمنهج..وهنـا فقـد كـانت الكتب السـابقة للقـرآن داخلـة في نطاق التكليـف.. بمعنى أن الله سبحـانه وتعالى يكلف عبـاده بالمحافظـة على هذه الكتب.. غير أنهم أدخلوا فيها هوى النفس وأخضعوها للتحريف.. ولكن عندما أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن قال: ﴿إنا نحن نـزلنـا الـذكـر وإنـا لــه لحافظـون﴾ [الحجر:٩] لماذا؟

اولا:لأن القرآن معجزة.. وكونه معجزة لابـــد أن يبقى بهذا النص وإلا ضـــاع الإعجاز.

وثانيـا: لأن الله جـرب عباده في الحفظ على الكتب الســابقـة فلـم يحفظـوهـا وحرفوها عن مـوضعها ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى قرر أن يحافظ على القرآن ..فنجـده الآن في كل مكـان.في كل منـزل ومكتب وسيارة.. حتى غير المسلم يحافظ عليه ويحفظه..فنجد شخصا ألمانيا يفكر مثلا في أن يكتب القـرآن في صفحة واحدة وبشكـل جميـل، فلماذا يفعـل ذلـك مـع القرآن قبل أن يفعلـه مع الكتب السماوية السابقة، ومـاالذي يجعل دولة كـاليابان وايطـاليـا تتفننـان في طبـاعـة المصحف بشكـل جميل أنيـق.. إن ذلـك يحدث لأن الله سبحانه وتعالى يـريد أن يدلل لنا على أنه يحفظ القرآن (٨).

الاعجاز الغيبي

من معجزات القرآن الكـريم أنه تحدى في الإخبـار بأمـــور غيبيـة يستحيل على البشر إداركهـــا. فقـــد حث المشركين بما يجول في أنفسهم، ومـــاهـــو في داخل حدودهم، والذي لم تهمـس به شفاههم: ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقـــول حسبهم جهنم يصلـــونها فبئس المصير﴾ [المجادلة:٨].

ولـــو لم تحدثهـم أنفسهم بما ورد في القرآن الكريم لسارعوا الى نفي ذلك عنهم وكان ذلك أكبر دليل لكي يكذبوا الرسول ﷺ ويعلنوا أنه يقول كلاما غير صحيح.

ومن معجزاته الغيبية إخباره سلفا عن نتيجة معـركة حـربية ستقـع بين قوتين عظميين قبل حـــدوثهـــا بسبع أو ثماني سنـوات وحدد المنتصر فيهـا وهم الـروم عكس منطق الأمـور الـذي كـان سـائدا وقتئذ وعكس ماكان يتوقع البشر.

﴿الم غلبت الـروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهـم سيغلبون. في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعـد ويومئذ يفرح

المؤمنون بنصر الله﴾ [الروم:١-٥].

ومن الأحداث المستقبلة التي أنبأ بها القرآن وعد الله عز وجل لرسوله ﷺ بدخوله المسجد الحرام ظافرا ومنتصرا: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين روسكم ومقصرين لاتخافون، فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا﴾ [الفتح:٢٧]. وقد حقق الله عز وجل وعده الذي جاء بكتابه.

ومن الأنباء الغيبية التي وردت في القرآن وعد الله جل وعلا لعباده المؤمنين باستخلافهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم: ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كا استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾ [النور:٥٥].

ومصداقا لقول الله عز وجل دانت الجزيرة العربية كلها للمسلمين في عهد الرسول ﷺ ثم فتح أصحاب النبي ﷺ من بعده بلاد الفرس واقتطعوا الشام ومصر من ملك الروم.

وكقوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾ [النصر:١و٢]. ولاجدال في أن المراد بالفتح في هذه السورة الكريمة هو فتح مكة وقد وقع ماأخبربه القرآن سلفا إذ فتحت مكة وتوافد الناس من أهل مكة والطائف على الدخول في الإسلام فوجا من بعد فوج في حياة النبي ﷺ.

وكقوله عز وجل: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ [الحجر:٩] وكان المستهزئون نفرا من أهل مكة ينفرون الناس عن الرسول ﷺ ويؤذونه فهلكوا بضروب البلاء وفنون العناء وأتم الله عزو جل نور النبوة وأكمل ظهورها.

وكقوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون﴾ وقد تحقق ما وعد الله به نبيه ﷺ في كتابه الكريم وكانت الغلبة للمسلمين على الكافرين.

وكقوله جل وعلا: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة:٦٧] وقد تحقق ما أنبأ به القرآن وحفظ الله عزوجل رسوله ﷺ مع كثرة من قصد ضره وعصمه حتى انتقل من الدار الدنيا.

وكقوله تعالى: ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر. سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ [القمر:٤٣و٤٤] وقد نقل عن عمر رضي الله عنه انه قال عندما نزلت هذه الآية: (لم أعلم ماهي حتى كان يوم بدر سمعت رسول الله ﷺ وهو يلبس درعه ويقول: ﴿سيهزم الجمع﴾ فعلمته) (٩).

وكقوله سبحانه: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ [التوبة:٤ ١]، و

أقرّ جهابذة العربية في الجاهلية والإسلام، من المؤمنين والمعاندين بإعجاز القرآن الكريم اللغوي والبياني

قد وقعت هذه الأخبار وفق ما أخبر عنها القرآن. وكقوله جل وعلا: ﴿لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لاينصرون﴾ [آل عمران:١١١]، أي بالطعن بالقول وتخويف الضعفاء من المسلمين. وقد وقع ما أخبربه القرآن فقد أمن الله المؤمنين من ضرر اليهود وكانت الغلبة للمسلمين عند قتالهم ولم تحصل لليهود قوة أو شوكة بعد انهزامهم.

وكقوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ [البقرة:٢٣و٢٤].

ورغم شدة عداوة مشركي العرب للنبي ﷺ وضراوتها وحرصهم على إبطال أمره فان القرآن الكريم تحداهم وقرعهم بقوله: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا﴾، وذلك يجعلهم اشد حرصا لو كانوا قادرين على الاتيان بمثل القرآن أو بسورة منه لو استطاعوا ولكنهم لم يأتوا بشيء مما يظهر إعجاز القرآن ولوصح ما ادعوه من أن القرآن من عند النبي ﷺ لما بالغ في التحدي إلى درجة التقريع، ولو لم يكن صادقا في أمره لما قطع القرآن بأنهم لايأتون بمثله ومازال هذا التحدي قائما وسيظل إلى يوم الدين ولم يخل وقت من عهد النبي ﷺ حتى الآن من عداوة ضارية للاسلام والمسلمين ورغم اتساع العمران وتقدم العلم لم يستطع انس ولا جان أن يعارض ولو آية من آيات القرآن الكريم. وبالاضافة الى ماتقدم أخبرنا القرآن بأخبار القرون السالفة والأمم الهالكة وكما هو معروف كان النبي ﷺ أميا وقد تربى بين قوم كانوا يعبدون الأصنام ولايعرفون الكتاب كما جهلوا العلوم العقلية ولم تثبت غيبته عن أهله إلا في رحلة قصيرة الى الشام بقصد التجارة ولم يفارقه رفاقه خلالها ولم يلتق بأحد من الاحبار حتى يقال أنه عرف منهم بعض اخبار هذه الأمم.

وهذه الامثلة ليست إلا نذراً يسيرا من فيض وفير مما يقطع بأن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل□

الهوامش

١) إعجاز القرآن، للباقلاني.
٢) القرآن كتاب الله الخالد، للاستاذ فؤاد حسين طلبه.
٣) من كتاب دُرر منثورة في الادب العربي، للاستاذ عبد الله عفيفي.
٤) القرآن كتاب الله الخالد.
٥) المرجع السابق.
٦) من كتاب النبأ العظيم، للدكتور دراز.
٧) القرآن كتاب الله خالد.
٨) بتصرف من كتاب: معجزة القرآن.
٩) اظهار الحق، للشيخ رحمة الله الهندي، تحقيق د. احمد حجازي السقا.

المرأة والعلم في ميزان الإسلام

بقلم: حاتم محمد أبو العباس

تعددت أدوار المرأة في عصر النبوة وكان العلم هو الوسيلة المعبرة عن فكرها الناضج الذي يستمد دعائمه من خلال الإيمان بالله وبرسالة خاتم الأنبياء ﷺ، وكان لقيام الحضارة الإسلامية دور فعال في اتساع رقعة مهام المرأة وبخاصة في مجال التعليم والتعلم – حيث اتسم بالموسوعية في جميع مناحيه – فقد أسهمت في إثراء الحضارة الإسلامية بعطائها المتواصل وبجهدها الذي أنتج أجيالا صلبة تدرك رسالتها في الحياة.

العلم معان ودلائل

لاجدال في أن العلم هو السبيل الموصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى حيث إنه من أهم الأسس التي قامت عليها دعوة خاتم الأنبياء، فقد تعددت معانيه ولم تتباين أهدافه، لذلك نجد أن البدايات الأولى للرسالة النبوية تجعل من العلم القيمة التي تكفل للإنسان انسجاما في صلته بالخالق تبارك وتعالى وبحركة الكون، فإن أول آيات نزلت على قلب النبي ﷺ فسرت لنا هذه المعاني: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم﴾ [العلق:١-٥] ومن هذا المنطلق الفطري الذي يرتبط بجوهر الرسالة النبوية، اعتبر الإسلام العلم درجة أفضل من العبادة، لأنه يضع للمسلم أسس الخير مع نفسه وخالقه وحركة الكون، فتتكون بهذا نماذج تستقي وجودها من معاني هذا العلم الذي يعد وسيلة إلى معرفة الله، نرى ذلك جليا في أحاديث رسول الله ﷺ. فعن سعد بن أبي وقاص قال: قال النبي ﷺ: «فضل العلم أحب إليَّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع»(١)، بل إن هناك حديثا يوضح درجة العالم مقارنا إيها بدرجة العابد حيث قال النبي ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله عز وجل وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير»(٢).

يقول الإمام الغزالي معقبا على هذا الحديث: (فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد من العلم، وإن كان العابد لايخلو من علم بالعبادة التي يواظب عليها، ولولاه لم تكن عبادة. وأهل العلم أولئك الذين استحقوا هذه المنزلة، أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم، قيل وكيف ذلك؟ قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة)(٣).

الإسلام وتعليم المرأة

لقد أجزل الإسلام الثواب والعطاء لطالب العلم لذلك نجد النبي ﷺ يوجه الأمة إلى تعلم العلم حيث لا يفصل بين الرجل والمرأة، وإنما يجعل منهما الثنائية التي تجتمع على ميثاق واحد من الشرعية، لأنهما يكوّنان البنية الأساسية لحركة الكون، بل يجعل من المعطيات الكونية عنصرا مشاركا ينطق بلسان السماء، ويعبر عن عطائها لمن يقوم بتعلم العلم، فعن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر»(٤) نجد أن لفظ مسلم في الحديث يستغرق الرجل والمرأة على السواء، حيث إن المرأة داخلة في هذا التعميم.

وإذا تأملنا الإطار الذي رسمته الشريعة الإسلامية للمرأة من خلال دائرة التكليف، نلاحظ أن التباين لم يكن في الأصول بينها وبين الرجل وإنما اقتصر على أحكام فرعية قد ميزت بينهما، ليتوافق كل حكم من هذه الأحكام

الفرعية مع الطبيعة البشرية من حيث الذكورة والأنوثة.

وإذا أمعنا النظر في شريعة الإسلام من خلال مجالات التكليف للمرأة نجد أنه ليس هناك انفصام بينها وبين الرجل وإنما عليها مثل ما على الرجل من تكليف عيني في الشعائر المسنونة (الذكر، الصلاة، الصيام، الحج) وفي الأخلاق والمعاملات (الصدق، العدل، البر، الإحسان، التقوى، الأدب) وفي الحياة العامة (الصبر والهجرة إزاء الكافرين والموالاة والطاعة إزاء جماعة المؤمنين) وقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

حقيقة إن دور المرأة في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية يحتاج إلى علم يرتكز على معطيات لاتخل بالإطار الذي رسمته شريعة الإسلام لها، حيث إن الأصل في الأحكام هو اتحاد الشريعة وعموم الخطاب، ولم يثبت هناك أي تخصيص أو تمييز، وإذا عدنا إلى عصر النبوة وجدنا مجالس العلم كانت تقام بين يدي رسول الله ﷺ وكانت السيدة عائشة تتصدى للفتوى، وكانت النساء تجادلن برأيهن بين يدي رسول الله ﷺ وخلفائه حيث إنه دين يقرر الحوار ولاسيما في مجالات التعليم والعلم بين المرأة ومثيلاتها.

فضل تعليم المرأة

لاشك أن تعليم المرأة يعد من العناصر الأساسية التي تكوّن شخصية ذات معالم مضيئة، حيث إن العلم هو الوسيلة إلى تقويم السلوك البشري وتهذيب النفس وتثقيف العقل وإلى وضع المقاييس والمعايير الصحيحة التي تتصل بالهدف الحقيقي لوجود المرأة في هذا الكون، والتي تكفل لحركة هذا الكون استمرارا يستمد حيويته من خلال شرائع السماء، لقد اعتبر الإسلام التعليم من المكوِّنات الأساسية لشخصية المرأة التي نشأت في بيئة ذات تربية إسلامية سليمة، حيث قال النبي ﷺ: «من كان له أختان أو ابنتان، فأحسن إليهما ما صحبتاه، كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، وفرَّق بين إصبعيه»(٥) بل اعتبرها الإسلام ذات مسؤولية تقوم عليها بيئة المجتمع الإسلامي والتي قد وضع لنا معالمها النبي ﷺ في حديثه الشريف: «والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها»(٦) وهي مهمة متعددة الجوانب منها الاقتصادي والصحي والاجتماعي والتربوي والنفسي والإداري، وأهمها مكانتها من طفلها وهو في دور امتصاص الإيحاء والسلوك والأفكار والأخلاق، وهذا يترجم إلى

[أهل العلم أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم] [الإمام الغزالي]

«فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» [حديث شريف]

التزامات تندمج فيها بفكرها ووجدانها حتى تحقق نموذج القدوة الحسنة.

(وهذا الاعتبار – أنها ذات مسؤولية – له أثره في حياتها الفكرية والنفسية، فإن الإحساس بالمسؤولية هو في الواقع إحساس بالذات وباعث الاستجابة إلى الواجب، ومن ثم فهو مناط الإحساس بالكرامة وأهمية الوجود. ذلك إلى أنه ينبه فيها جوانب غافلة أو خاملة إلى التزامات في آفاق عدة، فتدب في نواحي النفس ألوان من النشاط والحركة ويمتاز الفكر بتعدد جوانب النظر. فهو اعتبار له أثره في دعم الوجود واكتمال الشخصية)(٧).

وأما بالنسبة للمقومات التي يجب أن تتوفر لها للقيام بهذه المسؤولية فهي (العلم بدينها وكل معرفة تثير ذهنها وتقوِّم ضميرها وتصلها بآفاق الحياة العامة وتبصِّرها بأصول مهمتها وأهداف زوجيتها وأمومتها الروحية والاجتماعية. وواجبها في توفير الظروف الحسية والنفسية لعمل كل من قانوني الزوجية والأمومة وحقيقة إنسانيتها ورسالتها التي يجب أن نحققها بها في الحياة)(٨).

العلوم التي يجب أن تتعلمها المرأة

لقد قسَّم العلماء العلم الذي ينطبق عليه الفرض إلى ثلاثة أقسام:

أ) الآية المحكمة: التي توضح الحلال والحرام في الإسلام.

ب) السنة القائمة: التي تفصِّل كتاب الله وتوضح مجمله.

ج) الفريضة العادلة: التي تعطي كل ذي حق حقه ويدخل في إطار الفريضة على المسلم ما أطلق عليه العلماء اسم فرض الكفاية، الذي إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وهو تعلم ما تقوم به مصلحة المسلمين ولا غنى لهم عنه.

ويحدثنا الإمام الغزالي في هذا الصدد فيقول: (أما فرض الكفاية – أي في العلم – فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا، كالطب، إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما. هذه العلوم التي لو خلا البلد ممن يقوم بها لأحرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى، وسقط الفرض عن الباقين، فلا تعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات، كما أن أصول الصناعات من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة، بل والحجامة والخياطة) وماذكره الغزالي هو على سبيل المثال لا الحصر.

فتعليم المرأة هذه العلوم وغيرها من علوم فرض الكفاية داخل في هذا الاختصاص، وكما تقول القاعدة الفقهية (ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب) فعلوم اللغة العربية تعد مدخلا لفهم الآية المحكمة والسنة القائمة، وإذا تحدثنا بمفهوم الاختصاص في توزيع فروض الكفايات لوجدنا أن اثنين على الأقل

المرأة والعلم في ميزان الإسلام

مما ذكره الغزالي داخل في صميم اختصاص المرأة، فالأول: هو الطب والثاني: هي الخياطة، فلا جدال أننا في حاجة إلى الطبيبة التي تعالج أمراض بني جنسها، وكذلك المعلمة التي تعلم البنات في مختلف المراحل التعليمية فهي قادرة على فهم مشاكلهن والوصول إلى مداركهن من خلال الإحساس بها وتحمل تبعة مهامها الجسيمة التي تقع على عاتقها من تربية وتعليم وتهذيب وتقويم وإبراز للقيم والمبادىء الإسلامية.

فكل ذلك يفرض عليها إحاطة جيدة بعالمها وما استحدث في مجالها العملي من علوم مثل اضطلاعها بعلوم النفس والاجتماع وعلوم تنمية شخصية الطفل، وعلوم استخدام وسائل الاتصال الحديثة من صحيفة وتلفاز وحاسب ألكتروني في الدعوة والتعليم، وكل هذه المجالات تتفق مع طبيعة المرأة من الناحية النفسية والاجتماعية والإنسانية، وهذا يعتبر تحديدا لمعالم المنفعة التي تجد المرأة كيانها من خلاله في مجتمعها المسلم.

دور الأوائل في التعلم ونشر العلم

إن دور المرأة المسلمة عبر التاريخ البشري يعتبر سجلا حافلا بالانجازات في مجالات عديدة، ومن هذه النماذج السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حيث كانت متبحرة في الفقه والطب والشعر كما أنها كانت حافظة لأكثر من ثلث أحاديث رسول الله ﷺ، وقد تحدث عن علمها كثير من الصحابة حيث يقول أحدهم: (ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولابطب ولا بشعر من عائشة) وكذلك قال الزهري: (لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل).

ومن هذه النماذج نجد في عصر النبوة أسماء بنت أبي بكر، وأم عطية الأنصارية، وأم سليم، وأم الدرداء، وفاطمة بنت قيس، وكن جميعا من راويات الحديث، وإذا راجعنا طبقات النساء المحدثات في مسند الإمام أحمد من التابعيات لوجدنا أنه يضم وحده خمسين تابعية، ونذكر منهن على سبيل المثال: حفصة بنت سيرين، وزينب بنت المهاجر، وصفية بنت شيبة.

وكذلك كان في الأندلس أيام الخلافة الأموية نحو ستين فقيهة، ومن أبرزهن فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي صاحب كتاب (تحفة الفقهاء) والتي قد تفقهت على أبيها، وحفظت تحفته، وتزوجها علاء الدين بن أبي بكر صاحب كتاب

الرجل والمرأة يشتركان في أصول الأحكام وقد يفترقان في بعض الفروع نظرا لاختلاف طبيعة كل منهما

في عصور الإسلام الزاهرة كانت المرأة أستاذة الرجال والنساء

(البدائع) وعندما كان زوجها يخطىء ترده إلى الصواب.

ومن أهم ما يميز هؤلاء الفقيهات في العصر الأموي أنه كانت توقد على بيوتهن السُّرُج دلالة على أنهم أهل الفتوى والفقه.

لهذا يجب على المرأة المسلمة اليوم أن تكون امتدادا لهذا الجيل من الصحابيات والتابعيات اللاتي حملن الرسالة المنوطة بهن وكن مثالا يحتذى به في كل زمان ومكان.

دور المرأة المسلمة اليوم

على المرأة المسلمة اليوم وهي تواجه تحديات عدة تريد أن تبعدها عن دينها وأن تجعل منها نموذجا تافها مقلدا للمرأة في الغرب الأوروبي لذلك يجب عليها:

١) أن تفهم الإسلام بشكله الواضح المتكامل، دون تجزئة ولا تفتيت لعالم جوهره، فتحث الخطى لمعرفته وتطبيقه في أنواع من السلوك وألوان الحياة المختلفة.

٢) وأن تتفاعل مع مجتمعها بشكل إيجابي، فتدعو بسلوكها، وكونها قدوة ومثلا واقعيا فتدرك حقائق الحياة بكل مستجداتها ومتغيراتها، كما تعلمتها من الإسلام.

٣) وأن تنظر إلى مشكلات السلوك والفكر في مجتمعها برؤية شمولية وبشكل يتوافق مع التصورات الإسلامية للحياة من أجل أن تزداد وعيا بهذه الحياة وفهما لها.

٤) وألا تتأثر بالثقافة الغربية فكرا وسلوكا، لأنها تعد نوعا من التغريب داخل المجتمع الإسلامي وذلك بأن تحيا مكرَّمة ترتدي زي الإسلام، وتكون بعيدة عن النظرات المستهينة والمواقف المبتذلة

٥) أن تتخذ العلم وسيلة من وسائل التسلح بالإيمان الذي يصل الإنسان بربه.

٦) وأن تكون طبيعة منهجها التعليمي ومضامينه الاجتماعية والسياسية والعقائدية معبرة عن الفكر الإسلامي المستنير وعن الأوعية التي يستقي منها هذا الفكر أهدافه واتجاهاته وأسسه وقيمه□

الهوامش:

(١) صحيح الجامع للألباني (٤٢٢٤).

(٢) رواه الترمذي، وصححه الألباني (٤٢١٣).

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٧، ١١).

(٤) صحيح الجامع (٣٩١٤).

(٥) الأحزاب، آية ٣٥.

(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٣/ ١٠٢٦).

(٧) رواه البخاري ومسلم.

(٨) انظر: الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة،

راحتنا الصلاة

شعر: عبد الله القولي

إذا اشتد العنا(١) هبّت شكاة ... فأنقذنا(٢) فراحتنا(٣) الصلاة
إلهي أنت للعباد عون ... بفضل الله كان لهم ثبات
فكم صلة إلى الرحمن مُدّت ... من الآفاق يزجيها(٥) التقاة
أقمناها إله الكون طوعا ... عسى تحنو على الحوض(٦) السقاة
نسبح خالقاً أحداً تعالى ... فتسمو الروح تنفحها الهبّات(٧)
هبات من كريم(٨) مستجيب ... عطايا ليس تدركها الحصاة(٩)
نعظم ربنا طوعا وكرها ... قويا ليس يعجزه العتاة(١٠)
وندعو ربنا حالا(١١) وقالا(١٢) ... وتشهد ذكره منا الغداة(١٣)
وليل ننصب القامات فيه ... بحمد الله ما لانت قناة(١٤)
أقمناها عمود الدين(١٥) خمسا ... فتنهانا عن الفحشا الصلاة
وتحدونا(١٦) إلى الخيرات طرا ... وتسعدنا وقد جهل العصاة
وصلينا كما المختار صلى ... فهادينا تضيء به الحياة
نقلده عسى الرحمن يرضى ... وتسعدنا بشرعته(١٧) الصفات
فسجدتنا بها عز تسامى ... وركعتنا بها انتصر الدعاة
وجبهتنا بها آثار قربى ... وأنوار يروح بها الهداة
هدية ربنا فرضت علينا ... بمعراج الرسول لنا عظات
فتاركها على جحد كفور ... وفي نار له حقا ثبات
ومتقنها له منها خشوع ... وكم صلحت من الإحسان ذات
تقبلها إله العرش منا ... مقربة تكون بها النجاة

الهوامش:

(١) العنا: مقصور العناء وهو التعب، والمقصود هموم النفس ومشقات الحياة.

(٢) جاء في الأثر أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

(٣) وجاء في الأثر أيضاً أن النبي ﷺ كان إذا دخل وقت الصلاة قال: «أرحنا بها يا بلال» أو كما قال ﷺ.

(٤) جاء في التنزيل العزيز: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [البقرة:٤٥].

(٥) يزجيها: يرسلها.

(٦) الحوض: المراد حوض الكوثر الذي أكرم الله تعالى به نبيه وصفيه محمدا ﷺ في الجنة.

(٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه» [رواه البخاري]. ومعنى الملائكة تصلي: أي تطلب المغفرة ورحمة الله.

(٨) وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح».

(٩) الحصاة: العقل.

(١٠) العتاة: الجبارون.

(١١) حالاً: المقصود سلوكا وفعلاً.

(١٢) قالا: قولا.

(١٣) الغداة: الصبح.

(١٤) قناة: المقصود بها قامة الجسم.

(١٥) عمود الدين: الصلاة، وفي الأثر الصلاة عماد الدين.

(١٦) تحدونا: تحثنا وتدفعنا.

(١٧) بشرعته: بشريعته ودينه.

الصحوة الإسلامية في بلاد تركستان

بقلم:
الدكتور عوني الخان*

بعد نكبات عديدة حلت بالمسلمين في العالم الإسلامي، ومازال بعضها يُنْزف قلوبنا دما، وقعت في السنوات الأخيرة في العالم الإسلامي أحداث هامة وسارة في نفس الوقت، فعلى رأس هذه الأحداث يأتي انتصار المجاهدين الأفغان على أقوى جيوش العالم الجيش الأحمر السوفيتي، فإن هذا الانتصار ليس انتصاراً خلّص بلاد الأفغان من وطأة الاحتلال الأحمر السوفيتي فحسب، فإنه أحد أهم الأسباب التي أدت إلى انهيار امبراطورية الاتحاد السوفيتي.

تحدث الآن بين شعوب البلاد الاسلامية القديمة في الدول الإسلامية الحديثة التي ظهرت عقب انهيار الاتحاد السوفيتي تطورات سارة جداً، فإن الهيئات والوفود الإسلامية التي تقوم الآن بزيارات إلى هذه البلاد تعود بمشاعر وانطباعات مبشرة.

أصالة الإسلام ورسوخه

هذه الشعوب التي تربت ونشأت تحت وطأة التعاليم الإلحادية والدعايات اللادينية منذ أكثر من سبعين سنة، تعلن الآن انتماءها للإسلام وانتسابها إلى العالم الإسلامي، ورغم إمكانياتهم الضيقة فإنهم يحاولون أن يبنوا مساجد ومدارس دينية متواضعة(١).

رغم حملة تعليمية مادية ورغم حظر تام على التعليم الديني دام أكثر من سبعين عاماً فكيف يستطيع هؤلاء الناس أن يعلنوا عن تمسكهم بحماس وافتخار، وكيف أمكن بقاؤهم على عقيدتهم الحنيفة...



● الشيخ أحمد يسوي



يمكن إرجاع ذلك التمسك إلى سببين رئيسيين، فهذان السببان متعلقان ببعضهما، أولهما: استمرار التلقينات الدينية حتى في أصعب الظروف وأخطرها، فقد كان الأجداد والجدات يهمسون في آذان أبنائهم وأحفادهم بأن دينهم الإسلام مسلمون، وأن الذين يجيدون الكتابة العربية كانوا يكتبون ما في ذاكرتهم من السور القرآنية لكي يحفظ أبناؤهم وأحفادهم حتى يقرأوها في صلواتهم وبهذا كانوا يحولون دون ابتعادهم عن دينهم وعقيدتهم، وإلى جانب ذلك، العاداتُ والتقاليد الإسلامية التي كانوا يعيشونها في حياتهم اليومية ولم تكن محظورة عليهم كانت تساعدهم على تمسكهم بكيانهم الإسلامي، وإلى جانب ذلك نقطة مهمة أخرى أن في هذه التقاليد الصوفية والتي ترجع إلى السنوات الأولى لانتشار الإسلام، هذه التقاليد كانت تصاحب معها

*الأستاذ المساعد بكلية الإلهيات جامعة التاسع من سبتمبر - أزمير

ظاهرة الانتساب والتبعية للعلماء والمشايخ القدماء.

وثانيهما: وجود أسماء ومراقد العلماء والمحدثين والمشايخ الذين نشأوا في هذه البلاد مثل الإمام البخاري والإمام الماتريدي والإمام السمرقندي والبيروني وأمثالهم، ومن بين هؤلاء العلماء عالم جليل له تأثيره العميق ومكانته الخاصة بين شعوب هذه المناطق، ولم يزل تأثيره منذ ألف عاما قائماً بين هذه الشعوب بأشعاره الملهمة والمرشدة، هذا العالم هو الشيخ أحمد يسوي.

الشيخ أحمد يسوي

ولد الشيخ أحمد يسوي في بلدة صيرم قرب مدينة جيمكنت الواقعة في جنوب قوزاقستان، ولا يعرف تاريخ ميلاده بالتحديد، يعتقد أنه ولد في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، سبب اشتهاره بلقب يسوي يرجع إلى استيطانه في مدينة يسي المعروفة الآن باسم تركستان. وتلقى تعليمه الابتدائي في يسي، وفقا للمناقب المنسوبة إليه ظهرت كراماته منذ حداثة سنه. انتسب في شبابه إلى شيخ يسمى آرسلان بابا. انتقل أحمد يسوي إلى مدينة بخارى بعد وفاة شيخه آرسلان بابا، وانتسب إلى الشيخ يوسف الهمداني(ت٥٥٣هـ/ ١١٤٠م) المبحر في العلوم الظاهرية والباطنية والمعروف بخدماته التدريسية والإرشادية. حذا حذو شيخه تماماً، وتمسك بالأحكام الشرعية والسنة النبوية ومبادىء المذهب الحنفي تمسكا قويا. بعد وفاة شيخه عاد إلى يسي وبقي هناك قائما بالدعوة والإرشاد حتى وفاته في تاريخ ٥٦٢هـ/١١٦٦م.

سبب تأثيره وبقاء هذا التأثير إلى يومنا هذا في مسلمي آسيا الوسطى وسيبيريا والأناضول وآذربيجان والبلقان يرجع خاصة إلى إلى أشعاره البسيطة الخالصة والمعلمة التي يفهمها الخاصة والعوام بسهولة، وإلى شخصية أحمد يسوي المخلصة المثالية. الشيخ يسوي كان يعلم مبادىء الإسلام لتلاميذه في حلقات دروسه بأشعاره التي سماها «الحكمة» وهاك نموذجا من شعره:

إلى السلاطين الذين يدعون ملكية الدنيا،
الى الذين يكنزون أموال العالم بغير حدود،
إلى الذين يشغلون أنفسهم بالأكل والشراب،
عندما يحين اُجل لا يبقي منها شيء،
أيها الأصدقاء المغرورون الساهرون،
كاذبين يوما وليلة، نائمين في غفلة،
سيأتي ملك الموت يوما بدون إنذار،
لا يليق المشي في الأرض هكذا بغفلة.
أيها العبد الشيخ أحمد، انتظر موتك،
استعد للرحيل إلى الآخرة،
مازلت تقف في بداية الطريق على أمل الوصول،
إذا أتى ملك الموت لا يدع لك فرصة.

آلاف من مريديه وتلاميذه الذين نشأوا على يديه أو في كنفه انتشروا في هذه البلاد وكل واحد منهم داعية مخلص، خاصة بين الأتراك الرحالة الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً.

الشيخ يسوي مع شهرته الرائعة رغم الإمكانات المتاحة له كان يعيش على عمل يديه، كان يصنع المعالق والمغارف من الخشب ويبيعها، كان يُضْرَب به المثل في شغفه بحب النبي صلى الله عليه وسلم وتمسكه بسنته ﷺ، حينما بلغ الشيخ يسوي ٦٣ من عمره بنى حجرة تحت حديقة زاويته التي كان يزاول منها نشاطاته الإرشادية وكان ينزل إلى هذه الغرفة عن طريق السلم، ودخل في هذه الحجرة ولم يخرج منها حتى وفاته، إذ أنه كان يرى أن يتمتع من نعم الدنيا والبقاء فيها أكثر من النبي عليه الصلاة والسلام، إساءة للأدب وعدم الاحترام له عليه الصلاة والسلام ويُروى أن حياته بعد انعزاله واعتكافه في حجرته دامت عشرين سنة.



● حلقات العلم: استماع وتفكّر

واجبات تجاه الصحوة

ما أجمل صحوة الإسلام بعد حملة مضنية دامت أكثر من سبعين سنة لمحو الدين ودعايات متواصلة لتوطيد الإلحاد وبعد إغلاق المدارس والمساجد والمؤسسات الإسلامية.

في هذه المرحلة الحساسة، على عاتقنا نحن المسلمين ولاسيما مسلمي تركيا واجبات مهمة جدا.. هؤلاء الناس الذين أعلنوا تمسكهم بإسلامهم بافتخار وامتنان محرومون من أبسط المعلومات الدينية، فهم يريدون أن يصلّوا ولكن لا يعرفون كيف يصلّون وماذا يقرأون في صلواتهم. فهم يطلبون من الأساتذة والمعلمين الذين سيعلمونهم ما يتعلق بدينهم من العبادات ونحوها...

باختصار فهم يريدون من المرشدين الذين يرشدونهم في حياتهم الدينية الجديدة، هذه البلاد التي تشكل جزءاً كبيرا من جغرافيا العالم الإسلامي تحتاج الآن إلى الذين يخدمون فيها بنفس الروح والحماس اللذين كان أحمد يسوي يتمتع بهما حينما كان يعمل لإعلاء كلمة الله في هذه البلاد، فهذه الخدمة في نفس الوقت دين الوفاء بهذه البلاد ذات التاريخ المجيد.

إذن فهيا بنا إلى الخدمة... ومَرْحَى بإخوان العقيدة وطلائع النور□

الهوامش:

(١) بهذه المناسبة نبشر بأن مسلمي تركيا سيبنون في هذه البلاد في القريب العاجل ٦٠٠ – ٧٠٠ مدرسة عن طريق حملة تقوم بها رئاسة الشؤيون الدينية التركية.

(2) Alexandre Bennig-Chantal Lemerciler-sen Quelqueejay,

صوفي وقوميسر، (ترجمه إلى اللغة التركية، عثمان تورر) انقرة، ١٩٨٨، ص: ٢٧١،٢٥١.

آثار المخدرات الضارة تفوق المخاطر النووية

يجابه العالم حاليا عدوا يدمر اقتصاديات الأمم ويحطم أخلاقيات شبابها ويتجه بهم إلى التخلف والهاوية، ويطعن الشعوب في أغلى ماتملك من الثروات وهى ثروتها البشرية، هذا العدو يتمثل في المخدرات بأنواعها سواء الطبيعية كالنباتات أو الصناعية كالاقراص والمواد الكيماوية والكحولية تلك التي تتفق جميعها على تدمير جسم وعقل متعاطيها، ولذلك جاء تحريم الإسلام لها قاطعا وصريحا وواضحا في قوله تعالى: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فأجتنبوه لعلكم تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العدواة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة:٩٠و٩١]. وكذا في حديث الرسول ﷺ: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام» [أخرجه مسلم]..

ذلك لأن المخدرات لها آثار ضارة بالعقل منبع الحكمة ومصباح الهداية ونور البصيرة ووسيلة السعادة للانسان في الدنيا والآخرة وبه امتاز الانسان عن غيره من سائر المخلوقات مصداقا لقوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ [الإسراء:٧٠]..

فكلما أعمل الإنسان فكره وعقله وتصرف ببصيرته ووعيه حظى بالأمن ونعم بالسلام والاستقرار، ومن هنا أمر الاسلام بحفظ العقل ومنع أي أعتداء يقع عليه أو يؤدي الى اتلافه وانتقاصه تكريما وتفضيلا للبشرية وتحقيقا للمصالح العامة التي تقوم عليها حياة الناس والمحافظة على العقل تقضي بالحيلولة بين العقل وأن تناله آفة تعجزه أوتتلفه أو تجعل صاحبه مصدر شر وأذى على المجتمع، ومن أجل ذلك عاقبت الشريعة الإسلامية متعاطي المخدرات أيا كان نوعها.

بقلم: محمد محمد عيسوي الفيومي
ماجستير التربية والصحة النفسية

المخدرات تسرى سريان السم

في الآونة الأخيرة نشطت أسواق المخدرات وانتشرت منافذ السموم، ومما يدعو للقلق أن هذه السموم انتشرت بين صفوف الشباب والطلاب وسرعان ماسقطت الضحايا نتيجة هذه السموم التي خربت العقول ودمرت النفوس وأزهقت الأرواح وسرى ضررها وخطرها في المجتمع سريان النار في الهشيم. وهل من العقل والمنطق أن ينحدر الانسان بعقله ورشده، بعد أن كرمه الله وفضله فيدمر حياته بنفسه ويلغى علقه وهو أشرف عضو فيه، وقد ثبت أن المخدرات تؤدي إلى إخماد جذور الفكر وتطفىء سراج العقل وتقتل الإرادة وتميت العزيمة وتضعف الشخصية وتذهب بالأخلاق الفاضلة وتؤدي إلى الخنوع والانحلال وانهيار القوى وهدم بنية الجسم والبدن وفتور الأعضاء..

وجدير بالذكر أن الإسلام قد أولى اهتماما كبيرا بالعقل ودعا إلى المحافظة عليه إلا أنه من المؤسف أن يتنكر الإنسان لهذه النعمة العظيمة التي كرمه الله بها فيبدد هذه الطاقة من العقل والفكر والإدراك والوعي وراح يدمرها بالسموم والمخدرات ويطفىء فيها نور الإيمان واليقين ويغلفها بطلاء من الدنس والرجس.

● الإدمان، مشكلة الشباب الأوروبي

المخدرات عدو يدمر اقتصاديات الأمم ويحطم أخلاقيات شبابها ويتجه بهم إلى التخلف والهاوية

عوامل ودوافع انتشارها

المعروف أن تناول المخدرات عادة يكتسبها الفرد خلال حياته ومعنى ذلك أنها ليست وراثية أو فطرية بحيث يولد الفرد مدمنا أو مكرها على تناول المخدرات والدليل على ذلك أن هناك من يتعاطى المخدرات ومن لايتعاطاها وهو أمر لايوجد في حالات السمات الوراثية التي يولد الانسان مزودا بها، أوعلى الأقل مزودا بجذورها عند الميلاد كالأكل والشرب والجنس والاخراج والنوم وهى حاجات توجد عند جميع بني البشر بصرف النظر عن اختلاف بيئاتهم الثقافية والحضارية لان الحاجات الفطرية تكون واحدة عند كل أفراد الجنس تكون لازمة لحفظ بقاء النوع..

ولاشك أن عادة انتشار المخدرات بين المراهقين والشباب لها أبلغ الاضرار وجديرة بالاهتمام من قبل الآباء والمربين حتى يمكن السيطرة عليها والقضاء عليها في مهدها. وغالبا مايكون تعاطي المخدرات عرضا لبعض الظواهر ولذلك ينبغي معرفة الدوافع وراء المخدرات ومحاولة ازالة الدوافع من أساسها فقد يلجأ الفرد الى المخدرات نتيجة لعدم شعور المراهق بالسعادة وتصبح المخدرات المنفذ الوحيد أونتيجة لاضطرابات في محيط الاسرة، وقد تكون نتيجة لفقدانه التوازن حيث يريد الشاب أن يحتل مكانه في المجتمع غير أن المجتمع ينظر إليه على أنه مازال صغيرا مما يعمق لديه الشعور بالنقص ويريد أن يعوضه و ويؤكد ذاته فيجرفه تيار المخدرات..

وقد تكون بدافع التقليد أو نتيجة لاختلاطه بغيره من رفقاء السوء لأن علاقة (الشلة) تؤثر في أفرادها نتيجة تفاعل الفرد مع الجماعة التي ينتمي إليها ومسؤولية الأسرة هنا في اختيار الجماعة الصالحة التي ينتمي إليها الابن، وقد تكون نتيجة لحب الاستطلاع إذ يتناول الفرد المخدرات لأول مرة بغرض معرفة مذاقها ثم سرعان مايجرفه التيار فيصبح من المدمنين، وربما كان نتيجة الاعتقاد الخاطيء بأن المخدرات لها علاقة بالجنس أو نتيجة لضعف الوازع الديني والاعتقاد بزيادة القدرة على السهر والانتاج، كما أن ضغوط الحياة أو كثرة الاعباء أحيانا تدفع بالفرد إلى تعاطي المخدرات هربا مما يعانيه من أعباء نفسية وربما لكثرة المال في يد الشباب المدلل قليل الخبرة حيث يجد لديه وفرة من الوقت يريد أن يلهو فيها.

آثار المخدرات الضارة

لقد أكدت الابحاث أن تعاطي المخدرات بالاضافة الى انها محرمة شرعا – لما تحدثه من أضرار جسيمة على الفرد والاسرة والمجتمع – فانها تؤثر تأثيرا سيئا على صحة الانسان البدنية والعقلية، فهى تؤثر مباشرة على الجهاز العصبي ومراكز التفكير والجهاز الهضمي والدم وتسبب هبوط القلب وتذهب بالعقل وتفقد الوعي وتضعف قدرة الفرد فيصبح المدمن شخصا مهزوزاً غير متوازن كسولاً متواكلاً مهملاً منحرف المزاج، وتؤدي إلى الاصابة بمرض السل وتضعف الذاكرة، وتقتل الشهية و تعيق التنفس، وتهيج الأعصاب وتحدث انحطاطاً عاماً في الجسم، وتساعد على الاصابة بضغط الدم، وتمييع الخلق وتحلل الإرادة وتضعفها، ويصبح الفرد عبدا للعادة السيئة ويتعود على ا لكسل والاسترخاء وتقضي علي كل مظاهر الحيوية في الإنسان، وتقلل من قوة التحمل وتؤدي إلى سرعة الغضب الذي هو آفة مذمومة وتجعل لدى الفرد قابلية للايحاء، كما تؤكد تقارير الصحة العالمية أن الوفيات بين المدمنين الذكور تزيد ٦٨٪ عنها بين غير المدمنين..

المخدرات تدمر الاقتصاد

ان ماينفق من أموال على المخدرات يعتبر اضاعة للمال في أضرار يعود أثرها السيء على الفرد والأسرة والمجتمع، وهو إسراف دون مبرر ونوع من الاستهلاك والتبذير الذي نهى عنه الإسلام، وقد يؤثر ذلك على حياة الأسرة وربما دفعه إلى الانحراف عن الطريق السوي فيلجأ الى الرشوة والسرقة وبذلك يعود الضرر على الأخلاق

آثار المخدرات الضارة تفوق لمخاطر النووية

والفرد والمجتمع فضلا عن أن المخدرات تضعف البنية الأنسانية وتقلل من انتاجية الفرد بوجه خاص والمجتمع بوجه عام إذ أن المجتمع المدمن مجتمع مختل ومهزوز وضعيف، ولذلك تلجأ بعض الدول الي ترويج المخدرات في بعض المجتمعات للتأثير عليها وأضعافها..

كما أن تعاطي المخدرات ينجم عنه مشكلات وتعقيدات اجتماعية حادة وضارة وقد تؤدي إلى كارثة قومية وأخطر جانب من جوانب المخدرات أن إدمانها يؤدي لاعتماد مستمر ورغبة قهرية للحصول على المخدر بأي وسيلة مع ميل مستمر وتدريجي إلى زيادة الجرعة يوما بعد آخر بالاضافة الى أن نشر المخدرات بين صفوف الشباب يلهيهم عن واجباتهم تجاه بلادهم ويقتل طموحاتهم ويحولهم إلى هياكل خاملة وهو مايؤدي الى استنزاف اقتصاد البلاد على مجالات غير انتاجية سواء في علاج مرضى المخدرات ومطاردة المهربين وحراستهم في السجون..

ولقد أكدت الأبحاث والدراسات أن تعاطي الحوامل للمخدرات يؤدى الى انجاب أطفال منحرفين في سلوكهم عند الكبر ومعنى هذا أن المخدرات تهدد أمن واستقرار وحضارة العالم بطريقة الموت البطيء وتكون الكارثة أشنع إذا انتشرت المخدرات بين صفوف الجيوش فتحطم قوة المجتمع، ومن الأمور التي تجعل آثار المخدرات شيئا أشد خطرا من التلوث النووي أن التلوث النووي يكون في أكثر الاحيان واضحا ومعروفاً مما يعطي الفرصة لمقاومته وتجنبه..

أما أخطار المخدرات فلأنها تروج في الخفاء حتى يتحول الفرد الى مدمن ثم يصبح مشكلة اجتماعيةوقومية ذلك لأنها تشكل عاملا ضمن عوامل الهدم في المجتمع حيث يتحول الافراد الى طاقة معطلة بعد أن كانت قوة منتجة وخاصة في المجتمعات النامية التي تحتاج الى كل يد تساهم في بناء نهضتها فضلا عن أن الأخطار النووية تحدث في فترة معينة ثم تنتهي ولكن تفشي المخدرات إذا لم يقاوم فإنه يزيد بشكل مستمر.

الوقاية والعلاج

لاشك أن الوقاية خير من العلاج ولذلك ينبغي على كل قادر أن يمنع وقوع اي انسان فريسة لهذا السم الخطير يساهم في حماية المجتمع من الدمار، كما ينبغي تشديد الرقابة على مصادر المخدرات حتى لايحصل عليها المدمنون بسهولة وحتى لاتتفشى ظاهرة الاستهتار وعدم أخذ الأمور بالجدية الكافية وعدم تفهم كثير من الشباب والحرفيين بقيمة كل منهم في الحياة وحقيقة الاحترام الواجب منه لنفسه وللآخرين والمجتمع فيتنافسون وينساقون وراء التقليد أو التظاهر الكاذب والمتعة الخادعة وضعف إيمانه وعدم فهمه الحقيقي لدينه ولذلك ينبغي على الأسرة حسن توجيه ابنائها وتثقيفهم وتبصيرهم بأخطار المخدرات ومراقبة أوضاع أبنائهم والتعرف على سلوكهم وتحركاتهم وأن يعالجوا انحرافهم مبكرا حتى يصلوا بهم إلى شاطيء السلامة وحمايتهم من رفقاء السوء وتوفير المناخ الصحي لنشأتهم وتحصين الشباب سيكلوجيا ضد مفاسد العادات السلوكية.

– كما ينبغي على المدرسة أن تؤدى دورا هاما في حسن تربية الطلاب خلال الدراسة ونشر الوعي بين الطلبة حتى يتكون لديهم اتجاه مضاد للمخدرات.

– كما ينبغي على دور العبادة أن تؤدى دورها في المساهمةو التصدي لهذه الظاهرة وحث من يترددون عليها على الوقاية منها ومكافحتها بالاكتشاف المبكر وحسن العلاج.

– ينبغي تدعيم عملية علاج المرضى النفسيين ومعاملتهم نفس معاملة مرضى الأعضاء حتى يسهل على المريض نفسيا تخفيض توتره علاجيا بدلا من اللجوء إلى الإدمان.

– كما يجب تدعيم النشاط الرياضي والاجتماعي للشباب.

– كما أن وسائل الإعلام لها دورها الخطير للمساهمة في مكافحة الإدمان عن طريق ماتقدمه من برامج توعية.

– تنظيم عملية الاتجار بالعقاقير الطبية والمواد المخدرة.

– كما ينبغي أن تتغير نظرة المجتمع الى المدمن واعتباره انسانا مريضا نفسيا مثل أي مريض بمرض عضوي وضرورة مشاركة كل أفراد المجتمع في الإبلاغ عن أي مدمن دون أي حرج لأن تركه بلاعلاج يعد جريمة في حق الإنسانية والمجتمع ولقد ثبت أن العلاج سهل وميسور.

– وأخيرا ينبغي تنمية الوازع الديني واتباع تعاليم الدين السمحة، وي تأدية بعض الفرائض مما يساعد على الشفاء من المخدرات كالصيام ولاشك أن الإسلام يحرص عل ماينفع الناس ويحقق الخير للإنسانية ويحرم مايلحق الضرر والأذى بالفرد.. كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة﴾ [البقرة:١٩٥].

– كما نهى عن قتل النفس في قوله تعالى: ﴿ولاتقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾ [النساء:٢١].

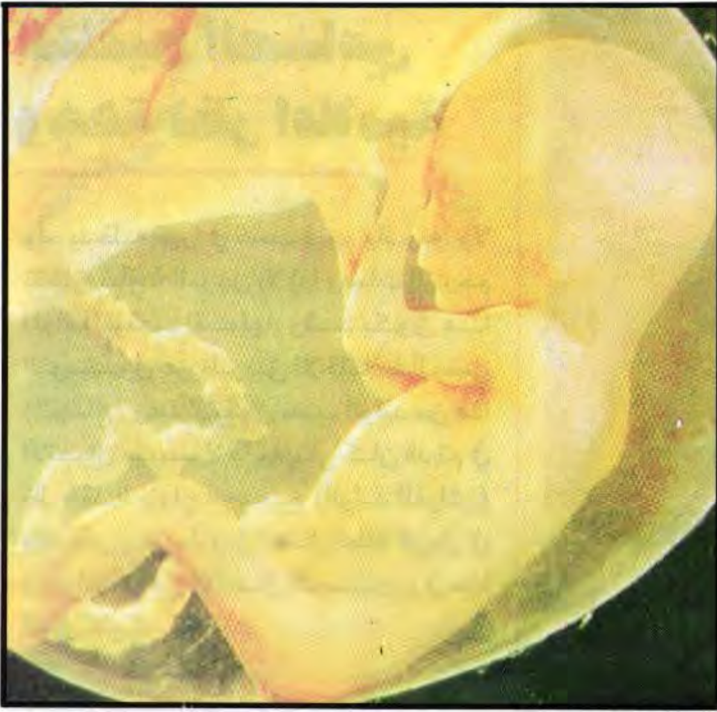
– والإسلام دين السماحة ليس فيه ضرر ولاضرار وإذا كان قد ثبت ضرر المخدرات وتحقق خطرها صحيا ونفسيا واجتماعيا كما أوضح الإسلام واعتبرها من الخبائث لفتكها بالجسم فاجتنابها واجب، والله عز وجل قد أحل للناس الطيبات وحرم الخبائث للحفاظ على أجسامهم وسلامة تفكيرهم وظهورهم في المجتمع بمظهر محبب جميل لقوله تعالى: ﴿ولاتتبدلوا الخبيث بالطيب﴾ [النساء:٢].

– كما أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وانتشار المخدرات لدى الشباب من شأنه أن يجرفهم إلى أمور شديدة القبح وشنيعة الفساد والانحراف وعامل هام من عوامل انتشار الجرائم بكافة أنوعها. فهى طريق إلى الفحشاء والمنكر لذلك ينبغي أن تساهم كل المؤسسات في الكشف لشباب الأمة وبشكل مستمر عن ضرر المخدرات البالغ وخطرها الكبير ومحاولة الضرب بيد من حديد على المهربين ليأمن الشباب شرها وليتسلح بالخلق القويم والعادات والقيم الفاضلة وصيانة القيم الاخلاقية من الانهيار حيث أنها من أسباب نهوض الأمم وتقدمها..

وصدق الشاعر اذ يقول:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبو

التلقيح الصناعي.. وجهة نظر إسلامية


●جنين مكتمل النمو

بقلم: د. محمد السقا عيد

لقد استهدف الإسلام من بين مقاصده الضرورية المحافظة على النسل، ولذا فقد شرع النكاح وحرم السفاح والتبني. وقد جعل الإسلام الاختلاط بالمباشرة بين الرجل والمرأة هو الوسيلة الوحيدة لافضاء كل منهما بما استكن في جسده. قال تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾ [الفرقان:٥٤].

في هذه الآية امتن الله سبحانه وتعالى على عباده بالنسب والصهر وعلق الأحكام في الحل والحرمة عليهما ورفع قدرهما. ومن أجل هذه المنة كانت المحافظة على النسل من المقاصد الضرورية التي استهدفتها أحكام الشريعة الإسلامية.

جلب المنافع ودفع المفاسد

وفي هذا قال حجة الإسلام الإمام الغزالي:(إن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الحق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكنا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم فكل مايتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل مايفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة ودفعها مصلحة) [المستصفي للغزالي جـ ١ ص ٢٨٧].

ومن أجل المحافظة على النسل شرع الله النكاح وحرم السفاح: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم:٢١]. ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ [الاسراء:٢٢].

ذلك أن الولد ثمرة الزواج الصحيح ينشأ بين أبوين يبذلان في سبيل تربيته والنهوض به والمحافظة عليه النفس والنفيس. أما ولد الزنا فإنه عار لأمه ولقومها إذ لا يعرف له أب وبذلك ينشأ فاسدا مهملا ويصبح آفة مجتمعه.

وإن كان فقهاء الشريعة قد عرضوا لهذا النوع من الأولاد وحثوا على تربيته والعناية به وأوصلوا أحكامه في كتب الفقه تحت عنوان «باب اللقيط». ذلك لأنه إنسان لا يسوغ إهماله وتحرم إهانته ويجب إحياؤه: ﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ [المائدة:٣٢]. وذلك ارتقابا لخيره واتقاء لشره.

ومن هنا كان حرص الإسلام، على سلامة الأنساب بالدعوة إلى الزواج وتشريع أحكامه وكل ما يضمن استقرار الأسرة منذ ولادة الإنسان وحتى مماته.

وبالجملة فقد نظم الإسلام حياة الناس أحسن نظام وأقومه بالحكمة والعدل مع الإحسان ومراعاة المصلحة.

وإذا كان النسب في الإسلام بهذه المثابة فقد أحيط كغيره من أمور الناس بما يضمن نقاءه ويرفع الشك فيه.

فجاء قول الرسول ﷺ كما رواه البخاري ومسلم عن عائشة: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» والمراد بالفراش أن تحمل الزوجة من زوجها الذي اقترن بها برباط الزواج الصحيح فيكون ولدها ابنا لهذا الزوج.

والمراد بالعاهر: الزاني. وبهذا قرر الحديث الشريف قاعدة أساسية في النسب تحفظ حرمة عقد الزواج الصحيح وثبوت النسب أو نفيه تبعا لذلك.

ومن ثم فمتى حملت امرأة ذات زوج من الزنا مع رجل آخر أو من غصب فإن حملها يثبت لزوجها لا إلى من زنا معها أو اغتصبها لأن فراش الزوجية الصحيحة قائم فعلا.

كذلك فمن وسائل حماية الأنساب - فوق تحريم الزنا - تشريع الاعتداد للمرأة المطلقة بعد دخول الزوج المطلق بها، وحتى بعد خلوته معها خلوة صحيحة شرعا.

كذلك حرم الإسلام - بنص القرآن الكريم - (التبني) بمعنى أن ينسب الإنسان إلى نفسه إنسانا آخر نسبة الابن الصحيح لأبيه أو أمه مع أنه يعلم يقينا أنه ولد غيره.

وذلك صونا للأنساب وحفظ حقوق الأسرة التي رتبتها الشريعة الإسلامية على جهات القرابة. وفي هذا قال الله سبحانه: ﴿... وما جعل أدعياءكم أبناءكم..﴾ [الأحزاب:٤].

وبهذا لم يعترف الإسلام بمن لا نسب له،

التلقيح الصناعي وجهة نظر اعلامية

ولم يدخلـه قهرا في نسب قـوم يأبـونه. ولا تتخلق نطفـة الـرجل إلا إذا وصلت إلى رحم المرأة المستعـد لقبـولها، وقــد يكـون هـذا الـوصـــول عن طـريـق الاختــلاط الجنسي (الجماع) وعندئذ يكون نسب الوليد من هذا الاتصال مـوصـولا بأبيه متى كـان قد تم في ظل عقد الـزواج الصحيح (الولـد للفراش) وقد يكون عن طريـق ادخال نطفة الرجل في رحم المرأة بغير الاتصال الجسـدي وفي هذا أقوال كثيرة.

أقوال العلماء في التلقيح

١ - إذا أخـــذ منى الـــزوج ولقحت بــه الزوجة التي لا تحمل بشرط وجود الزوجين معا..

فمن المعـــــروف أن الهدف الأسمـى من العلاقـة الزوجيـة هو التـوالد حفظـا للنوع الإنساني. ويتأتى هذا عـن طريق الاختلاط وهو الوسيلة الأساسيـة والوحيدة لإفضاء كل منهما بما استكن في جســـده واعتمل في نفسه حتى تستقر النطفة في مكمن نشوئها كما أراد الله وبـالوسيلـة التي خلقها في كل منهما، لا يعـدل عنهـــا إلا إذا دعت دواعيـه كأن يكـون بـواحد منهما مـا يمنع حـدوث الحمل بهذا الطريق الجسدي المضاد مرضا أو فطرة وخلقا من الخالق سبحانه.

فإذا كـان كل شيء مـن ذلك وكـان تلقيح الـزوجـة بـــذات مني زوجهـا دون شك في استبداله أو اختلاطه بمني غيره من إنسان أو مطلق حيـوان جـاز شرعـــا إجـراء هـذا التلقيح.

٢ - إذا أخذ منى رجل غير الزوج ولقحت به الزوجة..

هـذا غير صـالح ومحرم شرعـا لما يترتب عليه من اختلاط الأنساب بل ونسبة ولد إلى أب لم يخلق من مـائه، وفوق هـذا ففي مثل هـذه الطـريقـة - من التلقيح إذا حـدث بها الحمل - معنى الزنـا ونتائجـه وكما نعرف

> شرع الإسلام النكاح وحرم السفاح والتبني حفظا منه للنسل وصحة الأنساب

فالزنا محرم بنص الكتاب والسنة.

٣ - لـو أخـــذ منى الـزوج ولقحـت بـه بـويضــة امرأة غير زوجتـه ثم نقلت هــذه البـويضة الملقحـة إلى رحم زوجة صـاحب المني، لأن هذه الأخيرة لا تفرز بويضات..

صورتـه كسابقتها تدخل في معنى الـزنا والولد الذي يتخلق ويـولد من هذا الصنيع حـرام بيقين لا لتقـائه مع الزنـا المبـاشر في اتجاه واحد. ويؤدي إلى اختلاط في الأنساب وذلك مـا تمنعه الشريعـة الإسـلاميـة التي تحافظ على سـلامة أنساب بنـي الإنسان. ذلك لأنه وإن كان المنى للزوج ولكنه - كما هو معروف - لا يتخلق إلا بإذن الله وحين التقائه ببـويضة الـزوجة. وهـذه الصورة افتقـدت فيهـا بـويضـــة الـزوجـة وجيء ببـويضــة امـرأة أخـــرى ومن ثم لم تكن الزوجة حرثـا في هذه الحال لزوجها، مع أن

> اشتط البعض وتوسع في مشاريع التلقيح الصناعي بما يتجاوز الحد الشرعي والأخلاقي

الله سمى الزوجـة حرثـا كما قال تعـالى: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ [البقرة:٢٢٣].

فكل مـا تحمل بـه المرأة لا بـد أن يكـون نتيجة الصلة المشروعـة بين الزوجين سواء باختلاط أعضاء التناسل فيهما كالمعتاد أو بطـريق استـدخـال منيـه إلى ذات رحمهـا ليتخلق وينشأ كما قال سبحانه: ﴿يخلقكم في بطـون أمهـاتكم خلقـا من بعـد خلق في ظلمات ثلاث﴾ [الزمر:٦].

وإذا كـانت البـويضة في هـذه الصـورة ليست لـزوجة صـاحب المني وإنما لامـرأة أخـرى لم يكن نتـاجهـا جـزءا من هـذين الـزوجين بـل من الـزوج وامـــرأة أجنبية محرمة عليه، فلا حـرث فعلا، فصارت هذه الصـورة في معنـى الـزنـا المحـــرم قطعـا كسابقتها.

٤ - إذا أخـذت بـويضـة امـرأة لا تحمل ولقحت بمني زوجهـــا خـــارج رحمهــا (أنابيب) ثم بعد الاخصاب:

١ - تعـاد البـــويضــة الملقحــة إلى رحم الزوجة مرة أخرى.

٢ - وإذا كـان مكان الأنـــابيب حيوانـات تصلح لاحتضـــان هـذه البويضـة أي تحل محل رحم هذه الزوجة لحين أو لفترة معينة يعاد الجنين بعدها إلى رحم ذات الزوجة..

أ - إذا حـدث هـذا دون استبـدال وخلط بمني آخر وكان هنـاك ضرورة طبية داعية لذلك الإجـراء كمرض الزوجة مـرضا يمنع الاتصـال العضوي مع زوجهـا أو كان بـه مـــرض يمنـع ذلك ونصح طبيب حـــاذق مجرب بأن الـــزوجــــة لا تحمل إلا بهذا الطـــريق. ولم تستبـــدل الأنبـــوبـــة التي تحتضن فيها بـويضة ومني الـزوجين بعد تلقيحهما كـان الإجـراء في هـــذه الصـورة جائزا شرعا.

وذلك لأن الأولاد نعمـــة وزينـــة وعـــدم الحمل كعـائق وإمكان عـلاجـه أمر جـائز شرعا، بل قد يصير واجبا في بعض المواطن.

«فقـد جاء أعـرابي فقال يـا رسول اللـه أنتداوى؟ قال: نعم فإن الله لم ينزل داءً إلا أنـزل له شفـاء علمـه من علمه وجهلـه من جهله» [رواه أحمد، نيل الأوطار للشوكاني جـ٨ ص ٢٠٠ في أبواب الطب].

ب - سيكتسب هذا المخلـوق صفات هذه

الأنثى التي اغتذى بدمها في رحمها وائتلف معها حتى صار جزءا منها، فإذا تم خلقه وآن خروجه يدب على الأرض كان مخلوقا آخر. الا ترى حين ينزو الحمار على الفرس وتحمل هل تكون ثمرتهما لواحد منهما..؟ إنه يكون خلقا آخر صورة وطبيعة.

هذا إن بقيت البويضة بأنثى غير الإنسان إلى حين فصالها.

أما إذا انتزعت بعد التخلق وانبعاث الحياة فيها وأعيدت إلى رحم الزوجة فلا مراء كذلك في أنها تكون قد اكتسبت الكثير من صفات الإنسان التي احتواها رحمها ولا مرية في أن هذا المخلوق يخرج على غير طباع البشر.

لأن وراثة الطباع والصفات أمر ثابت بين السلالات حيوانية ونباتية تنتقل مع الوليد وإلى الحفيد.. ذلك أمر قطع فيه العلم ومن قبله الإسلام ﴿ألا يعلم من خلق﴾ [الملك:١٤].

التوجيه النبوي في حسن الاختيار

لهذا يدلنا المصطفى الكريم على نصائح في اختيارنا للزوجة فيقول ﷺ: «تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء» فتح الباري في شرح صحيح البخاري جـ ٩ ص ١٠٢ وقال «اياكم وخضراء الدمن» [رواه الدار قطني من حديث أبي سعيد الخدري، إحياء علوم الدين جـ٤ ص ٧٢٤].

هذه التوجيهات تشير إلى علم الوراثة وأن ارث الفضائل والرذائل ينتقل من السلالة ولعل الحديث الشريف الأخير واضح الدلالة في هذا المعنى.

(وخضراء الدمن) هي المرأة الحسناء في المنبت السوء. و(الدمن) تفسره معاجم اللغة بأنه ما تجمع وتجمد من روث الماشية.

فكل ما نبت في هذا الروث وإن بدت خضرته ونضرته إلا أنه يكون سريع الفساد، وكذلك المرأة الحسناء في المنبت السوء تنطبع على ما طبعت عليه لحمتها وغذيت به.

ولعل نظرة الإسلام إلى علم الوراثة تتضح جليا في هذا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وضمضم بن قتادة إذ قال يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاما أسود قال: هل لك من إبل: قال نعم قال فما ألوانها: قال حمر. قال هل فيها من أورق (في لونه سواد) قال نعم. قال: فأنى ذلك؟ قال: لعله نزعه عرق. قال ﷺ : «فلعل ابنك هذا نزعه عرق» [رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة في بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني، وشرح سبل السلام جـ ٣ ص ٢٤٦ في باب اللعان].

وبهذا ترى أن البويضة الملقحة التي نقلت إلى رحم أنثى غير الإنسان تأخذ منه مالا فكاك لها منه إن قدرت لها الحياة والدبيب على الأرض، وبذلك إن تم فصاله ودرج هذا المخلوق على صورة الإنسان لا يكون إنسانا بالطبع والواقع. ومن يفعل ذلك يكون قد أفسد خليفة الله في أرضه.

ومن الفوائد التي أصلها فقهاء الإسلام أخذا من مقاصد الشريعة الإسلامية أن درء المفاسد مقدم على جلب المنفعة لأن اعتناء الشرع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات. يدل على هذا قول الحق تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [التغابن:١٦].

وقول الرسول ﷺ: «فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» [رواه مسلم].

وإذا كان التلقيح في هذه الصورة مفسدة آية مفسدة فإنه يحرم فعله.

حكم الطبيب القائم بالتلقيح

ولنتساءل الآن: ما هو وضع الطبيب الذي يجري التلقيح بهذه الصور؟

يتعين على الطبيب الذي يجري هذا النوع من التلقيح أن ينظر إلى كل صورة يجريها حتى يتحدد وضعه ومسؤوليته شرعا. فإن كانت الصورة مما تبين تحريمه قطعا على الوجه المبين في ما سبق كان الطبيب آثما وفعله محرما وكذلك كسبه، لأن الإسلام إذا حرم شيئا حرم الوسائل المفضية إليه حتى لا تكون ذريعة للتلبس بالمحرم، لهذا حرم على المسلم المشي إلى مكان ترتكب فيه الكبائر كحانة الخمر أو بيت القمار حتى لا يقع فيه.

وكذلك حرم عليه النظر إلى محاسن المرأة الأجنبية أو الخلوة بها لأن النظرة والخلوة من وسائل الوقوع في المحرم وهو الزنا.

أما إذا كان بالطرق الشرعية التي سبق أن أوردناها فلا بأس في ذلك لأنه يقع في دائرة إباحة التداوي التي قد تكون سبيلا للرزق بولد شرعي تستكمل به سعادتهما النفسية والاجتماعية في هذه الحياة.

إطلاق العنان في مجال التلقيح الصناعي

تعالت كثير من النعرات في الآونة الأخيرة لانشاء مستودع (بنك) تستحلب فيه نطف الرجال الأذكياء أو ذوي الأجسام القوية لتلقح بها أنثى رشيقة القوام سريعة الفهم لاثراء الصفات في الجنس البشري.. وهذه تصلح فقط لتحسين سلالات الحيوانات التي لا تعرف لها أبا.. وكذلك فمن النباتات التي تسمق سيقانها حاملة وفير الثمار وذلك أمر مشروع.

أما هذا الاقتراح فهو شر مستطير على نظام الأسرة ونذير شؤم لها. لهذا فمن باب سد الذرائع وصونا للأنساب يحرم الإسلام الانطلاق في مجال التلقيح الصناعي لتوالد الإنسان ولا يجيزه – كما سبق – إلا بين الزوجين وبالشروط السابقة الذكر.

وبديلا لهذه البنود وجه الإسلام الإنسان إلى المحافظة على قوة نسله وسلامة جسده ونفسه وذلك باحسان اختيار كل من الزوجين للآخر.

وإلى الاغتراب في الزواج بمعنى ترك الزواج من ذوي القربى القريبين حتى لا يضوي النسل ويضعف كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ناصحا إحدى القبائل (قد أضويتم فانكحوا الغرائب) وقيل قديما (بنات العم أصبر والغرائب أنجب) هذه هي المعايير المشروعة التي يقرها الإسلام للحفاظ على النسل – نسل الإنسان – سليما قويا لا تلك التي يتنادى بها بعض الناس مقلدين أقواما أغوتهم المادية وانغمسوا فيها وتحللوا من كل قيم الدين.. فحسبوا الإنسان ونسله مزرعة تجارب.. مزرعة للنباتات أو الحيوانات مع أن الله قد كرم الإنسان وأعلى قدره وسخر له ما في السموات والأرض□

يقول الرافعي واصفا عظماء الإسلام: إذا سلوا السيف سلوه بقانون، و إذا أغمدوه أغمدوه بقانون

بين السلف والخلف

بقلم: د. محمد محمود متولي

هذا المقال دعوة إلى التأسّي بالسلف الصالح وبيان فضلهم على الحضارة الإنسانية، وكيف دانت لهم الدنيا بأسرها.. وما السّر؟

طالع المقال وانظر واقعنا وحاول التغيير منه فأملنا في غد أفضل، وعودة حميدة إلى الدين بلا حدود.

دفع الملل

حين يعتري الهمة الفتور، وينتاب الأسلوب الوهن، وأحس بأن قدرتي على تناول المعاني قد أصابها الضعف، واحتاجت إلى مدد يجدد منها ما رثّ، أعود إلى قراءة بعض الكتب الأدبية كـ(البيان والتبيين) للجاحظ، أو (وحي القلم) لمصطفى صادق الرافعي.

ولبعض كتب شيوخي، وممن تشحذ قراءة آثارهم الهمم، وتجدد الطاقة، وتضخ الغيرة في القلوب، وترهف الحس، وتوقظ الوعي الغافي. والضمير الوسنان شيخ الدعاة الشيخ محمد الغزالي، وشيخ القضاة الشيخ علي الطنطاوي.

مع الطنطاوي وكتابه

مضى على قراءتي أول كتاب للشيخ الطنطاوي مدة ثلاثين عاما، وهو كتاب (رجال من التاريخ) ومنذ فترة وجيزة أعدت قراءته مرة أخرى، لأجدد صلتي بمن صنعوا تاريخ هذه الأمة، وأستعيد ذكر من صنعوا للإسلام مجدا. يهرم الزمن ولا يهرم، صنعوه بالعزائم القوية. والقلوب النقية نسوا من أجله أنفسهم، فحرموها حظوظ الدنيا. لتستوفي حظوظها في الجنة.

والكتاب عبارة عن أحاديث أذيعت من إذاعة دمشق، وإذاعة المملكة العربية السعودية منذ مدة طويلة، ولكنها أحاديث قُرئت من أجل إعداد كل حديث منها مئات الصفحات، فجاءت أقرب إلى الأبحاث منها إلى الأحاديث الإذاعية، وتلك هي طريقة أفذاذ العلماء والأدباء. ولكن طريقة الشيخ في الإلقاء وأسلوبه الرائع جعلا من هذه الأحاديث متعة للسامع والقارىء، وكل حديث منها هو وجبة دسمة للعاطفة وللروح والعقل.

والكتاب دعوة هادئة إلى البناء بطريقة البناة من سلف الأمة، فهو يتحدث عن صناع التاريخ الإسلامي من خلفاء وعلماء وقادة جيوش ونساء. منهم العربي المسلم، ومنهم المسلم غير العربي. ولكن يجمعهم جميعا أن لهم على جبين الدهر غررا، وأنهم علامات بارزة في تاريخ الإنسانية. يقرأ تاريخهم المسلم وغير المسلم، ويجمع الجميع على احترام عبقريتهم، لأنهم رجال، لا ككل الرجال، وعلماء لا ككل العلماء، وقادة جيوش لهم خطط ومناهج تدرسها الجيوش لتتعلم منها فنون الحرب، وإدارة المعارك.

سلفنا الصالح

إنهم مصابيح هدى أضاءت في دياجير الظلمات. وأئمة رشاد، كل منهم في حينه جامعة بأكملها، وينابيع تقى آثروا ما يبقى على ما يفنى فأورثهم ربهم الخلد في الدنيا والآخرة وهم ينابيع تقى. وصدق الله العظيم ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٩٠]، لقد نضّروا بفعالهم وجه تاريخ الإسلام، وقام كل فرد منهم بما لا يقوم به ألوف بل ملايين من مسلمينا الآن.

ومن أجمل ما وصف به هؤلاء العظماء وصف الرافعي لهم في كتابه القيم (وحي القلم) يقول رحمه الله: (إن هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد الذي سيضع في العالم تمييزه بين الحق والباطل وهم ينبعثون من حدود دينهم وفضائله، لا من حدود أنفسهم وشهواتها، وإذا سلوا السيف سلوه بقانون، وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون. ولأن تخاف المرأة على عفتها من أبيها أقرب من أن تخاف عليها من أصحاب هذا النبي، فإنهم جميعا في واجبات القلب، وواجبات العقل، ويكاد الضمير الإسلامي في الرجل منهم يكون سلاحا يضرب صاحبه إذا هم بمخالفته.

فالمسلمون لا يفهمون متاع الدنيا بفكرة الحرص عليه، والحاجة إلى حلاله وحرامه، فهم القساة الغلاظ المستكلبون كالبهائم، ولكنهم يفهمون متاع الدنيا بكفرة الاستغناء عنه، والتمييز بين حلاله وحرامه، فهم الإنسانيون الرحماء المتعففون.

والمسلمون اليوم في حاضرهم الجامع بين الضعف والفقر، والذل والجوع، والفرقة والتخلف أحوج ما يكونون للنظر في سير هؤلاء الأفذاذ من أسلافهم، وحمل الأنفس على النسج على منوالهم. فلقد حمل هؤلاء القادة قلوبا استعذبت المر، ولان لها الصعب، وذلت لهم الجبال، وركبوا البحار، وجابوا القفار، ونسجوا للإنسانية من نور الفجر ضياء وجعلوا العدل شرعة، والمساواة سنة، وقدسوا الحرية، وحفظوا للإنسانية الكرامة وأوذوا في دينهم فما وهنوا ولا استكانوا، وكانوا في رسوخ عقيدتهم كالأطواد في شموخها.

يقول الشيخ الطنطاوي: (وآذوا المسلمين الأولين ليفتنوهم عن دينهم. وكانوا يبطحون المسلم عاريا على الرمال الملتهبة التي تشوي اللحم، ويضعون عليه الصخرة الهائلة، ويلوحون له بالماء، ويقولون: أكفر بمحمد، حتى نسقيك، وننجيك، فيقول: أحد، أحد.

وتشغله لذة المناجاة عن لذعة العذاب، ونشوة الأمل بالجنة عن شقوة الألم في الدنيا، احتملوا في سبيل الله كل شيء. الضرب والجرح والحرق والجوع والسهر، واستحلوا في سبيل الله الحرائر، واستحبوا أبغض المكاره إلى النفوس، إن كان فيها رضا لله)

إن البخار الذي من طبعه الانطلاق إلى الأعلى لا يحصر في زجاجة، وإن حصرته وجد منفذا، أو حطم الإناء، وكذلك صنع الإسلام.

أرأيتم أبناء الإسلام اليوم كيف كان

سلفكم؟ أعرفتم الآن كيف تبوأوا مفرق الدهر ونزلتم أنتم إلى مواطىء أقدامه، أنتم تشغلكم لذات من الأرض، وما هو من التراب إلى الفناء، يصير، وإلى التراب يعود، وهم محلقون رفافون في الأفق الأعلى. وربما لا يتصور كثير من مسلمي اليوم أن هناك لذائذ للروح، لأنهم محبوسون في سجن الأرض وقتامة الجسد، وزهومة الطين. يقول ابن الأطنابة:

أبت لي عزتي وأبى بلائي
وأخذي الحمد بالثمن الربيح
و إعطائي على المكروه مالي
وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت
مكانك تحمدي أو تستريحي
لأرفع عن مآثر صالحات
وأحمي بعد عن عرض صحيح

فأين الرفع عن المآثر الصالحات؟ والمسلمون لا يستطيعون حل الخلافات المشتجرة بينهم، حتى يأتي غيرهم، فيتصالحوا بين يديه. وحتى يتصاعوا لقول الحق: ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ [الأنفال/٤٦].

عائشة رضي الله عنها

سيدتان من الرعيل الأول قيل في الحكم: الناس بزمانهم أشبه. فمن آماله وآلامه تأتي آمالهم وآلامهم، فإذا ساد السهل، واستصعب الصعب، وانتشر الزيف والبهرج وقل السعي إلى الأصيل، وصار زخرف القول والعمل عملة رائجة، فإن الغثاء يطفو على سطح المجتمعات، وينتشر الاعتناء بالظاهر من لباس ورياش، بينما تتضاءل فضائل القلوب وقد يخرب القلب والمظهر في أوج الكمال.

يلاحظ هذا في قطاع كبير من النساء، وبخاصة المتظاهرات بالتحجب، دون الالتزام بآدابه فالتحشم قيمة قبل أن يكون ثوبا، وإلا فما قيمته والأصباغ تملأ الوجه والكفين.

ولنعرض النموذجين، سيدتان من السلف: فأما الأولى فعائشة رضي الله عنها... امرأة لها منهجها في التثبت من صحة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت تعارض أحيانا كبار الرواة من الصحابة، وكانت صنو أبيها في السخاء. إذا جاءها عطاؤها وزعته فلم تبق ولا درهما، ولو كان العطاء مائة ألف درهم. وامرأة خيرت فاختارت، خيرت في الصبر على لأواء العيش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يمتعها ويسرحها سراحا جميلا، وأعطيت مهلة لاستشارة أبويها، ولكنها آثرت عيش الخشونة مع الرسول الكريم على النعيم مع غيره.

يقول الشيخ الطنطاوي: (كانت امرأة كاملة الأنوثة. تؤنس الزوج، وترضي العشير، وكانت عالمة، واسعة العلم. تعلم العلماء، وتفتي المفتين، وكانت بليغة، بارعة البيان، تبز الخطباء، وتزري باللسن المقاويل، وكانت زعيمة في كل شيء في العلم، وفي المجتمع، وفي السياسة، وفي الحرب.... ولقد عد الزركشي لعائشة أربعين منقبة لم تكن لغيرها).

إنها أم المؤمنين والمؤمنات، فأين في المؤمنات من هي كعائشة في طلب العلم، وبراعة البيان، وقيادة المجتمعات، وأين من هي مثلها في الإيثار والسخاء، وليت العاقلات من المسلمات يدركن أنه:

ليس الجمال بأثواب تزيننا
إن الجمال جمال العلم والأدب

ومَنْ مِنْ بناتنا تدرك حين تمتحن في أغلى ما تملك، وتتهم زورا أن الله قائم على كل شيء، رقيب على كل نفس. هكذا أدركت عائشة، فأنزل الله في شأنها قرآنا يتلى مادامت السموات والأرض. وكيف لا تكون كذلك، وهي الصديقة بنت الصديق.

فأما السيدة الثانية فأختها أسماء رضي الله عنها، امرأة شامخة شموخ النخيل، راسخة رسوخ الجبل، صلبة صلابة الماس، ثابتة ثبات الحق، قهرت بثباتها الحجاج، حتى صغر أمامها كأنه هباءة، ومن قبله وقفت وقفة دونها وقفة أسد. أمام أبي جهل وعصبته. خدمت زوجها أوفى ماتكون، وعلمت شدة غيرته، فرفضت الركوب مع أشرف الخلق عليه الصلاة والسلام، وأكبر فيها الرسول الكريم احترامها لغيرة زوجها، هي صاحبة الوسام الذي أبلى الزمان، ومازال توءم اسمها، فهي ذات النطاقين.

أيتها الغافلات عن أداء دورهن في خدمة الإسلام وبلاده. انظروا إلى هذه السيدة ما الذي كان يشغلها، وهي ابنة رجل أفنى ماله في سبيل الله هو الصديق أبو بكر رضي الله عنه، وزوجة حواري من حواريي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأم مجاهد كاد أن يصبح أميرا للمؤمنين. لولا أنه كما قيل: كان بطلا في الحرب، ولم يكن عليما بالسياسة، رضي الله عنه.

كان الزبير فقيرا فكانت تمشي أميالا تجمع النوى لبعيره لتعلفه به بعد دقه، وكان يقسو عليها أحيانا فتصبر، (سيدة ذات مبدأ أوفت له، وثبتت عليه، سيدة شاركت في صنع الأحداث في السلم والحرب، سيدة كانت ربة بيت، صبرت على مره، ولم تبطر بحلوه، سيدة كان لها من نبل القلب، وكبر العقل، وثبات الأعصاب، مالم يكن مثله إلا للقليل من عظماء الرجال.

عبرة وأمل

وفي قصتها عبرة للنساء، وأمل لمن ابتليت بالفقر من الزوجات، وإثبات لمن يحتقر النساء أن المرأة قد تكون أعقل وأنبل من الرجال. وإنها قد تترفع عن زخارف الأزياء، وألاعيب النساء، حتى تكون ركنا في بناء الأمة، وعونا على تحقيق مثلها العليا.... كانت تعرف كيف تدافع عن نفسها، وتمشي مرفوعة الرأس، ثابتة النظر، شاعرة بالكرامة.

انظروا إليها وقد جاء ابنها عبدالله يطلب مشورتها حين كادت الهزيمة أن تلحق به، فأجابته بأن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها، وحين صلب الحجاج جثته ذهبت إليه وقد قاربت المائة من العمر، وكف بصرها وجابهته قائلة: (أما آن لهذا الفارس أن يترجل).

فمن منكن في ثبات كهذا الثبات واقتناع بما هو الحق كما اقتنعت هي به.

لو أن في نساء المسلمين اليوم من تقتنع بالحق، وتدافع عنه، وتحمل أبناءها عليه ما احتلت لنا أرض، وما انتصر علينا عدو، ليت كل من سمى ابنته أسماء عرفها بسيرة من سميت بأسماء حتى تتشرب البطولة من سيرتها، ويقول شيخنا الطنطاوي معلقا على موقف أسماء رضي الله عنها من ابنها: (أما أن هذا الموقف لو كان لامرأة فرنسية أو انكليزية لنظمت فيه مائة قصيدة، وألفت فيه مائة قصة، ولكن أسماء كانت عربية مسلمة، والعرب قد أضاعوا بيانهم وأدبهم، مع ما أضاعوا من تراث الجدود ، هذه أسماء السيدة الجليلة التي يتشرف بها تاريخ الأمة التي تكون سيرتها فيه).

وصدق ربي عز وجل: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾ [التوبة/١٠٠]□

(ليس هـذا وقت التجول في منطقـة القصبة الجزائريـة)، هكذا يقـول (بـرايان جينكينـز) لعدد من الأمريكيين الـذين يصرون على زيارة الجزائر، حيث تحتدم الحرب الأهلية منذ ثلاث سنوات بين الطغمـة الحاكمة مـن العسكريين والأصوليين المسلمين، الذين يتخذون الأجانب أهدافا لهم، غير أن السنـوات الأخيرة – بالرغم من ذلك – كـانت أفضل وقت لاستكشـاف احتياطيات النفط والغاز الخام في الجزائر..

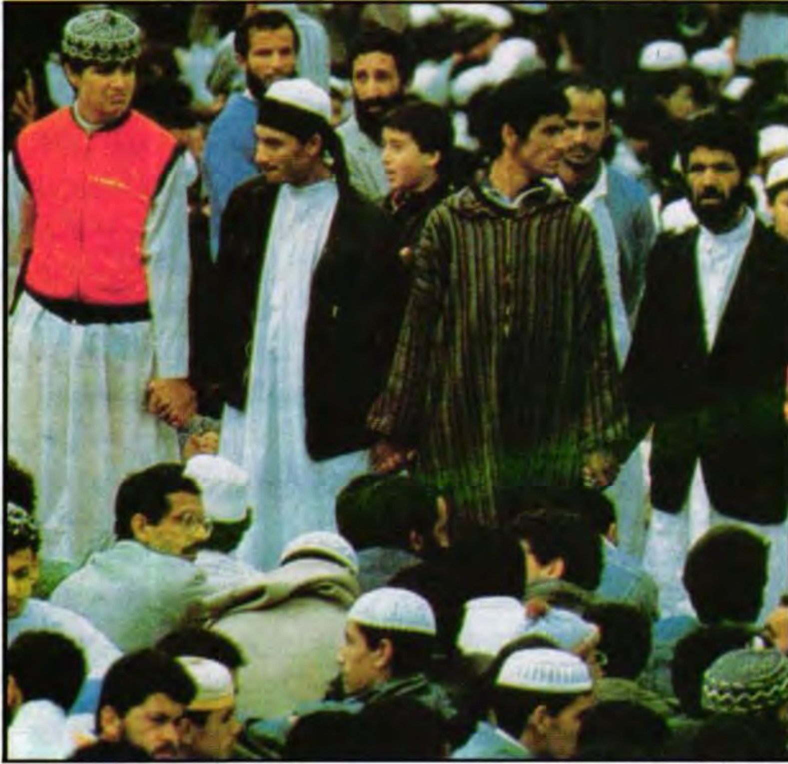
واستغلت الشركات الأمريكية فرصة التحرر الاقتصـادي، واقتنصـت عقـودا حكـوميـة للاستكشـاف والإنشاءات، الأمـر الذي يعتبر صدمـة لفرنسـا التي كانـت تعتبر المستعمرة السابقـة لها إحدى الإقطاعيـات التابعـة، وما زال حوالي (٤٠٠) أمريكي يقيمون في الجزائر، ولحسن الحظ لم يصب أي منهم بأذى، بل لم يكن أحد منهم من بين القتلى الأجانب الـ(٨٠) منذ بداية عام (١٩٩٣م).

هل هو الحظ أم شيء غير ذلك؟

يرتاب الفـرنسيون كثيرا في جهود واشنطن لتجنب المآسي التي نجمت عن سيـاستها تجاه الثـورة الإيـرانيـة، وفي محاولـة للبحث عن المعتدلين الإسلاميين، والعثـور على شخصية أخرى خلاف ما يطلق عليه (الشيطان الأكبر)، التقى عدد من المسـؤولين الأمريكيين مرارا مع أعضاء في المنفـى من جبهة الإنقاذ الإسـلامي المحظـورة في الجزائر، بل إن أحـد أعضـاء الجماعـة سُمح له بـالإقـامـة في (شيكاغـو)، بـالـرغم من المعـارضة الفـرنسيـة، وخـلال الأسبـوع الماضي، تأيـدت سيـاسـة واشنطن عنـدمـا حضرت جبهـة الإنقـاذ مع عـدد من أحزاب المعـارضة العلمانيـة مؤتمرا في رومـا، حيث قـرر الحاضرون وقف إطـلاق النـار، وإعداد برنامج لإجراء انتخابات جديدة، وعزل النظـام الحاكم في الجزائر المؤيَّـد مـن قبل فرنسا.

وعقب ذلك، أثـار عـدد من الفـرنسيين الغاضبين شائعات مفادها بأن البيت الأبيض عقد صفقـة لحماية مصالح الولايـات المتحدة والمواطنين الأمـريكيين في الجزائر، وذكـرت مجلة (الفيجـارو FIGARO) الأسبوعيـة المحـافظة: (ليس سرا أن حلفـاءنا الأمـريكيين يؤيدون جبهة الإنقـاذ الإسلامي). وأضافت: (أليس من المثير والمدهش أنـه لم يُقتل أحد من الأمريكيين حتى الآن؟). بل إن إحـدى المجلات الأسبوعية الأخرى اتهمت الأمريكيين في فصل الخريـف الماضي حين قــالت: (إذا وصـل الأصـوليون إلى السلطـة في الجزائر، فإن ذلك سوف يتم بمؤازرة ومساعدة – العم سام).

أما الشركـات الأمريكية العـاملة في الجزائر فإنها تعبر عـن رأيها وتقـــول إنها تستغل الفرصـة التي حانت مـؤخراً، وكما يقـول أحد مديري الشركات البترولية: (إننا نذهب حيث يـوجـد النفط، وفي الجزائر هنـاك كثير من النفط). وتقـدَّر احتياطيـات النفط في الجزائر بحـوالي (٤٥) بليـون بـرميل، ومن ثم تحتل الجزائر المرتبـة الـرابعــة في العـالم من حيث الاحتياطيات بعد منطقة الخليج العربي، ويرى بعض المحللين أن لديها الإمكانات لتحتل مكانة المملكة العربية السعـودية بصفتها أكبر منتج للنفط، والـلاعب أو العـامل المؤثر في السـوق العــالمي للنفط، عـــلاوة على قـــربها من المستهلكين، ويـوجد حـاليا أنبـوب للنفط من الجزائر إلى جزيرة صقلية، وهنـاك أنبوب آخر تحت الإنشاء إلى إسبـانيا، ممـا يتيح لأوروبا فـرصــة الحصـول على النفط مبـاشرة من المصدر.



صراع المصالح

ترجمة: محمد عبد الرحمن السعلة

وتعتقد الشركات الأمريكية أن الحاجة الملحة لإصـلاح الاقتصـاد الذي عـانى من الـدمـار والتخـريب بسبب الفسـاد وسـوء الإدارة على النمط السوفييتي قد يرغم أي حكومة جزائرية على انتهـاج سياسـة الاعتدال، وسـواء تمكن الحكم الحالي من سحق المعـارضـة، أو تمكن المسلحون مـن الوصول إلى السلطـة، فإن على الحكومة القـادمة أن تنحني تحت ضغط رفع العـائدات البترولية، ولـذا يقـول (بـروس ستوفر) الـذي قضى ثلاث سنوات في الجزائر لتشغيل أول شركـة أمـريكيـة منـذ الانفتـاح الاقتصادي: (من السـذاجة القول إن الجزائر ستكـون إيـرانـا أخـرى بسبب استيـلاء [المسلمين] على السلطة).

وبـالـرغم من أن المسؤولين في جبهـة الإنقاذ يقولون إنهم لـن يلتزموا بالعقـود المبرمة بعد عـام ١٩٩٢م، إلا أنهم يـرون المحـافظـة على المنشآت البترولية بعيدا عن الصراع، وقد أشار



● عناصر من الشرطة الجزائرية المقنّعة

في الجزائر

المتحدث الرسمي باسم الجماعة خلال مؤتمر روما عبد الرحمن نور الدين إلى أن الأولوية حاليا ليست في وضع حد للهجمات التي تُشن ضد المدنيين فقط، ولكن إنهاء جميع الهجمات التي توجه للمنشآت الاقتصادية في البلاد.

ولا يعبأ الأفراد بما يقال، ولن تتأثر أية شركة تعمل في الجزائر أكثر من شركة (بكتل BECHTEL) الأمريكية العملاقة التي تتولى إنشاء خط أنابيب للغاز بين المغرب وأوروبا بقيمة (٤٧٥) مليون دولار، كما تقوم بتحديث منشآت معمل لتسييل الغاز الطبيعي بقيمة (٥٦٧) مليون دولار، ويقول (ريبرت تيكفور) الذي أشرف على إنشاء مجمع سكني: (إنك تحمل روحك على كفيك). وخلال العام الماضي غادر الجزائر نحو (٢٠٠) شخص من الأجانب بعد اغتيال أحد الأجانب من الإنجليز.

وهل يتمتع الأمريكيون بنوع ما من الحصانة؟

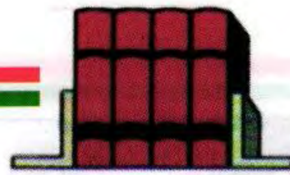
لا يستبعد المسؤولون الأمريكيون محاولة المتطرفين التفريق بين الحلفاء حيث يتخذون من الفرنسيين أهدافا لهم بينما يبتعدون عن الأمريكان، وربما تبدو هذه النظرية غير مؤكدة بسبب انشقاق المعارضة الإسلامية التي لم يعد لها متحدث واحد يتكلم باسمها، كما أن المسلحين لا يفحصون جوازات السفر، ويعلق (ستوفر) قائلاً: (الأجنبي هو الأجنبي). ولكن الشركات الأمريكية رحّلت من لا تحتاج إليه من العاملين، وأضاف: (إننا نقلل من الظهور ونقتصر على أداء العمل فقط).

أما السلطة ا لاستعمارية السابقة فلا يمكن لها أن تخفض وجودها في الجزائر، بل إن الحرب الأهلية في الجزائر تلقي بظلالها كقضية سياسية في فرنسا، حيث تجرى الانتخابات الرئاسية هذا العام، ويخشى صناع القرار السياسي من سقوط النظام العسكري الحاكم في الجزائر وتحول قرابة مليون مهاجر جزائري نحو اليمين. وفي هذا الصدد يقول أحد مسؤولي وزارة الخارجية الفرنسية: (الولايات المتحدة بعيدة جدا عن الأحداث، بينما الجزائر تلعب دورا مهما في الحياة السياسية في فرنسا).

ومن السخرية أن تفقد الروابط التاريخية بين فرنسا والجزائر تأثيرها، بينما يجري تنويع الاقتصاد، وربما يتيح الحوار السياسي بين أمريكا وجبهة الإنقاذ فرصة للتقارب فيما بينهم لكن الفرنسيين يصرون على أن هذه النظرة هي على المدى القصير، حيث يقول أحد المسؤولين الفرنسيين: (قد يقيّم البعض في الولايات المتحدة حساباته على هذا الوضع، إلا أنه فهم خاطىء للأمور). وكما يعتقد فإن التاريخ والجغرافيا في نهاية المطاف سوف يؤكدان وجودهما لصالح فرنسا، ويضيف: (حتى لو استطاع الأصوليون تولي مقاليد الأمور، فإن مرسيليا على بعد ساعة واحدة من الجزائر، بينما نيويورك على بعد ٧ ساعات، ويظل الجزائريون يستمتعون بمشاهدة التلفاز الفرنسي، ويتحدثون اللغة الفرنسية والعربية، ولكنهم لن يتحدثوا باللغة الإنجليزية، وسوف تبقى العلاقات الاقتصادية ولن تنتهي أبدا بين فرنسا والجزائر). ومهما كانت نتائج ا لحرب، فمن المؤكد أن حقول النفط والغاز في الجزائر سوف يظلان مسرحا لصراع تجاري على نطاق واسع□

الهوامش:

*مجلة نيوزويك الأمريكية NEWS-WEEK (٩٥/١/٢٣)



اثبات الشهور الهلالية ومشكلة التوقيت الاسلامي

(دراسة فلكية وفقهية)

تأليف:
د. نضال قسوم
وأ. محمد العتبي
ود. كريم مزيان
الناشر:
دار الأمة، الجزائر،
ط١٩٩٣م

عرض
د. أبو بكر خالد سعد الله

نشرت دار الأمة كتابا قيما من ٢٢٢ صفحة عنوانه (اثبات الشهور الهلالية ومشكلة التوقيت الإسلامي - دارسة فلكية وفقهية) من تأليف الأساتذة نضال قسوم ومحمد العتبي وكريم مزيان. والمؤلف نضال قسوم دكتور في الفيزياء الفلكية وكان باحثا في الوكالة الفضائية الأمريكية (نازا). كما ان الدكتور كريم مزيان مختص أيضا في الفيزياء الفلكية ويشتغل باحثا في مركز بحوث علم الفلك والجيوفيزياء بالجزائر. وأما الأستاذ محمد العتبي فهو خريج كلية الحقوق وموظف بأحد المصارف الجزائرية.

وقد جاء تأليف هذا الكتاب من طرف هؤلاء المختصين (استجابة لصرخة معاناة الأمة الإسلامية) التي تعرف (فوضى ثقافية واجتماعية كل سنة مرتين عند بداية شهر رمضان ونهايته). وفيما يخص تصميم الكتاب، قسم المؤلفون عملهم الى ثمانية فصول زيادة عن فصل الملاحق. كما يضم فهرسين احدهما للاعلام والآخر للمصطلحات والمواضيع.

ويعتبر الفصل الأول بمثابة مقدمة عامة للكتاب استهلها المؤلفون بالآية الكريمة: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ [يونس/٥]. ثم أشار المؤلفون إلى أن القرآن الكريم هو دستور أمتنا وملهم الخير فينا وهو يدعونا أن ننظر إلى النجوم والشمس والقمر لنأخذ من ذلك الهداية والحساب وتعداد السنين.

ومضوا بعد ذلك في استعراض أهمية النجوم والكواكب وأهمية انتظام حركة الشمس والقمر في حياة الإنسان لان هذا الانتظام هو الذي يسمح بالحساب والتنبؤ.

إن أهمية التقويم الزمني والتحكم في تقدير الوقت والتاريخ في أية حضارة لاتحتاج الى برهان. والشهر القمري المعروف بالدورة الكاملة للقمر حول الأرض (لا برؤيته) يدوم ٢٩,٥٣ يوما. ولذا يبدو بديهيا أن نقدر الشهر القمري بالتناوب ٢٩ يوما ثم ٣٠ يوما. وهذا التقدير يجعل السنة القمرية تتكون من ٣٥٤ يوما (بدل ٣٦٥يوما في السنة الشمسية). ثم إن هذا التقدير يجعل نفقد ثماني ساعات و٤٨ دقيقة و٣٣ ثانية كل سنة قمرية (أي حوالي يوم كل ثلاث سنوات). وانجر عن ذلك أن القدماء لجؤوا الى عدة تصحيحات تتغير بتغير الزمان والمكان، فمنهم من أضاف شهرا كل ثلاث سنوات لاستدراك الفرق بين عدد أيام السنة القمرية والسنة الشمسية .ومنهم من اضاف يوما واحدا كل ثلاث سنوات لاستدراك الثماني ساعات المشار إليهاسابقاوهناك من يجري تعديلات كل ٥ أو ٨ أو ١٩ سنة.

وكان العرب يضيفون يوما في ذي الحجة كل سنتين أو ثلاث سنوات،وكانوا أيضا يحتسبون شهرا اضافيا يسمى النسيء كل ثلاث سنوات. وقد نتجت عن ذلك مشكلة حضارية بالغة الخطورة حيث مكن الأقلية التي كانت أهل دراية بالحساب الفلكي بالتحكم في الزمن فصاروا يستغلونها استغلالا بشعا في عدم تسديد القروض وتجاوز الاشهر الحرم والمواسم الدينية. ذلك أن علماء الفلك آنذاك كانوا يعتبرون من الكهان ومن القوى الضاغطة على السلطة. قال تعالى: ﴿إنما االنسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما﴾ [التوبة/٣٧].

وصعوبة المشكلة عند المسلمين لاتكمن في وضع جدول تقويم سنوي واضح وموحد فحسب، بل ترتبط أيضا بكيفية اثبات الشهور اعتمادا على رؤية الهلال الجديد لتقدير أو اثبات دخول شهري رمضان وشوال على الخصوص. إن من مدعاة الخجل أن المسلمين لايملكون إلى اليوم، جدول توقيت مضبوط في حين أن أول الجداول المهيكلة بناء على نتائج أرصاد لمنازل القمر ظهرت في سومر منذ ستة آلاف سنة! ونحن لم نكلف انفسنا حتى بإنشاء مؤسسة على مستوى العالم الإسلامي توكل لها مهمة اعداد مثل هذه الجداول.

وفضلا عن ذلك فإن للمسلمين سؤالا فقهيا بخصوص هذا الموضوع: هل يجوز العمل بالحساب في عملية اثبات الشهور ام لا؟ وهناك سؤال علمي يقول: هل يمكن وضع جدول توقيت اسلامي يقوم على الرؤية، وكيف ؟ إن الكتاب الذي بين أيدينا الف لتقديم الاجابة عن هذه الأسئلة.

يمكن القول أن هناك تعريفين للشهر القمري حسب طريقة الحساب. اما ان يحسب بزمن الاقتران (أي تراصف الأرض والقمر والشمس) وهو زمن دخول الشهر بالمعنى الفلكي، واما ان يحسب بناء على رؤية الهلال بالعين. وهنا يجب التأكيد على أن البحوث الفلكية التي انجزت لحد الآن

تسمح بحساب امكانية الرؤية بالعين وبالتنبؤ بوقوعها أو عدم وقوعها بدقة معتبرة وقبوله لدى الكثير.

ويشير المؤلفون إلى الفوضى العارمة التي تسود العالم الإسلامي في مناسبتهم ومواعيدهم الدينية. فهذه دولة لاتعتمد الا على رؤية الهلال وتلك اخرى لاتقبل بغير الحساب الفلكي.. بل ذهبت بعض الدول الى اعتماد الحساب الفلكي خفية وهى توهم شعبها بأنها تعتمد على الرؤية! ويرى المؤلف أن هذه الفوضى ناتجة عن الأسباب الرئيسية التالية:

١) انعدام الحوار والتفاهم بين الفقهاء المناوئين لعلماء الحساب والفلكيين.

٢) عدم إلمام جل الفقهاء بعلم الفلك.

٣) عدم تتبع أغلب المهتمين بهذا الموضوع للتقدم العلمي الذي احرزه الفلكيون والباحثون.

ويلاحظ المؤلفون أن معظم الفقهاء لم يشدهم واجب تنظيم الزمن والتوقيت بل الذي يشغلهم هو العبادات التي تجري في الأوقات المعينة. لكن كيف يمكن تحديد المواعيد الدقيقة لهذه العبادات إذا اضطربت الشهور؟ ويؤكد المؤلفون أن مادفعهم الى تأليف كتابهم هو الحسرة والإحساس بالذنب أمام هذه الفوضى، وكذا اقتناعهم بأن المعلومات العلمية التي في حوزتهم (والتي هى في معظمها نتيجة ابحاث حديثة جدا صدرت في الفترة ١٩٨٨-١٩٩٢) ذات فائدة جمة في هذا الموضوع وبامكانها ان تقدم مساهمة طيبة في سبيل حل هذه المشكلة.

وقد استعرض المؤلفون في الفصل الثاني من الكتاب طرق اثبات الشهر الهلالي في الفقه الاسلامي (الكلاسيكي). والمقصود بلفظ (كلاسيكي) هنا هو(الموافق لتقاليد معينة) حتى ولو كان حديثا. واستهل هذا الفصل بتقديم مختصر للأدلة النقلية ثم عرض المؤلفون آراء المذاهب الفقهية عرضا خاليا من أية أحكام نقدية . فتعرضوا الى المذاهب التالية مرتبين اياها ترتيبا ابجديا: الإباضي، الامامي، الحنبلي، الحنفي، الزيدي، الشافعي، الظاهري المالكي. وفيما يخص تصميم العرض قسم المؤلفون كلامهم الخاص بكل مذهب الى ثلاث فقرات: الاولى: حول رأي المذهب في طرق اثبات الهلال والثانية: تقدم رأيه في الحسابات الفلكية والثالثة: حول قضية اختلاف المطالع (أي هل ثبوت الهلال ببلد يلزم ثبوته على غيره).

وبعد هذا العرض الوصفي انتقل الاستاذ فسوم ورفيقيه الى النقد والمناقشة، فناقشوا في بداية الأمر أولئك الذين يفرقون بين شهر وشهر ونقدوهم نقدا يغلب عليه الطابع الموضوعي. ومن بين الحجج التي أتى بها أصحاب التفريق فيما يتعلق باشتراطهم لشهادتين في شوال وغيره باستثناء رمضان الذي قبلوا فيه بشاهد واحد ان شوال يتعلق به نفع العباد والشاهد الواحد فيه يشهد بدخوله ليجر الى نفسه ذلك النفع وهو الافطار. بينما لايتعلق برمضان نفع ولايوجد فيه مايجره الشاهد الى نفسه فانتفت التهمة. وانتقد المؤلفون هذا الرأي بتقديم حجج كثيرة موضحين أنهم لايعتقدون بأن الشاهد بهلال شوال يجر النفع لنفسه ولايجر الشاهد برمضان هذا النفع، لأن معنى النفع لايستوي عند جميع الناس. ولذا يمكن أن نقول مثلا ان الذي يحب شهر رمضان الحب الشديد وتشتاق اليه نفسه طول السنة إذا ترقب الهلال فيمكن أن يخدعه بصره فيتوهم رؤية الهلال المبشر بقدوم موضوع شوقه كما يتوهم العطشان رؤية الماء في الصحراء وهو سراب. واضافة الى هذه الحجج العقلية ناقش المؤلفون جملة من الحجج النقلية.

ثم ناقش المؤلفون موضوعا آخر يتعلق بحجج المفرقين في اثبات الشهور بين حالتي الصحو والعلة وبين الحواضر والبوادي. كما عالجوا بنفس الاسلوب حجج مشترطي الشهادة لاثبات الشهر قياسا على سائر الحقوق. ومعلوم أن مذاهب الاباضية والامامية والحنفية والزيدية والشافعية والمالكية اشترطت شهادة العدلين لاثبات أهلة الشهور قياسا على الحقوق المتخاصم فيها. وأورد المؤلفون، في هذا الشأن، رد ابن حزم الذي يعارض هذا الاشتراط، وواصلوا اجابتهم موضحين ان اثبات الشهور يتعلق بالظواهر الكونية، اما اثبات الحقوق فيتعلق بالمعاملات الاجتماعية.

ومن جهة اخرى، انتقد المؤلفون في مناقشتهم المعتمدين على العدد في الشهادات لاثبات الشهور. فقد اشترط اغلب فقهاء المذاهب الفقهية المشار اليها آنفا العدد أو النصاب لاثبات الشهور. والملاحظ ان القائلين بالعدد المفيد للظن الراجح (باستثناء الذين قصدوا به اثنين) لم يتفقوا على تقديره. ويوضح المؤلفون ان الاستناد على العدد كبرهان أو كمرجح للظن هو مسلك لامبرر له من الناحيتين الواقعية والشرعية معا. ناهيك أن ثمة نصوصا عن أئمة آل البيت تسقط الاعتبار بالعدد وتشير الى اعتماد معايير موضوعية لقبول الشهادات. كما ذكر المؤلفون أن علماء فقه القضاء اجازوا الحكم بشهادة الواحد إذا كان خبيرا بما يشهد به وإذا علم القاضي أو غلب على ظنه صدقه وإذا (اقترن بخبره مايفيد معه اليقين) (حسب ابن قيم الجوزية) .

وانتقل المؤلفون بعد ذلك الى نقد مشترطي العدالة في مثبتي الشهور.

ويقتضي هذا الاشتراط ان يوجد لدى الحكام، قضاة كانوا أو موظفين، قائمة محددة بأسماء العدول في منطقة اختصاصهم. ويشير المؤلفون بهذا الصدد الى التناقض لدى هؤلاء حيث أنهم تكلموا بقبول اثبات الواحد العدل إذا جاء من خارج المصر. فكيف يطلبون، في هذه الحالة، من الحاكم الذي يوجد في نطاق اختصاصه موطن الشاهد ان يخبرهم إذا كان هذا الشاهد مصنفا في العدول لديه؟ وبهذا الخصوص يرى المؤلفون أن العدالة إن كانت مطلوبة في الخصومات فلأن هذه الأخيرة متعلقة بالحياة والعلاقات الاجتماعية. ثم إن اشتراط العدالة يقتضي في الواقع اشتراط الاسلام، في حين ان إثبات الشهور الهلالية يهم المسلمين وغيرهم من أهل الذمة المقيمين معهم في المجتمعات المعتمدة على التقويم الهلالي. ولهذا لايعتقد المؤلفون أن هناك أي إشكال في قبول شهادة الذمي بالهلال مادمنا مستغنين عن ضابط العدالة، وهم يعتبرون أن أقوى بينة من الشهادات هى العلم بالظواهر الفلكية لأنها تستند الى استقراءات عديدة وتجارب

الكتاب: اثبات الشهور الهلالية ومشكلة التوقيت الاسلامي

علمية.

وفي الفصل الثـالـث المخصص لموضـوع اثبات الشهور عند فلكيي العصر الاسلامي أوضح المؤلفـون، في البدايـة، العـوامل التي جعلت العصر الإسـلامي يهتـم بعلم الفلك فالرسالة القرآنية حثت المسلم على التأمل في خلق الله كما أن فقـه العبادات يطـرح جملة مـن المســائل المتعلقــة بعلم الفلـك والـرياضيـات. ولهذا عكف المسلمـون على ضبط أوقات الصلاة بـدقة كبيرة واستلزم الحال وضع جـدول تقـويم هجـرى. ثم ان ازدهار الـرياضيـات ساهم في تطـوير علم الفلك إذ بـرز كثير من الـريـاضيين الـذين ابدعوا في دراسة علم الفلك مثل الخوارزمي ونصير الـدين الطـوسي. ومن المعلـوم أن مشكلـة رؤية الهلال قـديمة وطـرحت قبل الاسـلام حيث كانت الحضـارات القديمـة تستند لتحديد أوقات شعـائرها الدينية على رؤيـة الهلال. وقـد تمكنت المجتمعـات من تطـوير حسـاب حـركات الاجـرام ووضع جـداول زمنيـة قـائمة على حـركـة القمـر. والـدراسـات الأولى للتنبـؤ بظهـور الهلال تؤرخ بظهور الاسلام رغم ان اقدم الأرصاد التي تخص الهلال وصلتنـا مـن البـابليين، وقام المسلمـون باعادة طرح مسألـة التنبؤ برؤية الهلال ومنـاقشتها، فاقترح البيروني مثـلا قاعـدة بسيطة يـرجعها إلى السـاكن مفـادها أن اليـوم الأول في رمضـان يحدث بعـد ٥٩ يومـا من ظهور هـلال رجب، كما وظف عبد الرحمن الصوفي (٩٠٣-٩٨٦م) الاسطرلاب في هذه القضية.

واستعرض المؤلفون تصـور نظام العالم عنـد بطليمـوس ثم تعمقوا في أمـور تقنيـة وحسـابيـة كـان لابـد منهـا لفهم (معيـار الاثنتى عشرة درجـــة) الـــذي ينبني على حساب الزاوية الحدية الفاصلة بين الشمس والقمـر على طول الاستـواء السماوي. كما تطرقوا بنفس الطـريقة الى (معيار انخفاض الشمس) الذي يعتبر أن رؤية الهلال تكون ممكنة فقـط إذا كان انخفاض الشمـس عند غـــروب القمـر يســاوي على الأقل قيمـــة معلومة. واشار المؤلفـون الى معايير أخرى قـدمها الفلكيـون المسلمون (مثل البتـاني وابن يـونس) نظـرا لعـدم دقـة المعيـارين السابقين.

وتناول الفصل الرابع مـن الكتاب مسألة اثبات الشهـر الهلالي في علم الفلك الحديث، ولاحظ الاستـاذ فسـوم وزميليـه أن هـذه المسألة لم تعـرف أي تطور خـلال القرون العـــديـــدة التي تلت عصر الحضـــارة الاسلاميـة. ولم نر جديـدا الا سنة ١٩١٠ عندمـا ظهر بحث هام اقترح معيارا جـديدا يتعلق بالتنبؤ بالـرؤية، وتلاه بحث آخر في السنـة المواليـة يقترح معيـارا ممـاثـلا. ويشترك هذان المعياران في خاصية هامة مع معـايير العلماء المسلمين وهى الاستنـاد الى اعتبـارات فلكية وهنـدسية محضـة يمكن تلخيصها كـالتالي: (سيتمكن المشـاهد من رؤية الهلال الجديد إذا تـوفر شرط هندسي (هـو أساس المعيـار) بين الهلال والشمس والمكان المعتبر). وتـوالت بعد ذلـك البحوث في هـذا الميدان ومن بينهـا بحث الأمـريكي فرانـس برمن سنة ١٩٧٧ وبحـث الماليزي محمد إلياس سنـة ١٩٨٤ وبحث الأمريكي برادلي شيفر سنة ١٩٨٨.

وقبل توضيح ماقـدمته هذه الابحاث من جديـد قام المؤلفون بـدراسة تقنية مطـولة استعـرضوا فيهـا حركـة القمر والكـواكب موضحين ذلك برسوم واشكال عديدة. كما تطـرقـــوا الى جـداول إحـداثيـــات القمـر وإضــــائيتـه. ومـن جهـة اخـــرى تحدث المؤلفون عن المعطيـات الرصـدية ودلالاتها وعن النتـائج المتعلقـة بـامكانيـة الـرؤيـة وبخـاصيـات الهلال (كالطـول والعـرض والتوجه).

وبعـد ذلك دخل المؤلفون بـاب المناقشـة التي استهلوهـا بموضــوع شروط قبول أو رفض المشـــاهــــدات. وقــد اكــدوا بهذا الخصوص على صعوبة رؤية الهلال الرقيق إذا لم تتـوفـــر الكثير من الشروط الجويـة، وذكروا بتجـربة دوجت وشيفـر التي بينت أنه يكفي ان يجتمع زهاء اثنى عشر شخصـا لكي يـرى اثنان منهم (هلالا) ليلـة الشك. وبطبيعة الحال، فهذه نتيجـة احتمالية تبين تقدير الخطأ الذي يرتكب ليلة الشك. وهكذا فإن التنبؤ بإمكـانية رؤية الهلال شيء غير سـهل إذ لم يصل الى درجـة الـدقـة والثقـة العلمية التامة. واجتهد المؤلفون في توضيح هذه النقطـة التقنية الى القـاريء، وفي نفس الوقـت لاحظوا أن رفض مشـاهدة خـاطئة ليس صعبـا على الإطـلاق لأن المشـاهـدة الصحيحـة لايمكن أن تتنـاقض مع عـدد الخاصيات العلمية المعروفة. وقدم المؤلفون البعض من هذه الخـاصيـات (مثل تلك التي تقول بأنه لم تتم أبـدا رؤية هلال أقل عمرا من ١٥ سـاعة و٢٤ دقيقـة بعد الاقتران). كما لم يفتهم الحديث عن استعمال الاجهزة العلمية لمشاهدة الهلال.

وفي نهاية الفصل اقترح المؤلفـون طريقة لضبط التـوقيت الاســلامي مــلاحظين ضرورة وجـــود هـــذا الجدول إذ أن جل المعامـلات الدوليـة للبلدان الاسـلامية تتم حسب جـدول التوقيت الغـربي الذي أمـر بوضعـه البابا غـريغوار الثـالث عشر سنة ١٥٨٢م. من جهـة أخرى نعـاني كلنـا من الاختلافـات الكبيرة حول بـداية رمضـان ونهايتـه في كل سنـــة. ومن ثم يجب وضع أسس وطـرق لتـوحيـد جـدول التـوقيت الاسلامي.

وينبغي ان تكون لهذا الجدول صـلاحية زمنيـة بعيـدة المدى (خمس سنـوات على الأقل) حتـى تتمكن الامـــة مـن التخطيط لمواعيدها واعمالها ومعـاملاتها. كما ينبغي ان تكون لهذا الجدول صـلاحية جغـرافية حتى تتقلص الفـوارق التوقيتية مـن مكان لآخر.

واشاد المؤلفون بالمجهودات الجبارة التي يقوم بها منذ عدة سنـوات الباحث الماليزي محمـــد إليـاس في هـــذا الاتجاه، وفي نفس الوقت فهم يعيبون على هذا الباحث كونه لم يأخذ بالاعتبار نتائج البحوث الجديدة التي نشرها شيفر والمتعاونون معه.

ويتلخص اقتراح المؤلفين، المستنـــد الى احـــدث البحـوث الفلكيـــة، فيما يلي: إنهم يقترحـون تقسيم الكـرة الأرضيـة الى اربع مناطق هى:

المنطقة الأولى: من ١٥٠ درجـة شرق خط غـرينتش الى ٧٥ درجة شرقـا. وهى تشمل آسيـا الشرقية والجنـوبية (الهنـد، الصين، ماليزيا، أندونيسيا)

المنطقـة الثانيـة: من ٧٥ درجة شرقـا الى

٣٠ درجة شرقا. وهي تشمل آسيا الصغرى (الجزيرة العربية ، الشام، ايران، باكستان، افغانستان، الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفياتي سابقا..)

المنطقة الثالثة: من ٣٠ درجة شرق خط غرينتش الى ١٥ درجة غربا. وهي تشمل افريقيا واوروبا.

المنطقة الرابعة: من ٤٥ درجة غربا الى ١٢٠ درجة غربا وتشمل القارة الأمريكية (شمالها، وجنوبها).

وبعد هذا التقسيم يعين مايمسى (بخط التاريخ القمري) فإذا وجدناه يقع مثلا في المنطقة الثانية تقرر ان الشهر الجديد يدخل في المناطق ٤،٣،٢ ويؤجل بيوم في المنطقة الأولي. ويلح المؤلفون على أن هذه الطريقة كغيرها، لايمكن أن تنتج توحيدا فعليا لجداول التوقيت الاسلامي الا اذا تبنته جميع الدول الاسلامية .

وفي الفصل الخامس يعالج المؤلفون الناحية الفقهية للضوابط العلمية لهذا الاقتراح وغيره. وهكذا تطرقوا في البداية الى المواطن التي يحتاج (أو لايحتاج) فيها الى شهادة لإثبات الشهور الهلالية مبينين ان هناك ثلاث حالات هي: حالة القطع باستحالة الرؤية وحالة القطع بامكانية الرؤية وحالة جواز الرؤية.

ثم تناول الدكتور فسوم وزميليه موضوع الاصول الشرعية العامة لقبول أو رد الشهادات فاستخلصوا أن الموطن الوحيد الذي تثبت فيه الشهور بالشهادة هو عندما يحكم الحساب الفلكي بجواز الرؤية. كما أوردوا عدة نقاط أخرى تتعلق بموضوع تهمة الشاهد. وفي آخر الفصل استعرض المؤلفون ضوابط رفض وقبول الشهادة بدخول الشهور.

أما الفصل السادس فيعالج شرعية اعتماد حساب الفلك لاثبات الشهور. وقد اشار المؤلفون الى مغبة نكران حساب علماء الفلك معتبرين أن الحساب امتداد للرؤية.

كما نقدوا الفقهاء المناوئين لاعتماد الحساب من أجل اثبات الشهور، وذلك بحجج علمية وفقهية بعيدة عن الاسلوب الجدلي.

وفي الفصل السابع تحدث المؤلفون من جديد (وباسهاب) عن توحيد التوقيت الاسلامي مشيرين الى انعدام النص الشرعي الصريح الذي يعالج مسألة جدول التوقيت الاسلامي. وقدم المؤلفون في نهاية الفصل خلاصة تضم مقترحاتهم في هذا الموضوع.

واستعرض المؤلفون في الفصل الثامن مجمل النتائج التي توصلوا اليها في شكل ملخص لكافة المقترحات المقدمة في الفصول السابقة. ويرى المؤلفون ان (على الفقهاء التخلي عن انغلاقهم الذي جعلهم يرفضون التعامل مع المستجدات العلمية في هذه المسألة ويتمسكون بالآراء الفقهية القديمة التي وضعت وقت انعدام المعرفة الفلكية عند المسلمين).وعليهم ايضا (التعرف على التطور الذي عرفته الانسانية في العلوم عموما وفي المجالات التي تؤثر على مجتمعاتنا وحضارتنا). وبالموازاة مع ذلك يذكر المؤلفون ان قضية التنبؤ برؤية الهلال ليست سهلة ويستشهدون بالباحث شفير الذي قال: (إن مسألة التنبؤ برؤية الهلال الجديد يمكن اعتبارها آخر مسألة غير بديهية تطرح على الانسانية وعلى العلم اليوم) ذلك أن حلها يحتاج الى تضافر جهود الكثير من الاختصاصات مثل الرياضيات وعلم حركة الاجرام السماوية والفيزياء. والضوئيات وعلم الطقس والفيزيولوجيا المتعلقة بالبصر وعلم الكومبيوتر. ورغم ذلك فإن الشوط الذي قطعه علم الفلك يسمح بالاجابة عن كثير من التسأولات التي يطرحها العالم والفقيه والحاكم.

ويؤكد المؤلفون على ضرورة إعادة النظر في فقه هذه المسألة على ضوء المستجدات العلمية التي حاولوا استعراض مجملها في كتابهم. وقد اوردوا البيت التالي تأكيدا على هذه الضرورة:

وليس يصح في العقول شيء
إذا احتاج النهار الى دليل

ويمكن تلخيص اقتراحات المؤلفين فيما يلي:

١) انشاء لجنة للتوقيت في كل قطر، أو مجموعة أقطار، تتشكل من علماء (فلك) وفقهاء لكي تعمل على وضع جدول توقيت.

٢) إنشاء لجنة عليا على مستوى العالم الاسلامي تجمع اللجان المحلية لكي تقوم بالتنسيق قصد القضاء على الفوارق المعروفة.

٣) انشاء عدد من المراكز العلمية عبر العالم الاسلامي لمعالجة المسائل الدينية المتعلقة بالفلك.

٤) تقسيم الكرة الأرضية الى اربع مناطق (بالطريقة المبينة سابقا).

٥) توحيد التاريخ في كل منطقة من هذه المناطق بحيث لايمكن أن تختلف منطقتان الا بيوم واحد على الاكثر.

٦) اعتماد فكرة (خط التاريخ القمري) لتحديد المنطقة الأولى التي يتغير فيها شهرما من السنة.

٧) اعتماد نموذج شيفر لحساب احتمال الرؤية ومواصلة البحوث قصد تدقيقه وتحسينه.

٨) القيام باكبر عدد ممكن من حملات الرصد الهلالي وذلك عند بداية كل شهر وفي كل الاقطار والمدن الاسلامية حتى يتسنى للعلماء تدقيق قيمة احتمال الخطأ في المشاهدة، وكذلك تقدير العوامل المختلفة الداخلة في النماذج (التلوث، الرطوبة ،الخ..) بالنسبة لكل مكان.

ويهيب المؤلفون في الاخير بجميع قراء هذا الكتاب أن ينشروا الافكار التي تضمنها (هانحن قد فعلنا!). وان يعملوا على توعية الشعوب الاسلامية بضرورة العمل بمقتضى الدراسات العلمية الجادة.

ومن جهتنا نرى بان هذا الكتاب قبس آخر ينير الطريق امام المسلمين وفقهائهم وعلمائهم وحكامهم ويقرب بينهم. إن القارىء لهذا الكتاب يشعر فعلا بنبل الهدف الذي يسعى المؤلفون الى تحقيقه ويدرك درجة الاخلاص والنزاهة العلمية التي عالج بها هؤلاء موضوع كتابهم.. ولذا نتمني أن يواصل الاساتذة نضال فسوم ومحمد العتبي وكريم مزيان جهودهم لإصدار مؤلفهم في عدة طبعات مزيدة ومنقحة بناء على نتائج البحوث المتوالية. كما لايسعنا الا ان نشكر دار الامة على اهتمامها بمثل هذه الكتب القيمة□

مفهوم السعادة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية

بقلم: علي القاضي

كل إنسان في هذه الحياة يسعى لتحقيق السعادة حتى يعيش في أمن وراحة بال، وهدوء نفس واطمئنان قلب. ترى كيف تتحقق السعادة؟

يرى بعض الناس أن السعادة تكون في المال الكثير أو الحسب والنسب أو الجاه أو كثرة الأنجال وقد كان لبعض الشعراء رأي في السعادة، ومن هؤلاء الحطيئة الذي كان يرى أن السعادة في التقوى فيقول:

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرا
وعند الله للأتقى مزيد

ومنهم حسان بن ثابت الذي كان يرى أن السعادة في السلامة من الناس فيقول:

وان امرأ يمسي ويصبح سالما
من الناس إلا ما جنى لسعيد

الحضارة الغربية ومفهوم السعادة

الحضارة الغربية ترى أن السعادة تكمن في الأشياء المادية ثم الاستهلاك بل والمزيد من الاستهلاك كما تكون في الحرية الكاملة وفي الانطلاق في الشهوات وفي السلطان وما إلى ذلك والإنسان الذي تدفعه شهوة السلطان أو المال لا يشعر بنفسه ككائن بشري له ثروته النفسية ومجاله الذي لا يحد.

و إنما يمسى ويصبح عبدا خاضعا لميل قوي في نفسه يدفعه إلى السير في هذا الاتجاه أو ذاك. ولذلك فإننا نلاحظ في المجتمعات الأكثر تقدما من الناحية التكنولوجية سلسلة من حلقات الرشوة والغش والاحتيال، كما نلاحظ السطو والنهب وإذلال الشعوب الباحثة عن طريقها.

ومن هنا فإننا نلاحظ أن الجاه أو المال أو غير ذلك لا يحقق السعادة الحقيقية التي يشعر بها الإنسان ولذلك فالحضارة الغربية لا تمثل إلا حضارة القلق والسآمة والحيرة.

وقد أصبح الناس في الغرب يعبدون العادات والتقاليد والأعراف التي يصنعونها – وحق عليهم ما جاء في القرآن الكريم ﴿أتعبدون ما تنحتون. والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٥-٩٦].

والإنسان لا يمكن أن يحقق ذاته إلا إذا بقي متصلا بحقائق وجوده الأساسية: جمال الحب وجمال التماسك وإلا فإنه يحس بمأساة عزلته وجزئية وجوده.

إن الملل الذي ينجم عن الفصل بين المرء وعمله (بل بينه وبين نفسه) ماهو إلا عامل من العوامل التي أدت إلى ضيق المرء بنفسه في الحضارة الغربية – مما يؤدي به إلى الهروب من المجتمعات بالمخدرات ومن الحياة بالانتحار ولذلك فإن نسبة الانتحار في الغرب تتزايد كلما ارتفع الناس في سلم الحضارة بمقياسها المادي.

ظاهرة الانفصال

يقول أريك فوم الفيلسوف المعروف (إن المجتمع الحديث يتألف من أفراد كل منهم غريب عن الآخر تربطهم مصالح ذاتية وضرورة نفعية لا أكثر).

والإنسان كائن اجتماعي في حاجة قصوى إلى المشاركة والمعاونة التي لا تستند إلى محض المنفعة.

كما أنه في حاجة إلى الإحساس بأنه فرد في جماعة متماسكة متشابكة أساسها الحب الخالص والتعاطف والمودة وتسمى هذه الظاهرة في الغرب (ظاهرة الانفصال) وهي علة العلل عند إنسان القرن العشرين.

نعم إن الحضارة الغربية هي حضارة مادية لا روح فيها، وهي حضارة القلق والسآمة وقد وصلت إلى ذلك لأنها أهملت عالم القلب والنفس.

كما أهملت معرفة الهدف الصالح للحياة والجانب الخلقي في الحياة الإنسانية ومن مظاهر ذلك:

الصداقة

التي تحولت عند إنسان الحضارة الغربية إلى سلع تجارية وأصبح الإنسان لا يقدر في مجتمعه بالصفات الإنسانية بل بما يملك من مال. ولذلك فإن الإنسان فقد الإحساس بالكرامة لأنه فقد الإحساس بذاته وبوظيفته في الحياة يقول هنريك أيس الفيلسوف النرويجي عام ١٩٠٦م: إننا لا نعرف سبيلا للسعادة يؤدي إلى السعادة الحقيقية – بل إن السبل كلها تبعدنا عنها.

وتولستوى الفيلسوف الروسي سنة ١٩١٠م يرى: (أن السبب في إخفاق الإنسان في نيل السعادة يكمن في أنه يسعى إلى نيل السعادة الشخصية فقط (والوصول إلى السعادة الشخصية لا يمكن الحصول عليه لأن ذلك يستدعي إيقاع الضرر بالآخرين ولن يسكتوا – والسعادة الحقيقية هي سعادة الجماعة عن طريق المحبة والتعاون والتضحية في سبيل إسعاد الآخرين. إن مأساة الغرب تكمن في اعتماده على النمو المتواصل بدون هدف إنساني أو أخلاقي).

وتؤكد الدراسات العلمية في العالم الغربي على ارتفاع معدلات المصابين بأمراض نفسية نتيجة الإغراق في أوضاع عادية تفرض إيقاعا سريعا للحياة وتحكم على النجاح والفشل بمعايير مادية). معايير أساسها القوة والمال في حياة فقدت الجانب المعنوي من كيانها.

وقد صرح رئيس أمريكا جون كندي عام ١٩٦٢م بأن مستقبل أمريكا في خطر – لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات وأن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للجندية يوجد منهم ستة غير صالحين لأن الشهوات التي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الجسمية والنفسية.

والإنسان له قدرة معينة على استيعاب المثيرات يطلق عليها «العتبة النفسية» فإن زادت عن حدها عجزت ميكانيزمات الجسم عن التكيف معها فإن ذلك يؤدي إلى الاختلال في السلوك – ويستجيب لذلك بالسلوك العدواني على كل من حوله وقد يكون العدوان على النفس بالانتحار.

وقد لاحظ ديل كانيجي ذلك فألف كتابه (دع القلق وابدأ الحياة) ورسم الطريق لجلب السعادة (حسب تصوره) فقال في كتابه:

(علينا أن نملأ قلوبنا بأفكار السلام والشجاعة والصحة والآمال، وأن نحاول ألا نثأر من أعدائنا وأن نتوقع الجحود وعدم الشكر وأن نعدد نعم الله علينا ولا نعدد

متاعبنا وأن نتجنب تقليد الآخرين وإذا منحنا القدر ليمونة فلنحاول أن نصنع منها شرابا لذيذا - وعلينا أن ننس تعاستنا من خلال محاولة إيجاد السعادة في نفوس غيرنا - ففي ذلك إحسان إلى النفس - وعلينا أن نتجنب التوتر والقلق).

وهي نصائح طيبة ولكنها لا تحقق السعادة المطلوبة، لأن السعادة الحقيقية تكمن في صلة الإنسان بخالقه بحيث يحس بكيانه وأهميته وبأن له وظيفة سامية على الأرض وهي تحقيق الخلافة وإذا قام بدوره فيها طبقا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى، فإن الله سيمنحه السعادة الكاملة في الدنيا الفانية وفي الدار الآخرة الباقية.

الحضارة الإسلامية والسعادة

الإنسان في الحضارة الإسلامية له غاية في هذه الحياة ووظيفة يؤديها وهي عمارة الأرض طبقا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وإذا قام بدوره المطلوب منه فإن الله سبحانه وتعالى سيمنحه السعادة في الدنيا وفي الآخرة. وهذا ما يتمناه كل إنسان في هذه الحياة.

والمسلم متصل بخالقة يعبده وحده ولا يشرك به شيئا منه يستمد عقيدته وشريعته وهو المعمر للكون، ولكي يتمكن الإنسان من تحقيق وظيفته في الحياة فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل له ضوابط تعينه على ذلك ومنها:

- الإخلاص في القول والعمل:

ففي الحديث الذي رواه البخاري يقول النبي ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرى مانوي) والاستقامة الكاملة على المنهج الإسلامي تظهر في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»، كما تظهر في قوله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ [الأنعام:١٥٣].

- الاخوة :

كل مسلم يحس بأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وبأن المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر وبأن المسلم لا يظلم المسلم ولا يسلمه وأنه دائما في حاجة أخيه حتى يكون الله دائما في حاجته وبأنه ينفس من كرب لمؤمنين حتى ينفس الله كرباته في الدنيا والآخرة وعلى المسلمين جميعا أن يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا وألا يتنازعوا حتى لا يفشلوا.

وعلى كل مسلم أن يخالط الناس وأن يصبر على أذاهم، وبأن يعفو عمن أساء إليه، وبأن يصل من قطعه ويعطي من حرمه، وبأن لا يسخر من أحد وأن يجتنب الظنون التي تؤدي إلي التخاصم والحسد الذي يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب - إلى جانب السماحة في التعامل مع الناس.

- المسؤولية الفردية:

والمسؤولية الفردية تظهر في قول النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» [البخاري]. وفي قوله تعالى: ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ [مريم:٩٥]. وفي قوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة].

- القناعة:

والمسلم عليه أن ينظر إلي نعم الله تعالى عليه ولاينظر إلى ما ينقصه ومن حقائق الإسلام إن من بات آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها والإنسان بطبيعته يحب المال الكثير والنبي ﷺ يقول: «فوالله لا الفقر أخشى عليكم - ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلكم كما أهلكتهم» [البخاري].

وقد تنبأ النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الطبراني بما سيحدث لفريق من أمته حيث قال: «سيكون رجال من أمتي يأكلون الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون بالكلام - أولئك شرار أمتي».

-الرضا:

والرضا يجلب للإنسان السعادة مهما كانت الظروف ومن ذلك ما يرويه التاريخ الإسلامي من أن رجلا أعمى مقعد كان يلبس ملابس مرقعة وكان جالسا أمام منزله يشكر الله تعالى على نعمه - فقال له رجل مار في الطريق: «ياهذا على أي شيء تشكر الله ولم يترك لك شيئا تشكره عليه؟» فأجابه بقوله : «أغرب عني أيها الجاهل لقد أبقى لي لسانا يذكره وقلبا يشكره». وبهذا كان الرجل يحس بالسعادة الكاملة لإيمانه الكامل بخالقه على الرغم مما يعانيه من نواح كثيرة.

القيم الإسلامية

والقيم الإسلامية هي التي تجعل المجتمع يعيش في أمن وطمأنينة ويستخدم ما في الأرض من خيرات وثروات وما في البشر من طاقات وعلوم - حتى يكون للمجتمع الإسلامي دوره الواضح في إقامة الحضارة الإسلامية.

ويلاحظ أن نفس المؤمن الراضية المطمئنة إلى الإيمان الحقيقي لا تستريح إلا في الاكتشافات المستمرة لما في الكون للتعرف على أسراره وسننه - كيما يزداد اتصالا بالله سبحانه تعالى.

ذلك لأن غاية معرفة الله سبحانه تعالى استمداد العون منه لأداء دوره في الحضارة الإلهية التي تخرج الناس من الظلمات إلى النور - وتجعلهم يحسون بالسعادة الحقيقية في هذه الحياة. وبالسعادة الدائمة في الدار الآخرة.

ومن هنا فإن المسلم في الحضارة الإسلامية يحس بأنه ليس وحده في هذا الكون الفسيح فإن من حوله وفي كل اتجاه وحيثما امتد به البصر أو طاف به الخيال يحس بأن له إخوانا من خلق الله سبحانه وتعالى.

إنهم مختلفون في الصور والأشكال، ولكنهم يسبحون بحمد الله تعالى مثله وإن كان الإنسان لا يفهم تسبيحهم كما يحس بأن الكون صديق له ومعين له على أداء وظيفته وهو لذلك يعيش آمنا مطمئنا إنه في الأرض ولكن قلبه معلق في السماء.

بينما الإنسان في الحضارة الغربية يعيش في قلق دائم وكآبة مستمرة كما أنه يحس بالغربة عن الكون وعن الناس. و أحيانا يحس بالغربة عن نفسه. كما أنه يحس بأنه يعيش بغير هدف وبغير غاية.

ولذلك فإنه يهرب من المجتمع المهدئات والمخدرات أو يهرب من الحياة بالانتحار وهذا ما يؤذن بانهيار الحضارة الغربية على النحو الذي انهارت به الشيوعية وعلي المسلمين أن يقوموا بدورهم في الحياة وأن يعودوا إلى أداء وظيفتهم بالعودة إلى كتاب الله سبحانه تعالى وسنة نبيه ﷺ بالدعوة إلى الله على بصيرة وبالجهاد في سبيل نصر دينه فبذلك يرضون عن أنفسهم وعن مجتمعهم وبذلك يرضى الله تعالى عنهم.

وبذلك يفوزون بالسعادة الحقيقية في الحياة الدنيا الزائلة وبالسعادة الحقيقية الدائمة في الدار الباقية وهذا ما تتمناه كل نفس سوية قادرة على السير في طريق الله الذي يحقق كل ما يتمناه الإنسان، كما يحقق كل ما تصبو اليه النفوس الواعية ذلك لأن المنهج الرباني يحرر النفوس من اتجاهات الجاهلية.

ومن اتجاهات الحضارة الغربية ويجعل المسلمين يسيرون في اتجاه الإسلام والانقياد إلى تعاليمه ويقيمون ميزان القيم الأخلاقية بميزان الإسلام ولمثل هذا فليعمل العاملون□



جابــــر عثــــرات الكــــرام

بقلم: أنور صالح جعفر

[المشهد الأول]

(مجلس أمير المؤمنين سليمان بن عبدالملك – يدخل الحاجب)

الحاجب: خـزيمـة بن بشر بالباب يأمير المؤمنين.

سليمان: ويحك يارجـل.. منذ متى وهو على البـاب ينتظر الاذن بالدخول؟

الحاجب: مـاوفـد الا الساعـة يأمير المؤمنين ومازالت عليه غبرة السفر.

سليمان: أهـلا به ومـرحبـا.. فليدخل.

(يخرج الحاجب – يـدخل خزيمة)

خزيمة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين.

سليمان: وعليك السـلام ورحمة الله وبركـاته يابن بشر.. بالله عليك ما الذي أبطأك عنا كل هذا الوقت؟

خـزيمـة: مأبطأني يـاأمير المؤمنين الا سوء الحال.

سليمان: ولماذا لم تعجـل بالنهوض الينا؟

خزيمة: الضعف وقلة الحيلة.

سليمان : لاحـول ولاقـوة الا بالله.. وبم نهضت الآن إذن؟

خزيمـة: لذلك قصة غريبـة لو اذنـت لي يـأمير المؤمنين قصصتها.

سليمان: قد فرغنا من مشاغلنا وقضينا حـوائج الناس والحمـد الله فهات ماعندك.

خزيمة: تعلم أعـزك الله ياأمير المؤمنين اني بفضل اللـه وكرمـه كنت في نعمة سابغة وخير عميم..

سليمان:ذلك فضل الله يـؤتيه من يشاء من عبـاده.. والآن ماذا جرى؟

خـزيمة: ارادة اللـه أن يتبـدل الحال.

سليمان: الحمد الله على السراء والضراء ودوام الحال من المحـال يـابن بشر ولكـن.. أين الاخـوان ممن كـانوا دوما مـوضع فضلك وبرك ومروءتك؟

خـزيمـة: واسـوني حينـا ثم ملوا.. لكن لالوم عليهم.

سليمان: وأي سبيل طرقت؟

خزيمة: أغلقت على بابي أتقوت ممـا عندي وقـد عزمت الا أبـرح داري الى ان يأتيني الموت.

سليمان : وبـم نهضـت اذن؟ وكيف أقلت من عثرتك؟

خزيمة: هنا وجه العجب يأمير المؤمنين، لاأدري.. هبطـت علي ثـروة مـن السماء.. أربعـة آلاف دينار لا أعرف الى الآن ممن؟

سليمان: كيف؟

خـزيمة: ذات مسـاء في هـدأة الليل سمعت طـرقـا على البـاب فخرجت أستطلع الأمر مشفقا أن يكـون الطـارق عـابـر سبيل أو طالب احسان وأنـا على ماأنا عليه من فقر وامـلاق، فوجـدت رجلا على دابة ناولني كيسا ثقيلا وهو يقـول: اصلح بهذا شـأنك، فـوضعـت الكيس على الارض وأمسكت بلجام الدابـة أسأله من هو.. فقال: ياهـذا ماجئتك في هذه السـاعـة من الليل وأنـا أريـد أن تعـرف من أنا، فقلت لـه: لن أقبل الكيس قبل أن أعرف من أنت، فما زاد عن قـوله: أنـا جـابر عثـرات الكرام.

سليمان: جابر عثـرات الكرام؟ أوماعرفته؟ أو ماتبينت من هو ؟

خزيمة: كانت الليلة غير مقمرة يأمير المؤمنين وكان الرجل ملثما ومـاأسرع مـاانطلق لايلـوي على شيء.

سليمان: كم أنـا متلهف الآن لمعرفة من هو جابر عثرات الكرام هذا، لو عرفناه لأعناه على مروءته وكرمه ولجزيناه أحسن الجزاء.

خـزيمـة: وأني لنـا أن نعـرف يأمير المؤمنين من هو؟

سليمان: الحمـد اللـه ان في رعيتي من يتصـدق بـالصـدقـة لاتدري شمالـه ماأعطـت يمينه.. على أية حال يـابن بشر لقد جئت في وقتك اذ رأيت أن اوليك امـارة الجزيرة فقدعزلت واليها عكرمة.. فتعال معي الآن نحسن وفادتك.. ثم نتحـدث فيما بعـد عن المهـام التي اريدها منك.

خزيمة: السمع والطاعة يأمير المؤمنين.

(إظلام)

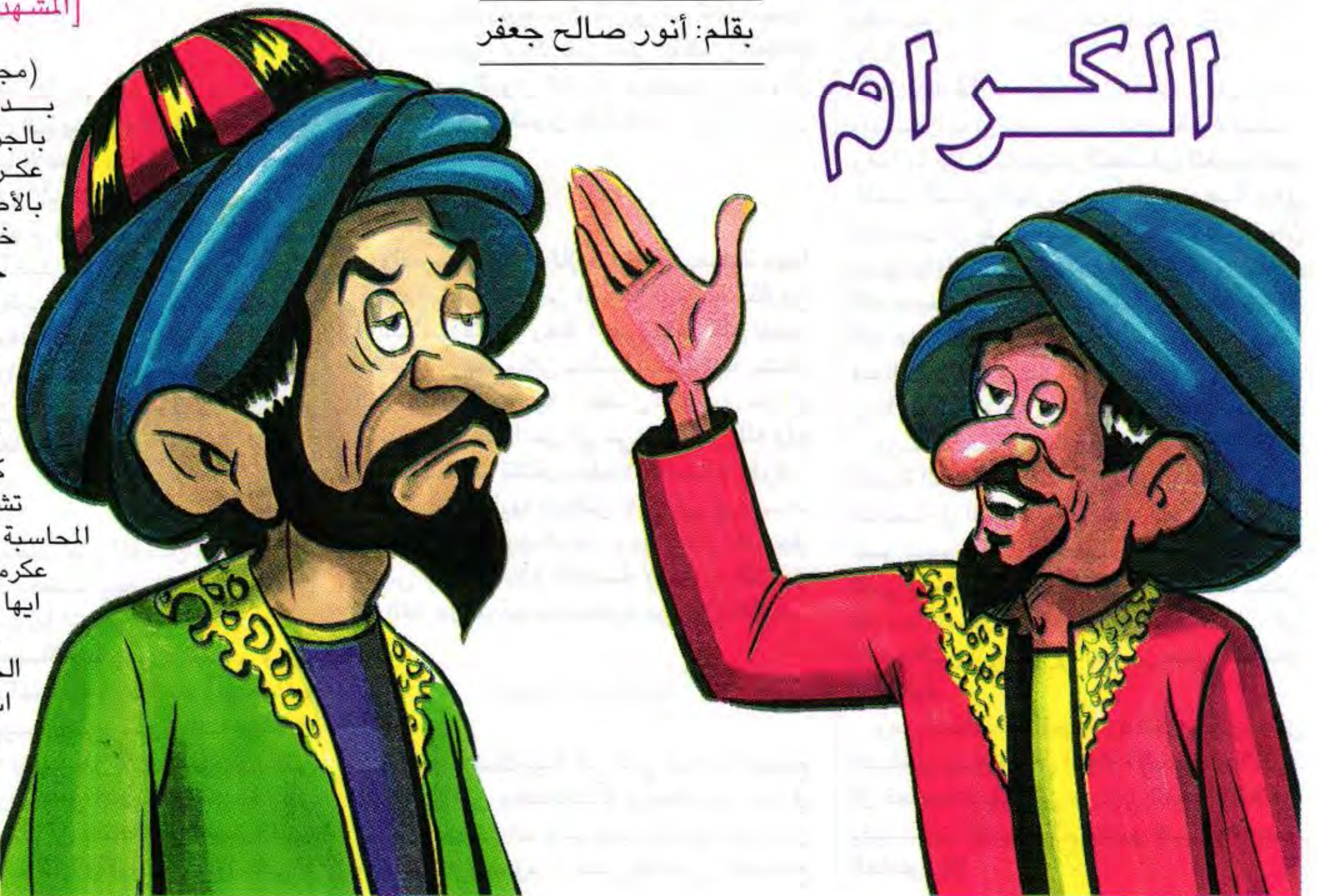
[المشهد الثاني]

(مجلس خـزيمة بـدار الامـارة بالجزيرة – أمامه عكرمـه مكبلا بالأصفاد)

خـزيمة: لقـد حـوسبت يـاعكـرمـة بـواسطـة كفيلنـا ووجدنا عليك فضول أموال كثيرة فهـل تشك في صحـة المحاسبة ؟

عكرمة: كـلا ألبتة ايها الأمير.

خـزيمـة: الحمـد اللـه، استراح ضميري الآن.. لقـد استدعيتك من الحبس لأسـألـك



مـرة اخـرى.. أيـن فضـول تلك الأموال ياعكرمة؟
عكرمة: أصلح الله الأمير.. مالي الى شيء منها سبيل.
خزيمـة: ياعكرمة.. منـذ شهر وأنت مكبل هكذا بالحديد مضيق عليك حتى مسـك الضر. فهل أنت راض بما أنت فيه الآن؟
عكرمة: لـه الأمر والتدبير ايها الأمير وكل شيء بقضـــاء اللــه وقدره.
خزيمـة: ياعكرمـة.. انت ملزم بأداء هذا المال ان آجـلا أو عاجلا فهو أمانة ونحن جميعا عمال ولي الأمـــر ولا نملك التصرف في شيء من مـــال المسلمين الا بأذن ولي الأمر وعلمه.
عكـرمـــة: واللـــه ايها الأمير ماأخـذت لنفسي أو لأهلي من مال المسلمين دانقـاً، ومـابـــددتـه في معصية، ووالله ماخنت الأمـانة قط منذ أن توليت.
خزيمة: أين اذن ذهب هذا المال وفي أي الوجوه أنفقته؟
عكرمـة: ايها الأمير، لست ممن يصون ماله بعـرضه، هناك أمور تقتضيها سياسة الـرعية وتدبير أمـورها صغـرت أم كبرت، وهى أمـور فيها مـالا يقال حفظـا لماء الوجـوه اذ هى أمـور لايعلمها الا الله، ومن كان طـرفا فيها، ولست في حل من ذكـــرهــــا لك،ولكني أذكـرهــا ان شاء اللـه أمـام أمير المؤمنين وحده.
خزيمة: مادام الأمـر كذلك فانا لاأملك الا الكتابة الى أمير المؤمنين وانتظار رده.. والي ان يصـل الرد لاأملك الا أن اعيدك الى الحبس.
عكـرمـــة: أصلح اللــه الأمير.. اصنع مـاشئت أنا راض بقضـاء الله وقدره.
(اظلام)

[المشهد الثالث]

(نفس المنظـر الســابق وأمـام خزيمة كاتبه)
خزيمة: واكتب.. وهـذا هو كل ماجرى بيني وبين عكرمة ووالله الذي لا اله الا هـو ياأمير المؤمنين لئن سـألتني الـرأي لأقـولن.. مـا اظن بعكرمة ظن السوء ابدا، فهو رجل طاهر الإزارمحمود السيرة، نقي السريرة، بـالغ الجود والكرم حتى عرف بيننا بعكرمة الفياض. ومـا أرى فضـول الأمـوال التي أظهرتها المحاسبـة الا من بذل في ضرورات اقتضتهـا السيــاســة وتدبير أمـور الرعيـة بالجزيـرة، وذلك أمـــر لاأملك البت فيـــه الا بـــرأيك وأمـــرك وان رأيت أن نشخصــــه اليك وتسمــع منـــه اشخصناه.. والسلام.
(الكـاتب يجمـع أوراقـه ويهم بالخروج)
الكـاتب: جزاك اللـه الخير كل الخير سيدي الأمير فنعم ماأمليت ونعم ماشهدت به في حق عكرمة.
خزيمة: ماشهدت الا بما عرفت وخبرت من أمـره يـــابني.. والآن انظر ان كان بـالباب احد قبل ان ننصرف.
الكاتب: نعـم أيها الأمير.. هناك غلام يريد مقابلتك وماأنسانيه الا الشيطان.
خزيمة: دعه يدخل.
(يخرج الكـاتب ويعـــود بعـد برهة ومعه غلام)
الغلام: السـلام عليكم ورحمة الله سيدي الأمير.
خزيمة: وعليك السلام ورحمة الله.. مالأمر؟
الغـــلام: (مترددا) أمــــرتني سيدتي زوج سيدي عكـرمة.. ان احدثك على انفراد سيدي الأمير.
(يـومـيء خـزيمـة للكـــاتب بالانصراف فينصرف)
خزيمة: هات ماعندك.
الغـلام: تقـول لـك سيـدتي.. مـاكـان يجب ان يكـون الحبس والتضييق والحديد هو جزاءجابر عثرات الكرام ومكافأته عندك.
(صمت لبرهة)
خـزيمـة: يـاالهي.. يـاالهي.. أعكرمة الفياض هـو جابر عثرات الكرام.
الغلام: نعم ياسيدي. وأنا كنت برفقتـه ليلة أن توجـه اليك ولكنه أبعدني قبل أن يصل الى دارك فلم أعرف أي باب طرق ولا لمن أعطي المال.
خزيمة: واسوأتـاه.. واسوأتاه.

(الغلام يهم بالانصراف)
خزيمة : انتظريافتى.. لن تبرح هـــذا المكـــان الا معي.. سنجمع وجوه البلدة ونذهب الى عكرمة في الحبــــس وسترى بنفســــك مـاسيكـون لتبلغ سيـدتك زوج عكرمة.. (إظلام)

[المشهد الرابع]

(اضاءة زنزانة سجن عكرمة)
عكرمة: اللهم ياعلام الغيوب.. انت وحـدك اعلم بحـــالي ففـرج كربتي وهمي ياأرحم الرحمين.
(يفتح بـاب الزنـزانة ويـدخل خزيمة والغـلام والكاتب وبعض وجـوه البلـدة - عكرمـة يـراهم فينكس رأسه محتشما)
خزيمة: ارفع رأسك ياعكرمة.. فـوالـلـه مـامـن أحـد هنـا أحق بتنكيس رأسه خزيا وعارا وأسفا مني فقـد قابلت صنيعك بسـوء المكافأة وقبيح الفعال.
عكرمة: يغفـر الله لنا ولك أيها الامير..
خزيمة (للكاتب) فك قيوده..
(يســارع الكــاتـب بفك قيـود عكرمة)
خزيمة: هـاتها هنا وضعها في رجلي..
عكرمة: ولم أيها الأمير؟
خـزيمـــة: (وهـويجر القيـود ليضعها في رجلـه) اريد ان أنـال من الضر مثل مانالك.
عكرمة: أقسمت عليـك بالله ان لاتفعل ايها الأمير..
خزيمة: كان يجب ان.. ان..
عكرمة: بالله عليك ايها الأمير.. مادمـت قدعرفت.. فـدعني الآن اذهب الى أهلي..
خزيمـة: لا.. ليس قبل أن اغير من حـالك مارث وأتولى خـدمتك بنفسي ثم نذهـب إلى أهلك لأعتذر إليهم وبعــــدهـــا نسير الى أمير المؤمنين.
(اظلام)

[المشهد الخامس]

(مجلس أمير المؤمنين)
الحاجب: خـــزيمـــة بن بشر بالباب يا أمير المؤمنين.
سليمان: ويحه. ماذا جـرى.. والى الجزيرة يقـدم بغير أمرنــا.. مـا هـــذا الا لحادث جلل وأمـر عظيم.
(يوميء لـه بالاذن - ينصرف الحاجب يدخل خزيمة)
سليمان: ماوراءك ياخزيمة.
خزيمة: خير ياأمير المؤمنين.
سليمان : فما الذي اقدمك؟
خزيمة: ظفرت بجـابر عثرات الكرام فاحببت أن أسرك لما رأيته من تلهفك عليـــه وتشــوقك الى رؤيته.
سليمان: ومن هو ؟
خزيمة: عكرمة الفياض ياأمير المؤمنين.
سليمان: وأين هو الآن؟
خزيمـة: ينتظر الاذن بـالمثول ياأمير المؤمنين.
سليمان: أهـــلا وسهـــــلا ومرحبا..
(يتجه خزيمة الى الباب ويعود بعكرمة)
عكرمة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ياأمير المؤمنين.
سليمان: وعليك الســــــلام ورحمة اللـه وبـركتـه يـافـاعل الخير.. ادن مني. تعـــال اجلس هنا..
عكرمة: زادك اللـه عزة ومنعة وتشريفا ياأمير المؤمنين.
سليمان: يـاعكرمـة.. ماكـان خيرك لخزيمة الا وبالا عليك.
عكـرمـة : لله الأمـر والتـدبير ياأمير المؤمنين.
سليمان: العفـــــو مـن شيم الكرام.. وأنت جـواد فياض فهل عفوت عن ابن بشر ؟
عكـرمة: مـاصنع ابن بشر الا كل خير.. فهكـذا يجب ان يكـون عما ل أمير المؤمنين قـوة وحزمـا وتصريفا للأمور.
سليمان: خـــذ من الكــــاتب ياعكرمة قـرطاسا ودواة واكتب حوائجك كلها.
عكـــرمـة: أوتعفيني يـــاأمير المؤمنين.
سليمان: لابد ياعكـرمة.. وكل ماستطلب سأقضيه لك.. وفوقها عشرة آلاف دينار.
عكـرمة: أطـال الله لك البقـاء كطـول يـدك في العطـاء يـا أمير المؤمنين.
سليمان: وستعود ياعكرمة الى ولايتك وستضم اليهـا اذربيجان وأرمينيا، أما أمر خزيمة فهو لك. ان شئت ابقيته وإن شئت عزلته.

عكرمة: بل يرد الى عمله ياأمير المؤمنين.
سليمان: الحمد لله الذي هدانا للاسلام.. ولولا هداية الله لنا ما وجدنا بين ظهـرانينا امثالكم من الرجال البررة الكرام الأوفياء.

(ستار النهاية)□



وصاحبهما في الدنيا معروفا

كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه – عندما أشرق نـور النبوة في مكة – شابا طري الغصن، غض الجلد، رقيق العاطفة، كثير البر بوالديه، شديد الحب لأمه.

ويصف سعد إسلامه بقوله: بلغني أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام، فمضيت إليه مسرعا، وما إن سمعت أمي بدخولي في الإسـلام حتى ثارت ثائرتها، وقالت لي: واللـه لتدعنّ دينك الجديد، أو لا آكل، ولا أشرب حتى أموت، ويتشقق فؤادك حزنا عليّ.

فقلت لها: لا تفعلي يا أماه، فأنا لا أدع ديني لأي شيء. ولكنهـا مضت في وعيدها، ولم تأكل، ولم تشرب، فهزل جسمها، ووهن عظمها، فجعلت آتيها سـاعة بعد ساعة، أسألها أن تأكل لو قليـلا من الطعام، ولكنها ترفض ذلك، فقلت لها: يا أمـاه إني على شديد حبي لـك، لأشد حبا للـه ورسوله. فلما رأت الجد مني أذعنت لـلأمر، وشربت على كره منها. فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾.

ثمرات الطاعات

قال الله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنـات والقـانتين والقـانتـات والصـادقين والصـادقات والصـابرين والصـابـرات والخاشعين والخاشعـات والمتصـدقين والمتصـدقـات والصـائمين والصـائمات والحافظين فـروجهم والحافظـات والـذاكـرين اللـه كثيرا والـذاكرات أعـد اللـه لهم مغفـرة واجـرا عظيما﴾ [الأحزاب:٣٥].

دخـول الجنـة

قـال رسـول اللـه ﷺ: «إن الشيطـان قعـد لابن آدم بـاطرقـه، فقعـد له بطـريق الإسـلام فقال: تسلم وتـذر دينك ودين آبـائك وآبـاء آبـائك؟ فعصـاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجـر وتـدع ارضك وسماءك، وانما مثل المهاجر كمثل الفـرس في الطـول. فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد فهـو جهـد النفس والمال، فتقـاتل فتقتل، فتنكح المرأة ويقسـم المال؟ فعصـاه فجـاهد، فمن فعل ذلك كـان حقـا على اللـه أن يـدخلـه الجنـة، ومن قتل كـان حقـا على اللـه أن يدخلـه الجنـة، وإن غرق كان حقـا على الله أن يـدخلـه الجنـة، وإن وقصته دابته، كـان حقا على اللـه أن يـدخلـه الجنـة».

مصطلح بخيل

كان محمد بن الجهم بخيلاً. وقال له أصحابه مرّة: إننا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك، فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت انصرافنا. فأجابهم: علامة ذلك أن أقول: يا غلام، هات الغداء.

خشية من الله

قال يونس بن محمد المكي: زرع رجل من أهل الطائف زرعا، فلما بلغ أصابته آفة فاحترق، فدخلنا عليه نسليه فبكى وقال: والله ما عليه أبكي، ولكن سمعت قول الله تعالى: ﴿كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾، فأخاف أن أكون من أهـل هذه الصـفة، فذلك الذي أبكاني.

أدب الحديث والاستماع

قال عبد الله بن مسعود؛ رضي الله عنه: (حدث الناس ما مالوا إليك بأسماعهم، ولحظوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم فتورا فأمسك). وقال عمر بن عتبة بن أبي سفيان: نزه سمعك عن استماع الخنا (أي فحش الكلام)، كما تنزه لسانك عن القول به، فإن السامع شريك القائل.



إعـداد: التحـريـر

أقـوال حكمـاء

بشاشة الوجه عطية ثانية.
[الأمام علي كرم الله وجهه]

إذا أراد اللـه بقـوم سـوءا، أعطـاهم الجدل، ومنعهم العمل.
[الإمام الأوزاعي رحمه الله]

الحب إحدى كلمتين، هما ميراث الإنسـانية، وهـدية التـاريخ، والطرفـان اللـذان يلتقيان عنـدهما السماء بالأرض.
[الأديب مصطفى الرافعي]

ثــــلاث وثـــــلاث وثــــــلاث

قيل ثلاثة تضر بأربابها: الإفراط في الأكل اتكالا على الصحة، والتفريط في العمل اتكالا على القدر، وتكلف ما لا يطاق اتكالا على القوة. وثلاثة من لم تكن فيه لم يجد طعم الإيمان: حلم يرد به جهل الجاهل، وورع يحجزه عن المحارم، وخلق يداري به الناس.
وثلاثة من كن فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الظلم، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له.

قالوا في الدنيا

قيل لبكر بن عبد الله المزني: صف لنا الدنيا. فقال: ما مضى منها فحلم، وما بقي فأماني.
وقيل لعبد الله بن ثعلبة: صف لنا الدنيا. قال: أمسك مذموم فيك، ويومك غير محمود لك، وغدك غير مأمون عليك.
وقال علي بن أبي طالب؛ كرم الله وجهه: خذ من الدنيا ما أتاك، وتول عما تولى عنك، فإن لم تفعل فأجمل في الطلب. واعلم أن الدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك. فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر.

مــــن خرافــــات العامــــة

شاع في عصر الفاطميين والمماليك في مصر، استخدام ما يسمى بـ(طاسة الرعبة)، وهي من الأواني ذات المفعول السحري في معتقدات العامة. كانت تصنع من النحاس ويكتب عليها الكثير من الأدعية، واحيانا شرح لاستخدامها لإبطال السحر أو الشفاء من لسعة حية، أو لحماية الأطفال.
وربما كان بدء استخدامها في بعض الحالات العصبية، أو ما ينتج عن حدث مفزع لشخص ما. وقد انتقلت طاسة الرعبة مع الفتح الفاطمي والمملوكي إلى بلاد الشام. وكانت الطاسة تملأ بالماء، وتترك في الهواء ليلا، وفي الصباح يشربها المصاب، وقد يتكرر هذا ثلاثة أيام، أو سبعة، أو أربعين ليلة، تبعا لحالة المريض. كما كانت تستخدم لشفاء الأمراض المستعصية، كالقولون، والكبد، والتيفوئيد، ولسعة العقرب، وعضة الكلب. هذا في مصر، أما في بلاد الشام، فكانت تملأ وتشرب حالا. وما زال استخدامها قائما في بعض الأحياء الشعبية بمصر والشام .. وهذا من أعمال الشعوذة التي تجوز على الكثير من الناس، كقراءة العزائم على بعض المأكولات أو المشروبات، واستعمال المباخر، وما إلى ذلك. وأحيانا قد يكون لهذا العمل أثر في نفس المريض عن طريق الايحاء فقط. ولكنها في واقعها، ليس لها أي أثر طبي، وليس لها أساس شرعي.

دعــــاء

اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري، وتضع وزري، وتطهر قلبي، وتحصن فرجي، وتغفر لي ذنبي، وأسألك الدرجات العلى من الجنة.
اللهم أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

حكم وأمثال

العاقل من لم تطغ عاطفته على تفكيره.
الغرور آفة لا تقتل إلا صاحبها.
إذا أردت أن تحفظ سرك فاحفظه أنت أولا.

ثلاث أياد

الأيادي ثلاث: يد بيضاء، وهي الابتداء.. ويد خضراء، وهي المكافأة.. ويد سوداء، وهي المن.

معنى الهلال

قال الزجاج: (ومعنى الهلال واشتقاقه من قولهم: استهل الصبي: إذا بكى حين يولد، أو صاح. وإنما قيل له هلال لأنه حين يرى يهل الناس بذكره. وأهلّ القوم بالحج والعمرة أي: رفعوا أصواتهم بالتلبية).

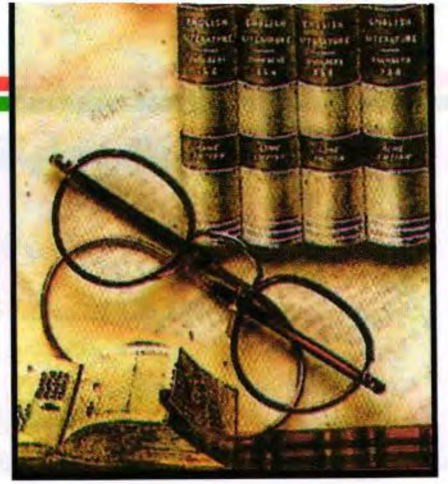
آفــــة الحســـد

جاء في العقد الفريد نسبة إلى بعض الحكماء: ما أمحق للإيمان، ولا أهتك للستر من الحسد. وذلك أن الحاسد معاند لحكم الله. باغ على عباده، عات على ربه. يعتد نعم الله نقما. ومزيده غيرا. وعدل قضائه حيفا. للناس حال وله حال. لا يهدأ ليله، ولا ينام جشعه، ولا ينفعه عيشه، محتقر لنعم الله عليه، متسخط ما جرت به أقداره، لا يبرد غليله، ولا تؤمن غوائله. إن سالمته وترك. أي أصابك بمكروه، وإن واصلته قطعك، وإن صرمته سبقك، أي سبقك إلى الصرم، وهو القطع.
ويقول الشاعر:

إياك والحسد الذي هو آفة
فتوقه وتوق غيرة من حسد
إن الحسود إذا أراك مودة
بالقول فهو لك العدو المجتهد

من أدعية الأوَّلين

كان آخر دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه: (اللهم اجعل خير زماني آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم لقائك).
وكان آخر دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (اللهم لا تدعني في غمرة، ولا تأخذني في غرة، ولا تجعلني مع الغافلين).
ومن دعاء عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (اللهم وسع عليّ في الدنيا، وزهدني فيها، ولا تزوها عني، وترغبني فيها).
ومن دعاء الجاحظ: (أسألك اللهم طول العمر في الأمن والعافية، والحلم، والعلم، والحزم، والأخلاق الحسنة، والأفعال المرضية، واليسر والتيسير، والنماء والتثمير، وطيب الذكر، وحسن الاحدوثه، والمحبة في الخاصة والعامة، وهب لي ثبات الحجة والتأييد عند المنازعة والمخاصمة، وبارك لي في الموت، إنك على كل شيء قدير).



إعــــداد: التحــــريــــر

ثمــــرات المطــــابع

إسلاميات

○ الشيخ / خالد صالح المسفر

○ الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ

أراد المؤلف من كتـابـه أن يحوي أكبرر قـدر ممكن من المعلومات المفيدة للمسلم، تعينه في دينه ودنياه، فخصص الفصل الأول لأحكام تجويد القرآن الكريم وآداب التلاوة، والفصل الثاني في الأركان الخمسة للإسلام؛ مع شيء من سيرة النبي ﷺ؛ وأحكام العبادات بشيء من التفصيل، وتم تخصيص الفصل الثالث بالزواج والطلاق وآثارهما، وعرّج على حكمة تعدد زوجات النبي ﷺ.. والكتاب بالرغم من صغر حجمه إلا أنه حوى علوما مهمة ومعلومات يحتاج المكلّف للقيام بأداء العبادات على أكمل وجه إن شاء الله.

القومية مرض العصر أم خلاصه؟

○ مجموعة من الباحثين

○ جمع وتحرير: فالح عبد الجبار

○ نشر: دار الساقي - لندن

ما زال موضوع القومية من أكثر الأطروحات السياسية والاجتماعية ضبابية ومدعاة للاختلاف والجدل الفكري، بالرغم من كل الكتابات والدراسات التي تناولتها، وكتاب (دار الساقي) بلندن لم يضع أجوبة شافية لكثير من المسائل المتعلقة بالفكر القومي وبالقومية بالرغم من الجهد الذي بذله أصحاب البحوث، ويقول جامعه ومحرره: (الأنكى من ذلك أن النزعة القومية العربية لا تبدو في انحسار وحسب، بل إن نزعة قومية محلية تشتد في محلها، أو تبدو أكثر فعلا، نزعة عراقية أو سورية، أو مصرية، الواقع أن هذه النزعة الأخيرة كانت دائمة الفعل ولعلها الصورة الأصدق للنزوع القومي، إلا أنها لم تحظ بالاعتراف بعد، وما تزال تعمد بأسماء قدحية: نظرة قطرية، محلية، ضيقة إلخ)..

الوجيز في أصول التشريع الإسلامي

○ د. محمد حسن هيتو

○ نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٠م

طبعة الكتاب هذه جديدة ومصححة ومنقحة، ذيّل فيها المؤلف المباحث بمراجعها حرصا منه على أمانة النقل وتوثيق النصوص وربط طالب العلم بالمراجع القديمة، وزاد في التعليقات بعض الفوائد المهمة ضمن نطاق المبتديء في فن علم (أصول الفقه) وهو موضوع الكتاب الذي وضع في الأصل لطلاب العلوم الشرعية، فراعى فيه الإيجاز والاختصار مع تحقيق الفائدة، وعدم الإخلال بالموضوع جملة، ذلك لأن الكاتب يرى (علم أصول الفقه من أشرف علوم الشرع مكانا، وأكبرها أثرا، وأعمقها غورا، وأدقها مسلكا، وبقدر تفاوت العلماء في التمرس به وإتقانه تتفاوت بين الناس أقدارهم، وتتباين في الشريعة منازلهم)..

والسائر في طريق العلم، المتعمق في فن الاصول خاصة - يدرك كما ادرك الكاتب - (الهوة الواسعة التي تفصل بين المسلمين اليوم وبين حقيقة التشريع والاستنباط والاجتهاد، ويعلم ان مرد معظم التخبط الذي يقع فيه المسلم المعاصر - الذي حيل بينه وبين علومه الشرعية بالمخططات المدروسة الهدامة - إنما هو نتاج جهله بقواعد الاستنباط والاجتهاد، وهي قواعد هذا الفن العظيم)..

وأوجز المؤلف خطته في كتابه بالتالي:

- ذكر أصول المسائل الأصولية، دون الخوض في تفاصيلها الدقيقة، لأنه إنما وضع الكتاب للمبتديء، والخوض في التفاصيل ربما ابتعد به عن الهدف المنشود..

- سرى فيه على رأي الجمهور في الأعم الأغلب، دون التعرض لآراء المخالفين لعدم فائدتها للمبتديء أيضا، إلا أنه أشار إلى وجود الخلاف بقوله: الأصح، أو الصحيح، أو الجمهور على كذا، مما يفهم معه أن ثمة من يخالف، وقد يذكر الخلاف لضرورة الوقوف عليه لما له من الأهمية.. وربما اختار - في بعض الحالات - بعض الأقوال وأشار إلى ذلك بما يبين أنه من اختياره وترجيحه..

- ابتعد عن الاستطراد في سرد الأدلة على المذهب المختار، بل ذكر أهم الأدلة التي يستدل بها على المسألة، وربما أهمل - أحيانا - الدليل لوضوح المسألة واستغنائها عنه..

- حاول ما أمكن - وبما يتناسب مع غرض الكتاب في الإيجاز وحاجة المبتديء - أن يستقصي المسائل الأصولية التي تعرض لها الأصوليون في كتبهم المختلفة، ليكون الكتاب على إيجازه جامعا لكل مسائل الفن ومباحثه..

وجعل الكتاب في سبعة كتب، وتحت كل كتاب أبواب، ولكل باب فصول، وكتب الكتاب كما وردت: (الكتاب) و(السنة) و(الإجماع) و(القياس) و(الأدلة المختلف فيها) و(التعادل والترجيح) و(الاجتهاد والتقليد).

الإسلام في العصور الوسطى

○ غوستاف غرونيباوم

○ ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد

○ نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب

يعتبر غوستاف فـون غيرنيباوم، مؤلف الكتاب أحد كبـار المستشرقين من الذين برعوا في دراسة الإسـلام وتاريخه، وهو يـرى في هـذا الكتاب ان العـرب أعطـوا العالم الإسلامي قرآنـه ولغته وعقيدته، وانهم استوعبـوا حضارات البـلاد التي دخلـوها، وأخـرجوهـا للناس في ثـوبها العربي الاسلامي..

ولئن سمى المؤلف كتـابـه (الإسـلام في العصور الـوسطى) إلا أنه بـدأ معه من نقطـة البدايـة، فتتبع نشأتـه وترسمّـه قرآنـا وسنة، ودرس أصـوله ومـذاهبه وفرقه بأسلـوب موضوعي منهجي عبّر فيـه عن تقـديـره العميق لحضـارة المسلمين وإبـداعـاتهم فيهـا.

الإمـام الشافعي

○ مجموعة من الباحثين

○ نشر: المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة

الكتاب يحوي جـزءا من البحـوث العلمية التي قدمت في منتصف شهر آب (أغسطس) ١٩٩٠، إلى ندوة الاحتفاء بذكرى مرور اثني عشر قرنا على وفاة الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشـافعي، أحـد أبـرز فقهـاء المسلمين، ومذهبـه أحد أبـرز أربعة مـذاهب فقهية مازالت مستمرة حتى يـومنا هذا، وقد شـارك في النـدوة التي أقـامتهـا (المنظمـة الإسـلاميـة للتربيـة والعلـوم والثقـافـة – إيسيسكـو) بـالتعـاون مع (الجامعـة الإسلاميـة العالمية في كـوالالمبور بماليـزيا) حشـد كبير من العلماء والمفكـرين المسلمين، العرب والأجانب، قدموا مجموعة من البحوث المهمة بـاللغتين العربية والانكليزيـة، ونظرا لغـزارة المادة المدروسـة عمـدت المنظمـة الاسلامية إلى إصدار البحوث العربية في هذا الجزء الأول على أمل إصدار البحوث الأخرى في جزء ثان لاحقا إن شاء الله..

ويقع الكتـاب في أربعة محاور ومجمـوعة من الملاحق: الإمـام الشـافعي: حيـاتـه ودراستـه. (الإمـام الشـافعي واضع علم أصول الفقه). (مـذهب الإمام الشافعي بين المذاهب الإسلامية). (أثر مذهب الشافعي في العالم الإسلامي وخارجه). والملاحق: تضم التقرير النهـائي وتوصيات الندوة العـالمية، وقائمة بأسماء المشاركين..

وأهم التوصيات:

– الـدعـوة إلى الاهتمام بـالتراث الفقهي بوجه عـام، وإنشاء مركز مختـص بدراسة هذا التراث وبخاصة تراث الإمام الشافعي..

– الدعوة لوضع معجـم خاص بالأصول والقواعـد الفقهية لـلإمام الشافعـي، وكذلك وضع معجم لفقه الشافعي..

– دعوة منظمـة إيسيسكو إلى إعـادة طبع كتـاب (الأم) بعد تحقيقـه تحقيقا علميـا من قبل لجنة مختصة..

– دعـوة منظمـة إيسيسكـو إلى الاهتمام بسـائر أئمة المذاهـب الفقهية السـائدة، وأن تنظم – بـالتعاون مع الجامعـة الإسلاميـة العالميـة بباكستـان، ندوة عـالمية لـلاحتفاء بذكرى الإمام أبي حنيفة وفقهه..

ويـرى الدكتـور عبـد العزيـز بن عثمان التويجري (المدير العام للمنظمـة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة أن التوصيات تهدف إلى (تجسيـد التضامن الإسـلامي ووحـدة العقيـدة التي تـربط الأمـة الإسـلاميـة من أقصى المغرب في أفريقيا إلى أقصى المشرق في آسيا، ممـا يعطي الدليل الـواضح والبرهان النـاصع على أن الأمـة الإسـلاميـة وحـدة متماسكـة مهما تبـاعـدت الـديـار وتنـاءت الأقطار).

غـزة - أريحـا سـلام أمـريكـي

○ د. ادوارد سعيد

○ نشر: دار المستقبل العربي – القاهرة

د. ادوارد قد نشرهـا في (الحياة) اللبنـانية بالعـربية، وبالانكليزيـة في (الأهرام ويكلي) المصريـة بين أيلـول (سبتمبر) ١٩٩٣ وآب (أغسطس) ١٩٩٤، ولـه مقـدمتـان واحـدة للمـؤلف والأخـرى تقـديم لمحمـد حسنين هيكل..

وتدور الفكرة المحورية للكتاب، كما قررها المؤلف في مقـدمتـه، ان الاتفـاقيـات التي تم إبـرامها بين منظمـة التحـرير الفلسطينيـة ودولـة (إسرائيل) ليسـت إلا محصلـة استسـلام غير ضروري وغير حتمـي، مكّن إسرائيل من تحقيق كافة أغـراضها التكتيكية والاستراتيجيـة على حساب كـافة المبـادىء المعلنة للنضال العـربي والكفاح الفلسطيني، ويـؤكـد المؤلف إيمانـه بعـدم إمكـانيـة حل الصراع العـربي – الإسرائيلي عمـومـا، والفلسطيني – الصهيـوني خصـوصا حـلا عسكريا محضـا، وانما بمصـالحة الشعوب، إلا أن التصـالح لا يتـم قسرا، كما انـه لن يتحقق ابدا بين مجتمعـات وثقافـات تتفاوت قـوتها بشدة، ويسيطـر بعضهـا على بعض بالقوة، فالسـلام الحقيقي لا يمكن ان يتحقق إلا عبر مصـالحة بين نـدين، وبين شريكين يستطيع كل منهما باستقلاليته وقوة اهدافه وتماسكـه فهم الآخـر ومشـاركتـه بشكل متكافيء..

ويقول المؤلـف في تناولـه لاتفاقيـة غزة – أريحا إن إعلان مبادىء (أوسلو) جاء بالمزيد من التنـازلات، فقـد تنـازلـت القيـادة الفلسطينيـة، ولأول مـرة في التـاريخ الفلسطيني الحديث، لا عن حق تقرير المصير فقط، بل عن القدس واللاجئين، حيث أرجأت هذه الأمـور مجتمعة إلى مفـاوضات المرحلـة النهائية غير محددة الشروط، كـذلك تم قبول تقسيـم الشعب الفلسطينـي إلى سكـان للاراضي المحتلـة يتم التعامل معهـم في اطار عملية السلام، والى آخـرين يمثلون ٥٥٪ من الفلسطينيين تتجاهلهم عملية السلام هذه.



بريد القراء

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

موازنات مؤلمة

يحدث التاريخ – وهو شاهد أمين – أن امبراطور الروم (توفيل) قد أغار على حدود الدولة الإسلامية، وهجم على مدينة (زبطرة) مسقط رأس الخليفة العباسي (المعتصم بالله)، ومثل بمن وقع في يده من المسلمين وكان ذلك عام ٢٢٣ ه الموافق ٨٣٧م، ولكن هجوم الروم لم يستمر طويلا فقد صرخت امرأة مسلمة: (وامعتصماه!!) وجنود الروم يجرنها مكبلة، فترامت الأنباء الى المعتصم، وكأنه سمع استغاثة المرأةعبر الأميال، فنهض إلى سلاحه يدفع الخطر، ويغسل العار، وصمم على أن يفتح (عمورية) مسقط رأس الامبراطور، ومضى بجيشه الهادر – غير عابيء بأوهام المنجمين وانقض على بلاد الروم الظالمين، فسقطت حصونهم وقلاعهم ومدنهم تحت ضربات الجيش الإسلامي الكبير انتقاما من غادر أثيم.

وقد شاهد تلك المعركة الحاسمة الشاعر العربي (أبو تمام) فصورها بصدق وإعجاب في قصيدته الرائعة التى يستهلها بقوله:

السيف أصدق إنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

واليوم يعتدي على المسلمين في (البوسنة والهرسك) فيستغيثون، لعل استغاثتهم تصل الى أسماع من يستجيبون كسائر الاعضاء في الجسد الواحد. وقد أوحت تلك الموازنة بهذه الأبيات:

بهذي القوة الكبرى لعرب
سما الإسلام في شرق وغرب
ولم يخش الأباة من الجدود
أباطرة، بسلم أو بحرب
فمعتصم، ومنتقم لدين
له التاريخ في فخر وعجب
(فمعتصماه) يسمعها ببعد
فينهض بالجيوش لكي يلبي
يدك حصون من جرؤت يداه
يعاقبه بإذلال، وضرب
يشرد في البلاد بغير مأوى
ويقتله الخسيس بغير ذنب
كأن الغاب قد عادت رؤاها
ضعيف الناس شاة عند ذئب
به العدوان قد أضحى سبيلا
لكي يحيا قراصنة بسلب
(ببسنة) مسلم يعلو نداه
يدوي الصوت في شرق وغرب
لعل أخاه في الإسلام يأتي
ليدفع عن أخيه ظلام كرب
فأين «إذا اشتكى عضو تداعت
له الأعضاء بالحمى» لحب؟!
وأين تعاون برا وتقوى
وأين النجدة الكبرى بقلب؟!

عبد الغني أحمد ناجي
– الفيوم – دار المعلمات – ج.م.ع□

واجب العلماء

إن أخطر ما يضر بالعقيدة. ويأتي على الفضائل سكوت العلماء ولين الأمراء. وأخطر منه فتاوى المضلين. وتهاون الحاكمين في الحدود بما أمر به الله عز وجل.
ولهذا انتشرت الاباحية. وكثر الفساد في البر والبحر. وضعف الوازع الديني. وانحطت الأخلاق وماتت الغيرة وانعدمت الرقابة على الصعيدين. الأسرة والمجتمع. ولم يقم كل منهما بواجبه. ولا يظهر الباطل إلا في غفلة وسكوت العلماء. ان الأمة التي تتخلى عن دينها. وتتبع هواها. أمة فاشلة لا تقوم لها قائمة. منحلّة لا يستقيم لها حال يدب الوهن في نفوسها. وتتقطع أوصالها. وينفرط عقدها وتفتح للعدو بابها وتعيش كالسائمة تأكل كما تأكل الأنعام والنار مثوى لها.
وإن من الأمراض التي انتابت أفراد هذه الأمة التهاون. ظاهرة خبيثة إذا ما وجدت في أمة قلما تفلح. أو في جماعة قلما تنجح. هذا المرض هو الاستهانة في دين الله فليس لأمة بعد دينها مقوم. ولا مصيبة تصيبها أكبر من مصابها فيه. ولا فساد أعظم من فسادها في عقيدتها.

واجبات العالم نحو مجتمعه

إن كرامة العالم مرهونة بأن يبحث ويفحص ويتقصى ويصدر الحكم بعيدا عن الهوى والغرض، ولا يخشى في الله لومة لائم.وذلك بعد أن يلم بسائر الأطراف. ويتميز الخبيث من الطيب فلا يقصر في واجبه ولا يتعجل في حكم ولا يتهيب في أن يقوم هذا خطأ وهذا صواب، فعلى العالم أن يكون شجاعا في الحق. قويا فيه ولا يخشى من أحد إلا الله تبارك وتعالى فهذه أمانة عرضها الله عز وجل على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان. وهي التكاليف الشرعية التي تقتضي علما بها وإدراكا لكلياتها وجزئياتها حتى يقوم المكلف بتنفيذها طبقا لما أراده المكلف وهو الله عز وجل.وسميت أمانة لأن من قصر فيها فعليه اللوم والغرم. ومن أحسن في أدائها فله الكرامة والغنم فهي أمانة الله تعالى.
دخل عمر بن عبيد على المنصور فقرأ: ﴿والفجر وليالي عشر﴾ إلى قوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ [الفجر:١-١٥] ثم قال: إتق الله يا أمير المؤمنين، فإن ببابك ناراً تأجج ولا يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسوله ﷺ.
وأنت مسؤول عما اجترحت وليسوا مسئولين عما اجترحت. فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك. أما والله ولو علم عمالك أنه لا يرضيك منهم إلا العدل لتقرب به إليك من لا يريده. اتق الله يا أمير المؤمنين فإن هؤلاء اتخذوك سلماً إلى شهواتهم. فأنت كالماسك بالقرون وغيرك يحلب وأن هؤلاء لن يغنوا عنك من الله شيئا.
وهذا عمر بن زهير وكان واليا على العراق. استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي واستشارهم فيما وكل إليه من أمور الناس. وفيها الحق والباطل. فقال ابن سيرين والشعبي قولا فيه تقية. وقال الحسن رضي الله عنه: يا بن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله. فإن الله يمنعك من يزيد. وإن يزيد لا يمنعك من الله. وسيزيلك الله عن سريرك فتخرج من سعة القصر إلى ضيق القبر ثم لا ينجيك إلا عملك.
فما أعظم مسئولية العلماء أمام الله. وما أكثر الواجبات والامانات التي للأفراد والمجتمعات في أعناقهم. فلا يستخفون بواجبهم ولا يستهينون بكرامتهم.
فواجب العلماء نحو ربهم أن لا يعملوا حسابا إلا لرضاء الله وغضبه.
عن مالك بن أنس قال: قال لي أستاذي (ربيعة): يا مالك من السفلة؟ قلت: من أكل بدينه فقال. من سفلة السفلة؟ قلت: من أصلح دنيا غيره بفساد دينه. فصدقني.
وعندما وقعت الحرب بين مصر والحبشة وتوالت الهزائم على مصر في عهد الخديوي إسماعيل وقد ضاق صدر الخديوي بذلك. فقال لشريف باشا رئيس وزرائه: ماذا تصنع لدفع الملمة؟ فقال شريف باشا: ان الله عودني إذا ضاق بي شيء من ذلك أن ألجأ إلى صحيح البخاري يقرؤه علماء أطهار الأنفاس فيفرج الله عني. فكلم شيخ الأزهر (العرنوسي) في ذلك فجمع له من (صلحاء العلماء) جمعا أخذوا يتلون في صحيح البخاري أمام القبلة القديمة في الأزهر الشريف. ولكن الهزائم مع ذلك ظلت مستمرة. فذهب الخديوي ومعه شريف باشا إلى العلماء. وقال لهم في غضب: إما أن هذا الذي تقرؤونه ليس صحيح البخاري، أو أنكم لستم العلماء الصلحاء، فإن الله لم يدفع بكم ولا بتلاوتكم شيئا. فابتدره شيخ من آخر الصف بقوله: منك يا إسماعيل؛ فإنا روينا عن النبي ﷺ: «لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم».
فانصرف الخديوي وشريف باشا ولم يتكلما وأخذ العلماء يلومون القائل فبينما هم كذلك عاد شريف وسأل عن الشيخ فأخذه وذهب به إلى الخديوي وقد ودعه العلماء وداعا لا يأملون عودته، ولما دخل شريف به إلى الخديوي أجلسه على كرسي أمامه. وقال له: أعد يا أستاذ ما قلته. فأعاد له وردد الحديث، فقال له: وماذا صنعنا حتى ينزل بنا البلاء؟ قال له: أليست المحاكم المختلطة قد افتتحت بقانون يبيح الربا؟ أليس الزنا برخصة؟ أليس الخمر مباحا؟ أليس.. أليس.. وعدد منكرات كانت تجري، ثم قال: فكيف تنتظر النصر من السماء؟ ففكر الخديوي وأطرق طويلا ثم قال له: صدقت. صدقت.. وأمر فرتب له من بيت المال ثلاثين جنيها وعاد الشيخ بعد هذا إلى الأزهر معززا مكرما.
وروى مسلم عن أبي سعيد الخديوي رضي الله عنه. قال: سمعت رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك اضعف الايمان».

ولابد لنا من وقفة

إن الأمة التي تجهر بالأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أمة أبناؤها يتسابقون إلى الخيرات وحكامها يحكمون الرعية. ويقسمون بالسوية. وينفذون الشريعة ويغلقون ذرائع الفتنة. إذا دعى داعي الجهاد تقدموا الصفوف. وإذا دعى داعي البذل كانوا أول الباذلين. وهو أول ما عنى به رسول الله ﷺ في السلوك والناس لاشك يضعون آمالهم في علمائهم ويرقبون صلاح الحال على أيديهم وينتظرون منهم أن يقولوا كلمة الحق ولو على أنفسهم ويرقبون فيهم أن ينصحوا للحكام كما ينصحون للمحكومين. ومن أجل هذا يبالغون في احترام العلماء ويفرطون في حبهم وبقدر ما لهم في نفوسهم من منزلة. وما يعلقونه من آمال على أياديهم، وحسبنا الله وحده■

محمد عبد الرحمن السحرتي – ميت غمر – ج.م.ع□

مخاطر الاستشراق على الفكر الإسلامي

منذ مئات الأعوام، دأب الغربيون على دراسة الفكر العربي والإسلامي، والاطلاع على التراث الحضاري للأمة الإسلامية للخروج بنتائج وحقائق تدعم وجهة النظر الغربية، إزاء ما تضمنته المبادىء والمفاهيم الإسلامية، وتنوعت الحركة الاستشراقية بين قلب للحقائق وتزييف للنظريات من الكثرة الغالبة، وبين تنقيب عن الجوهر والمضمون، وإبراز القيم السامية من قلة قليلة لم يجرفها التعصب الأعمى عن ذكر الحقائق والمسلمات، وهذا يعني أن جل الدراسات الغربية عن الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي جاءت عارية من الصدق والموضوعية، حيث تفوقت النزعات الهدامة الآثمة على الروح العلمية الحقة عند الذين شغلوا أنفسهم للتصدي بالبحث والدراسة لما أبدعته الحضارة الإسلامية، فراحوا يقلبون الحقائق المؤكدة في محاولة مستميتة لعكسها بما يخدم الأغراض الخبيثة للفكر الغربي.
ويبدو أن هؤلاء المستشرقين قد مَرّنوا تماما على تلفيق الأكاذيب وإلصاق التهم بالفكر الإسلامي لإظهاره بمظهر الجمود والتخلف وعدم مسايرة العصر وتصويره للعامة في صورة دموية متوحشة لإغلاق الطريق أمام من يحاول التفكير في سبر غوره ودراسة مناهجه. ومما لا شك فيه أن الحركة الاستشراقية قد أخذت على عاتقها مهمة الإساءة للإسلام والمسلمين عن طريق الدراسات والأبحاث التي تشوه المبادىء التي قام عليها الدين الإسلامي الحنيف، وتركز على النقاط الجوهرية التي يختلف فيها عن الديانات الأخرى للتشكيك في قيمه ومثله العليا، مع خروج كامل عن روح النزاهة العلمية الحاكمة لأساليب الدراسة والبحث واستبدالها بحقد مستمد من شعور دفين بالدونية والنقص يحفز أصحابه على نفث سموم الكراهية والبغضاء في شتى الكتابات والآراء.
وخلاصة القول إن الحركة الاستشراقية يجب أن تخضع لرقابة دقيقة من جانب العلماء المسلمين للرد على الافتراءات والمزاعم الكاذبة، وتفنيد الآراء المغرضة لتخليص الفكر الإسلامي من الأباطيل التي دسها عليها أنصار المستشرقين وتلاميذهم الذين يدعون إلى أخذ العلوم الإسلامية عن طريقهم!! ويلزم مراجعة المقررات الدراسية للدول الإسلامية، وإعادة تنقيحها وتصويبها، وإلغاء الجوانب التي جاءت متأثرة بالفكر الاستشراقي الغربي حتى تعود للفكر الإسلامي قوته وجدارته.

محمد عبيد محمد – محافظة قنا – ج.م.ع□

هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

الجهاد العلمي

ظاهرة الصمود الشيشاني في وجه العدوان الروسي الصارخ ليست الأولى في تاريخنا الإسلامي القديم والحديث، ولن تكون الأخيرة، ودروس مثل هذا الصمود كثيرة، وكثيرة جدا، ولكن الذي لفت نظري تقرير حي أرسله (جاك كيلي) من العاصمة الشيشانية (جروزني) ونشرته جريدة الشرق الأوسط اللندنية في عددها الصادر بتاريخ ٩٥/١/٧٢، يصف فيه الواقع وبالأسماء تعايش الشيشانيين مع أزمتهم، وترتيب أمورهم على أساس المقاومة البعيدة المدى، لاسيما في الميدان المدني، فقد جاء في تقريره:

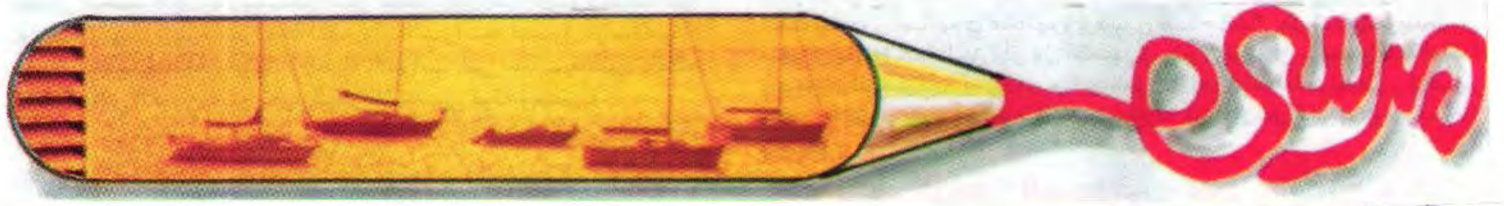
بدأ الآلاف من سكان العاصمة الشيشانية جروزني ينتقلون إلى المجاري والأقبية تحت الأرض هربا من القتال العنيف الدائر في المدينة، وتقول (زيتا سوتينا) البالغة من العمر ٤٩ سنة: (لقد أصبحت هذه الأماكن ملاذا لنا)، زيتا تعيش الآن مع أطفالها الثلاثة ووالدتها وخالتيها على عمق أربعة أمتار تحت الأرض في قبو لا يزيد طوله على ثلاثة أمتار وعرضه على مترين ونصف المتر، بينما يقول أليشكان خوتيف (أحد المسؤولين الروس في جمهورية الأنجوش المجاورة): (إن مجتمعا سريا بدأ يظهر الآن تحت الأرض)، إذ تعيش أعداد كبيرة من الناس في تلك الأماكن التي لا يزيد حجم الواحد منها على حجم الغرفة العادية، أما مصدر الإضاءة التي يستخدمونها فهي الشموع، في حين يستخدمون نيران الحطب للتدفئة، ولقد بدأ الناس يتفننون في ديكور تلك الأماكن والأقبية ويعلقون على جدرانها بعض الرسوم والتقاويم والصور العائلية، بينما تسمع أصوات الآباء والأمهات وهم يحثون أطفالهم على الدراسة.. إهـ.

وما لفت نظري هو العبارة الأخيرة: (وهم يحثّون أطفالهم على الدراسة)، كم هو عظيم متابعة المسلمين في الشيشان – بالرغم من كل الضغط والقهر والدمار – تحصيلهم العلمي بما يتيسر، ولو ضمن الحد الأدنى، كيف لا؛ وأول كلمة في كتاب الله العظيم ﴿اقرأ﴾، والعلم اليوم هو السلاح الأوفى، والإنسان المتعلم هو الثروة الحقيقية، ولا هوية ثقافية أو دينية أو قومية إلا والعلم على رأس أولوياتها ومن أهم أسسها..

وصورة هذا الجهاد العلمي الميداني تتكرر في الشيشان كما عرَفَتْها الانتفاضة بفلسطين؛ وهي تواجه الطاغوت الإسرائيلي؛ فالمدرسة تنتقل إلى البيت والملجأ، وتكون حيث يكون طالب العلم.. وفي كشمير تحت الحصار والاحتلال الهندي، ومنع التجول.. وكما في البوسنة والهرسك وهي تواجه بكل الرصيد الإيماني واليقين الرباني والجهاد المشهود طغيانَ الصرب وتمرّدهم.. وفي جنوب لبنان تحت نيران القصف الإسرائيلي شبه اليومي..

الأمة التي تطلب العلم أمة تستحق الحياة، والأمة التي يقرأ أبناؤها على ضوء الشموع تحت عمق أربعة أمتار ستخرج إلى سطح الأرض وهي أكثر إرادة وقوّة مما يظن الأعداء، إن شاء الله، أوليس في الأثر: «من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم»□

بقلم: د. صلاح الدين أرقه دان



أطفال الكويت
يناشدون العالم

ouldn't
Forget you



NATIONAL COMMITTEE
FOR M.& P.O.W.'S AFFAIRS



اللجنة الوطنية
لشؤون الاسرى والمفقودين

هديتك مع العدد براعم الإيمان

الوعي الإسلامي
AL- WA E I AL- ISLA MI
اسلامية شهرية جامعة
العدد ٣٥٢ - السنة الحادية والثلاثون - ذو الحجة ١٤١٥هـ/ مايو (أيار) ١٩٩٥م

مقاصد الحج السياسية والاقتصادية

رعاية المعوقين في الاسلام

مفهوم الظلم في القرآن

مشروع أسر شهداء ومعوقي البوسنة

كل

عام

وأنتم بخير

تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

ومجلة الوعي الإسلامي من

صاحب السمو أمير البلاد

وسمو ولي العهد، رئيس مجلس الوزراء

والشعب الكويتي الكريم، والأمة الإسلامية

بأطيب التهاني وأرقّها بمناسبة عيد الأضحى المبارك

وحج مبرور إن شاء الله..

سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يرحم الشهداء الأبرار

ويفك قيد الأسرى ويعيدهم سالمين.

الوعي الإسلامي

جامعة إسلامية شهرية

AIWEI AL-ISLAMI

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٥٢ - السنة الحادية والثلاثون - ذو الحجة ١٤١٥هـ / مايو (أيار) ١٩٩٥م

كلمة العدد

رحلة العمر

(ذو الحجة) من أشهر الله الحرم التي قال فيها: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعةٌ حُرُم﴾ [التوبة/٣٦].. وقد اعتاد عرب الجاهلية فيها إيقاف القتال وحقن الدماء فرصةً يثوبون فيها إلى رشدهم، ويعملون عقولهم، ويتفكّرون فيما لهم وعليهم، فيما قدّموا وأخّروا، فكانت فرصة سلام واطمئنان تسود شبه الجزيرة العربية، يأمن فيها المسافر والخائف والضعيف..

وجاء الإسلامُ فكان (السلامُ) شعاره ولغة أهله، وحفِظ حرمةَ الأشهر الأربعة (ذو الحجة، المحرم، صفر، رجب)، ولكنه قيّدها في عدم تجاوز حدود الله، والنيل من الأمة المسلمة: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل﴾ [البقرة/٢١٧]. وبقيت هذه الأشهر فرصة للتفكّر والتدبر بعيداً عن أصوات المعركة وصليل السيوف، ومن ذاق جحيم المعركة أدرك الحاجة الملحة لفرصةٍ يعود فيها المبتلى إلى نفسه، يتدارس ماضيه وواقعه ومستقبله، ويبني على ما انتهى إليه من نتائج لمعالجة الواقع؛ متوسلا الحقائق لا الخيال..

إن شهر (ذي الحجة) مفترق طرق، يعطيك الفرصة – أيها المسلم – لتقف بين حدود سنتين، سنة آفلة وأخرى مقبلة، كالتاجر الناجح يقوم بعملية تقويم لواقع ربحه وخسارته، فيسد الثغرات في متجره، ويحاول استكمال ما يحتاجه لتزدهر تجارته ويرتقي عمله، بما في ذلك موقع البناء، و(الديكور) الداخلي، وفريق العمل، وأسلوب التعامل مع الزبائن، وغيرها من المواضيع ذات العلاقة..

والزمن جزء مهم في عملية التخطيط والتنفيذ والانتاج، وفرصةُ التعبد بعيداً عن هموم الدنيا ومشاكلها فرصةٌ لا تعوض، وربما – لهذا – يرى البعض في فريضة الحج (رحلة العمر)، على أن تكون رحلة مثمرة متميزة تعيد صياغة الإنسان ليعود إنساناً جديداً «كيوم ولدته أمه» ■

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR

بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar

مدير التحرير
MANAGING EDITOR

د. صلاح الدين أرقه دان
Dr. S.S. ARKADAN

المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR

خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz

الاخراج الفني
ART DESIGNER

صالح محمد صالح
S. M. Saleh

هاتف:

بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)

داخلي(١٠٠٥)

فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت

كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097

KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005

FAX: 965-2431740

الاشتراكات

داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ
الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية(أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً(أو مايعادلها)

* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

وكيل التوزيع:

شركة الخليج لتوزيع الصحف

ص.ب:٤٢٠٥٧

الشويخ 70651 الكويت

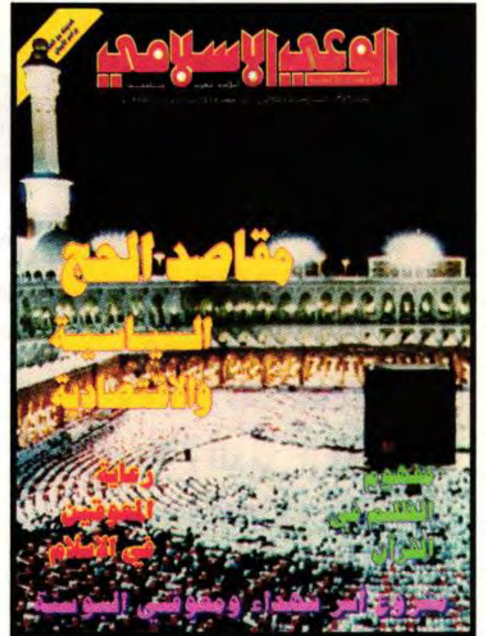
برقيا نيوزبيبر

ت:٥/٤٨١٦٨٨٤-٤٨٣٥٠٤٧

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع٧٥ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

أقـرأ فـي هـذ العـدد



يعيش العالم الإسلامي فرحة العيد وتأدية مناسك الحج، وإحياء شعائر الحنيفية السمحة الممتدة بعمق التاريخ، فالطواف والسعي والوقوف بعرفة والنحر والسعي بين الصفا والمروة، تنقل الإنسان المسلم من واقعه إلى المعاني التي تكمن خلفها من التجرد والتوجه والتوحيد.. فالمسلمون أمة واحدة، والوحدة في المنسك والملبس والتلبية والتوجه والتضحية أبرز معاني الحج الحية المتجددة، ويبقى علينا أن تعيش فينا هذه المعاني العمر كله، وأن نستعين بها لنغير حالنا إلى ما هو خير منه.

أسر شهداء ومعوّقي البوسنة

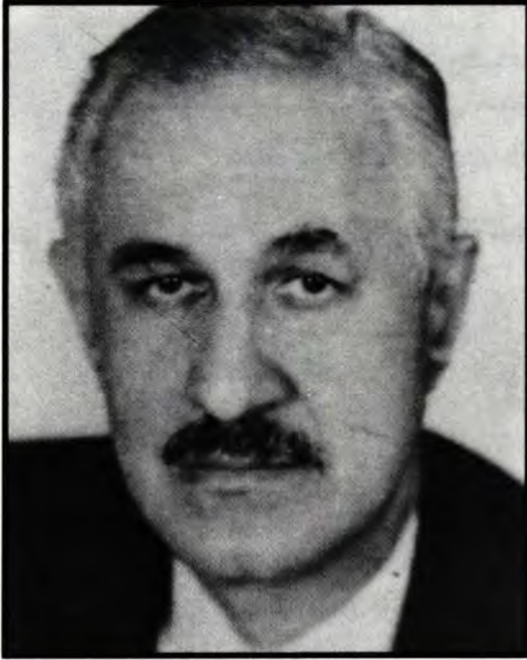
وجه الرئيس البوسنوي علي عزت بيغوفيتش نداءً أخويا يذكّر إخوانه في العالم بواجبهم تجاه أسر الشهداد والمعوّقين الذين لبوا نداء الواجب الشرعي، وساروا على طريق ذات الشوكة ليحققوا العزة والكرامة لأمتهم، ويدعوهم للمساهمة في إنجاح مشروع (مؤسسة شهداء ومعوقي جمهورية البوسنة والهرسك).. وفي باب (مداد قلم) يتناول د. صلاح الدين أرقه دان الواقع البوسنوي واحتياجاته وواجبنا تجاهه.



للشعر غاية انسانية

الحوار مع الدكتور جابر قميحة عضو (رابطة الادب الاسلامي العالمي) ممتع ومفيد لما تناول من آفاق الشعر ورسالته، ولما أثاره الدكتور الأديب من طرح استراتيجي يتعلق بالحاجة الى شعر الجهاد وتصوير المعاناة في شتى أرجاء الوطن الاسلامي، وضرورة الابتعاد عن القضايا الهامشية، وإيجاد مسرح اسلامي يقدم البديل عما هو موجود في الساحة.





اقرأ في الأعداد القادمة

- اهتمام الاسلام بتربية الابناء / محمد عبد الشافي القوصي
- التنوع البيولوجي لخدمة الإنسان / د. عواد جاسم الجدي
- واقع التعليم الاسلامي بين الاقليات الاسلامية في اوروبا الغربية / د. احمد جابالله
- الحج وبيوت العرب المنظمة في الجاهلية (٢/٢) / طه الولي
- الورق والوراقون في العصور الاسلامية / بهيج بهجت سكيك
- المنظور الاسلامي للانسان / عبد المجيد بنسعود
- مرض وهن العظام / د. سلوى جلباية

رعاية المعوقين في الاسلام

الاسلام في شموليته وكماله لم يهمل الجوانب الانسانية التي يتعرض لها ابناء المجتمع، مسلمين وغير مسلمين، ومحمد مرسي يتناول في مقاله عن (رعاية المعوقين في الإسلام) النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وإسقاطاتها في الحياة العملية للتخفيف من معاناة هؤلاء وجعلهم مساهمين حقيقيين في المجتمع لا مجرد أرقام على الهامش.



مفهوم الظلم في القرآن

اكتسبت مادة (ظلم) اللغوية من خلال الاستعمال القرآني عدة معان جديدة لم يعرفها العرب في جاهليتهم، والدكتور رفيق حسن الحليمي يوضح هذه المعاني في المصطلح القرآني في دراسة شرعية – لغوية تخدم بلورة المصطلح وإيضاحه.



حقوق الانسان في الاسلام

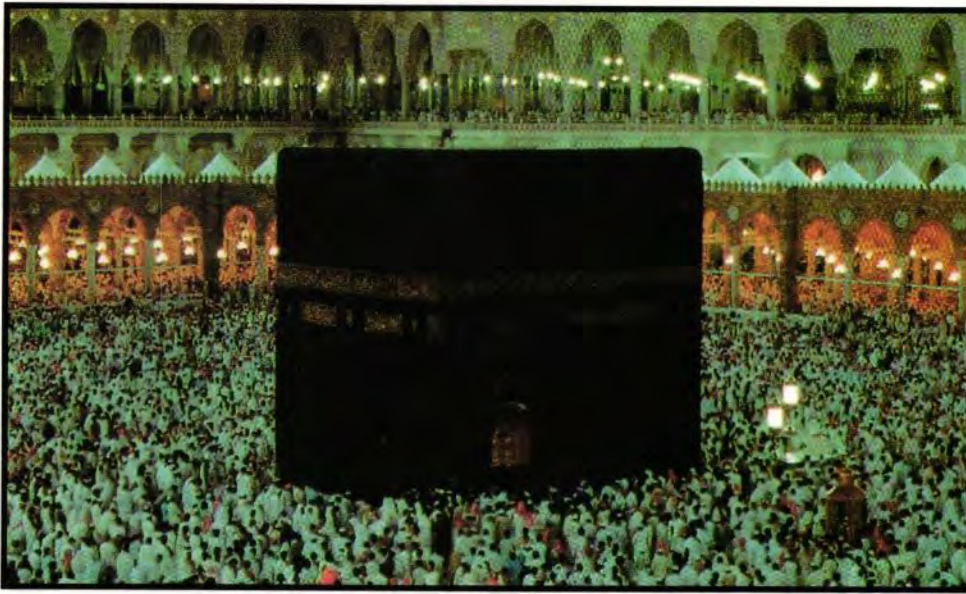
يوم كان العالم في غمرة الجهل والظلم يخضع لمنطق القوة والاستعلاء، جاء الإسلام لينظم أمور الإنسان ويوضح حدود العلاقة بين الفرد وربه، والفرد ونفسه، والفرد وغيره، وفي زحمة الانبهار بما يصدر عن الغير ننسى – نحن المسلمين – كنوز التشريع الإسلامي بما في ذلك الحقوق الشخصية للإنسان، ومحمود الشرقاوي ينير في مقاله زاوية من هذا الجانب.



الثقافة العربية بين التحدي الحقيقي والتحدي الزائف

العقل العربي هل هو مشدود إلى الخلف، أم جامد في مكانه، أم عقل قادر على التطلع بأمل إلى مستقبل أفضل، هذه كلها وغيرها إشكالات مطروحة ومشروعة ويجب حسمها أو الحوار حولها، هذا ما يحاوله د. محمد مورو في مقاله الثقافي.





الحج وبيوت العرب المنظمة في الجاهلية

المؤرخ الشيخ/ طه الولي يكتب عن البيوت التي عظّمها العرب قبل الإسلام، وعاداتهم وتقاليدهم في تقديسها وتعظيمها، بما يبيّن للقارىء فضل الإسلام عليهم في إخراجهم من الظلمات إلى النور، وتكريم الله تعالى للإنسان في رفع شأنه وتنزيه معتقده عن السجود للحجر والشجر والبشر.



الفهرس

الافتتاحية

تشهد الساحة الإسلامية سلسلة من الحوارات المتواصلة حول احتياجاتها الفكرية والإصلاحية، وتدور النقاشات في الأغلب باتجاه رفع الصورة السلبية التي تكاد تسم الفكر الإسلامي والأمة المسلمة على مستوى (الفكرة) و(التنظيم) و(الممارسة)..

ولا نريد بـ(الساحة الإسلامية) الاقتصار على مجموعات تنظيمية أو فكرية معينة يطلق عليها اصطلاحاً (الإسلاميون) أو (الأصوليون) وإنما نعني بالمصطلح كل التيارات المؤثرة والفاعلة، أو الساعية للتأثير والفعل، ما دام ميدان عملها هو العالم الإسلامي، وتخاطب جمهور المسلمين، بغض النظر عما ارتضته لنفسها من أسماء أو نظرة الآخرين ووصفهم إياها..

مؤتمرات عديدة.. ولكن..

لقد شهدت عدة عواصم عربية - منها الكويت وبيروت والقاهرة والخرطوم، خلال العام الهجري المنصرم - عددا كبيرا من المؤتمرات والندوات الفكرية، التي تناولت واقع الفكر العربي والإسلامي المعاصر، وضروة القيام به من غفوته، والأخذ بيده على طريق المستقبل والتفاعل مع العصر.. عقدت هذه المؤتمرات تحت عناوين عديدة، كل بحسب الهدف المعلن منها، وأراد البعض من ورائها أن تكون فرصة للحوار بين مختلف التيارات بتناقضاتها وتعارضها، أو اتفاقها وتكاملها، كالحوار بين التيارات الإسلامية والقومية، والمعتدلة والعلمانية إلخ..

ويتعرّض المشاركون في مثل هذه الملتقيات والمؤتمرات الفكرية - في العادة - للمواضيع المطروحة من زوايا مختلفة، فمنهم من يكتفي بوصف الأمراض المستحكمة في الساحة الفكرية، ومنهم من يتعرض لتعريف المصطلحات، وبعضهم يطرح حلولا أو مقترحات حلول، كلٌّ من زاوية رؤيته وفهمه.. وبالطبع؛ يختلف الطرح باختلاف الناس وقابلياتهم وغاياتهم، وفي بعض الأحيان يكون الطرح الفكري استجابةً لتوجهات الأطراف الداعية للمؤتمرات المذكورة.

ثمرة التنوع والتعدد

ويظهر التنوع والتباين فيما بين المشاركين وطروحاتهم بما يمكن أن يثري الساحة الإسلامية أو يزيد من تعقيداتها، تبعا لأسلوب التعامل مع الآراء المختلفة، ويزداد التعقيد كلما ابتعد المحاضرون والباحثون والمناقشون عن الموضوعية، واقتربوا من الانتصار لهوى النفس، بعيداً عن الموضوعية، والعدل في الحكم..

ومع أن المعارك الفكرية لا تحتاج إلى إبراز عضلات، وانتصار على الخصم بالضربة القاضية، ذلك لان الفكر فعل حياة متواصل ويهدف الى تحقيق الأسمى لا مجرد تحقيق انتصار وتسجيل نقاط، وميدان جولات الفكر الساحة الإنسانية الواسعة بكل حلقات نشاطها، إلا أن الملاحظ توتر أجواء النقاش في كثير من هذه اللقاءات التي تجمع الأضداد والخصوم والمختلفين، لاسيما في عالمنا العربي، مما يفوّت فرصة الاستفادة علينا جميعا، ويضعنا في متاهة تضييع الوقت، واجترار المصطلح،

حتى تؤتي المؤتمرات الفكرية ثمارها

والاختلاف على الشكليات دون الغوص فيما يعود علينا بالفائدة من تصحيح فهم، أو بلورة فكرة، أو التوصل إلى نقاط تفاهم مشتركة..

الحرية أولاً

وحتى نصل إلى نتائج إيجابية نحتاج إلى سلسلة من الإجراءات المتداخلة التي تصب في خانة التغيير لدفع العجلة إلى الأمام، وعلى رأس تلك الإجراءات (الحرية)، ومن دون الحرية يصبح اللقاء مجرد إجراء شكلي لا قيمة له ولا وزن، والحرية المطلوبة ليست الحرية السياسية فقط بالرغم من ضرورتها ورجاحتها، وإنما نعني بها الحرية الفكرية والاطمئنان على النفس لكل مشارك، بما يقتضي أن يتخلص المناقشون من الأفكار الجاهزة، والمواقف المتشنجة سلفا، فلا معنى للقاء حدد كلٌّ من المساهمين فيه موقفه سلفا، وجلس يسجّل على الآخرين نقاطهم السلبية، ويحصي عليهم أخطاءهم، ولا يرى سوى الوجه المظلم من أفكارهم وآرائهم، لأن كل مشارك ارتضى لنفسه أن يصدر الحكم قبل أن يستمع إلى (الشهادة). ومثل هذه الأجواء لا تشجع على الحضور، ولا تؤدي إلى نتيجة أو فائدة تذكر..

ولا يحسبن أحد أن ما نطرحه هنا محض خيال، بل هو - للأسف - الصفة العامة التي تسم اللقاءات المذكورة، ذلك لأن كلا من التيارات المشاركة أو الأشخاص المشاركين تمترس سلفا خلف قناعاته، فكان جسده حاضرا وتفكيره الموضوعي الحر غائبا، وخرج البعض متفاخرا بأنه سجّل على الآخر نقاط لا فكاك له منها، وكل يحسب أنه انتصر وأحسن صنعا..

الموضوعية

ومما لا ينقص في أهميته وضرورته عن الحرية (الموضوعية والمنهجية العلمية) في الطرح والنقاش، ذلك لأن الهوى ما دخل شيئا إلا أفسده، ولأن غياب المنهجية الموضوعية العلمية لا يؤدي إلا إلى مزيد من التردي. وكلمة الحق تحتاج إلى (العلم) احتياجها إلى (الجرأة) وشجاعة الطرح لا تقوم بفعلها، إلا إذا ارتبطت بالموضوعية، فهل يتحقق ذلك عندما لا يلقي المحاضر أو المشارك بالاً لأهمية التدقيق العلمي فيما يقول أو يكتب؟ وهل يكفي أن يعتمد أحدهم على براعته في الخطابة ليوهم نفسه أنه أدى الواجب المطلوب منه؟ سواء أكان الطرح إسلاميا أم غير إسلامي؟

هل يصح من المفكر (الإسلامي) أن يثير عواطف الجمهور بعيدا عن موضوعية الإقرار بخطأ بحجة أن (الإسلام) أجلّ من أن يخطىء أو يوجه إليه نقد؟ وهل قدسية النص (القرآن والسنة) تعني قدسية (فهم النص) والاجتهاد فيه؟ وهل يكفي أن يكون الآخر بعيدا عن التدين حتى يكون مخطئا؟!

والسؤال نفسه يمكن طرحه على غير الإسلاميين، ذلك لأن العابثين بتاريخنا وواقعنا وعقولنا يتلاعبون بالعواطف، ويتوسّلون (حسن الخطاب)، فيقدمونه على علمية الطرح، ويراهنون على اندفاع الجمهور، أكثر من حرصهم على رفع وعيه إلى الدرجة الفاعلة..

وما أهون أن يتهرّب أحدنا من هزيمته بإلقاء التهم جزافا على الطرف الآخر فيتهمه بـ(العلماني الملحد) أو (بالأصولي المتطرف) و(الظلامي المتخلف)، دون أن يمحّص وجه الحق فيما يقول، ووجه الباطل فيما ينتقد، وفي كلا الأمرين من الشطط ما لا يجوز التهاون في شأنه، ولا السماح له بالسيطرة على الساحة الفكرية والإعلامية..

إن التجربة الإنسانية لم تكن قط ملكا لفرد أو جماعة أو تاريخ.. التجربة الإنسانية الناجحة تؤخذ من (الحكمة) التي أُمرنا بالسعي وراءها، والعمل بمقتضاها، والكيّس من تجنب خطأ من سبقه، وأخذ بأحسن ما وصل إليه..

العنوان الجاد المطلوب

ومن أسباب ضعف بعض هذه المؤتمرات واللقاءات ضعف العنوان، وابتعاده عن الواقع الذي نعيشه، أو الموضوع الذي نحتاج إليه، وقد يدور الباحثون في حلقة مفرغة لا يصيبون هدفا، ولا يحققون غاية إن كان المحور الذي يدور حوله البحث خياليا أو مغرقا في الترف الفكري البعيد عن الواقع، واحتياجات المجتمع المسلم المعاصر..

ما الذي نكسبه من طرح مواضيع لا تعالج مشكلة واقعية، ولا تحقق مصلحة استراتيجية، ولا تفتح أفقا أمام الباحثين، ولا تصب في خدمة احتياجات الأجيال القادمة؟!

إن البحث العقيم مضيعة للوقت، وإسراف للمال، وتضييع للجهد، والأولى منه اعتكاف يؤدي إلى تفكير أو تدبير، أولم يهجع الشافعي متدبرا في أحكام آية حتى قال ابن حنبل:(نوم الشافعي خير من قيام أحمد)..

التفكر والتدبر مقدّم على الاجتماع والتدابر، والله محاسبنا على العمر فيما أفنيناه ﴿والعصر. إنّ الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

حسن اختيار المشاركين

ويتحكم اختيار المشاركين في تفشيل أو إنجاح مثل هذه الملتقيات والندوات الفكرية، وقد يظن البعض أنه بوصايته على الأطراف، واختيار الطرف الأضعف لتمثيل الرأي المخالف، يكون قد حقق انتصاراً لفكره الذي يطرحه.. إن مثل هذا التفكير والاختيار يؤدي إلى هزال الفكر لا إلى تقويته، ذلك لأن ما يراه الرائي ما هو إلا سراب لا يغني من الحق شيئا..

لقد واجه النبي ﷺ صناديد قريش، وجادل كبّارهم، والتقى في مسجده الشريف رؤساء الملل والنحل في زمانه، من اليهود والنصارى والمجوس والدهرية والمشركين، ولم يجد غضاضة في أن يستمع إليهم، ويناقشهم الحجة بالحجة، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة..

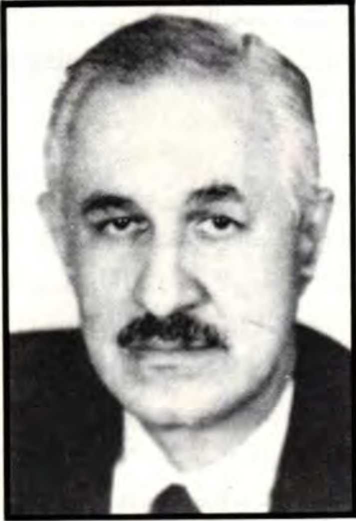
مشكلة البعض انهم لا يحسنون العرض، ولا يثقون فيما يرددون من أفكار، وفي نفس الوقت؛ يستهويهم الانتصار السهل الذي لا يحتاج دراسة ولا تحضيراً ولا إعمالاً للفكر، ولذلك يستمرؤون السباحة على الشاطىء، وحولهم ضعاف السابحين، ولكن هل يحققون غلبة حتى لو بزّوهم وسبقوهم؟

المتابعة

وإلى ما تنتهي مثل هذه المؤتمرات؟ وما مصير التوصيات التي تصل إليها وتعلنها على الملأ؟ إن ما نحتاجه اليوم لجان متابعة تسهر حتى لا تبقى القرارات والتوصيات حبرا على ورق، فنحن نحتاج إلى آلية تنفيذ لا تقل اندفاعا عن جماعة (التفكير)، تملك إمكانات المتابعة حتى لا نأسف على وقت ضاع أو جهد بُذل..

لقد تجاوز (الغرب) كثيرا من سلبيات التعدد والتدافع والتعارض التي يعيشها المجتمع البشري في كل زمان ومكان، ولم يكن دواؤهم جرعات سحرية، بل كان نتيجة دراسة لسنن الله في خلقه، وتعامل مع هذه السنن بما يصب في حوض (المصلحة)، ونحن أقدر على فهم هذه السنن والتعامل معها لانسجامها مع عقيدتنا في الخالق والمخلوق، وما فعله آباؤنا من حرية البحث والنقاش وموضوعية الدراسة والاستنتاج وشجاعة الحوار والطرح، يمكننا استعادته، إن نحن تجاوزنا قيود الاستكانة للسائد من العادات والأعراف، فهل نحن فاعلون؟

الشعر الإسلامي هو القيم الإسلامية في شكلها المنظوم



الدكتور جابر قميحة

أكد الناقد والشاعر الإسلامي الدكتور جابر قميحة أن الساحة الإسلامية الآن تحتاج إلى شعر الجهاد وتصوير المعاناة في شتى أرجاء الوطن الإسلامي، ونبه إلى ضرورة أن يكون ذلك في أولويات الأدباء الإسلاميين، حتى لا تهدر طاقاتهم الإبداعية في قضايا هامشية.. وطالب في حواره مع (الوعي الإسلامي)، بضرورة وجود مسرح إسلامي يقدم البديل عما هو موجود الآن على الساحة.. وأكد أن للشعر الإسلامي غاية إنسانية، وهي تقديم المتعة الوجدانية للمتلقي، إلى جانب غاياته التربوية والقيمية. وفيما يلي نص الحوار:

أجرى الحوار:
خالد محمد خلاوي

رسالة الشاعر المسلم

●بوصف الدكتور جابر أحد الشعراء الإسلاميين الذين يخاطبون ضمير الأمة.. فما رسالة الشاعر المسلم في المجتمع؟

■الشاعر المسلم شاعر متكامل مستجيب لنداء الفطرة الربانية الإسلامية في أعماقه، ولذلك فإن رسالة الشاعر المسلم يجب أن تنطلق، بأن يكون صادقا مع نفسه، مستجيبا لصوت الفطرة في أعماقه، فيبدع الشعر الذي يعد نظما بقيم الدعوة الإسلامية، بمعنى أن يكون هو القيم الإسلامية في شكلها (المنظوم)، إن صح هذا التعبير.. هل لابد أن يوجه الشعر توجيهات مباشرة؟ لو فعل ذلك لعرض القيم الإسلامية في شكلها القريب من النثر، وهذا يبعد عن الشاعرية، فيجب أن يكون هناك الوجه الجمالي موجودا بصورة بارزة في العرض، ومثل هذا الشعر يفرز القيم الحية في النفوس، لذلك تنبأ بهذا منذ قرون عديدة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين كان يوجه المسلمين دائما بقوله: (علموا أبناءكم الشعر)، وهو لا يقصد أن تجعلوا منهم شعراء، ولكن يقول اجعلوهم يقرأون الشعر، وهذه هي رسالة الشاعر المسلم التربوية، بأن يجعل الشعر يدعو إلى مكارم الأخلاق، والقيم التربوية الأصيلة.

الشاعر المسلم شاعر أخلاقي، وإنساني، وقيمي، وقبل كل ذلك لابد أن يكون مهتما بالناحية الفنية والجمالية.. وهو إذا أتقن الجانب الجمالي، حقق غاية إنسانية وهي (المتعة الوجدانية للمتلقي).

من خلال تجربتكم مع الشعر.. ما الذي يميز الشاعر الإسلامي؟ وهل هو قاصر على شعر المناسبات فقط كما يقول البعض؟

ما الأدب الإسلامي؟ هو ذلك الطروحات التي بدأت منذ أيام الرسول ﷺ، منطلقة في المدى الزمني إلى الآن.

والرسول ﷺ لخص مفهوم الأدب الإسلامي والشعر الإسلامي بقوله ﷺ: «إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكماً» [رواه أحمد وأبو داود]. وأرى أن في هذا تلخيص غير مباشر لتعريف الأدب الإسلامي، وضرورة قيامه على أساسين:

الأساس الأول: هو الأساس العقلاني القيمي، وهو الحكمة.

الأساس الثاني: هو الأساس العاطفي الوجداني، والذي أشار إليه بكلمة السحر، وهو القدرة على الجاذبية والتأثير، وهو الملمس الجمالي الذي يستطيع أن يستقطب نفس الملتقي.

هذان الأساسان يقوم عليهما الشعر الإسلامي، بل يقوم عليهما الأدب الإسلامي بوجه عام، سواء أكان شعر أم نثرا.

وأما عن قول البعض إن الشعر الإسلامي (شعر مناسبات).

فأقول: هذه غلطة شاعت بلا تدبر، لأن الناقد الحصيف لا ينظر إلى القصيدة من خارجها، بل هو الذي يعايش القصيدة موقفا، وموضوعا، وفكرا، وتصويرا، وتعبيرا، ومشاعر، وأحاسيس، ومن ثم ليس من النقد البصير أن نزري بالقصيدة لأنها تدور حول مناسبات ووقائع (خارجية)، وليس بالنقد البصير كذلك أن نجل القصيدة، لأنها قصيدة (ذات)، وعاطفة خاصة. المهم ما في هذا اللون، وماذا في ذاك من الفكر والفن.

ثم هل في الشعر قصيدة بلا (مناسبة)؟ الواقع يقول: (لا).

فكل قصيدة - واسأل تاريخ الشعر - تدور حول مناسبة ما، أو موقف ما، أو واقعة ما، وهذه المناسبة أو الواقعة قد يكون محورها ذات الفرد، وقد يكون محورها خارج هذه الذات.. تاريخيا.. أو سياسيا.. أو اجتماعيا.. المهم أن يكون الشاعر في (القصيدة)، أيا كانت مناسبتها، أو موضوعها، أو الموقف الذي تمثله القصيدة، وهذا معيار التقييم الصحيح.

الأدب المباح

●إذن.. كيف يتناول الشاعر المسلم المرأة في شعره دون أن يخل بالقيم الفنية والأخلاقية في نفس الوقت؟

■لعلك تقصد بهذا السؤال موقف الأدباء الإسلاميين من قضية الغزل، وكما نعلم أن الغزل نوعان:

النوع الأول: الغزل الحسي الصارخ، وهذا مرفوض من وجهة النظر الإسلامية، لأنه إفراز غير أخلاقي، لو قرأه المتلقي لوجد فيه إثارة للنوازع البهيمية كما، نرى في شعر كثير من الشعراء الحداثيين.

والنوع الثاني: وهو الغزل العفيف، وهذا نوع من السمو الوجداني، ولا ضير فيه.

ولكن هناك احتراس لابد من إبرازه، وهو أنني لا أسمي هذا الإبداع أدبا إسلاميا، بل أسميه (أدبا مباحا)، لأننا بطبيعتنا الإسلامية نتجه بكل ثقلنا إلى الأدب الإسلامي، فلو جعلنا في الغزل العفيف أدبا إسلاميا، لأهدر منا جزءاً كبيراً من طاقاتنا الفنية، نحتاجها في قضايانا الإسلامية المعاصرة.

ويقال اللبيب من وزع قدراته على قدر الاحتياجات.

والساحة الإسلامية الآن تتطلب شعر الجهاد وتصوير المعاناة في شتى أرجاء الوطن الإسلامي، والإسلام لا يمانع في أن تكون المرأة موضوعا للأدب الإسلامي في مجال الرواية والقصة القصيرة، بل لا يمانع أن يكون الجنس موضوعا أيضا، بشرط أن تكون المعالجة منطلقة من التصور الإسلامي تماما.

أدب الأطفال

●لماذا لم يكتب د. جابر في شعر الأطفال؟ وبماذا تفسر قلة الإنتاج الموجود على الساحة في هذا المجال؟

■شعر الأطفال.. جانب رائع من جوانب الأدب الإسلامي، والإنتاج في هذا المجال ليس بقليل، كما نقول، بل إنه إنتاج كثير، ويزداد كل يوم، ولقد أصدرت رابطة الأدب الإسلامي عددا من الكتب في أدب الأطفال، منها ديوان (أغاريد الطفل المسلم) للشاعر محمود مفلح، وديوان (رياحين الجنة) للشاعر الكبير عمر بهاء الدين الأميري، ولغيرهما من الشعراء والأدباء.

أما لماذا لم أكتب في أدب الأطفال، فقد يرجع ذلك إلى سببين:

السبب الأول: ربما لأنني لم أفكر في ذلك.

والسبب الثاني: لأنني أجد أن أصعب الآداب كتابة - ويستوي في ذلك الشعر والنثر - هو أدب الأطفال.

من السهل على الأديب أن يرقى بأسلوبه، ومن الصعب عليه أن ينزل بأسلوبه متبسطا، لذلك أرى أن كل من يكتب في أدب الأطفال، يستطيع أن يكتب في غير أدب الأطفال، والعكس غير صحيح.

المسرح الإسلامي

●من القضايا التي ما زالت مطروحة للبحث والنقاش قضية المسرح الإسلامي كيف يكون؟ وما رأيكم في هذه القضية؟

■من الثوابت التي لا نختلف عليها، هي أن الأدب الإسلامي يجب أن يكون نابعا من مسلم، ومنطلقا من التصور الإسلامي للكون والناس والحياة.. هذا من الثوابت، وهناك قضايا أخرى من المتغيرات تحتمل الخلاف في الرأي، ومنها قضية المسرح.

في الواقع بالنسبة لهذه القضية أقول إننا - أعضاء الرابطة أو الأدباء الإسلاميين - ننقد الأعمال الفنية الهابطة، كالمسرحيات اللا أخلاقية والمسرحيات الهابطة فنيا وقيميا، وأيضا لغويا، فهي ذات لغات مهترئة.

وهنا نتسائل ما البديل؟ إذن لابد أن أكون جاهزا بالبديل، وهو مسرحيات إسلامية لها قيم إنسانية عليا، يتوافر فيها الجانب الجمالي التشويقي، فلا تكون المسرحية دعوات وعظية مباشرة، وإرشادات حادة ومكررة، بل لابد أن يكون الجانب الجمالي واضحا، حتى أجذب الناس إلى مسرح له قيم إسلامية إنسانية، تستطيع أن تغني بإقناع كامل عن المسرحيات السائدة في السوق حاليا.

الفكرة هي فكرة (الأواني المستطرقة)، يعني الأدب الإسلامي لابد أن يدخل هذا الميدان، ويقدم البديل.

ومسألة ظهور المرأة على المسرح - أو عدم ظهورها - فهناك أعمال فنية ومسرحيات، لم تظهر فيها المرأة، ومع ذلك هذه الأعمال ناجحة جدا جدا.

نجاح المسرحية ليس راجعا إلى عنصرين اثنين فقط، وهما الرجل والمرأة، ولكنه يرجع إلى عناصر كثيرة، منها إتقان الخدمة الفنية، ونحن الإسلاميون من ناحية إتقان العمل الفني نستطيع أن نضع قيمنا وأفكارنا، بحيث نعرضها العرض الفني الجميل الرائع، وحسن العرض فكرة إسلامية أساسا، فالرسول ﷺ يحثنا دائما على الإتقان في كل شيء.

إلى الأدباء الشباب

●ما النصائح والتوجيهات التي يقدمها د. جابر إلى الأدباء الشباب؟

■أنصح الشباب المسلم ألا يحقر من نفسه ومن أدبه، ومن إبداعه، بل يجب أن يؤمن إيمانا كاملا بأن ما يطرحه من إبداع له قيمة توجب الاعتزاز، حتى لا يسقط في هوة الإحباط، وهذا يستلزم منه ألا يقيس نفسه بكبار الأدباء، بل يضع في ذهنه - وهذه حقيقة - أن هؤلاء الكبار حينما كانوا في سنه كانوا أقل منه مستوى، ويؤمن كذلك أن إبداعه إبداع مرحلي، وليس إبداعا نهائيا، أو انتهائيا، بمعنى أنه إبداع قابل للتطور، وقابل للتصعيد والصعود، ولكن بجانب ذلك أنصح الأديب الشاب ألا يصل به هذا الاعتزاز إلى حد الغرور.

ونصيحتي الذهبية التي يجب أن نأخذ بها جميعا هي القراءة الواسعة في شتى المعارف، لابد من الثقافة بمفهومها الواسع في مجال علم النفس، والتاريخ، والقانون، والفلسفة، وقبل ذلك الإسلاميات، ولا أقول معرفة تامة وشاملة لأن العمر محدود، ولكن ما يحتاجه الأديب من الثقافة العامة، ثم بعد ذلك النزول لخوض مجال القراءة الخاصة، ولابد من الجمع بين القديم والحديث في قراءاتنا بقدر ما نستطيع□



الشاعر المسلم شاعر متكامل مستجيب لنداء الفطرة الربانية

66

الرسالة الخاتمة في جزيرة العرب لماذا؟

بقلم: أ.د. سيد رزق الطويل

الاصطفاء مبدأ إلهي، ينتهجه رب العزة سبحانه في المفاضلة بين مخلوقاته، إذ يقول في كتابه الحق: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ [القصص/٦٨]. ومن هنا كان أصطفاء الله سبحانه لمن اصطفاهم من البشر والملائكة وما اصطفاه من الأزمنة والأمكنة، وغيرها من الكائنات.

الاصطفاء الإلهي

وتحدث القرآن الكريم عن صور شتى من الاصطفاء الإلهي لبعض خلقه. يقول سبحانه: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس﴾ [الحج/٧٤]. وقال جل شأنه: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ [آل عمران/٣٣]، كما قال في شأن مريم: ﴿يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ [آل عمران/٤٢].واصطفى سبحانه من الأزمنة: شهر رمضان، والعيدين، ويوم عرفة وليلة القدر ومن الأماكن: البيت الحرام، والمساجد المنتشرة في انحاء الأرض. ولكل اصطفاء إلهي أسسه الراسخة التي يقوم عليها إذ هي ليست اختيارات يصعب فهم حكمتها ومعرفة أسبابها.

أسئلة عن الرسالة الخاتمة

وعلى ضوء هذا نجد سؤالا مطروحا على ساحة البحث: الرسالة الخاتمة أشرقت في قلب جزيرة العرب، وبين جنبات واد غير ذي زرع، وحيث تتصارع القبائل، وتسود أعراف جاهلية فهل لهذا الأمر من تفسير؟ وكيف خرج أعظم وليد في قلب جاهلية جهلاء؟ والإجابة عن هذا تتطلب النظر في أمرين: أولهما: نظرة تاريخية تفسر إعداد هذا المكان لهذه المهمة العظيمة.

وثانيهما: نظرة موضوعية تستجلي الواقع الصحيح لما عرف من أخلاقيات الجاهلية كيف أعدت أمة العرب لهذه المهمة العظيمة؟

في الإجابة عن هذا التساؤل تتجلى أبعاد النظرة الأولى، إن الله تبارك وتعالى أراد لهذه البقعة من الأرض أن تكون موئلا للرسالة الخاتمة، منذ أمر نبيه إبراهيم بالهجرة إلى وادي الحجاز ومعه زوجه هاجر ووحيده الصغير إسماعيل حيث تركهما، وعاد من حيث أتى بعد أن زودهما بدعوات طيبات اتجه بها إلى مولاه إذ يقول: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي ذرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ [إبراهيم/٣٧].

وكان وجود الأم والطفل بمثابة اللبنة الأولى لوجود عربي في هذه المنطقة الخالية والخاوية إذ تهيأت الأسباب، ونبع الماء، وأوى إليه المهاجرون من الجنوب، ثم جاء الأمر لإبراهيم ببناء الكعبة البيت الحرام، بعد أن بين الله له حدوده ومعالمه: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا﴾ [الحج/٢٦].

ويتم البناء بسواعد النبي الخليل، وابنه الغلام الحليم، ومع البناء دعوات وضراعات وخلال الدعوات تتجلى الغاية، وتتضح النظرة المستقبلية، إذ يقولان في ضراعتهما الصادقة الخاشعة: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ [البقرة/١٢٨و١٢٩].

وتستجاب الدعوة وتأتي الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وذرية إسماعيل، ويبعث الله فيها رسولا منها تختتم به الرسالات.

إنها جنين عاش في أحشاء التاريخ واستوى على سوقه وتكامل لتتحقق حكمة عليا هي أن يتحول تيار الرسالة من بني إسرائيل إلى بنى إسماعيل.

نشأت هذه الأمة في ظلال الحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه السلام ومن بعده ابنه إسماعيل ثم طرأ على سلوك القوم بطول الأمر ألوان من الانحراف وصور من زيف الجاهلية اقتضت مشرق الرسالة الخاتمة لتقويم الانحراف وتصحيح الزيف واعتدال المسيرة وفي الوقت نفسه كان لسان الأمة قد نما واشتد، وملك القدرة على التعبير عن أدق المعاني وأعمق الأفكار وأروع الصور مع التزام قوي بالحق وحرص كريم على الحقيقة يصور القرآن الكريم مهمة الرسالة الخاتمة فيقول سبحانه لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام بعد أن حدثه عن أبيه إبراهيم ومكانته من الإيمان واليقين: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ [النحل/١٢٣].

وفي سورة الحج يدعو القرآن الكريم هذه الأمة إلى مزيد من المجاهدة على طريق الله، منهج الحق والخير مذكرا إياهم باصطفاء الله لهم لهذه المهمة مهمة هداية البشرية إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها فيقول سبحانه: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾ [الحج/٧٨].

فترة من الغفلة

وبرغم عظم المهمة التاريخية التي ارتبطت بهذه الأمة وسحب الجاهلية التي غطت سماءها فترة من الزمن إلا أنها قل فيها النذر، فلم يأتها نذير قبل الرسالة الخاتمة منذ عهدهم برسالة أبيهم إسماعيل، ولذا قال سبحانه: ﴿لتنذر قوما ما أنذر أباؤهم فهم غافلون﴾ [يس/٦]، كما قال سبحانه: ﴿وما آتيناهم من كتب

يـدرسـونها ومـا أرسلنـا إليهم قبلك من نذير﴾ [سبأ/ ٤٤].

وإذا أضفنا إلي مـا تقدم من حـديث عن تـاريخ هـذه الأمـة التي هيأهـا للرسـالـة الخاتمة إذا أضفنا حـرمة المكـان، وحرمـة الـزمـان، ووحـدة اللغـة نجـد عـوامل اصطفائها قد تكاملت، وأصبحت هي أجدر به من أمم الحضارة في الشرق والغرب.

الواقع الخلقي لهذه الأمة

إذا ألقينا نظـرة موضـوعية نستجلي بها الواقع الصحيح لسلوكيـات هذه الأمة نجد أنها ابتليت بانحـرافات العقيـدة باتخاذهم الـوسطـاء والشفعاء، ليقـربـوهم إلى اللـه زلفى، وأن وسطاءهم من الأصنام ما كانت إلا رمـوزا لقـوم صـالحين منهم، كما تصوروا أن الملائكـة بنات اللـه، وغالبتهم أخـلاقيـات الطيـش والعصبيـة القبليـة، والتفاخـر بالأحساب والأنسـاب، وشاعت فيهم رذائل الخمـر والميسر، والاستقسـام بـالأزلام ومنهم قبـائل بـالغت في الشطط فكرهت الأنثى حتى إن منهم من وأدها.

وبـرغم هذه الانحـرافـات الواضحـة في العقيـدة والسلـوك فقـد كـانـوا على قيم وفضائل يعـز وجودهـا في غيرهم من أمم الأرض كما احتفظـوا بقدر كبير من صفـاء الطبع، ونقاء الفطرة، وسلامة العقل وبرئوا تمامـا مـن كثير من آفـات الحضـارة وسلبيـاتها المؤثـرة في قـوة الشخصيـة والحرص على الحق وإبـاء الضيم ورفض المذلة والهوان.

من في أمـم الأرض حينـذاك يـرفض نقيصة الكـذب كما كان يرفضهـا العربي؟ إن ابا سفيان مع عدائه الشديد لرسول الله ﷺ أبى أن يكـذب عليـه في مجلس هـرقل عظيم الروم مع حرصه على الإساءة إليه لو استطـاع، لكنـه لم يقل عنه شيئـا مخالفـا للـواقع حتى لا يتنـاقل أصحابـه حـديث كذبه، ويصبح عاراً لا يمحى.

لقد سألـه هرقل عن محمـد: هل يغدر ؟ قال: لا. ونحن معـه في عهد لا ندري مـاهو صـانع فيـه. وكـان ذلك بعـد الحديبيـة، ويقول أبوسفيـان: كنت أود أن أقول شيئا يسيء إلى محمد، ولكني لم استطع أن أقول إلا هـذه العبارة التي تـوحي بـالتشكك في وفـائه.من في أمم الأرض ملك فضيلـة التعفف إذ يقـول عن شربـه للخمـر: إنها تهلك مـا له لكنها لاتنـال من عـرضه، ولا تمس صفة الكرم الأصيلة فيه:

وإذا شربت فإنني مستهلك مالي
وعرضـي وافر لم يُكـْلَمِ
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى
وكما علمت شمائلي وتكرمي

وجارته لها حق أي حق لا تمتد إليها منه نظرة باغية، فـاجرة، بل يغض طرفه حتى تذهب الجارة إلى بيتهـا، إنها الفضيلة التي أكدتها الـرسالـة الخاتمة في سورة النـور، ويقول الشاعر:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي
حتى يوارى جارتي مأواها

والمرأة إذ ذاك متعففـة بطبعها، حفيظـة على سر زوجها في غيـابه، سعيدة بعـودته وحضوره يقول عنها الشاعر:

إذا غاب عنها البعل لم تفش سره
وترضي إياب البعل حين يؤوب

ومن في أمم الأرض كـان يهش للضيف، ويتوفر على إكرامه؟ بل ويبحث عن ضيف يؤاكله إذا لم يقدم عليـه ضيف، ويعد عبده بـالعتق إذا أحضر له ضيفـا، ويقول لـه في رجزه:

أوقد فإن الليل ليل قِر
والريح ياموقد ريح صرُّ
عسى يرى نارك من يمر
إن جلبت ضيفا فانت حر

ويقول الآخر لجاريته:

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له
أكيلا فإني لست آكله وحدي

وحركة الصعاليك التي ظهرت في الجاهلية لم تكن مجرد ظاهرة إجرامية، وإنما كان لها وجه اجتماعي مشرق، حتى رذيلة الميسر كان لها جانب وضـاء لأن ما كـانوا يغنمـونه من مقامراتهم كـانوا يوزعونـه علي فقرائهم كما كان يوزع الصعاليك مـا سلبوه من الأغنياء البخلاء على العاجزين والضعفاء.

وكـان الأحيمـر السعـدي، وهـو أحـد الصعاليك يقول شارحا منهجه في الصعلكة:

وإني لاستحيي من الله أن أرى
أجر بحبل ليس فيه بعير
وأن أسأل النذل البخيل بعيره
وبعران ربي في البلاد كثير
عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوت إنسان فكدت أطير

وأعجب مـافيهم وفـاؤهم النـادر، لا يصرفهم عنـه صارف مهما بلغ من قـدرة على الإغراء والإغـواء والناظـر في تاريخهم يلمس ذلك بوضـوح في سلوك عبـدالله بن أريقط، هذا الرجل المشرك الـذي كان دليلا للنبي وصـاحبه في رحلـة الهجرة، وأجـره بضعة دراهم، وقد سمع بأذنيه نبأ الجائزة الضخمة التـي رصدتها قريـش لمن يدلهم علي مكان محمد وصاحبه، وهو يعلم ولكنه لم يفعل لأن الوفـاء بالعهـد عنده أغلى من الدنيا وما فيها من متاع.

ويذكـرنا حديث الهجـرة بتراجع قريش عن اقتحـام بيت محمـد، حتى لا يروعـوا بنيات في خدورهن إنه برغم العداء مستوى عظيم من المروءة والإباء.

وكـان في رحـابهم المتحنفـون الـذين استبقـوا - بـرغم ظلمات الجاهليـة - استقامـة الحنيفية وسموهـا وتحدثوا عن التوحيد، ورفضوا الشرك ودعوا إلى التقوى وذكَّـروا اخـوانهم بيوم الحسـاب. يقـول زهير بن أبي سلمى:

فلا تكتمُنَّ الله ما في نفوسكم
ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر
ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وكان زيد بن نفيل يقول:

إن تقوى ربنا خير نفل
وبإذن الله ريثيى والعجل
أحمد الله ولا ند له
بيده الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى
ناعم البال ومن شاء أضل

هذا هو واقعهم السلوكي، انه يوحي بأن هذه الأمة على ما بها، خير من سواها، وانها تعد لأمر عظيم ولأجل هذا عندما أراد النبي عليه الصـلاة والسلام أن يعبر عـن المهمة التي ابتعث لأجلهـا، قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» [رواه أحمد، والبخاري في الأدب]. إن جذورهـا قائمـة في أعماق هذه الأمـة، ومظـاهـرهـا لم تغب تمامـا عن سـاحتهـا والنقص الذي اعتراهـا، جـاءت الرسالة الخاتمة لإتمامه.

أرجو أن أكـون قد وفقت في الإجـابة عن هذا التساؤل الذي أثار هذه القضية الهامة. والله سبحـانه الهادي إلى سواء السبيل□

عرف آباؤنا علوما كثيرة مثل خواص المادة، ومقاومة المواد.. وإذابة المعادن وتشكيلها.. ومهروا في صناعة الأدوات الطبية الدقيقة

الصناعة عند المسلمين

بقلم:
د. ماهر خليل*

دأب البعض من المستشرقين على القول إن الإسلام دين روحاني عظيم، اهتم بإصلاح النفس وتربيتها، فجعل المسلمون هذه الأمور شغلهم الشاغل، ولم يهتموا بأمور دنياهم، وتبعهم في هذا القول نفر من أبناء الشرق الإسلامي عن جهل بحقيقة دينهم، وتاريخ أجدادهم.

والحقيقة، أننا لو أجلنا النظر في صفحات التاريخ مستصحبين معنا آراء الدارسين والباحثين في تاريخ العلوم، لوجدنا أن المسلمين الأوائل قد حازوا قصب السبق في العديد من الصناعات، ففي القرن الرابع الهجري، سجل لهم التاريخ براعتهم في صناعة الزجاج والفسيفساء والخزف وصناعة النسيج، ولم يكتفوا بنقلهم عن الفينيقيين القدماء صناعة الزجاج والحرف، بل أضافوا إليها التطعيم بأحجار كريمة والمنمنمات، وإكسابها لمعانا وبريقا.

أما صناعة الحديد والصلب فنجد اهتمام أهل اليمن وحضرموت وسبأ وحِمْيَر بتلك الصناعة واضحاً، فقد جلبوا الحديد من الهند لرخص ثمنه، ولعمل السلاح والسيوف على وجه الخصوص، لأنه كان مفخرتهم، ثم طوروا القسي فعملوا منها أنواعا تستطيع أن تطلق عدة أسهم دفعة واحدة، وتوصلوا إلى صناعة برج رشاش يطلق السهام في جهات أربع، وصنعوا الخذى الحربية والقلوع، والحصون، والأبراج، والمنجنيقات، والزحافات، والتي تعتبر الشكل البدائي للدبابات الحديثة. واستعملوا القذائف الحجرية التي يتراوح وزنها من ستين إلى مائتين وخمس وعشرين كيلوجراما، وصنعوا آلات لصيد الأفاعي والعقارب.

وعرف المسلمون القذائف المجوفة، والتي كانت تصنع من النحاس أو الزجاج، وتملأ بالمواد الحارقة، ومن هذا يتضح لنا أنهم عرفوا علوما كثيرة مثل خواص المادة، ومقاومة المواد، وزوايا إطلاق القذائف. لقد برع المسلمون في فنون تلك الصناعة لأن الجهاد كان هو قوام الدولة، وخاصة في بداية العهد الأيوبي، وكذلك صناعة الأساطيل، فلقد ذكر المقدسي أسماء لعديد من السفن مثل زمزم ومعبر ومثلثة وزورق وطيار وأسطول قبرص الشهير، وما أنشأه الطولونيون في مصر من أسطول يتألف من ستمائة سفينة وقوارب لخدمة الأسطول.

أما صناعة الأدوات المعملية والأجهزة الدقيقة فلهم في ذلك شواهد كثيرة كالآلات الجراحية التي استعملها الزهراوي في العمليات الجراحية، وكذلك الحال في صناعة الأدوات الميقاتية مثل المزولة وغيرها التي استعملها علماء الفلك كالبيروني والخوارزمي، وآلة ذات الحلق التي اخترعها عباس بن فرناس، ليحدد بها مواقع النجوم ليلا ونهاراً، وآلة تحديد الوقت التي أهداها إلى ملك البرتغال.

بالنسبة لصناعة الفخاريات، فما تركه المسلمون من آوان فخارية في سورية ملونة بالأخضر والأصفر. وأخرى خزفية في العراق وفي بغداد خاصة، وبلاد الشام عامة، لدليل على سبقهم في هذا المضمار، وكان ذلك، في القرن السادس الهجري، حيث عرفوا خلطات معينة للفخاريات، وخلطات أخرى، مكونة من عشرة أجزاء من الكوارتز.

وفي مجال دباغة الجلود المستعملة في صناعة الأحذية والغمد للسلاح، واستخدام أصواف الخراف والماعز لدليل حي على تلك البراعة في هذه الصناعة، بل والجودة فيها والطابع العربي الفريد، وما اتسمت به صناعتهم أيضاً من جمال ورشاقة في التصميم لدليل واضح على نضجهم وتقدمهم في هذا الميدان.

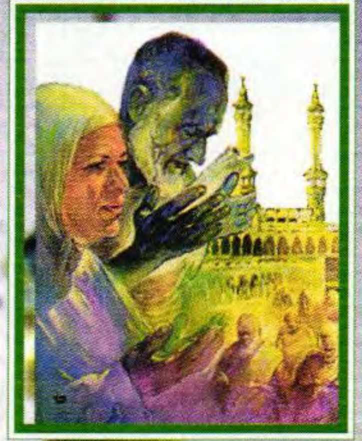
هذا قليل من كثير قدمه المسلمون للعالم في ميدان الصناعة ليثبتوا للإنسانية جمعاء أن الإسلام دين ودنيا، فقد سمعوا قول ربهم: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾ [يونس/١٠١]. فلبوا النداء مشمرين عن سواعد الجد، طامعين في ثواب ربهم ورضوانه.

فهؤلاء هم أجدادنا يا بني الإسلام، بنوا صرح الحضارة الإنسانية لبنة فوق أخرى، إلى أن طمع فيهم الطامعون، وأحب الناس الدنيا، وركنوا إليها، ونسوا الآخرة، فخفت نور حضارتهم إلى حين، فهل آن الآوان ليرتفع البناء، وتسمو النفوس، وتصفى أفئدة الذين لا يؤمنون□

*جامعة الكويت - كلية العلوم - قسم الجيولوجيا

لبيك اللهم لبيك

شعر:
عمر إبراهيم الراكشي



تجتـــاحني الأشـــواقُ مِنْ ذكـــراكِ
لم يَبْقَ مِـنْ حُلْمٍ يَطُـــوفُ عَـــداكِ
مضـت المشــــاقُّ كـأنما لم أَلْقَهـــا
ودعـــا الفـــؤادُ اللـــهِ أن يَلْقـــاكِ
يـــا بقعـــةً جُمِعت قلـــوبُ النـــاسِ مِن
كـلِّ البقـــاعِ علَى مُتُـــون ضِيـــاك

***

العَـــــوْدُ أحْمدُ لا أمـلُّ ولا أني
فمتـى الـــرحيلُ إلى أعـــزِّ رُبـــاكِ
ومتـى يفيضُ الـــدمعُ عنـــد مُحمـــدٍ
ومتـى تهيـمُ الـــروحُ تحتَ سَماكِ
ومتـــى يَهزُّ القلـبَ مِـن أعماقِـــهِ
ذاك الصفـــاءُ فهـل يَجُودُ صَفـــاكِ

***

إنّ الطـــوافَ مـع الصـــلاةِ بســـاحـه
جُمِعَـــا لـــديكِ ففـــزتِ دُون ســـواكِ
إنّ الـــوُلـــوعَ مـع الخشـــوعِ بســـاحـه
لم يَمْنحـــا الأنحـــاءَ مـــا مَنَحـــاكِ
اللـــهُ أكبرُ عنـــد ركـنٍ أسْعـــدٍ
اللـــهُ أكبرُ فـــوقَ طِيـبِ ثَـــراكِ
اللـــهُ أكبرُ عنـــدَ جَمْعِ جِمارِهِ
اللـــهُ أكبرُ عنـــدَ رَمَيِ حَصـــاكِ

***

(لبيـكَ أللهـمَ) تُقْـتُ لِقَـــوْلِهَا
مـع كلِّ خَطْـــوٍ مِـنْ حَبِيـبِ خُطـــاكِ
أحْلَى نِـــداءٍ صِيغَ تحتَ سمائِنـــا
لا شيءَ يَحْلُـــو في فَمِي كَنِـــداكِ
يَعْلُـــو النـــداءُ لـــديكِ في أسْماعِنـــا
ويَظَـلُّ بَعْـــدَ الحجِ مِـلْءَ صَـــداكِ

من أسرار الحج

إعداد: مصطفى أحمد قنبر*

فرض الله الحج على أمة الإسلام منذ أن رفع إبراهيم وابنه - عليهما السلام - قواعد البيت العتيق في أطهر بقعة على وجه المعمورة، فقد أمره المولى - عز وجل - أن ينادي في الناس بالحج، فنادى عليه، وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا﴾، فلبى الناس، حتى الذين ما زالوا في أصلاب آبائهم.

منافع دنيوية وأخروية

وإذا كان النداء عاما لجميع الناس في كل زمان ومكان، فإن هذا يعد أحد مؤشرات الوحدة ضد العدو الأكبر (إبليس اللعين).

وإذا كان المولى - عز وجل - قد ضمن لزواره مغفرة ذنوبهم: (الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم)، فإن للحج منافع دنيوية أخرى اقرأ - إن شئت - قول المولى سبحانه: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم﴾ [الحج: ٢٧و٢٨].

وقف وتأمل قول الله: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾، تجد أن كلمة (منافع) جاءت جمعا ونكرة، وقد علل المفسرون وأهل البيان هذا المظهر الجمالي في اللفظة الكريمة، بأنها تفيد العموم والشمول، وكذلك التعظيم(١).

فهناك منافع كثيرة - قد لا يدركها القارىء - يجنيها الحاج وكل المسلمين، من هذه الفريضة، وهي لا شك منافع عظيمة دنيوية وأخروية.

ونظرا لأهمية النواحي الاقتصادية والسياسية، فما الذي يمكن أن يخدم الناحية الاقتصادية والسياسية من الحج؟ أو بعبارة أخرى ما المنافع والمقاصد الاقتصادية والسياسية في الحج؟!

المضمون السياسي

يأتي الحجاج من بقاع مختلفة، بوسائل متعددة، يتحدثون لغات ولهجات متباينة .. وقد تركوا الدنيا خلفهم: المال، الأهل، المنصب، الحسب، النسب، والزي. لكنهم توحدوا في الهدف والغاية، وهي طاعة الله ورسوله ﷺ.

ومن أجل هذا الهدف العظيم، نراهم قد لبسوا زيا واحدا، وتكلموا لغة واحدة، واتجهوا نحو قبلة واحدة.

فهذه وحدة أقوى من كل وحدة، ورابطة من أوثق الروابط، تتعدى الحدود والفواصل مهما تعددت.

فما أحوج المسلمين، وقد تباينت أوطانهم، وتغايرت أوضاعهم السياسية ونظمهم القيادية والدستورية أن يتحدوا معا في هذه البقاع الطاهرة، ويدرسوا

*عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

أوضـاعهم، ينبـذون الفـرقـة، ويجمعـون الشمل، ويصفـون الأجواء.

ينظرون أوضـاع الأقليات الإسـلاميـة في جميع أنحـاء العالم، يمدون لها يـد العون والمساعدة. يقفون يدا واحدة ضـد أي عـدو لأي بلـد إسلامي. يكونون اتحادات ومنظمات إسلامية على غرار المنظمات الأخرى، ينشطون المنظمات الحاليـة. يفعلـون كل ذلك وغيره، وقـد خلصت نواياهم، وصفت قلوبهم من كل المظاهـر التي يمكن أن تشكل عائقا في هذا الميدان الحيوي.



والقرآن الكريم ينـاديهم وهم يقرأون ذلك ويسمعونـه: ﴿واعتصموا بحبل اللـه جميعا ولا تفرقـوا واذكروا نعمـة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم﴾ [آل عمران:١٠٣]. فهلا ذكـرنا نعمة اللـه علينا، الذي آلفنـا بعد تفـرق، واعتصمنـا بحبل متين، وقـاومنـا العداوة والنزاع؟

المضمون الاقتصادي

من المعلـوم يقينا أن النـاحية الاقتصـادية تـؤثر في النـاحيـة السيـاسية، وتتأثـر بها، فـالاستقرار الاقتصـادي - في أي مجتمع - دليل على الاستقـرار السيـاسي، واستقـرار الأحوال السيـاسية، كـذلك يؤثـر في الجانب الاقتصادي.

ولما كانـت الوحدة والتعـاون من المظـاهر السياسية في الحج، فإن الأوضاع السياسية، وكذلك الاقتصادية، تتأثران بهذا المظهر. ففي الحج فرصة للتعـاون الاقتصادي، والتكامل التجاري، فيمكن من خلاله الاطلاع على نتاج الآخرين، ومصنـوعاتهم، ومزروعـاتهم، مما يجعل الفرصة مؤاتية لهذا التعاون(٢).

ويمكن أن يمتد هذا التعاون ليشمل قاعدة أكبر، وذلك لتكوين التكتل الاقتصـادي الذي يحلم به الجميع (سوق إسـلامية مشتركة)، على غرار ما تفعله المجتمعات الأخرى.

إن لدينا - والحمد لله - الكثير من مقومات هذا السوق، أكثر من أي مجتمع آخر، وأقوى هذه المقومات الإسلام نفسه.

كما أن دراسة الأوضاع الاقتصادية للدول الإسلامية، ومد يد العـون والمساعدة للدول الفقيرة من القضـايـا التي يمكن أن تشكل نقاط بحث ودراسة بين المسـؤولين عن هذا الجانب في عالمنا الإسلامي مترامي الأطراف.

وإذا كانـت الشعوب الإسـلامية ذات مصير واحـد، وهدف واحـد، فإن جسور التعـاون الاقتصـادي لن تجد - بإذن اللـه - مـا يعوقها، كذلك فإن تشـابه الظروف التي يمر بها العـالم الإسلامي من ظـروف سياسيـة واجتماعية وثقـافية واقتصاديـة، تحتم هذا التعاون، الذي يخرج بها من حدود الإقليمية التي صنعهـا الاستعمار لتحقيـق مـآرب لنفسـه، والإضرار - في المقـابل - بهذه الشعوب، وجعلها تابعا اقتصاديا له، بعد أن فشل في السيطرة السيـاسية عليها، متحكما في اقتصادياتها، وقوت شعبها.

فمتى أدرك المسلمون هذا التصـور، باتوا يعتصمـون بحبل اللـه جميعـا، وينبـذون الفرقـة. ومن خلال هذا التصـور - أيضا - يمكن تنشيط حـركـة الاستثمار في البـلاد الإسلامية، في كل بلد على حدة، ثم بين بلدان العالم الإسلامي، والقضـاء على معوقات هذا النشاط الحيوي(٣).

ومن خـلال رحلـة الحج المبـاركـة، يمكن التعـرف على التجـارب الاقتصاديـة للـدول الإسـلامية، والاستفـادة منها، بعـد تكييف هـذه التجـارب مـع ظـروف كل مجتمع على حدة.

ومن هـذه التجـارب - التـي هي أولى بالتطبيق - تجارب بعض الـدول الإسلامية في النظـام المصرفي، والقضـاء على النظـام الربـوي في التعامـلات المالية، وإخضـاعها للشريعة الإسـلامية الغراء، ومما يـؤسف له انتشار البنـوك الربـوية في بلـدان كثيرة من العالم الإسـلامي، وما دامت القاعـدة المالية (ربـوية)، فإن أي نشـاط اقتصادي مهـدد بالكساد والتوقف.

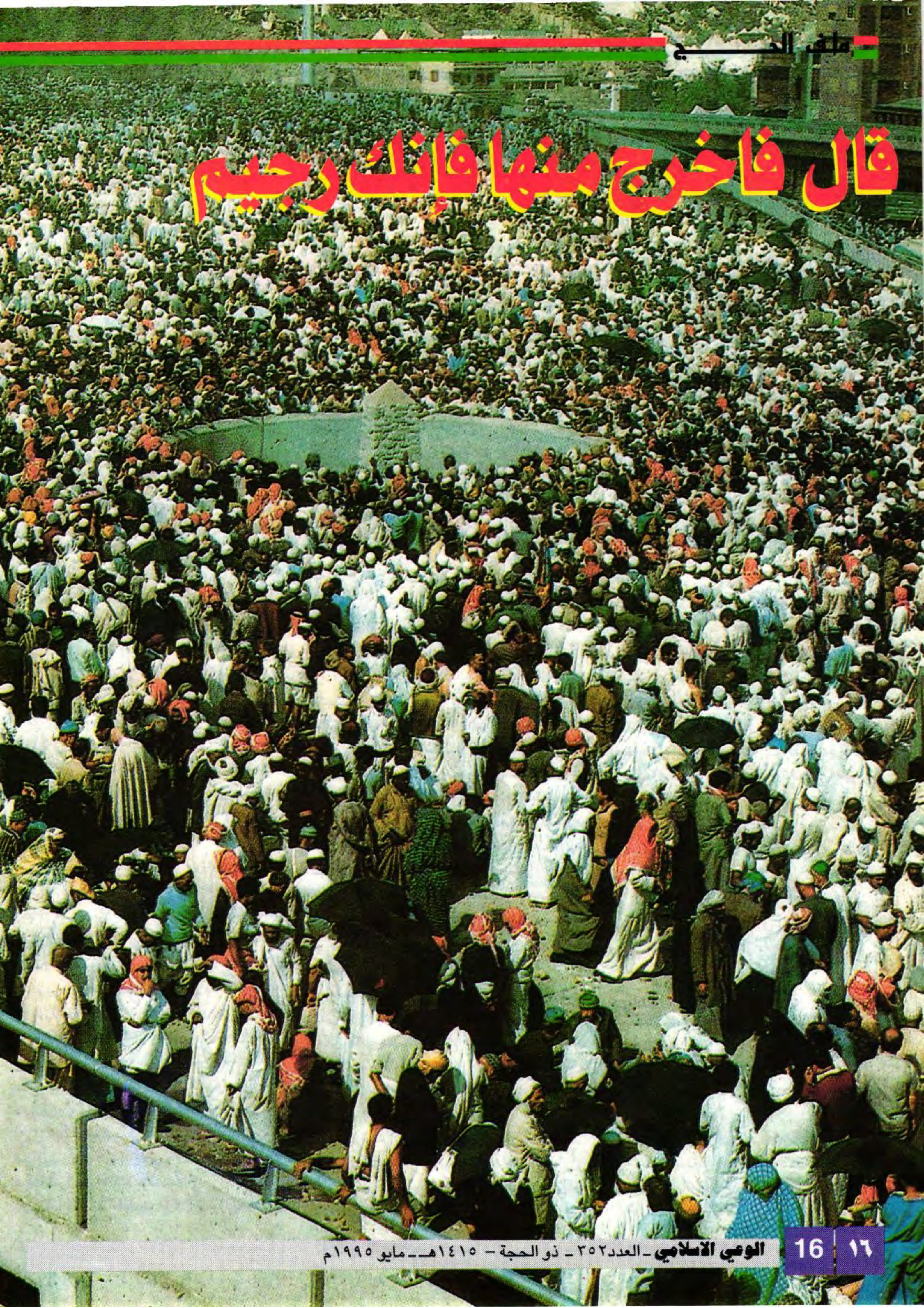
وبعـد ، فـالحج بمقـاصـده السيـاسيـة المتمثلة في الوحدة والتضامن، لا يمكن فصله عن المقـاصد الاقتصاديـة، التي تعـد مؤشرا على النجاح السياسي. فهلا استفاد المسلمون بهذه المضامين فسعـدوا في الدنيـا والآخرة. نسأل الله ذلك□

الهوامش:

١) صفوة التفـاسير، محمد علي الصـابوني، نقلا عن الفخر الرازي، ص٢٢٨.

٢) مجلـة المنهل/ جدة، ع٥٠٥/ ذو الحجـة ١٤١٣هـ، ص١٢.

٣) راجع دراسة للكـاتب نشرت في العدد رقم (١٣٨١)، بعنـوان (رؤيـة إسلاميـة لمعـوقـات الاستثمار في الوطن الإسلامي)، وذلك في جريدة (العالم الإسلامي)، مكة المكرمة.



قال فاخرج منها فإنك رجيم

المشهد الخالد

مع صديق على شرفة في المسجد الحرام:

هـــزني، خلني أحس بصـــدق
أنني، لسـت حـــالما مـــذهـــولا
حين ابصرت كعبـة الحق اضحى
نبض فكـري بسحـرها مشغـولا
قد دعـاني إليها ينبـوع نور
شع وانثال صـافيا معسولا
هاميا بالصفـاء والطهر يدعو
ظامـيء الروح ان يـروى الغليلا
فتقـدمت وخفـق قلبي، شـوقـاً
ألثم البيت بـــابـه والســدولا
ومـع الطــائفين، طفت ألبـي
ودمــوعي تصعِّـد الترتيـــلا
وجـوار المقــام صليت حمدا
أسـأل الخالق العظيـم،قبــولا
أنـــا لبيت يـــاإلهى فشكـــرا
أنـــا حققت حلمـي المستحيـــلا

قف معي، وانظر الحشـود توالى
مـوج بحـر، فهـل رأيت مثيـلا؟
الـــدنى كلهـــا هنـــا قـــد تـــلاقت
هـــدفـــا مخلصـــا، وقصـــدا نبيـــلا
أقبلـت نحـــو مهبط الحق تـــرجـــو
رحمة اللـــــه بكـــــرة واصيـــــلا
خلعـت زخـــرف الحيـــاة وعـــافت
عـــرض العيش تـــافهـــا مـــرذولا
وارتضت شرعـــة العقيـــدة نهجـــا
ســـدد الخلـق غـــايـــة وسبيـــلا
لـــو تفـــرست في الـــوجـــوه مليـــا
لن تـــرى بينهـــا ضعيفـــا ذليـــلا
بل جبـــاهـــاً أضـــاءهـــا الطهـــر لما
صـــدقت منقـــذ الـــوجـــود..الـــرســـولا
ومضـى الكل إخـــــوة جمعتهم
دعـــــوة الحق، مبـــــدأ وأصـــــولا
وحـــــدتهم بـــــرغم جنس ولـــــون
وهـــــدتهم بصـــــائرا وعقـــــولا

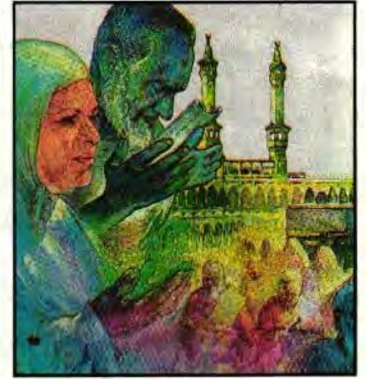
ياضيوف الرحمـــن، في خير دار
وحماة الإســـلام جيـــــلا فجيـــــلا
طـويت صفحـــة الـــذنـــوب، ونلتم
شرف السعي والثـــواب الجزيـــلا
انتم اليـــوم، تبعثـــون بصـــدق
أمـــلا مشرقـــا، ومجدا أثيـــلا
وغـدا، ســـوف تـرجعـــون لـدنيـــا
صيرتها الأطماع، شرا وبيـــــلا
فـــابـــدأوا رحلـــة الجهـــاد، وكـــونـــوا
ســـاعـــد الحق ،سيفـــه المسلـــولا
جـــابهوا الحقـــد بـــالفضيلـــة حتى
لانرى بينـــنا حـــقودا جـــهولا
واصمـــــدوا جبهـــة تعـــزز دينـــا
وسع الكـــون جـــوهـــرا وشمـــولا
نحن في هـــــديـــه، نعيش كـــرامـــا
أو أذلاء، إن رضينـــــا بـــــديـــلا

شعر: محمد مروان جميل مراد

من أسرار الفريضة الخاتمة

ويح هؤلاء الذين يشتطون في معاملة ضيوف الرحمن ويعاملونهم على غير أساس من العدل والإحسان

لكل عبادة في الإسلام هدف تسعى إليه، وحكمة تنشدها. قد تخفى الحكمة علينا حينا، ولكن الشريعة تتنزه عن العبث، وتعمل لصالح الإنسان فردا وجماعة. والحج – الركن الخامس من أركان الإسلام – فيه من الأسرار والحكم ما أدركها علماؤنا، ولاتزال متجددة حتى يومنا هذا، وقد يضاف إليها الجديد. هذا المقال يحدثك عن بعض تلك الأسرار...



في آيات من القرآن الكريم، وفي أحاديث النبي ﷺ ما يكشف النقاب عن جوانب ذوات عدد من أسرار الله تعالى وحِكَمه في مشروعية فريضة الحج الخاتمة للتكاليف الإلهية للأمة الوارثة.

ولا يكادالمرء يملي لعقله قليلا في قوله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولاجدال في الحج﴾ [البقرة/١٩٧] حتى تطالعه لأول وهلة كلمة (الحج) وقد تكررت ثلاث مرات في جمل قليلة الكلمات، فإذا روى المرء لعقله في ذلك مرة أخرى تبين له وجه من وجوه الإعجاز في كتاب الله العزيز، فإن للكلمة في كل مرة تكررت فيها معنى يتضح، وتقوم به وبأخويه حجة الله الرؤوف الرحيم بعباده.

فالكلمة في أول الآية تحديد لزمان الحج – على أشهر ما قيل – مما كان معروفا عند العرب الذين نزل بلغتهم القرآن، وكان الخطاب به إليهم أول الأمر، وهم أصحاب لسانه!!

وقد حدد الفقهاء ذلك الزمان وعينوه استخلاصا مما صح لديهم نقله عن صاحب الشريعة صلوات الله وسلامه عليه، وعمن أخذوا عنه، ومن بلغوهم ذلك، أجل عينوه في شوال وذي القعدة وذي الحجة كله، أو أيام منه تنتهي بأيام التشريق، فكأن أشهر الحج شهران وأيام وليست أشهرا، وإنما جمعت على ذلك القول لأمر من أمرين ذكرهما ابن الجوزي نقلا عن الأنباري.

أولهما: أن العرب توقع الجمع على التثنية كقوله تعالى: ﴿أولئك مبرءون مما يقولون﴾ [النور/٢٦] وإنما يريد الله تعالى عائشة وصفوان.

وثانيهما: ان العرب توقع الوقت الطويل على الوقت القصير، فيقولون: قتل ابن الزبير أيام الحج، وإنما كان القتل في أقصر وقت (زاد المعاد، ج١، ص٢١٠).

أخلاق الحج

والكلمة الثانية في قوله تعالى: ﴿فمن فرض فيهن الحج﴾ عينت ما ينبغي التزامه منذ الإهلال بالحج، والدخول العملي في هذه الفريضة.

وهي طائفة من الفضائل المعتبرة في كل زمان ومكان، ولكنها تكون أوجب على من يفد على بيت الله، ويغشى حماه، وهل تتحقق (لبيك اللهم لبيك) وتصدق ممن لم يتأدب بآداب مولاه، وهو في أقل القليل، يستظل بظلاله، ويطمع في رحمته وكرمه ونواله؟!

وإذا كان الإنسان السوي يحترز من اقتراف ماالايليق بمجلس الآباء من أقوال وأفعال، ويدير الكلمة في فيه، مستشيرا – مرات ومرات – قلبه وعقله، قبل أن تنفرج عنها شفتاه، وينطلق بها لسانه، وتتكشف عنه – والمرء مخبوء تحت لسانه – كما يقولون..

فإن بيت الله وما حوله من مشاعر الحج، أحق بأضعاف هذا التحرز والتصون والاحتشام من الفحش ودواعيه، ومن الخروج على حدود الشرع، وما تستلزم من تقوى الله ومراقبته ، ومن المراء والأخذ والرد، فيما تبين فيه وجه الحق كما قال ربنا جل شأنه: ﴿ولا جدال في الحج﴾.

السفر مُعلم

كم تضيق صدور أقوام في الأسفار، وتضعف قوة احتمالهم للظروف التي تصحب الاغتراب، وتكتنف التحول عن الأهل والسكن، من اختلاف مألوف الطعام والشراب، ومعتاد الثياب، وإن كانت الأسفار بطبيعتها أكبر معلم، وأقوى ملهم حين تعصمها تقوى الله تعالى، فهي تطل بنا على كثير من الفضائل وخصال الخير، صبرا ودراسة، وعلما بما يقوم بين الجماعات من فوارق، والحج في القمة من تلكم الأسفار..

مؤتمر عالمي

ألسنا نستجيب فيه لحق الله على المكلفين الذين استطاعوا إليه سبيلا؟

ألا نتلاحم فيه وإخواننا الذين أرادوا من الحج مرادنا، واجتهدوا فيه اجتهادنا، وتركوا له أوطانهم وأولادهم، كما تركنا أوطاننا وأولادنا؟!

بقلم الشيخ: معوض عوض إبراهيم

ألم تجمعنا الأحوال والأعمال، وبخاصة وحدة الثياب وجريانها على صورة لا يبقى معها - ولو إلى حين - سلطان لذي سلطان، ولا لقب لذي لقب، ولا نسب لذي نسب؟! فقد ارتفع على كل ذلك سلطان الإيمان، ولقب العبودية للواحد الديان، ونسب ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [الحجرات/١٣].

فكيف يجفو فؤاد حاج أو يعنف في قول أو فعل، أو يذهب غافلاً عما استهدف من رضوان الله، إلى معصيته، والخلاف عن أمره تبارك وتعالى؟!

ذكريات

إن الارتحال والانتقال خلال الديار نافعان في وصل الحاضر بالماضي، واستلهام العظات التي هي قبس من سير الأولين، بَرّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، على ضوئه نسير، ويسير الأخلاف، وتلك أمور يحرص المؤمنون عليها في أسفارهم بذواتهم، واتصالهم بخواطرهم وأفكارهم بأول بيت وضع للناس في مكة مباركاوهدى للعالمين، وجعله الله مثابة للناس وأمنا، وتتابعت فيه ومن حوله رعاية الله، منذ هاجر بإسماعيل وإبراهيم وأمه هاجر - عليهم السلام - إلى واد غير ذي زرع!!

وجعل أفئدة الناس في أي جانب على ظهر هذا الكوكب تهوي إليه، حتى جاء إلى الدنيا نبينا محمد ﷺ من لدن ربه، بأجمع شريعة، وأرفع نظام، وأمثل أسوة في أعماله، وأعمال الذين آمنو معه،

وهذا عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، واحد من طلاب مدرسة الوحي، يتمثل القرآن بكل مكان، وعلى كل حال، ويزداد له تمثلا وهو يرعى البلد الحرام والبيت العتيق، فيضرب خيامه خارج حدود الحرم، ويطوف كل يوم ويصلي، ثم يرجع إلى خيامه ويبيت فيها، خشية أن يهين أحد غلمانه أحدا فيكون بذلك واقعا في قوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ [الحج/٢٥].

وإنه لورع من عبد الله رضي الله عنه، لا يخفى معه أن استباحة محارم الله في البيت الحرام إلحاد بظلم، والإلحاد في الآية في أصح معانيه: هو الانخلاع عن دين الله.. والمعنى اللغوي للإلحاد، وهو (الميل) مُلاحَظ في المعنى الشرعي، وهو الكفر والشرك وفعل شيء مما حرمه الله، وترك شيء مما أوجبه سبحانه.

الإلحاد بظلم

ولقد أدخل بعض الفقهاء في الإلحاد، احتكار الطعام بمكة، فإن احتكار الطعام بمكة إلحاد بظلم، وهو بلد الله الآهل، وبيته المحجوج، وحظيرة قدسه، ومنزل وحيه، ومشرق أنوار توحيده، ومصطفى خيرته من خلقه صلوات الله عليه وسلامه.

وقد أخرج البخاري في تاريخه، وأورده السيوطي في الدر بسنديهما عن عمر بن الخطاب موقوفا قوله: «احتكار الطعام بمكة إلحاد بظلم».

ويا ويح الناس، كم يظلمون في غير مكان، ويشتطون في معاملة ضيوف الرحمن، وفي مداخلتهم على غير أساس من العدل والإحسان..

التوسعة والإعمار

وإذا كان تاريخ الرفادة والسقاية قد غاب عن الناس، ولم تفعل أصداء هذا التاريخ فعلها في القلوب والأفئدة من القرآن الباقي والسنة المأثورة، فإنهم ليرون - لا ريب - السهر الموصول والجهدالمبذول، والعطاء الذي تسخو به أنفس ولاة الأمور في المملكة لإبلاغ وفد الله أمنه وسعيه بكل منزل وجانب في المشاعر المقدسة والسبل الموصلة إليها، وما أنسى ليلة قريبة من ليالي رجب عشتها حول الكعبة، وقد اتسع مجال الطواف حولها، وزالت كل أسباب المشقة والإعياء التي كانت تأخذ بلا هوادة بمخانق الطائفين، إن مشاعر هذه الليلة مازالت آثارها الحسان، وكأنني أعيشها الآن!!

وابن الجوزي رحمه الله يقول في (زاد المسير) (إن الإمام أحمد بن حنبل قد سئل: هل تكتب السيئة أكثر من واحدة)؟! فقال: (لا. إلا بمكة، لتعظيم هذا البلد).



الاحتراز من المعصية

قال ابن الجوزي: (وأحمد رحمه الله يرى فضيلة المجاورة بها.. وقد حرص على ذلك نفر من صحابة رسول الله - ﷺ، ورضي عنهم - كجابر بن عبد الله وابن عمر وهي أمل نسأل الله أن ييسره.

لكن المجاورة لها آدابها وحقوقها بعامة، وهي أوفر حقا لبيت الله الحرام: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [النور/٦٣]. ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ [الأنفال/٢٥]. ولقد قرأها الزبير بن العوام فقال رضي الله عنه: (لقد قرأناها وما نرى أنا من أهلها، فإذا نحن من أهلها).

ويقول ابن الجوزي في تفسيره لهذه الآية: (أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب).

وبعد، فليس من الفطنة بحال، أن يجهل أحد مكانه وزمانه وإخوانه، وألا ينفق في الصالحات إمكانه، في أول فرصة تواتي، فالفرص لاتواتي دواما، وهي حين لا تنتهز للخير تزول وتبقى حسراتها تعتلج بها الحلوق والصدور، والتزود بالتقوى والأمر بها هما ختام آيات الحج، وهو تذييل يقر في الأنفس أن كل طاعة لا ينتهي بها المرء إلى التقوى فهي هباء يوم تجزى كل نفس بما كسبت.

أترضى أن تكون رفيق قوم
لهم زاد وأنت بغير زاد□

في العاشر من ذي الحجة الحرام من كل سنة تهوي أفئدة الملايين من أهل القرآن صوب مكة المكرمة. ومئات الألوف منهم يولون وجوههم قبل البيت الأقدس حيث الكعبة المشرفة مشاة وعلى كل ضامر، أو فوق ثبج البحار وفي أجواز الفضاء، ليشهدوا منافع لهم عبر مناسك الحج، استجابة لدعوة الله عز وجل، حيث يؤدون الفريضة المكتوبة التي لا يكتمل إيمان المسلم بدونها، إذا استطاع إلى ذلك سبيلا..

الحج وبيوت العرب المعظمة في الجاهلية

١/٢

بقلم: طه الولي*

* كاتب و باحث لبناني

وإذا كان الإسلام قد جب ما كان قبله، في الجاهلية، من ديانات العرب وأربابهم وعباداتهم، فإن المصادر التاريخية، قد حفظت لنا في بطون صفحاتها العديد من تلك الديانات والأرباب والعبادات، التي كان لها ذات يوم طقوس وشعائر وتقاليد، ليست بعيدة كل البعد عن الطقوس والشعائر والتقاليد التي حافظت في ظل الدين الإسلامي على كثير من مظاهرها وملامحها، ولو تحت أغراض ومعان وتأويلات تختلف عما كانت عليه في الزمن الذي سبق هذا الدين واشتهر في التاريخ والتشريع باسم الجاهلية.

العرب تقدس أماكن الحج في الجاهلية

والحج من الشعائر التي عرفها العرب في جاهليتهم ثم عرفوه بعد ذلك في إسلامهم أيضا، والمقصود بالحج هنا: الذهاب إلى الأماكن التي كان العرب يقدسونها في مواسم زمنية معينة طمعا في نوال رضى أرباب هذه الأمكنة. وجدير بالذكر أن العرب لم يكونوا ينفردون بهذه العبادة وحدهم من دون سائر الأمم. فإن ورود كلمة (حج) في كتابات الشعوب السامية، عموما، تدل على أن هذه الشعوب، ومنها العرب بالذات، كانت تمارس نسك الحج إلى بيوت تستقر فيها أربابها، وكثيرا ما كانت هذه البيوت تقع في الواحات ومواطن المياه وبعض المواضع الطبيعية التي كان المتعبدون، والذين وقذهم الورع، يشدون إليها الرحال للتبرك بها والتقرب إليها.

وهذا اللون من العبادة قد عرفه أهل الجاهلية وهو ما يؤكده وجود شهر (ذي الحجة) في عداد الشهور التي يتألف منها تقويمهم وهو التقويم الذي اعتمده الإسلام فيما بعد. وقد ورد اسم هذا الشهر بين النصوص المنسوبة إلى (المسند) باسم (ذو حجتين) كما وردت كلمة (الحج) في هذه النصوص كذلك.

وقد نقل الدكتور جواد علي في كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) أن افيفانوس ذكر بين أسماء الأشهر عند العرب شهرا اسمه (حج البيت) أراد به شهر (ذي الحجة نفسه).

فوجود شهر ذي الحجة في التقويم الجاهلي، يدل دلالة واضحة على أن عرب الجاهلية، كانوا في خلال هذا الشهر، يقصدون (البيت) بقصد الحج. إلا أن النصوص التي بين أيدينا لم تحدد هذا (البيت) ولا مكانه. مما جعل المؤرخين يذهبون إلى أن الجاهليين كان لهم في شمال الجزيرة العربية وجنوبها أكثر من بيت واحد، يؤدون فيه هذه الشعيرة الدينية الهامة بطريقة لم تكن تختلف في مظاهرها عما هي عليه في الدين الإسلامي حتى اليوم(١).

أجل، كان للعرب – في جاهليتهم، إلى جانب (البيت الحرام) الذي في مكة المكرمة – بيوت محرمة أخرى، موزعة على القبائل المنتشرة في بطائح الجزيرة وتهائمها. وكان لكل من تلك البيوت ماليبت مكة المكرمة من القداسة والاحترام والتعظيم والمناسك الماثلة وكان لها كذلك الرجال المخصصون الذين يقومون بما يتصل بها من مراسم العبادة ولوازم الخدمة والرعاية والحماية.

وهذا هو الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني يقول في كتابه (الاكليل في انساب حِمْيَر وأيام ملوكها): (وقد كان للعرب بيوت تحجها).

وفي كتاب السيرة (إن العرب اتخذوا من الكعبة طواغيت، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب، وتهدي إليها كما تهدي إلى الكعبة. وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها).

ويظهر من الآية الكريمة: ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون﴾ [المعارج/٤٣]، وكذلك من أشعار الجاهليين، أن هؤلاء كانوا يقصدون الأنصاب للتقرب إليها ويقدمون الذبائح عندها، وأنهم كانوا يحجون إليها من مواطن بعيدة، فيجتمعون حولها.. كل يريد أن يكون السابق إلى أداء هذه المناسك الدينية، ويمكن القول بأن أهل الجاهلية كانوا يتخذون لكل صنم رئيسي من أصنامهم بيتا يستقل به ثم يجعلون من هذا البيت محجة ومزارا ويكتنفونه بنفس المراسم والشعارات التي كانوا يكتنفون بها (البيت الحرام) الذي في مكة المكرمة:

قال ابن حبيب في كتابه (المحبّر)(٢):

(.. وكان شمر لبني تميم، له بيت، وكانت تعبده بنو إد كلها، ضبة وتميم وعدي وعكل وثور. وكان سدنته من بني أوس ابن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جرده بن أسيد بن عمرو ابن تميم. فكسره هند بن أبي هالة وصنوان بن اسيد بن الخلاص بن أويس بن مخاشن) وكان ذو الخلصة له بيت تعبده، بجيلة وخثعم والحارث بن تعب وجرم وزبيد والغوث بن مر واد وبنو هلال بن عامر، وكانوا سدنته، وكان بين مكة واليمن، كان بالعبلاء على أربع مراحل من مكة.. وكانت العرب تعظم هذه المجامع كلها التي يجتمع إليها كل سنة مرة.

وعلى هذا يمكن القول إنه كان من عادة العرب في جاهليتهم أن يجعلوا لكل صنم من أصنامهم بيتا خاصا به يعاملونه نفس معاملتهم للكعبة المعظمة التي بمكة المكرمة ويقدمون إليه الأضاحي وينذرون له القرابين من الإبل والماعز والخراف والبقر وينفحونه بالهدايا للحجابة والسقاية والسدانة. إذا تنقلوا بمضاربهم من مكان لآخر يصطفون لأصنامهم رموزا تمثلها وتنوب عنها ثم يصفونها في بيت على حدة أو في بعض بيوتهم ويمارسون عندها مناسكهم على نحو ما يفعلون في نفس البيوت التي يعظمونها في العادة ويتعبدون لها.

قال ابن الكلبي(٣): (وكان لأهل كل دار في مكة صنم في دارهم يعبدونه فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر

مايصنع في منزله أن يتمسح به. وإذا أراد القدوم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضا). وكان كل صنم يدعى (رب البيت) الذي هو فيه.

وكان العربي في الجاهلية يعرج على هذه البيوت (الكعبات) للإقامة في جوارها أياما قد تطول وقد تقصر تبعا لما كانت تقتضيه طقوسهم الوثنية آنذاك، فيرتاحون عندها ويستسقون الماء الذي بقربها وكثيرا ما كانوا يختارون لهذه الكعبات (الثانوية أو الإقليمية) الأماكن القريبة من عيون الماء أو مسيل الغدران، أو عند الواحات في الصحاري أو شعب الجبال والأودية.

ويقول جواد علي في كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام)(٤):

(.. والحج إلى مكة وإلى البيوت المقدسة الأخرى، مثل بيت اللات في الطائف وبيت العزى، على مقربة من عرفات، وبيت مناة، وبيت ذي الخلصة، وبيت نجران وبقية البيوت المعظمة، إنما هو أعياد يجتمع الناس فيها بأبهى ماعندهم من حلل وأجمل ما يملكون من ملابس الاحتفال معا بتلك الأيام، وهم يدخلون السرور على أنفسهم وعلى آلهتهم، بحسب اعتقادهم. وتقترن هذه الاحتفالات بذبح الحيوانات كل يذبح بقدر طاقته ومكانته، فيأكل منها في ذلك اليوم من لم يتمكن من الحصول على اللحم في أثناء السنة لفقره، فهي أيام يجد فيها الفقراء لذة ومتعة وعبادة).

وفي كتب الأخبار ومدونات الأشعار، أكثر من إشارة إلى أن القبائل العربية في جاهليتها، كانت في أعيادها الدينية تطوف حول كعبات أصنامها، وتتقرب إليها بالهدايا من المتاع والجواهر والسلاح. ثم تنحر عندها كرائم الأنعام والبدن بعد أن تتم الطواف. وذلك دلالة على إكمال شعائر الحج إلى تلك الأماكن المقدسة.

وإذا نحن رجعنا إلى ماكتبه المؤرخون عن البيوت التي كانت محل تقديس العرب وتعظيمهم في جاهليتهم، فإننا نجد هؤلاء المؤرخين يذكرون العديد من هذه البيوت التي كانت تحتل في المجتمع العربي وتقاليده الدينية، مكانة لا تقل في حرمتها وقداستها عن الكعبة المشرفة نفسها(٥).

الكعبة في أبنية الجاهليين وأشعارهم

ولعل الناس في الجاهلية قد فرقوا بين أبنيتهم العادية والبيوت التي كانوا يعظمونها بأن جعلوا هذه البيوت المعظمة مربعة الشكل بينما جعلوا المساكن العادية مدورة. ولما ابتنى حميد بن زهير لنفسه بيتا مربعا استعظمت قريش فعلته وقال قائلها (ربع حميد بن زهير بيتا، إما حياة وإما موتا)(٦) كما كانوا يطلقون على القصر ذي الغرف المربعة العالية: ذا الكعبات، وفي هذا المعنى قال المتلمس، الشاعر:

ألك السدير وبارق ومبايض
ولك الخورنق(٧)
والقصر من سنداد ذو
الكعبات والنخل المبنق

ومثله الأسود بن يعفر، في بعض الروايات، قوله(٨):

أهل الخورنق والسدير وبارق
والبيت ذي الكعبات من سنداد

والشاعران كلاهما، يقصدان (بالكعبات) الغرف المربعة المرتفعة.

تعدد البيوت التي عرفت باسم الكعبة في الجاهلية

وقبل أن نتكلم عن الكعبة المشرفة التي تقدست في الإسلام وجعلها الله بيته الحرام في مكة المكرمة فإننا نستعرض فيما يلي أسماء البيوت التي عظمها أهل الجاهلية وحاولوا أن يضاهوا بها تلك الكعبة، وأن يصرفوا وجوه الناس عنها لأسباب قبلية أو سياسية أو دينية:

١) القليس:

وسميت بالقليس(٩)، لارتفاع بنيانها وعلوها، قال ياقوت الحموي الرومي نقلا عن عبدالرحمن بن محمد ومنه القلانس لأنها في أعلى الرؤوس، والقليس، كنيسة عظيمة شادها ابرهة بن الصباح قائد جيش الحبشة، في صنعاء لما ملك اليمن ونقشها بالذهب والفضة وألوان الأصباغ وصنوف الجواهر، وجعل فيها خشبا له رؤوس كرؤوس الناس ودهنها بأنواع الأصباغ، وجعل خارج قبتها برنسا، فإذا كان يوم عيدها كشف البرنس عنها، فيتلألأ رخامها مع ألوان أصباغها حتى تكاد تخطف الأبصار.

قال ياقوت: وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة وجشمهم فيها بأنواع السخرة. وكان ينقل إليها آلات البناء، كالرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان.. وقال الحسم شاعر أهل اليمن في هذه الكنيسة:

من القليس، هلال كلما طلعا
كادت له فتن في الأرض أن تقعا
حلو شمائله لولا غلائله
لمال من شدة التهييف فانقطعا
كانه، بطل يسعى إلى رجل
قد شد أقبية السدان وادرعا

ولما انتهى ابرهة من بناء هذه الكنيسة كتب إلى النجاشي (إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب!)(١٠)

ولقد أراد ابرهة – وكان هذا نصرانيا – من بناء القليس، أن يتخذ منها كعبة تضاهي الكعبة المشرفة التي في مكة المكرمة، كي يتحول إليها العرب ويجعلوا حجهم إليها من دون بيت الله الحرام، ولكن الله عز وجل لم يحقق له أمله. فلقد ذكر المؤرخون أنه لما تحدث العرب بما كتبه ابرهة إلى النجاشي، غضب رجل من بني نعيم وخرج حتى أتى القليس وقعد فيها (أي تغوط)

ثم لحق بقومه. فلما أخبر ابرهة بما أصاب هذه الكنيسة من التلويث المهين، قال من فعل هذا، فقيل له: هذا فعل رجل من أهل البيت الذي تحج إليه العرب بمكة. لما سمع قولك (أصرف إليها حج العرب) فجاء مغضبا وفعل فيها مافعل، وقال إنها ليست أهلا لذلك. فغضب ابرهة وحلف ليسيرن إلى الكعبة المشرفة ويهدمها. وفعلا أمر ابرهة جيشه بالاستعداد للحرب وخرج به ومعه الفيل على مقدمته، وفي هذه الواقعة نزلت سورة الفيل في القرآن الكريم وهي قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول﴾(١١).

٢) كعبة نجران:

ونجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة المكرمة، وقد أخذت هذه الكعبة اسمها من نجران بن زيدان بن سبأبن يشجب بن يعرب بن قحطان، لأنه كان أول من عمرها ونزلها. وكان أهل نجران نصارى وفيهم نزلت الآية الكريمة التي تشير إلى مافعله بهم ذو نواس اليهودي الذي أراد حملهم على اعتناق اليهودية، وخيرهم بين ذلك أو القتل، فاختاروا الأمر الثاني. فحفر ذو نواس اخدودا والقاهم في أعماقه وجعلهم بين قتيل بالسيف أو قتيل بالنار، وفيما يلي قول الله عز وجل: ﴿قتل أصحاب الأخدود. النار ذات الوقود. إذ هم عليها قعود. وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود. ومانقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد. الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد﴾ [البروج/ ٤-٩].

وكعبة نجران هذه، كانت بيعة بناها بنو عبد المدان الديان الحارثي وجعلوها على شكل الكعبة المشرفة التي في مكة المكرمة، وبالغوا في ضخامتها وجعلوا لها قبة من أدم في ثلاثمائة جلدة وكانت هذه البيعة على نهر بنجران، وكان المسيح بن دارس بن عدي بن معقل يستغل من ذلك النهر عشرة آلاف دينار وينفقها كلها على القبة. ولقد عظم نصارى العرب هذه البيعة وسموها (كعبة نجران) مضاهاة بالكعبة المشرفة التي في مكة المكرمة.. ويقول ابن الكلبي في كتابه الأصنام: (إن كعبة نجران كانت ملجأ للخائف ومقصدا لطلاب الحاجات والراغبين في الضيافة ،فإذا جاءها الخائف أمن، أو طالب حاجة قضيت أو مسترفدا رفد)(١٢).

ولما جاء الإسلام وعمت دعوته سائر القبائل في الجزيرة العربية حرص النبي ﷺ على أن لا يبقى في هذه الجزيرة مع الإسلام أي دين آخر، وقال: «لأخرجن اليهود والنصارى عن جزيرة العرب حتى لا ادع فيها إلا مسلما». ولم يستثن النبي ﷺ من هذا التعميم أي فئة أو موضع من هذه البلاد. بل إنه قبيل وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى نبه على أصحابه ضرورة إجلاء ما تبقى في الحجاز من اليهود وما كان في نجران نفسها من النصارى فقال: «أخرجوا اليهود من الحجاز وأخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب»(١٣).

ويظهر أنه بقى بعض النصارى في نجران بعد وفاة النبي ﷺ مستندين إلى كتاب كتبه لهم وسلمه إلى وفد منهم وفد عليه كان فيه السيد واسمه وهب والعاقب واسمه عبدالمسيح والأسقف وهو أبوحارثة، فلما ولى أبوبكر رضي الله عنه أنفذ لهم ما كتبه رسول الله ﷺ في هذا الكتاب، فلما ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنكر مثل هذا الكتاب الذي لم يتأكد وجوده بالفعل، وقال كلمته المشهورة (لا يبقى في جزيرة العرب دينان) وأمر بإخراج هؤلاء النصارى من نجران كما فعل بغيرهم من أبناء الملل الأخرى. ولقد روى ياقوت الرومي عن سالم بن أبي الجعد قال:

جاء أهل نجران إلى علي رضى الله عنه فقالوا: شفاعتك بلسانك وكتابتك بيدك، أخرجنا عمر من أرضنا، فردها إلينا منيعه فقال علي: (ياويلكم، إن كان عمر رشيد الأمر، فلا أغير شيئا صنعه)!

ويقول الأعمش تعليقا على هذه الواقعة: لو كان في نفسه (أي علي رضى الله عنه) عليه شيء لاغتنم هذا!

ولقد أتى الشاعر الأعشى على ذكر نجران وكعبتها في قصيدة له يخاطب ناقته:

وكعبة نجران حتم عليـ
ـك حتى تناخي بأبوابها
نزور يزيدا وعبد المسيح
وقيسا، هم خير أربابها
وشاهدنا الورد والياسمـ
ـين والمسمعات بقصابها
ويربطنا دائم معمل
فأي الثلاثة أزرى بها

٣) كعبة ذي الخلصة:

الخلصة في اللغة ، نبت طيب الريح، يتعلق بالشجرة له حب كعنب الثعلب وجمع خلصة، خلص بفتح أوله وثانيه. ويضاف إليه ذو، وهو بيت أصنام كان لقبائل روس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم بتبالة. وتبالة (أوله مكسور)، موضع في اليمن أو في تهامة. وقيل إن كعبة ذي الخلصة كانت بيتا لصنم منصوب بأسفل مكة. وكان أهل الجاهلية يلبسونه القلائد النفيسة ويعلقون عليه بيض النعام ويذبحون أضحياتهم وقرابينهم عنده. وعرفت هذه الكعبة باسماء عدة منها: الكعبة اليمانية، بمقابل البيت الحرام الذي كان يدعى الكعبة الشامية. والذي تولى سدانته من أهل الجاهلية هم: بجيلة وخثعم والحارث بن كعب وجرم وزبيد، والغوث بن مر بن أد وبنو هلال بن عامر قال ياقوت نقلا عن ابي المنذر: ومن أصنام العرب، ذو الخلصة. وهو مروة (صخرة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج) وكانت العرب تعظم هذه الكعبة وتهدي لها الذبائح.

وفي رواية لابن إسحاق نقلها المؤرخ الدكتور جواد علي في كتابه (تاريخ العرب قبل

الإسلام) (أن عمر بن لحي. نصب ذا الخلصة بأسفل مكة، فكانوا يلبسونها القلائد ويهدون إليها الشعير والحنطة ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها ويعلقون عليها بيض النعام) ويضيف المؤرخ المذكور إلى قوله: (ويظهر من رواية لابن الكلبي أن العرب جميعا كانت تعظم ذا الخلصة)(١٤).

ولما فتح النبي ﷺ مكة المكرمة وتوافد عليها العرب معلنين إسلامهم، قدم عليه جرير بن عبدالله مسلما، فقال له النبي ﷺ، ياجرير، إلا تكفيني ذا الخلصة فقال جرير بلي، فوجهه إلى هذه الكعبة، فلما بلغها نازل سدنتها من بني قحافة بن عامر بن خثعم وانتصر عليهم وهزمهم وهدم بنيان ذا الخلصة وأضرم فيه النار فاحترق فقالت امرأة من بني خثعم:

وبنو أمامة بالولية صرعوا
شملا يعالج كلهم أنبوبا
جاءوا لبيضتهم فلاقوا دونها
أسدا يقب لدى السيوف قبوبا

تسم المذلة بين نسوة خثعم
فتيان أحمى قسمة تشعيبا

ولكعبة ذي الخلصة مع أمير شعراء الجاهلية قصة جاء فيها أنه لما قتلت بنوأسد أباه حجرا وخرج يستنجد بمن يعينه على الأخذ بثأره.. مر بتبالة وبهاذ والخلصة، فاستقسم عنده بقداحه وهي ثلاثة(١٥): الآمر والناهي والمتربص، فأجالها فخرج الناهي، ثم اجالها فخرج الناهي ثم أجالها فخرج الناهي، فجمع امرؤ القيس هذه الأقداح الثلاثة وضرب بها وجه ذا الخلصة وخاطبه قائلا: (... لو قتل أبوك ما نهيتني)، فقال عند ذلك:

لو كنت ياذا الخلصة الموتورا
مثلي ، وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

وفي كتب السيرة أن الصنم الذي كان بكعبة ذي الخلصة، جعل في الإسلام عتبة لباب مسجد تبالة، أما كعبة ذي الخلصة نفسها، فيقول ابن حبيب أنها في عهده (صارت بيت قصار فيما أخبرت)(١٦).

الهوامش:

١) كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام، تأليف الدكتور جواد علي مطبعة طه: المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م ، ج(٥) القسم الديني ص ٢١٧ ومابعدها.

٢) كتاب (المجر) لابي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي المتوفى سنة ٢٤٥هـ رواية ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تصحيح الدكتوره إيلزة شتيتر، ص٣١٥ ومابعدها.

٣) كتاب الأصنام (لابن الكلبي، تحقيق أحمد زكي باشا، طبع الدار القومية بالقاهرة سنة ١٣٨٤هـ / (١٩٦٥م).

٤) تاريخ العرب قبل الإسلام تأليف جواد علي ج (٥) ص٢١٧.

٥) قال ابن الكلبي في كتابه (الأصنام) تحقيق أحمد زكي طبعة دار الكتب المصرية ص٣٣: (واشتهرت العرب في عبادة الأصنام، فمنهم من اتخذ بيتا، ومنهم من اتخذ صنما، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت، نصب حجرا أمام الحرم وأمام غيره، مما استحسن، ثم كان به تطوافه بالبيت. وسموها الأنصاب. فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلا، أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربا وجعل ثلاث أثافي لقدره، وإذا ارتحل تركه وإذا نزل منزلا آخر، فعل مثل ذلك. فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلها ويتقربون إليها..)هذا، وكانت هذه البيوت قائمة في مختلف المناطق الشمالية والجنوبية من جزيرة العرب وكان الناس يطلقون على كل منها اسم (بيت الله) كما كانوا يطلقون على الصنم الذي فيه اسم (رب البيت).

٦) نهاية الأرب في فنون الأدب تأليف شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٣م، (ج/١) ص ٣ ٣١.

٧) السدير والخورنق قطران متقاربان في الحيرة من بلاد العراق ويقال إن أولهما بناه النعمان الأكبر لبعض ملوك العجم.

٨) معجم البلدان، المجلد (٣) ص٢٠١.

٩) القليس ، تصغير قلس، وهو الحبل الذي يتخذ من ليف النخل أو خوصه.

١٠) معجم البلدان ، المجلد (٤) ص ٣٩٤

١١) أشار صاحب الروض الأنف (في ورقة ٢٠ ب) إلى هذه الكنيسة فقال ما خلاصته، إنها عرفت بهذا الاسم لارتفاع بنائها بحيث يشرف منها على مدينة عدن. وكان ابرهة قد استذل أهل اليمن في بنائها وجشمهم أنواعا من السخرة ونقل إليها من قصر بلقيس الأعمدة من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب، حتى بلغ ما أراده لها من البهجة والرواء، ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة، ومنابر من العاج والأبنوس فلما تلاشى ملك الحبشة من اليمن، اقفر ما حول الكنيسة ولم يعمرها أحد، وكثرت حولها السباع والحيات، فكان العرب يتخوفون من القرب منها، ويزعمون أن من أخذ شيئا من انقاضها استهوته الجن، فبقيت كذلك إلى زمن العباس السفاح، فبعث إليها عامله على اليمن (وهو أبوالعباس بن الربيع) فأخذ من أنقاضها الثمينة أشياء كثيرة، وباع ما أمكن بيعه من الرخام والخشب المرصع بالذهب ونحو ذلك، فعفى بعد ذلك رسمها، وانقطع خبرها ودرست آثارها. ومن الأنصاب التي كانت فيها، تمثال من الخشب طوله ستون ذراعا وآخر بجانبه. قالوا إن الأول يمثل كعيثا والآخر امرأته. حاشية لأحمد زكي باشا في كتاب الأصنام لابن الكلبي ص٤٦.

١٢و١٣) معجم البلدان، المجلد الخامس ص٢٦٦ ومابعدها.

١٤) تاريخ العرب قبل الإسلام تأليف الدكتور جواد علي ط: مطبعة المجمع العلمي العراقي ج(٥) القسم الديني سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥م ص ١٠٧.

١٥) الاستقسام هو ما كانت عليه عادة العرب في جاهليتهم من استشارة الأصنام فيما يفعلون أو يتركون وقد ابطل الإسلام هذه العادة وحرمها على المسلمين. ١٦) المجر ، لابي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمر الهاشمي البغدادي المتوفي سنة ٢٤٥، رواية ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري، اعتنى بتصحيحه الدكتورة ايلزة ليختن شتيتر، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ص٣١٥.

وزير الأوقاف يرعى: الاجتماع الخامس للهيئة الخيرية الاسلامية العالمية

تحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، د. علي فهد الزميع، وبحضور أكثر من مائة وخمسين شخصية إسلامية من شتى أرجاء العالم، عقدت الجمعية العمومية للهيئة الخيرية الاسلامية العالمية (وهي هيئة خيرية عالمية مقرّها الكويت) اجتماعها الخامس في فندق حياة ريجنسي/ الكويت، خلال الفترة ما بين ٢٨-٣٠ شوال ١٤١٥هـ (٢٩/ ٣١/٣/ ٩٥م)..

العمل الخيري

فقد طالب د. علي فهد الزميع وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية في كلمته التي ألقاها في حفل الافتتاح، كافة الهيئات الخيرية بأن تنأى بالعمل الخيري عن الصراع اليومي او الطرح الفكري والسياسي لهذه الهيئات مشيرا الى ان العمل الخيري الكويتي قد أصبح سمة من سمات هذا البلد والتي يجب ان نحافظ عليها وان تتضافر جهودنا جميعا من اجل ابراز هذا الدور وهذه النعمة التي أعطاها الله لنا..

وقال الوزير الزميع إن العمل الخيري قديم ومتجذر في الكويت، وبدأ يأخذ شكله ودوره منذ أوائل السبعينيات في الوقت الذي لم يتوقف فيه هذا الدور حتى أثناء محنة الغزو التي ضيعت في طريقها المال والأعراض وراح ضحيتها الشهداء والأسرى..

وقدم اقتراحا للمؤتمرين بضرورة العمل على وضع أدبيات للعمل الخيري تنظمه وتحدد له ملامح الطريق، واضاف انه لم يكن في يوم من الأيام أداة من أدوات التناحر أو الفرقة بل هو عمل خيري وإنساني يهدف إلى ابتغاء مرضاة الله ومشاركة دول العالم التي تعاني من ويلات الفقر والمجاعات والحروب في محنتها.



● وزير الأوقاف يلقي كلمته



● المنصة الرئيسية

أنشطة طيبة

ومن جانبه أكد الشيخ يوسف الحجي رئيس الهيئة الخيرية الاسلامية على دعم الحكومة وتعاونها الدائم مع الهيئة من خلال ما قدمته من تسهيلات لإنجاح هذا الاجتماع الذي ينعقد في ظل ظروف صعبة يمر بها الكثير من بلدان العالم الاسلامي وشعوبه..

وتوجه بالشكر للشعب الكويتي على كافة المستويات على الدعم المادي والمعنوي في كل ما تقدمه الهيئة وجميع الجمعيات والمنظمات الخيرية في الكويت وقال إن الهيئة لا تدخر وسعا ولا تضن بجهد في هذا المجال وهي تأسست لهذا الغرض إلى جانب درء أخطار إذابة العالم الاسلامي واستغلاله وتفتيته..

وأضاف وهي بفكرتها الرائدة في مجال العمل الخيري من حيث جمع التبرعات واستثمارها والإنفاق من ريعها في المشاريع التي تعود بنفعها على الشعوب الإسلامية إنما تسعى بخطى ثابتة راسخة لتحقيق هذا الهدف.. وقال أيضا إن الهيئة بذلت ما في وسعها من خلال التعاون مع اللجنة الكويتية المشتركة للاغاثة لنجدة إخواننا في الصومال وألبانيا وفي البوسنة والهرسك وبلدان آسيا الوسطى بالإضافة إلى عدد من الجهود الأخرى والحضور في الكثير من المؤتمرات واللقاءات الدولية..

وأوضح ان الهيئة ستناقش خطط اللجان الدائمة خلال السنتين المقبلتين في مجالات الدعوة والتعليم وجمع التبرعات والتخطيط والاعلام والاستثمار والمشاريع..

واختتم كلمته بقوله: إن الحكومة تبرعت مشكورة بقطعة أرض في منطقة المدائن (بجنوب السرة) لإقامة مبنى جديد للهيئة عليها، وقد وضعت التصاميم والرسوم لهذا المبنى بما يليق بالهيئة ومكانتها داعيا الله العلي القدير ان يحفظ بلاد المسلمين وبلادنا من كل مكروه ويرحم شهداءنا وشهداء المسلمين ويفك قيود أسرانا وجميع أسرى المسلمين.

دور كويتي بارز

وقد ألقى المشير عبد الرحمن محمد سوار الذهب كلمة المشاركين في المؤتمر عبر فيها عن سعادته للحضور الى الكويت وإلقاء كلمة المشاركين في الاجتماع مشيراً إلى ان العمل الكويتي الخيري لم يتوقف اثناء محنة الغزو الغاشم في الكويت حيث كان ابناؤها يقومون بتأدية واجبهم في شتى دول العالم من أجل ابتغاء مرضاة الله وأكد على عظم دور دولة الكويت في مجال العمل الخيري متمنيا ان يتواصل هذا الدور الانساني الرائع..

جائزة البابطين

وفي الختام أعلن د. عادل الفلاح (وكيل وزارة الأوقاف ورئيس لجنة مسلمي آسيا في الهيئة) عن إنشاء جائزة أحفاد البخاري والتي يقوم على رعايتها عبد العزيز البابطين حيث خصص لها ١٠٠ ألف دولار كجوائز سنوية في مجالات البحوث والدراسات تواصلا مع الشعوب الاسلامية وخصوصا البلدان التي تحررت من نير الشيوعية..

وأشار إلى أن هذه الجائزة تأتي في إطار الدور الانساني الذي تقوم به دولة الكويت في مد جسور التواصل الحضاري مع شعوب المنطقة التي انجبت العديد من العلماء المسلمين أمثال البخاري والنّسائي والبيروني وغيرهم□

برعاية الرئيس عبده ضيوف

بيت الزكاة يفتتح المؤتمر العالمي الرابع للزكاة

● من جلسات المؤتمر بدكار

الرئيس السنغالي يشيد بجهود الكويت الخيرية في الدول الإسلامية

شهدت مدينة دكار عاصمة الجمهورية السنغالية خلال الفترة من ٢٠-٢٢ شوال ١٤١٥هـ، الموافق ٢١-٢٣/٣/١٩٩٥م فعاليات المؤتمر العالمي الرابع للزكاة، برعاية فخامة رئيس جمهورية السنغال عبده ضيوف، وبحضور وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، ورئيس مجلس إدارة بيت الزكاة الدكتور علي فهد الزميع، إلى جانب العديد من العلماء والمشايخ المتخصصين بعلوم فريضة الزكاة، من العديد من الدول الإسلامية.

حفل الافتتاح

افتتح المؤتمر بكلمة ترحيبية ألقاها المستشار الخاص لرئيس الجمهورية السنغالية مصطفى سيس، ثم كلمة ممثل البنك الإسلامي للتنمية، ألقاها د.منذر قحف نيابة عن رئيس البنك، فكلمة معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية رئيس مجلس إدارة بيت الزكاة الدكتور علي فهد الزميع، فكلمة راعي المؤتمر فخامة الرئيس السنغالي عبده ضيوف، الذي أناب عنه وزير الدولة لشؤون الجمهورية عثمان تانورجنج في إلقاء كلمته التي أشاد فيها بدور بيت الزكاة الكويتي ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في تنمية المشاريع الحيوية في الدول الإسلامية.

كلمة السيد الوزير

وفي الكلمة التي ألقاها الدكتور علي فهد الزميع، شكر فخامة الرئيس عبده ضيوف على استضافته ورعايته للمؤتمر، كما شكر السيد وزير الخارجية على رئاسته للجنة المنظمة للمؤتمر، والسيد مصطفى سيس، والإخوة العاملين، والضيوف المشاركين.

واستعرض الدكتور الزميع في بداية كلمته جهود بيت الزكاة المثمرة في مجال الزكاة، وتحدث عن دوره في خدمة هذه الفريضة العظيمة على مستوى العالم الإسلامي، وعن الخطوات الموفقة التي اتخذها في هذا المجال، وما أسفرت عنه هذه الجهود من نتائج إيجابية.

وأشاد في كلمته بجمهورية السنغال الشقيقة، وأثنى على دورها الريادي في الحاضر، ودورها المأمول في المستقبل، وشكرها على استضافتها للمؤتمر، وأعرب عن اعتزازه وتقديره بترحيب فخامة الرئيس عبده ضيوف بعقد هذا المؤتمر.

ثم تحدث عن التحديات الضخمة التي يواجهها المسلمون في جميع نواحي وأصعدة الحياة، وعن الجدل الكبير الذي يواجه الأمة في هذه الأيام في أطر وتنظيمات أوجه الحياة، وفي علاقة الأمة الإسلامية والمجتمعات والدول الإسلامية مع الحضارات والدول الأخرى، مؤكدا أن سبب وجود هذا الجدل هو الخلاف الكبير حول هوية الأمة.

وأضاف أن التحدي الآخر الذي يواجه الأمة



● الوزير د.علي فهد الزميع يلقي كلمته

د. الزميع: الهوية الصحيحة تقود نحو التنمية الاجتماعية والاقتصادية

الإسلامية هو قضية التنمية بكل أوجهها. وأكد أنها قضية حساسة ومهمة ومرتبطة ارتباطا كبيرا بالبحث عن الهوية، مؤكدا أن الهوية الصحيحة الإيجابية هي التي تقود نحو التنمية الاجتماعية والاقتصادية، بينما تقود الهوية المشوهة الناقصة إلى التخلف والعجز.

وتطرق إلى مشاكل العالم الإسلامي، وما يعيشه من تخلف، وعدم تنمية، موضحا أن ذلك إنما جاء نتيجة لفقدان الهوية الصحيحة المتمثلة في عدم فهمنا للإسلام، ولعدم تطبيقنا التطبيق الصحيح والسليم لمبادئه.

وأكد أن الإسلام يعطي للقضية التنموية الاقتصادية أبعادا قدسية، وجعلها فريضة شرعية، وكذلك الأمر بالنسبة للتكافل الاجتماعي الأسري والصحي، وغير ذلك.

وعبّر عن أمله في أن يطرح هذا المؤتمر قيما تنموية تنهض بهذه الأمة من وضعها البائس إلى وضع ازدهار وإنماء إن شاء الله، وليس لمناقشة أحكام جزئية أو نقل تجربة بسيطة.

ودعا الإخوة المشاركين أن تكون حواراتهم وأطروحاتهم بهذا المستوى من التحدي، وألا ينشغلوا بالجزئيات التي قد تفسد الجو العلمي المطلوب، وأن يكون دائما أمام ناظرهم واقع المسلمين، وكيفية النهوض بهذا المسلم، ليس لإنقاذ وطنه ومجتمعه الإسلامي فحسب، بل للبشرية كلها، والعمل على الارتقاء بها لأعلى المستويات الاقتصادية والاجتماعية.

وعبّر عن رأيه بأن المؤتمر ظاهرة إيجابية في هذا الظلام الذي نعيشه مشيرا إلى أنه من خلال اطلاعه وعلى بعض البحوث المقدمة، وجد أن بها الكثير من التوصيات التي لو أخذت حقها من النقاش، فإنها سوف تعطي مؤتمر الزكاة العالمي أبعادا جديدة يضفي بها المزيد من الخير على مسيرة العمل الإسلامي، ومؤسسات الزكاة بشكل خاص.

وحثّ المؤسسات الزكوية والمنتديات الإسلامية في لقاءاتها المستقبلية على التركيز في برامجها وأطروحاتها على قضايا التنمية الاجتماعية، ومواجهة مشاكلها.

ودعا أن يكون من ضمن التوصيات في هذا المؤتمر اقتراح بالتركيز على العمل الشعبي، وعلى دور الزكاة في التنمية الاقتصادية، مؤكدا أن الموارد التي تأتي من خلال القيم التنموية كالزكاة والأوقاف والصدقات يمكنها أن تلعب دورا إيجابيا في التخفيف عن أعباء الميزانية العامة للدولة. وأشار إلى أن المساهمة التطوعية بالوقت، قد تكون في كثير من الأحيان أهم وأكثر إثراء من التطوع المادي، فلا يجب أن نحصر

المشاركة الشعبية بالتطوع المادي، بل يمكن أن تشمل الحالتين أو إحداهما.

ودعا أيضا إلى الاهتمام بدراسة كيفية استثمار أموال الزكاة وتنميتها وقضية تحويل بعض الشرائح الاجتماعية متواضعة الدخل إلى شرائح منتجة، ودعم مؤسسات الزكاة، وغيرها من المؤسسات التنموية لتقوم بواجباتها، والسعي في كل مجتمع، ومنطقة إسلامية لإنشاء جهة مركزية، أو مؤسسة مركزية تقوم بتنظيم قطاع الزكوات، ودعم المؤسسات الشعبية النشيطة في هذا المجال، مشيرا إلى أنه يمكن للمؤتمر الكريم إصدار توصية بتبني هذه الفكرة، وإيجاد مؤسسات مركزية.

جلسات العمل النقاشية

وقد ناقشت جلسة العمل الأولى موضوع تقدير حصيلة الزكاة في مجتمع إسلامي معاصر، للباحثين الدكتور فؤاد عبد الله العمر من الكويت، والدكتور محمد عارف من ماليزيا وقد عقب على ورقتي البحث الدكتور حسين شحاتة من جمهورية مصر العربية.

أما الجلسة الثانية، فقد طرح فيها موضوع (معالجة الزكاة لمشكلة الفقر)، للباحثين الدكتور الطيب زين العابدين، والسيد إقبال معين من باكستان، وعقّب على البحثين الدكتور علي يعلي.

وناقشت جلسة العمل الثالثة موضوع (أثر الزكاة في النشاط الاقتصادي)، للباحثين الدكتور عبد الجبار بسيس من تونس، والدكتور محمد بو جلال من الجزائر، وقد عقّب على البحثين كل من الدكتور بو علام بن جلالي من تونس، والدكتور رضا سعد الله من جمهورية مصر العربية.

وفي الجلسة الرابعة التي ترأسها الدكتور عبد الرحمن حمود السميط الأمين العام للجنة مسلمي أفريقيا، تم بحث موضوع (العمل الخيري والزكوي في أفريقيا)، حيث تطرق الباحث الأول الدكتور محمد بلبشير من المغرب إلى الجوانب القانونية، والإدارية لإقامة مؤسسات زكوية في أفريقيا.

وتطرق الباحث الثاني الدكتور أبو بكر عبد الله دكوري من بوركينا فاسو، إلى تجربة العمل الخيري في غرب أفريقيا، ثم عقب على البحثين الدكتور عبد الستار أبو غدة من سوريا. وناقشت جلسة العمل الخامسة موضوع (الزكاة وميزانية الدولة والضرائب) للباحثين الدكتور منذر قحف ممثل البنك الإسلامي للتنمية في جدة، والدكتور مختار ضيوف من جمهورية السنغال، وقد عقب على الموضوع كل من الدكتور يوسف الزامل والدكتور بو علام بن جلالي.

وقد ناقش المؤتمر في جلسته السادسة موضوع (دور الزكاة في معالجة المشكلات الأسرية) للدكتور يوسف عثمان - من جنوب أفريقيا، والأستاذ عثمان المحطب - من دولة الكويت، والمستشار أحمد أمين حسان - من جمهورية مصر العربية.

ولقد تم خلال الجلسة السابعة مناقشة موضوع (دور الزكاة في الدعوة الإسلامية) للدكتور داتو الشيخ محمود بن الحاج إسماعيل - من ماليزيا.

توصيات

وقد اختتم المؤتمر أعماله بكلمة الدولة المضيفة، وكلمة منظمي المؤتمر، وأصدر التوصيات التالية:

١- يناشد المؤتمر شعوب وحكومات الدول الإسلامية أن تسعى جاهدة لإصدار القوانين والأنظمة التي تقيم فريضة الزكاة في واقع المجتمعات المسلمة، إحياء لركن الإسلام الثالث وتكافلا وتراحما بين المسلمين، ولدورها في تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية. وفي هذا الصدد فقد لاحظ المؤتمر بغبطة ازدياد عدد الدول التي قننت جمع الزكاة، و توزيعها خلال السنوات العشر الماضية.

٢- يؤكد المؤتمر دور الزكاة كفريضة وعبادة في معالجة الفقر، لما له من أثر سلبي في أمن المجتمع واستقراره، وباعتباره أهم المصارف. وقد تنبه العالم مؤخرا في مؤتمر كوبنهاجن - مارس (آذار) ١٩٩٥م، إلى أهمية مكافحة الفقر في دول جنوب أفريقيا. وقد دلت الدراسات التي قدمت في المؤتمر على اتساع ظاهرة الفقر في البلاد الإسلامية، وإلى أن الحصيلة التقديرية للزكاة على مستوى العالم الإسلامي، يمكن أن تلعب دورا أساسيا في القضاء على الفقر. ويناشد المؤتمر الدول الإسلامية جميعا بالتعاون والتنسيق فيما بينها لجمع الزكاة بتمامها وتوزيعها على مستحقيها من أجل تحرير الأمة المسلمة من ذل الحاجة وربقة الفقر.

٣- يوصي المؤتمر بإنشاء أمانة دائمة للمؤتمر العالمي للزكاة بمبادرة ورعاية من بيت الزكاة في دولة الكويت وبالتعاون مع المنظمات والهيئات الزكوية والبحثية والخيرية ذات الاهتمام بترقية أحوال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية. وأن يكون من مهام هذه الأمانة الدائمة:

- تنظيم المؤتمرات العالمية للزكاة بصفة دورية، وعقد الندوات العلمية والتدريبية حول قضايا الزكاة.
- متابعة تنفيذ توصيات المؤتمر العالمي الرابع للزكاة والمؤتمرات التي سبقته.
- مساعدة الدول والمجتمعات الإسلامية على إقامة مؤسسات زكوية محلية وإقليمية ومدها بالمعلومات والقوانين واللوائح التي تعينها في إنشاء أنظمتها الزكوية.
- تشجيع الدراسات الميدانية والأبحاث النظرية التي تساعد على إنضاج وتعميق تجربة الزكاة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.
- إعداد الدراسات اللازمة وتهيئة الظروف الملائمة لإقامة هيئة عالمية للزكاة.
- تنسيق الأعمال وتبادل الخبرات والمعلومات فيما بين المؤسسات الزكوية القائمة.
- متابعة نشر الأبحاث العلمية ووقائع المؤتمرات والندوات وتوزيعها على أوسع نطاق، خاصة للجامعة ومراكز البحث.

٤- يوصي المؤتمر المنظمات والحكومات الإسلامية وأجهزة الإعلام بالعمل على نشر الوعي الزكوي بين المسلمين، كما يؤكد أهمية تدريس أحكام الزكاة، واقتصادياتها في مراحل التعليم العام والعالي.

وقد عبّر المؤتمر لدى اختتام أعماله عن شكره الجزيل لفخامة رئيس جمهورية السنغال السيد عبده ضيوف لتلبيته دعوة بيت الزكاة الكويتي، والبنك الإسلامي للتنمية بإقامة المؤتمر العالمي الرابع للزكاة في بلده، ولحسن رعايته للمؤتمر طوال فترة انعقاده.

ومن الجدير بالذكر أن هذا المؤتمر العالمي هو الرابع في سلسلة المؤتمرات العالمية التي يعقدها بيت الزكاة بالتعاون مع المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية، بهدف معالجة فريضة الزكاة لتأخذ حقها في دنيا المسلمين، وقد عُقد المؤتمر الأول في الكويت عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، وعقد المؤتمر الثاني في الرياض عام (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م). أما المؤتمر الثالث فقد عقد في كوالالمبور عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)□

وزير العدل والأوقاف العماني زار الكويت

الحارثي: آن الأوان للمشاريع الوقفية والخيرية كي تسهم في التنمية وتخفف العبء عن حكومات المنطقة

في إطار التنسيق والتعاون والتشاور وتبادل الخبرات فيما بين وزارتي الأوقاف في دولة الكويت وسلطنة عمان، قام وزير العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية العماني حمود بن عبد الله الحارثي بزيارة للكويت في الفترة مابين ١١-١٣ شوال سنة ١٤١٥هـ، الموافق ١٢-١٤ مارس ١٩٩٥م، وقد رافق الوزير الضيف خلال زيارته، وفد مكون من الشيخ علي بن خلف الخروضي مدير عام الأوقاف عن بيت المال والزكاة، والشيخ زاهر بن عبد الله العبري مدير عام الشؤون الإسلامية، وسعيد بن حمد العبري مدير مكتب الوزير.

هذا وقد قام الوفد الضيف بزيارة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د.علي فهد الزميع في مكتبه، كما قام بجولة في أرجاء الوزارة، اطلع خلالها على أعمال وأنشطة إدارة الموسوعة الفقهية، وآخر ما أنجزته من إصدارات وطبيعة العمل فيها، كما شاهد معرضا أقامه بيت الزكاة تضمن أهم الإنجازات والمشاريع التي نفذها البيت داخل الكويت وخارجها، والخطط المستقبلية الهادفة إلى تطوير أداء البيت حتى يحقق الأهداف النبيلة التي أنشىء من أجلها. وخلال الزيارة اطلع الوفد على أنشطة الأمانة العامة للوقف، والإنجازات الطموحة للأمانة المساهمة في عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية والفكرية.



●معالي الوزير الحارثي مع معالي وزير الأوقاف د. علي الزميع



●الوفد العُماني في جولة على مركز المعلومات بالوزارة

التجربة الكويتية الخيرية في مجال المشاريع الوقفية والخيرية تجربة رائدة جديرة بالاتباع

من جانب آخر أشاد الوزير الحارثي في ختام زيارته للكويت بالتجربة الرائدة لدولة الكويت في مجال المشاريع الوقفية والخيرية، والأساليب الحديثة والمتطورة في جمع وتحصيل الزكاة والصدقات واستثمارها في مجالات تنموية، مما يخفف العبء الذي طالما تحملته حكومات المنطقة في الإنفاق على كل شيء، ودعا المؤسسات العلمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والرياضية الرسمية في دول مجلس التعاون الخليجي إلى تحمل مسؤولية توجيه وترشيد جيل الشباب - بالتعاون مع العلماء والمفكرين - إلى الفكر الإسلامي الصحيح الذي يبني ولا يهدم المجتمع الخليجي. وناشد الأجيال الشابة الاستفادة من التقدم والتكنولوجيا، وتسخيرها لخدمة الإسلام والمسلمين.

وقد أكد الوزير الحارثي أيضا أن سلطنة عمان ستنفذ التجربة الكويتية الرائدة في مجالي المشاريع الوقفية والخيرية، نظرا لأن المناخ واحد ومتقارب في كلا البلدين. وأشار إلى أهمية استمرار تبادل المعلومات والبرامج والمشاريع المتعلقة بمجال الوقف والشؤون الإسلامية□

من أجل أسر شهداء ومعوّقي البوسنة



بقلم

د. صلاح الدين أرقه دان

اهتمت وسائل الاعلام البريطاني بخبر وفاة الطفلة البوسنوية (إيرما) الذي أعلنته إدارة مستشفى (غريت اورموند) في لندن مطلع الشهر الماضي، وعادت لتلقي الضوء على مأساة البوسنة والهرسك، وبالتحديد الوجه الأبشع للمأساة، الاغتصاب وانتهاك حقوق الطفولة البريئة، و(إيرما حاجي مرادوفيتش) – ذات الأعوام السبعة – كانت قد أصيبت بجروح خطيرة في سراييفو عام ١٩٩٣م من جراء شظية، بينما استشهدت والدتها بشظية أخرى في الوقت نفسه..

ونقلت الطفلة البوسنوية إلى بريطانيا لتلقي العلاج، وتابعت الصحافة الجادة والشعبية – يومها – مأساة (إيرما) كشاهد حي من شهود الحرب القاسية، وانتهاك حرمة الإنسان في يوغسلافيا السابقة. وبقيت الطفلة المصابة في غرفة العناية الفائقة لبضعة أشهر، مع إصابتها بشلل نصفي لم تفلح في معالجته عدة عمليات جراحية، بالاضافة إلى معاناتها من التهاب السحايا الناجم عن جروحها الملتهبة. وبقيت حالة الألم والمعاناة تحيط بالطفلة البريئة إلى أن انتقلت إلى رحمة الله (بهدوء أثناء نومها) كما جاء في تقرير المستشفى..

مأساة إنسانية

الحرب بكل وجوهها القبيحة وألسنة اللهب الحارقة التي تقذفها بشكل عشوائي لم تقتصر في أضرارها ومآسيها على ما لاقته (إيرما) وألوف الأطفال الآخرين، ذلك لأن دائرة إيذاء الحرب طالت مساحة واسعة من الناس والمواطنين – كبارا وصغارا – فقد تركت من الخراب والدمار ما يمكن احصاؤه بالأرقام، إلا أن حجم المأساة الإنسانية وانعكاساتها النفسية والروحية والثقافية والحضارية، وثقلها على المستقبل أكبر من أن يتم إحصاؤه بأرقام صمّاء قد لا تعني شيئا لتجار السلاح وتجار القيم، فالإنسان بات سلعة في سوق النخاسة المعاصرة، وبورصة تحريك بيادق الفتنة، وملء الجيوب من جراء معاناة الناس، باتت هي التجارة الرابحة للنخاسين الجدد..

لقد أُخذ الشعب البوسنوي على حين غرّة، وفي الوقت الذي كانت قياداته مطمئنة إلى حسن نوايا الجيران، بسبب طول العشرة، وحسن التعامل، وعدم وجود نوايا خبيثة لدى المسلمين – تحديدا – وبالتالي لا وجود لأسباب موضوعية لتفجير الأوضاع والتعدي على الآمنين من أبناء (البوسنة والهرسك)، كان الآخرون (الكروات والصرب) يخططون للقضاء على أي استقلال أو بلورة للشخصية الإسلامية المستقلة في وسط أوروبا..

فاقة بعد عزّ

كان المسلمون في البلقان – وما زالوا – في موقع الدفاع عن النفس – كما هو الحال في كل مكان على المعمورة يضطهد فيه أبناء أمتهم – وكانت تكاليف الدفاع عن الأفراد والجماعات والقرى الآمنة المتناثرة فوق التلال والجبال باهظة جدا، وهي بلغة الأرقام تجاوزت ربع المليون شهيد، ضاقت بهم المقابر، وازدحمت بجثثهم ملاعب الكرة الواسعة، واستولوا على مساحة واسعة من السهول الزراعية لدفنهم، لقد زرع الصرب وأعوانهم حقولنا بجثث الشهداء، بعدما كانت تزرع بالحبوب والحنطة.. وترك هؤلاء وراءهم جيشا كبيرا من الثكالى والأرامل والأيتام، لا يجدون رعاية ولا لباسا ولا طعاما يكفي سد الرمق، أو يحقق الحد الأدنى المطلوب لحياة إنسانية كريمة.. ولئن كان المسلمون يصومون رمضان تعبدا وتقرّبا، فإن هؤلاء يصومون الدهر لأنهم يفتقدون الغذاء بسبب الحرب.. لقد تحوّل المسلمون في البوسنة إلى لاجئين في بلادهم، يحتاجون كل شيء بعدما كانت قراهم وحقولهم ومصانعهم تفيض بالغذاء والانتاج الوفير.. إنها الحرب الحاقدة التي لا تعرف الرحمة، ولن تحقق إلا الدمار..

كل طفل مشروع شهيد

يقول محدثي (سفير البوسنة في الكويت الدكتور نعيم قاضيبيتش) والتأثر واضح في محياه: (كل طفل بوسنوي مشروع شهيد).. وبالرغم من المعاناة الكبيرة التي تواجه القيادة البوسنوية في ميدان العمل الاجتماعي المذكور إلا انها – أمام ضغط الحرب، وواجب الدفاع عن الدين والأمة – كانت تصرف كل الإمكانات والجهود لصد العدوان العسكري، والحفاظ على البقية الباقية من المدن والمناطق المحررة، وكانت لا تملك أن توقف الهجرة شبه الجماعية لقوافل الأرامل والأيتام إلى دول العالم الغربي.. وقصور ذات اليد لم يدفعها إلى الإهمال وترك الحبل على غاربه، وإنما قدّمت – بتعاون أجهزتها الوطنية والشعبية، بالإضافة إلى مساعدات الهيئات الإسلامية والدولية المتواضعة – على توفير ما أمكن، لتحقيق ما نراه في سراييفو، وغيرها من عناصر المرابطة والصمود..

تحرّك رسمي

ولقد قرر الرئيس البوسنوي (علي عزت

بيغوفيتش) - بالإضافة إلى كل الأعباء السياسية والجهادية التي على عاتقه، وبالتعاون فيما بين الحزب الحاكم والقيادات الوطنية - التصدي لمعالجة هذه المأساة، مأساة أطفال أبناء البوسنة الأيتام، والذين هم ثمرة عمليات الاغتصاب الواسعة التي مارسها الصرب والكروات، كلما سنحت لهم الفرصة..

وتم إنشاء مؤسسة مالية مختصة بجمع التبرعات المالية والعينية تحت رعاية ومسؤولية الرئيس مباشرة، ووجه إلى العالم كله رسائل توضح حجم المعاناة والاحتياجات وسبل المساهمة، وخصّ إخوانه من قياديي وأبناء العالم الإسلامي لما يعرفه فيهم من نخوة واندفاع وحرص على تحقيق قاعدة الجسد الواحد الذي (إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى)، وجاء في نداء الرئيس البوسنوي:

نداء الرئيس علي عزت

[إلى مواطني جمهورية البوسنة والهرسك..

إلى حكام ومواطني العالم الإسلامي..

إلى جميع محبي الإنسانية..

لا يوجد مثيل في التاريخ لفظاظة وقسوة عدوان صربيا والجبل الأسود المؤيّد بالخونة المحليين على جمهورية البوسنة والهرسك.. و هدف هذا العدوان تكوين صربيا الكبرى باحتلال وضم جمهورية البوسنة والهرسك الموجودة في هذه المنطقة عبر العصور.. ووسيلته التصفية الجسدية والهوية الثقافية لكل ما ليس صربي الجنسية ولا أرثوذكسي الديانة.. ولأجل تحقيق هذا الهدف قتل - حتى الآن - حوالي مائتي ألف مسلم، وطرد من ديارهم حوالي مليون ومائتي ألف، واغتصب أكثر من ثلاثين ألف امرأة، وأتلف الاقتصاد، وهدم أكثر من ٨٠٠ مسجد، منها عشرون مسجدا ذا قيمة فنية وتاريخية نادرة..

وعلى الرغم من القتال غير المتكافئ، أبدى مقاتلونا مقاومة باسلة غير متوقعة، يصعب تفسيرها بحسب قواعد التحليل العسكري المادي..

والحمد لله، فقد تمكنا إلى الآن من حفظ جزء مهم من بلدنا، وعدد كبير من شعبنا، واستشهد عدد كبير من مقاتلينا، وأصيب عدد آخر بإعاقة دائمة..

الكفاح يتواصل، والله وحده يعلم متى ستكون نهايته، وإحدى المسائل الأخلاقية والسياسية الأساسية لمواصلة كفاحنا الناجح هي مسألة رعاية أسر شهداء ومعوقي الحرب، أسر أبنائنا الذين ضحوا بحياتهم وصحتهم في سبيل حقهم المشروع في الحياة والدين والدولة والشرف الإنساني..



ولكي نستطيع مساعدتهم بطريقة منظمة - على مستوى الجمورية ككل - قمنا بتأسيس مؤسسة (شهداء ومعوّقي جمهورية البوسنة والهرسك) وفي عضويتها رجال من ذوي الثقة والسمعة الطيبة، بالإضافة إلى أعضاء من أسر الشهداء والمعوّقين..

والمساعدة المنظمة لهذا العدد الكبير من الناس تتطلب مبالغ مادية ضخمة، ولقد تمكنا - حتى الآن - من أن نجمع ونوزّع ثلاث دفعات من المساعدات المالية لجميع أسر الشهداء والمعوقين، ممن تزيد نسبة إعاقتهم على ٧٠٪، كانت الدفعة الأولى بقيمة ١٠٠ مارك ألماني، والدفعتان الأخريان بقيمة ٥٠ ماركا لكل فرد منهم..

وليس في برامجنا أن تقتصر مساعدة أسر الشهداء والمعوقين على المساعدات المالية فحسب، بل ستشمل أنواعا أخرى من المساعدات بحسب نظام هذه المؤسسة، وحجم وأشكال تلك المساعدات تتعلق بتجاوب المساهمين وتفهمهم لأهميتها وضرورتها، ومساهمتهم الفعلية - المالية والعينية - فيها..

إنني أدعو جميع مواطني جمهورية البوسنة والهرسك، وجميع المسؤولين في العالم، إلى تقديم يد المساعدة لمؤسسة (شهداء ومعوّقي جمهورية البوسنة والهرسك)، ونحن من جانبنا نتعهد بأن تأخذ هذه المساعدات طريقها إلى الجهات التي تستحقها، سائلا الله عز وجل أن يتقبل عملكم..

رئيس مجلس إدارة المؤسسة / علي عزت بيغوفيتش

المدير التنفيذي للمؤسسة / أحمد خليلوفيتش]

وتسهيلا للمساهمين من أهل الخير، افتتحت المؤسسة حسابا خاصا باسمها في (بيت التمويل الكويتي)، بالإضافة إلى حسابات مصرفية بالمارك الألماني والدولار الأمريكي والفرنك الفرنسي، ويمكن لأي متبرع مراجعة فروع بيت التمويل لتحويل تبرعه.

مشاريع أخرى

وبسؤالي سعادة السفير البوسنوي في الكويت د. نعيم قاضييتش عن مصير التبرعات السابقة التي قامت بها جهات وحملات عديدة، أجاب بنفي معرفة الحكومة البوسنوية بهذه التبرعات ومبالغها ومصيرها، بما في ذلك تبرعات أعلنت عنها جهات ومؤسسسات رسمية، عربية وعالمية، ولذلك - والكلام لسعادة السفير - وجد الرئيس علي عزت من صلب مسؤوليته القيام بهذه الحملة تحقيقا لأهداف المتبرعين من جهة، وللقيام بالواجب الشرعي والإنساني - من جهة اخرى - تجاه أسر الشهداء والمعوّقين..

وفي جعبة السفير تفاصيل ومشاريع أخرى، نفسح لها المجال في فرصة قادمة إن شاء الله□

تناول القسم الأول من هذه الدراسة الوجود الاسلامي السياسي والعسكري في البحر الأبيض المتوسط، ويتناول هذا القسم الثاني والأخير الفتوحات الإسلامية لجزر المتوسط، والأهداف الاستراتيجية التي حققتها.

٢/٢



الوجود الإسلامي البحري في جزر البحر الأبيض المتوسط

بقلم: بهيج بهجت سكيك*

فتح جزيرة (كريت)

كانت المحاولة الأولى سنة (٥٤هـ)، في زمن معاوية، بقيادة جنادة بن أبي أمية، ومحاولة ثانية أيام الوليد ،ثم غزاها حميد بن معيوف الهمذاني في خلافة الرشيد، لكن أنجحها جميعا كانت في خلافة المأمون بقيادة أبي حفص عمر بن عيسى الأندلسي. والحقيقة أن هذا الفتح تم بمساعدة جماعة من الأندلس يعرفون بـ (الربضيين)، وسبب هجرتهم إلى كريت هو ذلك التمرد الذي قاموا به في الربض الغربي لمدينة قرطبة فقد ثاروا ضد الأمير الحكم بن هشام، بسبب ما عرف عنه من انصرافه عن شؤون الرعية(١٢)، فقاتلهم الأمير الأموي، وهدم دورهم ومساجدهم، حتى أطلق عليه اسم الحكم الربضي، فأبحروا إلى الإسكندرية، وبقوا حتى عام (٢١٢هـ)، ثم اتجهوا إلى كريت، وتحصنوا في إحدى نواحيها وسموها (الخندق)، واتخذوها مركزا لنشاطهم البحري، وهي ما تعرف اليوم بـ (قندية) (Candia)، وقد ساعد الربضيون على فتح كريت، أن السكان أنفسهم كانوا يكرهون الإدارة البيزنطية.. وأصبحت كريت تابعة لولاية مصر إداريا، كما صارت الإمدادات تصلها تباعا من مصر والشام، ولذا تعرضت كريت أثناء الحكم الإسلامي لمحاولات من طرف البيزنطيين لاستردادها، بل إنهم هاجموا دمياط في مصر التي كانت تمد مسلمي كريت بالعتاد والمؤن.

ثم سقطت قندية أو (الخندق) بيد الروم في ربيع الثاني عام (٣٥٠هـ) (٧ مارس ٩٦١م)، الذين استولوا على ما بها من مال ومتاع ورقيق ونساء، وصرن سبايا لهم، وقد حمل هذه الغنائم القائد (نقفور فوكاس) إلى الإمبراطور (رومانوس الثاني) في القسطنطينية. ثم تعرضت للحملات الصليبية مما يدل على بطلان الادعاء الديني، حيث ألحقت بالبندقية، ثم استولى عليها العثمانيون عام (١٦١٦م)، وأصبحت إقليما عثمانيا، وبعد ظهور أسرة محمد علي في مصر، ألحقت بالخديوية المصرية، وقد تولاها العديد من الولاة المصريين، وفي عام (١٩٣٢م) ألحقت بالملكة اليونانية بعد ثورة كبيرة.

فتح المسلمين لمالطة

يعرف الكثيرون أن مالطة هي جزيرة في البحر المتوسط.. والحقيقة أنها أرخبيل مؤلف من عدة جزر، تعرف بالأرخبيل المالطي(١٣)، وأهم جزره مالطة، و(وغوزو، ودكومينو، وكنومينوتو، وفلفولا)، وهي مأهولة من عصور سحيقة سكنها الفينيقيون، والقرطاجنيون، ثم الرومان، والإغريق، والبيزنطيون.

محاولات كثيرة سبقت فتح المسلمين لمالطة (٢٥٦هـ - ٨٦٩/ ٨٧٠م)، ويرى آخرون أن أخذ المسلمين لمالطة، كان من باب المصادفة، أولى منه من المطالبة، وعاملوا الأهلين بالرفق والسياسة، وقرروا سننهم وأحكامهم، وامتزجوا بهم للغاية، حتى كأن الجمعين واحد(١٤). بقي المسلمون فيها حوالي مائتي سنة، ثم ألحقها (روجر النورماندي) بصقلية نحو سبعين سنة، ثم أصبحت تابعة لفرنسا، ثم استولى عليها فرسان القديس يوحنا،

*موجه تربوي (سابقا) بوزارة التربية

واتخذوها قاعدة لإيذاء وضرب البلاد الإسلامية من (١٥٣٠ ـ ١٧٩٨م)، والحقيقة أن المسلمين لم ينتهوا من مالطة، فقد حاول الأتراك الاستيلاء عليها عام (١٥٦٥م)، ومرة أخرى في أيام السلطان محمد الرابع(١٥). وكان مسموح للمسلمين بالإقامة فيها حتى عام (١٢٤٩م)، على أن أبرز ما تركه المسلمون في مالطة كان لغتها، وهي مزيج من اللغتين العربية والفينيقية(١٦).

فتح جزيرة سردانية

جزيرة كبيرة تبلغ مساحتها (٢٤٠٩٢كم٢)، تقع في منتصف البحر المتوسط الغربي بين شبه جزيرة إيطاليا وشبه جزيرة ايبريا من جهة، وبين سواحل المغرب وسواحل فرنسا من جهة ثانية. سكنها القرطاجيون والقاندال، وظلت تابعة لملك القسطنطينية مع كورسيكا وصقلية فترة طويلة. كان العرب في البداية يكتفون بالانقضاض على أطرافها، ولكن أخذوا فيما بعد يتوغلون في الداخل(١٧).

جاء في تاريخ السيوطي: أن الوليد بن عبد الملك تولى الخلافة في شوال عام (٨٦هـ)، وأنه عام (٨٧هـ) فتح سردانية من جملة فتوحات عدها. وكتب ياقوت الحموي في معجم البلدان: أن المسلمين غزوا سردانية في عام (٨٢هـ) في عسكر موسى بن نصير، ثم غزاها عبد الله بن الحنجاب عام (١١٧هـ)، وعاود المسلمون غزوها في أيام عبد الرحمن بن حبيب الفهري عام (١٣٥هـ)، وصالحوا أهلها على الجزية، وجاء في تاريخ ابن عذاري المراكشي – المسمى بالبيان المغرب – أن المسلمين غزوا سردانية عام (٢٠٦هـ)، وعليهم محمد بن عبد الله التميمي، فأصابوا وأصيب منهم وقفلوا.

وفي عام (٣٢٣هـ) – أثناء خلافة المنصور بن القائم الفاطمي – هاجمها الأسطول الإسلامي في غزوة كبيرة، وسبى كثيرا من أهلها(١٨).

لكن الفتح الحقيقي لها كان عام (٤٠٦هـ – ١٠١٥م)، عندما غزا أبو الجيش الموفق: مجاهد العامري، صاحب دانية والجزر الشرقية (البليار)، وهذا يدل على أن جزر البليار كانت قاعدة إسلامية ناجحة.

وقد نزل المسلمون عند مدينة (كاليجاري) التي فتحوا معاقلها، وبنوا مدينة جديدة انتقل إليها مجاهد وأهله، واتخذوها قاعدة لصد غارات الفرنجة من موانىء غرب إيطاليا. لكن ذلك لم يدم طويلا ،فقد تعاون سكان جنوب إيطاليا والفرنجة وغيرهم على إعداد اسطول كبيرة يهاجمون به سردانية، ثم حاصروا الجزيرة.. وساعدت الظروف الطبيعية على تحطيم أسطول مجاهد، حين هبت عاصفة قوية على الميناء.. فكان الروم لا شغل لهم إلا القتل والأسر في المسلمين (١٩).

وحاول مجاهد الهرب، ولم يتح له ذلك، وأسر له في هذه الحملة حريمه وبناته وولده (علي) الذي وقع بين الجرمان، ولم يستطع تحريره أو افتداءه، إلا عام (٤٢٣هـ). وبذلك طويت صفحة أخرى للمسلمين في جزر البحر المتوسط، وعادت لسيطرة الفرنجة، ثم وهبها البابا لأسرة (اراجون) (مملكة اراجون الاسبانية) ثم أصبحت تابعة لإيطاليا عام (١٧١٣م)، وانتقلت للنمسا ثم انتزعتها اسبانيا ثم أصبحت سردانية جزءا من مملكة شملت سافوي، بيدمونت، نيس وهي اليوم تابعة لإيطاليا.

● الثغور و الموانيء والجزر في شرق البحر المتوسط

فتح جزيرة قوصرة

قوصرة جزيرة في بحر الروم.. بين المهدية (تونس)، وجزيرة صقلية فتحها المسلمون في أيام معاوية، وبقيت في أيديهم إلى خلافة عبد الملك بن مروان. هذا ما كتبه ياقوت الحموي في معجم البلدان.. قوصرة تعرف اليوم بجزيرة (بانتلاريا)، وهي جزيرة بركانية مساحتها ٨٢كم٢، يسكنها حوالي ١٥٠٠ نسمة، كانت قاعدة جوية وبحرية لإيطاليا، ولكنها استسلمت للحلفاء في الحرب العالمية الثانية. كانت قوصرة تشكل إحدى الحراب الموجهة إلى صدر الدولة الإسلامية في المغرب، لذلك سعى المسلمون بكل جهدهم إلى السيطرة عليها. وقد أعاد فتحها عبد الملك بن قطن عام (٧٠٠م) في خلافة عبد الملك بن مروان ، ثم استردها البيزنطيون بعد ثورة البربر الخوارج ضد ولاة بني أمية في شمال أفريقيا عام (٧٣٩م). استعادها المسلمون عام (١٣٥هـ – ٧٥٥م)، بقيادة عبد الرحمن بن حبيب الفهري حفيد عقبة بن نافع، ثم استعادها البزنطيون مرة أخرى، حتى ظهرت قوة الأغالبة البحرية واستعادوها للمرة الثالثة في حملات بحرية بعد (٨٢٧م)، وبقيت إلى أن استولى عليها النورمان عام (١٠٧٢م)، وهي اليوم تابعة لإيطاليا.

جزيرة كورسيكا

تابعة اليوم لفرنسا، سكنها الرومان والفاندال، مساحتها (٨٧٨٥كم٢)، شهرتها الحديثة أن (نابليون بونابرت) نشأ فيها، وهي

الوجود الإسلامي البحري في البحر الابيض المتوسط

تطالب بالحكم الذاتي والانفصال عن فرنسا حاليا. أول اتصال للمسلمين بها كان حين وجه عرب الأندلس عام (١٩٠هـ - ٨٠٦م)، أسطولهم إليها فاحتلوها، وغنموا غنائم كثيرة، وأثناء عودتهم تربص لهم أمير جنوة ولكنهم قتلوه وهزموا جيشه وأسروا رجاله الذين افتداهم (شارلمان) ملك الفرنجة. ثم عادوا إليها مرة أخرى عام (١٩٨هـ - ٨١٣م)، حين احتل مجاهد العامري الساحل الجنوبي لها، كي يضمن سيطرته على الممر البحري الذي يتصل بالشواطىء الإيطالية(٢٠).

من هذا نرى أن هدف المسلمين من السيطرة عليها، كان لتأمين السواحل الإسلامية، وصد

الوجود الإسلامي البحري لم يكن ترفا بل ضرورة استراتيجية

غارات الفرنجة من السواحل الإيطاليا. لذا لا توجد فيها جالية إسلامية حاليا، وبالطبع فإن صقلية وسردانيا كانتا تشكلان أهمية كبرى للمسلمين بحكم موقعهما الجغرافي.

فتح جزر البليار (الجزائر الشرقية)

لا تأتي أهمية جزر البليار ــ التى تحظى باهتمام ورعاية اعلام مملكة إسبانيا حاليا من جوها المعتدل، بل لوجود الكثير من الآثار الإسلامية التي لا تزال قائمة فيها، وتحمل أسماء ذات أصول عربية، بل إن سحنة أهلها تحمل الملامح والدماء العربية.. يمتلك أثرياء العالم فيها قصورا حالمة، فما جزر البليار هذه؟

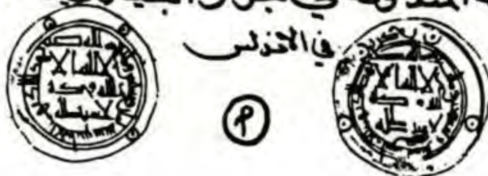
جزر البليار هي أرخبيل يقع شرقي إسبانيا، وقد أطلق عليه المسلمون اسم الجزائر الشرقية بحكم موقعه الجغرافي شرقي الأندلس.. ويتكون من مجموعة كبيرة من الجزر الكبيرة والصغيرة، تبلغ مساحتها جميعا حوالي ٤٩ ألف كم٢، وأهم هذه الجزر أربع رئيسية، كبراها جزيرة (ميورقة)، تليها جزيرة (منورقة)، ثم (يابسة) والرابعة (فورمنتيرا)، إضافة لعدد كبير من الجزر الصغيرة تزيد على المائة، لا تتجاوز الصغيرة سوى (صخرة غير مأهولة، فيها منارة للسفن). أما الجزر الصغيرة فأكبرها (كبريرة ــ جزيرة الغنم)، وجزيرة (كونجيرة ــ أي جزيرة الأرانب)، وثالثة (دراجونيرة ـ جزيرة التنين)، لشكلها الغريب.

قام الأسطول الإسلامي الأندلسي بفتح هذه الجزر عام (٨٩هـ)(٢١)، بقيادة عبد الله بن موسى بن نصير ـ والي بني أمية على أفريقيا ـ وعاهد أهل الجزيرة على أن يبقوا على الحياد، وألا يساعدوا أساطيل بيزنطة، ولكن أهل الجزيرة نقضوا العهد. وظلوا يحاولون الخروج من نفوذ العرب كلما سنحت الفرصة، وكان الفتح الأكيد عام (٢٩٠هـ - ٩٠٢م)(٢٢)، وجاء هذه المرة من الأندلس، التي صارت معظمها جزءا من الدولة الإسلامية، بل لعلها أقوى أجزاء الدولة الإسلامية.

وهناك عدة نصوص تؤكد أن جزر البليار خضعت لنفوذ حكومة قرطبة (٢٣٤هـ - ٨٤٨م)، ولكنها لم تحكم مباشرة إلا في عام (٢٩٠هـ -٩٠٢م)، حين أصبح القائد عصام الخولاني واليا عليها، ثم خضعت لحكم بني غانيه من المرابطين، وفي (٤٠٥هـ - ١٠١٤م) ضمها مجاهد العامري، وحكمها هو وولده علي. وبقيت بين مد وجزر حتى عام (٥٠٨هـ ١١١٤م)، في عهد يوسف بن تاشفين.

ظلت جزر البليار بلدا إسلاميا، ومعبرا حضاريا بين العالمين الإسلامي والمسيحي ما يزيد على ثلاثة قرون، وأنجبت عددا كبيرا من العلماء والأدباء الذين أسهموا بنصيب وافر في

النقود الاندلسية المتداولة في جزر البليار في عهد الدولة الأموية في الأندلس



(م)

سكت في عهد الأمير عبد الله بن محمد



في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر



في عهد الخليفة الحكم المستنصر



في عهد الخليفة هشام المؤيد

● مسكوكات معدنية اسلامية محفوظة في جزر البليار



● الثغور و الموانيء والجزر في غرب البحر المتوسط

الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط. وبعد انهيار الجيش الموحدي في معركة العقاب عام (١٢١٢م)، انسلخت جزر البليار، وزال الإسلام من هذه الجزر في عام (١٢٧٨م)، بعد أن أفنى الصليبيون من بقي حيا من المسلمين، وامتلأت أسواق الرقيق في أوروبا بالآلاف منهم، وهي تابعة الآن لملكة إسبانيا.

ضرورة استراتيجية

إن الوجود الإسلامي في جزر البحر المتوسط لم يكن وليد الصدفة، أو لصد غارات البزنطيين الذين كانوا يسيطرون على هذا البحر، بل إن هذا الوجود فرضته استراتيجية انتشار الإسلام على شواطىء بلاد الشام ومصر، وبلاد المغرب والأندلس.

وإذا كنا قد استعرضنا هذا الوجود في معظم الجزر، فإننا سنبين عدة أمور هي:

أولا: تركنا جانبا الغزوات والمحاولات التي قام بها المسلمون لفتح القسطنطينية، لأن ذلك يحتاج إلى دراسة خاصة أكثر اتساعا، وإن كان جزءا لا يتجزأ من الوجود الإسلامي، حتى تمكن المسلمون من فتح القسطنطينية عام (١٤٥٣م)، لتبدأ الدولة العثمانية وجودها البحري المكمل للوجود الإسلامي.

ثانياً: ساعد على هذا الوجود في جزر البحر المتوسط وجود الموانىء والثغور والقواعد البحرية، ونشأة دور لصناعة السفن.. فبالإضافة إلى موانىء الإسكندرونة، واللاذقية، وطرابلس، وصور، وصيدا، وعكا، وعسقلان على ساحل بلاد الشام، ودمياط والإسكندرية على الساحل المصري، كان مرسى طرابلس الغرب المأمون من الرياح، ومرسى تونس (رادس قديما)، ومرسى سوسة (الذي خرجت منه السفن الإسلامية لفتح صقلية)، ومرسى المهدية (القريبة للقيروان)، وصفاقس، وقابس، ومرسى لونة (الذي خرجت منه السفن إلى سردانية)، ومرسى بجاية، ومرسى وهران في المغرب الأوسط (الجزائر)، وفي المغرب السبتة، ومازيغين، وغيرها.. ومن مراسي الأندلس: بلنسية، وشاطبة، ولكفت، ومالقة، وقرطاجنة الخلفاء، ومرسية، والمرية، ودانية على الساحل الشرقي المواجه لجزر البليار.

ثالثا: إن أساطيل المسلمين لم تعمل كلها تحت راية واحدة بل كانت تتعاون أحيانا إذا ما أحست بخطر يهدد الإسلام.. وأحيانا تحصل مجابهة بحرية بينها إذا ما اختلفت الأهداف، فهذه أساطيل بلاد الشام ومصر تتعاون تحت رايتي الدولتين الأموية والعباسية، فاهتموا بتحصين السواحل، وترتيب قواعد القتال فيها، ثم وضعت في المدن الساحلية الحاميات التي تنقسم بدورها إلى مجموعات، كل مجموعة مؤلفة من مائة رجل، وهو ما يعرف بالثغور، وتمثل هذا النظام في طرابلس، وصور، وصيدا، وعكا، وقيسارية، وجبيل والإسكندرية، والبرلس، ودمياط، وغيرها.

تــرك المسلمــون مالطــة ولكن اللغــة العربية بقيت هناك

كان لمصر دور مبكر في قيام البحرية الإسلامية، ثم الشام ،فالمغرب، فالأندلس.

وظهرت قوة الأغالبة، ثم الفاطميين، والزيريين ومركزهم صنهاجة، ثم الموجودين في المغرب، استمر ذلك حتى نهاية القرن الخامس الهجري (١١م)، ثم بدأت تضعف هذه الأساطيل الإسلامية أمام ظهور قوى جديدة بحرية في جنوة والبندقية ـ بيزا ـ برشلونة، وما تبع ذلك من طرد المسلمين نهائيا من اسبانيا عام (١٤٩٢م)، بخروجهم من غرناطة.

فهل يبقى إعادة مجد البحرية الإسلامية في البحر المتوسط حلما يراود أبناء هذه الأمة التي مزقتها الفرقة؟

الهوامش:

١٢) سياسة الدول الإسلامية في البحر المتوسط، ص ٦٠.

١٣) تاريخ غزوات العرب، شكيب ارسلان، ص٣٥٣.

١٤) تاريخ غزوات العرب، شكيب ارسلان، ص ٣٦٠.

١٥) الانسيكلوبيدا الإسلامية (دائرة المعارف الإسلامية)، مالطة.

١٦) الواسطة في معرفة أحوال مالطة، أحمد فارس الشدياق.

١٧) تاريخ غزوات العرب، شكيب ارسلان، ص ١٤٢.

١٨) تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، د.سالم + الدكتور العبادي.

١٩) الحميدي ، ص ٢٢.

٢٠) دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، د. أحمد مختار العبادي، ص٣١٢.

٢١) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٠٢.



إن نظرة الإسلام إلى المعاق ذات جوانب إنسانية متعددة:
أولا: حقه الكامل في المساواة بغيره ليحيا حياة كريمة فلا يفضل عليه أحد مهما كان مركزه الاجتماعي قال تعالى: ﴿عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزّكى. أو يذّكر فتنفعه الذكرى﴾ [عبس/١-٤].
ثانيا: التخفيف عنه في الالتزامات الشرعية بقدر طاقته يقول تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ [الفتح/١٧].
ثالثا: إن كل إنسان مطالب بالعمل في حدود طاقته. يقول عليه الصلاة والسلام: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده» [رواه البخاري].

العدل مطلوب في كل شيء، وهو للمعوّق من باب أولى، لكي تسود علاقات التعاون والتكافل والحب والمرحمة

رعاية المُعوّقين في الإسلام

بقلم: محمد مرسي محمد مرسي

لم تعرف الإنسانية في ماضيها، ولن تعرف في حاضرها، بل وفي مستقبلها دينا مثل دين الإسلام، حرص تمام الحرص على أن يعيش أبناء المجتمع، بل المجتمعات ، بل الناس جميعا كالأسرة الواحدة،، متعاونين متفاهمين متكافلين، يشعر كل فرد منهم شعور الآخرين، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [المائدة/٢].

وهذا التكافل والتضامن أكده رسول الله ﷺ بقوله: «كلكم راع فمسؤول عن رعيته، فالأمير راع وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيّته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول

والحجارة﴾ [التحريم/٦] فهو أمر للأولياء برعاية أهلهم - وأزواجهم وأولادهم - وذلك لتوجيههم إلى تجنب مسببات الهلاك.

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة/١٩٥]. هذه واجبات المسلم نحو نفسه، فعليه أن يقوم بها ولا يهمل واحدة منها فإن الله سبحانه وتعالى نهانا عن أن نلقي بأيدينا إلى التهلكة، وأمرنا أن نقي أنفسنا من الأمراض والعوق وندفع شرورها، ونتلافى أضرارها، فمن أهمل في واجبه فإنما إثمه على نفسه، وفي هذا كف للأذى، ووقاية من الأمراض والعوق.

اليد العليا

والإسلام يكره أن يعيش الإنسان عالة على غيره يقول الرسول الكريم ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى» [رواه البخاري].

وبقدر ما يحيط الإسلام المعاقين والضعفاء من رحمة فإن الله يحب للمؤمن أن يكون قويا دون أن يحرم الضعيف من الخير حيث لا ذنب له في ضعفه يقول عليه الصلاة والسلام: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير» [رواه مسلم]. ويقول الله تعالى: ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ [القصص/٢٦]. بل إن الكفاءة البدنية تعتبر من المؤهلات التي يصطفي الله عباده ليكونوا قادة للخلق، يقول تعالى: ﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء﴾ [البقرة/٢٤٧].

المسؤولية في الإسلام

إن الإسلام يحث دائما على وقاية النفس والأهل في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس



عن رعيته» [رواه الشيخان عن ابن عمر]. فالإسلام عنى بالإنسان أياً كان موقعه أو دوره أو جنسه أو مرحلته.

ومما لا شك فيه أن رعاية النسل أمر فطري في النفوس البشرية لا يشذ عنه إلا من فسدت طبيعته، فالولد قطعة من أبويه، يريان في رعايته رعاية لهما كرعايتهما لبعض أجزاء الجسم بل أشد.

وقد قال حطان بن المعلى الأسدي:

و إنما أولادنا بيننا

أكبادنا تمشي على الأرض

و قال النبي ﷺ عن فاطمة رضي الله عنها: «فاطمة بضعة منّي، يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها» [رواه البخاري ومسلم عن المسور بن مخرمة].

فهذا معلّم الناس الخير يرسم الطريق للمحافظة على الأبناء والاهتمام بهم ورعايتهم، فإن أصيبوا بعاهة مزمنة، أو عاقة مؤقتة فإنهم يحزنون لذلك الحادث ويسعون جاهدين لمساعدتهم للتغلب على هذا العوق بقدر ما يستطيعون.

الابتلاء امتحان واختبار

ونحن نعلم أن القوة البدنية من نعمة الله على الإنسان كي يؤدي واجبه ويبلغ أهدافه، ويؤدي الحقوق فينطلق في الوجه الذي يبتغيه دون أن يغلبه إعياء أو تقف به عاقة، ولأمر ما وصف النبي ﷺ بعض نعم الله على خلقه وعد هذه النعم: «أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة» [رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما في شعب الإيمان، وابن ماجة والترمذي].

والبلاء هنا لفظ مطلق على مايصيب الجسم من أذى الغير أو الحياة، والمعوّق إذا صبر واحتسب وجاهد نفسه متجاوزاًعلته باحثا عن عمل يتناسب وحالته فسوف يحصل على خير الدنيا والآخرة.

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عز وجل قال: «إذا ابتليت عبدي بجبيته فصبر عوضته منهما الجنة» يريد عينيه، [رواه البخاري].

وعن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» [رواه مسلم].

ولابد من توفير فرص عمل لهذا المعوّق في نطاق العملية التعليمية والتدريبية وبرامج مخططة لهذه الفئة لقوله ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن عمله فيما فعله، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه» [رواه الترمذي عن أبي برزة الأسلمي].

وللأسف تبدأ البطالة مع المعوّقين في غالب الأحيان وهذا خطأ شنيع لأن البطالة شيء رهيب، والنفس إذا لم يكن لديها حق تكلف به، فإنها تبحث عن باطل تعمل فيه.

ولذا يجب تهيئة كافة السبل لتشكيل حياة المعاق علميا ورياضيا، واجتماعيا واشباع رغباتهم الحسية والنفسية والاجتماعية والفكرية، وبما يملأ حياتهم بالجديد النافع ومساعدتهم على أداء الواجبات ورعاية الحقوق دون تفرقة بينهم وبين غيرهم من الأسوياء والأصحاء.

من هذا المنطلق نجد أنه يقع على عاتق المجتمع والأسرة المسلمة بعض الواجبات التي أوصى بها ديننا الحنيف وشريعتنا الإسلامية تجاه هذه الفئة الغالية فمن هذه الواجبات الإسلامية:

التعاون

من ذلك التعاون الاجتماعي بمعنى إغاثة وتقديم العون للمعاق لقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وشبك بين أصابعه. [رواه البخاري ومسلم].

والإحساس بمشاعر المعوّقين ودعم أنشطتهم بالمساهمة في جميعات البر والمستشفيات والمعاهد التعاونية الخاصة بالمعاقين كل على قدر استطاعته لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة ،والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» [رواه مسلم وأبو داوود والترمذي في باب العلم].

وإعانة المعاق ومساعدته بالنفس والمال، أو الجاه، حتى يحصل غرضه ويصل إلى غايته ويحقق مطلبه، فيجد سبحانه وتعالى في عونه ومساعدته وحسن توجيهه واجتهاده فييسر أموره، ويجعل بعد العسر يسرا، وبعد الضيق فرجا ومخرجا ويحفظه ويرعاه مادام في عون أخيه المحتاج إلى معونته.

ولا يقف الإسلام عند هذا الحد بل يجعل العلاقة بين المؤمنين علاقة اخوة ملزمة في المحبة والمعاملة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [متفق عليه].

فالصحيح يتعين عليه أن يحب لأخيه المعاق من النشاط والمتعة والعزة ويسر الحال وغير ذلك من المنافع الذاتية ما يحبه لنفسه.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» [متفق عليه].

وكما يتعين علينا ان نساعد إخواننا صغارا وكبارا ليتغلبوا على عوقهم بإشراكهم معنا في كثير من الأنشطة والأعمال، ونخرجهم من عزلتهم التي قد تفرضها عليهم حالة العوق.

العدل

العدل مطلوب في كل شيء، وهو للمعوّق من باب أولى، لكي تسود علاقات التعاون والتكافل والحب والمرحمة، وهذا لن يتحقق إلا إذا شعر الجميع بالعدل واختفى الشعور بالظلم أو الاستقلال يقول الله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾ [النحل/ ٩٠].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن

رعاية المُعوّقين في الإسلام



● الإرادة قهرت الإعاقة

المقسطين عند الله على منابـر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهـم وما ولوا» [رواه مسلم].

والعدل شرط أساسي وركيـزة أولى في بناء الممالك والـدول والأوطـان وتبادل الثقـة بين الراعـي والرعية يغـرس الطمأنينـة، ويقوي دعائم الثقة بين الفريقين.

فما أجمل العـدل وأعظمـه بإيتـاء كل ذي حق حقه، وما أحسن والوئام يجمع الشمل، ويقـوي الـروابط، ويبعـد الفتن، ويشيع السعـادة وتستأنف الأمة أعمالها بـاسترداد اقتصـادها، وإعـادة دولاب العمل إلى جميع مـرافق الحيـاة، فيسعـد الفـرد والجماعـة، ويعـود المجتمع بكـامل طـاقـاتـه إلى العمل وإعادة التعاون على الأسس الكريمة، الثابتة لدى العقـلاء، والشرائع في كل زمـان ومكان فتحقيق المصلحـة هي مـا تستهدفـه جميع أحكام الشريعـة الإسلاميـة، ويحدد الفقهاء هذه المصلحة تحت مسمى مقـاصد التشريع الإسلامي ومنها:

١) حفظ الدين.
٢) حفظ العقل.
٣) حفظ العرض.
٤) حفظ النفس.
٥) حفظ المال.

الرحمة والشفقة

ومن المشـاعر النبيلـة التي أودعها اللـه في قلب الأبوين شعور الـرحمة والرأفة والعطف وهو شعـور وكريـم بخاصـة إذا اتجه نحو المعاقين في رعايتهم وتأهيلهم.

كان عليـه الصلاة والسـلام إذا رأى أحدا من أصحـابه لا يرحـم أولاده يزجـره بحزم ويـوجهـه إلى ما فيـه صـلاح البيت والأسرة والأولاد.

فقـد روى البخـاري ومسلم عن عـائشـة رضي الله عنهـا قالت: قدم نـاس من الأعراب على رسـول اللـه ﷺ فقـالـوا: أتقبلـون صبيانكم؟ فقـال: نعم. قالـوا: لكنا واللـه ما نقبّل! فقـال رسول الله ﷺ: «أو مـا أملك ان كـان الله نـزع من قلوبكم الـرحمة؟» [متفق عليه].

الـرحمة في الإنسـان صفـة متأصلة، وجاء الإسـلام فعززها وقوّاها وعدد الأساليب في الدعوة إليهـا والالتـزام بها

وعن أبي هـريرة رضي اللـه عنه قـال: قبّل النبي ﷺ الحسن بن علي رضي اللـه عنهما، وعنده الأقرع بن حـابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا. فنظر إليه رسول الله ﷺ فقـال: «من لايرحم لا يُرحم» [متفق عليه].

فالرحمة فضيلة، والقسـوة رذيلة والرحمة تكون من الكبير على الصغير ومن القوي على الضعيف، ومـن السليم على المعـاق، ومن الشريف على الصعلـوك، ومـن أهل الفضل والـدين والعقيدة على من سـواهم، فـالمؤمن يعلم أن الأحقاد تقضي على صلات المحبة بين النـاس، وتقطع حبـال الألفـة فيما بينهم، والـرحمة صفـة وصف بها خـالقنـا العظيم نفسـه فقـال: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ [الأعراف/١٥٦].

فلـذلك يعيش المؤمن بين اخـوانـه وذويـه بقلب مفعم بالمحبة مملـوء بالمودة، يود الخير للجميع، ويحب للنـاس مـايحب لنفسـه، فالرحمة بالناس عاطفة نبيلة شريفة، وخليقة محمودة كريمة وضدها القسوة.

والرحمة في الإنسان صفـة متأصلة، وجاء الإسلام فعـززها وقوّاها وعـدد الأساليب في الـدعـوة إليهـا والالتـزام بها حتى أصبحت جزءا لا يتجزأ من أخلاقـه فهي ملازمة له في سفـره وفي حضره، في ليلـه ونهاره، في سره وعلانيته، بل في حاله كله.

كـذلك تجلت مظاهـر الـرحمة بالإنسـان المسلم في معاملته الآخريـن، في سلمه وحربه ولم تقتصر على الإنسـان فحسب بـل تجاوزته إلى الحيـوان، ولذا نجـد أن الله جل شأنـه مدح بها رسـوله محمـد ﷺ بقولـه: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة/١٢٨].

والقلب الـذي يتجـرد من خلق الـرحمة يتصف صاحبه بالفظـاظة العاتية، والغلظة اللئيمـة القـاسيـة، ولا يخفي مـافي هـذه الصفات القبيحـة من ردود فعل في انحراف النـاشئـة، وفي تخبطهم في أوحـال الشـذوذ ومواطن الشقاء.

وعلى المعاق أن يعلم أن البلاء الذي نزل به هـو محنة في طيهـا منحـة ورحمة وثبت عن رسول الله ﷺ قوله: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلـم يبلغها بعمل ابتلاه الله في جسده وآمـاله أو ولـده ثم صبر على ذلك... حتى يبلغ المنزلة التي سبقت لـه من الله عز وجل» [رواه أحمد وأبـو يعلي في مسنـديهما والطبراني في الكبير والأوسط].

والمؤمن الـواثق لا يفقـد صفـاء العقيـدة ونور الإيمان، إن هو فقد من صافيات الدنيا مـا فقد. والحمـد للـه أولا وآخـرا، وظاهـرا وباطنـا، وصلى الله على سيدنا محمـد سيد الأولين، والآخرين وعلى آلـه وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين□

مفهوم الظلم في القرآن

بقلم: د. رفيق حسن الحليمي

اكتسبت المادة اللغوية لكلمة (ظلم) من ـلال الاستعمال القرآني لها عدة معان ديدة لم يعرفها العرب في جاهليتهم.. وإذا ا أمام مفاهيم متنوعة تستوقف الباحثين لغة القرآن.

معنى الظلم في اللغة

تجمع القواميس اللغوية على أن معنى ظلم) هو وضع الشيء في غير موضعه، يمكن أن تردّ إلى هذا المعنى العام جميع عاني المتفرعة عنه، أو القريبة منه، أو حتى ك التي تبدو بعيدة بعض الشيء عنه، وهي ميعا يمكن أن تعد أساسا لهذا المعنى الذي جمع عليه اصحاب تلك المعاجم. فمن بين ذه المعاني ما قاله الفراء(*): ظلم الوادي، ا بلغ الماء منه موضعا لم يكن ناله ولا بلغه ل ذلك (اللسان)، وظلم الأرض حفرها ولم كن حفرت قبل ذلك. وقيل: هو أن يحفرها غير موضع الحفر (اللسان + المحيط). من الأمثال: (من أشبه أباه فما ظلم)..

قال الأصمعي(**) في شرحه له: ما وضع شبه في غير موضعه (اللسان). وفي المثل: من استرعى الذئب فقد ظلم) [اللسان]، (ظلم البعير: نحره من غير داء) [المحيط]، (ظلم الحمار الأتان: سفدها وهي حامل) لمحيط].. إلخ. ومن هذه المعاني ما قاله ـاحب اللسان: (وأصل الظلم: الجور مجاوزة الحد. ولا يخفى أن في معنى الجور مجاوزة الحد ابتعادا عن أصل الشيء وكأننا ضع شيئا بعيدا عن موضعه أو في غير وضعه الذي هو أحق به وأدعى له).

معنى الظلم في الاستعمال الأدبي في العصر الجاهلي

قد يكون في التوقف عند معنى الظلم عند الجاهليين – وكيف فهموه وتعاملوا مع هذه الكلمة ومشتقاتها – مجال بالغ الأهمية لمعرفة مفهوم الظلم في القرآن.

فقد وردت كلمة (ظلم) في بعض الاستعمالات القليلة النادرة في أمثال الجاهليين وأشعارهم نذكر هنا ما استطعنا الوقوف عليه منها، ففي بيت للحادرة (شاعر جاهلي مقل) يقول فيه:

ظلم البطاح له انهلال حريصة
فصفا النطاف له بعيد المقلع

يصف مطرة (الحريصة) تنهال على البطاح فتظلمها، لأنها جاءت في غير وقتها(١).

وللمثقب العبدي بيت يقول فيه:

ولبعض الصفح والاعراض عن
ذي الخنا أبقى وإن كان ظلم(٢)

بمعنى جار وتجاوز الحد، فالصفح والإعراض عن صاحب الدنية أبقى، وإن كان قد تجاوز حده وجار. ويقول طرفة بن العبد البكري:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند(٣)

وهو في هذا المعنى لا يخرج عن معنى الجور، وتجاوز الحد، وسلب الحق. وقد وردت كلمة (ظلم) ثلاث مرات في بيتين متتاليين لعنترة بن شداد العبسي هما:

أثني عليّ بما علمت فإنني
فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل

سمح مخالطتي إذا لم أظلم(٤)
مر مذاقته كطعم العلقم

قال الأنباري في شرحه: الظلم بمعنى الاستقلال والاسترذال، فإذا لم ينل الشاعر الثناء عليه توهم الناس أنها استقلته واسترذلته، ولم تعطه ما يستحقه من احترام وتقدير. وفي الأمثال: (ظلم المرء يصرعه). (الظلم مرتعه وخيم).

ولعل أول ما يمكن أن نلحظه على هذه الاستعمالات الأدبية في العصر الجاهلي شعرا ومثلا أن كلمة (ظلم) قديمة، فقد وردت على لسان المثقب العبدي، وهو من الشعراء الجاهليين القدامى، ولكن هذه الكلمة مع ذلك من الكلمات نادرة الاستعمال، برغم ما كانت تعج به الحياة الجاهلية من مظالم وعدوان. فلم نستطع الوقوف إلا على بضعة شواهد لا تتجاوز أصابع اليدين، هذا إذا صحت نسبة بعض الأمثال إلى الجاهليين: (من أشبه أباه فما ظلم)، (ظلم المرء يصرعه)، (الظلم مرتعه وخيم).

كما يمكن أن نلحظ أنها جاءت بمعنى الجور ومجاوزة الحد (بيت المثقب العبدي، وبيت طرفة)، وجاءت بمعنى الاستهانة والإشاحة والإعراض (بيتا عنترة)، وبمعنى الهلاك والإغراق (بيت الحادرة: ظلم البطاح..).

كما يمكن أن نلحظ أن الشعراء يتحدثون عن ظلم واقع عليهم باستثناء بيت المثقب الذي جاء على سبيل الحكمة. وهذه المعاني تتوزع بين الحسي والمعنوي، ولا شك أن أصحاب المعاجم اللغوية أفادوا كثيرا من هذه الاستعمالات وغيرها في تحديد دلالة اللفظ عندما قالوا: الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وعندما قال صاحب اللسان: الظلم بمعنى الجور ومجاوزة الحد.

مفهوم الظلم في القرآن

وردت كلمة (ظلم) ومشتقاتها في القرآن (٢٨٨ مرة)، وهي في مجمل معانيها لا تخرج عن العرف اللغوي والاستعمال الشائع لدى عرب الجاهلية، إلا أنها حملت

عدة معان جديدة طريفة منها ما فاق الاستعمالات الشائعة، ومنها ما جاء تعزيزا لها، ومنها ما تفرد به النص القرآني مما جعلها تكتسب مفهوما خاصا بالعقيدة بحيث أصبح اقتراف الظلم من المعاصي واجتنابه فضيلة وقيمة دينية من بين القيم التي جاء بها الإسلام، وحرص على تربية المسلمين عليها.

مجالات الاستعمال القرآني للمادة اللغوية (ظلم)

يمكن تقسيم الاستعمال القرآني لهذه المادة إلى أربعة أقسام:

- قسم جاء ضمن الحديث عن حياة الأمم الغابرة التي وقعت فيها المظالم وارتكبت فيها المعاصي وبيان العاقبة التي حلت بهم، ويكاد هذا القسم يستحوذ على كم كبير من الآيات القرآنية، ويتصل قسم منها ببني إسرائيل خاصة.

- قسم يأتي لينفي الظلم عن الله تعالى.

- قسم يأتي مباشرة يمس حياة المسلمين ليحذرهم فيه من ا رتكاب الظلم تحقيقا للعدالة، وابتغاء لمرضاة الله تعالى.

- قسم يأتي ليصور جانبا مهما من مشاهد القيامة فلا ظلم بل عدل مطلق.

فمن القسم الأول قوله تعالى: ﴿قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يردّ إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا﴾ [الكهف/٨٧]. ﴿قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان﴾ [النمل/٤٤]. ﴿ قال يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل﴾ [البقرة/٥٤]. ﴿قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾ [ص/٢٤]. ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآيا تنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها﴾ [الأعراف/١٠٣].

ومنه في بيان عاقبة الظلم: ﴿فأنزلنا علي الذين ظلموا رجزا من السماء﴾ [البقرة/٥٩]. ﴿كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم﴾ [آل عمران/١١٧]. ﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ [٢٥/القصص].

ومن القسم الثاني قوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ [النساء/٤٠]. ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا﴾ [يونس/٤٤]. ﴿ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾ [الكهف/٤٩]. ﴿فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [التوبة/٧٠]. ﴿ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ [آل عمران/١٨٢]. ومن القسم الثالث ما يمس حياة المسلمين كقوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله﴾ [آل عمران/١٣٥]. ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله﴾ [النساء/٦٤]. ﴿ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ [التوبة/٣٦]. ﴿وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾ [البقرة/٢٧٩]. ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ [المائدة/٤٥]. ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ [الحج/٢٥].

ومن القسم الرابع قوله تعالى: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم﴾ [غافر/١٧]. ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما﴾ [طه/١١١]. ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا﴾ [الفرقان/٢٧]. ﴿لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾ [مريم/٣٨]. ﴿ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون﴾ [القصص/٣٧].

أشكال الظلم في الاستخدام القرآني

وقد وردت في السياق القرآني عدة أشكال لاستخدام المادة اللغوية للظلم، منها:

- نسبة الظلم إلى النفس البشرية، فالإنسان يظلم نفسه ويوقع الظلم على ذاته البشرية باقترافه المعاصي والآثام، من ذلك قوله تعالى: ﴿قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان﴾ [النمل/٤٤]. ﴿قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له﴾ [القصص/١٦]. ﴿يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل﴾ [البقرة/٥٤]. ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه﴾ [الكهف/٣٥].

- نسبة الظلم إلى أمة بكاملها أو جماعة بشرية، وأكثر هذه الآيات تتصل بسلوكيات بني إسرائيل وآل فرعون، من ذلك قوله تعالى: ﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم﴾ [البقرة/٥٩]. ﴿كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم﴾ [آل عمران/١١٧]. ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا﴾ [يونس/١٣]. ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ [المؤمنون/٢٧]. ﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها﴾ [النساء/٧٥]. ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة﴾ [هود/١٠٢]. ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين﴾ [الأنبياء/١١].

- ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، منه قوله تعالى: ﴿قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾ [ص:٣٤]. ويندرج تحت هذا المعنى العديد من المظالم التي يقترفها بنو البشر.

- نفي الظلم عن الله - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - وقد مرت معنا آيات بهذا الخصوص.

معنى الظلم في القرآن الكريم

يمكن أن نلحظ أن المادة اللغوية (ظلم) تحمل عدة معان، وذلك من خلال السياقات المتنوعة في مختلف الآيات القرآنية. وتجدر الإشارة إلى أن كتاب (الأشباه والنظائر) الذي يعد من أقدم كتب التفاسير التي تعني بالمفردات، كما يعد مؤلفه (مقاتل بن سليمان البلخي ت ١٥٠هـ)، من أوائل المفسرين للقرآن الكريم، قد عرض فيه لهذه المادة اللغوية وذكر أن تفسير (الظالمين - تظلمون) تأتي على سبعة وجوه وأن تفسير (الظلم) يأتي على أربعة وجوه، وهذه المعاني وتلك تتداخل معا بحيث يمكن القول إن هذه المادة عند مقاتل تنتهي إلى سبعة وجوه لا غير، يحسن التوقف عندها لما فيها من إضافات جديدة، وتحديد دقيق لهذا المعنى:

الأول: الظالمين: يعني المشركين، فذلك قوله تعالى: ﴿فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾ [الأعراف/٤٤]، يعني المشركين الذين يصدون عن سبيل الله، نظيرها قوله تعالى: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ [هود/١٨]، يعني المشركين ونحو هذا كثير(٥)، وقد فسر (الظلم) بالشرك كقول

مفهوم الظلم في القرآن

لقمان لابنه: ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان/١٣](٦).

ويؤكد هذا المعنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت الآية: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾.. شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله: أينا لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾»(٧). فالظلم هنا بمعنى الشرك.

الثاني: الظالمين: يعني به المسلم الذي يظلم نفسه بذنب يصيبه من غير شرك. فذلك قوله: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ لأنفسكما بخطيئتكما [البقرة/٣٥]. وكقول يونس عليه السلام: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء/٨٧]. أي ظلم نفسه بذنبه من غير شرك كقوله تعالى:﴿ومن يتعد حدود الله (في أمر الطلاق) فقد ظلم نفسه﴾ [الطلاق/١]. بمعصيته من غير شرك.. إلخ. وكقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾ بقتل النفس ﴿فاغفر لي فغفر له﴾ [القصص/١٦]، ونحو هذا إذا كان في أهل التوحيد فهو ظلم النفس. فالظلم هنا بمعنى: الذنب أو المعصية أو الخطيئة.

الثالث: الظلم يعني ظلم الناس، فذلك قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿ومن قتل مظلوما﴾ [الإسراء/٣٣]. يعني المقتول ظلمه القاتل بغير حق. وكقوله: ﴿ومن يفعل ذلك (يعني قتل النفس وأخذ الأموال) عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا﴾ [النساء/٣٠]. وكقوله:﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾ [النساء/١٠] ، نظيره قوله تعالى: ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ [الشورى/٤٢]. فهنا الظلم بمعنى القتل وأخذ الأموال بالباطل.

الرابع: الظلم يعني: النقص، فذلك قوله تعالى: ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا﴾ [الكهف/٣٣]. يعني ولم تنقص منه شيئا، وكذلك قوله: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا﴾ [الأنبياء/٤٧] وكقوله: ﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾ [آل عمران/١١٧﴾. يعني أنفسهم يضرون وينقصون نظيرها قوله: ﴿وما ظلمونا﴾ يعني وما ضرونا حين رفع بنو إسرائيل من المن والسلوى فوق أكل يوم - ادخروه مخافة أن ينفد، فعصوا الله فرفع عنهم هذه النعمة. ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [الأعراف/١٦٠] وينقصون. فالظلم هنا بمعنى النقص والضرر.

الخامس: يظلمون أنفسهم بالشرك والتكذيب، فذلك قوله تعالى: ﴿وما ظلمناهم﴾ يعني كفار الأمم كلهم فنعذبهم بغير ذنب ﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾ [الزخرف/٧٦] لأنفسهم لكفرهم وتكذبهم. فالظلم هنا بمعنى الشرك والتكذيب.

السادس: يظلمون: يعني يجحدون، فذلك قوله تعالى: ﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ [الأعراف/٩]، يعني بما كانوا بالقرآن يجحدون ويدعون أنه ليس من الله، وكقوله: ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها﴾ [الأعراف/١٠٣]. أي فجحدوا بآياتنا، وكقوله في بني إسرائيل: ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها﴾ [الإسراء/٥٩]. فالظلم هنا بمعنى: الجحد والإنكار.

السابع: الظالمين يعني السارقين، فذلك قوله تعالى: ﴿فهو جزاؤه﴾ يعني السارق الذي وجدت السرقة في رحله فهو جزاؤه ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ [يوسف/٧٥] يعني السارقين، فيتخذ السارق عبدا لسرقته فيستخدم على قدر سرقته، كقوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا﴾.. إلى قوله: ﴿فمن تاب من بعده ظلمه﴾ [المائدة/٣٨و٣٩]، يعني من بعد سرقته(٨).. وهنا الظالم بمعنى السارق.

فهذه المعاني أو الوجوه السبعة التي انتهى إليها صاحب أقدم تفسير للقرآن تعد أساسا بنى عليه أصحاب التفاسير معظم أقوالهم وآرائهم حول معنى الظلم، وربما زاد بعضهم شيئا من بعده من المعاني التي لا تبعد كثيرا عن تلك الوجوه فقد قيل في قوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾، بمعنى: لا يسلبهم، والسلب هنا لا يخرج عن النقص وقد ذكره مقاتل ضمن ما ذكر.

ومما يلحظ أن المفسرين منذ عهد التفاسير الأولى قد وقفوا عند هذه الكلمة واجتهدوا في تفسيرها وتحديد معانيها من خلال سياقات النص القرآني وهم بذلك يختلفون منهجيا، وأداء عن اصحاب المعاجم الذين اختصروا معناها اختصارا شديدا.

والذي يمكن أن ننتهي إليه، في حدود هذه الصفحات المحدودة، أن كلمة (ظلم) اكتسبت من خلال الاستعمال القرآني عدة مفاهيم لم تعرفها الحياة الجاهلية. فقد كان ورودها ضمن القصص القرآني والحديث عن الأمم الغابرة معادلا موضوعيا للعواقب التي حلت بتلك الأمم لما اقترفوه من ظلم، وهنا تأتي ظاهرة أخذ العبرة والموعظة من سياقات حياة تلك الأمم. وكان ورودها بما يمس حياة المسلمين، يستهدف التنفير من الظلم والتحذير من عواقبه كقوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ [الحج/٢٥] وهناك من الآيات ما يدعو إلى نبذ الظلم والوقوف أمام الظالمين والانتصار للحق كقوله تعالى: ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة﴾ [النحل/٤١].﴿أُذِنَ للذين يقاتَلون بأنهم ظلموا﴾ [الحج/٣٩]. ﴿وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾ [الشعراء/٢٢٧]. ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾.

ويأتي ورودها - ضمن مشاهد القيامة - تحقيقا للعدالة المطلقة التي يتصف بها الله تعالى: ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض جميعا لافتدت به﴾ [يونس/٥٤]. ولكن هيهات هيهات يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم□

الهوامش:

*) الفراء، يحيى بن زياد إمام العربية ينتمي إلى مدرسة الكوفة، له عدة مؤلفات أهمها: معاني القرآن، توفي ٢٠٧هـ [بغية الوعاة ص ٣١٤].

**) الأصمعي، عبد الملك بن قريب أحد علماء اللغة البارزين ينتمي إلى مدرسة البصرة ت٢١٥هـ [بغية الوعاة ٣١٤].

١) المفضليات، ص٤٤.

٢) نفسه ص ٢٩٤.

٣) شرح القصائد السبع، ص ٢٠٩.

٤) نفسه ص ٣٣٦.

٥) الأشباه والنظائر، تحقيق د.عبدالله شحاته، ص١١٨.

٦) نفسه ص ١٢٠.

٧) فتح الباري ج٧، ص ٢٧٧، التفسير والمفسرون ج١، ص ٤٦، اللسان (مادة ظلم).

٨) الأشباه والنظائر، ص ١٢٠.

في لبنان

بعد انتهاء الحرب..

أسفرت نتائج الحرب الأهلية التي خاضها اللبنانيون طيلة سبعة عشر عاما عن الكثير من الويلات والمآسي التي لحقت بالشعب اللبناني، فهي أتت على الحجر فدمرته، وعلى الكيان الاقتصادي فانهكته، وعلى الإنسان فأهلكته، وجعلته ينوء تحت أعباء كثيرة، على رأسها العبء المعيشي. والأزمة الاقتصادية التي عصفت بالبلاد - ولا تزال ذيولها ماثلة حتى أيامنا هذه - كان للبنانيين النصيب الأكبر منها، حيث ظهرت ملامحها عندما برزت الطبقية من جديد. وبات الناس يشكلون طبقتين اثنتين:الأولى: طبقة الأثرياء والمتمولين. الذين حققوا ثروة، إما بالكد والسعي وبالاغتراب، وإما بالسلب والسطو على حساب تعب الناس ودمائهم فصاروا أثرياء، اقتنصوا الفرصة، وظفروا بما يطمحون.



● الحرب الأهلية دمّرت المكان وأضرت بالإنسان

الثانية: طبقة الفقراء المعدمين، الذين أسهمت عوامل عديدة في إبادة البسمة عن وجوههم، ومحو آثار النعمة من بيوتهم. فتملك المرض أجسادهم. وسيطر اليأس على نفوسهم.والمسلمون في لبنان، كان لهم حظ وافر من هذا البؤس العميم، ونزلت بهم أدواء البشرية الثلاثة: الجوع، والجهل، والمرض. وباتوا يخوضون غمار بحر لجي من المشاكل المتفاقمة والمتتابعة.

وإذا كان لابد من سبر أغوار الواقع الإسلامي من وجهة النظر الاجتماعية، فلابد من وضع اليد على الجرح. لكي يستبين المرض، وعندها يمكن وصف العلاج.

عوامل التقهقر

ففي نظرة أولية إلى عوامل الهزيمة الاجتماعية نتوقف عند الآتي:

١) الكسب: إن الأزمة الاقتصادية التي تتمثل بالتدهور النقدي منذ سنوات كان لها كبير الأثر في الواقع المعيشي للأسرة المسلمة في لبنان.. حيث إن انخفاض سعر صرف الليرة اللبنانية أمام الدولار الأميركي، وباقي العملات الأجنبية الصعبة، جعل اللبناني يقف وجها لوجه مع حائط مسدود، ويقع فريسة راتب (دخل مالي) يذوب ذوبانا أسرع من الملح، فهو يقبض بالليرة، ويتسوق ويصرف بالدولار، وشتان ما بين المدخول والمصروف.

وزاد الطين بلة كبر حجم الأسرة

بيروت - عباس العرب

عند كثير من الناس، مما زاد في المتطلبات وبالتالي عجزا أكبر.

٢) المرض: كما يقول أحد الخبراء الاختصاصيين: إن آثار الحرب وسلبياتها، وعوارضها السيئة، تظهر بعد انتهاء الحرب، وليس خلالها.

وهذا ما حدث فعلا في لبنان حيث كثر المرض، وظهرت أنواع من الأمراض لم نكن نسمع بها في مجتمعنا، حتى إن بعض الأمراض التي كانت نادرة، أصبحت متفشية، وبشكل مذهل، وأذكر على سبيل المثال - لا الحصر- أمراض القلب، الضغط، السكري، كهرباء الدماغ، الشلل، وفشل الكلى، وغير ذلك.

وهذه الأمراض في معظمها تحتاج إلى علاج دائم، وتعاط مستمر للدواء، مما يترتب إثر ذلك أعباء مالية تستنزف طاقات الإنسان المريض، وإمكاناته مهما كبرت، ناهيك عن الأمراض التي تحتاج إلى عمليات جراحية في مستشفيات معظمها خاصة لا ترضى بالقليل، ولا ترحم الفقير، حيث تستأصل ما في جيبه، قبل الورم الذي في جسده، هذا إذا بقي له جسد ينبض بالحياة، خاصة بعدما أصبحت المعاينات بالدولار، وتدفع مقدما عند السكرتيرة، والجراحة تسدد قيمتها قبل الدخول إلى غرفة العمليات، وكلما كانت الحالة المرضية صعبة، كان الابتزاز أكبر.

٣) التعليم: المدارس الخاصة أصبحت كحوانيت السمانة، وربما أكثر، تغريك بالبرامج التعليمية، وبطرق حديثة في التربية والتوجيه، وبأقساط مدروسة. وعندما تقع في حبائلها، تصبح فريسة سهلة لزيادات غير مدروسة، ولدفعات مالية. هذه لدعم المدرسة، وهذه للمصروفات النثرية. وتلك بدل ترفيه وتفقيه. وهذه.. وهذه.. إلى ما هنالك من استغلال لعواطف الأدب الذي يرغب بأولاده أن يركبوا مصاف الكبار، ويحصلوا على أعلى درجات المنى والأحلام. فإذا بالأحلام تتبعثر على مذبح شهوات مديري المدارس وأصحابها.. وإذا بجيل يدخل مرحلة التيه والضياع. وأمام هذا الواقع السلبي باتت شريحة كبيرة من المسلمين في لبنان، تواجه الإقطاع المالي من جديد، والإقطاع الصحي من قبل المستشفيات والأطباء، والإقطاع التعليمي من قبل أدواته المتمثلة في المدارس الخاصة.

المؤسسات الإسلامية

من هنا نشطت مجموعة من المؤسسات الإسلامية في محاولة لمواجهة هذه المشاكل، ولتخفيف المعاناة، وبادرت إلى مد يد العون والمساعدة، وفتحت أبوابها لاستقبال المحتاجين، وصناديقها لمساعدة المعوزين. وقد أسهمت هذه المحاولات بالتخفيف من حدة المعاناة، وببلسمة جراحات المعذبين، ورفع جزء من كابوس المحنة.

صندوق الزكاة

صندوق الزكاة في دار الفتوى، تجاوز عمره السنوات العشر، وهو مؤسسة إسلامية ذات منفعة عامة، انطلق منذ العام ١٩٨٤م، في ميدان المساعدة الاجتماعية الإنسانية، وهو يطبق فريضة من فرائض الإسلام، فيحصل على المال من الأغنياء، ويوزعه على الفقراء.

ويعتمد صندوق الزكاة في برنامجه العام للمساعدات على جملة مشاريع، تغطي معظم المناطق اللبنانية، وتتوزع وفق ما يلي:

١) مساعدات مالية: وهي عبارة عن منح شهرية للذين يستفيدون من برنامج الصرف الدائم. وهؤلاء يحصلون على مبالغ مالية تصرف لهم مباشرة.. كما يدفع صندوق الزكاة مساعدات مالية طارئة (لمرة واحدة) لأصحاب الحاجات الملحة كالأدوية،



● تفخيخ السيارات في المناطق الآهلة.. وحصاد الجنون

حيث عملت (الجماعة) خلال الأحداث على تقديم مواد البناء المتضررين وتقديم الدواء للمرضى، وتشغيل مستوصف يشمل معظم الاختصاصات الطبيبة، وتقديم المساعدات العينية، كالحصص التموينية، والألبسة، وبعض الأدوات المنزلية، وإقامة وجبات الإفطار للفقراء والمساكين والأيتام، وتنفيذ مشروع الأضاحي.

وتتعاون (جماعة عباد الرحمن) و(صندوق الزكاة) في تنفيذ جملة من مشاريع العطاء وهذه المشاريع هي:

١) مشروع دعم الكتاب المدرسي حيث، يقدم الكتاب بنصف الثمن،

الجراحية، والغارمين، وأبناء السبيل، والمتضررين من الأحداث.

ونشطت الجمعية منذ أمد غير قريب بتنفيذ مشروع كفالة الأيتام، فاحتضنت مجموعة من الأيتام، أمنت لهم كفالات من داخل لبنان، ومن خارجه. بالتعاون مع بعض الجهات الإسلامية النافذة على العالم الإسلامي.

كذلك تقدم الجمعية مساعدات عينية كالحصص التموينية، والمواد الغذائية، ولحوم الأضاحي.

المحنة تزداد تفاعلا

والعمليات الجراحية، والأقساط المدرسية والجامعية.

٢) مساعدات عينية: كالحصص التموينية التي توزع مرة أو مرتين في العام، والألبسة التي هي عبارة عن ثياب جديدة توزع مرتين في العام واحدة في الصيف، وأخرى في الشتاء. إضافة إلى إطعام المساكين في رمضان (طبق يومي).

٣) مساعدات مدرسية: من خلال إطلاق مشروع دعم الكتاب المدرسي الذي ينفذه الصندوق في مطلع كل عام دراسي.

جماعة عباد الرحمن

(جماعة عباد الرحمن) صرح إسلامي ناشط في الميدان الاجتماعي منذ عشرات السنين.. وهذه الجماعة ما توانت قط - منذ انطلاقتها - عن تقديم جميع أشكال العون والمساعدة للمسلمين.

ففي فترة ما قبل الحرب، اقتصر نشاطها بمعظمه على الجانب التثقيفي التوجيهي، حيث بادرت إلى إصدار المنشورات الدينية، واحتضان المحاضرات التوجيهية، والنشاطات الكشفية، وجعلت قبلة توجهها نحو الشباب الصاعد، بغية تحقيق سياسة تربوية فاعلة.

وخلال الأحداث وبعدها، وقفت (جماعة عباد الرحمن) إلى جانب الصامدين المتضررين. واحتضنت المسيحيين المهجرين من المناطق الشرقية، وبادرت إلى تقديم المساعدات المالية والعينية، ويمكن حصر نشاطها في الآتي:

١) الجانب الثقافي:

إصدار نشرة دورية تثقيفية دينية تحت اسم (العباد)، وتقويم سنوي يوزع مجانا. وبعض الكتيبات الإسلامية تحت عناوين (حي على الصلاة) لتعليم الصلاة، (من أحاديث الرسول) أحاديث نبوية منتقاة، (سيرة محمد) السيرة النبوية بأسلوب مبسط، وكتيب في أحكام التجويد، وآخر في الآداب الإسلامية.

كما تنشط الجماعة في الأعياد فيتحول مركزها إلى مدينة ملاه للأطفال، تحقق فرحتهم بالعيد، وفي فصل الصيف دورات لطلاب المدارس في الحاسب الآلي (الكمبيوتر)، والخياطة، وتعلم القرآن الكريم، والفقه الإسلامي.

٢) المساعدات:

وجانب المساعدات كبير وواسع، والمستعمل مجانا.

٢) مشروع الكسوة الصيفية والشتوية.

٣) مشروع إطعام مسكين طيلة شهر رمضان المبارك.

٤) مشروع الأضاحي حيث تذبح الأضاحي وتوزع خلال أيام عيد الأضحى على الفقراء والمساكين والمحتاجين.

٥) مشروع مساعدات الترميم للذين تضرروا خلال الأحداث.

جمعية الإرشاد والإصلاح

يبقى النموذج الثالث والأخير، وهو (جمعية الإرشاد والإصلاح الخيرية الإسلامية)، التي تنشط منذ عشر سنوات على تنفيذ بناء مسجد (السلطان محمد الفاتح) في منطقة (تلة الخياط) ببيروت. ويتضمن هذا المسجد عدة مرافق تؤهله لأن يكون في المستقبل القريب مركزا إسلاميا كبيرا، يستوعب مختلف النشاطات الثقافية والاجتماعية.

والجمعية تقدم مساعدات مالية للعائلات الفقيرة المحتاجة وفق برنامج شهري، وأسس علمية مدروسة. كما تقدم مساعدات لمرة واحدة للحالات الطارئة، كالعمليات

واقع ومرتجى

إن الدور الذي لعبته هذه المؤسسات الإسلامية العريقة يشعرنا بالاعتزاز بمؤسسات وقفت خلال نوائب الزمن، إلى جانب شريحة كبيرة من المسلمين. وأعانتها على تجاوز بعض محنتها، وهذا أمر واقع لا يمكن لأحد أن ينكره.

وهذا النهج الذي تمارسه هذه المؤسسات وغيرها ينبغي أن يطرأ عليه تعديل. خاصة أننا أصبحنا في زمن، الحرب فيه انتهت، والمحنة ما زالت تشحذ أنيابها، فمنحة مالية لمحتاج لا تمسح الفقر عنه، ورطل من اللحم لا يغني من جوع، وكسوة بالصيف لا تستر عورة طوال السنة.

لابد من تغيير البوصلة، فلتتوقف المساعدات المالية فورا.. ولتتوقف المساعدات الغذائية والكسائية، وشتى أنواع المساعدات الأخرى.. ولنتوجه في المسار السليم.. ولنعط بدل السمكة صنارة للصيد.

إن الحاجة ملحة إلى تشكيل مجلس أعلى للتخطيط الإسلامي في لبنان، يرسم لنا مستقبلنا، ومستقبل مؤسساتنا، وأجيالنا الصاعدة.

ولابد من التعاون، فتتضافر كل الجهود، وتتآزر كل الطاقات، لنبني المشاريع الإنتاجية، والمدرسة، والمستشفى، والمصنع، والصيدلية، ومحطة المحروقات، وغير ذلك.

وقد آن الأوان كي نمحو آثار التسول عن جبيننا، ونمسح غبار الفقر عن ثيابنا، ونؤسس لمجتمع يعتمد على نفسه في مسيرة ازدهاره وتطوره بإذن الله□

الاستقرار العائلي وأثره على نفسية الأبناء

الأسرة البيئـــــة التـأسيسيـــــة الأولى لكـل فـــــرد.. هي مـــــدرستـــــه الأول وفيهـــــا تتشكـل نفسيتـــــه وشخصيتـــــه

بقلم: ابتهال قدّور

إن الحديث عن الأمـان النفسي، سرعــان مـا يستحضر الأسرة، على اعتبـــار أنها البيئـــة التأسيسيـــة الأولى لكـل فـــرد. ولم يغفل المصلحـون والتربـويـون والـدعـاة عن هـذه الحقيقة، فقـدموا ولا زالـوا يقدمـون الكثير من الـدراسـات والأبحاث التـي تساعـد في شفـاء الأسرة من أمـراضهـا، هـذه الأمـراض التي لا تقتصر آثـارهـا على الفـرد والأسرة، إنما تمتـد لتشمل المجتمع بأكمله، حين تتحول إلى ظواهر اجتماعيـة تحصدهـا الإحصـائيـات العدديـة والنسبية.

وإذا كانت معظم أبحاثنا ودراساتنا تصب في أساليب العلاج فإن النادر منها تلك التي اهتمت بأساليب الوقايـة، من هنا تبرز (لجنة مصابيح الهدى)، لتصنف من أوائل اللجـان التي أدركت أهميـة البحث في أســاليب الـوقــايــة، قبل الاضطرار إلى الخوض في وسائل العلاج!!

الوقاية خير من العلاج

صحيح أننا نكرر باستمرار عبارة: (الوقاية خير من العـلاج) في المجـال الصحي، ولكن من رفع هـــذا الشعــــار – عمليـــا – في المجــــال الاجتماعي داخل الكويت هـو (لجنة مصابيح الهدى)، التي تحاول بكل كفاءاتها وإمكـاناتها تقوية البناء الأسري، حتى تُكـون لديه أسباب مناعتـه، في حالـة المشاكل الطـارئة. فهي بذلك تكون قد تجاوزت المرحلة التقليـدية في العلاج، والتي تتمثل في انتظـار الـوقوع في المشكلـة، ثم طـرح سبل عـلاجهـا!! لأنها تطبق بشكل عملي قواعد الفعالية الـوقائية التي تلتفت إلى معالجة الأسبـاب قبل معـالجة النتائج، وهـو أسلـوب تفتقـر إليـه المؤسسات الاجتماعيـة في عـالمنـا الإسلامي عموما!!

وقـــد تخطت اللجنـــة المذكـــورة الكثير من الحواجـز التقليـدية، هـذه الحواجـز التي تلف الإنســان بغـلاف سميك يحجب عنـه الإبـداع والابتكـار والمرونـة، ويقيـــده داخل إطـار من (الالتزام اللاواعي) بكل ما وجد عليه الآخرين، أو بكل ما اتبعه من سبق!!

ولا تخفى على أحد تلك الضجـة التي أثارتها الدورة المنعقـدة في سنة ١٩٩٣م، والتي حملت عنوان: (مهارات وفنون التعامل بين الزوجين)، تلك الدورة، يطيب لي أن أعتبرهـا بدايـة نقلة في العمل الاجتماعي من أسلـوب (اتبـاع القـوالب الجاهزة)، إلى أسلوب (صناعة وصياغة القوالب الملائمـة)، وهـذه النقلـة تعكس – في الـواقع – وعيا كبيرا لدى المشرفين والمنظمين لهذه اللجنة، لأن وسائل المحاكمة والاستنتاج تدل على أن هذا الأسلوب لا يأتي إلا من قبل جهاز مبدع وفعال نحن بحـاجة إليـه مع بـدايات القـرن الواحـد والعشرين، الـــذي نأمل أن يشهـــد تحولات رئيسيـة في أعلى مستـوى أســـاليب صيـاغـة الإنسان المسلم. الـذي تشكل الأسرة أهم وأبرز الخطوط في رسمه. الاستقـرار العائلي.. ضرورة نفسية

في آخر فعالياتها كـانت المحاضرة التي ألقاها د. عادل الزايـد يو م ٢٥/٣/٩٥م تحت عنوان (الاستقـرار العائلي، أثـره على نفسية الأبنـاء)، والتي ناقش من خلالها المحاور التالية:

- مم تكون نفسية الإنسان؟
- نفسية الطفل.
- المؤثرات.
- أثر الأسرة في نفسية الإنسان.



● للمراهقين نصيب واف من اهتمامات اللجنة

- المشاكل والحلول.

ثم رسم من خلال هذه المحاور الدوائر الإيضاحية التي تتشابك في تركيبة الإنسان النفسية، مركزا على ثلاث دوائر رئيسية هي: دائرة الطفل: التي تتطلب الحنان، والمرح، وكسر القيود، والانطلاق.

دائرة البالغ: وهو الجانب الذي يقرر الأمور بتوازن وحكمة.

دائرة الأبوين: وهو الجانب الذي يمنح الحنان للغير، ويحيطه بالرعاية والعطف.

ثم أوضح كيف أن طغيان جانب على جانب آخر يتمخض عنه إنسان غير متوازن، تضخمت عنده ناحية دون النواحي الأخرى. فتسبب هذا الأمر في إصابته بأمراض نفسية مثل الاكتئاب، والطفل الهستيري، وانفصام الشخصية، وما إلى ذلك من الأمراض النفسية التي يسببها غياب إحدى الدوائر، أو تضخمها على حساب دائرة أخرى.وعزا هذا الخلل في معظم حالاته إلى انعدام الاستقرار في الأسرة.، مبينا كيف أن الخلافات الزوجية تتسبب مباشرة في إحداث خلل يترك آثارا نفسية سيئة وسلبية تمتد إلى مراحل العمر المتقدمة. ووصل إلى أن الاستقرار الأسري هو العامل الأساسي لتوازن الدوائر حسب مساحاتها المطلوبة، مؤكدا أن هذا التوازن يتأتى بشكل عفوي، في حال تهيؤ عامل الاستقرار.

آثار الطلاق السلبية

وأدان المحاضر الطلاق، واعتبره السبب في ٦٠٪ من حالات الاكتئاب.. ولكنه لم يسهب في شرح هذه النقطة، لذلك أجد أن من الحكمة التنويه إلى أن الطلاق بحد ذاته لا يعتبر عامل هدم في كل الأحوال، ولكن ما يعمل على الهدم هو عدم علاج ظروف وأوضاع ما بعد الطلاق.. وأجدني أركز على ضرورة توزيع الأدوار بين الأم والأب بشكل سليم ومتكامل، لكي تنجح عملية التوازن.. لأننا - ونحن نسلم بأن الزواج بحد ذاته لا يعتبر سببا في تشكيل طفل متوازن نفسيا، إذ يشترط في هذا الأمر مراعاة الزوجين لأسس عامة في توزيع الأدوار والواجبات والمهام، والاتفاق على منهجية تربوية غير متناقضة، ولا متضاربة - فإننا في المقابل نستطيع القول بأن خلق الأجواء المناسبة لما بعد الطلاق تخفف من حدة المشكلة بشكل كبير، إذا ما كان هناك اتفاق أيضا على توزيع الأدوار بشكل متوازن بين الوالدين.

دور الدين والعرف

ولم يغفل المحاضر أهمية الدين والأعراف في



● من أنشطة (مصابيح الهدى) الترفيهية للشباب

التأثير على الدوائر الموضحة لنفسية الإنسان، ولم يفته الربط الموضوعي بين النظريات الصحية النفسية والتعاليم الإلهية في العملية التربوية. فنحن نجد أن الإسلام قد اهتم بمعالجة الظروف المحيطة بالطفل، في فترة ما بعد الطلاق فوزع المهام والأدوار بشكل يضمن للطفل جوا صحيا يبعده عن الأزمات النفسية، ولكن ما يحدث حاليا هو محاولات مختلفة الأحجام تهدف إلى تخفيض نسبة الطلاق في المجتمع، وهذا هدف سام لا يختلف عليه اثنان ولكن الحاجة ماسة في المقابل إلى بذل جهود متساوية من أجل خلق جو ملائم للطفل في حالة ما بعد الطلاق.. لأننا إذا ما اعترفنا بالطلاق كحل لمشاكل زوجية مستعصية بنفس طريقة اعتراف الإسلام به، وإذا ما سلمنا أننا لن نستطيع برغم كل الجهود أن نلغي هذا الحل لأسباب كثيرة تفسح المجال أمام بحث آخر، ليس موضوع طرحنا، فإنه ينبغي علينا من زاوية البحث عن التوازن والتكامل والشمولية، البحث عن أساليب فعالة وعملية وبسيطة موجهة للأم والأب المنفصلين تؤهلهما للارتقاء فوق ذواتهما، وخصوماتهما، من أجل تخفيف وطأة هذا الانفصال على الطفل.

وأجدني أتوجه بتلميحي هذا إلى (مصابيح الهدى)، على اعتبارها لجنة اهتمت وبرزت في تطوير الأساليب والاستفادة من اللفتات الصغيرة في بناء علاقات قوية ومتينة، كاستفادتها من إهداء الوردة الجورية في إعادة بناء العلاقة الأبوية، أو الاستفادة من بطاقة لطيفة في إعادة الحيوية إلى روتين الحياة الزوجية. لأن الاهتمام ــ بأساليب مشابهة ــ بإعادة الأمان إلى نفسية طفل كان ضحية انفصال والديه، ينبغي أن يكون أيضا من ضمن الخطط الموضوعة.

مجالات واسعة شمولية

إن المحاضرة التي نظمتها لجنة (المصابيح) عن الاستقرار الأسري تفتح المجالات واسعة أمام أفكار خلّاقة، تأخذ منحى الشمولية في علاج أسباب الفشل الأسري سواء أكان هذا قبل الزواج أم بعده للوقاية من الطلاق، أو قبل الطلاق وبعده ، للوقاية من الدمار النفسي لأطفال سيكونون بناة المجتمع الإسلامي القادم.. نعم إن بناء المستقبل يبدأ من هنا، من بناء نفسية الطفل، ونقطة التحول بالمجتمعات الإسلامية مهما اختلفت الآراء في أولويات مراحلها، فإن نقطة الإجماع تبقى: البناء الاجتماعي المتماسك الذي لا يتحقق إلا ببناء نفسيات أبنائه وقيمهم وثقافتهم، لأنها السور الذي سيؤمن لهم الحماية والقدرة على المقاومة،

ومن ثم العطاء..

وهذا يبدأ بالأسرة، فقد أدركت لجنة المصابيح نقطة البداية، وعليها تقع مسؤولية المواصلة، والاستمرار كواجب يفرضه عليها مؤهلاتها، التي اعترف المجتمع بآثارها الملموسة■



نافذة على العالم

صندوق وقفي للثقافة والفكر

قال مدير إدارة شؤون الصناديق في الأمانة العامة للأوقاف صلاح الغزالي إن وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، رئيس مجلس شؤون الأوقاف أصدر قرارا بإنشاء الصندوق الوقفي للثقافة والفكر، وذلك بتاريخ ١٤/٣/١٩٩٥م.

وذكر الغزالي أن الصندوق يهدف إلى نشر الثقافة الإسلامية في شتى المجالات مع السعي إلى الاهتمام بدعم ونشر الفكر الإسلامي المستنير، وللصندوق الحق في القيام بجميع الأعمال والمشروعات اللازمة لتحقيق أهدافه، وعلى الأخص ما يلي:

دعم الإنتاج الفكري الجاد والعمل على نشره بمختلف وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية. إقامة المؤتمرات والندوات الثقافية والفكرية. تنظيم المسابقات الثقافية والجوائز السنوية للأبحاث والدراسات الإسلامية. المساهمة في إقامة المكتبات الثقافية وتزويدها بالمؤلفات المتميزة. دعم طلاب العلم المتفوقين. دعم وتنمية ثقافة الطفل، وغرس الاهتمام بالثقافة في نفوس النشء. المساهمة في تطوير أدوات الثقافة الإسلامية المحلية.

وقال الغزالي: إن القرار قد خصص ريع أصول وقفية قيمتها مليون دينار كويتي للصرف على مشاريع وأنشطة هذا الصندوق.

وأضاف الغزالي أنه قد تم تشكيل مجلس إدارة الصندوق بقرار وزاري آخر، وذلك على النحو التالي:



● عبد العزيز سعود البابطين

الدكتور عبد الله يوسف الغنيم، فيصل محمد الحجي، عبد العزيز سعود البابطين، عبدالعزيز بدر حسين القناعي، الدكتور عبدالله حمد المحارب، الدكتور عبدالله محمد الشيخ، الدكتور وائل محمد الحساوي، بثينة إبراهيم مكي، مدير الصندوق الوقفي للثقافة والفكر.

والجدير بالذكر أن الصندوق الوقفي للثقافة والفكر يعتبر الصندوق الثاني الذي انتهت إجراءات تأسيسه بعد الصندوق الوقفي لرعاية المعاقين والفئات الخاصة، وان هناك مجموعة من الصناديق الأخرى التي تم الإعلان عنها وعددها ثمانية سيتم استكمالها خلال هذين الشهرين ليكتمل العدد، وهو عشرة صناديق وقفية.

مفتي لبنان يزور بيت الزكاة

استقبل المدير العام بالنيابة في بيت الزكاة السيد عبد القادر ضاحي العجيل في مكتبه يوم ٢٧/٣/١٩٩٥م، القائم مقام مفتي جمهورية لبنان سماحة الشيخ د.محمد رشيد قباني ورئيس مجلس إدارة الأوقاف الإسلامية في بيروت د.خالد قباني، وتناول الطرفان المواضيع المتعلقة بتنظيم الندوة الخامسة لقضايا الزكاة المعاصرة في لبنان خلال الفترة من (١٨ - ٢٠/٤/١٩٩٥م)، إضافة لبحثهما العلاقات الثنائية بين الطرفين في مجال العمل الخيري، ومشاريع بيت الزكاة في لبنان، وأكدا ضرورة التنسيق والاتصال الدائم بينهما في هذا المجال.



● عبد القادر العجيل

ولائم الإفطار في بيت الزكاة

أعلن محمد عبد الرحمن العجمي مدير مشروع ولائم الإفطار في بيت الزكاة أن خمسة آلاف صائم استفادوا من المشروع الذي نفذه البيت خلال شهر رمضان المبارك، قدمت لهم ١٥٠ ألف وجبة طوال الشهر، وعبّر عن ارتياحه لنجاح المشروع الذي نفذه البيت في ٣٢ مسجدا، موزعة على جميع محافظات الكويت.

وأوضح أن المشروع نفذ في المساجد بصورة مطمئنة من حيث النظام والهدوء والسكينة، وقال إن الوجبات الغذائية كانت جيدة وكافية، وذلك من خلال تفحصها المستمر، والزيارات المتكررة لهذه المساجد، واللقاء بالإخوة المستفيدين الذين أعربوا عن شكرهم لبيت الزكاة ولكل من ساهم في هذا المشروع.

توقع انتهاء الفقر في إندونيسيا عام ٢٠٠٠

نقلت وكالة أنباء (انتارا) الإندونيسية الرسمية أمس عن الرئيس الإندونيسي سوهارتو قوله: إنه لن يكون هناك بالبلاد أحد يعيش تحت خط الفقر بحلول عام ٢٠٠٠.

وقال سوهارتو: إنه مع انتهاء خطة التنمية الخمسية الحالية في ١٩٩٩م، أو خلال الخطة الخمسية التالية على أكثر تقدير، سيتم القضاء على الفقر المدقع في إندونيسيا.

ونقلت الوكالة عنه قوله: (يبلغ عدد الإندونيسيين الذين لا يزالون يعيشون تحت خط الفقر ٢٥,٩ مليون نسمة. ومن المتوقع أن يتناقص هذا العدد من سنة لأخرى بما يتماشى مع تقدم التنمية الوطنية).

وقال: إن ثمار التنمية الاقتصادية ستوجه لأشد القرى فقراً.

ثلاثة اقتراحات لحل قضية كشمير

طرحت جبهة تحرير جامو وكشمير ثلاثة اقتراحات للتوصل إلى حل لقضية كشمير سلميا أولها: تهيئة الفرصة لجميع القادة الكشميريين من مختلف التوجهات للاجتماع في بلد محايد والخروج بصيغة للحل مقبولة من الجميع. وأوضحت الجبهة أن الاقتراح الثاني: هو عقد مؤتمر ثلاثي تحضره الهند وباكستان وممثلو كشمير تحت رعاية الأمم المتحدة، والولايات المتحدة الأميركية. والثالث هو: توحيد الجزأين الهندي والباكستاني من كشمير بعد انسحاب قوات البلدين منهما، وبعد هذا توضع الولاية تحت رعاية إدارة محايدة بإشراف الأمم المتحدة، ويُجرى استفتاء عام يقرر فيه سكان كشمير اختيارهم الحر.

توزيع جائزة الملك فيصل العالمية

احتفل في الرياض يوم ٢٤ شوال ١٤١٥هـ، الموافق ١٩٩٥/٣/٢٥م، بتسليم جائزة الملك فيصل العالمية إلى الفائزين بها هذا العام، وهم ثمانية من علماء الإسلام، ورجال الفكر والعلوم من المسلمين والأجانب وقيمتها مليون دولار، وقد فاز العلماء الثمانية في أربعة من فروع الجائزة الخمسة، نصفهم ينتمون للعالم العربي من مصر وسوريا، ومثلهم من الغرب وينتمون لثلاث جنسيات أميركية وكندية وبريطانية، وتضاعفت قيمة الجائزة الأولى لأول مرة هذا العام لتصبح ٢٠٠ ألف دولار عن كل فرع بدلا من نحو ١٠٠ ألف دولار في السابق. وقام النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز بتكريم الفائزين وتسليمهم الجوائز في احتفال كبير أقامته مؤسسة الملك فيصل الخيرية التي تنبثق عنها الجائزة. وقد حجبت اللجنة جائزة الدراسات الإسلامية حيث إن الأعمال المرشحة مع ما بذل فيها من جهد، حسب تعبير اللجنة، لا ترقى إلى المستوى المطلوب لنيل الجائزة.

ثم أعلنت الجوائز من قبل اللجنة على النحو التالي:

خدمة الإسلام

قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام منح الجائزة هذا العام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) سماحة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الأزهر الشريف بجمهورية مصر العربية فائزا بالجائزة، وذلك لتعدد مجالات عمله في خدمة الإسلام والمسلمين.

الأدب العربي

في الأدب العربي قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية منح الجائزة هذا العام ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، وموضوعها (الدراسات التي تناولت أعلام الأدب العربي الحديث) لكل من: الأستاذ الدكتور حمدي سيد أحمد السكوت، الأستاذ الدكتور محمد أبو النوار محمد علي، الأستاذة سلمى لطفي الحفار الكزبري.



● الشيخ جاد الحق

المناعة الجزيئية

قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للطب أن تمنح الجائزة هذا العام ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، وموضوعها «المناعة الجزيئية» مشاركة لكل من: الأستاذ الدكتور غريغوري بول ونتر من بريطانيا، والأستاذ الدكتور مارك ديفز الأميركي الجنسية، الأستاذ الدكتور تاك واه ماك الكندي الجنسية.

مجال العلوم

أما جائزة العلوم، فقد قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للعلوم منح الجائزة هذا العام ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، وموضوعها (الكيمياء)، للأستاذ الدكتور باري شاربلس، الأميركي الجنسية. هذا وقد ذكرت الأمانة العامة للجائزة أنها سترفع القيمة النقدية للجائزة اعتبارا من هذا العام من ٣٥٠ ألفا إلى ٧٥٠ ألف ريال سعودي، أي ما يعادل ٢٠٠ ألف دولار أميركي. وأن المبلغ الإجمالي للجوائز الخمس هو ما يعادل مليون دولار أميركي.

وأعلنت عن موضوعات السنة المقبلة وهي:

في الدراسات الإسلامية: (الدراسات التي عنيت بالسيرة النبوية).

في الأدب العربي: (أدب الرحلات في التراث العربي تحقيقا أو دراسة).

في الطب: (العناية بالرضيع الخديج - ناقص النمو).

في العلوم: (علم الحياة - البيولوجيا).

الاجتماع الثاني للقطاع الخاص في العالم الإسلامي

أعلن عقيل أحمد الجاسم الأمين العام للغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة أن الغرفة الإسلامية ستعقد الاجتماع الثاني للقطاع الخاص في العالم الإسلامي في القاهرة في شهر أكتوبر القادم ١٩٩٥م، وذلك لتطوير وزيادة التبادل التجاري والتعاون الصناعي والاقتصادي والاستثمار بين البلدان الإسلامية.

ويعقد هذا الاجتماع بالتعاون مع اتحاد الغرف التجارية في مصر ومن المنافع المتوقعة لهذا الاجتماع تعريف التجار، ورجال الأعمال في البلدان، والتعرف على مجالات التجارة والأسواق والاستيراد والتصدير.

وكانت الغرفة الإسلامية للتجارة قد عقدت الاجتماع الأول للقطاع الخاص في البلدان الإسلامية في استانبول في ١٨ أكتوبر ١٩٩٤م، وحضره ١٥٠ من ممثلي المؤسسات التجارية والشركات والبنوك والمؤسسات الصناعية والاقتصادية.

والغرفة الإسلامية للتجارة ومقرها كراتشي منظمة متفرعة عن منظمة المؤتمر الإسلامي.

مجلس عالمي للتصدي لأعداء الإسلام

سيتم قريبا إنشاء المجلس العالمي للمعلومات الإسلامية. ويأتي تأسيس هذا المجلس كمحاولة لصد التيار المتزايد لآثار الشبهات الباطلة عن الإسلام، وتشويه صورته في الأذهان. فقد سبق ذلك تشاور وإعداد ودراسة مكثفة حول جدوى المشروع من قبل الندوة العالمية للشباب الإسلامي. وقد عقد اجتماع للأعضاء المؤسسين للمجلس في بريطانيا، حيث تم اعتماد دستوره ووضعت له الخطط المستقبلية القريبة والبعيدة.

وينتظر أن يضم المجلس في عضويته عددا من الشخصيات الإسلامية كالشيخ عبد الله المطوع رئيسا، والدكتور مانع الجهني رئيسا لمجلس الأمناء، والداعية الألماني أحمد فون دنفر نائبا للرئيس.

ويشتمل الهيكل الإداري للمجلس على مجلس استشاري موسع يضم عددا من الشخصيات المرموقة في علوم الشريعة الإسلامية والاقتصاد والمال والدعوة.

إلى جانب لجنة تنفيذية مكونة من ثمانية أعضاء منتخبين من قبل مجلس الأمناء، وذلك لتنفيذ القرارات ومتابعة أعمال المجلس، الذي سيتخذ من بريطانيا مقرا له.

ويحظى إنشاء هذا المجلس بدعم وتشجيع عدد من الشخصيات الإسلامية المعروفة، أمثال الشيخ أبو الحسن الندوي، وكامل شريف، والمشير عبد الرحمن سوار الذهب، والدكتور يوسف القرضاوي وغيرهم.

إلغاء مشاريع لصندوق النقد

قال مسؤول كبير عن وضع سياسة صندوق النقد الدولي إن الصندوق ألغى خطة مثيرة للجدل لضخ نحو ٥٥ مليار دولار في اقتصاد العالم بعد أن عجزت الدول الغنية والفقيرة عن الاتفاق عليها.

وقال فيليبي مايستات رئيس اللجنة المؤقتة لوضع سياسة صندوق النقد الدولي إن هذا الاقتراح لن يدرج على جدول أعمال الاجتماع نصف السنوي، الذي يعقده الصندوق في واشنطن هذا الشهر، وأضاف مايستات - وهو وزير مالية بلجيكا أيضاً - لا أرى أي احتمال للتوصل إلى اتفاق خلال اجتماعنا المقبل.

وأيد ميشيل كامديسي عضو مجلس إدارة صندوق النقد المنتدب خطة الخمسة والخمسين مليار دولار كوسيلة للمساعدة في تلبية الطلبات العالمية المتزايدة على رأس المال، وحظيت بتأييد الدول النامية.

وبموجب الاقتراح سيتعين على صندوق النقد الدولي توفير أموال من لا شيء من خلال إصدار لحقوق السحب الخاصة لكل أعضاء الصندوق البالغ عددهم ١٧٩ عضواً.

ولكن الدول الصناعية الغنية ولا سيما ألمانيا عارضت الخطة قائلة: إنها لا ترى ضرورة لها.

حصاد (الأيدز) في مالاوي

أعلن نائب الرئيس المالاوي مالاويت جوستان ماليويزي أن سبعة أشخاص يموتون بمرض قصور المناعة البشرية المكتسبة «الأيدز» كل ساعة في مالاوي. وأدلى ماليويزي بهذا التصريح في افتتاح مؤتمر لمدة يوم واحد حول مرض الأيدز. وأضاف ماليويزي أنه منذ ظهور أول ١٧ حالة من مرض الأيدز في البلاد عام ١٩٨٥، وحتى مارس من هذا العام توفي ١٣٨ ألف شخص نتيجة إصابتهم به.

ولي عهد بريطانيا.. وكلمة إنصاف

خلال زيارته الأخيرة للقاهرة أكد الأمير تشارلز في حديث لجريدة الأهرام أن العالم الغربي مدين في حضارته الحالية للعالم الإسلامي. وقال إن العالم الغربي لا ينكر ذلك، وأنه ينبغي على العالمين الإسلامي والمسيحي أن يعملا على تفادي الخصومة لأن لدى كل منهما ما يقدمه للآخر. وأكد الأمير تشارلز أن ما يربط العالم الإسلامي والعالم المسيحي أقوى مما يفرق بينهما .. وقال إن المسلمين والمسيحيين واليهود هم أهل كتاب يشتركون في عناصر توحيدية مشتركة.

وأضاف ولي العهد البريطاني أن الجميع يشتركون في قيم رئيسية عديدة منها احترام العدالة والتعاطف تجاه الفقراء والمحرومين، وتقدير أهمية الحياة الأسرية. وأعرب الأمير تشارلز عن اعتقاده بأن المناقشة والحوار هما السبيل الوحيد للتغلب على المشكلات التي يمكن أن تنشأ بين الديانات والتقاليد والثقافات المختلفة.

وجدير بالذكر أن لولي عهد بريطانيا محاضرة شهيرة ألقاها أمام جامعة أكسفورد البريطانية منذ عام استعرض فيها مآثر الحضارة الإسلامية على العالم الغربي.



وجاءت هذه المحاضرة في أعقاب بدء حملة غربية معادية للإسلام، تطالب باعتباره العدو الجديد للحضارة الغربية بعد انهيار الشيوعية والكتلة الشرقية السوفييتية. وهي الحملة التي يتبناها بعض السياسيين الغربيين وكان آخرهم ويلي كلايس الأمين العام للحلف الأطلنطي الذي أدلى بتصريح بهذا المعنى منذ حوالي شهر.

آثار الشذوذ الجنسي في الجيش الأميركي

سلطت محاكمة الأضواء على سياسة الإدارة الأميركية التي تسمح بالتغاضي عن وجود الشواذ جنسيا في صفوف القوات المسلحة الأميركية، وقال محام عن الحكومة إن إلغاء هذه السياسة قد يضر بمستوى الفعالية العسكرية.

وفي المرافعات الأولية، جادل محام عن ستة عسكريين بأن السياسة التي أقرها الكونغرس في نوفمبر ١٩٩٣م، تنص على عدم مطالبة العسكريين بالكشف عن ميولهم الجنسية، وتمثل انتهاكا لحقوقهم الدستورية في حرية التعبير عن الرأي والتمتع بالمساواة في الحماية بموجب القانون، وأنها تقوم على أساس التحامل ضد الشواذ جنسيا.

لكن جون روجوفين نائب مساعد المدعي العام قال للقاضي يوجن نيكرسون الذي ينظر في القضية من دون وجود هيئة محلفين: إن التوترات الجنسية من شأنها أن تقلل درجة الاستعداد لأية وحدة عسكرية، وهذه التوترات تنشأ عندما يكون هناك انجذاب بين أشخاص، ومشاعر الغيرة والتوترات تنشأ من العلاقات وغالبا ما تكون نتيجة وجود علاقات جنسية في أية وحدة.

وتمثل القضية أول تحد دستوري مباشر لقانون سلطة الدفاع الوطني الذي توصلت إليه إدارة الرئيس بيل كلينتون كحل وسط لحظر الجيش عدم التحاق الشواذ جنسيا من الرجال والنساء بالخدمة العسكرية.

مفاعل ديمونا الإسرائيلي ينشر السرطان

انتشرت ظاهرة الإصابة بمرض السرطان بين مئات العاملين الإسرائيليين في المفاعل النووي الإسرائيلي في ديمونا بمنطقة النقب.

وكشفت صحيفة (كل هعير) الإسرائيلية النقاب عن تقارير طبية أثبتت تفشي مرض السرطان بالعاملين في مفاعل ديمونا النووي بمن فيهم عناصر الجيش والأمن الإسرائيليين. وأوضحت الصحيفة أن الإصابة بهذا المرض شملت جميع الذين عملوا لمدد طويلة في هذا المفاعل، وأن علاجهم أصبح بلا جدوى لتآكل رئاتهم وأمعائهم وغددهم.

ونقلت الصحيفة عن العديد من المصابين قولهم: كنا نشارك في عمليات تصنيع اليورانيوم، وتعرضنا عدة مرات للأشعة ولم توفر لنا الحماية الملائمة، وقرر كثيرون منهم رفع دعاوى ضد الحكومة الإسرائيلية للإهمال السائد في ظروف العمل، والذي أدى إلى إصابتهم بالسرطان.

حصيلة الحقد الأسود!!

أكدت آخر إحصائية صدرت عن دائرة متابعة جرائم الحرب في البوسنة أن مليونا و٧٣٠ ألف شخص قد نزحوا من منازلهم أو جرى تهجيرهم بالقوة منذ عام ١٩٩٢ حتى الآن.

وأضافت الإحصائية أن عدد القتلى قد بلغ ربع مليون نسمة بينما بلغ عدد المفقودين ١١ ألفا.

وأبرزت الإحصائيات تدمير قرابة ٢٠٠ مسجد وعشر كنائس كاثوليكية على يد الصرب في مناطق متفرقة من البوسنة.

كما هدم الصرب أثناء السنوات الأخيرة حسب الإحصائية ٢٣٠ مدرسة ومعهدا تعليميا إضافة إلى تدمير ١٠٧ عيادات طبية ومستشفى في البوسنة والهرسك.

وأوضحت الإحصائية أن أكثر المناطق البوسنية التي أصابها الدمار البشري والعمراني جاء في شرق وشمال البوسنة إضافة لمنطقة بانيا لوكا في الشمال الغربي أيضا.



حقوق الإنسان في الإسلام

عندما كان العالم في غمرة من الجهل والظلم، كان منطق القوة مسيطراً عليه، ولم يكن للحق والعدالة فيه وجود، جاءالإسلام لينظم أمور الإنسان وينسق علاقاته بربه ونفسه وبني جنسه، ويقرر المبادىء الخاصة بحقوقه السياسية الاجتماعية والمدنية، ويحترم الشخصية الإنسانية بكفالته لحرية الفكر، وحرية التدين والحرية السياسية، وأثبت للإنسان حقوقاً لم تبلغ إليها القوانين الحديثة في القرن العشرين، والمبادىء التي قررها الإسلام لصون كرامة الإنسان وحقوقه لا تزال برونقها وصفائها أكثر بهاء من كل ما جاء به البشر ووصل إليه التقدم..

بقلم: محمود الشرقاوي

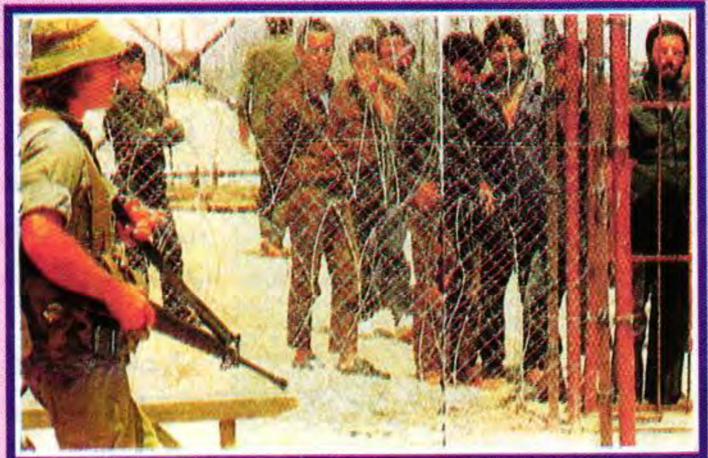
ولو وازن الإنسان بين ما جاء به الإسلام وبين ما اهتدى إليه العقل البشري أو أتت به القوانين البشرية بمختلف أنواعها، لأدرك أن المبادىء الإسلامية الخاصة بحقوق الإنسان أحق وأعدل وأنها أثبتت للإنسان حقوقاً لا توجد في غيرها من القوانين، وصانت للإنسان شخصيته وكرامته.

حرمة المسكن في الإسلام

حرص الإسلام على الصون والأسرار فانعكس هذا على طراز عمارة البيت الإسلامي الذي يفتح على الداخل لا الخارج، والذي تشكل نوافذه مشربيات حاجبة، حتى حديقته ونافورته تقوم في الداخل ليستقل أصحابه بما حوى.

وفي القرن العشرين نجد أجهزة التجسس العلمية عند من يسمون أنفسهم بالعالم الأول، تحرم الإنسان من حياة خاصة يحياها، وتحرمه من متعة الستر والسر، ولقد بلغ الأمر بهؤلاء أن انتهكوا حرمة الأفراد إلى النخاع حتى ليسمى (باكارد) المجتمع الأمريكي (المجتمع العاري) في كتابه (the naked society) إن للفرد في الإسلام الحق في طلب المحافظة على (خصوصياته) وهي التي يريد أن يحتفظ بها لنفسه، وفي علاقاته مع بعض من يثق بهم.

يقول الله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ [الاسراء:٣٦] أي تتبع ما ليس هو من شأنك أن تعلم به، فينتهي عن السعي والتتبع للوقوف على أسرار الغير لأنها هي التي من شأنها أن لا يعلم بها غير صاحبها.. إذ ينهى عن ذلك فإنه يحفظ على كل إنسان خصوصياته، وفيما تستطرد فيه الآية بعد ذلك، إذ تقول: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ [الاسراء:٣٦] انما تؤكد النهى السابق، بتحديد مسئولية إنسانية الفرد التي تتمثل في إدراكه وفي إيمانه عن مخالفته، فعملية التتبع لأسرار الغير تتم عادة إذا خف إيمان القلب ثم نشط العقل في تبرير وسائل التتبع وتحديد مسئولية الايمان والعقل في تتبع أسرار الغير وخصوصياته، تتضمن



أن الانسان المتتبع لأسرار غيره، قد تجرد من الايمان وحكمة العقل.

وللفرد الحق – قبل الدولة – في الحفاظ على حرمة المسكن. يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا (أي حتى تحسوا برضاء الإنس والقبول لكم بين هذه البيوت، وهذا الشرط يحول دون اقتحام المسكن بالإكراه، في بياض النهار أو ظلام الليل) وتسلموا على أهلها (أي وعند شعوركم بإحساس الرضا والقبول تلقون السلام – وهو شعار الأمان والإطمئنان – على أهلها) ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم (وهذا تأكيد لحرمة المسكن) ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم﴾ (وهذا الجزء من الآية دليل آخر على نفى الإكراه واقتحام المساكن بالقوة) والله بما تعلمون عليم. ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ [النور:٢٧-٢٩].

والإسلام ينهى عن التجسس، قال تعالى: ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله ان تواب رحيم﴾ [الحجرات:١٢].

إن رعاية حرمة أسرار الفرد وخصوصياته إلى هذا الحد في تعاليم القرآن الكريم، تبرز سمو الإسلام في حكمه وسياسته، وتفوقه في رعاية الإنسانية، على نظم الحكم المعاصرة.

حماية حقوق العدو!

حمى الإسلام الحقوق الشخصية للعدو فحرم في الحروب هدم المنازل. روى مسلم من حديث بردة أن النبي ﷺ كان إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال ﷺ: «اغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً»..

وجاء في الصحيحين: أن النبي ﷺ نهى عن قتل النساء والصبيان، وهذه وصية أبي بكر الصديق إلى قائدة يزيد بن أبي سفيان التي رواها الإمام مالك في موطئه، قال: (إني موصيك بعشر خلال: لا تقتل امرأة ولا صبياً ولا كبيراً، ولا هرماً، ولا تقطع شجراً، ولا تخرب عامراً، ولا تعقرن شاة، ولا بعيراً إلا لمأكله، ولا تعقرن نخلاً، ولا تحرقه، ولا تغلل، ولا تجبن).

وبالغ الإسلام في اكرام الأسير، حتى أن نصوص القرآن تعتبر اطعام الأسير من أكبر البر، ويذكر صفة من صفات المؤمنين، فيقول سبحانه في صفات المؤمنين الأبرار ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ [الانسان:٨].

> حمى الإسلام الحقوق الشخصية للعدو فحرم في الحروب هدم المنازل

> حرص الإسلام على الحقوق الشخصية للإنسان حتى قبل أن يولد

ويقرر الإسلام أن الذين يدخلون الديار الإسلامية وقت الحرب من التجار مستأمنون، وقد أعطوا عهد الأمان، ويستمر أمانهم، وإن كانوا منتمين لدولة معادية، بل لدولة نشبت بينها وبين المسلمين حرب، فيزاولون تجارتهم وأعمالهم. وتكون أموالهم مصونة لا تمس، ماداموا قائمين بحق الأمان الذي أعطى لهم، والعهد الذي تعاهدوا عليه، فلا يقيدون إلا لشروط التي أخذت عليهم.

قال السرخسي في المبسوط في أموال تجار الدولة المعادية بعد نشوب الحرب: (أموالهم صارت مصونة بحكم الأمان فلا يمكن أخذها بحكم الاباحة)، بل إن الاسلام – لحرصه على أموال التجار الذين دخلوا بعقد أمان يقرر – أن التاجر المستأمن يستمر على ملكه، ولو عاد إلى دار الحرب وحمل السلاح محارباً المسلمين.

حفظ حقوق الجنين

حرص الإسلام على الحقوق الشخصية للإنسان حتى قبل أن يولد بمعنى أنه جعل من حق الطفل على والديه، اختيار الإسم الحسن له، واختيار أم يشرف بها. ويروى عن النبي ﷺ قوله: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» [رواه مسلم]، تربت يداك أي لله درك، وذات الدين هي المرأة الصالحة، ذات الخلق الكريم، يزينها أدب وحياء، ويحليها فهم وذكاء، وتخير مثل هذه المرأة يعد أجمل إحسان الأدب لأولاده الذين أنجبتهم، وبها يمن عليهم.

كرامة الرقيق

حرص الإسلام على كرامة الأرقاء، فسوى الإسلام بين الأرقاء ومخدوميهم في الطعام والشراب واللباس والتعليم وفي معظم الحقوق المدنية اللهم إلا في الولاية. قال الرسول ﷺ: «لا يقل أحدكم عبدي، أمتي، وليقل فتاي، وغلامي» [رواه أبو هريرة].

وقال ﷺ: إخوانكم – أي مماليكم – خولكم – أي خدمكم لأنهم يتخولون الأمور أي يصلحونها ومنه الخولى لمن يقوم بإصلاح الحقل – جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوة تحت يده فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم مالا يطيقون، فإذا كلفتموهم فأعينوهم فإنهم لحم ودم مثلكم» [رواه البخاري].

وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «اتقوا الله في الضعيفين المملوك والمرأة».
كان الرق يسرى في ثقافات العالم جميعها فالوصية العاشرة من وصايا التوراة تقول: (لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته) [الخروج، الاصحاح ٢٠].

والمسيحية كذلك جاءت تأمر العبيد أن يحسبوا حساب

حقوق الانسان في الإسلام

سادتهم فرسالة بولس الرسول الأولى إلى (تيموثاوس) تقول: (جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام) [الاصحاح السادس الفقرة الأولى].

جاء الإسلام في وقت كان الرق فيه نظاماً اقتصادياً فلم يمر به في اغضاء ولم يحرمه دفعة واحدة لأنه في قضايا البيئة يبدأ بالواقعية وينتهي إلى المثالية، فعل هذا في الدعوة إلى اجتناب الخمر فعلى الرغم مما فيها من ضرر بالغ وفساد مبين، لم يحرمها الإسلام دفعة واحدة بل مهد لتحريمها بالذم أولاً، ثم بالنهي عن أداء الصلاة في حال السكر ثانياً ثم حرمها ثالثاً، وكذلك تدرج في علاج الرق فسوى بين الرقيق وسيده في المعاملة، كما شجع المسلمين على العتق في:

١) كفارة اليمين، قال تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة﴾ [المائدة:٨٩].

٢) كفارة الظهار: قال تعالى: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به، والله بما تعملون خبير﴾ [المجادلة:٣].

٣) أمر الإسلام بسهم من الزكاة يصرف لتخليص الرقاب من الرق والأسر. قال تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ [التوبة:٦٠].

٤) وقد أشار الله تعالى إلى الطريق التي فيها النجاة والخير فقال جلّ شأنه: ﴿فلا اقتحم العقبة. وما أدراك ما العقبة. فك رقبة﴾ [البلد:١١-١٣] فبين جل ثناؤه، أن اقتحام هذه الطريق وقطعه في فك رقبة من الرق.

٥) من قتل مؤمنا خطأ. قال تعالى: ﴿ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مُسلّمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ [النساء:٩٢].

وغير هذا، بل تجاوز قاعدة الثلث في الوصية إذا كانت ثمناً للرقيق ولو كانت المال كله.

حق الإجارة والاستجارة

حرص الإسلام على حق الإجارة والإستجارة. فقال تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك (أي طلب منك الأمان وعدم التعرض له) فأجره حت يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه (أي ووصله إلى مكان يأمن فيه على نفسه وعلى كل حرماته خارج ديار المسلمين) ذلك بأنهم قوم لا يعلمون (أي لا يعلمون الدين على حقيقته)﴾ [التوبة:٦].

سوى الإسلام بين الأرقاء ومخدوميهم في الطعام والشراب واللباس والتعليم وفي معظم الحقوق المدنية

حرية التفكير

حرص الإسلام على حرية التفكير، فقد بنيت العقيدة الإسلامية براهينها على النظر في الكون ودراسته، وأمر الإسلام المسلم أن يفكر فيما تحت يده في الأرض، وما فوقه من أفلاك ليتعرف على كنهها لأنها سُخّرَتْ له وذللت لإرادته. ولا يمكن أن يدرس الكون دراسة علمية إلا إذا كانت هناك حرية للفكر المستقيم..

وإذا كانت دراسة الكون يطلبها على سبيل الفرض الكفائي، فإن حرية الرأي وإعلانه واجبه. ويرى الإسلام أن النفوس المبتلاه بالهوى لا تفكر في الأمور إلا من زاويتها الخاصة، ولا تدرك المشاكل إلا من منظارها الخاص، والهوى بلاء يقود صاحبه إلى المهالك، ذلك أن الهوى هو قيد للعقل وعائق في سبيل انطلاقه وتحرره. وحين يكثر في الجماعة أو في الأمة أصحاب الهوى والعقول الضيقة المقيدة عندها يكون المجتمع عرضة لأخطار التأخر والجمود. قال تعالى: ﴿أفمن كان على بنية من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾ [محمد:١٤].

ويرى بعض المفكرين أن الدين الذي يقول للناس ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ [النحل:٨] قد فتح أمامهم باحة اللانهاية فلا يدع في أنفسهم حاجة إلى السؤال عن الحدود والغايات. وأباح للعقول أن تجول في كل مجال وأن تجوس خلال كل مجهول.

المساواة بين الناس

حرص الإسلام على حق الانسان في المساواة. قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾ [النساء:١].

فالناس من أصل واحد، وهم سواسية في الأصل والمنشأ. قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات:١٣].

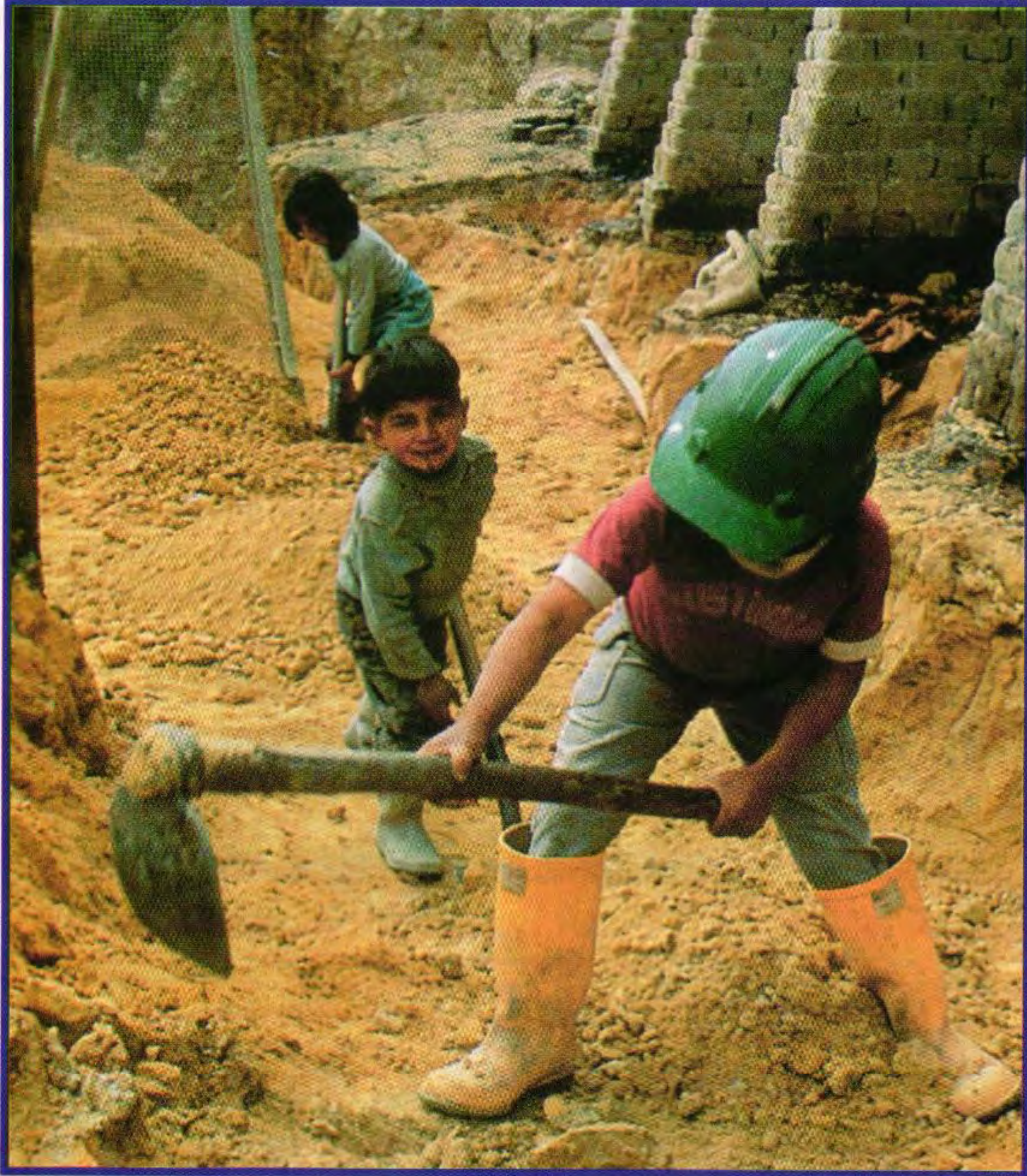
والمساواة التي شرعها الاسلام في تطبيقها وتحقيقها، هي المساواة بين جميع أفراد المجتمع في الحقوق والواجبات. مدنية أو سياسية، أمام القانون، وأما م القضاء، فليس هناك شيء يعلو فوق القانون مكانة، وليس لطائفة قوانين ومحاكم خاصة بها.

والإسلام بريء من العصبيات القبلية. والطائفية، والطبقية، والعنصرية ولم تصل أية حضارة إلى هذا المستوى الرفيع، حتى يومنا هذا، مع أن الحضارات الغربية تزعم كثيراً أنها تحاول القضاء على التمييز العنصري والطائفي، والطبقي ولكنها فشلت في القضاء عليها.

حق التنعم والتجمّل

حرص الإسلام على حق الإنسان في التنعم والتجمل

إن رعاية حرمة أسرار الفرد وخصوصياته في تعاليم القرآن الكريم، تبرز سمو الإسلام في حكمه وسياسته، وتفوقه في رعاية الإنسانية، على نظم الحكم المعاصرة



والمتعة في غير حرام لبناء مجتمع سليم. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [البقرة:١٧٢] وقال جل شأنه: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم (أي خلقنا لكم ما تلبسونه) لباسا يواري سوآتكم وريشا (أصل الريش ما يستر الطير، وأريد به هنا لباس الزينة)﴾ [الأعراف:٢٦].

وقال: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين. قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ [الأعراف:٣١-٣٢].

إن الطيبات نعم الله على الإنسان، والله يحب من عباده أن يقبلوا نعمه التي تدعو إليها فطرهم، ويحب أن يرى أثرها عليهم، ويكره لهم الجناية على فطرهم بمنعها حقها.

ولقد كانت تلك التعاليم التي لبى بها الإسلام داعية الفطرة عاملاً قوياً في شيوع الحضارة البشرية في مظاهر هذه الحياة، فقد أرشدته بوجه عام إلى ما يجمّل به الإنسان نفسه، وبخاصة في مناسبات التجمل بالزينة والرياش، ولفتت الأنظار إلى أن تقوى الله انما هي الانتفاع بتلك النعم، وأوحت بذلك إلى إحياء صناعة الطيبات وصناعة اللباس، كما أوحت إلى الجد في تحصيل مواردها مما تنبت الأرض.

وما كان ذكر المسجد في الأمر باتخاذ الزينة إلا مثل للمجتمعات الفاضلة، التي يجب أن يظهر فيها الإنسان بنعم الله عليه. ولعلنا ندرك من هنا سر الإرشادات النبوية التي تدعو إلى التطيب، وحسن الملبس في مجتمعات الصلاة والأعياد، والمناسبات الجامعة.

هذه الأمثلة من المبادىء التي تقرر نواحي من الحقوق الشخصية للإنسان، ليست إلا أسطر قليلة مستوحاة من دستور الإسلام الأكبر، ومن سنة رسول الله ﷺ.

والإسلام فوق هذا يضع أساس الحياة الراضية المطمئنة بين الناس جميعاً على اختلاف عقائدهم وأجناسهم. فهو دين الأخوة والمساواة والتعاون والتناصح في الخير ونشر السلام□

الثقافة والنهضة، الثقافة العربية والتقنية الحديثة، التحدي العلمي والتكنولوجي. العقل العربي هل هو مشدود إلى الخلف، أم جامد في مكانــه، أم عقل قادر على التطلع بأمل إلى مستقبل أفضل، الأصالة والمعاصرة، التراث والتجديـد، هذه كلها وغيرها إشكـالات مطروحة ومشروعة ويجب حسمهـا أو الحوار حولها، ولكن بشرط أساسي ألا تكـون نوعا من العلاقـات المزيفة أو طريقـة لطمس الحقيقة والواقع أو نوعـاً من الدجل السياسي أو تبريراً أو دعاية لأيديولوجية سياسية معينة أو لسلطة معينة أو قفزا على الإشكالات الحقيقية في الواقع العربي أو تعالياً عليه.

الثقافة العربية بين التحدي الحقيقي والتحدي الزائف

بقلم: د.محمد مورو

الثقافة والتغيير

وإذا اعتبرنا أن الثقافـة هي التي تقود عمليـة تغيير المجتمع وتقـدمـه أو في أقل الحالات، هي في القلب من عمليـة التغيير والنهضـة والتقدم وليست مجرد عمليـة استهـلاك عقلي لـلامتـاع أو التسليـة أو إبراز الذات الشخصيـة أو المجتمعية لكان من الــواجب عمليــا أن نضع التصــور الصحيح للأرضيـة الاجتماعية والأوضاع المجتمعيـة التي تعمل فيهـا هذه الثقـافـة، وبالتـالي فإن اشكالات أخـرى تسبق هذه الإشكــالات يجب أولا أن يكــون الحوار حـولها، أي يجب ألا يتم تجاهلها أو القفـز عليها، وهذه الإشكالات منها.

الثقافة والاستبداد والحضارة

هل يمكن للثقافة أن تكـون قائدة لعملية التغيير والتقدم في ظل سلطـة مستبدة؟ أي تحسم تحدي العلاقة بين السلطة المستبدة والثقافة قبل حسم قضية التحدي في علاقة الثقافة بالعلم والتكنـولوجيا مثلا، وبكلمة أخرى هل تصبح الثقـافة قادرة على حسم تحدياتها المطروحة بدون أن تصبح ثقافة مواجهـة للاستبـداد، وهل يصح الحديث أصلا عن دور للثقافة في غياب الحرية!

الأمر ذاته يكـون في الحديث عن ثقافة في مجتمع مستمــر، ســواء كــان استعمارا تقليديا أو استعمارا حديثا يعمل من خلال آليات السوق أو المؤسسات الماليـة الدولية العمـلاقة، وهل يمكن الحديـث عن ثقافـة قائدة وقـادرة على التغيير إذا تجاهلت هذه الثقــافــة قضيــة كشف العــلاقــات الاستعمارية ومواجهتها.

ومن هذه الإشكالات أيضا الحوار حول طبيعة التطـور الحضاري في العـالم، فهل الحضارة في العالم مجرد حضــارة واحدة تسهم فيها الأمم المختلفة باسهامات معينة في أوقات معينة، أم أن هنــاك خصوصيات حضـارية لكل أمة، وتـواصلا حضاريا أو انقطاعا حضــاريا يخص كل حضارة على حدة، ويشتق من هــذا السؤال العـديد من الأسئلة.

هل نحن أمة ذات حضارة خاصة؟ وهل انقطع تواصلنا الحضاري؟ أم أننا في حالة هـزيمة حضـارية فقط وينبغي البـدء في عملية إقـلاع حضاري جـديد ومـواجهة تحدي الهزيمــة الحضـــاريـــة؟. وهل الحضارة الغربية ذاتها حضــارة عالمية ، أم أنها حضــارة لا تحمل سمات العالميـة لأنها قائمة على العنصرية والقهر والعنف ونهب الآخـرين، وهل الطريق إلى التقـدم يمـر عبر تأكيـد الهويـة والخصـوصيـة والمواجهة مع الحضــارة الغربيـة أم يمر عبر الاندماج والذوبان في تلك الحضـارة؟

مدارسنا الثقافية

وفي الثقافـة العربيـة هناك مـدرستان أساسيتان دون إغفال التحايزات البدهية والطبيعية داخل كل مدرسة على حدة.

المدرسـة الأولى قفـزت على الإشكـاليـات الحقيقيــة الأوليــة وتجاهلـت الــواقع وتعاملـت مع الظواهر في الفـراغ، انطلقت هذه المدرسة من اعتبار الحضارة الغربية حضــارة عالميـة نحن جزء منهــا، أي إنها تجاهلت البعـد الـلاعـالمي في الحضــارة الغربية، وتجاهلت عنصريتها وممارستها الاستعماريــة القمعية والنهبيـة، وراحت بالتالي تنافس وســائل الاندماج وأساليبه وطالبت بالقضــاء على كل ما يحول دون هذا الاندماج من خصوصية حضارية أو هوية أو حتى دين..

وهـذه المدرسة أيضـا هي التي هيمنت على أدوات الثقافة العـربية وسيطرت على التوجيـه التربوي والتعليمي والإعـلامي والفني وارتبطت بـالسلطـة السيـاسيـة بطريقة أو أخرى فتجاهلت عن عمد غياب الحرية باعتبارها شرطا للثقافة..

وأهم رمــوز هذه المدرســة الطهطاوي، وطـه حسين، ولـويس عـوض، ومحمـد

أركون وغيرهم وكلهم تقريبا كانوا وزراء تعليم أو ثقافة أو قيادات كبيرة في أجهزة السلطة الثقافية والتعليمية والتربوية والإعلامية، لم يكن لهم اسهام يذكر في قضايا مواجهة الاستعمار أو مناقشة قضايا الحرية والتبعية، بل جل اسهامهم يكمن في الدعوة المباشرة إلى الالتحاق بقطار الحضارة الغربية وقطع الصلة بهويتنا الثقافية بل ديننا مثل عبدالله العروي، أو حتى الترويج المباشر والدفاع المباشر عن السلطة الاستعمارية مثل لطفي السيد وقاسم أمين، أو الطعن في عقائد الأمة وتشويه تراثها مثل حسين أمين وسعيد عشماوي ومحمد أركون ولويس عوض..

أو الارتباط المباشر بالسلطة وتبرير تصرفاتها الاستبدادية وخلع صفات الثورية والتقدمية عليها وإلباسها ثوبا أيديولوجيا على الرغم من كونها سلطات عسكرية في الأساس مثل محمود أمين العالم ولطفي الخولي ورفعت السعيد. أو حتى ترويجا للكيان الصهيوني ودعوة للاندماج معه في إطار مشروع إنسان شرق أوسطي يضم العربي والإسرائيلي على قدم المساواة مثل فرج فودة، وهكذا وعلى الرغم من السيطرة شبه التامة على أدوات الثقافة من أجهزة وصحف وإذاعة وتلفاز وسينما ومسرح بل ومؤتمرات علمية ظلت ثقافة هؤلاء مجرد بذور استنبت في الهواء فلم تخضر ولم تثمر وظلت غريبة عن الواقع شكلا ومضمونا.

والمدرسة الثانية في الثقافة العربية كانت تلك المدرسة التي طرحت الإشكاليات الحقيقية الأولية ولم تتجاهل الإشكاليات الأخرى فنجد أن جمال الدين الأفغاني وعبد الله النديم ومالك بن نبي ومنير شفيق، قد طرحوا قضايا الحرية، الاستعمار، التبعية، الخصوصية الثقافية والحضارية لأمتنا ولم يتجاهلوا قضايا التقدم العلمي والتقني والنهضة والعلاقة بين الماضي والحاضر والمستقبل..

ونشأت هذه المدرسة بعيدا تماما عن السلطات المستبدة، بل من خلال المواجهة معها وكذا مواجهة الاستعمار وحشد الجماهير للنضال ضده وتثوير الواقع ورفض كل ما هو سلبي في العادات والتقاليد والتأكيد على عوامل الإيجابية في الشخصية العربية، وبرغم أن رموز هذه المدرسة قد تعرضوا للاضطهاد دائما من قبل السلطات الاستعمارية والسلطات المستبدة، إلا أن ثقافتهم التي حاولوا تثبيتها في ضمير الأمة ووجدان الشعوب مازالت تترعرع وتخضر وتثمر..

وبالطبع فإن هذه المدرسة الثقافية لم تقتصر على هؤلاء الذين كان لهم أسهام ثقافي مباشر مثل الأفغاني والنديم ومالك بن نبي ومنير شفيق، وغيرهم، بل يمكن أن نضيف إليهم مصطفى كامل ومحمد فريد وعزالدين القسام وعمر المختار وعبدالقادر الجزائري وغيرهم، لأن ثقافة المواجهة اقتضت أن يكون المجاهدون ذوي إسهام ثقافي، فنجد أن الزعماء من أمثال هؤلاء كان لهم إسهامهم ورأيهم ونضالهم على المستوى التربوي والتعليمي والثقافي..

بل نجدهم هم أنفسهم قد مارسوا التعليم والتربية من خلال محو الأمية أو تحفيظ القرآن (عمر المختار) أو إنشاء الجامعات والمدارس (مصطفى كامل ومحمد فريد(أو دروس العلم (عزالدين القسام)... وهكذا، بل ونجد أن أصحاب المشروعات الثقافية منهم كالأفغاني والنديم كانوا زعماء المواجهة الشعبية ضد الاستعمار والاستبداد، أو مقاتلين في صفوف الجماهير ضد الكيان الصهيوني مثل منير شفيق□

مستقبل الثقافة الإسلامية

بقلم أ. د: حاتم محمد أبوالعباس

الثقافة بناء تتشامخ من خلاله مسيرة الأمم، فتحس بولائها لهذا البناء المرتفع، وبقيمة الثقافة في تحديد هوية الأمة وماهيتها المعبرة عن وجود تراثها وحضارتها..

ولكن أين تقع الثقافة كحركة فكرية حضارية في فكر الأمة الإسلامية؟ الثقافة في الإسلام عالمية في حوارها مع الثقافات للأخرى، فهي تحافظ على هويتها الإسلامية ولا تتنصل أبدا من الإسلام المؤسس لمفهوم الثقافة التي تعاني وجود عدة محاور داخل هذا الإطار المختص بعالمية الثقافة الإسلامية، ومنها المحور الأول حضارة الثقافة الإسلامية أكثر تعبيرا عن جوهر الثقافة الإسلامية التي تحترم عقليات الآخرين من أصحاب الثقافات الأخرى..

المحور الثاني حضارة الثقافات الأخرى والتي تعد مادة خصبة لاثراء الحركة الفكرية الحضارية لدى الثقافة الإسلامية لأنها تطرح باب الاجتهادات بمنافذه الواسعة والتي تعد أداة قادرة على طرح الثقافة الإسلامية في شكل متطور مرن ومواكب للتقدم البشري ومشكلات هذا التقدم في معايشة هذه الثقافة المتمثلة في كثير من الأحيان في الموروثات الإسلامية والقواعد الأصولية للإسلام..

المحور الثالث الامتزاج بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى ووسائل هذا الامتزاج وكيفية طرح ثقافتنا في شكل مؤثر وفعال في تحريك وجهة الثقافات الأخرى وتحديد ماهيتها وكل ذلك يعني قدرة على زيادة التأثير والتأثر بما لا يخالف قواعد الإسلام الأصولية والتي تمثل صلب التوجه للثقافة الإسلامية في تداخلها وتفاعلها مع الثقافات الأخرى..

المحور الرابع القدرة على طرح البدائل داخل الثقافة الإسلامية لمشكلات وعقبات الثقافات الأخرى للوصول بها إلى درجة العالمية الحضارية الريادية وكذلك إظهار عالمية الثقافة الإسلامية في الوصول بالثقافات الأخرى إلى درجة العالمية داخل إطارات التداخل، الامتزاج، والتفاعل□

يعد كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة* من أهم المراجع التاريخية التي تناولت تعليم الطب في إطار ايستمولوجي ثقافي رائع أوضح أن العرب كانوا على درجة من التقدم. وقد تحدث ابن أبي أصبيبعة عن تعليم الطب في مصر دون أن يهتم بتحديد تواريخ دقيقة للظواهر العلمية - التعليمية التي تناولها.

■ التهيئة النفسية (التشويق) مسألة ضرورية في ابتداء التعليم

■ انتبه ابن أبي أصيبعة إلى مبدأ هام من مبادىء التعليم وهو الانتقال من البسيط إلى المعقد

التأريخ لمراحل تعليم الطب عند العرب

بقلم: أ.د. مصطفى رجب

ولكن من الممكن الاستناد إلى بعض اشاراته الجانبية والقول بأنه أرّخ لتعليم الطب في الاسكندرية قبيل وأثناء الفتح الإسلامي لمصر سنة ٢٠ هـ فهو ينقل عن المختار بن الحسن بن بطلان (من أهل بغداد) قوله:

(إن الاسكندرانيين الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر وفسروها، كانوا سبعة، وهم: اصطفن، وجاسيوس، وثاودوسيوس، وأكيلاوس، وانقيلاوس، وفلاذيوس، ويحي النحوي، وكانوا على مذهب المسيح) [ص١٥١].

ثم يقول: (وعمّر من هؤلاء الاسكندرانيين يحي النحوي الاسكندراني حتى لحق أوائل الإسلام.. وكان في أول أمره أسقفا في بعض الكنائس بمصر، ولما فتحت مصر على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه دخل إليه وأكرمه ورأى له موضعا) [ص١٥١و١٥٢].

ويذكر أن الاسكندرانيين كانوا يعلّمون الطب من خلال تدريس كتب جالينوس الستة عشر في سبع مراحل أو مراتب:

المدخل إلى صناعة الطب

المرحلة الأولى: جلعوها بمنزلة المدخل إلى صناعة الطب ويدرس فيها الطالب أربعة كتب:

أ - كتاب (الفرق) ويتناول المبادىء العامة للعلاج حسب التجربة أو القياس.

ب - كتاب (الصناعة الصغيرة) ويتناول المبادىء العامة للطب النظري والعملي.

ج - كتاب (النبض الصغير) ويتناول المبادىء العامة لاستخدام النص كوسيلة للتشخيص.

د - كتاب (أغلوقن) - تسمية إغريقية - يتناول التأني في شفاء الأمراض.

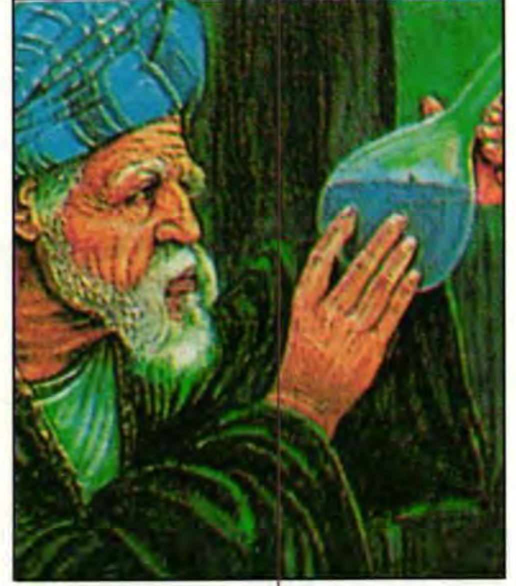
المرحلة الثانية: تدرس فيها أربعة كتب أيضا، هي:

أ - كتاب (الإسقاطات) ويصفه ابن أبي أصيبعة بأنه أول كتاب يصلح أن يبدأ به من أراد استكمال صناعة الطب، ويتناول هذا الكتاب الجسم الإنساني وما يطرأ عليه من تغييرات.

وعلى حد تعبير ابن أبي أصيبعة فإن هذا الكتاب: (يستفاد منه أن بدن الإنسان وجميع ما يحتاج إليه سريع التغير، قابل للاستحالة، فمن ذلك اسطقات البدن القريبة منه وهي الأعضاء المتشابهة الأجزاء - أعني العظام والأعصاب والشرايين والعروق.

ب - كتاب (المزاج) ويستفاد منه معرفة أصناف المزاج وبم يتقوم كل واحد منها، ولعله يقصد بهذا ما يشيع في الكتب القديمة من أن لكل إنسان مزاجا خاصا به، يدل على طبيعته التي قسموها إلى أربعة أنواع: نارية، وترابية، وهوائية، ومائية.

ج - كتاب (القوى الطبيعية)



يـرى ابن أبي أصيبعـة أن على طـالب العلم أن يبـذل جهـدا فيما لا يحتاج إلى معلم وهـو ما نسميه - في عـصرنا - بـ (التعلـم الـذاتي)

ويتناول القوى التي تؤثر في البدن وأسباب تأثيرها وأعراضها.

د - كتاب (التشريح الصغير) ويتناول التعريف بأعضاء البدن وخواصها ويشير ابن أبي أصيبعة إلى أن هذه المرحلة من المراحل المبكرة لتعليم الطب، تهدف إلى تشويق طالب الطب التعمق في دراسة بقية مؤلفات جالينوس، فيقول:

(وهذه الكتب التي في هذه المرتبة الثانية يستفاد من جميعها في الأمور الطبيعية للبدن، أعني التي قوامه بها، وإذا نظر فيها محب التعليم اشتاق أيضا إلى النظر في كل ما يتعلق بطبيعة البدن.

المرحلة الثالثة: يدرس فيها الطلاب ما يسمى في كليات الطب المعاصرة باسم (البثالوجيا) أو علم معرفة الأمراض وأعراضها وهي مرحلة متوسطة في دراسة الطب.

يقول ابن أبي أصيبعة عن هذه المرحلة:

(وأما المرتبة الثالثة: فكتاب واحد فقط فيه ست مقالات، وهو كتاب (العلل والأعراض) وجالينوس وضع مقالات هذا الكتاب متفرقة، وإنما الاسكندرانيون جمعوها وجعلوها في كتاب واحد، يستفاد منه بمعرفة الأمراض وأسبابها والأعراض الحادثة عن الأمراض.

المرحلة الرابعة: وتغطي الدراسة فيها الأمراض الباطنية على مستويين:

أولهما: تدرّس فيه أعراض الأمراض الباطنة من خلال المظاهر البدنية الخارجية أي أن التشخيص هنا يقوم على الملاحظة.

والمستوى الثاني: تدرّس فيه الأمراض الباطنية بدلالة النبض.

يقول ابن أبي أصيبعة:

(وأما المرتبة الرابعة فلها كتابان، أحدهما: كتاب (تعرف علل الأعضاء الباطنة) فهو مؤلف من ست مقالات، يستفاد منه تعريف كل علة من العلل التي تحدث في الأعضاء الباطنة، فإن هذه الأعضاء لا تدرك أمراضها بالعيان لأنها خفية عن الحس، فيحتاج إلى أن يستدل عليها بعلامات تقوم كل واحدة منها، فإذا ظهرت العلامات المقومة تيقن أن العضو الفلاني علته كذا.

والثاني: (كتاب النبض الكبير) وهو ينقسم إلى أربعة أجزاء، كل جزء منه أربع مقالات، يستفاد من الجزء الأول منه: معرفة أصناف النبض، وجزئيات كل صنف منها. ومن الثاني تعريف إدارك كل واحد من أصناف النبض، ومن الثالث: تعريف أسباب النبض، ومن الرابع: تعريف منافع أصناف النبض. وهذا باب عظيم النفع في الاستدلال على الأمراض ومعرفة قواها ونسبتها إلى قوة البدن.

المرحلة الخامسة: وهي مخصصة لدراسة الأمراض المعدية كالحميات وما شابهها، ويدرس فيه الطالب ثلاثة كتب تستوفي أصناف هذه الأمراض وأعراض كل منها ومضاعفاته وطرق علاجه.

يقول ابن أبي أصيبعة:

(وأما المرتبة الخامسة فثلاثة كتب:

الأول منها: (كتاب الحميات) مقالتان . يستفاد منه معرفة طبائع أصناف الحميات، ومايستدل به على كل صنف منها:

والثاني: (كتاب البحران) مؤلفين ثلاث مقالات، يستفاد منه معرفة أوقات المرضى ليعطي في كل وقت منها ما يوافق فيه، ومعرفة ما يؤول إليه الحال في كل واحد من الأمراض، هل يؤول أمره إلى السلامة أم لا؟ وكيف يكون؟ وبماذا يكون؟

والثالث: (كتاب أيام البحران) وهو أيضا مؤلف من ثلاث مقالات، يستفاد منه معرفة أوقات البحران، ومعرفة الأيام التي يكون فيها، وأسباب ذلك وعلاماته.

المرحلة السادسة: وبها تبدأ الدراسة التطبيقية بعد أن يكون الطالب قد أحاط علما بالتشريح والأمراض. وفي هذه المرحلة تبدأ دراسة طرق العلاج وتشبه ما يسمى بعلم دراسة الأدوية في لغتنا المعاصرة.

يقول ابن أبي أصيبعة:

(وأما المرتبة السادسة فلها كتاب واحد، وهو (كتاب حيلة البرء) وهو مؤلف من أربع عشرة مقالة يستفاد منه لقوانين العلاج على رأي أصحاب القياس في كل واحد من الأمراض. وهذا الكتاب إذا نظر فيه الإنسان اضطره إلى أن ينظر في كتاب الأدوية المفردة، وفي كتب جالينوس في الأدوية المركبة - أعني قاطاجانس، والميامر، وكتاب المعجونات، ونحو هذه الكتب.

المرحلة السابعة: وعلى الرغم من أن هذه المرحلة هي المرحلة الأخيرة في دراسة الطب، فإن الاهتمام فيها ينصب على الوقاية كما هو واضح من كلامه، إذ يقول عنها:

وأما المرتبة السابعة فكتاب واحد، هو كتاب (تدبير الأصحاء) ومؤلف من ست مقالات، ويستفاد منه في حفظ

التأريخ لمراحل تعليم الطب عند العرب



صحة كل واحد من الأبدان، وهذا الكتاب إذا نظر فيه الإنسان اضطره إلى أن ينظر في كتاب الأغذية، وفي كتابه في جودة الكيموس ورداءته، وفي كتابه في التدبير الملطف، وفي شرائط الرياضة. مثال ذلك: ما في كتاب جالينوس في الرياضة بالكرة الصغيرة ونحو هذا.

رأي ابن أبي أصيبعة في هذا التقسيم:

إن التدريس في المراحل السابقة لم يكن يتم على شكل (سلم تعليمي) أو دراسة نظامية خاضعة لوقت زمني محدد، بل كان يتم كما هو معروف باسم (المدارس عديمة الصفوف) بمعنى أن الطالب ينتقل من مرحلة إلى المرحلة التالية فور انتهائه من متطلبات المرحلة الأولى ووفقا لقدراته.

وقد علق ابن أبي أصيبعة على هذا التقسيم بقوله:

(فالكتب الستة عشر التي اقتصر الاسكندرانيون على تعليمها تدعو الناظر فيها إلى النظر في جميع كتب جالينوس التي استكمل بها صناعة الطب.

وبعد أن أورد ابن أبي أصيبعة الرأيين السابقين لأبي الفرج بن هندو(١) وأبي الخير بن الخمار(٢) انتقد آراءهما فقال:

(فأما الكتب التي ذكرها الأستاذ أبوالخير بن الخمار فالطبيب مضطر إلى معرفتها واضافتها إلى الكتب التي عددناها، غير أنه يمكنه من نفسه الوقوف على معانيها، واستنباط الأغراض منها بالقوة المستفادة من الستة عشر التي هي القوانين لما سواها، والمراقي إلى ما عداها، فإن قلت: فما حجة الاسكندرانيين في ترتيبهم لهذه الكتب؟ قلنا: إنهم رتبوا بعضها بحسب استحقاقه في نفسه، بمنزلة كتاب الفرق، فإنه وجب تقديمه لتنتقي به نفس المتعلم من شكوك أصحاب التجربة والمحتالين ومخالطتهم، ويتحقق رأي أصحاب القياس فيقتدى بهم، وبمنزلة الصناعة الصغيرة، فإنها لما كانت فيها شرارة من صناعة الطب، كان الأولى أن يتبع بها كتاب الفرق ويجعل مدخلا إلى الطب، ورتبوا بعضها بحسب ما توجب إضافته إلى غيره بمنزلة الكتاب الصغير في النبض، فإنه جعل تابعا للصناعة الصغيرة، لأن جالينوس ذكر فيها النبض عند ذكره لمزاج القلب، ووجب أيضا تقديمه على كتاب جالينوس إلى أغلوقن، لأنه تكلم في هذا الكتاب في الحميات والنبض وهو أول شيء يعرف منه أمر الحميات.

على أن الترتيب الذي ذكره الأستاذ (أبوالخير) أن جالينوس أشار إليه، هو لعمري الترتيب الصناعي، وذلك أنه يجب على كل ذي صناعة أن يتدرج في تعليمها من الأظهر إلى الأخفى، ومن الأخير إلى المبدأ، والتشريح هو علم البدن وأعضائه، وهذه هي أول ما يظهر لنا من الإنسان، وأن آخر ماتفعله الطبيعة، فإن الطبيعة تأخذ أولا (الاسطقسات)، ثم تمزجها فيحصل منها الاخلاط، ثم تفعل القوى والأعضاء. فيجب أن يكون طريقنا في التعليم بالعكس من طريق الطبيعة في التكوين، ولكنا ندع هذا الاضطرار، ونرضى بترتيب الاسكندرانيين، لأن العلم حاصل على كل حال وخرق إجماع الحكماء معدود من الخرق(٣).

أي أن ابن أبي أصيبعة يؤيد التقسيم السكندري لمراحل الدراسة ويستنتج من كلامه الآتي:

١ – أنه يرى أن على الطالب أن يبذل جهدا فيما لا يحتاج إلى معلم وهو ما نسميه – في عصرنا – بـ(التعلم الذاتي) كما وضح من رده على أبي الخير بن الخمار.

٢ – أن التهيئة النفسية (التشويق) مسألة ضرورية في ابتداء التعليم.

٣ – ان ابن أبي أصيبعة انتبه إلى مبدأ هام من مبادىء التعليم وهو الانتقال من البسيط إلى المعقّد□

الهوامش:

*) يعد هذا الكتاب من أهم مصادر الدراسة التاريخية لعلوم الطب عند العرب وقد حققه د.نزار رضا ونشرته دار مكتبة الحياة ببيروت. د.ت. وقد توفى ابن أبي أصيبعة عام ٦٦٧هـ بعد أن تولى مناصب طبية عالية.

١) هو علي بن الحسين بن هندو من أكبر المتميزين في العلوم الحكيمة والطبية، والفنون الأدبية، وهو من طبقة الأطباء الذين ظهروا في بلاد العجم.

٢) وهو الحسن بن سوار المعروف بأبي الخمار، وكان نصرانيا عالما بأصول الطب وفروعه، وله مصنفات جليلة. وقد نقل كتبا كثيرة من السريانية إلى العربية. ولد سنة ٣٣١هـ.

٣) الخَرَق (بفتح الخاء والراء): الحمق.

سار الصحابة رضوان الله عليهم في زهدهم على نهج نبيهم ﷺ فتركوا الدنيا خلف ظهورهم، وطلقوها ثلاثا

الزاهد التقي الفضيل بن عياض

يقول الله تعالى: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾ [الكهف: ٤٥]. والمثل واضح في أن الدنيا تتبخر بين أيدي عبادها، كما يتبخر الماء من الهشيم، فاذا هم يقبضون أيديهم على وهم. ماذا كسب مختزن المال عن وجوه الخير؟ وماذا ربحوا من نسيان رازقه، ورفض وصاياه فيه؟ ماذا ينال عباد الأثره والجاه والاستعلاء عندما يخرجون من الحياة الدنيا، مخلفين بعدهم أملاكا، ذهب اسمهم عنها وصار كحركة الريح في صفحة الماء لا استقرار لها ولا بقاء؟

بقلم: إبـراهيم مصطفى فتح البـاب

لـذلك يقـول جـل شأنـه: ﴿اعلمـوا أنما الحيـاة الـدنيا لعـب ولهو وزينة وتفـاخـر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكـون حطـامـا وفي الآخرة عـذاب شـديـد ومغفرة من الله ورضوان ومـا الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ [الحديد/ ٢٠].

ويقول الرازي: المقصود الأصلي من الآية تحقير حـال الدنيـا، وتعظيم حال الآخـرة، فقـال: الـدنيا لعـب ولهو وزينة وتفـاخـر، ولاشك أن هذه الأشيـاء أمورٌ محقّـرة، وأما الآخرة فهي عـذاب شديـد دائم أو رضوان اللـه على سبيل الـدوام(١). ومن ثم يقـول سبحانـه وتعالى: ﴿إنما مثـل الحياة الـدنيا كماء أنـزلناه من السماء فـاختلط به نبـات الأرض ممـا يأكل الناس والأنعـام حتى إذا أخذت الأرض زخـرفها وازينت وظـن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلنـاهـا حصيـدا كأن لم تغن بـالأمس كـذلـك نفصل الآيـات لقـــوم يتفكـرون﴾ [يونس/ ٢٤].

وقـال تبـاركت أسماؤه: ﴿ومـا الحيـاة الـــدنيـــا إلا متـــاع الغـــرور﴾ [آل عمران/ ١٨٥]. وعلى ضوء سرد هذه الآيات وغيرها الكثير نقول إن الدنيا ليست بالأمر الكـريـه ولا الذميم في المنظـور الإسـلامي الحنيف، وذلـك حين يملكهـــا النــــاس ويزهدون فيها رغبة فيما عند الله تعالى

معنى الزهد

وقبل أن نتناول معنى الـزهد في الشرع، نجول في كتب اللغة لنعـرف ما معنى كلمة الزهـد، يقول ابن منظور في لسـان العرب: الـزهد ضـد الرغبـة والحرص على الدنيـا، يقـال زَهِـدَ، وزَهَـدَ يَـزْهَـدُ زهـدا وزهـدا وزهـادة، والتـــزهيـد في الشيء وعن الشيء خلاف الترغيب فيه، ويقـول أيضاًوالزهيد: الحقير، وعطـاء زهيـد أي قليل، والمزهـد: القليل الشيء، وإنما سمي مـزهدا، لأن مـا عنده من قلته يزهد فيه.

سيد الزاهدين ﷺ

هـذا من ناحيـة اللغـة، أمـا من ناحيـة الشرع فيعرفه شيخ الزهـاد الغزالي بقوله: والزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منـه، وشرط المرغوب منه أن يكون مرغـوباً فيه بوجـه من الوجود، فمن رغب عن شيء ليس مرغوب فيه ولا مطلوباً في نفسه، لم يسم زاهداً، كمن ترك التراب لا يسمى زاهداً. وقد جرت العادة بتخصيص إسم الزاهـد بمن ترك الدنيـا، ومن زهد في كل شيء سـوى الله تعـالى. فهـو الزاهـد الكـامل ومن زهـد في الـدنيـا مع رغبته في الجنة ونعيمها فهو أيضاً زاهد، ولكنه دون الأول(٢).

عن عمـــــر بن الخطاب رضي اللـه

الزاهد التقي الفضيل بن عياض

عنه قال: استأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت عليه في مَشْرَبة (أي غرفة) وإنه لمضطجع على خَصَفَة(٣) وإن بعضه لعلى التراب، وتحت رأسه وسادة محشودة ليفاً(٤)، وإن فوق رأسه لإهاباً عطناً، وفي ناحية المشربة قرَظ، فسلمت عليه فجلست فقلت: أنت نبي الله وصفوته، وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير؟! فقال: «أولئك عجّلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع، وإنا قوم أخّرت لنا طيباتنا في آخرتنا» [رواه ابن حبان في صحيحه](٧).

وعن أبن عباس رضي الله أنهما أن رسول الله ﷺ، دخل عليه عمر بن الخطاب ، وهو على حصير قد أثّر في جنبه، فقال: يا رسول الله لو اتخذت فراشاً أوثَر(٨) من هذا، فقال: «مالي وللدنيا؟ ما مَثلي ومثَل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها» [أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجة والطبراني وابن حبان في صحيحه](٩).

ويبلغ الزهد منتهاه في حياة سيد الزاهدين عليه الصلاة والسلام فيما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وكانت تحدث عروة بن الزبير: فقالت: كان يمر بنا هلال، وهلال، وهلال، ثلاث أهلة، ما يوقد في بيت رسول الله ﷺ نار. قال: قلت: يا خالة، فعلى أي شيء كنتم تعيشون؟ قالت: على الأسودين الماء والتمر.

ويوصي النبي الكريم ﷺ عبدَ الله بن عمر بأن يزهد في الدنيا فيكون فيها كأنه غريب أو عابر سبيل. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك. [رواه البخاري وأخرجه الترمذي] وزاد فيه: «وعدّ نفسك من أهل القبور»، وزاد في كلام ابن عمر: فانك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدا.

يقول ابن رجب الحنبلي: وهذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، فإن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنا ومسكنا فيطمئن فيها، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر: يعني جهازه للرحيل، وقد اتفقت على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم(١٠).

وقد سار الصحابة رضوان الله عليهم في زهدهم على نهج نبيهم ﷺ فتركوا الدنيا خلف ظهورهم، وطلقوها ثلاثا، رغبة فيما عند الله سبحانه وتعالى من النعيم المقيم في جنات النعيم، ولقد سار الكثير من التابعين وتابعي التابعين على نفس المنوال، من الزهد في الدنايا، وقد اقتفى الفضيل بن عياض سبيل هؤلاء في زهدهم في الحياة الدنيا، فمن هو الفضيل بن عياض.

الفضيل بن عياض

هو: الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي الخرساني أبو علي (المجاور بحرم الله) وقد اختلف العلماء في أصل الفضيل بن عياض، فبينما يذهب السلمي إلى أنه تميمي، يربوعي، خرساني من ناحية مرو(١١) (ويؤيده الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي)(١٢) وأنه أحد بني يربوع، لكن أبا علي ولد بخرسان بكورة أبيورد، وقدم الكوفة، وهو كبير فسمع بها الحديث، ثم تعبّد، وانتقل إلى مكة فمات بها. يذهب القشيري إلى أنه (خرساني من ناحية مرو)(١٣).

ويرى عبد الله بن محمد بن الحارث أن الفضيل بن عياض (بخاري الأصل) ويحسم الأمر ابنه عبيده بن الفضيل بن عياض فيقول: (أبي، فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، يكنى بأبي على، من بني تميم، من بني يربوع من أنفسهم. ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، والأصل من الكوفة)، وكذلك يذهب الى هذا خادمة إبراهيم بن الأشعث(١٤) أود أن أصل من هذا إلى أن الرجل كان عربياً، ولكنه عاش باكورة حياته في خراسان.

توبة الفضيل

يقول القشيري: كان الفضيل شاطراً، يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينما يرتقي الجدران إليها، سمع تالياً يتلو: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ [الحديد/١٦] فقال يا رب: قد آن. فرجع فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها رفقة – أي جماعة – فقال بعضهم: نرتحل. وقال قوم: (حتى نصبح، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا)، فتاب الفضيل، وأمنهم، وجاور الحرم حتى مات(١٥).

هذه القصة ذكرها كثيرون من مؤرخى الصوفية عن سبب تزهد الفضيل بن عياض، وقد كتبها الحريفيش بعد ذلك في صورة أكثر من هذا على لسان الفضيل نفسه وأطلق على لسانه أيضاً أشعاراً يلوم نفس على تأخرها(١٦) وهذه قصة أسطورية لا أساس لها من الصحة، ذكر ذلك الدكتور على سامي النشار في كتابه الرائع (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام).

ولقد تنبه الدكتور كامل الشيبي في براعة نادرة إلى أسطورة قصة توبته فيرى أنها هي التي تفضح أصله، وهي أسطورة من جنس القصص التي تروى عن توبة الخراسانيين التي بعدها يبدأ زهدهم.

ولكن الصحيح – وهو ما تميل إليه النفس – أن الفضيل بن عياض نشأ في بيت علم وتقوى فحفظ القرآن الكريم وتعلم الحديث، ثم قام على عادة المحدثين بالرحلة أو كان لابد أن يرحل إلى الكوفة موطن أجداده. فذهب إليها (وهو كبير) وسمع الحديث بها. وبهذا حقق تقاليد خرسان: الحديث الرحلة وانتهى الأمر الى التعبد والتزهد، ولقد فعل هذا الكثير من قبل من زهاد الإسلام. وانتقل إلى الحرم وجاور هناك ولم يكن أهل الكوفة يفعلون هذا(١٧). أما قصة توبته، فهي أسطورة لا سند لها من صحيح القول، وهكذا مؤرخو التصوف في الإسلام، يصنعون دراما معينة للزاهد وللمتصوف المشهور، يفتعلون فيها انحرافاً عن مجرى الحياة العادية للبشر، لكي يعلو من قدره، ويرفعوه عن مستوى الناس العاديين.

الدنيا عند الفضيل

لقد طلق الفضيل الدنيا، وجعلها خلف

ظهره، وأقبل على العبادة، وقد حزن أشد الحزن لما أبصر العلماء يتزاحمون على أبواب الملوك، فرآهم يوماً وقد وقفوا على باب هارون الرشيد وأخضعوا له هاماتهم فقال لهم (مالكم وللملوك) ما أعظم منتهم عليكم، قد تركوا لكم طريق الآخرة. فاركبوا طريق الآخرة، ولكن لا ترضون. تبيعونهم بالدنيا، ثم تزاحمونهم على الدنيا، ما ينبغي لعالم أن يفعل هذا(١٨) وقال الفضيل بن عياض: المؤمن في الدنيا مهموم حزين همه مرمة جهازه، ومن كان في الدنيا كذلك، فلا همّ له إلا التزود بما ينفعه عند العودة إلى وطنه، فلا ينافس أهل البلد الذي هو غريب بينهم في عزهم، ولا يجزع من الذلّ عندهم، كما قيل:

كم منزل للمرء يألفه الفتى
وحنينه أبدا لأول منزل

وقال ابن القيس:

فحيّ على جنات عدن فإنها
منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى
نعود إلى أوطاننا ونسلم
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى
وشطت به أوطانه فهو مغرم
وأي اغتراب فوق غربتنا التي
لها أضحت الأعداء فينا تحكم

قال الفضيل لرجل: كم أتت عليك؟ قال ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ. فقال الرجل.. إنا لله وإنا إليه راجعون. فقال الفضيل: أتعرف تفسيره، تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فمن عرف أنه لله عبد، وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول فليعدّ للسؤال جوابا. فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة. قال: ماهي؟ قال: تحسن فيما بقي يُغفر لك ما مضى، فانك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي. وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

وإن إمرأ قد سار ستين حجة
إلى منهل من ورده لقريب

وقال غيره:

وما هذه الأيام إلا مراحل
بحث بها داع إلى الموت قاصد
وأعجب شيء لو تأملت أنها
منازل تطوى والمسافر قاعدوقال غيره:

ويا ويح نفس من نهار يقودها
إلى عسكر الموتى وليل يزورها

ويقول الفضيل عن الدنيا، لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالاً، لا أحاسب بها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة، إذا مر بها أن تصيب ثوبه، بل تمنى الفضيل بن عياض رضي الله عنه أن لم يكن قد خُلق فيقول: (والله لأن أكون هذا التراب أو هذا الحائط، أحب إلي من أن أكون في مسلخ أفضل أهل الأرض اليوم، وما يسرني أن أعرف حق معرفته إذاً لطاش عقلي).

ولاشك أن الدنيا لا تذم لذاتها، وكيف يذم ما منّ الله بها على عباده وما هو ضرورة في بقاء الادمي وسبب في إعانته على تحصيل العلم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلى فيه، وإنما المذموم من هذه الدنيا، أخذ الشيء من غير حِله، أو تناوله على وجه المسرف على مقدار الحاجة، ويُصرف النفس فيه بمقتضى دعوتها لا بإذن الشرع، فالعاقل يجعلها مطيّة للآخرة، فينفقها في سبيل الله، بل ينبغي للعاقل أن يغتنم أوقاته في الدنيا، إما بسبب يُثمر راحةً في الدنيا، أو يُثمر نعيماً وحمداً في الآخرة، وهذا ما يتمناه كل مسلم، والموفق من وفقه الله تعالى.

أيا ابن آدم لا تغررك عافية
عليك شاملة فالعمر معدودُ
ما أنت إلا كزرع عند خضرته
بكل شيء من الآفات مقصود
فإن سلمت من الآفات أجمعها
فأنت عند كمال الأمرمحصود

وقال الشاعر:

تزوّد من الدنيا بساعتك التي
ظفرت بها ما لم تعقك العوائقُ

جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا

فلا يومك الماضي عليك بعائدٍ
ولا يومُكَ الآتي به أنت واثِقُ

زهد الفضيل بن عياض

حدد الفضيل بن عياض الزهد في الدنيا بأنه هو (القناعة) فيقول: (لا يسلم قلبك حتى لا تبالي من كل الدنيا) أي لا يسلم قلبك من كل ما في الدنيا، فلا يأبه بك أحد: فالزهد إذن هو القناعة (وهو الغنى الحق) ولا يصل الإنسان إلى الإيمان حتى يزهد في الدنيا. أي حتى يقنع بما في يده ويحمد الله تعالى عليه يقول الشاعر:

هي القناعة فالزمها تكن مَلِكاً
لو لم يكن لك إلا راحة البَدَنِ

ويقول غيره:

أكرم يديك عن السؤال فإنّما
قدْرُ الحياة أقلّ من أن تسألا
ولقد أضُمّ إليّ فضل قناعتي
وأبيتُ مُشتملاً بها متزمّلا
وأرى الغدُوّ على على الخصاصة شارة
تصف الفتى فتخالني متحوّلا
وإذا الفتى أفنى الليالي حسرة
وأمانيا أفنيتهنّ توكلا

وقال الامام الشافعي:

إذا ما كنت ذا قلب قنوع
فأنت ومالك الدنيا سواء

ومما يدل على زهد الفضيل بن عياض، بُعده عن الولاة والسلاطين، وزهده فيما عندهم، عن الفضل بن الربيع قال: حج أمير المؤمنين الرشيد فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك: فقال: ويحك قد حاك في نفس شيء فانظر لي رجلاً أسأله. فقلت: ها هنا الفضيل بن عياض. قال: امضي بنا إليه: فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها فقال: اقرع الباب. فقرعت الباب فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين. فقال: مالي ولأمير المؤمنين؟ فقلت: سبحان الله أما عليك طاعة؟ فأجاب رضي الله عنه: (ليس للمؤمن أن يذل نفسه). فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ المصباح، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت، فدخلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كفّ هارون قبلي. فقال: يا لها من كف ما ألينها – إن نجت غداً من

الزاهد التقي الفضيل بن عياض

عـذاب اللـه عــز وجل، فقلت في نفسي (أي الفضل بن الـربيع): ليكلمنـه الليلة بكـلام نقي من قلب تقي. فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله (أي مالاً) فقـال: ان عمر بن عبد العزيـز رضي الله عنـه لما ولي الخلافة دعـا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظي، ورجاء بـن حيوة، فقال لهم: إني قـد ابتليت بهذا البلاء فـأشيروا عليّ. فعدّالخلافـة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة.

فقـال سالم بن عبـد الله لعمـر: إن أردت النجـاة غداً من عـذاب اللـه صم عن الدنيـا وليكن إفطارك من الموت. وقال له محمد بن كعب القـرظي: إن أردت النجـاة من عـذاب اللـــه، فليكن كبير المسلمين عنـدك أبـــاً وأوسطهم أخا وأصغرهم عنـدك ولداً، فوقّر أباك، وأكرم أخـاك. وتحنن على ولدك. فقال رجـاء بن حيـوة: إن أردت النجـاة غـذاً من عـذاب اللـه عـز وجل فأحِبّ للمسلمين مـا تُحب لنفسك، واكـره لهم تكـــرَهُ لنفسك ثم مُت إذا شئت.

وإني أقـول لك إني أخـــاف عليك أشـد الخوف يـوم تَـزلّ فيـه الأقـدام فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثـل هذا؟ فبكى هارون بكاءً شـديداً حتى غشي عليه، فقلت لـــه (أي الفضل بن الـــربيع): أرفق بأمير المؤمنين. فقـال: يـا ابن الـربيع تقتلـه أنت وأصحابك وأرفُق بـه أنا، ثم أفاق فقـال له: زدني رحمك الله.

فقـال: يا أمير المؤمنين بلغنـي أن عامـلاً لعمر بن عبـد العزيـز شكا إليـه فكتب إليه عمر: يا أخي أذكّرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإيا أن يُنصرف بك من عند الله، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء. قال: فلما قرأ الكتاب طـوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتـابك، لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله عز وجل.

قال: فبكى هارون بكاءً شديداً ثم قال له: زدني رحمك الله. فقـال: يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى عليه الصلاة والسلام جاء إلى ﷺ فقال: يا رسـول الله أمّرني على إمارة فقال لـه النبي ﷺ: «إن الإمارة حسرة

بقـدر مـا يُصغّـرُ الــذنب عنـــدك، ويعظم عنــد اللـه، وبقــدر مــا يعظم عندك يصغر عند اللـــــــه

ونـدامـة يوم القيـامـة فإن استطعت أن لا تكـون أميراً فـافعل». فبكى هـارون بكـاء شديـدا وقال له: زدني رحمك الله فقـال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الـوجه من النار فـافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غشّ لأحــــد من رعيتك فإن النبي ﷺ قـال: «من أصبح لهم غاشاً لم يرحْ رائحة الجنة».

فبكى هـارون وقال لـه: عليك دَيْن؟ قـال الفضيل بـن عيـــاض: نعم دَيْـن لـــربي يحاسبني عليـــه، فـالـويل لي إن سألني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم أُلْهَم حجتي قال: إنما أعني دَيْن العبـاد. قال: إن ربي لم يأمـرني بهذا، أمـر ربي أن أوحّـده وأطيع أمـره، فقال عـز وجل: ﴿ومـا خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريــــد أن يطعــــمون إن الله هـــو الــــرزاق ذو القـــوة المتين﴾ [الذاريـات/ ٥٦-٥٨]. فقـال له: هـذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوّ بها على عبـادتك. فقـال: سبحان اللـه أنـا أدُلّك على طـريق النجـاة، وأنت تكـافئني بمثل هـذا؟ سلمك اللـه ووفقك، ثـم صمت فلم يكلمنـا فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب.

قـال هـارون: أبـا عبـاس إذا دللتني على رجل فـدُلّني على مثل هــذا، هــذا سيــد المسلمين، فـدخلت عليـه إمـرأة من نسـائه فقالت: يا فضيل قد ترى ما نحن من ضيق الحال فلو قبلت هذا فتفـرجنا به. فقال لها: مَثَلي ومثلكم كمثـل قــوم كــان لهم بعير يأكلـون من كسبه فلما كَبُر نحروه فـأكلوا لحمه، فلما سمع هـارون هذا الكـلام قال: تــــدخل فعســى أن يقبل المال فلما علـم الفضيل بقـدوم هارون مـرة أخرى خـرج فجلس في السطح على بـاب الغـرفة، فجـاء هـارون فجلس إلى جنبه فجعـل يكلمه فـلا يجيبه فبينـا نحن كذلـك إذ خرجت جـارية سوداء فقالت: يا هـذا قد أتعبت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله، فانصرف.. انظر أخي القـارىء الكـريم. قـد بلغ الـــزهـد بالفضيل بن عيـاض هذا المبلغ، قـال تعالى: ﴿قل متـاع الـدنيـا قليل﴾ [النسـاء: ٧٧]. وصدق الشاعر حيث يقول:

إعلم بأن طــريق الحق مُنفـردٌ ... والسـالكون طـريق الحق أفرادُ
لا يطلبـون ولا تُطلَبْ مسـاعيهم ... فهم على مَهل يمشــون قُصّــادُ
والناس في غفلـة عمّا له قَصَـدوا ... فجُلُهم عن طـريق الحق رُقـاد

وكـان الفضيل يعلم أن من طلب الـدنيـا أضرّ بـالآخـرة، ومن طلب الآخـــرة أضرّ بالـدنيا، فآثـر الآخرة وأضرّ بحيـاته في دار الدنيا الفانية، وكان رحمه الله يعلم أن رزقه سيأتيه مادام قد كتب له:

للناس حرص على الـدنيا وتدبيرُ ... وفي مــراد الهوى عقلٌ وتشميرُ
وإن أتـوا طـاعــة للــه ربّهم ... فالعقل منهم عن الطاعات مأسورُ
لأجل هـــذا وذاك الحرص قـــد مُـــزِجَـتْ ... صفـاءُ عيشـاتها هَمٌّ وتكـديـر
لم يرزقـوها بعقل عنـدما قُسِمت ... لكنهم رزقـوهـا بـالمقـاديـر
لـو كـان عن قوة أو عن مغـالبـةٍ ... طـــار البـــزات بـأقـــوات العصـافير

وقال رحمه اللـه: جعل اللـه الشر كله في بيت وجعـل مفتاحـه حب الـــدنيـا، وجعل الخير كلـــه في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا(١٩).

علمه بالحديث

كـان الفضيل بن عيـاض من المحـدّثين الثقـات، يقول الإمـام النـاقد شمس الـدين الذهبي، شيخ الحرم، وأحـد الأثبات مجمع على ثقتـه وجـلالـه. بل لم يكتفـي الإمـام الذهبي بذلك، فقـد هاجم من جرّح الفضيل بن عياض وهو قطبة بن العلاء ولا عبرة بما

رواه أحمد بن أبي خيثمة قال: سمعت قطبة بن العلاء يقول: تركت حديث فضيل بن عياض، لأنه روى أحاديث أزرى فيها على عثمان بن عفان رضي الله عنه. يقول الذهبي ناقداً، فمن قطبة؟ وما قطبة حتى يجرّح وهو هالك...

روى الفضيل رحمه الله ما سمع، فكان ماذا؟ فالفضيل من مشايخ الإسلام، والسلام(٢٠). كان الفضيل ابن عياض إذن (شيخ الحرم) والإمام العدل الثقة الثبت، كيف لا وقد روى عن أئمة أعلام عقم الزمان أن يعود بمثلهم، فقد روى الفضيل عن سليمان بن مهران الأعمش، ومنصور بن المعتمر، وعطاء بن السائب وحصين بن عبد الرحمن، ومسلم الأعور، وأبان بن أبي عياش وغيرهم كثير.

ولكنه مع علمه بالحديث وحفظه له كان (رحمه الله) شديد الهيبة للحديث إذا حدّث، وكان يثقل عليه الحديث جداً، وكان إذا طلب منه الحديث يقول: لو طلبت مني الدنانير كان أيسر عليّ. فقال له رجل: لو حدثتني بأحاديث فوائد ليست عندي، كان أحبّ إليّ من أن تهب لي عددها دنانير. فقال: إنك مفتون، أما والله لو عملت عمله بما سمعت، لكان لك في ذلك شغل عما لم تسمع. وكان يقول لأصحاب الحديث وهو المحدّث الثقة (لم تكرهوني على أمر تعلمون أنّي كاره له، لو أني أعلم إذا دفعت ردائي هذا لكم، ذهبتم عني، لدفعته إليكم. هذا يدل أبلغ دلالة على خوف الفضيل من الوقوع في الكذب على رسول الله ﷺ، بل بلغ خوفه أن كان ينهى أصحابه (عبد الله بن المبارك، وسيفان بن عيينه) عن التحدث بل أنه يأخذ بيد سفيان بن عيينه فيقول له: إن كنت تظن أنه بقى على وجه الأرض شر مني ومنك، فبئس ما تظن.

من أقوال الفضيل

- من أخلاق الأنبياء الحلم، والأناة، وقيام الليل. إذا لم تقدر على قيام الليل، وصيام الليل، وصيام النهار، فاعلم أنك محروم كبّلتك خطيئتك.

- المؤمن قليل الكلام كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل.

- بقدر ما يُصغّرُ الذنب عندك، ويعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.

- عاملوا الله عز وجل بالصدق في السرّ،

حـدد الفضيل بن عياض الزهد في الدنيا بأنه هو (القناعة)

فإن الرفيع من رفعه الله، وإذا أحب الله عبداً أسكن محبته في قلوب العباد.

- سأله رجل قائلاً: يا أبا عليّ متى يبلغ الرجل غايته من حب الله تعالى؟ فقال له الفضيل: إذا كان عطاؤه ومنعه إياك عندك سواء، فقد بلغت الغاية من حبه.

- وسأله عبد الله بن مالك فقال: يا أبا عليّ ما الخلاص مما نحن فيه؟ فقال له: أخبرني من أطاع الله عز وجل هل تضره معصية أحد؟ قال: لا. قال: فمن عصى الله سبحانه وتعالى هل تنفعه طاعة أحد؟ قال: لا. قال: فهو الخلاص إن أردت الخلاص. ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

وفاة الفضيل

توفي الفضيل بن عياض؛ رحمه الله رحمة واسعة؛ بمكة المكرمة في أول سنة مائة وسبع وثمانين(٢٢) توفي الفضيل بعد أن ترك مدرسة كبيرة في مكة، بل في العالم الإسلامي كله، فمن تلامذتها ابنه البار عليّ بن الفضيل، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، ويحيى بن يحيى وغيرهم. هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل□

الهوامش:

١) مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، ج٨ ص٩٥، ط الأولى بالمطبعة الشرقية.

٢) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدس ص٣٢٤، ط مكتبة دار البيان.

٣) خصفة: أي الثوب الغليظ جدا.

٤) ليفاً: أي قشر النخل ومشاكله.

٥) من عطف الجلد: إذا تمزق شعره وانتن في الدباغ.

٦) الوشيكة: السريعة.

٧) الترغيب والترهيب للحافظ عبد العظيم المنذري، ج٥ ص١٦١، ط دار الحديث.

٨) أوثر: أي أوطأ وألين.

٩) الترغيب والترهيب للمنذري، ج٥ ص١٦٠، ومجمع الزوائد لابن حجر الهيثمي، ج١٠ ص٣٢٧.

١٠) جامع العلوم والحكم للإمام ابن رجب الحنبلي، ص٣٣١.

١١) الطبقات للسلمى ص٨، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور علي سامي النشار، ج٣ ص٣٩٤.

١٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبيد الله، وكنيته أبو الفرج ابن الجوزى، ولد رحمه الله سنة ثمان أو عشر وخمسمائة ٥١٠ هـ. يقول الإمام ابن قدامة المقدسي، كان ابن الجوزى إمام عصره في الوعظ، وصنف في فنون العلم تصانيف حسنة، وكان صاحب فنون، وكان يدرّس الفقه ويصنف فيه، وكان حافظاً للحديث وصنّف فيه. وقال الحافظ شمس الدين الذهبي. ما علمت أن أحداً من العلماء صنّف ما صنف هذا الرجل. توفي ابن الجوزى سنة ٥٩٧هـ رحمه الله ورضي الله عنه.

١٣) الرسالة للقشيري، ج١ ص٥٧.

١٤) الطبقات للسلمى، ص٦-٨.

١٥) الرسالة للقشيري، ج١ ص٥٧-٥٨.

١٦) الروض الفائق للحريفيش، ١٥٢.

١٧) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور علي سامي النشار، ج٣ ص٣٩٩، ط دار المعارف المصرية.

١٨) حلية الأولياء لأبي نعيم، ج٨ ص١٠٢. ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج٣ ص٣٩٦.

١٩) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، ج٤ ص٢٢٥. ط الدار البيضاء.

٢٠) ميزان الإعتدال لشمس الدين الذهبي، ج٣ ص٣٦١، ط دار المعرفة، بيروت.

٢١) حلية الأولياء لأبي نعيم، ج٨ ص٩٤-٩٥. ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج٣ ص٣٩٦٥.

٢٢) تهذيب التهذيب للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ.

قضية اليهودي القاتل عمدا

قضية اليهودي القاتل عمدا، موضوع هذا المقال، هي من قضايا الدماء، وإزهاق الأرواح البشرية عمدا بغير حق من أعظم الذنوب بعد الشرك بالله تعالى، وهي أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة لأنها أعظم المظالم فيما يرجع إليهم..

بقلم:

د. محمد الشريف الرحموني*

القتل العمد من الكبائر

وقد ورد في القرآن الكريم وعيد شديد للقاتل عمدا مقرون بالخلود في جهنم، قال جل ذكره: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها، وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾ [النساء/٩٣]، وهذا الذنب العظيم ورد مقرونا بالشرك بالله تعالى في كثير من الآيات، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ [الفرقان/٦٨]، وقال تعالى: ﴿قل تعالَوْا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا، وبالوالدين إحسانا، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾ [الأنعام/١٥١]..

واستنادا إلى الآية الأولى قال ابن عباس، رضي الله عنهما: (إن الرجل إذا عرف الاسلام وشرائعه ثم قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم، ولا توبة له)(١). وروى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات». وروى البخاري والحاكم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لن يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما».

وقال ابن عمر – ربما تعقيبا على هذا: (إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله). وروى ابن ماجة باسناد صحيح والبيهقي والاصبهاني عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق»، وزاد في رواية الاصبهاني: «ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه اشتركوا في دم مؤمن لأدخلهم الله النار». وروى البيهقي من حديث ابن عمر قوله صلى الله عليه وسلم: «من أعان على دم امرىء مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله»، ونفس الحديث رواه ابن ماجة والاصبهاني عن أبي هريرة بلفظ قريب من هذا(٢).

قضية اليهودي القاتل

وقد نظر رسول الله ﷺ في مجموعة من قضايا الدماء، وأصدر فيها أحكاما مستمدة من كتاب الله تعالى وبوحي منه، كانت ولازالت مرجعا القضاة الحق وأئمة العدل، اخترت منها هذه القضية التي خرجها البخاري في غير موضع بألفاظ مختلفة..

ورواها مسلم وأبو داود وابن ماجة والترمذي وأحمد بألفاظ متقاربة يفسر بعضها البعض، ومعان واحدة يدعم بعضها الآخر، وجميعها عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن يهوديا قتل جارية على أوضاح(٣) لها، فقتلها بحجر، قال فجيء بها إلى النبي ﷺ وبها رمق(٤) فقال لها: أقتلك فلان، فأشارت برأسها أن لا، ثم قال لها الثانية فأشارت برأسها إلى اليهودي، فقتله رسول الله ﷺ بين حجرين(٥).

وفي رواية ثانية لمسلم من طريق أبي قلابة عن أنس: أن رجلا من اليهود قتل جارية من الانصار على حلي لها، ثم ألقاها في القليب(٦). ورضخ رأسها بالحجارة، فأخذ فأتي به رسول الله ﷺ فأمر به أن يرجم حتى يموت، فرجم حتى مات. وفي رواية ثالثة لهذه القضية: أن جارية وجد رأسها مرضوخا بين حجرين فقيل: من فعل هذا بك ؟

* كاتب تونسي

فـلان ؟ فلان ؟ حتى ذكـروا يهوديـا فأومأت برأسها، فأخذ اليهودي فأقر، فأمر به رسول الله ﷺ أن يرض رأسه بالحجارة(٧).

فوائد هذه القضية

وفي هذه القضية من الفوائد ما يلي:

أولا: أن الرجل يقتل بـالمرأة، وقد أجمع على هذا أهل الـذكر قديما وحديثـا نظرا للمساواة التامة بينهما.

ثانيـا: أن القاتل عمـدا يقتل قصـاصا على الصفــة التـي قتل بها فإن قتل بسيـف قتل بـــالسيف، وإن قتـل بحجـــر أو خشب أو نحـوهما قتل بمثلـه لأن اليهـودي رضخهـا فرُضخ هو بمثل مـا رضخ به. وهذا الاعتبار: أي اعتبار المماثلـة في طريقة القتل هـو مذهب الأئمـة: مـالك والشـافعي وأحمد وأبي ثـور واسحــاق بن راهويـه وابن حـزم الظاهـري وجمهـــور العلماء، عمــلا بهذه القضيـــة بـرواياتها، وبما أخـرجه البيهقي من حـديث البراء أن النبي ﷺ قـــال: «من غـــرض(٨) غـرضنا لـه، ومن حرق حـرقناه ومن غـرق غرقناه. وهو مـا يستفاد - إجمالا - من قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبـوا بمثل ما عوقبتم له﴾ [النحل/ ١٢٦]، ﴿والحرمـات قصاص، فمن اعتـدى عليكم فـاعتـدوا عليـه بمثل مـا اعتدى عليكم﴾ [البقـرة/ ١٩٤]، ﴿ولا تعتدوا إن اللـه لا يحب المعتـدين﴾ [البقـرة/ ١٩٠]، ﴿وجـــزاء سيئـــة سيئـــة مثلهـــا﴾ [الشورى/ ٤٠]..

واستثنـوا من هـذا، القتل الحاصل بطـرق محرمة مثـل السحر والمسكـرات والمخدرات، ففي هذه الحالة يجب العدول في القصاص إلى السيف، كما يجب العدول إليـه إذا اختار ولي القتيل ذلك.

وذهب أبو حنيفة إلى أن قتـل القاتل عمدا لا يكون إلا بـالسيف، وأجاب عن هـذه القضية بأنها وما ماثلها مما توجبه السياسة الشرعية لظروف خاصة.

ثالثـا: لا فرق في آلة الجريمـة بين أن تكون مما يستعمـل عادة للقتل كالسيـف والخنجر والسكين والمسدس، أو مما ليس كـذلك ولكنه قـد يقتل إذا استعمل مثـل الحجـر والخشب والعصـا والسوط والقضيـب وغيرها ممـا لم يعد القتل، وقد عبر الفقهـاء القدامى عن الأول بالمحـدد وعن الثاني بـالمثقل، وهـذه القضية تثبت أن القتل بـــالمثقل مـوجـب للقصـاص كـالقتل بـالمحدد إذ لا فـرق بينهما في ازهـاق الارواح، ولـو فرقنـا بين آلات القتل لأدى ذلك إلى أن يتخذ ذريعـة إلى اهدار القصـاص وهو خلاف المقصود من حفظ الدماء(٩).

وهذا رأي مالك والشافعي وأحمد وجمهور الأئمـــة، بـاستثنــاء أبي حنيفـــة والشعبي والنخعي الـذين يقولـون بأنه لا قصـاص في القتل بالمثقل، والقضية التي بين أيـدينا حجة عليهم، وعذرهم فيما ذهبوا إليه أن ما ثبت هنا كان من قبيل السياسة كما قدمنا، خاصة وأن ذلك اليهودي كـان صاحب سوابق وسـاعاي في الارض بـالفساد، وقـد اعتاد قتل الصغـار بهذه الطـريقــة، وفيـــه من التكلف مـــا لا يخفى(٩).

رابعا: جواز سؤال الجريح ولو كان في حالة احتضـار عمن اعتـدى عليــه ليُعـرف المتهم فيجلب ويستجوب، فان أقـر ثبت عليه القتل، وإن أنكر فالقـول قوله مع مطـالبته باليمين، ولا يلزمـه شيء بمجرد قـول المجروح في رأي الشـافعي وجمهور العلماء، أمـا الامام مـالك فانه يري ثبـوت القتل على المتهم بمجرد قول المجـروح استنـادا إلى إحـدى روايـات هـذه القضية، ولكن الـرواية الثالثـة لمسلم توضح الأولى وتفيد أن اليهودي اعترف، ممـا يجعلنا نميل إلى أنـــه أخـذ بـــاعترافـه لا بـــاشـارة الجارية(١٠).

خـامسـا: الاشـارة تقـوم مقـام العبـارة، وتترتب عليهـا اجـراءات قضـائية، بـاتفـاق العلماء: قديما وحديثا■

الهوامش:

(١) الصابـوني: مختصر تفسير ابن كثير، ج١، ص٤٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص٤٢٢ وما بعدها. المنـــذري: الترغيب والترهيب مـن الحديث النبوي ج٣، ص٢٩٢ وما بعـدها. ابن حزم: المحلى ج١٠، ص٣٤٢ وما بعدها.

(٣) أي بسبب أوضاح، وهي قطع الفضة، وقد فسرت في الرواية الثـانية: قتلها على حلي لها.

قال ابن عباس، رضي الله عنهما: إن الرجل إذا عرف الاسلام وشرائعه ثم قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم، ولا توبة له

وقد ورد في القرآن الكريم وعيد شديد للقاتل عمداً مقرون بالخلود في جهنم

التأسي بالسلوك المحمدي ضرورة العصر وكل عصر

بقلم: محمد مصطفى البسيوني

ما أحوجنا إلى التأسي برسول الله ﷺ في كل تصرفاته، فهو الكمال الإنساني بعينه، ومن منّا لا ينشد الكمال!! طبعا لن نصل إلى الكمال المحمدي.. ولكن حسبنا أن تكون خطواتنا على طريقه.. فإن زلّت أقدامنا عدنا إليه سراعا.. ورمضان مناسبة طيبة لنتدارس الحياة العملية لخير البشرية.. فنتزود من سلوكه ﷺ بشحنة إيمانية تساعدنا على مواجهة ابتلاءات الزمان.

أهمية السلوك اليومي

حفلت الكتب التي عرضت للسيرة النبوية الطاهرة بإبراز دور الأسوة الحسنة المحمدية في المجالات العامة، ولا سيما ما اتصل منها بالدعوة، أو العبادات، أو الغزوات، وغير ذلك.

وقلما يتوفر بعض هذه الكتب على دراسة السلوك اليومي للنبي الكريم في مواجهته ﷺ للمسائل العارضة، والمواقف الجارية، وهو السلوك المرشد الذي يعتبر - دون منازع - الوسيلة التعليمية الحية، التي تبين للمسلمين الأسلوب الأمثل، والمسلك الأفضل، عندما تعرض لهم مثل هذه المسائل والمواقف.

وعندما تتحدث معظم كتب السيرة عن خصال النبي ﷺ، فكثيرا ما تتحدث عنها بصورة عامة مجردة، وقليلا ما تشفعها بالأمثلة العملية اليومية، والنماذج السلوكية التي تحفز الناس على التأسي الهادف، والتقليد المفيد.

ونحن نرى أن السلوك المحمدي اليومي هو من أهم مواطن الأسوة التي ينبغي أن نلح على العناية بعرضها دائما على عامة المسلمين، وتعميق الإحساس لديهم بها كتجارب معيشية حية، ذلك بالصورة التي تحرك طاقاتهم الإيمانية نحو تنظيم معاملاتهم اليومية على بصيرة سوية، وخلق قويم. وإن هذا لهو الأسلوب المنشود في تربية المسلم المعاصر الذي تحيط به مرائي الفتن، ومهاوي الغفلة من كل مكان، مما يجعله في أمسّ الحاجة إلى التعرف الواعي بنبيه العظيم، تعرفا عمليا سلوكيا، يعيش في حركات جوارحه، في كل دقائق الحياة.

وان من الإيحاءات المضيئة، والإيماءات الوضيئة التي تشع بها السيرة المحمدية العاطرة الزاخرة، والتي تطمئن إليها نفس المؤمن المتأمل، أن النبي الخاتم ﷺ قد أراد الله تعالى له أن تكون السنوات التي أمضاها - فيما بين مولده الشريف وبين انتقاله إلى الرفيق الأعلى - كلها عقدا درّيا منتظم الحبات، وسلسلة مترابطة متسقة الحلقات من المواقف الإنسانية المتعددة والمتنوعة، والتي كانت بحق نماذج عملية لكل ما يمكن أن يعرض لأي امرىء في حياته من أمور.. وقد عبرت السيرة النبوية الطاهرة بجلاء عن مواجهة النبي ﷺ لكل موقف من هذه المواقف، بالفكر الرشيد، والفعل السديد الذي لا ينطق عن الهوى.

ولك أن تستعرض هذه السيرة الرائدة، والمسيرة الغنية بالتجارب البشرية، والخبرات الإنسانية العملية في تأمل عميق، وتدبر دقيق، لتعرف أن محمدا ﷺ كانت حياته كلها - على هذه الأرض - دروسا جديرة بالاقتداء، وخطوات حرية بالاقتفاء.

فما نظن أن هناك تجربة ميدانية يمكن أن تعرض لإنسان ما في الحياة لم تتضمنها حياة محمد ﷺ.

ومن ثم فإنه يصبح على أتباع هذا القائد القدوة، والراشد الأسوة - ما داموا قد صدقوه وآمنوا برسالته ووقر هذا الإيمان في قلوبهم - أن تتسق أعمالهم مع هذا الإيمان.

على أن يحيط تأسي المؤمنين بالنبي بجوانب السلوك اليومي.. ذلك السلوك النبوي الذي يمثل الخطوات العملية للتربية الشخصية للمؤمنين.

بين التابع والمتبوع

ولا يتسق السلوك العملي مع الإيمان القلبي، إلا إذا اتفق سلوك التابع وسلوك المتبوع، بحيث تصبح أفعال التابع المصدق استمرارا وامتدادا لأفعال المتبوع المصدوق.

وإن هذا ليبدو في وضوح وجلاء في الدين الإسلامي الحنيف - بوجه خاص - حيث لا ينقطع دور الرسالة بوفاة الرسول ﷺ، وإنما هي رسالة ممتدة، ومتمثلة في أتباعه، وأتباع أتباعه من المسلمين الصادقين إلى ما شاء الله رب العالمين، طالما كان هناك قرآن ينظم مسيرة هذه الرسالة الحقة، وهو القرآن المجيد الذي تكفل الحق سبحانه وتعالى بحفظه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر:٩].

ذلك لأن كل مسلم - في أي زمان ومكان - مكلف بتبليغ دعوة النبي ﷺ، يقيم دينه، ويسلك - ما استطاع - مسلكه في اقتداء قويم، واهتداء سليم.

وعلى هذا، فقد ألقى الرسول ﷺ المسؤولية العملية على كل فرد من أفراد أمته جيلا بعد جيل، حين قال: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته».

ولعل هذا هو ما هيأ الأمة الإسلامية لأن تكون خير أمة أخرجت للناس، لأن كل فرد فيها مكلف بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من منطلق الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وهذا التكليف هو استمرار لرسالة النبي ﷺ. ولقد قرر هذا القرآن الكريم في بعض آياته المحكمات التي يشرح بعضها بعضا في ترابط متين، واتصال مكين: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران: ١١٠].

فإذا استشعر المسلم الحق في أعماقه هذه المسؤولية، وهذا التكليف، فما أحراه أن يتحرى السلوك النبوي، الذي صدر عن صاحب هذه الرسالة المتواصلة طوال ثلاثة وستين عاما من الزمان، لا تمثل عمر إنسان، ولكنها تعتبر الينبوع المتدفق الذي يفيض - دون أن يغيض - على البشرية

جمعاء طولا وعرضا، بما يصلح أولها وآخرها، كما أنها المورد النقي الذي يرده كل من طلب الطريق السوي، وقصد الصراط المستقيم.

ولقد أراد الله سبحانه وتعالى بأتباع محمد ﷺ اليسر، ولم يرد بهم العسر، عندما بعث فيهم رسولا من أنفسهم هو في كل خطوة قدوة، وفي كل مجال مثال، فأجرى الله عز وجل على يديه الشريفتين الأسلوب الصحيح لمواجهة كل ما يمكن أن يعرض لبشر من أحداث، وهداه إلى القول الفصل، والمسلك العدل في كل ذلك، حتى يتيسر لنا النظر في الحلول، عندما تعرض لنا المشكلات، تأسيا بمواقفه ﷺ في كل أمر من الأمور ولو دق.

وهذا فضل من الله ونعمة، حيث يتجه المسلم كلما حَزَّ به موقف إلى السلوك النبوي، ليعرف ماذا فعل رسول الله ﷺ عندما واجه مثل هذا الموقف.

وعندها يجد ضالته في السيرة النبوية الخصبة فيهدأ باله، وتطمئن نفسه، ويحاول أن يقتدي بالسلوك المحمدي، مستمدا شعاع الهدى من القبس النبوي الوضاء. وكيف لا؟ ألا يكفي المسلم أن يقتدي بنبي كان خلقُهُ القرآن.

ولعله من نافلة القول أن نذكر أن اقتداء السابقين في صدر الإسلام بالسلوك المحمدي، هو الذي جعل من كل واحد منهم طاقة هائلة من الإيمان المتين، الذي لا تعصف به الأهواء، ولا تزعزعه الأنواء.

وهؤلاء هم الذين كانوا اللبنات القوية الراسخة، التي قام عليها المجتمع الإسلامي المتماسك المتين.

ولما كانت الأحداث البشرية والمواقف الإنسانية لا تكاد تُحصى كما وكيفا، لذلك كانت حياة النبي ﷺ حافلة بالنماذج الحية لهذه الأحداث والمواقف، وبالأمثلة التعليمية النابضة التي تبصر الناس بالتصرف النبوي الحكيم حيالها، والأسلوب المحمدي السليم في معالجتها.

في العلاقة الزوجية

وحسبنا أن نتذاكر بعضا منها في عصرنا هذا الذي ماجت بالناس فيه السبل، وتقطعت بهم الأسباب، واختلطت عليهم الأمور، فأصبحوا يتخبطون في ظلمة تفتقد الدليل الهادي، وتفتقر إلى المرشد الأمين.

وعلى سبيل المثال ما نعلمه مما يحدث اليوم من خلاف بين الزوج وزوجه لأمر أو لآخر، وكيف يستفحل هذا دون مبرر، حتى ليهدد كيان الأسرة، ويطيح بمصير أبنائها.. فتعال معي إلى الموقف المحمدي العظيم في مثل هذا الموقف.

تروي كتب السيرة: إنه كان هناك بين عائشة والنبي كلام فسألها: هل ترضين أن يكون بيني وبينك؟ أترضين بأبي عبيدة بن الجراح؟ قالت: لا، ذلك رجل هين لين يقضي لك. قال: أترضين بأبيك؟ قالت: نعم.

فلما جاء أبو بكر قال رسول الله، اقصص.

فقالت: بل أقصص أنت.

فأخذ رسول الله في إعادة ما جرى بينهما من كلام، وبدرت من عائشة كلمة لا تعنيها فقالت: أقصد. فرفع أبو بكر يده فلطمها وانتهرها مغضبا: تقولين يابنة أم رومان أقصد!! من يقصد إذا لم يقصد رسول الله؟ وجعل الدم يسيل من أنفها، ورسول الله يحجز بينهما، ويقول لصديقه: إنّا لم نرد هذا — حتى انصرف برضى من رسول الله.

فأين الزوج الذي نعرفه اليوم من الزوج محمد ﷺ، الذي يرسم بسلوكه النبوي الرحيم كيف تُعالج الأمور بين الزوجين دون عنف، حتى لو كان هذا العنف من حميه الصديق رضي الله عنه دفاعا عن خلق رسول الله.

في العلاقة الأبوية

ثم أما علمت بنبأ فاطمة بنت محمد، وقد دخلت على أبيها ﷺ باكية، تشكو إليه زوجها عليا سيتزوج من بنت أبي لهب؟

إنه لموقف معقد الشعاب. إن فاطمة هي من هي في عمق القلب المحمدي الطاهر، وإن عليا هو من هو في مواقفه النادرة في الإسلام سبقا، وفداء، وبطولة.

هذه هي الابنة الحبيبة، وهذا هو ابن العم الحبيب، فماذا يصنع الأب الذي لا يقيم أسرة، وإنما يشيد أمة؟

إن الأب المعاصر قد تأخذه سورة الغضب فيتخلى عنه رشده وحكمته، وقد يحتجز ابنته عن بيت زوجها، ثم قد يتصاعد الأمر، فينتهي إلى ما لا تحمد عقباه.

ولكن عندما يكون الأب هو الأسوة الحسنة، فإنه لا بد آت بالتصرف الحكيم، الذي يريد للناس أن ينهجوا نهجه، وينسجوا نسجه، إن عرض لهم مثله في الأزمان.

لقد خطب الرسول ﷺ في الناس — وبينهم علي — يعرض الأمر، ثم يواجه الموقف في حكمة فذة، وأدب جم، بأنه لا يقبل أن تعيش ابنة رسول الله ﷺ وبنت عدو الله في بيت واحد، فإذا بعلي يحس بخطورة الأمر إن وقع، فيعود إلى زوجه الزهراء في اعتذار ورجاء.. وتمر العاصفة مرَّ النسيم.

في مواجهة الأحزان

ولعل في مخيلتنا دائما موقف محمد ﷺ وهو يواجه فراق ولده الحبيب إبراهيم، ويضع حنو الأبوة الرقيقة الدامعة في إطار من الجأش المتين، وكأنه يقول للأجيال المقبلة من الآباء: إن هكذا يواجه مثل هذا الموقف، وإن هذه هي الحدود التي ينبغي التزامها في مثل هذا الحدث الفاجع الرهيب.. حزن بالقلب ينطق بدمعة من العين، لأن هذه هي مشيئة الله التي اقتضت أن يمتحن محمد الأسوة هكذا، ليقدم لنا على مر الزمان درسا من دروس الإيمان.. ويالها من دروس.

حياته ﷺ كلها تشريع

ومن الأمور التي توحي بأن حياة النبي ﷺ كانت من أولها إلى آخرها رسالة محددة المعالم، أنه ﷺ لم يحج إلا مرة واحدة، وهي الحجة التي خطب فيها خطبة الوداع ليأخذ الناس عنه مناسكهم، ولينتقل بعد ذلك إلى جوار ربه، حيث أتم ما كلف به علما وعملا.

فما أحوج المسلمين — بل ما أحوج البشر جميعا — اليوم إلى أن يتعمقوا مواطن الأسوة النبوية الهادية، فيما يعن لهم في حياتهم اليومية، في هذا العصر من مواقف ومشكلات□

أضواء حول الحجب والحرمان في الميراث

بقلم: رفعت محمد مرسي طاحون

(١) الحجب

● يعرّف لغة: (المنع والحرمان). يقول تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين/ ١٥] أي أنهم ممنوعون عن رؤية الله تعالى في الآخرة.

ويقال للبواب (حاجب) لأنه يمنع الناس من الدخول على الرؤساء بدون إذن. واصطلاحا: الحجب هو (منع الوارث من الإرث كلياً أو جزئياً مع أهليته للميراث، لوجود من هو أحق منه).

● أقسامه: حيث ينقسم الحجب إلى قسمين:

أ - حجب نقصان: وهو منع الوارث من بعض ميراثه لا كله - بنقله من فرضه الأكبر إلى فرضه الأصغر مع أهليته للميراث - لوجود شخص آخر.

مثل (حجب الزوج من النصف إلى الربع عند وجود الفرع الوارث مهما نزل...)

ب - حجب حرمان(١): هو منع الوارث من كل ميراثه - فلا يرث شيئا. مع أهليته للميراث - لوجود وارث آخر أولى منه.

مثل (حجب الجد بالأب، وحجب أم الأم بالأم... وهكذا).

(٢) الحرمان

هو: منع الوارث من الإرث كلياً. لوجود مانع من موانع الإرث (كالرق. والقتل. واختلاف الدين..) وهذا المحروم لا يحجب غيره. ويكون وجوده كعدمه فلا يؤثر على ميراث غيره.

ويتخلص الفرق بين الحجب والحرمان:

أ) الحجب

- أن المحجوب حجب حرمان: أهل للميراث - ولكنه لم يرث لوجود وارث آخر أولى منه في الإرث.

- أن المحجوب حجب حرمان: يحجب غيره في الميراث

ب) الحرمان

- المحروم من الميراث: ليس أهلا للميراث - لوجود مانع من موانع الإرث (كالرق، والقتل، وإختلاف الدين). ولهذا لا يرث مطلقا سواءً وجد معه وارث آخر أم لم يوجد.

- المحروم من الميراث: لا يحجب غيره في الميراث ويكون وجوده كعدمه. فلا يؤثر على ميراث غيره.

* أقسام الحجب:

نجد: أن الحجب ينقسم إلى قسمين: (حجب حرمان، وحجب نقصان).

(أ) حجب نقصان:

● هو: منع الوارث من بعض ميراثه لا كله. بنقله من فرضه الأكبر إلى فرضه الأصغر مع أهليته للميراث. لوجود شخص آخر(٢).

● وجوده: يوجد حجب النقصان في خمسة من أصحاب الفروض وهم:

- الزوج: يحجب الزوج من النصف إلى الربع عند وجود الفرع الوارث مهما نزل.

- الزوجة: تحجب الزوجة من الربع إلى الثمن عند وجود الفرع الوارث مهما نزل.

- الأم: تحجب الأم من الثلث إلى السدس عند وجود الفرع الوارث، وكذا عند وجود أكثر من واحد من الإخوة.

- بنت الابن: تحجب من النصف إلى السدس عند وجود البنت الصلبية أو بنت الابن الأعلى منها.

- الأخت لأب: تحجب من النصف إلى السدس عند وجود الأخت الشقيقة.

(ب) حجب حرمان:

● هو: منع الوارث من كل ميراثه. فلا يرث شيئا. مع أهليته للميراث. لوجود وارث آخر أولى منه.

● قواعد حجب الحرمان.:

نجد: أن حجب الحرمان يقوم على قواعد أربع:

١- تقديم جهة البنوة على جهة الأبوة، وجهة الأبوة على جهة الأخوة، وجهة الأخوة على جهة العمومة في ميراث العصبات - حيث يحجب العاصب من الجهة المقدمة غيره من العصبات.

٢- أنه في حالة اتحاد الجهة، فإن كل من يدلي الى الميت بواسطة يحجب بها ماعدا الإخوة لأم.

فمثلا (الأب يحجب الجد، والابن يحجب ابن الابن، والأم تحجب أم الأم...) وهنا: الأم لا تحجب الإخوة لأم مع أنهم يتصلون بالميت عن طريقها. لانها لا تستحق كل التركة. بعكس الأب مع الإخوة الأشقاء أو لأب لأنه يستحق كل التركة تعصيباً.

٣- أن الأقرب يحجب الأبعد الذي يستحق بنفس وصفه في أصحاب الفروض أو العصبات: فمثلا (الأم تحجب الجدة مطلقاً ولو كانت أبوية تدلى بها. والبنتان تحجبان بنت الابن في ميراث الفرض، والإبن يحجب ابن الابن ولو لم يكن فرعه. بأن كان ولد إبن آخر).

٤- أن الأقوى قرابة يحجب الأضعف في ميراث العصبات عند اتحاد جهة ودرجة القرابة. فمثلا (الأخ الشقيق يحجب الأخ لأب، والعم الشقيق يحجب العم لأب..).

● الورثة الذين لا يحجبون حجب حرمان:

نجد: أن هناك من الورثة من لا يحجبون حجب حرمان أصلًا. لأنهم لابد أن يرثوا. وهؤلاءهم:

- الابن الصلبي. - الأم.
- البنت الصلبية. - الزوج.
- الأب. - الزوجة

بحيث إن وجد أحد من هؤلاء. فلابد أن يرث من التركة.

● الورثة الذين يحجبون حجب حرمان (من الذكور) هم:

- ابن الابن: يحجب بالإبن. وابن الابن الأقرب منه درجة.

- الجد الصحيح: يحجب بالأب. والجد الصحيح الأقرب منه درجة.

- الأخ الشقيق: يحجب بالأب. وبالفرع الوارث الذكر (الابن وابن الابن مهما نزل).

- الأخ لأب: يحجب بمن يحجب به الأخ الشقيق. ويحجب بالأخ الشقيق. والأخت الشقيقة التي أصبحت عصبة مع الغير. لأنها حينئذ في قوة أخيها الشقيق إرثا وحجبا.

- الأخ لأم، أو الأخت لأم: يحجب كل منها بالأصل الوارث الذكر (الاب والجد وإن علا)، وبالفرع الوارث مطلقا (الابن، وابن، الابن، والبنت، وبنت الابن... ألخ).

- إبن الأخ الشقيق: يحجب بالأب والجد، والإبن. وابن الابن، والاخ الشقيق. وكذا الاخ لأب.

- إبن الأخ لأب يحجب بمن يحجب به إبن الأخ الشقيق. ويزاد بأن يحجب بابن الأخ الشقيق.

- العم الشقيق: يحجب بابن الأخ لأب، وبمن يحجب ابن الأخ لأب.

- العم لأب: يحجب بالعم الشقيق، وبمن يحجب العم الشقيق.

–ابن العم الشقيق: يحجب بـالعم لأب. وبمن يحجب العم لأب ممن تقدموا.
– ابن العم لأب: يحجب بـابـن العم الشقيق، وبمن يحجب ابن العم الشقيق وهكذا.........

● الورثة الذين يحجبـون حجب حرمان (من البنات) وهن:
– الجدة الصحيحة (سـواءً أكانت أم أم، أو أم أب): تحجب بالأم في كل الحالات.
– بنت الابن: تحجب بـالابن، وباثنتين فأكثـر من البنات إلا إذا كان معصِّب.
الأخت الشقيقـة: تحجب بـالأب، وبـالفـرع الوارث المذكر (الابن، وابن الابن مهما نزل).
– الأخت لأب: تحجب بالأب، وبـالفرع الوارث المذكـر مهما نـزل، وبـالأخ الشقيق وبـالأخت الشقيقة إذا صارت عصبـة مع الغير، وبالأختين الشقيقتين إذا استكملتا الثلثين إلا إذا وجد معهما معصِّب.
– الأخت لأم: تحجب بـالأصل الوارث المذكـر، وبالفرع الوارث المذكر والمؤنث.

* أمثلة(٣):
مثـال ١: قتلت امـرأة وتركت (زوجـة، وإبنـا قاتلا، وبنتـا، وأخا شقيقـا) وتركت ٨٠ فـدانا. فكيف توزع التركة؟
الحل
– الابن القاتل: لا يـرث شيئا، لأنه محروم من الميراث بسبب قتله لوالدته..
وهنا: فإن وجـوده كعدمـه. فلا يحجب غيره. ولا يؤثـر على ميراث غيره لما رواه أحمد. عن عمر رضي الله عنه قال: قـال رسولﷺ: «ليس للقاتل شيء».
– الزوج: ٤/١ فـرضـاً. لوجود الفـرع الوارث (البنت). ٨٠x ٤/١ =١ ٢٠ فدانا)
– البنت: ٢/١ فرضـاً. لانفـرادها ولعدم وجود من يعصبها. ٨٠×٢/١=١ ٤٠ فداناً)
– الأخ الشقيق: البـاقي تعصيبـاً. لأن الابن القاتل محروم من الميراث. وبالتالي لا يحجب الأخ الشقيـــــــــــــق (١– (٤/١+٢/١)= ٤/١=٨٠×٤/١=٢٠ فدانا).
مثـال ٢: مـات شخص مسلم عن (أم، وزوجـة، وإبن غير مسلم، وابن أخ شقيق) وترك ١٢٠٠٠ دينار فكيف توزع التركة؟
الحل
– الابن غير المسلم: لا يرث شيئاً. لأنه محروم من الميراث لإختـلاف الديـن. وهنا: فإن وجـوده كعـدمه. فـلا يحجب غيره. ولا يؤثـر على ميراث غيره.
لما رواه البخاري ومسلم. عن أسـامة بن زيد. أن النبي ﷺ قال: «لايرث المسلم الكافر. ولا يرث الكافر المسلم».
– الـزوجـة: ٤/١ فرضـاً، لعدم وجـود الفرع الوارث. (١٢٠٠٠×٤/١=٣٠٠٠ دينار).
الأم: ٣/١ فرضـاً، لعدم وجود الفـرع الوارث ولا عدد مـن الاخوة. (١٢٠٠٠× ٣/١= ٤٠٠٠ دينار).
– ابن الأخ الشقيق: البـاقي تعصيبـا. لما رواه البخـاري ومسلم عن إبن عبـاس رضي الله عنـه قـال. قـال رسـول اللـه ﷺ «ألحقـوا الفـرائض بأهلها. فما بقي فلأولى رجل ذكر».
(١ – (٤/١+٣/١)=١٢/٠ = ١٢/٥= ٥٠٠٠ دينار).
مثـال ٣: مات شخص وتـرك (زوجة، وإبنـا، وعما شقيقا) فكيف توزع التركة؟
الحل
– الـزوجـة: ٨/١ فـرضـاً. لـوجـود الفـرع الوارث.
– الابن: البـاقي تعصيبـاً. (١ – ٨/١ =٨/٧ التركة).
– العم الشقيق: لا شيء. لحجبه حجب حرمان بالابن.
مثال(٤): مات شخص عن (زوجة، وبنت ابن، وأخـوان لأم، وعم شقيـق، وأم) فكيف تـوزع التركة؟
الحل
– الـزوجـة: ٨/١ فـرضـاً. لـوجـود الفـرع الوارث.
– بنت الابن: ٢/١ فـرضـاً لانفـرادها ولعـدم وجود من يعصبها.
– الأم: ٦/١ فـرضـاً. لـوجـود الفرع الـوارث. ولوجود عدد من الاخوة.
– الأخوان لأم: لا شيء لوجود الفرع الوارث.
– العم الشقيق: البـاقي تعصيبا. (١ – (٨/١ + ٢/١ + ٦/١)= ٢٤/٥).
مثـال ٥: مـاتت امرأة عن (زوج، وبنتين، وأب، وجد صحيح) فكيف توزع التركة؟
الحل
– الزوج: ٤/١ فرضاً. لوجود الفرع الوارث.
– البنتين: ٣/٢ فرضاً.
الأب: ٦/١ فرضاً. ولا شيء يبقـى له تعصيبا. لأن المسألة قد عالت (١٢/٣+٨+٢=١٢/١٣).

– الجد الصحيح: لا شيء. لحجبه بـالأب. لأنه أقرب درجة من الجد.
مثـال ٦: مـاتـت امـرأة عن (أب، وأخ شقيق، وزوج) فكيف توزع التركة؟
الحل
– الـزوج: ٢/١ فرضـاً. لعـدم وجود الفـرع الوارث.
– الأب: البـاقي تعصيباً. لعـدم وجود الفـرع الوارث المذكر.
– الأخ الشقيق: لا شيء لحجبه بالأب.
مثال ٧: مـاتت امرأة عن (أخ شقيق، وأخ لأب، وزوج، وبنت) فكيف توزع التركة؟
الحل
– الزوج: ٤/١ فرضاً لوجود الفرع الوارث.
– البنت: ٢/١ فرضاً. لانفرادها. ولعدم وجود من يعصبها.
الأخ الشقيق: البـــــاقي تعصيبــــــا: (١– (٤/١+٢/١)=٤/١).
– الأخ لأب: لاشيء لحجبه بالأخ الشقيق.
مثـال ٨: مـات شخص عن (ابنتي ابن، وأخت شقيقة، وزوجة، وأخ لأب) فكيف توزع التركة؟
الحل
– الزوجة:٨/١ فرضاً. لوجود الفرع الوارث
– بنتي الإبن:٣/٢ فرضا. بالتساوي بينهن.
– الأخت الشقيقـة: البـاقي تعصيبـاً. حيث صارت عصبة مع بنتي الإبن.
– الأخ لأب: لا شيء. لحجبه بـالأخت الشقيقة. بعـد أن صـارت عصبـة مع الغير. لأنها في هـذه الحالـة تصبح في قـوة الأخ الشقيق. فتحجب مـا يحجبه الأخ الشقيق.
مثـال ٩: مـاتت امـرأة عن (أخ الأب، وابن أخ شقيق، وبنت، وأم) فكيف توزع التركة؟
الحل
– الأم: ٦/١ فرضاً لوجود الفرع الوارث.
– البنت: ٢/١ فرضاً لانفـرادها ولعدم وجود من يعصبها.
– الأخ لأب: البـــــاقي تعصيبـــــــا (١– (٢/١+٦/١)=٣/١).
– ابن الأخ الشقيق: لا شيء. لحجبـه بالأخ لأب.

مثال ١٠: مـات شخص عن (أم، وبنت، وجدة صحيحـة «أم أم»، ابن أخ شقيـق) فكيف تـوزع التركة؟
الحل
– البنت: ٢/١ فرضاً. لانفـرادها ولعدم وجود من يعصبها.
– الأم:٦/١ فرضاً. لوجود الفرع الوارث.
– جـدة صحيحـة «أم الأم»: لا شيء. لحجبهـا بالأم.
– ابن الأخ الشقيـق: البــــاقـي تعصيبــــا (١–٢/١+٦/١)=٣/١)
مثـال ١١: مـــاتت عن (أختين شقيقتين، وابن ابن، وزوج، وعم شقيق) فكيف توزع التركة؟
الحل
– الزوج: ٤/١ فرضاً. لوجود الفرع الوارث.
– ابن الابن: البــاقي تعصيبــا. (١– ٤/١ = ٤/٣)
– الأختـــان الشقيقتـــان: لا شيء. لحجبهما بالفرع الوارث المذكر.
مثال١٢ : ماتت عن (أخت لأب، وبنت ابن، وأخ شقيق، وأم) فكيف توزع التركة؟
الحل
– بنت الإبن: ٢/١ فرضـــا. لانفرادهـا. ولعدم وجود من يعصبها.
– الأم: ٦/١ فـرضاً لـوجـود الفرع الـوارث. ولوجود أكثر من واحد من الإخوة.
– الأخ الشقيق: الباقي تعصيبا. (١– (٢/١+ ٦/١)=٣/١).
– الأخت لأب: لا شيء. لحجبها بالأخ الشقيق □

الهوامش:

(١) يلاحظ أنه: إذا أطلق الحجب. فإنه يراد به حجب حرمان.
(٢) وهذا الاصطلاح: هـو اصطلاح الأحناف. وهو أشهر وأدق.
(٣) حلت الأمثلـة حسب مـاجاء في القـانـون المصري.

أدب الأطفال اصطلاح شاع استخدامه في اللغة العربية بمعان ومفاهيم عديدة.. فما مفهوم أدب الأطفال بصفة عامة؟ وما المقصود بأدب الأطفال الإسلامي؟؟ وما أهداف ومحددات أدب الأطفال الإسلامي؟؟؟

ما هو أدب الأطفال الإسلامي؟

بقلم: د. إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي

حقائق عن مرحلة الطفولة

وقبل أن نبدأ في تحديد المفاهيم، ونتعرف على الجوانب والمحددات الرئيسية التي تحدد بدقة مفهوم أدب الأطفال الإسلامي، لابد من الإشارة إلى عدة حقائق هامة عن الطفل ومرحلة الطفولة، ومن هذه الحقائق:

– الطفولة فترة هامة في حياة الإنسان، فهي فترة التكوين البدني والنفسي والعقلي والذهني والعلمي للإنسان، وهي الفترة التي تحتاج إلى رعاية مميزة واهتمام شديد سواء من الوالدين أو من المؤسسات التعليمية والدينية والإعلامية، وذلك من أجل نمو الطفل نمواً متوازناً.

– الطفولة فترة من العمر تمتد من الميلاد، وحتى (سن غير محددة متفق عليها لإنهاء فترة الطفولة)، ففترة انتهاء الطفولة، أو مرحلة الطفولة ليس لها نهاية محددة في جميع الحالات، وليس هناك اتفاق بين العلماء عليها، وإنما تتحدد هذه النهاية بالنظر للظروف والبيئات والفروق الفردية بين الأطفال، فهناك من يعلن أن مرحلة الطفولة تمتد من الميلاد وحتى الثانية عشرة من العمر، وهناك من يصل بمرحلة الطفولة حتى الخامسة عشرة من العمر، بل هناك من يصلها بمرحلة الشباب، وبذلك يضيف مرحلة الصبا والفتوة والمراهقة لمرحلة الطفولة..

وعموما، نتفق مع الرأي القائل بأن(١) (مرحلة الطفولة يمكن أن تستمر طالما كان الأطفال محتاجين إلى أدب من مستوى خاص وثقافة من نوع معين معدّ لهم خصيصاً، يبسّط لهم التراث البشري والمعالم والمنجزات الفكرية والمادية التي تعلو على مستوياتهم، وييسر لهم سبل تناولها واستيعابها باسلوب يناسب مرحلة نموهم، وتنتهي هذه الطفولة عند وصول الأطفال إلى الحد الذي يستطيعون معه تناول الإنتاج الفكري والأدبي المعد للكبار واستيعابه من غير حاجة إلى إعداد خاص).

ونتناول هذا الموضوع من خلال عدة نقاط نستعرضها فيما يلي:

أولا: ما الأدب الإسلامي؟

الأدب الإسلامي هو أولا أدب إنساني ، ولكن بمقاييس إسلامية، ولما كان هذا الموضوع يعد مدخلا لموضوعنا عن أدب الأطفال الإسلامي، فسوف نوجز الحديث عن الأدب الإسلامي من خلال التعريف بمفهوم الأدب الإسلامي، ثم نتناول أهم خصائص ذلك الأدب، لعلنا نستطيع التعرف في عجالة على أهم ملامحه، كما يلي:

١ – التعريف بالأدب الإسلامي

لا يمكن الفصل بين الأدب العربي والأدب الإسلامي، ولكن الأدب الإسلامي أعم وأشمل، ويتضمن بالضرورة الأدب العربي ويستوعبه ويزدان به، والإسلام ينظر إلى الأدب ليس باعتباره ترفا ولا ملهاة ولا ضياعاً فكريا كساه لفظ بليغ جميل، وإنما ينظر إليه باعتبار أن له وظائف حية ينهض بها الأدباء في ضوء المنهج الإسلامي، وهذه الوظائف تتجلى في خدمة العقيدة والشريعة والقيم والأخلاق خدمة أدبية فنية(٢).

وتتعدد الآراء حول مفهوم الأدب الإسلامي، فهناك من يرى أن كل أدب إسلامي صادر عن أديب مسلم يعد أدباً إسلامياً، ويرى البعض أن كل أدب فيه ذكر للإسلام هو أدب إسلامي، بينما يرى فريق ثالث أن الأدب الإسلامي هو ما ينبغي أن يتناول مفهوماً من مفاهيم الإسلام، أو الذي تتمثل فيه المعاني القرآنية وأقوال الرسول ﷺ وصلحاء هذه الأمة، ولكن الرأي السائد في تعريف الأدب الإسلامي ينطلق من المفهوم الشامل للأدب الإسلامي، ويقول(٣) «الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يعبرّ عن النظرية الإسلامية الشاملة للكون والوجود، فلا يتصادم معها أو يخالفها في أي جزئياتها ودقائقها»، والتعريف الأعم الأشمل للأدب الإسلامي

يقـول(٤): «هــو التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون والإنسـان على وجـدان الأديب تعبيرا ينبـع من التصـــــور الإســلامي للخـالق عــز وجل ومخلــوقـاتــه» إذن فـالأدب الإسـلامي هــو أدب إنســاني، يكتبـه الأديب المسلم، بـاللغـة العـربيـة أو غيرهـا، ويعـالج قضـايا إسـلاميـة تهم المجتمع الإسلامي أو المسلمين.

٢ - الخصـائص العامـة للأدب الإسلامي

يتميـــز الأدب الإســـلامي بـالعديـد من الخصـائص التي تحدد شكله وجـوهره، ونـوجز هذه الخصائص فيما يلي(٥):

أ - انـه أدب هـادف، ذلك أن الأديب الإسلامي لا يجعل الأدب غاية لذاتـه، وإنما يجعله وسيلة لغايـة، وتتلخص هذه الغـاية في تـرسيخ الإيمان باللـه وتأصيل القيم الفـاضلـة في النفـوس وتـوجيــه الطـاقـات للخير والصلاح.

ب - انـه أدب ملتــزم، فهـو ملتــزم بـالإســلام وقيمــه وتصـوراتـه ومتقيـد بمبـادئه العليـا ومثله وغـايـاته، ولـذلك فـالأدب الإسلامـي مسؤوليـة وريادة في وقت واحد، المسؤولية أمام اللـه والريـادة في التوجيـه لعامة المسلمين وخاصتهم.

ج - أنـه أدب أصيل، وتتجلى هذه الأصـالة في انصبـاب أدب الأديـــب على الأصيــل مـــن خصائص أمتـه، والنقي الصافي والـــرفيع الثمين من قيمهــا ومزاياها.

د - أنه أدب متكامل، ولا يتم هذا التكامـل إلا بتآزر المضمون مع الشكل.

هـ - الاستقلال: وذلك، حين يتخلص الأدباء الإسلاميون من تأثير الأدباء والنقاد المشهورين، الذيـن تأثروا بـالآداب الأخرى ويـدينـون بـالـولاء لها وهـذا الاستقـلال يتم بـالتصميم من جهــة، وبتكـوين الشخصيـة الإسلامية من جهة أخرى.

و - أنه أدب فعال مـؤثر، ولا يتحقق هـذا الغرض إلا إذا كـان الأديـب المسلـم ممـن تفتحت قلوبهم للإسلام، ونمت عقولهم بغذائه.

كــانت تلك أهم خصـــائص الأدب الإســـلامـي والتي تبين شكله وملامحه الأساسية.

اللغة ليست مجرد وسيلة للتخاطب فحسب، بل هي أسلـــوب للتفكير ومن هنـــا تأتي خطـــــورتها وأهميتها

ثانيا: ما هو أدب الأطفال؟

أدب الأطفال هو الأدب الموجه للأطفال، سواء من الكبار أو من الأطفال أنفسهم، ويشمل كـافة الصور الأدبية مـن قصة وشعر وحكايـة وكتب معلومـات وكتب علميـة وأخـلاقيـة ومسرحيـة ومـوسوعـات للطفولـة، إلخ من ألوان هذا الأدب.

ويتميز أدب الأطفـال عن أدب الكبار بـأنه مـوجه، ويسير على أسس تربوية وأخلاقية دقيقة لا تخرج عن قيم وأخـــلاق ودين المجتمع الذي يسوده هذا الأدب عكس إبداعات الكبار التي يطلق لها العنــــــان في مختلـف الاتجاهات.

وأدب الأطفــال لـــه أهميـــة قصـــوى في عمليـات تنشئــة الصغار وتربيتهم، لأن الأطفال، في هـذه الفترة الحســاسـة من عمرهم، يكونـون بحاجة إلى من يسـاعـدهـم على تحقيق النمـو السليم المتكـــامـل في مختلف النـواحي، كما أن أهميــة هـذا الأدب تعــود(٦) (إلى أن مـــا يكتسبه الطفل في سنـوات عمره الأولى من عـــادات وقيم ومثل يصعب معهـا تغييره أو تعديلـه فيما بعد).

وللتعريف بـأدب الأطفال، لا بــد من الحديث عـن جـــوانب عديـدة، تكشف لنا جـوانب هذا الأدب، ومن هذه الجوانب(٧):

١ - أدب الأطفـــال بمعنـــاه العام:

وهـــو يعني الإنتــاج العقلي المدون في كتب موجهـة للأطفال في شتى فروع المعرفة.

٢ - أدب الأطفـــال بمعنـــاه الخاص:

وهـو يعني أي كـــلام جيـد، بشرط أن يحدث في نفوس هؤلاء الأطفال متعـة فنية سـواء أكان نثـراً أم شعــراً، وسـواء كـــان شفـويا بـالكـلام أو تحريريـاً بالكتابة.

٣ - مجالات أدب الأطفال

وهي التي تحدد شخصيـــة هذا الأدب، فأدب الأطفال الجيد هـو الـذي يــراعي خصـائص الطفولة واحتياجاتها في إطار من المثـــل والقيــــم والنماذج والانطباعات السليمة، ولنتعرف على هـذه المجـالات في عجـالـة سريعة:

أ - من حيث الشكل والتنوع: هنـاك النـواحي الثقـافيـة التي تتضمن معلومات عامة وحقائق مختلفـــة عن النـاس والحيـــاة والمجتمع، مع تقـديم المضمـون العلمي والأفكـار المقتبســة من العلـوم المختلفـــة، والمضمـون التعليمي، مـع تحقيق النمـــو اللغـوي والتـدريب على الإلقـاء الجيـد وطـلاقــة اللســان والشجـاعـة الأدبية ومـواجهـة الجماهير.

وهنـاك النواحـي الأخلاقيـة لتبصير الأطفال بـالقيم الخلقية الفـاضلــة وتنمية إعجـابهم وتقـديـرهـم وحبهم للصفـات الطيبــة والأبطـــال الخيــار، ونفورهم من الصفـات المذمومة وجوانب الانحراف الخلقي.

أمـا النواحي الـروحيـة فهي مهمة للغاية لتحقيق التوازن بين الاتجاهـات الماديـة السـائدة في العصر الحديــث وبين القيـــم الـدينيـة والـــروحيـة، والتي لا يستطيع الإنســـــان أن يحقق السعادة الحقيقية بدونها، فليس هنـــاك تعـــارض بين العلم والإيمان، فـالـدين يحث بشـدة على طلـب العلـم، وعلى التفكير والتأمل والبحث والاستكشاف، كما أن العلم يـدعـو لـلإيمان ويـــرسخ قـــواعـــده في ذهن الأطفال.

وكـذلك النواحي الاجتماعيـة في أدب الطفــل، والتــي تهدف لمسـاعـدتــه على الانـدمـاج في المجتمع والتجـاوب مـع أفـراده ولتعــريف الطفل بمقـومـــات المجتمع وأهدافـه ومؤسسـاته، ومايسود فيـه من قيم وصفات اجتماعية.

وهناك النـواحي العقلية التي تتيح للطفل الفـرصـة للنشـاط العقلي المثمـر في مجالات التخيل والتذكر وتركيز الانتباه، والربط بين الحوادث وفهم الأفكـــــار، والحكم على الأمـــــور وحسن التعليل والاستنتاج. وما إلى ذلك من أمور، ممـا يساعـد على نمو هذه العمليات العقلية وتطويرها لدى الطفل.

وذلك، بالإضـافة إلى مجالات النواحي الجمالية، وكذا النواحي الترويحية.

ب - من حيـث المضمـــون: يجب أن يكـون مضمـــون أدب

ماهو أدب الأطفال الاسلامي؟

الأطفال الجيد محققا لثلاثة شروط متكاملة:

– الصحة من الناحية العلمية والتاريخية.

– التناسب مع مرحلة النمو التي يعيش فيها الطفل.

– عرض هذا الأدب بطريقة شائقة تتفق مع معايير أدب الأطفال السليمة.

ويظهر من خلال الحديث عن مضمون أدب الأطفال الجيد، ضرورة الاهتمام بلغة التخاطب في أدب الأطفال، فلابد أن تكون اللغة قوية وفصيحة ومعبرة تعبيرا قويا عن اللغة الحقيقية للمجتمع، كما يجب أن تكون الألفاظ سهلة والمعاني ميسورة الفهم والإدراك، فاللغة ليست مجرد وسيلة للتخاطب فحسب، بل هي اسلوب للتفكير، ومن هنا تأتي خطورتها وأهميتها، فضلا عن مساهماتها في حفظ التاريخ والتراث، ودورها في خلق الآداب والفنون التي تشكل بدورها حياة الناس ذاتها.

ومن المعروف أن اللغة كائن حي يولد وينمو ويكبر، ويتطور ويصيبه ما يصيب الكائن الحي من علل وأمراض، والمؤامرة على العرب كانت تستهدف هذه اللغة، التي قال الشاعر حافظ إبراهيم على لسانها:

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات

فاللغة هامة جدا في بناء صناع المستقبل، في بناء الأطفال، وأدب أطفال ركيك اللغة ماهو بأدب صالح للنشء.

ثالثا: التعريف بأدب الأطفال الإسلامي

هو أدب أطفال ، ولكن بمنظور إسلامي..

نعم؛ بمنظور إسلامي شامل، موجه لأطفال المسلمين، ويحمل رسالة الإسلام العالمية إلى أطفال العالم أجمع، وينقي مافي أدب الأطفال من كل مايتعارض مع مبادىء الإسلام وتعاليمه وفلسفته وأهدافه، كما يزيل الخرافات والأساطير التي تقوم على القوة الخارقة والتي لا وجود لها، من ثنايا هذا الأدب الموجه للأطفال..

ويتبلور أدب الأطفال الإسلامي بواسطة محددات الإسلام وضوابطه، وتوضيح ما أحله الله ليعرفه الأطفال، والتأكيد على ما حرّمه الله عز وجل ليعرف الأطفال جوانب وأضرار المحرمات فيتجنبوها.

كما يقدم أدب الأطفال الإسلامي تصويراً عاماً لحياة المسلم الحقة وأخلاقه الجمة وصفاته وعاداته وتقاليده الإسلامية الرائعة، بدءاً من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وحياة الصحابة رضوان الله عليهم.

أي أن كلمة (إسلامي) التي تلي (أدب الأطفال) هي صفة تحدد بدقة شكل ومضمون وطريقة تقديم هذا الأدب لأبناء المسلمين على وجه الخصوص.

إذن ،،، فأدب الأطفال الإسلامي هو تقديم أدب الأطفال لأطفال المسلمين خصوصاً وأطفال العالم عامة، بصورة إسلامية تجسد حياة المسلمين وشعائرهم وعاداتهم وأوامر ربهم ونواهيه، وبطولات رجال المسلمين الأول، وسيرة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وقصص وأمثال القرآن الكريم.

وبذلك ، يعرّف أدب الأطفال الإسلامي بأنه (أدب الأطفال بمعناه العام والخاص، ولكن بشكل ومضمون إسلامي، يجسد الصورة الحقيقية للإسلام وللمسلمين، كما أنه نوع من الأدب الإسلامي، ولكنه أدب إسلامي متخصص وموجه إلى فئة معينة من فئات المسلمين، وهذه الفئة لها خصائصها الخاصة وهم أطفال المسلمين).

ويتم توضيح التفاصيل المختلفة لهذا الأدب الإسلامي للأطفال من خلال التعرف على مُحددات هذا الأدب والذي يؤدي بنا إلى التعرف على جوانبه المختلفة.

رابعاً: مُحددات أدب الأطفال الإسلامي وغاياته

يعتبر التشريع الإسلامي الحكيم أصلا لكل الأصول والفروع، فلنقف مثلا عند تحديد سن السابعة لتعليم الطفل الصلاة، كما أمرنا بذلك سيدنا رسول الله ﷺ(٨)، وهي نفس السن التي اتخذها رجال التربية والفلسفة وعلم النفس في القرن العشرين بوصفها سناً مناسبة لبداية الاستيعاب والتعليم وتفهم ما حوله بصورة ذهنية كاملة، وحددوها أيضاً سناً مناسبة لدخول المدرسة في العصر الحديث، ولذلك، نستشف بعض جوانب الحكمة البالغة في جعل هذه السن مناسبة لبدء تعليم الصلاة عماد الدين الإسلامي.

الأدب الإسلامي أعم وأشمل، ويتضمن بالضرورة الأدب العربي ويستوعبه ويزدان به

فالطفل ، لا يكون في سنواته الأولى من العمر قادراً على تحليل الأمور بصورة كاملة، وإنما يكون حسياً فحسب، وكلما تقدم الطفل في فهم ما حوله، أي كلما أصبح تفكير الطفل موضوعياً، يبدأ الدين يأخذ مكانه في عقله، ويزيد التكوين العقلي ثباتاً واستقراراً ورسوخاً(٩)، ومن هنا، فإننا نجد أن أدب الأطفال الإسلامي يبدأ مع الطفل من سن السابعة ويستمر معه حتى سن الفتوة والشباب (من الرابعة عشرة من العمر وحتى السادسة عشرة)، ورغم ذلك فإن أدب الأطفال الإسلامي يبدأ مع الطفل منذ اليوم السابع لولادته عندما يؤذن الأب في الأذن اليمنى لطفله ويقيم الصلاة في أذنه اليسرى(١٠) بادئا تأديبه إسلاميا، ولكننا نأخذ الأدب بمعناه العام. والحديث عن محددات وغايات الأدب يكون كالتالي:

١ – المحددات العامة لأدب الأطفال الإسلامي:

وهي تنبع من مستلزمات النمو الروحي والديني لأطفال المسلمين، والتي تتحدد بالآتي(١١):

أ – ان ينشأ الطفل على الإيمان بالله وابتغاء مرضاته في كل المواقف والأحوال.

ب – ان يعرف الطفل مبادىء الدين الأساسية متحرراً من الخرافات والتعصب.

ج – أن تبني عقيدته على أسس سليمة من الفهم والممارسة عبادة وسلوكاً.

د – ان ينطبع الطفل على يقظة الضمير ويربى على الإيمان بالفضائل الخلقية والقيم الصالحة والتمسك بها، وعلى حب الخير وبذل المعونة للمحتاج.

هـ – ان تنمي فيه العزيمة

والمثابرة والقدرة على مواجهة الحياة في تفاؤل وثقة بنفسه وبربه.

٢ – وبالنسبة لغايات أدب الأطفال الإسلامي: فإن هذا الأدب:

أ – يعين على التعرف على وحدانية الله عز وجل وصفاته وعظمته وخلق السموات والأرض، وأن كل شيء بيده سبحانه وتعالى وحده.

ب – حفظ القرآن الكريم وتدبر معانيه، وتمثل العبرات الموجودة به من قصص وأمثال.

الطفولة فترة هامة في حياة الإنسان، فهي فترة التكوين البدني والنفسي والعقلي والذهني والعلمي للإنسان

ج – التعرف على سيرة رسول الله ﷺ وحياته وسنته الكريمة وصفاته الحميدة وصفات الخلفاء الراشدين والصحابة رضوان الله عليهم والتابعين.

د – التعرف على العادات والقيم والآداب الإسلامية والاجتماعية الحميدة.

هـ – التعرف على أسس الإسلام وفرائضه ونواهيه وحلاله وحرامه.

و – حث الأطفال على الخلق القويم من صدق وبرّ وعدل ورحمة وحلم وحياء وصبر وشجاعة وعزة وتواضع وشفقة ووفاء وعفة وصلة رحم ورعاية حق الجار وعيادة المريض وإغاثة الملهوف ورعاية الفقراء من المحتاجين والمساكين والشهامة والمروءة،، إلى غير ذلك.

ز – ان يكون ذلك الأدب معروضا بصورة مشوقة، بدون رسوم وصور لكل ما فيه روح (كالبشر والحيوانات وما شابه ذلك)□

الهوامش:

١) أحمد نجيب، القصة في أدب الأطفال، دراسات في أدب الطفل، رقم(٣)، القاهرة، جمعية المكتبات المدرسية، ١٩٨٢، ص ٨و٩. ومن المعروف أن مراحل الطفولة وفئاتها تنقسم إلى خمس مراحل، من الميلاد وحتى ثلاث سنوات، ومن ثلاث سنوات وحتى ست سنوات، ومن ست سنوات إلى تسع سنوات، ومن تسع سنوات إلى اثنتي عشرة سنة، ومن اثنتي عشرة سنة إلى خمس عشرة سنة من العمر، ولكل فئة ومرحلة خصائصها المميزة، راجع في ذلك، د.هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، القاهرة، هيئة الكتاب، ١٩٨٦، ص ١٢، وأيضا، أحمد نجيب، اتجاهات معاصرة في كتب الأطفال، القاهرة، المركز القومي للبحوث التربوية، ١٩٧٩ ، ص ٢٥و٢٦ وأيضا، اسماعيل عبدالفتاح، القيم السياسية المتضمنة في كتب الأطفال، القاهرة، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الاقتصاد جامعة القاهرة، ١٩٨٧م ، ص ١٤٨٨–١٥٠.

٢) راجع: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، الأدب الإسلامي: المنهج والوظيفة، كتاب بحوث في ندوة الأدب الإسلامي المنعقدة بالرياض في ١٦/٧/١٤٠٥هـ، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، ١٤٠٩هـ ص٨.

٣) د. محمد مصطفى هدارة، الالتزام في الأدب الإسلامي، الكتاب السابق، ص ١٩و٢٠.

٤) راجع: د.عبدالرحمن رأفت الباشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٦٢.

٥) المرجع السابق، راجع ص ١١٦–١١٨.

٦) راجع: أحمد نجيب، القصة في أدب الأطفال، مرجع سابق، ص ٣٦، ويؤكد الكاتب أن العناية بأدب الأطفال دليل حضاري، ولقد أصبحت النظرة إلى أدب الأطفال وكتب الأطفال وقصصهم وثقافتهم والاهتمام بها، تعد مؤشراً مهماً لتقدم الأمة ورقيها، وعاملا جوهريا في بناء مستقبلها.

٧) راجع المرجع السابق، ص ١١و١٢، ص ص ٣٧–٤١، ص٤٤و٤٥، وراجع أيضا، عبدالتواب يوسف، تجربتي الخاصة مع لغة الطفل، الحلقة الدراسية الاقليمية حول لغة الكتابة للأطفال، القاهرة، هيئة الكتاب، ١٩٨١م، ص٧٢.

والحديث عن أدب الأطفال حديث طويل، فأدب الأطفال، كالأدب العام، مرآة للمجتمع، ويعكس للطفل وجهة نظر المجتمع في الفترة التي كتب فيها، وهو أدب يتطور بتطور المجتمع، ويتغير بتغير وجه الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية فيه، فالطفل في حاجة شديدة لكل المجالات الأدبية ليتعلم عن طريقها ما يحتاج إليه من خلال القصة والمسرحية وكتب المعلومات والكتب الدينية، فهو يحتاج إلى الخيال كما يحتاج إلى الحقيقة، راجع في ذلك د/ مهجة كامل درويش، القصة في أدب الأطفال، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٨٦، ص٤٢.

٨) رغم عدم فرض الصلاة إلا على البالغين، فقد أوصانا رسول الله ﷺ بتعليم الأطفال الصلاة في سن السابعة، وضربهم عليها في سن العاشرة، وهذا يدل على استحباب تعليم الطفل أمور دينه في عمر دخوله المدرسة، بل جاء حديث النبي عليه الصلاة والسلام بصيغة الأمر، حيث قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع» رواه الحاكم وأبوداود.

٩) راجع أميمة جادو، البرامج التربوية للطفل، القاهرة، دار المعارف، سلسلة اقرأ، رقم ٥٤٧. ١٩٨٩م، ص ٩٨و٩٩.

١٠) روى البيهقي وابن السني عن الحسن بن علي عن النبي ﷺ أنه قال: «من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان»، وسر التأذين والإقامة كما ذكر ابن قيم الجوزية في كتابه تحفة المودود: (ان يكون أول ما يقرع سمع الطفل كلمات النداء العلوي المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره بها وإن لم يشعر). راجع في ذلك، عبدالله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، القاهرة، دار السلام، ط١٧، ١٩٩٠م، ١٤١٠هـ، ج١، ص ٧٦ ومابعدها.

١١) راجع ، أميمة جادو، البرامج التربوية للطفل، مرجع سابق، ص ١٠٠–١٠١، وأيضاً، راجع الدراسة التي أعدها د/ اسماعيل عبدالفتاح تحت عنوان: تطوير كتب الأطفال العربية، رؤية بحثية وتجربة ذاتية، الرياض، مجلة رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، العدد الخامس والأربعون، السنة الثالثة عشرة، ١٩٣٣م/ ١٤١٣هـ، ص ٨١–١٠٦، وراجع أيضاً: د/ نجيب اسكندر وآخرون: قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، القاهرة، نهضة مصر، ١٩٦٣م، ص ٢٣ ومابعدها.

قدّم المقال السابق للإجابة على السؤال: كيف يعالج الإعلام الإسلامي أخبار الجريمة والجنس، والأمراض المفضية إلى الموت الناتجة عن الزنا والفاحشة كالسيدا «الأيدز»، أو قضايا التمييز العنصري، والخطر النووي، وعواقب الصناعات الكيمياوية على الإنسان والطبيعة؟ وفي هذا القسم الأخير ينقد الكاتب تناول الصحافة الغربية لأخبار الجريمة مبينا تصوّره لدور الإعلام الإسلامي وكيفية معالجته للجرائم المذكورة.

كيف يعالج الإعلام الإسلامي أخبار الجريمة والجنس؟

٢/٢

بقلم: نور الدين بليبل

أخبار الجنس

إن الصحف الغربية وفي مقدمتها الصحف الشعبية، و«التلفاز»، دأبت على معالجة أخبار الجنس بطريقة تفتقر إلى الحشمة والعفة، وإن اللقطات المصورة للعلاقات الجنسية تكاد لاتخلو من أي إنتاج بصري. هذا الإنتاج الذي تفنن أصحابه في أساليب الإغراء والاحتواء ونشر الضلالات الجنسية على نطاق واسع، كما شجعوا الممارسات غير الشرعية خارج أطرها السليمة والشرعية.

فالسلاح المخيف في أيدي الأعداء «أعداء الإسلام» ليس القنابل الذرية والأسلحة النارية، إنما هو نشر الضلالات الجنسية والأمراض الفتاكة المنتقلة بالجنس وجعل وسائل الإعلام مسخرة لنشر الفساد وتحطيم الإيمان من أجل القضاء على الشعوب(١).

لقد أصبحت أخبار الجنس من المواد الإعلامية التي تستخدمها بكثافة بعض الوسائل من أجل زيادة حجم مبيعاتها من جهة، ومن أجل صرف الناس عن الفضيلة والعفة ودفعهم إلى تحرير غرائزهم الجنسية من كل المقومات.

المنهج الإسلامي في عرض أخبار الجنس

إن طريقة عرض أخبار وقصص الجنس في بعض الإعلام الغربي، هي في نهاية المطاف دعوة إلى إشاعة الفاحشة والانحلال وتدريب الناس على فنونها. بيد أن الله تعالى قد حذر كل من يقوم بذلك بقوله تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [النور/١٩].

- ﴿قل إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾ [الأعراف/٢٨].
- ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ [الأنعام/١٥١].
- «قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ [الأعراف/٣٣].
- ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم» [آل عمران/١٣٥].

بالنسبة للإعلام الإسلامي، فالنموذج الغربي مرفوض بتاتا كما يمثل حماقة من

حماقات هذا الإعلام التي لا يعلم عواقبها إلا الله تعالى. وإن قدوة الإعلام الإسلامي في هذا المجال هو أسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد بن حسين الزير: «إن المنهج الإسلامي في القصة يتسم باستعمال الألفاظ والعبارات العفيفة عند عرض موقف الفاحشة، ولحظات الجنس، واستعمال الكنايات المناسبة، وتفضيلها على العبارات الصريحة المكشوفة، وقد نجحت القصة في هذا على الرغم مما في موضوعات الجنس من حرج شديد، واستطاعت أن تفي بالغرض الموضوعي والفني من خلال وسيلة رفيعة، كما نجد مثلا في قصة «الكفل» مثل هذه العبارة: «..على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته..» وكذلك في قصة «الرجل والمرأة» حيث يقول الرجل وهو يراود المرأة عن نفسها. «لا والله ما هو دون نفسك» وقوله وهو يصف حالة معها «فلما تكتشفها» ونجد هذه العفة في العبارة في قول المرأة نفسها وهي تخاطب الرجل حول هذا الموقف الجنسي «اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه».

وهذا اتجاه اقتفت فيه القصة أثر القرآن الكريم في عرض مثل هذه المواقف عن طريق العبارات العفيفة والألفاظ السامية، كما نجد في قصة يوسف - عليه السلام - فقد قال الله تعالى: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الأبواب وقالتْ هيت لك﴾ [يوسف/٢٣]، وقال تعالى: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ [يوسف/٢٤]، وقال تعالى: ﴿قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم. قال هي راودتني عن نفسي﴾ [يوسف/٢٥و٢٦].

ومثل هذه الطريقة نجدها أيضا في قصة لوط - عليه السلام - التي تعرض لموقف اللواط، وهو موضوع شديد الفحش والنكر، ولكن الفن الرفيع في القرآن الكريم استطاع أن يتناول هذا الموضوع من خلال لفظ رفيع كريم يفيض بالعفة والسمو ويبعث على النزوع إلى الفضيلة: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون. أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون﴾ [النمل/٥٤و٥٥].

- ﴿ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين. أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر﴾ [العنكبوت/٢٨و٢٩].

والقصة القرآنية أو النبوية لا تتجه إلى وصف المشاعر الجنسية المشبوبة التي ربما سيطرت على الإنسان في مثل تلك اللحظات، كما أنها تهمل أيضا وصف محاسن المرأة، وتصوير مفاتنها، وما هي عليه من إغراء، يثير تلذذ المتابع للقصة بمشاهد الجنس المنحرفة.

كما أن منهج القصة في تناول مثل هذه الموضوعات من عدم الوقوف الطويل عند مواقف الضعف والهبوط، إنه يمر بها سريعا ولا يركز عليها، أو يسلط عليها الأضواء، لأنها لا تستحق ذلك، ولا تستأهله، وهي ليست سوى عارض من عوارض الحياة لا يلبث الإنسان أن يفيق منه، ويستعلي عليه.

يقول الدكتور محمد فريد محمود عزت: «على الصحافة «النظيفة» أن تأخذ على عاتقها محاربة أي تهوين من شأن روابط الأسرة، وأي تهوين للأساس الذي تقوم عليه لإحلال الهوى المتقلب والنزوة العارضة، والشهورة الجامحة محله، وتؤكد أنها محاولة آثمة تقوم بها صحافة الفضائح والجنس، لتحطيم المجتمع وهدم الأساس الذي يقوم عليه، بإشاعة الفوضى والفاحشة والانحلال فيه. وتبين مدى عظمة الجريمة التي تزاولها الأقلام الدنسة الرخيصة في تلك الصحافة الخبيثة المسخرة لتوهين روابط الأسرة وتشويه الرباط الزوجي وتحقيره، للإعلاء من شأن الارتباطات القائمة على الهوى المتقلب، والعاطفة الهائجة، والنزوة الجامحة. يقول الله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ [المؤمنون/٥-٧].

ويستطرد قائلا: «ومن واجب الصحافة «النظيفة» أيضا أن تبرز وتؤكد فيما تقدمه من قصص الجنس الإخبارية، أن الجماعة التي تنطلق فيها الشهوات بغير حساب جماعة قذرة هابطة في سلم البشرية، وأن مقياس الرقي البشري هو تحكم الإرادة الإنسانية، وتنظيم الدوافع الفطرية في صورة مثمرة نظيفة والقرآن هنا يحدد المواضيع النظيفة التي يحل للرجل أن يودعها بذور الحياة: الزوجات وملك اليمين، ومن يبتغي وراء ذلك فقد تعد الدائرة المباحة ووقع في المحرمات واعتدى على الأعراض التي لم يستحلها بنكاح ولا بجهاد. يقول الله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ [الإسراء/٣٢].

ويقول أيضا: يمكن للصحافة «النظيفة» أن تنشر القصص الإخبارية الجنسية إذا كانت هذه الموضوعات معروضة على المحاكم، وفيها زوايا إنسانية هامة، فهنا يمكن للصحيفة أن تعالج القصة من هذا الجانب الهام، وبالأسلوب العف النظيف الذي لا يخدش الحياء، من غير دخول في تفصيل أو نشر ما لا يجوز نشره من تفصيلات جنسية».

إن دور الإعلام الإسلامي هنا، لايجب ألا يقتصر فقط على المعالجة لأخبار الجنس، بل أن يغوص بعيدا للتنقيب عن الأسباب الكامنة وراء استفحال هذه الظاهرة الخبيثة.

وفي هذا السياق يثير الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي الانتباه إلى غياب الحلول ذات المنظور الإسلامي إلى مسألة العلاقات الجنسية بقوله «. وإذا عسرت الاتصال الجنسي الحلال في الوقت الذي تقول فيه بحرمة الزنا فأنت تتيح للكبت والتزوير والشذوذ طرائق ممهدة. والناظر إلى العلاقات الجنسية في عصرنا يرى أن المسلمين لم يضعوا لها أي حل. هم يقررون أن الزنا حرام.

بيد أنهم رسموا تقاليد للزواج تجعله مستحيلا، إلا بعد بضعة عشر عاما على نضج الغريزة الجنسية، فكيف يقضي

كيف يعالج الإعلام الإسلامي أخبار الجريمة والجنس؟

الشباب هذه الفترة»؟

ويوجه الشيخ محمد الغزالي انتقادا شديد اللهجة إلى الكيفية التي تعالج بها وسائل الإعلام في البلدان الإسلامية مثل هذه الآفات الفتاكة ويقول في هذا الصدد: «والواقع أن عمل الدين في علاج هذا الفساد العريض إذا كان دقائق من الوعظ في محطة الإذاعة أو حصصا من الدروس التافهة يُلَقِّنُها التلامذة كارهين، فإنه عمل لا طائل منه.

بل إن هذا الصوت الطيب - لو قدرنا أنه خلص واستقام - سيعتبر نشازا وسط الضجة الهائلة المتواصلة.. وستعتبر الصحائف القليلة التي تخدم الإسلام والتي يقرؤها نفر محدود من المتعلقين به لونا من التفكير الضيق يحيا اليوم ليموت غدا، ويموت معه الآخذون به..

ويؤكد حقيقة هامة عندما يقول: إن الأمراض النفسية التي تصحب هذا التحلل أسرع فتكا بنا من الغربيين أنفسهم فإن انتشار الشهوات في الغرب بعد ازدهار الحضارة والمعرفة، وبعد أن نال الفرد حظوظا كبيرة من الفهم لمصلحته ومصلحة أمته.

فهم يقبلون على العمل وعلى اللهو معاً.

ويبنون المصنع الفذ والمسرح العابث، ويقسّمون أوقاتهم على هذا وذاك بحكمة أو نزق.

أما نحن فقد اندفعنا إلى تقليد الغرب في ناحيته الماجنة قبل ناحيته الجادة، فلما سرت في بلادنا جراثيم الفسق لم تجد مناعة تكسر ضراوتها، فكان هذا الفساد العريض.

والإعلام الإسلامي يجب عليه أن يعمل على جبهتين:

أولا: من أجل كشف مخاطر الممارسات الجنسية غير الشرعية والتنبيه إلى أجر إتيان الشهوة في محلها. فقد روى أن أصحاب النبي صلى الله عليه سلم قالوا له: يارسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور «أي أخذ أصحاب الأمور والثروة الثواب بصدقاتهم وزكاتهم». يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضل أموالهم، قال: «أو ليس قد جعل لكم ما تَصّدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بُضع أحدكم صدقة»، قالوا: يارسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟

قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزر؟» قالوا: بلى.

قال: «فكذلك إذا وطئها في الحلال كان له أجر».

ثانيا: دعوة أولي الأمر إلى الاهتمام والتكفل الجسدي بهذه الموضوعات وذلك بتوفير كل الوسائل التي من شأنها الحد من تنامي آفة الزنا في المجتمع - وفي مقدمتها توفير سبل صيانة الأسرة وحفظ تماسك أفرادها وتكافلهم.

أخبار الإفساد

الإفساد في الأرض يأخذ عدة أشكال «التلوث، الاعتداء على النسل. تدمير البيئة»، ويؤثر على الإنسان والطبيعة والكون، وقد حذر الله عز وجل الناس في عدة آيات من الإفاسد في الأرض، لما لهذا الأمر من عواقب وخيمة على كل ما يدب على الأرض.

- ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يُقَتّلو﴾ [المائدة/ ٣٣].

- ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون﴾ [البقرة/ ١١و١٢].

- ﴿ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ [البقرة/ ٢٠٥].

- ﴿إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾ [الكهف/ ٩٤].

تذكر التفاسير أن مأجوج اسم لقبيلة همجية من المغول، ومثلها قبيلة يأجوج، وهما من أصل واحد من التتر المخربين وكانتا تسكنان في الجزء الشمالي من قارة آسيا.

في الوقت الحاضر حيث تتطور الحياة بوتيرات سريعة الفروع الصناعية ترافق هذه العملية زيادات في قذف فضلات ونفايات مختلف الصناعات إلى الجو والأنهار والبحيرات، الأمر الذي يؤثر بصورة مضرة مهلكة على البيئة والوسط الطبيعي. ونتيجة لذلك انحسرت مياه كثير من الأنهار والبحيرات، وانقرض بعض أنواع الحيوانات، والأسماك والطيور وتقلصت المساحات المغطاة بالغابات والله تعالى يلزمنا بتقدير الطبيعة ورعايتها.

ويشير باحث مسلم من جمهورية: «أوزبكستان بأن النبي محمد ﷺ. قد أعار اهتماما كبيرا إلى حماية البيئة، وأنه عاقب أولئك الذين قطعوا النباتات والأشجار في المدينة المنورة.

أما اليوم، وبعدما ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، وأصبح احتمال تعرض البشرية إلى عملية الدمار الشامل من جراء تطوير الأسلحة النووية والبيولوجية الفتاكة، فعلى الإعلام ألا يقف مكتوف الأيدي وألا يغض الطرف عن هذه الضروب من الإفساد، وأن ينبه على الدوام للمخاطر الحقيقية الكامنة وراء سباق التسلح وللآثار المدمرة لعدد من المصانع، ولأنماط استغلال الثروات الطبيعية السطحية والباطنية.

ومن الحقائق التي تثير الحزن والألم أن الكثير من دول العالم الثالث قد لوثت بيئاتها بسبب هذا التعجل في التصنيع. وقد تجاهلت تلك الدول لسنوات طويلة ذلك الثمن الباهظ الذي تدفعه في شكل معاناة إنسانية ووفيات نتيجة للملوثات الصناعية والعوامل المسببة للسرطان(٢).

وثمة تطور آخر ذو صلة بهذا الموضوع ويستحق أن يكون موضوعا للتحقيقات الانتقادية العنيفة، وهو دفن النفايات

الصحافة النظيفة يجب أن تقف إلى جانب المجتمع في الحق وأن تكون ضد أي حرام

الإشعاعية والكيماوية الخطيرة في بلاد العالم الثالث. ذلك أن الدول المتقدمة أغرت بعض بلاد العالم الثالث الفقيرة على أن تحيل أراضيها إلى «مقلب» لنفايات التلوث الخطيرة. وهو التلوث الناجم عن النفايات التي تشحنها إليها الدول المتقدمة(٢).

وبما أن دولا فقيرة كثيرة تسعى إلى إيجاد حلول آنية حتى وإن تطلب الأمر مقايضة استقبال النفايات ودفنها في أراضيها بكمية زهيدة من الأموال أو السلع، التي هي في نهاية المطاف صفقة عار. ومن أجل ذلك يجب على الصحافة كشف هذا النوع من الإفساد وإطلاع الرأي العام عليه، بل توعيته وتجنيده لمنع هذا الصنف من المقايضات، وكذلك تجريم من يقدم على مثل هذه الجرائم.

وثمة اقتراح آخر لصحفي التحقيقات وهو أن يضع نصب عينيه دائما أنه ينبغي عليه أن يحكي القصة بتعبيرات إنسانية لأننا لانستطيع أن نفهم المجردات. ونحن في حاجة إلى تجسيد الناس في حياتهم اليومية. كما أننا في حاجة إلى رواية ما يربطنا بآمالهم الإنسانية وآلامهم. والسير الشخصية، والحكايات والمقابلات الصحفية والقصص التي يرويها الناس بأنفسهم كلها وسائل مؤثرة تضمن القابلية للقراءة وتضيف معنى للقصص الإخبارية التي نكتبها. بل إن أعقد القصص يجب روايتها بأسلوب بسيط إذا أردنا أن نحقق من ورائها أثرا أو نتيجة، وجهدنا الكبير الذي نبذله في التحقيقات الصحفية هو جهد ضائع إذا لم يكن بوسع القارىء أن يفهم ما نقول(٢).

لذلك ينبغي على الإعلام الإسلامي أن يوجه جزءا وافيا من اهتماماته لموضوعات الإفساد التي تغزو الكرة الأرضية على نطاق واسع ومدمر ويجب عليه أن يبذل جهودا كبيرة ومتواصلة لنشر الوعي بين الناس بأهمية المحافظة على البيئة، وبالأخص كيفية إسهامهم بأنفسهم في ذلك، وكذلك أن يبسط الحقائق العلمية المرتبطة بذلك كما يجب عليه ألا يقدم نصائح عامة، وإنما أن يقدم حلولا عملية ملائمة قابلة للتنفيذ، دون أن يهمل تنظيم الحملات الإعلامية لتذكير الناس على الدوام بمخاطر إهمال

على الإعلام الإسلامي أن يغوص بعيدا للتنقيب عن الأسباب الكامنة وراء استفحال ظاهرة الجنس

حماية البيئة، وفي هذا السياق يمكننا أن نثير إلى موضوعات تصلح للمعالجة الإعلامية التلوث الجوي – صناعة مبيدات الآفات والحشرات، صناعة مواد التجميل – شحن المواد الخطيرة – تلوث المياه – الاستغلال الأعمى للغابات – رمي النفايات بشتى أنواعها.

وتجدر الإشارة إلى أنه ليس من الضروري أن يحصل الصحفي المعالج لتلك الموضوعات على تكوين علمي محض، لكن يجب عليه في كل عمل أن يستنجد بذوي الاختصاصات وبدعم الهيئات والمؤسسات المعنية، علاوة على الرصد الحي لواقع الناس في ظل هذه الوضعيات المحرجة.

يستعرض الصحفي محمود عبدالعزيز في (جريدة الأهرام) الخطوات العملية لإجراء تحقيق حول التلوث في القاهرة قائلا: «قد يكون التحقيق الصحفي وسيلة ملائمة لمعالجة قضايا البيئة، كما فعلت أنا شخصيا عندما كتبت تحقيقا صحفيا حول التلوث في القاهرة، فقد كان عليّ أن أحصل من إدارة المرور على عدد السيارات والشاحنات والأوتوبيسات التي تجري في شوارع العاصمة، ويمكن للصحفي أن يعتمد على أقاربه أو أصدقائه في الحصول على المعلومات التي قد لاتكون متاحة عن طريق القنوات الرسمية طول الوقت. وكان عليّ بعد ذلك أن أحصل على التحليل الكيميائي لنوعية الهواء من معمل بحوث التلوث الجوي بالمركز القومي للبحوث. كما حصلت من وزارة البترول على معلومات عن كمية الوقود التي تم استهلاكها في ذلك العام. ثم كان عليّ أن أتصل بإدارة الصحة العامة والصناعة بكلية الطب بجامعة القاهرة لأحصل على معلومات بشأن تأثير العناصر المختلفة للغازات المنطلقة من عوادم السيارات وتشمل الرصاص والهيدروكربونات وغيرها».

«وكان عليّ بعد ذلك كله أن أذهب إلى هيئة الأرصاد الجوية لأضيف إلى التحقيق أحوال الطقس وكيف يؤثر على كمية التلوث في القاهرة. وكان عليّ أيضا أن أحصل على صورة متعلقة بالموضوع، وأن أقرأ عن التلوث الجوي في المجلات والتقارير العلمية».

دون شك فإن الوضعية التي ستكون عليها مستقبلا البيئة والموارد الطبيعية والموارد الطبيعية ستعرض مصير البشر إلى خطر حقيقي ولا سيما أمام «استهلاك الموارد والمساحات دون ضابط ولإنتاج النفايات التي لم تعد البيئة الطبيعية قادرة على استيعابها دون أن تتأثر بها تأثرا عميقا.

ونضوب أو نقص بعض الموارد غير المتجددة والضرورية للأنشطة البشرية، والأضرار التي تتهدد موازين المحيط الحيوي، والتصحر وتدهور التربة وملوحتها. وإزالة الغابات التي من شأنها أن تعرض حياة الناس والحيوانات والبيئة إلى أخطار ذات عواقب وخيمة.

إن هذه الموضوعات وغيرها، بإمكان الإعلام الإسلامي أن يعالجها بكيفية أصيلة تسمح ببلورة موقف ونظرة الإسلام إليها، والأهم في كل ذلك هو اقتراح الحلول الملائمة لها وفق ما ينص عليه ديننا الحنيف□

الهوامش :

(١) د. محي الدين طالوا العلي، الإيدز والأمراض الجنسية، نشر دار ابن كثير دمشق، بيروت، ١٩٨٩م.

(٢) أل هيستر «إشراف»، دليل الصحفي في العالم الثالث، الدار الدولية للنشر، القاهرة.

وأول امرأة دبت على وجه الارض أمنا حواء عليها وعلى زوجها آدم السلام، وقد ذكرها القرآن الكريم بلفظ الزوج في خمس آيات، هي قوله تعالى: ﴿وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [البقرة/٣٥]، ﴿ياايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ [النساء/١]، ﴿وياآدم اسكن انت وزوجك الجنة﴾ [الاعراف/١٩]، ﴿فقلنا ياآدم إن هذا عدو لك ولزوجك﴾ [طه/١١٧]، ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾ [الزمر/٦]، ..



حواء

أم البشرية كما تصورها البلاغة القرآنية

بقلم:
خالد سيد علي بلاسي

شريكة آدم

وإذا مارجعنا إلى المصحف الشريف، وتأملناه وجدنا أن ثلاثا منها وردت في اثناء الحديث عن قصة زوجها، سيدنا آدم عليه السلام بوصفها شريكته في الحياة (البقرة، الأعراف، طه) وأن اثنتين وردتا في موضعين آخرين لاغراض اخرى سامية شريفة (النساء، الزمر) ومن مجموع تلك الآيات الخمس مايمكن استخلاصه من دلائل تشهد بإعجاز القرآن الكريم وأنه نمط فريد من النسيج البياني، فحديثه عنها رغم وجازته وتفرقه في خمس سور فهو مشع باللطائف الهادفة ومضيء بالمعاني المشرقة، ذلك ان الخصائص التركيبية الوارد عليها تشير إلى هذه اللطائف وتلك المعاني، وهذا أمر لايتجلى إلا من خلال تحليل النظم القرآني تحليلا جماليا يكشف عن مكنوناته وماستودع من ومضات هي أثر من آثار بلاغته البليغة.

يبين ذلك جليا إذا نظرنا إلى القرآن الكريم وقد اطلق على امنا وصف (الزوج) ثم علمنا ان هذا الوصف يفيد في أثناء قصة زوجها آدم عليه السلام غير مايفيد في آية النساء، وفي الاثنتين غير مايؤديه في آية الزمر.

بيان ذلك ان اللفظة في سياق قصة زوجها عليه السلام تؤصل لنعمة المرأة في المجتمع البشري، وانه بها ومعها يكون السكن والسكينة ولكن بشرط ان تكون كما نعتها القرآن (زوجا) لاشيئا آخر.

ولعل هذا يستنبط من خصائص التركيب القرآني: ﴿اسكن انت وزوجك الجنة﴾ توضيح ذلك ان الامر بالسكنى في النظم الكريم موجه إلى آدم عليه السلام ﴿اسكن انت﴾ كما انه موجه كذلك إلى زوجته اذ المعنى: (اسكن انت ولتسكن معك زوجك كذلك)، ولكن القرآن الكريم لم يكرر الفعل مرة اخرى ليتعلق بزوجته وانما عدل عن ذلك ومثله إلى قوله: ﴿اسكن انت وزوجك﴾ للدلالة على ان السكنى الحقة للرجل لاتتم إلا في وجود المرأة، وليست أي امرأة، ولكنها زوجة.

هنا تكون الزوجة تبعاله، أو قل نصفه الآخر أو قل إنهما يمثلان (الشركة) المرادة من خلافة البشر على وجه الارض.

ومن هنا جمع القرآن بين آدم وزوجه بالعطف بالواو إشارة الى هذا التلاحم المقصود ولم يكرر الفعل ليتعلق به مرة وبزوجه أخرى.

فهو بمفرده لايكون سكنه سكنا، وهي بمفردها لايكون سكنها سكنا، وانما هما معا يكونان المجموع الذي يكون به السكن ومعه السكنى.

الزوج لغة وواقعا

وبذلك فهي لاتحتاج إلى فعل مستقل (بالسكنى) لانها تسكن معه وبه، وهو يسكن معها وبها.. فالفعل الواحد شملهما على هذا الوجه من الاحتياج الفطري بعضهما الى بعض. وعدم تحقق معنى السكن والسكنى والسكينة إلا

بهما على وجه يرضاه الله تعالى بأن تكون زوجا له: ﴿اسكن انت وزوجك﴾.

وبهذا يتضح سر وصف القرآن الكريم لأمنا حواء (زوج) دون النص على اسمها صراحة. ثم هو فضلا عما فصلت يشير إلى انه امر لاغنى عنه لا لآدم ولابنيه، ولو نص القرآن عليه لجاز ان ينسحب الفهم الى اختصاص هذا الحكم بآدم عليه السلام.

وكما أفاد الوصف هذه المعاني حين وقع في حيز السكنى فانه يفيد التعاون الجاد - خلال السكنى - ضد العدو الاول والأخير للبشرية حين يقع في حيز عدواة اللعين: ﴿إن هذا عدو لك ولزوجك﴾ [طه/١١٧].

وهنا تهنأ النفوس ويكون السكن الحق. ولهذا عطفها القرآن كما عطفها في فعل السكنى: ﴿عدو لك ولزوجك﴾، ولم يفرد عدواة خاصة بها وعداوة لزوجها. اذ هما بالانصهار المشار اليه شيء واحد يقصدهما اللعين مجتمعين وبتعاونهما معا ينـدحر الشيطان وتهنأ معيشتهما، اما مجاهدة احدهما دون الآخر فلا تكفي، وتلك من لطائف القرآن الكريم الهادفة الى تعميق معنى الانصهار بين الزوجين ثم القيام التام من جانب كل منهما بواجبه الأوفى.

ويؤيده وقوع ضميريهما هدفا للعين: ﴿فلايخرجنكما من

حفل القرآن الكريم بالحديث عن المرأة عموما وعن شخصيات نسائية على وجه الخصوص ذلك لأنها المتمم للرجل فبدونها لاتكون الحياة، سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلا..

الجنة﴾ ولم يقل فلايخرجنك اي (آدم) فقط..

ومعلوم انه بعد الخروج من الجنة كان شقاء السعي في الحياة متعلقا بالرجل دون المرأة، ولذا قال القرآن ﴿فتشقى﴾ أي انت يا آدم، ولم يقل: فتشقيا، اذ هي ملكة المملكة، عليها تربية الأولاد، وتخريج الرجال وإسعاد البيت اما انت - ياصاحب العضلات المفتولة - فعليك السعى والجد والبحث عن الرزق وهذا مايجب ان يكون.

اقتراح لتخصص نسائي

وان كنت أبادر فاذكر ان مهنتين اثنتين لاثالث لهما يجب ان يتخصص فيهما بعض نسائنا على وجه الالزام:

١) التطبيب: نساء وتوليد وتمريض النساء.

٢) تعليم بنات المسلمين في جميع المراحل..

ويلحق بهما كل مايتعلق بأمور النساء التي لايحق للرجل التدخل فيها، كتفتيش المسافرات، وحياكة ملابس النساء.. الخ.

كل ذلك بشرط الا يعوق العمل عن تأدية وظيفتها الأصلية المنوطة بها، وعلى المسؤولين مراعاة ذلك وتهيئة المناخ المناسب للجمع بين المهنتين السابقتين والوظيفة الأصلية.

هذا، وفي حالة العوز الشديد وعدم وجود من يعول يسمح للمرأة بالعمل الشريف في حدود تعاليم الإسلام.

نعود إلى وصف أمنا (حواء) فنذكر ان المعاني التي فصلتها كانت وليدة خصائص التركيب القرآني في سياق قصة زوجها عليه السلام، فإذا ما انتقلنا إلى آية النساء وجدنا الوصف وقد اغلق بفعل الخلق: ﴿خلق منها زوجها﴾ مراعاة لمقام الآية في سورتها، ذلك ان السورة لما كانت تؤسس - ضمن ماتؤسس - لأحكام وتشريعات تتعلق بالشؤون الداخلية لأفراد المجتمع المسلم نحو الروابط الأسرية كالزواج والميراث والروابط الاجتماعية الاخرى كرعاية اليتيم وصلة الأرحام، لما كانت تؤسس لذلك فقد ناسب ان يكون الوصف

هنا متعلقا بالحديث عن النواة الأولى لمجموع هؤلاء الأفراد وتلك الأسر: الزوجين. فجاء حديث القرآن عن تلك النواة: ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ هي نفس آدم عليه السلام ثم جاء قوله ﴿وخلق منها زوجها﴾ وهى (حواء) زوجه ليكون بعد ذلك قوله: ﴿وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾. ثم تتوالى الأحكام.

فورود الوصف هنا في حيز الخلق تمهيد وتوطئة لما ستقرره الآيات بعد من احكام، فالوصف بهذه المثابة قاعدة يرتكز عليها النظام القرآني ثم ينطلق منها نحو إرساء القوانين والتشريعات المتعلقة بأبناء هذين المخلوقين (آدم، حواء) وإلا فعلام تبنى هذه الأحكام إن لم يسبقها حديث عن خلق اصل هذه الذرية؟ فكان الوصف متعلقا بعملية الخلق: ﴿وخلق منها زوجها﴾.

الضلع الأيسر

وقد خلقت (حواء) بطريق الانشاء من المادة، أعني من الضلع الايسر لآدم عليه السلام كما جاء عن النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع اعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإذا ذهبت تقيمه كسرته، وان تركته لم يزل أعوج» [رواه الشيخان]. وفي خلق

حواء أم البشرية كما تصورها البلاغة القرآنية

(حواء) على هذا النحو دلالة على عظيم قدرة الله تعالى خلقت (آدم) من غير أب ولا أم وجاءمن غير أم وعيسى عليه السلام من غير أب.. وبذلك يكون خلق حواء إيجاد حي من حي لاعلى سبيل التوالد. تماما كما يخلق جل شأنه الحي من الجماد.

كما أن طريقة الخلق هذه إشارة إلى ماتحدثه الفطرة من ميول الذكر إلى الأنثى والعكس، ذلك ان الرجل يميل إلى جزئه (الضلع) والأنثى تميل إلى مجموعها الذي اخذت منه (الرجل) وهذا ماتوحي به اللفظة (زوج) حين تقع في محيط السكنى كما سبق ان اوضحت في الآيات الواقع فيها وصف (حواء) متعلقا بالفعل ﴿اسكن﴾.

ونأتي الى آية (الزمر) لنجد الوصف فيها متعلقا (بالجعل) قال تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ [الزمر/٦].

والسياق تعديد لآيات الله الباهرة بغرض توبيخ المشركين على اتخاذ أنداد يقربونهم إلى الله زلفى، إذ كيف يحدث ذلك في حق من أنعم عليهم بالنعم السالفة؟

فإذا ماعلمنا ان هذه النعم وردت في سياق السورة بعد نعم اخرى هى خلق السموات والارض، وتكوير الليل على النهار، والعكس، وتسخير الشمس والقمر..

إذا علمنا ذلك تبين لنا أن النظم القرآني في معرض التدرج في معارج النعم الدالة على عظيم القدرة والمشيرة الى الوحدانية، ومن هنا تعلق وصف أمنا (حواء) بالجعل المسبوق بأداة التراخي ﴿ثم﴾ تجسيدا لهذا المعنى، ذلك ان خلقها لما كان ايجاد حي من حي لاعلى سبيل التوالد وكان المقام لا لمجرد الإخبار ولكن للترقي في باب الاستدلال على وحدانية الله تعالى والامتنان على عباده والتذكير بنعمه، عساهم ان يرتدعوا وينزجروا. و استخدام القرآ ن أداة التراخي ﴿ثم﴾ ليفيد الترقي في الرتبة، اذ أن إيجاد الحي من الحي من غير توالد اعظم واجلب للتعجب وهذا مااستدعى فعل الجعل المناسب لهذا الترقي ايضا لما فيه من معنى الصيرورة المرشحة لهذا التعجب. وذلك من بديع البناء القرآني..

جعل الله تعالى المرأة والرجل عنصرين متكاملين، ولن تجد لسنة الله تبديلا

فالوصف قد تعلق بالجعل هنا إذن لإفادة معنى الترقي اللازم لاثبات القدرة المشيرة إلى وحدانيته – جل وعلا – وهو عين المقام..

وهكذا تعددت اضواء اللفظ الواحد حسب مقام وسياق آيته وغرض سورته، فهو في مكان يشع بغير مايشع في الآخر، وهو فيها يضيء بغير مايضيء في الاثنين ثم هو بعد ذلك تتكامل معانيه وتتناغي دلالته لتكون الصورة الكاملة له عبر الدراسة الموضوعية للفظ داخل القرآن الكريم..

الشرك محال في حق آدم وحواء

وبقيت كلمة حول آية سادسة غير الخمس المذكورة في بداية المقال، حيث ورد فيها لفظ (الزوج) وظنه بعض العلماء مرادا به أمنا حواء تلك هى قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاخفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين. فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهم فتعالى الله عما يشركون﴾ [الأعراف/ ١٨٩و ١٩٠]..

والمتأمل يدرك انها بعيدة كل البعد عن آدم وزوجه، اذ الشرك محال في حقهما، اذن فما المراد؟ المراد – والله اعلم – ان النفس الواحدة يقصد بها هنا الجنس الواحد (البشري) ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ اي من جنس واحد، والجنس هذا نوعان: ذكر وأنثى، ويكون المراد من قوله: ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ اي أن الزوج من نفس الجنس، وذلك حتى يسكن كل منهما إلى الآخر.

ومعلوم ان الجنس البشري يعتوره الهدى والضلال، وهو حين يضل يأتي بأفعال الشرك التي نصت الآية على شيء منها. ويساند هذا التأويل ان السياق قبل الآية وبعدها يعرض لأحوال المشركين المعاندين ومايصدر عنهم من أقوال وأفعال كان الشرك من بينها. هذا فضلا عما ذكرته قبلا من استحالة صدور الشرك من آدم وزوجه.

وبذلك تخرج الآية عن دائرة أمنا (حواء) وتبقى الخمس الأخريات واردا فيها الوصف بالزوجية، يشع في كل آية منها بما يتلاءم ومقام سورتها وملابسات النظم فيها، وهو في جميعها تجسيد حي لمعاني الطهر والعفاف، ودعوة ناطقة إلى اتباع هدى القرآن الكريم.. ثم هو بعد ذلك برهان جلي على إعجاز الكتاب المبين□

تجديد الفكر الإسلامي محمد عبده ومدرسته

تجديد الفكر الإسلامي
محمد عبده ومدرسته

المؤلف للدكتور:
محمد عمارة
عرض وتقديم
شحادة مطر

أما مـؤلف الكتاب فهو الدكتـور محمد عمارة، وهو غني عن التعريف، فدراساته في ميدان الـدراسات الإسـلامية فكـرا وتـاريخا معـروفة، وقـد أثـرى المكتبة الإسلامية بعدد مـن الدراسـات القيمة، لعل في طليعتهـا الاعمال الكـاملة لجمال الدين الأفغـاني، ومحمد عبده، ولغيرهما من مفكـري الإسـلام، بـالإضـافـة إلى عشرات المقـالات التي نشرها في المجـلات العربية.

التمهيد

يمهـد المؤلف لموضـوع الكتـاب بشرح الفرق بين مصطلحات التجـديد والتغيير والتطور، فالتغيير والتطـور لا يستلزمان ارتباط الجديد بالقـديم، وإذا ما وجد هذا الارتباط، فوجوده بـلا ضابط أو قانون، أما التجـديد، فإنه يعني إزالة مـا طرأ على الأصـول والكليـات ممـا يتعـارض مع روحها ومقـاصدها، ولما كـانت الرسـالة الإسـلامية شـاملة عـامـة، وكانت آخـر الرسـالات السماوية، فقـد غدا التجـديد بـالنسبة إليهـا ضرورة حتمية وقـانونـا إسلاميـا، وهو أمر تنفرد بـه كذلك دون الـرسـالات الأخـرى، وهكـذا فعلى مـر العصور الإسـلامية كان التجـديد – كما يقول المؤلف – أمـرا واردا، بل ومقصـودا ومرغـوبا، خـاصة عنـدما تتراكـم البدع والخرافات والزوائد، وعندما تطرح كذلك تطورات الحياة جـديدا، يطلب أن تتلاءم معـه الأحكـام الشرعيـة المستنبطـة من الوصـايا، والكليـات التي اكتفى الإسلام بتقريرها في شؤون الحياة، وذلك حتى لا يبـدو الدين عـاجزا عن مسـايرة الحيـاة المتطورة دائما.

مدرسة محمد عبده التجديدية

على ضـوء ما تقـدم، يمكن فهم مـوقف مدرسة التجديـد الديني والإسلام الكبير لمحمـد عبـده، وتميـز هـذا الموقف، وذلك الإسهـام عن مـواقف التيارات الفكـريـة الأخـرى وإسهـاماتها، لقـد وقفت هـذه المدرسة موقفا واضحا من التيارين اللذين كـانا يقتسمان الأمـة في مطلع نهضتهـا، وهما تيارا التغريب والجمود، وقدمت بدلا منهما الموقف الجديـــد، ونهجـت المنهج الثـالث للأزمـة. ويلخص الشيخ محمـد عبده المبـادىء الأساسية العـريضة لهذا المنهج فيما يلي:

تحريـر الفكـر من قيـد التقليـد، وفهم الـدين على طـريقــة السلف قبل ظهـور الخلاف، والرجـوع في كسب معـارفه إلى ينــابيعهـا الأولى، واعتبــاره من ضمن مـوازين العقل البشري التي وضعها اللـه لترد من شططه، وأنه على هـذا الوجه يعد صديقـا للعلم، باعثـا على البحث في أسرار الكون، داعيا إلى احترام الحقـائق الثابتة. ومن أهم هـذه المبـادىء كـذلك، إصـلاح أساليب اللغـة العربية في التحريـر، سواء كان ذلك في المخـاطبات الـرسمية، أو فيما تنشره (الجرائد) على الكـافـة، ومن هـذه المبادىء أيضـا، التمييز بين ما للحكـومة من حق الطاعـة على الشعب، وما للشعب من حق العدالة على الحكـومة، فالحـاكم – وإن وجبت طاعته – فهو من البشر الذين يخطئون، وأنه لا يرده عن خطئه إلا نصـح الأمة له بالقول والفعل.

وبعد أن يعرض الـدكتور محمد عمارة عرضـا سريعا لنشأة محمـد عبده، وسير حياتـه العمليــة والفكـريـة، يسهب في التعـريف بجهـوده في الإصـلاح الـديني الذي ظهر بشكل خاص من خلال صراعه مع الأفكار والمؤسسات، التي كانت تمثل تياري التغريب والجمود سـالفي الذكر، وظهـر كـذلك من خـلال نقـده لما أسماه الدكتـور عمارة بالمجـددين النصوصيين الذين سبقوا الأفغاني بالتجديد الحقيقي عند محمـد عبده، لا يقـف عند حـد تنقية العقيـدة مـن البـدع، بل لابـد لـــه من أن يتجـاوز ذلك، ليصبح تجديـدا متكامـلا يستلهم العقل، ويضيف لمعطيـات التراث مـا يلائمهـا وينميهـا من علوم وثمـرات العصر والحضــارات الأخـرى. يقــول المؤلف واصفـا مـدرســة محمـد عبـده التجديدية:

(لقد بشرت هذه المدرسـة بطريق ثالث يبني حضـارة حـديثـة على أسـاس من الـدين والتراث وهـــذا التأسيس لا يعني إهمال مـا ليس من الدين والتراث. إذ لـو رزق اللـه المسلمين حاكما يعـرف دينـه ويأخذهم بأحكامـه، لرأيتهم وقد نهضوا والقرآن الكريم في إحدى اليدين، وما قرر الأولــون واكتشف الآخــرون في اليــد الأخـرى، ذلك لآخـرتهم وهذا لـدنيـاهم ولســـاروا يــــزاحمون الأوروبيين فيزحمونهم).

أبرز معالم مدرسة التجديد

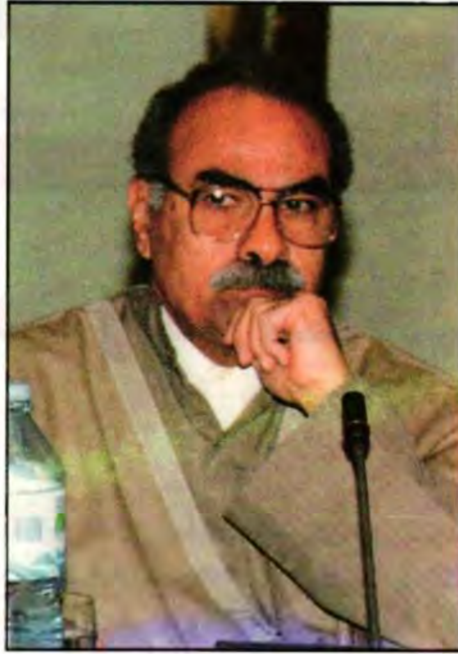
من أبرز المعالم التي تتميز بها مدرسة محمد عبده التجديدية، كما يرى الدكتور محمـد عمارة في كتابـه (رؤيتها للقـرآن الكريم)، فنحن واجدون في هذه الرؤية –

على سبيل المثال تحديدا لمعنى الإعجاز الحقيقي في كتاب الله فهذا الإعجاز - كما يقول محمد عبده - ليس لغويا في الأساس، ولا أدبيا أو تاريخيا أو علميا، وإنما كونه كتاب دين يهدي الناس إلى المجتمع الفاضل على مر الأزمنة، برغم اختلاف الأجناس والأمكان، ونحن واجدون في هذه الرؤية، كذلك إعلاء من شأن العقل في تفسير القرآن الكريم، فهو يرى وجوب أن يطرح الذين يريدون تفسيره تفسيرا حديثا مستنيرا أن يطرحوا جانبا رؤية السابقين من المفسرين، وأن يتزودوا فقط بالأسلحة والأدوات اللغوية، وبشيء من أسباب النزول ومعلومات عن السيرة النبوية، ومعارف التاريخ الإنساني عن حياة الكون والشعوب التي يعرض لها القرآن الكريم.

فهو يعتبر أن رؤية ا لمفسرين السابقين قد ارتبطت بالمستوى العقلي، ودرجة العلم التي بلغوها، وليس بالضرورة أن يكون عقلنا واقفا عندما بلغوه، ولا أن تقف حصيلتنا الفكرية عندما حصلوه، فالإسلام عنده دين عقلي، حتى في جوانبه الدينية، فضلا عن جوانبه الحضارية، فالعقل في الإسلام هو الميزان القسط الذي توزن به الخواطر والمدركات، ويميز بين أنواع التصورات والتصديقات، وهذا الميزان صالح للعمل في الدين والدنيا معا.

فكرة (الجامعة الإسلامية)

يعرض الدكتور محمد عمارة في جزء من كتابه لموقف محمد عبده من فكرة الجامعة الإسلامية، وكان صوت جمال الدين الأفغاني - في ذلك الوقت - هو أعلى الأصوات المنادية بها، وموقف الأستاذ الإمام منها، هو كما يقول المؤلف من المواقف الخصبة المهمة في حياته الفكرية، وهو - أي المؤلف - يعرض لهذا الموقف من خلال دراسته لفكر وآراء محمد عبده في عدد من القضايا، لعل أهمها الموقف من



● د.محمد عمارة

طبيعة السلطة في المجتمع الإسلامي.

ونلتقي في هذا الموقف بفكر واضح ومحدد قدمه الشيخ في هذا الموضوع، إذ يرفض رفضا قاطعا أن يكون الدين الإسلامي نصيرا لقيام سلطة دينية في المجتمع، ويقيم على ذلك الحجج والبراهين، بل ويذهب إلى أبعد من ذلك عندما يعتقد بأن إحدى المهام التي جاء الإسلام لها، ونهض بها في المجتمع الذي ظهر فيه، والتي تعتبر أصلا من أصوله، هي قلب السلطة الدينية، واقتلاعها من جذورها.

الحكم الإسلامي: مدني أم ديني؟

وإذا كان الشيخ ينفي وجود سلطة دينية في الإسلام لما يمكن أن يسمى رجل دين، فإنه يمد نطاق هذا الموقف إلى السلطة السياسية في المجتمع الإسلامي، إذ يرى أن الحاكم في هذا المجتمع هو حاكم مدني من جميع الوجوه، وان اختياره وعزله إنما هما أمران خاضعان لرأي البشر، لا لحق إلهي، وتقريره لمدنية السلطة بعد ذلك لا يتنافى بحال - كما يقول الدكتور محمد عمارة - مع وجود الشرع إلى جانب الدين، فالإسلام دين وشرع، وضع حدودا، ورسم حقوقا، وقد يغلب الهوى، وتتحكم الشهوة، فيغمط الحق، ويتجاوز المعتدي الحد، ولا تكمل الحكمة من تشريع الأحكام، إلا إذا وجدت قوة لإقامة الحدود، وتنفيذ حكم القاضي بالحق، وصون نظام الجماعة، وتلك القوة لا يجوزأن تكون فوضى في عدد كثير، فلابد أن تكون في واحد وهو السلطان، أو الخليفة، فالأمة أو نائب الأمة هو الذي ينصبه، والأمة هي صاحبة الحق في السيطرة عليه، وهي التي تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها، فهو حاكم مدني من جميع الوجوه.

ولقد دفع هذا الاعتقاد محمد عبده إلى القول بالطابع المدني الذي لا يفرق بين المواطنين بسبب الاعتقاد الديني، ويثبت المؤلف - كدليل على صحة ما يقول - بعض النصوص من مؤلفات الأستاذ الإمام، قيلت وألفت في مناسبات وأوقات مختلفة، الأمر الذي يدل على أن اعتقاده ذاك لم يكن مجرد موقف سياسي تمليه الظروف السياسية الطارئة، أو حتى الدائمة، وإنما كان موقفا فكريا اسلاميا مؤسسا على ما ذهب إليه الإسلام من و حدة الدين الإلهي، المقتضية إخاء اتباع الشرائع السماوية الذي اقتضت حكمة الله ومشيئته، أن يظلوا أمما متعددة، إذ لو شاء تعالى لجعلهم أمة واحدة، وهكذا تصبح الطائفية والشقاق الديني - كما يقول المؤلف - ردة عن الدين الصحيح، وليس مجرد ضيق أفق في عالم السياسة والسياسيين. ويضيف الدكتور عمارة قائلاً:

ونحن نعتقد أن وعي الأستاذ الإمام وفقهه لهذا الموقف الإسلامي، إنما كان من أهم الإسهامات التي قدمتها مدرسة التجديد الديني في عصرنا الحديث، فذلك الإسهام الذي بدأه الأفغاني، قد سعى لسد الثغرات التي جاهد الاستعمار لينفذ منها إلى صفوف الأمة، سعى لسد هذه الثغرات بالموقف الديني والفكر الإسلامي، فقطع بذلك الطريق لا على الاستعمار فحسب، وإنما على تيار التغريب أيضا، والذي ظن أن العلمانية

كما رآهـا الغـرب، وكما تصـورتها حضارته، هي السبيل لسد هذه الثغرات.

الرد على المستشرقين

وفي ختـام حـديثـه عن محمـد عبـده والجامعة الإسلامية يثبت الدكتور محمد عمارة رد محمـد عبـده على المستشرق الفـرنسي (هـانـوتـو)، وهـو رد يـوضح مفهـومه لـدعوة (الجامعـة الإسلاميـة)، وهو - كما كشفت عنه الرسالة - مفهوم التضـامن الإسـلامي في سبيل الإصـلاح الـديني، والاستفـادة مـن قيـام الـدولـة العثمانية في دفـع عجلة هـذا الإصلاح إلى الأمام، أمـا التوحيـد السياسي للمسلمين، وجمع السلطتين الـزمنيـة والـروحيـة في شخص واحـد .. فليس في خـاطر أحـد - كما يقـول - ان يشير إلى هـذه الـدعـوة، فضلا عن أن يبني عليها حكما.

إذا هو خطـا خطوة إلى معرفـة احوالهم على ما هي عليه، فهي حركة إصلاح تتخذ من الـدين سبيـلا، وهـذه سبيـل لمريـد الإصـلاح في المسلمين، لا مندوحـة عنهـا، فإن إتيـانهم من طـرق الأدب والحكمـة العـاريـة عن صبغة الـدين، يحوجـه إلى إنشاء بنـاء جديـد، ليس عنده مـن مواده شيء، ولا يسهل عليـه أن يجد مـن عمالـه احدا. أما السعي إلى توكيد كلمة المسلمين وهم كما هم، فلم يمـر بعقل أحـد منهم، ولو دعا إليه داع، لكان أجدر به أن يرسل إلى مستشفى المجانين. ومحمد عبده يقول هذا الكلام في أواخـر القرن الماضي وأوائل هذا القرن.

فكر (عبده) الاجتماعي

يفرد الـدكتور محمد عمارة جـانبا من كتـابـه للحـديث عن فكـر محمـد عبـده الاجتماعي، ويبـدأ حـديثـه هـذا بفتـوى الأستاذ الإمام، التي جاءت ردا على سؤال توجـه به إليه فـرح أنطون ويـدور حول مشروعية تدخل الدولة للتحكيم وإنصاف العمال. وحـول مـا إذا كـانت الشريعـة الإسـلامية قـد حلت هـذه المشكلة حـلا جميلا - كما يقول الفقهاء - وذلك عندما أوجبت على الحكومة المداخلة بين أصحاب الأعمال والعمال .. والتحكيم بينهما .. أما الفتـوى التي تعد - كما يقـول المؤلف - أول فتـوى تقرر أن روح الإسـلام ضـد الفلسفة الفردية التـي يقوم عليها النظام الرأسمالي، فكانت مؤيدة لما جاء في رسالة فرح أنطون.

والموقف المتقـدم الـذي يتخـذه محمـد عبـده في هـذه الفتـوى من المسألـة الاجتماعية، لا يصح أن يقودنا إلى المبالغة في موقفـه الفكري، فنحملـه مالا يحتمل، وننسب إليه أكثر مما آمن به، فهو لم يكن - كما يقول المؤلف - اشتراكيـا بمقاييس عصرنـا الراهن عـن الاشتراكية العلميـة، كما أن الكثير من مفـاهيمنا عن الطبقـات وصراعاتها، وقـوانين هذه الصراعـات لم تكن في حسبانـه، ولا في عقله عندمـا كان يفكر ويصدر آراءه وفتاواه، فهذه المفاهيم لم تكن قـد استقـرت، ولا انتشرت في المجتمع الذي كان يعيش فيه.

وإذا مـاشئنـا الانتقـال من مـوقفـه الاجتماعي العـام الذي وقـف به مـوقف المتعـاطف مع الفقـراء، المنـاصر للعمل الاختياري المعادي لأسلوب حياة الأغنياء المتبطلين، ولنظام الطبقات المتوارث، نقول إذا شئنـا تجاوز هـذا الموقف الاجتماعي العـام، طلبا لتصـوره المحـدد لما يجب أن يـزول من هـذا الـواقع الاجتماعي، ومـا يجب أن يكون، فإننـا نستطيع من خلال نصوصه، أن نلتقي - كما يقول الدكتور محمد عمارة - بعـدد من الأفكـار المهمة والمحددة، والتي يمكـن تلخيصها في أربع أفكار رئيسية هي:

١) إيمانه بالتكافل بين الأمة، وضرورة الجماعية لحياة الإنسان.

٢) اعتبـار أن الظلم الاقتصـادي هـو أشد أنـواع الظلم الذي يقـع على الإنسان من أخيه الإنسان.

٣) تنبيهـه إلى المخـاطـر التي تحدث بالمجتمعات من جراء تحكم سلطان رأس المال فيها.

٤) تحديـده لما يجب على الأثـريـاء في مجال الإنفـاق العـام، ونظرتـه بطبيعـة الملكية.

أمـا مصـدر التفكير الاجتماعي عنـد محمـد عبـده، فيرده المؤلف - خـلافـا للكثيرين - إلى تـراثنا الفكري الإسـلامي التقـدمي، والإنسـاني في ميدان الأمـوال والخراج، والموقف الـذي انحـاز فيـه الإسـلام إلى صف الجماعـة، والفكـر الجماعي ما يزخر به التراث الإسلامي من جذور وأصول لفكر اجتماعي انتصر منذ قرون لـلاخاء الإنسـاني، وانحاز للعمل والعاملين، وأرسى قواعـد راسخة في هذا الميدان. إن هذا الفكر لا يعـود في أساسه إلى أوروبـا والمفكـرين الأوروبيين - كما ينادي بعض الباحثين في تراثنا وتاريخنا - خاصة ما اتصل منه بعصرنا الحديث، هؤلاء الذين يـردون كل المواقف المتقدمة، والصفحات المشرقة في تاريخنا وتراثنا إلى أوروبا، ومع ذلك فإن اعتماد محمد عبده في الأساس على التراث العربي والإسلامي في صيـاغة فكـره الاجتماعي، ينفي عنـه الاستفـادة من الفكـر الأوروبي أو من غيره ولا يتعـارض معـه، بل على العكس من ذلك ينميـه ويبلـوره، ويـزيـد من وضوحه وأبعاده.

وبعد، فهذه لمحات عابرة من فكر محمد عبـده، ومدرستـه الفكريـة التجـديديـة، وآرائه في عدد من القضايا الإسلامية التي كـانت تستأثر بـاهتمام قطاع المفكـرين والمثقفين أواخر القرن الماضي، وأوائل هذا القـرن، وهي لمحـات لا تغني عن قـراءة كتاب الـدكتور عمارة الجيد، وهـو كتاب ينسجم مع سائر كتبـه، التي يهدف فيها إلى إبـراز الصفحـات المشرقـة في الفكـر الإسـلامي، وإلى تأصيل هـذا الفكـر وتثبيته، سعيـا وراء بناء نهضـة عربيـة إسلاميـة قوية ومزدهـرة وخيرة إن شاء الله تعالى□

مناجاة

إني خلـــــوت الى قلبـي أنـــــاجيـــــه
والقلـب في صمتـــــه بـــــوح بما فيــــه
ســــاءلتــــه والهدى حلـم يـــــراودني
والشـــوق من ســاحــة الإفضـــاء يـدنيـه
هل تــــدرك الـــــروح في يــــوم هـــدايتهـــا
أم أضرب العمـــــــر في وهـم وفي تيـــــه
هل يبصر العقـل يـــومـــا ســـدرة وسنـــا
أم دورة اليـــــوم بعـــد اليــــوم تنسيــــه
أوغلـت في رحلــــة الأيــــــام مــــرتحلا
نحــــو الهدى طـــائرا أسعـى لـــواديـــه
يـــارب شــــوق الهدى بـــالقلـب يعمـــره
وأنت يــــــاخـــــالقي أدرى بخــــــافيــــه
قــــد قـــدّ في مهجتـي ان الهدى قـــدري
فــــالقلب في يـــــومــــه راض ومــــاضيـــه
اللـــــه ربي لـــــه بـــــدئي ومختتمـي
والنفس تسعـى لــــه والـــــروح تأتيـــــه

دمع هو الحمد

بـــــراق شعـــري نحـــو النـــور ينطلق
والـــــدمع في أعينـي كـــــالـــــدر مــــؤتلق
دمع هــــو الحمـــد في أرقى منـــازلـــه
وبسمـــــة بـــــالمنى تـــــزهـــو وتـأتلق

شعر:
سيد محمد حسن

تقـــــر عينـي إذا آنست بــــــارقـــــة
مـع الهدى والتقـى والنــــــــــور تعتنـق
كـأنما الحرف في سمـع الــــــدنـى نغـم
يفيض مـن صـــــدقــــه في عــــالمي عبق
والقلـب في أضلعـي حـــب ومغفـــــــــرة
ووثبـــــة نحــــو ســـاح اللــــه تستبق
والـــــدفء في كلمتي والصـــــدق في لغتـي
فـــــالحب لي معلـم والصــــــدق لي خلـق
إني سلكـت الهدى دربـــــــــــا الى ربي
في غير ربي يـــــــــااللـــــــــه لاأثـق

الفجر ينبض في دمي

شيـــدت مـن عـــذب الحديث مـــدائنـــا
وبنيـت من عـــــذب المنـى احــــلامـــا
أصغيـت لــــــلأنســــــام في صلـــواتها
فــانســــاب شعــري في الــدنى أنســامــا
ومشيت أسعـى للحقيقــــــة وحـــــدهـــا
والــــروح تـــرجـــو راحـــة وســـلامـــا
ورنــــوت لــــلأفـق البعيـــد مســـائلا
فـأجــــابنـي صـــوت المدى إلهامــــا
ســــاءلـت كل النــــاس عن أحـــــلامهم
ورسمـت حلمي رائقـــــا بســـــامـــــا
ألقيت في سمـع الــــزمـــــان قصيــــدتي
ومضيت وحـــــدي أسـأل الأعـــوامـــا
وجعلت مـن وجــــه الصبـــاح وريقـــة
وجعلت مـن قطـــر النـــدى أقـــلامـــا
وكتبـت «إن الفجــــــــر ينبـض في دمـي
إن صـــار كــوني ظلمـــة وظـــلامـــا
وكتبـت «إن الــــــروح تعـــــرف دربها
والقلـب ينثـــر حبـــه أنغـــامـــا»



نشرت صحيفة الـ(الاندبندنت) البريطانية المقال التالي عن تجاهل الدول الفاعلة للترسانة الإسرائيلية الذرية، و(الوعي الإسلامي) تنشر ترجمة المقال خدمة لقرائها، وإيضاحا لبعض ما يدور من ضجيج إعلامي حول موضوع التوقيع على المعاهدة النووية والذي تشترط فيه الدول العربية توقيع دولة العدو الإسرائيلي أولا.

إلى متى يتم تجاهل الترسانة الإسرائيلية الذرية؟!

ضغوط دولية على بريطانيا!

يتوقع بعض الخبراء العسكريين أن تواجه بريطانيا قريبا ضغوطا كبيرة لكي تضع ملف غواصتها النووية المزودة بنظام (ترايدنت) على طاولة المفاوضات بعد أن بدأت واشنطن وموسكو تسعيان لكسب تأييد ومساندة دول عدم الانحياز في المفاوضات الهادفة الى تجديد معاهدة وقف سباق التسلح النووي، واقامة نظام سيطرة جديد.

وفي الفترة الاخيرة نجحت حكومة (جون ميجور) في التقليل من أهمية التحذير الذي اطلقه زعيم الحزب الديمقراطي الحر (بادي أشدون) معلنا فيه أن الولايات المتحدة ستمارس ضغطا على بريطانيا. بيد أن مسألة الصاروخ (ترايدنت) قد تصدرت قائمة الاهتمامات الدولية ومن المحتمل أن تصبح اختبارا مصيريا لمكانة بريطانيا في الأمم المتحدة وفي العالم أجمع.

الترسانة الإسرائيلية

وعلى الصعيد نفسه ظهرت اخيرا (الخلافات النووية) بين اسرائيل وبعض الدول العربية وايران والولايات المتحدة وروسيا، الامر الذي صعب مسألة الحصول على تأييد جميع الاطراف فيما يتعلق بتمديد معاهدة وقف سباق التسلح الى أجل غير مسمى. فلخمسة وعشرين عاما مضت كانت هذه المعاهدة تقر بوجود خمس دول فقط تمتلك الاسلحة النووية، وهي: الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وروسيا والصين.

ومن المقرر أن يتم تجديد هذه الاتفاقية خلال المؤتمر الذي سينعقد في نيويورك في منتصف ابريل المقبل.

تحرك دبلوماسي بريطاني

الدبلوماسيون البريطانيون – برئاسة سفير بريطانيا الى مؤتمر نزع السلاح في جنيف (السير مايكل ويستون) – نجحوا حتى الآن في كسب التأييد اللازم للفوز بستة وثمانين صوتا، وهذا يكفي لتمديد المعاهدة الى أجل غير مسمى. إلا أن مسؤولين كباراً في الحكومة البريطانية اعترفوا بأن مهمتهم باتت أصعب من ذي قبل. ويقول أحد الدبلوماسيين البريطانيين: نحتاج بالطبع الى اغلبية كبيرة.

العالم الثالث وأبعاد جديدة

لقد ظهرت لمسألة (الخلاف النووي) ابعاد جديدة بعد أن أعلن الرئيس الروسي بوريس يلتسين تأييده لمعاهدة وقف التسلح (ستارت٣) التي قد تؤدي الى خفض الترسانة العسكرية لروسيا والولايات المتحدة الى حد قد يثير التساؤلات حول حق كل من باريس ولندن في الاحتفاظ بقوات الردع المستقلة التي تمتلكها كل منهما. حتى أن الناطقين باسم وزارة الخارجية البريطانية قضوا الاسبوع الماضي بأكمله وهم يحاولون دحض التقرير الذي نشرته صحيفة الاندبندنت والذي يستشهد بتحذيرات زعيم الحزب الديمقراطي الحر

اشدون بأن واشنطن قد تمارس الضغط على لندن لكي تدرج اسلحتها النووية في المفاوضات المتعددة الاطراف حول وقف سباق التسلح النووي.

ويؤكد المسؤولون البريطانيون من جهتهم - في لقاءات خاصة (غير علنية) - أن المناخ الذي تدور فيه المناقشات في واشنطن أصبح متأزما جدا بحيث لم يعد بالامكان اطلاق أية نظريات ليبرالية جديدة داخل ادارة الرئيس الاميركي (بيل كلينتون).

إلا ان المشكلة الاهم التي تواجه السياسة البريطانية وتقف في طريق تمديد المعاهدة تتمثل في أن دول العالم الثالث تدعي أن الالتزام بهذه المعاهدة ليس عادلا وتؤكد عدم احترام بعض الدول لبنودها وهي تشير بالطبع الى الفقرة الرابعة من المعاهدة التي تنص على أن الدول الموقعة على المعاهدة تمتلك الحق الكامل في تبادل المعدات والمواد والمعلومات العلمية والفنية والتقنية فيما بينها بهدف استغلال الطاقة النووية لإحلال الأمن والسلام في العالم.

البرامج النووية الإيرانية

وعلى الرغم من كل ذلك تبدو واشنطن وحليفاتها مصممة على انكار حق ايران - وهي بالطبع دولة موقعة على المعاهدة - في امتلاك أية برامج نووية. حتى أن رئيس الكونغرس الاميركي (نيوت غينغريتش) طالب بضرورة وقف المساعدات الاميركية عن روسيا ما لم تبادر الاخيرة الى الغاء عقد لتجديد مفاعل نووي ايراني تبلغ قيمته بليون دولار (تعادل ٦٠٠ مليون جنيه استرليني).

لكن مساعد وزير الخارجية الروسي فشل اخيرا في حمل ايران على التوقيع على تمديد المعاهدة لاجل غير مسمى. أما نظيره الايراني محمود فائزي فقد أكد التزام بلاده بالتوقيع على المعاهدة. إلا أنه طالب باجراء بعض (التعديلات) عليها.

ان المسألة الايرانية شأنها شأن المسألة الكورية الشمالية تسلط الضوء على مشكلة تطبيق بنود المعاهدة والالتزام الكامل بها. وتثير الشكوك حول مدى فعاليتها وتظهر الخلافات بين بعض دول التسلح النووي الخمس. فوكالات الاستخبارات الغربية على قناعة من أن ايران تمتلك برامج نووية سرية تشرف عليها هيئة تضم بعض العاملين - في وزارتي الدفاع والطاقة النووية - يقومون باعداد تقارير ترفع الى الرئيس (هاشمي رفسنجاني).

بيد أن حكومة طهران تستغل في شكل جيد ادعاءاتها المتكررة بأن النادي النووي (الامبريالي) ينكر على دولة نامية كإيران مشاريعها النووية السلمية الطامحة الى تحقيقها.

موقف إسرائيلي مثير للمخاوف

وعلى صعيد آخر اندلع نزاع نووي في الآونة الاخيرة بين اسرائيل ومصر على المستوى الحكومي.

فإسرائيل لم توقع على المعاهدة النووية المذكورة وتدعي أنها لن تكون أول دولة تمتلك اسحلة نووية في المنطقة. إلا أن العالم أجمع يعتقد بأن اسرائيل تمتلك ٢٠٠ رأس حربي نووي على الاقل. الامر الذي يدفع الدول العربية لرفض أية ضغوط غربية للموافقة على تمديد المعاهدة ما لم تعامل اسرائيل بالمثل.

الجدير ذكره ان وزير الخارجية الاسرائيلي (شيمون بيريز) فشل في نزع فتيل الازمة النووية خلال المحادثات التي اجراها مع الرئيس المصري (حسني مبارك). فخرج المعلق الاخباري في الاذاعة المصرية بعد انتهاء المحادثات ليؤكد الموقف المصري قائلا: لا يمكن اهمال المسألة النووية ولا يجب أبدا الفصل بينها وبين محادثات السلام العربية الاسرائيلية لانها مسألة حيوية بالغة الاهمية.

إن الخلافات النووية تسلط الضوء على مسألة مهمة مثار نزاع كبير وهي أن دول التسلح النووي الخمس تسعى لاجبار دول العالم الاخرى على التخلي عن (الخيار النووي) في حين تتجاهل الترسانة النووية الاسرائيلية وتستمر هي في انتهاك بنود معاهدة وقف سباق التسلح النووي.

الغواصة البريطانية النووية

المشرفون على الحملة الداعية لوقف سباق التسلح النووي يؤكدون أن برنامج الغواصة النووية المزودة بنظام (ترايدنت) سيزيد من عدد الرؤوس الحربية النووية البريطانية بحلول القرن المقبل. الا ان حكومة ميجور تؤكد أن القوة العسكرية التدميرية البريطانية لن تزداد كثيرا ولن تفوق المستوى الحالي وستبقى أقل قوة رادعة معقولة.

ان منطق الحكومة البريطانية هذا يتعارض مع موقفها في شأن انتاج الاسلحة الكيميائية فالمملكة المتحدة وقعت على اتفاقية الاسلحة الكيميائية التي تحظر انتاج مثل هذه الاسلحة وتنص على ضرورة تدميرها بشكل كامل. إلا أن المسألة الاهم هي أن هذه المواقف لم تعد تدخل في دائرة اختصاص مجموعات الضغط في دول العالم الثالث.

أما حكومة بون فقد اعربت عن اسفها لرفض اقتراحها القاضي بمراقبة الاسلحة النووية. حتى أن السفير المكسيكي في جنيف (ميشال مارين بوش) - الذي ترأس الجلسات التمهيدية التي حضرها ممثلو دول معاهدة وقف التسلح النووي - أكد وجود شعور بالاستياء الشديد لدى معظم دول العالم مشيرا الى أن الدول المتقدمة تخرج باسلحة نووية ثم تحاول حظرها عالميا بموجب معاهدة دولية متعددة الاطراف.

يقول (بوش): ينبغي على الدول التي تمتلك الاسلحة النووية أن تبدأ بنفسها أولا فتلتزم بتدمير هذه الاسلحة بصورة نهائية وفي موعد محدد.

لقد طالب المشرفون على الحملة الداعية لحظر سباق التسلح بايجاد تسوية للخلافات النووية وتمديد المعاهدة الخاصة بهذه المسألة لفترة محدودة يتم خلالها العمل على نزع السلاح النووي في جميع دول العالم.

تغير (قواعد اللعبة)

لكن قواعد اللعبة (النووية) قد تغيرت كثيرا كما يبدو منذ اقترح (يلتسين) افكارا جديدة في شأن (ستارت٣) . يقول الناطق باسم وزارة الخارجية البريطانية: لو تم بالفعل خفض الترسانة النووية الاستراتيجية بشكل مستمر وبموجب اتفاقات غير تلك التي تتعلق بمعاهدات (ستارت) عندئذ يمكننا خفض ترسانتنا النووية وهذا الاحتمال ما زال بعيداً□



فتاوى

منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقى الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

تعليق التمائم والتعاويذ

●ورد للجنة السؤال التالي:

ما الحكم الشرعي فيما هو معروض أمام حضراتكم بما اصطلح على تسميته بـ(الجامعة) بين عامة الناس .. وهي عبارة عن سور من القرآن الكريم أو آية الكرسي تم وضعها في حرز من الجلد. ربط بخيط لتعليقه على رقبة الشخص الذي يخشى العين أو السحر أو الشر بصورة عامة. ولكم جزيل الشكر.

○○وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز تعليق التمائم والتعاويذ إذا توافرت الشروط التالية:

١ - أن يكون ما كتب فيها من القرآن الكريم، أو من أسماء الله وصفاته، أو من المأثور الثابت عن النبي ﷺ من الرقى، والأذكار، أو بأي ذكر لله تعالى مطلقا.

٢ - أن تكون بكلام مفهوم المعنى، غير مشتملة على الطلاسم والرموز التي لا يفهم معناها.

٣ - أن يعتقد حاملها أنها لا تنفع بذاتها إلا بإذن الله سبحانه وتعالى وقدرته ومشيئته.

٤ ـ ألا تشتمل على شرك بالله سبحانه وتعالى، أو معصية.

٥ ـ أن تكون التميمة فيما يخرز ويخاط.

٦ ـ أن يتركها حملها عند الجماع أو الغائط.

لذلك فإن اللجنة ترى عدم جواز تعليق التميمة المشار إليها إذا تضمنت كلاما غير مقروء.

التقصير في خدمة الحجيج

●ورد للجنة السؤال التالي:

إنني أديت فريضة الحج هذا العام، وللأسف فإن الحملة التي سافرت معها لم توف ببعض التزاماتها، وكذلك وجد تفاوت في الأسعار بالنسبة للأشخاص، وعند رجوعنا قمنا - مجموعة من الحجاج - بعمل شكوى بخصوص أن الحملة كانت مقصرة في بعض التزاماتها نحونا وخسرنا كل شيء، وقد قام المسؤولون بالوزارة ببحث الشكوى، والتأكد منها، واتخذت الإجراءات ضدها فعلا.

وحاليا أصحاب هذه الحملة يحاولون معنا للتنازل عن هذه الشكوى لأن الموضوع تطور معهم فعلا.

لذا أرجو من سيادتكم التوضيح ، هل لو قمت بالتوقيع على تنازل عن هذه الشكوى، فيه ما يخالف الدين، خصوصا وأنهم يمكن أن يقوموا بتكرار هذا الموقف مع آخرين في العام القادم. أفيدونا أفادكم الله.

○○وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

إذا كانت الشكوى تتعلق بالتقصير في توفير الراحة في مناسك الحج للحجاج وظن أنه إذا تم التنازل عنها الآن سوف يتكرر التقصير مرة ثانية في الأعوام القادمة، فلا يجوز التنازل عنها لما فيه من إضاعة لحق الله تعالى، بتعريض الحجاج لفساد حجهم، أو الإخلال فيه، فإن ظن أنه لن يعود لمثل هذا التقصير في مستقبل الأيام وتعهد بذلك أمام سلطة رسمية، فلا بأس بالتنازل عن الشكوى.

أما إن كانت الشكوى للتقصير في بعض الأمور الشخصية أو المالية فيجوز التنازل عنها مطلقا، لأنها تتعلق بحقوق شخصية للشاكين، وبخاصة إذا ظن أنه لن يعود لمثلها في المستقبل.

تحريم امتهان المصحف

●ورد للجنة السؤال التالي:

نرجو التكرم بإخبارنا بالحكم الشرعي باستخدام المصحف بعد تقصيصه في تجليد الكتب الشرعية، كما هو مرفق لكم، حيث استخدم المصحف في تجليد كتاب نيل الأوطار للشوكاني.

ثم اطلعت اللجنة على صورة لما جلد به الكتاب المشار إليه فوجدت أن أوراقا من المصحف من سورة (يس) قد استخدمت في تجليد الكتاب من داخله.

○○وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي: تجليد الكتب بأوراق المصحف الشريف على النحو الوارد في السؤال محرم شرعا لمنافاته لما ينبغي لكتاب الله عز وجل، من توقير واحترام، ويجب الأخذ على يد فاعله، وصيانة أوراق المصحف عن الابتذال وذلك بدفنها في مكان طاهر لا تصل إليه الأيدي. وقد اتفق الفقهاء على أنه من استخف بالمصحف أو أهانه فإنه يكون بذلك مرتدا والعياذ بالله تعالى، ولا يجوز استعمال ما جلد من الكتب بأوراق المصحف إلا بعد رفع هذه الأوراق وتكريمها بدفنها في مكان لائق على نحو ما سبق بيانه.

الإقامة شرط لصحة الجمعة

●ورد للجنة السؤال التالي:

نحن مجموعة من العسكريين موجودون في منطقة الصكيهية، وتقع على الحدود العراقية غربا، وتبعد عن الجهراء ٧٠ كلم، والرتقة وتقع شمالا، وتبعد عن الجهراء ٩٠كم، ونحن نقيم فيها صلاة الجمعة، حيث يوجد عدد غير قليل، ويؤدي الصلاة ما يزيد على الأربعين رجلا، وفيهم بعض الدعاة، وبعض موظفي الشركات المجاورة، وهو مكان ثابت على شكل شاليهات، وكان قبل الغزو بناء عاديا من طابوق، وكانت تقام فيه صلاة الجمعة، فقيل لنا إن صلاة الجمعة في هذا المكان غير واجبة علينا، فجئت أستفتيكم في هذه المسألة، وجزاكم الله خيرا.

○○وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

اتفق الفقهاء على أن من شرط صحة صلاة الجمعة أن تقام في أبنية يستوطنها عدد تنعقد بهم الجمعة، ويقيمون فيها إقامة دائمة لا يرحلون عنها صيفا ولا شتاء، وعلى ذلك فلا تصح صلاة الجمعة في المعسكرات المشار إليها كما في نص السؤال لأنه ليس فيها استيطان في أبنية.

هدايا المسابقات

●ورد للجنة السؤال التالي:

سنقيم إن شاء الله مسابقة لحفظ القرآن الكريم، ومسابقة لأحسن رسالة، ومسابقة لأحسن قصيدة، أي المجموع ثلاث مسابقات، ويحق لكل طفل الاشتراك بجميع هذه المسابقات، وسيكون رسم الاشتراك نصف دينار أو دينار.

فهل يحق لنا أخذ هذا المبلغ أم لا؟ مع العلم أن الجوائز ستوزع على أول عشرة فائزين. وإذا كان أخذ مبلغ الدينار غير شرعي، فهل يحق لنا إعطاء المشاركين مظروفا يحتوي على هدية عبارة عن شريط كاسيت (قرآن كريم)، وكتيب صغير للأدعية، ويكون هذا المظروف عليه اسم إحدى الشركات المساهمة، كنوع من الدعاية لها، حتى تكون جميع التكاليف الخاصة بطباعة الشريط والكتيب مدفوعة من قبلها، وهل يحق لنا أخذ الدينار كرسم للاشتراك، وإعطاؤه هذا المظروف؟

○○وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

إذا كان رسم الاشتراك سيدفع كله أو جزء منه في مقابل الجوائز فلا يجوز، لأن ذلك من صور القمار المحرمة. ولا يغير من الحكم تقديم هدايا ليست في مقابل المبلغ الذي يدفع رسم اشتراك كما جاء في السؤال الثاني، بل هي هدية من الشركة في مقابل وضع اسمها كدعاية لها.

شروط ستر العورة

●ورد للجنة السؤال التالي:

يأتي إلى مسجد المدينة الترفيهية نساء يردن الصلاة ولباسهن البنطال، وهذا البنطال ليس بالضيق الواصف للبدن، ولا بالعريض الساتر، ولا شيء يستره من الأعلى كقميص طويل أو نحوه.

ثم إن الحجاب الذي يضعنه على رؤوسهن لا يغطي جميع الشعر، ولعل غرتهن تبدو ظاهرة وهن في الصلاة كوضعهن خارج الصلاة، فما حكم صلاتهن بهذا اللباس وبظهور هذا الشعر؟

○○وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

إذا كان البنطال الذي ترتديه المصلية محددا لعورتها، فلا يجوز الصلاة فيه، كما يجب على المرأة ستر جميع بدنها بما في ذلك جميع شعرها، ما عدا الوجه والكفين، وتجب إعادة الصلاة في كلتا الحالتين المشار إليهما في السؤال، لأن ستر العورة من شروط صحة الصلاة، فإذا بطل هذا الشرط بطلت الصلاة ووجبت إعادتها.

عرائس الصغار المجسمة

●ورد للجنة السؤال التالي:

يسرني أن أطرح عليكم هذا السؤال، لعلي أجد لديكم الفتوى فيه .. وهو بخصوص ما يسمى بمسرح العرائس، والذي يقوم على مجموعة من الألعاب والعرائس المجسمة التي تتخذ أشكال رجال ونساء وأطفال تحركهم الأيدي التي تختفي خلف ستار، وذلك بهدف عمل مشاهد تمثيلية للصغار، حيث نستخدمها في قضايا دعوية، ولجان عمل الخير، بهدف غرس المثل الطيبة والنبيلة مثل حب الإنفاق، والحرص على الصلاة، وغيرها من أمور حث عليها ديننا الحنيف، وذلك في نفوس الصغار وبصورة مشوقة ومسلية.

○○وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

لا مانع شرعا من استعمال العرائس المجسمة للصغار على الصورة الواردة في السؤال، وللغرض المشار إليه، ما لم يرافق ذلك محرم، والأصل في صناعة التماثيل والصور المجسمة هو التحريم واستثني منه دمى الأطفال، التي تتخذ للهوهم أو لتعليمهم، يدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن لي فيلعبن معي) [رواه البخاري].

ليل الشتاء الطويل

بقلم: فريد محمد معوض

كان أبناء قريتنا يغطون في نوم عميق حين خرجت من الدار – وكان لا بد أن أخرج – تطاردني الكوابيس المزعجة طوال الليل، ليل الشتاء الطويل، أغير من مكان رقدتي أجعل رأسي عند موضع قدمي، ثم أجعل قدمي عند موضع رأسي ولا فائدة، أتكور تحت الغطاء أصير خطا يقسم السرير نصفين، رأسي على حافة الجنون.. ماذا يريدون؟ يلهثون ورائي، يحاولون اللحاق بي: سنقتلك.. سنقتلك سنـ...، قلت: سبحان الله. ازدادوا غيظا، قال كبيرهم:

– كُف عن الكلام.. كلامك يحرقني من الداخل.

– لكني..

– ليس من حقك أن تقول «لكني»

– لكنكم..

– من أنت حتى تتحدث عنا

– أنا من كنت..

– الماضي ثانية..

– ينجينا الله

– كف عن هذا الكلام.. كلامك يحرق قلبي

– ماذا تريدون؟

– ماذا تفعل أنت في القرية.. مالك أنت والإصلاح فيها.. هل رأيت منا قصورا هل رأيت فيها فسادا.

– أعمل من أجل أن نجتمع وأجري على الله

– كف عن هذا الكلام.. كلامك يحرق قلبي ثم اقتربوا مني، تحلقوا حولي، ما عدت أستطيع أن أنفذ من بينهم.

– ابتعدوا أيها الفاسدون

أنتم سر نكبتنا.. أنتم..

ازدادت ملامحهم حدة وشراسة، أمسكوا بعنقي.. أحسست بالاختناق.. كانت ملامحهم لا تطاق.. الآن لا بد من عمل شيء.. صحت.. وأنا أصحو:

سوف أقاتلكم جميعا

ثم إنني خرجت.. وها هو الظلام يغلف كل شيء حتى الديار.. متى نستيقظ؟ متى؟ وفجأة أضاء الأفق.. ازداد توهجا.. نار تتصاعد فوق الأسطح تأكل قشا حطبا سقفا:

إنها نار.. نار ستأكل الديار.. تحيلها إلى رماد.. يا خلق الله هبوا

وأخذت أجري وأجرى.. أصفر واصرخ.. أطرق على النوافذ والأبواب:

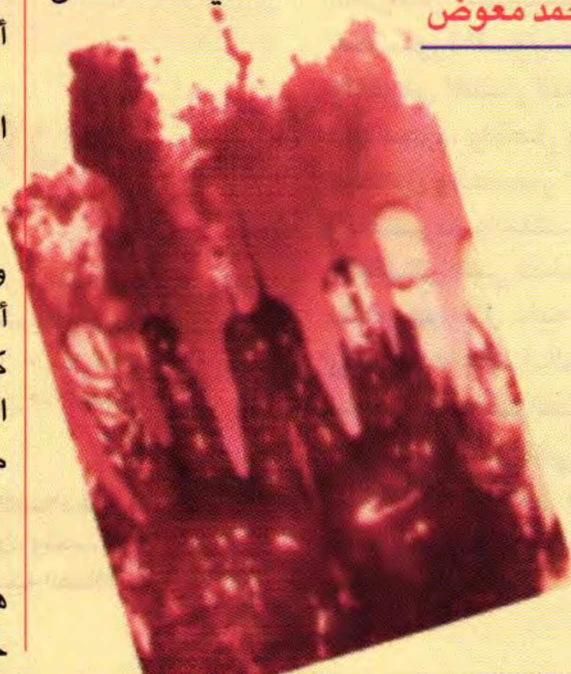
– نار.. ستحرقكم وأنتم نائمون

.. هبوا.. لأن تحترقوا في صحوكم خير من أن تحترقوا نائمين.. نار.. نار

ووجدت مالم أره من قبل.. سبحانك ربي.. سامول – قريتي – البائسة الغارقة منذ زمن بعيد في الطيبة والكسل تستيقظ.. رأيت الأبواب تفتح بقوة.. والنوافذ وبشر يمرقون من الأبواب والنوافذ، الديار تدفع بهم.. وكلما خرج واحد صرخ: أين؟

يا الله.. الكل يسأل: أين؟ ولم يسأل أحد: عند من؟

ليس المهم عند من – (النار)، المهم أن هناك نارا لا بد أن تطفأ.. عند من لا يهم.. آه يا سامول.. هذا هو أنت.. عهدي بك رائعة إلى ربك راجعة.. الكل يجري صوب النار.. وانطلق ميكروفون جامع الزاوية.



– تجاه دار عـــربي بن عثمان

ثم ظهر – ويا للعجب – عم حافظ المسحراتي، ولم نكن ليلتهــا في رمضــان، غير أنـــه خــرج بطبلتـــه يجري وراح يقــــــرع ويردد:

إصح يا نائم منذ الأبـد.. ووحــد الـــواحـــد الأحـد.. يـا ستـــار.. يـاغفـار.. أغثنـا من النار هيا.. هيا..

وأدركنا النـــار.. تحلقنـا حــولها، رجـــال ونســـاء وأطفـــال، النسوة يمـلأن الجرار مـــن الترعـة ويأتين بها.. الصبيــــة يـوصلـونها للـرجـال.. الـرجال يتحلقـون حـول النار.. يلقون الماء فـوقها والأشيــاء الثقيلــة التي تخمـدهـــا.. أمـا كــامل الأخـرس فكــان يتقــدم الجميع.. لا يخشى النار.. يتطوح يمينا وشمالا فوق الجدار كما لو كان يصفع النار صفعـا.. وللدهشـة تبعثرت من فمـه حروف بدت كما لو كانت كلاما.. بل قال أحـدهم إنه سمع منـه كلمـة كـاملـة وهي «مـاء» غير أن آخـر ذكـر أنها عنزة الخالة صفية.

وهمدت النـار.. همدت كشيطان ذبح في مـلأ عام وردد الجميع: الله أكبر.

وقال الشيخ محمد إمام المسجد:

– انتصرتم بعـــزمكم وشـدة تماسككـم.. لقـد انطفأت النار.. هيا نبحث عـــن السبــــب.. كيـــف اشتعلت؟ حتى نتفـــادى ذلك مستقبلا.

واتجهنـــا إلى ســاحـــة تـدعى «الملاحـة» وخطب فينـا الشيخ محمد.. قـال كلامـا يملأ القلـب إيمانا وروعة وقال:

كـانت الخســائر قليلـة والمكاسب كثيرة.. لأننا لم نجتمع منـذ زمـن بعيـد.. وهـا نحن قـد التقينـا من جــديـــد.. وعـــدت إلى مخدعي.. وجلست قليـلا أتـــدبـر تلك الأحــوال.. تملـؤني البهجـة حتى أخـذتني سنة من النوم.. ولم تطاردني الكوابيس.. ولم يأتني الأشرار.. يبـدو أنهم قد احترقوا في النار.. وأشرق الصبح نـديا رائعـا.. حقا لم نخسر□

لم تطـــاردني الكـوابيس.. ولم يأتنـي الأشرار.. يبـدو أنهم قـد احترقـــوا في النـــار.. وأشرق الصبح نـــديــا رائعـــــا



حديقة الوعي

إعـــــداد: التحــــــريـــــر

قصة آية

النفاق مرض اجتماعي خطير، وتزداد خطورته إذا ارتبط بمصلحة المنافق الشخصية، والحقيقة أن كثيرا من الكفار كانوا يعتقدون في قرارة أنفسهم بصدق الرسول ﷺ ورسالته ونبوته، لا سيما حينما كانوا يخلون إلى نفوسهم ويخاطبون عقولهم وضمائرهم..
ولكن المصالح والأغراض التي في نفوسهم شيء، وقول الحقيقة والعمل بها والاعتراف بفضيلتها شيء آخر..
ويروى أن الأخنس بن شريق التقى يوما أبا جهل بعيدا عن الأنظار.. فقال الأخنس لأبي جهل: أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب، فإنه ليس هنا من يسمع كلامك غيري؟
فقال أبوجهل: والله إن محمد لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء، والسقاية، والحجابة، والندوة والنبوة، فما يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله تعالى قوله الكريم: ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذين يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾.

لو تعلم حقيقة جهنم

كان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فوالله لو يعلم أحدكم حقيقة جهنم لصرخ حتى ينقطع صوته ، وصلى حتي ينكسر صلبه.

ثلاثة لا ترد دعوتهم

قال ﷺ في الحديث الشريف: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم».

التقوى

سئل الإمام الشافعي رحمه الله يوما: إذا أردت الإقامة في مصر فلا بد لك من قوت سنة، ومجلس من السلطان تتعوز به؟ فقال: لقد ولدت بغزة وربيت بالحجاز، وما عندنا قوت ليلة واحدة، وما بتنا جياعا قط، ومن لم تعزه التقوى فلا عزة له.

دعاء

قال سفيان الثوري: رأيت رجلا متعلقا بأستار الكعبة، يدعو: (اللهم سلم، سلم). فقلت: يا أخي ما شأنك؟ فقال: كنا أربعة إخوة، توفي منا ثلاثة، كل واحد مهم يفتن عند موته، ولم يبق سواي فما أدري بمَ يُختَم لي.

دخل الجنة ولم يركع ركعة

كان عمرو بن ثابت – المعروف بالأصيرم – يأبى الإسلام إباء شديداً كلما دعي إليه، وفي غزوة أحد أخذ سيفه ولحق برسول الله ﷺ فقاتل وأصابته جراح كثيرة، دون أن يعلم بأمره أحد.
فلما انتهت المعركة طاف قومه في القتلى يلتمسون قتلاهم فوجدوا صاحبهم هذا وبه رمق يسير.
فقالوا: والله إن هذا لهو الأصيرم، ترى ما الذي جاء به، لقد تركناه وانه لينكر الإسلام إنكاراً شديدا ويأبى ان يستمع لمن يدعوه إليه، ثم تقدموا إليه وسألوه: ما الذي جاء بك؟ أهو الحدب على قومك، أم الرغبة في الإسلام؟
فقال عمرو: بل الرغبة في الإسلام، فقد آمنت بالله ورسوله ثم قاتلت حتى أصابني ما ترون.. ثم أسلم الروح ومات ولم يزد شيئا عما قال.
ولما ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ قال: «إنه من أهل الجنة». قال راوي الحديث: لقد استشهد الأصيرم ودخل الجنة وهو لم يركع لله ركعة.

العدل بالرعية

يروى أن جماعة من الناس جاءت للخليفة المأمون واشتكت له من عامل نصبه عليهم فأجاب الخليفة: انه عادل، تقي ولا أعلم عنه إلا خيراً..
فرد عليه أحدهم قائلا: فليأمر أمير المؤمنين بتعيينه في بلد آخر حتى يستفيد الآخرون من عدله وتقواه.

مخافة الله

قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه لزياد مولى عبدالله بن عيّاش: اني أخاف الله مما دخلت فيه. قال زياد: لست أخاف عليك أن تخاف، وإنما أخاف عليك ألا تخاف.

عظمة الإسلام

سئل (وليم موير) عن سر إعجابه بدين الإسلام، فقال: (إن عظمة الإسلام تتجلى في أنه دين اليسر والإنجاز).

قطع الفاسد

قيل لأعرابي بعد ان ترك أخاه الفاسد: لا تقطع أخاك وهو من أمك وأبيك. فقال: أنا أقطع الفاسد من جسدي الذي هو أقرب إليّ منه، فكف لا أقطعه إذا فسد؟

تأديب النفس

قيل لابن المقفع: من أدبك كل هذا الأدب؟ قال: نفسي. فقيل له: وكيف يؤدب الانسان نفسه بغير مؤدب؟ قال: كيف لا! كنت إذا رأيت حسنا أتيته، وإذا رأيت قبيحا أبيته. وبهذا وحده أؤدب نفسي.

حلم

أسمع رجل عمر بن عبد العزيز ما يكره.. فقال عمر رضي الله عنه: لا عليك إنما أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان فأنال منك اليوم ما تناله غداً.. انصرف إن شئت.

قيمة المهلب

قيل: إنّ المهلب بن أبي صفرة مر بحيّ من همدان، فرآه شاب من أهل الحي فقال: هذا المهلب؟! فقالوا نعم. قال: والله، ما يساوي خمسمائة درهم – وكان المهلب رجلا أعور – فسمعه المهلب، فلما كان الليل أخذ خمسمائة درهم وأتى إلى الحي، فراقب الشاب إلى أن رآه، فأتى إليه وقال: افتح حجرك، ففتح الشاب حجره، فسكب فيه الخمسمائة درهم وقال: خذ قيمة عمك المهلب، والله، يا ابن أخي لو قومتني بخمسة آلاف دينار لأتيتك بها. فسمعه شيخ من أهل الحي فقال: والله؛ ما أخطأ من جعلك سيدا.

الزائر الثقيل

قال البهاء ابن زهير في زائر سمج:

وعائد هو سقم
لكل جسم صحيح
لا بالاشارة يدري
ولا الكلام الصريح
وليس يخرج حتى
تكاد تخرج روحي

ولا يؤوده حفظهما

روى الإمام الغزالي في خواص القرآن، عن ابن قتيبة قال: حدثني رجل من بني كعب قال: دخلت البصرة لأبيع تمرا، فلم أجد منزلا، ثم وجدت دارا قد نسج عليها العنكبوت، قيل لي: إنها معمورة. فقلت لمالكها: أتكريني إياها؟ فقال: انج بنفسك، فإن فيها عفريتا قد اتخذها منزلاً يهلك كل من دخلها.. فقلت: اكرني، واتركني، والله يعينني عليه.. فقال: دونك إياها..

فكنت فيها، فلما جن الليل، دخل عليّ شخص أسود عيناه كشعلة النار وله ظلمة، وهو يدنو مني فقرأت: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ إلى آخر الآية.. وكلما قرأت كلمةً قال مثلي، فلما وصلت إلى قوله تعالى: ﴿ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ لم يقل شيئا فكررتها مراراً، فذهبت تلك الظلمة، فأويت في بعض جهات الدار فنمت، فلما أصبحت وجدت في الناحية التي رأيته فيها أثر حريق ورماد، وسمعت قائلا يقول: أحرقت عفريتا عظيما.. فقلت: وبم أحرقته؟ قال: بقوله تعالى: ﴿ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾.

خوف العقوق

يقال ان زين العابدين، علي بن الحسين، رضي الله عنهما كان لا يأكل مع أمه في قصعة واحدة، فسأله أحدهم: إنك من أبر الناس، ولكنك لا تأكل مع أمك في قصعة واحدة؟ فأجابه: أخاف أن تسبق يدي يدها فأكون قد عققتها.

دعاء مستجاب

بلغ الحجاج بن يوسف كثرة انتقاد الحسن البصري لتصرفاته، فغاظه ذلك وأراد إدخال الرعب في قلوب العامة بالتنكيل بالحسن، فأمر يوما بالسيف والنطع وأحضر الجلاد، وأرسل الشرطة ليأتوه بالحسن مكبلا على أعين الناس زيادة في التخويف والتنكيل، فلما دخل الحسن ورأى الجلاد تمتم بكلمات وتقدم نحو الحجاج بثبات المؤمن ووقار العالم، فما أن وقعت عينا الحجاج عليه حتى هابه وقام إليه مرحبا ودعاه ليجلس إلى جانبه ملاطفا في الحديث، سائلا ومستفسرا، صاغيا لإجابات الحسن مبديا كل اهتمام، فلما انتهت أسئلته قام الحسن مستأذنا فخرج الحجاج وراءه مودعا أحسن ما يكون التوديع..

فلما صار الحسن خارجا قال له أحد الحراس: والله؛ ما لهذا دعوناك يا أبا سعيد، وقد أعدوا لك غير ما قابلوك به، فما الذي جعل الحال يتغير؟ وقد رأيتك عند دخولك تتمتم بكلمات فما الذي قلته؟ فأجابه الحسن رحمه الله: لقد دعوت: (يا ولي نعمتي، وملاذي عند كربتي، اجعل نقمته بردا وسلاما عليّ كما جعلت النار بردا وسلاما على إبراهيم). فصار الأمر كما رأيت.



ثمـــرات المطـــابع

إعــــداد: التحـــريـــر

الأصول والضوابط

● الامام النووي (ت٦٧٦هـ)

● تحقيق: د. محمد حسن هيتو

● نشر: دار البشائر الاسلامية، بيروت، طبعة ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م

وضع الإمام النووي رحمه الله هذه الرسالة في الأصول والضوابط، وذكر فيها تسع مسائل تتعلق بأهم ما يحتاج إليه طالب العلوم الشرعية من القواعد الفقهية، والأصول المهمة، والمقاصد المطلوبة، والمسائل المتشابهة، مع التمثيل لها بما يترتب عليها من الفروع، أو ينضم إليها من الأشباه والنظائر.

وقد تبين لمحقق الرسالة أن الامام النووي لم يكن يرمي من خلال هذه الرسالة إلى تأليف كتاب في القواعد الفقهية، وإنما كان يهدف ذكر بعض الضوابط والأصول التي تعتبر من أهم ما يحتاج إليه الفقيه والمتفقه في المذهب الشافعي بصورة خاصة، وطالب العلم بصورة عامة..

ومسائل الرسالة: مذهب أهل السنة والجماعة في القدر، أقسام عقود المعاملات من اللزوم والجواز، أسباب الفسخ في البيوع، ما يقوم فيه الوطء مقام اللفظ، أن حكم فاسد العقود كحكم صحيحها في الضمان، المقدرات الشرعية وأقسامها من التحديد والتقريب، أقسام الرخص، رخص السفر، تعارض الأصل والظاهر.

مصادر المعلومات حول النظام الاقتصادي والمصرفي الاسلامي

● س. ناظم علي ونسيم ناظم علي

● نشر: دار بول كيجن انترناشونال، لندن

INFORMATION SOURCES ON ISLAMIC BANKING AND ECONOMICS
1980-1990
S. NAZIM ALI & NASEEM N. ALI

الكتاب بالإنكليزية، وقد جاء للإجابة على تساؤلات كثير ممن تستهويهم تجربة المصارف الإسلامية الرائدة والناجحة، والمؤلفان يريان الاهتمام بالنظام المصرفي الاسلامي في تزايد مستمر بفضل النجاح الذي حققته المؤسسات المالية الإسلامية، ويعيدان الفضل في ذلك إلى الطلب الملح للمسلمين لإيجاد الوسائل الناجعة لاستثمار أموالهم في اطار الشريعة الإسلامية السمحة، مما أدى بالتالي إلى إنشاءقرابة مائتي مؤسسة مصرفية ومالية إسلامية في مختلف أقطار العالم الإسلامي، تربع على رأسها البنك الإسلامي للتنمية الذي يضم في عضويته ٤٥ بلدا إسلاميا، ودار المال الإسلامي، ودلة البركة، والراجحي للاستثمارات. وتملك هذه المجموعات قسطا كبيرا من أسهم المؤسسات البنكية الإسلامية الأخرى..

وقد رافق هذه الطفرة البنكية نشاط فكري كبير، إذ كثرت البحوث والكتابات حول النظام المصرفي الاسلامي وكيفية سيره ومدى تماشيه وروح العصر، وما إذا كان بالإمكان التوفيق بينه وبين التعامل مع العالم غير المسلم..

وهذا الاهتمام دليل قاطع على مصداقية النظام المصرفي الإسلامي، وعلى ما ينتظره من مستقبل زاهر، لأن الأرضية الفكرية والنفسية له وفرتها تعاليم الديانات السماوية، ووفرت الأبحاث والدراسات الأرضية النظرية، وتوفر الصحوة الإسلامية والرغبة الملحة للشعوب المسلمة الظروف المواتية لتطبيقه..

ورغبة من الكاتبين في جعل مؤلفهما مرجعا أساسيا للباحثين ورجال الاقتصاد والمصرفيين المهتمين بالنظام المصرفي الاسلامي فقد جمعا خلاصة ما كتب حول الموضوع ما بين ١٩٨٠ و١٩٩٠.

حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية

● د. صلاح الخالدي

● نشر: فلسطين المسلمة، لندن، ١٩٩٤م

إن من ينظر إلى اليهود بمنظار القرآن، لن ينخدع بهم أبدا، وإن الذي يتزود في جهاده ليهود بزاد القرآن لن يمل من الجهاد أبدا، وإن الذي يتعامل مع القضية الفلسطينية على أساس حقائق القرآن، لن يتخلى عنها ولن يتنازل عن شبر منها، ولن يفاوض اليهود ولن يصالحهم عليها..

يريد الكاتب من وراء كتابه أن يعود قومه وأهله وإخوانه إلى حقائق القرآن، وأن يتزودوا منه، وأن يستنطقوه، وأن يهتدوا به، وأن يتحركوا به، وعندها يكونون قد بدأوا السير خطوات ثابتة، في طريق الجهاد اللاحب الطويل، الذي يقود إلى النصر، وينتهي إلى إزالة الكيان اليهودي على أرض فلسطين، ويحقق تحرير كل فلسطين من البحر إلى النهر، ومن رفح إلى الناقورة.

التاريخ اليهودي، الدين اليهودي

● إسرائيل شاهاك

● نشر: بلوتو برس – لندن، ١٩٩٤م

الكتاب بالإنكليزية، ومؤلفه باحث بولندي الأصل، متخصص في الدراسات التلمودية والربانية، ويقيم في فلسطين المحتلة منذ أربعين سنة، وصفه المفكر الامريكي المعادي للدولة العبرية (نعوم شومسكي) بقوله: (يمتلك رؤية مميزة ومعرفة عميقة، وعمله هذا مليء بالمعلومات ودقيق جدا، ويعتبر مساهمة ذات قيمة كبيرة)..

وقد ابتدأ المولف كتابه بعنوان فرعي ضمنه خلاصة الفكرة التي يتعامل معها، الكتاب (أثقال ثلاثة آلاف سنة) فهو يرى أن أثقال هذه القرون ما زالت تخيم بكل خرافاتها وخزعبلاتها على أفكار اليهود ومواقفهم حتى وقتنا الحاضر، وهي تجد طريقها بصورة قوية ومباشرة إلى أعلى قمة الهرم السلطوي في دولة إسرائيل، وحتى يفهم الإنسان المعاصر طبيعة تركيب الإنسان اليهودي التقليدي من جهة، والمسؤولين الإسرائيليين من جهة أخرى، لابد له من أن يغوص في الكتابات التلمودية التي تحتل مكانة متقدمة على كتب التوراة عند الحاخامات بشكل خاص..

ولقد أراد من كتابه هذا أن يُظهر حقيقة الدولة الإسرائيلية، وأنها نقيض لما تدعيه من كونها (دولة علمانية منفتحة)، ويقدّم في سبيل ذلك أمثلة تكشف أن صناعة القرار في الدولة العبرية تُقوْلبها الأرثوذكسية الدينية للجماعات المتطرفة، ويصل إلى نتيجةٍ ملخصها: (أن دولة إسرائيل كدولة يهودية تشكل خطرا، ليس فقط على مواطنيها، بل وعلى جميع يهود العالم، وعلى جميع شعوب ودول منطقة الشرق الأوسط وما وراءها)..

وشاهاك في كتابه يتناول الديانة اليهودية، والتاريخ اليهودي، والدولة الإسرائيلية المعاصرة بما في ذلك الحركة الصهيونية، ولا يرى في هذا الثالوث أي انفصال أو استقلال عن بعضها البعض، ومن خلال تناوله للدين والتاريخ اليهودي، يجد المؤلف من الضروري الكشف عن حجم الخداع الذي مارسه الحاخامات والمفكرون والساسة اليهود لإخفاء طبيعة الدين اليهودي العنصرية، وفي هذا السياق يقدّم أمثلة عديدة عن كيفية تزوير الكتب اليهودية عند ترجمتها إلى اللغات الأخرى كالإنكليزية مثلا، ففي كتاب ديني صدر عام ١٩٦٢ باللغتين العبرية والإنكليزية وردت تعاليم دينية تتعلق بكيفية التعامل مع اليهود المخالفين، فالنص العبري يدعو إلى إبادتهم بقوله: (من الواجب إبادتهم حتى بأيدينا) بينما يكتفي النص المترجم إلى الإنكليزية بالقول: (من الواجب اتخاذ الإجراءات اللازمة)، لكن التزوير الأكبر يطال الفقرة التالية وهي بالعبرية: (من أمثال يسوع الناصري وتلامذته) فهذه العبارة غير مترجمة أصلا إلى الإنكليزية..

ولعل في ترجمة الكتاب إلى العربية خدمة للجهد الذي بذله اليهودي البولندي الأصل، وإيضاح لمجريات كثير من الأمور التي تؤخذ على ظاهرها دون الغوص في خلفياتها ومعرفة دوافعها الأساسية.

الفــــرقــــان والقـــــرآن

● خالد عبد الرحمن العك

● نشر: دار الحكمة – دمشق

يكشف المؤلف منهج الانحراف في بعض التفاسير المعاصرة، ويحذر من خطورة المنهج الجدلي الفلسفي الذي يغير الثوابت ويبدل الحقائق ويحشد آلاف المغالطات الجدلية حول الآيات القرآنية والعقيدة والأحكام الشرعية..

وقد اختار المؤلف مثالين لمدعي التجديد في التفسير هما: د. مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم، وابو زيد الدمنهوري في كتابه (الهداية والعرفان في تفسير القرآن) ناقدا أسلوبهما وما ورد في كتابيهما من الآراء، فقال ان انحرافات مصطفى محمود يعود منشؤها إلى النقاط التالية:

أولا: تصوير أن القرآن الكريم – إذا لم يقدم للناس علوم الطب والتشريح والرياضيات واسرار البيولوجيا والالكترون والذرة – ليس صالحا لزماننا ولا جديرا بأن يقبله منطقنا العصري..

ثانيا: تفلته من قيود الآداب الاسلامية في التعبير في مجال التفسير، حيث وقع في اسر الانفعال والرغبة في التعبير المتحلل من الألفاظ الرصينة الهادفة لأسمى المعاني..

ثالثا: تمثله في كتاباته بصورة المتلهف الظمآن إلى آفاق روحية حديثة، مندفعا اندفاع من اتخمه الشبع المادي حتى أحس بثقل أغلاله، فانطلق وراء سراب للخلاص، غير عابيء بأي شيء، فوقع في شطحات اصحاب النظرية الرمزية الصوفية، كما وقع في تأويلات الباطنية..

رابعا: يقدم من خلال ضجيجه العصري الرنان، تفسيره في صورة العجائب والغرائب التي تبهر أبصار العامة، فلا تعود ترى الرؤية الصحيحة التي تميز بين الحق والباطل، ولا تقدر ان تفصل بين منطق التفكير العلمي الصحيح وبين جرأة الادعاء..

والكتاب في سبعة فصول هي على التوالي: (مكانة القرآن الكريم في فصاحته وبلاغته واعجازه وعظمته)، و(المنهج القرآني الفريد في عرض العقيدة واثبات التوحيد)، و(تاريخ تفسير القرآن الكريم في مراحله الأولى ومنهج الصحابة فيه)، و(مراحل التفسير العلمي والموضوعي للقرآن الكريم)، و(تاريخ تفسير القرآن الكريم بعد نشوء العلوم المستحدثة والمنقولة إلى كتب التفسير)، و(اثر شيخ الإسلام ابن تيمية في علم التفسير واصوله، وفي الكشف عن تأثير الفلاسفة)، و(أخطار المناهج المنحرفة في تفسير القرآن الكريم).





ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

حتى يعود المسلمون أمة واحدة كما بدأوا

الذين يعيشون الإسلام دينا ودنيا، عقيدة وشريعة، مبادئ وسلوكا .. يشعرون بفطرتهم أن هذا الدين يحب من أتباعه أن يكونوا أعزاء، أقوياء، شديدي البأس، مرهوبي الجانب، حتى تكون لهم العزة والغلبة في دنيا الناس، خاصة في هذا العصر الذي أصبحت الغلبة فيه لمن له ناب ومخلب.

على أن أول لبنة في بناء قوة المسلمين، هي تجمعهم، ووحدة صفوفهم، وأهدافهم، وحرص كل واحد فيها على أن يسعى لخير الجميع ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وكثيرا ما أوصانا الدين بأن نتمسك بأهداب الاتحاد، وأن نجعل فيه أسلوباً لحياتنا، ولقد سمى الله الاتحاد إيماناً، وسمى الفرقة كفرا ﴿يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ [آل عمران/ ١٠٠]. أي بعد وحدتكم التي هي إيمان ـ متفرقين، وهذا الذي عبر عنه القرآن بقوله تعالى: «كافرين»، ثم تقول الآيات مؤكدة خطر الفرقة: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ [آل عمران/ ١٠٢و١٠٣].

إن الإسلام حريص على سلامة أمته، وحفظ كيانها، وهو بذلك يطفئ بوادر الخلاف، ويرفض أية ظاهرة تبث الفرقة في المجتمع.

إن أساس العقيدة توحيد الله عز وجل «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، هذه العقيدة توحي بوحدة الأمة وتماسكها، فيتوافق القول مع العمل، ويتطابق الاعتقاد مع السلوك، وبثا لروح المحبة والإخاء بين أبناء الأمة الواحدة، التي ينبغي أن تكون حياتها قائمة على التعاون والتناصر، يقول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» [رواه مسلم]، والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه.

ومن حق الاخوة أن يشعر المسلم بأن إخوانه عون له في السراء والضراء، ولأن قوته تتحرك في الحياة وحدها، بل إن قوى المؤمنين تساندها وتشد أزرها: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[متفق عليه]. هكذا كانت دعوة الإسلام، وما زالت وستظل أبدا تدعو المسلمين إلى وحدة الكلمة والهدف والصف في قوة وثقة وكبرياء، محذرة من الفرقة والتخاذل والضعف والاستسلام للهوى والركون إلى جند الشيطان. فهل نعيش هذه الدعوة ونعي درسها ونتدارس أحوال عالمنا الإسلامي مقارنة بما يجري في العالم الكبير من أحداث وصراعات دون أن نذوب فيها أو نفقد هويتنا أو ينحرف بنا المسار؟

إن لدينا الماضي التليد، والحاضر الغني بحضارة أشاعت نور العلم في ظلمات أوروبا، كما أن الثروة التي كانت وما زالت لدينا هي محط أطماع الغرب، ومن أجل الحصول عليها يثير الفتن هنا وهناك.

إن أحداث اليمن المؤسفة، ماثلة أمامنا تكاد تصرخ: هنا مؤامرة آثمة على هذه الأمة فلننتبه أيها المسلمون.

ولتعيشوا عصركم بنفس أسلحته: الناب والمخلب وخدع السياسة وفنون الدهاء .. وقبل ذلك وبعد .. أن تعودوا كما بدأتم أمة واحدة، لها صوت مسموع في دنيا الناس، ودعوة مستجابة عند رب الناس□

محمد السيد عامر
- بورسيعد - مصر

الإيمان طريق السعادة

الناس كلهم يبحثون عن السعادة. ولكن كثيرا منهم قد ضل طريقها. ولم يعرف سبيلها، فكثير من الناس يعتقدون أن السعادة هي المال الكثير، ولكن هذا خطأ، فإننا نرى كثيرا من الأغنياء في غاية البؤس والشقاء فكم من غني بالمال فقير بالعمل والإيمان، وفريق من الناس يعتقد أن السعادة في النساء الجميلات، فيعطي نفسه حظها من اللذات والشهوات، وهذا في الحقيقة جهل فكم من لذة أعقبتها حسرة وقرأنا كيف كانت المرأة سببا في كل فتنة ، ففي الحديث: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» [رواه الشيخان]، فما حقيقة السعادة؟ السعادة الصادقة هي ما وقر في القلب من إيمان، السعادة هي الإيمان بالله ،والرضا بما قسم الله، والشكر على نعم الله، ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، ليس الغنى عن كثرة العرض. ولكن الغنى غنى النفس. إن من آن بالله. ورضي عن تدبير الله. شعر بالسعادة تنبعث من قلبه وتفيض من نفسه. وتملك عليه كل وجوده وحسه، فهو يستعذب كل شيء مادام في ذلك رضا الله وطاعته ومحبته. حقا الإيمان طريق السعادة الحقيقية.

مصطفى محمد سليمان المراغي - سوهاج - مصر

صلة الرحم والواقع المعاصر

عرفته قاطعا لرحمه، مبالغاً في القطيعة، لا يصلها حتى في الأعياد، وكنت أرقبه عن كثب، وأتعجب من صنيعه غاية الاستعجاب، ثم شاء الله وقرر أن يجمعنا في مجلس، وتطرق الحديث إلى صلة الرحم، فإذا به ينطق ويتكلم بما كاد يصعقني، حيث أخذ يعلل سبب قطع الرحم وأن صلتها مضيعة للوقت، وهو يريد أن يستغل وقته استغلالاً مادياً بحتاً، وصلة الرحم عنده مستهلكة لماله ولثروته، وهو بحاجة إلى أقل القليل من ماله وثروته.

وبما أن صلة الأرحام مشاعر وعواطف ينبغي طرحها ونبذها في هذا الزمن، زمن العمل والجد والصراع والسباق المحموم المذموم. ولم يكن هذا وحده صاحب هذه الأفكار الخربة، بل هناك من هم على شاكلته في هذا العصر المادي الرهيب، الذي يمم شطر المادة وأعلى شأنها واتخذها إلهاً يعبد من دون الله. وترك وطرح ما أمرت به الشريعة من صلة الأرحام ومودة الأهل وراء ظهره.

ألا يدري هذا ومن هم على شاكلته أن صلة الرحم تزيد في العمر وتبارك في الرزق على الضد مما يظنون. ولكنه الجهل بأحكام الشريعة ونواميس الكون وقوانين الله في خلقه. ياهذا، ألم يصل إلى سمعك وأنت في صراعك المحموم وسعيك المذموم، وقطعك لرحمك، وهجرانك لأهلك، قول سيد المرسلين ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» [رواه الشيخان]. ألم تفتح المصحف مرةً في عمرك فتقف عند قول الله تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ [النساء/١]. وقوله تعالى مزكيا المؤمنين الصالحين: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ [الرعد/٢١]، ثم قوله تعالى مبكتاً ومهدداً ومنذراً ومتوعداً الناكبين القاطعين. ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم.

أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ [محمد/٢٢و٢٣]. وكذلك قوله تعالى: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ [الرعد/٢٥].

فيا أيها القاطعون الناكبون اعلموا أن الله سبحانه قرن بين قطيعة الرحم والافساد في الأرض، فهل بعد ذلك من إثم وجريمة؟! فيا للرحم، ويا لعظمة حق الرحم، ويا لجلال وقدر صلة الرحم، وما نطقت به نصوص الشريعة الغراء خير دليل على عظم حقها وعلى جلال قدرها وقدر صلتها، فقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم» فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم ؛ أماترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذلك لك، ثم قال رسول الله ﷺ «اقرأوا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم.

أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم» [رواه الشيخان]. وفي رواية البخاري: «من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته»، وفي رواية بنفس المعنى قال رسول الله ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله» [رواه الشيخان].

وصلة الرحم دليل من دلائل الايمان وعلاماته وأشراطه وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» [رواه الشيخان].

وصلة الرحم مما يدخل الجنة ويباعد من النار فعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، فقال النبي ﷺ «تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم» [رواه الشيخان]. وصلة الرحم واجبة وإن قوبلت بالصد والهجران والخصام، فالحياة لا تخلو من أمور قد يترتب عليها صد وهجران وخصام وقطيعة، ومع ذلك فالصلة واجبة. وذلك أوضح ما يكون في حديث النبي ﷺ: «ليس الواصل بالمكافىء، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمه وصلها» وكذلك في قوله ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ وأحلم عنهم ويجهلون علي. فقال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك» [رواه مسلم].

وقاطع الرحم قد حرم على نفسه الجنة بحمقه وجهله وسفهه، فليس أبشع ولا أرهب من أن يحرم الانسان الجنة على نفسه بحمقه وجهله وسفهه ومخالفته شريعة الرحمن واتباع خطوات الشيطان وفي ذلك يقول النبي ﷺ قولاً بليغاً قاطعاً مانعاً: «لا يدخل الجنة قاطع» ويفسر ذلك الرواية الأخرى التي تقول مفسرة يعني: «قاطع الرحم»[رواه البخاري ومسلم].

وبعد

فهذا والله قليل من كثير، وغيض من فيض من نصوص الشريعة الغراء في هذا الأمر الجلل، فتباً تباً لقاطعي رحمهم، وخساراً خساراً لهم في حياتهم الدنيا ثم في حياتهم الأخرى إن لم يتوبوا ويثوبوا إلى رشدهم وينيبوا إلى ربهم.

فوالله إن الحياة مع قطع الأرحام لهي الجحيم الذي لا يطاق، والسفير الذي لا يحتمل، والعجب من هؤلاء القاطعين هل هم أسوياء؟! وهل حياتهم سوية طبيعية! لا أظن! بل أجزم وأقطع أنهم ليسوا بأسوياء وأن حياتهم ليست سوية. وهنيئا للواصلين بطيب العيش في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة. فاختر لنفسك أيها الانسان.

ولكن إن كنت حكيما أريباً فطناً لبيباً فلا تكن مع الخاسرين: ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾□

محمد نجيب لطفي – الفيوم – العدوة – مصر

هنـــا يـــرســـو قلم أحـــدنــــا، ينفض عن كــاهليـــه وطأة الأيـــام وازدحـــام الأعمال وهموم الـــواقع، فيبث القـــاريء مـــا يتفـــاعل في نفســــه.. وهي زاويـــة رأي مفتـــوحـــة الـــذراعين للجميع..

ادفع بـــالتي هـــي أحســـن

نقلت صحيفة الشرق الأوسط [١٩/٢/١٩٩٥م] قصة المهاجرة البوسنية (أدينا كاتوفيتش) ووالـدتها (سنا) وزوجها الباكستـاني الأصل (فرقـان ميان) ويعيشـون جميعا في مدينة بـويزي عاصمة ولاية ايداهـو بالولايات المتحدة الامـريكية، لقد تركـت (أدينا) ووالـدتها بلدهما بسبب المذابح العـرقيـة التي ارتكبهـا الصرب، الـذين لم يفسحـوا المجال لأي تفـاهم أو تـوفير فـرصة للحـوار مع شركــائهم المسلمين في الـــوطن الواحد، بالرغم من ان المسلمين لم يطـرحوا (جمهـوريـة البوسنـة والهرسك) كبلـد إسلامي يـرفض الآخرين أو يفـرض عليهم أحكام الشريعـــة الإســلاميـــة وهم لها كـارهـون، بينما ينـادي الصرب بصربيـا الكبرى، معلنين انها لن تفسـح المجـــال لغيرهم مـن مواطنيها - إن بقي فيها غيرهم - للتعبير عن انتمائهم الـديني وهـويتهم الثقـافيـة بشكل متواز ومساو للصرب..

تتذكـر (أدينا) أخاهـا الشاب الذي تم ذبحـه على أيدي عصابة صربية دون أن يكون لـه يد في الحرب نفسها لا من قريب ولا من بعيد، وتعزم أن تسمي وليـدها البكر القادم - إن كـان ذكـرا - (أمينـا) تيمنا بـاسم أخيهـا الشهيـد، وتعلّق أمّهـا الثكلى على ذكـرى استشهــاده بقـولها: (لا أستطيع الصفح عن أولئك الذين قتلوه، ولن أثق بهم أبدا، ومع ذلك لا يمكنني أن أفعل بهم ما فعلـوه بي وبعائلتي، ولا أفهم كيف يرتكب بشرٌ مـا ارتكبه هـؤلاء بحق شاب في العشرين من عمره)..

صورة ذكرتني بحوادث عرفتها الساحة اللبنانية خلال الحرب الأهليـة، ففي ٦/١٢/١٩٧٥م وقعت مذبحـة ذهب ضحيتها حـوالي مائتي شاب من بيروت الغـربية - وأغلب أهلها من المسلمين - وعرفت باسم مذبحة (السبت الأسود)، ومن جملة هـؤلاء شاب مسلم من منطقة عائشـة بكار دفع الغضب ببعض أصحـابـه إلى الإمساك بعـدد من المواطنين النصارى القادمين من المنطقة الشرقية، وساقوهم إلى منزل الشهيـد عـارضين على أهله الثأر لـولـدهم وشفـاء غليلهم والانتقام له بقتلهم.. وخرجت والدة الشهيد لتقول: (إن كنتم فاعلين لامحالة، فاقتلوني قبل أن تمسـوهم.. هـؤلاء كولـدي أبريـاء لا علاقـة لهم بالحرب ولا مجرميهـــا، وأمهـــاتهم ينتظـــرونهم كما انتظـرتُ ولـدي). فـاستحيـا الشبـاب وأدركـــوا خطأهم، وأمّنـــوا وصول من كان تحت أيديهم - من المحتجَزين - سالمين إلى منطقتهم..

إنــه منطق الإســلام الــذي لا يقرّ بـالعـدوان، ولا يعترف بالبغي، ولا يرى المروءة في الغدر، ولا الرجولة في التشفّي.. إنــه منطق القوة الــذي ينبع من معـاني الرحمة والتعـامل بمستوى أخلاقـي راق يستمد قوته من قـوة الله وعظمته، ويدفع السيئة بـالحسنة فيضع حدا لمسلسل المآسي وسفك الـدماء.. المنطق الـذي فتح القلوب قبل البلـدان.. وكم نحن بحـاجـة إلى أن يســود هــذا المنطق نفســه ديـار المسلمين ليتحقق الأمن الاجتماعي فيهـــا، ثم ينطلق ليكـــون قـدوة الدنيـا، وفي قوله تعالى: ﴿ادفع بـالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عدواة كأنّه وليّ حميم﴾ موعظة كافية وتوجيه سديد□

بقلم: د. صـــــلاح الـــــدين أرقـــــه دان



الفهرس العام

لمواضيع مجلة (الوعي الإسلامي)

لسنة ١٤١٥هـ
١٩٩٤ - ١٩٩٥م

الافتتاحية

كلمة العدد

حوار العدد

المرسى

كتاب الشهر

الكتاب	عرض	رقم العدد	الصفحة
التغريب في التعليم في العالم الإسلامي	محمد عبد الشافي القوصي	٣٤١	٧٨
الصربيون .. خنازير أوروبا	أحمد رمضان محمد حمودة	٣٤٢	٧٦
المنهج الاقتصادي في التخطيط	د. مصطفى رجب	٣٤٥	٨٣
الأصولية الإنجيلية والصهيونية	الشيخ/ طه الولي	٣٤٦	٨٤
علامة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان	د. صلاح الدين أرقه دان	٣٤٧	٧٤
احترام الحرية الشخصية لأسرى الحروب	صلاح حسين شهاب الدين	٣٤٨	٨٢
الذين طغوا في البلاد	أحمد أبو زيد	٣٤٩	٨٢
الفكر الديني عند زكي نجيب محمود	علي القاضي	٣٥٠	٨٤
إثبات الشهور الهلالية ومشكلة التوقيت	د. أبو بكر خالد سعد الدين	٣٥١	٨٤
الإسلامي	شحادة مطر	٣٥٢	٨١

صحة

الموضوع	اسم الكاتب	رقم العدد	الصفحة
النوم، ولماذا على الجانب الأيمن؟	البدري محمد الهادي مطاوع	٣٤٥	٥٠
احذر المخدرات	د. نبيل مأمون المرصفي	٣٤٦	٣٣
السواك خير حماية للإنسان	منصور محمد الهادي مطاوع	٣٤٦	٥٩
القرآن ينهي عن جماع المرأة في الحيض	سعد عوض المر	٣٤٦	٨٢
ظاهرة انتشار الشيشة	محمد بشير الوظائفي	٣٤٨	٦٠

شخصيات إسلامية

الشخصية	اسم الكاتب	رقم العدد	الصفحة
ماهوا لونج .. مجاهد من الصين	محمد مروان جميل مراد	٣٤١	٣١
عمر بن عبد العزيز	أحمد مصطفى أحمد قاسم	٣٤٢	٤٥
محمد أسد	محمد حسن بدر الدين	٣٤٣	٤٨
وهب بن منبه	د. توفيق الواعي	٣٤٤	٥٤
محمد بن سحنون	بهيج بهجت سكيك	٣٤٦	٤٢

شعر

مفاهيم إسلامية

قصص ومسرحيات

مفاهيم إسلامية

دراسات

مجتمع

ترجمات

شؤون المرأة

إعلام

علوم

تحقيقات

سيرة

اقتصاد وتنمية

تربية وتزكية

تراث وحضارة

وقفة وتأملات

فكر إسلامي

دراسات فقهية

العالم الإسلامي وقضايا إسلامية

الموضوع	اسم الكاتب	رقم العدد	الصفحة
الجزر الأفريقية تسترد هويتها الإسلامية	محمود بيومي	٣٤١	٢٨
وكشمير تصرخ وا إسلاماه	سعيد كامل معوض	٣٤١	٦٨
مسلمو يوغسلافيا مواطنون لا دخلاء	محمود السيد دغيم	٣٤٢	٥٤
المسلمون في بولندا	التحرير	٣٤٣	٦٨
دور المراكز والنوادي الشبابية	د. محمود الخاني	٣٤٣	٨٣
نداء من القلب (أفغانستان)	أحمد الدبوس	٣٤٥	٤٦
الشيشان وكبرياء المواجهة	مركز الدراسات والأبحاث	٣٤٩	٢٤
الدورة السادسة للعلوم الشرعية بألمانيا	د. صلاح الدين أرقه دان	٣٥٠	٨٠
الصحوة الإسلامية في بلاد تركستان	د. عوني الخان	٣٥١	٧٢
المحنة تزداد تفاعلا في لبنان	عباس العرب	٣٥٢	٤٢

مناسبات

الموضوع	اسم الكاتب	رقم العدد	الصفحة
الهجرة بين الأمل والعمل	د. محمود محمد عمارة	٣٤١	٣٨
الهجرة نقلة نوعية من الدعوة الدينية	طه الولي	٣٤١	٤٢
هجرة/ في خيمة أم معبد	فاطمة محمد بغدادي	٣٤١	٤٤
الإسراء والمعراج .. عذرا صاحب الذكرى	د. محمد السقا عيد	٣٤٧	١٨
الإسراء والمعراج	أمين محمد عثمان	٣٤٧	٢٠
الصيام وأبواب الخير	عبد الرحمن قره حمود	٣٤٩	٣٠
العشر الأواخر وليلة القدر	أحمد رمضان محمد حمودة	٣٤٩	٣١
شهر الصبر والمرحمة	عمر أحمد عمر	٣٤٩	٣٢
معجزات في غزوة بدر	نبيل فولي محمد منجي	٣٤٩	٣٥
فتوحات إسلامية مجهولة في رمضان	خالد محمد عزب	٣٤٩	٤٠
مقاصد الحج (السياسية والاقتصادية)	مصطفى أحمد حسين قنبر	٣٥٢	١٤
من أسرار الفريضة الخاتمة	معوض عوض إبراهيم	٣٥٢	١٨

دراسات قرآنية

فرق وعقائد

بيئة

بالإضـــافـــة إلى الأبــواب الثـــابتـــة:

الفتاوى/ اعداد إدارة الفتوى بالوزارة
بريد القراء/ اعداد التحرير
حديقة الوعي/ اعداد التحرير
ثمرات المطابع/ اعداد التحرير
نافذة على العالم/ اعداد التحرير

وكل عام وأنتم بخير


وأذن في الناس
بالحج يأتوك
رجالا و على كل
ضامر يأتين من
كل فج عميق